موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة (4)

العلمانية

الباب الرابع

العلمانية

إعداد

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الباب الرابع

العلمانية

العلمانية

" العلمانيـة" هـي الترجمـة العربيـة لكلمـة Secularism, Secularite فـي اللغات الأوربية وهي ترجمة مضللة لأنها توحي بأن لها صلة بالعلم ، بينما هي في لغاتها الأصلية لا صلة لها بالعلم ، بل المقصود بها في تلك اللغات هو إقامة الحياة بعيدا عن الدين ، أو الفصل الكامل بين الدين والحياة .

تقول دائرة المعارف البريطانية في تعريف كلمة Secularism هي حركة اجتماعية تهدف إلي صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلي الاهتمام بالحياة الدنيا وحدها ، ذلك أنـه كان لدي الناس في العصور الوسطي رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر ، ومن أجل مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ"Secularism " تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الانسانية ، حيث بدأ النـاس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالانجازات الثقافية البشرية ، وبإمكانية تحقيق طموحاتهم في هذه الحياة القريبة . وظل الاتجاه إلي الـ Secularism يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية (1)

وهكذا يتضح أنه لا علاقة للكلمة بالعلم ، إنما علاقتها قائمة بالدين ولكن علي أساس سلبي ، أي علي أساس نفي الدين والقيم الدينية عن الحياة ، وأولي الترجمات بها في العربية أن نسميها " اللادينية" بصرف النظر عن دعوي " العلمانيين" في الغرب بأن " العلمانية " لا تعادي الدين ، إنما تبعده فقط عن مجالات الحياة الواقعية, السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية .. إلخ ولكنها تترك للناس حرية " التدين" بالمعني الفردي الاعتقادي ، علي أن يظل هذا التدين مزاجا شخصي لا دخل له بأمور الحياة العملية

بصرف النظر عن هذا الاعتراض الذي سنناقش مدي حقيقته بالنسبة للحياة الاوربية ذاتها ، كما سنناقشه بالنسبة لنتبين مدي تطابقه أو عدم تطابقه مع المفاهيم

الإسـلامية ، فـإن " اللادينيـة" هـي أقـرب ترجمـة تـؤدي المقصـود مـن الكلمـة عنـد أصحابها ، ولكنا مع ذلك سنظل نستخدم المصطلح المعروف عند الناس – مع بيان بعده عن الدقة – حتي يتفق الكتاب علي نبذ هذا المصطلح المضلل ، واستخدام الفظة الأدق

– – – – – – – – – – – – – – – –

نبذ الدين واقصاؤه عن الحياة العملية هو لب العلمانية

وتبدو نشاة العلمانية في أوروبا أمرا منطقيا مع سير الأحداث هناك ، إذا رجعنا إلي الظروف التي شر حناها من قبل في التمهيد الأول من هذا الكتاب ، أي إلي عبث الكنيسة بدين الله المنزل ، وتحريفه وتشويهه ، وتقديمه للناس في صورة منفرة ، دون أن يكون عند الناس مرجع يرجعون إليه لتصحيح هذا العبث وإرجاعه إلي أصوله الصحيحة المنزلة ، كما هو الحال مع القرآن ، المحفوظ – بقدر الله ومشيئته – من كل عبث أو تحريف خلال القرون

فمن المعلوم أن الإنجيل المنزل من عند الله لم يدون علي عهد المسيح عليه السلام إنما تلقاه عنه حواريوه بالسماع، ثم تشتتوا تحت تأثير الاضطهاد الذي وقع علي اصحاب الرسالة الجديدة سواء من اليهود أو من الرومان ، فلما بدأ تدوينه بعد فترة طويلة من نزوله كان قد اختلط في ذاكرة أصحابه ن كما اختلطت النصوص فيه بالشروح ، ثم غلبت الشروح علي النصوص .. ووقع الاختلاف والتحريف والتصحيف الذي يشير إليه كتاب التاريخ الأوربي ومؤرخو الكنيسة علي السواء ، واستبد رجال الدين بشرح ما سمي الاناجيل بالاحتفاظ بعلم" الأسرار " التي نشات من التحريف والتصحيف والتي لا أصل لها في دين الله المنزل ، ثم زاد استبدادهم – كما أسلفنا في ذلك التمهيد – فصار طغيانا شاملا يشمل كل مجالات الفكر والحياة : طغيانا روحيا وفكريا وعلميا وسياسيا وماليا واجتماعيا ..وفي كل اتجاه

فحين يحدث نفور من الدين في مثل هذا الجو فهذا أمر منطقي مع سير الأحداث ، وإن لم يكن منطقيا مع " الإنسان " في وضعه السوي ، فإذا كان الانسان عابدا بفطرته ، وكان الدين جزءا من الفطرة أو هو طبيعة الفطرة فإن الانسان الراشد في مثل الوضع الذي وجدت فيه أوربا كان ينبغي عيه أن ينبذ ذلك الدين الذي تحوطه

كل تلك التحريفات في نصوصه وشرحه وكل تلك الانحرافات فى سلوك رجاله ، ثم يبحث عن الدين الصحيح فيعتنقه ، وقد فعلت أوربا الأمر الأول فنبذت دين الكنسية بالفعل ، ولكنها لم تفعل الأمر الثانى حتى هذه اللحظة إلا أفرادا متناثرين لم يصبحوا بعد " ظاهرة " ملموسة . ومن هنا نقول إن الظروف التى أحاطت بالدين فى أوروبا تفسر ولا تبرر . . تفسر شرود الناس فى أوروبا عن الدين ولكنها لا تبرره .. فإنهن لا شئ على الإطلاق يبرر بعد الإنسان عن خالقه ، ونبذه لعبادته على النحو الذى افترضه على عباده ، سواء بالاعتقاد بوحدانيته سبحانه ، أو بتوجيه الشعائر التعبدية إليه وحده ، أو بتنفيذ شريعته ، فهذا التصرف المنحرف من الإنسان الذى نبذ الذين وابتعد عن الله ، هو الذى قال الله فيه : {بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (14) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (15)} [سورة القيامة 75/14-15] أى أنه لا يقبل منه عذر فيه !

19Encyc . Britanica V.Ixp. (1)

على أن الذى يعنينا الآن ليس هو محاسبة أوروبا على انحرافاتها فى مجال الدين والعقيدة ، فالخلق صائرون إلى ربهم وهو الذى يحاسبهم :

{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (22) إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ (24) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)} [سورة الغاشية 88/21-26]

ولكن الذى يعنينا هو شرح هذه الانحرافات وبيان الصورة التى حدثت عليها ، والظروف التى أحاطت بها منذ مبدئها حتى صارت إلى ما صارت إليه .

ونخطئ – من وجهة نظرنا الإسلامية – إن قلنا إن " العلمانية " حدثت فقط بعد النهضة . فالحقيقة – من وجهة النظر الإسلامية – أن الفصل بين الدين والحياة وقع مبكرا جدا فى الحياة الأوروبية ، أو أنه – إن شئت الدقة – قد وقع منذ بدء اعتناق أوروبا للمسيحية ، لأن أوروبا – كما أسلفنا فى التمهيد – قد تلقت المسيحية عقيدة منفصلة عن الشريعة (بصرف النظر عما حدث فى العقيدة ذاتها من تحريف على أيدى الكنيسة) ولم تحكم الشريعة شيئا من حياة الناس فى أوربا إلا ط ألحوال الشخصية " فحسب ، أى أنها لم تحكم الأحوال السياسية ولا الأحوال الاقتصادية ولا

الأحوال الاجتماعية فى جملتها . وهذا الوضع هو علمانية كالة من وجهة النظر الإسلامية (1)ولكن الذى تقصده أوروبا بالعمانية " Secularism" ليس هذا ، لأنها لم تألف الصورة الحقيقية للدين أبداء فى يوم من الأيام ! إنما الذى تقصده أوروبا حين تطلق هذه الكلمة هو إبعاد ما فهمته هى من معنى الدين عن واقع الحياة ، متمثلا فى " بعض " المفاهيم الدينية ، وفى تدخل " رجال الدين " باسم الدين فى السياسية والاقتصاد والاجتماع والفكر والعلم والأدب والفن .. وكل مجالات الحياة ، ثم إقامة هذا كله بعيدا عن نفوذ الكنيسة من جنة ، وبعيدا عن مفاهيم الدين كلها من جهة أخرى ، بصرف النظر عن وجود الكنيسة أو عدم وجودها .

بعبارة أخرى نقول إن ما نبذته أوروبا حين أقامت علمانيتها لم يكن هو حقيقية الدين – فهذه كانت منبوذة من أول لحظة ! – إنما كان بقايا الدين المتناثرة فى بعض مجالات الحياة الأوروبية أو فى أفكار الناس ووجداناتهم فجاءت العلمانية فأقصت هذه البقايا إقصاء كاملا من الحياة ، ولم تترك منها إلا حرية من أراد أن يعتقد بوجود إله يؤدى له شعائر التعبد فى أن يصنع ذلك على مسئوليته الخاصة ، وفى مقابلها حرية من أراد الإلحاد والدعوة إليه أن يصنع ذلك بسند الدولة وضماناتها !

– – – – – – – – – – – – – – – –

كيف نشأت هذه العلمانية فى أوروبا ؟

أى كيف أقصيت بقايا الدين من الحياة الأوروبية وصارت الحياة " لا دينية " تماما فى كل مجالاتها العملية؟

نحتاج أن نتذكر أولا أنه فى الوقت الذى لم يكن للدين الحقيقى وجود فى أوروبا – سواء فى صورة عقيدة صحيحة أو صورة شريعة حاكمة – كان هناك نفوذ ضخم جدا يمارس باسم الدين فى مجال العقيدة وفى مجالات الحياة العملية كلها من قبل رجال الدين ، ويتمثل فى حس الناس هناك على أنه هو " الدين " !

أى أن الصورة الواقعية للدين فى أوروبا كانت تتمثل أولا فى عقيدة مأخوذة من " الأناجيل " وشروحها تقول إن الله ثالث ثلاث وإن الله هو المسيح ابن مريم ،وتتمثل ثانيا فى صلوات وقداسات ومواعظ واحتفالات تقام فى الكنائس يوم الأحد بصفة خاصة ، وتتمثل أخيرا – وليس آخرا – فى نفوذ لرجال الدين على الملوك وعلى

عامة الناس ، فأما نفوذهم على الملوك فيتضمن أنهم لا يجلسون على عروشهم إلا بإذن البابا ومباركته ، ولا يتولون سلطانهم على شعوبهم إلا بتولية البابا لهم ، وإذا غضب عليهم البابا – غضبا شخصيا لا علاقة له البتة بتحكيم شريعة الله – نبذتهم شعوبهم ولم تذعن لأوامرهم ، وأما نفوذهم على عامة الناس فيتضمن أنهم لا يصبحون مسيحيين إلا بتعميد الكاهن لهم ، وليس لهم صلاة إلا بحضور الكاهن أمامهم فى مكان محدد هو الكنيسة ، ولا يموتون موتا صحيحا إلا بإقامة قداس الجنازة لهم على يد الكاهن ، ولا يعتقدون إلا ما يلقنهم إياه رجال الدين من شئون العقيدة ، ولا يفكرون إلا فيما يسمح لهم رجال الدين بالتفكير فيه ، وعلى النحو الذى يسمحون لهم به ، ولا يتعلمون إلا ما يسمح لهم رجال الدين تعلمه ، ولرجال الدين فوق ذلك نفوذ على أموالهم وعلى أجسادهم وعلى أرواحهم أشرنا إلى جوانب منه من قبل.

هذا الدين – بهذه الصورة – مخالف للدين المنزل من عند الله فى أكثريته .. ولكنه ليس خلوا بالمرة من حقائق الدين ، وهذه شهادة الله فيهم :

{وَمِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ} [سورة المائدة 14/5]

---

(1) سنتحدث فى هذه النقطة تفصيلا فى نهاية الفصل .

ففيه من حقائق الدين ان الله هو الذى خلق الكون كله ، وهو الذى خلق الإنسان على هذه الصورة الإنسانية وجعله عاقلا مفكرا مريدا ، وكلفه الأمانة ، وكلفه عمارة الأرض والهيمنة عليها ، وعرفه أن هناك بعثا ونشورا وحسابا وثوابا وعقابا يوم القيامة ، وأن هناك جنة ونار أبديتين يصير الناس إليهما كل بحسب عمله ، وفيه من حقائق الدين كذلك أن الله حرم القتل والسرة والزنا والربا والكذب والغش والخيانة .. وأوجب على الناس فى حياتهم أخلاقيات معينة يتقيدون بها فى تعاملهم بعضهم مع بعض ، وأن الله شرع الزواج وحرم علاقات الجنس خارجه ، وشرع الأسرة وأوجب صيانتها وجعل للرجل القوامة عليها .. إلى آخر ما يجرى هذا المجرى من حقائق الدين .

ولكن الدين المنزل من عند الله ليس فيه أن الله هو المسيح ابن مريم وأن الله ثالث ثلاثة ، وليس فيه أن يشرع رجال الدين (الأحبار والرهبان) من عند أنفسهم فيحلوا ويحرموا بغير ما أنزل الله (كما أحلوا الخمر والخنزير وأبطلوا الختان) وليس فيه أن يطلب رجال الدين لأنفسهم سلطانا يرهبون به الناس ويفرضون عليهم ما أحلوا هم وما حرموا من دون الله ، كما يفرضون عليهم الخضوع الكامل لأهوائهم فى الوقت الذى لا يستخدمون فيه سلطانهم الرهيب فى فرض شريعة الله على الأباطرة والملوك ليحكموا بها بدلا من القانون الرومانى ، ويكتفون بجعل هذه الشريعة مجرد مواعظ خلقية وروحية من شاء أن يتقيد بها تقيد ومن شاء أن يتفلت منها فلا سلطان لأحد عليه فى الأرض ، بينما القانون الرومانى يعاقب المخالفون له بالقتل أو الحبس أو ما سوى ذلك م العقوبات !

وليس فى الدين المنزل أن الأرض منبسطة وليست كروية ، وأن من قال بكرويتها يحرق حيا فى النار !

وليس فيه أن يفرض رجال الدين لأنفسهم – لا للفقراء والمساكين – عشور أموال الناس ، ولا السخرة المجانية فى أرض الكنيسة .

وليس فيه كل ما فعله رجال الدين من فضائح ومخاز ودناءات .. كصكوك الغفران والفساد الخلقى بكل أنواعه ومناصرة الكنيسة للمظالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الواقعة على الشعوب !

ولكن أوروبا حين أنشأت علمانيتها نبذت الدين كله ، لم تفرق بين أباطيل الكنيسة وبين حقائق الدين!

وصحيح أن الدين الكنسى – بحقائقه وأباطيله – لم يكن صالحا للحياة ، ولم يكن مقبولا عند الله :

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [سورة المائدة 68/5]

ولكن أوروبا – كما أشرنا من قبل – حين نبذت دين الكنيسة الفاسد لم تبحث عن الدين الصحيح ، الذى يصدق الحقائق ويبطل الأباطيل .

– – – – – – – – – – – – –

كان الدين الكنسى ذا سطوة عنيفة على كل مرافق الحياة فى أوروبا فى قرونها الوسطى المظلمة . وكان ذلك أمرا سيئا شديد السوء ، لا بسبب سيطرة " الدين " على الحياة كما خيل لأوروبا بغباء فى جاهليتها المعاصرة ، ولكن بسب سيطرة الفساد الكامن فى ذلك الدين الكنسى على كل مرافق الحياة !

ولكن نستيقن من الحقيقة فى هذا الأمر ما علينا إلا أن نراجع فترة مقابلة " وموازية " من التاريخ ، كان فيها الدين الصحيح ذا سيطرة عظيمة على كل مرافق الحياة .. تلك هى الفترة الأولى من حياة المسلمين التى امتدت حوالى سبعة قرون من الزمان . . فكيف كانت ؟! كان الهدى . وكان النور . وكان العلم ، وكانت الحضارة التى عرفت أوروبا طرفا منها فى الأندلس والشمال الأفريقي . وكان كل جميل من الأفكار والمشاعر وأنماط السلوك برغم كل الانحراف الذى طرأ على حياة المسلمين فى تلك القرون ، سواء من جانب الحكام أو من جانب المحكومين !

فلم يكن " الدين " فى ذاته إذن هو مصدر السوء فى الحياة الأوروبية فى تلك الفترة (ولنذكر أن أسبانيا – وهى جزء من أوروبا – كانت مزدهرة فى نفس الوقت بتأثير الدين الصحيح ، كما كانت صقلية وغيرها من الأصقاع الأوروبية التى دخل فيها الإسلام) إنما كان " فساد الدين " هو السبب فى ذلك الظلام الذى اكتنف أوروبا فى قرونها الوسطى المظلمة الحالكة السواد .

وأوروبا لا تحب أن تصدق هذه الحقيقة فى جاهليتها المعاصرة – مع أنها حقيقة موضوعية بحتة يشهد بصحتها كل ما كتبه مؤرخوهم المنصفون عن الحضارة الإسلامية – لأن مجرد تصديقها معناه أنهم كانوا مخطئين فى نبذه " الدين " كله بحجة فساد الدين الذى قدمته الكنيسة لهم ، وأنهم مازالوا مخطئين إلى هذه اللحظة للسبب ذاته .. وهم لا يريدون أن يرجعوا إلى الدين بأى وسيلة من وسائل الرجوع !

مرة أخرى لا تريد أن نحاسب أوروبا على انحرافاتها فى مجال الدين والعقيدة ، إنما نشرح فقط خطوات ذلك الانحراف .

كانت سيطرة الدين الكنسى على الحياة الأوروبية فى قرونها المظلمة أمرا سيئا كما قلنا – برغم سيطرة بعض الفضائل الدينية على الحياة وخاصة فى الريف الأوربى – لأن ذلك الدين بما حواه من انحرافات جذرية فى العقيدة من ناحية ، وفى فصل

العقيدة عن الشريعة من ناحية أخرى ، وفى فساد ممثليه من رجال الدين وجهالتهم من ناحية ثالثة – كان مفسدا للحياة ومعطلا لدفعتها الحية ، كما كان مفسدا للعقول ومعطلا لها عن التفكير السليم .

لذلك كان نبذ ذلك الدين والانسلاخ منه أمرا ضروريا لأوروبا إذا أرادت أن تتقدم وتتحضر وتعيش ..

ولكن البديل الذى اتخذته أوروبا بدلا من دينها لم يكن أقل سوءا إن لم يكن أشد ، وإن كان قد أتاح لها كل العلم والتمكن المادى الذى يطمح إليه البشر على الأرض ، تحقيقا لسنة من سنن الله التى تجهلها أوروبا وتجهل حكمتها ، لأنها لا تؤمن بالله وما نزل من الوحى :

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)} [سورة الأنعام 44/6]

نعم ! لم تكن العبودية للأحبار والرهبان من البابوات ورجال الدين أمرا صالحا للحياة ولو كانوا هم أنفسهم من الصالحين ، لأن العبودية لاتصح إلا لله وحده ، ولا تصلح الحياة إلا إذا كانت لله وحده .. فكيف وهؤلاء الأحبار والرهبان على ما كانوا عليه من الفساد والجهالة والبعد عن حقيقة الدين ؟!

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (31)} [سورة التوبة 31/9]

ولم يكن الدين الذى يحوى كل ذلك القدر من الأساطير ، ويحارب العلم ويحجر على الفكر ، ويفصل بين الدنيا والآخرة فيهمل الدنيا وينبذها من أجل الخلاص فى الآخرة ، ويحتقر الجسد ويعذبه من أجل خلاص الروح ، ويبيح فى الوقت نفسه للإقطاعيين أن يمتصوا دماء الفلاحين ويكتنزوا بها ويترفوا ويفسدوا ، ويخذل الفلاحين عن الثورة على هذا الظلم بحجة الحصول على رضوان الله وجنته فى الآخرة إن رضوا بالمذلة والظلم فى الحياة الدنيا .. لم يكن ذلك الدين ليسمح للحياة بالتقدم ، وهو يلفها بأغلفة سميكة من الظلام .

ويقول التاريخ – الذى تكره أوروبا الاعتراف به إلا القلة المنصفة – إن أوروبا بدأت تخرج من ظلمات قرونها الوسطى المظلمة حين احتكت بالمسلمين فى مشارق

الأرض ومغاربها ، سواء فى الحروب الصليبية أو البعوث التى بعثتها للتعلم فى مدارس المسلمين فى الأندلس بصفة خاصة ، وفى صقلية وغيرها من البلاد التى نورها الإسلام .

بل تقول الروايات التاريخية إن رجال الدين المسيحى أنفسهم كانوا يتعاطون الثقافة الإسلامية فى تلك المدارس ، أو فيما ينقل منها إلى اللغات الأوروبية ، وإنهم كانوا يترقون فى مناصب الأكليروس بقدر ما يحصلون عليه من تلك الثقافة ! "

ويقول روجر بيكون (فى القرن الثالث عشر الميلادى) : " من أراد أن يتعلم فليتعلم العربية لأنها هى لغة العلم " .

لقد وجدت أوروبا حين احتكت بالمسلمين عالما عجيبا بالنسبة إليها ، ليس فيه بابورات ولا رجال دين ! وليست فيه أسرار عقيدية يختص بعلهما فريق من الناس دون فريق .. وليس فيه " نبلاء ! " يستعبدون الناس فى إقطاعياتهم .. وليس فيه حجر على العقول أن تفكر ، ولا حجر على العلم أن يبحث ويجرب وينشر أبحاثه على الناس .

يقول " راندال " فى كتابه " تكوين العقل الحديث " (ترجمة جورج طعمة ج 1 ص 314 من الترجمة العربية) :

وبنوا (يقصد المسلمين ، وإن كان يستخدم لفظة " العرب " تحاشيا لذكر المسلمين !) فى القرن العاشر فى أسبانيا حضارة لم يكن العلم فيها مجرد براعة فحسب ، بل كان علما طبق على الفنون والصناعات الضرورية للحياة العملية ، وعلى الإجمال كان العرب يمثلون فى القرون الوسطى التفكير العلمى والحياة الصناعية العلمية اللذين تمثلهما فى أذهاننا اليوم ألمانيا الحديثة " .

ويقول ليوبولد فايس (محمد أسد) فى كتابه " الإسلام على مفترق الطرق " (ترجمة عمر فروخ ص 39 – 40 من الترجمة العربي) :

" إن العصور الوسطى قد أتلفت القوى المنتجة فى أوروبة .. كانت العلوم فى ركود ، وكانت الخرافة سائدة ، والحياة الاجتماعية فطرية خشنة إلى حد من الصعب علينا أن نتخيله اليوم ، فى ذلك الحين أخذ النفوذ الإسلامى فى العالم – فى بادئ الأمر بمغادرة الصليبيين إلى الشرق ، وبالجامعات الإسلامية الزاهرة فى أسبانيا المسلمة فى

الغرب ، ثم بالصلات التجارية المتزايدة التى أنشأتها جمهوريتنا جنوة والبندقية – أخذ هذا النفوذ يقرع الأبواب الموصدة دون المدنية العربية .

" وأمام تلك الأبصار المشدوهة ، أبصار العلماء والمفكرين الأوروبيين ، ظهرت مدنية جديدة ، مدنية مهذبة راقية خفاقة بالحياة ، ذات كنوز ثقافية كانت قد ضاعت ثم أصبحت فى أوورية من قبل نسيا منسيا . ولكن الذى صنعه العرب كان أكثر من بعث لعلوم اليونان القديمة .. لقد خلقوا لأنفسهم عالما علميا جديدا تمام الجدة .. لقد وجدوا طرائق جديدة للبحث وعملوا على تحسينها ، ثم حملوا هذا كله بوسائط مختلفة إلى الغرب . ولسنا نبالغ إذا قلنا إن العصر العلمى الحديث الذى نعيش فيه لم يدشن فى مدن أوروبا النصرانية ، ولكن فى المراكز الإسلامية : فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة " .

وتعلمت أوروبا كل العلم الذى وجدته عند المسلمين ، كما أخذت كثيرا من الأصول الحضارية التى وجدتها عندهم " (1)" ولكنها لأمر رفضت أن تأخذ الإسلام ، رغم السماحة الهائلة التى لمسها المسيحيون من المسلمين فى الأندلس ! وارتدت من جاهلية الدين الكنسى المحرف إلى جاهلية ما قبل ذلك الدين ، الجاهلية الإغريقية الرومانية Greco-Roman لتنشئ على أساسها جاهلية جديدة متقدمة كل التقدم فى العلم والتكنولوجيا (على أساس العلم الذى أخذته من المسلمين ، والمنهج التجريبى فى البحث العلمى الذى استمدته منهم) ومنتكسة أشد الانتكاس فيما عدا ذلك من جوانب الحياة ..

من الإغريق أخذت عبادة العقل وعبادة الجسد فى صورة جمال حسى .

ومن الرومان أخذت عبادة الجسد فى صورة متاع حسى ، وتزيين الحياة الدنيا بكل وسائل العمارة المادية إلى أن يستغرق الإنسان فى المتاع وينسى " القيم " التى تكون الإنسان . كما أخذت شهوة التوسع الحربى واستعباد الأمم الضعيفة لحساب الدولة " الأم " فى صورة إمبراطوريات .

والمهم – بالنسبة لبحثنا الحاضر – أنها بدأت تنبذ الدين !

– – – – – – – – – – – – – – –

قامت النهضة على أسس معادية للدين من أول لحظة .

قامت على أصول " بشرية " بدلا من الأصول الدينية أو الإلهية كما كانت تصورها لهم الكنيسة .

كان الدين الذى قدمته لهم الكنيسة على أنه الدين الإلهى دينا أخرويا لا يقيم وزنا للحياة الدنيا ، بل يحتقرها ويزدريها ويدعو إلى إهمالها وعدم الالتفات إليها فى سبيل الحصول على " الخلاص " ، خلاص الروح ، الذى لا يمكن الوصول إليه إلا بالتجرد من متاع الأرض ، والاستعلاء على مطالب الجسد ، والتطلع إلى ملكوت الرب الذى يتحقق فى الآخرة ولا سبيل إلى تحقيقه فى الحياة الدنيا . ومن ثم فإن " حركة التاريخ " ومحاولة تصحيحها بتصحيح حركة المجتمع كما يقول ولفرد كانتول سميث Wilfred Cantwell Simth فى كتاب " الإسلام فى التاريخ الحديث Islam in Modern History " لم تكن فى حساب الكنيسة المسيحية لا أيام ضعفها فى القرون الأولى ولا حين أصبح لها السلطان " (2)" إنما يسعى كل إنسان إلى خلاصه الشخصى ، كالذى يسير على معبر دقيق كل عمه ألا يفقد توازنه فيقع فى الهاوية ، أو كالذى يسير فى الوحل كل همه أن يشمر ثيابه ويلتفت إلاى مواقع قدميه حتى لا ينزلق أو يتلطخ بالوحل ، لا يهمه أن يصحح مواضع أقدم الآخرين أو يقيهم من الانزلاق .

ومن هنا فإن هذا الدين فى صورته الكنسية تلك لم يكن يسعى إلى تحسين أحوال البشر على الأرض ، أو إزالة المظالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تقع عليهم ، وإنما يدعو إلى الزهد فى الحياة الدنيا برمتها ، وترك كل شئ على ما هو عليه ، لأن فترة الحياة الدنيا أقصر وأضأل وزنا من أن يحاول الإنسان تعديل أوضاعه فيها . إنما يسعى جاهدا إلى الخلاص منها دون أن يعلق بروحه شئ من الآثام . والمتاع ذاته هو من الآثام التى يحاول المتطهرون النجاة منها بالرهبنة واعتزال الحياة .

بل أكثر من ذلك : إن احتمال المشقة فى الحياة الدنيا ، واحتمال ما يقع فيها من المظالم هو لون من التقرب إلى الله يساعد على الخلاص . ومن ثم دعت الكنيسة الفلاحين للرضا بالمظالم التى كانت تقع فى ظل الإقطاع وعدم الثورة عليها لينالوا

رضوان الله فى الآخرة ، وقالت لهم : " من خدم سيدين فى الحياة الدنيا خير ممن خدم سيدا واحدا " !

ومن جهة أخرى كان هذا الدين يحصر كيان الإنسان فى نطاق محدود محصور أشد الحصر ، ليبرز جانب الألوهية فى أكمل صورة .

ألوهية الله فى ذلك الدين معناها السلبية الكاملة للإنسان ، وحصر دوره – لا فى العبادة بمعناها الواسع ، أى على النحو الذى قرره الإسلام ، والذى يشمل عمارة الأرض بمقتضى المنهج الربانى – إنما فى الخضوع لقدر الله القائم ، وعدم العمل على تغيير شئ من الواقع المحيط بالإنسان ، لأن محاولة التغيير – ولو إلى الأحسن – تحمل فى طياتها " عدم الرضا " بالأمر الواقع ، وهو لون من التمرد على إرادة الله لا يقره ذلك الدين .

---

(1) " " انظر كتاب " شمس الله تشرق فوق الغرب " وانظر فصلا بعنوان " المسلمون فى أسبانيا " فنونهم وصناعاتهم وما كان لهم من فضل فى ثقافة أوروبا فى العصر الحديث " بقلم ج . ب . ترند G. B. Trend ص 729 – 760 من الترجمة العربية لكتاب " تاريخ العالم " نشر وزارة التربية والتعليم المصرية .

(2) " " ص 30 – الطبعة الأولى ، سنة 1957 .

ومن ثم فإن فاعلية الإنسان محصورة فى الطاعة للأوامر الإلهية – كما تعرضها الكنيسة بالحق أو الباطل – لا تتعداها إلى الإنشاء لأنه ، ليس للإنسان أن ينشئ شيئا من عند نفسه ، ولو كان يلتزم فى هذا الإنشاء بالهدى الربانى . ومن ثم كذلك كان ثبات الأوضاع فى أوروبا فى العصور الوسطى لفترة طويلة من الزمان بكل ما تحمل من ألوان الفساد السياسى والاقتصادى والاجتماعى والفكرى والروحى .. على أساس أنها قدر الله الذى لا يجوز للناس تغييره ، إنما ينبغى الخضوع له والمحافظة عليه تقربا إلى الله !

– – – – – – – – – – – –

هذا الدين بصورته تلك لم يكن هو الدين المنزل من عند الله ، ولم يكن – كما أسلفنا – صالحا للحياة . كان لابد من نبذه والانسلاخ منه لكى تسير دفعة الحياة فى خطها الصحيح .

ولقد كان عرى مقربة من أوروبا – بل فى جزء من أرضها – دين آخر يقدم المنهج الصحيح للحياة ، فلا هو دين أخروى بحت بمعنى إهمال الحياة الدنيا ، ولا هو الدين الذى يفرض السلبية الكاملة على الإنسان ، ويفرض عليه الخضوع " للأمر الواقع " وعدم التفكير فى تغييره .

إنه دين يعمل للآخرة من خلال العمل فى الدنيا " الدنيا مزرعة الآخرة " .

ويبين أن العمل للآخرة لا يعنى إهمال الحياة الدنيا {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا} [سورة القصص 77/28] {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [سورة الأعراف 32/7]

وهو دين يعمل لإصلاح الحياة الدنيا بإقامة المنهج الربانى الذى يأمر بالعدل والقسط ، كما يدعو إلى الجهاد لإقامة هذا المنهج ومنع الانحراف عنه ، ذلك الانحراف الذى يؤدى إلى فساد الحياة وإلى وقوع الظلم على الناس :

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمْ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (25)} [سورة الحديد 25/57]

وهو دين يجعل للإنسان إيجابية واسعة فى الأرض .

فقد خلقه الله ابتداء ليكون خليفة فى الأرض :

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً} [سورة البقرة 30/2]

ومن شأن الخلافة الهيمنة على الأرض والسيطرة عليها ، والإنشاء والتعميري فيها ، واستغلال الطاقات المذخورة فى السماوات والأرض ، التى سخرها الله للإنسان من أجل عمارة الأرض ، والمشى فى مناكب الأرض لاستخلاص الأرزاق المكنونة فيها والظاهرة :

{هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [سورة هود 61/11]

{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ} [سورة الجاثية 13/45]
{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ} [سورة الملك 15/67]

بل إن المنهج الربانى ذاته يستدعى إيجابية الإنسان لتنفيذه ، فهو لا ينطبق انطباقا آليا على الأحداث والأشياء ، بل الإنسان المستبصر بالهدى الربانى هو الذى يطبقه ويجتهد بفكره ليضع تفصيلات تنفيذه ، خاصة وهو منهج حياة كامل ، يشمل الثابت والمتغير فى حياة الإنسان ، فلابد أن يجتهد على الدوام ليضع للمتغير حلا مستمدا من المبادئ الثابتة فى هذا المنهج .. ومن ثم يعمل الإنسان بإيجابيته الكاملة فى التنفيذ ، سواء إيجابية العزيمة اللازمة لإقامة المنهج والجهاد لإقراره فى الأرض ، أو إيجابية التفكير فى الوسيلة المثلى لإقامته ..

بل إن قدر الله ذاته يجرى من خلال أعمال الإنسان بالخير والشر سواء :
{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (41)} [سورة الروم 41/30]
{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)} [سورة النحل 112/16]
{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)} [سورة الأعراف 96/7]
{إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [سورة الرعد 11/13]
وهذا الدين الذى يعطى التوازن الصحيح بين الدنيا والآخرة ، وبين فاعلية قدر الله وفاعلية الإنسان ، وبين العبودية الكاملة لله والإيجابية السوية للإنسان ، هو الدين الصحيح الذى تصلح به الحياة فى الأرض ، وتستقيم به خطى البشر فى الحياة الدنيا " (1)" .

ولكن أوروبا – بدافع العصبية الصليبية – أعرضت عن هذا الدين واتجهت إلى الجاهلية الإغريقية الرومانية ، تنتقم بها من الكنيسة ودينها الفاسد الذى يهمل الحياة الدنيا ويلغى الوجود الإيجابى للإنسان .

وغذ كانت النهضة فى مجموعها " رد فعل " للكبت الواقع على " الإنسان " بفعل التصور الكنسى للدين ، والممارسة الكنسية له ، وإذ كان الغالب على ردود الفعل هو الاندفاع لا التعقل ولا التبصر ولا الروية ولا الاتزان .. فقد اندفعت أوروبا فى نهضتها تنزع من طريقها كل معلم من المعالم الإلهية (سواء كانت إلهية حقا أو مدعاة من قبل الكنيسة) وتضع مكانها معالم بشرية من صنع الإنسان ، كما تنزع من طريقها كل ما يتصل بالآخرة لتضع بدلا منه ما يتصل بالحياة الدنيا .. وكانت هذه هى بداية " العلمانية " بالتعريف الأوروبى ..

– – – – – – – – – – – – – – – –

لقد اصبح الطابع المميز للفكر الأوروبى منذ النهضة هو التمرد على الدين والتمرد على الله ، وكان ذلك نابعا من تأثيرين فى آن واحد . التأثير الأول هو روح رد الفعل الذى قام ضد الدين والكنيسة ، والثانى هو تأثير الجاهلية الإغريقية فى هذا الشأن بالذات .

فأما رد الفعل فقد أخذ صورة الخروج على كل ما كان سائدا من قبل فى فترة السيطرة الكنسية .

كان السائد هو ألا يفكر الإنسان لنفسه فى شئ من الأشياء إنما يأخذ الأفكار جاهزة من الكتب المقدسة وشروحها عن طريق رجال الدين ، سواء كانت الأفكار متصلة بالعقيدة أو بأمر من أمور الدنيا ، أو حتى أمور العلم كقضية شكل الأرض .

وغنى عن البيان أن هذا ليس الموقف الصحيح للإنسان فى ظل الدين الصحيح " (2)" ولكن هكذا كانت الممارسة الدينية فى ظل الجاهلية الكنسية المنحرفة ، والتى من جرائها كان لرجال الدين كل ذلك النفوذ على عقول الناس وأرواحهم ، فهم الوسطاء بين الناس وبين الدين ومفاهيمه ، بل هم الوسطاء بين الناس وبين الله ، والناس – علماء أو غير علماء – لا يبحثون فى أى شأن من الشؤون ليكونوا فيه رأيا أو موقفا . إنما يسألون رجال الدين ليدلوهم على الرأى أو الموقف الذى ينبغى

عليهم اتخاذه . هذا بالإضافة إلى أن الأمور التى يسألون عنها هى أولا وقبل كل شئ أمور " الخلاص " . الخلاص من أدران الحياة الدنيا للحصول على رضوان الله فى الآخرة .

وكان رد الفعل إن الإنسان هو الذى ينبغى أن يستشار فى الأمور كلها وليس الدين ، وأن العقل البشرى هو الذى ينبغى أن يكون صاحب القرار وليس الله .. ولو كان الأمر متعلقا بالعقيدة أو الأمور الأخروية . وبمقدار ما كان العقل مكبوتا ومحجورا عليه ، انطلق هذا العقل يريد أن يقتحم كل ميدان ولو كان خارجا عن اختصاصه ! يقتحمه بروح أنه هو صاحب الحق الذى كان ممنوعا من حقه فهو يريد أن يؤكد هذا الحق . ويقتحمه بروح الشك ، أو روح المحو لكل ما كان موجودا من قبل ولم يشترك فيه ، فهو يريد أن ينشئه من جديد سواء وافق ما كان موجودا من قبل أو خالفه ، والأجدر به أن يخالفه لكى يثبت وجوده .

بهذه الروح بدأ الكتاب و" المفكرون الأحرار " يهاجمون فكرة الألوهية وينفون الرسالات والوحى ، وينفون الحياة الآخرة والجنة والنار .. ويقولون إن هذه كلها أوهام تبنتها البشرية فى غيبة من العقل ، والآن وقد صحا العقل فقد آن الأوان لنبذها وتركها للهمج المتأخرين .. وربما كان خير ممثل لهذا الاتجاه هو " فولتير " الكاتب الفرنسى الملحد المشهور .

أما التأثير الثانى الذى أشرنا إليه فهو تأثير الجاهلية الإغريقية التى تصور العلاقة بين البشر والآلهة علاقة صراع وخصام لا يفتر : الآلهة تريد أن تقهر الإنسان وتكبته وتحطمه لكى لا يطمح فى أن يكون مقتدرا مثلها ، فلا تفتأ كلما حقق نجاحا أن تصب الكوارث فوق رأسه لكى لا يستمتع بثمرات نجاحه ، وهو من جانبه دائم التحدى للآلهة ، كلما وقع فى حفرة من حفائرها عاد يستجمع قواه ليصارعها من جديد . وتكفى أسطورة بروميثيوس الشهيرة لبيان هذا المعنى بصورة مباشرة ، إذ تزعم تلك الأسطورة أن " زيزس " إله الآلهة خلق الإنسان من قبضة من طين الأرض ثم سواه على النار المقدسة (التى ترمز إلى المعرفة) ثم وضعه فى الأرض محاطا بالظلام (الذى يرمز إلى الجهل) فأشفق عليه كائن أسطورى يسمى بروميثيوس ، فسرق له النار المقدسة لكى ينير له ما حوله ، فغضب زيوس على الإنسان وعلى

بروميثيوس كليهما . فأما بروميثيوس فقد وكل به نسرا يأكل كبده بالنهار ثم تنبت له كبد جديدة بالليل يأكلها النسر بالنهار فى عذاب أبدى !

---

(1) " " انظر فصل التوازن فى كتاب خصائص التصور الإسلامى .
(2) " " سنعاود الحديث فى هذه النقطة فى هذا الفصل وفى فصل " العقلانية " كذلك .

وأما الإنسان فقد أرسل له زيزس " باندورا " (التى ترمز إلى حواء) لكى تؤنس وحشته (فى ظاهر الأمر !) وأرسل معها هدية عبارة عن علبة مقفلة ، فلما فتحها إذا هة مملوءة بالشرور التى قفزت من العلبة وتناثرت على سطح الأرض لتكون عدوا دائما وحزنا للإنسان !

ويشير جوليان هكسلى إشارة صريحة إلى هذه الأسطورة فى كتابه " الإنسان فى العالم الحديث Man in the Modern World " فيقول إن موقف الإنسان الحديث هو ذات الموقف الذى تمثله هذه الأسطورة ، فقد كان الإنسان يخضع لله بسبب الجهل والعجز ، والآن بعد أن تعلم وسيطر على البيئة فقد آن له أن يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه من قبل فى عصر الجهل والعجز على عاتق الله ، ويصبح هوة الله !!

من هذين التأثيرين معا انطلق الفكر " المتحرر " يهاجم الدين ، ويصفه بأنه الأغلال التى تغل الفكر عن الانطلاق ، والتى ينبغى أن تحطم لكى يثبت الإنسان وجوده ، ويقوم بدوره الذى يجب أن يقوم به فى الأرض !

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _

وفى نفس الوقت اتجه الفكر المنسلخ من الدين إلى البحث عن مصدر آخر للقيم الإنسانية غير الدين ! ذلك أن أوروبا لم تكن قد انسلخت بعد من القيم ذاتها كما حدث فيما بعد ، حين امتد الخط المنحرف فازداد بعدا وانحرافا ، أو لم تكن قد سنحت الفرصة للشريرين أن يعلنوا الحرب المنظمة على كل مقومات " الإنسان " كما سنحت لهم بعد ظهور الداروينية وإعلان حيوانية الإنسان !

ففى تلك الفترة وجد " الفكر الحر ! " أنه إن أقر بأن الدين هو مصدر القيم الإنسانية فقد وجب عليه أن يحافظ عليه ولا يهاجمه ولا يسعى إلى تحطيمه ! فينبغى إذن أن يبحث ذلك الفكر عن مصدر آخر يستمد منه القيم ويسندها إليه ، لكى لا يقول أحد إنه لا يمكن الاستغناء عن الدين ! وعلى هذا الضوء يمكننا فهم فلسفة " أوجست كومت " من ناحية ، وأفكار جان جاك روسو من ناحية أخرى . فكلاهما يجهد نفسه ليقول للذين يقفون مدافعين عن الدين : ها قد وجدنا مصدرا آخر تنبع منه القيم الضرورية لحياة الإنسان غير الدين ، وجدناه فى " الطبيعة " وفى " النفس البشرية " وهو مصدر أفضل – فى إنبات القيم وترسيخها – من الدين .. فدعونا إذن من الدين ، وتعالوا معنا إلى تلك المصادر " الحرة " التى يقبل عليها الإنسان إقبالا " طبيعيا " و" ذاتيا " دون أن يحس بالقهر المفروض عليه من قوة أعلى منه !

وفى الوقت ذاته اتجه هذا " الفكر المتحرر " إلى عبادة الطبيعة بدلا من عبادة الله ، ونسبة الخلق إليها بدلا من الله . وقد تحدثنا منق بل عن هذا الأمر بما فيه الكفاية فلا نعود إلى الحديث فيه ، ولكن نضعه فقط فى مكانه من التسلسل التاريخى .

وفى ذات الوقت كله اتجه الفن إلى مناجاة الطبيعة بدلا من مناجاة الله ، وتأليهها بدلا من تأليه الله " (1)" .

– – – – – – – – – – – – – – –

ومضى الزمن فى خطواته ، وجاءت الثورة الصناعية .. وجاء مزيد من إبعاد الدين عن الحياة .

ففى العهد الزراعى – أو الإقطاعى كما يسمونه – كان ما يزال للدين نفوذ كبير فى حياة الناس .

كان الملوك قد استقلوا عن سلطان البابا ، وقامت " علمانية الحكم " بفصل الدين عن السياسة (أى إقصاء رجال الدين عن التدخل فى شؤون السياسة) ولكن الكنيسة كان ما يزال لها سلطان ضخم على أخلاق الماس وعاداتهم وأفكارهم رغم كل الصراعات وكل الاعتبارات .

ولكن الثورة الصناعية أحدثت – أو أريد لها أن تحدث – هزات عنيفة فى حياة الناس .

ولقد مر بنا فى الفصول السابقة تفصيل ما صنعت الثورة الصناعية فى حياة أوروبا ، وما بنا من حاجة إلى إعادته . ولكنا نذكر مجرد تذكير بإخراج المرأة إلى العمل وإفساد أخلاقها وإفساد أخلاق الرجل معها ، واستغلال قضية المساواة مع الرجل فى الأجر لبث روح الصراع فى نفس المرأة وإحراج صدرها من قوامة الرجل والعمل فى البيت والتفرغ للأمومة ، وما نتج عن ذلك كله من تحطيم الأسرة وتشريد الأطفال والفوضى الجنسية .. الخ ونسبة ذلك إلى التطور الذى يهدم ما يشاء من القيم ويلغى ما يشاء !

وكانت الطامة العظمى هى الداروينية وإبعاد الإنسان ذاته من عالم الإنسان وإلحاقه بعالم الحيوان ! فعندئذ لم تعد هناك حاجة إلى القيم أصلا .. لا الدين ولا الأخلاق ولا التقاليد المستمدة من الدين .. فما حاجة الإنسان إلى شئ من ذلك وهو عريق فى الحيوانية مستقر فى عالم الحيوان ؟!

ثم أتى على الإنسان حين من الدهر لم يعد حتى حيوانا ! بل هبط عن ذلك دركات فأصبح جزءا من عالم المادة الصماء !

_ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _ _

---

(1) " " ليست مناجاة الطبيعة فى ذاتها انحرافا عن السلوك القويم فى عالم الفن ، بل العكس هو الصحيح . فالفن السليم لابد أن يلتفت إلى الطبيعة ويتفاعل معها . ولقد لفت القرآن الكريم حس المسلمين لفتا شديدا إلى الطبيعة فى شتى مظاهرها من الجبال والأنهار والوديان والزروع والرعد والبرق والسحاب والمطر والريح والسماء والأرض .. ولكن المناجاة شئ والتأليه الذى مارسته الفنون الأوروبية العلمانية شئ آخر .

لم نكن هنا نستعرض خطوات العلمانية بالتفصيل ، فسيأتى شئ من ذلك فيما بعد حين نتحدث عن علمانية السياسة وعلمانية الاقتصاد والاجتماع والعلم والأخلاق والفن .. ولكنا أردنا فقط أن نلفت النظر إلى حقيقة واقعة هى استمرار " الإنسان " فى الهبوط كلما أمعن فى السير على الخط العلمانى .

وأيا تكن السباب التى أدت بأوروبا إلى العلمانية فهى كما قلنا من قبل تفسر العلمانية ولا تبررها ، ولا تبرر بالطبع نتائجها التى أدت إليها ، والتى بدأ المفكرون الغربيون أنفسهم يتنبهون إليها وينذرون نتائجها ، ولكن دون أن يعرجوا على السبب الحقيقى ولا العلاج الحقيقى !

ولئن كانت الكنيسة هى المعتدية على الملوك والعلماء فى بادئ الأمر ، مما أسفر عن العداء بين الدين والسياسة وبين الدين والعلم ، فلم تكن هى المعتدية ولا المتسببة حين أقامت الثورة الصناعية اقتصادياتها على الربا ولجت فيه ، وحين سقطت " الأخلاق " واحدا إثر الآخر ن حتى الأخلاق التى أقرها " المفكرون الأحرار " فى مبدأ عهدهم يناصبون الكنيسة العداء ، ويبحثون عن مصدر آخر للقيم غير الدين ! إنما استمرأ القوم الفوضى الخلقية وأمعنوا فيها لا للدوافع القديمة التى دفعتهم للخروج على الدين أول مرة ، وكلن لأن هذه هى طبيعة السير على المنزلق .. كل خطوة تصبح أشد هبوطا من السابقة .. وهذه طبيعة الحياة حين يكف الناس عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. يزداد المنكر وينتفش ويستفحل حتى يصبح هو الأصل ، أو حتى يصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ومن أجل ذلك لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم :

{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79)} [سورة المائدة 5/78–79]

ويجدر بنا الآن على أى حال أن نستعرض الصورة الراهنة للعلمانية فى أوروبا فى مجالات الحياة المختلفة ، لا على أنها الصورة الأخيرة التى ستقف عندها ! فهى لا تقف عند هذا الحد من السوء ، وإن لم يكن فى وسع الخيال أن يتصور ما هو أسوأ ، ولكن لنقيس المسافة بين الأصل الذى كان ينبغى وبين ما وصلت إليه الأمور حين قال الإنسان لنفسه : لقد شب الإنسان عن الطوق ولم يعد فى حاجة إلى وصاية الله !

(1) فى السياسة :

لم تكن السياسة من أول عهدها فى الإمبراطورية الرومانية محكومة بالشريعة المنزلة من عند الله ، وإن وقعت لفترة من الوقت تحت سلطان البابوات ورجال الدين ، يفرضون على الملوك أن ينزلوا على إرادتهم على اعتبار أن إرادتهم من إرادة الله .

فقد بينا من قبل أن الفصل بين الدين والسياسة كان قائما من أول اعتناق الدولة الرومانية للمسيحية ، إذ اعتنقتها عقيدة فقط ، ولم تأخذ من الشريعة إلا ما يتعلق بالأحوال الشخصية ، وبقيت الأمور الجنائية والأمور المدنية وعلاقة الحاكم بالمحكوم وغيرها من شؤون الحياة الواقعة يحكمها القانون الرومانى ولا تحكمها الشريعة المنزلة فى التوراة والمعدلة تعديلا جزئيا بالإنجيل :

{وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} [سورة آل 50/3]

{وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ (47)} [سورة المائدة 47/5]

ولكن الكنيسة مع رضاها بهذا الأمر – المخالف لأمر الله – فى أيام ضعفها ، لم تحاول فى أيام سلطانها وسطوتها أن تعود إلى الوضع الدينى الصحيح ، فتلزم الملوك والأباطرة أن يحكموا بما أنزل الله ، وهى تمارس عليهم من السلطان ملا يستطيعون معه مخالفتها أو الخروج على أمرها ، بل استغلت سلطانها فى إخضاعهم لأهوائها الخاصة ، بينما تركتهم يحكمون بغير ما أنزل الله وهى راضية عنهم كل الرضا ماداموا يخضعون لأوامرها ، وهذا هو الذى تسميه أوروبا الحكم الدينى أو الثيوقراطى وما أبعده عن الدين !

صحيح أن إخضاع الكنيسة الملوك والأباطرة لأهوائها الذاتية كان يتم باسم الدين وتحت شعاراته ، ولكن هذا لا يكفى لاعتباره حكما دينيا ما دام لا يحكم بما أنزل الله . ولكن الحس الأوروبى المضطرب يخلط بين الدين ورجال الدين نتيجة اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله ، واعتبار أعمالهم وأقوالهم أعمالا دينية وأقوالا دينية ولو كانت بعيدة كل البعد عن حقيقة الدين !

مهما يكن من امر فقد استطاعت الكنيسة بنفوذها أن تجعل الملوك والأباطرة طوع إرادتها . وأعلن البابا " نقولا الأول " (858 – 867م) بيانا قال فيه :

" إن ابن الله أنشأ الكنيسة بأن جعل الرسول بطرس أول رئيس لها . وإن أساقفة روما ورثوا سلطات بطرس فى تسلسل مستمر متصل .. (ولذلك) فإن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون لـه السيادة العليا والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين ، حكاما كانوا أو محكومين " .

وأعلن البابا جريجورى السابع (تولى البابوية 1073 – 1085) " أن الكنيسة بوصفها نظاما إلهيا خليقة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية ، ومن حق البابا وواجبه – بصفته خليقة الله فى أرضه – أن يخلع الملوك غير الصالحين وأن يؤيد أو يرفض اختيار البشر للحكام أو تنصيبهم حسب مقتضيات الأحوال "

ولم يكن ذلك كلاما فى الهواء ، إنما كان واقعا عاشته أوروبا عدة قرون ..

وابرز الأمثلة التى يرويها التاريخ الأوروبى ما حدث بين " جريجورى السابع " هذا والإمبراطور الألمانى " هنرى الرابع " مما أشرنا إليه من قبل ، " إذ أن خلافا نشب بينهما حول مسألة " التعيينات " أو ما يسمى " التقليد العلمانى " فحاول الإمبراطور أن يخلع البابا ، ورد البابا بخلع الإمبراطور وإصدار قرار حرمان ضده ، كما أحل اتباعه وأمراء مملكته من ولائهم له وألبهم عليه . فعقد الأمراء مجمعا قرروا فيه أنه إذا لم يحصل الإمبراطور على المغفرة لدى وصول البابا إلى ألمانيا فإنه سيفقد عرشه إلى الأبد ، فوجد الإمبراطور نفسه مضطرا إلى استرضاء البابا ، ولم يستطع أن ينتظر حتى يصل البابا إلى ألمانيا ، فسافر إليه فى " كانوسا " وظل واقفا فى الثلج فى فناء القلعة ثلاثة أيام فى لباس الرهبان متدثرا بالخيش حافى القدمين عارى الراس حتى تعطف عليه البابا ومنحه مغفرته !

وفى بريطانيا حصل نزاع بينالملك " هنرى الثانى " وبين " توماس بكت " رئيس أساقفة كنتربرى بسبب دستور رسمه الملك يقضى على كثير من الحصانات التى يتمتع بها رجال الدين ، ثم إن رئيس الأساقفة اغتيل فثارت المسيحية على هنرى الثانى ثورة عنيفة ، فاعتزل الملك فى حجرته ثلاثة أيام لا يذوق فيها الطعام ، ثم أصدر أمره بالقبض على القتلة وأعلن للبابا براءته من الجريمة وألغى الدستور ، ورد

إلى الكنيسة كل حقوقها وأملاكها ومع ذلك لم يحصل على المغفرة حتى جاء إلى كنتربرى حاجا مظهرا ندمه ، وسار الأميال الثلاثة الأخيرة من الطريق على الحجر الصوان حافة القدمين حتى دميت قدماه ، ثم استلقى على الأرض أمام قبر رئس الأساقفة المقتول وطلب من الرهبان أن يضربوه بالسياط ، وتقبل ضرباتهم وتحمل كل الإهانات فى سبيل استرضاء البابا واتباعه " (1)"

ولكن الملوك والأباطرة أخذوا آخر الأمر يتمردون على ذلك السلطان القاهر الذى تستذلهم به الكنيسة ، ويطالبون " بالسلطة الزمنية " خالصة لهم على أن تقتصر الكنيسة على السلطة الروحية فحسب ، وكان مستندهم فى ذلك نظرية الحق الآلهى المقدس .

يقول رندال (ج 1 – ص 277 من الترجمة العربية لكتاب " تكوين العقل الحديث ") :

" نشأت نظرية الحق الالهى للملوك فى أول عهدها كمحاولة لتحرير الحكومة المدنية ، أو العلمانية من رقابة البابا والكهنة . كما أنها كانت ردا على دعواه أن له حقها إلهيا فى السيطرة على الأمور الزمنية " .

ونظرية الحق الالهى تستند بدورها إلى نظرية رومانية قديمة تعرف بنظرية العقد الاجتماعى .

يقول راندال (ج 1 – ص 281 من الترجمة العربية من المصدر السابق) :

" تعود أصول فكرة العقد الاجتماعى إلى الفكر الرومانى وفكر القرون الوسطى معا . وقد كانت الإمبراطورية الرومانية – كما ضمنت فى مجلة الحقوق المدنية – على القول بأن كل السلطة وكل حق فى وضع القوانين يعودان للشعب الرومانى ، غير أن الشعب تنازل بموجب قانون شهير عن هذه الحقوق للإمبراطور ، وهو تفسير طبيعى لمجرى التاريخ الرومانى ، فجميع حقوق الشعب الرومانى وجميع سلطاته انتقت إلى الإمبراطور ، وله وحده حق " إصدار " القوانين وحق تفسيرها . وعندما تم إحياء القانون الرومانى فى القرون الوسطى ، انتبه الإمبراطور إلى هذه النظرية واتخذها سلاحا ضد سيطرة الكنيسة ، ثم تبعه فى ذلك جميع الأمراء . وهكذا نشأت نظرية العقد الاجتماعى القائلة بأن كل سلطة مدنية ترتكز فى أساسها على الشعب ،

وأن الشعب قد حولها إلى الحاكم ليمكنه من القيام ببعض الوظائف الضرورية . ومن الواضح أنها نظرية ذات حدين .. فقد تفسر لتأكيد سلطة الحاكم الشاملة باعتباره مصدر جميع السلطات ، أو لتأكيد سيادة الشعب الأساسية باعتباره المصدر الأخير لتلك السلطة .. "

وكان " مكيافيللى " و" هوبز " من أشهر المدافعين عن الحق الالهى المقدس ، وعن استبدادية الحكام .

ويهمنا مكيافيللىهنا أكثر ، لأنه علم على اتجاه معين فى السياسة الأوروبية نلحظ آثاره بشدة فى أوروبا العلمانية المعاصرة .

---

(1) " " عن كتاب " قصة الحضارة " لول يورانت ترجمة محمد بدران ، ج 15 – ص 194 ، 197 .

هناك حقيقة أكدناها مرارا أن الحكم بما أنزل الله لم تعرفه أوروبا المسيحية فى أى يوم من الأيام ، وأن علمانية الحكم – بهذا المعنى – قائمة فى أوروبا منذ اعتنقت المسيحية . ولكن هذا لم ينف – كما بينا مرارا كذلك – أنه كان للكنيسة ورجالها نفوذ شخصى على الملوك والأمراء طيلة اجتماع السلطة الزمنية والسلطة الروحية فى يد الكنيسة . وفى تلك الفترة لم يكن الحكم دينيا بالمعنى الصحيح – وإن سمته أوروبا كذلك – لأنه لم يكن يحكم بما أنزل الله لا من قبل الملوك والأمراء ولا من قبل الكنيسة المسيطرة عليهم . ومع ذلك فقد كان هذا النفوذ الدينى الذى تمارسه الكنيسة على الحكام يلزم هؤلاء الحكام بشئ من " أخلاقيات " المسيحية رضوا أم كرهوا ، عن إيمان حقيقى أم عن ملق للروح المسيحية ونفاق ..

وليس معنى ذلك أن الحكام التزموا دائما بتلك الأخلاقيات المسيحية ، فكثيرا ما كانوا يخالفونها ، ولكنهم كانوا يحسون بالحرج من مخالفتها ، ويعتذرون دائما عن المخالفة بشتى المعاذير .

فالذى صنعه ميكافيلى هو تعرية " السياسة " من ذلك القناع الأخلاقى المستمد من الدين ، وكشفها عارية من كل أثر لدين أو الأخلاق !

جاء يشرع الجريمة السياسية ويجعلها أصلا ينبغى للحكام أن يتبعوه !س

ولقد كان الحكام – إلا من رحم ربك – يسرون فى سياستهم على أساس أن الغاية تبرر الوسيلة ، والغاية طبعا هى غايتهم هم ! ولكنهم كانوا – حين يستخدمون الوسائل غير النظيفة لتحقيق غاياتهم غير النظيفة – يستترون وراء عبارات براقة تحوى كل نبيل منا لقيم والمبادئ والأخلاقيات ، أما مكيافيللىفإن الجديد الذى أتى به – وهو خطير فى ذاته – أنه أعطى الوسائل الخسيسة فى السياسة شرعية صريحة لا مواربة فيها ولا إنكار .

ولقائل أن يقول : وماذا أضاف مكيافيللى من عنده إلى الواقع ؟ ألم يكن الواقع خسيسا فى غاياته ووسائله ؟ فكل ما فعل مكيافيللى أنه كان صريحا بالدرجة التى كشف بها القناع عن الواقع المزيف وجعله حقيقة واقعة !

نعم : ولكن الفارق – العملى – كبير !س

وقد لا يتضح الفرق فى البداية لأن البداية تكون مجرد مطابقة النظرية للواقع الموجود بالفعل . ولكن الفارق يتبين – ويزداد – مع التطبيق .

حين ترتكب المنكر وأنت شاعر بأنه منكر ، فستقتصد فى ارتكابه فلا تلجأ إليه إلا تحت ضغط قاهر ، وستقف فى ارتكابه عند الحد الذى ترى أنه لا يطيح بسمعتك كلها أمام الناس ، وقد تحاول الرجوع عنه فى يوم من الأيام . أما حين يكتسب المنكر فى حسك الشرعية فلماذا تقتصد فى ارتكابه ، ولماذا تقف عند حد من الحدود ؟!

إنها هى ذاتها حكمة وقوع اللعنة على الذين لا يتناهون عن منكر فعلوه .. لأنهم لا يقفون فى ارتكاب المنكر عند حد معلوم .

وحقيقة إن كتاب " الأمير " الذى ألفه مكيافيللى وأعطى فيه الشرعية للوسائل الخسيسة التى يستخدمها الحاكم من كذب وغش وخديعة وقتل وسفك دماء .ز قد قوبل باستنكار عنيف وقت ظهوره ، لأن أوروبا – كما أسلفنا – كانت نافرة من الدين منسلخة منه ، ولكنها ما تزال تعترف " بالقيم " ، وتحاول الحفاظ عليها ، ولكن بشرط العثور على منبع آخر لها غير الدين .. ومن ثم ظهرت عدة نظريات تحاول أن تجعل للحكم " أخلاقا " ولكنها غير مستمدة من الدين ، كما فعل جان جاك

روسو فى حديثه عن نظرية العقد الاجتماعى وأوجست كومت فى فلسفته الوضعية ..

ولكن المنزلق " العلمانى " كان لابد أن يأخذ طريقه .. فمنذ استقلت السياسة عن الدين واستقلت عن الأخلاق المستمدة من معين الدين ، لم يكن من الممكن أن تظل لها أخلاق !

والقرن – الجاهلى – العشرون خير نموذج لما نقول ، فقد قامت فى هذا القرن أبشع دكتاتوريات التاريخ !

ونظرة إلى وقع ايام موسولينى وهتلر ، وما وقع فى الدول الشيوعية منذ الثورة الشيوعية حتى اليوم ، كفيلة بأن ترينا إلى أى مدى انحدرت السياسة " العلمانية " فى تبرير الوسيلة بالغاية ، وكلتا الوسيلة والغاية ما أنزل الله بها من سلطان !

فى فاشية موسولينى ونازية هتلر كانت الغاية هى التجمع القومى والعزة القومية وإحلال قومية كل منهما مكانها " تحت الشمس " !

وفى سبيل هذه الغاية (التى قد تكون مشروعة فى ذاتها إذا خلت من العدوان على الآخرين) استباح كل من الرجلين أن يقتل ألوفا ومئات الألوف من المعارضين باسم " حركات التطهير " و" وحدة الصف " و" القضاء على الثورة المضادة " و" القضاء على الطابور الخامس " وما أشبه ذلك من التعلات . وفتحت معسكرات التعذيب ، وذاق الشعب كله ويلات الجاسوسية والإرهاب .

وفى التورة الشيوعية كانت الغاية إزالة الظلم (!!) الذى يقع على الناس من جراء الملكية الفردية والصراع الطبقى واستئثار الطبقة المالكة بالحكم والسلطان والمنافع على سحاب الطبقة الكادحة ! وقد مر بنا فى فصل الشيوعية وصف العدل (!) الذى طبقته الشيوعية ، والوسائل النبيلة (!) التى طبقت بها ذلك العدل ، ومن بينها ذبح ثلاثة ملايين ونصف مليون من المسلمين فى عهد رجل واحد .. وإخضاع الشعب كله لألوان من الإرهاب نادرة فى التاريخ !

أما الديمقراطية اللبيرالية الرأسمالية فهى التى تبيح احتراف المعارضة واحتراف التأييد بحسب موضع كل حزب منا لحكم : هل هو بداخله أم خارجه ، بصرف النظر عن الحق والعدل والمصلحة الوطنية أو القومية .. وتبيح الكذب من الساسة على شعوبهم

فى الدعاية الانتخابية (وغير الانتخابية) وتبيح استخدام وسائل استراق السمع بحجة المحافظة على الأمن ، وهى تقوم أساسا على مساندة الطبقة الرأسمالية فى امتصاص دماء الكادحين وإن أخرجت ذلك كله فى مسرحية طريفة اسمها " الحرية والإخاء والمساواة " ! وهذا كله فى السياسة الداخلية ..

أما فى السياسة الخارجية فالأمر أدهى وأمر .

فالقرن الجاهلى العشرون هو الذى شهد ابشع حالات قانون الغاب : القوى يأكل الضعيف !

فى حربين عالميتين متتاليتين شهد الناس أفظع فنون العدوان فى التاريخ ، من غازات سامة وقنابل محرقة وتدمير جماعى وقتل للنساء والأطفال والشيوخ والمدنيين غير المحاربين .. إلى أن كانت القمة قنبلتى هيروشيما ونجازاكى الذريتين ، اللتين ما تزالان حتى اليوم بعد أربعين سنة من إلقائهما تنتجان أجنة مشوهة بفعل الإشعاع الذى السام ، وذلك غير الخراب المدمر الذى أحدثتاه وقت إلقائهما فى مساحة كبيرة من الأرض قتلتا فيها كل من عليها من الأحياء من البشر والدواب والشجر ، وحرمتا الحياة فيها لأجل غير معلوم !

والقنبلة الذرية لعبة صغيرة إلى جوار المدمرات التى اخترعت بعد ذلك ، والتى تهدد الحياة فى أى حرب تالية تقوم بين الجيوش ويصلاها الآدميون !

وذلك إلى إباحة الكذب الدولى والخيانة على أنهما عملة " شرعية " فى عالم السياسة الدولية !

تبرم المعاهدات لكى تنقض ! ويعلم المبرمون جميعا أنها حبر على الأوراق ! وأنه لن يتقيد بها أى طرف إلا ريثما يجد الفرصة السانحة للخروج عليها وإلقائها طعمة للنيران !

وتتكون عصبة للأمم وهيئة للأمم كلتاهما ستار للسياسة العدوانية التى تتخذها " الدول العظمى " ضد الدول الصغار ! وانظر موقف هيئة الأمم " الموقرة " من أية قضية يكون المسلمون طرفا فيها أمام غير المسلمين ! يقع العدوان على المسلمين فى أى مكان فى الأرض فتمرره الهيئة الموقرة باحتجاج شفوى على أقصى تقدير لا يغير شيئا من الواقع ولا يسمن ولا يغنى من جوع ! ويقع الدفاع من المسلمين ضد

أى عدوان واقع عليهم فتجند هيئة الأمم قواتها لتأديب المدافعين ! لأنهم تجرءوا فردوا على المعتدين !س

وذلك بخلاف الوسائل الفردية التى تستخدمها " الدول العظمى ! " بطريقها المباشر لتنفيذ " غاياتها " النبيلة !

حين قامت ثورة المجر سنة 1956 ميلادية وجدت روسيا فى نفسها من " النيل " ما تحرك به الدبابات الشاهقة تهدم به البيوت على أصحابها أحياء وتردمهم فى الركام لأنهم تجرءوا فطلبوا أن يمنحوا حرية التصرف بأنفسهم فى أمر أنفسهم دون وصاية الدولة الروسية عليهم .. فهل تقاوم الردة إلا بالقتل الجماعى ؟! إلا أن تكون ردة عن دين الله ! فما أشد همجية المقاتلين يومئذ إذا قاموا يقاتلون المرتدين ويدعونهم إلى الرجوع فى دين الله !

كذلك حين قام الأفغانيون يقولون نريد أن تكون لنا الحرية فى أن تكون مسلمين ! فما " أنبل " الجيوش الروسية التى تصب فوقهم القنابل السامة وقنابل النابالم والتدمير الجماعى للقرى وتحريق المزروعات من الجو وحرب الجراثيم وكل محرم فى عرف " الإنسان " ..

أما المخابرات الأمريكية فالأرض كلها مجال لمؤامراتها بغير حساب ..

نريد انقلابا هنا .. ونريد تغييرا هناك !

وسرعان ما تنقلب الأرض وتتغير الأحوال !س

وكل الوسائل حلال !

الكذب والغش والتصفية الجسدية وشراء الضمائر بالمال !

المهم أن تنفذ الغاية .. والغاية والوسيلة كلتاهما غارقة فى الأوحال !

يقول كاتب غربى مشيرا إلى هذه الحقائق بلسان ساخر :

" بعض الناس يقض مضاجعهم ما يقترفه العالم الرأسمالى من جرائم وآثام ، فيظلون عميا لا يرون جرائم البلشفية وإفلاسها .. وكثير منهم يستغلون نقائض العالم الغربى ليصرفوا الانتباه عن فظائع موسكو البشعة .. أما أنا فأقول : لعن الله كليهما " "(1)

(2) فى الاقتصاد :

لم يكن النظام الإقطاعى متمشيا مع الدين الربانى فى صورته ومضمونه ، وال كانت فيه أى ذرة من العدل ، وإن كانت الكنيسة أوهمت الناس أنه هو النظام الربانى الدائم الثابت الذى لا يتغير ، لأن أوضاع الناس فيه هى الأوضاع التى قدرها الله منذ الأزل ورضى عنها ، واقتضت مشيئته أن يظل الناس عليها إلى الأبد ! وأنه من رضى بما فيه من هوان ومذلة وشظف ومشقة فقد استحق من الله الجنة والرضوان !

---

(1) " " من كلام " لويس فيشر " فى كتاب " الصنم الذى هوى " (ترجمة فؤاد حمودة) ، ص 274 من الترجمة العربية) عن كتاب العلمانية تأليف : سفر عبد الرحمن الحوالى .

ولكن الناس حين خرجوا من الدين على خط العلمانية لم يستبدلوا بالإقطاع ما هو خير منه ، سواء فى الرأسمالية أو الشيوعية ، بل ظلوا ينتقلون من جاهلية إلى جاهلية حتى هذه اللحظة ، وكلما حاولوا أن يصلحوا الظلم جاءوا بظلم جديد . وهذا هو شأن البشر دائما حين يشرعون لأنفسهم ويرفضون الهدى الربانى ، ينقسمون أولا إلى سادة وعبيد ، سادة فى أيديهم المال والسلطان ، يشرعون ، وحين يشرعون فإنهم يضعون القوانين التى تضمن مصلحتهم وتسخر الآخرين لهم ، وعبيد ليس فى أيديهم مال ولا سلطان ، فلا يشرعون ، إنما يقع عليهم ما يضعه السادة من تشريعات ، ويسخرون – رضوا أم أبوا – لمصلحة أصحاب السلطان .. ومن جهة أخرى يصيبهم الخبل والاضطراب والتخبط نتيجة القصور البشرى والجهل البشرى والعجز عن الإحاطة والعجز عن رؤية المستقبل الذى ينبنى على الحاضر ، نعم ، ولكنه مع ذلك غيب لا يمكن التنبؤ به عن يقين .

ولم يكن الإقطاع – كما أسلفنا – نظاما ربانيا ، ولا كانت فيه ذرة من عدل .. ولكن النفوذ الذى كان للدين على القلوب – مع كل ما كان فى ذلك الدين من تحريفات ، وفى أهله من فساد – كانت له جملة من الآثار فى أهل الريف الأووربى الذى يعيش فى ظل الإقطاع . فمن جهة كان عند الناس " أخلاق " يتعاملون بها ، مستمدة من تعاليم ذلك الدين ، وكانت هذه الأخلاق أبرز ما تكون فى قضية العفة الجنسية وقدسية الرباط المقدس بين الزوجين ، وكانت كذلك تشمل حسن الجوار وترابط أفراد

المجتمع عن طريق التزاور والمجاملات الاجتماعية ، ومن جهة أخرى كان فى نفوس الناس رضى وقناعة تجعل الحمل العصبى الذى يعانونه محتملا فى النهاية رغم سوء الأحوال الاقتصادية إلى أقصى حد .. وما بنا أن ندافع عن الظلم المتمثل فى الإقطاع ، ولا حتى عن الرضى الذليل الذى كانت الكنيسة تطلبه من الفلاحين مقابل الوعد بنعيم الآخرة ، فإن الدين الصحيح يطلب من الناس أن يثوروا على مثل ذلك الظلم ويصححوه بتحكيم شريعة الله . ولكنا نقرر واقعا تاريخيا كان قائما بالفعل بخطئه وصوابه ، لنقيس به الواقع التاريخى الذى تلاه على خط العلمانية حين خرج الناس من نفوذ ذلك الدين .. فقد بقى الظلم – من يحث المبدأ – كما هو ، ولكن ذهبت الأخلاق ، وذهب الرضى من نفوس الناس ! واصبح الحمل العصبى الذى يعانونه أبشع من أن يطاق ! فانتشر الجنون والقلق والانتحار والحالات العصبية والنفسية وإدمان الخمر والمخدرات والجريمة ..

لم تكن " المكيافيللية " فى الحقيقة مقصورة على عالم السياسة . إنما كانت دينا جديدا حل محل الدين المخلوع ! الغاية تبرر الوسيلة . لا فى السياسة فقط ، ولكن فى الاقتصاد والاجتماع كذلك .. بل فى كل شئ تدخل فيه الوسائل والغايات ..

يقول " سول " فى كتاب " المذاهب الاقتصادية الكبرى " (ترجمة الدكتور راشد البراوى ، ص 50 – 51 من الترجمة العربية) عن الفترة التى نبذ فيها الدين ولكن ظلت بقايا القيم – قبل اندثارها – يبحث الناس لها عند سند غير الدين :

" سيطرت فكرة الآخرة على المذاهب السائدة خلال العصور الوسطى وإن لم تسيطر على العادات والتقاليد ، والمجال الدنيوى بما فيه الحياة الإنسانية نفسها ليس سوى مكان يستعد فيه الناس للحياة بعد الموت بما يشتمل عليه من ثواب وعقاب ، فكان على المرء أن يتحمل الألم وهو عالم أنه ليس إلا مقدمة لما يتوقع فى حياة مستقبلية .. أما الدافع الفكرى على تقويم العادات الاجتماعية أو زيادة الرفاهية الدنيوية فكان ضئيلا ، اللهم إلا من حيث الفائدة الروحية التى يمكن اجتناؤها .

" والآن تحول الاهتمام فأصبح محصورا فى تحسين الحياة على الأرض ، وكشفت العلوم والمخترعات عن إمكانيات الأرض لذاتها ، لقد كانت المكاسب المادية ظاهرة

فى كل شئ ، وكان لا حد لها من يحث وجود أساليب أفضل وأيسر لإنتاج الأشياء ، وسرت روح المغامرة .

" وهنا برز السؤال التالى : أليس فى وسع الفلسفة أن تعالج النظم البشرية بنفس الطريقة التى تدرس بها الأشياء المادية ؟

" وكان الجواب بالإمكان . ذلك أن المطلوب إنما هو تطبيق العقل على الأساليب التى يستخدمها الناس كيما يعيشوا (فى الأصل : كيما يعيشون) معا ، وراح الكثيرون يصوغون الخطط والمشروعات التى تكفل قيام الحياة المثالية أو اليوتوبيا .

" وصار لزاما على الذين نبذوا الإيمان بالله كلية أن يبحثوا عن بديل لذلك ، ووجدوه فى الطبيعة .. أما الذين ظلوا على استمساكهم بالدين ولو باللسان – وإن لم يكن فى الواقع كما هو أغلبهم – فقد اعتقدوا أن الله يعبر عن إرادته عن طريق الطبيعة وقوانينها وليس بوسيلة مباشرة . وبذلك لم تعد الطبيعة مجرد شئ له وجود فحسب ، وإنما هو شئ ينبغى أن يطاع ، وصارت مخالفتها دليلا على نقص فى التقوى والأخلاق " .

ويقول راندال فى كتاب " تكوين العقل الحديث " (ج 2 ، ص 468 من الترجمة العربية) عن الفترة التالية التى تم فيها الانسلاخ من القيم كلها بعد فقدان معينها الحقيقى وهو الدين :

" هكذا كان العلم (يقصد علم الاقتصاد السياسى) يبدو فى الظاهر محاولة مجردة عن المصلحة ، للوصول إلى فيزياء اجتماعية للثورة ، لكنه كان فى الحقيقة تبريرا منظما للمطالب التى تهدف إلى زيادة حرية جمع المال وتستعين بالعلوم الجديدة البشرية والطبيعية "

ويقول " روبرت داونز " فى كتاب " كتب غيرت وجه العالم " (ترجمة أحمد صادق وزميله ، ص 73 من الترجمة العربية) :

" النظرية الأساسية فى كتاب ثروة الأمم " (1)" نظرية ذات نزعة مكيافللية ، وهى أن العامل الأول فى نشاط الإنسان هو المصلحة الشخصية ، وأن العمل على جمع الثروة ما هو إلا مظهر من مظاهرها . وبذلك قرر أن الأنانية والمصلحة الشخصية تكمن وراء كل نشاط للجنس البشرى . وصارح الناس باعتقاده أنها ليست صفات

ممقوتة يجب الابتعاد عنها ، وإنما هى على العكس عوامل تحمل الخير إلى المجتمع برمته . وفى رأيه انه إذا أريد توفير الرفاهية للأمة فلابد من ترك كل فد يستغل أقصى إمكانياته لتحسين مركزه بشكل ثابت منظم دون تقيد بأى قيود . فللحصول على غذائنا لا نعتمد على كرم الخمار " (2) " أو الخباز أو الجزار ، وإنما هم يقدمونه لنا بدافع من مصلحتهم الشخصية ، وإنا عندما نخاطبهم لا نتجه إلى ما فيهم من دوافع إنسانية ، وإنما نتجه إلى مصلحتهم المادية ، ولا نكلمهم عن احتياجاتنا ، بل عما يعود عليهم من نفع وفائدة " .

هذه الصورة المادية البحتة هى التى شكلت روح الرأسمالية ورسمت سمات الحياة فى ظلها ، ففقد الناس آدميتهم بالفعل وصاروا إلى ذلك المسخ الذى يعيش اليوم فى الغرب الرأسمالى .

ينقل كنث لن فى كتابه " تطور المجتمع الأمريكى " (ترجمة نعيم موسى – ص 112 من الترجمة العربية) من كلام جروج فيتزهيو ، أحد الذين ساءهم وضع الرأسمالية فى نهاية القرن الماضى ما يلى :

" إننا جميعا فى الشمال والجنوب نعمل فى تجارة الرقيق الأبيض . وبقدر نجاح الشخص فيها يزداد احترامه .. وهذه التجارة أشد قسوة من تجارة الرقيق الأسود لأنها تفرض المزيد من العمل على عبيدها .. وفى الوقت الذى لا تحميهم فيه ولا تسوسهم برفق تفاخر بأنها تفرض المزيد (أى من العمل) ..

" نعم إنه (أى العامل) بعد انتهاء عمل اليوم يصبح حرا ، إلا أنه يظل يرزح تحت عبء العناية بعائلته وبيته ، مما يجعل حريته سخرية جوفاء باطلة ، فى حين يبقى رب العمل حرا بالفعل ، ويستطيع أن يتمتع بالأرباح التى جناها من عمل الآخرين دون اهتمام بمصلحتهم ورفاهيتهم ".

أما ما تلا تلك الفترة حتى اليوم فى العالم الرأسمالى فمعروف لا يحتاج إلى بيان .. ففوارق الدخل بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال فوارق بشعة إلى حد مذهل .. ولا يأتى هذا الربح المتضخم – كما أسلفنا فى فصل الديمقراطية – إلا من الوسائل الخسيسة التى تستخدمها الرأسمالية لتحقيق غاياتها الخسيسة ، وكلها محرم فى دين الله :

(1) الربا ..

(2) أكل مال الأجير وعدم توفيته حقه ..

(3) إفساد فطر الناس وأخلاقهم ليقبلوا على منتجات ليس فيها فائدة حقيقية لهم ، ولكنها تدر على الرأسماليين أرباحا طائلة لا تدرها المنتجات الجادة التى يحتاج إليها الناس حقا فى حياتهم النظيفة المستقيمة .

(4) وأخيرا الاحتكار ..

والنتيجة الأخيرة التى تحققها الرأسمالية العلمانية من طرفيها المتمثلين فى أصحاب رؤوس الأموال والعمال ، هى الفساد الخلقى الفاحش ، والقلق العصبى الذى يؤدى إلى الانتحار والجنون والخمر والمخدرات والجريمة وتفكك الأسرة وتشريد الأطفال والهبوط المستمر بالإنسان إلى عالم الآلة وعالم الحيوان ..

أما الشيوعية فربما كانت أسوأ بديل عرفته البشرية إلى اليوم ..

حقيقة إن الشيوعية هى النظام الجاهلى الوحيد – حتى اليوم – الذى فرض على الدولة كفالة كل فرد يعيش فى ظلها ، ولكن ذلك – كما أسلفنا – لم يكن كرما إنسانيا منها ، فهى تأخذ مقابل ذلك الجهد الفرد كله ، و" من لا يعمل لا يأكل " على الحقيقة لا على المجاز . ثم إن الدولة تستذل الناس بلقمة الخبز على نحو غير مسبوق فى كل النظم التى مرت بها الجاهلية البشرية على الأقل فى التاريخ الحديث .

وربما كان من الحق أن الناس كانوا دائما فى جاهليات التاريخ مستذلين بلقمة الخبز ، يبيعون مقابلها بعض كرامتهم أو كلها ، وبعض إنسانيتهم أو كلها .. ولكن النظام البوليسى الصارم الذى يحكم الناس بالحديد والنار والتجسس ، ويمنع الناس بالرعب و الإرهاب أن يفتحوا أفواههم بكلمة نقد واحدة ضد الدولة أو الزعيم المقدس أو المذهب أو النظام .. إنه ليفرض على الناس – مقابل لقمة الخبز – قدرا من الذل ومن ضياع الكرامة الإنسانية لا مثيل له – فى نوعه ودرجته – فى كل النظم التى تزعم أنها نظم " حضارية " على مدار التاريخ !

---

(1) " " كتاب ثروة الأمم هو من تأليف " آدم سميث " فيلسوف الرأسمالية وإمامها الفكرى وقد كان له دوى هائل فى الغرب .

(2) " " لاحظ أثر الجاهلية فى اعتبار الخمار واحدا من مقدمى الغذاء .. بل فى مقدمتهم !

وهذا فوق التفرقة الضخمة فى كل جانب من جوانب الحياة بين أن يكون الإنسان مجرد فرد فى القطيع ، وبين أن يكون عضوا فى الحزب ولو فى أسفل درجاته فضلا على الدرجات العليا .

يقول " ميليوفان دجيلاس " نائب الرئيس " تيتو " فى كتاب " الطبقة الجديدة " :

" إن الطبقة البيروقراطية الشيوعية الجديدة صاحبة الامتيازات الضخمة تستخدم جهاز الدولة كستار وأداة لتحقيق مآربها وأغراضها الخاصة .. وإذا ما عدنا لدراسة الملكية فإننا سنجدها ليست أكثر من حقوق الربح وحرية السيطرة ، وإذا ما اتجه المرء إلى تحديد ربح الطبقة من خلال هذه الحقوق فى إطار تلك الحرية فإن الشيوعية تتجه فى النهاية إلى خلق شكل جديد من أشكال الملكية وخلق طبقة حاكمة مستثمرة جديدة.

" إن الطغيان الشيوعى والإرهاب فى أساليب الحكم هما الضمانة لامتيازات طبقة جديدة تبرز على المسرح السياسى " .

" لقد سبق أن أعلن ستالين عام 1936 مع صدور الدستور الجديد للاتحاد السوفيتى أن الطبقة المستثمرة قد تم القضاء عليها نهائيا .. وفى الحقيقة لقد تم فى المعسكر الشيوعى القضاء التام على قوى الرأسمالية الوطنية التى استؤصلت تماما من الجذور . ولكن مع زوالها بدأت تبرز فى صلب المجتمع الشيوعى طبقة جديدة لم يسبق للتاريخ أن رأى مثيلا .

" ولقد أكدت هذه الطبقة أنها أكثر تسلطا فى الحكم من أى طبقة أخرى ظهرت على مسرح التاريخ ، كما أثبتت فى الوقت نفسه أنها تحمل أعظم الأوهام ، وأنها تكرس أعتى أساليب الظلم فى مجتمع طبقى جديد.

" لقد تم تأميم المقدرات المادية إلا أنه لم يجر توزيعها على أبناء الشعب ، بل أصبحت ملكا مكتسبا للطبقة الحاكمة وللأعضاء القياديين للحزب والبيروقراطيين السياسيين "

" لقد حاز الأعضاء الكبار من أفراد النخبة الممتازة أفضل المساكن والبيوت كما شيدت لهم الأحياء الخاصة ومنازل الاصطياف ، وحصل أمناء سر الحزب ورؤساء البوليس السرى ليس على السلطة العليا وحسب ، إنما على أجمل المساكن وأفخم السيارات وسواها من مظاهر الأبهة والعظمة والامتيازات ، أما بقية الأعضاء من دونهم فقد حازوا امتيازات متناسبة مع مراكزهم الحزبية "

" وليس هناك أية طبقة أخرى فى التاريخ تشابه الطبقة الجديدة فى وحدة تماسكها ، ووحدة الفكر والعمل فى دفاعها عن نفسها ، وفى قدرتها على إحكام القبضة على كل ما هو واقع تحت سيطرتها منا لملكية الجماعية حتى السلطة الاستبدادية المطلقة " (1)"

وأما " الأخلاق " فى ظل الاقتصاد العلمانى الشيوعى فلا مجال للحديث عنه بعد الذى فصلناه فى فصل " الشيوعية " . ولسنا نقول : إن هناك " أخلاقا " أفضل منها فى ظل الاقتصاد العلمانى الرأسمالى . كلاهما بلا أخلاق ، كلا المعسكرين يهبط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان . فإذا كان هناك فارق بين الحيوانات السائبة والحيوانات المقيدة داخل الحظيرة فهو الفرق بين التسييب والتقييد .. وليس فارقا فى " نوع " الحيوان ..

(3) فى الاجتماع :

كان الإقطاع ظالما كما قلنا ، ولكن بعض الجوانب الاجتماعية فيه كانت تحكمها أعراف مستمدة من روح الدين .. ومن ذلك الحفاظ على الأسرة ، والزواج المبكر ، وقوامة الرجل وقيامه بالإنفاق ، واستقرار المرأة فى بيتها ، وتفرغها للأمومة وتدبير المنزل ورعاية النشء ، ومحافظتها على عرضها قبل الزواج وبعده ، واعتبار ذلك جزءا من مقومات الأسرة وركنا أساسيا من أركانها ، والتعاون بين أفراد المجتمع .. وما إلى ذلك من العلاقات الاجتماعية القائمة على وصايا الدين .

ولكن ذلك كله لم يعجب المنسلخين من الدين فقرروا تغييره ، وإنشاء بديل منه لا يقوم على أساس الدين !

كان التغيير فى المبدأ هو تغيير " السند " أو " المنبع " مع محاولة المحافظة على شئ من الأخلاق ، أى البحث عن منبع آخر للقيم الاجتماعية غير الدين .. فليكن هو " الطبيعة " أو يكن هو " النفس الإنسانية " ذاتها .. المهم ألا يكون المنبع هو الدين ، ولا يكون المرجع الذى تستمد منه القيم هو الوحى الربانى !

ولكن القيم لم تكن لتستمر فى فاعليتها بعد أن تنقطع عن معينها الحقيقى وهو الدين والوحى الربانى ..

ثم إن الهزات العنيفة التى أحدثتها الثورة الصناعية جاءت والقيم مهتزة بالفعل ، قائمة على غير أساس حقيقى يقيها من الهزات . فإذا انهارت هذه القيم سريعا فلا عجب .. وإذا أفلح الشريرون فى هدمها بوسائلهم الشريرة بعد أن استعصت عليهم خلال عدد متطاول من القرون فلا عجب كذلك .. فالجدار القائم على غير أساس ينتظر من يهزه ليسقط إذا لم يتداع من تلقاء نفسه ، بينما الجدار القائم على أساس متين لا يتزلزل إلا بالجهد الجهيد .

جاءت الثورة الصناعية " فتحررت " المرأة .. أى استعبدتها (والرجل كذلك) لأغراضها الخاصة . وكانت " أغراضها " قدرا من الشر لا يخطر على بال إنسان .. تحررت المرأة فتحلت من القيود كلها ، وفى مقدمتها قيود الدين وقيود الأخلاق .

---

(1) " " مقتطفات من الكتاب من صفحات 51 ، 54 ، 78 ، 81 ، 83 ، 84 مأخوذة من كتاب " العلمانية " لسفر عبد الرحمن الحوالى ، وهو من أحسن ما كتب فى موضوع العلمانية .

وطالبت بالمساواة الكاملة مع الرجل فرفضت أن يكون قيما عليها لأن القوامة لا تصلح بين الأنداد !

واشتغلت ، فانشغلت عن مهمتها الأولى فى تربية النشء ..

وتفككت الأسرة وانحل البيت وتشرد الأطفال ، وتكونت منهم عصابات جانحة ترتكب الجرائم لمجرد سد الفراغ .

وانحلت روابط المجتمع فصار كل إنسان يعيش وحده .. حتى الأسرة .. الزوج له عمله ومغامراته ، والزوجة لها عملها ومغامراتها .. والأولاد يغادرون البيت فى سن معينة ولا يعودون بعد ذلك ، ولا يربطهم بالأب والأم رباط ، إلا زيارات خاطفة فى مناسبات متباعدة فى أحسن الأحوال .. ويكبر الأبوان فى تلك العزلة الباردة فلا يجدان من يطرق عليهما الباب .. فينشدان سلواهما فى الكلاب !

وانتشر الشذوذ لأسباب كثيرة ، من بينها – كما يقولون هم بأفواههم – رفض المرأة للقوامة وضياع سيطرة الأب ..

وفى جانب آخر من الأرض قامت " فلسفة " بشرية مغايرة ، وإن كانت تشترك مع سابقتها فى كثير من السمات !

تشترك معها فى إخراج المرأة من البيت وشغلها عن الأسرة والأولاد .

وتشترك معها فى تحطيم كيان الأسرة ..

وتشترك معها فى حل روابط المجتمع ..

ولكنها تختلف عنها فى الطريقة !

فى الأولى يتم تحطيم المجتمع عن طريق تضخيم الفرد وجعله هو الأساس . فيتحطم المجتمع نتيجة المبالغة فى إحساس الفرد بذاتيته الزائدة عن الحد .

وأما الثانية فتجعل المجموع هو الأساس إلا الفرد ، فتسحق الفرد من أجل المجموع ، ثم تعود فتحطم المجتمع نتيجة تحويله إلى مجموعة من الأصفار كل منهم بلا مشاعر ولا كيان !

(4) فى العلم :

بدأ الصراع بين الدين والعلم حين هاجمت الكنيسة العلماء الذين قالوا بكروية الأرض وهددتهم بالحرق أحياء فى الأفران .. وكانت الكنيسة هى المعتدية بلا شك ، وكانت حماقة شنيعة منها أن تقف هذا الموقف من أمور علمية بحتة ، يخطئ العلماء فيها أو يصيبون ولكنها تظل فى دائرة العلم لا يتدخل فيها " رجال الدين " لأن الدين الصحيح لم يحرم البحث العلمى ، وإنما لفت نظر البشر إلى آيات الله فى الكون ، وقال لهم تفكروا فيها وتدبروا لتعرفوا قدرة الخالق العظيم ، دون أن يقيدهم بنظرية

معينة فى تفسير ظواهر الكون ، بل ترك ذلك للعقل البشرى يحاول فيه بقدر ما يطيق ..

ولكن الاحتجاج بحماقة الكنيسة لفصل الدين عن العلم أو بذر بذور العداء بين الدين والعلم كان فى ذاته حماقة أشد !

فلتكن الكنيسة حمقاء بقدر ما تكون .. ولكن الفطرة السوية لا تفصل بين الدين والعلم ، لأن كلا منهما نزعة فطرية سوية لازمة للكيان البشرى ، ولازمة لمهمة الخلافة التى وجد الإنسان من أجلها فى الأرض .

الإنسان عابد بطبعه ، راغب فى المعرفة بطبعه ..

ولا تعارض فى الفطرة السوية بين نزعة العبادة ونزعة المعرفة ، ولا بين الإيمان بالغيب والإيمان بما تدركه الحواس .

ولقد خلق الله الإنسان ليعبده :

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56)} [سورة الذاريات 56/51]

وجعل من بين العبادة عمارة الأرض :

{هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنْ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} [سورة هود 61/11]

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ} [سورة الملك 15/67]

وجعل من الأدوات المعينة على عمارة الأرض العلم النظرى فى صورة " معلومات " عن الكون ، والعلم التطبيقى فى صورة تسخير طاقات السماوات والأرض للإنسان .

{الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)} [سورة العلق 96/4-5]

{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً (12)} [سورة الإسراء 12/17]

{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً} [سورة الجاثية 13/45]

ومن هنا يكون العلم ذاته جزءا من العبادة المطلوبة من الإنسان ، يستوى فى ذلك العلم بأمور الدنيا والعلم بأمور الدين ، فإن عمارة الأرض بمقتضى المنهج الربانى تحتاج إلى هذا العلم وذاك .. العلم الدنيوى من أجل العمارة المادية . والعلم الدينى

لجعل هذه العمارة المادية مستقيمة على المنهج الربانى ، وتلك هى الخلافة الراشدة المطلوبة من الإنسان .

من أجل ذلك لا يوجد فى الدين الصحيح ولا فى الفطرة السوية تعارض ولا تنازع ولا خصومة بين الدين والعلم ! إنما تعمل نزعة العبادة ونزعة المعرفة فى تناسق كامل فى النفس السوية دون قلق ولا حرج ولا تصادم ولا نزاع ..

وكذلك قامت الحركة العلمية الهائلة التى قامت فى العالم الإسلامى فى ظل العقيدة ، بل بدافع من العقيدة ! فمن المعلوم من التاريخ أن المسلمين لم يصبحوا أمة علم إلا بعد أن دخلوا فى الإسلام !

ولقد كان النموذج الإسلامى قائما حول أوروبا من الشرق والغرب والجنوب .. بل إن أوروبا لم تعرف العلم الحقيقى إلا حين أرسلت أبناءها يتعلمون فى مدارس المسلمين فى الأندلس والشمال الإفريقى وصقلية الإسلامية ، فلئن كانت الكنيسة قد ارتكبت حماقتها بمعاداة العلم والعلماء ، فلقد كان الحل هو نبذ دين الكنيسة الفاسد لا نبذ الدين كله ، وقد رأوا نموذجا مفلحا ومثمرا منه فى العالم الإسلامى .. ولئن كانت " المكايدة " قد أصبحت هى العملة المتبادلة بين الكنيسة من جهة والعلماء من جهة ، فلقد كان المقتضى السليم لذلك هو أن يرد العلماء للكنيسة إلهها الزئاف الذى تعذب العلماء باسمه وتطاردهم ، ويفروا إلى الله الحق الذى وجدوه معبودا عند أولئك العلماء الأفذاذ الذين تتلمذوا عليهم وتعلموا العلم على أيديهم ، والذى وجدوا العبادة الصحيحة له تخرج مثل هؤلاء الأفذاذ ، وتتيح لهم حرية البحث العلمى بلا قيود .

ولكن رد الفعل للحماقة التى ارتكبتها الكنيسة كان حماقة جديدة ارتكبها " العلماء " ! لقد كانوا معذورين فى أن يتشككوا فى كل حرف تقوله الكنيسة وتزعم أنه من عند الله ، وفى أن يبدأوا العلم كله من نقطة الصفر ، ويجربوا لأنفسهم ليثبتوا .. فهذا على أى حال هو المنهج العلمى الصحيح الذى تعلموه على أيدى أساتذتهم المسلمين . وكلنهم غير معذورين حين تصل بهم حقائق العلم إلى رؤية القدرة المعجزة للخالق ، فيلوون رؤوسهم فى كبر ، أو يهزون أكتافهم فى استهتار " غير علمى " ! ويقولون إنه ليس الله ، ولكنه الطبيعة !

هنا الحماقة التى لا يبررها شئ .. لا الأمانة العلمية ولا الإنسانية الحقيقية للإنسان !

ولكن أوروبا بدأت من هذه الحماقة ثم لجت فيها إلى أبعد الحدود ..

مجرد ذكر اسم الله فى البحث العلمى يعتبر إفسادا للروح العلمية ، ومبررا لطرح النتائج العلمية كلها ولو كانت كلها صحيحة بمقياس العلم ذاته الذى جعلوه إلها من دون الله !

بل مجرد الاعتقاد بوجود الله ، وأنه هو خالق الخلق وخالق الكون كفيل بإخراج العالم من دائرة العلماء الذين يعتد بهم ويؤخذ بآرائهم ولو كانت آراؤه صحيحة بمقياس البحث العلمى ، بل إنه يحيط ذلك العالم بالارتياب والشك فى كل ما يقول ، ويجعله موضع الزراية من العلماء " الحقيقيين " ! الذين لابد أن يكونوا ملحدين لتكون آراؤهم موضع التسليم !

أى زراية بالعلم ذاته تؤدى إليه هذه الحماقة ؟!

بل أى روح " غير علمية " تلك التى تسيطر على " العلماء " فى تلك الجاهلية التى تقوم باسم العلم ؟!

ما التعصب إذن ، وما فقدان " الروح العلمية " والأمانة العلمية إذا كان هذا علما وأمانة وروحا علمية؟

وأى انتكاسة فى عالم " القيم " وعالم " الإنسان " أكبر من تلك الانتكاسة الشنيعة التى ترفض " الحقائق " بمجرد الأهواء ؟!

وكيف – كما قلنا من قبل – كيف يكون الشئ ذاته صحيحا " وعلميا " إذا نسب إلى الطبيعة وغير صحيح وغير علمى إذا نسب إلى الله ؟! ويكون هذا هو الشرط الذى لا يقبل غيره للدخول فى مجال العلم والعلماء ؟!

وكيف يتأتى لهذه الجاهلية أن تفصل – فى النفس الواحدة – بين نزعتين فطريتين : نزعة العبادة ونزعة العلم ، فتقول للناس : إذا أردتم الله فاتركوا العلم وإذا أردتم العلم فاتركوا اله ، وتسمى هذا " علما " و" روحا علمية " ؟ وما الفرق بين هذه الحماقة وحماقة الكنيسة التى من أجلها حاربها العلماء ؟!

ألم تقل الكنيسة نفس القولة ولكن من الجانب الآخر ؟! قالت لك إذا أردتم الله فاتركوا هذا العلم ، وإذا أردتم هذا العلم فأنتم خارجون على الله !

وحين نستبدل حماقة بحماقة هل نكون راشدين ؟ وهل يحق لنا أن نستعلى بحماقتنا على حماقة الآخرين ؟!

على أن الحماقة البديلة لا تقف عند حد تمزيق البشرية بين نزعتيها الفطريتين ، مما يشكل سببا من الأسباب الكثيرة للاضطراب والقلق النفسى والعصبى الذى تعانيه الجاهلية المعاصرة . إنما يستخدم العلم عن قصد فى إفساد العقيدة وإفساد الأخلاق ..

فبين الحين والحين تخرج " أبحاث علمية " كاذبة – ويعلم أصحابها أنهم كاذبون – تزعم أن الإنسان قد " خلق " الخلية الحية فى المعمل ! وتسفر الحقيقة بعد الاستفسار والتقصى أنهم أعادوا تركيب خلية حية فى المعمل من أجزاء حية أخذت من مجموعة من الخلايا الحية !!

ولكن هذا الدجل " العلمى " يراد به أن يقال للناس ها هو ذا الإنسان قد خلق فلم تعد هناك ضرورة للخالق ! أى يستخدم العلم الزائف لنشر الإلحاد فى الأرض ، وتتقبله المجلات " العلمية " الرصينة التى ترفض أى بحث علمى يذكر فيه اسم الله !

{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (45)} [سورة الزمر 45/39]

وسيظل التحدى الربانى قائما فى وجه الملحدين :

{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35)} [سورة الطور 35/52]

وكما يستخدم العلم الزائف لنشر الإلحاد تستخدم ثمار العلم لإفساد الأخلاق . وأوضح الأمثلة على ذلك حبوب منع الحمل التي قول الأطباء " الأمناء " – وقليل ما هم – إنها ليست مأمونة تماما ، وإنها قد تسبب أضرارا خطيرة ن وإنها ينبغى ألا تستخدم إلا بإشراف الطبيب .. هذه الحبوب تباع فى الصيدليات بسعر منخفض يكاد يساوى سعر التكلفة ، ويباع لأى فتاة تطلبه – وتكرره – دون تذكرة طبية .. لأنها – كما لا يخفى – أداة جبارة لنشر الفاحشة فى الأرض ، لأن الفتاة التى تستطيع أن تأمن نتائج اتصالاتها الجنسية غير المشروعة أيسر انزلاقا من التى تخشى حدوث المتاعب من هذه الاتصالات .

وذلك فضلا عن صرف جهود كثيرة فى أبحاث " علمية " بقصد اختراع المدمرات البشعة بغير موجب حقيقى ، فقد كان انتصار بعض البشر على بعض ممكنا بغير كل تلك البشاعة فى أدوات التدمير .. " (1)"

وهذا الشر العميق كله قد نشأ من " علمانية " العلم .. أى من ذلك المبدأ الملوث الشرير : مبدأ فصل الدين عن الحياة ..

(5) الأخلاق :

ربما لم يكن هناك مجال تأثر بالعلمانية بقدر ما تأثرت الأخلاق ..

ذلك أن الدين هو المنبع الطبيعى للأخلاق ، فإذا جفف هذا المنبع أو جف بسبب من الأسباب فلابد أن يتبعه حتما انهيار تدريجى فى الأخلاق ينتهى إلى " اللاأخلاق " .

ولقد كانت " النهضة " فى أول عهدها تعتقد – ربما بإخلاص وحسن نية – أن فى إمكانها أن تجد للأخلاق منبعا آخر غير الدين .. من الطبيعة أو من النفس البشرية أو من أى مكان آخر .. والواقع أنهم كانوا فى أول مرحلة الفساد ، فكانوا هم أنفسهم لا يتصورون أن البشرية يمكن أن تعيش بلا أخلاق ، أو أنه سيأتى وقت عليها تكون عارية من الأخلاق . فكان المشكل بالنسبة لهم هو محاولة البحث عن منبع للأخلاق غير الدين ، حتى لا تتخذ تلك ثغرة يهاجمون منها من قبل ذوى الغيرة على الأخلاق وهم يومئذ غير قليل .. ولكن المنبع البديل – أيا كان هو – قد أثبت عجزه عن إنبات القيم التى يحتاج إليها الإنسان فى حياته ، ككل التصورات التى تخطر فى بال الفلاسفة ولا تتعدى أذهانهم إلى واقع الحياة !

ثم جاءت أجيال أكثر علمانية من السابقة ، لأنها كانت قد بعدت أكثر عن المنبع الحقيقى للقيم ، فبدأت تناقش مبدأ القيم ذاته : هل هى ضرورية حقا للحياة البشرية ؟ وهل هى حقائق واقعية أم مجرد مثل خيالية معلقة فى الفضاء غير قابلة للتطبيق ؟ وإذن فلماذا لا نكون " واقعيين " ونتعامل مع الواقع البشرى كما هو ؟ أى بغير مثل وبغير قيم ؟!

وكانت هذه بداية موجة جديدة من الانحدار على المنزلق .. فإننا إذا سلمنا بالواقع الموجود اليوم على أنه هو الواقع الذى لا يمكن أن يوجد أفضل منه ، فما الذى يمنع

هذا الواقع أن ينحدر غدا إلى هوة جديدة ، ثم ما الذى يمنعنا من مجاراته فى الهبوط بحجة الواقعية ؟!

إن الذى يمنع من هذا شئ واحد ، هو وجود القيم الأصيلة التى نقيس إليها أفعالنا ومستوانا ، لنعرف على ضوئها أهابطون نحن أم مرتفعون .. فإذا وجدنا أننا هبطنا حاولنا أن نوقف هبوطنا ونصعد من جديد .. أما فى غياب الميزان فما المعيار ؟ إن الواقعية ليست معيارا يقاس إليه أى شئ ، ما دامت تعتبر الواقع هو المقياس ! والناس إذا أفلتت أيديهم من خيط الصعود الذى يشدهم إلى أعلى فلابد أن تهبط بهم ثقلة الشهوات وجواذب الأرض فيزداد واقعهم هبوطا على الدوام .. وما دام معيارنا هو الواقع ، فسيظل المعيار ذاته يهبط مع هبوط الإنسان ! ونظل نحن – بحجة الواقعية – نتابع الهبوط .

لقد كان القرن التاسع عشر " واقعيا " فنبذ القيم التى سماها مثالية – بمعنى غير واقعية – واعتبرها ترفا عقليا لا تطيقه طبيعة الحياة ..

وكانت نتيجة ذلك هى القرن العشرين ! قرن التفلت من القيود كلها ، والهبوط إلى الحمأة التى يستعفف عنها الحيوان !

وذلك أمر معروف من التاريخ وإن جادلت فيه الجاهلية المعاصرة ، وهى ليست أول جاهلية تجادل فى الحق وتنكر البديهيات ! إن أى جيل من أجيال البشرية أنكر القيم الإنسانية لم يقف حيث كان يوم أنكرها ، إنما ازداد هبوطا .. حتى أدركه الدمار !

ولنستعرض خط العلمانية مع الأخلاق من أوله لنعلم مدى الهبوط ..

ولنبدأ بالمفهوم الحقيقى للأخلاق ، الذى كانت تؤمن به أوروبا ذات يوم ثم ظلت تتخلى عنه خطوة خطوة وهى تسير مع الشيطان .

إن الأخلاق " ميثاق " شامل .. يشمل كل أعمال الإنسان .

---

(1) " " حدث فيما بين صدور الطبعة الأولى والطبعة الثانية من الكتاب حادث انفجار المفاعل النووى الروسى ، الذى تسربت منه الإشعاعات المدمرة . وتعرض لخطرها ملايين من البشر فى أوروبا . وهم فى حالة " سلم " لا حرب !

{إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (19) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (20) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ (21) وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (22)} [سورة الرعد 13/19-22]

والميثاق هو أصلا ميثاق مع الله ، تتفرع منه وتتدرج تحته جميع المواثيق :

{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ} [سورة النساء 4/58]

وأول الأمانات هى الأمانة المؤداة إلى الله ، ثم تأتى بعدها جميع الأمانات التى أبرز سياق الآية منها الحكم بين الناس بالعدل ..

وعلى هذا الأساس يكون للسياسة أخلاق ، وللاقتصاد أخلاق ، وللاجتماع أخلاق ، وللعلم أخلاق ، ولكل شئ على الإطلاق أخلاق .. ولا يكون هناك شئ واحد فى حياة الإنسان بلا أخلاق ..

ومنشأ الأخلاق ليس هو الفرض من الخارج . فى صورة أوامر ونواه وزواجر من عند الله أو من عند غيره ، إنما الله سبحانه وتعالى هو الذى يحدد ما هو حلال وما هو حرام ، وما هو حسن وما هو قبيح ، وما هو خير وما هو شر .. الخ فيتبعه المؤمنون التزاما بما أنزل الله ، وأما غير المؤمنين فيستمدون ذلك كله من عند غير الله . وفى الحالين لا يكون هذا هو منشأ " الأخلاق " عند هؤلاء وهؤلاء .. إنما يكون فقط هو منشأ " المعايير " التى تضبط الأخلاق .

إنما تنشأ الأخلاق – كما قلنا منق بل فى أكثر من موضع فى الفصول السابقة – من طبيعة الإنسان ذاته ، ومن أن له طريقين ، وأن له القدرة على التمييز والاختيار بين الطريقين :

{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (10)} [سورة الشمس 91/7-10]

ومن ثم فالقيمة الخلقية لاصقة بأعمال الإنسان بحكم طبيعته .. وإنما تختلف القيم باختلاف واضعها : هل هو اله أم هم البشر . فإن كانت من عند الله فهذه هى القيم

الحقيقية الصالحة ، لأنها من عند خالق الإنسان العليم به وبما يصلح له وما يصلحه :

{أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14)} [سورة الملك 14/67]

وإن كانت من عند البشر فهى عرضة للأهواء وعرضة للاختلاف من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار . وتاريخ البشرية فى جاهليتها هو الدليل ، يستوى فى ذلك أن يكون الجاهليون من الفلاسفة أو من عامة الناس !

ولقد كان هذا كله واضحا لأوروبا المسيحية فى الفترة التى سيطر فيها الدين على قلوب الناس ، بصرف النظر عما فى ذلك الدين الكنسى من انحرافات .. فقد سبق أن قلنا إن وجود الانحراف والتحريف فيه لم يمنع وجود بعض الحقائق لأنهم كما يقول الله عنهم : " فنسوا حظا مما ذكروا به " وبقى مما ذكروا به بعض أشياء .. وكانت القيم الخلقية من بعض هذه الأشياء .

ثم زحفت العلمانية شيئا فشيئا على الحياة الأوروبية فأقصت الدين عن الحياة بقدر ما تمكنت هى من الحياة .. ومع إقصاء الدين أقصيت الأخلاق ، لأنها أصلا مستمدة من الدين .

وأول مجال أزيحت الأخلاق عنه هو مجال السياسة منذ قال مكيافيللى : إن الغاية تبرر الوسيلة .. ومعناها بصريح العبارة إسقاط الأخلاق من مجال السياسة ، وممارسة السياسة بلا أخلاق !

ثم أزيحت الأخلاق من المجال الاقتصادى منذ الثورة الصناعية بتحليل الربا ، وتحليل الغش والخداع والكذب وسرقة أجر الأجير وشغل الناس بتوافه الأشياء من أجل الربح ، وتحليل شن الحروب والاستعمار من أجل إيجاد أسواق لتصريف البضائع .. إلى آخر ما قامت به الرأسمالية من حيل غير شريفة للاستزادة من المال على حساب البشرية .

ثم أزيحت الأخلاق من مجال العلم ، فلم يعد هدف العلم البحث عن الحقيقة المجردة – له – إنما صارت تصاحبه المصالح والأهواء والشهوات التى أسلفنا نماذج منها فى إبعاد اسم الله عمدا من البحث العمى مع وضع بديل مزيف هو الطبيعة ، لا لأن هذه حقيقة ولكن لأنها تخدم هدفا معينا فى معركة معينة بين العلماء وبين الكنيسة !

ومن نشر أبحاث كاذبة بقصد نشر الإلحاد . ومن استخدام ثمار العلم لإفساد الأخلاق .. وغير ذلك مما كان مستحيلا أن يحدث فى ظل سيطرة الدين على مشاعر الناس ، ومن ثم التزامهم بأخلاقيات الدين .. ولكنه يحدث بسهولة فى ظل العلمانية التى تفاخر بإقصاء الدين عن كل مجالات الحياة !

ثم أزيحت الأخلاق من مجال الفكر . فلم يعد يحس المفكر أنه ملتزم بأمانة معينة هى فى أصلها الأمانة المؤداة إلى الله .. فحفلت وسائل الإعلام جميعا من أول لكتاب إلى التليفزيون ، مرورا بالصحيفة والمسرح والسينما والإذاعة ، بكل صنوف التضليل والكذب والخداع والغش وإفساد العقيدة وإفساد الأخلاق .

ثم أزيحت من مجال العلاقات الجنسية بصفة خاصة – وهى أدق مجالات الأخلاق – فقيل إن الجنس مسألة " بيولوجية " لا علاقة لها بالأخلاق ! أى مسألة ذكر وأنثى يجرى بينهما ما يجرى بين الذكر والأنثى .. بلا قيود ولا أخلاق ولا ضبط ولا تصعيد .. وكانت الحمأة الدنسة التى تردت فيها البشرية ، وكان السعار الجنسى المجنون الذى لا يشبع ولا يرتوى ولا يفيق ..

وأخيرا أفرغت الأخلاق ذاتها من مضمونها حين قبل إنه ليس لها وجود ذاتى ، إنما هى انعكاس للأوضاع المادية والاقتصادية ، أو إنها من مصنع العقل الجمعى وإنها تتغير على الدوام ولا تثبت على حال !

وسقط " الإنسان " بسقوط الأخلاق !

(6) فى الفن :

كان الفن فى أوروبا فى فترة الجاهلية الكنسية فنا دينيا بمعنى أنه موجه لخدمة الدين ، وكان يحمل كل ما فى العقيدة الكنسية من انحراف ، إذ كان كله موجها لتمجيد " الرب " الذى ألهته الكنسية وهو المسيح عيسى بن مريم ، أو تمجدي الأقانيم الثلاثة عامة : الأب والابن وروح القديس ، مع مريم البتول ومجموعة من القديسين .. سواء بالشعر أو النثر أو الرسم أو التصوير (بمعنى إقامة التماثيل) .

وقد لاحظت فى كتاب " جاهلية القرن العشرين " ملاحظة خاصة بالفن الأوروبى ، وقلت إنها معروضة للدراسة لمن أراد أن يدرس ، تلك هى أن الفن الأوروبى فى جميع أدواره التاريخية كان مشغولا بالمعبود .. فحين كان المعبود فى الجاهلية

الإغريقية مجموعة من الآلهة المختلفة توجه الفن الإغريقى إلى تلك الآلهة سواء فى الأساطير أو المسرحيات أو التماثيل . وحين انتقلت أوروبا إلى المسيحية عنى الفن بالإله كما صورته الكنيسة ، وحين كفرت أوروبا بإله الكنيسة وألهت الطبيعة اتجه الفن إلى المعبود الجديد وخاصة فى الفترة الرومانسية ، وحين صار المعبود هو " الإنسان " اتجه الفن كله إلى دراسة الإنسان فى جميع أوضاعه .

واليوم صارت المعبودات فوضى ، وتمثلت الفوضى كذلك فى الفن الأوروبى الحديث !

وهذه نقطة فنية على أى حال ليس مجالها التفصيلى فى هذا الكتاب إنما ينبغى أن تدرس دراسة نقدية متخصصة .

ثم إنى ألفت كتابا كاملا هو " منهج الفن الإسلامى " لأبين العلاقة بين الفن الصحيح والدين الصحيح ، وكيف تكون مجالات الفن الملتزم بالدين ، وكيف أن ارتباط الفن بالدين لا يضيق مجالاته كما يفهم البعض ، ولا يحوله إلى مواعظ دينية كما يفهم البعض الآخر ن إنما يوسع مجالاته فى الحقيقة ويعمقها ، ولكنه ينظفها فقط ويطهرها من الأرجاس .

وليس هنا مجال إعادة الحديث فى هذه الموضوعات ..

إنما نحن هنا نتحدث فقط عن آثار العلمانية فى الفن الأوروبى ..

فأول آثارها – فى التسلسل التاريخى – هو عبادة الطبيعة فى الفترة الرومانسية .

وليس ثمة عيب – كما قلنا من قبل – فى مناجاة الطبيعة والتفاعل معها والحفاوة بها ، فذلك كله أمر طبيعى فى النفس السوية . ذلك أن الله خلق الكون جميلا ثم جعل فى النفس البشرية حاسة تلتقط الجمال وتنفعل به . والقرآن يوجه الحس توجيها صريحا لرؤية الجمال فى الكون والإحساس به ، لا فى الورود والأزهار والجبال والوديان فحسب ، بل فى الأنعام كذلك ، التى هى مظنة الفائدة وحدها .

{وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (6)} [سورة النحل 16/5-6]

{وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً وَمِنْ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ

وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99)} [سورة الأنعام 99/6]

{أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60)} [سورة النمل 60/27]

ولكن رؤية هذا الجمال والتفاعل معه والانفعال به تحدث به فى النفس السوية توجها إلى الله بالعبادة لأنه هو خالق هذا الكون الجميل ومسخره للإنسان ، وخالق هذه الحاسة الجمالية فى تركيب الإنسان ليستمتع بهذا الجمال .

أما النكسة العلمانية فى الحس الأوروبى المنسلخ من الدين فقد ذهبت فى طريق آخر مخالف ، فجعلت من هذا الحس الجمالى وثنية كاملة تعبد الطبيعة بدلا من عبادة الله . وقد وردت كلمة الوثنية بالذات ورودا مكررا فى شعر الرومانسيين كأنما هو أمر مقصود !

بل إن الرومانسية فى الحقيقة هى التى يسرت للحس الأوروبى الانزلاق إلى تلك المغالطة المكشوفة التى جعلت الطبيعة إلها بدلا من الله ، حتى سرت هذه المغالطة إلى " العلماء " أنفسهم فتعاملوا معها كأنها حقيقة واقعة .. بل صاروا فى النهاية يقبلونها – وحدها – على أنها هى العلم ، ويرفضون الحقيقة الأصلية وهى كون الله هو الخالق ، ويعتبرونها إفسادا لروح البحث العلمى !

ثم ذوت الرومانسية بعد فترة من الوقت وحلت محلها الواقعية رد فعل لها ، إذ كانت الرومانسية مغرقة فى الخيال المغرب فجاءت الواقعية لترد الناس وترد الفن إلى الواقع ..

ولكن أى واقع هو الذى ارتد إليه الفن وارتد إليه الناس ؟!

إنه الواقع الصغير .. الهابط .. المنسلخ من الدين .. من القيم .. من الأخلاق !

ففى الفترة التى استغرقتها الرومانسية وارتدت بعدها إلى الواقع كان الناس قد ساروا خطوات على خط العلمانية المنسلخة من الدين فهبطوا ، فجاءت الواقعية لترصد واقعهم حيث هم .. ثم تقول هذا هو الواقع البشرى !

فأما كون هذا هو الواقع الذى كان عليه الناس وقتئذ فهذا حق لا شك فيه ، وأما أن هذا الواقع البشرى على إطلاقه فأمر يكذبه التاريخ . تكذبه فترات الهدى فى حياة البشرية ، التى ارتفع الناس فيها إلى قمم تبدو – فى هذا الواقع المنحرف – كأنها خيالات ، ولكنها كانت واقعا عاشه الناس بالفعل ، وينبغى أن يحاولوا على الدوام أن يعودوا إلى ذلك المستوى السامق أو يعودوا إلى قريب منه . وليس المطلوب من الفن الواقعى أن يدارى على هبوط الناس ولا أن يصورهم فى صورة غير واقعية من أجل إرضاء المثل العليا ! كلا فالفن المزور لا يستطيع أن يعيش . ولكن هناك فرقا بين تصوير الواقع على أنه واقع نعم ، ولكنه منحرف عن الأصل الذى كان ينبغى أن يكون عليه ، وبين تصويره على أنه هو الواقع الإنسانى الذى لا يمكن تعديله أو لا ينبغى تعديله أو لا يعنينا تعديله ! كلاهما تصوير للواقع . وكلن أحدهما يصور الواقع المنحرف بروح الإنكار ، ويدعو إلى الارتفاع عنه ، والآخر يعطيه شرعية الوجود فتكون النتيجة الحتمية – دائما – مزيدا من الهبوط !

نموذج الواقعية الهادفة هو سورة يوسف فى القرآن الكريم :

{وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتْ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)} [سورة يوسف 12/23-24]

{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ (31) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (32)} [سورة يوسف 12/31-32]

ولكن هذه ليست اللقطة الأخيرة .. إنما اللقطة الأخيرة هى الأوبة والتوبة والترفع والارتفاع :

{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنْ الصَّادِقِينَ

(51) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (52) وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (53)} [سورة يوسف 12/51-53]

ونموذج الواقعية الهابطة هو الأدب الذى يدعى الواقعية وهو فى الواقع يدعو إلى الهبوط ! وهبه صادقا فى ادعاء الواقعية فلماذا يصر على التقاط اللحظات الهابطة وحدها ويتجنب لحظات الارتفاع ؟! ثم لماذا لا يسمى الهبوط باسمه الحقيقى وهو الهبوط ؟!

ثم .. تبعثرت الاتجاهات الفنية فى الفترة الأخيرة .. ولكنها حافظت على طابع واحد .. هو الهبوط !

من السريالية إلى الوجودية إلى اللامعقول .. إلى أدب الجنس المكشوف ..

أما السريالية فقد تتبعت التلحيل النفسى الذى أنشأه فرويد وقال فيه إن حقيقة النفس الإنسانية ليست فى النفس الواعية التى تتعامل مع الواقع الخارجى ، إنما هى فى العقل الباطن الذى لا ترتيب فيه ولا منطق ! فحاولت فى نماذج أقرب إلى الخبل منها إلى العقل أن تبرز " حقيقة النفس الإنسانية " ! فلم تصنع شيئا فى الحقيقة إلا بعثرة هذه النفس إلى قطع متناثرة لا دلالة لها ولا معنى ولا طعم .

وأما اللامعقول فقد كان هروبا من " المعقول " هروبا من العقلانية التى طغت على الفكر والحياة الأوروبية ، ومحاولة للقول بأن الحياة ليست معقولة .. ليس لها هدف ..ليس لها نظام .. ليس لها منطق .. ليس لها غاية .. إنما تحدث فيها الأحداث لمجرد الحدوث ! وحين تحدث فإنه يكون لها ثقل " الواقع " . ولكن حدوثها وعدم حدوثها سيان ! وحدوثها على هذه الصورة وحدوثها على صورة أخرى سيان ! لأن كل الصور تتساوى فى عدم المعقولية وفى الافتقار إلى معنى واضح وغاية واضحة .

ولقد كان هذا تعبيرا باطنيا حقيقيا عن أن الحياة فقدت معناها وفقدت غايتها حين فقدت الخيط الذى ينظمها جميعا وينظمها ويفسر غايتها ويفسر أحداثها ، وهو الدين .. ولكن الجاهلية لا تدرك ذلك ، وتأخذ الأمر على أنه مجرد فن ! أو إن أدركت

فإنها تدرك أن الحياة البشرية أصبحت فى حاجة إلى " فلسفة " جديدة تعطيها معنى وتعطيها غاية ، بشرط ألا تكون هذه " الفلسفة " مستمدة من الدين !!

وأما الوجودية فهى أخبث من ذلك لكه .. ولا تنس أن سارتر – " الكاتب الإنسانى الغظيم " – يهودى من أم يهودية .

تقول وجودية سارتر إن الكون والحياة لا هدف لها ولا غاية .. ولا عدل فيها ولا حق . إنما كله ضلال وعبث . وإن الوجود الإنسانى ضياع كله ، ومن المستحيل أن يحقق الإنسان فيه وجوده !

وإلى هنا نستطيع أن نقول إن هذا أيضا تعبير باطنى صادق عن فقدان الحياة معناها وهدفها حين تفقد العنصر الذى يوجد الترابط بن أجزائها ويعطى أحداثها تفسيرها ومعناها وهو الدين .

ولكن وجودية سارتر لا تقف عند تسجيل الضياع والعبثية وفقدان المعنى والغاية .. ولكنها تقدم حلا للمشكلة ! وياله من حل !

الحل أن يعيش كل إنسان وحده ، وأن يحقق وجوده بأن يفعل م يرى هو أنه حق وأنه واجب وأنه حسن !

فى مسرحيته " الجحيم هو الآخرون " يرسم الجحيم فى نفس إنسان – إذا كان إنسانا ! – يتعذب من أول المسرحية إلى آخرها من جود آخرين لا يكفون عن الوجود من حوله ، ويفرضون عليه أن يكونوا موجودين معه ، فيمنعونه أن يكون نفسه .. أن يحس بذاتيته .. أن يفعل ما يمليه عليه هواه الشخصى . فيظل ساكنا ساكتا يتعذب . يتطلع إلى اللحظة التى يذهب فيها عنه " الآخرون " لينطلق بوجوده الذاتى ، ليحقق ذاته .. وكلنهم لا ينصرفون .. فيظل هو فى الجحيم !

أما أدب الجنس المكشوف – إن كان يسمى " أدبا " – فو واضح من أن يحتاج إلى تعليق !

وفى تاريخ البشرية كله ط آداب " تعالج الجنس بقصد الإثارة ، أو تعبر عن تجارب هابطة لإنسان شهوان .. ولكنها كانت تأخذ فى عالم الأدب مكانا منزويا ، يتستر بها صاحبها فى الظلام ، ويسقط عمن يتعاطونها رداء التوقير والاحترام ، ويقبل عليها ط المراهقون " من أى عمر كانوا ، فليست المراهقة فترة معينة من عمر

الإنسان كما هى فى اصطلاح علم النفس ، إنما هى حالة نفسية غير مستقرة وغير متزنة يمكن أن يصاب بها الفتى فى إبان طيشه ، ويمكن أن يصاب بها ابن السبعين .. فتخف أحلامه ويذهب وقاره وتذهب عنه قدرته على الحكم المتزن على الأشياء ..

ولكن الجديد الذى أحدثه " التطور " العلمانى هو إعطاء " الشرعية " لهذا الهبوط الحيوانى ، وكشفه فى النور ، وإعطاؤه صفة " الفن " ، ووضع منتجيه فى قائمة المشاهير ، بل فى قائمة العظماء من الفنانين ! وينشغل النقد الأدبى والنقد الفنى بتتبع آثارهم وكشف جوانب العظمة الفنية فيهم .. بل يتبجح نقاد فيبحثون لهم عن عظات " نفسية " فى وسط الماخور الكبير الذى يعيش فيه هؤلاء وهؤلاء من نقاد و" فنانين "

لقد سقط " الإنسان " كله إلى السراديب ، وقرر المقام هناك ، وأضاء الأنوار على قاذوراتها وعرضها على أنها " البضاعة الحاضرة " ! ولم تعد سرا يستخفى منه .لم تعد قذارة تستنكر .ز لم تعد شيئا يتقزز منه الناس .

أرأيت إلى دودة الأرض اللاصقة بالطين ؟! إنها تستروح أنسام المستنقع الآسن الذى تعيش فيه ، وترى أنه بالنسبة لها هو الوضع الطبيعى .. هو الأصل الذى ينبغى أن تعيش فيه !

أرأيت لو أنك أردت أن ترفعها من الطين وتنظفها ؟

إنها تستنكر وترفض .. وتتفلت من بين أصابعك لتزداد لصوقا بالطين !

وهكذا لم يعد أدب الجنس المكشوف قذارة يترفع عنها الفن . إنما صار هو الفن الذى يتفنن فيه الكتاب ، يعرضون مفاتنه – أو بالأحرى مباذله – فى تفصيل دقيق مكشوف ، ويعرضونه على أنه قاعدة الحياة أو قمة الحياة !

هل هى عدوى " فرويد " فى عالم الفن ؟

لاشك أن فرويد مسئول عن البداية التى ابتدأ بها هذا الفن الهابط . وقد كانت البداية هى قصة " عشيق ليدى تشاترلى Lady Chatterly's Lover للقصاص الإنجليزى د . هـ . لورنس D. H. Lawrence المتتلمذ على فرويد ، والذى يعتبر هو نفسه " حالة فرويدية " . تلك القصة التى صودرت وصودرت وصودرت .. ثم

أبيحت مع حذف الجزء الشديد الإفحاش منها . ثم أبيحت مع جزء منه .. ثم أبيحت كاملة كما هى .. عارية من كل حياء .. وطبع منها ملايين !

ولكن فرويد وحده لا يكفى لتفسير كل ذلك الهبوط ..

إنه الانسلاخ من الدين ، الذى يسمى " العلمانية " !

ففرويد لم يكن يتصور – وإن تمنى – أن تأتى يوم تعرض فيه العملية الجنسية على المسرح بوصفها جزءا من مسرحية " فنية " ! ثم ينقلها التليفزيون على شاشته ليراها الأولاد والبنات فى البيوت !

وذلك إلى آلاف وآلاف من المسرحيات والقصص والأفلام والأغانى والصور والصحف والمجلات ، لا تعرض شيئا إلا الجنس ، ولا تعرضه إلى وضع الحيوان .

تلك هى العلمانية فى مجالات الحياة المختلفة .. فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والعم والأخلاق والفن .. ولك نشاط يمكن أن يصدر عن " الإنسان " إن كان قد بقى له بعد ذلك كله مكان فى عالم " الإنسان "!

وتقول العلمانية – الغربية على الأقل – إنها لا تحارب الدين ! فمن شاء أن يتدين فليتدين ! وانظر حولك تجد متدينين بالفعل لا تتعرض لهم العلمانية من قريب ولا من بعيد !

أرأيت لو أن إنسانا أطلق حولك كل أنواع الجراثيم الموجودة فى الأرض ، فى الهواء الذى تتنفسه . فى الماء الذى تشربه . فى الطعام الذى تأكله . فى الوجود الذى تلمسه . ثم قال لك إن أردت أن تظل سليما معافى فكن كما شئت ، فنحن لا نتعرض لك ! كم يكون قوله مسخرة المساخر ، وكم يكون مغالطة مكشوفة ؟!

وذلك فضلا عن أنه فى عرف نفسه لا يعتبر ما يطلقه من حولك جراثيم .. بل يعتبرك أنت الجرثومة التى يخشى منها على كيانه ، والتى لم يستطع أن يقضى عليها قضاء كاملا فتركها وهو يتمنى – من الشيطان – أن تزول !

{وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} [سورة النساء 89/4]

إن الدين – حتى بمعناه الغربى المشوه – لم يعد له مكان فى العلمانية المعاصرة .

فإذا كان قد أخرج من عالم الاقتصاد ومن عالم الاجتماع ومن عالم العلم ومن عالم الأخلاق ومن عالم الفن .. فماذا بقى له من واقع الحياة وماذا بقى له من النفس الإنسانية ؟!

بقيت له ساعة فى الكنيسة من يوم الأحد من كل أسبوع عند أفراد من الناس !

نعم .. ولكن ما الدين حتى بالنسبة لهؤلاء ؟

هل له واقع فى حياتهم ؟

هل يمنح قلوبهم الطمأنينة اللازمة لحياة الإنسان .. الطمأنينة التى تتنع التمزق النفسى وتمنع القلق والاضطراب ؟

هل يمنح وجودهم معنى يحميهم من الإحساس بالضياع ؟

هل يمنحهم تصورا للكون والحياة والإنسان غير التصور المادى الذى تقدمه العلمانية الجاهلية ؟

لو سألت أولئك الخارجين من سماع الموعظة يوم الأحد عن رأيهم الدينى فى التعاملات الاقتصادية الربوية اتى تقوم عليها حياتهم فهل تجد عند أحد منهم تحريما لها أو استنكارا لقيامها ؟ أم يقول لك قائلهم : هذه مسألة اقتصادية .. ما علاقة الدين بالاقتصاد ؟!

ولو سألت أحدا منهم : ما رأيك فى كذب الساسة بعضهم على بعض فى السياسة الدولية ، وعلى شعوبهم فى السياسة الداخلية ؟ ومت رأيك فى الالتزام الحزبى الذى يلزم صاحبه بالمعارضة أو التأييد حسب وضع حزبه من السلطة ؟ وما رأيك فيما تكتبه الصحافة السياسية بقصد التشويش على الحقائق لا بقصد إظهار الحق ؟ أل يقول لك على الفور إن هذه مسائل سياسية .. ولا دخل للدين بالسياسة ؟!

ولو سألت الفتاة وصديقها الخارجين من " الصلاة " ما قولكما فى العلاقة القائمة بينكما ؟ ألسي الدين يحرمها ؟ ألا يقولان لك إن الدين مسألة اعتقادية ولا علاقة له بالعلاقات الاجتماعية ؟! إن لم يقولا لك – كما يقول الكثيرون والكثيرات – إن الجنس مسألة بيولوجية بحتة لا علاقة لها بالدين ولا علاقة لها بالأخلاق ؟!

كلا ! ما يزيد " الدين " فى ظل العلمانية على أن يكون مجرد وجدانات حائرة لا تلبث أن تتبدد وتضيع فى الدوامة العاتية المعادية لكل ما يأتى من عند الله !

- - - - - - - - - - - - - -

العلمانية والإسلام

إذا صحت دعوى العلمانيين فى الغرب بالنسبة للدين الكنسى أنهم يتعايشون معه ويتعايش معهم دون تدخل من أحدهما فى شؤون الأخر – وهى كما رأينا ليست صحيحة فى الحقيقة– فإنها بالنسبة للإسلام لا تصح على الإطلاق !

لقد كان الدين الكنسى منذ اللحظة الأولى دينا يهتم بالآخرة ويدير ظهره للحياة الدنيا ، نتيجة ما دخل فيه من تحريف فصل الشريعة فيه عن العقيدة ، وجعله عقيدة صرفا إلا فيما يتعلق بالأحوال الشخصية .. ومع ذلك فقد كان العمل من أجل الآخرة يلقى أثره على الحياة الدنيا ، قصد الناس أم لم يقصدوا ، ووعوا ذلك فى إدراكهم أم لم يعوه ، فكان ذلك الدين – رغم التحريف الضخم فى كل جوانبه – يعطى أثارا واقعية فى حياة الناس وسلوكهم ، وتصوراتهم ومشاعرهم ، وهى التى جاءت العلمانية لتزحزحها من مكانها رويدا رويدا حتى أجلتها إجلاء كاملا ، فلم يعد للدين عند الأكثرية العظمى من الناس فى الجاهلية المعاصرة مكان على الإطلاق ، وبقى عند الأقلية " المتدينة " مجرد مشاعر ووجدانات ، وعلى الأكثر بعض " العبادات " ولكن هذه وتلك لا تحكم شيئا فى واقع الحياة . وبهذا وحده – أى بمسخ الدين على هذه الصورة المزرية – أصبحت العلمانية تتعايش – على مضض ! – مع الدين ! وقد كان هذا مسخا بالنسبة للدين الكنسى ذاته ، الذى شوهته الكنيسة حتى قطعت صلته بالأصل السماوى .. فكيف يكون الأمر بالنسبة لدين الله الحق ؟!

إن الدين احق لا يمكن ابتداء أن يكون عقيدة مفصولة عن الشريعة .. فالالتزام بالشريعة – فى دين الله الحق – هو مقتضى العقيدة ذاتها . مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. بحيث لا تكون الشهادة صحيحة وقائمة إن لم تؤد عند صاحبها هذا المعنى ، وهو الالتزام بما جاء من عند الله ، والتحاكم إلى شريعة الله ، ورفض التحاكم إلى أى شريعة سوى شريعة الله .

{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (65)} [سورة النساء 65/4]

يقول ابن تيمية فى كتاب الإيمان (ص 33 من طبعة دار الطباعة المحمدية بالقاهرة) :

" والمقصود هنا أن كل ما نفاه الله ورسوله من مسمى أسماء الأمور الواجبة كاسم الإيمان والإسلام والدين والصلاة والطهارة والحج وغير ذلك فإنما يكون لترك واجب فى ذلك المسمى .. ومن هذا قوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فلما نفى الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل ذلك على أن هذه الغاية فرض على الناس فمن تركها كان من أهل الوعيد " .

لقد نزل هذا الدين ليعطى التصور الصحيح لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، وليقيم فى عالم البشر واقعا محكوما بهذا التصور ، منبثقا عنه ، مرتبطا به ، متناسقا معه فى كلياته وجزئياته ، ولا يتصادم معه ولا ينحرف عنه .

فالله الخالق البارئ المصور ، الرازق المحيى المميت ، المدبر اللطيف الخبير ، عالم الغيب والشهادة .. بكل أسمائه وصفاته الواردة فى كتابه المنزل ، هو المتفرد بالألوهية والربوبية ، وهو المستحق للعبادة وحده بغير شريك ..

وكل ما فى الكون وكل من فى الكون غيره سبحانه هم خلقه وعباده .. واجبهم عبادته وحده بغير شريك .

والإنسان واحد من خلقه .. متميز .. نعم .. مكرم نعم .. ذو وعى وإدراك وإرادة وفاعلية .. نعم . ولكنه مخلوق من مخلوقات الله ، واجبه ككل خلقه الآخرين محصور فى عبادة الخالق وحده بغير شريك .

ولقد كرمه الله بالوعى والإدراك والإرادة والفاعلية ، وأعطاه قدرا من الحرية فى تصرفاته الإرادية يملك به أن يسير فى طريق الطاعة وأن يسير فى رطيق العصيان .. ولكنه لا يرضى من عباده إلا أن يعبدوه :

{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ} [سورة الزمر 7/39]

والذى يقرر العبادة المفروضة على كل كائن من الكائنات هو خالق الكائنات جميعا ، الذى خلقها وحده بغير شريك ، ومن تفرده بالخلق ينشأ انفراده بالحاكمية :

{أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ} [سورة الأعراف 54/7]

وبحق الحاكمية الناشئ من التفرد بالخلق أمر الإنسان أن يعبده وحده ويخلص العبادة له :

{إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ} [سورة يوسف 40/12]

{أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} [سورة الزمر 3/39]

{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (11)} [سورة الزمر 11/39]

وإخلاص العبادة يقتضى الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وتعالى ، ويقتضى توجيه الشعائر التعبدية له وحده ، ويقتضى كذلك التصديق بكل ما جاء من عنده على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، والاحتكام إلى شريعته وحدها دون الشرائع الجاهلية التى يصنعها البشر من عند أنفسهم دون سلطان من الله والإخلال بأى واحدة من هذه الثلاثة يوقع الإنسان فى الشرك ويخرجه من دائرة الإيمان :

{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} [سورة النحل 35/16]

كما قالوا : {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5)} [سورة ص 5/38]

فهذه هى الثلاثة التى أوقعتهم – أساسا – فى الشرك : توجيه الشعائر التعبدية لغير الله ، والتحليل والتحريم من دون الله ، والاعتقاد بوجود آلهة مع اله ..

وكلها مجتمعة شرك ، وكل واحدة بمفردها شرك لا يستقيم معه إيمان ..

والمعاصى تقع من البشر جميعا : كل بنى آدم خطاء " (1)"

ولكنها لا تخرجهم من الإيمان باتفاق علماء الأمة ..

إلا أن يجعلوها شرعا فعندئذ يكفرون بها . بل هم يكفرون بالتشريع ولو لم يرتكبوا المعصية بأنفسهم .. فالذى يقول – بلسانه أو بفعله – إن الله أمر بقطع يد السارق ولكنى أرى أن العقوبة المناسبة للسارق هى السجن – وهو ما تفعله العلمانية الجاهلية – فقد كفر بذلك وإن لم يسرق بنفسه ولم يفكر فى السرقة .

---

(1) " " رواه أحمد .

والذى يقول – بلسانه أو بفعله – إن الله أمر برجم الزانى المحصن وجلد الزانى غير المحصن ، ولكنى أرى أنه لا عقوبة على الزنا إذا كان برضى الطرفين البالغين الراشدين (أى لم تكن الفتاة قاصرا) ولم تقع شكوى من أحد الزوجين ؛ فإن كان هناك اغتصاب أو اشتكى أحد الزوجين فالعقوبة هى السجن – وهو ما تفعله العلمانية الجاهلية – فقد كفر بذلك وإن لم يرتكب الفاحشة بنفسه ولم يفكر فى ارتكابها ..

وكذلك كل شرع من شرع الله ..

من اعتقد بأفضلية غيره عليه ، أو حتي مساواته معه ، فعدل عنه إلي غيره ، أورضي بغيره ولم يجاهده بيده أو بلسانه أو بقلبه فقد خرج من دائرة الإيمان ، وأن صلي وزعم أنه مسلم !

{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (47) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (48) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (49) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (50) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (51)} [سورة النور 24/47-51]

{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ} [سورة النساء 4/65]

" إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون . فمن كرة فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع "

" فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن . ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن . ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن . وليس وراء ذلك من الإيمان حبه خردل "

فإذا كان هذا أمر الله ورسوله فأني يقول قائل إن الإسلام يمكن أن يلتقي مع العلمانية التي تقول : لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين ؟! أو تقول إن الاقتصاد لا علاقة له بالدين .. أو تفصل بين حكم الدين وبين أي شي في حياة الإنسان ؟!(1)

================

#العلمانيّون والإسلام

العلمانيّون والإسلام

محمد قطب

مقدمة

يقوم العلمانيون منذ فترة بحملة واسعة ضد تحكيم الشريعة الإسلامية ، وضد الإسلاميين الذين يطالبون بتحكيمها ، ويحشدون جهودهم في ذلك كأنما يدرءون خطراً داهماً يوشك أن يدهمهم ، ويلوّحون في حملتهم بالديمقراطية بديلا من الإسلام ويرددون كثيرا في كلامهم كلمة " التعددية " وكلمة " الآخر " و " الحرية السياسية " و " تداول الحكم " .

ويعجب الإنسان من ذلك حين يعلم أن كثيرا من أولئك العلمانيين كانوا شيوعيين يوم أن كانت الشيوعية ذات سطوة وسلطان . فلما انهارت الشيوعية بالسرعة المذهلة التي انهارت بها ، لبس أولئك العلمانيون ثياب " الديمقراطية " وصاروا ينادون بها كأنهم من دعاتها منذ نعومة أظفارهم ! وقد كانوا في فترة اعتناقهم الشيوعية ينددون بالتعددية الحزبية ويرون فيها الفساد كله . فلما سقطت الشيوعية واحتاجوا إلى تغطية أنفسهم لبسوا ذات الرداء الذي كانوا يلعنونه بالأمس ويندّدون به !

ويعجب الإنسان كذلك حين يراهم يعارضون تطبيق الشريعة بدعوى أن تطبيقها لا يتيح الحرية للأمة لكي تمارس " حقوقها السياسية " ولا يتيح " للمعارضة " أن تعبر عن مواقفها ، ولا يحترم " الآخر " .. بينما كانوا بالأمس من أشد أعوان الحكم العسكري الذي يكتم أنفاس الأمة ، ويسحق المعارضة سحقاً لا هوادة فيه ، ويفرض رأيه على الأمة فرضاً على طريقة الفرعون الذي كان يقول : (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) (2) ويجعل فكرة " تداول الحكم " جريمة منكرة لا تخطر إلا في بال الخونة المارقين ! ويملأ السجون والمعتقلات بألوف من الرجال والنساء والشباب والشيوخ ، ويعذبهم بما لامثيل له في التاريخ كله إلا في محاكم التفتيش !

وربما يزول العجب – أو بعضه على الأقل – إذا أدرك الإنسان أن الذي يحرك العلمانيين أساساً هو كراهيتهم للشريعة الإسلامية ونفورهم من تطبيقها . ومن ثم يتخذون مواقفهم في الموقع الذي يهاجم الإسلام والإسلاميين ، بصرف النظر عن

طبيعة ذلك الموقع وحقيقة أفكاره .. ولا يجدون في أنفسهم حرجا أن يغيروا مواقعهم من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين ، ما داموا في هذا الموقع أو ذاك يدخلون في زمرة قومٍ أعداءٍ للإسلام والإسلاميين ، ويشاركونهم في مهاجمة الإسلام والإسلاميين !

---

(1) أنظر تفصيلا لهذه القضية في كتاب ، مفاهيم ينبغي أن تصحح
(2) سورة غافر [29] .

ولكنا نضرب صفحاً عن هذا كله ، وندخل مع العلمانيين في حوار هادئ جهد الطاقة ، نريده أن يكون علمياً بحتاً وموضوعياً بحتاً ، وأن نصل منه معاً إلى حقائق علمية وموضوعية تكشف الغبش الذي غشّى على كثير من الندوات التي قامت في الفترة الأخيرة بين العلمانيين والإسلاميين ، ولم تصل إلى شيء في النهاية ، لأنها كانت أقرب إلى الصراع الفكري منها إلى البحث الموضوعي ، وكان الوقت المخصص لكل متكلم دقائق معدودة لا تتسع لبحث حقيقي ، وقصارها أن تعرض وجهة نظر سريعة في جزئية من جزئيات الموضوع .

وسنفترض من أجل هذا الحوار الهادئ جهد الطاقة أن الناس جميعا مخلصون ، وأنهم يريدون الحق ويسعون إلى الخير على الرغم من اختلاف وجهات نظرهم ، ثم نبحث معاً بحثا موضوعيا في الدليل الذي يهدي إلى الصواب ، فإذا وجدناه التزمنا به ، ولم نحِدْ عنه ، متمثلين في هذا الحوار بالأدب الذي وجه الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتبعه مع مخالفيه ، مع ثقته عليه الصلاة والسلام أنه على الحق ، إذ وجهه أن يقول لهم : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (1) ومتمثلين قوله تعالى : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ (2) وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (3) .

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، واهدنا بفضلك ورحمتك إلى سواء السبيل .

أوربا وتجربتها مع الدين

كانت تجربة أوربا مع " الدين " تجربة بئيسة إلى أقصى حد ..

كان الدين بالنسبة إليها ظلاما وجهلا واستبداداً وغلظة وانصرافاً عن عمارة الأرض (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ..) (4) .

ووقر في حس أوربا من خلال تجربتها الخاصة أن هذا هو " الدين " ..

ولذلك نفرت منه ، ثم هاجمته وأبعدته عن واقع الحياة ، وحبسته في نطاق ضيق في ضمائر الناس ، إن بقي للناس ضمائر بعد أن أبعدوا عن الدين !

وأوربا في هذا معذورة من ناحية ، ولكنها – من ناحية أخرى – غير معذورة .

معذورة في النفور من " ذلك الدين " والسعي إلى تقليص نفوذه ونزع سلطانه وحبسه في أضيق نطاق ممكن ... بل نبذه والخروج عليه جهرة .. ولكنها غير معذورة في أن يكون هذا موقفها من " الدين " بعامة ، الصحيح منه وغير الصحيح !

لم تعرف أوربا دين الله الحقيقي الذي أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام ، إنما عرفت صورة محرفة منه ، هي التي أذاعها بولس " رسول الأمم " ، ونشرها في ربوع الأرض ، وبخاصة في أوربا .

يقول المؤرخ البريطاني " ويلز " :

---

(1) سورة سبأ [24] .

(2) أي حين اختلف الناس ولم يعودوا أمة واحدة على الحق كما كانوا في مبدإ الأمر .

(3) سورة البقرة [213] .

(4) سورة الحديد [27] .

" وظهر للوقت معلم آخر عظيم ، يعده كثير من الثقاة العصريين المؤسس الحقيقي للمسيحية (1) ، وهو شاول الطرسوسي أو بولس .. والراجح أنه كان يهودي المولد ، وإن كان بعض الكتاب اليهود ينكرون ذلك (2) ، ولا مراء في أنه تعلم على أساتذة من اليهود ، بيد أنه كان متبحراً في لاهوتيات الإسكندرية الهيلينية .. وهو متأثر

بطرائق التعبير الفلسفي للمدارس الهلنستية (3) ، وبأساليب الرواقيين (4) ، كان صاحب نظرية دينية ومعلماً يعلم الناس قبل أن يسمع بيسوع الناصري بزمن طويل .. ومن الراجح جدا أنه تأثر بالمثرائية ، (5) إذ هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات المثرائية . ويتضح لكل من يقرأ رسائله المتنوعة جنباً إلى جنب مع الأناجيل أن ذهنه كان مشبعا بفكرة لا تظهر قط بارزة قوية فيما نقل عن يسوع من أقوال وتعليم ، ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قربانا لله ، كفارة عن الخطيئة (6) . فما بشر به يسوع كان ميلادا جديدا للروح الإنسانية . أما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة ، ديانة الكاهن والمذبح ، وسفك الدماء لاسترضاء الإله " (7) .

ويقول أيضا :

" وفي أثناء ذلك الأمد غير المحدد كان يحدث فيما يبدو قدر جسيم من ضرب بعينه من الثيوكرازيا (أي التداخل والمزج بين الآلهة والعقائد المختلفة) بين النحلة المسيحية والعقيدة المثرائية التي تكاد تضارعها في سعة انتشارها بين سواد الشعب ، ونحلة سيرابيس إيزيس حورس ..

.. على أن ما أسهمت به نحلة الإسكندرية في الفكر المسيحي والطقوس المسيحية كان أعظم قدرا أو يكاد .. إذ كان طبيعيا أن يجد المسيحيون في شخصية حورس (الذي كان ابنا لسيرابيس وهو سيرابيس في نفس الوقت) شبيها مرشداً لهم فيما يبذلون من جهود عنيفة لتفهم ما خلفه لهم القديس بولس من خفايا .. " (8) .

وتتضح من شهادة " ويلز " عدة أمور :

أن الدين الذي نشره بولس ليس هو الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام .

أن بولس قد مزج الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام بالوثنيات القائمة يومئذ وخاصة الميثرائية التي أتى بها من فارس والهلنستية التي جاء بها من الإغريق والتثليث الذي جاء به من الديانة المصرية القديمة .

أن أهم ما كان في الدين الذي جاء به المسيح هو " الميلاد الجديد للإنسان " وهذه سمة الرسالات السماوية جميعا ، التي تتنزل لتخليص البشر من أوهامهم الوثنية وانحرافاتهم ، وتقدم العقيدة الصحيحة لهم ، فتمنحهم ميلاداً جديداً ينعتقون فيه من

أغلال الوهم ، وعبودية بعضهم لبعض ، ويرتفعون به إلى الوضع اللائق بهم : عباداً لله وحده ، متحررين من كل عبودية زائفة لغير الله .. وأن هذا " الميلاد الجديد للإنسان " هو الذي طمسته ديانة بولس ، فأعادت الناس إلى " الديانة القديمة " ديانة الكاهن والمذبح .. أي الديانات الوثنية التي كانت قائمة قبل الميلاد الجديد ..

ويقول برنتن :

" إن المسيحية الظافرة في مجمع نيقية – وهي العقيدة الرسمية في أعظم إمبراطورية في العالم – مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين في الجليل (9) . ولو أن المرء اعتبر العهد الجديد التعبير النهائي عن العقيدة المسيحية لخرج من ذلك قطعاً لا بأن مسيحية القرن الرابع (10) تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتاً " (11) .

وهي شهادة واضحة لا تحتاج إلى تعليق .

ويقول رينان الفيلسوف الفرنسي :

---

(1) أي للدين الذي عرفته أوربا .

(2) كما ينكر بعض الكتاب اليهود شخصية عبد الله بن سبأ الموازية في عملها لشخصية بولس ، فهذا دخل النصرانية ليفسدها من داخلها ، وذاك دخل الإسلام ليحاول إفساده من الداخل .

(3) مدارس الفلسفة الإغريقية وخاصة مدرسة الإسكندرية .

(4) مدرسة فلسفية أسسها الفيلسوف زينون مبنية على الزهد في متاع الحياة الدنيا وعدم المبالاة بلذائذ الحس وآلامه .

(5) ديانة فارسية قديمة (عبادة مثرا إله النور)

(6) أي القربان البشري .

(7) كتاب " معالم تاريخ الإنسانية " ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ج 3 . ص 705.

(8) المرجع السابق : ج 3 ص 708 – ص 709 .

(9) أي المسيحية الأولى المنزلة من عند الله كما جاء في كلام الكاتب في السطور التالية .

(10) أي المسيحية التي عرفتها أوربا واعتنقتها .

(11) أفكار ورجال تأليف جرين برنتن ترجمة محمود محمود ص 207 من الترجمة العربية .

" إنه ينبغي لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفهمه هو أن نبحث في تلك التفاسير والشروح الكاذبة التي شوهت وجه التعليم المسيحي حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام . ويرجع بحثنا إلى أيام بولس الذي لم يفهم تعليم المسيح بل حمله على محمل آخر ، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين وتعاليم العهدالقديم (1) . وبولس كما لا يخفى كان رسولا للأمم ، أو رسول الجدال والمنازعات الدينية وكان يميل إلى المظاهر الخارجية الدينية كالختان وغيره ، فأدخل أمياله هذه على الدين المسيحي فأفسده . ومن عهد بولس ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس . وأما تعليم المسيح الأصلي الحقيقي فخسر صفته الإلهية الكمالية ... وإن أولئك الشراح والمفسرين يدعون المسيح إلها دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون في دعواهم على أقوال وردت في خمسة أسفار .. مع أن تلك الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله " (2) .

ويتضح من شهادة رينان :

أن بولس كان المفسد الأول والأكبر لتعاليم المسيح عليه السلام .

أنه ألقى على الدين الجديد من عند نفسه ما لم يكن في الدين المنزل من عند الله .

أنه بعمل بولس وغيره من الشراح والمفسرين فقد الدين المنزل من عند الله صفته الإلهية الكمالية .

نعم .. لسنا نحن المسلمين الذين نقول إن الدين الذي اعتنقته أوربا لم يكن دين الله المنزل على عيسى عليه السلام ، إنما يقوله مؤرخهم وكتابهم ، ويقوله كل من يعرف حقائق التاريخ .

ولقد كان مدى التحريف هائلاً جداً في ذلك الدين الذي اعتنقته أوربا وظنت أنه دين الله .

ولم يكن التحريف في مجال العقيدة وحدها – وهو خطير في ذاته – ولكنه وقع في أمر آخر لا يقل خطرا عن العقيدة ، هو فصل العقيدة عن الشريعة ، وتقديم الدين للناس كأنه عقيدة فقط بغير تشريع !

وقد كان لهذا آثار بالغة الخطورة في حياة أوربا .. السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية .. وفي كل اتجاه .

لقد أشار " ويلز " إلى أن الدين قد تحول على يد بولس من بساطته وصفائه الذي جاء به عيسى ابن مريم إلى دين " المذابح والكاهن " الذي كان قائما في الديانات الوثنية السابقة .. وذلك حق .. وهو ذو صلة بالتحريف الذي أحدثه ذلك اليهودي المتنصر الذي دخل النصرانية ليفسدها من الداخل (3) ، كما فعل عبد الله بن سبأ بعد ذلك بعدة قرون حين دخل الإسلام ليحاول إفساده من الداخل ، ولكنه لم ينجح كما نجح شاول من قبل ، لأن الله تكفل بحفظ رسالته الخاتمة ، ببينما وَكَلَ حفظ الرسالات السابقة للبشر فضيعوها :

(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ...) (4) .

)إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (5) .

وفرق كبير بين حفظ الله واستحفاظ البشر . فالكتاب الذي تكفل الله بحفظه قد بقي كما أنزل بغير تحريف ، فظل قائما ليطبق في واقع الأرض ، وليرجع الناس إليه كلما همّ أحد أن يحدث تغييرا في أصول الدين ، بينما حرفت الكتب الأخرى التي وكل حفظها إلى البشر ، وسهل على أصحاب الأهواء – ومن بينهم ذلك اليهودي المتنصر – أن يحدثوا في دين الله ما ليس فيه ، كما تبين من شهادات الذين استشهدنا بهم آنفا من الكتاب النصارى أنفسهم .

وكما قلنا لم يكن التحريف مقصورا على العقيدة (تأليه عيسى ، وادعاء بنوته لله سبحانه وتعالى ، وضم إله ثالث إليهما ليصبح الإله ثلاثة في واحد : الأب والابن وروح القدس) إنما أضيف إليه فصل العقيدة عن الشريعة ، وتقديم الدين للناس عقيدة بلا شريعة ، تحت شعار لا سند له من دين الله المنزل ، قوامه " أدِّ ما لقيصر لقيصر وما لله لله ! " (6).

(1) يرجع رينان ما أدخله بولس من الفساد على دين المسيح عيسى عليه السلام إلى أنه لم يفهم تعاليم المسيح ، ونحن نرجح أن المسألة لم تكن عدم الفهم ، إنما كانت الخلط المتعمد .. ومع ذلك فلو فرضنا جدلا أن المسألة نشأت عن عدم الفهم ، فتبقى الحقيقة قائمة : أن دين بولس ليس هو الدين المنزل من عند الله .

(2) عن محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ص 215 .

(3) أشرنا إلى شاول وقصة دخوله في النصرانية في كتاب " رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر " ص 76 ويراجع في ذلك كتاب " .محاضرات في النصرانية " لمحمد أبو زهرة .

(4) سورة المائدة [44] .

(5) سورة الحجر [9] .

(6) أشرنا إلى هذه المقولة المنسوبة للمسيح في كتاب " مذاهب فكرية معاصرة " ص 16 ، وقلنا إنه يتعذر توثيق نسبتها إلى المسيح ، وإنها حتى لو ثبتت نسبتها إليه فلا يمكن أن يكون المقصود بها إعطاء قيصر حق التشريع من دون الله ، إنما يقصد بها عدم الدخول في معركة مع القيصر في فترة الاستضعاف .

ومن شأن الدين المحرف على هذا النحو أن يتحول علماؤه – أو رجاله – إلى كهنة ، وأن يتحول الكهنة مع الزمن إلى وسطاء بين البشر وبين الله ، فيكون لهم سلطانٌ طاغٍ على أرواح الناس ..

إن لكل دين " رجالا " مهمتهم أن يتفقهوا في الدين ليعلموا الناس أمور دينهم التي لا يستطيعون أن يتعرفوا عليها بأنفسهم ، فيتعلموها على يد أولئك الذين تفقهوا فيها .

وحين يكون الدين عقيدة وشعيرة وشريعة ، وعلما للدنيا والآخرة ، يكون هؤلاء " الرجال " علماء وفقهاء ، ودعاة ومربين ، يربون بالقدوة الطيبة وبالعلم النافع الذي يبصّر الناس بآخرتهم ودنياهم .

أما حين يكون الدين عقيدة فقط بغير شريعة ، وعقيدة محرّفة على هذا النحو الذي لا يستطيع العقل أن يدركه أو يسيغه ، فهنا تنحصر مهمة أولئك " الرجال " في محاولة وصل الناس بربهم عن طريق الجانب الروحاني وحده من ذلك الدين ، دون

الجانب الفكري أو العقلاني – لأنه أصلا لا يخضع للعقل – ودون الجانب الفقهي والتعليمي الذي يبصّر الناس بمنهج الحياة الصحيح الذي ينظم لهم جوانب الحياة المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية .. فينقلب أولئك " الرجال " بمقتضى ذلك الحال إلى " كهنة " يحتفظون " بالأسرار " .. الأسرار التي تستعصي على أفهام الناس ، ويصبحون – بمقتضى ذلك الحال أيضا – وسطاء بين العبد والرب ، لأن الطريق بين العبد والرب محفوف بتلك الأسرار العجيبة التي تحتاج إلى وسيط يفسرها للعبد ، وهو سالك طريقه إلى الله ، أو على الأقل يؤنسه في وحشة الطريق الغامض الذي يسلكه إلى الله ، فيطلق له إشعاعة روحية يحاول بها أن يهتدي في منعرجات الطريق !

وهكذا أصبح " رجال الدين " في النصرانية المحرفة " كهنة " كما أشار " ويلز " يقومون بالطقوس التعبدية ، ويحتكرون تفسير الوحي ، فأصبح لهم نفوذ هائل على أرواح الناس .. وكانت تلك هي نقطة البداية الخطيرة التي أدت إلى الطغيان الهائل الذي مارسته الكنيسة ورجال الدين ..

إن " الكنيسة " ذاتها بدعة مبتدعة لم يتنزل بها سلطان من عند الله .

ففي الديانة اليهودية التي نزلت لبني إسرائيل قسّم الرب الإله – كما تروي التوراة – مهام أسباط بني إسرائيل ، فعهد إلى اللاويين – أبناء لاوى بن يعقوب – بمهمة تطبيق الشريعة ، لا بوصفهم " كنيسة " ولكن بوصفهم قضاة يحكمون بين الناس بما أنزل الله في التوراة (بصرف النظر عما أحدثوه من تحريف في تشريعات التوراة ذاتها) وكان هذا أشبه بتنظيم إداري ، لا يجعل للاويين قداسة خاصة دون بقية بني إسرائيل .

ثم أرسل عيسى عليه السلام لبني إسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة وليحل لهم بعض الذي كان قد حرم عليهم بسبب كفرهم ، كما جاء على لسانه في القرآن الكريم :

(وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) (1).

فكان المفروض أن يجري الأمر في عهد عيسى عليه السلام على ذات النسق الذي جرى به على عهد موسى عليه السلام ، مع التعديلات التي وردت في التشريع . أما الكنيسة التي ابتدعتها النصرانية المحرفة فلا أصل لها في دين الله ولا سند .. إلا ذلك السند المزيف المنسوب إلى المسيح : " أنت بطرس . وعلى هذه الصخرة ابن كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه في الأرض يكون مربوطا في السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السموات !! " (2) .

إنها قولة لا تصدر عن نبي ! فعيسى نفسه – عليه السلام – لا يملك أن يربط شيئا أو يحله في الأرض إلا بإذن ربه ، وليس له أن يحل أو يحرم إلا بإذن الله :

(لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً) (3) .

(قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً) (4) .

فإذا كان هذا هو حال المسيح نفسه – عليه السلام – فكيف يمنح هذا الحق الذي لا يملكه لنفسه – فيعطيه لبطرس أو غيره من البشر ، وهو حق الله الخالص الذي لا يشاركه فيه أحد على الإطلاق ؟

---

(1) سورة آل عمران [49 – 50] .

(2) إنجيل متى ، الإصحاح السادس عشر ، [19 – 20] .

(3) سورة النساء [172] .

(4) سورة المائدة [17] .

ولكن الكنيسة نشأت واستمدت سلطانها الزائف من تلك الأسطورة المنسوبة للمسيح ، وأصبحت هي ذاتها إحدى تحريفات ذلك الدين !

ثم إن الكنيسة لم تكتف بسلطانها الروحي على قلوب الناس ، الذي يفهم من شعارها ذاته الذي رفعته منسوبا إلى المسيح : " أدّ ما لقيصر لقيصر وما لله لله " .. إنما كان ذلك في وقت استضعافها في القرون الثلاثة الأولى ، حيث كان النصارى مضطهدين في عهد القياصرة الوثنيين الذين كانوا يحكمون الإمبراطورية الرومانية ويشتدون في اضطهاد النصارى وتعذيبهم ومطاردتهم حتى سكنوا الأديرة فراراً بدينهم من الاضطهاد الواقع عليهم ، الذي كان يصل أحيانا إلى حد إلقائهم إلى الأسود الجائعة لتفتك بهم أحياءً ، أو تعليقهم أحياءً على الصلبان حتى الموت ، وهي الطريقة التي كان الرومان يستخدمونها لتنفيذ أحكام الإعدام !

ولكن الكنيسة استأسدت بعد ذلك في القرن الرابع حين دخل قسطنطين في النصرانية لأهداف سياسية كما يقول المؤرخون ، ومكن للكنيسة ورجالها ، بعد أن أفلح في مزج دينها بأساطير الوثنية ، وأرضى بذلك النصارى والوثنيين معا ، وأمَّن سلطانه على الإمبراطورية التي كان النزاع الديني قد أوشك على القضاء عليها !

يقول درابر الأمريكي في كتاب " الدين والعلم "

" ودخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية بتظاهرهم بالنصرانية ، ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له يوما من الأيام .. وكذلك كان قسطنطين .. فقد قضى عمره في الظلم والفجور ، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية إلا قليلاً في آخر عمره ..

" وإن هذا الإمبراطور الذي كان عبداً للدنيا ، والذي لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئا ، رأى لمصلحته الشخصية ، ولمصلحة الحزبين المتنافسين – النصراني والوثني – أن يوحدهما ويؤلف بينهما ، حتى إن النصارى الراسخين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة ! ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة ستزدهر إذا طعمت ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة ! وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر من أدناس الوثنية وأرجاسها ! " (1) .

وحين أصبح للكنيسة سلطان سياسي إلى جانب السلطان الروحي بدأ الطغيان !

إن الطغيان طبع بشري لا يحتاج أن نبحث له عن أسباب :

(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى َنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) (2) .

إنما يمنع الناس من الطغيان شيء واحد من داخل نفوسهم ، هو تقوى الله . أو شيء واحد من خارج نفوسهم هو الخوف من قوة أخرى مكافئة لقوتهم أو زائدة عليها ! ولم يروا أحد من المؤرخين أن ضمائر " رجال الدين " كانت فوق مستوى الشبهات ، بل رووا أن كثيرا منهم كانوا على عكس ذلك ، فلما ملكوا السلطان السياسي فما الذي كان يمنعهم من الطغيان وهم يملكون من قبل ذلك السلطان الهائل على وجدان الناس ؟!

فرضوا سلطانهم على الأباطرة .. وأصدر البابا " نقولا الأول " بيانا قال فيه :

" إن ابن الله أنشأ الكنيسة بأن جعل الرسول بطرس أول رئيس لها . وإن أساقفة روما قد ورثوا سلطات بطرس في تسلسل مستمر متصل . ولذلك فإن البابا – ممثل الله على ظهر الأرض – يجب أن تكون له السيادة والسلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاما كانوا أو محكومين " (3) .

وفرضوا لأنفسهم عشور أموال الناس ، فضلا عن تشغيل الناس سخرة في حقول الكنيسة التي سرعان ما أصبحت في ظل وضعها الجديد من ذوات الإقطاع ، وفضلا عن الإتاوات المفروضة على الأغنياء ، والوصايا المأخوذة بسيف الحياء حين يستدعى " الكاهن " لكتابة الوصية قبل الموت !

---

(1) نقلا عن كتاب " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " للسيد أبي الحسن الندوى " .

(2) سورة العلق [6 – 7] .

(3) قصة الحضارة لول ديورانت ترجمة عبد العزيز جاويد ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، ج 14 ص 352 .

ثم فرضوا سلطاناً فكرياً رهيباً يحجر على العقول أن تفكر إلا بإذن الكنيسة ، وفي الحدود التي تسمح بها الكنيسة ! وقد كان هذا بالنسبة للكنيسة ضرورة لازمة منطقية مع التحريف الذي حدث في ذلك الدين ! فالإله الواحد الذي أصبح ثلاثة ، والثلاثة الذين هم في ذات الوقت واحد .. والعشاء الرباني الذي تتحول فيه كسرة الخبز إلى جسد المسيح ، وجرعة الخمر التي تغمس فيها كسرة الخبز إلى دم المسيح وتتجدد به

الصلة بين العبد والرب حين يأكل الإنسان جسد المسيح ويشرب من دمه ! وكرسي الاعتراف الذي يصعد منه غفران " الكاهن " للذنوب إلى " الرب " فيعتمده في عليائه ، وصك الغفران الذي يكتبه الكاهن في الأرض فيدخل به الإنسان الجنة في الآخرة بغير حساب .. إلى عشرات من أمثال تلك " الأسرار ! " التي هي في حقيقتها أساطير .. كلها أمور لا يستطيع " العقل " أن يدركها ولا أن يتدبرها .. فماذا لو أعمل الناس عقولهم ، فاكتشفت عقولهم أن كل ما يقال لهم باسم " العقيدة " كلام لا يثبت للتمحيص ؟! ماذا يبقى للكنيسة عندئذ من سلطان على الناس ؟! الحل الأمثل لهذه الحال إذن أن تحجر الكنيسة على العقل ، وأن يعتبر التفكير هرطقة تفضي إلى إهدار الدم في الدنيا ، والحرمان من الغفران في الآخرة !

ثم لما بدأت العلوم تتسرب إلى أوربا من العالم الإسلامي عن طريق الترجمة ، وتحدث ما يمكن أن نسميه " غزوا فكرياً إسلامياً " خاصة بعد هزيمة النصرانية أمام المسلمين في الحروب الصليبية (1) .. جن جنون الكنيسة ففرضت حجرا على " العلم " وأهدرت دم كل من يقول – يومئذ – بكروية الأرض ، أو أنها ليست مركز الكون ، وهو العلم الذي نقله علماء النصارى الأوائل من مؤلفات العلماء المسلمين ! (2) .

ثم لما زاد تشكك النصارى في سلامة العقيدة التي تلزمهم بها الكنيسة ، وتحجر عليهم التفكير في شأنها تحت شعار : " آمن ولا تناقش " ، وزاد تمرد " المفكرين الأحرار " (3) على سلطان الكنيسة الطاغي ، ابتدعت الكنيسة آخر ما رمت به الناس من فنون الاضطهاد ، وهو محاكم التفتيش ، بكل بشاعاتها التي تقشعر لها الأبدان .

يقول " ويلز " :

" شهد القرن الثالث عشر تطور منظمة جديدة في الكنيسة هي محكمة التفتيش البابوية ... وبهذه الأداة نصبت الكنيسة نفسها لمهاجمة الضمير الإنساني بالنار والعذاب .. وقبل القرن الثالث عشر لم تنزل عقوبة الإعدام إلا نادرا بالملاحدة والكفار . فأما الآن فإن كبار رجال الكنيسة كانوا يقفون في مائة ساحة من ساحات الأسواق في أوربا ليراقبوا أجسام أعدائها – وهم في غالبية الأمر قوم فقراء لا وزن

لهم – تحترق بالنار وتخمد أنفاسهم بحالة محزنة . وتحترق وتخمد معهم في نفس الحين الرسالة العظمى لرجال الكنيسة إلى البشرية ، فتصبح رمادا تذروه الرياح " (4) .

لم يكن ذلك كل ما فعلته الكنيسة في تنفير الناس من ذلك الدين ..

فقد انقلب الدين على يد الكنيسة إلى عامل معوّق عن الحياة ، مضاد للعلم والحضارة والتقدم والرقي ، محقّر للإنسان ونزعاته الحيوية ، مهملٍ للحياة الدنيا بوهم العمل على خلاص الروح ، والتهيؤ لملكوت الله في الآخرة .

ينسب للمسيح عليه السلام أنه قال : " إذا أعثرتك عينك فاقلعها وألقها عنك فإنه خير لك أن يهلك منك عضو واحد من أن يلقى بدنك كله في النار "

وأنه قال : " من أراد الملكوت فليترك ماله وأهله وليتبعني " .

وأنه قال : " من أراد الملكوت فليحمل صليبه وليتبعني " (5) .

وكلها دعوة للزهد في الحياة الدنيا والارتفاع عن الشهوات ..

وكلها لا يستبعد أن تصدر عن رسول من رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، فضلا عن الرسول الذي أرسل إلى اليهود خاصة الذين كان حب الحياة الدنيا قد أعماهم عن الآخرة ، وحب المال وعبادة الذهب قد أديا بهم إلى الكفر بالله .

ومثل هذه الدعوة تجدها في آيات الكتاب المبين ، وفي أحاديث الرسول صلى الله عيه وسلم :

---

(1) لا يعطَى هذا الأمر – وهو هزيمة النصارى النهائية في الحروب الصليبية – حقه من البحث فيما يكتبه المؤرخون حتى المسلمون منهم – لأننا في الغالب نرجع إلى المراجع الأوربية ، وهم يكرهون أن يذكروا الحقائق المتعلقة بهزيمتهم ، ومن بينها أن هذه الهزيمة قد هيأت نفوسهم لنقل الحضارة والعلوم الإسلامية والتأثر بها ، وأن هذا كان بدء " النهضة الأوربية " !

(2) كان علماء المسلمين قد اهتدوا إلى هذه الحقائق منذ القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي – ولكن أوربا لم تتعرف عليها إلا بعد حركة الترجمة ابتداء من القرن الثاني عشر وما تلاه .

(3) كلمة Free Thinkers لا تعني " المفكر الحر " بالمعنى الذي يتبادر إلى أذهاننا حين نقرأ هذه الكلمة ، ولكنها مرادفة للإلحاد .

(4) ويلز ، معالم تاريخ الإنسانية ، ج 3 ، ص 908 – 909 .

(5) بمعنى فليوطن نفسه على ملاقاة الموت ، فقد كانت طريقة الرومان في تنفيذ أحكام الإعدام هي التعليق على الصليب .. وليس المعنى حمل صليب من ذهب أو فضة كما يفعل بعض النصارى !!

(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (1) .

(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (2) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) (3) .

(إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (4) .

" ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه . بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه . " (5)

" إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .. " (6) .

ولكن المسلمين لم يفهموا من ذلك أنها دعوة لإهمال الحياة الدنيا من أجل الفوز بالآخرة ، ولا دعوة لكبت نشاط الجسد الحيوي من أجل خلاص الروح .. ذلك أن تعليمات الكتاب والسنة منعت ذلك الفهم الجانح :

(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (7) .

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ..) (8) .

(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ..) (9) .

" ألا إني لأعبدكم لله وأخشاكم له ، ولكني أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " (10) .

" .. وإن في بضع أحدكم لأجرا . قالوا : يا رسول الله إن أحدنا ليأتي شهوته ثم يكون له أجر ؟! قال : أرأيت لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فإذ وضعها في حلال فله عليها أجر " (11) .

لذلك لم تنقلب الدعوة إلى الزهد في متاع الأرض إلى رهبانية منعزلة عن الحياة كالتي ابتدعها النصارى :

(وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) (12) .

إنما كانت توازنا جميلا رائعا بين مطالب الجسد ومطالب الروح ، وبين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة .

كذلك لم يدر في خلد المسلمين قط أن الدين يدعوهم إلى قبول الظلم في الحياة الدنيا ، والرضى به طمعا في الفوز بالفردوس في الآخرة ، كما زعمت الكنيسة وهي تعبّد الشعوب الأوربية للإقطاع ، وتحضها على الاستكانة له وعدم التمرد عليه ، بدعوى أن " من خدم سيدين في الدنيا خير ممن خدم سيداً واحداً ! " .. ذلك أن الله حرم الاستكانة للظلم على من يقدرون على دفعه وأمر بالجهاد لإزالته :

(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً) (13) .

(وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً) (14) .

ومهما يكن من أمرٍ فقد تحول الدين النصراني على يد الكنيسة وآبائها ومفكريها إلى أغلال تفسد الحياة وتقعد بها عن النمو السويّ ، وتحولها إلى مستنقع آسن لا ينبض بالحياة ولا يسمح للحياة أن تنبض فيه .

---

(1) سورة آل عمران [185] .

(2) سورة التوبة [24] .

(3) سورة " المنافقون " [9] .

(4) سورة التغابن [15] .

(5) أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

(6) متفق عليه .

(7) سورة الأعراف [32] .

(8) سورة القصص [77] .

(9) سورة هود [61] .

(10) أخرجه الشيخان .

(11) أخرجه مسلم .

(12) سورة الحديد [27] .

(13) سورة النساء [97 – 99] .

(14) سورة النساء [75] .

دين يهمل الحياة الدنيا بدعوى تفاهتها وحقارتها وعدم جدارتها بالاهتمام ، وبدعوى أن الإنسان خاطئ بطبعه ، ولا سبيل إلى إصلاحه في الحياة الدنيا وكفه عن الخطيئة إلا بكفه عن ممارسة الحياة ذاتها – بالرهبانية – وتوجيه اهتمامه كله للآخرة ، والإيمان " بالمخلّص " ، لأن هذا وحده – لا العمل الصالح في الدنيا – هو سبيل الخلاص والجلوس عن يمين الرب في جنة الفردوس في اليوم الآخر .

دين يحتقر الجسد ويشمئز من نشاطه الفطري ، لأن هذا النشاط هو الذي يوقع الناس في الخطيئة ، وما دفع إلى الخطيئة فهو ذاته خطيئة ! وعلاجه الوحيد هو الكبت والقهر (1) .

دين يحقّر الإنسان ليمجد الرب .. كأنما لا يتحقق تمجيد الرب إلا بتحقير الإنسان ... وذلك بدعوى ان الإنسان إذا اتجه لتحقيق وجوده تمرد على الرب ، فلا بد من سحقه وإذلاله وتحقيره لكي يتمجد الرب في قلبه ، فيحصل على الخلاص ! (2) .

دين يصرف الناس عن عمارة الأرض ، وعن ترقية الحياة وتنميتها ، بدعوى أن ذلك سيصرف الناس عن التوجه إلى الآخرة ، وسيحرك شهواتهم التي لا بد أن تكبت ، ومن ثم يوقعهم في الخطيئة الواقفة للإنسان بالمرصاد !

دين يحارب العلم ، بسبب جهل البابوات ورجال الدين ، وعدم اهتمام غالبيتهم بتثقيف أنفسهم ، واكتفائهم بسلطانهم الروحي على الجماهير ، وانكبابهم على " الكتاب المقدس " بكل ما فيه من تحريف ، على اعتبار أنه يحوي كل العلم المطلوب للإنسان في دنياه من أجل الخلاص في الآخرة !

دين لا يؤمن بالحركة النامية لأنه يؤمن بالثبات المطلق في كل شيء ، ويعتبر أي تغيير في الصورة خروجاً على الأصل الثابت الذي ينبغي أن تكون عليه الأشياء ، لأنها وجدت على هذه الصورة بإرادة الله ، فينبغي أن تبقى كذلك تمجيداً لإرادة الله ، وزجرا للإنسان – في تفاهته وحقارته – أن يتمرد على إرادة الله !

دين يحجر على العقل أن يفكر ، بدعوى أنه حين يفكر يزيغ ! ولا سبيل إلى منعه عن الزيغ إلا بمنعه عن التفكير ! ويكفي الأمة أن ينوب عنها الآباء (البابوات) في كل شيء . هم يفكرون لها ، وهم يفسرون لها ، وهم يعطونها الإجابة الصحيحة عن كل ما يخطر لها ، لا بعلم حقيقي ، ولكن بأنهم نواب بطرس وخلفاؤه ، وبطرس مفوض من الرب – أي عيسى ابن مريم عليه السلام في زعمهم ، ونستغفر الله من الشرك – وما يربطه في الأرض لا يحل في السماء ، وما يحله في الأرض لا يربط في السماء ! فهم بهذه الخلافة يتحدثون باسم الرب ، وكلامهم له صفة القداسة بذلك التفويض الإلهي ، وهم كذلك معصومون لأنهم خلفاء خليفة الرب .. فلا بد أن يكون قولهم هو الصواب !

دين لا يشعر الناس في ظله بالأمن .. فهم مهددون في داخل أنفسهم بالشعور الدائم بالخطيئة أو الخوف من الوقوع فيها ، ومهددون من خارج أنفسهم بسلطان الكنيسة الطاغي التي لا تكتفي – في محاسبتها للناس ورقابتها عليهم – بما يظهر منهم بالفعل ، بل بما يحتمل أن يظهر منهم في يوم من الأيام .. فتبدأ بسوء الظن ، وتثنيّ بالملاحقة المستمرة برغبة مسبقة أن تعثر على ما يدين الناس ويوقعهم تحت طائلة العقاب .. ويا له من عقاب ذلك الذي تقوم به محاكم التفتيش !

ليس العجب أن تنفر أوربا من ذلك الدين وتتمرد عليه ..

إنما كان العجب أنها صبرت عليه كل تلك القرون التي صارت – فيما بعد تمردها – تسميها " القرون الوسطى المظلمة " !

ولكن الواقع التاريخي يقول إنها لم تبدأ تمردها على ذلك الدين إلا بعد احتكاكها بالمسلمين ، وبصفة خاصة بعد هزيمتها في الحروب الصليبية ..

عنئذ بدأت أوربا تحس بمقدار الظلام الذي عاشت فيه كل تلك القرون ، وبدات تتوق للخلاص الحقيقي من أوهاق الكنيسة وطغيانها ، وبدأت تهفو إلى الإسلام بتأثير " الغزو الفكري الإسلامي " الوافد إلى أوربا من الشرق والغرب والجنوب ، مع حركة الترجمة بصفة خاصة ..

وهنا جن جنون الكنيسة – كما ألمحنا من قبل – وقامت تحارب التأثير الإسلامي بكل الوسائل ، وكان من بين تلك الوسائل تكليف الكنيسة لكتابها ومفكريها أن يشوهوا صورة الإسلام والمسلمين في عيون الأوربيين لينفروهم من الدخول في الإسلام ، وتوجيه أقبح الشتائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، ونفي الرسالة والوحي عنه ، وتصوير الإسلام بأنه دين شهواني فظ غليظ عدواني سفاك للدماء .. كما كان من بين تلك الوسائل أيضا محاكم التفتيش !

وحينئذ وقعت أوربا في المأزق الذي تعاني آثاره حتى اليوم ، حين نفرت من دينها المحرف ، ومن الحكومة " الثيوقراطية " – حكومة رجال الدين – وأوصد الباب أمامها في الوقت ذاته إلى الدين الصحيح ..

---

(1) الكبت شيء والامتناع الإرادي شيء آخر (انظر إن شئت كتاب " الإنسان بين المادية والإسلام ص 73 – 91) فالكبت هو استقذار الدافع الغريزي في ذاته وعدم الاعتراف له بشرعية الوجود ، سواء مارسه الإنسان في الواقع أم لم يمارسه . أما الامتناع الإرادي فلا يلزم منه الاستقذار .

(2) لاحظ حرص الرهبانية والصوفية كلتيهما على إذلال كيان الإنسان لتخليصه من الإحساس بذاته لكي يَخْلُصَ لله !

وكانت " العلمانية " ، بما تشتمل عليه من إبعادٍ للدين عن الهيمنة على واقع الحياة ، وعزله عن النفوذ السياسي بصفة خاصة ، وتقرير حق الإلحاد ، والمنافحة عنه ، وحق مهاجمة الدين ومفاهيمه لمن أراد ذلك .. كانت العلمانية – بهذه الصفات – هي سبيل الخلاص – في نظر أوربا – من ربقة ذلك الدين ، الذي يمثل في حسها الظلام والأغلال التي تسحق وجود الإنسان !

الدين الحق

إذا كانت تجربة أوربا مع دينها هي تلك التجربة البئيسة التي انتهت بها إلى العلمانية فإن دين الله ليس كذلك . لم يكن كذلك حين أنزل من عند الله ، ولم يكن كذلك في التطبيق العملي في الواقع التاريخي .

يقول تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ) (1) .

هو إسلام الوجه لله ، وعبادته وحده دون شريك ، واتخاذ أوامره وتعليماته منهجا للحياة .

وهذا الوصف لدين الله ليس خاصا برسالة معينة من الرسالات السماوية ، بل هو وصف لكل رسالة أنزلت من عند الله من لدن آدم ونوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه أشد ما يكون انطباقا على الرسالة الخاتمة التي أنزلت على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، والتي تمت بها النعمة الربانية واكتمل الدين :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً) (2) .

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ..) (3) .

كل رسالة جاءت من عند الله كانت عقيدة وشعيرة وشريعة ومنهج حياة (4) .

فأما العقيدة فلم تتغير على مدى الرسالات كلها ، وليس من شأنها أن تتغير . لا إله إلا الله . اعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

وأما الشعائر من صلاة وصيام وزكاة فلم تتغير في عمومها ، وإن اختلفت تفصيلاتها وهيئاتها من رسالة إلى رسالة عبر التاريخ .

وأما الشرائع فقد اختلفت اختلافا واسعا بحسب أحوال الأقوام الذين أرسل إليهم الرسل واحتياجاتهم ، حتى جاءت الشريعة المكتملة مع الرسالة الأخيرة ، التي نزلت للبشرية كافة ، وللزمن المقبل كله من لدن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله

الأرض ومن عليها ، واكتمل معها منهج الحياة الذي يريد الله سبحانه وتعالى أن تسير عليه البشرية إلى يوم القيامة .

ولحكمةٍ أرسل الله الرسل ، وأنزل معهم البينات :

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) (5) .

تلك هي حكمة إرسال الرسل إلى البشرية .. " ليقوم الناس بالقسط " . وأداة تحقيق القسط في واقع الناس هي الكتاب والميزان ؛ والرسول هو المبلغ والمبيّن والشارح والمعلم والقدوة الذي يعلم الناس كيف يقيمون حياتهم بالقسط :

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (6) .

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) (7) .

ومن رحمة الله بعباده أنه لم يتركهم بلا هداية لكي لا يضلوا ، ويطغى بعضهم على بعض فيختل الميزان ويضيع القسط .

والخلل في حياة الناس يمكن أن يأتي من داخل النفس أو من خارجها .

فأما من داخل النفس فقد اقتضت مشيئة الله – وقد خلق الإنسان ليعبده ، وخلقه ليبتليه – أن يجعل مادة الابتلاء – بمعنى الاختبار – هي متاع الحياة الدنيا ، والشهوات المربكة في كيان الإنسان تجاه ذلك المتاع :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (8) .

(إِنَّا خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً) (9) .

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (10) .

والابتلاء الذي يتعرض له الإنسان بشأن متاع الحياة الدنيا هو الأسلوب الذي يتناول به ذلك المتاع ، والقدر الذي يتناوله منه ، والحدود التي يقف عندها أو يصل إليها .

بعبارة أخرى هل يلتزم في تناوله لذلك المتاع بما أنزل الله ، فيلتزم بالحلال الذي أحله الله والذي يعلم أن الخير متحقق به ، ويمتنع عن الحرام الذي حرمه الله ، ويعلم

سبحانه أن الشر متحقق فيه ، أم تجرفه شهواته فيتجاوز حدود الله ويقع في المحظور .. ؟

---

(1) سورة آل عمران [19] .

(2) سورة المائدة [3] .

(3) سورة الصف [9] .

(4) انظر إن شئت كتاب " لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة " .

(5) سورة الحديد [25] .

(6) سورة النحل [44] .

(7) سورة الأحزاب [21] .

(8) سورة الذاريات [56] .

(9) سورة الإنسان [2] .

(10) سورة آل عمران [14] .

أما من خارج النفس فهناك غواية الشيطان الذي أخذ على عاتقه غواية بني آدم ليعصوا الله ويتجاوزوا حدوده :

(قالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) (1) .

والأداة التي يستخدمها الشيطان في الغواية هي ذلك المتاع ، وما ركب في كيان الإنسان تجاهه من شهوات ، فينفخ فيها لتشتعل ، ليصعب على الإنسان الضبط فينجرف وراء الشهوات .

والابتلاء الذي يتعرض له الإنسان من قبل الشيطان هو ذات الابتلاء : هل يطيع الله ويلتزم بما أنزله من حلال وحرام ، وله على ذلك الجنة ، أم يطيع الشيطان الذي يؤزه لمعصية الله ، وجزاؤه على ذلك النار ؟!

(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ (2) إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) (3) .

تلك قصة الإنسان على الأرض .. وذلك مصيره يوم يلقى الله ... ابتلاء في الحياة الدنيا ، وجزاء في الآخرة .

ولكن الله لم يترك بادئ ذي بدء الأداة التي تعينه على ضبط ما ركب في كيانه من شهوات :

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (4) .

ثم أرسل له الرسل لإيقاظ تلك الأفئدة لكي لا تغفل عن مهمتها ، وجعلهم مبشرين ومنذرين ليقوموا بعملية التذكير :

(رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) (5) .

)وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (6) .

وبذلك تتلاقى الجوانب كلها ، ويرتبط بعضها ببعض ارتباطا محكما ، ويختار الإنسان طريقه على بينة من أمره ، ويتحمل مسئولية اختياره :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (7) .

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ) (8) .

وتتضح في ذلك الإطار مهمة الرسل في حياة البشرية ، ومهمة الدين في حياة الإنسان ..

لا غنى للإنسان عن الدين ..

فإذا كان الإنسان قد خلق لعبادة الله ، فالدين هو الذي يبين له الطريق الصحيح لعبادة الله ، وإذا كان قد خلق في الوقت ذاته للابتلاء فالدين هو الذي يبين له الطريق الصحيح للنجاح في الابتلاء .

ثم إن الإنسان عابد بفطرته ، سواء استقامت فطرته على الأصل الذي فطرها الله عليه أم انحرفت لسبب من الأسباب :

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا) (9) .

" إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين .. " (10) .

ومن ثم فليس له في العبادة إلا إحدى حالتين : إما أن يكون عابدا لله ، وإما أن يكون عابداً لغير الله ، وحين يكون عابداً لغير الله فإنه يكون عابداً للشيطان ، ذلك أنه لا توجد إلا هاتان العبادتان فحسب ، وإن كانت لعبادة الشيطان سبل مختلفة وأسماء مختلفة ، ورايات مختلفة ، ولعبادة الله صراط واحد مستقيم :

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (11) .

وحين يعبد الإنسان الله يكون " في أحسن تقويم " وحين يعبد الشيطان يكون في " أسفل سافلين " ، ومهمة الدين في حياة الإنسان أن يرفعه دائما ليكون في أحسن تقويم ، ويمنعه أن يسقط أسفل سافلين ..

إذا عرفنا مهمة الدين في حياة الإنسان فلزم أن نعرف في الوقت ذاته ما هو " الدين "!

وقد يبدو السؤال من البداهة بحيث لا يحتاج أن نسأله ولا يحتاج أن نجيب عليه !

ومع ذلك فتحديد معنى الدين قد أصبح – بسبب العلمانية المنتشرة في الأرض ولأسباب أخرى – قضية ذات أبعاد خطيرة .. قضية تعقد من أجلها الندوات ، وتؤلف الكتب ، وتلقى المحاضرات .. ويدخل قوم من أجلها السجون ، وتعلق المشانق ويستشهد الشهداء !

لا جرم أنها القضية الكبرى في الوجود ...

من أسباب الغبش الذي يغشّي قضية الدين تلك الغربة التي يعيش فيها الإسلام اليوم :

" بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء " (12) .

---

(1) سورة الأعراف [14 – 17] .

(2) العبادة هنا معناها الطاعة والاتباع .

(3) سورة يس [60 – 61] .

(4) سورة النحل [78] .

(5) سورة النساء [165] .

(6) سورة الذاريات [55] .

(7) سورة الشمس [7 – 10] .

(8) سورة الزلزلة [7 – 8] .

(9) سورة الأعراف [172] .

(10) أخرجه مسلم .

(11) سورة الأنعام [153] .

(12) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارمي .

ومن أسبابها ثقل " الأمر الواقع " على حس الناس ، وهو أمر واقع بعيد عن الصورة الحقيقية للإسلام .

ومن أسبابها بروز المعنى الذي فهمته أوربا من الدين – بسبب غلبة أوربا اليوم على الأرض – ومفاده أن الدين علاقة بين العبد والرب ، محله القلب ولا شأن له بواقع الحياة ! على أساس أن الدين لله والآخرة ، والواقع " لقيصر " يصرّفه كيف يشاء !

فإذا أضيفت إلى ذلك الفكرُ العلمانيُ (1) الذي يسود الأرض اليوم ، والذي يفصل الدين عن السياسة ، ويعزله عن الهيمنة على أمور الناس " الحياتية " فقد وصل الغبش إلى قمته ، وأصبح الأمر في حاجة إلى البيان الشديد !

مرجعنا في أمور الحياة كلها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم :

(وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (2).

(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (3) .

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) (4) .

فإذا رجعنا إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فكلمة الإسلام العظمى هي شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . ومعناها عبادة الله وحده دون شريك ، والالتزام بما جاء من عند الله عن طريق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

فما مقتضيات هذه الكلمة العظيمة التي يدخل الإنسان بها في الإسلام ؟

إن لها مقتضيات شتى نستخلصها كلها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وربما كأن أيسر طريق إلى ذلك أن نعرف بأي شيء كان المشركون مشركين ، لنعلم – في المقابل – كيف يصبح المسلمون مسلمين ، تحقيقا لقوله تعالى (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا) (5) .

نجد في كتاب الله هذه الأحوال والصفات للمشركين :

(ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (6) .

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ) (7) .

(وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) (8) .

ثم جاء وصفهم في آيات أخرى بأنهم " يبخلون بما آتاهم الله من فضله " و " ينفقون أموالهم رئاء الناس " وأنهم هلوعون جزعون ، وأنهم مطففون ، وأنهم " ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ، ويفسدون في الأرض " وأنهم يقتلون النفس التي حرم الله ، ويزنون ، وينحرفون في تعاملهم مع الناس انحرافات شتى ..

وخلاصة ذلك أنهم يرفضون الإقرار بوحدانية الله ، وينكرون البعث ، ويكذبون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي كلها أمور تتعلق بالاعتقاد .

وأنهم يعبدون مع الله آلهة أخرى يتقدمون لها بألوان من العبادة لا تحق لغير الله سبحانه وتعالى .

وأنهم يحرمون ويحلون من دون الله ، أي يشرعون بغير ما أنزل الله .

وتلك الثلاثة : شرك الاعتقاد ، وشرك العبادة ، وشرك الاتباع (أو شرك التشريع) هي الجذور الأساسية الكبرى للشرك ..

ثم هناك أخلاقيات وأعمال أخرى نابعة كلها من أحد تلك الأنواع الثلاثة أو منها جميعا ، ويمكن أن نطلق عليها " متعلقات الشرك " ..

ومقتضى ذلك – في المقابل – أن يكون مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هو البراءة من ألوان الشرك جميعا ومن متعلقاته .

---

(1) يلاحظ أن " العلمانية " بمعنى فصل الدين عن الدولة ، قديمة في الفكر الكنسي الذي قال : " أدّ ما لقيصر لقيصر وما لله لله " ! ولكن الكنيسة في أيام سطوتها فرضت سلطانها على قيصر لا لتلزمه بالحكم بما أنزل الله ، بل لتلزمه بأهوائها . أي إنها فرضت سلطانها هي ولم تفرض سلطان الشريعة . وهذا الذي جاءت العلمانية الحديثة لتقضي عليه ، وهو على وجه التحديد : فصل الدولة عن نفوذ رجال الدين !

(2) سورة الشورى [10] .

(3) سورة الحشر [7] .

(4) سورة النساء [64] .

(5) سورة البقرة [256] .

(6) سورة ص [1 – 5] .

(7) سورة سبأ [7 – 8] .

(8) سورة النحل [35] .

أي إنه – بعبارة أخرى – الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى ، وتفرده – سبحانه – في أسمائه وصفاته وأفعاله . وتوجيه كل ألوان العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج ونذر وذبح واستغاثة واستعانة وولاء وبراء إليه وحده دون شريك . والالتزام بشرعه وحده وعدم التشريع بما يخالف شريعته .. ثم الالتزام بأخلاقيات لا إله إلا الله ، والالتزام بالمنهج الرباني في كل أمور الحياة : السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية .. إلخ (1) .

ومع أن هذا كله هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإنه ليس على درجة واحدة من الإلزام ، وليست مخالفته والخروج عليه بمنزلة واحدة في ميزان الله .

ففي مقابل الجذور الرئيسية الثلاثة للشرك ، توجد جذور رئيسية ثلاثة للإيمان لا يتحقق الإيمان أصلا إلا بوجودها ، وهي ما يتعلق بالاعتقاد ، والعبادة ، والتشريع

1 – " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره " كما جاء في حديث : " هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم " (2) .

2 – أن تلتزم بالعبادات المفروضة وتجعلها خالصة لله وحده دون شريك .

3 – أن تحتكم في أمورك كلها إلى ما أنزل الله ، ولا تحدث تشريعا يخالف شريعة الله .

وفي مقابل " متعلقات الشرك " توجد " متعلقات للإيمان " لا يخرج مخالفها من دائرة الإيمان وإنما ينقص إيمانه بمقدار ما يعصي الله فيها ويزيد إيمانه بقدر ما يأتي من الطاعات فيها ، ولكنه في الحالين غير خارج عن دائرة الإيمان .

ذلك هو الدين الحق ، كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد غشّت غواشٍ كثيرة على هذا الفهم الواضح للدين خلال القرون ، من الفكر الإرجائي ، والفكر الصوفي ، والبدع والمعاصي والانحرافات والغزو الفكري فشوهت كثيرا من مفاهيم الدين الاعتقادية والتعبدية والعملية .. (3) .

ثم جاءت " العلمانية " – وهي لون من ألوان الغزو الفكري – فركزت على مطلب معين لم يطلبه أحد من العصاة المنحرفين من قبل ، وهو فصل الدين عن الدولة وإخراج السياسة من الدين ، والمطالبة بعدم تحكيم شريعة الله ! !

وهذا الأمر هو الموضوع الرئيسي لهذا الكتاب ..

نقول ابتداء إنه لون من ألوان الغزو الفكري ، لأنه فكر غربي لم ينبت قط في أرض الإسلام ، على كثرة ما نبت فيها من انحرافات خلال القرون ! إنما جاء من تأثير الثقافة الغربية ، وغلبة أوربا على العالم كله ، وعلى العالم الإسلامي في عصر ضعفه وانحساره وتخاذله .

ولا شك أن الهزيمة الروحية التي أصابت المسلمين بعد الهزيمة العسكرية أمام الغرب ، والتي نشأت من الخواء الذي أصاب العقيدة في قلوب المسلمين في العهود الأخيرة (4) ، لا شك أن تلك الهزيمة الروحية هي التي يسرت في نفوس المنهزمين تقبل هذا الفكر الغريب الذي لا أصل له في دين الله ، ولا يمكن أن يُتَقَبّلَ في دين الله .. وإلا فقد كان المسلمون – في أيام قوتهم وتمكنهم في الأرض – معتزين بدينهم ، لا

يقبلون تغييراً في أصوله ، حتى لو عَصَوْا بعض أوامره وتعاليمه في واقع حياتهم ، فالمعصية مع الإقرار شيء ، وإنكار الأمر من الأساس شيء آخر ..

ونريد هنا على أي حال أن نناقش الأمر مناقشة موضوعية ، كما وعدنا في مقدمة الكتاب ، بصرف النظر عن دوافع العلمانيين أو مواقفهم ، فتلك أمور تتعلق بأشخاصهم ، ونحن هنا نناقش أفكارهم .

كانت " العلمانية " كما رأينا في الفصل السابق رد فعل لطغيان الكنيسة ، وأثرا من آثار التحريف الذي وقع في دين بولس الذي أخذته أوربا على أنه دين الله ..

ولنُعِد في اختصار أبرز سمات ذلك الدين ، التي كانت العلمانية في نظر أوربا هي المخرج الوحيد منها :

دين أخروي يهمل الحياة الدنيا وعمارتها .

دين يحقّر الإنسان بدعوى تمجيد الله .

دين يحقّر الجسد بدعوى تخليص الروح .

دين يحارب العلم .

دين يحجر على العقل أن يفكر .

دين يؤمن بالثبات المطلق – على أنه مشيئة الله في الأرض – فيحارب الحركة والنمو وما يصحبهما من تغيير .

وفوق ذلك كله طغيان الكنيسة الروحي والمالي والسياسي والعلمي والفكري .. وفي كل اتجاه .

ثم لننظر في دين الله ، ولنبحث فيه عن سمة من تلك السمات التي ألجأت أوربا إلى العلمانية لتتخلص منها .

فأما إنه دين أخروي يهمل الحياة الدنيا وعمارتها فالواقع التاريخي خير شاهد على عكس ذلك . فما تم من عمارةٍ للأرض ، وعمل دءوب فيها ، أوضح من أن يشار إليه ، بأي مقياس قسنا تلك العمارة وذلك العمل الدءوب .

فإذا كان مقياس العمارة هو بناء المدن ومد الطرق وتشييد المباني وتيسير الخدمات فما أروع ما قام به المسلمون في هذا الجانب ..

---

(1) راجع إن شئت فصل " مقتضيات لا إله إلا الله في الرسالة المحمدية " من كتاب " لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة " .

(2) أخرجه الشيخان .

(3) راجع إن شئت كتاب " مفاهيم ينبغي أن تصحح " .

(4) اقرأ إن شئت فصل " خط الانحراف " وفصل " آثار الانحراف " من كتاب " واقعنا المعاصر " .

وإذا كان مقياسها " المؤسسات " والتنظيمات وحسن الإدارة والسهر عليها فالمدارس التي تقدم التعليم المجاني ، والمستشفيات التي تقدم العلاج المجاني ، والأوقاف الموقوفة على أعمال البر ، ودواوين الجيش ، ودواوين القضاء ، ودواوين المظالم ، ودواوين الحسبة ، وبيت المال وغيرها من المؤسسات والتنظيمات تغنينا عن الحديث .

وإذا كان مقياسها القيم الروحية والأخلاقية ، فهنا تنفرد العمارة الإسلامية للأرض بأنها هي التي قدمت حضارة لا تكتفي بالعمارة المادية للأرض ، إنما ربطت نشاطها المادي بالقيم الروحية ، فعملت للدنيا والآخرة في آن واحد ، وأرضت مطالب الجسد ومطالب الروح في آن واحد ، وكونت مجتمعاً امّحت فيه فوارق اللون واللغة والجنس ، واجتمع على العقيدة الواحدة التي تربط الجميع برباط الأخوّة في الدين .. مجتمعاً فريداً في التاريخ .

وإذا كان مقياسها إحساس لإنسان بذاته ، واعتزازه بعمله ونشاطه ، وبأنه فرد في أمة ذات رسالة تؤديها لنفسها وللبشرية ، وانسياح الإنسان في الأرض وبحثه في مجاهلها ، وحمله نور الهداية إلى أطرافها .. فقد قامت الأمة الإسلامية بذلك أروع قيام .. وكان نشاطها كله منبثقا من إيمانها بهذا الدين ، وممارستها له في عالم الواقع في شكل سلوك ووجدانات ومشاعر .

وإذا كان مقياسها التقدم العلمي فحدث عن ذلك ولا حرج .. وتكفي حضارة الأندلس شاهدا ، ويكفي المنهج التجريبي في البحث العلمي شاهداً ، وتكفي علوم القرآن وعلوم الحديث وعلوم الفقه وأصوله .. وكلها جهود ذاتية غير مسبوقة ، تفردت بها الأمة الإسلامية ، وأنتجت فيها في قرون معدودة ما يغطي حقباً من التاريخ !

وأما تحقير الإنسان بدعوى تمجيد الله .. فما من دين عظّم الله ومجده على استقامة في المشاعر وفي السلوك وفي التصور وفي الأداء كما فعل الإسلام ، إذا قارناه بتصورات اليهودية المحرفة التي تصور الله سبحانه وتعالى كأنما هو بشر ذو نزوات ، وكأنما هو – في بعض الأحيان – أعجز من البشر :

(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) (1) .

(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (2) .

وذلك فضلا عن ترهات التوراة فيما يتعلق بمقام الله ، مما تتقزز النفس من مجرد تصوره ..

وإذا قارناه كذلك بتصورات النصرانية المحرفة التي زعمت لله ولدا ، وأشركته معه في الألوهية ، بل أشركت كذلك روح القدس (جبريل عليه السلام) معهما ليصير المجموع ثلاثة ، والثلاثة واحد .. آمين ! !

ومع كل التعظيم الحق لله ، والتمجيد لذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فقد كرّم الله الإنسان ، ولم يعتبره خاطئا " خطيئة أزلية " تتحملها كل أجيال البشرية على السواء ! !

قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (3) .

كرمه تعالى بأن سواه بنفسه ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة :

(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) (4) .

وكرمه بأن جعله خليفة في الأرض :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (5) .

وكرمه بأن علمه الأسماء كلها ، وميزه بهذا التعلم على الملائكة :

(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ..) (6) .

وكرمه بأن أعطاه القدرة على التعلم بالقلم :

(اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (7) .

وكرمه بأن وهب له العقل المفكر ، ووكل لهذا العقل تدبر الوحي ، وفهم مراميه وتطبيقه في واقع الحياة ، والاجتهاد فيما لم ينزل فيه نص – رحمة من الله غير نسيان :

(وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (8) .

وكرمه بأن خلقه في أحسن صورة ، ورزقه من الطيبات :

(وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ..) (9) .

---

(1) سورة المائدة [64] .

(2) سورة آل عمران [181] .

(3) سورة الإسراء [70] .

(4) سورة ص [71 – 72] .

(5) سورة البقرة [30] .

(6) سورة البقرة [31 – 33] .

(7) سورة العلق [3– 5] .

(8) سورة النحل [78] .

(9) سورة غافر [64] .

وكرمه بأن لم يقهره على العبادة كغيره من المخلوقات ، بل منحه حرية الاختيار :

(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (1) .

ولم يجعل عليه " خطيئة أزلية " يتجرع مرارتها على مر الأجيال ، بل تاب على صاحب الخطيئة الأصلي وعفا عنه :

(فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (2) .
فإذا أخطأ أحد فعليه وحده وزر خطيئته لا يحمله غيره :
(وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) (3) .
وإذا تاب من خطيئته فله كل التكريم :
(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (4) .
أما تحقير الجسد لتخليص الروح فقد أشرنا في الفصل السابق إشارة عابرة إلى الفارق في هذا الشأن بين الإسلام وبين رهبانية النصرانية .. ونضيف هنا إلى تلك الإشارة أن الإسلام ينظر إلى دوافع الجسد على أنها في ذاتها نظيفة ، وأن الله خلقها لتعمل وتؤدي مهمتها التي خلقت من أجلها لا لتقتل ولا لتكبت . وإنما المستقذر هو الفاحشة .. أي تجاوز الحد الذي رسمه الله لكل دافع من تلك الدوافع . أما في داخل تلك الحدود فهي ليست مباحة فقط ، بل مطلوبة ومرغوبة . والذي تقوم به التربية الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ليس هو الكبت ، إنما هو الضبط ، وهو عملية صحية وإيجابية ، تقوي الإرادة ، وتحفظ الطاقة من التبدد ، ثم تستخدم فائض الطاقة – الذي يتوفر بعد عملية الضبط – في عمل هو في ميزان الإسلام أسمى الأعمال وأعظمها ، وهو الجهاد لإعلاء كلمة الله ، ورد العدوان عن الإسلام والمسلمين .
وبذلك يأخذ الجسد مجاله الفطري الطبيعي ، دون أن يهبط الإنسان إلى المستوى الحيواني في ممارسة المتاع الحسي ، وفي الوقت ذاته يجند الإنسان نفسه للقيم العليا ، التي تتوارى حتماً حين يغرق الإنسان في المتاع الحسي ، أو تُقْتَل حتما حينما يَقْتُلُ الإنسان دوافعه الفطرية بدعوى تخليص الروح من ربقة الجسد !
وأشرنا فيما سبق من هذا الفصل إشارة عابرة كذلك إلى موقف الإسلام من العلم .. ونضيف هنا أن الإسلام هو الذي دفع المسلمين إلى طلب العلم ، والتعمق فيه ، والبحث الجاد في مجالاته المختلفة .. وأن روح البحث العلمي سواء النظري أو التجريبي ، لم تكن طبيعة في هذه الأمة قبل إسلامها . إنما اكتسبتها الأمة من

الإسلام حينما آمنت به وممارسته في عالم الواقع . فقد بدأ الوحي – أول ما بدأ – بالتوجيه إلى القراءة :

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْأِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَم عَلَّمَ الْأِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (5) .

وتوالت الآيات تطلب من المسلمين التفكر والتدبر في ملكوت السموات والأرض وتخبرهم أن الله سخر للإنسان ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ، وأن عليه أن يبذل جهده في التعلم لتحقيق ذلك التسخير في عالم الواقع . وأن القوة مطلب من مطالب هذه الأمة من أجل المحافظة على عقيدتها وكيانها ، ومن أجل منع الفتنة عن المسلمين ، والقوة لا تتأتى بغير العلم .. وقد أثمرت هذه التوجيهات الربانية ظهور المنهج التجريبي في البحث العلمي على يد المسلمين حين كانوا مسلمين حقا ، وبالمنهج التجريبي تقدمت العلوم تقدما هائلا ، ووضعت اللبنات التي يقوم عليها صرح التقدم العلمي في الوقت الحاضر .

وأهم من ذلك كله أن التقدم العلمي عند المسلمين سار على وفاق كامل مع العقيدة ، ولم يقع بينه وبينها ذلك الفصام النكد الذي وقع في أوربا مرتين ، مرة في ظل الدين الكنسي المحرف ، ومرة في ظل العلمانية المنحرفة ، وفي المرتين شَقِيَ الإنسان بذلك الصراع المفتعل بين الدين والعلم ؛ بين نزعتين فطريتين في داخل النفس ، لا تصادم بينهما في أصل الفطرة ولا تضاد !

أما الحجر على العقل فلم يقع قط في ظل هذا الدين كما وقع في دين الكنيسة المحرف . بل كان الدين هو الذي دعا إلى إعمال الفكر من أول الأمر : (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) (6)

بل ندد بالذين لا يتفكرون ، وامتدح الذين يقومون بالتفكر :

(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (7) .

---

(1) سورة الشمس [7 – 10] .

(2) سورة البقرة [37] .

(3) سورة الإسراء [15] .

(4) سورة آل عمران [135 – 136] .

(5) سورة العلق [1 – 5] .

(6) سورة سبأ [46] .

(7) سورة محمد [24] .

(وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً) (1) .

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (2) .

ولم تكن دعوة القرآن للناس مجرد دعوة إلى التفكر بلا هدف محدد ولا ضابط ، إنما هي دعوة للبحث عن الحقيقة ، والاهتداء في أثناء البحث بالدليل ، والتجرد من الهوى الذي يفسد الحكم ، والشعور بالمسئولية عن كل حكم يصدره الإنسان .. وتلك – في عبارة مختصرة – هي أدوات المنهج العلمي في البحث ، التي قامت عليها النهضة الفكرية الهائلة التي قدمها المسلمون للبشرية ، والتي بدأت أوربا نهضتها بالاقتباس منها والبناء عليها :

(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (3) .

(قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) (4) .

(وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً) (5) .

(إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ..) (6) .

(وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) (7) .

(فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ) (8) .

وفي ظل هذه التوجيهات أعمل المسلمون فكرهم في كل مجالات البحث ، لا يشعرون بالتناقض بين مقتضيات دينهم ومقتضيات فكرهم – إلا من شذ منهم بتأثير الغزو الفكري اليوناني أو شطحات الصوفية ، وهم قلة على أي حال في خضم الإنتاج الفكري الهائل الذي أنتجه المسلمون – ولم يكن هناك هيئة من " الإكليروس

" تراقب أعمالهم لتقدمهم إلى محاكم التفتيش ، إنما كانت هناك ضمائرهم تحاسبهم لكي يقولوا الحق ولا يحيدوا عنه ، وكان " الحق " الذي يمثله دينهم يملأ قلوبهم فيزيدهم قربا من الله كلما اكتشفوا جديداً من العلم ، فكانوا كما قال الله عنهم (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (9) .

أما قضية الثبات والتغير ، فالمسلمون هم أساتذة هذا الفن .. فن الاجتهاد في إطار النص ، والاجتهاد – فيما لا نص فيه – في إطار مقاصد الشريعة ..

إن هذا هو " الفقه الإسلامي " الذي أعطى منذ القرون الأولى تلك الثروة الهائلة التي ما تزال تنير الطريق للسالكين ، والتي تمثل ذخيرة صالحة للاستمداد منها ما بقيت هذه الأمة في الأرض ، بما وضعت – في علم أصول الفقه – من قواعد لمواجهة كل جديد يجد في حياة الناس ..

لقد أدرك المسلمون منذ اللحظة الأولى التي انقطع فيها الوحي بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنه لا بد من الاجتهاد لمواجهة الظروف الجديدة التي لم يتنزل فيها بذاتها نص في الكتاب أو السنة . فلم يضيقوا بالجديد ، ولم يقفوا أمامه حائرين ، وفي الوقت ذاته لم يتبعوا أهواءهم بغير ضابط ، بحثا عما يرون هم – بمجرد الهوى – أنه هو " المصلحة " التي يتحقق بها الخير . ذلك أنهم آمنوا ابتداء أن دين الله المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هو الحق . وهو القسط . وهو " المصلحة " في الدنيا والآخرة وأن فيه وحده الهدى ، إما بنص مباشر أو بقاعدة يستنبطون منها ، وأن مخالفة نصوصه أو مخالفة قواعده لا تأتي بخير ولا تتحقق منها مصلحة ، مهما بدا للإنسان بنظره – أي بمجرد هواه – أن الأمر غير ذلك .. وأنه لا يحدث في الأرض شيء لا يكون له حكم في كتاب الله .. (10) .

وآمنوا في الوقت ذاته أن الحياة لا يمكن أن تسير على وتيرة واحدة دون أن تجدّ فيها أحداث . وأنهم لا يستطيعون – ولا يستطيع بشر – أن يوقفوا الحياة عند نقطة معينة أو يضبطوها في قالب معين لا تخرج عنه .. ولكن لا ينبغي للتغير في الوقت ذاته أن يخرج الناس عن الصراط الذي رسمه الله لهم في وحيه المنزل .. إنما تتغير الحياة ، وتظل في تغيرها محكومة بثوابت الوحي ، لكي لا تأسن من ناحية ، ولا تضل من ناحية أخرى وتنفلت بلا ضابط .

وهكذا كانت قضية الثابت والمتغير واضحة تماما في أذهانهم ، وكانت هي الدافع الذي دفع الفقهاء إلى الاجتهاد ، وإلى الإيمان بأن الاجتهاد لا يتوقف ما بقيت الحياة .

---

(1) سورة الفرقان [73] .

(2) سورة آل عمران [190 – 191] .

(3) سورة النمل [64] .

(4) سورة الأنعام [148] .

(5) سورة الإسراء [36] .

(6) سورة النجم [23] .

(7) سورة " المؤمنون " [71] .

(8) سورة يونس [32] .

(9) سورة فاطر [28] .

(10) يقول الشافعي رحمه الله : " فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها " الرسالة للشافعي تحقيق الشيخ أحمد شاكر ص 20 .

إذا كان هذا دين الله الحق ، في أصوله المنزلة من عند الله ، المحفوظة بحفظ الله لها ، كما هو في التطبيق الواقعي الذي استمر عدة قرون ، وأضاء للدنيا كلها مسالك الطريق ، قبل أن يتقاعس المسلمون عنه في الفترة الأخيرة ، فينحسروا ويتقهقروا ويتخلفوا ويضعفوا .. فأي شيء في هذا الدين يدعونا إلى نبذه وعزله عن الحياة ، واستبدال غيره به ليخرجنا منه ؟ !

إنما يكون علاج ما نحن فيه من انحسار وتقهقر وتخلف وضعف ، أن نعود إلى منبع القوة الذي تقاعسنا عنه ، وإلى نقطة الانطلاق التي منحتنا من قبل الحياة والتقدم والازدهار .. وهو ما تحاوله الصحوة الإسلامية اليوم ، ونرجو أن تنجح فيه ..

حقاً هناك نقطة واحدة هي التي يتمسك بها العلمانيون في جدالهم كله ، ويركزون عليها ليدّعوا وجاهة دعواهم في فصل الدين عن الدولة ، وهي وجود الاستبداد السياسي على فترات متطاولة من تاريخ المسلمين .

ووجود الاستبداد السياسي على فترات من تاريخ المسلمين حقيقة واقعة دون شك .. ويجب أن نكون صرحاء مع أنفسنا ، وتكون لدينا الشجاعة الكافية ، والولاء الكافي للحق الرباني لنقرّ بوجود هذه السلبية في الواقع التاريخي للمسلمين . فهذه أمانة تؤدى لله عز وجل :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ..) (1) .

حقيقة إن التاريخ السياسي للمسلمين ليس ظلاماً كله كما يدعي أعداء هذا الدين لينفّروا أهله منه ، وليخذّلوا الصحوة الإسلامية عن محاولة العودة إليه .. وإن في هذا التاريخ – فيما بعد فترة الخلافة الراشدة المجمع على مثاليتها ، وارتفاعها على كل ما عرفته البشرية من النماذج في القديم والحديث – نماذج كثيرة من العدل السياسي ، وأخلاق الحكم الرفيعة ، وشعور المحكومين بالرضى والطمأنينة ، والتمتع بالأمن والاستقرار ..

ولكن وجود الاستبداد السياسي يبقى مع ذلك حقيقة واقعة ، وحقيقة بارزة في التاريخ السياسي للمسلمين .

ولكن الضجة التي يثيرها العلمانيون حول هذه النقطة تحمل عدة مغالطات تحتاج إلى بيان ، لتوضيح الحقيقة فيها ، وإزالة الغبش الكثيف الذي يثار حولها ..

إنها – كما قال عليّ رضي الله عنه – كلمة حق أريد بها باطل !

وأول هذه المغالطات وأبرزها أن الاستبداد السياسي نتيجة حتمية للحكم " الديني " وأن ما حدث في تاريخ المسلمين هو نفسه ما حدث في تاريخ " الحكومة الثيوقراطية " في أوربا ، ولذات السبب الذي أحدثه هناك ، وهو استناد الحكام إلى قداسة الدين وممارسة الاستبداد باسم شيء مقدس له على نفوس الناس سلطان ، واعتبار المعارضين لأولئك الحكام خارجين على الدين ذاته مما يسوغ اضطهادهم وقهرهم والفتك بهم دون أن يحميهم من الطغيان حامٍ !

وهذه المغالطة الكبرى تشتمل هي ذاتها على عدة مغالطات ..

فليس في الإسلام أصلا حكومة " ثيوقراطية " ولا يمكن أن يكون فيه ، لأنه ليس في الإسلام ابتداء هيئة تسمى " رجال الدين " !

وقد مرّ بنا في الفصل الأول أن " الكنيسة " كانت بدعة مبتدعة لم يتنزل بها من عند الله سلطان ، ولا سند لها إلا هذه القولة المنسوبة للمسيح عليه السلام ، والتي لا يمكن أن تصدر عنه في الحقيقة ، وهو رسول مرسل من عند الله ! ومن ثم فدين الله الحق بريء من تلك البدعة التي أفسدت حياة أوربا وأذاقتها الويلات ..

و " الحكومة الثيوقراطية " كما عرفتها أوربا لم تكن حكومة تحكم بما أنزل الله – وليتها كانت ! – إنما كانت – كما يعرف مؤرخو أوربا – حكومة " رجال الدين " ، تحكم لا بالدين ، ولكن باسم الدين ! وتفرض سلطانها على الأباطرة والشعب باسم ذلك الدين ! أما الشريعة التي كانت تحكم الناس في ظل الحكومة الثيوقراطية فقد كانت هي القانون الروماني ، ولم يكن لها علاقة البتة بالشريعة المنزلة عليهم من عند الله والتي كان المفروض أن يلتزموا بها ، وهي الواردة في التوراة مع التعديلات الواردة عليها في الإنجيل :

---

(1) سورة النساء [135] .

(إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْأِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (1) .

(وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) (2) .

إنما بقيت الشريعة المنزلة طوال حكم " الحكومة الثيوقراطية " قيماً أخلاقية يتقيد بها الأتقياء ورعاً من عند أنفسهم فلا يزنون ولا يسرقون ولا يقتلون ولا يغشون ولا يرابون .. إلخ ، ولكنها ليست شريعة مطبقة يعاقب من خرج عليها بمقتضى النصوص الواردة فيها ، إنما كان القانون الروماني – قانون قيصر – هو الذي يحدد الجريمة ويحدد العقاب ! وأما سلطان " رجال الدين " على الأباطرة فلم يكن لإلزامهم بتنفيذ الشريعة المنزلة – وليته كان ! – ولا كان سلطانهم على " الشعب " لإجراء أحكام الشريعة عليهم .. إنما كان لإخضاع هؤلاء وهؤلاء لسطوتهم الذاتية ، التي عن طريقها يكتنزون بالمال السحت الذي ينهبونه من الأباطرة ومن الشعب ، ويعفون أنفسهم من الضرائب التي يلتزم بها الآخرون ، ويسخّرون الناس لخدمتهم بغير أجر ، ثم يزدادون طغيانا فيحجرون على أفكار الناس وعقولهم ، ويخنقون أرواحهم باسم الدين !

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ..) (3) .

فأين هذا من التزام الحكام في الإسلام بتطبيق شريعة الله ؟ ! !

إن حكومة أبي بكر رضي الله عنه ومن بعده لم تكن حكومة " ثيوقراطية " .. إنما كانت حكومة تحكم الناس بما أنزل الله ، وتطبق شريعته ، سواء منها ما نزل فيه نص أو ما اجتهد فيه المجتهدون في إطار النصوص .

أم إنه كما يقول المثل الشعبي " كله عند العرب صابون " ؟ ! ! (4) .

إن الغلطة من الأصل هي محاولة وضع الإسلام وتطبيقاته على ميزان التجربة الأوربية ، واستخدام المصطلحات الغربية ذات الدلالات المحلية البحتة ، كأنها اصطلاحات " إنسانية " أو عالمية ، تصلح للتطبيق على أي شيء وفي أي مكان ، دون نظر إلى الفروق الجوهرية بين التجربة التي تمت في ظل الدين المزيف ، والتجربة التي تمت في ظل الدين الحق ، وبين الاصطلاحات التي صنعها البشر

في ظروف معينة والمصطلحات التي أنزلها الله لتحكم الحياة ، أو اجتهد المجتهدون بها وهم ملتزمون بما أنزل الله .

---

(1) سورة المائدة [44 – 47] .

(2) سورة آل عمران [50] .

(3) سورة التوبة [34] .

(4) مثل شعبي يقال لمن يأخذ الأشياء بمظهرها الخارجي ولا يفطن إلى ما بينها من فروق تمنع الجمع بينها في إطار واحد وإن تشابهت في المظهر .. وإذا طبقناه على العلمانيين ودعاواهم نقول : كله عند العلمانيين حكم باسم الدين !

والمغالطة الثانية أن " رجال الدين " الذين أقاموا " الحكومة الثيوقراطية " في ظل النصرانية المحرفة كانوا " طبقة مقدسة " تستمد قداستها الزائفة من ذلك النص الذي نسبوه للمسيح عليه السلام وهو منه براء ، والذي زعموا فيه أن المسيح أعطى حق الحل والربط لحواريّه بطرس ، وهذا أعطاه بدوره لآباء الكنيسة من بعده ، وأن ما ربطه بطرس – وخلفاؤه من بعده – في الأرض لا يحل في السماء ، وما حله في ألأرض لا يربط في السماء . أي إنهم زعموا أن الأرض تحكم السماء ، والبشر يحكمون قدر الله ومشيئته .. وهو كفر بواح . بينما أبو بكر رضي الله عنه ومن خَلَفَهُ من الحكام لم يكونوا طبقة معينة ، ولم يكن لهم حق التشريع من عند أنفسهم ، ولم تكن لهم قداسة ذاتية يتسلطون بها على رقاب الناس مستمدة من " الحكم الديني " تزعم لهم العصمة ، وتجعلهم وسطاء بين العباد وربهم ، رِضَى الله مرتبط برضاهم ، وغضبه مرتبط بغضبهم ، وبيدهم مفاتيح الجنة والنار ! إنما وقع الاستبداد السياسي – حين وقع – على محور آخر سنتحدث عنه بعد هنيهة ، لا علاقة له بحقٍ موروثٍ عن خليفة الرب (نستغفر الله) يحل به الحاكم ما يشاء ، ويحرّم ما يشاء ، ويدخل في رحمة الله من يشاء ، ويحرم منها ما يشاء ! وقد كان الذين يقع عليهم الظلم من قِبَل أولئك الحكام المستبدين يقاومونه أحيانا ويُقْهَرون عليه أحيانا ، وفي حسهم أنه ظلم لا يرضى الله عنه ولا يقره ، وأن الله سيحاسب أولئك الحكام الظلمة على ظلمهم يوم القيامة ويستخلص لهم حقهم منهم على رؤوس الأشهاد ،

وأنهم مهما ادعوا لظلمهم من مبررات " المصلحة " فلن يحميهم من الله حام . وما أبعد الشقة بين ظلم مغضوب عليه من الله والناس ، وظلم مقدس مبارك يُزْعَم له الرضى من الله ، ويطلب من الناس الرضى به باسم الدين !

والمغالطة الثالثة أن الاستبداد باسم الدين لم يكن هو الاستبداد الوحيد الذي حدث في التاريخ الأوربي وغير الأوربي حتى يكون علاجه إقصاء الدين عن الهيمنة على واقع الحياة !

إن الأباطرة والملوك والأمراء الذين استبدوا بالناس في أوربا حتى جاءت الثورة الفرنسية فأقصتهم عن سلطانهم ، وأقصت رءوسهم عن أجسادهم لم يكونوا يَرْتَدُون زي الدين ! بل كانوا ثائرين على الكنيسة الممثلة للدين ، مناوئين لها ، عاملين على الخروج من سلطانها .. ووصل الأمر بالامبراطور الألماني هنري الرابع الشهير في التاريخ أن خلع البابا " هلد براند " من منصبه ، في حركة تحدٍ محمومة ، انتهت به إلى التراجع والاعتذار وطلب المغفرة من البابا ، والوقوف ببابه عاري الرأس حافي القدمين في الجليد المتساقط ثلاثة أيام بلياليها ، حتىعفا عنه " قداسة البابا " وأعاده إلى " الحظيرة " .. حضيرة الرضى والغفران ! وإن كان قد كتب بعمليته الانتحارية هذه أول سطر في صفحة التمرد على سلطان الكنيسة ، التي انتهت بفصل السلطة الزمنية عن السلطة الروحية وحصر نفوذ البابا في السلطة الروحية وحدها ، وانتزاع السلطة الزمنية للأباطرة والملوك والأمراء ! (1) .

إنما قصة الأباطرة الذين حكموا " بالحق الإلهي المقدس " أنهم قالوا في أنفسهم : إذا كان البابوات قد زعموا لأنفسهم حقا إلهياً مقدساً استبدوا به علينا وأخضعونا له ، فلنزعم لأنفسنا حقا ممائلا ، ولنسنده لذات الجهة التي استندوا إليها ! ! ثم طلعوا على الناس بدعوى مفادها أن الله هو الذي عهد إليهم أن يحكموا الناس ، ومن ثم فإنهم يحكمونهم بذلك الحق الإلهي المقدس ، وعلى الناس أن يخضعوا لهم في شئون دنياهم كما يخضعون للبابوات في شئون آخرتهم سواء بسواء !

أفيعتبر هذا حكما " دينيا " واستبداداً باسم الدين ، وهو حكم يناوئ الدين ويستقل عنه بسلطانه ، ويسعى بكل الوسائل لتقليص نفوذه وحصره في نطاق محدد ؟ ! وهل

تعالج هذه الحالة بفصل الدين عن الدولة ؟ أم قصارى ذلك أن يكون استبدال طغيان بطغيان ؟ ! .

(أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (2) .

ولنترك التاريخ الأوربي ووقائعه ، ولننظر في تاريخنا نحن الحديث ..

هل هؤلاء " العسكر " الذين مارسوا أبشع ألوان الطغيان السياسي ، وارتكبوا من الفظائع في السجون والمعتقلات ما لا مثيل له حتى في عالم الوحوش .. هل هؤلاء كانوا يحكمون باسم الدين ؟ ! أم كانوا " علمانيين " يهدفون إلى محو الدين وإبادة أهله ، ويتتلمذون في حركتهم على الحكم الشيوعي الذي قام أساسا لتأسيس الإلحاد ومحو الدين من الأرض ؟ ! (3) .

---

(1) راجع قصته الطريفة في أي مرجع من مراجع التاريخ الأوربي في العصور الوسطى .

(2) سورة محمد [24] .

(3) كان معظم هؤلاء العسكر عملاء لأمريكا وإن تظاهروا بأنهم أصدقاء لروسيا وأعداء لأمريكا ! فقد كانت هذه اللعبة ذاتها – لعبة التظاهر بعداء أمريكا – جزءاً من الخطة المتفق عليها للضحك على الجماهير (انظر كتاب " لعبة الأمم " لمؤلفه " مابلز كويلاند ") ثم إنهم كانوا كلهم – سواء تحيزوا لهذا المعسكر أو ذاك –عملاء للصهيونية العالمية التي كانت تحكم المعسكرين في آن واحد ، وتسخرهما لحرب الإسلام !

أفبعد هذه النماذج الصارخة يزعم العلمانيون أن الدين هو سبب الطغيان السياسي ، وأنه لا علاج لذلك الطغيان إلا بفصل الدين عن الدولة ، وإقامة الحكومة العلمانية ؟ !

سيقول العلمانيون : ما لنا ولهذا الجدل كله ؟ لقد وقع الاستبداد السياسي في تاريخ المسلمين ، واستخدم الدين لإعطائه صبغة شرعية ، وتخذيل المعارضين عن مقاومته .. فلا بد لنا من إقصاء الدين عن السياسة ، ليرتاح الناس – أحرار الفكر – من الطغيان باسم الدين !

ونقول : نعم ! وقع الاستبداد السياسي في تاريخ المسلمين .. فكيف وقع ؟ وما دلالة وجوده ؟ وما طريقة علاجه ؟

ونسأل ابتداء : هل وقع الاستبداد بسبب الدين ؟ !

الدين الذي قال منزله سبحانه : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) (1) .

ويأمر بالعدل حتى مع الأعداء الشانئين : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) (2) . ويأمر بالعدل حتى مع اختلاف الدين : (.. وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ..) (3) . ويقول سبحانه في الحديث القدسي : " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا .. " (4) .

أيمكن أن يكون هذا الدين سببا في الظلم ؟ !

كان العلمانيون في مبدأ أمرهم يتهمون التطبيق الواقعي ولا يتهمون الدين ذاته .. ثم تجرءوا بعد ذلك فصار بعضهم يتهم الدين ذاته بإيقاع الظلم على الناس .. وسنناقش في الفصل القادم بعض دعاواهم التي يدّعونها في هذا الشأن . إنما نحن في هذا الفصل في حوار مع " المعتدلين ! " من العلمانيين الذي يكتفون بإلقاء اللوم على التطبيق !

ويصر العلمانيون جميعاً – معتدلين ومتطرفين – على إبعاد فترة الخلافة الراشدة من دائرة النقاش ، بدعوى أنها فترة فريدة لم تكرر في التاريخ ، فلا يؤخذ بها ، ولا تتخذ مقياسا للحكم الإسلامي . (5) .

ونحن نقرهم على أنها فترة فريدة لم تتكرر – بصورتها الكاملة – في التاريخ . ولكنا – من جهة أخرى – لن نكف عن الاستشهاد بها من أجل دلالتها ، لا من أجلها في ذاتها ..

إن المزية الكبرى لهذه الفترة أنها شهدت التطبيق الكامل لهذا الدين . ومن ثمّ فهي صورته الحقيقة مطبقة في عالم الواقع .

ولهذا الأمر دلالتان اثنتان على الأقل . الأولى أن هذا الدين ليس مثاليات معلقة في الفضاء غير قابلة للتطبيق في عالم الواقع ، ما دام قد أمكن تطبيقها بالفعل .. والثانية أنه ما دام الذين طبقوها كانوا بشرا – لا ملائكة – ففي طوق البشر إذن أن يطبقوها في أي فترة من فترات التاريخ إذا عزموا على ذلك وأجمعوا أمرهم عليه . وقد وجدت بالفعل نماذج غير قليلة من التطبيق الصحيح لهذا الدين على مدار التاريخ . فلا شيء يمنعنا اليوم من محاولة ذلك . ولن يكون " الدين " هو العائق لنا إذا حاولنا ، بل سيكون الدين – بأصوله المنزلة ، وصوره المشرقة حين طبق تطبيقاً صحيحاً – هو الدافع والحافز والمعين .

لم يكن الدين إذن هو سبب الطغيان (وسنرجئ النقاش مع متطرفي العلمانيين إلى الفصل القادم) إنما كان السبب سوء التطبيق .

---

(1) سورة النساء [58] .

(2) سورة المائدة [8] .

(3) سورة الشورى [15] .

(4) أخرجه مسلم .

(5) يصل التبجح ببعض العلمانيين أن يتهموا عهد الخلافة الراشدة ذاته بالاستبداد السياسي ، مستشهدين بقول عثمان رضي الله عنه للذين طلبوا منه التنحي عن الحكم : " لا أنزع قميصا سربلنيه الله " فيقولون إن عثمان رضي الله عنه كان يحكم بالحق الإلهي المقدس الذي كان سند الطغيان السياسي في أوربا ! وعثمان رضي الله عنه لم يقصد بهذه الكلمة إلا أن الله قد منّ عليه بأن تولى الأمر عن رضا واختيارٍ حرٍّ من الأمة وأن الأمة لم تنزع ثقتها منه حتى يتنحى . وإنما المحتجون عليه ، المطالبون بتنحيته شرذمة قليلة لا يمثلون رأي الأمة ، وهذه كانت الحقيقة ، بدليل حماية الصحابة لداره أثناء الفتنة . ولو كانوا يرون عزله لتركوه للثائرين عليه ، وإنما هم أخذوا عليه أشياء لا تؤدي في نظرهم إلى عزله .

ولكن سنسلم – توفيراً للجدل – بأن الدين استخدم في بعض العهود ستاراً للاستبداد السياسي . وأن " علماء السلطة " استخدموا الدين لمساندة الطغيان السياسي وإضفاء

صفة القداسة عليه ، وتخذيل " الجماهير " عن الخروج عليه أو المطالبة بتغييره .. سنسلم بهذا على الرغم من النماذج البارزة التي وعاها التاريخ من قيام علماء أعلامٍ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتصدي لظلم الحكام – وإن أوذوا في سبيل ذلك وسجنوا وعذبوا – وقيام قضاة بإصدار أحكام ضد الحكام أو ضد من يلوذون بهم ممن يستغلون جاههم في إيقاع الظلم بالناس .. ولعل من أروع تلك النماذج ما فعله العز بن عبد السلام من تهديد المماليك – الحكام – ببيعهم في الأسواق ، والإنفاق من ثمن بيعهم على الجهاد في سبيل الله إن لم يقوموا هم بالجهاد والإنفاق عليه من أموالهم !

فما الذي نستخلصه من أحداث ذلك التاريخ الذي وقع فيه الاستبداد السياسي ؟

نستخلص مجموعة من الحقائق ..

الحقيقة الأولى أن " الدين " لم يردع هؤلاء الحكام عن الظلم ، وكان ينبغي أن يردعهم عنه .. أما القول بأن هذا الظلم نشأ عن وضع ديني يشبه وضع " الحكومة الثيوقراطية " في تاريخ النصرانية فهو قول لا سند له من الواقع . فعصيان الحكام لأوامر الدين شيء – ولا ينشأ الظلم أساسا إلا من عصيان أوامر الدين – ووضع التشريعات الظالمة باسم الدين أمر آخر ، لا يتعلق بالتطبيق ولكن بحق التشريع . فأما المعاصي فهي التي وقعت من حكام المسلمين ، وهم يتحملون وزرها ولا شك ، وأما التشريعات الظالمة فهي التي وقعت من الحكومة الثيوقراطية التي أعطت نفسها حق الهيمنة الكاملة على أموال الناس وأرواحهم وأفكارهم وعقائدهم ومعلوماتهم وحصائد ألسنتهم ، بل خطرات نفوسهم التي لم ينطقوا بها وأكنّوها في صدورهم !

والحقيقة الثانية أن ذلك الاستبداد السياسي وجد سنداً من " علماء السلطة " وكان واجبهم أن يقفوا في وجهة ويقوموه بدلاً من أن يساندوه . وتلك معصية أخرى لأوامر الله ورسوله أنذر الله أصحابها في الكتاب المنزل بالعذاب الأليم :

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (1)

والحقيقة الثالثة التي هي في نظرنا أهم هذه الحقائق جميعاً هي أن الأمة قد فرطت في دينها يوم استكانت للاستبداد السياسي ولم تقاومه ، وتركته حتى رسخ في أرض الواقع ، وأصبح كأنه أصل من الأصول !

لا الله أمر بذلك ، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم .

صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شدد على عدم الخروج المسلح على الحاكم الذي يلتزم بشريعة الله ، ولكنه يجور في التطبيق ، مخافة الوقوع في الفتنة التي يفوق ضررها جور الحاكم .. ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يأمر بالرضى بهذا الجور أو السكوت عليه :

" ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون . فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن . ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن . وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " (2) .

" إنه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون . فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع " (3) .

" من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " (4) .

وقال عليه الصلاة والسلام : " الدين النصيحة " قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : " لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم " (5) .

ونستخلص من ذلك كله عبرة أخيرة هي لب الموضوع ..

إذا كانت هذه الأمة لسبب من الأسباب قد فرطت في الضمانات الربانية التي يكفلها لها دين الله المنزل ، الذي تدخل بطاعته الجنة ، ويعرّضها التفريط فيه لعذاب النار ، فضلا عما يصيبها في الحياة الدنيا من ذل وانكسار وبوار .. إذا كانت قد فرطت في تلك الضمانات الربانية لسبب من الأسباب ، فهل فصل الدين عن السياسة هو الذي سيجعلها تحرص على حقوقها وتمارسها في عالم الواقع ؟ !

وهذه تجربة الحكم العلماني الذي غرقت فيه الأمة خلال قرن من الزمان أو أكثر .. كم من المظالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ارتكبت فيه ؟ ! فأين ذهبت ضماناته ؟ ! ومتى حرصت الأمة على حقوقها بعد تنحية الحكم بشريعة الله ، والحكم " بالدساتير " المجلوبة من الغرب ؟ !

---

(1) سورة البقرة [174] .

(2) أخرجه مسلم .

(3) أخرجه مسلم .

(4) أخرجه الشيخان .

(5) أخرجه الشيخان .

إن العبرة التي تستخلص من تاريخ هذه الأمة أنه حدث نقص هائل في التربية السياسية للأمة ، ترتب عليه تفريطها في حقوقها التي كتبها الله لها في دينه المنزل ، بل جعلها واجباً عليها ، وجعلها من مقتضيات لا إله إلا الله ، وأن التربية السياسية على الأصول الإسلامية التي أقامتها الخلافة الراشدة لم تواكب التربية الروحية والفكرية والخلقية والجهادية التي ركز العلماء والمربون عليها أكثر من التربية السياسية حتى في فترات الازدهار ، فضلا عن فترات الانحسار !

وليس العلاج لذلك هو فصل الدين عن الدولة ، وإخراج السياسة من الدين !

فالأمة التي فرطت في دين الله وضماناته ، لن تحرص على الضمانات التي تحملها الديمقراطية أو غيرها من نظم الحكم البشرية ، ومن السذاجة المفرطة أن يظن أحد غير ذلك . فإنه لا يوجد نظام – بشري أو رباني – يحمل ضماناته بصورة آلية ، إنما تعمل الضمانات من خلال البشر الذين يؤمنون بها ، ويتربون على ممارستها في عالم الواقع ، وعلى عدم التفريط فيها ، حتى تصبح جزءاً من كيانهم الحيّ الذي يعيشون به ..

فإذا كان لا بد من التربية في كل حالة ، سواء كان النظام المطلوب تطبيقه بشرياً أو ربانيا ، وإذا كانت النظم – كل النظم – لا تؤتي ثمارها ولا تعطي ضماناتها إلا من خلال تلك التربية ، فما الذي يجعلنا نبذل الجهود المضنية – إن بذلناها حقا ! – في

نظام لا يوافق عقيدتنا ، ولا يرضي ربنا ، ونخسر فيه آخرتنا ، حتى لو فرضنا جدلا أننا نكسب فيه دنيانا ، بينما نحن – لو قمنا بالتربية على النظام الحق – نملك خير الدنيا والآخرة .. والجهد المطلوب في التربية على النظام الحق هو ذات الجهد المطلوب للتربية على غيره ، بينما الثمرة خلاف الثمرة ، والمذاق غير المذاق ؟ !

إنها لحماقة لا يقدم عليها عاقل .. أن نتعب ونتعب ونتعب ، في تجارة خاسرة في نهاية المطاف :

(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (1)

بينما نحن نملك بذات الجهد أن نربح الكثير :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (2) .

الديمقراطية والإسلام

سنناقش بحول الله في هذا الفصل قضيتين أساسيتين ..

القضية الأولى هي أنه إذا كان هناك خلاف بين الديمقراطية والإسلام – وهو كائن بالفعل كما سوف نرى من البحث – فأي شيء يجب على المسلم ؟ يأخذ بالديمقراطية أم يطبق الإسلام ؟

بعبارة أخرى : هل يُعْرَض الإسلام على الديمقراطية لتقبل منه ما تقبل وترفض منه ما ترفض ؟ أم تعرض الديمقراطية عل الإسلام ليقبل منها ما يقبل ويرفض منها ما يرفض ؟

والقضية الثانية : هل يصلح النموذج الأوروبي – أي النموذج العلماني – ليكون منهجا لحياتنا ، ولحياة البشرية ؟ وإذا لم يكن يصلح فما البديل ؟ !

لعل القضية الأولى واضحة :

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (3).

ولكن لأن الجدل يدور حولها في غربة الإسلام الثانية فنحن نناقشها مع الذين يجادلون في أمرها ، كما كان القرآن يناقش غبش التصورات الفاسدة في العقيدة والعبادة والتشريع في الجاهلية الأولى .

إن كون الشريعة ملزمة للمسلم الذي ينطق بفمه شهادة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " (ولو كان ينطقها نفاقا !) ، وكون التشريع بغير ما أنزل الله مخرجاً من الملة ، قضية مجمع عليها من علماء الأمة جميعا ، لم يشذ أحد عنها ، ولا يجرؤ أحد أن يشذ !

وهي قضية مختلفة في بعض جوانبها عن قضية الحكم بغير ما أنزل الله ، لذلك لزم التنويه إليها ..

ليس كل من يحكم بغير ما أنزل الله خارجا من الملة .. فقد يكون متأولا ، وقد يكون مخطئا في اجتهاده ، وقد يكون عاصيا آثما كالقاضي الذي يرتشي ويحكم في القضية التي بين يديه بغير ما أنزل الله .

ولكنه حين يشرع بغير ما أنزل الله (أي يحل ويحرم بغير ما أنزل الله) فهو خارج من الملة بإجماع ..

لقد جعل الله المحك الذي يكشف نفاق المنافق ويخرجه من الإيمان الإعراض عن شريعة الله ..

---

(1) سورة البقرة [16] .

(2) سورة الصف [10 – 12] .

(3) سورة الأحزاب [36] .

(وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (1) .

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً) (2) .. (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (3) .

ففي الآيات الأولى قوم يزعمون الإيمان بالله ورسوله ، ويزعمون فوق ذلك أنهم مطيعون لله ورسوله (وورد في آيات أخرى في سورة النساء أنهم يؤدون الشعائر كذلك وإن كان على كسل وتراخ (4)) ثم يُدْعَوْن إلى شريعة الله ليتحاكموا إليها فيعرضون عنها ويطلبون التحاكم إلى غيرها ، فينفي الله عنهم الإيمان نفيا باتا : " وما أولئك بالمؤمنين " ثم يبين الله موقف المؤمنين من هذا الأمر ، وهو أنهم إذا دعوا إلى التحاكم إلى شريعة الله يقولون " سمعنا وأطعنا " ويسارعون إلى التنفيذ .

وفي الآيات الثانية قوم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الوحي المشتمل على شريعة الله في الكتاب والسنة ، وما أنزل من وحيٍ قبل ذلك ، ثم هم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت الذي أمروا أن يكفروا به (والطاغوت كما قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره : " كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه ، إما بقهر منه لمن عبده ، وإما بطاعة ممن عبده له ، إنساناً كان ذلك المعبود ، أو شيطاناً أو وثناً أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء " (5) ويبين سبحانه وتعالى أنهم بذلك خارجون من الإيمان ، وأنهم لا يؤمنون حتى يحكموا شريعة الله راضية بها نفوسهم ، مطمئنة بها قلوبهم ، عالمين أنها هي الخير ، وهي الحق ، وهي الصراط المستقيم ..

ويلاحظ التشديد الواضح في عبارة الآية الكريمة بالقسم مع النفي " فلا وربك لا يؤمنون .. " والتوكيد الذي تتضمنه لفظة " ثم " " ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت " والتوكيد بعد ذلك بالمفعول المطلق " ويسلموا تسليما " .. وكل ذلك لإظهار بشاعة الجريمة التي يرتكبها هؤلاء بإرادتهم التحاكم إلى غير شريعة الله .. وبيان أنها قضية تتصل بأصل العقيدة ، لأن الإيمان منفي بتاتاً عن مرتكب ذلك الجرم الشنيع . وقد سبق أن بينا في الفصل السابق أن التشريع بغير ما أنزل الله هو أحد جذور

الشرك الثلاثة الكبرى ، يتساوى في جرمه مع اعتقاد آلهة أخرى مع الله ، وتوجيه شيء من العبادة لغير الله .

ولو أن هؤلاء استسلموا لشريعة الله على كره في دخيلة نفوسهم وريبة فإنهم لا يحققون " الإيمان " الذي يتطلبه الله من عباده ويدخلهم به جنته ، ولكنهم – في الدنيا – يعتبرون مسلمين بحسب الظاهر من أمرهم كما قال الله عن الأعراب : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (6) ولكنهم وقد أظهروا إرادتهم التحاكم لغير شريعة الله فقد انتفى عنهم الإيمان والإسلام كلاهما ويطبق عليهم حد الردة في الدولة المسلمة التي تحكم بما أنزل الله . فإن أرادوا أن يتوبوا ويدخلوا في الإيمان الحق ، فقد وجب عليهم أن ينفذوا الشروط الواردة في الآية بحذافيرها ، وهي التحاكم إلى شريعة الله عن رضا وتسليم واقتناع .

---

(1) سورة النور [47 – 51] .

(2) سورة النساء [60] .

(3) سورة النساء [65] .

(4) قال تعالى " إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا " [سورة النساء : 42] .

(5) تفسير الطبري ، تحقيق محمود شاكر 419/5 الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر .

(6) سورة الحجرات [14] .

تلك هي القضية في وضوحها وبساطتها .. وقد كانت بهذا الوضوح وهذه البساطة طوال ثلاثة عشر قرنا من حياة المسلمين ، لم يجادلوا فيها ، ولم يتصوروا قط أن المسلم يمكن أن يُحْكَم بغير ما أنزل الله من ناحية التشريع ، وإن كانت المخالفات في التطبيق قد حدثت – في سياسة الحكم خاصة – وأنكرها المنكرون باليد أو اللسان أو القلب . أما التشريع بغير ما أنزل الله فلم يحدث في التاريخ الماضي سوى مرة واحدة حين حكم التتار – قبل أن يستقروا على الإسلام الصحيح – أي بدستور

من صنع البشر ، فحكم عليهم العلماء بالكفر الصريح حتى يرجعوا عنه ، ويحكُموا بشريعة الله وحدها ، لا يحكِّمون سواها في قليل ولا كثير .

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) :

" ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأهوائهم وآرائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان الذي وضع لهم الياسق ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها بمجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير " (1) .

ولكن الواقع المعاصر جاء بانحرافين خطيرين ، من أخطر ما مر بالمسلمين في حياتهم : تنحية الشريعة عن الحكم من ناحية ، ووجود " علمانيين " يتبجحون برفض شريعة الله ، ويناوئون الذين يطالبون بالعودة إلى تحكيم شريعة الله !

ولقد جاء هؤلاء العلمانيون ثمرة للغزو الفكري الذي اجتاح حياة المسلمين حين فرغت نفوسهم من حقيقة الإسلام ، وأصبح الدين في حياتهم " تقاليد " خاوية بغير روح ، فاكتسحها الغزو الفكري اكتساحا ، وأجلاها من مواقعها ، ووضع في مكانها فكراً دخيلاً ما أنزل الله به من سلطان .

قلت في أكثر من كتاب (2) إن الهزيمة العسكرية التي أصابت المسلمين أمام قوى الغرب الظافر الكاسح ، لم تكن وحدها التي أثرت في كيان المسلمين وجعلتهم يتقبلون الغزو الفكري ، ويتشككون – لأول مرة في حياتهم – في قيمهم الدينية ، وشريعتهم الربانية ، وأخلاقياتهم وأنماط سلوكهم ، ويستبدلون بها أفكار أوروبا وقيمها

وتصوراتها . إنما المسئول الأول عن ذلك هو الخواء العقدي الذي آل إليه المسلمون في العهود الأخيرة بسبب ما أصاب عقيدتهم من أمراض وانحرافات خلال القرون ..
لقد علّم الله المسلمين في كتابه المنزل ألا يهنوا ولا يحزنوا ولو أصابتهم الهزيمة العسكرية أمام أعدائهم . ما داموا مؤمنين :
(وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (3)
وقد وعوا الدرس فلم يهنوا ولم يحزنوا حين انهزموا أمام التتار وأمام الصليبيين هزائم ساحقة ، بل تجمعوا ، وجمعوا عزيمتهم ، وردوا الكرة عليهم ، وكانوا في أثناء ذلك كله يحتقرونهم ويشمئزون من كفرهم وشركهم وفساد أخلاقهم وأنماط سلوكهم ، لأن جذوة الإيمان كانت ما تزال حية في القلوب ..
أما في المرة الأخيرة فقد أثرت الهزيمة العسكرية هذا التأثير الهائل ، لأنها لم تكن وحدها ، بل صحبتها هزيمة روحية أمام " الحضارة الغربية " نشأت من الشعور بالإفلاس الحضاري من جانبهم .. وقد كان هذا الإفلاس حقيقة واقعة ، ولكن سببه لم يكن " الدين " كما ظن المنهزمون في وهلة الهزيمة ، إنما كان هو الخواء العقدي الذي جرّد العقيدة من نتاجها الحيّ : الحضاري والفكري والعلمي والسياسي والحربي ..
ولأول مرة في حياة المسلمين سعى " المثقفون " ، الذين يفترض فيهم أنهم قادة الأمة ، إلى محاولة إبعاد الأمة عن كل ما يتصل بدينها وتراثها وعقيدتها وشريعتها ، لينطلقوا في وهمهم إلى الحياة والقوة والتقدم والرقي ! وقام فيهم من يجادل لا في وجوب الالتزام بتطبيق الشريعة ، بل في حق الله سبحانه وتعالى في التفرد بالحاكمية والتشريع ، الذي هو – في زعمهم – حق خالص " للأمة " مصدر السلطات .. لا يشاركها فيه أحد .. حتى الله ! نستغفر الله ..

---

(1) تفسير ابن كثير ، ج 2 ص 68 .
(2) انظر – إن شئت – على سبيل المثال كتاب " واقعنا المعاصر " فصل " خط الانحراف " وفصل " آثار الانحراف "
(3) سورة آل عمران [139] .

في كتاب " حول تطبيق الشريعة " ناقشت بعض الدعاوى التي يثيرها العلمانيون في فصول تحمل هذه العناوين : " هل تنفصل العقيدة عن الشريعة في دين الله ؟ " " هل لولي الأمر أن يتصرف في أحكام الشريعة بحسب الأحوال " " شبهة التطور وعدم صلاحية الشريعة للأحوال المستجدة " " شبهة تعارض أحكام الشريعة مع مقتضيات الحضارة الحديثة ووجوب الأخذ بمعايير الحضارة دون الشريعة " " شبهة عدم إمكان تطبيق الشريعة بسبب وجود الأقليات غير المسلمة " " شبهة عدم إمكان تطبيق الشريعة بسبب الدول العظمى وضغطها على العالم الإسلامي " .

وفي الندوات الأخيرة التي أقيمت بين العلمانيين والإسلاميين أثار العلمانيون بعض الدعاوى التي لم يرد ذكرها في كتاب " حول تطبيق الشريعة " لا تقل سخفاً عنها وبعداً عن الموضوعية و " العلمية " ، نتعرض لأبرزها في هذا الفصل ، لا لأنها تستحق الرد في ذاتها ، ولكن لبيان عدم موضوعيتها ، وبيان جانب المغالطة فيها ..

وإذا كان القرآن الكريم قد ورد فيه الرد على دعوى اليهود بأن يد الله مغلولة ، وأن الله فقير وهم أغنياء ، على كل ما في الدعوى من جهل وسخف وتوقح على مقام الألوهية ، فلا بأس علينا أن نبين مدى بُعد دعاوى العلمانيين عن الجدية اللازمة " للبحث العلمي ! " ومدى بعدها عن الصواب .

من تلك الدعاوى أنه لا شيء في الواقع يسمى " تطبيق الشريعة " ! فالذي يطبق بالفعل ليس هو الشريعة الربانية ، إنما هو فهم البشر للنص الوارد في الشريعة ، ومن ثم فهو تشريع بشري في الحقيقة ! ولكنه – رغم بشريته – يزعم لنفسه قداسة مستمدة من الوحي الرباني ! ويهدد بهذه القداسة من يعارضه فيتهمه بأنه خارج على الدين ! بينما التشريع البشري الخالص ، الذي يصنعه البشر بأنفسهم غير مستندين فيه إلى الدين ، لا قداسة له عند واضعيه ولا عند معارضيه . ومن ثم يناقش بحرية ، ويعدل أو يلغى إذا اقتضت الضرورة بغير تحرج ولا خوف ! وعلى ذلك فالأولى عدم تطبيق الشريعة ، وترك البشر يشرعون كما يحلو لهم ، ويعدلون ويبدلون ، دون خوف في صدورهم ، ولا اتهام لهم بالمروق من الدين !

وكأنهم حين يصنعون ذلك لم يمرقوا من الدين ! !

أي لعب بعقول الناس – بدعوى الموضوعية والعلمية – أشد من هذا اللعب وأسخف من هذا اللعب ؟

إن اختلاف الأفهام حقيقة .. واختلاف الاجتهادات حقيقة ، وخاصة فيما لم يتنزل فيه نص ..

ولكن من يقول – مهما اختلفت الأفهام واختلفت الاجتهادات – إنه لا فرق بين الاجتهاد المنضبط بالضوابط الشرعية والاجتهاد المنفلت من كل ضابط إلا أهواء الناس التي يسمونها " المصلحة " رياء وذرًّا للرماد في العيون ، وهي مصلحة فريق معين من البشر يعيثون في الأرض فسادا ، ويريدون أن يستحمروا " الأمميين " لحسابهم الخاص ؟ !

إن الاجتهاد المنفلت من كل ضابط إلا أهواء الناس ، والمتغلف بالمصلحة رياءً وذرًّا للرماد في العيون ، قد أباح الربا ، وأباح الزنا ، وأباح الفاحشة الشاذة ، وأباح الإلحاد بمعنى إنكار وجود الله وإنكار التصورات الدينية على الإطلاق ، وأباح لخمس دول بأعيانها أن ترفض الإذعان للحق حين يحيط بها الحق من كل جانب ، برفع إصبع واحدة من يد مندوبها في مجلس الأمن ، فيخضع الجميع ويذعنون للظلم البيّن ، وأباح لدولة بعينها – باسم النظام العالمي الجديد – أن تنزل قواتها في أي بقعة في الأرض تزعم أن فيها ما يخالف " القيم والمبادئ ! ! " فتقتل أهلها وتخرب أرضهم وديارهم وتتلقى الشكر العالمي على ذلك .. وأباح .. وأباح .. وأباح .. وجعل ذلك كله شرعا مرعيا تحميه الدولة أو الدول ذات الشأن بسلطانها وجيوشها ! !

هل يمكن أن يحدث ذلك في الاجتهاد المنضبط بالضوابط الشرعية ؟ !

يختلف الفقهاء ما اختلفوا .. فهل يمكن أن يحلوا الربا (1) ؟!

يختلف الفقهاء ما اختلفوا .. فهل يمكن أن يحلوا الزنا ؟!

يختلف الفقهاء ما اختلفوا .. فهل يمكن أن يحلوا الفاحشة الشاذة ؟!

يختلف الفقهاء ما اختلفوا .. فهل يمكن أن يحلوا الخمر ؟!

يختلف الفقهاء ما اختلفوا .. فهل يمكن أن يحلوا تعري الرجال والنساء على شواطئ البحار ؟!

يختلف الفقهاء ما اختلفوا .. فهل يمكن أن يحلوا لوسائل الإعلام – أو لأيٍّ كان – أن يهاجم الدين ، أو ينكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو يحرض على معصية أوامر الله ؟

---

(1) يكثر جدل " العصريين " المتأثرين بثقل الأمر الواقع في كون بعض المعاملات كالسندات التي تصدرها الدولة داخلة في الربا المحرم أم غير داخلة فيه ، ولكن أحدا من هؤلاء لا يجرؤ على تحليل الربا من حيث المبدأ .

إن معاصي كثيرة يمكن أن تحدث حتى في المجتمع المسلم الملتزم بتطبيق الشريعة ، ولسنا عن هذا نتحدث .. إنما نتحدث عن التشريع الذي يحل هذه المعاصي ويعتبرها أمرا مباحا لا جناح على مرتكبيه .. وفرق كبير بين وقوع المعصية مخالَفَةً للشرع ، وتوقيع العقوبة المنصوص عليها حين تقع وبين أن تكون مباحة بنص القانون ، في الأولى يمكن أن يقوم مجتمع " إنساني " تقع فيه الخطيئة بين الحين والحين ، ولكنها لا تكون هي الأصل ، وفي الثانية يقوم مجتمع " حيواني " الخطيئة فيه هي الأصل ، والامتناع عنها هو الشذوذ !

ولسنا نقصد بالخطيئة جريمة الزنا وحدها كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان من كلامنا .. فالربا خطيئة ، تؤدي – كما قال الخبير الألماني شاخت – إلى تزايد المال في طبقة يقل تعدادها على الدوام ، وتزايد الفقر في طبقة يزيد تعدادها على الدوام . ويُسْحَقُ جمع هائل من البشر تحت ضغطٍ هائل مخيف يسلطه بضعة نفر من آكلي أموال الناس بالباطل على جموع " الكادحين " .. والظلم السياسي الذي تمارسه الوحوش الكبرى التي تسمي نفسها الدول العظمى خطيئة تؤدي إلى إذلال الدول الصغيرة وإفقارها ونهب خيراتها وسحق كرامتها إرضاء لشهوة السلطان عند تلك الوحوش . وإباحة الإلحاد خطيئة تهبط بالإنسان من شفافيته التي خلقه الله عليها حين خلقه " في أحسن تقويم " ، وتحصره في محيط ما تدركه الحواس ، فيهبط " أسفل سافلين " ويصبح كما وصفه الله (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) (1) .. الغافلون بكل معاني الغفلة ، السادرون في الوهم والجهالة وعمى البصيرة . وإيجاد العداوة بين الدين والعلم خطيئة .. فالدين نزعة فطرية لم تغادر

النفس البشرية أبدا حتى حين عملت الشيوعية على قتلها بالحديد والنار والتجسس ، فبمجرد أن سقطت الشيوعية عاد الناس إلى مساجدهم وكنائسهم ، إلا من أكل الشيطان قلبه ، والرغبة في التعلم نزعة فطرية خلقها الله في الإنسان ليقوم بعمارة الأرض كما كلفه : (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) (2) وإقامة الصراع بين نزعتين فطريتين متعاونتين في الأصل غير متعارضتين ، خطيئة في حق " الإنسان " تمزقه وتسلبه طمأنينته لحساب الشيطان ! وعشرات من الحظايا وعشرات تشرع لها الجاهلية أو تجعلها مباحة حين تنفلت من كل ضابط إلا الأهواء !

أَوَ كذلك يحدث في الاجتهاد المنضبط بضوابط الشريعة مهما اختلفت الأفهام واختلفت اجتهادات الفقهاء ؟ !

إنني – والله – أشك كثيرا فيمن يلغو مثل هذا اللغو أنه يصدق حقيقةً ما يقول ! ... إلا أن يكون قد قصد قصداً إلى اللعب بالعقول !

إن اختلاف الفقهاء هو من مزايا هذا الدين .. فقد ترك الله أمورا كثيرة للاجتهاد ، رحمة منه غير نسيان كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعلم الله – وقد أباح الاجتهاد فيما لم يتنزل فيه نص – أن أفهام البشر تختلف ، واجتهاداتهم تختلف " أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ " (3) . فكأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أّذِنَ بهذا الاختلاف في تطبيق شريعته المنزلة ، توسعة على الناس ورفعاً للحرج عنهم ، ولو شاء لأعنتهم كما قال سبحانه في كتابه العزيز : (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (4) .. أفتتخذ هذه التوسعة المنضبطة أولا وآخرا بألا تحل حراماً ولا تحرم حلالا ذريعة للتسوية بين حكم الشريعة وحكم القوانين الوضعية ، بل لتفضيل القوانين الوضعية على حكم الشريعة ، مع كل ما تحمله تلك القوانين من ألوان الفساد ؟ ! .

هذه النقطة ذاتها – نقطة اختلاف الفقهاء في اجتهاداتهم – يتخذها بعضهم ذريعة لإلغاء حكم الشريعة كله من زاوية أخرى ، فيتصايحون ، في بلاهة حقيقية أو بلاهة مفتعلة : قولوا لنا كيف نطبق الشريعة ! بأي الأقوال نأخذ ؟ ! بقول هذا الفقيه أم ذاك الفقيه ، وكل واحد منهم له رأي في المسألة يخالف رأي الآخر ؟ ! حددوا لنا أي الأقوال هوالشريعة التي تريدون تطبيقها ! !

ويحسبون أنهم بهذا التصايح الأبله يربكون الإسلاميين المطالبين بتحكيم الشريعة ، ويخذّلونهم عن تلك المطالبة الملحّة التي تفزع العلمانيين أي إفزاع !

وكأنما اختلاف الفقهاء قد نبت فجأة في هذه الأيام ، وليس عمره نيّفاً وأربعة عشر قرنا من الزمان !

وكأنما القوانين الوضعية من الجانب الآخر قول واحد ومدرسة واحدة واجتهاد واحد لا يأتيه الاختلاف من بين يديه ولا من خلفه !

كيف كانت تطبق الشريعة خلال ثلاثة عشر قرنا مع اختلاف المذاهب واختلاف الاجتهادات ؟ !

وكيف يختارون هم قوانينهم الوضعية من بين الآراء المختلفة والدساتير المختلفة والنظريات المختلفة ؟ !

أهذا نقاش " علمي " ؟ أهذه " موضوعية " ؟ !

" مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ " (5)

---

(1) سورة الأعراف [179] .

(2) سورة هود [61] .

(3) سورة الملك [14] .

(4) سورة البقرة [220] .

(5) سورة الزخرف [58] .

إنما تعتمد الدولة المسلمة اجتهاداً معيناً من هذه الاجتهادات – يرى فقهاء عصرها أنه الأكثر تحقيقا للمصلحة – فتجعله هو الشرع الملزم في لوائحها وتنظيماتها الإدارية ومحاكمها ، وتترك للقضاة حرية التحرك في حدود ذلك الاجتهاد الملزم ، كما يترك للقاضي في ظل القانون الوضعي أن يحكم بأدنى العقوبة أو أقصى العقوبة أو يسقط الدعوى لعدم كفاية الأدلة ..

أين المشكلة ؟ !

إنما هي الرغبة في وضع العراقيل في طريق تحكيم الشريعة ، وإيهام الناس أن الفوضى ستضرب أطنابها يوم تحكم الشريعة ، ويختلط الحابل بالنابل ، وتضيع الحقوق ، ويختل النظام ! !

ألا يستحي هؤلاء من صور الفوضى الاجتماعية والأخلاقية واضطراب الأمن وشيوع الجريمة وانفلات الناس من آدميتهم في ظل القوانين الوضعية التي يريدون التحاكم إليها بدلا من شرع الله ؟ !

صيحة أخرى يتصايح بها العلمانيون لمحاولة تخذيل المطالبين بتحكيم الشريعة ..

أرونا برامجكم ! نريد برامج عملية قابلة للتنفيذ ، لا مجرد التصايح بتحكيم الشريعة .. أرونا كيف تحل الشريعة التي تريدون تطبيقها مشاكل التخلف الاقتصادي والتضخم السكاني والديون المتراكمة والمعدات الخاوية والأيدي المتعطلة إلخ .. إلخ

وهذه الصيحة التي يرددها العلمانيون كلما علت أصوات المطالبين بتحكيم الشريعة ، يحسب أصحابها أنها القنبلة المدمرة التي ستعصف بكيان الإسلاميين وتكشف عجزهم وضعف موقفهم ، وتصرف الناس عن تأييدهم والالتفاف حولهم .. بينما هي في الحقيقة تكشف عن مدى تدني " الحس الإسلامي " في واقعنا المعاصر ، ومدى تغلغل الغزو الفكري في حياتنا ، وتأثيره في طريقة تناولنا لقضايانا الرئيسية .. حتى قضايا العقيدة !

إن القضية من وجهة النظر الغربية التي صرنا نتناول بها قضايانا أن هناك " جماعة " أو " حزبا " يرفع شعاراً معيناً يريد أن يجعله أساساً للحكم . وإذن فليقدم هذا الحزب برنامجه ، ليحكم الناس له أو عليه ، ويعطوه أصواتهم أو يحجبوها عنه ، بحسب اقتناعهم بالبرنامج أو عدم اقتناعهم به !

أما القضية من وجهة النظر الإسلامية فمختلفة تماماً ..

إن تحكيم الشريعة الإسلامية أمر لا يخص فرداً معيناً أو جماعة معينة حتى تكون هي المختصة بأمره ، المطالَبَة بوضع البرنامج لتنفيذه ! .. إنه أمر كل مسلم .. كل مسلم ينطق بفمه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، مطالب أمام ربه بتحكيم الشريعة الربانية . فإن كانت محكّمة بالفعل فبها ونعمت . وإن لم تكن قائمة فهو يخرج من دائرة الإسلام أصلا إن رضي بهذا الأمر وتابع ، كما نص كتاب الله

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. فضلا عن أن يتبجح برفض تحكيم الشريعة ، أو يطالب بعدم تحكيمها !

أما البرامج التطبيقية فقد تختلف فيها وجهات النظر ، وقد تتناقش فيها الجماعات المختلفة ، وقد يعرض الأمر على أهل الاختصاص ليروا أي وجهات النظر أصوب .. ولكن هذا كله لا يتعلق بالأصل ، وهو تطبيق الشريعة التي يجب أن تكون هي المظلة التي يقف تحتها كل من ينطق بفمه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، والتي في ظلها تفكر الأمة المسلمة ، وفي ظلها تستعرض برامجها .

لقد جعل الله التحاكم إلى شريعة الله محكًّا للإيمان ، شأنه شأن الاعتقاد بوحدانية الله ، وتوجيه كل ألوان العبادة له وحده بلا شريك :

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) (1)

(وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً) (2)

(فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (3)

وكما أن الإيمان بالله الواحد مسئولية كل مسلم على الإطلاق ، لا مسئولية بعض الناس دون بعض ، وكما أن توجيه العبادة لله وحده بلا شريك مسئولية كل مسلم على الإطلاق ، لا مسئولية بعض الناس دون بعض ، فكذلك التحاكم إلى شريعة الله هو مسئولية كل مسلم على الإطلاق ، وليس مسئولية بعض الناس دون بعض .

والأصل في حياة هذه الأمة أن تكون الشريعة الربانية هي الحاكمة فيها ، دونما حاجة لأن يطالِبَ بذلك فرد منها ولا جماعة ، لأنها إلزام رباني ، لا يتوقف على مطالبة أحد أو عدم مطالبته . إنما يقوم به المؤمنون تعبداً واحتساباً ، ولا يملكون ألا يقوموا به لأنهم إن رفضوه فإنهم يخرجون بذلك من أصل الإسلام ، وكذلك إن رضوا بتحكيم شريعة غير شريعة الله .

---

(1) سورة محمد [19] .

(2) سورة النساء [36] .

(3) سورة النساء [65] .

وإذا كان الأمر الواقع اليوم أن هناك دعاة وجماعات تطالب بتحكيم الشريعة فسبب ذلك أن الغزو الصليبي قد قام بتنحية الشريعة عن الحكم في البلاد الإسلامية التي دنستها قدماه ، واستكانت الأمة لما أحدثه الغزو الصليبي فترة من الوقت ، ثم قام دعاة وجماعات من الأمة بالدعوة إلى إعادة الأمور إلى أصلها الذي كانت عليه من قبل ذلك الغزو الغادر ، وتحملوا مسئولية الجهاد في هذا السبيل . ولكن ليس معنى هذا أن يكونوا هم المسئولين وحدهم عن هذا الأمر فيطالَبُوا وحدهم بإنجاز ما يجب على الأمة بأكملها أن تقوم به ، ولا معناه أن يعلق تحكيم الشريعة على تقديم هذه الجماعات برنامجا للتنفيذ ! فضلا عن أن يقوم في هذه الأمة من يعلن جهاراً أنه لا يوافق على تطبيق الشريعة ! وفضلا عن أن يؤخذ المطالبون بتحكيم الشريعة فيقتّلوا ويعذّبوا ، ويتهموا بالخروج على " الشرعية ! " كأنما توجد في الإسلام شرعية بغير شريعة ! !

كذلك فإن تحكيم الشريعة أمر لا يخيّر فيه الناس ولا يُسْتَفْتَوْن ، لأن الله يقول : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (1) . والتخيير إنما يكون في أمر يملك الناس فيه الخيار . فإذا قال الله إنه لا خيار في هذا الأمر بل

إلزام ، وإنه متصل بأصل الاعتقاد ، فكيف يكون التخيير ؟ !

أيخيّر المسلم في الدولة الإسلامية فيسأل : هل تريد أن تكون مسلما أم تريد الكفر .. والعياذ بالله ؟ !

ولكن الأمر قد وصل بهذه الأمة أن يكون تطبيق الشريعة الذي هو أصل ثابت من أصول الإيمان موضع استفتاء وتخيير ، ثم إذا اختارت أغلبية ساحقة من الناس تحكيم الشريعة اختياراً حراً لا شبهة فيه ولا مراء – كما حدث في الجزائر – قيل لهم : لا نسمح لكم بتنفيذ ما اختارته الأمة .. لأنكم غير ديمقراطيين ! ! !

وهذا يعيدنا إلى أصل القضية : بأي الأمرين يلتزم المسلم ؟ بالإسلام أم بالديمقراطية ؟ هل يُعْرَض الإسلام على الديمقراطية لتقبل منه ما تقبل وترفض منه ما ترفض ؟ أم تعرض الديمقراطية على الإسلام فيقبل منها ما يقبل ، ويرفض منها ما يرفض ؟ !

وجواب الإسلام معروف !
ونترك الآن قضية البرنامج التي يتصايح بها العلمانيون كلما ارتفعت أصوات الذين يطالبون بتحكيم الشريعة ، والتي ينخدع بها بعض الدعاة أحيانا ، فينصرفون عن مهمة الدعوة الحقيقية ، وهي تربية جيل من الناس على حقيقة الإسلام ، إلى محاولة وضع برنامج عملي ، للرد على العلمانيين وإبطال حجتهم ! بينما العلمانيون – ومَنْ وراءهم – لا يطلبون البرنامج العملي حقيقةً ! ولو قدم لهم البرنامج لازدادوا طغياناً في حرب الإسلام والمسلمين ! إنما يريدون التشويش والتعطيل ، وصرف الجهود عن الهدف المنشود !
نترك قضية البرنامج لمن يشغل نفسه بالوصول إلى الحكم ! إنما نحن لا نطلب الحكم ، لأننا نعلم أن دون ذلك جهداً ضخما يبذل أولا في تربية الأمة على الإسلام .. وإنما نطالب بأمر أقل من ذلك بكثير .. وهو حرية الدعوة .. حرية توصيل " الكلمة " إلى الناس ..
نترك قضية البرنامج لننتقل إلى القضية الثانية في هذا المبحث ، وهي : هل تصلح التجربة الأوربية منهجا لحياتنا ، وحياة البشرية .. وإذا لم تكن تصلح فما البديل ؟
إن العلمانيين يريدون أن يكون محك القبول أو الرفض هو الديمقراطية وليس الإسلام ..
وبصرف النظر عن إخلاص العلمانيين الحقيقي للديمقراطية ، وهم الذين كانوا يؤيدون أبشع ألوان البطش السياسي في تاريخ هذه الأمة – بطش العسكر – لمجرد أنه يضرب المسلمين ، والذين وقفوا ضد الديمقراطية جهاراً حين أوصلت الإسلاميين إلى الحكم في الجزائر .. بصرف النظر عن ذلك فسوف نناقش الأمر مع العلمانيين من الناحية الموضوعية ، كما ناقش يوسف عليه السلام صاحبيه في السجن :
(أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) (2)
إن الديمقراطية – بيقين – ليست فكرا ذاتيا للعلمانيين أتوا به من عند أنفسهم ، إنما هو فكر مجلوب ، أتوا به من الغرب ، وهم لا ينكرون ذلك بل يفاخرون به ..
وأوربا – حسب تجربتها الخاصة – معذورة حين تنادي بالديمقراطية وتصر عليها ، لأنها لم تعرف في حياتها سوى نوعين اثنين من الحكم : الدكتاتورية والديمقراطية ،

وقد ذاقت كل أنواع الويل في الدكتاتورية ، ولم تنل حقوقها وضماناتها إلا في الديمقراطية فهي حريصة عليها كل الحرص . وهي تقيس – حسب تجربتها الخاصة – كل أنواع الحكم على ميزانها الخاص ، فكل ما ليس ديمقراطية فهو دكتاتورية ، وهو معيب ومرذول ، والحكم الديني " الثيوقراطي " هو في ميزانها في خانة الدكتاتورية – وقد كان كذلك بالفعل في التجربة الأوربية – فهو معيب ومرذول .

---

(1) سورة الأحزاب [36] .

(2) سورة يوسف [39] .

أما المسلمون فلهم ميزانهم الخاص ، وهو ميزان لا يأتون به من عند أنفسهم ، لأن هذه القضايا ليست مما ترك للبشر ليحكموا فيه ، بل هي داخلة في عموم قوله تعالى : (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (1) وقوله تعالى : (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (2) أي أنه سبحانه هو صاحب الأمر ، بمقتضى كونه سبحانه هو الخالق . فهو الذي يحل ويحرم ، وهو الذي يضع للناس منهاج حياتهم ، وهو الذي يقول : هذا حسن وهذا قبيح . هذا مباح وهذا غير مباح ، وبمقتضى كونه سبحانه هو اللطيف الخبير ، الحكيم العليم ، الذي يعلم ما يصلح للإنسان وما لا يصلح له .

وفي الميزان الرباني يوجد نوعان اثنان من الحكم : إما حكم الله ، وإما حكم الجاهلية :

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (3)

ومن ثم فكل حكم غير حكم الله فهو حكم جاهلية . والديمقراطية حيث إنها ليست حكم الله فهي في ميزان الله جاهلية ..

ونعلم أن كثيرا من الناس سيصيحون عجباً واستنكاراً أن توصف الديمقراطية بأنها حكم جاهلي ؛ وليس العلمانيون وحدهم هم الذين سيستنكرون في هذه المرة ، بل كثير من " الإسلاميين " كذلك !

ونسارع فنقول لهؤلاء إننا حين نضع الديمقراطية في ميزان الله الحق ، فنَصِفُها بأنها حكم جاهلي ، فليس البديل الذي ندعو إليه هو الدكتاتورية ، كما يتبادر إلى أذهان الذين تشبعوا بالغزو الفكري ، فلم يعد لهم ميزان يزنون به الأمور ، إنما صار

ميزانهم هو ميزان أوربا ، بدعوى أنه ميزان عالمي لا يخص أوربا وحدها ، وإنما يشمل البشر جميعا !

إنما البديل الذي ندعو إليه هو الإسلام .. هو المنهج الرباني الذي أنزله الله ليصلح به الأرض ويصونها من الفساد :

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (4)

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً) (5)

وحين نقوّم الديمقراطية في الميزان الرباني فهناك معياران أساسيان . المعيار الأول من المعبود في هذا النظام (ويدخل في هذه القضية بالضرورة : من المشرع ؟) والمعيار الثاني : مدى تحقق إنسانية الإنسان في ذلك النظام .

وللعلمانية دعوى عريضة في أنها لا تعارض الدين . إنما هي تحصره في دائرة الاعتقاد والعبادة ، وتمنعه من الهيمنة على عالم السياسة ، فتجعل " الأمة " هي مصدر السلطات ، وهي التي من حقها التشريع .

وهذا – في الإسلام – ليس له اسم إلا الجاهلية !

فالجذور الثلاثة الرئيسية للجاهلية هي اعتقاد وجود آلهة مع الله (شرك الاعتقاد) وتوجيه شيء من العبادة لغير الله (شرك العبادة) والتشريع – أي التحليل والتحريم – من دون الله (شرك الاتباع) .

وحين تجعل الديمقراطية حق التشريع – أي التحليل والتحريم – " للأمة " من دون الله ، فهي تقع في أحد أنواع الشرك الرئيسية ، ومن ثم فهي جاهلية في ميزان الله

والذين يهولهم أن توصف كل الحقوق والضمانات التي تحملها الديمقراطية للناس بأنها جاهلية نقول لهم : إن الإسلام لا يرفض تلك الحقوق والضمانات في عمومها ، ولا يرفض أن يكون للفرد كرامة تمنع " الدولة " أو " الحاكم " من اعتقاله أو سجنه أو إهانته أو تعذيبه أو التضييق عليه لمجرد أنه يخالف الحاكم أو يعارضه .. فهذه الضمانات والحقوق كلها من صميم الإسلام ، والإسلام هو الذي منحها للبشر قبل أن تمنحهم إياها الديمقراطية بأكثر من ألف عام .. إنما الذي يرفضه الإسلام ويصر على رفضه هو إعطاء البشر – أي بشر – حق التشريع ابتداء ، أي حق التحليل

والتحريم من دون الله ، وبما يخالف أوامر الله (6) ، وهذا – بالذات – هو الذي تصر الديمقراطية عليه ، وهو هو الذي يضع الديمقراطية في خانة الجاهلية ، على الرغم من كل ما تحمله للناس من حقوق وضمانات لا يعارضها الإسلام ، بل كان هو أول من منحها للبشرية كما سيجيء بيانه .

وحين يحكم الإسلام فلن يلغي الحقوق والضمانات التي منحها الله للبشر يوم أكمل لهم دينهم وأتم عليهم نعمته ، إنما هو سيلغي فقط ألوان الفساد التي تعج بها الأرض في ظل الجاهلية المعاصرة ، وفي ظل كل جاهلية التاريخ .

المعيار الثاني في هذه القضية هو مدى تحقق إنسانية الإنسان .

والبحث في إنسانية الإنسان يستلزم تحديد غاية وجوده في هذا الكون ، فمن الذي يحدد له غاية وجوده ؟ !

إنها في الحقيقة ذات القضية !

فإذا كان رد حق التشريع لله مبنيا على كونه سبحانه هو الخالق ، وهو اللطيف الخبير :

(أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (7)

---

(1) سورة يوسف [40] .

(2) سورة الأعراف [54] .

(3) سورة المائدة [50] .

(4) سورة الروم [30] .

(5) سورة المائدة [3] .

(6) أما الاجتهاد في حدود مقاصد الشريعة فمباح بشروطه المعروفة .

(7) سورة الأعراف [54] .

(أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (1)

فكذلك حق تحديد غاية الوجود .. هو للخالق الذي أوجد ، وللطيف الخبير الذي يعلم .

وحين يستنكف الإنسان عن عبادة الله ويستكبر ، ويزعم أنه أدرى بغاية وجوده من خالقه ! وأدرى بالمنهج الذي يحقق غاية وجوده من اللطيف الخبير ، العليم الحكيم ، يحدث ما يحدث من الفساد في الأرض ..

فإذا عرضنا الديمقراطية على ميزان الإسلام في قضية تحقيق إنسانية الإنسان فماذا نرى ؟

نرى صفحتين مختلفتين ، إحداهما مشرقة شديدة الإشراق ، تلك هي صفحة الحقوق والضمانات التي تعطيها الديمقراطية للفرد ضد طغيان الدولة ، والأخرى سوداء حالكة السواد ، هي إباحة الإلحاد بدعوى حرية العبادة ، وإباحة الفوضى الجنسية والأخلاقية بدعوى الحرية الشخصية ، وثمة صفحة ثالثة يختلط فيها السواد والبياض ، ظاهرها حقوق التمثيل السياسي وتشكيل الأحزاب وحرية الاجتماع والتعبير .. إلخ ، وباطنها سيطرة رأس المال ، ومن وراء ذلك سيطرة اليهود ..

ونضرب صفحا الآن عن الصفحة الثالثة ، وننظر إلى الصفحتين الأخريين ، ونسأل : إذا أنت منحت إنساناً ما ثوباً جميلاً نظيفاً رائع الجمال ، ثم دفعته إلى حفرة من الطين أو سمحت له بإلقاء نفسه في الحفرة ، وحرّمت على الآخرين أن يمنعوه من ذلك بدعوى أن هذه حريته الشخصية (!) فماذا تجد في النهاية – وقد حُفت هذه الحفرة بالشهوات – إلا أن تجد الناس في النهاية غرقى في الطين ؟ !

هل يكون الإنسان يومئذ قد حقق غاية وجوده ؟ !

ولا يقولن أحد : نأخذ الصفحة المشرقة وحدها ، ونترك الصفحة الحالكة ، لأننا عندئذ لن نكون ديمقراطيين ! لأنك إذا منعت الإلحاد بسلطة القانون ، ومنعت قذارة الفوضى الجنسية بسلطة التشريع ، فقد اعتديت على " الحرية الشخصية " وأصبحت .. يا للهول ! .. أصبحت أصوليا ! أصبحت إرهابيا ! .. أصبحت عدواً للديمقراطية ! !

ونعود الآن إلى الحقوق والضمانات .

يشكك العلمانيون في وجود تلك الحقوق والضمانات في الإسلام ، ويزعمون أن " الإسلاميين " إنما تعلموا الحديث عنها من ديمقراطية الغرب ، ثم ألصقوها بالإسلام زورا وبهتانا ، ليزعموا أن الإسلام يغنينا عن استيراد المبادئ والنظم من الغرب ..

وحين نقول لهم تعالوا إلى فترة الخلافة الراشدة ننظر في أحوالها ، ونستنبط الفكر السياسي منها يقولون : كلا ! لا تستشهدوا بفترة الخلافة الراشدة ، لأن واقع المسلمين بعد ذلك قد امتلأ بالجور والاستبداد .

وقد رددنا على ذلك من قبل ..

ونؤكد هنا مرة أخرى أننا سنظل نستشهد بفترة الخلافة الراشدة من أجل الدلالة التي تحملها : دلالة أنها من صنع الإسلام لا من صنع أي عنصر آخر غير الإسلام .. وإلا فمن أين جاءت ؟ !

ولنأخذ عمر رضي الله عنه على سبيل المثال .. كيف كان في الجاهلية ؟ وكيف صار في الإسلام ؟

كان في الجاهلية جبارا يفزع الناس بجبروته .. فصار ألين الناس في الإسلام مع شدته في الحق .

وخذ – فيما نحن بصدده – ذلك الحادث النموذج :

وقف عمر يخطب الناس في المسجد فقال : أيها الناس ! اسمعوا وأطيعوا ! فقال له سلمان الفارسي رضي الله عنه : لا سمع لك علينا اليوم ولا طاعة ! فلم يغضب ، ولم يحتقن قلبه غيظا من ذلك الذي يتحدى سلطانه – سلطان الخلافة – بل قال متسائلا : ولمه ؟ قال سلمان : حتى تبين لنا من أين لك هذا البرد الذي ائتزرت به ، وقد نالك برد واحد كما نال بقية المسلمين ، وأنت رجل طوال لا يكفيك برد واحد ! فلم يغضب عمر مرة أخرى ، بل نادى في المسجد : يا عبد الله ! فلم يجب أحد لأن كل الناس عبادٌ لله وهو لم يحدد أيهم يريد ! فقال : يا عبد الله بن عمر ! قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : نشدتك الله ! هذا البرد الذي ائتزرت به ، أهو بردك ؟ قال : نعم ! والتفت إلى المسلمين يقول : إن أبي رجل طوال لا يكفيه البرد الذي ناله كبقية المسلمين ، فأعطيته بردي ليأتزر به ! قال سلمان : الآن مر ! نسمع ونطع !

من أبن جاء هذا النموذج الفذ ؟ هل له مصدر غير الإسلام ؟

ولننظر في تاريخ الديمقراطية كله .. هل حوى نموذجا في روعة ذلك النموذج ؟

الإسلام إذن هو أبو " الحقوق السياسية للأمة " التي تمنح الأمة حق مساءلة الحاكم على الصغيرة والكبيرة ، وتعلق طاعة الحاكم على طاعته هو لله ورسوله ..

ولنأخذ من سيرة عمر رضي الله عنه ذلك النموذج الآخر :

قام عمر يوما يخطب الناس فقال : أيها الناس ! إن أحسنت فأعينوني ، وإن رأيتم فيّ اعوجاجا فقوّموني !

أرأيت ! إنه يحرض الناس على مراجعته وتقويمه ، ولا ينتظر حتى يقوموا هم بذلك فيذعن لهم ، وهو أقصى ما حققته الديمقراطية في عالم الواقع .. ولكن الحادث الفذ لا ينتهي هنا ، وهو في ذاته رائع .. إنما يمتد وراء ذلك ..

قال سلمان رضي الله عنه : والله لو وجدنا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف !

فيقول عمر رضي الله عنه : الحمد لله الذي جعل في رعية عمر من يقوّمه بحد سيفه ! !

سيقولون : حادث فذ لا يتكرر .. ولم يتكرر ..

نقول نعم ! ولكن من صنعه ؟ أثمة شيء غير الإسلام ؟

---

(1) سورة الملك [14] .

وأنتم تقولون إن الديمقراطية تمنح الناس مثل هذه الحقوق ، ويمارسها الناس هناك ونتغاضى الآن عن جملة من الحقائق التي يدركها كل باحث في الديمقراطية الرأسمالية الغربية ، وهي أن هذه الحريات كلها تتلاشى حين تُمسُّ مصالح الرأسمالية أو تصطدم بالنفوذ اليهودي . ويكفي للدلالة على ذلك مقتل كنيدي عام 1963 حين اصطدمت سياسته بالمصالح اليهودية ، كما يكفي للدلالة سحب درجتين جامعيتين واحدة في فرنسا والثانية في أمريكا ، وتنزيل صاحبيهما في استدرار عطف العالم وجره إلى الموافقة بل الترحيب – بسلب حقوق العرب في فلسطين !

نتغاضى الآن عن ذلك ، ونقول للعلمانيين : أنتم تقولون إن الديمقراطية تمنح الناس هذه الحقوق وتربيهم عليها ، فما الذي يمنع إذن من تربية الناس عليها في الإسلام ، وهي نتاج إسلامي أصيل مارسه المسلمون قبل بزوغ الديمقراطية بأكثر من ألف عام ؟ !

هل يمنعنا الواقع الإسلامي التاريخي الذي فرط في الحقوق الربانية ؛ ووقع فيه الاستبداد ؟

ولماذا يمنعنا ؟

ألستم تنادون بدعوة جديدة وحياة جديدة ومثل جديدة في ظل الديمقراطية ؟

ونحن ندعو بدعوة ليست جديدة ! دعوة " رجعية " جدا .. تعود إلى عهد الخلافة الراشدة ! ونقول للناس : ارجعوا إليها !

فإذا أمكن تحقيق دعوتكم في ظل العلمانية ، فلماذا لا يمكن تحقيق دعوتنا في ظل الإسلام ؟ !

يقولون في دعاواهم إن الإسلام بطبيعته " أحادي النظرة " لا يقبل إلا وجهة نظر واحدة ، ولا يحترم وجود " الآخر " ولا " الرأي الآخر " ، ويتهم المعارضين بأنهم خارجون على الدين ، فيتعسف في معاملتهم !

وإنه نظام لا يسمح بقيام الأحزاب ولا يسمح بتداول الحكم ..

وإنه نظام " شمولي " يمهد بطبيعته للاستبداد السياسي !

أما الدعوى الأولى فليس أكذب منها على التاريخ !

إن علماء المسلمين هم الذين علموا العالم كيف يختلف الناس دون أن يقوم بينهم شجار ، ولا عداوة ، ولا بغضاء !

كان العالم منهم يقول : قولنا صواب يحتمل الخطأ ، وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب ! أي روح علمية ، وأية رحابة صدر أعظم من ذلك ؟ !

إن العالم منهم لا يلقي كلامه على عواهنه ، وإنما يستدل بالدليل ، ويكد ذهنه لينضبط كلامه بالضوابط الشرعية ، ومع ذلك يحتاط – لله – فيقول إنه يعتقد أنه على صواب ولكنه لا يقطع بذلك خشية أن يكون الحق مخالفاً لقوله فلا يكون قد أدى الأمانة لله :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ..) (1) .

وذلك تجرد للحقيقة وللبحث العلمي لا يتصور أروع منه .. فمن قال إن الإسلام لا يقبل إلا وجهة نظر واحدة ، ولا يحترم " الآخر " ولا الرأي " الرأي " ؟ !

وكيف نشأت المذاهب إذن ؟ وكيف اختلفت الاجتهادات ؟ وكيف نشأ في الفقه علم يسمى " علم الخلاف " ؟ !

ولكن العلمانيين يقصدون شيئا آخر ، سواء جهروا به أم لم يجهروا .. وبعضهم يجهر بالفعل!

إنهم يريدون أن يكون " الدين " وجهة نظر ! إحدى وجهات النظر المعروضة في الساحة ! وهناك – معه – وجهة نظر أخرى ، ورأي آخر .. والإنسان حر .. يأخذ " بوجهة نظر الدين " أو بوجهة النظر الأخرى .. وحبذا – لكي يكون حرّ الفكر – أن يأخذ بوجهة النظر الأخرى وينبذ وجهة نظر الدين .. بغير تحريج على عمله هذا ولا تأثيم !

هذه هي القضية في حقيقتها .. يجهر بها بعضهم أحيانا ، ويغلفها الآخرون بغلاف لا يخفى حقيقتها !

يا للغزو الفكري .. كم تمكن من تلك القلوب !

إن تجربة أوربا مع دينها هي التي أدت بها إلى هذا الوضع المقلوب .

فقد وثقت أوربا في دينها المزيف ثقة عمياء ، على أساس أنه الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وكانت لذلك الدين قداسة في نفوسهم ، ولرجاله احترام وتوقير يصلان إلى حد التقديس بالنسبة " لقداسة البابا " وينزل سفلا حتى يصل جزء منه إلى " راعي الأبرشية " (2) وهو أصغر رجالهم قدراً وأصغرهم سناً !

ثم رويداً رويداً اكتشفت أوربا أنها كانت مخدوعة خديعة كبرى برجال الدين أولا ثم بالدين ذاته أخيرا !

وزاد الأمر سوءاً حين قامت الكنيسة تحرّق العلماء وتعذبهم لأنهم نادوا بأراء ونظريات علمية ثبتت صحتها بعد ذلك ، وثبت أن ما كانت تقوله الكنيسة في حقها غير صحيح ..

عندئذ بدأ الناس – الأحرار الفكر – يشكّون في كل ما تقوله الكنيسة ، وكل ما يأتي من قِبَل الدين ..

---

(1) سورة النساء [135] .

(2) هو كاهن القرية الصغيرة ، وهو في أول السلم الكهنوتي ، وقد يبقى هناك حياته كلها ، أو يسعفه الحظ فيرقّى .

لم يعد الدين حقائق نهائية كما كان في حس الناس من قبل ، إنما أصبح وجهة نظر وأصبح معها وجهات نظر أخرى يؤكد العلم ، وتؤكد التجربة ، وتشير دلائل كثيرة أنها أولى بالاعتبار من وجهة النظر التي يدلي بها رجال الدين .. فعندئذ لم يقف الأمر عند أن يكون الدين وجهة نظر .. مجرد وجهة نظر .. إنما أصبح هو وجهة النظر الأخف وزنا والأضعف أدلة .. وانتهى به الأمر أن يكون هو وجهة النظر المنبوذة ، التي تذكر للتنديد بها ، والسخرية بقائليها ، وبيان ضعفها وفجاجتها ، ثم العدول عنها إلى " وجهة النظر الأخرى " !

هذه الصورة التي لها ما يفسرها في التجربة الأوربية ، والتي سببها تزييف الدين الذي عرفته أوربا وتحريفه .. يحب العلمانيون ألا يفوتهم " شرفها " و " وجاهتها " ! فيطبقونها – ويدعون إلى تطبيقها – على الدين الحق الذي شهدت له السموات والأرض ومن فيهن !

يريدون – بحجة الديمقراطية ، أو بأي حجة أخرى – أن يحولوا كلام الله الحق إلى وجهة نظر ! ثم يحولوه – بالمواظبة – إلى وجهة نظر منبوذة لا يؤخذ بها ، بل يعدل عنها إلى " وجهة النظر الاخرى " !

وعندئذ يكونون قد بلغوا مرامهم من هدم هذا الدين ..

(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (1)

مرحبا بالرأي والرأي الآخر حين يكون بين بشر وبشر .. فليس من حق بشر أن يدعي العصمة لنفسه ولكلامه ، ويهمل كلام الآخرين لمجرد أنهم يخالفونه في الرأي .. إنما الدليل هو الذي يقرر أي الرأيين أقرب إلى الصواب .

أما حين يكون الأمر بين كلام الله وكلام البشر ، فمن ذا الذي يبلغ به التبجح أن يقول إنه أعلم من الله ، وإن كلام الله لا يلزمه لأنه مجرد وجهة نظر ؟ !

(مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (2)

وويح للذين يخنسون ويبتلعون آراءهم في جوفهم إذا تكلم رئيس دولة من طغاة الأرض ، فإذا ذكر كلام الله لَوَّوْا رءوسهم وقالوا : هذه وجهة نظر الدين .. أما نحن فلنا وجهة نظر مختلفة !

وهل فعل الشيطان غير ذلك حين استحق اللعنة الأبدية من الله ؟ !

(قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (3)

(إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (4)

أما قضية قيام الأحزاب وتداول الحكم فهي صورة أخرى من صور تدني " الحس الإسلامي " في واقعنا المعاصر ، وتغلغل الغزو الفكري في حياتنا .. إن الحس الإسلامي يمنع " احتراف " التأييد واحتراف المعارضة ، اللذين تمارسهما الديمقراطية الحزبية في واقعها التطبيقي ، أياً كان الغطاء النظري أو " الأيديولوجي " الذي تتم هذه الممارسة تحته !

تتم الانتخابات ، فيتسلم الحكم الحزب الفائز ، فيجلس أعضاؤه في مقاعد التأييد ، وتجلس الأحزاب الأخرى في مقاعد المعارضة ! ويحترف الأولون التأييد للحكومة في قراراتها ولو كانوا غير مقتنعين بها ، ويحترف الآخرون المعارضة ولو كانوا مقتنعين بوجاهتها . ويحدث كثيرا أن يعارض قوم قرارا معينا وهم في مقاعد المعارضة ، فإذا جاءوا إلى الحكم أيدوا القرار ذاته إذا صدر عن حكومتهم ! أو العكس ! وأبرز الأمثلة على ذلك أن حزب العمال البريطاني يطالب – طالما كان في المعارضة – برفع أجور العمال وتخفيض ساعات العمل ، مما لا يوافق عليه حزب المحافظين الممثل لمصالح الرأسمالية .. فإذا جاء حزب العمال إلى الحكم رفض رفع الأجور وتخفيض ساعات العمل – أو عجز عن التنفيذ ! سيان ! – لأن ذلك يؤدي إلى التضخم من ناحية ، ويؤذي مصالح الرأسمالية من جهة أخرى ، وهي الحاكم الحقيقي من وراء لعبة تداول الحكم وتعدد الأحزاب ! !

أفيراد تمثيل هذه اللعبة في الإسلام لنكون حضاريين ، ونكون تقدميين ، ونكون عصريين ؟ !

(1) سورة الصف [8 – 9] .

(2) سورة الأحزاب [36] .

(3) سورة ص [76 – 78] .

(4) سورة غافر [56] .

إن المسلم لا يحترف التأييد ولا يحترف المعارضة ، إنما يدور مع الحق حيث دار .. وقد يخطئ اجتهاده ، ويغيب عنه وجه المصلحة فيحسبه هنا وهو هناك .. ولا حرج في ذلك ، وله أن ينادي بما يعتقد أنه حق ، لا تعصباً لرأيه ، وله أن يغيّر رأيه – بلا حرج – إذا تبين له أن اجتهاد غيره أصوب ، كالخلاف الذي وقع بين عمر وبلال رضي الله عنهما في مسألة الفيء ، فرأى عمر رضي الله عنه رأيا فعارضه بلال رضي الله عنه ، وأصر زمناً على معارضته ، حتى صار عمر رضي الله عنه يدعو فيقول : اللهم اكفني بلالا وأصحابه ! وفي الأخير فاء بلال رضي الله عنه إلى رأي عمر ، فغيّر موقفه من المسألة بغير حرج حين اقتنع بأن اجتهاد عمر أصوب من اجتهاده ..

هكذا تجري الأمور في الشورى الأسلامية .. فهل يستلزم هذا قيام أحزاب ثابتة متعددة تحترف التأييد تارة والمعارضة تارة حسب موقعها من كراسي الحكم ؟ !

إنني لا " أفتي " في هذه القضية ، وأترك أمر الفتوى للفقهاء .. وإن كنت أرى أنه من العبث مجادلة العلمانيين في هذا الأمر في الوقت الحاضر ، ولكني أبين فقط كم اجْتَرَفَنَا الغزو الفكري ، فأصبحنا لا نرى الأمور إلا بمنظار الغرب ، الذي تشكل في ظروف تاريخية معينة ، ليرى الأمور على صورة معينة ، قد لاتكون بالضرورة لازمة في ظروف أخرى وأوضاع مغايرة ..

أما تداول الحكم فما المقصود به ؟ !

إن من حق المسلمين أن يناقشوا حاكمهم ، ويردوه إلى الصواب إذا أخطأ ، ويغيروه إذا أصر على الخطأ ، بالطريقة التي اتفق عليها فقهاء السياسة الشرعية ..

أما أن يكون تداول الحكم أصلا من الأصول يطلب لذاته ، ويمارس فقط بغية " الوجاهة " و" العصرانية " فأمر لا تفسير له إلا الغزو الفكري الذي يلعب بالعقول !

والقضية على أي حال لها خبئ عند العلمانيين غير الظاهر الذي تناقش المسألة في إطاره ..

إن العلمانيين يريدون أن يقولوا للإسلاميين – وقد قالوا بالفعل – تعهدوا لنا أيها الإسلاميون أنكم إذا وصلتم إلى الحكم – رغم كل تضييقاتنا عليكم ، ومحاولتنا منعكم من الوصول إليه – تعهدوا لنا أن " تَسْقُطُوا " بعد فترة محددة ، وتسلمونا الحكم بعدكم ! وإلا فلن نوصلكم أبدا مهما حاولتم ، ولو استعملنا ضدكم الحديد والنار .. ولتذهب الديمقراطية يومئذ إلى الجحيم ! فإنما نحن لجأنا إلى الديمقراطية أملا في أنكم لن تصلوا عن طريقها أبداً إلى أغلبية شعبية توصلكم للحكم ، أما وقد ازداد خطركم بحيث يمكن أن تصلوا عن طريق صناديق الانتخاب كما حدث في الجزائر .. فلتحترق الديمقراطية ولتذهب إلى أبد الآبدين !

نقول للعلمانيين إنه – من الوجهة النظرية البحتة – ليس هناك مانع أن يتغير عهد ويأتي عهد آخر .. ولكن العهد الأول والعهد الآخر لا بد أن يحكما كلاهما بشريعة الله ! لأنه لا يتأتى لمسلم أن يحكم الناس بشريعة غير شريعة الله ، فيقع في الشرك المخرج من الملة ، ويقعون هم – إذا رضوا بذلك وتابعوه – في الشرك المخرج من الملة .

وقد لجأ العلمانيون في حواراتهم مع الإسلاميين إلى محاولة إحراجهم ، فقالوا لهم أتقبلون الديمقراطية أساسا للحكم ؟ قالوا : نعم ! والإسلام أبو الديمقراطية ! فقالوا لهم : أتقبلون التعددية ؟ قالوا : نعم ! ولها أصل في الإسلام ! فقالوا ، وتقبلون تداول الحكم ؟ !

نقول للعلمانيين : إنه لا يوجد مسلم يملك أن يوافق على حكم يحكم بغير ما أنزل الله ، ولا أن يتعهد بالموافقة على ذلك ، لأنه يخرج بذلك من الإسلام .

إنما يخضع المسلمون اليوم لحكومات تحكمهم قهراً بغير ما أنزل الله لأنهم مستضعفون في الأرض ، في ظل السيطرة الصليبية الصهيونية على الأرض اليوم ..

أما أن يوافقوا .. أما أن يرضوا .. فدون ذلك نار جهنم والعياذ بالله ..

بقيت دعوى الشمولية ، والخوف من الاستبداد إذا وصلت إحدى الجماعات الإسلامية اليوم إلى الحكم .

وأنا شخصياً لا أحبذ أن تسعى أي جماعة من الجماعات الإسلامية القائمة اليوم إلى الحكم قبل أن تستكمل تربية ذاتها على الشورى الإسلامية الحقيقية ، التي ضرب لنا الخلفاء الراشدون نماذج منها .. حتى إذا وصلوا إلى الحكم ذات يوم كانوا صورة صادقة للحكومة الإسلامية الراشدة ، لا تكرارا لصور الاستبداد التي وقعت من قبل في حياة المسلمين .

ولكن ما قول العلمانيين في أن يتولوا هم الحكم – وقد تشبعوا بالروح الديمقراطية وتربوا على احترام الآخر ، وإفساح الصدر للرأي الآخر – بشريطة أن يحكموا بما أنزل الله .. وسنكون نحن يومئذ أول المؤيدين ، وأول المناصرين ؟ !

أم إن هذا – بالذات – هو المحظور ؟ ! !

من الوقائع المضحكة التي وقعت في السجن الحربي – وشر البلية ما يضحك كما يقول صلى الله عليه وسلم – أن التحقيق كان يجري مع أحد الإخوان ، وهو معلق من يديه ورجليه ، والسياط تهوي عليه من كل جانب ، فقال له المحقق الذي يتولى تعذيبه : " ... وعلى ذلك فقد رحت تقرأ كتب سيد قطب ، وتقول منها للناس ؟ ! " فظن المسكين في حرارة الضرب أن التهمة الموجهة إليه هي ترديد كلام سيد قطب ! فراح ينفي التهمة بشدة ! قال : " أنا لا أقول من كلام سيد قطب ! " فتوقف الرجل عن التعذيب لحظة وسأله : " من أين تقول إذن ؟ ! " قال : " أنا أقول من القرآن ! " عندئذ عاد الرجل يهوي بالسياط على بدنه أشد من الأول ، وقال له حانقا : " يا ابن ال .. ! ومن أين يقول سيد قطب ؟ أليس يقول من القرآن " ؟ ! !

وعلم المسكين أن التهمة الحقيقية لم تكن ترديد كلام سيد قطب .. إنما كانت ترديد كلام الله !

لحساب من يُحارَب الإسلام ؟ !

الحرب المحمومة التي تشن على الإسلام اليوم أوضح من أن يجادل فيها مجادل حرب عالمية في كل مكان في الأرض .. في البوسنة والهرسك .. في طاجستان .. في الهند .. في كشمير .. في الفلبين .. في بورما .. في تركستان .. في فلسطين

.. فضلا عما يجري في داخل العالم الإسلامي ذاته من ملاحقة للحركات الإسلامية وتشريد لأصحابها وسجن واعتقال وتعذيب ..

ولن نتعرض هنا إلا لعنصر واحد من هذه الحرب الشاملة التي تستخدم فيها كل الوسائل ، ذلك هو الهجوم العلماني العنيف المتلاحق في وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز وندوات ومحاضرات وتصريحات ولقاءات ..

ونستثني من هذه الحملة الإعلامية ما كان موجها ضد " الإرهاب " فلا نتكلم عنه في هذا المجال ، فقد يجد القائمون بالحملة ستاراً لحملتهم ، فيقولون إنهم يحاربون الإرهاب ولا يحاربون الإسلام ..

إنما نتحدث فقط عن الحملات الموجهة ضد الإسلام ذاته ، وبالذات ضد تحكيم الشريعة .. ونتساءل : لحساب مَنْ تشن تلك الحملات ؟ !

حين جاء الغزو الصليبي للعالم الإسلامي كان أول همٍّ له بعد استيلائه على أي بلد من بلاد المسلمين هو تنحية الشريعة .

ولا عجب في ذلك إذا أدركنا أنه غزو صليبي ..

ويجب أن نفرق ابتداء بين ما سمي " استعماراً " (1) – أي الاحتلال العسكري لبلد من البلاد وإخضاعها للدولة الغازية – وبين ما جرى في البلاد الإسلامية خاصة ، وهو شيء مختلف تماما ، وإن أُريدَ إيهامنا أنه كله من نوع واحد ، وأنه كله داخل تحت عنوان " الاستعمار " وأن الهدف منه جميعا كان الاستغلال الاقتصادي للبلاد المغلوبة على أمرها ، وليس وراء ذلك هدف آخر !

كلا .. ليسا نوعاً واحداً ، وإن كان الاستغلال الاقتصادي من الأهداف الرئيسية في كلا النوعين ..

ففي البلاد غير الإسلامية التي أغار عليها " الاستعمار " لم يتعرض الاستعمار لعقائد أهلها ولا عاداتهم . لم يتعرض للهندوكية في الهند ، ولا البوذية في جنوب شرق آسيا ، ولا للوثنية في أفريقيا ..

أما في البلاد الإسلامية فكان الأمر على خلاف ذلك .. كانت هناك حرب شرسة ضد الإسلام ، توجهت أول ما توجهت إلى تنحية الشريعة الإسلامية ، وفرض القانون الوضعي بالحديد والنار ، ثم توجهت إلى معاهد التعليم الإسلامي لإغلاقها

او قهرها على تغيير برامجها الدينية ، ثم توجهت إلى محاولة تغيير عادات الناس وتقاليدهم بشتى الوسائل التي استخدمها " الغزو الفكري " في مناهج التعليم ووسائل الإعلام .. وقامت مدارس التنصير بدورها في تلك الحرب الشرسة على مبدئهم الشهير : " بطيء ولكنه أكيد المفعول " (2)

لماذا كان ذلك الفارق بين " الاستعمار " في البلاد غير الإسلامية ، وبين " الغزو الصليبي " في بلاد الإسلام ؟

الفارق أنه لا عداء بينهم وبين الوثنية بأشكالها المختلفة ، هندوكية أو بوذية أو إفريقية ، بينما العداء قائم بينهم وبين الإسلام : " وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ " (3)

والفارق أن العقائد الوثنية لا خوف منها على وجود المستعمر ، ولكن خطر الإسلام كامن في عقيدته التي تحث المسلمين على الجهاد ، وتمنعهم من الاستكانة إلى أعداء دينهم . وأن الإسلام ليس ديناً منفصلاً عن واقع الحياة يُمَارَسُ ساعة من النهار ثم تجري الحياة بعيدة عنه بقية اليوم .. إنما هو ضارب بجذوره في كل تفصيلات الحياة ودقائقها ، فهو ما يفتأ يذكّر المسلمين في كل لحظة ، وكل عمل ، وكل شعور ، وكل فكر ، أن هؤلاء الغزاة ليسوا منهم ، ولا يمكن أن يكونوا منهم في يوم من الأيام ، إنما هم غزاة كفار يجب أن يُجْلَوْا من أرض الإسلام ..

---

(1) لا أدري من الذي بدأ استخدام كلمة " الاستعمار " ترجمة لكلمة Colonisation التي تعني الاحتلال ولكني أرجح أنهم ذات المترجمين الأرمن واللبنانيين الذين كان الغزو الصليبي يستخدمهم في البلاد الإسلامية ، والذين ترجموا لفظة Secularism بالعلمانية للإيهام بأن لها صلة بالعلم !

(2) سنتكلم بشيء من التفصيل عن هذه الوسائل فيما يلي من الفصل .

(3) سورة البقرة [120] .

والفارق أخيراً أن الوثنيين قد يتقبلون النصرانية لأنهم لا يملكون عقيدة حقيقية يمكن أن تقف في وجهها . أما المسلمون الذين يشعرون أن عقيدتهم أسمى وأشمل وأصح فإنهم لن يقبلوا النصرانية ، وسيقفون وقفة صلدة أمام محاولات التنصير ..

هل نعجب إذن من بدئهم حملتهم ضد الإسلام بتنحية الشريعة الإسلامية ؟

إن كانوا يريدون تنصير المسلمين – وقد حاولوا ذلك في مبدإ الأمر حتى يئسوا (1) – فهل يمكن ذلك في وجود الشريعة التي تطبق حد الردة على المرتد الذي يبدل دينه (2) ؟

وإن كانوا يريدون نشر الفاحشة – وقد أرادوا ذلك وفعلوه (3) – فهل يمكن ذلك في وجود الشريعة التي تطبق حد الزنا ؟

وإن كانوا يريدون نشر الخمر والتعالن بها – وقد أرادوا ذلك وفعلوه (4) – فهل يمكن ذلك في وجود الشريعة التي تطبق حد الخمر ؟

وإن كانوا يريدون إغراء المرأة بخلع حجابها ، وخروجها بعد ذلك سافرة ، كاسية عارية ، فضلا عن تجريدها من حيائها الفطري على الشواطئ التي تختلط فيها كتل اللحم العريان – وقد أرادوا ذلك وفعلوه – فهل يمكن أن يحدث ذلك في وجود الشريعة التي تعاقب على هذه الأمور كلها عقوبات رادعة ؟

وإن كانوا يريدون إزالة الحاجز النفسي الذي يجعل المسلم يحس دائما بالاختلاف والتميز بينه وبين الغازي الصليبي ، بحيث لا ينسجمان ولا يندمجان ولا تزول العداوة بينهما – وقد أرادوا ذلك وفعلوه – فهل يمكن ذلك إذا بقي للمسلم نظامه الخاص في التحاكم وفي التعامل ، يفيء إليه مستعليا بإيمانه على من لا يدين بالدين الصحيح ؟

من كل الجوانب إذن كان لا بد للغازي الصليبي أن يبدأ عمله – بعد استتباب أوضاعه العسكرية – بتنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم ..

ولكن هذه الخطوة وحدها لم تكن لتكفي ..

فما الذي يمنع المسلمين من محاولة العودة إلى الشريعة ، بعد أن تزول عنهم وهلة الهزيمة العسكرية ، فيبدءوا الجهاد من جديد لإخراج الغازي الصليبي ، وإعادة الشريعة إلى مكانها من الحكم ، ومكانتها من القلوب ؟ !

لا بد من صرفهم – من داخل أنفسهم – عن تلك المحاولة الخطيرة .. التي يمكن أن تفسد كل مخطط الأعداء .

بل لا يكفي صرفهم فحسب .. فلربما يعودون !

لا بد من تنفيرهم من الشريعة بحيث لا يفكرون في العودة أبدا ، ويحمدون ربهم – أو يحمدون شيطانهم – أنهم تخلصوا من تلك الشريعة إلى غير عودة ..

وذلك الذي خطط له الغزو الصليبي عن طريق " الغزو الفكري " بدءاً بمناهج التعليم ، ومروراً بوسائل الإعلام .

وضعت مناهج تعليمية " علمانية " بدلا من المناهج الدينية التي كانت تعلم الناس أن الإسلام هو الأصل في حياة المسلمين ، وأنه من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ..

وحقيقة أن " التعليم الديني " الذي كان قائما يومئذ لم يكن هو الصورة الصحيحة للتعليم الديني كما ينبغي أن يكون ، ولم يكن يخرّج المسلم الحق الذي يعرف حقيقة دينه ويمارسه على وعي وبصيرة ، كما أنه كان خلوا من العلوم الكونية التي كانت تشكل جزءا أساسيا منه يوم كان المسلمون في الأندلس وغيرها من بلاد الإسلام هم المتعلمين حقاً في الأرض ، وهم سادة الأرض ..

صحيح ذلك .. ولكن الغزو الصليبي الذي أغلق المعاهد الدينية أو جفف منابعها أو تركها قائمة ولكن شبه مهجورة ، وحوّل مجرى التعليم بعيدا عنها كما فعل الاحتلال البريطاني في مصر تجاه الأزهر (5) ، لم يفعل ذلك من أجل تصحيح مسار التعليم وجعله أداة مفيدة للأمة تخرجها من تخلفها وضعفها إلى القوة والتقدم .. بل فعل ذلك بدافع من الحقد الصليبي ، للقضاء على الصبغة الدينية التي تميز المسلمين ، ودفع المسلمين دفعا في تيار التغريب الذي تَتْبَهِمُ فيه شخصيتهم ويؤدي بهم إلى الضياع وإن تعلموا من العلم بعض القشور ..

---

(1) سيأتي كلام الأب زويمر في هذا الشأن .

(2) قال – صلى الله عليه وسلم – : " لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة " أخرجه الشيخان .

(3) وصل الأمر إلى فتح بيوت للدعارة الرسمية ، وتنصيب الدولة " المسلمة ! " راعياً لها ، وحارساً عليها !

(4) أعطيت التصاريح الرسمية لفتح حانات الخمر ، وكتب عليها " مشروبات روحية ! " ترجمةً لكلمة Spiritual بمعنى كحولية ! على نفس الطريقة التي أصبح الاحتلال بها " استعمارا " واللادينية " علمانية " ! ! .

(5) اقرأ إن شئت فصل الغزو الفكري من كتاب " واقعنا المعاصر " .

وفي تلك المناهج العلمانية لم يكن هناك مجال للعلوم الشرعية ، ولكن هناك حصة دين بائسة توضع في آخر الجدول المدرسي ، والتلاميذ يتثاءبون من رغبة النعاس وإجهاد الدراسة اليوم بطوله ، وينتظرون دق الجرس لينفلتوا من القيد ، ويخرجوا إلى الطريق . ويندب لها من المدرسين أكبرهم سنا وأعجزهم عن النشاط والحركة وأدناهم إلى الفناء . والدرس ذاته عبارة عن نصوص تستظهر دون اهتمام بشرح معانيها وإحيائها في القلوب لتحريك الوجدان الديني في نفوس التلاميذ وربط قلوبهم بالله سبحانه وتعالى برباط متين .. ولن تكون نتيجة ذلك الدرس تعلق الصغار بدينهم ، بل الأحرى تنفيرهم منه وإبعادهم عنه ..

وفي درس التاريخ الإسلامي بالذات جرعة أخرى من السم تبعد الدارسين عن الإسلام وتلوي أعناقهم إلى الغرب ثم تستعبدهم له .. فبعد دراسة البعثة المحمدية يختصر التاريخ الإسلامي إلى جانبه السياسي وحده – وهو الذي وقع فيه أشد الانحراف في حياة المسلمين – ويطمس على الجانب العقدي ، والجانب الحضاري ، والجانب العلمي ، والجانب الاجتماعي ، وكيف فتح المسلمون البلاد لا للاستغلال الاقتصادي أو شهوة الغلبة والفتح ولكن لنشر الدعوة وإزالة الجهالة وتحويل البلاد إلى الأخوّة الإيمانية والسماحة الدينية .. وكأن تاريخ المسلمين كله لم يكن إلا صراعات على الحكم وشهوة السلطان ! فإذا فُرِّغَ التاريخ الإسلامي من محتواه المشرق الحي ، وركز على انحرافات ذلك التاريخ وحدها ، وُجِّه الطلاب إلى تاريخ أوربا .. فركِّز على التقدم العلمي والحضاري وعلى الديمقراطية وحقوق الإنسان ، وطمس على الاستعمار وجرائمه البشعة ، وإذلال الشعوب واستلاب خيراتها ، وطمس على التحلل الخلقي والروح المادية الصلدة والفساد العقدي وتقطع روابط الأسرة والمجتمع .. فتكون نتيجة تلك الدراسة بذر بذور النفور من التاريخ الإسلامي ، وعدم التعلق

بأمجاده ، وعدم الاعتزاز به ، والتوجه في الوقت ذاته إلى الغرب والتعلق به ومحاولة اللحاق به ، أو بالأحرى اللهاث وراءه ..

وحقيقة أن واقع المسلمين في الفترة التي جاء فيها الغزو الصليبي كانت سيئة غاية السوء في جميع المجالات ، وأن حال أوربا الظاهر كان هو الغلبة والقوة والتقدم العلمي والمادي .. ولكن المنهج الذي كان يمكن أن يدرس به التاريخ – لو أن واضعه كان مسلماً معتداً بدينه ، ملتزماً بالحقيقة العلمية في الوقت ذاته أمانة لله – هو أن يعرض الحقيقة كاملة من جانبيها ، الجانب الإسلامي والجانب الغربي ، فيعرض صفحة الإسلام المشرقة وفي داخلها خط الانحراف في حجمه الحقيقي ، وشتان بين هذا وبين إخفاء الوجه المشرق كله وإبراز خط الانحراف وحده كأنه هو التاريخ ؛ ثم عرض الواقع الإسلامي المعاصر على حقيقته مع بيان أن السبب الأساسي في تدهور حال المسلمين هو بعدهم عن حقيقة الإسلام ، وتحول الإسلام في حياتهم إلى تقاليد خاوية من الروح ، وأداء آلي للشعائر التعبدية دون تطبيق للمعاني السامية للإسلام في كل المجالات ، مع الانصراف عما أمر به الإسلام من عمارة الأرض وامتلاك أسباب القوة والحرص على العلم .. أما بالنسبة لأوربا فتعرض جملة الحقائق التاريخية التالية : أن أوربا عاشت فترة عشرة قرون كاملة في ظلمات " القرون الوسطى المظلمة " عندها بسبب فساد دينها وطغيان كنيستها ، ثم لما احتكت بالمسلمين الذين كانوا في الفترة ذاتها في أوج تقدمهم وحضارتهم وتمكنهم في الأرض بسبب تمسكهم بدينهم الحق ، بدأت أوربا تخرج من الظلام ، وترجمت كتب العلوم الإسلامية فتعلمت ، ثم تابعت تقدمها ، فسيطرت وتمكنت بينما نسي المسلمون علومهم فتأخروا ، ولكن أوربا حين ملكت القوة استخدمتها في إذلال الشعوب الضعيفة وقهرها ونهب خيراتها ولم تستخدمها في رفع مستوى الشعوب وترقيتها كما فعل المسلمون في وقت قوتهم ، ولأنهم نبذوا الدين امتلأت حياتهم بالانحلال الخلقي والروح المادية الطاغية ..

ما أبعد تلك الصورة – التي كان يجب أن تكون محور تدريس التاريخ في المدارس – عن الصورة المقلوبة التي كان يدرس بها بالفعل ، مع أن تلك الصورة هي التي تحمل أكبر قدر من " الحقائق التاريخية " والتفسير الصحيح للتاريخ ، بينما الصورة

التي كان يدرس بها بالفعل لم تشمل إلا بعض حقائق منتقاة بسوء قصد لإعطاء التأثير المسموم ، كما ينقصها التفسير الصحيح لوقائع التاريخ ، الذي يجعل للوقائع معنى تربويا يصحح بناء النفوس .

بل درّس في المدارس العلمانية ما هو أسوأ من ذلك !

درس للطلاب في درس الجغرافيا أن بلاد العالم الإسلامي متخلفة بسبب حرارة الجو التي تدعو إلى الكسل والخمول بينما الجو البارد في أوربا يبعث على النشاط والحركة . ومتخلفة لأنها زراعية لا يوجد فيها فحم ولا حديد ، بينما أوربا متقدمة لوجود الصناعة فيها بسبب وجود الفحم والحديد ! ومؤدى ذلك أن التخلف لعنة أبدية مكتوبة على العالم الإسلامي ، بسبب ظروف قاهرة لا يد للإنسان فيها مهما حاول ! جو حار ، ولا فحم ولا حديد ! بينما التقدم العلمي والصناعي والحضاري نصيب أزلي مقسوم لأوربا بسبب جوها البارد ووجود الفحم والحديد فيها ! وكأنما تلك البلاد الحارة لم تكن يوما من الأيام مهد حضارة ملأت أرجاء الأرض ، ولم يكن أهلها هم الناشطين الذين يتحركون لكشف مجاهل الأرض ونشر الهدى والنور في أرجائها ، بينما كانت أوربا بجوها البارد وفحمها وحديدها غارقة في الظلام !

ثم .. لما كبر التلاميذ ، وصاروا طلابا في المدارس الثانوية وفي التعليم العالي درّس لهم ما هو أسوأ من ذلك !

درس لهم أن أوربا كانت تعيش في الظلمات بسبب سيطرة الدين على حياتها ، وأنها لم تتقدم ولم تتحضر إلا بعد أن نبذت دينها .. وأن الواقع السيىء الذي يعيشه المسلمون اليوم هو بسبب الدين الذي يتمثل فيه الجهل والخرافة ، وأنهم لن يتقدموا ويتحضروا إلا حين يفعلون كما فعلت أوربا ، فينبذون دينهم ، ويتحررون من أغلاله ..

وما أصدق المقولة الأولى ، وما أكذب الثانية !

أوربا كانت في ظلام بسبب دينها .. نعم . ولما نبذت " ذلك الدين " تقدمت وتحضرت .. نعم

أما المسلمون – على عكس ذلك تماما – فإن وقت تمسكهم بدينهم هو وقت عزتهم ووقت قوتهم ، ووقت عملهم وحضارتهم وتقدمهم . أما وقت انتكاسهم وانحسارهم

وضعفهم وتخلفهم فهو وقت عدم تمسكهم بحقيقة دينهم ، وإن تمسكوا بأوهام ليست منه في حقيقة الأمر ، حسبوها هي الدين .

والفرق بين الحالين هو الفرق بين الدينين .. أحدهما زائف محرف ، والآخر هو الدين الحق كما أنزل من عند الله بلا تحريف . فمن تمسك بالأول ضل وتقهقر ، ومن تمسك بالآخر على حقيقته نال خير الدنيا والآخرة .

ولكن الذي درس للطلاب سواء بالإيحاء أو بالطريق المباشر لم يكن مقصوداً به وجه الحق .. إنما كان المقصود به هو التضليل ، وإبعاد المسلمين عن الإسلام من كل سبيل ..

ويجيء في هذا الصدد كلام الأب زويمر (1) في مؤتمر القدس التنصيري عام 1935 م ، حيث كان عدد من المنصرين قد شكا من الفشل الذريع في تنصير المسلمين على الرغم من كل الجهود المبذولة في ذلك ، فرد عليهم زويمر مبينا أن الهدف ليس تنصير المسلمين (2) ، وإنما هو صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام ، وإن المنصرين نجحوا في ذلك نجاحاً باهراً ، بفضل المدارس التنصيرية ، ومناهج التعليم التي وضعها المنصرون للبلاد الإسلامية ! ! (3)

ولم يكتف الغزو الصليبي بكل السموم الي وضعها في مناهج التعليم ، وما كان له أن يكتفي ! فلا بد من إحكام التخطيط ، وإحكام التنفيذ ، حتى لا تترك ثغرة يعود المسلمون من طريقها إلى الإسلام !

كان المطلوب إحداث نمط حياة كامل مغاير للصورة الإسلامية ، وتحويله إلى " أمر واقع " يضغط بثقله على الأعصاب والأفكار والأرواح والعقول ، فيبعدها عن الإسلام ، ويصبح الإسلام إلى جانبها أشباحاً غامضة ، أو أحلاما هائمة ، غير قابلة للتطبيق في دنيا الواقع .. بل يصبح نمط الحياة الجديد في حس الناس هو الأصل ، ويصبح الإسلام إلى جانبه شيئاً مضاداً .. شيئا غير مرغوب فيه ، لأنه يتصادم مع الواقع الجديد ، ويفسد " رونقه " و "بهاءه " الوهميين اللذين لمعتهما وسائل الإعلام بكل وسائل التضليل ..

ولقد كان هذا أخطر ما صنعه الغزو الصليبي في الحقيقة ، وأبرع ما نجح فيه مستغلا غفلة المسلمين عن حقيقة دينهم ، والانبهار الذي أحسوه تجاه الغرب الظافر بسبب الخواء العقدي الذي كانوا يعيشون فيه .

قامت صحف ومجلات وكتاب يهاجمون " التقاليد " وينادون بضرورة تحطيمها وتخليص المجتمع من أغلالها .. ووضعوا في المطلوب تحطيمه حجاب المرأة ، والتزامها ببيتها ، وتحريم الخلوة بالأجنبية ، وتحريم العلاقات " الحرة ! " .. ووضعوا في المطلوب تطبيقه سفور المرأة وهجرها لبيتها ، ووجوب الاختلاط ، ووجوب التجربة قبل الزواج ، ووجوب إباحة العرى على الشواطئ ، وعشرات أخرى من تلك " الواجبات ! " ..

---

(1) هو الدكتور صمويل زويمر من أخطر المنصرين الذين عملوا في الساحة الإسلامية ، مات في الخامسة والثمانين من عمره عام 1952 م ، وكان " بروتستانتيا " ولكنه أوصى أن يدفن في مدافن اليهود ! !

(2) كذب زويمر في هذه . ويشهد على كذبه كتاب " الغارة على العالم الإسلامي " تأليف أ . شاتلييه (تعريب محب الدين الخطيب) فقد دعا صراحة إلى وجوب تنصير العالم الإسلامي . فلما عجزوا قال زويمر إن الهدف لم يكن تنصير المسلمين ، وزعم أن هذا شرف لا يستحقونه ! وإنما الهدف صرف المسلمين عن الإسلام !

(3) راجع نص حديثه في كتاب الشيخ محمد محمود الصواف " المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام " طبع دار الاعتصام بالقاهرة ص 58 – 59

وخرجت المرأة من بيتها ، وخلعت حجابها وسفرت .. وأصبح هذا أمراً واقعاً ..

ووقع الاختلاط ، وقامت " الصداقات " بين الأولاد والبنات .. وأصبح هذا أمرا واقعا ..

وفشت العلاقات المحرمة بين الرجال والنساء .. وأصبح هذا أمراً واقعاً ..

وفي عالم السياسة قامت أحزاب تبعد الدين عن مجالاتها تماماً وتحرّم الخوض فيه .. وأصبح هذا أمراً واقعاً ..

وفي عالم الاقتصاد قامت بنوك ومؤسسات ربوية تتعامل بالربا جهارا .. وأصبح هذا أمراً واقعاً ..

وفي عالم الفكر قامت نظريات وآراء وأفكار تسخّف الدين ، وتنظر إليه على أنه خرافة وجهل وتأخر وأساطير .. وأصبح هذا أمراً واقعاً ..

ودرس لطلاب المعاهد التربوية الذين سيصبحون معلمي الأجيال التالية نظريات فرويد التي تقرر تعارض الدين مع الصحة النفسية ، وكون الدين هو سبب الاضطرابات النفسية والعصبية ، وكون الواجب رفع " الكبت " عن الغريزة الجنسية .. وأصبح هذا أمراً واقعاً ..

ودرس لطلاب الاجتماع نظريات دوركايم التي تقرر أن الدين والزواج والأسرة ليست من الفطرة ، إنما هي من نتاج " العقل الجمعي " الذي يتقلب بلا ضابط ، ويحرم اليوم ما أحله بالأمس ، ويحرم غدا ما يحله اليوم .. وأصبح هذا أمراً واقعاً ..

ودرس لطلاب العلوم نظريات دارون ، والخلق الذاتي ، والتطور الخلاق ، والطبيعة الخالقة .. لا على أنها فروض علمية ولا حتى على أنها نظريات ، بل على أنها حقائق نهائية لا ينكرها إلا جاهل .. وأصبح هذا أمراً واقعاً ..

وقام في الجامعة " أساتذة " يقولون إن القرآن من تأليف محمد – صلى الله عليه وسلم – وإن ورود القصة فيه ليس على سبيل الحقيقة إنما على سبيل " الفن ! " .. وإنه لا يجوز أن يعتبر القرآن مرجعاً تاريخياً ، وإن ورود الأسماء والوقائع فيه لا يعطيها وجوداً تاريخياً ، إنما هي أقاصيص وأساطير على عادة الأقدميين .. وأصبح هذا أمراً واقعاً ..

وعشرات من تلك الأحداث ومئات .. غيرت كلها صورة " المجتمع الإسلامي " وحولته مجتمعا مختلفا تماما .. كأنه صار – كما قال الخديو إسماعيل – قطعة من أوربا .. الإسلام فيه غريب .. والمسلمون فيه غرباء ..

كان ذلك هو " الواقع " الذي أحدثه الغزو الصليبي ليبعد المسلمين عن الإسلام بالدرجة التي يستحيل عليهم – في تصوره – أن يعودوا إليه ..

ولكنهم عادوا ! عادوا على الرغم من هذا الكيد كله ، عادوا بقدر من الله . والله غالب على أمره . وهو الذي يدبر الأمر وليس البشر ، وهو الذي ينشئ الأحداث وليس العبيد ..

عادوا .. أو بدءوا طريق العودة على أقل تقدير ..

وفوجئ العلمانيون .. وذعروا كذلك مع المفاجأة ! وكان موقفهم " الطبيعي ! " ضد الصحوة الإسلامية ، وضد المطالبة بتحكيم شريعة الله ..

إن العلمانيين هم نتاج الكيد الصهيوني الذي وجه ضد الإسلام منذ أكثر من قرن من الزمان (1) ..

وقد لا يدركون هم ذلك ! قد لا يكونون على وعي بمقدار ما أُحْدِثَ في نفوسهم من مسخ وتشويه .. فقد ركّبوا في مصانع الغزو الصليبي بحيث يرون الإسلام عدواً لهم لا بد من محاربته .. لذلك فقد يعتقدون أنهم في مواقفهم ضد الإسلام ، وضد تحكيم الشريعة ، منطلقون من ذوات أنفسهم ، وبدوافعهم الخاصة ..

ولكن .. ألا يستوقفهم ذلك التوافق العجيب بين مواقفهم ومواقف الغرب تجاه الإسلام ؟ !

الغرب هو الذي نحّى الشريعة الإسلامية من البلاد التي وطئتها أقدامه في أثناء الغزو الصليبي ، والغرب هو الذي جند طاقته كلها لمنع العودة إلى تطبيقها مرة أخرى في بلاد الإسلام ..

والعلمانيون ؟ ما موقفهم .. ؟

أليسوا يعارضون تحكيم الشريعة في بلاد الإسلام ؟ ! ويقيمون الندوات والمؤتمرات ليؤكدوا معارضتهم لذلك الأمر ؟ !

والغرب يقولون إن " الإسلام السياسي " هوالخطر الجديد الذي يهدد العالم .. والذي يجب أن تجند له قوات الغرب ، بل قوات العالم كله !

والعلمانيون ؟ ما موقفهم .. ؟

أليسوا يقولون إن الإسلام يجب أن يبعد عن السياسة ، وإن مزجه بالسياسة ، أو انطلاق السياسة من منطلقه خطر يهدد العالم ؟ !

والغرب وقف بشدة ضد وصول الإسلاميين إلى الحكم في الجزائر ، ونسي " ديمقراطيته " التي تقضي بأن ما تجمع عليه أغلبية الأمة يجب أن يكون هو دستورها النافذ وقانونها المطبق ، وقال : إن ذلك يصح مع أهل الأرض جميعا إلا المسلمين !

والعلمانيون .. ما موقفهم .. ؟

أليسوا قد وقفوا ضد الإسلاميين في الجزائر ، وقالوا إن " العالم الحر " يجب أن يتدخل ليحول دون هذا الخطر المخيف ؟ !

---

(1) الأولى أن نقول " الكيد الصليبي الصهيوني " فقد كان اليهود شركاء في التخطيط والتنفيذ ، وكانوا يعملون طيلة الوقت لحسابهم الخاص ، فقد كانوا يخططون لإنشاء إسرائيل ، وكانوا يعلمون أن العقبة أمامهم هي الإسلام ، فكل جهد لإبعاد المسلمين عن الإسلام هو في صالحهم ، ومن أجل ذلك يشاركون فيه .

والغرب أطلق على الحركات الإسلامية لفظ " الأصولية " Fundamentalism وهي عندهم كلمة ذم لا يوجد لديهم أكثر منها ذما لصاحب فكر أو عقيدة . فهي عندهم علم على فئة من النصارى حرفية في تفكيرها ، ضيقة الأفق ، متعصبة ، لامرونة عندها ولا قدرة على التكيف بما يجدّ في الحياة من أمور .. وقد أطلقوا هذه الصفات كلها على الحركات الإسلامية يوم أطلقوا عليها هذا الوصف Fundamentalists ، ودلالتها عند الرجل الأوربي واضحة غاية الوضوح ..

والعلمانيون .. ما موقفهم .. ؟

ألم يتلقفوا تلك الصفة في الحال ويصفوا بها الحركات الإسلامية ، حتى لم يعد يجري على لسانهم عندما يتكلمون عن الحركات الإسلامية أو الاتجاه الإسلامي إلا لفظ " الأصولية " ؟ !

والغرب يتحدث ليل نهار عن " الإرهاب الإسلامي " ويصوره على أنه الخطر الكاسح الذي سيقوض أمن العالم كله ، والذي يجب أن يكافح ، وأن يجتث من جذوره ، بينما لا يتحدث أبداً عن " الإرهاب النصراني " – وقد تمثل في أبشع صوره في البوسنة والهرسك – ولا " الإرهاب اليهودي " وهو يتمثل يوميا في قتل أصحاب

البلاد الأصليين وتشريدهم وتعذيبهم في السجون ومنعهم من حقوقهم الطبيعية والاستيلاء على أرضهم وديارهم وطردهم منها ، ولا " الإرهاب الهندي " الذي يمارسه عبّاد البقر على المسلمين في الهند ، ويتمثل في حرق المسلمين أحياء في قراهم ، وتهديم مساجدهم وتعقيمهم إجباريا لكي لا يتكاثر نسلهم ، ولا " الإرهاب البوذي " الذي يفعل بالمسلمين ما يفعل في بورما ، ولا " الإرهاب الشيوعي " الذي قتل مائة ألف من المسلمين في طاجستان وطرد الباقين من بلادهم .. ولا غيرها ولا غيرها من صنوف الإرهاب ، كأن الدنيا كلها مستقيمة ملتزمة والمسلمون وحدهم هم الذين يمارسون الإرهاب .

والعلمانيون .. ما موقفهم .. ؟

أليسوا يرددون ذات النغمة فلا يكفون عن الحديث عن الإرهاب الإسلامي ، بينما يصمتون الصمت المريب عن كل ألوان الإرهاب الواقعة في الأرض ، والتي يقع أكثرها على المسلمين ؟ !

ألا يستوقفهم ذلك التوافق العجيب بين مواقفهم ومواقف الغرب تجاه الإسلام ؟ !

وكيف يتأتى أن يتطابق موقف " المسلم " من دينه وقومه مع موقف أعداء دينه وأعداء قومه ؟ !

أليس هذا عجيبا أيها العلمانيون ؟ !

ألا يوقظكم ذلك إلى مدى تغلغل " الغزو الفكري " في نفوسكم بحيث تطابقت أفكاركم ومواقفكم مع أفكار أعدائكم ومواقفهم .. ؟

بل أنتم لا تحسون أنهم أعداؤكم .. بل تعتبرونهم أصدقاءكم و رفقاءكم ..

فما قولكم في قوله تعالى (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (1) ؟

وقوله تعالى (وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) (2) .

وقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (3) .

لقد آن للعلمانيين أن يكتشفوا حقيقة موقفهم .. وأن يسألوا أنفسهم : لحساب من يحاربون الإسلام ؟ !

والمستقبل .. لمن ؟ !

أثبت موقف الغرب – وموقف العلمانيين – من أحداث الجزائر ، أن عداءهم للإسلام أشد بكثير من ولائهم للديمقراطية ، وإيمانهم بمبادئها .

ونحن نؤمن من زمن بعيد أن الغرب لا أخلاق له ، وأن كل تظاهره بالقيم والمبادئ إنما هو رياء ، وتنفج بالباطل ، أو على أحسن تقدير وَهْمٌ يعيشونه في خيالهم ، ليستكملوا في داخل أنفسهم إحساسهم باستحقاقهم السيادة على الأرض ، لا بالحديد والنار فقط ، ولكن بالقيم والمبادئ أيضا ، فيما يسمونه " الحضارة المسيحية ! ! " .. نؤمن بذلك منذ أمد بعيد . ولكن العلمانيين في بلادنا أصحاب دعوى عريضة – أو وَهْمٍ كبير – أننا نقول هذا الكلام تعصبا منا ضد الغرب ، وافتئاتا على حضارته ، وعلى قيمه ومبادئه .. التي يكفي منها إيمانه بالديمقراطية !

ثم أحداث الجزائر وتبدى لكل ذي عينين مدى إيمان الغرب بالديمقراطية ..

ثم جاء ما هو أسوأ ..

جاءت أحداث البوسنة والهرسك ، وتهرأت بشكل فاضح كل دعاوى القيم والمبادئ ، وسقط القناع .. وبدا العداء للإسلام في أقبح صورة يمكن أن تخطر على ذهن بشر .. وبدت المؤامرة العالمية ضد الإسلام والمسلمين مكشوفة بلا قناع .

والعلمانيون سادرون في وهمهم يتحدثون عن الديمقراطية ، وعن احترام " الآخر " ، ويحاكمون الإسلام إلى تلك المبادئ الزائفة التي لا رصيد لها من الواقع ..

ونترك العلمانيين ومواقفهم التي لا تستند إلى شيء من الحق . ونقول للدعاة الإسلاميين أن يتمثلوا بما أنزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في موقف مشابه : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً) (4) .

---

(1) سورة البقرة [120] .

(2) سورة البقرة [217] .

(3) سورة المائدة [51] .

(4) سورة النساء [63] .

نترك العلمانيين ومواقفهم ونلقي نظرة إلى المستقبل .

على أي شيء تستند هذه " الحضارة " ؟

إنها – بلا شك – تستند إلى قوة مادية ضخمة ، لم تتوفر بهذه الصورة من قبل في التاريخ .

وهذه القوة المادية تشمل في أطوائها عبقرية تنظيمية هائلة ، وجلدا على العمل ومثابرة ، وجدية في تناول الأمور ، وتصميماً على الوصول إلى غايات مرسومة .. وتربية دقيقة دءوبة على هذه الخصال .

وكل هذه من أدوات التمكين في الأرض التي قال الله في كتابه العزيز إنه يمكّن أصحابها لفترة من الوقت :

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ) (1)

ولكنه – بغير قيم حقيقية – تمكين مؤقت ينتهي إلى البوار ..

و "القيم الحقيقية " ليست شيئاً هلامياً يتشكل بحسب الأهواء ، فإن السنن الربانية لا تتعلق بالأهواء . ولو كان البشر هم الذين يدبرون ، وهم الذين يكتبون الأقدار ، لكان لأهوائهم ثقل في الميزان . أما وهم لا ينشئون ولا يدبرون ، وإنما الله سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو الفعال لما يريد ، فإنا المعايير التي حددها الله سبحانه هي التي تجري بمقتضاها السنن الربانية التي تقرر مصاير الناس في الأرض ..

و " القيم الحقيقية " المعتبرة في ميزان الله ، والتي تجري بها السنن الربانية ، هي الإيمان بالله الحق ، والإيمان بالدين الحق ، والعمل الحقيقي بمقتضى المنهج الرباني ..

وأوربا قد " نسيت " ذلك كله منذ أمد بعيد ..

والله سبحانه وتعالى يقول : (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (2)

فالتمكين الذي عليه الغرب اليوم يجري بمقتضى السنن الربانية . والبوار الذي ينتظر الغرب – ما لم يغيروا ما بأنفسهم – يجري كذلك بمقتضى السنن الربانية :

(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (3)

(.. فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) (4)

والذين يستبعدون انهيار " الحضارة الغربية " ، ويوسوس لهم الشيطان أن الله لا يمكن أن يدمر عليهم ، وهم يملكون هذا القدر الهائل من أدوات التمكين ، نحيلهم إلى أكبر انهيار في التاريخ ، لأكبر قوة طاغية في التاريخ ، وهي قوة الشيوعية متمثلة في " الاتحاد السوفييتي " الذي انهار كأنما في لحظات ..

والغرب دوره في الطريق ..

لن تمنعه قوته المادية ولا الحربية ولا السياسية عن مصيره المقدر في سنة الله :

(حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (5)

وحين تنهار هذه " الحضارة " الجاهلية فما البديل ؟

البديل هو الحضارة الإسلامية ..

والإسلام – وحده – هو الذي يملك أن يُخرج البشرية من ظلماتها الحالية إلى النور ..

ليس البديل مزيدا من القوة المادية ، ولا القوة العلمية ، ولا القوة الحربية ، ولا القوة السياسية ، وإن كان هذا كله من الأدوات اللازمة للتمكين في الأرض . ولكنه – وحده – لن يحل شيئا من مشاكل البشرية الحالية !

بل إنه إذا وجد – وحده – فسيؤدي إلى مزيد من الصراع ، دون حل جذري للفساد القائم في الأرض . والمتوقع أن يحدث هذا الصراع في الغد القريب بين أمريكا التي توشك على الانهيار – رغم مظهرها الفاره – وبين ألمانيا ، أو بينها وبين ألمانيا وفرنسا المتحالفتين ضدها ، أو بينها وبين الكتلة الأوربية المحتشدة في السوق الأوربية المشتركة أو بينها وبين اليابان ، أو بينها وبين الصين .. وشيء من ذلك

كله محتمل في المستقبل القريب ، وحين يحدث فلن يزيد الناس إلا خبالا ، وإيغالا في الانحراف .. الغالب والمغلوب سواء !

البديل المطلوب هم " القيم " المفقودة في عالم اليوم ، والتي يؤدي فقدانها إلى الأحوال السيئة التي تسود عالم اليوم .

---

(1) سورة هود [15] .

(2) سورة الأنعام [44 – 45] .

(3) سورة الأنعام [115] .

(4) سورة فاطر [43] .

(5) سورة يونس [14] .

الظلم السياسي الذي يسود عالم اليوم مبعثه وجود القوة في يد قوم قالوا منذ البدء إن الله لا علاقة له بواقع الحياة الدنيا ، وإن " الإله " المتصرف في واقع الأرض هو الإنسان . وحين رفض ذلك الإنسان أن يكون عبداً لله في شئون الدنيا كما هو في شئون الآخرة أصبح عبداً لهواه ، وعبداً لشهواته : (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) (1) ، فاستبد وطغى (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) (2) ، وأصبح القانون الذي يحكم الأرض هو قانون الغاب : القوي يأكل الضعيف . وشكلت الوحوش " العظمى " هيئات دولية تضفي بها الشرعية على جرائمها ، وتمنع توقيع الجزاءات على ما ترتكبه من العدوان ، وفي الوقت ذاته تلهّى بها الضعفاء المأكولين ، فيظنون – وهم بين مخالب الوحش – أنهم يشاركون في صنع القرار ! !

والظلم الاقتصادي الذي يسود عالم اليوم مبعثه الرأسمالية الربوية التي رفضت أمر الله ابتداء بتحريم الربا ، فأنشأت نظاما يأكل فيه القوي الضعيف في عالم الاقتصاد كما يأكله في عالم السياسة . واستبد الأقوياء اقتصاديا بالضعفاء فامتصوا جهدهم ودماءهم ، وحولوهم خدماً لهم وتبعا ، يسخّرونهم " لمصالحهم " ويمنون عليهم أن تركوهم يحيون إلى جانبهم .. وإنها لحياة الهُون .

والفساد الخلقي الذي يسود عالم اليوم مبعثه إنكار حق الله في وضع " الحدود " التي تضبط تصرفات البشر ، وإعطاء هذا الحق للبشر بدعوى أنهم أدرى بمصالحهم من

خالقهم سبحانه ! ومبعثه كذلك أن الآخرة قد امّحت من حسهم فصارت الحياة الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم ، فانفلتت الشهوات من معقلها ، لأنه لا يعقلها إلا الإيمان بالله واليوم الآخر .

وكذلك كل ألوان الفساد الموجود في الأرض من التمييز العنصري ، إلى الحروب إلى الخمر إلى المخدرات إلى الجريمة إلى الزيغ العقدي إلى الزيغ الفكري إلى الزيغ " الفني ! " إلى ألوان الجنون المختلفة من جنون الكرة إلى جنون الجنس إلى جنون التليفزيون إلى جنون الفيديو إلى جنون " المودة " إلى جنون السرعة إلى جنون العظمة الذي يحتل رءوس الطغاة وكبار المجرمين ..

كله يرجع إلى سبب رئيسي واحد ، هو استكبار الإنسان المعاصر عن عبادة الله واتخاذه إلهه هواه ..

وليس هذا تبسيطا للأمور كما يحلو لبعضهم أن يفكر .. إنما هي الحقيقة التي أكدها كلام الله في الكتاب المنزل ، وأكدتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

والمنهج المقابل لذلك الفساد كله هو الإسلام .

وليس الإسلام – كما قلنا دائما – كلمة تنطق باللسان فحسب ، وليس وجدانا مستسرا في الضمير فحسب . بل هو منهج حياة كامل ، يشمل كل جوانب الحياة العقدية والأخلاقية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والقولية والعملية ، ويضبط كل ذلك بالضوابط الربانية ، فيقوم الناس بالقسط ..

الإسلام هو المنهج الذي يصلح الفساد الذي أنشأه البعد عن الله ..

هو الدين الذي يغذي جوعة الروح . فللروح جوعة لا تستقر إلا بالإيمان بالله :

(فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) (3)

ويبارك نشاط الجسد ونشاط العقل ما داما منضبطين بالضوابط الربانية .

ويوازن بين مطالب الجسد ومطالب الروح . ومطالب الدنيا ومطالب الآخرة .

الدين الذي يحث على " العلم " وعلى عمارة الأرض ، ويجعل ذلك جزءا من عبادة الله ..

الدين الذي يمحو فوارق الجنس وفوارق اللغة وفوارق اللون ، ويتعامل مع الإنسان من حيث هو إنسان .

الدين الذي يكرّم الإنسان ، ويضعه في أحسن حالاته حين يعبد الله وحده فيتحرر من عبادة كل الآلهة المدعاة .

الدين الذي ينشر العدل في الأرض لأنه يحرم الظلم ويأباه ، ويحض المؤمنين على الجهاد لإزالة الظلم من الأرض وإقامة القسط بصرف النظر عن اختلاف الجنس أو اللغة أو اللون .. أو الدين ..

يكفي أن نقول : هو المنهج الرباني ، وما عداه هو المناهج الجاهلية .

* * *

ولكن المنهج الرباني لا يعمل وحده .. إنما يعمل من خلال البشر الذين يؤمنون به كما أن البشرية لن تتعلمه ، ولن تحبه وتؤمن به بمجرد أن تقول لها : هذا هو المنهج الرباني ، وهو خير من مناهج الجاهلية !

إنما تؤمن به وتحبه حين تراه مطبقا في واقع يشهده الناس بالفعل ، ويرون ما فيه من " اعتدالات " واستقامت في مقابل انحرافات الجاهلية واعوجاجاتها ..

فمن يقوم بذلك اليوم .. فينقذ نفسه ، وينقذ البشرية ؟ !

من إلا المسلمون ؟

والمسلمون كما قلنا بدءوا يعودون إلى دينهم الذي كادت تنقطع صلتهم به تحت ضغط الغزو الصليبي والغزو الفكري ..

ولكن المشوار ما زال طويلا أمامهم لكي يحققوا الصورة الحقيقية للإسلام .. بمقدار البعد الذي كانوا قد بعدوه عن حقيقة الإسلام .

---

(1) سورة الفرقان [43] .

(2) سورة العلق [6 – 7] .

(3) سورة الروم [30] .

ولن يتوقع أحد – و لا يحدث أبدا – أن تكون الأمة كلها ، بكل فرد فيها على المستوى المطلوب . فإن مجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم ذاته لم يكن كله على

المستوى ولم يكن كله أبا بكر وعمر رضي الله عنهما .. ولكن كانت فيه مع ذلك قاعدة صلبة من المؤمنين ذوي المستوى الرفيع الفائق ، هم الذين ربَّوا الأمة عن طريق القدوة ، وهم الذين قام عليهم البناء .

وهذه القاعدة هي المطلب العاجل للدعوة ، ولا نستطيع أن نقول بعد إنها تكونت على المنهج المطلوب .

ولننظر في بعض الصفات التي استحقت بها القاعدة الأولى النصر من عند الله ، كما وردت في سورة الأنفال :

(وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ...) (1)

فتلك صفات أربع ، تحققت في القاعدة التي بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحقت بها النصر من عند الله : الإيمان ، وناهيك بذلك الإيمان الفذ . وتآلف القلوب . والتجرد لله . والاستعداد لخوض القتال حين تدعو الدواعي إليه ..

فإلى أي حد حققنا تلك الصفات في العمل الإسلامي ، فضلا عن صفات أخرى وردت في سور أخرى من كتاب الله (2) ، وكانت كلها من المؤهلات التي استحقت بها الجماعة الأولى النصر من عند الله ، والتمكين في الأرض حسب وعده تعالى :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) (3)

المشوار طويل .. ونحن لا نستبطئ المسيرة ، ولا نستعجل الوصول ، لأننا نعلم أن عقبات كثيرة تقف في الطريق .. وليس كيد الأعداء هو أكبر العقبات كما يجري على ألسنة كثير من الدعاة أنفسهم ، إنما الغربة التي حاقت بالإسلام هي العقبة الأولى والكبرى ، لأنها تحوجك أن تعرّف الناس بالإسلام من جديد ، كأنه بعد جديد ! وتحوجك أن تقنع الناس أن ما عليه أكثرهم – إلا من رحم ربك – ليس هو حقيقة الإسلام ، وأن ألوانا كثيرة من الشرك يقع الناس فيها وهم لا يشعرون ، سواء شرك

الاعتقاد أو شرك العبادة أو شرك الاتباع .. وما لم يقتنع الناس فلن يغيروا ما هم عليه ، ولن يغير الله لهم حتى يغيّروا ما بأنفسهم :

(إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (4)

فإذا أضفنا إلى ذلك كيد الأعداء بكل أنواعه ، سواء جهود العلمانيين في مقاومة التيار الإسلامي وتشويه صورته وتنفير الناس منه ، أو ملاحقة الحركات الإسلامية داخل العالم الإسلامي بالسجن والتشريد والتعذيب والقتل ، أو الكيد العالمي ، الصليبي الصهيوني الوثني ضد الإسلام والمسلمين ، فقد زادت الشقة بعدا وزادت المشقة على الدعاة ..

ومع ذلك كله فالمستقبل للإسلام ..

المستقبل للإسلام لأن هذه إرادة الله ، والله هو الذي يقرر ، وهو الذي يقدّر ، وهو الذي يقول للشيء كن فيكون :

(سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (5)

لقد غفا المسلمون قرنين أو ثلاثة .. واستغل الأعداء هذه الغفوة الطويلة فجاسوا خلال الديار ، ومزقوا العالم الإسلامي شر ممزق ، ودفعوه إلى التيه ، وإلى الضياع ..

ولو كان في قدر الله أن ينتهي الإسلام من الأرض فقد كانت الفرصة مواتية للأعداء ، وهم في أوج قوتهم ، والمسلمون في حضيض ضعفهم .

ولكن الله البرّ الرحيم لم يشأ ذلك ، وإنما بعث للناس من يجدد لهم أمر دينهم كما وعد سبحانه ، فكانت تلك الصحوة المباركة التي بدأت توقظ الناس .

وفي الوقت ذاته بدأ الغرب طريقه إلى الانهيار ، حسب السنة الربانية التي لا تتبدل ولا تتحول ..

بدأ ينهار لأن حضارته غير الإنسانية قد فقدت مبررات وجودها فضلا عن استمرارها .

---

(1) سورة الأنفال [62 – 65] .

(2) راجع بصفة السور الأربع الطوال : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة .

(3) سورة النور [55] .

(4) سورة الرعد [11] .

(5) سورة مريم [35] .

" الحضارة " التي ترتكب كل هذه الخسة الجماعية في البوسنة والهرسك دون أن يهتز ضميرها بخالجة من حياء .. الحضارة التي لا يتحرك ضميرها لردع أي معتد يعتدي على المسلمين ، بل تشجعه إما بالسكوت على جرائمه وإما بإمداده سرا وعلانية بالمال والسلاح ، في الوقت الذي يفور غضبها ويحتدم لا نقول إذا اعتدى المسلمون ، بل إذا تمكنوا من رد العدوان ! .. الحضارة التي تبيح الفاحشة حتى تصبح أصلا من أصول الحياة ، ثم تبيح الفاحشة الشاذة وتمنحها " الشرعية ! " .. ثم تسكت على زنا المحارم ، أقذر ما يمكن أن يرتكبه بشر .. الحضارة التي تبيح التهجم على كل المقدسات حتى ذات الله سبحانه ، فضلا عن رسله ورسالاته وكتبه ودينه بحجة " حرية الفكر " ! الحضارة التي تُعبِّد الإنسان لشهواته ، وتعبّده للمادة ، وتعبّده للآلة ، وترفض في الوقت ذاته أن تعبّده لإلهه ، بحجة " حرية العبادة ! " أو " حرية الضمير ! " .. الحضارة التي تجعل بياض البشرة " قيمة " من القيم ، في الوقت الذي لا تعتبر بياض القلوب والمشاعر أمراً له وزن في حياة الناس ..

هذه الحضارة لا تملك مؤهلات الوجود فضلا عن الاستمرار ، ولو ملكت كل أسلحة الدمار ، وكل أسلحة العلم ، وكل فنون التقدم المادي .. فكل هذه لا تعيش بغير القيم الربانية إلا ريثما يحين قدرها المقدر عند الله .

(وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً) (1)

نعم .. ولكن ..

هل الحركات الإسلامية القائمة في الأرض اليوم مؤهلة لأن تقوم برسالتها العظمى تجاه نفسها وتجاه البشرية ؟

هل تمكنت من تربية القاعدة المطلوبة على المستوى المطلوب ؟

هل تآلفت قلوبها واجتمعت كلمتها ؟

هل تجردت لله حتى نسيت ذاتها ؟

هل اكتسبت من البصيرة السياسية والحركية ما يمكنها من السير في الطريق الوعر الذي يحيط به الأعداء من كل جانب ، متربصين كالوحوش الكاسرة التي تنتظر الفريسة ؟

هل اتضحت لها أهدافها ، ورتبت أولوياتها ، وعرفت حدود طاقتها ، فتحركت في حدودها ؟

أم ما زال ينقصها الكثير حتى تصبح على المستوى المطلوب ؟

وإذا بقيت على فرقتها وشتاتها ونقصٍ في تربيتها وغبشٍ في رؤيتها .. إلا من رحم ربك .. فهل تصلح أن تكون هي البديل الذي ينقذ البشرية من جاهليتها المعاصرة ؟

لا نقول نعم ، ولا نقول لا .. فذلك غيب موكول إلى الله ..

إنما نتحدث هنا عن السنن الربانية ، وعن وعد الله ووعيده ، فهذه هي " الثوابت " التي تحكم " المتغيرات " .

نقول إن البشر لا يعجزون الله .. (إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) (2)

فأما الغرب – بكل قوته المادية – فلن يعجز الله ، لأن الله أكبر .. أكبر من كل كيدهم ، ومن كل قوتهم .

وأما المسلمون – بكل سلبياتهم – فلن يعجزوا الله ، لأن القدرة قدرته جل وعلا ، والقوة قوته ، والأسباب أسبابه ، وهو الذي قال سبحانه : (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) (3)

وهو الذي وعد على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بالجولة الممكّنة للإسلام بعد أن تقع المعركة الكبرى بين المسلمين وبين اليهود :

قال عليه الصلاة والسلام : " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله ! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ... " (4)

وإرهاصات المعركة على الأبواب ، ويجيء بعدها النصر والتمكين لدين الله .

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (5)

والذين يحاربون الله ورسوله خير لهم أن يكفوا عن هذه الحرب لو كانوا عقلاء ، فهي حرب خاسرة في النهاية مهما كسبت من جولات في مبدأ الأمر ، فإنما يملي الله لهم ليزدادوا إثما ، وليمحص الله الذين آمنوا :

(وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) (6)

(وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) (7)

ولقد مر وقت على هذه الأمة كان الإسلاميون فيه يَسْبَحُون ضد التيار ، لأن تيار الغزو الفكري كان هو الكاسح الذي يجرف الناس أمامه بعد أن أصبحوا غثاء كغثاء السيل ..

---

(1) سورة الكهف [59] .

(2) سورة الطلاق [3] .

(3) سورة محمد [38] .

(4) أخرجه مسلم .

(5) سورة الصف [9] .

(6) سورة آل عمران [118] .

(7) سورة آل عمران [141] .

واليوم يحس العلمانيون أنهم هم الذين يسبحون ضد التيار ! وأن التيار الجارف ، تيار الشباب ، متجه إلى الإسلام .. فيحاولون بكل جهدهم أن يغيروا الاتجاه ، ليعيدوه إلى الوضع الذي نشئوا وتربوا فيه ، وركّبوا في مصانع الغزو الصليبي ليستريحوا إليه ويجدوا أنفسهم فيه .. (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً) (1)

==================

العلمانيون وثورة الزنج

بقلم الاستاذ ؛ هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

تقدمة:

كان لطه حسين السبق في إبراز أحداث النشاز في التاريخ الإسلامي ؛ ففي سنة 1946 نشر مقالة في مجلة (الكاتب المصري) (2) بعنوان (ثورتان) حث فيها طه حسين الأدباء والمثقفين العرب على استلهام ثورة الزنج كما استلهم الأوربيون ثورة (سبارتكوز) بغية الوصول إلى العدالة المنشودة على حد زعمه ومن ثم فقد فتح طه حسين شهية العلمانيين وخاصة الماركسيين والشيوعيين ومن يسمون أنفسهم اليسار الإسلامي!، وأرباب المدرسة الإعتزالية للنيل من الإسلام بحجة البحث والإبداع وإيصال الماضي بالحاضر!

وفي منتصف الخمسينات نشر فيصل السامر شيوعي عراقي كتابه (ثورة الزنج) وفي سنة 1961 نشر اللبناني اليساري أحمد علبي كتابه (ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد) .. ثم ألف د. محمد عمارة كتابه (مسلمون ثوار).. كتب فصلاً مطولاً عن صاحب الزنج وتعاطف معه وحسن صورته وبيض فتنته عكس من سبقه من الكتاب!!

فمثلاً: الكاتب أحمد علبي ذكر أن لصاحب الزنج وثورته سلبيات.. أما الدكتور عمارة فلم يثبت هذه السلبيات أقصد الجرائم التي ارتكبها صاحب الزنج في حق الإسلام ثم توالت الكتابات حيث نشر معين بسيسو مسرحيته الشعرية (ثورة الزنج) .. وكتب نور الدين فارس مسرحيته الشعرية (لتنهضوا أيها العبيد) .. ثم عاود أحمد علبي الكتابة عن صاحب الزنج فنشر سنة 1985 كتابه (ثوار وعبيد) .. وفي سنة 1995 صدر كتاب (شخصيات غير قلقة في الإسلام) لهادي العلوي وخصّ صاحب الزنج بفصل كامل وسار على درب من سبقه من يساريين وعلمانيين!!

وبعد.. فكل هذه المؤلفات تدندن حول التمجيد والإشادة بثورة علي بن محمد صاحب الزنج، والإنتصار له حيث كان في نظرهم كان ضحية لمؤامرة تاريخية كبرى!!

أما الكتاب الإسلاميون فلا تكاد تجد كتابة حيثة عن صاحب الزنج وفتنته تعالج هذه القضية من منظور إسلامي بحت؛ لا من وجهة نظر ماركسية أو علمانية أو قومية.. وقد يرجع ذلك إلى أن كتب التاريخ الإسلامي المعتمدة قد حسمت هذه القضية التاريخية بما فيه الكفاية.. بل إن علماء الإسلام على اختلاف مذاهبهم

ومشاربهم قد اتفقوا على تضليل وتفسيق هذه الفتنة التي يطلق عليها العلمانيون (ثورة الزنج)!! ولكن لما دعت الحاجة إلى دحض شبهات المبطلين الطاعنين في الإسلام وعقيدته تحت ستار الدفاع عن صاحب الزنج والتعاطف معه .. قمنا بكتابة هذه المقالة مساهمة منا في وضع لبنة لبناء جبهة تاريخية ترد على شبه المرجفين.. ودعوة الغيورين على تاريخ الإسلام أن يساهموا في الذب عن تاريخ أمتنا التليد حتى يستبين الحق من الباطل.. ويظهر الغث من السمين..

بعد هذه التقدمة أشرع في النقاط التالية:

أولاً : أقوال بعض العلماننيين ومن على شاكلتهم في صاحب الزنج :

يقول أحمد علبي: "أما الدافع الذي حملنا على انتقاء ثورة الزنج بالذات؛ فهو أن هذه الثورة تلقي نوراً كاشفاً على طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية خلال القرن الثالث الهجري في الدولة العباسية؛ بالإضافة إلى أنها حلقة لاهبة من الثورات التي اجتاحت بلدان الخلافة في كل قطر من أقطارها، بحيث إن دراستها بعث لتراثنا الثوري، واحياء فكري لنضال العبيد الزنج في سبيل الخبز والحرية" (3).

ويتساءل علبي: "ولكن هل يعتقد القارئ أن الثورة انتهت إلى لا شئ؟ إن كل ثورة مهما أصابت من النجاح الضئيل أو الفشل الذريع، هي وقود لثورة قادمة ومعركة تحريرية تالية.. فالثورة المخفقة تنجح في تبيان أخطاء اخفاقها.. وتقود إلى ثورة أمضى.. وثورة الزنج كانت، على الأرجح، مهمازاً لثورة القرامطة وغيرها من الثورات التي شملت العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري" (4).

---

(1) سورة النساء [66] .

(2) الكاتب المصري مايو 1946 ص537 ، ص553 .. ونشر تلك المقالة في كتاب: ألوان لطه حسين /دار المعارف/ مصر /ص164 ، ص187.

(3) أحمد علبي: ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد /دار الفرابي بيروت/ط جديدة 1991/ص10.

(4) أحمد علبي: المرجع السابق/ص170 : ص171.

ويقول أدونيس: "يتضح مما تقدم أن ثورة الزنج هي من جهة؛ ثورة عبيد على أسياد، وأنها من جهة ثانية؛ وعد بحياة كريمة يملكون فيها ملك أسيادهم، وأنها من جهة ثالثة؛ ذات قيادة من طبيعة نبوية فهة لم يخرج لعرض من أعراض الدنيا كما أعلن وإنما خرج (غضباً لله)، ولما رأى عليه الناس من فساد في الدين... وقد استمرت حركة الزنج أربع عشرة سنة، بين سنة 255هـ وسنة 270 هـ السنة التي قتل فيها علي بن محمد، وكانت في أساسها ثورة فقراء مسحوقين على أسياد طغاة ظالمين" (1).

ويقول هادي العلوي: "مهما يكن فصاحب الزنج عربي لا زنجي وقيادته لحركة الزنج تندرج في ظاهرة ملحوظة في تاريخ الحركات الاجتماعية وهي أن المسحوقين غالباً ما يقود ثوراتهم وانتفاضاتهم ناس من خارجهم. ويرجع ذلك إلى عدم توافر الفرص لظهور القيادات بين المسحوقين وتوفرها للفئات والطبقات المالكة للثروة والمصدرة في المجتمع والتي تنعم بإمكانات تأهيل وتوعية تساعد على تشكيل الكفاءات في مناحي الحياة المختلفة" (2).

أما د. محمد عمارة فيقول: "عندما أكتب اليوم عن ثورة الزنج، وقائدها علي بن محمد (270هـ/883م) فإنني أحقق بذلك أمنية تمنيتها منذ ما يزيد على ربع قرن من الزمان. فلقد قرأت يومها صفحات كتبها المرحوم الدكتور طه حسين (1889م – 1973م) عن هذه الثورة، قارن بينها وبين ثورة سبارتكوس (73Spartacus -71 ق.م) لتحرير العبيد من مظالم الدولة الرومانية واستعبادها وتمنى في بحثه ذاك أن تحظى ثورة الزنج بما حظيت به ثورة سبارتكوس، في حقل الأدب والفن عندما استلهمهما عدد من عمالقة هذا الميدان في حضارة الغرب، فقدموا لشعوبهم تراثهم القديم في الثوب الذي يعين هذه الشعوب على تحقيق المزيد من الحرية والتقدم لحاضرها الذي تعيشه ولمستقبلها المأمول. فمنذ ذلك اليوم تمنيت أن أكتب عن ثورة الزنج هذه. وكبرت الأمنية ونمت مع السنوات، وخاصة بعد أن أصبح التراث العربي الإسلامي، وصفحاته المشرقة بالثورة، وبأحلام العدل الإجتماعي، وبإعلاء سلطان العقل كي يطارد الخرافة، هي الميدان الذي وقع عليه أغلب الجهد الذي قدمته وأقدمه في التأليف والتحقيق" (3).

ويقول د. عمارة في موضع آخر: "نعم انتهت ثورة الزنج وطافت الدولة العباسية برأس الثائر الشاعر العالم علي بن محمد في المدن والأمصار والآفاق، ولكن حلم الإنسان العربي المسلم بالعدل لم ينته بنهاية هذه الثورة" (4).

أقول: مما لا شك فيه أن د. محمد عمارة له جهد واضح في الرد على العلمانيين وخاصة في مناظرته لفرج فودة في معرض الكتاب الذي عقد بالقاهرة عام 1992 وكذلك كتابه في الرد على العلمانيين ودحض شبهاتهم، ومناظرته لنصر حامد أبي زيد التي عرضتها قناة الجزيرة الفضائية. وهذا كله جهد يعلمه المتتبع لكتابات د. عمارة ومقالاته في جريدة الشعب المعارضة بمصر.. لكن الحقيقة التي لم ينكرها د. عمارة أنه يسير في أفكاره على منظومة المعتزلة في تقديم العقل على النقل، واهدار سلطة النص القرآني والإستشهاد به وأحاديث الآحاد وحتى المتواترة على سبيل الإستئناس الذي يعضد ويوافق فكرته العقلية.. فالدكتور محمد عمارة رغم أنه ليس علمانياً بالمعنى الاصطلاحي إلا أنه ينطلق من نفس منطلقات العلمانيين في تقديم العقل على النقل.. حيث يعتبر الدكتور عمارة أن العصر الذهبي للحضارة الإسلامية كان في عصر المأمون والمعتصم والواثق: "ولقد كان هؤلاء الخلفاء الثلاثة من أنصار التيار العقلاني في الفكر الإسلامي، إذ كانوا على مذهب المعتزلة؛ أهل العدل والتوحيد.. وفي ظل حكمهم استخدم التيار العقلاني جهاز الدولة في إشاعة مفاهيمه، وتدعيم القسمات التي تميزت بها حضارتنا في عصرها الذهبي" (5).

هكذا اختزل عمارة التاريخ الإسلامي في هؤلاء الخلفاء الثلاثة ناسياً من سبقهم من خلافة راشدة وأمويين أجداد هؤلاء الخلفاء حتى هارون الرشيد خرج من العصر الذهبي طبقاً لتحديد الدكتور عمارة!! أما عصر الإنحطاط والتخلف فيأتي من بعد هؤلاء الثلاثة!! فيتهم د. عمارة الخليفة المتوكل بالتخلف والجمود لأنه نصر أهل السنة وقضى على فتنة خلق القرآن: "وهكذا تحولت الإدارة التي أرادها المعتصم حصناً للحضارة العقلانية، ضد (العامة)، تحولت إلى حصن للفكر المتخلف، انطلقت منه (العامة) وفقهاؤها ليصيبوا ذلك المد الحضاري العقلاني، بالتوقف، فالجمود، فالتخلف، فالتراجع، وذلك بمجرد استيلاء الخليفة المتوكل (232 هـ – 247

هـ) على السلطة بعد موت الخليفة الواثق! .. ولقد رضيت العامة وفقهاؤها من النصوصيين، لقصر نظرها، عن هذا الإنقلاب" (6).

---

(1) أدونيس: الثابت والمتحول/دار الساقي لندن/ص67.

(2) هادي العلوي: شخصيات غير قلقة في الإسلام /دار الكنوز الأدبية/ط أولى 1995/بيروت/ص214 ، ص215.

(3) محمد عمارة (الدكتور): مسلمون ثوار /دار الشروق/القاهرة ط ثالثة 1988/ص197.

(4) محمد عمارة: المرجع السابق /ص235.

(5) محمد عمارة: المرجع السابق /ص201.

(6) محمد عمارة: المرجع السابق/ ص203 ، ص204.

أقول: هكذا يصب د. عمارة في نفس قناة العلمانيين!! ففي نظره أن الخليفة المتوكل استولى على السلطة رغم علمه أن الحقيقة غير ذلك وأنه بويع بيعة صحيحة.. ولا ندري لماذا سكت عن كيفية وصول الخلفاء الثلاثة: المأمون، المعتصم، الواثق.. إلى الحكم!! ولماذا لم يتكلم عن الملك الوراثي وهل يوافق على ذلك؟! ألأنهم انتصروا لمذهب المعتزلة وسلموا عقولهم لابن أبي دؤاد الذي أثار هذه الفتن.. يغض الطرف عنهم؟!!

والعجيب أن عمارة يشيد بالخليفة المعتصم في قضايا الفكر والحضارة رغم علمه أن الخليفة المتوكل يعتبر من الخلفاء الأدباء فقد كان يمتحن الفقهاء والشعراء ويناقشهم في مسائل شرعية ولغوية عويصة .. عكس الخليفة المعتصم الذي كان مشغولاً دائماً بالجهاد في سبيل الله ولم يكن يعبأ كثيراً بمذهب الإعتزال لولا وسوسة ابن أبي دؤاد له!!

ولكن لماذا تحامل د. عمارة على الخليفة المتوكل وفقهاء الأمة في ذلك الزمان وهم الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه والبخاري ومسلم وأبوزرعة الرازي وأصحاب السنن وغيرهم من العلماء الذين نتشرف بذكر أسمائهم والإنتساب لهم بل إن جل أحاديث الأحكام والعقيدة مأخوذة عنهم ومنهم.. لماذا تحامل عمارة على هؤلاء جميعاً؟!

ألأنهم دافعوا عن منهج السلف الصالح وقدموا النص على العقل.. أم لأنهم دحضوا شبهات المعتزلة وأصولهم الخمسة: التوحيد، العدل، الوعد، الوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... أعتقد أن الأمر صار جلياً!!

عود إلى ثورة الزنج:

ثانياً: مؤامرة تاريخية كبرى على صاحب الزنج!!

لقد تحامل العلمانيون ومن على طريقتهم على علماء الإسلام وخاصة شيخ المؤرخين أبا جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310 هـ) .. لماذا؟ لأن ابن جرير عمدة الرواة وأهل الأخبار في سرد فتنة صاحب الزنج! العجيب أن الطبري في مواطن أخرى لدى هؤلاء اللادينيين: عالم مؤرخ ثقة لم يكن ممالئاً للسلطة!! أما إذا جاء بما لم يوافق هواهم فابن جرير بوق لمؤسسة اعلامية تابعة للسلطة!! فهو يتكلم باسمها.. هناك مؤامرة تاريخية من أصحاب المذهب التقليدي النصوصي!! وأصاب الطبري سهام التجريح والطعن والتفسير التآمري للتاريخ!! لأنه نطق بالحق!! مع العلم أن الطبري ولد سنة 224 هـ وتوفي سنة هـ310 وفتنة الزنج اندلعت سنة 255 هـ واستمرت حتى قضي عليها بمقتل صحاب الفتنة سنة 270هـ. معنى ذلك أن الطبري عاصر هذه الحركة منذ بداية دعوتها بالتحديد سنة 249هـ أي قبل اعلان الحركة عن نفسها وقبل تأسيس عاصمة الزنج (المختارة) مروراً بسنة 255هـ حتى زوال فتنة الزنج سنة 270هـ. فابن جرير لقربه من مسرح الأحداث كان شاهد عيان، وكان يدونها بما يشبه عمل الصحف اليوم لدرجة أنه أفرد لهذه الفتنة أكثر من مائتي صفحة في كتابه الضخم (تاريخ الأمم والملوك) إذن ابن جرير شاهد على عصره وناقل أمين لفتنة الزنج التي كادت أن تقوض دعائم أرض الخلافة التي صارت مرتعاً لكل طامع.. ورغم هذه الحقيقة عن الطبري إلا أنهم أبوا إلا الطعن فيه ليسهل الطعن في كل علماء التاريخ الذين أخذوا عن الطبري، ومن ثم يتحقق لهؤلاء المبطلين مآربهم للنيل من الإسلام ومنهجه!!

فهذا هادي العلوي يسير على منهج المستشرق الفرنسي ماسنيون ويردد نفس مقولته عن الطبري: "وكان الطبري مقاطعاً للسلطة على طريقة فقهاء القرن الأول وكان يتمتع بقسط من حرية الرأي الإجتهاد مع الإتجاه إلى مطالعة كتب الفلسفة في السر

لكن معالجته لثورة الزنج بدت كما لو أنها من فعل مؤسسة اعلامية وجهت لدعم حرب العباسيين ضد قائدها الذي يرجع تلقيبه بالخبيث إلى الطبري نفسه" (1).

ويقول هادي العلوي في موضع آخر: "وقف المجتمع الإسلامي بأسره ضد صاحب الزنج فسحب منه هويته كما منحه لقب (الخبيث) الذي صار علماً عليه في مصادر التاريخ بدءاً من الطبري... ولم يدافع عن الثورة أحد من الفرق والشخصيات الثقافية أو الاجتماعية" (2).

أما د. محمد عمارة فيقول متعجباً: "فالطبري يقدم أهم أخبارها، وأكثرها ينطلق في تأريخه لها من منطلق العداء، بل والعداء الشديد... فهو (الطبري) يطلق على قائدها: علي بن محمد، أوصافاً من مثل: (الخبيث)! و(اللعين)! و(الخائن)! و(الفاسق)! بل ويكتفي بصفة من هذه الصفات أو أكثر، عندما يريد الحديث عن صاحب الزنج، ولا يذكر اسمه إلا في القليل" (3).

---

(1) هادي علوي: شخصيات غير قلقة في الإسلام/ص224.

(2) هادي علوي: المرجع السابق/ص222.

(3) محمد عمارة: مسلمون ثوار/ص198، ص199.

ويستنكر أحمد علبي وصف الطبري لصاحب الزنج قائلاً: "ولهذا فإن مقتل صاحب الزنج بعد جهاد جهيد كان بمثابة (البشير) كما ورد لدى الطبري (ت 310هـ) الذي هو بمنزلة المؤرخ الرسمي لثورة الزنج: (جاء البشير بقتل الفاجر) إلى الموفق، ثم وفاه أحدهم يحمل كفاً يزعم أنها كف صاحب الزنج. ثم (أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض ومعه رأس الخبيث) وأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه).. ولا يدهشن قارئ بأمثال هذين النعتين لقائد ثورة الزنج: الفاجر، الخبيث.. فكل متمرد وإن كان الحق ملء برديه والعدالة سرباله وفيض يديه.. هو في نظر السلطة القائمة قمين بكل النعوت ابتداء من الخيانة حتى الفجور والإلحاد، لأن الإيمان يغدو هنا حكراً على السلطة أو أمير المؤمنين، أياً كانت سيرته" (1).

أقول: هكذا نخلص إلى استهجان العلمانيين وبعض الإعتزاليين ومن يسيرون على خطاهم وفي مقدمتهم المستشرق الفرنسي ماسنيون؛ من وصف الطبري لصاحب

الزنج بالخبيث أو اللعين أو الفاسق.. فإنهم جميعاً يتميزون غيظاً وحنقاً لهذه النعوت التي يكررها ابن جرير لصاحب الزنج.. وكأنهم يريدون من الطبري أن ينعت صاحب الزنج بما ليس فيه!! كان لزاماً على الطبري أن ينعت من يسفك دماء الأبرياء وينتهك المحارم والحرمات ويستبيح بيضة الإسلام ويروع الآمنين ويقتل الأطفال.. كان لزاماً عليه حسب مزاجهم أن ينعت هذا السفاح السفاك الخارج عن الخليفة الشرعي ؛ بالبطل المغوار والثائر المجاهد، والمؤمن التقي!! لقد كان الطبري مهذباً في نعته لصاحب الزنج.. فهؤلاء اللادينيون ينعتون الشباب الذين يقومون بواجبهم الشرعي ضد السلطات القائمة بأقبح النعوت وبألفاظ ما أنزل الله بها من سلطان!! من أمثال: (بلطجية) .. (مجرمون) .. (ارهابيون) .. (متطرفون).. إلخ .. فهؤلاء العلمانيون يكيلون بمكيالين، بل لا يحترمون عقولهم ولا عقول غيرهم!!

العلمانيون .. وابن الرومي:

لقد أغضب الشاعر أبو الحسن بن علي بن العباس بن جريج الشهير بابن الرومي (ت284هـ) تيار اليسار الإسلامي وأصحاب العلمنة الغربية وغيرهم.. لماذا؟! لأن ابن الرومي رثا مدينة البصرة وبكاها في شعره بعدما خربها صاحب الزنج، وكانوا ينظرون إليه على أنه شاعر ساخط على الخلافة العباسية لأنه ليس عربياً خالصاً!! ولسيت هذه الدراسة لتقويم ابن الرومي أو الدفاع عنه، فابن الرومي له تصرفات شخصية لكن لا تصل إلى ما كان يتمناه العلمانيون .. فكما يصف لنا ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ) : "كان ابن الرومي كثير الطيرة؛ ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً بسوء ما يراه أو ما يسمعه، حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقده فأعلم بحاله في الطيرة، فبعث إليه خادماً اسمه اقبال ليتفاءل به، فلما أخذ أهبته للركوب قال للخادم: انصرف إلى مولاك فأنت ناقص! ومنكوس: اسمك لا بقا.." (2).

لعل تشاؤم ابن الرومي وسخطه كان مفتاح شخصيته: لكن العلمانيين أساءهم صنيع ابن الرومي وهو يهجو صاحب الزنج لتسميه بلقب إمام:

وتسمَّى بغير حقٍ إماماً ...... لا هدى اللهُ سعيَه من إمام

ولم يعجبهم وصف ابن الرومي دخول الزنج البصرة:

دخلوها كأنهم قطع الليـ ...... ـل، إذا راح مُدلهمّ الظلام

ولم يعجبهم وصفه لأفاعيل وجرائم الزنج في أهل البصرة:

كم أب قد رأى عزيزَ بنيه...... وهو يعلو بصارم صمصام

كم رضيع هناك قد فطموه... بشبا السيف قبل حين الفطام

ولم يعجبهم وصف ابن الرومي لأطلال البصرة وما حل بها من خراب:

وخلت من حلولها فهي قفرٌ ...... لا ترى العين بين تلك الأكام

غير أيدٍ وأرجلٍ لأناس بائنات ... ... نبذت بينهنّ أفلاقُ هام

ووجوه قد رملتها دماء ...... بأبي تلكم الوجوهُ الدوامي

وطئت بالهوان والذل قسراً ...... بعد طول التبجيل والإعظام

فتراها تسفي الرياح عليها ...... جاريات بهبوةٍ وقتام

خاشعاتٍ كأنها باكياتٌ ...... باديات الثغور، لا ، لابتسام

ولم يعجبهم حض ابن الرومي فقهاء المسلمين على الجهاد:

كم خذلنا من ناسك ذي اجتهادٍ ... ... وفقيه في دينه علام

ولم يعجبهم أيضاً في نهاية القصيدة حث ابن الرومي المسلمين على الأخذ بالثأر وتحرير السبايا ووصفه لصاحب الزنج باللعين:

إن قعدتم عن اللعين فأنتم ...... شركاءُ اللعين في الآثام

ويهاجم هادي العلوي ابن الرومي بقوله: "وتكشف قصيدة ابن الرومي عن نقطة التقاء قاطعة بين الطرفين وبين ابن الرومي مؤيد للعلويين، مناوئ للعباسيين ولم يكن يحب تلك الدولة التي عاش في ظلها ينظر بعين الحسد إلى الشرطة إنه لم يجد في عصيان الزنج ما يلأم جروحه، بل بالعكس فقد نكأها بما أيقظه في روحه من عرقية بيضاء يعززها نسب يوناني صريح ومن حس السيادة لدى مالك العبيد، وهكذا وجد نفسه في صف مجوعيه العباسيين يبكي على جمال البصرة الذي دنسه التنين الأسود" (3).

---

(1) أحمد علبي: ثورة العبيد في الإسلام /دار الآداب بيروت/ ط1985/ص16.

(2) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده/تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد/الرشاد الحديثة/ الدار البيضاء/ص69.
(3) هادي علوي: شخصيات غير قلقة في الإسلام/ص224.

انظر إلى هذا التحليل! فقصيدة ابن الرومي حوالي 83 بيتاً لم نجد فيها البكاء على الخبز والجوع!! بل على العكس فكلها حض على الجهاد ورثاء لما حلّ بحريم المسلمين وما ارتكبه الزنج من مجازر بحق الشيوخ والأطفال والنساء وما آلت إليه حال تلك المدينة التي كانت آمنة من قبل أن يخربها الزنج.. هكذا يفسر العلمانيون حوادث التاريخ من خلال منظور مادي بحت! وكأن ابن الرومي لم يكن مسلماً أباً عن جد!! فقد جردوا الرجل حتى من مشاعره وعقيدته الإسلامية التي حركته ليحض المسلمين وفقهاءهم لنجدة السبايا والإنتصار لدين الله.. بالطبع لم يكن الطعن موجهاً لابن الرومي فقط فكل الشعراء الذين عاصروا هذه الفتنة مثل ابن الرومي، ويحيى بن محمد الأسلمي، ويحيى بن خالد بن مروان وغيرهم قد أصابهم سهام التجريح بتهمة التآمر مع السلطة.. فنجد أحمد علبي يقول: " ولا ننتظر أن ينهض بين الشعراء المتكسبين المرتزقة من يقف في صف صاحب الزنج، ويعاضد ثورته، فالشعر العربي كان في معظمه وقفاً على فئة ارستقراطية حاكمة أو نافذة فعكس مأربها ونظم حياتها الزاهية وظل يدور في دائرة مترفة ولم يتعدّ عتبة القصور إلا لمما، وابن الرومي الذي رثا يحيى بن عمر العلوي أجمل رثاء هذا الشاعر نفسه نظر إلى ثورة الزنج وصاحب الزنج نظرة تقليدية فقال:

أيّ نومٍ من بعد ما انتهك ...... الزنج جهراً محارم الإسلام" (1).

أقوال بعض علماء الإسلام في صاحب الزنج وفتنته :

1) أبوجعفر بن جرير الطبري:

قال في أحداث 255هـ :"وللنصف من شوال في هذه السنة ظهر في فرات البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وجمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ ثم عبر دجلة فنزل الديناري" (2).

ويقول الطبري مكذباً ادعاء صاحب الزنج بأنه علوي النسب فيصحح نسبه: "وكان اسمه فيما ذكر: علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه عبد القيس وأمه قرّة بنت علي بن رجب بن محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة من ساكني قرية من قرى الري يقال لها (ورزنين) بها مولده ومنشؤه" (3) .. "ثم إنه (صاحب الزنج) شخص فيما ذكر من سامراء سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين فادعى بها أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، ودعا الناس ب (هجر) مدينة كانت تابعة للبحرين إلى طاعته واتبعه جماعة كثيرة من أهلها .. فانتقل إلى الأحساء وضوى إلى حي من بني تميم ثم من بني سعد يقال لهم بنو الشماس.. فكان بيهم مقامه.. وقد كان أهل البحرين أحلوه من أنفسهم محل النبي... وقاتلوا أسباب السلطان بسببه ووتر منهم جماعة كثيرة فتنكروا له، فتحول عنهم إلى البادية" (4).

وكان صاحب الزنج يتلون ويغير اسمه حسب القبيلة التي ينزل فيها.. يقول الطبري: "وذكر أنه عند مسيره إلى البادية أوهم أهلها أنه يحيى بن عمر أبا الحسين المقتول بناحية الكوفة، فانخدع بذلك قوم منهم، حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة، فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يقال له الردم، فكانت بينهم وقعة عظيمة، كانت الدائرة عليه وعلى أصحابه قتلوا فيها قتلاً ذريعاً.. فنفرت منه العرب وكرهته وتجنبت صحبته. فلما تفرقت عنه العرب ونبت به البادية شخص عنها إلى البصرة فنزل بها في بني ضبيعة فاتبعه بها جماعة منهم علي بن أبان المعروف بالمهلبي.. وكان قدومه البصرة سنة أربع وخمسين مائتين ومحمد بن رجاء الحضاري عامل السلطان بها، ووافق ذلك فتنة أهل البصرة بالبلالية والسعدية فطمع في أحد الفريقين أن يميل إليه، فأمر أربعة نفر من أصحابه فخرجوا بمسجد عبّاد.. وهم الذين كانوا صاحبوه بالبحرين فدعوا إليه فلم يجبهم من أهل البلد أحد، وثاب إليهم جند السلطان فتفرقوا ولم يظفر بأحد منهم.. فخرج من البصرة هارباً ..فسار إلى مدينة السلام (بغداد) فأقام فيها حولاً وانتسب فيها إلى أحمد بن عيسى بن زيد، وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه آيات وعرف ما في ضمائر أصحابه، وما يفعله كل واحد منهم؛ وأنه سأل

ربه آية أن يعلم حقيقة أمره فرأى كتاباً يُكتب له وهو ينظر إليه على حائط، ولا يرى شيئاً" (5).

ويسترسل الطبري في حديثه: "وذكر بعض تُبَّاعه أنه بمقامه بمدينة السلام استمال جماعة منهم جعفر بن محمد الصوحاني، ومحمد بن القاسم، وغلاما يحيى بن عبد الرحيم بن خاقان: (مشرقاً ورفيقاً) فسمى مشرقاً حمزة وكناه أبا أحمد وسمى رفيقاً جعفر وكناه أبا الفضل.. ثم لم يزل عامه بمدينة السلام حتى عُزل محمد بن رجاء عن البصرة، فخرج منها، فوثب رؤساء الفتنة من البلالية والسعدية ففتحوا المحابس، وأطلقوا من كان فيها؛ فتخلصوا فيمن تخلص.. فلما بلغه خلاص أهله شخص إلى البصرة فكان رجوعه إليها في شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين" (6).

---

(1) أحمد علبي: ثورة الزنج /ص134.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك/ /تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/دار المعارف القاهرة/ط4/ج9/ص410.

(3) الطبري: المرجع السابق/ج9/ص410.

(4) الطبري: المرجع السابق/ج9/ص410.

(5) المرجع السابق /ج9/ص411 ، ص412.

(6) المرجع السابق/ج9/ص412.

أقول: نلاحظ أن صاحب الزنج كل هذه الفترة لم ينضم إليه أي زنجي، فعلى مدار سبع سنوات كان يدعو العرب فقط وكان كل قواده من الأعراب أو بالأحرى كان جل أتباعه من اللصوص وقطاع الطرق والهاربين من السجون والمطاريد!! ثم متى وكيف ضم إليه الزنج وهم جماعة من العبيد من السودان ومن بلاد الحبشة كانوا يشتغلون في استصلاح الأراضي الزراعية والبصرة وضواحيها؟!

ذكر ابن جرير أن أول من انضم إليه من العبيد غلام اسمه ريحان بن صالح: "وفي سنة 255هـ اتخذ صاحب الزنج لواء مكتوباً عليه بحمرة وخضرة الآية 111 من سورة براءة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله) وكتب اسمه واسم أبيه على هذا اللواء وعلقه في خشبة وأخذ يعد العبيد

ويحرضهم على عصيان مواليهم بل أمر هؤلاء الغلمان بضرب مواليهم يقول الطبري في ذلك: "فأمر غلمانهم فأحضروا شطبة (سعف أخضر من جريد النخل) ثم بطح كل قوم مواليهم ووكيلهم فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة" (1).

وهكذا انضم الزنج إلى دعوة هذا المتمرد الخبيث.. "فلما سار إلى القادسية والشيفيا (..) أمر غلمانه بانتهاك القريتين، فانتهب منهما مالاً عظيماً عينيياً وورقاً وجوهراً وأواني ذهب وفضة وسبى منهما يومئذ أربعة عشر غلاماً ونسوة وذلك أول سَبي سُبي" (2).

وفي أحداث 257 هـ يقول الطبري: ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام وفيها دخل أصحاب الخبيث البصرة فلما كان في شوال من هذه السنة أجمع الخبيث على جمع أصحابه للهجوم على أهل البصرة والجد في خرابها، وذلك لعلمه بضعف أهلها وتفرقهم، واضرار الحصار بهم، وخراب ما حولها من القرى" (3).

ادعاؤه أنه كان يوحى إليه:

"فذكر عن محمد بن سهل أنه قال سمعته يقول اجتهدت في الدعاء على أهل البصرة وابتهلت إلى الله في تعجيل خرابها فخوطبت فقيل لي إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها؛ فإذا انكسر الرغيف خربت البصرة" (4).

غدر صاحب الزنج بأهل البصرة:

"ولم يكن في وجهه أحد يدافعه، ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلبي، فاستأمنه لأهل البصرة فأمنهم، ونادى مناد إبراهيم بن يحيى: من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم، فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملأوا الرحاب. فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة في ذلك منهم، وأمر أصحابه بقتلهم، فقتل كل من شهد ذلك المشهد إلا الشاذ" (5).

الإعتداء على قوافل الحجاج:

يقول الطبري في أحداث 266هـ : "وفيها وثب الأعراب على كسوة الكعبة، فانتهبوها، وصار بعضها إلى صاحب الزنج، وأصاب الحاج فيها شدة" (6).

وفي أحداث 269هـ : "قطع الأعراب على قافلة من الحجاج بين تور وسميراء، فاستلبوهم واستاقوا نحواً من خمسة آلاف بعير بأحمالها وأناساً كثيرين" (7).

وفي أحداث 267هـ : "دخل صاحب الزنج رامهرمز فاستباحها" .. وفي أحداث 264هـ : "دخل الخبيث واسط واستباحها وخربها" .. وفي أحداث 267هـ يقول الطبري: "وظفر أبو العباس برئيسهم ثابت بن أبي دلف، فمنّ عليه واستبقاه، وضمه إلى بعض قواده ... واستنقذ يومئذ من النساء اللواتي كنّ في أيدي الزنج خلق كثير، فأمر أبو العباس بإطلاقهن وردهنّ إلى أهلهنّ، وأخذ كل ما كان الزنج جمعوه" (8).

وفي أحداث 267هـ : "استنقذ أبو أحمد (الموفق) من نساء أهل واسط وصبيانهم ومما اتصل بذلك من القرى ونواحي الكوفة زهاء عشرة آلاف، فأمر أبو أحمد بحياطتهم وبالإنفاق عليهم، وحملوا إلى واسط ودُفعوا إلى أهليهم" (9).

اعذار وانذار من الموفق إلى صاحب الزنج:

ذكر ابن جرير في أحداث 267هـ : "ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك .. كان أول ما عمل به في أمر الخبييث أن كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ارتكب من سفك الدماء وانتهاك المحارم واخراب البلدان والأمصار، واستحلال الفروج والأموال، وانتحال ما لم يجعله الله له أهلاً من النبوة والرسالة، ويعلمه أن التوبة له مبسوطة، والأمان له موجود، فإن هو نزع عما هو عليه من الأمور التي يسخطها الله، ودخل في جماعة المسلمين، محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه، وكان له به الحظ الجزيل في دنياه.. وأنفذ ذلك مع رسوله إلى الخبيث، فألقاه الرسول إليهم، فأخذوه وأتوا به إلى الخبيث، فقرأه فلم يزده ما كان فيه من الوعظ إلا نفوراً واصراراً، ولم يجب عن الكتاب بشئ وأقام على اغترار، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبره بما فعل، وترك الخبيث الإجابة على الكتاب" (10).

---

(1) السابق/ج9/ص414.

(2) السابق/ج9/422.

(3) السابق/ج9/ص481.

(4) السابق/ج9/ص481.

(5) السابق/ج9/ص482.

(6) السابق/ج9/ص553.

(7) السابق/ج9/ص613.
(8) السابق/ج9/ص564.
(9) السابق/ج9/ص581.
(10) السابق/ج9/ص588.

أقول: قد يقول قائل إن صاحب الزنج خشي أن يغدر به الموفق... هذا التصور غير صحيح لأن صاحب الزنج يعلم جيداً أن الموفق شخصية دَيّنة هو أخو الخليفة كما أنه الآمر الناهي في أرض الخلافة ولم يثبت من سيرته أنه غدر بأحد من قبل بدليل أن كثيراً من قواد صاحب الزنج لما أرسل لهم دعوته للأمان والرجوع والإنابة رجعوا ولم يفتك بهم بل على العكس صاروا في مقدمة الصفوف يقاتلون صاحب الزنج وأتباعه الذين غدروا بأهل البصرة وواسط والأبلة وعبادان ورامهرمز كما علمنا آنفاً، ونسنزيد من ذلك في الفقرات التالية.

بيع الحرائر وكشف عوراتهن:

يقول الطبري في مرثية باكية تتفتت لها لأكباد في معرض حديثه عن أحداث 267هـ حول خبر مقتل أحد قواد الخبيث ويدعى صندل: "وكان فيما ذكروا يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورؤسهن ويقلبهن تقليب الإماء، فإن امتنعت منهن امرأة ضرب وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزنج ببيعها بأوكس الثمن" (1).

وفي أحداث 268هـ : "واستنقذوا جماعة من النساء اللواتي كان الخبيث استرقهن، ودخل غلمان الموفق سائر دور الخبيث ودور ابنه انكلاي، فأضرموها ناراً، وعظم سرور الناس بما هيأ الله لهم في هذا اليوم" (2).

وفي أحداث 269هـ : "واستنقذوا من النساء والأطفال ما لا يحصى عدده" (3) ، "وهرب الخبيث في ذلك اليوم ولم يوقف في ذلك على مواضع أمواله. واستنقذوا في هذا اليوم نسوة علويات كنّ محتسبات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها، فأمر الموفق بحملهنّ إلى عسكره وأحسن إليهنّ، ووصلهنّ" (4).

معاملة الموفق نساء وأولاد صاحب الزنج:

ذكر ابن جرير أن جند الموفق: "أخذوا حرمه وولده الذكور والإناث وكانوا أكثر من مائة بين امرأة وصبي، وتخلص الفاسق ومضى هارباً نحو دار المهلبي، لا يلوي

على أهل ولا مال، وأحرقت داره وما بقي فيها من متاع وأثاث وأتى الموفق بنساء الخبيث وأولاده فأمر بحملهم إلى الموفقية مدينة بناها الموفق أمام مدينة الخبيث والتوكيل بهم والإحسان إليهم" (5).

أقول: هكذا كانت أخلاق أبي أحمد الموفق وابنه أبي العباس الذي صار خليفة فيما بعد.. وكان هذا دأب الموفق في خروجه ضد الأعداء.. ففي أحداث 269هـ : "فأمر جماعة من غلمانه السودان وعرفهم بأن يقصدوا المواضع التي اعتادها الزنج وأن يستميلوهم ويستدعوا طاعتهم فمن أبى الدخول منهم في ذلك قتلوه وحملوا رأسه وجعل لهم جعلاً فحرصوا وواظبوا على الغدو والرواح فكانوا لا يخلون في يوم من الأيام من جماعة يجلبونهم ورؤوس يأتون بها وأسرى يأسرونهم" (6).

حكم الموفق في أسرى الزنج ورحمته بهم:

أعتقد أن العلمانيين يحسنون القراءة لكنهم لا يحسنون الفهم (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).

فهذا أنموذج لما كان يتعامل به الموفق وابنه مع أسرى الزنج ومن يأتيهم مستأمناً: ففي أحداث 269هـ ذكر الطبري: "ولما كثرت أسرى الزنج عند الموفق أمر باعتراضهم فمن كان منهم ذا قوة وجلد ونهوض بالسلاح منّ عليه وأحسن إليه وخالطه بغلمانه السودان وعرفهم مالهم عنده من البر والإحسان ومن كان منهم ضعيفاً لا حراك به أو شيخاً فانياً لا يطيق حمل السلاح أو مجروحاً قد أزمنته أمر أن يكسى ثوبين ويوصل بدراهم، ويزود ويحمل إلى عسكر الخبيث فيلقى هناك بعدما يؤمر بوصف ما عاين من إحسان الموفق إلى كل من يصير إليه وأن ذلك رأيه في جميع من يأتيه مستأمناً ويأسره منهم فتهيأ له من ذلك من استمالة أصحاب صاحب الزنج حتى استشعروا إلى ناحيته والدخول في سلمه وطاعته" (7)).

"وانطلق الموفق ومعه أبو العباس وسائر قواده وجميع جيشه قد غنموا أموال الفاسق واستنقذوا جمعاً من النساء اللواتي كان غلب عليهن من حرم المسلمين كثيراً" (8).

أقول: هكذا كان الموفق قائد هذه الحروب.. فمن الذي يستحق أن يتغنى بأمجاده؟! الموفق هذا الرجل القوي الرحيم الشفوق صاحب الدين والمروءة أم ذاك الخبيث صاحب الزنج سفاك الدماء الغادر الخائن المخالف للعهود والوعود؟! لو أنصفوا

لأشادوا بأبي أحمد الموفق ولصبوا اللعنات على صاحب الزنج السفاح الأفاك!!

لكنهم لا يخجلون لمرض في قلوبهم!!

نهاية صاحب الزنج ودولته:

يقول ابن جرير الطبري: في سنة 270هـ : "وانتهى الموفق إلى نهر أبي الخصيب، فوافاه البشير بقتل الفاجر، ولم يلبث أن وافاه بشير آخر ومعه كف زعم أنها كفه، فقوي الخبر عنده بعض القوة. ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض على فرسه ومعه رأس الخبيث، فأدناه منه، فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قواد المستأمنة، فعرفوه. فخر لله ساجداً على ما أولاه وأبلاه، وسجد أبو العباس وقواد موالي الموفق وغلمانه شكراً لله، فأكثروا حمد الله والثناء عليه، وأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه، فتأمله الناس وعرفوا صحة الخبر بقتله فارتفعت أصواتهم بالحمد لله" (9).

---

(1) السابق/ج9/625.

(2) السابق/ج9/ص641.

(3) السابق/ج9/ص641.

(4) السابق/ج9/ص648.

(5) السابق/ج9/ص608.

(6) السابق/ج9ص608.

(7) السابق/ج9ص649.

(8) الطبري/ج9ص660.

(9) الطبري: السابق ج9ص663.

أقول: إنه منظر مهيب يحرك المشاعر ويلين القلوب قبل العيون .. أن ترى جيشاً بأسره ساجداً لله على ما أيدهم بنصره.. إنها صورة مهيبة بحق تهز كيان الإنسان وتزلزل مشاعره وأحاسيسه وهو يرى خليفة المسلمين وولي العهد وكبار القادة وسائر الجند وعوام المسلمين كبيرهم وصغيرهم يؤدون وظيفة العبودية لله وهم يمرغون وجوههم في التراب شكراً وحمداً لله رب العالمين قاصم الجبابرة.. الأمة كلها ساجدة

لله رب العالمين؛ الذي أنقذهم وحررهم من هذا الورم الخبيث المسمى بصاحب الزنج الذي كاد أن يقضي على الأخضر واليابس.. وكادت شمس الخلافة أن تغيب!! إنه منظر يهيج القلوب المتعطشة إلى شفاء الصدور وذهاب الغيظ.. لقد كانت التسابيح والتهاليل تهز أركان الخلافة مغردة بالنصر المبين وشاكرة للرب العظيم.. لم نسمع طبلاً ولا زمراً ولم نر رقصاً ولا عربدة لانتصارات مزيفة ولأبطال من ورق!! بل ردت الأمة وقادتها الأمر كله لله وحده.. وهذه المعاني لا تلامس شغاف قلوب العلمانيين لذلك لا يفهمونها ولا يشعرون بها!!

ويلخص لنا الطبري تلكم الحقبة بقوله: "وكان خروج صاحب الزنج في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين، فكانت أيامه منذ خروجه إلى اليوم الذي قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام، وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين" (1).

2) يقول أبو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي في أحداث 255هـ:

"وللنصف من شوال هذه السنة : ظهر في نواحي البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان يقول أن جده لأمه خرج مع زيد بن علي على هشام بن عبد الملك وكان من أهل (ورزنين) وكان عبادًا يتكلم في علم النجوم فربما كتب العوذ فخرج في نفر من الزنج فأخذه محمد بن أبي عون فحبسه ثم أطلقه فخرج في قراب البصرة في مكان يقال له : (برنجل) وجمع الزنج الذين كانوا يكتسحون السباخ فاستغواهم ثم عبر دجلة ونزل (الديناري) وكان هذا الرجل متصلًا بقوم من أصحاب السلطان يمدحهم ويستميحهم بشعره ثم خرج من (سامراء) سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين وادعى أنه من ولد علي بن أبي طالب ودعا الناس إلى طاعته فتبعه جماعة وأباه جماعة فوقع بينهم قتال على ذلك فانتقل عنهم إلى الإحساء فضوى إلى حي من بني تميم وصحبه جماعة من أهل البحرين ثم كان ينتقل في البادية من حي إلى حي ولم يزل أمره يقوى إلى سنة سبعين" (2).

يوحى إلى صاحب الزنج بالاتجاه إلى البصرة!!:

" وكان يقول : أوتيت آيات من آيات القرآن إمامتي منها لقيت سورًا من القرآن لا أحفظها فجرى بها لساني في ساعة واحدة منها : سبحان والكهف وص وألقيت نفسي على فراشي فجعلت أفكر في الموضع الذي أقصد له وأقيم فيه إذ نبت بي البادية فأظلتني سحابة فبرقت ورعدت وقيل لي : أقصد للبصرة فمضى إليها فقدمها في سنة أربع وخمسين. ونزل في بني ضبيعة فاتبعه جماعة منهم علي بن أبان المهلبي ووافق ذلك فتنة البصرة بالبلالية والسعدية فرجى أن يتبعه منهم أحد فلم يتبعه فهرب وطلبه محمد بن رجاء عامل السلطان بها فلم يقدر عليه فأتى بغداد فأقام بها فاستمال جماعة فلما عزل محمد بن رجاء عن البصرة وثب رؤوس الفتنة من البلالية والسعدية ففتحوا الحبوس وأطلقوا من كان فيها فبلغه ذلك فخرج إلى البصرة في رمضان سنة خمس وخمسين وأخذ حريرة وكتب عليها : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .. وكتب اسمه واسم أبيه وعلقها على رأس مردي وخرج في السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان" (3).

يأمر الغلمان بضرب مواليهم:

" فلقيه غلمان فأمر بأخذهم وكانوا خمسين غلامًا ثم صار إلى مكان آخر فأخذ منه خمس مائة غلامٍ ثم صار إلى الموضع آخر فأخذ منه مائة وخمسين غلاما وجمع من الغلمان خلقًا كثيرًا وقام فيهم خطيبًا فمناهم ووعدهم أن يقودهم ويرأسهم ويملكهم ولا يدع من الإحسان شيئًا إلا فعله لهم ثم دعا قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم وحملتموهم ما لا يطيقون فكلمني أصحابي فيكم فرأيت إطلاقكم فقالوا : إن هؤلاء الغلمان أباق فهم يتهربون منك فخذ منا مالًا وأطلقهم لنا . فأمر بهم فبطح كل قوم مولاهم وضرب كل واحد منهم خمسين سوطًا أحلفهم بطلاق نسائهم أن لا يعلموا أحدًا بموضعه وأطلقهم" (4).

صاحب الزنج يحرض العبيد:

---

(1) الطبري: السابق ج9 ص663.

(2) ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم دار الكتب العلمية بيروت ط أولى 1992م ج12 ص88 وما بعدها.

(3) ابن الجوزي: المنتظم . المرجع السابق.
(4) ابن الجوزي: المنتظم . المرجع السابق.

"ثم خرج حتى عبر دجيلًا واجتمع إليه السودان فلما حضر العيد ركز المردي الذي عليه لواؤه وصلى بهم وخطب للعيد وذكر ما كانوا فيه من الشقاء وأن الله سبحانه استنقذهم من ذلك وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمر ثم حلف لهم على ذلك وكانوا جمعًا كبيرًا وليس لهم إلا ثلاثة أسياف وأهدي له فرس فلم يجد له سرجًا ولا لجامًا فركبه بحبل وسنفه بليف. وما زال ينتقل من مكان إلى مكان ويأخذ ما يقدر عليه وينتهب السلاح وغيره حتى صار له قوة وخاف الموالي منه أن يردهم إلى مواليهم فحلف لهم يوثق من نفسه وقال : ليحط بي منكم جماعة فإن أحسوا مني غدرًا فليقتلوني . وأعلمهم أنه لم يخرج لعرض الدنيا بل غضبًا لله عز وجل ولما رأى من فساد الدين" (1).

أول سبي لصاحب الزنج:

"ومر على قرية فخالفوه فانتهب منها مالًا عظيمًا وجوهرًا كثيرًا وغلمانًا ونسوة وذلك أول سبي سباه وما زال يعيث وينتهب فجاءه رجل من أهل البصرة فسأله عن البلالية والسعدية فقال : إنما جئت إليك برسالتهم يسألونك شروطًا فإن أعطيتهم إياها سمعوا لك وأطاعوا . فأعطاهم ما سألوا (..) إلى أن اجتمع عليه خلق كثير من أهل البصرة فقال : اللهم إن هذه ساعة النصرة فأعني فزعموا أنه رأى طيورًا بيضاء فأظلتهم. وكان سبب هزيمة أعدائه وقتلهم فقوي عدو الله ودخل رعبه في قلوب أهل البصرة وكتبوا إلى السلطان يخبرونه خبره فوجه جعلان التركي ونزل الخبيث سبخة وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ وبثهم في القرى يغيرون" (2).

وفي أحداث سنة 270 هـ يقول ابن الجوزي: "فمن الحوادث فيها : وقعة كانت بين أبي أحمد وصاحب الزنج في المحرم أضعفت أركان صاحب الزنج واسمه) بهبوذ) وفي صفر قتل وشرح القصة : أن أبا أحمد ألح على حربه ورغب الناس في جهاد العدو وصار معه جماعة من المطوعة ورتب الناس وأمرهم أن يزحف جميعهم مرة واحدة وعبر يوم الاثنين لثلاث بقين من المحرم سنة سبعين فنصر ومنح أكتاف القوم فولوا منهزمين واتبعهم الناس يقتلون ويأسرون فقتل ما لا يحصى وخربت مدينة

الخبيث بأسرها واستنقذوا ما كان فيها من الأسارى من الرجال والنساء والصبيان وهرب الخبيث وخواصه إلى موضع قد كان وطأه لنفسه ملجأ إذا غلب على مدينته فتبعه الناس فانهزم أصحابه وغدا أبو أحمد يوم السبت لليلتين خلتا من صفر فسار إلى الفاسق وكان قد عاد إلى المدينة بعد انصراف الناس فلقي الناس قواد الفسق فأسروهم وجاء البشير بقتل الفاسق ثم جاء رجل معه رأس الفاسق فسجد الناس شكرًا لله تعالى وأمر أحمد فرفع على قناة فارتفعت أصوات الناس بحمد الله تعالى وشكره وأمر أبو أحمد أن يكتب إلى أمصار المسلمين بالنداء في أهل البصرة والأبلة وكور دجلة والأهواز وكورها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزنج بقتل الفاسق وأن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم. وولي البصرة والأبلة وكور دجلة رجلًا من قواده ومواليه وولى قضاء هذه الأماكن محمد بن حماد وقدم ابنه العباس إلى بغداد ومعه رأس الخبيث ليراه الناس فيسروا فوافى بغداد يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى في هذه السنة والرأس بين يديه على قناة فأكثر الناس التكبير والشكر لله تعالى والمدح لابن الموفق وأبيه ودخل أحمد بن الموفق بغداد برأس الخبيث وركب في جيش لم ير مثله من سوق الثلاثاء إلى المخرم وباب الطاق وسوق يحيى حتى هبط إلى الجزيرة ثم انحدر في دجلة إلى قصر الخلافة في جمادى هذه السنة وضربت القباب وزينت الحيطان" (3).

3) قول العلامة ابن الأثير:

ذكر الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري في أحداث 257هـ وفيه أحرق الزنج مدينة البصرة وغدروا بأهلها:

"فلما كان في شوال أزمعا الخبيث على جمع أصحابه لدخول البصرة والجد في اخرابها لضعف أهلها وتفرقهم وخراب ما حولهم من القرى ثم أمر محمد ن يزيد الدارمي وهو أحد من صحبه بالبحرين أن يخرج إلى الأعراب ليجمعهم فأتاه منهم خلق كثير فأناخوا (بالقندل) ووجه إليهم العلوي سليمان بن موسى الشعراني وأمرهم بتطرق البصرة والإيقاع بها ليتمرن الأعراب على ذلك ثم أنهض علي بن أبان وضم إليه طائفة من الأعراب وأمره بإتيان البصرة من ناحية بني سعيد وأمر يحيى بن محمد البحراني بإتيانها مما يلي نهر عدي وضم إليه سائر الأعراب . فكان أول من

واقع أهل البصرة علي بن أبان و(بفراج) يومئذ بالبصرة في جماعة من الجند فأقام يقاتلهم يومين ومال الناس نحوه" (4).

الغدر بأهل البصرة:

---

(1) ابن الجوزي: المنتظم . السابق.

(2) ابن الجوزي: المنتظم . السابق.

(3) ابن الجوزي: السابق ج12 ص288.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ دار صادر بيروت مج7ص245 ، 246.

"وأقبل يحيى بن محمد فيمن معه نحو الجسر فدخل علي بن أبان وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت وغادى يحيى البصرة يوم الأحد فتلقاه (بفراج) و (برية) في جمع فردوه فرجع يومه ذلك . ثم غاداهم اليوم الآخر فدخل وقد تفرق الجند وهرب برية وانحاز بفراج ومن معه ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلبي فاستأمنه لأهل البصرة فأمنهم فنادى منادي إبراهيم : من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملأوا الرحاب فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة لئلا يتفرقوا فغدر بهم وأمر أصحابه بقتلهم فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة فقتل ذلك الجمع كله ولم يسلم إلا النادر منهم ثم انصرف يومه ذلك إلى الحربية . ودخل علي بن أبان الجامع فأحرقه وأحرقت البصرة في عدة مواضع منها المربد وزهران وغيرهما واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل وعظم الخطب وعمها القتل والنهب والإحراق وقتلوا كل من رأوا بها فمن كان من أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه ومن كان فقيرًا قتلوه لوقته وبقوا كذلك عدة أيام" (1).

أقول: هكذا كانت أمجاد صاحب الزنج؛ الغدر واحراق المساجد وقتل الأغنياء والفقراء.. فأين مبادئ ثورة الخبز ونصرة الفقراء كما يزعمون؟!!

وفي أحداث سنة 256هـ يقول ابن الأثير: "ثم رحل إلى المدينة التي سماها صاحب الزنج المنيعة من سوق الخميس يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الآخر من هذه السنة وسلك بالسفن في نهر مساور، وسارت الخيل بإزائه شرقي نهر مساور حتى

جاوزوا براطق الذي يوصل إلى المنيعة وأمر بتعبير الخيل وتصييرها من الجانبين وأمر ابنه العباس بالتقدم بالشذا بعامة الجيش ففعل فلقيه الزنج فحاربوه حربًا شديدة ووافاهم أبو أحمد الموفق والخيل من جانبي النهر فلما رأوا ذلك انهزموا وتفرقوا وعلا أصحاب أبي العباس السور ووضعوا السيوف فيمن لقيهم ودخلوا المدينة فقتلوا فيها خلقًا كثيرأن وأسروا عالمًا عظيماً وغنموا ما كان فيها وهرب الشعراني ومن معه وتبعه أصحاب الموفق إلى البطائح فغرق منهم خلق كثير ولجأ الباقون إلى الآجام . ورجع أبو أحمد إلى معسكره من يومه وقد استنقذ من المسلمات زهاء خمسة آلاف امرأة سوى من ظفر به من الزنجيات وأمر أبو أحمد بحفظ النساء وحملهم إلى واسط ليدفعن إلى أهلهن ثم بكر إلى المدينة فأمر الناس بأخذ ما فيها فأخذ جميعه وأمر بهدم سورها وطم خندقها وإحراق ما بقي بها من السفن وأخذوا من الطعام والشعير والأرز وغير ذلك ما لا حد عليه، فأمر ببيع ذلك وصرفه إلى الجند" (2).

4) يقول عنه الذهبي في أحداث سنة 270 هـ في كتابه العبر في اخبار من غبر: "سنة سبعين ومائتين فيها التقى المسلمون والخبيث فاستظهروا ثم وقعة أخرى قتل فيها . وعجل الله بروحه إلى النار واسمه علي بن محمد العبقسي المدعي أنه علوي ولقد طال قتال المسلمين معه واجتمع مع الموفق نحو ثلاثمائة ألف مقاتل أجناد ومطوعة وفي آخر الأمر التجأ الخبيث إلى جبل ثم تراجع هو وأصحابه إلى مدينهم فحاربهم المسلمون . فانهزم الخبيث وتبعهم أصحاب الموفق يأسرون ويقتلون ثم استقبل هو وفرسانه وجملوا على الناس فأزالوهم فحمل عليه الموفق والتحم القتال وإذا بفارس قد أقبل ورأس الخبيث في يده فلم يصدقه فعرفه جماعة من الناس فحينئذ ترجل الموفق وابنه المعتضد والأمراء فخروا لله سجدًا وكبروا وسار الموفق فدخل بالرأس بغداد وعملت القباب وكان يوما مشهودًا وأمن الناس وشرعوا يتراجعون إلى الأمصار التي أخذها الخبيث وكانت أيامه خمس عشرة سنة . قال الصولي : قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف . قال : وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف وكان يصعد على المنبر فيسب عثمان وعليًا وعائشة ومعاوية . وهو اعتقادً الأزارقة وكان ينادي في عسكره على العلوية بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العشرة من العلويات يفترشهن وكان الخبيث خارجيًا يقول : لاحكم إلا لله .

(على طريقة الخوارج طبعاً).. وقيل : كان زنديقًا يتستر بمذهب الخوارج وهو أشبه فان الموفق كتب إليه وهو يحاربه في سنة سبع وستين يدعوه إلى التوبة والإنابة إلى الله مما فعل من سفك الدماء وسبي الحريم وانتحال النبوة والوحي فما زاده الكتاب إلا تجبرًا وطغيانًا " (3).

وذكر الملك المؤيد إسماعيل بن أبي الفداء في تاريخه في أحداث سنة 270 هـ :" في هذه السنة قتل صاحب الزنج لعنه الله بعد قتل وغَرقِ غالب أصحابه وقُطع رأسه وطيف به على رمح وكثر ضجيج الناس بالتحميد ورجع الموقف إلى موضعه والرأس بين يديه وأتاه من الزنج عالم كثير يطلبون الأمان فأمنهم ثم بعث برأس الخبيث إلى بغداد وكان خروج صاحب الزنج يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين فكانت أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام" (4).

---

(1) ابن الأثير: الكامل . السابق . مج7ص245 ، 246.

(2) ابن الأثير: السابق مج7 ص344.

(3) الذهبي: العبر في أخبار من غبر دار الفكر ج1 ص122.

(4) أبو الفداء: تاريخ أبي الفداء القاهرة ص

5) أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي:

يقول في نجومه الزاهرة في أحداث 255هـ : "فيا كان ابتداء خروج الزنج، وخرج قائدهم بالبصرة، فلما خرج انتسب إلى زيد بن علي (..) بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ وهذا نسب غير صحيح، وانضم إليه معظم أهل البصرة وعظم أمره وفعل بالمسلمين الأفاعيل" (1).

أما في أحداث 270 هـ يقول ابن تغري بردي: "وفيها توفي علي بن محمد صاحب الزنج وكانت مدة اقامته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام. ولقي الناس منه في هذه المدة شدائد؛ قال الصولي: قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف مابين شيخ وشاب وذكر وأنثى، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف. وكان له منبر في مدينته يصعد عليه ويسب فيه عثمان وعلياً ومعاوية وطحة والزبير وعائشة

رضي الله عنهم. وهذا رأي الخوارج الأزارقة لعنة الله عليهم واستراح المسلمون بموته كثيراً ولله الحمد والمنة" (2).

6) الحافظ جلال الدين السيوطي:

ذكر السيوطي في ترجمة الخليفة العباسي المعتمد على الله أبي العباس: "وفي أيامه دخلت الزنج البصرة وأعمالها وأخربوها، وبذلوا السيف وأحرقوا وخربوا وسبوا، وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات، وأمير عسكره في أكثرها الموفق أخوه (..) واستمر القتال مع الزنج من سنة ستة وخمسين إلى سنة سبعين، فقتل فيها رأس الزنج لعنه الله واسمه بهبوذ، وكان ادعى أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة وأنه مطلع على المغيبات (..) وكان ينادي على المرأة العلوية بدرهمين وثلاثة، وكان عند واحد من الزنج عشرة من العلويات يطؤهن ويستخدمهن" (3).

7) الفقيه المؤرخ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي:

قال في أحداث 255هـ : "فيها فتنة الزنج وخروج العلوي القائد الزنج بالبصرة فعسكر ودعا إلى نفسه وزعم أنه علي بن محمد (..) بن الشهيد زيد بن الحسين بن علي. ولم يثبت نسبه فبادر إلى دعوة عبيد أهل البصرة والسودان، ومن ثم قيل الزنج، والتف إليه كل صاحب فتنة حتى استفحل أمره واستباح البصرة وغيرها وفعل الأفاعيل وامتدت أيامه إلى أن قتل إلى غير رحمة الله في سنة سبعين" (4).

وفي أحداث 259هـ يقول ابن العماد: "كان طاغية الزنج قد نزل بالبطيحة وشق حوله الأنهار وتحصن فهجم عليه الموفق فقتل من أصحابه خلقاً وحرق أكواخه واستنقذ منه النساء خلقاً كثيراً فصار الخبيث إلى الأهواز ووضع السيف في الأمة فقتل خمسين ألفاً، وسبى مثلهم" (5).

وفي أحداث 270هـ : "وكان يصعد المنبر فيسب عثمان وعلياً ومعاوية وعائشة وهو اعتقاد الأزارقة، وكان ينادي في عسكره على العلوية (أي القرشية) بدرهمين أو ثلاثة وكان عند واحد من الزنج العشرة من العلويات يفترشهن، وكان الخبيث خارجياً يقول لا حكم إلا لله! وقيل كان زنديقاً يتستر بمذهب الخوارج وهو أشبه، فإن الموفق كتب إليه وهو يحاربه في سنة سبعة وستين يدعوه إلى التوبة والإنابة إلى الله مما فعل من سفك الدماء وسبي الحريم وانتحال النبوة والوحي فما زاده إلا تكبراً وطغياناً" (6).

8) الحافظ ابن كثير:

يقول في أحداث 255هـ : "خارجي آخر ادعى أنه من أهل البيت بالبصرة (..) زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يكن صادقاً وإنما كان عسيفاً يعني أجيراً من عبد القيس واسمه علي بن محمد بن عبدالرحيم" (7).

في أحداث 270هـ : "انتهت أيام صاحب الزنج المدعي الكذاب قبحه الله" (8).

في أحداث 257هـ : "كانت الزنج تحيط بجماعة من أهل البصرة وكان يقول بعضهم لبعض (كيلوا) وهي إشارة القتل فيحملون عليهم بالسيوف فلا يسمع إلى قول أشهد ألا إله إلا الله، من أولئك المقتولين وضجيجهم عند القتل أي صراخ الزنج وضحكهم فإنا لله وإنا إليه راجعون. هكذا كانوا يفعلون في كل محال البصرة أيام نحسات، وهرب الناس منه كل مهرب، وحرقوا الكلأ من جبل إلى جبل، فكانت النار تحرق ما وجدت من شئ من انسان أو بهيمة أو آثار أو غير ذلك، وأحرقوا المسجد الجماع. وقتل هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان والأتباع والفضلاء والمحدثين والعلماء. فإنا لله وإنا إليه راجعون" (9).

أقول: هذه هي ثورة الزنج التي يدافع عنها العلمانيون ومن على شاكلتهم!! ثورة الخبز والفقر وتحرير العبيد!! إنها ثورة اللصوص وسفاكي الدماء.. إنهم يضحكون وهم يسمعون صراخ وعويل الضعفاء والشيوخ وهم يصرخون بكلمة التوحيد .. أي قلوب هذه؟! وأي ثورة هذه التي يدافع عنها العلمانيون ويتمسحون بالدين الإسلامي؟!

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة . دارالكتب العلمية . بيروت . ط أولى 1992 . ج3 . ص27.

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة . السابق . ج3 ص60 و ص61.

(3) السيوطي: تاريخ الخلفاء . دارالكتبالعلمية . بيروت . ط أولى 1988 . ص291.

(4) ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب . دار الفكر . ج3 . ص129 ، 130.

(5) ابن العماد: السابق . ج3 . ص139.

(6) ابن العماد: السابق . ج3 . ص156.
(7) ابن كثير: البداية والنهاية . دار الكتب العلمية . بيروت . ط أولى 1958 . ج11 ص21.
(8) ابن كثير: السابق . ج11 . ص48.
(9) ابن كثير: السابق . ج11 . ص32.

9) المؤرخ أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي:

يقول في مروجه في أحداث 255هـ : "وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة في خلافة المهتدي (..) وكان يزعم أنه علي بن محمد (..) بن الحسبن بن علي بن أبي طالب، وأكثر الناس يقول: إنه دعي لأبي طالب ينكرونه وكان من أهل قرية من أعمال الري يقال لها ورزنين، وظهر من فعله ما دلّ على تصديق ما رمي به من أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج؛ بأن أفعاله في قتل النساء والأطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيرهم ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه، وله خطبة يقول في أولها: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله ، والله أكبر ألا لا حكم إلا لله.. وكان يرى الذنوب كلها شركاً" (1).

الناس يأكلون القطط والكلاب ويأكلون بعضهم:

يقول المسعودي: "ولما ركن من بقي من البصرة إلى هذا الفعل من المهلبي (أحد قواد صاحب الزنج بها) اجتمعوا في بعض الجمع، فوضع فيهم السيف، فمن ناج سالم، ومن مقتول، ومن غريق، واختفى كثير من الناس في الدور والآبار، فكانوا يظهرون بالليل فيأكلون الكلاب ويذبحونها ويأكلونها والفئران والسنانير، فأفنوها حتى لم يقدروا منهم على شئ، فكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه ويراعي بعضهم موت بعض، ومن قدر منهم على صاحبه قتله وأكله، وعدموا مع ذلك الماء العذب" (2).

ويصف لنا المسعودي هول ما لاقاه الناس من فتنة الزنج وذكر عن امرأة أنها "أحضرت امرأة تنازع ومعها أختها، وقد أحتوشوها ينتظرون أن تموت فيأكلون لحمها. قالت المرأة: فما ماتت حتى ابتدرناها فقطعنا لحمها وأكلناها، ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر ونحن على مشرعة عيسى بن أبي حرب وهي تبكي ومعها رأس أختها فقيل لها: ويحك مالك تبكين؟ قالت اجتمعوا على أختي ما تركوها تموت موتاً

حسناً حتى قطعوها، فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئاً إلا رأسها هذا، وهي تشتكي ظلمهم لها في أختها مثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا" (3).

أقول: هذه ثورة الزنج .. ثورة الجياع!! التي أوصلت الناس إلى هذا الهوان.. ثورة الفقراء التي جعلت الناس يأكلون الفئران والكلاب بل ويأكلون ذويهم ويتعجلون وفاتهم!! العجب العجاب أن هؤلاء العلمانيين لا يزالون يدافعون ويشيدون بصاحب الزنج وثورته رغم كل جرائمه البشعة.. ألا يستحون!!

نساء آل البيت يطؤهن عبد زنجي:

انظر إلى تحرير المرأة وحفظ كرامتها على أيدي الزنج وصاحبهم الملهم علي بن محمد! يقول المسعودي: "وبلغ من أمر عسكره أنه كان ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس، تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة، وينادى عليها بنسبها؛ هذه ابنة فلان الفلاني، لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون؛ يطؤهن الزنج، ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف، ولقد استغاثت إلى علي بن محمد امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه إلى غيره من الزنج أو يعتقها مما هي فيه. فقال لها: هو مولاك وأولى بك من غيره" (4).

أهكذا يكون صاحب الزنج علوياً ينتسب إلى آل البيت وهو يمعن في إذلال نسائهم وهتك أعراض بناتهم واسترقاقهن وهو الحرائر العفيفات.. ثم يأتي علمانيو هذا الزمان ويدافعون عن فتنته العمياء!! لقد تعمدنا نقل كلام المسعودي لعلمنا بتشيعه وميوله إلى العلويين والطالبيين وبغضه للعباسيين ونظراً لاطراء كثير من المستشرقين بالمسعودي فيما يتعلق من هجومه على الولاة العباسيين!!

ورغم كل ما ذكرناه فماذا عسى دعاة تيار اليسار الإسلامي والعلمنة المتمحكة بالإسلام.. ماذا عسى العقلنة الاعتزالية أن تقول ازاء هذه الشهادات الدامغة من علماء الأمة على اختلاف مشارهم وتباين عصورهم؟! أعتقد أن جوابهم جاهز: إنها مؤامرة تاريخية كبرى!!

10) الحافظ شمس الدين الذهبي:

يقول الحافظ في كتابه (سير أعلام النبلاء) في ترجمة علي بن محمد تحت عنوان (الخبيث): "هو طاغية الزنج، علي بن محمد (..) افترى وزعم أنه من ولد زيد بن علي العلوي، كان من منجماً طرقياً ذكياً حرورياً ماكراً، داهية منتحلاً، على رأي فجرة الخوارج، يتستر بالإنتماء إليهم وإلا فالرجل دهري فيلسوف زنديق. ظهر بالبصرة واستغوى عبيد الناس وأوباشهم فتجمع له كل لص ومريب، وكثروا فشد بهم على أهل البصرة، وتم له ذلك واستباحوا البلد، واسترقوا الذرية، وملكوا، فانتدب لحربهم عسكر المتعمد، فالتقى الفريقان وانتصر الخبيث واستفحل بلواؤه، وطوى البلد وأباد العباد، وكاد أن يملك بغداد وجرت بينه وبين الجيش عدة مصافات، وأنشأ مدينة سماها (المختارة)، في غاية الحصانة، وزاد جيشه إلى مائة ألف، ولولا زندقته ومروقه لاستولى على الممالك" (5).

سبب خروجه ودعوته إلى فتنته:

---

(1) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر . المكتبة الإسلامية . بيروت . ج7 . ص194 وص195.

(2) المسعودي: السابق . ج7 ص307.

(3) المسعودي: السابق . ج7 ص307 وص308.

(4) المسعودي: ج7 ص308.

(5) الذهبي: سير أعلام النبلاء . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط2 . 1984 . ج13 . ص129 ، ص130.

يقول الذهبي: "بعد مصرع المتوكل وابنه أولئك الخلفاء المستضعفين المقتولين، نقض أمر الخلفاء جداً وطمع كل شيطان في التوثب، وخرج الصفّار بخراسان، اتسعت ممالكه، وخرج هذا الخبيث بالبصرة وفعل ما فعل، وهاجت روم وعظم الخطب" (1).

عقيدة ومبادئ صاحب الزنج:

يقول الذهبي: "وادعى أنه هو عبد الله المذكور في (قل أوحي إلي) وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما يمتاز عليه إلا بالنبوة" (2) ... "وزعم أنه تكلم في المهد؛ صيح به: يا علي! فقال لبيك" (3) ... "وكان يجمع اليهود والنصارى، يسألهم عما

في التوراة والإنجيل من ذكره وهم يسخرون منه، ويقرأون له فصولاً فيدعي أنها فيه، وزاد من الإفك، فنفرت منه قلوب خالق من أتباعه ومقتوه" (4).

كان يدعي الزهد والتقشف وهو أبعد الناس من ذلك:

يقول الذهبي: "ولم يجد لجيشه لما كثروا من من بد من أرزاق، فقرر للجندي في الشهر عشرة دنانير، فحسده قواده الفرسان، وانشغل بإنشاء الأبنية وتفر عن الزنج فهموا بالفتك به" (5).

11) العلامة عبد الرحمن بن خلدون:

"كان أكثر دعاة العَلَّوِية الخارجين بالعراق أيام المُعْتَصِم وما بعده أكثرهِم من الزيْدِيَّةِ وكان من أئمتهم علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد الشهير وكان نازلاً بالبصرة لما وقع البحث عليه من الخلفاء ظفروا بابن عمّه عليّ بن محمد بن الحسين فقتل بفدك ولأيام من قتله خرج رجل بالريّ يدّعي أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى المطلوب وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهتدي . ولما ملك البصرة لقي عليّاً هذا حياً معروف النسب فرجع عن ذلك وانتسب إلى يحيى قتيل الجوزجان أخي عيسى المذكور . ونسبه المسعوديُّ إلى طاهر بن الحسين وأظنه الحسين بن طاهر بن يحيى المحدِّث بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن عليّ لأن ابن حزم قال في الحسين السبط إنه لا عقب له إلّا من عليّ بن الحسين وقال فيه عليّ بن محمد بن جعفر بن الحسين بن طاهر . وقال الطبري وابن حزم وغيرهم من المحقّقين إنه من عبد القيس واسمه عليّ بن عبد الرحيم من قرية من قرى الريّ ورأى كثرة خروج الزيديّةِ فحدّثته نفسه بالتوثّب فانتحل هذا النسب ويشهد لذلك أنه كان على رأي الأزارقة من الخوارج ولا يكون ذلك من أهل البيت" (6).

ويقول ابن خلدون: "واستنقذ العباس من نساء الكوفة وواسط وصبيانهم أكثر من عشرة آلاف وأعطى ما وجده في (المنصورة) من الذخائر والأموال للأجناد" (7).

11) الشيخ محمد الخضري:

يقول في محاضراته التاريخية: "ولم يكن يدري إلا الله ماذا تكون العاقبة لو انتصر هذا الرجل بزنوجه على آل العباس بأتراكهم كان الأمر ينتقل من أيدي الراك إلى أيدي الزنوج فتقع الأمة في الشر العظيم والوباء الوبيل لأن هؤلاء الزنوج ليس لهم

أدب معروف بل لا يكادون يفقهون قولاً.. فانتصار العباسيين عليهم خلاص للأمة من شر مستطير" (8).

صفوة القول :

من خلال عرضنا االسابق نخلص إلى النقاط التالية:

إن صاحب الزنج دعي آل طالب كذاب ونسبه ليس بالصحيح.. وأن اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم بن بني عبد القيس.

لو افترضنا صحة نسبه لآل البيت فإن هذا لا يغني في دين الله.. فماذا أغنت قرابة أبي لهب وأبي جهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن صاحب الزنج لم يكن علوياً بل استغل ادعاء النسب لآل البيت لحب عامة الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأحفاده. وليس كما ذهب أحمد علبي الذي يقول إن عقيدة الشيعة في ذلك الوقت هي عقيدة عامةالناس وهذا خطأ فعقيدة أهل السنة هلي التي كانت سائدة ولازالت إلى وقتنا الحاضر.

هب أن صاحب الزنج علوي صحبح النسب! فكيف يستقيم هذا مع رجل يسمح بإذلال نساء آل البيت وخاصة من أبناء الحسن بن علي رضي الله عنهم؟! كيف يسمح بانتهاك حرمة هؤلاء العفيفات.. كيف يسمح باسترقاق هؤلاء الحرائر من آل البيت وبيعهن بأوكس الأثمان؟!! كيف يكون علوياً صحيح النسب وهو الذي كان يلعن علي بن أبي طالب من على المنبر ويأمر بذلك؟!

كيف يستقيم ادعاؤه أنه من العلويين وهو الذي قتل علي بن زيد صاحب الكوفة سنة 260هـ.

أما عن اعتقاده فكان أشبه بمعتقد الخوارج الأزارقة من قتل النساء والأطفال والأشياخ، واستحلال الفروج وكان يرفع نفس شعار الخوارج أيام التحكيم (لا حكم إلا لله)!! وإن كنا نميل إلى رأي الحافظ الذهبي أنه كان زنديقاً لا خارجياً ولا علوياً بل كان يتستر بهذين المذهبين لارتكاب الأفاعيل والجرائم في حق المسلمين.

كان هذا الخبيث يزعم أنه نزل عليه الوحي وأنه خوطب من الملائكة: (إنما البصرة كانت خبزة لك تأكلها من جوانبها)!!

ادعى أنه رأى طيوراً بيضاء حاربت معه.

ادعى أنه عرضت عليه النبوة فأباها لأن لها أعباء: خفتُ ألا أطيقها!!

---

(1) الذهبي: المرجع السابق ج13 . ص134.

(2) الذهبي: ج13 . ص134.

(3) الذهبي: ج13 . ص134.

(4) الذهبي: ج13 . ص135.

(5) الذهبي: ج13 . ص135.

(6) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون . مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت . ج3 ص302.

(7) ابن خلدون: ج3 . ص321.

(8) محمد الخضري بك: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) . دار المعارف بيروت . ص305.

إن صاحب الزنج شخص مغامر استغل حالة الفوضى التي حلت بأرض الخلافة بعد مقتل بعض الخلفاء وليس كما زعم فيصل السامر وعلبي ومحمد عمارة إذ لم يكن يدور في خلد هؤلاء الزنوج التقسيم الذي أفرزته الثورة البلشفية لمجتمعات بروليتارية: عمال وفلاحين، وبرجوازية: أصحاب رؤوس الأموال والأملاك والإقطاعيين وأهل الحكم.. لم تكن هناك أسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية وجيوسياسية وغير ذلك من تحليلات لم يسمع عنها أصحاب الزنج ولا أتباعه، فما حدث ليس إلا حالة من الفوضى لرجل زنديق استغل أعجمية هؤلاء الزنوج وعدم فهمهم للغة العربية مع وجود عدد كبير من الأعراب وقطاع الطرق والهاربين من الأحكام .. فهؤلاء المطاريد هم جند أصحاب الزنج!! فلم يكن لدى صاحب الزنج معتقد واضح ولا برنامج محدد، بل كلها شعارات لتهييج هؤلاء العبيد بأن يملكهم أراضي مواليهم ويحررهم.. ولم يحدث وكذب عليهم واستمروا في الرق فترة حكمه بل زاد في الرق حيث استرق الحرائر والأحرار من المسلمين!!

نلاحظ أن عنصر الزنج لم يشترك في هذه الفتنة إلا بعد سبع سنوات من بدء دعوة صاحب الزنج علي بن محمد سنة 249هـ فأول زنجي انضم سنة 255هـ وكان كل

أتباع هذا الدعي من الأعراب، الذين كانوا يهددون قوافل الحجاج ويأوون اللصوص والهاربين من الأحكام.. حتى بعد انضمام الزنج فإن معظم قواده من كانوا من هؤلاء الأعراب، وكان الزنج عبارة عن جيش من المرتزقة سرعان ما انقلبوا عليه وهربوا منه لما تيقنوا كذبه ودجله..

جيش الخلافة الذي كان يحارب الزنج كان به فرق زنجية كاملة وكانت تحارب بإخلاص وبسالة ضد جيش صاحب الزنج.. لم يلتف هؤلاء العبيد حول الثورة المنشودة! ثورة الخبز والفقر التي تخلصهم من رق العبودية!!

إذا كان هناك بطل لهذه الفتنة فإنه أبو أحمد الموفق أخو الخليفة العباسي المعتمد، وكذلك ابنه العباس الذي صار خليفة المسلمين وتلقب باسم المعتضد بالله..

هؤلاء هو أهل الثناء والإشادة بعد توفيق الله سبحانه وتعالى.. هذا هو الأنموذج الذي يقدم لأمتنا؛ أخلاق أولاد النبي الأكرم.. أما الأنموذج الذي يقدمه لنا العلمانيون ويتباكى عليه اليسار الإسلامي ومن على شاكلتهم فهو الأنموذج الملفوظ، وهو الصورة القبيحة الدامية التي تعجب الماركسية الحمراء!!

هؤلاء العلمانيون خيالهم خصب ويسبحون في أوهام من الباطل صنعها لهم ماسنيون وبروكلمان ورغم أن التاريخ يكذبهم جميعاً إلا أنهم يصرون على الدفاع عن أكابر المجرمين وسفاكي الدماء ومنتهكي الأعراض وقتلة الأطفال والشيوخ.. ثم بعد كل ذلك يقولون إنها مؤامرة تاريخية كبرى ضد صاحب الزنج!!

(إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)..

=================

القواعد الأربع التي تفرق بين دين المسلمين ودين العلمانيين

تأليف

فضيلة الشيخ

علي بن خضير الخضير

عفى الله عنه وعن والديه وأهله ومشايخه وطلابه وجميع المسلمين

القصيم / بريدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد :

فهذه رسالة مختصرة في قواعد يعرف فيها المسلم الفرق بين دينه العظيم وبين الوثنية الجديدة والشرك المعاصر المسمى بالعلمانية بجميع أصنافها الكثيرة ، ليجتنبها ويبتعد عنها ويبرأ منها ومن أهلها المسمَين بالعلمانيين و يبرأ إلى الله منهم ويكفرهم ويعاديهم ويبغضهم ويجاهدهم ، سواء أكانوا مفكرين أو مثقفين أو سياسيين أو حكام أو صحفيين أو مغنين أو ممثلين أو نظريات أو حكومات أو أنظمة وغير ذلك .

وهذه القواعد الأربع هي :

القاعدة الأولى

أن المشركين الذين بُعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين بالربوبية قال تعالى : { قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون } .

وقال تعالى : { قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون }.

وقال تعالى : { وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون } .

ومع ذلك قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم وكفرهم ولم يدخلهم ذلك في الإسلام .

والعلمانيون غير الغلاة يقرون بالربوبية كذلك وعندهم بعض العبادات فلم يدخلهم ذلك في الإسلام ، أما الغلاة فهم أشد فعندهم لا إله ولا رب والحياة مادة .

القاعدة الثانية

أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء في أناس لهم تشريعات وقوانين يفصلون فيها بينهم في الخصومات وغيرها ، ولهم عوائد جاهلية يسيرون عليها فلم يقبلوا حكم الله ولا هديه ، فكفرهم الله ورسوله وقاتلهم ، ولم يدخلهم في الإسلام .

فمن تشريعاتهم ما جاء في قوله تعالى : { ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون } .
وقال تعالى عن قريش ومن تبعها : { أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله }.
والعلمانيون لهم تشريعات وقوانين ومحاكم وضعية محلية أو إقليمية أو عالمية يفصلون فيها بينهم في الخصومات وغيرها ، ولهم عوائد جاهلية يسيرون عليه يسمونها حضارة وتنور وتطوير، فلم يقبلوا حكم الله ولا هديه فلابد من تكفيرهم والبراءة منهم .
القاعدة الثالثة
أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء إلى أناس يجعلون الدين في شئ دون شئ ، يعبدون الله في الشدة دون الرخاء فيشركون .
قال تعالى : { فإذا ركبوا في الفلك دعوا اللَّه مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون } .
وكذلك يجعلون لله شيئا ولأوثانهم شيئا مثل ما جاء في قوله تعالى : { فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا } .
والعلمانيون يعبدون الله في المسجد وفي رمضان وفي النكاح والطلاق والأحوال الشخصية فقط ، وفي غير ذلك يرجعون إلى تشريعاتهم وعوا ئدهم الضالة 0
القاعدة الرابعة
جاء الرسول إلى المشركين ولهم أرباب كثيرة ومختلفة فمنهم من يعبد الأصنام والأوثان ومنهم من يعبد الملائكة ومنهم من يعبد الجن ومنهم من يعبد النجوم ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد عيسى بن مريم ومنهم من يعبد الأنبياء ومنهم من يعبد الصالحين فلم يفرق بينهم في الحكم والكفر والقتال .
والعلمانيون كذلك لهم آلهة كثيرة وهم طوائف باعتبار معبوديهم منهم من يعبد الأمريكان ومنهم من يعبد الأوربيين ومنهم من يعبد الروس ومنهم من يعبد النظام العالمي الجديد ومنهم من يعبد الحكام ومنهم من يعبد النظريات ومنهم من يعبد

الوطن ومنهم من يعبد القومية والجنس ويعبدون قيادييهم ومفكريهم فلا فرق بينهم في الكفر والردة.

مسألة

ويلحق بذلك نابتة وطائفة ضالة في هذا العصر، وهم جسر العلمانيين وأذنابهم وأفراخهم وهم طائفة العصرانيين .

فهم من غلاة المرجئة في باب الإيمان والتكفير .

وفي باب الفقه أهل أهواء وشهوة وإباحية وخضوع للواقع وترخص ينتهي بهم إلى الزندقة .

وفي الختام

نضيف كلاما للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري رحمه الله فإنه . فيما أعلم . من أوائل من فضح هذه الوثنية الجديدة وهذا الشرك اللعين المعاصر آلا وهي العلمانية ، فقال في خاتمته على كتاب كشف الشبهات [الطبعة الأولى عام 1385 هـ] حيث جعل خاتمة على كتاب كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كشف فيه رحمه الله أستار الوثنية الجديدة ، والشرك المعاصر كما كشف الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشرك المعاصر له .

فقال الشيخ عبد الرحمن الدوسري : (إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه كشف الشبهات عالج شرك التخريف بصورته المتمثلة في دعاء الأموات والغائبين وتقديس القبور ، ثم حدثت ضروب من الشرك برزت بأسماء وألقاب ينخدع بها الجهلة ويتعلق بها المغرضون والحاقدون) .

ثم قال : (إن الذي تولى كبره هم اليهود والمجوس ، لما خافوا من البعث الإسلامي الصحيح الذي ندب إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقام به مع أعوانه ، وفي هذا الوقت كسبوا أنصارا من بني جلدتنا فألهبوا حماس الجهلة بنعرات العصبيات القومية في كل أمة إسلامية ، فظهرت الوثنية الجديدة وعبادة المادة والشهوات وتقديس الأشخاص ،بحجة الجنسية والوطنية ، حتى تكونت في المحيط الإسلامي والعربي خاصة ردة جديدة بما انتحلوه من مبادئ وطنية ومذاهب مادية مزخرفة بألقاب ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب) .

وبعد هذه المقدمة تكلم الشيخ عبد الرحمن الدوسري عن معنى الألوهية وأصولها .
وهما أصلان :
1 . الكفر بكل معبود .
2 . إفراد الله بالعبادة والاستسلام لحكمه .
ثم تكلم عن حقيقة العبادة والحب في الله وبغض أعداء الدين .
ثم تكلم عن حقيقة ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وقال : (وبه تعرف مدى ما انغمس فيه غالب المحسوبين على الإسلام من الوثنية الجديدة وما استجلبوه من مبادئ الغرب ومذاهبه المادية فجعلوا حدود الوطن فوق حدود الله وجعلوا لأنفسهم الخيرة فيما يشرعون وينظمون خلافا لما قضى الله ورسوله ، واتبعوا ما يمليه رجال تألهوهم بالحب والتعظيم وجعلوهم أندادا من دون الله كالقومية والوطنية وما يستلزمها من المذاهب المادية) .
ثم ذكر من جعل الوطن ندا لله في قول قائلهم :
بلادك قدمها على كل ملة * ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم
وجلبوا موالاة أعداء الله بحجة الجنس والوطن ، وتعطيل الشريعة بحجة التطوير الفاسد ، وعبادة كل طاغوت في سبيل ذلك .
ومن مبادئهم الباطلة :
مثل مبدأ " الدين لله والوطن للجميع " .
ومبدأ " الدين علاقة بين العبد وربه فقط لا شأن له في الحياة " .
ومبدأ " إرادة الشعب من إرادة الله " .
وذكر أنه لا يزال خريجو المدارس الاستعمارية يركزون هذه المفاهيم في طبقات الأمة الإسلامية ، وقال إن المدارس هي أول ما فرض الاستعمار علينا ثقافته بواسطتها .
ثم قال : (فعلى المسلمين شيبا وشبانا وحكومات وشعوبا أن يقاوموا هذا الشرك الجديد والوثنية الجديدة) أهـ ملخصا .
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
====================

العلمانيةوثمارها الخبيثة

...الحمد لله رب العالمين قيوم السموات والأرضين مدبر الخلائق أجمعين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، الصادق الأمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

...وبعد .. فهذه مقالة مقتضبة ، كتبها بعض العلماء في طائفة وفرقة خرجت في هذه الأزمنة ، وتمكنت في الكثير من دول الإسلام ، ألا وهي فرقة (العلمانية) ، التي يظهر منها الحب ، والوئام لأفراد الأمة ، ولكنها تظهر أحيانًا خفايا تضمرها تنبئ عن حقد ، وشنآن للدين الإسلامي ، وتعاليمه ، وتتنكر للحدود الشرعية ، وللعبادات ، والمعاملات الدينية ، وتجعل جل هدفها المصالح ، والشهوات النفسية ، وترى عزل الدين عن الدولة ، وترمي المتمسكين به بالتخلف ، والجحود ، والتأخر ، ولاشك أن هذه الطائفة أخطر على الأمة من المنافقين الأولين ، ومن كل الطوائف المنحرفة .

...ولقد أبان الكاتب وفقه الله جُلَّ أهداف هذه الفرقة الضالة ، وأكبر خطرها .. فجدير بالمسلم أن يأخذ حذره ، وأن يعرف عدوه ، وأن يبعد بنفسه ، وبإخوانه عن أمثال هؤلاء العلمانيين ، ليسلك سبيل النجاة .. والله الموفق الهادي إلى سبيل الرشاد .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

المقدمة

...الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

...أما بعد :

...فإن أمتنا الإسلامية اليوم تمر بقترة من أسوأ فترات حياتها ، فهي الآن ضعيفة مستذلة ، قد تسلط عليها أشرار الناس من اليهود والنصارى ، وعبدة الأوثان ، وما لذلك من سبب إلا البُعد عن الالتزام بالدين الذي أنزله الله لنا ، هداية ورشادًا ، وإخراجًا لنا من الظلمات إلى النور .

...وقد كان هذا البُعد عن الدين في أول أمره مقصورًا على طائفة من المسلمين ، لكنه بدأ الآن ينساح حتى تغلغل في طائفة كبيرة من الأمة ، وقد كان لانتشار العلمانية على المستوى الرسمي والمستوى الفكري والإعلامي الأثر الأكبر ، في ترسيخ هذا البُعد وتثبيته ، والحيلولة دون الرجوع مرة أخرى إلى نبع الهداية ومعدن التقوى .

...من هنا كانت هذه الرسالة الموجزة عن (العلمانية وثمارها الخبيثة) في بلاد المسلمين ، لعلها تُؤتي ثمارها في تبصير المسلمين بحقيقة هذه الدعوة ، ومصادرها ، وخطرها على ديننا ، وآثارها المميتة ، حتى نسارع في التحصن منها ، ومقاومتها ، وفضح دُعاتها ، والقضاء عليها – بإذن الله – حتى نعود إلى ديننا ، وتعود لنا العزة كما كانت ، { ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين } .

نسأل الله من فضله التوفيق والإرشاد والسداد .

محمد شاكر الشريف

مكة المكرمة......

ما هي العلمانية ؟!

...سؤال قصير ، لكنه في حاجة إلى جواب طويل ، واضح وصريح ، ومن الأهمية بمكان أن يعرف المسلمون جوابًا صحيحًا لهذا السؤال ، وقد كُتِبَتْ – بحمد الله – عدة كتب في هذا المجال ، وما علينا إلا أن نعلم فتعمل .

...نعود إلى جوانب سؤالنا ، ولن نتعب في العثور على الجواب الصحيح ، فقد كفتنا القواميس المؤلفة في البلاد الغربية ، التي نشأت فيها العلمانية مؤنة البحث والتنقيب ، فقد جاء في القاموس الإنجليزي ، أن كلمة (علماني) تعني :

1- دنيوي أو مادي .

2- ليس بديني أو ليس بروحاني .

3- ليس بمترهب (1) ، ليس برهباني .

...وجاء أيضًا في نفس القاموس ، بيان معنى كلمة العلمانية ، حيث يقول : العلمانية : هي النظرية التي تقول : إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية .

...وفي دائر المعارف البريطانية ، نجدها تذكر عن العلمانية : أنها حركة اجتماعية ، تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب .

...ودائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن العلمانية ، تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد ، وقد قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين :

* إلحاد نظري .
* إلحاد عملي ، وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي (2) .

...وما تقدم ذكره يعني أمرين :

...أولهما : أن العلمانية مذهب من المذاهب الكفرية ، التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا ، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها ، بعيدًا عن أوامر الدين ونواهيه .

---

(1) الرهبانية عند النصارى نوع من العبادة التي ابتدعوها ، فقوله : (ليس بمترهب) يعني ليس بمتعبد ، وهي تقارب أو تناظر التعريفين الأول والثاني ، والنصارى لا ينظرون إلى الرهبانية على أنها بدعة كما ينظر إليها المسلمون ، بل يعتبرونها دينًا صحيحًا ، وعلى ذلك فقوله : (ليس بمترهب) ، ليس نفيًا للابتداع ، وإنما هو نفي للتعبد والتدين .

(2) ما ذكرنا هنا عن دائرة المعارف البريطانية ، والقاموس الإنجليزي ، استفيد من كتاب (نشأة العلمانية) للدكتور محمد زين الهادي .

...ثانيهما : أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم ، كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس ، بأن المراد بالعلمانية : هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به ، فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه بما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها .

...ولهذا ، لو قيل عن هذه الكلمة (العلمانية) إنها : (اللادينية ، لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق) ، وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس وأوضح في المدلول .

كيف ظهرت العلمانية

...كان الغرب النصراني في ظروفه الدينية المتردية هو البيئة الصالحة ، والتربة الخصبة ، التي نبتت فيها شجرة العلمانية وترعرعت ، وقد كانت فرنسا بعد ثورتها المشهورة هي أول دولة تُقيم نظامها على أسس الفكر العلماني ، ولم يكن هذا الذي حدث من ظهور الفكر العلماني والتقيد به – بما يتضمنه من إلحاد ، وإبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة ، بالإضافة إلى بغض الدين ومعاداته ، ومعاداة أهله – أقول لم يكن هذا حدثًا غريبًا في بابه ، ذلك لأن الدين عندهم حينئذ لم يكن يمثل وحي الله الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام – ، وإنما تدخلت فيه أيدي التحريف والتزييف ، فبدلت وغيرت وأضافت وحذفت ، فكان من نتيجة ذلك أن تعارض الدين المُبدَّل مع مصالح الناس في دنياهم ومعاملاتهم ، في الوقت نفسه الذي تعارض مع حقائق العلم الثابتة ، ولم تكتفِ الكنيسة – الممثلة للدين عندهم – بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل ، حتى جعلت ذلك دينًا يجب الالتزام والتقيد به ، وحاكمت إليه العلماء المكتشفين ، والمخترعين ، وعاقبتهم على اكتشافاتهم العلمية المناقضة للدين المبدل ، فاتهمت بالزندقة والإلحاد ، فقتلت من قتلت ، وحرَّقت من حرَّقت ، وسجنت من سجنت .

...ومن جانب آخر فإن الكنيسة – الممثلة للدين عند النصارى – أقامت تحالفًا غير شريف مع الحكام الظالمين ، وأسبغت عليهم هالاتٍ من التقديس ، والعصمة ، وسوَّغت لهم كل ما يأتون به من جرائم وفظائع في حق شعوبهم ، زاعمة أن هذا هو الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له والرضا به .

...من هنا بدأ الناس هناك يبحثون عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها ، ولم يكن مخرجهم الذي اختاروه إذ ذاك ، إلا الخروج على ذلك الدين – الذي يحارب العلم ويناصر المجرمين – والتمر عليه ، وإبعاده وطرده ، من كافة جوانب الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والعلمية ، والأخلاقية ، وغيرها .

...ويا ليتهم إذ خرجوا على هذا الدين المبدل اهتدوا إلى دين الإسلام ، ولكنهم أعلنوها حربًا على الدين عامة .

...وإذا كان هذا الذي حدث في بلاد الغرب النصراني ليس بغريب ، فإنه غير ممكن في الإسلام ، بل ولا متصور الوقوع ، فوحي الله في الإسلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا هو ممكن التحريف والتبديل ، ولا هو ممكن أن يُزاد فيه أو يُنقص منه ، وهو في الوقت نفسه لا يحابي أحدًا ، سواء كان حاكمًا أو محكومًا ، فالكل أمام شريعته سواء ، وهو أيضًا يحافظ على مصالح الناس الحقيقية ، فليس فيه تشريع واحد يُعارض مصلحة البشرية ، وهو أيضًا يحرص على العلم ويحض عليه ، وليس فيه نص شرعي صحيح يُعارض حقيقة علمية ، فالإسلام حق كله ، خير كله ، عدل كله ، ومن هنا فإن كل الأفكار والمناهج التي ظهرت في الغرب بعد التنكر للدين والنفور منه ، ما كان لها أن تظهر ، بل ما كان لها أن تجد آذانًا تسمع في بلاد المسلمين ، لولا عمليات الغزو الفكري المنظمة ، والتي صادفت في الوقت نفسه قلوبًا من حقائق الإيمان خاوية ، وعقولاً عن التفكير الصحيح عاطلة ، ودينًا في مجال التمدن ضائعة متخلفة .

...ولقد كان للنصارى العرب المقيمين في بلاد المسلمين دورٌ كبيرٌ ، وأثرٌ خطيرٌ ، في نقل الفكر العلماني إلى ديار المسلمين ، والترويج له ، والمساهمة في نشره عن طريق وسائل الإعلام المختلفة ، كما كان أيضًا للبعثات التعليمية التي ذهب بموجبها طلاب مسلمون إلى بلاد الغرب لتلقي أنواع العلوم الحديثة أثرٌ كبيرٌ في نقل الفكر العلماني ومظاهره إلى بلاد المسلمين ، حيث افتتن الطلاب هناك بما رأوا من مظاهر التقدم العلمي وآثاره ، فرجعوا إلى بلادهم محملين بكل ما رأوا من عادات وتقاليد ، ونظم اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، عاملين على نشرها والدعوة إليها ، في الوقت نفسه الذي تلقاهم الناس فيه بالقبول الحسن ، توهمًا منهم أن هؤلاء المبعوثين هم حملة العلم النافع ، وأصحاب المعرفة الصحيحة ، ولم تكن تلك العادات والنظم والتقاليد التي تشبع بها هؤلاء المبعوثون وعظموا شأنها عند رجوعهم إلى بلادهم إلا عادات ، وتقاليد ونظم مجتمع رافض لكل ما له علاقة ، أو صلة بالدين .

...ومثل هذا السرد الموجز وإن كان يدلنا على كيفية دخول العلمانية إلى بلاد المسلمين ، (فإنه أيضًا ينبهنا إلى أمرين هامين) :

...أحدهما : خطورة أصحاب العقائد الأخرى ، من النصارى وغيرهم الذين يعيشون في بلاد المسلمين ، وكيف أنهم يكيدون للإسلام وأهله ؟ مما يوجب علينا الحذر كل الحذر من هؤلاء الناس ، وأن ننزلهم المنزلة التي أنزلهم الله إليها ، فلا نجعل لهم في بلاد المسلمين أدنى نوع من أنواع القيادة والتوجيه ، كما ينبغي أن تكون كل وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير موصودة الأبواب في وجوههم ، حتى لا يبثوا سمومهم بين المسلمين .. لكن من يفعل ذلك ! وكثير من الأنظمة تجعل لهم مكانة سامية من أجل نشر هذه السموم .. حسبنا الله ونعم الوكيل .

...ثانيهما : خطورة الابتعاث الشديدة على أبناء المسلمين ، فكم من مسلم ذهب إلى هناك ثم رجع بوجه غير الوجه الذي ذهب به ، وقلب غير القلب الذي ذهب به ، وإذا كانت هناك دواعي لذهاب المسلمين للحصول على المعرفة في مجال العلوم التجريبية ، فكيف يمكننا القبول بذهاب بعض المسلمين للحصول على درجة علمية في علوم الشريعة بعامة ، واللغة العربية بخاصة ؟!!

...فهل اللغة العربية لغتهم أم لغتنا ؟! وهل القرآن الكريم أنزل بلغتهم أم بلغتنا ؟!

...وهل يُعقل أن المسلم يمكنه الحصول على المعرفة الصحيحة بعلوم الإسلام وشريعته من أناس هم أشدُّ الناس كفرًا وحقدًا على الإسلام وأهله ؟!

===============

صور العلمانية

...للعلمانية صورتان ، كل صورة منهما أقبح من الأخرى :

...الصورة الأولى : العلمانية الملحدة : وهي التي تنكر الدين كلية : وتنكر وجود الله الخالق البارئ المصور ، ولا تعترف بشيء من ذلك ، بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله ، وهذه العلمانية على فجورها ووقاحتها في التبجح بكفرها ، إلا أن الحكم بكفرها أمر ظاهر ميسور لكافة المسلمين ، فلا ينطلي – بحمد الله – أمرها على المسلمين ، ولا يُقبل عليها من المسلمين إلا رجل يريد أن يفارق دينه ، (وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس على عوام المسلمين خطر ضعيف) ، وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين ، ومعاداة المؤمنين وحربهم وإيذائهم بالتعذيب ، أو السجن أو القتل .

...الصورة الثانية : العلمانية غير الملحدة (1) وهي علمانية لا تنكر وجود الله ، وتؤمن به إيمانًا نظريًا : لكنها تنكر تدخل الدين في شؤون الدنيا ، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا ، (وهذه الصورة أشد خطرًا من الصورة السابقة) من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين ، فعدم إنكارها لوجود الله ، وعدم ظهور محاربتها للتدين (2) يغطي على أكثر عوام المسلمين حقيقة هذه الدعوة الكفرية ، فلا يتبينون ما فيها من الكفر لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين ، ولذلك تجد أكثر الأنظمة الحاكمة اليوم في بلاد المسلمين أنظمة علمانية ، والكثرة الكاثرة والجمهور الأعظم من المسلمين لا يعرفون حقيقة ذلك .

...ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم ، تحارب الدين حقيقة ، وتحارب الدعاة إلى الله ، وهي آمنة مطمئنة أن يصفها أحد بالكفر والمروق من الدين ؛ لأنها لم تظهر بالصورة الأولى ، وما ذلك إلا لجهل كثير من المسلمين ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا وسائر المسلمين ، وأن يفقه الأمة في دينها حتى تعرف حقيقة هذه الأنظمة المعادية للدين .

...ولهذا فليس من المستبعد أو الغريب عند المسلم الفاهم لدينه أن يجد في كلمات أو كتابات كثير من العلمانيين المعروفين بعلمانيتهم ذكر الله سبحانه وتعالى ، أو ذكر رسوله – – صلى الله عليه وسلم – – أو ذكر الإسلام ، وإنما تظهر الغرابة وتبدو الدهشة عند أولئك الذين لا يفهمون حقائق الأمور .

---

(1) العلمانية في جميع صورها وأشكالها هي في الحقيقة ملحدة ، سواء منها ما ينكر وجود الله ، وما لا ينكر ؛ لأن أصل الإلحاد في لغة العرب معناه : العدول عن القصد ، والميل إلى الجور والانحراف .

...وإنما قلنا علمانية ملحدة ، وغير ملحدة ، جريًا على ما اشتهر عند الناس اليوم : أن الإلحاد يطلق على إنكار وجود الله فقط .

(2) كثير من الناس لا يظهر لهم محاربة العلمانية (غير الملحدة) للدين ؛ لأن الدين انحصر عندهم في نطاق بعض العبادات ، فإذا لم تمنع العلمانية مثلاً الصلاة في المساجد ، أو لم تمنع الحج إلى بيت الله الحرام ، ظنوا أن العلمانية لا تحارب

الدين ، أما من فهم الدين بالفهم الصحيح ، فإنه يعلم علم اليقين محاربة العلمانية للدين ، فهل هناك محاربة أشد وأوضح من إقصاء شريعة الله عن الحكم في شتى المجالات ، لو كانوا يفقهون .

...والخلاصة : أن العلمانية بصورتيها السابقتين كفر بواح لاشك فيها ولا ارتياب ، وأن من آمن بأي صورة منها وقبلها فقد خرج من دين الإسلام والعياذ بالله ، وذلك أن الإسلام دين شامل كامل ، له في كل جانب من جوانب الإنسان الروحية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، منهج واضح وكامل ، ولا يقبل ولا يُجيز أن يشاركه فيه منهج آخر ، قال الله تعالى مبينًا وجوب الدخول في كل مناهج الإسلام وتشريعاته : { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة } . وقال تعالى مبينًا كفر من أخذ بعضًا من مناهج الإسلام ، ورفض البعض الآخر ، { أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون } .

...والأدلة الشرعية كثيرة جدًا في بيان كفر وضلال من رفض شيئًا محققًا معلومًا أنه من دين الإسلام ، ولو كان هذا الشيء يسيرًا جدًا ، فكيف بمن رفض الأخذ بكل الأحكام الشرعية المتعلقة بسياسة الدنيا – مثل العلمانيين – من فعل ذلك فلاشك في كفره .

...والعلمانييون قد ارتكبوا ناقضًا من نواقض الإسلام ، يوم أن اعتقدوا أن هدي غير النبي – – صلى الله عليه وسلم – – أكمل من هديه ، وأن حكم غيره أفضل من حكمه (1) .

...* قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – : (ويدخل في القسم الرابع – أي من نواقض الإسلام – من اعتقد أن الأنظمة القوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام ، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين ، أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين ، أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه ، دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى) (2) .

طبقات العلمانيين

...والعلمانيون في العالم العربي والإسلامي كثيرون – لا أكثر الله من أمثالهم – منهم كثير من الكتاب والأدباء والصحفيين ، ومنهم كثير ممن يسمونهم بالمفكرين ، ومنهم أساتذة في الجامعات ، ومنهم جمهرة غفيرة منشرة في وسائل الإعلام المختلفة ، وتسيطر عليها ، ومنهم غير ذلك .

...وكل هذه الطبقات تتعاون فيما بينها ، وتستغل أقصى ما لديها من إمكانات لنشر العلمانية بين الناس ، حتى غدت العلمانية متفشية في جل جوانب حياة المسلمين ، نسأل الله السلامة والعافية .

نتائج العلمانية في العالم العربي والإسلامي

...وقد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم .

...وهاهي بعض الثمار الخبيثة للعلمانية :

...1– رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى ، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة ، والاستعاضة عن الوحي الإلهي المُنزَّل على سيد البشر محمد بن عبدالله – – صلى الله عليه وسلم – – ، بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله ، واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية ، اعتبار ذلك تخلفًا ورجعية وردة عن التقدم والحضارة ، وسببًا في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم ، وإبعادهم عن تولي الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب ، حتى لا يؤثروا فيهم .

...2– تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه ، وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية ، على أنها عصور همجية تسودها الفوضى ، والمطامع الشخصية .

...3– إفساد التعليم وجعله خادمًا لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق :

أ – بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ ، والطلاب في مختلف مراحل التعليم .

ب – تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن .

جـ – منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم .

د – تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها ، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني ، أو على الأقل أنها لا تعارضه .
هـ – إبعاد الأساتذة المتمسكين بدينهم عن التدريس ، ومنعهم من الاختلاط بالطلاب ، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش .
و – جعل مادة الدين مادة هامشية ، حيث يكون موضعها في آخر اليوم الدراسي ، وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب .
...4– إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة ، وهم المسلمون ، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد ، وصهر الجميع في إطار واحد ، وجعلهم جميعًا بمنزلة واحدة من حيث الظاهر ، وإن كان في الحقيقة يتم تفضيل أهل الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان على أهل التوحيد والطاعة والإيمان .
...فالمسلم والنصراني واليهودي والشيوعي والمجوسي والبرهمي كل هؤلاء وغيرهم ، في ظل هذا الفكر بمنزلة واحدة يتساوون أمام القانون ، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني .

---

(1) انظر الناقض الرابع من نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وكتاب العقيدة الصحيحة للشيخ عبدالعزيز بن باز ، ص28 .
...وإنما قلنا علمانية ملحدة ، وغير ملحدة ، جريًا على ما اشتهر عند الناس اليوم : أن الإلحاد يطلق على إنكار وجود الله فقط .
(2) المرجع السابق ، ص30 .
...وفي ظل هذا الفكر يكون زاج النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الشيوعي بالمسلمة أمرًا لا غبار عليه ، ولا حرج فيه ، كذلك لا حرج عندهم أن يكون اليهودي أو النصراني أو غير ذلك من النحل الكافرة حاكمًا على بلاد المسلمين .
...وهم يحاولون ترويج ذلك في بلاد المسلمين تحت ما سموه بـ (الوحدة الوطنية) .
...بل جعلوا (الوحدة الوطنية) هي الأصل والعصام ، وكل ما خالفوها من كتاب الله أو سنة رسوله – – صلى الله عليه وسلم – – طرحوه ورفضوه ، وقالوا : (هذا يعرض الوحدة الوطنية للخطر !!) .

...5- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية ، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية ، وتشجيع ذلك والحض عليه : وذلك عن طريق :

أ - القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها ، وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة .

ب - وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ، ونشر الرذيلة بالتلميح مرة ، وبالتصريح مرة أخرى ليلاً ونهارًا .

جـ - محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات .

...6- محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق :

أ - تضييق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي ، مع إفساح المجال للكتب الضالة المنحرفة التي تشكك في العقيدة الإسلامية ، والشريعة الإسلامية .

ب - إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين المنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر الضال المنحرف ، ولتحريف معاني النصوص الشرعية ، مع إغلاق وسائل الإعلام في وجه علماء المسلمين الذين يُبصِّرون الناس بحقيقة الدين .

...7- مطاردة الدعاة إلى الله ، ومحاربتهم ، وإلصاق التهم الباطلة بهم ، ونعتهم بالأوصاف الذميمة ، وتصويرهم على أنهم جماعة متخلفة فكريًا ، ومتحجرة عقليًا ، وأنهم رجعيون ، يُحارون كل مخترعات العلم الحديث النافع ، وأنهم متطرفون متعصبون لا يفقهون حقيقة الأمور ، بل يتمسكون بالقشور ويَدعون الأصول .

...8- التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية ، وذلك عن طريق النفي أو السجن أو القتل .

...9- إنكار فريضة الجهاد في سبيل الله ، ومهاجمتها واعتبارها نوعًا من أنواع الهمجية وقطع الطريق .

...وذلك أن الجهاد في سبيل الله معناه القتال لتكون كلمة الله هي العليا ، وحتى لا يكون في الأرض سلطان له القوة والغلبة والحكم إلا سلطان الإسلام ، والقوم - أي

العلمانيين – قد عزلوا الدين عن التدخل في شؤون الدنيا ، وجعلوا الدين – في أحسن أقوالهم – علاقة خاصة بين الإنسان وما يعبد ، بحيث لا يكون لهذه العبادة تأثير في أقواله وأفعاله وسلوكه خارج مكان العبادة .

...فكيف يكون عندهم إذن جهاد في سبيل إعلاء كلمة الدين ؟!!

...والقتال المشروع عند العلمانيين وأذنابهم إنما هو القتال للدفاع عن المال أو الأرض ، أما الدفاع عن الدين والعمل على نشره والقتال في سبيله ، فهذا عندهم عمل من أعمال العدوان والهمجية التي تأباها الإنسانية المتمدنة !!

...10- الدعوة إلى القومية أو الوطنية ، وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح ، على ألا يكون الدين عاملاً من عوامل التجميع ، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعد عاملاً من أكبر عوامل التفرق والشقاق ، حتى قال قائل منهم : (والتجربة الإنسانية عبر القرون الدامية ، دلَّت على أن الدين – وهو سبيل الناس لتأمين ما بعد الحياة – ذهب بأمن الحياة ذاتها) .

...هذه هي بعض الثمار الخبيثة التي أنتجتها العلمانية في بلاد المسلمين ، وإلا فثمارها الخبيثة أكثر من ذلك بكثير .

...والمسلم يستطيع أن يلمس أو يدرك كل هذه الثمار أو جُلها في غالب بلاد المسلمين ، وهو في الوقت ذاته يستطيع أن يُدرك إلى أي مدى تغلغلت العلمانية في بلدٍ ما اعتمادًا على ما يجده من هذه الثمار الخبيثة فيها .

...والمسلم أينما تلفت يمينًا أو يسارًا في أي بلد من بلاد المسلمين يستطيع أن يدرك بسهولة ويسر ثمرة أو عدة ثمار من هذه الثمار الخبيثة ، بينما لا يستطيع أن يجد بالسهولة نفسها بلدًا خاليًا من جميع هذه الثمار الخبيثة .

وسائل العلمانية في تحريف الدين في نفوس المسلمين وتزييفه

...للعلمانية وسائل متعددة في تحريف الدين في نفوس المسلمين منها :

...1- إغراء بعض ذوي النفوس الضعيفة والإيمان المزعزع بمغريات الدنيا من المال والمناصب ، أو النساء لكي يرددوا دعاوى العلمانية على مسامع الناس ، لكنه قبل ذلك يُقام لهؤلاء الأشخاص دعاية مكثفة في وسائل الإعلام التي يسيطر عليها

العلمانيون لكي يظهروهم في ثوب العلماء والمفكرين وأصحاب الخبرات الواسعة ، حتى يكون كلامهم مقبولاً لدى قطاع كبير من الناس ، وبذلك يتمكنون من التلبيس على كثير من الناس .

...2- القيام بتربية بعض الناس في محاضن العلمانية في البلاد الغربية ، وإعطائهم ألقابًا علمية مثل درجة (الدكتوراه) أو درجة (الأستاذية) ، ثم رجوعهم بعد ذلك ليكونوا أساتذة في الجامعات ، ليمارسوا تحريف الدين وتزييفه في نفوس الطبقة المثقفة على أوسع نطاق ، وإذا علمنا أن الطبقة المثقفة من خريجي الجامعات والمعاهد العلمية ، هم في الغالبية الذين بيدهم أزِمَّة الأمور في بلادهم ، علمنا مدى الفساد الذي يحدث من جراء وجود هؤلاء العلمانيين في المعاهد العلمية والجامعات .

...3- تجزئ الدين والإكثار من الكلام والحديث والكتابة عن بعض القضايا الفرعية ، وإشغال الناس بذلك ، والدخول في معارك وهمية حول هذه القضايا مع العلماء وطلاب العلم والدعاة لإشغالهم وصرفهم عن القيام بدورهم في التوجيه ، والتصدي لما هو أهم وأخطر من ذلك بكثير .

...4- تصوير العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله – في كثير من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية – على أنهم طبقة منحرفة خلقيًا ، وأنهم طلاب دنيا من مال ومناصب ونساء حتى لا يستمع الناس إليهم ، ولا يثقوا في كلامهم ، وبذلك تخلو الساحة للعلمانيين في بث دعواهم .

...5- الحديث بكثرة عن المسائل الخلافية ، واختلاف العلماء وتضخيم ذلك الأمر ، حتى يخيل للناس أن الدين كله اختلافات وأنه لا اتفاق على شيء حتى بين العلماء بالدين ، مما يوقع في النفس أن الدين لا شيء فيه يقيني مجزوم به ، وإلا لما وقع هذا الخلاف ، والعلمانيون كثيرًا ما يركزون على هذا الجانب ، ويضخمونه لإحداث ذلك الأثر في نفوس المسلمين ، مما يعني انصراف الناس عن الدين .

...6- إنشاء المدارس والجامعات والمراكز الثقافية الأجنبية ، والتي تكون خاضعة – في حقيقة الأمر – لإشراف الدول العلمانية التي أنشأت هذه المؤسسات في ديار المسلمين ، حيث تعمل جاهدة على توهين صلة المسلم بدينه إلى أقصى حدٍّ ممكن

، في نفس الوقت الذي تقوم فيه بنشر الفكر العلماني على أوسع نطاق ، وخاصة في الدراسات الاجتماعية ، والفلسفية ، والنفسية .

...7- الاتكاء على بعض القواعد الشرعية والمنضبطة بقواعد وضوابط الشريعة ، الاتكاء عليها بقوة في غير محلها وبغير مراعاة هذه الضوابط ، ومن خلال هذا الاتكاء الضال والمنحرف يحاولون تروج كل قضايا الفكر العلماني أو جُلها .

...فمن ذلك مثلاً قاعدة (المصالح المرسلة) يفهمونها على غير حقيقتها ويطبقونها في غير موضعها ، ويجعلونها حجة في رفض كل ما لا يحبون من شرائع الإسلام ، وإثبات كل ما يرغبون من الأمور التي تقوي العلمانية وترسخ دعائمها في بلاد المسلمين .

...وكذلك قاعدة (ارتكاب أخف الضررين واحتمال أدنى المفسدتين) وقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) ، (ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح) ، (وصلاحية الإسلام لكل زمان) ، (واختلاف الفتوى باختلاف الأحوال) ، يتخذون من هذه القواعد وأشباهها تُكأة في تذويب الإسلام في النحل والملل الأخرى ، وتمييعه في نفوس المسلمين .

...كما يتخذون هذه القواعد أيضًا منطلقًا لنقل كل النظم الاقتصادية ، والسياسية السائدة في عالم الكفار إلى بلاد المسلمين ، من غير أن يتفطن أكثر الناس إلى حقيقة هذه الأمور .

...وفي تصوري أن هذا المسلك من أخطر المسالك وأشدها ضررًا لما فيه من شبهة وتلبيس على الناس أن هذه الأمور إنما هي مرتكزة على قواعد شرعية معترف بها ، وكشف هذا المسلك على وجه التفصيل ومناقشة كثير من هذه الأمور على وجه البسط والتوضيح في حاجة إلى كتابة مستقلة لكشف كل هذه الأمور وتوضيحها وإزالة ما فيها من لبس أو غموض .

...ونحن نحب أن نؤكد هنا أن اعتمادهم على هذه القواعد أو غيرها ليس لإيمانهم بها ، وليس لإيمانهم بعموم وشمول وكمال الدين الذي انبثقت منه هذه القواعد ، وإنما هي عندهم أداة يتوصلون بها إلى تحقيق غاياتهم الضالة المنحرفة .

واجب المسلمين

...في ظل هذه الأوضاع بالغة السوء التي يعيشها المسلمون ، فإن على المسلمين واجبًا كبيرًا وعظيمًا ألا وهو العمل على تغيير هذا الواقع الأليم الذي يكاد يُحرِّف الأمة كلها بعيدًا عن الإسلام .

...والمسلمون جميعهم اليوم مطالبون ببذل كل الجهد : من الوقت والمال والنفس والولد لتحقيق ذلك ، وإن كان العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله وأصحاب القوة والشوكة عليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم ، لأنهم في الحقيقة هم القادة وغيرهم من الناس تبع لهم .

...ولا خروج للمسلمين من هذا الواقع الأليم إلا بالعلم والعمل ، فالعلم الذي لا يتبعه عمل لا يغير من الواقع شيئًا ، والعمل على غير علم وبصيرة يُفسد أكثر مما يُصلح .

...ولا أقصد بالعلم العلم ببعض القضايا الفقهية الفرعية ولا ببعض الآداب ومحاسن العادات ، كما يحرص كثير من الناس على مثل هذه الأمور ، ويضعونها في مرتبة أكبر من مرتبتها في ميزان الإسلام ، ولكني أقصد بالعلم ، العلم الذي يورث إيمانًا صحيحًا صادقًا في القلب ، مؤثرًا حب الله ورسوله ودينه على كل ما سوى ذلك ، وباعثًا على العمل لدين الله والتمكين له في الأرض وإن كلفه ذلك ما كلفه من بذل النفس والنفيس ، ولن يتأتى ذلك إلا بالعلم الصحيح بحقيقة دين الإسلام ، واليقين الكامل التام الشامل بحقيقة التوحيد أساس البنيان في دين الإسلام ، ثم لابد مع ذلك من العلم بالمخاطر التي تتهدد الأمة الإسلامية ، والأعداء الذين يتربصون بها والدعوات الباطلة والهدامة التي يُروَّج لها ، وما يتبع ذلك من تحقيق البراءة من أعداء الدين ، وتحقيق الولاية للمؤمنين الصادقين .

...وإذا كان من الواجب على المسلمين طلب العلم والدأب في تحصيله وسؤال أهل الذكر ، ليكون المرء على بصيرة كاملة ووعي صحيح ، فإن من الواجب على أصحاب القلم – من الكُتَّاب والناشرين – العمل على الإكثار من نشر الكتاب الإسلامي الذي يربط المسلمين بالإسلام كله ، والذي يُعطي كل شرعة من شرائع الإسلام وكل حكم من أحكامه قدره ومنزلته في ميزان الإسلام ، بحيث لا يزيد به عن قدره ولا ينزل به عن مرتبته ، ولا يضخم جانبًا على حساب جوانب أخرى متعددة ،

وفي هذا الصدد فإن الكُتَّاب والناشرين مدعُوُّون بقوة إلى الالتزام بذلك ، وخاصة في تلك الظروف العصيبة الحرجة التي تمر بها الأمة الإسلامية ، فلا يليق بهم ولا ينبغي لهم أن يُجَاروا رغبات العوام وغيرهم في الإكثار والتركيز على جانب معين من جوانب الدين مع إهمال جوانب أخرى هي في ميزان الإسلام أجلّ قدرًا وأخطر شأنًا .

...ونحن في هذا الصدد لا نريد أن نقع فيما وقع فيه غيرنا فندعو إلى إهمال الجانب الأقل في ميزان الإسلام لحساب الجانب الأكبر ، ولكنا ندعو إلى التوازن بحيث تكون الكتابات في الجوانب المختلفة متوازنة مع مرتبتها وثقلها في ميزان الإسلام ، فلا يُقبل أن تكون المكتبة الإسلامية مملوءة بالكتابات المختلفة المتنوعة عن الجن ، والسحر ، والشعوذة ، والورع ، والزهد ، والأذكار ، وفضائل الأعمال ، وفروع الفروع الفقهية ، وأشباه ذلك (1) ، بينما نجد المكتبة تكاد تكون خاوية من الكتاب الميسر الصالح للتناول لتناول العام في مجالات بالغة الأهمية .

...مثل : أحكام الفقه السياسي في الإسلام : أو بالتعبير القديم (الأحكام السلطانية) .

...ومثل : مناقشة النحل الكثيرة التي بدأت تنتشر في عالم المسلمين (كالعلمانية ، والديمقراطية ، والقومية ، والاشتراكية ، والأحزاب ذات العقائد الكفرية كحزب البعث ، والأحزاب القومية ، وغير ذلك) .

...ومثل : الكتابات التي تتحدث عن الجهاد ، لا أقصد الجهاد بمعنى فرضيته ودوامه إلى قيام الساعة ، ولكن أقصد إلى جانب ذلك الكلام عن جهاد المرتدين اليوم في عالم الحكام ، وأصحاب السلطان الذين تبنوا المذاهب الاشتراكية ، والعلمانية ، والقومية ، والديمقراطية ، وغير ذلك ودعوا إليها وألزموا الناس بها .

...ومثل : الحديث عن كيفية العمل لإعادة الخلافة الضائعة ، إلى غير ذلك من المواضيع ذات الأهمية البالغة في حياة المسلمين ، وإذا نظر الإنسان إلى ما كُتب في هذه المواضيع ، وما كُتب في المواضيع الأخرى لهاله التباين الشديد في هذا الأمر ، وإذا نظر أيضًا إلى كمية المباع من ذاك ومن هذا لهاله الأمر أكثر وأكثر .

...قد يقول الكتاب والناشرون : إن الناس لديهم عزوف عن قراءة هذه المواضيع ، لكن منذ متى كان لصاحب الرسالة التي يريد لها الذيوع والانتشار أن يطاوع الأهواء والرغبات ، وإذا كان حقًّا ما يُقال عن هذا العزوف ، فأنتم مشتركون بنصيب وافر في ذلك ؛ لأنكم طاوعتموهم على ذلك ، ولم تبصروهم بأهمية التوازن وعدم تضخيم جانب وإهمال جوانب أخرى ؛ لأن هذا الأمر سيؤدي بالناس في النهاية إلى حصر الإسلام وتضييق نطاقه في إطار عبادة من العبادات أو أدب من الآداب أو عادة من العادات ، بل قد انحصر الإسلام فعلاً عند كثير من الناس في أداء الصلاة ، وصيام رمضان ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في مجموعة من الأذكار ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في حسن الخلق ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في هيئة أو زي أو لباس ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في العلم ببعض فروع الفقه ، أو العلم ببعض قضايا مصطلح الحديث ، وهكذا .

---

(1) ونحن أكدنا وما زلنا نؤكد أنه لا يحق لأحد أن يظن مجرد الظن أننا نقلل من أي شيء – وإن كان صغيرًا – تناوله حكم الإسلام ، حتى ولو كان ما يتعلق بأدب قضاء الحاجة ، وما ندعو إليه فقط هو إعطاء كل جانب ما يستحقه في ميزان الإسلام ، وهذا الذي أكدناه وذكرناه إنما هو طريقة العلماء المنبثقة عن الفهم الصحيح للنصوص الشرعية .

...فإذا خاطبت الكثير منهم عن عموم الإسلام وشموله وحدثتهم عن بعض القضايا الهامة والملحة والمنبثقة من توحيد الله والإيمان باليوم الآخر مثل الحديث عن الحكم بما أنزل الله ، والالتزام بشرعه ووجوب السعي لإقامة دولة الإسلام وإعادة الخلافة ، وبيان بطلان المذاهب الكفرية كالعلمانية ، والديمقراطية ، وغير ذلك ، ظنوك تتحدث عن دين غير دين الإسلام ، وقالوا : هذا اشتغال بالسياسة ، ولا يجوز إدخال الدين في السياسة .

...ومثل هؤلاء لو تأكد عليهم الكلام في مثل هذه القضايا في خطب الجمعة ، وفي دروس وحلقات العلم في المساجد ، وفي الكتابات الميسرة التي يمكنهم قراءتها وفهمها بيسر ، لم يصدر عنهم مثل هذا الكلام الضال المنحرف .

...ونحن يجب علينا كتابًا وناشرين ألا نشارك في تزييف الدين وتجزئته عن طريق عرضه عرضًا ناقصًا مقصورًا على جانب من جوانبه استجابة لرغبة القراء ، ولحركة البيع والشراء ، فنكون بذلك محققين لهدف كبير من أهداف العلمانية في تضييق نطاق الدين وعزله عن الحياة .

...وقد يقول الكتاب والناشرون : نحن لا نكتب في هذه الأمور لأنها مسائل كبيرة والخطأ فيها ليس بالهين ، وهي تحتاج إلى علم كثير هو ليس في وسعنا ، وأنا معهم في هذا القول في أن كثيرين ممن يكتب هذه الأيام لا يصلح للكتابة في هذه الأمور .. إما لعدم فقههم لهذه الأمور ، وإما لأن فقههم لها قاصر ومبتور ، وإذا كان ذلك صحيحًا – وهو صحيح – في حق كثيرين ، فأين العلماء الكبار ، وأين الشيوخ الأجلاء ، وإذا لم يكن هذا هو دورهم ومهمتهم ، فما هو دورهم إذن في العمل على تغيير هذا الواقع الأليم ؟!

...وفي إطار الحديث عن العلم ونشره فإن فئة المعلمين من المدرسين والأساتذة من أدنى مراحل التعليم إلى أعلاها عليهم واجب من أهم الواجبات العامة في حقهم وآكدها وهذا الواجب يتمثل في :

...1- العمل على أسلمة المناهج بحيث تصب كل المناهج العلمية في إطار خدمة الإسلام ، وبحيث لا يكون الهدف العلمي البحت ، هو الهدف الوحيد من تدريس هذا العلم ، ونظرًا لأن ديننا من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن المكتشفات العلمية هي من خلق الله فلا تعارض إذن ولا تناقض بين العلم والدين ، وبالتالي فإن كثيرًا من الحقائق العلمية يمكن استخدامها كأدلة في مجال الإيمان ، وكثير من القوانين العلمية يمكن استخدامها كردود أو إبطال لنظريات إلحادية من وجهة نظر العلم التجريبي الذي يؤمن به الملحدون ولا يعولون على غيره ، وعلى ذلك فإن المناهج العلمية الموضوعة للتلاميذ والطلاب لابد أن يراعى فيها ذلك ، ولابد من توضيح ذلك الأمر بأوضح بيان ، ولا يكفي فيه الإشارة والتلميح ، وهذا الأمر واجب أكيد في حق أولئك الذين يضعون هذه المناهج ويقررون تدريسها .

...2- تنقية المواد العلمية من الكفريات والضلالات المدسوسة بها ، فقد يحدث أن يضع هذه المواد ومناهجها أناس غرباء على الدين ، فالواجب على المدرس المسلم

ألا يقوم بتدريس المادة العلمية كما هي ، بل لا يحق له ذلك ، وينبغي عليه كشف هذه الضلالات للطلاب وتحذيرهم منها ، وبيان الصواب فيها ، فلا يكتفي المعلم بدوره كمعلم للمادة فقط ، بل يربط هذه العلوم بالإسلام وينقيها مما فيها من الشوائب ويكون في الوقت نفسه داعية وواعظًا ومرشدًا إلى جانب كونه معلمًا ومثقفًا .

...3- أن ينتهز المعلم الفرصة كلما سنحت له لتوضيح مفهوم من مفاهيم الإسلام ، أو لتثبيت عقيدة من العقائد أو لبيان قضية من قضايا المسلمين أو لتعليم أدب من آداب الإسلام ، وهكذا .

...وكل هذه الأمور يستتبع بالضرورة تحقيقها أن يرتفع المعلمون بمستواهم العلمي والشرعي في كثير من الأمور حتى يكونوا أكفاء لهذه المهمة النبيلة التي شرفهم الله بحملها .

الخاتمة

...وفي ختام هذا البحث نأتي إلى العمل بعد العلم ، ولست أقصد بالعمل ذلك العمل الذي يعود نفعه وخيره على شخص العامل وحده ، فهذا مطلوب ، ولكن أين العمل الذي يعود نفعه وخيره على الأمة الإسلامية بالإضافة إلى شخص العامل ؟

...إنه مما يجب علينا أن نعتقد الحق ونعمل به في خاصة أنفسنا ، ومن نعول ، ثم لا نكتفي بذلك حتى ندعو الناس غيرنا ونبصرهم بحقيقة هذا الدين ، وبتكالب الأعداء علينا من داخلنا وخارجنا ، وبحجم المأساة التي تعيشها الأمة الإسلامية ، ولا يصدنا عن القيام بهذا الدور ما نلقى من عنت ومشقة ومن صدود من جانب الناس ، ومن تضييق وحرب من جانب الحكام أذناب العلمانية وعملائها .

...لابد إذن من العمل بهذا الدين ولهذا الدين ، ولابد من جمع الناس على ما يحبه الله ورسوله من الاعتقادات ، والأقوال ، والأفعال ، ولابد من تحمل التبعات في سبيل ذلك ، ولابد أيضًا من الجهاد في سبيل الله ، وإعلان الحرب على كل محارب لله ورسوله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

...ولا أحسب أني بذلك قد تحدثت عن واجب المسلمين كما ينبغي ، ولكن يكفي أن تكون تذكرة لنا جميعًا ، لعل الله ينفعنا بها .. اللهم آمين .

تم الفراغ منه في 3 من ربيع الآخر لعام 1411هـ

الأحد ليلاً

والحمد لله في الأولى والآخرة

= =============

#نقد التأسيس الأصولي للعلمانية (3-1)

أ. بلال التليدي

لم يعد مقبولاً في حقل الثقافة والتاريخ أن تستقدم مفهوماً معيناً دون أن يكون له إلى التراث الإسلامي انتساب، أو على الأقل أن تجد له نوعا من السند والمشروعية من داخل إسهامات العقل العربي الإسلامي، وهذا لا يجد تفسيراً له في محدودية الإمكان المعرفي داخل الثقافة الإسلامية كما يذهب بعض المفكرين، وإنما يجد تفسيره فيما أتصور في جدل الأنساق الثقافية، فالعلمانية كمفهوم باختلاف الدلالات المعرفية التي أعطيت له، وبالبحث في تاريخيته لم يكن بدعا من ذلك، فبانتماء هذا المفهوم إلى نسق ثقافي مغاير، وبتطوره داخل تجربة تاريخية محكومة بشروطها وملابساتها التاريخية والحضارية، صار من العسير أن يكون له وجود داخل النسق الثقافي الإسلامي إلا بتأسيس يعتمد حقل التاريخ وحقل الأصول وحقل المعرفة.

فالتاريخ باعتبار ثراء معطياته واختلاف التفسيرات التي تعطى لأحداثه يبقى هو الحقل الخصب لسحب هذا المفهوم على الثقافة الإسلامية، ولعل الدارس المتفحص يدرك لماذا يحظى حدث الفتنة بكتابات كثيرة يغلب على جلها التأكيد على العمق الدنيوي في السياسة كخطوة أولى في اتجاه نفي التدين عن حقل السياسة، بل ويدرك أيضا لماذا التركيز على بحث علاقة الفرق الكلامية بمسألة السلطة. ولا يغيب عن الناقد البصير الخلفية التي تؤطر مثل هذه الكتابات، فالتأسيس لمفهوم العلمانية داخل التجربة التاريخية الإسلامية بنفس خلفيات ودلالات التجربة الغربية ومقاييسها أمر لا يخلو من تعسف خصوصاً إذا تأملنا المنهج الدارس الذي في كثير من الأحيان ما يكون قائما على الانتقاء والتطويع والتأويل فضلا عن ضعف التوثيق وعدم الانضباط إلى منهجية البحث العلمي في التعامل مع المصادر التاريخية.

والواقع، إن تتبع التأسيس لمفهوم العلمانية من داخل حقل التاريخ قد حظي بنوع من الاهتمام لسهولة كشف تناقضاته، غير أن الأمر الذي لا نجد له كثير تتبع وتعقب

هو التأسيس للعلمانية من داخل حقل الأصول أو حقل المعرفة عموماً، ولعل ذلك يرجع بالأساس إلى:

قلة مشاريع التأسيس للعلمانية من داخل الحقل الأصولي والمعرفي.

دقة المفاهيم الأصولية وعدم تيسر تحصيلها لكل دارس.

ضرورة خضوع التأسيس لنوع من النسقية كي يتجنب التناقض أو على الأقل الإيرادات التي تفقده تماسك المفهوم والمشروع.

لماذا التأسيس من داخل الحقل الأصولي المعرفي؟

لم يكن هناك مسوغ يدعو العلمانيين إلى بحث ونخل التراث الإسلامي للبحث عن تأسيس أصولي معرفي لمسألة العلمانية. فعالمية المفهوم وكونيته وجاذبيته كافية في نظر العلمانيين لجعل المفهوم مقبولا داخل البيئة الإسلامية. غير أن المفهوم في معركة الصراع الثقافي لا يكفي فيه العالمية والكونية، فهو يستلزم أن يصير عنصرا طبيعيا داخل الثقافة الإسلامية، وهذا لا ينال طبعا بالاستنبات القهري، وإنما ينال بالتجذير، وتجذير المفهوم معناه البحث عنه وعن أصوله، والتأسيس له من داخل الحقل الأصولي المعرفي.

ولهذا فالدارس لتطور مفهوم العلمانية في الوطن الإسلامي لا يستغرب كثيراً في الاضطرابات التي رافقت المقاربات الفكرية لمسألة العلمانية بحيث إنها وصلت إلى حد التناقض. فمن راديكالية المفهوم والهجوم على التراث باعتباره مادة التخلف والانحطاط، إلى محاولة تمثل هذا التراث والتأسيس من داخله لفكرة العلمانية. وهذا لا يجد تفسيره في فهم فكرة العلمانية ودلالتها، وإنما في تكييف المفهوم ومرونة تنزيله في الواقع. فالأمر بكلمة، ليس مراجعة معرفية لمفهوم العلمانية، ولكنه التكيف مع معطيات الواقع وموازين القوى الثقافية السائدة فيه أو بمعنى آخر: إنه العلمانية حين تأخذ معاني مختلفة وأشكالاً متنوعة بحسب اعتبارات الموقع والتكتيك السياسي.

والحاصل، إن تجذير فكرة العلمانية لم يكن ليتم في غياب استيعاب للتراث الإسلامي بمجمل إسهاماته، والبحث عن تأسيس معرفي لهذه الفكرة.

فالقصد من التعامل مع التراث الإسلامي لم يكن معرفيا، وإنما كان إيديولوجيا وسياسيا، ولهذا لا تخلو الكتابات العلمانية الدارسة لتراثنا الإسلامي من انتقاء مخل،

أو تطويع متعسف، أو تأويل متكلف. وقلما تجد هذه الكتابات تهتم ببحث المنهجية المعرفية التي أنتجت هذا التراث. فالباحث الذي يتأثر بالثورة الكنطية، ويرى ضرورتها لتطوير التجربة الإسلامية، ولا يكون همه بحث جوانب المنهجية الإسلامية والإفادة منها، وإنما الذي يشغله بشكل أكبر هو البحث عن جوانب قصور العقل العربي الإسلامي عن تمثل التجربة الحضارية الغربية حتى تراه كثيراً ما يجنح إلى فترات من السياق الحضاري الإسلامي ليتخذ منها نموذجاً للحكم، وبهذا الخصوص يمكن أن نسجل بعض الملاحظات بخصوص بعض المقاربات العلمانية:

ولوع التفكير العلماني بالنماذج.

التركيز على مراحل معينة من تاريخ الإسلام.

التأكيد على تاريخية المفهوم، وعلاقته بساحة الصراع السياسي.

فإذا اتضح كما رأينا المقصد العام الذي دفع العلمانيين للتأسيس لفكرة العلمانية من داخل الحقل الأصولي المعرفي زال الغموض عن الدوافع التي تجعلهم ملتزمين بما ذكرنا من ملاحظات.

فالولوع بالنماذج أمر يعطي للتأسيس مشروعية ويعطيه أيضاً مصداقية القانون العام، فالنموذج المدروس ببعض تفاصيله وحيثياته تعمم النتائج التي توصل الباحث إليها بخصوصه على كل الظواهر. ولهذا لا نستغرب كثيراً عندما ننتقل إلى الحقل الأصولي فنجد التركيز الكبير على نموذج " نجم الدين الطوفي" وجعله الأكثر عقلانية داخل التراث المعرفي الأصولي الإسلامي، أما إذا ما جئنا إلى حقل المناظرات العقدية والكلامية فكثيراً ما نجد نموذج " القرامطة" يتناول بكثير من البحث عند فئات من الباحثين العلمانيين، كما نجد نموذج " المعتزلة" عند طائفة أخرى من الباحثين، بينما لا تحظى نماذج أخرى بأدنى دراسة علمية كاشفة عن المنهجية المعرفية التي كانت تنتظم إسهاماتها. فإذا انتقلنا إلى الحقل العرفاني السلوكي نجد الوله بنموذج "ابن عربي" أو الولوع بتفصيل مذهب التصوف الغنوصي كما لو أن تراثنا الإسلامي يخلو من كل لون من ألوان التصوف السلوكي السني!!

هذه بعض الأمثلة التي تؤكد هذه الملاحظة، وكثيراً ما تقترن هذه الملاحظة بانتقاء فاضح يفقد النموذج جوهره، فنموذج "ابن خلدون " غالبا ما ينظر إليه كرائد للعقلانية

الإسلامية وصاحب الرؤية التاريخية، وبالماركسي الذي سبق ماركس وبنعوت يطول ذكرها. فهذا النموذج مثلا يتعامل معه بانتقاء، فتتحول عباراته المبثوثة في مقدمته إلى عبارات فاقدة لمضمونها الحقيقي، وتنتزع الأفكار من سياقاتها الحقيقية، حتى إن الدارس حين يطلع على إسهامات ابن خلدون وحين ينظر إلى ما كتب حوله من طرف هؤلاء يتصور أنهما شخصيتين في تاريخ الإسلام، فالانتقاء والاجتزاء لازمان من لوازم المنهج العلماني في التعاطي مع تراثنا المعرفي. وهكذا فالاهتمام بالنموذج إلغاء للنماذج الأخرى، واختزال بعض المفاهيم واجتزاء بعض العبارات وإفراغها من مضمونها الحقيقي إلغاء للمنهجية التي أطرت تفكير هذا النموذج المتخذ موضوعا للدراسة ومعيارا للحكم على باقي الظواهر.

وإذا انتقلنا إلى الملاحظة الثانية، نجد العلمانيين لا يهتمون بالتاريخ الإسلامي في تطوره بجميع حيثياته وتفاصيله وسياقاته، فتراهم يشغبون أنفسهم بالبحث في مرحلة معينة من مراحله، وخصوصاً الإسهامات الأصولية والمعرفية التي كانت سائدة فيها، وهذا يجعلهم أكثر قدرة على تجذير مفهوم العلمانية انطلاقا من خلق التماثل بين السياق العربي والإسلامي أقصد مرحلة من مراحله والسياق الغربي، فإذا نجح العلماني في خلق هذا التماثل في وعي القارئ هان عليه بعد ذلك تجذير المفهوم بالإحالة على التجربة الحضارية الغربية الحالية وعوامل قيامها. والدارس اللبيب لا يعدم وجود مفارقات عميقة بين السياقين لا تكاد تخفيها الدراسات العلمانية المولعة بشحذ كل آليات المنهجية المعرفية لخلق عنصر التماثل بين التجربتين.

أما الملاحظة الثالثة فمأخذها عميق، فالتأكيد على تاريخية المفهوم وعلاقته بساحة الصراع السياسي أمر بقدر ما يحتاج إلى تدقيق فهو يحتاج أيضا إلى إعمال النظر في الخلفية العامة التي تؤطر هذا المنهج. فتاريخية المفهوم لا تعني سوى الظروف والحيثيات التي أنتجته، وعلاقته بساحة الصراع السياسي لا تعني سوى استخدام السلطة المصلحي لكل مفهوم، أو قل للدقة: الضرورة التي تدعو السلطة إلى إنتاج المفاهيم العامة لتأكيد سيطرتها. وهذا ما يمكن أن نصطلح عليه: " زمنية المفهوم" وفيه قدر كبير من الخطورة، ذلك أن كثيرا من المفاهيم نشأت بحكم قداسة النص ابتداء، أو من دقة الاجتهاد وانضباطه لأصول النظر المعتبر، فإذا أخذنا هذا

المعطى بعين الاعتبار فإننا ندرك الخلفية الجاثمة وراء هذه المقاربة العلمانية، فالقصد هو نفي القداسة عن كل المفاهيم، وربطها بعنصر الزمن، وهذا ما يجعل القارئ المتشبع بهذه الكتابات يتجرأ على بعض المفاهيم العقدية القطعية باعتبارها مفاهيم زمنية منتجة داخل سياق حضاري مشروط بظرفيته الزمنية، وتكفي دعوى تطور الحيثيات والمعطيات التاريخية لإعمال هذه الجرأة وتعميمها على جميع إسهامات العقل المسلم..

هذه عموماً بعض الملاحظات عل كتابات العلمانيين، وهي مفيدة تجعل القارئ على بصيرة بالمنهجية التي يلتزمها العلماني في الكتابة، وعلى وعي بالخلفية العامة التي تؤطر تفكيره. وحتى لا نبقى في مجال التعميم، نحاور نموذجا نعتقد أنه أخصب نموذج وأكثر استيعابا وأقدر على شحذ المفاهيم وتحليل بنيات التفكير، والتأسيس الذكي لمفهوم العلمانية، وسنختار نموذج محمد عابد الجابري من خلال ما يلي:

مفهوم العقل.

وجهة نظر حول المعيارية.

نقد مقولة: الأعرابي صانع الحضارة العربية

النظم المعرفية والحظوظ الإيديولوجية: التهميش والإقصاء.

وهذه الأفكار سوف نناقشها في الحلقة القادمة بإذن الله من هذا المقال التحليلي.

1427/1/13

المصدر: http://www.almoslim.net

============

#نقد التأسيس الأصولي للعلمانية (3-2)

مناقشة نموذج محمد عابد الجابري

أ. بلال التليدي

حاولنا في الحلقة الأولى من هذا البحث التحليلي، معرفة أهمية أن ينطلق التأسيس للعلمانية من داخل الحقل الأصولي والمعرفي، ونذكر هنا مثالاً عن محمد عابد الجابري، لنستعرض مجموعة من الأفكار حوله، منها:

حول مفهوم العقل:

يرى الجابري أن النهضة لا يمكن أن تتصور من دون نقد للعقل، النقد الذي يعني مراجعة شاملة لآلياته ومفاهيمه وتصوراته، وقبل أن نمضي في مقاربة مفهوم العقل، يجدر بنا أن نشير إلى ملاحظة نراها جد ضرورية. إن ربط مشروع النهضة بالعقل ونقد آليات اشتغاله ومفاهيمه وتصوراته يحيلنا على التجربة الغربية وتاريخ الثورات النقدية، ولعل الثورة (الكنطية) التي أشرنا إليها من قبل تأتي في هذا السياق. فالبحث عن عنصر التماثل بين السياقين الحضاريين الإسلامي والغربي حاضر بكل قوة في هذه المقدمة التي صدر بها الجابري مشروعه النقدي، ولعلنا نراها بوضوح أكبر في تفصيلنا لمفهوم العقل.

يستعين الجابري، بل ينطلق من التمييز المشهور الذي أقامه (لالاند) في معجمه الفلسفي بين العقل المكون بكسر الواو والعقل المكون بفتحها، أي بين العقل الفاعل والعقل السائد. والعقل العربي الذي يقصده الجابري هو العقل المكون أي جملة من القواعد والمبادئ التي تقدمها الثقافة العربية للمنتمين إليها كأساس لاكتساب المعرفة، أو التي تعرضها عليهم كنظام معرفي.

ويستعين مرة أخرى بمنهجية المقاربة بين مفهوم العقل في الثقافة اليونانية والأوربية وبين مفهومه في الثقافة العربية ليخلص في نهاية العرض والتحليل إلى ثابتين يحددان بنية العقل الإغريقي والأوربي:

- اعتبار العلاقة بين العقل والطبيعة علاقة مباشرة.
- الإيمان بقدرة العقل على تفسيرها والكشف عليها.

فالثابت الأول يؤسس وجهة نظر في الوجود، والثابت الثاني يؤسس وجهة نظر في المعرفة.

أما مفهوم العقل العربي في الثقافة العربية فهو يرتبط أساسا بالسلوك والأخلاق، فهو بهذا الاعتبار تحكمه النظرة المعيارية إلى الأشياء، وهي لا تعني سوى ذلك الاتجاه الذي يبحث للأشياء عن مكانها وموقعها في منظومة القيم التي يتخذها التفكير مرجعا له ومرتكزا.

والناظر إلى هذه الخلاصة يظهر له الميزة الموضوعية للعقل الإغريقي والأوربي الذي يبحث في الأشياء عن مكوناتها الذاتية، ويحاول الكشف عما هو جوهري فيها،

في حين تظهر الميزة الاختزالية المعيارية التي تختصر الشيء في قيمته. فالعقل الإغريقي والأوربي عقل موضوعي تحليلي تركيبي في حين إن العقل العربي عقل معياري أخلاقي قيمي اختزالي. والجابري حينما يقرر مثل هذه الخلاصة لا يعوزه أن يستأنس ببعض معاجم اللغة وببعض تحديدات العلماء القدامى، فقد التمس نصا للجاحظ وآخر للشهرستاني، وقد اعتذر عن إيراد نصوص أخرى حتى لا يسقط في تجميع وثائق عديدة فيسقط نفسه في النزعة المعيارية.

غير أن ما ذهب إليه الجابري لا يسلم من جهات متعددة نحب أن نفصلها في المآخذ التالية:

المأخذ الأول: يبدو أن هناك تسرعا يجانب إلى حد كبير قواعد المنهج العلمي خصوصا في إطلاق مثل هذه الأحكام التي تحتاج إلى دراسة علمية مدققة. ذلك أنه من التعسف أن نتحدث عن مفهوم العقل من داخل الثقافة الإسلامية دون أن نرصد دلالات هذا المفهوم من مصدر هذه الثقافة. فقواعد المنهج العلمي تلزم باستقراء مصطلح عقل بجميع مشتقاته وتصريفاته من داخل الثقافة العربية الإسلامية، تلك في ما أتصور أول خطوة ومنطلق للعلم والبحث المنهجي. ثم إننا لو سلكنا نفس المنهج الذي التزم به الجابري لما عدمنا وجود نصوص إغريقية أو أوربية عبر التاريخ الطويل يستعمل فيها العقل للدلالة على الجانب الأخلاقي القيمي، وذلك لا يكون بحال مسوغا للحكم عليه بالنزعة المعيارية.

المأخذ الثاني: إن الحديث عن الميزة الموضوعية للعقل الإغريقي والأوربي يستبطن منطلقا واختيارا حضاريا يفرض علينا نوعا من التمايز والاختلاف. فكون العلم في التصور الغربي لا يؤمن بمصدر آخر للعقل وقواعده غير الواقع، يجعلنا في وضع يسمح لنا بالقول: إن الجابري يكاد يربط بشكل كبير بين الموضوعية التي تعني النزوع نحو التحليل والتركيب، وبين العقل كأداة وحيدة لفهم الواقع وتحليله. ومعلوم أن التصور الإسلامي يجعل الوحي والكون الذي يعني الواقع الموضوعي كعنصرين متلازمين مشكلين للمعرفة. وإذا كان القصد من نقد العقل العربي هو تخليصه من نزعته المعيارية وذلك بتمحور العلاقات على محور واحد قطباه: العقل والطبيعة، فإن هذا الطرح يستبطن اتهاما للوحي باعتباره مساهما ومحددا لمعيارية العقل العربي.

وهذا طبعا غير ظاهر في كتابات الجابري، إلا أن المتفحص لهذه الكتابات يجد مثل هذه الإشارات الدقيقة والخطيرة والتي تحتاج إلى تعقب وتوقف.

المأخذ الثالث: ونقصد به ما أكدناه في حلقة سابقة من مركزية التجربة الغربية ونموذجيتها. ولعل المقارنة التي استعان بها الجابري كانت قاصدة، وإن ألغت السياق التاريخي، فالمشروع نقدي، والعقل بآلياته وتصوراته يحتاج إلى مراجعة شاملة. فالميزة التحليلية والتركيبية للعقل لا تعني سوى تمثل نفس السياق الغربي وإعلان الثورة الكنطية من داخل الثقافة العربية الإسلامية بما يعني إقصاء كل من يساهم في إضفاء الطابع المعياري على العقل، ولا يتحقق ذلك سوى بإبعاد الوحي من ساحة تشكيل العقل وبناء قواعده ووسائل اشتغاله. من هنا تظهر خطورة التأسيس المعرفي للعلمانية الذي يسعى الجابري عبر الإيبستمولوجيا إلى إثباته.

المأخذ الرابع: إن مقاربة العقل العربي لا يمكن أن تتم بذكر النصوص الشارحة لمادة (ع. ق. ل). أتصور أن هناك منهجان لتحديد مفهوم العقل:

الأول: استقراء دلالات العقل من داخل مصادر المعرفة العربية الإسلامية ابتداء من القرآن والسنة...

الثاني: اشتغالية العقل العربي نفسه، ذلك أن مفهوم العقل العربي لا يمكن معرفته من خلال التحديدات المعجمية، وبعض السياقات الكلامية، وإنما من خلال صور اشتغال العقل وتجليات النشاط الذهني.

وبهذين المنهجين يمكن أن نخلص إلى ما يمكن من خلال رصده وتحليله إطلاق الأحكام عليه.

وجهة نظر حول المعيارية:

يبدو أن مسألة المعيارية تحتاج إلى نوع من التحديد، فكثيرا ما يكون الاختلاف في الدلالات باعثا على الاختلاف في الأحكام. فالجابري يرى أن النظرة المعيارية نظرة اختزالية تختصر الشيء في قيمته، وهي عنده ذلك الاتجاه في التفكير الذي يبحث للأشياء عن مكانها وموقعا في منظومة القيم الذي يتخذها ذلك التفكير مرجعا له ومرتكزا. وإذا شئنا أن نعلق تعليقا بسيطا على هذا التحديد، لا ينبغي أن نلغي التحديد الآخر للنزعة الموضوعية التي وسم بها الجابري العقل اليوناني والعقل

الأوربي. فقد استعان بهذا التقابل أو التضاد والتمايز كأداة منهجية لبيان مفارقات العقلين. وإذا كانت النزعة الموضوعية هي التي تبحث في الأشياء عن مكوناتها الذاتية، وتحاول الكشف عما هو جوهري فيها، فالنزعة المعيارية لا تهتم بهذا الموضوع، بل كبير همها هو البحث في قيمة الشيء. وقبل أن نسجل بعض المآخذ على هذا المنهج وهذه الأحكام نضع أمام القارئ مقدمتين نستعين بهما:

المقدمة الأولى: قد يبدو للقارئ من خلال التدقيق في المقابلة الواردة في تحديد الجابري أنه لا تعالق ولا ارتباط البتة بين البحث في قيمة الشيء وبين البحث في مكوناته الذاتية للكشف عما هو جوهري فيه، كما أنه لا توافق البتة بين النزعة الموضوعية والنزعة المعيارية.

المقدمة الثانية: الفكر العربي في نظر الجابري ينطلق من الأخلاق إلى المعرفة، بينما العقل الإغريقي والأوربي ينطلق من المعرفة إلى الأخلاق. ففي حالة الفكر العربي لا ينصب التفكير حول اكتشاف العلاقات التي تربط بين ظواهر الطبيعة بعضها ببعض، وبالتالي اكتشاف نفسه من خلالها، وإنما مهمة التفكير ووظيفته وعلامة وجوده هي حمل صاحبه على السلوك الحسن ومنعه من إتيان القبيح.

والظاهر أن المسألة لا بد فيها من توضيح لطبيعة التصور الإسلامي. فخلق الإنسان ومعرفة الغاية من وجوده أمران محددان لطبيعة التفكير داخل التصور الإسلامي. فمن خلال العلاقة بين أصل الوجود وغاية الوجود تبرز صفة التسخير وقضية الاستخلاف. فالكون كله مسخر للإنسان، ولا استخلاف ولا عمارة دون معرفة هذا الكون بظواهره، ومعرفة العلاقات التي تحكمها ومحاولة تفسيرها لاستثمارها في اتجاه الغاية الاستخلافية، وبناء على هذا التصور، فالمعيارية لا تعني سوى غائية محفزة للتفكير في اتجاه عمارة الأرض والاستخلاف فيها، فهناك تعالق وارتباط كبير بين الوجود والمعرفة والقيم. فتفسير أصل الوجود وغايته يبعث على المعرفة، والقيم محفزة للتفكير ومحددة لأخلاقه وضوابطه.

إن السياق الحضاري الغربي وخلفية الصراع التاريخي الذي تحكمت في تطور العقل الأوربي جعلت من مسألة الطبيعة منطلقا لاكتساب كل المعارف بما فيهل الأخلاق نفسها، والقيم لا يمكن تلمسها من بحث قوانين الطبيعة، ذلك أن الطعن في مصداقية

الدين المسيحي لم يكن له من معنى سوى إعادة النظر في جميع مفاهيمه وتصوراته التي تشكل العقل الغربي وفقاً لها وعلى قاعدتها، وحيث إن أصل الوجود وغايته ومسألة القيم والأخلاق قضايا لا يمكن الاستغناء عن إعطاء أجوبة بصددها، فلم يعد هناك من مصدر لتلمسها في التجربة الغربية سوى الطبيعة نفسها ما دام الدين قد خرج من ساحة الصراع السياسي منهزما أمام المد التحرري اللائكي. أما في التصور الإسلامي، فالتفسير الذي يعتمده القرآن لمسألة أصل الوجود وغايته يبعث الإنسان على التأمل والتفكير في المسخرات لامتلاك معرفة بالكون تسمح بحسن الاستثمار والعمارة لأداء وظيفة الاستخلاف الرباني. والقيم الأخلاقية هي ذلك الباعث على التفكير أولا، المحدد لأدائه، الضابط لمساره واتجاهه. أما منهج التفكير فشيء ملتمس من المسخرات. أما النصوص فلا تقدم سوى المقدمات والمبادئ والتوجهات العامة المفروض الانضباط لها.

ولعل استقراء آيات القرآن ونصوص الحديث، ورصد صور اشتغال العقل العربي يؤكد هذا المعنى. ولهذا فالحكم الذي قرره الجابري، والمقابلة التي أجراها تعتبر غير ذات معنى في غياب التأكيد على سياق التطور التاريخي للعقل الغربي، وخلفية الصراع قبل عصر النهضة.

نعم هناك مجال واسع يشتغل فيه العقل العربي الإسلامي، ويكون فيه التفكير منصبا على حمل الإنسان على السلوك الحسن ومنعه من السلوك القبيح، وهذا المجال له موقعه داخل حقل التفكير الإسلامي، وداخل الرؤية الإسلامية وداخل التصور الإسلامي. فمهمة الاستخلاف بقدر ما تحتاج إلى إعمال العقل لاكتشاف الكون وظواهره ومعرفة العلاقات التي تربط بينها وتفسيرها بقدر ما تحتاج أيضا إلى تزكية الإنسان وحمله على الالتزام بقيم الدين. فنظام الحياة لا يستقيم فقط بالمعرفة، ولكنه أيضاً يتقوم بالأخلاق والقيم. والتصور الإسلامي لا ينفي وجود منهج أصيل ومؤصل يستعين بالكون لمعرفة أصل الوجود ولمعرفة القيم أيضا. غير أن هذا المنهج هو منهج واحد إلى جانب مناهج كثيرة ينبغي أن تكون كلها متضافرة تسهم كلها في بناء المعرفة. وهذه هي طريقة القرآن عند التأمل والنظر، إذ لا يقصر المعرفة على طريق واحد مادامت المسالك صحيحة، والبراهين داعمة.

والخلاصة التي انتهينا إليها بعد هذه المآخذ أنه لا يمكن بحال تحديد العقل العربي في غياب تحديد منطلقات التصور الإسلامي والرؤية العامة التي يشتغل داخل سقفها العقل العربي الإسلامي.

والجابري محكوم كما سبق الإشارة بمركزية التجربة الغربية، ونموذجية الاختيار الحضاري الغربي، ولهذا فقد غيب الإطار العام الذي يشتغل فيه العقل العربي الإسلامي، وهذا التغييب هو الذي دفعه إلى إلغاء مجال كبير لاشتغال العقل العربي الإسلامي: مجال النظر في الكون والكشف عن ظواهره والعلاقات التي تحكمها وتفسيرها، وأيضا مجال النظر في التجربة الإنسانية عبر التاريخ والنظر في النفس البشرية لاكتشاف قوانين التاريخ والاجتماع والنفس. أعتقد هذا مجال واسع، بل مجالات تم تغييبها، وهي عند النظر والتأمل والدراسة تكشف عن الطابع الموضوعي التركيبي للعقل العربي الإسلامي.

نتابع في الحلقة القادمة بإذن الله، الحديث عن مقولة "الأعرابي صانع الحضارة"، لنتناولها بشيء من النقد والتحليل، ونذكر ملاحظاتنا على التأسيس الأصولي للعلمانية.

1427/1/21

المصدر : http://www.almoslim.net

============

العلمانية وخطرها

الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالي

الحمد لله القائل: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً [الفرقان: 31] وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد القائل: {تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك}.

وصلى الله وسلم وبارك على آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين...وبعد:

فلا شك -أيها الإخوة- في الله أن العلمانية بتلك المنزلة من الخطورة، وأنكم جميعاً -والحمد لله- على علم بها، فالعلمانية هي أكثر المذاهب الفكرية وضوحاً وجلاءً في الواقع المشاهد المحسوس، وإن كانت ربما تبدو غامضة في الذهن، فهي منهج

واقعي ضخم، تعيش الأرض جميعاً -إلا ما رحم ربك- هذا المبدأ، وهذا المنهج القائم على الشرك بالله – سبحانه وتعالى – وهو أعظم وأكبر ذنب عصي الله – عز وجل – به، القائم على أن الدين الذي أنزله الله- تبارك وتعالى -والكتاب والحق الذي شرعه لا شأن له في حياة الناس، بل ذلك الشأن للأرباب والمتفرقين والمتألهين من العباد والأنظمة والمناهج، وليس لله – عز وجل –في نظر أولئك المجرمين- من نصيب، إلا ما يُؤدَّى من شعائر تعبدية، أو ما يسمى بالصلة الروحية به – سبحانه وتعالى –، هذه قضية معروفة عن هذا المنهج في كل مكان وجد فيه؛ ولا سيما حيث نبتت بذوره الخبيثة في أوروبا المجرمة الشاردة عن دين الله – سبحانه وتعالى – شرقها وغربها، الشيوعي منها والرأسمالي.

ولا يهمنا الآن أن نتحدث عن العلمانية، بقدر ما يهمنا الحديث عن الطور الجديد الذي تعيشه، فإن الأفكار تنمو كما تنمو الأمم، وتتطور كما يتطور الأفراد أو الكائنات الحية، وإنه لا يليق بالأمة الإسلامية أن تقف عند تصور محدد لمجابهة فكرة خطيرة، بينما تلك الفكرة قد انتقلت إلى مرحلة أعلى من المجابهة، وإلى درجة أكثر من التنظير، فيجب علينا أن نعيش كل مرحلة وأن نجتهد في مواجهة كل مستوى من مستويات الانحراف، بحسب مقتضى الأحوال.

المصدر : http://www.alhawali.com

===========

#العلمانيون قنطرة الغرب إلى بلادنا

د. عبد الخبير عطا

حاورته/ د. ليلى بيومي

مفكرة الإسلام: الدكتور عبد الخبير عطا، أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الإسلامية بماليزيا، أحد الباحثين الإسلاميين في مجال العلوم السياسية، يتبنى قضية هامة وهي محاولة إخراج المناهج السياسية من ظلمات الكهنوت الكنسي والمناهج الغربية لإعادة بنائها على أساس إسلامي خالص، وللوصول إلى هذه الغاية يتبنى د. عبد الخبير عطا مجموعة من المناهج يحاول تأصيلها في أبحاثه ودراساته، ويركز على فقه الواقع وفقه السنن وفقه التاريخ وفقه المستقبل..في إطار مؤسس على فقه شرعي

يعصم هذه المناهج من النظريات السياسية الغربية المؤسسة على الرؤية الكنسية ثم الرؤية العلمانية.وهو يرى أن مجال العلوم السياسية قد غاب عنه المسلمون، وغابت عنه الصحوة الإسلامية، وينادى بأن يخترق الشباب المسلم هذا المجال ليغسل ما فيه من فساد ويهضمه، ثم يتخطاه برؤية إسلامية ليكون لدينا في النهاية أصول واضحة لعلم سياسة إسلامي. وعن هذه القضايا وغيرها كانت لنا معه هذه الوقفات وهذا الحوار أثناء زيارته للقاهرة.

** هناك انتقادات توجه للنظام السياسي في الإسلام من قبل خصومه من العلمانيين تقول: إنه لا يوجد في الإسلام تصور واضح عن ذلك، ولم يلتزم الحكام عبر التاريخ الإسلامي بنظم سياسية قاطعة.. كيف تردون على هذه الاتهامات؟

* الله – سبحانه وتعالى – بعد أن خلق الإنسان رزقه منهجاً ربانياً، وأمره أن يتبعه لكي يحيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة، ومن يلتزم بهذا المنهج فهو من الفائزين، ومن لم يلتزم به فهو من الخاسرين. وإقامة الدولة الإسلامية فرض على المسلمين لأن لها وظائف يجب أن تقوم بها.. أهمها وظيفة تبليغ الدعوة للناس فيصبح لدينا ثلاث كلمات هي [دعوة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر جهاد] وهذه الأركان الثلاثة تعتبر فروضاً على الدولة الإسلامية.

والآمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني إقامة نظام أو منهج حياة تطبق فيه الأوامر الإلهية، ومن هذه الأوامر ما يتصف بالثبات كالقيم والمبادئ مثل مبدأ الشورى، ومبدأ السيادة للشرع، ومبدأ السلطان للأمة، ومنها ما يتصف بالتغير، وهى الوسائل التي تتبع لتطبيق المنهج كي يناسب الزمان والمكان، وهكذا فنحن وصلنا إلى النقطة الرئيسة في السؤال ويكون النقاش حول الوسائل والأساليب التي تتبع لتحقيق هذه المبادئ والقيم.

والإسلام أرسى المبادئ العامة التي لو اتبعها المسلمون وحافظوا عليها لحققوا العدل فيما بينهم وذلك باتباع مبدأ الشورى، ثم مبدأ السيادة للشرع، ثم مبدأ السلطان للأمة. ووسائل تقويم السلطان موجودة، ثم إن الإسلام فرض على الأمة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي لو تم تنفيذها لنجت الأمة من الانحلال والانحطاط. أما فريضتا الدعوة والجهاد فهما لنصرة الإسلام ونشره خارج الحدود.

وكون المبادئ الإسلامية السياسية لم تناقش التفاصيل فهذا من أسباب قوتها وليس من أسباب ضعفها فهي قد تركت لكل عصر ترتيب أموره بما لا يتناقض مع أصول الشريعة.

** الحركة الإسلامية الآن، في محاولة منها لتحسين صورتها أمام الغرب في الخارج وأمام الحكومات في الداخل تقترب من المفهوم الغربي للديمقراطية.. هل ترى أنها على حق في ذلك؟

* الكلام يتصل بمحاولة البعض مخاطبة الغرب من خلال المفاهيم التي يدركونها خصوصاً مفهوم الديمقراطية التي تعني في جوهرها حق الأمة في اختيار من يحكمها وتعني أيضا أن الشعب هو مصدر التشريع.

فهناك جانب مشترك بين الشورى كمنهج إسلامي، والديمقراطية كمنهج غربي، ولكن الاختلاف هو أن المسلمين رزقوا بمنهج وهم مأمورون بتطبيقه وليس لهم أي عذر في عدم تطبيقه.. بينما في المجتمعات الغربية فإنهم يسعون إلى صياغة منهج من عقولهم.

وبعض رموز الحركات الإسلامية حاول أن يتفاهم مع الغرب ويوضح أن الحركات الإسلامية أفضل من كثير من التيارات والاتجاهات الأخرى إذا وصلت الحكم بالنسبة لعلاقاتها مع الغرب؛ لأن الأساس في تعايش المسلمين مع غيرهم هو السلم وليس الصراع والحرب.

ونعود للقضية مرة أخرى ونقول: إن هناك جانباً مشتركاً بين الشورى والديمقراطية.. ولكن هناك خلافاً جوهرياً في مرجعية كل منهما، والعبرة عندنا في الأهداف والمعاني وليست في الألفاظ والمباني، والأمر الأهم من ذلك هو ثقة المسلمين في دينهم وفي أنفسهم حينما يخاطبون الغرب وفي عدم هزيمتهم أمامه روحياً ونفسياً وحضارياً.

** الحركة الإسلامية في مجال طرح الأفكار وسحب البساط من تحت أقدام العلمانيين والشيوعيين تقدم تنازلات، مثل الاعتراف بالعلمانية كتيار، رغم أن هذا التيار لا يعترف بالحركة الإسلامية ومرجعيتها. هل يمكن أن يؤدي هذا المنهج إلى خسارة التيار الإسلامي؟

* نفضل أن نميز بين فئتين من العلمانيين: فئة جاهلة بالحق فعلينا أن نحاورها كي تفهم الحق وتلتزم به، وفئة أخرى تعرف الحق ولكنها تعاند، وبعضهم رضي أن يكون طابوراً خامساً يوظف لخدمة أعداء الأمة، وأن يكونوا قنطرة لتمرير أفكار الغرب، والتشويش على المسلمين، وإثارة الشبهات حول المنهج الإسلامي من حيث إمكانية تطبيقه.

إلا إن المنهج الإسلامي ينبغي أن يكون من القوة والشمول بحيث يمكنه أن يستوعب مثل هؤلاء المرضى حتى وإن كانوا من الرافضين له. وأنا أؤيد الحوار معهم لكشفهم ولتوضيح زيف دعواهم وليس للتعاون معهم. فهم من ناحية غير مخلصين وكارهون للإسلام، ومن ناحية أخرى هم قلة منبوذة عن روح وضمير الشعب المسلم في كل مكان.

** أعداء الحركة الإسلامية في الداخل ومعهم أسيادهم في الغرب ينتقدون الإسلاميين لدخولهم حلبة العمل السياسي، في حين نراهم يسكتون عن تنامي تيار الأصولية المسيحية في الغرب.. كيف تفسرون ذلك؟

* الإجابة تكون في حقائق: الحقيقة الأولى هي أنهم أخذوا فكرة 'لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة' من الغرب، والغرب معذور في هذه الدعوى لما لاقاه على يد الكنيسة.. ولكن التغافل عن أننا مسلمون لدينا منهج أمرنا بإتباعه أمر غير مقبول. فالإسلام دين ودولة لأنه لا يطبق هذا المنهج إلا دولة.

وبعد فترة طويلة من انحطاط المسلمين ظهرت الصحوة الإسلامية التي تسعى لإقامة الدولة الإسلامية والخلافة الإسلامية. ولذلك فإن مختلف فصائل الحركة الإسلامية تتفق في الأهداف والغايات ولكنها تختلف في الوسائل.

والحقيقة الثانية هي أن العلمانيين ينكرون حقيقة تنامي الحركات الدينية في الغرب ويجعلون عنصر الدين في التحليل السياسي من العناصر الهامشية؛ وذلك لأنهم لا يريدون أن يكون لفصائل التيار الإسلامي مكانة بارزة على المسرح السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية، وهم يريدون الحفاظ على مكانتهم القيادية حتى لا يكونوا أتباعا، والعلمانيون لا يسلمون أن للمعركة بعداً دينياً حتى لا يسلموا للإسلاميين بقيادتها.

** ما هي أبرز انتقاداتك للحركة الإسلامية؟

* هناك عيوب عامة في بعض الحركات الإسلامية تتمثل في أن الأسلوب العملي في إطارها لا يلتزم بالقيم والمبادئ الإسلامية التي تتنادى بها، أي أننا أمام انفصال بين الأفكار التي تنادي بها والواقع الذي تعيشه وتمارسه.

الحركة الإسلامية تعاني أيضاً من مشاكل في تطبيق مبدأ الشورى واختيار القيادة وعلاقة القمة بالقاعدة.

فما تعيبه الحركات على النظم تنفذه هي داخلها.. وبالتالي نصبح أمام سيادة نوع من الديكتاتورية في التنظيم يؤدي إلى تأليه القادة فتقع هذه الحركات في المحظور وتفقد مصداقيتها.

ومن رحمة الله – تعالى –أنه يؤخر النصر حتى يتم استكمال متطلباته لكي لا تتمكن حركة من تقديم نموذج معوق يكون فتنة للناس، كما أن بعض الحركات الإسلامية لم تتقن الأدوار وهو الأمر الذي يقتضي التنسيق بين الحركة الإسلامية، وأن يقوم كل فصيل بدور معين تعرفه كل الفصائل وتقدره.

والملاحظ أيضاً أن فن التعامل مع الآخرين يغيب عن فصائل الحركة الإسلامية، وهذا الفن ينطلق من مبدأ [من لا تسعه العقيدة تسعة السياسة] وهو ما يمكن أن يتيح لهذه الحركات إقامة تحالفات سياسية تضيف إلى رصيدها وتكسب خبرة مضافة.

ونقطة أخرى، وهي ضرورة أن تتعامل الحركة الإسلامية مع القوى السياسية في المجتمع انطلاقا من مبدأ التجسير وليس التكسير في العلاقة، وهو المبدأ الذي ما تزال الحركات الإسلامية لا تتقنه.. ذلك لأن الحركة الإسلامية تحتاج إلى أن تنطلق في حركتها من مبدأ اختراق المجتمع بفئاته المختلفة وليس التقوقع على الذات. ومن عيوب عدد من الحركات الإسلامية التقوقع على الذات والذوبان الكامل في التراث وهذا يؤدي إلى الموت البطيء.

** من خلال خبرتكم الأكاديمية، ما أبرز الاتجاهات الموجودة على الساحة التي تنافس الحركة الإسلامية؟ وهل يمكن التنبؤ بمستقبلها السياسي؟

* هناك تيارات عديدة.. لكن المحك فيها.. هل هي وطنية أم لا؟

فالمعيار هو الوطن ما داموا رافضين للدين.. فإذا كانوا رافضين للدين فيجب ألا يكونوا عملاء ضد الوطن الذي يعيشون فيه. والخبرة والتاريخ والحقيقة تقول: إن الغرب يستخدم هذه التيارات ضد الإسلام، فالتيار القومي مثلا تم تضليله والتغرير به؛ لأن القومية اختراع غربي بديل للإسلام بعد سقوط الخلافة. وتم تخدير العرب به لفترة طويلة وثبت فشله وزيفه بعد احتلال العراق للكويت. وهنا يجب أن نعترف أن كثيراً من التيارات القومية تيارات وطنية، ولكن عيبها أنها قصيرة النظر وقصيرة النفس.

وبالتالي فهناك مساحة مشتركة بين الإسلاميين والقوميين.

أما العلمانيون فمعظمهم عملاء ولكنْ فيهم المضلّلون، وهؤلاء أخوة لنا ويجب أن نأخذ بأيديهم.

والتيار اليساري بعد أن فقد البوصلة مع انهيار الشيوعية شعروا بالأزمة وبدءوا يتحولون.. فمنهم من يتحول ناحية الفكر القومي، ومنهم من يتحول ناحية الإسلام، ومعظمهم يتحولون ناحية الحكومات للتمتع بالمنافع والغنائم.

** لاحظت أنكم تتحدثون عند تحليلكم للأحداث عن أكثر من منهج مثل فقه السنن وفقه الواقع وفقه التاريخ وفقه المستقبل. هل هذا منهج جديد؟ وما الذي يتيحه لرجل السياسة؟

* كلمة فقه، البعض يتصور أنها صعبة الفهم، ولكنها تعني في أبسط معانيها فهم الشيء المراد في ضوء الشرع. وإذا تحدثنا عن فقه السنن فنحن نتحدث عن كيفية فهم سنن الله في الكون في ضوء ما يسمى 'بالإرادة الكونية' وكذلك 'الإرادة الشرعية'. ومن هذه السنن الوعد بنصر الله للمؤمنين بشروط، وأيضا الوعد بهزيمة الكافرين والظالمين مهما طال أمد تمكنهم، فتصبح هذه السنن مثل القوانين تسري على الحياة البشرية.

وفي ضوء فقه السنن يمكن فهم ثلاثة أنواع من الفقه، وهي فقه التاريخ، أو فهم التاريخ أو ما يسمى عند البعض 'التفسير الإسلامي للتاريخ' الذي يختلف عن التفسير الرأسمالي والتفسير الاشتراكي، ثم فقه الواقع الذي يعنى فهم الأحداث والوقائع في ضوء الضوابط الشرعية، وهو منهج يميز المسلمين عن غيرهم حيث

إنهم مأمورون بالتفكير في مغزى الأحداث وإدراكها من خلال منهج متميز للتفكير يسمى 'التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة'، والذي نسميه ' فقه الوجود '، أي ذلك المنهج الذي يفسر أو يجيب على أربعة أسئلة: من أين وجدنا؟ وإلى أين نسير؟ ولماذا نسير؟ وكيف نسير؟.. هذه الأسئلة الأربعة لا يقدم إجابة صحيحة عنها إلا المفكر المسلم الذي ينطلق من الوحي.

فالعلاقة بين الإنسان وبين الله علاقة عبودية، والعلاقة بين الإنسان والكون علاقة تسخير وتفكير، والعلاقة بين الناس وبعضهم علاقة أخوة.. وفي هذه الأخوة هناك ولاء للمؤمنين وبراء من الكافرين، والعلاقة مع الحياة علاقة ابتلاء وفتنة. والشيوعيون والرأسماليون حاولوا أن يفهموا سبب وجودهم فتاهوا.. ولا يفهم ذلك إلا المسلمون.

ثم هناك فقه المستقبل وهو لا يعني التنبؤ، ولكن يعني فهم المستقبل القريب والبعيد في ضوء السنن وفي ضوء فقه التاريخ وفقه الواقع وفي ضوء فقه الوجود، وهنا يتميز المسلمون عن غيرهم.

المصدر: http://www.islammemo.cc

============

#العلمانية في العالم العربي

د. محمد يحيى

مع تصاعد وتيرة الهجوم على ما يسمى بالتطرف أو حتى الإرهاب الإسلامي في العالم العربي . وهو هجوم يطال الدين الإسلامي وحده . بدأت جهات رسمية تروّج من خلال الإعلام والمنابر الفكرية والثقافية لفكرة العلمانية باعتبارها المخرج الأكيد من أزمة التطرف الديني.

وبعد أن كان الحديث عن العلمانية يدور على استحياء داخل دوائر ضيّقة من المثقفين والكُتّاب المرتبطين بالغرب وفي إطار مذاهب فكرية معينة يدعون لها، تحوّل هذا الحديث إلى المجال العام إعلامياً وثقافياً وحتى سياسياً كما أن الفكرة العلمانية طرحت الآن ومن خلال المنابر الرسمية بشكل مجرد من أي التباس مع مذاهب فكرية أو سياسية مثل الشيوعية أو القومية أو الاشتراكية كما كان يحدث حتى الماضي القريب.

ولم يعد الآن لدعوى العلمانية في غطاء سوى حديث مبهم حول الليبرالية والديموقراطية والمواطنة والتحديث مع تعريف كل هذه التوجهات في إطار لا ديني بحت بل وجعلها قرينة للعلمنة. وما يميز الطرح الجديد للعلمانية مع سفور الوجه هذا أنها أصبحت ببساطة تعني الاشتباك مع الإسلام بهدف حصاره ورده عن ساحة العمل العام وليس فقط عن السياسة كما يدعى بعض من يروّجون لها لأنه لا وجود للسياسة فعلاً في العالم العربي باستثناء تجارب فجة توصف بأنها حزبية وهي في الواقع لا تمت للديموقراطية بصلة.

ومع وضع العلمانية موضع الاشتباك المباشر مع الدين تقترن الدعوى بتيار التغريب والتبعية بشكل مباشر من خلال الحديث عن ضرورة اللحاق بالغرب الموصوف تعسفياً بالمتقدم وضرورة التحديث والعصرنة. ويصب هذا المسلك بعامة في إطار المواقف الرسمية للعديد من الحكومات في العالم العربي والتي أصبحت تنتهج سياسة سافرة في التبعية للغرب في شتى المجالات وعلى رأسها المجال السياسي والاقتصادي مما يشير بأن العلمانية في طرحها الجديد ليست بعيدة عن الإيعاز الرسمي الداخلي والتوجه الفكري الخارجي.

ومن هذه الزاوية تفتقر الدعوة العلمانية إلى أبسط ما تنادي هي به في دعايتها من استقلالية الرأي وإعمال الفكر النقدي. لكن هذه القيم موجهة فقط ضد الإسلام أو ما يسمونه بالنصوص المقدسة لكنها لا توجه أبداً ضد شتى الطروحات الغربية التي تكتسب في ظل هذا الطرح العلماني قداسة لا يزعمها لها دعاتها في مصدرها الأصلي في الغرب.

وهذه سمة كبرى أخرى من سمات الطرح العلماني الراهن ألا وهي تبني موقف النسبية المطلقة فيما يتعلق بالإسلام وتراثه وأفكاره وشريعته في وقت يسود فيه التقديس والتوقير وإطلاق الأبدية والعالمية والثبات على مذاهب الغرب المختلفة رغم إدراك الكل أن هذه المذاهب ذات نشأة بشرية وضعية محضة وهي أكثر ما تنطبق عليه النسبية التاريخية والتغير وعدم الشمولية أو العالمية.

والسمة الثالثة للطرح العلماني الراهن في العالم العربي . وهي كذلك تحمل طابع التناقض . هي اعتناقها الحاد للأحادية والاحتكارية في النظر والتصرف حتى وهي

تزعم رفع شعارات يكثر أصحابها من ترديدها في شتى المنابر حتى كادوا يجعلونها من مميزات مذهبهم لوحده دون سائر الأفكار، وأعني بذلك شعارات التعددية والحرية وانفتاح الفكر والقبول بالآخر وما شابه.

فعند المحك تصطبغ الرؤية العلمانية بنزعة تسلطية إقصائية بل واستئصالية شديدة فيما يتصل بالإسلام وسائر جوانبه كالمكون الرئيسي لهوية الأمة العربية. والتعددية والقبول بالآخر عندهم تعني فقط أنه يجب على الإسلام والمسلمين أن يقبلوا بهم ويفسحوا لهم الطريق ويتنازلوا لهم عن الساحة العامة، لكن هذه الشعارات لا تعني في المقابل ولو من قبيل الدعاية والتظاهر أن تقبل العلمانية بوجود الإسلام وتعاليمه وحركاته ومظاهره كما لا تعني مطلقاً أن يسمح للإسلام ولو بوجود ما في المجال العام على قدم المساواة مع غيره من العقائد أو المذاهب.

وكلما تعالت أصوات العلمانيين بالحديث عن التعددية والحرية والقبول بالآخر كلما تصاعد القمع والإقصاء والإبعاد ضد الإسلام ودعاته. وللعلمانيين من منطلق الغطرسة والخداع مقولة لا يملون من ترددها في مثل هذا الصدد وهي أنه لا حرية ولا ديموقراطية لأعداء الحرية والديموقراطية وهم بالطبع الإسلاميون في نظر العلمانية. ومرة أخرى نجد أن هذا الموقف يصب في خانة دور العلمانية في طرحها الحديث كأداة قمع في أيدي جهات رسمية وأجنبية في العالم العربي وليست توجها فكرياً عادياً أو طبيعياً.

ومن سمات الطرح الجاري للعلمانية والتي تلفت النظر لمخالفتها الصارخة لما يتردد في منبرهم من طنطنة كثيرة حول الليبرالية هي أن العلمانيين يلتصقون أكثر ما يلتصقون بالدعوات والتوجهات والأحزاب والجهات شديدة الدكتاتورية والتسلط والتي تمارس شتى أنواع القمع السياسي والاقتصادي والتي لم يعرف عنها إلا النزعات الاحتكارية والاستئثار بكل المقدرات والسلطات والنفوذ والمنابر.

ومما يشار إليه في هذا الصدد ما يحدث في مصر مثلاً حيث تلتقي الدعوة العلمانية بشكل واضح مع تيارات القمع السياسي والأمني وتباركها وتوجد لها الأعذار والمبررات بل وتشجعها بكل صلافة وتبجح.

كذلك نجد في مصر أن دعاة العلمانية من خلال شعار الليبرالية لا يجدون أي غرابة أو تناقض في التحالف مع دعاة الفكر الرأسمالي المتوحش والطاغي الذي يبشر باحتكار كبار رجال الأعمال كما يسمون لإمبراطوريات مالية هائلة قليلة العدد ومتحالفة مع أهل السلطة والحكم. يحدث ذلك بينما أهم ما يميز دعوى الليبرالية هي التبشير بفكرة الحرية الاقتصادية والتجارية تحت الشعار التاريخي 'دعه يعمل دعه يمر'. والضحية الرئيسية الوحيدة لهذا المسلك غير الليبرالي من جانب دعاة الليبرالية هو الإسلام وحركاته السياسية ودعاته وتجاربه ولاسيما في المجال الاقتصادي لأن الليبراليين المزعومين لا يسمحون بالليبرالية لأحد إلا لأنفسهم فقط.

إن دعوة العلمانية التي تنطلق الآن من أبواق عديدة وبتحريض وتشجيع رسمي واضح تحتوي على تناقضات جوهرية كانت كفيلة بالقضاء على أي دعوة أخرى لا تتمتع بالتشجيع الرسمي.

ولكن هذه التناقضات تغفر للعلمانية ولا يثيرها أحد في وجهها لأن الجميع يعلمون أن العلمانية في هذا الطرح الجديد تؤدي دور السلاح الموجه ضد الإسلام وليست مطروحة طرحاً عادياً كأي مذهب فكري آخر.

والواقع أن هذا الاستخدام غير الموضوعي للعلمانية يكشف أصحابها على أنهم مجرد أدوات وأبواق وليسوا أصحاب فكرة حقيقية.

ولكونهم أبواق وأدوات فإنهم يحظون بحماية وحصانة ولا يسمح لأحد بمناقشة أفكارهم ويمنحون احتكارات واسعة مقصورة عليهم لكل الإعلام والثقافة والفكر والعمل السياسي.

المصدر : http://al-shaab.org

===========

#العلمانية وثقافة السلام

أحمد إدريس الطعان

ولكن الأمر المستغرب في عصر الغرائب أن الضحية التي تُذبح وتُخنق هي التي توصم بالعنف والإرهاب والعدوان، أما الجاني فهو داعية الحرية والديمقراطية ورافع لواء التحضر، وراعي السلام! أرأيت لو أن شخصاً قام يخنق شخصاً آخر، وبالطبع

فإن المخنوق سوف يدافع عن نفسه بأظافره وأسنانه، وربما يتسبب في بعض الخدوش التي تلحق خانقه، أرأيت لو أن الجاني قام بعد أن يفرغ من ضحيته وعقد مؤتمراً رام فيه أن يقنع الناس بأن الضحية كان إرهابياً عنيفاً عدوانياً ، لماذا؟ بسبب هذه الخدوش والجروح التي لحقت به!.

في الوقت الذي كان فيه الإنكليز يحتلون البلاد العربية والإسلامية، ويرتكبون الفظائع من قتل وتدمير وإبادة وتجويع وتجهيل في العراق، والهند، ومصر، كان سلامة موسى يتغزل بالإنجليز فهم "النظاف الأذكياء". وهم "أرقى أمة موجودة في العالم، والخلق الإنجليز يمتاز عن سائر الأخلاق، والإنسان الإنجليزي هو أرقى إنسان من حيث الجسم والعقل والخلق"، ثم دعا إلى التعاون معهم وهم يحتلون البلاد، ويقتلون العباد فقال: "فنحن إذا أخلصنا النية مع الإنجليز فقد نتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم، وهم في الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا، فإننا نقضي على مراكز الرجعية في مصر، وننتهي منها، فلنول وجوهنا شطر أوربا".

هذا هو ثمن السلام بنظر سلامة موسى أن نتعاون مع الإنجليز، ونضمن لهم مصالحَهم، ومصالحُهم أن يظلوا جاثمين على صدر مصر، ينهبون خيراتها ويستذلون أهلها، ويدوسون كرامتها، ولكن هذا لا يشكل خطراً على سلامة موسى لأنه سيظل هو والنخبة الربيبة ينعمون بالرفاهية، ويتمتعون بالخيرات ما دام أسيادهم راضين عنهم، آمنين لجانبهم. والربح الذي يحققه سلامة موسى من التعاون مع الإنجليز هو القضاء على الرجعية، والرجعية المقصودة عنده والتي يحلم بالقضاء عليها هي الأزهر الذي يبث فينا ثقافة القرون المظلمة، وشيوخ الأزهر المأفونين، الذين لا يكفون عن التوضؤ على قوارع الطرق. أليس هذا هو "الفاشيست" الذي يتحدثون عنه؟!.

واليوم يدعونا طارق حجي إلى الإيمان بحتمية الوصول إلى السلام مع إسرائيل، وعلينا أن نكافح لترسيخ ثقافة السلام بدلاً من ثقافة العدوان وأن نسير على خطا السادات لكي تتجنب المنطقة السقوط في العنف والماضوية والتخلف والفقر، وعلينا أن نقبل قيام دولة ديمقراطية لا دينية على كامل تراب فلسطين يتساوى فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون.

ويعني هذا أن يتنازل الفلسطينيون عن مقدساتهم، وعن حق العودة للمشردين من أبنائهم ويرضخوا لما يفرضه منطق القوة الإسرائيلي والأمريكي. إنها دعوة للاستسلام تحت عنوان: "الإيمان بحتمية السلام".

أما مراد وهبة فالعلمانية بنظره هي الحل لمشكلة الشرق الأوسط في فلسطين ذلك أنه يعرف العلمانية بأنها "النظر إلى النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق"، ويعني بذلك سيادة النسبية على كافة المستويات، وإقصاء المطلقات من الوجود، لأنه لا وجود لحقيقة مطلقة، والقول بها مجرد خرافة، وسيادة المطلق يهدد السلام العالمي، لأنها ستدخل في صراع كما هو الحال بين المطلقات الثلاثة الإسلامي اليهودي والمسيحي، وليس من وسيلة لحل هذا الصراع إلا بالقضاء على المطلقات، ويتم ذلك بنفي "الدوجماطيقية"، أي نفي علم العقيدة، لأن مفهوم الحرب كامن في هذا العلم.

لأن هذا العلم قائم على اليقين "واليقين لا يمكن أن يكون إلا مغلقاً، ولهذا فهو يؤول في المنتهى إلى الدوغمائية التي تُترجَم تعصباً وتحزباً وربما عنفاً وإرهاباً"، ومع أن هذا الكلام لا يرضي الناطقين باسم الغائب والمدافعين عن العقائد وحراس النصوص كما يقول الخطاب العلماني، إلا أنه يقرر ذلك ليؤكد على أن الصراع العربي الإسرائيلي في النهاية هو صراع مطلقات، والحل الوحيد في العلمانية لأنها المضاد الحيوي للأصوليات الدينية التي تغذي المطلقات وتتغذى منها، وعلى ذلك بدلاً من شعار "الإسلام هو الحل" تصبح "العلمانية هي الحل".

ولكن تجاهل مراد وهبة هنا أن العلمانية تصالحت مع الصهيونية واليهودية وبررت لهم وجودهم في فلسطين، وشرّعت لاستمرارهم فيها على حساب العرب والمسلمين الذين لم يربحوا شيئاً، ولم يحصلوا على شيء من علمانية مراد وهبة، إلا إذا كان مراد وهبة وأمثاله سيجيبون بأن الربح العربي يتمثل في النجاة من القنابل النووية الإسرائيلية، وهذا ما لا يحسب الأصوليون المسلمون حسابه، لأن الخوف من الموت لا يردعهم عن المطالبة بحقوقهم ولديهم من الآليات والوسائل "الإرهابية" ما يجعل إسرائيل تفقد صوابها.

بقي أن نتساءل: ألم تتحول علمانية مراد وهبة إلى مطلق هي أيضاً ينفي المطلقات الأخرى؟ فإذا قرر هو وشيعته أن "العلمانية هي الحل"، وقرر المسلمون بشكل مطلق أن "الإسلام هو الحل"، وقررت إسرائيل أن "التلمود هو الحل"، أفلا تدخل العلمانية هنا طرفاً جديداً فيما يسميه "صراع المطلقات"، وبالتالي فإن أية رؤية تُطرح على أنها الحل هي بنظر أصحابها مطلق على الآخرين أن يرضخوا لها، وهكذا فإنه لا خلاص من المطلق، ولا بد من مطلق واحد تذعن له كل الأطراف المعارضة.

ونتساءل مرة أخرى: هل حربنا مع إسرائيل هي حرب مطلقات؟ في الواقع لا، لأننا نحن لا نحارب إسرائيل لندخلها في مطلقنا الإسلامي، وإسرائيل لا تحاربنا لتدخلنا في مطلقها اليهودي، نحن نريد أن نستعيد أراضينا المغتصبة في إطار وعود ومؤامرات دبرت على مرأى ومسمع من كل العالم، ونريد أن يعود الشعب المشرد الطريد في كل بقاع العالم إلى أرضه ودياره، ويريد الشعب المضطهد المقموع أن يتخلص من الاضطهاد والقمع، ويتمتع بحريته وكرامته واستقلاله، فأين المطلقات في هذا الصراع؟ وإذا كانت حربنا مع إسرائيل حرب مطلقات، فإن هذا يعني أنه لا يوجد خلاف بين شخصين في محكمة إلا ويمكن تسميته أيضاً "صراع مطلقات"، وأن الإنسان الذي يأتي ليغتصب منزل مراد وهبة أو يعتدي على أسرته أو حتى على حياته، على مراد وهبة ألا يدافع عن نفسه –طبقاً لعلمانيته أو لنسبيته– حتى لا يدخل في صراع المطلقات.

ولكن الأمر المستغرب في هذا العصر عصر الغرائب أن الضحية التي تُذبح وتُخنق هي التي توصم بالعنف والإرهاب والعدوان، أما الجاني فهو داعية الحرية والديمقراطية ورافع لواء التحضر، وراعي السلام! أرأيت لو أن شخصاً قام يخنق شخصاً آخر، وبالطبع فإن المخنوق سوف يدافع عن نفسه بأظافره وأسنانه، وربما يتسبب في بعض الخدوش التي تلحق خانقه، أرأيت لو أن الجاني قام بعد أن يفرغ من ضحيته وعقد مؤتمراً رام فيه أن يقنع الناس بأن الضحية كان إرهابياً عنيفاً عدوانياً، لماذا؟ بسبب هذه الخدوش والجروح التي لحقت به!. أليست هذه مهزلة؟

إن هذا ما يحدث اليوم في غابة البشر، ولكن لا عليك فنحن في عصر المهازل!.نحن أمة تُذبح وتُباد وتُخنق وبدلاً من أن يتصايح أبناؤها للجهاد، وينفروا

خفافاً وثقالاً بأموالهم وأنفسهم، تجد دور النشر ومؤتمرات الحوار ورهط كبير من الباحثين يدعون إلى اللاعنف، واللاإرهاب، واللاعدوان!!.

المصدر : http://www.alasr.ws

============

#العلمانية تصرع الكاثوليكية في أوروبا

28ربيع الثاني 1426هـ الموافق له 5 يونيو 2005م

هل يعيد التاريخ نفسه ولكن في الاتجاه المضاد؟

لعله، فالويلات التي عانتها العلمانية على يد الكنيسة الكاثوليكية في مطلع العصور الوسطى يبدو أنها تجرعها للكنيسة الآن بما في ذلك محاكم التفتيش نفسها، فقد اشتكى الكرسي الرسولي ممثل الكاثوليكية العالمية مما وصفه بـ'العلمانية المتشددة'، والتي قال: إنها صارت تطرد الكنيسة من الحياة العامة في أوروبا، وقد وصل الكرادلة إلى حد الشكوى مما وصفوه بأنه محاكم تفتيش جديدة تشهدها القارة الأوروبية، ولكن ضد الكاثوليكية هذه المرة.

ويشير رجال الدين المسيحيون إلى سياسات من قبيل الحظر الفرنسي على الرموز الدينية البارزة في المدارس، ورفض الاتحاد الأوروبي الإشارة إلى الله في الدستور الأوروبي المقترح، فضلاً عن مقترحات أسبانيا بتشريع الزواج المثلي، ويقول الكاردينال مارتينو الذي يرأس المجلس البابوي للعدل والسلام لبرنامج بهيئة الإذاعة الخارجية للبي بي سي: ' شهدت الكنيسة خلال ألفي عام من تاريخها توجهات من هذا القبيل صعوداً وهبوطاً، والآن صار هناك توجه لإقصاء الكاثوليك الذين يتم الدفع بهم فيما يشبه الجيتو'.

مسألة بوتيليوني:

وفي إنجلترا وويلز أصدرت الكنيسة الكاثوليكية منشوراً قبل الانتخابات الأوروبية قالت فيه: "إنه يجب على الناخبين أن يهتدوا بالتعليم الديني حينما يصوتون"، وقال الكاردينال مارتينو: 'هناك أمور متفق عليها من جانب السياسيين والمؤمنين، ويجب أن يكون للكنيسة صوت'.

وينظر البعض في الفاتيكان إلى حالة روكو بوتيليوني – وهو صديق مقرب للبابا السابق – على أنها من أبرز الحالات على تغلب الفكر العلماني فوق الاعتبارات المسيحية، فقد سمت إيطاليا بوتيليوني ليتولى منصب مفوض الاتحاد الأوروبي للعدل وللشؤون الداخلية، غير أن نواب الاتحاد الأوروبي رفضوا ترشيحه بعد أن وصف الجنسية المثلية بأنها 'خطيئة'، وقال بوتيليوني لبرنامج' أساينمنت بالبي بي سي' إنه شعر أنه تم إقصاؤه 'بسبب معتقداتي الدينية'، وقال: 'في ظل نظام حكم ليبرالي يتم تقييم الخط السياسي والفكر السياسي لمرشح ما، ولكن لا يتم فرض محكمة تفتيش أو شرطة تفرض على المرشح ما يخالف ضميره'، 'هذا هو ما فُعل ضدي في ساحة البرلمان الأوروبي'.

ووصف بوتيليوني موقف نواب البرلمان الأوروبي بأنه 'انتهاك للفصل الليبرالي التقليدي بين العام والخاص'، وليست هذه المرة الأولى التي يعرب فيها الفاتيكان عن قلقه إزاء تأثير العلمانية في أوروبا، ففي عام 1870 وبعد فقدان الدول البابوية صار لدى الفاتيكان – الذي انحسر سياسياً في المدينة الدولة الصغيرة – توجه متشكك إزاء الحكام العلمانيين، وقال البابا بيوس الخامس: إن 'اللهُ طرد من الحياة العامة بالفصل بين الكنيسة والدولة'.

ولكن فرانكو بافونشيللو خبير العلوم السياسية بجامعة جون كابوت بروما يبدي اندهاشاً من مخاوف الفاتيكان بأن أوروبا العلمانية والكنيسة الكاثوليكية صارا على نهج تصادمي، إذ يقول: 'إذا كان من قاسم مشترك في أوروبا فهو الدين الواحد، فهذه قارة اصطبغت منذ وقت طويل بمسيحيتها'، غير أن بافونشيللو يعتقد أن بعض الأوروبيين ربما 'عادوا إلى قيم مسيحية أكثر تشدداً' بسبب تأثير الإسلام.

وقد حث البابا الأساقفة الأسبان على الدفاع عن القيم التقليدية، معارضين الإصلاحات التي يسعى الحزب الاشتراكي الحاكم لإدخالها، وهي التي تشمل تشريع الزواج المثلي الذي تشير استطلاعات الرأي إلى أن غالبية الأسبان يؤيدونه، فضلاً عن تدريس فكرة الدين بشكل عام في المدارس دون التركيز على المسيحية وحدها.

'التكيف دون اندثار':

ولكن الفاتيكان يقول: إن هذا البرنامج يهدف إلى 'تعزيز احتقار الدين أو الجهل به'، غير أن وزير العدل الأسباني خوان فرناندو لوبيز أجويلار يصر على 'إننا نقوم بوظيفتنا فحسب، فنحن محاسبون أمام المواطنين، وليس أمام الكنيسة الكاثوليكية'، ويضيف 'هذا مجتمع علماني، نحن مستعدون لاحترام كافة الحريات الدينية في أسبانيا، ولكننا مستعدون أيضاً لتعزيز مبادرتنا التشريعية، والقيام بواجباتنا'، ويقول أجويلار إن الكنيسة الكاثوليكية 'جاهرت وبقوة' بتصريحاتها بأن استخدام الواقي الذكري، وممارسة الجنس قبل الزواج 'خطيئة'، ويضيف 'وبالنظر إلى اعتبارات من هذا القبيل من الصعب جداً إتاحة الفرصة لحل وسط'.

ولكن الآب فيفاس سوتو من مجموعة منتدى الأسرة الأسبانية يقول: إن مقترحات الحكومة 'لا تؤثر في الكنيسة فحسب بل تؤثر في المجتمع بأكمله'، ويضيف 'حينما يتم تناسي كرامة الحياة البشرية، ويتم تشجيع الإجهاض، حينما يتم الحط من قدر الزواج وما يحمله من ثراء؛ فإن مكوناً أساسياً من المجتمع يتم تقويضه'.

وفي وسائل الإعلام الأسبانية جاءت ردود الأفعال على تصريحات الفاتيكان مختلطة، فقد اتهمت صحيفة إلبايس اليومية البابا بإثارة 'توترات سخيفة' غير أن الموندو حثت الجانبين على 'الهدوء'.

وتقول الكاتبة كاياتانا ألفوريز ديتوليدو، وهي من الكتاب البارزين بالموندو 'إن فحوى الرسالة [الحكومية] هي أن الكنيسة الكاثوليكية مؤسسة عتيقة، ورجعية تماماً، وترتبط بحقبة فرانكو، وبالحقبة المظلمة لمحاكم التفتيش في تاريخ أسبانيا'، وتضيف 'غير أن هذا بالطبع ليس صحيحاً تماماً، فأمام الفاتيكان معضلة عويصة يتعين حلها وهي: كيفية مواكبة الحداثة، وفي الوقت ذاته عدم فقدان مبدأ أخلاقي أساسي، إذ عليه التكيف دون اندثار'.

انتقدت الكنيسة الكاثوليكية خطط الحكومة الأسبانية للموافقة على زواج المثليين، وقارنت ذلك بإطلاق فيروس في المجتمع، وتقول الحكومة إنها تتوقع أن يكون بوسع المثليين الزواج بشكل رسمي في العام القادم، ويؤكد مشروع القانون التراجع الكبير في نفوذ وسلطة الكنيسة في أوروبا الغربية، والوضع كذلك بالأخص في أسبانيا التي

كانت حتى وقت قريب واحدة من أكثر الدول الأوروبية إخلاصاً لمبادئ الكنيسة الكاثوليكية.

'عملة مزيفة':

وأثار مشروع القانون الذي يتيح زواج المثليين المتوقع أن توافق عليه الحكومة الاسبانية هذا الأسبوع ردود فعل حادة من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية، ووصف متحدث باسم الكنيسة زواج المثليين بأنه مثل العملة المزيفة.

وقال خوان انطونيو مارتينيز كامينو إن القانون 'سيفرض فيروساً على المجتمع، وشيئاً زائفاً ستكون له عواقب سلبية على الحياة الاجتماعية'، وكان رئيس الوزراء الاشتراكي خوسيه لويس رودريجيز ثاباتيرو قد تولى منصبه في إبريل نيسان الماضي، وعقد العزم على إلغاء ما وصفه بالمميزات التي تحظى بها الكنيسة، وخلق دولة علمانية عن طريق تخفيف القوانين الخاصة بالطلاق والإجهاض، وأثارت هذه التغييرات غضب الكنيسة التي تراجع تأثيرها على الأسبان بدرجة كبيرة منذ وفاة الجنرال الديكتاتور فرانشيسكو فرانكو عام 1975، وكان نظام فرانكو تربطه علاقات قوية بالكنيسة، وتشير استطلاعات الرأي إلى أن نحو نصف الأسبان لا يحضرون القداس والصلوات في الكنائس مطلقاً الآن.

والخلاصة أنه يمكن القول أن هذا الذي يحدث للكنيسة الكاثوليكية على يد العلمانية ليفسر إلى حد كبير حالة الترقب والحذر التي يليها الغربيون تجاه الإسلام، حيث يقر منظروهم أنه الدين الوحيد المستعصي على التراجع أمام العلمانية، بل ويتقدم بقوة كل يوم داخل الغرب نفسه برغم كل المؤثرات المضادة.

المصدر:http://www.islammemo.cc

============

#الأكذوبة العلمانية

د. محمد يحيى

تروّج الدعاية العلمانية لعملية الفصل التام بين الدين والدولة أو الدين والقانون أو الدين والحكم أو الدين والسياسة أو الدين وأي مجال آخر من مجالات المجتمع [العلم، التعليم، الثقافة، الفن، السلوكيات] وكأن هذا الفصل والإقصاء سوف يحل كل

المشكلات التي تعاني منها المجتمعات [أياً كانت تلك المشكلات] وسوف يحقق النهضة والتقدم والرخاء. وهذا الشعار العلماني الموجز الذي رفع [العلمانية هي الحل] في مواجهة شعار الإسلام هو الحل يضم بين ثناياه أكاذيب عديدة لا يجرؤ العلمانيون على مناقشتها والسماح بفضحها تماماً كما يتهمون هم شعار الإسلام بالتهافت والغموض وانعدام المعنى. ولا يكاد المحلل يجد نهاية لأوجه التخبط في هذا الطرح العلماني. ولعل أبرزها هو الفصل المدعو إليه بين الدين والدولة. فأصل هذا الشعار في أوروبا، حيث مهد العلمانية، هو الفصل بين الكنيسة والدولة داخل الدولة القومية الأوروبية وهي في ذلك الوقت دولة مسيحية ليس فقط بحكم الأغلبية شبه التامة من السكان ولكن كذلك بحكم إيمان جزء كبير من تلك الغالبية بالعقيدة المسيحية وهو ما أخذ يتآكل إلى درجات بعيدة بعد تمكن العلمانية. ومفهوم الكنيسة كذلك في هذه المقولة العلمانية الأشهر يحتاج إلى توكيد عند مناقشة المقولة. فهي أولاً المؤسسة الدينية المسيحية الحقيقية التي لا يوجد لها نظير في الإسلام أو بالأصح في التاريخ والممارسة الإسلامية. وهي في التاريخ الأوروبي والغربي الحديث مؤسسة تعددت ما بين كاثوليكية بروتستانتية ثم عدة كنائس بروتستانتية ثم وفرة من الكنائس البروتستانتية في غرب أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية أو أرثوذكسية ذات عدة تنظيمات في شرق أوروبا.

والكنيسة والكهنوت ذات وضع أصيل في الدين والعقيدة المسيحية على تعدد مذاهبها. فلا غنى للمسيحي عنها إن أراد أن يقيم أركان دينه حتى لو كان من البروتستانت الذين يتعاملون مع الكتاب المقدّس تعاملاً مباشراً بدون وساطة تفسير الكاهن والكنيسة ذلك لأن إقامة الأسرار الدينية من تعميد وزواج واعتراف [وهو غير موجود في العديد من الكنائس البروتستانتية] ودفن تتطلب القس، والأهم من ذلك وبصرف النظر عن الأسرار والطقوس ووساطة الكاهن أو تفسيرات للكتب المقدسة والتعاليم الدينية فإن الكنيسة تعتبر بمثابة التجسيد الحي الذي لا بديل عنه للعقيدة والدين والأمة والمجتمع المسيحي أيا كان مذهبه. وهي التجسيد المادي المؤسس لهذا الواقع مدعومة بقاعدة مادية مؤسسية مجتمعية من الأبنية والهيئات والتنظيم الهرمي

للكهنوت. وهذه النقطة الأخيرة من مادية ومؤسسية الوجود الكنسي حاسمة في الموضوع بأسره.

فعندما قيل بالفصل بين الكنيسة والدولة كانت هناك ثلاثة عناصر متضمنة في هذه الفكرة. العنصر الأول وهو الأخف كان يعي حقيقة وجود عدة كنائس [كاثوليكية وبروتستانتية] تعمل على الساحة الأوروبية في وقت ظهور الفكرة العلمانية ورأى ضرورة أن لا تتحكم واحدة منها في صياغة القانون والنظم القانونية والتعليمية في داخل الدولة القوية الواحدة لا سيما وأنها كانت مشتبكة في صراعات دموية للحياة أو الموت على كل المستويات. وعند هذا المستوى لم يكن المطلوب هو إبعاد الدين عن الدولة بل إبعاد سيطرة مذهب ديني واحد أو معين على النشاطات الكبرى لتلك الدولة لاسيما في ظل وجود مذاهب مسيحية أخرى. ولم يمنع هذا من وجود الكنيسة مهيمنة على الدولة حيث وجدت وحدة المذهب لاسيما في الدول البروتستانتية [إنجلترا مثلاً أو المملكة المتحدة حيث فرضت وحدة المذهب بالقوة والتطهير الديني وقرار الدولة في ضحى عصر النهضة والحداثة الأوروبية على مدى القرنين السادس عشر والسابع عشر]. والعنصر الثاني، وهو الأشد نسبياً، فلم يكن يعني أيضاً وبالضرورة استبعاد وإقصاء الدين نفسه عن الحياة بل كان يعني فقط قراراً تنظيمياً لصالح مؤسسة الدولة القوية [الملكية أو البرجوازية] في مواجهة مؤسسة مجتمعية قوية أخرى هي الكنيسة [لاسيما الكاثوليكية] الأقوى تنظيماً والأعمق رسوخاً، وفي هذه الحالة كان العداء والدعوة للإقصاء ينطلقان من دافع السلطة القوية أو الدنيوية إلى الانفراد بالحكم بعيداً عن تأثيرات السلطة الكهنوتية الكاثوليكية أكثر من دافع العداء للدين في حد ذاته ومن رؤية تقول بأن التعصب الكنسي وعدم وجود أي شريعة أو قانون ديني مسيحي شامل [برنامج بلغة العصر] يفرض على الكنيسة أن تقبع داخل النطاق الديني الذي حدده الدين نفسه لها ولا تدخل إلى النطاق الزمني أو الدنيوي أو 'العلماني [بمعنى العالم الحالي وليس الأخروي]. ويمكن القول إن هذا العنصر من المقولة العلمانية هو دعوة لتطبيق المسيحية على الحياة وليس إقصاءاً لها لأن المسيحية نفسها تقيم هذا التوزيع للمتخصصات. أما العنصر الثالث لفصل الكنيسة عن الدولة فكان يستهدف بالفعل الدين نفسه ويتحدث عن الكنيسة باعتبارها الممثل

الشرعي المعلن والوحيد للدين [المسيحي]، وبالطبع كان هذا التيار متأثراً بتراكم الفكر الناقد والمعادي للمسيحية بعقيدتها وكتابها المقدس وتعاليم كنيستها وممارساتها هي التي احتكرت حتى تمثيل المسيحية والتحدث باسمها كما كان متأثراً بأفكار عصر النهضة وإحياء الفلسفة اليونانية وأفكار عصر التنوير. ومفاهيم الفردية والعقل...الخ البرجوازية الصاعدة.لكن النقطة الحاسمة في هذا الصدد وهي التي تعيدنا إلى تضليل الدعاية العلمانية في العالم العربي هي أن تنحية الدين وإقصاءه عن الدولة أو حتى عن مجالات عديدة في المجتمع لم تؤد بالفعل إلى نهايته وانقراضه وموته وغيابه التام عن الحياة الاجتماعية لأن الكنيسة بحكم وجودها المادي والمؤسسي ظلت هي الكيان المادي الذي يحتويه ويحتضنه ويمهد لعودته عندما تتغير الأمور وتهدأ الموجة العلمانية العالية.

12 المحرم 1427هـ

11 فبراير 2006م

المصدر : http://www.islammemo.cc

=============

#لماذا نرفض العلمانية ؟

د. محمد محمد بدري

مجلة البيان - (ج 45 / ص 45)

لماذا نرفض العلمانية ؟

محمد محمد بدري

ظهر مصداق قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء" رواه مسلم ، وأصبح واقع الأمة الإسلامية يقرر أن غربة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأسرة ياسر ، وبلال وغيرهم، قد عادت للذين يقولون : ربنا الله ، لا قيصر ، والحاكمية لله ، لا للبشر،... وغابت راية الإسلام عن أرض الإسلام وحكمتها نظم علمانية لا دينية، حتى أصبحت الدعوة إلى أن يكون الإسلام بكتابه الكريم ، وسنة رسوله الأمين - صلى الله عليه وسلم - أساس الحكم

، جريمة في أكثر دول العالم (الإسلامي) تحاكم عليها قوانين تلك البلاد بالإعدام بتهمة تغيير شكل النظام؟!.

ولقد كان مما ساعد على استقرار تلك الأوضاع غياب الكثير من حقائق الإسلام وبديهياته، ومن أظهرها أن وجوب الحكم بما أنزل الله عقيدة لا يكون المسلم مسلماً إذا تخلى عنها، وأن التشريع بغير ما أنزل الله ، والرضى بشرع غير شرع الله هو شرك مخرج من الملة .

ولما كان بيان الحق وإبلاغه للخلق أمانة في عنق كل من علم شيئاً من حقيقة هذا الدين ، فقد كتبت هذه المقالة :

بياناً لحقيقة العلمانية ، بكشف المخبوء من حقيقتها، وتعرية المستتر من أسرارها ، وإضاءة المناطق المعتمة في حركة العلمانيين ودعوة للنجاة في الدنيا والآخرة ، بقبول شرع الله، ونبذ كل شريعة يقوم عليها علمانيون يقفون في طريق الإسلام والتوحيد الخالص ، وكأنهم أرباب زائفون . وليكون ذلك ميلاداً جديداً للفرد المسلم والأمة المسلمة ، الأمة التي تحمل رسالتها إلى كل البشرية بالنجاة من الشرك... تلك الرسالة التي عبر عنها في بساطة ربعي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس ، هذا يسأله ما الذي جاء بكم ؟ فيجيب للتو واللحظة:... الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

أولاً : العلمانية... وحكم الجاهلية :

حاول اعداء الإسلام القضاء على الإسلام عن طريق نشر الإلحاد... وفشلوا..وحاولوا صرف الناس عن الإسلام عن طريق الشيوعية.. وفشلوا .. وأحس الأعداء اليأس من هذا الدين..ولكنهم، بعد التفكر والتدبير، لجأوا إلى طريقة أخبث (لجأوا إلى إقامة أنظمة وأوضاع تتزيا بزي الإسلام ، وتتمسح في العقيدة ، ولا تنكر الدين جملة ، بل تعلن إيمانها به إيماناً نظرياً واحترامها له كعقيدة في الحنايا ، وشعائر تؤدى في المساجد،..أما ما وراء ذلك من شؤون الحياة فمرده – بزعمهم – إلى إرادة الأمة الحرة الطليقة التي لا تقبل

سلطاناً عليها من أحد!!!

ولما كانت حقيقة العلمانية قد تخفى على كثير من المسلمين ، فإنه من واجبنا أن نفضح هذه العلمانية عبر نظرة نلقيها عليها لنتبين من خلالها ما هي العلمانية ؟ وكيف نشأت ؟ لمن حق التشريع المطلق في نظمها ؟ وما هي الشريعة التي تحمل الأمة على التحاكم إليها ؟

1- العلمانية.. التعريف والنشأة :

لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة secularism في الإنجليزية ، أو secularite بالفرنسية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ العلم ومشتقاته على الإطلاق... والترجمة الصحيحة للكلمة هي اللادينية أو الدنيوية، لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين ، أو ما كانت صلته بالدين علاقة تضاد ..

وفي دائرة المعارف البريطانية مادة secularism : هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها(1).

ولذلك فإن المدلول الصحيح لكلمة (العلمانية) هو: فصل الدين عن الدولة أو هو: إقامة الحياة على غير الدين ، سواء بالنسبة للأمة أو الفرد ، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود ، فبعضها تسمح به ،...وتسمى العلمانية المعتدلة، فهي - بزعمهم - لا دينية ولكنها غير معادية للدين ، وذلك في مقابل المجتمعات الأخرى المضادة للدين... وبدهيّ أنه لا فرق في الإسلام بين المسمين ، فكل ما ليس دينياً من المبادئ والتطبيقات فهو في حقيقته مضاد للدين ، فالإسلام واللادينية نقيضان لا يجتمعان ولا واسطة بينهما(2). وإذن فالعلمانية دولة لا تقوم على الدين ، بل هي دولة لا دينية ، تعزل الدين عن التأثير في الدنيا ، وتحمل الأمة على قيادتها للدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها بعيداً عن أوامر الدين ونواهيه .

والعلمانية دولة لا تقبل الدين إلا إذا كان علاقة خاصة بين الإنسان وخالقه ، بحيث لا يكون لهذه العلاقة أي تأثير في أقواله وأفعاله وشؤون حياته.

"ولا شك أن هذا المفهوم الغربي العلماني للدين على أنه علاقة خاصة بين العبد والرب ، محلها القلب ، ولا علاقة لها بواقع الحياة... جاء من مفهوم كنسي محرّف شعاره "أدِّ ما لقيصر لقيصر، وما لله لله" ، من واقع عانته النصرانية خلال قرونها

الثلاثة الأولى ، حين كانت مضطهدة مطاردة من قبل الامبراطورية الرومانية الوثنية فلم تتمكن من تطبيق شريعتها ، واكتفت بالعقيدة والشعائر التعبدية اضطراراً واعتبرت ذلك هو الدين ، وإن كانت لم تتجه إلى استكمال الدين حين صار للبابوية سلطان قاهر على الأباطرة والملوك، فظل دينها محرفاً لا يمثل الدين السماوي المنزل ، فلما جاءت العلمانية في العصر الحديث وجدت الطريق ممهداً ، ولم تجد كبير عناء في فصل الدين عن الدولة"(3)، وتثبيت الدين على صورته الهزيلة التي آل إليها في الغرب .

وإذن فالعلمانية : رد فعل خاطئ لدين محرّف وأوضاع خاطئة كذلك ، ونبات خرج من تربة خبيثة ونتاج سيئ لظروف غير طبيعية ، فلا شك أنه لم يكن حتماً على مجتمع ابتلي بدين محرف أن يخرج عنه ليكون مجتمعاً لا دينياً ، بل الافتراض الصحيح هو أن يبحث عن الدين الصحيح.. فإذا وجدنا مجتمعاً آخر يختلف في ظروفه عن المجتمع الذي تحدثنا عنه ، ومع ذلك يصر على أن ينتج اللادينية ويتصور أنها حتم وضرورة فماذا نحكم عليه؟(4) فقط نثبت السؤال ، ونترك – لا نقول لكل مسلم – بل لكل عاقل الإجابة عليه!

أما نحن فنكرر هنا أنه لا يوجد دين جاء من عند الله هو عقيدة فقط ، والدين الذي هو عقيدة فقط "أو عقيدة وشعائر تعبدية، دون شريعة تحكم تصرفات الناس في هذه الأرض ، هو دين جاهلي مزيف لم ينزل من عند الله"(5).

2- العلمانية..وحق التشريع المطلق :

في مسلسل نبذ الشريعة الإسلامية ، وفصل الدين عن الحياة في دار الإسلام ، كانت الحلقة الأخيرة هي النص في دساتير الدول في العالم الإسلامي على تقرير حق التشريع المطلق للأمة من دون ،الله ، ونصت بعض الدساتير على اعتبار رئيس الدولة جزءاً أصيلاً من السلطة التشريعية . واكتفى البعض الآخر بالنص على الحقوق التي يمارسها رئيس الدولة في مجال التشريع وهي حق الاقتراح ، وحق الاعتراض أو التصديق. فالأنظمة العلمانية تقر بالسيادة المطلقة للأمة، وتنص في دساتيرها على أن القانون هو التعبير عن إرادتها المطلقة... فالأمة – بزعمهم – هي التي تقرر الشرائع التي تحكم بها، وحقها في ذلك بلا حدود!!

ولا شك في أن هذا في حقيقته هو الإقرار بحق التشريع المطلق للأمة لا ينازعها فيه منازع ولا يشاركها فيه شريك.. فما تحله هو الحلال وإن اجتمعت على حرمته كافة الشرائع السماوية، وما تحرمه هو الحرام وإن اتفق على حله كل دين جاء من عند الله. ذلك أن الأمة في الأنظمة العلمانية هي مصدر التشريع ، وما يصدر عنها هو القانون. "والقانون ليس بنصيحة ولكنه أمر، وهو ليس أمراً من أي أحد، ولكنه أمر صادر ممن يدان له بالطاعة ، وموجه إلى من تجب عليه تلك الطاعة"(6).

وإذا كان سلطان الأمة يتجسد في السلطة التشريعية ، والتنفيذية ، والقضائية فإنه "لا يوجد قانون بالمعنى الصحيح إلا إذا صدر عن السلطة التشريعية في الحدود التي رسمها له الدستور ، وكلتا السلطتين التشريعية والقضائية بهذا الاعتبار مشتركتان في الخضوع لسيد الكل..ألا وهو الدستور..الذي يجب أن يحني الجميع أمامه رؤوسهم صاغرين.."(7).

وتأمل معنى هذه الكلمات ، وقل معي : رحم الله ابن تيمية... القائل : "إن الإنسان أمام طريقين لا ثالث لهما ، فإما أن يختار العبودية لله.. وإما أن يرفض هذه العبودية فيقع لا محالة في عبودية لغير الله".(8)

3- العلمانية.. والمصدر الرئيسي للتشريع :

هناك شبهة قد يشوش بها العلمانيون ، وهي أن بعض الدساتير العلمانية تنص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع.. مثل دستور مصر الذي جاء في مادته الثانية: أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع... ونحن نقول في الرد على هذه الشبهة : - إننا لا نحكم إلا بما نعلم ، ولا نجزم إلا بما نرى المحاكم الوضعية تمارسه صباح مساء،.. فهذه المحاكم لا تزال ملزمة قانوناً بتطبيق القوانين الوضعية، ولا يزال القضاة في هذه المحاكم غير قادرين بأي حال من الأحوال على تطبيق الشريعة الإسلامية .

ففي قضية اغتيال السادات أسس الدفاع عمله على الدفع بعدم الدستورية لأن نصوص القوانين مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية التي تعتبر المصدر الرئيسي للتشريع وفقاً لأحكام المادة الثانية من الدستور الصادر عام 1971 ، والمعدلة عام 1980.. فماذا قالت المحاكمة في ردها على ذلك ؟

جاء في رد المحاكمة : ".. رداً على هذا الدفع ، فإن المحكمة تشير بادئ ذي بدء إلى ما هو مستقر من أن قواعد التفسير للنصوص تأبى تأويل النص أو تحميله أكثر مما يحتمل إذا كان واضحاً لغوياً فعبارة (المصدر الرئيسي للتشريع) لا تمنع لغوياً وجود مصادر أخرى للتشريع ، وهو نفس مفاد النص قبل تعديله"(9). أرأيتم..إن المحكمة تؤكد أن العبارة شركية ، وأنها تنص على وجود مصادر أخرى غير الشريعة الإسلامية .

ولماذا نذهب بعيداً ؟ لقد حدث بالفعل أن حكم قاضٍ بالجلد في جريمة سكر، متأولاً هذه المادة من الدستور... فماذا كانت النتيجة ؟

لقد أُبِطل حكمه ، وأقصي عن القضاء . وكان مما ذكره رئيس محكمة الاستئناف في أسباب بطلان هذا الحكم ما يلي :

1- إن من قضى بذلك فقد حنث في يمينه القضائي الذي أقسم فيه على الحكم بالعدل واحترام القوانين،... والعدل كما يقول رئيس محكمة الاستئناف : يعني أن يقضي القاضي في الواقع المعروض بالعقوبة الملائمة في حدود القانون المطبق.. ثم يضيف قائلاً : فقضاء المحكمة بقانون آخر غير القوانين المطبقة في ذلك حنث باليمين ، فما بالك بمن طبق أو يخترع قانوناً يعلم أنه غير معمول به!!

2-...وجنائياً لا يجوز ، ولا يقبل من القاضي أن يجرم فعلاً لا ينص القانون على اعتباره جريمة، ولا يجوز له ولا يقبل منه أن يقضي بعقوبة لم ينص القانون عليها .

3-إن مصدر هذا القانون لم يعرف شيئاً عن علم العقاب ، فقد (شدد) المشرّع الوضعي في العقوبة وجعلها ستة أشهر حماية للمجتمع، وهذا أحفظ من مجرد الجلد ثمانين جلدة. (10)

أرأيت - أخي المسلم - إن هذه العلمانية ترى أن التشريع الوضعي أحفظ لأمن المجتمع من الشريعة الإسلامية .. وأن القاضي الذي حكم بالجلد لم يعرف شيئاً عن علم العقاب.. وهكذا.. وكأن القوم يقولون إن الله - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -لا يعرف شيئاً من علم العقاب عندما أكتفى بمجرد الجلد على السكر... سبحانك هذا بهتان عظيم .

ومن الذي يجرؤ على ادعاء أنه يشرع للناس ، ويحكم فيهم خيراً مما يشرع لهم ويحكم فيهم ربهم سبحانه؟ وأية حجة يملك أن يسوقها بين يدي هذا الادعاء العريض ؟.. أيستطيع أن يقول إنه أعلم بالناس من خالق الناس؟ أيستطيع أن يقول : إنه أرحم بالناس من رب الناس ؟ أيستطيع أن يقول : إنه أعرف بالناس ومصالح الناس من إله الناس ؟... أيستطيع أن يقول : إن الله سبحانه وهو يشرع شريعته الأخيرة، ويرسل رسوله الأخير، ويجعل رسوله خاتم النبيين ، ويجعل رسالته خاتمة الرسالات ويجعل شريعته شريعة الأبد ، كأنه سبحانه يجهل أن أحوالاً ستطرأ، وأن حاجات ستجد وأن ملابسات ستقع، فلم يحسب حسابها في شريعته لأنها كانت خافية عليه ، حتى انكشفت للناس في آخر الزمان!!! ما الذي يستطيع أن يقوله... وبخاصة إذا كان يدعي الإسلام؟

إنه مفرق الطريق ، الذي لا معدي عنه من الاختيار..

إما إسلام ، وإما جاهلية... إما حكم الله ، وإما حكم الجاهلية..

وهذه العلمانية التي وصفنا حالها ، ورأينا واقعها ليست يقيناً حكم الله القائم على الكتاب والسنة... فماذا تكون إلا حكم الجاهلية؟ قال تعالى:

((أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ))

فجعل الله الحكم حكمين لا ثالث لهما : حكم الله... وهو الحكم القائم على الكتاب والسنة،.. وحكم الجاهلية.. وهو ما خالف ذلك (11)

إذن فالعلمانية هي...حكم الجاهلية .

* يتبع *

المصادر :

1- وهل الدنيا والآخرة طريقان منفصلان؟ وهل هذه لإله وتلك لإله؟ وهل الإله الذي يحكم الدنيا غير الإله الذي يحاسب الناس يوم القيامة ؟

2- العلمانية - سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص 21-24.

3- حول تطبيق الشريعة محمد قطب ص 112

4- العلمانية - سفر بن عبد الرحمن الحوالي ص 648-649

5- حول تطبيق الشريعة محمد قطب ص 107

7/6- راجع كتاب مدخل دستوري للدكتور سيد صبري

8- العبودية - ابن تيمية ص 6

9- صحيفة الأهرام - عدد الخميس 29 جمادي الأول 1402

10- مأخوذ من كتاب - أحكام إسلامية إدانة للقوانين الوضعية - محمود غراب

11- في ظلال القرآن - سيد قطب 905/2

لا شك أن العلمانية - كما عرضنا - لا تستدعي في حقيقة الأمر كبير جهد لبيان تناقضها مع دين الله (الإسلام)..

فهي من ذلك النوع من الاتجاهات والأفكار التي قال عنها علماؤنا قديماً: إن تصوره وحده كاف في الرد عليه..[1].

والإسلام والعلمانية طريقان متباينان، ومنهجان متغايران..

طريقان لا يلتقيان ولا تقام بينهم قنطرة اتصال..

واختيار أحدهما هو رفض للآخر..

ومن اختار طريق الإسلام..

فلابد له من رفض العلمانية..

هذه بديهية من البديهيات التي يعد إدراكها - فيما نحسب - نقطة الانطلاق الصحيحة لتغيير واقع الأمة الإسلامية،..

ويعد غيابها السبب الأول لبقاء هذه الأمة ألعوبة في يد العلمانيين يجرُّونها إلى الهلاك بكل مهلكة من القول والعمل، ويزيدونها غياً كلما اتبعتهم في طريق الغيّ..

طريق العلمانية..

ولأن إدراك هذه البديهة على هذا القدر من الأهمية، فل بد من التفصيل فنقول: نحن نرفض العلمانية لأنها:

1 - تحِل ما حرّم الله:

(إذا كانت الشريعة مُلْزِمة من حيث المبدأ، فإن داخلها أحكاماً ثابتة لا تقبل التغيير، وأحكام عامة ثابتة في ذاتها، ولكنها تقبل أن تدخل تحتها متغيرات ومن بين الثوابت التي لا تقبل التغيير ولا يدخل تحتها متغيرات..

أحكام العبادات كلها، والحدود وعلاقات الجنسين..) [2].

فماذا فعلت العلمانية بهذه الثوابت؟ إن الأنظمة العلمانية تبيح الزنا برضا الطرفين، والمتشدد منها يشترط موافقة الزوج أو الزوجة.. والكثير منها يبيح اللواط للبالغين.. وكلها يبيح الخمر والخنزير.

فأما الزنا برضا الطرفين فنجد مثلاً أن قانون العقوبات في مصر والعراق يؤكد على أن الزنا إذا وقع برضا الطرفين وهما غير متزوجين وسنهما فوق الثامنة عشرة فلا شيء عليهما، وإن كانا متزوجين فلا عقوبة عليهما ما لم يرفع أحد الزوجين دعوى ضد الزوج الخائن.. [3].

والأفعال التي يحرّمها قانون العلمانية في جرائم العرض، إنما يحرمها لكونها تشكل اعتداء على الحرية الجنسية فحسب، وليس باعتبارها أمراً يغضب الله ويحرّمه الدين،..

ولذلك فإن الدعوى الجنائية في جريمة الزنا مثلاً لا تتحرك إلا بناء على شكوى الزوج، وللزوج الحق في التنازل عن الشكوى بعد تقديمها، وبالتالي تنقضي الدعوى الجنائية، وتوقف إجراءات التحقيق..

بل للزوج حق وقف تنفيذ العقوبة! ! وهكذا تبيح العلمانية الزنا، وتهيئ له الفرص، وتعد له المؤسسات، وتقيم له الحفلات في الملاهي والمسارح....

وأما الربا فهو عماد الاقتصاد العلماني، تؤسس عليه البنوك، وتقدم به القروض بل ويدخل الناس فيه كرهاً..

ومن شاء فليراجع المواد 226 – 233 من القانون المدني المصري، والتي تنص على الفوائد والقواعد المتعلقة بها، تلك المواد التي تحِل بها العلمانية ما حرّمه الله – سبحانه – بقوله – عز وجل –: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ورسوله..) [البقرة: 278–279] وهذه الآيات نزلت في أهل الطائف لما دخلوا الإسلام والتزموا الصلاة والصيام، وكانوا لا يمتنعون عن الربا فبين الله أنهم محاربون له ولرسوله إذا لم ينتهوا عن الربا..

فإذا كان هؤلاء محاربين لله ولرسوله فكيف بمن يقيمون للربا بنوكاً، ويعطون للتعامل به الشرعية الكاملة..

؟ ... وأما الخمر فإن النظم العلمانية تبيح شربها، وتفتح المحلات لبيعها والتجارة بها، وتجعلها مالاً متقوماً يحرم إهداره، بل تنشئ لإنتاج الخمور المصانع وتعطي على الاجتهاد في إنتاجها جوائز للإنتاج! ! وهكذا فإن العلمانية تحل شرب الخمر وبيعها وعصرها.. فتحل ما حرم الله.. وتحرّم إهدارها والإنكار على شاربها.. فتحرم ما أحل الله..

فالعلمانية تحل ما حرّم الله، وتحرّم ما أحل الله..

وليس هذا في الزنا والربا والخمر فقط، أو في الحدود والتعزيرات فقط، أو في مادة أو أكثر من مواد القانون الوضعي العلماني..

بل إن قضية تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله هي قضية النظام العلماني بأكمله، وبجميع جوانبه المختلفة..

ولما كان تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله..

كفراً لمن فعله، ومَنَ قَبِله؛ فلا بد لنا لنبقَى مسلمين من رفض هذا الكفر..

ورفض العلمانية التي تقوم عليه.

ونحن نرفض العلمانية لأنها:

2 - كفر بَواح:

العلمانية كما قلنا هي قيام الحياة على غير الدين، أو فصل الدين عن الحياة، وهذا يعني بداهة الحكم بغير ما أنزل الله، وتحكيم غير شريعته - سبحانه -، وقبول الحكم والتشريع من غير الله..

ولذلك فإن العلمانية (هجر لأحكام الله بلا استثناء، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيه، وتعطيل لكل ما في الشريعة.

بل لقد بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تعطيل حكم الله وتفضيل أحكام القانون الوضعي على أحكام الله المنزلة..

وادعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان وعلل وأسباب انقطعت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها) [4].

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت القوانين والأحكام التي تعلو أغلب ديار الإسلام هي قوانين (تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها، بل إن في بعضها ما ينقض الإسلام ويهدمه،..

حتى لو كان في بعضها ما لا يخالف الإسلام فإن من وضعها حين وضعها لم ينظر إلى موافقتها للإسلام أو مخالفتها، إنما نظر إلى موافقتها لقوانين أوروبا ولمبادئها وقواعدها وجعلها هي الأصل الذي يرجع إليه) [5]....

وقد وضع الإمام الشافعي قاعدة جليلة دقيقة في نحو هذا، ولكنه لم يضعها في الذين يشرعون القوانين من مصادر غير إسلامية، فقد كانت بلاد المسلمين إذ ذاك بريئة من هذا العار، ولكنه وضعها في المجتهدين العلماء من المسلمين الذين يستنبطون الأحكام قبل أن يتثبتوا مما ورد في الكتاب والسنة، ويقيسون ويجتهدون برأيهم على غير أساس صحيح، حتى لو وافق الصواب حيث قال: (ومن تكلف ما جهل، وما لم تثبت له معرفته، كانت موافقته للصواب – إن وافقه من حيث لا يعرفه – غير محمودة والله أعلم وكان بخطئه غير معذور إذا نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه) [6].

وإذا كان هذا هو حكم المجتهد في الفقه الإسلامي على غير أساس من معرفة، وعن غير تثبت من أدلة الكتاب والسنة حتى ولو وافق الصواب..

فلا شك أن هؤلاء الذين يشرّعون من دون الله، مخطئون إذا أصابوا، مجرمون إذا أخطأوا، لأنهم أصابوا من غير طريق الصواب، إذ لم يضعوا الكتاب والسنة نصب أعينهم، بل أعرضوا عنها ابتغاء مرضاة غير الله...

بل إن هؤلاء الذين يشرعون من دون الله قد وقعوا في نوع من أنواع الكفر الأكبر وهو كفر التشريع من دون الله، قال – تعالى –: (أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [المائدة: 50] يقول ابن كثير – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية: (ينكر – تعالى – على من خرج عن حكمه المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعَدَلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن

ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكِّم سواه في قليل ولا كثير) [7].

أرأيت – أخي المسلم – هذا الوصف القوي من الحافظ ابن كثير في القرن الثامن لذلك القانون الوضعي الذي وضعه عدو الإسلام جنكيز خان؟ ألا ترى أن هذا الوصف ينطبق على القانون الوضعي الذي يضعه العلمانيون الذين يشرعون للناس من دون الله؟ إلا في وصف واحد، وهو أن الشريعة الإسلامية كانت عند جنكيز خان مصدراً مهماً لقانونه؛ بينما هي عند العلمانيين مصدراً احتياطياً من الدرجة الثالثة.

وإذا تبين هذا فإننا نقول بما قاله الشيخ محمد بن إبراهيم – مفتي الديار السعودية – رحمه الله –: إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد – صلى الله عليه وسلم – ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين في الحكم به بين العالمين والرد إليه عند تنازع المتنازعين مناقضة ومعاندة لقول الله – عز وجل –: (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [النساء 59].

فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي – صلى الله عليه وسلم – مع الإيمان في قلب عبد أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر...

فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار المسلمين مهيأة مكملة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحتمه عليهم.

فأي كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة [8]...

إن ما جد في حياة المسلمين من تنحية شريعة الله واستبدالها بالقوانين الوضعية البشرية القاصرة، ورمي شريعة الله بالرجعية والتخلف وعدم مواكبة التقدم الحضاري والعصر المتطور..

إن هذا في حقيقته ردة جديدة على حياة المسلمين..[9].

وهذا ما قاله الشيخ عبد العزيز بن باز في معرض رده على القوميين حيث قال:..

الوجه الرابع من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال: إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولابد إلى رفض حكم القرآن، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف وهذا هو الفساد العظيم، والكفر المستبين والردة السافرة [10].

وكيف لا وهذه الأحكام الوضعية تحل ما حرم الله، وتحرم ما أحل الله، وتبيح انتهاك الأعراض وإفساد العقول، وتهلك الحرث والنسل حتى أصبحت المادة القانونية (إذا زنت البكر برضاها فلا شيء عليها) أحْفَظ لأمن المجتمع عند هؤلاء العلمانيين من قول الله – عز وجل –: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ..) [النور 2] وأصبحت تصاريح الخمارات والملاهي والبنوك الربوية أصلح للمجتمع – عند العلمانيين – من الأخذ بقول الله – سبحانه وتعالى –: (إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [المائدة 90].

وقوله – عز وجل –: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ورسوله..) [البقرة 278 – 279]

إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس (هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة..) [11]، وليس هذه رأياً لنا لنبديه، أو رأياً لعالم أو مفسر أو مجتهد من الفقهاء ننقل عنه، إنما هو النص الذي لا مجال فيه للتأويل، والحكم المعلوم من الدين بالضرورة..

قال – تعالى –: (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ..) [المائدة 144]
فالعلمانية التي تحكم بغير ما أنزل الله ليست معصية، بل هي كفر بواح...
وقبول الكفر والرضا به كفر...
ولذلك فلا بد من رفض العلمانية لنبقى في دين الله، ونحقق لأنفسنا صفة الإسلام....
ونحن نرفض العلمانية لأنها:
3 – تفتقد الشرعية:
إن أكثر البلاد الإسلامية لا تحكم بشريعة الله..
ولكن يحكمها أناس يحملون أسماء إسلامية، ويستعرضون أنفسهم بين الحين والحين في صلاة أو عمرة أو حج، فتتوهم الجماهير أن لهم (شرعية)، وهم لا يحكمون بما أنزل الله [12]..
فهل الحاكم إذا أبطل شريعة الله كاملة، واستعاض عنها بالشرائع الجاهلية..
هل تكون له شرعية؟ وهل يكون له على الرعية حق السمع والطاعة؟ ..
بادئ ذي بدء نقول أنه من المتفق عليه بين العلماء (أن الإمام ما دام قائماً بواجباته الملقاة على عاتقه، مالكاً القدرة على الاستمرار في تدبير شئون رعيته عادلاً بينهم، فإن له على الرعية حق السمع والطاعة..) [13].
ولكن هذا الحق في السمع والطاعة يكون في حدود طاعته هو لله ورسوله، فإن عطّل شرع الله، فقد خرج عن طاعة الله والرسول ولم تصبح له طاعة على الرعية..
قال – تعالى –: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [النساء 58 – 59] (وظاهر من البناء اللغوي للآية أن الطاعة لله مطلقة، وكذلك الطاعة للرسول – صلى الله عليه وسلم –..
ولكن ليست كذلك الطاعة لأولي الأمر..
ولو أن الله – تعالى –قال: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر منكم لوجبت طاعته مطلقاً كطاعة الله والرسول، ولكن الله – جل شأنه – لم يقل ذلك،

وإنما عطف طاعة أولي الأمر على طاعة الله والرسول بدون تكرار الأمر (أطيعوا)، لتظل طاعتهم مقرونة دائماً بحدود ما أنزل الله) [14].

فشرط الطاعة أن يكون ولي الأمر (منكم) أي من الذين امنوا، ولكي يكونوا كذلك فلابد أن يرد الأمر عند التنازع إلى الله (أي كتاب الله)، وإلى الرسول (أي سنة الرسول –صلى الله عليه وسلم–..) [15] وقد أكد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذا المعنى فقال: » اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله « رواه البخاري.

وقال – صلى الله عليه وسلم –: » إن أمر عليكم عبد مجدع – أو قال أسود – يقودكم بكتاب الله، فاسمعوا وأطيعوا « رواه مسلم.

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة على أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإمام الرعية بكتاب الله، أما إذا لم يُحكّم فيهم شرع الله، فهذا لا سمع له ولا طاعة، وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة.[16] (...فمن أجاز اتباع شريعة غير شريعة الإسلام وجب عزله، وانحلت بيعته، وحرمت طاعته، لأنه في هذه الحال يستحق وصف الكفر) [17].

والكفر هو أعظم الأسباب الموجبة للعزل، وبه يخلع الإمام عن تدبير أمور المسلمين وقد انعقد إجماع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه إذا طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته [18].

وبناء على ذلك فإن وليّ الأمر الذي يتصرف في شريعة الله بالإبطال أو التعديل أو الاستبدال...

لا تكون له شرعية، لأنه فقد شرط توليته الذي يعطيه شرعية تولي الأمر وهو تطبيق شريعة الله، أي سياسة الدنيا بالدين.

وإذن فالحكام الذين يسوسون الدنيا بغير الدين، ويقيمون منهاج الحكم على المبدأ العلماني – فصل الدين عن الدولة –..

هؤلاء الحكام ليس لهم شرعية، ولا تجب على الرعية طاعتهم، بل الواجب على المسلم معاداتهم وعدم مناصرتهم بقول أو فعل...

هذا من ناحية شرعية الحاكم..

أما من ناحية شرعية الوضع، أو ما يمكن أن نطلق عليه شرعية النظام فنقول: (..يعتقد كثير من الناس أن الأوضاع القائمة في معظم أرجاء العالم (الإسلامي) هي أوضاع إسلامية، ولكنها ينقصها تكملة هي تحكيم شريعة الله..

وفي الحقيقة إن هذا الفهم غير صحيح، فتحكيم الشريعة ليس تكملة لأصل إسلامي موجود بالفعل، ولكنه تأسيس لذلك الأصل – بمعنى أن الأوضاع لا تكون إسلامية إلا إذا قامت على شريعة الله،..

قال – تعالى –: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً..) [النساء65] [19].

فأول صفات الدولة الإسلامية التي تجب طاعتها وتحرم معاداتها هو أن يكون الحكم الحقيقي فيها من حيث التشريع والتكوين لله وحده..

وأن لا يكون فيها قانون خاص أو عام يخالف الكتاب والسنة، وأن لا يصدر أي أمر إداري فيها يخالف التشريع الإلهي..

وأن لا ترتكز الدولة في قيامها على أساس إقليمي أو عرقي..

[20] ذلك أن الدولة الإسلامية تقوم على الاجتماع على الإسلام والانتساب للشرع، بمعنى أنها ترجع إلى أصول الإسلام وليس إلى أصول الكفر مثل فصل الدين عن الدولة، أو نعرات القومية..

فإذا قام نظام دولة على مبدأ إلغاء الشريعة الإسلامية والإقرار بحق التشريع المطلق لبشر من دون الله، والتحاكم في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله، كان هذا النظام باطلاً، ولا تجب طاعته..

وهذا هو شأن العلمانية التي تقوم على مبدأ فصل الدين عن الدولة، ولذلك (فأنظمة الحكم القائمة الآن في العالم الإسلامي، أنظمة علمانية مقتبسة من النظم الغربية القائمة على مبدأ فصل الدين عن الدولة..

وهذا المبدأ يعتبر خروجاً صريحاً على مبدأ معلوم من الدين بالضرورة، وبالنصوص القطعية في الكتاب والسنة وإجماع العلماء كافة، وهو عموم رسالة الإسلام لأمور الدين وشؤون الحياة، وأن الإسلام منهاج حياة كامل ينظم سائر شؤون المسلمين في دنياهم..) [21] ...

إن انعدام شرعية الأنظمة العلمانية التي تقوم على فصل الدين عن الدولة، والتحاكم إلى إرادة الأمة بدلاً من الكتاب والسنة...

إن انعدام شرعية هذه الأنظمة هو بديهية من البديهيات..

وموقف المسلم منها يتحدد في عبارة واحدة...

إنه يرفض هذه الأنظمة...

ويرفض الاعتراف لها بأي شرعية.

---

(1) العلمانية – سفر الحوالي – ص 669.

(2) حول تطبيق الشريعة – محمد قطب – ص 62.

(3) راجع قانون العقوبات المصري – المواد 267 – 279، والعراقي – المواد 232 – 240.

(4) عمدة التفسير – أحمد شاكر – 4/ 157.

(5) مسند الإمام أحمد – تعليق أحمد محمد شاكر 6/ 303.

(6) المصدر السابق.

(7) تفسير ابن كثير.

(8) تحكيم القوانين – الشيخ محمد بن إبراهيم – ص 5، 6، 10.

(9) الولاء والبراء – محمد بن سعيد القحطاني – ص 79 بتصرف.

(10) نقد القومية العربية – عبد العزيز بن باز – ص 50.

(11) عمدة التفسير – أحمد محمد شاكر 4/ 172.

(12) الجهاد الأفغاني ودلالاته – محمد قطب – ص 34.

(13) حول تطبيق الشريعة – محمد قطب – ص 34.

(14) كما فسره بذلك مجاهد وغيره من السلف – انظر تفسير ابن كثير 2/ 304.

(15) حول تطبيق الشريعة – محمد قطب – ص 34.

(16) الإمامة العظمى – عبد الله بن عمر الدميجي – ص 473.

(17) مختصر الفتاوى المصرية – ابن تيمية – ص 507.

(18) صحيح مسلم بشرح النووي 3/ 229.

(19) الجهاد الأفغاني ودلالاته – محمد قطب – ص 41.

(20) مؤتمر كراتشي المنعقد في الفترة من 12 – 15 ربيع الآخر 1370 هـ.

(21) الشهادة – الشيخ صلاح أبو إسماعيل – ص 26.

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

============

#المثقف العلماني والصدق المعرفي

جواد الشقوري *

عندما أتابع ما ينتجه المثقف العلماني المتطرف في عالمنا العربي من كتابات تثار لدي جملة من التساؤلات والانطباعات حول المصير الذي آل إليه، وهو في رأيي مصير يبعث على الشفقة والحسرة في آن واحد.

ومأزق النخب العلمانية المتطرفة يمكن اختصاره في المقولة التالية: إن مجموعة من التطورات التي شهدها واقع عالمنا المعاصر، خاصة منذ أواخر الثمانينات إلى يومنا هذا، جعلت المنظومة الفكرية والأدوات المنهجية التي يعتمدها هذا المفكر من أجل مقاربة الظواهر التي أفرزتها هذه التطورات، عاجزة عن تفسير مآلات الوقائع ومسار الأفكار!

رغم أن الأبجديات الأولى لـ" الصدق المعرفي" تحتم على الباحث أن يغير جهازه المفاهيمي والمنهجي؛ أو على الأقل أن يعدل فيه، عندما يكتشف أن هذا الجهاز لا يسعفه في فهم وتفسير الحاضر ولا يمتلك مقدرة على التنبؤ والتوقع! وعندما لا يكون الصدق بمفهومه الأخلاقي والمعرفي هو المميز لتطور المسار الفكري لأي مفكر وباحث.. فإن النتيجة الحتمية هي زوال الجلال عن هذا المفكر والباحث، ويغدو صغيرا في عيون ضمائر الأمة.

إن الصدق المعرفي الشامل في رأينا هو الذي قاد مجموعة من المفكرين الذين كانوا يقفون على الأرضية الغربية بشقيها الماركسي والرأسمالي إلى مراجعة منظومتهم الفكرية وجهازهم المفاهيمي وأدواتهم المنهجية، وغياب هذا الصدق هو الذي جعل مجموعة أخرى من المفكرين جامدين على اختياراتهم المفهومية والفكرية والمنهجية،

وإن كانت هذه الاختيارات غير قادرة على مسايرة التغيرات التي تطال أبنية الواقع المختلفة.

وفي الحالة الأخيرة، نجد هذا المفكر يحمل اختياراته الفكرية والإيديولوجية ما لا تحتمل بنيتها الذاتية، ويطالبها بدور لا تستطيع أن تقوم به؛ فهو بهذا السلوك يمارس نوعاً من الاضطهاد تجاه أفكاره ومفاهيمه وأدواته المنهجية.

ويمكن أن نتحدث هنا عن " رق" مفاهيمي وفكري ومنهجي جديد! فلا بد، إذن، من إطلاق سراح هذه المفاهيم والأفكار والمناهج كي تختار المحيط الذي يناسبها؛ إذ عندما يتم استنباتها – خاصة في محيطنا العربي والإسلامي فإنها تغدو غريبة ومقيدة ولا تتمتع بأي حرية.

إن مثل هذا الصنف من المفكرين في عالمنا العربي والإسلامي كمثل ذلكم الإنسان الذي، بعد أن فكر وقدر، أخرج سمكاً من الماء.. وقال له: أريدك أن تعيش في البر وأن تحدث قطيعة " وجودية" مع الماء، وعمل هذا الإنسان كل ما في استطاعته من أجل أن يتأقلم هذا السمك مع محيطه الجديد، وربما سخر علوماً ومعارف كثيرة من أجل أن ينجح في هذه المهمة، ويستغني عن الماء، وعندما يشير عليه الناس كل الناس بأن ما يفعله لن يستقيم أبداً، وأنه يمارس جريمة في حق هذا السمك.. يرد عليهم قائلاً: إن المشكلة ليست في السمك وإنما في المحيط البري !!

هذا الإنسان، منذ البداية، تبنى نموذجا إدراكياً مفاده أن السمك بإمكانه أن يعيش في الماء وبدون الماء على حد سواء، لكن لما تبين له بالاستقراء والمعاينة وبعد سلسلة من التجارب أن الماء هو المحيط الطبيعي للسمك، ولا يمكن استبدال المحيط البري بالمحيط المائي.. لما تبين له هذا وأدرك فشله في مهمته وجب عليه أن يغير من نموذجه الإدراكي، وهذا في رأينا أبرز مقتضيات الصدق المعرفي.

في تصورنا، ينبغي أن في البداية على أن الماء هو المكان الطبيعي للسمك، ثم بعد ذلك نبحث في الإجراءات التي تضمن للسمك مقاماً كريماً وهو في مائه؛ فهناك من السمك من يفضل العيش في الأنهار ومنه من يفضل البحار.. وهناك من له " موقف" من مسألة الملوحة، فيفضل أن تكون أقل.. وهناك من يختار عمق البحار وهناك أيضاً من يفضل أن يكون قريباً من سطح الماء.. هناك من السمك من يعيش

قريباً من الشاطئ، وهناك آخر يهوى الابتعاد بعيداً عن الشاطئ.. وأيضاً ينبغي ألا نلوث مياه البحار بالنفايات، كما تفعل الحضارة الصناعية المعاصرة؛ لأن ذلك يؤذي السمك.. فكل هذه " الاختيارات" المختلفة والمتنوعة تتم كلها داخل " نسق" واحد وهو الماء.

إن الذي ينبغي أن يستوعبه العلمانيون المتطرفون، أن مجتمعنا العربي والإسلامي قد حدد المكان الطبيعي الذي يضمن له حياة كريمة وطيبة. إنه من المكابرة أن ننكر أن الإسلام هو ذلك النسق أو تلك المرجعية التي لا يمكن أن نختلف عليها.

إن أي باحث منصف سيقوده الاستقراء لتاريخ أمتنا العربية والإسلامية حتماً إلى نتيجة مؤداها أن مسألة المرجعية بالنسبة لأمتنا كانت محسومة لصالح المرجعية الإسلامية، وأن المجتمع العربي والإسلامي لا يمكن أن يتحرك بفعالية إلا في إطارها. نعم قد تكون هناك استثناءات في تاريخنا حاولت أن تشذ عن هذه القاعدة، إلا أنها ظلت هامشية ولا تشكل أي تأثير في مجريات الأمور والأحداث.

فعندما نأخذ على سبيل المثال مسألة " التوحيد"(رؤية وتصوراً للعالم والحياة) كمكون أساسي من مكونات المرجعية الإسلامية؛ نجد أن هذا المكون لم يقع عليه اختلاف، بل كان هو الموجه لمختلف الإنتاجات والإبداعات في تاريخنا الذهبي(إلا في بعض الاستثناءات القليلة). حتى أن " المعتزلة" عندما دافعوا عن فكرة " خلق القرآن" كان دافعهم الأساسي هو التنزيه/التوحيد؛ إذ رأوا أن في قولنا إن القرآن كلام الله الأزلي بمعنى أنه قديم، وأن الله قديم.. رأوا أن في قولنا هذا نوعاً من الإشراك بالله؛ لأنه في رأيهم قد جعلنا مع الله شيئاً قديماً! طبعاً كان رد الأكثرية من العلماء مفحماً على هذا المنحى من التفكير، ولكن ما يهمنا هنا هو أن نعرف أن أعقد القضايا الكلامية في ذلك العصر كان الدافع إليها هو الانتصار لفكرة " التوحيد". هكذا كان حال الأمة طوال مسيرتها التاريخية والحضارية؛ كانت تنتج وتبدع وتختلف انطلاقاً من المرجعية الإسلامية، ولم تكن تعرف فوضى في المرجعيات.

فعندما يعلن المثقف العلماني المتطرف على الملأ بأن الاجتهاد والإبداع والإعمار، عندما يتعلق الأمر بمجتمعنا العربي والإسلامي، يمكن بل ينبغي أن يتم من خارج النسق الإسلامي فإنه يرتكب جريمتين على الأقل، وهما:

الأولى: جريمة في حق جهازه المفاهيمي ومنظومته الفكرية وأدواته المنهجية، لأنه قد وظفها واستنبتها في بيئة مجتمعية لا تناسبها.

الثانية: جريمة في حق هذا المجتمع العربي والإسلامي؛ حيث أراد له هذا الصنف من المفكرين أن يتأقلم مع أدوات وأفكار ومفاهيم غريبة عنه.

وباستطاعتنا أن نتحدث عن فشل بعض التجارب الإسلامية في الوصول إلى الأهداف التي سطرتها، فهذا موضوع يحتاج إلى نقاش طويل وهادئ.. لكن ينبغي أن نعترف أن الإسلاميين والدعاة قد أصابوا عندما وصلوا إلى اعتبار المرجعية الإسلامية الأرضية التي لا يمكن أن تتحقق أي نهضة بدونها.

فكما أننا بعد أن اتفقنا على أن الماء هو المكان الطبيعي الذي يحتضن عالم السمك ثم بعد ذلك نظرنا في الشروط الموضوعية التي تضمن لهذا السمك الحياة الكريمة.. فكذلك بعد أن نتفق على أن الإسلام هو النسق الطبيعي الذي يحتضن عالم العرب والمسلمين، وجب علينا أن ننظر في الظروف الموضوعية التي تضمن للعرب والمسلمين الحياة الكريمة المبنية على العدل.

إذن لما يغيب الصدق مع النفس ومع الموضوع ومع الناس، فإن المفكر يفقد جلاله ويصبح صغيراً في عيون الشعوب العربية والإسلامية.. بل يتحول إلى عظم بدون عقل.. يكون جسداً بدون روح، ولعل من الملاحظات التي لاحظتها كما لاحظها غيري أيضاً أنه في كثير من المناسبات الثقافية والفكرية خاصة في الجامعات والكليات على طول عالمنا العربي والإسلامي، نجد أن أغلب الحضور يلتف بقوة على تلك الشخصيات الثقافية التي تتسم بالصدق المعرفي والجلال الأخلاقي..أما العناصر الأخرى فتجدها مهمشة ولا يلتفت إليها أحد؛ فهي عظام فقط بعد أن غاب الصدق وذهب الجلال.

المصدر : http://www.almoslim.net

===========

#ما هي هذه العلمانية ؟

مجدي هلال

من الأهمية بمكان أن نعرف جوابًا صحيحًا لهذا السؤال، فمن عرف الداء أمكنه أن يقاومه، و حيث إنها قد نشأت في الغرب فإن الجواب الصحيح يجب أن يأتي من هناك، و قد جاء في قاموس وبستر الأمريكي أن العلمانية هي النظام السياسي و الاجتماعي الذي ينبذ كل أشكال العقيدة الدينية أو العبادة، و في تعريف آخر فالعلمانية هي النظرة التي تقول بأن أمور التعليم و الأخلاق و المعاملات يجب أن تجري بدون أي اعتبارات أو تأثيرات دينية...هكذا بوضوح.

و في دائرة المعارف البريطانية، نجد أن العلمانية حركة اجتماعية، تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب، و دائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن العلمانية، تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد، و قد قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين: إلحاد نظري، و إلحاد عملي، و جعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي.

و المعنى المباشر لهذا هو أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم، و لو قيل عن هذه الكلمة إنها: اللادينية، لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق.

فكيف نشأت العلمانية؟

لقد كانت تجربة أوربا مع " الدين " تجربة بئيسة إلى أقصى حد.. كان الدين بالنسبة إليها ظلاما و جهلا واستبداداً وغلظة و انصرافاً عن عمارة الأرض (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ..)، و وقر في حس أوربا من خلال تجربتها الخاصة أن هذا هو " الدين ".. و لذلك نفرت منه، ثم هاجمته و أبعدته عن واقع الحياة، و حبسته في نطاق ضيق في ضمائر الناس، إن بقي للناس ضمائر بعد أن أبعدوا عن الدين في أمورهم اليومية!

لم تعرف أوربا دين الله الحقيقي الذي أنزل على عيسى ابن مريم – عليه السلام –، إنما عرفت صورة محرفة منه، هي التي أذاعها بولس و نشرها في ربوع الأرض، و بخاصة في أوربا، و قد كان بولس صاحب نظرية دينية و معلماً يعلم الناس قبل أن يسمع بيسوع الناصري بزمن طويل.. و من تأثره بالفلسفات السابقة على المسيحية فقد كان ذهنه مشبعا بفكرة الشخص الضحية الذي يقدم قربانا لله، كفارة عن الخطيئة. فما بشر به يسوع كان ميلادا جديدا للروح الإنسانية، أما ما علمه بولس

فهو الديانة القديمة، ديانة الكاهن و المذبح، و سفك الدماء لاسترضاء الإله، و هي العناصر التي أتى بها وخاصة الميثرائية التي أتى بها من ديانات فارس والديانة الهلنستية التي جاء بها من الإغريق و التثليث الذي استوحاه من الديانة المصرية القديمة...

و يقول الفيلسوف الفرنسي رينان " إنه ينبغي لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفهمه هو أن نبحث في تلك التفاسير و الشروح الكاذبة التي شوهت وجه التعليم المسيحي حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام، و يرجع بحثنا إلى أيام بولس الذي لم يفهم تعليم المسيح بل حمله على محمل آخر، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين و تعاليم العهد القديم"

و لم يكن التحريف في مجال العقيدة وحدها و هو خطير في ذاته و لكنه وقع في أمر آخر لا يقل خطرا عن العقيدة، و هو فصل العقيدة عن الشريعة، و تقديم الدين للناس كأنه عقيدة فقط بغير تشريع تحت شعار " أدِّ ما لقيصر لقيصر و ما لله لله! ".

إن الكنيسة ذاتها بمعناها السلطوي مبتدَعة لم يتنزل بها سلطان من عند الله، ففي الديانة اليهودية التي نزلت لبني إسرائيل قسّم الله كما تروي التوراة مهام أسباط بني إسرائيل، فعهد إلى أبناء لاوى بن يعقوب بمهمة تطبيق الشريعة، بوصفهم قضاة يحكمون بين الناس بما أنزل الله في التوراة و كان هذا أشبه بتنظيم إداري، لا يجعل للاويين قداسة خاصة دون بقية بني إسرائيل، ثم أرسل عيسى – عليه السلام – لبني إسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة، كما جاء على لسانه في القرآن الكريم في سورة آل عمران: (وَ رَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ... وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَ لأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ)

فكان المفروض أن يجري الأمر في عهد عيسى على ذات النسق الذي جرى به على عهد موسى – عليهما السلام –، بينما الذي جرى بعد عيسى أن تم ابتداع فكرة الكنيسة و التي لا سند لها إلا ذلك القول المنسوب إلى المسيح في إنجيل متى " أنت بطرس، و على هذه الصخرة ابن كنيستي و أبواب الجحيم لن تقوى عليها، و أعطيك مفاتيح ملكوت السموات، فكل ما تربطه في الأرض يكون مربوطا في السموات، و

كل ما تحله على الأرض يكون محلولا في السموات!! "، و هي قولة يصعب قبول صدورها عن رسول لله – تعالى –، فعيسى نفسه لا يملك أن يربط شيئا أو يحله في الأرض إلا بإذن ربه، و ليس له أن يحل أو يحرم إلا بإذن الله، و لكن الكنيسة نشأت و استمدت سلطانها الزائف من تلك الأسطورة المنسوبة للمسيح.. و هي التي أعطت حق الحل و الربط لحواريّه بطرس، و هذا أعطاه بدوره لآباء الكنيسة من بعده، فما ربطه بطرس و خلفاؤه من بعده في الأرض لا يحل في السماء، و ما حله في الأرض لا يربط في السماء، أي إنهم زعموا أن الأرض تحكم السماء، و أن البشر يحكمون قدر الله و مشيئته..

و قد اكتفت الكنيسة الأوربية اكتفت بسلطانها الروحي على قلوب تابعيها، غير أن ذلك لم يستمر إلا في وقت استضعافها في القرون الثلاثة الأولى، حيث كان النصارى مضطهدين في عهد القياصرة الوثنيين، و لكنها استأسدت بعد ذلك في القرن الرابع حين دخل قسطنطين في النصرانية، و مكن للكنيسة و رجالها، بعد أن أفلح في مزج دينها بأساطير الوثنية، و أرضى بذلك النصارى و الوثنيين معا، و أمَّن سلطانه على الإمبراطورية التي كان النزاع الديني قد أوشك على القضاء عليها!

و يمكن الرجوع إلى أحاديث الشيخ يوسف استس في موقعه http://www.islamtomorrow.com/، و هو قس أمريكي سابق اعتنق الإسلام من سنين، و هو يحكي فيه كيف أن قسطنطين مزج المسيحية بالوثنية الرومانية، و منها مثلا أن يوم الأحد صار اليوم المقدس لدى المسيحيين، لأن قسطنطين أراد هذا..

و حين أصبح للكنيسة سلطان سياسي إلى جانب السلطان الروحي بدأ الطغيان.. و في بيان للبابا نقولا الأول ورد في كتاب قصة الحضارة للكاتب ول ديورانت، يقول " إن ابن الله أنشأ الكنيسة بأن جعل الرسول بطرس أول رئيس لها، و إن أساقفة روما قد ورثوا سلطات بطرس في تسلسل مستمر متصل، و لذلك فإن البابا ممثل الله على ظهر الأرض يجب أن تكون له السيادة و السلطان الأعظم على جميع المسيحيين حكاما كانوا أو محكومين".

ثم فرضوا سلطاناً فكرياً رهيباً يحجر على العقول أن تفكر إلا بإذن الكنيسة، و في الحدود التي تسمح بها الكنيسة، و قد كان هذا ضرورة لازمة منطقية مع التحريف الذي حدث في الدين، خاصة فيما يتعلق بذات الإله و العشاء الرباني، و قدرات الكهنة المتمثلة في كراسي الاعتراف و صكوك الغفران التي تدخل الجنة و غير ذلك من أمثال تلك الأسرار.. كلها أمور لا يستطيع العقل أن يدركها و لا أن يتدبرها.. فماذا لو أعمل الناس عقولهم، فاكتشفوا أن يقال لهم باسم العقيدة كلام لا يثبت للتمحيص؟، ماذا يبقى للكنيسة عندئذ من سلطان على الناس؟، فالحل الأمثل لهذه الحال إذن أن تحجر الكنيسة على العقل، و أن يعتبر التفكير هرطقة تفضي إلى إهدار الدم في الدنيا، و الحرمان من الغفران.

و لما بدأت العلوم تتسرب إلى أوربا من العالم الإسلامي عن طريق الترجمة، و تحدث ما يمكن أن نسميه غزوا فكرياً إسلامياً خاصة بعد خسارة أوروبا الحروب الصليبية.. جن جنون الكنيسة ففرضت حجرا على العلم و أهدرت دم كل من يقول يومئذ بكروية الأرض، أو أنها ليست مركز الكون، و هو العلم الذي نقله علماء النصارى الأوائل من مؤلفات العلماء المسلمين.

تحولت المسيحية على يد الكنيسة و آبائها و مفكريها إلى أغلال تفسد الحياة و تقعد بها عن النمو السويّ، و تحولها إلى مستنقع آسن لا ينبض بالحياة و لا يسمح للحياة أن تنبض فيه، دين يهمل الحياة الدنيا بدعوى تفاهتها و حقارتها و عدم جدارتها بالاهتمام، و بدعوى أن الإنسان خاطئ بطبعه، و لا سبيل إلى إصلاحه في الحياة الدنيا و كفه عن الخطيئة إلا بكفه عن ممارسة الحياة ذاتها، دين يحتقر الجسد ويشمئز من نشاطه الفطري، لأن هذا النشاط هو الذي يوقع الناس في الخطيئة، وما دفع إلى الخطيئة فهو ذاته خطيئة! و علاجه الوحيد هو الكبت و القهر.. دين يحقّر الإنسان ليمجد الرب.. كأنما لا يتحقق تمجيد الرب إلا بتحقير الإنسان... و ذلك بدعوى ان الإنسان إذا اتجه لتحقيق وجوده تمرد على الرب، فلا بد من سحقه و إذلاله و تحقيره لكي يتمجد الرب في قلبه، فيحصل على الخلاص.. دين يصرف الناس عن عمارة الأرض، و عن ترقية الحياة و تنميتها، بدعوى أن ذلك سيصرف الناس عن التوجه إلى الآخرة، و سيحرك شهواتهم التي لا بد أن تكبت، و من ثم

يوقعهم في الخطيئة الواقفة للإنسان بالمرصاد... دين يحارب العلم، بسبب جهل البابوات و رجال الدين، و عدم اهتمام غالبيتهم بتثقيف أنفسهم، و اكتفائهم بسلطانهم الروحي على الجماهير.

ليس من العجيب إذن أن تنفر أوربا من ذلك الدين و تتمرد عليه.. إنما كان العجب أنها صبرت عليه كل تلك القرون التي صارت فيما بعد تمردها تسميها القرون الوسطى المظلمة.

و كان رد الفعل هو نبذ هذا الدين، و التحرر من سجنه، فكانت الأفكار و الفلسفات التي تهرول في الاتجه الآخر، بعيدا عن كل ما فيه أثر من ذلك السلطن الكنسي، و كانت العلمانية.

أين هذا من الإسلام، هل من المنطق أن نقارن بين أوروبا و العالم الإسلامي، هل كان لديهم حقا دين صحيح، حتى يقال إن البعد عنه كان مفتاح الازدهار الذي حققوه، و هل كان تاريخ الإسلام تاريخ سلطان ديني و طغيان كابت للحريات و الأفكار و حقر للإنسان، حتى نقول إن العلاج من الانحطاط الذي نحن فيه الآن يكون نفس العلاج الذي نجع في أوروبا؟.. إن الحقائق لا تقول ذلك، و بالتالي لا تقول إن العلمانية هي الحل.

إن العلمانية لا تصلح مع الإسلام، كما أنها لا تصلح مع اليهودية، و لكنها تصلح فقط مع المسيحية الحالية، و لننظر فيما يجري في إسرائيل كلما أرادوا أن يشكلوا حكومة، فإن عليهم أن يسترضوا تلك الاحزاب و الحركات الدينية، و لنقرأ فقط أخبار الأيام الماضية حينما اجتمعت الحكومة لتقرر هل يجوز ليهودي أن يهدم معبدا لليهود أم لا، و قرروا أنه لا يجوز... مرة أخرى أقول إن الحكومة اجتمعت لتقرر ذلك، و منذ شهور جاءت الأنباء بأن جماعات اسرائيلية اعترضت على إعلان في شوراع تل أبيب لأن فيه صورة الممثلة الأمريكية "سارة جيسيكا" عارية الظهر حتى تمت تغطية ظهرها، فعلام يدل هذا؟ ألا يدل على أن العلمانية لا تعمل مع اليهودية؟ أما مع المسيحية فهي عقيدة روحانية و حسب، بينما الشريعة هي اليهودية، و قد كان الأصل أن المسيحية جزء من اليهودية، و لكن من قالوا إنهم اتبعوا المسيح انفصلوا بها و أنشأوا دينهم الخاص و هو القائم حاليا، و كان لابد لمن يغير في دين

أن يلقى العنت، و هو ما حدث لهم، فلم يكن هناك من خلاص إلا بالتخلص من هذا الدين الذي اقتطعوه اقتطاعا ما أصوله.

و الإسلام عقيدة و شريعة.. كيف يستطيع مسلم مثلا أن يقيم أحكام الإسلام في المعاملات التجارية أو الأحوال الشخصية أو الميراث، أو عقوبات الجرائم أو غيرها، إذا كان الدين محصورا في حجرة نومه، و في الزوايا هنا و هناك... لابد من سلطة حاكمة ترعى هذا... بمعنى آخر لا يمكن أن يجتمع الإسلام و العلمانية، كما أنه لا يجتمع الليل و النهار معا..

و هناك إشارة بالغة الدلالة و هي أن في القرآن التوجيهات و الأصول و القواعد التي يتعامل بها الإسلام مع غير المسلمين، فما الحاجة إلى ذلك إلا إذا كان الإسلام هو النظام الحاكم، و لو كانت العلمانية حاكمة لما احتجنا إلى القرآن و لكفتنا الوصايا العشر (أي بضع آيات من سورة الإسراء)، لأن الناس يخرجون من بيوتهم و يتركون ما يعتقدون في حجرات النوم، فلا يكون من داع لأي توجيهات أو أصول أو أحكام دينية...

يجب على صاحب الدين أن يتنازل عن بعض دينه من أجل العلمانية، فالدين هو أسلوب حياة يطلب من معتنقه أن يفعل أشياء و ألا يفعل أشياء، و هذه بالتعبير البسيط قيود، فإذا حاولت في مجتمع علماني أن تمارس هذه القيود ستواجهك جماعات اللادينين بالرفض، و هذه أمثلة أمريكية على هذا، فمنذ شهور دار النزاع في المحاكم بسبب أن إحدى المباني الحكومية أرادت وضع كتلة حجرية في مدخلها، و على هذه الكتلة نص الوصايا العشر، و تظاهرت الجماعات المسيحية مؤيدة، و الجماعات اللادينية معارضة، و كان الحكم أنه لا يجوز وضع هذا المجسم لأنه رمز ديني يجرح مشاعر اللادينيين، و دار نزاع آخر في المحاكم كذلك بشأن هل يجب أن "يُذكر لفظ الله" في تحية الصباح في المدارس يوميا، و هو نزاع مازالوا لم يحسموه بعد، و قد رفعه الأباء اللادينيون الذي يريدون أن يلا يبلبلوا أبناءهم بفكرة وجود إله، و هناك ثالث يجري فيه النزاع حول جواز تدريس فكرة آدم و حواء كبدء للخليقة في المدارس أم عدم الجواز، على أساس أن هناك من هم لا يؤمنون إلا بما قال به داروين، و نحن نسمع و سمعنا بقضايا الحجاب في فرنسا و حاليا في ألمانيا، و

في، و تونس و في تركيا و في التليفزيون المصري... فحتى لو كانت العلمانية سائدة فهي لا تعني الحرية، بل تعني أنه لا يجوز لك أن تسلك أي مسلك تشوبه شائبة من الدين، لألا تتجرح مشاعر من الملحدون، و لا أقول أصحاب الديانات الأخرى، لأن من يؤمن بالله حقا، سيحب من الآخرين نفس الأمر، و قبل كل شيئ و بعده، فإن الدين عند الله الإسلام، و هذا هو أساس الفكر.

إن الدين ليس مجرد الاعتقاد، إنه طريقة الحياة و نظامها، ففي سورة يوسف مثلا يقول – تعالى –إن يوسف قد "أخذ آخاه في دين الملك.. "، أي استفاد من نظام قانون الدولة المصرية آنذاك ليبقي أخاه معه، و في سورة الكافرون تقول الآية، و الخطاب فيها موجه "للكافرين" تقول لهم "لكم دينكم و لي دين" في حين أنه ليس للكافرين دين، إنما لهم أسلوب في ممارسة الحياة لا يرضى عنه الله، فالدين هو أسلوب ممارسة الحياة، و يجب بالتالي أن يظهر في سلوكيات الأفراد، و نظم ترتيب علاقاتهم و تعاملاتهم، و ما العقيدة إلا المرحلة الأولى فقط... فإذا اكتفينا بالعقيدة فنحن إذن لم نقم الدين الذي يجب أن يكون بحسب العقيدة، فالعقيدة ليست الهدف، بل الهدف هو العمل الصالح المرتبط بهذه العقيدة، و ذلك كما أمر به الله و أراده، لا على هوى البشر و ما يفضلون.. و حسب تعريف العلمانية فإنها تريد ان تكون سلوكيات و تعاملات الناس على أسس أخرى غير التي توحي بها أي عقيدة، أي أنها بشكل مباشر معاكسة للدين، و يستحيل أن يجتمع الدين مع العلمانية... و قد نجح هذا المزج فقط مع المسيحية، لأن المسيحية هي جزء العقيدة من الدين بينما الدين الكامل كان يجب أن يكون اليهودية ثم تلحق به المسيحية...

إن إزدهار أوروبا ليس سببه إبعاد الدين عن الحياة، لأن ما لديهم لم يكن الدين، إنما سببه العمل الدؤوب و السعي الجاد، و الله عادل و قد خلق هذه الدنيا بنظم و قوانين، فمن أخذ بالأسباب حقق ما يجب تحقيقه... ثم إن تأخر المسلمين ليس سببه الدين، بل سببه عوامل سياسية يسجلها التاريخ، و تحتاج منا الدراسة، لنرى كيف الخلاص منها... إن البحث عن حل بتقليد أوروبا هو قياس خاطئ... إن مشكلتنا هي فساد سياسي ملء السمع و الأبصار، إذا أردنا الأفضل فلتكن محاربة الفساد

السياسي هي الحرب.. الدين عندنا عندما كان عاملا كنا في القمة، و هو ليس عاملا الآن، و لذا نحن في القاع.
من العجيب أن الفكرة في غاية الوضوح، و لكن كيف سيرى من يصر على إغلاق عينيه... إن كل التهم التي أدينت بها النصرانية المحرّفة، هي نفسها التي يريدون أن يلصقوها بالإسلام... و لا عجب، فإن عقلية هؤلاء هي العقلية المتأثرة بأوروبا النافرة من الدين، الذاكرة له بهلع، بسبب ما كان من شأنها معه كما سبق... و لا يلاحظ أولئك أن أوروبا إنما بدأت التمرد على الدين بعد احتكاكها بالمسلمين، عندما بدأت تدرك مقدار الظلام الذي عاشت فيه و تتوق للخلاص الحقيقي من الكنيسة و طغيانها، و هم مع ادعاء اتباع أساليب التفكير العلمي يخطئون عندما يقيسون الإسلام بمعايير التجربة الأوربية، و لا يدركون الفرق بين التجربة التي تمت في ظل الدين المزيف، و التجربة التي تمت في ظل الدين الصحيح، و لقد جرى شيئ مشابه في مصر عندما غزا الفرنسيون مصر، إذ أد الاحتكاك إلى اكتشاف الحاجة إلى إعادة النظر في الذات، و بدأت بالفعل نهضة في أنحاء مصر، على أن أوروبا لم تمهل أحدا، و في خلال عقود كان جميع بلدان العالم الإسلامي محتلة، و لا تزال حتى اليوم.
إن المسلمين في أشد حالات الانحطاط، و أسباب هذا ترجع للاستبداد السياسي، الذي شوه عصورا طويلة من تاريخ الإسلام، و لكن التشخيص يخطئ عندما يقول إن الدين هو سبب الانحطاط أو أنه حتى سبب الاستبداد... تخيلوا إنسانا متكسرة أطرافه، و بدلا من أن يحاول الأطباء تجبيره و إصلاحها، فهم يصرون على تغيير العقل و القلب... إن المسلمين في حاجة إلى القوة و الاعتزاز بالذات و الثقة قبل أن يبدأوا التحرك إلى المقدمة، و لكن إذا تخلينا عن ماهيتنا بدلا من ذلك، فلن يكون لنا وجود، و ما سيحدث هو أن الله سوف يستبدل بنا قوما آخرين يؤمنون به حق الإيمان، و ينصرون دينه، فلقد كتب الله أن هذا الدين سينتصر، بنا أو بغيرنا... " كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ، لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَ أَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا – رضي الله عنهم – وَ رَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ" المجادلة 21–22... و قال – تعالى –" إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً" النساء 133، و قد تعلمنا من القرآن أن شرط النصر هي أن نكون ممن يصفهم القرآن في سورة الحج بأنهم " الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنْ الْمُنكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ"، و هذه الآيات تتناقض و العلمانية، لأن إرضاء أحد من البشر على حساب رضا الله هو الشرك بعينه، فإذا آمنا أن لله عاقبة الأمور، فقد علمنا ما يجب علينا أن نعمله.

لقد كان الاستبداد عندما فرطتنا في ديننا و ستكنا و لم نقاوم، و نعم من الإسلام ألا نخرج على الحاكم لتجنب الفتنة و هي الأكبر خطرا، و لكننا مأمرون بعدم الرضى أو السكوت، فكما جاء في صحيح مسلم، قال – صلى الله عليه وسلم – " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون و أصحاب، يأخذون بسنته و يقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، و يفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، و من جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، و من جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، و ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل "، و قال – صلى الله عليه وسلم – " الدين النصيحة " قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: " لله، و لكتابه، و لرسوله، و لأئمة المسلمين و عامتهم"

----

[1] 10 يناير 2004

المصدر : http://al-shaab.org

============

#العلمانية الجاحدة .. ثم الآن العلمانية المستترة

د.سعيد بن ناصر الغامدي

العلمانية SECULARISM:

– ترجمتها الصحيحة = اللادينية، لا علاقة لها بمصطلح العلم، أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين.

- في الجانب السياسي، اللادينية في الحكم.
- تعريف العلمانيين للعلمانية. انظر: موسوعة السياسة 179/4.

تأسيسها وتطورها:

1 - طاغوتية رجال الدين النصارى واستبدادهم بالدين والسياسة (الرهبانية، الفساد....، صكوك الغفران).

2 - وقوف الكنيسة ضد العلم والفكر المتحرر، تشكيلها محاكم التفتيش لعلماء التجريب:

أ - كوبرنيكوس: نشر عام 1543 م كتاب الأجرام السماوية، فحرمت الكنيسة هذا الكتاب.

ب - جردانوا: صنع التلسكوب فعذب وعمره 70 وتوفي سنة 1642 م.

جـ - ديكارت: دعا إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة (فلسفة الشك).

د - بيكون: ظهر بمبدئه التجريبي وطلب تطبيقه على كل شيء.

هـ - سبنوزا: صاحب مدرسة النقد التاريخي، كان مصيره الحرق.

و - جون لوك: طالب بإخضاع الوحي للعقل.

ز - جاليلو: استخدم التلسكوب فقتلته الكنيسة.

3 - ظهر مبدأ العقل والطبيعة، أخذ العلمانيون يدعون إلى تحرير العقل وإضفاء صفات الإله على الطبيعة.

4 - نتيجة للصراع بين الكنيسة والحركات السالفة جاءت الثورة الفرنسية 1789 م، أول حكومة لا دينية علمانية.

مراحل الثورة وشخصياتها:

أ - عصر التنوير الذي مهد لإرهاصات الثورة:

[جان جاك روسو] سنة 1778 م، ألف كتاب (العقد الاجتماعي) يعتبر الجيل الثورة.

[منتسيكو] له (روح القوانين).

[سبينوزا] يهودي يعتبر رائد العلمانية باعتبارها منهجاً للحياة والسلوك، له (رسالة اللاهوت والسياسة).

[فولتير] مؤلف كتاب (القانون الطبيعي).

[كانت] مؤلف كتاب (الدين في حدود العقل وحده) عام 1804 م.

[وليم جودين] مؤلف كتاب (العدالة السياسة) 1793 م، وفيه دعوة للعلمانية بصراحة.

ب - [ميرابو] خطيب وزعيم فيلسوف الثورة الفرنسية.

جـ - تحرك الماسون واليهود مستغلين أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية المعتمدة على الكنيسة وركبوا موجة الثورة لتحقيق أهدافهم.

د - سارت الجموع الغوغائية لهدم الباستيل وشعارها الخبز ثم تحول شعارها إلى [الحرية والمساواة والإخاء] ثم شعار [تسقط الرجعية] وهو شعار ملتوي يقصد به الدين.

نضوج العقل العلماني في تصوراته ومشاريعه المستقبلية إلى عقود قادمة بعيدة:

1 - الدفع بذوي النفوس المريضة والعقول الجاهلة لضرب الإسلاميين.

2 - استغلال الجهل الحاصل بين الإسلاميين في شؤون العلمانية لتمرير أعمالهم.

3 - المرأة والطفل.

4 - المقررات الدراسية، الدخول منها، مثلاً الفاء السيرة من منهج التاريخ، واستبداله بتاريخ العالم المعاصر: تاريخ أمريكا والثورة الفرنسية، التأكيد على القيم النبيلة في العصر الجاهلي.

5 - عداء الحركات الإسلامية والشخصيات المخلصة.

6 - عمل المرأة وتهيئتها لذلك من خلال التعليم مثل الهندسة والإحياء.

7 - تهوين المنكر لتمريره من خلال أن القضايا العميقة والمهمة هي التقدم المادي وأشباه ذلك.

8 - أن أمتنا أمة حضارة وذوق ووجدان = كالرسم والموسيقى والنحت.

9 - تشويه صورة الإسلام من خلال بدائل هزيلة وتشويه الشخصيات الإسلامية، من خلال المؤلفات والمسلسلات.

10 - العقلانية.

11 - المجيء بحجج لتبرير عزل الدين = السياسة نجسة، الاقتصاد الربوي ضرورة عالمية، الأدب جمال وذوق، الفكر العالمي، إنسانية الثقافة.

12 – تشويه التاريخ الإسلامي باسم الدراسة الموضوعية.

13 – التشكيك في ثبوت السنة وصحة المصطلح وأصول الفقه، والفقه.

هـ – تغلغل اليهود باسم العلمنة وإذابة الفوارق الدينية وتحولت الثورة من ثورة على مظالم رجال الدين إلى ثورة على الدين نفسه.

و – ظهرت نظرية التطور والارتقاء في أصل الأنواع لدارون عام 1859 م لتصبح هذه النظرية وسيلة لانهيار العقيدة الدينية ونشر الإلحاد.

ز – ظهرت نظرية نيتشه (السوبرمان) وفلسفتهم على أن الإله مات وحل محله الإنسان الأعلى.

ح – ظهرت نظرية دوركايم اليهودي المسماة العقل الجمعي جمع فيها بين حيوانية الإنسان وماديته.

ط – ظهرت نظرية فرويد اليهودي التي تعتبر الإنسان حيواناً جنسياً، الجنس أساس كل الدوافع.

ي – ظهرت نظرية كارل ماركس اليهودي المادية الجدلية / التفسير المادي للتاريخ، الاشتراكية، أفيون الشعوب.

ك – ظهرت نظرية سارتر الوجودية.

ل – ظهرت نظرية كولن ولسن الوجودية الجديدة الداعية إلى الإلحاد.

الأفكار والمعتقدات:

1 – العلمانية العامة = فصل الدين عن الحياة الخاصة = فصل الدين عن بعض جوانب الحياة.

2 – بعضهم ينكر وجود الله، وبعضهم يؤمن بوجوده – سبحانه – ولكن لا علاقة بين الله وحياة الإنسان.

3 – الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب، العقلانية.

4 – إقامة حاجز بين عالمي الروح والمادة، القيم الروحية لديهم قيم سلبية ضارة.

5 – إقامة الحياة على أساس مادي بحت.

6 – فصل الدين عن الحياة، فصل الدين عن السياسة.

7 – تطبيق مبدأ النفعية (البراجماتيزم) على كل شيء في الحياة.

8 – تطبيق مبدأ الميكافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق والعلاقات.

9 – نشر الإباحية والفوضى الخلقية وتهديم كيان الأسرة تحت شعار حرية المرأة.

معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي:

1 – الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.

2 – الزعم بأن الإسلام استنفذ أعراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية فردية.

3 – الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني.

4 – الزعم بأن الإسلام لايتلاءم مع الحضارة والتقدم لأنه يدعو للرجعية والتخلف.

5 – الدعوة إلى تحرير المرأة – عمل المرأة.

6 – تشويه الحضارة الإسلامية والتشكيك في التاريخ الإسلامي.

7 – الإشادة بالحركات الهدامة والفرق الضالة والزعم بأنها حركات إصلاح وتحرر.

المصدر: http://www.olamaalshareah.net

=============

#العلمانييون وفكرهم وممارساتهم

سعيد بن ناصر الغامدي

العلمانيون هم كل من ينسب أو ينتسب للمذهب العلماني، وينتمي إلى العلمانية فكرا أو ممارسة0

وأصل العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية " secularism "، وهي من العلم فتكون بكسر العين، أو من العالم فتكون بفتح العين، وهي ترجمة غير أمينة ولا دقيقة ولا صحيحة، لأن الترجمة الحقيقية للكلمة الإنجليزية هي "لا دينية أولا غيبية أو الدنيوية أولا مقدس"

نشأت العلمانية في الغرب نشأة طبيعية نتيجة لظروف ومعطيات تاريخية . دينية واجتماعية وسياسية وعلمانية واقتصادية . خلال قرون من التدريج والنمو، والتجريب، حتى وصلت لصورتها التي هي عليها اليوم 0

ثم وفدت العلمانية إلى الشرق في ظلال الحرب العسكرية، وعبر فوهات مدافع البوارج البحرية، ولئن كانت العلمانية في الغرب نتائج ظروف ومعطيات محلية متدرجة عبر أزمنة متطاولة، فقد ظهرت في الشرق وافدا أجنبيا في الرؤى

والإيديولوجيات والبرامج، يطبق تحت تهديد السلاح وبالقسر والإكراه، لأن الظروف التي نشأت فيها العلمانية وتكامل مفهومها عبر السنين تختلف اختلافا جذريا عن ظروف البلدان التي جلبت إليها جاهزة متكاملة في الجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتاريخية والحضارية، فالشرط الحضاري الاجتماعي التاريخي الذي أدى إلى نجاح العلمانية في الغرب مفقود في البلاد الإسلامية بل فيها النقيض الكامل للعلمانية ولذلك كانت النتائج مختلفة تماماً كما، وحين نشأت الدولة العربية الحديثة كانت عاله على الغربيين الذين كانوا حاضرين خلال الهيمنة الغربية في المنطقة ومن خلال المستشارين الغربيين أو من درسوا في الغرب واعتنقوا العلمانية، فكانت العلمانية في أحسن الأحوال أحد المكونات الرئيسية للإدارة في مرحلة تأسيسها وهكذا بذرت بذور العلمانية على المستوى الرسمي قبل جلاء جيوش الاستعمار عن البلاد الإسلامية التي ابتليت بها.

ومن خلال البعثات التي ذهبت من الشرق إلى الغرب عاد الكثير منها بالعلمانية لا بالعلم، ذهبوا لدراسة الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والرياضيات فعادوا بالأدب واللغات والاقتصاد والسياسة والعلوم الاجتماعية والنفسية، بل وبدراسة الأديان وبالذات الدين الإسلامي في الجامعات الغربية، ولك أن تتصور حال شاب مراهق ذهب يحمل الشهادة الثانوية ويلقى به بين أساطين الفكر العلماني الغربي على اختلاف مدارسه، بعد أن يكون قد سقط إو أسقط في حمأة الإباحية والتحلل الأخلاقي وما أوجد كل ذلك لديه من صدمة نفسية واضطراب فكري، ليعود بعد عقد من السنين بأعلى الألقاب الأكاديمية، وفي أهم المراكز العلمانية بل والقيادية في وسط أمة أصبح ينظر إليها بازدراء، وإلى تاريخها بريبة واحتقار، وإلى قيمها ومعتقداتها وأخلاقها . في أحسن الأحوال . بشفقة ورثاء. إنه لن يكون بالضرورة إلا وكيلا تجاريا لمن علموه وثقفوه ومدنوه، وهو لا يملك غير ذلك

ثم أصبحت الحواضر العربية الكبرى مثل "القاهرة بغداد دمشق" بعد ذلك من مراكز التصدير العلماني للبلاد العربية الأخرى، من خلال جامعاتها وتنظيماتها وأحزابها وبالذات لدول الجزيرة العربية وقلّ من يسلم من تلك اللوثات الفكرية العلمانية، حتى

أصبح في داخل الأمة طابور خامس، وجهته غير وجهتها، وقبلته غير قبلتها، إنهم لأكبر مشكلة تواجه الأمة لفترة من الزمن ليست بالقليلة.

ثم كان للبعثات التبشيرية دورها، فالمنظمات التبشيرية النصرانية التي جابت العالم الإسلام شرقاً وغربا من شتى الفرق والمذاهب النصرانية، جعلت هدفها الأول زعزعت ثقة المسلمين في دينهم، وإخراجهم منه، وتشكيكهم فيه 0

ثم كان للمدارس والجامعات الأجنبية المقامة في البلاد الإسلامية دورها في نشر وترسيخ العلمانية

ثم كان الدور الأكبر للجمعيات والمنظمات والأحزاب العلمانية التي انتشرت في الأقطار العربية والإسلامية، مابين يسارية وليبرالية وقومية وأممية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية، بجميع الألوان والأطياف، وفي جميع البلدان حيث أن النخب الثقافية في غالب الأحيان كانوا إما من خريجي الجامعات الغربية أو الجامعات السائرة على النهج ذاته في الشرق، وبعد أن تكاثروا في المجتمع عمدوا إلى إنشاء الأحزاب القومية أو الشيوعية أو الليبرالية، وجميعها تتفق في الطرح العلماني، وكذلك أقاموا الجمعيات الأدبية والمنظمات الإقليمية أو المهنية، وقد تختلف هذه التجمعات في أي شيء إلا في تبني العلمانية، والسعي لعلمنة الأمة كل من زاوية اهتمامه، والجانب الذي يعمل من خلاله.

ولا يمكن إغفال دور البعثات الدبلوماسية: سواء كانت بعثات للدول الغربية في الشرق، أو للدول الشرقية في الغرب، فقد أصبحت في الأعم الأغلب جسورا تمر خلالها علمانية الغرب الأقوى إلى الشرق الأضعف، من خلال المنح الدراسية وحلقات البحث العلمي، والتواصل الاجتماعي، والمناسبات والحفلات، ومن خلال الضغوط الدبلوماسية والابتزاز الاقتصادي، وليس بسر أن بعض الدول الكبرى أكثر أهمية وسلطة من القصر الرئاسي أو مجلس الوزراء في تلك الدول الضعيفة التابعة.

ولا يخفى على كل لبيب دور وسائل الإعلام المختلفة، مسموعة أو مرئية أو مقروءة، لأن هذه الوسائل كانت من الناحية الشكلية من منتجات الحضارة الغربية–صحافة أو إذاعة أو تلفزة–فاستقبلها الشرق واستقبل معها فلسفتها ومضمون رسالتها، وكان الرواد في تسويق هذه الرسائل وتشغيلها والاستفادة منها إما من النصارى أو من العلمانيين

من أبناء المسلمين فكان لها الدور الأكبر في الوصول لجميع طبقات الأمة، ونشر مبادئ وأفكار وقيم العلمانية، وبالذات من خلال الفن، وفي الجانب الاجتماعي بصورة أكبر.

ثم كان هناك التأليف والنشر في فنون شتى من العلوم وبالأخص في الفكر والأدب والذي استعمل أداة لنشر الفكر والممارسة العلمانية0

فقد جاءت العلمانية وافدة في كثير من الأحيان تحت شعارات المدارس الأدبية المختلفة، متدثرة بدعوى رداء التجديد والحداثة، معلنة الإقصاء والإلغاء والنبذ والإبعاد لكل قديم في الشكل والمضمون وفي الأسلوب والمحتوى ومثل ذلك في الدراسات الفكرية المختلفة في علوم الاجتماع والنفس والعلوم الإنسانية المختلفة، حيث قدمت لنا نتائج كبار ملاحدة الغرب وعلمانييه على أنه الحق الطلق، بل العلم الأوحد و لا علم سواه في هذه الفنون، وتجاوز الأمر التأليف والنشر إلى الكثير من الكليات والجامعات والأقسام العلمية التي تنتسب لأمتنا اسما، ولغيرها حقيقة 0

ولا يستطيع أحد جحد دور الشركات الغربية الكبرى التي وفدت لبلاد المسلمين مستثمرة في الجانب الاقتصادي

هكذا سرت العلمانية في كيان الأمة، ووصلت إلى جميع طبقاتها قبل أن يصلها الدواء والغذاء والتعليم في كثير من الأحيان، ولو كانت الأمة حين تلقت هذا المنهج العصري تعيش في مرحلة قوة وشموخ وأصالة لوظفت هذه الوسائل توظيفا آخر يتفق مع رسالتها وقيمها وحضارتها وتاريخها وأصالتها.

بعض ملامح العلمانية

لقد أصبح حَمَلة العلمانية الوافدة في بلاد الشرق بعد مائة عام من وفودهم تيارا واسعا نافذا متغلبا في الميادين المختلفة فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية، وكان يتقاسم هذا التيار الواسع في الجملة اتجاهان:

أ–الاتجاه اليساري الراديكالي الثوري، ويمثله – في الجملة – أحزاب وحركات وثورات ابتليت بها المنطقة ردحا من الزمن، فشتت شمل الأمة ومزقت صفوفها، وجرت عليها الهزائم والدمار والفقر وكل بلاء، وكانت وجهة هؤلاء الاتحاد السوفييتي قبل سقوطه، سواء كانوا شيوعيين أمميين، أو قوميين عنصريين.

ب–الاتجاه الليبرالي ذي الوجهة الغربية لأمريكا ومن دار في فلكها من دول الغرب، وهؤلاء يمثلهم أحزاب وشخصيات قد جنوا على الأمة بالإباحية والتحليل والتفسخ والسقوط الأخلاقي والعداء لدين الأمة وتاريخها.

وللاتجاهين ملامح متميزة أهمها:

1- مواجهة التراث الإسلامي، إما برفضه بالكلية واعتباره من مخلفات عصور الظلام والانحطاط التخلف ـ كما عند غلاة العلمانية ـ، أو بإعادة قراءته قراءة عصرية ـ كما يزعمون ـ لتوظيفه توظيفا علمانيا من خلال تأويله على خلاف ما يقتضيه سياقه التاريخي من قواعد شرعية، ولغة عربية، و أعراف اجتماعية، ولم ينج من غاراتهم تلك حتى القرآن و السنة، إمّا بدعوى بشرية الوحي، أو بدعوى أنه نزل لجيل خاص أو لأمة خاصة، أو بدعوى أنة مبادئ أخلاقية عامة، أو مواعظ روحية لاشأن لها بتنظيم الحياة، ولا ببيان العلم و حقائقه، ولعل من الأمثلة الصارخة للرافضين للتراث، والمتجاوزين له "أدونيس " و "محمود درويش" و "البياتي " و " جابر عصفور ".

أما الذين يسعون لإعادة قراءته وتأويله وتوظيفه فمن أشهرهم "حسن حنفي " و " محمد أركون "و "محمد عابد الجابري " و " حسين أمين " ومن على شاكلتهم، ولم ينج من أذاهم شيء من هذا التراث في جميع جوانبه.

2- اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي استعماري عنصري غير حضاري، وتفسيره تفسيرا ماديا، بإسقاط نظريات تفسير التاريخ الغربية العلمانية على أحداثه، وقراءته قراءة انتقائه غير نزيهة ولا موضوعية، لتدعيم الرؤى والأفكار السوداء المسبقة حيال هذا التاريخ، وتجاهل مافية من صفحات مضيئة مشرقة، والخلط المعتمد بين الممارسة البشرية والنهج الإسلامي الرباني، ومحاولة إبراز الحركات الباطنية والأحداث الشاذة النشاز وتضخيمها، والإشادة بها، والثناء عليها، على اعتبار أنها حركات التحرر والتقدم والمساواة والثورة على الظلم مثل "ثورة الزنج"و "ثورة القرامطة" ومثل ذلك الحركات الفكرية الشاذة عن الإسلام الحق، وتكريس أنها من الإسلام بل هي الإسلام مثل القول بوحدة الوجود، والاعتزال وما شابه ذلك من أمور

تؤدى في نهاية الأمر إلى تشويه الصور المضيئة للتاريخ الإسلامي لدى ناشئة الأمة، وأجياله المتعاقبة.

3- السعي الدؤوب لإزالة أو زعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم، والمسيرة المؤطرة للفكر والفهم الإسلامي في تاريخه كله، من خلال استبعاد الوحي كمصدر للمعرفة والعلم، أو تهميشه . على الأقل . وجعله تابعاً لغيره من المصادر، كالعقل والحس، وما هذا إلا أثر من آثار الإنكار العلماني للغيب، والسخرية من الإيمان بالغيب، واعتبارها . في أحسن الأحوال . جزء من الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية، والترويج لما يسمي بالعقلانية والواقعية والإنسانية، وجعل ذلك هو البديل الموازي للإيمان في مفهومه الشرعي الأصيل، وكسر الحواجز النفسية بين الإيمان الكفر، ليعيش الجميع تحت مظلة العلمانية في عصر العولمة، وفي كتابات " محمد عابد الجابري " و" حسن حنفي " و" حسين مروة " و" العروي " وأمثالهم الأدلة على هذا الأمر.

4- خلخلة القيم الخلقية الراسخة في المجتمع الإسلامي، والمسيرة للعلاقات الاجتماعية القائمة على معاني الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود وطلب الأجر وأحاسيس الجسد الواحد، واستبدال ذلك بقيم الصراع و الاستغلال والنفع وأحاسيس قانون الغاب والافتراس، والتحلل، والإباحية من خلال الدراسات الاجتماعية والنفسية، والأعمال الأدبية والسينمائية والتلفزيونية، مما هز المجتمع الشرقي من أساسه، ونشر فيه من الجرائم والصراع ما لم يعهده أو يعرفه في تاريخه، ولعل رواية "وليمة عشاء لأعشاب البحر"-السيئة الذكر-من أحدث الأمثلة على ذلك، والقائمة الطويلة من إنتاج"محمد شكري"و"الطاهر بن جلون"و"الطاهر طار"و"تركي الحمد"وغيرهم الكثير تتزاحم لتؤدي دورها في هدم الأساس الخلقي الذي قام عليه المجتمع، واستبداله بأسس أخرى.

5- رفع مصطلح الحداثة كلافتة فلسفية اصطلاحية بديلة لشعا ر التوحيد، والحداثة كمصطلح فكري ذي دلالات محددة تقوم على مادية الحياة، وهدم القيم والثوابت، ونشر الانحلال والإباحية، وأنسنة الإله وتلويث المقدسات، وجعل ذلك إطارا فكرياً

للأعمال الأدبية، والدراسات الاجتماعية، مما أوقع الأمة في أسوأ صور التخريب الفكري الثقافي.

6- استبعاد مقولة الغزو الفكري من ميادين الفكر والثقافة، واستبدالها بمقولة حوار الثقافات، مع أن الواقع يؤكد أن الغزو الفكري حقيقة تاريخية قائمة لا يمكن إنكارها كإحدى مظاهر سنة التدافع التي فطر الله عليها الحياة، وأن ذلك لا يمنع الحوار، لكنها سياسة التخدير والخدع والتضليل التي يتبعها التيار العلماني، ليسهل تحت ستارها ترويج مبادئ الفكر العلماني، بعد أن تفقد الأمة مناعتها وينام حراس ثغورها، وتتسلل في أجزائها جراثيم وفيروسات الغزو العلماني القاتل.

7- وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري، عبر غوغائية ديماغوجية إعلامية غير شريفة، ولا أخلاقية، لتخويف الناس من الالتزام بالإسلام، والاستماع لدعاته، وعلى الرغم من وقوع الأخطاء .وأحياناً الفظيعة .من بعض المنتمين أو المدعين إلى الإسلام، إلا أنها نقطة في بحر التطرف والإرهاب العلماني الذي يمارس على شعوب بأكملها، وعبر عقود من السنين، لكنه عدم المصداقية والكيل بمكيالين، والتعامي عن الأصولية والنصرانية، واليهودية، والموغلة في الظلامية والعنصرية والتخلف.

8- تمييع قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق، والفكر والسياسة، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي محلها، واستخدام هذه المفاهيم في تحليل المواقف والأحداث، ودراسة المشاريع والبرامج، أي فك الارتباط بين الدنيا والآخرة في وجدان وفكر وعقل الإنسان، ومن هنا ترى التخبط الواضح في كثير من جوانب الحياة الذي يعجب له من نور الله قلبه بالإيمان، ولكن أكثرهم لا يعلمون.

9- دق طبول العولمة واعتبارها القدر المحتوم الذي لا مفر منه ولا خلاص إلا به، دون التمييز بين المقبول والمرفوض على مقتضى المعايير الشرعية، بل إنهم لَيصرخون بأن أي شيء في حياتنا يجب أن يكون محل التساؤل دون التفريق بين الثوابت والمتغيرات مما يؤدي إلى تحويل بلاد الشرق إلى سوق استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية، والتوسل لذلك بذرائعيه نفعية محضة لا يسيرها غير أهواء الدنيا وشهواتها.

10- الاستهزاء والسخرية والتشكيك في وجه أي محاولة لأسلمة بعض جوانب الحياة المختلفة المعاصرة في الاقتصاد والإعلام والقوانين، وإن مرروا هجومهم وحقدهم تحت دعاوى حقوق الإنسان وحرياته، ونسوا أو تناسوا الشعوب التي تسحق وتدمر وتقتل وتغصب بعشرات الآلاف، دون أن نسمع صوتاً واحداً من هذه الأصوات النشاز يبكي لها ويدافع عنها، لا لشيء إلا أن الجهات التي تقوم بانتهاك تلك الحقوق، وتدمير تلك الشعوب أنظمة علمانية تدور في فلك المصالح الغربية.

11- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية، وبخاصة في الفن والرياضة وشركات الطيران والأزياء والعطور والحفلات الرسمية و الاتكاء القوي على قضية المرأة، ولكن كانت هذه شكليات ومظاهر لكنها تعبر عن قيم خلقية، ومنطلقات عقائدية، وفلسفة خاصة للحياة، من هنا كان الاهتمام العلماني المبالغ فيه بموضة المرأة، والسعي لنزع حجابها، وإخراجها للحياة العامة، وتعطيل دورها الذي لا يمكن أن يقوم به غيرها، في تربية الأسرة ورعاية الأطفال، وهكذا العلمانيون يفلسفون الحياة. يعطل مئات الآلاف من الرجال عن العمل لتعمل المرأة، ويستقدم مئات الآلاف من العاملات في المنازل لتسد مكان المرأة في رعاية الأطفال، والقيام بشؤون المنزل، ولئن كانت بعض الأعمال النسائية يجب أن تناط بالمرأة، فما المبرر لمزاحمتها للرجل في كل موقع.

12- الاهتمام الشديد والترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب، وتقديم أصحابها في وسائل الإعلام، بل وفي الكليات والجامعات على أنهم رواد العلم، وأساطين الفكر وعظماء الأدب، وما أسماء " دارون " و " فرويد " و " دوركايم " وأليوت وشتراوس وكانط " وغيرهم بخافية على المهتم بهذا الشأن، وحتى أن بعض هؤلاء قد تجاوزه علمانيو الغرب، ولكن صداه مازال يتردد في عالم الأتباع في البلاد الإسلامية.

المصدر : http://www.olamaalshareah.net

=============

#دعاة من جلدتنا

أحمد محمد الفضيل

أنزل الله الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى وفرقاناً ورحمة لقوم يوقنون، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ففتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وبدد بدعوته ظلمات الجهل والحماقة، وأسقط الأغلال التي كانت على العقول، حتى أمسى شرك الجاهلية وضلالها أسطورة غابرة، وأضحت عبادة الأصنام في ميزان المسلم إفكاً قديماً، ويعجب المسلم – فيما يعجب – من سخف المشركين من قولهم في تلبيتهم: (لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك!)[1].

سبحان ربي! كيف سوغ الشيطان هذا السخف لأوليائه، وزين لهم ما كانوا يفترون؛ وصدق الله (مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ المُهْتَدِ ومَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ ولِياً مُّرْشِداً) [الكهف: 17].

غير أنه يجب أن نذكر دائماً أن الابتلاء مستمر، ومادة الشر باقية، وشياطين الإنس والجن مشمرون في ترويج الضلال، حتى زخرفوه بكل حلة، وروجوا له بكل لسان: (وكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الإنسِ والْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً) [الأنعام: 112].

ومن الواجب كذلك أن نتتبع طرق الغي بالتحذير منها، وكشف مراميها وأبعادها وسد السبل على دعاتها؛ حتى يكون المسلمون على بينة من ربهم، وبصيرة من سبيلهم، ولا يضرهم انتحال المبطلين، أو كيد الحاقدين.

ولقد شاعت في دنيا المسلمين فلسفات وأنظمة؛ خدعت الكثير منا ببريقها، وانتشرت شعارات ومصطلحات أسرت العقول، واستحوذت على الأفكار، ووراء ذلك كله داء دوي، ونار – لو قُدر لها أن تنتشر – لم تأتِ على شيء إلا جعلته كالرميم.

وكان المسلمون قبلها يتلون كتاب الله، ويتدبرون آياته، ولا يخالج أحداً منهم شك في حق التشريع ولا ريب؛ فالتشريع كله – الحلال والحرام والسياسة ونظم المجتمع – كله لله، حقاً خالصاً من أخص خصائص الألوهية، كما أن الإقرار به أول طريق العبودية، وكان المسلمون يعلمون كذلك أن كل سلطان أو إمارة في دولتهم إنما يكتسب المشروعية، ويأخذ حق الطاعة من الله – سبحانه – فلا سلطان ولا طاعة ولا ولاء إلا لله وأمر الله ودين الله، وكل سلطة من غير هذا السبيل فإنما هي خروج

عن التوحيد: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ورُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ والْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ومَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا إلَهاً واحِداً لاَّ إلَهَ إلاَّ هُوَ سبحانه عَمَّا يُشْرِكُونَ) [التوبة: 31].

وما كان اتخاذهم أرباباً، ولا كانت عبادتهم إلا طاعتهم في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله: (أَلَمْ تَرَ إلَى الَذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إلَيْكَ ومَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إلَى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ ويُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً) [النساء: 60].

وأعظم الناس منزلة عند الله أنبياؤه ورسله، إنما بلغوا هذه المنزلة السامية بتمام عبوديتهم، وكمال خضوعهم لله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إلاَّ نُوحِي إلَيْهِ أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (25) وقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ ولَداً – سبحانه – بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) [الأنبياء: 25-27].

والنبي بريء من كل دعوى تخالف عبوديته، كما في قول عيسى – روح الله وكلمته – لربه: (مَا قُلْتُ لَهُمْ إلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي ورَبَّكُمْ) [المائدة: 117].

إذن فالأمة كلها – حاكماً ومحكوماً وأميراً ومأموراً، وبشتى طبقاتها –ليست إلا مخلوقة لله، مربوبة مستعبَدة، والأمر كله لله: (ومَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) [البينة: 5].

ثم تسرب إلينا الفكر الصليبي اللاديني [2]، حاملاً معه خلفيات المعركة التي استعرت في أوربا بين كنيسة ضالة خانت الأمانة، وسخرت تعاليم السماء لأحط غرائز الأرض، وبين الشعب الذي لم يَرَ في هذه الكنيسة سوى عقبة تحول دون انطلاقه وتحرره، وتسومه سوء العذاب، ودخل عالم المسلمين تعبيرات جديدة: سيادة الأمة، حكم الشعب للشعب، الشعب مصدر السلطات، الدين لله والوطن للجميع، وتضاربت الأقوال حول هذه المستجدات المصدّرة، وتباينت كذلك المواقف، ووقف رجال لم تخنهم البصيرة، ولم ينقصهم الإخلاص وسط هذه الزلزلة، وجهروا بالحق لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، بينما تحرك الكثيرون ممن كانوا يحتلون مواقف القيادة الفكرية؛ لينخرطوا في اللعبة الجديدة، ودون أن يتفوهوا بكلمة واحدة.

ولم يكد رواد العلمانية (اللادينية) ودعاتها يطلقون الطلقة الإعلامية الأولى ضد الدولة الدينية، والحكومة الدينية، والحرب الدينية؛ حتى تحمس الكثير من الكُتاب، لا

ليدفعوا عن أنفسهم الصبغة الدينية، بل ليقرروا للناس أن الإسلام برىء من كل دولة دينية وحكومة دينية، ومن كل ما هاجمه اللادينيون أو وصموه! وخرج من صفوف المسلمين بعد ذلك أناس حملهم الإخلاص وحفزتهم الغيرة، يدعون المسلمين للخروج من الأساليب التقليدية، والتحرر من القوقعة والجمود، وطلب هؤلاء من المسلمين أن يحافظوا على النظام الديمقراطي العلماني مادام يكفل لهم حرية الدعوة والحركة، بل رأوا أن من الواجب أن يساهم المسلمون في إقامة هذا النظام إذا لم يكن قائماً، وكان ذلك من دعاة غيورين، يتألمون لتقصير المسلمين، مع أنهم يعلمون أن حرية الأنظمة اللادينية إنما هي حرية مقنّنة مبرمجة، وأن الكل متفق على وجوب اتباع سياسة القهر والإذلال للدعاة، والوقوف في سبيل الدعوة، ولكن في الوقت المناسب، والشكل المناسب! ! ! لقد ثارت أوربا لتدفع اضطهاد الذين حكموها باسم الله، وزعموا للشعب أنهم ظل الله، وسلطانه على الأرض.

وحمل الإنسان الأوربي في أعماق شعوره حساسية مدمرة ضد كل ما هو ديني، أو يمُت للدين.

ثم انتقلت عدوى هذه الحساسية المدمرة إلى حس رواد وأتباع اللادين في عالمنا! وإنما يهمنا في الدرجة الأولى أن يستيقظ المسلم المخدوع بهذه الشعارات، والمنوم ببريقها، نريد أن يعلم المسلم حقيقة التناقض العقَدي بين التوحيد الذي يحمله في قلبه – ثم لا يمنعه ذلك أن يسير خطوات بعيدة في سبيل غير سبيله – وبين الفلسفة الكافرة التي أنشأها وصنعتها، ونحن مع الذين يستنكرون الاستغلال بكل أنواعه في استنكارهم دون أن يكون هذا الاستنكار وسيلة تحمل المسلم على التخلي عن إيمانه.

وأما الدساتير التي صُدّرت إلينا فهي نسخة عن دساتير أوربا التي تقول: (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)، قد يضاف إلى بعض الدساتير عبارة تناسب عواطف الشعوب المسلمة، حيث يقال لها إن الإسلام دين الدولة، أو أن الشريعة مصدر القوانين.

وستجد مَن يوضح لك أن الشعب مصدر السلطات التي ليس فيها حكم شرعي، فسلطانه خارج دائرة سلطة الشريعة! !، ومع أن كلمة (الشعب) تتسع لتشمل كل النوعيات الهابطة والرفيعة، من ذوي الاختصاص والعلم، وأهل الرعونة والطيش؛

فإنك تجد في نص الدستور أن من حق الأغلبية تغيير مواد الدستور، من خلال القنوات الرسمية؛ باعتبار الأغلبية تمثل رأي الشعب، إذن فعندما يقرر الشعب نظرياً – أو الذين يحكمون باسم الشعب – أن يغيروا المظاهر الإسلامية في الدستور يكون هذا التغيير دستورياً وصحيحاً، ولا معنى للاعتراض عليه.

وإذا لاحظنا أن عبارة (الإسلام دين الدولة) عبارة طارئة على النظام اللاديني (الديموقراطي) ودخيلة عليه، ومتناقضة معه، وأن المعاني التي تحملها هي أقل مواد الدستور قوة وتأثيراً ودواماً، بينما اعتبار الشعب مصدرا للسلطات، إنما هو جوهر الديموقراطية – علمنا من ذلك أن اعتبار الإسلام ديناً للدولة لم يأتِ استمداداً من أمر الله وسلطانه، بل هو مستند إلى سلطان الشعب ورأيه؛ وبذلك يجعلون سلطان الله – تعالى – محكوماً بسلطان الشعب ومستمداً منه، وبينما كانت تلبية الجاهلية تضع سلطة أصنامها – نظرياً – دون سلطة الله؛ إذا بالجاهلية الصليبية الحديثة تريد أن تخادعنا عن ديننا، وتقودنا إلى جاهلية أشد ضلالاً وانتكاساً من الجاهلية البائدة، فهل يتنبّه المسلمون لحقيقة الفتنة التي ذر قرنها في ديارهم، وهل يعيدون الوحدة المفقودة بين العقيدة الإسلامية، والأصول العلمية والسياسية، وبين المنهج الرباني في الحركة والتطبيق؛ ليعود الإيمان وحدة متكاملة في الاعتقاد والعلم والعمل؟ !

---

(1) وردت هذه التلبية حكاية في حديث متفق عليه.

(2) وهو ما يُدعى بالفكر العلماني!.

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

===========

#المتصهينون العرب الجدد

طلعت رميح

30 ربيع الأول 1426هـ الموافق له 9 مايو 2005م

قبل أن أُدعى للمشاركة في برنامج الاتجاه المعاكس حول ظاهرة 'الليبراليين العرب الجدد'؛ لم أكن أدرك حجم الخطر الذي يمثله هؤلاء على الأمة، كنت من قبل أكتفي بمتابعة بعض ما يكتبونه بين الحين والآخر دون يقظة كافية بأنهم يتحولون إلى تيار

في المنطقة العربية، وكان الأمر يبدو لي أن ما يجري ليس أكثر من أقلام تنفث سموماً – وكم من الأقلام التي تؤدي مثل هذا الدور –، كنت لا أعير الأمر كثير اهتمام، إذ في مثل هذه الفترة الحرجة التي تعيشها الأمة الإسلامية؛ من الطبيعي أن تظهر أقلام مرتبكة أو مهزوزة أو ضعيفة، أو نافثة للسم في أفئدة وعقول المواطنين بوعي أو بدون وعي.

لكن ما إن شرعت في البحث في هذه الحالة حتى وجدت أن الأمر جد خطير، ولكثرة ما قرأت وتابعت ودققت كان الهاجس الأخطر الذي وجدت نفسي مضطراً لمواجهته هو قضية التوصيف، كيف أصف هؤلاء؟ هم سموا أنفسهم الليبراليين الجدد، وقيل عنهم إنهم الليبراليون العرب الجدد – كما وصفهم الدكتور فيصل القاسم – لكني وجدت أن الأمر أخطر بل هو مرعب، وكان توصيفي لهم هو: المتصهينون العرب الجدد.

ومن هنا نبدأ، كيف يكون هناك عرب ومتصهينون؟ وكذا لم أضفت كلمة الجدد؟ متصهينون وعرب وجدد!

كما أن العربي يصنف بإسلامي أو قومي أو وطني في التوصيف العقدي أو السياسي فمن الممكن أيضاً أن يكون هناك عربي ومتصهين، مثلاً: كيف نسمي الشخص العربي الذي ينطق العربية أو من أب وأم عربيين، بينما هو عضو في حزب الليكود أو العمل؟ هو متصهين حتى وإن كان ناطقاً بالعربية أو من أصل عربي، وكذلك فكما هو معروف، فإن هناك لوبياً صهيونياً في أمريكا أو فرنسا أو بريطانيا، بعضهم من غير اليهود أو هم من الأمريكيين أو البريطانيين والفرنسيين ومن ثم فمن الممكن أن يكون هناك عربي ومتصهين، وأيضاً تجوز التسمية نظراً لأن الصهيونية نمط من التفكير، وحركة عنصرية يمكنها أن تجذب أفراداً من كل جنسية من الذين يكرهون أمتهم.

أما لماذا سميتهم بالجدد فذلك لأن هناك من تصهينوا من قبل في المنطقة – مع اختلاف الدور والمهمة والوظيفة –، وهو ما تم كشفه في تلك المرحلة عندما لاقوا مقاومة عنيدة من إسلاميين، ومن أصحاب آراء أخرى قومية ووطنية، وصفوهم

باللوبي الصهيوني في معارك سياسية، وبعدما وصلت الأمور إلى المحاكم في بعض الأقطار العربية... إلخ.

وتعبير 'جديد' هنا لا يمثل محاولة لتمييز جيل جديد عن الجيل القديم فقط، ولكنه يعود بالأساس إلى أن دور المتصهينين العرب الجدد دور جديد مقارنة بالقدامى، وأنهم بالفعل يطرحون مشروعاً جديداً.

فإذا كان المتصهينون العرب القدامى يلعبون دورهم بصورة 'متخفية'، ويمارسون التخريب المستتر من خلال طرح شعارات التعاون مع 'حركات سلام داخل الكيان الصهيوني'، أو من خلال تخريب المقدرات الأساسية الداخلية للمجتمعات العربية والإسلامية على المستويات الاقتصادية أو السياسية إلخ، فإن المتصهينين العرب الجدد صاروا يطرحون مشروعاً صهيونياً متكاملاً، كما صاروا يعملون جهاراً لخدمة الحركة الصهيونية وبلا مواربة، وكذا أن نشاطهم التخريبي لم يعد مقتصراً على العمل المستتر أو المموه في السياسة – كما كانوا في البداية حينما تبنوا مقولات تتحدث عن عدم موائمة العمليات الاستشهادية للمصلحة العربية، أو بالحديث عن عدم وجود توازن قوى يسمح بالعمل المسلح ..إلخ –، بل باتوا يسفرون عن وجههم في الحركة والنشاط والكتابة، كما باتوا بشكل سافر يهاجمون الإسلام، ويطعنون في العقيدة بشكل مباشر، وهي حالة جديدة وصلوا إليها بالعمل تحت الحماية المباشرة للجيش الأمريكي بعد احتلال العراق، وبسبب حالة ضعف أنظمة الحكم العربية والإسلامية.

كيف جرى وصفهم من قبل؟

واقع الحال أن هؤلاء قد جرى وصفهم بأوصاف متعددة ومتنوعة، فهناك من وصفهم 'بأنهم الليبراليون المعدلون وراثياً الذين تم إنتاجهم وتعديل أدمغتهم في مختبرات وزارة الدفاع الأمريكية'، وقيل إنهم 'يقدمون نصائح مجانية لأمريكا، وأنهم مبشرون بالإصلاح على الطريقة الأمريكية'، وقيل إنهم 'أصحاب إيديولوجية تعتمد المخادعة، واتباع نهج المغالطات التاريخية المراد ترسيخها في ذاكرة المتلقي'، وقيل إنهم 'فئة نذرت نفسها لخدمة الشيطان، ووصل الحد ببعض منهم أن يرقصوا ويشربوا الأنخاب على مشاهدة صواريخ توما هوك تنزل على عاصمة الرشيد، ويشبهوا أصوات تلك

الصواريخ بموسيقى بتهوفن'، وقيل إنهم 'عدميون جدد ليس لديهم إطلاقاً سوى الهدم والتخريب الفكري والأيديولوجي وجلد الذات'، وقيل إنهم 'مخبرون على كبر'، وإنهم 'حفنة من العملاء'، وقيل إنهم 'يشوشون ويشوهون جهود المثقفين العرب الوطنيين من ليبراليين وإسلاميين وديموقراطيين' وإنهم 'مثقفون أمريكيون من أصول عربية وإسلامية، تحولوا إلى متعهدين لتسويق أفكار هي في جوهرها من إفراز اليمين المحافظ في الولايات المتحدة'، وقيل إنهم بمثابة 'الواقي الذكري للاحتلال في العراق'، وإنهم 'قوم انسلخوا من دينهم وأمتهم وحتى عروبتهم وأصبحوا مجرد طابور خامس للغازي الأمريكي، يروجون لمشروعه، ويمهدون العقول له، ويدافعون عن جرائمه – خابوا وخسئوا –، وقيل إنهم 'يشبهون الإيدز الفكري الذي يدمر جميع الثوابت الفكرية المناعية الصلبة في الفكر العربي تمهيداً لإعادة تشكيلها في شكل ثقافة استسلام، أو وعي انهزامي بائس حسبما يروم به هوى السيد الأمريكي الصهيو – أمريكي'، وقيل عنهم 'أنهم أشد خطراً على الأمة من أعدائها'، وأنهم كالجنود المرتزقة الذين يعملون ضمن اتفاقيات وعقود مبرمة مع الطرف الأمريكي والإسرائيلي وبعض القوى الدولية – دولية وعربية وإقليمية – والتي تتماشى مع المشروع الأمريكي، لذا فإن همهم الأكبر هو الكسب المادي والوظيفي، وبمعنى آخر فالليبرالي الجديد والذي انغمس في المشروع الأمريكي والإسرائيلي هو كالأجير المؤقت لدى أي مؤسسة حكومية أو أهلية'.

ما هو دورهم تحديداً؟

من يتابع كتابات المتصهينين العرب الجدد يجدهم وبشكل مباشر يوجهون أقلامهم تجاه القضايا التالية:

أولاً: الطعن في الإسلام عقيدة وفقهاً، وحضارة وتاريخاً، سواء كان ذلك بشكل مباشر بالقول إن لا مقدس لا يمكن التفكير فيه بمنطق الصح والخطأ، وأن النص القرآني يجوز التعامل معه كنص تاريخي – والعياذ بالله–، أو كان ذلك بشكل غير مباشر عند بعضهم بالالتفاف حول التفسيرات، أو بالهجوم على كل تفسير صحيح للإسلام، وبشكل خاص للآيات القرآنية التي تتعلق بالجهاد، أو بالمواريث، أو بتعدد الزوجات، أو بقوامة الرجل على المرأة... إلخ.

ثانياً: الطعن في فكرة أننا أمة واحدة سواء على مستوى الفهم الإسلامي، أو حتى على مستوى الفهم القومي، واتهام كل مدافع عن فكرة الأمة بأنه عنصري وفاشي يحمل دعوة عنصرية ضد المجموعات البشرية الأخرى داخل الدول العربية – الأكراد، والبربر، أو الأفارقة – أو أنه يحمل دعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية على غير المسلمين... إلخ.

ثالثاً: التبشير بنهاية الوطن والوطنية، وأن الوطن لم يعد سوى مساحة جغرافية من الأرض، وأن المواطنين لم يعد يجمعهم سوى بعض الخصوصيات المتآكلة الآن بفعل العولمة، وترويج ما يسمونه الآن 'بالثقافة العالمية' التي يزعمون أنها باتت تحل تدريجياً محل الثقافة المحلية أو الوطنية، سواء كان ذلك انطلاقاً من فكرة زوال الحدود، وسيادة العولمة، أو كان ذلك حسب مفاهيم انتهاء الدولة القومية.

رابعاً: الدعوة بكثافة إلى كل ما يثير الاضطراب داخل المجتمعات الإسلامية والعربية – بتأليب الأعراق والأقليات ضد الأغلبية –، وداخل كيان الأسرة – حقوق المرأة من وجهة النظر العلمانية –، والدفع بالحوار الفكري إلى قضايا تغيير العقيدة – حرية الفكر بالمعنى اللاديني للتفكير –...إلخ.

هذا عن ما يطرحونه أما أهدافهم فالفكرة المبسطة والأولية هي أنهم يؤدون دوراً يعجز عنه الأعداء، أو هم بالدقة يقومون بالدور الذي يعجز عنه أعداء الأمة بقواتهم العسكرية، وبشكل أكثر دقة فهم يقومون بالدور الذي يكمل مهمة الغزو العسكري، حيث الحروب لا تنجح أبداً في تحقيق نتائجها إذا اقتصرت على العمل العسكري – بل حتى العمل العسكري لا يتم دون حرب نفسية –، إذ أن العمل العسكري في حد ذاته لا ينجم عنه إلا هزيمة القوة العسكرية للبلد الذي تجري مهاجمته أو يجري العدوان ضده، وهو أمر لا ينجم عنه هزيمة لإرادة المجتمع.

ولذلك هم يركزون هجومهم على المقومات الصلبة لبناء الإنسان من عقيدة وفكر، وكذلك يوجهون هجومهم ضد كل الحركات الجهادية في الأمة، فمن يتابع كتابات هؤلاء المتصهينين العرب الجدد يلحظ أنهم دأبوا وباستمرار على الهجوم العنيف على المقاومة الجهادية المسلحة في فلسطين والعراق وأفغانستان حتى وصل الأمر بأحدهم – كمال غبريال – إلى القول بأن الشعب الفلسطيني سيهزم في النهاية 'الإرهابيين'

في فلسطين، وأن الشعب الفلسطيني سينتصر على أمراء الموت، وسيمد أيديه بالسلام إلى جيرانه بدلاً من الأحزمة الناسفة'.

وهم كذلك يصفون المقاومة العراقية بالإرهاب، ويعتبرون أن المعركة الجارية في العراق ليست معركة ضد الاحتلال، وإنما معركة بين الشعب العراقي والإرهابيين، ومن ثم فهم يقومون بدور أخطر من هؤلاء الذين يقومون بدور الطابور الخامس خلف خطوط الدفاع في الأمة، أو بدور الحرب النفسية والتيئيس لعوامل النهوض والمقاومة، أو بدور المروجين للاستسلام للأعداء، حيث إنهم يضربون في صميم عقيدة الأمة وملامح هوية الأمة على جميع الصعد؛ لجعل الإنسان العربي المسلم مجرد إنسان بلا هوية، يسهل تشكيل عقله على هوى المحتل، وذلك هو ما دفع الكثيرين للربط بينهم وبين المحافظين الأمريكيين الجدد الذين يستهدفون فرض القيم الأمريكية على المجتمعات العربية والإسلامية.

كيف نشأ هذا التيار؟

الأصل في مثل هذه التيارات أنها أحد نواتج الغزو الثقافي، أو بالدقة أحد نواتج الحرب على عقيدة الأمة وهويتها وحضارتها، غير أن فكرة الغزو الثقافي الآن لم تعد كما كانت في السابق، مبنية في جانب منها على 'انبهار' بالحضارة الغربية – كما كان الحال في مطلع الغزو العسكري والحضاري الأوروبي لعالمنا الإسلامي –، وكذلك هي لم تعد تتوقف عند حدود العمالة التي تجري على أساس مقايضة المال بالمعلومات كما هو الحال لدى الجواسيس، بل أصبح هناك نمط جديد ظهر بالدرجة الحادة مع العدوان الأمريكي الصهيوني البريطاني على العراق ممثلاً في ارتباط فئات وجماعات بالغازي الاستعماري، يمدها الغازي بالمال أو السلاح أو بكليهما معاً، كجماعات مصالح تمثل مصالحه، أو تحقق له أهدافه الاستراتيجية، أو تعطيه مبررات للتدخل ...إلخ، ويستفيدون هم من وجوده ودوره ودعمه في تشكيل شبكة مصالح خاصة بهم.

ففي الحالة العراقية تشكل نمط خاص كبير من فرق العملاء، هؤلاء ومن أطياف محددة لعبوا الدور الأكبر في التغطية على الاحتلال وجرائمه، وحاولوا أن يعطوه سنداً شرعياً للوجود على أرض أمتنا، في مقابل الحصول على امتيازات في الحكم،

وفي تنمية مصالحهم الخاصة، لكن الحال في البلدان الأخرى يأخذ أشكالاً متعددة ومتنوعة أخرى، حيث هناك جيوش من العملاء تجري عملية تربيتهم في المنظمات الممولة أمريكياً وأوروبياً تحت لافتات متعددة ومتنوعة مثل: منظمات الدفاع عن المرأة، ومنظمات الدفاع عن حقوق الإنسان... إلخ، ومن هؤلاء المتصهينين العرب الجدد الذين هم أعلى أشكال الارتباط بالأعداء والعمل في خدمتهم حيث هم لا يخوضون معارك ضد أمتهم على مستويات قطاعية أو نوعية – المرأة أو حقوق الإنسان –، وإنما هم يدخلون معارك ضد صلب العقيدة والهوية، وقد كان تمويل مثل هذه الظواهر يجري من قبل في مصر – مثلاً – وفق أنماط من السرية، أو وفق حالات مقننة، حيث كانت الأموال تصل إلى هؤلاء عبر وزارة الشئون الاجتماعية، وخصماً من المعونة المقدمة للحكومة المصرية، إلى أن تطور الأمر بعد احتلال العراق وأخذ مدى أبعد، حيث أصبحت السفارة الأمريكية في القاهرة هي التي تتولى مباشرة عملية تسليم الأموال، وفي احتفالات تدعى إليها مختلف أجهزة الإعلام، ليجري توزيع مبلغ سنوي يتراوح بين 40 و50 مليون دولار سنوياً.

وهناك أشكال أخرى لدعم مثل هذه العناصر المخربة، وفي إطار تحويلهم إلى نخب بارزة إعلامياً، كأن تُدعى مثل هذه الشخصيات إلى مراكز الأبحاث الأمريكية والبريطانية، والفرنسية والصهيونية؛ لإلقاء محاضرات في رحلات تدوم لنحو 3 و6 أشهر مثلاً، يتم خلالها تكثيف الضوء الإعلامي عليهم خلالها، كما يعود كل منهم من رحلته بأموال لا حصر لها ولا حد، كما أن هناك إتاحة مساحات للكتابة لأفراد من هؤلاء مع دفع مقابل مالي كبير يفهم منه الممنوح للمال دوره ليكثر منه، وكلما أكثر وأجاد حصل على مال وشهرة أضخم وأكبر، وفي كل ذلك فالأهم أن كل هؤلاء باتوا يحظون بحماية أمريكية داخل البلاد العربية والإسلامية، بما يجعل الحكومات غير قادرة على المساس بهم مهما فعلوا أو قالوا، وهو نمط جديد مختلف عما عرفته المجتمعات العربية وهي تحت الاحتلال، حيث كان النمط السائد هو حماية الأجنبي ومحاكمته وفق قوانين بلده الأصلي، وأمام محاكم مشكله من أبناء جلدته – المحاكم المختلطة –، أما الآن مثل هؤلاء الأشخاص إما باتوا محميين بالجنسية الأمريكية، أو هم محميون بالضغوط الدبلوماسية والإعلامية الأمريكية.

الصهيونية وهؤلاء الفكرة واحدة!

قامت الصهيونية من حيث الجوهر في الترويج لاحتلال الأرض الإسلامية في فلسطين على فكرة أن تلك الأرض بلا شعب، وأن الأصل فيها أنها عبر التاريخ هي أرض ذات هوية تاريخية 'يهودية'، أما هؤلاء فيقولون: إن بلاد العرب والمسلمين الأرض والشعوب بلا هوية لا دينية، ولا حضارية، ولا ثقافية، ولا قومية، ولا حتى وطنية، وهنا تأتي خطورة الطعن في الإسلام عقيدة وحضارة وتاريخاً، إذ كما يقال إنها ليست أكثر من إنهاء هوية وحقوق طرف أمام طرف آخر، حيث تترافق جهودهم مع تصاعد في تشدد وتطرف الكيان الصهيوني، ولذلك مثلاً هم يطالبون بمحاكمة د.يوسف القرضاوي والراحل الشيخ محمد الغزالي، وقدموا لذلك عريضة إلى مجلس الأمن الدولي جمعوا عليها تواقيع من أمثالهم، في الوقت الذي لم يحركوا ساكناً – ربما هم يدعمون – أقاويل حاخام يهودي آثم مثل عوفاديا يوسف الذي وصل العداء به للإسلام وللعرب أن وصفهم بنماذج همجية من البشرية، وأنهم 'صراصير وأفاعٍ يجب إبادتهم وقتلهم بالصواريخ'.

وكذلك إذا كان الأخطر على الحركة الصهيونية الآن هو المقاومة الجهادية المرتكنة إلى الإسلام عقيدة ومنهجاً، فإن هؤلاء وجهوا فوهات هجومهم ضد هذه الحركات الجهادية تحديداً، وأيضاً هم يدعون إلى مسالمة الأعداء في فلسطين والعراق، ويرون أن الاحتلال شرعي، وأن معركة الشعوب هي مع الحركات الجهادية لا مع الاحتلال.

المصدر :

422http://www.islammemo.cc/taqrer/one_news.asp?IDnews=

============

#موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية

محمد المصري

من أجل بيان موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية [1] هناك كلمة لا نحسب أنها تغيب عن ذهن القارئ الواعي بأمر هذا الدين، وإن كنا نخشى أن تكون قد

تاهت -أو توارت- أثناء الصراع الدائر بين أهل السنة والجماعة والفرق المختلفة الضالة التي تنتسب لهذا الدين.

إن أحد التحديات الخطيرة -إن لم تكن أخطر هذه التحديات على الإطلاق- والتي تواجه أهل السنة والجماعة في هذا العصر لَهِي إسقاط اللافتات الزائفة وكشف المقولات الغامضة وفضح الشعارات الملبسة، التي تتخفى وراءها العلمانية الكافرة التي تبث سمومها في عقول وقلوب أبناء هذه الأمة.

ولفضح العلمانية ومواجهتها لابد أولاً أن يصل أمر المواجهة إلى المستوى المطلوب من الوضوح في نفوس أهل السنة..

فإنه بدون هذا الوضوح تعجز تجمعات أهل السنة -ويعجز علماؤها- عن أداء واجبها في هذه الفترة الحرجة، وتتأرجح هي أمام التجمعات الجاهلية -ومنها العلمانية-، حيث تحسبها تجمعات ليست بكافرة، وبالتالي تفقد تجمعات أهل السنة أهدافها الحقيقية بفقدانها لتحديد نقطة البدء في مواجهة هذه التجمعات الجاهلية من حيث تقف هذه التجمعات الجاهلية فعلاً، لا من حيث تزعم، والمسافة بعيدة بين الزعم والواقع..

بعيدة جداً.

لابد من توضيح للحقائق وتحديد للمفاهيم: ونظراً لما أصاب كثيراً من التصورات الإسلامية من انحراف وغبش في أذهان الناس في هذا العصر، ولما يثيره أعداء الإسلام -الظاهرون منهم والمتسترون- من شبهات وأباطيل، فإن من الضروري أن يقوم أهل السنة والجماعة بتجلية تلك التصورات، وكشف هذه الشبهات في كلمة موجزة عن حقيقة العلمانية الكافرة، وبيان أن التوحيد الذي هو أعظم حقيقة في التصور الإسلامي - بل في الوجود كله- هو في الوقت ذاته أكبر نقيض للعلمانية.

ومن ثَم كان لابد من معرفته حق المعرفة والتأكيد عليه في جميع مراحل الدعوة إلى الله، مع بيان سبيل إحياء الأمة في التمسك واتباع مناهج وأصول أهل السنة والجماعة، وإذا كان معنى (لا إله إلا الله) الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وخير تعريف للطاغوت مما ذكره الإمام ابن القيم - رحمه الله -: » الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون

إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله « [2].

فإننا نستطيع القول بأن الشرك –الذي ظل عبر التاريخ محور الصراع بين الأمم والرسل– هو عبادة الطاغوت مع الله أو من دونه في أمرين متلازمين:

أ – الإرادة والقصد. ب– الطاعة والاتباع.

أما شرك الإرادة والقصد:

فهو التوجه إلى غير الله – تعالى –بشيء من شعائر التعبد، كالصلاة والقرابين والنذور والدعاء والاستغاثة تبعاً للتبريرات الجاهلية المردودة القائلة: (مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر: 3]، وطاغوت هذا النوع قد يكون صنماً أو وثناً أو ميتاً أو جنيَّاً أو شيخاً..

الخ.

وأما شرك الطاعة والاتباع: فهو التمرد على شرع الله – تعالى –، وعدم قبول حكمه وتحكيمه في شؤون الحياة بعضها أو كلها.

وهو مفرق الطريق بين الإسلام والجاهلية، بين الإيمان والكفر، كما أنه السمة المشتركة بين الجاهليات كلها على مدار التاريخ، وبه استحقت أن تسمى جاهلية مهما بلغ شأنها في الحضارة والمعرفة، (أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) [المائدة: 50].. (أَم لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) [الشورى: 21]، وطاغوت هذا النوع قد يكون زعيماً أو حاكماً أو كاهناً، أو قد يكون هيئة تشري عية أو أنظمة وأوضاع وتقاليد وأعراف، أو مجالس نيابية وبرلمانات وقوانين ودساتير وأهواء... الخ.

والواقع أن كلا النوعين من الشرك مردهما إلى أصل واحد وهو: تحكيم غير الله والتلقي عن غيره، فإن مقتضى تحكيمه وحده ألا تتوجه البشرية إلى غيره بأي نوع من أنواع العبادة والقربات، وألا تتوجه وتسير في حياتها كلها إلا وفق ما شرع لها في كتبه وعلى لسان رسله: (إِنِ الحُكْمُ إلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ) [يوسف: 40]، فرد الأمر كله إلى الله واتخاذه وحده حكماً في كل شيء هو بعينه العبادة التي أمر الله ألا يصرف شيء منها لغيره، وهذا

هو ذات الدين القيم الذي لا يرضى الله – تعالى –سواه، وإن جهله أكثر الناس على مدار التاريخ.

إذا تقرر هذا، فكل ما يجابه هذه الحقيقة أو جزءاً منها فهو طاغوت في أي صورة كان، وفي أي عصر ظهر، ولا يكون الإنسان –فرداً أو مجتمعاً– شاهداً ألا إله إلا الله حقيقة إلا بالكفر بالطاغوت والبراءة منه وأهله.

لابد من عبودية إما لله وإما لغيره: قال ابن تيمية – رحمه الله – في رسالة العبودية: » إن الإنسان على مفترق طريقين لا ثالث لهما، فإما أن يختار العبودية لله، وإما أن يرفض هذه العبودية فيقع لا محالة في عبودية لغير الله « [3] وكل عبودية لغير الله كبرت أو صغرت هي في نهايتها عبادة للشيطان، (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) [يس: 60، 61]، يشمل ذلك العرب الذين قال الله – تعالى –فيهم: (إن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إلاَّ إنَاثاً وإن يَدْعُونَ إلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً) [النساء: 117]، ويشمل كذلك كل عبادة لغير الله على مدار التاريخ.

لقد تغيرت ولاشك بعض مظاهر العبادة فلم يعد هناك تلك (الإناث) التي كان العرب في شركهم يعبدونها ولكن عبادة الشيطان ذاتها لم تتغير، وحلت محل الإناث القديمة أوثان أخرى، الدولة والزعيم والمذهب والحزب والقومية والعلمانية والحرية الشخصية والجنس... الخ.

عشرات من الإناث الجديدة غير تلك الإناث الساذجة البسيطة التي كان يعبدها العرب في الجاهلية، تضفي عليها القداسات الزائفة، وتُعبد من دون الله، ويُطاع أمرها في مخالفة الله وفي تغيير خلق الله، وما تغيرت إلا مظاهر العبادة (تطورت)! ! ولكن الجوهر لم يتغير، إنه عبادة الشيطان.

وعلى ضوء هذا الفهم الإجمالي لمعنى الطاغوت والعبادة يتضح لنا المعنى الحقيقي لشهادة (لا إله إلا الله) الذي هو –كما سبق–: الكفر بالطاغوت، وإفراد الله – تعالى –وحده بالعبادة.

وانطلاقاً من هذا المفهوم –الذي يعتبر في حقيقة الأمر من المعلوم من الدين بالضرورة عند أهل السنة والجماعة–؛ نستطيع أن نرى حكم الإسلام في العلمانية

بسهولة ووضوح ونستطيع أن نصل بالقضية إلى المستوى المطلوب من الحسم والوضوح في نفوس أهل السنة اللازمين لفضح العلمانية ومواجهتها..
إن العلمانية باختصار: نظام طاغوتي جاهلي كافر، يتنافى ويتعارض تماماً مع شهادة (لا إله إلا الله) من ناحيتين أساسيتين متلازمتين:
أولاً: من ناحية كونها حكماً بغير ما أنزل الله.
ثانياً: من ناحية كونها شركاً في عبادة الله.
إن العلمانية تعني -بداهة-: الحكم بغير ما أنزل الله، وتحكيم غير شريعة الله، وقبول الحكم والتشريع والطاعة والاتباع من طواغيت أخرى من دون الله، فهذا معنى قيام الحياة على غير الدين، ومن ثم فهي -بالبديهة أيضاً- نظام جاهلي، لا مكان لمعتقده ولا لنظامه ولا لشرائعه في دائرة الإسلام، بل هو كافر بنص القرآن الكريم: (ومَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ) [المائدة: 44]، فهل يبقى بعد هذا مجال للشك أو التردد في الحسم والوضوح اللازمين في نفوس أهل السنة اليوم تجاه العلمانية؟ الحق أنه لا مجال لشيء من ذلك، ولكن الغياب المذهل لحقائق الإسلام من العقول والقلوب، و الغبش الكثيف الذي أنتجته الأفكار المنحرفة؛ هذا وذاك هما اللذان يجعلان كثيراً من الناس يثيرون شبهات متهافتة لم تكن لتستحق أدنى نظر لولا هذا الواقع المؤلم.
فمن هذه الشبهات: استصعاب بعض الناس إطلاق لفظ الكفر أو الجاهلية على من أطلقهما الله - تعالى -عليه من الأنظمة والأوضاع والأفراد، بذريعة أن هذه الأنظمة -لاسيما العلمانية الديمقراطية- لا تنكر وجود الله، وبذريعة أن هذه الأنظمة العلمانية الديمقراطية لا تمانع في إقامة شعائر التعبد، وبحجة أن بعض أفراد الأنظمة العلمانية الديمقراطية يتلفظون بالشهادة، ويقيمون الشعائر من صلاة وصيام وحج وصدقة، ويحترمون من يسمونهم برجال الدين (!)، ويحترمون المؤسسات الدينية.. الخ.
وفي ظل هذه الشبهات المتهافتة المردودة يستصعب بعض الناس - ومنهم للأسف الشديد بعض من يرفع راية الدعوة الإسلامية اليوم- القول بأن الأنظمة العلمانية الديمقراطية أنظمة كافرة جاهلية، وأن المؤمنين بها المتبعون لها جاهليون؟ ومن

الواضح أن الذين يلوكون هذه الشبهات لا يعرفون معنى (لا إله إلا الله)، ولا مدلول (الإسلام)، وهذا على فرض حسن الظن بهم، وهو ما لا يجوز في حق كثير من المثقفين، وبالذات بعض الذين يرفعون راية الدعوة الإسلامية اليوم ويتعللون بهذه العلل الواهية.

إن تاريخ الدعوة الإسلامية وصراع أهل السنة والجماعة المرير عبر القرو ن، وإن القرآن الكريم كله من أوله إلى آخره ومثله السنة المطهرة لتقطع الطريق على هذه الشبهة وقائليها.

هل تحمل الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه العنت والمشقة والحرب والجهاد ثلاثاً وعشرين سنة متوالية؟، وهل نزل القرآن الكريم موجهاً وآمراً وناهياً طوال هذه السنين من أجل أن يقول الجاهليون باللسان فقط..

لا إله إلا الله، ويقيموا الشعائر التي يمن دعاة العلمانية على الله أنهم يسمحون بها؟ ! ! وما الفرق بين قول قريش: (يا محمد: اعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة)، وبين قول العلمانيين –لفظاً أو حالاً–: نعبد الله في المسجد، ونطيع غيره في المجالس التشريعية والبرلمان وفي القضاء والتجارة والسياسة؟ أهو شيء آخر غير أن قسمة أولئك زمنية، وقسمة هؤلاء مكانية أو موضوعية؟ يقول ابن كثير – رحمه الله –في تفسير قوله – تعالى –: (أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ): » ينكر الله – تعالى –على من خرج عن حكم الله المُحْكم، المشتمل على كل خيرٍ، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم (الياسق) – وهو عبارة عن: كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكِّم سواه في قليل ولا كثير « [4].

وبناء على ما سبق يتضح أن تلك الشبهة، شبهة التلفظ بالشهادة وإقامة بعض الشعائر لا وزن لها ولا اعتبار، ذلك لأنه بعد أن نجحت الجاهلية -مؤقتاً- في تنحية شرع الله من أن يحكم حياة المسلمين في ديارهم، وحاول أعداء الإسلام إخراج المسلمين عن أصل دينهم إلى المذاهب الإلحادية والمادية، وبعد أن فشلوا في تنفيذ هذا المخطط وأصابهم اليأس من ذلك لجأوا -بعد التفكير والتدبير- إلى ما هو أخبث وأخطر؛ لجأوا إلى: اصطناع أنظمة تحكم بغير ما أنزل الله، وفي الوقت نفسه هي تدعي الإسلام وتظهر احترام العقيدة، فقتلوا إحساس الجماهير، وضمنوا ولاءها، وخدَّروا ضميرها، ثم انطلقوا يهدمون شريعة الله في مأمن من انتفاضتها.

ولذلك لا يجرؤ أرباب هذه الأنظمة العلمانية الديمقراطية على التصريح بأنهم ملحدون أو لا دينيون، أو أنهم ضد شريعة الله، بينما يصرحون -مفتخرين- بأنهم ديمقراطيون مثلاً.

وتبلورت مقالات العلمانيين وأفكارهم التي تعبر في جوهرها عن حقيقة الجاهلية، ولكنها وبخبث شديد وتدبير محكم تحاول أن تنتسب إلى الدين بتبجحٍ غريب ومكرٍ وضيع، وذلك حتى لا ينفر من هذه الأفكار جمهور المسلمين، فهم يريدون أن تسري العلمانية ببطء في عقول ونفوس جمهور المسلمين سريان السم البطيء الذي يودي بحياة صاحبه دون أن يتنبه له جسده.

أنواع من الجاهليات: وهذه الرؤية تفيدنا في تقدير موقفنا، وفي تحديد طبيعة الدعوة الإسلامية كذلك يجب أن نعلم أن الجاهلية بعضها يتمثل في إلحاد بالله - سبحانه - وإنكار لوجوده..

فهي جاهلية اعتقاد وتصور كجاهلية الشيوعيين، وبعضها يتمثل في اعتراف مشوه بوجود الله - سبحانه - وانحراف في الشعائر التعبدية وفي الاتباع والطاعة، كجاهلية الوثنيين من الهنود وغيرهم..

وكجاهلية اليهود والنصارى كذلك.

وبعضها يتمثل في اعتراف بوجود الله - سبحانه - وأداء للشعائر التعبدية، مع انحراف خطير في تصور دلالة شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، ومع شرك كامل في الاتباع والطاعة، وذلك كجاهلية من يسمون أنفسهم (مسلمين)

من العلمانيين، ويظنون انهم أسلموا واكتسبوا صفة الإسلام وحقوقه بمجرد نطقهم بالشهادتين وأدائهم للشعائر التعبدية، مع سوء فهمهم لمعنى الشهادتين، ومع استسلامهم لغير الله من العبيد..

وكلها جاهلية.. وكلها كفر بالله كالأولين.. أو شرك بالله كالآخرين.

والعلمانية الديمقراطية تجعل العقيدة والشعائر لله وفق أمره، وتجعل الشريعة والتعامل لغير الله وفق أمر غيره.. وهذا هو الشرك في حقيقته وأصله.

لأن الدارس لعقائد الجاهلية العربية يجد –من أول وهلة– أنها لم تكن تنكر وجود الله أبداً، بل كانت توحده في معظم أفعاله – تعالى –، كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة، (ولَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [لقمان: 25].

وكانوا يقرون بمشيئة الله النافذة في الكون وقدره الذي لا يرد؛ (سَيَقُولُ الَذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ولا آبَاؤُنَا ولا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ) [الأنعام: 148]، وأنه يدبر الأمر، (ومَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ) [يونس: 20]..

وكانوا يؤمنون بالملائكة، (وَقَالَ الَذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا المَلائِكَةُ) [الفرقان: 31].

وكان منهم من يؤمن بالبعث والحساب، كقول زهير: يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب، أو يعجل فينقم [5] وكذلك كان لدى الجاهليين العرب بعض الشعائر التعبدية، منها: تعظيم البيت الحرام، وطوافهم حوله، ووقوفهم بعرفات، وتعظيم الأشهر الحرام.

وكذلك ذبحهم ونذرهم لله كما في قصة نذر عبد المطلب، وإهدائهم للبيت الحرام، آ وتخصيص شيء من الحرث والأنعام لله، (وجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ والأَنْعَامِ نَصِيباً) [الأنعام: 136].

ومن الناحية التشريعية: كانت الجاهلية العربية تقيم بعض الحدود، كحد السرقة، فقد ذكر الكلبي، والقرطبي في (تفسيره): أن قريشاً كانت تقطع يد السارق [6]، وهو حد معروف في الشرائع السابقة– كما في حديث المخزومية وشفاعة زيد لها–، وشيء آخر سبقت –بل فاقت– به الجاهلية العربية الجاهليات اللادينية المعاصرة وهو:

(حرية التدين)، فكان منهم الحنفاء الذين يتعبدون ببقايا دين إبراهيم – عليه السلام – ، وكان منهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وكان منهم عبدة الكواكب، وعباد الأوثان، وبعضهم كان يعبد الجن أو الملائكة.

موقف الإسلام من الجاهليات بأنواعها: ولكن –وهذا هو المهم–، بماذا حكم الله على هذا المجتمع؟ إن الله – تعالى –حكم على هذه البيئة وعلى الواقع الأرضي حينئذ بأنها كفر وجاهلية، وعد تلك الأمور جميعهاً صفراً في ميزان الإسلام، ولذلك نشبت المعركة الطويلة بينهم وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، واشتد النزاع، معركة شرسة ونزاع حاد، حتى أن السيف كان الحكم الأخير.

والشيء المثير أيضاً: أن موضوع هذه المعركة العنيفة الطويلة لم يكن سوى كلمة واحدة، هي كلمة: (لا إله إلا الله)، كلمة يصر عليها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى أقصى حدود الإصرار، وترفضها الجاهلية إلى أبعد مدى للإنكار والرفض.. لماذا ؟.. لأنه منذ اللحظة الأولى حين دعاهم النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى شهادة (أن لا إله إلا الله)، كان الجواب الفوري: (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً واحِداً إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) [ص: 5]، فالقضية واضحة في أذهانهم: إن الالتزام بهذه الكلمة معناه الرفض الجازم والتخلي الكامل عن كل ماعدا الله من معبوداتهم وطواغيتهم المختلفة، طاغوت الأوثان وطاغوت الزعامة وطاغوت القبيلة وطاغوت الكهانة وطاغوت التقاليد.. الخ، والاستسلام الكامل لله ورد الأمر كله؛ جليله وحقيره وكبيره وصغيره.. إلى الله – تعالى –وحده لا شريك له.

كذلك فإن بيننا اليوم –ممن يقولون: إنهم مسلمون– من يستنكر وجود صلة بين العقيدة والأخلاق وبخاصة أخلاق المعاملات المادية..

وبيننا اليوم حاصلون على الشهادات العليا من جامعاتنا وجامعات العالم يتساءلون أولاً في استنكار: ما للإسلام وسلوكنا الشخصي؟ وما للإسلام والعري على الشواطئ؟ وما للإسلام وزي المرأة في الطريق؟ وما للإسلام وتصريف الطاقة الجنسية بأي سبيل؟ وما للإسلام وتناول كأس من الخمر لإصلاح المزاج؟ وما للإسلام وهذا الذي يفعله (المتحضرون)؟، فأي فرق بين هذا وبين سؤال أهل مدين: (أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) [هود: 87].

وهم يتساءلون ثانياً، بل ينكرون بشدة وعنف أن يتدخل الدين في الاقتصاد، وأن تتصل المعاملات بالاعتقاد، أو حتى بالأخلاق من غير اعتقاد..

فما للدين والمعاملات الربوية؟ وما للدين والمهارة في الغش والسرقة ما لم يقعا تحت طائلة القانون الوضعي؟ وما للدين والسياسة والحكم؟، لا بل إنهم يتبجحون بأن الأخلاق إذا تدخلت في الاقتصاد تفسده! ! فلا يذهبن بنا الترفع كثيراً على أهل مدين في تلك الجاهلية الأولى؛ ونحن اليوم في جاهلية أشد جهالة، ولكنها تدعي العلم والمعرفة والحضارة، وتتهم الذين يربطون بين العقيدة في الله والسلوك الشخصي في الحياة والمعاملات المادية في السوق والسياسة والحكم..

تتهمهم بالرجعية والتعصب والجمود، وبعد أن استهلكت هذه الألفاظ أضافت الجاهلية اليوم وصفهم بالتطرف! ! أليس هذا هو بعينه ما يريده رافعو شعار (الدين لله والوطن للجميع) وشعار (لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين) من أدعياء الإسلام من العلمانيين أو غيرهم؟ إن من عادة المنافقين والزنادقة من المنتسبين لهذا الدين عدم الإنكار الصريح والواضح وعدم إظهار العداء السافر للإسلام، وهم يسعدون بسلاح التلبيس والتمويه للالتفاف حول المسلمين لحين المعركة الفاصلة، حتى يفاجئوا المسلمين على حين غرة، من أجل ذلك يرفع هؤلاء الزنادقة من العلمانيين وأشباههم شعارات يحاولون بها خداع أكبر عدد ممكن من المسلمين، وتهدئة نفوس القلة التي قد ساورتها الشكوك تجاه نوايا هؤلاء الذين يرفعون شعارات العلمانية، بينما يسعون بواقعهم العملي لاقتلاع الإسلام من جذوره ولكن رويداً رويداً! ! فارتفعت لذلك شعارات (المدرسة العقلانية)، وشعار (حكم الشعب للشعب)، وشعار (الحرية الشخصية)، وشعار (الأمة مصدر السلطات)، وشعار (حرية الثقافة والفكر)، وحاول البعض منهم تهدئة بعض مشاعر الإسلاميين فرفعوا شعار: (تطوير الشريعة)، (مرونة الشريعة لتلبية حاجات العصر)، وشعار (تقنين الشريعة)، وبعد أن نفد صبر بعضهم أعلنوها صريحة ورفعوا شعار (فصل الدين عن الدولة)، و (لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين)، و(الدين لله والوطن للجميع)، و (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) أوَ ليس هذا أيضاً ما يطبقه الذين يجعلون للدين برامج تسمى برامج (روحية) ضمن أجهزة الإعلام الشيطانية والذين يجعلون أحكاماً للأحوال

الشخصية ضمن قوانين الحكم الجاهلية، والذين يجعلون في كل صحفهم ومجلاتهم العلمانية الجاهلية صفحة يسمونها صفحة الفكر الديني؟ ! ويقولون: إن مكان الدين هو المسجد فقط، ويظهرون لعامة المسلمين أنهم يحجون لبيت الله في العمر مرة، ويتعمدون إبرازها في أجهزة إعلامهم، بينما هم يقصدون بيوت أعداء الله شرقاً وغرباً كل حين، يتلقفون منهم المناهج، ويتلقون التشريعات والأوامر والنواهي والحلال والحرام! ! سؤال يبحث عن جواب محدد: إننا نتوجه بالسؤال إلى هؤلاء العلمانيين.. إلى كل من يدعي الإسلام من هؤلاء، فنقول: إذا أخرجنا -على سبيل التحكم- جزءاً من النشاط الإنساني في الحياة -إما السياسة وإما غيرها- عن دائرة الإسلام..

فمن أين نتلقى منهج وقيم وموازين وتشريعات هذا الجزء؟ وأياً ما كان الجواب فإن نتيجته ومؤداه واحد لا ريب فيه؛ التلقي عن غير الله والطاعة والاتباع لغير الله.

والنتيجة هي الشرك بالله.

وهل هناك صورة من صور الاعتراف بالشرك أصرح من هذه؟ أعني شرك الطاعة والاتباع! ! إنه شرك في عبادة الله، وإن كان الذين يمارسونه قد يجهلون معنى عبادة الله وحده، وما ذلك بغريب على الجاهليين، » فإن عدي بن حاتم -رضي الله عنه- في الجاهلية لم يكن يتصور أن ذلك عبادة، فإنه لما دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، (تلا - صلى الله عليه وسلم - قوله: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ)، فقال عدي -وكان نصرانياً-: يا رسول الله: لسنا نعبدهم، قال: أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ قال: بلى.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: فتلك عبادتهم «.

[7] قال ابن تيمية - رحمه الله -تعليقاً على ذلك: » قد جعله الله ورسوله شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم « [8].

نتائج لابد منها:

إن العلمانية التي ولدت وترعرعت في أحضان الجاهلية لهي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة ولا التباس، ولكن الخفاء والمداورة والالتباس إنما يحدث عمداً من دعاة العلمانية أنفسهم، لأنهم يعلمون أنه لا حياة ولا امتداد لجاهليتهم في بلاد المسلمين إلا من خلال هذا التخفي والمداورة والتلبيس على جماهير المسلمين، وذلك من خلال

راياتهم الزائفة التي تخفي حقيقة أمرهم وباطن دعوتهم عن المسلمين، وتلبس على العامة أمر دينهم وعقيدتهم، بل وتحفزهم ضد إخوانهم الصادقين الواعين بحقيقة هذا الصراع المنبهين إلى خطره الداهم على الدين وأهله.

إن المعارك والجبهات التي تفتحها الفرق الضالة والمنتسبة لهذا الدين ضد أهل السنة والجماعة، وأخطرها دائما جبهة الرفض الباطنية.

والتي تغذيها وتدعمها القوى والمعسكرات الجاهلية العالمية لتدمير أهل السنة والجماعة - باعتبارهم الخطر الحقيقي والفعال ضد هذه القوى-، أقول: إن هذه المعارك وهذه الجبهات يجب أن لا ينسى معها أهل السنة والجماعة أن حصونهم لازالت مهددة من داخلها، وأن القوى العلمانية المتكتلة ضدهم من الداخل والتي تصارعهم في معارك خافية - غالباً - وسافرة -أحياناً - هي التي تمثل الآن جوهر الصراع القائم بين الإسلام والجاهلية في العصر الحديث.

وإن أخطر مراحل هذا الصراع هي: مرحلة تعرية هذه القوى العلمانية القبيحة وفضحها أمام المسلمين؛ ليستبين لكل مسلم سبيل المجرمين الذين يحاولون خداعهم وتلبيس أمر دينهم عليهم وهم لا يعلمون.

أما آن لأهل السنة والجماعة أن يتنبهوا لهذه الأخطار الماحقة في الداخل والخارج، والتي تهددهم في دنياهم وآخرتهم؟ أما آن لهم أن يتكتلوا هم أيضاً دفاعاً عن وجودهم وعقيدتهم ضد تجمعات الجاهلية الشرسة؟.

أما آن لهم -أو لكثير منهم- أن يتخلوا عن معاركهم الوهمية وخلافاتهم الجانبية والشكلية ليفرغوا طاقاتهم، ويركزوا جهودهم المشتركة -المادية والمعنوية- لمواجهة هذه التحديات التاريخية والمعارك الفاصلة الحقيقية والجذرية؟ أما آن لهم هذا؟ ؛ (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ومَا نَزَلَ مِنَ الحَقِّ) [الحد يد / 16].

نسأل الله الهدى والرشاد، فمنه وحده التوفيق والسداد وهو على كل شيء قدير.

---

(1) لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (secularism) في الإنكليزية أو (secularite) بالفرنسية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ (العلم) على الإطلاق، فالعلم بالإنكليزية والفرنسية معناه (science)، والمذهب العلمي يطلق عليه كلمة

(scientism)، والترجمة الصحيحة لكلمة (secularism) هي: (اللادينية) أو (الدنيوية)، وتقول دائرة المعارف البريطانية مادة (secularism): هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو (إقامة الحياة على غير الدين) سواء بالنسبة للأمة أو للفرد.

(2) إعلام الموقعين 1 / 50.

(3) مقدمة رسالة العبودية / 6.

(4) تفسير القرآن العظيم 2 / 67.

(5) شرح ديوان زهير / 81.

(6) أضواء البيان للشنقيطي 392/3.

(7) انظر رواياته في الدر المنثور:3 / 230، وأصله في الترمذي: كتاب التفسير، وسنده صحيح.

(8) فتح المجيد: 86 نقلاً عن الإيمان.

المصدر: http://www.albayan-magazine.com

============

#إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو العلمانية اللادينية

حامد بن عبد الله العلي

ينبوع العلمانية اللادينية وطواغيتها الكبار:

ميكافيللي، كالفن، توماس هوبز، جون لوك، جون ستيوارت، هولباخ، فولتير، ديكارت، مونتسكيو، جان جاك روسو، ثم الطبقة التي تليها هم: هيغل، كيجارد، كارلايل، داروين، انجلز، ماركس، نيتشه، فرويد، دركهايم، لينين، تروتسكي، جون ديوي، هيدجر، رسل، سارتر، وغيرهم كثير من المستشرقين والمفكرين والكتاب والفلاسفة.

هؤلاء كان لكتاباتهم الأثر الأكبر في تخريج هذه الطبقة في بلادنا العربية:

وهي: ألبرت حوراني، ماجد فخري، عبد الرحمن بدوي، عبد العزيز الدوري، ساطع الحصري، البستاني، عثمان أمين، محمد لطفي، زكريا إبراهيم، أنطون سعادة، شبلي

شميل، فيليب حتى، سليم خياطة، ورئيف خوري، وجميل صليبا، وحسين مروة، جورج طرابيشي، مصطفى حجازي، لطفي السيد، عبد العزيز فهمي، إسماعيل مظهر، جورجي زيدان، طه حسين، سلامة موسى، وبين تواريخ وفياتهم بعض التقديم والتأخير، ومن النساء صفية زغلول، وهدى شعراوي.

وهنا تأتي طبقة تواكب وبعضها يسبق من تقدم، لكنها تنتسب إلى الدين نوع انتساب، أو تظهر شيئا من ذلك، مثل رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده، وتأثر به سعد زغلول ومصطفى كامل وأحمد لطفي السيد وان لم يكونوا منتسبين إلى الدين.

وكان كرومر يقول (أسميهم حبا في الاختصار أتباع المرحوم المفتي السابق الشيخ محمد عبده) وقد تأثر به قاسم أمين أيضا وكان يقول إنه استقى كتابه عن تحرير المرأة من توجيهات محمد عبده، وذكر لطفي السيد في كتابه قصة حياتي أن قاسم أمين قرأ عليه وعلى محمد عبده كتاب تحرير المرأة في جنيف قبل نشره، وعبد الله النديم يلحق بتلاميذ محمد عبده، ثم من المنتسبين إلى الدين الكواكبي، وطه حسين في بعض كتاباته، ويأتي في هذا الدور علي عبد الرازق، وقد ساهم هؤلاء بدور فعال في ترويج العلمنة بالقيام بدور خاص له طبيعة خاصة، سنشير إليه.

غير أن أشدهم في الدعوة إلي العلمنة والغارة على الإسلام لطفي السيد وعبد العزيز فهمي، وإسماعيل مظهر، وكان من أشد القائمين بهذا الدور بنوع من التلبيس والتخفي في بعض كتاباته، صديق إسماعيل مظهر الحميم طه حسين.

ثم جاءت طبقة أخرى أحدث: زكي نجيب محمود، فؤاد زكريا، غالي شكري، تيزيني، العروي، الجابري، مقالح، أركون، علي زيعور، سعد الدين ابراهيم، ناجي علوش، العروي، حسين قبيصي، نديم البيطار، خليل أحمد، صلاح قنصوه، عادل ظاهر، مطاع صفوري.

ويذكر أيضا محمود أمين العالم، أدونيس (على أحمد سعيد)، تيزيني، فرج فودة، نور فرحات، خلف الله.

وأما محمد عمارة، عادل حسين، وطارق البشري، وكمال أبو المجد، فهمي هويدي، فهم برزخ بين السلفية (بمعناها العام أي رفض الفصل بين الدين والحياة) والعلمنة.

مع أن الغالين في العلمنة يسمون هؤلاء (السلفيون الجدد) ويجعلون منهم حسن حنفي!! كما يفعل أمين العالم في كتابه (الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر)، ولهؤلاء دور يشبه إلى حد ما دور من أشرت إليهم من المتقدمين المنتسبين إلى الدين في تسهيل تغلغل العلمنة في المجتمعات الإسلامية، وتراهم معجبين بكتابات الكواكبي ومحمد عبده والأفغاني أيما إعجاب، ومنهم من يرى في أفكار هؤلاء هي سبيل الهدى والرشاد.

ومن العجائب أن الدكتور محمود إسماعيل في كتابه (الإسلام السياسي) يعتبر هؤلاء (السلفيون الجدد) أشد خطرا وأبعد تأثيرا في تزييف الوعي يقول (ويرجع ذلك إلى قدرتهم على تنظير الاتجاه الأصولي السلفي خاصة وأن بعضهم مثل حسن حنفي ذا باع طويل في الإلمام والإحاطة بالفكر الغربي) ص 24، وهم يقصدون بتزييف الوعي، تقديم نصوص الوحي على شبهات عقولهم التي يسمونها الوعي، ويجعلون هذا التقديم تزييفا للوعي كما دار عليه بحث (العالم) في كتابه المذكور آنفا.

والمقصود أن هؤلاء كلهم بغض النظر عن عدم الدقة في تواريخ الوفيات، هم منظروا العلمنة في بلادنا العربية، على اختلاف تياراتها بين ماركسية شرقية، التي ولت الآن بعد ما سقط صنمها، وليبرالية غربية، والقومية العربية كانت تتركب مع أحد التيارين، وقد تراجعت أيضا، مع تيار العولمة الجارف، وهيمنة الغرب على العالم، وسيطرته بنظام أحادي القطبية.

وعلى اختلاف أيضا داخل كل تيار من جهتين:

الأولى: نوع مدرسة المفكر (أو المفكرين) الغربيين أو الشرقيين الذين تأثر بهم المفكر العربي، سواء كان الخلاف داخل الليبرالية (الهيجلية والظاهراتية والبنيوية والفرويدية والوضعية المنطقية 00الخ) وهي داخل الليبرالية العلمانية كإطار عام، أو كان داخل الماركسية التي شأنها شأن الليبرالية كذلك في اختلافه الداخلي.

والثانية: درجة الحماسة أو الغلو في تبني العلمنة أو معاداة الدين والتراث.

ومن هذه السلسلة انحدرت العلمانية الخليجية على اختلاف توجهاتها، والتي لا تعتبر توجهات جماعية من الناحية الفكرية إن صح التعبير، بقدر ما هي توجهات فردية،

ليس بينها رابط فلسفي - في وجهة نظري - يشكل مدرسة ذات أصول فكرية واحدة أو عقل جمعي بشكل ما.

وهي كذلك ليست ذات عمق وتوغل في النواحي الفكرية والفلسفية في المدرسة التي تتأثر بها، وليس لأكثرهم إن لم يكن كلهم، إضافات أو حتى تحليل نقدي ذي قيمة فلسفية إن كانت الفلسفة لها قيمة حقيقية والحق عن هذا بمعزل، وهم كتاب صحفيون في الغالب أكثر من كونهم مفكرين إلا النفر اليسير جدا يعدون على أصابع اليد الواحدة، مع أنهم كذلك ليسوا مفكرين، لانهم لو كانوا يفكرون بطريقة صحيحة، لما عدلوا عن الحق الذي جاء به الإسلام.

هؤلاء كلهم (باستثناء من أشرنا إلى استثناءه) وتلك السلسلة من المفكرين بأسانيدها التي ترجع إلى أول من أعلن (العلمنة) صنم الجاهلية المعاصرة، وأول من استجاب لداعيها فسجد لهذا الصنم من دون الله – تعالى –متخذا ذلك الصنم ربا وشريكا مع الله في طاعته واتباع شريعته والتحاكم إليه وحده.

ثم تنحدر هذه السلسلة إلى من نعيش معهم الصراع اليوم على جميع الأصعدة، في صناعة العقل العربي، وفي التأثير في واقع العالم العربي، في الإعلام، والتعليم، والتشريع، والفكر، والثقافة، والحكم، والدولة، وحتى الفن، يعيش السلفيون (بالنسبة الشرعية الأصولية لا الحزبية) الصراع معهم على هذه المستويات من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب في بلادنا العربية.

هؤلاء يشكلون بقضهم وقضيضهم، جيش الجاهلية المعاصرة وسدنة صنمها (العلمانية اللادينية)، وكهنة معبدها الأعظم (الغرب) بعد سقوط المعبد الملحد الآخر في الشرق.

وهم المسؤولون بعد تأسيس دولنا وأغلب حكوماتنا العربية على هذا المبدأ (العلمانية)، هم المسؤولون واقعا، وعقلا، ومنطقا، عن كل أزماتنا التي نعيشها الآن، لانهم هم من يقبض على صولجان الدولة، ويأبى أن يتزحزح عنها، حتى ولو سخطته الشعوب واضطر إلى سحقها، فأمر الأمة بأيديهم، وهم أوردوها إلى ما آلت إليه أحوالها من الضعف والهوان، والذل، والتفكك.

الجيش الإسلامي في مقابل عصابة اللادينية:

ويقابل هذه الجيش اللاديني، الجيش الإسلامي العظيم بعلمائه ومفكريه، وقادته، ومجاهديه، وفصائل اليقظة الإسلامية المعاصرة، يحتشدون ليقاتلوا في سبيل الله، ويغزون جيش الجاهلية التي تقاتل حول صنمها، تقاتل في سبيل الطاغوت، والمعركة اليوم معركة الكلمة والقول والقلم، لكن لكل حرب ميدانها، ولكل ميدان زمانه.

وقد وقف في وجه مد اللادينية العارم على الأمة، ورثة الأنبياء من رجال العلم وقادة الإسلام ودعاة الهدى، وكانوا قسمين:

القسم الأول:

لم يصطدموا بهذا المد اصطداما مباشرا، غير أنهم قاموا بحماية دين الأمة بتجديده فيها والدعوة إليه، وتعليمه للناس، وتجنيد الأجيال لهذا الدين بغرس مبادئه في نفوسهم.

فهم بمنزلة خطوط الإمداد البشري، والدعم المعنوي للمقاتلة في الصفوف الأمامية، وكل من يدعوا الى هذا الدين ويسهم في الإصلاح، ويغرس مبادئ الإيمان في نفس منفوسة من أفراد الأمة، فهو أحد جنود هذا القسم، بحسب ما أوتي من علم، ووفق في الاصلاح، والدعوة، والتعليم، وفوق كل ذي علم عليم.

القسم الثاني:

من ابتلي بالصدام المباشر مع موجات (العلمنة) التي انتشرت في العالم العربي، بسبب تعرض المجتمع الذي يعيش فيه لشن غارة مباشرة من هذا المد، بسبب ثقل مجتمعه في الأمة، وأهميته الاستراتيجية، مثل ما حدث في مصر منذ (1800م)، ولهذا نجد أنها أكبر ميادين هذا الصراع في الوطن العربي، وأكثرها ازدخارا بالأحداث، وبأيام معارك الإسلام العظمي مع العلمنة، إلى يومنا هذا، وهذا على سبيل المثال لا الحصر، فقد تعرضت أكثر البلاد الإسلامية لمحاولة فرض العلمنة بصورة أو بأخرى.

وهذان القسمان ومن يدخل تحتهما من العلماء، والدعاة، والمصلحون، هم سلسلة موكب الهدي، ولئن رجع إسناد اللادينية الى كفرة أوربا، وملاحدتها وضلال اليهود والنصارى، فان إسناد الجيش الإسلامي، الذي واجه العلمنة منذ غزوها لبلاد الإسلام

إلى يومنا هذا، يرجع إسناده إلى آدم – عليه السلام – أول النبيين الكرام، ثم يتسلسل عبر تاريخ الرسل والأنبياء الى محمد – عليه الصلاة والسلام –، أفضلهم وقائدهم ثم أتباعه من بعده والرجال الذين صنعوا تاريخ هذا الدين العظيم.

ويدخل جميعهم في قوله (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)، فهؤلاء هم أهل طاعة الله المستسلمين لحكمه، وهم فريق واحد، وموكب واحد، يمتد عبر تاريخ البشرية بأسرها، وهم أولياء الله، (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) وأولئك العلمانيون اللادينيون أتباع الشيطان وأهل طاعته ومردهم إلى حكمه وشريعته، وهو وليهم من دون الله (إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) و(الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت).

وإذا ذكروا مآثرهم المزيفة، ذكرنا بحق مآثر علماءنا في الحرب مع العلمنة في هذا العصر، فكان شأننا وشأنهم، كطلوع الشمس وانقشاع الظلمات.

ونذكر حينئذ إمام الإسلام، وشيخه في زمنه محمد بن ابراهيم آل الشيخ، فقد قذف بقذيفة مدمرة على حصنهم وهي رسالته (تحكيم القوانين) في ناحية الحكم والتشريع من (اللادينية)، ولا عجب فانه من آل الشيخ(المجدد محمد بن عبد الوهاب) الذي جعل شرك الطاعة (وعليه يدور مبدأ العلمنة) أحد أنواع الشرك الأربعة الرئيسة التي يتخذ فيها شريك مع الله – تعالى –، وعد الطواغيت البشرية أربعة فجعل اثنين منها في شرك (الحكم بغير ما أنزل الله – تعالى –)، فأنجبت مدرسته السلفية مثل الإمام ابن إبراهيم – رحمه الله –.

وذكرنا تلميذه العلامة عبد العزيز بن باز – رحمه الله –، فقد قذفهم برسالته في (نقد القومية العربية) في ناحية فكرية أخرى كانت في ذلك الزمن من أشد أركان العلمنة، وأعظمها ضررا على الدين لنقضها مبدأ الولاء فيه، ومن هذه المدرسة نذكر جبالا علا شرفاتها رجال عظام، ولهم مؤلفات كثيرة، ومواقف شجاعة، وفي مبارزة الإقران لهم صولات مذكورة مشهورة، و بعضهم يدخل في القسم الأول، وبعضهم في القسم الثاني.

وإذا دخلنا خطوط المعركة الأمامية، حيث يحمي الوطيس في جوف أرض الحرب، رأينا حينئذ أبطال الإسلام يقاتلون في سبيله كالليوث الحوارد، تخلع القلوب زمجرتها، وتذهب بالأبصار صولتها، وسنأتي على ذكرهم في حينه.

وشتان بين الفريقين، وما أبعد التفاوت بين الصفين، صف العلمانية الضالة، وصف أنصار الشريعة الإلهية:

شتان بين مذاهب أوصى بها *** بعض لبعض أول للثاني

وشريعة فطر الإله عباده *** حقا عليها ما هما عدلان

ولم تقذف اللادينية بكتاب يشوه الإسلام، و يشكك في مُحكماته العظام، إلا ورده دعاة الإسلام، وفندوا ما فيه وزيفوا باطلهم، وقذفوهم بالحق الذي يزهق الباطل، فيندحر صاغرا ذليلا:

خطة الحرب العلمانية اللادينية على الأمة الإسلامية:

وكانت حرب العلمانية على الإسلام على خمسة محاور:

* الأول: ضرب وحدة المسلمين، بالفكر القومي والانتماءات الوطنية.

* الثاني: ضرب الشريعة الإسلامية في الحكم بالقوانين الطاغوتية.

* الثالث: ضرب الثقافة الإسلامية، تراث الأمة الذي ينبني في الأصل على الوحي المحفوظ، وبه تتميز عن جميع الثقافات الأرضية، بالثقافات والفلسفات الملحدة المستورده.

* الرابع: ضرب البنية الاجتماعية الإسلامية بافساد المرأة فالأسرة فتقويض معالم المجتمع الإسلامي، وذلك بغرس أخلاق المجتمعات العلمانية في النسيج الاجتماعي للأمة.

*الخامس: ضرب مفهوم الجهاد، وتصويره بأنه إرهاب وتطرف وعداوة للإنسانية والسلام، وأنه ضد التعايش والتفاهم بين الحضارات

في الوقت الذي يستميت أعداء الأمة، لإبقاء المسلمين في حالة تخلف عسكري، ويعدون كل العدة لغصب حقوق الشعوب الإسلامية بالقوة العسكرية.

فإذا تفككت هذه الأركان الإسلامية عبر هذه المحاور، وتقوض البنيان، ابتلعت الحضارة التي ينتمي إليها العلماني المحارب، حضارة الإسلام وهيمنت عليها، وألحقت الهزيمة بالإسلام.

هذه هي خطة الحرب، وهذه أمنيتيهم

منّتك والله المحال النفس إن طمعت بذا وخدعت بالشيطان

وتحركت جيوشهم تقذف بالكتب والمجلات والرسائل والصحف والمؤلفات على حصون الإسلام، وتمدها مدفعية من الفنون والسينما والمجون، تزين الخلاعة وتقبح الطاعة، ويغطيها سلاح الجو من سلطة دول قامت على مبادئ العلمنة وفرضها بالقوة على شعوب الأمة، وغنى أدباؤهم وشعراؤهم أهازيج الحرب، العقاد والحكيم ومن معهما، فنجيب محفوظ وأنيس منصور ومن نحا نحوهما، وكانوا في حربهم شر مقاتلة، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يقيمون لذي عهد عهده، ولا يحترمون حرمات الدين، ولا يقدسون مقدساته.

نسخوا شريعة الله جهارا نهارا، وحكموا شريعة الطاغوت في كل شيء إلا قليلا، وقدموا في المناهج الثقافية، والتربوية، والتعليمية والإعلامية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والقضاء بين الناس، قدموا مناهج أكابر الكفر من فلاسفة وقادة وحكام، وسخروا من حدود الله – تعالى –، وشريعته، وتعدد الزوجات، والحجاب والعفة، وصار العهر تحررا، واختلاط المرأة بالأجانب، وارتكاب الفواحش مدنية وعصرنة، وصارت المرأة التي يكون عرضها وشرفها أهون مبذول، نجمة في السماء وحاملة رسالة الفن إلى العلياء.

وتطاول بعضهم على القرآن فشكك فيه، ومقام النبوة فلمز وغمز، لوّح، أو تجرأ فصرّح.

وصار المرتد مفكرا متحررا ورائدا إصلاحيا متنورا، وفي الوقت الذي حاربوا فيه حد الردة وسخروا منه، أقاموا القتل والتنكيل والتعذيب وسفكوا آلاف الدماء البريئة بشبهة الانتماء إلى جماعة للدعوة إلى الإسلام، أو لأسباب وآراء سياسية.

وأقاموا للناس أصناما بشرية ينفخون فيها، ويسخرون كل الطاقات، والقوى، والإعلام المزيف، ليضخمها لتشغل مكان ألوهية الله – تعالى –في قلوب الناس، يلهجون

بحمد هذه الشخصيات البشرية الوثنية، ويرتلون بذكرها، ويحشدون لها الحشود المسبحه باسمها، لتموت في سبيلها.

وأخرجوا الناس من عبودية الله – تعالى –إلى عبودية شياطينهم، واستهزءوا بالمتبتل في دين الله – تعالى –، والمتمسك بسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – في هديه، وسمته، وأخلاقه.

وأحدثوا لهم بدل ذلك، شريعة العبودية للغرب أو الشرق بكل تفاصيلها الدقيقة في كل شيء، حتى تسريحة الشعر، وأزياء الموضة، فهذا للصباح، وهذا لبعد الظهر، وهذا للمساء، وهذا للسهرة، وهذه الأصباغ للوجه التي تحوله الى معرض للألوان، وينفقون في سبيل المحافظة على هذه الطقوس، الأموال الطائلة التي ترهق كاهل الناس، وتقذف مئات المجلات، بآخر أخبار الموضة كل يوم، وليس في هذا التقليد الأعمى، والانقياد التائه للأجنبي، والقيود المرهقة التي تشبه العبودية في أدق التفاصيل، ليس فيها عار ولا حرج، وأما العار كل العار، والحرج كل الحرج، إذا تعبد الإنسان لربه في الاقتداء بهدي النبوة في حياته كلها، فيصير متطرفا وإرهابيا ومتخلفا ورجعيا!!

إمداد الله المؤمنين بمدده:

وأمد الله المؤمنين بمدد من عنده، وربط على قلوبهم، وثبت الأقدام، فصبروا وصابروا، وقاتلوا وقتلوا، وأقاموا نحورهم سدا منيعا لهذا الدين، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا.

هذه العساكر قد تلاقت جهرة *** ودنا القتال وصيح بالأقران

صفوا الجيوش وعبئوها وابرزوا *** للحرب واقتربوا من الفرسان

تبا لكم لو تعقلون لكنتم *** خلف الخدور كأضعف النسوان

من أين أنتم والحديث وأهله *** والوحي والمعقول بالبرهان

ما عندكم إلا دعاوى أو شكوك *** أو شهادات على البهتان

بجعجعة وفرقعة وغمغمة *** وقعقعة بكل لسان

جهلا وتجيهلا وتلديسا *** وتلبيسا وترويجا على العميان

تحمون ملك كبيركم وإلهكم *** كي تحصلوا فيه على سلطان

وبحقنا نحمي الهدى ونذب عن *** سنن الرسول ومقتضى القرآن

وقد كان من أوائل مهندسي موقع العدو في أوائل أيام المعركة، هو (كرومر) وقد تخرج على يده تلامذة على صنفين، صنف يقاتل الإسلام علنا، وصنف يلبس هذه الحرب لباس الدين ليزين العلمنة للمسلمين.

وأُلّفت كتب خطيرة في ترويج العلمنة وتلبيسها لباس الإسلام منها (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق في ناحية التشريع الإسلامي وحاصله أن الحكم بما أنزل الله – تعالى –ليس من مهمات الدين، ولا يجب الالتزام بها دينا وشرعا في كل شيء، وإنما فعله الرسول – صلى الله عليه وسلم – من باب السياسية التي ناسبت زمانه، لا من باب النبوة والوحي الملزم.

ومنها (في الشعر الجاهلي)(ومستقبل الثقافة في مصر) لطه حسين، وحاصل ما كان يحوم حوله في هذين الكتابين، أن الثقافة الإسلامية وان استندت في ناحية منها إلى الوحي، حتى لو كان القرآن، فان شأنها شأن غيرها من الثقافات، يجب أن تخضع لمعايير العلوم الحديثة.

ومنها كتاب (تحرير المرأة) وحاصله تغريب حياة المرأة، وقد فتح الباب لهذا الشر فدخل منه العجب العجاب، ومنها كتاب (اليوم والغد) لسلامة موسى، وكان هذا المخذول، صريحا جريئا على الله ودينه، يشن غارته على الإسلام في وضح النهار جهارا.

وأبطلت هذه الكتب بكتاب جليل عظيم القدر جدا، وهو كتاب (النكير على منكري النعمة) لمصطفى صبري، وكتاب (الخلافة أو الإمامة العظمى) لمحمد رشيد رضا.

وكان هذا الأخير أهم كتاب ظهر في هذه الفترة، بين فيه أن الحكم بالشريعة في نظام حكم إسلامي (الخلافة) هو حجر الزاوية في انتظام شؤون المسلمين، وقيام شريعتهم، وسلامة دينهم، وتماسك بنيانهم واجتماع كلمتهم، وبين فيه أن نهضة المسلمين إنما تتوقف على القامة الخلافة الإسلامية، ذلك أن كتاب على عبد الرازق، بني على تهميش دور الإمامة الحاكمة بالشريعة، وإقصائها من أن تكون من مهمات الدين، فكان كتاب رشيد رضا مفندا لما فيه قبل صدوره، وغالب ما فيه مادة جيدة مبنية على أصول شرعية صحيحة، وان كان فيه ما يستدرك فالكمال عزيز.

وأما كتاب مصطفى صبري، فكان ردا على كتاب صدر بالتركية وترجم إلى العربية بعنوان (الخلافة وسلطة الأمة) ألفته لجنة من الترك بإشارة من الكماليين (وهم الذين دبروا سقوط الخلافة وعلمنة تركيا) ويهدف هذا الكتاب إلى مثل هدف كتاب على عبد الرازق، وهو إيجاد سند شرعي بالزور، والباطل، والكذب، واتباع المتشابهات، لما فعله مصطفى كمال من إقصاء الخلافة، وإقامة الحكم العلماني، وقد رد عليه مصطفى صبري ردا بليغا قويا محكما وكان لكتابه أثر عظيم في الدفاع عن منزلة الإمامة الشرعية في الإسلام (الخلافة) وأن الحكم والسياسية جزء مهم من الدين.

وحذر علماء المسلمين من مكائد الداعين إلى عزل علماء الإسلام عن السياسة بالخديعة والمكر، ومن أجزل ما فيه من القول البليغ قوله – رحمه الله –:

(والذين جردوا الدين في ديارنا عن السياسة كانوا هم وإخوانهم لا يرون الاشتغال بالسياسة لعلماء الدين، بحجة أنه لا ينبغي لهم وينقص من كرامتهم، ومرادهم حكر السياسة وحصرها لأنفسهم، ومخادعة العلماء بتنزيلهم منزلة العجزة، فيقبلون أيديهم، ويخيلون لهم بذلك أنهم محترمون عندهم، ثم يفعلون ما يشاؤون بدين الناس ودنياهم، محررين عن احتمال أن يجيء من العلماء أمر بمعروف أو نهي عن منكر، إلا ما يعد من فضول اللسان، أو يكمن في القلب، وذلك أضعف الإيمان، فالعلماء المعتزلون عن السياسة، كأنهم تواطأوا مع كل الساسة، صالحيهم وظالميهم، على أن يكون الأمر بأيديهم ويكون لهم منهم رواتب الإنعام والاحترام، كالخليفة المتنازل عن السلطة وعن كل نفوذ سياسي)، هذا بعض قوله، فلله دره ما أجزل وصفه وأبلغه، وكأنه يعيش بيننا ويرى بعينيه حالنا 0

وألف مصطفى صادق الرافعي كتابه (بين القديم والجديد) وكان في جله غارة على كتاب طه حسين (مستقبل الثقافة) الذي سلك فيه مسلك الخداع والدهاء بعد الهجوم الذي تعرض له اثر كتابه (في الشعر الجاهلي).

وقد دمرت هذه الغارة الرافعية أيضا كتاب (اليوم والغد) لسلامة موسى الذي يدعو فيه صراحة إلى (أن يكون التعليم أوربيا لا سلطان للدين عليه) بل يدعوا إلى اقتلاع ما في ثقافتنا من (أثار العبودية والذل والتوكل على الآلهة) كما زعم، في هجوم

صريح على الدين، غير أن كتاب طه حسين كان أشد منه، ودعى فيه إلى حمل مصر على الحضارة الغربية وطبعها بها، وقطع ما يربطها بقديمها وبإسلامها.

ومقابل ما كانت تدعو إليه مجلات العلمنة، والتغريب، كالمقتطف والسياسة، وغيرها من الارتماء في أحضان الغرب، كان العلماء والمفكرون والدعاة الإسلاميون يجابهون هذه الحرب الضروس بكل قوة، وكان من قادة المعارك الأبطال في ذلك الوقت شكيب أرسلان، ومحب الدين الخطيب، إضافة إلى من تقدم.

ودارت رحى المعركة سنين طويلة، كانت محورها هو الدفاع عن موقع الاستسلام لأحكام الله – تعالى –والوحي في هذا الدين، ضد من كان يريد أن يجتال الناس عن هذا الموقع، ويجعل في محله الانقياد لأحكام وشريعة وأفكار البشر من ملاحدة الكفار، الذين أشرت إلى أسماء شيوخهم من الأوربيين في صدر هذا المقال، جعلوهم أربابا من دون الله – تعالى –يقدمون قولهم على قول الله – تعالى –، وشريعتهم على حكمه – جل وعلا –.

وجاء بعد هذا الفوج من العلماء والدعاة الذين وقفوا في وجه العلمنة، أفواج وأفواج، منهم علماء الطريقة السلفية كأحمد شاكر وحامد الفقي وغيرهما كثير داخل مصر وخارجها وقد قدمتهم في مقال سابق، من أبرز الأبطال محمد محمد حسين – رحمه الله تعالى –، ومحمود شاكر، وأبو الحسن الندوي وغيره من القارة الهندية، ومنهم الكتاب والمفكرون والأدباء والشعراء الإسلاميون.

وفي خضم المعركة ألف سيد قطب – رحمه الله – كتاب الظلال، وغيره من الكتب وكانت غالب كتبه لاسيما المتأخرة منها، هجوما كاسحا على معاقل العلمنة، وقد ضرب القوم ضربات مدمرة إلا أن السيف نبا نبوات والله يغفر له، وقد جمع بين جهاد الكلمة وجهاد النفس، وشكر موقفه آنذاك أهل العلم ممن كان يعلم طبيعة الحرب التي كان يجابهها والعدو الذي كان يحاربه.

وقد انتشرت الحرب إلى جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي وتواجه الفريقان في كل قطر، فريق يدعوا إلى التحاكم إلى الله – تعالى –، وشريعته، وفريق يدعوا إلى العلمنة واللادينية.

وقد شارك في محاربة العلمنة من لا يحصيهم إلا الله – تعالى – من أعضاء الجماعات الإسلامية، كـ(الإخوان المسلمون)، وغيرهم من الدعاة المسلمين في جماعات الدعوة المعاصرة، إما بالرد عليهم مباشرة، وأما بالدعوة إلى هذا الدين، وإقامة شرائعه، وإظهار معالمه في نواحي الحياة كلها، وان كانت ناحية الأحكام والتشريع والقضاء قد حماها العدو وأحكم حصارها، لأنه يعلم عظم منزلتها وخطورة أمرها.

وقد استمرت المعركة تترى، وتناقلها الأجيال، يخلف الجيل الإسلامي جيل آخر، فيحمل اللواء ويقود المعركة، وأما العلمانية فخلف من بعدهم أيضا خلف أضاعوا الدين، واتبعوا نفس أساليب الحرب التي استعملها أشياخهم، ورؤوسهم، فهم يظهرون العداوة تارة، ويخفونها تارة، ويمكرون مكرهم الخفي تارة، ويعلنونه تارة، ويدسون الكفر في كتبهم وعباراتهم ويسلكونه بخبث في عقول المسلمين، وقد امتلأت عقولهم من الشبهات، وقلوبهم من الغل على الإسلام:

يا قوم شاهدنا رؤوسكم على *** هذا ولم نشهده من إنسان
إلا وحشو فؤاده غل على *** سنن الرسول وشيعة القرآن
وهو الذي في كتبهم لكن *** بلطف عبارة منهم وحسن بيان
يا من يظن بأننا حفنا عليهم *** كتبهم تنبيك عن ذا الشان
فانظر ترى لكن نرى لك تركها *** حذرا عليك مصايد الشيطان
فشباكها والله لم يعلق بها *** من ذي جناح قاصر الطيران
إلا رأيت الطير في قفص الردى *** يبكي له نوح على الأغصان
ويظل يخبط طالبا لخلاصه *** فيضيق عنه فرجة العيدان
والذنب الطير أخلى طيب *** الثمرات في عال من الأفنان
وأتى تلك المزابل يبتغي *** الفضلات كالحشرات والديدان

ثم جاء جيلنا نحن، فنحن في نعيش حلقة من حلقات الصراع، ورأينا من أبناء العرب من ترك طيب الثمرات في عالي الأفنان، وأتى مزابل هؤلاء العلمانيين يبتغي فضلاتهم، وجندوا أنفسهم للانتصار للفكر العلماني، وصارت هذه القضية هي أكبر معارك الثقافة والسياسة والإعلام والتعليم 00الخ، نعيشها كل يوم بل كل ساعة.

وهي من أكبر قضايا العصر الذي نعيشه، وهي أكبر أزمات الأمة في الوقت الراهن، ومنها تتفرع كل الأزمات، من التحاكم إلى غير شريعة رب العالمين، وتقديم تصورات البشر وأفكارهم وفلسفاتهم على الوحي الهادي الذي جاءت به الأنبياء، قال – تعالى –(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه).

هذا هو تاريخ قضية الصحوة المعاصرة، ومنه انحدر واقعنا المعاصر الذي نعيشه اليوم، وإذا أردنا أن نفصل في طبيعة المعركة هذه الأيام، ورجالها سنحتاج إلى حلقات طويلة، ويغنينا عن ذلك أنها أحداث نعيشها، فمن يتابع صحفنا، وإعلامنا، ومؤسسات الثقافية، وما يجري في عالمنا العربي، والإسلامي على كل المستويات يرى بأم عينيه وقائع المعركة لا تخفى معالمها.

لا تزال الحرب تدور رحاها:

ولازالت الحرب دائرة رحاها، لم تضع أوزارها، ولن تضع أوزارها إلا إذا سقط أخر معاقل العلمنة، وقام صرح الحكم بما أنزل الله – تعالى –في الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والحياة.

ونحو هذا الهدف تتحرك الصحوة الإسلامية المعاصرة، واليه تزحف جيوشها، ومن أجله تنشط جماعاتها بالدعوة، وفي سبيل تحقيقه تنظم صفوفها، وتتلقى الضربة تلو الأخرى، وتسقط الضحايا، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا.

بل توالت الصفوف تنطلق إلى أرض المعركة، تحافظ على راية الجهاد مرفوعة، لا يضعفون، ولا يستكينون لكثرة الشهداء، فالنصر وعد أكيد والعاقبة للمتقين.

والحرب مع العلمنة في العالم الإسلامي، لم تضع أوزارها منذ أن هجمت جيوشها الغازية على بلادنا الإسلامية، و الصحوة الإسلامية هي التي وقفت سدا منيعا في وجهها، وخاضت معركة الإسلام ضد أعدائه.

وهي تتلقى الهجمات من جهتين:

جهة كاشفة عن مقصدها، تحارب الدين وترفضه، وتدعوا جهارا إلى عزله عن الحياة، وأهونهم شرا من يدعوا الى جعل الدين جزءا من تراث يقوم بدوره المحدد في الحياة.

وهم يزعمون أن قصدهم احترام الدين، بدعوتهم إلى حصره في دائرته، وعرف المتدينون حدودهم التي لا تتعدى المسجد، والمناسبات الدينية الرسمية، ومكتب المفتي الذي لا يتدخل في شئون الدولة وسياساتها في الحكم، والإعلام، والثقافة، والعلاقات الداخلية والخارجية، بل يكون كمنزلة البابا في دول الغرب يحترمونه ويعظمونه إذا بقي في اختصاصاته الطقوسية لا يتعداها.

وهم في الحقيقة لا يحترمون الدين بهذا الزعم، ولا يوقرونه، بل هم عازمون على قتله ومحوه، وعلى القضاء عليه بمكر، وخديعة، وخبث، لأنهم يعلمون أن دين الإسلام، دين الحياة، إن عزل عنها انقرض مع الزمان، فأحدثوا هذه الحيلة السخيفة.

وجهة أخرى تحارب الدين باسمه، ترفع رايته تضليلا، وتلبس العلمنة لباس الإسلام.

وهؤلاء كالذين يخرجون من حصن العدو، الفينة بعد الفينة، فيحملون المصاحف، ليخدعوا أهل الجهاد، ثم يندسون بين الصفوف داعين إلى إلقاء السلاح، معوقين عن الجهاد، فيشككون في الأهداف، ويثبطون المسيرة.

وما أشبه ما يفعله محدَثوهم بما فعله متقدموهم، فاقرءوا معي ما قاله الكاتب الإسلامي الجهبذ المجاهد محمد محمد حسين، عن الدور الذي كان يقوم به الكواكبي يقول (وكلام الكواكبي هنا متأثر بما كان يذيعه ساسة الدول الاستعمارية عن الجامعة الإسلامية، من تخيل الخطر الذي يهدد الغربيين في اجتماع كلمة المسلمين وارتباطهم برابطة الإسلام، الذي يدعو إلى مجاهدة غير المسلمين، والذي يعتبر هذا الجهاد ركنا من أهم أركان الدين.

على أن الناظر في كلام الكواكبي يجده متأثرا بفكره البابا الذي اتخذ مقره في روما، مهد المسيحية الأولى في أوربا، والذي يرأس المجمع الدين، ويتوج الملوك رعاية لسلطان الدين، كما أن الناظر في كلامه يريبه ما فيه من تودد الى الدول المستعمرة، ومن تهوين لوقوع الأمم الإسلامية تحت حكمهم، وإسقاط فريضة الجهاد بعد أن فسرها تفسيرا غريبا) انتهى من كتاب الاتجاهات الوطنية.

فهذا الكواكبي كان منتسبا إلى الدين، وهو مع ذلك يأتي من القول الخطل ما يوقع بين المسلمين الفتنة، ويحرض ضد اجتماعهم لأنه يدعو إلى عزل الدين، ويهون وقوع الأمة في حكم الكافر، ويضعف موقع الجهاد في الإسلام، فهو يمهد الطريق للعلمنة، ويعينها على بلوغ أهدافها في العالم الإسلامي، وهكذا يفعل الأشباه، عندما يهونون مقالة الكفر القائلة (الدين لله والحكم لقيصر).

وعندما يدعون إلى عزل الدعوة عن السياسية والواقع، ويجعلون الجهاد الشرعي إفسادا، ويدعون إلى الحرب على دعاة الأمة والقضاء على الصحوة، لأنها فرق ضالة أخطر من جيش العلمنة بأسره، ويجعلون الحكم بغير ما أنزل الله (مجرد معصية)، والإمامة الحاكمة بالشريعة ما هي إلا فرع من فروع الدين لا تستحق كل هذا الاهتمام لإقامتها، فيقلبون دفة المعركة، بتهوين العلمنة ووقوع الأمة تحت حكم الكافر، وتوجيه الحرب إلى الصحوة نفسها، ثم يزعمون حربا شرعية وجهادا مقدسا، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا، هؤلاء الأشباه إنما يمهدون بمثل تمهيد الكواكبي.

وما أحسن وصف الإمام ابن القيم لحرب الكفار للإسلام ومواطئه من بداخل حصن الإسلام لهم، في هذه الأبيات:

أرأيت هذا المنجنيق فإنهم *** نصبوه تحت معاقل الإيمان
بلغت حجارته الحصون فهدت *** الشرفات واستولت على الجدران
لله كم حصن عليه استولت *** الكفار من ذا المنجنيق الجاني
ومن البلية أن قوما بين أهل *** الحصن واطوهم على العدوان
ورموا به معهم وكان مصاب أهل *** الحصن منهم فوق ذي الكفران
فتركبت من كفرهم ووفاق من *** في الحصن أنواع من الطغيان
وجرت على الإسلام أعظم محنة *** من ذين تقديرا من الرحمن
والله لولا أن تدارك دينه *** الرحمن كان كسائر الأديان
لكن أقام له الإله بفضله *** جندا من الأنصار والأعوان
فرموا على ذا المنجنيق صواعقا *** وحجارة هدته للأركان

وقد علمت أيها القارئ العزيز من البيت الأخير أي منقلب سينقلب من يعادي هذا الدين، والى أي هزيمة نكراء سيصير حاله، عندما تهد أركانه جنود الإيمان، بصواعق السنة والقرآن، والله المستعان.

المصدر : http://www.h-alali.net

===========

#العلمانية .. وثمارها الخبيثة

محمد عبد الهادي المصري

الحمد لله رب العالمين قيوم السموات والأرضين مدبر الخلائق أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الصادق الأمين، - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.. فهذه مقالة مقتضبة، كتبها بعض العلماء في طائفة وفرقة خرجت في هذه الأزمنة، وتمكنت في الكثير من دول الإسلام، ألا وهي فرقة (العلمانية)، التي يظهر منها الحب، والوئام لأفراد الأمة، ولكنها تظهر أحيانًا خفايا تضمرها تنبئ عن حقد، وشنآن للدين الإسلامي، وتعاليمه، وتتنكر للحدود الشرعية، وللعبادات، والمعاملات الدينية، وتجعل جل هدفها المصالح، والشهوات النفسية، وترى عزل الدين عن الدولة، وترمي المتمسكين به بالتخلف، والجحود، والتأخر، ولاشك أن هذه الطائفة أخطر على الأمة من المنافقين الأولين، ومن كل الطوائف المنحرفة.

ولقد أبان الكاتب وفقه الله جُلَّ أهداف هذه الفرقة الضالة، وأكبر خطرها.. فجدير بالمسلم أن يأخذ حذره، وأن يعرف عدوه، وأن يبعد بنفسه، وبإخوانه عن أمثال هؤلاء العلمانيين، ليسلك سبيل النجاة.. والله الموفق الهادي إلى سبيل الرشاد.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فإن أمتنا الإسلامية اليوم تمر بفترة من أسوأ فترات حياتها، فهي الآن ضعيفة مستذلة، قد تسلط عليها أشرار الناس من اليهود والنصارى، وعبدة الأوثان، وما لذلك من سبب إلا البُعد عن الالتزام بالدين الذي أنزله الله لنا، هداية ورشادًا، وإخراجًا لنا من الظلمات إلى النور.

وقد كان هذا البُعد عن الدين في أول أمره مقصورًا على طائفة من المسلمين، لكنه بدأ الآن ينساح حتى تغلغل في طائفة كبيرة من الأمة، وقد كان لانتشار العلمانية على المستوى الرسمي والمستوى الفكري والإعلامي الأثر الأكبر، في ترسيخ هذا البُعد وتثبيته، والحيلولة دون الرجوع مرة أخرى إلى نبع الهداية ومعدن التقوى.

من هنا كانت هذه الرسالة الموجزة عن (العلمانية وثمارها الخبيثة) في بلاد المسلمين، لعلها تُؤتي ثمارها في تبصير المسلمين بحقيقة هذه الدعوة، ومصادرها، وخطرها على ديننا، وآثارها المميتة، حتى نسارع في التحصن منها، ومقاومتها، وفضح دُعاتها، والقضاء عليها – بإذن الله – حتى نعود إلى ديننا، وتعود لنا العزة كما كانت، {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}.

نسأل الله من فضله التوفيق والإرشاد والسداد.

محمد شاكر الشريف

مكة المكرمة

ما هي العلمانية؟!

سؤال قصير، لكنه في حاجة إلى جواب طويل، واضح وصريح، ومن الأهمية بمكان أن يعرف المسلمون جوابًا صحيحًا لهذا السؤال، وقد كُتِبَتْ – بحمد الله – عدة كتب في هذا المجال، وما علينا إلا أن نعلم فتعمل.

نعود إلى جوانب سؤالنا، ولن نتعب في العثور على الجواب الصحيح، فقد كفتنا القواميس المؤلفة في البلاد الغربية، التي نشأت فيها العلمانية مؤنة البحث والتنقيب، فقد جاء في القاموس الإنجليزي، أن كلمة (علماني) تعني:

1– دنيوي أو مادي.

2– ليس بديني أو ليس بروحاني.

3– ليس بمترهب (1)، ليس برهباني.

و جاء أيضًا في نفس القاموس، بيان معنى كلمة العلمانية، حيث يقول: العلمانية: هي النظرية التي تقول: إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية.

وفي دائر المعارف البريطانية، نجدها تذكر عن العلمانية: أنها حركة اجتماعية، تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب.

ودائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن العلمانية، تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد، وقد قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين:

* إلحاد نظري.

* إلحاد عملي، وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي (2).

وما تقدم ذكره يعني أمرين:

أولهما: أن العلمانية مذهب من المذاهب الكفرية، التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها، بعيدًا عن أوامر الدين ونواهيه.

ثانيهما: أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم، كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس، بأن المراد بالعلمانية: هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به، فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه بما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها.

ولهذا، لو قيل عن هذه الكلمة (العلمانية) إنها: (اللادينية، لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق)، وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس وأوضح في المدلول.

كيف ظهرت العلمانية

كان الغرب النصراني في ظروفه الدينية المتردية هو البيئة الصالحة، والتربة الخصبة، التي نبتت فيها شجرة العلمانية وترعرعت، وقد كانت فرنسا بعد ثورتها المشهورة هي أول دولة تُقيم نظامها على أسس الفكر العلماني، ولم يكن هذا الذي حدث من ظهور الفكر العلماني والتقيد به – بما يتضمنه من إلحاد، وإبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة، بالإضافة إلى بغض الدين ومعاداته، ومعاداة أهله – أقول لم يكن هذا حدثًا غريبًا في بابه، ذلك لأن الدين عندهم حينئذ لم يكن يمثل وحي الله

الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام –، وإنما تدخلت فيه أيدي التحريف والتزييف، فبدلت وغيرت وأضافت وحذفت، فكان من نتيجة ذلك أن تعارض الدين المُبدَّل مع مصالح الناس في دنياهم ومعاملاتهم، في الوقت نفسه الذي تعارض مع حقائق العلم الثابتة، ولم تكتفِ الكنيسة – الممثلة للدين عندهم – بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل، حتى جعلت ذلك دينًا يجب الالتزام والتقيد به، وحاكمت إليه العلماء المكتشفين، والمخترعين، وعاقبتهم على اكتشافاتهم العلمية المناقضة للدين المبدل، فاتهمت بالزندقة والإلحاد، فقتلت من قتلت، وحرَّقت من حرَّقت، وسجنت من سجنت.

ومن جانب آخر فإن الكنيسة – الممثلة للدين عند النصارى – أقامت تحالفًا غير شريف مع الحكام الظالمين، وأسبغت عليهم هالاتٍ من التقديس، والعصمة، وسوَّغت لهم كل ما يأتون به من جرائم وفظائع في حق شعوبهم، زاعمة أن هذا هو الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له والرضا به.

من هنا بدأ الناس هناك يبحثون عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها، ولم يكن مخرجهم الذي اختاروه إذ ذاك، إلا الخروج على ذلك الدين – الذي يحارب العلم ويناصر المجرمين – والتمر عليه، وإبعاده وطرده، من كافة جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والأخلاقية، وغيرها.

ويا ليتهم إذ خرجوا على هذا الدين المبدل اهتدوا إلى دين الإسلام، ولكنهم أعلنوها حربًا على الدين عامة.

وإذا كان هذا الذي حدث في بلاد الغرب النصراني ليس بغريب، فإنه غير ممكن في الإسلام، بل ولا متصور الوقوع، فوحي الله في الإسلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا هو ممكن التحريف والتبديل، ولا هو ممكن أن يُزاد فيه أو يُنقص منه، وهو في الوقت نفسه لا يحابي أحدًا، سواء كان حاكمًا أو محكومًا، فالكل أمام شريعته سواء، وهو أيضًا يحافظ على مصالح الناس الحقيقية، فليس فيه تشريع واحد يُعارض مصلحة البشرية، وهو أيضًا يحرص على العلم ويحض عليه، وليس فيه نص شرعي صحيح يُعارض حقيقة علمية، فالإسلام حق كله، خير كله، عدل كله، ومن هنا فإن كل الأفكار والمناهج التي ظهرت في الغرب بعد التنكر للدين والنفور

منه، ما كان لها أن تظهر، بل ما كان لها أن تجد آذانًا تسمع في بلاد المسلمين، لولا عمليات الغزو الفكري المنظمة، والتي صادفت في الوقت نفسه قلوبًا من حقائق الإيمان خاوية، وعقولاً عن التفكير الصحيح عاطلة، ودينًا في مجال التمدن ضائعة متخلفة.

ولقد كان للنصارى العرب المقيمين في بلاد المسلمين دورٌ كبيرٌ، وأثرٌ خطيرٌ، في نقل الفكر العلماني إلى ديار المسلمين، والترويج له، والمساهمة في نشره عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، كما كان أيضًا للبعثات التعليمية التي ذهب بموجبها طلاب مسلمون إلى بلاد الغرب لتلقي أنواع العلوم الحديثة أثرٌ كبيرٌ في نقل الفكر العلماني ومظاهره إلى بلاد المسلمين، حيث افتتن الطلاب هناك بما رأوا من مظاهر التقدم العلمي وآثاره، فرجعوا إلى بلادهم محملين بكل ما رأوا من عادات وتقاليد، ونظم اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، عاملين على نشرها والدعوة إليها، في الوقت نفسه الذي تلقاهم الناس فيه بالقبول الحسن، توهمًا منهم أن هؤلاء المبعوثين هم حملة العلم النافع، وأصحاب المعرفة الصحيحة، ولم تكن تلك العادات والنظم والتقاليد التي تشبع بها هؤلاء المبعوثون وعظموا شأنها عند رجوعهم إلى بلادهم إلا عادات، وتقاليد ونظم مجتمع رافض لكل ما له علاقة، أو صلة بالدين.

ومثل هذا السرد الموجز وإن كان يدلنا على كيفية دخول العلمانية إلى بلاد المسلمين، (فإنه أيضًا ينبهنا إلى أمرين هامين):

أحدهما: خطورة أصحاب العقائد الأخرى، من النصارى وغيرهم الذين يعيشون في بلاد المسلمين، وكيف أنهم يكيدون للإسلام وأهله؟ مما يوجب علينا الحذر كل الحذر من هؤلاء الناس، وأن ننزلهم المنزلة التي أنزلهم الله إليها، فلا نجعل لهم في بلاد المسلمين أدنى نوع من أنواع القيادة والتوجيه، كما ينبغي أن تكون كل وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير موصودة الأبواب في وجوههم، حتى لا يبثوا سمومهم بين المسلمين.. لكن من يفعل ذلك! وكثير من الأنظمة تجعل لهم مكانة سامية من أجل نشر هذه السموم.. حسبنا الله ونعم الوكيل.

ثانيهما: خطورة الابتعاث الشديدة على أبناء المسلمين، فكم من مسلم ذهب إلى هناك ثم رجع بوجه غير الوجه الذي ذهب به، وقلب غير القلب الذي ذهب به، وإذا كانت

هناك دواعي لذهاب المسلمين للحصول على المعرفة في مجال العلوم التجريبية، فكيف يمكننا القبول بذهاب بعض المسلمين للحصول على درجة علمية في علوم الشريعة بعامة، واللغة العربية بخاصة؟!!

فهل اللغة العربية لغتهم أم لغتنا؟! وهل القرآن الكريم أنزل بلغتهم أم بلغتنا؟!

وهل يُعقل أن المسلم يمكنه الحصول على المعرفة الصحيحة بعلوم الإسلام وشريعته من أناس هم أشدُّ الناس كفرًا وحقدًا على الإسلام وأهله؟!

صور العلمانية

للعلمانية صورتان، كل صورة منهما أقبح من الأخرى:

الصورة الأولى: العلمانية الملحدة: وهي التي تنكر الدين كلية: وتنكر وجود الله الخالق البارئ المصور، ولا تعترف بشيء من ذلك، بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله، وهذه العلمانية على فجورها ووقاحتها في التبجح بكفرها، إلا أن الحكم بكفرها أمر ظاهر ميسور لكافة المسلمين، فلا ينطلي – بحمد الله – أمرها على المسلمين، ولا يُقبل عليها من المسلمين إلا رجل يريد أن يفارق دينه، (وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس على عوام المسلمين خطر ضعيف)، وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين، ومعاداة المؤمنين وحربهم وإيذائهم بالتعذيب، أو السجن أو القتل.

الصورة الثانية: العلمانية غير الملحدة (3) وهي علمانية لا تنكر وجود الله، وتؤمن به إيمانًا نظريًا: لكنها تنكر تدخل الدين في شؤون الدنيا، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا، (وهذه الصورة أشد خطرًا من الصورة السابقة) من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين، فعدم إنكارها لوجود الله، وعدم ظهور محاربتها للتدين (4) يغطي على أكثر عوام المسلمين حقيقة هذه الدعوة الكفرية، فلا يتبينون ما فيها من الكفر لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين، ولذلك تجد أكثر الأنظمة الحاكمة اليوم في بلاد المسلمين أنظمة علمانية، والكثرة الكاثرة والجمهور الأعظم من المسلمين لا يعرفون حقيقة ذلك.

ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم، تحارب الدين حقيقة، وتحارب الدعاة إلى الله، وهي آمنة مطمئنة أن يصفها أحد بالكفر والمروق من الدين؛ لأنها لم تظهر بالصورة

الأولى، وما ذلك إلا لجهل كثير من المسلمين، نسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يعلمنا وسائر المسلمين، وأن يفقه الأمة في دينها حتى تعرف حقيقة هذه الأنظمة المعادية للدين.

ولهذا فليس من المستبعد أو الغريب عند المسلم الفاهم لدينه أن يجد في كلمات أو كتابات كثير من العلمانيين المعروفين بعلمانيتهم ذكر الله – سبحانه وتعالى –، أو ذكر رسوله – صلى الله عليه وسلم – أو ذكر الإسلام، وإنما تظهر الغرابة وتبدو الدهشة عند أولئك الذين لا يفهمون حقائق الأمور.

والخلاصة: أن العلمانية بصورتيها السابقتين كفر بواح لاشك فيها ولا ارتياب، وأن من آمن بأي صورة منها وقبلها فقد خرج من دين الإسلام والعياذ بالله، وذلك أن الإسلام دين شامل كامل، له في كل جانب من جوانب الإنسان الروحية، والسياسية، والاقتصادية، والأخلاقية، والاجتماعية، منهج واضح وكامل، ولا يقبل ولا يُجيز أن يشاركه فيه منهج آخر، قال الله – تعالى –مبينًا وجوب الدخول في كل مناهج الإسلام وتشريعاته: {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة}. وقال – تعالى –مبينًا كفر من أخذ بعضًا من مناهج الإسلام، ورفض البعض الآخر، {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون}.

والأدلة الشرعية كثيرة جدًا في بيان كفر وضلال من رفض شيئًا محققًا معلومًا أنه من دين الإسلام، ولو كان هذا الشيء يسيرًا جدًا، فكيف بمن رفض الأخذ بكل الأحكام الشرعية المتعلقة بسياسة الدنيا – مثل العلمانيين – من فعل ذلك فلاشك في كفره.

والعلمانييون قد ارتكبوا ناقضًا من نواقض الإسلام، يوم أن اعتقدوا أن هدي غير النبي – صلى الله عليه وسلم – أكمل من هديه، وأن حكم غيره أفضل من حكمه (5).

* قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله –: (ويدخل في القسم الرابع – أي من نواقض الإسلام – من اعتقد أن الأنظمة القوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه

كان سببًا في تخلف المسلمين، أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه، دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى) (6).

طبقات العلمانيين

والعلمانيون في العالم العربي والإسلامي كثيرون – لا أكثر الله من أمثالهم – منهم كثير من الكتاب والأدباء والصحفيين، ومنهم كثير ممن يسمونهم بالمفكرين، ومنهم أساتذة في الجامعات، ومنهم جمهرة غفيرة منشرة في وسائل الإعلام المختلفة، وتسيطر عليها، ومنهم غير ذلك.

وكل هذه الطبقات تتعاون فيما بينها، وتستغل أقصى ما لديها من إمكانات لنشر العلمانية بين الناس، حتى غدت العلمانية متفشية في جل جوانب حياة المسلمين، نسأل الله السلامة والعافية.

نتائج العلمانية في العالم العربي والإسلامي

وقد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم.

وهاهي بعض الثمار الخبيثة للعلمانية:

1- رفض الحكم بما أنزل الله – سبحانه وتعالى –، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عن الوحي الإلهي المُنزَّل على سيد البشر محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم –، بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله، واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية، اعتبار ذلك تخلفًا ورجعية وردة عن التقدم والحضارة، وسببًا في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم، وإبعادهم عن تولي الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب، حتى لا يؤثروا فيهم.

2- تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه، وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية، على أنها عصور همجية تسودها الفوضى، والمطامع الشخصية.

3- إفساد التعليم وجعله خادمًا لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق:

أ- بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ، والطلاب في مختلف مراحل التعليم.

ب – تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن.

جـ – منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم.

د – تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني، أو على الأقل أنها لا تعارضه.

هـ – إبعاد الأساتذة المتمسكين بدينهم عن التدريس، ومنعهم من الاختلاط بالطلاب، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش.

و – جعل مادة الدين مادة هامشية، حيث يكون موضعها في آخر اليوم الدراسي، وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب.

4- إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة، وهم المسلمون، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد، وصهر الجميع في إطار واحد، وجعلهم جميعًا بمنزلة واحدة من حيث الظاهر، وإن كان في الحقيقة يتم تفضيل أهل الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان على أهل التوحيد والطاعة والإيمان.

فالمسلم والنصراني واليهودي والشيوعي والمجوسي والبرهمي كل هؤلاء وغيرهم، في ظل هذا الفكر بمنزلة واحدة يتساوون أمام القانون، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني.

وفي ظل هذا الفكر يكون زاج النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الشيوعي بالمسلمة أمرًا لا غبار عليه، ولا حرج فيه، كذلك لا حرج عندهم أن يكون اليهودي أو النصراني أو غير ذلك من النحل الكافرة حاكمًا على بلاد المسلمين.

وهم يحاولون ترويج ذلك في بلاد المسلمين تحت ما سموه بـ (الوحدة الوطنية).

بل جعلوا (الوحدة الوطنية) هي الأصل والعصام، وكل ما خالفوها من كتاب الله أو سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – طرحوه ورفضوه، وقالوا: (هذا يعرض الوحدة الوطنية للخطر!!).

5- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية، وتشجيع ذلك والحض عليه: وذلك عن طريق:

أ – القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها، وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة.

ب – وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة، ونشر الرذيلة بالتلميح مرة، وبالتصريح مرة أخرى ليلاً ونهارًا.

جـ – محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات.

6- محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق:

أ – تضييق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي، مع إفساح المجال للكتب الضالة المنحرفة التي تشكك في العقيدة الإسلامية، والشريعة الإسلامية.

ب – إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين المنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر الضال المنحرف، ولتحريف معاني النصوص الشرعية، مع إغلاق وسائل الإعلام في وجه علماء المسلمين الذين يُبصِّرون الناس بحقيقة الدين.

7- مطاردة الدعاة إلى الله، ومحاربتهم، وإلصاق التهم الباطلة بهم، ونعتهم بالأوصاف الذميمة، وتصويرهم على أنهم جماعة متخلفة فكريًا، ومتحجرة عقليًا، وأنهم رجعيون، يُحارون كل مخترعات العلم الحديث النافع، وأنهم متطرفون متعصبون لا يفقهون حقيقة الأمور، بل يتمسكون بالقشور ويَدعون الأصول.

8- التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية، وذلك عن طريق النفي أو السجن أو القتل.

9- إنكار فريضة الجهاد في سبيل الله، ومهاجمتها واعتبارها نوعًا من أنواع الهمجية وقطع الطريق.

وذلك أن الجهاد في سبيل الله معناه القتال لتكون كلمة الله هي العليا، وحتى لا يكون في الأرض سلطان له القوة والغلبة والحكم إلا سلطان الإسلام، والقوم – أي العلمانيين – قد عزلوا الدين عن التدخل في شؤون الدنيا، وجعلوا الدين – في أحسن أقوالهم – علاقة خاصة بين الإنسان وما يعبد، بحيث لا يكون لهذه العبادة تأثير في أقواله وأفعاله وسلوكه خارج مكان العبادة.

فكيف يكون عندهم إذن جهاد في سبيل إعلاء كلمة الدين؟!!

والقتال المشروع عند العلمانيين وأذنابهم إنما هو القتال للدفاع عن المال أو الأرض، أما الدفاع عن الدين والعمل على نشره والقتال في سبيله، فهذا عندهم عمل من أعمال العدوان والهمجية التي تأباها الإنسانية المتمدنة!!

10- الدعوة إلى القومية أو الوطنية، وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح، على ألا يكون الدين عاملاً من عوامل التجميع، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعد عاملاً من أكبر عوامل التفرق والشقاق، حتى قال قائل منهم: (والتجربة الإنسانية عبر القرون الدامية، دلَّت على أن الدين – وهو سبيل الناس لتأمين ما بعد الحياة – ذهب بأمن الحياة ذاتها).

هذه هي بعض الثمار الخبيثة التي أنتجتها العلمانية في بلاد المسلمين، وإلا فثمارها الخبيثة أكثر من ذلك بكثير.

والمسلم يستطيع أن يلمس أو يدرك كل هذه الثمار أو جُلها في غالب بلاد المسلمين، وهو في الوقت ذاته يستطيع أن يُدرك إلى أي مدى تغلغلت العلمانية في بلدٍ ما اعتمادًا على ما يجده من هذه الثمار الخبيثة فيها.

والمسلم أينما تلفت يمينًا أو يسارًا في أي بلد من بلاد المسلمين يستطيع أن يدرك بسهولة ويسر ثمرة أو عدة ثمار من هذه الثمار الخبيثة، بينما لا يستطيع أن يجد بالسهولة نفسها بلدًا خاليًا من جميع هذه الثمار الخبيثة.

وسائل العلمانية في تحريف الدين في نفوس المسلمين وتزييفه

للعلمانية وسائل متعددة في تحريف الدين في نفوس المسلمين منها:

1- إغراء بعض ذوي النفوس الضعيفة والإيمان المزعزع بمغريات الدنيا من المال والمناصب، أو النساء لكي يرددوا دعاوى العلمانية على مسامع الناس، لكنه قبل ذلك يُقام لهؤلاء الأشخاص دعاية مكثفة في وسائل الإعلام التي يسيطر عليها العلمانيون لكي يظهروهم في ثوب العلماء والمفكرين وأصحاب الخبرات الواسعة، حتى يكون كلامهم مقبولاً لدى قطاع كبير من الناس، وبذلك يتمكنون من التلبيس على كثير من الناس.

2- القيام بتربية بعض الناس في محاضن العلمانية في البلاد الغربية، وإعطائهم ألقابًا علمية مثل درجة (الدكتوراه) أو درجة (الأستاذية)، ثم رجوعهم بعد ذلك ليكونوا

أساتذة في الجامعات، ليمارسوا تحريف الدين وتزييفه في نفوس الطبقة المثقفة على أوسع نطاق، وإذا علمنا أن الطبقة المثقفة من خريجي الجامعات والمعاهد العلمية، هم في الغالبية الذين بيدهم أزِمَّة الأمور في بلادهم، علمنا مدى الفساد الذي يحدث من جراء وجود هؤلاء العلمانيين في المعاهد العلمية والجامعات.

3- تجزيء الدين والإكثار من الكلام والحديث والكتابة عن بعض القضايا الفرعية، وإشغال الناس بذلك، والدخول في معارك وهمية حول هذه القضايا مع العلماء وطلاب العلم والدعاة لإشغالهم وصرفهم عن القيام بدورهم في التوجيه، والتصدي لما هو أهم وأخطر من ذلك بكثير.

4- تصوير العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله - في كثير من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية - على أنهم طبقة منحرفة خلقيًا، وأنهم طلاب دنيا من مال ومناصب ونساء حتى لا يستمع الناس إليهم، ولا يثقوا في كلامهم، وبذلك تخلو الساحة للعلمانيين في بث دعواهم.

5- الحديث بكثرة عن المسائل الخلافية، واختلاف العلماء وتضخيم ذلك الأمر، حتى يخيل للناس أن الدين كله اختلافات وأنه لا اتفاق على شيء حتى بين العلماء بالدين، مما يوقع في النفس أن الدين لا شيء فيه يقيني مجزوم به، وإلا لما وقع هذا الخلاف، والعلمانيون كثيرًا ما يركزون على هذا الجانب، ويضخمونه لإحداث ذلك الأثر في نفوس المسلمين، مما يعني انصراف الناس عن الدين.

6- إنشاء المدارس والجامعات والمراكز الثقافية الأجنبية، والتي تكون خاضعة - في حقيقة الأمر - لإشراف الدول العلمانية التي أنشأت هذه المؤسسات في ديار المسلمين، حيث تعمل جاهدة على توهين صلة المسلم بدينه إلى أقصى حدٍّ ممكن، في نفس الوقت الذي تقوم فيه بنشر الفكر العلماني على أوسع نطاق، وخاصة في الدراسات الاجتماعية، والفلسفية، والنفسية.

7- الإتكاء على بعض القواعد الشرعية والمنضبطة بقواعد وضوابط الشريعة، الاتكاء عليها بقوة في غير محلها وبغير مراعاة هذه الضوابط، ومن خلال هذا الاتكاء الضال والمنحرف يحاولون تروج كل قضايا الفكر العلماني أو جُلها.

فمن ذلك مثلاً قاعدة (المصالح المرسلة) يفهمونها على غير حقيقتها ويطبقونها في غير موضعها، ويجعلونها حجة في رفض كل ما لا يحبون من شرائع الإسلام، وإثبات كل ما يرغبون من الأمور التي تقوي العلمانية وترسخ دعائمها في بلاد المسلمين.

وكذلك قاعدة (ارتكاب أخف الضررين واحتمال أدنى المفسدتين) وقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات)، (ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح)، (وصلاحية الإسلام لكل زمان)، (واختلاف الفتوى باختلاف الأحوال)، يتخذون من هذه القواعد وأشباهها تُكأة في تذويب الإسلام في النحل والملل الأخرى، وتمييعه في نفوس المسلمين.

كما يتخذون هذه القواعد أيضًا منطلقًا لنقل كل النظم الاقتصادية، والسياسية السائدة في عالم الكفار إلى بلاد المسلمين، من غير أن يتفطن أكثر الناس إلى حقيقة هذه الأمور.

وفي تصوري أن هذا المسلك من أخطر المسالك وأشدها ضررًا لما فيه من شبهة وتلبيس على الناس أن هذه الأمور إنما هي مرتكزة على قواعد شرعية معترف بها، وكشف هذا المسلك على وجه التفصيل ومناقشة كثير من هذه الأمور على وجه البسط والتوضيح في حاجة إلى كتابة مستقلة لكشف كل هذه الأمور وتوضيحها وإزالة ما فيها من لبس أو غموض.

ونحن نحب أن نؤكد هنا أن اعتمادهم على هذه القواعد أو غيرها ليس لإيمانهم بها، وليس لإيمانهم بعموم وشمول وكمال الدين الذي انبثقت منه هذه القواعد، وإنما هي عندهم أداة يتوصلون بها إلى تحقيق غاياتهم الضالة المنحرفة.

واجب المسلمين

في ظل هذه الأوضاع بالغة السوء التي يعيشها المسلمون، فإن على المسلمين واجبًا كبيرًا وعظيمًا ألا وهو العمل على تغيير هذا الواقع الأليم الذي يكاد يُحرِّف الأمة كلها بعيدًا عن الإسلام.

والمسلمون جميعهم اليوم مطالبون ببذل كل الجهد: من الوقت والمال والنفس والولد لتحقيق ذلك، وإن كان العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله وأصحاب القوة والشوكة

عليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم، لأنهم في الحقيقة هم القادة وغيرهم من الناس تبع لهم.

ولا خروج للمسلمين من هذا الواقع الأليم إلا بالعلم والعمل، فالعلم الذي لا يتبعه عمل لا يغير من الواقع شيئًا، والعمل على غير علم وبصيرة يُفسد أكثر مما يُصلح.

ولا أقصد بالعلم العلم ببعض القضايا الفقهية الفرعية ولا ببعض الآداب ومحاسن العادات، كما يحرص كثير من الناس على مثل هذه الأمور، ويضعونها في مرتبة أكبر من مرتبتها في ميزان الإسلام، ولكني أقصد بالعلم، العلم الذي يورث إيمانًا صحيحًا صادقًا في القلب، مؤثرًا حب الله ورسوله ودينه على كل ما سوى ذلك، وباعثًا على العمل لدين الله والتمكين له في الأرض وإن كلفه ذلك ما كلفه من بذل النفس والنفيس، ولن يتأتى ذلك إلا بالعلم الصحيح بحقيقة دين الإسلام، واليقين الكامل التام الشامل بحقيقة التوحيد أساس البنيان في دين الإسلام، ثم لابد مع ذلك من العلم بالمخاطر التي تتهدد الأمة الإسلامية، والأعداء الذين يتربصون بها والدعوات الباطلة والهدامة التي يُروَّج لها، وما يتبع ذلك من تحقيق البراءة من أعداء الدين، وتحقيق الولاية للمؤمنين الصادقين.

وإذا كان من الواجب على المسلمين طلب العلم والدأب في تحصيله وسؤال أهل الذكر، ليكون المرء على بصيرة كاملة ووعي صحيح، فإن من الواجب على أصحاب القلم – من الكُتَّاب والناشرين – العمل على الإكثار من نشر الكتاب الإسلامي الذي يربط المسلمين بالإسلام كله، والذي يُعطي كل شرعة من شرائع الإسلام وكل حكم من أحكامه قدره ومنزلته في ميزان الإسلام، بحيث لا يزيد به عن قدره ولا ينزل به عن مرتبته، ولا يضخم جانبًا على حساب جوانب أخرى متعددة، وفي هذا الصدد فإن الكُتَّاب والناشرين مدعُوُّون بقوة إلى الالتزام بذلك، وخاصة في تلك الظروف العصيبة الحرجة التي تمر بها الأمة الإسلامية، فلا يليق بهم ولا ينبغي لهم أن يُجَاروا رغبات العوام وغيرهم في الإكثار والتركيز على جانب معين من جوانب الدين مع إهمال جوانب أخرى هي في ميزان الإسلام أجلّ قدرًا وأخطر شأنًا.

ونحن في هذا الصدد لا نريد أن نقع فيما وقع فيه غيرنا فندعو إلى إهمال الجانب الأقل في ميزان الإسلام لحساب الجانب الأكبر، ولكنا ندعو إلى التوازن بحيث تكون

الكتابات في الجوانب المختلفة متوازنة مع مرتبتها وثقلها في ميزان الإسلام، فلا يُقبل أن تكون المكتبة الإسلامية مملوءة بالكتابات المختلفة المتنوعة عن الجن، والسحر، والشعوذة، والورع، والزهد، والأذكار، وفضائل الأعمال، وفروع الفروع الفقهية، وأشباه ذلك (7)، بينما نجد المكتبة تكاد تكون خاوية من الكتاب الميسر الصالح للتناول لتناول العام في مجالات بالغة الأهمية.

مثل: أحكام الفقه السياسي في الإسلام: أو بالتعبير القديم (الأحكام السلطانية).

ومثل: مناقشة النحل الكثيرة التي بدأت تنتشر في عالم المسلمين (كالعلمانية، والديمقراطية، والقومية، والاشتراكية، والأحزاب ذات العقائد الكفرية كحزب البعث، والأحزاب القومية، وغير ذلك).

ومثل: الكتابات التي تتحدث عن الجهاد، لا أقصد الجهاد بمعنى فرضيته ودوامه إلى قيام الساعة، ولكن أقصد إلى جانب ذلك الكلام عن جهاد المرتدين اليوم في عالم الحكام، وأصحاب السلطان الذين تبنوا المذاهب الاشتراكية، والعلمانية، والقومية، والديمقراطية، وغير ذلك ودعوا إليها وألزموا الناس بها.

ومثل: الحديث عن كيفية العمل لإعادة الخلافة الضائعة، إلى غير ذلك من المواضيع ذات الأهمية البالغة في حياة المسلمين، وإذا نظر الإنسان إلى ما كُتب في هذه المواضيع، وما كُتب في المواضيع الأخرى لهاله التباين الشديد في هذا الأمر، وإذا نظر أيضًا إلى كمية المباع من ذاك ومن هذا لهاله الأمر أكثر وأكثر.

قد يقول الكتاب والناشرون: إن الناس لديهم عزوف عن قراءة هذه المواضيع، لكن منذ متى كان لصاحب الرسالة التي يريد لها الذيوع والانتشار أن يطاوع الأهواء والرغبات، وإذا كان حقًّا ما يُقال عن هذا العزوف، فأنتم مشتركون بنصيب وافر في ذلك؛ لأنكم طاوعتموهم على ذلك، ولم تبصروهم بأهمية التوازن وعدم تضخيم جانب وإهمال جوانب أخرى؛ لأن هذا الأمر سيؤدي بالناس في النهاية إلى حصر الإسلام وتضييق نطاقه في إطار عبادة من العبادات أو أدب من الآداب أو عادة من العادات، بل قد انحصر الإسلام فعلاً عند كثير من الناس في أداء الصلاة، وصيام رمضان، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في مجموعة من الأذكار، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في حسن الخلق، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في هيئة أو

زي أو لباس، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في العلم ببعض فروع الفقه، أو العلم ببعض قضايا مصطلح الحديث، وهكذا.

فإذا خاطبت الكثير منهم عن عموم الإسلام وشموله وحدثتهم عن بعض القضايا الهامة والملحة والمنبثقة من توحيد الله والإيمان باليوم الآخر مثل الحديث عن الحكم بما أنزل الله، والالتزام بشرعه ووجوب السعي لإقامة دولة الإسلام وإعادة الخلافة، وبيان بطلان المذاهب الكفرية كالعلمانية، والديمقراطية، وغير ذلك، ظنوك تتحدث عن دين غير دين الإسلام، وقالوا: هذا اشتغال بالسياسة، ولا يجوز إدخال الدين في السياسة.

ومثل هؤلاء لو تأكد عليهم الكلام في مثل هذه القضايا في خطب الجمعة، وفي دروس وحلقات العلم في المساجد، وفي الكتابات الميسرة التي يمكنهم قراءتها وفهمها بيسر، لم يصدر عنهم مثل هذا الكلام الضال المنحرف.

ونحن يجب علينا كتابًا وناشرين ألا نشارك في تزييف الدين وتجزئته عن طريق عرضه عرضًا ناقصًا مقصورًا على جانب من جوانبه استجابة لرغبة القراء، ولحركة البيع والشراء، فنكون بذلك محققين لهدف كبير من أهداف العلمانية في تضييق نطاق الدين وعزله عن الحياة.

وقد يقول الكتاب والناشرون: نحن لا نكتب في هذه الأمور لأنها مسائل كبيرة والخطأ فيها ليس بالهين، وهي تحتاج إلى علم كثير هو ليس في وسعنا، وأنا معهم في هذا القول في أن كثيرين ممن يكتب هذه الأيام لا يصلح للكتابة في هذه الأمور.. إما لعدم فقههم لهذه الأمور، وإما لأن فقههم لها قاصر ومبتور، وإذا كان ذلك صحيحًا - وهو صحيح - في حق كثيرين، فأين العلماء الكبار، وأين الشيوخ الأجلاء، وإذا لم يكن هذا هو دورهم ومهمتهم، فما هو دورهم إذن في العمل على تغيير هذا الواقع الأليم؟!

وفي إطار الحديث عن العلم ونشره فإن فئة المعلمين من المدرسين والأساتذة من أدنى مراحل التعليم إلى أعلاها عليهم واجب من أهم الواجبات العامة في حقهم وآكدها وهذا الواجب يتمثل في:

1- العمل على أسلمة المناهج بحيث تصب كل المناهج العلمية في إطار خدمة الإسلام، وبحيث لا يكون الهدف العلمي البحت، هو الهدف الوحيد من تدريس هذا العلم، ونظرًا لأن ديننا من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن المكتشفات العلمية هي من خلق الله فلا تعارض إذن ولا تناقض بين العلم والدين، وبالتالي فإن كثيرًا من الحقائق العلمية يمكن استخدامها كأدلة في مجال الإيمان، وكثير من القوانين العلمية يمكن استخدامها كردود أو إبطال لنظريات إلحادية من وجهة نظر العلم التجريبي الذي يؤمن به الملحدون ولا يعولون على غيره، وعلى ذلك فإن المناهج العلمية الموضوعة للتلاميذ والطلاب لابد أن يراعى فيها ذلك، ولابد من توضيح ذلك الأمر بأوضح بيان، ولا يكفي فيه الإشارة والتلميح، وهذا الأمر واجب أكيد في حق أولئك الذين يضعون هذه المناهج ويقررون تدريسها.

2- تنقية المواد العلمية من الكفريات والضلالات المدسوسة بها، فقد يحدث أن يضع هذه المواد ومناهجها أناس غرباء على الدين، فالواجب على المدرس المسلم ألا يقوم بتدريس المادة العلمية كما هي، بل لا يحق له ذلك، وينبغي عليه كشف هذه الضلالات للطلاب وتحذيرهم منها، وبيان الصواب فيها، فلا يكتفي المعلم بدوره كمعلم للمادة فقط، بل يربط هذه العلوم بالإسلام وينقيها مما فيها من الشوائب ويكون في الوقت نفسه داعية وواعظًا ومرشدًا إلى جانب كونه معلمًا ومثقفًا.

3- أن ينتهز المعلم الفرصة كلما سنحت له لتوضيح مفهوم من مفاهيم الإسلام، أو لتثبيت عقيدة من العقائد أو لبيان قضية من قضايا المسلمين أو لتعليم أدب من آداب الإسلام، وهكذا.

وكل هذه الأمور يستتبع بالضرورة تحقيقها أن يرتفع المعلمون بمستواهم العلمي والشرعي في كثير من الأمور حتى يكونوا أكفاء لهذه المهمة النبيلة التي شرفهم الله بحملها.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث نأتي إلى العمل بعد العلم، ولست أقصد بالعمل ذلك العمل الذي يعود نفعه وخيره على شخص العامل وحده، فهذا مطلوب، ولكن أين العمل الذي يعود نفعه وخيره على الأمة الإسلامية بالإضافة إلى شخص العامل؟

إنه مما يجب علينا أن نعتقد الحق ونعمل به في خاصة أنفسنا، ومن نعول، ثم لا نكتفي بذلك حتى ندعو الناس غيرنا ونبصرهم بحقيقة هذا الدين، وبتكالب الأعداء علينا من داخلنا وخارجنا، وبحجم المأساة التي تعيشها الأمة الإسلامية، ولا يصدنا عن القيام بهذا الدور ما نلقى من عنت ومشقة ومن صدود من جانب الناس، ومن تضييق وحرب من جانب الحكام أذناب العلمانية وعملائها.

لابد إذن من العمل بهذا الدين ولهذا الدين، ولابد من جمع الناس على ما يحبه الله ورسوله من الاعتقادات، والأقوال، والأفعال، ولابد من تحمل التبعات في سبيل ذلك، ولابد أيضًا من الجهاد في سبيل الله، وإعلان الحرب على كل محارب لله ورسوله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

ولا أحسب أني بذلك قد تحدثت عن واجب المسلمين كما ينبغي، ولكن يكفي أن تكون تذكرة لنا جميعًا، لعل الله ينفعنا بها.. اللهم آمين.

تم الفراغ منه في 3 من ربيع الآخر لعام 1411هـ

الأحد ليلاً

والحمد لله في الأولى والآخرة

هذا الكتاب

هذا الكتاب يخبرك بالخطر القادم، والخطر الدفين، في أسلوب سهل.. قريب.. يفهمه المبتدئ.. وينتفع به المنتهي.. إنه كتاب يُعرفك بعدوك القائم.. وأقترح أن ينشر هذا الكتاب بالألوف المؤلفة.. في الجامعات، والثانويات، والمؤسسات، ليكون الجميع على بصيرة من أمرهم {وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين}،

حفظ الله المؤلف وأثابه ورفع منزلته.

عائض القرني

([1]) الرهبانية عند النصارى نوع من العبادة التي ابتدعوها، فقوله: (ليس بمترهب) يعني ليس بمتعبد، وهي تقارب أو تناظر التعريفين الأول والثاني، والنصارى لا ينظرون إلى الرهبانية على أنها بدعة كما ينظر إليها المسلمون، بل يعتبرونها دينًا

صحيحًا، وعلى ذلك فقوله: (ليس بمترهب)، ليس نفيًا للابتداع، وإنما هو نفي للتعبد والتدين.

([2]) ما ذكرنا هنا عن دائرة المعارف البريطانية، والقاموس الإنجليزي، استفيد من كتاب (نشأة العلمانية) للدكتور محمد زين الهادي.

([3]) العلمانية في جميع صورها وأشكالها هي في الحقيقة ملحدة، سواء منها ما ينكر وجود الله، وما لا ينكر؛ لأن أصل الإلحاد في لغة العرب معناه: العدول عن القصد، والميل إلى الجور والانحراف.

وإنما قلنا علمانية ملحدة، وغير ملحدة، جريًا على ما اشتهر عند الناس اليوم: أن الإلحاد يطلق على إنكار وجود الله فقط.

([4]) كثير من الناس لا يظهر لهم محاربة العلمانية (غير الملحدة) للدين؛ لأن الدين انحصر عندهم في نطاق بعض العبادات، فإذا لم تمنع العلمانية مثلاً الصلاة في المساجد، أو لم تمنع الحج إلى بيت الله الحرام، ظنوا أن العلمانية لا تحارب الدين، أما من فهم الدين بالفهم الصحيح، فإنه يعلم علم اليقين محاربة العلمانية للدين، فهل هناك محاربة أشد وأوضح من إقصاء شريعة الله عن الحكم في شتى المجالات، لو كانوا يفقهون.

([5]) انظر الناقض الرابع من نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكتاب العقيدة الصحيحة للشيخ عبد العزيز بن باز، ص28.

وإنما قلنا علمانية ملحدة، وغير ملحدة، جريًا على ما اشتهر عند الناس اليوم: أن الإلحاد يطلق على إنكار وجود الله فقط.

([6]) المرجع السابق، ص30.

([7]) ونحن أكدنا وما زلنا نؤكد أنه لا يحق لأحد أن يظن مجرد الظن أننا نقلل من أي شيء – وإن كان صغيرًا – تناوله حكم الإسلام، حتى ولو كان ما يتعلق بأدب قضاء الحاجة، وما ندعو إليه فقط هو إعطاء كل جانب ما يستحقه في ميزان الإسلام، وهذا الذي أكدناه وذكرناه إنما هو طريقة العلماء المنبثقة عن الفهم الصحيح للنصوص الشرعية.

المصدر : http://www.saaid.net

=============

#العلمانيون وزلزال تسونامي

الوصيف علي حزة

إن المتابع لهذا الحدث الذي هز القلوب والأسماع وأودى بحياة الكثير على حين غرة، والذي تناولته وسائل الإسلام بتفسير مادي بحت يثير العجب، حيث إنه كان من المتوقع أن تكون النظرة إلى الحدث بعين المعتبر المتعظ ؛ ذلك أن المؤمن لا يمر على آية من آيات الله – تعالى – إلا مرور المعتبر، قال – تعالى –:) قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (137) هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) {آل عمران: 137، 138}، وقال – تعالى –: فاعتبروا يا أولي الأبصار {الحشر: 2}.

ذلك أن من شيم أهل الغفلة والجهل والكفر الإعراض عن آيات الله – تعالى – مطلقًا سواء الآيات القرآنية أو الآيات الكونية، قال – تعالى –: (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (1) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (2) لاهية قلوبهم) {الأنبياء: 1– 3}، وذلك لأن انتفاعهم بالآيات معدوم، (وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) {يونس: 101}.

ومن طبيعة هؤلاء أن يفسروا الأحداث والتاريخ والوقائع تفسيرًا ماديًا:(وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم){الطور: 44}، وليس هناك مجال – عندهم – لمفهوم الإيمان المقترن بالآية الكونية، (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم (24) تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم){الأحقاف: 24، 25}.

ولما كانت نظرتهم إلى الحدث بهذه الصورة المادية البعيدة عن الإيمان كان علاجهم للمشكلة من هذه الزاوية أيضًا؛ إذ لَمَّا حدث الزلزال اتجهوا للبحث عن خبراء اليابان والمراصد وأحزمة الزلازل في العالم – ونحن لا نقلل من شأن العلم الحديث – لأن المؤمن يتخذ الأسباب التي أودعها الله في كونه، ولكنه – أي المؤمن – لا يكتفي بالأسباب فقط وإنما يتجه إلى خالق الأسباب مبدع الكون الذي إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، فيطلب منه العون والمدد حتى لا يتشبه بولد نوح، لما قال له

أبوه: (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين، كان جوابه باحتياطات مادية أيضًا: قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) {هود: 43}.

فهل نسي العلمانيون - أو تناسوا - بأن القشرة الأرضية تأتمر بأمر الله؟ قال - تعالى -: (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) {فصلت: 11}.

فكل ما في الكون طوع أمره - جل وعلا - خاضع لعظمته متذلل لجلاله: (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) {الحج: 18}، أمرها فأطاعت وأسجدها فسجدت وأمسكها لتؤدي دورها: (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) {فاطر: 41}.

والعقلاء يعلمون أن الأرض بيد الله وحده يحركها كيف يشاء، وفي كتاب الله ذِكْرُ الخسف الذي لحق بقارون لما عتا وتكبر بسبب ما أعطاه الله – تعالى - فكان التذكير بنهاية طاغية وهو قارون الذي نسب الفضل لنفسه ولم ينسبه لصاحبه، فقال: (إنما أوتيته على علم عندي، فكان الجزاء: فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) {القصص: 81}.

وانظر إلى قوم لوط لما استباحوا الفاحشة وإتيان الرجال من دون النساء شهوة وترديًا في حمأة الرذيلة فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر: (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود) {هود: 82}.

إن ما أصاب ثماني دول في زلزال تسونامي أولى بنا أن نفسره على أن هذا جزاء ما اقترفت أيدي الناس من حل للربا والخمر و الزنى والحرب على كتاب الله واتخاذ آيات الله هزوًا فكان كما قال ربنا: (و كأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا (8) فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا) {الطلاق: 8، 9}.

إن كثيرًا من المنكرات تُرتكب باسم الفنون والآداب والحداثة والعصرية من خلال وسائل الإعلام والسياحة والتي يتمكن فيها العلمانيون فيشوشون على أهل الإيمان

إيمانهم، وما نجم عن هذا الزلزال المدمر من هلاك و إبادة لمدن بأسرها فيها الصالح والطالح هو من سنن الله – تعالى –كما روى البخاري في صحيحه أن السيدة زينب بنت جحش سألت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كثر الخبث".

قال ابن حجر: الخبث: هو الزنى وأولاد الزنى.

وقال – صلى الله عليه وسلم –: "إن الله يغار من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"، ولعل انتشار سياحة الجنس في هذه البقاع و الاستعلان بالفاحشة أدى إلى هذا الدمار الهائل والذي لم يقف عند محل الزلزال وإنما تعداه إلى أماكن بعيدة.

قال – تعالى –: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة){الأنفال: 25}.

وقال آخرون: إن بلادًا كثيرة كأمريكا وأوربا انتشرت فيها الفواحش أضعافا مضاعفة ولا يزالون في نعمة تتلوها نعمة!!

نقول: إن الله – جل وعلا – يستدرج أهل الباطل ويعطيهم على المعاصي ليس حبًا لهم ولا رضا عنهم ولكن استدراجًا، قال – تعالى –: (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) {الأنعام: 44}.

وقال – تعالى –: (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (44) وأملي لهم إن كيدي متين) {القلم: 44، 45}.

فأما المؤمنون إن قصروا وعصوا فإنما تصيبهم النوازل لتعيدهم إلى سواء السبيل، قال – تعالى –: (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) {الروم: 41}.

وأخيرًا نقول لمن أراد معرفة الزلزال قبل وقوعه فلقد نبه رسولنا – صلى الله عليه وسلم – إلى ذلك فيما رواه البخاري: "لا تقوم الساعة حتى يقل العلم ويفشو الجهل وتكثر الزلازل ويفيض المال فلا يقبض".

وقد قل العلم الشرعي وإن زادت العلوم الدنيوية التي لا نقلل من أهميتها ولكن على حساب العلوم الإسلامية، وفشا الجهل بالتوحيد ومنهج أهل السنة والجماعة وكثرت الزلازل كما رأينا.

وهذه إرهاصات بين يدي الساعة تدل على قرب وقوعها ولكننا لا يمكن أن نحدد عددًا معينًا من السنين كما ذهب بعض الدجاجلة إلى ذلك، وإنما نقول: (علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة) {الأعراف: 187}.

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين لهم نظرتهم الإيمانية إلى الأشياء والأحداث والتاريخ، إلا أن العلمانيين الذين أشربوا في قلوبهم حب الغرب الصليبي أو الإلحاد الشيوعي زلزلوا حياة الأمة وشككوا العامة في إيمانهم برب الأرض والسماوات بنظم التعليم والإعلام.

فهل من عودة صادقة إلى الله – جل وعلا – حتى يرفع عنا هذه الغمة كعودة قوم يونس: (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين){يونس: 98}.

هل من عودة إلى شريعة الإسلام وأحكامه لتدفع عنا الخزي والعنت؟ هل من مجيب، وهل من مدَّكر؟

والحمد لله رب العالمين

المصدر : http://www.altawhed.com

============

#العلمانيون واحتراف البكاء على الحرية

شادي الأيوبي

من المضحك المبكي في هذه الأيام ما احترفه بعض العلمانيين من البكاء على أطلال الحرية المفقودة، والتضجر من بعض القيود التي يدعون وجودها على الجهر بآرائهم، سواء أكانت تلك قيوداً اجتماعية، أم كانت قيوداً من المشرفين على وسائل الإعلام، ولا يتورع البعض منهم عن الادعاء بوجود "اضطهاد فكري ونفسي" من فئات المجتمع المختلفة.

وتتنوع شكاوى هؤلاء من التضييق على الظهور، إلى إعطاء الفرص الأوفر لمخالفيهم– من الإسلاميين في معظم الأحيان– للإدلاء بآرائهم في مختلف القضايا، ولا يتورع بعض المغالين من مغموريهم بادعاء وجود تهديدات وأخطار تمس حياته، وهذه مسألة بالغة الخطورة؛ لأنها تمس قضية الأمن الوطني الذي يجب أن يشترك جميع أبناء الوطن في الحفاظ عليه بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية أو الدينية.

والحق أن الأجواء قد اختلفت كثيرا بالنسبة لهؤلاء، لكن هذا الاختلاف كان نتيجة طبيعية لزيادة الوعي لدى فئات المجتمع المختلفة، وليس بسبب رغبة الإعلاميين في اضطهاد العلمانيين كما يحاول بعض هؤلاء أن يوحوا لنا، حباً منهم في لعب دور الضحية المستحقة للشفقة.

فهؤلاء اعتادوا خلال سنوات الطويلة امتدت من الخمسينات والستينات وحتى منتصف الثمانينات تقريبا– مدة المد اليساري عالمياً– اعتادوا أن يكونوا فرسان الميدان الإعلامي دون منافس أو معترض، وكانت جميع الميادين الإعلامية مفتوحة لهم على مصراعيها، من مكتوبة ومسموعة ومقروءة، وكان من النادر سماع أصوات قوية معارضة لهم؛ لأن التيار السائد في ذلك الوقت كان مؤيداً بشدة لأفكارهم ومبادئهم، بحيث كانت أي أصوات معارضة تخنق في مهدها، أو ترسل إلى كواليس النسيان والإهمال، مما جعلهم يصولون ويجولون دون معارض أو محاسب لسنوات طويلة.

غير أنه في المدة الأخيرة، وبسبب أن الحالة الإسلامية بدأت تؤتي أكلها، وبسبب من إلحاح الجماهير التي عادت إلى مبادئ دينها ورفض ما يخالفه، فقد صارت هناك ضرورة لمراعاة الذوق العام المتجه نحو التدين الواعي، والرغبة بالاستزادة من المعلومات الدينية والثقافة الجادة، وهكذا اتجه العديد من المنتجين إلى برامج وأفلام ومسلسلات تراعي رغبة الجمهور.

وهنا يحق لمعترض لأن يقول: ألا تنظرون إلى ما يجري اليوم من برامج هابطة يجري وراءها الشباب بالآلاف، ولا ترون المسلسلات الخليعة التي تملأ الساحة؟

نقول: نعم هذا صحيح وموجود، لكنه لا يقارن بما كانت عليه الأحوال في السنوات الخالية، حيث كانت الشاشات المختلفة لا تعرض لذكر الدين إلا في الأعياد أو في

شهر رمضان المبارك، وذلك ببعض المسلسلات الموجهة أصلاً لتضييع معنى الصيام، عبر ما تعرضه من فنون ورقصات وغناء مائع.

ونحن إذا عقدنا اليوم مقارنة بين تلك السنوات وبين السنوات التي نعيشها اليوم، نجد فرقاً كبيراً، فالجمهور المتدين الذي يقاطع البرامج التافهة، كان غير موجود تقريباً، أما أنه توجد اليوم جماهير تائهة تجري وراء كل هابط، فهؤلاء كانوا دائماً موجودين، وسيظلون موجودين، وذلك أن الغث يبقى دائماً ليتميز الصحيح.

فقبل عشرين سنة مثلاً، كنت ترى شيوخاً معممين يتكلمون في أمور الدين المبدئية، لكنك لن تجد من يعطي تحليلاً سياسياً أو اقتصادياً من وجهة نظر دينية، كما لن تجد من يتكلم عن حيوية الدين الإسلامي، والدعوة إلى النهضة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، من خلال مبادئ مستقاة من الدين ومبادئه.

واليوم لا يماري أحد في وجود تغير كبير وجذري، يسميه الإسلاميون صحوة، ويسميه خصومهم انتكاسة وتخلفاً، لكنه على كل حال فرض وجوده واحترامه على من يريده ومن لا يريده، ومن مظاهر ذلك التغير:

- الإقبال على التدين والالتزام بمبادئه، سواء على الصعيد الفردي، أو على صعيد الجماعات والمجتمعات، ويستطيع المراقب ملاحظة الفارق الواسع بين التدين قبل 30 عاماً والتدين في أيامنا هذه، فقبل كان التدين محصوراً في جماعات إسلامية معينة – ولا ينكر أحد ما قام به هؤلاء من خدمات للدين في مدة كان الدين فيها غريباً تماماً– أما اليوم فالتدين صار حالة عامة يشترك فيها ابن الشارع البسيط والأكاديمي المثقف، وابن الحركة الإسلامية ومن لا ينتسب إليها، ولك أن تنظر إلى عدد المجاهرين بالإفطار في رمضان قبل ثلاثين عاماً وأعدادهم اليوم لتعرف مدى التغير..

- البرامج الإسلامية التي انتشرت في القنوات المختلفة والإقبال المتزايد عليها، خاصة برامج الفتاوى وجلسات العلم والفقه، حيث تقبل عليها اليوم فئات كبيرة من المجتمع، ومما يجعل من هذه البرامج ومثيلاتها واعدة اهتمام فئتين من المجتمع كانتا تقليدياً في الجهة المقابلة وهما فئتا الشباب والنساء.

- ظهور القنوات الفضائية ذات التوجه الإسلامي ونجاحها في دخول البيوت دون تحفظ، خاصة بعد ارتفاع صرخات التحذير من البرامج الهابطة التي ظهرت نتائجها الخطيرة على الكثير من الشباب، ثم نجاحها في تقديم الجديد الممتع، والذي يعتمد على العقل والنقل والعلم الحديث، مما رفع من سقف خطابها ليصل إلى المثقفين الكبار، مع محافظتها على مخاطبة رجل الشارع البسيط.

- طبقة العلماء المثقفين والمفكرين والإداريين الذين أثبتوا وجودهم خلال المدة الأخيرة، والذين قدموا الدين بطريقة عصرية قريبة للأفهام وآسرة للعقول، بعيدة عن التعقيدات، فبرامج الإعجاز القرآني المعتمدة على الآيات القرآنية والمستندة إلى أدلة من العلم الحديث، وبرامج تعليم الإدارة وفنون المهارات الذاتية، والتي جاء بها مثقفون مسلمون من بلاد الغرب وطعموها برجوعهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وغيرها من البرامج التي تتخذ من الدين مرجعية لها، أصبحت في غاية الجاذبية والرواج، حيث نبهت الجماهير إلى فكرة مهمة كانت غير واضحة المعالم لسنوات عديدة: إمكانية قيام نهضة حضرية على أساس من الالتزام بتعاليم الدين وشريعته..

- ظهور تطبيقات عملية ناجحة للفقه الإسلامي في مجالات كانت مهجورة منذ زمن بعيد خاصة المجال الاقتصادي، والذي كان من أول مجالات الشريعة الذي تسربت إليه التطبيقات الوضعية، حيث تشق البنوك الإسلامية وشركات المضاربة الشرعية طريقها بنجاح مضطرد يوما فيوما، ورغم الإخفاقات التي تعرضت لها في بداية مسيرتها، إلا أنها استطاعت إثبات وجودها على الساحة، بحيث صارت منافساً- ولو مبتدئاً- للبنوك التقليدية.

التغير الأخير لم يكن نتيجة مصادفة تاريخية أو اجتماعية لكنه كان نتيجة لجهود كبيرة بذلت ولا تزال تبذل، وإلى عوامل أخرى، منها:

- الجهود التربوية الجبارة التي قامت بها الحركات الإسلامية المعتدلة في سبيل نشر الوعي المرشد بين المجتمعات المسلمة، ولكي نكون منصفين في خضم الثورة الإعلامية الحالية، فإن تلك الجهود الخفية تلك كانت أساس الوعي الجماهيري

الحالي، مع أن تلك الجهود لم تنل حقها من الدراسة والأضواء، فقد كانت ولا تزال جهوداً خفية بعيدة عن الظهور لأسباب عديدة.

- الجهود التي قام بها الدعاة الجماهيريون المثقفون، والذين استطاعوا إيصال الثقافة الإسلامية إلى الجماهير دون تحفظ حزبي أو فئوي، فهؤلاء بطريقة بسيطة ودون الانجرار إلى المواجهة مع أي طرف، جعلوا من الدين والشريعة أهم عامل تأمل الجماهير اليوم في قيام نهضتها على أساسه.

- الانفتاح الإعلامي الأخير الذي حمل في طياته الكثير من الغث والسمين، على أنه ساهم بشكل عام في خلق مناخ عام من الشعور بالوحدة بين الشعوب العربية والإسلامية، خاصة في أوقات الأزمات، مما جعل القوى الاستعمارية تضيق بها ذرعاً، وتطالب بإقفالها أو التضييق عليها، وهي التي كانت أصلاً تطالب بإفساح المجال لها، عندما كانت تغطيتها توفر لها الحجة للتدخلات غير المنتهية في شؤوننا.

- مسارعة الإسلاميين إلى مجالات التقنية الحديثة لا سيما مواقع الإنترنت، فبعد الراديو والتلفزيون اللذان كان العلمانيون سباقين إليها ثم مسيطرين عليها، كان الإسلاميون من الذين لم يتأخروا في إنشاء مواقع على الإنترنت، وهذه ساهمت في نشر أفكارهم، والترويج لمبادئهم وتواصلهم مع الناس، ومواقع الإنترنت كما هو معلوم- من ناحية تقنية أسهل وأقل تكلفة من غيره من أدوات الإعلام..

- إعراض القنوات غير الملتزمة عن التصدي للقضايا المصيرية والقضايا المهمة، وانصرافها إلى برامج اللهو التي لا تنتهي، فلا تكاد ترى ذكر قضيتي العراق وفلسطين إلا في نشرات الأخبار، أما المشاكل الاجتماعية فليس لها معالجة جادة كذلك، بينما تئن المجتمعات العربية تحت وطأة مشاكل خطيرة، مثل: البطالة والغلاء وانتشار الأمراض الاجتماعية كالتدخين والمخدرات وانتشار فظيع للأمية والجهل..

على أن الدعاوى العلمانية تحتوي على الكثير من التعامي والتجاهل لكثير من المشاكل التي ساهم هؤلاء في إيجادها، ولمشاكل أخرى لا يزالون يتسببون بإيجادها، كما تحوي تناسياً وتجاهلاً لتاريخ عريض من التفرد مارسه هؤلاء بدعم من قوى

كثيرة، جعلتهم- كما أسلفنا- يتفردون بالمجاهرة بآرائهم والترويج لمبادئهم علناً لسنوات طويلة..

ويستطيع المرء تعداد الكثير من التجاوزات والمضايقات التي تعدى فيها العلمانيون على الحريات العامة، في سبيل إقصاء منافسيهم عن المجالات العامة، تبدأ بالمضايقات والتحرش وتنتهي بالإقصاء والطرد، ومنها على سبيل المثال:

- تمسك العلمانيين غير المنتهي بالسلطة السياسية وإقصاء جميع معارضيهم بشتى الوسائل القمعية، وهذه النقطة هي قمة المأساة في عالمنا العربي والإسلامي، حيث تسخر إمكانات الدول والشعوب لخدمة طائفة أو جهة معينة جعلت من نفسها طبقة فوق سائر الناس، وتمتعت بالخيرات دون الخلق، دون أن تسمح لأي أحد بسؤال بسيط من نوع: من أين لك هذا؟؟

- إقصاء الخصوم السياسيين من الوظائف العامة والتعليم، خاصة ما تتعرض له النساء المحجبات من مضايقات وطرد من جامعات ووظائف الدولة حتى الأماكن العامة، والقانون الوحيد الذي لم يسنه العلمانيون في هذا المجال هو منع الهواء والماء عن هؤلاء المحجبات وأسرهن..

- إبعاد الملتزمين بالدين حتى غير المنتمين منهم لأي تيار إسلامي - عن الظهور الإعلامي، فكثير من المذيعات اللواتي التزمن بالحجاب مثلاً، أُخرن إلى الصفوف الخلفية ومنعن من الظهور على الشاشات، إن لم توجه لهن إنذارات بالطرد من العمل إن لم يتراجعن عن قرارهن الجديد..

المصدر : http://saaid.net

============

#الجواب عن شبهات الداعون إلى علمانية العاصمة القومية

د.عبد الحي يوسف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فإن طرح الشبهات وإيراد المشكلات دأب أهل الضلالة من قديم، يفعلون ذلك صداً عن سبيل الله واستجابة لداعي الهوى في نفوسهم التي جبلت على الإعجاب بالرأي

وإيثار العاجلة على الباقية، وفي القرآن الكريم نماذج لبعض تلك الشبهات التي طرحها المشركون الأولون على الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كقولهم: (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون)، وقولهم: (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون)، وقولهم: (أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر)، وقولهم: (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء)، وجماع ذلك قول الله في القرآن: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)، قال أهل التفسير: نزلت الآية فيمن اعترضوا على تحريم الميتة بقولهم للنبي – صلى الله عليه وسلم –: ما قتله الله حرام وما قتلته بيدك حلال؟ وقوله – سبحانه –: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)، وهم في هذا كله يدّعون أنهم أهل استقامة وسداد وأنهم يرومون الخير للناس: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

وهاهنا نعرض لبعض هاتيك الشبهات التي يروِّج لها الداعون إلى علمانية العاصمة القومية:

[1] قولهم: إن في العاصمة ناساً يدينون بغير الإسلام وفي الحكم بالشريعة تضييق عليهم:

والجواب: أن وجود غير المسلمين في مجتمع يحكم بالإسلام ليس وليد اليوم، ولا هي مشكلة طارئة تحتاج إلى بحث، بل منذ أن بعث الله نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – وأنزل عليه القرآن وقامت للإسلام دولة في المدينة، وغير المسلمين . من اليهود وغيرهم . موجودون يعيشون بين ظهراني المسلمين ويمارسون شعائر دينهم؟ فما الجديد إذن؟ ومتى كان وجود الأقلية في أي مكان أو زمان يمنع الأغلبية من أن تطبق دينها؟ وهل عهد في تاريخ الإسلام كله إجبار غير المسلم على الدخول في الإسلام؟

يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: "وكان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة

المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم، ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فقد أدرك الخلفاء السابقون . الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة . أن النظم والديانات ليست مما يفرض قسراً فعاملوا . كما رأينا . أهل سورية ومصر وإسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم نظمهم وقوانينهم ومعتقداتهم... فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم".

وغير المسلمين . تحت حكم الإسلام . في حمايةٍ من كل ظلم داخلي أو اعتداء خارجي، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه كنت أنا خصمه يوم القيامة))، بل إن الثابت . واقعاً وتاريخاً . أن المسلمين كانوا هم المتضررين من تطبيق غيرهم ما يحسبونه ديناً، حيث عانوا في القديم من محاكم التفتيش في الأندلس . وقد اعترف بذلك مفكرو الغرب ومؤرخوه . وفي التاريخ الحديث ما أمر البوسنة وكوسوفا عنا ببعيد؟ ونقول أيضاً: إن الالتزام بالتشريع الإسلامي لا يمس حقوق غير المسلمين؛ لأن الإسلام كفل لهم حرية الاعتقاد وتطبيق تشريعهم في الأحوال الشخصية، ومن المعلوم للكافة أن الإنجيل ليس فيه أحكام تشريعية في المسائل المدنية والتجارية، ولهذا يأخذ النصارى في كل دولة بتشريعها في هذا المجال، فضلاً عن ذلك فالقوانين الدولية قد تواترت على إقليمية التشريع في جميع التشريعات إلا في مسائل الأحوال الشخصية، وبمقتضى ذلك يخضع الشخص لقانون الإقليم الذي يعيش فيه.

ثم ماذا يضير النصارى أن تمنع الخمور ويحظر الفجور ويلغى الربا ويحارب البغاء؟ هل يزعم أحدهم أن ديناً نزل من السماء يبيح شيئاً من ذلك؟ اللهم لا. لكن منطق الاستبداد الأرعن الذي تمارسه أمريكا على سائر الأمم هو الذي يحملها . ومن وراءها من الأذناب كحركة التمرد . على أن يحاولوا منع المسلمين من تطبيق شرائع دينهم تحت ذرائع شتى، والحال كما قال ربنا: (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء)، (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)، لكن العجب العاجب هو أن يرضى بعض من ينتسب إلى

الإسلام لنفسه أن يكون مروّجاً لمثل تلك الأباطيل، واضعاً في طريق سيادة الشريعة شتى العراقيل.

[2] قولهم: إن تطبيق الأحكام الشرعية يحرم العاصمة من مجيء السائحين، وترك الأحكام الشرعية يجعلها عاصمة جاذبة:

والجواب: أن العقلاء وأهل المروءة متفقون على أن الغاية لا تبرر الوسيلة وأن ما عند الله لا يطلب بمعصيته، وقد قال العرب الأوّلون: "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها". ثم من الذي يقول: إن العاصمة لا تكون جاذبة إلا إذا أبيح فيها الحرام؟ لو أنصفوا لقالوا: إن الواجب علينا أن نرعى الأخلاق، ونحفظ حدود الله من أن تضيّع فنحلّ الحلال ونحرّم الحرام؛ حتى يأتي إلينا السائحون الملتزمون وهم آمنون على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، ولو أنصفوا لقالوا: إن الواجب أن تتضافر الجهود لترقية الخدمات وتأمين الماء والكهرباء، وتعبيد الطرق وتوسعة المطارات وتجميل المسارات وإنارة الشوارع حتى تكون الخرطوم عاصمة جاذبة، بدلاً من الدعوة إلى العلمانية المنكرة التي تبيح ما حرم الله فنكون ممن لم يحفظ ديناً ولم يصلح دنيا، (وشر الناس من خسر الدنيا والآخرة)، ونذكّر أنفسنا وهؤلاء بقول الله – عز وجل –: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء)، وبقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ولا يحملنكم طلب الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله))، ومن التاريخ القريب يعلم المنصفون أن الخرطوم كانت يوماً ما . بوجهها الشائه وخدماتها المتردية . عاصمة الموبقات المهلكات فهل جذب ذلك السائحين إليها؟ أو فتح أبواب الرزق عليها؟ اللهم لا هذا ولا ذاك. لكن..

يقضى على المرء في أيام محنته *** حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

ثم ألا يعتبر هؤلاء بحال أمم سارت في ذات الدرب فلم تحصد إلا المرّ والعلقم، فلا أزماتها الاقتصادية حلّت، ولا وحدتها الوطنية حققت، ولا مشاكلها الأمنية زالت، بل زادت، (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى).

[3] قولهم: إن الاستمساك بهذا الأمر ـ أي تطبيق الشريعة في العاصمة ـ يفوّت فرصة تحقيق السلام الذي بات وشيكاً بزعمهم:

والجواب: أن أهل الإسلام مجمعون على أن حفظ الدين مقدّم على حفظ النفوس والأعراض والأموال والعقول؛ وعليه فلو كان السلام في مقابل التنازل عن أحكام الله – عز وجل – فنقول: لا حيّاه الله ولا سقاه ولا مرحباً به ولا أهلاً، وحسبنا أن نذكّر أنفسنا؛ لتكف عن طاعة المبطلين، بتلك الدماء الزكية التي نزفت على أرض الجنوب والشرق لتكون كلمة الله هي العليا، فهل كان ذلك ليأتي آتٍ بعد زمان قريب ليقول: لا بأس بالتنازل عن الشريعة في العاصمة من أجل تحقيق السلام، ولو أن امرءاً رضي لنفسه أن يتنازل عن دينه لينال سلاماً متوهماً؛ فلن يبالي بعد ذلك بالتنازل عن عرضه، ومن تتبع تاريخ المتمردين وزعيمهم في نقض العهود ازداد يقيناً بقول الله في القرآن: (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون)، وبقوله – سبحانه –: (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون)، ومن أعطى الدنية في دينه فرضي بتغييب الشريعة في العاصمة اليوم فسيرضى بتغييبها في غيرها غداً.

[4] قولهم: إن علمانية العاصمة علاج للأوضاع وحماية لها من التعصب الديني:

والجواب: هو أن العلمانية ما كانت في يومٍ من الأيام علاجاً للتعصب الديني أو الطائفي أو العرقي، ومن كان في شك من ذلك فليرجع إلى تاريخ بلاد ارتضت العلمانية مبدأً ومنهجاً من قديم .كالهند ولبنان وتركيا . هل حالت العلمانية دون قيام مذابح الهندوس ضد المسلمين في الهند؟ أم حالت دون قيام الحرب الأهلية التي استمرت سنين عدداً في لبنان؟ أم حالت دون اضطهاد الأكراد في تركيا؟ والتاريخ شاهد بأن حرب الجنوب قامت قبل أن تطبق الشريعة سواء في ذلك التمرد الأول أو الثاني، بل إننا نقول إن المسلمين هم الخاسرون من تطبيق هذا المبدأ الفاسد حيث عهدنا في أكثر البلاد علمانية .كفرنسا مثلاً . أن تمنع الفتاة المسلمة من ارتداء حجابها في المدرسة، وفي تركيا تمنع نائبة في البرلمان من الدخول إليه إلا بعد خلع حجابها فأين العلمانية هنا؟ إن علاج التعصب لا يكون إلا بنشر الوعي وبث العلم وتربية الناس على فن الحوار مع الغير واحترام النظام وأدب الكلام، ولا أنفع ولا

أطيب ولا أحسن من هدي القرآن في ذلك، (وجادلهم بالتي هي أحسن)، (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، (لا إكراه في الدين)، (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، ولو أنصفوا لقالوا: إن العلاج يكمن في إعطاء كل ذي حق حقه، ورفع الظلم وبسط العدل بتطبيق الشريعة.

[5] قولهم: إن العلمانية هي المبدأ السائد الذي يحكم العالم الإسلامي كله، وما ينبغي أن نكون نشازاً بين الناس:

والجواب: أنه قد أجمع علماء المسلمين من قديم على أن الشريعة حاكمة على جميع أفعال المكلفين، وأنها حجة عليهم لا العكس، وقد قال الله – عز وجل – في القرآن: (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث)، (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)، وقال: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)، وقال: (وإن كثيراً من الناس لفاسقون)، (وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم)، وأخبرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن الإسلام ستنقض عراه عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة، وأخبرنا أن الكتاب والسلطان سيفترقان وأمرنا ألاّ نفارق الكتاب، ثم أي عقل هذا الذي يحكم على المكلّف بأن يدع تعاليم دينه ويهمل شريعة ربه ويكون إمعة لأن الناس أو أكثرهم فعلوا ذلك؟ وقد علم الناس أجمعون أن العلمانية ما حكمت العالم الإسلامي برضى المسلمين ولا مشورتهم، بل فرضت بقوة الحديد والنار عن طريق الانقلابات العسكرية التي قام بها أذناب المستعمر ومن ثم مارسوا التضييق على الدعوة وأهلها، وعمدوا إلى تغييب الدين عن حياة المسلمين، ومنذ أن طبقت ما عرف المسلمون تقدماً ولا رقياً بل إن أعرق البلاد المسلمة علمانية . وهي تركيا . صار همُّ ساستها اللهاث خلف أوروبا، والتوسل من أجل أن يمنحوا عضوية في الاتحاد الأوروبي، وفشلوا في ذلك رغم قول قائلهم من قديم: "لا بد أن نأخذ بحضارة الأوروبيين حتى النجاسات التي في أمعائهم والأوبئة التي في أكبادهم".

[6] قولهم: إن الدين لله والوطن للجميع، فلا بد أن يتساوى الجميع في الحقوق والواجبات:

نقول: بل الدين لله، والوطن لله، والحكم لله، والخلق عباد الله، (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)، وماذا يضير غير المسلمين في أن تحكم الأغلبية بشريعتها وترجع إلى أحكام دينها في الأمر كله؟ ثم ماذا لو حدث العكس وكان المسلمون هم الأقلية هل كان يقبل منهم أن يطلبوا إلى الأكثرية التنازل عن هويتهم ومقدساتهم طلباً لمرضاتهم؟ وهاهم المسلمون يعيشون في البلاد الكافرة . في أوروبا وأمريكا . ويخضعون لأنظمة وتشريعات تتعارض مع بدهيات دينهم، ولا يجرؤون على المطالبة بتغييرها أو تعديلها، ولو فعلوا لقيل لهم: هذا هو حكم الأغلبية، إنه لا يقبل شرعاً ولا عرفاً بل ولا ديمقراطياً . وهم أكثر الناس تشدقاً بالدعوة إليها . أن تتخلى الأغلبية عن هويتها ومقدساتها وحضارتها طلباً لمرضاة الأقلية، لا سيما إذا كانت هذه المقدسات لا مساس لها بالحقوق الأساسية المشروعة لهذه الأقليات. ثم لماذا يتخلى القوم عن علمانيتهم القاضية بأن القانون الحاكم يجب أن يكون نابعاً مما ترتضيه الأغلبية؟

[7] قولهم: إننا متدينون نصلي ونصوم ومع ذلك نعتقد أن العلمانية هي العلاج الناجع والدواء الشافي:

نقول: إن العبادات والتشريعات وأحكام المعاملات من عند الله ولا يد فيها للبشر، والإسلام كل لا يتجزأ، فليس مسلماً من قال: أصلي على نظام الإسلام وأتخذ منهجاً سياسياً على نظام ميكافيللي، ونظاماً اقتصادياً ماركسياً، كيف يكون الشخص متديناً وهو يرفض حكم الله وحكم رسوله، وصريح القرآن يقول: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)، ويقول: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)، وهذا الفهم المغلوط للتدين هو الذي حمل بعضهم على أن يحج ويعتمر وينتسب إلى بيوتات دينية، ثم لا يبالي بالجلوس على مائدة يدار فيها الخمر أو يراقص الفتيات؛ لأن التدين في فهمه الكاذب الخاطئ قاصر على جانب الشعائر وحدها ولا علاقة له بمعتقد أو سلوك.

[8] قولهم: إن في تطبيق العلمانية ضماناً لعدم استغلال الدين في أغراض سياسية:

ولغرابة هذه الشبهة فإننا نستعمل معهم الدَّوْر فنقول: علينا ألا نطبق العلمانية لنضمن ألا تستغل في أغراض سياسية، وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت. هل يعقل أن يمنع المسلمون من تطبيق أحكام دينهم بدعوى عدم استغلاله، ثم يجبرون على نظام مستورد يخالف دينهم وعقيدتهم بل يخالف رغبتهم واختيارهم؟ ما لكم كيف تحكمون؟ أم لكم كتاب فيه تدرسون؟ إن لكم فيه لما تخيرون.

إن العلمانية ضد الدين لأنها لا تقبل التعايش معه كما أنزله الله بل تريد إقصاءه عن الحياة وحصره في زاوية ضيقة منها، إنها ضد الدين لأنها تريد أن تأخذ منه ما يوافق هواها وتعرض عما يخالفه، ولأنها تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض، (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)، إنها ضد الدين لأنها تتعالم على الله – عز وجل – وتقول له: نحن أعلم منك بما يصلح للناس والقوانين الوضعية أهدى سبيلاً من حكمك.

إن العلمانية ضد إرادة الشعب في السودان كما أنها ضد إرادة المسلمين الذين رضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً، والقاعدة العريضة من مثقفي الأمة . الذين هم أنضج وعياً وأزكى خلقاً وأقوى إرادة . لا يبغون غير الله حكماً ودينه شرعاً.

[9] قولهم: إن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تستوعب ملايين القضايا والمشاكل الإنسانية المعقدة، أو أن تقدم حلولاً جاهزة لكل ما يستجد على مسرح الحياة:

والجواب: أن هذا التصور قائم على أساس أن الدين ثابت لا يتغير، وأن الحياة في تغير دائم، وأن الحكم بالأسلام من شأنه إلغاء كل اجتهادات البشر وتجاربهم، وإبطال كل عرف واجتهاد لم يرد من القرآن والسنة، وهذا تصور قد حكم الإسلام بفساده، فقد شرع الله – تعالى – للناس قواعد عامة للأمور التي حرمها الله وأمرنا باجتنابها، وأرشدنا أن ما سكت الله عنه فلم يبينه فهو مباح، لنا أن نجتهد فيه في حدود هذه القواعد العامة أي بما لا يحل حراماً. قال الله – تعالى –: (وقد فصّل لكم ما حرم عليكم)، وقد أوضح النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الله سكت عن أمور رحمة بنا غير نسيان، وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((أنتم أعلم بشئون دنياكم)).

فأمور المعاملات في جوانبها المختلفة من مدنية وجنائية ودستورية منها ما هو ثابت محكم، ومنها ما هو متجدد مرن، فالأسس والقواعد الكلية التي تشكل الإطار العام تتسم بالثبات والإحكام، وهي تلك التي جاءت بها الأدلة القطعية ثبوتاً ودلالة، ولا مجال فيها لتعدد الأفهام وتفاوت الاجتهادات، والفروع الجزئية والتفاصيل المتعلقة بالكيفيات والإجراءات ونحوها تتسم في أغلبها بالمرونة والتجدد، ويكفينا قول الله – عز وجل –: (والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

إن المشكلة لا تكمن في وفاء الشريعة بحاجات الإنسان ومصالحه الحقيقة، ولكنها تكمن في كبحها لجماح الأهواء، ووقوف أحكامها عقبة في وجه دعاة العربدة والتحلل، إن أهل الفجور يتهمون الشريعة بالجمود لامحالة؛ لأنها لا تساير ما في نفوسهم من الشهوات والأهواء. فلا تبيح لهم الخمر ولا الرقص المختلط، ولا الردة ولا التبعية لكفار الأرض، ولا ترويج بضاعة المستشرقين باسم الفكر الإسلامي ولا تزييف التاريخ باسم حرية البحث، هذه هي المشكلة حقاً.

المصدر : http://saaid.net

==============

#العلمانية وانكشاف الأجندة الخفية

أنور بن علي العسيري

في حراكنا الإعلاميّ والثقافيّ المحليّ يلحظ المتابع المحايد روابط تكاد تشكّل حلقة واحدة متّصلة رغم تقطّع مراحل ظهورها، وتنوّع وسائل التعبير عن نفسها.. الأجندة الخفيّة التي تحالفت وتناغمت في معزوفة ذات رؤية مرحليّة واستراتيجيّة واحدة؛ تكشف عُريها عبر الأعمدة الصحفيّة الناريّة التي تقذف حمم مهاجمة الصالحين، ومحاولة تهديم بيوت الدّعاة، وَ وَصْم المخيّمات الدّعويّة الشبابيّة بتفريخ الإرهاب، وإلصاق تهم التكفير والتفجير بمراكز الشباب الصيفيّة، ودعوة المسؤولين إلى الأخذ بيد الحزم سلاحًا للوقوف ضد تنامي الدّعوة ومحاولة توجيه الناس للخير.. والعذر العلمانيّ لديهم هو أنّنا مجتمع مسلم مئة في المئة ولا نحتاج مزيدَ إسلام!

ويتوّج كل هذه الهجمة المفتعلة من تيار القلّة الشّاذة عقد ندوة هنا أو مؤتمر هناك؛ لتوجيه أصابع الاتهام (الخفيّ) إلى الدّعاة بتكريس وترسيخ منهجيّة أداء العنف في عقل شباب الصحوة التاريخي.

هي حملة شرسة قطفت من ثمار التفوّق المادي الأمريكيّ العالميّ تفوّقها الوهميّ تتكئ على معطى خارجيّ، وتنظر إلى أيّ تقدّم تناله دولة المركز الليبرالي متنفسًا لها لتدعيم وجود صوتها في مجتمعنا.

ومنذ أنْ حلّت كارثة العلمانية في عقول بعض أبنائنا الذين انتقلوا إلى الغرب لتعلّم التطوّر التقنيّ فانسلت ونتيجة لظروف غيابهم عن الدين منذ نشأة الكثير منهم وما كان يعيشه مجتمع النشأة من تخلّف ماديّ قياسًا بهول صدمة التفوق الحضاريَّة منذ حلول هذا الداء الإقصائيّ في هذه العقول وفكر تحطيم الدين في قلب المجتمع المسلم هو الفكر الرائج، والذي يراهن عليه هذا التيار لهزيمة فريق الاستمساك بالثوابت الأصيلة، والتي يُنظر إليها على أنّها بوابة الماضي الذي يجب إهماله للدخول في عالم الحداثة العالميّة.

هذه الرؤية شغلت في إطار الوضوح الرقم صفر.. لأنّها علمت يقينًا بقوّة الدين في تشكيل حياة المجتمع ما جعلها تهرول نحو منابر الإعلام تتسربل برداء حبّ الدين وتسعى زاحفة إلى هدمه من الخلف.. عاشت هذه الأقلام سنين تتدثر بهذا الأداء (الخفيّ)منهج حياة تؤسّس على قاعدته مزيدًا من تهيئة العقول الشّابة، واختراق الصف إلا أنّها فشلت فشلا ذريعًا في تكوين قاعدة مجتمعيّة، أو تجسيد نموذج حداثيّ علمانيّ صالح للحياة في وسط مجتمع إسلاميّ يمجّد القدوة الشرعيّة ويحتفي بها طريقًا للحياة.

ورغم انهزامها إلا أنّ ظروف التغيّر العالميّ فتح مسار التعبير الأكثر وضوحًا لهذه الفئة الضّالة للاستقواء بالأجنبيّ، واعتباره قادرًا على إحداث التغيير المستقبليّ المنشود وفق خططهم لعلمنة أرض الحرمين متى هجم هذا التصوّر الغربيّ بقوّة مادّته وسطوته العالميّة على وطننا الإسلاميّ الحرّ

وتعتبر الكتابات الصحافيّة التي انتشرت في أصقاع الصفحات هذه الأيام نموذجًا يسجل لحظة تاريخيّة في حياة مجتمعنا المسلم على مدى ارتباط هذا الفكر بالسيد

الغربيّ! وعلى مدى التناسب الطّرديّ بين الشهرة وتخريب قيم المجتمع، فكلما نزع قلم إلى نزع حياء المجتمع وضرب قيمه كلما ازدادت شهرته، وبزغ نجمه في الإعلام المحتكر من قبل سلاطين الفكر الاقصائي المستغرب والأمثلة والشواهد كثيرة.

قلم: يبارك قرار تخفيض عدد المخيّمات الصيفيّة باعتبارها مراكز تفريخ الإرهاب والبديل الاحتفاء بنجوم الفنّ، وفتح أماكن للتطعيس وملاهي للرقص حتى ينجو المجتمع من تطرّف رجال الدّين!

قلم آخر: يقفز إلى الوراء بعيدًا وهو يخاطب المسؤولين من موقع مسؤوليته الصحافيّة، وخوفه على أبناء وطنه من التطرف بالحزم في وجه الدعاة المتجولين الذين يجوبون القرى والهجر يحملون بضاعة لا اله إلا الله محمد رسول الله.

يدعو هذا القلم إلى منع هؤلاء وتحديد أسماء رسميّة محدّدة للظهور في الإعلام بدل فتح المجال لكلّ داعية؛ فمجتمعنا مسلم عن بكرة أبيه ولا يحتاج مزيد إسلام!

قلم ثالث: يتوجّع من حال وطنه الذي استشرى في جسده نور الدين!! تنتشر مراكزه الصيفيّة في كل مكان، وتحلّق في أجوائه المخيّمات الصيفيّة، ويطالب بالتحديث وتغيير نظرة المجتمع للحياة، وزرع البسمة بدل اقتطافها، وذلك لا يتمّ إلا بمشروع مبارك لإحياء مزيد من الحفلات الموسيقيّة وفتح المجال أمام المرأة لمنافسة الرجل في عمليّة اختلاط لا تجد من ورائها أيّ فرصة حقيقيّة لبناء سوق عمل سعوديّ منتج بقدر ما هي دعوة لإحلال الفساد وتطبيع الانحراف في مجتمع آمن لم ير ولم يسمع من قبل شذوذًا بمباركة أبنائه!

أقلام تنحدر من أعلى قمم المسؤوليّة الأخلاقيّة تهوي بالأمة ألف خريف وهي لا تدري.. وأصوات تعالت حاسرة عبر الفضائيّات التي انتشرت انتشار النار في الهشيم لتفتح لهم (وبأموالنا) منافذ تأثير لم تحلم بها عقولهم القاصرة عن فهم أيّ شيء.

هاهم يمتطون كراسي التقديم والإعداد ليعلنوا عن هجومهم الرامي إلى إلصاق تهمة التطرّف بفكرنا الديني، وتوزيع الجرائم على المجتمع كل وفق تخصصه؛ فهذه الفئة تقتل إبداع النساء، وأخرى تحرمها من الميراث، وثالثة تمنعها من العمل، ورابعة تعتبر التحدّث عن الاعتدال سلوك غير طبيعي ينتهزه رجال الدعوة لعبور نفق

الإرهاب ناسية أو متناسية أنّ الإسلام دين الاعتدال، وأنّ علماءنا ودعاتنا أهل منهج الوسطيّة عقيدة لا تملّقًا وتقية!!

ومتجاوزين التاريخ الإسلاميّ العتيق الذي نزل وحيًا من السماء، وانتقل انطلاقًا من ارض الحرمين الشريفين مشكّلا أبناء هذه الجزيرة قدوات يتطلع إليهم الجميع منذ فجر التاريخ الإسلاميّ.

إنّ هذه الدعوات تهدف (إضافة إلى علمنة البلاد) إلى محاولة تحطيم القدوات الإسلاميّة التي يتقدمها أبناؤنا من علماء ودعاة إجلاء في صفوف المواجهة الحضاريّة الإسلاميّة مع الآخر إلى تقديم نماذج جديدة من القدوات المحليّة للعالم الإسلاميّ.. الرذيلة وطنها، والإسلام خصمها فتحلّ بارتفاع أسهم هذه النماذج نكبة كبرى في عالمنا الإسلاميّ عن بكرة أبيه؛ إذْ بانهيار المركز تتفتّت الأطراف.

دعوات خطرة وغايات هرمة وانتهازية مقيتة ومحاولات تصفية حسابات بالية في موطن يعيش أزمة وتربص شديدين ينبغي على من ملك فكرا نيرا أو قلما طيعا أن يدرك خطورة المرحلة وإسلامية هذه البلاد التي حباها الله بالحرمين الشريفين فذلك اعز وأنقى من الخضوع لولاية الغرب وحجز مقاعد التبعية الحداثية لمن يريد محاربة دين هذه البلاد والاعتداء على مقدساتها!

1425/6/23

2004/08/09

المصدر: http://www.islamtoday.net

============

#الإعلام الغربي في مواجهة العقيدة

عقيدة التوحيد هي جوهر الدين وأساسه، فالتأثير فيها سلباً أو إيجاباً هو أخطر التأثيرات على دين المسلم.

ولما كان الإعلام من أقوى المؤثرات - إن لم يكن أقواها - في عصرنا هذا على حياة الناس الفكرية والسلوكية، كان البحث في تأثير الإعلام الغربي على عقيدة المسلم المتعرض له؛ من أهم ما ينبغي أن ينشغل به الباحثون.

لذلك سرني أن يكون النظر فيه ضمن اهتمامات هذه المناسبة المباركة.

إن وسائل الإعلام ليست قاصرة – كما هو معروف – على الصحف والمجلات، والراديو والتلفاز، بل تشمل الكتب العامة والسينما، وربما المسرح، وتشمل الآن الشبكة العالمية (الانترنت).

لكنني أريد أن أضيف في هذا المقال إليها حتى الكتب المدرسية لعظم تأثيرها على الآلاف المؤلفة من أبناء المسلمين.

إذا استثنينا الإعلام الكنسي بكل وسائله – وهو إعلام لا يكاد يتعرض له المسلم – فربما استطعنا أن نقول إن الإعلام الغربي نادراً ما يتعرض للمسائل الدينية بطريقة مباشرة، فكيف يكون له إذن تأثير إيجابي أو سلبي على الدين؟

نعم إن له لتأثيراً أيما تأثير لأنه ليس من شرط التأثير أن يكون مباشراً، بل إن التأثير غير المباشر قد يكون أعظم من التأثير المباشر كما سنرى، وهو في غالبه تأثير سيء، وإن كان لا يخلو من بعض التأثيرات الحسنة، ونعني بالتأثير غير المباشر هنا تلك المعتقدات العلمانية الإلحادية المادية الشائعة في الغرب، والتي تفترض صحتها، والتي تكمن لذلك وراء تفسيراتهم للحوادث الطبيعية والاجتماعية والنفسية، وإن كان لا يصرح بها إلا نادراً.

التأثير السلبي:

تأثيرات الإعلام الغربي السلبية على عقيدة المسلم كثيرة، نذكر منها فيما يلي بعض ما يحضرنا ونراه مهما:

أولاً: من التأثيرات الشديدة الخفاء، البالغة الضرر؛ الاعتقاد السائد بين كثير من علماء الطبيعة والاجتماع – وبالتالي بين عامة المفكرين والصحفيين والمحللين في الغرب – أن التفسير العلمي للحوادث سواء كانت طبيعية أو اجتماعية هو ذلك التفسير القائم على افتراض أن هذا الكون مكتف بنفسه، وأن تفسير حوادثه ينبغي لذلك أن يكون من داخله، أعني أن الظواهر يجب أن تفسر بظواهر أخرى، وأن كل تفسير لشيء من حوادث الكون بإرجاعها إلى سبب خارج عنه هو تفسير خرافي غير علمي.

هذا هو المبدأ المفترض، لكنه لا يقرر بهذه الطريقة الصريحة التي ذكرتها، وإنما يفترض افتراضاً، وقد يفترضه ويلتزم به حتى من لم يفكر فيه من العلماء الطبيعيين، وسائر المفكرين، والصحافيين.

من مظاهر افتراضهم له أنهم يقفون في تفسيرهم للحوادث عند أسبابها الدنيوية – ظاهرة كانت أم خفية – ولا يتجاوزونها.

وما ذلك إلا للاعتقاد بأنها هي الأسباب الحقيقية الكافية، لكن المسلم مع اعتقاده بفاعلية الأسباب الطبيعية أو الاجتماعية أو النفسية لا يقف عند حدودها، بل يذكر نفسه بأنها إنما صارت أسباباً بجعل الله لها أسباباً، وأن الفاعل الحقيقي إنما هو الخالق سبحانه.

قيل للنبي – صلى الله عليه وسلم –: يارسول الله: أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئاً؟ قال: هي من قدر الله.[سنن الترمذي، كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى والأدوية]، قلت: إن هذا المبدأ الإلحادي قليلاً ما يصرح به، وأقول إن التزامه في الواقع قد لا يبدو فيه ما يخالف عقيدة المسلم، ما دام المسلم معترفاً بتأثير الأسباب المخلوقة وفاعليتها، لكن الأمر في الحقيقة ليس كذلك، إن المتلقي إذا كان لا يسمع لله ذكراً أبداً في كل ما يخبر به من حوادث طبيعية واجتماعية يوشك أن يتأثر بذلك المبدأ فينسى هو الأخر ذكر الله – تعالى–، وينحو نحو أصحابه في تفسيره للحوادث، فلا تكون له فيها عبرة.

المبدأ الغربي الثاني الذي أراه أيضاً ذا أثر سيئ، والذي أراه قد بدأ ينتشر حتى بين المسلمين في العالم الإسلامي بسبب التأثر بالثقافة الغربية التي تنقل عن طريق وسائل الإعلام؛ هو مبدأ النسبية.

أعني نسبية الحقائق والقيم، لقد أصبح من المسلمات عند كثير من الناس في الغرب أنه لا توجد حقيقة مطلقة، ولا قيمة مطلقة، وإنما الحقائق والقيم نسبية، أي إنها منسوبة وتابعة لزمانها، أو مكانها، أو الحضارة والثقافة التي ظهرت فيها، وهكذا.

فما قاله الناس في العصر الفلاني، أو اعتقدوه في المكان الفلاني، أو رأوه حسناً في الحضارة الفلانية، كل هذا صحيح أو معقول بالنسبة لهم، وإن كنا نراه نحن في ظروفنا أو زماننا أو حضارتنا على غير ما رأوه، وما دام الأمر كذلك فليس من حق

أحد أن يقول إن فهمه لنص من النصوص هو الفهم الصحيح، أو إن فهم خصمه خطأ، وأننا ينبغي لذلك أن لا نكون سلفيين في فهمنا للنصوص، فللسلف زمانهم، ولنا زماننا، ولهم ظروفهم، ولنا ظروفنا، بل قد رأيت بعضهم غلا في هذا الأمر حتى قال: إن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا يمكن أن يفسر القرآن لعصرنا لأنه لا يعرفه.

ثالثاً: الاعتقاد في المفهوم السلبي للحرية.

وإذا كان الاعتقادان السابقان مما يفترض ولا يذكر، فإن هذا مما يكثر ترداده والتصريح به، والدعوة إليه، والتفاخر به في كل أجهزة الإعلام، وقد أثر ذلك في الناس تأثيراً بالغاً حتى صار من المسلمات حتى عند كثير من المسلمين إن الحرية بمعنى أن الله – تعالى– أعطى الإنسان المقدرة على الاختيار، كما أعطاه المقدرة على العمل، أمر لا شك فيه، بل ربما كان هو مما يتميز به الإنسان.

وقد شاء الله – تعالى– أن يجعل الإنسان شائياً، ومسؤولاً عن مشيئته ((فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر))((إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً))، فالمنازعة ليست إذن في كون الإنسان ذا إرادة ومشيئة واختيار، وإنما هي في الطريقة التي تستعمل بها هذه المشيئة أو الحرية التي منحها الله – تعالى– للإنسان.

المفهوم السلبي للحرية يجعلها غاية في ذاتها، بمعنى أن كرامة الإنسان تزداد بازدياد استقلاله في اتخاذ قراره، أياً كان ذلك القرار، أي إن العبرة في الاختيار لا فيما يختار، وعليه فكلما مكن الإنسان من أن يفعل ما يشاء كان هذا أكرم له، وأكثر تحقيقاً لإنسانيته.

هذا المفهوم السلبي للحرية مفهوم قديم وإن تزيى بزي حديث، إنه المفهوم المرتبط بالاستكبار والكفر، وهو المفهوم الذي لجأ إليه قوم شعيب في احتجاجهم على أمره لهم بعبادة الله، وعدم الظلم في المعاملات المالية ((قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء))، وهو المفهوم الذي ذمه الله – تعالى– في قوله: ((أيحسب الإنسان أن يترك سدى))[القيامة:36] أي لا يؤمر ولا ينهى، فالإسلام يعلمنا أن كرامة الإنسان لا تتحقق بمجرد الاختيار، لأن هلكة الإنسان قد تكون فيما يختار ((وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى

فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون))[فصلت: 17]، وإنما تتحقق باختياره للحق وللخير، ولما يختار له ربه ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً))[الأحزاب:36].

رابعاً: في الإعلام الغربي هجوم على المسلمين ولا سيما العرب، هجوم قال عنه إدوارد سعيد: إنه من النوع الذي لم يعد مقبولاً في الغرب حين يوجه لليهود، أو السود، أو الآسيويين، أو الأفارقة، يتهم العرب بعدم الأصالة، وبالمحافظة، وبعدم المقدرة على التحضر، وبالإرهاب، بل وبالتواكل وبالقذارة، ثم يقال: إن سبب هذا كله هو الإسلام، هذا كلام يبدو لأمثالنا سخيفاً لا يستحق حتى أن يرد عليه، لكن ينبغي أن لا نقلل من تأثيره على شاب في مقتبل عمره، ولد في بلد غربي وترعرع فيه.

عندما ظهر كتاب الآيات الشيطانية طلب مني إخواننا في مجلة Impact أن أكتب نقداً له، فعندما قرأته قلت لهم كلاماً فحواه: " أنه كتاب سخيف ثقيل، ما أظن أحداً سيكمل قراءته، فأرى لذلك أن لا تهتموا به، بل اتركوه ليموت "، لا زلت أذكر ردهم قالوا: إن الكاتب معروف في أوساط الشباب ذوي الأصول الهندية الباكستانية، وأنهم قارئوه لا محالة.

خامساً: يكثر في الإعلام الغربي الحديث عن الدين بطريقة هازلة، ولإثارة الضحك، حتى فيما يتعلق بالخالق – سبحانه وتعالى –، ويكثر فيه وصف الخالق بكلمات لا احترام فيها، كما نرى ذلك مثلاً في عنوان الكتاب الذي دخل ضمن أكثر الكتب بيعاً في أمريكا إن اسمه: سيرة الله – تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً –، إن كثيراً من المسلمين المعاصرين لا يدرون أن الكلام عن الخالق بمثل هذه الطريقة يخرج صاحبه عن ملة الإسلام، ألم يقل الله – تعالى– عن بعض أمثال هؤلاء: ((ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)).

سادساً: ومما يتصل بهذا أنهم لم يعودوا يأخذون الدين مأخذ الجد، لكنهم يصورون هذا بأنه تسامح، وسعة أفق، ويصمون كل من يبدو منه استمساكاً شديداً بالدين بالتطرف، أو ضيق الأفق، والتعصب، وعدم العقلانية، وهكذا.

لذلك تعجب كثير من الغربيين من الضجة التي أثارها المسلمون بسبب ما قاله مؤلف الآيات الشيطانية عن الله – تعالى–.

وقد تأثر الإعلام في البلاد العربية والإسلامية بهذا الانحراف، فعاد هو الآخر يطبقه على كل من يبدو منه شدة استمساك بنصوص الكتاب والسنة، وعاد يمدح كل منتسب للعلم يبدو منه هذا النوع من التحلل.

سابعاً: الإعلام الغربي – التلفاز، والمجلات، والقصص، والأفلام، والانترنت؛ مليء بإثارة الشهوات الجنسية بكل نوع من صور الإثارة، بالكلمة والصورة، بالشعر والقصة، بأخبار المنحرفين، وبنشر الفضائح.

قد يقال لكن ما علاقة هذا بالعقيدة التي هي موضوع بحثنا؟ وأقول: نعم، إن الإنسان قد يقع في المعاصي الجنسية ويظل مع ذلك محتفظاً بإيمانه، وصفاء عقيدته، لكن من هنالك صلة بين الشهوات والشبهات كما نبهنا إلى ذلك علماء السلف، فالذي يكثر يشتد ضعفه أمام الشهوات فيضعف قلبه، فيكون مهيأ للتأثر بالشبهات المتعلقة بالعقيدة، كتلك التي ذكرناها آنفاً.

ثامناً: وهنالك شبهات مباشرة وجدت في الانترنت مرتعاً خصباً لها، شبهات يثيرها خصوم الإسلام المختصون بمحاربته على صعيد الفكر، ويثيرها أهل الأهواء من المنتسبين إلى الإسلام من مفكرى الفرق الضالة، كلاهما أصبح يتستر وراء هذه الشبكة، ويعلن فيها ما قد يتردد من التصريح به في وسائل الإعلام الأخرى، وقد رأيت بعض الشباب يتابعون ما ينشر في أمثال هذه الصفحات، ثم يأتون ليسألوا عن كيفية الرد عليها، لأن علمهم بالدين قليل، والشبهات قوية مضلة.

تاسعاً: وربما كان سبب هذا كله أن في الغرب عدم اطمئنان إلى الدينين الشائعين فيه، وعدم ثقة برجالهما، بل وشك في إمكانية الاستقامة، وهذا داء في الغرب قديم أكثر ما يظهر في الأدب، حتى لقد قال أحد نقادهم – أظنه الدوس هكسلي –: إنه لا يوجد في أبطال روايات شكسبير رجل خير، وأنت تلاحظ هذا في القصص التي يقرؤها الناس بشغف.

إن الشخصية المستقيمة أو المتدينة في القصة كثيراً ما تصور بأنها شخصية منافقة، تفعل في الخفاء ما يخالف مسلكها الظاهري، حتى لقد أصبحت المجاهرة بالسوء

نوعاً من الصدق مع النفس والصراحة، وبما أن الغربيين لا يعرفون ديناً غير دينهم فإنهم لا يتحدثون عن اليهودية والنصرانية بخصوصهما، وإنما يتحدثون عن الدين بصفة عامة، ومن هنا يأتي خطر كلامهم على الطفل أو الشاب المسلم الذي يعيش بين ظهرانيهم، بل حتى الذي يتعرض في بلده الإسلامي لإعلامهم وثقافتهم.

الآثار الحسنة:

مع كل ما ذكرنا من مثالب الإعلام الغربي فيما يتعلق بالعقيدة، فإن له محاسن تتعلق بها ليس من الإنصاف تجاهلها، من ذلك:

أولاً: أن البلاد الغربية أضحت في زماننا هي موطن الكشوف العلمية والتقدم في العلوم الطبيعية، وأضحى إعلامها هو المختص بإذاعتها على المستوى العالمي، حتى لو حدث الاكتشاف في بلد غير غربي، فهنالك قنوات تلفازية كالقناة الأمريكية المساة Discovery، وقناة وكالة Nasa، وهنالك مجلات أسبوعية كمجلة Scientific American، ومجلة Discovedry الأمريكية، ومجلة New Scientist الإنجليزية، وهنالك البرامج العلمية التي لا تكاد تخلو منها إذاعة غربية، وقد تطورت هذه الكشوف تطوراً هائلاً، فأظهرت من عجائب صنع الله – تعالى– في العالم الخارجي، وفي المخلوقات الأرضية الدقيقة ما يكاد يجعل من المستحيل على الملحد أن يستمر في الادعاء بأن كل هذا إنما حدث مصادفة، وبغير قوة مدبرة.

ولهذا فقد بدأ بعض هؤلاء الملحدين يتراجعون عن إلحادهم، وصار بعضهم يشك فيه، أما المؤمنون بوجود الخالق فقد زادتهم هذه الكشوف إيماناً، وأما المسلمون منهم فإنها لا تكون بالنسبة لهم تأكيداً لوجود الخالق فحسب، بل زيادة يقين بدينهم، وعودة إليه إن كان قد حدث عنه منهم بعد.

ثانياً: من الحقائق التي لا يزال العقلاء من المفكرين الغربيين يكررون التذكير بها، ويحذرون من مغبتها، والتي يراها المعايش لهم، والمتتبع لأخبارهم في إعلانهم، أنه قد صاحب بعدهم عن القيم الدينية تدهور في الحياة الخلقية؛ فالمخدرات، والإباحية الجنسية؛ تزداد انتشاراً حتى بين الصغار من طلاب المدارس، ويزداد معها اللجوء إلى العنف والقسوة، وقد اعتبر بعض المسلمين بهذا فرجعوا إلى دينهم بعد أن كانوا

قد بعدوا عنه، سئل أحدهم: ما الذي أعادك إلى دينك؟ فأجاب: قلت في نفسي إذا كانت هذه هي نتيجة الطريق الذي أنا سالكه فإنها نهاية لا أريدها.

بل إن كثيراً من الآباء والأمهات في أمريكا صاروا يفرحون بإسلام أبنائهم وبناتهم حين يرون التغيير الذي طرأ عليهم، لقد صار الغرب في هذا المجال عبرة لكل عاقل معتبر.

نسأل الله تعالى أن يهديهم للدين الحق، ويقيهم من مصائر هذا الطريق الذي هم سالكوه.

ثالثاً: بالرغم مما في الشبكة العالمية من العيوب التي ذكرناها، إلا أنها أتاحت للمسلمين فرصة لم تتح لهم من قبل في وسائل الإعلام الأخرى لتعريف الغربيين بالإسلام، وللرد على الشبهات التي تثار حوله، ولتكون منبراً مفتوحاً للحوار بين المسلمين أنفسهم، وللرد على أسئلة السائلين منهم ومن غيرهم، ونحن وإن لم نكن قد استفدنا من هذه الوسيلة الجديدة الفائدة التي تبيحها لنا؛ إلا أن الشباب المتابعين لما ينشر في صفحاتها الإسلامية – وما أكثرهم – قد انتفعوا بها، وشغلوا بها عن المداومة على مشاهدة التلفاز، ولم يقتصر نفعها على المسلمين، بل إن بعض المشاركين من غير المسلمين يطلع عليها، ويبدي لأصحابها ويكتب لهم فيها مستفسراً أو طالباً لمزيد من المعرفة، بل لقد كانت سبباً لهداية بعضهم إلى الإسلام.

المصـــدر :
4137http://www.almuhayed.com/details.asp?num_of_issue=4196&num=7&pic=

=============

#دعوات شيطانية

عباس الضالعي

من منا لا يعرف وجه الصراع القائم بين الحضارات، ومن منا لا يعلم مدى الغبن الذي يعيشه المسلمون، والشعور بالضعف الذي ينتابهم أمام غطرسة الأعداء، فجحافل الاستعمار قد حضرت مجتمعة: سياسية، اقتصادية، اجتماعية، بل وعسكرية، تجتاح بلاد المسلمين، وتجوبها شرقاً وغرباً، إذن ماذا ينتظر المسلم بعد

ذلك؟! ماذا يمكنه أن يفعل ومع من يتعامل؟! غزو في كل مجالات الحياة، ولا نستطيع أن ننكر ما تمر به الأمة من كرب عصيب؟؟

إن الأهداف التي ينبغي على المسلم سلوكها هي التبصير بمكائد الغرب، والوعي بما يريد الغرب لنا من انحطاط الأخلاق والقيم، وتبعية الفكر والاقتصاد والسياسة؛ لكي ينتظر المسلمون ما يأيتهم من الغرب، ثم لا يكون لهم سوى التطبيق والاستهلاك.

لقد حاد الغرب عن فكرة أن يرتد المسلمون ليدخلوا في النصرانية إلى فكرة أخرى هي إخراج المسلمين من دينهم إلى اللا دين – أو ما يسمى بالعلمانية –، فقد ذكر المبشر المسيحي زويمر أن بريطانيا عندما أرسلت المبشرين النصارى إلى بلاد المسلمين قيل لهم: أن مهمتكم ليست إخراج المسلمين من دينهم إلى النصرانية، فإن ذلك إكرام لهم، ولكن مهمتكم إخراجهم من النصرانية إلا اللادين، ويعني ذلك أن يبقى المسلم بلا هوية، بلا طابع، بلا دين، وهذه هي الكارثة التي وقع فيها بعض المسلمين، حيث أنهم انحازوا إلى شعارات تخالف الدين سواء كان الشعار: قومياً، اشتراكياً، رأسمالياً، أو غيرها من المسميات، وهذا نتج عن التأثر بثقافة الغرب وأفكاره.

إن الشعارات التي تعصف بالأمة لتبعدها عن هويتها انحراف يجب الوقوف أمامه، ولو دققنا قليلاً في الأفكار المطروحة على الساحة اليوم لوجدنا معظمها بل جلها تسير وفق وجهة النظر الغربية، ولو تزيَّا بعضها بلباس إسلامي جميل، كالدعوة إلى الاشتراكية الإسلامية مع قيام التناقض الواضح بين الاشتراكية والإسلام، فكلاهما على النقيض من الآخر.

فهل يعي المسلمون ما يدور؟ وهل يدركون ما يحاك من وراء الكواليس؟ هل يتنبهون إلى ما تحققه هذه الدعوات من تشويه للدين وطمس له؟ ألم يأن للمسلم أن يصف هذه النظريات بأنها دعوات شيطانية؟؟

المصدر : http://www.islamselect.com

===========

#العلمانية : النبتة الغريبة عن الحضارة الإسلامية

د. محمد عمر دولة

مصطلح (العلمانية) يعني (اللادينية)؛ فهي دعوة إلى هجران التعاليم الدينية كلها، وفي الحياة السياسية تعني فصل الدين عن الدولة. ويلاحظ أنه لا علاقة لاسم العلمانية (SECULARISM) باصطلاح العلم (SCIENCE).

ما هو سبب ظهور العلمانية في الغرب؟

ظهرت هذه الفكرة في القرن السابع عشر في أوروبا نتيجة المعارك الكنسية مع العلم والعقل والحرية الفردية. فقد كانت محاولةً لحبس الدين في ضمائر الأفراد، وردّة فعل للسجن الطويل الذي مارسته الكنيسة على أهلها، فخنقت حريات الأفراد، وحبست ملكات العقل، وحاربت حقائق العلم. فهي دعوة إلى تقهقر الكنيسة إلى الشعائر والمشاعر الشكلية، وتقوقع الدين في المراسم والمواسم؛ ليعود الشعار "أعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله".

ما هي الجذور الفكرية للعلمانية؟

يضاف للمشكلة الكنسية، وانقلابها إلى "عاملٍ مُعوِّقٍ عن الحياة، مضادٍّ للعلم والحضارة والتقدم والرقي، محقّرٍ للإنسان ونزعاته الحيوية، مُهْمِلٍ للحياة الدنيا"[1]، يُضاف إليها الدور اليهودي؛ إذ ليس غريباً "أن يكون اليهود وراء فصل الدين عن الدولة"، كما صرح بذلك الكاتب الأمريكي وليام غاي كار في كتابه (أحجار الشطرنج)؛ "بغية القضاء على الدين الذي حرّفوه، بتعطيله عن المجتمع داخل جدران الكنيسة"[2]؛ لأنّ العلمانية تذيب الفوارق الدينية الهائلة بين اليهود وغيرهم من الشعوب والأمم [3]، ولا يخفى هاهنا دور أدبيات المفكرين اللادينيين من اليهود وغيرهم من (الليبراليين)، الذين يسحبون ذيل التجربة الغربية مع الكنيسة على ما سوى ذلك من الأديان؛ ولذلك نجد أنّ أُسُسَ العلمانية مستمدةٌ من كتاب (أصل الأنواع) لـ(دَارْوِن) 1859م القائل بنظرية التطوُّر، وكتابات (نيتشه) عن الإنسان الأعلى (السوبرمان)، وأدبيات (دور كايم) عن (العقل الجمعي)، وتحليل (فرويد) للسلوك الإنساني بـ (الغريزة الجنسية)، وكتابات (كارل ماركس) عن (المادية الجدلية والتاريخية)، وأدبيات سارتر عن (الوجودية)...

كيف انتقلت (اللادينية) إلى العالم الإسلامي؟

لابدّ للجواب على هذا السؤال الكبير من استدعاء جملة من الدعائم التي سوّغت لبعض النُّخَب في العالم الإسلامي تسويق هذه الفكرة، في زحمة استيراد عوامل النهضة على طريقة التحديث الغربي؛ إسقاطاً لتجربة الغرب، وتغييباً لذاتية الشرق ومقوماته الحضارية.

فأُولى هذه الدعائم: الإرساليات الأجنبية بمختلف أنشطتها التبشيرية، التي كان لها أضرار جسيمة؛ إذ "لم يتوانَ المُرْسَلُون في إطار التوسع وتكريس الهيمنة عن تدعيم خليط من رجال الأعمال والمغامرين السياسيين والمستعمرين والمستشرقين في عملياتهم التوسعية، التي تهدف إلى استطلاع المنطقة، وترسيخ دعائم السيطرة الأوروبية في أذهان الأهالي، ومحاولة احتواء الثوابت الدينية والمذهبية عندهم"[4].

وثانية هذه الدعائم: الاستشراق وأيديولوجية الهيمنة؛ إذ لم يكن القصد من الدراسات الاستشراقية تجريد الشرق من كل مزاياه الفكرية فحسب، وإنما تأسيس خطاب فكري للآخرين؛ يبرّر من خلاله للمركزية العرقية الأوروبية زعزعةَ ثقة الشعوب الشرقية بذاتها وبمعاييرها، وتدمير مجتمعاتها وعوامل الاستمرارية والثبات عندها.

وقد عملت في سبيل تحقيق هاتين الرغبتين على تسخير طائفة من الكُتّاب الحاقدين، الذين أسقطوا عداوتهم على دراسة الإسلام؛ بناءً على الصُّوَر المشوّهة في أذهانهم؛ فجاءت غالب بحوثهم في منتهى التعصب والإجحاف والتزوير، وكانت عبارة عن تبريرٍ لأطماع الغرب الباحث عن مستعمرات وراء البحار، واستلحاقٍ لأهل الشرق الباحثين عن طريق للخروج من الانحطاط.

وقد بثوا سمومهم الصليبية طعناً في القرآن وتشكيكاً في السنة، وإحياءً للخلافات والنعرات والعصبيات في التاريخ الإسلامي، وإبرازاً للصفحات السوداء . فقط! . من تراث الحضارة الإسلامية. فقد مثّلتِ الدراسات الاستشراقية جنايةً على الإسلام والإنسان وتنكّبتِ الموضوعيةَ العلمية، وكشفت الروح الصليبية التي تحكم كتابات (غولد زيهر)، و(شاخت)، و(مونتغمري وات)، و(نويل ج. كولسون)، و(مرجليوث)، و(يودوفيتش)، و(رينان)[5]..

وثالثة هذه الدعائم: المسألة الاستعمارية القائمة على النّرجسية العرقية الغربية، كما يجده دارس أدبيات ما قبل الاستعمار من تكريس فكرة أحقية الغرب في استتباع

العالم ببَلْوَرَة المفاهيم المركزية الغربية، وتظافرها مع التبشير باسم (العقل) و(العقلانية) و(الموضوعية العلمية). فالمتأمِّل في كتابات (هيجل) [6] مثلاً يرى نموذجاً من طغيان الفكرة الاستكبارية الغربية؛ التي كانت أساساً ومبرِّراً للحملات الاستعمارية الصليبية، حيث شحن كتبه بالافتراء على الحضارات الأخرى وتحقيرها؛ ليسوِّغ إلحاقها بالتبعية إلى المركزية الغربية كما في مقولاته المشهورة: "لا توجد فلسفة بالمعنى الحقيقي إلا في الغرب"، و"في الطبعِ الشرقيّ الروحُ غارقةٌ في الطبيعة"، و"الفكر هنا غيبيٌّ تماماً"؛ وبناءً على ذلك تأسست أيديوجية الشعب المتحضر المسيطر على غيره من الشعوب المتوحّشة، كما عبّر (هيجل) عن ذلك بأنه "الحق الذي يملكه الشعب المسيطر على التاريخ العالمي؛ لأنه ممثل الدرجة الراهنة لروح العالم، أما بقية الشعوب فهي بلا حقوق ولا يحسب لها حساب في التاريخ العالمي"؛ لأنّ بقية الشعوب "برابرة لم يبلغوا . بَعْدُ . نفس اللحظة الجوهرية؛ لذلك نتعامل مع استقلالها كشيء شكلي".

فقد أصبح الاستعمار . إذن . عملاً (إنسانياً) يسوّغ غزو الشعوب المسماة بالمتوحشة، وفي ذلك يقول (فيري) بكل جرأة واستكبار: "لا بد من القول علنا أن الأعراق المتفوّقة لديها كامل الحق إزاء الأعراق الأدنى".

ورابعة هذه الدعائم: عقلية الاستتباع التي ارتضاها نخبة من ذوي الانبهار بقدرات الاستكبار الغربي ومن فيهم (قابلية الاستعمار) . بتعبير مالك بن نبي . ومن قَبْلِه علاّمة الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون – رحمه الله – القائل: "إنّ المغلوب مُولعٌ بتقليد الغالب". فقد عاش بعض (المُتَعَالِمين) من العالم الإسلامي اغتراباً كاملاً عن المقوّم الحضاري، واستجابةً عارمةً للنداء الاستكباري؛ حيث صدّق عليهم الاستعمار ظنه فاتبعوه، واستخفّهم ببُنَاه المعرفية وفلسفته المادية فأطاعوه؛ وصاروا معاولَ هدمٍ في صرح الثقافة الإسلامية .كما تراه في كتابات (طه حسين)، و(أحمد أمين)، و(علي عبد الرازق) .، وعواملَ نقضٍ لمقوّمات الهويّة والذاتيّة الحضاريّة. فقد صنع الاستعمار هذه النُخَب على عينه، وربّى عقولها ووجداناتها وتوجّهاتها وفق فلسفات مرجعيّته الفكرية؛ حتى غدَوْا متنكِّرين لِقيَمهم الدينية، مستكبرين على ثقافتهم الذاتيّة.

إذن، فقد كانت أخطر دعائم العلمانية في البلاد الإسلامية: استقطاب الخطاب الاستعماري فئاتٍ أصبحت تمثل منظومة الاستكبار الغربية، لكنها غريبةٌ معزولةٌ في ديار الإسلام، "جُزُرٌ في أوطانها" بتعبير (غريغوار)[7]. ويكفي في بيان استضعاف هذه النخبة وانهزامها واستتباعها ما كتبه أحد روادّها (د. طه حسين): "لقد التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كلّه أمام أوروبا، وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال ومعاهدة إلغاء الامتيازات إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأن نسير مسيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع؟ فلو أننا هممنا الآن أن نعود أدراجنا، وأن نجبي النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً و لوجدنا أن أمامنا عقاباً لا تُجاز ولا تُذلّل، عِقاباً نقيمها نحن، وعِقاباً تقيمها أوروبا؛ لأننا عاهدناها أن نسايرها ونجاريها في طريق الحضارة الحديثة"[8]!

لماذا فشلت المناهج العلمانية في بلاد المسلمين؟

من أهم أسباب الفشل الذريع الذي وجدته العلمانية في العالم الإسلامي: أنها كانت مصادمةً للثوابت الدينية، وأنّ الذين استوردوها قد أغفلوا الفروق بين الواقع الغربي والواقع المسلم، فأسقطوا التجربة الكَنَسِيَّة البابويةَ المحاربةَ للعلم على واقعٍ مخالفٍ تماماً؛ فهي شجرةٌ قُطِعت من جذورها. ورحم الله مالك بن نبي حيث قال: "إن شيئاً ما قد يموت إذا قُطِع عن وسطه الثقافي المعتاد"[9]، وإنّ "الفرد إذا فقد صِلَته بالمجال الثقافي فإنه يموت ثقافياً"، وكما أنّ لكل مجتمع "مقبرة يستودعها موتاه، فإن لديه مقبرةً يستودعها أفكاره الميتة، الأفكار التي لم يعد لها دور اجتماعي"[10]، وإنّ من أخطر أشكال العدوى: "ذلك الذي ينقل الأمراض الاجتماعية من جيل إلى جيل"[11]، و"هذه الجراثيم الخاصة أفكار معدية، أفكارٌ تهدم كيان المجتمعات وتعوق نموها"[12].

وأخيرا نُسجّل . بناءً على انبتات العلمانية في ديارنا . أنّ تحضُّرَ الإنسان لا يكون إلا بتحدُّره من ثقافته كما يتحدَّر الجُمان، وأنّ الخروج من الانحطاط ليس بحثاً وراء المحيطات ولا استغراباً أو استيراداً للفلسفات، بل هو تحرير للذات، وانبعاث للثقافة من مكنونات الأمة، واستنهاض ما فيها من قدرات.

____

[1] العلمانيّون والإسلام، للشيخ محمد قطب: 17.16.

[2] أساليب الغزو الفكري، د. علي محمد جريشة: 60.

[3] راجع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي: 690/2.

[4] راجع: مقدّمات الاستتباع، غريغوار منصور مرشو: 52 53.

[5] راجع: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مطلع الخامس عشر الهجري. وهو كتاب نافع يقع في مجلدين كبيرين.

[6] انظر: كتابين لـ(هيجل): دروس في تاريخ الفلسفة، وأساليب فلسفة الحقوق.

[7] مقدمات الاستتباع: 53.

[8] مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين: 36/1 37.

[9] مشكلة الثقافة، مالك بن نبي: 55.

[10] المرجع السابق: 50.

[11] مشكلة الثقافة: 46.

[12] المرجع السابق: 14.

المصدر: http://saaid.net

============

#العلمانيون من زاوية أخرى

صفاء الضوي العدوي[1]

المتابع لجرأة العلمانيين، واعتدائهم على أصول الإسلام وشرائعه في دياره في هذه الأيام يجد نفسه حيال هذه الظاهرة العجيبة مدفوعاً للتساؤل: كيف أمِن هؤلاء العلمانيون على أنفسهم من غضبة الشعب المسلم، وإنكار العلماء عليهم؟ وكيف اطمأنوا إلى أن الوالي لن يغضب لله، فيقوم بواجبه في حماية الدين وحفظ حرماته، وردع الزنادقة، وقطع دابر المفسدين، وهي المهام الأصلية للحاكم المسلم التي لو قام بها لما جاز لأحد أن يخرج عليه؟!.

إن المسلمين يتلقَّوْن هذه الإهانات صباح مساء، ويسمعون ويقرأون تلك الاعتداءات على أصول دينهم بحزن وأسى وغيظ، ويحبسون في صدورهم – حتى الآن – غضباً كبيراً، لا يعلم إلا الله متى ينفجر.

وإن العلماء والدعاة والصالحين يُنكرون هذه الأقوال الشنيعة، ويجأرون بالشكوى إلى الله من غربة الإسلام في دياره، بعدما يئسوا من جدوى الشكوى إلى الحكام.

إذ لم يعد كثير من حكام المسلمين يشعرون بالمسئولية أمام الله، كما أنهم أصبحوا لا يأبهون بسُخط شعوبهم، ولا يحفلون بدروس التاريخ وعِبَره إن كانوا قرؤوه. وهذه حقيقة لا تحتاج إلى مراء، بل يدركها المراقب المنصف دونما جهد أو عناء.

فبعد أن كان الحكام والعلماء والشعب المسلم صفاً واحداً، يعظِّمون الدين، ويلتزمون أحكامه، ويطَبقون شرعه، ويشيعون أخلاقه، ويحافظون جميعاً بعزم وصدق على وحدة الأمة، باتوا – وياللحسرة – صفَّين!: صفّ العلمانيين ومعهم معظم الحكام والمتنفذين، يشيعون المفاسد، ويجرئون الزنادقة، ويبعثرون جهود الأمة في صراعات داخلية لإلهائها عن أعدائها المتربصين بها من اليهود والنصارى. وصفٌّ الشعب المسلم ومعهم العلماء والدعاة والصالحون، يدافعون في ذهول عن دينهم بجهد ضعيف، وتخطيط هزيل بسبب ما يمارس عليهم من مكر وكيد بل وكافة صنوف القهر والاضطهاد.

أما الشعوب فيدوخونها بالركض ليل نهار في طلب لقمة العيش، هذا فوق ما يمارسونه على الضعفاء من أبناء المسلمين من فتنتهم بالشهوات والإغواء عبر ألوان من وسائل الفتنة بالسينما والمسرح والتلفاز والصحف وغيرها.

ولا ريب أن هذه الحملات المسعورة من العلمانيين على الإسلام لم تكن لتظهر فضلاً عن أن تستمر وتُرفع لها الرايات إلا وهي مدعومة من بلاد الكفر في الغرب من خلال برامج الانفتاح، وحرية الرأي، وحقوق المرأة، وضرورة التجديد في الفكر الإسلامي، وغير ذلك من الشعارات الزائفة، والتي أخفوا تحتها كيدهم وحقدهم ومؤامراتهم على الإسلام وأهله.

وفوق دعم الغرب لابد أيضاً من مساندة الأنظمة العلمانية في بلاد المسلمين، وإعطاء الضوء الأخضر لهم. ولا عجب[بعضهم من بعض].

ويا لغباء العلمانيين، ويا لغفلة هؤلاء الحكام والمتنفذين عن سنن الله لم تتبدل ولم تتخلف على مدار التاريخ!، ومن هذه السنن أن الناس إذا نسوا الله خالقهم، وتركوا شرعه، وعصوا أوامره، استحالت حياتهم إلى شقاء كبير، وبؤس مرير.

ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين.

ثم نرى المباينة الهائلة والمناقضة التامة بين ما أوجعوا رؤوسنا به من ضرورة الحفاظ على الوحدة الوطنية، ويعنون بها تماسك الجبهة الداخلية للمواطنين من الأغلبية المسلمة الساحقة، والقلة النصرانية كما هو الحال في مصر، وبين ما هو ضروري لازم من المحافظة على وحدة الأمة المسلمة، وتجنب كل ما يمس هذه الوحدة من مثل ما يفعله هؤلاء العلمانيون من شق للصف وتقطيع للمجتمع.

ولنعد مرة أخرى فنسأل: أليس في تعميق الهوة بين المسلمين بإشاعة هذه الأقوال والأفكار الصادرة عن العلمانيين، والسماح لهم بإظهار معاداتهم للإسلام وشرائعه وأخلاقه تمزيق لوحدة الأمة المسلمة، حيث أصبح الصراع محتدماً بين العلمانيين والإسلاميين؛ فالعلمانيون يتطاولون على الشريعة، ويمرقون من الالتزام بأحكامها، ويوجهون سهامهم المسمومة، وأفكارهم المنحرفة للقضاء على الخلق والفضيلة، ويثيرون البلبلة والتشكيك في أوساط الشعب المسلم بما امتلكوا من وسائل التأثير والتوجيه في الصحف والإذاعة والتلفاز وغيرها، حيث يعبثون فيها بجهل وخبث بقضايا إسلامية حسمها القرآن والسنة، وانتهت إليها قرارات المجامع الفقهية في العالم الإسلامي، بل إن بعضهم وصلت به الجرأة والزندقة والوقاحة أن يتطاولوا على شخص النبي المصطفى – صلى الله عليه وسلم – كما في حادثة ذلك الدكتور الكويتي الأثيم.

لقد أصبح في المجتمع إسلاميون وعلمانيون؛ إسلاميون يدافعون عن الإسلام وشرائعه وقيمه وأخلاقه، وعلمانيون كارهون للإسلام وشرائعه وقيمه وأخلاقه وثوابته.

خصمان اختصموا في ربهم، ومع الفريق الأول وقف الحكام يؤيدونهم ويناصرونهم.

ومع الفريق الثاني رب هذا الدين تبارك اسمه.

وها هي وحدة الأمة يضربها العلمانيون وحلفاؤهم في الصميم.

إنهم يسعون جاهدين في جعل الأمة تتقبل باطلهم، إن هدفهم هو أن تفقد الأمة هويتها وذاتها، وذلك بالدعوة الدؤوبة إلى أن نتلقى من الغرب الكافر أسس الحياة، وأن نصبغ مجتمعاتنا المسلمة بما صبغ الغربيون به مجتمعاتهم من اللادينية وانعدام القيم، وإطلاق الشهوات دون رادع أو ضابط، والانفكاك من قيود الدين والأخلاق، ولهذا كان أشد ما أصابهم، وأحبطهم هو عودة الوعي إلى شباب الأمة، والذي تمثل في هذه الصحوة الإسلامية المباركة، والتي أبت إلا الرجوع بصدق ووعي وقوة إلى الإسلام وقيمه وأخلاقه.

إن هؤلاء العلمانيين في بلادنا هم فلول من التائهين، أخذوا شيئاً من الثقافة الغربية، وجهلوا حقيقة الإسلام، إنهم حصاد الهشيم لذلك الزرع المرّ الخبيث الذي زرعه أساتذتهم الذين خانوا أمتهم ودينهم وأوطانهم، من أمثال لطفي السيد، وسلامة موسى، وقاسم أمين، وباقي أفراد العصابة الآثمة التي طعنت أمتها، وقدمت للأعداء أعظم الخدمات.

لقد تربوا على كره الإسلام ومخاصمته، فلم ينظروا فيه ولم يتعرفوا على عظمته، ولم يهتدوا بنوره، فهم جهلة به، والمرء عدو ما يجهل، لقد استحضروا في أذهانهم حال النصرانية في أوروبا في عصورها المظلمة، وما كانت عليه الحال من فساد الكنيسة وطغيانها، واشتعال الصراع النكد مع العلم، واضطهادها للعلماء، وفشلها الذريع في مواكبة التقدم العلمي في العصر الحديث، ونبْذ الغربيين للكنيسة من حياتهم وإقامتها على أساس القيم المادية النفعية فحسب، حيث كانت الكنيسة تمثل كابوساً بغيضاً؛ مهيناً للإنسان، معطلاً لعقله. ثم ما حصل لهم بعد ذلك من التقدم العلمي والازدهار الاقتصادي. فراح هؤلاء الجهلة يسقطون واقع الغربيين على واقعنا نحن المسلمين، وصورت لهم أذهانهم الضعيفة، وجهلهم بتاريخ المسلمين، أن بقاء الإسلام في ديار المسلمين هو العقبة أمام التقدم والازدهار، وعموا وصموا عن إنجازات المسلمين الأوائل في مجال العلوم الإنسانية في مجالاتها المختلفة، وأن سبب الركود والضعف والتأخر الذي أصاب المسلمين هو نتيجة طبيعية وحتمية لتخليهم عن دينهم، والسماح له بالغياب عن واقع حياتهم، وابتعادهم عن الفهم الصحيح للإسلام اعتقاداً وسلوكاً، فجاءوا بمعاولهم، وراحوا يهدمون.

فماذا كانت النتيجة، تنامت عقدة النقص عند هؤلاء فبالغوا في جرأتهم على قضايا الدين، وتقاعست الأمة في الأخذ على أيديهم، فباضوا وفرخوا، واستفحل خطرهم في المجتمعات الإسلامية، وساعدهم أسيادهم من اليهود والنصارى على الوصول إلى المناصب العالية والاستيلاء على مراكز التوجيه والتعليم والتأثير، وانطلقت مسيرتهم المشئومة تعصف بالأخلاق، وتهز أركان الإيمان، فلم تترك فضيلة إلا جهدت في توهينها في النفوس، ولم تترك رذيلة إلا سعت إلى تهيئة الناس لتقبلها، ليتحقق لهم ما أرادوا من تقليد الغرب، لنتقدم مثلما تقدم، ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف، لم يبالوا بما وقع، حيث خرجت أجيال ممسوخة لديها قدر كبير من القابلية للذوبان في غيرها، سريعة الفقدان لهويتها وقيمها وأصالتها، وهو ما يسميه مالك بن نبي قابلية الاستعمار، ويسميه المودودي قابلية الاستعباد! أرأيت كيف انكشف هؤلاء وظهرت خيانتهم؟!.

إنها صورة عجيبة تدعو إلى الرثاء، أمة كريمة بدينها وتاريخها، استسلمت للنوم دهوراً فانتكست، وتخلفت، وسيطر عليها أعداؤها، استيقظ الآن نفر من أبنائها، وأبصروا الأهوال، وأدركوا الأخطار، فراحوا يوقظون أمتهم، فتصدى لهم هؤلاء، يعرقلون سعيهم، ويستعدون عليهم أعداء الأمة، ينبهونهم إلى خطر الأصولية الإسلامية في بلاد المسلمين. أرأيتم كيف فضحهم الله، وكشف لنا خيانتهم؟!

إنها أزمة بكل معنى الكلمة، ولا سبيل للخروج منها إلا بأحد أمرين: الأول، أن يقال للشعب وللعلماء: اتركوا دفاعكم عن الدين، واقبلوا أُطروحات العلمانيين المنحرفة، وعيشوا بلا دين ولا أخلاق، وهذا ضرب من المحال أكيد، ونوع من الانتحار خطير.

وإما أن يُكبت العلمانيون ويزجروا ويردعوا عن الزندقة والتجرؤ بجهل وخبث على أصول الدين وشرائعه وأخلاقه، وتترك الأمة لتكمل مسيرتها في العودة إلى دينها في ثبات وثقة، ويتولى أمرها عقلاؤها وصالحوها، ويُعطى لعلماء المسلمين مكانتهم اللائقة بهم، ويختار منهم للفتوى والتوجيه وقيادة المؤسسات العلمية الإسلامية خيرة الشيوخ، ويضرب على أيدي المفسدين في المجتمع، ويُقدم الصالحون؛ أنصار الحق والفضيلة، ويُؤخر الانتهازيون؛ أنصار الباطل والرذيلة.

وهذا – والله – سبيل النجاة الوحيد، إما هو، أو الطوفان، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون..

ـــ

[1] – ماجستير في الشريعة الإسلامية من جامعة البنجاب، من أهم مؤلفاته؛ "إتحاف القاري في اختصار فتح الباري [5 مجلدات]"، "غبطة القاري بإحالات فتح الباري [مجلد واحد]"، "إهداء الديباجة شرح سنن ابن ماجة [5 مجلدات تحت الطبع]".
ذو القعدة 1420 / فبراير (شباط) 2000
المصدر : http://www.alsunnah.org

============

#العلمانية

محمد إبراهيم مبروك

بداية أرجو من أخي القارئ ألا يضن بالجهد في متابعة هذه الدراسة؛ فبذل الجهد يُطلب بقدر خطورة الموضوع المطروح، ونحسب أن الجميع يسلّمون بأن قضية العلمانية هي أخطر قضية تواجه العالم الإسلامي منذ عقود طويلة؛ حيث إن أخطر القضايا المتعارف عليها مثل إقامة الحكم الإسلامي أو الصراع مع الغرب أو المشروع الحضاري ما هي إلا قضايا تتفرع عنها.

لكل ما سبق فليجعل أخي القارئ جهده في المتابعة قُربة إلى الله، ولا يطمئن لكفاية إدراكه للمفاهيم التقليدية الشائعة عن العلمانية، فسوف نثبت بإذن الله خطأ الكثير منها وخطورة الاعتماد عليها، وسوف نحاول أن نعرض ذلك بأبسط طريقة ممكنة؛ ولكن بشرط ألا تخل بعمق الموضوع.

* المفاهيم الخاطئة الشائعة عن العلمانية:

لن نقف كثيراً عند خطأ التعريف الشائع للعلمانية بأنها «فصل الدين عن الدولة» لأن هذا التعريف لا يتحدث عن العلمانية كرؤية مبدئية أو طريقة في التفكير، وإنما يتحدث عن تطبيق جزئي لها يتفرع عن تطبيقها الأساسي «فصل الدين عن الحياة».

وما نراه أن الإسلاميين بوجه عام قد تجاوز وعيهم هذا التعريف القاصر للعلمانية.

وما نراه أن أهم المفاهيم الخاطئة الشائعة عن العلمانية تتحدد في التالي:

- أن العلمانية ما هي إلا مذهب من المذاهب.
- أن العلمانية نشأت كرد فعل لاستبداد الكنيسة الغربية، واضطهاد العلماء والمفكرين في العصور الوسطى.
- أن العلمانية صنيعة الصليبية الصهيونية العالمية.

وسيتم إبراز خطأ هذه المفاهيم الشائعة من خلال عرضنا العام للموضوع، ولا يتسع المجال هنا لإيراد المصادر الأساسية لتلك الكتابات الإسلامية ومناقشتها وإن كنا نرى أن ذلك يعود في الأساس لعدم دراسة تطور الفكر الفلسفي الغربي بشكل كاف، والتثاقل إلى الأرض في الجهاد الفكري بالركون إلى نقل المواقف والرؤى الفكرية عن السابقين.

* التعريف اللغوي والمصطلحي:

كلمة «علمانية» هي ترجمة لكلمة «سكيولاريزم secularism» الإنجليزية التي لها نظائرها في اللغات الأوروبية. والكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية «سيكولوم saeculem» وتعني العصر أو الجيل أو القرن. أما في لاتينية العصور الوسطى فإن الكلمة تعني العالم أو الدنيا.

ويورد قاموس أكسفورد التعريفات التالية لمصطلح «علمانية: سكيولار: secular

1 - ينتمي للحياة الدنيا وأمورها.

2 - مدني وعادي وزمني.

3 - ينتمي إلى هذا العالم الآلي والمرئي تمييزاً له عن العالم الأزلي والروحي.

4 - يهتم بهذا العالم وحسب.

5 - غير روحي.

أما كلمة العلمانية «سكيولاريزم secularism» فقد عرَّفها المعجم تعريفاً شاملاً هو: «العقيدة التي تذهب إلى أن الأخلاق لا بد أن تكون لصالح البشر في هذه الحياة الدنيا، واستبعاد كل الاعتبارات الأخرى المستمدة من الإيمان بالإله أو الحياة الأخرى»(1).

ولقد استخدم المصطلح لأول مرة مع نهاية حرب الثلاثين عام (1648م) عند توقيع صلح (وستفاليا) وبداية ظهور الدولة القومية، وكان معنى المصطلح في البداية محدود الدلالة؛ إذ أشار إلى نقل ممتلكات الكنيسة إلى سلطات سياسية غير دينية.

وبحسب الدكتور عبد الوهاب المسيري فإن أول من نحت المصطلح بمعناه الحديث هو جون هوليوك (1817 . 1906م) فعرَّف العلمانية بأنها: «الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض»(2).

* تخلف مصطلح العلمانية عن واقعها الفكري:

يتضح مما سبق تخلف مصطلح العلمانية عن واقعها الفكري حتى لو أُخذ الأمر باعتبارها قد نشأت في عصر النهضة على حد قول من يذهبون إلى ذلك. وما نراه أنه لا بد أن نعود إلى قرون طويلة إلى الوراء لإدراك هذا الواقع الفكري، ولنستطيع على أساس تعريف العلمانية تعريفاً أكثر تحديداً مما ورد في القواميس الغربية خصوصاً من حيث علاقتها بالدين.

* الإنسان والأسئلة المصيرية:

نستطيع أن نقترب أكثر من فهم الموضوع إذا عدنا إلى الأسئلة المصيرية التي تواجه الإنسان في كل زمان ومكان مثل: من نحن؟ ومن أين جئنا؟ وإلى أين نمضي؟ هل خلقنا خالق أم جئنا من غير شيء؟ وما الغاية من وجودنا؟ وما نفعل؟

وكانت هناك ثلاثة طرق اتخذتها البشرية في الإجابة عن ذلك:

– التقليد واتباع الآباء أو الوثنية: أي اعتقاد ما اعتقده الآباء بغير تفكير فيما يدور حول عبادة الوثنية أو الطوطم أو الطاغية الذي يحكم البلاد أو القبيلة ويدخل في ذلك.

– التسليم بكتب الأنبياء: أي التسليم بصدق ما جاء في كتب الأنبياء من وحي وأخذ التصورات والمفاهيم والتعاليم منها.

– الاعتماد على العقل الإنساني: أي محاولة الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال إعمال العقل الإنساني في الكون والتجارب البشرية وتاريخ الشعوب.

ولا نستطيع أن نقول هذه الطرق تمثل ثلاثة مسارات منفصلة، بل غالباً ما يتم الدمج أو الجمع بين هذا وذاك في مختلف الحضارات والمذاهب، بل نستطيع القول إن الإسلام يجمع في أطر محددة ما بين الطريقين الثاني والثالث.

* كيف كان يفكر الإغريق الآباء الأوائل للحضارة الغربية؟

لم يعرف عن الحكماء الذين عرفتهم الحضارات القديمة في مختلف أرجاء العالم أنهم قد زعموا إدراك الحقائق واستخلاص التعاليم اعتماداً على إعمال العقل الإنساني فقط؛ فهم إما أرجعوا ذلك إلى حكمة الآباء وموروثاتهم الدينية والفلسفية، أو أن هناك وحي السماء قد أوحي لهم بذلك. فلم يزعم زرادشت (628 ـ 551 قبل الميلاد) في الحضارة الفارسية على سبيل المثال أنه قد أتى بحكمته كناتج عقلي له أو حتى لمن سبقوه، وإنما أعلن أنه «يلبي نداء ربه منذ البداية»(3).

و (جوتاما بوذا) الذي عاش في الهند في القرن السادس قبل الميلاد أعلن موقفه بأنه ليس سوى واحد من البوذات السابقين(4).

وعلى الرغم مما يقوله الرواة عن تجنيب كونفوشيوس للمواضيع الدينية فإن «هناك مقولات عديدة يتحدث فيها كونفوشيوس عن السماء الإله الأساسي عند الصينيين، ويبدو أنه قد أحسن في الحقيقة بأنه قد عهدت إليه السماء شفاؤه علل العالم الصيني، وكان أمله أن السماء لا ترضي له أن يخفف»(5).

وإذا رجعنا إلى الديانات الوثنية القديمة فإننا نجدها تصبغ بعض الصفات الجديرة بالاحترام البشري على آلهتها القديمة مثل (أوزوريس) الذي ارتبط بالخير في الديانة المصرية القديمة.

ولكن المشكلة الأساسية في الحضارة الإغريقية أنها حضارة تعد حضارة ناشئة إلى حد كبير مقارنةً بالحضارات القديمة التليدة، وقد نشأت على يد مجموعة من البرابرة عباد الطبيعة الذين استولوا على بلاد اليونان في أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد (1104ق. م).

«وكان على الحضارة الهلينية (الإغريقية) أن تبدأ حياتها بأن تعيش على تراثين خلَّفهما البرابرة هما: الملاحم التي تنسب إلى (هوميروس) والتي أصبحت بالنسبة للمسلمين مجموعة من الآلهة التي لم تكن سوى رموز على تقلبات الطبيعة

الغامضة، بل صنعت على صورة الإنسان وصورة الإنسان البربري من دون سائر البشر»(6).

وما تذكره الأساطير من أفعال غير محترمة لتلك الآلهة ما كان ليجعلها جديرة بالاحترام، بَلْهَ التقديس؛ فالسطو والخطف والاغتصاب والخيانة هي أمور لصيقة بها، وهو الأمر الذي كان له انعكاسه على الضمير الإنثرابولوجي (الضمير الإنساني التاريخي) الغربي، فاسم القارة نفسه (أوروبا) مأخوذ عن (إيروبا) ابنه ملك مدينة صور التي رآها زيوس (كبير الآلهة لديهم الذي لا تنتهي فضائحه) فهام بها حباً، ولكي يفوز بها تقمص شكل ثور وديع، وراح يقفز حولها حتى قفز في الماء حاملاً حبيبته إلى كيريت حيث أنجب منها ثلاثة ذكور. وبلوتو (إله العالم السفلي) يختطف الإلهة كوري ويغتصبها في مملكته تحت الأرض. وكما يقول بيريتراندراسل: «فإن مجمع الآلهة في جبل الأولمب هو حشد صاخب من السادة الذين يعيشون حياة خشنة قاسية. والعقيدة الدينية كما تبدو في ملحمة هوميروس تكاد تكون بلا فاعلية»(1)، ويتحدث الأستاذ يوسف كرم عن آلهة الأولمب فيقول: «نحن هنا في أحط دركات التشبيه، وبإزاء أوقح أشكال الاستهتار. نرى العاطفة الدينية ضعيفة إلى حد العدم، والمبادئ الخلقية مقلوبة رأساً على عقب»(2). وما نريد أن نقوله من كل ما سبق أن التناقض بين الدين والعقلانية في الحضارة الغربية قديم قِدَم الحضارة الإغريقية ذاتها التي تعد الحضارة الغربية امتداداً طبيعياً لها.

«فلم يكن في الديانة القديمة المستمدة من الأساطير الإغريقية ما يغري العقول اليونانية الكبيرة بالإنصات إليها. وهكذا هاجم أكزينوفان (570 . 480 ق. م) النزعة التشبيهية (تشبية الآلهة بالبشر) زاعماً أن الثيران يمكن أن تصنع لنفسها أصناماً مماثلة من الثيران. وأنكر أنكساجوراس ألوهية الشمس، وذهب إلى أنها حجر أحمر ملتهب أكبر حجماً من جبل البليونيز»(3).

وكما يقول المؤرخ الغربي الكبير أرنولد توينبي: «كانت الطبيعة البشرية البربرية التي انعكست صورتها على مجموعة الآلهة الأوليمبية في واقعية مؤلمة، موضعاً للعبادة لا يليق على الإطلاق بمجتمع ما زال في طور التحضر، وهو الأمر الذي أدى بها إلى السقوط سريعاً في نظر العالم الهليني، وذهب الأمر إلى أن أصبحت الآلهة

الأوليمبية في قصائد هوميروس ذاتها في صورتها المنقحة الأخيرة التي باتت فيها قانونية معتمدة موضعاً للتجريح والهزء. وما أن حل القرن السادس قبل الميلاد حتى حمل عليها الفيلسوف (كسينوفانيس) حملة شعواء. واضطر الهليونيون إلى البحث عن موضع للعبادة عوضاً عن الآلهة الأوليمبية، وظل هذا البحث جارياً حتى انمحت الحضارة الهلينية نفسها من الوجود»(4).

وهذا ما نقوله تماماً: إن الإغريق ظلوا بيحثون عن مصدر آخر للحقيقة بعيداً عن هذا الجو الديني الأسطوري الدنس الذي اتسمت به الحضارة الإغريقية. ولم يكن من المعقول أن يذهب الفلاسفة الذين وضعوا أسس الحضارة في التفكير الغربي مثل ديمقريطس وأرسطو وأبيقور . أن يذهبوا إلى عرَّافة دلفي (أحد أهم المعابد الإغريقية) ليسألوها عن ماهية حقائق الكون أو حتى عن حقيقة الدين نفسه حتى تروح في غيبوبة وتجيب عن تساؤلات شتى. فالديانة اليونانية لم يكن بها أي قدر من المعقولية أو القداسة، وما كان للفلاسفة سوى أن يعتمدوا على عقولهم وخبراتهم الواقعية في العمل على إدراك حقائق الوجود، وإدراك حقيقة الدين نفسه. وسواء نتج عن ذلك فلاسفة ملحدون أو فلاسفة مؤمنون فإن طريق الإبستمولوجي (المعرفي) لإدراك ذلك كان مستقلاً عن الديانة اليونانية؛ فحتى الذين ذهبوا منهم إلى الإيمان بوجود إله فإنهم ذهبوا إلى ذلك من خلال تصوراتهم، بل ومن خلال هذه التصورات العقلية حددوا تصورهم للصفات الإلهية؛ بل إن التصور الأرسطي بالذات للإله الذي لا ينشغل بالعالم وإنما بتأمل ذاتي لا نهاية له هو الذي ترك بصماته في الفكر الديني الفلسفي لدى الغرب. ونحن نتحدث هنا عن التيار الأصيل في الفلسفة الإغريقية أي تيار الفلاسفة الذين نشؤوا بين أناس يعتقدون بالعقيدة الأوليمبية، ومن ثم كان رفضهم لها وهو تيار الأيونين والإيليين والسوفسطائيين والأرسطيين والأبيقوريين. بخلاف تيار ضئيل لم ينعكس تأثيره كبيراً على الفلسفة الغربية الحديثة، وهو التيار الصوفي الذي يمثله الفيثاغورثيون (نسبة إلى الفيلسوف والعالم الشهير فيثاغورث) الذين تأثروا كثيراً بالحضارة الهندية.

* العلمانية هي السمة الرئيسة التي تحكم الطريقة الإغريقية في التفكير:

وعلى ما سبق فإن السمة الرئيسية التي تحكم الطريقة الإغريقية في التفكير الاقتصار على العقل البشري وخبراته فقط في معرفة الحقيقة وتجريد الوعي البشري من أي معرفة دينية للحقيقة أو بقول آخر البحث عن ثمار الحقيقة في غير شجرة الدين تماماً إلى الأبد.

إن عقولهم غُلف عن الاقتناع بأنه من الممكن أن يكون هناك شيء يسمى وحي يتدخل من خلاله في شؤون العالم، ويصطفي أحداً من خلقه ليقوم بمهمة إبلاغ رسالته إليهم. إنهم لا يستطيعون أن يقبلوا بأن هناك شيئاً سيهبط من السماء إلى الأرض ليشق نسيج الحياة الرتيب الذي ينسج حياتهم، ويكشف لهم عن حقيقة الوجود، ويحدد لهم الدستور المعيشي الذي ينبغي أن تكون عليه حياتهم وعبادتهم.

وهذا هو المعنى الحقيقي للعلمانية الذي لا يسمح لشيء آخر غير العقل أن يتدخل أدنى تدخل في حياة الإنسان وتصوراته، ولا يترك حتى للدين نفسه أن يحدد موقعه من تلك الحياة، بل هي . لو أرادت . التي تسمح بهذا التدخل الذي تقوم بتحديد نطاقه الضيق للدين؛ بحيث يتحتم عليه عدم الخروج منه.

وهذا الذي نقوله عن كون الواقع الفكري للعلمانية هو في الأصل السمة الأساسية التي تحكم الطريقة الإغريقية في التفكير والتي هي الأصل في التفكير الغربي بوجه عام له شواهده الكثيرة لدى المفكرين الغربيين أنفسهم. فعلى سبيل المثال يذكر بريتراند راسل (أحد أهم فلاسفة الغرب في القرن العشرين) أن التمرد على الجمود الفكري للفيلسوف اللاهوتي توما الإكويني في العصور الوسطى أدى إلى «سير التيار الفلسفي الرئيسي مرة أخرى في القنوات العلمانية؛ بحيث عاد إلى روح الاستقلال التي كانت تسود فلسفة القدماء»(1).

ويقول ج. ج. كراوزر واصفاً ثالز (أحد علماء الإغريق) بأنه: «قد قام بتمحيص المعلومات القليلة التي بلغته عن العلوم الرياضية عند المصريين والبابليين بنفس الطريقة العلمانية التي استخدمها في التحري من مدى صدق الحكايات التي كانوا يقولون بها عن الخلق»(2).

وتقول الكاتبة المهتدية مريم جميلة (مارجريت ماركوس سابقاً) عن التحولات الفكرية في عصر النهضة: «وبشغف شديد تحول مفكرو عصر النهضة إلى الاستلهام من

علوم اليونان والرومان القديمة، وبإحلال الإيمان بقدرة العقل البشري المجرد محل الإيمان بالله»(3).

كل ما سبق يؤكد أن العلمانية هي طريقة التفكير التي كان ينتهجها التيار الأساسي في الفكر الإغريقي الذي يعد الفكر الغربي بوجه عام امتداداً طبيعياً له، ولم تنشأ كما هو سائد رد فعل لجمود الكنيسة الغربية واضطهادها للعلماء والمفكرين في عصر النهضة. وإن غاية ما حدث في ذلك أن هؤلاء العلماء والمفكرين استعانوا بها مرة أخرى في مواجهة كهنوت الكنيسة واضطهادها حتى سادت تماماً واستمرت في الغرب حتى الآن.

* ما نراه في تعريف العلمانية:

وعلى هذا فإن ما نراه في تعريف العلمانية هو: «الاقتصار على العقل البشري وخبراته في إدراك حقائق الوجود وتصريف شؤون الحياة»(4)، وهو الأمر الذي يعني في الوجه المقابل له إقصاء أي مصادر أخرى وعلى رأسها الوحي المقدس في إدراك حقائق الوجود، والطريقة التي يجب انتهاجها في الحياة التي نعيشها.

وما أقصده بإرداف كلمة (وخبراته) بعد قولي العقل البشري أن المسألة يدخل فيها ما يقبله العقل من الجهود العقلية للآخرين في التفكير، وكذلك التجارب الحسية والعلمية التي يحكمها العقل في النهاية، فيشمل كلامي هذا تياري الفكر الغربي معاً: العقلي، والتجريبي.

* تطور الفكر العلماني:

نشب الصراع بين المسيحية منذ ظهورها وبين العقائد اليونانية القديمة، وهو ما نتج عنه في النهاية بعد قرون طويلة من الحرب والمساومة مزيجٌ عقائدي مزدوج يتمثل في المسيحية الثالوثية وطقوسها وسلطاتها البابوية، وأجهضت الفرق الرافضة لهذا الهجين الثالوثي من المسيحيين الأوائل والذين كان أبرزهم فريق الإيروسيين الذين انضم أتباعهم إلى الإسلام فيما بعد. ومع ذلك فقد منح هذا المزيج الأوروبيين بُعداً مفيداً لهم يتمثل في الوحدة الروحية الدينية تحت سلطة الكنيسة والتي تحولت فيما بعد إلى وحدة سياسية تحت سلطاتها أيضاً؛ لأن الأباطرة والملوك كان لا بد لهم أن يلتمسوا من البابا التنازل عن السلطة الزمنية (السياسية) لهم.

ومن ناحية أخرى فقد فرض هذا المزيج تاريخاً طويلاً من التمرد على اللا معقولية، وما اتسم به كهنته من استبداد وفساد.

ومثَّل الإسلام منذ ظهوره الطرف المضاد لأوروبا في صراعها التقليدي مع الشرق، ومع ذلك فقد أمدها الإسلام من خلال صلاتها المتعددة بأوروبا في شرق المتوسط وإيطاليا وبلاد الأندلس بدعوته إلى العقل، وعقيدته البسيطة الخالية من الكهنوت التي تدور حول مبدأ التوحيد، وساعد ذلك على انطلاق خطواتها الأولى في اتجاه التقدم العلمي والتحرر السياسي والنقد العقلي لعقائد الكنيسة في نهاية العصور الوسطى وتم مواجهة ذلك بأقصى درجات البطش والتنكيل، وهو الأمر الذي فجَّر الثورات المتتالية على الكنيسة مع بداية عصر النهضة وما صاحب ذلك من ظهور المنهج التجريبي وبزوغ الفكر العليم في أوروبا.

ولكن في ظل استمرار اضطهاد الكنيسة للعلماء والمفكرين في عصر النهضة؛ فإن الحركة العقلية في أوروبا اتخذت منحى متطرفاً اتجه بها إلى العداء للدين، بل الإلحاد التام وليس مجرد التمرد على الكنيسة واضطهادها؛ وذلك لأن الاضطهاد المستمر لهؤلاء قرن التحرر العقلي عندهم باتخاذ الجانب المناوئ للدين عموماً. وبات مستقراً في الضمير الغربي منذ ذلك الحين تناقض الفكر والعلم مع الأديان بوجه عام وهكذا ورّثت المسيحية الثالوثية عداء العلماء والمفكرين لها إلى الإسلام أيضاً.

وبذلك تمت استعادة الفكر الإغريقي العلماني من جديد في عصر النهضة كسلاح في وجه الكنيسة الغربية خصوصاً في جانبه المادي الإلحادي (ديمقريطس . أبيقور) الذي وجد صداه بعد ذلك في كتابات رواد المذهب المادي الإنجليزي (هوبز . لوك . هيوم) في عصر التنوير المتمثل في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين. وانتشر وذاع من خلال رواده الفرنسيين (ديدرو . فولتير . دالمبير). ويتضح من ذلك استقلال العلمانية عن الأديان بوجه عام وإن لم ينف ذلك تلاقي مصالحها مع الصليبية والصهيونية في أحيان كثيرة.

ثم تطور الفكر العلماني إلى العديد من المذاهب الشهيرة في القرنين التاسع عشر والعشرين مثل الماركسية والوضعية المنطقية والعلمانية التحليلية والبرجماتية

والوجودية الإلحادية حتى بلغ مرحلة الإجهاد التام في الفكر الحداثي وما بعد الحداثي من المذاهب الغربية؛ لأنها تمثل التيار العام الذي تولدت عنه مختلف هذه المذاهب. وسنحاول شرح ذلك تفصيلاً . بإذن الله . في مقال آخر .

المصدر : http://www.albayan-magazine.com

===========

#العلمانية

يعد مصطلح "العلمانية" من أهم المصطلحات في الخطاب التحليلي الاجتماعي والسياسي والفلسفي الحديث، لكنه ما يزال مصطلحاً غير محدد المعاني والمعالم والأبعاد.

كلمة "العلمانية" هي ترجمة لكلمة "سيكولاريزم Secularism" الإنجليزية، وهي مشتقة من كلمة لاتينية "سيكولوم Saeculum"، وتعني العالم أو الدنيا و توضع في مقابل الكنيسة، وقد استخدم مصطلح "سيكولار Secular " لأول مرة مع توقيع صلح وستفاليا(عام 1648م)-الذي أنهى أتون الحروب الدينية المندلعة في أوربا- وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة (أي الدولة العلمانية) مشيرًا إلى "علمنة" ممتلكات الكنيسة بمعنى نقلها إلى سلطات غير دينية أي لسلطة الدولة المدنية. وقد اتسع المجال الدلالي للكلمة على يد جون هوليوك (1817-1906م) الذي عرف العلمانية بأنها: "الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض".

و تميز بعض الكتابات بين نوعين: العلمانية الجزئية و العلمانية الشاملة

العلمانية الجزئية:

هي رؤية جزئية للواقع لا تتعامل مع الأبعاد الكلية والمعرفية، ومن ثم لا تتسم بالشمول، وتذهب هذه الرؤية إلى وجوب فصل الدين عن عالم السياسة، وربما الاقتصاد وهو ما يُعبر عنه بعبارة "فصل الدين عن الدولة"، ومثل هذه الرؤية الجزئية تلزم الصمت حيال المجالات الأخرى من الحياة، ولا تنكر وجود مطلقات أو كليات أخلاقية أو وجود ميتافيزيقا وما ورائيات، ويمكن تسميتها "العلمانية الأخلاقية" أو "العلمانية الإنسانية". العلمانية الشاملة:

رؤية شاملة للواقع تحاول بكل صرامة تحييد علاقة الدين والقيم المطلقة والغيبيات بكل مجالات الحياة، ويتفرع عن هذه الرؤية نظريات ترتكز على البعد المادي للكون وأن المعرفة المادية المصدر الوحيد للأخلاق وأن الإنسان يغلب عليه الطابع المادي لا الروحي، ويطلق عليها أيضاً "العلمانية الطبيعية المادية"(نسبة للمادة و الطبيعة). ويعتبر الفرق بين ما يطلق عليه "العلمانية الجزئية" وما يسمى "العلمانية الشاملة" هو الفرق بين مراحل تاريخية لنفس الرؤية، حيث اتسمت العلمانية بمحدوديتها وانحصارها في المجالين الاقتصادي والسياسي حين كانت هناك بقايا قيم مسيحية إنسانية، ومع التغلغل الشديد للدولة ومؤسساتها في الحياة اليومية للفرد انفردت الدولة العلمانية بتشكيل رؤية شاملة لحياة الإنسان بعيدة عن الغيبيات، واعتبر بعض الباحثين "العلمانية الشاملة" هي تجلي لما يطلق عليه "هيمنة الدولة على الدين".

وقياسا على ذلك فلقد مرت العلمانية الشاملة بثلاث مراحل أساسية:

1 – مرحلة التحديث:

حيث اتسمت هذه المرحلة بسيطرة الفكر النفعي على جوانب الحياة بصورة عامة، فلقد كانت الزيادة المطردة من الإنتاج هي الهدف النهائي من الوجود في الكون، و لذلك ظهرت الدولة القومية العلمانية في الداخل و الاستعمار الأوروبي في الخارج لضمان تحقيق هذه الزيادة الإنتاجية، و استندت هذه المرحلة إلى رؤية فلسفية تؤمن بشكل مطلق بالمادية و تتبنى العلم و التكنولوجيا المنفصلين عن القيمة، و انعكس ذلك على توليد نظريات أخلاقية و مادية تدعو بشكل ما لتنميط الحياة، و تآكل المؤسسات الوسيطة مثل الأسرة.

2 – مرحلة الحداثة:

وهي مرحلة انتقالية قصيرة استمرت فيها سيادة الفكر النفعي مع تزايد وتعمق أثاره على كافة أصعده الحياة، فلقد واجهت الدولة القومية تحديات بظهور النزعات الإثنية، وكذلك أصبحت حركيات السوق (الخالية من القيم) تهدد سيادة الدولة القومية، واستبدل الاستعمار العسكري بأشكال أخرى من الاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي، واتجه السلوك العام نحو الاستهلاكية الشرهة.

3 – مرحلة ما بعد الحداثة:

حيث الاستهلاك هو الهدف النهائي من الوجود ومحركه اللذة الخاصة، واتسعت معدلات العولمة لتتضخم مؤسسات الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية الدولية وتتحول القضايا العالمية من الاستعمار والتحرر إلى قضايا البيئة والإيدز وثورة المعلومات، وتضعف المؤسسات الاجتماعية الوسيطة مثل الاسرة، لتحل محلها تعريفات جديدة للأسرة: رجلان وأطفال- امرأة وطفل- امرأتان وأطفال...)، كل ذلك مستنداً على خلفية من غياب الثوابت المعايير الحاكمة لأخلاقيات المجتمع والتطور التكنولوجي الذي يتيح بدائل لم تكن موجودة من قبل في مجال الهندسية الوراثية. ورغم خروج مصطلح "علمانية" من رحم التجربة الغربية، إلا أنه انتقل إلى القاموس العربي الإسلامي، مثيرًا للجدل حول دلالاته وأبعاده، والواقع أن الجدل حول مصطلح "العلمانية" في ترجمته العربية يعد إفرازاً طبيعياً لاختلاف الفكر والممارسة العربية الإسلامية عن السائد في البيئة التي انتجت هذا المفهوم، لكن ذلك لم يمنع المفكرين العرب من تقديم إسهاماتهم بشأن تعريف العلمانية.

وتختلف إسهامات المفكرين العرب بشأن تعريف مصطلح "العلمانية"، على سبيل المثال يرفض المفكر المغربي محمد عابد الجابري تعريف مصطلح العلمانية باعتباره فقط فصل الكنيسة عن الدولة، لعدم ملاءمته للواقع العربي الإسلامي، ويرى استبداله بفكرة الديموقراطية "حفظ حقوق الأفراد والجماعات"، والعقلانية "الممارسة السياسية الرشيدة". في حين يرى د. وحيد عبد المجيد الباحث المصري أن العلمانية (في الغرب) ليست أيديولوجية -منهج عمل- وإنما مجرد موقف جزئي يتعلق بالمجالات غير المرتبطة بالشئون الدينية. ويميز د. وحيد بين "العلمانية اللادينية" -التي تنفي الدين لصالح سلطان العقل- وبين "العلمانية" التي نحت منحى وسيطًا، حيث فصلت بين مؤسسات الكنيسة ومؤسسات الدولة مع الحفاظ على حرية الكنائس والمؤسسات الدينية في ممارسة أنشطتها.

وفي المنتصف يجيء د. فؤاد زكريا -أستاذ الفلسفة- الذي يصف العلمانية بأنها الدعوة إلى الفصل بين الدين و السياسة، ملتزماً الصمت إزاء مجالات الحياة الأخرى (الاقتصاد والأدب) وفي ذات الوقت يرفض سيطرة الفكر المادي النفعي، ويضع

مقابل المادية "القيم الإنسانية والمعنوية"، حيث يعتبر أن هناك محركات أخرى للإنسان غير الرؤية المادية.

ويقف د. مراد وهبة – أستاذ الفلسفة– و كذلك الكاتب السوري هاشم صالح إلى جانب "العلمانية الشاملة" التي يتحرر فيها الفرد من قيود المطلق والغيبي وتبقى الصورة العقلانية المطلقة لسلوك الفرد، مرتكزًا على العلم والتجربة المادية.

ويتأرجح د. حسن حنفي–المكر البارز صاحب نظرية "اليسار الإسلامي"– بين العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة ويرى أن العلمانية هي "فصل الكنيسة عن الدولة" كنتاج للتجربة التاريخية الغربية، ويعتبر د. حنفي العلمانية –في مناسبات أخرى– رؤية كاملة للكون تغطي كل مجالات الحياة وتزود الإنسان بمنظومة قيمية ومرجعية شاملة، مما يعطيها قابلية للتطبيق على مستوى العالم.

من جانب آخر، يتحدث د. حسن حنفي عن الجوهر العلماني للإسلام –الذي يراه ديناً علمانياً للأسباب التالية:

النموذج الإسلامي قائم على العلمانية بمعنى غياب الكهنوت، أي بعبارة أخرى المؤسسات الدينية الوسيطة.

الأحكام الشرعية الخمسة [الواجب–المندوب–المحرم–المكروه–المباح] تعبر عن مستويات الفعل الإنساني الطبيعي، وتصف أفعال الإنسان الطبيعية.

الفكر الإنساني العلماني الذي حول بؤرة الوجود من الإله إلى الإنسان وجد متخفٍ في تراثنا القديم عقلاً خالصًا في علوم الحكمة، وتجربة ذوقية في علوم التصوف، وكسلوك عملي في علم أصول الفقه. و يمكن الرد على تصور علمانية الإسلام، بأنه ثمة فصلاً حتمياً للدين و الكهنوت عن الدولة في كل المجتمعات الإنسانية تقريباً، إلا في المجتمعات الموغلة في البدائية، حيث لا يمكن أن تتوحد المؤسسة الدينية و السياسية في أي مجتمع حضاري مركب. و في الواقع، هذا التمايز مجرد تمايز المجال السياسي عن الديني، لكن تظل القيمة الحاكمة و المرجعية النهائية للمجتمع (و ضمن ذلك مؤسسات صنع القرار) هي القيمة المطلقة (أخلاقية–إنسانية–دينية) و هي مرجعية متجاوزة للدنيا و للرؤية النفعية.

هذا و قد تبلور مؤخراً مفهوم "ما بعد العلمانية" (بالإنجليزية: بوست سيكولاريزم– Post-secularism) و صاغه البروفسير جون كين، و"ما بعد" هنا تعني في واقع الأمر "نهاية"، و تشير إلى أن النموذج المهيمن قد فقد فعاليته، ولكن النموذج الجديد لم يحل محله بعد، حيث يرى أن العلمانية لم تف بوعودها بشأن الحرية و المساواة (حيث تنتشر العنصرية والجريمة والنسبية الفلسفية) وأخفقت في العالم الثالث (حيث تحالفت الأنظمة العلمانية مع الإستبداد والقوى العسكرية) ولم تؤد إلى الجنة العلمانية الموعودة، ذلك في حين ظلت المؤسسات الدينية والقيم المطلقة فاعلة على مستوى المجتمع وحياة الناس اليومية، في معظم بلدان العالم الثالث

و الله أعلم.

المصدر: http://www.elmessiri.com

==============

#جراحات الأُمَّة بين دور الأزهر وشراسة الأعداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين... وبعد:

في ظل الظروف العصيبة التي تعصف بالأمة، وفي خضم المتغيرات المتسارعة والأحداث المتلاحقة التي يعيشها العالم اليوم نتطلع جميعًا إلى أزهرنا الشريف، منارة الهدى، ومشعل الضياء، الذي تعلم فيه وتخرج منه الأئمة الأعلام الذين دعوا إلى السنة، وحذروا من البدعة، وأقاموا الحجة، ودحضوا الشبهة، وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده. فإن الغيور ليعتصره الأسى وهو يرى الفرقة تضرب بأطنابها في بقاع الأرض في ظل تصفية حسابات أنانية، ونظرات مادية، بين عولمة كاسحة، وتبعيَّة فاضحة وجهل متفاقم، وفقر متعاظم، وظلم مستشرٍ، وإرهاب مستفحل، وحروب عرقيه، وانحياز دولي جائر، وهيمنة على مستقبل الأمم والشعوب.

وقد استيقظت الشعوب الإسلامية يومًا على أخبار المؤامرة الأمريكية الجديدة!! من شواطئ الأطلنطي الغربية تقول إن أمريكا استمرارًا لمؤامراتها على الإسلام والمسلمين سوف تطبع قرآنًا للمسلمين وهو نفس كتابهم المنزل بعد تعديله وحذف ما يرون حذفه، وإضافة ما يستهويهم واستبدال مصطلحات، وكلمات، وترتيب أولويات.

والقضاء على القرآن الكريم هو أمنية قديمة وهدف يسعى إليه الغرب، ولم يكن بوش الابن أول رئيس يهتم بشن الحرب بجميع أنواعها وأسلحتها المادية والمعنوية على الإسلام، فالتاريخ يذكر أن إمبراطور بيزنطة "جان كنتاكوزين 1292 1380" قد شن من قبل أوسع حملة على القرآن وجاء هجومه شرسًا مفصلا في كتابين بغرض النيل من القرآن.

ويذكر التاريخ دعوة "اللورد كرومر" الشهيرة للقضاء على القرآن. حتى يستطيعوا السيطرة على الشرق، وقال في كتابه المسمى "الكتاب الأسود" طبعة الأنجلو أمريكان ص271 إننا لا نستطيع أن نمتلك الشرق إلا إذا محونا القرآن من قلوب المسلمين... وسَلَّمْنَا المسجد الأقصى لليهود... وأبدنا الأزهر من مصر!!

وعندما سمعنا عن الخطة الأمريكية لكتاب الفرقان المزعوم، ظن الكثيرون أن اختيار كلمة "الفرقان" هو اختيار عشوائي أو مجرد اسم لمؤمراتهم هذه، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالغرب قد جادلوا كثيرًا في كلمة "الفرقان" منذ بدايات القرن الماضي واعتبروا أن الكلمة التي سمي بها القرآن، هي كلمة اقتبسها محمد – صلى الله عليه وسلم – من اللغة العبرية أو اللغة السريانية، وقد طال جدلهم الكاذب، وعندما فكروا الآن في كتاب يحاربون به القرآن كان لابد لهم أن يسموه "الفرقان".

وقد ذكرت كلمة الفرقان في آيات القرآن الحكيم في أكثر من موضع ففي الآية {53} سورة البقرة قال – تعالى –: وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون، وقال – تعالى – أيضًا في سورة البقرة الآية {185}: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان... الخ.

وفي سورة آل عمران: نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل (3) من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان.. الخ.

وفي سورة الأنفال: وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير {41}.

وفي سورة الأنبياء: ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين {48}.

وفي سورة الفرقان: تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا {1}.

وقد اتفق علماء اللغة والمفسرون على أن فعل "فرق" هو مصدر كلمة الفرقان.. وأن معنى كلمة "الفرقان" هو كل ما يدل على التفريق بين الخير والشر، وبين الحق والباطل، ويوم "الفرقان" يوم التمييز بين المؤمنين والكفار.

وبرغم أن تلك الكلمة عربية المصدر إلا أن بعض المستشرقين وبغباء واضح ومغالطة وقحة أرجعوا الكلمة إلى اليهودية والمسيحية، وزعموا أن كلمة الفرقان هي كلمة عبرية كانت في الأصل "ببركي أبت" وتم تعريبها إلى كلمة "فرقان" وتعني عند اليهود "الأحكام الدينية والأخلاقية التي نص عليها حكماء المعبد اليهودي في زمن سيمون العادل".

إن حقدهم وتحرشهم بالإسلام الآن ما هو إلا امتداد لحقدهم وتحرشهم به قديمًا، فهاهم الآن يطلقون "الفرقان" على مؤامراتهم الجديدة ليس بسبب أنها كلمة عربية اختاروها اختيارًا، إنما هم يطلقون عليها هذا الاسم لأن كلمة فرقان في عرفهم تعني أنها من اللغة العبرية أو السريانية!

ورغم صمت المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي فسيبقى القرآن الكريم كتاب الله الخالد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولن يستطيع أحد أن يغير منه حرفًا واحدًا مصداقًا لقوله – تعالى –: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون.

منع بناء المعاهد الأزهرية والمساجد!!

صدر قرار مجلس المحافظين في مصر قبل حوالي شهر تقريبًا والخاص بوقف بناء المعاهد الأزهرية الجديدة، ومنع بناء مساجد أهلية، وهدم المساجد المقامة بدون ترخيص، وإن قرار مجلس المحافظين بعدم الترخيص ببناء معاهد أزهرية جديدة يُعد خطوة في اتجاه إلغاء دور الأزهر، ولا يخدم إلا القوى الصهيونية والأمريكية، كما أن القرار بتفويض المحافظين في تحويل بعض المعاهد الأزهرية إلى مبان تابعة لوزارة التربية مخالف لقانون الوقف لأن مباني هذه المعاهد ليست مالا عامًا، ولكنه مال خاص أوقفه أهل الخير للتعليم الأزهري.

إن هذا القرار لا يتناسب مع ظروفنا في الوقت الحاضر، والتي تتطلب منا الحفاظ على صورة الإسلام والمسلمين، وتفعيل دور المؤسسات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي.

إن الولايات المتحدة تروج لأكاذيب تتهم من خلالها المناهج الأزهرية والدينية بأنها تساعد على تخريج إرهابيين لا دعاة، فضلا عن مطالبة الغرب بإعادة النظر في هذه المناهج وتقليص دور المعاهد الأزهرية والمساجد، ولهذا فإن هذا القرار يعد بمثابة اعتراف بأن التوسع في المؤسسات التعليمية ذات الطابع الديني يشجع على العنف والإرهاب!! فضلا عن أنه مجاراة للغرب وخدمة لأهدافه في الحرب على الإسلام والصورة المشوشة التي يريدون إلصاقها بالمسلمين.

الأزهر والدور المنشود

وإننا نطالب بتفعيل دور الأزهر، والتمسك بدوره التاريخي في إعداد الدعاة، وتخريج الأكاديميين في مختلف العلوم من خلال مناهج تواكب المتغيرات التكنولوجية، وتحافظ على الثوابت الإسلامية، وتقاليد المجتمعات المسلمة!!

والقرارات التي صدرت في هذا الشأن من مجلس المحافظين قرارات معيبة وخاطئة، فهم يتحركون من خلف قيادات الأزهر لتنفيذ المخططات الخارجية التي تريد هدم الأزهر، وإلغاء التعليم الديني في مصر، كما أن المعاهد الدينية ليست تابعة للإدارة المحلية، فكيف يتصرف محافظ في بناء معهد أو هدمه دون الرجوع إلى قيادة الأزهر المسئولة عن التعليم الديني وفقًا لقانون الأزهر؟!!

إن للأزهر دورًا عالميًا، وبهذه القرارات فهم يريدون إلغاء هذا الدور لأنه المرجعية لكل ما يتعلق بالأمور الشرعية والعقدية.

كما أنه لا ينبغي تقييد بناء المساجد لأن المسجد هو محور حياة الأمة، فهو بمثابة وزارة التربية والتعليم، ووزارة الثقافة، ووزارة الدفاع، وهو دليل على إسلام الأرض والبشر بدليل أن أول ما فعله النبي – صلى الله عليه وسلم – في المدينة هو بناء المسجد، ومن بعده استوعب الصحابة الدرس، وشرعوا في بناء المساجد في كل أرض يفتحونها، وبالتالي فلا يجوز تحويل المساجد أو الزوايا إلى أي شيءٍ آخر لأن وقْفَهُ صار لله – سبحانه وتعالى–، وبالتالي لا يجوز تحويله لفصول لمحو الأمية ولا غيرها.

إننا نناشد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر بالقيام بمسئولياته التاريخية. ونناشد مجمع البحوث الإسلامية، ووزارة الأوقاف وعلى رأسها معالي الأستاذ الدكتور

وزير الأوقاف بالقيام بدورهم الريادي للمحافظة على التعليم الأزهري وحماية بناء المساجد في مواجهة من يكيدون للإسلام وأهله!!

غربة الدين

إن ما يحدث في بلادنا بأيدي أعدائنا هو نتاج لتقصيرنا، وانشغالنا عن ديننا وإن المصيبة العظمى أن تتوالى الفتن على القلوب ويزول خطر المعاصي في النفوس، فيقع الناس في حدود الله منتهكين لها، حتى أصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا فأي قلب أُشربها نُكِتَتْ فيه نُكتَة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلبين، على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخِّيًا لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه" {أخرجه مسلم}.

وسئل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: من مَيِّتُ الأحياء؟ فقال: "الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه".

وفي صحيح مسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردلٍ".

لم يكف أعداء الدين من اليهود والنصارى والملحدين ومن سار في ركابهم ومن ساندهم وأيدهم من فُسَّاق الملة المستغربين عن شن الحملات عبر وسائل ورسائل لا يخفى هدفها، ولا يُجْهَلُ محتواها، غرضها زعزعة عقيدة الأمة، وتدمير أخلاقياتها وطمس هوَّيتها وتغييبها عن رسالتها، فبماذا واجه المسلمون تلك الحملات؟! هل أوصدوا دونها الأبواب؟ هل جاهدوها حق الجهاد؟! هل قاموا بالواجبات اللازمة والكافية لمنع انتشار الشر والفساد؟!

لقد فتح كثير من المسلمين بسبب الغفلة عن دين الله وقلة التحفُّظ، فتحوا بلادهم ومتاجرهم وبيوتهم وقلوبهم لتلك التيارات الوافدة وأسلموا مجتمعاتهم للأمة الكافرة

المعاندة، وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: "لتتبعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لتبعتموهم" قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟! " {أخرجه البخاري}

ولا زال الإسلام ينتظر رجاله الذين سيشرفهم الله – سبحانه – بحمل الأمانة وأدائها حق الأداء، بعد أن يُفني بقدرته – سبحانه – مفاتيح الشر ودعاته قال – تعالى – :وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم {محمد: 38}.

والحمد لله رب العالمين

المصدر : http://www.altawhed.com

=============

#قراءة في كتاب العلمانية

عرض: صفاء الضوي أحمد العدوي

نادرة تلك الكتب التي تستوعب أجزاء البحث الذي تتناوله، وأقل منها أن يكون مع الاستيعاب؛ العمق، والجُدة، والأصالة، والتحقيق، وأندر النادر أن تجمع مع كل ذلك الإمتاعَ والأسلوب الأدبي الرصين، من تلك الكتب التي تستولي على القارئ المثقف الجاد، وتحرك عقله، وتدفعه للنظر المتعمق في القضايا المعروضة كتاب العلمانية للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

المقدمة:

قدم المؤلف للكتاب بمقدمة بين فيها أن الإسلام هو أعظم منن الله على البشرية عامة، وعلى أمة الإسلام خاصة، وأن كلمة لا إله إلا الله هي روح هذه الأمة، وسر وجودها، ومنبع حياتها، وأن الأمة بقيت ردحاً من عمرها تتبوأ منزلة عالية بين الأمم حين كانت تدرك معنى هذه الكلمة، وتعمل بمقتضاها.

ثم بدأ نور هذه الكلمة في الخفوت، فبدأ شأن الأمة في الهبوط، حيث ظلت تفقد من ذاتيتها وأصالتها بمقدار ما تفقد من نور هذه الكلمة، في علاقة مطردة تؤكد سنة من سنن الله لم تتبدل على مدار التاريخ.

وكان من أعراض هذا المرض المدمر ؛" فقدان الذات": الانبهارُ القاتل بالأمم الأخرى، والاستمداد غير الواعي من مناهجها ونظمها وقيمها، وكان مما زاد هذا

المرض خطورة؛ الجهل بحقيقته، وعدم إدراك أسبابه، فكان التشخيص الخاطئ سبباً في العلاج الخاطئ الذي أدى إلى مضاعفات جديدة.

لقد تصور البعض أن هذا الداء يمكن علاجه بترقيعات نتلقاها من الكفار الذين أسموهم العالم المتحضر!.

كانت قابليتنا للذوبان مبرراً للحرب الشرسة التي شنها الغزاة على أفكارنا وأخلاقنا، حيث طمعوا في القضاء على مقومات وجودنا قضاء تاماً، فأقبلت طلائع ذلك الغزو الفكري تحمل شعارات متباينة الاتجاهات؛ عليها من البهرجة والبريق ما يكفي لتضليل أمة منبهرة مهزوزة.

جاءت الاشتراكية والقومية والديمقراطية وفلسفة التطور واللادينية وغيرها من المسميات والشعارات، وتغلغلت هذه الأوبئة في العقول والقلوب التي فقدت رصيدها من " لا إله إلا الله " أو كادت، ونشأ على ذلك فلول ممسوخة أخذت على عاتقها إكمال عملية المسخ لباقي الأمة، وتعبيد الشعوب المسلمة للغرب، والإجهاز على منابع الحياة والقوة الكامنة في دينها، لكن الله – تعالى – تدارك الأمة برحمته، فأنبت من بين هذا الركام والظلام رجالاً صادقين، وأطلت من بين النيام والأموات صحوة جهادية أصيلة، طلبت الهداية والعلاج من كتاب الله – تعالى – وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم –، فعادت إلى صفاء العقيدة، وسلامة المنهج، ولمحت ما في المناهج الموجودة من انحراف وضلال، فلفظت سموم الغزو الفكري الذي كاد أن يقضي عليها، وانتبهت إلى ما يروج في ساحاتنا الفكرية من مذاهب هدامة، كان منها مذهب العلمانية الذي كانت سحابة كثيفة من الضبابية تغشاه وتعمي حقيقته عن المثقفين فضلاً عن العامة، مما جعل أسهمها لا تزال مرتفعة في أسواقنا سواء باسمها الصريح، أو تحت شعار الديمقراطية، أو شعار " الدين لله، والوطن للجميع، أو غير ذلك من الشعارات.

كان هذا أحد الأسباب التي حدت بالمؤلف أن يتناول العلمانية بتلك الدراسة الجادة العميقة الموسعة، وكان السبب الثاني هو أن موضوع العلمانية المتمثل في عزل الدين عن توجيه الحياة يصادم مفهوم لا إله إلا الله، ومع ذلك نجده موجوداً في كافة

مناحي الحياة في مجتمعات المسلمين، مما يستلزم كشف الزيف الذي يلفه ويخفي حقيقته عن المسلمين.

ثم عرف المؤلف بالعلمانية، وبيّن الخطأ في ترجمة الكلمة الإنجليزية secularism بالعلمانية، وأن هذه الكلمة لا صلة لها بالعلم، وأن الترجمة الصحيحة للكلمة هي اللادينية، ثم أيد ذلك بإيراد عدة تعريفات من دوائر المعارف الأجنبية للعلمانية، كلها تؤكد أن معنى ال (secularism) في بيئتها التي نشأت فيها: الروح الدنيوية، أو الاتجاهات الدنيوية، أو الحركة المضادة للديانة المسيحية، وأنها نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أي شكل من أشكال الإيمان والعبادة، وأن الدين لا دخل له في شؤون الدولة، ولا سياسات الحكومة، وخاصة التربية العامة، وأنها دنيوية مادية لا تقبل المفاهيم التي تتعلق بالدين والروحانية، فالتربية التي تعتمدها لا دينية، فالدين في معنى هذا المذهب لا ينبغي أن يكون أساساً للأخلاق والتربية، ويقدم المستشرق " أربري " في كتابه (الدين في الشرق الأوسط) نموذجاً لأهم معاني العلمانية وهو فصل الدين عن الدولة بالجمهورية التركية، ثم يعلق المؤلف على العبارة المشهورة في وصف العلمانية " فصل الدين عن الدولة " بأنها تعريف غير دقيق، وأن مدلولها الصحيح هو " إقامة الحياة على غير الدين "، فالإسلام والعلمانية – أي اللادينية – نقيضان لا يجتمعان.

قسم المؤلف الموضوع إلى خمسة أبواب: الباب الأول دين أوروبا أو المسيحية بين التحريف والابتداع وفيه فصلان: الأول: التحريف: تكلم فيه أولاً عن تحريف العقيدة (قضية الألوهية – تحريف الأناجيل)، وثانياً عن تحريف الشريعة، وفصل الدين عن الدولة.

والفصل الثاني: البدع المستحدثة في الدين النصراني: تكلم في هذا الباب عن دين أوروبا النصرانية الذي انحرفت عنه إلى اللادينية، وأثبت ما اعترى النصرانية من تحريف وتبديل، وأنه لم يعد يمثل دين الله الحق لا في العقيدة، ولا في الشريعة، بل تحول إلى مجموعة من الخرافات والبدع تولت الكنيسة كِبَر تسويقها وترويجها، وإيهام الناس أن ذلك هو الدين النصراني، وكان هذا التحريف الذي أصاب الدين النصراني على يد القساوسة الكذبة هو السبب الممهد للعلمانية، حيث طغت الكنيسة ودوخت

أتباعها في خرافات يرفضها العقل، وتمجها الفطرة، فقد وقع أولاً تحريف العقيدة، وتحريف الأناجيل التي بلغت سبعين إنجيلاً كلها شاهدة على أنها محرفة، يكذب بعضها بعضاً، هذا فوق مئة وعشرون رسولاً منهم من ألّف أناجيل، ومنهم من كتب رسائل، وفرق وطوائف تزيد على الحصر تختلف في قضايا أساسية بالغة الأهمية.

ولقد كان انعقاد مجمع نيقية الشهير في عام 325م يمثل معلماً من معالم التاريخ البارزة، وشاهداً على أن النصرانية قد حرفت وبدلت، وفقد الناس الثقة في حقيتها وقدسيتها، وبعد تحريف الأناجيل جاء تحريف الشريعة، وكان من أولى فصول هذا التحريف فصل الدين عن الدولة،

بين المؤلف أن الشريعة النصرانية لم يكتب لها التطبيق على المستوى العام، وذلك لسببين متلازمين: الأول أن الشريعة النصرانية لم تقم لها دولة تتبناها وتقيمها في الأرض، فقد توفى الله عيسى – عليه السلام – ورفعه إليه وهو لم يزل في مرحلة الدعوة التي تشبه حال الدين الإسلامي قبل الهجرة، والسبب الثاني: أن المسيح – عليه السلام – بعث إلى قوم قساة تسيطر عليهم إمبراطورية وثنية عاتية، اضطهدت المؤمنين من أتباع المسيح وعذبتهم، فانحسر تطبيق الشريعة في أضيق نطاق بسبب هذا العداء الشديد.

وكان لليهود اليد الطولى في إلحاق الأذى بالمؤمنين بتعاليم المسيح – عليه السلام –، فلا يخفى أمر شاؤل الطرسوسي أو بولس (رسول الأمم)! وخداعه باعتناق المسيحية، وقيامه بغزوها من الداخل تماماً كما قصد عبد الله بن سبأ غزو الإسلام من الداخل.

فكان بولس المفسد الأول والأكبر بجدارة لتعاليم المسيح – عليه السلام –، قام شاؤل هذا بإصداره تعليمات مناقضة لتعليمات المسيح مما أحدث في الناس بلبلة وفتنة، فوقعوا بذلك في بلاء عظيم، كما أنه مزج الدين الذي جاء به المسيح – عليه السلام – بالوثنيات القائمة آنذاك، ثم ما كان من الاضطهاد الشديد الذي أوقعه أباطرة الرومان – وعلى رأسهم نيرون – بأتباع المسيح – عليه السلام –، حيث تقشعر الأبدان من ذكر فظائعهم وجرائمهم، ثم جاء عام 325م الذي يمثل عام النصر الحاسم على أعداء المسيح، حيث ظفرت الكنيسة بالإمبراطور، وأدخلته في الدين

المسيحي، لكن الكنيسة لم تنتفع بهذا التزاوج بين القصر والكنيسة بما يعود بالخير على الناس في دينهم، بل كان ارتباطها بالإمبراطور ارتباط مصلحة لا يمت إلى الإيمان بصلة؛ فبقيت الوثنية متجذرة في نفوس الناس تغطيها غلالة رقيقة من الصبغة المسيحية، ولهذا عجزت الكنيسة عن إقامة الحياة على أسس متينة من الإيمان، وفتح الباب للخرافات والأساطير والتقاليد الوثنية، وامتزج كل ذلك بروايات الأناجيل وآراء المجامع المقدسة، وتلاقحت الشريعة والقانون الروماني فأصبحت المسيحية ديانة تركيبية أو بوتقة انصهر فيها عقائد وخرافات وآراء متباينة شكلت ديناً غير متسق ولا متناسق.

ثم بدأت الكنيسة في إصدار نصوص مكذوبة تبرر بها للناس ذلك المنحى الجديد الذي اتخذته بعد هذا التزاوج المقيت بين الكنيسة وقيصر، وكان من أهم هذه الأقوال القول المنسوب زوراً للمسيح: أعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله ".

فلقد ظل هذا القول شعاراً ترفعه الكنيسة كلما عنّ لها أن تتمرد على شرع الله، ثم بين المؤلف أن هذه العبارة المنسوبة للمسيح في إنجيل متى تبين أن الأناجيل التي بأيديهم لا تثبت أمام البحث العلمي، وأنها لا قيمة علمية تاريخية لها، فكلها ظنية الثبوت، ظنية الدلالة، فكيف يحتج بهذه الظنيات على مسألة بالغة الخطورة كهذه، ويعني مسألة أن يوافق المسيح على أن يجعل قيصر شريكاً لله – تعالى – في التوجه إليه بالعمل، وإيقاع الناس في شرك الطاعة والاتباع.

ثم يتنزل المؤلف جدلاً ويفترض أن المسيح – عليه السلام – تفوه بهذه الكلمة، ويتساءل: هل يعني ذلك أن نفهم من العبارة ما فهمته الكنيسة من ظاهرها؟، ونتخذ من فهمنا هذا قاعدة هي أعظم القواعد الكنسية العملية على الإطلاق؟ ثم يعرض المؤلف العبارة التي استلوها من إنجيل متى، ويتتبع السياق لفهمها في إطارها فهماً صحيحاً على افتراض صحة ثبوتها، ونص القصة: "ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم قائلين: يا معلم، إنك صادق، وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد، فقل لنا: أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم، وقال: لماذا تجربونني يا مراؤون، أروني معاملة الجزية، فقدموا له ديناراً، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر، فقال لهم أعطوا إذن ما

لقيصر لقيصر وما لله لله، فلما سمعوا تعجبوا وتركوه "اهـ، وهكذا شأن أعداء الرسل، وخصوم الإيمان في كل زمان، يسعون في الإيقاع بالمؤمنين، ويحاولون إثارة السلاطين عليهم بما يدركون من افتراق طريق الإيمان وطريق السلطان، يفعلون ذلك لحرمان أهل الإيمان من الاستفادة من هدوء الحال لتمضي الدعوة في خطة تكوين طلائع الإيمان، وتربيتهم لحمل الأمانة، وتبليغ الرسالة، ونشر هدايتها في الناس، ويعلق المؤلف على هذه القصة فيقول: كان المسيح – عليه السلام – وأتباعه قلة مضطهدة تتبنى دعوة جديدة ناشئة، فلم يكن في مقدورها أن تصطدم بالإمبراطورية الطاغية، وتواجهها بعداوة سافرة، ولم تكن هذه المواجهة مطلوبة منها وهي لا تزال في طور الدعوة – يقابل ذلك في الإسلام فترة ما قبل فرض الجهاد –، وهذا الطور يقتضي الالتزام بمبدأ " كفوا أيديكم " كيلا يستثار عدو باطش فيفتك بالدعوة في مهدها، ثم يقول: فالمسيح – عليه السلام – (لو صحت العبارة) وافق على إجراء مؤقت تقتضيه ضرورة الواقع، وطبيعة الدعوة المرحلية، ثم أشار إلى نظائر ذلك في مراحل الدعوة في السيرة النبوية.

ويمضي المؤلف في استعراض ما عمدت إليه الكنيسة الزائغة من عبارات موهمة تنسبها الأناجيل إلى المسيح، وهي عبارات قيلت مجازاً، أو رددت في ظروف مؤقتة، وملابسات خاصة، وإنما قصدت الكنيسة أن تقرر بهذه العبارات قواعد أصولية تؤسس عليها دينها المحرف دون مراعاة لمنطق الاستدلال، ومقتضى التحقيق العلمي.

وكان من هذه العبارات التي نسبوها إلى المسيح – عليه السلام – أيضاً: "مملكتي ليست من هذا العالم"، وأشاعت الكنيسة المفهوم الذي تريده لهذه العبارة وهو: الدنيا والآخرة ضرتان متناحرتان، وضدان لا يجتمعان، الدنيا مملكة الشيطان، ومحط الشرور والآثام، وأن سعي الإنسان فيها للسعادة والتمتع بخيراتها دنس يحرمه من ملكوت الله في الآخرة، وهو مفهوم يتيح للمفسدين من القساوسة والقياصرة الطغاة أن يعبثوا بالحياة ما شاءوا دون أن يعترض طريقهم أحد، وما كان للمسيح – عليه السلام – أن يتكلم بمثل هذه العبارة التي هي أقرب إلى النظرة البوذية الوثنية للحياة من نظرة رسول كلفه الله بدعوة الناس لعبادة الله، وتحذيرهم من اتباع الأهواء، وما

كان هذا المفهوم الذي روجوه للعبارة أن يخطر ببال أحد رسل الله الذين جاءوا لتغيير الواقع الجاهلي المنحرف، وإقامة واقع جديد تحكمه الشريعة المنزلة.

ثم أفرد المؤلف فصلاً عن البدع المستحدثة في الدين النصراني، فعد منها رجال الدين (الإكليروس)، ورفض التعليل الجاهلي لظهور طبقة رجال الدين بأنه مجرد تطور بشري ديني اجتماعي، وأنه مر بثلاث مراحل: مرحلة السحر والخرافة، ومرحلة الدين، ومرحلة العلم، وأن الإنسان حين انتقل إلى مرحلة الدين بقيت فيه رواسب موروثة عن المرحلة الأولى من أبرزها طبقة رجال الدين الذين ليسوا سوى امتداد للسحرة والكهان، فيبين المؤلف أن هذا التفسير مرفوض، وأن التصور الإسلامي للتاريخ ينظر إلى الحياة البشرية على أنها خطان متوازيان: خط مشرق يمثل البشرية حين تهتدي إلى الله، وتسلك طريق الأنبياء الذين يتعاقبون لردها إلى جادة الطريق، وخط آخر مظلم يمثل حزب الشيطان، وفترات الضلال الذي طرأ على البشرية بعد أن كانت أمة واحدة على الإيمان، والسمة العامة للتاريخ هي الصراع بين الهدى والضلال، بين الحق والباطل.

ثم أوضح أننا لا ننكر التشابه الظاهر بين رجال الإكليروس في المسيحية وبين السحرة والكهان في العصور السابقة، لكننا نرجع ذلك إلى كون الطائفتين انحرفتا عن الأصل الصحيح.

ثم تكلم عن خط الانحدار الذي يصف حالة الكنيسة وهي تتردى وتفقد صلتها بالدين، وتقطع أواصرها بالإيمان، فيقول بعد أن يشير إلى أحبار اليهود وفسادهم، وأن المسيح – عليه السلام – كان يسميهم أولاد الأفاعي، وبائعي العهد، وعباد الدنيا، قال: لكن القسيسين والرهبان لم يكونوا أفضل حالاً من الأحبار، فقد سلكوا الطريق نفسها، وانصاعوا إلى الدنيا مستعبدين أتباعهم المؤمنين، فكانت هيئة الدولة تمثل هرماً قمته الإمبراطور، وقاعدته الجنود، وكانت الهيئة الكنسية تمثل هرماً مقابلاً قمته الباب، وقاعدته الرهبان، ونتيجة لمبدأ فصل الدين عن الدولة رعت الإمبراطورية الهرم الكنسي، ولم تر فيه ما يعارض وجودها، فرسخ واستقر، وكان من البدع المستحدثة في الدين النصراني أيضاً الرهبانية: وقد بين المؤلف أن للوجود الإنساني في هذه الأرض غايةً أرادها الخالق سبحانه منذ أن استخلف الإنسان في

الأرض، وأناط به مسئولية عمرانها بالخير والصلاح، وركز في فطرته الاستعداد لهذه المهمة وبعث الرسل لقيادة الإنسان لتحقيق هذه الغاية على أكمل نموذج، وأقوم مثال، لكن الناس كانوا يضلون فيسيرون في غير الاتجاه الذي تأخذهم إليه الفطرة، وتقودهم إليه الرسل، فتستهويهم الشياطين، وتضلهم الشهوات عن سواء السبيل، فينحرفون عن الجادة في صور من الضلال متعددة ومتنوعة، وكان من هذه الصور المنحرفة النظرة غير السوية إلى الحياة وغايتها وقيمتها، والغلو في تهذيب النفس إلى حد التضييق والتعذيب، مع الانصراف عن عمارة الأرض، التي هي جزء من الغاية العظمى، ومع أن الرهبانية بدعة بشرية مشتركة بين أديان عديدة؛ إلا أن للرهبانية النصرانية ظروفاً وأسباباً أبرزتها حتى غدت من أجلى مظاهر النصرانية على مر العصور.

أسباب الرهبانية: (1) عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة، وهي إحدى التعاليم الكبرى في المسيحية المحرفة، ومرجعها عندهم أن آدم – عليه السلام – لما أكل من الشجرة عوقب بالحرمان من الجنة، فظل بنوه يرسفون في أغلال تلك الخطيئة حتى جاء الخلاص على يد المسيح ليصلب فداء للنوع الإنساني، فأصبح لزاماً على الإنسان أن يقتل نفسه ليمنحها الخلاص كما يقول متى في إنجيله: " من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ".

(2) رد الفعل المتطرف للمادية اليهودية الجشعة، والأبيقورية الرومانية النهمة.

(3) الأثر الذي خلفته الفلسفات والوثنيات التهريبية القانطة.

(4) الأوضاع الاجتماعية القاسية.

نظام الرهبانية:

ثمة شروط يتضمنها نظام الرهبانية: أولها العزوبة، وما يلزمها من التنفير من المرأة وإن كانت زوجة، وترذيل الصلة الجنسية وإن كانت حلالاً، فهذا " سان بونافنتور " أحد رجال الكنيسة يقول: إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً، بل ولا كائناً حياً وحشياً، وإنما الذي ترون هو الشيطان بذاته، والذي تسمعون هو صفير الثعبان ".

الثاني: التجرد الكامل عن الدنيا، ويعنون بها العزلة النهائية عن المجتمع، وقطع النظر عن كل أمل في الحياة.

الثالث: العبادة المتواصلة.

الرابع: التعذيب الجنوني.

صادمت هذه التعاليم المنحرفة الفطرة فكان لابد من الخسران والشقاء، وكان من تلك البدع المستحدثة كذلك الأسرار المقدسة: امتلأت الوثنيات القديمة بالأسرار والأساليب الخفية، والرموز الغامضة، وقد سجل التاريخ غلطة شنيعة على بعض أتباع الديانات باقتباسهم لأشياء من تلك الأسرار والرموز؛ وإدخالها في دينهم، وذلك ما حصل بعينه في المسيحية المحرفة.

تناول المؤلف واحداً من هذه الأسرار التي دأبت الكنيسة على استعمالها في ستر نقائصها ومخازيها، وقطع الطريق على كل محاولة تطلب تفسيراً يقبله العقل، وترفض أن تتصلت الكنيسة على عقول الناس بقولها (سر إلهي)، وكان من هذه الأسرار الإلهية الكنيسية سر " العشاء الرباني " أو " القربان المقدس ".

ثم يبين المؤلف أن ذلك كان من دس شاؤل اليهودي الذي يؤكد جوستاف لوبون – أحد النقاد العقليين – أن شعائر النصرانية ومنها العشاء المقدس بدعة منقولة عن الوثنية المثرائية، وأن شاؤل كان متأثراً بالمثرائية التي كان من شعائرها التضحية بالعجل المقدس، ولهذا كان المسيحيون الأوائل يقيمون وليمة تذكارية في عيد الفصح قوامها الخبز والخمر يرمزان إلى جسد ودم المسيح، وهي التي تعرف بعقيدة الاستحالة أ أي استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح، فليس لأحد من أتباع الكنيسة أن يسأل أو يشكك في ذلك السر، وإلا عوقب بالحرمان والطرد من الملكوت، وكانت هذه العقيدة العجيبة من الثغرات الواسعة التي دخل منها النقد المرير للكنيسة، وسبب كثيراً من الإنشقاقات الدينية، والسخرية الشديدة التي انهال بها على الكنيسة النقاد العقليون من أمثال الفيلسوف الفرنسي فولتير.

البدعة الرابعة: عبادة الصور والتماثيل: وهذه أيضاً كانت من البصمات الظاهرة التي تركتها الوثنية على الديانة النصرانية، على الرغم من أن التماثيل تعتبر من الأعمال المحرمة في شريعة التوراة، ولم يقف الحد عند كونها مظهراً من مظاهر المخالفة

لشريعتهم، بل تعدى ذلك إلى أن صارت التماثيل والصور آثار مقدسة، ومعبودات يسجد الناس لها، ويوقدون لها الشموع، ويحرقون البخور، وينثرون فوقها الزهور التماساً لبركاتها، ورجاء تأثيرها الخفي، وكان للفتوحات الإسلامية التي امتدت حتى شملت معظم المعمورة أثرها في أن يعيد كثير من شعوب الدول النصرانية نظرتهم إلى ما أصاب دينهم من لوثات الوثنية، حيث اطلعوا على عقيدة التوحيد الخالص في دين الإسلام، فأحسوا بسخافة معتقداتهم، وضحالة تفكيرهم، ففتحوا أعينهم على تلك الحضارة الغازية الشامخة الناصعة، فقامت في الغرب حركات معادية لبدعة التماثيل والصور، وطالبت بإزالة تلك الوصمة الشنيعة التي كشفت الدين الذي ينتسبون إليه، وأظهرت ما فيه من النقص والعيوب والتشويه الذي يخجلهم أمام المسلمين، لكن الكنيسة رفضت ذلك، وظل الصراع بين المنادين بتحطيم التماثيل والصور وبين الكنيسة المعاندة، وعقد مجمع نيقية الثاني عام 787م وحضره 350 أسقفاً، وقرروا جميعاً بقاء الثماثيل والصور، بل ألزموا الناس بالإغراق في ذلك بوضع التماثيل والصور كذلك في البيوت والطرقات، لبقاء أثر المسيح وأمه والرسل وسائر القديسين في نفوسنا، وبذلك انتصرت الكنيسة الوثنية على حركات الإصلاح، ثم عادت الحركة المناهضة لعبادة الصور والتماثيل للظهور مرة أخرى بعد ثلاثة قرون، وذلك حينما اتصل الغرب الوثني بالشرق المسلم إبان الحروب الصليبية، وكان البروتستانت هم الذين يتولون الحركة الإصلاحية في هذا الجانب، بينما ظل الكاثوليك على تقديسها ولعن محطميها، وبلغ الهوس بهؤلاء المفتونين بصور المسيح – عليه السلام – وأمه أن قامت إحدى شركات السينما في السويد بإنتاج فيلم عن " حياة المسيح الجنسية "، في ابتذال وامتهان لم يحرك في الدول الغربية ساكناً، بينما احتجت بعض المنظمات الإسلامية، وطالبت بإيقاف عرض الفيلم، ولم يقتصر الأمر على المسيح وأمه بل إن الكنيسة تجرأت على الباري – جل شأنه – وصورته كما تصور المخلوقين – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً –، معلنين أنهم لا يمكنهم أن يفهموا الله إلا عن طريق تصوره بالصورة البشرية، كما يقرر ذلك أحد علماء الكنيسة. ويتابع المؤلف عرض البدع التي استحدثت في النصرانية؛ فيذكر منها المعجزات والخرافات، فكان من الطبيعي لدين مركب من تعاليم المسيح، وكم هائل من

المعتقدات الوثنية؛ أن يجد صعوبة في الإقناع العقلي، والبرهان المنطقي، فذهب يعوض هذا النقص بادعاء الخوارق التي هي في حقيقتها أوهام وأخلاط، بقصد التمويه على العقول الضعيفة، والنفوس الساذجة، وساعد الإرث الوثني على تقبل جماهير الناس المتعلقة بالكنيسة بهذه السخافات، واتسع نطاق تلك الأوهام حتى أصبحت مكانة رجل الدين وقداسته مرهونة بما يظهر على يديه من الخوارق، وما يتعاطى من الشعوذات، وما يأتي به من ألاعيب تجهل العقول الساذجة علته الحقيقية، مدعياً أن ذلك هبة من الروح القدس له، ويسجل لنا التاريخ أمر " الساعة " التي أهداها هارون الرشيد إلى الإمبراطور (شارلمان)، فأصابه الفزع هو وحاشيته ظانين أن بها جناً يحركها، فكيف بعامة الشعب من الفلاحين والرعاة؟!.

وكان لهذه الخرافات جذور عميقة في نفوس أتباع الكنيسة، ولهذا كانوا يتعلقون بالقساوسة، ويعتقدون فيهم قدرات خارقة في صد العواصف، وإنزال المطر، وكانوا ينزلون بهم أشد النكال إذا فشلت تراتيلهم في تحقيق آمال الناس، فكم من قديس أهانوه وضربوه، ونزعوا أجنحته الذهبية، وركبوا له أجنحة ورقية إهانة له على فشله، كما كانت صيحاتهم الغاضبة تعلو في الساحات الكبرى حيث يأتون بهؤلاء القديسين الكذبة، ويقيدونهم عراة، ويهتفون بهم: المطر أو حبل المشنقة.

وأشار المؤلف إلى عدد من تلك الخرافات التي كانوا يشيعونها في الناس، فذكر خرافة " تجلي العذراء " التي يثيرونها بين الحين والحين، وذكر أيضاً خرافة الرقم (13)، ويبين أن أصله أن يهوذا الذي دل على المسيح هو التلميذ الثالث عشر للمسيح، فكان ذلك مصدر شؤم للكنيسة وأتباعها.

ومن البدع المستحدثة في الديانة النصرانية بدعة: صكوك الغفران، وهي الصكوك التي كان القساوسة يمنحونها لأتباع الكنيسة ليتطهروا من الخطايا، ضامنين لهم المغفرة، مطلقين لهم العنان ليفعلوا ما شاءوا من المعاصي، طالما اشتروا هذا الصك، أما البؤساء ممن لا يملكون المال لشراء هذا الوهم فيظلون محرومين من هذه الموهبة مهما بلغ تقواهم وحبهم للمسيح، وتعلقهم بالعذراء.

وكان الأساس الذي بنيت عليه هذه الأكذوبة هو فكرة القداسة التي ادعاها رجال الدين، والتي بني عليها فكرة الاستشفاع بهم لدى الله لمغفرة الخطايا، وظل الجهلة

والسذج يتوسلون إلى القساوسة راجين الشفاعة، والتقرب إلى الله زلفى؛ فنتج عن ذلك مبدأ التوسط بين الله والخلق، حتى أصبحت وظيفة رجل الدين المسيحي القيام بهذه الوساطة، فعن طريقه تؤدى الصلاة، ويتناول العشاء الرباني، وهو الذي يقوم بالتعميد، وطقوس الزواج، والموت، ويتقبل الاعترافات بالمذنبين.

ثم يبين المؤلف أن هذه الصكوك إنما بدأت حين كانت الكنيسة تواجه ظروفاً عصيبة إبان الحروب الصليبية التي بلغ معها يأس النصارى من تحقيق النصر على المسلمين مبلغاً عظيماً، وأصاب الشعوب الأوروبية إحباط شديد؛ فاخترعت الكنيسة فكرة هذه الصكوك كتجسيد لأماني المشتركين في تلك المعارك بالمغفرة، ولشحذ هممهم للاندفاع في المشاركة في تلك الحروب، كما يقول ول ديورانت في قصة الحضارة.

ويخلص المؤلف من هذا العرض لهذه البدعة بقوله: وعليه فلم يكن يحظى بالحصول على صك الغفران إلا رجل ذو مال يقدر على شرائه حسب التسعيرة التي تحددها الكنيسة، أو رجل يحمل سيفه ليقاتل تحت راية الكنيسة، وغير هذين رجل ثالث فقير لا مال له، أو عاجز عن القتال، أو رجل غير مستعد للموت في سبيل الكنيسة، لكنه يظل أسير صراع نفسي مرير، وشعور بالحرمان قاتل.

وهكذا فالكل مضحون، والكل خاسرون، والكنيسة هي الرابح الوحيد، حيث أثرت ثراء فاحشاً من عملية بيع الصكوك، وإن كانت عند الله أذل مقاماً، وأخسر صفقة.

ومن الوجهة السياسية قويت الكنيسة، وتدعمت سلطتها، فكان الثراء والنفوذ بعض ثمار تلك البدعة التي دفعت الكنيسة إلى الطغيان والغطرسة الباغية، ولم ينتبه رجال الكنيسة الذين أعماهم الغرور بسبب ما وصلوا إليه من الغنى والسيطرة عن خطر هذا الطغيان عليهم، فكانت مهزلة صكوك الغفران مسماراً في نعش الكنيسة، وبداية لنهايتها، حيث هبط سوق الصكوك، وأصابه الكساد، وتجول القساوسة ببضاعتهم يبيعونها بأبخس الأثمان، فازداد إعراض الناس عنها، حيث تولد لديهم شعور بأن شراءها إن هو إلا إضاعة للمال فيما لا فائدة فيه، أو أنه غير مضمون العاقبة، وتبع ذلك الشعور ظهور الفضائح التي كشفت جانباً من سيرة رجال الكنيسة وفجورهم، فكان ذلك إيذاناً بالشك الكبير في قداسة هؤلاء القساوسة وصلاحهم،

وتوحدت المشاعر من مختلف قطاعات الشعب بالعداوة والازدراء تجاه رجال الكنيسة، ورأى الأوربيون – حكاماً ومحكومين – الحياة الكريمة التي يعيشها الشرق الإسلامي، حيث لا كهنوت، ولا طغيان، ولا احتكار، فهزت هذه الرؤية أنفسهم، وبهرت عيونهم، فباتت صكوك الغفران في نظرهم هراء لا طائل تحته، وعبئاً يبعث على الاشمئزاز والاستخفاف.

ولما كانت الكنيسة هي الدين النصراني في نظر أتباعها كان لابد أن يهتز الدين كله في نظرهم باهتزاز صورة الكنيسة، وفقدان الثقة في قدسيتها وطهارة رجالها، وكان ذلك هو بداية السير في طريق الكفر، ونبذ الدين، واستغل أعداء الدين – لا سيما اليهود – تلك الأجواء فبذروا على الفور بذورهم بالمناداة بطرد الدين من حياتهم، ووضعوا أمامهم ذلك الخيار الصعب الذي مفاده: إما أن يؤمن بصكوك الغفران فيحكم على نفسه بالجمود، والغباء، والرجعية المتناهية، وإما أن يكفر بها فيلزمه الكفر بالإطار الذي يحويها بكامله؛ إطار الدين والغيبيات، لا سيما الآخرة، وهو الخيار الذي جسده الفيلسوف اليهودي الوجودي " جان بول سارتر" في إحدى رواياته المشهورة (الشيطان والرحمن).

هذا مع أن الكنيسة في عصرنا الحاضر لا تصدر تلك الصكوك المخزية، بل تستحي من ذكرها، وتخجل كلما دار الحديث عنها.

الباب الثاني: أسباب العلمانية: وفيه أربعة فصول: الفصل الأول: الطغيان الكنسي: أسبابه، أنواعه (الطغيان الديني – الطغيان السياسي – الطغيان المالي)، الفصل الثاني: الصراع بين الكنيسة والعلم، الفصل الثالث: الثورة الفرنسية: (الفكر اللاديني – وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير – القوى الشيطانية الخفية)، الفصل الرابع: نظرية التطور: (آثار الداروينية – انهيار العقيدة الدينية – نفي فكرة الغاية والقصد – حيوانية الإنسان وماديته – فكرة التطور المطلق).

بدأ المؤلف في فصل الطغيان الكنسي إلى التعريف بداء الطغيان، وبيان أنه مرض يدمر النفس الإنسانية حين تصاب به، وأن من خصائصه أنه لا يصيب إلا ذا نفس هزيلة أتيح لها وسائل تفوق طاقتها، ولم يكن لديها ما تتحصن به من خلق أو إيمان يكبح جماحها، وأشار إلى أن ظهور هذا المرض على الحكام الوثنين، أو الطغاة من

زعماء الدنيا؛ فإنه يكون معقولاً إلى حد ما، أما حين يصدر هذا السلوك الشائن ممن يراهم الناس قديسين ورسل سلام فهذا مما يشق على النفس تحمله، ويصعب على العقل تقبله، فهم الرجال الذين طالما سمعوا منهم عبارات التسامح والمحبة في مواعظهم الدينية. ويبحث المؤلف في أسباب ذلك الطغيان الذي كانت الكنيسة تمارسه، فأشار إلى الاضطهاد الذي أوقعه الوثنيون من الرومان على أتباع المسيح – عليه السلام –، والذي ألجأ هؤلاء الأتباع إلى التخفي بالدعوة، وإخفاء ما بأيديهم من نسخ الأناجيل، التي كانت تتعرض للمصادرة والحرق، مما أدى إلى انحصار المصادر الدينية للمسيحية على فئة قليلة من الناس كان لهم وحدهم حق شرحها وتأويلها، فلم يكن بأيدي الناس من المصادر التي يراجعون على أساسها ما يسمعون من رجال الكنيسة، فتكلم هؤلاء وحدهم، وكان على الناس جميعاً أن يسمعوا من هذه الفئة التي احتكرت حق الشرح والبيان، فكان على الناس أن يقدموا الطاعة العمياء، فشجع ذلك رجال الكنيسة على الطغيان، وفرض سلطانهم وتعميق هيبتهم لدى الناس، وكان من نماذج هذا الطغيان:

الطغيان الديني: فمنذ مجمع نيقية عام 325م والكنيسة تمارس الطغيان الديني، حيث فرضت عقيدة التثليث، ولعنت مخالفيها، وعذبت الموحدين، ومارست التحليل والتحريم، والنسخ والإضافة، فحرمت الختان، وأباحت الميتة، والتماثيل، والضرائب التي تجبيها الكنائس، وغير ذلك من المحرمات التي أحلتها المجامع الكنسية، كما أضافت الكنيسة ألواناً من المعتقدات الوثنية كقضية الاستحالة في العشاء الرباني، وعقيدة الخطيئة الموروثة، وعقيدة الصلب، والعذراء، والطقوس السبعة، وفرضت الكنيسة كل ذلك على أتباعها بحجة أنها أسرار عليا لا يجوز الشك فيها، بل لا يجوز الخوض فيها.

لم يقف الأمر عند هذا الحد من الطغيان الذي فرض على الناس الانصياع لتلك المعتقدات، بل تعدى ذلك إلى إنزال النكال البشع بكل من تسول له نفسه الاعتراض أو التبرم من أحوال الكنيسة، وفساد رجالها، وما خبر محاكم التفتيش بجديد، فقد كان المسلمون في الأندلس هم الضحية الأولى لتلك المحاكم البشعة، فقد أبيدوا إبادة تامة بأقسى وأشنع ما يتخيله الإنسان من الهمجية والوحشية، وكانت المحكمة الأم لهذه

المحاكم الوحشية (المحكمة المقدسة!! في روما)، وإن المؤرخين ليصابون بالرعب عند ذكر هذه المحاكم، وسرد تاريخها الأسود، فكيف بالضحايا الذين وقع عليهم هذا العذاب الذي يفوق الخيال، وكان يكفي لوقوع الشخص في هذا العذاب الرهيب أن يوشي به جاره أنه سمعه يذكر الثالوث أو المعجزات بما يعد في نظر رجال الكنيسة جريمة يستحق صاحبها أن يقطع جسده، أو يفرم في مفارم اللحم، أو يشعل تحته النيران الخفيفة ليموت موتاً بطيئاً، أو تغرز الكلاليب في لسانه ويشد فيقطع، وعقدت الأهوال ألسنة كبار العلماء الأفذاذ مثل نيوتن، وبيكون، وديكارت، وكانت، وغيرهم، فلم يجرؤ أحد منهم على التلفظ بكلمة تثير عليهم غضب رجال الكنيسة القساة.

الطغيان السياسي: من الطبيعي أن يكون لرجال الدين في أي أمة أثرهم الطيب في المجتمع، وأن تكون أزمة الأمور في أيديهم، لتقويم المعوج، وتصحيح الخطأ، أما أن يتحول رجال الدين إلى طواغيت ومحترفين سياسيين، مع نبذ شريعة الله، ليحل محلها التسلط والاستبداد، فذلك العجب العجاب، لكن هذا هو الذي حدث من الكنيسة، حيث تناحر البابوات مع الأباطرة على النفوذ، والقبض على مقاليد الأمور في المجتمع، ولم يفتأ البابوات يعلنون أن الكنيسة – بوصفها نظاماً إلهياً – خليقة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية، ومن حق البابا وواجبه أن يخلع الملوك غير الصالحين، أو يرفض اختيار البشر للحكام.

ظلت الكنيسة على هذا الحال من السلطة الروحية البالغة، والهيكل التنظيمي الدقيق والاستبداد المطلق، فكان البابوات هم الذين يتولون تتويج الملوك والأباطرة، كما كان بإمكانهم خلع الملوك وعزلهم بإرادتهم المحضة، ومن رفض الرضوخ لأحكام البابوات أسقط البابوات عنه الشرعية، وأعلنوا الحرب عليه، ولعل خير مثال على ذلك يعرضه علينا المؤرخ البريطاني "ويلز"، وكذلك "ديورانت" في (قصة الحضارة) وهو حادثة الإمبراطور الألماني (هنري الرابع) المشهورة مع البابا جريجوري السابع، فقد جرى بينهما خلاف فظن الإمبراطور أن بوسعه أن يخلع البابا، فرد البابا بخلعه، وألب عليه أتباعه والأمراء، فعقد الأمراء مجمعاً وقرروا فيه أن الإمبراطور سيفقد عرشه إلى الأبد إذا لم يحصل على عفو البابا، وخضع الإمبراطور، وأذل نفسه، وسافر مجتازاً جبال الألب في برد الشتاء القارس، وظل واقفاً في فناء القلعة ثلاثة أيام وهو

في لباس الرهبان، متدثراً بالخيش، حافي القدمين، عاري الرأس، مظهراً كل علامات المسكنة والتوبة حتى ظفر بالمغفرة، وحظي برضا البابا!

وأشار المؤلف إلى نماذج من التحديات التي كانت تصدر من بعض الملوك تجاه الكنيسة لكنها كانت تتحطم أمام نفوذ الكنيسة وطغيانها، وكان من أشهر هؤلاء الملوك الذين قاوموا هذا الطغيان الإمبراطور " فردريك الثاني " الذي عرف بصلابته التي عزاها المؤرخون إلى ثقافته العربية والإسلامية، حتى اتهمته الكنيسة بأنه اعتنق الإسلام، وسمته الزنديق الأعظم، فدافع هذا الإمبراطور عن نفسه برسالة عدت وثيقة هامة في وصف الصراع بين البابوات والملوك، أو الصراع بين الكنيسة والعلمانيين الذي كان يثور ويتأجج، فكان موقف فردريك ظاهرة فذة، لكنها لم تصمد أمام قرارات الحرمان، وسطوة الكنيسة الباغية.

الطغيان المالي: بيّن المؤلف أن الأناجيل على ما فيها من تحريف كانت قاطعة في الدعوة إلى الزهد، والتنفير من التهالك على ملذات الدنيا، لا سيما جمع المال والافتتان به، وأن المسيح – عليه السلام – كان أسوة حسنة في ذلك فقد عزف هو وحواريوه عن الدنيا عزوفاً صادقاً بينما كان القوم من اليهود ينظرون إلى الدنيا نظرة جشع لا ينتهي، وشره لا ينقطع. وجاءت القرون التالية فشهدت مفارقات عجيبة بين مفهوم الكنيسة في هذا الأمر وبين واقعها العملي، فبينما كانت تحرم ما أحل الله من الطيبات متأثرة بتلك النظرة التشاؤمية للحياة الدنيا؛ كانت سيرتها الذاتية مخزية، حيث تهالكت على الدنيا، وامتصت دماء أتباعها، وعاش رجالها في بذخ متناه، وكانت أملاك الكنيسة الإقطاعية من الأراضي تفوق كبار الإقطاعيين في أوروبا، حتى بلغت ممتلكاتها الإقطاعية ثلث أراضي إنجلترا، كما كانت تأخذ الضرائب الباهظة من الباقي من الأرض، كما فرضت الكنيسة العشور على غلات الأراضي الزراعية والمهنيين، ولم تكتف الكنيسة بالأوقاف والعشور بل فرضت الرسوم والضرائب، كما كانت تحظى بالكثير من الهدايا والهبات التي كان الأثرياء يقدمونها لها للتملق، أو الرياء، أو ما كان منها على سبيل الصدقة والإحسان، وفوق ذلك كانت هناك المواسم المقدسة، والمهرجانات الكنسية التي كانت تدر على الكنيسة أموالاً طائلة، كما كانت الكنيسة ترغم أتباعها على العمل المجاني في حقولها وفي مشروعاتها لا

سيما بناء الكنائس والأضرحة، كان كل ذلك يملأ نفوس الناس جميعاً بالسخط، إلا أن الظروف لم تكن مواتية لإعلان هذا السخط، أو التعبير عنه بشكل صريح.

الفصل الثاني: الصراع بين الكنيسة والعلم:

بين المؤلف في هذا الفصل أن الصراع الذي نشب بين العلم والدين كان من أعقد وأعمق المشكلات في التاريخ الفكري الأوروبي، ورغم كل الظواهر البارزة في الحياة الغربية التي تؤكد أن المعركة قد حسمت لصالح العلم، فإن هناك ما يدل على أن الدين أو بعض قضاياه الاعتقادية والسلوكية لا يزال موجوداً، وأن المعركة لم تحسم نهائياً، بل هي مستمرة، وأن كل طرف من الطرفين قد حقق في هذا الصراع ثباتاً وصموداً، أو تمكن من احتلال مساحات من مناطق نفوذ الآخر، فالمناطق التي احتلها العلم من مناطق نفوذ الدين هي في الحقيقة المواقع التي انتصر فيها العقل واليقين على الخرافة والوهم، كما أن المواقع التي صمد فيها الدين أمام الهجوم العلمي الكاسح هي المواقع التي انتصرت فيها الحقيقة الموحاة على التخرصات والأهواء.

ويلخص المؤلف هذه الفكرة في عبارة موجزة فيقول: إن الحق في كل من الطرفين هو الذي انتصر أو سينتصر على الباطل في كليهما، وأنه لو كان الدين الأوروبي يقيناً مجرداً، والعلم الأوروبي يقيناً مجرداً؛ لما حدثت معركة على الإطلاق، ويضيف: إن الدين بصبغته الإلهية النقية لم يدخل المعركة، ولهذا فإن الأوفق أن نسمي ما حدث في الغرب صراعاً بين الكنيسة والعلم وليس بين الدين والعلم.

ثم يبين أن جناية رجال الدين الأوربيين على الحقيقة كانت أشنع وأنكى من جناية أنصار العلم عليها، ذلك أن الكنيسة ارتكبت خطأين فادحين: أحدهما تحريف حقائق الوحي الإلهي، وخلطها بالفلسفة والأهواء، والآخر فرض الوصاية الطاغية على ما ليس داخلاً في نطاق اختصاصها.

كانت أوربا مستغرقة في دياجير الخرافة والجهل، فعرفت الطريق إلى النهضة العلمية التي كانت تشع من الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية، فاستيقظ العقل الأوروبي من سباته، وأخذ يقتبس عن المسلمين طرائق البحث، ومناهج التفكير، وهنا ثارت الكنيسة، وهاج هياجها على أولئك الذين يتلقون علوم الكفار (المسلمين)!،

ويلتفتون عن الكنيسة وتعاليمها، فأعلنت حالة الطوارئ، وشكلت محاكم التفتيش، فاشتعلت المعركة، وازداد أوارها بمرور الأيام.

ثم استعرض المؤلف مراحل ذلك الصراع فتحدث عن النظرية التي هزت الكنيسة، وأذهبت قدراً كبيراً من ثقة أتباعها فيها، وهي النظرية الفلكية التي قدمها كوبرنيق 1543م وخالف فيها ما كانت الكنيسة تعتقده من أن الأرض مركز الكون، وأن الأجرام السماوية كافة تدور حولها، ولم ينج من محاكم التفتيش لأنه كان قسيساً بل لأن المنية أدركته بعد طبع كتابه بقليل، فأفلت من عقوبة الكنيسة، التي حرمت كتابه، واعتبرته من وساوس الشياطين، وجاء بعده " برونو" بتأكيد نفس النظرية، فسجنته الكنيسة فأصر على رأيه فأحرقته، ثم جاء جاليليو فأيد النظرية فلقي في السجن العذاب والمهانة، وكاد أن يلقى نفس مصير برونو لولا أنه خشي على حياته فأعلن ارتداده عن أفكاره، وركع ذليلاً أمام رئيس المحكمة، وراح يلعن ما توصل إليه، ويصفه بالإلحاد، وتعهد بالإبلاغ عن كل ملحد يوسوس له الشيطان بتأييد مثل هذه الأبحاث المضللة!! وبعد مدة من الزمن راجت تلك النظرية الفلكية، وهبطت أسهم الكنيسة، وطالب العلماء ودعاة التجديد بتقديس العقل واستقلاله بالمعرفة بعيداً عن الوحي، ثم ظهر ديكارت فدعا إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة، واستثنى الدين تحت الرهبة من الكنيسة التي لم يزل لها نفوذ وسطوة.

وهذه الازدواجية في الفلسفة والنظر العلمي، والفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي ظهرت أيضاً في منهج " بيكون " التجريبي، الذي كان يمثل مرحلة طبيعية في سلم التدرج من الإيمان المطلق بالوحي إلى الإنكار المطلق له، بيد أن بعض الفلاسفة آثر الدخول المباشر على آراء الكنيسة وإخضاعها للمنهج العلمي، ومن هؤلاء " سبينوزا " اليهودي الذي وضع أسس مدرسة النقد التاريخي، وقد أعمل سبينوزا منهجه بدراسة الكتب الدينية بنفس المنهج الذي تدرس به الروايات التاريخية، واستنتج أن أسفار التوراة لم يكتبها موسى، وإنما كتبت بعده، ثم جاء باسكال ووجه النقد لعقيدة الخطيئة، ثم جاء " جون لوك " فكان أبلغ من ديكارت في المطالبة بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض، ثم دعا إلى التسامح الديني، وإفساح الطريق أمام الناس ليعتنقوا ما شاءوا من الأديان، على أن كل ذلك كان يظهر بتلطف وحذر

حيث كانت الكنيسة تتربص بأصحاب تلك الأفكار، وتخيفهم بمحاكم التفتيش، وقد تعرضت كتب هؤلاء العلماء للحرق والمصادرة، كما تعرضوا هم للإيذاء والمضايقة من قبل الكنيسة، ثم جاء " نيوتن " وظهرت نظريات علمية هزت الكنيسة وأثارتها، كان من هذه النظريات القول بأن من الممكن تفسير ظواهر الطبيعة بربط بعضها ببعض دون حاجة إلى تدخل قوى خارجية عنها، وكانت هذه النظرية بمثابة النواة للمذهب الطبيعي، والنظرية الميكانيكية.

حاربت الكنيسة هذه النظرية على أساس أنها أهملت الاعتقاد في أن الله هو الذي يسير كل حركة في الكون، ولم يتسع أفق الكنيسة لإدراك أن نسبة الأفعال إلى الأسباب والوسائط لا يلزم منه إنكار نسبتها إلى الله – تعالى – باعتباره الفاعل الحقيقي، لكن الكنيسة دأبت على محاربة كل جديد، فترتب على ذلك جنوح أصحاب النظرية برد فعل أهوج، فأنكروا عمل العناية الإلهية، وأعلنوا أن كل ما عرفت علته المباشرة فلا داعي لافتراض تدخل الله فيه – حسب تعبيرهم –.

كان اندفاع الباحثين والعلماء في مواجهة الكنيسة، والانفكاك من ربقة رجالها المتغطرسين؛ يعبر بشكل صريح بكفرهم بالكنيسة وبرجال الدين، وساعدت نظرية نيوتن على إيجاد فكر لا ديني منظم، وربما كانت النظرية قد مهدت للثورة الفرنسية، وفتحت الطريق أمام نظرية دارون التي كانت إيذاناً بأفول نجم الكنيسة، وانتهاء وصايتها الفكرية على أوروبا، وولادة آلهة جديدة لا كنائس لها، ثم ظهر في القرن الثامن عشر روح جديدة عمت الباحثين والفلاسفة والعلماء، دار محورها حول العقل والطبيعة، وتعالت الأصوات بتضخيم دور العقل، وبأنه الحكم على كل شيء، وأن ما عداه فوهم وخرافة، فالوحي يخالف العقل، فهو أسطورة كاذبة، وصار لزاماً على الذين نبذوا الإيمان بالله كلية أن يبحثوا عن بديل فوجدوه في الطبيعة، فخلعوا على هذا المسمى كل صفات الله التي عرفوها في المسيحية مع فارق بين الإلهين في نظرهم، فإله الكنيسة يبطش ويعذب، ويفرض القيود، أما إله الطبيعة فجذاب ليس له كنيس، ولا يفرض طقوساً، ولا صلوات، ولا رجال دين يستعبدون الناس.

وسادت تلك العبادة الجديدة؛ عبادة العقل والطبيعة، فكانت سمة هذا العصر الذي سمي عصر التنوير، وتوالت انتقادات العلماء للكنيسة ترسم خط العداء الذي ظهر

في أجلى صوره على يد فولتير الذي انتقد عقيدة التثليث، وتجسيم الإله، وأشار إلى أن " بولس " طمس المسيحية وحرفها، ونادى بأن الطاعة إنما هي طاعة البشر باسم قوانين الدولة، وأن على رجال الدين أن يخضعوا مع جميع الناس لنظم الدولة، فلعنته الكنيسة، وحرمت قراءة كتبه، ونتج عن المذهب العقلي الجديد بالإضافة إلى نظرية نيوتن مذهبان جديدان على العالم الإسلامي ينمان عن التخبط والضياع: الأول: مذهب المؤلهة أو المؤمنين بإله مع إنكار الوحي.

الثاني: المذهب الإلحادي المادي.

المصدر : http://www.islamselect.com/admin/fback.php

=============

#العصرنة البراقة قنطرة العولمة الجائرة

الدكتور علاء الدين زعتري

المتأمل في حال المجتمعات الإسلامية وبخاصة في القرن الأخير، وكيف غزاها الانحراف والتغريب بواسطة أعداء الإسلام، يجد أنها لا تخلو من حالين:

الحال الأولى: حال المجتمعات التي يكون الغزو فيها مباشراً؛ وهي المجتمعات الإسلامية التي لم تكن لها مرجعية علمية، أو هيئة شرعية تذكر، تقف سدًا منيعاً أمام ذلك الغزو. فهذه سهل اقتحامها واستباحتها من العدو وعملائه اللادينيين.

الحال الثانية: حال المجتمعات التي يكون فيها الغزو من خلال (وسيط) أو (ناقل) يلبس لباس الإسلام. وهي المجتمعات الإسلامية التي تأوي إلى مرجعية علمية أو هيئة شرعية في معظم أمورها أو في النوازل التي تحل بها، مع ارتباط (شرعي) بولاة أمرها.

وعندما فشل الأعداء بالغزو العسكري . وقد أعادوا الكرة في العراق . لجأوا إلى الغزو الفكري في سبيل صرف الأمة عن دينها.

ويستخدم الأعداء مجموعة من أبناء الأمة من خلال تيار ما يسمى (بالعصرانيين) الذين ظنوا بجهلهم أنهم يوفقون بين أحكام الشريعة ومتطلبات العصر، ولكنهم أصبحوا كما قال ألبرت حوراني: "قنطرة للعلمانية عبرت عليها إلى العالم الإسلامي؛ لتحتل المواقع واحداً تلو الآخر".

ومن ثم يكون مصير أفراد دعاة العصرانية مصير أي وسيلة استخدمت فاستنفذت أغراضها.

ومن المؤسف أن تتسلل الأفكار العصرانية إلى عقول بعض الإسلاميين الصالحين، فأخذوا يرددون مصطلحات التجديد والتطوير، ويصفون الآخرين بمصطلحات: التقليد والجمود، وطالبان والإرهاب، وذلك في مقالاتهم وكلماتهم، جهلاً أو غباءً منهم بخطورتها ومآلها على البلاد، وانخداعاً ببهرجها، وظناً منهم بأنها ستُبَلِّغهم أهدافهم.

مع أن القارئ للأفكار البراقة وللتاريخ الحديث يعلم أن مثل هذه الآراء لم تكن سوى أحبولة صنعتها يد المكر؛ لاستباحة ديار المسلمين وعقولهم واقتصادهم، وأنها لم تحقق للمسلمين إلا مزيداً من الذل والصغار والخضوع للأعداء، فضلاً عن التفريط بمهمات الدين وشرائعه.

ومن مظاهر تسلل هذه الأفكار:

القول: بأن كل موحد لله يدخل الجنة، دون اشتراط الإقرار بنبوة رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم –!.

الدعوة إلى إقامة (المجتمع المدني)!.

الحديث عن المرأة في الإسلام؛ على أنها المظلومة المسكينة، التي تجد كرامتها، والتفتيش عن أقوال شاذة تدعم إظهار جسدها، وصحة اختلاطها مع الرجال، وجعل الحجاب معللاً بالعفاف!.

الحديث عن الإسلام والعلوم الشرعية على أنها تراث، وليس ديناً، والفرق واضح بينهما، فالتراث من صنع البشر قابل للتغيير والتطويع.

ألا فليأخذ الدعاة حذرهم ويتبصروا أمرهم وما يكيده الأعداء لهم، فلا ينساقوا وراء الأفكار العصرانية مهما تزخرفت وتزينت كما انساق غيرهم، فيكون حالهم مع مجتمعهم كحال من:

رام نفعاً فضرَّ من غير قصدٍ *** ومن البر ما يكون عقوقًا

الأفكار التي كان الاحتلال يريد ترويجها بين المسلمين عن طريق (العصرانية):

1–التقريب بين المسلمين والكفار، وقد ابتدأت جهود محمد عبده في هذا الأمر عندما كان منفياً في بيروت حيث أسس جمعية للتقريب بين الأديان كما سبق– ومن أقواله:

"نستبشر بقرب الوقت الذي يسطع فيه نور العرفان الكامل، فتهزم له ظلمات الغفلة، فتصبح الملتان العظيمتان: المسيحية والإسلام وقد تعرفت كل منهما على الأخرى، وتصافحتا مصافحة الوداد، وتعانقتا معانقة الألفة، فتغمد عند ذلك سيوف الحرب التي طالما انزعجت لها أرواح الملتين"!.

2-إماتة روح الجهاد في الأمة الإسلامية، ولهذا كان محمد عبده يرى بأن الجهاد في الإسلام هو للدفاع فقط! ويقول: "القتال فيه أي الإسلام- لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله". وهكذا كان رأي تلاميذه من بعده.

3 - الدعوة إلى "تطوير الإسلام لكي يوافق الأمر الواقع في حياتنا العصرية؛ من خلال: فتح باب الاجتهاد على مصراعيه؛ حتى دخل منه القادر وغير القادر، وصاحب الورع وأصحاب الهوى؛ فظهرت الفتاوى الشاذة من جراء ذلك.

وللشيخ محمد عبده نصيب كبير من هذه الفتاوى (العصرية) التي طوعت أحكام الإسلام لما يريده الأجنبي أو ما يريده أهل العصر؛ كفتواه بإباحة ربا صناديق التوفير!.

4- الدعوة إلى تحرير المرأة المسلمة، وهو هدف أساس لدى أعداء الإسلام في كل حين وآن، وقد قام الشيخ! محمد عبده ومدرسته بتحقيقه أيما تحقيق.

فمخاطبة الرجل للمرأة ينبغي أن تكون بغرائزها، لا بعقلها وفكرها.

كيف صُنعت العصرانية؟!

لقد استخدم الإنجليز في مصر بقيادة كرومر خطة ماكرة في سبيل صناعة الطائفة العصرانية وتقديمها لأبناء المجتمع المصري المسلم كممثل للصوت الإسلامي.

ومن المهم جدًا معرفة نقاط هذه الخطة الماكرة؛ لأنها مما كرره ويكرره الغرب وأذنابه في مختلف بلاد المسلمين؛ ليحذرها أهل الإسلام لا سيما الدعاة -. فإليك ما تبين لي منها:

1-الثناء والمديح من الغرب على الطائفة العصرانية: وأنها تمثل (وسطية) الإسلام! واعتداله! فمن ذلك: قول اللورد كرومر عن محمد عبده ومدرسته: "لما أتيت مصر القاهرة سنة 1883م كان الشيخ محمد عبده من المغضوب عليهم لأنه كان من كبار الزعماء في الحركة العرابية. غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبقاً لما

اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضياً في المحاكم الأهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة. وفي سنة 1899م رقي إلى منصب الإفتاء الخطير الشأن فأصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الإسلامي مع ما به من سعة العقل واستنارة الذهن. وأذكر مثالاً على نفع عمله: الفتوى التي أفتاها في ما إذا كان يحل للمسلمين تثمير أموالهم في صناديق التوفير، فقد وجد لهم باباً به يحل لهم تثمير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الإسلامي في شيء.

وقال أيضاً: "إن حزب الشيخ محمد عبده هو الحزب المعتدل في مصر"، ويقول أحد المستشرقين عن محمد عبده: "يعد من أشهر الشخصيات المحترمة في تاريخ الإسلام الحديث..... إن كتابات الشيخ محمد عبده تمتاز بشيء من الجدة في روحها ..."، ويقول الدكتور الإنجليزي ادوارد براون عنه: "ما رأيت في الشرق ولا في الغرب مثله"!!.

2- تسليط الأضواء عليهم وتلميعهم عبر وسائل الإعلام!

فقد أحيطوا بالأسباب التي تبني لهم مجداً وذكراً بين الناس، ولم يكن الغرض من ذلك هو خدمتهم، ولكن الغرض منه كان ولا يزال هو خدمة المذاهب والآراء التي نادوا بها، والتي وافقت أهداف الاستعمار ومصالحه.

فقد أصبح يكفي في ترويج أي مذهب فاسد في تأويل الإسلام كما لاحظ جب في كتابه (Modern Trends in Islam) أن يقال: إنه يوافق رأي فلان أو فلان من هؤلاء الأعلام. ويكفي في التشهير بأي رأي سليم أن يُنسب إلى ضيق الأفق، الذي لا يلائم ما اتصف به هذا أو ذلك من سعة الأفق والسماحة وصحة الفهم لروح الإسلام، على ما تزعمه الدعايات. وليس مهماً أن يكون ذلك عن حسن قصد منهم أو عن سو قصد، وليس مهماً أن يكون الاستعمار هو الذي استخدمهم لذلك، ووضع على ألسنتهم وأقلامهم هذه المذاهب والآراء، أو أن تكون هذه الآراء قد نشأت بعيدة عن حضانته ورعايته، ثم رآها نافعةً له، فاستغلها وعمل على ترويجها.

المهم في الأمر هو أن المجد الذي ينسب لهؤلاء الأفراد ليس من صنعهم ولا هو من صنع الشعوب التي عاشوا فيها، ولكنه من صنع القوى التي استخدمتهم أو التي تريد

أن تستغلهم، سواء كانت هذه القوى هي الاستعمار أو هي الصهيونية العالمية بمختلف وسائلها وأجهزتها.

وخطة الاستعمار والصهيونية العالمية في ذلك كانت تقوم ولا تزال- على السيطرة على أجهزة (الإعلام)، وإلقاء الأضواء من طريقها على كتاب ومفكرين من نوع خاص، يُبْنَون ويُنَشَّؤن بالطريقة التي يُبْنى بها نجوم التمثيل والرقص والغناء، بالمداومة على الإعلان عنهم، والإشادة بهم، وإسباغ الألقاب عليهم، ونشر أخبارهم وصورهم.

وذلك في الوقت الذي يُهمل فيه الكتاب والمفكرين الذين يصورون وجهات النظر المعارضة، أو تشوَّه آراؤهم وتُسفَّه، ويُشهَّر بهم. ثم هي تقوم على تكرار آرائهم آناً بعد آن لا يملون من التكرار؛ لأنهم يعلمون أنهم يخاطبون في كل مرة جيلاً جديداً، أو هم يخاطبون الجيل نفسه، فيتعهدون بالسقي البذور التي ألقوها من قبل".

3- تشجيعهم ودعمهم في تولي المناصب المهمة:

يقول اللورد كرومر: "إنني قدمت لمحمد عبده كل تنشيط استطعته مدة سنين كثيرة، ولكنه عمل شاق، فضلاً عن العداء الشديد الذي كان يلاقيه من المسلمين المحافظين، كان لسوء الحظ على خلاف كبير مع الخديو، ولم يتمكن من البقاء في منصب الإفتاء، لولا أن الإنكليز أيدوه بقوة"

العصرانية والعلمانية وجهان لعملة واحدة!

من تأمل جيدًا أهداف وأفكار (العصرانيين) وجدها نفسها أهداف وأفكار (العلمانيين)، وإنما الفارق شكلي: وهو أن (العصرانيين) قدموا أفكارهم بعد أن غلفوها وألبسوها اللباس (الشرعي)، وأما (العلمانيون) فلم يفعلوا هذا.

فالطائفتان تلتقيان في نهاية الأمر حول أهداف واحدة: كالتقارب بين الأديان، والدعوة للديمقراطية الغربية، والتهوين من شأن الحكم بما أنزل الله، والتحايل على إسقاط أحكام الشريعة؛ لاسيما الحدود، والدعوة إلى تحرير المرأة.. الخ.

لهذا: فإن عقلاء الباحثين ممن ينظرون إلى مآل الأفكار لا حاضرها؛ سواء كانوا من الإسلاميين أم من غيرهم لم يخفَهم هذا الالتقاء بين الطائفتين، ورأوا أن الطائفة

العصرانية إنما هي بوابة وقنطرة للعلمانية، وأنه لا مكان في جميع الأفكار التي طرحوها للون الرمادي الذي يزعمون أنهم يتبنونه، وأنه وسط بين الأبيض والأسود، فهذا اللون في الحقيقة- لا يوجد إلا في الأذهان، أما في أرض الواقع فلا مجال إلا بالتزام أحكام الإسلام وهو اللون الأبيض، أو اللحاق بركب العلمانيين، وهو اللون الأسود.

ومن ادعى أنه سيسير بينهما فهو واهم، وعن قريب هو صائر إلى أحدهما كما حدث لتلاميذ المدرسة العصرانية؛ حيث انضم أكثرهم إلى العلمانية (الخالصة)، وتراجع قلة منهم عندما عرفوا مصير السير وراء الأفكار التوفيقية الرمادية؛ كرشيد رضا.

يقول ألبرت حوراني عن محمد عبده: "كان يريد أن يقيم سدًا في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليها إلى العالم الإسلامي؛ لتحتل المواقع واحدًا تلو الآخر، ثم جاء فريق من تلاميذ محمد عبده وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى العلمانية".

ويقول الدكتور محمد كامل ضاهر: "أعطى الشيخ محمد عبده تشجيعاً كبيراً للعلمانيين ومنطلقاتهم الفكرية، بل إنهم اعتمدوا على الكثير من آرائه لدعم اتجاهاتهم وحركتهم في مجتمع مشبع بالقيم والتقاليد الدينية الراسخة. فماذا يطلب العلمانيون أكثر من رأيه في السلطتين الزمنية والدينية؟! ونظرته إلى العقل، ودوره في تنظيم شؤون الحياة والمجتمع؟ ورأيه في المرأة وفي كثير من المسائل المالية والاجتماعية التي اجتهد فيها لمصلحة الأمة والوطن والفقراء من الناس، وليس للمصالح الفردية؟.

ويقول الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى في كتابه (تاريخ مصر السياسي) عن محمد عبده وتلاميذه بأنهم: "كانوا أكثر فعالية من كل العلمانيين الصرف"!

ويقول الأستاذ نعيم عطيه: "ولا شك في أن محمد عبده لعب دوراً رئيسياً في محاولة التوفيق بين المبدأ الديني والعلم، وبذلك أعطى العقل سندًا قوياً منتصراً له على التقليد. وفتح في الخط الديني الملتزم ثغرة كبرى أتيح بفضلها للتيار العلمي أن يدخل حلبة الصراع الفكري ويثبت أقدامه قوة قائمة بذاتها. وكان طبيعياً بالتالي أن يتحول

التيار العلمي على صعيد العمل السياسي البحت إلى دعوة للعلمانية وفصل الدين عن الدولة".

ويقول الشيخ سفر الحوالي: "لم يكن محمد عبده علمانياً، ولكن أفكاره تمثل بلا شك حلقة وصل بين العلمانية الأوربية والعالم الإسلامي، ومن ثم فقد باركها المخطط اليهودي الصليبي، واتخذها جسرًا عبر عليه إلى علمانية التعليم والتوجيه في العالم الإسلامي، وتنحية الدين عن الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى إبطال العمل بالشريعة والتحاكم إلى القوانين الجاهلية المستوردة، واستيراد النظريات الاجتماعية الغربية.

وهو قائم جميعه تحت ستار الإصلاح أيضاً.

أما الجماهير الإسلامية فقد اتخذت أفكار (الشيخ) الإصلاحية مبررًا نفسيًا لتقبلها للتغيير العلماني".

ويقول الأستاذ محمد حامد الناصر بعد دراسته لأفكار العصرانيين: "حقيقة العصرانية: دعوة إلى العلمانية".

ويقول الدكتور عبد الرحمن الزنيدي: "لقد كان من آثار خبو وهج العلمانية في البيئات الإسلامية أن تقمص بعض أتباعها رداء الإسلام؛ ليتحركوا تحت رايته بعلمانيتهم بأسماء مختلفة؛ كالإسلام التقدمي، وفكر الإستنارة الإسلامي، أو اليسار الإسلامي..."

العلمانيون يدعمون العصرانيين!!

لقد عرف العلمانيون حقيقة أفكار العصرانيين، وأنها نفس أفكارهم، ولكنها تجد القبول من سُذج المسلمين نظراً لواجهتها الإسلامية، وكونها تستتر خلف الشيخ!! فلان، والداعية!! علان، بخلاف أفكارهم العلمانية الصرفة، ولهذا فقد تترسوا بهم، ووجدوا فيهم خير مطية يمتطونها لاختراق المجتمعات الإسلامية التي لم تجد العلمانية فيها موطئ قدم، وجعلوهم طليعة لهم في غزو تلك المجتمعات وخلخلتها بطرح الأفكار المتنوعة المناسبة لهم، التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب، وكسر هيبة كبار العلماء، وشق وحدة الصف فيها؛ ليسهل عليهم بعد ذلك التمكن منها.

ولهذا كله: فلا تعجب إن سمعت أو قرأت بأن فلاناً (العصراني) يُكال له المديح من جماعة العلمانيين، ويُصدر مجالسهم وندواتهم، وتُفتح له وسائلهم، ويكتب في صحفهم؛ لأن الجميع قد التقوا على أهداف واحدة؛ فانطبق عليهم قوله – تعالى – (رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)(الأنعام: من الآية128)).

ودعم العلمانيين للعصرانيين يكون بالآتي:

1-إفساح المجال لهم ليبثوا أفكارهم عبر الوسائل الإعلامية التي يسيطرون عليها في مقابل تهميشهم لأهل الإسلام من دعاة الكتاب والسنة، الثابتين على الحق، غير المتلونين أو المتذبذبين.

2-المبالغة في مدحهم ووصفهم بصفات الاعتدال والوسطية وسعة الصدر للآخرين.... الخ. مع لمز أهل الإسلام ودعاة الكتاب والسنة بضيق الأفق، والتحجر!، وعدم قبول الآخر!!.. الخ.

3-عدم السماح لأحد بنقدهم أو النيل منهم، بل إحاطتهم بهالة من القداسة المصطنعة.

نصيحة أخيرة لكلٍ من:

1-علماء الإسلام ودعاته: بأن يحذروا تسلل الأفكار العصرانية إلى عقولهم ولو لم يكن ذلك عن تقصد منهم، وأن يثبتوا على الحق دون تنازلات أو مداهنة لأحد، وأن يكونوا ممن قال الله فيهم (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) (الأحزاب: 23) قال ابن كثير: "استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه، كفعل المنافقين".

وأن تكون مواقفهم مشرفة وقت الملمات التي تمر بالأمة، مبرئة لذمتهم أمام الله؛ لكي لا يلجأ الشباب إلى غيرهم كما سبق-.

وأن يحذر بعض الدعاة بتستره على أهل العصرنة، ومجاملته لهم، والشد من أزرهم، أن يكون داخلاً في قوله – صلى الله عليه وسلم -: "لعن الله من آوى محدثًا".

2- شباب الإسلام: بأن يلزموا الراسخين في العلم ويلتفوا حولهم، ويناصحوهم في تقصيرهم، ويَحْذروا ويُحَذّروا من المتلبسين بالفكر العصراني المفسد، مهما حاولوا التضليل عليهم أو مخادعتهم بترويجه بينهم.

المصدر : http://www.attakwa.net

================

#بين العقيدة والسياسة

حسن عبد الحميد

المرجعية العليا في الإسلام لله – تعالى – – أي للقرآن الكريم . ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – أي للسنة المطهرة . ثم تأتي بعد ذلك مرتبة العلماء الذين تقتصر مهمتهم على استنباط الأحكام الشرعية من هذين المصدرين وفق ضوابط الاجتهاد؛ والفتوى في النوازل التزاماً بقواعد أصول الفقه. وهذا الترتيب في سلم المرجعيات يتعلق بالنسبة للمسلم بعقيدته وصحة إيمانه؛ فمن يقلب هذا السلم؛ أو يجادل في حجيته، ليس له حظ من الإسلام ولا نصيب من الإيمان، أما بالنسبة لترتيب المرجعيات فقد قال الله – تعالى – في سورة النساء (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)، وفي من يتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله قال – تعالى – بعد هذه الآية مباشرة (ألم تر إلي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً)، قال العلماء كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت، إلى أن قال – تعالى – في سياق الآيات نفسها (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً).

هذه المقدمة البدهية لمن له أدنى معرفة بالإسلام؛ فضلاً عمن له ذرة من إيمان؛ تغيب عن الكثيرين في زحمة الأحداث ودهاليز السياسة، ويضغط على بعضهم توالي الأزمات حتى يظن أن المخرج في الخضوع للقانون الدولي والتزام ما يسمى بقرارات الشرعية الدولية حتى ليصدق عليهم قول المتنبي:

كفي بك داءً أن ترى الموت شافيا *** وحسب المنايا أن يكن أمانيا

والعدول عن شرع الله والاحتكام للقانون الدولي ومقررات الأمم المتحدة فيه الداء حقيقة لا مجازاً؛ وتكمن في ثناياه المنايا يقيناً لا ظناً.

وما يجري في نيفاشا هذه الأيام من مفاوضات بين الحكومة السودانية وحركة التمرد الجنوبية؛ يستهدف في غاياته النهائية . برعاية الولايات المتحدة . زعزعة هذه المرجعيات الإسلامية وترتيب درجات السلم بحيث تصبح العلمانية في نهاية الأمر هي السائدة في هذا البلد (الطيب) أهله، وما يتبقى من نصوص شرعية هنا وهناك في صلب الدستور أو بعض القوانين؛ تقاس بمقياس الشرعية الدولية . إياها . فتُلغى أو تُؤول لتُفرغ من مضامينها وتبقى مسخاً مشوهاً لا يأتي بدين ولا يردع عن معصية.

ويخطئ . بالتالي . من يظن أن زيادة نصيب الثروة للمتمردين أو مضاعفة نفوذ السلطة؛ يمكن أن ترضيهم فيكفوا عن تمردهم، فالمعركة التي تديرها حقيقة الولايات المتحدة تستهدف عقيدة الأمة قبل أن تطمع في ثرواتها وأراضيها؛ (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا).

والمسلمون لا يقاتلون عدوهم ليحموا بئراً للبترول، أو يثبتوا حاكماً على كرسي السلطة؛ فإن كل ذلك لا قيمة له إذا ضاعت معالم الدين في واقع الناس أو زُيفت حقائقه في أذهانهم (فماذا بعد الحق إلا الضلال).

وعلى الذين يفاوضون على أمور تتعلق بعقائد المسلمين؛ أن يستبينوا مواطئ أقدامهم، وعلى جماهير الأمة أن تحمي عقيدتها وتصون دينها من التحريف أو التلاعب.

المصدر : http://new.meshkat.net

==============

#قراءة في كتاب العلمانية (1)

صفاء الضوي العدوي

نادرة تلك الكتب التي تستوعب أجزاء البحث الذي تتناوله، وأقل منها أن يكون مع الاستيعاب العمق والجدة والأصالة والتحقيق، وأندر النادر أن تجمع مع كل ذلك

الإمتاعَ والأسلوب الأدبي الرصين، من تلك الكتب التي تستولي على القارئ المثقف الجاد، وتحرك عقله، وتدفعه للنظر المتعمق في القضايا المعروضة كتاب العلمانية للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

المقدمة:

قدم المؤلف للكتاب بمقدمة بين فيها أن الإسلام هو أعظم منن الله على البشرية عامة وعلى أمة الإسلام خاصة، وأن كلمة لا إله إلا الله هي روح هذه الأمة وسر وجودها ومنبع حياتها وأن الأمة بقيت ردحا من عمرها تتبوأ منزلة عالية بين الأمم حين كانت تدرك معنى هذه الكلمة وتعمل بمقتضاها.

ثم بدأ نور هذه الكلمة في الخفوت فبدأ شأن الأمة في الهبوط حيث ظلت تفقد من ذاتيتها وأصالتها بمقدار ما تفقد من نور هذه الكلمة في علاقة مطردة تؤكد سنة من سنن الله لم تتبدل على مدار التاريخ.

وكان من أعراض هذا المرض المدمر؛ " فقدان الذات": الانبهارُ القاتل بالأمم الأخرى والاستمداد غير الواعي من مناهجها ونظمها وقيمها.

وكان مما زاد هذا المرض خطورة الجهل بحقيقته وعدم إدراك أسبابه فكان التشخيص الخاطئ سببا في العلاج الخاطئ الذي أدى إلى مضاعفات جديدة.

لقد تصور البعض أن هذا الداء يمكن علاجه بترقيعات نتلقاها من الكفار الذين أسموهم العالم المتحضر!.

كانت قابليتنا للذوبان مبرراً للحرب الشرسة التي شنها الغزاة على أفكارنا وأخلاقنا، حيث طمعوا في القضاء على مقومات وجودنا قضاء تاماً، فأقبلت طلائع ذلك الغزو الفكري تحمل شعارات متباينة الاتجاهات؛ عليها من البهرجة والبريق ما يكفي لتضليل أمة منبهرة مهزوزة.

جاءت الاشتراكية والقومية والديمقراطية وفلسفة التطور واللادينية وغيرها من المسميات والشعارات، وتغلغلت هذه الأوبئة في العقول والقلوب التي فقدت رصيدها من "لا إله إلا الله" أو كادت، ونشأ على ذلك فلول ممسوخة أخذت على عاتقها إكمال عملية المسخ لباقي الأمة، وتعبيد الشعوب المسلمة للغرب، والإجهاز على منابع الحياة والقوة الكامنة في دينها.

لكن الله – تعالى – تدارك الأمة برحمته، فأنبت من بين هذا الركام والظلام رجالاً صادقين، وأطلت من بين النيام والأموات صحوة جهادية أصيلة طلبت الهداية والعلاج من كتاب الله – تعالى – وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم –، فعادت إلى صفاء العقيدة، وسلامة المنهج، ولمحت ما في المناهج الموجودة من انحراف وضلال، فلفظت سموم الغزو الفكري الذي كاد أن يقضي عليها، وانتبهت إلى ما يروج في ساحاتنا الفكرية من مذاهب هدامة، كان منها مذهب العلمانية الذي كانت سحابة كثيفة من الضبابية تغشاه وتعمي حقيقته عن المثقفين فضلاً عن العامة، مما جعل أسهمها لا تزال مرتفعة في أسواقنا سواء باسمها الصريح، أو تحت شعار الديمقراطية أو شعار " الدين لله والوطن للجميع، أو غير ذلك من الشعارات.

كان هذا أحد الأسباب التي حدت بالمؤلف أن يتناول العلمانية بتلك الدراسة الجادة العميقة الموسعة، وكان السبب الثاني هو أن موضوع العلمانية المتمثل في عزل الدين عن توجيه الحياة يصادم مفهوم لا إله إلا الله، ومع ذلك نجده موجوداً في كافة مناحي الحياة في مجتمعات المسلمين مما يستلزم كشف الزيف الذي يلفه ويخفي حقيقته عن المسلمين.

ثم عرف المؤلف بالعلمانية وبين الخطأ في ترجمة الكلمة الإنجليزيةsecularism بالعلمانية، وأن هذه الكلمة لا صلة لها بالعلم، وأن الترجمة الصحيحة للكلمة هي اللادينية، ثم أيد ذلك بإيراد عدة تعريفات من دوائر المعارف الأجنبية للعلمانية، كلها تؤكد أن معنى ال (secularism) في بيئتها التي نشأت فيها: الروح الدنيوية، أو الاتجاهات الدنيوية، أو الحركة المضادة للديانة المسيحية، وأنها نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أي شكل من أشكال الإيمان والعبادة، وأن الدين لا دخل له في شئون الدولة، ولا سياسات الحكومة، وخاصة التربية العامة، وأنها دنيوية مادية لا تقبل المفاهيم التي تتعلق بالدين والروحانية، فالتربية التي تعتمدها لا دينية، فالدين في معنى هذا المذهب لا ينبغي أن يكون أساساً للأخلاق والتربية، ويقدم المستشرق " أربري " في كتابه (الدين في الشرق الأوسط) نموذجاً لأهم معاني العلمانية وهو فصل الدين عن الدولة بالجمهورية التركية، ثم يعلق المؤلف على العبارة المشهورة في وصف العلمانية " فصل الدين عن الدولة " بأنها تعريف غير دقيق وأن مدلولها

الصحيح هو إقامة الحياة على غير الدين، فالإسلام والعلمانية – أي اللادينية – نقيضان لا يجتمعان.

قسم المؤلف الموضوع إلى خمسة أبواب:

الباب الأول دين أوربا أو المسيحية بين التحريف والابتداع:

وفيه فصلان: الأول: التحريف: تكلم فيه أولاً عن تحريف العقيدة (قضية الألوهية تحريف الأناجيل) – تحريف الأناجيل.

وثانياً عن تحريف الشريعة، وفصل الدين عن الدولة.

والفصل الثاني: البدع المستحدثة في الدين النصراني.

تكلم في هذا الباب عن دين أوربا النصرانية الذي انحرفت عنه إلى اللادينية، وأثبت ما اعترى النصرانية من تحريف وتبديل، وأنه لم يعد يمثل دين الله الحق لا في العقيدة ولا في الشريعة، بل تحول إلى مجموعة من الخرافات والبدع تولت الكنيسة كبر تسويقها وترويجها وإيهام الناس أن ذلك هو الدين النصراني، وكان هذا التحريف الذي أصاب الدين النصراني على يد القساوسة الكذبة هو السبب الممهد للعلمانية، حيث طغت الكنيسة ودوخت أتباعها في خرافات يرفضها العقل وتمجها الفطرة، فقد وقع أولاً تحريف العقيدة، وتحريف الأناجيل التي بلغت سبعين إنجيلاً كلها شاهدة على أنها محرفة، يكذب بعضها بعضاً، هذا فوق مائة وعشرين رسولاً منهم من ألّف أناجيل ومنهم من كتب رسائل، وفرق وطوائف تزيد على الحصر تختلف في قضايا أساسية بالغة الأهمية.

ولقد كان انعقاد مجمع نيقية الشهير في عام 325م يمثل معلماً من معالم التاريخ البارزة، وشاهداً على أن النصرانية قد حرفت وبدلت وفقد الناس الثقة في حقيتها وقدسيتها.

وبعد تحريف الأناجيل، جاء تحريف الشريعة، وكان من أولى فصول هذا التحريف فصل الدين عن الدولة.

بين المؤلف أن الشريعة النصرانية لم يكتب لها التطبيق على المستوى العام، وذلك لسببين متلازمين:

الأول أن الشريعة النصرانية لم تقم لها دولة تتبناها وتقيمها في الأرض، فقد توفى الله عيسى – عليه السلام – ورفعه إليه وهو لم يزل في مرحلة الدعوة التي تشبه حال الدين الإسلامي قبل الهجرة.

والسبب الثاني: أن المسيح – عليه السلام – بعث إلى قوم قساة تسيطر عليهم إمبراطورية وثنية عاتية، اضطهدت المؤمنين من أتباع المسيح وعذبتهم، فانحسر تطبيق الشريعة في أضيق نطاق بسبب هذا العداء الشديد.

وكان لليهود اليد الطولى في إلحاق الأذى بالمؤمنين بتعاليم المسيح – عليه السلام –، فلا يخفى أمر شاؤل الطرسوسي أو بولس (رسول الأمم)! وخداعه باعتناق المسيحية وقيامه بغزوها من الداخل تماماً كما قصد عبد الله بن سبأ غزو الإسلام من الداخل. فكان بولس المفسد الأول والأكبر بجدارة لتعاليم المسيح – عليه السلام –.

قام شاول هذا بإصداره تعليمات مناقضة لتعليمات المسيح مما أحدث في الناس بلبلة وفتنة، فوقعوا بذلك في بلاء عظيم، كما أنه مزج الدين الذي جاء به المسيح – عليه السلام – بالوثنيات القائمة آنذاك.

ثم ما كان من الاضطهاد الشديد الذي أوقعه أباطرة الرومان – وعلى رأسهم نيرون – بأتباع المسيح – عليه السلام –، حيث تقشعر الأبدان من ذكر فظائعهم وجرائمهم.

ثم جاء عام 325 م الذي يمثل عام النصر الحاسم على أعداء المسيح حيث ظفرت الكنيسة بالإمبراطور وأدخلته في الدين المسيحي، لكن الكنيسة لم تنتفع بهذا التزاوج بين القصر والكنيسة بما يعود بالخير على الناس في دينهم، بل كان ارتباطها بالإمبراطور ارتباط مصلحة لا يمت إلى الإيمان بصلة؛ فبقيت الوثنية متجذرة في نفوس الناس تغطيها غلالة رقيقة من الصبغة المسيحية، ولهذا عجزت الكنيسة عن إقامة الحياة على أسس متينة من الإيمان.

وفتح الباب للخرافات والأساطير والتقاليد الوثنية، وامتزج كل ذلك بروايات الأناجيل وآراء المجامع المقدسة، وتلاقحت الشريعة والقانون الروماني فأصبحت المسيحية

ديانة تركيبية أو بوتقة انصهرت فيها عقائد وخرافات وآراء متباينة شكلت ديناً غير متسق ولا متناسق.

ثم بدأت الكنيسة في إصدار نصوص مكذوبة تبرر بها للناس ذلك المنحى الجديد الذي اتخذته بعد هذا التزاوج المقيت بين الكنيسة وقيصر.

وكان من أهم هذه الأقوال القول المنسوب زوراً للمسيح: أعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله ". فلقد ظل هذا القول شعاراً ترفعه الكنيسة كلما عنّ لها أن تتمرد على شرع الله.

ثم بين المؤلف أن هذه العبارة المنسوبة للمسيح في إنجيل متى تبين أن الأناجيل التي بأيديهم لا تثبت أمام البحث العلمي، وأنها لا قيمة علمية تاريخية لها، فكلها ظنية الثبوت ظنية الدلالة، فكيف يحتج بهذه الظنيات على مسألة بالغة الخطورة كهذه.

ويعني مسألة أن يوافق المسيح على أن يجعل قيصر شريكاً لله – تعالى – في التوجه إليه بالعمل، وإيقاع الناس في شرك الطاعة والاتباع.

ثم يتنزل المؤلف جدلاً ويفترض أن المسيح – عليه السلام – تفوه بهذه الكلمة، ويتساءل: هل يعني ذلك أن نفهم من العبارة ما فهمته الكنيسة من ظاهرها؟، ونتخذ من فهمنا هذا قاعدة هي أعظم القواعد الكنسية العملية على الإطلاق؟.

ثم يعرض المؤلف العبارة التي استلوها من إنجيل متى، ويتتبع السياق لفهمها في إطارها فهماً صحيحاً على افتراض صحة ثبوتها.

ونص القصة: "ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم قائلين: يا معلم، إنك صادق وتعلم طريق الله، بالحق ولا تبالي بأحد، فقل لنا: أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم وقال: لماذا تجربونني يا مراؤون، أروني معاملة الجزية، فقدموا له ديناراً، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر، فقال لهم أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فلما سمعوا تعجبوا وتركوه"اهـ

وهكذا شأن أعداء الرسل وخصوم الإيمان في كل زمان، يسعون في الإيقاع بالمؤمنين، ويحاولون إثارة السلاطين عليهم بما يدركون من افتراق طريق الإيمان

وطريق السلطان، يفعلون ذلك لحرمان أهل الإيمان من الاستفادة من هدوء الحال لتمضي الدعوة في خطة تكوين طلائع الإيمان وتربيتهم لحمل الأمانة وتبليغ الرسالة، ونشر هدايتها في الناس.

ويعلق المؤلف على هذه القصة فيقول: كان المسيح – عليه السلام – وأتباعه قلة مضطهدة تتبنى دعوة جديدة ناشئة، فلم يكن في مقدورها أن تصطدم بالامبراطورية الطاغية وتواجهها بعداوة سافرة، ولم تكن هذه المواجهة مطلوبة منها وهي لا تزال في طور الدعوة – يقابل ذلك في الإسلام فترة ما قبل فرض الجهاد – وهذا الطور يقتضي الالتزام بمبدأ " كفوا أيديكم " كيلا يستثار عدو باطش فيفتك بالدعوة في مهدها.

ثم يقول: فالمسيح – عليه السلام – لو صحت العبارة – وافق على إجراء مؤقت تقتضيه ضرورة الواقع وطبيعة الدعوة المرحلية.

ثم أشار إلى نظائر ذلك في مراحل الدعوة في السيرة النبوية.

ويمضي المؤلف في استعراض ما عمدت إليه الكنيسة الزائغة من عبارات موهمة تنسبها الأناجيل إلى المسيح، وهي عبارات قيلت مجازاً أو رددت في ظروف مؤقتة وملابسات خاصة، وإنما قصدت الكنيسة أن تقرر بهذه العبارات قواعد أصولية تؤسس عليها دينها المحرف دون مراعاة لمنطق الاستدلال ومقتضى التحقيق العلمي.

وكان من هذه العبارات التي نسبوها إلى المسيح – عليه السلام – أيضاً: "مملكتي ليست من هذا العالم"

وأشاعت الكنيسة المفهوم الذي تريده لهذه العبارة وهو: الدنيا والآخرة ضرتان متناحرتان وضدان لا يجتمعان، الدنيا مملكة الشيطان ومحط الشرور والآثام، وأن سعي الإنسان فيها للسعادة والتمتع بخيراتها دنس يحرمه من ملكوت الله في الآخرة، وهو مفهوم يتيح للمفسدين من القساوسة والقياصرة الطغاة أن يعبثوا بالحياة ما شاءوا دون أن يعترض طريقهم أحد، وما كان المسيح – عليه السلام – أن يتكلم بمثل هذه العبارة التي هي أقرب إلى النظرة البوذية الوثنية للحياة من نظرة رسول كلفه الله بدعوة الناس لعبادة الله وتحذيرهم من اتباع الأهواء، وما كان هذا المفهوم الذي

روجوه للعبارة أن يخطر ببال أحد رسل الله الذين جاءوا لتغيير الواقع الجاهلي المنحرف، وإقامة واقع جديد تحكمه الشريعة المنزلة.

ثم أفرد المؤلف فصلاً عن البدع المستحدثة في الدين النصراني، فعد منها رجال الدين (الإكليروس)، ورفض التعليل الجاهلي لظهور طبقة رجال الدين بأنه مجرد تطور بشري ديني اجتماعي وأنه مر بثلاث مراحل: مرحلة السحر والخرافة – ومرحلة الدين – ومرحلة العلم. وأن الإنسان حين انتقل إلى مرحلة الدين بقيت فيه رواسب موروثة عن المرحلة الأولى من أبرزها طبقة رجال الدين الذين ليسوا سوى امتداد للسحرة والكهان، فيبين المؤلف أن هذا التفسير مرفوض، وأن التصور الإسلامي للتاريخ ينظر إلى الحياة البشرية على أنها خطان متوازيان: خط مشرق يمثل البشرية حين تهتدي إلى الله وتسلك طريق الأنبياء الذين يتعاقبون لردها إلى جادة الطريق، وخط آخر مظلم يمثل حزب الشيطان وفترات الضلال الذي طرأ على البشرية بعد أن كانت أمة واحدة على الإيمان، والسمة العامة للتاريخ هي الصراع بين الهدى والضلال، بين الحق والباطل.

ثم أوضح أننا لا ننكر التشابه الظاهر بين رجال الإكليروس في المسيحية وبين السحرة والكهان في العصور السابقة، لكننا نرجع ذلك إلى كون الطائفتين انحرفتا عن الأصل الصحيح.

ثم تكلم عن خط الانحدار الذي يصف حالة الكنيسة وهي تتردى وتفقد صلتها بالدين وتقطع أواصرها بالإيمان، فيقول بعد أن يشير إلى أحبار اليهود وفسادهم وأن المسيح – عليه السلام – كان يسميهم أولاد الأفاعي، وبائعي العهد، وعباد الدنيا. قال: لكن القسيسين والرهبان لم يكونوا أفضل حالاً من الأحبار، فقد سلكوا الطريق نفسها وانصاعوا إلى الدنيا مستعبدين أتباعهم المؤمنين.

فكانت هيئة الدولة تمثل هرماً قمته الإمبراطور وقاعدته الجنود، وكانت الهيئة الكنسية تمثل هرماً مقابلاً قمته البابا وقاعدته الرهبان، ونتيجة لمبدأ فصل الدين عن الدولة رعت الامبراطورية الهرم الكنسي، ولم تر فيه ما يعارض وجودها، فرسخ واستقر.

وكان من البدع المستحدثة في الدين النصراني أيضاً الرهبانية: بين المؤلف أن للوجود الإنساني في هذه الأرض غايةً أرادها الخالق – سبحانه – منذ أن استخلف الإنسان في الأرض وأناط به مسئولية عمرانها بالخير والصلاح، وركز في فطرته الاستعداد لهذه المهمة وبعث الرسل لقيادة الإنسان لتحقيق هذه الغاية على أكمل نموذج وأقوم مثال.

لكن الناس كانوا يضلون فيسيرون في غير الاتجاه الذي تأخذهم إليه الفطرة، وتقودهم إليه الرسل، فتستهويهم الشياطين وتضلهم الشهوات عن سواء السبيل، فينحرفون عن الجادة في صور من الضلال متعددة ومتنوعة.

وكان من هذه الصور المنحرفة النظرة غير السوية إلى الحياة وغايتها وقيمتها، والغلو في تهذيب النفس إلى حد التضييق والتعذيب، مع الانصراف عن عمارة الأرض، التي هي جزء من الغاية العظمى.

ومع أن الرهبانية بدعة بشرية مشتركة بين أديان عديدة إلا أن للرهبانية النصرانية ظروفاً وأسباباً أبرزتها حتى غدت من أجلى مظاهر النصرانية على مر العصور.

أسباب الرهبانية:

1- عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة. وهي إحدى التعاليم الكبرى في المسيحية المحرفة، ومرجعها عندهم أن آدم – عليه السلام – لما أكل من الشجرة فعوقب بالحرمان من الجنة، فظل بنوه يرسفون في أغلال تلك الخطيئة حتى جاء الخلاص على يد المسيح ليصلب فداء للنوع الإنساني، فأصبح لزاماً على الإنسان أن يقتل نفسه ليمنحها الخلاص كما يقول متى في إنجيله: " من أراد أن يخلص نفسه يهلكها".

2- رد الفعل المتطرف للمادية اليهودية الجشعة والأبيقورية الرومانية النهمة.

3 – الأثر الذي خلفته الفلسفات والوثنيات التهريبية القانطة.

4 – الأوضاع الاجتماعية القاسية.

نظام الرهبانية:

ثمة شروط يتضمنها نظام الرهبانية:

أولها: العزوبة، وما يلزمها من التنفير من المرأة وإن كانت زوجة، وترذيل الصلة الجنسية وإن كانت حلالاً، فهذا " سان بونافنتور " أحد رجال الكنيسة يقول: إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً، بل ولا كائناً حياً وحشياً، وإنما الذي ترون هو الشيطان بذاته والذي تسمعون هو صفير الثعبان ".

الثاني: التجرد الكامل عن الدنيا. ويعنون بها العزلة النهائية عن المجتمع، وقطع النظر عن كل أمل في الحياة.

الثالث: العبادة المتواصلة:

الرابع: التعذيب الجنوني:

صادمت هذه التعاليم المنحرفة الفطرة فكان لابد من الخسران والشقاء.

وكان من تلك البدع المستحدثة كذلك الأسرار المقدسة:

امتلأت الوثنيات القديمة بالأسرار والأساليب الخفية والرموز الغامضة، وقد سجل التاريخ غلطة شنيعة على بعض أتباع الديانات باقتباسهم لأشياء من تلك الأسرار والرموز وإدخالها في دينهم، وذلك ما حصل بعينه في المسيحية المحرفة.

تناول المؤلف واحداً من هذه الأسرار التي دأبت الكنيسة على استعمالها في ستر نقائصها ومخازيها وقطع الطريق على كل محاولة تطلب تفسيراً يقبله العقل، وترفض أن تتسلط الكنيسة على عقول الناس بقولها (سر إلهي). وكان من هذه الأسرار الإلهية الكنيسية سر " العشاء الرباني " أو " القربان المقدس ".

ثم يبين المؤلف أن ذلك كان من دس شاؤل اليهودي الذي يؤكد جوستاف لوبون – أحد النقاد العقليين – أن شعائر النصرانية ومنها العشاء المقدس بدعة منقولة عن الوثنية المثرائية، وأن شاؤل كان متأثراً بالمثرائية التي كان من شعائرها التضحية بالعجل المقدس.

ولهذا كان المسيحيون الأوائل يقيمون وليمة تذكارية في عيد الفصح قوامها الخبز والخمر يرمزان إلى جسد ودم المسيح، وهي التي تعرف بعقيدة الاستحالة أي استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح، فليس لأحد من أتباع الكنيسة أن يسأل أو يشكك في ذلك السر، وإلا عوقب بالحرمان والطرد من الملكوت.

وكانت هذه العقيدة العجيبة من الثغرات الواسعة التي دخل منها النقد المرير للكنيسة، وسبب كثيراً من الانشقاقات الدينية، والسخرية الشديدة التي انهال بها على الكنيسة النقاد العقليون من أمثال الفيلسوف الفرنسي فولتير.

البدعة الرابعة – عبادة الصور والتماثيل: وهذه أيضاً كانت من البصمات الظاهرة التي تركتها الوثنية على الديانة النصرانية على الرغم من أن التماثيل تعتبر من الأعمال المحرمة في شريعة التوراة. ولم يقف الحد عند كونها مظهراً من مظاهر المخالفة لشريعتهم، بل تعدى ذلك إلى أن صارت التماثيل والصور آثاراً مقدسة ومعبودات يسجد الناس لها ويوقدون لها الشموع ويحرقون البخور وينثرون فوقها الزهور التماساً لبركاتها، ورجاء تأثيرها الخفي.

وكان للفتوحات الإسلامية التي امتدت حتى شملت معظم المعمورة أثرها في أن يعيد كثير من شعوب الدول النصرانية نظرتهم إلى ما أصاب دينهم من لوثات الوثنية، حيث اطلعوا على عقيدة التوحيد الخالص في دين الإسلام، فأحسوا بسخافة معتقداتهم وضحالة تفكيرهم، ففتحوا أعينهم على تلك الحضارة الغازية الشامخة الناصعة.

فقامت في الغرب حركات معادية لبدعة التماثيل والصور، وطالبت بإزالة تلك الوصمة الشنيعة التي كشفت الدين الذي ينتسبون إليه وأظهرت ما فيه من النقص والعيوب والتشويه الذي يخجلهم أمام المسلمين، لكن الكنيسة رفضت ذلك، وظل الصراع بين المنادين بتحطيم التماثيل والصور وبين الكنيسة المعاندة، وعقد مجمع نيقية الثاني عام 787م وحضره 350 أسقفاً وقرروا جميعاً بقاء الثماثيل والصور، بل ألزموا الناس بالإغراق في ذلك، بوضع التماثيل والصور كذلك في البيوت والطرقات، لبقاء أثر المسيح وأمه والرسل وسائر القديسين في نفوسنا، وبذلك انتصرت الكنيسة الوثنية على حركات الإصلاح.

ثم عادت الحركة المناهضة لعبادة الصور والتماثيل للظهور مرة أخرى بعد ثلاثة قرون، وذلك حينما اتصل الغرب الوثني بالشرق المسلم إبان الحروب الصليبية، وكان البروتستانت هم الذين يتولون الحركة الإصلاحية في هذا الجانب، بينما ظل الكاثوليك على تقديسها ولعن محطميها.

وبلغ الهوس بهؤلاء المفتونين بصور المسيح – عليه السلام – وأمه، أن قامت إحدى شركات السينما في السويد بإنتاج فيلم عن " حياة المسيح الجنسية " في ابتذال وامتهان لم يحرك في الدول الغربية ساكناً، بينما احتجت بعض المنظمات الإسلامية وطالبت بإيقاف عرض الفيلم، ولم يقتصر الأمر على المسيح وأمه بل إن الكنيسة تجرأت على الباري جل شأنه وصورته كما تصور المخلوقين – تعالى – الله عن ذلك علواً كبيراً، معلنين أنهم لا يمكنهم أن يفهموا الله إلا عن طريق تصوره بالصورة البشرية، كما يقرر ذلك أحد علماء الكنيسة.

ويتابع المؤلف عرض البدع التي استحدثت في النصرانية فيذكر منها المعجزات والخرافات، فكان من الطبيعي لدين مركب من تعاليم المسيح وكم هائل من المعتقدات الوثنية أن يجد صعوبة في الإقناع العقلي، والبرهان المنطقي، فذهب يعوض هذا النقص بادعاء الخوارق التي هي في حقيقتها أوهام وأخلاط، بقصد التمويه على العقول الضعيفة والنفوس الساذجة، وساعد الإرث الوثني على تقبل جماهير الناس المتعلقة بالكنيسة بهذه السخافات.

واتسع نطاق تلك الأوهام حتى أصبحت مكانة رجل الدين وقداسته مرهونة بما يظهر على يديه من الخوارق، وما يتعاطى من الشعوذات، وما يأتي به من ألاعيب تجهل العقول الساذجة علته الحقيقية مدعياً أن ذلك هبة من الروح القدس له، ويسجل لنا التاريخ أمر "الساعة" التي أهداها هارون الرشيد إلى الإمبراطور (شارلمان)، فأصابه الفزع هو وحاشيته ظانين أن بها جناً يحركها، فكيف بعامة الشعب من الفلاحين والرعاة؟!.

وكان لهذه الخرافات جذور عميقة في نفوس أتباع الكنيسة، ولهذا كانوا يتعلقون بالقساوسة ويعتقدون فيهم قدرات خارقة في صد العواصف وإنزال المطر، وكانوا ينزلون بهم أشد النكال إذا فشلت تراتيلهم في تحقيق آمال الناس، فكم من قديس أهانوه وضربوه ونزعوا أجنحته الذهبية وركبوا له أجنحة ورقية إهانة له على فشله، كما كانت صيحاتهم الغاضبة تعلو في الساحات الكبرى حيث يأتون بهؤلاء القديسين الكذبة، ويقيدونهم عراة ويهتفون بهم: المطر أو حبل المشنقة.

وأشار المؤلف إلى عدد من تلك الخرافات التي كانوا يشيعونها في الناس فذكر خرافة " تجلي العذراء " التي يثيرونها بين الحين والحين، وذكر أيضاً خرافة الرقم (13) ويبين أن أصله أن يهوذا الذي دل على المسيح هو التلميذ الثالث عشر للمسيح، فكان ذلك مصدر شؤم للكنيسة وأتباعها.

ومن البدع المستحدثة في الديانة النصرانية بدعة: صكوك الغفران

وهي الصكوك التي كان القساوسة يمنحونها لأتباع الكنيسة ليتطهروا من الخطايا، ضامنين لهم المغفرة، مطلقين لهم العنان ليفعلوا ما شاءوا من المعاصي، طالما اشتروا هذا الصك، أما البؤساء ممن لا يملكون المال لشراء هذا الوهم فيظلون محرومين من هذه الموهبة مهما بلغت تقواهم، وحبهم للمسيح وتعلقهم بالعذراء.

وكان الأساس الذي بنيت عليه هذه الأكذوبة هو فكرة القداسة التي ادعاها رجال الدين، والتي بنى عليها فكرة الاستشفاع بهم لدى الله لمغفرة الخطايا، وظل الجهلة والسذج يتوسلون إلى القساوسة راجين الشفاعة والتقرب إلى الله زلفى فنتج عن ذلك مبدأ التوسط بين الله والخلق، حتى أصبحت وظيفة رجل الدين المسيحي القيام بهذه الوساطة، فعن طريقه تؤدى الصلاة، ويتناول العشاء الرباني، وهو الذي يقوم بالتعميد وطقوس الزواج والموت ويتقبل الاعترافات بالمذنبين.

ثم يبين المؤلف أن هذه الصكوك إنما بدأت حين كانت الكنيسة تواجه ظروفاً عصيبة إبان الحروب الصليبية التي بلغ معها يأس النصارى من تحقيق النصر على المسلمين مبلغاً عظيماً، وأصاب الشعوب الأوربية إحباط شديد فاخترعت الكنيسة فكرة هذه الصكوك كتجسيد لأماني المشتركين في تلك المعارك بالمغفرة، ولشحذ هممهم للاندفاع في المشاركة في تلك الحروب، كما يقول ول ديورانت في قصة الحضارة.

ويخلص المؤلف من هذا العرض لهذه البدعة بقوله:

وعليه فلم يكن يحظى بالحصول على صك الغفران إلا رجل ذو مال يقدر على شرائه حسب التسعيرة التي تحددها الكنيسة، أو رجل يحمل سيفه ليقاتل تحت راية الكنيسة، وغير هذين رجل ثالث فقير لا مال له أو عاجز عن القتال، أو رجل غير

مستعد للموت في سبيل الكنيسة، لكنه يظل أسير صراع نفسي مرير وشعور بالحرمان قاتل.

وهكذا فالكل مضحون، والكل خاسرون، والكنيسة هي الرابح الوحيد، حيث أثرت ثراء فاحشاً من عملية بيع الصكوك، وإن كانت عند الله أذل مقاماً وأخسر صفقة.

ومن الوجهة السياسية قويت الكنيسة وتدعمت سلطتها، فكان الثراء والنفوذ بعض ثمار تلك البدعة التي دفعت الكنيسة إلى الطغيان والغطرسة الباغية، ولم ينتبه رجال الكنيسة الذين أعماهم الغرور بسبب ما وصلوا إليه من الغنى والسيطرة عن خطر هذا الطغيان عليهم، فكانت مهزلة صكوك الغفران مسماراً في نعش الكنيسة وبداية لنهايتها.

حيث هبط سوق الصكوك وأصابه الكساد، وتجول القساوسة ببضاعتهم يبيعونها بأبخس الأثمان فازداد إعراض الناس عنها، حيث تولد لديهم شعور بأن شراءها إن هو إلا إضاعة للمال فيما لا فائدة فيه، أو أنه غير مضمون العاقبة.

وتبع ذلك الشعور ظهور الفضائح التي كشفت جانباً من سيرة رجال الكنيسة وفجورهم، فكان ذلك إيذاناً بالشك الكبير في قداسة هؤلاء القساوسة وصلاحهم.

وتوحدت المشاعر من مختلف قطاعات الشعب بالعداوة والازدراء تجاه رجال الكنيسة، ورأى الأوربيون حكاماً ومحكومين الحياة الكريمة التي يعيشها الشرق الإسلامي حيث لا كهنوت ولا طغيان ولا احتكار، فهزت هذه الرؤية أنفسهم وبهرت عيونهم، فباتت صكوك الغفران في نظرهم هراء لا طائل تحته، وعبئاً يبعث على الاشمئزاز والاستخفاف.

ولما كانت الكنيسة هي الدين النصراني في نظر أتباعها كان لابد أن يهتز الدين كله في نظرهم باهتزاز صورة الكنيسة، وفقدان الثقة في قدسيتها وطهارة رجالها، وكان ذلك هو بداية السير في طريق الكفر ونبذ الدين، واستغل أعداء الدين – لا سيما اليهود – تلك الأجواء فبذروا على الفور بذورهم بالمناداة بطرد الدين من حياتهم، ووضعوا أمامهم ذلك الخيار الصعب الذي مفاده: إما أن يؤمن بصكوك الغفران فيحكم على نفسه بالجمود والغباء والرجعية المتناهية، وإما أن يكفر بها فيلزمه الكفر بالإطار الذي يحويها بكامله؛ إطار الدين والغيبيات، لا سيما الآخرة، وهو الخيار

الذي جسده الفيلسوف اليهودي الوجودي "جان بول سارتر" في إحدى رواياته المشهورة (الشيطان والرحمن).

هذا مع أن الكنيسة في عصرنا الحاضر لا تصدر تلك الصكوك المخزية، بل تستحي من ذكرها وتخجل كلما دار الحديث عنها.

ربيع الثاني 1423 هـ - يوليو (تموز) 2002 م

المصدر: http://www.alsunnah.org

============

#قراءة في كتاب العلمانية (2)

صفاء الضوي العدوي

الباب الثاني: أسباب العلمانية:

وفيه أربعة فصول: الفصل الأول: الطغيان الكنسي: أسبابه. أنواعه (الطغيان الديني الطغيان السياسي الطغيان المالي).

الفصل الثاني: الصراع بين الكنيسة والعلم:

الفصل الثالث: الثورة الفرنسية: (الفكر اللاديني - وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير - القوى الشيطانية الخفية).

الفصل الرابع: نظرية التطور: (آثار الداروينية - انهيار العقيدة الدينية - نفي فكرة الغاية والقصد - حيوانية الإنسان وماديته - فكرة التطور المطلق).

بدأ المؤلف في فصل الطغيان الكنسي إلى التعريف بداء الطغيان وبيان أنه مرض يدمر النفس الإنسانية حين تصاب به، وأن من خصائصه أنه لا يصيب إلا ذا نفس هزيلة أتيح لها وسائل تفوق طاقتها، ولم يكن لديها ما تتحصن به من خلق أو إيمان يكبح جماحها.

وأشار إلى أن ظهور هذا المرض على الحكام الوثنين أو الطغاة من زعماء الدنيا فإنه يكون معقولاً إلى حد ما، أما حين يصدر هذا السلوك الشائن ممن يراهم الناس قديسين ورسل سلام فهذا مما يشق على النفس تحمله، ويصعب على العقل تقبله، فهم الرجال الذين طالما سمعوا منهم عبارات التسامح والمحبة في مواعظهم الدينية.

ويبحث المؤلف في أسباب ذلك الطغيان الذي كانت الكنيسة تمارسه، فأشار إلى الاضطهاد الذي أوقعه الوثنيون من الرومان على أتباع المسيح – عليه السلام – والذي ألجأ هؤلاء الأتباع إلى التخفي بالدعوة، وإخفاء ما بأيديهم من نسخ الأناجيل، التي كانت تتعرض للمصادرة والحرق، مما أدى إلى انحصار المصادر الدينية للمسيحية في أيدي فئة قليلة من الناس كان لهم وحدهم حق شرحها وتأويلها، فلم يكن بأيدي الناس من المصادر التي يراجعون على أساسها ما يسمعون من رجال الكنيسة، فتكلم هؤلاء وحدهم وكان على الناس جميعاً أن يسمعوا من هذه الفئة التي احتكرت حق الشرح والبيان، فكان على الناس أن يقدموا الطاعة العمياء، فشجع ذلك رجال الكنيسة على الطغيان وفرض سلطانهم وتعميق هيبتهم لدى الناس، وكان من نماذج هذا الطغيان:

الطغيان الديني: فمنذ مجمع نيقية عام 325م والكنيسة تمارس الطغيان الديني، حيث فرضت عقيدة التثليث، ولعنت مخالفيها، وعذبت الموحدين، ومارست التحليل والتحريم والنسخ والإضافة، فحرمت الختان، وأباحت الميتة، والتماثيل والضرائب التي تجبيها الكنائس، وغير ذلك من المحرمات التي أحلتها المجامع الكنسية، كما أضافت الكنيسة ألواناً من المعتقدات الوثنية كقضية الاستحالة في العشاء الرباني، وعقيدة الخطيئة الموروثة وعقيدة الصلب والعذراء والطقوس السبعة، فرضت الكنيسة كل ذلك على أتباعها بحجة أنها أسرار عليا لا يجوز الشك فيها بل لا يجوز الخوض فيها.

لم يقف الأمر عند هذا الحد من الطغيان الذي فرض على الناس الانصياع لتلك المعتقدات، بل تعدى ذلك إلى إنزال النكال البشع بكل من تسول له نفسه الاعتراض أو التبرم من أحوال الكنيسة، وفساد رجالها، وما خبر محاكم التفتيش بجديد، فقد كان المسلمون في الأندلس هم الضحية الأولى لتلك المحاكم البشعة، فقد أبيدوا إبادة تامة بأقسى وأشنع ما يتخيله الإنسان من الهمجية والوحشية، وكانت المحكمة الأم لهذه المحاكم الوحشية (المحكمة المقدسة!! في روما)، وإن المؤرخين ليصابون بالرعب عند ذكر هذه المحاكم وسرد تاريخها الأسود فكيف بالضحايا الذين وقع عليهم هذا العذاب الذي يفوق الخيال، وكان يكفي لوقوع الشخص في هذا العذاب الرهيب أن يشي به جاره أنه سمعه يذكر الثالوث أو المعجزات بما يعد في نظر رجال الكنيسة

جريمة يستحق صاحبها أن يقطع جسده أو يفرم في مفارم اللحم أم يشعل تحته النيران الخفيفة ليموت موتاً بطيئاً أو تغرز الكلاليب في لسانه ويشد فيقطع، وعقدت الأهوال ألسنة كبار العلماء الأفذاذ مثل نيوتن وبيكون وديكارت وكانت وغيرهم، فلم يجرؤ أحد منهم على التلفظ بكلمة تثير عليهم غضب رجال الكنيسة القساة.

الطغيان السياسي:

من الطبيعي أن يكون لرجال الدين في أي أمة أثرهم الطيب في المجتمع، وأن تكون أزمة الأمور في أيديهم، لتقويم المعوج وتصحيح الخطأ، أما أن يتحول رجال الدين إلى طواغيت ومحترفين سياسيين، مع نبذ شريعة الله، ليحل محلها التسلط والاستبداد، فذلك العجب العجاب، لكن هذا هو الذي حدث من الكنيسة، حيث تناحر البابوات مع الأباطرة على النفوذ، والقبض على مقاليد الأمور في المجتمع، ولم يفتأ البابوات يعلنون أن الكنيسة بوصفها نظاماً إلهياً خليقة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية، ومن حق البابا وواجبه أن يخلع الملوك غير الصالحين، أو يرفض اختيار البشر للحكام.

ظلت الكنيسة على هذا الحال من السلطة الروحية البالغة، والهيكل التنظيمي الدقيق والاستبداد المطلق، فكان البابوات هم الذين يتولون تتويج الملوك والأباطرة، كما كان بإمكانهم خلع الملوك وعزلهم بإرادتهم المحضة، ومن رفض الرضوخ لأحكام البابوات أسقط البابوات عنه الشرعية وأعلنوا الحرب عليه.

ولعل خير مثال على ذلك يعرضه علينا المؤرخ البريطاني "ويلز"، وكذلك "ديورانت" في (قصة الحضارة) وهو حادثة الإمبراطور الألماني (هنري الرابع) المشهورة مع البابا جريجوري السابع، فقد جرى بينهما خلاف فظن الإمبراطور أن بوسعه أن يخلع البابا فرد البابا بخلعه، وألب عليه أتباعه والأمراء، فعقد الأمراء مجمعاً وقرروا فيه أن الإمبراطور سيفقد عرشه إلى الأبد إذا لم يحصل على عفو البابا، وخضع الإمبراطور وأذل نفسه وسافر مجتازاً جبال الإلب في برد الشتاء القارس، وظل واقفاً في فناء القلعة ثلاثة أيام وهو في لباس الرهبان متدثراً بالخيش، حافي القدمين، عاري الرأس، مظهراً كل علامات المسكنة والتوبة حتى ظفر بالمغفرة، وحظي برضا البابا!.

وأشار المؤلف إلى نماذج من التحديات التي كانت تصدر من بعض الملوك تجاه الكنيسة لكنها كانت تتحطم أمام نفوذ الكنيسة وطغيانها، وكان من أشهر هؤلاء الملوك الذين قاوموا هذا الطغيان الإمبراطور "فردريك الثاني" الذي عرف بصلابته التي عزاها المؤرخون إلى ثقافته العربية والإسلامية حتى اتهمته الكنيسة بأنه اعتنق الإسلام وسمته الزنديق الأعظم، فدافع هذا الإمبراطور عن نفسه برسالة عدت وثيقة هامة في وصف الصراع بين البابوات والملوك، أو الصراع بين الكنيسة والعلمانيين الذي كان يثور ويتأجج، فكان موقف فردريك ظاهرة فذة، لكنها لم تصمد أمام قرارات الحرمان، وسطوة الكنيسة الباغية.

الطغيان المالي:

بين المؤلف أن الأناجيل على ما فيها من تحريف كانت قاطعة في الدعوة إلى الزهد، والتنفير من التهالك على ملذات الدنيا لا سيما جمع المال والافتتان به، وأن المسيح – عليه السلام – كان أسوة حسنة في ذلك فقد عزف هو وحواريوه عن الدنيا عزوفاً صادقاً بينما كان القوم من اليهود ينظرون إلى الدنيا نظرة جشع لا ينتهي وشره لا ينقطع.

وجاءت القرون التالية فشهدت مفارقات عجيبة بين مفهوم الكنيسة في هذا الأمر وبين واقعها العملي، فبينما كانت تحرم ما أحل الله من الطيبات متأثرة بتلك النظرة التشاؤمية للحياة الدنيا كانت سيرتها الذاتية مخزية، حيث تهالكت على الدنيا وامتصت دماء أتباعها وعاش رجالها في بذخ متناه، وكانت أملاك الكنيسة الإقطاعية من الأراضي تفوق كبار الإقطاعيين في أوربا، حتى بلغت ممتلكاتها الإقطاعية ثلث أراضي إنجلترا، كما كانت تأخذ الضرائب الباهظة من الباقي من الأرض، كما فرضت الكنيسة العشور على غلات الأراضي الزراعية والمهنيين، ولم تكتف الكنيسة بالأوقاف والعشور بل فرضت الرسوم والضرائب، كما كانت تحظى بالكثير من الهدايا والهبات التي كان الأثرياء يقدمونها لها للتملق أو الرياء أو ما كان منها على سبيل الصدقة والإحسان، وفوق ذلك كانت هناك المواسم المقدسة والمهرجانات الكنسية التي كانت تدر على الكنيسة أموالاً طائلة، كما كانت الكنيسة ترغم أتباعها على العمل المجاني في حقولها وفي مشروعاتها لا سيما بناء الكنائس

والأضرحة، كان كل ذلك يملأ نفوس الناس جميعاً بالسخط إلا أن الظروف لم تكن مواتية لإعلان هذا السخط أو التعبير عنه بشكل صريح.

الفصل الثاني: الصراع بين الكنيسة والعلم:

بين المؤلف في هذا الفصل أن الصراع الذي نشب بين العلم والدين كان من أعقد وأعمق المشكلات في التاريخ الفكري الأوربي، ورغم كل الظواهر البارزة في الحياة الغربية التي تؤكد أن المعركة قد حسمت لصالح العلم، فإن هناك ما يدل على أن الدين أو بعض قضاياه الاعتقادية والسلوكية لا يزال موجوداً، وأن المعركة لم تحسم نهائياً، بل هي مستمرة، وأن كل طرف من الطرفين قد حقق في هذا الصراع ثباتاً وصموداً، أو تمكن من احتلال مساحات من مناطق نفوذ الآخر، فالمناطق التي احتلها العلم من مناطق نفوذ الدين هي في الحقيقة المواقع التي انتصر فيها العقل واليقين على الخرافة والوهم، كما أن المواقع التي صمد فيها الدين أمام الهجوم العلمي الكاسح هي المواقع التي انتصرت فيها الحقيقة الموحاة على التخرصات والأهواء.

ويلخص المؤلف هذه الفكرة في عبارة موجزة فيقول: "إن الحق في كل من الطرفين هو الذي انتصر أو سينتصر على الباطل في كليهما، وأنه لو كان الدين الأوروبي يقيناً مجرداً والعلم الأوروبي يقيناً مجرداً لما حدثت معركة على الإطلاق". ويضيف: "إن الدين بصبغته الإلهية النقية لم يدخل المعركة، ولهذا فإن الأوفق أن نسمي ما حدث في الغرب صراعاً بين الكنيسة والعلم وليس بين الدين والعلم".

ثم يبين أن جناية رجال الدين الأوربيين على الحقيقة كانت أشنع وأنكى من جناية أنصار العلم عليها، ذلك أن الكنيسة ارتكبت خطأين فادحين: أحدهما تحريف حقائق الوحي الإلهي وخلطها بالفلسفة والأهواء، والآخر فرض الوصاية الطاغية على ما ليس داخلاً في نطاق اختصاصها.

كانت أوربا مستغرقة في دياجير الخرافة والجهل، فعرفت الطريق إلى النهضة العلمية التي كانت تشع من الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية، فاستيقظ العقل الأوروبي من سباته وأخذ يقتبس عن المسلمين طرائق البحث ومناهج التفكير، وهنا ثارت الكنيسة، وهاج هياجها على أولئك الذين يتلقون علوم "الكفار" – المسلمين! –،

ويلتفتون عن الكنيسة وتعاليمها فأعلنت حالة الطوارئ وشكلت محاكم التفتيش، فاشتعلت المعركة، وازداد أوارها بمرور الأيام.

ثم استعرض المؤلف مراحل ذلك الصراع فتحدث عن النظرية التي هزت الكنيسة وأذهبت قدراً كبيراً من ثقة أتباعها فيها، وهي النظرية الفلكية التي قدمها "كوبرنيق" 1543م وخالف فيها ما كانت الكنيسة تعتقده من أن الأرض مركز الكون وأن الأجرام السماوية كافة تدور حولها، ولم ينج من محاكم التفتيش لأنه كان قسيساً بل لأن المنية أدركته بعد طبع كتابه بقليل، فأفلت من عقوبة الكنيسة، التي حرمت كتابه، واعتبرته من وساوس الشياطين.

وجاء بعده " برونو" بتأكيد نفس النظرية، فسجنته الكنيسة فأصر على رأيه فأحرقته، ثم جاء "جاليليو" فأيد النظرية فلقي في السجن العذاب والمهانة، وكاد أن يلقى نفس مصير برونو لولا أنه خشي على حياته فأعلن ارتداده عن أفكاره وركع ذليلاً أمام رئيس المحكمة، وراح يلعن ما توصل إليه ويصفه بالإلحاد، وتعهد بالإبلاغ عن كل ملحد يوسوس له الشيطان بتأييد مثل هذه الأبحاث المضلله!!

وبعد مدة من الزمن راجت تلك النظرية الفلكية، وهبطت أسهم الكنيسة، وطالب العلماء ودعاة التجديد بتقديس العقل واستقلاله بالمعرفة بعيداً عن الوحي، ثم ظهر "ديكارت" فدعا إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة، واستثنى الدين تحت الرهبة من الكنيسة التي لم يزل لها نفوذ وسطوة.

وهذه الازدواجية في الفلسفة والنظر العلمي، والفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي ظهرت أيضاً في منهج " بيكون " التجريبي، الذي كان يمثل مرحلة طبيعية في سلم التدرج من الإيمان المطلق بالوحي إلى الإنكار المطلق له.

بيد أن بعض الفلاسفة آثر الدخول المباشر على آراء الكنيسة وإخضاعها، للمنهج العلمي، ومن هؤلاء " سبينوزا " اليهودي الذي وضع أسس مدرسة النقد التاريخي.

وقد أعمل سبينوزا منهجه بدراسة الكتب الدينية بنفس المنهج الذي تدرس به الروايات التاريخية، واستنتج أن أسفار التوراة لم يكتبها موسى، وإنما كتبت بعده، ثم جاء "باسكال" ووجه النقد لعقيدة الخطيئة، ثم جاء " جون لوك " فكان أبلغ من ديكارت في

المطالبة بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض، ثم دعا إلى التسامح الديني، وإفساح الطريق أمام الناس ليعتنقوا ما شاءوا من الأديان.

على أن كل ذلك كان يظهر بتلطف وحذر حيث كانت الكنيسة تتربص بأصحاب تلك الأفكار، وتخيفهم بمحاكم التفتيش، وقد تعرضت كتب هؤلاء العلماء للحرق والمصادرة، كما تعرضوا هم للإيذاء والمضايقة من قبل الكنيسة.

ثم جاء " نيوتن " وظهرت نظريات علمية هزت الكنيسة وأثارتها، كان من هذه النظريات القول بأن من الممكن تفسير ظواهر الطبيعة بربط بعضها ببعض دون حاجة إلى تدخل قوى خارجية عنها، وكانت هذه النظرية بمثابة النواة للمذهب الطبيعي والنظرية الميكانيكية.

حاربت الكنيسة هذه النظرية على أساس أنها أهملت الاعتقاد في أن الله هو الذي يسير كل حركة في الكون، ولم يتسع أفق الكنيسة لإدراك أن نسبة الأفعال إلى الأسباب والوسائط لا يلزم منه إنكار نسبتها إلى الله – تعالى – باعتباره الفاعل الحقيقي، لكن الكنيسة دأبت على محاربة كل جديد، فترتب على ذلك جنوح أصحاب النظرية برد فعل أهوج، فأنكروا عمل العناية الإلهية، وأعلنوا أن كل ما عرفت علته المباشرة فلا داعي لافتراض تدخل الله فيه حسب تعبيرهم –.

كان اندفاع الباحثين والعلماء في مواجهة الكنيسة والانفكاك من ربقة رجالها المتغطرسين يعبر بشكل صريح بكفرهم بالكنيسة وبرجال الدين، وساعدت نظرية نيوتن على إيجاد فكر لا ديني منظم، وربما كانت النظرية قد مهدت للثورة الفرنسية، وفتحت الطريق أمام نظرية دارون التي كانت إيذاناً بأفول نجم الكنيسة، وانتهاء وصايتها الفكرية على أوربا، وولادة آلهة جديدة لا كنائس لها.

ثم ظهر في القرن الثامن عشر روح جديدة عمت الباحثين والفلاسفة والعلماء، دار محورها حول العقل والطبيعة، وتعالت الأصوات بتضخيم دور العقل، وبأنه الحكم على كل شيئ، وأن ما عداه فوهم وخرافة، فالوحي يخالف العقل، فهو أسطورة كاذبة، وصار لزاماً على الذين نبذوا الإيمان بالله كلية أن يبحثوا عن بديل فوجدوه في الطبيعة، فخلعوا على هذا المسمى كل صفات الله التي عرفوها في المسيحية مع فارق بين الإلهين في نظرهم.

فإله الكنيسة يبطش ويعذب ويفرض القيود، أما إله الطبيعة فجذاب ليس له كنيس ولا يفرض طقوساً ولا صلوات ولا رجال دين يستعبدون الناس.

وسادت تلك العبادة الجديدة؛ عبادة العقل والطبيعة، فكانت سمة هذا العصر الذي سمي عصر التنوير.

وتوالت انتقادات العلماء للكنيسة ترسم خط العداء الذي ظهر في أجلى صوره على يد "فولتير" الذي انتقد عقيدة التثليث وتجسيم الإله وأشار إلى أن " بولس "، طمس المسيحية وحرفها، ونادى بأن الطاعة إنما هي طاعة البشر باسم قوانين الدولة، وأن على رجال الدين أن يخضعوا مع جميع الناس لنظم الدولة، فلعنته الكنيسة وحرمت قراءة كتبه.

ونتج عن المذهب العقلي الجديد بالإضافة إلى نظرية نيوتن مذهبان جديدان على العالم الإسلامي ينمان عن التخبط والضياع:

الأول: مذهب المؤلهة أو المؤمنين بإله مع إنكار الوحي.

الثاني: المذهب الإلحادي المادي.

الثورة الفرنسية:

بين المؤلف في هذا الفصل أن النظام الاجتماعي الذي هيمن على الحياة الأوربية طيلة القرون الوسطى هو نظام الإقطاع والذي كان أبشع وأظلم النظم الاجتماعية في التاريخ، وأشار إلى أن الشرق المسلم آنذاك كان ينعم بالحياة في ظل أفضل وأعدل مجتمع عرفه التاريخ، بينما كان الغرب يرزح تحت نير هذا النظام البغيض.

ويشير المؤرخون إلى أن أولى محاولات الإنسان الأوروبي الانفلات من المظالم الإقطاعية بدأت بالاحتكاك المباشر بالمسلمين عن طريق الفتوحات الإسلامية في أوروبا، وبلغ ذروته إبان الحروب الصليبية، وكان رواد هذا التمرد والثورة على الإقطاع أرقاء فرنسا لقربها من الأندلس، وبعدها النسبي عن مركز البابوية في روما، فكان أهلها أقرب إلى روح التحرر والانطلاق.

فقامت في فرنسا أول ثورة فلاحية "الجاكرية" في القرن الرابع عشر للميلاد، وهي وإن أجهضت إلا أنها مهدت لحركات مماثلة بالثورة على الكنيسة التي كانت في نظرهم مجرد مالك إقطاعي جشع.

بلغ الفساد السياسي والتدهور الاقتصادي أقصاه في السنوات السابقة للثورة الكبيرة في فرنسا، ونفد صبر الشعب الذي أنهكته المجاعة، بينما كانت هناك طبقتان منغمستان في التنعم والترف هما: طبقة رجال الدين، وطبقة الأشراف بالإضافة إلى الأسرة المالكة.

فكان المجتمع فريقين؛ فريق الشعب ممثلاً في الفلاحين والمهنيين وصغار القساوسة، وفريق يمثله رجال الدين والنبلاء. وانتصر الشعب، وحصدت المقصلة معظم الرؤوس المترفة الطاغية، وتمخضت الثورة عن نتائج بالغة الأهمية فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوربا دولة تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب " وليس باسم الله "، وعلى حرية التدين، بدلاً من الكثلكة، وعلى الحرية الشخصية بدلاً من التقيد بالأخلاق الدينية، وعلى دستور وضعي بدلاً من قرارات الكنيسة.

وتبدلت الأمور بشكل مثير، فقد حلت الثورة الجمعيات الدينية، وسرحت الرهبان والراهبات، وصادرت أموال الكنيسة، وألغت كل امتيازاتها، وحوربت العقائد الدينية هذه المرة علناً وبشدة، وأصبح رجل الدين موظفاً مدنياً لدى الحكومة.

كان لهذه النتائج أسباب تضافرت على تحقيقها، منها:

أولاً: الفكر اللاديني (الذي طبع عصر التنوير):

ازدهرت مدارس كان بعضها ذا طابع علمي وبعضها ذا طابع اجتماعي وبعضها فلسفي هدام، وبدأت الفكرة الفلسفية القديمة – بإقامة مجتمع يرفض القيم والأخلاق الدينية – تتبلور.

ثانياً: وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير:

استفزت الكنيسة الجماهير إلى الحد الذي شجعهم على التخلي عن عقيدتهم، واعتناق أفكار الكتاب العلمانيين، وأصبح لزاماً على الكنيسة أن تسدد ديون قرون طويلة من الاستغلال البشع والطغيان الجائر.

ثالثاً: القوى الشيطانية الخفية:

يقول المؤلف: كان من الممكن أن تظل الجماهير الثائرة على الكنيسة وفية لدينها لولا أنه وجد عامل آخر قلب أهداف الثورة وحول خط سيرها، فعندما اندفعت

الجماهير الهائجة لهدم "الباستيل"؛ رمز العبودية والاستبداد، لم تكن ترفع سوى شعار واحد هو الخبز، والخبز وحده.

ولُقنت الجماهير الثائرة شعارات أخرى لم تكن تعي أبعادها بشكل كامل، من هذه الشعارات: "الحرية والإخاء والمساواة"، وكان ثم شعار آخر هو: لتسقط الرجعية، ولم يكن يعني عند الذين صنعوه سوى الدين.

كان اليهود يرقبون الثورة وهي تندلع، مصممين على استغلالها في الإجهاز على الكنيسة والثأر منها ومن دينها وأخلاقها، وكانت أموال اليهود المرابين تمد الغوغاء الثائرين، وبهذا استطاع اليهود أن يتغلغلوا في منظمات الثورة وأن ينفثوا في الجماهير شعاراتهم التي رددتها الجماهير ببلاهة لا سيما شعار "الحرية والإخاء والمساواة"، والذي يعني عند اليهود تحطيم القيود الأخلاقية والتقاليد الموروثة التي تحول بينهم وبين إفساد الأمم وتدميرها، ويقصدون بالإخاء والمساواة كسر الحواجز النفسية والاجتماعية التي تحول بينهم وبين الانسلال إلى أجهزة الدولة وتنظيماتها وإذابة الفوارق الدينية بينهم وبين غيرهم كي تزول عنهم وصمة الاحتقار والمهانة.

وهكذا نجح اليهود في تحويل الثورة من ثورة على رجال الدين إلى ثورة على الدين نفسه.

كانت الثورة الفرنسية فاتحة عصر جديد في التاريخ الأوربي، وأمدت هذه الثورة الثورات الأخرى في تحقيق انهيار نظام الإقطاع وانهيار نفوذ الكنيسة، وكان من آثار ذلك أن حدث فراغ كبير في المعتقدات والقيم، فاستغله اليهود في تحطيم إنسانية الإنسان وتدمير قيمه ...

المصدر: http://www.alsunnah.org

===========

#قراءة في كتاب العلمانية (3)

صفاء الضوي العدوي

نظرية التطور:

جاءت هذه النظرية لتؤكد أن وصاية الكنيسة الفكرية على أوروبا انسحبت من الميدان وانتهى أمرها، وقد كان لهذه النظرية آثار مدمرة في الفكر والحياة، حيث

استغل اليهود النظرية الداروينية لنشر الإلحاد والإباحية، كما استغلوا الثورة الصناعية للسيطرة على اقتصاد العالم، واستغلوا الديمقراطية في توجيه السياسة الدولية.

تلقى الإيمان المسيحي ضربات قاسية قبل أن تبصر نظرية دارون النور، فقد ثبت تهافت النظرية المسيحية عن الكون، وجاءت اتقادات سبينوزا وفولتير، فأحدثت هزة عنيفة، ثم الثورة الفرنسية، وما أصاب الكنيسة على يديها من نكبات، والنظريات العديدة التي مهدت لظهور المذهب العقلاني، والجمعيات السرية الهدامة وأفكارها الموبوءة، ومع كل ذلك بقيت المسيحية في عواطف الكثرة الكاثرة من الناس تساندها موروثات عميقة الجذور من القيم والمثل والتقاليد.

في عام 1859م نشر الباحث الإنجليزي تشارلز داروين كتابه (أصل الأنواع)، فأحدث ضجة لم يحدثها أي مؤلف في تاريخ أوربا قاطبة، وكان الغرض الذي قصد الكتاب الوصول إليه هو افتراض تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد، وتدرجها من الأحط إلى الأعلى، وأن الفروق الخلقية داخل النوع الواحد تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة، وخلص صاحب النظرية إلى أن أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة.

وحسب قانون الانتقاء وبقاء الأنسب" نمت الأنواع التي استطاعت التكيف مع البيئة الطبيعية ومصارعة الكوارث المفاجئة، وتدرجت في سلم الرقي، في حين هلكت الأنواع التي لم يحالفها الحظ في ذلك، ولم يكن فعل الطبيعة ذلك يجري على قاعدة منطقية مطردة، بل كانت تخبط خب عشواء.

هذا هو لب نظرية داروين بإيجاز، وقد وصفها العلماء بأنها مجرد فرضية بيولوجية أبعد شيء عن أن تكون نظرية فلسفية عامة، أو حقيقة علمية ثابتة.

وقد حكم اثنان من علماء الأحياء في القرن الماضي هما " أوين" في إنجلترا، و "أجاسيز" في أمريكا على تلك النظرية بأنها مجرد خرافة علمية، وأنها سوف تنسى بسرعة.

كما انتقدها العالم الفلكي الشهير "هرشل" بل وسائر أساتذة الجامعات.

لم يكن دارون يقصد بنظريته تلك الإيحاءات الفلسفية والتفسيرات المنبثقة عنها، أو التطبيقات التعسفية لها، لكن أعداء الدين هم الذين تلقفوا النظرية وصنعوا منها ذلك الضجيج الهائل والذي يدندن حول كون الدين خرافة يجب أن ينبذ من الحياة، هكذا أراد اليهود.

لقد قامت نظرية التطور على أصلين كل منهما مستقل عن الآخر وهما: أن المخلوقات الحية وجدت على الأرض في مراحل تاريخية متدرجة، ولم توجد دفعة واحدة.

الثاني: أن هذه المخلوقات متسلسلة وراثياً نتج بعضها عن بعض بطريق التعاقب خلال عملية التطور الطويلة البطيئة.

والذي عملته الداروينية أنها دمجت بين الأصلين، وحاولت تأييد الأصل الثاني بشواهد الأصل الأول، وهو خلط علمي أوجد لبساً على بعض العلماء، وأضفى على النظرية نوعاً من" العلمية" مع أن هذه المسحة العلمية قد يصح أن تضفى على الأصل الأول، لكن إضفاءها على الأصل الثاني خطأ محض.

وعلى الرغم من أن الداروينيين أدخلوا تعديلات كثيرة على تلك النظرية، إلا أنها بقيت في نظر العلماء نظرية متهافتة، لا تملك البراهين على صحتها.

ويبقى السؤال الحائر حائراً: إذا كانت النظرية بهذه المثابة من الادعاء الفاقد للبرهان، وأنها أقرب إلى الخرافة منها إلى الحقيقة العلمية، فما السر في تشبث بعض علماء الغرب بها، وإصرارهم عليها إصراراً أعمى؟!.

ويجيب المؤلف: إنه الفصام النكد، والعداوة الشرسة التي قامت بين العلم والدين في ظروف غير طبيعية.

يقول السير آثر كيت في (مذهب النشوء والارتقاء): إن نظرية النشوء لا زالت حتى الآن بدون براهين، وستظل كذلك، والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها، هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الإيمان بالخلق المباشر، وهذا غير وارد على الإطلاق. اهـ

والخلاصة أن هناك ممن يسمون" علماء" لا يزالون يعيشون بتلك العقلية التي كان يعيش بها بابوات الكنيسة، فرجال الكنيسة كان لسان حالهم يقول: حقيقة علمية، لكنها مرفوضة لأنها ضد معتقدات الكنيسة، وهؤلاء المتعصبون من العلماء يقول

لسان حالهم: ليست حقيقة علمية لكنها مقبولة لأن البديل هو الإيمان أو معتقدات الكنيسة، وهو عندهم مرفوض.

إن الذي أعطى الداروينية هذا الحجم الكبير هو تضافر عاملين خارجيين عنها هما:

1 الظروف التاريخية السيئة.

2 الاستغلال البشع للنظرية من قبل القوى الخفية.

وفي هذه النقطة الأخيرة عرض المؤلف لبعض صور هذا الاستغلال، فأشار إلى ما قام به المرابون من اليهود بفضل المركز المالي الذي هيأته لهم الثورة الصناعية – من التمجيد الأسطوري لصاحب النظرية، وصناعة الشهرة له بما لم يظفر به أحد من خدام البشرية أمثال باستير وأديسون وفلمنغ.

ومن صوره كذلك ما قاموا به من تهييج الجماهير لاستقبال تلك النظرية، وحملهم على تلقيها بوصفها ديناً جديداً.

والحملات الصحفية المكثفة للتشهير بأعداء النظرية، وتحيز الصحف لداروين ضد الكنيسة، فكان من الطبيعي حيال هذه الظروف أن عمت موجة طاغية من الإلحاد في المجتمعات الغربية، ثم انتقلت منها فيما بعد إلى بقاع العالم الآخر.

وها هو الفيلسوف اليهودي " نيتشه" يقوم بنعي الإيمان بالله فيقول: إن الإله قد مات، وإن الإنسان الأعلى"سوبرمان" ينبغي أن يحل محله، ومن هنا قرنته البروتوكولات بداروين وماركس، وعلى خطاهم جاء في القرن العشرين جوليان هكسلي، الذي ألف كتابه (الإنسان في العالم الحديث)، وزعم فيه أن الإنسان اختلق فكرة الله إبان عصور عجزه وجهله، أما الآن فقد تعلم وسيطر على الطبيعة بنفسه، فلم يعد بحاجة إليه، فهو العابد والمعبود في آن واحد.

وكان من آثار الداروينية نفي فكرة الغاية والقصد، فقد تولد من التأثر بنظرية التطور فكرة المصادفة، وكان من المدهش أن يوجد ممن يسمون علماء من يعتقد أن الكون بدقته المذهلة وعظمته الهائلة وجد صدفة واعتباطاً ((ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)).

وكان من آثار تلك الموجة العاتية من الإلحاد أن تزعزعت قيمة الحياة في نظر الناس، واستبد بالكثيرين شعور يائس قانط، وسيطر الإحساس بالضياع، وترك هذا

الشعور آثاره على الأدب الأوروبي في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى بصفة خاصة.

وكان من آثارها أيضاً ذلك الإيحاء القوي بحيوانية الإنسان، وفقدانه الشعور بكرامته ومركزه في الوجود، كما كان من آثارها الإيحاء بمادية الإنسان أي خضوعه للقوانين المادية فحسب، وهي الإيحاءات التي استمد منها أساطين النظرية الشيوعية أصولهم كاليهودي كارل ماركس الذي استمد من حيوانية الإنسان ما نادى به من مطالب الإنسان الرئيسية وهي (الغذاء والسكن والجنس)، ثم جاء اليهودي دور كايم الذي جمع بين حيوانية الإنسان وماديته بنظرية العقل الجمعي، الذي تقول: إن الإنسان حيوان خاضع "لجبرية اجتماعية"، ثم جاء فرويد بنظرية التحليل النفسي، حيث استمد من حيوانية الإنسان من الولادة حتى الوفاة تفسيراً حيوانياً بشعاً، فهو يرى أن الدافع الجنسي هو دافعه الوحيد، فالمولود يرضع ثدي أمه بدافع جنسي، ويتبرز بدافع جنسي، ويظل يتعامل مع الآخرين بناء على هذا الدافع وحده. بل الدين والأخلاق والمثل العليا كلها نابعة من هذا الدافع.

وكان من آثار الداروينية كذلك شيوع فكرة التطور الحتمي المطلق في أوربا، وحسب الناس أن كل تغير وإن كان انتكاسة وانحطاطاً تطوراً مطلقاً، ونجد أن الشيوعية استمدت تفسيرها المادي للتاريخ من فكرة التطور الحتمي، وأن التطور في المجتمع الإنساني يستلزم تطور الإنسان في نظرته للدين، وتولى علماء الاجتماع والنفس والأخلاق وسائر ميادين المعرفة الإنسانية التركيز على قضية واحدة هي أن الدين مر بمراحل انتهت بفعل التطور – إلى نفي فكرة الدين من أساسها.

الباب الثالث: العلمانية في الحياة الأوربية

علمانية الحكم: على الرغم من إقصاء الشريعة المسيحية عن واقع الحياة، فقد كان لها بعض التأثير في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك في جوانب من السلوك الشخصي للحكام المسيحيين، وكان للكنيسة آراؤها السياسية مع أنها لم تكن تعبر عن أحكام الدين كما أنزل من عند الله، بل كانت نظريتها أشبه بالنظريات الخيالية التي تتحدث عن مدن فاضلة وهمية، كجمهورية أفلاطون، وهي نظريات لا تجعل الدين هو المنهج الذي تقوم عليه الحياة، والأساس الذي تنبثق منه التصورات

والقيم، بل إن الانسجام العقلي والمصلحة الدنيوية المجردة كافية لإقامة المجتمع الفاضل في نظر أصحاب هذه النظريات.

ومن هذه النظريات نظرية العقد الاجتماعي، وأصلها فلسفة" أرسطو" التي تقول إن الإنسان حيوان اجتماعي وكان" هوبز" يرى أن الإنسان متوحش على أخيه الإنسان بطبعه، فاحتاج الناس إلى ترويض هذه الطبيعة بعقد اجتماعي ملزم، يضمن سلامة الجميع، وهذا العقد هو الدولة أو الحكومة، ثم توالت الإضافات والتعديلات على هذه النظرية على يد "جون لوك"، ومن بعده" جان جاك روسو" ثم أوحت هذه النظرية بفكرة" الوطنية أو القومية".

وكان من هذه النظريات كذلك نظرية الحق الإلهي التي كانت سائدة قبل الإسلام، وخلاصتها أن الملوك كانوا يستعبدون الناس زاعمين أن لهم سلامة عرقية خاصة أسمى من العنصر البشري، وغلا بعض الطواغيت فادعى أنه إله، أو من نسل الآلهة كما فعل أباطرة الروم، فلما جاء الإسلام نسف هذه الفكرة، ورد العبودية كلها لله وحده، وظهر فلاسفة يؤيدون نظرية الحق الإلهي، أمثال "هوبز" وجروتس.

وفي القرن التاسع عشر تطورت هذه الفكرة على يد هيجل الذي وصل بين العقائد المسيحية وبين النظريات الفلسفية المجردة، فتحول الدين على أيديهم إلى فكر ومنطق، فتحول "الله" إلى مطلق، والوحي إلى معرفة مطلقة، والمسيح إلى توسط، والشريعة إلى قانون مجرد، ولعل هذه النظريات ساعدت على تكريس الطغيان، واستمرار إذلال الشعوب بمنح الحكام تلك الصفة التي شجعتهم على التسلط والظلم بدعوى أن الدين يحبذ الطغيان.

النظريات الحديثة والمعاصرة:

رأى هؤلاء العلميين الجاهلين أن الدين هو العدو اللدود للباحثين، وحصروا مفهومه في أنه عاطفة وجدانية أو روحية تصل قلب الإنسان في فترات من حياته بالسماء ولا ينبغي إقحام الدين فيما لا علاقة له به وهو واقع الحياة اليومية.

فعلى الرغم من كثرة النظريات السياسية، كان الكتاب السياسيون يشعرون بأزمة وهم يحاولون معرفة القانون الأمثل الذي يجب أن يحكم العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

وكان الكتاب قد تخلصوا من" أحلام الرومانتيكية" واتجهوا إلى" الواقعية".

ووجد علم السياسة بغيته المنشودة في "نيقولا ميكافيللي" صاحب كتاب الأمير، الذي يعد مصدر الإلهام للحكام والمفكرين السياسيين.

كانت هذه النظرية تقوم على ثلاثة أسس متلازمة مستمدة من تصور لاديني صرف هي:

* الاعتقاد بأن الإنسان شرير بطبعه، وأن رغبته في الخير مصطنعة يفتعلها لتحقيق غرض نفعي بحت – فمن الطبيعي أن ينساق بلا حرج ولا لوم وراءها[1].

* الفصل التام بين السياسة وبين الدين والأخلاق.

* إن الغاية تبرر الوسيلة: وهذه هي القاعدة التي وضعها ميكافيللي بديلاً عن القواعد الدينية والأخلاقية.

* وكان ميكافيللي يرى أن الدولة غاية بذاتها وأن القبض على زمام الأمور هدف برأسه، وللوصول إلى ذلك الهدف لا مانع عنده من سلوك أي سبيل وإن تنافى مع كل القيم الدينية والأخلاقية.

* وعارضت الكنيسة بشدة تلك النظرية بسبب نزعتها اللاأخلاقية الجامحة، وحرمت قراءة كتاب الأمير، وظلت كلمة ميكافيللي وصفاً شنيعاً يطلق على المتحللين من الخلق والدين.

كانت السياسة قد ارتبطت بالاقتصاد ارتباطاً قوياً، فازدادت بعداً عن الدين، وشهدت الحياة الأوروبية انهيار الإقطاع وقيام الرأسمالية.

كان نظام الإقطاع يمثل صورة بشعة لإهدار كرامة الإنسان الذي كان مستعبَداً لسلطتين غاشمتين سلطة السادة الإقطاعيين وسلطة رجال الكنيسة.

وحل سلطان الحكومة محل سلطان الملوك، وسادت إرادة الشعب، وتلاشى ما كان يعرف بالحق الإلهي أمام ثورة الديمقراطية.

ومع ظهور الآلات ازدادت البطالة، وتعالت الصيحات من جديد ترفض هذا الواقع الفردي وتطالب بأنظمة جماعية ديمقراطية، وظهر بقوة صوت الاشتراكيين الأوائل، ومال إليهم طوائف من المثقفين والعمال والفلاحين وشكلوا جبهة مضادة للرأسماليين العتاة.

يقول المؤلف: وفي معمعة الصراع بين أنصار الديمقراطية الرأسمالية الفردية ودعاة الديمقراطية الاشتراكية الجماعية ولدت نظرية التطور التي غيرت مجرى الفكر الغربي بأجمعه، فأبعدت المسيحية الرسمية، وأفسحت المجال لإبعاد الدين عامة بصفة نهائية من التأثير في أي منحى من مناحي الحياة.

نظرة إلى الواقع المعاصر:

الواقع السياسي في أوربا واقع جاهلي لا يؤمن بالله – تعالى – ولا يحتكم إلى شريعته، ولهذا فإن سنن الله تؤكد أن هذه المجتمعات تنحدر إلى الهاوية، وتنتظرها كوارث مروعة.

ثم يعرض المؤلف الوجه الآخر لتلك الجاهلية المعاصرة كما يراه المفكرن السياسيون في الغرب.

ينظر الناس في الغرب إلى الديمقراطية على أنها منطقة مقدسة لا ينبغي أن تكون موضع نقاش، وذلك لأن البديل لها عندهم ليس سوى الدكتاتورية البغيضة.

وعلى الرغم من تمسكهم بالديمقراطية إلا أن الكتاب الديمقراطيين قد وجهوا لها عدة انتقادات، أولها:

1- ميوعة هذا الاصطلاح وصعوبة تحديده بدقة علمية: فبينما كانت الديمقراطية تعني حكم الأغلبية وتعني الحرية الشخصية، فقد أصبحت تعني أهداف الحزب السياسي الذي يمثل مصلحة الفقراء على أساس أن الفقراء هم الأغلبية، ثم أصبحت تمثل أهداف زعماء الحزب كما يقول أرنولد توينبي.

2 الأحزاب المتشاحنة التي لا تعبر عن إرادة الأمة: بين المؤلف أن الدول الديمقراطية يوجد بها نوعان من الأنظمة: نظام الحزبين كما في بريطانيا (المحافظين والعمال)، ونظام المجموعة كما في فرنسا وألمانيا، ثم أورد شرحاً ل" هارولد لاسكي" عن عيوب كل من هذين النظامين، فبين أن من عيوب الأول أنه لا يتلاءم مع انقسام الرأي بصورة فاعلة، وأن من عيوب الثاني اعتماد أسلوب المناورات أكثر من تحمل المسئولية، كما أنه يميل إلى تجميع السلطة حول الأشخاص أكثر من تجميعها حول المبادئ.

3 إيجاد طبقة ثرية مسيطرة" دكتاتورية" وهو عيب خطير ملازم للأنظمة الديمقراطية الغربية، فالدافع الوحيد والمحرك الرئيسي للعمل السياسي هو المصالح المادية، ولهذا استطاعت امبراطوريات المال في هذه الدول التحكم في السياسة الخارجية والداخلية مباشرة أو بطريق الضغط على السلطة الحاكمة، كما أنه يكون بإمكانها رعاية مصالحها وتحقيق أغراضها النفعية الخاصة.

4 تزييف وتطويع الرأي العام، وهذا العيب مرتبط بالعيب الذي قبله في بيان سيطرة الطبقة الثرية على وسائل الإعلام، وتمكنها من خلالها من تشكيل الرأي العام.

5 الفتور في تجاوب المواطنين مع العملية الانتخابية وبيان أن متوسط نسبة الناخبين الفعليين في الولايات المتحدة على سبيل المثال حوالي 60%، وهي نسبة لا تشير إلى رأي كامل الشعب، فيكون الحزب أو الفرد الفائز قد حصل على أغلبية أصوات المشتركين في الاقتراع لا على أغلبية الشعب.

6 القضاء على الميزات الفردية: يعرض المؤلف رأي" إليكسس كارل من كتابه (الإنسان ذلك المجهول) وهو ينتقد الديمقراطية لأنها ألغت الفروق الطبيعية بين الأفراد وتوهمت أنهم متساوون في الحقوق، واعتبر ذلك من خطل الرأي، وأنه مبدأ خطير يساعد على انهيار الحضارة بمعارضته نمو الشخص الممتاز، وأنه من المستحيل الارتفاع بالطبقات الدنيا (الأغبياء من الناس)، فكان السبيل الوحيد لتحقيق المساواة بين الناس على اختلاف استعداداتهم العقلية هو الديمقراطية، أي الانخفاض بالجميع إلى المستوى الأدنى وهكذا اختفت الشخصية.

7 تعارض المصلحة الذاتية للفرد والجماعة: وضرب مثالاً على ذلك بمسألة رفع الأجور التي قد تحقق مصلحة للعمال من جهة، لكنها تفوتها من جهة أخرى لأنه يكون مصحوباً بارتفاع الأسعار.

ثم ذكر تلخيصاً لما لاحظه الكتاب الديمقراطيون من عيوب على الديمقراطية فكان منها:

1. الصراعات الدائمة بين الأحزاب المنقسمة على بعضها.
2. المنافسات الحمقاء بين المواطنين.
3. عدم وجود سياسة متجانسة لمدى طويل.

4. البطء الشديد في تقدم مستوى حياة الجماهير.

ثم أضاف المؤلف أن كل هذه الانتقادات لم تنفذ إلى لب المشكلة وأساسها المتمثل في التمرد على شريعة الله استكباراً وغروراً.

ثانياً: النظام الشيوعي:

بين المؤلف أن الأفكار الديمقراطية تولدت من رد الفعل لمساوئ الإقطاع، وعليه فإن أقرب تفسير للشيوعية أنها جاءت رد فعل لمساوئ الرأسمالية.

عرض المؤلف النظرية الشيوعية، فذكر من مبادئها: سيادة الطبقة العاملة، أو ما تسميه" دكتاتورية البروليتاريا" مقابل دكتاتورية الرأسماليين في الديمقراطية الليبرالية". والنظرية الشيوعية في نظر أصحابها عقيدة شمولية تشمل التصور العام للوجود، وتقدم الحلول والتفسيرات لكل نشاطات الحياة ومجالاتها العامة، وذلك يربطها جميعاً بالعامل الوحيد المؤثر في الحياة، وهو العامل الاقتصادي وبصفة خاصة" ملكية وسائل الإنتاج"، ومن هنا ينبغي النظر إلى الدولة الشيوعية على أنها وجه اقتصادي يشمل السلطة التشريعية والجهاز التنفيذي وتقع سلطته المطلقة في يد الحزب الشيوعي، الذي يعتقد أنه هو الشعب على الحقيقة.

إن الواقع المشاهد يقطع بأن أنظمة الحكم الشيوعية الديمقراطية الشعبية هي أبشع أنواع الأنظمة الاستبدادية في التاريخ، وأن ألوان الشيوعية المعاصرة هي في الواقع أشبه شيء بمعتقلات فسيحة زبانيتها أعضاء الحزب الشيوعي ونزلاؤها الشعب بكامله.

ثم استعرض أقوال بعض المفكرين البارزين في التجربة الشيوعية، واتفاقهم على أنها أذلت الشعوب وسحقتها، وكبتت الحريات، ووأدت الرأي الحر، وأن الذين عاشوا في الدول الشيوعية قضوا أعمارهم في بؤس وجوع وحرمان، وأن هذه الحقيقة قد أصبحت واضحة كالشمس في رابعة النهار، وأن الذين كانوا مخدوعين بالديمقراطية الشيوعية من أمثال" برتراند راسل" قد عرفوا الحقيقة في النهاية وبينوا مساوئ الحزب الشيوعي ومآسي الشعوب على يديه...

---

[1] – وكأن أبا الطيب المتنبي كان ميكافيلياً حين قال: والظلمُ من شِيَمِ النفوسِ وإن تجدْ ذا عفةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظلمُ

رمضان 1423هـ – نوفمبر (تشرين الثاني) 2002 م

المصدر: http://www.alsunnah.org

=============

#قراءة في كتاب العلمانية (4)

صفاء الضوي العدوي

الفصل الثاني: علمانية الاقتصاد:

الاقتصاد عند الجاهلية الأوربية المعاصرة هو الإله الأكبر، فقد انتقل الأوروبي من العبودية لرجال الكنيسة أو النبلاء إلى العبودية للرأسمالية أو الحزب الشيوعي.

نظرية الكنيسة ونظام الإقطاع: أقرت الكنيسة نظام الإقطاع السائد بل أصبحت مؤسسة من مؤسساته الثابتة، وأقرت الاضطهاد الذي كان واقعاً على أرقاء الأرض لكنها وقفت من الربا موقفاً متشدداً محرمته ومحاربته، لم تكتب الكنيسة احترام الناس بسبب سلوكها الذاتي وطغيانها المالي الفظيع، ولهذا فشلت في وضع سياسة اقتصادية عادلة تستمد أصولها من الدين.

كان المجتمع الأوربي ينقسم إلى طبقات:

الطبقة العليا: طبقة السادة الملاك وطبقة رجال الكيسة وهاتان الطبقتان كانتا تعيشان في ترف، والطبقة الدنيا: (العبيد ورقيق الأرض وصغار القادة والزهاد من رجال الكنيسة).

ومما يجدر الإشارة إليه هنا أن السادة الملاك كانوا يفرضون على رقيق القلب من الواجبات ما يثقل كاهلهم فعليهم أن يدفعوا للسيد الضرائب والأجزاء من محصوله وماشيته ويعمل سخرة للسيد بالإضافة إلى أنواع من الغرامات في مناسبات كثيرة بل إن بعض هذه الواجبات كان فيها الكثير من طعن الشرف والاعتداء على الكرامة مثل أن للسيد حق الليلة الأولى أي أن له أن يقضي الليلة الأولى مع عروس رقيقه كما أن للسيد أن يرث تركة رقيقه بعد موته.

هذا هو نظام الإقطاع الذي قامت على أنقاضه الحياة اللادينية المعاصرة و مع كثرة مساوئ نظام الإقطاع فإن أعظم مساوئه في الحياة والفكر أمران: ارتباطه بالدين، من الناحية التاريخية كان النظام الإقطاعي في عنفوانه في الفترة نفسها التي كانت الكنيسة في عز نفوذها ثم كان انهيارهما معا فاستنتجت الجاهلية من ذلك معادلة خاطئة خلاصتها أن المجتمع الإقطاعي طبقي لأنة متدين، ولأنه بشع فلا بد أن يذهب ويستلزم ذلك نبذ الدين كلية أو على الأقل عزله عن التأثير في مجريات الأحداث وكانت الشيوعية أكثر انحرافاً وتطرفاً حين نسبت للدين دوراً إيجابياً في قواعد الظلم الإقطاعي.

2- المذاهب الاقتصادية اللادينية:

1 – المذهب الطبيعي: لما دبت الجفوة العميقة بين العلم والدين انفصلت النظريات الاقتصادية عن المثل والقيم الدينية، ووُلِد عندهم إله جديد وهو الطبيعة حيث حلت هذه الكلمة محل لفظ (الجلالة)، وارتفعت أصوات كثير من العلماء في سائر ميادين العلم والفلسفة يعلنون أن المجتمع (الطبيعي) هو المجتمع المثالي الذي يجب أن تؤوب إليه البشرية ففي الأخلاق ظهرت فكرة الأخلاق" الطبيعية".

ومع ظهور عدد من الكشوفات العلمية مثل كون الأرض ليست مركز العالم بل تدور حول الشمس، والكشف الذي اهتدى إليه هارتس بشأن الدورة الدموية ونظريات نيوتن عن الجاذبية والحركة، تساءل الناس: إذا كانت المصادر القديمة (آراء الكنيسة) أخطأت في نظرتها للعالم الطبيعي، فلا يبعد أن تكون كذلك مخطئة في نظراتها إلى السلوك البشري، من هنا أصبح كل شيء موضع التساؤل والشك، وأصبح البحث ينصب على تفسير النتائج والأسباب بالنسبة إلى السلوك البشري عن طريق قوانين الطبيعة بدلاً من البحث عنها في إرادة الله، أما أثر هذا المذهب على الاقتصاد خاصة فقد تأكد لدى كثير من الفلاسفة القناعة بأن تطبيق العقل على الأساليب التي يستخدمها الناس جدير بأن يكفل لهم الحياة المثالية أو (اليوتوبيا)، فتعددت وجهات نظر الفلاسفة الطبيعيين بشأن تنظيم المجتمع لا سيما من ناحية توزيع الثروة بطريقة عادلة، إلا أن الجامع بينهم كان (حرية العمل).

2 – المذهب الرأسمالي الكلاسيكي: وهو في حقيقته تطوير للمذهب الطبيعي، فلم يكن هذا المذهب أقرب إلى السماحة والاعتدال في معاملة الطبقة الفقيرة كما كان يتوقع، بل جاء هذا المذهب بنزعة لا أخلاقية، فلم يكن إلحاح الرأسماليين على حرية الفرد وحقه في العمل لمصلحة الفرد الذاتية، بل كان ذلك تأكيداً لحرية المحتكرين من أرباب المصانع والتجار والصيارفة وكان من أشهر الرأسماليين الكلاسيكيين (آدم سميث – ومالتس – وريكاردو)، إذ على أكتافهم نهض المذهب الفردي الرأسمالي، وهاك خلاصة لمذهب كل منهم:

آدم سميث (1790م)

عرف آدم سميث بأنه فيلسوف الاستعمار وكاهن الرأسمالية وأبو الاقتصاد العصري، كما عدّ كتابه (ثروة الأمم) أهم المؤلفات الاقتصادية في زمنه وأبعدها أثرا، ويشرح ذلك روبرت داونز فيقول: إن نظرية سميث في كتابه المذكور نظرية ذات نزعة ميكافيللية، وهي أن العامل الأول في نشاط الإنسان هو الأنانية والمصلحة الشخصية، ومن مظاهر تلك المصلحة العمل على جمع الثروة، بل إن سميث يرى أنها صفات محمودة لا مرذولة، والغريب أن كتابه هذا قد حظي بشهرة واسعة على الرغم مما يتضمنه من روح غير أخلاقية تتمثل في مراعاة مصالح الرأسماليين وتشجيعهم على الجشع والقسوة، والإعراض عن معاناة الجموع الغفيرة من العمال والفلاحين، ولم يقتصر سميث وكتابه على إنجلترا ولا أوربا وحدها بل كان كتابه المذكور (إنجيلاً) للمستعمرين الذين انقضوا على بلدان العالم الضعيفة ينهبون خيراتها ويستعبدون شعوبها.

على أن سميث لم يسلم من معارضة بعض ذوي الميول الدينية أو الإنسانية، فقد قال عنه (رسكن): إنه الإسكتلندي الغبي الهجين الذي يدعو الناس عمداً إلى التجديف في الدين بقوله: عليك أن تكره الرب إلهك، وتعصي وصاياه، وتشتهي مال قريبك.

مالتس (1834):

كان مالتس صورة مبالغ فيها من سميث، فقد كان أسوأ منه، حيث دافع عن نظرية سميث، ووقف بحدة أمام نظرية متفائلة ظهرت في القرن الثامن عشر تتلخص في أن الطبيعة قد وفرت للإنسان لوازم السعادة، فما على الإنسان إلا أن يحسن توزيعها،

فرد على أصحاب تلك النظرية المتفائلة بنظريته الشاذة التي اشتهرت فيما بعد، وخلاصتها أن تزايد السكان يحصل وفق متوالية هندسية (2- 4 8 16 32 -..)، وأما الموارد الغذائية في العالم فتنمو وفق متوالية عددية (2 4 6 8 10 -)، وعليه فإن الموارد لن تكون كافية للسكان بعد زمن، ولابد من حصول مجاعات تقضي على نسبة كبيرة من سكان البسيطة.

ولم يكتف مالتس بتأييده لنظرية سميث، بل زاد عليها بأن اعترض على قوانين الفقراء في إنجلترا، ورفض بشدة أي رحمة لهذه الطبقة المعدمة غير المنتجة، ومنع كل صور الإحسان أو الإعانات إلى تلك الأسر العاجزة عن تدبير وسائل معيشتها.

وبين المؤلف أن مثل هذا الجنوح اللا أخلاقي في نظريتي سميث ومالتس يشير إلى أن الفكر الأوروبي يميل إلى اعتناق مثل تلك النظريات الشاذة والأفكار اللا أخلاقية المتطرفة، على الرغم من وفرة الأفكار الأقرب إلى الاعتدال والموضوعية، وألمح إلى أن تلك الظاهرة قد تبدت لنا عند الكلام على الميكافيللية والماركسية والفرويدية، وأن ذلك يعود إلى مرض متأصل في النفسية الجاهلية أكثر من كونه نتيجة طبيعية للأوضاع الفكرية والاجتماعية غير الطبيعية.

ريكاردو:

يرى ريكاردو" اليهودي" أن مسئولية التفاوت الاجتماعي والأزمات الاقتصادية تنصب على ما أسماه" الريع" وليس على" الربح"

والريع هو المكسب الذي يحصل عليه مالك الأرض، أما الربح فهو مكسب الصناعي الرأسمالي، ويعلل ذلك معتمداً على نظرية سميث في إعطاء القيمة للعمل، بأن الريع ليس ثمناً للعمل، ولكنه ناتج عن امتلاك مورد طبيعي للثروة.

ويرى أن ملاك الأرض إذا تقاضوا أثماناً عالية لوسائل العيش فهم لا يستغلون العامل، ولكنهم يستغلون صاحب العمل الذي يضطر إلى أداء أجور عالية لعماله، بينما هو لا يستطيع أن يرفع من أثمان منتجاته لأنها تتحدد في سوق قوامها التنافس.

وكان من ثمرات نظريته أن أقنع الرأسماليون الحكومة الإنجليزية بإلغاء قوانين الغلال فأفسحت المجال لاستيرادها من الخارج، فهبطت أرباح الملاك الزراعيين، وانخفضت

تكاليف الصناعة، فخفض الرأسماليون أجور العمال، ثم تمادى ريكاردو فطالب بتأميم الأراضي وفرض الضرائب الباهظة عليها.

الأثر العام للمذهب الكلاسيكي:

كانت المنفعة المادية وتحقيق أكبر ربح بأية وسيلة هي هدف المذهب الكلاسيكي وقانونه فقد جرد الاقتصاد من أي مؤثر أو صبغة دينية أو أخلاقية، فأنتج هذا المذهب مشكلتين خطرتين:

الأولى: قيام اقتصاد عالمي يجعل الربا والاحتكار عموده الفقري.

والثانية: تعريض الشعوب التي طبق عليها المذهب للجوع والبطالة والأزمات الخانقة، وقد صور الروائيون من الإنجليز ما كان عليه حال العمال من النساء والأطفال، وما كان عليه حال الملاجئ والفقراء – ولم تكن أمريكا بأحسن حالا من بريطانيا – ولم تدم للرأسماليين فرحتهم بهذا الاستغلال البشع للعمال الكادحين، فقد أضرمت هذه المعاهدة النار في القلوب وأججت ضدهم نار العداوة، فانبعثت الشرارة للفكر الاقتصادي الماركسي.

3 – المذهب الاقتصادي الشيوعي: بينما بالغ الرأسماليون في تطبيق المذهب الفردي تطرف الفكر الشيوعي في تطبيق المذهب الجماعي الذي لا يقيم للفرد وزنا إلا من جهة كونه مسمارا في الآلة الاجتماعية، وفي الحقيقة فإن الفكر الجماعي له جذوره القديمة التي تصل إلى أفلاطون في جمهوريته المشهورة.

وكان من طليعة المفكرين الاشتراكيين في الغرب" روبرت أوين" و" سان سيمون"" وفورييه" إلا أنها كانت اشتراكية نظرية خيالية أما اشتراكية ماركس فهي الاشتراكية العلمية الوحيدة في التاريخ والتي ساندتها الفلسفة المثالية الألمانية" فلسفة هيجل" كما ساندتها نظرية دارون.

وهكذا تبلور المذهب الاشتراكي بعد عمليات من التلفيق والترقيع استخدمت فيها أشتات فكرية منوعة، وكانت أوضح البصمات على الشيوعية هو التراث اليهودي والنفسية اليهودية، وهو ما يتجلى في العبودية الخانعة للمال وتأليه المادة وكذلك في الحقد على البشرية وقيمها ومقدساتها. وأوضح المؤلف أن دراسة الاقتصاد الشيوعي بمعزل عن الفلسفة الشيوعية في إطارها العام ليس إخلالا بالموضوعية العلمية

فحسب، بل هو ضرب من إضاعة الجهد فيما لا طائل تحته، فمؤلفات الإلحاد الشيوعي هي كتب اقتصادية شيوعية، كما أن الكتب الاقتصادية الشيوعية هي كتب إلحاد بالدرجة الأولى.

فالفكر البشري في النظرية الشيوعية هو انعكاس للواقع المادي – فالمادة هي الأساس ومنها ينبثق الفكر والمشاعر ومن هذه المشاعر الدين نفسه، وكان ذلك الإلحاد جريا مع المادية الجدلية وتطبيقا للتفسير الاقتصادي للتاريخ الذي قام على مبادئ نظرية كان من أهمها:

1 – حتمية الصراع بين المتناقضات وهو يعني بالنسبة للمجتمع البشري الصراع بين الطبقات وبين المصالح المادية المتعارضة وكان من أخطر المبادئ الفلسفية الشيوعية مبدأ حتمية الانتقال عبر مراحل وإنه لا إرادة للإنسان في الانتقال وإن هذا الانتقال يصحبه تغير حتمي في الأفكار والمعتقدات والسلوك فالدين في نظر الشيوعية أوهام وخيالات انعكست عن الوضع الاقتصادي...

شوال 1423هـ – ديسمبر (كانون الأول) 2002 م

المصدر: http://www.alsunnah.org

============

#الإعلام الإسلامي في تركيا

رغم انتماء تركيا في العصر الحاضر إلى منظومة دول العالم الثالث إلا أنها شذت عنها أمور كثيرة ومنها الإعلام، فالإعلام في تركيا حر بكل معنى الكلمة ولا يحتاج الأمر ترخيصًا من وزارة إعلام أو إدارة مطبوعات لإصدار دورية (جريدة أو مجلة) أو إنشاء قناة إذاعية أو تلفزيونية هذا الانفتاح الإعلامي والذي لا يتجاوز عمره عشر سنوات أثمر العشرات من الصحف اليومية ومئات المجلات الدورية أما في جانب الإعلام المرئي والمسموع فيوجد الآن 1500 إذاعة ومعظمها محلي على نطاق موجه (إف. إم) وقليل جدًا منها إقليمي يغطي منطقة معينة، وبالنسبة للتلفاز فهناك 300 قناة تلفزيونية منها ثلاثون قناة فضائية تغطي كافة الأراضي التركية من خلال القمر الصناعي ترك سات إضافة إلى أجزاء من آسيا وأوروبا، أما الباقي فهي قنوات محلية البث في نطاق المدينة أو المنطقة.

هذا الانتشار الواسع لوسائل الإعلام في تركيا وبتنوع لا مثيل له في البلدان النامية بل حتى البلدان الأوربية والذي أشبه ما يكون بالإعلام الأمريكي من حيث التعدد والانتشار مع فارق وحيد أن اللغة التركية محصورة في مناطق محدودة من العالم وليست لغة دولية كالإنجليزية.

هذا التنوع في أدوات الإعلام، مع الكثرة الفاحشة جعل للإعلام سلطة فاعلة وحركة أساسية في المجتمع. يختلف الباحثون والمراقبون للشأن التركي في القوة الأولى التي تحكم البلد، فالبعض يقول إن القوة الأولى الجيش والإعلام القوة الثانية أما الفريق الآخر فيرى العكس، والحقيقة أن الإعلام في كل الأحوال هو الذي يحرك الجيش ويستفزه لضرب أي توجهات إسلامية ولو كانت محدودة ومحصورة، بل لا يعبأ أن يحرّض في كثير من الأحيان الجيش على التدخل المباشر والقيام بانقلاب عندما يرى العلمانيون أن التوجه الإسلامي قد يهددهم أو أن الصحوة الإسلامية بدأت ترفع الرأس وتتنسم الهواء الطليق، لا يريدون وجودًا قويًا مؤثرًا في البلد خلاف العلمانيين فكيف يقبلون ببروز إسلامي صاعد؟ يكاد يتفق المتابعون للشأن التركي أن سقوط حكومة التحالف الإسلامي / العلماني أسقطها الإعلام وبشكل أخص الصحافة اليومية العلمانية ذات النفوذ والانتشار الواسع.

(هناك مجموعتان إعلاميتان علمانيتان صباح، دغوان تسيطران على 35% من الدوريات وكانوا من أسباب إسقاط حكومة أربكان).

من غرائب الإعلام التركي وحريته، أن وجدت محطات تلفزيونية وإذاعية تقدم خدمات خاصة لأصحابها وتقوم بحماية مصالحهم الشخصية الاقتصادية، وأحيانًا بطريقة فجة، فهناك قناة تلفزيونية مهتمه بالدفاع عن كازينوهات القمار تسوق لها وتقعد لفوائدها وآثارها الاقتصادية على المنطقة المحلية وأنها مصدر دخل قوي للعملة الصعبة – خصوصًا من إسرائيل . بدلاً من الدراهم القليلة من السياح العرب المتخلفين.

من جانب آخر يعتبر الكثير من الصحف اليومية العلمانية أن من مقومات الصحافة العري والتفسخ فيندر أن يخلو عدد من هذه الصحف من صور نسائية عارية أو شبه عارية وبشكل متكرر ومقزز تشبها بالصحف الشعبية الإنجليزية (التابلويد) ولكن

بنساء تركيات (مسلمات على الأغلب)، هذا الأمر لا يوجد . على حد علمنا . في أي بلد مسلم، ويلاحظ وجود دعم غير مباشر من الحكومات العلمانية للصحف اليومية كي تغض النظر عن الأخطاء وتركز جهودها فقط لتتبع الإسلاميين وأنشطتهم وإثارة العامة والجيش عليهم. [يحصل رئيس تحرير إحدى الصحف اليومية واسعة الانتشار على 000. 1000 دولار شهريًا من الحكومة رشوة مقنعة].

الإعلام الإسلامي في تركيا:

نظرًا للجهد الضخم والإرث التراكمي للدولة العلمانية ومؤسساتها في محاربة الإسلام من جذوره، فإن أي جهد لمقابلة هذا المد أو حتى التخفيف من دوره وأثره يصب في خانة الجهد الإسلامي باعتبار أن القائمين عليه من أهل القبلة وذوي نيات حسنة وإن خالفوا أحيانًا المنهج الإسلامي الصحيح.

قبل الحديث عن النشاط الإعلامي فإنه يجب معرفة الفئات النشطة وهي:

* الحركات الصوفية النقشبندية وهي ذات انتشار واسع في أوساط عامة الناس وبخاصة القرويون وهي ذات عمق تاريخي بعيد من أيام الخلافة العثمانية.

* حركة النورسيين وهي حركة إسلامية منظمة واسعة الانتشار تهتم كثيرًا بالتعليم يتبعها آلاف المدارس داخل تركيا وأيضًا خارج تركيا، تعتمد على نفسها كليًا في الإنفاق على نشاطها وهي صوفية في الكثير من توجهاتها.

* حزب الفضيلة (الرفاه سابقًا) وهو حزب سياسي بالدرجة الأولى ولكن له أنشطة متنوعة اقتصادية وتعليمية وثقافية وله حضور واسع، ويستفيد . في الانتخابات . من الجماعات الصوفية.

* تجمعات أخرى:

بخلاف الجماعات السابقة فإنه يوجد في تركيا تجمعات محلية محدودة متنوعة الاتجاهات بعضها سلفي وبعضها إصلاحي عام لكن أثرها محدود وانتشارها ضيق وأتباعها قلة.

رغم هامش الحرية الإعلامية الواسع فإن الإعلام الإسلامي تحت المجهر وسيف الدستور العلماني في وجه التحركات الإسلامية الإعلامية رغم تعقلها واتزانها وقصورها أيضًا في جانب ما تقدمه من مواد إسلامية.

بمعنى آخر الحرية قاصرة إلى حد كبير على الإعلام العلماني ليقدم ما يشاء من انحلال وتفسخ وحتى تشويه الإسلام أم خلاف ذلك فالأصل التتبع والمحاكمة وحتى السجن للمخالفين.

إذن عند تقديم النشاط الإعلامي الإسلامي لابد من أخذ الاعتبار للعديد من العوامل المحلية ومنها:

* قسوة النظام العلماني.
* الحرية العرجاء.
* الإرث العلماني (الكمالي).
* انتشار التصوف.
* حداثة الحركة الإسلامية نسبيًا.
* حداثة التجربة الإعلامية الإسلامية.
* التنوع الواسع الانتشار الكثيف لوسائل الإعلام.
* قوة الجيش وهيمنته ودوره (حماية الدور العلماني).

بدايات الإعلام الإسلامي:

كانت فترة الستينات هي فترة ظهور الإعلام الإسلامي في صيغته البسيطة والضعيفة، كانت البداية جريدة أسبوعية ثم يومية (الاتحاد، 1966) ثم آسيا الجديدة الأسبوعية ثم الهلال التي استمرت طويلاً ثم توقفت كذلك صدرت هذا اليوم والصباح (التي تحولت إلى علمانية فيما بعد).

وكانت هذه الفترة تتميز عمومًا بضعف هذه المطبوعات وتقطع صدورها وتوقف أغلبها.

بعد ذلك ظهرت جريدة تركيا (عن جماعة حسين حلمي الصوفية). ثم في عام (1973) ظهرت جريدة الوطنية عن حزب الرفاه.

بدأ النشاط الإعلامي الإسلامي القوى والواسع الانتشار في الثمانينات وترسخت أقدامه في بداية التسعينات حيث كانت الأوضاع مهيئة بعد الانقلاب العسكري (1987) حيث استفاد الإسلاميون كما استفاد غيرهم من الديمقراطية المعقولة في ذلك الحين (عند أوزال) وكان . وما يزال . جل الجهود مركزًا على تقديم إعلام هادئ

متزن يهادن العلمانية في كثير من الأحيان كي لا يضطر إلى المصادمة معهم، وذي توجهات إسلامية بحسب الجهة المصدرة.

الأنشطة الإعلامية الإسلامية:

يمتلك الإسلاميون بمختلف ميولهم وتوجهاتهم العديد من وسائل الإعلام فلهم خمس قنوات فضائية تلفزيونية إضافة إلى بعض القنوات المحلية والعشرات من الإذاعات المحلية. إضافة إلى بعض الصحف اليومية والعشرات من المجلات المتنوعة.

أبرز الأنشطة الإعلامية الإسلامية:

أولاً: الصحافة اليومية:

صحيفة الزمان: أوسع صحيفة إسلامية يومية، توزع ما يقارب 000. 300 نسخة تدعمها وكالة أنباء خاصة بها (جيهان)، تصدر عن جماعة النورسيين، تهادن الدولة ولا تتصادم مع العلمانيين، تتبع النهج التبليغي في الدعوة، تعتبر جريدة سياسية دعوية عامة.

صحيفة الوطنية: جريدة يومية سياسية دعوية لسان حال حزب الفضيلة (الرفاه سابقًا).

صحيفة تركيا: ذات توجه صوفي يسايرون العلمانيين.

صحيفة العقد:

ثانيًا: الدوريات الإسلامية:

هناك العديد من الدوريات الإسلامية (أكثر من 250) من صحف يومية وأسبوعية ومجلات أسبوعية وشهرية، أغلبها محلي مرتبط بأحزاب أو جماعات أو تجمعات إسلامية.

ثالثًا: القنوات الفضائية الإسلامية:

1 . قناة تركيا: أبرز قناة وأوسعها انتشارًا، تصدر عن جماعة صوفية نقشبندية (جماعة الإخلاص) ولديهم الكثير من النشاط الإعلامي (جريدة تركيا، وكالة أنباء إخلاص إضافة إلى 18 دورية ومجلة).

إضافة إلي النشاط الثقافي والتجاري، لديهم ولاء للدولة ويهادنون العلمانية تسمى قناة إسلامية لأنها تقدم بعض التوجيهات والنصائح الدينية، وموادها الإعلامية محتشمة وليست إباحية.

2 . قناة 7: ثاني أوسع قناة إسلامية فضائية انتشارًا.

3 . الرسالة: ذات توجه صوفي لكن لديهم قرآن وبرامج تعليمية، أحسن من قناة تركيا.

4 . سمان: تتبع النورسيين وهي قوية في الجانب التقني، موادها الإعلامية محافظة في الجملة لكن تفتقد للمواد التربوية الهادفة.

أبرز الأنشطة الإعلامية الإسلامية:

1 . صحيفة العقد:

أكبر جريدة يومية إسلامية مستقلة، غير مرتبطة بأحزاب أو جماعات، تتعاون مع جميع الاتجاهات الإسلامية، ذات هدف واضح ومحدد وهو كشف العلمانية والعلمانيين وإظهار عوراتهم وفضحهم أمام الناس بالأدلة والبراهين معتمدين على الجرأة في الطرح والثقة بالنفس مع الاستعانة بالخبراء القانونيين لعدم الوقوع فيما يصادم القوانين ويعرض الصحيفة للتوقف أو القائمين عليها للسجن. منهجها .كما يوضحه مصطفي أوغلو الناشر ورئيس التحرير «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين».

تأسست الجريدة قبل خمس سنوات بأهداف محددة وبإمكانات محدودة تطورًا من مجلة الجمعة الشهرية ثم الأسبوعية لاحقًا والتي أدت دورًا جيدًا في الجانب السياسي والدعوي الإسلامي حتى وصل توزيعها إلى 000. 35 نسخة أسبوعيًا. ثم انخفض بعد إصدار الجريدة التي أدت دورًا أكبر وأشمل.

توزع الجريدة الآن 000. 120 نسخة يوميًا، وهو معدل مرتفع مقارنة بأوسع الصحف العلمانية انتشارًا هي جريدة الحرية التي توزع 000. 500 نسخة من مجموع 5. 2 مليون نسخة توزيع كافة الجرائد اليومية.

يقول مصطفى أوغلو رئيس التحرير لدينا سلاح واحد وعدد قليل من الطلقات نحاول الاستفادة منها بأقصى ما يمكن دون أن نستجر لمعارك لم نخطط لها وغير قادرين على الانتصار فيها.

استقلالية الجريدة أعطى قبولاً واسعًا لدى طبقات الصحوة الإسلامية المثقفة سواء التي لها ارتباط بأحزاب أو جماعات أو المستقلين.

رغم التحري الواسع في شأن ما تطرحه الجريدة من قضايا مع الاستعانة بالجهات القانونية إلا أنها لم تسلم من المواجهات مع الجهات العلمانية حتى وصل عدد القضايا التي رفعت ضدها في المحاكم إلى 1000 قضية منها ما خرجت منها بالبراءة ومنها ما حكم عليها بالغرامات المالية...

تعتمد الجريدة على نفسها في تغطية مصاريفها سواء من المبيعات أو الإعلانات رغم محدوديتها وامتناع أغنياء المسلمين عن الإعلان فيها (مجموعة أوكلر) خوفًا من متابعات الدولة بدعوى دعم هذه الجريدة الإسلامية.

أغلب مواد الجريدة معالجات محلية لقضايا ذات ارتباط بالجانب الإسلامي (الحجاب مثلاً) فضلاً عن متابعات سياسية دولية مع اهتمام بالشأن الإسلامي لها، تقل المواد الترفيهية وتكاد تقتصر على صفحة رياضية ذات جذب إعلاني وعدد صفحات الجريدة 20 منها 4 ملونة.

2 . قناة 7:

ثاني أوسع قناة إسلامية فضائية انتشارًا، تأسست عام 1994، لسان حال حزب الفضيلة (الرفاه سابقًا) تتميز بالاعتدال والموضوعية.

تركز على الأخبار والتحليلات والمقابلات السياسية، وتعطي هامشًا للمناورة مع الجهات المعادية وطرحها السياسي والفكري قوي وفعال وتستضيف الكثير من الشخصيات سواء الإسلامية أو أحيانًا العلمانية أو رموز الدولة لإحراجهم ولها قبول واسع لدى المثقفين بشكل خاص، ونشرتها الإخبارية الرئيسية اليومية قوية جدًا.

أهداف القناة تنحصر في تقديم خدمات إعلامية عامة تخلو من الابتذال والانحلال والتشويه للفكرة الإسلامية.

تقدم مجموعة من المواد الإعلامية العادية من مسلسلات وأفلام رياضية ومنوعات تخلو من المفاسد كما تستفيد أحيانًا من الإنتاج الإيراني.

هناك القليل من البرامج التربوية والاجتماعية الهادفة وتقدم القرآن وبعض البرامج الفقهية.

تحاول أن تعطي الفرصة للمجتمع التركي للإطلاع على مواد إعلامية محافظة بعيدة عن قنوات التفسخ والانحلال الأخرى والقناة ليست إسلامية بالمعنى الحرفي الخاص، لأن النظام العلماني مشهرًا سيفه تجاه أي توجه إسلامي قوي وبارز خصوصًا الإعلامي منه.

والقناة تلتزم بضوابط الهيئة العليا للإذاعة والتلفيزيون والتي تشرف على البث وهي مكونة من أعضاء من الحكومة والبرلمان وبعض الإعلاميين والمختصين وغالبيتها من العلمانيين وهي تقوم بمراقبة البث بما لا يصادم دستور البلاد (العلماني) ويراعي حاجات المجتمع (بزعمهم) كالرياضة والموسيقى والأفلام وغيرها وهي تؤكد متابعتها للقنوات الإسلامية، وتقوم بمحاسبتها بناء على المعطيات العلمانية.

كذلك تعالج بعض قضايا الناس اليومية واهتماماتهم الآنية لكنها تفتقد الكثير من البرامج التربوية الهامة. هذا الضعف في التوجه الإسلامي يعزي إلى أمرين:

الأول: الرقابة والمتابعة الرسمية ومحاولة عدم التصادم مع النظام العلماني المسيطر [أغلقت إحدى القنوات التلفزيونية لمدة شهر لأنها شرحت حديث دخول المرأة النار بسبب ترك الحجاب].

الثاني: طبيعة حزب الفضيلة (الرفاه سابقًا) وتكوينه المنهجي واعتماده التوجه السياسي في الغالب وضعف الجانب التربوي لديهم.

المصدر : http://www.almuhayed.com

============

#حقيقة العلمانيين العرب

مما يحير المرء في شأن معشر العلمانيين: جماعات الشغب الثقافي، والتفلت الأخلاقي في العالم العربي:

أن مشاغباتهم تأتي دائما في مغامرات من اللغو الذي لا طائل تحته، ويحاولون أن يصنعوا من أنفسهم أبطالا للحرية، من بطولات وهمية ليس من ورائها اختراع نافع ولا نقد بناء ولا كلمة حق أمام سلطان جائر ولا موقف شجاع ينصر فيه المظلوم من الظالم، فمن أين يريدون أن يصيروا أبطالا؟ لا أدري.

يقول محمد عابد الجابري في كتابه تكوين العقل العربي (وإنه لمما له دلالة خاصة في هذا الصدد أن تخلو الحضارة العربية الإسلامية مما يشبه تلك الملاحقات والمحاكمات التي تعرض لها العلماء، علماء الفلك والطبيعيات، في أوربا بسبب آرائهم العلمية، ويكفي التذكير بما تعرضت له مؤلفات كبلر من بتر ومنع من طرف لاهوتيي عصره بسبب تأييده لنظرية كوبرنيك الفلكية المبنية على القول بثبات الشمس ودوران الأرض حولها، عكس ما كان يعتقد قبل .. أما في الحضارة العربية الإسلامية فعلى الرغم من أن فكرة كروية الأرض ودورانها كانت شائعة كغيرها من الأفكار العلمية المماثلة فإنها لم تثر أية ردود فعل لا من طرف الفقهاء ولا من جانب الحكام) ص 345 مركز دراسات الوحدة.

وهذه ملحوظة مهمة جدا، وهي من الأدلة والبراهين القاطعة على أن صراع العلمانيين مع الشريعة الإسلامية في بلادنا العربية، ليس بسبب الجدل حول موقف الإسلام من التقدم الحضاري ولا العلوم العصرية النافعة، وهي العلوم التي تدور في فلك دراسة الطبيعة واكتشافها واختراع ما يفيد الإنسان، وتعتمد على المنهج التجريبي، لان الشريعة الإسلامية لا تفرض أي تعارض بين الدين وبين هذه العلوم النافعة . بعكس ما كانت الكنيسة تفعل في افتراضها هذا التعارض في أوربا قبل الثورة على سلطان الكنيسة . بل الشريعة الإسلامية تدعو إلى تلك العلوم وتحض عليها، وكلما كان العالم ملتزما بالإسلام كان أزكى عقلا فيها، وأعظم نفعا للناس.

ولهذا لا نكاد نجد أحدا في العالم العربي – مثلا . في مجال هذه العلوم النافعة نصب عداء للدين، والسبب ببساطة أنه لم ير في الإسلام ما يشكل عائقا أمامه البتة، وان وقع من أحد منهم مثل هذا العداء فانه بسبب انتماءاته السياسية أو الثقافية الأخرى لا بسبب الاكتشافات النافعة.

وإنما غالب المعادين للشريعة الإسلامية وللتيار الإسلامي في العالم العربي هم قلة من جماعة (تجار الكلام)، جل ما لديهم مجرد الكلام المستمر، الممل والمكرور، في الصحف في السخرية والاستهزاء بالدين وأحكام الشريعة والتباهي بأنهم أصحاب قلم يدافعون عن التقدم والعصرنة.

فإذا فتشت عن عصر نتهم وتقدميتهم وجدتها تدور حول الدفاع عن كاتب طعن في القرآن لا من أجل أنه اكتشف شيئا يحرم القرآن اكتشافه، بل لان المفكر الحر جدا!! الذي يدافعون عنه اكتشف فجأة أنه لم يرق له الإيمان بالبعث بعد الموت مثلا لأنه تربى وهو صغير في مدرسة أجنبية أو تلقى ثقافة ملحدة، فغرس في قلبه أن الأيمان بالغيبيات هو شيء سخيف لا يناسب الإنسان العصري.

كما تدور حول الدفاع عن حرية بيع كتب عن الجنس الرخيص، أو أفلام من هذا النوع، أو احترام رأي يدعو إلى اعتبار الرقص بين الجنسين اكتشاف عصري مذهل يعبر عن تقدم الدولة، ونحو ذلك من القضايا في هذا المستوى أو دونه، فلا جرم أن ينصبوا العداء للدين إذن.

وقد أهدروا أوقاتهم في اختلاق صراع مع الدين بلا فائدة، ويضيعون أوقاتنا معهم في قراءة ما يكتبون والرد عليهم خوفا على ضعفاء الأيمان من شبهاتهم.

أما الاكتشافات العلمية النافعة فلا ناقة لهم فيها ولا جمل، ولا حتى يحسنون أن يضيفوا إليها شيئا مفيدا، أولا لان هذه ليست صنعتهم إذ لو كانت لهم صنعة مفيدة لحجزتهم عن مشكلة الفراغ التي جعلتهم من تجار الكلام.

وثانيا لأنهم انشغلوا بشيء آخر، انشغلوا بمعاداة دينهم متوهمين أنهم أبطال المعركة مع التخلف يقودون الشعب إلى النور والمستقبل، متخيلين أنهم سينقذون أمتنا من مثل قوى الظلام التي اضطهدت (جاليلو)00 مساكين!

قرأت لواحد منهم ذات مرة مقالا يبكي فيه على العلماء .كما زعمهم . الذين قتلوا لأنهم صرحوا بمعتقدا تهم في غابر التاريخ، وينادي من قلب يعتصر ألما لإنقاذ الأمة من اضطهاد العلماء والمفكرين، أتدرون أي علماء يقصد؟؟ مثل الحلاج والسهر وردي وابن عربي .. حفنة من الزنادقة والسحرة لم يحسنوا سوى الدعوة إلى

الإلحاد، ويعدونهم طليعة التفكير الحر في التاريخ الإسلامي .. " لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ".

فقلت في نفسي لا تخف أيها المخترع الكبير المضطهد والبطل القومي!!! انك متى قررت أن تكون مثل العلماء من الخوارزمي إلي السموأل في علوم الجبر، وابن الهيثم في علوم البصريات، وكل من اشتغل بالنافع من علوم الطب والفلك والجغرافيا 00الخ فلن يمسك سوء، كما لم يمس أولئك سوء في تاريخ الإسلام كله، بل كانت الحضارة الإسلامية هي التي احتضنتهم . حتى غير المسلمين منهم . وهيئت لهم أجواء حرية البحث العلمي، لكن مصيبتنا معكم أنكم لا تحسنون سوى السخرية من الدين وحجاب المرأة ونحو ذلك وتعدون هذه علومكم الباهرة التي تخافون على أنفسكم من الاضطهاد بسبب اكتشافها؟؟

إنهم لا يزيدون على استنساخ التناقض الغربي نفسه الذي صفق لنجيب محفوظ لاكتشافه العظيم!! في رواية (أولاد حارتنا)، وصفق لنصر أبو زيد لاكتشافاته المذهلة في الاستهزاء باليوم الآخر!! وفعل مثل ذلك لسلمان رشدي، وسائر الأذناب، زاعما أنهم مفكرون أحرار، ثم هذا الغرب نفسه يقتل 6000 طفل عراقي كل شهر بسبب الحصار، ويسحق بدعمه للكيان الصهيوني شعبا بأكمله، وينفق على التسلح لإرهاب العالم آلاف المليارات، ويلقي بمليارات الأطنان من منتجاته الغذائية في المحيطات حفاظا على أسعارها، بينما تموت شعوب تحت الفقر والجوع والتخلف، ويدعي مع ذلك أنه العالم الحر المتحضر.

وخلاصة وصفهم أن الغرب أرادهم أحرارا عندما يطعنون في دينهم، وأرادهم عبيدا له في كل ما سوى ذلك، فكانوا كما أرادهم في كلا الأمرين، ثم يتفاخرون علينا متباهين أنهم أبطال الحرية!!

المصدر : http: //www.islammessage.com

=============

#تيار لا يتعلم من أخطائه

د . عادل الشدّي *

بين وقت وآخر تطفو على سطح المجتمع السعودي قضايا يسعى أصحابها إلى إحراز تقدم في الاتجاه الذي يريدون جرَّ المجتمع إليه؛ إلا أن عودة سريعة إلى الثوابت التي قام عليها بناء المجتمع تكفي لمعرفة الموقف الصحيح من هذه القضايا والمصير المتوقع لها.

وفي هذا السياق يمكن فهم الربط غير المنطقي بين منتدى اقتصادي يعقد في أكثر دول العالم عناية بالمحافظة على قيم الإسلام وثوابته، وبين نزع بعض المشاركات للحجاب الإسلامي، وخروجهن متبرجات يختلطن بالرجال على هذه الصورة مع تغطية إعلامية غير عادية تكاد تطغى أحياناً على المنتدى الذي دعيت المشاركات له في جدة.

إن الذي أمر المسلمات بالحجاب هو الله – تعالى-، وليس الحجاب عادة اجتماعية بل هو عبادة ألزم الله بها المؤمنات: ((يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ...... الآية))، والذي نهى عن التبرج وإبداء الزينة لغير المحارم هو الله – تعالى-، وليس تقاليد المجتمع قال تعالى: ((ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى))، واختلاط النساء بالرجال على هذه الحالة التي سبق وصفها أمر ظاهر التحريم والبطلان؛ بل إن الله – تبارك وتعالى – أمر أطهر الأمة قلوباً وهم الصحابة إذا أرادوا سؤال أطهر المؤمنات قلوباً وهن زوجات النبي – صلى الله عليه وسلم- أن يكون ذلك من وراء حجاب؛ فقال تعالى: ((وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ..... الآية)) ، وحين نرجع إلى البدهيات المسلَّم بها؛ فإننا نتساءل عن معنى الإسلام؟

أليس هو الاستسلام لله، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك؟ ألم يقل الله – تعالى-: ((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)) فكيف يريد البعض من المجتمع أن يتقبل مخالفة ما قضى الله – عز وجل – به، وإباحة الاختيار حينئذ لمن شاءت الالتزام بالأمر ومن شاءت مخالفته؟

إن هذا البعض على قلته يمثل تياراً يتصف بالانتهازية، وخلط المفاهيم، والانتقائية، والتهويل، ومع ذلك فهو تيار لا يتعلم من أخطائه؛ فقد سبق له أن سجل تراجعاً كبيراً حين أقحم على أجندته قبل عقد ونصف تقريباً مسرحية قيادة المرأة للسيارات، وما

تبعها من نزع للحجاب، وتصوير مرتب سلفاً، تم تسريبه إلى وسائل إعلامية في الخارج، لكن هذا الفعل أذكى مشاعر الغيرة الدينية؛ بل وكاد يؤثر على تلاحم المجتمع في فترة عصيبة، لولا الله ثم حكمة القيادة السياسية والدينية آنذاك في قصة لا تنسى قُدر لي حضور أحد أهم فصولها في اللقاء الحاشد الذي عقد في مقر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ (عبد العزيز بن باز) – رحمه الله–.

واليوم يتكرر الخطأ بانتهازية تختار أوقات الشدائد والأزمات (احتلال العراق للكويت، وما تبعها من مجيء القوات الأجنبية للمنطقة في الحالة الأولى، والحملة المتواصلة خارجيّاً على السعودية لإلصاق التهم الباطلة بدعم الإرهاب ومناهجه، إضافة إلى أزمة التفجير ومحاولة ضرب الاستقرار داخليّاً، التي تقودها بعض التيارات المنحرفة فكريّاً في الحالة الثانية).

والسؤال هنا: لماذا لا ينشط دعاة تحرير المرأة على الطريقة الغربية إلا في أوقات الأزمات والشدائد؟ وسؤال آخر: أين دعواتهم المتكررة للوحدة الوطنية، واللحمة بين سائر شرائح المجتمع، والمحافظة على الاستقرار؟! وهي الدعوات التي أصموا آذاننا بها شهوراً متواصلة ثم خالفوا بفعلهم ما دعوا إليه بأقوالهم باستفزازهم لمشاعر الأغلبية ومصادمة الثوابت الدينية.

إن سلاح خلط المفاهيم واتهام المخالفين ليس حكراً على أهل الغلو والتكفير؛ بل وجدنا اليوم أهل الجفاء عن الدين والتفريط في ثوابته يحملون ذلك السلاح، فإذا استنكر أحد نزع الحجاب وتبرج النساء، واختلاطهن بالرجال على هذه الحالة اتهموه بأنه ضد إعطاء المرأة حقوقها، وبأنه يدعو إلى مقاومة مسيرة الإصلاح والحوار التي بدأت تنشط مؤخراً؛ مع أن الثابت أن الإصلاح الحقيقي لا يتعارض مع الثوابت الدينية، وبأن مصدر الحقوق للمرأة وغيرها داخل المجتمع هو شرع الله وليس أهواء البشر.

وتظهر الانتقائية واضحة حين يتم فرز فتاوى العلماء واختيار بعضها وإطراح البعض الآخر، فبينما يتم التأييد للفتاوى التي تبين خطورة التكفير والتفسيق والتبديع وتحذر من التسرع في ذلك؛ يتم تجاهل فتاوى هؤلاء العلماء ذاتهم إذا كان الأمر يتعلق

بتحريم التبرج، ونزع الحجاب، أو حتى قيادة المرأة للسيارة (لما يترتب على هذا الفعل من المفاسد)، وهذا التناقض يهدد بنسف نظرية المرجعية الدينية في مجال الفتوى باعتبارها صمام الأمان للأمن الفكري لمجتمع يعاني من تياري الغلو والإفراط من جهة، والجفاء والتفريط من جهة أخرى.

وأخيراً فإن من أساليب هذا التيار التهويل، ومحاولة عكس الصورة ليظهر للناظر غير المدقق أن شريحة كبيرة من المجتمع بل ومن المسؤولين فيه تؤيد طروحاتهم، وما يريدون للمرأة السعودية أن تظهر به بدليل إقحام هذا الظهور المتبرج غير المسبوق لبعض السعوديات على منتدى دولي يمثل المملكة العربية السعودية ويعقد على أرضها، ثم تبين أن الأمر على عكس ما حاولوا تصويره؛ فقد أصدر مفتي البلاد بياناً يبين إنكاره لهذا العمل وأدلة تحريمه الظاهرة من الكتاب والسنة، ويتألم لحصوله على أرض هذه البلاد المباركة، ثم دعمت الدولة هذا البيان بإذاعته في نشراتها الإخبارية؛ بل إن جمعاً كبيراً من رجال الأعمال عبّروا عن استنكارهم لما حصل، ودهشتهم لوقوعه دون تنسيق مسبق مما يعني اختطاف هذا المنتدى بعيداً عن أهدافه، كما حاول البعض اختطاف نتائج الحوار الوطني الثاني الذي عقد مؤخراً بمكة، وإظهاره بمظهر الداعي إلى تغيير المناهج الدينية في المدارس السعودية، وهو ما تبين لاحقاً عدم صحته!.

مرة أخرى لم يتعلم البعض من أخطائه لأن باب المرأة في المجتمع المسلم عصّي على اقتحام المستغربين، ولو أتيحت الفرصة للسواد الأعظم من النساء للتعبير عن رأيهن فيما حدث لعرف الجميع حقّاً أن المرأة المسلمة ثابتة على دينها، متمسكة بحجابها مع حصولها على أعلى الشهادات العلمية، وقدرتها على الحوار والدفاع عن حقوقها الشرعية.

((والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون))

---

* كلية التربية – جامعة الملك سعود

http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm?catid=40&artid=3421 : بتصرف يسير

=============

#يا (بني علمان) ما قولكم في اليابان؟!

سليمان بن صالح الخراشي

عندما يقدر لك أن تقرأ كتابات (بني علمان) أو تتحاور معهم تجد أنهم متشبعون بالنظرة الغربية للدين، وبتاريخهم المعاصر؛ حيث الصراع بين الدين النصراني (المحرف) ممثلاً في الكنيسة والعلم المادي.. مما أدى بهم إلى تنحية الدين واستبداله (بالعلمنة) ... فهذه النظرة مسيطرة بشكل طاغ على (بني علمان) في البلاد الإسلامية، مما أدى بهم إلى المطالبة بعزل الإسلام عن شؤن الدنيا؛ لعلهم يصلوا إلى ما وصل إليه الغربيون!

فهم كما قال الأستاذ محمد قطب في كتابه (التطور والثبات .. ، ص 266): (اختفت الحملة الأولى والثانية وظهرت في الأفق دعوة جديدة، هي التي ما تزال قائمة حتى اليوم على يد أولئك "التلاميذ" المخلصين من "المسلمين!" إن أوروبا اليوم متقدمة، وهي ليست متدينة! لقد طرحت الدين جانباً فتقدمت وتحضرت ووصلت إلى القوة والسلطان! ونحن متدينون (!) وفي الوقت ذاته متأخرون! فينبغي أن نسلك الطريق القويم، ننبذ ديننا – كما فعلت أوروبا – فنتقدم ونتحضر ونصل إلى القوة والسلطان! وليس من الضروري أن نكفر ونلحد! إنما يجب أن نسارع إلى فصل الدين عن كل ما له علاقة بواقع المجتمع وواقع الحياة)!!

وفات هؤلاء المخذولين أن التقدم التقني المادي لا علاقة له بالأديان ولا بالثقافات ولا بالمجتمعات.. إنما هو كلأ مباح للجميع، من بذل أسبابه حصله وظفر به؛ كما قال تعالى: ((كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً)).

وما التجربة الغربية إلا أنموذج واحد من النماذج التي ظفرت بالتفوق الدنيوي حاول (بنو علمان) تضخيمه والترويج له؛ لحاجة في نفوسهم!

وتناسوا أو تغافلوا عن نماذج كثيرة غير غربية متفوقة.. لم تمر بحالة (الفصام النكد) الذي مر به الغرب بين الدين والعلم.

ومن هذه النماذج البارعة: نموذج (اليابان) الذي لا يتحدث عنه (بنو علمان) كثيراً!! لأنه يهدم نظرتهم القاصرة؛ حيث استطاعت هذه البلاد أن تبز الآخرين بمن

فيهم الغرب في مجال التقنية، مع محافظتها على (ثقافتها) في مواجهة الغزو الفكري الغربي – كما سيأتي إن شاء الله –.

وقد أحببت في هذا المقال أن أنقل آراء بعض المطلعين (العقلاء) ممن تأملوا أسباب تفوق اليابان وأخذوا منها العبر؛ لعلها تساهم في نقض النظرة التي رسخها (بنو علمان) في أذهان المسلمين سنين عدداً، بل حاولوا تطبيقها عملياً على أرض الواقع فباؤوا بالفشل، وخسروا دينهم ودنياهم، فلا هم الذين سلم لهم دينهم، ولا هم الذين الذين نافسوا الآخرين في تفوقهم.

أقوال العقلاء في اليابان:

يقول الدكتور نعمان السامرائي في كتابه (في أعماق التجربة اليابانية ، ص 10): (حين أتأمل في التجربة اليابانية أجدها تطرح أكثر من قضية؛ لعل على رأسها: أولاً : لقد أثبتت اليابان بالدليل العملي أنه يمكن انتهاج سبل ووسائل مستقلة للتقدم والتنمية، بعيداً عن الغرب ووسائله وقيمه ونظمه).

ويقول أيضًا (ص 99): (ربما كان الجانب المهم بالنسبة لنا من التجربة اليابانية هو ذلك التطور الواسع مع المحافظة على التقاليد).

ويقول أيضاً (ص 16): (إن التجربة اليابانية في التنمية والتقدم فذة ومثيرة، وهي تهمنا في الشرق الإسلامي أكثر من غيرنا، فقد سجلت نجاحاً باهراً دون أن تدير ظهرها للتراث والدين والنظام الاجتماعي، وقد حافظت وما زالت على الهوية واللغة، وهي تستخدم أصعب لغة في العالم، بحيث يزيد عدد الحروف والصور والرموز على ثلاثة آلاف!، وأن الإملاء الياباني يشكل معضلة من المعضلات، ومع كل ذلك ومع شح الموارد تقدمت ومازالت تتقدم، على حين يطالبنا البعض بالتخلي عن الدين والتراث والهوية مقابل " شيك " بالتقدم رصيده مجرد " حلم " ليس أكثر)!.

إلى أن يقول (ص 17): (إن التجربة الغربية في التنمية تجربة إنسانية واحدة ليس أكثر، ويمكن أن يقوم إلى جانبها تجارب ناجحة؛ كتجربة اليابان والصين، دون أن تكون تقليداً حرفياً..).

ويقول الإداري الاقتصادي حمدي أبو زيد: (إن اليابان لم يرفض الإصلاحات بصورة كلية، ولكن عمل على تبنيها بصورة تتناسب مع احتياجات العصر الجديد والتقاليد اليابانية الاجتماعية الموروثة). (اليابان : دروس ونماذج ، ص 31).

ويعترف الأمير طلال بن عبدالعزيز في كتابه (حوار حول العولمة .. ، ص 35): أن اليابان (حافظت على هويتها الثقافية في الوقت الذي استطاعت فيه أن تتواءم مع النظام العالمي).

ويقول بول كنيدي في كتابه الاستعداد للقرن الحادي والعشرين: (تتمثل نقاط القوة اليابانية في التماسك الاجتماعي والعرقي، والشعور العميق بالهوية القومية والتفرد الثقافي وخضوع الرغبات الفردية لصالح الجماعة). (نقلاً عن عرض للكتاب في مجلة الجديد، العدد الأول 1994م).

ويقول الدكتور حسين شريف في كتابه (التحدي الياباني ، ص 16 – 17): (إن تجربة ميجي – نسبة للإمبراطور ميجي ايشن الذي أطاح بالحكم العسكري في اليابان عام 1868م – وما اتسمت به من خبرة متميزة في عملية التوفيق بين القديم والحديث قد نجحت في تحقيق الاستمرارية لعملية التكيف بالسرعة الملائمة مع الغرب مع الحفاظ في الوقت ذاته على هويتها وقوميتها).

ويقول (ص 17): (أصبحت اليابان بفضل إصرارها وعزيمتها من أسرع دول العالم تطوراً بالرغم من قيامها أساساً على تقاليدها العريقة).

ويقول (ص 20): (أما عن المقومات التي أدت إلى نجاح نهضة اليابان الحديثة فإنها ترجع في الأساس إلى المواءمة بين الأصالة والتحديث، وبالتوفيق بين التقاليد اليابانية القديمة ومتطلبات العصر الحديث).

ويقول السفير المصري في اليابان عبدالفتاح شبانه في كتابه (اليابان: العادات والتقاليد وإدمان التفوق، ص 7): (حافظ المجتمع الياباني على تقاليده العريقة، وأخلاقياته الشرقية...).

ويقول (ص 9): (يلعب الدين دوراً رئيساً في حياة الإنسان الياباني، ونظراً لاتباعه تعاليم ديانته بصدق وتنفيذها بأمانة حتى في عمله فقد تمكن المجتمع الياباني من تحقيق التفوق الاقتصادي على كافة دول العالم).

وماذا عن المرأة اليابانية؟

يقول السفير المصري في اليابان عبدالفتاح شبانه: (ما يزال المجتمع الياباني حتى اليوم يرى أن الهدف من التعليم بالنسبة للفتاة هو جعلها أكثر استعداداً للقيام بأعباء الحياة الزوجية). (مرجع سابق ، ص 21–22).

ويقول أيضاً (ص 23): (لم تحقق حركات تحرير المرأة تقدماً كبيراً في اليابان رغم الدعاية التي تمارسها هذه الحركات في وسائل الإعلام، ورغم القانون الذي وضعه المحتل الأمريكي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية).

يقول الدكتور نعمان السامرائي: (لقد جرى استطلاع للرأي العام عام 1986م حول الأسرة، وقد تبين أن أكثر من 90% من اليابانيين ممن شاركوا في الاستطلاع قالوا: إن تدبير أمور المنزل ورعاية الأطفال هي المجال الأول للمرأة حتى وإن كانت تعمل). (ص 73 مرجع سابق).

ويقول السفير الأمريكي " أدوين " في كتابه (اليابانيون ص303 مترجم): (ومن الأسباب الأخرى التي تفسر عدم استجابة المرأة اليابانية بصورة أكبر لحركة التحرير النسائية أن هذه الحركة ببساطة لا تناسب أسلوب حياتها ومن ثم يكون الارتباط بهذه الحركة بمثابة فخ وقعت فيه المرأة اليابانية..).

كيف صنع الإنجاز الياباني؟

في حديث لمسؤول كبير في إحدى المؤسسات الأمريكية تعمل في مجال التقنية المتقدمة يقول: (لقد هزمتنا اليابان في أي حقل يختارونه: في صناعة الراديوهات، التلفزيونات، والسيارات وغيرها من الصناعات، لقد تغلبوا علينا في جودة المنتجات والأسعار المنخفضة، والآن يتغلبون علينا في مجال الإبداع.. لا يوجد دفاع ضدهم، وفي القريب العاجل ستصبح الولايات المتحدة مصدراً للغذاء والمواد الخام لليابان ومستورداً لمنتجاتها الصناعية.. إن اليابان تدفع الولايات المتحدة بسرعة هائلة إلى مجموعة العالم الثالث).

(تبدأ القصة بعد الحرب العالمية الثانية حيث خرجت اليابان منها مهزومة محطمة، وكانت سياسة السلطات الأمريكية لليابان تهدف إلى إقالة اليابان من عثرتها وإعادة تكوينها لتصبح ضمن المعسكر الغربي، ولكن تلك السياسة لم تكن تهدف ولا تتصور

أن ما تقدمه من مساعدة لليابان يمكن أن تخرج هذا العملاق مرة أخرى من قمقمه... فتساهلت الولايات المتحدة في نقل التقنية الأمريكية لليابان بل شجعت على ذلك وكانت شركة سوني شركة يابانية مغمورة وناشئة، ولكنها كانت طموحة وذات بصيرة نافذة، فتولت زمام المبادرة في بدء رحلة نقل التقنية الالكترونية لليابان، وكان ذلك عندما تمكنت من شراء رخصة تصنيع جهاز الترانزستور في اليابان من شركة بل الأمريكية مقابل 25000 دولار.

وكان هذا شأن الشركات اليابانية الأخرى التي استخدمت نفس الاستراتيجية التي تتمثل في شراء رخص التصنيع لمنتج أمريكي ما، ثم تعمل على تقليد التصميم وتنتجه بعد أن تضيف إليه تحسينات تجعله أكثر جودة وبتكاليف أقل، وأسعار أقل، واستمر اليابانيون يسلكون هذا الطريق لعدة عقود من الزمن دون أن يتنبه الأمريكيون لخطورة هذا الوضع، ولم يدركوا ذلك إلا مؤخراً عندما اشتدت المنافسة اليابانية للمنتجات الأمريكية والأوروبية، فأخذت حكومات تلك الدول والشركات الخاصة فيها تضع القيود والأنظمة التي تحد من نقل التقنية لليابان أو تمنعها إن كان ذلك في مقدروها، ولكن ذلك التنبه جاء بعد فوات الأوان، لأن اليابان كانت قد بلغت مرحلة النضج، وتجاوزت مرحلة التقليد والتبني إلى مرحلة الأبحاث الذاتية، والإبداعات الذاتية التي جعلتها مصدراً غنياً للتقنية، وفي مركز قوي يفرض حتمية تبادل التقنيات المختلفة مع تلك الدول.

لقد استطاعت الشركات اليابانية وغيرها من المنظمات اليابانية خلال الفترة من عام 1951م وحتى مارس 1984م الدخول في عقود بلغت حوالي 42.000 عقداً لاستيراد التقنية لليابان من الخارج، وكانت تلك التقنيات تمثل خلاصة وأفضل ما توصلت إليه الدول المتقدمة، وكان للأسلوب الياباني في اختيار هذه التقنيات دور كبير في نجاح نقل التقنية. فاليابانيون لم يكونوا مهتمين بنقل أي نوع من التقنية، ولكنهم كانوا حريصون على اختيار الأفضل، وكان سبيلهم إلى ذلك يتمثل في إرسال موجات من المتخصصين اليابانيين لدراسة التقنية المرغوب نقلها بدقة وعمق فيحققون بذلك أكثر من هدف:

الأول :هو التعرف عن كثب على نوعية التقنية وخصائصها من مصادرها، وفي نفس الوقت يحاولون الحصول على ما يتعلق بها من رسومات وتصاميم ومعلومات.

أما الهدف الثاني: فإنه يتمثل في استغلال مرحلة الدراسة هذه للتحضير لمرحلة التحسينات التي سوف يضيفونها على المنتج قبل إعادة إنتاجه، وبالتالي مفاجأة المنتجين الأصليين في وقت قصير عادة بالتعديلات والتحسينات التي يضيفونها إلى المنتج فتجعله أكثر جودة وأقل سعراً، ويمهد لهم الطريق لتعزيز منافستهم، وكسب الأسواق بصورة اقتحامية مذهلة... لقد كانت الكمية الضخمة من الرخص التقنية المتنوعة من أهم الأسباب التي ساعدت اليابانيين على بناء قاعدتهم الصناعية المتطورة، ومن المذهل أن ما دفعته اليابان مقابل كل هذه العقود وعلى مدى هذه السنوات القليلة لم يتجاوز مبلغ 17 بليون دولار أمريكي، والذي يمثل جزءاً بسيطاً جداً من الميزانية السنوية للأبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية!

لقد أثبت اليابانيون في هذا المجال مثل العديد من مجالات التنمية الأخرى بأنهم ذوو بصيرة نافذة، فقد كان أمامهم طريقان لتنمية وتطوير التقنية اليابانية: إما صنعها بأنفسهم أو شرائها من الخارج، وكان قرارهم حاسماً وهو اختيار البديل الثاني أي شراء التقنية، أما بالنسبة لبائعي التقنية فقد كانت النتيجة مدمرة، فالتقنية التي يبيعونها لليابانين تعود إلى أسواقهم في شكل أجود محدثة لهم كابوساً ومنافسة مزعجة، ولكن البائعين كانوا ينظرون إلى عملية البيع باعتبارها صفقة تجارية ومصدراً للدخل ولم يخطر في بالهم ما يمكن أن يحدثه ذلك من تطورات ومنافسة تهدد مصالحهم ومراكزهم، وهي الحقيقة التي لم يكتشفوها إلا مؤخراً مما أحدث لديهم رد فعل ليس في مواجهة اليابان فقط، ولكن كمبدأ عام في نقل التقنية لجميع الدول، وبدأت تبرز عبارات مثل "نحن نريد الآن أن نبيع حليباً أكثر من أن نبيع بقراً "!!

إنه واقع يجب إدراكه من قبل الدول النامية التي تطمع وتحلم في نقل التقنية من الدول المتقدمة، فقد تعلمت تلك الدول درساً قاسياً من تجربتها مع اليابان ولن تسمح بتكرارها، بل إن اليابان نفسها أخذت تعض أصابع الندم على ما قدمته من مساعدة تقنية لكوريا الجنوبية والصين الوطنية والتي لن تكررها مع أية دولة أخرى، وما على الدول النامية إلا البحث عن الطرق الكفيلة لإرساء قواعد التقنية فيها سواء عن طريق

المجهودات الذاتية أو باتباع وسائل مبدعة تخترق بها التحصينات المفروضة على التقنية في الدول المتقدمة). (انتهى النقل من كتاب الأستاذ حمدي أبو زيد، مرجع سابق، ص 312– 315).

قلت: فتبن من كل ما سبق أن الدول (كلها) مهما كانت ديانتها وثقافتها تستطيع أن تصل إلى التفوق الدنيوي إذا ما بذلت أسبابه المادية، وتخلصت من معوقاته (الداخلية والخارجية)، وما تجربة اليابان (الوثنية) عنا ببعيد، وقل مثل ذلك في غيرها: الصين، كوريا، نووي باكستان، ...الخ.

خاتمة:

وإذا كانت اليابان قد اعتزت بتراثها الوثني وثقافتها.. أفلا يليق بأصحاب الدين الصحيح، خاتم الأديان، أن يعتزوا بما فضلهم الله به على العالم؟؟ وألم يأن للمسلمين أن يتخلصوا من (الأكذوبة الكبرى) التي طيرها (بنو علمان) في كل مكان من ديارهم؟؟!

وبلادنا – بلاد التوحيد – خير مؤهل لنقض هذه الأكذوبة العلمانية على أرض الواقع، حيث لم تتورط بعد في تلك النظرة المغلوطة، فتجمع رغم أنوف الجميع بين الدين الصحيح والدنيا اللائقة(بنقل التقنية كما سبق)، وتحافظ على أصالتها وأخلاقها وكرامة رجالها ونسائها... فتكون خير قائد لبلاد المسلمين يهديهم إلى طريق العزة والقوة، أسأل الله الكريم أن يهدي حكام المسلمين إلى الاعتزاز بدينهم، وتحكيم شرع الله في بلادهم، ومجانبة (بني علمان) ممن يريدون لهم أن يكونوا مجرد (تابع ذليل) لأعداء الإسلام.

المصدر : .htm9http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/m/

============

#العلمانية الانحلالية ومنظومة القيم الإسلامية

الهيثم زعفان

قضية الصراع القيمي بين العلمانية والإسلام هي في الأساس صراع عقدي بين حق وباطل، وبين منهج صالح وفاسد، وليست مجرد اختلافات إيديولوجية كما يحلو لبعضهم تسميتها.

فعملية الدفع بين العلمانية والإسلام عملية مستمرة؛ وبدهي أن يكون هناك منتصر، وحتمًا سيكون الإسلام بإذن الله. لكن حتى يمكن الوصول إلى هذه النقطة الفاصلة ينبغي معرفة الكيفية التي تمكنت بها العلمانية من اختراق منظومة القيم الإسلامية؛ فالعلمانيون اجتهدوا في نشر ثقافة الانحلال بين فئات المجتمع مستثمرين في ذلك كافة الوسائل المتاحة. ومعظم القائمين على هذه اللعبة الانحلالية يحرصون على التظاهر بتمسكهم بالقيم الإسلامية التي هي عندهم لا تخرج عن دائرة الأذكار القولية التي ليست لها أية ثمرة تكليفية في حياتهم العملية.

فهذا أحد كبار المخرجين السينمائيين الذي اكتشف قطاعاً عريضاً من ممثلات الإغراء العربيات وصنفت بعض أفلامه في فئات البورنو يقول في مذكراته: «أنا واحد من الناس المؤمنين بشكل خطير وتام، ولا أزال وسأظل متمسكًا بالقيم والتقاليد، وأنا حتى الآن إذا أردت السفر إلى الإسكندرية وقلت ذلك لابنتيّ، فإنهما تقولان لي: لا إله إلا الله، فأرد عليهما: محمد رسول الله، وأما مساء كل يوم، وقبل أن أنام أقرأ فاتحة الكتاب ثم أتشهد بالشهادتين...!»

هذا في وقت سيطرت فيه السينما على الساحة الإعلامية وكان لمخرجيها اليد الطولى في توجيه الثقافة الإنحلالية؛ فما هو الواقع في ظل التقنية الحديثة والسماوات المفتوحة؟

دعونا نبدأ القضية من جذورها.

? القيم الإسلامية:

المدقق للدراسات التي تتناول موضوع القيم الإسلامية يلحظ أنها في تحديدها لماهية المفهوم ضمت شمول الدين الإسلامي كله.. لذلك فمن الموضوعية التيقن بأن القيم الإسلامية هي الدين الإسلامي نفسه.

يقول اللواء دكتور فوزي طايل . عليه رحمة الله . «يلحظ الباحث أن فقهاء المسلمين لم يفردوا أبوابًا خاصة بالقيم؛ لأن القيم الإسلامية هي الدين ذاته؛ فهي الجامع للعقيدة والشريعة والأخلاق، والعبادات والمعاملات، ولمنهاج الحياة والمبادئ العامة للشريعة، وهي العُمُد التي يقام عليها المجتمع الإسلامي؛ فهي ثابتة ثبات مصادرها، وهي معيار الصواب والخطأ، بها يميز المؤمن الخبيث من الطيب، ويرجع إليها عند

صنع القرارات واتخاذها.. وهي التي تحدث الاتصال الذي لا انفصام له بين ما هو دنيوي وما هو أخروي في كل مناحي الحياة»(1).

ومن هنا.. فإن أية محاولات لخلخلة منظومة القيم الإسلامية الثابتة، أو طرح مبادرات من هنا أو هناك لجعل تلك المنظومة قابلة لاستيعاب قيم مستمدة من معطيات العقل البشري والخبرات المجتمعية ذات المرجعيات الإلحادية والفاسدة.. كل ذلك يعد محاربة صريحة للدين الإسلامي، ومن ثَمَّ فإن التصدي لهذه المحاربة هو فرض عين على كل من يدرك معالم هذه المشكلة.

وأبرز الفيروسات النشطة في ساحة المعركة ما يطلق عليه تسترًا «العلمانية». فما هي العلمانية؟

العلمانية «تقابلها في اللغة الإنجليزية كلمة (secularism) وأصلها اللاتيني هو (saecular) ويعني «الدهر» (Age) أو العالم (world) أو الزمن (The time). والعلماني عكس الديني ويستخدم اصطلاحًا للإشارة إلى مدخل للحياة ينفصل تمامًا عن الدين ويتشكل كلية باهتمامات «زمنية دنيوية»(2).

وتوضح موسوعة العلوم السياسية أن «العلمانية على المستوى الشخصي (هي رفض الفرد أن تتشكل معاملاته السياسية بمصادر لا يكون لإرادته الحرة المباشرة دخل في تشكيلها وصياغتها. وعلى المستوى العام تعني العلمانية المذهب الذي يؤمن بضرورة إبعاد المؤسسات الدينية والمناصب الدينية عن ممارسة أي تأثير أو لعب أي دور في أي من مجالات الحياة العامة بما في ذلك التعليم والتشريع والإدارة وشؤون السياسة والحكم)(3).

ويذهب عدد من الباحثين إلى أن العلمانية تُعد موقفًا (يفترض أن تكون المعايير التي يخضع لها الإنسان في تعامله مع الإنسان وفي تنظيمه لشؤون حياته السياسية والاقتصادية والقانونية هي معايير مستمدة من الدنيا لا الدين»(4).

لاحظ بعض رموز العلمانية في عالمنا الإسلامي أن الإسلاميين فطنوا إلى حقيقة الدعوة العلمانية وواجهوها ونجحوا في صناعة رأي عام مضاد لهذه الدعوة.. فقام هؤلاء الفقهاء بطرق مبادرات ذات غطاء شتوي يستر أكثر مما يستره الغطاء

الصيفي، ومن ثم يكون في عالمنا الإسلامي فريقان علمانيان يستخدمان سلاحاً مزدوجاً في ساحة المعركة.

أ – فريق رافض للتراث ومتجاوز له «شبلي شميل» «يعقوب صروف»، «فرح أنطون» الذي دعا إلى اعتماد العلم في كافة شؤون الحياة، و «سلامة موسى الذي لعب دورًا هامًا في مجال تقديم الرؤى العلمانية في الثقافة المصرية والعربية وكان من أبرز المؤثرين في أفكار ما يطلق عليهم لقب «النخبة»، أدونيس، محمود درويش، البياتي، جابر عصفور، وغيرهم.

ب – فريق آخر يسعى لإعادة قراءة التراث وتأويله ومن أبرزهم «محمد أركون، حسين أحمد أمين، محمد عابد الجابري، حسن حنفي الذي يقول «الشريعة الإسلامية وضعية، والإسلام دين علماني في جوهره، والفقه متغير بتغير الحاجات والمصالح، فلِمَ الخوف من التشريع والجرأة فيه؟ هم رجال ونحن رجال . يقصد فقهاء الأمة . نتعلم منهم ولا نقتدي بهم»(5).

?القيم من وجهة نظر العلمانيين:

القيم عند العلمانيين تقوم على مبدأ «الحرية"فكل فرد تكفل له الحرية القيام بأي شيء يحقق أهدافه بغض النظر عن الاعتراضات على ما يقوم به من أفعال.

أما الجائز وغير الجائز فيتم تحديده من خلال مبدأ «نسبية القيم» وهذا المبدأ له عدة ركائز أو خصائص:

أولاً: النسبية المكانية للقيم: «لما كان لكل ثقافة معاييرها الخاصة بها فإن «المرغوب فيه"يختلف تبعًا لذلك من ثقافة إلى ثقافة، ومن ثم تختلف القيم من ثقافة إلى ثقافة»(6).

معلوم أن العلمانية تطرح لنا الثقافة الغربية بكل ما فيها من مضامين، ومن ثم فإن الحلال والحرام عندهم بمنظور الثقافة الغربية؛ بمعنى لا قيمه له. فما هو الواقع؟ الإجابة يقدمها د. إبراهيم الخولي الذي يقول: «المجتمع العلماني نفض يده من الالتزام بحلال أو حرام نفضًا كاملاً من نقطة البدء الأولى على مستوى النظم والشعوب السابق في كتابه (الانهيار): «نحن أصبحنا مجتمع إباحة الاستباحة، الفرد في الولايات المتحدة استباح كل شيء ولم يعد في قاموسه كلمة حرام أو محرم، بهذا

لا تستقيم حضارة ولا تستمر. السفينة كلها تغرق ولا يملك أحد إنقاذها! وإنقاذها مرهون بالعودة إلى الدين والأخلاق!(7).

ثانيًا: النسبية الزمانية للقيم: «أي أنها تختلف وتتغير في المجتمع الواحد بما يطرأ على نظمه من تطور وتغير، وهي في تطورها وتغيرها تخضع للمناسبات الاجتماعية في التاريخ كما تخضع لظروف الوسط الثقافي الذي توجد فيه»(8).

إطلاق خاصية النسبية الزمانية بهذه الصورة يوضح سبب تقدير الاتجاه العلماني للنظرية الداروينية. كما أن الخاصية تمكن أصحاب هذا الاتجاه من وصف القيم الإسلامية بأنها غير صالحة لمواكبة التطورات؛ وعليه .كما يرون .فإن مدة صلاحيتها انتهت ويجب استبدالها بقيم جديدة صالحة لملابسات الحقبة.

ثالثاً: صلاحية القيم: «إن كل ما تصطلح الثقافة على أنه خير يخضع دائمًا في اختياره إلى مبلغ فائدته الاجتماعية لهذه الثقافة بالذات؛ فالقيم تكون صالحة أو فاسدة تبعًا لدرجة قدرتها أو عدم قدرتها على إشباع الحاجات الأساسية، البيولوجية والاجتماعية للناس في الثقافة المعينة»(9).

قول «ديوي وهمبر»: إن الخير والشر والمرغوب فيه أو غير مرغوب فيه، هو ما تقرر الثقافة (والثقافة وحدها هي الحكم) أنه كذلك فالحر والأخذ بالثأر، وقتل أسرى الحرب، واحتكار الأقلية لأرض والدكتاتورية، كل هذه أمور تكون مرغوبًا فيها وذات قيمة إذا قررت الثقافة ذلك. فالقيم إذن نسبية إلى طبيعة الإنسان كما تتضح هذه الطبيعة في فعله وتفاعله الاجتماعي الثقافي»(10).

وكما ذكر فإن الثقافة التي يدعو إليها العلمانيون عندنا هي ثقافة غربية انحلالية، ومن ثم وفي ضوء خاصية «صلاحية القيم «تكون تلك الثقافة هي الحكم على تصرفات الإنسان في عالمنا الإسلامي علاوة على ذلك فإنه كلما زادت انحلالية الثقافة اتسعت دائرة المرغوب، وهو في هذه الحالة انحلالي بطبعه وسائل العلمانيين ذات التأثير المباشر في اهتزاز منظومة القيم نجح الاستمرار الأجنبي في صناعة فئة «أطلق عليها «نخبوية"تتبوأ مناصب قيادية داخل المجتمعات الإسلامية عقولهم في الغرب وأصابعهم على أزرار صنع القرار، وفي ذات الوقت تم سحب النشاط رويدًا رويدًا من تحت أقدام العلماء والمخلصين للأمة الإسلامية.

يقول «جون ل. إسبوزيتو «في كتابه: (التهديد الإسلامي.. خرافة أم حقيقة): «تمثلت النتيجة الرئيسية للتحديث في ظهور نخب جديدة وتشعب مطرد في المجتمع المسلم، تلخص في نظمها التعليمية والقانونية. فالتعايش بين المدارس الدينية التقليدية والمدارس العلمانية الحديثة – ولكل منها منهجها ومعلموها وأوساطها الخاصة – قد أنتج طبقتين برؤيتين عالميتين متنافرتين: أقلية نخبوية حديثة غربية الهوى، وأغلبية أكثر محافظة ذات توجه إسلامي، كما أن العملية فتتت الأسس التقليدية لسلطة الزعماء الدينيين وقوتهم؛ بينما ارتفعت طبقة جديدة من النخب الحديثة المدربة إلى المواقع المهمة في الحكم والتعليم والقضاء، وهي مواقع كانت على الدوام ملكًا للعلماء (مشايخ الإسلام)(11).

? أساليب العلمانيين في الهدم:

وكان من أبرز المجالات التي تم التركيز عليها منذ بداية اللعبة «التعليم والإعلام"لما لهما من تأثير مباشر في صناعة وبرمجة أجيال جديدة تردد وتطبق عملياً العلمانية الانحلالية.

ففي مجال التعليم تم اتباع عدة خطوات مدروسة وطبقت بمنتهى الدقة ومنها:

– حصر التعليم الديني وحصاره مادياً ومعنويًّا، ولعل واقع الأزهر في مصر والزيتونة في تونس خير دليل على ما آل إليه التعليم الديني في عالمنا الإسلامي.

– الابتعاث إلى الخارج.. والذي أدى إلى صناعة قادة جدد أثروا في مسار الأمة وفي صناعة الأجيال، ولنا في رفاعة الطهطاوي وقاسم أمين وطه حسين وغيرهم أبلغ الأمثلة على تاثير نظام البعثات في العقول.

– انتشار المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية «وقد نجح التعليم الأجنبي في اختراق جميع مؤسسات الدول من القمة إلى القاع: مرة بالفكر الذي لقنه دائرة واسعة من الناس، ومرة أخرى حين نجح في دعم مجموعة ممن تبناهم بعد تخرجهم وعمل على إبرازهم من خلال وسائل الإعلام؛ لأنه نجح في اختراق الفكر الذي يحكم حركة هذه المؤسسات؛ وذلك حين نجح في زلزلة معاني العقيدة الراسخة داخل المجتمع عن طريق طائفة رباها، ثم نجح في تسليط الضوء عليها والسعي في التمكين لها داخل المؤسسات»(12).

– تمييع المناهج العلمية: وذلك من خلال إدخال النظريات الباطلة وطمس الحقائق وتزييف المناهج واللعب في المناهج الإسلامية باسم التطوير (13).

– نشر الاختلاط بين الجنسين والذي أدى إلى اختلال قيمة الغيرة، وأدى إلى تطور أنماط العلاقة بين الشباب مع وضعهم في حالة إثارة مستمرة مع القضاء شبه التام على مصطلح «الأجنبي» بين الشباب داخل أسوار الجامعة وخارجها في أحيان كثيرة.

– أما عن مجال الإعلام فيتضح بصورة جلية أثر العلمانية المباشر فيه؛ وذلك لاتساع دائرته ووصوله لأطراف لم تلتحق بالتعليم، أو أنهت علاقتها بالتعليم ومناهجه والقائمين عليه.

والعلمانية استطاعت من خلال وسائل الإعلام المتعددة سواء المقروءة أو المسموعة أو المرئية الوصول إلى أبعد النقاط المحرمة وبث السموم المميتة، وكان من أبرز ما اعتمدت عليه مخاطبة غرائز الإنسان؛ لأنها أيسر الطرق في شرخ جدار المنظومة القيمية، وكان من أحدث ما استثمرته العلمانية الانحلالية «الدش"و «والأنترنت».

?العلمانية بين الدش والانترنت:

نجح الدش في جعل الكرة الأرضية قرية واحدة ينقل عبر قنواته كافة الأحداث العالمية في حينها من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال حتى الجنوب، ولا ينكر أحد أهمية ذلك.

لكن في الوقت ذاته هناك العشرات من القنوات الإباحية، وكذلك القنوات التي تعرض الأفلام غير المراقبة والأغاني المصورة المقززة والتي نجحت في نشر ثقافة الغربي وجعلها واقعًا ملموسًا وسط شرائح غيبت عنها الضوابط الشرعية التي في ضوئها يتم إنبات الثمرة التكليفية.

لعلاج موضوع الدش ذهب فريق من المجتمع الإسلامي بمنع الدش بصورة كلية مثلما فعل سكان أحد الأحياء في مدينة عربية؛ حيث اتفقوا على عدم تركيب أجهزة «الدش"فوق منازلهم، ودعم سكان هذا الحي تلك الاتفاقية بالتعاون مع مكاتب العقار الموجودة داخل الحي السكني بوضع شرط إضافي هو عدم تركيب دش بالمنزل المؤجر لأي ساكن جديد(14).

فريق آخر يرى الاستفادة من المواد الجادة في الدش مع تشفير القنوات غير المرغوبة من خلال التحكم الشخصي.

أما قضية الإنترنت فهي قضية معقدة وشائكة، فالنت سبب ونتيجة لانهزام القيم في الوقت ذاته. فهو نتيجة؛ لأن التعامل معه بالمنطق السفلي الجنسي جاء رد فعل لتفريغ محتوى القلب المتعامل مع الحاسوب مسبقًا من خلال المناخ العلماني مما جعله مهيأً للغوص في أعماق المواد الانحلالية الهائلة على شاشة النت.

كما أنه سب؛ لأنه مجال خصب للعلمانيين يخاطبون من خلاله قطاعاً عريضاً من الشباب، فيبثون له ما يصبون إليه من سموم.

قضية الإنترنت مشكلتها أنها تضم ثقافة جيلين.. جيل تعامل مع وسائل الإعلام من خلال المقروء والمسموع والمرئى ويتمثل في جيل «الآباء"وجيل قدمت له كافة الوسائل في جهاز واحد وهو «جيل الأبناء».

فجيل الآباء معظمه ليست لديه القابلية النفسية للقيام بدور المتعلم كي يستطيع التعامل مع الحاسوب؛ لكنه يحرص على تطوير أداء جيل الأبناء مع حرص الغالبية من الآباء على توفير جهاز حاسوب في بيته للأبناء، ويعملون على توفير جو من الهدوء لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة... لكن هناك فجوة هامة ينبغي التنبيه عليها.. الجيل الجديد نشأ في جو تتوغل فيه العلمانية الانحلالية في كافة ذرات الهواء الذي يتنفسونه، ومن ثم تم خلخلة المنظومة القيمية لدى معظم هذا الجيل... وفجأة جلس أمام جهاز بضغطة زر واحد فقط تظهر أمامه قائمة بأكثر من ألف موقع إباحي يدخل أيها شاء، وبضغطة أخرى على نفس الزر. وهذا العدد من المواقع المخصصة للمراهقين فقط دون الكبار كما أوضح ذلك تقرير لشركة (netvalue) الأمريكية في الوقت ذاته إذا دخل الأب على الابن بصورة مفاجئة يستطيع الابن بضغطة زر واحد أن يحول الشاشة من منظر خلاعي إلى شكل معقد يوضح خريطة الجينيوم البشري، فيشفق الأب على حجم المجهود الذي يبذله الابن في التحصيل العلمي.

الإشكالية السابقة يمكن ضبطها من خلال عدة إجراءات منها:

1 – العمل دوماً على توضيح مخاطر العروض الإباحية على عقيدة الأبناء.

2 – تيسير وتشجيع الزواج المبكر حتى ولو في مراحل التعليم.

3 – مراقبة الأبناء جيداً أثناء تعاملهم مع الحاسوب مع وضع الجهاز في مكان واضح لكافة أفراد الأسرة.

4 – أن يقوم الآباء بتعلم كيفية عمل المسح التاريخي للمواقع التي دخلها الأبناء لمعرفة توجهاتهم وليستشعروا أن هناك مراقبة فعلية.

5 – هناك برامج ماحية للبرامج غير المرغوب فيها يمكن برمجتها على الحاسوب والتي تعرف باسم «(WEB BLOKER) يمكن من خلالها حجب المواقع السيئة بقدر الإمكان.

القضية الأخطر في مجال الإنترنت والتي جاءت عن كسر جدار الحياء بين الذكر والأنثى مع ضرب مصطلح «الشخص الأجنبي» في العمق من خلال دعاوى الاختلاط وحقوق المرأة وعملها، والتي بذل فيها العلمانيون مجهودات كبيرة حتى وصلوا لهذه النتيجة التي تعرف بـ «المحادثة"أو «الدردشة» أو بمعنى أدق «الشات"وهو عبارة عن فتى يتحدث مع فتاة لعدة ساعات من خلال الحاسوب باستخدام وسائل ثلاث: البرقيات المكتوبة، والاتصال الصوتي، والكاميرا الحية. وليتخيل المرء ما هو الحديث المتوقع لأجنبيين هُيئت لهما مثل هذه الظروف! بل الأصعب من ذلك هناك مجموعات من العلمانيين الانحلاليين أنشؤوا مواقع للدردشة الإباحية لا تستخدم إلا في المحادثات الجنسية فقط، ونسبة الإقبال العربي عليها عالية جداً، ويا ليت الأمر يتوقف عند ذلك، بل يمتد إلى المقابلات الخارجية ليتم تصديق الفعل الانحرافي عملياً، وهناك الكثير من القصص الواقعية لفتيات وقعن ضحايا هذا الشات، ولعل ذلك يفسر ما ذكره د. إبراهيم جوير الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود في جريدة الوطن السعودية: «أنه خلال السنوات العشر الماضية ارتفعت نسبة اللقطاء بشكل لافت للنظر بالسعودية؛ ففي زيارته الأولى لدور رعاية الأيتام قبل 12 سنة كان 75% من سكان الدار من الأيتام الذين فقدوا أحد الوالدين، أما عند زيارته الأخيرة للدور وجد أن 96% منهم من فئة اللقطاء(15).

إن برنامج الشات يوفر ملايين الدولارات في التعاملات اليومية والاتصالات الشخصية النافعة؛ لكن الفكر العلماني نجح في تحويله إلى مسار يؤدي إلى السقوط في الهاوية، وفي أفضل أحوال السقوط يحدث ما صار يعرف بـ «إدمان الشات"وعلى

الرغم من ذلك فإن هذا البرنامج يمكنه لعب دور كبير في مجال الدعوة الإسلامية؛ فأحد الشبان الإسلاميين وفقه الله من خلال برنامج الشات إلى هداية خمسة آلآف كافر إلى دين الإسلام – بارك الله في هذا الشاب وكلل خطواته المستمرة بالنجاح.

نقول: لماذا لا يقوم كل متقن للحاسوب من المحتسبين ذوي العقيدة الصحيحة بتخصيص ساعة يومية يدعو فيها غير المسلمين إلى الإسلام؟

إلى أصحاب ما يعرف بمقاهي الإنترنت لماذا تتحملون ذنوب مستأجري أجهزتكم ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيما يروى عنه يقول: «أتدرون من الخاسر؟ قالوا: هو من باع آخرته بدنياه. قال: كلا؛ الخاسر هو من باع آخرته بدنيا غيره» صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

يمكن تحويل المقاهي القائمة وكذا استحداث ما يمكن أن نطلق عليه مراكز الدعوة بالحاسوب، وتكون مخصصة لخدمة الإسلام ولا يرتادها إلا صنفان:

الأول: شباب إسلاميون يدعون غير المسلمين إلى الإسلام.

الثاني: شباب يخدمون الإسلام بحثياً وعلمياً.

من الممكن تطبيق فكرة المراكز الدعوية السابقة من خلال الجمعيات الخيرية الإسلامية بأن يكون الشباب صحيحي العقيدة، وتكون وظيفتهم فقط دعوة غير المسلمين إلى الإسلام من خلال برنامج الشات مع الدخول لمواقع الدردشة العلمانية ومحاولة تصحيح مسار الفتيات والفتيان المغيبين.

---

(1) فوزي محمد طايل: كيف نفكر استراتيجيًّا، مركز الإعلام العربي، القاهرة 1997، ص 30 . 31.

(2) محمد محمود ربيع (محرر) وآخرون «موسوعة العلوم السياسية «جامعة الكويت، 298.

(3) المرجع السابق، ص 298.

(4) نشأت عبد الفتاح: اليوتوبيا والجحيم، المركز القبطي للدراسات الاجتماعية، ص 79.

(5) حسن حنفي، محمد عابد الجابري: حوار المشرق والمغرب، دار توبقال للنشر، المغرب، 1990، ص 43 . 45.
(6) فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، مكتبة الأسرة، القاهرة 2003، ص 61.
(7) ندوة العلمانية والفن: الحلقة الثانية. مجلة البيان العدد 162.
(8) فوزي دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص 65.
(9) فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، المرجع السابق، ص 68.
(10) المرجع السابق ص 68 نقلاً عن: Dewe Humber: The Develo 729- 713pment of Human Behavior. p.
(11) جون ل. إسبوزيتو: التهديد الإسلامي.. خرافة أم حقيقة، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، دار الشروق القاهرة، ط 2، 2002، ص 81.
(12) مهيمن عبد الجبار: التعليم الأجنبي.. مخاطر لا تنتهي، مجلة البيان، عدد 175، ربيع أول 1423هـ.
(13) للاستعلام حول علاقة العلمانية بالتعليم يمكن الرجوع إلى: عبد المنعم صبح أبو دنيا: العلمانية في التعليم أهدافها وآثارها ومقاومتها 2001م.
(14) جريدة الجزيرة الأحد 27 ذو الحجة 1419هـ.
(15) الوطن السعودية: السبت 1 شعبان 1424 هـ العدد 1093.

المصدر: http://www.albayan-magazine

==============

#الحجاب الحريري والعلمانية

د. عائض الردادي

الصورة التي نشاهدها كثيراً من مكاء وتصدية في ملاعب الكرة إذا دخل الفريق المنافس أو إذا خسر هجمة من هجماته هذه الصورة بدت بشكل أوضح في مقاعد البرلمان التركي عندما دخلت النائبة المنتخبة من الشعب مروة قاوقجي لأداء اليمين الدستورية والسبب أنها غطت رأسها بالحجاب الحريري لا الحديدي، ولو دخلت كما تدخل السابحات على الشواطئ لعد ذلك نهضة حضارية.

وهذا المشهد الذي تحول فيه الرجال ذوو الشنبات الطويلة من هدوء إلى صريخ وضرب على الطاولات وزعيق بسبب امرأة متسترة لو لم يكن مؤكداً لاعتبر ضرباً من ضروب الخيال, لأن المخالفة في البرلمانات المتقدمة تقابل بالحوار بموجب النظام حتى في إسرائيل الدولة العنصرية عندما تجرأت نائبة بكلام تجاوز الحدود قبل سنوات على رئيس الوزراء طلب من رئيس البرلمان أن يحميه من النائبة بموجب القانون ولم يصرخ أو يتحول البرلمان إلى ما يشبه فحيح الجماهير في الملاعب ضد الفريق المنافس.

ظاهرة اخذ القشور من حضارة الغرب والبعد عن العمق للأسف هي ما أخذه العالم الثالث كما يسميه الغربيون تأدباً والعالم المتخلف كما هي الحقيقة، فهذه الصورة التي حدثت في تركيا لا توجد في الغرب إلا في حالة وجدت في فرنسا وحكمت قانونياً ولكنها كما حصلت في تركيا حدثت في إحدى الدول العربية حين منعت الطالبات المنقبات من دخول الامتحانات في إحدى الجامعات وحرمت أخريات من تسلم الشهادات في إحدى الدول الإسلامية الآسيوية بسبب الحجاب الحريري الناعم.

فهل أصبحت مروة قاوقجي بطلة دخلت التاريخ من حيث أرادت أو لم ترد أو هل ستكون أول مسمار يدق في نعش العلمانية التركية التي ليس لها من العلمانية الأوروبية إلا الاسم؟ فمروة درست في الولايات المتحدة الحاسب الآلي ولم تمنع يوماً من دخول الجامعة بسبب الحجاب لأن العلمانية هناك تعني الحرية الشخصية، ولا تتدخل في أمور سطحية كأن يطلب من المرأة السفور ومن الرجل عدم وضع الطربوش على الرأس كما هو في تركيا.

وللأسف أن يصل الأمر بمروة أن تقول: إنها ستكافح مثلما كافح زنوج أمريكا حتى نالوا حقوقهم وتحرروا وإلا ماذا سيضر إن جاءت المسلمة محتشمة بل إن هذا الوقار هو الأولى من التفسخ وكشف العورات ولكن الكماليين (الذين يسترهم رجل مات منذ سبعين عاماً وما زال يحكم من قبره) بالغوا في عداوة الإسلام وحسبك في هذا أنهم لم يدققوا كما تفعل الدول قبل الانتخابات في أوراق المرشحين حتى إذا ما فازت مروة ودخلت البرلمان بحجابها الحريري بدأ الطعن في أهليتها ومن ذلك حملها جنسية

أخرى، ولو لم تغط رأسها لهان موضوع الجنسية الأخرى ولم يعامل نواب حزب اليسار مثل ذلك.

الكماليون يجدّفون ضد التيار وكل ما لحقتهم مذلة من أوروبا زادوا في الإصرار على التمسح بأعتابها من أجل استلحاقهم بالاتحاد الأوروبي ولو عادوا لانتمائهم الإسلامي لعلت رؤوسهم فوق النجوم ولكن لعل وعسى أن يستفيدوا من عبر التاريخ الحي لا الميت وعسى أن يدرك عقلاء الأتراك الأمور قبل فوات الأوان.

المصدر : http://www.suhuf.net.sa

===============

#كيف تتعامل العلمانية مع الأوقاف الإسلامية ؟

همام عبد الملك الشامي

لقد كانت الأوقاف الإسلامية ومازالت دليلاً على حيوية الإسلام واستعصائه على التغييب والاندثار، فأموال الوقف هي التي تحافظ على استمرار الإسلام: رابطاً ومثَقِّفاً، ودافعاً، ومحرضاً على النهوض والتخلص من أسباب الجهل والضعف والركود.

إن المحن والبلايا والتحديات التي واجهها الإسلام كافية لتحييد – إن لم نقل استئصال – أشد المبادىء مراساً، وأعصاها على المقاومة. وقد كانت الأوقاف هي التي تغذي المؤسسات الإسلامية والمعاهد والمدارس التي تسهر على نشر المعرفة الإسلامية، كل ذلك في ظل الظروف الصعبة؛ من ظلم الحكام، وتسلط المستعمرين، وتواكل وتقاعس الجماهير، وضعف إحساسها بالمسؤولية.

وقد ظلت الأوقاف الإسلامية مستقلة عن تدخل الحكام، تدار من قبل هيئات أهلية، أو من علماء وأوصياء، عليهم رقابة أهلية، ويخضعون لنظام الحسبة الشرعية. ومع ما كان يكتنف هذا النظام من عيوب، بسبب الطمع البشري المفهوم؛ إلا إنه كان له الفضل في الإنفاق على العلماء ومدارسهم، إلى أن اعتراه الهرم بكثرة العيوب الطارئة، فلم يشعر المسلمون إلا والقوى الاستعمارية قد طوقتهم، وبدأت تقتطع من بلادهم ما تعيده إلى سيطرة الصليبية أو القومية المعادية للإسلام. ثم غزتهم في عقر دارهم، وفرضت عليهم ما لا يريدون، وبدأت بتجريدهم من عناصر القوة والحيوية.

وقد آذنت سلطة العلماء بالتراجع السريع حين بدأ سلاطين آل عثمان المتأخرون ما سمي بحركة إصلاح الدولة و"تحديثها"، فوضعوا حداً لسلطة المشيخة الإسلامية، وازداد هذا التراجع الذي أصبح مقنناً منذ عصر التنظيمات في عهد عبد المجيد ومن بعده.

على أن الحاكم الذي كان له أبعد الآثار في الحد من سلطة العلماء وهيبتهم في أي مجتمع مسلم في العصر الحديث هو محمد علي حاكم مصر. وتكمن أهمية محمد علي في هذا المجال في أن كل من جاؤوا بعده كانوا عيالاً على الطرق التي اتبعها، وكان قدوتهم الذي ساروا على أثره. صحيح أن محمد علي كان أمياً، ولكنه كان يتمتع بذكاء فطري ويعرف ما يريد، وقد حدد وجهته تحديداً حاسماً، واستعان على تحقيق غاياته في الحكم والتسلط بقناصل الدول الأوروبية يستخدمهم لأغراضه القريبة، ويستخدمونه لأغراضهم البعيدة.

وتمثلت طريقة محمد علي بمصادرة أموال الأوقاف جميعها، وتملكها من قبله وقبل أولاده وأحفاده، ومعاقبة من يعترض على أساليبه الخبيثة من العلماء بالقتل أو بالسجن والتشريد، كما فعل مع كثير ممن عضده منهم وناصره ضد المماليك، حيث قلب لهم ظهر المجن، وتركهم إما طعمة للتحسر والندم؛ وإما أفراداً مجردين من كل قوة وتأثير، ينتظرون ما يجود به عليهم من فتات لا يكاد يقوم بالأَوَد. ونستطيع أن نقول: إن محمد علي هو أنجح من نفذ سياسة"تجفيف المنابع"التي يكثر الحديث عنها في هذه الأيام.

يقول الشيخ محمد عبده واصفاً ما فعله محمد علي في هذا المجال:"... نعم، أخذ ما كان للمساجد من الرزق، وأبدلها بشيء من النقد يسمى"فائض رزنامة"لا يساوي جزءاً من الألف من إيرادها، وأخذ من أوقاف الجامع الأزهر ما لو بقي له اليوم لكانت غلته لا تقل عن نصف مليون جنيه في السنة، وقرر له بدل ذلك ما يساوي نحو أربعة آلاف جنيه في السنة. وقصارى أمره في الدين أنه كان يستميل بعض العلماء بالخلع أو إجلاسهم على الموائد، لينفي من يريد منهم إذا اقتضت الحال ذلك. وأفاضل العلماء كانوا عليه في سخط ماتوا عليه."[آثار محمد علي في مصر/مجلة المنار: المجلد 5/ج 5/ص 175].

وقد سار على هذه السنة في العلماء أولاده وأحفاده حكام مصر من بعده دون شذوذ. وعمل هذا العهد الطويل (1905–1952) الذي امتد قريباً من قرن ونصف على صناعة أجيال من طراز معين من العلماء، يمكن أن نصفه بأنه يعتمد اعتماداً كلياً في عيشه على ما تنفحه به هذه الدولة ذات الحكم العسكري المتغوِّل، وينفذ ما تريده الدولة باستكانة وخضوع غريب عن سلوك العلماء العاملين في التاريخ الإسلامي[1]. ولذلك حينما قام جمال عبد الناصر وجماعته بانقلابهم على الحكم الملكي، وغيروا في مصر ما غيروا؛ ساروا على سنة محمد علي في العلماء والمؤسسات الإسلامية، وتلقت هذه المؤسسات وهؤلاء العلماء ما جادت به ماكينة عبد الناصر الإعلامية بالإذعان – إن لم نقل بالقبول – ولم يشذ عن هذا الإذعان إلا القليل النادر الذي لا يكاد يحس به.

يتكرر هذا المثال في كل بلد مسلم تقريباً: في الشام، والعراق، والمغرب العربي، على اختلاف في الأساليب لا يؤثر في النتيجة، وهي العمل على تجريد العلماء من الهيبة والقوة، وليس جعلهم طبقة فاقدة التأثير فقط؛ بل ومنبوذة.

يجب أن لا نفصل بين دور هؤلاء الحكام تجاه العلماء؛ وبين الظرف الذي وجدوا فيه، فقد ينزلق كثير من الدارسين إلى جدل عقيم وهو: هل كان هؤلاء الحكام المبدوؤون بسيء الذكر: محمد علي، من الحنكة والدهاء وخبث الطوية بالقدر الذي يجعلهم ينجحون في مسعاهم هذا في ضرب دور العلماء في المجتمعات الإسلامية، وفي الإجماع الذي لا يشذ عنه أحد؟ وهل كانت ظروف العلماء من السوء بالقدر الذي يستدعي هذا الإجماع من هؤلاء الحكام الساعين إلى إصلاح وتحديث مجتمعاتهم على تحجيم دورهم؟ أم أن هؤلاء الحكام كانوا مجرد خدم وعملاء ومنفذين لرغبات القوى الاستعمارية؟ وهنا يكثر الكلام في تعداد مزايا هذا الحاكم أو ذاك، وفي إخلاصه وتحرقه على السير برعاياه نحو النهوض، وذلك للرد على من يأتي بالأدلة على عمالة هؤلاء الحكام وخدمتهم للأجانب، فتضيع المسألة الجوهرية التي انطلق منها الجدل، ونتيه في بُنَيَّاتِ الطرق يميناً ويساراً. هذه هي أجواء الجدل الدائر بين فئتين تؤلفان المجتمعات الإسلامية:

فئة تدعو لتحديث المجتمع، واللحاق بالأمم القوية، والخروج من حالة الضعف والفوضى التي تعيشها هذه المجتمعات.

وفئة أخرى تدعو إلى الخروج من هذا الواقع، لكن ليس بأي ثمن، ولا بأي وسيلة، بل تطلب التريث والنظر حول مواطيء الأقدام، حتى لا ننتقل من واقع سيء إلى واقع أسوأ – كما هو شأننا اليوم. وفي خضم هذه المعركة نرى من يدافع عن أمثال محمد علي، وكمال أتاتورك، وجمال عبد الناصر، وبو رقيبة بدون تحفظ، ومن يخونهم بدون توقف، وأنهم ما كانوا ليفعلوا ما فعلوا إلا خدمة للأجانب.

ليس من شأني هنا أن أنزلق إلى مسألة التخوين والتوثيق والتزكية المطلقة، أو الإسقاط الكامل من الحساب؛ بل أريد أن أتتبع أسباب ما آل إليه حال العلماء والمشايخ في المجتمع، فالثابت أن محمد علي ومن بعده – بعد أن تمكنوا وهيمنوا – لم يكونوا يقيمون للعلماء أي اعتبار، ولم يتوانوا في العمل على تهميشهم وجعلهم أداة لحكمهم الظالم، وكونهم فعلوا ذلك بمفردهم أو بمساعدة الغرب وقناصله وجواسيسه خارج عن دائرة النقاش والاهتمام الآن. ولماذا فعلوا ذلك، وما نياتهم من ورائه مسألة أخرى أيضاً. كل الذي يعنينا هنا هو أن هذا الوضع المزري الشاذ الذي نرى علماء المسلمين فيه لم يكن ليكون لولا جهود الحكام وخططهم التي لم تهدأ ولا تهدأ في هذا السبيل.

هناك ملحوظة جانبية نرى أن الإشارة إليها مهمة، وهي أن هيمنة أنظمة الحكم على أوقاف المسلمين التي كانت تغذي الجهاز الذي يعمل على استمرارية إحساس المسلمين بالإسلام وإبقائه حياً في نفوس أهله كانت من نصيب الأوقاف التي تخص السواد الأعظم من المسلمين، وهم أهل السنة. أما أوقاف غيرهم في المجتمعات الإسلامية فلم تمس. انظر مثلاً أملاك الكنائس، لا يجرؤ أحد على مجرد الحديث عنها فضلاً عن المساس بها. وأمامنا مثال صارخ وهو لبنان، فقد تحول النصارى فيه – بسبب الدعم الاستعماري الخارجي، وغفلة المسلمين – من طائفة فقيرة كانت تعمل في خدمة إقطاعيي الدروز وأهل السنة، إلى الطائفة الأولى هناك غنى ونفوذاً خلال قرنين أو ثلاثة، حيث أفاق أصحاب هذه الإقطاعات ليروا أن خدمهم الموارنة

هؤلاء قد سحبوا البساط من تحت أرجلهم، وأصبح هذا البساط (أي الأرض) وقفاً باسم الكنيسة المارونية!

وانظر أيضاً إلى أوقاف الشيعة الإمامية في العراق وإيران، تراها مستقلة لا يستطيع أحد من جانب السلطات أن يتلاعب بها، كما هو حال أوقاف أهل السنة في كل مكان. إن كل (آية) من آياتهم! وكل مرجع من مراجعهم يعتبر وزارة أوقاف مستقلة بذاتها! ولا أحد يجرؤ على التعرض لما يملك، ويديرون مؤسساتهم ويصطنعون النفوذ والتأثير في العالم، ولا أحد يشتكي أو يشك فيما يفعلون، ولم نسمع أحداً قال: أمموا أو جمدوا أموال الخوئي، والقزويني، والكاشاني، والكرماني، والشيرازي، والسيستاني، والحائري، والحكيم، والصدر، وفضل الله، وغيرهم وغيرهم[2]. حتى أموال حزب الله التي طالبت أمريكا الحكومة اللبنانية بضبطها ومراقبتها، فإننا نعتقد أن هذه المطالبة مجرد ذر للرماد في العيون، وإلا فإن هذا الحزب ومنذ أوائل الثمانينيات يمارس أعماله ونشاطاته علناً وتحت الشمس، بما يعرفه الجاهل والعالم، وينفق النفقات التي تعجز عنها الدول الغنية، وبما لا يخفى على أمريكا وغيرها ممن هم معنيون بمراقبة نشاط المسلمين. لكن الدعاية السوداء والمبالغة وتخويف العالم لا يتجه إلا إلى أموال أهل السنة، سواء على مستوى الجمعيات والهيئات، أو الأفراد.

حين سيطرت الأنظمة والحكومات على أوقاف المسلمين؛ تلاعبت هذه الأنظمة بالأوقاف وصاية وإنفاقاً، فمن جهة الوصاية عينت لذلك وزيراً، وهذا الوزير لا بد أن يكون خاضعاً لما يمليه النظام العلماني اللاديني، وهو مسؤول أمام رئيس الوزراء الذي يبعد أن يكون له دور فاعل في توجيه المجتمع، وإنما هو مجرد منفذ لرغبات الحاكم الفرد المتأله، وحتى لو كان هذا الوزير شخصاً معمماً، أو ذا زي إسلامي، أو منتقى من مؤسسة إسلامية؛ فهذا لا يغير من الحقيقة شيئاً، فهو منفذ لسياسة الدولة العلمانية ولا يكون وزيراً إلا إذا حاز ثقة هذا النظام اللاديني.

وأما الإنفاق؛ فإن أموال الأوقاف كثيراً ما تسخر لخدمة مؤسسات النظام العلماني أيضاً، وما ينفق على الدعوة الإسلامية والخدمات الشرعية قليل جداً إذا قورن بغيره، ولا يوفر حداً أدنى من الحياة الكريمة لمن يعمل في حقل الدعوة والوعظ والإرشاد، أعني الأئمة والخطباء ومدرسي العلوم الشرعية. وهذه الفئة واقعة بين حجري رحى

اجتماعية غريبة جداً في المجتمعات الإسلامية، فمن جهة لا تسمح الدول لهذه الطبقة بأن تندرج تحت سلم الوظائف المدنية الذي تعامل به الموظفين في مختلف الوزارات والمؤسسات، فكأنهم لاجئون من كوكب آخر لا حق لهم مثل غيرهم، وكانوا يعاملون على حسب ما كان معروفاً بقانون العمل، أي ما يعرف (بالمياومة) مثلهم مثل أي شخص يعمل عملاً مؤقتاً، حتى إذا انتهى العمل انقطع الأجر، وجلس العامل بطالاً ينتظر أن تأتيه فرصة من قبل أحد يطلبه لتادية عمل بأجرة يومية تنقطع بانتهاء ذلك العمل وهكذا..وليس له حق في تقاعد أو امتيازات مهما كانت، بل يستمر قائماً بالإمامة أو الخطابة أو الأذان حتى يموت.

والذي يوكل إليه تنفيذ هذا النظام الغريب غير العادل على العلماء هو وزارة الأوقاف. فهذه الوزارة تتجلى فيها الازدواجية المقيتة بشكل صارخ. والغريب أن لا يحس به إلا القليل ممن يعنيهم أمره، فالجهاز الوظيفي الذي يسير دوائر الأوقاف جهاز مدني مثل أي وزارة أخرى، ويعامل وظيفياً ومالياً كذلك، إلا ما له علاقة بوظائف المشايخ والعلماء فيكون هناك حساب آخر، وهو التضييق والتقتير. وفي هذا الجو التضييقي التقتيري وعلى هامشه وحواقِّه ينشأ العلماء، ويعيشون، ويتنافسون، ويتحالفون، وتدور خصوماتهم وحروبهم، وتستنزف طاقاتهم، فتسوء سمعتهم، ويقل تأثيرهم، ويضعف ما ترجوه الأمة منهم.

إن واقع العلماء هو نتيجة لا بد منها لما يضطرون إليه في سبيل لقمة العيش، حيث نرى أن الحكومات في بلادنا قد اهتمت بكل فئات المجتمع، ونظمت أعمالها، وكفلت لها حداً أدنى من العيش الكريم، إلا طبقة العلماء، حيث لم تكتف بإهمالها والنظر إلى دورها باستصغار واستهانة؛ بل إنها جردتها من حقها الذي خصص أول ما خصص لها وحدها، لتقوم بمهمتها خير قيام، بعيداً عن ذل الحاجة، وإراقة ماء الوجه، واللجوء إلى النفاق والتملق، والتدخل من أي طامع أو ظالم، فوضعت يدها على مال الأوقاف، وأنفقته في الوجوه التي لم يخصص لها، وعبثت به عبثاً لا يزال ينتظر من يدرسه ويكشف أبعاده وأساليبه.

لقد تنوعت أساليب العبث بأموال الوقف حسب نظام الحكم السائد في كل قطر، كنصب غير ذوي الأمانة قيمين وأوصياء عليه، والإنفاق منه على المرافق المحرمة،

وتلاعب الدولة بتأجيره أو استثماره من إدارات أخرى، ومنح عقاراته لشراء المحاسيب والأنصار، وإخضاعه للقوانين المستوردة وجعلها حاكمة عليه، كقوانين ما يسمى بالإصلاح الزراعي والتأميم، والتصرف به على غير شرط الواقف...إلخ. والعجيب أن هذا العبث لا يصيب إلا الأوقاف الإسلامية وأوقاف أهل السنة بالذات، كما قدمنا..

---

[1] – قد يعترض معترض بذكر أمثلة لعلماء ومواقف في هذه الفترة قد تخالف هذا الذي نصف، ولئن صحت هذه الأمثلة فإنها تعتبر نادرة وشاذة ولا تخالف هذه القاعدة.

[2] – وها نحن اليوم نرى حلقة في مسلسل هذه المأساة، وهي سيطرة الشيعة على أوقاف أهل السنة في العراق برعاية وحماية المحتل الأمريكي.

المصدر: http://www.alsunnah.org

==============

#الفقه العلماني للإسلام

عبد الرحمن الجميعان

الإشكالية للمنظومة العلمانية تستند إلى نمطية التفكير العلماني في عالمنا الإسلامي على المرجعية الأوروبية في كثير من القضايا والرؤى، بل إن هذه المرجعية تؤاطر الفكر النظري للمنظومة العلمانية، ولا غرو فالعلمانية في أصل اشتقاقها غربية المنشأ واللسان، وهي نبت خارج أرضه.

ولهذا فالعلمانية مع محاولة استزراعها في بلاد المسلمين جرت خلفها الكثير من الإشكاليات النظرية والصعوبات العملية التي اصطدمت في ارض الواقع الإسلامي نظراً لتباين الإطار النظري في أوطاننا الإسلامية مع الإطار النظري للعلمانية المستوردة.

بل إن علمانية العرب زادت على ذلك لأنها تريد ليّ أعناق النصوص كي تتسق مع فهمها للإسلام وواقعها السياسي والاجتماعي، وتلك إشكالية رئيسة في الفكر العلماني

الوافد، وتبدو واضحة تلك المحاولة التي تريد استنساخ المفهوم الغربي وتجاربه تجاه الأديان، ومحاولة إسقاط هذا المفهوم على الدين الإسلامي.

إن مفهوم الدين عندنا يغاير المفهوم الغربي للدين لتباين الدينين واختلاف الملتين، فذاك دين محرف لم يجعله الله – تبارك وتعالى– للناس كافة وإنما هو محصور في زمن معين محدد ولأناس محددين كما قال المسيح –عليه السلام–: إنما بعثت لخراف بني إسرائيل الضالة.

فلهذا من الخطورة بمكان أن تتوحد النظرة تجاه كل الأديان، وهنا يكمن الخطر حيث يعامل الإسلام كما يعامل أي دين آخر، ولذلك جرت هذه النظرة الضيقة والظالمة فكراً خطيراً جداً على العالم الإسلامي وهي فكرة لم تعرفها الأجيال المسلمة قبل عهد الاستعمار بشتى أنواعه، تلك هي الفصل بين الدين والدنيا، مفهوماً وعملاً فالدين عندهم مجموعة من الطقوس غير المفهومة إلا لأناس محددين، فكانت النهضة الأوروبية نتيجة طبيعية للتحرر من الدين والتفلت من التزاماته القاسية، أما عندنا فلا توجد هذه الإشكالية التي يريد هؤلاء إلباسها الإسلام الحنيف، والذي جعله الله تعالى للناس كافة ويسر فهمه لمن أراد الفهم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر).

ومن الإشكاليات الخطيرة التي يتعمد العلمانيون إثارتها: الدمج بين العروبة والإسلام، فالعربي عندهم يعني المسلم وتاريخ العروبة والعرب هو تاريخ الإسلام والمسلمين، ولهذا فهم يعدون الإسلام امتداداً طبيعياً لتاريخ العرب الجاهلي ويعتبرون محمد (صلى الله عليه وسلم) مجرد مصلح عربي كان له تصور راق لإصلاح الأمة، فيفصلون بين النبوة والنبي، وهذا تهوين لشأن النبوة في حياة الناس، إنها إشكاليات واضحة تعيشها العلمانية المستوردة على صعيد الواقع والمنهج والرؤية وكنموذج صارخ لهذه العلمانية سنعرض لإحدى المقالات التي تطرح هذا الفكر الغربي المبطن.

بتصرف من : http://www.mishkat.com

=============

ولن ترضى عنك بنو عِلْمَان

محمد بن فهد الرشيد

سنة ربانية من سنن الله – تعالى – سنها منذ قام على هذه الأرض الحق والباطل، الشر والخير، أهل الإيمان وأهل الكفر، معسكر الهدى ومعسكر الضلال، فلا يزال أهل الكفر والنفاق يناوئون أهل الإيمان ويكيدون لهم ويحاربونهم في دينهم ما بقي على الأرض مسلم وما دعا إلى الله داع، بيد أن هذه الحرب سجال والأيام بين المعسكرين دول فيُنال من أهل الحق حيناً وينالون من عدوهم حيناً آخر ولكن العاقبة للمتقين، والنصر لأهل الإيمان واليقين كما أخبر بذلك رب العالمين.

وصور هذا الكيد والمكر تتلون وتتغير حسب قوة أهل الحق وضعفهم، وقلتهم وكثرتهم، فتارة تكون الحرب عسكرية حربية وتارة تكون اقتصادية مادية وتارة تكون إعلامية وسياسية وغير ذلك من أساليب الحرب القذرة التي يشنها أعداء الله على أهل الإسلام وحَمَلَته، والتاريخ القديم والحديث يشهد لهذه الصور المتعددة كلها، غير أنَّ أعداء الله في هذا العصر تفتَّقت عقولهم المتشبعة ببغض هذا الدين وأهله عن حرب جديدة وأساليب ماكرة لمحاربة الدين حرباً تناسب العصر وتواكب العولمة الحديثة تلكم هي محاربة "المنهج".

إن أعداء الله لا يقلقهم مناهج عباد القبور ولا مناهج الرافضة ولا مناهج المعتزلة والعصرانية، إن الذي يقض مضاجعهم وينغص عيشهم هو المنهج الذي تربى عليه سلف هذه الأمة من الصحابة ومن جاء بعدهم، منهج الحنيفية السمحة الوسطية العدل، ملة إبراهيم حنيفاً كما جاء بها القرآن والسنة وكما فهمها سلف هذه الأمة. لقد مارس أعداء الله كل أساليب الحرب والإبادة لإطفاء هذا الدين وإخماد جذوته من حين بدأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم– دعوته حيث قال الله عنهم: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (الأنفال:30) فمكرهم ماضي وكيدهم مستمر حتى يردوا المسلمين عن دينهم وعقيدتهم.

لقد أدرك أعداء الله أن محاربة المنهج ليست من السهولة بمكان ومن الخطأ الاستراتيجي – حسب ظنهم – القضاء على المنهج بشكل سريع أو الدخول المباشر في هذه المواجهة التي ربما أفسدت عليهم خططهم، ولكن هناك من أذنابهم وأعوانهم مَن يستطيع أن يمارس هذا الدور بشكل فعال وبنتائج باهرة فكان توظيفهم لطابور

العلمنة والنفاق في بلاد المسلمين لأجل التشكيك في ثوابت الأمة ومقومات دينها ولمز أئمتها وعلمائها وبدأ ذلك بشكل واضح بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وارتفعت وتيرة هذه الحرب بعد دخول قوات الصليب عاصمة الخلافة العباسية بغداد المسلمة.

إن التاريخ يشهد أن بني علمان مهما أصاغ المسلمون لهم السمع وحققوا بعض مطالبهم بحجة الإصلاح وجمع الكلمة وغير ذلك من الشعارات الزائفة لن يقفوا عند حد ولن يرضوا بذلك حتى يتحقق "ما لقيصر لقيصر وما لله لله" وحتى يروا علمانيتهم الكافرة تضرب بأطنابها في بلاد المسلمين ومجتمعاتهم، وقصة صراع العلمانية مع الإسلام في مصر خير شاهد على ذلك، فكيف يرضى أهل الدعوة وحماة المنهج أن يتحقق للعلمانيين ذلك وقد أمرهم ربهم – تعالى – بأن يكون الدين كله لله؟؟.

إن الواجب على المسلمين عموماً وعلى أهل الدعوة وأصحاب الرأي خصوصاً الوقوف صفاً واحداً وبحزم تجاه هذه الهجمة الشرسة على دين الأمة وثوابتها وألاَّ يتنازل أهل المنهج ولو قيد شعرة عن دينهم وثوابتهم، إن حماية هذا "المنهج"مسئولية الجميع كل فيما يخصه ويحسنه أفراداً ومؤسسات، حكاماً ومحكومين، مع أهمية أن تكون هذه المقاومة لهذه الهجمة ضمن خطط مدروسة وبرامج عمل جادة طويلة المدى وألاَّ تكون برامجنا ومواقفنا ردود أفعال مؤقتة قصيرة النفس، محددة العمر ما تلبث أن تضعف ثم تتلاشى.

إن بني علمان مهما كادوا ومكروا فإن كيدهم ضعيف ومكرهم واهٍ إذا واجههم أهل الحق بالحجة والبرهان وقاموا بما أوجب الله عليهم من بيان الحق وكشف عوار المفسدين والمنافقين وتبيين المنهج الصحيح والدعوة إليه، ومع ذلك ربما يبتلون ويؤذون ويتهمون وهذا كله ليس بمستغرب فهي سنة أخرى من سنن الله – تعالى – في ابتلاء المؤمنين وتمحيصهم وهي من قدر الله الغالب وسننه الماضية.

المصدر : http://www.almoslim.net

=============

#حتى لا نندم

دعوة لمراجعة الموقف

د.عبد الله عبد العزيز الزايدي

" سعادة الكاتب:فلان...تحية طيبة وبعد.

نشكر لك جهدك في الدعوة للحد من نشاطات المؤسسات الإسلامية الإرهابية في بلادك، والتي تنشر الإرهاب والفكر المتخلف، ويسرنا دعوتك لزيارة الولايات المتحدة في زيارة مدفوعة التكاليف، وذلك تثميناً لموقفك الإيجابي، ويسرنا أن تلتقي بعدد من مسؤولي المنظمات العاملة في مجال العمل الإغاثي والتعليمي في الولايات المتحدة."

هذه رسالة كان يفترض أن توجه من قبل المنظمات التنصيرية الأمريكية إلى كل كاتب مسلم طالب بالحد من نشاط المؤسسات الإسلامية في الخارج كعربون لموقفه السلبي من المؤسسات الإغاثية الإسلامية التي قللت ولو بنسبة قليلة من نجاحات منظمات التنصير الغربية والأمريكية على وجه الخصوص في سعيها لتنصير المسلمين في أفريقيا وآسيا ومناطق أخرى، حيث دعا بعض الصحفيين إلى تقليص نشاطات المؤسسات الإسلامية في الخارج بعد الأحداث الأخيرة بحجة أن فقراء الداخل أولى، أو بحجة أن الباب الذي يأتي منه ريح الإثارة علينا من الولايات المتحدة يجب سده، وبعضهم ربما راج عليه أكاذيب أجهزة الاستخبارات والصحافة الغربية حول دعم تلك المؤسسات للإرهاب.

ونظراً لخطورة هذه المطالبة وإحداثها بعض الأثر المتمثل في السعي لتقليص نشاطات هذه المؤسسات في دولتين هما أكثر الدول العربية دعماً للقضايا الإسلامية، وهما: (السعودية) (والكويت)، و التي كانتا بعد الله عوناً لكثير من المسلمين الفقراء الذين كادت منظمات التنصير أن تحيط بهم وتصرفهم عن دينهم، فضلاً عن كون هذه الحملات الإعلامية الداخلية ضد المؤسسات الخيرية هي عون للمنظمات الصهيونية التي تستثمر مثل هذه الكتابات وتتخذها تكأة لحملاتها ووثائق تصديق لمزاعمها، وبالتالي فهذه الكتابات في الحقيقة نوع من الخيانة العظمى للدول التي تعمل فيها هذه المنظمات الخيرية، ولذا كان لابد من وقفة كبيرة لرجال العلم والدعوة والإصلاح تجاه هذه الحملات وما ترتب عليها، بل ومن كل حريص على انتشار الإسلام والتصدي للمد الصهيوني و للغزو التنصيري الرهيب الذي يغزو بلاد المسلمين مدعوماً بكل الإمكانات المادية والبشرية والإعلامية الغربية. إن السكوت

على تقليص نشاطات المؤسسات الإسلامية، هو دعم غير منظور للمؤسسات التنصيرية التي تنتشر كالسرطان في بلاد الإسلام، ولذا كان التصدي لهذه الحملة الظالمة واجباً شرعياً؛ بكشف حقيقتها، وبيان آثارها، وتفنيد شبه أصحابها. ومشاركة في هذا الباب يجيب هذا المقال على بعض الشبه التي بها يدعم الداعون لتقليص نشاط المؤسسات الخيرية الإسلامية رأيهم.

من أبرز هذه الشبه التي صرح بها بعض المناوئين للعمل الخيري الإسلامي خصوصاً في الصحافة الكويتية تصديق الدعاوى الغربية بأن هذه المؤسسات يستفيد منها الإرهابيون، فأقول لهؤلاء: لنفترض جدلاً أن بعض التبرعات ذهب إلى دعم المقاتلين المسلمين في الشيشان مثلاً، أو لنفترض أن البعض استغل اسم إحدى هذه المؤسسات وجمع تبرعات لأغراض أخرى، فهل يعني ذلك أن نستجيب لتقليص نشاط الدعوة إلى الإسلام الذي تقوم به مؤسساتنا الخيرية ؟ أليس من الممكن أن نتحقق من صحة الأمر ونعالج الخطأ _ إن حدث_ دون المس بنشاطات مؤسساتنا الخيرية ؟ ألا يعلم هؤلاء أن بعض المنظمات التنصير الأمريكية تدعم بالسلاح منظمات إرهابية انفصالية تقاوم السلطات الشرعية في بلد عربي مسلم هو السودان، ومع ذلك لم يدع أحد من الأمريكيين والبريطانيين أو أي نصراني إلى إيقاف نشاطات هذه المنظمات أو تقليص أعمالها في الخارج، بل لا يزال الدعم الشعبي والرسمي لهذه المنظمات في زيادة واطراد، والحجة الثانية، هي: قولهم: إن الناس في الداخل أولى فأهل الداخل أقيمت لهم – ولله الحمد – جمعيات كثيرة تعنى بأمورهم، وفي الشريعة ما يدل على جواز إعطاء من هو أقل استحقاقاً تأليفاً لقلبه على الإسلام كما هو معلوم من سهم المؤلفة قلوبهم، وفعل النبي _صلى الله عليه وسلم_ حيث أعطى عدداً من أغنياء العرب تأليفاً لقلوبهم، وترك فقراء المهاجرين والأنصار في غزوة حنين، والمنظمات الإنسانية الغربية تجوب دول أفريقيا وآسيا تعطي فقراءها الغذاء والدواء، والمشردون الفقراء موجودون في كل المدن الغربية، ولم يؤد ذلك إلى تقييد عمل تلك المنظمات ومنعها من العمل الخارجي بحجة وجود فقراء في الداخل كما يطالب به بعض إخواننا الكتاب المؤسسات الإسلامية.

إن المطالبة بقصر نشاط المؤسسات الإسلامية على الداخل أقل ما يقال فيه: إنه سذاجة ومساهمة في إضعاف مسيرة الدعوة الإسلامية، وترك الباب مفتوحاً لمنظمات التنصير تفسد على إخواننا المسلمين عقائدهم، ألا يعلم هؤلاء المؤيدون لتقليص العمل الخيري أن المنظمات التنصيرية تقوم في إندونيسيا بأنشطة تعد من أعمال السيادة داخل الدولة، ومع ذلك لم يطالب أحد من النصارى الغربيين بتقييد نشاط تلك المنظمات، وأن من أسباب قوة الانفصاليين المتنصرين في تيمور الشرقية في إندونيسيا هو دعم المنظمات التنصيرية لهم، ومع ذلك لم توقف هذه المنظمات من قبل الحكومة الإندونيسية، بل لو حاولت بعض الدول العربية والإسلامية تقييد نشاط بعض المنظمات التنصيرية الغربية بسبب أخطائها لما استطاعت بسبب ضغوط الدول التي تتبعها تلك المنظمات، إذ يقدم سفير الدولة التي تتبعها المنظمة احتجاجاً قوي اللهجة سرعان ما يلغي أي قرار بشأن تلك المنظمات. إن ثمة منظمات تنصيرية غربية عديدة تعمل في مجال التنصير تحت ستار العمل الإنساني والتطوعي في كثير من البلاد العربية والإسلامية، ولها تأثيرها السلبي، ومع ذلك فهي معفاة من الضرائب والجمارك وبإمكانها إدخال أكبر قدر من الأدوية والسلع الاستهلاكية والملبوسات والآليات داخل البلاد، ولها مطلق الحرية في التنقل، حتى إن عرباتها لا تخضع للتفتيش بالرغم من الملاحظات الكبيرة على أعمالها، وبالرغم من أن بعضها يمارس أعمالاً منافية لنظام تلك البلدان كما يحصل في الجزائر وبنغلاديش وغيرهما.

وهاك مثالاً واحداً يؤكد خطر المنظمات التنصيرية السياسي والديني في بلد عربي: قالت صحيفة (اليوم) الجزائرية الصادرة يوم الاثنين (2001-4-9): إن عدد الجزائريين الذين يرتدون يومياً عن الإسلام ويدخلون المسيحية بلغ 6 أشخاص كل يوم.

وذكرت الصحيفة التي نشرت تقريراً مفصلاً عن الظاهرة في صفحتها الأولى إن هذه الظاهرة أخذت في الانتشار بقوة في منطقة القبائل (البربر) وفي شرق الجزائر وغربها وجنوبها، وقالت الصحيفة: إن عدد الجمعيات المسيحية الناشطة في دفع المسلمين إلى الارتداد عن الإسلام وتغيير دينهم إلى المسيحية يقدر في منطقة

القبائل وحدها بـ19 جمعية، ونقلت الصحيفة تصريحات لرئيس كنيسة "ميرابو" في منطقة القبائل، يقول فيها: "إذا تم الاعتداء علينا، وذهبنا ضحية من أجل اعتناقنا المسيحية وردّتنا عن الإسلام، فسنقوم بكل مسعى يسمح لنا بتدويل قضيتنا"، وذكرت (اليوم) أن مراجع صحافية أحصت 19 جماعة مسيحية في منطقة القبائل وحدها، تعززت في السنوات الأخيرة بجزائريين خالصين، وبمعدل ست حالات ارتداد عن الدين الإسلامي كل يوم، وقالت الصحيفة: إن جيوباً ثقافية ورسمية أجنبية مشكوك في هويتها تساعد هذه الجمعيات، التي استفادت من الانفتاح واقتصاد السوق، لتصدر أكثر من 30 ألف نسخة من الإنجيل إلى مدينة تيزي وزو القبائلية وحدها، دون أن تكترث لذلك الهيئات المشرفة على تجارة الكتاب، أو الجمعيات الدينية الجزائرية، وأرجعت الصحيفة انتشار موجة الارتداد عن الإسلام واتساع رقعة النشاط التبشيري إلى الاستقالة التامة للدولة عن مهمتها الثقافية، وارتفاع نسبة الانتحار بين الأوساط الشبابية والشعبية بفعل تردي الوضع الاقتصادي والاجتماعي، وانتشار مظاهر البؤس والفقر المدقع.

هذا مثال واحد فقط يدل على النشاط الدؤوب لمنظمات التنصير وأهدافها السياسية الرهيبة، ومع ذلك لم يحد من نشاطها بل تدعمها الحكومات والشعوب والصحافة في الغرب، ونحن لسذاجتنا نصدق الأمريكان فيما يقولون عن جمعياتنا ونغلق فروعها و نضعف نشاطها ليخلو الجو لجمعيات التنصير، فيا أمة ضحكت من جهلها الأمم، إننا إذا أردنا الصدق مع أنفسنا وشعوبنا، فلا ينبغي أن نشوه صورة جمعياتنا الخيرية، بل نقول في صراحة ووضوح: إن ثمة ضغوطاًَ قوية من الولايات المتحدة تجاه الجمعيات الخيرية الإسلامية، ونحن لا طاقة لنا بمواجهة هذه الضغوط، ولذلك نرى الحد من نشاط هذه الجمعيات مؤقتاً دفعاً لخطر هؤلاء الأمريكان، مع أن هذا الموقف لن يشفع لنا عندهم أيضاً، وهذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يقولها الكتاب والصحفيون، وينبغي أن تصارح بها الدول المعنية مواطنيها، ويجب أن يبقى الباب مفتوحاً نحو مزيد من العمل الخير ي الإسلامي، وأن يكون هذا التقييد مؤقتاً يزول بزوال هذه الضغوط الحاضرة.

المصدر : http://www.almoslim.net

===========

#العلمانية

الشيخ: عطية صقر

مما هو مقرر أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فلابد من تحديد المفاهيم حتى يمكن الحكم عليها حكما صحيحا، والعلمانية لفظ وجد في كتبنا العربية حديثا عند ترجمة ما يقابلها في اللغات الأجنبية عن طريق الإدارة العامة للتشريع والفتوى بمجلس الأمة المصرى - آنذاك - كما هو ثابت في الموسوعة العربية للدساتير العالمية التي أَصدرها المجلس المذكور سنة 1966 م. وبعيدا عن صحة النطق بهذه الكلمة، الذي ذهب فيه الكاتبون مذاهب شتى، وكان فرصة استغلت للدعوة إلى وجهة نظر معينة كما هو شأن المتشابه من النصوص الذي جاء فيه قول الله تعالى: { فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله... } آل عمران: 7،. بعيدا عن ذلك، فإن نسبة العلمانية إلى العلم أو العالم ليست على قياس لغوى، وهى ترجمة للكلمة الإفرنجية " لاييك " أو" سيكولا ريسم " وتعنى " لا دينية" على أي وجه تكون، وفي أي ميدان تطبق، وعلى أي شيء تطلق. وهى نزعة أو اتجاه أو مذهب اعتنقه جماعة في أوروبا في مقابل ما كان سائدا فيها في العصور المظلمة، التي تسلط فيها رجال الدين على كل نشاط في أي ميدان، مما تسبب عنه ركود وتخلف حضاري بالنسبة إلى ما كان موجودا بالذات عند المسلمين من تقدم في كل المجالات. وكان معتنقو هذا المذهب في أول الأمر في القرنين السابع عشر والثامن عشر قد وقفوا من الدين موقف عدم المبالاة به، وتركوا سلطانه يعيش في دائرة خاصة، واكتفوا بفصله عن الدولة. ومن أشهر هؤلاء "توماس هوبز " الإنجليزى المتوفى سنة 1679 م، " جون لوك " الإنجليزى المتوفى سنة 1704 م، " ليبنيتز" الألمانى المتوفى سنة 1716 م، " جان جاك روسو" المتوفى سنة 1778 م. وفي القرن التاسع عشر كانت المواجهة العنيفة بين العلمانية والدين، وذلك لتغلغل المادية في نفوس كثير ممن فتنوا بالعلم التجريبى، إلى حد أنكروا فيه الأديان وما جاءت به من أفكار، واتهموها بتهم كثيرة كرد فعل للمعاناة التي عانوها من رجال الدين وسلطانهم في زمن التخلف الذي نسبوه إلى الدين، ذلك الدين الذي كان من وضع

من تولوا أمره، والدين الحق المنزل من عند الله بريء منه. ومن أشهر هؤلاء المهاجمين " كارل ما كس " الألماني المتوفى سنة 1883 م، " فريدريك أنجلز " الألماني المتوفي1895 م، " فلاديمير أوليانوف لينين " الروسى المتوفى سنة 1924 م. هؤلاء لم يقبلوا أن تكون هناك سلطة ثانية أبدا، حتى لو لم تتدخل في شئون الدولة، وإن كانت هذه العداوة للدين بدأت تخف، وتعاونت السلطات السياسية والاستعمارية على تحقيق أغراضها. لقد تأثر بهذا المذهب كثيرون من الدول الغربية، وقلدها في ذلك بعض الدول الشرقية، ووضعت دساتيرها على أساس الفصل بين السياسة والدين، مبهورة بالتقدم والحضارة المادية الغربية، اعتقادا أنها وليدة إقصاء الدين عن النشاط السياسي والاجتماعي.

إن العلمانية بهذا المفهوم، وهو عدم المبالاة بالدين، يأباها الإسلام، الذي هو من صنع الله وليس من صنع البشر، فهو منزه عن كل العيوب والمآخذ التي وجدت في الأديان الأخرى التي لعبت فيها الأصابع وحرفتها عن حقيقتها. ذلك لأنه دين الإصلاح الشامل، الذي ينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقته بالمجتمع الذي يعيش فيه، ويوفر له السعادة في الدنيا والآخرة على السواء، فهو كما يقال، دين ودنيا، أو دين ودولة، أو عبادة وقيادة... ومن مظاهر ذلك ما يأتي:

1 – عقائد الإسلام ليست فيها خرافات ولا أباطيل، فهو يقدس العقل ويأمر بتحكيمه إلى حد كبير.

2 – الإسلام ليس منغلقا على معلومات معينة يتلقاها بنصها من الوحي، بل هو كما يقال، دين منفتح على كل المعارف والعلوم ما دامت تقوم على حقائق وتستهدف الخير.

3 – الإسلام يمقت الرهبنة التي تعطل مصالح الدنيا، ويجعل النشاط الذي يبذل لتحقيق هذه المصالح في منزلة عالية، لأنه جهاد في سبيل الله، والتاجر الصدوق الأمين يحشر مع النبيين والصديقين، فهو دين يعمل للدنيا والآخرة معا.

4 – الإسلام يقرر أن السلوك الاجتماعي مقياس لقبول العبادة، فمن لم تثمر عبادته، بمفهومها الخاص من العلاقة بين العبد وربه، استقامة في السلوك فهي

عبادة مرفوضة لا يقبلها الله {فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون} الماعون: 4 – 7.

ه – الإسلام ليس فيه كهنوت يتحكم فيه بعض من الناس في مصائر الناس بإدخالهم الجنة أو حرمانهم منها، بناء على اعتبارات خاصة، فمدار ذلك على العقيدة الخالصة والعمل الصالح، وليس المشتغلون بعلوم الدين إلا معلمين ومرشدين، والأمر متروك بعد ذلك لمن شاء أن يستفيد أو لا يستفيد بالتطبيق.

وقد يكون المتعلم أقرب إلى الله من معلمه، بالتزام الطريق المستقيم الذي رسمه الله لهم جميعا، فما دامت العبادة لله وحده فهو وحده الذي يقبل منها ما يشاء.

6 –الإسلام ليس فيه سلطة مقدسة مستمدة من سلطة الله، وليس في البشر من هو معصوم من الخطأ، إلا من اصطفاه الله لرسالاته، والحكم من ذوى السلطان ليس لذواتهم، بل الحكم للدين أولا وآخرا، فكل شيء فيه اختلاف رأي يرد إلى الله وإلى الرسول، أي الكتاب والسنة.

7– مبادئ الشريعة تستهدف تحقيق المصلحة، فإذا لم يوجد نص واضح في أمر تعددت فيه وجهات النظر من أهل النظر وكان يحقق المصلحة العامة كان مشروعا، وبخاصة في أمور الدنيا، فالناس أعلم بشئونها.

8 – الإسلام دين تقدم وتطور وحضارة، ليس جامدا ولا متمسكا بالقديم على علاته فهو ينهى عن التبعية المطلقة في الفكر أو السلوك الذي يظهر بطلانه، بل يقرر أن الله يبعث مجددين على رأس كل قرن، يوضحون للناس ما أبهم، ويصححون لهم ما أخطأوا فيه ويوائمون بين الدين والحياة فيما تسمح به المواءمة، لأنه دين صالح لكل زمان ومكان، ومن مبادئ التربية المأثورة عن السلف:

لا تحملوا أولادكم على أخلاقكم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم. والمراد بالأخلاق العادات التي تقبل التغيير، أما أصول الأخلاق فثابتة.

بهذا وبغيره نرى الإسلام يرفض العلمانية، وأن المسلمين ليسوا في حاجة إليها، وإنما هم في حاجة إلى فهم دينهم فهما صحيحا، وتطبيقه تطبيقا سليما كاملا، كما فهمه الأولون وطبقوه، فكانوا أساتذة العالم في كل فنون الحضارة والمدنية الصحيحة، وضعف المسلمين وتأخرهم ناتجان عن الجهل بحقائق الدين وبالتالي عدم العمل بما

جاء به من هدى، وبالجهل قلدوا غيرهم في مظاهر حضارتهم، وآمنوا بالمبادئ التي انطلقوا منها دون عرضها على مبادئ الإِسلام، لأنهم لا يعرفون عنها إلا القليل. ولئن رأينا بعض دول المسلمين الآن قد نقلوا معارف غيرهم ممن يدينون بالعلمانية، فليس ذلك دليلا على أنهم آمنوا بما آمنوا به، وإنما هو للإطلاع على ما عندهم حتى يعاملوهم على أساسه، وإذا كانوا قد قبسوا من مظاهر حضارتهم فذلك للاستفادة من نتائج علمهم وخبرتهم فيما يقوى شوكة المسلمين ويدفع السوء عنهم، والتعاون في المصالح أمر تفرضه طبيعة الوجود، وهو مشاهد في كل العصور على الرغم من اختلاف العقائد والأديان. والمهم ألا يكون في ذلك مساس بالعقيدة أو الأصول المقررة وأن يستهدف الخير والمصلحة. هذا، والأدلة على ما قلناه مما جاء به الإِسلام كثيرة تركناها للاختصار، والمقصود هو إلقاء بعض الضوء على هذا المصطلح وموقف الدين منه.

المصدر: http://ardalsharq.com

============

#أي علاقة بين الديمقراطية والعلمانية؟

شيروان الشميراني

الديمقراطية والعلمانية.. هل هما صنوان لا يفترقان، أم أنهما عدوان لدودان لا يصلح وجود أحدهما في وجود الآخر؟ وإذا كان ثمة ارتباط من نوع ما، فما طبيعة هذا الارتباط؟ وكيف يتم توظيفه لأهداف بعينها بعيداً عن القواعد الموضوعية لكل من المصطلحين "الديمقراطية" و"العلمانية"؟ ثمة نقطتان لا مفر من ذكرهما قبل الولوج في الموضوع:

أولاً: إن الديمقراطية من حيث المنشأ لم تكن فلسفة جاهزة الأسس، كاملة الآليات، حاضرة كخيار من بين خيارات فلسفية سياسية أخرى، للمرء أن يأخذ بها أو يرفضها ويأخذ بغيرها، بل إنها وليدة صراع مرير حقاً بين شعوب بجميع أطيافها، والقابضين على السلطة بمختلف محاورها، ولم تكن كما هي الآن بعد أن نشأت، بل كانت محصورة بين النبلاء من السياسيين وملاّك الأراضي، فلم يكن للعبيد، ولا الخدم، وللنساء، ولا للفقراء، الحق في الترشح، أو التصويت، فكل من كان لهم الحق في

المشاركة السياسية في شؤون الدولة لم يكونوا يتجاوزون نسبة 20% من مجموع السكان، فالديمقراطية كانت مقصورة على أصحاب النفوذ، لكن بما أن الديمقراطية وليدة ظرف سياسي واجتماعي خاص، فهي من المفاهيم التي لا تقف على سلم ثابت، ولا تأخذ شكلاً محدداً لا يمكن التغيير فيه، بل هي مصطلح قابل للتطور من حيث الشكل والمضمون معاً، لأنّ العنصر الأبرز في تكوينها هو حاجة الناس للحرية، وقدرتهم الكاملة على تدبير شؤونهم عبر أجهزة الدولة ومؤسساتها، ومن هنا كانت المعركة المستمرّة التي لم تهدأ عبر العصور، والتي أسهمت في الدفع بالديمقراطية صوب وضع تكون فيه أفضل.

ثانياً: إن الديمقراطية بدأت في العصور الحديثة بمعركة بين الشعوب ومحاور ثلاثة للقوة والنفوذ وهي (الملك، وأصحاب الأراضي، والكنيسة)، هذه المحاور الثلاثة كثيراً ما كانت في وئام ضد الشعوب، إلا أنّ القوة الشعبية انتصرت في النهاية، وإن كان ذلك على حساب فكرة التدين عموماً في الغرب، إذ خرجت رؤى تقول بفصل الدين عن الحياة العامة بجميع مفاصلها، ومن هنا أخذت الديمقراطية خلفية لادينية في عالم الأفكار، وكان هذا طبيعياً بما للحضارة الغربية من موروث فكري مادي وأشكال متغيرة، لكن لما كانت الديمقراطية مفهوماً قابلاً للتطور، ولا يقف على أرضية جامدة، فقد ظل يأخذ صوراً وأشكالاً متغيرة عبر الزمن، وحتى النصف الأول من القرن الماضي كانت الديمقراطية مرتبطة بالعلمانية، والعلاقة بينهما كاللازم والملزوم، إلا أنّ روحها المرنة ساعدتها على التكيف مع مختلف الأوضاع والأحوال، وآخر محطة توقفت عندها هي أنها عبارة عن آليات مجردة محايدة لا تنتمي إلى أي فلسفة أو فكر، وقادرة على التأقلم مع كل الأديان، والفلسفات، والمذاهب الفكرية، وأول من عرفها بهذه الصورة هو جوزيف شوبيتر في بحثه المعنون ب"الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية"، الذي أصدره عام 1942م، حيث يرى أنها "ذلك الترتيب المؤسساتي للوصول إلى القرارات السياسية التي تحدد المصلحة العامة من خلال تمكين الشعب نفسه من اتخاذ القرارات عبر انتخاب أشخاص يقومون بتنفيذ إرادة الشعب"، فقد فصل بينها وبين خلفيتها الفكرية النابعة من طبيعة الصراع في التاريخ الغربي.

والآن عندما تطلق هذه المفردة في الأوساط الثقافية وعند الكتاب والباحثين، فإنه ينظر إليها من خلال هذا المفهوم الشوبيتري. يقول منير شفيق في كتابه "الإسلام في معركة الحضارة": "أصبح الكثير من المثقفين يرون في الديمقراطية حق تنظيم وتشكيل الأحزاب وحق الانتخاب والترشيح للانتخاب، وحق الأغلبية في الحكم، وحق الأقلية في المعارضة، بل حق الوصول إلى السلطة، وإحداث التغييرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عن طريق ديمقراطي".. وقد أكد هنتنجتون في سنة 1997م هذا الاتجاه للديمقراطية، مصرحاً بأن جميع الباحثين بعد الحرب الثانية يؤيدون هذا المضمون الذي أعطاه شوبيتر، ومن ثمّ، فإن المفهوم الكلاسيكي الذي عبَّر عنه بركليس حول الديمقراطية في كلمات أربع وهي "حكم الشعب للشعب، وبالشعب"، لم يعد معتبراً. وهنا، نذكر الرؤى والتصورات المتباينة حول طبيعة العلاقة بينها وبين العلمانية، وهي كالآتي:

أولاً: تصور يُبنى على استحالة الفصل بينهما، ويجمع هذا الرأي بين تيارين على طرفي نقيض: بعض الإسلاميين من جهة، والعلمانيين من جهة أخرى. وهم يذهبون إلى أن الديمقراطية خلقت في رحم الغرب ونمت وترعرعت في حضنه، وقد أشربت العلمانية فكراً، ومن ثمَّ ليس هناك بد من أخذها كما هي من غير فكّ للارتباط بينها وبين العلمانية، وبالتالي فإنها لا تتفق والمنهج الإسلامي.. كلتا المدرستين تريد إثبات أن الديمقراطية والفكر الإسلامي بينهما برزخ متسع، ومسافة فاصلة كبيرة.. وبالتالي من أراد أن يكون ديمقراطياً، فلا بد أن يكون علمانياً!!

ونلاحظ أن العلمانيين يأبون الإقرار بالتحرك الديمقراطي للإسلاميين، مدركين أنهم سيخسرون ساحة واسعة من معركة مفتعلة، ويفقدون المبرر الوحيد لشحذ القوى على الإسلاميين، والدفع بالسلطات لقمعهم.. فصراع العلمانيين مع الإسلاميين لا ينبع من كون الإسلاميين غير ديمقراطيين، فالعلمانيون أنفسهم كانوا إلى الأمس القريب من مناضلي الحكم الشمولي، لكن لأن الإسلاميين مستسلمون لله، يعملون في إطار وحيه، ويركعون لذاته العالية.

ثانياً: تصور ينطلق من رؤية متقدمة ومستوعبة لتطور الفكر السياسي الإنساني، ويجمع في دائرته الكثير من أتباع المذاهب والأفكار المختلفة، وأصحاب هذا الاتجاه

يقولون في فهم وتفسير هذه المفردة: إن الديمقراطية آليات إجرائية وليست عقيدة، بإمكان أصحاب الديانات والرؤى المتباينة تبنّيها، فهي لم تعد غصناً للجذر العلماني، وإنما أصبحت ثروة إنسانية، ومفصلاً فكرياً مهماً في التراث الإنساني.

منهج أم عقيدة؟: وقد سيطر هذا الاتجاه على الأدبيات التي تتحدث عن هذا المصطلح في العقود الأخيرة.

ويقول الباحث علي خليفة الكواري: إن الديمقراطية منهج وليست عقيدة، وهي ممارسات دستورية.

ويقول جان ريفيه: إنها عملية وليست برنامجاً، وهي لا تدَّعي أنها تقدم حلولاً.

ويوضح هنتنجتون أنها: آليات لإقامة المؤسسات الحاكمة ومحاسبتها.

وفي معرض الرد على الاتجاه الأول الذي يرى استحالة الفصل بين الديمقراطية ومرجعيتها الغربية، يمكن سرد الأدلة الآتية:

أولاً: ذهب جمهور المفكرين والفلاسفة صوب فك الارتباط بين المرجعية الحضارية للديمقراطية وآلياتها الإجرائية، ولم يشذ عنه إلا من يستعمل ذلك التوجه كسلاح لإقصاء الآخر، كون ممارساتهم الشخصية استبدادية، بمعنى أنهم مولعون بالوقيعة بين الأحزاب والجماعات المخالفة لهم في الفكر والتصورات وبين السلطات، وسهامهم أكثرها موجه إلى الإسلاميين بصورة خاصة.

ثانياً: إن الكثير من العلمانيين، حكومات وأحزاباً، أثبتت التجربة أن الممارسة السياسية لديهم استبدادية، وأن جل همهم رفض وقمع الآخر المخالف في الفكر والدين، والعلمانيون الشرقيون إن لم يكن جلهم فأغلبهم هكذا، فإذا اتخذنا الحكومة التركية مثلاً، نجد أن هذه الحكومة استعملت فوهات المدافع صوب الصناديق التي رشَّحت الحركة الإسلامية عبر التأريخ، ولمرات عديدة، وحتى الآن تمّ تجميد ما يقرب من أربعين حزباً، وسحب رخصة العمل منها.

نفس الحال أو شيء قريب منه، نجده في ممارسات حكومات بعض الدول العربية والإسلامية التي تتبنى النهج العلماني، فهي لا تقبل بوجود تعددية إذا كان الإسلاميون طرفاً فيها، بل هناك أحزاب علمانية لم تصل إلى السلطة بعد تدعو الى

منع قيام أحزاب إسلامية، وعدم إعطاء الشرعية القانونية والمظلة الدستورية لها، فكيف إذا وصلوا للسلطة؟.

ثالثاً: توجد في الغرب أحزاب دينية لها هياكل ومؤسسات ديمقراطية واضحة من القمة إلى القاعدة في داخلها، وفي ممارسة السلطة خارج إطارها، فهناك الحزب المسيحي الديمقراطي الألماني، الذي وصل إلى هرم الحكم، و هناك الحزب المسيحي الديمقراطي الإيطالي، بل هناك حزب "شاس" وهو حزب تلمودي متطرف في الكيان الصهيوني، فلو كان صحيحاً القول: إن المرجعية الدينية لا تتحمل الديمقراطية، لما كان لهذه الأحزاب وجود، لكنها موجودة، وبالتالي، فإن بإمكان السياسي المتدين أن يكون ديمقراطياً. ومن هنا اختار بعض الأحزاب الإسلامية الأسلوب الديمقراطي كطريق لممارسة العمل السياسي، باعتبار أنّ الديمقراطية لا تشكل إطاراً عقائدياً، بل هي آليات محايدة لا دين لها ولا مذهب، وفي وسع أصحاب مختلف الأديان والمذاهب أن يتبنوها وينبذوا سياسات القمع والإقصاء من خلالها.

المصدر : http://www.almujtamaa-mag.com

=============

#العلمانية تحت المجهر

عبد الوهاب

تظل العلمانية واحدا من أكثر الموضوعات المثيرة للجدل في الفكر العربي المعاصر. وربما لم ينقطع النقاش حولها -ولا يتوقع له أن ينقطع- منذ وطئت أقدام الاستعمار الغربي أرض العرب, وبدأت تتشكل معالم "صدمة الحداثة والغرب" في الوجدان والفكر العربيين.

وبالتأكيد فإن تلازم العلمانية مع الغرب والاستعمار وإدراكها في المخيلة العربية بعامة كمكون منسوب إلى سياق حضاري وتاريخي ليس "خارجيا" فحسب بل ومعاد, قد نقل التفكير والنقاش حول العلمانية -بتعدد تعريفاتها ومركباتها المفهومية- إلى حيز السجال الإيديولوجي المسيس. وبهذا فهي لم ينظر إليها من زاوية محايدة بحتة, بل ظلت متهمة منذ بروز أول تمظهراتها العربية بأنها وليدة الغرب ومستنبت مستورد مفروض على المجتمعات العربية من قبل الغرب, ومن قبل النخب الحاكمة المتحالفة

مع الغرب. ومن هنا فقدت العلمانية مصداقية كانت في أشد الحاجة إليها كي تشرع وجودها على ساحة النقاش الموضوعي على الأقل في الفكر العربي الذي قد ينقض أو يستصوب الفكرة استنادا إلى رؤية فكرية وعقلانية وليس سياسية تاريخية منتمية إلى مجتمعات طحنها تغلب القوى الغربية المبشرة بالنموذج العلماني.

يرى المسيري أن العلمانية متتالية تاريخية تطورت بشكل حصري في السياق الغربي، وعكست الأزمات والحلول والصراعات والمساومات السياسية والفكرية والنظرة الفلسفية المتكونة وتوترات علاقة السلطة الدينية بالزمنية

وفي هذا الإطار فإن ما يراه عزيز العظمة في مداخلته في هذا الكتاب حول العلمانية ونقاشاتها في العالم العربي يغدو صحيحا, فهذه النقاشات لم تتعد السجال الإيديولوجي ولم تمنح فرصة النظر المتروي الهادئ غير المشحون بالرؤى المسبقة. لكن ما لا يتم الموافقة مع العظمة عليه هو محاولته أنسنة المشروع العلماني ونسبته إلى البشرية بعامة وكسر حصرية التأثر بالمنشأ الغربي للمفهوم والنموذج، إذ لا يمكن القول بأن المكونات التأسيسية للنموذج العلماني قد جاءت من حضارات وسياقات ومفاهيم اجتماعية متنوعة المصدر وأن الغرب واحد من هذه المصادر رغم أنه المصدر الأهم بكل تأكيد. كما لا يمكن تصور انتشار النموذج العلماني في عالم اليوم كما هو عليه لو لم يكن الغرب بالقوة التي نراها. ومن هنا جاء إصرار عبد الوهاب المسيري على اشتراطه ضرورة الوصول إلى تعريف عميق وتاريخي من أجل الخوض في النقاش حول العلمانية. وهو يعني بذلك مشروطية النظر إلى العلمانية بكونها "متتالية تاريخية" تطورت بشكل حصري في السياق الغربي وعكست الأزمات والحلول والصراعات والمساومات السياسية والفكرية والنظرة الفلسفية المتكونة وتوترات علاقة السلطة الدينية بالزمنية وهكذا، وأن هذه المتتالية تأسست بالتدرج وشملت فكر الأنوار منذ بداية اندثار العصور الوسطى ثم عصور الثورة الفرنسية والأميركية والثورة الصناعية والحداثة، شاملا ذلك حركات الاستعمار والإمبريالية ووصولا إلى العولمة.

لا يفصل المسيري هذه الحركات والتحولات الكبرى بعضها عن بعض سواء في طريقة تطورها أو في علاقاتها التداخلية أو في اعتماداتها المتبادلة على التقدم الذي

ينجزه أي منها وتستفيد منه الأطراف الباقية. لكن عدم فك الارتباط –على ما فيه من وجاهة فكرية وشمولية في النظرة– ينزلق إلى التعميم في بعض النواحي. وتتبدى النظرة التحليلية وكأنها تزج بالعناصر الخاضعة للتحليل في إطار تلك النظرة, لإثبات الصوابية. ومن أبرز ملامح "القسر" هو معادلة تلك الظواهر والتغيرات بعضها ببعض, إذ قد ينتهي القارئ غير المتخصص بعد قراءة نص المسيري إلى نتيجة مضللة وهي أن العلمانية, والحداثة, والاستعمار, والعلمانية, والعولمة, وما بعد الحداثة, ليست سوى مسميات لشيء واحد هو نمط التطور والسيطرة الغربية في العالم سياسيا وفكريا وعلميا.

لكن ما يسجل للمسيري في مداخلته حول العلماينة هو الجهد المميز لتعريف المصطلح ووضعه في سياقه التاريخي, ومتابعة نشوئه من تاريخ صلح وستفاليا الذي أوقف الحروب الدينية في أوروبا عام 1648, ثم تطوره ليسم فصل الكنيسة عن الدولة, وتأصيله بتعريف مشهور واضح لجون هوليوك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أن العلمانية هي "الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية, دون التصدي للإيمان, سواء بالقبول أو الرفض" (ص 12). هذا التعريف وسواه قصد به إعلان العلمانية الحياد تجاه الدين, وهو الأمر الذي ينقضه المسيري ويرى فيه انحيازا ضد الإيمان وذلك عبر إضمار نموذج لإصلاح حال الإنسان بالطرق المادية يجب الوصول إليه من غير طريق الإيمان. ومن هنا فإن المسيري يرى في العلمانية ما هو أبعد من فصل الدين عن الدولة, الأمر الذي يعتبره الشيء الظاهر فيها والموجود في كل الحضارات والعوالم. لكن ما هو أهم بالنسبة إليه هو النموذج المادي الذي تنطوي عليه والذي يشكل "رؤية تفسيرية شاملة للعالم والكون" ترتكز على عناصر واضحة مادية وعقلانية صلبة وأداتية ترفض أي مرجعية متجاوزة. وهو يرى أن هذه العلمانية الشاملة متجسدة ليس فقط في المجال السياسي عبر فصل الدين عن الدولة, بل وفي كل مجالات الحياة الإنسانية الأخرى الاجتماعية والاقتصادية والمعاملاتية والأخلاقية.

يرى العظمة أن الخطاب العربي المعاصر حول العلمانية تناولها تناولا سطحيا على صورة إيديولوجية مبتسرة يغلب فيها السجال على النظر المتروي وعلى الاعتبار التاريخي.

في المقابل يرى العظمة أن الخطاب العربي المعاصر حول العلمانية "قد تناولها تناولا سطحيا على وجه العموم على صورة إيديولوجية مبتسرة يغلب فيها السجال على النظر المتروي وعلى الاعتبار التاريخي, إذ إنه اعتبرها على شاكلة لائحة من المثالب والمكاسب والمحاسن تبعا لاستساغتها أو عدم استساغتها.." (ص 154).

وعن العلمانية نفسها فإن العظمة يراها عملية بالغة التعقيد وغير متعذر تعريفها لفظا، وهي تعكس صيرورة تاريخية أكثر منها رؤية للعالم كما يعرفها المسيري. وإذ يتفق العظمة مع المسيري على أن منشأ العلمانية ومهدها كان في أوروبا فإنه يراها متجاوزة لمنشئها الأوروبي ومؤدية إلى تحولات "بالغة السعة والعمق في جل أرجاء المعمورة", وبأنها –كما الحداثة– صارت شأنا من شؤون حياتنا التي لا مفر منها في سياق ترتيب علاقة الدين بالمجال العام. ومن هنا فإن العظمة ينكر على الخطاب العربي ربطه الوثيق للعلمانية بالاستعمار، ويرى أن تلك المرحلة انتهت وأن العلمانية هي نتاج تحولات عالمية قربت العالم بعضه من بعض من ناحية التاريخ والمسارات العامة في الاجتماع والتقدم.

وهكذا فإنه في الوقت الذي يرى فيه المسيري العلمانية "رؤية للعالم" "ما فتئت تتجه نحو درجات أشمل من التكامل والانغلاق, وشأنا لا يرد إلى نصابه من التاريخ الفعلي بل إلى مسيرة نوهها التحول من الكمون إلى العيان, فإن العظمة يرى أن مسيرة التاريخ هي "سلسلة متراكبة وليست بالضرورة متكاملة من العمليات الاجتماعية والسياسية والثقافية والمعرفية وخلاف ذلك من ميزات أي مركب تاريخي. وينقد العظمة نظرة المسيري للعلمانية كمفهوم غير محايد وكأن هذا المفهوم نظرة ومنظور ومعيار بدلا من كونه سلسلة عمليات موضوعية في التاريخ, كما يعي موضعيا هنا وهناك, دون أن يكون لهذا الوعي أثر يذكر على تركيب خطابه (ص 270).

يتبادل المسيري والعظمة الاتهامات نفسها, فالمسيري يتهم خطاب العظمة بالاختزال وتبني "الثنائيات الصلبة" مثل تضاد "الصيرورة التاريخية" و"الشعارات السياسية"

و"حركة المجتمع والفكر" ضد "الخيار الإيديولوجي" و"العقلانية" ضد "الإيمان الديني" (ص 248). وينتقده أيضا بسبب ما يراه عدم ولوج إلى الأبعاد المركبة لظاهرة العلمانية والانحياز إلى تحليل أحادي, إلى جانب الوقوع في أسر "إيديولوجيا" العلمانية, رغم أن العظمة نفسه ينتقد المضمون الإيديولوجي في خطاب المسيري.

وكما يرى المسيري في خطاب العظمة وقوعا في أسر الثنائيات فإن العظمة يرى أيضا الشيء نفسه، حيث يقول إن خطاب المسيري يميل إلى تصنيف "الحسن والسوء للأصيل والدخيل, للمستمر والمنقطع.." (ص 264). والعظمة لا يتردد في نقد ما يراه "موقفا سياسيا" للمسيري هو في الواقع جوهر "المشروع الإسلامي" الذي يعمد إلى "جعل الاعتبار الديني الاعتبار الأساس في الحياة العامة", الأمر الذي ينطوي على نظرة للمجتمع "تضفي عليه تجانسا إيديولوجيا واجتماعيا وسياسيا ينافي طبائع الاجتماع البشري المعقدة والمركبة والمتحولة, وتجعل من المشروع الإسلامي" مشروعا لقسر المجتمع وترويضه, وتنميط أفراده تبعا لهوى سياسي معين بدلا منه مشروعا للإجماع الوطني" (ص 266).

والمفارقة التي لا تخلو من طرافة أن اتهامات الجنوح نحو عدم استكناه الطبيعة المركبة للمجتمع وللظاهرة العلمانية, وكذا تهمة التنميط هي متبادلة عند المتناظرين. فبموازاة مقولات العظمة عن خطاب المسيري المشار إليها آنفا، فإن المسيري يصف خطاب العظمة بأنه انعكاس للاستسلام للتنميط الذي يريد الفكر الغربي فرضه على العالم. ويتساءل المسيري عما إن كان الموقف إزاء "عصر تشي وقائعه بالتشاكل" كما يقول العظمة, أي التنميط والأحادية كما يفهم المسيري, يجب أن يكون الاستكانة والإذعان أم الإفلات من قبضة التشاكل واستخدام العقل النقدي.

وينتقد العظمة ما يراه عدم انفكاك في خطاب المسيري من "الهوى التاريخي" للأمة العربية ولا يتحدث عن الدولة القومية (الدولة الأمة) إلا بنفور واضح. وهو يعتقد أن ذلك مرده مرة أخرى إلى التحوصل حول الذات. كما ينتقد ما يفهمه في خطاب المسيري من تصور لمسارات التاريخ والحضارات وكأنها مسارات منفصلة وليست متداخلة. وفي سياق آخر ينتقد التناقض الذي يصنعه المسيري بين رؤيتين للعالم,

واحدة مادية خاصة بالغرب, والأخرى مادية مناقبية خاصة بالجماعة التاريخية التي يعد هذا الخطاب نفسه لسان حالها" (ص 268).

يبقى القول إن الكتاب يقدم قراءة ومناظرة هامة لأحد الموضوعات الحساسة في ساحة الفكر العربي, هذا وإن غلب على بعض أجزائه السجال الإيديولوجي على حساب التحليل الهادئ خاصة في النقد المتبادل بين المفكرين. والواقع أن نقد العظمة وكذا مداخلته قد ارتفعت فيها نبرة السجال والتسفيه وأحيانا التعميم الذي انتقده هو نفسه في الخطاب العربي حول العلمانية.

المصدر : http://www.aljazeera.net

=============

#العلمانية وخطرها على المسلمين

سليمان إبراهيم

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.....

أما بعد: فإني اخترت الكتابة في هذا الموضوع لما أرى من أهمية الكتابة فيه لانتشار هذه الفرقة في زماننا هذا، انتشر داؤها وفشى وبالها وإلى الله المشتكى ولا حولا ولا قوة إلا بالله.

تعريف العلمانية

قد كفتنا القواميس المؤلفة في البلاد الغربية التي نشأت فيها العلمانية، مؤنة البحث والتنقيب، فقد جاء في القاموس الإنجليزي أن كلمة (علماني) تعني:

1- دنيوي أو مادي.

2- ليس بديني أو ليس بروحاني.

3- ليس بمترهب، ليس برهباني.

وجاء أيضاً في نفس القاموس بيان معنى كلمة العلمانية حيث يقول:

العلمانية: هي النظرية التي تقول: إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية.

وفي دائرة المعارف البريطانية نجدها تذكر عن العلمانية: أنها حركة اجتماعية تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب.

ودائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن العلمانية تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد، وقد قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين:

1- إلحاد نظري.

2- إلحاد عملي، وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي.

وما تقدم ذكره يعني أمرين:

أولهما: أن العلمانية مذهب من المذاهب الكفرية: التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها بعيداً عن أوامر الدين ونواهيه.

ثانيهما: أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس بأن المراد بالعلمانية: هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به، فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه وبما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها. ولهذا لو قيل عن هذه الكلمة (العلمانية) إنها: اللادينية لكان ذلك أدق تعبيراً وأصدق، وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس وأوضح في المدلول.

كيف ظهرت العلمانية

كان الغرب النصراني في ظروفه الدينية المتردية هو البيئة الصالحة والتربية الخصبة التي نبتت فيها شجرة العلمانية وترعرعت، وقد كانت فرنسا بعد ثورتها المشهورة هي أول دولة تقيم نظامها على أساس الفكر العلماني، ولم يكن هذا الذي حدث من ظهور الفكر العلماني والتقيد به بما يتضمنه من إلحاد وإبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة بالإضافة إلى بغض الدين ومعاداته ومعاداة أهله، لم يكن هذا حدثاً غريباً في بابه ذلك لأن الدين عندهم حينئذٍ لم يكن يمثل وحي الله الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله عيسى ابن مريم – عليه السلام- وإنما تدخلت فيه أيدي التحريف والتزييف، ولم تكتف الكنيسة . الممثلة للدين عندهم . بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل حتى جعلت ذلك دينا يجب الالتزام والتقيد به.

ومن جانب آخر فإن الكنيسة أقامت تحالفاً غير شريف مع الحكام الظالمين وأسبغت عليهم هالات من التقديس والعصمة وسوغت لهم كل ما يأتون به من جرائم وفظائع

في حق شعوبهم زاعمةً أن هذا هو الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له والرضا به. من هنا بدأ الناس هناك يبحثون عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها ومن ذلك أعلنوها حرباً على الدين عامة. فإن كل الأفكار والمناهج التي ظهرت في الغرب بعد التنكر للدين والنفور منه ما كان لها أن تجد آذاناً تسمع في بلاد المسلمين لولا عمليات الغزو الفكري المنظمة والتي صادفت في الوقت نفسه قلوباً من حقائق الإيمان خاوية وعقولاً عن التفكير الصحيح عاطلة ودنيا في مجال التمدن ضائعة متخلفة. ولقد كان للنصارى العرب المقيمين في بلاد المسلمين دور كبير وأثر خطير في نقل الفكر العلماني إلى ديار المسلمين والترويج له والمساهمة في نشره عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، كما كان أيضا للبعثات التعليمية التي ذهب بموجبها طلاب مسلمون إلى بلاد الغرب لتلقي أنواع العلوم الحديثة أثر كبير في نقل الفكر العلماني ومظاهره إلى بلاد المسلمين حيث افتتن الطلاب هناك بما رأوا من عادات وتقاليد ونظم اجتماعية وسياسية واقتصادية عاملين على نشرها والدعوة إليها في الوقت نفسه الذي تلقاهم الناس فيه بالقبول الحسن توهماً منهم أن هؤلاء المبعوثين هم حملة العلم النافع وأصحاب المعرفة الصحيحة ولم تكن تلك العادات والنظم والتقاليد التي تشبع بها هؤلاء المبعوثون وعظموا شأنها عند رجوعهم إلى بلادهم إلا عادات وتقاليد ونظم مجتمع رافض لكل ما له علاقة أو صلة بالدين.

صور العلمانية

للعلمانية صورتان كل صورة منهما أقبح من الأخرى:

الصورة الأولى: العلمانية الملحدة: وهي التي تنكر الدين كلية وتنكر وجود الله الخالق البارئ المصور ولا تعترف بشيء من ذلك بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله وهذه العلمانية على فجورها ووقاحتها في التبجح بكفرها إلا أن الحكم بكفرها أمر ظاهر ميسور لكافة المسلمين فلا ينطلي بحمد الله أمرها على المسلمين ولا يقبل عليها من المسلمين إلا رجل يريد أن يخرج عن دينه، وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس على عوام المسلمين ضعيف وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين ومعاداة المؤمنين وحربهم وإيذائهم بالتعذيب أو السجن أو القتل.

الصورة الثانية: العلمانية غير الملحدة: وهي علمانية لا تنكر وجود الله وتؤمن به إيماناً نظرياً لكنها تنكر تدخل الدين في شئون الدنيا وتنادي بعزل الدين عن الدنيا، وهذه الصورة أشد خطراً من الصورة السابقة من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين فعدم إنكارها لوجود الله وعدم ظهور محاربتها للتدين يغطي على أكثر عوام المسلمين حقيقة هذه الدعوة الكفرية فلا يتبينون ما فيها من الكفر لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين، ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم تحارب الدين حقيقة وتحارب الدعاة إلى الله وهي آمنة مطمئنة أن يصفها أحد بالكفر والمروق من الدين لأنها لم تظهر بالصورة الأولى وما ذلك إلا لجهل كثير من المسلمين والله المستعان.

الخلاصة:

أن العلمانية بصورتيها السابقتين كفر بواح لاشك فيه ولا ريب وأن من آمن بأي صورة منها وقبلها فقد خرج من دين الإسلام والعياذ بالله وذلك لأن الإسلام دين شامل كامل فقد قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة} وقال تعالى مبيناً كفر من أخذ بعضاً من مناهج الإسلام ورفض البعض: {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون}...

نتائج العلمانية في العالم العربي والإسلامي

قد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم. وها هي بعض الثمار الخبيثة للعلمانية:

1- رفض الحكم بما أنزل الله – سبحانه وتعالى-، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عن الوحي الإلهي المنزل على سيد البشر محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم- بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية اعتبار ذلك تخلفاً ورجعية وردة عن التقدم والحضارة وسبباً في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم وإبعادهم عن تولي الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب حتى لا يؤثروا فيهم.

2- تحريف التاريخ الإسلامي وتزيفه: وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية على أنها عصور همجية تسودها الفوضى والمطامع الشخصية.

3- إفساد التعليم وجعله خادماً لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق:

ا - بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ والطلاب في مختلف مراحل التعليم.

ب - تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن.

ج - منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم.

د - تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني أو على الأقل أنها لا تعارضه.

هـ - إبعاد الأساتذة المتمسكين بدينهم عن التدريس ومنعهم من الاختلاط بالطلاب، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش.

و - جعل مادة الدين مادة هامشية حيث يكون موضوعها في آخر اليوم الدراسي وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب.

4- إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة، وهم المسلمون وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد، وصهر الجميع في إطار واحد وجعلهم جميعا بمنزلة واحدة من حيث الظاهر وإن كان في الحقيقة يتم تفضيل أهل الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان على أهل التوحيد والطاعة والإيمان. فالمسلم والنصراني واليهودي والشيوعي والمجوسي والبرهمي كل هؤلاء وغيرهم في ظل هذا الفكر في منزلة واحدة يتساوون أمام القانون، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني. وفي ظل هذا الفكر يكون زواج النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الشيوعي بالمسلمة أمراً لا غبار عليه ولا حرج فيه، وكذلك لا حرج عندهم أن يكون اليهودي أو النصراني أو غير ذلك من نحل الكفر حاكماً على بلاد المسلمين. وهم يحاولون ترويج ذلك في بلاد المسلمين تحت ما أسموه بـ ((الوحدة الوطنية)).

5 - نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية، وتشجيع ذلك والحض عليه: وذلك عن طريق:

أ – القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة.

ب – وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة، ونشر الرذيلة بالتلميح مرة وبالتصريح أخرى ليلاً ونهاراً.

ج – محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات.

6 – محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق:

أ – تضييق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي، مع إفساح المجال للكتب الضالة المنحرفة التي تشكك في العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية.

ب – إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين المنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر الضال المنحرف، ولتحريف معاني النصوص الشرعية، مع إغلاق وسائل الإعلام في وجه علماء المسلمين الذين يبصرون الناس بحقيقة الدين.

7 – مطاردة الدعاة إلى الله، ومحاربتهم، وإلصاق التهم الباطلة بهم، ونعتهم بالأوصاف الذميمة، وتصويرهم على أنهم جماعة متخلفة فكرياً ومتحجرة عقلياً، وأنهم رجعيون يحاربون كل مخترعات العلم الحديثة النافعة وأنهم متطرفون متعصبون لا يفقهون حقيقة الأمور بل يتمسكون بالقشور ويدعون الأصول.

8 – التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية، وذلك عن طريق السجن أو النفي.

9 – إنكار فريضة الجهاد في سبيل الله، ومهاجمتها واعتبارها نوعاً من أنواع الهمجية وقطع الطريق. والقتال المشروع عندهم إنما هو القتال للدفاع عن المال أو الأرض.

10 – الدعوة إلى القومية أو الوطنية، وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح على أن لا يكون الدين عاملاً من عوامل التجميع، بل الدين من منظار هذا الدعوة يعد عاملاً من أكبر عوامل التفرق والشقاق.

بتصرف من : http://www.saaid.net

===============

#أي علمانية تناسب البلاد الإسلامية؟

عبد السلام بلاجي

إن هذا السؤال مهم ومحفز لأكثر من سبب: فهو تسليم – كما يظهر – بتعدد العلمانيات من جهة، كما أنه من جهة ثانية يبدو وكأنه يتساءل – ضمن تنوع العلمانيات – عن أيها يناسب البلدان الإسلامية، فهل العلمانية عقيدة عالمية ونظام كوني يحتم على كل الناس الالتزام به؟ أم أن العلمانية بتأويلاتها المختلفة تجربة خاصة أفرزتها سيرورة تاريخية معينة؟

لقد ظهرت العلمانية، بمختلف مدارسها، في بيئات نصرانية، فهل كان هذا مجرد صدفة؟ إن النصرانية، تم التبشير بها أول الأمر في فلسطين على يدي نبي الله عيسى – عليه السلام–، ثم قامت الدولة الرومانية بنقل مركز الكنيسة من فلسطين إلى بيزنطة، وبعد ذلك نقل هذا المركز إلى روما، علما بأن كلا من بيزنطة وروما لم تعرفا نزول أي نبي أو ديانة سماوية، ومع ذلك فقد اكتسبتا قداسة مركزية أضفتها عليهما الكنيسة وعامل. فهل هذا النقل كان تعسفاً؟ أم أنه يرجع إلى إرادة الكنيسة نفسها التي تدعو إلى إعطاء "ما لله لله وما لقيصر لقيصر"؟ وبالتالي قابليتها الذاتية للفصل بين ما هو روحي وما هو دنيوي؟ أم أن الأمر يرجع إلى هذين العاملين معا؟ وبعد انتقال الكنيسة إلى أوربا، واتخاذها من روما مركزاً لها، شهدت علاقة الكنيسة بالسلطة الحاكمة عدة تطورات، بداية من الجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية إلى توازي السلطتين معا، إلى الفصل بينهما في مطلع القرن العشرين بعد كفاح مرير خاضه العلماء والمثقفون في عصور التنوير نظراً لأن المؤسسة الكنسية عرفت عدة ممارسات مستهجنة من قبيل مصادرة حرية التفكير والبحث العلمي، مما أدى إلى إعدام عدد من العلماء والمفكرين، وبيع "صكوك الغفران" أو حجبها عن الناس، وممارسة الدعارة بين الرهبان والراهبات مع دفن الولدان في أقبية الكنائس، أو التحالف مع الإقطاع والوقوف ضد دعوات التحرر والانعتاق...

أما في ربوع الإسلام، فقد كانت هناك تصورات وممارسات ومسارات أخرى مختلفة تماما، فالإسلام ذاته يتشكل من منظومة متماسكة وشاملة لا يمكن فصل مكوناتها:

عقائد غيبية، وعبادات منتظمة، وتشريعات تنظم كل جوانب الحياة اليومية، وليس للفقهاء إلا دور اجتهادي واستنباطي لمواكبة مستجدات الحياة، علما بأن دائرة الفقهاء دائرة علمية مفتوحة، وليست مؤسسة دينية منغلقة المنافذ أو هرمية التنظيم، كما أن قبلة المسلمين لم تخضع لأية تنقلات تعسفية من قبل السلطات المتعاقبة في دمشق أو بغداد أو القاهرة أو مراكش أو قرطبة... ولم تكن هناك مؤسسة دينية تعدم العلماء والمثقفين، أو تتوسط بين العباد وربهم، أو ترتكب في دهاليزها فضائح جنسية أو أخلاقية, وحتى إذا وجدت بعض الانحرافات فإنها ترتبط بالسلطة أو بالأشخاص المرتكبين لها وليس بالدين نفسه أو بالأحرى بمؤسسة دينية لا وجود لها أصلا. وحتى في أسوأ الأحوال فإن بعض التأويلات أو الممارسات غير الملائمة قد ارتبطت بتيارات فكرية كالمعتزلة قديما، أو بعض الحركات الإسلامية حديثا. ولهذا السبب لم تجد حتى أكبر الحركات اللادينية راديكالية داخل الأمة الإسلامية مؤسسة دينية محددة تناطحها أو تصارعها، بل إنها تجد نفسها معزولة داخل مجتمعاتها كلما جادلت في قضايا مرتبطة بالدين الإسلامي بصفة مباشرة أو غير مباشرة، فالأمة إذن هي التي احتضنت الدين، وسهرت على حمايته، فهل يتصور أن يطالب الحاضن أو يطلب منه الانفصال عن محضونه؟! أو يقف صامتاً أمام من يريد انتزاعه منه؟

وإذا عدنا إلى العلمانية ذاتها، وجدنا أن لها مدارس واتجاهات مختلفة نلمسها في مختلف التجارب والتصورات المطروحة، ويمكن على سبيل المثال لا الحصر إيراد التوجهات التالية:

1-العلمانية هي فصل للدين عن الدولة:

باعتبار أن الدين شأن فردي ينظم العلاقة بين الإنسان وخالقه، وأن الدولة مفهوم اجتماعي بشري ينظم علاقة الناس بالدولة، وعلاقة الناس ببعضهم البعض، وهذا التأويل قد ينسجم إلى حد بعيد مع التصور الكنسي نفسه، إلا أن السياسة والممارسات السياسية قد يكون لها اهتمام بالشأن الديني باعتبار جانبه البشري الاجتماعي.

2-العلمانية هي فصل للدين عن السياسة:

إن هذا التوجه أو التأويل أقل تساهلا تجاه الدين من التوجه الأول، فطبقاً لهذا التوجه لا ينبغي أن يكون للدين أي تأثير مهما كان صغيراً في برامج الدولة أو الأحزاب السياسية لا من قريب ولا من بعيد.

3- العلمانية هي فصل الدين عن الحياة:

هذا التوجه أكثر راديكالية ويبرز أكثر ما يبرز لدى بعض "الفرانكفونيين" سواء داخل فرنسا أو خارجها، وهو التوجه الذي أجج المعارك من أجل قضايا دينية شخصية مثل الحجاب، بل واعتبرها تهديدا للعلمانية والديمقراطية مع أنها قضايا فردية بحتة، و هذا التوجه يجعل من العلمانية عقيدة دينية وضعية متطرفة.

4- العلمانية هي القضاء على الدين:

ويتمثل هذا التوجه أساسا في "الفكر الماركسي" الذي يرى في الدين مجرد "أفيون" للشعوب، ويطرح العقيدة الماركسية والإلحادية بديلا للدين والفكر الديني، وهو أقرب ما يكون للتوجه السابق، مع فارق هو أن التوجه السابق يبيح التعدد والديمقراطية للعلمانيين دون غيرهم (المؤمنين بالعقيدة أو الدين العلماني) بينما لا يؤمن التوجه الماركسي بالتعددية أصلا، أما الديمقراطية عنده فهي مركزية لا يسمح بها سوى "للبروليتارية" وحلفائها المنضوين في الأحزاب الماركسية.

أما على مستوى الممارسة، فلقد أفرزت العلمانية "الأنجلوسكسونية" أنظمة سياسية أكثر تساهلا تجاه الدين، ففي الولايات المتحدة الأمريكية -البروتستانتية- نجد نظاماً ديمقراطياً رئاسياً يفصل بين السلطات فصلا قاسياً، أما فيما يتعلق بالدين فإنه يسلك منهجا معتدلا، بحيث يسمح للمدارس بتعليم مبادئ الدين للأطفال، وعادة ما يجاهر رؤساء الدولة بالممارسة الدينية التي يعتبرها المواطنون ميزة إضافية للمرشحين للرئاسة، فضلا عن أن مختلف مناطق البلاد تشهد صحوة دينية قوية لا تلقى أية معارضة أو مصادمة من طرف الدولة ومؤسساتها، بل إنها تلقى كل القبول والترحيب.

وفي إنجلترا -الأنجليكانية- أفرزت الممارسة ديمقراطية برلمانية مع فصل مرن للسلطات في ظل نظام ديني غير علماني، وتعتبر هذه الديمقراطية عند علماء

السياسة والقانون الدستوري أنضج وأعرق الديمقراطيات، وأكثرها سماحة واعتدالاً واستقراراً.
أما في فرنسا –الكاثوليكية– فقد أفرزت العلمانية، نظاماً ديمقراطياً شبه رئاسي، يتوسط بين النظامين الأمريكي والبريطاني سياسياً، وأقل سماحة منهما دينياً، وأكثر خصومات سياسية، وأشرس معارك حزبية وأيديولوجية.
إن هذه الفروقات السابقة هي التي جعلت البعض يستنتج أن التجربة الديمقراطية الغربية تكون أكثر مرونة وسماحة إذا ارتبطت دستوريا بالدين (أنجلترا نموذجاً)، وأقل مرونة إذا ارتبطت واقعياً بالدين ولم ترتبط به دستوريا (تجربة الولايات المتحدة الأمريكية)، ومنعدمة المرونة إذا انفصلت دستوريا وعمليا عن الدين (التجربة الفرنسية)، بينما يذهب البعض الآخر إلى أن درجة المرونة أو التصلب لهما ارتباط بالمذهب الديني، فهو منعدم المرونة في الوسط الكاثوليكي (فرنسا) ومتوسط المرونة في الوسط البروتيستانتي (ألمانيا وأمريكا)، ومرن جدا في الوسط الأنجليكاني (إنجلترا) وبغض النظر عن هذا التوجه أو ذاك, فإن التجارب الديمقراطية الغربية ذاتها تدل على أنه لا يوجد تلازم حتمي بين الديمقراطية والعلمانية أو الديمقراطية واللادينية، فالماركسية التي أبعدت الدين جملة وتفصيلا كانت أقل الأنظمة ديمقراطية وتسامحاً على الإطلاق.
أما في العالم الإسلامي المعاصر، فقد تعددت التجارب والمسارات، ففي تركيا ومنذ أكثر من سبعين عاما نهج أتاتورك أكثر التوجهات العلمانية تطرفاً، لكن هذا المسار لم يؤت أكله سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي، فعلى الصعيد الاجتماعي تعرف تركيا صحوة دينية متنامية جوبهت بردات فعل رسمية عنيفة وتراجعات خطيرة على صعيد السياسة والتعليم والإعلام وغيرها، وعلى الصعيد السياسي استطاع التيار الديني اكتساح الانتخابات والوصول إلى سدة الحكم رغم كل العراقيل والمساطر المعقدة المعتمدة الأمر الذي أدى إلى عسكرة الديمقراطية وانسداد آفاقها اجتماعيا وسياسيا وحتى اقتصاديا.
وفي تونس حاول نظام بورقيبة اقتفاء آثار "أتاتورك" فعصفت به الصحوة الدينية دون أن يتمكن حتى من ترسيخ ديمقراطية عسكرية مماثلة للنموذج التركي، وحاول خلفه

ترميم الواجهة الديمقراطية بالاستناد على القوى العلمانية المعزولة شعبياً، فنتج عن ذلك نظام ديكتاتوري معزول داخلياً وخارجياً، بل وقعت تناقضات حتى مع التيارات العلمانية التي ساندته في بداية الأمر لاقتلاع الحركة الإسلامية. فلما خلت له الساحة فتك بالجميع.

وفي أندونيسيا حاول "سوهارتو" بناء علمانية أقل تطرفا، لكنها لم تعمر إلا مؤقتا تحت سلطة الجيش والشرطة، لتسقط مؤخراً تحت ضغط الصحوة الإسلامية، لتستأنف الدولة مسارها في ظل نظام أكثر تسامحاً مع الدين وبتمثيل أكبر للأحزاب المستندة إلى المرجعية الدينية.

ويضيق بنا المجال لو أردنا استعراض كل التجارب في باكستان وماليزيا ومصر والسودان، والجزائر والمغرب ونيجيريا... وخلاصة القول أن العلمانية تجربة بشرية محدودة لا ينبغي إضفاء صفة الكونية عليها، وهي متعددة التوجهات والمشارب وليست توجهاً واحداً وموحداً، كما أنها فشلت في التطبيق خارج بلدانها وبيئتها وخصوصاً في البلدان الإسلامية، وهذا يحتم علينا ابتكار أساليب جديدة ملائمة لمسارنا التاريخي ولجذورنا الحضارية، ولبيئتنا الحاضرة، ففي كل أرجاء العالم، فإن الماضي يتحكم في بناء الحاضر، والحاضر يتحكم في بناء المستقبل، وأي إغفال لهذه القاعدة قد يترتب عليه انتحار حضاري أو انسداد وتوقف في مسار التنمية والتقدم.

المصدر : http://www.islamtoday.net

=============

#التعايش مع العلمانيين

د.عبد الرزاق الشايجي

أصبح التعايش اجتماعياً مع بني علمان مبعث خوف وقلق من قبل شرائح المجتمع من المسلمين وغيرهم، وهذا القلق ليس مبعثه وساوس لا تمت إلى الواقع بصلة، إنما هو قلق مشروع يتداوله العامة من الناس تستطيع أن تتلمسه في الحياة العامة.

أصبح المسلمون البسطاء قلقين على المستقبل في ظل إصرار بني علمان في أوطاننا على فرض المناهج والفلسفات والأفكار والممارسات العلمانية التي تتناقض

مع طبيعة مجتمعاتنا، خاصة وقد رأى المسلمون ما فعلت هذه الأفكار العلمانية الغربية من ممارسات عبثت في تلك المجتمعات وفاحت رائحتها النتنة.

والمشكلة أن بني علمان يريدون فرض آرائهم وأفكارهم على مجتمعاتنا بشتى الوسائل،فهم يستغلون وسائل الإعلام ويسخرونها لهم، ويوهمون الناس أن أفكارهم تلقى رواجاً عند عامة الناس، بينما يعلم القاصي والداني أنهم فئة مقطوعة عن العمق الشعبي ولا تكاد تجد في منتدياتهم الثقافية إلا النزر القليل ولهذا فهم يلجأون إلى أسلوب إثارة الغرائز أو الطرب لجذب الباحثين عن المتعة واللذة لكي يوهمون الناس نجاح مشاريعهم.

كما يجب على هؤلاء العلمانيين أن يعلموا أنه ليس من حقهم إجبار الناس على تغيير قناعاتهم، فالناس لا يريدون تغيير ما يعتقدون أنه ملائم لفطرتهم مناسب لعاداتهم، فلا معنى لإصرار بني علمان على تغيير ما يرفض الناس تغييره من باب دعوى التقدم والتطور، إن على بني علمان أن يعلموا أنهم ليسوا أوصياء على الناس.

الإصرار على تطبيق بني علمان لأفكارهم الخاصة ورفضهم التعايش مع المجتمع الذي يرفض أفكارهم لأنه يعدها طارئة أجنبية عليه، واعتقاد بني علمان أن المعركة لابد أن تكون في النهاية الغلبة لهم فيها، يهدر وقت المجتمع في معارك لا داعي لها، وستكون على حساب تنمية هذه المجتمعات بالأمور النافعة.

وهؤلاء العلمانيون لهم معتقدات أجنبية غريبة على مجتمعاتنا وعاداتنا وتقاليدنا وقبل ذلك ديننا الحنيف، وعلى لحمة المجتمعات بشكل عام وعلى روح القيم الاجتماعية والأخلاقية التي كنا ولا زلنا نعيشها، فلبس المرأة (للاسترتش) والبنطال الضيق ورميها نفسها في أوساط الشباب لحجة الاختلاط الذي ينمي العلاقات بين الجنسين، والزج بالمرأة في ميادين الصراعات السياسية والجيش والرياضة وعرضها جسدها للإغراء في عروض الأزياء وتركها تتلقفها الأحضان بحجة الانفتاح والتحرر، كل هذه القيم غريبة ممجوجة في المجتمعات الأصيلة – نستثني الطارئين علينا – ومع ذلك يصر بنو علمان على هذه الرؤى الخاصة والمعتقدات الغربية الشاذة، ويدعون مكابرين للعقول أن هذه الأمور لازمة للتقدم التكنولوجي ومواكبة العصر وكأن التكنولوجيا لا تؤتي ثمارها إلا مع التفسخ والانحلال وقلة الحياء.

والغريب في أمر هؤلاء العلمانيين في مجتمعاتنا أنهم لا يستفيدون من الآثار المدمرة لما أحدثته المناهج العلمانية في الوطن العربي من قوميين واشتراكيين وماركسيين وبعثيين ... الخ، وما حدث لشعوب هذه الأنظمة العلمانية من التعذيب والاضطهاد والاستبداد وإهدار الثروات والدخول في حروب مدمرة بسبب نزوات القيادات العلمانية المستبدة، ومصادرة الحريات وفرض قوانين الطوارئ والأحكام العرفية عشرات السنين، ونكتة انتخابات (99,99%) في هذه الأنظمة العلمانية التي رفضت أحكام الشريعة الإسلامية واستبدلتها بالمناهج العلمانية، نكتة تاريخية تضحك منها جميع شعوبنا، وهي وصمة التطبيق الفعلي والعملي للعلمانية في وطننا العربي.

وهؤلاء العلمانيون ينسون ذلك كله، ويبحثون عن أخطاء في تجارب غير مكتملة ومحاربة ومضيق عليها ومحاصرة من قبل الدول الكبرى مثل التجربة الإسلامية في الجزائر، فهي ضحية مؤامرة دولة ومافيا محلية أكثر من كونها فكرة إسلامية طبقت بالفعل في الأجواء الملائمة والفرص المتاحة.

وأعجب وأغرب من ذلك كله هو: أن بني علمان تيارات متضاربة متحاربة مختلفة، كلما دخلت أمة لعنت أختها، ومع ذلك يحاولون تغطية هذا العيب بإلقائه على الإسلاميين، عل حد قول المثل (رمتني بداءها وانسلت)، وكل تيار منها يحمل منهجاً أحادياً، ويأبى إلا فرضه على المجتمع، وكم لاقت الشعوب العربية الويلات بسبب الحروب المستعرة بين العلمانيين والشيوعيين والعلمانيين القوميين الاشتراكيين، وبين العلمانيين الليبراليين والعلمانيين الماركسيين ... الخ.

وأما الحركات النسائية فحدث ولا حرج من الخلافات التي لا تنتهي بينها وتصل إلى حد شد (شعور) بعضهن بعض وللأسف الشديد.

هذه القاعدة المنهجية القائمة على رفض (الأول) والأصول والتراث والتاريخ والقيم الذاتية المنبثقة من روح الأمة نفسها، والانسلاخ من الهوية والكفر بالذات والتنكر للحضارة العربية والإسلامية، واللهث وراء الأجنبي وتسليم العقل إليه والانقياد له والارتماء في حضنه والرضا بالتنازل عن الاعتزاز بالنفس والفخر بالماضي والأمجاد.

هذه القاعدة تناقض الفطرة والإسلام، ورغم إدراك بني علمان لذلك إلا أنهم يسيرون في هذا الاتجاه، ويخرجون من النور إلى الظلمات وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل: (ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)، والقائل: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً،الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً).

بتصرف من : http://www.aldawah.net

============-

#كيف تعرف العلماني ؟ و ما هي معتقداته ؟

العلماني:

تجده يؤمن بوجود إله لكنه يعتقد بعدم وجود علاقة بين الدين وبين حياة الإنسان (فكر بوذي) كما يعتقد بأن الحياة تقوم على أساس العلم التجريبي المطلق وهذا (فكر ماركسي).

والعلماني:

تجده يعتبر القيم الروحية التي تنادي بها الأديان والقيم الأخلاقية بأنواعها هي قيم سلبية يجب أن يتم تطويرها أو إلغائها وهذا (فكر ماركسي).

والعلماني:

تجده يطالب بالإباحية كالسفور، والاختلاط بين الجنسين في الأماكن العامة والخاصة (أي الخلوة) ويحبذ عدم الترابط الأسري (دعوة ماسونية).

والعلماني:

تجده يطالب بعدم تدخل الدين في الأمور السياسية وأنه يجب تطبيق الشرائع والأنظمة الوضعية كالقانون الفرنسي في الحكم. وأن الدين للعبادة فقط دون تدخل في شئون الخلق وتنظيمها – كما أراد الله سبحانه وتعالى–.

والعلماني:

تجده يردد دائماً بأن الإنسان هو الذي ينبغي أن يستشار في الأمور الدنيوية كلها وليس رجال الدين – وكأن رجال الدين هم الذين اخترعوا التعاليم السماوية– ويطالب

بأن يكون العقل البشري صاحب القرار وليس الدين. (مع تحفظنا على رجال الدين لان ليس عندنا رجال دين ولكن عندنا علماء)

والعلماني:

تجده يصرح باطلاً بأن الإسلام لا يتلائم مع الحضارة وأنه يدعوا إلى التخلف لأنه لم يقدم للبشرية ما ينفع ويتناسى عن قصد الأمجاد الإسلامية من فتوحات ومخترعات في مجال الهندسة والجبر والكيمياء والفيزياء والطب وأن علم الجبر الذي غير المفاهيم العلمية وكان السبب الرئيسي لكثرة من مخترعات اليوم وربما المستقبل ينسب لمبتدعه العبقري جابر بن حيان وهو مسلم عربي .

والعلماني:

تجده يعتقد بأن الأخلاق نسبية وليس لها وجود في حياة البشر إنما هي انعكاس للأوضاع المادية والاقتصادية وهي من صنع العقل الجماعي وأنها أي الأخلاق تتغير على الدوام وحسب الظروف (فكر ماركسي).

والعلماني:

تجده يعتقد بأن التشريع الإسلامي والفقه وكافة تعاليم الأديان السماوية الأخرى ما هي إلا امتداد لشرائع قديمة أمثال القانون الروماني وأنها تعاليم عفى عليها الزمن وأنها تناقض العلم. وأن تعاليم الدين وشعائره لا يستفيد منها المجتمع. (وهذا فكر ماركسي).

تنبيه:

العلماني تجده يصرح بهذه المقولة ويجعلها شعاراً له دون أن يكون له دراية أو علم أو إطلاع على التعاليم الفقهية الإسلامية أو على الإنجازات الحضارية الإسلامية.

والعلماني:

تجده حين يتحدث عن المتدينين فإنه يمزج حديثه بالسخرية منهم ويطالب بأن يقتصر توظيف خريجي المعاهد والكليات الدينية على الوعظ أو المأذونية أو الإمامة أو الأذان وخلافه من أمور الدين فقط.

والعلماني:

يعتبر أن مجرد ذكر اسم الله في البحث العلمي يعتبر إفساداً للروح العلمية ومبرراً لطرح النتائج العلمية واعتبارها غير ذات قيمة حتى ولو كانت صحيحة علمياً.

والعلماني:

تجده يعتبر أن قمة الواقعية هي التعامل بين البشر دون قيم أخلاقية أو دينية لأنها في اعتقاده غير ضرورية لبناء الإنسان بل أنها تساهم في تأخيره وأن القيم الإنسانية ما هي إلا مثالية لا حاجة للمجتمع بها.

والعلماني:

تجده يعترض اعتراضاً شديداً على تطبيق حدود الله في الخارجين على شرعه كالرجم للزاني أو قطع اليد للسارق أو القتل للقاتل وغيرها من أحكام الله ويعتبرها قسوة لا مبرر لها.

والعلماني:

تجده يطالب ويحبذ مساواة المرأة بالرجل ويدعو إلى تحررها وسفورها واختلاطها بالرجال دون تحديد العمل الذي يلائمها ويحفظ كرمتها كأنثى.

والعلماني:

تجده يحبذ أن لا يكون التعليم الديني في المدارس الحكومية إلزامياً بل إختيارياً.

والعلماني:

يتمنى تغيير القوانين الإسلامية بقوانين علمانية كالقانون المدني السويسري والقانون الجنائي المعمول به في إيطاليا والقانون التجاري الألماني والقانون الجنائي الفرنسي وهذا القانون يعمل به في بعض الدول العربية. ويعتبر أن تلك القوانين هي الأفيد في حياة الفرد والمجتمع من التنظيم الإسلامي.

المصدر كتاب : كيف تعرفهم؟ لخليفه بن إسماعيل الإسماعيل

المصدر http://www.islammessage.com :

===============

#خطأ في تعريف العلمانية

إبراهيم بوصندل

لا أدري ما هو السر في كثرة الكتابات التي تمجد العلمانية والليبرالية مؤخراً. فقد لاحظنا أن (بعض) أنصار العلمانية والليبرالية وكأنهم اكتفوا من المشاركة في العملية الإصلاحية بمهاجمة المتدينين، واستعراض العضلات، واستخدام أقسى الألفاظ في إثارة الرأي العام ضدهم، والتشكيك في إسلامهم (متأسلمين) ومرجعياتهم (موروثات الماضي) وذممهم (الطعن في توجيه التبرعات) واتجاهاتهم ونواياهم، بل لم يترك العلمانيون جزئية صغيرة أم كبيرة للإسلاميين إلا وأظهروها على أنها من مثالبهم، وأما بالنسبة للناخبين فهم أيضا لم يسلموا من غبار العلمنة فاتهموا بقلة الوعي السياسي.

ونلاحظ أيضا أن العلمانيين باتوا أكثر جرأة وأوضح لهجة من ذي قبل، فهم يصرحون اليوم بما كانوا به يُسرون، ويطالبون بما كانو به يحلمون. وقد بلغت الجرأة بهم أنهم يطعنون في نظام الحكم الإسلامي الذي أثبت صلاحيته في كل مكان وزمان طبق فيه تطبيقاً إيجابياً، بكل صراحة وعلانية وهو أمر خطير، ومع ذلك فسوف أرجأ الحديث عنه، وأتناول بالنقد جزئية صغيرة مما نشر مؤخرا عن العلمانية. وسأبدأ بالتعريف، وسوف لن أستشهد لذلك بما ورد في تعريفات علماء الإسلام والذي أخطأ بعضهم في التعريف كما سيأتي، ولكن بتعريفات أهل العلمانية الذين ابتدعوها وصدروها لبقية العالم.

إن لفظة العلمانية ذاتها إنما هي ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية، أو(Secularite) بالفرنسية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ "العلم" ومشتقاته على الإطلاق. فالعلم في الإنجليزية والفرنسية معناه (Science) والمذهب العلمي (Scientism) والنسبة إلى العلم هي (Scientific) أو (Scientifique) في الفرنسية. والترجمة الصحيحة لمفهوم العلمانية هي (اللادينية) أو (الدنيوية). تقول دائرة المعارف البريطانية مادة (Secularism): (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها). وكما يقول المختصون فقد ظل الاتجاه إلى الـ (Secularism) اللادينية يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية.

وقد جاء في قاموس "العالم الجديد" لو بستر، شرحاً للمادة نفسها:- بأنها الروح الدنيوية، أو الاتجاهات الدنيوية، ونحو ذلك. وعلى الخصوص: نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أي شكل من أشكال العبادة. ومن معانيها في ذات القاموس: الاعتقاد بأن الدين والشؤون الكنسية لا دخل لها في شئون الدولة وخاصة التربية العامة".

أما معجم أكسفورد فيشرح الكلمة بمعاني عدة منها:

"1- دنيوي، أو مادي، ليس دينيا ولا روحيا: مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

2- الرأي الذي يقول أنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية"

وفي "المعجم الدولي الثالث الجديد" جاء شرح مادة: (Secularism) على أنها: "اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب ألا تتدخل في الحكومة، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادا مقصوداً، فهي تعنى مثلاً "السياسة اللادينية البحتة في الحكومة "

إذا العلمانية أو بمعنى أصح على مقاييس علماء الغرب اللادينية هي: "نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين "

ويقول المستشرق " أر برى " في كتابة " الدين في الشرق الأوسط " عن الكلمة نفسها : " إن المادية العلمية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها أشكال اللادينية، واللادينية صفة مميزة لأوربا وأمريكا ... "

ويقول الشيخ سفر الحوالي: "والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو "فصل الدين عن الدولة"، ويرى الشيخ سفر بأن هذا التعبير قاصر ولا يعطى المدلول الكامل للعلمانية. والمدلول الصحيح لها هو "إقامة الحياة على غير الدين" سواء بالنسبة للأمة أو للفرد، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود فبعضها تسمح به، كالجماعات الديمقراطية الليبرالية، وبعضا يرفض الدين تماما كجماعات (العلمانية المتطرفة-Anti Religious)، المضادة للدين، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها.

هذه هي حقيقة العلمانية، وهذا هو وجهها الحقيقي الذي لا يزينه الماكياج ولا يخفي عيوبه التلاعب بالألفاظ، العلمانية تعني اللادينية ليس إلا.

المصدر : http://www.saaid.net

==============

#العلمانيه والليبراليه

أولا: العلمانية:

تعريف العلمانية: العلمانية هي ترجمة محرفة لكلمة إنجليزية تعني اللادينية، والمقصود بها فصل الدين عن توجيه الحياة العامة، وحصره في ضمير الإنسان وتعبداته الشخصية ودور العبادة فقط.

هدف العلمانية في العالم الإسلامي: هدف العلمانية الأكبر هو جعل الأمة الإسلامية تابعة للغرب سياسيا وثقافيا وأخلاقيا واقتصاديا، وعزل دين الإسلام عن توجيه حياة المسلمين.

أهم وسائلها:

أهم وسائل العلمانية ثلاث:

1ـ إقصاء الشريعة الإسلامية ليزول عن المسلمين الشعور بالتميز والاستقلالية، وتتحقق التبعية للغرب.

2ـ تفريق العالم الإسلامي ليتسنى للغرب الهيمنة السياسية عليه وذلك بربطه بمؤسساته السياسية وأحلافه العسكرية.

3ـ زرع العالم الإسلامي بصناع القرار ورجال الإعلام والثقافة من العلمانيين، ليسمحوا بالغزو الثقافي والأخلاقي أن يصل إلى الأمة الإسلامية برجال من بني جلدتها، ويتكلمون بلسانها.

ثالوث العلمانية المقدس:

يؤمن العلمانيون بثلاثة مبادئ تمثل أهم أفكارهم وهي:

1. فصل الدين عن الحياة ولا مانع من توظيفه أحيانا في نطاق ضيق.
2. قصر الاهتمام الإنساني على الحياة المادية الدنيوية.
3. إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية لا دينية.

متى نشأت العلمانية:

نشأت العلمانية بصورة منظمة مع نجاح الثورة الفرنسية التي قامت على أسس علمانية.

متى وصلت العالم الإسلامي:

وصلت العلمانية إلى العالم الإسلامي مع الاستعمار الحديث، فقد نشر المستعمرون الفكر العلماني في البلاد الإسلامية التي احتلها، بإقصاء الشريعة الإسلامية ونشر الثقافة العلمانية ومحاربة العقيدة الإسلامية.

حكم العلمانية:

العلمانية تعني أن يعتقد الإنسان أنه غير ملزم بالخضوع لأحكام الله في كل نواحي الحياة، ومن اعتقد هذه العقيدة فهو كافر بإجماع العلماء، قال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وقال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما).

هل للعلمانية مستقبل في العالم الإسلامي:

العلمانية محكوم عليها بالفشل والانقراض في العالم الإسلامي، لان الله تعالى تكفل بظهور دين الإسلام وبقاءه إلى يوم القيامة وتجديده، فلا يمكن لأحد أن يمحوه إلى الأبد، قال تعالى: (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

ثانيا: الليبرالية:

تعريف الليبرالية:

الليبراليَّة هي وجه آخر من وجوه العلمانيّة، وهي تعني في الأصل الحريّة، غير أن معتنقيها يقصدون بها أن يكون الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء ويقول ما يشاء ويعتقد ما يشاء ويحكم بما يشاء، بدون التقيد بشريعة إلهية، فالإنسان عند الليبراليين إله نفسه، وعابد هواه، غير محكوم بشريعة من الله تعالى، ولا مأمور من خالقه باتباع منهج إلهيّ ينظم حياته كلها، كما قال تعالى: (قُل إنَّ صَلاتي ونُسُكِي وَمَحيايَ وَمَماتي للهِ رَبِّ العالَمِينَ، لاشَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المِسلِمين)

الأنعام 162، 163، وكما قال تعالى: (ثمُّ جَعَلنَاكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمرِ فَاتَّبِعها وَلا تتَّبِع أَهواءَ الذِينَ لا يَعلَمُون) الجاثية 18

هل تملك الليبرالية إجابات حاسمة لما يحتاجه الإنسان:

الليبراليَّة لا تُعطيك إجابات حاسمة على الأسئلة التالية مثلا: هل الله موجود؟ هل هناك حياة بعد الموت أم لا؟ وهل هناك أنبياء أم لا؟ وكيف نعبد الله كما يريد منّا أن نعبده؟ وما هو الهدف من الحياة؟ وهل النظام الإسلاميُّ حق أم لا؟ وهل الربا حرام أم حلال؟ وهل القمار حلال أم حرام؟ وهل نسمح بالخمر أم نمنعها، وهل للمرأة أن تتبرج أم تتحجب، وهل تساوي الرجل في كل شيء أم تختلف معه في بعض الأمور، وهل الزنى جريمة أم علاقة شخصية وإشباع لغريزة طبيعية إذا وقعت برضا الطرفين، وهل القرآن حق أم يشتمل على حق وباطل، أم كله باطل، أم كله من تأليف محمد – صلى الله عليه وسلم– ولا يصلح لهذا الزمان، وهل سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم– وحي من الله تعالى فيحب أتباعه فيما يأمر به، أم مشكوك فيها، وهل الرسول – صلى الله عليه وسلم– رسول من الله تعالى أم مصلح اجتماعي، وما هي القيم التي تحكم المجتمع؟ هل هي تعاليم الإسلام أم الحرية المطلقة من كل قيد، أم حرية مقيدة بقيود من ثقافات غربية أو شرقية، وما هو نظام العقوبات الذي يكفل الأمن في المجتمع، هل الحدود الشرعية أم القوانين الجنائية الوضعية، وهل الإجهاض مسموح أم ممنوع، وهل الشذوذ الجنسي حق أم باطل، وهل نسمح بحرية نشر أي شيء أم نمنع نشر الإلحاد والإباحية، وهل نسمح بالبرامج الجنسية في قنوات الإعلام أم نمنعه، وهل نعلم الناس القرآن في المدارس على أنه منهج لحياتهم كلها، أم هو كتاب روحي لا علاقة له بالحياة ؟؟؟؟

المبدأ العام لليبرالية:

فالليبراليّة ليس عندها جواب تعطيه للناس على هذه الأسئلة، ومبدؤها العام هو: دعوا الناس كلٌّ إله لنفسه ومعبود لهواه، فهم أحرار في الإجابة على هذه الأسئلة كما يشتهون ويشاؤون، ولن يحاسبهم رب على شيء في الدنيا، وليس بعد الموت شيء، لا حساب ولا ثواب ولا عقاب.

ما الذي يجب أن يسود المجتمع في المذهب الليبرالي:

وأما ما يجب أن يسود المجتمع من القوانين والأحكام، فليس هناك سبيل إلا التصويت الديمقراطي، وبه وحده تعرف القوانين التي تحكم الحياة العامة، وهو شريعة الناس لا شريعة لهم سواها، وذلك بجمع أصوات ممثلي الشعب، فمتى وقعت الأصوات أكثر وجب الحكم بالنتيجة سواء وافقت حكم الله وخالفته.

السمة الأساسية للمذهب الليبرالي:

السمة الأساسية للمذهب الليبرالية أن كل شيء في المذهب الليبراليّ متغيِّر، وقابل للجدل والأخذ والردِّ حتى أحكام القرآن المحكمة القطعيّة، وإذا تغيَّرت أصوات الأغلبية تغيَّرت الأحكام والقيم، وتبدلت الثوابت بأخرى جديدة، وهكذا دواليك، لا يوجد حق مطلق في الحياة، وكل شيء متغير، ولا يوجد حقيقة مطلقة سوى التغيُّر.

إله الليبرالية:

فإذن إله الليبراليّة الحاكم على كل شيء بالصواب أو الخطأ، حرية الإنسان وهواه وعقله وفكره، وحكم الأغلبيّة من الأصوات هو القول الفصل في كل شئون حياة الناس العامة، سواءٌ عندهم عارض الشريعة الإلهيّة ووافقها، وليس لأحد أن يتقدَّم بين يدي هذا الحكم بشيء، ولا يعقِّب عليه إلا بمثله فقط.

تناقض الليبرالية:

ومن أقبح تناقضات الليبرالية، أنَّه لو صار حكمُ الأغلبيّة هو الدين، واختار عامة الشعب الحكم بالإسلام، واتباع منهج الله تعالى، والسير على أحكامه العادلة الشاملة الهادية إلى كل خير، فإن الليبراليّة هنا تنزعج انزعاجاً شديداً، وتشن على هذا الاختيار الشعبي حرباً شعواء، وتندِّدُ بالشعب وتزدري اختياره إذا اختار الإسلام، وتطالب بنقض هذا الاختيار وتسميه إرهاباً وتطرفاً وتخلفاً وظلاميّة ورجعيّة .. الخ

كما قال تعالى: (وإذا ذُكِر اللهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قلوبُ الذين لا يُؤمِنُونَ بِالآخرةِ وَإِذا ذُكِرَ الذينَ مِنَ دونِهِ إذا هُم يَستَبشِروُن) الزمر 45.

فإذا ذُكر منهج الله تعالى، وأراد الناس شريعته اشمأزت قلوب الليبراليين، وإذا ذُكِر أيُّ منهجٍ آخر، أو شريعة أخرى، أو قانون آخر، إذا هم يستبشرون به، ويرحِّبون به أيَّما ترحيب، ولا يتردَّدون في تأيِّيده.

حكم الإسلام في الليبرالية:

فإذن الليبراليّةِ ما هي إلاّ وجه آخر للعلمانيّةِ التي بنيت أركانها على الإعراض عن شريعة الله تعالى، والكفر بما أنزل الله تعالى، والصد عن سبيله، ومحاربة المصلحين، وتشجيع المنكرات الأخلاقيّة، والضلالات الفكريّة، تحت ذريعة الحريّةِ الزائفة، والتي هي في حقيقتها طاعة للشيطان وعبودية له.

هذه هي الليبراليّة، وحكمها في الإسلام هو نفس حكم العلمانيّة سواء بسواء، لأنها فرع من فروع تلك الشجرة، ووجه آخر من وجوهها.

المصدر : http://www.montada.com

===============

#علمانية الآباء والأزواج خطر يهدد المجتمع

حسن عبد الحميد إبراهيم

نشأت العلمانية في أوربا كما هو معلوم بعد صراع طويل بين الكنيسة – التي تحمل النصرانية المحرفة – وبين حركة تطور المجتمع العلمية السياسية، ولما رأى المجتمع –هناك– أن رجال الكنيسة بطغيانهم وضيق أفقهم يقفون حجر عثرة أمام نهضته وسعادته، ثار على الكنيسة ورجالها، بل على الدين كله، وحجّم دوره و وقلل مكانته حتى صار داخل المعابد والصوامع، وأضحى في نهاية الأمر شأن شخصي لا علاقة له بحركة المجتمع، ولا دور له في توجيهها.

فالعلمانية إذن فكرة أوربية واجهت أوضاعاً شاذة لدين منحرف، وقد حاول الاستعمار الغربي وأذنابه تصدير هذه الفكرة للعالم الإسلامي فأنشأ أنظمة، وربى رجالاً، وبذل جهوداً وأموالاً، لتثبيت هذه الفكرة في أراضي المسلمين وديارهم، وقد تصدى لهذه الفكرة بحمد الله علماء المسلمين وقادة الرأي فيهم، فأبطلوها، وأسقطوا كل الحجج التي تقوم عليها، وفضحوها تماماً؛ فلم يصبح لها أي سند أو وجه حق – من الناحية النظرية–؛ ولولا أن بعض الأنظمة يحرسها أعداء الإسلام بمختلف الوسائل، لما أصبح لها وجود من الناحية السياسية والعلمية.

وقد تصدى بعض المسلمين للعلمانية من الناحية السياسية فقط؛ بناء على التعريف الخاطئ بأن العلمانية هي فصل الدين عن الدولة، والحقيقة أن العلمانية في تعريفها الحقيقي وآثارها العملية هي فصل الدين عن كل أنشطة الحياة و حركتها، سواء

كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها، وهذا هو الخطر الخفي الذي يهدد مجتمعاتنا، فقد تفشت أفكار علمانية في حياتنا الاجتماعية دون أن ينتبه لها أولياء الأمور، خصوصاً الآباء والأزواج.

والمعلوم بداهة أن الإسلام قد نظم أوجه الحياة ووجّهها، وقد جعل لأولياء الأمور سلطاناً على ذويهم، يسألون عنه يوم القيامة، " كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"، وأرشد أولياء الأمور إلى وقاية أنفسهم وأهليهم من النار بإتباع أوامر الله . تعالى، " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله شيئاً ويفعلون ما يؤمرون".[1]

وأمام هذه التوجهات وغيرها، لا مجال لمسؤول أن يتخلى عن مسؤوليته، ولا عذر له أمام الله . تعالى . إن قصر أو أهمل.

وأشد ما يتعجب له المرء، أن يجد كثيراً من الرجال الملتزمين المواظبين على صلواتهم – ربما بالمساجد – يفرِّطون في أهل بيتهم، ويغضون الطرف عن كثير من التجاوزات الشرعية دون تدخل أو ردع، فنجد بعضهم بعد أن يصلي العشاء، يدندن بما شاء من التسبيح والاستغفار، ثم يأوي إلى فراشه مطمئناً، وبعدها بقليل تخرج بناته أو زوجته إلى الحفلات الساهرة الصاخبة مستصحبات معهن أرتالاً من الذنوب والخطايا، ليس أقلها التبرج والاختلاط والاستماع لساقط الغناء، بل إن البعض يقوم بإيصالهن بعربته إلى مكان الحفل، ويذهب إلى أقرب مكان لينام فيه إلى حين انتهاء الحفل ليقوم بإرجاعهن إلى البيت!.

هذه الظواهر العلمانية في حياتنا الاجتماعية والتي اشرنا إليها إشارة سريعة هي خطر داهم، ونذير شؤم بمصائب عديدة، إن لم ننتبه لها قبل فوات الأوان، فلنحارب هذه الظواهر الغريبة لنبيدها، ولنرع حرمة الآيات التي تُتلى علينا لترشدنا وتوجهنا، وقد أحطنا بها علماً، فلماذا لا نعمل بها قبل أن يأتي يوم نسأل فيه، " حتى إذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً أمّاذا كنتم تعملون). [2]

---

[1] التحريم 6

[2] النمل 84

المصدر : http://www.meshkat.net

============

#العلمانية والجاهلية وجهان لعملة واحدة

د. جعفر شيخ إدريس

بما أن الحضارة أو الثقافة العلمانية حضارة تحل الهوى محل الإله الحق، فإن لها في كل أشكالها – القديمة أو الحديثة، اليونانية والأوربية أو العربية- سمات مشتركة، نابعة من ذلك الأصل الكفري المشترك، لأن قيم الناس وثقافاتهم هي ثمرة معتقداتهم وأحوال قلوبهم، فإذا تشابهت المعتقدات وتشابهت لشابهها القيم، تشابهت الأقوال والأعمال والتحليلات والتفسيرات:

"كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم، تشابهت قلوبهم" [البقرة 118]

"كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون، أتواصوا به؟ بل هم قوم طاغون" [الذاريات 52-53]

فالثقافات الجاهلية كلها ثقافات تطلق العنان للشهوات الجنسية فتبيح الزنا بكل أشكاله:

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم- أخبرته أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ونكاح رابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل

عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد – صلى الله عليه وسلم– بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم. [البخاري، النكاح:37]

هذه الإباحية الجنسية العربية أقل شراً من إباحيات أمم أخرى، لأنها كما ترى تحرص على أن يكون للمولود نسب ينتمي إليه وإن كان نسباً غير حقيقي.

وكما تبيح الحضارة الجاهلية الزنا فإنها تبيح كل مقدماته ومسبباته، فالنساء في المجتمع العربي الجاهلي، كأخواتهن في المجتمع الجاهلي الغربي، كن لا يتحرجن من إظهار محاسنهن الأنثوية لكل الرجال، فكن يكشفن شعورهن ونحورهن بل صدورهن، ولم يكن يدنين عليهن جلابيبهن، بل كن أحياناً لا يتحرجن حتى من التعري الكامل، وكن يختلطن بالرجال ويخلون بغير المحارم، وكن يتعطرن ويخرجن ويخضعن بالقول في خطابهن.

والحضارات الجاهلية حضارات لا تعرف التوسط ولا سيما في معاملة النساء.

فهي تذهب من طرف معاملتها معاملة الحيوان والعبيد (قال عمر – رضي الله عنه– كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً – البخاري، اللباس، 30–) إلى طرف مساواتها بالرجال في كل شيء بل تقديمها عليهم: (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) [النمل: 23]

"قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون. قالوا نحن ألو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين" [النمل 32–33]

وقد تغلو الحضارة الجاهلية في اتباع الشهوات الجنسية فتبيح الشذوذ، كما فعل قوم لوط وكما فعلت الحضارة اليونانية، وكما تفعل اليوم الحضارة الأوربية.

والحضارات الجاهلية كلها تبيح شرب الخمر، ولعب الميسر، وأكل الربا. وهي حضارات لا ينفك أهلها عن الفخر بالأنساب أو الألوان أو القوى المادية أو غير ذلك مما لا تعلق له القيم الفاضلة، ويتخذون مثل هذه الميزات ذريعة إلى الاعتداء على الضعفاء. هكذا كان العرب في جاهليتهم يفعلون، وهكذا فعلت الحضارة الغربية مع

الأمم الضعيفة فاستعمرت بعضاً، واحتلت بعضاً، واسترقت بعضاً ثم عاملتهم أسوأ مما تعامل به الحيوان.

لكن الحضارات الجاهلية قد تفلح رغم كل هذه المثالب في بناء مدنيات باهرة، وتتفوق في العلوم الدنيوية وما يبني عليها من تقنية فتأتي بمنجزات كبيرة في مجال الزراعة والصناعة وسائر أنواع التفوق المدني العمراني. ولكن لما كان هذا الجانب المدني المادي قائماً على جرف ثقافي هار فإنه لا يلبث أن يتداعى.

"يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون" [الروم: 7]

"أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها. وجائتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون." [الروم: 9]

"ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد، وفرعون ذي الأوتاد، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد." [الفجر:6-14]

المصدر : http://www.jaafaridris.com

============

#العلمانية

حامد العلي

أولا: العلمانية :

تعريف العلمانية : العلمانية هي ترجمة محرفة لكلمة إنجليزية تعني اللادينية ، والمقصود بها فصل الدين عن توجيه الحياة العامة ، وحصره في ضمير الإنسان وتعبداته الشخصية ودور العبادة فقط .

هدف العلمانية في العالم الإسلامي : هدف العلمانية الأكبر هو جعل الأمة الإسلامية تابعة للغرب سياسيا وثقافيا وأخلاقيا واقتصاديا ، وعزل دين الإسلام عن توجيه حياة المسلمين.

أهم وسائلها :

أهم وسائل العلمانية ثلاث :

1ـ إقصاء الشريعة الإسلامية ليزول عن المسلمين الشعور بالتميز والاستقلالية ، وتتحقق التبعية للغرب .

2ـ تفريق العالم الإسلامي ليتسنى للغرب الهيمنة السياسية عليه وذلك بربطه بمؤسساته السياسية وأحلافه العسكرية .

3ـ زرع العالم الإسلامي بصناع القرار ورجال الإعلام والثقافة من العلمانيين ، ليسمحوا بالغزو الثقافي والأخلاقي أن يصل إلى الأمة الإسلامية برجال من بني جلدتها ، ويتكلمون بلسانها .

ثالوث العلمانية المقدس :

يؤمن العلمانيون بثلاثة مبادئ تمثل أهم أفكارهم وهي :

1. فصل الدين عن الحياة ولامانع من توظيفه أحيانا في نطاق ضيق.
2. قصر الاهتمام الإنساني على الحياة المادية الدنيوية.
3. إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية لادينية .

متى نشأت العلمانية :

نشأت العلمانية بصورة منظمة مع نجاح الثورة الفرنسية التي قامت على أسس علمانية .

متى وصلت العالم الإسلامي :

وصلت العلمانية إلى العالم الإسلامي مع الاستعمار الحديث ، فقد نشر المستعمرون الفكر العلماني في البلاد الإسلامية التي احتلها ، بإقصاء الشريعة الإسلامية ونشر الثقافة العلمانية ومحاربة العقيدة الإسلامية .

حكم العلمانية :

العلمانية تعني أن يعتقد الإنسان أنه غير ملزم بالخضوع لأحكام الله في كل نواحي الحياة ، ومن اعتقد هذه العقيدة فهو كافر بإجماع العلماء ، قال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وقال تعالى (فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما).

هل للعلمانية مستقبل في العالم الإسلامي :

العلمانية محكوم عليها بالفشل والانقراض في العالم الإسلامي ، لان الله تعالى تكفل بظهور دين الإسلام وبقاءه إلى يوم القيامة وتجديده ، فلايمكن لأحد أن يمحوه إلى الأبد ، قال تعالى (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون).

ثانيا : الليبرالية :

تعريف الليبرالية :

الليبراليَّة هي وجه آخر من وجوه العلمانيِّة ، وهي تعني في الأصل الحريِّة ، غير أن معتنقيها يقصدون بها أن يكون الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء ويقول ما يشاء ويعتقد ما يشاء ويحكم بما يشاء ، بدون التقيد بشريعة إلهية ، فالإنسان عند الليبراليين إله نفسه ، وعابد هواه ، غير محكوم بشريعة من الله تعالى ، ولا مأمور من خالقه باتباع منهج إلهيّ ينظم حياته كلها، كما قال تعالى (قُل إنَّ صَلاتي ونُسُكِي وَمَحيايَ وَمَماتي للهِ رَبِّ العالَمِينَ ، لاشَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المِسلِمين) الانعام 162، 163 ، وكما قال تعالى (ثمُّ جَعَلنَاكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمرِ فَاتَّبِعها وَلاتتَّبِع أَهواءَ الذِينَ لايَعلَمُون) الجاثية 18

هل تملك الليبرالية أجابات حاسمة لما يحتاجه الانسان :

الليبراليَّة لاتُعطيك إجابات حاسمة على الأسئلة التالية مثلا : هل الله موجود ؟ هل هناك حياة بعد الموت أم لا ؟ وهل هناك أنبياء أم لا ؟ وكيف نعبد الله كما يريد منّا أن نعبده ؟ وما هو الهدف من الحياة ؟ وهل النظام الإسلاميُّ حق أم لا ؟ وهل الربا حرام أم حلال ؟ وهل القمار حلال أم حرام ؟ وهل نسمح بالخمر أم نمنعها ، وهل للمرأة أن تتبرج أم تتحجب ، وهل تساوي الرجل في كل شيء أم تختلف معه في بعض الأمور ، وهل الزنى جريمة أم علاقة شخصية وإشباع لغريزة طبيعية إذا وقعت برضا الطرفين ، وهل القرآن حق أم يشتمل على حق وباطل ، أم كله باطل ، أم كله من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ولايصلح لهذا الزمان ، وهل سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وحي من الله تعالى فيحب أتباعه فيما يأمر به ، أم مشكوك فيها ، وهل الرسول صلى الله عليه وسلم رسول من الله تعالى أم مصلح

اجتماعي ، وما هي القيم التي تحكم المجتمع ؟ هل هي تعاليم الاسلام أم الحرية المطلقة من كل قيد ، أم حرية مقيدة بقيود من ثقافات غربية أو شرقية ، وماهو نظام العقوبات الذي يكفل الأمن في المجتمع ، هل الحدود الشرعية أم القوانين الجنائية الوضعية ، وهل الإجهاض مسموح أم ممنوع ، وهل الشذوذ الجنسي حق أم باطل ، وهل نسمح بحرية نشر أي شيء أم نمنع نشر الإلحاد والإباحية ، وهل نسمح بالبرامج الجنسية في قنوات الإعلام أم نمنعه ، وهل نعلم الناس القرآن في المدارس على أنه منهج لحياتهم كلها ، أم هو كتاب روحي لاعلاقة له بالحياة ؟؟؟؟

المبدأ العام لليبرالية :

فالليبراليّة ليس عندها جواب تعطيه للناس على هذه الأسئلة ، ومبدؤها العام هو : دعوا الناس كلٌّ إله لنفسه ومعبود لهواه ، فهم أحرار في الإجابة على هذه الأسئلة كما يشتهون ويشاؤون ، ولن يحاسبهم رب على شيء في الدنيا ، وليس بعد الموت شيء ، لاحساب ولا ثواب ولاعقاب 0

ماالذي يجب أن يسود المجتمع في المذهب الليبرالي :

وأما ما يجب أن يسود المجتمع من القوانين والأحكام ، فليس هناك سبيل إلا التصويت الديمقراطي ، وبه وحده تعرف القوانين التي تحكم الحياة العامة ، وهو شريعة الناس لاشريعة لهم سواها ، وذلك بجمع أصوات ممثلي الشعب ، فمتى وقعت الأصوات أكثر وجب الحكم بالنتيجة سواء وافقت حكم الله وخالفته 0

السمة الاساسية للمذهب الليبرالي :

السمة الاساسية للمذهب الليبرالية أن كل شيء في المذهب الليبراليّ متغيِّر ، وقابل للجدل والأخذ والردِّ حتى أحكام القرآن المحكمة القطعيِّة ، وإذا تغيَّرت أصوات الاغلبيَّة تغيَّرت الأحكام والقيم ، وتبدلت الثوابت بأخرى جديدة ، وهكذا دواليك ، لايوجد حق مطلق في الحياة ، وكل شيء متغير ، ولايوجد حقيقة مطلقة سوى التغيُّر 0

إله الليبرالية :

فإذن إله الليبراليِّة الحاكم على كل شيء بالصواب أو الخطأ ، حرية الإنسان وهواه وعقله وفكره ، وحكم الأغلبيِّة من الأصوات هو القول الفصل في كل شئون حياة

الناس العامة ، سواءُ عندهم عارض الشريعة الإلهيّة ووافقها ، وليس لأحد أن يتقدَّم بين يدي هذا الحكم بشيء ، ولايعقِّب عليه إلا بمثله فقط 0

تناقض الليبرالية :

ومن أقبح تناقضات الليبرالية ، أنَّه لو صار حكمُ الأغلبيّة هو الدين ، واختار عامة الشعب الحكم بالإسلام ، واتباع منهج الله تعالى ، والسير على أحكامه العادلة الشاملة الهادية إلى كل خير ، فإن الليبراليّة هنا تنزعج انزعاجاً شديداً ، وتشن على هذا الاختيار الشعبي حرباً شعواء ، وتندّدُ بالشعب وتزدري اختياره إذا اختار الإسلام ، وتطالب بنقض هذا الاختيار وتسميه إرهاباً وتطرفاً وتخلفاً وظلاميّة ورجعيّة 00الخ كما قال تعالى (وإذا ذُكِر اللهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قلوبُ الذين لايُؤمِنُونَ بِالآخرةِ وَإِذا ذُكِرَ الذينَ مِنَ دونِهِ إذا هُم يَستَبشِرُون) الزمر 45 0

فإذا ذُكر منهج الله تعالى ، وأراد الناس شريعته اشمأزت قلوب الليبراليين ، وإذا ذُكِر أيُّ منهجٍ آخر ، أو شريعة أخرى ، أو قانون آخر ، إذا هم يستبشرون به ، ويرحِّبون به أيَّما ترحيب ، ولايتردَّدون في تأيِّيده 0

حكم الاسلام في الليبرالية :

فإذن الليبراليِّة ماهي إلاّ وجه آخر للعلمانيِّة التي بنيت أركانها على الإعراض عن شريعة الله تعالى ، والكفر بما أنزل الله تعالى ، والصد عن سبيله ، ومحاربة المصلحين ، وتشجيع المنكرات الأخلاقيِّة ، والضلالات الفكريِّة ، تحت ذريعة الحريِّة الزائفة ، والتي هي في حقيقتها طاعة للشيطان وعبودية له0

هذه هي الليبراليّة ، وحكمها في الإسلام هو نفس حكم العلمانيّة سواء بسواء ، لأنها فرع من فروع تلك الشجرة ، ووجه آخر من وجوهها 0

موقع الشيخ حامد العلي

.php3http://www.h-alali.net/thqafa

==============

#فصل الدين عن الدولة

د. جعفر شيخ إدريس

مجلة البيان

أصبحت قضية فصل الدين عن الدولة، أو ما يسميه الغربيون فصل الدولة عن الكنيسة، من القضايا المسلم بها في الفكر الغربي السياسي، وبالتالي في الفكر السياسي العالمي الدائر في فلك الحضارة الغربية. ودعاة فصل الدين عن الدولة قد يعترفون بأن هذا أمر حدث لظروف تاريخية خاصة بالحضارة الغربية، وبالديانة النصرانية، لكنهم مع ذلك يرون أنه أصبح أمراً لازماً لكل دولة حديثة، ويسوغون هذا بأن الأساس في الدولة الحديثة هو المواطنة. وما دام المواطنون في الدولة الواحدة لا ينتمون في الغالب إلى دين واحد، بل تتقاسمهم أديان متعددة، وقد يكون بعضهم ملحداً لا يؤمن بدين، ففي التزام الدولة بدين واحد من هذه الأديان افتئاتاً على حقوق المواطنين المنتمين إلى الأديان الأخرى أو المنكرين لها كلها لأنه:

يفرض عليهم دينا لا يؤمنون به،

ويحرمهم من ممارسة الدين الذي اختاروه إما كله أو بعضه،

ويحرمهم من حقهم في شغل بعض الوظائف الكبيرة كرئاسة الدولة،

وقد يكون سببا لخلافات ونزاعات عميقة تفقد الدولة معها الاستقرار اللازم لتطورها.

ويرون لذلك أن تكون الدولة دولة علمانية محايدة لا تلتزم بالدين ولا تحاربه ولا تنكره، بل تترك أمره للمواطنين يختارون ما شاؤوا من عقائد، ويلتزمون بما يريدون من قيم، ويمارسون ما يروق لهم من عبادات.

هذه الصورة للعلمانية التي حرصت على أن أجعلها براقة كأشد ما يريد المدافعون عنها أن تكون، تنطوي على افتراضات هي أبعد ما تكون عن الحقيقة. من ذلك:

أولا: أنها تفترض أن العلمانية يمكن أن تكون محايدة بالنسبة لكل الأديان. لكنها لا تكون كذلك إلا إذا كان مجال الدين مختلفاً عن مجال الدولة، إلا إذا كان الدين والدولة يعيشان في منطقتين مستقلتين لا تماس بينهما، وأن دعاة الدولة الدينية يقحمون الدين في مجال غير مجاله، ولذلك يضرون به وبالدولة.

فهل هذا الافتراض صحيح؟ إنه لا يكون صحيحاً إلا إذا كان الدين محصوراً بطبعه في بعض المعتقدات وبعض الشعائر التعبدية، وبعض أنواع السلوك الشخصي الذي لا علاقة له بالجماعة، ولا يدخل لذلك في مجال الدولة. لكن الواقع أن هذا الوصف لا ينطبق على أي من الأديان الكبيرة المشهورة: اليهودية والنصرانية والإسلام. فما

منها إلا وله حكم في العلاقات بين الجنسين، وفي العلاقات الأسرية، والاجتماعية، وفيما يحل أكله وشربه وما يحرم، وهكذا. وكلها أمور تدخل بالضرورة في مجال الدولة.

كيف حل الغربيون هذا الإشكال؟

حلوه بنوع من المساومة: فهم قد أخذوا بعض القيم النصرانية وجعلوها قوانين للدولة. وهم يجعلون اعتباراً كبيراً لقيمهم الدينية في سياستهم الخارجية، ولا سيما في معاملة الإسلام. لكنهم في الجانب الآخر تركوا أشياء من دينهم، وساعدهم على ذلك تاريخهم المليء بتحريف الدين إما في نصوصه أو في تأويله، ثم جاءت في العصور الأخيرة حركات فكرية تحررية أذاعت القول بأن ما يسمى بالكتاب المقدس ليس كلام الله تعالى، وأنه من كتابة بشر عاديين تأثروا بالجو الثقافي في المرحلة التاريخية التي عاشوا فيها. ولذلك فإن ما قرره هذا الكتاب في مسائل مثل الشذوذ الجنسي ينبغي أن لا ينظر إلا على أنها قيم مجتمعات سابقة. هذا كلام لا يقوله السياسيون والحكام فحسب، وإنما يقوله كثير من رجال الدين، والمختصين بدراسته. لكن حتى هؤلاء المتحررون يشعر الكثيرون منهم الآن أن العلمانية لم تعد محايدة بين الأديان بل صارت هي نفسها دينا يدافع عنه أصحابه ويحاربون به النصرانية. وأذكر أن أحدهم قال لي في أحد المؤتمرات ناصحا: لا تخدعوا كما خدعنا، فتظنوا أن العلمانية موقف محايد، بل هي الآن دين. أو كما قال ذاك الناصح.

فكيف تحل هذه المشكلة بالنسبة لأناس كالمسلمين يرون أن القرآن كلام الله تعالى لم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن ما صح من سنة رسول الله هو أيضا وحي الله؟

وكيف إذا كان دينهم لا يقتصر على ما ذكرنا من أمور تدخل في نطاق الدولة، بل يتعداها إلى أخرى هي من أخص خصائص الدولة؟

ما ذا يفعل هؤلاء؟ لا خيار لهم بين الحكم بما أنزل الله ورفض العلمانية، أو الحكم بالعلمانية والكفر بما أنزل الله تعالى.

إن أكثر ما يتعلل به دعاة العلمانية في بلادنا هو اختلاف الأديان في البلد الواحد. بأي حق يقولون . تفرض على أناس دينا غير دينهم، وقيما ليست قيما لهم؟ ماذا إذا

لم يكن في البلد إلا مسلمون، أو كان غير المسلمين أفرادا قلائل؟ لماذا يفصل هؤلاء بين دينهم ودولتهم؟

وحتى لو كان المنتسبون إلى غير الإسلام من أصحاب الديانات الأخرى يمثلون نسبا كثيرة، فإن العلمانية ليست هي الحل العادل. لأن أصحاب هذه الديانات إما أن يكونوا في السياسة علمانيين، وإما أن يكونوا ممن يريد للدولة أن تستمسك بعقائده وقيمه وتدافع عنها. فإذا كان من الفريق الأول يكون المسلمون قد تنازلوا عن دينهم بينهما هو لم يتنازل عن شيء، لأن العلمانية هي مبدؤه سواء كان هنالك مسلمون أو لم يكن. أذكر أنني قلت ذات مرة لبعض الجنوبيين المثقفين عندنا في السودان إنكم لا تعترضون على الحكم إذا كان اشتراكياً كما كان الحال في أوائل حكم الرئيس نميري، ولا تعترضون عليه إذا أقر الرأسمالية أو الليبرالية، لأنكم تعتقدون أن الدين لا دخل له بهذه المسائل، فلماذا إذن تعترضون على الحكم الإسلامي. إن الإسلام لا يفرض عليكم دينا بالمعنى الذي حصرتم الدين فيه، أعني العبادات والأحوال الشخصية. فلماذا لا تعاملون جانبه السياسي معاملتكم للإشتراكية والرأسمالية لأنه يعطيكم أكثر مما تعطيكم إياه العلمانية؟

يقول أنصار العلمانية في الغرب وفي البلاد الإسلامية، إن هذا قد يكون صحيحاً لكنكم في الحكم الإسلامي تفرقون بين الناس بسبب دينهم، فتمنعون غير المسلم من أن يكون رأس دولة. وأقول لهم دائما: ولكن العلمانية هي الأخرى تفعل ما نفعل. إنها تشترط على الإنسان أن يكون علمانياً لكي يكون رأس دولة، تشترط عليه أن يؤدي القسم للولاء لدستور يفصل الدين عن الدولة، أي أنها تشترط على المسلم أن يعلن كفره بجزء من دينه. وإذا فعل هذا عن اعتقاد كان كافراً خارجاً عن الإسلام. وإذن فكما أن الإسلام يشترط في رأس الدولة المسلمة أن يكون دائنا بدين الإسلام، فإن العلمانية تشترط في رئيس دولتها أن يكون دائنا بدينها. فما الفرق.

يقولون: لكن العلمانية ليست ديناً. ونقول هذا في مفهومكم أنتم. أما في لغتنا العربية، وديننا الإسلامي، فإن كل ما يلتزم به الإنسان من عادات وتقاليد، ومن باب أولى من قيم وعقائد، هو دينه، سواء كان مبنيا على إيمان بالله أو كفر به. أم لم تسمع قول الشاعر العربي عن ناقته:

إذا ما قمت أرحلها بليل *** تأوه آهة الرجل الحزين

تقول إذا شدد لها وضيني *** أهذا دينه أبدا وديني؟

أكل الدهر حل وارتحال؟ *** أما ... أما يقيني؟

فإذا كان دوام الحل والارتحال دينا فما بالك باعتياد معتقدات وقيم وسلوك؟ ألم يقل الله تعالى عن سيدنا يوسف (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) يعني ما نسميه نحن الآن بقانونه؟العلمانية ليست إذن حلاً لبلد يكون فيه المسلمون أغلبية، بل ولا حتى أقلية معتبرة، إذ أن ما تطلبه العلمانية من المسلمين إنما هو التخلي عن دينهم من أجل دين العلمانيين.

المصدر : http://www.jaafaridris.com

=============

#مسلمو السويد: العلمانية هي الحل!!

حاوره في الكويت: مسعود صبري**- 2005/07/27

الشيخ حسان موسى

في ظل الأزمات التي يعيشها المسلمون في الغرب، ومع الضغوط التي تمارسها بعض الجماعات على الأقلية المسلمة –وهي في غالبها جماعات دينية– يرى الشيخ حسان موسى رئيس المجلس السويدي للأئمة، إمام وخطيب مسجد الشيخ سلطان آل نهيان بأستكهولم.. أن الخير للمسلمين في أوربا عامة، وفي السويد خاصة ألا يبحثوا عن دولة دينية؛ بل الأصلح لهم أن يُحكَموا في ظل دولة علمانية ديمقراطية تحكم فيها الأغلبية، مع مراعاة الخصوصية الثقافية والدينية للأقلية المسلمة.

ويرفع الشيخ حسان موسى شعار "العلمانية هي الحل"، ويرى أنه من الخير للمسلمين كأقلية في الغرب أن يتبنوه، مع تغليب جانب المواطنة، وأن الاندماج الواعي في المجتمع الذي يعيشون فيه هو من أهم الأسباب التي تضمن بقاء المسلمين في الغرب.

* فضيلة الشيخ حسان، كيف ترى وضع المسلمين في المجتمع السويدي؟ وما مساحات النور ومساحات الظلام في وضع المسلمين هناك؟.

- لا بد أن نتفق على أن دول الاتحاد الأوربي "ليسوا سواء"؛ هناك الظالم، وهناك المتعسف في استخدام قوانين الهجرة، وهناك من تظهر فيهم العنصرية والميل إلى التشدد في المعاملة مع المسلمين، وهناك دول تتعامل مع الإسلام بتسامح، ومن بين هذه الدول المتسامحة مع المسلمين السويد. ولا يعني هذا أنه ليس هناك عنصرية أو تضييق على الإطلاق، ولكن مقارنة ببعض الدول كألمانيا وفرنسا وإيطاليا أعتقد أن السويد نموذج جيد للتعامل مع الآخر وقبول الأجنبي. ففي السويد ينعم الوجود الإسلامي بأمن وأمان واستقرار، وهناك العديد من المؤسسات الإسلامية، فلدينا أربعة مساجد، أحدها في العاصمة أستكهولم، بالإضافة إلى أكثر من 150 جمعية إسلامية لها نشاطها الخيري الذي يسعى لنشر الإسلام في السويد. وليس لدى السويد مشكلة في بناء المساجد، بل تسعى لتقديم الدعم المادي والمعنوي لبناء المساجد.

كما أن هناك العديد من المدارس الإسلامية التي تموَّل من قبل الدولة؛ حيث يدرَّس فيها المنهج السويدي، بالإضافة إلى تدريس مادتي اللغة العربية والتربية الإسلامية.

كما أن الحكومة السويدية عرضت أن يكون في كل بلد يسكنها مسلمون مكاتب للدفن ومقبرة يدفنون فيها موتاهم على الطريقة الإسلامية.

ومن أهم ما ينعم به الوجود الإسلامي بالسويد قضية الدعم المادي من الدولة؛ حيث تتبع الجمعيات الإسلامية وزارة الثقافة السويدية، وهذا يعني أن السويد لا تتعامل مع الجمعيات من منطلق أمني كما هو موجود في بعض دول أوربا. فالدولة تقدم مساعدات تتراوح من 30 إلى 60% من ميزانية الجمعيات والمؤسسات.

كما أن هناك نشاطًا سياسيًّا للوجود الإسلامي بالسويد، وصل إلى تمثيل لا بأس به للمسلمين بالبرلمان السويدي والبلديات. ولعل الانتخابات القادمة ستشهد تطورًا ملحوظًا في وجود الإسلاميين والإسلاميات في البرلمان والبلديات بالسويد، وهذا الأمر يعود الفضل فيه لله أولا وآخرًا، ثم إلى الجهود التي تبذلها الجمعيات، بالإضافة إلى الميزانيات التي تقدمها الدولة.

* ما علاقة اللوبي اليهودي في السويد بالوجود الإسلامي؟

- أنا أقول: إننا كأقليات -مسلمة أو يهودية أو غيرها- تجمعنا المواطنة وما يتبعها من حقوق، وما يستلزم ذلك من واجبات، وإننا دائما نؤكد أن القانون السويدي إن

كان يسمح بالتعاطف مع إسرائيل ومساعدتها، فإنه ليس من حق اللوبي اليهودي أن يضيق علينا أو أن يستغل نفوذه ضدنا لمنع وقوفنا مع إخواننا في فلسطين.

* هل يمكنكم أن ترسموا لنا خريطة الدعوة والدعاة في السويد؟ بمعنى تعريفنا بالمناهج والتيارات الدعوية الموجودة، وأثر ذلك على المسلمين؟.

- نحن نقول دائمًا: إن العمل المؤسسي يخفف من غلواء أي طائفة أو فكر أو جماعة، وإننا لا بد أن نحترم قوانين البلد الذي نعيش فيه في إطار ما يسمَّى بالمواطنة الإيجابية، وأنه لا مكان لتيار الغلو والعنف، الذي يريد أن يحولنا إلى ما يسمى فقه "الاستحلال"؛ فنحن نرفض هذا الفقه، ونرفض أن تتحول السويد إلى دار حرب؛ فنحن نعتقد أن السويد دار دعوة وقد دخلنا السويد بعقد أمان. ولكن مع ذلك فكل ألوان الطيف موجودة، ونحن سعينا إلى إيجاد ما يعرف بـ"الميثاق الإسلامي" الذي نحتكم إليه جميعًا دون تعصب أو تشنج، كما قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي}؛ فهذه دعوة للاندماج دون ذوبان، يعتمد الوحي ولا يغيِّب العقل.

* ذكرتم أنكم سعيتم لإيجاد ميثاق إسلامي، فهل هذا الميثاق تم الاتفاق عليه، أم ما يزال تحت الدراسة والإعداد والبحث؟.

- هناك ميثاق قام بإعداده اتحاد المنظمات الإسلامية بأوربا، فأخذنا منه ما يناسبنا، وأضفنا إليه بعض الأشياء، وعملنا عليه خلال سنة، ولكن الصياغة وبقية خطوات الإعداد تأخذ وقتًا، وأعتقد أن الرابطة الإسلامية سوف تلعب دورًا في إنجاز هذا الميثاق.

* ما أبرز المشكلات التي تواجه المسلمين في السويد؟

- أعتقد أن أهم مشكلة تواجه المسلمين في السويد -والغرب عمومًا- هي مشكلة عدم الفهم الصحيح، فإذا أضفنا له الجهل، تكون المسألة أكثر تعقيدًا. فعدم الفهم يعطي صورة خاطئة عن الإسلام، فنحن نعاني من ازدواجية خطاب وازدواجية ممارسة، وازدواجية تصرف، انعكست على صورة الإسلام، وأعطت صورة غير جيدة عن الإسلام عند بعض السويديين.

المسألة الثانية وهي عدم قدرة بعض الأسر المسلمة على الانسجام مع المجتمع السويدي، والوضع الجديد؛ فالحياة في "السويد" تعطي المرأة كثيرًا من الحقوق، فتوفر لها السكن والمعاش، وتساندها في مواقفها بالحق وبالباطل؛ فبعض الأشخاص حين ينفتح على الوضع الجديد تحدث له هزات في الفكر والسلوك، فينعكس هذا في حدوث بعض المشكلات مع الأبناء، وقد يتم سجن بعضهم للانحراف السلوكي، أو حدوث حالات طلاق، تتراوح نسبتها ما بين 35 إلى 37 بالمائة بين المسلمين بالسويد، كذلك بعض التصرفات من بعض المسلمات أعطت صورة غير لائقة للمرأة المحجبة.

* هل من الممكن أن تعطي لنا نماذج من الانحراف السلوكي لبعض المسلمين مما يكون له أثر سيئ على الدعوة؟

- على سبيل المثال: القانون السويدي يعطي المرأة المطلقة راتبًا شهريًّا وسكنًا، فيقوم بعض الأزواج بإثبات الطلاق المدني مع استمرار الزواج لكي تحصل المرأة على هذه المنح!! وقد يُكتشف عدم الانفصال بين الزوجين من خلال رؤية المرأة حاملاً، أو من خلال رصد الشئون الاجتماعية، وحين تُسأل المرأة عن ذلك تقول: الإسلام يحل لي ذلك!! مما أدى إلى تضييق الدولة على المسلمين في هذا، وأخذ فكرة غير طيبة عن الإسلام والمسلمين ككل.

* ما علاقة مسلمي السويد بالمجتمع السويدي؟ وما علاقتهم بمسلمي أوربا بشكل عام؟

- بالنسبة لعلاقة المسلمين بالمجتمع السويدي فهي أنواع:

النوع الأول هو علاقة الذوبان، فتلك الطائفة رأت أن الاندماج هو المسايرة في كل شيء؛ في اللهو والمجون والتمرد على كل فضيلة وعلى كل قيمة، ولا يمكن معرفة إسلام الواحد منهم إلا من خلال الاطلاع على الهوية!!.

وهناك طائفة تحاول أن تجمع بين بعض العادات والتقاليد من هنا ومن هناك؛ فهي تريد أن تجعل لها "رِجلا في الجنة ورِجلا في النار" كما يقال، يعني تساير المجتمع في بعض المخالفات، وتحافظ في الوقت نفسه على بعض قيم الإسلام.

وهناك طائفة للأسف تناصب العداء للإسلام، وأقول -وكلي أسف-: إن هذه الطائفة هي أشد عداوة للإسلام والمسلمين من السويديين أنفسهم، وعلى سبيل المثال كان هناك لقاء مع وزيرة الهجرة السويدية بعد أحداث 11 سبتمبر، فارتدت الوزيرة الحجاب من باب التضامن مع المسلمين، فإذا ببعض المنتسبين للإسلام يعترضون عليها ويقولون: كيف تثبتين هذا التخلف ونحن نحاربه منذ فترة من الزمن؟!! فردت عليهم: إننا فعلنا هذا لنعلن للمسلمين أننا معهم، ولأن المرأة المحجبة قد تكون أكثر عرضة للخطر والتمييز، فأحببنا أن نشاركهم محنتهم.

وهناك طائفة أخيرة ترى الاندماج الإيجابي -أي دون ذوبان- من خلال فهم للإسلام يجمع بين النص والواقع، وهذا هو الفهم الذي يتبناه اتحاد المنظمات والمجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، وغيرهما من المنظمات الإسلامية في الغرب.

* ما موقفكم من العلمانية في أوربا بشكل عام، وفي المجتمع السويدي بشكل خاص؟

- العلمانية نتاج فكر وممارسة وصلت إليها أوربا بعد صراع مرير مع الكنيسة، وهي في أيسر تعريفاتها تعني فصل الدين عن الدولة، وأن الكنيسة لا سلطة لها على الدولة، وأن الدولة لا تحكم لا بالإنجيل ولا بالتوراة، وإنما تحكم بمنظومة قانونية في إطار عملية ديمقراطية، وقناعات شعبية وصل إليها المجتمع من خلال الممارسة والحراك الفكري والسياسي. لهذا فإننا -كأقليات مسلمة- ونظرًا لوجود آليات ديمقراطية مع هذه العلمانية؛ لأن العلمانية في السويد ترى أنه على الأغلبية أن تراعي الخصوصية الثقافية للأقليات، كما تتضمن بعض القيم الإيجابية مثل: الحرية الشخصية وحرية التدين، والحرية السياسية. لذا أعتقد أننا كأقلية لسنا بحاجة إلى دولة دينية، بل إلى دولة ديمقراطية يحكمها حزب مسيحي. وإن كنا في دولنا العربية نقول: "الإسلام هو الحل"، بحكم أن الأغلبية للمسلمين، فإننا كأقلية نقول: "العلمانية هي الحل" لو كانت بهذه المفاهيم التي أشرنا إليها، فإننا من خلالها نستطيع أن نؤكد على مبدأ أننا في مجتمع متعدد الأعراف والثقافات والأديان، يحترم فيه الجميع بعضهم: "لكم دينكم ولي دين".

* ما نوعية البرامج الدعوية التي تقومون بها في السويد؟

- نحن نركز في أنشطتنا الدعوية على الشباب؛ لهذا أنشأنا العديد من المؤسسات، مثل "مؤسسة الكشاف المسلم"، و"المؤسسة السويدية"، و"منتدى الشباب المسلم"، ومؤسسة "الهلال"، وهذه المؤسسات تنظم للشباب رحلات ومسابقات ومؤتمرات. كما أن عندنا "اتحاد الشباب المسلم"، و"الاتحاد الوطني"، وهو يمول من قبل الحكومة، ويتكون من أكثر من 27 جمعية شبابية، ويقوم بعقد دورات تربوية، ومؤتمرات سنوية، يشارك فيها مئات من الشباب، بالإضافة إلى "مدارس نهاية الأسبوع" التي تلعب دورا كبيرًا في إعداد النشء من خلال تعليمهم اللغة العربية والقرآن الكريم وبعض القيم الإسلامية، وخاصة في مسجدنا الكبير مسجد الشيخ زايد آل نهيان، بالإضافة إلى المدارس الإسلامية التابعة للرابطة الإسلامية التي تضم أكثر من 4 مدارس، تدرس المنهج السويدي، بالإضافة إلى بعض القيم باللغة العربية وبعض مبادئ التربية الإسلامية.

كما أن هناك عددًا كبيرًا من الأئمة في المجلس الذي أتشرف برئاسته، وهو يضم عددًا من الأئمة، ومعظمهم خريجو جامعة الإمام محمد بن سعود، أقلهم معه شهادة "الماجستير"، يقومون بعملية التوجيه والإرشاد والفتوى، والرد على الاستشارات، وغيرها من الأعمال التي يقوم بها المجلس؛ حيث يمثل هذا المجلس مرجعية كبيرة في كثير من قضايا المسلمين بالسويد. والمجلس رغم حداثة نشأته فإنه استطاع أن تكون له مكانة كبرى لدى الحكومة السويدية والشعب السويدي، وهو أحد المؤسسات التي تعول الرابطة الإسلامية على أن يكون له دور كبير مستقبلا، إن شاء الله.

============

#مسلمو هولندا.. آمال تناطح صخرة العلمانية

حوار: نصر الدين الدجبي*- 2004/02/23

السيد إدريس البوجوفي

تتجه هولندا -كسائر الدول الأوروبية- النمط العلماني في إدارة شئون البلاد، وبموجب هذا فإن فكرة فصل الدين عن الدولة هي الإطار الذي تتعامل به في علاقتها بالمجتمع المدني، وحاولَتْ خلال الحقب التاريخية الماضية أن تتوخى هذا

المنهج، دون أيّ تدخل في شئون أي مجموعة دينية، سواء كانت مسيحية بطوائفها المختلفة، أو يهودية، أو حتى الهندوسية، وكذلك الإسلامية.

غير أن علمانية الدولة لا تمنع من أن يكون لهذه المجموعات الدينية الحق في أن تحظى بدعم الدولة ذاته حسب قانون البلد نفسه، لذلك فإن التزامات الحكومة تجاه هذه المجموعات الدينية بما فيها المجموعة الإسلامية ليست بمنأى عن هذا الحق المكفول دستوريا. غير أن هذا الحق سبقنا إليه أصحاب الديانات الأخرى، فقد حصل عليه المسيحيون سنة 1948م، واليهود في فترة لاحقة، وأخيرا وفي سنة 2000 ناله الهندوس، ولا يزال المسلمون إلى اليوم مشتتين وغير عارفين كيف ينالون حقهم الطبيعي.

بهذه المقدمة استهل السيد إدريس البوجوفي نائب رئيس مجلس ممثلي المسلمين في هولندا حديثه، وهو الذي وقَّع الإعلان على تأسيسه يوم 7 فبراير من هذه السنة (2004)، وهو أحد النشطين في الحقل الإسلامي منذ أربعة عقود، حين قدم إلى هولندا سنة 1964م، في زمن كانت هولندا تستقطب المغاربة ليعملوا في وضع بنيتها التحتية.

ومعرفة السيد البوجوفي بالواقع، وخبرته بشئون الجالية، واحتكاكه بالهولنديين لا تجعلك تفرق بينه وبين الهولندي الأصلي، الذي يدافع عن وطنيته الهولندية، كما أن تمكنه من اللغة جعل الرجل مقصدًا للساسة والإعلاميين الهولنديين للتشاور وأخذ رأيه في القضايا الإسلامية.

وقد كان لنا معه هذا الحوار على إثر الإعلان عن مجلس تمثيل المسلمين لدى الحكومة الهولندية.

* السيد إدريس هل يمكنك أن تضعنا في إطار الخطوات المهمة التي خطاها المسلمون في هولندا على طريق إيجاد حوار بينهم وبين الحكومة؟ وأين يقفون الآن من هذا الاعتراف؟

– لقد كانت جُل دعاوى الاعتراف التي تمت إلى الآن بمثابة مبادرة من الحكومة، ولقد كانت أُولاها سنة 1988م بعد التقرير الذي أصدرته لجنة منبثقة عن وزارة

العدل، دعت الحكومة فيه إلى ضرورة إيجاد خط تواصل وتمثيل رسمي للمسلمين لدى الحكومة، ليتم أخذ الرأي مع هذه الجهة في القضايا الإسلامية المطروحة أمامهم.

ثم كانت المبادرة الثانية من الحكومة الهولندية في 1989م على إثر الفتوى التي أصدرها الخميني بقتل سلمان رشدي لتهكمه على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبدا على إثر ذلك مزيد من الحرص، واستدُعي ممثلو المجموعات الإسلامية في هولندا للحديث معهم حول تنظيم الصف وتعيين من يمثل المسلمين. وكانت هذه الرغبة من الحكومة دعما كبيرا لتحرك أقطاب الجالية والدخول في حوار أسفر سنة 1992م عن تحديد ممثلين للمسلمين تحت اسم مجلس ممثلي مسلمي هولندا (IRN)، ويضم 80% من قيادات المنظمات الإسلامية. غير أن مجموعة صغيرة شككت في هذا المجلس، فاضطرت الحكومة إلى عدم الاعتراف بكليهما، وظلت الأمور على ما هي عليه إلى شهر مايو 2001م، عندما صرح الشيخ المؤمني إمام مسجد النصر في روتردام بما أثار حفيظة الشاذين جنسيا، فتدخلت الحكومة للمرة الثالثة لدعوة ممثلي 8 منظمات كبرى، وحثهم على جمع الشمل وتكوين مجلس يمثلهم؛ فيسهل التواصل مع المسلمين، ويحقق مزيدا من التفهم لقضاياهم، وكانت المبادرة من "فان بوكستل"(van Boxtel) وزير المدن الكبرى.

وفي 11 سبتمبر 2001 كلف الوزير هذه المجموعة بالإعداد لتكوين مجلس يمثلهم، ورصد لذلك مبلغا مساعدةً للجنة التحضيرية، إلا أن أحد الحاضرين قبل التسجيل بأيام بدا في وسائل الإعلام مشككًا ومتهمًا عمل اللجنة والمجلس الذي سينبثق عنها، وأنها ممثلة للسنة دون بقية الطوائف الأخرى.

وعلى الرغم من كل هذا لم يتخلَّ الإخوة في لجنة التحضير عن مسئوليتهم، وتابعوا الإعلان عن هذا المجلس لتمثيل المسلمين في هولندا CMO، والآن لم يبق من الحكومة إلا أن تعترف بنا؛ لأن الذي شكك اليوم هو نفسه الذي شكك بالأمس القريب، وادعائه استثناء المسلمين الليبراليين والشيعة الأحمدية هو محل هراء ولا أساس له من الصحة.

* السيد البوجوفي، لقد تم التأسيس والإعلان، وأنشئت الآن لجنة أو مجلس لتمثيل المسلمين، ولكن الحكومة لم تعترف بهذا المجلس.. كيف ترون الحل لهذه المشكلة التي ستكون عائقًا كبيرًا في طريق تحقيق أهدافكم؟

- الحكومة تطلب منّا تحقيق المستحيل قبل أن نبدأ، وأن نجمع المسلمين بمختلف مشاربهم وأطيافهم، وأن تكون نسبة التمثيل 100%، وهو الرقم المرفوض ديمقراطيا قبل أن يكون واقعيا؛ فالبعض من المسلمين لا يريد أن يكون له تمثيل ديني، وهو يعترف بأنه ينتمي إلى المجموعات الاجتماعية أقرب منها إلى الدينية، والبعض الآخر ليس له تمثيل؛ فكيف يمكن أن ندخلهم في شكل أفراد، والباب لم يغلق أمام أي طرف من المسلمين بجميع أطيافهم ومذاهبهم؟

والحل -حسب رأيي- هو أن يتم الاعتراف وفي أقرب وقت، وهذا يخدم مصلحة الحكومة من ناحية أنه يسهل عليها التواصل مع هذه المجموعة الدينية التي لا يمكن تجاهلها، أو حتى غض الطرف عن شئونها، وفهم ما يدور حولها وداخلها، وهذا يجنبنا الدخول في مطبات الفعل ورد الفعل، ومن الناحية الأخرى المجموعة الإسلامية باعتبار أنها أصبحت جزءًا لا يتجزأ من المجتمع الهولندي، ولها الحق في التمتع بالرعاية.

* السيد البوجوفي، من الذين حضروا لقاءكم التأسيسي وزيرة شئون الأجانب الهولندية السيدة "فردنك" التي لم تَعِد بالاعتراف بكم على الرغم من اعترافها بأحقية المسلمين في أن يكون لهم كيان يمثلهم كما سبق أن ناله المسيحيون واليهود والهندوس، فكيف تقرأ خطاب الوزيرة؟

- خطاب الوزيرة كان في مجمله إيجابيا، وإن لم يكن بالمستوى الذي كنا نرجوه؛ فهو إيجابي؛ لأنها أكدت أحقية المسلمين في التمثيل، وهذا دليل على رغبتها في إيجاد حل لهذا الأمر. أما ما روجته وسائل الإعلام من أنها لن تدفع لنا مساعدات مالية فنحن لا نريد مساعدات؛ فوجود تمثيل بهذه القوة وهذا الزخم من كبرى المنظمات الإسلامية يجعلنا في غنى عن المساعدات المالية. المهم هو الاعتراف الكامل؛ لأن هذا يمكننا من أن نحقق أهدافنا، وكل ما في الأمر هو أن المساعدات التي كانت

ستدفع تحفيزا للجنة التحضيرية لإنجاز هذا اللقاء التأسيسي لم تُدفع، وتكفّلت بها المجموعات المؤسسة أنفسها.

فما نرجوه من الوزيرة هو التسريع في الاعتراف؛ لأننا بهذا الاعتراف نجنب هولندا عددًا من المشكلات نحن في غنى عنها، ولا نقع في مثل ما وقعت فيه فرنسا، وتعود بالتالي على الطرفين بالسلب.

* هل من أهداف وضعها المجلس لنفسه؟ وما أولويات العمل عنده؟

- نحن أهدافنا محددة، وقد كفلتها لنا القوانين الهولندية نفسها، وكما تعمل تحتها باقي المجالس الدينية بصفة عامة، فنحفظ للمسلمين حقهم في العناية الروحية، وتقنين وضعية الأئمة، وتأهيلهم التأهيل الذي يناسب المكان الذي هم فيه، والدور الذي يلعبونه.

ولعل أهم قضية تعترض تواصل الأجيال هي عدم تمكن الإمام من لغة البلد التي هي لغة الجيل الثاني والثالث، وإذا لم نتدارك هذه النقيصة فإننا بذلك ننقطع عن أكثر من نصف المسلمين، ولذلك فإنها من أولوياتنا القصوى، بالإضافة إلى تصحيح نظرة عدد من الهولنديين حول الإسلام وما علق به من شبهات هو براء منها.

ومن ذلك أيضا تشتتنا واعتقاد كل طرف أو جهة أن الإسلام قد ساهم في تكريس هذا الانطباع، كما أننا مدعوون إلى التصدي للصورة السيئة التي تحاول وسائل الإعلام تكريسها حول الإسلام والمسلمين.

* يروج كثير من الناس لقضية الخوف من الإسلام كدين يمكن أن يهدد تركيبة المجتمع ويحدث فيه شروخا هم في غنى عنها.. فماذا تقول في ذلك؟

- أنا أرى أن هذا التخوف موهوم ولا محل له، وإن كانت تروج له بعض الجهات المغرضة، والأدلة على ذلك كثيرة، منها أن المسلم الذي ينتمي إلى الإسلام أصبح متشبعا بالإسلام ويدافع عن إسلامه كما يدافع عن وطنيته الهولندية.

كما أن الإسلام أصبح جزءًا من تركيبة المجتمع لا يمكن تغافله أو الاستغناء عنه. على الصعيد نفسه فإن الهولنديين بمختلف شرائحهم السياسية والاجتماعية والثقافية يتعاملون مع الإسلام كجزء من مكونات المجتمع، وغالبيتهم يعرف أن هذا التخوف موهوم؛ لأن تركيبة المسلمين بصفة عامة لم تعد مغاربة أو أتراك أو سرنام، وإنما

هولنديون ممن اعتنقوا الإسلام، وأبناء ولدوا وتربوا وتشبعوا بثقافة البلد، ولذلك لا يمكن لشعب يتباهى بالحرية أن يلفظ أبناءه، أو يمنعهم حقا كفله الدستور لهم.

* أوردت وسائل الإعلام تصريحات لعدد من المسلمين وغير المسلمين؛ مفادها أن المجلس سيعترضه عدد من العراقيل.. فما هي هذه العراقيل التي يمكن أن تعطل مسيرتكم؟

- لعل أهم العراقيل التي يمكن أن تؤخر مسيرتنا قد تكون من المسلمين أنفسهم، بعدم تآزرهم وتوخي الحكمة والعلم في الحديث عن الإسلام؛ وهو ما يجعلهم لقمة سائغة لوسائل الإعلام التي لا ترحم، والمغرضين الذين يتبعون زلاتنا وهفواتنا؛ لذا فإن فهم المسلمين لدورهم وحسن التعامل مع قضاياهم العالقة في هولندا هو جزء من حل المشكلة.

النقطة الثانية التي قد تكون معيقة لنا هي إمكانية تأخر الحكومة في التعامل معنا كجهة رسمية يتحاور معها في القضايا الدينية المختلفة؛ لذا فإن الحكومة مدعوة أكثر من أي وقت مضى إلى الوقوف مع هذا المجلس ودعم مسيرته.

============

#مسلمو فرنسا لا يهددون العلمانية

مسجد باريس عنوان لمسلمي فرنسا

اعتبر عدد من الخبراء الفرنسيين والشخصيات الإسلامية أن الجدل المثار حاليا في فرنسا حول ما أسماه البعض بـ"الخطر الإسلامي" على علمانية البلاد بعيد تماما عن الواقع وليس له أساس من الصحة، مؤكدين أن وضع المسلمين في فرنسا لا يمكن أن يؤثر على العلمانية التي يؤيدها الغالبية العظمى من الفرنسيين.

وقال أكسفيان ترنسيسان الكاتب والصحفي المتخصص في الشؤون الإسلامية بجريدة "لوموند" الفرنسية في تصريحات خاصة لشبكة "إسلام أون لاين.نت" الأربعاء 16-7-2003: "إن الجدل الذي ثار مؤخرا حول إمكانية تعرض العلمانية للخطر ليس صحيحا كما يدعي البعض"، مشيرا إلى أن "فقدان مسلمي فرنسا للوحدة العرقية والمذهبية واللغوية إضافة إلى تمثيلهم العددي بالنسبة للمجتمع الفرنسي ينقص من قدرتهم على التحرك ككتلة متجانسة".

وأوضح ترنسيسان أن "استعمال كلمة جامعة مثل مسلمي فرنسا تظل قاصرة عن الكشف عن حقيقة التركيبة الثقافية والمذهبية والقومية لمسلمي فرنسا"، مضيفا أنه "يمكن أن نتحدث في فرنسا عن مفاهيم مختلفة للإسلام، وطرق لمعايشة الحياة الإسلامية تختلف باختلاف الأصول القومية والاختلافات اللغوية والتصورات المذهبية".

جماعات متفرقة

وأشار إلى أنه لا يوجد شيء يجمع -على سبيل المثال- بين جماعة الدعوة والتبليغ التي تتمركز في الدائرة الحادية عشرة من باريس وجماعة الأحباش التي تنشط في الضواحي، والتيار الشبابي الجديد الذي يقوده الداعية والباحث طارق رمضان.

وقال ترنسيسان: "إن ما يضعف من قوة هذه الكتلة أن الإسلام بالنسبة لأغلبها لا يعدو إلا أن يكون عنوانا ثقافيا عاما وضبابيا"، مضيفا أن "نسبة المطبقين للإسلام تتراوح بين 10و20%؛ أي حوالي 400 ألف من جملة حوالي 6 ملايين مسلم بفرنسا".

وأضاف: "صحيح أن المسلمين بفرنسا أكثر حرصا من غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى على تطبيق مبادئ دينهم، لكن منهم من يشربون الكحول، ومنهم من لا يترددون على المساجد.. أي أن هناك جزءا كبيرا من الجالية الإسلامية معلمن" بالفعل.

وعين الرئيس الفرنسي جاك شيراك الملحق الإعلامي لرئاسة الجمهورية "برنار ستاسي" في 1-7-2003 رئيسا للجنة "تكون مهمتها مراقبة تطبيق مبادئ العلمانية" في فرنسا.

وكانت دراسة صادرة عن المعهد الفرنسي للرأي العام في 2001 حول المطبقين للإسلام قد أشارت إلى أن 70% من مسلمي فرنسا يصومون شهر رمضان، ولكن 30% منهم فقط هم الذين يؤدون الصلاة، وأن 70% لا يترددون على المساجد.

عدد مسلمي فرنسا

أكسفيان ترنسسيان

وعلى الرغم من أن طبيعة الدولة العلمانية لا تأخذ في اعتبارها قضية الانتماء الديني للسكان في تعدادها للسكان؛ فإن ترنسيسان رأى أن عدد مسلمي فرنسا يشكل بعدا مهما للنظر إلى مسألة تأثيرهم على علمانية البلاد، مشيرا إلى أن عددهم يتراوح بين 4 و5 ملايين نسمة من إجمالي السكان الذي يقدر بنحو 70 مليون.

وكان المعهد الوطني للإحصاء والتقويم قد أشار مؤخرا إلى أن التعداد الرسمي للمهاجرين المسلمين من أصول مغربية وتركية ودول أفريقية وآسيوية مسلمة بلغ 5.8 ملايين نسمة.

وتشير الإحصاءات إلى أنه من جملة حوالي 6 ملايين من المسلمين في فرنسا هناك حوالي مليونين من المولودين بفرنسا أغلبهم ممن يسمون بالمصطلح الجزائري "الحركيين" أي أبناء المتعاونين مع فرنسا من الجزائريين خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر. أما البقية وهم 4 ملايين فهم مهاجرون جاءوا من بلدان إسلامية وعربية متعددة.

أغلبية جزائرية

وبشكل عام يمثل الجزائريون أغلبية الجالية المسلمة بفرنسا بتعداد يقدر بـ800 ألف نسمة، يليهم المغاربة 600 ألف، ثم التونسيون 500 ألف، والأتراك 200 ألف، ثم يأتي ترتيب الأفارقة جنوب الصحراء واللبنانيين المسلمين.

وبهذا المعنى لا يمثل الفرنسيون المسلمون وحدة قومية ولا لغوية، وهو ما يفسر وجود حوالي 2000 جمعية إسلامية مختلفة الجذور الثقافية والمذهبية والأصول الجغرافية؛ فهذا التعدد برز بشكل لافت أثناء تأسيس المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية؛ حيث حاول وزير الداخلية تمثيل 1500 مسجد إضافة إلى 6 جمعيات كبرى، هي:

- اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا الذي ينظم سنويا مؤتمره المعروف بالبورجي، وتأسس عام 1982 ويعتبر –أيديولوجيا- مقربا من تيار الإخوان المسلمين، ويتميز بقوة بنائه التنظيمي؛ حيث يبسط سيطرته على 300 جمعية، أبرزها الشبان المسلمين، وذراع طلابية في الجامعة تسمى "الطلبة المسلمون".

- مسجد باريس، ويعتبر تاريخيا من أقدم المؤسسات الإسلامية الممثلة للمسلمين في فرنسا حيث تأسس عام 1926، وارتبط منذ بدايته بالجالية الجزائرية بفرنسا؛ حيث يأتي تمويله من الجزائر، ويشرف عميد المسجد حاليا "دليل أبو بكر" على حوالي 70 مسجدا آخر، ويقدم مسجد باريس أيديولوجيا على أنه ممثل للإسلام العصري المندمج مع الحداثة.

- الفيدرالية الوطنية لمسلمي فرنسا: تمثل أيضا الإسلام العصري، وتتكون أساسا من المهاجرين المغاربة، وتتلقى دعما ماليا من ملك المغرب، وتسيطر على بعض المساجد في ضواحي باريس وشرق فرنسا.

- جماعة الدعوة والتبليغ: بدأ نشاط هذه الجماعة في أوساط المهاجرين الأوائل عام 1968، ولعبت دورا مهما في الاتصال بالجيل الأول من المهاجرين، ويتركز نشاطها حاليا في الدائرة الحادية عشرة من باريس وخاصة في منطقة "بالفيل".

- لجنة تنسيق للمسلمين الأتراك في فرنسا: تعتبر تابعة لإدارة المساجد بوزارة الشؤون الدينية التركية، وتسيطر حاليا على 150 مسجدا، وأيديولوجيا تعتبر من طائفة "الميلي قروش" التركية الصوفية.

- الاتحاد الفرنسي للجمعيات الإسلامية في أفريقيا وجزر القمر وجزر الأنتي: تمثل جالية مهمة عدديا، ولكنها غير منظمة باستثناء بعض الجمعيات التابعة لها فإنها لا تسيطر على مساجد مهمة.

وإضافة إلى هذه الجمعيات الستة الكبرى هناك 5 مساجد ممثلة في المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، وتتمتع بثقل واضح، وهي: مسجد "تانت-لا-جولي"، والمركز الثقافي الإسلامي في إيفري، ومسجد ليون الكبير، ومسجد جنوب فرنسا الكبير (الإصلاح)، ومسجد سان دونيه دو.لا ريونيون الكبير.

"إسلام الحياة الخاصة"

صورة أرشيفية لمسلمي فرنسا خلال لقاء مع جاك شيراك

من جانبه رأى الدكتور عبد المجيد النجار مدير مركز البحوث والدراسات بالمعهد الأوربي للعلوم الإنسانية بباريس في تصريحات لـ"إسلام أون لاين.نت" أن المسلمين

في فرنسا أقلية داخل مجتمع غالبيته علمانيون، وبالتالي فمعنى "الإسلام الشمولي" الذي يتبناه مسلمو البلاد العربية والإسلامية لا مجال له في بلاد الغرب.

وأوضح النجار أن "إسلام الحياة الخاصة أصبح في الأعم بديلا عن الإسلام الشمولي لدى الأقلية المسلمة في فرنسا؛ فالهامش الأكبر لممارسة التدين بالنسبة لهذه الأقلية هو هامش الحياة الخاصة للفرد والأسرة، إلا أن هناك هامشا أقل بروزا للإسلام في الحياة الاجتماعية، ولهذا السبب بالذات طرح تطوير فقه الأقليات كأولوية في الدراسات الإسلامية".

وأضاف: "إذا أردنا الخروج بنتيجة محددة، فإننا نستطيع القول بأن تضخيم الخطر الذي يمثله حضور المسلمين في فرنسا، وبيان أن الأمر أصبح يتعلق بخطر على علمانية الدولة لا يعدو في الحقيقة إلا أن يصب في تيار الإسلامفوبيا (الخوف من الإسلام) الذي اجتاح الرأي العام الغربي بعد أحداث 11 سبتمبر 2001".

مكانة كاملة

وخلافا لرؤية الكاتب الفرنسي ترنسيسان التي اعتبر فيها أن عدد المسلمين بالنسبة للمجتمع الفرنسي لا يشكل تأثيرا فيه، قال "التهامي إبريز" رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا في تصريحات لـ"إسلام أون لاين.نت": "عدد المسلمين في فرنسا يؤهلهم لأن يأخذوا مكانتهم كاملة غير منقوصة في الجمهورية".

وأوضح إبريز أن "المسلمين يمثلون الديانة الثانية بعد المسيحية الكاثوليكية التي يدين بها 43 مليونا؛ أي أنهم يسبقون البروتستانتيين البالغين 800 ألف واليهود (700 ألف) والبوذيين (400 ألف)".

وأضاف أن "ما يزيد من أهمية الفرنسيين المسلمين أنهم يمثلون في أوروبا القوة الديمجرافية الأولى مقارنة بمسلمي ألمانيا البالغ عددهم 3 ملايين نسمة، ومسلمي بريطانيا (مليونان)، ومسلمي أسبانيا (600 ألف)، وهولندا (400 ألف)، وبلجيكيا (200 ألف).

لكن إبريز قال: "إن حضور الفرنسيين المسلمين سياسيا واجتماعيا لا يعكس حجمهم عدديا؛ فهم على هامش الحياة السياسية، وبالتالي لا نتوقع أن يكون لهم تأثير في المدى القريب على القرار السياسي الفرنسي؛ حيث إنهم منقسمون مذهبيا وعرقيا

بحيث لا يمكن أن يمثلوا كتلة متجانسة من شأنها مثلا أن تحدد خيارا انتخابيا على سبيل المثال".

وأضاف أن "المسلمين ما زالوا يبحثون عن مكان لهم داخل المؤسسات السياسية والاجتماعية الفرنسية، ولم يتسن لهم تكوين مجلس يمثلهم أمام السلطات الفرنسية إلا هذه العام فقط".

محاولات فاشلة

من ناحيته قال عمار الأصفر -إمام مسجد ليل بشمال فرنسا رئيس جمعية ابن رشد-: "إن محاولة تكوين حزب سياسي يمثل مسلمي فرنسا باءت بالفشل. ولم يفطنوا إلى ضرورة تكوين مؤسسات تعليمية ثانوية خاصة بهم على غرار المدارس الخاصة اليهودية إلا هذه السنة".

وأضاف الأصفر في تصريحات لـ"إسلام أون لاين.نت": "أمامنا عمل كبير وطويل لتحقيق وجود نوعي ينقل الفرنسيين المسلمين من وضعية ذلك المهاجر الأمي الذي يمتهن الأعمال الشاقة وصولا إلى تحقيق وجود كوادر في مؤسسات الدولة الثقافية والسياسية والاجتماعية".

=============

#الإسلام في عش العلمانية

هادي يحمد- 2003/04/23

طرح المؤتمر العشرون لاتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا الذي انعقد من 18 إلى 21 إبريل 2003 بقوة قضية ممارسة الإسلام في مجتمع علماني، واتضح بما لا يدع مجالا للشك أن الأمر يتعلق باكتشاف وجه آخر من وجوه الإسلام، إسلام يندمج وينصهر، ولكنه يظل محافظًا على أعمدته وجوهره.

لم يختلف مشهد المتحجبات أو الشباب الملتحين الذين تجولوا في أروقة المؤتمر عن مشاهد كثيرة لمتحجبات وملتحين يتجولون في شوارع القاهرة أو دمشق أو مراكش... غير أن فَهْمًا للإسلام خاصا يبدو ملاصقا لخصوصيات الحياة في لندن أو باريس هنا يعيشه المتدينون يختلف باختلاف المجال الجغرافي والإطار السياسي الذي يعيشه المتدينون في بلاد المشرق أو المغرب الإسلاميين.

فالورقة التقديمية التي وزعت على كل الزائرين لمؤتمر البورجي بباريس تؤكد على معانٍ معينة يجب أخذها بعين الاعتبار، الورقة تقول: "المسلمون في فرنسا يعيشون في زخم ثقافي واجتماعي متميز"، إنه طبعا مجتمع حديث علماني، تبدو خيوط ترابطه مع النموذج الإسلامي ضعيفة جدا أو بالمعنى القرآني "أوهن من خيوط العنكبوت".

وتؤكد الورقة التقديمية للمؤتمر "أن المسلم كبقية الناس في هذه البلاد يجد عقبات في رسم خطى حياته بداية من التزامه الديني وتربية أولاده إلى تصور صحيح وجاد في كيفية تطبيق دينه".

وفي الحقيقة فإن طرح قضية معايشة الإسلام داخل مجتمع علماني ثقافة وتاريخا وخيارا سياسيا طرحت في مؤتمر البورجي من خلال ثلاث نقاط رئيسية، هي:

أولا: الاعتراف بحكم الغالبية العلمانية

ذلك أنه بحكم وجودهم في مجتمع علماني أغلبي؛ فإن الأقلية المسلمة في فرنسا – على سبيل المثال– مطالبة باحترام قانون الأغلبية، وهم لا يضعون محل نقاش مسألة هذا الاعتراف؛ إذ يقول التهامي إبريز رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا في كلمته الافتتاحية: "إن المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية الذي انتُخب مؤخرا لا يمكن أن يوجد إلا في الإطار المؤسساتي للجمهورية الفرنسية العلمانية التي تعتبر أن للإسلام حقوقا متساوية كبقية الديانات في فرنسا".

والناظر كذالك في كلمة نيكول ساركوزي أثناء المؤتمر يلاحظ أن عبارة وجوب احترام المبادئ العلمانية للدولة ترددت في خطابه حوالي 6 مرات أمام 15 ألف مسلم متدينين، نصفهم من المتحجبات .

والحقيقة أن كل التشكيلات والمنظمات الإسلامية في فرنسا على اختلافها لا تضع هذا المبدأ محل نقاش أو مساءلة؛ فهم مسلمون داخل مجتمع علماني يحتكم إلى قوانين وضعية هي قوانين الأغلبية، وهذا أحد مرتكزات ديننا، كما يقول فؤاد علوي أحد مسئولي الاتحاد بناء على احترام رغبة وخيار الأغلبية.

بل هناك من ذهب من المحاضرين في المؤتمر إلى أبعد من ذلك.. إلى البحث عن نقاط الالتقاء بين المعاني الإسلامية وأطر وثقافة الدولة العلمانية؛ حيث خصص

الباحث المسلم "أساني فساسي" محاضرته للبحث عن قيم الإسلام في الشعارات التي قامت عليها الثورة الفرنسية؛ حيث قال: "أليست هذه الشعارات الثلاثة التي نجدها معلقة في كل مكان في فرنسا، وهي المساواة والحرية والأخوة.. أليست هذه الشعارات الثلاثة هي من قيم الإسلام الأساسية".

ثانيا: النظرة المخصوصة للأزمة العراقية

لا يختلف اثنان على أن تفاعل مسلمي أوروبا ضد العدوان الأمريكي البريطاني على العراق كان تفاعلا إيجابيا وحارا لم يشذ عن تفاعل المسلمين في بقية أنحاء العالم، ولم يشذ كذلك عن تفاعل الفرنسيين أو البريطانيين ذاتهم على سبيل المثال، غير أن خصوصية موقعهم والمجال الذي يعيشون فيه دفعت الدكتور أحمد الراوي –رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا– في محاضرته التي ألقاها في المؤتمر إلى القول صراحة بأن "الفتاوى التي صدرت من بعض علماء المسلمين في أماكن عديدة قبل وبعد الحرب لا تلزم مسلمي أوروبا"، ودون أن يفصح عن مضمون هذه الفتاوى؛ فإن الأمر يرتبط بالنسبة للمراقبين بالفتاوى الجهادية التي لا تبدو متناسبة مع واقع المواطنين المسلمين البريطانيين مثلا الذين شارك بعض أبنائهم في القتال على جبهة البصرة أو أم قصر أو غيرها من المدن العراقية.

وقد شدد الراوي بالقول: "نحن في حل من هذه الفتاوى التي لا تتناسب مع خصوصيات مجتمعاتنا التي نعيش فيها". أمر كهذا يطرح السؤال الفقهي: هل هناك فتاوى تبدو صالحة في مكان، ولا تبدو ضرورية في مكان آخر؟

بعض من الإجابة على هذا السؤال وردت في كلمة التهامي إبريز؛ حيث قال: "إن مسلمي فرنسا –على سبيل المثال– عليهم أن يبحثوا عن قراءة للإسلام موائمة لواقعهم الثقافي والسياسي، وهذه القراءة يجب أن تأخذ بعين الاعتبار عنصرين مهمين، هما: المكان والزمان؛ فالمسلمون الفرنسيون يعيشون في مكان مخصوص، وهو فرنسا التي لها تاريخها وثقافتها وفهمها الخاص للديانة"، وهو ما يشير إلى أن فتاوى في غير مجالها الاجتماعي والثقافي والسياسي تصبح غير ذات جدوى.

ثالثا: طرح قضية الحجاب في دولة علمانية

من المُسلَّم به القول بأن المسلمين في فرنسا لا يطرحون على أنفسهم إقامة دولة إسلامية، ولا هم يريدون أن يحكِّموا الإسلام في هذه البلاد؛ لأنهم أقلية تخضع ضرورة لحكم الأغلبية، ولكن عندما يتعلق الأمر بممارسة دينية تدخل تحت حيز الحريات الخاصة كالحجاب مثلا؛ فإن الأمر قد يؤدي إلى جدل قد لا يحسم بالسهولة المطلوبة. فما حدث في اليوم الثاني لمؤتمر البورجي أعاد الجدل الفرنسي حول ما إذا كان الحجاب في أماكن العمل وفي المعاهد ينتهك أحد مبادئ الدولة، وهو "اللائكية" كما يؤكد بعض المسئولين لفرنسيين.

ولأن المسألة لا تتعلق بالنظام العام للمجتمع، ولا تمس الحريات العامة للمجتمع؛ فإن ردود الفعل كانت ساخطة من قبل المحجبات اللاتي استمعن إلى خطاب وزير داخلية فرنسا، لا سيما أن العشرات منهن –على الأقل– جئن إلى فرنسا هروبا من الاضطهاد الديني الذي مورس عليهن، وخاصة التونسيات مثلا اللاتي يُمنعن في بلادهن من لبس الحجاب بمقتضى قانون ردعي.

نستطيع القول بأن قضية الحجاب في فرنسا تمثل نقطة تماسّ حادة بين قوانين الدولة العلمانية والحريات الشخصية للأقلية المسلمة التي ارتضت أن تعيش في مجتمع علماني، ولأن المثال الفرنسي في خصوص قضية الحجاب غير معمم في العديد من البلدان الغربية الأخرى؛ فإن الحكم سيظل نسبيا .

الكثيرون يقولون: إن الأمر يتعلق بتمشي وتدرج طبيعي بالنسبة لأي أقلية تريد تحصيل حقوقها الاجتماعية والسياسية، والمسلمون في هذا الإطار الذين يعيشون في مجتمع علماني ثقافة وسياسة ليس لهم من مجال إلا العمل على المطالبة بتحقيق مطالبهم. والأمر هنا متروك لعامل الزمن؛ فقد كان مسئولو اتحاد المنظمات الإسلامية صرحاء لوزير الداخلية الفرنسي نيكول ساركوزي، عندما قالوا له: إن ديننا يعلمنا أن نحترم القانون طالما هو موجود، ولكننا سنطالب بتغيير هذا القانون إن كان جائرا. لقد صفق نيكول ساركوزي لذلك.

=============

#فرنسا والحجاب.. محاولة لفهم ما يحدث

انحياز لـ"الهوية الثقافية" وليس لـ"العلمانية السياسية"

27/12/2003

...

محمود سلطان*

كان للكاتب الراحل محمد جلال كشك – رحمه الله – في اشتباكه مع دعاة "حقوق المرأة"، في مصر، بعض الإضاءات التي لا نبالغ إن قلنا إنها أصابت كبد الحقيقة، فيما يتعلق بالجدل الدائر بشأن "الحجاب" سواء أكان – هذا الجدل – محتدما في العالم العربي، أو في غيره على نحو ما يحدث الآن في فرنسا.

أوضح كشك أن هناك ثمة علاقة مفترضة "بين الحجاب والدين" أو الانتساب الحضاري، بمعنى أن الحجاب إضافة إلى كونه فريضة دينية هو في واقع الحال رمز أو دلالة على الانتماء للإسلام ولثقافته القرآنية، ربما تكون هذه العلاقة، غير حاضرة في خاطر المحجبات، ولكنها حاضرة حضورا ملتهبا في تفكير المعارضين للحجاب. ومن ثم فإن الهدف ليس تعرية رأس الفتيات ولا تحرير المرأة من الحجاب بل "قطع رأس الإسلام"، على حسب قوله.

والحال أن ما يعطي هذه القراءة صدقها، أن النخب السياسية والثقافية، عادة ما تكون شديدة الوعي بمركزية "الرمز" ودلالاته الحضارية. صحيح أن الممارسات "الرمزية"، قد تبدو لعوام الناس عملا فنيا أو معماريا محضا، أو أنها خالية من أية دلالة سياسية أو ثقافية وهي في واقع الحال، اتجاهات تتقاطع فيها السياسة والثقافة والحضارة بشكل أو بآخر، غير أنها تتخذ من الرمز أو الفن أو من المعمار أدوات للتعبير عن نفسها؛ فلقد رفضت حكومة حزب الوفد المصري العلماني الليبرالي عام 1930، إقامة ضريح سعد زغلول في مسجد، وقررت بدلا من ذلك تشييده على شكل فرعوني وثني!! إذ أراد الوفد أن يخوض معركة سياسية مع دعاة "الجامعة الإسلامية"، ويعبر من خلال هذا المنحى –بناء القبر على الهيئة الفرعونية– عن انحيازه إلى فكرة "الوطنية المصرية" التي تستمد ثقافتها من "الفرعونية". وكانت الأخيرة قد دلفت إلى عقول بعض النخبة المصرية، بعد دخول الإنجليز مصر، وانتشار منهج التعليم "الدنلوبي"** الذي أعاد إحياء الثقافة الفرعونية، في إطار الاشتباك الثقافي بين الاستشراق الفرنسي من جهة، والاستشراق الإنجليزي من جهة

أخرى، في محاولة من كليهما لفرض هيمنته الثقافية على المجتمع المصري. وبالمثل فإن رسم "أبي الهول" على أوراق العملة وعلى طوابع البريد –وهو منحى في ظاهره فني أو جمالي– كان يخفي بين تلابيبه دعوة سياسية إلى "الجامعة المصرية"، خاصة أن هذه الخطوة جاءت تقليدا لاتجاه مشابه اتخذه الكماليون بتركيا عقب سقوط الخلافة حين اتخذوا من "الذئب الأبيض" –وهو رمز أسلافهم من الوثنيين– شعارا لهم، وقرروا أن يرسم على طوابع البريد.

ونذكر في هذا الإطار أن قادة ثورة يوليو عام 1952، حظروا على الرجال ارتداء "الطربوش"، إذ اعتبر الانقلابيون –آنذاك– الطربوش رمزا لـ"الملكية"، وانتماء لثقافتها الاجتماعية.

وفي هذا السياق فإنه قد تباينت الآراء بشأن القانون الفرنسي الأخير الذي حظر ارتداء المسلمات للحجاب في مؤسسات الدولة الرسمية، البعض يرى أنه لا يتضمن أي شبهة تحيز ضد المسلمين، على أساس أنه يحظر أيضا الشارات الدينية الأخرى لليهود والمسيحيين. والحال أن هذه الشارات كانت سائدة وبشكل علني في المجتمع الفرنسي منذ صدور قانون عام 1905 الذي فصل الدين عن الدولة. دون أن يثير حفيظة أو ريبة أحد، ولم تعتبر طوال المائة عام المنصرمة، تعديا أو تهديدا للعلمانية الفرنسية، ولم تكن موضوعا للخلاف والجدل بين القوى السياسية المختلفة، ولا استنفرت أجهزة الدولة، ولا سنت التشريعات والقوانين للحد منها. والحال أن هذا التعايش بين هذه الشارات والدولة، كان تعايشا طبيعيا وامتدادا رمزيا للأصول الثقافية للدولة، بيد أنه لم يكن في أصله دليلا –كما يعتقد البعض– على إعلاء العلمانية الفرنسية لقيمتي الاختلاف والحرية الشخصية، وإنما ظاهرة تحتضن ضمنيا، قدرا من التحيز للثقافة اليهودية – المسيحية. باعتبار أن أوروبا بما فيها فرنسا، هي في حقيقة الأمر، سليلة هذه الثقافة. وتكتسب الأخيرة أهميتها في الوعي الجمعي الغربي، من كونها المحدد الأساسي لهوية الغرب وخصوصيته الحضارية وتمايزه الثقافي لا سيما أنه ليس ثمة من يدعي أن العلمانية وفي أكثر صيغها نقاء ومثالية، تعتبر وعاء ثقافيا يعبر عن هوية أمة وانتسابها الحضاري. ولعل ذلك ما يفسر هذا الموقف الفرنسي الرسمي وغير الرسمي المتشدد إزاء الحجاب. فالأخير بما يتضمنه من

حمولة رمزية لثقافة وحضارة مغايرة ومناضلة في الوقت ذاته، لا يمثل -كما يدعي بعض الفرنسيين- تهديدا للعلمانية الفرنسية، وإنما تهديدا لـ"ثقافتها" أو بالأحرى لـ"هويتها"، أي أن ظاهرة الحجاب، وضعت الدولة أمام خيارين: إما الانحياز لـ"العلمانية" والتخلي عن "الهوية" وإما العكس. فانحيازها للأولى يفرض عليها أن تتحلى بالحيدة التي أقرها قانون 1905، ولا تهتم لا بالسفور ولا بالحجاب، سواء في المؤسسات التعليمية أو في غيرها. غير أن قانون الحظر -وإن اتشح بمبررات تظهر عكس ما تبطن- كان إعلانا عن انحياز الجمهورية الفرنسية لهويتها، وليس لعلمانيتها كما تذهب حججهم في هذا الإطار.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه ليس ثمة صدقية للادعاءات التي تقول: إن القانون جاء استجابة لرغبة الدولة، في حماية الفتيات من أي شكل من أشكال الإكراه الذي يمكن أن تمارسه الأسرة أو ما يسمى بالتنظيمات الإسلامية المتشددة، إذ إن تصرف الدولة ذاتها يتناقض مع هذا الادعاء، ويأتي في هذا السياق نموذج الطالبتين (ليلى 18 سنة، وألما 16)، حيث قررت إدارة المدرسة فصلهما لارتدائهما الحجاب، رغم أنهما ينحدران من عائلة يهودية مشهورة في فرنسا وأوروبا عموما وهي عائلة "ليفي"، والدهما "لوران ليفي" محامٍ يهودي معروف في فرنسا بمواقفه اليسارية، وأمهما جزائرية مسيحية غير متدينة، أي أن الحجاب في هذه الحالة كان ممارسة مبرأة من أي شبهة إكراه. وتكتسب حالة "ليلى وألما" أهميتها من أنها كانت حالة غير ملتبسة، وغير قابلة لتعدد القراءات والتأويلات، وأضاءت حقيقة أن موقف المدرسة من الحجاب -ممثلة للدولة- كان موقفا "ثقافيا" لا "علمانيا".

أزمة الحجاب في فرنسا -إذن- كشفت عن أن العلمانية الفرنسية، لا تمارس حضورها كوعاء حاضن للاختلاف والتعدد -أي لا تمارس علمانيتها- إلا من خلال الأطر الثقافية والاجتماعية المهمشة، أو تلك المفرغة من أية مضمون أو بنية "عقائدية - نضالية"، والتي لا تمثل تهديدا لـ"هويتها الثقافية" وليس لـ"علمانيتها السياسية"، مثل الجماعات الداعية إلى "عبادة الشيطان" أو "البوذية" أو "الزواج المثلي" أو الحرية الجنسية، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

ومن هنا فإن فرنسا لم تفشل في محاولتها دمج المسلمين في المجتمع الفرنسي، وإنما تعمدت تهميشهم، وحصارهم داخل المناطق والجماعات المهمشة، وحشرهم داخل الأطر المشابهة، غير المؤهلة بطبيعتها للتمدد والتأثير الثقافي، هنا وهنا فقط تظل العلمانية الفرنسية محتفظة بوظيفتها كمظلة يستظل بها التعدد والاختلاف. وهذا شرط أساسي من الشروط التي تستقي منه العلمانية الفرنسية حيويتها؛ ولذا فإن فكرة دمج المسلمين في المجتمع الفرنسي، ربما تكون "واقعا"، ولكن عندما يستسلم المسلمون لثقافة فرنسا وهويتها المسيحية، وليس الانصياع كما يُدعَى لمبادئ العلمانية، فليس ثمة مشكلة في الأخيرة، فهي في روحها وقوانينها تقبل هذا الاندماج، متى تحررت من القيود الحضارية (أو الثقافية)، وكذلك من أعباء الحفاظ على الجذور المسيحية للهوية الفرنسية.

تابع في الملف:

*

لماذا لا يجوز وضع تشريع ضد الحجاب؟ (رأي فرنسي)

*

فتش عن خصوصية العلمانية الفرنسية

*

الحجاب والقلادة: انهيار العلمانية في مفهومها كراعية للحريات

*

"أصولية علمانية" فرنسية في وجه الأصولية الإسلامية

*

الحجاب في فرنسا.. خطابات متعددة

* رئيس تحرير شبكة محيط الإخبارية

** نسبة إلى مستر دنلوب المستشار الإنجليزي لوزارة التعليم المصرية خلال بداية القرن العشرين، والذي فرض سياسة تعليمية تقوم على تهميش اللغة العربية والتقليل من شأنها لصالح اللغة الإنجليزية، كما أنه جعل التعليم بمصروفات وذلك لحرمان

غير القادرين من الالتحاق بالمدارس، وكان هدفه من تلك السياسة هو تخريج جيل مصري الجنسية إنجليزي الثقافة والتعليم والهوى.

==============

#الحجاب والقلادة:

انهيار العلمانية في مفهومها كراعية للحريات*

24/12/2003

...

د. خالد الطراولي**

أزمة الحجاب ..إعلان نهاية العلمانية كمدافعة عن الحريات

عاشت فرنسا منذ نهاية الصيف حملة كبيرة وتجاذبا للأفكار وأخذا للمواقف تجاه ما اصطلح على تسميته بقضية الحجاب في المدارس، ورغم الإطار الجامع الذي وُضعت فيه هذه المسألة من حديث حول تحديد اللائكية (العلمانية) اصطلاحا وتعاملا، ورغم محاولة استبعاد حصر الحديث حول الحجاب الإسلامي أو الخمار وتوسعته ودفعه إلى الحديث عن غزو الرموز الدينية في المعاهد، فإن الدافع الأساسي ولعله الوحيد وراء كل هذا الزخم من المقالات والمواقف والرؤى والإحصاءات المتوالية في المقروءات والسمعيات والمرئيات، وراء كل هذا دون مواربة ولا إخفاء هو الحجاب الإسلامي.

لقد حملت هذه الظاهرة حوارا ونقاشا طال كل الأطراف والمواقع، بين قابل ورافض، وبين مساند ومعاند، بين متشدد وميسر، بين ظاهر وباطن، وظهرت المواقف والرؤى والأطروحات متناقضة ومختلفة اختلاف النسيج السكاني الفرنسي. أسئلة كثيرة وكبيرة طرحت وأصبحت الجمهورية نفسها في خطر، وأصبح الحجاب رمز رايات في معركة غاب فرسانها وكثر لغطها، وكان ضحاياها فرقة وطائفة وجنس.

وبعيدا عن النقاشات البيزنطية والجدال العقيم الذي حفل بعض ثنايا هذه الحملة، فإن مفارقات عجيبة ولحظات وعي ومحطات لا وعي، قد اصطحبتها والتي جعلت الأسئلة المطروحة تفتح على مزيد من الأسئلة، وتؤدي غالبا إلى أجوبة غير منتظرة،

أو تزيد الأمر تعقيدا وغرابة، وتقلص مراحل الوعي والمعقول، وتزيد درجات اللاوعي والعاطفة والشعور.

المفارقة الأولي: لحظة الوعي المغشوشة

لما انطلقت الحملة، كان للمجتمع المدني بكل أصنافه ورواده مساهمة ودور أساسي في اندلاعها وتواصلها، وشهدت الصحف الفرنسية مقالات يصب أغلبها حول غزو الحجاب للمدارس والخوف والريبة من انتشاره، ولعل أطرافا وتجمعات سياسية وغيرها ساهمت في الدفع في هذا الاتجاه، بأغراض سياسوية أو انتخابية أو عقدية. كانت هذه المحطة هامة في المسار الذي سوف تأخذه القضية، ففي هذه المرحلة من المراكمة للأفكار والأطروحات، ظهر دور المجتمع المدني ولو في بعض الأحيان تحت ضغوطات مشبوهة وتوجيهات مبطونة كما عنيناه سابقا، إلا أنه مثل تكريسا لمكانة هذا الطرف في ولادة حوار وتزاوج للأفكار في داخله، وعدم استبطان كل ما يمسه عن قريب أو من بعيد في تاريخه أو في ثقافته أو في يومه وغده.

ظهر الحوار علنيا رغم حساسيته، وظهرت الجمهورية في أحلي زينتها. تلت هذه المحطة انتقال فوري لهذا النقاش إلى ميدان أكثر رسمية وعلته الصبغة الجدية والقانونية، إذ أخذت الدولة على عاتقها تحويل هذا الحوار من تجاذب بريء وشبه طبيعي، إلى حوار ضيق بين مختصين ومعنيين مباشرة بالحجاب في تنظيراتهم وأعمالهم الفكرية، أو من يمسهم من خلال تواجدهم على عين الواقع، وكانت لجنة ستازي للحكماء التعبير الرسمي والقانوني لهذا المسار في مرحلته الثانية. التقت هذه اللجنة حسب الساهرين عليها بما يقارب المائة من المدعوين واستمعت إلى مرافعاتهم وتشكل على إثرها رأي حملته الأغلبية الساحقة (19 من 20 حكيما) حول ضرورة إصدار قانون ضد منع تواجد الرموز الدينية داخل المدارس العامة، وتم تسليم كتاب أبيض لرئيس الجمهورية حمل رؤى اللجنة وتوجيهاتها ونصائحها. انتهي دور المجتمع المدني في هذه المرحلة بكل إيجابياته وسلبياته، وكانت المرحلة الموالية إصباغ الرداء الرسمي والجمهوري للموقف في أعلى مستويات الدولة، فأخذ اقتراح التقنين مساره الطبيعي نحو مجلس النواب الذي سوف يؤكد هذا الاتجاه، نظرا لالتقاء

الحكومة والمعارضة حول ضرورة منع الرموز الدينية الظاهرة أو البارزة في المدارس العمومية، وهي المحطة الأخيرة في هذا المسار الديمقراطي في أخذ القرار.

كانت هذه المراحل تأكيدا لجدوى وفعالية مشاركة الجمهور في أخذ قراراته، وهو رمز إيجابي لدور الديمقراطية، رغم بعض عللها، في إنشاء صرح وفاقي حول مواضيع ومواقف تهم الشعوب في ذاكرتها وفي معاشها. كان درسا موجها إلى كل مجتمعات الاحتضار والظلم، كان درسا لمن غيب المجتمع وأعلن جمهوريات الوراثة والتعيين والسكون، كان لفتة إلى من كبل المجتمع المدني أو احتواه أو قزمه أو همشه أو محاه، كان كل هذا درسا في الوعي والتحضر، وغلبة مسارات المشاركة الجماهيرية، وهيمنة دولة القانون والمؤسسات على من سواها...ولكن... كان هذا المسار الديمقراطي في دولة القانون وحقوق الإنسان لحظة وعي ولا شك، غير أن حقائق مفزعة، وألوان غير زاهية، ومنعطفات غير واضحة، ومنطلقات غير سليمة، ومرجعيات واهية، وأهداف غامضة، وأعمال جانبية مناقضة، خيمت على هذا اللبوس المثالي، وعلى هذه المسارات المغشوشة، وهنا بيت القصيد وهنا مربط الفرس. فغابت حقيقة الديمقراطية وظهرت قشورها، وغابت اللائكية وظهرت أنيابها، وغاب الوعي والعقل، وهيمنت العاطفة في بعض الثنايا والأوحال، وغابت جمهورية الجميع على حساب فرقة وأقلية وجماعة.

فقبل أيام قليلة من هذا المشوار الحقوقي والديمقراطي الخلاب، وقبل لحظات الوعي الذي اصطحبته، أطل علينا الرئيس الفرنسي وهو في بلد غير بلده، وأمام جمهور غير جمهوره، ليعلن للجميع بأن حقوق الإنسان وأي إنسان، تتمثل في الأكل والشرب والسكن! ورغم التراجع الذي تلاه، ورغم الأصوات المنددة والمندهشة لدي الرأي العام الداخلي والخارجي، فإن زلة اللسان أو لذة اللسان هذه، تنبئ ولا شك عن التعامل بميزانين في مثل هذه القضايا الحساسة، وأن لغة المبادئ قد تندثر أمام المصلحة والمكسب، وأن للداخل خطابه وللخارج لهجته ومظاهره. لحظة اللاوعي هذه تجاه المجتمعات الأخرى تسحب البساط من جدية المواقف الداخلية وتجعلها غير مبدئية في حقيقتها، وأنها ترتبط أكثر بالأنا الثقافي أو الوجداني أو الديني، وتقوقع الموقف وتجعله وليد مصلحة القوم أو الفرقة أو القبيلة الجديدة، وترمي به في أحضان

التبجيل والمحاباة لعنصر دون آخر. وهو ما يرج عديد القناعات في موضوعية هذه المواقف ونزاهتها، رغم الصيغة الديمقراطية لإصدارها.

المفارقة الثانية :الوعي المنقوص

لم تكن الصيغة التي عملت بها الجمهورية في صياغة هذا المسار سليمة إلى حد ما في محطة عمل لجنة الحكماء . فعديد التساؤلات تطرح في مستوي تمثيلية هذه اللجنة في تكونها أولا من أفراد قد يقترب بعضهم من ملامسة محتشمة للمعرفة الإسلامية الأكاديمية لمسألة الحجاب، غير أن الكثير منهم وخاصة أصحاب الجذور العربية أو الإسلامية لا تجتمع لديهم الثقافة الوافرة لبلورة رؤية قبلية ومسبقة، تجعلهم يحملون هذه المرآة العاكسة التي تلطف عديد المواقف، وتغلّب لغة العقل على لغة العاطفة، وتجعل من محك التفكير العقلاني والرصين آلية للتأثير وتجنب التأثر العاطفي، الذي غلب على أفراد اللجنة. هذه المصداقية المهزوزة بعض الشيء تظهر أيضا في المرجعيات الأيديولوجية التي كان عليها أصحاب الجذور الإسلامية، فلن تجد من بينها امرأة تلبس الحجاب، أو تتبني الدفاع عنه، فالجميع يحمل منذ البداية منطلقا رافضا وحتى عدائيا تجاه الرمز الديني عموما والحجاب خاصة.

كما تطرح التساؤلات لاحقا في مستوي الجمهور المستمع إليه. فمن بين مائة فرد تداولوا على المنصة، وقع الاستماع إلى امرأتين متحجبتين فقط، وكأن الأمر لا يعني هذه الطائفة، فكيف يمكن بلورة فكرة واضحة وتكوين رأي سليم إذا كان المعنيون مباشرة لا يمثلون أكثر من 2% من الجمهور المعني، وهذا حسب ظني إحدى المنزلقات التي وقعت فيها اللجنة عن وعي أو غير وعي. كان الأسلم أن يستمع أعضاؤها إلى العديد من الفتيات اللاتي يلبسن الحجاب ويتبينوا الأسباب الكامنة وراءه، عوض أن يكثر الجدل البيزنطي حوله ويغلب طابع الهمز واللمز والتشويه والرأي المسبق والحكم النهائي، في ظل غياب المتهم. كان الأجدى أن تعرف اللجنة وأن يعرف المجتمع من ورائها لماذا قررت فتيات فرنسيات المنشأ والمسقط وفي واقع متمدن ومتحضر وفي ظل علمانية مهيمنة على كل أوصال المجتمع، وأمام هيمنة الموضة واستفحال النموذج الأمريكي الزاحف على الأكل الشرب والملبس، وفي وسط إطار داخلي وخارجي ينظر بعين الريبة والشك والعداء

لكل مظهر إسلامي، لماذا لم تستمع اللجنة إليهن حتى نعرف الأسباب فتكون الرؤية واضحة وأكثر صلابة، فلعل منهن من أرغمت على لباسه تحت وطأة أب أو أخ أو جماعة، وللقانون حقه وواجبه أن يتدخل لحماية حريتهن. ولعل منهن من لبسته كموضة تنتهي بانتهاء أجلها وتنحي رموزها، ولعل منهن من لبسته حشمة وحياء وهو موقف يبتعد عن السياسة والأيديولوجيا والإثنية ويلامس الأخلاق والسلوك المرهف، ولعل منهن من ارتدته حتى تتجنب المضايقات والهمز في أحياء مهمشة يغلب عليها التقوقع والانعزال ولغة القوة والعصابة، فيكون الحجاب تعبيرا عن أزمة مجتمع وتهميش مجموعات وطوائف وجهات وبقاع، وليس هو الأزمة، بل لعله يساهم في طرق الأبواب الحقيقية ووضع الإصبع على الموقع الجريح. ولعل منهن من اختارته عن وعي ولبسته عن علم، فكان خيارا لا اضطرارا وكان عقلا وليس نقلا، وهو بالتالي تعبير عن حرية مفقودة، ورمز للتحرر من براثن تقاليد بالية وتصورات واهية حملها الآباء والأمهات من بلدان الأصل وحسبوها دينا والدين منها براء.

المفارقة الثالثة :حجاب وقلادة

هذا العلم النسبي بأبجديات الحجاب، تاريخا وحكما وشرعية، تجلي في محاولة التمييز بين الرموز الدينية الظاهرة مثل الحجاب الإسلامي أو القلنسوة اليهودية، أو الصليب الكبير الحجم (رغم أننا نستبعد أن نري أحدهم يجر صليبا معه داخل المدرسة أو خارجها) وبين الرموز الخفية مثل نجمة داوود أو الصليب الصغير أو قلادة فاطمة! فما هي هذه القلادة التي حشرت حشرا كرمز إسلامي يمكن قبوله وتجاوزه. الحديث عن هذه القلادة هو تعبير في الحقيقة بوعي أو غير وعي عن إفلاس في فهم الحجاب، عن وظيفته، عن دوره، هو إفلاس في فهم هذا الدين، وفهم تاريخه وقواعده، وأسسه. لقد ظن الكثير إلى يومنا هذا أن قرآن المسلمين هو تصوير لحياة الرسول الكريم (ص) كما هو الشأن للسيد المسيح (ص) والإنجيل. وهو إفلاس في فهم ثقافة هذه الأقلية وعلاقتها بدينها وبحضارتها، وعدم تفهم للعلاقة العضوية التي تربطها بأمتها، دون الإخلال بحبها وأمانتها لأوطانها الجديدة. هذا الخلط الواضح بين قلادة لا يعرف أصلها وفصلها، تعود إلى العادة والتقاليد عند بعض

الأفراد من بلاد المغرب، حتى أن أهل الشرق الإسلامي لم يفقهوا معناها ولا عرفوا رسمها، والتجأ أحد المواقع على الإنترنت إلى نشر صورة لها لتقريب صورتها إلى أذهان المسلمين المشارقة. زيادة على أن مثل هذه الطلاسم والتعاويذ السحرية، هي أقرب للشعوذة من عالم الدين والعلم، والإسلام منها براء، وهذا ما خفي عن لجنة الحكماء والعارفين، وهو تأكيد على غياب مجحف لأصحاب الشأن في هذا المجال.

هذه النسبية في معرفة الإسلام لم تكن حبيسة اللجنة فقط بل عمّت الجميع، ولعل الغريب أن الكثير من المفكرين وأنصاف المثقفين والسياسيين دخلوا حلبة التناظر بمعرفة قاصرة، أو حتى جهل مدقع بالإسلام كدين، وبالحجاب كظاهرة ووظيفة، وأكثر هؤلاء غرابة رئيس بلدية مونبولي، الاشتراكي السيد فراش حين أعلن في اجتماع مجلس البلدية وبحضور الكاميرا عن علمه بأبجديات الإسلام ومنها أن زوجات الرسول محمد الثمانية (وليس تسعة) لم يلبسن الحجاب قط!.

المفارقة الرابعة : تكريس الطائفية

لما انتهي الرئيس الفرنسي من إلقاء خطابه الذي أعلن فيه دعوته إلى تقنين منع الحجاب في المدارس، كانت تعليقات ممثلي الأديان متضاربة، ورغم القبول المتلكئ والغالب عليه الرضا بالأمر الواقع لدي رئيس مجلس المسلمين في فرنسا، فإن الامتعاض والرفض قد غاب لدى الأطراف الأخرى، بل إن مجلس الطائفة اليهودية أبدي في بيان صدر في باريس الأربعاء 17-12-2003 قبوله للقانون وعلى كل من يريد أن يعيش في فرنسا أن يخضع لقوانينها وعاداتها وأيد المجلس قرار عدم منح طلبة المدارس إجازة في عيد الكيبور اليهودي وعيد الأضحى، معللا ذلك أن منح مثل هذه الإجازة سيؤدي إلى مشاكل أكثر مما يؤدي إلى حلول.

هذه الرؤية المختلفة والمتناقضة سهل فهمها وهي تعبر في الحقيقة عن أن المعنيين والضحايا في هذا الأمر هم المسلمون. فزيادة على أن مظاهر التدين الغالب عند الأطراف الأخرى ليس إلزاميا، فإن وجود مدارس حرة كاثوليكية ويهودية تمول من طرف الدولة وتكاد تماثل المدارس العمومية عددا وعدة، تجعل من القانون غير ذي اعتبار عند الطائفتين. فأكثر من مليوني وستمائة ألف تلميذ يرتادون المدارس الكاثوليكية، وأكثر من 26 ألفا يدرسون في المدارس اليهودية، في حين أن سبعين

تلميذا مسلما يرتادون مدرستين مسلمتين بتمويل ذاتي، تأسستا منذ سنة أو سنتين. ولو أرجعنا هذه الكتل إلى نسبها المئوية في مقابل عدد المنتسبين إلى هذه الأديان لوجدنا الإجحاف أكبر وأخطر. المفارقة التي سوف يتعرض لها القرار لا محالة وهو إما أن يؤدي إلى طرد العشرات أو المئات من الفتيات اللاتي يرفضن نزع خمارهن، وهو ما سيدفع لاحقا إلى ضرورة إيجاد بدائل إسلامية، مما يعمق الانكفاء والتقوقع على الذات وعلى الطائفة، وهو عكس ما أراده المشرع الفرنسي.

وإما أن تبقي الفتيات سافرات الشعر داخل المدارس وهو ما سوف يعمق الإذلال لهذه الأقلية وشعورها بأنها مظلومة، وأن الوطن الذي حملها وحملته في قلوبها، قد هضم حقها في العزة والكرامة، وأن عليها أن تبحث عن ذلك الدفء المعنوي والحاسم عند بني طائفتها. إن سياسة الخوف كما عبرت عنها افتتاحية صحيفة لوموند في 03/12/17 تظهر أنه بعيدا على أنه سيكون وسيلة للاندماج والتهدئة كما يريده الرئيس الفرنسي، فإن القانون المرتقب سوف يكون إشارة عكسية إلى مزيد من الانكفاء على الذات والطائفية، فهذه اللائكية الخائفة والمنغلقة والمدافعة ستؤدي لاحقا إلى تهميش قطاع هام من سكان البلاد وتشويه صورته ورفت جانب منه.

المفارقة الخامسة: اللائكية المغشوشة

ليست اللائكية مطروحة للنقاش هذه الكلمات التي رددها الرئيس الفرنسي مكررا، تنبئ بالمكانة التي حفرتها اللائكية في ثقافة هذا البلد وعقلية أفراده وتركت بصماتها في عقلها الجمعي والفردي، والتي بنت وجدان مجتمعه وأسست كيانه وحددت سلوكه، فاللائكية الفرنسية هي لغة وتاريخ وثقافة ومصير. إن القول بهذه المبدئية الصارمة والرافضة للغة الحوار والتجاذب، يحمل في حد ذاته تناقضا جوهريا مع ما حملته اللائكية في دعوتها من أنها تشكل إطارا سليما للقاء بين الأضداد وعدم الإقصاء والاستثناء، رغم أنها تأسست على أنقاض معركة شاحنة بين الجمهورية والكنيسة، بل إن علاقتها التي بنتها مع الأديان كان فيه من المرونة ولو كانت محتشمة ما جعلها تحدد أطر التفاعل رغم تضييق منابر العمل.

فالفصل بين الدين والدولة، وطرد الكنيسة من الفضاء العام، وخاصة القطاع التعليمي العمومي، تولد عنه نشأة قطاع تعليمي خاص ضخم، تسهر عليه الكنيسة

وتموله الدولة بضرائب المواطنين. المفارقة الجديدة التي تطرحها هذه الكلمات الحازمة للرئيس الفرنسي وهو إذا كانت اللائكية غير قابلة للنقاش، فهل حرية المعتقد وحرية الملبس قابلتان للجدال؟ وهذا ما جعل عديد الأطراف الخارجية تعبر عن قلقها من هذا الموقف المناهض لحرية المعتقد، فالبيت الأبيض اعتبر عن طريق مسئول الحريات الدينية في الخارجية أن الحجاب وما سواه من المظاهر الدينية يجب أن يكون متاحا، كما عبر التقرير السنوي للوزارة حول الحريات الدينية عن قلقه وانشغاله بالعقبات التي تضعها فرنسا لحرية المعتقد. كما أشارت الوزيرة البريطانية القائمة على الشؤون العرقية، أن المرأة المسلمة في بريطانيا تستطيع ارتداء الحجاب بكل راحة، سواء في الأماكن العامة أو في المدارس.

فالسؤال المطروح إذا كانت أطراف تجمعها بفرنسا وحدة الثقافة وتقارب العقلية وتناسق المواقف والتصورات الفلسفية وأحادية النسق الحضاري، لم تفهم الموقف الفرنسي، فكيف سيفهمه أبناء البلد وبناته؟ كيف ستفهم الفتاة الفرنسية التي تربت في بلد حقوق الإنسان، والتي سمعت آباءها قبل أن تري بأم عينيها مدي انعدام الحرية والاعتداء على حقوق الإنسان في وطن الأجداد، كيف لها وهي التي تغنت وشكرت الأقدار التي جعلتها تري الدنيا بالألوان، في هذه البلاد المفعمة بأشعة الحرية ونسيمها وأشواقها، كيف لها أن تقبل مهما كانت المبررات والدوافع، فلسفية كانت أو حضارية أو سياسية ضيقة، أن يُعتدي على حق ظنته مكسبا لا رجعة فيه، ولا يقبل المزايدة، وليس مطروحا للنقاش؟ كيف لهذا الأقلية الجديدة أن تعقل أن هذه الحرية في المعتقد والملبس التي رعتها اللائكية يوما في مواجهة الكنيسة، تأتي اليوم هذه اللائكية نفسها لتنزعه عن فريق تربي في أحضانها، وشرب من ألبانها على مقاعد الدراسة وأمام شاشات التلفاز؟

المفارقة السادسة: الإسلام كتهمة

لقد أنتجت الحملة حول الحجاب، والقانون الذي سوف تثمره حالة ارتياب وتوجس داخل المجتمع الفرنسي تعبر عنها كلمة الإسلاموفوبيا وهي الخوف من الإسلام فكرا وممارسة، حتى أصبح الحجاب عنوانا لهذه الأقلية ولثقافتها ورمزا لدينها، وتحولت المعاداة والريبة من قطعة القماش إلى النسيج الاجتماعي نفسه، ومن الحجاب إلى

الديانة الإسلامية. وأصبحت مناطق الحظر تتوسع وأخذ إطار الحرية لهذه الأقلية يتقلص شيئا فشيئا. فمن المدرسة أصبح الحديث عن المستشفيات، وطالب البعض بأن تحترم اللائكية من طرف الطبيب والمريض، حيث تبين أن البعض من الطاقم الطبي النسائي يلبسن الحجاب، فقبل أن تكون طبيبا أو مريضا عليك أن تكون لائكيا! ثم تم غلق مسبح كان يسمح فيه لسويعات معدودة في الأسبوع، للنساء المسلمات بالترفيه عن أنفسهن بعيدا عن أعين الغرباء، حتى لا يتناقض مع مياه اللائكية التي ترفض الفصل بين المواطنين! ثم قام رئيس بلدية إحدى الضواحي الباريسية (Nogent sur marne) برفض الإشراف وقبول الزواج المدني لعروس لأنها رفضت نزع الخمار، بدعوى عدم احترام القيم العلمانية للدولة! لأن مقر البلدية رمز ومكان مبجل للجمهورية! ثم تلاه رفض أحد مديري المدارس دخول أولياء متحجبات إلى المدرسة لحضور حوار داخلي دعت إليه الدولة لمناقشة دور المدرسة، بدعوى لائكية المكان!

هذه المظاهر الجديدة في المجتمع الفرنسي ليست شواذا، ولكنها تعبير خطير عن عقلية جديدة بدأت تُنسج خيوطها في البيت السياسي أولا، ثم تفشت في النسيج الاجتماعي، وهي الخوف والتوجس من هذا الدين ومن أصحابه، واعتبار أن جزء من هذا الوطن غير مرغوب فيه. وبالرغم من أن الرئيس الفرنسي قد حذر من هذا المنعطف ، فإننا لا نخال إلا أن هذه الحملة والمتبوعة بالقانون، ستؤدي إلى هذه النتيجة الخطيرة على علاقة الطوائف ببعضها، وإلى التدرجات الاجتماعية داخل الوطن الواحد، وسيشعر جزء منه أنه مضطهد، وأنه مواطن من الدرجة الثانية لاختلافه في المعتقد والدين. فهل هو عجز المجتمع الفرنسي عن استيعاب هذا الدين وتفهم ثقافة حامليه والقبول بالظاهرة الإسلامية؟ أم أن الخوف من الاحتواء الإسلامي للثقافة الأوروبية ولتاريخها يبرر مثل هذه القوانين ويبشر بالمزيد منها؟

الحالة الإسلامية على مفترق طرق

إن الحملة الفرنسية وما سوف ينجر عنها من قوانين وأحوال تؤكد على ثلاث استنتاجات هامة ومصيرية وفريدة تتجاوز الواقع الفرنسي، لتلمس حالة الأقليات

المسلمة في الغرب فقها وممارسة، و دور المرأة كإنسان وكمسلمة، والعلمانية كإطار مستقبلي مهتز كان ينشد حلولا لأطر متخلفة :

– يحمل المظهر الإسلامي خاصية ذات بعدين، وظيفي ورمزي. وهي حالة يلتقي فيها مع بعض الأديان ولكن يفوقها حجما ودلالة، وهي توحي بفرادته وتجعله يعبر عن ثقافة وعقلية ومنهج حياة يتجاوز الحدود والثقافات.فهل تسبق قوانين الإطار الذي يتنزل فيه تصوراته أم يعلو عليها وينبذها؟ هل يعلو الحجاب على الجمهورية أم يتأقلم مع المعطيات الجديدة ويحترم قانون الأغلبية على مرارته؟ هذه اللحظة التي تعيشها الأقلية المسلمة في فرنسا خاصة وفي بلاد الغرب عامة، تظهر مدي ما يحمله هذا الواقع الجديد من خاصيات ومميزات تدفع إلى الإسراع بإنشاء فقه للأقليات لا يكتفي بدور النصيحة والإفتاء ودعها حتى تقع، ولكن يفرض الجرأة على خوض هذه التجربة المصيرية والهامة في مستوي الفروع، فإذا كان هذا الفقه جزء من الفقه العام، فإنه يجب أن يتميز عليه بواقعه الذي يتنزل فيه وبخصوصية أوضاع طالبيه. إن بروز فقه جديد بقواعد جديدة يعبر عن حالة جديدة لم يعرفها الإسلام سابقا، حيث أصبح قلة في كثير، يعتبر أمرا ضروريا وحاسما لاندماج هذه الأقليات في أوطانها الجديدة مع احترام قوانين بلدانها دون تفسخ أو اندثار أو انعزال.

– أصبحت المرأة رمزا للإسلام وهي حقيقة جديدة ومكسبا لم يكن يحلم به أصحاب المشروع نفسه، فحقوق المرأة ودورها الاجتماعي كان الثلمة التي يجب رتقها، وحلقة الضعف الرئيسية في الخطاب الإسلامي وممارساته. كانت دونية المرأة وحقوقها المهضومة عنوانا سلبيا للإسلام عند الضفة الأخرى، وببروز الحجاب ودخوله معترك المطالب النسوية والحقوق الشخصية، وتبنيه كوسيلة تحرير للمرأة من تقاليد العزلة والانسحاب، و من خطاب الإبعاد والإقصاء، وممارسات الدونية والاستخفاف، وتأويلات قرون الانحطاط والسقوط، لتصبح المرأة المتحجبة صورة حية للمرأة الحرة التي لها رأيها في الشأن الخاص والعام. وتصبح المرأة عنوانا إيجابيا للإسلام إذا روعيت القراءة الواعية والمتحضرة والسليمة للأقوال والأفعال. هذه الحالة الجديدة للمرأة لا تعتبر إفرازا فريدا وحالة لم يشهدها التاريخ الإسلامي، ولكن عودة على بدء وارتباطا طبيعيا بعد قوسين من ضلال التقاليد والجور الفقهي، بالروح التحريرية التي

حملها النص الإسلامي وتجربته التاريخية أيام مجده الحضاري. ألم تُعرّف النساء المتحجبات بالحرائر وغيرهن من الإماء والعبيد اللاتي ليس لهن أدني دور في الحياة العامة!

– انهيار العلمانية في مفهومها العام كراعية للحريات ومدافعة عن حقوق الإنسان، وتلوثها بلغة المصالح الإثنية والقومية وبالمكاسب الانتخابية على حساب المبدأ والنموذج. هذه الرجات المتوالية التي ما فتئت تهز ديار العلمانية حينا واللبرالية حينا آخر، من مثل قوانين الهجرة في أميركا وانتهاكها لأبسط الحقوق والحريات العامة، إلى مسجونين بدون حساب ولا عقاب ولا يحملون أي صفة قانونية، ومن مثل ما يقع من مضايقات وتهديدات لوسائل إعلامية لا تمشي وراء الركب وفضلت التغريد خارج السرب. كل هذه النقاط السوداء التي بدأت تنهمر ويكثر وقعها على أرض متعطشة لزرع آخر وزارع جديد، جعلت من العلمانية والليبرالية قصور رمل واهية لأي موجة قادمة مهما ضعف زبدها. ولهذه الترهلات وقع شديد في البلدان العربية والإسلامية التي شهدت وما زالت تشهد تعاظم العودة للإسلام الفطري، وانهيار المقولات والشعارات العلمانية والليبرالية التي ساهم آباؤها في الضفة الأخرى في اهتزاز صورتها، مما جعلتها تفقد مصداقيتها وتستعد لمغادرة المشهد السياسي والاجتماعي وهي في حيرة من أمرها.

==============

#انحياز لـ"الهوية الثقافية" وليس لـ"العلمانية السياسية"

27/12/2003

...

محمود سلطان*

كان للكاتب الراحل محمد جلال كشك – رحمه الله – في اشتباكه مع دعاة "حقوق المرأة"، في مصر، بعض الإضاءات التي لا نبالغ إن قلنا إنها أصابت كبد الحقيقة، فيما يتعلق بالجدل الدائر بشأن "الحجاب" سواء أكان – هذا الجدل – محتدما في العالم العربي، أو في غيره على نحو ما يحدث الآن في فرنسا.

أوضح كشك أن هناك ثمة علاقة مفترضة "بين الحجاب والدين" أو الانتساب الحضاري، بمعنى أن الحجاب إضافة إلى كونه فريضة دينية هو في واقع الحال رمز أو دلالة على الانتماء للإسلام ولثقافته القرآنية، ربما تكون هذه العلاقة، غير حاضرة في خاطر المحجبات، ولكنها حاضرة حضورا ملتهبا في تفكير المعارضين للحجاب. ومن ثم فإن الهدف ليس تعرية رأس الفتيات ولا تحرير المرأة من الحجاب بل "قطع رأس الإسلام"، على حسب قوله.

والحال أن ما يعطي هذه القراءة صدقها، أن النخب السياسية والثقافية، عادة ما تكون شديدة الوعي بمركزية "الرمز" ودلالاته الحضارية. صحيح أن الممارسات "الرمزية"، قد تبدو لعوام الناس عملا فنيا أو معماريا محضا، أو أنها خالية من أية دلالة سياسية أو ثقافية وهي في واقع الحال، اتجاهات تتقاطع فيها السياسة والثقافة والحضارة بشكل أو بآخر، غير أنها تتخذ من الرمز أو الفن أو من المعمار أدوات للتعبير عن نفسها؛ فلقد رفضت حكومة حزب الوفد المصري العلماني الليبرالي عام 1930، إقامة ضريح سعد زغلول في مسجد، وقررت بدلا من ذلك تشييده على شكل فرعوني وثني!! إذ أراد الوفد أن يخوض معركة سياسية مع دعاة "الجامعة الإسلامية"، ويعبر من خلال هذا المنحى –بناء القبر على الهيئة الفرعونية– عن انحيازه إلى فكرة "الوطنية المصرية" التي تستمد ثقافتها من "الفرعونية". وكانت الأخيرة قد دلفت إلى عقول بعض النخبة المصرية، بعد دخول الإنجليز مصر، وانتشار منهج التعليم "الدنلوبي"** الذي أعاد إحياء الثقافة الفرعونية، في إطار الاشتباك الثقافي بين الاستشراق الفرنسي من جهة، والاستشراق الإنجليزي من جهة أخرى، في محاولة من كليهما لفرض هيمنته الثقافية على المجتمع المصري. وبالمثل فإن رسم "أبي الهول" على أوراق العملة وعلى طوابع البريد –وهو منحى في ظاهره فني أو جمالي– كان يخفي بين تلابيبه دعوة سياسية إلى "الجامعة المصرية"، خاصة أن هذه الخطوة جاءت تقليدا لاتجاه مشابه اتخذه الكماليون بتركيا عقب سقوط الخلافة حين اتخذوا من "الذئب الأبيض" –وهو رمز أسلافهم من الوثنيين– شعارا لهم، وقرروا أن يرسم على طوابع البريد.

ونذكر في هذا الإطار أن قادة ثورة يوليو عام 1952، حظروا على الرجال ارتداء "الطربوش"، إذ اعتبر الانقلابيون -آنذاك- الطربوش رمزا لـ"الملكية"، وانتماء لثقافتها الاجتماعية.

وفي هذا السياق فإنه قد تباينت الآراء بشأن القانون الفرنسي الأخير الذي حظر ارتداء المسلمات للحجاب في مؤسسات الدولة الرسمية، البعض يرى أنه لا يتضمن أي شبهة تحيز ضد المسلمين، على أساس أنه يحظر أيضا الشارات الدينية الأخرى لليهود والمسيحيين. والحال أن هذه الشارات كانت سائدة وبشكل علني في المجتمع الفرنسي منذ صدور قانون عام 1905 الذي فصل الدين عن الدولة. دون أن يثير حفيظة أو ريبة أحد، ولم تعتبر طوال المائة عام المنصرمة، تعديا أو تهديدا للعلمانية الفرنسية، ولم تكن موضوعا للخلاف والجدل بين القوى السياسية المختلفة، ولا استنفرت أجهزة الدولة، ولا سنت التشريعات والقوانين للحد منها. والحال أن هذا التعايش بين هذه الشارات والدولة، كان تعايشا طبيعيا وامتدادا رمزيا للأصول الثقافية للدولة، بيد أنه لم يكن في أصله دليلا -كما يعتقد البعض- على إعلاء العلمانية الفرنسية لقيمتي الاختلاف والحرية الشخصية، وإنما ظاهرة تحتضن ضمنيا، قدرا من التحيز للثقافة اليهودية - المسيحية. باعتبار أن أوروبا بما فيها فرنسا، هي في حقيقة الأمر، سليلة هذه الثقافة. وتكتسب الأخيرة أهميتها في الوعي الجمعي الغربي، من كونها المحدد الأساسي لهوية الغرب وخصوصيته الحضارية وتمايزه الثقافي لا سيما أنه ليس ثمة من يدعي أن العلمانية وفي أكثر صيغها نقاء ومثالية، تعتبر وعاء ثقافيا يعبر عن هوية أمة وانتسابها الحضاري. ولعل ذلك ما يفسر هذا الموقف الفرنسي الرسمي وغير الرسمي المتشدد إزاء الحجاب. فالأخير بما يتضمنه من حمولة رمزية لثقافة وحضارة مغايرة ومناضلة في الوقت ذاته، لا يمثل -كما يدعي بعض الفرنسيين- تهديدا للعلمانية الفرنسية، وإنما تهديدا لـ"ثقافتها" أو بالأحرى لـ"هويتها"، أي أن ظاهرة الحجاب، وضعت الدولة أمام خيارين: إما الانحياز لـ"العلمانية" والتخلي عن "الهوية" وإما العكس. فانحيازها للأولى يفرض عليها أن تتحلى بالحيدة التي أقرها قانون 1905، ولا تهتم لا بالسفور ولا بالحجاب، سواء في المؤسسات التعليمية أو في غيرها. غير أن قانون الحظر -وإن اتشح بمبررات تظهر

عكس ما تبطن- كان إعلانا عن انحياز الجمهورية الفرنسية لهويتها، وليس لعلمانيتها كما تذهب حججهم في هذا الإطار.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه ليس ثمة صدقية للادعاءات التي تقول: إن القانون جاء استجابة لرغبة الدولة، في حماية الفتيات من أي شكل من أشكال الإكراه الذي يمكن أن تمارسه الأسرة أو ما يسمى بالتنظيمات الإسلامية المتشددة، إذ إن تصرف الدولة ذاتها يتناقض مع هذا الادعاء، ويأتي في هذا السياق نموذج الطالبتين (ليلى 18 سنة، وألما 16)، حيث قررت إدارة المدرسة فصلهما لارتدائهما الحجاب، رغم أنهما ينحدران من عائلة يهودية مشهورة في فرنسا وأوروبا عموما وهي عائلة "ليفي"، والدهما "لوران ليفي" محامٍ يهودي معروف في فرنسا بمواقفه اليسارية، وأمهما جزائرية مسيحية غير متدينة، أي أن الحجاب في هذه الحالة كان ممارسة مبرأة من أي شبهة إكراه. وتكتسب حالة "ليلى وألما" أهميتها من أنها كانت حالة غير ملتبسة، وغير قابلة لتعدد القراءات والتأويلات، وأضاءت حقيقة أن موقف المدرسة من الحجاب –ممثلة للدولة- كان موقفا "ثقافيا" لا "علمانيا".

أزمة الحجاب في فرنسا –إذن- كشفت عن أن العلمانية الفرنسية، لا تمارس حضورها كوعاء حاضن للاختلاف والتعدد –أي لا تمارس علمانيتها- إلا من خلال الأطر الثقافية والاجتماعية المهمشة، أو تلك المفرغة من أية مضمون أو بنية "عقائدية – نضالية"، والتي لا تمثل تهديدا لـ"هويتها الثقافية" وليس لـ"علمانيتها السياسية"، مثل الجماعات الداعية إلى "عبادة الشيطان" أو "البوذية" أو "الزواج المثلي" أو الحرية الجنسية، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

ومن هنا فإن فرنسا لم تفشل في محاولتها دمج المسلمين في المجتمع الفرنسي، وإنما تعمدت تهميشهم، وحصارهم داخل المناطق والجماعات المهمشة، وحشرهم داخل الأطر المشابهة، غير المؤهلة بطبيعتها للتمدد والتأثير الثقافي، هنا وهنا فقط تظل العلمانية الفرنسية محتفظة بوظيفتها كمظلة يستظل بها التعدد والاختلاف. وهذا شرط أساسي من الشروط التي تستقي منه العلمانية الفرنسية حيويتها؛ ولذا فإن فكرة دمج المسلمين في المجتمع الفرنسي، ربما تكون "واقعا"، ولكن عندما يستسلم المسلمون لثقافة فرنسا وهويتها المسيحية، وليس الانصياع كما يُدعَى لمبادئ العلمانية، فليس

ثمة مشكلة في الأخيرة، فهي في روحها وقوانينها تقبل هذا الاندماج، متى تحررت من القيود الحضارية (أو الثقافية)، وكذلك من أعباء الحفاظ على الجذور المسيحية للهوية الفرنسية.

============

#"أصولية علمانية" فرنسية في وجه الأصولية الإسلامية*

20/12/2003

...

محمد قواص**

الشقيقتان ليلى ولمعى اللتين أثار طردهما من المدرسة قضية الحجاب فى فرنسا
أدلى سيد الإليزيه بدلوه المنتظر في شأن الجدل الداخلي الفرنسي الذي أثارته ظاهرة ارتداء الحجاب في المدارس. وافق جاك شيراك على اقتراح لجنة شُكلت للنظر في قوانين العلمانية في فرنسا يدعو إلى إصدار قانون يعتمده برلمان البلاد يمنع حمل أو ارتداء كل ما يدل على الديانة في مدارس الجمهورية. إنه وجه من وجوه "صدام الحضارات" تشهده فرنسا من خلال نقاش على مستوى البلاد حول كيفية التعاطي مع ظاهرة الحجاب.

والمسألة ليست ظرفية تتعلق في شأن جهوي محلي، بل أضحت مفصلية تستدرج إعادة النظر في النظرية العلمانية وفي النموذج الذي خرج من الثورة الفرنسية وتقنن أوائل القرن الماضي تحت شعار العلمانية وفصل الدين (الكنيسة) عن الدولة. تحاول فرنسا منذ عقود التعايش مع الحال الإسلامية في البلاد. فالوجود التاريخي الاستعماري لفرنسا في الدول الإسلامية، لا سيما في منطقة المغرب العربي أثمر وجودا إسلاميا شكّل على مر عقود وعاء ديموغرافيا جعله في المرتبة الثانية بعد المسيحية. وكان لا بد لهذا الوجود الإسلامي من أن يظهر قصور النموذج العلماني عن استيعاب ديانة الآخر ضمن قوانين الجمهورية ونظامها الاجتماعي.

يعتمد النظام السياسي والاجتماعي والثقافي للنموذج الفرنسي الحديث على تقديس حرية الفرد ومساواته مجردا من انتمائه الإثني أو الديني. ويدور لبّ المنطق الفرنسي على حشد المواطنة خلف قيم الجمهورية على نحو يعيد ترتيب الفرد وفق نموذج

الجمهورية الجماعي. وواضح أن نموذج فرنسا في مسألة الانصهار الاجتماعي يختلف عن ذلك الأنجلوسكسوني الذي يتأسس على فكرة تعايش المجموعات بالاحتفاظ بخصائصها (الإثنية والثقافية والدينية) في مقابل احترام الآخر ضمن الوطن الكبير وقواعده.

ففي بريطانيا والولايات المتحدة تنشط المجموعات الاجتماعية الإثنية في خلق ثقافتها الخاصة والالتفاف حول محركاتها (مدارس، إعلام، سوق...). وضمن هذا المنظور يندر النقاش الفرنسي من مسألة الحجاب في بريطانيا أو الولايات المتحدة أو حتى في ألمانيا. فالحجاب جزء من ثقافة الجماعة وضمن تفاصيل اندماج الجماعات في البناء الوطني الجامع.

الفرنسيون يدركون تميّز نظامهم عن ذلك الأنجلوسكسوني، ويعتبرون أن تراكما تاريخيا خاصا يقف وراء نموذجهم، ويفتخرون بأن تعامل النظام الفرنسي مع المواطن كفرد تصان حريته وتحترم حقوقه إنجاز فرنسي بالمطلق لا ينبغي التشكيك فيه أو النيل من أهليته. والعلمانية في فرنسا خرجت من رحم صراع مرير بين "الثوار" الفرنسيين وكاثوليكييهم وبين منطق الجمهورية وكنيسة روما. وما اللجوء إلى الخروج بـ"قوانين" العلمانية مطلع القرن الماضي إلا دليل شراسة المعركة التي انتهت إلى إقصاء الكنيسة عن الشأن السياسي العام. فالعلمانية لم تكن خطابا مثاليا يريد أن ينأى بالدين عن دوائر الشأن العام بل سيفا رفع سطوة الكنيسة الكاثوليكية على الحكم والحكومة والحكام.

لم يكن الإسلام إذن (ولا أية ديانة أخرى غير الكاثوليكية) مستهدفا من قوانين العلمانية الفرنسية، وما استجد في هذا السياق أن الكاثوليكية التي "دُجّنت" ضمن قوانين الجمهورية لم تعد منافسا للدولة ولا ندا لها، حتى تراجع الخطاب العلماني عن لعب دور الحجة الأساسية لدعم فلسفة الجمهورية.

بيد أن مذهب العلمانية عاد إلى وهجه كدستور وفلسفة وأيديولوجيا تدير النقاش الدائر حول الحجاب الإسلامي في المدارس. وانتقلت المسألة من بعدها المحلي التفصيلي في هذه المدرسة أو تلك إلى مستوى النقاش الوطني العام: الحكومة

والمعارضة، السلطة التنفيذية والتشريعية، الأحزاب والنقابات... وكل فرنسا مشغولة بهمّها الرئيس: الحجاب في المدرسة.

سيل من التصريحات الرسمية مهّد للحملة "الوطنية" العامة ضد الحجاب. رئيس الوزراء الفرنسي جان بيار رافاران أعلن في نيسان (إبريل) الماضي معارضته للحجاب في الفضاءات العامة لا سيما في المدرسة. قبل ذلك كان وزير التربية لوك فيري جاهر برفضه وضع الحجاب في المدارس. لكن تورط الحكومة في هذا المسألة بدا أكثر وضوحا في تصريحات وزير الداخلية نيكولا ساركوزي أمام مهرجان للمنظمات التمثيلية للمسلمين في فرنسا منتصف نيسان المنصرم. وقوبل ساركوزي باستهجان الحاضرين حين ذكّر بمنع لبس الحجاب في الصور الفوتوغرافية التي تظهر على بطاقات الهوية.

من نسيج هذا النقاش خرجت دعوات إلى سن قانون يمنع لبس الحجاب. وفي المقابل انبرت دعوات أخرى تذكّر بأن قوانين العلمانية واضحة لا تحتمل لبسا أو غموضا، وبالتالي فلا حاجة إلى رفدها بقوانين جديدة. وأعلن الرئيس الفرنسي أمام تصاعد حدة الجدل في تموز (يوليو) الماضي تشكيل "لجنة العلمانية في الجمهورية" وضع على رأسها صديقه الوزير السابق برنار ستازي، وهو من أقطاب الوسط. وانتهت لجنة ستازي بعد مداولات كثيفة إلى توصيات أهمها سن قانون لـ"منع ارتداء كل ما من شأنه أن يعتبر علامة تدل على الانتماء الديني". والمقصود من هذه الديباجة، بالطبع، منع ارتداء الحجاب في مدارس الدولة.

جدل كثير ما زال يدور حول ضرورة سن قانون لفرض خيار الجمهورية وفق خطاب أصولي علماني. حتى أن الرئيس شيراك ذهب في اتجاه لجنة ستازي حين أعلن من تونس مطلع الشهر الجاري أن ارتداء الحجاب مسلك عدواني من الصعب على الفرنسيين القبول به. غير أن المتمسكين بشرعة حقوق الإنسان يذكّرون بأن القانون المتوخى يتنافى مع المادة 18 من شرعة حقوق الإنسان التي تتحدث عن حق كل فرد في الفكر والعقيدة والدين. وهذا الحق يمنح الفرد حرية تغيير دينه أو معتقده أو حقه في الجهر بدينه أو بمعتقده كفرد أو كجماعة سواء كان ذلك في الفضاء العام أو الخاص من خلال التعليم والتطبيق وممارسة الطقوس والشعائر.

النقاش الفرنسي حول الحجاب يعكس عجز المجتمعات الغربية عن استيعاب الظاهرة الإسلامية، لا سيما بطبعتها الراهنة. و"الرعب" من الحجاب يمثل وجها من وجوه القلق الغربي عموما والفرنسي خصوصا من تنامي الإسلام داخل المجتمعات المحلية. وعندما يذهب برنار ستازي رئيس لجنة العلمانية في فرنسا إلى القول ان الحجاب يهدد الجمهورية، فإن ذلك ناتج من عدم قدرة النظام الجمهوري على التأقلم مع سياقات دينية أخرى تختلف عن تلك الكاثوليكية والتي تم للجمهورية لجمها ضمن قوانين العلمانية لعام 1905.

أمام المد الأصولي المزعوم للإسلام تنبري أصولية علمانية تشحذ سيوفها وتقذف حججها وتذهب إلى حد ممارسة الترهيب بالقوانين بدل الترغيب بالحوار. فصدور قانون يمنع ارتداء الحجاب سيؤدي آليا إلى إبعاد المحجبات عن مدارس الجمهورية. حتى أن المدافعين عن حقوق المرأة اعتبروا أن القانون يحرم المحجبات من "فرصة" الانضمام إلى الفلسفة التربوية العلمانية التي تضخها مدارس الجمهورية. على أن المطلوب من هذا القانون ليس إلغاء مشهد الحجاب في حد ذاته. فالحجاب ما هو إلا علامات وجود الإسلام في فرنسا. وقد يكون المطلوب أصلا إزالة ما يدل على تنامي الإسلام داخل مجتمع الجمهورية. ويذهب البعض إلى الاعتقاد بأن العلمانية الفرنسية لا تستطيع التعايش مع مظاهر الإسلام وعلاماته. وأنها (أي العلمانية) أرادت القبول بإسلام فرنسي غير مرئي وغير مسموع. فالجمهورية ومن اجل احترام حساسية الفرنسيين ومشاعرهم أمام الاحتمال "العدواني" الذي تحدث عنه شيراك، قبلت على مضض بإقامة قاعات صلاة بعيدة من مراكز المدن داخل الأقبية ووراء الجدران. على أن ما أرادته الجمهورية العلمانية أن يكون إبعادا وإقصاء تحوّل إلى جيتو يتغذى من ثقافة هذا الإقصاء ويؤسس لإسلام خاص ينفر من واقعه الفرنسي ويفتش عن مصادره ليس في إسلام الخارج فحسب، بل يستلهم حركته من إسلام أصولي ينهل من منابع الماضي وخيالاته.

=============

#لماذا لا يجوز وضع تشريع ضد الحجاب؟ (رأي فرنسي)*

27/12/2003

...

بقلم/ دانييل أمسون**

لقد نطق الرئيس الفرنسي أخيرا وأعلن قراره، لكنني أرى من وجهة نظري ضرورة عدم وضع تشريع يمنع الحجاب الإسلامي؛ لثلاثة أسباب على الأقل:

أولها: أن الإطار القانوني لمناقشة القرار الأخير كان يرتكز على أساس وجهة نظر مجلس الدولة التي تم إعلانها في 27 نوفمبر 1989، وتؤكد على منع أي علامة دينية مميزة في المؤسسات العامة للدولة، وهي وجهة نظر تستجيب تماما لقواعد علمانية الدولة الفرنسية. إلا أن هناك مبدأ آخر كان من الواجب أخذه في الحسبان؛ هو مبدأ حرية التعبير عن المعتقدات الدينية، وبسببه أضاف المجلس الأعلى للدولة جملة "على ألا تتسبب التشريعات التي تحد من هذه العلامات في أي ضغوط أو إثارة أو دعاية، ولا تنال من كرامة الطالب، ولا تعوق سير الأنشطة التعليمية، ولا تبلبل النظام في المؤسسة أو السير الطبيعي للخدمة العامة".

لكن هذا القانون الأخير يسمح باستبعاد الطالبات اللواتي يرتدين الحجاب أثناء دراستهن؛ مما سيسبب حتما عدة اضطرابات ستؤثر في نظام المؤسسة، وستعوق كذلك من سير أنشطة التعليم بالنسبة للطلبة.

وثاني هذه الأسباب أكثر أهمية؛ إذ هل يمكن تخيل مدى الجدل الذي سيثار حول أي مشروع لقانون عن الحجاب الإسلامي، حتى وإن كان مشروع القانون يقتصر على منع ارتداء الحجاب في المؤسسات العامة. فهل المرحلة التالية هي أن يناقش شكل الحجاب المسموح به وألوانه مثلا؟

إن لجنة ستاسي لم تطالب إلا بمنع العلامات الدينية الظاهرة من الصلبان الكبيرة والحجاب والطاقية اليهودية في المدارس، وركزت على الفصل بين مثل هذه العلامات "الواضحة" وغيرها من المظاهر التي لا تعد دليلا صارخا على الانتماء والتمييز الديني، مثل الميداليات والصلبان الصغيرة، ونجمة داود، والمصاحف الصغيرة. إلا أن الواقع هو أنه لا يوجد أي معيار موضوعي لتحديد "العلامة الدينية الظاهرة". معناها الحرفي في القاموس هو "علامة يتم إعلانها بوضوح لتمييز بعض الأفراد عن غيرهم"؛ لذلك فربما كان الحجاب والطاقية اليهودية والصلبان الكبيرة

علامات ظاهرة، ولكن فقط لمن يهتمون بالأمر، وليس لأي شخص لا تعنيه المسألة برمتها.

إضافة إلى ذلك فإن لجنة ستاسي قد ذكرت الأمثلة الشائعة للعلامات الظاهرة فقط، لكنها لم تذكر شيئا مثلا عن الملابس التي يمكن لها أن تقوم بدور في التمييز، وتشير إلى الانتماء إلى أي طائفة دينية أو مذهبية في فرنسا.

لذلك فلا بد أولا من تحديد معيار موضوعي للعلامة الظاهرة، وهو أمر يصعب بشدة، بل ربما يجد المشرع نفسه في موقف حرج ومضحك، وهو يصر على تحديد مفهوم جامع شامل للعلامة الدينية المميزة؛ فيتخيل موضات الملابس التي يمكن أن يرتديها الطلبة والطالبات، ويحاول أن يفكر بعقولهم كي لا تفلت منه علامة واحدة قد يبتكرونها كي تميزهم ويعبرون بها عن معتقداتهم.

وثالث هذه الأسباب أنه حتى إذا سلمنا بنجاح البرلمان في وضع نص تشريعي أكثر تماسكا وأقل إثارة للانتقادات والجدل من التشريع الحالي؛ فستظل هناك مشكلة أخرى قائمة؛ هي متابعة تطبيق النص الذي سيتم التوصل إليه.

والواقع أن مشكلات تطبيق القانون من الأمور التي لا يمكن حلها. هل من الممكن مثلا إيجاد عقاب مثالي لمن يخالفون هذا التشريع لا يشعرهم بالظلم والاضطهاد؛ لأنهم يعبرون عن عقائدهم؟ والسؤال التالي هو: على مَنْ ينبغي توقيع العقاب؟ هل على أولئك اللائي يرتدين علامة دينية ظاهرة أثناء لحظة دخولهن إلى المؤسسة العامة؟ أم على اللائي يرتدينه على بابها أثناء خروجهن منها؟ أم على اللائي يخرجن من جيوبهم كي يرتدينها أثناء الدراسة؟ كل تلك الأمور ستحول المدرسين إلى حرس للمراقبة، بدلا من التركيز في مهمتهم الأساسية وهي التعليم. إلا إذا تم حل هذه المشكلة بتأسيس "حرس علماني" يكرهه الكل، ويتم نشر وتوزيع أفراده للمراقبة على كل الأماكن التي يتم إلقاء الدروس فيها؛ وهو ما يجعل الأمر شبه مستحيل.

فليفكر المشرعون إذن في المشاكل التي سيثيرها تطبيق القانون الجديد والتي ستضاف كذلك إلى المشاكل الموجودة أصلا فيه، ولم يمكن حلها حتى الآن.

=============

#ثورة الاعتدال الصامتة تهزم العلمانية الصاخبة في تركيا

عبد الحليم غزالي
Image
دينيز بايكال وتراجع مضطرد لحزب الشعب الجمهوري
تبدو نتائج الانتخابات البرلمانية التركية الأخيرة معبأة بالدلالات العميقة. وأول هذه الدلالات انتصار الثورة البيضاء أو الصامتة التي بدأها الإسلاميون الجدد المعتدلون في عام 2002 على العلمانية الإقصائية المتطرفة.. هذا الانتصار الذي يتكرر للمرة الثانية خلال أقل من خمس سنوات يعني أن تحول المزاج الشعبي تجاه الاعتدال والوسطية في مواجهة أقلية متسلطة لا تمتلك مشروعا قابلا للحياة في المستقبل هو أمر جدي وليس فورة احتجاجية عابرة.
ويصعب على المعارضة العلمانية بعد هذه الموقعة الحديث بلغة الجماهير والمظاهرات ما دام حزب العدالة والتنمية الحاكم قد نال هذا التفويض الشعبي الكاسح بحصوله على ما يعادل كل ما نالته أحزاب المعارضة مجتمعة، بل وحصل الحزب على أكثر من ضعف ما حازه حزب الشعب الجمهوري قائد المعارضة من أصوات رغم كل ما فعله في معركة الانتخابات الرئاسية من تحريض ضد حزب العدالة والتنمية بحجة أنه يحمل أجندة إسلامية خفية تهدد أسس الجمهورية الأتاتوركية.
انتصار تاريخي
إننا بكل المعايير أمام انتصار تاريخي، لكن لا يمكن القول بأنه حاسم لأن الطرف الآخر وهو المعارضة ومن ورائه المؤسسة العسكرية لم يعترفا بالهزيمة. ونظن أن المعارضة تبيت النية لمواجهات أخرى، ربما لمعركة رئاسة جديدة بعدما أعلن حزب العدالة والتنمية أن نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية عبد الله جول لا يزال مرشحه المفضل لمنصب الرئيس سواء أجريت الانتخابات الرئاسية وفقا للنظام القديم بواسطة البرلمان، أو بالاقتراع الحر المباشر بعد الاستفتاء على التعديلات الدستورية التي أقرها البرلمان المنقضية ولايته.
إنها المرة الأولى التي يزيد فيها حزب حاكم من شعبيته في تركيا منذ انتخابات عام 1969

حيث رفع غلته من أصوات الناخبين إلى 46.66% بما يزيد على 12% عن انتخابات عام 2002، وهي نسبة تعكس نجاحا كبيرا في إدارة المعركة الانتخابية التي كان الصراع الأيديولوجي والحضاري جوهرها رغم أنه لم يكن القضية الطافية على السطح في هذه المعركة، حيث كانت قضايا مثل الاقتصاد والمشكلة الكردية والمشروع الأوروبي والحجاب هي المهيمنة. ولابد من الإشارة إلى المجهود الذي بذله حزب العدالة والتنمية في الحملة الانتخابية والعمل المدروس الذي قام به، فقد طرح الاستقرار شعارا في مواجهة التغيير السلبي الهوجائي وفقا للصورة التي أشاعتها دعوات المعارضة للحلول مكانه في السلطة.

ومن المؤكد أن الحزب استفاد من صورة الضحية بتدخل الجيش وانحياز القضاء للمعارضة في معركة انتخابات الرئاسة التي أرغم فيها على سحب جول من السباق، رغم أهليته لمنصب الرئيس وفقا لقواعد لعبة الديمقراطية التي انقلب عليها العلمانيون بحكم قضائي غير عادل للمحكمة الدستورية، حسب آراء جل الخبراء القانونيين الموثوق بحيادهم في تركيا. كما استفاد أيضا من صورة المتعقل برفض الانجرار إلى حرب مظاهرات في الشارع ضد المعارضة التي سيرت مظاهرات شارك فيها مئات الآلاف. ويبدو أن هذه المعارضة بدت كمن كذب على نفسه وصدق الكذبة باعتبار هذه المظاهرات تعبيرا عن شعبية جارفة. وقد كان ملفتا توصيف السفير أونور أويمن نائب رئيس حزب الشعب الجمهوري لنتيجة الانتخابات بأنها غير عقلانية أو غير منطقية، وهو تعبير عن الفشل حتى في تبرير العجز. ومن الطبيعي أن يمارس زعيم الحزب دينيز بايكال فعل الصمت بعد الهزيمة رغم الخطب التحريضية ضد حزب العدالة والتنمية منذ ما يقرب من عام ونصف العام.

وبالمقابل أثبت غريمه رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان أنه الرجل الأكثر شعبية في البلاد، وهو أمر تحقق بالجهد الهائل الذي بذله الرجل بالذهاب إلى المواطنين في القرى والبلدات والمدن النائية سعيا للإقناع المباشر بمشروع حزبه الاعتدالي الوسطي الواقعي، فضلا عن كاريزميته الصارخة.

ومما لا يمكن تجاهله في تفسير فوز حزب العدالة الكاسح وقوف طبقة رجال الأعمال بكافة فئاتهم بجانب الحزب الذي حقق الاستقرار الاقتصادي في البلاد،

ونجح في الوصول إلى إنجازات ملموسة في هذا المجال على الرغم من أن رجل الشارع لم يشعر بها كثيرا، لكنه أدرك ملامحها في تقييمات المؤسسات الاقتصادية الدولية. ويبدو أن عوام الأتراك اقتنعوا بمنهج الإثمار الأكثر المتأخر بدلا من المكاسب السريعة التي قد تقود إلى أزمات وكوارث.

استخلاصات هامة

وثمة استخلاصات مهمة من نتائج الانتخابات التركية تتمثل في الآتي:

أولا: أن شعبية حزب العدالة والتنمية توزع بين كافة المناطق الجغرافية وكل الفئات التعليمية والعمرية حيث حقق فوزه في 69 محافظة من محافظات تركيا الـ 81، في حين فاز حزب الشعب الجمهوري في خمس محافظات غربي البلاد، وحزب الحركة القومية في محافظتين والمرشحون المستقلون ومعظمهم من الأكراد في خمس محافظات.

ثانيا: أن عودة الأكراد للبرلمان تزامنت مع عودة مماثلة لحزب الحركة القومية، مما يؤكد تصاعد المد والاستقطاب القومي في البلاد في ظل تفاقم المشكلة الكردية وتفجر مظاهرها من عنف مسلح وفقر وحرمان وتخلف في مناطق جنوب شرقي البلاد، وهذه العودة بشقيها التركي والكردي تجعل هذه المشكلة حاضرة بقوة في جدول أعمال البرلمان الجديد.

ثالثا: البرلمان الجديد أكثر تعددية في التوجهات بالقياس للبرلمان القديم، بدخول القوميين الأتراك والأكراد أروقته، مما يثري الحياة السياسية في البلاد ويضفي عليها أجواء من الإثارة. في حين كان البرلمان القديم ثنائيا، إلى أن تشكلت ثلاث مجموعات برلمانية كلها كانت تنتمي ليمين الوسط في نهاية عام 2005، وذلك نتيجة لانشقاقات عن حزبي العدالة والتنمية والشعب الجمهوري.

رابعا: قضت هذه الانتخابات تقريبا على أحزاب يمين الوسط التي ظلت لسنوات طويلة مهيمنة على الحياة السياسية في البلاد في عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، حيث تعرض الحزب الديمقراطي وريث حزب الطريق القويم لهزيمة مذلة بحصوله على 5.41% من أصوات الناخبين بالقياس لأكثر من 9.5% في انتخابات عام 2002، مما اضطر زعيم

الحزب "محمد أغار" للاستقالة ليلقى مصير سلفه تانسو تشيللر التي دفعت ثمن الهزيمة السابقة. وبالنسبة لحزب الوطن الأم فقد كشف امتناعه عن خوض الانتخابات اعترافه بالعجز عن عدم قدرته على تخطي حاجز الـ 10 % من أصوات الناخبين المطلوبة لنيل التمثيل البرلماني، وبالتالي فإن حزب العدالة قد قضم جزءا كبيرا من شعبية تيار يمين الوسط الذي أصبح بلا لون مميز وسط حالة الاستقطاب الأيديولوجي والسياسي الحاد في البلاد بين حزب العدالة والتنمية من جهة والتيارين العلماني والقومي اللذين يتسمان بالتشدد من جهة أخرى. أما عودة رئيس الوزراء الأسبق والزعيم السابق لحزب لوطن الأم للبرلمان بعد فوزه مستقلا فلا تعكس أكثر من حالة فردية. وفي كل الأحوال يصعب عودة أحزاب يمين الوسط لمواقف مؤثرة في الحياة السياسية التركية على الأقل في المستقبل القريب.

خامسا: تراجع شعبية حزب السعادة ممثل التيار الإسلامي المحافظ في هذه الانتخابات يثبت فشل هذا التيار في إقناع الشعب التركي بمبادئ وأفكار تبدو غير مقبولة في المجتمع التركي مثل الفكرة القومية الإسلامية والأمم المتحدة الإسلامية وحلف الناتو الإسلامي. ويكفي أن الحزب لم يحصل سوى على 2.34% من أصوات الناخبين رغم الهجوم الحاد الذي شنه قادته على حزب العدالة واتهامه ببيع البلاد لأوروبا والولايات المتحدة والتبعية لإسرائيل.

سادسا: أن حزب العدالة والتنمية ذاته قد أظهر تغيرا في هذه الانتخابات بضخ دماء جديدة، حيث قام بتغيير ما يقرب من نصف نوابه في البرلمان، ورشح وجوها معروفة بتاريخها العلماني لتأكيد أنه حزب الجميع. وهذا يعكس ذكاءً سياسياً وثقةً في دور الحزب حيث كانت هوية الحزب تسبق شخصية المرشح، الأمر الذي لم ينطبق على الأحزاب الأخرى.

سابعا: أثبت حزب الشباب ذا الميول القومية أنه أكثر الأحزاب شخصنة في تركيا، فقد صعد في انتخابات عام 2002 على كتف زعيمه الملياردير "جيم أوزان" الذي كان وقتها يمتلك إمبراطورية إعلامية تشمل قنوات تليفزيونية وصحفا وإذاعات، وحصل الحزب وقتها على

ما يقرب من 7.5% من أصوات الناخبين رغم أنه لم يكن قد مضى على تأسيسه سوى شهور، فاقت شعبيته ما حققته أحزاب عريقة مثل اليسار الديمقراطي والوطن الأم، وكانت شخصية أوزان ووسائله الإعلامية وأمواله وراء هذه النتيجة المفاجئة، لكن أوزان الذي وصف في مرحلة ما بعد انتخابات 2002 بأنه أخطر شخص على أردوغان سياسيا تعرض لحملة تصفية طالت شركاته ومؤسساته وإمبراطوريته الإعلامية، بسبب ممارسات فساد ومخالفات نسبت له، في حين أنه ادعى أنه جرى استهدافه لأسباب سياسية، وكان هذا هو تفسير تراجع نسبة حزبه في الانتخابات الأخيرة إلى حوالي 3% فقط من أصوات الناخبين.

ثامنا: أظهرت هذه الانتخابات أن وسائل الإعلام الجماهيرية ليس بإمكانها تغيير توجهات ومزاج الجماهير، فقد انحاز أغلب هذه الوسائل للمعارضة العلمانية والجيش في معاركه مع حزب العدالة والتنمية، لكن الحزب حقق مزيدا من الشعبية، مما يثبت مقولة أن اللعب بالصورة قد يهزمه ثبات الأصل والجوهر، كما أن الاتصال المباشر وجها لوجه أكثر تأثيرا من وسائل الاتصال الجماهيري، حيث اعتمد حزب العدالة على اللقاءات والتجمعات الجماهيرية وزيارة الناخبين في منازلهم.

تاسعا: رغم أن الجيش يتمتع بشعبية كبيرة بين مؤسسات الدولة ويحتل المرتبة الأولي، إلا أن هذه الشعبية لم تمنع المعجبين به من التصويت لحزب العدالة والتنمية رغم الصراع الأيديولوجي بينهما ودخولهما في مواجهات مباشرة، وهذا يعكس نضج الناخب التركي الذي يميز بين تقدير الجيش الوطني للبلاد والتعبير عن موقفه السياسي والأيديولوجي حتى لو كان مخالفا للجيش.

عاشرا: أثرت استطلاعات الرأي على نسبة لا بأس بها من الناخبين المترددين تزيد على 4% حيث يعتقد أنهم صوتوا لحزب العدالة والتنمية حسب المراقبين. وهنا لابد من الإشارة إلى اهتمام الحزب بالاستطلاعات وإجراء العديد منها سرا وعلنا لمعرفة موقعه من الناخبين حتى قبل بدء الحملة الانتخابية.

يبقى أن التفويض الشعبي الذي حصل عليه حزب العدالة والتنمية سيجعله أكثر قوة في معاركه المقبلة، ولكن احتشاد المهزومين ضده ليس مستبعدا، فالأمر يعتمد على أرضية الملعب واللعبة وقوة كل طرف في المنازلة المقبلة!!

كاتب متخصص في الشأن التركي.

============

#تجربة العلمانية والإسلام في تركيا تحت المجهر

نبيل شبيب

Image

هل تمثل تركيا نموذجا للعلاقة بين الإسلام والعلمانية؟

النموذج التركي نموذج قائم بذاته، يتردّد ذكره في نطاق الدعوة إلى العلمانية في البلدان الإسلامية الأخرى، وحديثا في نطاق التنويه بصورة "الحزب الإسلامي" الممكن قبوله في ظل مرجعية علمانية، مثلما أصبح يتردّد ذكره أيضا، في كثير من الكتابات الإسلامية، بصدد دعوات إلى التعامل مع واقع البلدان الإسلامية على غرار ما صنع "حزب العدالة والتنمية".

ومع أنّ لكل بلد ظروفا ومعطيات وشروطا ذاتية تختلف عنها في بلد آخر، يبقى أنّ القواسم المشتركة قائمة بوفرة بين تركيا والعدد الأكبر من البلدان الإسلامية، فيمكن اعتبار "التجربة التركية" أو "النموذج التركي" من منظور علماني أو منظور إسلامي، مصدرا لاستخلاص كثير من النتائج الصالحة، ليس للتقليد المحض فهو مستحيل، إنّما لتحديد معالم كبرى لأرضية الأسس والقواعد السارية المفعول في تلك البلدان أيضا، بغض النظر عن اختلاف الأشكال التطبيقية لتطوّر الأوضاع وفق خصوصيات كل بلد على حدة.

تجربة أجيال ثلاثة

إنّ التجربة التركية للعلاقة بين الإسلام والعلمانية تجربة غنية، حافلة بمختلف العناصر المتعلّقة بالجوانب العقدية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وشاملة للأوضاع الداخلية والعلاقات الخارجية، وذلك على امتداد ما يناهز ثلاثة أجيال متعاقبة، من جيل النقلة التاريخية الكبرى ما بين بقايا الدولة العثمانية تحت سيطرة حزب الاتحاد والترقي إلى دولة مصطفى كمال عقب الحرب العالمية الأولى، إلى جيل ترسيخ العلمانية على كلّ صعيد تحت سيطرة القوات العسكرية والأحزاب العلمانية اليمينية واليسارية حتى آخر انقلاب عسكري قبيل نهاية الحرب الباردة، ثم

إلى جيل الصحوة الإسلامية التركية وتحوّلها إلى تيار سياسي لم يعد يمكن تصوّر الخارطة السياسية التركية ممكنا دون وجوده في الصدارة.

واختزال تجربة ثلاثة أجيال في مقالة أمر مستحيل، وليس مطلوبا من الأصل، إلاّ أنّ تحديد المعالم الكبرى المستخلصة من هذه التجربة ممكن وضروري، ولا ينبغي إغفاله في حقبة انتقالية حافلة بالأحداث الكبرى على امتداد المنطقة الإسلامية، مع بروز محورين فيها، أحدهما مستقبل العلاقة بين الإسلاميين وسواهم داخل الحدود، وثانيهما مستقبل العلاقة بين دول المنطقة ودول العالم الأخرى خارج الحدود. ومن هذه المعالم الكبرى دون تفصيل:

1- لا يمكن لأيّ نظام علماني في أي بلد إسلامي أن يصنع أكثر ممّا صنعه النظام العلماني في تركيا، لترسيخ دعائم العلمانية على كلّ صعيد، بدءا ببتر الجذور الثقافية التاريخية عبر تغيير حروف الكتابة مرورًا بتحريم ألبسة شعبية تقليدية (كالطربوش) ومحاربة اللباس الإسلامي (كالحجاب)، وانتهاء بعملية تغريب قيمية وثقافية واجتماعية وسياسية وعسكرية، مع محاولة قسرية لم تنقطع لتثبيت "النسب الغربي الأوروبي" بديلا عن النسب الإسلامي. برغم ذلك كلّه لا يزال السؤال المطروح من المنظور العلماني بعد ثلاثة أجيال: ما السبيل إلى تثبيت العلمانية في تركيا والحيلولة دون استرجاع هويتها الإسلامية، ليس على مستوى الحكم والأحزاب، وإنّما على المستوى الشعبي بعد أن أصبحت الانتخابات من وسائل التعبير عن توجّهات الغالبية الشعبية على هذا الصعيد. والسؤال المترتب تلقائيا على ذلك: ما الذي يمكن صنعه في أي بلد إسلامي آخر ولم يصنع في تركيا على طريق فرض العلمانية؟..

2- استغرقت النقلة من حكم عسكري مباشر يفرض العلمانية إلى حكم "ديمقراطي" يفسح المجال أمام التعددية الحزبية شرطَ التزامها بالمرجعية العلمانية جيلا كاملا، ثم كان على القوات العسكرية التي تحوّلت إلى "حارس للعلمانية التركية" أن تقوم بثلاثة انقلابات عسكرية على الديمقراطية، لتحمي العلمانية من أحزابها وممّا تغلغل فيها من فساد مكشوف، أو أوصلت إليه من إخفاق سياسي واقتصادي، أو للحيلولة دون عودة ظهور التيار الإسلامي سياسيا وإن بقي الالتزام بالمرجعية العلمانية مفروضًا عليه.

ولم يعد منطقيا بعد هذه التجربة الطويلة لتسلّح العلمانية عسكريًّا، أن يُطرح السؤال عن حقيقة تعبير التوجّه العلماني عن الإرادة الشعبية وفق معايير الديمقراطية. وهذا ما يستتبع سؤالا آخر: متى يتحقق الرجوع إلى الإرادة الشعبية في اختيار المرجعية في الحياة والحكم، وليس في اختيار الأحزاب والسلطة وهياكل الحكم فحسب؟..

3- خلال الجيل الثالث من التجربة التركية، التي يرمز إليها اسم أربكان ثم اسم أردوغان، لم تدع الدولة التركية تحت السيطرة العلمانية العسكرية سبيلا من السبل إلا وسلكته للحيلولة دون أن يصعد التوجّه الإسلامي عبر صناديق الانتخاب -مع الالتزام المفروض بالمرجعية العلمانية- إلى سدّة الغالبية، وشملت تلك السبل، الحظر، والاعتقال، والأحكام القضائية الجائرة، والحرمان من ممارسة العمل السياسي، والضغوط لإسقاط الحكومة، والضغوط على بقايا الأحزاب العلمانية الخالصة لتتوحّد في جبهة واحدة، ثمّ بعد ذلك كلّه تجد العلمانية التركية نفسها في انتخابات 2007م أمام السؤال: هل سينفرد حزب العدالة والتنمية بالسلطة مجدّدا أم سيضطر إلى تشكيل ائتلاف حكومي؟.. والسؤال بحدّ ذاته عنوان معبّر عن مدى ما يعنيه إخفاق تلك الوسائل، وإخفاقها في تركيا يوجب السؤال عن المنطق الكامن في محاولات قسرية مشابهة لا تنقطع لاستخدامها في العديد من البلدان الإسلامية الأخرى!..

4- إلى جانب تلك المعالم الكبرى لخطّ المسيرة التاريخية للمعركة التي فرضت فرضا على ثلاثة أجيال من حياة الشعب التركي ما بين العلمانية والإسلام، يوجد ما لا يحصى من المعالم الأخرى البالغة الأهمية أيضا في استكمال معالم الصورة، ولا يتسع المجال للتفصيل فيها، فالإخفاق على هذه الجبهة لم يكن اعتباطيا، والنجاح على تلك لم يكن اعتباطيا أيضا. إنّ كافّة ما شهدته تركيا من صيغ للحكم العلماني أخفق في تحقيق الأهداف الأساسية المعتمدة لتحديد معايير نجاح الحكم في أي دولة، على الأصعدة الاقتصادية والمالية وعلى طريق النهضة التقنية والصناعية، إضافة إلى تثبيت مكانة دولية لا تقتصر على "أداء دور إقليمي" يفرضه الانتماء إلى حلف شمال الأطلسي، أو المضيّ لمدة أربعة عقود متوالية في قرع أبواب الاتحاد الأوروبي دون جدوى.

وبالمقابل، وبشهادة الأرقام الثابتة في المصادر الغربية والمرئية في واقع تركيا، لم تعرف البلاد سياسات حكومية ناجحة للتخلّص من النسب الأسطورية للتضخم والديون الخارجية، وفي ضمان استقرار الأسواق المالية والاستثمارية، وفي تطوير الأوضاع الاقتصادية اعتمادا على الطاقات الذاتية، وفي مكافحة الفساد، سوى في فترتين، أولاهما أشبه بالمعجزة الاقتصادية، إذ لم تستغرق سوى عام واحد عندما كان نجم الدين أربكان رئيسا للوزراء، والثانية في عهد حكومة أردوغان وانفراد حزب العدالة والتنمية في تشكيلها.

تجربة تاريخية معاصرة

إن التجربة التركية كافية، أو ينبغي أن تكون كافية، لمختلف البلدان الإسلامية الأخرى، لاستخلاص العبرة التاريخية المعاصرة، والوصول إلى نتائج تفرض نفسها على أرض الواقع، وتستدعي أن تتحوّل إلى معايير لمصداقية أي دعوة تصدر عن التيارات والأحزاب، أو عن مختلف القوى الموجودة في السلطة وخارجها، إلى إقامة أوضاع مستقرّة على دعائم التعبير عن الإرادة الشعبية وسلوك طريق النهضة في مختلف الميادين. وهنا لا نتحدّث عن دروس من التاريخ القديم -ولا يستهان بأهميتها- ولا عن تصوّرات يسهل وصمها بالأوهام، وإن كانت منطقية في منطلقاتها ونتائجها، بل نتحدّث عن تجربة تاريخية معاصرة، تلقي دروسًا يعتبر الإغفال عنها ضربا من ضروب المكابرة، وفي مقدّمتها:

1- إن الانتماء الحضاري لا يمكن أن يصنع صنعًا، بل هو حصيلة التطوّرات التاريخية المديدة، وبه يرتبط الاستقرار الحقيقي في أي بلد من البلدان، وهو أيضا شرط استقرار العلاقات مع بلدان أخرى ذات انتماء حضاري مماثل أو مغاير. ومع رفض الانغلاق الحضاري ابتداء، يبقى من الضروري التأكيد أنّ الانفتاح المطلوب لا يتحقق بطريق الذوبان في الآخر حضاريًّا، بل في سلامة التعامل معه.

2- إنّ الفصل بين دور القوّات العسكرية في أي بلد، وبين ممارسة السلطة فيه، عنصر لا غنى عنه لأي حكم قويم، وإنّ كلّ تدخّل تفرضه القوّة العسكرية، أو شبه العسكرية، ويفرضه حزب من الأحزاب، أيا كان اتجاهه، لتحديد طبيعة العلاقة بين

الحاكم والمحكوم، لا يفضي إلى استبداد مرفوض فحسب، بل يفضي أيضا إلى عرقلة طريق النهوض في مختلف الميادين.

3- لا جدوى من استمرار التمسّك بأسلوب الوصاية على الإرادة الشعبية تحت عناوين صراعات حزبية وسياسية واتهامات وافتراءات، ومع رفع شعارات مستهلكة قديمة من قبيل "لا حرية لأعداء الشعب" أو مبتكرة حديثة من قبيل "علمنة الإسلاميين"، ولا بدّ من التخلّي عن ذلك لصالح أرضية مشتركة تنطلق من تثبيت المصلحة العليا هدفًا، وتحكيم الإرادة الشعبية وسيلة، لعمل مشترك، وبناء مستقبلي مستقر.

4- إنّ الاحتكام إلى الإرادة الشعبية ليس شعارًا للمزايدات، بل مبدأ أساسي تنبثق عنه قواعد ما يسمّى "اللعبة السياسية"، ولا يمكن أن يستقرّ دون أن يشمل تطبيقه والالتزام بما ينبثق عن سريان مفعول قواعده، تثبيتَ المرجعية التي تختارها الغالبية وفق الاحتكام إلى الإرادة الشعبية لتوجيه الحياة والحكم.

إنّ المعركة بين العلمانية والإسلام معركة تاريخية على امتداد القرن الميلادي العشرين، وقد بدأت في تركيا قبل إسقاط آخر أشكال الخلافة الإسلامية، وما تزال مستمرة، وربما شهدت تركيا قبل سواها نهايتها، ولا يوجد ما يستدعي من أي بلد آخر أن ينتظر استمرار المعركة لأجيال ثلاثة أو أكثر، قبل حسمها، وهذا في مقدّمة ما تستدعيه الاستفادة من التجربة التركية النموذجية.

كاتب ومحلل سياسي سوري مقيم في ألمانيا.

==============

#لماذا تبني أمريكا "شبكات مسلمة معتدلة" علمانية؟

محمد جمال عرفة

Image

غلاف تقرير بناء شبكات مسلمة معتدلة

انقلاب.. هي الكلمة الصحيحة التي يمكن أن نصف بها الموقف الأمريكي – حسبما قدمته مؤسسة "راند" RAND البحثية التابعة للقوات الجوية الأمريكية في تقريرها

الأخير "بناء شبكات مسلمة معتدلة" Building Moderate Muslim Networks– بشأن التعامل مع "المسلمين"، وليس "الإسلاميين" فقط مستقبلاً!.

فالتقرير الذي أصدرته هذه المؤسسة البحثية التي تدعمها المؤسسة العسكرية الأمريكية –التي تبلغ ميزانيتها السنوية قرابة 150 مليون دولار– والذي يقع في 217 صفحة لا تنبع خطورته من جراءته في طرح أفكار جديدة للتعامل مع "المسلمين" وتغيير معتقداتهم وثقافتهم من الداخل فقط تحت دعاوى "الاعتدال" بالمفهوم الأمريكي، وإنما يطرح الخبرات السابقة في التعامل مع الشيوعية للاستفادة منها في محاربة الإسلام والمسلمين وإنشاء مسلمين معتدلين!.

بل إن التقرير يحدد بدقة مدهشة صفات هؤلاء "المعتدلين" المطلوب التعاون معهم –بالمواصفات الأمريكية– بأنهم هؤلاء الليبراليين والعلمانيين الموالين للغرب والذين لا يؤمنون بالشريعة الإسلامية ويطرح مقياسًا أمريكيًّا من عشرة نقاط ليحدد بمقتضاه كل شخص هل هو "معتدل" أم لا، ليطرح في النهاية –على الإدارة الأمريكية– خططًا لبناء هذه "الشبكات المعتدلة" التي تؤمن بالإسلام "التقليدي" أو "الصوفي" الذي لا يضر مصالح أمريكا، خصوصًا في أطراف العالم الإسلامي (آسيا وأوروبا).

أما "الانقلاب" المقصود في بداية هذا المقال فيقصد به أن تقارير "راند" ومؤسسات بحثية أمريكية أخرى عديدة ظلت تتحدث عن مساندة إسلاميين معتدلين في مواجهة المتطرفين، ولكن في تقرير 2007 الأخير تم وضع كل "المسلمين" في سلة واحدة.

إعادة ضبط الإسلام!

الأكثر خطورة في تقرير مؤسسة "راند" الأخير –الذي غالبًا ما تظهر آثار تقاريرها في السياسية الأمريكية مثل "إشعال الصراع بين السنة والشيعة" و"العداء للسعودية" ويتحدث باسم "أمريكا"– أنه يدعو لما يسميه "ضبط الإسلام" نفسه – وليس "الإسلاميين" ليكون متمشيًا مع "الواقع المعاصر". ويدعو للدخول في بنيته التحتية بهدف تكرار ما فعله الغرب مع التجربة الشيوعية، وبالتالي لم يَعُد يتحدث عن ضبط "الإسلاميين" أو التفريق بين مسلم معتدل ومسلم راديكالي، ولكن وضعهم في سلة واحدة!.

فتقارير "راند" الأخيرة –تقرير 2004– كانت تشجيع إدارة بوش على محاربة "الإسلاميين المتطرفين" عبر: خدمات علمانية (بديلة)، ويدعون لـ"الإسلام المدني"، بمعنى دعم جماعات المجتمع المسلم المدني التي تدافع عن "الاعتدال والحداثة"، وقطع الموارد عن المتطرفين، بمعنى التدخل في عمليتي التمويل وشبكة التمويل، بل وتربية كوادر مسلمة عسكرية علمانية في أمريكا تتفق مصالحها مع مصالح أمريكا للاستعانة بها في أوقات الحاجة.

ولكن في التقرير الحالي "بناء شبكات مسلمة معتدلة"، يبدو أن الهدف يتعلق بتغيير الإسلام نفسه والمسلمين ككل بعدما ظهر لهم في التجارب السابقة أنه لا فارق بين "معتدل" و"متطرف" وأن الجميع يؤمن بجدوى الشريعة في حياة المسلم، والأمر يتطلب "اللعب في الفكر والمعتقد ذاتهما".

من هو "المعتدل".. أمريكيًّا؟

من يقرأ التقرير سوف يلحظ بوضوح أنه يخلط بشكل مستمر وشبه متعمد ما بين "الإسلاميين" و"الراديكاليين" و"المتطرفين"، ولكنه يطالب بدعم أو خلق تيار "اعتدال" ليبرالي مسلم جديد أو Moderate and liberal Muslims، ويضع تعريفات محددة لهذا "الاعتدال الأمريكي"، بل وشروط معينة من تنطبق عليه فهو "معتدل" –وفقًا للمفهوم الأمريكي للاعتدال، ومن لا تنطبق عليه فهو متطرف.

ووفقًا لما يذكره التقرير، فالتيار (الإسلامي) المعتدل المقصود هو ذلك التيار الذي:

1– يرى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية.

2– يؤمن بحرية المرأة في اختيار "الرفيق"، وليس الزوج.

3– يؤمن بحق الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة.

4– يدعم التيارات الليبرالية.

5– يؤمن بتيارين دينيين إسلاميين فقط هما: "التيار الديني التقليدي" أي تيار رجل الشارع الذي يصلي بصورة عادية وليست له اهتمامات أخرى، و"التيار الديني الصوفي" –يصفونه بأنه التيار الذي يقبل الصلاة في القبور (!)– وبشرط أن يعارض كل منها ما يطرحه "التيار الوهابي".

ويلاحظ هنا أن التقرير يستشهد بمقولة لدينس روس المبعوث الأمريكي السابق للشرق الأوسط يتحدث فيها عن ضرورة إنشاء ما يسميه (سيكولار – secular – دعوة) أو (دعوة علمانية)! ، والمقصود هنا هو إنشاء مؤسسات علمانية تقدم نفس الخدمات التطوعية التي تقدمها المنظمات الإسلامية، سواء كانت قوافل طبية أو كفالة يتيم أو دعم أسري وغيرها.

أما الطريف هنا فهو أن الدراسة تضع 11 سؤالاً لمعرفة ما هو تعريف (المعتدل) – من وجهة النظر الأمريكية– وتكون بمثابة اختبار يعطي للشخص المعرفة إذا كان معتدلاً أم لا؟. وهذه المعايير هي:

1- أن الديمقراطية هي المضمون الغربي للديمقراطية.

2- أنها تعني معارضة "مبادئ دولة إسلامية".

3- أن الخط الفاصل بين المسلم المعتدل والمسلم المتطرف هو تطبيق الشريعة.

4- أن المعتدل هو من يفسر واقع المرأة على أنه الواقع المعاصر، وليس ما كان عليه وضعها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

5- هل تدعم وتوافق على العنف؟ وهل دعمته في حياتك من قبل أو وافقت عليه؟.

6- هل توافق على الديمقراطية بمعناها الواسع.. أي حقوق الإنسان الغربية (بما فيها الشذوذ وغيره)؟.

7- هل لديك أي استثناءات على هذه الديمقراطية (مثل حرية الفرد في تغيير دينه)؟

8- هل تؤمن بحق الإنسان في تغيير دينه؟.

9- هل تعتقد أن الدولة يجب أن تطبق الجانب الجنائي من الشريعة؟ وهل توافق على تطبيق الشريعة في جانبها المدني فقط (الأخلاق وغيره)؟، هل توافق على أن الشريعة يمكن أن تقبل تحت غطاء علماني (أي القبول بتشريعات أخرى من غير الشريعة)؟.

10- هل تعتقد أنه يمكن للأقليات أن تتولى المناصب العليا؟ وهل يمكن لغير المسلم أن يبني بحرية معابده في الدول الإسلامية؟.

وبحسب الإجابة على هذه الأسئلة سوف يتم تصنيفه هل هو معتدل (أمريكيًّا) أم متطرف؟!

ويذكر التقرير ثلاثة أنواع ممن يسميهم (المعتدلين) في العالم الإسلامي، وهم:
(أولاً): العلماني الليبرالي الذي لا يؤمن بدور للدين.
(ثانيًا): "أعداء المشايخ".. ويقصد بهم هنا من يسميهم التقرير "الأتاتوركيين" –أنصار العلمانية التركية– وبعض "التونسيين".
(ثالثًا): الإسلاميون الذين لا يرون مشكلة في تعارض الديمقراطية الغربية مع الإسلام.
ثم يقول بوضوح إن التيار المعتدل هم من: يزورون الأضرحة، والمتصوفون ومن لا يجتهدون.

الأطراف.. بدل المركز العربي للإسلام

وينفق التقرير جزءًا كبيرًا منه (فصلان من عشرة فصول) في التركيز على ضرورة أن يتم التركيز على "أطراف" العالم الإسلامي وتجاهل "المركز" –يقصد به المنطقة العربية– بغرض دعم ما يسمونه "الاعتدال في أطراف العالم الإسلامي" خصوصًا في آسيا وأوروبا وغيرها. أما الهدف فهو أن تخرج الأفكار الإسلامية المؤثرة على مجمل العالم الإسلامي من هذه الأطراف وليس من المركز (العربي) الذي أصبح ينتشر فيه "التطرف"، وبحيث تصبح هذه الأطراف هي المصدرة للفكر الإسلامي المعتدل الجديد، ولا تخرج الأفكار من المركز!.
بل إن التقرير يطرح هنا طريقة غريبة في الحوار مع المسلمين بهدف تغييرهم تتلخص في: تغيير من نحاوره، وتحجيمه عن القيام بأعماله، أو "انتظار الفرصة المناسبة" بدون أن يحدد ما يعني بالفرصة المناسبة.
وهنا يركز في فصليه السادس والسابع على تجربة الأطراف في آسيا وأوروبا على التوالي، ويطرح أسماء مؤسسات وأشخاص في آسيا وأوروبا "ينبغي" العمل معها ودعمها بالمال، ويضرب أمثلة بتجارب مشوّهة تشوِّه دور الإسلام بالفعل مطلوب التعاون معها ودعمها، مثل دعم موقع سعودي يرى مثلاً أن الأحاديث حول شهادة (ألا إله إلا الله.. وأن محمدًا رسول الله) ليست ثابتة!.

احذروا دور المسجد

والغريب أن التقرير يركز في فصله الأول (المقدمة) على ما يعتبره "خطورة دور المسجد" –ضمن هجومه على التيار الإسلامي– باعتبار أنه (المسجد) الساحة الوحيدة للمعارضة على أسس الشريعة؛ ولذلك يدعو لدعم "الدعاة الذين يعملون من خارج المسجد"(!)، ولا ينسى أن يحذر من سطوة المال –يقصد به المال السعودي الوهابي– الذي يدعم تنظيم التيار الإسلامي، مؤكدًا أنه لا بد من تقليل تقدم هذا التيار الديني لصالح التيار العلماني التقليدي الديني (وفق المفهوم الأمريكي للاعتدال)، بغرض "تسوية الملعب" كي يتقدم "التيار التقليدي"!.

بعبارة أخرى يركز التقرير هنا على أن الطريق الصحيح لمحاربة المسلمين هو بناء أرضية من المسلمين أنفسهم من أعداء التيار الإسلامي، مثلما حدث في أوروبا الشرقية وروسيا حينما تم بناء منظمات معادية للشيوعية من أبناء الدول الشيوعية نفسها.

وربما لهذا أفرد التقرير فصله الثاني للتركيز على فكرة الحرب البادرة والاستفادة من الخبرة الأمريكية في ضرب التيار الشيوعي من الداخل في تقديم نموذج مشابه لصانع القرار الأمريكي كي يستفيد منها في المواجهة المشابهة مع التيار الإسلامي، وركّز هنا على جانبين: (الأول) خاص بخبرة الاستعانة بالطابور الخامس من المهاجرين البولنديين والشيوعيين للغرب ومعهم المفكرين الأمريكيين لتمهيد أرض المعركة ونشر القيم الغربية، و(الثاني) خاص بالجانب الإعلامي مثل تجربة (راديو ليبرتي) الموجه لروسيا، فضلاً عن إنشاء قسم خاص في المخابرات الأمريكية دوره هو التغيير الفكري لمواقف وآراء طلاب ومفكري الدول الشيوعية وتقديم العالم لهم من وجهة نظر غربية محببة. بل يطرح التقرير هنا أفكارًا بشأن كيفية استخدام الدين ضد الشيوعية، كنوع من الإسقاط لبيان أنه يمكن –العكس– باستخدام العلمانية ضد الدين في الدول الإسلامية!.

ومع أن الفصل الثالث من دراسة (راند) يركز على بحث أوجه التشابه أو الخلاف بين أسلحة الحرب البادرة في هدم الشيوعية، وأسلحة الحرب الحالية ضد الفكر الإسلامي، ويؤكد أن هناك أوجه تشابه أبرزها أن الصراع مع الشيوعية كان فكريًّا

مثلما هو الحال مع العالم الإسلامي، فهو يعترف بأن عقبات هذه السياسة أعمق مع المسلمين.

ويذكر من أوجه الخلاف –عما حدث في الحرب البادرة– بأن أهداف الشيوعية كانت واضحة للغرب وكان من السهل محاربتها، بعكس أهداف التيار الإسلامي غير الواضحة للغرب، كما أن الشيوعية كانت هناك آليات للتفاوض معها (عبر أجهزة الأمم المتحدة وغيرها)، بعكس التيار الإسلامي غير المحدد في كتلة واحدة محددة كالشيوعية، أما الأهم فهو المخاوف –كما يعترف التقرير– من أن ينظر لمحاولات "تحرير" العالم الاسلامي أو اعتداله على الطريقة الغربية على أنه غزو واحتلال فكري، فضلاً عن صعوبة ضرب وتحجيم الدول التي تقف خلف الفكر الوهابي (السعودية)؛ لأنها في نفس الوقت دول ترتبط أمريكا بمصالح معها (البترول – مناطق النفوذ).

مرحبًا بالدول المتسلطة لا للديمقراطية

وربما لهذا يقول التقرير صراحة إن هناك مشكلة أمريكية في الضغط على حكومات وأنظمة الدول العربية والإسلامية المتسلطة للحصول على الديمقراطية، ما يعني ضمنًا التوقف عن دعم برامج الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي والتوقف عن الضغط للمجيء بالديمقراطية.

ويقول –في مقدمة الفصل الخامس– إن أمريكا دعمت في أوقات سابقة ما اعتبرته قوى معتدلة إسلامية في الأردن والمغرب (حزب العدالة والتنمية) و"فوجئنا أننا أخطأنا وأننا دعمنا غير المعتدلين"!، كما لا ينسى أن يشير لمشكلة في التأثير – بالمعونة الأمريكية– على التيار الإسلامي في دول غنية مثل دول الخليج (مثلما يحدث في دول فقيرة)، ومن ثَم صعوبة ضرب التيار الإسلامي الحقيقي في هذه الدول الإسلامية الغنية.

والملفت هنا أن التقرير يسرد قائمة بمن يعتبرهم من المعتدلين في العديد من الدول العربية ودول الخليج، ما يعني حرقهم أو ربما قطع خط الرجعة عليهم للعودة عن العمالة لأمريكا، ويطرح أفكارًا لمواجهة اتهام أنصاره بالعمالة، ويؤكد أهمية برامج التلفزيون التي تركز على فكرة (التعايش) مع الغرب.

الدراسة أو التقرير خطيرة كما هو واضح ومليئة بالأفكار السامة التي تركز على ما يسمونه "علمنة الإسلام"، ومناصرة العلمانيين ودعمهم في المرحلة المقبلة، ويصعب جمع ما فيها في تقرير واحد، ولكن الأمر المؤكد أن الدراسة تركز –كما يقول مؤلفها الرئيسي في حوار صحفي– على أن "الهدف ليس طرح الصراع بين العالم الإسلامي والغرب، وإنما بين العالم الإسلامي بعضه بعضًا"... أي ضرب الإسلام والمسلمين من الداخل على غرار تجربة ضرب الشيوعية.

المحلل السياسي بشبكة إسلام أون لاين.نت

=============

خيار أمريكا الانتخابي.. "خلطة" شيعية– علمانية

محمد جمال عرفة **

...

2005/01/28

إياد علاوي

لأنه بات في حكم المقرر أن يسيطر شيعة العراق على برلمان وحكومة العراق المقبلة، بعدما قرر الطرف الثاني القوي (السنة) عدم المشاركة فيها، ويتجه الطرف الثالث (الأكراد) للتركيز على مناطقهم الشمالية بشكل متزايد، فمن الطبيعي أن يثور السؤال: من سيحكم العراق مستقبلا من بين هؤلاء الشيعة، خاصة أن كل فريق من الأجنحة الكبيرة له قائمة مستقلة في الانتخابات؟.

هل هم العلمانيون من جماعة إياد علاوي وأنصاره الذين شكلوا قائمة موحدة تضم 6 أحزاب علمانية بالكامل، وقامت على أكتافهم حكومة الاحتلال المؤقتة، والمنتظر منهم دورا أكبر في ترسيخ تعاون إستراتيجي بين بغداد وواشنطن، أم الحوزة العلمية وجماعة السيستاني وحزب الدعوة الذين تقدموا بقائمة موحدة كبيرة غالبيتها من الأحزاب الدينية ليضمنوا السيطرة على برلمان وحكومة العراق؟ وكيف سيتعامل الاحتلال مع كلا الاحتمالين؟ ثم أين دور بقية الشيعة من الوطنيين المعارضين للاحتلال والمتحالفين مع السنة وباقي ألوان الطيف العراقي المطالبين برحيل المحتل؟.

لا شك أن قيادة الاحتلال تواجه -بالإضافة لمأزق رفض السنة المشاركة، وما قد يترتب على هذا من عدم شرعية الانتخابات- مأزقا آخر في التعامل مع الشيعة كمجموعات منفصلة ومتناقضة الأهداف، سيترتب عليه تحديد علاقتها بالعراق مستقبلا ؛ فهي تفضل البديل العلماني الشيعي وتضع الخطط للتمكين له في الحكم، ولكنها بالمقابل تخشى أن تُغضب تيار المراجع الدينية وعلى رأسها جماعة السيستاني؛ كي لا يتجه هذا التيار بدوره نحو المقاومة ليتكامل مع المقاومة السنية ويحيل حياة الاحتلال إلي جحيم.

فالاحتلال يدرك أن هذا التيار الديني الذي تمثله المراجع والحوزات العلمية يسعى لنوع من المهادنة مع الاحتلال بهدف تمرير الانتخابات والفوز بها وتشكيل كيان شيعي في نهاية الأمر يكون امتدادا لإيران، وليس بالضرورة تابعا لها بالنظر إلى للتضارب والتنافس في شئون المرجعيات الدينية بين طهران وبغداد.

ويدرك أيضا أن قسما كبيرا من الشيعة يمثل الأغلبية الصامتة يعادي الاحتلال، ولعب بالفعل دورا في ترتيب عمليات سرية ضده في جنوب العراق، وربما لم يظهر منه على السطح سوى جماعة مقتدى الصدر التي اصطدمت بالاحتلال عدة مرات، وأن هذه المجموعات والمراجع الدينية ربما تعطي أنصارها الإذن العام بالصدام مع الاحتلال في حالة إذا استشعرت خطرا أو عدم تحقيق رغباتها في دولة دينية ذات أغلبية شيعية.

ولكن الاحتلال لن يتخلى بدوره عن أهدافه لإطفاء نيران هذه المخاوف من التيار الديني الشيعي، خصوصا أنها تتقاطع مع أهداف قسم من السنة العرب في قيام دولة إسلامية التوجه لا علمانية، فأهدافه تتلخص في تشكيل حكومة عراقية علمانية في نهاية الأمر من غالبية من الوجوه الشيعية ذرا للرماد في العيون، بحيث تكون عونا للاحتلال في المستقبل ومنفذا لمصالحه في المنطقة، وربما لهذا خرجت تقارير أمريكية مؤخرا تؤكد أن رئيس الوزراء العراقي المؤقت إياد علاوي سيفوز في الانتخابات وسيظل رئيسا للوزراء لفترة مقبلة حتى نهاية عام 2005، حيث ستجرى انتخابات حاسمة أخرى في العراق في نوفمبر 2005 بعد أن يتم انتخاب الجمعية الوطنية المؤقتة التي ستقر دستور البلاد.

وزاد من اعتقاد العراقيين بفوز علاوي المكالمة الهاتفية الأخيرة للرئيس الأمريكي بوش مع علاوي قبل أيام، والتي فسرها الكثير من المراقبين بأنها إشارة الدعم والطمأنة له، وقيام علاوي خلال زيارته الأخيرة للولايات المتحدة بالتعرف على الأفكار الأمريكية بخصوص العراق الجديد عبر سلسلة لقاءات مع مسئولي الاستخبارات الأمريكية والدفاع ولجان الكونجرس الأمنية والإستراتيجية.

خطة علمانية بأيادٍ شيعية

في 23 أبريل الماضي، قالت صحيفة "واشنطن بوست": إن المسئولين الأمريكيين الذين خططوا لمستقبل العراق أساءوا تقدير القوة التنظيمية للأغلبية الشيعية وإنهم غير قادرين على منع ظهور حكومة أصولية مناهضة للأمريكيين في العراق، ونقلت الصحيفة عن مسئولين في إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش قولهم: إن تقارير المخابرات التي نوقشت في اجتماع عقده جنرالات أمريكيون تحول إلى محاضرة عن الشيعة العراقيين والإستراتيجية الأمريكية لاحتواء الأصولية الإسلامية في العراق، وإن الإدارة انشغلت بالتخطيط للإطاحة بصدام ولم تعط الاهتمام الكافي لديناميكيات الدين والسياسة في المنطقة.

وذكروا أيضا أن إدارة بوش استهانت بقوة الشيعة وهي تشعر الآن بقلق من إمكانية أن تقود تلك المشاعر والطموحات لتشكيل حكومة أصولية، خصوصا أنهم يسمعون بأذنهم هتافات الشيعة التي تقول: "كلا كلا أمريكا" و"كلا كلا إسرائيل" و"كلا كلا للجلبي" و"الموت لأمريكا الموت لإسرائيل" و"نعم نعم للمرجعية" و"نعم نعم للحوزة العلمية"...

ويبدو أن الإدارة الأمريكية سرعت خطط البحث عن مخرج من هذا المأزق مع قادة الشيعة باعتماد خيار الاستمرار في تنفيذ الخطط العلمانية للعراق ولكن بأيدٍ شيعية.. بمعنى أن تفرز نتائج الانتخابات فوزا للقائمتين العلمانية (قائمة علاوي) والدينية (قائمة السيستاني)، ويتم استرضاء القائمة الدينية (التي تضم بينها بعض العلمانيين مثل أحمد الجلبي) بمناصب برلمانية، وتظل الحكومة التنفيذية بأيدي جماعة العلمانيين الشيعة من أنصار علاوي.

فواشنطن تدرك جيدا أهداف الحوزة العلمية، ورغم علمها بأن العراق لن يصبح نسخة من إيران بسبب الصراع بين الملالي على مكان المرجعية في قم الإيرانية أم النجف العراقية، فهي تتصرف بمنطق المتخوف من تحول العراق في نهاية الأمر على يد الحوزة والمراجع الدينية الشيعية إلى دولة أصولية شيعية.

وسبق لموقع "ستراتفور" الاستخباري الأمريكي أن حذر من أن الغالبية الشيعية في العراق "تستعد لكي تلعب دورا أكثر أهمية من ذي قبل في تشكيل العراق الجديد".

ووفقا لهذه المعطيات يبدو أن واشنطن تواجه مأزقا أكبر مع الشيعة، خصوصا في ظل التقارير التي تقول: إن الحوزة الدينية تحشد الشيعة للتصويت خصوصا في المحافظات الجنوبية، وربما تلجأ واشنطن إلى أصوات الناخبين العراقيين في الخارج (علمانيين) في الدول الأوربية والعراقيين الموجودين في أمريكا ودول أخرى لحسم الانتخابات، خاصة فيما لو رأت أن أنصارها وأعوانها في الداخل أخفقوا في كسب الأصوات الكافية، وسيساعدها على هذا حالة الغموض التي تسود مجمل العملية الانتخابية وتصاعد أعمال المقاومة.

من يفوز : العلمانيون أم السيستاني؟

ملصق للقائمة الشيعية التي باركها السيستاني تتصدر أحد مساجد بغداد

وفي ضوء هذه الحقائق يثور السؤال : من ترشحه المعطيات المتوفرة على الأرض للفوز في انتخابات يناير 2005 والسيطرة على الأوضاع بشكل أكبر ؟ العلمانيون الشيعة أم أنصار السيستاني والحوزة الدينية ؟، وحتى نجيب على السؤال لا بد من سرد الحقائق التالية :

1- أسلوب الانتخابات الغامض (دائرة واحدة) وصعوبة إجرائها في ربع مناطق العراق تقريبا، فضلا عن فرزها في المنطقة الخضراء التابعة للاحتلال بما قد يفتح الباب لاحتمالات التزوير، يصب في نهاية الأمر في خانة رغبات الاحتلال وإمكانية التلاعب في النتائج.

2- مهما اختلفت التنظيمات السياسية الشيعية : المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، وحزب الدعوة، ومنظمة العمل الإسلامي، وجماعة العلماء المجاهدين، وحركة المجاهدين وغيرها، فإن المرجعية في النهاية تمثل السقف أو الخط الأحمر الذي لا

يمكن تجاوزه، وهو ما يلقي عبئا ثقيلا على سلطة الاحتلال الأمريكية ويدفعها لعدم تجاوز هذه المرجعية.

3- على حين يتعجل علاوي والتيار العلماني الفوز ويضع الخطط لهذا، يتصرف السيستاني وتيار الحوزة الدينية بهدوء ودون تعجل، وكأنه يضمن الفوز، ولا ينسى وسط هذا لعبة الشد والجذب عبر التصريحات التي تناهض الاحتلال.

4- من الواضح -كما يقول د. عبد الله النفيسي في دراسة له عن شيعة العراق - أن لدى السيستاني "حسبة إستراتيجية" تؤجل الاصطدام بالأمريكان، ربما لأن "الأزمة الثورية" التي توفر أجواء أفضل للصدام -حسب التعبير الماركسي- لم تتضح بعد في العراق، لكن فور أن تتضح (في حالة إجهاض الاحتلال فوز القائمة الدينية في رأينا) سيحين موسم القطاف الشيعي في العراق، ووفقا لهذا الرأي فالصدام قادم بين الشيعة والاحتلال.

5- الاحتلال بدوره لديه "حسبة إستراتيجية" في العراق بدأت منذ التخطيط للغزو، تقوم على السيطرة على منابع النفط، وخلق قواعد عسكرية في المنطقة تعوض قواعد أخرى في الخليج، وجعل العراق منطقة انطلاق لضرب دول أخرى مثل سوريا وإيران، ومع الأخذ في الاعتبار حدوث إخفاق في تطبيق بعض جوانب هذه الإستراتيجية بفعل المعطيات الجديدة التي ظهرت، وأبرزها المقاومة السنية الشرسة، والاصطدام بالطموحات الشيعية، فسيكون من الصعب التخلي عن أبرز الأهداف الإستراتيجية الأمريكية في العراق.

وبناء على هذا يمكن القول: إن الخيار المرجح من الطرفين : الاحتلال والحوزة الدينية سيكون "خيارا توافقيا" بهدف تلبية مصالح الطرفين والموازنة بينها:

- فالطرفان لهما أولا مصلحة في عدم الصدام في هذه المرحلة التي يتعاظم فيها دور الجماعات المسلحة السنية في العراق والذي خلق تقريبا نوعا من التوازن في العراق مع الميليشيات الشيعية القادمة من إيران.

- والطرفان يدركان ثانيا أن الصدام معناه عدم تحقيق مصالح الشيعة في الوصول للحكم بصورة تبدو ديمقراطية، وعدم تحقيق مصالح الاحتلال في التهدئة والاستقرار للانتقال لمراحل أعلى في تنفيذ الإستراتيجية الأمريكية في العراق والمنطقة.

– والطرفان يدركان ثالثا أن صراعهما في صالح دول الجوار السنية ما قد يعرقل أهداف الشيعة في قيام دولة شيعية، وأهداف المحتل الأمريكي في ترهيب هذه الدول وقمعها.

– والطرفان يدركان أخيرا أن صراعهما يتعارض مع هدف كل منهما تجاه إيران، فشيعة العراق يستقوون بإيران رغم خلاف المرجعيات، وضعفهم ضعف لإيران، وأمريكا تخشى في حالة الدخول في صراع مع شيعة العراق أن يقوي هذا إيران الشيعية ويجهض خطط حصار إيران.

الصورة المتوقعة تبدو بالتالي واضحة وعمادها سيكون : سعي واشنطن لتنفيذ أهدافها تدريجيا في عراق علماني عبر أيادٍ شيعية، وسعي كلا الطرفين لتبريد صراعهما والوصول لحلول وسط؛ خشية أن يأتي صراعهما لصالح مارد المقاومة السنية القوي، أو يجر عليهما المشاكل مع دول الجوار السنية وإيران.

==============

#بروتوكولات حكماء العلمانية

د.محمد أحمد الخضراوي**

*العلمانية وسياسة المركز

*العلمانية والازدواجية

*الحجاب: الأنماط الاجتماعية

*العلمانية وحقوق الإنسان المتعالي

كانت ميزة خطاب "جاك شيراك" السلبي الذي ألقى خلاله القنبلة الأخيرة للعام 2003 في 17 ديسمبر على العرب والمهاجرين، أنه أسقط رهان الليبرالية المطروح كشعار علماني محايد، وصار يقتحم الحريات الخاصة، ويتعقب السلوكيات الفردية. ولم يكن لخطاب الرئيس الفرنسي مدلول حضاري، أو قيمة إنسانية يدافع عنها، إنه سياق تصنيفي موجه، يحرض على التمييز الاجتماعي، والتفريق العنصري بين أبناء المجموعة الوطنية الواحدة، أو بينها وبين المهاجرين اللائذين بها؛ احتماء بقوانينها، وفرارا من الضيق الاقتصادي، والتضييق السياسي الذي صار حتمية من حتميات وجود العالم الثالث.

لقد كشف شيراك آنذاك البعد الحقيقي للعلمانية، وفضح منهجها الإقصائي الذي يلغي وجود المعتقدات الدينية، فأوقف بذلك الضجيج السائد حول الفكر البدائلي الذي كانت تجسده الأحلام العلمانية في زمان سقوط الإيديولوجيات، وهي بهذا الشكل التوتاليتاري المذكور، فقد طوق العقل العربي داخل جغرافيا المصطلح بشكل شمولي، فقرأ فيزيولوجيا مفردة العلمانية (إذا ما كانت عينها مفتوحة أم مكسورة)، وبحث في إيتيمولوجيا العبارة (هل هي من العلم بالمعنى الموضوعي، أم أنها معتقد ينافس كل معتقد)، وفحص أيديولوجيا الدلالة (إذا كانت مواقفية ترتطم بالدين، أم أنها مشروع ليبرالي ينتظم كل دين)، وقد غاب عن هذه التحريات والتحقيقات النظرية الإشكال الحيوي الذي تثيره المسألة العلمانية في العالم العربي من حيث علاقتها الالتباسية بالحقوق الاجتماعية وبالمعتقدات وبالمؤسسات. إنها تبدو من الأنساق الكبرى التي لا تقف على أرضية حيادية، ومواقف موضوعية تبرئها من الانحياز والانزياح الأيديولوجي.

فالعلمانية المتفرعة عن الأيديولوجيات اليسارية المنقرضة تظل حليفة دائمة للأنظمة القائمة تدفعها إلى ذلك عقلية انتفاعية خالصة، من أجل هذا لا تجيب عن القضايا المستعصية في البلاد العربية، والاستفهامات الملحة التي تفجر نفسها لتكشف التناقض بين الشعار والأداء، والخطابات الديماغوجية: هل الحرية الدينية المباحة والمفروضة تتماثل مع الحرية السياسية المفترضة؟ أم أن الليبرالية السياسية تبقى من التابوهات والممنوعات الأبدية؟ وهل يكون البرنامج السياسي ممارسة ديمقراطية واقعية تظل محايدة بإزاء الاختبارات الوطنية، ولو ناهضت السياسات العلمانية القائمة؟ أم أن البرنامج العلماني مجرد خفير وحارس لنظام دوغمائي منقفل يتمنى المصادرة والهيمنة على الزمان والمكان والإنسان؟.

واللافت أن السيد شيراك افتقد منطقه منطقية هذا السؤال، فمنع الحجاب باعتباره رمزًا دون أن يعرج على الرموز الفلسفية (الإلحاد مثلا)، والرموز السياسية (النازية والصهيونية) التي تعربد في المعاهد والجامعات والنقابات والإعلام، في حين أن قوانين عام 1936؛ نظرًا إلى العنف الذي ساد المؤسسات التعليمية بين اليمين واليسار، منعت إبداء كل رمز سياسي.

إننا وإن كنا لا نعبأ بالعلمانية العربية؛ لكونها مجرد مجاز سياسي (علمانوية) يتناظر مع ديمقراطية الأنظمة العربية الحاكمة التي تستتر بشعارات الموضة الكونية (الديمقراطية وحقوق الإنسان) لتخفي العجز والفراغ والفوضى، فإننا من قبيل الانتماء والمعايشة الميدانية، نقدر العلمانية الفرنسية حق قدرها، وإن نحن ناقشناها بعقل نقدي، لا هجاء فيه، فمن أجل هذه الراهنية المشبوهة التي فرضها نظام العنف العالمي الجديد، وانتهت إلى تضارب في الأفكار والمقولات والسلوكيات.

العلمانية وسياسة المركز

يستحوذ الالتباس على القرار الفرنسي بمنع الحجاب من جهة الترابط العضوي القائم بين العلمانية والمركزية الغربية باعتبارها مملكة الاستعمار، وورشة لصناعة الانحراف الأيديولوجي، وبؤرة تاريخية للقطيعة مع الآخر الدوني؛ فالعقل الأوروبي الأنواري الحديث لم يتوقف منذ هيغل (المتوفى 1831) على التفخيم من شأن الحضارة الغربية، وإقصاء ما سواها.

ذلك أن الغرب وحده هو النموذج الوحيد للحضارة الكونية ابتداء من اليونان، ثم الرومان، وانتهاء بالثورة الفرنسية؛ فألمانيا الجرمانية.

غير أن هذا الوجه الحضاري الفريد، لم يتأخر عن تفجير غاياته الصراعية وحقيقته المتوحشة، وممارسته ألعاب الارتقاء اللاطبيعي والانتقاء العسكري؛ فالنازية مثلا صناعة ألمانية محلية كان هدفها التصفية العرقية العالمية، ويروي اليهود أنها قتلت منهم 6 ملايين حرقا، والفاشية التي مارسها فرانكو وموسيليني، والإقطاعية القيصرية هي بدورها منتجات أوروبية صرفة، وكذلك الاستشراق والاستعمار، وقهر الشعوب المستضعفة، كانت كلها إفرازات الحضارة الأوروبية المحكومة بآليات الصراع التاريخي والثقافي.

أما الصورة الاستعمارية للعلمانية، فتبدو بشكل متوحش قاتم مع الشيوعية، فقد كانت ثورة 1917 علمانية خالصة، جعلت منها (العلمانية) منهجا يقينيا قطعيا، لا يتحصن إلا باستئصال الآخر، فتمركز في العالم بالقهر العسكري، والإبادة، والقتل بالتفصيل وبالجملة.

وكذلك فرنسا حين اختارت العلمانية بطريقة دستورية شرعية عام 1905، كانت أطاحت بشعارات الجمهورية الثلاثة، وهي: الحرية والأخوة والمساواة، بإزاء شعوب الهامش التي عسكرتها، وراحت تمارس عليها بشاعتها الاستعمارية بشتى وسائل القمع حتى نُعِتت الجزائر ببلد المليون شهيد، هم قتلى الجيش العلماني.

ونتيجة لهذا، فإن تونس لم تستقل إلا عام 1956، ولكن إجلاء القوات الغازية لم يقع إلا عام 1963 ببنزرت. وكذلك استقل المغرب عام 1956، ولم تحصل الجزائر على سيادتها إلا في 1962.

إن منظومة المركزية الغربية والنزعة الأوروبية هي الفلسفة الأولى، وعلة العلل على مستوى السياسة والفكر والاقتصاد، وتأتي من بعد ذلك شعارات التسويق، ودبلوماسية المراوغة، ومن ثَم الأدوار الذرائعية، والخطابات الديماغوجية التي يروج لها باعتبارها أفيون الشعوب العالمثالية المتخلفة، والمهووسة بالمواقف الاتباعية المطلقة.

العلمانية والازدواجية

يتمايز النظام العلماني الفرنسي المنبجس من النزعة الأوروبية بكونه خطابًا براغماتيا استفرغ في ذاته كل دلائل المواربة والمخاتلة في مختلف مفاصله المنهجية؛ أي إنه خطاب تحكمه الأولويات والمصالح السياسية؛ لذلك ما كان يقيم للقيم والمبادئ والقوانين وزنا.

وسنذكر في هذا المضمار بعض المعطيات العينية التي استحدثت بفعل التناقض والارتداد على المبادئ، تحولات فظة في الممارسة والسلوك.

في قانون 9 ديسمبر 1905 الذي يفصل بين السلطة والكنائس المسيحية، يذكر المشرع في البندين الأول والثاني، أن الجمهورية حيادية: تعترف بحرية الممارسات الدينية دون اعتراف رسمي منها بأي من الديانات والمعتقدات التي تمارس على أرضها، ودون دعم منها أيضا، غير أنها أحدثت الاستثناء بدافع مصلحي، فإذا بالبرلمان الفرنسي الذي تسيطر عليه غالبية يمينية يتبنى عام 1920 قرارا ببناء جامع باريس، ويصوت عليه إيجابا. وقد اعتبر هذا الأمر وقتذاك ملائما للمبادئ والقيم العلمانية، باعتبار هذا المشروع اعترافا بالجميل لأولئك الذين أراقوا دماءهم في سبيل الجمهورية، وماتوا من أجل علم فرنسا في الحرب العالمية الأولى حسب هذا

الزعم. والمقصودون هم الشمال الأفريقيون الذين لا يزال كثير منهم- في حدود علمنا- مسجلا على القوائم السوداء التي تمنع المحاربين القدماء المعادين لأوطانهم من معاودة الدخول إليها، وخاصة بالجزائر.

وعلى العكس من هذا المثال، تحتم الحكومة الفرنسية (المعروفة بفيشي) عام 1941 التفرقة الدينية بين مواطنيها المسيحيين واليهود الذين صنفتهم بطريقة سلبية على أساس عقيدتهم، فميزتهم مدنيا على مستوى الوثائق، واجتماعيا بحمل نجمة داود بصفة مرئية، كشكل من أشكال القمع النازي باعتبار النجمة اليهودية شارة إذلال وامتهان.

وبعد أقل من قرن (17 ديسمبر 2003) تعاود الجمهورية ترتيب أوراقها، وتأتي الحكومة اليمينية (لتحرم الحلال وتحل الحرام)، فبعد أن تدخلت رسميا، وتبنت مسألة بناء مسجد باريس إكراما للمحاربين العرب، وسمحت (بالتضمين) لنساء المحاربين بارتداء الحجاب الذي كانت الشمال الأفريقيات يضعنه في صورة لباس تقليدي، إذا بها ترتد على أعقابها وتتحفز لاستصدار قانون من أجل منع ارتداء الحجاب بعد أن انتهت المهمة العسكرية للشمال الأفريقيين الذين صاروا يعيشون على هامش الحياة الباريسية.

وهكذا تم الأمر مقلوبا بالنسبة إلى اليهود، فبعد أن كانوا يؤمرون بعنف القانون بحمل نجمة داود بغرض تحقيري، يطلع علينا مشرع القانون اليميني الجديد بالحظر على كل يهودي يتحرك على أرض فرنسا، أن يحمل نجمة داود.

إن هذا التناقض في المبدأ والقول والسلوك يستهدف المجموعة العربية في وجودها الاجتماعي بصفة خاصة، شكلا ومضمونا، وجودا وحضورا وحضارة، ويستهدف غيرها بشكل تمويهي؛ لأن الدين كامن في أعماق البنية العلمانية؛ فالعطل الرسمية في فرنسا خاضعة لأجندة الاحتفالات المسيحية، وجنائز رؤساء الجمهورية تتم بصفة رسمية في كنيسة "نوتردام" بباريس، كما حصل مع الرئيس الاشتراكي "فرانسوا ميتران".

ليس إذن لهذا التحامل المتترس بالمبادرات القانونية سوى دلالة ظاهرة لا تخفى، وهي هشاشة العلمانية، وعجز المدنية الديمقراطية عن محاورة الآخر، أو اختراق

خصائصه الفكرية؛ فحل العنف الشرعي للدولة العاجزة محل العنف العسكري، وصار القصف القانوني ضاربا بدل الدبابة والمدفع والطائرة.

والسؤال اليوم: هل انهزم الوعي المدني بإزاء الوعي الديني؟

إن المسلمين المحاصرين في فرنسا يمثلون من الناحية العددية أولى الأقليات (5 ملايين) وهم متقدمون عن البروتستانت (900 ألف) وهؤلاء لم يتحرروا في فرنسا من القمع الديني إلا في حدود القرن السادس عشر، ويأتي اليهود في الدرجة الأخيرة (600 ألف= 2%).

إن اللباس الشخصي أو قضية الخمار حينما تطلق من فرنسا، تتحول إلى قضية عنصرية، ومشكل استعماري؛ لأنه فيما وراء القانون يستهدف ذاتية أمة وشخصيتها وهويتها الحضارية.

فالحجاب شأن قومي؛ لكونه زيًّا نسائيا مشتركا مغرقا في التاريخ، محايدا لا تتجاذبه الشعارات ولا تختلف فيه الآراء والمذاهب، ولا تعترض عليه السياسات، اللهم إلا بعض المواقف العرضية الموقوتة التي منع فيها ارتداء الحجاب بشكل شبه رسمي، وما ذاك إلا لكونه من حيث النمط والشكل لم يظهر بمواصفات متعينة إلا بظهور الحركات الموصوفة بالانقلابية، وهي حسب هذا التقييم تستعمل الرموز، وخاصة الحجاب، من أجل إدانة النظام السياسي والاجتماعي، ومحاربته أيديولوجيا، لكن التجاذبات تبقى رغم هذا، ومع كل هذا، ممانعات عرضية وعابرة لا تلبث أن تزول بزوال الاستفزازات والاستثارات، وسيعقبها بعد ذلك، التوافق الاجتماعي والمصالحة الوطنية، وهي مسألة آتية لا ريب فيها.

الحجاب: الأنماط الاجتماعية

تطرح مسألة الحجاب إشكالية العلاقة بين الأنا والآخر. وهي موازنة قائمة على الجهل بالمختلف (الآخر) وبالآليات الفكرية والاعتقادية التي تمنحه خصائصه السلوكية.

فالسيد جاك شيراك أصدر بشكل تمويهي مراوغ جملة من الممنوعات تحف بالقضية الأساس وهي الحجاب، فأصدر أمرا بحظر الرموز الدينية، وقد انصب الأمر على منع حمل الصلبان (الكبيرة فقط) وكأن التلاميذ سيدخلون المدارس عارضين الصلبان

الكبيرة على غرار ما يفعل رواد الملاعب حين يدخلون ملوحين بالأعلام والمحمولات الرمزية، ووافق كذلك على منع حمل نجمة داود (الكبيرة فقط).

ومنع كذلك تعليق ما أسماه يد فاطمة، (الكبيرة فقط)، وقد اعتبر سيادته هذه اليد الكبيرة رمزا إسلاميا تماما مثل نجمة داود، وصليب المسيح، وإذا كان داود نبيا، والمسيح رسولا، فإن صاحب السيادة لم يقل لنا شيئا عن السيدة فاطمة العجيبة، هل هي من الأنبياء والمرسلين؟ أم من الأولياء والصالحين؟.

لقد علم الجميع في فرنسا أن يد فاطمة تستعمل في شمال أفريقيا بغير هذا الاسم (وهو الخُمسة بضم الخاء) كتعويذة للحماية من العين والحسد والسحر ولا علاقة لها بالدين؛ فهي من مخلفات العصر الجاهلي، حيث كانوا يعمدون إثر كل ذبيحة إلى غمس اليد في الدماء، ورسمها على الحائط بشكل أصابع اليد الخمسة التي تعلق الآن، والآيات القرآنية حرمت هذه الممارسة الجاهلية.

وقد أراد شيراك إلصاق هذه السمة الجاهلية بالمعتقد الإسلامي ورفعها إلى مستوى تتضاهى فيه مع الحجاب، ولعل هذا الوعي المشوش تلقاء الديانات الغيرية هو وحده من يسوغ اضطهاد الآخر تحت أية صورة نمطية ترسمها الذاكرة، وتصنعها الأفكار الشوهاء.

ضمن هذا السياق يتنزل الغلط المفهومي في مسألة الحجاب؛ فهو في الفكر الغربي المعاصر مرادف للعنف وللإرهاب، كما تعودنا من دروس بوش الصغير.

غير أن سيمولوجيا الحجاب تنطوي على جملة من العلامات والدلائل والمضامين ذات الأبعاد التاريخية والحضارية التي عرفتها أوروبا ذاتها في المنطقة الأندلسية قديما والأسبانية حديثا دون أن تتكرها.

وقد رصدنا للحجاب خمسة استعمالات ذات منطلقات مختلفة تدل على أن الأمة إما بحكم العادة أو الدين تتضامن تلقائيا مع مسألة الحجاب.

1 – الحجاب الديني:

وهو مفروض في الديانات السماوية الثلاث: فالمسيحيات (الراهبات خاصة) ما زلن يرتدينه بشكل واضح ومعلوم، وكذلك اليهوديات فإنهن يرتدينه طبقا لبعض التعرجات التأويلية، واليهود هم أبطال التأويل والتحريف وصناع البدائل منذ التاريخ إرضاء

للحاكم، أو لوزير الحاكم- ويحلو التأويل لدى المسلمين حين يكون وزير الحاكم فرنسيًّا يستشيرنا في أمر ديننا- غير أن المعنى الذي أعطاه اليهود للحجاب ليس غير مستساغ من حيث الظهور الاجتماعي؛ فالمرأة اليهودية تضع الشعر المستعار (الباروكة) على رأسها لتواري شعرها الحقيقي؛ أي إنها تتحجب بطريقة مواكبة للنظام الاجتماعي الغربي.

وفي الديانة الإسلامية فُرض الحجاب في السنة الرابعة للهجرة، وهو زمن متأخر جدا يدل على أن الحجاب ليس متداولا بالشكل الإسلامي المتعين داخل المجتمع الجاهلي، والآليات المحددة لوجوب الحجاب وشكله معلومة في سورتي "النور" و"الأحزاب"، وقد جاء في الحديث النبوي أن الفتاة إذا راهقت البلوغ فلا يظهر منها غير الوجه والكفين.

وهذا الحجاب الإسلامي بالمعنى القرآني المذكور، وجد في السعودية أثر التحالف بين محمد بن عبد الوهاب وآل سعود بناء على توافق مطلق بين الدين والدولة، وهو بهذا المعنى مقوم من مقومات الشخصية الإسلامية، ولازم من لوازم الاعتقاد، وليس رمزًا يشير إلى ذكرى تاريخية كالصليب.

2 - الحجاب التقليدي:

وهو شأن كوني تراهن مع الوجود التاريخي العربي والإنساني عامة، وليس يدل على أي التزام ديني، أو مسئولية اعتقادية، وظل كذلك مغايرا للوجود الإسلامي ومختلفا عنه في المواصفات، ويذكر هذا بالقول الشعري الذي تحول إلى غناء تراثي:

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا صنعتِ بناسك متعبد

قد كان شمر للصلاة ثيابه حتى وقفت له بباب المسجد

ردي عليه صلاته وصيامه لا تقتليه بحق دين محمد

وهنا -ودون النظر إلى الأصل القصصي لهذا القول- يبدو وجود الحجاب التقليدي متشكلا بهيئة غير دينية؛ لأنه ينطوي على استفزازات جنسية اخترقت بنية الإيمان والصبر التي كان الناسك المتعبد متزودا بها، فتحول إلى جسد بيولوجي خالص غابت عنه روحانيته، لما أن أقبل عليه الموت الأبيض من وراء الحجاب الذي تجملت به المرأة العربية، إضافة إلى جمالها الطبيعي الذي اهتز له كيان المتعبد.

والحجاب العربي، أو اللباس التقليدي مختلف الأنماط والأشكال، وليس متوافقا بالضرورة مع الالتزام الديني من حيث التفاصيل، لا من حيث المبدأ، وهما متحدان في عدم التكشف الجنسي، وقد يكون متوافقا مع المواصفات الشرعية.

ومثال الحجاب التقليدي ما هو معروف في تونس بالسَّفْساري (بفتح السين الأولى المشددة وبسكون الفاء) وهو حجاب إسلامي لا يزال موجودا في كافة أنحاء الجمهورية، والسفساري التونسي مختلف عن اللباس التقليدي الذي ترتديه المرأة في مصر صعيدية كانت أو قبطية، وما تلبسه المرأة اللبنانية أو السورية من حجاب تقليدي مسلمة كانت أو مسيحية يختلف بالضرورة الحضارية عن زي المرأة السودانية.

والجامع بين هذه الملبوسات بتقاصياتها الجغرافية، هو اشتراكها في دلالة الحجاب بمعنى الاحتجاب عن البدو الجنساني، وميزة هذه الألبسة كونها تستعمل من قبل المرأة العربية مسلمة ومسيحية.

إن مسألة الحجاب قضية عربية يشترك في الدفاع عنها العرب جميعا مسلمون ومسيحيون. فهو لباس وطني لا علاقة له بالتطرف والمتطرفين كما قرأت في بعض الصحف الصفراء (مثل روز اليوسف المصرية) التي أرادت أن تدافع عن شيخ الأزهر وعن سياسات مصر، فأساءت إليه وإليها وإلى الدول العربية، وذلك حين أوردت أمثلة عن مساحات للحرية الدينية كائنة في فرنسا وفي أمريكا، ومفقودة في العالم العربي، وأما تبني المتطرفين لقضية وطنية ما، فلا يعني أننا يجب أن ندين تلك القضية، فإذا ما دافعوا عن سيادة مصر، أو عن القضية الفلسطينية مثلا، فهل يجب أن نتموقع في جانب العدوان على مصر، أو في جانب الصهيونية من أجل الاختلاف مع المتطرفين؟ إن مثل هذه الاعتراضات (روز اليوسف/ المثال) تكشف عن ضمور العقل العربي، وضيق الآفاق الفكرية لدى جملة من المثقفين الانتفاعيين.

3 – الحجاب الاجتماعي:

هو ما يلبس لغرض إيتيكي (أخلاقي) خالص، حفاظا على الأخلاق، وحدود اللياقة والانضباط داخل المجال الأسري، ولا ينطلق من منظور التدين والالتزام الشرعي، وإنما يراد منه عدم اندماج البنت أو الزوجة في حركة الستريبتيز الاجتماعية، أعني

عدم الانخراط في جوقة الانكشاف والتعري، وعرض الصدور والظهور، والسرر (أو الأسرة) التي صارت حالة من الانفصام العربي بعد أن أغرقت مجتمعات الحداثة في مستنقع المتاع البيولوجي، وإغراءات الجسد الداثر بطبيعته الوجودية ذاتها التي تتقدم به نحو العدم والتناهي.

وهذا النوع من التحجب الاجتماعي، ينطلق من تأمل فلسفي، لكونه يقيم وزنا لمعنى النزعة الإنسانية المتأصلة في كينونة الإنسان، والشخص البشري كائن أخلاقي كما هو مسجل في الذاكرة الوجودية، والحياة العائلية ذات المبادئ والقيم الأخلاقية العالية تتفلت من طبائع التسيب الجسدي في المحيط الاجتماعي، وتمتنع عن إسقاط الحواجز بين عناصر البنية الأسرية.

وقد سجلت الإحصاءات الفرنسية أن 40% من حالات الاغتصاب الطفولي تتم داخل الفضاءات العائلية التي صارت إلى الفوضى، بعد أن كانت توفر ملاذا نفسانيا يؤمن من الانحرافات التي تصنعها النزعات والنزوعات المجتمعية.

4 – الحجاب الموضة:

يتخذ الحجاب في أزمان التقليعات التي تفصَّل طبقا لمنظورات أيديولوجية، جنسية، حضارية أو عشوائية موقعا ثقافيا بين أنماط الطرز والموضات العالمية؛ فهو لباس يساير الأصالة، ويواكب مظاهر الحداثة في آن واحد؛ أي إنه من حيث البدو والرسم وعدم التشكل الجسدي، يتجاوب مع المقتضيات والأعراف الاجتماعية، وقد يتلاءم جزئيا أو كليا مع الملبوس الشرعي، ويتساوق هذا الحجاب (الموضة) من الناحية الحضارية مع حركة المرأة المعاصرة، ولا يتخلف عن الاستخدامات المعروفة في عالم الجمال والزينة وحلاقة السيدات.

ولعل هذا الكساء الجديد، يعبر بشكل حداثي عن نظام اللباس التقليدي سابق الذكر، وهو لكونه يوجد بكثافة في دول الخليج بعد أن خالطتها المعاصرة، لم تشأ امرأة الخليج العربية أن تغادر أنماط عيشها القديم، وأبت تفويت أمتعة الحداثة، وقد تواردت عليها مباشرة من دنيا الإبداع ومن مختلف مصادر الابتكار في العالم، وهي التي تتوق إليها النفوس، وتهفو إليها الأفئدة الحالمة.

5 – الحجاب الرمز السياسي:

الرمزية هنا، بما أنها من فعل بعض الحركات السياسية، لم تعد مصدر تأويل، وإنما صارت محط حسم. فالمنظمات الدينية تطلب التمايز على مستوى الظهور الاجتماعي والحضور الثقافي، حسب نظرية الحسم هذه. أي إنها تهدف إلى السيطرة على الواقع من خلال تغليب الالتزام الحزبي على طبيعة الحياة الاجتماعية. وذلك من خلال الارتداء الخاص للحجاب الذي ينتظم على الكتفين بشكل تصنيفي لافت. ونحن لا ندري إن كان هذا النموذج الحزبي هو ما أزعج السلطات الفرنسية، أم كل ما تختلف هيئته عن نمط اللباس الغربي؟ ولا شك أن إطلاق مسمى الحجاب على انتماءات متطرفة لا موضوعية، هو تغريب للمسمى عن مداره الدلالي، وترحيل له إلى محيط لا يعبر عن ذاتيته المحضة.

فالحجاب يحمل معقوليته ومنطقيته من الأسباب الثقافية والاجتماعية والتاريخية والدينية التي ذكرت. وإدانته على طريقة شيراك الذي جعل يد فاطمة (الجاهلية) رمزا إسلاميا، هي جهل بالطبائع الوطنية والقومية العربية، وجهل بالمفاهيم الدينية بمضمونها الحضاري. إن سلوك شيراك الغريب، يندرج ضمن الهجمات الأيديولوجية التي لا تتوقف عن تكثيف المنطق العنصري، وتعبئة الرأي العام ضد 5 ملايين من الجنس غير الأوروبي. وقد حظي شيراك نتيجة لهذا التحريض برضا المنظمات اليهودية في فرنسا التي أعلنت بعد يوم واحد من قراره (18 ديسمبر 2003) عن ضرورة قبول الأمر الواقع، وهي القوانين العنصرية التي لا تمس اليهود. واليهود محميون بقانون 1990 الذي كفله لهم الشيوعيون والاشتراكيون (قانون فابيوس غيسو) الذي يتعقب كل تعريض باليهود وجودا وتاريخا ودينا وسلوكا؛ لأن ممارسات اليهود لا تكون إلا دفاعا عن النفس أو محاربة للإرهاب. فالمسألة محسومة بسابق الإصرار والترصد.

العلمانية وحقوق الإنسان المتعالي

صار اللعب سمة الإنسان المعاصر. فالأدباء يمارسون قراءة النصوص من خلال اللعب باللغة، والسياسيون يوجهون القوانين حسب الخلفيات والمصالح بصور انقلابية فاضحة. وكأن اللعب أضحى شيئا من بدائع الحضارة وفظاظتها كما يتوضح لدينا من ممارسات النظام . الأنظمة الفرنسية. فحينما اندلع أول إشكال حول الحجاب في

منطقة كراي عام 1998 (27 نوفمبر)، فإن مجلس الدولة أقر بأن الخمار في ذاته لا يتعارض مع مبادئ العلمانية. والتلاميذ يملكون حق التعبير عن انتماءاتهم. غير أن تصاعد وتيرة ارتداء الحجاب، بدا وكأنه إخفاق للعلمانية، وعجز عن الإقناع واحتواء الدين، ولأن سياسة الدولة خابت في تحقيق الاندماج بين مختلف الشرائح الاجتماعية والانتماءات الفكرية المشحونة بعبادة الذات، وعدم قبول المختلف، فإن حكومة جاك شيرك المقهورة سياسيا سعت، لا إلى الحوار والنقاش الحضاري الذي هو مبدأ ديمقراطي جمهوري، وإنما إلى اللجوء إلى العنف الشرعي. وهو استصدار قانون يحرم ارتداء الحجاب.

وطريقة المنع هي دائما دلالة على الإخفاق، ومعنى من معاني الهزيمة والخيبة وكسوف العقل العلماني. ذلك أن المنتصر هو من يخترق عقل الآخر وفكره، ويجتاز حواجزه الاعتقادية والمفهومية من خلال الإقناع بالمحاورة أو بالمناظرة. كما علمتنا ذلك الديمقراطية الفرنسية نفسها. لقد أصيبت العلمانية بالإرهاب، وبالرعب العدمي من المجهول الذي يمثله الحضور الذي صار قويا للآخر. وفي دلالة عملية على هذا القول، يذكر المراقبون أن فتاتين ارتدتا الحجاب (في أحد معاهد فيل نوف) عام 1995. وفي العام الموالي تضاعف العدد إلى عشرة. ثم تكثف الرقم بشكل تراتبي حتى صار عدد الفتيات 58 ضمن 1500 من التلاميذ رغم تدخل الأساتذة، والإدارة، والسلطات لمنع مسيرة الفتاتين المناضلتين بالصمت والصورة ضد الكل. فالعلمانية بكل أثقالها، وموازينها، ومكاييلها، لم تنجح في وقف مسار فتاتين اكتسحتا حضاريا مؤسسة محمية أيديولوجيا، ومحصنة فكريا بقوة الدولة. ورغم القلة العددية 58 بإزاء 1500 ورغم أن الفوارق في الديمقراطية تقاس بالآحاد (1%) فإن دولة حقوق الإنسان والحريات العامة تختار الطريقة البوليسية المقنعة بالرتوشات القانونية وهي المسلك السائد في الخارج لقمع الاختلاف الفكري أو السياسي، ومصادرة حرية التعبير، خاصة إذا علمنا أن عدد المتحجبات في فرنسا لا يتجاوز 1000 فتاة، وقد كان على جاك شيراك أن يحصن المدرسة اللائكية من السيدا ومن المخدرات، والمتاجرات الجنسية، وأوضاع البيدوفيليا التي تستهدف الذكور والإناث غير البالغين من قبل مدرسيهم أنفسهم، أو في محيطاتهم الأسرية.

إذا كان جاك شيراك يريد منع الحجاب، وبرنار سطازي رئيس اللجنة المكلفة بتقرير أمر هذا اللباس يرى (بمساندة أعضاء لجنته منهم أركون صاحب مشروع علمنة الإسلام)، أن الوجود العربي صورة للإرهاب مبثوثة في أوروبا، وإذا كان رؤساء البلديات يعترضون دائما علي بناء المساجد، وإذا كان الفنانون مثل بريجيت باردو، مربية الكلاب الحالية، ترى أن عيد الأضحى إرهاب للطبيعة. فإنني أوجه أصابع الاتهام إلى العرب والمسلمين فهؤلاء جميعا همشوا دورهم الاجتماعي والسياسي وصاروا شيعا وأحزابا وفصائل تتجاذبهم الأيدولوجيا ولا تجمعهم المصالح العليا. إنهم هم من صنعوا الهزيمة، هزيمة أنفسهم. وظل الطلائعيون منهم يجتمعون على فتات الموائد السياسية بين اليمين واليسار.

لقد انطلق أقصى اليمين الذي يقوده لوبان عام 1975 بأقل من 0.5%، واستحصل بعد 20 عاما من النضال على 20% من أصوات الناخبين. وهي نسبة جاهزة ابتداء للمجموعة العربية. فالعرب دون ممثلين ومسئولين وكتلة برلمانية وميزان قوة سياسية واجتماعية سيظلون غرضا وهدفا لكل متدرب على الرماية. ولئن تخلت عنهم الحكومات العربية المستقيلة بطبائع وجودها اللاشرعي، وفقدوا كل سند روحاني كالذي يجده المسيحيون في شخصية البابا التجميعية، وظلوا دون بابا ولا ماما، فإن الديمقراطية الفرنسية بشكلها العلماني الذي قلت في المبدأ إنني أقدره حق قدره رغم قراءاتي النقدية له، يوفر للعاملين في الغرب وللكفاءات العربية مواقع ومواقف موضوعية تحفظ الدين والعقل والعرض وتجسد معالم القوة الوجودية في الذات العربية. لمثل هذا فليعمل العاملون بعيدا عن الانفعال والعاطفة والفوضى؛ لأن العنف مهما كانت مبرراته شر محض.

** أكاديمي وكاتب تونسي.

=============

#الإسلام والعلمانية في عالم متغير

إعداد معتز الخطيب**

...

2005/12/04

تواجه العلمانية في السنوات الأخيرة مأزقًا صعبًا، ففي شكلها الفرنسي وضعت نفسها في توافق مع الدكتاتورية وضحّت بالحرية الدينية في سبيل ما أسمته "حماية العلمانية"، والتجربة التركية كذلك تشبه هذا النموذج، والتطورات الأخيرة بما فيها السياسات الأمريكية داخليًّا وفي العراق مثلاً، ودخول الإسلاميين في عدد من الدول في العملية السياسية وتأثيراته، وما حققه من سُمّوا بـ"الدعاة الجدد" على الصعيد الاجتماعي، وكذلك الإخوان المسلمون في مصر تحت شعار (الإسلام هو الحل)، والحرية التي تمتع بها مسلمو أوربا وما تردد مؤخرًا من الحديث عن "أسلمة أوربا"، كل ذلك وغيره عنى زيادة رقعة الدين في الشأن العام، ووضع العلمانية أمام تناقض داخلي يكتنفها، وهو كيف تقصي الدين عن الشأن العام وتبقى محافظة على ليبراليتها؟ وكيف تتم الدعوة إلى الديمقراطية في بلدان "إسلامية" الثقافة والهوى والمعتقد دون أن يؤدي ذلك إلى زيادة رقعة الدين في الشأن العام؟.

إن دعوة العلمانية إلى حرية الاجتماع الديني، سيقود في نهاية المطاف، كما هو الحال الراهن، إلى زيادة رقعة الدين والدعوات الدينية للتدخل في الشأن العام والسياسة باعتبار أن للدين دورا مهما يمكن أو يجب – بحسب الناظرين – أن يؤديه في السياسة. وفي الواقع كان لا بد من طرح تساؤل حقيقي حول "حدود" العلمانية، فلم يعد التدين الأمريكي استثناء كما كان يُنظر إليه.

الملاحظة الثانية التي يجب الإشارة إليها هنا وهي أن هذه التطورات ساهمت في إيضاح "أيديولوجية" العلمانية، فلم تعد هي القدر الذي لا مفر منه، وليست مرحلة متقدمة في سياق تطور المجتمعات لا بد من دخولها لتحقيق الفردوس الأرضي، إنها ببساطة أيديولوجية منافسة.

غير أن ثمة باحثين فرنسيين لا يتفقون مع هذا التحليل، فباتريك ميشيل يرى أن هنالك استمرارًا للعلمانية وليس نهاية لها، وهناك من يرى أن عودة الدين هذه إنما هي وفق منطق العلمانية، أو ما يشبه علمنة الدين أو الإسلام.

وقد رأينا أنه من المهم أن نطرح هذه الرؤى ونناقش العلاقة بين الإسلام والعلمانية، وواقع المتغيرات وتأثيراتها على تلك العلاقة، وماذا تعني عودة الدين، لدى كل طرف؟

===============

#استمرارية العلمانية..

حوار مع الباحث الفرنسي باتريك ميشيل

القاهرة– حسام تمام

...

2005/12/04

باتريك ميشيل

من الجدل العنيف حول قانون حظر الحجاب في فرنسا، إلى التأثير الديني غير المسبوق في الانتخابات الأمريكية، كان الحضور الديني في الفضاء العام وتداعياته السياسية لافتا، بل أبرز التغيرات التي طرأت على عالمٍ كان قد قطع رحلته نحو الحداثة، معتقدا أنه نجح في حصر الدين في مجالاته الخاصة والشخصية. ثم جاء التصاعد المستمر للدين في الفضاء العام ليطرح إشكالات عدة:

فماذا تعني عودة الدين بقوة إلى الفضاء العام؟

وهل يدفعنا ذلك إلى إعادة النظر في مقولة سيادة العلمنة؟

وهل كان الحضور الديني على حساب العلمانية؟ أم وفق منطقها بحيث صار يؤدي إلى علمنة الدين؟

وهل لهذا الحضور الديني علاقة بانهيار الأيدلوجيات ونهاية الروايات الكبرى للعالم؟

وكيف يعيد ذلك تشكل الشأن الديني وقضية الإيمان؟

طرحنا هذه الإشكالات على الباحث الفرنسي باتريك ميشيل patrrick michel الأستاذ بمعهد الدراسات السياسية ومعهد الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية بباريس، والذي عرف باشتغاله على قضايا الدين والحداثة والسياسة.

وإضافة لكتابه الأشهر: الدين والسياسة – التحول العظيم (1994) صدر لباتريك ميشيل أكثر من عشرة كتب تعالج هذه القضايا من أهمها: الكنيسة في بولندا ومستقبل الوطن (1981)، السياسة والدين في أوربا الشرقية (1985)، الأديان في أوربا الشرقية (1992)، كل الطرق لا تؤدي إلى روما: التحولات المعاصرة للكاثوليكية (1995)، الدين والديمقراطية: قضايا ورؤى وإشكالات جديدة (1997)،

الدين في المتحف (1997)، إضافة إلى عدة كتب أخرى عن الدين والسياسة في أوربا الشرقية قبل وبعد انهيار الشيوعية. التقيناه في القاهرة، فكان هذا الحوار الذي إذا كان لنا أن نلخصه في جملة فهي: أنه استطاع أن يضع الظاهرة الدينية في قلب حركة الحداثة، وليس باعتبارها رد فعل عليها على عكس ما شاع من قبل.

*

استمرارية العلمانية

*

ماذا تعني استمرارية العلمنة؟

*

عودة الدين.. وبأي معنى؟

*

الدين ومسألة الهوية

*

الدين في ظل السيولة والتنقلات

استمرارية العلمانية

* مع التغيرات التي شهدها العالم في العقود الثلاثة الأخيرة، وأبرزها تعاظم دور الدين في السياسة العالمية –كما في النموذج الأمريكي– عاد إلى المشهد من جديد الجدل حول الدين والعلمانية ومستقبل العلاقة بينهما، ولاحظنا ظهور مدرستين متناقضتين، الأولى تتحدث عما يسمى بنهاية العلمانية فتذهب إلى عكس ما كانت تبشر به الكتابات والنظريات التي كانت تؤكد على أن العلم وتقدمه سيكون على حساب الدين، ويذهب أصحاب هذه المدرسة –ومعظمهم أمريكيون وأبرزهم عالم الاجتماع جون فول– إلى أن الواقع يقول إن الدين يزداد حضوره باطراد في الفضاء العام؛ بما يحتم إعادة النظر في دعوى غلبة العلمانية. بينما يذهب أصحاب المدرسة المعاكسة –ومعظمهم فرنسيون– إلى تأكيد انتصار العلمانية، وأنه وإن كان حضور الدين في تعاظم فإن هذا الحضور لن يخل بالعلمانية، بل إنه يؤكدها يوما بعد يوم؛ لأنه يتم في إطار علماني وعلى أرضية علمانية ستنتهي إلى علمنة الدين نفسه على

نحو ما يرى أوليفييه روا ومارسيل جوشيه.. فكيف ترى هذا الجدل وإلى أي اتجاه تميل؟

- نحن نعتمد بشكل كبير على التنظير الأمريكي، وبالذات ما كتبه "بيتر بيرجر" و"هارفي كوكس" الأبوان الروحيان لمقولة سيادة العلمانية، وكانا قد كتبا عن "المدينة العلمانية" ثم عادا واعترفا بعد ذلك بأنهما أخطئا فكتب "بيرجر" يقول: "إن العالم ما يزال متدينا"، بل صارت الصيحة الجديدة هي "الخروج من العلمانية"، ونما تيار مضاد لمقولة سيادة العلمنة، ونلاحظ أننا فيما مضى كنا نتحدث عن الاستثناء الأمريكي، بمعنى أن هناك بلدا- الولايات المتحدة- سيظل متدينا في عالم تغلب عليه العلمانية، بينما العكس يحدث الآن؛ فصار الاستثناء الأوربي العلماني هو الذي يعيش في وسط الأغلبية المتدينة. بعد أن اكتسح التيار المضاد للعلمنة العالم حتى صارت أوربا آخر بؤر العلمانية فيه.

وما أتصوره هو أن هناك استمرارا للعلمانية، وأنه لا يوجد ارتداد عن العلمانية للدين ولا يوجد "ثأر الله" (بتعبير جيل كيبيل)؛ وإنما هناك ظهور جديد للدين، وتصبح القضية هنا كيف نفسر هذا الوجود الديني المتعاظم والمؤثر بشكل كبير في فضاء السياسة والاجتماع الإنساني، وهنا لا يصلح الدين بمفرده للتفسير، وإنما لكي نفهم عودة الدين لا بد أن نعتبره مدخلا لفهم الظواهر الأخرى المحيطة به والمتراكبة معه.

وأنا أعتقد -كما سبق- في استمرارية العلمانية باعتبارها تقليص سلطةِ أو تأثير المؤسسات الدينية على الفرد وعلى رؤية المجتمع الكبرى وعالمه الرمزي، وأنا لا أتحدث هنا عن الدين كمفهوم، وإنما عن الدين كإمكانات للدرس والتوصيف.

ماذا تعني استمرارية العلمنة؟

وإذا ما طرحنا السؤال عن ماذا يعني استمرارية العلمنة سنلاحظ وجود ثلاث ديناميكيات رئيسية:

الأولى هي: (الفردنة) بمعنى تأسيس علاقة فردية بين الإنسان والمعاني الدينية، والجديد في هذه العلاقة هو شرعية الفردنة وقبولها اجتماعيا، وهذه هي الصفة السائدة الآن للتدين في أوربا.

والديناميكية الثانية تنتج عن الأولى وهي: الابتعاد عن المؤسسات الدينية، حيث تفتقد هذه المؤسسات احتكارها لتعريف ما هو الدين الصحيح، وهو ما حدث في أوربا؛ إذ لم تعد المؤسسة الدينية هي الجهة التي تقول ما هي الكاثوليكية الصحيحة أو البروتستانتية الصحيحة.

أما الديناميكية الثالثة فهي استهلاكية العلاقة بالدين؛ أي إدخال بعد استهلاكي للدين، بمعنى أن الفرد يتعامل مع الدين بشكل استهلاكي فيختار من العرض الديني ما هو مناسب له من خلال مقاييسه الخاصة؛ وإذا كان العرض الديني غير مقبول بالنسبة له فسيقوم بتغييره؛ فهو لن يخجل من رفض هذا العرض والبحث عن تدين مناسب له ولمتطلباته.

ومن البعد الاستهلاكي للإيمان المعاصر نستطيع أن نفسر التحولات التي تتم من ديانة إلى أخرى، وظهور تجميعات أو خلطات من بين الديانات، ويحدث هذا للناس بوعي تام ودون الشعور بأي ذنب، وهو ما يؤدي إلى شرعية الدمج والنقلات والتحولات بين الانتماءات الدينية المختلفة، وأبرز مثال على ذلك تجارب التصوف في الغرب التي يخوضها مسلمون ومسيحيون ويهود وأبناء ديانات مختلفة بل وملاحدة!.

* لكن دائما ما تجاورت العلاقة الفردية بالدين مع المؤسسات الدينية وظلت العلاقة بينهما مستقرة.. فما الجديد الذي يمكن أن تتشكل وفقه هذه العلاقة؟

- تقليديا كانت هناك علاقة مباشرة بين الطلب على المعنى (بمعنى طلب الإجابة على الأسئلة المهمة مثل: ماذا سيحدث بعد الموت...) وبين عرض مؤسسي (إجابات تقدمها المؤسسات الدينية: المسجد، الكنيسة، المعبد..)، ودائما ما كانت إجابات هذه المؤسسات إجبارية (يجب علينا أن نؤمن بكذا...)، وهذا ما يخالف نظرية الفردنة؛ فالمؤسسات دائما تفرض والفرد دائما يرفض الفرض والإجبار.. وأنا أرى أن هذا النموذج التقليدي لم يمت بعد وما يزال موجودا، لكن الجديد هو أن هناك تغيرا فعليا يحدث بالانفصال عن إجابات هذه المؤسسات، فإجاباتها لم تعد محل قبول من الفرد، ولم يعد الدين في عالمنا الجديد يستطيع أن يؤسس بالإجبار، أي لم

تعد لديه القدرة الإجبارية على الناس، لذلك فإن الآفاق الدينية الجديدة آفاق مريحة بعيدة عن الإجبار والعنف الرمزي والقلق، فكل فرد صار يبحث عما يريحه.

وما أقصده هو أن مساحة الدين أو فضاءه وحيزه سنسكنها فقط حين تكون مريحة، أي سيكون اللجوء للدين حين يكون مريحا للفرد، أي سيكون اللجوء للتدين المريح بعيدا عن الإجبار، وفي أوربا فإن اللجوء للدين الآن يتم بعيدا عن أي فرض أو عنف رمزي حتى لو كان هذا الفرض في صورة نظام قيمي إجباري.

* ألا يبدو هذا التحليل وهذه الصيغ أقرب إلى المسيحية، وتبتعد كثيرا عن الإسلام في مسألة المؤسسة وشرعية الفردنة؛ خاصة أن المؤسسة ليست بنفس الحضور في الإسلام وكذلك ما يخص الفردنة؟

– ربما ينصب كلامي بشكل خاص على الكاثوليكية، ولكنه ينطبق كذلك بشكل عام عن الشأن الديني في أوربا.

عودة الدين.. وبأي معنى؟

* نعود لسؤالنا السابق ثانية؛ فأنت لم تجب بعد عن السؤال: لماذا تذهب إلى رفض القول بعودة الدين على حساب العلمانية في الفضاء العام، رغم أن الشواهد كلها تدعم هذا الرأي؟

–في السبعينيات وقعت الكثير من الأحداث أدت إلى الاعتراف بأن التنظير للعلمانية لم يكن منضبطا، من ضمنها الثورة الإسلامية الإيرانية، وحركة (تضامن) في بولندا التي كان للكنيسة فيها دور مركزي، والحركات الكاريزمية في أمريكا الجنوبية وإفريقيا، وحركات الإنجيليين الجدد (البانتكوتيزم Pentecotisme) في أمريكا الشمالية واللاتينية والجنوبية، وتكون وانتشار المجموعات الأصولية المختلفة سواء المسيحية أو اليهودية أو الإسلامية.. وقد دفعت كل هذه الأحداث والتغيرات إلى الحديث عن عودة الدين فكتب هارفي كوكس كتابه "عودة الله"، وكتب جيل كيبيل "يوم الله"، وكتب بيتر بيرجر كتابه "العودة إلى سحر العالم"، ويقصد بالسحر: الدين، فيما يشبه معارضة لكتاب ميشيل جوشيه "بعيدا عن سحر العالم"..، وكلهم يذهبون إلى فكرة العودة.. وهناك مدرسة أخرى قريبة من هذه المدرسة تمثلها "دانيال لوجيه" وهي باحثة في علم الاجتماع مختصة في تحليل الظاهرة الكاثوليكية، وهي تذهب

هي الأخرى إلى ضرورة إعادة النظر إلى العلمانية، ولكن طرحها لا يتطابق مع دعاة نظرية عودة الله؛ فهي تتحدث عن أن المجتمعات التي تمت علمنتها تستطيع أن تنتج منتجات دينية، ولكن هذه المنتجات الدينية الجديدة تتوافق مباشرة مع الحداثة العلمانية نفسها، ومن ثم فالعودة هنا ليست لأشكال دينية تقليدية، ولكن لفكرة التدين.

وأنا لا أتفق مع كلا الاتجاهين، وأرى أن الحديث عن عودة الدين يجب أن يتصل بنهاية الاستقطاب بين الشيوعية والرأسمالية كنظم قيم وليس كدول فقط؛ فهو ما أدى إلى إعادة طرح فكرة الدين من جديد. فلم تعد مسألة الانتماء يسيرة بعد انهيار الأيدلوجيات ونهاية الروايات الكبرى للعالم، وهو ما أعاد الاعتبار لفكرة المعنى: من نحن؟ ومن أين؟ وما العالم؟..

ومن ثم فإنه مع أي إعادة تشكيل للعالم فإن هناك مشكلة وأزمة في الهوية التي لم تعد بنفس الوضوح الذي كانت عليه.. وقد أدخلنا سقوط الاتحاد السوفيتي إلى ما أسميه باستنزاف للسياسة، وأعني عدم وجود عقائد سياسية كبرى تستوعب الناس، وهو ما أدى إلى التوظيف السياسي للدين، فاستنزاف السياسة جعلنا نلجأ للموارد المتاحة حاليا، وهي الأديان.. إذ أدت خلخلة الهوية لنوع من الحماس الديني؛ لأن الأحاسيس والمشاعر اتجهت لأهم الموارد الرمزية التي ما تزال باقية والتي تعطي معنى للعالم: وهي الأديان.

* وكيف ترى هذا الظهور الجديد للدين؟ وما معناه؟

–فرضيتي الأساسية لهذا الظهور الجديد للدين أنه مؤشر ووسيلة لإدارة ديناميكيات اجتماعية وسياسية شمولية أوسع، وهناك ثلاثة مستويات تفسر الظهور الجديد للدين في الفضاء العام باعتباره:

– مؤشرا ووسيلة لإعادة تشكيل العلاقة بين الزمان والمكان.

– مؤشرا ووسيلة لإدارة أزمة الهوية.

– مؤشرا ووسيلة لإدارة استنزاف السياسة، بعد أن صارت لدينا أزمة سياسية تتمثل في أننا الآن لدينا سياسة وليس لدينا دافع لها، فهي سياسة بلا يوتوبيا سياسة بلا حلم.

فنحن الآن في العصر أو الزمن العالمي، وهو عصر سمته الأولى تقليص الزمن، فأنت في أي مكان وبلمسة واحدة تستطيع الحصول مباشرة على ما تشاء من معلومات عبر الإنترنت من دون فاصل زمني، لقد صرنا في فضاء زمني مفتوح، وأصبح من المستحيل على أي مجتمع أن يرى نفسه منفصلا أو كجزيرة منعزلة، ونفس الشيء مع المكان، فقبل انهيار الاتحاد السوفيتي كنا ندير علاقتنا بالمكان بالانغلاق، وكان رمز هذا الانغلاق هو سور برلين الذي يفصل بين الشرق والغرب، تغير ذلك كله الآن.. فلم يكن انهيار سور برلين مجرد انهيار سور أو حتى نظام، ولكنه كان انهيارا لفكرة الانغلاق وفكرة أن المكان مغلق وأن هناك شرقا وغربا؛ المكان الآن مفتوح ولم يعد هناك شرق وغرب... وقضية الأديان هي إدارة هذا التفكك أو هذا الانفتاح..

والسؤال الآن هو كيف تتحرك في مكان وفضاء مفتوح؟.

ولكي نوضح ذلك أضرب مثالين:

الأول خاص بإستراتيجية الكنيسة الكاثوليكية تحت قيادة جون بول الثاني (البابا يوحنا بولس الثاني) والتي تعرف بروعة الحق، فطوال الوقت يعمل جون بول الثاني على تأكيد مركزية روما والفاتيكان في الكنيسة الكاثوليكية، ولكن سعيه لذلك يتم من خلال السفر والانفتاح والحضور الكثيف في الخارج كوسيلة أساسية لاستعادة هذه المركزية وتأكيدها، أي أن الفاتيكان يعمل طوال الوقت على دعم مركزيته بينما –وفي نفس الوقت– يؤكد البابا دائما على هذه المركزية من خلال حضوره بالخارج.

المثال الثاني هو أنه في خلال ألفي عام تقريبا من تاريخ الكاثوليكية لم يكن من الممكن توحيد منهجية التعليم الديني الكاثوليكي على مستوى العالم إلا مرتين فقط؛ الأولى عند الخروج من القرون الوسطى وبدء عصر النهضة وعصر اكتشاف أمريكا في عصر يتسم بالتوسع المكاني بعيدا عن الإقطاعيات المنغلقة، في حين جاءت المرة الثانية في عصر جون بول الثاني أيضا: حين انفتح العالم مرة ثانية.

الدين ومسألة الهوية

* وكيف انعكس ذلك على الهوية، وما شكل علاقتها بالدين في هذا السياق؟

–نحن في عصر أعيد فيه تشكيل العلاقة بين الزمان والمكان تماما.. وهو ما أحدث خلخلة وذبذبة أعادت حضور الدين مجددا كفاعل رئيسي.. فتمت تعبئة الدين بهدف إعادة بناء الهوية. وفي مسألة الهوية، فإن كل المقاييس التي كانت تنظم مسألة الهوية فيما مضى تغيرت، ومن ثم فقد صارت معايير تحديد الهويات غير واضحة، فنتيجة هذه الخلخلة أو الذبذبة لم تعد الهويات ثابتة كما كانت سابقا، لقد صارت الهويات متحركة ومتغيرة وهو ما يعني أنها أضحت ضعيفة، وللتوضيح نضرب أمثلة مختلفة:

فالنوع الجنسي الذي كان يحدد الهوية (ذكر أو أنثى) تغير فأعيد تعريف الذكورة والأنوثة حتى بيولوجيا، وظهر الجندر أو النوع الاجتماعي بديلا عن النوع البيولوجي، ولم يعد مقبولًا فكرة التفرقة الجنسية في تنظيم الحياة (مثل العمل).

كما شهدنا حالة انفجار في النماذج الأسرية بعد أن تكسرت الأسرة النووية التقليدية، وقد رصدت دراسة في فرنسا 27 نموذجا أسريا مختلفا بينت عدم الوضوح، أو التغيير السريع في الهوية الأسرية؛ فمثلا نجد أن الفرد يمكن أن يكون لديه ابن ويتزوج من امرأة لديها ابن والأربعة يعيشون مع بعضهم في نفس المنزل، ونجد الابنين يتعاملان مع بعضهما معاملة الإخوان، ولهما نفس الأقارب من طرف الأب والأم بينما في الأوراق الرسمية ليس لها أي صلة.

كما حدث التغير نفسه في الهوية المهنية: ففيما مضى كان العمل أكثر ثباتا، وكان الواحد يمتهن مهنة معينة طول حياته الوظيفية، بينما الآن يمكن أن يتنقل من شركة إلى أخرى أو من مجال عمل إلى آخر، ويتم ذلك بسهولة ومرونة.

وكذلك الحال في الهويات الاجتماعية إذ لم تعد فكرة التفرقة البرجوازية أو ظهور الطبقة العمالية والأرستقراطية ثابتة، وصار ممكنا الانتقال بين الطبقات.

وفي الهويات السياسية: تغير محور اليمين واليسار الذي كان سائدا قبل سنوات، وكان يعطي إمكانيات لتفسير السياسة ورسم خريطتها، ولم يعد له الآن نفس المركزية التي كان عليها.

والشيء نفسه فيما يخص الهويات الوطنية، حدثت تغيرات عميقة أهمها التغير في مفهوم ونظام الدولة القطرية، فلم يعد من الممكن في فرنسا –مثلا– أن نتحدث عن

وحدة التاريخ المشترك بيننا كفرنسيين فقط، وصار من المفترض إعادة النظر في فكرة المواطنة نفسها بعد أن انفتحت الدولة الفرنسية لموجات الهجرة، كما تكسر وهم "المثل" الذي كانت تعتمد عليه الدولة الوطنية، كما تكسر نظام الدولة القطرية بسبب مطالب الاستقلال المحلية (دعاوى الاستقلال في أسكتلندا عن بريطانيا وكورسيكا عن فرنسا والشمال في إيطاليا والأندلس في أسبانيا..) وضعفت الدولة القطرية من مستوى أعلى تمثل في ظهور كيانات أكبر منها مثل الاتحاد الأوربي، كما جاء الضعف نتيجة الاعتراف باستحالة علاج بعض المشكلات على مستوى الدولة القطرية مثل قضية التقنية العلمية (فليس هناك دولة الآن تستطيع أن تصنع طيارات بمفردها؛ لأن هذا مشروع أوربي ليس فرنسيا أو إيطاليا أو ألمانيا..) وحقوق الإنسان وحماية البيئة.. فكلها قضايا صارت فوق قطرية وعابرة لحدود كل دولة. وهذا ينطبق أكثر ما يكون على حركات المقاومة والحركات المناهضة للعولمة فهي لا تتم في إطار الدولة وإنما تتسع على مستوى العالم.

ومن أكثر الهويات التي صارت تفتقد للوضوح الهويات الدينية؛ وإعادة تشكيل الهويات الدينية يتم في نفس السياق لكل الهويات الأخرى، بمعنى أن الشأن الديني ليس منفصلا عن المجتمع، وبالتالي فإن الهوية الدينية تفقد الاستقلال والاستقرار نتيجة الفردنة، بمعنى أنها يمكن أن تتغير ولا توجد أي مؤسسة دينية يمكن أن تمنع ذلك، فقد صار من الصعب أن تقنع المؤسسة الفرد بوجود شيء مستقر ومطلق ومركزي ينظم كل شيء (القدر والنصيب..) يمكنه أن يؤمن به، والهويات الدينية مثل الهويات الأخرى تتقدم وتتغير وتتمو نموا سريعا، ولا يمكن النظر إلى أن التحركات بين الهويات لا يمثل ضعفا في الهوية، فالهويات متنقلة وتعكس مناخا عاما يؤثر في الهوية ويشكلها بمختلف أشكالها، سواء اجتماعية أو أسرية أو جنسية أو دينية، فأبناء الجيل الثاني من العرب في فرنسا يحملون الهويتين العربية والفرنسية في نفس الوقت، ورغم أنه بإمكان الواحد منهم أن يختار أن يكون فرنسيا فقط، لكنه دائما ما يرجع إلى أصوله العربية ردا على التهميش وعدم الاعتراف بخصوصيته؛ ولأن الهوية العربية تصطدم مع بعض مبادئ الهوية الفرنسية التقليدية، فالحل في هذه الحالة المصير لمستوى آخر في الهوية وهو الإسلام؛ بمعنى التخلص من

الهوية العربية إلى هوية أكبر وأوسع يمكن أن تضم الهوية الفرنسية أيضا، لكن تتجاوزها وتحقق الخصوصية والتميز (شعار مسلمي فرنسا: فرنسي نعم ولكن مسلم أيضا)، وهو ما يمكن أن يفسر صعود الدين بين أبناء الجاليات المسلمة.

وأود التأكيد على أنه وإن كانت هناك حركات تفكيك دينية، ولكن هناك رد فعل عليها بمحاولات إعادة البناء، والتحدي أمام حركات إعادة البناء هو تكوين هويات قابلة للحركة، والهوية المتحركة لا تعني أن الهوية نفسها تتحرك، ولكن تعني أن الناس أنفسهم يعترفون بأنهم يتحركون من هوية لأخرى.

الدين في ظل السيولة والتنقلات

* لكن في ظل هذه السيولة الدينية على ما يتضح من سردك ماذا سيتبقى من الدين في إطار التنقل والتغيير والنسبية، ما هو تأثير ذلك على الدين والتواصل بين دين ودين؟

-نحن في سياق إعادة تشكيل عام للعلاقة بين الإيمان ومضمون الإيمان، فالمناخ العام يشير إلى قبول حركة التنقلات بين المرجعيات الدينية، ومن نتيجة البحوث الاجتماعية في أوربا نلاحظ أن الناس لا يتأثرون بالمضمون، فمن الممكن أن يكون الفرد مسيحيا لفترة ثم يخرج منها إلى الإسلام ويعرج منه للبوذية، وربما انتهى إلى مزيج إيماني من عدة ديانات مختلفة، وهو ما نراه بوضوح لدى المتصوفة في أوربا فالتصوف حالة إيمانية لا تتعلق بدين محدد، بل ربما يدخلها ملحدون كما أسلفنا، وهو ما نسميه بعصر new age (أو الإيمان دون انتماء ديني محدد)، لكن هذه ليست قاعدة ثابتة؛ إذ يمكن لهذا المشوار أو الطريق الإيمانية أن تتوقف ويستقر الفرد في مرجعية دينية معينة، وهو ما نراه في المنتمين للحركات الإسلامية الأصولية في أوربا، فهم بمجرد دخولهم في هذه المرجعية الدينية استقروا غالبا فيها ولم يدخلوا - كأبناء جيلهم- في new age، ولكن في أغلبية الوقت يمكن أن نفسر الإيمان في أوربا على أنه كمشوار أو كطريق، فالإيمان حاليا ليس معناه أن ينتمي الفرد لديانة معينة، وإنما يعني التنقل بين مرجع إلى آخر والحركة بدلا من الاستقرار.

* ولكن أليس من المفروض أن يخلق هذا نوعا من التسامح –بصرف النظر عن موقفنا بالرفض أو القبول– فلا حروب أو صراعات دينية، ولكن ما يحدث أن العالم لا يسير بالضرورة إلى ذلك؟

– تتوقف زيادة التسامح على عدة عوامل، فإذا كان الفرد في موضع قبول للحركة والتنقلات والتغيير، فهو مبدئيا بضع نفسه في مبدأ النسبية بقبوله فكرة التغير، وفي هذه الحال ينفصل التدين عن العنف. ولكن إذا رفض مبدأ الحركة فإن التدين يميل إلى العنف؛ لأنه يركز فقط على فكرة الانتماء والرغبة الدائمة في التمييز بين الأنا والآخر. وغالبا فليس هناك قبول تام للحركة، وليس هناك أيضا رفض تام لها، ولكن الذي يحدث هو استعمال الدين لجعل فكرة الحركة والتنقل والتغيير أكثر ألفة، خذ مثلا ظهور العذراء في مدينة "لورد lourdes" الفرنسية، وهو ما ترتب عليه بدء فكرة الحج لهذه المدينة، فقد حدث هذا في عصر دخول الحداثة للمدينة عن طريق انفتاحها لفرنسا وللعالم، والقضية هنا ليست مدى صحة هذا الظهور من عدمه، بل تتعلق بأن هذا الظهور جاء في وقت انفتاح هذه المدينة، وأنه جاء ليسهل هذا الانفتاح، ولنا أن نلاحظ أن العذراء تكلمت مع سكان المدينة بالفرنسية كما يروون!

وهناك نماذج أخرى، مثل الحجاب في فرنسا فهو لم يكن مرتبطا برفض الحداثة أو فكرة الحركة، لكن كان تعبئة معينة لتكوين هوية كانت فيما مضى مفككة إلى حد ما، ولا يمكن اعتبار أن المحجبات لا يؤمن –بالضرورة– بمبادئ الجمهورية العلمانية الفرنسية، فالحرية الفردية –التي أتاحت لهن ارتداء الحجاب على خلاف أهلهن ومجتمعهن– هي من مبادئ الجمهورية، وليست من مبادئ الإسلام كما تقدمه بلاد العالم الإسلامي نفسه (!!)، وعلى هذا فلنا أن نتساءل: هل العودة إلى الهويات والأممية تخالف حركة الفردنة؟.. لا أظن ذلك بل أنا أميل إلى أنها أولى مراحل الفردنة كما هو الحال بالنسبة للحجاب في فرنسا الذي كان إحدى وسائل الفردنة إذ عن طريق الحجاب والعودة إليه غالبا ما تكون البنت أكثر استقلالية عن أسرتها (!!).

* بالصورة التي رسمتها لتأثيرات نهاية الروايات الكبرى على الدين وإعادة تشكيله والتمييز بينه وبين الإيمان، كيف ترسم شكل وخريطة الحركات والأفكار الدينية وما

ستكون عليه الأديان مستقبلا، هل سيحدث انسحاب لحركات وأفكار أديان وتقدم لأخرى؟ ومن منها المستفيد من هذا التعديل؛ فالبعض يتحدث مثلا عن أن الإنجيلية ستكون ديانة المستقبل، وأنها ستقضي على الكاثوليكية معتمدا على إحصاءات تؤكد الانتشار السريع لها حتى في مناطق النفوذ الكاثوليكي التقليدية مثل أمريكا الجنوبية؟

– لدي تحفظات على فرضية أن الإنجيلية ستكون ديانة القرن الحادي والعشرين، صحيح أنها تنتشر بكثافة كما أشرت، ولكن نلاحظ في الوقت نفسه أنها تتراجع في أماكن أخرى مثل كوريا، صحيح أن الكنيسة الكاثوليكية هي الخاسر الأكبر في المستقبل، لكن هناك طوائف دينية أخرى ستستفيد أكثر من الإنجيلية، وعلى رأسها البوذية ليس بشكلها التقليدي، ولكن طبقا للشكل الأوربي، والمعيار في ذلك هو قدرة كل ديانة على مساعدة الإنسان في التكيف مع الحداثة والعولمة كمناخ جديد، فالبوذية تتناسب تماما مع الطلب الشخصي المتزايد لديانة تضمن الراحة النفسية؛ فهي ديانة من غير ضغوط أو قيود أو تنازلات كثيرة، وقد أجريت دراسات مؤخرا اكتشفنا معها عدد معتنقي البوذية يزيد عن أربعة ملايين نسمة في فرنسا وحدها وهو رقم كبير على ديانة وافدة حديثا على بلد كفرنسا.

وبالنسبة للإنجيلية فمن أسباب انتشارها أنها ديانة تساهم في العبور إلى الحداثة، والاندماج في الاقتصاد المتعولم، ولنضرب مثالا بالفلاحين في "جواتيمالا" وكيف ساعدتهم الكنائس الإنجيلية ماديا ومعنويا، فمن ميزات الإنجيلية أنها تعتمد على "فقه" الرفاهية؛ بمعنى أن الثروة هي من دلائل تفضيلك عند الله، وهذه نظرية بروتستانتية قديمة، وهي تقدم لمن ينتمي إليها كل المساعدات المادية من حيث إمكانية الحصول على تعليم وفرص عمل وحياة أفضل، وهي تساهم في إدخال المؤمنين بها في الاقتصاد المتعولم.

===============

الخروج من العلمنة والعلاقة بالحداثة

معتز الخطيب **

2005/12/04

معتز الخطيب

بات أي حديث في الشأن العام يتصل بالحديث عن الإسلام من أي النواحي أتيتَه، من الإرهاب أو الإصلاح، أو الديمقراطية أو الحديث عن الدولة وسلطتها ومسار العلمانية ومستقبلها وصولا إلى الوفاق الوطني وغيره. ومع تزاحم الأحداث وتعاقبها، سنشير إلى مختارات منها، لنتوسل بها في مناقشة جملة من الأفكار.

*مشهد الأحداث

*الخروج من العلمنة

*علاقة الدين بالحداثة والديمقراطية

*عودة الدين ومعناها

مشهد الأحداث

في سنة 2000 تحدث جون إسبوزيتو وجون كين وآخرون ضمن كتاب "الإسلام والعلمانية في الشرق الأوسط" عن فشل تيار العلمانية في بلدان الشرق الأوسط، وأنه في انحسار مستمر لصالح تيار الفكر الإسلامي. غير أن هذه الأطروحة ربما كان عليها أن تنتظر حدثا جللا كأحداث سبتمبر وما أحدثته من تحولات لتصبح أكثر بروزا، فقد كان العنوان العريض لحروب الولايات المتحدة الأمريكية هو نشر الديمقراطية، وكتب فوكوياما في ديسمبر/ كانون الأول 2001 أن "مسيرة التاريخ العريضة" ستتقدم بناء على نتيجة الحرب العسكرية (في أفغانستان والعراق)، و"التطور الثاني والأهم ينبغي أن يأتي من داخل الإسلام نفسه، فعلى المجتمع الإسلامي أن يقرر ما إذا كان يريد أن يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة، خاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية والتسامح الديني". ومع سقوط نظام صدام حسين تساءل بعض الكتاب عن "مستقبل العلمانية في المنطقة" (الحياة 28 سبتمبر/ أيلول 2003)، في حين أوصت مؤسسة "راند" البحثية (2004) –ضمن ما أوصت – بدعم العلمانيين في العالم الإسلامي وتعزيز فكرة فصل الدين عن الدولة في الإسلام.

إن العلمانية باتت موضع نظر، وبات حضور الدين في الشأن العام أمرا ظاهرا ومنتشرا.

غير أن ما أسفرت عنه الطبخة الأمريكية للعملية السياسية في العراق هو حكومة دينية طائفية، وكان رئيس الحكومة العراقية افتتح كلمته في مؤتمر القاهرة (19 نوفمبر 2005) حول الوفاق الوطني العراقي بالحديث عن مفهوم الوحدة في القرآن وهو بهذا يحاول أن يستقوي على مخالفيه بالعودة للمرجعية القرآنية.

وحينما حضرنا الجلسات الخاصة لمؤتمر "الديمقراطية والإصلاح في الوطن العربي" (الدوحة 3 يونيو/ حزيران 2004) قال صلاح عيسى في موقف يعكس رأي أصوليي العلمانية: "إن الدولة الديمقراطية لا بد أن تكون علمانية، ووجود حزب ديني يعني وجود دولة دينية، والدولة الدينية استبدادية".

الخروج من العلمنة

من خلال هذا المشهد الموجز أقل ما يمكن أن يقال: إن العلمانية باتت موضع نظر، وبات حضور الدين في الشأن العام أمرا ظاهرا ومنتشرا. حتى إن الملتقى الثاني للمثقفين الأمريكيين والعرب الذي انعقد مؤخرا (7 –11 تشرين الثاني/نوفمبر) كان حول "الدين في المجال العام في التجربتين الأمريكية والعربية"، وهو عنوان دال، خاصة في كلمة "التجربتين" تلك، فقد كتب "بيتر بيرجر" و"هارفي كوكس" الأبوان الروحيان لمقولة سيادة العلمانية، كتبا عن "المدينة العلمانية" ثم عادا واعترفا بعد ذلك بأنهما أخطآ فكتب "بيرجر" يقول: "إن العالم ما يزال متدينا"، وكتب جون فول (أستاذ التاريخ الإسلامي بجورج تاون) مقالا (بتاريخ 9–7–2004) يتحدث فيه عن "الإسلام ونهاية العلمنة"، ولأن حديث النهايات ذو نَفَس أصولي/أرثوذكسي لا بد من توضيح أن "فول" يعني أننا نشهد نهاية حقبة كانت تعتبر فيها العلمنة معطى لازما في تطور المجتمعات الحديثة. فهو يركز على أن علمنة المجتمع واستحسان العلمنة هي مجرد جزء من عالم الرؤى والأفكار المتنافسة، وليست ببساطة توصيفا سوسيولوجيا علميا لما يسمى بالحقيقة الواقعة. ومن هنا يمكن أن نلمح التعامل مع العلمانية بوصفها أيديولوجيا منافسة في الفكر الإسلامي المعاصر، إذا ما استثنينا الخطاب السلفي الذي تحدث عن تكفيرها عقديا.

ما أود قوله هو ما أقر به باتريك ميشيل من أن هناك في الوسط الأمريكي تيارا مضادا لمقولة سيادة العلمنة، ويقول بالخروج منها. وفيما مضى كان الحديث يتم عن

الاستثناء الأمريكي، بمعنى أن هناك بلدا –الولايات المتحدة الأمريكية– سيظل متدينا في عالم تغلب عليه العلمانية، بينما يمكن الحديث الآن عن الاستثناء الأوربي العلماني الذي يعيش في وسط الأغلبية المتدينة.

في الواقع أن الحديث عن "عودة الدين"، ليس جديدا، فقد دفعت جملة من الأحداث العالمية في منتصف السبعينيات إلى الحديث عنه، وعلى وجه التحديد ألف جيل كيبل كتابه "يوم الله" (الطبعة العربية الأولى 1992) ورصد فيه ما سماه "التجدد الديني" في الأديان الثلاثة الإبراهيمية، وأدرج ذلك كله في سياق واحد هو سياق "فقدان الحداثة الخاصة بالسبعينيات لمصداقيتها"، من خلال سياقات أربعة خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات وهي: الإسلام المتوسطي (الثورة الإسلامية، حماس، جبهة الإنقاذ) والبروتستانتية الأمريكية (دور الجماعات المعمدانية والإنجيلية في انتخاب كارتر، وريجان، وبوش الأب) والكاثوليكية الأوربية (دور الكنيسة في بولندا) واليهودية (نفوذ الأحزاب التوراتية في السلطة وصعود الليكود).

ولم يكن كيبل وحده، فقد كتب هارفي كوكس كتابه "عودة الله"، وكتب بيتر بيرجر كتابه "العودة إلى سحر العالم" أي الدين، وكذلك تحدث أوليفيه روا عن "إعادة الأسلمة". وهذه العودة للدين كانت دعوة سابقة وتم التنظير لها في الفكر الإسلامي، وعلى سبيل المثال نذكر كتابات سيد قطب عن الجاهلية وضرورة إقامة المجتمع المسلم، وصولا لكتاب البوطي "على طريق العودة إلى الإسلام" في الثمانينيات. مع ضرورة الإشارة إلى أن (جزءا) من "عودة الدين" كان ما بين 1980–1995 بدعم حكومات استبدادية (علمانية) لموازنة خصومها مما يسمى "الإسلاموية" أو "الإسلام السياسي".

غير أن الجدل هنا يحدث في الأساس حول مسألتين: علاقة الدين بالحداثة ومدى اعتبار أن التحديث سيؤدي إلى إقصاء الدين عن الحياة، والثانية: هو تلك العلاقة التي يراها أصوليو العلمانية حتمية بين العلمانية والديمقراطية. وفي ضوء هاتين المسألتين: يمكن الجدل حول عودة الدين، وبأي معنى يعود؟

علاقة الدين بالحداثة والديمقراطية

فيما يخص المسألة الأولى، فقد ساد اعتقاد في أوساط المثقفين وعلماء الاجتماع الغربيين بأن التحديث هو المحرك الذي سيتسبب بصورة حتمية في إقصاء الدين عن الحياة، ومن ثم دأب هؤلاء على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون على التأكيد على "أفول الدين". غير أن تلك العودة للدين التي تحدثنا عنها، زعزعت تلك التصورات الصلبة وأدت إلى وجود مقولات تبدو مسرفة في المقابل، مثل مقولة رودني ستارك (أحد أبرز علماء اجتماع الدين): "حري بمبدأ العلمنة أن يُلقى في مقبرة النظريات الفاشلة"، أو مقولة "نهاية العلمنة" بالمطلق.

تجربتنا مع التحديث خلال نصف قرن كافية للاعتقاد بخطأ فكرة إقصاء الدين

غير أن تجربتنا مع التحديث خلال نصف قرن كافية للاعتقاد بخطأ فكرة إقصاء الدين، أو أن التحديث سيؤدي إلى إقصائه، أو أن العلمنة وإقصاء الدين توصيف سوسيولوجي لسياق تطور المجتمع واندحار المجتمع التقليدي، وبالنظر إلى الأحداث القريبة ودور الولايات المتحدة في شؤون العالم، جدير بنا أن نتقبل فكرة نهاية العلمنة كأحد أبعاد عملية التحديث.

وفيما يخص الإسلام تحديدا، فقد قدم الأنثربولوجي أرنست غلنر أطروحته بعد أن شغله سؤال "لمَ يكون دين واحد بعينه [الإسلام] على هذه الدرجة الملحوظة من مقاومة العلمنة؟"، وخلص إلى أن في الإسلام إيمانا دينيا عميقا، بمعنى الدين المؤسس العقيدي القادر على تحدي أطروحة العلمنة بشكل كلي ومؤثر. وقال: إن "عالم الإسلام يُظهر بوضوح أن من الممكن إقامة اقتصاد عصري –أو على طريق العصرنة– تخترقه بشكل معقول المبادئ التكنولوجية والتعليمية والتنظيمية المناسبة، ويعمل على ضمها وتوحيدها مع الإيمان الراسخ والتماهي في الإسلام، بكل ما يملكانه من قوة وانتشار وقدرة قادرة على الاندماج في الذات".

وإذا كان إقصاء الدين ليس شرطا للحداثة فإن العلمانية ليست شرطا للديمقراطية أيضا لأنها لا تعدو سوى أيديولوجيا منافسة ولم تعد الحقيقة الواحدة و"الخيار" الوحيد الذي لا بد منه للمجتمعات، والتجارب الحالية تؤكد ذلك، وكان جون كين (بروفيسور السياسة في جامعة وستمنستر)، بحث "حدود العلمانية" طارحا التساؤل الذي يراه

مثيرا لاستفزاز العلمانيين وهو في ما إذا كانت العلمانية تحول دون حرية التفكير في الديمقراطية نفسها، وبأنها تحولت إلى دوغما سياسية.

إلى ذلك إن العلمانية تحمل جملة من التناقضات، أبرزها دعوتها إلى حرية الاجتماع الديني، الذي يقود في نهاية المطاف، كما هو الحال الراهن، إلى زيادة رقعة الدين والدعوات الدينية للتدخل في الشأن العام والسياسة باعتبار أن للدين دورا مهما يمكن أن يؤديه في السياسة. وهذا التناقض أدى إلى تقارب العلمانية مع الدكتاتورية تحت مسميات عديدة، يمكن لمسها بوضوح في تركيا وفي فرنسا فيما يخص الحجاب والتعددية الثقافية والاندماج، هذا إذا لم نعتد بالتجارب العربية العتيدة.

عودة الدين ومعناها

وبناء على المسألتين السابقتين، نعود لمناقشة "عودة الدين" وبأي معنى يعود؟

يلح عدد من الفرنسيين على النظر إلى هذه العودة إلى الدين من منظار العلمانية نفسها، فمن السهل استخلاص الأفكار وصياغة المفاهيم التي بها يتم التفكير فيما يحدث خارج عالمنا أو عالم تصوراتنا، وبناء عليه يمكن عزو هذه العودة ببساطة إلى "تنامي الأصولية"، غير أن هذه الترجمة الآتية من سياق فكري وديني مختلف لا تصلح للتفسير هنا، فحتى جيل كيبل رأى أن هذا المصطلح "تبسيطي يختزل الظاهرة ويحرفها، ويعيق معرفتنا بتلك الظاهرة في مجملها"، وكثيرا ما يكون العجز عن الفهم بسبب تلك النظارات القديمة والتقليدية التي ننظر بها إلى الأمور.

فمثلا يرى باتريك ميشيل أن هناك استمرارا للعلمانية باعتبارها تقليص سلطةِ أو تأثيرِ المؤسسات الدينية على الفرد وعلى رؤية المجتمع الكبرى وعالمه الرمزي، وأنه لا يوجد ارتداد عنها، فهناك (ظهور جديد) للدين، والقضية هنا هي كيف نفسر هذا الوجود الديني المتعاظم والمؤثر بشكل كبير في فضاء السياسة والاجتماع الإنساني؟

هذه الاستمرارية للعلمانية يراها منبنية على ثلاثة ديناميكيات رئيسية هي: (الفردنة) بمعنى تأسيس علاقة فردية بين الإنسان والمعاني الدينية، والجديد في هذه العلاقة هو شرعية الفردنة وقبولها اجتماعيا، وهذه هي الصفة السائدة الآن للتدين في أوربا. والديناميكية الثانية: الابتعاد عن المؤسسات الدينية حيث تفتقد هذه المؤسسات احتكارها لتعريف ما هو الدين الصحيح، وهو ما حدث في أوربا؛ إذ لم تعد المؤسسة

الدينية هي الجهة التي تقول ما هي الكاثوليكية الصحيحة أو البروتستانتية الصحيحة. أما الديناميكية الثالثة فهي استهلاكية العلاقة بالدين؛ أي إدخال بعد استهلاكي للدين.

العلمنة لا تتم في عقول الممارسين للدين بقدر ما تتم في عقول المحللين للظاهرة من العلمانيين

غير أن ما يلاحظ على هذه الرؤية أنها تعزل مفهوم الدين نفسه، لتقتصر على الممارسات فقط القابلة للتوصيف، وكذلك هذه الرؤية محكومة بشكل خاص بالكاثوليكية، ولو قلنا إنها تنطبق بشكل عام على الشأن الديني في أوربا، فإن عالم الإسلام مختلف تماما عن ذلك، فالعلاقة بالدين في الأساس هي علاقة فردية لها أبعادها الاجتماعية الظاهرة أيضا وليست هي علاقة بمؤسسة، وتلك العلاقة المركبة هي أساس التكليف، ولا يمكن الحديث عن مؤسسة دينية بالمعنى الحديث إلا مع الدولة الحديثة التي جهدت في إيجاد مؤسسة رسمية للإمساك بالدين والتحكم بمنطوقه عبر المؤسسة تلك؛ ما نتج عنه مشكلات كبيرة، فالابتعاد عن المؤسسة هو في حقيقته ابتعاد عن الدولة نفسها، حيث يتم منح الشرعية وتعريفها بمقدار العداء للدولة العلمانية المستبدة!.

أما استهلاكية الدين وأن اللجوء إليه يكون فقط لجوءا لممارسة (مريحة) فهذا توصيف لتلك "الصرعات" الدينية السائدة في الغرب، ويتم التفكير بها بمنطق المجتمع الرأسمالي وتحقيق الرفاه، فالعلمنة لا تتم في عقول الممارسين بقدر ما تتم في عقول المحللين للظاهرة من العلمانيين ومن هنا نفهم كيف يقول باتريك إن الحرية الفردية التي أتاحت ارتداء الحجاب هي من مبادئ الجمهورية، وليست من مبادئ الإسلام، ويرى أن الحجاب في فرنسا إحدى وسائل الفردنة إذ عن طريق الحجاب والعودة إليه غالبا ما تكون البنت أكثر استقلالية عن أسرتها!!. ما يعني أننا هنا أمام مقاربة لعودة الدين بنظارة علمانية من جديد. وفي هذا السياق نفسه يندرج ما يطرحه أوليفيه روا حين يعتبر صيغة ما بعد الإسلام السياسي التي طرحها ليست أفول الدين، وإنما صيغة من علمنة الفضاء الذي تنم فيه الممارسات الدينية، لنجد أن القاعدة وهجماتها لديه هي احتجاج على العولمة.

باتريك ميشيل يرى أيضا أن تفسير عودة الدين يجب أن يتصل بنهاية الاستقطاب بين الشيوعية والرأسمالية كنظم قيم وليس كدول فقط؛ وهو ما أدى إلى إعادة طرح فكرة الدين من جديد. ومع إعادة تشكيل العالم فإن هناك مشكلة وأزمة في الهوية، فقد أدت خلخلة الهوية لنوع من الحماس الديني؛ لأن الأحاسيس والمشاعر اتجهت لأهم الموارد الرمزية التي ما تزال باقية والتي تعطي معنى للعالم: وهي الأديان بحسب رؤيته. لكن في المقابل: من طبيعة الأديان الكبرى أنها تقدم موردا رمزيا وتحاول أن تجيب على الأسئلة الكبرى. والعلاقة مع الأديان السماوية ليست طارئة، بل تلك الأيديولوجيات هي الحادثة، وبعد الاستقطاب تركت فراغا بفقدانها لمصداقيتها، وتم الرجوع من قبل بعض النخب إلى الدين، ولا أعتقد "بالعودة" إلى الدين على المعنى الذي يشير إليه باتريك على مستوى عامة الأفراد، فضلا عن أن العودة في المظاهر يدخلها جملة من العوامل مما لا شأن للاستقطاب به. هذا فضلا عن أنه حين يتم الحديث عن "عودة الدين" فهي مقولة نشأت ردا على مقولة كانت سائدة حول "أفول الدين"، والقول بشكل جديد للدين، وليس بعودة، هو التفاف على الرسالة الأساسية التي جاءت لأجلها العلمانية وهي إقصاء الدين عن الشأن العام.

=============–

الإسلام ونهاية العلمانية

جون فول **

2005/12/04

عند الحديث عن العوامل الإثنية والدينية في علم الاجتماع البشري اليوم، فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: هل نحن سائرون إلى صراع أم إلى تصالح؟ ورغم أن مفكرين كمايكل فرانز يرون أن عنصر الدين يمثل مشكلة في عالم اليوم، فإنني أرى أن الدين يصلح أن يكون سبيلا للتصالح والوفاق مثلما يمكن أن يكون أداة للصراع.

نهاية نظرية العلمنة

لذا سأطرح رؤيتي للدين باعتباره حلا وليس مشكلة. وسأقدم إطار هذه الرؤية من خلال كلمات رودني ستارك، أحد أبرز علماء اجتماع الدين: "على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون، دأب علماء الاجتماع والمثقفون الغربيون البارزون على التأكيد على

أفول الدين. وساد اعتقاد بأن التحديث هو المحرك الذي سيتسبب بصورة حتمية في إقصاء الدين عن الحياة".

ثم يستأنف ستارك طرحه قائلا: "لا بد من إعلان نهاية إيمان علم الاجتماع بنظرية العلمنة، والإقرار بأنها لم تكن إلا محصلة لأفكار وتوجهات محببة. فبعد نحو ثلاثة قرون من إخفاق نبوءاته، حري بمبدأ العلمنة أن يُلقى في مقبرة النظريات الفاشلة".

إننا نشهد عالما يُسقِط الفكرة القائلة بأن التحديث يؤدي بالضرورة إلى إقصاء الدين

أظن أننا نشهد عالما يسقط الفكرة القائلة بأن التحديث يؤدي بالضرورة إلى إقصاء الدين. فقد أدبرت تلك الحقبة التي سادت فيها تلك الفكرة. وبالنظر إلى دور الولايات المتحدة في شؤون العالم، جدير بنا أن نتقبل فكرة نهاية العلمنة كأحد أبعاد عملية التحديث، وليس باعتبار ذلك أيديولوجية منافسة أو بديلة.

وكمؤمنين، أو كأمريكيين، أو كبروتستانت متغيرين، أو ككاثوليك إصلاحيين، أو كابن واعظ مسيحي منهجي Methodist كان يدرّس في معهد الجيزويت –كما هو أنا– نحتاج في كل هذه الحالات إلى أن نعترف بدور الدين.

باختصار، هناك ثلاثة عناصر تشكل إطار رؤيتي. سأوجزها أولا، ثم أبسط تضميناتها ونتائجها على علاقة الولايات المتحدة بالعالم الإسلامي:

أولا: إن خبرة مجتمعات عديدة في العالم خلال نصف القرن الماضي تظهر أن التحديث لا يعني انتهاء دور الدين كقوة فاعلة رئيسة في الحياة العامة. وهذا يعني بدوره أن علمنة المجتمع ليست جزءًا أصيلا في عملية التحديث.

موقع الدين في التحديث

ثانيا: من الواضح أن سياسات "فصل الكنيسة عن الدولة" أو "فصل الدين عن السياسة" لم تكن محايدة دينيًّا. أي أن الدعوة للعلمنة والعلمانية اتخذت في حد ذاتها موقفًا أيديولوجيًّا ودينيًّا. فهذه الدعوة إذن ليست وصفًا موضوعيًّا منفصلاً عن القيمة لما يحدث في عملية التحديث.

ثالثا: ما تقدّم –وباستخدام مصطلحات السياسة– يعني أن العلمنة ليست شيئا يحدث كجزء طبيعي من العملية التاريخية للتحديث. بل يمكن أن ينظر إلى العلمانية كما أظن أنها كانت دائما واحدة من رؤى عديدة متنافسة حول ما ينبغي أن يكون عليه

المجتمع في الحقبة المعاصرة. أي أننا نشهد نهاية حقبة كانت تعتبر فيها العلمنة معطى لازمًا في تطور المجتمعات الحديثة. إننا نشهد نهاية العلمانية.

يمثل هذا الوضع بعدًا مهمًّا لما سمي في بعض الأحيان انبعاث أو إحياء الدين –أو الأديان– مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. ومرة أخرى، فإن ما ننظر إليه وما نريد أن نركز عليه هو أن فكرة علمنة المجتمع وفكرة استحسان العلمنة المترافقة معها هي مجرد جزء من عالم الرؤى والأفكار المتنافسة، وليست ببساطة توصيفًا سوسيولوجيا علميا لما يسمى بالحقيقة الواقعة.

ولهذا المنظور الجديد أهمية خاصة لأجل فهم الإسلام المعاصر، ففي العالم الإسلامي كان ينظر دائمًا وبوضوح للدعوة إلى علمنة المجتمع باعتبارها أيديولوجية منافسة، أكثر من كونها جزءًا ضروريًّا وأصيلاً في عملية التحديث.

هل العلمنة قرين التحديث؟

فكرة علمنة المجتمع هي مجرد جزء من عالم الرؤى والأفكار المتنافسة، وليست ببساطة توصيفا سوسيولوجيا علميا لما يسمى بالحقيقة الواقعة.

فعلى مدى قرنين، ركزت المؤثرات (والنتائج) الرئيسة لعملية الإصلاح في العالم الإسلامي على إنشاء أمم حديثة، ودول حديثة، ودول قومية حديثة. وفي وقت مبكر، أدت الفكرة السائدة حول أن التحديث يشمل قدرًا من فصل الدين عن الحياة العامة إلى وسم دعاة الإصلاح والتحديث بالعلمانية.

كانت أهم عناصر برامج الإصلاح والتحديث، في القرنين التاسع عشر والعشرين، إحداث انفكاك واضح من الماضي؛ الذي كان يعتبر ويعرّف باعتباره "تقليديًّا". وقد أكد ذلك ما صدر في خمسينيات وستينيات القرن الماضي من دراسات العلوم الاجتماعية الرئيسة المختصة بتعريف التحديث.

وكان من أهم الدراسات حول التحديث والتي لعبت دورًا مهمًّا في تشكيل فهم العمليات المتصلة بالتحديث كتاب نشر في الخمسينيات بعنوان "اندحار المجتمع التقليدي" لمؤلفه دانيال ليرنر. أرسى الكتاب رؤية واضحة لما كان يعتقد أنها قضايا التحديث.

وضمن مناقشات الكتاب، تحدث ليرنر عمن أسماهم "الانتقاليين". وفي هذا السياق، كان هناك "التقليديون" الذين كان من بين ما يعتقدونه أن الدين شيء مهم جدًّا. وهناك أيضا من كانوا نتاجًا لعملية التحديث، وهم الحداثيون؛ الذين يعتقدون –ضمن ما يعتقدون– أنه ليس للدين دور في المجال العام، وأنه أمر شخصي يتعلق بحياة الفرد الخاصة.

ولدى وصفه للانتقاليين في تركيا، يقول ليرنر: إنهم "يكتسبون حراكا عقليا (في الوعي)، أي قدرة شخصية على التعرف والانفتاح (على الآخر) والتواصل الفاعل. إنهم يعلمَنون كما أنهم ينشطون. وفي نظرهم، يكون التعاطي مع المشكلات بصياغة وصنع سياسات، وليس بالصلاة والدعاء".

هذه صورة لما كان يفترض أن يكون عليه الشخص التحديثي. لكن مع وصولنا لنهاية حقبة ساد فيها الاعتقاد بأن العلمنة جزء أصيل في عملية التحديث، فإننا نرى أن الكثيرين من الحداثيين في أكثر المجتمعات تحديثا يعتقدون –وهم في مستهل القرن الحادي والعشرين– أن السياسات ليست بالضرورة بديلا عن الصلاة.

في التجربة التركية وتجارب أخرى

ففي تركيا المعاصرة، وبعد مضي أكثر من نصف قرن على دراسة ليرنر، هناك عدد كبير من رجال الأعمال والعلماء والمثقفين –الحداثيين تماما– لا يشعرون بأن عليهم أن يختاروا بين السياسة والصلاة، بل إنهم في المقابل يعيشون منظورا يشمل الاثنين.

كان ينظر (في الغرب) عادة إلى رواد التحديث في العالم الإسلامي من خلال آفاق نظرية العلمنة التقليدية القديمة. وعندما ينظر الأمريكيون إلى العالم الإسلامي، فإنهم يرون في التحديثيين العلمانيين شخصيات بطولية.

ومصطفى كمال أتاتورك في تركيا مثال بارز على ذلك. فقد أرسى أتاتورك أسس المجتمع الحديث في تركيا التي هي واحدة من أعظم حلفائنا، وهي عضو مهم في حلف معاهدة شمال الأطلسي (ناتو)، كما كانت داعمًا رئيسيًّا للغرب خلال الحرب الباردة. ولهذا تأتي نظرة الغرب (ولها ربما ما يبررها) لإنجازات مصطفى كمال، باعتبارها كانت أساسية في قيام تركيا المعاصرة.

من المهم أن ندرك، في سياق دور الدين في الشؤون الدولية وعمليات قيام مجتمعات حديثة، أن مصطفى كمال أقام نظاما سياسيا بناء على ادعاء بأنه لا مناص من إقصاء الدين عن الحياة العامة إذا ما أريد أن يقام مجتمع حديث. وقد حكم رضا شاه بهلوي (في العشرينيات والثلاثينيات) وابنه محمد رضا شاه (في الخمسينيات والستينيات) إيران وفق إطار سياسات مشابهة.

وثمة حالات عديدة أخرى في العالم الإسلامي، حيث كان ينظر للعلمنة باعتبارها جزءًا ضروريًّا من التحديث. ويتضح هذا من توصيف عمليات التحديث الاجتماعي والعمل السياسي كذلك. وغالبا ما اعتبر خلع الحجاب عنصرًا مهمًّا في برامج التحديث، كما يتكرر ذكره في توصيفات برامج الإصلاح.

فقد كانت شرارة "البداية لحقبة جديدة للنساء" في مصر مثلا هي قيام هدى شعراوي ونبوية موسى بخلع الحجاب بصورة مفاجئة درامية وعلنية بعد نزولهما من القطار في محطة السكك الحديدية الرئيسية بميدان رمسيس بالقاهرة، لدى عودتهما من مؤتمر دولي عام 1923.

استحالة فصل الدين عن الحياة العامة

ما يجب الإقرار به الآن هو أن الفكرة القائلة بضرورة فصل الدين عن الحياة العامة لأجل تحقيق التحديث قد دحضت من خلال حياة وخبرات وتجارب أناس كثيرين وبلاد عديدة، في شتى أنحاء العالم، وبصورة خاصة في العالم الإسلامي.

وعندما ننظر إلى العالم الإسلامي في سياق خيارات السياسة الأمريكية، من المهم ألا يغيب عنا هذا الإطار الفكري الأوسع حول نهاية نظرية العلمنة. وهو في حد ذاته مهم؛ لأننا بحاجة إلى البحث عن الحلفاء المناسبين. ففي حقبة تدرك أهمية الحوار الحضاري، نحتاج إلى أن نكون على وعي بالناس الذين نستطيع التحاور والعمل معهم بفاعلية.

وكما خلص جون لينتشوفسكي إلى التأكيد على أهمية أن ترتكز الحرية على أسس أخلاقية، فإنني أريد لذلك التأكيد المهم على أن يمتد لكي نلحظ أن حرية العالم كله تتطلب أسسا أخلاقية.

وإذا كنا نسعى لبناء وتقوية الركائز الأخلاقية للحرية في الولايات المتحدة، فإننا لا نبحث بالضرورة عن حلفائنا من بين أشباه الملاحدة أو الدهريين. وإذا كنا لا نفعل ذلك في الولايات المتحدة ذاتها، فلماذا نفعله عندما نتعامل مع العالم الإسلامي؟ ولماذا نرى في سلمان رشدي مثلا حليفا عظيما ومسلما معتدلا بدلا من البحث والتحاور مع من يؤمنون ويحافظون بقوة على القيم الأخلاقية على أساس ديني، ويعتقدون أن للدين مكانًا في السياسات والحياة العامة.

في مثل هذا السياق، وكمثال بعيد، فإن آية الله الخميني يمثل حليفا أفضل لنا من سلمان رشدي. ولكن على أي حال، فإن خياراتنا المتاحة ليست هي أن نختار بين أمثال سلمان رشدي وأمثال الخميني. فلدينا في العالم الإسلامي أناس يؤمنون ويتطلعون إلى قيام مجتمعات على أساس أخلاقي، ومع هؤلاء نستطيع –كما فعل غيرنا– أن نتحدث.

نحو مجتمع أخلاقي

الصدام المهم في الحقيقة هو بين من يرون أن الدين لا دور له في المجتمع ومن يرون أن له دورا.

وأود أن أشير هنا إلى مجموعة من المثقفين، تضم بين أعضائها المؤرخ الأمريكي أنتوني سوليفان وكاتب هذا المقال، وتسمى "الحلقة"، وهي تمثل مجهودا على نطاق صغير يهدف إلى تقديم وسيلة أو آلية للتواصل الفعال، بناء على وعي مشترك وإيمان بمجتمع أخلاقي. وتضم المجموعة ضمن أعضائها أيضا مثقفين غربيين ومسلمين مثل فهمي هويدي (مصر)، وراشد الغنوشي (تونس).

وهناك آخرون كثيرون في العالم الإسلامي، بعضهم أكثر ظهورًا من غيرهم، ويمثلون أمثلة ذات دلالة على أهمية الدين في الحياة العامة وفي سياقات وخلفيات الحداثة.

وثمة قادة كذلك مثل أنور إبراهيم (ماليزيا) الذي جمع بين الالتزام الديني والدور القيادي في السياسة العامة. ورغم أن الرجل مسجون الآن في بلاده بسبب صراعات سياسية محلية، فإنه –وآخرين كثيرين من أمثاله– يمثلون دحضا عمليا لنظرية العلمنة القديمة.

في حقبة نهاية العلمنة كمعطى مسلَّم به، وفي زمن ينبغي فيه القبول بالعلمانية كإحدى الأيديولوجيات المتنافسة على صياغة وتعريف الرؤية التي نريد للمجتمع أن يكون عليها، يمكننا –بل يجب علينا– أن نختار حلفاء مؤثرين. فعندما نتوجه نحو العالم الإسلامي، لسنا مضطرين للتعامل فقط مع العلمانيين غير المؤمنين (اللاأدريين).

في عالمنا المعاصر هناك صدام، نعم، وهناك نزاعات. ولكن النزاع ليس هو بالضرورة –الصدام الذي طرحه صمويل هنتنجتون– صداما بين الحضارات، وبالأخص كحالة صراع بين الإسلام والغرب، وضمن حرب كونية بين المسلمين وغير المسلمين.

الصدام المهم في الحقيقة هو بين من يرون أن الدين لا دور له في المجتمع ومن يرون أن له دورًا. في ذلك الصدام، سيكون للذين يؤمنون –بأن الحرية لا بد لها من قاعدة أخلاقية قوية على أساس ديني للدفاع عنها– حلفاء طبيعيون كثيرون في العالم الإسلامي.

===============

الإسلام والعلمانية في الشرق الأوسط

خدمة كامبردج بوك ريفيوز **

...

2005/12/04

اقرأ أيضا:

تقول الأطروحة الأساسية للمساهمات المتعددة في هذا الكتاب: إن تيار العلمانية في بلدان الشرق الأوسط، وخاصة العربية، قد فشل وهو في انحسار مستمر لصالح تيار الفكر الإسلامي. وللتأسيس لهذه الأطروحة يقدم أحد محرري الكتاب، جون إسبوزيتو، بروفيسور الأديان والعلاقات الدولية في جامعة جورج تاون، تمهيدا استعراضيا لوضع العلمانية في الشرق الأوسط في بدايات القرن الواحد والعشرين، يركز فيه على ما يراه تراجعا مستمرا للعلمانية، ليس فقط على مستوى الغالبية العامة عند الناس في المنطقة، بل وأيضا على مستوى النخب.

ويلاحظ إسبوزيتو أن النخب العلمانية الحاكمة في أكثر من بلد لم تستطع استيعاب هذا التراجع أو القبول به، خاصة أن التقدم البديل التعويضي كان يحصل في جانب الحركات الإسلامية واتساع شعبيتها. ويتابع إسبوزيتو بشيء من التفصيل أمثلة الجزائر وتركيا (وتونس إلى حد أقل)، مستنتجا بروز ما يسميه "العلمانية الأصولية" في هذه البلدان. ويرى أن خطر هذه "الأصولية" الجديدة يكمن في النظر إلى العلمانية على أنها ليست خيارا من الخيارات بل "الخيار"، وأنها السبيل الأوحد الذي يجب أن تنهجه المجتمعات (ص 9)، أو كما تحولت –كما يصفها عزام تميمي– إلى "دين جديد" (ص 28).

والمشكلة الكبيرة هنا هي أن النخب العلمانية الحاكمة لا تريد أن تعترف بالتغيرات الاجتماعية والفكرية والسياسية الجذرية التي حدثت ولا تزال تحدث في بلدانها حيث بروز تيارات شعبية غير علمانية وتحديدا إسلامية، ولا ترى وسيلة للتعامل مع هذه التغيرات إلا قطع الطريق عليها وقمعها كما حدث في البلدان المذكورة.

الأطروحة الأساسية للكتاب أن تيار العلمانية في بلدان الشرق الأوسط، قد فشل وهو في انحسار مستمر لصالح تيار الفكر الإسلامي.

والمفارقة الغريبة التي يلتفت إليها أسبوزيتو هي أن العلمانية في الشرق الأوسط صارت متلازمة مع الدكتاتورية رغم أنها تزعم الحرية والانفتاح والديمقراطية الليبرالية. ويضرب أمثلة على ذلك بتحالف الجيش وأجهزة الأمن مع النخب العلمانية الحاكمة لإحباط التحولات الديمقراطية، سواء فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، أو فوز حزب الرفاه في أكثرية المقاعد البرلمانية في تركيا وتسلم أربكان للوزارة، أو فوز حركة النهضة التونسية بعدد كبير من المقاعد في الانتخابات التونسية التي سبقت حل الحركة وإعلان الحرب عليها.

أما من ناحية تاريخية فإن عزام التميمي، مدير معهد الفكر الإسلامي في لندن، يرصد "أصول العلمانية العربية" متابعا السجالات الفكرية التي ميزت أوائل حركة الاتصال الفكري العربي–الغربي. فيعرج على مساهمات "الإسلاميين الحداثيين" الأوائل مثل رفاعة الطهطاوي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحاولاتهم الاقتباس عن الغرب مع الحفاظ على الهوية والحضارة الإسلامية، ثم يتناول

"المسيحيين الحداثيين" الأوائل مثل شبلي شميل، وفرح أنطون، وجورجي زيدان، وسلامة موسى، وغيرهم من الذين دعوا إلى تقديم أفكار مثل حب الوطن والمواطنين على العلاقات التقليدية والدين.

ثم ينتقل إلى الجيل الثاني من "الحداثيين" من أمثال أحمد لطفي السيد وقاسم أمين، اللذين كانا من تلامذة محمد عبده، ويلاحظ تأثرهما بأطروحات الحداثيين المسيحيين خاصة لجهة النظر إلى الإسلام نفس النظرة التي نظرت من خلالها أوربا إلى المسيحية، وبالتالي الدعوة إلى فصله عن الحياة العامة.

تحالف العلمانية مع الدكتاتورية

ومن زاوية نظرية وتأصيلية فكرية متعمقة في العلمانية نفسها كفكرة فان جون كين، بروفيسور السياسة في جامعة وستمنستر، يبحث في فصل ممتع ومهم في "حدود العلمانية". وهو يغوص في جذورها الغربية و"الرسالة" الأساسية التي جاءت بها للحد من تدخل الدين في الشأن العام في السياق الأوربي، طارحا التساؤل الذي يراه مثيرا لاستفزاز العلمانيين وهو فيما إذا كانت العلمانية تحول دون حرية التفكير في الديمقراطية نفسها، وبأنها تحولت إلى دوغما سياسية.

وهو إذ يعود إلى أهم أطروحات أبرز المدافعين عن العلمانية في الوقت الراهن ودعوتهم المعتدلة إلى "خصخصة الدين، وليس التهوين من شأنه" كما يقول ريتشارد رورتي، فإنه يرى أن العلمانية تحمل تناقضات داخلية لا يمكن القفز عنها، رغم أنها تناقضات لا تصل إلى حد إسقاط العلمانية من الداخل.

التناقض الأول هو دعوتها إلى حرية العبادة وحرية الاجتماع الديني، الذي يقود في نهاية المطاف، كما هو الحال الراهن، إلى زيادة رقعة الدين، والدعوات الدينية للتدخل في الشأن العام والسياسة باعتبار أن للدين دورا مهما يمكن أن يؤديه في السياسة. ففي الوقت الذي لا تستطيع فيه العلمانية إلا أن تعترف وتسمح بحرية الأديان والممارسة الدينية، فإنها تعترف بتناقض داخلي يعمل على تقويضها، وهي لا تستطيع أن تقف في وجهه لأنها تفقد صفتها الليبرالية الأساسية.

العلمانية تحمل تناقضات داخلية لا يمكن القفز عنها، رغم أنها تناقضات لا تصل إلى حد إسقاط العلمانية من الداخل.

أما التناقض الثاني فيتمثل في ترافق "عدم اليقين الوجودي" مع العلمانية ليحل محل اليقين الديني عند الأفراد، وهذا لا يشبع التطلعات الإنسانية والروحية عند الناس خاصة في عالم مليء بالضغوط والتوترات حيث يحاول الأفراد الوصول إلى سبل السكينة والراحة الخلاصية على المستوى الداخلي لهم، وحيث تبرز أهمية "التضامن الديني" (ص 33).

ويشير كين إلى تناقض داخلي آخر هو تقارب العلمانية مع الدكتاتورية تحت مسميات عديدة. ويضرب مثلا على ذلك تركيا وإلى حد ما فرنسا، ففي الأولى تتحالف العلمانية مع الدكتاتورية العسكرية تحت مسميات حماية الدستور العلماني من تصاعد المد الإسلامي، وفي الثانية تتحالف العلمانية مع ممارسات دكتاتورية مثل منع الحجاب أو التضييق على المسلمين تحت مسمى الاندماج أو محاربة التعددية الثقافية.

تعريف جديد للعلمانية

وفي مساهمة أخرى في الكتاب يناقش عبد الوهاب المسيري، بروفيسور الأدب الإنجليزي المتخصص العربي في الصهيونية والعلمانية، التعريفات الأساسية للعلمانية ويطرح مجموعة مفاهيم جديدة. ففي مقابل التعريف المشهور للعلمانية بأنها "فصل الدين عن الدولة" يدعو المسيري إلى تعريف جديد يصف جوهر النظرة العلمانية إلى العالم عبر التفريق بين العلمانية الجزئية (تقابلية الدين والدولة) والعلمانية الشاملة التي تعني فهم العالم والاجتماع الإنساني وفق نظرة علمانية صارمة وشاملة لجميع جوانب حياتهم، وليس فقط الجانب السياسي المعني بالدولة كجهاز حكم.

ويرى المسيري أن هذا التعريف أدق وأكثر عملية في فهم "الصيرورة العلمانية" وفي فهمها كمتتالية وليس فقط كشيء جزئي متسامح مع بقية منظومات الأفكار والمؤسسات الاجتماعية الإنسانية. فالعلمانية، بكونها منهج حياة شاملا، لا تقبل بأقل من السيطرة الكاملة على مناحي الحياة الإنسانية، وهذا يعني تكريس النظرة المادية ليس للأشياء فحسب، بل وللجوانب الإنسانية في حياة البشر أيضا، أو ما يسميه المسيري في كتاباته العربية "حوسبة الحياة" أي جعل كل الأمور وسائل مادية.

رفع القداسة عن العلمانية

الصراع هو بين الإيمان الذي يجسد ما هو متجاوز، والافتراض العلماني الثيوقراطي بأن الحقيقة التامة قد تم الوصول إليها.

أما برويز منصور، كاتب وباحث إسلامي آسيوي، فقد ساهم في هذا الكتاب بدراسة عميقة تدعو إلى تفكيك "القداسة" عن العلمانية، ونقض الادعاء السائد بأنها موئل الحقيقة والعلم. والتفكيك الذي يقوم به منصور عبر الرحلة الفكرية الشيقة لمكونات الفكر الغربي وبالتحديد الفكر النتشوي ثم موضع هذا الفكر والنظر إلى خلاصاته "العلمانية" كنتاج للتطور والصيرورة التاريخية الغربية، ثم عزل هذا النتاج عن التطبيق القسري على المجتمعات والصيرورات التاريخية لبقية مناطق العالم.

وهو يقول بأننا يجب ألا ننظر إلى العلمانية "كنظرية كبرى" قادرة على تفسير الظواهر، أو جاهزة للتطبيق في كل مكان وزمان، كما أنه من غير العملي أن يتم حبس النقاش وكأنه صراع بين قيم الإسلام الإيمانية ومنطلقات الحداثة العقلانية، أو بين رغبة الإسلام للتمكن والنظام العالمي المتمكن، بل بين الإيمان الذي يجسد ما هو متجاوز والافتراض العلماني الثيوقراطي بأن الحقيقة التامة قد تم الوصول إليها (ص 96).

اسم الكتاب: الإسلام والعلمانية في الشرق الأوسط.

المؤلف: جون إسبوزيتو- عزام التميمي- جون كين- عبد الوهاب المسيري- برويز منصور.

عدد الصفحات: 214

الطبعة: الأولى - 2000م

الناشر: دار نشر هيرست وشركاه، لندن- بريطانيا

===========

تحولات العلمانية وممانعة الإسلام

معتز الخطيب **

2005/12/04

كتب فوكوياما في ديسمبر/ كانون الأول 2001 أن "مسيرة التاريخ العريضة" ستتقدم بناء على نتيجة الحرب العسكرية (في أفغانستان والعراق)، و"التطور الثاني والأهم ينبغي أن يأتي من داخل الإسلام نفسه، فعلى المجتمع الإسلامي أن يقرر ما إذا كان يريد أن يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة، خاصة في ما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية والتسامح الديني". وتحدث كاتب آخر عن "الحرب في العراق ومستقبل العلمانية في المنطقة" (الحياة 28 سبتمبر/ أيلول 2003)، في حين أوصت مؤسسة "راند" البحثية (2004) –ضمن ما أوصت– بدعم العلمانيين في العالم الإسلامي وتعزيز فكرة فصل الدين عن الدولة في الإسلام.

في المقابل تحدث هنتنجتون في كتابه الأخير عن تحديات للهوية الأميركية، منها مناداة الليبراليين بشكل متكرر بسيادة قيم العلمانية وفصل الدين عن الدولة وعن الحياة العامة الأميركية، ما أضعف –برأيه– المكون الديني المسيحي للهوية الأميركية.

ويرى هنتنجتون أنه لبناء الهوية الأميركية لا بد من تحولين أساسيين، أولهما عودة الأميركيين للدين المسيحي وزيادة دور المسيحية في الحياة العامة الأميركية، وثانيهما الدور الذي يمكن أن يلعبه الإسلام كعدو أساسي جديد لأميركا. ومؤخرا كتب جون فول عن "الإسلام ونهاية العلمانية"، نهايتها بوصفها أحد أبعاد عملية التحديث وليس كأيديولوجيا منافسة.

هل لهذا كله معنى؟

إننا أمام توجهين رئيسيين، الأول يدعو إلى العلمانية بوصفها حلا لمشكلة العالم الإسلامي مع "العالم الحر"، والثاني يدعو إلى دور للدين في الشأن العام والحياة العامة، ما يعني خروجا على المعنى الشائع للعلمانية، وإن كان لا يصل إلى القول بنهاية المفهوم حتى لا نقع في المبالغات الصحفية، فضلا عن أن حديث النهايات ربما قرئ على أنه ينطلق من أرضية متطرفة، ترى أن أي تحول عن المنظومة الأرثوذكسية لنسق أو مفهوم ما: هي نهاية له.

لكن مع هنتنجتون يتم استعمال الدين لتفعيل الصدام استكمالا لنظريته في صدام الحضارات التي هي تصنيف بحسب الدين أساسا، في حين أن "فول" يتحدث عن

إمكان تحالف مع المؤمنين الذين يعتقدون أن للدين دورا في الحياة العامة بدلا من البحث عن الملحدين وأشباههم، لأن الحرية يجب أن ترتكز على أسس أخلاقية.

هذه الكتابات تحملنا على معالجة مسألتين: الأولى وهي إمكانية علمنة الإسلام كما تطرحه بعض رؤى الإصلاح الأميركية بعد 11 سبتمبر/ أيلول. والثانية هي التحولات التي تشهدها العلمانية خصوصا بعد أحداث سبتمبر/ أيلول، لكن لا يمكن الخوض في المسألتين كلتيهما دون الخوض في المفهوم والتباساته.

سؤال المفاهيم والتباساته

لا يمكن القول بأن المكونات التأسيسية للنموذج العلماني قد جاءت من حضارات متنوعة المصدر، فذلك يؤول إلى اعتبارها "صالحة لكل زمان ومكان"، بمعنى أنها تغدو لا تاريخية في مقابلة مع "القرآن".

فمن المهم في أي حديث تحديد المفهوم أولا، لأن المفاهيم مفاتيح للفهم ومرايا للوعي، وكيف يمكن تحديد العلائق بين المفاهيم دون التمييز بينها وتحديد مدلولاتها؟ من هنا فإن "العلمانية" نفسها من أكثر المفاهيم التباسا، وكما يقول محمد أركون "كلمة العلمانية لا تدل على شيء، وليست لها أرضية مفهومية –ولا تاريخية ولا فلسفية– في اللغة العربية. إنما هي كلمة معلقة في الهواء".

ومن هنا تعددت تعريفاتها ومركباتها المفهومية، خصوصا في الفكر العربي المعاصر، ليس لكونها ليس لها أرضية مفهومية عربية فقط، بل لأنها متلازمة مع الغرب والاستعمار، بوصفها مكونا منسوبا إلى سياق حضاري وتاريخي خارجي، ومعاديا في الآن نفسه، وما يفرزه ذلك من التباسات متشعبة بدءا من الاختلاف بين طبيعة المسيحية والإسلام، وانتهاء باختلاف الثقافات وحديث الخصوصيات، فضلا عن التباس السجالات الأيديولوجية المسيسة حولها. ويأتي هذا في مقابل نزوع بعض العلمانيين إلى الحديث عن أنسنة المشروع العلماني ونسبته إلى البشرية عامة وتهميش مقولة المنشأ الغربي للمفهوم والنموذج.

إنه لا يمكن القول بأن المكونات التأسيسية للنموذج العلماني قد جاءت من حضارات وسياقات ومفاهيم اجتماعية متنوعة المصدر، الغرب واحد منها!، فذلك يؤول إلى

اعتبارها "صالحة لكل زمان ومكان"، بمعنى أنها تغدو لا تاريخية في مقابلة مع "القرآن" بالنسبة للمسلمين، ما يجعلنا أمام دين في مواجهة دين!.

وضمن هذه الرؤية ربما يأتي حديث البعض عما سماه "الطبيعة العلمانية للإسلام"!. ومن ثم يغدو سؤال: هل الإسلام دين علماني؟ من هذا القبيل سؤالا أيديولوجيا يستعير التباسات مفهومية من خارج فضائه المفهومي كما سيتبين، فضلا عن أن المفهوم يعكس جملة من الأزمات والصراعات والرؤى الفلسفية والحلول للعلاقة بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية (الكنيسة) في السياق الغربي.

ورغم صعوبة تحديد مفهوم العلمانية، فإن التعريف البسيط والشائع لها هو "فصل الدين عن السياسة" أو الدولة، بمعنى أن الرسالة الأساسية التي جاءت بها هي الحد من تدخل الدين في الشأن العام. وهذا المعنى البسيط يثير عددا من الإشكالات والالتباسات المفهومية التي ينبغي تأملها وبحثها، إذ يستعير ثنائية "الدين والدولة" الغربية المنشأ، ويرادف بين السياسة والدولة.

مفهوم الدين -كما ورد في اللغة العربية وفي اللغات السامية جميعا- يشمل السياسة ويشمل الاقتصاد ويشمل الحساب والعقاب كيوم الدين ويشمل الخضوع والإذعان ويشمل الاستقرار كما في المدنية، ويشمل مجموعة من المعاني التي تعني نمطا حياتيا متكاملا فيه الاقتصادي والاجتماعي والديني والأخروي والعمراني وكل ما هو داخل في المعنى اللغوي لمفهوم الدين. وحين نضعه في ثنائية الدين والسياسة، نوازي بين الأصل وفرعه، فالسياسة فرع عن الدين بمعناه الواسع.

كما تتجلى صعوبة استخدام مفهوم "الدين" من نواحٍ عدة، منها العمومية والإطلاقية التي تضفى على هذا المفهوم، وتوحي بالمساواة الكاملة بين مختلف الأديان، كما أنه لا يعير اهتماما للتمييز بين "الدين" و"الفكر الديني"، فالفكر الديني في جزء كبير منه بشري متغير وغير مقدس، وعلى النقيض من ذلك "الدين" مقدس ثابت مطلق، في حين هو ينحاز مسبقا للفكر العلمي (المادي الحسي) بما هو فكر بشري أيضا يقصي نظيره ويرفض الميتافيزيقي، ومن ثم فلا معنى للحديث عن حياد.

وبالنسبة لمفهوم السياسة فهي تعني -كما يعرفها ابن القيم- "أخذ الناس إلى الصلاح، وإبعادهم عن الفساد". يقول ابن عقيل -أحد فقهاء الحنابلة- "لو أنك تقصد

أنه لا سياسة إلا ما نطق به الشرع، فهذا غلط وتغليط للصحابة، السياسة هي أي فعل يكون فيه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، ولو لم يفعله الرسول ولو لم يرد فيه نص قرآني". فالسياسة فعل اجتماعي عام.

وأطلقت السياسة في التاريخ الإسلامي على كل ما يتعلق بأمور التهذيب والتربية والإصلاح والتكوين، ومن ثم لم تكن السياسة هي الدولة، وإنما كانت السياسة هي الفعل الاجتماعي أكثر من كونها هي الدولة.

هذه الالتباسات المفهومية تجعل من أي حديث عن العلمانية في السياق العربي الإسلامي محل إشكال، إذ تخضع لاستعارات خارجية وإسقاطات مغايرة.

الإسلام وتحدي أطروحة العلمنة

إشكال العلمانية مع الإسلام لا يقتصر على اختلاف مفهومي، فثمة أسباب تاريخية وبنيوية وفكرية لممانعة الإسلام ضد العلمنة، ومن ثم لن يكون لدعوات الإصلاح الديني الأميركية المطروحة بعد 11 سبتمبر/ أيلول صداها وتأثيرها البنيوي على الإسلام.

كان الأنثربولوجي أرنست غلنر طرح تساؤلا عميقا وهو: "لم يكون دين واحد بعينه [الإسلام] على هذه الدرجة الملحوظة من مقاومة العلمنة؟" معتبرا القول بأن العلمنة تنتشر في الإسلام هو "ببساطة أمر زائف بالأساس".

تتلخص رؤية غلنر في أن الإسلام دين مؤسس يختتم التراث الإبراهيمي وأنبياءه بصورة نهائية، وفكرة التوحيد فكرة مركزية صارمة فيه، وأن الإسلام عقيدة وشريعة معا، وليس هناك من انفصال بين خصائص العقيدة وخصائص الشريعة، كما أنه لا يوجد فيه قانون كنسي، بل شريعة مقدسة في ذاتها قابلة للتطبيق على جماعة المؤمنين لا على تنظيم أو مؤسسة.

ولحقيقة استيلاء الإلوهية على التشريع مضامين عميقة، ما يعني أن ثمة نوعا من الفصل بين السلطات داخل تركيبة المجتمع الإسلامي منذ البداية الأولى، فهي تُخضع السلطة التنفيذية إلى التشريع (الإلهي)، وفي الممارسة الفعلية تحول اللاهوتيون/ القانونيون إلى مراقبين يضبطون ويرصدون صراطية واستقامة وصلاح السياسة بغض النظر عما إذا كانوا يملكون سلطة تنفيذية أم لا.

أما مبدأ "لا تجتمع أمتي على ضلالة" فربما يمنح إجماع الأمة -لا المركز السياسي- نوعا من السلطة التشريعية، وضمن إجماع الجماعة هذا يصبح صوت العلماء والفقهاء مؤهلا لأن يملك ثقلا خاصا.

وأمكن للشريعة أن تتوسع بناء على منهجية معرفية راسخة (أصول الفقه)، فكان القانون الدستوري -إذا جاز التعبير- والمعيار المتعالي المتاح والمتفوق للاستقامة والصلاح بعيدا عن متناول السلطة السياسية والتلاعب به لمصلحتها.

غلنر: إن في الإسلام إيمانا عميقا بمعنى الدين المؤسس العقيدي القادر على تحدي أطروحة العلمنة بشكل كلي ومؤثر.

كما أن الإسلام يغيب فيه نظريا طبقة رجال الدين (الإكليروس)، فليس هناك مكانة مقدسة تفصل الداعية أو المرشد وغيره عن جماهير المؤمنين، فهو وإن تمتع بكفاءة ومكانة أرفع، ليس كائنا اجتماعيا من نوع مختلف، وبهذا يتميز النظام اللاهوتي الإسلامي بالمساواتية التامة، والمؤمنون على نفس المسافة من ربهم.

وتاريخيا لم يعرف المجتمع الإسلامي ازدواجية الكنيسة/ الدولة، وأحد أسباب ذلك النجاح السياسي السريع والمبكر الذي عرفه الإسلام في وقت لم يكن فيه المجتمع الكاريزمي الأصلي بحاجة إلى تعريف نفسه باعتباره معاديا للدولة، فقد كان هو الدولة منذ البداية الأولى.

الخلاصة التي ينتهي إليها غلنر أن في الإسلام إيمانا دينيا عميقا، بمعنى الدين المؤسس العقيدي القادر على تحدي أطروحة العلمنة بشكل كلي ومؤثر.

تحولات العلمانية.. وتناقضاتها

في سنة 2000 تحدث جون أسبوزيتو وجون كين وآخرون ضمن كتاب "الإسلام والعلمانية في الشرق الأوسط" عن فشل تيار العلمانية في بلدان الشرق الأوسط، وأنه في انحسار مستمر لصالح تيار الفكر الإسلامي.

ثم جاءت أحداث سبتمبر/ أيلول وما تلاها من حروب أميركية وجهاد ضدها وجدل ديني سياسي على مستويات مختلفة من السياسة إلى التعليم والممارسة الدينية، وتعاظم دور القوى الدينية وتأثيرها في الحياة السياسية العراقية كل ذلك أسهم في بروز ودعم تلك الأطروحة.

قد يبدو ذلك أمرا عاديا يؤكد أطروحة غلنر، لكن المثير والجديد هو التسييس الشديد للمشاعر الدينية الأميركية، من خلال الإقبال المستجد من جانب "المولودين من جديد" على النزوع التبشيري الكبير، والهجوم للسيطرة على سياسات الدولة الأميركية الخارجية، خاصة في الشرق الأوسط، وهو يعكس مظاهر الصحوة الدينية في الولايات المتحدة، خاصة خلال عقد التسعينيات، وهي صحوة سادت مختلف الطوائف الدينية الأميركية وعلى رأسها الجماعات الإنجليكية التي نجحت في بناء عدد كبير ومؤثر من المؤسسات السياسية.

العودة العامة للدين في أميركا انعكست على الروايات الأميركية وظهرت في الشركات والمؤسسات الاقتصادية، كما أثرت على الحياة السياسية، وتمظهرت في الحضور الكبير للقضايا الدينية والمتدينين في إدارة الرئيس الأميركي الحالي جورج بوش.

جاءت أحداث سبتمبر وما تلاها من حروب أميركية وجهاد ضدها وجدل ديني سياسي لتؤكد أطروحة انحسار العلمنة.

الصحوة الدينية -وفقا لتحليل هنتنجتون- تصب مباشرة في الدور المساعد الذي يمكن أن يلعبه الدين على الساحة الدولية، ومن ثم فهو يبشر بأن العودة للمسيحية تمثل عاملا مهما في دعم الهوية الأميركية ونشرها خلال الفترة الراهنة.

هذه التحولات تعني -ضمن ما تعني- ضرورة الفصل بين التحديث والعلمنة، والمثال الأبرز والمعبر هنا هو تلك الدعوة الأميركية لتخصيص يوم للصلاة لنصرة الجنود الأميركيين في العراق التي ترافقت مع خطط الحرب، وهو ما يؤكد فكرة جون فول، ويتفق مع غلنر أيضا الذي يقول إن "عالم الإسلام يُظهر بوضوح أن من الممكن إقامة اقتصاد عصري -أو على طريق العصرنة- تخترقه بشكل معقول المبادئ التكنولوجية والتعليمية والتنظيمية المناسبة، ويعمل على ضمها وتوحيدها مع الإيمان الراسخ والتماهي في الإسلام، بكل ما يملكانه من قوة وانتشار وقدرة قادرة على الاندماج في الذات".

ورغم أن أطروحة هنتنجتون والتحولات السابقة تشكل تحديا للعلمانية، فإنها تسهم في تعرية "الأصولية العلمانية"، خاصة العربية التي ترى أن العلمانية هي الخيار الأوحد لتحقيق التحديث والديمقراطية.

ففي مؤتمر "الديمقراطية والإصلاح في الوطن العربي" (الدوحة 3 يونيو/ حزيران 2004) ألح البعض على ضرورة العلمانية كشرط لتحقيق الديمقراطية، وهي دعوة لا تريد أن تعترف بالتغيرات التي تحدث على الساحة الفكرية والسياسية، كما لا تحترم معتقدات الشعوب، ولا ترى وسيلة للتعامل معها إلا بقطع الطريق عليها وقمعها، لأنها تدرك جيدا أن دعوة العلمانية إلى حرية العبادة وحرية الاجتماع الديني يقود في نهاية المطاف إلى زيادة رقعة الدين والدعوات الدينية للتدخل في الشأن العام والسياسة، وبهذا القمع تفقد صفتها الأساسية وهي الليبرالية، ما يجعلها متلازمة مع الدكتاتورية كما هي حاليا، وهنا يتم تبرير الانقضاض على الديمقراطية تحت ذريعة أن الإسلاميين لا يعترفون بها كما حدث في الجزائر مثلا، أو منع الحجاب في فرنسا تحت مسمى الاندماج وصيانة العلمانية!

==================

#مجمع الفقه ينتقد الدعوة العلمانية لتحرير المرأة

عمان – طارق ديلواني – إسلام أون لاين.نت

لفيف من العلماء في الدورة الـ 17 لمؤتمر المجمع

اختتم مؤتمر مجمع الفقه الإسلامي أعماله في العاصمة الأردنية بإصدار عدة توصيات أبرزها التحذير من المؤتمرات الدولية التي تعقد حول حقوق المرأة وتنطلق من مفهوم علماني، وتعتبر أن بعض أحكام الشريعة الإسلامية قامعة لحرية النساء.

وفي البيان الختامي للمؤتمر انتقد علماء وفقهاء ومفكرو العالم الإسلامي "مؤتمرات التنمية والسكان" التي تعقد في مجال حقوق المرأة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمدنية والثقافية، وذلك بسبب انطلاقها من مفهوم "فصل الحياة عن الدين" واعتبارها بعض مبادئ الإسلام وأحكامه شكلا من أشكال التمييز ضد المرأة.

وحذر المشاركون في الدورة الـ 17 للمؤتمر، الذي اختتم فعالياته الأربعاء 28-6-2006، من اتخاذ شعار "المساواة بين الرجل والمرأة" مبررا لأمور وممارسات مخالفة للإسلام.

ودعوا إلى ضرورة حماية المرأة المسلمة من الممارسات والعادات والتقاليد التي تعرضها للظلم وتنتهك حقوقها التي تقرها مبادئ الشريعة الإسلامية إضافة إلى مبادئ حقوق الإنسان الدولية.

مسلمو الغرب

ومن بين توصياته، توجه مجمع الفقه بدعوة إلى الدول الإسلامية لإمداد الأقليات المسلمة في الدول غير الإسلامية بما يعينهم على تقوية وجودهم واندماجهم.

كما دعا المؤتمرون إلى تأسيس مركز معلومات شامل عن أوضاع المسلمين في الدول غير الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي؛ بما يسمح بتغطية تركيبتهم الديموجرافية والتأريخ لهم وإيضاح مكانتهم في الدول التي يعيشون بها.

ورأى العلماء عدم وجود مانع شرعي من إسهام المسلمين المقيمين بدول غير إسلامية في الأنشطة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي لا تتعارض مع ثوابت الدين، ولا سيما إذا اقتضت المواطنة ذلك، شريطة أن لا تشكل مشاركتهم تهديدا على هويتهم وشخصيتهم الإسلامية.

الإرهاب

من ناحية أخرى، أكد العلماء تحريمهم لجميع أعمال الإرهاب وأشكاله وممارساته، واعتبارها أعمالا إجرامية تدخل ضمن جريمة الحرابة، أينما وقعت وأيا كان مرتكبوها.

ونصت التوصيات في هذا الشأن على أنه: "يعد إرهابيا كل من شارك في الأعمال الإرهابية مباشرة أو تسببا أو تمويلا أو دعما، سواء كان فردا أم جماعة أم دولة".

وشدد العلماء على ضرورة معالجة الأسباب المؤدية إلى الإرهاب "وفي مقدمتها الغلو والتطرف والتعصب والجهل بأحكام الشريعة الإسلامية، إضافة إلى إهدار حقوق الإنسان، وحرياته السياسية والفكرية، واختلال أحواله الاقتصادية والاجتماعية والسياسية".

كما طالب العلماء بالتمييز بين جرائم الإرهاب وبين المقاومة المشروعة للاحتلال بالوسائل المقبولة شرعاً باعتبار أن "إزالة الظُلم واسترداد الحقوق المسلوبة، هو حق معترف به شرعاً وعقلاً وأقرته المواثيق الدولية".

المذاهب الثمانية

واعتبر المشاركون في المؤتمر أن كل من يتبع أحد المذاهب الثمانية: الحنفي، المالكي، الشافعي، والحنبلي، والجعفري، الزيدي، والإباضي، والظاهري، هو مسلم لا يجوز تكفيره ويحرم دمه وعرضه وماله.

وأشارت التوصيات إلى أن ما يجمع بين المذاهب المعتمدة أكثر من الاختلافات بينها؛ موضحة أن أصحاب هذه المذاهب متفقون على المبادئ الأساسية للإسلام، وأن اختلاف العلماء من أتباع المذاهب هو اختلاف في الفروع وبعض الأصول.

وأكد المشاركون أيضا على عدم تحميل مسئولية المذاهب العقدية والفقهية والتربوية أي ممارسات خاطئة ترتكب باسمها من قتل للأبرياء وهتك للأعراض وإتلاف للأموال والممتلكات.

ودعت التوصيات إلى ضرورة توعية علماء المذاهب المختلفة بمنهج الاعتدال والوسطية بشتى الوسائل العملية، مشيرة في الوقت نفسه إلى وجوب التصدي للمذاهب والاتجاهات الفكرية المعاصرة التي تتعارض مع مقتضيات الكتاب والسنة.

كما اعتبر المؤتمرون أنه لا يجوز تكفير أصحاب العقيدة الأشعرية ومن يمارس التصوف الحقيقي، وكذلك لا يجوز تكفير الفكر السلفي الصحيح.

إرهاب الاحتلال

من ناحية أخرى، دعا مجمع الفقه الإسلامي المجتمع الدولي إلى وقف إرهاب سلطات الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية، ومن بين أشكاله قتل للأبرياء من أطفال ونساء ورجال.

كما شدد المجمع على ضرورة إنهاء احتلال العراق، وندد بالعنف والإرهاب الدائر هناك، ومحاولة إثارة النزاع الطائفي، مطالبا المرجعيات الشيعية والسنية ببذل كل ما في وسعها لإيقاف هذا المسلسل "الدامي الخطير".

وحول الصومال، وجه المجمع نداء إلى فرقائه يدعوهم فيه إلى المصالحة الجادة والفعالة، ونبذ العنف والاقتتال، وتغليب المصلحة العليا لبلادهم على المصالح الشخصية.

وكانت فعاليات الدورة الـ17 لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي، التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، بدأت السبت الماضي بعمان.

وجاءت استضافة الأردن لهذا المؤتمر ضمن جهود عمان منذ هجمات 11 سبتمبر 2001، لتعزيز الخطاب الديني المتسامح، ورفض منهج التكفير، خاصة أن الأردن يضم "تيارا تكفيريا عريضا" خرج من رحمه أبو مصعب الزرقاوي الزعيم السابق لتنظيم القاعدة في العراق.

================

#تونس.. مخاوف علمانية من انتشار الحجاب

تونس- أ ف ب- إسلام أون لاين.نت/ 9-3-2004

العودة القوية للحجاب أثارت مخاوف العلمانيين بتونس

رغم الحظر القانوني والتضييق الأمني الشديد على ارتداء الحجاب في تونس، فإن شوارع المدن التونسية شهدت في الأشهر القليلة الماضية عودة قوية ولافتة للنظر لارتداء الحجاب بشكل أوسع بين التونسيات بعد أن كان قد اختفى تقريبا خلال التسعينيات من القرن الماضي، وهو ما أثار مخاوف بعض التيارات العلمانية القريبة من السلطة والرافضة للحجاب.

وذكر تقرير لوكالة الأنباء الفرنسية الثلاثاء 9-3-2004 أن موضوع العودة القوية للحجاب في تونس أثار مناقشات حادة داخل الحركة النسائية التونسية (علمانية) والتي انقسمت الآراء بداخلها بين مؤيد له "باعتباره خيارا مشروعا باسم الحرية الشخصية"، وآخر رافض له "لما يرمز إليه من انغلاق ورجعية"، بحسب تقديره.

يشار إلى أن ارتداء الحجاب محظور في تونس بحكم القانون رقم 108 الذي صدر في عام 1981 في عهد الرئيس التونسي الراحل الحبيب بورقيبة، الذي اعتبر الحجاب "زيا طائفيا" وليس فريضة دينية، ودعا لمنعه خاصة في الجامعات ومعاهد التعليم الثانوي.

وقد عبرت "الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات" (علمانية، غير حكومية) عن "قلقها العميق" لتنامي ارتداء الحجاب في تونس مؤخرا بعد أن كان شبه مختفٍ طيلة العقدين الأخيرين.

"انغلاق ورجعية"!

وشددت الجمعية التونسية أثناء انعقاد المؤتمر السنوي لها الإثنين 8-3-2004 الذي يوافق اليوم العالمي للمرأة، على "رفضها القاطع للحجاب لما يرمز إليه من انغلاق ورجعية"، بحسب تصورها.

واعتبرت دراسة قدمتها الجمعية خلال المؤتمر أن "الدين والعادات والتقاليد والتعليم" أهم مصادر قلق المرأة في تونس.

وتلقى العودة القوية لارتداء الحجاب تفسيرات عدة بين أوساط المراقبين، فهي في نظر الغالبية عودة إلى الدين الإسلامي وهو ما ركزت عليه بعض الفضائيات العربية في الآونة الأخيرة، فيما ينظر البعض الآخر إليها على أنها "تحصن بالهوية الإسلامية في مواجهة الغرب المهيمن والمحتل" لكل من فلسطين والعراق.

"لا معنى" للحرية مع الحجاب!

ورأت بعض الأصوات العلمانية المؤيدة للحكومة، والمتشددة في المطالبة بمنع الحجاب، أن تأييد الحجاب باسم الحرية "لا معنى له".

وقال النقابي صالح الزغيدي، القريب من الحركة النسائية بتونس، لوكالة الأنباء الفرنسية: إن تأييد "ارتداء الحجاب باسم الحرية لا معنى له خاصة أنه يخضع لتعاليم دينية".

فيما أكدت السيدة التونسية فاطمة قسيلة أنه رغم رفضها الشخصي لارتداء الحجاب "رفضا قاطعا، لكن احترام الآخر هو سيد الموقف ويجب الخضوع له".

وتتجدد بين حين وآخر في تونس حملات منع النساء من ارتداء الحجاب كما تتعرض الطالبات المحجبات بصفة خاصة إلى المضايقة. وتوجه في هذا السياق أصابع الاتهام إلى أطراف علمانية داخل السلطة تسعى لمحاربة مظاهر التدين بكل قوة داخل المجتمع التونسي.

حظر "اللباس الطائفي"

وتقول السلطات التونسية: إن الإجراءات ضد المحجبات تأتي تطبيقا للقانون الذي جاء به منشور 108 ويمنع ما تطلق عليه "اللباس الطائفي".

وينص قانون الأحوال الشخصية التونسي الصادر في العام 1956 على المساواة التامة بين المرأة والرجل ويمنع تعدد الزوجات ويؤكد أن النساء مواطنات كاملات الحقوق.

احتجاجات قوية في 2003

وشهد العام الماضي 2003 احتجاجات تونسية قوية على موقف السلطات التونسية المتشدد من قضية الحجاب.

وفي هذا السياق طالب عدد من المحامين والشخصيات السياسية التونسية رئيس الدولة زين العابدين بن علي بالتدخل العاجل لإيقاف الانتهاكات المتواصلة ضد النساء التونسيات المرتديات للحجاب.

إهانة المحجبات

وجاء في عريضة وقعها أكثر من 100 محام وناشط حقوقي حصلت "إسلام أون لاين.نت" على نسخة منها يوم 11-11-2003 أن "النساء التونسيات المرتديات للحجاب يتم حرمانهن منذ بداية السنة من العمل ودخول المعاهد والجامعات، كما يعمد رجال الأمن دون موجب قانوني إلى تعنيفهن، ونزع الحجاب بالقوة مع الشتم والوصف بشتى النعوت، ولو أمام أزواجهن أو إخوانهن، وإجبارهن على إمضاء التزام بعدم ارتداء الحجاب مستقبلا".

كما سعت أوائل العام الماضي 2003 محامية تونسية ناشطة في مجال حقوق الإنسان في سابقة هي الأولى من نوعها لإلغاء القانون الذي يمنع ارتداء الحجاب داخل المؤسسات التابعة للدولة.

وقالت سعيدة العكرمي المحامية العضوة في المجلس الوطني للحريات بتونس -غير معترف به- في تصريحات لشبكة "إسلام أون لاين.نت" يوم 2-2-2003: إن رفعها لهذه القضية أمام المحكمة الإدارية لإلغاء القانون رقم 108، جاء انطلاقا من قناعتها الراسخة بأنه "يتعارض مع المنطلقات الأساسية للميثاق العالمي لحقوق

الإنسان الذي يحض على حرية الاعتقاد، وممارسة الشعائر الدينية واختيار الإنسان الزي الذي يناسبه".

وأدانت طالبات تونسيات يوم 2-6-2003 حملة شنتها الحكومة ضد الحجاب وأدت إلى حرمان بعضهن من خوض امتحان نهاية العام الدراسي 2002-2003، فيما اعتبرت منظمات حقوق إنسان تونسية هذا الإجراء بحق الطالبات المحجبات مخالفا للمعاهدات والمواثيق الدولية.

وفي السياق نفسه أيضا انتقد "المجلس الوطني للحريات بتونس" في بيان له يوم 30-5-2003 منع العديد من المعاهد العليا والكليات الطالبات اللاتي يرتدين الحجاب من دخول المؤسسات التعليمية.

وكان الصادق شعبان وزير التعليم العالي والبحث العلمي التونسي قد وجه منشورا إلزاميا حمل رقم 70 بتاريخ 27-12-2002 إلى كل عمداء ومديري المؤسسات التعليمية حول ما سماه "ارتداء الزي الطائفي".

وجاء في هذا المنشور أنه "يمنع الدخول لهذه المؤسسات على كل من يرتدي أزياء ذات إيحاءات طائفية، أو يحمل أية إشارات أخرى من هذا القبيل".

==============

الصراع العربي (الإسرائيلي) تحت الرايات العلمانية(3-1)

الأربعاء:2007/03/07

(الشبكة الإسلامية) عبد العزيز كامل

الشبكة الإسلامية >> الأقصى في خطر

احتفل الكيان الصهيوني بذكرى مرور (50 عاماً) على إعلان (دولة إسرائيل) تلك الدولة المسخ التي زرعتها أحقاد الغرب، بينما تعهدتها بالرِّي والنماء أخطاء العرب.

نعم، فما كانت (إسرائيل) لتبقى وتعلو، أو لتوجد أصلاً، لولا سلسلة من أخطاء تترادف، وخطايا تتراكم، ممن وضعوا أنفسهم في واجهة هذا الصراع الديني الاعتقادي، حيث تعمد هؤلاء عن سابق إصرار وترصد أن يفرغوا هذا الصراع من محتواه الاعتقادي وخلفيته الدينية من جانبنا، في مقابل تعمد الآخرين عن سابق إصرار وترصد أيضاً أن يصبغوه بالصبغة العقائدية في كل جزئياته، بدءاً من اختيار

اسم هذه الدولة (إسرائيل) ورمزها (نجمة داود) ودستورها (التوراة والتلمود) وشعارها (أرض الميعاد) وحلمها التاريخي إعادة بناء (هيكل سليمان) في (أورشليم القدس) حيث يتطلع اليهود لمجيء ملك من نسل داود يحكم العالم!.

أما بنو قومنا، فتحت الرايات العلمانية المتعددة، قد جدوا واجتهدوا في إبعاد الإسلام عن المعركة، وإقصاء القرآن عن توجيهها، وتنحية العقيدة الحقة عن مواجهة العقيدة الباطلة، بل بالغوا في ذلك حتى استبعدوا المسلمين غير العرب من المشاركة في المعركة ابتداء، فأطلقوا على هذا الصراع: (الصراع العربي الإسرائيلي) مرة، و(معركة القومية العربية) مرة أخرى، و(أزمة الشرق الأوسط) مرة ثالثة. بينما كان في الإمكان حشد الأمة الإسلامية كلها خلف الأمة العربية في هذا الصراع الحضاري المصيري بين أمة الإسلام وأمة يهود.

ولكن الذي حصل ولا يزال يحصل أن القيادات العلمانية تصر على التصدي لمعركة ليست لها ولا أهلها، وتأبى التنازل عن مبادئها المنافية للدين، على الرغم من كل أنواع الفشل الذي جرّته على الأمة عبر خمسين عاماً من عمر هذا الصراع.

ولما كانت هذه الأعوام الخمسون قد انقضى نصفها في الحروب الخاسرة، بينما انقضى نصفها الآخر في عمليات السلام الفاشلة، فسوف نبدأ أولاً باستعراض جولات تلك الحروب في النصف الأول من عمر الصراع (1948 1973م) ثم نثنِّي بمسارات ومراحل العملية السلمية في المرحلة الثانية من (1973 1997م).

الجولة الأولى: حرب أيار (مايو) 1948م: انتهت هذه الحرب إلى نتيجة مذهلة؛ إذ تعرضت سبعة جيوش تابعة لسبع دول عربية لهزيمة منكرة، لا أقول أمام جيش لدولة واحدة، ولكن أمام عدة منظمات يهودية شبه عسكرية، وهي تلك التي تم توحيدها بعد ذلك تحت اسم (جيش الدفاع الإسرائيلي) فما الذي حدث..؟

يمكننا التعرف على ذلك من خلال اللقطات التاريخية التالية:

* – بعدما أصدرت الأمم المتحدة قرارها الظالم في نوفمبر 1947م بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، سارع القادة السياسيون العرب إلى اتخاذ قرار بدخول حرب شاملة ل(تأديب) عصابات اليهود، وكان ذلك القرار حماسياً ارتجالياً، لم يسبقه إعداد

أو تخطيط، وقد عارض القادة العسكريون قرار الحرب بشدة في هذا التوقيت، وحذروا منه أشد التحذير.

* – فوجئ القادة العسكريون باتخاذ القرار السياسي الفعلي بالحرب، قبل بدء تلك الحرب بيومين أو ثلاثة، في وقت لم يكن لدى معظم الجيوش العربية حتى ميزانية تسمح بدخول حرب، ولم يكن قد جرى تدريبها بعدُ على الدخول في حروب شاملة.

*– اجتمع رؤساء أركان كل من (مصر والعراق والأردن وسوريا ولبنان) قبل الحرب وأعلنوا الاتفاق على إعداد ما لا يقل عن خمس فرق عسكرية كاملة الاستعداد والتسليح مع ستة أسراب من المقاتلات والقاذفات، بحيث تكون جميعاً خاضعة لقيادة عربية موحدة، ولكن هذا الاتفاق لم ير النور، فلم يتم إعداد الفرق، ولم تدبر الأسراب ولم توحد القيادة!

*– لم توضع خطة منسقة للجيوش العربية لخوض الحرب، بل حُدد لكل جيش هدف يصل إليه، وأُجِّل التنسيق إلى ما بعد وصول كل جيش إلى هدفه!

*– لم يتجاوز عدد الجنود العرب الذين سيقوا إلى الحرب خمسة عشر ألف جندي، في حين حشد اليهود نحو ستين ألف مقاتل مجهزين تجهيزاً كاملاً للمعركة التي لم يقرروا هم البدء فيها.

*– دخلت الجيوش العربية الحرب في 15 مايو 1948م، دون أي معلومات عن العدو، بل كانت غالبية تلك الجيوش تقاتل في أرض تجهل طبيعتها وطريقة القتال فيها.

*– كان الفيلق الأردني هو الأجود من حيث التدريب والتسليح، ولكنه مع الأسف كان تحت قيادة الجنرال البريطاني النصراني (جلوب).

*– بالرغم من كل هذا، فقد دفعت العاطفة الإسلامية الجنود العرب إلى إحراز عدة نجاحات في بداية الحرب، كادت أن تحوِّل الدفة لصالحهم ضد اليهود المعروفين بالجبن الشديد في القتال، ولكن حكومتي (بريطانيا وأمريكا) أحستا بذلك الخطر، فسارعتا إلى دفع مجلس الأمن الدولي إلى إصدار قرار بفرض الهدنة اعتباراً من يوم 8 يوليو 1948م ولمدة شهر كامل.

*- مرة أخرى سقط السياسيون في العجلة، ووافقوا على الهدنة، فتنازلوا بذلك لليهود عن عنصر المبادأة أو المبادرة، وحرص العرب على أن يظهروا بمظهر الحريص على احترام (الشرعية الدولية)! التي لم تحترمهم، والتي زرعت اليهود في أرضهم.

*- حرص اليهود على استغلال كل دقيقة من فترة الهدنة لتغيير موازين القوى لصالحهم، وسخروا أشد السخرية من غباء القرار العربي بقبول الهدنة، حتى إن (مناحم بيجن) كتب وقتها يقول: (إننا لا نعرف حتى الآن كيف ولماذا قبلت الدول العربية الهدنة، بعد أن كان الموقف العسكري في صالحها تماماً)!

*- بعد انتهاء شهر الهدنة، كان اليهود قد نجحوا في تسلم زمام المبادرة سياسياً وعسكرياً، ثم بدؤوا في حرب استنزاف للجيوش العربية كل على حدة، فقد عادت الحرب ثانية، وكان اليهود هم البادئون هذه المرة، فنفذوا ضربة جوية مفاجئة لمطار العريش في (مصر)، وهو المطار الذي كان يعتمد عليه الجيش المصري؛ لأن بقية المطارات كانت خاضعة للمحتل الإنجليزي، ثم أعقب ذلك قصف جوي لتجمعات الجيش البرية في كل قطاعات القتال مما أدى إلى حالة من الفوضى والارتباك.

*- بعد أن حقق اليهود قدراً كبيراً من النجاح وأصبحوا في حاجة إلى فرصة لالتقاط الأنفاس، أصدر مجلس الأمن قراراً ثانياً بالهدنة، واستجاب العرب مرة أخرى فأعطوا لليهود فرصة ثانية للمزيد من لمِّ الشمل واستعادة النشاط!

*-عادت الحرب للمرة الثالثة بمعارك متفرقة هنا وهناك، إلى أن أصدر مجلس الأمن قراره الثالث بإيقاف الحرب نهائيّاً بعد أن فشلت كل الجهود العربية في إجلاء اليهود عن الأراضي التي احتلوها في فلسطين، وهو ما يعني بعبارة أخرى: الهزيمة في تلك الحرب والفشل في تحقيق أي من أهدافها!

ومما يجدر ذكره هنا، أن عقد الأربعينات الذي جرت فيه تلك الحرب، قد شهد انتعاشاً في الشعور بالانتماء القومي العربي، حيث بدأ العرب وقتها في الفصل بين مفهومي (الأمة العربية) و(الأمة الإسلامية) وتُوِّج هذا الشعور القومي بإنشاء (الجامعة العربية) رداً على من كانوا ينادون بالعودة إلى (الجامعة الإسلامية).

الجولة الثانية: حرب 1956م :

جاءت الجولة الثانية بعد أن آلت السلطة في بعض الدول العربية إلى أنظمة ثورية، دعت نفسها بالتقدمية، وكان النظام الثوري العسكري في (مصر) هو المتزعم لها، وقد عدّ من أهدافه الرئيسة المعلنة: تحرير (فلسطين) والقضاء على دولة (إسرائيل)، وجعل من هذا الهدف إلى جانب توحيد العرب تحت راية القومية العربية قضية يبني بها المجد والزعامة، فماذا كان مسلك الثوريين العساكر بعد أن تسلموا دفة الصراع مع اليهود..؟ هذا ما توضحه المشاهد التاريخية التالية:

- كان أول عمل قام به (قائد الثورة) (جمال عبد الناصر) بعد تسلمه منصب الرئاسة رسمياً هو تأميم قناة السويس في 26 تموز (يوليو) 1956م، وكان قراراً اتخذ دون دراسة أو تحسب لما يمكن أن يترتب عليه من نتائج، وقد جاء رد فعل على تصريح لوزير الخارجية الأمريكي وقتها (فوستر دالاس) قال فيه: إن الاقتصاد المصري منهار.

- ثار الغرب لهذا القرار، وخاصة ما كان من (إنجلترا وفرنسا) حيث أخذتا في الإعداد لإجراء حاسم وتواترت الأنباء عن حشود إنجليزية وفرنسية في (قبرص) استعداداً لعمل عسكري ضد (مصر) بالاشتراك مع دولة اليهود، ولكن القيادة لم تكترث، ولم تأخذ هذه التهديدات مأخذ الجد، بل كان هناك استرخاء عسكري بالرغم مما يجري، حتى إن القيادة خففت من أعداد القوات المعدة للقتال لأسباب غير مفهومة.

- عندما بدأت نذر الحرب كان اليهود يحتفظون بالتفوق العسكري مقارنة بالإمكانات المصرية التي يفترض أنها أكبر وأقوى الإمكانات العربية، فقد كان التفوق ظاهراً حتى في الجانب العددي البشري، فكان التفوق في المشاة بنسبة 1: 3 لصالح اليهود، وفي القوات البرية (الدبابات) بنسبة 1: 1.8 لصالح اليهود، وفي سلاح المدفعية بنسبة 1: 2.5 لصالح اليهود أيضاً.

- نسق اليهود جهودهم مع حلفائهم استعداداً للحرب، فاتفقوا مع فرنسا على تأمين الغطاء الجوي الكافي للمدن الإسرائيلية وعلى أن يتولى السلاح البحري تأمين حراسة السواحل الإسرائيلية، وأن تشارك القوات الفرنسية بالقتال ضد أي دولة عربية تدخل

الحرب إلى جانب (مصر)، وأُسند إلى السلاح الجوي البريطاني مهمة تدمير الطيران المصري على الأرض.

– وأخيراً اقتنعت القيادة الثورية بأن أمر الحرب جد لا هزل فيه، فبدأت في تركيز الجهود على حماية سيناء من الشرق، بينما أهملت الجبهة الجنوبية إهمالاً مريباً، حيث كان من الغريب أن يخصص لهذه المنطقة الحيوية نحو 120 جندياً من المشاة لحمايتها!!.

– وبدأت الحرب في 29 تشرين الأول (أكتوبر) 1956م بمهاجمة الخط الأقل خطراً في نظر القيادة المصرية، وهو المنطقة الجنوبية من سيناء، وأعلن اليهود أنهم يقاتلون على بعد 40 كيلو متراً من قناة السويس، حتى يعطوا الذريعة لكل من إنجلترا وفرنسا للتدخل العسكري، بحجة حماية حرية الملاحة الدولية في قناة السويس.

– وبالفعل أقدم سلاح الجو البريطاني على ضرب الطيران المصري على الأرض، واضطر المصريون للقتال دون غطاء جوي على مختلف المحاور، وأبلى المقاتلون المصريون بلاءً حسناً في القتال، لولا أن الأوامر صدرت من القاهرة، للقوات الرئيسة بالانسحاب بعد إنذار أرسلت به انجلترا وفرنسا، وبدأ الانسحاب ليلة 31 أكتوبر 1956م، من قطاع إثر قطاع مما سبب حالة من الارتباك والاضطراب.

– وفي ظل غياب أي غطاء جوي أو طبيعي من جبال أو أشجار، كان الانسحاب شاقاً ومكلفاً، فقد أصبحت القوات المنسحبة هدفاً مكشوفاً أمام الطائرات النفاثة المغيرة والمحملة بكل أنواع الأسلحة المدمرة والحارقة.

وهكذا انتهت الحرب بهزيمة الجيش المصري وإهانته في حرب بدأتها الدعاية وأوصلها الغرور إلى أسوأ نهاية، فقد احتُلت سيناء ولم تنسحب إسرائيل منها إلا بعد أن ضمنت السماح لها بالملاحة في خليج العقبة كيف تشاء.

وكان ل (بريطانيا) (صديق العرب المفضل دائماً) الدور الأكبر في تقديم الجيش المصري لقمة سائغة لليهود.

الجولة الثالثة: حرب يونيو 1967م:

هي الحرب الثانية في العهد الثوري التقدمي الوحدوي الاشتراكي... العلماني! وقد كانت عاراً لم تُمسح آثاره إلى اليوم، حيث كان الهدف الرئيس لها احتلال القدس،

فتحقق الاحتلال، ولم يتم التحرير إلى اليوم لا سلماً ولا حرباً. وهذه بعض المشاهد التاريخية للكارثة التي سميت زوراً (نكسة)!

– تضخم الغرور في الذات اليهودية بعدما تم إحرازه من انتصارات رخيصة على شعوب مغلوبة على أمرها، ولم تكد تنقضي عشر سنوات على حرب 1956م حتى تفتحت شهية اليهود لحرب جديدة، ففي شهر ديسمبر 1966م أعلن (ليفي إشكول) رئيس وزراء إسرائيل في ذلك الوقت، نية بلاده في دخول حرب جديدة ضد العرب وهدد بغزو (سوريا)، في لهجة جديدة وغير معهودة من اليهود المتظاهرين أبداً بالمسكنة والاستضعاف.

– وفي عام 1967م لم ينقض شهر نيسان (إبريل) منه حتى كان اليهود قد نفذوا ما توعدوا به؛ فشن سلاحهم الجوي هجوماً ضخماً ضد (سوريا)، وفي الشهر التالي هدد الهالك (إسحاق رابين) بدخول دمشق، بعد افتعال مشكلة وأزمة بسبب تحويل مجرى نهر الأردن، وقيام أعمال فدائية ضد دولة اليهود من داخل (سوريا).

– وكان هذا الهجوم الإسرائيلي ضد (سوريا) رسالة موجهة أيضاً إلى (مصر)، التي كان قادتها منهمكين أو غارقين في المستنقع اليمني، حيث الحرب الظالمة التي أقحم فيها الجيش المصري للقتال هناك نصرة للقوى (التقدمية) ضد القوى (الرجعية)! وبدلاً من أن تتنبه تلك القيادة للخطر، وتسعى لحشد القوة ضد العدو الحقيقي المتربص من وراء الحدود، اكتفى الثوار بنشر قوات بغرض الردع والتخويف واستعراض القوة في (سيناء).

– اعتبر اليهود ذلك الاستعراض بمثابة إعلان حرب من (مصر)، وأعلن (موشي دايان) وقتها أن (مصر) هي العدو الحقيقي وليست (سوريا)، وأن على (إسرائيل) أن تتفرغ لحربها وأصبح قرار الحرب في إسرائيل في حكم المنتهى منه، ولم يبق إلا انتظار الذريعة المناسبة.

– ومرة أخرى قدم النظام الثوري الذريعة لليهود المتربصين، فصدر قرار بمنع الملاحة في خليج العقبة الذي تنتقل منه البضائع من وإلى (إسرائيل).

وانتشرت القوات المصرية على خليج العقبة بعد انسحاب قوات الطوارئ الدولية منه، وزاد الطين بلة أن جرى الإعلان عن توقيع ميثاق دفاع مشترك بين (مصر) و(الأردن) بالرغم من الخلافات التي كانت قائمة بينهما.

- لم يعد هناك وقت للتفكير لدى دولة اليهود، فشكّل رئيس وزرائها حكومة حرب وأدخل فيها (موشي دايان) وزيراً للدفاع، لينفذ توعده بالانتقام من (مصر)، وكانت القوات الإسرائيلية قد أتمت استعداداتها التي بدأتها منذ زمن لخوض الحرب الشاملة في حين كانت القوات المصرية غير مستعدة حتى مساء الرابع من يونيو من العام نفسه.

- وفي صباح الخامس من يونيو 1967م، قام اليهود بشن الحرب، معلنين أنهم في وضع دفاع عن النفس بعد أن حشدت مصر قواتها في سيناء، وأغلقت خليج العقبة؛ وأحلت قواتها محل قوات الأمم المتحدة، وبدأ اليهود في توجيه ضربة جوية مفاجئة ضد القواعد الجوية العربية في كل من (مصر) و(سوريا) و(الأردن) و(العراق)، وأطلق على هذه العملية (ضربة صهيون)!

- انطلق الطيران اليهودي كله من مرابضه (150 طائرة) وتوجه نحو 19 قاعدة مصرية جوية موزعة في أنحاء (مصر) (الدلتا سيناء الصعيد) لتدكها وهي على الأرض وبعد خمس عشرة دقيقة من بدء الحرب كان الجنرال (مردخاي هود) قائد سلاح الجو الإسرائيلي في لقاء مع ممثلي الصحافة الإسرائيلية والعالمية، حيث زف إليهم البشرى بتلك المذبحة الجوية وقال: لقد دمرنا الحصيلة الكبرى من طائرات العدو، منها (309) طائرة في (مصر)، و(60) طائرة في (سوريا)، و(29) طائرة في (الأردن) و(12) طائرة في (العراق)، وطائرة واحدة في (لبنان)، في حين لم تخسر (إسرائيل (إلا (19) طائرة!!.

- يعود السبب في هذا الحدث المفجع في تاريخ الحروب الحديثة إلى عدد من الأخطاء الفادحة التي وقعت فيها القيادات العربية، ومنها:

إساءة تقدير قوة العدو، وإهدار الاستفادة بالقدرات الذاتية، ويعود أيضاً إلى سبب آخر مهم، وهو: أن القيادة المصرية كانت قد قررت القبول بتلقي الضربة الأولى نزولاً على نصائح (السوفييت)، حيث قدرت الخسائر المتوقعة في حال تلقي الضربة

الأولى بما يتراوح بين 15 20% من مجموع القوة الجوية العربية، واعتبرت القيادة السياسية هذه النسبة ضئيلة، وتُعد تضحية مقبولة في مقابل إظهار (إسرائيل) بمظهر البادئ بالعدوان أمام الرأي العام العالمي!!!.

– أما الحرب البرية الرئيسية بعد ذلك، التي دارت رحاها في سيناء، فيكفي أن نتصور ساحة قتال مكشوفة أمام طيران معادٍ، يصول ويجول فيها وينتقي الأهداف التي يشتهيها دون أي عائق من جيش مأمور بالانسحاب لا بالمقاومة!

– وبالرغم من كل عوامل الفشل التي بدأت بها المعركة، إلا أن دفاعاً مستميتاً من الجنود، حاول في بعض الجهات مقاومة الهزيمة ببسالة نادرة، حتى إن القادة الإسرائيليين أنفسهم اعترفوا بحدوث موجة من الاضطراب سادت صفوفهم في المحور الشمالي بسبب المقاومة العنيفة.

– وأجمع عسكريون كثيرون على أن القيادة العسكرية المصرية لو كانت قد دبرت هجمة مضادة لإجهاض الهجوم الإسرائيلي في ذلك الوقت لكان لذلك تأثير في تغيير مجرى المعركة غير أنها أصيبت بالشلل المعنوي بسبب الضربة الجوية المفاجئة فاكتفت بإصدار أوامر الانسحاب، مما تسبب في فقد الجيش المصري لـ 80 % من سلاحه، وفقد عشرة آلاف جندي، وألف وخمسمئة ضابط، ووقوع خمسة عشر ألف جندي، ونحو خمسمئة ضابط أسرى في يد العدو، ولم تتوقف الحرب على الجبهة المصرية إلا بعد أن طلبت مصر وقف إطلاق النار على جبهتها معلنة بذلك التسليم بالهزيمة.

– التفت اليهود بعد ذلك إلى الجبهة الأردنية، فاحتلوا الضفة الغربية، فطلبت الأردن وقف إطلاق النار وسلمت بالهزيمة، ثم اتجه اليهود إلى سوريا واحتلوا مرتفعات الجولان مع قاعدتها مدينة القنيطرة، ثم أعلن عن وقف إطلاق النار؛ وبذلك انتهت الجولة العسكرية الثالثة، وأعلن الرئيس المصري أنه يتحمل مسؤولية الهزيمة؛ وأنه لذلك سوف يتخلى عن السلطة، ولكن الجماهير التي خدرتها الشعارات الثورية، تقبلت الهزيمة والتضحية بالأرض والدم والوطن، ولكنها لن تقبل التفريط في الزعيم ولو قادها إلى الجحيم!.

الجولة الرابعة: حرب أكتوبر 1973م :

درجت أوساط كثيرة على وصف حرب أكتوبر عام 1973م بأنها حرب (التحريك) وليست حرب (التحرير) كما اشتهرت على الألسنة .. فهل في الأمر من سر؟!
الظاهر أن ذلك الوصف فيه شيء من الصحة، إذ إن الأمور بعد هزيمة عام 1967م، كانت تتجه نحو الحل السلمي، حتى إن (عبد الناصر) نفسه قد قبل في آخر حياته بمبادرة أمريكية للسلام بين العرب وإسرائيل، وهي مبادرة (روجرز) ولكن جو الإحباط بعد أن تبينت الشعوب حجم الكارثة، ومشاعر السخط على القيادات العربية التي تسببت فيها، بالإضافة إلى استمرار احتلال اليهود لما احتلوه في تلك الحرب في (مصر وسورية والأردن وفلسطين)، كل ذلك حال دون إمكانية الإقدام على توقيع معاهدات صلح مع اليهود، تقرهم فيه الزعامات العربية من موقف ضعف على البقاء والعيش في أرض فلسطين، كان لا بد إذن من عمل شيء كبير، يكون نقطة انطلاق نحو إنهاء حالة الحرب مع اليهود إلى الآن..!
ولأن هذه الخطوة المطلوبة أعني إنهاء الصراع مع اليهود كانت كبيرة في حجمها، خطيرة في أبعادها، ومثيرة في تفاصيلها، فقد كان لا بد من تخفيف وقعها على الشعوب قدر المستطاع وعلى مراحل؛ ولهذا كان الإعداد لحرب (التحريك) التي وُضِعَ لها سيناريو مسبق في ردهات وكواليس السياسة الدولية.
وكان هذا السيناريو يقضي باستعادة الجيش المصري والنظام معه لهيبته باسترجاع جزء من شبه جزيرة سيناء التي أضاعها النظام الثوري نفسه في مرحلة سابقة، وفي الوقت نفسه يحفظ لقادة اليهود ماء وجوههم أمام شعبهم فيلتفون حول هذا النصر، ويفرغونه من محتواه من الناحية العسكرية ثم من الناحية السياسية. وقد تم الأمر على هذا النحو:
في يوم السادس من تشرين الأول (أكتوبر) 1973م الموافق للعاشر من رمضان 1393هـ، اجتازت القوات المصرية قناة السويس، وانتقلت إلى الضفة الشرقية، واقتحمت خط (بارليف) الحصين، لتأخذ مواقع دفاعية بعد عشرة كيلو مترات من شاطئ القناة في داخل سيناء، ولم تعط للقوات المسلحة بعد ذلك أي صلاحية لتتابع تقدمها في سيناء لإكمال تحريرها مع وجود الإمكانية لذلك، حتى إن رئيس الأركان

نفسه في الجيش المصري (سعد الدين الشاذلي) قد اختلف مع القيادة السياسية واتهمها بالتواطؤ، وعاش سنوات طويلة في منفاه الاختياري خارج البلاد.

وبعد عشرة أيام من بدء الحرب وإحراز تلك الانتصارات فيها لصالح العرب، عبرت عدة دبابات يهودية قناة السويس من منطقة (الدفرسوار) وفتحت ثغرة في صفوف القوات المصرية، ثم تتابع تقدم الدبابات اليهودية، وانتشرت على طول القناة من ضفتها الغربية، وحاصرت مدن القناة، وحجزت القوات المصرية في سيناء، وبهذا انقطعت وسائل الاتصال بين قطاعات الجيش المصري، وبدت (إسرائيل) أمام مواطنيها ومؤيديها في الداخل والخارج منتصرة، حيث تمكنت من أسر القوات المصرية كلها في سيناء، والالتفاف عليها؛ بينما كانت الدعاية المصرية والعربية تصور العبور على أنه من أعظم الانتصارات،وانتهت الحرب عند ذلك الحد بإعلان وقف إطلاق النار، في وضع لا يسمح للمصريين بادعاء النصر الشامل، ولا يمنع اليهود من ادعاء الثأر الكامل. وبعد انتهاء الحرب مباشرة بدأ تدشين العملية السلمية بين مصر وإسرائيل في مراحلها المبكرة، وذلك بزيارة قام بها وزير الخارجية الأمريكي (اليهودي) (هنري كيسنجر) لمصر، حيث اتفق مع القيادة على فض الاشتباك بين المصريين والإسرائيليين والاتجاه نحو حل النزاع في الشرق الأوسط بالطرق السلمية.

وهنا أمر ينبغي تنبيه القارئ إليه، وهو أننا لا نشكك في إمكانية تحقيق النصر على اليهود، ولا في إخلاص الجنود الذين قاتلوا وقتلوا، بل لا نقلل من أهمية دور التعبئة المادية والمعنوية للمعركة هذه المرة، ولكننا نعبر فقط عن قناعة بأن هذا النصر الجزئي كان حجة أقامها الله على العرب والمسلمين في إمكان نصرهم على عدوهم ولو كانوا أذلة، وأنه كان يمكن أن يكون نقطة انطلاق نحو نهضة ووحدة عربية وإسلامية شاملة، ولكن أعداء الأمة أصروا أن يجعلوا منه نقطة انطلاق أيضاً، ولكن إلى نكبة وفرقة عربية وإسلامية شاملة... وهذا ما كان في النصف الثاني من عمر الصراع، عبر خمسين عاماً من الضياع....

وللحديث بقية.

مجلة البيان 115

==============

هل يهدد الحجاب العلمانية الفرنسية؟

الخميس :2003/12/18

(الشبكة الإسلامية)

"إن فرنسا هي جمهورية موحدة علمانية ديموقراطية اشتراكية". هذا ما تنص عليه المادة الأولى من دستور العام 1946 صادق عليه الشيوعيون والاشتراكيون، والديموقراطيون المسيحيون(MRP) أيضاً، وهذا ما يوضح كثيراً ما حدث من تطورات بعد إقرار قانون 1905 في فرنسا الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة والذي حدد مرحلة حاسمة في المعركة من أجل العلمانية.

وبالأمس 2003/12/17 دعا الرئيس الفرنسي جاك شيراك البرلمان في بلاده إلى اعتماد قانون يقضي بحظر العلامات الدينية الظاهرة في المدارس العامة, بحيث يكون جاهزاً للتطبيق في بداية الموسم الدراسي المقبل, وذلك باسم العلمانية التي أكد على أنها مبدأ "غير قابل للتفاوض" ولا "لإعادة الصياغة". وبين هذه المظاهر الحجاب. واعتبر أن "ارتداء ملابس أو علامات تعبر بشكل ظاهر عن انتماء ديني يجب أن يحظر" في المؤسسات والمدارس العامة, وأن الحجاب والقلنسوة والصلبان الكبيرة "لا مكان لها" في المؤسسات التعليمية الرسمية. كما أعلن رفضه لإضافة أعياد جديدة "على جدول العطل المدرسية الكثيرة", لكنه أشار إلى حق التلامذة بالتغيب إذا رغبوا لمناسبة أعياد كبرى مثل الأضحى والغفران.

وأبدى شيراك حرصه على الاختلاط وحماية حقوق النساء "لأن درجة تقدم المجتمع رهن بمكانة المرأة في إطاره", معرباً عن رفضه "تقويض المساواة بين الاجناس" بذرائع مختلفة. ودعا إلى إعداد "مدونة علمانية" تكون ملزمة لجميع الموظفين الذين يلتحقون بالإدارات العامة.

لكن آلان غريش (رئيس تحرير ليموند ديبلوماتك 2003/8/5) يرى أنه عندما يصر وزير الداخلية الفرنسي نيقولا ساركوزي على أنه يجب أن تظهر النساء سافرات في صور بطاقات الهوية فإنما هو يطرح قضية لها علاقة بالنظام العام وليس بالعلمانية ... وعندما يجري الحديث عن اختلاط الجنسين في المدرسة فإنما يتعلق الأمر

بالمساواة بين الصبية والبنات وليس بالعلمانية، فالمدرسة العلمانية تأقلمت حتى أواخر ستينيات القرن الماضي مع عملية الفصل بين الجنسين، كما تأقلمت الجمهورية العلمانية مع رفض حق الانتخاب للنساء على مدى عقود.

ويتساءل غريش: هل العلمانية مهددة اليوم في فرنسا؟ وهل يجب التحرك كما في العام 1905؟ ويجيب: إن سيطرة الكنائس قد تقلصت وما من واحدة منها تضاهي من قريب أو بعيد النفوذ الكاسح للكنيسة الكاثوليكية في مطلع القرن الماضي. وبالعكس فان جان بوبيرو، في تأمله في صيغة "الاكليروسية، هي العدو" يتساءل حول ما إذا كانت "قد بقيت هي الراية للعلمانية المناضلة. لكن من هم اليوم رجال الاكليروس الجدد؟ ومن هم الذين يشكلون خطراً ملموساً على حرية التفكير؟. هل هم بدرجة أولى الديانات المنظمة أم بالأحرى "اكليركاتور" (كاريكاتور رجال الدين) المال أو وسائل الإعلام؟

ويعيد غريش التساؤل: هل بضع عشرات من الفتيات اللواتي يضعن الحجاب في المباني المدرسية هن اللواتي يهددن هذا الميثاق؟ أم هي المظالم وأشكال التمييز والغيتوات والبطالة وكل هذه القضايا المهملة التي تستبعدها "الإصلاحات"؟ واصفًا ذلك بعمليات "الإلهاء".

في حين أن المفكر الفرنسي فرانسوا بورجات يرى (في حوار خاص مع معتز الخطيب الباحث في الشبكة الإسلامية 2003/12/15) أن المشكلة تكمن في "عدم التفريق بين لب القيم ومرجعيات القيم، مثل ما فعل أتاتورك في بداية القرن العشرين، فحين فرض على الناس لبس "الطربوش" كان يخلط بين شكليات العالم الدلالي ولب الحداثة".

وينظر إلى هذا الجدل حول الحجاب في فرنسا بوصفه "تعبيرًا عن رفض أن تلعب الثقافة (غير السائدة) دورًا معلنًا في النسيج الأيديولوجي الوطني".

===============

تركيا تحتفل بالذكرى الثمانين وسط جدل حول العلمانية

الاربعاء:2003/10/29

(الشبكة الإسلامية) الجزيره نت

تحتفل الجمهورية التركية الأربعاء بالذكرى الثمانين لتأسيسها، وسط احتدام الجدل بين نخبة متحمسة بشدة للعلمانية والتيار الإسلامي المتنامي.

وأثار قرار رئيس الدولة أحمد نجدت سيزر جدلا عنيفا برفض دعوة زوجة رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان وزوجات نواب حزب العدالة والتنمية الحاكم إلى حفل الاستقبال بمناسبة العيد كونهن محجبات وهدد بعض النواب بمقاطعة الحفل.

واعتبر محللون هذه الخطوة مؤشرا قويا على المضي قدما في معارضة مفتوحة حول مراجعات الأسس التي تبنتها العلمانية.

وتغذي خطوة سيزر الجدل حول هذا الموضوع، في حين تتحدث وسائل الإعلام التركية عن "أزمة" على مستوى رأس الدولة. ويضاف هذا الخلاف إلى توتر ناشئ عن دعوة الحكومة إلى إصلاح النظام التعليمي.

ومنذ الفوز المفاجئ لحزب العدالة والتنمية في الانتخابات التشريعية العام الماضي تتمحور المعركة خصوصا حول موضوع حساس هو الحجاب الإسلامي الممنوع في الإدارة العامة والجامعات.

ويخشى الجيش الذي يعتبر حامي النظام العلماني التركي أن يؤدي انتهاك المبادئ العلمانية على المدى الطويل إلى إعلان انتهاء الجمهورية التي أسسها مصطفى كمال أتاتورك.

وتقوم المؤسسة العسكرية بجهود سياسية وقانونية وعسكرية مكثفة منذ السبعينيات لقمع أي ولادة جديدة للإسلام السياسي. وكان الجيش أجبر أول حكومة إسلامية في تاريخ البلاد على التخلي عن السلطة عام 1997.

يذكر أن رئيس الوزراء الحالي أمضى حين كان رئيس بلدية أسطنبول عقوبة بالسجن لمدة أربعة أشهر عام 1998 بتهمة "التحريض على السلوك الديني". وهو يؤكد اليوم الدفاع عن علمانية تحترم الديمقراطية والحريات الدينية.

=============

 # الحجاب الإسلامي .. يسيء إلى العلمانية!!

الأربعاء:2003/06/25

(الشبكة الإسلامية) رويترز – الجزيرة

قال رئيس الوزراء الفرنسي جان بيير رافاران إن فرنسا ربما تصدر قانونا جديدا يحظر الحجاب الإسلامي وغيره من الرموز الدينية في المباني والمدارس العامة إذا لم يحترم الناس السياسات العلمانية للجمهورية.

وأوضح رافاران أنه يأمل أن تكون التقاليد العلمانية لفرنسا من القوة بما يكفي لأن يحترمها كل السكان.

وأشار في اجتماع للماسونيين الفرنسيين والأجانب اليوم إلى أنه "إذا لم يكن هناك إجماع وخاصة على الرموز والسلوك المرتبط بالدين في المنشآت العامة فلن أتردد في فرض احترام العلمانية بالقانون".

وتشهد فرنسا حاليا نقاشا محتدما بشأن ارتداء الحجاب في المدارس. وطلب عدة نواب محافظين إصدار "قانون بحظر الحجاب"، لكن آخرين ترددوا خشية ما سيترتب على ذلك من عواقب مثل حظر غطاء الرأس اليهودي التقليدي أو قلادة الصليب التي ترتديها الفتيات المسيحيات.

وتزايدت تقارير الصحف الفرنسية في الآونة الأخيرة عن فتيات يرتدين الحجاب في المدارس وحمامات سباحة البلدية تخصص فترات للنساء استجابة لطلب جماعات إسلامية.

ويشكو المسلمون في فرنسا من التمييز ويقولون: إن الرموز الدينية الأخرى مسموح بها في المدارس والمباني العامة، أما الرموز الإسلامية فلا.

ويعيش في فرنسا التي يبلغ عدد سكانها 60 مليون نسمة نحو خمسة ملايين مسلم نصفهم من المهاجرين والنصف الآخر مولود في فرنسا. ويمثل هؤلاء أكبر تجمع للمسلمين في أوروبا وثاني أكبر ديانة في فرنسا بعد الكاثوليكية.

===============

د. محمد عمارة يكتب عن "العلمانية" ونشأتها

الاثنين :2002/09/09

(الشبكة الإسلامية) د. محمد عمارة

مصطلح "العلمانية" هو الترجمة التي شاعت بمصر والشرق العربي للكلمة الإنجليزية secularism بمعنى الدنيوي، والواقعي، والعالمي .. ذلك لأن العلمانية هي نزعة

فلسفية وفكرية وسياسية واجتماعية ترى العالم مكتفيًا بذاته، تدبره الأسباب الذاتية المودعة فيه .. فالعالم والواقع والدنيا هي مرجعية التدبير للاجتماع الإنساني والدولة والحياة، ومن ثم فإن الاجتماع والحياة والدولة ليست في حاجة إلى مدبر من خارج هذا العالم من وراء هذه الطبيعة.. والإنسان مكتف بذاته، يدبر شؤونه ويبدع قيمه ونظمه بواسطة العقل والتجربة، وليس في حاجة إلى شريعة سماوية تحكم هذا التدبير..

فالعلمانية – لذلك- تضبط بفتح العين، لأنها نسبة إلى العالم، أي الدنيا والواقع الدنيوي، فهي مصدر غير قياسي، إذ القياسي فيها هو "العالمانية" –نسبة إلى العالم- وهناك في المغرب العربي من يترجمها "بالدنيوية".

ولقد نشأت العلمانية – بأوربا- في سياق النهضة الحديثة، وكانت من أبرز معالم فلسفة التنوير الوضعي الغربي، التي جابه بها فلاسفة عصر الأنوار – في القرنين السابع عشر والثامن عشر- سلطة الكنيسة الكاثوليكية، بعد أن تجاوزت هذه الكنيسة الحدود التي رسمتها لها النصرانية، وهي خلاص الروح، ومملكة السماء، وترك ما لقيصر لقيصر، والاقتصار على ما لله .. لقد تجاوزت الكنيسة حدود رسالتها واختصاصاتها، فبعد عصور من سيادة نظرية "السيفين" THEORY OF THE TWO SOWRDS أي السيف الروحي – أو السلطة الدينية للكنيسة- والسيف الزمني – أي السلطة المدنية للدولة- جمعت الكنيسة السلطتين معًا، فضمت ما لقيصر إلى ما للكنيسة واللاهوت في ظل نظرية "السيف الواحد" THEORY OF ONE SOWRD.

وتحت حكم "البابوات- الأباطرة" أضفت الكنيسة قداسة الدين وثباته على المتغيرات الدنيوية والاجتماعية – أفكارًا وعلومًا ونظمًا- فرفضت وحرّمت وجرّمت كل ما لا وجود له في الأناجيل، وبذلك دخلت أوربا عصورها المظلمة، الأمر الذي استنفر رد الفعل العلماني، الذي حرر الدنيا من كل علاقة لها بالدين.. ففي مواجهة الكهنوت الكنسي الذي قدس الدنيا وثبتها، وجعل اللاهوت النصراني – وهو خالٍ من الفلسفات المنظِّمة للدولة والاجتماع- المرجع الوحيد للسياسة والعلم والدولة والاجتماع- في مواجهة هذا الفعل، جاء رد الفعل العلماني لينزع كل قداسة عن كل شؤون الدنيا،

وليحرر العالم من سلطان الدين، وليعزل السماء عن الأرض، جاعلا العالم مكتفيا بذاته، والإنسان مكتفيا بذاته، والاجتماع والدولة والنظم والفلسفات محكومة بالعقل والتجربة، دونما تدخل من الدين.

ولقد ساعدت الملابسات التي نشأت فيها العلمانية، وكذلك المواريث الدينية والفلسفية الغربية على هزيمة الكنيسة، وتراجع اللاهوت النصراني أمام النزعة العلمانية.

فلقد كان التخلف الأوربي شاهدا على فشل الحكم الكنسي الكهنوتي.. وكان موقف النصرانية، الذي يدع ما لقيصر لقيصر، ويقف بالكنيسة ولاهوتها عند خلاص الروح ومملكة السماء سلاحًا بيد العلمانية ضد اغتصاب الكنيسة للسلطة الزمنية.. وكانت الفلسفة اليونانية - وخاصة عند أرسطو [322-384ق م]- والتي رأت الذات الإلهية مجرد خالق ومحرك أول للكون، ترك تدبيره ورعايته للأسباب المادية المودعة فيه - أي أن العالم مكلف بتدبير ذاته، لا يحتاج إلى مدبر مفارق له-.. كانت هذه الملابسات الواقعية والمواريث الدينية والفلسفية - في أوربا- عونًا لانتصار العلمانية على الكنيسة وسلطانها..

ولقد تميز في إطار فلاسفة العلمانية الأوربية تياران:

- تيار مادي ملحد طمح إلى تحرير الحياة - كل الحياة - من الإيمان الديني.. وكانت الماركسية أبرز إفرازات هذا التيار.

- أما التيار الثاني، فهو مؤمن بوجود خالق للكون والإنسان، لكنه يقف بنطاق عمل هذا الخالق عند مجرد الخلق، فيحرر الدولة والسياسة والاجتماع من سلطان الدين، مع بقاء الإيمان الديني علاقة خاصة وفردية بين الإنسان وبين الله.. ومن فلاسفة هذا التيار هوبز [HOBBES1588-1679م]، ولوك [LOKE1632-1716]، وليبنز [LEIBNIZ1646-1716]، وروسو [ROUSSEAU1712-1778]، وليسينج [LESSING1729-1871]..

ولقد ظلت العلمانية خصوصية غربية حتى القرن التاسع عشر، عندما جاءت إلى بلادنا الإسلامية في ركاب النفوذ الأجنبي والاستعمار الغربي الحديث.. وإذا كانت مصر - بحكم الموقع والسبق في التطور.. والاستقلال النسبي عن السلطان العثماني منذ ولاية محمد علي باشا [1265-1148هـ 1770-1849م] عليها-

1805م- قد مثلت طليعة الأقاليم الشرقية في التأثر بالفكر الأوربي - ومنه العلمانية - فلقد كان وفود العلمانية إليها نموذجًا لتسللها من أوربا إلى بلاد الشرق الإسلامي في ركاب النفوذ الأجنبي والاستعمار الحديث ..

فبعد تحطيم النظام الحمائي للصناعة والتجارة - الذي أقامه محمد علي باشا في مصر- زاد نفوذ التجار الأجانب، ونشأت على عهد الخديوي سعيد، في سنة 1272 هـ 1855م- أول محكمة تجارية مختلطة بين المصريين والأجانب-"مجلس تجار"- تسلل إليها القانون الوضعي الفرنسي.

ومع تزايد أعداد الجاليات الأجنبية ونفوذها- وخاصة بعد عقد اتفاقية حفر قناة السويس- نشأت "المحاكم القنصلية" لتقضي في المنازعات الناشئة بين المصريين وبين الأجانب، وقضاتها أجانب، ولغتها أجنبية، وقانونها وضعي علماني..

ولما زادت فوضى "القضاء القنصلي" - الذي توزعته سبع عشرة محكمة قنصلية- نظمت هذه الفوضى 1875م بإنشاء "المحاكم المختلطة"- وقضاتها أجانب، ولغتها فرنسية، وشريعتها هي قانون نابليون-..

وبعد أن كان هذا الاختراق - في المحاكم القنصلية.. ثم المختلطة- مقصورا على المنازعات التي يكون أحد طرفيها أجنبيًا حدث تعميم لبلوى هذا الاختراق العلماني في كل "القضاء الأهلي"- أي فيما عدا المحاكم الشرعية- التي انحصر اختصاصها في شئون الأسرة والأحوال الشخصية- وكان ذلك عقب استعمار الإنجليز لمصر، فيما سمي "بالإصلاح القضائي" 1883م.

ولقد استعان الغرب الاستعماري بنفر من أبناء الأقلية المارونية، الذين تربوا في مدارس الإرساليات التنصيرية بلبنان، في الدعوة إلى نموذجه الحضاري العلماني.. فكان فرح أنطون [1291-1340هـ 1874-1922م] أول دعاة العلمانية في بلادنا.. ثم تخلّق للعلمانية تيار فكري بلغ ذروته في كتاب الشيخ علي عبد الرازق [1305-1386هـ 1887-1966م] عن (الإسلام وأصول الحكم)- الذي صدر 1925م- مصورا الإسلام -كالنصرانية- دينا لا دولة، ورسالة لا حكمًا، يدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله..

وفي مواجهة هذا التسلل العلماني إلى بلادنا، كانت مقاومة تيار الإحياء والتجديد الديني لعلمنة القانون والنهضة.. فلقد رأى هذا التيار الإحيائي التجديدي في العلمانية عدوانا على شمولية المنهاج الإسلامي- لأنه دين ودولة، وجامع بين ما لقيصر وما لله.. ولأن نطاق عمل الذات الإلهية - في التصور الإسلامي، ولا يقف عند مجرد الخلق، وإنما هو - سبحانه وتعالى - خالق ومدبر للعالم والاجتماع بواسطة الشرائع والرسالات {ألا له الخلق والأمر}[الأعراف:54]، {قل إن صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له} [الأنعام: 162، 163].

فكان رفاعة الطهطاوي [1216-1290هـ 1801-1873] أول من انتقد تسلل القانون التجاري لنابليون إلى المجالس التجارية في الموانئ التجارية، ودعا إلى تقنين فقه المعاملات الإسلامي "الوافي بتنظيم المنافع العمومية، لأن بحر الشريعة الغراء لم يغادر من أمهات المسائل صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأحياها".

ونهض القانوني البارز محمد قدري باشا [1237-1306هـ 1821-1888م] -وهو من تلامذة الطهطاوي- بتقنين فقه معاملات المذهب الحنفي، ليقدم البديل الإسلامي في القانون، كجزء من الرفض والمقاومة للقانون الوضعي العلماني.

ولقد عبر الإمام محمد عبده [1265-1323هـ 1849-1905م] - بلسان مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامي- عن ضرورة إسلامية النهضة، لأن الإسلام - على عكس النصرانية- منهاج شامل "فهو كمال للشخص، وألفة في البيت، ونظام للملك.. ولأن سبيل الدين لمريد الإصلاح في المسلمين سبيل لا مندوحة عنها..".

ومنذ ذلك التاريخ، ظل التدافع سجالا- في واقعنا الفكري والقانوني والسياسي- بين دعاة العلمنة لمشروعنا النهضوي وبين دعاة إسلامية هذا المشروع.

وعندما أعادت مصر صياغة قانونها المدني، الذي وضعه الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا [1343-1391هـ 1895-1971م] والذي طبق عقب إلغاء الامتيازات الأجنبية 1948م، زادت في هذا القانون مرجعية الشريعة الإسلامية عنها في سابقه الذي وضع 1883م..

ولما وضعت مصر دستورها الجديد 1971م نصت مادته الثانية على أن مبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للقوانين .. وفي التعديل الذي تم الاستفتاء عليه

لهذه المادة 1980م غدت الشريعة هي المصدر الرئيسي للقوانين، فانفتح بذلك الباب الدستوري أمام المشرع المصري لأسلمة القانون، ولإجلاء العلمانية عن المواقع التي احتلتها في بلادنا تحت نفوذ وحراب الاستعمار.

مراجع:
1.الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي، دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة. طبعة بيروت 1973.
2.الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، دراسة وتحقيق: د.محمد عمارة. طبعة دار الشروق. القاهرة 1993.
3.تقويم النيل، لأمين سامي باشا. طبعة القاهرة 1936م.
4.عصر إسماعيل، لعبد الرحمن الرافعي. طبعة القاهرة 1948.
5.العلمانية بين الغرب والإسلام، للدكتور محمد عمارة. طبعة دار الوفاء. القاهرة 1996.

================

العلمانية العربية وعقدة الوضعيَّة

الأحد :2002/04/21

(الشبكة الإسلامية) عبد الرحمن الحاج إبراهيم *

صراع الدين والعلمانية إحدى المعارك المزمنة في الثقافة العربية والإسلامية، ولا نبالغ إذا قلنا إن تضخم هذا الصراع كان السبب الرئيسي في إخفاقنا في تحقيق النهضة في البلاد الإسلامية والتي بدأنا الحديث عنها وفيها منذ أكثر من قرن ونصف، ونحن نشهد اليوم إعادة الأسئلة نفسها التي طرحت آنذاك، والسؤال الكبير نفسه الذي شغل المفكرين: " لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟".

وبعدما كان الدين (الإسلام) هو الباعث على النهوض، جاءت المعضلات التنموية وقضية الاستتباع للقوى الاستعمارية لتفسح المجال للعقائد والأفكار الوافدة، وخصوصاً الماركسية، لتحول الصراع من صراع من أجل التنمية وفيها، إلى صراع ديني إسلامي . ماركسي، استطاعت الماركسية أن تطوي فيه تحت عباءتها كل

الاتجاهات العلمانية التي كانت قد ولدتها إشكاليات نموذج الدولة الحديثة إثر انهيار الخلافة الإسلامية.

والآن ثمة اتجاهات في العلمانية تحررت من ماركسيتها تعترف بأهمية الدين، باعتباره "قبة رمزية" للفضاء الثقافي، يمدّ الإنسان بالمعنى، وحيث لا يمكن لأمة أن تحيا خصوصيتها وتمايزها بدونه، وفي هذا الإطار ولد في مطلع التسعينيات مشروع مثل "المؤتمر القومي . الإسلامي".

إذاً العلمانية العربية . وهي كغيرها من العلمانيات في العالم الإسلامي . بدأت تخطو أولى خطواتها الإيجابية في التعامل مع "الإسلام" كدين وحضارة. لكن تبقى قضية الدين في هذه العلمانية شأناً أخلاقياً وشخصياً إلى حدّ بعيد، وما يزال العلمانيون على اختلاف مللهم ودرجاتهم يؤمنون بعدم إدخال الإسلام كمحرك رئيسي للأنظمة السياسية والتشريعية والاجتماعية، إذاً فقد انتقلوا ضمن فضاء العلمانية الغربية نفسها، من العلمانية الفرنسية المتطرفة إلى العلمانية الإنكليزية.

المشكلة الرئيسية في العلمانية العربية أنها تبنت المشكلات الغربية عن الدين المسيحي وأسقطتها على الإسلام، ولأن الدين المسيحي في القرون الوسطى يتسم باللاعقلانية والخرافية ومعاداة العلم، فإنهم يعتبرون الإسلام كذلك بالرغم من الاختلاف الجذري بينهما، وأيضاً لأن الدين في الغرب لا عقلاني، فإن العلمانية هي العقلانية وهي تساوي الوضعيّة أي قيام العقل البشري بدور التشريع لنفسه متخلّصاً من تكبيلات الدين (في أوروبا) الخرافية. وهكذا وقعت العلمانية العربية في مستنقع أوهام، تتكلم عن الإسلام وفي ذهنها المسيحية!

من هنا نفهم لماذا الإصرار العلماني على استبعاد كل ما يتعلق بالإسلام في الشأن العام، فالعلمانيون يؤمنون بأن التمسُّك بالتشريع الإسلامي تمسك بالخرافة واللاعقلانية ممثلة بثقافة مضى عليها مئات السنين، وعندما نقول "يؤمنون" فإننا نعني أنهم يؤمنون بالمعنى الديني، حيث أخذت العلمانية كديانة قلّد فيها الغرب ولم تنبت في الأرض الإسلامية نفسها بدوافع ذاتية. وهكذا فإن أي تصالح مع الدين سيكون لا محالة بتجاوز النص الديني برمته؛ وخصوصاً فيما يتعلق بالشأن القانوني والتشريعي.

وعلى هذا الأساس فإن أي محاولة علمانية لإعادة البحث والتفسير والتأويل للإسلام هي لا محالة مجرد "مغامرة عقلية" لتجاوز النص الديني (القرآن والسنة على وجه الخصوص) وتقييده وتخصيصه بل ونسخه! وليست بحثاً علمياً بالمعنى الحقيقي للكلمة، لأن العلمانية في المحصلة هي منطق ديني وضعي يكفر بكل ما عداه دون أن يحتاج إلى مبررات حاسمة. وبالتالي فالحد الوحيد الذي يمكن لهذه العلمانية العربية أن تتعامل فيه مع الإسلام هو المنطقة التي تعتقد أنه لا يمكنها تعويضها، أقصد البعد النفسي الروحي أي ما يطلق عليه بـ "الفضاء الرمزي".

في حين ينظر مفكرو هذه الشعوب من علمائها المسلمين إلى النّص على أنه يساوي هويته وتمايزه عن الآخرين جملةً وتفصيلاً، وبالتالي فإن أي تجاوز للنص (الوحي) هو تجاوز لإيمانه ووجوده، والاجتهاد هنا ليس مجرد مغامرة عقلية، بل بحثاً استكشافياً مضنياً، والتأويل ليس رغبات يقسر عليها الدين، بل موقف علمي تمليه ضرورات معرفية من داخل النص نفسه ومن طبيعة الدين ذاتها، أي أنه ينزع دوماً نحو الاحتكام إلى النص والانطواء تحته، فالنص ليس إلاّ كلام الله (تعالى) الذي لا يتم تجاوزه إلاّ بالكفر به.

لكن هل يعني ذلك تقديم الدين على العقل؟

طبعاً لا، ولا تعني في الوقت نفسه تقديم العقل على الدين، إن ثمة إيماناً يحكم العقل الإسلامي عموماً يقول بضرورة توافق العقلي والديني، وحسب تعبير ابن تيمية رحمه الله " موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول " إذاً العقل طرف أساسي في الإسلام ، ذلك أنه يؤمن باستحالة تعارض النص مع العقل ، ولديه آليات علمية معقدة لفض أي " اشتباك " يتوهم في هذا الإطار ليس على حساب العقل ولا على حساب النقل ، كما معروف في كتب أصول الفقه القيمة .

وإذا كانت العلمانية ـ في مبدئها ـ تعني عقلنة التعامل مع الواقع، فإن ثمة تقاطعاً مشتركاً بين الفكر الإسلامي معها، حيث يلح هو الآخر عليها، لكنه في الوقت نفسه يعتبرها جزءاً من المرجعية وليست كل المرجعية، حيث الطرف الآخر من المرجعية هو النص. وفي كل الأحوال فإن وجودًا مشتركًا بينهما لا يتحقق إلاّ بتخلي العلمانية العربية عن منطقها الإيماني ، وعودتها إلى العقلانية ذاتها ، والحديث عن المشترك

يشكل – برأينا – مدخلاً رئيسياً لأي حوار يمكن أن يخدم الثقافة العربية الإسلامية والواقع العربي التعيس .

إن على الفكر الإسلامي أن يحرص على هذا المدخل، وأن يصبّ حواراته ونقاشاته في إطار توازن المرجعية المزدوجة (العقل . النقل) ، وفي القضايا ذات الشأن العام على وجه الخصوص .

ولا نتوقع من العلمانية أن تتخلص من عقدتها الوضعية قبل أن تتحرر من منطقها الديني الإيماني ، وتتجه نحو العقلانية ، وعلينا نحن مساعدتها في ذلك .

—

* كاتب وباحث

================

هل ستسير باكستان إلى الحداثة أو العلمانية

الجمعة :2002/01/25

(الشبكة الإسلامية) إسلام آباد . محمود عبد السلام :

تشهد باكستان تحولاً كبيراً يعتبر الأول من نوعه في تاريخ البلد عبرت عنه بعض الأوساط المحلية بالقول : قرارات الرئيس الباكستاني الجنرال " برويز مشرف " التي أعقبت عملية البرلمان الهندي ، التي جاءت على خلفية إدراج أميركا بعض الفصائل الكشميرية في قائمة الإرهاب تعتبر بداية لنهاية علاقة الجيش الباكستاني بالمسجد وبالجماعات الدينية ، وروافدها من المدارس التي أسسها رئيس باكستان السابق الجنرال " ضياء الحق " خلال فترة حكمه ، فقد جاءت هذه القرارات لتحجيم دور الإسلاميين من المجتمع الباكستاني رغم أن سلفه من العسكر قد حرصوا على توثيق صلاتهم مع الإسلاميين وإبراز دورهم كقوة دينية لها قدسيتها واحترامها على كافة الأصعدة في البلد ، ليضفوا من خلال هذه السياسة شرعية على حكمهم تحت شعار الأسلمة وفاء للشعار الأول الذي أقيمت باكستان على أساسه ، والذي يعبر عنه الباكستانيون بقولهم : " مطالب باكستان . . لا إله إلا الله " ،

فالجنرال مشرف يطمح إلى تخفيف هذا التأثير الإسلامي في الشارع الباكستاني مقابل أن يحظى باعتراف دولي فيما لو تخلص من هذه التيارات التي يعتبرها الغرب

تيارات متطرفة أو أصولية تعرقل عملية السلام والأمن في المنطقة بالدرجة الأولى حسب تعبيرهم .

باكستان تستعد للمقايضة

ورغم أن باكستان – مواصلةلهذه السياسة – قداستعدت لتسليم المطلوبين الأربعة عشر هندياً ، كشرط أساسي لنيودلهي في شروطها لتسوية النزاع مع باكستان بعد أن لوحت بعملية مقايضتهم مع المطلوبين الباكستانيين الذين ينتمون إلى جماعات عرقية مطلوبة تتمثل بحركة المهاجرين القومية تدينها إسلام آباد بقضايا قتل وتفجيرات نفذتها في إقليم السند الأشد تضرراً في هذه العمليات وتقيم حالياً تحت الحماية الهندية ، في حين جددت رفضها لتسليم العناصر الباكستانية المطلوبة هندياً ، مؤكدة في الوقت ذاته على أنها مستعدة لمحاكمة كل من تقدم نيودلهي أدلة إدانة تثبت تورطه بقضايا إرهابية في المحاكم الباكستانية ، طبقاً لدستور وقوانين البلد على اعتبار أنهاغير ملتزمةبالتسليم ما دامت لم توقع اتفاقية تسليم المطلوبين مع الهند .

ويرى مراقبون أن الاستعدادات الباكستانية كانت نتيجة للضغوطات الأمريكية بعد تصريحات وزير الخارجية الأمريكية كولن باول بأنه لا يستبعد أن تسلم باكستان المطلوبين لنيودلهي كخطوة إيجابية لمواصلة عملية السلام التي ستصار إلى نزع فتيل الصراع بين البلدين لا سيما وقد صرح الرئيس برويز مشرف في خطابه الأخير بأنه لن يسلم الهند عناصر باكستانية ، في حين لم ينف تسليم غير الباكستانيين لدى خطابه ، الأمر الذي قرأه المراقبون أن عملية تسليم المطلوبين الهنود واردة على أجندة المحادثات والتفاوض .

تطبيق القرارات رهينة الوضع الداخلي

وإلى ذلك تباينت وجهات نظر المحللين الباكستانيين حول المستقبل الذي يمكن أن تصار إليه البلد بعد هذه التحولات الكبيرة والجذرية ، فبعض العسكريين السابقين الذين يشاطرون الجنرال مشرف سياسة العصا الغليظة ضد من يعتبرونهم سبب القلق في المجتمع ، ورغم تحفظهم على إمكانية نجاح الرئيس مشرف بتنفيذ هذه الخطة وتطبيق القرارات التي نص عليها في خطابه ، لا سيما وموعد الانتخابات الباكستانية المزمع عقدها في شهر أكتوبر القادم ستشكل تحد آخر سابق لهذه العملية

، فيقول رئيس الجيش الباكستاني السابق الجنرال " طلعت مسعود " : تبقى قرارات الجنرال برويز مشرف منوطة بكيفية تطبيقها على الأرض كواقع عملي يثبت مصداقيتها ، لا سيما والانتخابات غدت قريبة ، وبعد عملية الانتخابات على الحكومة الحالية أن تحول جميع مسؤولياتها ومهامها التي تضطلع بها الآن إلى الأحزاب السياسية التي ستشارك في الانتخابات باعتبارها ستصل إلى محط ثقة الشعب لتضطلع بدورها بهذه المهام ، إذاً فالقرارات تتعلق بالدرجة الأولى باستمرار هذه السياسة ونجاح تطبيقها والتي تعني التخلص أو تحجيم التيار الديني المتطرف من المجتمع ، الأمر الذي يعني أن مواصلة هذه السياسة نحو التطبيق متعلقة بشكل وثيق بالأوضاع الداخلية للبلد ، على اعتبار أن معظم الشعب في باكستان يؤيد سيناريو تخليص المجتمع من هذه الأحزاب الطائفية أو التي تؤمن بالعنف كونه لا يتفق معها على هذه السياسة ، ومع ذلك على الحكومة أن تضع بعض القضايا الهامة والأساسية بعين الاعتبار طالما أنها تريد مواصلة تنفيذ هذه الخطة والمضي بها والتي تتمثل بـ :

&9619; أن تجمع الأحزاب السياسية في باكستان وتحاول صهرها في بوتقة واحدة وفي خط منهجي سياسي موحد ، الأمر الذي يعني عزل وتهميش غيرها من الأحزاب المتطرفة وغير المرغوب فيها من هذه البوتقة كخطوة ضرورية لتجنيب البلد من خلق مشكلة داخلية .

&9619; تحسين الوضع الاقتصادي وتأمين فرص عمل مناسبة للقضاء على ظاهرة البطالة المتفشية كخطوة ضرورية كذلك في إنجاح هذه العملية .

&9619; أن تنهض بالمجتمع لتحوله إلى مجتمع متسامح فيما بين شرائحه وأطيافه المختلفة ، لأن هذه الخطة ستعزز موقف الحكومة داخل المجتمع .

&9619; أن تخلق دعماً داخلياً لهامن الأحزاب السياسية والبرلمان ومن كل الأطراف الفاعلة في البلد ، ورغم أنها قد حظيت بالدعم العالمي إلا أن الدعم السياسي لا بد أن يتوفر من النظام السياسي المحلي كونه الركيزة في الأمر .

فإدخال الأحزاب السياسية ضد تيار (التطرف الديني)بالتعاون مع الحكومة أمر أساسي باعتباره الطريق الصحيح الذي يجب أن تسلكه الحكومة ، وإلا فهذه الأحزاب الدينية سترد وتعبر عن ردة فعلها بعمليات عنف ضد هذه القرارات .

وفيما لو فشلت الحكومة الباكستانية في هذه الخطة وتنامت قوة الهند على حسابها ، فهذه التيارات ستشكل معضلة حقيقية للحكومة الباكستانية .

إلى أي حد يمكن لأمريكاممارسة الضغوطات على هذه الجماعات ؟

ورغم هذا التفاؤل الذي يبسط العملية إلى درجة لا تعتبر مخاطرة أمام التحديات التي يراها البعض إلا أن شريحة أخرى في المجتمع الباكستاني تصر على أن العلمية غاية في الصعوبة كي تأخذ حيز التنفيذ بعد أن كانت هذه الجماعات تحظى باحترام من الوسطين الشعبي و الحكومي ، خاصة وهذه الشريحة تعتبر أن باكستان بمساعدة بعض الأيدي الأجنبية ساهمت في تقوية وتغذية هذا التيار ، فوكيل وزارة الخارجية السابق ورئيس لجنة باكستان للشؤون الخارجية " أكرم زكي " يرى بأن الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة هؤلاء الجنرالات الذين أوصلتهم إلى السلطة . حسب تعبيره . قد استغلت هذه الشريحة لتنفيذ مصالحها وتمرير مخططاتها الخاصة في المنطقة ، ثم تريد التخلص منها إلى غير ما رجعة بعد أن انتهى دورها الذي تمثل في تقويض الاتحاد السوفييتي آنذاك إذ يقول :

لندع الأيام تقرر ما إذا كان الرئيس مشرف سينجح في خطته وتنفيذ قراراته أم لا ؟

ولكن الشيء الأساسي والمهم في الأمر ، من الذي خلق هذه الفوضى في المجتمع الباكستاني ، ومن الذي شجع عليها وروج لها ؟!!

لقد أرادت الولايات المتحدة استغلال بعض الجهات الدينية في هذه المنطقة ضد الشيوعيين في الاتحاد السوفييتي ، فعملت على تأسيس الجنرالات ومن ثم أوصلتهم إلى السلطة ، فتمكنوا بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية صناعة ما يمكن أن نسميه ظاهرة (ثورة الجنرال الموصلة إلى السلطة) ، وأمريكا والجنرالات هم أنفسهم من صنع هذه الجهات وهذه التيارات التي اعتبروها في المحصلة تيارات متطرفة أو أصولية ، وعندما شعروا بعدم الحاجة لها وصمتها الولايات المتحدة بالإرهاب ،

وتحت هذا الغطاء تريد أمريكا تفكيكها والتخلص منها ليصار بها إلى الفكر العلماني الذي هو من صناعتهم .
فالأجندة الأمريكية قد طبقها عدة جنرالات في البلد ، حيث الجنرال الأول (ضياء الحق) ينتمي إلى التيار الإسلامي وثورته كانت إسلامية ، بينما الثورة الثانية كانت علمانية سيطبقها الجنرال مشرف نفسه .
والولايات المتحدة عندما كانت تؤيد هذه الأحزاب الدينية قدمت لها الدعم ، وساهمت في تقديم المساعدات لها على اعتبار أنها كانت تحقق بها بعض الأهداف ، ولكنها الآن ترغب في ممارسة ضغوطات عليها أو التخلص منها بعد أن انتهت هذه الفائدة ، ويبقى السؤال المطروح والملح في الأمر : إلى أي حد يمكن لأمريكا ممارسة الضغوطات على هذه الجماعات ؟
يمكن القول بأنه نتيجة ممارسة هذه الضغوطات التي نراها على أرض الواقع حالياً من خلال قرارات الجنرال مشرف الأخيرة ستغيب الشخصيات الكبيرة والفاعلة في هذه الجماعات عن الأنظار حالياً وإلى وقت قصير ، ولكن سرعان ما ستعود مرة أخرى لتمارس أعمال عنف وخلق جو من المشاكل للحكومة كردة فعل .
فالحكومة عندما تفرض هذه السياسة أعتبرها غير عادلة ومن الخطأ أن تطبق في الشارع الباكستاني ، وأنا لا أعتقد أن خطة مشرف ستحقق نجاحاً بالقضاء على المتطرفين أو الإسلاميين من المجتمع ، فهي تحاول الآن إنشاء مسجد مثالي للشعب وتبني حوله ملعباً ومسبحاً أيضا وستفتح المسجد للصلاة فقط !
رغم أن عليها أن تدرك بأنها ستفتح المسجد خمس مرات يومياً للصلوات الخمس وليس مرة واحدة في اليوم ، وهذا أمر يتعذر تنفيذه أو تطبيقه عملياً ، فقد يمكنها تنفيذ هذا القرار في الكنيسة التي تفتح مرة واحدة في الأسبوع ، وليس في المسجد ، الأمر الذي يعني أنه من الصعوبة بمكان نجاح أو تحقيق هذه الخطة .
صهر قوة البلد السياسية في بوتقة الثقة
في حين الرأي الثالث الذي يحلو له حفظ مسلك العودة والإمساك بالعصا من المنتصف في القضية على اعتبارها تجربة أولى من نوعها قابلة للفشل أو النجاح فيرى بأن السبيل الأسلم للتخلص من العنف والإرهاب هو احتواء هذه الجماعات

ودمجها في التيار السياسي والشريحة التي ستحكم البلد لإعطائها نصيباً من مجلس الشعب ولتشترك في القرار وتعبر من خلاله عن سياستها وعن رأيها وعن طموحاتها كي لا تلجأ إلى سياسة العنف في التعبير عن إرادتها ، وإلى ذلك وزير الشؤون البرلمانية وأحد كبار الشخصيات في حزب الشعب الباكستاني " افتخار جيلاني " يقول :

رغم أن معظم الشعب الباكستاني لا ينتمي إلى هذه الأحزاب والجماعات الدينية إلا أنها قد أثبتت وجودها على الأرض ، فللسيطرة عليها أو لتخفيف حدة التطرف الديني في المجتمع على الحكومة أن تجمّع قوة البلد السياسية لتضعها في بوتقة الثقة ، والشعب لا يرغب بهذا النوع من القرارات التي جاءت على لسان الرئيس مشرف ضد الجماعات الدينية ، فإذا لم يكن للشعب مجلساً برلمانياً لإسماع صوته والتعبير عن سياساته يعتبر انتشار هذه الظاهرة أمر طبيعي باعتبارها لم تشترك في الحكم ، ولم تتمكن من إسماع صوتها من خلال هذا المنبر الذي تمثله السلطة أو المؤسسات الحكومية للشعب ، لذلك ذهبت إلى منبر آخر بديل كما حصل للأحزاب الدينية .

فالحكومة فيما لو أرادت التخلص من ظاهرة التطرف في المجتمع عليها تطبيق النظام السياسي وإشراك الأحزاب الدينية كباقي الأحزاب السياسية في الثقة ، على اعتبار أن هذه الأحزاب تستطيع المساهمة في دعم الحكومة بإعداد خطط أو اتخاذ خطوات للقضاء على ظاهرة (التطرف) من المجتمع ، ويمكن تطبيق ذلك في الانتخابات التي ستعقد قريباً ، لا سيما والأحزاب الدينية ترغب في المشاركة مع الأحزاب السياسية الأخرى بهذه الانتخابات ، وهم من جانبهم سيؤقلمون أنفسهم مع الأحزاب السياسية المعتدلة في البلد ليشكلوا تحالفاً يقف في وجه المتطرفين ، وهذا شيء إيجابي باعتبارها ستتأقلم مع الأحزاب السياسية الأخرى ، الأمر الذي لن يترك فرصة أمام الأحزاب المتطرفة كي تطفو على سطح الواقع الباكستاني .

ولكن حكومة مشرف ارتكبت خطأ كبيراً باعتبارها لم تضم الأحزاب السياسية المعتدلة إلى سلكها لتستفيد منها في تحقيق خطوات إيجابية للقضاء على ظاهرة التطرف ، إذ يستحيل أن ينجح شخص واحد في تحقيق أو تنفيذ هذه القرارات بعيداً عن مساعدة

الأحزاب السياسية الأخرى ، فربما يكون على الجنرال مشرف أن يستقطب القوى السياسية إلى جانبه ويهيئ المؤسسات المدنية لتنفيذ هذه الخطة .

ومهما تباينت الآراء وتفاوتت التوقعات حول إمكانية نجاح تطبيق هذه الخطة التي ستقود البلد نحو برنامج الحداثة والتجديد أو بمفهوم البعض نحو العلمانية لمواكبة متطلبات العصر التي يعول عليها مؤيدي الرئيس مشرف في قراراته ، إلا أن هذه القرارات قد أحدثت خضة عنيفة في الشارع الباكستاني ربما يعتبرها البعض الأولى من نوعها تماشياً مع أن هذه الخطوة وليدة ومستجدة على لواقع الباكستاني فيما لو أخذت حيز التنفيذ والجدية على المستوى العملي بعد أن تحدت جميع التيارات الدينية في باكستان هذه القرارات التي اعتبرتها مخالفة للشريعة الإسلامية من خلال تصريحات نارية صدرت عن معظم القادة والزعماء الإسلاميين في البلد ، لاسيما وشريحة كبيرة في الشارع الباكستاني تعتبر أن هذه القرارات هي المسمار الأول الذي سيدق في نعش العلاقة بين العسكر والتيار الديني لتستبدل العلاقات الحميمة التي كانت قائمة بين الطرفين منذ قيام باكستان بعلاقات ملاحقة ومطاردة واتهام

================

إسرائيل تدخل أفغانستان بالمرأة والعلمانية

الثلاثاء:2001/12/11

(الشبكة الإسلامية) الرياض إكسبرس

أفادت مصادر إعلامية أمس ، بان هناك اتصالات إسرائيلية مع الجيش الامريكى فى أفغانستان لتأسيس موطئ قدم لإسرائيل فى أفغانستان0 وقالت هذه المصادر إن اسرائيل قد طلبت تعاون الهند فى هذا المجال0

وكشفت المصادر نفسها أن اسرائيل ستعمل على امداد الافغان بالمساعدات لتنفيذ خطتها ، وستفتح مكاتب لمنظمات اغاثية غير حكومية فى جميع أنحاء أفغانستان بواسطة احدى النساء الافغانيات من ذوات الميول للحداثة وذلك للعمل على تحويل أفغانستان – وهو البلد الاسلامى المشهور بتطبيق الشريعة الاسلامية – الى بلد ليبرالى معاد للشريعة

==============

الإسلام والعلمانية وجها لوجه في مؤتمر بالقاهرة

الاربعاء:2001/05/02

(الشبكة الإسلامية) الشبكة الاسلامية – الدوحة –فريق الاخبار

تشهد القاهرة اليوم الأربعاء مؤتمرا يبحث العلاقة بين حرية الابداع والثوابت الوطنية والدينية وهي قضية

سيطرت على الاوساط الثقافية في مصر خلال العام الماضي.

ويتوقع أن يشهد المؤتمر الذي تنظمه جمعية مصر للثقافة والحوار في مقر نقابة الصحفيين تحت عنوان – حرية الابداع – مواجهات ساخنة بين مجموعة من ممثلي التيارين الاسلامي والعلماني البارزين.

وقال أبو العلا ماضي عضو مجلس إدارة الجمعية لرويترز " منذ اندلاع أزمة رواية وليمة لاعشاب البحر ثم أزمة الروايات الثلاث الاخيرة هناك خلافات حول قضية حرية الابداع والثوابت.. هناك رؤية يتبناها التيار الإسلامي وأخرى يتبناها التيار العلماني ويجب أن يكون هناك حوار بينهما.

وكانت الأوساط الثقافية والسياسية المصرية شهدت جدلا ساخنا حول

قضايا حرية الأدب والإبداع خلال الثلاثة عشر شهرا الماضية. وأثار قيام وزارة الثقافة باعادة نشر رواية – وليمة لاعشاب البحر – للكاتب السوري حيدر حيدر ردود فعل قوية ووقعت مواجهات في بداية مايو من العام الماضي بين الشرطة وطلاب جامعة الازهر الذين احتجوا على اعادة نشرها.

ومع بداية العام الحالي نشبت أزمة أخرى إثر نشر الهيئة العامة

لقصور الثقافة ثلاث روايات اعتبرها وزير الثقافة فاروق حسني وجانب من المثقفين والإسلاميين إباحية .

وقال أبو ماضي صاحب التوجه الإسلامي " دعونا التيارين في هذا المؤتمر في محاولة للوصول إلى موقف مشترك من حرية الابداع والثوابت.

ومن بين المشاركين في المؤتمر المفكرون الإسلاميون محمد عمارة وطارق البشري والدكتور محمد سليم العوا.

كما يشارك فيه الدكتور عادل غنيم أستاذ التاريخ بجامعة عين شمس

والشاعر حسن طلب رئيس تحرير مجلة إبداع وصلاح عيسى رئيس تحرير جريدة القاهرة التي تصدرها وزارة الثقافة ويحيى الرفاعي الرئيس الأسبق لنادي القضاة وأمين هويدي وزير الدفاع ورئيس جهاز المخابرات العامة الاسبق ووحيد عبد المجيد رئيس تحرير التقرير الاستراتيجي العربي الذي تصدره مؤسسة الأهرام.

وتتناول الجلسات قضايا - الحق في التعبير والثوابت الدينية - والحق في التعبير والقضايا الوطنية والأمن القومي - والتشريعات المتعلقة بالحق في التعبير .

تأسست جمعية مصر للثقافة والحوار في أبريل من العام الماضي

وهي تضم مجموعة من الإسلاميين الذين فشلوا في الحصول على ترخيص للعمل كحزب سياسي يحمل اسم - الوسط - كما تضم شخصيات ليبرالية بارزة

===============

قضية فلسطين بين الإسلام والممارسة السياسية العلمانية

الثلاثاء:2001/04/10

(الشبكة الإسلامية) الشبكة الاسلامية - الدوحة -فريق الاخبار

كانت تركيا (الأتاتوركية) وإيران (الشاهانية) أكبر مثال على ذلك، فهما أول دولتين في العالم الإسلامي تعترفان بدولة (إسرائيل)، كان ذلك في 17-3-1950م، ومعلوم مدى التطرف العلماني (ذي التوجه الغربي الليبرالي) الذي كانت تعيشه هاتان الدولتان، وغير خافٍ تعاون شاه إيران السابق مع (إسرائيل) ومدها بالبترول أثناء حرب 1973م، وغير خافٍ أيضاً التعاون المستمر حتى الآن عسكرياً واقتصادياً وسياسياً بين تركيا وإسرائيل. وعلى جانب آخر: وقفت قوى العلمانية المرتبطة بشرق أوروبا (أيام الشيوعية والاشتراكية) موقفاً مخزياً من قضية فلسطين في وقت مبكر، "فقد انتقدوا (التدخل) العربي في حرب عام 1948م، وطالبوا بسحب الجيوش العربية (الغازية)، واعتبروا الحرب مؤامرة استعمارية رجعية تهدف إلى منع قيام دولة يهودية، وطالبوا بإتاحة الفرصة للشعب اليهودي ليقيم دولته القومية في فلسطين، ولم يقتصروا على هذا، بل سيروا التظاهرات في العواصم العربية مطالبين بإقامة دولة يهودية!"(1).وبواكير دعاوي الصلح مع الدولة الصهيونية ظهرت وما زالت على

أيدي (الرفاق) الشيوعيين واليساريين الذين تجمعهم مع (رفاقهم) الشيوعيين اليهود وحدة الفكر والانتساب إلى الأممية الشيوعية "حيث بدأ مسلسل مساعي الحوار (العربي الإسرائيلي) منذ عام 1965م حينما وجه المحامي المصري اليساري يوسف حلمي بالاشتراك مع الزعيم الشيوعي اليهودي المصري هنري كوريال رسالتين لكل من جمال عبد الناصر وبن جوريون يدعونهما فيهما باسم (الحركة الديمقراطية) و (حركة السلام المصرية) لعقد مؤتمر للسلام بمشاركة الدول العربية و (إسرائيل) ودول عدم الانحياز والدول الكبرى، ولكن العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م أجهض تلك المحاولة...وبعد عدوان 1967م التقى النقيب السابق بالجيش المصري (أحمد حمروش) رفيق كوريال في الحزب الشيوعي المصري وعضو (الحركة الديمقراطية) و (حركة الضباط الأحرار) مع كوريال وأريك رولو في باريس، حيث رتبوا اللقاء بين جمال عبد الناصر وناحوم جولدمان رئيس (المؤتمر اليهودي العالمي)(2)، وقد أجهضت المحاولة بوفاة عبد الناصر عام 1970م"(3). ولا يستغرب أي عارف بحقيقة الشيوعية هذه المواقف من معتنقيها؛ فالأممية الشيوعية تتناقض مع غيرها من الأمميات وعلى رأسها الأممية الإسلامية ، بينما تتساوى عندها القوميات المختلفة عربية، أو يهودية (الصهيونية) ، ويمكن أن تتعايش معها بحظوظ مختلفة بحسب اقتراب هذه القوميات من مبادئها وتحقيقها لمصالحها، كما أن الشيوعيين العرب يعدون إخوانهم الشيوعيين اليهود في (إسرائيل) (رفاقهم) في الشيوعية. ولم يقف التلاقي والتعايش مع الصهاينة عند حد اليساريين العرب، بل تعداه أيضاً إلى اليساريين الفلسطينيين أنفسهم، فنايف حواتمة أمين عام الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين يطالب في حديث صحفي بتأسيس برنامج جديد لتصحيح الحالة الفلسطينية "باستراتيجية نضالية (!) بكل ما هو ممكن، واستراتيجية تفاوضية في إطار قرارات الشرعية الدولية"(4)، وهي القرارات التي سنعرض لها لاحقاً إن شاء الله تعالى، وهذا الموقف نفسه تقريباً هو موقف جورج حبش والجبهة الشعبية. وغير خاف مدى ضلوع اليساريين والشيوعيين السابقين في جهود التطبيع والدعوة إلى التعايش مع الدولة الصهيونية، ومن ذلك: إعلان تحالف كوبنهاجن عام 1997م وتأسيس (جمعية القاهرة للسلام) في العام الذي يليه، بدعم أوروبي وأمريكي.

وهذه الجهود والمساعي إلى التعايش والسلام من قبل هؤلاء تجاه الدولة الصهيونية نراها منطقية في ضوء ما ذكرناه سابقاً عن منطلق العلمانيين وتوجهاتهم؛ فبعد سقوط العداء المبدئي بين العلمانيين والكيان الصهيوني نتيجة تنحية الإسلام عن ساحة الصراع:قد العلمانيون إرادة المواجهة والقتال تبعاً لذلك، وتوجهوا إلى شرعيتهم الدولية يسألونها (حقوقهم المشروعة) ويرضون بالفتات الذي يلقى إليهم في ظل الاستعداد للتعايش مع كيان لا يرونه مناقضاً لهم حتى ولو اختلفوا معه، أو رأوه ظالماً وغاشماً . وافتقدت الأنظمة العلمانية إرادة القتال حتى في أوج مدها الثوري المزعوم، ف "... منذ أن جاؤوا وهم يعدون العدة لحرب فلسطين! ويعلنون أنهم سيختارون مكان وزمان المعركة، ولن يسمحوا لإسرائيل بأن تجرهم إلى معركة لا يحددون هم مكانها وزمانها وسلاحها.. وكل الأمم التي فنيت، بل كل الكائنات التي اندثرت، كانت تحلم بمعركة تدور وفقاً لشروطها، تحدد هي مكانها وزمانها وأسلحتها، وراعها وهي تباد تحت ضربات خصمها أنه لم يلتزم بأمانيِّها وضربها قبل أن تنتهي من تحديد الزمان واختيار المكان وإتمام شحذ السلاح! وأنه نجح دائماً في جرها إلى المعركة الخاسرة.إن إرادة القتال هي التي يجب أن تتوفر أولاً، ويأتي بعد ذلك تخير أفضل الظروف للقتال..".'وفي كل مرة كان انفعالهم {بعد ضربات إسرائيل} ينعكس في شكل دهشة ومرارة العاتبين.. وليس أدق في الدلالة عن حالتهم هذه من التعبير المفضل عندهم وهو (العدوان الغادر)!.. ونقبوا في جميع القواميس، إن وجدتم أحداً قبلهم وصف ضربات عدوه المصيري بأنها (غدر) !.. الغدر
يأتي من الأصدقاء، أو ممن لا نحمل لهم أية نوايا عدوانية، ولا نتوقع منهم عدواناً.."(1).وليس أدل على عدم إرادتهم القتال من عدم استعدادهم الجدي له على مدى أكثر من تسعين عاماً، ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة {التوبة: 46}.ثالثاً: هدر الطاقات والحيلولة دون مواجهة العدو: 1 - وفي المقابل: وقف كثير من النخب السياسية العلمانية حائلاً دون منازلة القوى الشعبية مع الصهاينة عسكرياً وسلمياً ، بل إن هذه النخب اصطدمت دوماً بالحركة الإسلامية التي كانت رأس الحربة في هذه المنازلة بدل التعاون المفترض معها، وما ذلك إلا لأنها وجدت في هذه الحركة خطراً عليها، فناصبتها العداء؛ لتضع العلمانية بذلك نفسها في خندق

واحد مع الصهيونية في مواجهة التيار المعبر عن رسالة هذه الأمة وأصالتها.وهكذا بات الإسلام الحقيقي (الذي يسمونه أصولياً) عدواً مشتركاً للعلمانية والصهيونية، فأصبح تحالفهما للقضاء على هذا الخطر الذي يهدد بقاءهما هدفاً مشتركاً تلتقي عليه جهودهما، ومن ثم: كانت النظم العلمانية حاجزاً تلقائياً بين المقاومة الإسلامية (العسكرية والسلمية) والعدو الصهيوني، بل أصبح ضرب الحركات الإسلامية وتصفيتها مؤشراً على مكاسب صهيونية قادمة مرتبطة بتنازلات أو إخفاقات علمانية تستلزم (تأمين الجبهة الداخلية) بإخلائها من المعارضين النشطين المتوقعين لهذه المكاسب وتلك التنازلات، أي: إخلائها من الحركات الإسلامية ورموزها الفعالة، بل أصبح الضغط أو تخفيفه على هذه الحركات (ورقة) تفاوضية ابتزازية تلوح بها هذه النظم العلمانية في وجه الغرب أو في المفاوضات مع الدولة الصهيونية كلما أحست بالإفلاس السياسي. ومسيرة الأحداث تؤكد ذلك التعاون بين العلمانية والصهيونية، أو على الأقل: تؤكد أن العلمانية كانت حاجزاً تلقائياً بين المقاومة الإسلامية والعدو: – فأولى التحركات العسكرية الشعبية الواسعة، وهي ثورة 1936م (1935م 1939م) والتي استمرت توابعها بعد ذلك، كان يحمل لواءها مجاهدون من جمعية الشبان المسلمين، وكان يقودها الشيخ عز الدين القسام، ثم نشط بعد ذلك جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، وتمكن المتطوعون في هذه الثورة المسلحة من تحقيق انتصارات متلاحقة خلال عامي 1938و 1939م، ولكن بجانب تحرك القوى البريطانية والعصابات الصهيونية كان خذلان الأنظمة العربية العلمانية لهذه الانتفاضة، فشحُّوا بالدعم المادي لقادة الثورة وهم في أمس الحاجة إليه ليستمروا في جهادهم، بل سارعت هذه الأنظمة بإيعاز من بريطانيا إلى احتواء هذه الظاهرة تحت شعار الوساطة وحقن الدماء" معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل"، ولا شك أن هذه الثورة كانت خروجاً عن حسابات وسياسات الاستعمار والأنظمة العربيةعلمانية "خصوصاً أن الثورة أبرزت قيادات ثورية لا تعرف المهادنة أو أنصاف الحلول !"(2).– وقبل حرب 1948م وأثناءها تحرك الإخوان المسلمون على الصعيدين الشعبي والعسكري، فاستطاعوا تحريك الرأي العام المصري تجاه القضية الفلسطينية من الزاوية الإسلامية، وقد برز دور

الإخوان المسلمون أثناء ثورة فلسطين الكبرى عام 1936م، عندما سارعوا إلى تنظيم المظاهرات، وألفوا اللجان لتلقي التبرعات وإرسالها إلى اللجنة العربية العليا، وقاموا بإرسال برقيات احتجاج إلى المندوب السامي بفلسطين ووزارة الخارجية البريطانية وعصبة الأمم، وأخرج الإخوان في مصر أكثر من نصف مليون متظاهر إلى شوارع القاهرة في اليوم الثاني لصدور قرار تقسيم فلسطين في 29-11-1947م، وأعلنوا رفضهم للقرار، مؤكدين عروبة فلسطين وإسلاميتها، مما مثل التجسيد المادي لحضور القضية الفلسطينية في الشارع المصري.وقد سطر متطوعو الإخوان في حرب 1948م ملاحم تغنى بها الفلسطينيون وأكسبت الجماعة الاحترام والتأييد، خصوصاً في ظل الموقف الداعم لقرار التقسيم من قبل الحزب الشيوعي الفلسطيني! النقيض الأيديولوجي لجماعة الإخوان المسلمين ومنافسهم الشعبي آنذاك، وفي ظل الضعف والعجز العربي الرسمي.(1) .فماذا كان الموقف العلماني الرسمي إزاء ذلك؟: عرقلت الحكومة برئاسة النقراشي باشا جهاد الإخوان المسلمون بطرق عديدة ؛ لأن "الحكومة تنظر بعين الريبة إلى حركات الإخوان وتخشى أن يؤلفوا جيشاً في فلسطين يكون بعد ذلك خطراً كبيراً على سلامة الدولة"(2)، وفي الوقت الذي كانت المعارك مستعرة بين هؤلاء المتطوعين وعصابات الصهيونية نصبت الحكومة ما عرف باسم (قضايا الإرهاب) و (قضايا الأوكار)، وتم حل الإخوان المسلمين رسمياً، وسيق زعماؤهم إلى المنافي والمعتقلات، واغتيل مؤسسها ومرشدها العام الشيخ حسن البنا، في وقت كان يعد العدة فيه لإعلان الجهاد العام والتعبئة الشعبية لتكوين قوات كبيرة يدخل بها فلسطين، وهكذا تم منع الإخوان من مواصلة جهادهم ضد اليهود(3). ولا يخفى الرابط بين هذه الإجراءات ودور هذه الحركة في قضية فلسطين: ففي إشارة ذات مغزى يعلق محررا مذكرات ديفيد بن جوريون على ما ذكره في يوم 6-12-1948م بأن حكومة النقراشي راغبة في الخروج من الحرب، ولكن

النقراشي باشا يخشى (الوضع الداخلي) إذا بدأ محادثات سلام !.. يعلقا بقولهما: "ازداد غليان (الإخوان المسلمين) في مصر، وفي كانون الأول - ديسمبر فرض حظر على التنظيم واعتقل قادته (في حين كان أعضاؤه يقاتلون في أرض إسرائيل)"(4).- والآن من المعروف أنه بعد انتكاس حركات تحرير فلسطين

(الفندقية) لم يبق في ساحة الصراع الحقيقي والعملي مع العدو الصهيوني سوى الحركات الإسلامية، وعلى رأسها حركتا حماس والجهاد الإسلامي الفلسطينيتان، وهذا يعرفه الجميع.هذا في الوقت الذي تحولت فيه منظمات التحرير الفندقية إلى (جنين) نظام علماني يرتبط صراحة مع دولة العدو ومع أمريكا بتعهدات واتفاقات سياسية وأمنية واستخباراتية للتعاون في مواجهة (الإرهاب) الذي هو حركات مقاومة العدو الصهيوني، ووفقاً لهذه التعهدات والاتفاقيات تقوم أجهزة الأمن (الفلسطينية) بحملات اعتقال ودهم لعناصر هذه الحركات، كما يتم تبادل المعلومات مع أجهزة الأمن (الإسرائيلية) حول هذه الحركات، ويتم تأميم مساجدها ومؤسساتها وطرق اتصالها بالجماهير، بل يتبجح مسؤولو السلطة بهذا التعاون، باعتباره وفاءً بالتزامات لاتفاقيات دولية !، وهكذا كان "التعاون اللصيق بين أجهزة الاستخبارات والأمن في إسرائيل،السلطة الفلسطينية، والأردن، ووكالة الاستخبارات الأمريكية، هو الذي أجهض جزءاً كبيراً من عمل حماس العسكري، وكذلك الجهاد الإسلامي ؛ فقواعد المعلومات الأمنية بين هذه الأطراف أصبحت مشتركة (!) وواحدة، ولم يعد أحدها يبخل على الآخر بما لديه، وتبادل المعلومات والمراقبة اللصيقة يتمان بتنسيق وتناغم"(5). – ولم يقتصر الأمر على جهود النظم العلمانية لمحاصرة المقاومة العسكرية للعدو الصهيوني والوقوف حائلاً دونها، بل تعدتها إلى العمل على محاصرة المقاومة الشعبية غير العسكرية وإجهاضها، ففور اندلاع انتفاضة الأقصى الأخيرة تسارعت جهود النظم العلمانية لعقد المؤتمرات باشتراك إسرائيل وأمريكا من أجل احتواء (العنف) وإيقافه والعودة إلى مسار المفاوضات، وتعالت صيحات بعض المثقفين والسياسيين العلمانيين (الحكماء) من فوق مقاعدهم الوثيرة بأن تحرير فلسطين لن يتم بإلقاء الحجارة ونزف الدم الفلسطيني.وعندما تعاطفت جماهير العالم الإسلامي مع إخوانهم في فلسطين خرج من يلقي عليهم المواعظ السياسية التي تدعوهم إلى الواقعية الحكيمة؛ لأن مظاهر هذا التعاطف لا تفيد شيئاً في تحرير فلسطين، بل إن الدعوات إلى مقاطعة البضائع والشركات الأمريكية والإسرائيلية التي نشطت مؤخراً ولقيت تجاوباً شعبياً واسعاً.. لم تسلم من انتقادات حكومات ورموز علمانية، فتعالت مرة أخرى صيحات الحكماء العلمانيين بعدم جدوى هذه المقاطعة

وعدم القدرة عليها، ولا شك أن هذه المواقف متوقعه ممن ربطوا بلادهم سياسياً واقتصادياً بالغرب، بحيث أصبح قطع حبل العلاقات بالغرب قطعاً لشريان حياتهم هم. رابعاً: التمزق والتشرذم في مواجهة عدو متكتل: لم يقتصر التأثير السياسي للعلمانية في قضية فلسطين على إخراج الإسلام من دائرة الصراع وما تبع ذلك من افتقار إلى البعد الرسالي في الصراع، وإلغاء العداوة (من أجل المبدأ)، والافتقار إلى إرادة القتال، وهدر الطاقات الإسلامية والشعبية في هذا الصراع.. ولكن هذا التأثير حقق أيضاً هدفاً آخر من المخطط الصهيوني، وهو تفتيت التكتل الإسلامي، وإدخال الأمة في دائرة تمزقات متشعبة، وإدخال الأفراد في متاهة اغتراب قيمي عندما ضاعت بوصلة هويته على يد العلمانية. فاختلاف مذاهب العلمانية وتطبيقاتها، وتباين كل قطر في توجهاته ومصالحه (التي لم تعد موحدة).. مزق جهود هذه الأقطار في مجالات عديدة فكرية وجغرافية وسياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية، فبين الليبرالية ودرجاتها، والاشتراكية ونظرياتها، والقومية وتطبيقاتها، وبين الارتباط بالغرب أو بالشرق أو محاولة التوسط والتوفيق بينهما ضاعت جهود الأمة، أو تحولت إلى تصريحات جوفاء ومشاهد مسرحية دعائية يقوم بها الزعماء العلمانيون؛ لإلهاء الشعوب وحفظ ماء الوجه أمامها. فالعلمانية عندما اعتمدت القومية العربية إطاراً للصراع تكون قضية فلسطين قد خسرت تلقائياً إمكانات وجهود الأقطار الإسلامية غير العربية من المشاركة في هذا الصراع، وليس أدل على ذلك من اعتراف إيران وتركيا مبكراً كما ذكرنا سابقاً بالدولة الصهيونية ومد يد التعاون معها. زد على ذلك: أن العلمانية لم تكتف بتحييد الشعوب الإسلامية غير العربية في الصراع، بل عملت أيضاً على تحييد الشعوب العربية نفسها، عندما كرست التوجه القائل بأن قضية فلسطين قضية فلسطينية تخص شعب فلسطين وحده، ولا يبقى للشعوب العربية الأخرى إلا أن (تتعاطف) مع هذا الشعب في محنته ومأساته.وقد كان إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية وانحرافها العلماني إحدى الخطوات في (فلسطنة) الصراع، وجدير بالذكر في هذا المجال (التمزق والفلسطنة) أن (زعيم القومية العربية) جمال عبد الناصر، وقبيل بدء مغامراته الاستنزافية والتمزيقية في

اليمن، كان قد أعلن في فبراير عام 1958م قيام دولة وحدة عربية بين مصر وسورية، ف
"استبشر بها الفلسطينيون خيراً، وبنوا الآمال الكبار عليها متوقعين من دولة الوحدة اتخاذ خطوات إيجابية لعودة الفلسطينيين إلى بلادهم وتحرير أرضهم المحتلة، إلا أنخيبة أملهم كانت كبيرة عندما رفض عبد الناصر طلباً تقدم به الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا بقبول فلسطين في الاتحاد السوري المصري. ويبدو أن عبد الناصر كان متخوفاً من أن يؤدي قبوله بهذه الوحدة إلى تحمله مسؤولية تحرير فلسطين وممارسة الضغوط عليه لإعطاء المسألة الفلسطينية دوراً أكبر، بينما لم يكن عبد الناصر يعطي الأولوية للقضية الفلسطينية. ويقول باتريك سل: إن دولة الوحدة لم يكن القضاء على إسرائيل هدفاً من أهدافها"(1). وذلك يؤكد أن القومية العربية العلمانية في ممارستها العملية كانت أداة لتمزيق القوى المواجهة للعدو الصهيوني، ولم تكن أداة للتوحد العربي كما يزعمون أو يُنَظِّرون. وإذا أخذنا لدراسة هذا الأثر العلماني مجالاً يتأثر بغيره من المجالات ويؤثر في غيره أيضاً، وهو المجال العسكري، نموذجاً لهذا التمزق، نجد أن من أهم أسباب الهزيمة في فلسطين باعتراف جميع الأطراف هو ذلك التمزق الذي اعتراه.فإضافة إلى أخطاء النظم العلمانية العسكرية الأخرى، كالتهوين من قوة العدو والاستخفاف بها، والأسلحة الفاسدة، وضعف التدريب والتسليح، والافتقار إلى التخطيط الجيد... كان لتشرذم القوات العربية تحت قيادات مختلفة متخالفة أثر كبير في الهزيمة العسكرية، ففي حرب 1948م يعرض ديفيد بن جوريون وجهة نظره في أسباب هزيمة العرب التي ساهمت في انتصار اليهود عسكرياً عليهم بأنها: "1- خطتهم الاستراتيجية كانت سيئة، ولا سيما خطة المصريين. 2- لم تكن لديهم قيادة موحدة {أثر العامل السياسي}.3 – تسليحهم لم يكن كافياً لم يكن هناك قوة جوية، ومصر كانت ضعيفة في البحر. 4- الطاقة البشرية المجندة لم تكن كافية أيضاً. استطعنا تعبئة قوة أكبر من قوتهم .5 – معنوياتهم منخفضة {لافتقاد الهدف وضياع الهوية والتخبط العسكري}.6 – قدرة تعلم منخفضة. 7 – لم تكن عندهم صناعة عسكرية {أثر العامل الاقتصادي والعلمي}(1).وهذا ما يقر به علمانيو العرب أنفسهم، ولكن بالطبع

بعد انتهاء المعارك.بل وصل هذا التشرذم والتمزق إلى حد بعيد قد لا يتصوره أي (متعاطف) مع القضية الفلسطينية: فيذكر بن جوريون في يومية 16-1-1949م أن موشيه دايان عاد بعد حديث مع أحد القادة العرب ليخبره أن "العجوز يشكو من الإنجليز الذين هو عبدهم (!)، يطلب عدم ترك المصريين، لا سمح الله !، في غزة، من المفضل أن نسلمها إلى الشيطان، أن نأخذها نحن، شرط ألا يأخذها المصريون (!)"(2)، أما النظرة الاستراتيجية عند هذا (العجوز) فيوضحها هو نفسه لليهود قائلاً: "إذا غادرت الدول العربية البلد فإننا سنقيم معاً"، وفي صراحة لا لبس فيها يوضح أنه "لا يريد محادثات مشتركة مع الدول العربية، وهذه عليها المغادرة"، بل إنه لا يعترف بحق أي دولة في أن تكون موجودة في البلد {فلسطين} باستثناء اثنتين: إسرائيل ودولته"(3). ولا شك أن هذا التمزق والتشرذم العسكري والسياسي كان عاملاً مهماً في الهزيمة العسكرية وما صاحبها ولحقها من تراجع سياسي، تمثل في اكتساب الصهاينة أرضاً جديدة وقبول العرب الهدنة التي مكنت العدو من إعادة تنظيم صفوفه وتعويض وتجديد تسليحه، والتفرغ لبناء دولته في ظل اعتراف عربي ضمني بحدودها، بينما تحطمت القوة العربية وتدنت الروح المعنوية في صفوف جنودها، أما عرب فلسطين: فكان لهم الشتات!.كان هذا أيام النكبة العلمانية، ولا يختلف الأمر كثيراً في نكستهم الثورية التقدمية الوحدوية... سنة 1967م: فقد وقعت هذه النكسة (هكذا يطلق إعلامهم على هذه الهزيمة وكأنهم كانوا منتصرين قبلها) وقعت د استنزاف طويل وصراع بين عدة أطراف عربية، ورطها فيها زعيم القومية العربية آنذاك جمال عبد الناصر، كان منها: حرب اليمن والوحدة الفاشلة بين مصر وسورية.ويؤكد مراسل حربي لجريدة الأوبزرفر على حقيقة تسبب التفرق والتشرذم في هذه الهزيمة، فيقول: "إن الإسرائيليين اعتمدوا في ذلك على أن القوات العربية ليست تحت قيادة موحدة، وإن الأحداث أكدت صحة هذا الاعتقاد".وقال: "... وعلى الجبهة الشمالية سورية، تحققت نبوءة المخططين الإسرائيليين، وكانت عمليات القوات السورية محدودة جداً، فلم يقم السوريون بأية عمليات جدية لمساعدة المصريين في الخروج من المأزق الذي وقعوا فيه، وانحصرت مساعيهم في هجومات محلية على مستعمرتي حدود إسرائيليتين"(4). وتعجب بعد ذلك لجريدة (الثورة) تخرج بعد اكتمال

الهزيمة لتلقننا درساً وحدوياً قائلة "... كان يمكن أن تكون نتائج المعركة أعظم بكثير لو توافر تنسيق أوسع للاستراتيجية العربية ورافق ذلك توزيع أدق للقوات"(5). ولا شك أن العلمانية بتمزيقها للأمة وإدخالها في صراعات تستهلك قدراتها وتلهي شعوبها قد أسدت إلى الدولة الصهيونية خدمة كبرى وحققت لها هدفاً بعيداً، "وأي شيء هو أسعد لإسرائيل من أن تلقى دولاً مفككة، ممزقة، هزيلة، يمعن بعضه في تحطيم وتجريح البعض الآخر، ويضمر له من
العداوة والضراوة والكره عشرة أمثال ما يضمر لإسرائيل؟ !"(1). وقد كان هذا الهدف لدولة العدو يخطط له من قديم بأسلوب ثانٍ تحقق في الواقع أيضاً، هو: إقامة دويلات طائفية حول الدولة الصهيونية، ولا يمنع إذا استدعى الأمر محاولة تقسيم بعض الدول الكبرى على هذا الأساس(2) ؛ لتكوّن هذه الدويلات حزاماً أمنياً يمثل خط دفاع متقدم عن اليهود، وهو أحد عناصر ما يعرف بتأمين المجال الحيوي(3)، وهنا يبرز المثال الواضح لذلك التخطيط، وهو دويلة الرائد سعد حداد التي انفصل بها في جنوب لبنان عام 1979م، ثم غزو لبنان الكامل ومحاولة فرض اتفاقية (سلام) مع قادة القوات اللبنانية الكتائبية المارون عام 1982م. ولكن ما لا يعرفه كثيرون أن هذا المخطط مخطط قديم، دأب قادة العدو على تحين الفرصة المناسبة لتنفيذه، فيذكر بن جوريون في يومياته (1948-12-20-19م) اقتراحات بعض القادة بهذا الخصوص في إحدى جلسات الحكومة، من ذلك اقتراح مردخاي بنطوف: "يجب تحطيم الحلقة الأضعف، كان هذا في لبنان الماضي، كان يمكن الذهاب إلى بيروت وتأليف حكومة مارونية (بقيادة المسيحيين الموارنة) وإبرام سلام معها"، و "يقترح جوش {بلمون }، بموافقة يغئيل {يادين} جيشاً عربياً غير نظامي (غير إسلامي) كي يشكل حزاماً"(4).وهي الفكرة التي نوقشت مرة أخرى سنة 1954م وقت أن كان موشي شاريت رئيساً للوزراء، وقد وافق شاريت على مبدئها وإن اختلف مع بن جوريون في ظروف وتوقيت تنفيذها، ويذكر شاريت أن الفكرة نفسها نوقشت أيضاً في 16-5-1955م أثناء اجتماع مشترك لكبار موظفي وزارتي الدفاع والخارجية، فبعد أن أثارها بن جوريون عبّر دايان فوراً عن مساندته بحماس: "حسب رأيه (دايان) الشيء الوحيد الضروري هو العثور على ضابط، ولو برتبة رائد (!) فقط، وعلينا إما

أن نكسب قلبه أو نشتريه بالمال، ليوافق على إعلان نفسه مخلِّصاً للسكان الموارنة، وعندئذ يدخل الجيش الإسرائيلي إلى لبنان، ويحتل المنطقة الضرورية، ويخلق نظام حكم مسيحي يكون

==============

#لإستشارة : ...مصطلحات لا أعرفها

تاريخ الاستشارة : ...

الموضوع : ...استشارات ثقافية وفكرية

السائل : ...ابراهيم الشريجة

السؤال

السلام عليكم ارجو اجابتى عن بعض الاسئلة التى اسمع بها لكنى لا أعرفهاوالتى منها

1- ما معنى العولمة؟

2- مامعنى العلمانية ؟ وكيف تكون مواجهتا؟

مع ارفاقهما بامثلة0

3-ما هى مصادر الثقافة الاسلامية؟وكيف يكون التناغم فى المجتمع ؟

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل / إبراهيم الشريجه حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،،،

بدايةً أسأل الله جل وعلا أن يثبتنا وإياك على الحق ، وأن يهدينا جميعاً صراطه المستقيم ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا ، آمين.

أخي الفاضل إبراهيم: إليك نبذة مختصرة عن المصطلحات الواردة في رسالتك :

1- معنى العولمة: العولمة عرفها العلماء بعدة تعريفات ، منها:

1- هي نمط سياسي اقتصادي ثقافي لنموذج غربي متطور ، خرجت تجربته عن حدوده لعولمة الآخر ، بهدف تحقيق أهداف وغايات فرضها التطور المعاصر.

2- وقيل هي : ظاهرة قادمة من الغرب ، من مجتمعات متقدمة حضارياً ، متجهة إلى مجتمعات نامية ومتخلفة ، والتعامل معها بنجاح يتطلب بناء الذات والارتقاء بها في المجالات المختلفة ، حتى يكون التعامل مع تلك الظاهرة إيجابياً، وتتمثل العولمة في مجموعة من التوجهات ذات البعد المستقبلي ، وتدور حول قضايا ، مثل: الديمقراطية، واقتصاد السوق الحر .. إلخ .

ويرى منظروها ومؤيدوها أنها إيجابية العموم ، إلا أن آخرين يرون فيها مخاطر أساسية عديدة ، حيث تثير المسألة عدداً من الأسئلة الصعبة التي تنتظر الإجابة ، مثل: هل ستؤدي العولمة إلى تحطيم الحدود بين الأقطار ، وإذابة الهوية ؟ وهل سيسود الغرب المتقدم بنمطه الاقتصادي والرأسمالي ، ويعولم الاقتصاد والثقافة، والوضع السياسي في العالم لحسابه ، لعدم قدره الدول النامية على مواكبة تطور العالم الأول ، والتعامل معه ندياً على كل المستويات ؟ وهل بإمكان العرب تطور أوضاعهم في المستقبل المنظور لمواجهة هذه التحديات الخطيرة ، للتعايش السلمي والإيجابي مع ظاهرة العولمة؟

إذن العولمة هي نظام يفرض النظام الغربي بكل أساليب حياته على الأنظمة الهشة والضعيفة، ويخضعها له ، إلا إذا قاومت الأنظمة وغيرت من وضعها وسياستها ، حتى تحافظ على نفسها وهويتها وعقيدتها وذاتها، وإلا ذابت في أقوى هذا المارد العملاق الذي لا يبقي ولا يذر .

ثانياً : معنى العلمانية: تعني هذه الكلمة : اللادينية ، أو الدنيوية ، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين ، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، ولقد نشأت في أوربا ، وعمت أقطار العالم بتأثير الاحتلال والتنصير والشيوعية.

ومن أفكارها ومعتقداتها ما يلي :

1- بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً .

2- وبعضهم يؤمنون بوجود الله ، لكنهم يعتقدون بعدم وجود أي علاقة بين الله وبين حياة الإنسان .

3- فصل الدين عن السياسة، وإقامة الحياة على أساس مادي .

4- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية .

وأما عن معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي فهي:

1- الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .

2- الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذٌ من القانون الروماني .

3- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ، ويدعو إلى التخلق .

4- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي .

5- تشويه الحضارة الإسلامية.

6- إحياء الحضارات القديمة.

إلى غير ذلك من الأفكار والمعتقدات التي تتعارض مع الدين وتحاول القضاء عليه، والتي تكون مواجهتها ألا يفهم الإسلام صحيحاً، وتحويله إلى واقع عملي يعيشه الناس ، حتى يتمكنوا من التفريق بين الحق والباطل ، والهدى والضلال.

ثالثاً: مصادر الثقافة الإسلامية:

أساساً مصدر العلوم والأفكار والمعتقدات الإسلامية هما: القرآن والسنة، فهما المصادر المعصومة أساساً لدى المسلمين، ثم يعقبها الإجماع وهو: اتفاق أهل الحل والعقد من علماء الإسلام، على حكم مسألة ما، وكذلك القياس وهو: عبارة عن قياس حكم جديد على حكم قديم منصوص عليه ؛ لاتفاقهما في العلة .

ولقد أثمرت هذه الأصول كل ثقافة الإسلام في شتى نواحي الحياة ، حتى أصبح واقعاً ملموساً أقام أمة رائدة ناهضة ، استمرت حضاراتها قائدة للدنيا مئات السنين ، حتى بدأ ضعف التمسك بهذه المصادر ، فأدى ذلك إلى الانهيار الحضاري، ومن ثم الإزاحة عن قيادة الدنيا ، والدخول في كهوف الجهل ، والتخلف إلى يومنا هذا ، ولم ولن يتسنى لنا العودة إلى الصدارة، والقيادة مرة أخرى ، إلا بالعودة إلى تلك المصادر الربانية الأصيلة ، فهل نحن فاعلون ؟ نتمنى هذا ، وبالله التوفيق .

المجيب : ...الشيخ / موافي عزب

=============

 # : ...ماذا أفعل مع أخي العلماني

تاريخ الاستشارة : ...

الموضوع : ...استشارات ثقافية وفكرية

السائل : ...محب الإسلام

السؤال

السلام عليكم ورحمة الله! سؤالي هو:

إن لدي جهاز حاسوب، من خلاله يتمكن أخي من الدخول لتصفح مواقع كفر علمانية متهجمة على الإسلام بشكل رهيب على الإنترنت! مع العلم بأن أخي علماني متطرف جدا!

السؤال هو: ماذا أفعل؟ هل هناك طريقة أستطيع بها منع أخي العلماني من تصفح هذه المواقع، بحيث لا يسبب ذلك خلافا بيني وبينه إذا أمكن!؟ وقد حاولت أن أهدي أخي للإسلام مرة أخرى، لكنه موغل في العلمانية بشكل مخيف!

ونرجو منكم الإجابة!

والسلام عليكم!

وجزاكم الله خيرا!

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل/ محب الإسلام حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،،،

فمن المعلوم أن الله جل وعلا قد يبتلي عباده المؤمنين الصالحين ببعض ذوي القربى ممن هم يحادّون الله ورسوله، ويعادون دينه وشرعه، فها هو نوح عليه الصلاة والسلام قد ابتلاه الله بابنٍ كافر عنيد، وبزوجةٍ مشركة عاصية، وبعده إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قد ابتلاه بأبيه الذي كان من أعظم الناس كفراً وإشراكاً، قال الله تعالى: {ونادى نوحٌ ابنه وكان في معزلٍ يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين} [هود:42]، وقول إبراهيم عليه السلام لأبيه: {يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً} [مريم:42]، بل إن الله جل وعلا قد ابتلى خير أنبيائه صلوات

الله وسلامه عليه بعمِّه أبي لهب، وقد كان عدواً فاجراً شديد الخصومة والفجور، وهذا أمرٌ يطول وصفه.

والمقصود أن الله جل وعلا من حكمته أن يبتلي المؤمن بالكافر، قال تعالى: {ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض}[محمد:4]، وقال تعالى: {وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً}[الفرقان:20] ولا ريب أنك قد ابتليت بهذا الأخ العنيد المكذب، فإن حقيقة العلمانية هي على الصواب (اللادينية) كما هو مبين في غير هذا الموضع، فلا بد إذن أن تكون على بينةٍ من دينك في كيفية معاملته، وأيضاً فلا بد من أن تكون على قدر المسؤولية التي هي على عاتقك، فأنت الآن في وجه رجل قد وصفته أنتَ بأنه (علماني متطرف جداً) فيجب إذن أن تكون مسلماً متمسكاً بدينه حقّاً (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) [الأنبياء:18].

ومما يعينك كثيراً في هذا الباب أن تكون دائماً مستحضراً لحقيقة البلاء الذي أنتَ فيه، ولا ريب أن في كتاب الله ما يُشفي العليل، ويروي الغليل من ذلك، فأنتَ في فتنةٍ واختبار، أتصبر على دينك وتدافع عنه، أم تكون من المهزومين المخذولين المتذبذبين ؟! {وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً}.

وأما عن كيفية منعه من استخدام الحاسوب، فلا بد من أن توضح له بكل وضوح أنك لا تسمح له باستخدامه، وهو على هذه الحالة الرديئة، فيكف وهو يستخدمه في المواقع الكفرية المعادية للإسلام!! فالواجب منعه بكل ما تستطيع، ولو أدَّى ذلك إلى نفرته تماماً منك، فإن هذا من باب ردع أهل الطغيان، وهو من جنس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب عليك.

وأما عن دعوته للإسلام، فلا ريب أن هذا من أعظم الأعمال التي تُقربك إلى الله، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ثم ادعهم إلى الإسلام، فلئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم)، وقد قال الله تعالى: {ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين} [فصلت:33].

ومما يفيدك جدًا في هذا المقام، أن تعلم أن الناس في دعوتهم إلى الله على ثلاث مراتب:

الأولى: الحكمة، وتكون مع المستجيبين الذين لا يعاندون بحيث يتبعون الحق إذا تبين لهم.

الثانية: الموعظة، وتكون مع من فيه تباطؤ عن اتباع الحق، بحيث أنه قد يستجيب ولكن بعد تأخر.

الثالثة: الجدال، ويكون مع المعاند الذي يُجادل ويناظر، وهي مجموعة في قوله جل ثناؤه: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين } [النحل:125].

وأيضاً فإن الجدال بالتي هي أحسن مشروطٌ بأن يكون المجادل غير ظالم، فإن ظَلَم وتعدَّى لم نكن مأمورين بجداله بالتي هي أحسن، بل يجوز الإغلاظ عليه، بحسب ما تقتضيه المصلحة، قال تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم} [العنكبوت:46]. وهذا يحتاج لشيءٍ من التوسع ليس هذا محله، والله تعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المجيب : ...أ/ أحمد مجيد الهنداوي

=============

#كيف نكون دعاة مصلحين في بلادنا أمام الغزو الفكري والعقائدي الفاسد

تاريخ الاستشارة : ...2005-11-17 11:07:55

الموضوع : ...استشارات الأسرة والمجتمع

السائل : ...الكيدالي الأنصاري

السؤال

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نحن نشكر الشبكة الإسلامية باعتبارها أول شبكة استعملناها عبر الأنترنت، ونسألكم عن ما يلي:

1_ لماذا غابت جمعيات خيرية إسلامية عنا وبادرتنا جمعيات تبشيرية نصرانية خيرية بما تملك؟

تنبيه:

التعريف بالموقع الجغرافي:

نحن نعيش بشمال جمهورية مالي الإقليم الثامن {كيدال} ادرار، كلنا مسلمون بحمد الله ويطلق علينا اسم {الطوارق} ونطلق على أنفسنا {كالتماشق} ويرجع أصلنا إلى أصلين عرب وبربر وننقسم من حيث الثقافة إلى ثلاثة أقسام:

1_مثقفون بثقافة عربية إسلامية وهم قلة الآن بسبب غياب الدعم المعنوي والمادي من قبل الدولة أو جمعيات خيرية.

2_مثقفون بثقافة فرنسية علمانية وهم كثرة بسبب حضور دعم معنوي ومادي من قبل الدولة والجمعيات التبشيرية النصرانية حتى تحولت أفكارهم إلى أفكارهم واعتنق بعض منهم عقيدتهم وللأسف.

3_اللاثقافية بسبب عدم وجود مراكز تعليمية وثقافية.

وننقسم من حيث الفرق الإسلامية إلى ثلاثة:

1_التصوف:

وهم الأكثرون لهم بعض البدع كالتوسل بالصالحين ودعائهم لهم أثناء الشدائد وخوفهم منهم وغير ذلك من المحدثات التي لا أصل لها.

2_جماعة التبليغ:

وتاريخ دخولها المنطقة من 7 سنوات تقريبا ووجدت فراغا في المنطقة واستغلّته وبدأت بزعماء القبائل والعلماء أكثرهم قبلوها والآخرون رفضوها ومن سلبياتهم أنّهم يقلّلون شأن من لم يخرج معهم ثلاثة أيام.

3_أتباع منهج أهل السنة والجماعة من خلال الكتب والمجلدات ووسائل الإعلان وهم قلة بسبب انتشار التصوف والمقلدين تقليد الأعمى، أشيروا علينا ماذا نفعل جزاكم الله خيرا؟

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل/ الكيدالي حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،،،

فنسأل الله أن يقدّر لك الخير، ويسدّد خطاك، ويلهمنا جميعاً رشدنا، ويُعيذنا من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا.

فُشكراً لكم على هذا التواصل مع موقعكم الشبكة الإسلامية، وثقوا بأننا سوف نكون -بحول الله وقوته- عند حسن ظنكم، فمرحباً بكم مع إخوةٍ يشاركونكم هموم الدعوة وقضايا الدعاة إلى الله.

ولا يخفى على أمثالكم الظروف التي قعدت بالمنظمات الخيرية، ولكن للدين ربٌ يحميه، وقد نصر الله هذا الدين حين كان هناك رجلين فقط (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) ونصره حين قال قوم موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (إنا لمُدركون) فرد عليهم بقوله: (كلا إن معي ربي سيهدين).

وأرجو أن تكونوا من الغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس، واعلموا أن لحظة الفجر تأتي بعد أشد ساعات الليل ظلاماً، وأن نصر الله وتأييده يأتي بعد أصعب اللحظات وأحرجها (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) عندها يأتي الفرج (ألا إن نصر الله قريب) وحينها لا ينسب الفضل لأحد سوى الله الواحد القهار المتفضل بالنصر والفلاح.

وأذكركم يا إخواني بأن الداعية مصباح والمصباح لا يقول ما بال الدنيا مظلمة، ولكن حسب المصباح أن يقول هاأنذا مضيء، فالعمل العمل، ولأن يُضيء الإنسان شمعة خيرٌ من أن يلعن الظلام؛ لأن لعن الظلام والتحسر على الحطام سلبية، والمسلم إيجابي يبدأ بإصلاح نفسه ثم ينطلق في دعوة الآخرين؛ لأنه يعلم أن النجاة لمن كان صالحاً مُصلحاً، طاهراً في نفسه ساعياً في طهارة غيره، والمؤمن يفعل ذلك إعذاراً إلى الله ورغبةً في هداية الناس (معذرةً إلى ربكم ولعلهم يتقون).

وليست العبرة بالكثرة، وأرجو أن يُبارك الله في القليل، واحرصوا على تحريك الهمة في النفوس، والاجتهاد في معرفة المداخل المناسبة لمخاطبة كل فئة من الفئات، والداعية مثل الطبيب الحاذق الذي يعرف الداء ثم يصف الدواء، والطبيب الناجح لا يعيّر مرضاه بما فيهم، ولكنه يلاطفهم ويبدأ بعلاج الأمراض الخطيرة، وكذلك يكون الداعية في لطفه وحكمته وتدرجه في الإصلاح، مع ملاحظة الفروقات بين فئات المدعووين، ولا يخفى على أمثالهم أهمية إصلاح العقائد وترسيخ معاني الإيمان في

النفوس، مع ضرورة أن يصبر الدعاة إلى الله، وأن يُخلصوا في دعوتهم، فإن الله يُبارك في كلام المخلصين وأعمالهم ويعطف قلوب الناس إليهم.

والداعية الناجح يعرف أحوال المدعو، ويُتقن فقه الدعوة وفنونها، ويعرف ما يدعو إليه، ويجتهد في أن يبدأ بنفسه.

وإذا أعطينا دعوتنا أوقاتنا، وسخرنا لها إمكاناتنا، وبذلنا في سبيلها أموالنا فسوف تكوهن الثمار بإذن الله عظيمة .

وهذا نبي الله نوح استنفذ كل الوسائل وقدّم دعوته في سائر الأحوال، فدعاهم ليلاً ونهار، سراً وجهاراً، وأعلن لهم، حتى قال القرطبي: كان يذهب لهم في بيوتهم ليلاً، وذلك عند تفسير قوله تعالى: {أسررت لهم إسراراً}.

ولا شك أن الهداية بيد الله، ولكن واجب الدعاة أداء ما عليهم، والاجتهاد في نشر الحق ونصره، ولأن يهدى الله بكم رجلاً واحداً خير لكم من حمر النعم.

والله ولي الهداية والتوفيق,,,

المجيب : ...د. أحمد الفرجابي

==========

لماذا أصبح العرب يقلدون الغرب تقليداً أعمى؟

تاريخ الاستشارة : ...2006-05-21 11:23:26

الموضوع : ...استشارات ثقافية وفكرية

السائل : ...faysal

السؤال

بسم الله الرحمن الرحيم.

لماذا أصبح شباب العالم الإسلامي لا يهتم بدينه؟ ولماذا أصبح العرب يقلّدون الغرب تقليداً أعمى؟

والسلام عليكم ورحمة الله بركاته

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل/ faysal حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،،،

فبداية، فإن هذا السؤال، سؤال قيم، وسؤال جدير بالطرح، وأول دلالة لهذا السؤال، هو أنك بحمد الله شاب مؤمن تهتم بدينك، وتحرص على نفع أمتك، فالحمد لله، الذي وفقك لهذا الخير، وأنعم عليك بهذا الهدى.

وأما عن إجابة سؤالك، فإن الجواب لا بد أن يكون موجوداً في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه، فإن هذا الدين الكريم، فيه كل جواب لكل هذه الأسئلة، وفيه الهدى لكل ضال، وفيه الرشاد، لكل غاو منحرف، كما قال تعالى: { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً} وقد استفاض النبي صلى الله عليه وسلم في بيان كل نافع لأمته، وبيان كل شر لها، حتى روى عن أبي ذر – رضي الله عنه، أنه قال: تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما طائر يقلب جناحيه في الهواء، إلا وهو يذكر لنا منه علماً، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بقي شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار إلا وقد بين لكم) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير.

والمقصود أن جواب هذا السؤال موجود نصاً في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فقد بين صلوات الله وسلامهم عليه بياناً واضحاً لا غموض فيه ولا اشتباه، مع بيان أن المسلمين على كثرتهم، سوف يكونون ضعافاً لا يلتفت إليهم ويؤبه بهم، بل هم مستضعفون، ثم بين أن السبب في كل ذلك هو وجود الوهن (الضعف) في الدين، ثم فسر هذا الوهن بأنه (حب الدنيا والركون إليها)، وهذا هو المعنى الذي أخرجه الإمام أحمد في المسند وأبو داود في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يوشك الأمم أن تداعى، عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء، كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهانة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن)، فقال قائل يا رسول الله: وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت).

والمقصود أنه لما ضعف كثير من المسلمين في دينهم، وقدموا حب الدنيا على حب الآخرة وثوابها، تسلط الكافرون على المسلمين تسلطاً، زادوهم به ضعفاً إلى ضعفهم، حتى تشوهت معالم الدين في نفوس المسلمين، وانتشرت فيهم المذاهب المصادمة

والمعاندة لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، كالشيوعية والعلمانية (اللادينية) ، فأدى ذلك إلى بعد كثير من المسلمين عن أصل دينهم، حتى صاروا لا يعرفون من حقائقه شيئاً يذكر، مضموماً إلى ذلك شيوع الفساد، والمجاهرة بالحرام، حتى صار المسلم غريباً في دينه وفي التزامه، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء) أخرجه مسلم في صحيحه.

والمقصود أن هذه الأسباب مجتمعة هي السبب في بعد كثير من المسلمين عن دينهم، ومتى حصل هذا البعد بهذه الأسباب، كان هنالك الإعجاب بما عليه هؤلاء دون تمييز، لما يصح أن يستفاد منه من جهتهم، وما لا يصح أخذه منهم، والسبب في ذلك أن المغلوب يميل لتقليد الغالب، فصار كثير من المسلمين يعظمون حال هؤلاء، ويتشبهون بهم، ويقلدونهم تقليداً أعمى في كل شيء، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لتتبعن سنن (طرق) من قبلكم شبراً بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)، قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟! قال:(فمن؟) متفق على صحته من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وإيضاح هذا المقام، أن كثيراً من المسلمين، عندما قهروا من جهة الأمم الكافرة، واستولت هذه عليهم، توهم كثير من المسلمين أنهم إنما قهروهم وغلبوهم، نتيجة أن هؤلاء هم أصحاب الكمال، وأصحاب العقل والفضل، فصاروا بهذا مقلدين لهم في شكل شيء عندهم، دون بصيرة أو فهم، بل الحال إنما هو كحال الطفل الذي يقلد أباه؛ لظنه كماله وتمام صفاته، فهذا كهذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد عقد ابن خلدون –رحمة الله – فصلاً نافعاً في هذا الباب، قال فيه نحواً من هذا الكلام، فراجعه في الجزء الأول ص 73 من مقدمته.

غير أننا نود لفت نظرك، إلى أن هذا الحال، لا يشمل جميع شباب المسلمين ولا يعمهم، بل أن في المسلمين من هم بحمد الله متمسكون بدينهم على بصيرة ووعي ونور من الله تعالى، فالخير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يعدم حتى قيام الساعة، ونسأل الله تعالى لكم التوفيق والهدى والسداد.

وبالله التوفيق والسداد.

المجيب : ...أ/ أحمد مجيد الهنداوي

==============

#ما هي الليبرالية والرائلية

تاريخ الاستشارة : ...2006-07-11 08:21:10

الموضوع : ...استشارات ثقافية وفكرية

السائل : ...عبدالرحمن حسين سندي

السؤال

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عندي سؤالان: الأول إجابته طويلة بعض الشيء، والثاني سهل إن شاء الله.

السؤال الأول متعلق بالليبرالية:

اختلف شباب جيل اليوم في تفسير الليبرالية:

فمنهم اتخذها منهجاً له لإعجابه بالكلمة حين ترددت على مسامعه واتخذها البعض على أنها شيء (Cool) على قولهم، ومن (الفلة) والحركات الشبابية، ومنهم من اتخذها بالتعصب الأعمى.

لي صديقة على الإنترنت تقول (أنا تفكيري ليبرالي إلى أبعد الحدود) وفخورة - ما شاء الله عليها-، وتعريفي لليبرالية هو التحرر الفكري.

أتمنى أن توافيني بتعريف الليبرالية؟ وأين نشأت؟ ومن مؤسسها؟ وما أمثلتها؟

وما الأدلة التي أستخدمها في إقناع أصدقائي عن التراجع عنها؟ وما الاستراتيجية التي أستخدمها في التعامل مع كل ليبرالي؟ هل أعاملهم بلطف؟ أم بماذا؟

وما هو وجه الشبه بينها وبين العلمانية؟ وهل كل ليبرالي علماني ككل علماني ليبرالي؟

وما هي الليبرالية الإسلامية؟ وهل لها وجود من الأساس؟

السؤال الثاني عن الرائلية:

ما هو تعريف الرائلية؟ ومن هو مؤسسها؟ وما حكمها؟

أتمنى أنكم تعطوني الزبدة والمفيد والمختصر، شاكراً لكم، ومتمنياً لكم الفردوس الأعلى، والله يوفقكم.

الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم

الابن الفاضل/ عبدالرحمن حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،،،

فنحن نتمنى أن يفتخر شبابنا بمصطلحاته ويعتز بدينه وإسلامه، فإن المنهزم هو الذى يقلد الأعداء ويتشبه بهم في لباسه وطريقة حياته، ويلوي لسانه برطانتهم، وديننا يرفض هذا الهوان، ويدعو الشباب إلى التمسك بالقرآن، وبالحرص على هويته الإسلامية ونشرها بين الأنام، فنحن أمة قائدة لا مقودة، وينبغي للدنيا أن تسير في ركابنا، وتقتبس من قيمنا وديننا، والمسلم يتميز بمصطلحاته وقيمه.

وأرجو أن يعرف الشباب أن لغتنا العربية هي أوسع اللغات وأكثرها مرونة وأشرفها، ولا عجب، فقد اختارها الله وعاء لكتابه وسنة نبيه، وعندما قال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا يعني انتظرنا فلا تستعجل بتلاوة القرآن حتى نحفظه، وكانت هذه الكلمة تصادف معنى قبيحاً عند اليهود، نزل القرآن بنهيهم عن المصطلح، فقال سبحانه: {يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم}.

ونحن لا نريد لك أن تجاري أمثال هؤلاء الشباب، واجتهد في تحريضهم على طاعة الرحمن وتلاوة القرآن، كما نتمنى أن تحصر صداقتك في الذكران وتجنب مصادقة النسوان، فإن هذا طريق للشيطان الذي يستدرج ضحاياه من بني الإنسان.

وأرجو أن تعلموا أن كثيراً ممن ينادون بحرية الفكر، هم في الحقيقة دعاة إلى حرية الكفر، فليس لمعظمهم فكر، ولكنهم يرددون في غباء ما يقوله أهل الكفر، فاحذرهم وفر منهم فرارك من النمر، ويؤسف الإنسان أن يقول إن هؤلاء لا يستخدمون حريتهم المزعومة إلا في حرب الإسلام وأهله، ولا يستطيع واحد منهم أن يقول كلمة عن دين اليهود أو دين النصارى، مع ما فيها من تناقضات وضلالات، بل لا يستطيع أحدهم أن يتكلم عن محرقة اليهود أو غيرها من القضايا التي ليس لها أدلة ولا شهود، لأنه إن فعل ذلك سوف يفقد ألقابه وشهرته، هذا إذا بقي حياً في هذا الوجود، فهم يكيلون بمكيالين، ويكذبون في كل لحظة وقضية مرتين، وليتهم عرفوا أن حرية الإنسان

تنتهي عندما تبدأ حريات الآخرين، فلا بد أن تكون الحرية مضبوطة، حتى لا تكون أذى للناس، كما أن تحررهم المزعوم تحول إلى تحلل من كل فضيلة وخير.

أما العلمانية فإنها تعني اللادينية، أو إبعاد الدين عن الحياة وحصره في الاستخدام الشخصي، وهذا مذهب باطل مصادم لشريعة الإسلام التي تشمل الدين والدنيا والآخرة، وقد نشأ في بلاد الغرب ثم نقله رجال من بني جلدتنا ممن يتكلمون بألسنتنا ولكنهم يمرقون من الدين بولائهم للأعداء وبنقلهم لحياتهم وأخلاقهم، حتى وجد من قال بأخذ النجاسات في بطونهم، وقد أثبت هذا المذهب أيضاً عجزه وضيقه، حتى بقطعة قماش تضعها فتاة على رأسها طاعة لربها، وحرموا الطالبات المسلمات من حقوق شخصية، طالما زعموا أنهم حماتها وحراسها، وقد شبه بعضهم العلمانية بالبغال عن مكانة الحمار كثيراً، ولم يصلوا إلى رتبة الحصان، ويؤسفنا أن نقول إن عدداً من حملة الأقلام ينتمون لهذا المذهب، ومنهم من يزعم أن الإسلام هو المسؤول عن تأخرنا، و{كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً}.

وقد أرسلت البلاد الإسلامية أعداداً من الطلاب إلى بلاد الغرب، وبعد عودتهم أصبحوا عالة على دولهم بحملهم لهذه الأفكار، فلم يخرجوا من الدين وحدهم ولكنهم يصرون على إخراج غيرهم، وليتهم جاؤوا بالعلم المفيد، ولكنهم جاءوا بأظفار طويلة وأجساد ناعمة وكلمات محفوظة ممجوجة، ولم يتعلموا إلا السفه وسبل الخروج على القيم والدين، وبارك الله في بعض الشباب الذين حافظوا على دينهم، فكانوا دعاة إلى الله، ورجعوا أكثر علماً وثباتاً على الدين وحفاظاً على القيم والتراث.

أما بالنسبة لكلمة الرائيلية فلا علم لي بها، ولا أظنك تحتاج إليها، ونحن نتمنى أن نكتفي بما عندنا من الخير، ولا بأس من قبول الخير والحكمة مهما كان مصدرهما، ولكننا ما ينبغي أن نستورد التصورات، لأنها لا تصلح لأرضنا، بل ينبغي أن نتحف الدنيا بما عندنا من الكمالات، وأرجوا أن يشغلنا الله بالمفيد، وأن يثبتنا على الحق حتى الممات.

والله الموفق.

المجيب : ...د. أحمد الفرجابي

=============

إنكار تلبس الجني بالإنسي مكابرة

تاريخ الفتوى : ...03 صفر 1423 / 16-04-2002

السؤال

ما رأي فضيلتكم في ما يقال عن أن بعض الناس هداهم الله لا يعترفون بالجن ولا حتى بالمعالجة بالقرآن الكريم ، وبعض القنوات الفضائية أصبحت تركز على هذا الموضوع وتنكر أن الجن يقدرون على صرع الإنسان وركوبه ويدعون أن الجن فقط يوسوس للانسان لا غير أما صرع الإنسان فغير معقول وما ردكم عليهم (أخشى يا فضيلة الشيخ أن يكون هذا الإنكار له دوافع علمانية حتى يبعدو القرآن عن الحياة وشكرا

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فتلبس الجني بالإنسي ثابت بالكتاب والسنة ويؤيده الواقع المشاهد قديما وحديثاً وإنكاره رد للكتاب والسنة، ومكابرة للعقل والحس، وقد يكون دافع الرد التأويل الفاسد، وقد يكون العلمنة، وقد يكون غير ذلك، ولمزيد الفائدة تراجع الفتوى رقم:

3352 ورقم: 4738

والله أعلم.

المفتي: ...مركز الفتوى

=============

تقدم الغربيين وتأخر المسلمين...السبب والعلاج

تاريخ الفتوى : ...07 رمضان 1423 / 12-11-2002

السؤال

لماذا نرى الدول الغربية متقدمة بفصل الدين عن الدولة؟ ولماذا جل الدول المسلمة قابعة في مكانها لا يطالها التقدم؟

جزاكم الله خيراً.

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فإن الدول الغربية تقدمت في العلوم المادية تقدماً كبيراً، لأخذ أبنائها بأسباب تلك العلوم، وهم لم يأخذوا بأسباب تلك العلوم إلا بعد أن فصلوا دينهم عن حياتهم، وأقاموا حياتهم على أسس علمانية.

ولكن لماذا حدث هذا؟

حدث كل ذلك، لأن الدين عندهم حينئذ لم يكن هو الدين الخالص الذي جاء به عيسى عليه السلام، وإنما كان الدين حينها محرفاً مبدلاً قد طالته أيدي التحريف والتبديل، فغيرت وبدلت وزادت ونقصت، فكان من نتائج ذلك أن تعارض الدين المبدل مع مصالح الناس في دنياهم ومعاملاتهم، بل زاد على ذلك بأن تعارض مع حقائق العلم الثابتة، ولم تكتف الكنيسة –وهي الممثلة للدين عندهم– لم تكتف بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل حتى جعلت ذلك ديناً يجب الالتزام به والتقيد به، وحاكمت إليه العلماء المكتشفين والمخترعين، وعاقبتهم على اكتشافاتهم العلمية المناقضة للدين المبدل، واتهمتهم بالزندقة والإلحاد، فقتلت من قتلت، وحرقت من حرقت، وسجنت من سجنت.

ومن جانب آخر، فإن الكنيسة الممثلة للدين عند النصارى أقامت تحالفاً غير شريف مع الحكام الظالمين، وأسبغت عليهم التقديس، وسوغت لهم كل ما يأتون من جرائم وفظائع في حق شعوبهم زاعمة أن هذا هو الدين الذي يجب على الجميع الرضوخ له، والرضا به، وفي تلك الظروف بدأ الناس في تلك البلاد يبحثون عن مهرب من سجن الكنيسة وطغيانها، ولم يكن مخرجهم الذي اختاروه إذ ذاك إلاّ الخروج على ذلك الدين الذي يحارب العلم، ويناصر المجرمين، ولم يجدوا بداً من التمرد عليه، وإبعاده وطرده عن كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والأخلاقية وغيرها.

تلك هي قصة فصل الدين عن الدولة في بلاد الغرب، ولم يكن ذلك غريباً بالنسبة لذلك الدين، وتلك الكنيسة.

أما الإسلام، فإن فصله عن الحياة غير ممكن فهو وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه لا يطاله تحريف أو تبديل.

وهو الدين الذي لا يحابي أحداً، فالحاكم والمحكوم فيه سواء، وهو الدين الذي يرعى مصالح الخلق ويحافظ عليها فليس فيه تشريع يعارض مصلحة راجحة.

وهو الدين الذي يحض على العلم ويحث عليه، وهو الدين الذي ليس فيه نص شرعي صحيح يعارض حقيقة علمية ثابتة.

وأما ما تعانيه بلاد الإسلام من تأخر في العلوم المادية فليس لأن الإسلام حال بينهم وبين ذلك، بل لأنهم لم يأخذوا بالإسلام الذي أراده الله لهم على الوجه الذي ينبغي، فالإسلام يحثهم على القوة والقيادة ورياسة الأمم، وتقديم الخير للبشرية إلى غير ذلك من المعاني العظيمة، وهذا ما حصل بالفعل للمسلمين حين أخذوا بالإسلام كله، فسادوا وأنشأوا حضارة شهد لها القريب والبعيد، والعدو والصديق.

فالأمة بحاجة إلى أن ترجع إلى دينها رجوعاً حقيقياً فتحكمه في جميع مجالات الحياة، وتأخذ بتعاليمه وأخلاقه، وحينها سنرى العلماء من المسلمين يمضون قدماً، والإسلام يعدهم الأجر العظيم، والفضل الكبير على عملهم إن هم أحسنوه وأتقنوه.

نسأل الله أن يردنا إليه رداً جميلاً.

والله أعلم.

المفتي: ...مركز الفتوى

=============

#حكم الانتساب لحزب يعمل ضمن قوانين علمانية

تاريخ الفتوى : ...07 صفر 1425 / 29-03-2004

السؤال

ما حكم الانتساب أو العمل أو الاقتراع لحزب تعهد بالعمل ضمن أسس وقوانين علمانية وأقسم اليمين على ذلك، علما بأن المرشخ المنتخب مسلماً كان أو كافراً يجبر لتعظيم أصنامهم، أفيدونا؟ وجزاكم الله خيراً.

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فمن الصعب الحكم على هذه المسألة دون النظر فيما تنطوي عليه من مصالح ومفاسد، والموازنة بينهما، والحكم بناء على ذلك، إذ أن المصالح والمفاسد إذا

اجتمعت فإما أن تكون المصلحة راجحة على المفسدة، فتقدم المصلحة، وإما أن تكون المفسدة راجحة على المصلحة فتقدم المفسدة، وإما أن تساوي المصلحة المفسدة، فتقدم المفسدة، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وقد بين هذه القاعدة نعني قاعدة اجتماع المصالح والمفاسد، العز بن عبد السلام في كتابه قواعد الأحكام.

وعلى هذا فالأولى الرجوع في هذه المسألة إلى أهل العلم بتلك البلاد التي فيها هذا الحزب أو بمن لهم إلمام بواقع الحال هناك.

والله أعلم.

المفتي: ...مركز الفتوى

==============

حكم جمع الصلوات طوال فترة الدراسة

تاريخ الفتوى : ...14 جمادى الثانية 1425 / 01-08-2004

السؤال

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوة الكرام أنا شاب ذهبت من عند اهلي إلى فرنسا ابتغاء طلب العلم؛ ولكن كما تعلمون هي دولة علمانية لا تجيز الصلاة في الأماكن العمومية أو المرتبطه بالدولة.

وأنا أقضي معظم نهاري في الثانوية وبعض الأحيان أقضيه كله كحال الشتاء يكون النهار قصيرا!

فهل يجوز لي جمع الصلواة وبماذا تنصحونني؟

أرجوا منكم أن تجيبوني على السؤال خاصة أن الفتاوى التي أحلتموني إليها لا تنطبق علي تماما!

ولتبسيط قضيتي سأفصلها:

أنا شاب موريتاني أتيت هنا بادئ الأمر لدراسة اختصاص يتعلق بالتكنلوحيا الحديثة ولكن وبعد مضايقات كثيرة من الأساذة قررت تركها وتبديل الاختصاص وسأذكر هنا إحدى تلك المضايقات, فى البداية كان يسمح لي بالذهاب الي الصلاة حتى اليوم الذي طلبت الإذن من أحد الأساتذة فأجابنى عليك الاختيار بين الدرس والصلاة

فقلت الصلاة, وذهبت أصلي, لكنه لم يتركني وشأني حتى حرض علي باقي الأساتذة مما استدعى المديرة إلى الاجتماع بي وقالت لي نحن دولة علمانية وعليك ترك الصلاة حتى ترجع إلى بيتك ومن هنا قررت ترك ذلك التخصص ,ووجدت تخصصا آخر تلائم مع الصلاة لكن ذلك لقلة الوقت الذي أدرس فيه.

أمافي السنة المقبلة فوقت الدراسة كثير وحظر الحجاب في سنته الأولى.

فما العمل أثابكم الله ولا تنسوني من دعائكم.

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فاعلم بارك الله فيك وزادك حرصا على الخير أن دين المرء هو رأس ماله في هذه الحياة كما قال القحطاني رحمه الله تعالى:

الدين رأس المال فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران

فالواجب على المسلم المحافظة عليه والحرص على اجتناب كل ما من شأنه أن يضيع على المرء دينه

وإن أول ما ننصحك به هو عدم البقاء في تلك البلاد بلا ضرورة لذلك أو مصلحة راجحة، فإن كان بإمكانك أن تدرس هذا التخصص في بلادك أو غيرها من بلاد المسلمين كان هذا أولى لك من البقاء في تلك البلاد وتعريض نفسك ودينك للفتن والمغريات.

وإن لم يمكنك دراسة هذا التخصص في بلاد المسلمين فننصحك أن تختار من بلاد الكفر البلاد التي هي أقل فسادا وانحلالا ولا تمنع من إقامة شعائر الدين، ونظن أن هذا الأمر ميسور، فإن الدراسة في بلاد الغرب تكاد تكون متقاربة من حيث المستوى والتأهيل.

فإن لم يتيسر لك إلا أن تدرس في فرنسا وكنت قادرا على إقامة شعائر دينك وتأمن على نفسك من الوقوع في الفتن فلا حرج، لكن يتعين عليك إقامة الصلوات في وقتها، وأن تختار من المدارس ما لا يتعارض وقت الدراسة فيها مع أوقات الصلوات، ولا نجد لك عذرا في جمع الصلوات طيلة مدة الدراسة التي تمتد لعدة أشهر.

وللفائدة نحيلك على الفتاوى التالية: 42122، 2160، 4724.

والله أعلم.

المفتي: ...مركز الفتوى

=============

...لا يستطيع أحد أن ينال من هذا الدين

تاريخ الفتوى : ...18 شعبان 1425 / 03-10-2004

السؤال

لقد وقعت بين يدي مقالة ماجنة لكافر علماني ماجن، يشبه الإسلام فيها بالسرطان، ويدعو إلى مكافحته - قاتله الله ما أكذبه - ولكن لست أهلا لكي أرد عليه الرد المناسب، فأرجو ممن لديه غيرة على هذا الدين الحنيف منكم أن يقوم بالرد على هذا الفاسق بما يستحقه، وإن استطعتم أن تغلقوا ذلك الموقع القذر؛ فأرجو أن تفعلوا جهدكم! كما أرجو إبلاغي بما تردون عليه؛ لكي يطمئن قلبي بأنه لا يزال هناك من يدافع عن هذا الدين الحنيف، ويدعو إلى الله (إلا تنصروه فقد نصره الله) أما المقالة، فيمكنكم أن تصلوا إليها من خلال هذه الوصلة
http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?t=0&aid=22422

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد اطلعنا على المقال المنشور في الصفحة المشار إليها، فوجدنا صاحبه ينطق بالكفر ولا يبالي، ثم تصفحنا بعض مقالاته، فوجدنا أن هذه طريقته دائماً، استهزاء بالدين وثوابته، وسخرية بالمتمسكين به، حتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وصحابته لم يسلموا من وقاحة كاتب المقالات.

ثم إن الموقع المنشور عليه المقال هو مجلة الحوار المتمدن، وهي مجلة تنعت نفسها بأنها: يسارية علمانية ديمقراطية. أي أنها راعية للكفر وتنضح به، والكتاب فيها على شاكلة صاحب المقال المشار إليه وكلهم مجهولون.

وعلى كل حالٍ، فما كتبه هؤلاء وما كتبه غيرهم وما فعلوه مما يقصدون به إطفاء نور الله تعالى وتشويه دينه، وصد الناس عنه لن يحقق بإذن الله تعالى مقصودهم،

ولن يكون إلا وبالاً عليهم فلتثق بذلك تمام الثقة، ومن شك في ذلك فهو شاك في قول المولى جل جلاله: يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ {التوبة: 32}،هذا وإن الرد على هؤلاء العلمانيين فيه شغل للدعاة وإهدار لأوقاتهم وصرف لجهودهم في غير الأولى، وجزاك الله كل خير على غيرتك، جعلنا الله وإياك ممن يعمل على إعلاء كلمته ونصرة شريعته وحراساً لدينه.

و الله أعلم.

المفتي: ...مركز الفتوى

=============

الكافرة إذا أسلمت ولم تعمل بشعائر الإسلام

تاريخ الفتوى : ...24 شوال 1425 / 07-12-2004

السؤال

بارك الله فيكم على هذا الموقع.

أنا رجل متزوج من نرويجية من حوالي 25 سنة وحينما تزوجنا أسلمت ورزقت منها بثلاث فتيات وولد وأعمارهم مختلفة, والمشكلة أن زوجتي لا تمارس أي نوع من أنواع الشعائر الإسلامية ولقد ذهبت عدة مرات إلى المسجد لكي تتعلم الدين ولكن دون جدوى وحاولت كثيرا ولم أخرج بنتيجة وحاول أولادي تعليمها الإسلام وكذلك دون جدوى. أنا وأولادي الحمد لله ملتزمون جدا ولا يوجد أي تأثير لها عليهم من ناحية الدين و تربية أولادي تربية إسلامية صحيحة و الحمد لله و الكل ملتزم بشعائر الدين والدعوة والحمد لله.

زوجتي تؤمن بوجود الله و اليوم الآخر. ما زلنا نحاول فلو بقيت على موقفها فهل نسأل يوم القيامة عنها وماذا نفعل؟

وجزاكم الله خيرا.

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن كانت هذه المرأة قد نطقت بالشهادتين فقد دخلت في الإسلام، ويلزمها الانقياد لشرائعه، فإن الإيمان عند أهل السنة قول وعمل، ولا يغني أحدهما عن الآخر.

فإن تركت هذه المرأة العمل بمقتضى الشهادتين فالواجب دعوتها وإقامة الحجة عليها، فإن أصرت على ترك العمل بمقتضى الشهادتين فإنه يحكم بردتها، ويجب عليك أن تفارقها، لأن الله نفى الإيمان عمن لم يستسلم لشرعه، قال تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا {النساء: 65}.

وقد نهى الله عن استمرار الزوجية مع الكافرة فقال: وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ {الممتحنة: 10}. وكذلك نهى الله سبحانه عن التزوج بالكافرة، قال سبحانه: وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ {البقرة: 221}. وانظر الفتوى رقم: 54607 فإن فيها مزيد بيان.

أما إذا لم تكن قد دخلت في الإسلام ولم تنطق الشهادتين فلا يخلو حالها من أمرين:

الأول: أن تكون ملحدة أو علمانية لا تدين بدين، فالواجب فراقها لنفس الأدلة السابقة.

الثاني: أن تكون كتابية (يهودية أو نصرانية) فلك إمساكها حينئذ لمشروعية نكاح الكتابية. قال تعالى: الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آَتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ {المائدة: 5}. وعليك أن تستمر في دعوتها إلى الإسلام.

والله أعلم.

المفتي: ...مركز الفتوى

==============

أخوه يتصفح مواقع علمانية على جهازه الخاص فهل عليه إثم إذا لم يستطع منعه ؟

تاريخ الفتوى : ...06 ذو الحجة 1425 / 17-01-2005

السؤال

شكرا لكم جزيلا على موقعكم في الحقيقة إن أخي علماني متشدد، وهو يستخدم كمبيوتري في تصفح مواقع علمانية متطرفة لدرجة الخروج عن الإسلام ، مع العلم

أن اشتراك الانترنت على حسابه هو، فماذا أفعل كي أمنعه بحيث لا يسبب ذلك خلافا قويا بيننا إذا أمكن ؟

جزاكم الله خيرا.

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فلا يجوز أن تمكن أخاك من استخدام جهاز الكمبيوتر الخاص بك إذا تيقنت من أنه يستخدمه في تصفح المواقع العلمانية، وذلك لقوله تعالى: وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ {المائدة: 2}.واعلم أن تمكينك له من استخدام جهازك يجعلك شريكاً له في الإثم، فكما أن الدال على الخير كفاعله . فكذلك الدال على الشر كفاعله!! أما الطريقة التي تتبعها في التخلص من استخدامه لجهازك فهي الصراحة معه، بأن تطلعه على حقيقة موقفك ودوافعك التي أدت إلى استخدام هذا الإجراء معه، وأن المسألة مسألة عقيدة. ولكن عليك أن تلتزم الرفق معه، فلعل الله أن يهديه، فإن لم تقدر على ذلك فابحث عن وسيلة تتوصل بها إلى منعه من استخدام جهازك كما نوصيك بأمرين، الأول: أن تتعرف على حقيقة العلمانية وحكم الإسلام فيها حتى تكون على بينة من أمرك، وإن من أوسع من تكلم في ذلك الدكتور سفر الحوالي في كتابه " العلمانية"، وكذلك الشيخ محمد قطب في كتابه " مذاهب فكرية معاصرة". الأمر الثاني: أن تجتهد في دعوته إلى الاسلام والاستقامة عليه واعتباره عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وأن يكون حاملك على ذلك الشفقة على أخيك ورحمته والخوف على عاقبته إن مات علمانيا. فإن لم تستطع دعوته بنفسك . فعليك أن ترشد غيرك إلى الاجتهاد في دعوته إعذاراً إلى الله وقياماً بواجب الدعوة. ولا تترك الدعاء له أبداً أن يشرح الله صدره للإسلام ويرزقه الاستقامة عليه، فليس ذلك على الله بعزيز، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.

و الله أعلم.

المفتي: ...مركز الفتوى

=============

#حكم العمل في مؤسسة علمانية

تاريخ الفتوى : ...25 رمضان 1427 / 18-10-2006

السؤال

الإخوة المفتون سؤالي هو: أن زوجتي تعمل قبل أن أخطبها في إحدى المؤسسات التابعة لحركة فتح في غزة وتتقاضى راتبا من الحكومة، ولكن المشكلة هنا أنها لا تداوم في العمل إطلاقا، ولو ألزمت للدوام في هذه المؤسسة سأرفض تماما لكون مثل هذه المؤسسات علمانية وسأطلب حينها أن تستقيل وفي إحدى المرات طلبت منها أن تنتقل إلى مؤسسة حكومية أخرى فرفضت فهذه مشكلتي وأتمنى منكم أن ترشدوني؟ وجزاكم الله خيراً.

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد اشتمل سؤالك هذا على ثلاث نقاط هي:

* كون زوجتك تتقاضى راتباً من الحكومة وهي لا تداوم في العمل إطلاقاً.

* كون المؤسسة التي تعمل عندها مؤسسة علمانية.

* كونك أنت لا تقبل عملها عند المؤسسة المذكورة.

وحول النقطة الأولى نحيلك على الفتوى رقم: 75031، فإنها تبين حكم الراتب المكتسب بغير عمل.

وحول النقطة الثانية فإن العلمانية تعني اللادينية أو الدنيوية، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وأن الدين يبقى بمعزل عن الدنيا وأمورها، وهي تدعو للمحاربة العلنية والخفية للإسلام، وعدوها الأول هو الإسلام والمسلمون، وأكثر مؤسساتها تعمل لصالح اليهودية العالمية أو الصليبية، ولا شك في أنه لا يجوز العمل في مؤسسة هذه حالها.

وحول النقطة الثالثة فإنه لا يجوز للمرأة أن تعمل إلا بإذن زوجها، وله منعها من العمل إن شاء، وعليها طاعته في ذلك ما لم تكن قد اشترطت عليه ذلك في العقد، وإذا اشترطت عليه بقاءها في عملها فلها ذلك، لكن بشرط أن يكون العمل لا يشتمل على محذور شرعي من تبرج أو اختلاط محرم، وأن لا يكون فيه حرام أو إعانة على الحرام، أو غير ذلك من المحاذير الشرعية، فالحاصل -إذاً- أن من حقك منع

زوجتك من العمل المذكور، لما ذكرت، كما أن من حقك منعها من أي عمل آخر ولو لم يشتمل على مخالفة شرعية إذا لم تكن اشترطت عليك أن تستمر فيه.

والله أعلم.

المفتي: ...مركز الفتوى

================

#عبد الإله بن كيران..
في فضل القيادة من دون كاريزما!

حسام تمام 1428/6/27

2007/07/12

ربما كانت الوحيدة بين الحركات الإسلامية التي تجري فيها الانتخابات دون أن يكون معروفاً مسبقاً أو متوقعاً من ستأتي به القواعد إلى سدة القيادة. وهذه ليست الميزة الوحيدة –وإن كانت الأهم– لحركة التوحيد والإصلاح المغربية عن بقية الحركات الإسلامية التي مازال معظمها يخضع في قيادته إما لقوة الكاريزما المهيمنة أو هيمنة الشرعية التاريخية أو تظل رهناً لأوضاع المصادرة والتضييق التي تقر فيها الحركة مجتمعة أن صعود القيادة أو تغييرها بالانتخاب ترف لا تملك الدعوة إليه أو النضال من أجله!

***

إذا كانت هذه ميزة حركة التوحيد والإصلاح الأولى؛ فإن الإقرار بها لا يكتمل إلاّ بالإقرار أنها لم تكن لتتحقق إلاّ بقيادات تاريخية كان من أهم شواغلها ترسيخ القيادة المؤسسية والتخلص من الآفات التقليدية التي غلبت على مجمل قيادات الحركات الإسلامية، وهنا لابد أن يتوقف المرء طويلاً عند عبد الإله بن كيران رئيس الحركة لفترتين في أهم مراحل تكوينها وصاحب البصمة الأهم في فضل ترسيخ نمط القيادة من دون كاريزما في حركة التوحيد والإصلاح!

***

منذ أن اقتربت من الحركة الإسلامية في المغرب وأنا أسمع عن هذا الرجل، وكان أكثر ما سمعته نقداً حاداً في حقه قد يصل إلى الجرأة على الرجل خاصة من بعض

شباب الحركة، وكان هذا – في رأيي- غريباً في حق رجل تولى قيادة الحركة ما يقرب من عقد كامل شهد أهم أحداثها وتحولاتها حتى استوت على عودها رقماً مهماً في الحالة الإسلامية في المغرب وخارجها.

وحين التقيته للمرة الأولى قبل عامين في مكتبه بصحيفة (التجديد) في الرباط كان لافتاً لي طريقة تعامله مع مرؤوسيه التي تتسم بالمباشرة وعدم التكلف، ولاحظت أنها تخلو من ميكانيزمات الهيمنة والإخضاع التي دائماً ما تسم علاقة القادة بالأتباع، وهو ما ينشأ بينه وبين مرؤوسيه علاقة ندية أكثر منها تبعية. واستوقفني أكثر أنني حين بدأنا نقاشنا لم أجد كبير عناء في اقتحام الرجل بل ونقده، ولم يتركني الرجل كثيراً في حيرتي فقال في لحظة صفاء -وكأنما يجيب على أسئلة لم أطرحها عليه-: أنا قائد لا يبحث عن التوقير بين حركته (أو للدقة قال: أنا قائد غير موقر بين حركتي!)، وأضاف: ولن تجد في حركتنا هذا النمط الشائع من القيادة بين الإسلاميين.

***

لفهم هذا النوع من القيادة سواء في شخص بن كيران أو حركة التوحيد والإصلاح لابد من التعرف على الجيل المؤسس للحركة الإسلامية في المغرب، الجيل الذي نشأ في حركة الشبيبة الإسلامية، ثم أسس للعمل الإسلامي في عقد السبعينيات في الجامعات المغربية، وبعدها انفصل في بداية الثمانينيات عن تنظيم الشبيبة بسبب تورط الأخير في العنف والتحريض على الدولة.

إنه الجيل الذي أسس لتجربة إسلامية جديدة بدأها بتنظيم "الجماعة الإسلامية" 1981، واستمرت حتى تغير اسمها عام 1988 إلى حركة "الإصلاح والتجديد"، ثم دخلت عام 1996 في وحدة فريدة من نوعها كان ثمرتها "التوحيد والإصلاح".

كان بن كيران واحداً في مجموعة متقاربة عمرياً وفكرياً ومتساوية تقريباً في قدراتها وإمكاناتها ليس فيها من يفوق الآخرين أو يتميز عنهم، فكان معه محمد يتيم وعبد الله بها وعز الدين توفيق وسعد الدين العثماني وعبد العزيز بومرت والأمين بوخبزة ومحمد العمراني...وغيرهم ممن صاروا رموزاً للعمل الإسلامي.

***

أما بن كيران فهو رباطي من أصول فاسية بما تعنيه " فاس" من معاني الوجاهة والتقاليد، وُلد في 8 أبريل عام 1954 لأب من عائلة صوفية تعمل بالتجارة عُرف بعض أبنائها بالعلم الشرعي من بينهم "العالية" أول امرأة اعتلت كرسي العلم في مسجد القرويين، أما أخواله فهم من أسرة خزرجية الأصل استوطنت فاس قبل قرون.
عن أمه أخذ عبد الإله الاهتمام بالشأن العام، وقد كانت تواظب على لقاءات حزب الاستقلال، فيما أخذ عن أبيه بعض التصوف والتعلق بتحصيل العلم الديني والميل إلى التجارة.
تلقى عبد الإله التعليم الديني برعاية من والده وحفظ أجزاء من القرآن في الكتاب، ثم تعرف في بداية حياته على بعض التنظيمات اليسارية، كما اقترب من حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الاشتراكي في نفس الوقت تقريباً الذي كان يتردد فيه على حزب الاستقلال، وأخيراً كان التحاقه بتنظيم الشبيبة الإسلامية في عام 1976 بعد واقعة اغتيال الزعيم الاشتراكي عمر بنجلون التي اتهم فيها التنظيم.
تدرج عبد الإله سريعاً في العمل الإسلامي وأصبح من قيادات التنظيم، وكان لأبناء جيله ميزة أنهم من بدؤوا العمل الإسلامي لأول مرة في الجامعة، وأثناء ذلك قادوا الشارع تضامناً مع الشبيبة الإسلامية ومرشدها عبد الكريم مطيع الهارب خارج البلاد من الملاحقة القضائية في اغتيال بنجلون، فعرفوا تجربة السجن بسبب ذلك.
فيما بعد سيمضي هؤلاء الشباب بالعمل الإسلامي في طريق الانفصال عن الشبيبة؛ في البداية احتجاجاً على طريقة إدارة المرشد التي تميل للتخوين وبث روح الشك وعدم الثقة بين الأعضاء، ثم سيتحول الأمر إلى خلاف في الرؤى والأفكار بعدما تبنت الشبيبة العنف وخرقت الإجماع الوطني بانحيازها إلى انفصال الصحراء..كان هذا في عام 1981، وهو العام الذي بدأ فيه بن كيران في وضع أولى بصمات نوع جديد من القيادة في العمل الإسلامي.

***

لما استقل الشباب عن تنظيم الشبيبة بدؤوا في وضع لبنات تنظيم جديد: الجماعة الإسلامية الذي ضم العدد الأكبر والأهم منهم، ولكن دون أن يعلنوا عن ذلك، وتصادف أن صعّد مرشد الشبيبة من عمليات التحريض ضد النظام والإساءة إلى

الملك وتورط في إدخال أسلحة للبلاد عبر الجزائر كما انحاز إلى انفصال الصحراء؛ فبدأ النظام حملة اعتقالات موسعة في صفوف كل المنتمين للتنظيم. ولما كان أعضاء الجماعة الإسلامية أعضاء سابقين فقد طالتهم الاعتقالات، وهنا سيظهر أول دور محوري لـ"بن كيران".

كان أبناء الجماعة الإسلامية قد انفصلوا – فعلاً- تنظيمياً وفكرياً عن الشبيبة الإسلامية وكان من الطبيعي أن يعلنوا ذلك لكنهم لم يفعلوا، ربما كانوا يرفضون أن يبدؤوا بإعلانهم الخروج فصلاً في معركة مع مرشدهم السابق، أو ربما كانوا يستحيون أن يظهروا وكأنهم يتبرؤون من ماضيهم "الإسلامي".. فامتنعوا لهذا وربما لأسباب أخرى عن إعلان موقف قاطع مع الشبيبة، فكان وحده بن كيران من تجرأ، وأخذ مبادرة أن يعلن للسلطات هذا القرار الذي رفض الجميع أن يأخذه أو يوافقه عليه، بل وأصدر نيابة عن نفسه وإخوانه بياناً صريحاً بذلك على أن يترك لبقية الإخوان أن يتبرؤوا منه، ومن البيان إذا ما رفضوه بل وأن يأخذوا قراراً بفصله من الجماعة إذا ما رأوا ذلك بعد خروجهم أو توقف ملاحقة من ظل هارباً منهم!

لقد رأى عبد الإله أن الحركة تأخذها العزة بما سيدخلها في نفق لن تجني منه إلاّ الحنظل، وأن واجب اللحظة القيام عنها بما تستحيي أن تقوم به وهي التي لم تخف السلطة والسجون؛ فتطوع لمهمة لم ينتدبه إليها أحد بل ووضع نفسه في وضعية المتهم بالتساهل أو اللين في مواجهة السلطة بل وربما كان سيصبح أول ضحاياها إذا لم يتفهمه إخوانه الذين مازالوا حديثي عهد بالتشدد، ولم يفارقوا بعد روح التضحانية التي تجعلهم يستعذبون الأذى ولو قبل أوانه ومن دون أي استحقاق!

ولكن جاءت مبادرة عبد الإله بالخير على إخوانه و جماعتهم التي سرعان ما تخلصت من عقدة الشبيبة الأولى في سلسلة عقد كانت تحكم علاقتها بالنظام، ويبدو أن نجاح هذه المبادرة سيكون له تأثير بالغ في منهج عبد الإله في التعامل مع كل العقبات والعقد التي واجهتها الحركة أو عاشتها.

***

سريعا سيدخل عبد الإله معركته الثانية والتي كانت موجهة ضد السرية ولم يكن قد صعد بعد إلى سدة القيادة التي كان فيها محمد يتيم رئيساً للجماعة الإسلامية، و

على الرغم من ذلك طرح عبد الإله مبادرته التي تدعو إلى ضرورة أن تقطع الجماعة مع السرية وتسعى إلى أن توفق أوضاعها قانونياً وفق النظام واللوائح المعمول بها.

لا يمكن فهم أهمية ما دعا إليه بن كيران إلاّ إذا وضعناه في سياقه التاريخي؛ فقد كانت السرية في هذا الوقت من أهم أسس العمل الإسلامي الذي توارثته الجماعة عن تنظيم الشبيبة وغذته من أدبيات الحركات المشرقية التي كانت حاضرة بقوة، ومن ثم فلم تكن تتصور القطع معها في يوم ما.

قوبلت دعوة العمل في إطار القانون ورفض السرية برفض عارم من التيار العام للحركة لكن عبد الإله أصر عليها وقاوم من أجلها، فما كان إلاّ أن وافقت الحركة على الفكرة جزئياً بأن تسمح لعبد الإله بأن يتحرك في مسألة القانونية، ولكن في إطار محدود لا يتصل بالجماعة كلها وإنما بفرعها بالرباط الذي كان مسؤولاً عنه، فقام عبد الإله من فوره بإيداع أوراق جمعية "الجماعة الإسلامية" في فرع وزارة العدل بالرباط، وكانت تلك أول محاولة في تاريخ الحركة الإسلامية لتجاوز السرية وتوفيق أوضاعها قانونياً.

***

ستكر المسبحة وتأخذ أفكار عبد الإله مسارها في الحركة رغماً عن رفض التيار العام لها، وفي أول اعتقالات طالت معظم أعضاء فرع تنظيم "الجماعة الإسلامية" في مدينة مكناس، وكادت تسقط التنظيم في القطر كله سيقود بن كيران حملة لإقناع الحركة بلا جدوى السرية، وأنها أضعف من أن تحافظ على التنظيم بل إن خطأً واحداً يمكن أن يقضي على التنظيم مهما تحصن بالسرية. وكان درس اعتقالات مكناس مما ساعد الحركة على تقبل دعوة عبد الإله وإن على مضض.

ثم ستتعزز وضعية عبد الإله مع انتخابه رئيساً للحركة عام 1986 بأغلبية تجاوزت الثلثين بما يؤهله لأن يقود أيضاً الدعوة إلى تجاوز مأزق الاسم (الجماعة الإسلامية) بعدما أثار رفض الجهات الرسمية التي رأت أنه لا يتناسب مع بلد كل شعبه مسلم، ويستمد نظامه الشرعي من الدين باعتبار أن الملك فيه أمير المؤمنين، وستتجاوب الجماعة مع بن كيران وتغير اسمها إلى التجديد والإصلاح!

***

ستستمر أفكار عبد الإله في فرض منطقها على الحركة لتدفع بها نحو تجاوز إشكاليات مهمة؛ ومن أهمها تلك التي تتصل بعلاقاتها بالدولة، هل هي دولة إسلامية؟ وهل تسلم الحركة بالنظام الملكي؟ وهل تقبل بمبدأ إمارة المؤمنين الذي يؤسس للملك والملكية شرعية دينية؟.. إنها الإشكاليات التي كانت تتلبسها بتأثير النشأة مع الشبيبة الإسلامية وبتأثير الفكر الحركي المشرقي أيضاً.

سيطرح بن كيران وكان رئيساً للحركة تصوراً يبدو بسيطاً لتجاوز هذه الإشكاليات، ولكنه بالغ الأهمية على الأقل في لحظته التاريخية (وكل ما فعله لا يُقرأ إلاّ في سياقه التاريخي)، فقد ذهب بن كيران إلى القول بأن الدول مثل الأفراد، لا نحكم عليها إلاّ بما تدعيه، وإذا كانت الدولة قد أعلنت أنها مسلمة فهي كذلك حتى ولو ارتكبت ممارسات تخل بإسلامها، ومثلما لا نكفر الفرد الذي يعلن الإسلام حتى ولو أتى بالذنوب والمعاصي فإنه لا ينبغي أن نكفر الدولة بمجرد أن ارتكبت ما لا يتوافق مع الإسلام طالما أعلنت أنها مسلمة.

***

على بساطتها ستعمل هذه الفكرة عملها في الحركة لتفكك كل الألغام التي كانت تقف في طريق علاقتها بالدولة ونظرتها لها، ستتجاوز سريعاً نفق تكفير الدولة الذي دخلته معظم الحركات الإسلامية الأخرى، ومن ثم ستتخلص من كل العقبات التي تقف أمام "تطبيع" وضعيتها في المجتمع المغربي.

سيتولي بن كيران ومعه نائبه عبد الله بها أقرب قيادات الحركة إلى قلبه وعقله وضع وثيقة تقبل فيها الحركة بالنظام الملكي، بل وتقر فيها بإمارة المؤمنين التي تؤسس للشرعية الدينية للملك ونظامه، وكانت وجهة نظرهما أن الإقرار بالشرعية الدينية للملك يلزمه بهذه الشرعية التي تسوّغ للحركة الإسلامية مساءلته عليها ومحاولة إلزامه العمل بمقتضاها.

في هذه الوثيقة التي طرحها عام 1990 ستتضح رؤية بن كيران بأنه إذا كان النظام الملكي هو الضامن لوحدة التراب المغربي فإن إمارة المؤمنين هي الضامن لإسلامية الدولة وعدم انحرافها أو سقوطها في براثن الأطروحات العلمانية الداعية للتخلص من أي مرجعية دينية.

ستواجه وثيقة بن كيران وبها معارضة شرسة من التيار العام في الحركة ممثلة في مكتبها التنفيذي، وأمام هذا الرفض سيضع الرئيس ونائبه استقالتهما تحت تصرف قيادة الحركة والتي ستنتهي إلى القبول بالوثيقة بعد إعادة صياغتها فيما يمثل انتصاراً للخط الذي تبناه بن كيران ودعا إلى ترسيخه في مسار الحركة.

***

التئاماً مع مشروعه لتطبيع وضعية الحركة في المجتمع المغربي كان بن كيران صاحب مبادرة تأسيس العمل النسوي للحركة وذلك بمجرد انتخابه رئيساً للحركة، وعام 1986 وفي بيته بحي الليمون في الرباط التئمت أول مجموعة للأخوات شكلت نواة أول تجمع نسوي للحركة، وفي بيته أيضاً انعقد أول مؤتمر نسوي للحركة.

وكان بن كيران أكثر من دعموا العمل النسوي حتى انتهت الحركة الإسلامية المغربية إلى تصور متقدم لها عن بقية الحركات الإسلامية الأخرى في قضية وجود المرأة وعملها في الحركة، وهو تصور يقوم على ثلاثة أركان: وحدة العضوية؛ إذ تصبح شروط عضوية المرأة في الحركة هي نفس شروط الرجل ولا يُميز بين العضويتين، ثم وحدة التنظيم؛ إذ لا يوجد تنظيم خاص منفصلاً للنساء عن الرجال، بل يشتركان في كل هيئات الحركة، ثم العمل المشترك؛ إذ يعمل الإخوة والأخوات بطريقة تشاركية.

كما قاد عبد الإله مبادرة دخول الحركة إلى العمل الحزبي فكان صاحب مبادرة تأسيس أول حزب للحركة؛ حزب "التجديد الوطني" الذي رفضت الدولة الترخيص له، ثم قاد المفاوضات مع عبد الكريم الخطيب ليقبل بدخول الحركة في حزبه "الحركة الشعبية الدستورية الديمقراطية" الذي تحوّل فيما بعد إلى حزب"العدالة والتنمية"، وقد ظل مسؤولاً عن إدارة ملف الحزب طوال رئاسته للحركة، واستمر مسؤولاً عنه إلى ما بعد عقد أول مؤتمر عام للحزب، ولم يترك المسؤولية إلاّ بعد انتخاب سعد الدين العثماني أميناً عاماً للحزب.

***

لقد قاد بن كيران حركته: التجديد والإصلاح مدة فترتين رئاسيتين متواصلتين (1986- 1994) كانت الأكثر أهمية في تاريخها؛ إذ سيكتمل تأسيس الحركة وبناء

التنظيم بشكل هيكلي وإداري صارم ووضع اللوائح والقانون الداخلي وتأسيس مجلس الشورى.

ستتضح ملامح الحركة تحت قيادة بن كيران وستتحول من تنظيم سري محدود الحركة والتأثير وقيد الملاحقة إلى حركة علنية معروفة لها مقراتها وصحفها وحزبها السياسي، وسينتظم في عضويتها نحو عشرة آلاف عضو يمثلون الكتلة الأكبر في بناء الحركة حتى يومنا هذا.

***

عبد الإله بن كيران ليس مفكراً، ولكن لديه القدرة على إنتاج بعض الأفكار المهمة أو التقاطها وتوظيفها في العمل الحركي، وإن لم يكن لديه من القدرات ولا السعة ما يسمح له بالاشتغال على تطوير هذه الأفكار.

من الأفكار التي أطلقها بن كيران، واستفادت منها الحركة فكرة أن مهمة الحركة الإسلامية ليست الوصول إلى السلطة حتى ولو كان الهدف إقامة الدين، بل إن مهمتها هي المشاركة في إقامة الدين من دون أن يتوقف ذلك على الوصول إلى السلطة، فهو يرى أن الحركة الإسلامية إذا صارت سياسية وطلبت الحكم – ولو لإقامة الدين – فهي سيجري عليها ما يجري على الساسة وطلاب الحكم. ويلح دائما على أن فعل الحركة يجب أن يكون تغيير ما بالنفس والمجتمع وليس الوصول إلى السلطة التي ستأتي تتويجاً لهذا التغيير وليس مقدمة إليه.

كما كان صاحب فكرة أن الأمة مازالت تعيش عقدة النبوة والحاجة لزعامة تقودها تحل بديلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقف بن كيران ضد هذه العقدة والداعين للقيادة المؤسسية البريئة من هذه العقدة؛ فكان أكثر من تصدوا لنمط القيادة الصوفية الأبوية الذي دعا إليه وطبّقه الأستاذ عبد السلام ياسين مؤسس ومرشد جماعة العدل والإحسان، والذي يقوم على فكرة أنه لا يمكن للإنسان السير إلى الله إلاّ بشيخ أو مرشد.

***

لقد جرّت أفكار عبد الإله عليه العنت والنقد سواء من إخوانه في الحركة أو من بقية الحركات الإسلامية الأخرى؛ وتسببت له طريقته في القيادة في سلسلة من الصدامات

التي لا تنتهي مع أجيال الحركة؛ فقد كانت تخلو من فكرة صناعة صورة القائد المبجل المهيب، كما لم تكن تخلو من رعونة دائماً ما أدخلته في صراعات بل وعداوات كان يمكن تجنبها بقليل من الكياسة واللباقة.

لقد دفع عبد الإله ثمن نزع الفتيل بين الحركة الإسلامية والدولة، فاتُّهم باللين والضعف والتساهل مع الدولة، بل واتهم في بعض الأحيان بالعمالة للنظام، و"بيع" الدعوة.

ودفع أيضاً فاتورة أنه أسرع بالحركة بأكثر من طاقتها على السير أحياناً، فحملها على مجموعة من الأفكار والمبادرات المتقدمة والصعبة التي أنهكتها وأتعبتها وراء سيره السريع والمتلاحق، فكان أن فضّلت القواعد أن ترتاح قليلاً مما فعله عبد الإله بن كيران.

صوتت القواعد ضد بن كيران في انتخابات الحركة عام 1994 فأبعدته عن رئاستها، واختارت بدلاً منه محمد يتيم رئيساً لها ليكمل بها مسيرة الوحدة عام 1996، كما استكمل بن كيران دفع الفاتورة بإبعاده عن الإشراف على ملف الحزب وانتخاب سعد الدين العثماني أميناً عاماً له.

ثم دفع الفاتورة ومازال بما يبدو من تجاهل بل ونكران كثير من أبناء الأجيال الشابة للرجل وعدم تقديرها أو حتى وعيها بما أدّاه تاريخياً للحركة لدرجة أن ترشيحه للبرلمان في الدائرة التي كان نائبها تقليدياً صار محل جدل واختلاف بين قواعد الحركة!

***

لقد عرفت الحركات الإسلامية نوعاً من القيادات على استعداد أن تناطح أعتى نظام وتتحدى أقوى سلطة، لكنها لا تمتلك الجرأة أمام جماهيرها فتضعف تجاهها وتخشاها بأكثر مما تخشى السلطة، بل وتتردد في مواجهتها فيما تستخف بالسلطة وبما يمكن أن تلاقيه منها من تضييق واعتقال وسجن، فيما ندر فيها أمثال بن كيران الذي يغامر بمواجهة الجماهير، ويقبل أن يتصدق بعرضه في هذه المواجهة من أجل تحرير حركته من المعارك الوهمية والخروج بها من الأنفاق التي تؤدي بها خارج التاريخ.

لقد تأخر تطور كثير من الحركات الإسلامية بسبب أن القيادة وقعت أسيرة الجماهير فداهنتها، وأنتجت لها خطاباً على قدرها، فنزلت بها الجماهير بدلاً من أن تأخذ هي بيدها، ومن هنا كان يجب أن نتوقف عند عبد الإله بن كيران صاحب فضل القيادة من دون كاريزما.

===========

#الوهم الممتدُّ ..والشعارات المتساقطة!

د. عدنان النحوي 1428/5/11

2007/05/28

إنَّ الأحداث المحزنة التي وقعت في غزة خلال الأسبوعين الماضيين، والاقتتال بين حماس وفتح قتالاً عنيفاً، وتبادل الاتهامات في وسائل الإعلام، واستفزاز كل فريقٍ للآخر، ممَّا أدَّى إلى سقوط كثير من الضحايا، وفتح المجال لإسرائيل أن تستفيد من ذلك فائدة كبيرة! فساهمت في قتل الفلسطينيين بطائراتها وصواريخها، وأضرَّ ذلك كلّه بقضية الإسلام وقضية فلسطين ضرراً كبيراً. وكأنَّ جميع الأحداث السابقة لم تكن كافية لتقدم للطرفين الموعظة والعبرة!

لا شكَّ أنَّ "اتفاق مكة" أوقف القتال الدائر بين الفلسطينيين أنفسهم في صراع ملتهب جنونيّ على السلطة، على الحكومة، على الدولة، على شيء ما، سمِّه أنتَ ما شئتَ، ولكنني أُسمِّيه "الوهم الممتدّ، والشعارات المتساقطة"!

إن التنافس بين الفلسطينيين دفع الأمور إلى أن تتجه إلى صراع بين الشعارات حين لا يُبْحث عن نهج ولا خطة، وسرعان ما تتغير الأهداف و يُطوى شعار التحرير، و كأنَّما التنافس هو بين شعارات لا يُرجى منها إلا اكتساب تأييد الجماهير وحشد الأنصار لتلك الشعارات! ثمَّ الصراع والاقتتال!

ولذلك لم يكن عجيباً أن يوقف اتفاق مكة نزيف الدم الفلسطيني، بعد أن أدرك الجميع خطورة ما كان فيه الفلسطينيون من فتنة كبيرة لا تُحمد عقباها.

ولكن هل يُغيّر اتفاق مكة ما تخفيه الصدور، ويعيد القلوب إلى خشية الله والتوبة الصادقة!

لقد كشفت الأحداث الأخيرة والسابقة ألواناً متعددة من نواحي الخلل في واقع المسلمين. ولا نستطيع هنا أن نعرض ذلك كله، ولكن يجب الإشارة على الأقل إلى نقاط سريعة. فقد اندفعت الأحداث كي يموت فيها التناصح فلا يقبل هذا النصيحة ولا يقبلها ذاك، وتثور العصبيات والأهواء في لهيب متفجّر، مما نراه في أكثر من موقع في العالم الإسلامي!

والأمر الأخطر هو أن التنافس دفع الصراع إلى أن يتجه إلى مواقف غير شرعية لا ترضي الله سبحانه وتعالى، ولا تُرَاعى فيها حُرْمة دم المسلم ولا حرمة عرضه أو ماله، وقد يسقط بعضهم في وحول الكذب!

فمن أين يأتي النصر في هذه الأجواء؟! وما هي الأيدي الخفيَّة التي تحرّك الأحداث وتدفعها إلى هذه الأجواء المظلمة؟!

أما بالنسبة للدول الأخرى الكبرى، وبالنسبة لإسرائيل، فقد تبيّن لنا بعض ملامح أساليبهم، فهي لا تنظر إلى قضية فلسطين كقضية مستقلة معزولة عن سائر قضايا منطقة الشرق الأوسط أو قضايا العالم اليوم وأمس وغداً. إنها تضع خطتها ونهجها وسياستها لجميع القضايا على ترابطها في ميدان المطامع والجشع، وعلى تفرد كل قضية بخصائصها المتميزة، خطة ونهج يجمعان الحالتين في آن واحد.

ونحن المسلمين نرفع دويَّ شعاراتنا لكل قضية منعزلة عن سائر القضايا، كلُّ قضية يُشْغَلُ أهلها بها وحدهم، وربما وجدوا بعض العواطف من هنا وهناك. ولكن في جميع قضايا المنطقة لا يوجد لدى أبنائها وأصحابها نهج مدروس أو خطة محدّدة، فحسبهم الشعارات، ولا يوجد نهج واحد جامع، ولا هدف واحد يتجمعون كلُّهم إليه.

الدول الكبرى تملك القوّة المادّية الحقيقية، قوة السلاح المدمّر، قوة الأجهزة المتعدّدة المتشابكة، قوة المؤسسات، قوة العلم المادي والصناعي، يُضاف إلى ذلك ما لديهم من عملاء ارتموا في أحضانهم، كما تجد في أفغانستان والعراق وفلسطين عملاء من أناس فقدوا الثقة بأمتهم، وفقدوا قبل ذلك إيمانهم بربّهم وخالقهم الله الذي لا إله إلا هو.

ولقد انتشر في الآونة الأخيرة تعبيرات ومصطلحات لا ندري كيف هبطت علينا دويّاً إعلاميّاً هادراً. ولعل من أبرزها: "احترام الآخر" ، أو "الاعتراف بالآخر"، دون أن

ندري من هو الآخر، إلاّ أن الحق الذي يجب أن يكون هو أن يعترف الآخر بنا، ويحترمنا الآخر، فنحن المعزولون الذين لا يُعْترف بنا ولا بحقوقنا ولا بهويّتنا التي تنازلنا عنها طواعية. وقِسْ على ذلك سائر المصطلحات التي لا مجال لمعالجتها في هذه العجالة كالديموقراطية، والعلمانية، والعولمة، والمرأة وغير ذلك!

الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا ازدادت جرأة في الدعوة إلى ما تزعمه من ديموقراطية كاذبة وعلمانية باطلة وعولمة قاتلة. ازدادت جرأة في دعوة المسلمين إلى باطلها، فاخترقوا صفوف المسلمين الممزَّقة، يدعون ويجهرون ويُلحِّون، ويضعون من أجل ذلك إمكانات ضخمة، إمكانات إعلامية، وماليَّة، وعلمية، وبشريَّة، وعسكرية، ثمَّ يُزيّنون ذلك كله بزخرف كاذب، ووعود كاذبة، ومكر وخداع قد سقط فيه الكثيرون.

ومن أبرز مظاهر وسائلهم وأساليبهم ثلاثة أمور:

أولاً: أنهم يسيرون خطوة خطوة يتبعون بها الشيطان وخطواته، وقد نهى الله المؤمنين أن يتبعوا خطوات الشيطان:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [النور:21]

وثانياً: أنهم لا يتعجّلون ولا يضجّون ولا يُغرقون أنفسهم بالشعارات، ولكنَّ عملهم هادئ صامت، يصبرون ويتربّصون ويكيدون.

وثالثاً: أنهم يفكرون تفكير الشياطين، ويخططون تخطيطاً مادياً معزولاً عن الإيمان والدار الآخرة، ويمضون على نهج مدروس لديهم، إلاّ أنه معزول عن نور الإيمان وهداية الرحمن. فيكسبون جولات على قَدَرٍ من الله وسُنن لله ماضية وحكمه بالغة، حتى يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر!

أما نحن فقد منعنا التفكير عن أنفسنا، وإن فكرنا فنفكِّر مثل تفكيرهم المادي، لنؤمّن مصالح للدنيا. وقلَّما نلجأ إلى الله لجوءاً حقيقياً مستكملاً شروطه الإيمانية الربانية، لنفكّر تفكيراً إيمانياً! ولكنَّ تفكيرنا المشَتَّت المضطرب مزّقنا، وادّعاءنا الإسلام دون الالتزام فرَّقنا!

ومن هنا نستطيع أن نتلمس أهم آثار تخطيط الشياطين ومكرهم في واقع المسلمين اليوم، مما يمكن إيجازه بنقاط سريعة واضحة صريحة:

1. أثاروا الفتن والأحزاب والأحقاد في كل بلد إسلامي، ثمَّ حرَّكوا هذه القوى ليقاتل المسلمون بعضهم بعضاً، والأعداء ينظرون فرحين. انظر ماذا يحدث في أفغانستان والعراق والصومال وفلسطين ودارفور وأندونسيا وغيرها. لم ينجحوا بذلك لبراعتهم فقط، ولكن لهواننا وضعفنا وضعف التزامنا بأمر الله.

2. مزّقوا العالم الإسلاميّ إرباً إرباً بعد سقوط الخلافة الإسلامية، ولم يجدوا صعوبة في تمزيقنا، وربما وجدوا من بعض المسلمين إقبالاً وتأييداً.

3. أثاروا جميع أنواع العصبيات الجاهلية بالمكر والإغراءات وشراء النفوس والإعلام، وأثاروا العصبيات العائلية وألقوا بين المسلمين ما يتنافسون عليه ويتخاصمون، وأشغلوهم بما يصرفهم عن قضاياهم الرئيسة.

وقِسْ على ذلك سائر العصبيات. وقد نجحت خططهم في جميع البلدان التي مكروا بها، ثمَّ امتدَّ مكرهم هذا إلى بلدان أخرى، ومازالوا ماضين يُثيرون كلَّ غرائز الحقد والتحاسد وحب الدنيا حتى جعلوا المسلمين يلهثون وراءها، فما وجدوا إلاّ سراباً بعده سراب!

لقد أصبحوا وكأنهم هم يديرون قضايا العالم الإسلامي، ويظنُّ بعضُنا أنه هو الذي يدير دون أن يشعر أنه يُدار. ويُسَرّ بعضنا بظهوره على الفضائيات وإلقاء الخطب النارية والشعارات الحماسية، ويُخْدَعون بكثير من أسباب الزخرف الذي يُلْقى إليهم، ثمَّ يكتشفون الحقيقة بعد فوات الأوان، ولات ساعة مندم!

بمراجعة تاريخ القرنين الأخيرين نلاحظ بوضوح أن الأخطار على العالم الإسلامي آخذة بالازدياد، وأن الغزو يشتدُّ وتتنوّع أساليبه، وأنَّ الوهن في العالم الإسلامي يشتدُّ أيضاً، وأشدّ مظاهر الوهن هو تكوُّن جماهير ارتبطت قلوبها بالغرب وفكره وأدبه وعاداته وتقاليده ولغته، حتى أصبح الملايين من المسلمين لا يعرفون لغة قرآنهم، فهم لا يقرؤونه، وأصبحوا لا يشعرون بضرورة دراسة العربية وتدبّر القرآن والسنَّة باللغة التي جاءا بها من عند الله ورسوله. بل أصبحنا نحن نشجعهم على ذلك، ونقدم لهم التسهيلات ليبقوا على لغتهم، نترجم لهم معاني القرآن الكريم، وخطب

الجمعة، والسنَّة، ولا بأس في ذلك كخطوة أولى، ولكننا لا نعرّفهم بوجوب دراسة اللغة العربية التي أصبحت منذ نزول الوحي بها لغةَ الإسلام والمسلمين، ولغة الإيمان والتوحيد، ولم تعد لغة شعب محدود. إنها أصبحت لغة الإنسان؛ لأنَّ القرآن جاء للعالمين.

ونلاحظ كذلك أن التخطيط لزيادة تمزيق العالم الإسلامي يزداد قوّة وشراسة، وأنَّ التخطيط لإثارة جميع القوى المناهضة للكتاب والسنَّة ما زال مستمرّاً، وأنَّ من المسلمين من يقع في شرك هؤلاء وهؤلاء.

ويمكن أن نحدّد مصادر الخطر اليوم على العالم الإسلامي بالنقاط التالية:

1. إسرائيل ومخططاتها التوسعية ما عُلِمَ منها وما خفي.
2. العالم الغربي الذي ما زال يمدُّ أطماعَه ومكرَه وزحفَه، وتمتد خططه ومكره.
3. الذين يحملون شعار الإسلام، ولا يؤمنون بالكتاب والسنَّة كما نزل بها الوحي الكريم، ويحاربون الإسلام سراً وعلانية.
4. القوى المنافقة في قلب العالم الإسلامي، على تعدّد أشكالها وتنوّع ولاءاتها واختلاف وسائلها.
5. ضعف العالم الإسلامي أو معظمه من حيث الإعدادُ والنموّ العمليّ والصناعيّ.

لقد اهتم الكثيرون بالأخذ عن الغرب أشكال الملابس وزينتها ونماذجها، والأغاني والرقص، والتفلّت الجنسي تحت شعار الحريّة، وشعر التفعيلة والنثر، والحداثة ومذاهبها، ولم يحرص هؤلاء على أخذ العلم الحقيقي والصناعة وأسباب القوّة لأمتهم، وإنما أحضروا، وحملوا كل ما يوهن الأمة ويُمزِّقها.

من هذا العرض الموجز السريع، ومن خلال هذا البحر المتلاطم من الأخطار، نعود إلى قضية فلسطين وواقعها اليوم.

إنَّ جميع الآمال والأحلام التي حملناها خلال أكثر من ثمانين عاماً تلاشت أو كأنَّها تتلاشى. فبعد أن كانت القضية قضية الأمة المسلمة، أصبحت من خلال مخططات إجرامية قضية الشعب الفلسطيني وحده، ليواجه أقوى دولة في المنطقة وحده، ليواجه الدولة التي تراجعت كل الدول العربية عن مواجهتها، بل إنَّ بعضهم ارتبط معها

بتبادل التمثيل السياسي، وبعضهم الآخر يبدو أنه على الطريق، وليواجه الواقع الدولي الذي يقف صفاً متراصاً لحماية دولة اليهود.

في الوقت الذي كان فيه دويّ شعاراتنا وضجيجها على أشدّه حماسة وتهديداً ووعيداً لإسرائيل، كانت إسرائيل تعمل بهدوء في مخططاتها، حتى امتدَّ نفوذها على جزء كبير من العالم الإسلامي، دون ضجيج ولا صراخ، وامتدت مساحتها في فلسطين كذلك.

ودولة اليهود حسب مقررات هيئة الأمم المتحدة كانت مساحتها تقريباً 60% من أرض فلسطين، أما المساحة المقررة للفلسطينيين 40%. هذا كان سنة 1947م في قرار التقسيم. أما اليوم ، فمساحة دولة اليهود تزيد عن 90% من أرض فلسطين، ومساحة الأرض التي يُزْعَم أنها ستقوم عليها دولة للفلسطينيين هي بحدود 9-10% من أرض فلسطين، هذا بعد قيام ثلاث انتفاضات، تولى الإعلام العربي وغير العربي تغذيتها، وجميعهم يعلم أنه لا قدرة للفلسطينيين على إزالة دولة إسرائيل، كما كان شعار جميع الفصائل، وصفَّق الناس وهاجوا وماجوا لتلك الشعارات، وعُقدت الندوات والمؤتمرات وامتلأت الصحف، وضجَّت المهرجانات، ودارت الأناشيد، وجُمعت مليارات الدولارات، وطاف الناس هنا وهناك في حماسة عالية. ولكن لم يسأل أحد من الفلسطينيين ولا من الفصائل، ولا من الأحزاب، ولا من العرب، ولا من المسلمين، لم يسأل أحد أبداً: يا قوم هذا شعاركم فما هي خطتكم لتحقيقه؟!

ثمَّ بدأ التنازل شيئاً فشيئاً عن الشعارات: فكانت المطالبة بدولة عند حدود سنة 1967م. ثمّ جاءت المطالبة بحكومة وحدة وطنية بعد أن لم تستطع الحكومة القائمة تحقيق أيّ شيء من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو العسكرية واختفى شعار الإسلام، وحلَّ محله شعار الديموقراطية والانتخابات التي شغلت الناس وصرفتهم عن قضيّتهم، وأثارت الفتنة بينهم، وأشعلت القتال بينهم بعد ذلك، ودفع هذا الشعب الفلسطيني الذي صفّق طويلاً لهؤلاء ثمَّ لهؤلاء، ثمناً غالياً من الجوع والحرمان والحصار الدولي المدمر، والتقتيل والتدمير والسجون!

ثمَّ بدأت مرحلة: دولة الوحدة. وتوزّع الناسُ يطوفون الأرض يتوسّلون إلى الدول من أجل الاعتراف بدولة الوحدة الوطنية التي لم تتكوّن بعد، ورفعِ الحصار عن الشعب

الذي لم تعُدْ سواعِدُه ولا أكفّه ولا حناجره قادرةً على الهتاف والتصفيق، فحسبه أن يَسْكُبَ الدموع على قتلاه وضحاياه وعلى أطفاله، وعلى جوعه، وعلى مزارعه وبساتينه وثرواته!

لا بدَّ من وقفة صريحة هنا. لقد حدث تحوُّل كبير في الشعارات، وخاصة في وسائل الإعلام، حيث يظهر الدعاة المسلمون، وقد اختفت مصطلحات الإسلام عن ألسنتهم، وحلّت مصطلحات الديموقراطية والعلمانية وأمثالها، و أصبح الجميع ديموقراطيين. ألم يكف أن يقول داعية كبير في مقال له كبير: "نحن مع الديموقراطية بجميع أشكالها ومعانيها". لقد قالوا قبل ذلك مثل هذا عن الاشتراكية وتغنُّوا بها، فما نالوا خيراً منها ولا من أربابها. واليوم، مهما تغنُّوا بالديموقراطية فلن ينالوا منها ولا من أربابها خيراً، إلاّ زيادة المكر والكيد والكبر والإذلال والتدمير والعدوان. كان الشعار: "فلسطين ملك للمسلمين ومسؤولية المسلمين جميعاً"، ثمَّ اختفى هذا الشعار وحُصرت القضية بالفلسطينيين.

هذه الدولة التي يصارعون من أجلها، ويتصارعون من أجلها، ويَقْتُلون أنفسهم من أجلها، هذه الدولة على رُقْعة لا تزيد عن10% من مساحة أرض فلسطين، لا يوجد فيها أيُّ مقوّمات اقتصادية أو علمية أو فنية أو عسكرية لتقيم دولة، ولا حدود لها!

إنها فتنة وباب إشغال للمسلمين حتى يتابعوا تراجعهم وتنازلهم، ثمَّ لا ينالوا شيئاً إلاّ الإذلال والمهانة والهوان والضياع.

إنَّ إسرائيل، حتى لو قامت الدولة، تستطيع أن تدخل إلى أيّ بقعة منها، فتدمّر وتقتل، وتعتقل، ولا أحد في الأرض كلها يصدُّها عن ذلك إلاّ الشكوى تِلو الشكوى للمجتمع الدولي الذي سُكِّرتْ أبصاره وسُدَّت آذانه!

لقد اتجهت الأحداث أو وجّهت لتجعل أهل غزة والضفة، في واقعهم الحالي، لا يستطيعون الاستغناء عن إسرائيل والمجتمع الدولي، وفترة الحصار هذه أكبر دليل على ذلك. فالماء والكهرباء لا يأتي للقطاع إلاّ من إسرائيل. وكثيرون يحصلون على رزقهم من العمل في إسرائيل.

جميع الظروف لا تسمح لهذه الدولة المزعومة بأن يكون لها الكيان الحقيقي بالمفهوم الحقيقي للدولة. إلاّ أنها تسمح للوزراء والرؤساء أن يركبوا السيارات ويتمتعوا

بالألقاب، وبالسفر والمقابلات، والظهور على الفضائيات والصحف، وإعطاء التصريحات والحوارات، والانشغال بهذه الأمور وأمثالها. دون أي نتيجة إلاّ الاستدراج لتنازل بعد تنازل، ثمَّ الاقتتال والصّراع!

لقد وضح أن الطاقة المالية هي من الدول المانحة ومن إسرائيل. ففي أيّ لحظة يمكن أن توقف هذه المعونات، فيقاسي الفلسطينيون أشدّ أنواع المعاناة والإذلال.

وهنا يثور سؤال مهم: إذا كان هذا هو الحال في اللحظات الراهنة، فكيف سيكون حين يعود اللاجئون أو بعضهم، وحين يزداد السكان بشكل أو بآخر، وحين تقلُّ الموارد الذاتية والإمكانات؟!

هل هناك دراسات إيمانية حول هذه القضايا وأمثالها؟! هل هنالك خطط لمجابهة المستقبل؟!

هذه الأمور الواضحة الجليَّة ألم يُفكِّر بها أحد من الفلسطينيين؟! ألم يشعروا بما قدّموا من تضحيات ثمَّ لم ينالوا شيئاً، إلاّ أن تتقاذفهم السياسة الدولية يرمونهم حيناً يساراً وحيناً آخر يميناً، وحيناً هنا وحيناً هناك؟!

هذه اللحظات الحالية تمثّل لحظات التناقض والاضطراب في المواقف والتصريحات، وتمثّل لحظات الحَيَرة والارتباك، ومحاولة ستر العورات بوسائل متعدّدة بعد أن كُشِفت عوراتنا كلُّها، محاولة سَتْرها عن المسلمين أنفسهم، أما الأعداء فعوراتنا مكشوفة كلها لهم. إننا نخدع أنفسنا وحدنا، ونخدع الشعب والجماهير!

إن تجربة ثمانين عاماً من تاريخ قضية فلسطين لم نستفد منها شيئاً، فالوعود الكاذبة التي أُعطيت لنا قبل أكثر من ثمانين عاماً، والتي خُدِعنا بها وخسرنا بتصديقنا لها الشيء الكثير، فما زالت الوعود الكاذبة تُعطى لنا، وما زلنا نُخْدَعُ بها، وما زلنا نلهث وراءها، نسْتجدي من روسيا وفرنسا وإنكلترا وألمانيا وغيرها نظرة العطف وكلمة الإشفاق، وحتى الاعتراف بنا وبوجودنا ونحن نغرق في المصائب المتتالية وفي وحولها .

لقد تخلى الكثيرون عن إسلامهم وإيمانهم، ولم يعودوا يثقون بالله وبأن النصر من عنده فحسب، وجرى الكثيرون يلهثون يستجدون النصر من أوثان وأوهام، فينالون الصدمة بعد الصدمة، والإذلال بعد الإذلال، والهزائم بعد الهزائم.

مع ضخامة التجارب الحقيقية في الميدان، ومع وجود كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم بين أيدينا، ومع كثرة المؤتمرات والندوات والمهرجانات وما فيها من شعارات وصراخ، مع ذلك كله لم نتعظ، ولم نصحُ، ولم نعدْ تائبين إلى الله خاشعين بين يديه، فما زلنا ننحرف عن الإسلام بالتصريحات والفتاوى والمواقف، بالارتجال وعدم الرويّة، بحبّ إثبات الذات في الساحة، ولو على حساب الدين والأمة، حتى وضح أن الكثيرين يطلبون الدنيا لا الآخرة، ويؤثرون الدنيا على الآخرة، خلاف ما يأمر به الله سبحانه وتعالى. ما زلنا ندويّ بالشعارات ونبتعد عن النهج والتخطيط والدراسات الإيمانية، وما زالت الشعارات تتساقط، وما زلنا في أوهام تمتدُّ، لم نستطيع أن نجعل شيئاً منها حقيقة!

لم ندرك، بالرغم من كثرة التجارب وجلاء الآيات، أننا كلما تنازلنا عن إيماننا وديننا وجاملنا الأعداء بِتَبَنِّي مبادئهم حتى يرضوا عنا، كلما فعلنا ذلك زاد الأعداء من إذلالنا. فممالأة الأعداء ومراءاتهم وموالاتهم لم تعطنا أيَّ احترام لنا لديهم ولا أيَّ وفاء لوعود، ولا أيَّ توقُّف عن إذلالنا. كلّما جاملنا زاد إجرامهم بنا، والأمثلة كثيرة في التاريخ.

لا يوجد لدى المسلمين اليوم رؤية واحدة يجتمعون عليها، ولا هدف واحد يؤمنون به ويجاهدون من أجله، ولا يمثلون اليوم أمة مسلمة واحدة، صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص، كما يريدها الله سبحانه وتعالى ويحبّه ويأمر به.

إنَّ جميع انحرافاتنا ومخالفاتنا لأمر الله تتجمع كلها في قضية واحدة رئيسة هي تمزُّقنا وتفرُّقنا شيعاً وأحزاباً مما يستوجب عقوبة شديدة من الله وعذاباً عظيماً كما نذوق بعضه اليوم:

(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران:105]

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ *مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) [الروم:30–32].

وكذلك:

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) [الأنعام:159].

إن الأخطار على العالم الإسلامي كله آخذة بالامتداد والازدياد، وليس أمام المسلمين إلاّ أن يعودوا إلى الله عودة صدق والتزام، وتوبة وإنابة، ثمَّ يلتقون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص يحملون رسالة الله كما أُنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم يبلّغونها إلى الناس كافّة، بعمل ممتد لا يتوقف. فإذا توقّف المسلمون عن حمل دعوتهم هذه، فإنَّ المجرمين في الأرض يبادرون إلى دعوة المسلمين إلى ضلالهم وفسادهم، ويلحّون بذلك. فإمَّا يقظة وعودة والتزام، وإما هلاك محتم وعذاب من عند الله عظيم.

وحتى يلتقي المسلمون أمة واحدة فلا بدَّ من منهج صادق نابع من الكتاب والسنّة، وقواعد الإيمان والتوحيد، ومدرسة النبوّة الخاتمة، مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم ، منهج لا يقوم على الأوهام المخدّرة ولا على الشعارات الطائرة المتساقطة والزخارف المغرية، وإنما يقوم على قواعد صدق تعالج واقعنا المؤلم المتدهور، منهج ونهجٍ تلتقي عليه القلوب والعزائم.

وأساس هذا النهج هو منهاج الله . قرآناً وسنّة ولغة عربية . يصاحبه المسلم صحبة منهجية صحبة عمر وحياة، كلٌّ قدر وسعه الصادق، لا وسعه الكاذب. إنه "نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ومناهجها"، يُعرض في كتب توجزه وكتب تفصّله.

لذلك، فقد فاجأتنا الأحداث الأخيرة في غزة بالاقتتال الدائر بين حماس وفتح، الاقتتال الذي استمرَّ أكثر من أسبوع سقط فيه عديد من القتلى والجرحى. وفاجأتنا بهدنة بعد هدنة لإيقاف القتال، لا تستمرّ إلاّ للحظات ثمَّ يستأنف القتال.

أول سؤال نطرحه على الطرفين: ما هو النهج والخطة التي وضعتموها منذ اللحظة الأولى التي انطلقتْ فيها شعاراتكم كلُّها لتحقيق شعاراتكم؟! هل كان هنالك خطّة مدروسة واعية للواقع المحلّي والدولي لتحقيق الأهداف المعلنة؟!

والسؤال الثاني: أين اختفت تلك الشعارات كلها؟!

والسؤال الثالث: شعار الدم الفلسطيني حرام! كيف جعلتموه حراماً ثمَّ حلّلتموه؟!
والسؤال الرابع: هل حقّاً تقاتلون في سبيل الله ملتزمين جميع الشروط الشرعية لمعنى في سبيل الله؟! وهل تريدون الدنيا وزهوتها أم الدار الآخرة؟ والله يعلم ما في القلوب.
والسؤال الخامس: كيف أحللتم نقض اتفاق مكة؟! أم أنه كان اتفاقاً لم يغيّر ما تضمره النفوس وتخفيه؟!
والسؤال السادس: أين الخلل؟! ومتى بدأ؟! وهل تورّطتم في مخالفة منهاج الله؟!
ارجعوا جميعكم فرداً فرداً إلى أنفسكم وحاسبوها حساباً شديداً، فالحياة الدنيا دار ابتلاء وتمحيص، والدار الآخرة دار حساب وجزاء. فإذا خرج الإنسان من هذه الدنيا لن يجد فسحة لمراجعة نفسه وإصلاحها، لا مجال للتوبة!
(حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ).
[المؤمنون: 99-100]
إنَّ الذي حدث في أرض فلسطين أمر مروّع، مخيّب للآمال، فاجعة قاسية، كأنَّ الناس فقدوا إيمانهم ووعيهم، وتملكتهم العصبية الجاهلية القاتلة المحرّمة تحت شعارات الوطنية والديموقراطية وغيرها، وقست القلوب، ونُزِعَت الرحمة، وجال الشيطان في الساحة وفي النفوس يزيّن الباطل ويشوّه الحقّ، ويقطع الحبال والصّلات!
هل الخلل فينا قديم، ثمَّ أخذ ينمو مع الأيام حتى اتسع الانحراف، فغاب التناصح، وغاب التزام منهاج الله التزام نيّة وعزيمة وعلم، وغاب النهج والتخطيط وغلبت الشعارات وضجيجها، وبُحَّت بها الحناجر! إنه انحراف واسع عن نهج الإيمان والتوحيد ومنهاج الله! لا بدَّ من وقفة ويقظة ومحاسبة للنفس وتقويم للمسيرة! إلى أين تسيرون؟! وإلى أين تتجه الأحداث؟!
وإننا نُقدِّم هذا النهج بتفصيلاته ودراساته المفصّلة والموجزة، نقدّمه ونعرْضُه لكلِّ مسلم ومسلمة، وكل حركة إسلامية، وكل جماعة ومجتمع، وكل من يريد الدار الآخرة ورضوان الله والجنَّة، ويجعل الدنيا ميدان جهاد ومجاهدة على صراط مستقيم إلى الهدف الأكبر والأسمى . الدار الآخرة ورضوان الله والجنة .، حتى يكون للمسلمين

في الأرض منهج للبناء واحد ونهج واحد، كما كانوا أيام محمد صلى الله عليه وسلم ، فيُبْنى بذلك جيلٌ مؤمن واحد في إيمانه وفكره وتصوّراته وفهمه للواقع، وفي أهدافه المحددة، ووسائله المحددة التي يمكن أن تتطور وتنمو مع الممارسة ومجابهة الأحداث المتجددة، في جوّ صادق من التعاون:

(...... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [المائدة:2]

"يجب أن نتعاون فيما أمر الله أن نتعاون فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما أذن الله لنا الاختلاف فيه".

ولا يمكن أن يقوم التعاون الصادق إلاّ إذا تحققت فينا نحن المسلمين أخوة الإيمان كما أمر الله سبحانه وتعالى:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)

[الحجرات: 10]

ولا تتحقق أخوّة الإيمان إلاّ إذا اتجهت القلوب كلها إلى الدار الآخرة وآثرتها على الحياة الدنيا، وصدقتْ إيمانها بالله وكتبه وملائكته ورسله، وتابت بين يديه وأنابت إليه:

(وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ)

[الزمر: 54-55]

ولا تصدق الإنابة ولا يصْدق الإسلام لله إلاّ إذا كان العهد الأول هو مع الله، والولاء الأول هو لله، والحب الأكبر هو لله ورسوله:

(أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) [الرعد: 19-22].

وكذلك:

(إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ * وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) [المؤمنون : 57–62].

وكذلك:

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) [النحل:91–92].

وحتى يتحقق هذا في واقع الحياة لا بدَّ من نهج واع وخطة مدروسة يحملها الجيل المؤمن الرباني، لينبع النهج والخطة من منهاج الله . قرآناً وسنّة ولغة عربية .، ومن قواعد الإيمان والتوحيد، ومن مدرسة النبوّة الخاتمة، مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا علم الله صدق القلوب والعزائم، وصدق الولاء الأول لله والعهد الأول مع الله والحب الأكبر لله ولرسوله، وصدق أخوة الإيمان، وصدق الإنابة والخشية والخشوع، وصدق البذل والجهاد في سبيل الله صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص، أنزل نصره وأعزَّ أمته!

هذا هو أمر الله أيها المسلمون! فإما هذا وإما الهلاك! ومن أجل ذلك نقدِّم النهج الذي أَشرنا إليه، عسى أن تنجح العزائم المؤمنة المتعاونة في بناء الجيل المؤمن، وفي تحقيق لقاء المؤمنين، وبناء الأمة المسلمة الواحدة. وبغير ذلك ستثور العصبيات الجاهليَّة لتمزّق المسلمين.

وإذا كانت حركة فتح "علمانية"، وحماس تعرف ذلك كما أوضحته في ميثاقها الأول، ودعت نفسها وفتحاً إلى الالتقاء على مبادئ جاهلية:

أخاك أخاك إنَّ من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

ولم تدعُ نفسها وفتحاً إلى قوله سبحانه وتعالى:

(قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ). [التوبة: 24]

ومضت السنون ولم تجد فتح العلمانيَّة من يدعوها إلى الإسلام والالتزام به. فلو دُعِيَتْ فتح إلى ذلك، وهذا واجب شرعي، فربَّما استجابت لذلك!

ولكنَّ حماساً نفسها رفعت الشعارات الوطنية والإقليمية الفلسطينية والديموقراطية حتى كادت تختفي شعارات الإسلام. وأراد الجميع أن يحلُّوا قضيّة فلسطين على أساس فلسطيني، يتحمّل الفلسطينيون وحدهم مجابهة إسرائيل والواقع الدولي الداعم لإسرائيل. وانعزل العرب والمسلمون عمليَّاً عن القضيَّة.

ولو أنَّ المبدأ الذي رُفع هو الإسلام بكلِّ شروطه ومبادئه ومعانيه، ومدَّت حماس يدها إلى المؤمنين في الأرض، ليكونوا كلهم صفّاً واحداً يلجأ إلى الله مخلصين له الدين، يسألونه العون والمدد، لو تمَّ ذلك فربّما تغيّرت الأوضاع.

ومع هذه المفاجآت المؤلمة المحزنة، نظلُّ ندعو الجميع إلى نهج مدرسة لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن ومناهجها، إلى منهاج الله، إلى العودة إلى الله والتوبة واللجوء إليه! ندعو إلى ذلك بكل صدق ونصح وإخلاص، ونمضي على ذلك حتى نلقى الله عليه، لا نبدّل ديننا بديموقراطية ولا فلسطينية ولا أي معنى من هذه المعاني!

وأخيراً عسى أن يقف كلُّ فريق مع نفسه ويُقوّم مسيرته على ميزان ربّاني قبل أن يلقى الله على ما هو عليه، فيخسر الدنيا والآخرة:

(...... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

[النور:31]

==============

#حول نهاية التاريخ وسقوط الإيديولوجيات

أ.د عماد الدين خليل 1428/1/24

2007/02/12

أما نهاية التاريخ التي قال بها المنظر الأمريكي (فرنسيس فوكوياما) فلا تعدو أن تكون افتراضاً، وهو إذا أحلناه على قوانين الحركة التاريخية نفسها يغدو افتراضاً مستحيلاً...

ذلك أن البشرية فُطرت على التغاير والتنوع والاختلاف، وهي معطيات تعكس نفسها على مرآة التاريخ حيناً، والجغرافيا حيناً آخر، وبصيغ شتى قد تبدأ بلون البشرة واللغة، والعادات والتقاليد الأولية، وتنتهي بالنشاط أو الفعل الحضاري بمفهومه الشامل.. وكل المحاولات التي جرت لإلغاء هذه الحقيقة أو تجاوزها، أو القفز عليها، آلت إلى الفشل.

و(فوكوياما) نفسه عاد، بعد سنوات من إصداره كتابه المعروف، لكي يغير ويبدل في بنيته الأساسية، ولكي يعطي المجال للتغاير المحتوم بين الأمم والجماعات والشعوب.

لقد قالها القرآن الكريم بوضوح: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) [سورة هود: 118] – إلاّ من رحم ربك– ولذلك خلقهم، أي خلقهم للتغاير والتنوع والاختلاف، وهي من بين جملة من الشروط التي تعين على تحريك الحياة البشرية ودفعها إلى الأمام، وتطهيرها من السكون والفساد: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) [سورة البقرة: من الآية 251].

في يوم ما حلمت الشيوعية بنهاية التاريخ على طريقتها الخاصة، تستلم البروليتاريا مقاليد السلطان، وتستوي الأمم والشعوب تحت مظلة شيوعية يستوي فيها الجميع، وتذوب خصوصيات وفواصل الأمم والطبقات والشعوب، ويغيب العمق التاريخي، والإرث الحضاري، و لا يتبقى هناك سوى نماذج مكررة تنتظر فرصتها للمأكل والمسكن والجنس.. فماذا كانت النتيجة؟

واليوم يحاول منظر أمريكي كفرنسيس فوكوياما أن يعيد المقولة نفسها، ولكن تحت مظلة الرأسمالية وبقيادة الدولة الكبرى والأقوى: الولايات المتحدة الأمريكية. وهرول المخدوعون بهذا الإدعاء يلقون أرديتهم وخصوصياتهم وإرثهم الثقافي ودينهم وعقيدتهم، وهم يتصورون أن الانتماء للمظلة الجديدة سيمنحهم الخبز والدفء والملذة والأمان.

وفي اعتقادي: فإن نظرية نهاية التاريخ وُلدت كي تموت؛ لأنها ترتطم ابتداء بقوانين التاريخ نفسه!

وأما سقوط الإيديولوجيات الذي أكدته معطيات القرن الأخير الموشك على الانصرام: إذ تهاوت نظرية الرجل الأبيض، والاستعماريات الغربية الكبرى، والشوفينيات العملاقة، والوجودية ذات الإغراء .. والشيوعية السوفيتية الأممية و .. فإنه لا يعني – بالضرورة– عدم قدرة الأيديولوجية أو العقيدة الأكثر انسجاماً مع مطالب الإنسان، على التواصل والديمومة والبقاء.. بل على العكس تماماً: إن سقوط الإيديولوجيات الوضعية يؤكد ضرورة الإيديولوجية الدينية؛ لأنها الوحيدة التي لا تأسرها نسبيات الزمن والمكان، أو تصوغها عقول بشرية، مهما جدت واجتهدت فإنها عرضة للخطأ والقصور والانحياز.. لأنها تفتقد– ابتداء– القدرة الشمولية، والرؤية الموضوعية العادلة، للوجود والمصير.

والعولمة هي إفراز طبيعي تماماً لجملة من الشروط والعوامل التي شكلت الحضارة الغربية المادية عبر القرون الثلاثة الأخيرة.. وهي مزيج مرتبط الوشائج من كل المؤثرات والمعطيات التي تنطوي عليها هذه الحضارة: التفوق العلمي في سياقيه الصرف والتطبيقي، والقدرة العسكرية بتقنياتها الهائلة المتمخضة عن ذلك التفوق.. والإمكانات الاقتصادية الأسطورية.. والمركزية الأوروبية المنسحبة، أو المهاجرة إلى القارة الجديدة، ورؤية الرجل الأبيض للشعوب الأخرى، والعقلية الاستعمارية الباحثة عن تسخير الأيدي والعقول العاملة الأكثر رخصاً وعطاءً، وعن الخامات التي تديم قدرتها على العمل والاستمرار، والأسواق التي تلتهم إنتاجها.. أضف إلى ذلك نبضها الديني الذي لا يزال يخفق تحت أردية العلمانية والإلحاد وينتظر الفرصة للرد على أولئك الذين تحدوه يوماً، وإنزال العقاب بهم.

هذه كلها تجتمع اليوم لكي تشكل منطوق العولمة بفرضياته ومعطياته معاً.. بل إن نظرية نهاية التاريخ نفسها، وبموازاتها نظرية صراع الحضارات لصمويل هنتنجتن وغيرهما من التنظيرات الفكرية تصب هي الأخرى في بؤرة العولمة.

ولنتذكر اللدغة التي تلقتها المنظومة الشرق أقصوية التي طمحت إلى قدر من الاستقلالية في نشاطها الاقتصادي والمالي... إذ سنجد أن الخاسر الوحيد في لعبة

العولمة، أو دولابها الأسطوري هي الشعوب الأضعف، مهما كانت مطالبها عادلة ومحقة.

إن خط الغنى والفقر الذي سبق وأن تحدث عنه المفكر الجزائري مالك بن نبي – رحمه الله– والذي يمتد على محور طنجة– جاكرتا، فيفصل العالم إلى شمال وجنوب.. لن يكون بمقدور العولمة أن تلغيه بوعودها الخادعة، بل على العكس، وكما هو واضح عبر معطيات العقد الأخير، ستزيده عمقاً، وسيكون عبور الخنادق الموغلة بين الطرفين أمراً مستحيلاً

================

#التكامل الفريد

أ.د عماد الدين خليل 1427/11/27

2006/12/18

هناك حالة أو ظاهرة أو سمّها ما شئت: إنه ما من مبدأ أو مذهب أو خبرة بشرية تنطوي على الحسن والرديء، وتتضمن في نسيجها شيئاً من الحسن، إلاّ ونجده في حالة مقارنته وتحليله مركوزاً في نسيج الإسلام. بمعنى أن كافة الخبرات الجيدة في التاريخ والتجربة البشريتين تلتقي مع الإسلام، وبمعنى آخر أن الإسلام يقدم للإنسانية بشكل جاهز ومعجز كل ما هو حسن في جوانب حياتها كافة، والتي لم تستطع التوصل إليه إلاّ بعد كدح طويل وهدر في الطاقات والأعمار.

بالمقابل فإن كل ما يبدو ناقصاً، مجتزأ، شريراً، مائلاً، حائداً عن الحق في المذاهب والخبرات جميعاً، يحذر منه الإسلام، ويحرمه، ويعلن الحرب عليه. ويبدو– بشكل من الأشكال – أن المعضلة الأساسية تكمن في نسب (الخلطة) إذا صح التعبير.. المساحات المعطاة لكل صغيرة وكبيرة في حياة البشرية، وبالنسبة المحددة والحدود المطلوبة والموقع الملائم والدرجة اللونية الصالحة.

إن الإسلام وحده من يفعل ذلك لأنه من علم الله سبحانه، الذي يعلم من خلق، والذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.. بينما في المذاهب الأخرى تتداخل النسب وتضطرب، وتزحف باتجاه بعضها، وتتجاوز حدودها المرسومة على حساب الأخريات، فتكون التخمة والحرمان، الشبع والجوع، الوجدان والانعدام، الأبيض

والأسود.. ويكون الفرد أو الجماعة، العدل أو الحرية، الروح أو الجسد، الدنيا أو الآخرة، الأرض أو السماء، العلم أو الإيمان، المنفعة أو القيم .. الخ ويكون الميل والهوى والظن والفوضى والاختلال.

وبموازاة هذا، فإن شخصية محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي يمثل التعبير الكامل عن الإسلام، القرآن الذي يمشي على الأرض، تعطينا نموذجاً على توازن سائر القدرات والخبرات في الشخصية البشرية.. هل كان هذا سبب ترشيحه من (مايكل هارت) في (المائة الأوائل) ليكون على رأس أعظم الشخصيات المائة في التاريخ البشري؟

ولعل هذا التوازن والتكامل الباهر في نسيج الإسلام ما يجعل من الجرم الشنيع محاولة خرقه وإدخال الاختلال إليه، بهذه الطريقة أو تلك، بتغليب عامل على آخر، أو تجاوز مساحة على حساب مساحات أخرى، أو إسكات خفقة أو نبضة لكي يعلو على حسابها صوت من الأصوات.

إنه يبدو كما لو كان خطأً فادحاً؛ لأنه يميل بالموزون إلى الاختلال، وبالمتناسق إلى الاضطراب، وبالجميل الزاهي إلى المتنافر القبيح..

ويحاول أن يسحب هذه التجربة الباهرة لكي تنزل عن مستواها المتألق، فتحاذي هذه التجربة أو الخبرة أو تلك، من تجارب الناس وضلالاتهم وظنونهم وأهوائهم.

وهكذا يبدو مما شهده تاريخنا أحياناً، خطل تلك المحاولات المتشنجة التي مارست نوعاً من هذا الخرق: المعتزلة وهم يغلبون العقل.. الصوفية المنحرفة وليست الأصيلة القائمة على التوحيد، وهي تغلب الروح.. المتكلمون وهم يغلبون المقايسات المنطقية .. الفلاسفة وهم يغلبون الميتافيزيقا على الوجود... المرجئة وهم ينحنون لضغوط الواقع المنظور... الخ.

كما تبدو محاولة العلمانية في تاريخنا المعاصر منطلقة من الخطيئة نفسها، وهي السعي لتجزيء الإسلام، وتجاوز نسيجه الباهر المتوحد الملائم تماماً للإنسان.

ليس هذا فحسب بل إن العلمانية، في بدء التحليل ونهايته إنما هي سعي محموم لتحجيم الإسلام، لإلغاء مساحات واسعة من نسيجه والتضييق عليه، ودفعه دفعاً إلى الانكفاء في المسجد في محاولة لنصرنته، أي لجعله ديناً طقوسياً صرفاً لا

يتعامل إلاّ مع العلاقة الفردية الخالصة بين الإنسان وربه.. وينسحب من مجرى الحياة الدافق لكي يهيمن عليه الطواغيت والوضّاعون والأرباب.

وهم يدخلون علينا بخبثهم ومكرهم من أبواب متفرقة، ويحاولون أن يغطوا على لعبتهم بإدعاء الحرص على سلامة الدين ونظافته وطهره من أن تلطخه وتمس بثوابته الأبدية أوحال السياسة، أو متغيرات الكشف العلمي القلقة النسبية، أو هدير المجتمع الصاخب الذي تحكمه المصلحة وتشكّله الدوافع المادية الصرفة.

إنهم يحاولون أن يجرّدوا الدين من قدرته على الالتحام بالحياة.. يمنعوه من إعادة صياغتها بما يريده الله سبحانه، وذلك بسحب يده من السياسة والعلم والممارسة الاجتماعية ودفعه دفعاً إلى أن يترهبن وينعزل عن الدنيا لكي تخلو لهم الساحات.

وإنها لجريمة مزدوجة يبدو أحد وجهيها في تشويه واجتزاء الصورة الحقيقية المتوازنة والمتكاملة والمدهشة لهذا الدين، ويبدو الوجه الآخر في إحلال معطيات الوضعيين محلها.. وهي معطيات أثبت الزمن على امتداده، قصورها وعقمها ونسبيتها وقلقها وظنيتها وعجزها عن تغطية مطالب الحياة على تشعبها وامتدادها..

وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى). [سورة النجم: 23].

==============

#في تفسير ظاهرة صعود "الحركات الإسلاميّة"

إبراهيم غرايبة 1427/8/9

2006/09/02

دأب الخطاب العربي المعاصر على تسمية ظاهرة الحركات الإسلامية بالإسلام السياسي، ويقدم كتاب تركي الربيعو الذي صدر مؤخراً بعنوان "الحركات الإسلامية في منظور الخطاب العربي المعاصر" تحليلاً للخطاب العربي حول الحركات الإسلامية ومحاولته لتفسير الظاهرة وأبعادها، وربما يجدر بالإسلاميين معرفة طريقة تفكير الآخرين ورؤيتهم، فالفكر العربي المعاصر والذي يغلب عليه الاتجاه اليساري يحتكم إلى الماركسية في رؤيته للعامل الدين وتطبيقاته في التاريخ.

كانت هزيمة 1948و 1967 مناسبة للباحثين للتفكير في أسباب الهزيمة والانحسار، وقد وجد اليساريون ذلك في الدين، وراح صادق جلال العظم في كتابه "نقد الفكر الديني" يبشر بانهيار الدين بقوله: "يبدو أن الموقف الديني القديم الممتلئ بالطمأنينة والتفاؤل في طريقه إلى الانهيار" وقد عزا ذلك لأسباب عديدة منها: أننا نمر في طور نهضة مهمة، وبانقلاب علمي وثقافي شامل، وأننا نمر في مرحلة تتميز بتحويل صناعي واشتراكي جذري، وأننا تأثرنا إلى أبعد الحدود بأخطر كتابين صدرا وهما "راس المال" وأصل الأنواع" لدراوين.

ولكن ما حدث بعد عام 1967 هو العكس تماماً، فقد نشأت صحوة إسلامية كبرى مازالت ممتدة ومتنامية، وكان كتاب سيد قطب "معالم في الطريق" الذي صدر عام 1965 بالإضافة إلى كتبه الأخرى، وبخاصة "في ظلال القرآن" أكثر تأثيراً ربما من أي كتاب آخر في الأجيال العربية، حتى إن غازي القصيبي وصفه في إحدى رواياته على لسان أحد شخوص الرواية بأنه أهم كتاب صدر في الخمسمائة سنة الأخيرة.

لقد تعددت تفسيرات الصحوة الإسلامية وارتبكت، فأتباعها ينتمون إلى كل الفئات الاجتماعية والاقتصادية، ويذهب غالي شكري إلى الربط بين ظاهرة الإسلام السياسي وانتشارها، وبين انتشار المخدرات كرد فعل سيكولوجي يقوم به الإنسان المقهور على جملة التحديات، إن المقهور بتزمته وتمسكه بالتقاليد وبنكوصه إلى الماضي واحتمائه بأمجاده، يلجأ إلى أوالية شائعة في حالات الفشل تدفعه إلى أحضان الدين، وإلى مزيد من التعنت والتزمت.

وهكذا تظهر الحركات الإسلامية على أنها تعبير عن أوالية شائعة في حالات الفشل، يلجأ إليها الإنسان المقهور أو الإنسان العصبي، ويوصلنا هذا التفسير إلى نوعية الخطاب هنا وهو إقناع المخاطبين بضرورة الحجر الصحي على الشباب المسلم المنضوي في إطار الحركات الإسلامية، ويظهر هذا جلياً في الترابط الخفي الجلي بين المعرفة والسلطة، بين المعرفة التي يذكيها الخطاب التقدمي العربي، وبين رغبته في ممارسة السلطة، أو التعاون مع السلطة الحاكمة للوصول إلى الهدف.

وردت بعض التفسيرات الظاهرة إلى انحطاط البرجوزاية العربية وهزيمة حزيران، وتراجع المشروع الوطني، فساهمت هذه الأسباب في صعود الوعي الديني وتجليه في الحركات الإسلامية، وهناك وجهة نظر تقول إن التعليمية القائمة على التلقين تشكل أساساً صلباً يعين على انتشار الواعظين والأئمة، وعلى انتشار ظاهرة التطرف الديني في أوساط المثقفين والمهنيين، أما الأستاذ محمد حسنين هيكل فيقول: إن السادات كان مشغولاً بأعدائه من ناصريين ويساريين، فسعى لاستغلال الدين من خلال لقب الرئيس المؤمن وإصراره على حضور صلاة الجمعة، وتقوية محطة القرآن الكريم واستغلال الدين في الجامعات.

وهناك تفسير اجتماعي مفاده أن الظاهرة الإسلامية هي أيدولوجيا ريفية في عالم المدن، فيقول محمود أمين العالم: هؤلاء الشباب كانوا من أصول ريفية فقيرة، ممن نزحوا إلى المدن الكبرى للعلم أو البحث عن عمل، وهم من أسر فقيرة أو من فئات وسطى وصغرى.

ويعزو الأستاذ فالح عبد الجبار يعزو إشكالية المنتج الريفي الصغير والتي تتجلى في شكل ديني له ثبات في القانون، والذي يهاجر إلى المدينة حاملاً معه تأثيرات الريف إلى المدينة وليس العكس، ويشير محمد حافظ دياب أن الخطاب القطبي الذي تؤول إليه جميع الخطابات الإسلامية المعاصرة، هو في النهاية التعبير الحي عن أيدولوجيا ريفية مسحوقة في عالم المدن، هذا التفسير يسود في أوساط الخطاب اليساري العربي، حيث ترتد بالظاهرة إلى موجات من الهجرة الريفية التي غزت المدن وما تحمله من أيديولوجية غيبية هيأت مرتعاً خصباً لنشوء هذه الحركات؛ فالحركات الإسلامية هي تعبير عن صراع الريف والمدن، وفي الحقيقة فإنه تفسير يتضمن نظرة احتقار للفلاح وثقافته، ويحمل أيضاً نزعة استشراقية لا تحترم الدين الإسلامي، أو تعده دين البساطة والبداوة والريف.

وهكذا فقد غلب على الخطاب العربي نظرة ملتزمة بالعودة إلى المثال، لا إلى الواقع والخصوصية، وهي تضفي على الدين قيمة سلبية مستمدة من رؤية وتجربة أوروبية، فالخطاب العربي يجد نفسه باستمرار أمام هذه الإشكالية المستمرة، التي تتمثل في فاعلية الدين على صعيد الجماهير، وقدرته على تجنيدها في الدفاع عن الأرض

والوطن بحيث أصبح الدفاع عن الدين الإسلامي هو دفاع عن هوية، عن جماعة وأرض، على نحو يناقض كل مقولات الخطاب العربي المعاصر أو أغلبها.

إن المتتبع للخطاب اليساري العربي وبخاصة في النصف الثاني من عقد الثمانينيات، يجد أن هذا الخطاب يقع في إطار يهدف إلى إدانة الحركات الإسلامية المعاصرة، ووصفها بالانحطاط والشكلية والجمود، والرجعية، والوعي الزائف، فالأستاذ محمود العالم يرى:

"إن خطابهم يتسم بشكل عام بالجمود والتسطح والشكلية، بل والسذاجة أحياناً إنه رفض انفعالي للواقع، وأنه لا يوجد في بلادنا معارضة دينية مستنيرة، واعية بحقائق مجتمعنا وعصرنا وملتزمة بهموم شعبنا".

ويذهب سمير أمين في هذا الاتجاه: "إن سيد قطب يكاد يكون المنتج الأيديولوجي الوحيد للإخوان المسلمين، وأنه المرجع لكل الحجج التي تستقي منها السلفية في عهدنا، ولم يزد أحد المفكرين –مفكري السلفية– شيئا على ما قدمه قطب".

ويحتدم الجدل في الخطاب العربي الإسلامي حول إشكالية الدين والدولة، وتكثر التساؤلات إزاء تاريخ بعيد للدولة وللعقل السياسي العربي، من التاريخ الأموي والعباسي، الذي تحولت فيه الخلافة إلى مُلك، وغياب الشهادة المعاصرة للدولة الإسلامية هو الذي فسح المجال للتأويلات العديدة.

ويجد كل من هشام جعيط وعبد الله العروي أن هذه المقولة (الإسلام دين ودولة) بدأت مع الغزو الاستعماري للمنطقة العربية في أوائل القرن الثامن عشر، فقد لاحظ الفقهاء في ظل الدولة الإسلامية انفصال الشرع والعدل عن العمران، في حين إن التجربة الأوروبية التي باتت نموذجاً يحتذى هي شاهد على ارتباط العدل بالعمران، فتنادوا إلى القول بضرورة الربط بين التقدم والعدل الذي لا يتحقق إلا بالشرع لأن العدل بالشرع، والعدل

يعني تقييد الحاكم بقواعد الشرع، وقد كان "العروي" على وعي بمأزق الدولة القائمة في الوطن العربي.

وأما برهان غليون في كتابه "الدولة والدين" فقد لاحظ أن الضغوط والطلبات تزداد على الفكرة الإسلامية من قبل الشارع، ومن قبل الدولة نفسها في بعض الأحيان، في

حين شهدت الفكرة القومية العلمانية تراجعاً كبيراً على المستوى النفسي والعقدي، والسياسي، فأصبحت الوطنية تبحث عن مصدر نموها وإلهامها في الفكرة الدينية، وتأكدت بذلك القطيعة التقليدية المتزايدة بين الفريقين، يعتقد الأول أن بناء الدولة لن يستقيم إلا إذا أُخذ بما يظن أنه نظرية الدولة الحديثة بامتياز، أي فلسفة العلمانية كدين للدولة، ويؤمن الثاني بأن العرب والمسلمين لن يتمكنوا من الخلاص وتحقيق الأمن والاستقرار والسعادة الأرضية والأخروية إلا إذا نجحوا في إعادة بناء الدولة العربية على الأسس التي قامت عليها دولة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

ويرى غليون بأن الإسلام "لم يفكر بالدولة، ولا كانت قضية إقامة الدولة من مشاغله، وإلا لما كان ديناً، ولما نجح في تكوين الدولة، لكن الدولة كانت أحد منتجاته الجانبية والحتمية" فالدين هو روح الدولة التي تصبح بدورها جسد الدين وسلاحه وذراعه، والدولة الإسلامية م تكن بحال دولة الله، بل دولة المسلمين بما هم كائنات بشرية قابلة للخطأ والصواب".

وقام رضوان السيد (وهو أستاذ جامعي درس في الأزهر وفي ألمانيا) بتحقيق وتقديم أهم المؤلفات الكلاسيكية للفقهاء المسلمين في مجال الدين والدولة، من الماوردي إلى الطرطوشي، وهناك تأكيد على أن الكلاسيكيين كانوا أكثر حصانة وشجاعة في قراءتهم لإشكالية الدين والدولة، وأنهم يسبقون الكتابات الأيدلوجية المعاصرة التي تذكيها خطابات الإسلام السياسي أو تلك التي يذكيها مثقفون عرب علمانيون معاصرون، والتي تكشف عن عمق الهوة وعن مدى المأزق الذي يوجه مسيرة الفكر العربي المعاصر في قراءته المؤدلجة للماضي والحاضر والمستقبل، والتي تنحدر علينا من كل حدب وصوب، المأزق الذي يكشف عجز الخطاب العربي، وعلى مدى قرن كامل من إنتاج خطاب عقلاني في هذا المقام

===============

#عن النهضة والدين وأحداث 11 سبتمبر

د. غازي التوبة 1427/7/22

2006/08/16

تأرجح الموقف من الدين الإسلامي عند دعاة النهضة خلال القرن الماضي بين موقفين:

الأول: اعتبر أنّ الدين لا يحول بين المسلمين وبين النهضة، وأنّ المشكلة تكمن في نقل التنظيمات الغربية، وفي فتح باب الاجتهاد، وفي المواءمة والتوفيق بين المعطيات الشرعية ومعطيات الحضارة الغربية.

الثاني: يعتبر أنّ الدين الإسلامي يحول بين المسلمين وبين النهضة؛ لذلك يجب عزله وتجاوزه وتأويل المتعارض منه بما يتفق مع معاني الحضارة الغربية.

وانطلق أتباع الموقف الثاني من المشابهة بين أوروبا والعالم الإسلامي؛ فأوروبا نهضت عندما نبذت الدين وعزلته في الكنيسة، ومنعته من أن يتدخّل في شؤون الحياة، وحصرته في زاوية العبادة الشخصية، وكذلك على المسلمين أن يفعلوا الشيء نفسه من أجل النهضة والانبعاث والارتقاء وامتلاك الحضارة، فعليهم أن يحصروا الدين في المسجد، ويجعلوه منظِّماً لعلاقة الفرد بربه فحسب. ناسين أنّ الذي جعل أوروبا تنبذ الدين هو تعرّض المجتمع الأوروبي لأزمات وجودية بنيوية ظهرت في أمرين:

الأول: تعارض الدين مع العقل عندما غالطت الكنيسة الحقائق العلمية من مثل: دوران الأرض حول الشمس، وأفتت بكفر القائلين بتلك الحقائق.

الثاني: تعارض الدين مع الفطرة عندما احتقرت الكنيسة الدنيا والشهوات، واعتبرت أنّ الخلاص يكون بنبذ الدنيا وقتل الشهوات، واعتبرت أنّ العلاقة الجنسية مع المرأة نَجَس، وأن الفوز بالآخرة يكون بالابتعاد عن الشهوات والإقلاع عن الزواج والدخول في عالم الرهبنة والكهنوت.

لكن هل هذه المشابهة والمقاربة بين أوروبا والعالم الإسلامي صحيحة؟

لا أظنّ ذلك، لأنّ الوقائع التاريخية تشير إلى أننا لم نعانِ مثل تيْنِكَ الأزمتين الوجوديتين البنيويتين، وإنما هما خاصّتان بالغرب، لذلك فإنّ سحب نتائجهما على الدين الإسلامي توسيع خاطئ وجهل بحقائق الإسلام.

برز الموقف الأول خلال القرن التاسع عشر، وقامت قيادات في إستامبول ومصر وتونس بالتوفيق، والمزاوجة بين الإسلام وبين الحضارة الغربية، فأصدر السلطان

العثماني خط كلخانة عام 1838 والخط الهمايوني الشريف عام 1856م، وقد دعا الخطان إلى الإقرار بحقوق الإنسان، وإلى العمل بالحرية الاقتصادية واقتصاد السوق، وإلى المساواة بين الطوائف، وتنفيذ حق المواطنة لجميع الأفراد في الخلافة العثمانية الخ...، كما أصدر السلطان دستوراً للخلافة العثمانية عام 1876م وأجرى انتخابات على إثره في كل أنحاء الخلافة، وتكوّن مجلس (المبعوثان) الذي كان بمثابة برلمان للخلافة الخ...، وأصدر الخديوي في مصر قرارات مشابهة لما عمله السلطان في الأستانة، فأصدر قراراً بتشكيل مجلس شورى القوانين، وأرسل البعثات التعليمية إلى فرنسا، وأقرّ تعليم البنات، وطوّر الجيش المصري وزوّده بأحدث الأسلحة الخ...، وأصدر الباي في تونس (وكانت تابعة للدولة العثمانية) عهد الأمان في عام 1857م، وكان مقدمة لإصدار الدستور في عام 1861م، ولإنشاء مؤسسات من مثل: مجلس الجنايات والأحكام العرفية، ومجلس التحقيق، ومجلس الشورى.

لكنّ الموقف من الدين تغيّر في القرن العشرين، وأصبح الموقف الثاني هو الغالب، وراجت مقولاته التي تعتبر أنّ الدين هو العقبة أمام النهضة، وهو السبب في التأخّر والتخلّف، وترافق ذلك مع سيادة الفكر القومي بشقيه: التركي والعربي بعد الحرب العالمية الأولى، أما في المجال القومي التركي فاعتبر كمال أتاتورك أنّ الأمّة التركية أمّة طورانية، وأنّ الإسلام طارئ عليها، وأنّ عليها أن تفرز روابطها العرقية مع الأتراك في شرق أوروبا، وأنّ عليها أن تنبذ الدين الإسلامي لتدخل عالم الحضارة والحداثة، لذلك ألغى الخلافة العثمانية، وفصل الدين عن الدولة، وألغى التشريعات الإسلامية، وألغى الحجاب، وفرض اللباس الغربي والبرنيطة، وأعلن الأذان باللغة التركية، كما فرض استخدام الحروف اللاتينية في اللغة التركية بدل الحروف العربية الخ...

أمّا في المجال القومي العربي فقد قامت بعد الحرب العالمية الأولى دول قومية عربية في العراق وسورية والأردن وفلسطين، واعتبرت هذه الدول نفسها أنها أجزاء من أمّة عربية تقوم على عنصري اللغة والتاريخ، وليس الدين عاملاً في تشكيل هذه الأمّة، لذلك اتجهت الحكومات الوطنية في هذه الدول إلى بناء الإنسان والإدارة والاقتصاد والجيش والمجتمع والفنون والتربية بمعزل عن الدين وتوجيهاته وأحكامه؛

لأنّ الدول القومية والوطنية في الغرب لا تعطي دوراً للدين، ويمكن أن نسحب الحكم السابق على الدولة المصرية التي اعتمدت نوعاً آخر من القومية تقوم على البعد الجغرافي وهي القومية المصرية الفرعونية، لكنها تعاملت مع الدين بنفس طريقة؛ تعامل الدولة القومية العربية.

ساد الفكر الاشتراكي في المنطقة العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، وعزّز الموقف الثاني في معاداة الدين، واعتبر الدين الإسلامي الأصل في التخلّف؛ لأنه يخدّر الطبقات الفقيرة ويبعدها عن وعي واقعها بترويج الأوهام الغيبية من جنة ونار وملكوت أخروي، واعتبر أنّ طبقة رجال الدين منحازة إلى الأغنياء و الملاّك، وأنّ الفكر الديني مناقض للفكر العلمي الخ... لذلك دعا إلى استئصال الدين الإسلامي من وعي الناس وحياتهم، وكانت تلك الدعوة ذروة الامتداد للتيار الثاني.

فماذا كانت نتيجة المزاوجة بين التيارين: القومي والاشتراكي؟

وماذا كانت نتيجة الدعوات إلى استئصال الدين الإسلامي من كيان المجتمع؟

كانت النتيجة إخفاق هذين التيارين وانبثاق الصحوة الإسلامية في السبعينيات، والمناداة بتمكين الإسلام في حياة الناس، وبرزت عدّة مظاهر إسلامية منها: العودة إلى الحجاب، وازدحام المساجد بالمصلّين، وانبثاق ظاهرة البنوك الإسلامية، ورواج الكتاب الإسلامي، وسيطرة الإسلاميين على بعض الاتحادات الطلابية والمهنية والنقابية، وفوز الإسلاميين بنسبة جيدة من المقاعد البرلمانية في بعض الدول العربية...الخ.

لكننا نرى بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م انبعاثاً جديداً لمقولات الموقف الثاني، ومن الدين الإسلامي، وحياة جديدة لها، لكنها أضافت لها مقولات أخرى من مثل أنّ الدين الإسلامي هو سبب الإرهاب، وأنه مضاد للتحديث، وأنه يناقض الديمقراطية، وأنّ المجتمعات الإسلامية هي المجتمعات الوحيدة التي لم تتقبّل الحداثة الغربية، وأنها القلعة الوحيدة المتبقّية في العالم والممتنعة عن بركات الحضارة الغربية، وأبرز من طرح تلك المقولات الكاتب الأمريكي (برناردلويس) في عدد من الكتب التي ألّفها حول المنطقة العربية والإسلامية بعد أحداث 11 سبتمبر، وكذلك (فرانسوا فوكويوما) الذي دعا في مقال كتبه في (نيوزويك) إلى فرض العلمانية على العالمين: العربي

والإسلامي من أجل إنهاء بؤر التعصّب التي يحفل بها الواقع الإسلامي، والتي فرّخت الإرهاب العالمي.

ترافق نداء الكاتبين السابقين: (برنارد لويس) و(فرانسوا فوكويوما) مع سيل من الكتابات العربية تؤيّد ما قاله الكاتبان الغربيان، وتدعو إلى تجفيف المنابع، وتعديل المناهج، ومراقبة أجهزة الإعلام، وغربلة كتب التاريخ، وتجديد الدين الخ...

فهل ستقوم نهضة في القرن الحادي والعشرين مع استبعاد الدين وعزله؟

أم أنها ستخفق كما أخفقت سابقتها في القرن العشرين؟

لا نريد أن نستبق الوقائع والأحداث، ونصدر أحكاماً عليها، لكننا ندعو فقط إلى الاستفادة من التجربة السابقة التي امتدّت طوال القرن العشرين وانتهت إلى الإخفاق، وكلّفت الأمّة الكثير من الجهود والأوقات والأموال والدماء والعناء والآلام...

==============

#الليبراليون .. غربة الدين والوطن

د . محمد بن سعود البشر 1427/4/13

2006/05/11

الليبراليون المسْخ على فريقين: إما مولع برموز الفجور الفكري، والعهر الأخلاقي في الخارج .. وإما عميل يتردّد على الأجنبي في الداخل، وكلاهما مُفرط في الدين .. خائن للوطن..

كنت أحسن الظن في بعض المثقفين الذي يتشرفون بأن يصنفهم المجتمع ضمن (التيار الليبرالي)، فإن غابت الغيرة على الدين في لقاءاتهم ومنتدياتهم فإن الغيرة على الوطن حاضرة في أطروحاتهم الفكرية، ورؤاهم الثقافية، ومشاعرهم الوجدانية.

حسن الظن هذا نسفَتْهُ بعض مواقف هؤلاء في غير مناسبة ثقافية أو لقاء فكري.

في جمع ثقافي، قال أحدهم:

ندعو (محمود درويش) ليأتي إلينا .. هو علم، وله جماهير، وسيأتي إلينا جمع غفير من داخل بلادنا وخارجها .. واستطرد مادحاً حتى قلنا ليته (سكت).

صوت عاقل يجيب:

كيف تدعون من يسبّ الله، والرسول، ويشتمكم، ويسب بلادكم، بلاد الحرمين وقبلة المسلمين ..؟! إن لم تكن بكم غيرة على الدين، فلتكن غيرة على وطنكم .. إني لأعجب منكم أيها الليبراليون السعوديون: كيف أكون أكثر غيرة منكم على بلادكم ..؟!

آخر يتفاعل:

لقد وجهتم إليه الدعوة للحضور .. فرفض .. فلماذا التملّق والتميّع ..؟! ولماذا تصرّون على دعوة من يسب الله والرسول والمؤمنين، ويستهزئ بنا وبوطننا؟! لا أظن أن هناك (شريفاً) يرضى أن يُسبّ أبوه في داره؟!

هذان فريقان ليبراليان متطرفان .. وبينهما فئة متميّعة، لا تعرف معروفاً، ولا تنكر منكراً .. يتقلّبون كما الليل والنهار .. يبيعون آخرتهم وانتماءاتهم بعرض من الدنيا، يخالفون ما عليه إجماع الأمة، فإن أُعطوا من الدنيا رضوا، وإذا لم يُعطَوْا منها تحدثوا وكتبوا، وناقشوا، وخالفوا ليدخلوا في دائرة المؤلفة قلوبهم ..!!

الليبرالية في الغرب: علمانية التوجة، وطنية الإنتماء ..

والليبرالية في بلادنا تجمع غربتين: غربة الدين وغربة الوطن ..

وهذا هو (المسْخ الحقيقي) ..

ليست هذه حماسة جيّاشة .. أو تصعيد في الظن أو اجتهاد خاطئ .. بل إن أسماءهم .. وأشخاصهم .. وهيئاتهم حاضرة في الذهن، تذكّرني بقوله تعالى: (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ..).

==============

#النظرة العلميّة الجديدة وتأكيد الايمان

أ. د. عماد الدين خليل 1427/4/4

2006/05/02

تحت مسوّغ الدراسة العلمية مُرّرت أفكار فرويد الهدّامة للقيم والأخلاق والفضيلة والحب والوفاء وطاعة الوالدين، وغُرست مكانها مفاهيم كالصراع (الأوديبي) وعقدة (الكترا)، وجنسية الرضاعة، والمرحلة الشرجية، والقضيبية .. الخ.

هل الواقعية ومطالب البحث العلمي تعني ضرورة التحلل القيمي والأخلاقي؟ أين مفهوم التكريم للإنسان، وأفضليته؟ ولو سلمنا جدلاً بصحة افتراضات دارون من الناحية العلمية، فإن نظرية فرويد تجعل الإنسان . على العكس . في حالة نكوص أبدي .. فكيف يكون الانتخاب الطبيعي في ظل مفاهيم أحادية التفسير للسلوك الإنساني؟ وهل أن تفسيرات فرويد خالية من البعد الأيديولوجي والسياسي؟

أسئلة ملحّة تفرض نفسها على الذهن ولنبدأ بآخرها .. إن فرويد هو –كمعظم المتفوقين في تاريخ الشعب اليهودي– رجل ملتزم، شئنا أم أبينا. ونتائجه في ميدان علم النفس لا تخلو من بعد أيديولوجي أو سياسي، على الأقل في جانبها السلبي الذي يتمحور عند "ضرورة التحلل القيمي والأخلاقي" وتغييب البعد الإنساني في الممارسات البشرية.

إن تحويل الإنسان إلى " كائن جنسي" لهي مسألة في غاية الخطورة؛ لأن إمكانات توظيفها واسعة جداً ولا حدود لها. وإذا لم يكن فرويد قد فعل عبر معرفته النفسية ومعطياته في مجال التحليل النفسي سوى أن منح هذه المقولة شرعيتها العلمية، فإنه قد صاغ أحد أشدّ الأسلحة حدّة ومضاءً لذبح الخصوم وتدمير بنيتهم.

مهما يكن من أمر فإن استنتاجات فرويد هي –كمثيلاتها في دوائر العلوم الإنسانية– مجرد احتمالات .. محاولات للمقاربة .. وليست بحال من الأحوال حقائق ومسلّمات نهائية .. ومن ثم فإنه ما إن مضى على الإعلان عنها سوى فترة محدودة من الزمن حتى تلقّت من علماء النفس الغربيين، بل من تلامذة وزملاء فرويد أنفسهم، من الطعون ما جعلها تنسحب قليلاً إلى الوراء لكي تخلّي الساحة لنظريات –وأشدّد على الكلمة– أكثر حداثة وإقناعاً.

إن إحدى مفارقات العلم الغربي في خلفياته الإنسانية .. ذلك التناقض الحادّ بين نظريتين مارستا دوراً خطيراً في تكييف الحياة الغربية عبر القرن الأخير بوجه الخصوص: الانتخاب الطبيعي لدارون، و(اللبيدو) الفرويدي أو (الأنا السفلى) التي تسحب الإنسان إلى دهاليز الشبق والملذة وتجعله "خائفاً" أبداً و "ناكصاً" إزاء كوابت (الأنا العليا).

إننا قبالة تضاد على زاوية منفتحة مداها مائة وثمانون درجة ينفي أحد طرفيه الآخر .. فنحن إما أن نخضع لمنطق الانتخاب الطبيعي واصطفاء الأقوى، أو نسلّم بمنطق الهروب والنكوص قبالة تحديات الخبرة الدينية والاجتماعية.

فبأيهما نأخذ؟ وأيهما يمكن أن يكون"علماً" يقينياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

إن مطالب البحث العلمي –وحتى الواقعية في التعامل مع الظواهر والأشياء– لا تتطلب بالضرورة انفصالاً عن القيم، وانفكاكاً عن الالتزامات الأخلاقية، كما أنها لا تشترط إلغاء الثوابت المتفق عليها لإنسانية الإنسان.

إن هذا لا يناقض ذاك أو يتعارض معه، وإنما يمنحه أطراً واسعة مرنة قد تمنعه . من بعيد . من الانزلاق . باسم العلم . صوب الخرافات والضلالات. والذي حدث عبر القرنين الأخيرين، واحد من أكثر الانزلاقات في تاريخ الإنسان حدة وبشاعة .. حيناً تحت مظلة الداروينية، وحيناً تحت مظلة الفرويدية، وحيناً ثالثاً تحت مظلة الوجودية السارترية، وحيناً رابعاً تحت مظلة الماركسية.

وبمرور الوقت أخذت تتضح جملة من الأخطاء الحادة التي عادت بعد أن ذبحت أجيالاً بكاملها من الأوربيين وغير الأوربيين، لكي تذبح المنتمين إلى هذه النظرية أو تلك، وتدين صنّاعها وأربابها. ومن عجب أن الأرباب أنفسهم تخلوا عن نظرياتهم . أحياناً . قبل أن ينسلّ منها الأتباع فيما يذكرنا بحواريات الشيطان وأتباعه في العديد من المقاطع القرآنية:

(وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ).[ابراهيم: من الآية22]

الحديث يطول ولكني سأقف قليلاً عند بعض الحلقات.

يقول المفكر والأديب المجري المعروف (آرثر كوستلر) متحدثاً عن إحدى خبراته أيام كان منتمياً للحزب الشيوعي الألماني في الثلاثينيات: كان الدافع الجنسي مقرراً ومعترفاً به، إلاّ أننا كنا في حيرة بشأنه. كان الاقتصار على زوجة واحدة، بل كان نظام الأسرة كله عندنا أثراً من آثار النظام البورجوازي ينبغي نبذه؛ لأنه لا ينمّي إلاّ الفردية والنفاق والاتجاه إلى اعتزال الصراع الطبقي، بينما الزواج البورجوازي لم يكن

في نظرنا إلا شكلاً من أشكال البغاء يحظى برضاء المجتمع وموافقته. إلاّ أن السفاح والاتصال الجنسي العابر كان يعتبر أيضاً شيئاً غير مقبول، وكان هذا النوع الأخير قد شاع وانتشر داخل الحزب سواء في روسيا أو خارجها، إلى أن أعلن لينين تصريحه الشهير الذي يهاجم فيه نظرية (كاس الماء) تلك التي تزعم أن العملية الجنسية ليست أكثر خطراً وأثراً من عملية إطفاء العطش بكاس من الماء. وكان الدكتور (ولهلم رايخ)، وهو رجل ماركسي من أتباع فرويد ، ومؤسس معهد (السياسة الجنسية) قد أصدر تحت تأثير (مالينوفسكي) كتاباً سماه (وظيفة الشهوة الجنسية) شرح فيه النظرية التي تزعم أن الإخفاق الجنسي يسبب تعطيل الوعي السياسي لدى الطبقة العاملة، وأن هذه الطبقة لن تتمكن من تحقيق إمكانياتها الثورية ورسالتها التاريخية إلاّ بإطلاق الحافز الجنسي دون حدود أو قيود.

وهو كلام يبدو الآن . كما يقول كوستلر نفسه . أكثر اعوجاجاً وسخفاً مما كان يبدو لنا في ذلك الحين.

وهذه النظرية التي يصوغها الدكتور الماركسي . الفرويدي: (رايخ) والتي تمثل امتداداً ميكانيكياً لمقولة ماركس وانغلز في (المنشور الشيوعي) المعروف، يجيء لينين الزعيم الماركسي لكي يقلبها رأساً على عقب، وهو بصدد مهاجمة نظرية (كاس الماء) .. فتأمل!

من ثم فإننا لا ندهش إذا قرأنا في (حدود العلم) لسوليفان . على سبيل المثال . أن علم النفس ما زال في الوقت الحاضر في مرحلة بدائية جداً! بل إن البعض ينكر وجود أي علم من هذا القبيل!! وأنه ليس هناك بالتأكيد نظام من المعارف النفسية الثابتة التي جرى إقرارها بصورة عامة، بل هناك عدد من النظريات، لكل منها مجال محدود للتطبيق، وهي تختلف عن بعضها اختلافات عميقة حينما تتناول الظاهرة نفسها.

فإذا كان لنظريتين في علم النفس رأيان مختلفان تماماً إزاء ظاهرة من الظواهر، فكيف يُتاح لنا أن نحكم على صدق المنهج النفسي، وعلميّته ، ويقينيّته؟ فإذا ما تأكد أن إحدى النظريتين مصيبة، بشكل أو آخر، كانت الأخرى بالتأكيد خاطئة، وليس لنا من ثم أن نعتقد بأن علم النفس يتكئ على دعائم ثابتة، كما يحدث في الفيزياء

والكيمياء، على الرغم من أن هاتين تتعرضان . أيضاً . ولكن بنسبة أقل لتغيرات أساسية في صميم مقولاتهما.

وقد يقول قائل: إن كلاً من النظريتين النفسيتين تتضمن قدراً من الخطأ وقدراً من الصواب، وفي هذه الحالة أيضاً لا يمكن الاطمئنان إلى سلامة المنهج الذي يعتمده علماء النفس في صياغة نظرياتهم؛ لأنه . في أغلب الأحيان . يعتمد التعميم، ومن ثم تختلف النظريات النفسية . أحياناً . اختلاف النقيض مع النقيض، دون أن يكون هناك قاسم مشترك. ذلك أن

" التعميم " هو الضربة القاتلة لمناهج البحث العلمي الرصين.

ومهما يكن من أمر فإن (سوليفان) يتناول بالتحليل والنقد اثنتين من أبرز النظريات النفسية وأكثرها انتشاراً: النظرية السلوكية ونظرية التحليل النفسي، لكي ما يلبث أن يصدر حكمه على ضعف، واهتزاز النتائج التي توصلنا إليها بصدد تركيب العقل البشري، وطريقة عمله.

وهو يرى أن السلوكيين، إلى جانب قيامهم بوضع نظريات على أسس واهية جداً من الحقيقة، فإنهم يقدّمون نظريات تناقض خبراتنا المباشرة. إنهم ينكرون الحقائق الواضحة، ينكرون أننا نستطيع تشكيل صورة بصرية أو سمعية وما إليها في عقولنا. إن أولئك الذين يمتلكون من بيننا قدرة عظيمة على تكوين الصور البصرية العقلية، أو الذين يستمتعون بالإصغاء العقلي للأعمال الموسيقية المحببة لديهم، يعلمون أن هذه المقالة لا تنطوي على أي جانب من الصحة. حقاً إن النظرية السلوكية عندما يجري تطبيقها على العمليات العقلية البسيطة جداً، تبدو قاصرة إلى درجة تصبح معها غير ذات قيمة!

وبخصوص نظرية التحليل النفسي يعرض سوليفان للعديد من المحاولات التي انشقت عن فرويد، ويشير بسخرية إلى أن عدد هذه المحاولات من الكثرة بحيث ينافس المسيحية في طوائفها، وكل طائفة من طوائف التحليل النفسي تدعي لنفسها، مثل طوائف المسيحية، نظرة شاملة وواقعية، وتشير إلى قائمة مؤتمرة من العلاقات الروحية والجسمانية لإثبات كفاية تعاليمها وصلاحيتها.. إن أي شكل من أشكال

التحليل النفسي لا يمكن اعتباره في وضع مرض كعلم. ولا يمكنه اللجوء إلى النتائج من أجل إثبات النظرية؛ لأن هذه النتائج، أي العلاجات التي يقدمها (التحليل النفسي)، يمكن بنفس الدرجة تقريباً الحصول عليها من خلال نظريات مختلفة كلية. لذلك لا يمكن الحكم على هذه النظريات من خلال النتائج. ويتبع ذلك أن هذه النظريات يمكن فقط الحكم عليها بالاستناد إلى احتمالاتها الأولية. وهنا نواجه صعوبة تتمثل في أن كل أشكال التحليل النفسي تظهر محتملة بدرجات متساوية تقريباً. وربما وجب التفريق لمصلحة تلك النظريات التي تأخذ بفكرة اللا شعور، وذلك في مقابل تلك التي تنبذ هذه الفكرة. إن مفهوم اللا شعور مفهوم مهم بالتأكيد، لكنه وُجد قبل التحليل بوقت طويل. وهكذا فإن كون التحليل النفسي قد أدخل شيئاً جديداً هو موضع جدل ونقاش.

والنتيجة التي ينتهي إليها (سوليفان) أنه ليس في نظريات علم النفس كافة شيء من شأنه أن يغيّر جدياً في قناعتنا بأن هذا العلم لا يمكن اعتباره علماً حتى الآن. وللمعارف الأخرى أيضاً مثل علم الاجتماع والاقتصاد وما إلى ذلك، بعض النواحي التي لا تعتبر مرضية من وجهة النظر العلمية. والعلم هو أقوى ما يكون عليه عندما يتناول العالم المادي. أما مقولاته في المواضيع الأخرى فتعتبر نسبياً ضعيفة ومتلجلجة!

وهي نفس النتيجة التي ينتهي إليها الكسيس كاريل في (الإنسان ذلك المجهول) .. إن السيطرة على عينة من العالم المادي لغرض فهمها ممكنة إلى حد ما، أما السيطرة على عينة يدخل فيها الإنسان، والعقل، والحياة، طرفاً، فتكاد تكون مستحيلة. ومن قبل سُئل الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن الروح: معجزة الإنسان، وسرّ العقل، ومفتاح الحياة، فأجاب القرآن الكريم عنه: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً). [الاسراء:85]. وهكذا نرى كيف تتساقط رموز العلمانية الملحدة التي تتنكر لله .. والإيمان .. وها هو ذا جان بول سارتر ، زعيم الوجودية الإلحادية، ينتهي إلى المصير نفسه .. على يده هو وباختياره هذه المرة. إنه يقول فيما ترجمه الدكتور محمد جابر الأنصاري بعنوان: " المحاورة الأخيرة بين سارتر ودي بوفوار" ونشرته مجلة الدوحة القطرية في مايو 1982 م: "أنا لا

أشعر بأني مجرد ذرّة غبار ظهرت في هذا الكون، وإنما أنا كائن حساس تم التحضير لظهوره، وأُحسن تكوينه، أي بإيجاز ككائن لم يستطع المجيء إلاّ من خالق" !

ثم ها هو ذا الدكتور أحمد أبو زيد يذكر في مقال له بعنوان: "هل مات دارون حقاً؟" (نشرته مجلة العربي في تموز 1982 م) كيف أنه صدر في إنكلترا من شهور قليلة وفي أواخر عام 1981 م كتاب يحمل عنواناً طريفاً هو " التطور من الفضاء : (Evolution From Space) قام بتأليفه عالم الفلك الشهير (سير فريد هويل) وعاونه في ذلك أستاذ هندي يدرّس في جامعة كارديف. ويعترف الأستاذان بصراحة في ذلك الكتاب بأنهما ملحدان، ولا ينتميان لأي دين أو عقيدة، وأنهما يعالجان أمور الفضاء وحركات الكواكب بأسلوب علمي بحت، ومن زاوية عقلانية خالصة لا تحفل ولا تتأثر بأي موقف ديني. ويدور الكتاب حول مسألة احتمال وجود حياة على الكواكب الأخرى، ويتناول بالبحث الدقيق الفكرة التي سادت في بعض الكتابات التطورية عن ظهور الحياة تلقائياً من الأوحال الأولى نتيجة لبعض الظروف والتغيرات البيئية. ومع أن هنالك نظريات معارضة لهذا الاتجاه، وهي نظريات ترى أن احتمال ظهور الحياة من هذه الأوحال أو الطين الأولى لا تزيد عن(1 : 10 : 40.000) أي واحد إلى عشرة أمامها أربعون ألف صفر. مما يعني أنه لا تكاد توجد فرصة لظهور الحياة عن طريق التوالد التلقائي من هذا الطين، وبالتالي فإن الحياة لا يمكن أن تكون نشأت عن طريق الصدفة البحتة، وأنه لابد من وجود عقل مدبّر يفكر ويبدّل لهدف معين. وعلى الرغم من اعتراف المؤلفين الصريح .كما قلنا . بإلحادهما، فإنهما لا يجدان أمامهما مفراً من أن يكتبا الفصل الأخير من الكتاب تحت عنوان " الله . God ".

ولابدّ من الإشارة ها هنا إلى أن المعرفة الإنسانية سواء في ميدان علم النفس أو الاجتماع ، أو حتى العلوم الصرفة وبخاصة علوم الطبيعة والحياة، عادت عبر العقدين الأخيرين لكي تتصالح مع الإيمان، وهذا يعني بالضرورة تصالحها مع الثوابت والمرتكزات التي تحترم إنسانية الإنسان، وتميّزه، وتفرّده على العالمين.

إن هذا التصالح أو الوفاق لم يؤثر البتة على حرية العالم في الكشف، بل على العكس إنه يجيء بمثابة دفع وتحفيز للمزيد من الكشف عن الحقائق والنواميس التي لن تكون في نهاية الأمر إلاّ تأكيداً لقصديّة الخلق، وإحكام البناء الكوني، وإبداعية الله سبحانه.

لنقف بعض الوقت عند كتاب "العلم في منظوره الجديد" لـ(روبرت أغروس) و(جورج ستانسيو) والذي نُشر في العدد (134) من سلسلة عالم المعرفة في شباط 1989 م. مترجم الكتاب الدكتور كمال خلايلي يلخص فصوله الخصبة بالحديث عن الظروف التي نشأت في ظلها النظرة العلمية القديمة التي تطورت في العصور اللاحقة إلى مذهب مادي صارم يؤمن بأزلية المادة، ويرفض من ثم كل ما هو غيبي، ولا يعترف في تفسيره لمختلف الظواهر إلاّ بنوعين هما العلل، وهما الضرورة والصدفة.

إزاء هذه النظرة المادية برزت إلى الوجود في مطلع القرن العشرين نظرة علمية منافسة، كان من ألمع روّادها آباء الفيزياء الحديثة كـ(آينشتاين) و(هاينزنبرغ) و(بور) وكثيرين غيرهم ممن استحدثوا مفاهيم جديدة كل الجدة أطاحت بالمفاهيم والنظريات الفيزيائية السابقة التي كانت رائجة منذ عصر أرسطو وحتى أواخر القرن التاسع عشر. فقد أثبت آينشتاين مثلاً نسبية الزمان والمكان، بل الحركة. وبيّن الفيزيائي الدانماركي (نيلز بور) أن الذرة ليست أصغر جسيم يمكن تصوّره، كما كان نيوتن يظن، بل إنها هي الأخرى مكونة من نواة يحيط بها عدد لا حصر له من الإلكترونيات. وأجمعت آراء كبار علماء الفيزياء النووية والكوزمولوجيا على أن الكون بما يحويه من ملايين المجرات ومليارات النجوم والكواكب قد بدأ في لحظة محددة من الزمن يرجع تاريخها إلى ما بين (10 و 20) مليار سنة، فثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن المادة ليست أزلية وأن للنجوم آجالاً محددة تولد وتموت كالآدميين، وأن الكون المادي نفسه في تطور وتمدّد مستمرين، بل إن من بين الفيزيائيين الفلكيين المعاصرين من قادته نتائج أبحاثه إلى القول: إن الكون كان مهيأً منذ الانفجار العظيم لتطور مخلوقات عاقلة فيه، وأن الإنسان في مركز الغاية من إبداعه، فرأوا في ذلك كله، وفي الجمال المنتشر في الطبيعة على جميع المستويات، هدفاً وخطة

مرسومة، فآمنوا بعقل أزلي الوجود، منتصب وراء هذا الكون، واسع الأرجاء، يديره ويرعى شؤونه.

ثم أعقب هذا الجيل من الفيزيائيين والفلكيين جيل آخر من العلماء المتخصصين في مبحث الأعصاب وجراحة الدماغ، من أمثال (شرنغتون) و(أكلس) و(سبري) و(بنفيلد) وقفوا حياتهم كلها على دراسة جسم الإنسان، فانتهت بهم أبحاثهم إلى الإقرار بأن الإنسان مكون من عنصرين جوهريين: جسد فانٍ وروح لا يعتريها الفناء، وبأن الإدراك الحسّي -وإن كان يتوقف على عمليات فيزيائية وكيميائية- ليس شيئاً مادياً بحدّ ذاته، وخلصوا كذلك إلى ما يفيد بأن العقل والدماغ شيئان مختلفان تمام الاختلاف، وأن الإرادة والأفكار ليستا من صنع المادة، ولا من إفرازاتها، بل هي على العكس من ذلك تؤثر تأثيراً مباشراً في العمليات الفسيولوجية ذاتها.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية شعر كثيرون من علماء النفس أن إخضاع العقل للغريزة في طريقة التحليل النفسي وإلغاءه في المذهب السلوكي قد أفضيا إلى تجريد الإنسان من إنسانيته، فظهرت في الخمسينيات من القرن الماضي قوة ثالثة عُرفت فيما بعد باسم "علم النفس الإنساني". ومن أبرز رواد هذه المدرسة (فرانكل) و(ماسلو) و(ماي) الذين يعترفون بأولية العقل وبعدم قابلية حصره في الخواص الكيميائية والفيزيائية للمادة، وبكون الإنسان قوة واعية تملك حرية التصرّف والاختيار، ويرفضون من ثم تفسير السلوك البشري كله بلغة الدوافع والغرائز والضرورات البيولوجيّة وردود الفعل الآلية، ويؤمنون عوضاً عن ذلك بما يسمى القيم الأخلاقية والجمالية والجوانب الروحية والنفسية والفكرية.

لا بأس . أخيراً . أن نقرأ معاً بعض مقاطع الفصل الرابع من الكتاب المذكور، والذي يحمل عنوان "الله": "يبدو أن المادة ليست أزلية بالرغم من كل شيء. وكما يعلن عالم الفيزياء الفلكية (جوزف سلك) "فإن بداية الزمن أمر لا مناص منه". كما يخلص الفلكي (روبرت جاسترو) إلى أن "سلسلة الحوادث التي أدت إلى ظهور الإنسان بدأت فجأة وبعنف في لحظة محددة من الزمن، وفي ومضة ضوء وطاقة".

" فهل من إله في كون كهذا ؟ الفيزيائي (إدموند ويتكر) يعتقد ذلك فهو يقول: "ليس هناك ما يدعو إلى أن نفترض أن المادة والطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار

العظيم، وأنه حدث بينهما تفاعل فجائي. فما الذي يميّز تلك اللحظة عن غيرها من اللحظات في الأزلية؟ والأبسط أن نفترض خلقاً من العدم، أي إبداع الإرادة الإلهية للكون من العدم". وينتهي الفيزيائي (إدوارد ميلن) بعد تفكره في الكون المتمدد، إلى هذه النتيجة "أما العلّة الأولى للكون في سياق التمدّد فأمر إضافتها متروك للقارئ. ولكن الصورة التي لدينا لا تكتمل من غير الله".

"أما النظرة العلمية الجديدة فترى أن الكون بمجموعه . بما في ذلك المادة والطاقة والمكان والزمان . حدث وقع في وقت واحد، وكانت له بداية محددة. ولكن لابد من أن شيئاً ما كان موجوداً على الدوام؛ لأنه إذا لم يوجد أي شيء من قبل على الإطلاق فلا شيء يمكن أن يوجد الآن. فالعدم لا ينتج عنه إلاّ العدم. والكون المادي لا يمكن أن يكون ذلك الشيء الذي كان موجوداً على الدوام؛ لأنه كان للمادة بداية. وتاريخ هذه البداية يرجع إلى ما قبل (12 إلى 20) مليار سنة. ومعنى ذلك أن أي شيء وجد دائماً هو شيء غير مادي. ويبدو أن الحقيقة غير المادية الوحيدة هي العقل، فإذا كان العقل هو الشيء الذي وُجد دائماً فلابد أن تكون المادة من خلق عقل أزلي الوجود. وهذا يشير إلى وجود كائن عاقل وأزلي خلق كل الأشياء، وهذا الكائن هو الذي نعنيه بعبارة (الله).. ".

إن هذا الخط الجديد من العلماء، وبموازاته حشد من فلاسفة العلم من مثل (الفرد نورث) و(ايتهيد وسوليفان) وغيرهم ، أبحروا باتجاه معاكس لمعطيات القرن التاسع عشر، قرن الفصام النكد الذي أقامته الكنيسة والإلحاد بين العلم والدين، ودعوا إلى احترام القيم الإنسانية ليس في ذاتها فحسب، بل لكونها تمثل عوامل تسريع في الكشف العلمي والتحام أكثر حميمية بالعالم والطبيعة والكون.

=============

#روعة التّهافت؟!

د. مسفر بن علي القحطاني 1427/3/20

2006/04/18

" القيم إلى أين؟ " هذا التساؤل الكبير كان محطّ اهتمام أكثر من خمسين مفكراً جمعتهم اليونسكو من كل أنحاء العالم للتباحث حول مستقبل القيم في ظل التطورات

الهائلة التي أصابت عدة قطاعات حيوية جاءت بها ثورة التقنية والأسواق المفتوحة وعممتها وسائل الإعلام والاتصال, وكان هناك شبه إجماع –حسب قراءتي لمقالاتهم ومناقشاتهم لهذه القضايا– وهو أن التهديدات هي أعظم من المبشرات ودواعي التشاؤم التي تحكم معطياتها إشراقات التفاؤل.

لقد رصدت هذه المجموعة من الباحثين والفلاسفة خطورة المستقبل القادم للقيم الإنسانية، لا بدعوى التنبؤ بإرهاصاته، ولكن من أجل الحماية من تداعياته الكارثية، وبالخصوص على مستوى القيم الفكرية والثقافية والأخلاقية وحتى الدينية، فقد بدأت تخضع هذه القيم لمنطق العرض والطلب، وحاجات السوق الكبير الذي ساحت به العولمة في كل أودية العالم، وأصبحت المساومات المادية هي لغة التفاهم بين الدهاقنة أصحاب التمويل وعابري البحار من الشركات المتعددة الجنسية، وبين أفراد ومؤسسات الثقافة ومصانع الفكر, وهنا مكمن الخلل الذي يتعدّى سوء الاستغلال للتراث الإنساني والقيم النبيلة التي حفرتها مَسلّة المجتمعات البشرية, وهذا ينذر بكساد قيمي قد يحطّم المجتمع ،ويلاشيه، ويصبح الناس كالمسامير المتحركة في تلك المجتمعات الميكانيكية، أو سلعاً رخيصة لاستهلاك الأقوياء وإلهاء الضعفاء.

هذه المقدمة السابقة هي رؤيتي الواضحة لمستقبل القيم في كثير من أنحاء العالم، بعيدة عن أي نظارة تختزل الواقع في وردة صغيرة. صحيح أن المجتمعات ليست قالباً واحداً في حجم التأثر بل هناك تفاوت في القوة والضعف بينها قد يكون مرده إلى العامل الزمني الذي تحدده العولمة في خطتها للانتشار, وفي منطقتنا العربية القطار قد وصل المحطة، والركاب ينتظرون الدخول فيه لحجز مقاعدهم في رحلتهم نحو المجهول!

أعلم أن هذا التشاؤم لا يليق بالمسلم الذي يصنع الخير من معامل الشر، ويحطم قيود اليأس بالعمل المثمر، ويغرس النخلة، ولو قامت الساعة, لكن الفأل المفرط لا يمنع دقّ نواقيس الخطر القادم من تحولنا إلى سوق كبير يُباع فيه كل شيء, نعم كل شيء حتى الفكر والقيم والإنسان, والمتأمل في اقتصاديات العولمة وأسواقها الحرة رأى كيف تذوب اللغات، وتُهمّش الثقافات، ويُباع الإنسان، أو يُدفن حياً تحت ركام الديون أو البحث عن فتات العيش في مزابل الأغنياء والمترفين. لذلك خرجت

صيحات فلاسفة الغرب كـ(جاك دريدا) و(هابرماس) و(بيار) و(ريفكي) و(تشومسكي) و(كنيدي) وغيرهم بالدفاع عن القيم، ولو كانت ناقصة التأثير؛ فالحداثة الغربية بمفاهيميها العلمانية قد ماتت في نفوس الكثيرين، وسقطت في براثن فيروسات الغطرسة والتعالي وازدواجية المبادئ, وورثتها الحاليين ناقمين عابثين محطمين بناء الأسلاف مهما كان جماله في أعينهم.

أنني أشاهد في مجتمعي تلك الصورة المتكررة للاستبداد والاستغلال, وتلك البدايات التي انتهت منها شعوب، وذاقت مرارتها ثقافات، تريد بسط نفوذها تحت هيمنة الإعلام المؤدلج, ووطئت المنتديات الاقتصادية التي يُجلب لها متحدثون من العالم يعيدون تنميط الثقافة وإنتاج القيم للناس، كما يريدون، لا كما نؤمن ونعتقد, لقد اضطّروا المثقفَ والكاتبَ والعالمَ لأن يتوقف عن الإبداع والبحث والتأليف حتى يرتفع الطلب، أو يبيع ما عنده وفق احتياج السوق وأهواء الناس, وعليه دائماً -إذا لم يكن له صديق أو معرّف في هذا السوق- أن يعدّ الجواب لأسئلة الناشرين: كم سيجلب من مال أو يشتري بضاعته الفكرية من أناس، ولو بالإثارة التافهة أو الدّوْس على القيم السامية؟! هذه الحالة المؤسفة خيوط بداياتها تتفاقم في مجتمعنا وملامحها بدأت تظهر في معارضنا للكتاب، وبرامجنا الإعلامية في تحقير العظيم، وتعظيم الحقير، وتحطيم الوعاة، وقراءة سورة يس على مشهدنا الفكريّ الأصيل؟!

===========

أيها المجاهدون في (حماس)

أبشروا فـ(إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

ناصر بن سليمان العمر * 1427/1/20

2006/02/19

لقد شفى صدورنا وأبهج نفوسنا ونفوس المؤمنين هذا الانتصار الذي تحقق بفوز حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في الانتخابات الأخيرة، ومن هنا فإننا نقدم التهنئة للمسلمين في فلسطين وغيرها، وللإخوة في حركة (حماس) على وجه الخصوص، ذلك أن انتصارهم وفوزهم فوز لكل مسلم يرى أن حل قضية فلسطين لا يمكن أن يتحقق إلا بأسلمة القضية والالتزام بالمنهج الشرعي، وعلى رأس ذلك الجهاد

في سبيل الله، ونسأل الله أن يكون هذا الانتصار محققاً للآمال، وخطوة في الطريق الصحيح لتحرير فلسطين من الغاصبين، ولم يكن هذا الانتصار مفاجئاً ولا غريباً، فإن الشيء من معدنه لا يُستغرب، وهو ثمرة طبيعية لجهاد مشروع وعمل مشكور.

ولا شك أن هذا الانتصار يشير إلى أمور، أهمها:

الأول: أن الأمة تشهد انتصارات عظيمة في مجالات كثيرة، ومنها ما يتعلق بالجهاد، فحب الأمة للجهاد وتضحيتها من أجله، وبخاصة جهاد اليهود، وإدراكها العداوة المتأصلة بيننا وبينهم، انتصار لأهل الإسلام ودعاته، بل هو انتصار عظيم على أولئك المهزومين الذين يحاولون إنهاء القضية بحلول سلمية ذليلة، وهو انتصار للمشروع الإسلامي الذي طال ترقبه وانتظاره.

الثاني: هذا الحدث مؤشر جليّ واضح، يشير إلى إفلاس المنظمات غير الإسلامية، كحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)؛ إذ نجد الفرق الشاسع بين الأصوات التي حصلت عليها (حماس)، وبين الأصوات التي حصلت عليها (فتح) على الرغم من وجود قياداتها وكوادرها على رأس السلطة الفلسطينية، علماً بأن هناك منظمات جهادية لم تدخل في الانتخابات، كحركة الجهاد، ولعلها لو دخلت لاستحوذت على كثير من الأصوات مع أختها (حماس)، وربما لم تحصل (فتح) إلا على القليل من الأصوات.

لقد وصفت وسائل الإعلام العالمية هذا الحدث بأنه (زلزال)، فلا عجب أن يتنادى السياسيون في العالم للاعتراف بهذا الانتصار اعترافاً بالواقع؛ لأن تجاهله لم يعد ممكناً مع أنهم طالما تجاهلوا الجهاد والمجاهدين والمنظمات الجهادية زمناً طويلاً، وهذا يدل على أن الحق ظاهر، وأنه لا يصح إلا الصحيح، (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)[الصف:8]، وأن العالم لا يعترف إلا بلغة القوة.

بيد أنه لابد أن نعلم أن هذا الانتصار ليس هو الأمل أو الغاية، وإنما هو مؤشر وخطوة في الطريق إذا استُخدم الاستخدام الأمثل، وإلا فآمالنا أسمى من ذلك وأعظم.

ومن هنا فإنني أقول: إن حركة (حماس) تعيش امتحاناً صعباً عظيماً أعان الله القائمين عليها على تجاوز هذه المرحلة، ولعل من أقل ما لإخوتنا علينا أن نبادرهم

بالتهنئة، وأن نسعى في بذل النصيحة لهم، ولذا فإنني أكتب هذه الرسالة على شكل نقاط رئيسة، مراعياً في ذلك الواقعية، واستعمال قاعدة المصلحة والمفسدة بضوابطها المعتبرة، وهو اجتهاد أملته المحبة والنصيحة، والمشاركة في هذا الانتصار؛ ليؤتي أكله بإذن ربه، ولو كره الكافرون والمشركون والمنافقون:

* عُرفت حركة (حماس) منذ تأسيسها قبل سنوات، بمنهج معتدل وسطي، مع إعلانها للجهاد ومضيها قدماً في مضماره الذي سلكه قبلها عدد من المجاهدين في سبيل الله، واستطاعت في عقدين من الزمن منذ إنشائها على يد مؤسسها الشيخ أحمد ياسين –رحمه الله الذي نسأل الله أن يتقبله من الشهداء– أن تتجاوز عقبات كثيرة جداً، وأن تقدم تضحيات ضخمة لا تنكر، سواء على مستوى قياداتها، أو على مستوى أفرادها؛ كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، فرسمت منهجاً تجاوزت فيه منعطفات خطيرة، ووُفّقت في ذلك كثيراً:

فأولاً: من الناحية القيادية والسياسية فصلت بين الجانب السياسي والجانب الجهادي، فجعلت لقيادة الجهاد قيادة مستقلة، وجعلت للجانب السياسي الإعلامي قيادة مستقلة، مع تنسيقها بين هاتين القيادتين.

ثانياً: استطاعت أن تحدد بعض الخطوط الحمراء بوعي ينم عن فهم ما وراءها، فلم تتورط فيما يتعلق بخلافات داخلية بين أفرادها وأعضائها، ولم تتورط في إشعال الخلافات مع المنظمات الجهادية الأخرى، وتجنبت مزالق كثيرة أُريدَ لها أن تقع فيها، بل استطاعت أن تتجنب الدخول في صدام مع السلطة الفلسطينية مع كثرة استفزازاتها لها، وعلى الرغم من ذهاب عدد من أبنائها ضحية لمثل هذه المؤامرات، ومع ذلك تجاوزتها حركة (حماس) بعقلية إدارية فائقة نادرة، كما أن حركة (حماس) بمنهجها الذي رسمته لم تتورط في عمليات خارج فلسطين، على الرغم من الضغط الواقع عليها من داخلها وخارجها للوقوع في هذا الأمر، وهذا من تمام استحضار الهدف وحسن رؤية الواقع، فلم تنزلق إلى ما كانت تفعله بعض المنظمات غير الجهادية كالحركة الشعبية وغيرها من الحركات المشهورة، سواء الشيوعية أو العلمانية؛ إذ أساءت تلك للقضية الفلسطينية إساءة بالغة، وبحمد الله لم تكن تلك المنظمات تحمل الصبغة الإسلامية، ولا الشعار الإسلامي فضلاً عن الجهاد، أما

حركة (حماس) فقد وُفّقت توفيقاً كبيراً؛ إذ حصرت عملياتها وجهادها ونشاطها داخل فلسطين، وهذا من باب السياسة الشرعية، وأرى أن هذا الأمر يعتبر دليلاً على وجود قيادة فذة، ونبوغ فريد، ومعرفة بالواقع، وسياسة حكيمة، (...وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً...)[البقرة:269].

والشاهد مما سبق أنه على الرغم من الظروف التي مرت بها (حماس)، فإنها استطاعت أن تتجاوز كثيراً من العقبات لست في سبيل بيانها أو تفصيلها، كانت تلك بعضها، وبعضها ظاهر معروف، ولعل ما لا نعلمه كثير.

* أعلنت (حماس) من أول وهلة أن الجهاد طريقها لتحرير فلسطين، كل فلسطين، وعلى رأس ذلك القدس والمسجد الأقصى، وفعلاً مضت في هذا الطريق بأسلوب عملي، وقدمت التضحيات المشهودة والملموسة التي لا ينكرها منصف، ولا شك أن الجهاد هو الطريق الوحيد لعودة فلسطين، وما عداه من الطرق الإدارية أو السياسية ليست إلا رابطاً أو مساعداً أو مكملاً للجهاد بالنفس، الذي هو الأصل. ولا يمكن أن يخرج اليهود من فلسطين إلا أن يُخرجوا، ولن يُخرجوا إلا بالجهاد، بل سيُقتلون –بإذن الله– كما هو نص الأحاديث الصحيحة، كما في حديث ابن عمر المتفق عليه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله". ولا يعني هذا أنه لن تتحقق انتصارات قبل ذلك، فالتاريخ شاهد على وقوع انتصارات عظيمة، ولكن الأمر قد يكون دولاً حتى يأتي الفتح الأكبر بإذن الله، (...أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)[البقرة:214]، فإن كان الأمر كذلك فالتاريخ والمستقبل يوضحان أن الطريق الصحيح لتحصيل ذلك هو طريق الجهاد، وما عداه ففروع مساندة ومكملة، وهذا ما ينبغي أن يُتنبّه له، حتى لا يتحول الفرع أصلاً، والأصل فرعاً.

* رفضت (حماس) مساومات اليهود؛ سواء للاعتراف بدويلتهم، أو التنازل بجزء من أرض فلسطين، وهذا موقف تُشكر عليه، مع أنها لو تنازلت لفقدت الأصل الذي من أجله قامت، ولأحرقت أوراقها، ودين الله منصور ولا شك، (...إنّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)[الأعراف:128]، وقد قدمت (حماس) من أجل

المحافظة على هذين الأمرين التضحيات الضخمة، وواجهت الصعوبات والعقبات، واستطاعت أن تتجاوزها بتوفيق الله وإعانته.

* في هذه المرحلة التي فازت فيها (حماس) يأتي الامتحان الصعب، ولذلك يخشى المحبون لحماس أن يتحول الأصل إلى فرع، والفرع إلى أصل، والأصل هو الجهاد، وطلب تحرير كل فلسطين، والفرع هو العمل السياسي كالفوز بالانتخابات، أو الإدارة الذاتية، أو نحو ذلك، فيُخشى مع هذا الانتصار أن تأتي ضغوط على (حماس)، وتشتد المساومات فتبدأ التنازلات التي شاهدناها ورأيناها في بعض بلاد المسلمين، فإنه وإن اختلفت الصورة فالحقيقة واحدة.

والآن يرتقب المسلمون من (حماس) أن تثبت على مبادئها، فلا تتزحزح عن هذين الأصلين: استمرار الجهاد في سبيل الله، وعدم التنازل عن شبر من الأرض المقدسة التي بارك الله حولها ولا ما تاخمها، فهي من أجل ذلك قامت، وقد مضى قياديوها السالفون وهم يقررون أنه لا يملك أحد حق التنازل عن الأرض.

* قد تُدفع (حماس) من أجل أن تحقق بعض الاتفاقيات التي قد تعقدها مع السلطة، أو مع اليهود، إلى خصومات تعوق مسيرتها، وأسأل الله ألا نرى ذلك، وثقتنا في قيادتها، وتاريخها يعزز حسن الظن بها.

غير أن الناظر يخشى أن تُدفع إلى ذلك مع المنظمات الجهادية الأخرى، كحركة الجهاد الإسلامي، أو غيرها، بل هناك من يخشى أن يحدث خلاف داخل (حماس) إذا تمت الاستجابة لدفع من يدفعها، فهناك من سيظل ملتزماً بالأصل الذي قامت من أجله الحركة، فإذا تخلت الحركة عن الجهاد، ولو باسم الهدنة المطلقة التي لا يُدرى مداها، فيُخشى أن تحدث انشقاقات تجنبتها (حماس) فيما مضى من عمرها، فكان من أدلة نجاحها، ومن جملة تفوقها، وأحسب أن الحركة –بإذن الله– واعية لهذا الأمر، فقد استطاعت كما قلت في مقدمة حديثي أن تتفادى التورط في معارك داخلية مع منظمات ليست جهادية، بل مع من آذاها، على كثرة المؤامرات وتنوعها، والموقف اليوم أشد حساسية من ذي قبل.

* يرى كثير من المحبين لحماس أن تقبل تشكيل الحكومة مع الاستمرار على منهجها السابق، فإن حيل بينها وبين ذلك فهذا انتصار لها؛ لأن العالم أجمع سيعلم

أنها قد ظُلمت، وأن خيار الشعب قد أُلغي، كما أن ذلك سيزيد من مكانتها في نفوس محبيها الذين انتخبوها. و(حماس) يوم انتُخبت بإرادة الشعب الفلسطيني انتُخبت لمحافظتها على أصولها التي أشرت إليها من الجهاد، وعدم التفريط في شيء من الأرض الفلسطينية، وعدم الاعتراف باليهود.

* الانتصار الحقيقي هو الثبات على المبادئ مهما كانت النتائج، وحسبك أن بعض الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، لم يؤمن معهم أحد، وأصحاب الأخدود ثبتوا على دينهم فحُفرت لهم الأخاديد، وحرقوا بالنار، ولم ينجُ منهم أحد، حتى الذراري والنساء، فضلاً عن أن يقيموا دولة أو دويلة، ومع ذلك كان لهم الانتصار المدوي عبر الأجيال، (...ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)[البروج:11]، وبعضهم آمن معه رجل واحد، ومع ذلك كتب الله لهم الانتصار كما قال عز وجل: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...)[غافر:51]، فالأنبياء قد انتصروا مع أن بعضهم قد قُتل، وبعضهم يأتي يوم القيامة وليس معه أحد، فالانتصار الحقيقي ليس ما زعمته السلطة من حصولها على بضعة أمتار، أو على قطعة من الأرض في بلاد فلسطين، لا تستطيع أن تتصرف فيها، بل لايسع رئيسها الخروج من بقعة منها كما حدث لعرفات في رام الله، سنوات عدة.

وإنما الانتصار الحقيقي هو الثبات على المبادئ التي عُرفت بها، وأعلنها قادتها منذ إنشائها، حتى لو مُنعت، حتى لو أُقصيت، فلن يضرها ذلك أبداً، بل يزيد من مكانتها ومن دعمها ومن حب الناس لها، وهذا هو الانتصار الذي سوف يمهد الطريق للانتصار الآخر الذي هو ثمرة انتصار المبادئ، وإذا انتصرت المبادئ فقد تحقق النصر الأعظم بإذن الله، ثم قد يتبعه انتصار آخر على أرض الواقع، كما قال الله جل وعلا: (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ...)[الصف:13]، فقوله: (وأخرى) مشعر بأن الانتصار الحقيقي هو إقامة الجهاد، والثبات على المبادئ، وإعلان الدين، ثم تأتي من بعد ذلك انتصارات أخرى ظاهرة للعيان، وهي ولا شك من جملة الانتصار.

فمن حافظ على مبادئ هذا الدين، وعلى أصوله فهو المنصور بإذن الله، ومن تخلى فلن يضر إلا نفسه، (...وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا

أَمْثَالَكُمْ)[محمد:38]، (...وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ...)[محمد:4].

* انتصار (حماس) انتصار للمجاهدين في فلسطين أينما كانوا جماعات وأفراداً، لذا فإن عليهم أن يتجنبوا الدخول في أي صراع أو خلاف مع (حماس)، وأن يدعموهم بكل ما يستطيعون، وأن يتعاونوا لتحقيق الهدف المنشود، كما تعاونوا من قبل، حتى وإن اختلفت الرؤى الفرعية في بعض المسائل الجزئية، فلا يضرهم ذلك، وإنما يتحمل تبعتها من رآها، وهي مسائل اجتهادية لا يسوغ فيها الإنكار والخصومة ما دام لها وجه في الشرع، وأفتى بها من يوثق بدينه وعلمه، وهو انتصار للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ لذا لا بد من الوقوف مع حماس ودعمها والذب عنها، وإن اختُلف معها في بعض الاجتهادات المشروعة (...وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ...)[الأنفال:46].

فإذا كان الأمر كذلك فإننا لا نشك في تحقق النصر عاجلاً وآجلاً، بإذن الله.

* الأمة تنتظر من (حماس) أن تقدم أنموذجاً للدولة المسلمة المحكمة لشريعة الله في الأرض، ملتزمة بمنهج الوسطية الذي هو سمة هذه الأمة، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، مقيمة للعدل، ناشرة للعلم، وهم لا يطالبون بمستحيل، ولا ينتظرون معجزة، وإنما التزاماً بقوله سبحانه وتعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ...)[التغابن:16]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "سدّدوا وقاربوا واعلموا أنكم لن تحصوا"، والجميع يدرك ما دون ذلك من عقبات وصعاب، ولكنه حسن الظن بالله، ثم الثقة بالإخوة وقدرتهم على تجاوز مثل ذلك، وليثقوا بعد ذلك بوعد الله الذي لا يتخلف (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ)[الحج:41].

وختاماً فليوقن الإخوة في (حماس) بأن الأمة كلها مقبلة على الجهاد الواضح البين الجليّ مع أعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، وقد بدت بوادره في الآفاق، ولعل ما رأيناه من ظهور لـ(حماس) دليل على صحة التفاؤل بغد واعد، ودليل على أن المستقبل لهذا الدين، وأن دين الله منصور، على الرغم من الغمة كما قال سبحانه: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ

نَشَاءُ...)[يوسف:110]، فالعزيمة العزيمة، والثبات الثبات على الأصول والمنطلقات، وحذار من أن يعود الفرع على الأصل بالإبطال، فقد قرر علماؤنا أن الفرع إذا عاد على الأصل بالإبطال فهو باطل، والفرع إذا عاد على الأصل بالفساد فهو فاسد، فإذا كان قيام دويلة صغيرة في داخل فلسطين تحت ظل اليهود سيقضي على الأصل وهو الجهاد، أو سيقود للاعتراف بالعدو والتفريط بالأرض، فلا شك أن هذا بلاء وفتنة.

هذا والله أسأل أن يوفق المجاهدين في (حماس) لاجتياز هذا الامتحان، وأن يسدّدهم، وأن يعينهم، وأن يجنّبهم شرّ أنفسهم وشرّ أصدقائهم وأعدائهم، وأن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يذلّ الشرك والمشركين (...وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[يوسف:21]، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين.

* المشرف العام على موقع (المسلم)

=============

#انعكاسات لِأزمة الفهم

غادة أحمد 1427/1/17

2006/02/16

سوء الفهم على مستوى الفرد يُشكّل أزمة له و لمن يتعامل معه، و يزداد تفاقم هذه الأزمة كلما اتسعت الدائرة، و أسوأ ما تكون عندما تتسع لتشمل المجتمع ككل في رؤيته لقضايا عدة، فينعكس ذلك على محاولات التقييم و الطرح و العلاج و الذي أحوج ما يكون للإنصاف و الموضوعية و الشمولية.

سوء الفهم للواقع الذي نحياه و عدم بذل الجهد لسبر أغواره و المتغيرات التي تحف به، و مع العجز عن المواجهة، يؤدي بنا في كثير من الأحيان لممارسة لون من ألوان الهروب الخفي فنتلفع بعباءة التاريخ – و الذي نتوهم أنه يستر الكثير من السوءات، و التي بات سترها أكبر همنا! – في محاولة للتنصل من أعباء المواجهة، و هذا بدوره يوفر لنا فرصاً كثيرة لتسويغ ما نحن عليه من سوء الحال و المآل، فلو

كان عندنا صلاح الدين أو قطز أو ابن تيمية ... الخ، لكانت مشاكل البشر جميعاً فضلاً عن أزماتنا كالصدقة في زمن الغنى و فيض الأموال.

و ليتسع الرتق في سوء الفهم، فهو ليس لهذا الواقع فحسب، بل و لكثير من آيات الله تعالى، و إلا فأين نحن من قوله تعالى: (...اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...) [الأنعام: من الآية124]، (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ...)[البقرة: من الآية134].

هؤلاء الذين صنعوا الحياة في زمانهم، أتراهم لو عادوا لزماننا هذا أكانوا يملكون من الأمر شيئاً، و هذا الهروب الساذج الذي نمارسه يعطل العقل عن التوقف و التدبر، فتنقلب المعايير لعدم وضوح الرؤية، ولا يقتصر الإعذار على افتقاد مثل هذه النماذج، بل لعلنا نضيف أنه لولا تقصير الأولين و سوء فعلهم ما كان إرثنا لهذه التركة من التخلف، و نقعد نندب سوء حظنا وننوح على أحوالنا، و المولى سبحانه و تعالى يخاطبنا بقوله: (أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ...)[الأعراف: من الآية173].

فنحن في الحالين بُرَآء من الذنب براءة الذئب.

و يمتد بنا سوء الفهم، و يسافر معنا عبر مراحل الزمان، فنبحث عن أمة، بل أمم في زماننا هذا تحمل عنا عبء البطالة و العنوسة و الفقر و تشويه اللغة ...الخ، فلولا العمالة الوافدة من شتى بقاع الأرض، و لولا الزواج من المسلمات الأجنبيات! و ننسى أنها أزمات تعاني منها منطقتنا العربية كلها، بل العالم بأسره، و ننسى (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) [المؤمنون:52]. إن أنّ مشرقها بآهٍ، ردد مغربها صداه.

و هذا بدوره يقودنا لتلمس أزمة الفهم التي نعاني منها في تعاملنا مع القرآن، ففي الأمة نهضة لحفظ كتاب اللهK و لا شك أن ذلك خيرٌ كبير، فهناك من يمتلكون موهبة الحفظ المتقن، و لكن هذا لا يسوّغ أن يصل بنا الأمر لممارسة عقوبة الضرب مثلاً و الحرمان مما يحبه الأطفال ليستظهروا الآيات، و لكم ننتقد سياسة الحفظ كآلية معتمدة في مسيرة التعليم، و لكن لا بأس من اعتمادها عند التعامل مع القرآن! و لننظر إلى ما يؤول إليه الحال، و لنتدبر! انعكاس مهارات الحفظ على أخلاقنا و

تعاملاتنا و اقتصادنا و سياستنا ....و عالميتنا! في زمان العولمة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنبياء:107].

نعيش أزمة فهم لماهية التربية من حيث أنها ثقافة تؤثر في السلوك، و تقويم في الاتجاه الذي يحبه الله و يرضاه، مما يستلزم منا استمرارية ضخ الكثير من القيم و المعاني في عقول الناشئة و وجدانهم فتتراكم و تترسخ، و لا تكون يوماً عرضة للمساومة .

فليس من المفترض أن ننتظر حتى يكذب أولادنا لنبدأ في تعليمهم قيمة الصدق، أو أخذهم ما لا يحل لهم لنشرع في تبيان الحلال و الحرام، وقد نفعل ذلك من دون استصحاب أنهم مخلوقون لزمان غير زماننا، فلا نعتمد التجديد و الإضافة لقيم و مفاهيم لنتناسق و نتناغم مع سنن التغيير و التطوير في هذا الكون، فالشرع حاكم على العرف و المسلم منتج قبل أن يكون مستهلكاً، و ما هو الإنتاج؟ و ما معنى التنمية؟ و كيف يكون التدريب و الذي وصل نصيب الفرد الياباني منه في السنة ما يوازي (320) دولاراً و الأمريكي (200) دولار و العربي 1.5 دولار؟* ، و عندها فلن نعثر على طفل في العاشرة يرى أن امتلاك هاتف نقال حق أصيل له، لماذا؟ ما الهدف؟ سوى أن زملاءه على هذا الحال، فيحكمه العرف دون الشرع الذي يربيه كي يساهم في تحويل أمته من أمة مستهلكة إلى أمة منتجة، و أننا نتميز لا بما نملكه و إنما بما نكونه.

و الرجولة وفق التحديث اللازم و لكي تستعصي على المساومة، هي الاستعفاف و التزام وسطية الشرع عند استشراف الجمال فلا تخضع لعرف الفضائيات، و من ثم فلن نعثر على شاب يساهم في رفع أسهم أمته في بورصة الاستهلاك عندما تنفق المرأة في منطقة الخليج و في عام واحد فقط أربعة مليارات ريال على أدوات الزينة و التجميل**، غير ما يُنفق من الجهد و الطاقة .

نعيش في أزمة فهم متبادلة بيننا و بين الغرب، و نطالبهم بما يتوجب علينا أن نكون من أربابه، لا من أجلهم، و إنما من أجل أن العدل و الإنصاف من ثوابتنا

ما أشد تعرض الاجتهاد وفق الكتاب و السنة و من علماء أفاضل لتهمة التعمد للمساس بالثوابت!!

و ما أهون التخلي عن هذه الثوابت عند تقييم الآخر المخالف لنا في العقيدة!! (...وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا...)[المائدة: من الآية8]، و كأننا نخشى إنصافه، و الذي قد يكشف سوءات تقصيرنا في الأخذ بزمام العلم و التقدم والذي برع فيه و حاز السبق.

و لِمَ لا نفعل؟ ألم نعش أزمة فهم عقوداً طويلة كان شعارها "...و من نافسك في الدنيا فألقها في نحره "!

و ها نحن قد ألقيناها بكل ما فيها دون تحقيق لسندٍ أو متن أو فتوى تتغير زماناً و مكاناً، فما بال الأقوال المأثورة؟

لا نفرق بين إرادات الشعوب و الحكومات، فهم و بكل إصرار عندنا سواسية و على نفس القدر من الفهم و الاستيعاب، ما أرادوا بنا إلا شراً، و ما أضمروا حيالنا إلا السوء، و ما يكتب منهم و لو مفكر واحد أو عالِم ما فيه إنصاف للمسلمين، و ما يعكس رغبة الكثير منهم لمعرفة الإسلام، و الذي قد تجد صوراً لتطبيقه مما ينبئ عن رغبة هذه البشرية في العيش في أمن و أمان و سعادة و سلام، فحين تُنذر أُم مسلمة في كندا بأخذ أولادها لتشرف على رعايتهم الجهات المتخصصة؛ لِأنها أهملت بتركهم بمفردهم، و هما في الثالثة و الخامسة من أجل الذهاب لعملها، مما استلزم اتصال المدرسة الملحق بها الثاني للاستفسار عن سبب تَغيبه، و الذي كان بسبب مرض الأول، و عدم تمكن الأم من المكوث بجانبه، فتذهب إحدى المسؤولات و تحصل على مفتاح السكن، و الذي يتوجب ترك نسخة منه مع الحارس، و تقوم بإعداد طعام الإفطار، و رعاية الأولاد لحين عودة الأم، و التي اعتذرت بعدم معرفتها بقوانين البلاد، أوَ لم تكن على علم بالشرع؟

أوَ ليس هذا من النظام الجميل و الانضباط الذي يحبه الإسلام و يرضاه لصلاح البشر جميعاً؟

و حين يقر مجلس اللوردات البريطاني قانوناً برفض الأدلة التي تُؤخذ تحت التعذيب، ألا يقرب هذا المسافات بيننا و بين تلك الشعوب، و تلك العقول المنصفة؟! وكثير؛ فلا يخلو مجتمع من خير و قيم و مثل، و لا ينفرد آخر بالشر و الأذى و العدوان.

ليست دعوة للتعاطف المطلق مع الغرب و تجاهل ما ترتكبه حكوماته في بلاد المسلمين، و إنما محاولة لرؤية أكثر وضوحاً حتى – و مهما كانت الضغوط – لا تُخدش ثوابتنا .

و في سياق ذي صلة يمتد سوء الفهم فيتهيأ لبعضنا أن التحقير و التصغير لمن اعتمدوا أفكاراً تُنسب إلى الحداثة و العلمانية و العصرانية ...الخ هو الأسلوب الأمثل لمخاطبتهم، و لعل منهم الجاهل أو المتأول، و حتى لو كان متعمداً، أوَ ليس من بين جوانحه نفسٌ تتألم، و إذا كان التوجيه الإلهي بعدم المبالغة في إلحاق الأذى بالكافر المحارب (وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ...)[النساء: من الآية104]، بل إن أراد سماع الحق فلا تحقير و لا تصغير، و إنما (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ...)[التوبة: من الآية6]، فما بال من لا يزال ينطق بالشهادتين، و إذا لم يأت فلماذا لا نذهب نحن، و نحن الأكثر قوة و ثقة بالحق الذي نملكه (...ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ...)[المائدة: من الآية23]، و ما كان أرفق و أجمل رد أحد علمائنا الكرام في مؤتمر الحوار الوطني بأبها حين طالب أحدهم بفك الارتباط يبن النشاطات الخيرية و أعمال الإغاثة فلا تُحاصر بالإسلام، فهذه أعمال إنسانية لا وطن لها و لا دين، فتأتي الحجة الهادئة تقرع مثيلتها و تفندها، – ما صاحبها غمز و لا لمز و لا تحقير، وهكذا كل من كان له نصيب من علمٍ أو حكمة – و لماذا إذن لا تتكرر نفس الدعوة من صاحبها بفك الارتباط المزمن بين النشاطات التبشيرية و أعمال الإغاثة؟

أزمة الفهم التي نحياها تعكس سؤالاً ملحاً ... لماذا هذه العلاقة الحميمة بيننا و بين سرعة الاصطدام بالآخر؟

أم هو اصطدام مع النفس؟!

فتكون أزمة الفهم التي يعاني منها المسلمون – و ما سبق كان على سبيل المثال لا الحصر – هي فرع عن أزمة فهم مع النفس

================

#يا دعاة الأمة... لا تكونوا كالحديث الضعيف!

د. محمد بن سعود البشر 1427/1/15

2006/02/14

العلماء هم حملة الرسالة، المبلّغون عن الله، وهم بذلك موضع ثقة مجموع الأمة، وآحاد المجتمع، ننتظر منهم الكثير في هذا الوقت الذي يشهد أصواتاً تتطاول على العقيدة، وتسخر من القيم.. أصوات ذات نفس ليبرالي عفن، تنطلق من كيانات علمانية مستنسخة، تنفث في أجوائنا مناهج مستقاة من حمأة موبوءة، تنخر في البناء العقدي والفكري باسم التنوير ومحاربة الجمود، تقودها أقلام حظيت بمباركة كبار الأبالسة منهم، فأفردوا لأتباعهم ومريديهم ومن سار في ركبهم مساحة الكتابة وحرية التعبير، وحجبتها عن غيرهم ممن يمثلون ضمير الأمة وهوية المجتمع، هذا الزحف الليبرالي المسنود بدعم إعلامي يحتاج إلى وقفة مشهودة من العلماء والدعاة؛ ليقولوا كلمتهم الصادقة الناصحة في شأنهم.

ننتظر منكم أيها الدعاة أن تبيّنوا خطرهم وعظيم أثرهم لمن يملك قرار وقف تمردهم والحد من زحفهم، وننتظر منكم أن تضاعفوا من الجهد لتحديد موقف الأمة منهم، فلقد يسر الله لكم من وسائل التقنية للقول الفصل فيهم ما لم يتيسّر لأسلافكم، وإن كلمتكم ستبلغ فيها ما بلغ الليل والنهار.

يا دعاة الأمة.. لا تكونوا في وقفتكم تجاه هذه الشرذمة الليبرالية مثل الحديث الضعيف الذي لا يُؤخذ به إلا في باب الترغيب والترهيب، فلم يعد ينفع مع هؤلاء حديث زهد ولا موعظة، وقد آن الأوان أن يُقوّي بعضُكم بعضاً، ويعضد بعضُكم بعضاً، ويصل حديثكم متواتراً إلى من كلمته أقوى من أحاديث الترغيب والترهيب.

وإن من أهم وسائل التقوية والمعاضدة ليُحتجّ بقولكم عند من لديه القول الفصل أن تضاعفوا من الرصد والتحليل لما يُنشر من تلك الفئة عن ديننا وعقيدتنا ووطننا، وأن تتقدموا به إلى أهل القرار، ليعلموا أن الليبراليين وأهل الفجور الفكري والعلمنة الثقافية إنما هم شجرة خبيثة في بيئة طاهرة يجب أن تُجتثّ من فوق الأرض، ولا يكون لهم في مجتمعنا قرار، فهذه أولى وأهم مراحل المفاصلة مع القوم بكل صورها.

=============

"العمل السياسي المعاصر في ضوء السياسة الشرعيّة"

حماس نموذجاً 2/1

أ.د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي 1427/1/14

2006/02/13

ابتداءً أعتذر للقارئ الكريم بأنني لست خبيراً سياسياً في مجال العمل، ولا متخصصاً في القانون أو الأنظمة السياسية، ولذا فسيكون حديثي مجرد اقتراحات من كاتب ليس يخلو من معلومات في السياسة الشرعية، أزجيها لإخواني في فلسطين، ولاسيما في حركة حماس الإسلامية؛ إثر فوزها في الانتخابات التشريعية.

ولعل من الأفضل أن أجعل حديثي في سلسة من النقاط بغية التركيز، والبعد عن التكرار.

• أهمية العمل السياسي:

لا يماري أحد في أهمية السياسة في حياة الأمم، والأمة المسلمة دخلت غمار السياسة منذ نشأتها؛ إذ مورست السياسة في أصولها ومظاهرها الرئيسة في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم– بصفته حاكماً ورئيساً لدولة المدينة..

ثم نهج الخلفاء الراشدون منهج النبوة مع اكتمال عناصر السياسة والدولة في عهدهم، واستمر المسلمون على ذلك مع وجود تطورات في الأنظمة السياسية.

وقد حرصت الأنظمة السياسية في التاريخ الإسلامي –على الرغم من اختلافها وتقلبها– على الإبقاء على كيان الإسلام وكيان الأمة المسلمة، قروناً طويلة، إلى أن مزقها الاستعمار العسكري والثقافي.

وفي عصرنا الحديث عني الكثيرون بالسياسة، ولاسيما في وجهها النظري.

إلا أن الاهتمام بالسياسة الشرعية، أو قل السياسة في الإسلام ليس كما ينبغي.

ومع ذلك نلحظ أن ساحة العمل السياسي لم تشغر من مفكرين ومنظرين وممارسين ممن لهم عناية ودراية بعلوم الشريعة أو الثقافة الإسلامية بصفة عامة.

وقد وُجدت عدة تجارب في بلاد إسلامية حاولت خوض معترك السياسة من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية، مثلاً: (باكستان، مصر، السودان، الأردن، اليمن..).

وربما يرى البعض بأن تلك التجارب لم يُكتب لها النجاح المأمول، وقد يبلغ اليأس ببعضهم إلى درجة المراهنة على إخفاق أي خطوة عملية في مجال السياسة.

وأعتقد أن هذا يأس مذموم؛ بدليل أن الملك عبد العزيز ابن سعود استطاع في منتصف القرن الماضي أن يؤسس دولةً إسلامية عصرية، توافرت لها عوامل النجاح، واستمرت على ذلك إلى الآن.

• الوضع العالمي الراهن:

إن الوضع الذي نعيشه ليس عادياً، فعالم الغرب والشرق يموج بالمتغيرات، وأسباب القوة توافرت لدول غير مسلمة؛ حتى صار بيدها الحل والعقد للأوضاع العامة في العالم.

ثم تطوّعت هذه القوى المستكبرة فصنفت الدول والشعوب وفق سلّم جائر، وأصبح العالم الإسلامي بموجب هذا التصنيف في آخر السلّم.

ولا شك أن ذلك يفرض على كل قائم بأمر أن يأخذه بالاعتبار.

• السياسة الشرعية ضرورة:

إذا أُطلقت "السياسة الشرعية" فإنها تنتظم أمرين:

أحدهما عام، والآخر خاص.

أما العام فالمراد به ما يقابل السياسة الوضعية، ويكون المراد بها مطلق التشريعات الإسلامية، أي السياسة التي تأخذ بالإسلام ديناً ومنهج حياة، ويقابلها هنا السياسات غير الإسلامية، سواءً كانت لا دينية "علمانية"، أو ذات دين غير إسلامي.

وأما المعنى الخاص: فيُراد به ما تعارف عليه فقهاء الإسلام من التصرفات والتدبيرات الحازمة التي يأخذ بها الحاكم سواء أكان قاضياً أم إماماً أم أميراً..

أو جملة التدابير والتنظيمات القائمة على الاجتهاد من لدن ولاة الأمر في دولة الإسلام، من أجل مواجهة الواقع المتغير.

وكلا المعنيين السابقين (العام والخاص) مهم، بل ضروري في المجتمعات المسلمة، فإن الأول هو ما يميز بين الدولة المسلمة وغير المسلمة، والثاني يميز الدولة المسلمة العصرية والمتطورة عن الدولة المسلمة الخاملة، أو ذات الفكر الجامد (الظاهرية الجامدة).

• قواعد عامة:

يذكر أهل العلم الباحثون في مجال السياسة الشرعية جملةً من القواعد التي تُبنى عليها هذه السياسة.

ويمكن تقسيم هذه القواعد قسمين:

القسم الأول: مصادر السياسة الشرعية ومواردها.

والقسم الثاني: مرتكزات السياسة الشرعية.

فالقسم الأول، هي مصادر تستمد منها السياسة شرعيتها وقوتها ووجودها.

والحقيقة أن هذه المصادر نوعان بحسب السياسة التي يُراد شرعنتها، فإن كانت السياسة الشرعية المقابلة لغير الإسلامية فمصادرها إجمالاً: الوحي المنزل مع الإجماع والقياس، ثم بقية المصادر التبعيّة: كالمصلحة المرسلة، والاستحسان، والاستصحاب، وسد الذرائع، والعُرف.

وإن كانت السياسة الشرعية، المقابلة للظاهرية الجامدة، فمصادرها في الجملة هي المصادر التبعية المشار إليها، وهذه المصادر – الأصلية والتبعية – كلها تقتبس من مشكاة النبوة المحمدية، وهو ما يميز بينها وبين المصادر البشرية عقلية كانت أو عرفية أو دينية.

وأما القسم الثاني من القواعد، وهو المرتكزات والأعمدة التي تنهض عليها السياسة الشرعية فإنها كثيرة، وأهمها فيما أرى:

1) العبودية الصحيحة والشاملة لله رب العالمين لا شريك له. في كل شؤون الدولة، ممثلةً بأفرادها ومؤسساتها.(قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [الأنعام:162]. والمسلم يعترف بهذه العبودية في كل ركعة يركعها لربه. (إياك نعبد وإياك نستعين)، وبتحقيق هذه العبودية يستحق العباد الاستخلاف في الأرض، كما قال الله جل وعلا:(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً...)[النور: من الآية55].

2) التزام قيم الإسلام الخلقية في كل التصرفات، وبخاصة المعاملات والعلاقات البشرية، ويأتي في مقدمة هذه القيم:

أ) العدل، مع النفس، ومع الخلق كافة، قريبهم وبعيدهم، صديقهم وعدوهم، يقول الله سبحانه وتعالى: (...وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[الحجرات: من الآية9]، ويقول سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...) [النحل: من الآية90].

ب) الصدق في القول والعمل؛ فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة. كما في الحديث. وضده الكذب، وهو من خصال النفاق والفجور.

ت) الوفاء بالعهود والمواثيق. يقول الله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ...)[المائدة: من الآية1]، ويقول سبحانه: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً)[الإسراء: من الآية34].

ث) الرفق والتسامح في المعاملة؛ فإن الله تعالى رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ومن الرفق العفو والصفح، والكلمة الطيبة، ولين الجانب، والجدال بالتي هي أحسن، والحلم، والكرم، والصبر.. وقد جاءت الأدلة الصحيحة والصريحة في هذه الخصال وأشباهها.

ج) المعاملة بالمثل، يقول الله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ...)[النحل: من الآية126].

ح) البر والإحسان بكل نفس منفوسة؛ ففي الحديث (في كل ذات كبد رطبة أجر)، والبر كلمة جامعة لكل خصلة جميلة من الأقوال والأعمال، والاعتقادات. يقول الله سبحانه: (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) [البقرة:177]. مراعاة الواقع، أو الحاضر الذي يعيشه العالم.

إن أي دولة، أو مؤسسة أو حركة علمية أو دعوية أو غيرها ما هي إلا جزء من الخريطة في هذا العالم، الأمر الذي يتطلب وعياً رشيداً وفهماً سديداً لهذا الواقع، من حيث تنوعه الثقافي والحضاري، ومن حيث توجهاته وأهدافه، ومن حيث تغيره وتقلباته.

ومن معالم هذا الحاضر التي ينبغي مراعاتها وأخذها بالاعتبار:

1- ضعف الأمة المسلمة وتفرقها، برغم كثرة عددها البشري الذي يزيد عن المليار مسلم، وتعداد دولها الذي يتجاوز الخمسين دولة.

وهذا الضعف لا شك أنه يضاعف المسؤولية على أصحابها، وعلى أهل القدرة وأهل الرأي والعلم والحكمة.

لكنه في الوقت نفسه لا يجوز تجاهله عند النظر إلى الأمة بصفتها الجماعية.

2- التنظيم الدولي القائم على التكتلات والتجمعات، من خلال المواثيق والمعاهدات الدولية.

وبموجب هذا التنظيم لم يعد باستطاعة الدولة، أي دولة أن تنفرد أو تشذ عن هذا التنظيم.

نعم تستطيع أن تكون فاعلة ومؤثرة فيه، ولكنها لا تستطيع أن تبتعد عنه.

والدولة من خلال عضويتها تستطيع أن تحقق المصالح لنفسها، أو على الأقل تدرأ المفاسد، وهذا لا يخرج عن مبدأ التعاون المشروع، يقول الإمام ابن تيمية: "وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر؛ فالتعاون على جلب مصالحهم، والتناصر لدفع مضارهم؛ ولهذا يُقال: الإنسان مدني بالطبع". مجموع الفتاوى28/62، وتأمل الجملة الأولى من كلامه.

3- مبادئ القانون الدولي العام، المنظمة للعلاقات الدولية وحقوق كل دولة وواجباتها، مما لا يتعارض مع قواعد التشريع الإسلامي ومبادئه السامية.

ومراعاة هذه المبادئ أمر يفرضه الواقع، ولو أن كل دولة تمردت على تلك المبادئ وخرجت عليها لتحولت الأرض إلى غابة يأكل القوي فيها الضعيف، حيث لا رادع خلقياً ولا وازع سلطانياً يمنع الأقوياء من التهام الضعفاء؛ نظراً لغياب القوة الإسلامية العادلة.

إلا أن هذه القوانين على رغم غياب الشريعة الإسلامية عنها، فإنها لا تخلو من قيم إنسانية عامة ومشتركة يتفق عليها العقلاء، كالعدل النسبي، والوفاء بالعهود، ودفع الظلم، والتعاون على مصالح الحياة.

3) ومن المرتكزات التي تقوم عليها السياسة الشرعية: مراعاة التدرج في تطبيق الشريعة، أو الأنظمة، وفي تحقيق المصالح ودرء المفاسد، لاسيما إذا كان مجال

التطبيق عموم مجالات الحياة، ويصدق هذا على المجتمعات التي لم تعهد تطبيق الشريعة الإسلامية من قبل، أو تمارسها في السلوك الفردي فقط دون الحياة العامة.

وأياً كان صاحب الإرادة، سواءً أكانت دولةً قائمة أو ناشئة، أو حزباً أو حركة أو غير ذلك.

ويُقصد بالتدرج هنا السعي في تحقيق ما يمكن تحقيقه من المصالح ودرء ما يمكن درؤه من المفاسد، بعيداً عن المثاليات أو التشنّجات.

وذلك ما يتفق مع فطرة الإنسان وعقله السليم، وهو مقتضى طبيعة الأشياء.

ومما يشهد لهذا الأصل:

أ أن الشريعة –ممثلة بالوحي الإلهي– تنزلت منجّمة في نحو ثلاثة وعشرين عاماً، هي مدة بقاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم– منذ نزل عليه الوحي إلى أن اختار الرفيق الأعلى.

ب أن تطبيق الأحكام ومثلها الأنظمة دفعةً واحدة وبقرار واحد، أو الإصرار على تحقيق جميع المصالح ودرء المفاسد ليس من الحكمة في شيء، بل فيه تعسّف ظاهر.

فمن هو ذلك الحاكم، أو الحكومة أو الحزب الذي باستطاعته أن يصدر قراراته الحاسمة التي تحوّل المجتمع من الكفر إلى الإيمان، ومن الطاعة إلى العصيان، ومن مجتمع كافر إلى مجتمع مؤمن، أو مجتمع غارق في الرذيلة إلى مجتمع فاضل؟!

بل من ذلك المسؤول الذي يستطيع أن يحوّل مؤسسة: تعليمية، أو إعلامية أو اقتصادية مثلاً من مؤسسة علمانية إلى مؤسسة إسلامية بمجرد إصدار قرار؟!

أجل.. إن الأمر يتطلب –لزاماً– تهيئة النفوس وتجفيف منابع الفساد والانحراف، ونشر العلم الشرعي عن طريق الكلمة الطيبة، والتربية الناضجة، والقرارت المتأنية والحكيمة؛ لتكون محلاً للقبول والاستقبال الحسن.

ت وقاعدة (اتقوا الله ما استطعتم) خير برهان على تلك الدعوى؛ ولهذا جاء في الحديث: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم". ولم يقل: فافعلوه.

وفي الحديث الآخر: "خذوا من العمل ما تطيقون".

ث يقول أهل الحكمة: (إن ما لا يُدركُ كلُّه لا يُتركُ جُلُّه)، وهي حكمة صحيحة؛ لأن إدراك الكل غير ممكن في معظم غايات البشر وقدراتهم.

4) وأعتقد أن أهم مرتكز يمكن أن نختتم به المرتكزات هو إخلاص العمل لله رب العالمين لا شريك له، من لدن المسؤولين عن العمل السياسي وتطبيق الشريعة الإلهية، سواء كانوا كباراً أو صغاراً، أمراء أو وزراء، أو علماء أو دعاةً أو مديرين، فكل يحتاج إلى الآخر، (فإن الخوافي قوة للقوادم).

وإن الجميع بحاجة شديدة إلى النية الحسنة القائمة على طلب رضا الله سبحانه وتعالى، وإعلاء كلمته، وإظهار دينه وإعزازه، ونصرة أهل الإسلام، وتحقيق العزة لهم، وجلب المصالح العامة لهم، ودرء الفاسد بقدر الإمكان عنهم.

فهذه مقاصد عظيمة ترضي الله تعالى وتستمطر رحماته على هذه الطائفة، بل كل مجتمعها، بل ربما عم خيرها أهل الأرض.

وصدق الله العظيم في قيله: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة:5]. وصدق رسوله الكريم إذ يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى

=============

#هذه عطاءات البلد الحرام: فماذا أعطيناه

الشريف حاتم بن عارف العوني 1426/11/3

2005/12/05

في خضمّ أحداث الحياة، وصخب الحضارة، وازدحام المشاغل، وهموم المعاش، وأكدار الدنيا من الأمراض والأتعاب وأنواع الابتلاءات = هناك لحظات في حياة المسلم تسمو على ذلك كُلّه، ترتاح فيها نفسه من أنواع الهموم والغموم، بل تصفو من آثارها، وتعلو عليها، وتحلّقُ إلى السماء، في خطاب ربّ السماء (سبحانه)؛ إنها اللحظات التي يتوجّه فيها المسلم في كل بقاع الأرض إلى البلد الحرام لأداء الصلاة خمس مَرّات في اليوم والليلة.

شاء الله تعالى أن يجعل التوجُّه إليه والخضوع له واللجوء إلى جنابه منوطاً بالتوجُّه إلى البلد الحرام، في الصلاة والدعاء (إذ من مُستحبّات الدعاءِ وأسباب الإجابة

التوجُّهُ إلى القبلة)، وفي الحج ومناسكه، وفي كل ساعات القُرب ومجالس الشَرفِ على مَدى الحياة، بل إلى ما بعد الممات، عندما يُوَجَّهُ المسلمون في قبورهم إلى القبلة= كل ذلك والمسلمون متعلّقةٌ قلوبهم بالبلد الحرام!!

– فإلى جهته: يُوحَّدُ الله تعالى.

– وإلى جهته: تُنْصَبُ القامات، وتذلُّ الأنوف الشامخات، وتسجد الجبهات، في الصلوات والدعوات وصنوف القُربات.

– وإلى جهته: يرفع المسلمون حاجاتهم، وتضرُّعَ دعواتهم، إلى ربهم، الذي أحبّ أن يجعل البلد الحرام جهةَ التوجُّهِ إليه.

عندها.. تتحقّق الحاجات، وتنزل الرحمات، وتُحيط بالمسلم الألطاف، وتحفُّه الملائكة الأشراف.

وعندها.. يرضى الرحمن، ونتحبّبُ إلى ربّنا المنّان، وتعلو منازلنا في الجنان، ونفوز بالنجاة من النيران.

هذه العطاءات كلّها (وهي كل العطاءات، فبها تتحقّق سعادة الدنيا والآخرة) قدّرها الله تعالى بالتوجُّه إلى البلد الحرام!!

فلا عجب بعد ذلك أن تُصبح القلوبُ به متعلّقةً، والأفئدةُ له هاويةً، والوجوهُ إليه متوجهةً!

ولا عجب بعد ذلك أن لا يُذكر البَلَدُ الحرام في كل بقاع الأرض إلا رفرفرت قلوبُ المسلمين شوقاً إليه، وذرفت عيونهم صادق العبرات في انتظار لحظات اكتحالها برؤياه، والتنعُّم بقُرْبه والتقلُّبِ في أكنافه والبكاءِ على أعتابه والدعاءِ عند بابه.

لا عجب.. لأن بلداً ذاك هو عطاؤه (بتقدير الله تعالى)، حتى كان لقاءُ المسلم بربّه لا يصحّ في صلاته إلا بالتوجُّه إليه= سَتُطْبَعُ القلوب على محبّته، فتجري الدماءُ على ذكراه، وتذوب المشاعر على أمل لُقْياه.

فإذا حَرَك الحنينُ أقدامَ المحبّين، وانسابت خُطاهم كما تنساب حبّات الماء إلى مستقرّها، واتّبعوا نداء أبي الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام "وأذّن في الناس بالحجّ يأتوك رجالاً"، ذلك النداء الذي يكاد أَصَدَاهُ أن تسمعه الآذان، بعد أن سمعتّه القلوبُ الحنيفيّةُ المسلمةُ: ملة أبينا إبراهيم –عليه السلام–(1) فحرّك فيها ذاك النداءُ

المشاعر، وحَرَّق لديها الأشواق، وخرَّقَ عليها حجابَ الصبر دون ساعات اللقاء. فخرجت كالأمّ تسمع أنين رضيعها، لا تلوي على شيء، ولا تفكّر بشيء، إلا أن تلقاه. نعم.. قاصدُ البلد الحرام كالأم في شدة الوَلَهِ وغياب الوعي إلا عن ذلك النداء لرضيعها، لكنه هنا ليس هو الأم التي تعطي بل قاصد البلد الحرام في العطاء هو الابن، وأمُّه هو البلد الحرام! فَحُقَّ لهذه البلدة أن تكون (أمّ القرى)، بل أن تكون (أم القلوب)؛ لأنّها أمّ العطاءات!!!

إبراهيمُ (عليه السلام) يؤذّن في الناس بالحجّ من آلاف السنين، فيستقرُّ في قلوب المسلمين ذاك النداء إلى يوم القيامة. يتشوّقون لساعة الإجابة، التي ينادون فيها: لبيك اللهم لبيك!!!

إنها قصّة حُبّ أزليّة، هي أقدم قصة حب بين إنسان وموضع على وجه الأرض، إنه حُبّ مكّة المكرّمة!!!

فإذا اقتربت أقدام المحبين من الأعتاب، وأوشكت قلوبُهم أن تطرق الباب: فلا تسل عن أصوات البكاء من شوق اللقاء!! ولا تسل عن رفرفة الأرواح تكاد تخرج إلى تلك البطاح!!! فالقلوب تكابد الشوق من حين أن سمعت نداء الخليل –عليه السلام– من آلاف السنين، وتُجدِّدُ نارَ هذا الشوق في كل يوم وليلة بذاك التوجّه بالروح والجسد إليه، في أجلّ ساعات وأصفى لحظات وأهنأ أوقات.

فإذا شاء الله تعالى للقلوب أن تنعم باللقاء، فدخل الحُجّاج والمعتمرون والعاكفون والطائفون والركّع السجودُ البلدَ الحرام: فيا لله كيف ثبَّتَ اللهُ القلوب؟! فلو كان ما فيها بالجبال لانصدعت، إنه لقاء حُبٍّ قديم متجدِّد وشوقٍ من آلاف السنين!!!

قِفْ وانظر تلك الوجوه في تلك اللحظة: عبراتٌ مسفوحة، وأفراح تعجز عنها الأرواح، فترى هذا غَشْيانَ، وهذا دهشان لا يدري أهو في أرض أم سماء. وذاك يعانق البيت قبل أن يصل إليه؛ لأن روحه قد سبقته فصوّرته أنه بين يديه. والآخر عاجزٌ عن الحراك أيُّها البيتُ لمّا رآك، يخشى أن يكون ما فيه حُلمٌ سينتهي إن حاول أن يعانقك. وهناك من لا يكاد يرفع بصره إليك، واكتفى بالسجود لله تعالى بين يديك، هيبةً وتعظيماً. وأما هذا فلا يدري من أين يبدأ اللقاء، وكيف تكون طقوس الحب والوفاء، يحسب أنه لن تنطفئ أشواقُه إلا أن يموت هناك، وتطويه تلك البقاع في

جوفها. وذاك أشرق وَجْهُهُ، ولم تعد تَطْرُفُ عينُه، لمّا اكتحل برؤياك، يخشى من النوم كما يخشى غيره الموت؛ لأنه سيمنعه من النظر إليك، ألا ترى أنه يخرج حين يخرج راجعاً القهقرى إلى ظهره، ودَّ أن يترك بصره عندك، بعد أن ترك قلبه لديك. وآخر استحضر التاريخ، فغلبه تاريخك العظيم، فرضي منه بلحظة واحدة، فتمثّل رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم– يُصلّي خلف المقام، فكادت روحه أن تزهق لجلال هذا المقام، هُنَا صَلَّى الحبيبُ المصطفى –صلى الله عليه وآله وسلم–، وهنا طاف، وهنا ركع وسجد، وهُنا قام ودعا، وهنا بكى وبلّلت دموعه المباركة المكان، وهنا خَطَا، وهنا نام... يا الله! آمنت أن الآجال بيد الله، وإلا لما كان للأرواح أن تصبر بعد هذا كُلّه.

مئاتُ الملايين من البشر حجّت هذا البيت الحرام، كل واحد منهم قد فاض قَلْبُه بجلال هذا الموقف، كل واحد منهم يظن نفسه وحيدَ حُبِّه وفريدَ وَلَهِه؛ لأنه يرى الأرض والسماء قد ضاقت عن مشاعره، فكيف يشاركه غيره من أهل السماء والأرض في تلك المشاعر التي ملأت السماءَ والأرض من القِدَم، فما بقي فيهما لغير مشاعره –فيما يحسب– موضعٌ لغير حُبِّه هو وحده. لكن العجيب أن هذه المشاعر نفسها، قد ملأت سماء وأرض مئات ملايين البشر ممّن حجّ هذا البيت الحرام!!!

مئات الملايين من البشر جاؤوا إلى البلد الحرام، فوسع أفئدتهم كلّهم وضمّها إليه، فلا ضاق عن شوقٍ لقاؤه، ولا عجز عن قديم العهد وفاؤه، ولا تفلَّتَ من بين ملايين القاصدين قلبٌ لم يرُضه بلذاذة الوصال، ولا ادعى أحدٌ منهم أنه قصّر في تحقيق مالهم فيه من مُنْتهى الآمال.

هذه عطاءات البلد الحرام.

ثم بعد أن يظنّ هؤلاء المحبّون أن دهشة اللقاء الأولى قد انقضت (وسيعلمون إذا انتهت مناسكهم وأرادوا الرجوع إلى بلدانهم أنهم ما زالوا في لفيف الدهشة الأولى ما برحوها)، عظّموا الله تعالى بالطواف حول البيت، تطوف قلوبهم بأجسادهم لا أجسادُهم بقلوبهم، فالطواف رَمْزُ التبعيّة: من طواف ما حول نواة الذرّة بها، إلى طواف الكواكب حول شمسها، إلى طواف المجموعات في أفلاكها، إلى طواف الملائكة حول عرش ربّها عز وجل.

إن إقرار العبد بأنه عَبْدٌ، وفرحه بعبوديّته، وإعلانه الانقياد المطلق لربّه بالطواف حول بيته الذي نصبه رمزاً للتوجُّه إليه= يدل على كمال محبّة العبد لربّه. ولا أحبَّ عَبْدٌ من استعبده إلا لكمال في هذا المستعبِد، جعل الاستعبادَ المكروهَ للنفس في العادة محبوباً لها لمّا كانت عبوديّةً لصاحب ذلك الكمال. والكمال المطلق لله تعالى وحده، ولذلك وَجَبَ على عبيده أن يفرحوا غاية الفرح بعبوديّتهم لله تعالى، وأن يحقّقوا هذه العبودية على أقصى مايستطيعون.

وممّا زادني شرفاً وفخراً ... ...

وكدت بأخمصي أطأ الثريّا

وقوعي تحت قولك يا عبادي ... ...

وأن صيرت أحمد لي نبيّا

وقوعي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيّا

وهذا ما يشعر به الطائف بالبيت، تراه يطأ أرض المطاف، وهو يَشْعُرُ أنه يطأ النجوم؛ لأنه العَبْدُ التامّ العبوديّة لله العظيم الذي لا إله إلا هو وحده، فهو يحقّق هذه العبودية الشريفةَ الكريمةَ بطوافه.

فأيّ شعور أعظم من هذه الشعور؟! وأي حقيقةٍ غائبة عن الناس أهداهم إيّاها هذا البلد الحرام بالطواف حول الكعبة المشرّفة؟!

هذه عطاءات البلد الحرام.

فإذا أقبل الطائفون إلى الحجر الأسود لتقبيله، وهو من الجنّة، قبّلوا فيه أرضَ موطنهم الأول: الجنّة، التي أخرج الشيطانُ (عدوُّهم الأول) أبويهم منها. وهنا تستعر لواعج الأشواق وتحترق خوالج العُشاق إلى الموطن الأول لهذه البشرية، وهي الجنّة، فتحنّ إليها أشد ما يكون حنين الغريب الطريد من وطنه إليه، إذا ما رأى ما يذكّره به. فحُقّ أن يُقال عند تقبيل الحجر: هُنا تسكب العبرات!!(2).

وهذا الحنين إلى الجنّة، الذي أذكاه تقبيل الحجر الأسود، سيكون دافعاً إلى أن يسعى هذا الغريبُ المطرودُ إلى أن يعود إلى وطنه، بسلوك الجادّة التي وضعها ربُّه إليه، ويحذر سُبُلَ الشيطان عدوّه الأول الذي كان سبب خروجه من الجنة.

وهكذا تكون عطاءات البلد الحرام.

فإذا ذهب إلى المقام ليصلي خلفه سنة الطواف، ورأى مقام إبراهيم، وهو آيةٌ بيّنةٌ على التوحيد "فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم" لأنه بقيّةُ أبي الأنبياء وباني كعبة التوحيد على وجه الأرض.

كل بقعةٍ في هذا البلد الحرام لها مع التوحيد قصةٌ قديمة وتاريخٌ عريق، حتى ذلك الحجر المسمى بمقام إبراهيم.

إنه بلدُ التوحيد، ولن تجد بلداً أولى بهذا اللقب من مكّة المكرمة، ولن تجد لقباً أولى بها منه. وإلاّ فَأَوْجِدْ لي بلداً له بإمام الحنفاء إبراهيم –عليه السلام– وبإمام الأنبياء محمد –صلى الله عليه وسلم– أوثق صلة، كما لمكة!

إنه بلد التوحيد.. منه بدأ التوحيد، ومنه انتشر، وفيه آياته ورموزه.

وإذا قلنا: (التوحيد) فهو أوّل وأعظم عبادة، بل هو الذي لا عبادة إلا به. فلا رضى لربنا –عز وجل– إلا به، ولا نجاة من الخلود في النار إلا بتحقيقه.

وكان هذا (التوحيد) أحدّ عطاءات البلد الحرام... وهكذا تكون عطاءاتُه!

أمّا ماء زمزم فهو خير ماء على وجه الأرض: طعامُ طُعْمٍ، وشفاءُ سُقم.

يُقبل عليه قاصدوه بعد أن أحرقت أجوافهم آهاتُ اللقاء، وسكبوا الدموع في تلك الساحات، فما نضب عطاؤه، ولا نقِص عن رِيٍّ ماؤه. يتضلّعون منه، فهو بركةُ التوكّل، وخفقةُ مَلَكٍ، له من البشر صلةٌ بإحدى أجلّ العبادات، وهي التوكّل، وله من طُهر السماء وبركتها خَفقةٌ من جناح أحد الملائكة. فكان الماءَ المباركَ الذي ما عرفت البشريّةُ أطهر ولا أعظم بركةً ولا أروى منه!!

هل تعرفون ماءً ما اعتاده أحدٌ إلا غصَّ بماءٍ سواه، والله إنه ماء زمزم! اسألوا أهل مكّة ممن اعتاد أن لا يشرب إلا ماء زمزم، هل طاب له ماءٌ سواه بعده، وكأنّ مريئًا أهْنَاه ماءُ زمزم لن يهنأ بغيره، ولو كان ماءً من النيل أو الفرات.

الماء رمز الطهارة .. وماء زمزم أطهر ماء

الماء سَبَبُ الحاة .. وماء زمزم سببٌ لأطيب حياة: حياة إيمان وعافية

الماء إنما يروي .. وماء زمزم لا ريَّ كريِّه، وهو طعام يُغني عن الطعام.

الماء قد يحمل الداء .. وماء زمزم شفاءٌ –بإذن الله– من كل داء

الماء شُرْبُهُ عادة .. وماء زمزم شربه عبادة

الماء نعمةٌ تستوجب الحمد... وماء زمزم قُرْبَةٌ يُجيب لها ربُّنا دعاء العبد: "ماء زمزم لما شُرب له".

الماء لا علامة في شربه على الإيمان.. وماء زمزم علامةٌ للإيمان، وعدم التضلّع منه علامة على النفاق "آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلّعون من ماء زمزم".

فإذا ما نَعِمَ المشتاقون بوصال البيت المعظَّم، وانطفأت نيرانُ أكبادهم بماء زمزم، وسرت في دمائهم حبّاتُ قطراته، مطهّرةً مجاري الشيطان في عروقهم ببركاته. تكاد ترى قلوبهم قد خالطتها بشاشةُ التوكّل وثقتُه وعزّه المؤمنين به؛ لأنه الاعتماد على خالق الأرض والسماء وربِّ كل شيءٍ ومليكِهِ. وتكاد ترى مسحةَ المَلَكِ في نضارة جلودهم وضياء وجوههم؛ لأنهم قد غسلوا أجوافهم بماءٍ من خفقةٍ بجناح مَلَكٍ كريم.

وهكذا عطاءات البلد الحرام.

عندها يحتاجون إلى درسٍ عميقٍ حتى يصحّ منهم التوكُّل على الله تعالى، فيخرجون إلى السعي بين الصفا والمروة، رَمْزُ اتّباع الأسباب والأخذ بها، الذي علّمته الأمُّ هاجَر للبشريّة، بعد أن علمتهم التوكّل بقولها لزوجها الخليل –عليه السلام–: "من أمرك أن تضعنا بأرض ليس فيها زرعٌ ولا ضرعٌ ولا أنيس ولا زاد ولا ماء، فقال –عليه السلام–: ربي أمرني، فقالت: فلن يضيّعنا"، نعم لقد قالتها بكل وضوح وسهولة؛ لأنها قالتها بكمال الإيمان وتمام التوكّل: "لن يضيعنا". ومع ذلك خرجت تسعى بحثاً عن الماء بين الصفا والمروة، وتكرّر السعي بينهما، لترفع مناراً للتوكّل الصحيح، وأنه التوكل الذي لا يُغْفِل الأسباب، بل الذي يبذل الأسباب كلّها، ولا يعجز ولا ييأس من تكرار الأخذ بها حتى ينجحَ، ويحقّقَ اللهُ تعالى له المطلوب.

إنه درسٌ عميق للتوكّل الصحيح، ودرسٌ عميقٌ في بيان الصلة بين الدين والدنيا، وشرحٌ عمليٌّ للعبادة بمعناها الكامل الشامل، وبيانٌ واضحٌ لفهم هذه الملّة للعلاقة بين العبد وربّه. لو وَعَتْ أمّتنا هذه الدروس، ولو فقهت الحِكمة التي بذلتها لها هذه الشعائر، لما كانت يوماً إلا الأمّة القائدة الرائدة!!!

إنه الدرس الذي يُطبّقه القاصدون للصَّفا، والذي لا يخلو في كل خطوةٍ من خطواته من الارتباط الكامل بالرب سبحانه؛ ولذلك يتوجّهون إلى البيت كلّما صعدوا الصفا والمروة بالتهليل والتكبير والدعاء. وهُمْ بهذا التوجُّه إلى البيت، وهذا التوجُّه المتكرّر

في خضمِّ ذلك السعي المتكرّر، يعلنون استمرار الولاء، وكأنّهم يُقسمون على حفظ العهد الذي بينهم وبين هذا البيت، وأنهم لن ينسوه في خِضِمّ (السعي)، نعم لن ينسوه في خضم حياتهم ولَهَثِهم في طلب المعاش، والذي لن تجد أصدق وصفاً عليه من أنه (سَعْيٌ) في طلبه.

إنّ هذا الاستحضار للصلة بين العبد وربّه، التي لا تكون فقط في العبادة المحضة في حياة المسلمين، بل تكون فيها وفي كُلّ لحظات اليوم والنهار، وفي ساعات الانشغال بالدنيا وإعمارها= هذا ما ميّزَ المسلمين عن غيرهم: ممّن فصلوا الدين عن الدنيا (كالغرب حاليّاً والأنظمة العلمانية)، وممّن جعلوا الدين بلا دنيا (كالغرب في القرون الوسطى، وكالفكر الصوفي في القرون المتأخّرة في العالم الإسلامي).

إنّ تلك الصلة الدائمة بين المسلم وربِّه، هي التي فسّرت العبادة في الإسلام بذلك التفسير الفذّ، الذي لا يعرفه الناس (كل الناس) إلا في الإسلام. إذ إن العبادة بمعناها الكامل الشامل في الإسلام هي تحقيق السعادة.. نعم.. وأنا أعني ما أقول: العبادة هي تحقيق السعادة؛ لأن الله تعالى الذي خلق البشر وركّبهم على ماهم عليه من العقول والرغبات والحاجات الجسديّة والنفسية، قد أنزل لهم دينه الذي لا دين له تعالى سواه، وهو دين الإسلام "إن الدين عند الله الإسلام"، "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين". والمقصود من الدين أن يكون نظاماً إلهيّاً للبشرية، به تتمّ علاقاتهم على الوجه الأكمل: بينهم وبين ربّهم، وبينهم وبين أبناء جنسهم من البشر، وبينهم وبين المخلوقات جميعاً. وإذا صحّت هذه العلاقة الشاملة، وتنظّمت التنظيم الإلهيّ الدقيق، القائم على العدل والإحسان= تحقّقت السعادة للبشريّة في الدنيا، فاستحقّت السعادة الأبديّة في الآخرة؛ لأنّها لم ترفض نعمة ربِّها العظمى، وهي دينّه وشريعتُه (ونظامُه)، ولم تكفرها، بل شكرت وآمنت، واتّبعت ذلك التنظيم الإلهي: الشامل للعبادات المحضَة ولكل شؤون الحياة؛ وبذلك جعل الإسلامُ حياة المسلم كلّها عبادة، وجعل القيام بهذه العبادة تحقيقاً للسعادة في الدنيا والآخرة: "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياةً طيّبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون".

فما أجلّ هذا الدرس الذي أهداناه البلدُ الحرام، ولم يَرْضَ في توضحيه إلا أن يكون درساً عمليّاً، لنستفيده بكل وضوح!! فهل استفدناه بوضوح؟!!!

لكن.. هكذا تكون عطاءات البلد الحرام.

وهذه هي بعض عطاءات البلد الحرام لقاصديه من غير أهله، هذه بعض عطاءاته لهم، وبقي من عطاءاته الجليلة واللطيفة، ما لا يكاد يتسع له كتاب، ولا يطيقه كاتب.

أمّا عطاءاته لأهله وقاطنية، ومَنْ حَظُوا بنعمة المجاورة فيه، الذين ما عرفوا إلا لذّة الوصال، ولا أضناهم الحنين، ولا أقلقهم الشوق، فهم في نعيم القُرب متقلّبون، وفي أعماق العناق قائمون نائمون= فلا تسل عمّا أعطاهم البلد الحرام، ولكن سل: ما الذي بخل عليهم به البلدُ الحرام؟!!

"أولم نمكّن لهم حرماً ءامناً يُجبى إليه ثمراتُ كل شيء رزقاً من لدنّا" [القصص: 57].

"أولم يرو أنّا جعلنا حرماً آمناً ويُتخطّف الناس من حولهم" [العنكبوت:67].

"ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرَّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" [إبراهيم:37].

فيا أهل مكّة: أنتم آمنون حين يخاف الناس، طاعمون حين يجوع الناس، أفئدة الناس إليكم مقبلة، ووجوههم إلى بلدكم آمّة. لكم حُرمة البلد الحرام، وما عرفنا البلاد إلا وأهلها يحمونها؛ إلا أنتم، فبلدكم يحميكم. وما عهدنا بلداً تأتيه ثمرات كل شيء من خارجه، مكفولةً أرزاقه؛ إلا بلدكم. ولا عَرَفَ التاريخُ بلداً يشتاق إليه غير أهله أكثر من اشتياقهم إلى بلدانهم وأوطانهم، إلا بلدكم.

يا أهل مكة: يفرُّ الناس عند الخوف إليكم، ولا تفرّون من بلدكم إلى غيره. أَمِنَ الطيرُ والوحشُ فيه، أمِنَ العُشْب والشجر.. حتى الشوك فيه آمن. أمن فيه كل شيء، فأمنت فيه القلوب، فَحُقّ له أن يُسمَّى بـ(البلد الأمين)، وأن يُقسم به ربُّنا عز وجل "وهذا البلد الأمين".

يا أهل مكّة: أفئدتكم في بلدكم قارّة، لا تشتاق إلى غيره. وقلوب غيركم إلى بلدكم قارّة، لا تعرف القرار إلا فيه.

يا أهل مكّة: أنتم في أحبّ البلاد إلى الله، وما أخرجكم منه أحد، فاحمدوا الله على هذه النعمة التي تأسّف عليها خير البريّة وسيّد البشريّة محمدٌ –صلى الله عليه وسلم–، عندما قال: "والله إنك لخير أرض الله، وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخرجتُ منك ما خَرْجَتُ".

يا أهل مكة: كم مَرّة أثقلت الذنوبُ كواهلكم، فجئتم مسجدكم، فحططتم عنده الأوزار، ورجعتم كحمائم البيت طُهراً وخِفّة ظهر من الآثام، حتى كادت أرواحكم بالسعادة تطيرُ معها. وكم مَرّةً تغشتكم الهموم والغموم، وقد علمتم أن جلاءها بالله عند حرمه، فما أتيتموه في أيّ ساعةٍ من ليل أو نهار، إلا وخرجتم منه وقد قويت قلوبكم على مكابدة الحياة، وفاقت عزائمُكم كُلّ عقبات الدنيا. وكم مَرّةً لفظتكم الأقاربُ، وتنكّرَ لكم الأهلُ والجيران، فما بئستم ولا يئستم؛ لأن عندكم حرمَ الله: ملاذَ الطريد، وملجأ الخائف، وحمى المستجير، وبيتَ ابنِ السبيل، وفيه طعامه وشرابه: ماء زمزم، وفيه الصلوات المضاعفات، والدعوات المستجابات.

يا أهل مكّة: الناس يصلّون وأنتم تُصلون، لكن صلاتكم بمائة ألف صلاة في غير بلدكم. والناس آمالُهم وأمانيهم تنحصر في أن يتيسّر لهم الطواف حول البيت، وقد لا تتحقّق تلك الآمال إلا إذا شاخ أحدهم ومال، ولا يبلغ الآخر منه مُنَاهُ إلا وقد شابَ رأسُه وفؤاده. أمّا أنتم فتطوفون بالرضيع والفطيم، ويطوف منكم الصغير والكبير، وتطوفون بالناس تعلمونهم مناسكهم، ولا يمنعكم أحدٌ من حرمكم في جميع أيام عمركم. حتى إذا حَلّ من أحدكم الأجل: صُلّي عليه عند الكعبة، ودُفن بالحرم، فما غُبط أهلُ بلدٍ كما غُبطتم: في الحياة.. وبعد الممات، فهنيئاً لكم.

وهكذا عطاءات البلد الحرام.

يا أهل مكّة: كل عطاءات البلد الحرام لغير أهله هي لكم بأوفر حظٍّ منها وأتمّ نصيب، ولكم من عطاءاته ما لا يحصل لغيركم، والناس من غير أهل بلدكم قد أعظموا عطاءاته لهم، حتى كان له في نفوسهم من الحُبّ والشوق مَا لا يُعرف لبلد غيره، ولا يَعْرِفُه قلبٌ لبلد ولا بلدٌ من قلب. فماذا يجب أن يكون في قلوبكم لبلدكم هذا، الذي لا يُوجَدُ بلدٌ عطاؤه كعطائه، ولن يوجد؟!!

يا أهل مكّة: أنتم في خير أرض الله، وفي أحب البلاد إلى الله؛ فكونوا خيرَ عباد الله وأحبَّ عباد الله إلى الله "الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات".

لئن كانت هذه بعض عطاءات البلد الحرام، فماذا أعطينا البلد الحرام؟!!!

سؤال يحتاج إلى جواب: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان".

(1) قال سعيد بن جبير ومجاهد في قوله تعالى "وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً": "وقرت في قلب كل مؤمن ذكر وأُنثى". (تفسير أبن جرير:515/16، 517).

وصحّ عن عدد من السلف: منهم ابن عباس –رضي الله عنه: أن الناس كلّهم سمعوا نداء إبراهيم عليه السلام، حتى من هُم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله تعالى أن يحجّ إلى يوم القيامة: لبيِك اللهم لبيك. (تفسير الطبري: 514/16–517)، واخبار مكة للفاكهي: رقم (978–973).

(2) حديث "هنا تكسب العبرات" لا يصح، لكن صحح ابن خزيمة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– حين استلم الحجر فأضت عيناه بالبكاء، ووافقه على تصحيحه الحاكم.

=============

#بين عقليّتين ونهجَين

د. عدنان علي رضا النحوي 1426/8/13

2005/09/17

انطلق العقل الغربي في العصور الحديثة من خلال تاريخ طويل استغرق قروناً، وتفاعلت فيه عوامل كثيرة وأحداث متعاقبة، لكنها كلها انطلقت من الوثنية اليونانية، وما حملت من علم ونظرة خاصة بالفنون والأدب، ونظرة خاصة للحياة والكون، اجتمعت كلها لتكوّن الفلسفة اليونانية الوثنية.

ولكن لابد أن نسرع فنقول: إن هذه الوثنية لم تكن هي أول أمر هذه الشعوب.

قد كان أول أمرهم الذي يعنينا هو رسالة الإيمان والتوحيد التي لا شك أنها بلغتهم كما بلغت كل أمة أخرى في التاريخ البشري، فقد بعث الله برحمته رسولاً إلى كل أمة أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت:

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)] النحل: 36[

وكما كان شأن كثير من الأمم، فقد انحرفت اليونان عن التوحيد وغلبتها الوثنية بصورة شديدة، وعبدوا آلهة ابتدعوها من أنفسهم، وأقاموا لها التماثيل، ودخلت هذه الوثنية في جميع ميادين حياتهم وتصوّراتهم وأدبهم.

ولما قامت دولة الرومان لم يكونوا أهل أدب أو فكر، فأخذوا كل ذلك عن اليونان، وأصبح فكرهم وأدبهم امتداداً لفكر اليونان وأدبهم، ولما جاءت النصرانية إلى أوروبا اصطدمت بهذه الوثنية الطاغية على الحياة، وعانى رجال النصرانية معاناة شديدة مدة تزيد على ثلاثمائة سنة، أمكن بعدها التفاهم مع "قسطنطين" على أن يعينوه على الوصول إلى سدة الإمبراطورية الرومانية، مقابل تنازلات، ومقابل رفع الأذى عنهم.

خلال هذه المدة تأثرت النصرانية بالوثنية، ووقع خلاف بين النصرانيين أنفسهم، فريق يدعو إلى عقيدة التثليث، وفريق يرى أن عيسى عليه السلام ليس ابن الله ولا شبيها لله، ولكنْ رسول من عند الله، ونالت طائفة التثليث الدعم من الدولة، وأخذت بعض طقوسها من الوثنية الرومانية، وبدأت التساهل مع النصرانية الجديدة التي انحرفت عن رسالة عيسى عليه السلام، وفي سنة 311م وقع الإمبراطور جاليريوس مع ثلاثة آخرين بإعطاء حرية العبادة للنصارى.

ولما أصبح قسطنطين الأول (280 – 337م) هو الإمبراطور اعترف بالدين الجديد، الذي لم يكن لديه النص الرباني الأصلي الذي جاء به عيسى عليه السلام، وإنما كان ما تناقله أتباعه وما دوّنه علماؤه بعد عيسى عليه السلام بزمن غير قصير.

دعا الإمبراطور قسطنطين رجال الكنيسة إلى اجتماع في "نيقية Nicaea " سنة 325م في محاولة لتصفية النزاع بينهم وبين الأريوسيين الذين يقولون بأن عيسى عليه السلام ليس مشابهاً لله في الجوهر، والذين ينتسبون إلى آريوس الإسكندرية (ت:326م)، ولكن المجمع المنعقد في "نيقيه" أصدر قراراً يتبنى الطبيعة الثلاثية لعيسى عليه السلام (trinity) وتسمى هذه" بعقيدة نيسين Nicene Creed" .

هذه العقيدة كانت نتيجة التأثر بالتصورات الوثنية تأثراً انحرف بها عن التوحيد الخالص الذي جاء به عيسى عليه السلام.

ولما جاء الإمبراطور ثيودوسيس (346 – 395) فرض الكنيسة الكاثوليكية في جميع الإمبراطورية، وفرض القرار النيسيني، والتطور الثلاثي لطبيعة عيسى عليه السلام، ولإنهاء الصراع مع الأريوسيين دعا إلى لقاء كنسي سُمِّي فيما بعد "المجمع العالمي Ecumenical council " سنة 381م في مدينة القسطنطينية، وأقر هذا المجمع التصور الثلاثي والعقيدة النيسينية، وأخذ في مطاردة الأريوسيين واعتبرهم هراطقة.

لقد انتهى الصراع بين الوثنية والنصرانية إلى قيام الكنيسة الكاثوليكية التي تتبنى العقيدة النيسينية، وتطور الطبيعة الثلاثية لعيسى عليه السلام، والذي أصبح مذهب الإمبراطورية الرومانية كلها، وأصبح للكنيسة سلطان كبير على السلطة المدنية.

وبدأ صراع جديد بين الكنيسة والسلطة الزمنية من ناحية، وصراع بين الكنيسة والعلماء امتد زمناً غير قليل، ولقد حملت هذه الأحداث كلها امتداد التأثير الواضح للوثنية اليونانية في عصور أوروبا المختلفة: العصور الوسطى، أو عصر الظلمات، عصر النهضة، عصر التنوير، والعصر الحديث، وامتد التأثير إلى أعماق الفكر الأوروبي، وكان من أهم آثار هذا الصراع الممتد أن برزت العلمانية في أوروبا تحمل الرغبة الحاسمة للتحلل من الدين وعزله عن حياة المجتمع، وحصره بين جدران الكنيسة، ولقد حمل هذا الاتجاهَ عددٌ غير قليل من الفلاسفة الأوروبيين، واستقرَّت العلمانية في العالم الغربي توجِّه الفكرَ والأدب والأخلاق، والسياسة والاقتصاد، وأعطت الحرية الفردية تفلُّتاً واسعاً في الجنس، وحرية في الرأي لا تعطِّل القرار الذي يتخذه القادة بين الكواليس، ويستغلون الدين كلما احتاجوا إليه.

وقد جعلت العلمانية رأس الأمر كله ومدار اهتمامهم الأول هو المصالح المادية الدنيوية الخاصة، فمن أجلها تدور الحروب أوالسلام، والوفاق أو الشقاق.

ولكن هذه الشعارات كانت تغلف بشعارات عامة مزخرفة كالديموقراطية والحرية وحقوق الإنسان ومساواة الرجل بالمرأة وغير ذلك.

إلا أن الديموقراطية في حقيقتها لم تشهد إلاّ الحروب التي تشعلها المصالح الخاصة والتنافس عليها واستغلال الشعوب بالإغراء أو القوة والبطش، ولا أظن أن تاريخ البشرية شهد استبداداً أشد من استبداد الأسلحة المدمرة الفتاكة التي تطلقها أمريكا على أجزاء كبيرة من العالم لفرض ما تسميه " الديموقراطية والحرية" ، ثم لا تجد إلا الخداع والكذب، والأشلاء والجماجم.

من خلال مسيرة العقل الأوروبي والغربي مع مسيرة العلمانية قدَّر الله أن ينهض الغرب بنهضة علمية وصناعية كبيرة، زوّدتهم بالقوة المادية الكبيرة والسلاح المدمر، وكان أساس هذا التطور ما أخذوه عن المسلمين عندما كان المسلمون في أوج تطورهم وازدهارهم العلمي، وأوروبا في ظلال الجهل.

وفي الوقت نفسه قدَّر الله أن يقع المسلمون في غفوة طويلة وغفلة كبيرة من خلال تاريخ طويل من الانحراف.

وعندما كانت أوروبا تغطُّ في ظلمات الجهل والتخلف، كان المسلمون هم قادة العالم بالعلم في ميادينه المختلفة، وقدّموا العلم ونشروه مع نشر رسالتهم ودينهم حيثما امتدوا.

برزت عبقريات المسلمين في شتى أنواع العلوم كالرياضيات والطبيعيات والطب والفلك والجغرافية، والاكتشافات الجغرافية، وفنِّ العمارة، وغيرها من العلوم.

كانت العبقريات قد انطلقت من الإسلام من الإيمان، من جميع الشعوب الإسلامية، لتخدم البشرية كلها نوراً وهداية، وعلماً وعدالة، وحرية ومساواة.

مهما وقعت انحرافات أو أخطاء في مسيرة المسلمين، فإنها لم تصل أبداً إلى ما بلغه الغرب من إفناء وتدمير ووحشية، لقد كان الإسلام يكبح نزعات الفتك الإجرامي، ولقد وجدت الشعوب التي دخلها الإسلام عدالة لم تعهدها في تاريخها، وحرية كريمة منضبطة تسود الجميع، وديناً يجمع البشرية كلها في ظلال الإسلام وأنداء الإيمان، ويضع الحقوق الصادقة لكل فئة أو طائفة، لينسجم الجميع تحت حكم الإسلام وشريعة الله الحقة.

لقد جمع الإسلام شعوباً مختلفة الأجناس واللغات لأول مرة في التاريخ البشري، عندما أعاد الإنسان إلى الفطرة التي فطره الله عليها، إلى حقيقة الفطرة السليمة غير المشوهة أو المنحرفة.

فانطلقت قوى الشعوب كلها منسجمة متآلفة، وجمع الإسلام بذلك طاقات الشعوب ومواهبها بعد أن آمنت وأسلمت لله رب العالمين، وبعد أن ذابت العصبيات الجاهلية من حزبية أو عائلية أو قومية، وبعد أن وجد كل شعب أنه آمن، ينال حقوقه كما تناله الشعوب الأخرى، على ميزان رباني عادل أمين.

فانطلقت بذلك الحضارة الإسلامية تصب فيها مواهب الشعوب كلها وقدراتها، وخيرات بلادها في مجرى واحد صافٍ، تقودها عقلية إسلامية صاغها القرآن الكريم وسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، عقلية تنطلق من الفطرة السليمة التي أعاد الإسلام الناس إليها.

هذه الحضارة الإسلامية، ليست حضارة شعب واحد ولا حضارة بيئة واحدة، إنها حضارة الشعوب كلها، الشعوب التي تآلفت على الإسلام فطرةً وإيماناً وتوحيداً، وعلماً بمنهاج الله، وصراطاً مستقيماً واحداً، يجمع الناس كلهم على استقامته التي لا يضلُّ عنها مؤمن، وعلى تفرُّده بأنه سبيل واحدة لا سبل شتَّى، فلن يختلف عليه المؤمنون.

هذه الحضارة وهذه العقلية تميزت أيضاً بأنها جمعت المؤمنين كلَّهم على مدار التاريخ البشري أمة واحدة، على أسس واحدة وحق واحد.

فسورة الأنبياء، بعد أن تستعرض مسيرة عدد من الأنبياء والرسل عليهم السلام، وتبيِّن أنَّهم كلهم كانوا يدعون إلى دين واحد هو الإسلام، ولعبادة رب واحد هو الله الذي لا اله إلا هو، تختم السورة الكريمة هذا العرض بالآية الكريمة:

(إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)]الأنبياء: 92[

ويتكرر هذا المشهد العظيم في سورة "المؤمنون"، حيث تستعرض السورة مسيرة الرسل والأنبياء الذين دعوا إلى دين واحد هو الإسلام، وإلى عبادة رب واحد هو الله، تختم هذا العرض والمشهد بقوله سبحانه وتعالى:

(يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ)] [المؤمنون: 51-52[

هذه هي معركة التاريخ البشري تدور بين عقليتين ونهجين: عقلية تنطلق من الفطرة السليمة، ونهج رباني من عند الله على سبيل واحدة وصراط مستقيم، تتلقاه الفطرة السليمة بالإيمان والاتباع، وعقلية تنطلق من عواطف الأهواء وصراع المصالح، ومناهج بشرية تتلون من أرض إلى أرض، ومن مصلحة مادية إلى مصلحة، فيصارع بعضها بعضاً، كلٌّ يغلف أهواءه ومصالحه بزخارف كاذبة وزينة خادعة، سرعان ما يكشف الواقع كذبها وخداعها.

من هنا يعتبر الإسلام أن الحقَّ الأول للإنسان هو حماية فطرته التي فطره الله عليها، حمايتها من أن تفسد أو تلوَّث أو تنحرف، وجعل هذه الحماية مسؤولية الوالدين أولاً في الأسرة والبيت، ثم مسؤولية الأمة كلها بمختلف مؤسساتها، ابتداءً من المدارس والمسجد وامتداداً إلى سائر المؤسسات، ولنتدبَّر هذه الآيات الكريمة تعرض لنا خطورة أمر الفطرة:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)]الروم: 30[

ولنتدبر حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يرويه أبو هريرة رضي الله عنه:

"ما من مولود إلاَّ ويولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحس فيها من جدعاء" [أخرجه الشيخان وأبو داود ، صحيح الجامع الصغير :5784]

هذه القضية، قضية الفطرة وحمايتها، أهملتها جميع المؤسسات التي تدّعي أنها ترعى حقوق الإنسان، وأهملتها نظريات التربية المادية المختلفة، وأنى لهذه المؤسسات كلها بعد هذا الإهمال أن تصدق في رعاية حقوق الإنسان، أو في تربيته وتعليمه وبنائه.

بعد إهمال الفطرة وحمايتها، ستخرج عقليات مختلفة متعددة متناقضة مضطربة، وستُخرِج هذه العقليات تبعاً لذلك مناهج شتّى وسبلاً شتّى ومصالح شتى يدور بينها الصراع، ليمثل هذا الصراع الجزء الأكبر من التاريخ البشري بين بحار من الدماء وأكوام هائلة من الجماجم والأشلاء.

ولذلك كانت هذه العقلية ومنهجها منذ بدايتها التي أشرنا إليها في الوثنية اليونانية، قد أهملت فطرة الإنسان وأهملت حمايتها في مسيرة طويلة حتى يومنا هذا.

ويبين الله لنا هذا الاختلاف الواسع بين هذين النهجين والعقليتين بقوله سبحانه وتعالى:

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)]الأنعام: 153[.

فهنا صراط مستقيم وسبيل واحدة، وهناك سبلٌ شتى ودروب معوجة، هنا يلتقي الناس على دين واحدٍ و إيمان وتوحيد، وشريعة واحدة تنظم الحياة كلها وتبين الحقوق والواجبات والحدود، وهناك يلتقي الناس على مصالح ويفترقون عليها، وعلى شرائع شتى لا تلتقي إلاَّ على فتنة وفساد يخفونها تحت زخارف من شعارات الحرية والديموقراطية وغير ذلك.

تسعى أمريكا اليوم حسب دعوة بوش إلى جمع الناس على ما تسميه الديموقراطية، وما تدّعيه من حرية.

وفي هذه وتلك لا يوجد من حقيقة ثابتة إلاَّ الزخرف الذي سرعان ما ينكشف عن أقسى ما عرفته البشرية من مآس نشاهدها جليّة في بقاع متعددة من الأرض.

أنى التفتنا لا نجد إلاّ الأطماع الهائجة المتصارعة التي لا يكون اللقاء معها إلاَّ لقاءً آنيًّا قد ينقلب بعد حين إلى عداء و صراع.

فلا يمكن لدعوة الديموقراطية ولا الاشتراكية ولا العلمانية، مهما زينوها بالزخارف أن تجمع الشعوب كلها، وإن جمعت أحداً فإنها تجمعه تحت قهر القوة الجبارة والسلاح المدمر ليكون جمعاً آنيّا.

لا يمكن أن تجتمع البشرية إلاّ على الحق البين، إلاّ على دين الله الحق، دين الإسلام بجلائه وسموِّه وصدقه، فهو النهج الوحيد لدى البشرية كلها، النهج الذي يمكن أن يجمعها لتجد في ظلاله العدالة الأمينة غير المزيفة، والحقوق الصادقة لكل إنسان: للرجل والمرأة والتوازن الدقيق بين الحقوق والواجبات، والحرية المنضبطة للرجل والمرأة، للناس كافة.

إنه النهج الوحيد الذي يضع المرأة في ميادينها الحقيقية، والرجل في ميادينه الحقيقية، ويبني المجتمع على نظام دقيق، يعرف الرجل فيه مكانه و تعرف المرأة مكانها، ويعرف الجميع ميادين التعاون، عندما تعرف المرأة دينها وتؤمن به وتخضع له،

ويعرف الرجل دينه ويؤمن به ويخضع له، سيعرف كلٌّ حدوده على صورة تتكامل فيها الجهود.

أما إذا غلب الجهل وثار الهوى، فتصدر عندئذ الفتاوى والآراء والاجتهادات مضطربة متناقضة لا تخضع إلى ميزان أمين، وتنحرف الآراء حتى تطلب المرأة أن تتساوى مع الرجل في كل نشاطاته، وربما ينقلب الوضع فيصبح الرجل يطلب المساواة بالمرأة، يسعى كثير من المفسدين في الأرض أن يحرفوا دين الله ويؤوِّلوه، حتى يكاد يصبح ديناً جديداً منبت الصلة عن دين الله. وسيدرك بعض المسلمين الذين يدعون إلى شعار مساواة المرأة بالرجل، عاجلاً أم آجلاً، أنهم إنما يدعون إلى هلاك المرأة وهلاك الرجل وهلاك المجتمع.

ومهما حاول المفسدون والضعفاء أن يغيروا في دين الله فإن الله قد تعهد بحفظ دينه ولغة دينه، وإنما هي سنن لله في هذه الحياة الدنيا، يُبتلى بها الإنسان ويُمحَّص حتى تقوم الحجة له أو عليه يوم القيامة.

ولحكمة يريدها الله جعل من أوجه الابتلاء والتمحيص في هذه الحياة الدنيا بروز المفسدين والمجرمين، ليميز الله الخبيث من الطيب، فكم من الناس يخفون الوهن والانحراف في صدورهم، فتأتي سنن الله فتكشف هؤلاء وما يحملون وما يخفون.

إننا نعيش اليوم في مرحلة من مراحل التاريخ البشري، يقف فيها المسلمون موقف الوهن والضعف والهوان، والمجرمون في الأرض ملكوا القوة القاهرة والتطور المادي الكبير، على تخلّف خطير في قيم الدين، وعلى كبر واستكبار.

وفي الوقت نفسه جعل الله ما في السماوات والأرض مسخَّراً للإنسان، لكل من يسعى ويبذل، ويظل السعي والبذل باب ابتلاء واختبار، الميدان مفتوح للجميع، للمؤمنين وغير المؤمنين، كل يجني ثمرة سعيه:

(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدىً وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ) [لقمان: 20]

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

(وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ)]الزخرف: 33 – 35[

فالمؤمنون يسعون في الحياة الدنيا، أو يجب أن يسعوا، ليمتلكوا القوة من العتاد والعلم، ليوفوا بالأمانة التي خُلِقوا للوفاء بها، وليس لزخرفٍ في الحياة الدنيا ومتاعها، إنَّ المؤمنين يحملون أمانة عظيمة في الأرض ولا بد أن تكون في يدهم أسباب القوة والمنعة، ليبلّغوا دين الله للناس كافة كما أُنزل على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولتكون كلمة الله هي العليا، وشرعه هو الذي يحكم، ليأخذ كل إنسان حقه العادل، ويقف عند حدوده العادلة، وأما المجرمون في الأرض فيسعون ليمتلكوا القوة من عتاد وعلم، ليفسدوا في الأرض، ويعتدوا ويظلموا، وينهبوا ويقتلوا، ظلماً وعدواناً.

(فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ)] هود: 116[

أيها الناس إنكم تحملون أمانة عظيمة فانهضوا إليها، واصدقوا الله في أمركم كله، وكونوا صفاً واحداً لتوفوا بأمانتكم، ولا عذر لكم أن تقولوا: إن المجرمين يملكون القوة، فانهضوا واصدقوا يمكّنكم الله من القوة ما آمنتم وأطعتم وصدقتم:

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [غافر: 51] (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)] الصف: 13] (...وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)] الروم:47[أيها المسلمون كونوا مؤمنين ينصركم الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ....) [النساء: 136].

============

#سؤال النهضة والتنمية المعلق يعود أكثر إلحاحاً وأهمية

إبراهيم غرايبة 1426/7/29

2005/09/03

كان فتح مدينة القسطنطينية عام 1453م ثم الزحف الإسلامي غرباً حتى أسوار فيينا عاصمة النمسا عام 1683 مصحوباً أيضاً بانحسار إسلامي في الأندلس وشرق

آسيا والمحيط الهندي وامتداد بحري استعماري برتغالي، ثم هولندي ثم بريطاني في الخليج العربي والهند، وأفاق العرب والمسلمون في عام 1798 على دوي المدافع الفرنسية تدك المدن المصرية.

ربما كان الخروج الإسلامي من الأندلس عام 1492 بعد ثمانمائة عام من الوجود الحضاري والسياسي المميز، ثم الانسحاب التركي العثماني عام 1683 عن فيينا بعد فشل الحصار عليها، وما تبع ذلك من سلسلة الهزائم التركية، والتي ربما بدأت جذورها قبل ذلك بمائة عام، منذ عهد السلطان سليم الثاني حفيد سليم الأول الذي أدخل الوطن العربي في الدولة العثمانية عام 1516، وابن سليمان القانوني الذي بلغ بالدولة العثمانية إلى أوجها، ثم الحملة الجغرافية والاستكشافية والاستعمارية التي بدأت عام 1492، وهو العام الذي سقطت فيه غرناطة بحملة كولومبوس لاكتشاف طريق بديل إلى الهند أدى إلى معرفة الغرب بالقارة "الأمريكية" التي كان يعرفها العرب قبله بألف وخمسمائة سنة على الأقل، وما تبعها من حملات بحرية في المحيطات والبحار أدت إلى هيمنة على السواحل والممرات والخلجان والطرق البحرية التي كانت تحت سيطرة العرب، ثم الاحتلال البريطاني للقارة الهندية والسيطرة على الطريق البحري والبري الممتد بين أوروبا والهند بدءاً بمضيق باب المندب وجبل طارق ومروراً بالجزر والسواحل والخلجان في البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي.

وأفاق العرب والمسلمون متأخرين ربما بعد ثلاثمائة سنة على حقيقة تخلفهم عن الغرب، وتقدمه عليهم أشواطاً بعيدة، فكانت الحملة الفرنسية على مصر بداية للسؤال العربي الإسلامي القاسي والملح، ما الذي حدث؟ ما الذي أوقف المد الإسلامي الحضاري والسياسي والعسكري بعد ألف عام من النمو والاتساع المتواصل؟ كيف يستعيد العرب والمسلمون نهضتهم؟

أين الخطأ؟ هو السؤال الذي يعتقد برنارد لويس أن المسلمين دأبوا على طرحه منذ مدة طويلة عندما أدركوا تفوق الغرب عليهم، فهو سؤال يشي بالمرارة والقلق وإحساس متزايد وعميق بالغضب، فقد كان المسار الإسلامي آخذاً بالصعود والتفوق لأكثر من ألف سنة من الفتوحات والانتصارات، بدأت في الشام والعراق في القرن السابع

الميلادي، وتواصلت في آسيا وأفريقيا وأوروبا، وصاحب تلك الحملات العسكرية تجارة واسعة ومتنوعة وممتدة في القارات الثلاث، وحركة ثقافية وعلمية وفنية.

ثم بدأ المد الإسلامي بالتوقف والانحسار، فتوقفت الانتصارات، وبدأ الانحسار من أنحاء مختلفة من العالم بدءاً بالأندلس في نهاية القرن الخامس عشر، وتوقفت حركة الترجمة الكبرى، وتوقف الإنتاج العلمي والمعرفي، وبدأ الأوروبيون يحرزون تقدماً ملموساً في فنون الحضارة، وبقدوم ما يُسمّى "المعرفة الجديدة" بدأوا يتقدمون بسرعة، وسبقوا التراث العلمي والتكنولوجي ثم الثقافي للعالم الإسلامي بأشواط طويلة.

وعندما استطاع فاسكو دي غاما الوصول بحراً من البرتغال إلى رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر فتح طريقاً بحرياً بين أوروبا وآسيا متجاوزاً المجال الإستراتيجي للطريق السابق الذي كان يسيطر عليه المسلمون، وبدأ البرتغال والإسبان والهولنديون ينشئون قواعد لهم في جنوب شرق آسيا، وفي الموانئ والسواحل المطلة على المحيط الأطلسي والمحيط الهندي لتأمين طرق التجارة والتحكم بها.

وكانت القارة الأمريكية التي اكتشفها الغرب مصدراً للموارد والهيمنة التي لا تصلها القوة الإسلامية العثمانية، ومكنت الأراضي الخصبة والمعادن التي امتلكها الأوروبيون من الاستغناء عن كثير من المنتوجات القادمة من الشرق الأوسط وآسيا، ونشطت المهارات التجارية والحرفية.

وكانت هزيمة الأتراك في فيينا عام 1683 بداية تحول وانكسار، وتبعتها هزائم متوالية ومتواصلة، في مالطة عام 1684، وفي المواجهة مع روسيا عام 1696 عندما استولى القيصر الروسي بطرس الأكبر على مدينة أزوف على البحر الأسود.

وبعد الحملة الفرنسية على مصر بدأ المسلمون يتطلعون إلى التجربة الفرنسية الثقافية والحضارية بصفة ذلك خطوة للنهضة من جديد، وأملاً في أن يجدوا في هذه الأفكار محركات تدير عجلة العلوم والتقدم.

وأصبحت التجربة الأوروبية "العلمانية" تمثل مرجعية لحركات التحديث والإصلاح في العالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر والعشرين، وهو ما دعا إليه كثير من المصلحين والمفكرين، مثل جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي.

وكان المثقفون الذين حكموا العالم الإسلامي وتولوا المناهج والإدارة فيه ممن سار في طريق الغرب، وتحولت الدول الإسلامية إلى علمانية، ثم ظهرت موجة إسلامية مضادة تدعو إلى نبذ العلمانية، باعتبار أن الإسلام مختلف عن المسيحية، فالدولة الإسلامية ليست دينية إلا بالقدر الذي تُعدّ فيه بريطانيا ملكية، ومشكلة النزاع بين الدين والدولة هي مسيحية أوروبية، ولا تنطبق على العالم الإسلامي.

كان المسلمون يحتقرون الغرب ولا يأبهون بالجهود الحثيثة التي يبذلها للنهضة والتقدم، وعندما أفاقوا على صدمة التفوق التقني في بداية القرن الثامن عشر كان الغرب قد سبقهم بأربعمائة سنة في التقدم العلمي، وبدأ التأثير الغربي يغزو الشرق من مدخل التقنية.

عرف الشرق الساعة الميكانيكية التي يصنعها الغرب لقياس الزمن بدقة تتفوق على الوسائل التي كانت تستخدم في الشرق، كان ذلك في القرن السادس عشر الميلادي، ثم المطبعة والنظارات الطبية والتلسكوب.

وبدأ الحكام في الأستانة (استمبول) والقاهرة يستعينون بالغرب لتحديث دولهم وجيوشهم، واستقدم الخبراء من الغرب للمشاركة في عمليات إعادة تنظيم الجيش، واستخدمت أنظمة الإدارة الغربية، والأسلحة الغربية، وأُرسلت البعثات التعليمية إلى الغرب لاقتباس العلوم الغربية "الإفرنجية".

وبدأ تذوق الموسيقى الغربية والفنون الغربية أيضاً، وانتشر اللباس الغربي، وأنظمة العمارة في البيوت والقصور والمباني العامة، حتى المساجد صارت تبنى على الطراز المعماري الغربي.

وعندما يظهر تأثير أجنبي في شيء ذي أهمية جوهرية لثقافة ما، مثل المؤسسات والمساجد فهذا يعني أن الثقة بالنفس ثقافياً قد اهتزت.

كان التأثير البصري الغربي طاغياً بدءاً في اللوحات الفنية والصور الشمسية ثم في اللباس، وكان لذلك تأثير على الهوية والمعتقدات، فالصور والتماثيل التي كانت محرمة في الثقافة الإسلامية صارت شائعة في القصور والمطبوعات والنقد وطوابع البريد، وبدأ التغيير في الجيوش التي صارت جميعها ترتدي أزياء غربية، ثم امتد تغيير اللباس إلى المجتمعات، وعندما يغير الناس ملابسهم ويرتدون ملابس مجتمع

آخر يكونون قد اتخذوا خياراً ثقافياً آخر، وقد يكون مقاومة أو قبول تغيير الملابس- والذي ظل موضع جدال في الشرق أكثر من قرنين- يستند إلى هذه الدلالة.

وبدأت الترجمة تشهد مساراً مختلفاً عما عهدته طوال القرون الماضية، فقد بدأت ترجمة الروايات والمسرحيات، واتجهت الترجمة نحو اللغات الغربية، وانحسرت اللغة الفارسية والتركية من الوسط العربي، كما انحسرت العربية من الأوساط الإيرانية والتركية، واقتبست بلدان الشرق الأوسط الأنواع الأدبية الأوروبية، مثل الرواية والقصة القصيرة والمسرحية، واستوعبت في الشرق استيعاباً كاملاً، وزادت أعداد الكتب الأصيلة من هذه الأنواع التي تصدر في هذه البلدان، بل لقد أصبحت هذه هي الأنواع الأدبية المعتادة للتعبير، وامتد التأثير إلى النسيج اللغوي نفسه، حتى إن الكتابات العربية الحديثة والأصيلة في الشرق الأوسط وبخاصة في الصحف تبدو وكأنها ترجمة حرفية من الإنجليزية والفرنسية.

وامتد التأثير الثقافي إلى التسلية والترفيه، فانتشرت ألعاب الورق، والألعاب الرياضية البدنية، مثل كرة القدم والسلة والبولو.

وكان دعاة الإصلاح والتحديث في العالم الإسلامي يركزون جهودهم في ثلاثة مجالات رئيسة، هي المجالات العسكرية والاقتصادية والسياسية، ولكن النتائج كانت مخيبة للآمال، فقد أدى السعي للنصر بجيوش محدثة إلى سلسلة من الهزائم المهينة، وأدى السعي للرخاء عن طريق التنمية الحديثة إلى الفقر والفساد والاعتماد على المساعدات الخارجية.

ولم تساعد الجيوش ولا المدارس والجامعات والمصانع والبرلمانات دول الشرق ومجتمعاتها، ولا أوقفت الفجوة بين العالم الإسلامي وبين الغرب، وكل ما عملته أنها ساعدت بعض النخب.

ولم يقتصر الأمر على أن يجد المسلمون أنفسهم ضعفاء وفقراء بعد قرون من الثراء والقوة، فقد أتى القرن العشرون بمزيد من الإذلال والهزائم، وتقدمت عليهم دول أخرى كانت أضعف وأفقر، مثل اليابان ودول شرق آسيا.

ومازال السؤال الأساسي مطروحاً: أين الخطأ؟ وكيف نصحح؟

الكثير من المسلمين يطرحون السؤال اليوم في سياق النقد الذاتي بعيداً عن رد الأسباب كلها إلى الاحتلال والهيمنة والاستعمار، ويردها البعض إلى قضايا ومفاتيح إصلاحية ونهضوية، والبعض يردها إلى قضايا ثقافية وفكرية تعود إلى التخلي عن الثقافة الإسلامية والتبعية الثقافية والفكرية للغرب.

والمشروع الغربي للإصلاح يرد مشكلات العالم الإسلامي إلى غياب الحرية، حرية التفكير وحرية الاختيار، وحرية الاقتصاد، وحرية المرأة.

وأيا كان السبب، وأيا كانت الإجابة فإن منطقة الشرق الأوسط تبدو في طريقها الحالي وكأنها مقدمة على تفجير نفسها والعالم كله معها أيضاً، وهذا يجعل لسؤال الإصلاح والنهضة وجاهة وأهمية ربما تفوق المرحلة الماضية، فالمشهد العربي والإسلامي اليوم يبدو سباقاً بين الحرب الأهلية والمصالحة، وبين النهضة والتخلف، توظيف فرص اللحاق بالعالم أو ضياعها إلى الأبد، ذلك أن العالم يبدو مقدماً على التشكل في خريطة جديدة، وقد نرى في السنوات العشرين القادمة أقطاباً متعددة للعالم، الصين، والهند، وأوروبا، وروسيا.

وقد يتعرض الوطن العربي إلى احتلال أوروبي جديد.

وإذا استطاعت الأمة العربية والإسلامية أن تسوي خلافاتها، وتعمل على تكاتف طاقاتها ومواهبها ومواردها لتحقيق أهداف نهضوية مشتركة، فقد تضع لنفسها مكاناً لائقاً على الخريطة العالمية، ولكنها إذا لم تفعل فلن يبقى وضعها كما هو في السنوات الخمسين الماضية، بل إنها قد تتجه نحو الفوضى والتبعية والفقر والتخلف.

=============

#الرّؤية الغربيّة للإسلام بين الإنصاف والتحيّز

إبراهيم غرايبة 1426/7/22

2005/08/27

عاد الإسلام من جديد إلى صدارة الاهتمام الغربي أكاديمياً وإعلامياً وسياسياً وإستراتيجياً، وتظهر الحملة الغربية للإسلام قدراً من التفهم بالإضافة إلى ما هو سائد من تحيّز وعداوة. ويقدم كتاب الدكتور محمد عمارة "الإسلام في عيون غربية" نماذج

من الجانبين تصلح ملخصاً للمثقف والمتابع ليطلع على نحو عادل ومتوازن لقضية الإسلام والغرب، ولا يقع أسير التعميم والتحيز.

وقد نشرت مجلة "شؤون دولية" الصادرة في "كمبردج" بإنجلترا عدد يناير سنة 1991 ملفاً عن الإسلام لاثنين من أبرز علماء الاجتماع السياسي الإنجليزي (ادوارد مورتيمر) و(ارنست جيلنر).

"لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتي، وبالنسبة إلى هذا الغرض فإن الإسلام جاهز في المتناول، فالإسلام مقاوم للعلمنة، وكان لوجود تقاليد محلية للإسلام دور في عدم نجاح نظرة التقدير والمثالية للحضارة الغربية، وقد امتلك الإسلام مقومات الإصلاح الذاتي، وذلك هو التفسير الأساسي لمقاومة الإسلام المرموقة للعلمنة. إن الإسلام من بين الثقافات الموجودة في الجنوب، وهو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة، ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍ فعلي وحقيقي للثقافة العلمانية الغربية"

ومما جاء في أبحاث ومقررات مؤتمر مجمع الخبراء في الكنائس الغربية في مايو 1978 في "كولورادو" بأمريكا" "إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً، ونحن بحاجة إلى مئات المراكز لفهم الإسلام واختراقه، ولذلك لا يوجد لدينا أمر أكثر أهمية وأولوية من موضوع تنصير المسلمين".

ستركز هذه المقالة على نماذج من شهادات العلماء والمفكرين الغربيين المنصفة، فنجد من هؤلاء مجموعة كبيرة قدموا شهادات منصفة، وقاموا أيضاً بخدمات جليلة للفكر الإسلامي، مثل سير توماس ارنولد (1864-1930) صاحب كتاب "الدعوة إلى الإسلام" و"الخلافة" و"العقيدة الإسلامية" و"التصوير في الإسلام".

فيقول في كتاب الدعوة إلى الإسلام:" إن حالات المجتمع المسيحي نفسه قد جعلت الجهود التي تنطوي على الغيرة والحماسة الدينية في اكتساب مسلمين جدد أشد أثراً وأعظم قيمة، فبعد تدهور الكنيسة الإغريقية نشأ استبداد في الأمور الدينية جعل الحياة العقلية ترزح تحت القرار الحاكم الذي حرم كل مناقشة في شؤون الأخلاق والدين.

ولكننا لم نسمع في ظل الإسلام عن أي محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي".

ولا يستطيع أي فرد أن يوضح الطابع العقلي للعقيدة الإسلامية أكثر مما وضحه البروفسور (مونتيه) (1856–1907) "الإسلام في جوهره دين عقلي، فتعريف الأسلوب العقلي بأنه طريقة تقييم العقائد الدينية على أسس من المبادئ المستمدة من العقل والمنطق ينطبق على الإسلام تمام الانطباق، وإن للإسلام كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد التي قامت على أساس المنطق والعقل، فقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغير أو تبديل باعتباره النقطة الأساسية التي تبدأ منها تعاليم هذه العقيدة، وكان من المتوقع لعقيدة محددة كل تحديد وخالية من التعقيدات الفلسفية، ثم في متناول إدراك الشخص العادي أن تمتلك– وإنها لتمتلك فعلا قوة عجيبة– لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس".

ويقول (سير توماس): إن الفكرة التي شاعت أن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق. إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى، وإن مجرد وجود عدد كبير جداً من الفرق والجماعات المسيحية في الأقطار التي ظلت قروناً في ظل الحكم الإسلامي لدليل ثابت على ذلك التسامح.

ومن الشهادات المنصفة شهادة العلامة"دافيد دى سانتيلا" الذي يقول: "إن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يسم الجانب الأكبر من الشريعة الإسلامية قد عمل على تطوير وترقية مفاهيمنا العصرية، وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقي على مر الدهور، فالشريعة الإسلامية ألغت القيود الصارمة والمحرمات المختلفة التي فرضتها اليهودية على أتباعها، ونسخت الرهبانية المسيحية، وأعلنت رغبتها الصادقة في مسايرة الطبيعة البشرية والنزول إلى مستواها، واستجابت إلى جميع حاجات الإنسان العملية في الحياة، تلك هي الميزات التي تسم الشريعة الإسلامية في كبد حقيقتها، قد نجرؤ على وضعها في أرفع مكان وتقليدها أجل مديح علماء القانون وهو خليق بها".

ويقول الباحث والمؤرخ الإنجليزي (مونتجو مرى وات) وشهادته ثمرة لدراسات الإسلام مقارناً بالديانات الأخرى استمرت ثلاثين عاماً: "إن القرآن الكريم ليس بأي حال من الأحوال كلام محمد ولا هو نتاج تفكيره، إنما هو كلام الله وحده، ولا ينبغي النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية.

ومعظم المسيحيين يميلون إلى افتراض أن المسيحية ستكون هي دين العالم في المستقبل، ولكن هذا أبعد ما يكون عن الصحة، ولنذكر دليلاً واحداً، فبعض الأمم المسيحية الكبيرة تعاني بشدة من العنصرية، والدين الذي لا يستطيع أن يحل مشاكل العنصرية بين أعضائه من المستبعد أن يكون قادراً على تقديم حلول كثيرة مجدية لمشاكل العالم الأخرى".

ويقول المستشرق العلامة الألماني شاخت جوزيف: "من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني الذي يُسمى بالشريعة، وهي تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون، إنها قانون فريد، فالشريعة الإسلامية هي جملة الأوامر الإلهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وبالرغم من أن التشريع الإسلامي قانون ديني فإنه من حيث الجوهر لا يعارض العقل بأي وجه من الوجوه، فالتشريع الإسلامي منهج عقلاني في فهم النصوص وتفسيرها، ويقدم مثالاً لظاهرة فريدة يقوم فيها العلم القانوني لا الدولة بدور المشرع، وتكون فيها لمؤلفات العلماء قوة القانون".

ويقول أبرز مؤرخي العلم العالمي جورج سارتون: "حادثه واحدة من أخصب الحوادث في نتائجها في تاريخ الإنسانية، ألا وهي ظهور الإسلام.

إن الفرق بين القرآن والإنجيل عظيم جداً وهو يرجع إلى أن القرآن الكريم يشتمل على جميع الأسس الضرورية للحياة الإسلامية (الدين والفقه والتشريع والتقويم واللغة).

والفتوح العربية لم تكن نتيجة صراع بين برابرة جياع وبين سكان مدن أخذوا يتقهقرون في سلم المدنية، بل كانت صراعاً بين دين جديد وثقافة جديدة ناشئة وبين ثقافات منحلة متعادية قلقة.

إن التقدم الصحيح ومعناه تحسين صحيح لأحوال الحياة لا يمكن أن يُبنى على وثنية الآلات، ولكن يجب أن يقوم على الدين وعلى الفن وفوق كل ذلك على العلم القائم على محبة الله ومحبة الحقيقة وحب الجمال وحب العدل، وإن المشكلة الأساسية في

عالمنا اليوم هي رفع المستوى الروحي لمجموع الناس، وكان تفوق العرب في ثباتهم وفي شدة حبهم للعلم".

ويقول المستشرق الفرنسي (كارادى فو): "والسبب الآخر لاهتمامنا بعلم العرب هو تأثيره العظيم في الغرب، فالعرب ارتقوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للانعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها، لقد كان لهؤلاء العلماء (العرب) عقول حرة مستطلعة"

ويقول المستشرق الأسباني جوان فيرفيه: "وإذا نحن تحرّينا الدقة نجد أن أصل التطور العلمي للرياضيات عند المسلمين يبدأ مع القران الكريم، وذلك فيما ورد في القرآن من الأحكام المعقدة في تقسيم الميراث، ويُعدّ الخوارزمي أول رياضي مسلم، ونحن مدينون له بمحاولة وضع تنظيم منهجي باللغة العربية لكل المعارف العلمية والتقويم، كما ندين له باللفظ الأسباني "غوارزمي" الذي يعني الترقيم (أي الأعداد ومنازلها والصفر)، وكان الجبر هو الميدان الثاني الذي عمل فيه الخوارزمي، وهو فرع من الرياضيات لم يكن حتى ذلك الوقت موضوعاً لأية دراسة منهجية جادة".

ويقول المستشرق الإنجليزي جب: "وثمة ما يبرر الادعاء القائل: إن الشعر العربي له الفضل إلى حد ما في قيام الشعر الجديد بأوروبا، وإن كنا لا نستطيع السير طول الطريق مع البروفسور "ماكيال" الذي يقول مؤكدا :"كانت أوروبا مدينة بدينها إلى اليهودية، وكذلك هي مدينة بأدبها الروائي إلى العرب، وقليلون هم الذي ينكرون أن الحياة والنشاط وسعة الخيال التي تطبع الآداب الجنوبية يعود إلى الوسط الثقافي العربي في الأندلس خلال العصور المتقدمة، والى الفكر الذي أنشأته تلك الحضارة لدى الإنسان الأندلسي".

ويقول المستشرق الروسي جرا بر: "إن العمارة الإسلامية نشأت بوصفها ظاهرة فريدة متميزة بذاتها انبثقت عن مجموع كبير معقد من الأشكال السابقة عليها أو المعاصرة لها، إنها مجرد مثل واحد لقدرة فريدة لدى المسلمين على تحويل عناصر شكلية أو وظيفية عديدة أخرى إلى شيء إسلامي، ومقدرة المسلمين الهائلة على تطويع الأشكال المستمدة من أقاليم عديدة مختلفة بحيث تلبي مقاصد الإسلام ومبادئه".

وتقول المستشرقة الألمانية (سيجر يد هونكه) صاحبة الكتاب المهم والشهير "شمس العرب تسطع على الغرب": " يعمل العرب على إنقاذ تراث اليونان من الضياع والنسيان فقط، وهو الفضل الوحيد الذي جرت العادة على الاعتراف به لهم حتى الآن، ولم يقوموا بمجرد عرضه وتنظيمه وتزويده بالمعارف الخاصة ومن ثم إيصاله إلى أوروبا بحيث إن عدداً لا يُحصى من الكتب التعليمية العربية حتى القرنين (16-17) قدمت للجامعات أفضل مادة معرفية، فقدا كانوا –وهذا أمر قلما يخطر على بال الأوروبيين– المؤسّسين للكيمياء والفيزياء التطبيقية والجبر والحساب بالمفهوم المعاصر، وعلم المثلثات الكروي، وعلم طبقات الأرض، وعلم الاجتماع، وعلم الكلام"

وتقول: "إن الإسلام أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافاً نقولها بلا تحيز ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد، وإذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الآثمة في حقه، والجهل به فإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق مع ضمان حقه في أن يكون كما هو".

هذه نماذج من أقوال المفكرين الغربيين اقتبستها مما جمعه الدكتور محمد عمارة في كتابه المهم، وقد يكون عرضها مفيداً للمشتغلين بالعلاقة بين الإسلام والغرب والمثقفين المسلمين ليكونوا على تواصل مع الحركة العالمية القائمة اليوم في الاهتمام بالإسلام والمسلمين سواء على نحو عدائي أو لأجل الحوار

===============

#مع قضية .. المرأة والعمل السياسي

د. عدنان علي رضا النحوي 1426/5/22

2005/06/29

لقد سبق أن كتبت أكثر من مقال نُشر حول المرأة وميادين نشاطها، وكتبت كذلك كتاب:"المرأة بين نهجين: الإسلام أو العلمانية". ولكن على كثرة ما أُثير حول هذا الموضوع في الآونة الأخيرة، وما طُرح من مغالطات، وجدت من واجبي أن أعود وأكتب هذا الردَّ والتعقيب على بعض ما قرأت.

يطلق بعضهم اليوم نصاً عاماً مطلقاً دون أي قيود يقول: إنَّ الإسلام قرَّر مساواة المرأة بالرجل مساواة كاملة سواء بسواء، أو يحصرها بحقِ المرأة في النشاط السياسي كالرجل سواء بسواء. ولقد ذكرتُ في مقالة سابقة أنَّ هذا النصّ العام لا يصحّ إلا أن يستند على نصٍ من الكتاب والسنَّة أو على ممارسة حقيقيّة ممتدّة زمن النبوّة الخاتمة والخلفاء الراشدين.

وردّ بعضهم عليّ في قولي المذكور أعلاه: إذا لم يوجد النصّ العام في الكتاب والسنّة ولا الممارسة الممتدّة، فهل يوجد نصّ بالتحريم، وهل الأصل في الأشياء الحلّ ما لم يقم نصّ على التحريم أو على العكس؟!

أقول هذا أسلوب جدليّ فيه مغالطة كبيرة، وخلط بين أمرين مختلفين. في مجال الحرام والحلال الأصل في الأشياء التحليل ما لم يرد نصّ على التحريم. أما في أمور التشريع المتعلق بالحقوق والواجبات، والعلاقات بين الرجل والمرأة، وبين الناس عامة، وميادين الممارسة في الحياة فلا بدَّ من نصّ يبيّن الحقوق والواجبات، ويؤيد ما يضعه الناس من نصوص عامة خالية من الضوابط والقيود أو يرفضها. ولذلك جاءت في الكتاب والسنّة نصوص ثابتة تحدّد حقوق الرجل والمرأة في الميراث حيث تختلف الحقوق، وجاءت نصوص ثابتة في أنَّ المسؤولية الأولى للمرأة رعاية بيت زوجها، وطاعته ورعاية ولده: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيّته ..... والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم ... " [أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي].

والإسلام فرض الجهاد في سبيل الله على الرجل المسلم، ولم يفرضه على المرأة المسلمة، وإن اشتركت المرأة المسلمة فما كان ذلك إلا في بعض جوانب المعركة كمداواة الجرحى، وتوفير بعض المساعدات، أو في ظرف خاص مثل معركة أحد، لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سألته عائشة رضي الله عنها فقال:

"نعم! عليهنَّ جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة" [أخرجه البخاري]. وأحاديث صحيحة أخرى. وصلاة الجمعة فرض على الرجل المسلم وليست فرضاً على المرأة المسلمة، وصلاة المرأة المسلمة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد، وكذلك قوله سبحانه وتعالى:

(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً). [النساء : 34].

والرجل هو المكلف بالإنفاق على البيت، والمرأة ليست مكلفة بذلك إلا إن أحبَّت أن تعين زوجها. فالرجل قوَّام على بيته وعلى زوجه، وقوَّام صيغة مبالغة تفيد المسؤولية الكبيرة.

وقِوامة الرجل في البيت على زوجه مفصّلة في الكتاب والسنَّة تفصيلاً واسعاً لا يترك لأحد فرصة لفساد تأويل، وكلها تجعل الرجل أمير البيت بالمعروف، وعلى الزوجة طاعته بالمعروف، ليسود السكن والمودة، حين يعرف الرجل دينه والمرأة دينها، ويتّقي كلّ منهما ربَّه، فيعرف كلّ منهما مسؤولياته وحدوده عن إيمان صادق وعلم صاف بالكتاب والسنّة.

ولكن من الناس اليوم من يريد أن يؤوّل معنى القِوامة حتى يحصرها في أمور ضيّقة تجعل من الزوجة مساوية للرجل في نظام الأسرة، تاركاً الأحاديث والآيات الكثيرة الواردة في ذلك.

ولا يحل لامرأة أن تصوم "نافلة" وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا يحلّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة ثلاثة أيام إلا ومعها محرم، ولا يحل لها أن تسافر مسيرة يوم إلا ومعها محرم ، وأحاديث صحيحة أخرى كثيرة حول ذلك يصعب عرضها. وفي أحوال الطلاق تكون القاعدة: وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ.

وبالفطرة ندرك الفروق بين المرأة والرجل بصفة عامة، وجاء العلم اليوم ليكشف الفروق الرئيسة بين الرجل والمرأة في النواحي الجسمية والنفسية. ولكن الله أعلم بكل الفروق، فأنزل تشريعه رحمة بعباده ولصالحهم في الدنيا والآخرة.

إذا كانت هذه بعض الفروق بين الرجل والمرأة، فإنها كلها لا تنقص من قدر المرأة في الإسلام ولا من كرامتها، فكرامة المرأة وقدرها تنبع من طاعتها لله في شرعه،

وكرامة الرجل وقدره تنبع من طاعته لله في شرعه، ليعرف كلٌّ منهما حدوده التي حدّها الله دون التمرّد عليها بتأويل فاسد أو تجاهل لنصوص ثابتة.

وإذا كانت هذه بعض الفروق، فإن الإسلام ساوى بين المرأة والرجل في أمور أخرى واضحة. فالشعائر فرض على المسلم والمسلمة، وطلب العلم فرض على المسلم والمسلمة، وتبليغ رسالة الله ودينه فرض على المسلم والمسلمة كلٌّ في ميدانه وفي نطاق مسؤوليته، كلٌّ قدر وسعه الصادق. وللمرأة ميادين للعمل ليست للرجل، وللرجل ميادين للعمل ليست للمرأة، ويمارس الرجل مسؤولياته وحقوقه في النهج الذي رسمه الله له وبيّنه وفصَّله، وتمارس المرأة مسؤولياتها وحقوقها في النهج الذي رسمه الله لها وبيّنه وفصَّله. والأسرة هي الميدان الذي تشترك فيه المرأة والرجل في العمل في سكن ومودَّة وتعاون، ولكل دوره ومنزلته كما أشرنا سابقاً.

فيمكن للمرأة أن تمارس نشاطها العلمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وهي في ميدانها الذي رسمه لها الإسلام، دون اختلاط بالرجال، ودون تبرّج وكشف للزينة، ومع كامل الالتزام بآداب الإسلام. وهذا كله بعد أن تُوفي المرأة بمسؤوليَّتها الأولى التي حدَّدها الله لها في رعاية زوجها وبيته وولده. وأساس ذلك أن يكون المجتمع مجتمعاً ملتزماً بشرع الله خاضعاً له، حتى يتسنَّى وضع النظام والقانون الذي يفسح المجال للمرأة أن توفي بمسؤولياتها، من حيث تنسيق الوقت لكل نشاط دون تعارض وإخلال.

ولفهم فقه هذه القضية لا يكفي أن نأخذ حادثة واحدة نتلقّفها من هنا وهناك، ننتزعها من ظروفها وملابساتها لنبتدع نصّاً بشريَّاً عاماً ننزله منزلة نصوص الكتاب والسنَّة ليُطبّق في كلِّ زمان ومكان! القضيّة قضية نهج ربّاني متماسك متكامل أنزله الله على رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– فلا بدّ من دراسته كلّه على ترابطه، وتطبيقه كله والتزامه كله على ترابطه وتماسكه، ولا يجوز التزام جزء وترك أجزاء.

والأمثلة التي يستدل بها مروّجو مساواة المرأة بالرجل كلها حالات فرديّة. لا تحمل صفة الامتداد والاستمرار، ولا تخضع لنصٍّ عام من كتاب أو سنَّة. وتظل مرتبطة بظروفها الخاصة. وكلُّ المروّجين لمبدأ مساواة المرأة بالرجل يأخذون قصة أم سلمة في الحديبية، حين شكا إليها زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم همّه من أنّ

الصحابة لم ينصاعوا لأمره بالتحلّلِ وفكّ الإحرام. فأشارت عليه: اخرج أنت وفك الإحرام، فيقتدوا بك! واستحسن الرسول صلى الله عليه وسلم رأيها. وهكذا كان ! فالرجل يفرغ همه لزوجه، سواء أكان هماً سياسياً أو غير ذلك، ولا يُعقل أن ينحصر حديث الرجل مع زوجه في أمور المنزل، فالحياة كلها مفتوحة أمامهما يخوضان فيها على طاعة الله من خلال السكن والمودة، فهي ليست دليلاً على مشاركة المرأة للرجل سواء بسواء في النشاط السياسي. ولا أدلّ على ذلك من أنَّ أمّ سلمة نفسها لم نعد نراها هي أو غيرها مشاركة للرجال سواء بسواء في مجالس الشورى والسياسة وغيرها. أم سلمة –رضي الله عنها– كانت زوجة أعانت زوجها برأيها، ولم تكن سياسية مارست السياسة في المجتمع. ولا نجد في كتب السيرة والتاريخ لها دور المرأة التي خاضت ميادين السياسة كما يدعو بعضهم النساء إليه اليوم!

ومن النساء اليوم، ومن الدعاة من يستدل على حق المرأة ومساواتها للرجل في النشاط السياسي، (وهذا يتبعه المساواة في غير السياسة) ، مِنْ أنَّ مِنَ النساء من هنَّ موهوبات مبدعات مثل الرجل أو أكثر. لا خلاف حول ذلك، فالله يضع المواهب في الرجال والنساء على حكمة له. لا ننكر أنّ من النساء من هنّ موهوبات في هذا الباب أو ذاك، وأنه من حقّهنّ ممارسة هذه الموهبة في الطبّ والتدريس والأدب والعلوم وغير ذلك. ولكن الاختلاف هو في أسلوب الممارسة، فهناك فرق بين النساء اللواتي يتولّين التدريس للذكور أو للإناث فقط، أو يمارسن التدريس مع الرجل في نفس المدرسة سواء بسواء كالرجل، أو أن يمارسن التدريس في أجواء النساء فقط! وأسلوب الإسلام واضح جلي! وكذلك في الطب وفي مختلف العلوم والميادين. فالمرأة تمارس مواهبها من خلال ضوابط شرعيّة، ومن خلال التزام منهج ربّاني متكامل وليس من خلال قواعد متفلّتة!

وخديجة –رضي الله عنها– كانت أول امرأة آمنت، وأعانت الرسول صلى الله عليه وسلم بمالها وعقلها وجهدها، وبالتزامها لدين الله في حدود ما كان ينزل حينذاك. وذهابُها مع الرسول –صلى الله عليه وسلم – إلى ورقة بن نوفل أمر طبيعي من زوجة تقف مع زوجها وتعينه، خاضعة لشرع الله، على قدر ما كان يتنزّل آنذاك. ولكن أين المشاركة السياسية كالرجل سواء بسواء. كان الرسول صلى الله عليه وسلم

يلتقي بأصحابه في دار الأرقم، فهل كان النساء يختلطن مع الرجال في دار الأرقم كالرجال سواء بسواء، حيث كانت تدور شؤون الدعوة كلها؟

وانتداب أسماء -رضي الله عنها- عند الهجرة، وكانت هذه المهمّة هي نقل الطعام والأخبار إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولكن الحماسة أخذت ببعضهن حتى جعلت من هذا العمل دليلاً على مشاركة المرأة في النشاط السياسي كالرجل سواء بسواء، أو "جعلت من هذا العمل لا يقف عند النشاط السياسي والمشاركة فيه، ولكنه صناعة للحياة كلها"! وما زالت المرأة تقوم بمثل هذا الجهد في مجتمعات كثيرة خاضعة لأعراف المجتمع مع كل حالة.

كل هذه الأمثلة لم تقع إلا في مرحلة لم يكتمل فيها التشريع المنزّل من عند الله. فلم يكن الحجاب آنذاك قد فرض، وكثير من حدود المرأة والرجل لم يكن تنزّل بها تشريع أو اكتمل.

وأمَّا أنَّ الفاروق -رضي الله عنه- عهد إلى الشفاء بنت عبد الله محتسبة على السوق، فخبر يحتاج إلى تدقيق. فما ورد في "الإصابة في تمييز الصحابة" قوله: "وربما عهد إليها بشيء من عمل السوق" . و"ربما" تجعل الخبر غير موثوق، ولم ينقله عنه كثير ممن كتب عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أو عن الشفاء رضي الله عنها. وكان أحرى بنا أن نبرز الشفاء -رضي الله عنها- معلِّمة للنساء من الصحابة الكتابة والقراءة والرقية. فقد كانت من فضليات الصحابيات تعرف حدودها. وربما كان ما كُلِّفت به من أمر السوق، لو ثبت الخبر أمراً ليس فيه اختلاط بالرجال. فالخبر غير دقيق ولا العمل معروف وفيه "ربما"! وفيه: "بشيءٍ من عمل السوق" . وبعضنا يقرر من عند نفسه العمل عن غير علم ولا تبيُّنٍ.

أما القول بأنَّ سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز . رحمه الله . أفتى بدخول المرأة هذه المجالس النيابية، والمشاركة فيها فقول غير سليم. وسماحته لم يُفْتِ بذلك، وإنَّما أفتى بعكس ذلك. ففي كتابه: " الفتاوى النسائية " يقول: " فإن الدعوة إلى نزول المرأة للعمل في ميدان الرجل المؤدي إلى الاختلاط سواء كان على جهة التصريح أو التلويح بحجة أنَّ ذلك من مقتضيات العصر ومتطلبات الحضارة أمر خطير جداً له تبعاته الخطيرة وثمراته المرّة وعواقبه الوخيمة، رغم مصادمته للنصوص الشرعيّة.

ومن أراد أن يعرف ما جناه الاختلاط من المفاسد التي لا تُحصى فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم ...." ويقول سماحته: "فالدعوة إلى نزول المرأة في الميادين التي تخصّ الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامي ..." [ص: 15–17]

ويقول فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين . رحمه الله . في كتابه: "من الأحكام الفقهية في الفتاوى النسائية" ص 62 : " ... المجال العمليّ للمرأة أن تعمل بما يختص به النساء مثل: أن تعمل في تعليم البنات سواء أكان ذلك عملاً إدارياً أو فنياً، وفي بيتها أعمال كثيرة ....، وأما العمل في مجالات تختص بالرجال فإنه لا يجوز لها أن تعمل حيث إنه يستلزم الاختلاط بالرجال وهي فتنة عظيمة يجب الحذر منها" .

والاستشهاد بالآية الكريمة : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) [الجمعة :11]

ليس حجة على شيء إلا أن في الرجال ضعفاء ومنافقين، وكذلك في النساء يوجد ضعيفات ومنافقات. فهذا أمر خارج عن موضوع البحث كله.

وربما تجد امرأة أو فتاة تردُّ على ما طرحته حول هذا الموضوع، ثم تخفي اسمها، و كان أولى أن تُفصح عن اسمها لتمارس حقَّها في ذلك. فبإخفاء اسمها ناقضت نفسها في دعواها من حق المرأة في المشاركة في العمل السياسي كالرجل سواء بسواء. فإذا أخفت اسمها فكيف ستنزل ميادين الرجال باسمها وجسمها؟!

وكان خيراً لكل من يتعرَّض لمثل هذه الموضوعات أن يتثبَّت من كل خبر قبل أن ينقله على غير وجهه الصحيح، كما في موضوع الصحابية شفاء بنت عبد الله العدوية رضي الله عنها، وكما فيما نُقل عن سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله.

وأنصح كذلك أن يتجنب المسلم المغالطة والتأويل الفاسدين واللعب بالألفاظ، كما نرى عند بعض من يدعو إلى مساواة المرأة بالرجل مساواة مطلقة، أو بالعمل السياسي، وأنصح بعدم تلقُّط الحوادث المرتبطة بظروفها غير ممتدَّةٍ مع الزمن، وغير ممثِّلة لقاعدة شرعيَّة.

وكذلك فمما قرأته من جميع الداعين إلى مساواة المرأة بالرجل إما مساواة مطلقة، أو مساواة في العمل السياسي، لم أجد أحداً أتى بدليل شرعي واحد يحسم القضية لصالح

رأيه. وكما قلت فإنَّ الأمثلة التي يسوقونها إما حوادث لم تحمل صفة الاستمرار في المجتمع الإسلامي زمن النبوّة الخاتمة والخلفاء الراشدين، وإما تأويل غير سليم لآية أو حديث، تأويل لم يُعرف خلال خمسة عشر قرناً الماضية، ولا يتفق وأُصول اللغة العربية أو قواعد الاجتهاد، أو تحميل الألفاظ ما لا تحتمل، أو أن تكون الرواية غير صحيحة أو غير دقيقة، ويكون الاستنتاج تبعاً لذلك غير سليم.

ولا بدّ من أن نعي أنَّ إثارة حقوق المرأة اليوم ومساواتها بالرجل إثارة تحمل الفتنة والتضليل. ذلك لأن مشكلة المسلمين اليوم ليست مساواة المرأة بالرجل، فالمرأة نفسها تحتاج إلى بناء وإعداد، والرجل يحتاج إلى بناء وإعداد، وقضايا الأمة كلها يجب أن تُدرس وتُحدد المشكلات ومواطن الخلل، ثمّ يوضع نهج عام وخطة كاملة لمعالجة جميع المشكلات. أمّا أن نخفي مشكلاتنا الكبيرة ونبرز مساواة المرأة بالرجل فأمر غريب يتنافى وأبسط قواعد المنطق وواجبات الإصلاح ومنهاج الإسلام.

ولقد طُبّقت مساواة المرأة بالرجل في السياسة وغيرها في بلدان عربية وإسلامية، فماذا قدَّمت هذه المساواة لبلادهم؟ وماذا جنت البلاد غير الهزائم والذل والهوان؟ ولم تأخذ من الحضارة إلا زخرفاً كاذباً، لم يهب القوّة للأمة ولا العزّة والمنعة، ولا القدرة على حماية الأرض والنفس والعرض.

لقد أشغلنا الغرب بقضايا كثيرة أخذت وقتنا وجهدنا وأموالنا واستنفدت طاقاتنا، حتى وقفنا عاجزين لا وزن لنا.

المظاهرات صورة من صور النشاط السياسي، والمرأة شاركت في المظاهرات في بعض البلاد الإسلامية، فلننظر ماذا لا قين وماذا كتبت الصحف عن ذلك. وأنشطة سياسية أخرى رأينا عواقبها في بعض مجتمعاتنا الإسلامية، ورأينا عواقبها الخطيرة في العالم الغربي. أليس في هذا كله من واعظ وعبرة؟!

================

#الإسلام الحكومي والصحوة

محمد العبد الكريم 1426/5/16

2005/06/23

توطئة:

موقف الصحوة من الجهاد:

الجهاد في فكر الصحوة ذروة سنام الإسلام، و"التربية الجهاديّة" مطلب وضرورة من ضرورات قيام الدين.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "انتدب الله –عز وجل– لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل "(1)

ولا أحد من دعاة الصحوة وعلمائها يتخلى عن هذا المبدأ، وهم لا يستعيبون ذكره أو تربية الناشئة عليه، بل يفاخرون بالانتساب إليه ويتشرفون غاية الشرف بمذاكرة أحاديثه، ويتشوقون إلى طلبه والاستشهاد في ساحات المعارك.

لكنهم يفرقون بين الجهاد كمبدأ وقيمة، وما يجري باسم الجهاد على أرض الواقع في الجزائر أو مصر أو بلاد الحرمين على وجه الخصوص، تماماً كما يفرقون بين مصطلح السلفية كقيمة معرفية ومرجعية لأهل السنة، وبين تطبيقاتها العبثية التي جعلت من السلفية مسبة على أصحابها والمنتسبين إليها.

تهمة الصحوة:

بسبب إيمان دعاة الصحوة بقيمة الجهاد ومبدئيّته في الشريعة، صارت محلاً للتهمة؛ رغم وضوح مواقفها من الأحداث التي جرت على أرض الحرمين، ورغم بيان الجبهة الداخلية الذي سبق التفجيرات، ورغم حسم الموقف فكرياً وميدانياً، ومع كل ذلك تجري محاولات التوريط والاستعداء بأقوى ما يمكن.

فالصحوة اليوم متهمة بأنها تمثل الجناح السياسي لحركات العنف والجهاد المسلح، وقد اعتمد اتهامها على تفسيرات كثيرة لم تكن تخضع للبحث أو الدراسة والتتبع والربط والاستبيان والفهم السليم ...؛ بل كان عماد البحث عند أكثر جماعات "الإسلام الحكومي" والتيار الليبرالي بوجه عام: إما تجارب سابقة خاضها بعض "المتلبرلين" (2)، أو بعث لأقوال سيد قطب ومحمد قطب وأبو الحسن الندوي ....، أو مقاطع من رسالة العلمانية والإرجاء للشيخ سفر الحوالي، أو مكالمة له في قناة الجزيرة (3) ، أو شريط للشيخ سلمان في "رسالته لرجل الأمن" ، أو تخيّلات وأوهام

بأن هناك مراحل وأقبية وسراديب ...، أو قياسات تُستدعى من واقع وتُستجلب لواقع مغاير، أو تحميل للعبارات أضعاف ما تحتمل ...الخ ، وكل تلك التصديات والمماحكات لم تصمد أمام أقل تمحيص علمي؛ بل كانت في كثير من الأحيان محل استهجان، وكشف عن تخلّف عقلي ونقص في المروءة وفجور في الخصومة.

فمحاولات الربط الدائمة بين تيار الصحوة والجهاديين" بصورتهم الحالية " لم تخلُ من تكلّف، ولم تنته إلى نتيجة يمكن قبولها حتى على المستوى الرسمي أو الشعبي.

وكل ما هنالك "شخبطة" صحفية، وحوارات متلفزة مدفوعة الأجر، ولقاءات فضائية حاولت ولم تنجح ولكنها ما زالت تحاول.

وإذا انتقلنا إلى أحداث العام الماضي والمواجهات الأمنية التي انتهت لصالح الدولة، سنجد أنه نشأ عن تلك الأزمة أزمة كبرى في تفسير الحدث نتج عنها خلط صارخ بين الأوراق آلَ إلى اعتبار تيار الصحوة بكل ميادينها وأنشطتها ومخيماتها وحلقاتها ودروسها ومحاضراتها وقنواتها الفضائية ... ستاراً عن مقاصدها الحقيقية، وعبّر عن ذلك في أدبيات الطرح الليبرالي بـ" الإسلام السياسي" أي: الذي يسعى من خلال التستر بالدين إلى مآرب سياسية. هذه بإيجاز تهمة الصحوة، والتي يسعى فيها تيار "الإسلام الحكومي" بدور التعبئة والاستعداء والتواطؤ.

وماذا بعد!

لقد أدلى الكثيرون بدلوهم، وكان من المجمع عليه بين التيارات الليبرالية والإسلامية "الحكومية" أن الصحوة بدعاتها ورموزها يشكلون عبئاً كبيراً يجب تصفيته والخلاص منه، وقد قُدّمت المقترحات بهذا الصدد؛ بل قُدّمت الأسماء التي يجب الأخذ برأيها في مراقبة التعليم وتقريبها إلى أماكن نفوذ القرار حتى تؤدي دورها في التجفيف والتصفية بقدر أكبر،

ولم يتورع رموز ودعاة الإسلام "الحكومي" عن إعلان تواطئهم مع كل من يقف في وجه الصحوة متوقعين أنهم قد أثبتوا -بما لا يدع مجالاً للشك- أن هناك مخططاً رهيباً يقوده سيد قطب من تحت قبره يأمر فيه أتباعه بتكوين قاعدة صلبة حتى تحين المرحلة الثانية لإقامة الخلافة الإسلامية.

أين الحقيقة؟

رغم بساطة الحقيقة ووضوحها إلا أن الاستعراض الذي قام به "تيار الإسلام الحكومي" أطال الوقت في اللجاجة والخصومة.

إن تلك التهمة التي اتهمت بها الصحوة تستدعي لوازم، وتطرح أسئلة كثيرة عن سبب خروج الخوارج في أطهر وأنقى قرن عرفه التاريخ، فهل كان لسيد قطب أثر في بروز تيار الخوارج؟!

ألا يمكن أن يكون فهم النص وطريقة التعامل معه بغض النظر عن التيارات والمذاهب والأشخاص دوراً في تشكيل إسلام متشدد وإسلام معتدل؟ أليس من الممكن استيعاب أزمة التكفير وحلها من خلال حلحلة المفاهيم الخاطئة؟

ألم يكن رجوع أكثر من ثلث الخوارج على يد ابن عباس –رضي الله عنه– بسبب تركيزه على تصحيح مشكلة ذهنية، وليس التعمق في شرح المذهب ومن أين أتى وما هي أهدافه؟

أليس رجوع بعض "الفئة الضالة" اليوم على يد بعض الإصلاحيين كان من خلال تصحيح فكرة خاطئة تعاملوا معها من دون ذكر خلفيات الفكرة؟!

1- صحيح البخاري 22/1 . كتاب الإيمان . باب الجهاد من الإيمان .رقم (36)

2- يسمى كثير منهم بخبراء في الحركات الإسلامية.

3- أطلق بعضهم على الشيخ "إمام المفسدين" رداً على من دعا له بالشفاء من مرضه! اللهم قنا شر أنفسنا.

==============

#المرأة المسلمة.. والنشاط السياسي!

د. عدنان علي رضا النحوي 1426/4/24

2005/06/01

للمرأة قضايا تثار في كلِّ مجتمع مضطرب الموازين منحرف القيم أو جاهليٍّ أو ملحدٍ ، كان للمرأة قضيّة في العصر الجاهليّ في الجزيرة العربيَّة، وفي اليونان، وفي روما في عصور الانحلال والتفلّت. ولها قضيّة كُبْرى في الحضارة الغربيّة التي سحقت المرأة وسرقت شرفها، وحطّمت كرامتها ورمتها في فتنة الدنيا ووحول فسادها، مخدّرة

لا تُحسُّ بحقيقة شقائها، خدّرتها الشهوة المتفلّتة، أو الجري اللاهث وراء لقمة العيش، أو زهوة المراكز والمناصب والمسؤوليات.

ولكن لم يكن للمرأة مشكلة في عصر النبوة الخاتمة، ولا في عصر الخلفاء الراشدين، ولا في أيّ عصر ساد فيه حكم الكتاب والسنَّة وكانت كلمة الله فيه هي العليا.

ولكننا اليوم نعاني من هذه القضيَّة، قضيّة المرأة بعامة ومشاركتها في العمل السياسي بخاصة في الآونة الأخيرة، ونرى البعض يطلق مثل هذا الحكم:

" الإسلام لم يُفَرِّق بين المرأة والرجل في ممارسة الحقوق السياسية فهما على قدم سواء".

حكم عام يُطلق يكاد يوحي بأنه مستقى من نصّ من الكتاب والسنة، أو أنه يمثل ممارسة واضحة في التاريخ الإسلامي منذ عهد النبوّة.

إنّ هذا النصّ العام المطلق على هذه الصورة الجازمة والتي يطلقها بعض العلماء المعاصرين دون أي قيود، لا تصحّ إلا بتوافر نصّ ثابت من الكتاب والسنة، أو بتوافر ممارسة واقعية ممتدّة في المجتمع الإسلامي الملتزم بالكتاب والسنة، والذي تكون فيه كلمة الله هي العليا. ولكننا لا نجد في الكتاب والسنّة أيّ نصّ يجيز هذا الحكم العام المطلق الخالي من أي قيود، ولا نجد كذلك أيّ ممارسة عمليّة ممتدّة له في حياة المسلمين والمجتمع الإسلامي الملتزم منذ عهد النبوة الخاتمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وحياة الخلفاء الراشدين، وسائر فترات التاريخ التي التزم فيها المجتمعُ الإسلامَ. نساء النبيّ صلى الله عليه وسلم لم يمارسن النشاط السياسيّ مساويات للرجال على قدم سواء، ولا نساء الخلفاء الراشدين، ولا نساء العصور التي تلت، ولا نجد هذه الدعوة التي يطلقها بعض العلماء إلا في العصور الحديثة المتأخرة التي انحسر فيها تطبيق الإسلام ، وغزا الفكر الغربي ديار المسلمين.

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شكا إلى زوجه أم سلمة ما حدث من أصحابه في الحديبية، فأشارت عليه برأيٍ استحسنه وأخذ به، فهذه حالة طبيعية في جوّ الأسرة المسلمة أن يُفرغ الرجل إلى زوجته بعض همومه، وأن يستشيرها في ذلك، وأن يستمع إلى رأيها، فإن وجد فيه خيراً أخذ به، وإن لم يجدْ تركه. هذه حادثة نتعلم منها أدب الحياة الزوجيّة في الإسلام، ونتأسَّى برسول الله صلى الله عليه وسلم

ونسائه في ذلك، دون أن نعتبر ذلك نشاطاً سياسياً لنخرج منها بحكم عام مطلق ينطبق على جميع النساء في جميع العصور والأماكن في النشاط السياسي.

وأم سلمة بعد ذلك لم يُعرَف عنها أنها شاركت في النشاط السياسيّ مساوية للرجال على قدم سواء، وكذلك سائر النساء لم يُعرف عنهن هذه المشاركة المساوية للرجال في المجتمع المسلم. فهذه حادثة تكاد تكون فريدة لا تصلح لإطلاق حكم عام.

وحين أنزل الله سبحانه وتعالى على عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قوله:

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً) [الأحزاب: 28– 29].

لم يكن الأمر أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم يتطلّعن إلى الزينة والحليّ والمتع الدنيوية، كما هو حال نساء الملوك والرؤساء حسب ما ذكر بعضهم. لقد كنّ يدركن وهن في مدرسة النبوة أن الإسلام نهج آخر، ولكن حياة النبيّ صلى الله عليه وسلم كان فيها شدة وتقشف وزهد لم يكن في سائر بيوت المؤمنين، فأردن المساواة مع مستوى غيرهنّ من المؤمنات، لا مستوى الملوك والرؤساء.

وعندما ندرس هذه الآيات وما يتعلّق بنساء النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فإنما ندرسه ليس من منطلق الرغبات الدنيوية الظاهرة في حياة الملوك، وإنما ندرسه منطلقين من القاعدة الرئيسة التي نصّ عليها القرآن الكريم من أنهنّ أُمهات المؤمنين، لهن هذه الحرمة والمنزلة العظيمة. فجاءت هذه الآيات الكريمة لتذكّر المسلمين ونساء النبيّ صلى الله عليه وسلم والنساء المؤمنات بعامة أن هناك نهجين مختلفين للحياة في ميزان الإسلام: نهج الدار الآخرة وما يشمله من قواعد وأسس ونظام ، ونهج الدنيا وما يموج فيه من أهواء وشهوات. نهجان مختلفان:

نهجان قد ميّز الرحمن بينهما ... ...

نهج الضلال ونهج الحقّ والرشَدِ

لا يجمع الله نهج المؤمنين على ... ...

نهج الفساد ولا حقّاً على فَنَدِ

ولقد وَعَت أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن– هذا التذكير، فاخترْن الله ورسوله والدار الآخرة، ليكُنّ بذلك القدوة للنساء المؤمنات أبد الدهر. ولا يتعارض هذا مع بقاء الطباع الخاصّة بالنساء، الطباع التي فُطرن عليها يهذّبها الإسلام ويصونها من الانحراف.

ولقد خلق الله المرأة لتكون امرأةً، وخلق الرجل ليكون رجلاً، وجعل سبحانه وتعالى بحكمته تكويناً للمرأة في جسمها ونفسيّتها، وجعل للرجل تكويناً متميزاً في جسمه ونفسيّته، ومازال العلم يكتشف الفوارق التي تظهر بين الرجال والنساء. وعلى ضوء ذلك، جعل الله للرجل مسؤوليات وواجباتٍ وحقوقاً، وللمرأة مسؤوليات وواجبات وحقوقاً، لتكون المرأة شريكة للرجل لا مساويةً له، حتى يتكامل العمل في المجتمع الإسلامي، حين يوفي كلٌّ منهما بمسؤولياته، وقد عرف كلٌّ منهما حدوده كما بيّنها الله لهم جميعاً.

وهناك حقوق مشتركة بين الرجل والمرأة. فالبيت المسلم هو ميدان التعاون في ظلال المودّة والسكن والرحمة، دون أن يتحوّل الرجل إلى امرأة أو المرأة إلى رجل. ومن حق المرأة أن تتعلم لأنَّ طلب العلم فريضة على كل مسلم، رجلاً كان أو امرأة، " طلب العلم فريضة على كل مسلم"، (1) ومن حقّها وواجبها أن تكون مدرِّسة للنساء، وطبيبة للنساء، وفي كل نشاط مارسته النساء المؤمنات في مجتمعات يحكمها منهاج الله وكلمة الله فيها هي العليا، دون أن يتشبّهْن بالرجال:

فعن ابن عباس –رضي عنه– عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لعنَ الله المتشبّهات من النساء بالرجال، والمتشبّهين من الرجال بالنساء. "(2)

وعن عائشة –رضي الله عنها– عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: " لعنَ الله الرَّجُلةَ من النساء " (3) .

وأمثلة كثيرة لا مجال لحصرها هنا تبيّن أن للإسلام نهجاً مختلفاً عن نهج الاشتراكية والعلمانية والديمقراطية، وتبيّن بالنصوص والتطبيق كما أسلفنا أن المرأة ليست مساوية للرجل في النشاط السياسي في الإسلام، إلا إذا نزعنا إلى نهج آخر أخذت تدوّي به الدنيا، وأخذنا نبحث عن مسوّغات له في دين الله .

ومن أهم ما أمر به الإسلامُ المرأة متميّزاً بذلك من غيره طاعتها لزوجها، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

) لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، ولا تؤدّي المرأة حقَّ الله –عزّ وجلّ– عليها كلَّه حتى تؤدّي حقَّ زوجها عليها كله ، ...)

(4)إلى آخر الحديث.

فعندما ندرس المرأة وحقوقها ومسؤولياتها في الإسلام فيجب أن ننطلق من حماية الأسرة ورعاية الأطفال وتربيتهم، فالأسرة والبيت المسلم هو ركن المجتمع الإسلامي وأساسه، وهو المدرسة الأولى التي تبني للأمة أجيالها، لا تتركهم للخادمات وغيرهن. في الإسلام لابد من عرض التصوّر الكامل المترابط لنشاط المرأة، دون أن نأخذ جُزْءاً وندع أجزاءً، ونركّز على أمر لم يركّز عليه الإسلام، ولم يبرزه لا في نصوصه ولا في ميدان الممارسة. فالحياة الإسلامية متكاملة مترابطة في نهج الإسلام، لا تتناثر قطعاً معزولة بعضها عن بعض.

ولا يمنع شيء أن يخرج من بين النساء المؤمنات عالمات مبدعات شاعرات، مفتيات موهوبات. ولكن هذا كله ليس هو الذي يحدّد دور المرأة في الإسلام، فالذي يحدّده شرع الله بنصوصه الواضحة دون تأويل وبالممارسة الممتدّة الواضحة. والمرأة حين تكون عالمة أو فقيهة أو أديبة، فهي أحرى أن تصبح أكثر تمسّكاً بقوله سبحانه وتعالى:

(.... فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله...) [النساء: 34]

ومما يثير العجب حقّاً أن الرجل الشيوعي جوربا تشوف، أدرك خطورة غياب المرأة عن بيتها وواجباتها فيه، واجباتها التي ليس لها بديل. فلنستمع إلى ما يقوله:

" ... ولكن في غمرة مشكلاتنا اليوميّة الصعبة كدنا ننسى حقوق المرأة ومتطلباتها المتميّزة المختلفة بدورها أماً وربّة أسرة، كما كدنا ننسى وظيفتها التي لا بديل عنها مربّية للأطفال" .

ويتابع فيقول: " ... فلم يعد لدى المرأة العاملة في البناء والإنتاج وقطاع الخدمات، وحقل العلم والإبداع، ما يكفي من الوقت للاهتمام بشؤون الحياة اليومية، كإدارة المنزل وتربية الأطفال، وحتى مجرّد الراحة المنزليّة. وقد تبيّن أن الكثير من

المشكلات في سلوكية الفتيان والشباب، وفي قضايا خلقية واجتماعية وتربويّة وحتى إنتاجية، إنما يتعلّق بضعف الروابط الأسرية والتهاون بالواجبات العائلية... "(5)

في دراستهم للمجتمع وللصناعة والإنتاج، انطلقوا كما نرى، ولو متأخرين، من البيت، من الأسرة، من دور المرأة في البيت، الدور الذي لا بديل له. ونحن المسلمين، وقد فصّل لنا الإسلام نظام حياتنا منطلقاً من تحديد مسؤوليات الفرد، الرجل والمرأة، ثم البيت والأسرة- تركنا ذلك وقفزنا لنبحث في حق المرأة أن تكون وزيرة أو عضواً في البرلمان أو رئيسة دولة، أو رئيسة شركة، ونضع من أَجل ذلك قانوناً عاماً مطلقاً دون قيود " :الإسلام لم يفرّق بين المرأة والرجل في ممارسة الحقوق السياسية!" وحسبُنا تطبيق الصحابة والخلفاء الراشدين، فهل كانت المرأة مساوية للرجل في الحقوق السياسية؟! أم أن الصحابة والخلفاء الراشدين أخطؤوا ولم يدركوا هذه الحقوق فظلموا المرأة وحرموها من حقوقها؟!

لا نقول: إنّ المرأة عامة، أو أن النساء كلهن لا يصلحن للمهمات الكبيرة بحكم كونهنّ نساء. لا نقول هذا. ولكن نقول: إن الله الذي خلق الرجل والمرأة حدّد مسؤوليات الرجل والمرأة، ومارس المسلمون ذلك في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم، وفي عهد الخلفاء الراشدين، وفي عصور كثيرة أخرى.

وقد يكون بعض النساء أكبر موهبة أو طاقة من بعض الرجال، فهل هذا يعني أن تنزل المرأة معتركاً مختلفاً فيه أجواء كثيرة، وتترك قواعد الإسلام تأسّياً بنساء غير مؤمنات، أو مجتمعات غير ملتزمة بالإسلام.

وغفر الله لمن قال، كما نشرته إحدى الصحف: " إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لو كان يعلم أنه سيظهر بين النساء أمثال جولدا مائير، أنديرا غاندي، تاتشر، ما قال حديثه الشريف: (ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) . فالمؤسف أنَّ من الناس من يعتبر أنَّ هؤلاء النساء أفلح بهنّ قومهن. عجباً كل العجب! هل أصبح الكفر وزينة الدنيا ومتاعها هو ميزان الفلاح! وأين قوله سبحانه وتعالى:

(وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ

لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) [الزخرف : 33-35] نِعْمَ البيت الواسع والسرر المريحة للرجل الصالح. ونعمت القوّة والسلاح والصناعة للمؤمنين.

إننا نعتقد أنه لا يصح أن نستشهد بمجتمعات غير ملتزمة بالإسلام لنخرج بقواعد شرعية في الإسلام.

أما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة) ، فالحديث يرويه أحمد بن حنبل وأبو داود وابن ماجه والترمذي. ويأتي الحديث بألفاظ مختلفة ولكنها تجمع على المعنى والنص. وإنّ مناسبة الحديث ونصّ الحديث باللغة العربيّة يفيد العموم ولا يفيد الخصوص. ولا يعجز الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخصّ ذلك بأهل فارس لو أراد التخصيص. ولكن كلمة قوم نكرة تفيد العموم، وامرأة نكرة تفيد العموم، فلا حاجة لنا إلى تأويل الحديث بما لا تحتمل اللغة، وربما لا مصلحة لنا في هذا التأويل.

وبما أنَّ المرأة مطالبة بعبادة الله وإقامة دينه، فإنها كذلك مكلفة مثلها مثل الرجل بتقويم المجتمع وإصلاحه! ولكنّ الله سبحانه وتعالى جعل للرجل تكاليف في ذلك ليست للمرأة، وجعل للمرأة تكاليف ليست للرجل. وذلك حتى في أركان العبادة . في الشعائر . فصلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في المسجد، وصلاة الرجل في المسجد خير من صلاته في البيت. والجهاد فرض على الرجال في ميدان القتال، وليس فرضاً على المرأة، وجهاد المرأة هو في بيتها ورعايته ورعاية زوجها:

فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنَّ امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله ! أنا وافدة النساء إليك! هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أُجروا وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون. ونحن النساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أبلغي من لقيتِ من النساء أنَّ طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك، وقليل منكنّ يفعله) .

وعن أنس -رضي الله عنه- قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار ليسقين الماء ويداوين الجرحى " (6).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته "وفيه :" ... والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم) . (7)

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: يا رسول الله، أعلى النساء جهاد؟! قال: (نعم ! عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة).(8)

وبصورة عامة فإن الإسلام جعل الميدان الأول للمرأة البيت بنص الآيات والأحاديث والممارسة والتطبيق، وجعل ميدان الرجل الأول خارج البيت، ويبقى للمرأة دور خارج البيت غير مساوٍ للرجل، وللرجل دور في البيت غير مساوٍ لدور المرأة.

ولا بد أن نؤكد أن للإسلام نهجاً متميّزاً غير نهج العلمانية والديمقراطية ومناهج الغرب في عمل المرأة والرجل. نهجان -كما ذكرنا- مختلفان.

نحن نمرّ بمرحلة فيها عواصف غربية وأمواج تكاد تكتسح. ما بالنا نريد أن نخرج المرأة المسلمة من مكانها الكريم الذي وضعها الإسلام فيه، لنجاري الغرب في ديمقراطيته وعلمانيته.؟! ونكاد نخجل من اتهام العلمانية لنا وادعائها بأن الإسلام حجر على المرأة. إن أفضل ردّ عليهم لا يكون بأن ندفع المرأة المسلمة إلى بعض مظاهر الغرب لندفع عن أنفسنا ادّعاءَهم . إن أفضل ردّ أن نقول لهم إن الإسلام أكرم المرأة وأعزها وحفظ لها شرفها وطهرها، وأنتم أضعتم المرأة وأضعتم كرامتها، ثمَّ نعرض الإسلامَ كما هو، وكما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما مارسه المسلمون في عهد النبوة والخلفاء الراشدين.

المرأة المسلمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر في أجواء النساء، حيث لا يستطع الرجل أن ينشط هناك إلا في أجواء الاختلاط التي لم يعرفها الإسلام لا في نصوصه ولا في ممارساته. وللمرأة المسلمة أنشطة كثيرة تقوم بها دون أن تلج في أجواء لم يصنعها الإسلام. المنافقات يقمن بإفساد المجتمع مع المنافقين جنباً إلى جنب سواء بسواء كما نرى في واقع البشرية اليوم. أما المؤمنات فيصلحن في المجتمع بالدور الذي بيّنه الله لهنّ، غير مساويات للرجال ولا ملاصقات لهن. دور بيّنه الله للنساء وللرجال، لا نجده في الديمقراطية، ولا في العلمانية، ولا في تاريخ الغرب كله.

نعم! إن أول من صدّق رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت زوجه خديجة رضي الله عنها. ولكنها بتصديقها لرسول الله صلى الله عليه وسلم التزمت حدودها في رسالته، فلم تنطلق خديجة -رضي الله عنها- في أجواء النشاط السياسي أو ميادين القتال أو مجالس الرجال. وكذلك كانت سميّة أول شهيدة في الإسلام رضي الله عنها، وكانت قبل استشهادها ملتزمة حدود الإسلام. والنساء اللواتي قاتلن في أُحد أو حنين، كان ذلك في لحظات طارئة عصيبة لا تمثل القاعدة الدائمة الرئيسة للمرأة في الإسلام، كما بيناها قبل قليل، فلم نَرَهنّ بعد ذلك في مجالس الرجال أو ميادين السياسة سواء بسواء كالرجال، وإنما كنّ أول من التزمن حدودهن التي بينها لهنّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

المرأة التي قامت تردّ على عمر -رضي الله عنه- في المسجد، كانت في مكان تعبد الله فيه وتتعلم. وهو جو يختلف عن المجالس النيابية اليوم، وكانت في مجتمع يختلف عن مجتمعاتنا اليوم. وهذه المرأة نفسها لو عُرِض عليها الأجواء المعاصرة لأبت المشاركة فيها، وكثير من المسلمات اليوم يأبين المشاركة في الأجواء الحديثة.

وأتساءل عن السبب الذي يدعو بعضهم إلى الحرص على إدخال المرأة المجالس النيابية العصرية! لقد أصبح لدينا تجربة غنيّة في المجالس النيابية تزيد عن القرن، فلننظر ماذا قدّمت للأمة المسلمة، هل ساعدت على جمعها أم على تمزيقها؟ وهل ساهمت في نصر أم ساهمت في هزائم؟ وهل هذه المجالس التي نريد أن نقحم المرأة المسلمة فيها هي صناعة الإسلام وبناؤه ، أم أنها مثل أمور أخرى غيرها استوردناها من الغرب مع الحداثة والشعر المتفلّت المنثور وغيره من بضاعة الديمقراطية والعلمانية؟!

وبصورة عامة، فإنّ هذا الموضوع: مساواة المرأة بالرجل كما يقول بعضهم: " لقد قرّر الإسلام مساواة المرأة بالرجل"! هكذا في تعميم شامل، شاع هذا الشعار في العالم الإسلامي، وأصبح له جنود ودعاة ودول تدعو إليه. وكذلك: "مساواة المرأة بالرجل في ممارسة الحقوق السياسية"، هذا كله موضوع طُرق حديثاً مع تسلل الأفكار الغربية إلى المجتمعات الإسلامية، مع تسلل الديمقراطية والعلمانية، كما تسلّلت قبل ذلك الاشتراكية.

هنالك عوامل كثيرة يجب أن تُدرس وتُراعى عند دراسة نزول المرأة إلى ميدان العمل السياسي الذي يفرض الاختلاط في أجواء قد لا يحكمها الإسلام من ناحية، ولا تحكمها طبيعة العمل نفسه. والاختلاط مهما وضعنا له من ضوابط، فقد أثبتت التجربة الطويلة في الغرب وفي الشرق إلى انفلات الأمور، وإلى التورط في علاقات غير كريمة.

وكذلك فنحن لسنا بحاجة لنزول المرأة إلى الميادين، ففي الرجال عندنا فائض، والرجال بحاجة إلى أن تُدرس حقوقهم السياسية التي منحهم إياها الإسلام.

إن نزول المرأة إلى الميدان السياسي ذو مزالق خطيرة، فعندما يُطلق هذا ويُباح، فهل معظم النساء اللواتي سيمارسن هذا العمل نساء ملتزمات بقواعد الإسلام كلّه، و بالحجاب واللباس عامة؟

إنَّ إطلاق هذا الأمر ونحن لم نَبْنِ الرجل ولا المرأة، والتفلّت في مجتمعاتنا واضح جليّ ومتزايد في الرجال والنساء، دون أن ينفي هذا وجود بعض النساء الملتزمات والرجال الملتزمين، إنَّ إطلاق هذا الأمر قد يقود إلى فتنة يصعب السيطرة عليها.

وإني لأتساءل: لأيّ مجتمع تصدر مثل هذه الآراء؟! لأيّ رجل وأي امرأة؟ هل المجالس النيابية الحاليّة تصلح ميداناً للمرأة المسلمة لتمارس النشاط السياسي؟ أين هو المجتمع الذي يطبّق شرع الله كاملاً، لتُطلق فيه مثل هذه الأمور؟ وهل هذه المجالس مجالس يسودها شرع الله؟!

وميادين العمل المباح للنساء واسعة جداً وكافية لهن، وكلها منضبطة بقواعد الإسلام مثل المدرسات والطبيبات، وكل عمل ليس فيه باب من أبواب الفتنة أو الاختلاط، مع توافر جميع الشروط الشرعية الأخرى عند مزاولة هذه الأنشطة.

لا بدّ من الاستفادة مما حلَّ بأقوام آخرين حين انطلقت المرأة في المجتمع في هذا الميدان أو ذاك. وإذا نزلت ميدان السياسة فما الذي يمنعها أن تنزل إلى المصانع وسائر الميادين الأخرى، كما نراها في العالم الغربي؟!

وكذلك أتساءل: لماذا هذه الضجّة الكبيرة عن المرأة وحقوقها؟ ألا تنظرون إلى الرجل وحقوقه؟ في عالمنا اليوم فَقَدَ كثير من الرجال حقوقهم، فلماذا تكون الضجّة على حقوق المرأة وحدها، ففي ذلك ظلم للمرأة وللرجل.

والإسلام في نهجه جعل الحقوق والواجبات متوازنة في الحياة كلها من خلال منهاج رباني أصدق من سائر المناهج وأوفى وأعدل.

وأخيراً أقول: قبل أن نطلق مثل هذه الآراء اليوم، فلنبن الرجل ولنبن المرأة ولنبن المجتمع المسلم.

فلنبنِ الأمة، فلنبنِ الرجل والمرأة، والبيت المسلم، والمجتمع المسلم الملتزم، ولنبنِ الأمة المسلمة الواحدة الملتزمة بالكتاب والسنة. حيث تكون كلمة الله هي العليا، فيكون هذا المجتمع أقدر على تحديد دور الرجل والمرأة.

إلى ذلك يجب أن تتجه الجهود متكاتفة بدلاً من أن تتمزَّق في قضايا جزئية لا تساعد إلا على تمزيق الأمة: أيها العلماء والفقهاء والدعاة والمسلمون، أقيموا الإسلام حقّ الإقامة أولاً في نفوسكم رجالاً ونساءً، وأقيموه في الأرض، كما يأمركم الله سبحانه وتعالى، وبلّغوه الناس وتعهّدوهم عليه، ثمَّ انظروا في حقوق المرأة والرجل تجدوها بيّنة جليّة لا تحتاج إلى فتوى، كما وجدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون المتقون في العصور كلِّها!

(1)عن أنس وغيره من الصحابة . صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم: 3913 أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، صحيح الجامع الصغير وزيادته 5100 .

(2)صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم 5096 ، المشكاة : رقم : 4470 .

(3)عن عائشة رضي الله عنها، وعن عبد الله بن أوفى، ومعاذ بن جبل، وأنس بن مالك، رضي الله عنهم، في روايات متعددة كلها تتفق مع النصّ المذكور. أخرجه الإمام أحمد: الفتح الرباني : 227/16 وأخرجه ابن ماجه وابن حبان. وفي صحيح الجامع الصغير وزيادته : رقم : 5295 .

(4)جورباتشوف: البيروسترويكا والتفكير الجديد لبلادنا والعالم أجمع ، ص : 166 ترجمة أحمد شومان .

(5)مسلم : 1800/47/32 ، وأبوداود : 2531/34/9 .

(6)البخاري : 893/11/11 مسلم : 1829/5/33 ، الترمذي : 1705/27/24 .

(7)أحمد وابن ماجة.

(8)أبوداود : 4607/6/34 ، الترمذي 2676/16/42 ، ابن ماجة : المقدمة 35 .

===============

#رجل الرحمة والمحبة والسلام (3/1)

د. بدران بن الحسن 1426/3/22

2005/05/01

بين يدي خير الأنام

سينصب كلامنا في هذا المقال على موضوع شخصية النبي –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم– باعتباره القدوة الحسنة المرتضاة من الله تعالى لكافة البشر ، هذه الشخصية التي يُراد لها في وسائل الاعلام خاصة أن تبقى باهتة، في حين يُطبّل لأناس لا يتوفر فيهم معشار جزء من خلقه وأخلاقه صلى الله عليه وسلم.

وخاصة منذ أحداث 9/11 وما تلاها من هجوم على الإسلام والمسلمين، واتهامهم بل واتهام النبي – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – بأنه رجل حرب ونهب وسلب، وأنه كان غليظ القلب، وأن الاسلام دين العنف والرهبة والقتال، وصار رموز الكنيسة وغيرهم من رموز الأديان الأخرى يُنعتون بأنهم رجال المحبة والرحمة والسلام، وتناسى الناس في زحمة الكذب الاعلامي والتزوير في الحقائق التاريخية والدينية والثقافية شخصية النبي –صلى الله عليه وسلم– تلك الشخصية التي نالت القدر الأوفى من كل الشمائل والخلال النبيلة، والقيم الإنسانية العليا.

لقد كان ميلاد محمد –صلى الله عليه وسلم– إيذاناً ببدء ثورة شاملة، حررت الإنسان والزمان والمكان، ورفعت عنها إصر عبوديات وأغلال كثيرة كانت تعيق انطلاقها جميعاً، فأخذ الإنسان حريته بيده، وصاغ هوية زمانه ومكانه صياغة جديدة، فجرت عناصر الخير في كل شيء، كان احتجاجاً قبلياً على كل عناصر الخير، فوقف الإنسان على ربوة التاريخ يسدّد خطواته نحو الأشرف والأفضل، ووقف المكان ليُلهم ويحتضن وينبت الأروع والأنصع، ووقف الزمان ليفسح ويتيح للأكمل والأشمل!

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... ...

وفم الزمان تبسّم وثناء

ولقد شكلت شخصية محمد –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم– الرجل الذي اكتملت فيه كل الأخلاق الحميدة، وانتفت منه كل الأخلاق الذميمة، ولذلك خاطبنا الله بقول: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة). والمطّلع على سيرة النبي محمد –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم– يدرك أنها كانت حقيقة تاريخية لا تجد الإنسانية غيره قدوة حسنة تقتدي بها، وهي تتلمس طريقها نحو عالم أكمل وأمثل، وحياة فُضلى، ومن الطبيعي ألا تجد الإنسانية مثلها الأعلى في شخصيات وهمية، وإلا فهي تضلّ طريقها المستقيم وتسير مقتدية بالخيال والأوهام، فمن حقنا إذاً أن نتخذ من سيرة النبي –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم– نموذجاً لسلوكنا في حياتنا.

وحياة محمد –صلى الله عليه وسلم– تكشف أمامنا المثلى الأعلى في جميع أحوال الحياة؛ في السلم والحرب، في الحياة الزوجية، مع الأهل والأصحاب، في الإدارة والرئاسة والحكم والسياسة، في البلاغ والبيان، بل في كل أوجه الحياة. فمحمد –صلى الله عليه وسلم– هو المثل الكامل.

ولن تجد الإنسانية في غيره مثلاً حياً لها؛ فسيرة محمد –صلى الله عليه وسلم– حقيقة تاريخية، يصدّقها التاريخ الصحيح ولا يتنكر لها، وهي سيرة جامعة محيطة بجميع أطوار الحياة وأحوالها وشؤونها، وهي سيرة متسلسلة لا تنقص شيئاً من حلقات الحياة، وهي أيضاً سيرة عملية قابلة للتطبيق، ذلك أن ما كان يدعو إليه محمد –صلى الله عليه وسلم– في القرآن والحديث كان يحققه بسيرته أولاً، وهذا ما شهد به معاصروه، فقالت عائشة –رضي الله عنها– وقد سئلت عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم: «كان خلقه القرآن»(1).

وفي مقالنا هذا، نحاول أن نتكلم عن خلال ثلاث هي الرحمة والمحبة والسلام، وتخصيصنا لهذه الخلال الثلاث بالحديث يأتي من محاولة كثير من الجهات ادّعاءها بهتاناً وزوراً، وقد كثر الحديث منذ أحداث 9/11 عنها ونسبتها إلى أي دين آخر ما عدا الإسلام، وكذلك نسبتها إلى أي شخصية أخرى ماعدا سيد الخلق وقدوة الرجال وحبيب الله ورحمة العالمين وأساس سلم العالم محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

محمد الرحمة المهداة

إن رحمة النبي –صلى الله عليه و سلم– بُعد مهم في شخصيته، وفي دعوته، ومن صميم شخصيته رسولاً ونبياً ومبلغاً عن ربه وهادياً للناس. وحينما نقرأ قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ونقف أمام الآية ندرك سعة رحمة هذا النبي الكريم، وكيف كان صلى الله عليه وسلم يفيض رحمة في خلقه وسلوكه وأدبه وشمائله. وإنه لتناسب وتآلف في أرقى مستوياته بين الرسالة والرسول في هذه الرحمة، حتى لا يُتصور أن يحمل عبء بلاغ هذه الرحمة إلى العالمين إلا رسول رحيم ذو رحمة عامة شاملة فياضة طبع عليها ذوقه ووجدانه، وصيغ بها قلبه وفطرته..(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) [التوبة: 128]. فهو مثل أعلى للرحمة الإلهية لذلك وصفه الله تعالى بأنه رؤوف رحيم.

لقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين.. رحمة شاملة للوجود بأجمعه. يستطيع المؤمنون الاستفادة من الرحمة التي كان يمثلها النبي –صلى الله عليه و سلم– ذلك لأنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) ويستطيع الكافرون والمنافقون أيضاً –إلى جانب المؤمنين – الاستفادة من هذه الرحمة كذلك. فعندما قيل له: ادع على المشركين قال صلى الله عليه وسلم: "إني لم أُبعث لعانًا، وإنما بُعثت رحمة"(2).

كما أن رحمته شملت أسرته وأمته وأصحابه، فقد كان صلى الله عليه وسلم خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته، من طيب كلامه، وحُسن معاشرة زوجاته بالإكرام والاحترام، حيث قال عليه الصلاة والسلام: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" (3). كما أنه في تعامله مع أهله وزوجه كان يُحسن إليهم، ويرأف بهم ويتلطّف إليهم ويتودّد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم. كما كان يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم، وكانت عائشة تغتسل معه صلى الله عليه وسلم من إناءٍ واحد، فيقول لها: (دعي لي)، وتقول له: دع لي (4).

وكان صلى الله عليه وسلم رحيماً بالجميع، بل إنه يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه. و كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم (5). وجاء الحسن والحسين، وهما ابنا ابنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان

ويعثران فنزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر، فحملهما حتى ووضعهما بين يديه، ثم قال صدق الله ورسوله(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) [الأنفال:28] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.

فرحمة النبي –صلى الله عليه وسلم– جعلته لطيفاً رحيماً، فلم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً، ولا صخّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح. بل إن سيدنا أنس –رضي الله عنه– يقول: "خدمت النبي –صلى الله عليه وسلم– عشر سنين، والله ما قال أفّ قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا" (6) ، وعن عائشة –رضي الله تعالى عنها– قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له، ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله"(7). وفي رواية "ما ضرب رسول الله شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله" .

ولذلك قال فيه القرآن الكريم: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشاورهم في الأمر) [آل عمران:159] ، فقد كان منهجه الرحمة بالعباد والتخفيف من الإصر والغلال التي عليهم، وهو في هذا يقول صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)(8) .

وتتجلّى رحمته –صلى الله عليه وسلم– بالمذنبين، وبمن لا يعرفون كيف تقضى الأمور فيعفو ويصفح ويعلم، عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: مَه مَه، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : (لا تزرموه، دعوه) ، فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن" قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه"(9).

كانت رحمة النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل غضبه، بل إنه في الحرب كان يقاتل بشجاعة، ولكنه أيضاً كان صاحب شفقة عظيمة، كان سياسياً، ولكنه في الوقت نفسه صاحب مروءة كبيرة وقلب كبير. ففي غزوة أحد استشهد عمه حمزة أسد الله ورسوله رضي الله عنه، ومُزّق جسده تمزيقاً. كما مُزّق جسد ابن عمته عبد الله بن جحش تمزيقاً(10). وشُجّ رأسه المبارك صلى اله عليه وسلم، وكُسِرت رباعيّته، وغطّى الدم جسده الشريف(11).

وبينما كان المشركون جادّين في حملتهم لقتله كان أكثر رحمة بهم، وكان يدعو: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"(12). فهل يوجد أرحم من محمد في مثل هذه اللحظات.

وفي فتح مكة كيف تعامل مع من أخرجوه وظاهروا على إخراجه وإيذائه؟ وكيف تعامل مع من حاصروه في شعب أبي طالب وتسببوا في وفاة أحب زوجاته إليه خديجة الكبرى رضي الله عنها، وفي وفاة عمه أبي طالب؟ فكيف كانت معاملته لأهل مكة بعد كل هذا التاريخ المملوء عداوة وبغضاً؟

لقد دخل مكة بعشرة آلاف مقاتل، دخل على مركبه، والدرع على صدره، والمغفر على رأسه، والسيف في يده، والنبال على ظهره، ولكنه مع كل مظاهر لباس الحرب هذه كان أنموذجاً للرحمة.

سأل أهل مكة: «ما ترون أني فاعل بكم؟» فأجابوه: "خيراً أخٌ كريمٌ وابن أخ كريم" فقال لهم ما قاله يوسف عليه السلام لإخوته: (لا تثريبَ عليكم اليوم يَغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) (يوسف: 92) لقد قال لهم: "اذهبوا فأنتم الطُلَقاء"(13).

هذا هو محمد النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذه رحمته التي شملت كل الناس، واستمرت دستوراً هادياً إلى أن تقوم الساعة، وليست تلك الرحمة الكاذبة التي تأتي ردود أفعال من أناس يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، كما أنها ليس تلك الرحمة ذات الوجهين التي تُطبّق على البعض، ويُحرم منها البعض، كما نراه في كثير من الشخصيات والنظم والقوانين الدولية والمحلية، التي تحاكم آخرين وتستثني آخرين. أو تلك المؤسسات والشخصيات التي ترأف وترحم الحيوان، ولكنها تشرّع لظلم الإنسان لأخيه الانسان.

|2|1|

1- مجلة «حضارة الإسلام» المجلد الأول، العدد السابع، السنة الأولى، 1960-1961، ص 63-69،

2- رواه الترمذي

3- رواه مسلم.

4- رواه الشيخان

5- رواه السيخان

6- رواه مالك والشيخان

7- رواه الترمذي

8- رواه مسلم

9- رواه البخاري، المغازي

10- اب هشام، السيرة النبوية، 103/3

11- رواه البخاري، المغازي: ومسلم، الجهاد

12- رواه البخاري، الانبياء؛ مسلم، الجهاد

13- ابن هشام، السيرة النبوية، 55/4؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 344.7/4- رواه الترمذي

================

#رجل الرحمة والمحبة والسلام (3/1)

د. بدران بن الحسن 1426/3/22

2005/05/01

بين يدي خير الأنام

سينصب كلامنا في هذا المقال على موضوع شخصية النبي -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- باعتباره القدوة الحسنة المرتضاة من الله تعالى لكافة البشر، هذه الشخصية التي يُراد لها في وسائل الإعلام خاصة أن تبقى باهتة، في حين يُطبّل لأناس لا يتوفر فيهم معشار جزء من خلقه وأخلاقه صلى الله عليه وسلم.

وخاصة منذ أحداث 9/11 وما تلاها من هجوم على الإسلام والمسلمين، واتهامهم بل واتهام النبي – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – بأنه رجل حرب ونهب وسلب، وأنه كان غليظ القلب، وأن الاسلام دين العنف والرهبة والقتال، وصار رموز الكنيسة وغيرهم من رموز الأديان الأخرى يُنعتون بأنهم رجال المحبة والرحمة والسلام، وتناسى الناس في زحمة الكذب الاعلامي والتزوير في الحقائق التاريخية والدينية والثقافية شخصية النبي –صلى الله عليه وسلم– تلك الشخصية التي نالت القدر الأوفى من كل الشمائل والخلال النبيلة، والقيم الإنسانية العليا.

لقد كان ميلاد محمد –صلى الله عليه وسلم– إيذاناً ببدء ثورة شاملة، حررت الإنسان والزمان والمكان، ورفعت عنها إصر عبوديات وأغلال كثيرة كانت تعيق انطلاقها جميعاً، فأخذ الإنسان حريته بيده، وصاغ هوية زمانه ومكانه صياغة جديدة، فجرت عناصر الخير في كل شيء، كان احتجاجاً قبلياً على كل عناصر الخير، فوقف الإنسان على ربوة التاريخ يسدّد خطواته نحو الأشرف والأفضل، ووقف المكان ليُلهم ويحتضن وينبت الأروع والأنصع، ووقف الزمان ليفسح ويتيح للأكمل والأشمل!

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... ...

وفم الزمان تبسّم وثناء

ولقد شكلت شخصية محمد –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم– الرجل الذي اكتملت فيه كل الأخلاق الحميدة، وانتفت منه كل الأخلاق الذميمة، ولذلك خاطبنا الله بقول: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة). والمطّلع على سيرة النبي محمد –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم– يدرك أنها كانت حقيقة تاريخية لا تجد الإنسانية غيره قدوة حسنة تقتدي بها، وهي تتلمس طريقها نحو عالم أكمل وأمثل، وحياة فُضلى، ومن الطبيعي ألا تجد الإنسانية مثلها الأعلى في شخصيات وهمية، وإلا فهي تضلّ طريقها المستقيم وتسير مقتدية بالخيال والأوهام، فمن حقنا إذاً أن نتخذ من سيرة النبي –صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم– نموذجاً لسلوكنا في حياتنا.

وحياة محمد –صلى الله عليه وسلم– تكشف أمامنا المثلى الأعلى في جميع أحوال الحياة؛ في السلم والحرب، في الحياة الزوجية، مع الأهل والأصحاب، في الإدارة

والرئاسة والحكم والسياسة، في البلاغ والبيان، بل في كل أوجه الحياة. فمحمد – صلى الله عليه وسلم– هو المثل الكامل.

ولن تجد الإنسانية في غيره مثلاً حياً لها؛ فسيرة محمد –صلى الله عليه وسلم– حقيقة تاريخية، يصدّقها التاريخ الصحيح ولا يتنكر لها، وهي سيرة جامعة محيطة بجميع أطوار الحياة وأحوالها وشؤونها، وهي سيرة متسلسلة لا تنقص شيئاً من حلقات الحياة، وهي أيضاً سيرة عملية قابلة للتطبيق، ذلك أن ما كان يدعو إليه محمد – صلى الله عليه وسلم– في القرآن والحديث كان يحققه بسيرته أولاً، وهذا ما شهد به معاصروه، فقالت عائشة –رضي الله عنها– وقد سئلت عن أخلاقه صلى الله عليه وسلم: «كان خلقه القرآن»(1).

وفي مقالنا هذا، نحاول أن نتكلم عن خلال ثلاث هي الرحمة والمحبة والسلام، وتخصيصنا لهذه الخلال الثلاث بالحديث يأتي من محاولة كثير من الجهات ادّعاءها بهتاناً وزوراً، وقد كثر الحديث منذ أحداث 9/11 عنها ونسبتها إلى أي دين آخر ما عدا الإسلام، وكذلك نسبتها إلى أي شخصية أخرى ماعدا سيد الخلق وقدوة الرجال وحبيب الله ورحمة العالمين وأساس سلم العالم محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

محمد الرحمة المهداة

إن رحمة النبي –صلى الله عليه و سلم– بُعد مهم في شخصيته، وفي دعوته، ومن صميم شخصيته رسولاً ونبياً ومبلغاً عن ربه وهادياً للناس. وحينما نقرأ قوله تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ونقف أمام الآية ندرك سعة رحمة هذا النبي الكريم، وكيف كان صلى الله عليه وسلم يفيض رحمة في خلقه وسلوكه وأدبه وشمائله. وإنه لتناسب وتآلف في أرقى مستوياته بين الرسالة والرسول في هذه الرحمة، حتى لا يُتصور أن يحمل عبء بلاغ هذه الرحمة إلى العالمين إلا رسول رحيم ذو رحمة عامة شاملة فياضة طبع عليها ذوقه ووجدانه، وصيغ بها قلبه وفطرته..(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) [التوبة: 128]. فهو مثل أعلى للرحمة الإلهية لذلك وصفه الله تعالى بأنه رؤوف رحيم.

لقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين.. رحمة شاملة للوجود بأجمعه. يستطيع المؤمنون الاستفادة من الرحمة التي كان يمثلها النبي –صلى الله عليه و سلم– ذلك لأنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) ويستطيع الكافرون والمنافقون أيضاً –إلى جانب المؤمنين – الاستفادة من هذه الرحمة كذلك. فعندما قيل له: ادع على المشركين قال صلى الله عليه وسلم: "إني لم أُبعث لعانًا، وإنما بُعثت رحمة"(2).

كما أن رحمته شملت أسرته وأمته وأصحابه، فقد كان صلى الله عليه وسلم خير الناس وخيرهم لأهله وخيرهم لأمته، من طيب كلامه، وحُسن معاشرة زوجاته بالإكرام والاحترام، حيث قال عليه الصلاة والسلام: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" (3). كما أنه في تعامله مع أهله وزوجه كان يُحسن إليهم، ويرأف بهم ويتلطّف إليهم ويتودّد إليهم، فكان يمازح أهله ويلاطفهم ويداعبهم. كما كان يعين أهله ويساعدهم في أمورهم ويكون في حاجتهم، وكانت عائشة تغتسل معه صلى الله عليه وسلم من إناءٍ واحد، فيقول لها: (دعي لي)، وتقول له: دع لي (4).

وكان صلى الله عليه وسلم رحيماً بالجميع، بل إنه يسمع بكاء الصبي فيسرع في الصلاة مخافة أن تفتتن أمه. و كان صلى الله عليه وسلم يمر بالصبيان فيسلم عليهم (5). وجاء الحسن والحسين، وهما ابنا ابنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر، فحملهما حتى ووضعهما بين يديه، ثم قال صدق الله ورسوله(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) [لأنفال:28] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.

فرحمة النبي –صلى الله عليه وسلم– جعلته لطيفاً رحيماً، فلم يكن فاحشاً ولا متفحّشاً، ولا صخّاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح. بل إن سيدنا أنس –رضي الله عنه– يقول: "خدمت النبي –صلى الله عليه وسلم– عشر سنين، والله ما قال أفّ قط، ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا" (6) ، وعن عائشة –رضي الله تعالى عنها– قالت: "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له، ولا امرأة ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله"(7). وفي

رواية "ما ضرب رسول الله شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله" .

ولذلك قال فيه القرآن الكريم: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وشاورهم في الأمر) [آل عمران:159] ، فقد كان منهجه الرحمة بالعباد والتخفيف من الإصر والغلال التي عليهم، وهو في هذا يقول صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)(8) .

وتتجلّى رحمته –صلى الله عليه وسلم– بالمذنبين، وبمن لا يعرفون كيف تقضى الأمور فيعفو ويصفح ويعلم، عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: مَه مَه، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : (لا تزرموه، دعوه) ، فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: "إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة، وقراءة القرآن" قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه"(9).

كانت رحمة النبي –صلى الله عليه وسلم– قبل غضبه، بل إنه في الحرب كان يقاتل بشجاعة، ولكنه أيضاً كان صاحب شفقة عظيمة، كان سياسياً، ولكنه في الوقت نفسه صاحب مروءة كبيرة وقلب كبير. ففي غزوة أحد استشهد عمه حمزة أسد الله ورسوله رضي الله عنه، ومُزّق جسده تمزيقاً. كما مُزّق جسد ابن عمته عبد الله بن جحش تمزيقاً(10). وشُجّ رأسه المبارك صلى اله عليه وسلم، وكُسِرت رباعيّته، وغطّى الدم جسده الشريف(11).

وبينما كان المشركون جادّين في حملتهم لقتله كان أكثر رحمة بهم، وكان يدعو: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"(12). فهل يوجد أرحم من محمد في مثل هذه اللحظات.

وفي فتح مكة كيف تعامل مع من أخرجوه وظاهروا على إخراجه وإيذائه؟ وكيف تعامل مع من حاصروه في شعب أبي طالب وتسببوا في وفاة أحب زوجاته إليه

خديجة الكبرى رضي الله عنها، وفي وفاة عمه أبي طالب؟ فكيف كانت معاملته لأهل مكة بعد كل هذا التاريخ المملوء عداوة وبغضاً؟

لقد دخل مكة بعشرة آلاف مقاتل، دخل على مركبه، والدرع على صدره، والمغفر على رأسه، والسيف في يده، والنبال على ظهره، ولكنه مع كل مظاهر لباس الحرب هذه كان أنموذجاً للرحمة.

سأل أهل مكة: «ما ترون أني فاعل بكم؟» فأجابوه: "خيراً أخٌ كريمٌ وابن أخ كريم" فقال لهم ما قاله يوسف عليه السلام لإخوته: (لا تثريبَ عليكم اليوم يَغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) (يوسف: 92) لقد قال لهم: "اذهبوا فأنتم الطُلَقاء"(13).

هذا هو محمد النبي –صلى الله عليه وسلم– وهذه رحمته التي شملت كل الناس، واستمرت دستوراً هادياً إلى أن تقوم الساعة، وليست تلك الرحمة الكاذبة التي تأتي ردود أفعال من أناس يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، كما أنها ليس تلك الرحمة ذات الوجهين التي تُطبّق على البعض، ويُحرم منها البعض، كما نراه في كثير من الشخصيات والنظم والقوانين الدولية والمحلية، التي تحاكم آخرين وتستثني آخرين. أو تلك المؤسسات والشخصيات التي ترأف وترحم الحيوان، ولكنها تشرّع لظلم الإنسان لأخيه الانسان.

|2|1|

1– مجلة «حضارة الإسلام» المجلد الأول، العدد السابع، السنة الأولى، 1960–1961، ص 63–69،

2– رواه الترمذي

3– رواه مسلم.

4– رواه الشيخان

5– رواه السيخان

6– رواه مالك والشيخان

7– رواه الترمذي

8– رواه مسلم

9– رواه البخاري، المغازي

10- اب هشام، السيرة النبوية، 103/3

11- رواه البخاري، المغازي: ومسلم، الجهاد

12- رواه البخاري، الانبياء؛ مسلم، الجهاد

13- ابن هشام، السيرة النبوية، 55/4؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 344.7/4- رواه الترمذي

================

#رجل الرحمة والمحبة والسلام (3/2)

د. بدران بن الحسن 1426/4/21

2005/05/29

أم لم يعرفوا رسولهم؟

يقول الله تعالى في محكم تنزيله: (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) [المؤمنون: 69]، هذه الآية تشكل في الحقيقة مسوغًا هاماً لنا في تناول شخصية النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك أن معرفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سيرته وفي سنته وفي شمائله من أهم الأمور التربوية التي تساعدنا على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم. فإنه لا توجد سيرة أخرى أجدى بأن تُقتدى ويُحتفل بها مثل سيرته صلى الله عليه وسلم. وفي تاريخ البشرية كلها لا نجد حياةً نُقلت إلينا تفاصيلها، وحُفظت لنا وقائعها في وضوح كامل، وتفصيل عميم شامل كما حُفظت، وكما نُقلت إلينا حياة محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- رسول الله ورحمته المهداة إلى الناس أجمعين، فكل كلمة قالها، وكل خطوة خطاها، وكل بسمة تألّقت على محيّاه، وكل دمعة تحدرت من مآقيه، وكل مسعًى سار لتحقيقه، وكل مشاهد حياته حتى ما كان منها من خاصة أمره، وأسرار بيته، وأهله، نُقل إلينا موثّقاً بأصدق ما عرف التاريخ الإنساني من توثيق وتدوين.

ولا عجب في هذا، فمادام الله قد اختاره ليختم به النبوة والأنبياء، فمن الطبيعي أن تكون حياته منهجاً جليلاً لأجيال لا منتهى لأعدادها، وأن تكون هذه الحياة بكل تفاصيلها أشد وضوحاً، وتألقاً من فلق الصبح ورابعة النهار، لا بالنسبة إلى عصره فحسب، بل بالنسبة إلى كل العصور والأجيال.

إن حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– وشمائله، وجوانب شخصيته، ونتائج دعوته درس لكل سالك إلى طريق الله، وكل قائد أو مربٍ أو رب أسرة أو سالك أي سبيل من سبل الخير إلى أن ينقطع الزمان.

وفي الحلقة السابقة تناولنا صفة الرحمة في شخصية النبي –صلى الله عليه وسلم– وفي هذه الحلقة ننتقل إلى صفة أخرى لا تقلّ تميّزاً عن الأولى، ولكن تسلك بنا طريقاً آخر لإدراك أحد أهم أبعاد شخصيته صلى الله عليه وسلم، وهو المحبة. فكيف كان النبي –صلى الله عليه وسلم– رجل محبة؟ وما هي الجوانب التي شملها هذا الخلق العظيم؟ وما موقفنا نحن تجاه محبته؟

منهجه يدعو إلى مجتمع المحبة:

إنها لصورة قاتمة باهتة مخيفة تلك التي رسمها البعض للإسلام في أذهان الناس حتى صار الناس يخافون من الدين ومن التدين؛ لأنهم يظنونه شيئاً قاسياً لا يرحم، وأتباعه غلاظ لا يلينون، وأحكامه سيف قاطع على الرؤوس.

وقد استثمر المستشرقون الموقف، واتهموا النبي –صلى الله عليه وسلم– والإسلام بالحقد والكراهية، وكل أوصاف التجهم والتعصب والعنف، حتى لكأنها صارت حقيقة، وأُسقط في أيدينا، وظن بعضنا أن هذا الزيف حقيقة.

ولكن الحقيقة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– نور يُستضاء به في ظلام الجاهلية، ومحبة خالصة تؤلف بين القلوب، وأن الإسلام شمس مضيئة أنارت ظلام الجاهلية، وهو دين الحب والأمل و الحياة واليسر، و شرائعه هي شرائع الحق والعدل، وأحكامه هي أحكام الحياة.

وللقيمة الرفيعة لخلق الحب والمحبة في الحياة، وأهميته في تحقيق السعادة للفرد والأسرة والمجتمع والأمة والإنسانية، فإن النبي –صلى الله عليه وسلم– سعى لتحقيقه بوسائل متعددة، وربّى أصحابه وأمته على هذه النفسية الراقية، وحث على إشاعته بين الناس، ببناء كل العلاقات على أساس من الحب؛ حبّ الله، وحب الخير، وحب الصلاح والصالحين، وحب الإنسانية.

وبعبارة أخرى فإن نهجه صلى الله عليه وسلم، وحياته كلها دعوة للتحابب. عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيما يرويه

مسلم في كتاب الإيمان : " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم" .

وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أيضاً عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الإمام العادل . وشاب نشأ بعبادة الله . ورجل قلبه معلّق في المساجد . ورجلان تحابّا في الله: اجتمعا عليه وتفرّقا عليه . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال : إني أخاف الله . ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله . ورجل ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه ". فمن الناس الذين يصلون إلى تلك المرتبة العالية يوم القيامة (ورجلان تحابا في الله) فاجتمعا على حب الله وافترقا على حبه . بمعنى أن سبب اجتماعهما حب الله، واستمرا على ذلك حتى قضى الله أمراً كان مفعولاً فتفرّقا بموت أو سفر أو غيره، وهما صادقان في حبّ كل واحد منهما صاحبه لله تعالى، حال اجتماعهما وافتراقهما .

ليس هذا فحسب، بل إن شرائع الإسلام وأحكامه كلها دعوة للمحبة، فالزكاة مثلاً التي هي قرينة الصلاة وجوباً وأهمية، فإن المستفيد منها وهو الفقير يشعر بأنه ليس وحده في المجتمع، وإنما هو فرد في جماعة لا تنساه وتكفله، ومن هنا تتلاشى الأحقاد وتنبت المحبة والألفة، وهكذا تكون الجماعة كالجسد الواحد، الغني يدفع من مال الله الذي عنده فيجد البركة والنماء، والفقير يتناول رزق ربه فيسدّ حاجته، والمجتمع ينقى ويطهر من الأمراض الخبيثة.

ولهذا فإن حب الخير للناس مما يقوم عليه ويتقوى به إيمان المؤمن، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، ويقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "إن رجلاً لم يعمل خيراً قط، وكان يداين الناس، فكان إذا أرسل غلامه للتقاضي يقول له: خذ ما تيسر، واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، فلما هلك سأله الله تعالى: هل عملت خيراً قط؟! قال: لا إلا أنني كنت أداين الناس فكنت أقول لغلامي: خذ ما تيسر واترك ما عسر، وتجاوز لعل الله يتجاوز عنا، فقال الله له: قد تجاوزت عنك".

فهذه العلاقة بين المؤمن والمؤمن يحرص عليها النبي –صلى الله عليه وسلم– لأنها تهب الجماعة المسلمة قوتها وصلابتها؛ فلا تهون ولا تتفتت ولا تعبث بها الفتن، فيقول صلى الله عليه وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"، ويقول صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"، فإن كل مؤمن هو لبنة في بناء المجتمع، يدخل الإيمان بينه وبين غيره كالمونة اللاصقة الجاذبة الموضوعة بين لبنات البناء، فيشتد البناء ويقوى وترتفع هامته، ثم إن من فيض الإيمان تنبعث الرحمة الهادية، التي ترجو ما عند الله، وإنه لحق، حيث يقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولايسلمه ولا يخذله، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة".
ذلك هو الحب الذي جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– لبناء المجتمع عليه.

النبيّ الإنسان المحبّ:

وإذا التفتنا إلى حياته الخاصة صلى الله عليه وسلم في بيته ومع أولاده وأهل خاصته وجدناه المثل الأعلى في الحب والود والشفقة. فكان صلى الله عليه وسلم يحب الأطفال، ويقبّل أولاده، ويعطف عليهم، ويأمر بالمساواة في المحبة بينهم، كما كان يحب أهله وزوجاته، وهو القائل: "حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وجُعلت قرة عيني في الصلاة".

لقد كان صلى الله عليه وسلم يحترم ويود ويحب زوجاته، ويقدر مشاعرهن بطريقة لا يرقى إليها أي من المحبين الذين ادّعوا أو أحبّوا أهليهم وأولادهم.

لقد كان قدوة، بل خير قدوة صلى الله عليه وسلم، فقد كان يعيش بين أزواجه رجلاً ذا قلب وعاطفة ووجدان، حياته مليئة بالحب، والحنان، والمودة، والرحمة.

ومما يذكر أنه كان مع عائشة –رضي الله عنها– التي يحبها كثيراً، يراها تشرب من الكأس فيحرص كل الحرص على أن يشرب من الجهة التي شربت منها، وهي صورة يندر أن يقوم به مدّعو الحب بيننا، إنه حب النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– للصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما.

ومِن تودّده لها وزيادة في حبها أنه كان يسابقها في وقت الحرب، يطلب من الجيش التقدم لينفرد بأم المؤمنين عائشة ليسابقها ويعيش معها ذلك الحب الزوجي الراقي.

وفي المرض، حين تقترب ساعة اللقاء بربه وروحه تطلع إلى لقاء الرفيق الأعلى، لا يجد نفسه إلا طالباً من زوجاته أن يمكث ساعة احتضاره صلى الله عليه وسلم إلا في بيت عائشة، ليموت ورأسه على صدرها، ذاك حبّ أسمى وأعظم من أن تصفه الكلمات أو تجيش به المشاعر.

إنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يرسم لنا طريقاً للحب فريداً من نوعه أوسع مما حصرته فيها مفاهيمنا المادية العلمانية التي تضيّق علينا واسعاً وتحرمنا من مشاعرنا. ولذلك فهو في حبه هذا لعائشة –رضي الله عنها– لا يجعله هذا الحب أن ينسى أو يتناسى حبه العظيم الخالد لخديجة الكبرى التي كانت أحب أزواجه إليه، والتي قدمت له في ساعة العسرة ما لم يقدمه أحد آخر.

وفي لحظة شعور امراة تسأله السيدة عائشة –رضي الله عنها– وتقول: ما لك تذكر عجوزاً أبدلك الله خيراً منها (تعني نفسها)؟! فيقول لها: لا والله، ما أبدلني زوجاً خيراً منها، ويغضب لذلك، ويبين لها أن حب خديجة لم يفارق قلبه أبداً، ذلك هو الحب الوفي الذي يريد أن يعلمنا إياه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إنه يعلمنا أنه يحب عائشة، ولكن يحب أيضاً خديجة –رضي الله عنها– كما يحب زوجاته الأخريات رضي الله عنهن.

ومما تذكره كتب السيرة أنه صلى الله عليه وسلم حج بنسائه، فلما كان في بعض الطريق نزل رجل فساق بهن فأسرع، فقال النبي كذلك، سوقك بالقوارير –يعني النساء– فبينما هم يسيرون برك لصفية بنت حيي جملها، وكانت من أحسنهن ظهراً، فبكت وجاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم– حين أخبر بذلك، فجعل يمسح دموعها بيده، وجعلت تزداد بكاء وهو ينهاها.

إنه لموقف جميل من الحبيب محمد –صلى الله عليه وسلم– مع زوجته حين مسح دمعتها بيده، ثم أمر الناس بالوقوف والنزول، علماً بأنه لم يكن يريد أن ينزل. لم يحقر النبي –صلى الله عليه وسلم– مشاعر صفية وعواطفها، بل احترمها وأنزل القافلة كلها من أجلها. فكم منا من رجل مسح دموع زوجته وطيب خاطرها!

إنه محمد النبي الحبيب -صلى الله عليه وسلم- مسح الدمعة بيده، ومرّر يده الكريمة على خد زوجته في قمة من مشاعر الحب والاحترام والعناية والتقدير لعواطف المرأة ومشاعرها. والذين يتفاخرون اليوم من الغربيين ومن العلمانيين باحترام المرأة لم يبلغوا ولن يبلغوا ما قام به محمد صلى الله عليه وسلم.

إبراهيم بن محمد:

لقد ابتلي النبي -صلى الله عليه وسلم- بما لم يبتل به أحد، ولكنه كان المثل الأعلى في الاحتساب والصبر، وحين مات ابنه إبراهيم عليه السلام، اهتزت مشاعر الأبوة والحب، فيبكي ويحزن "إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع، وإنا يا إبراهيم على فراقك لمحزنون". يعلمنا عليه الصلاة والسلام كيف يكون الحب، وكيف يكون الحزن على فراق الحبيب، ولكن كل ذلك في حدود ما يرضي الله تعالى. إنهما حب وحزن نابعان من أب نبي بشر تتجلى فيه أعلى معاني الحب والرحمة والشفقة على فراق الأحبة، ولكنه حب لا ينسيه أنه مبلّغ عن الله، وأنّ أمانة الرسالة أعظم الأمانات. ولذلك حينما كسفت الشمس وظن بعض الناس أنها لموت إبراهيم، قال صلى الله عليه وسلم: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تنكسفان لموت أحد أو حياته".

ويمتد حبه لأمته صلى الله عليه وسلم التي كان يبكي من أجلها في هدأة الليل، فقد كان يقف في سكون الليل وظلمته الحالكة ليصلي صلاة التائب على الرغم من أنه غُفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، وكان في ذلك الليل يتذكر أمته ويسكب عليها الدموع، ويسأل الله: "أمتي، أمتي".

حاجة البشرية والحضارة للحبّ:

إن البشرية اليوم والحضارة الإنسانية التي يهيمن عليها النوذج الحضاري الغربي، وتهيمن عليها الأذواق الغربية والمفاهيم الغربية في كل شيء حتى في مفهوم الحب- قد فقدت الحياة فيها كرامتها وقداستها حينما حولت كل المعاني والقيم والعلاقات إلى أشكال وماديات ومظاهر.

ولفقدان الحب صار يُحتفل به مثل ما يُحتفل بأي شيء آخر، وخصصوا له يوماً، وكأن بقية الأيام ليست للحب، وفيه يتذكر العشاق بعضهم بعضاً من خلال تبادل

الهدايا والبطاقات، أو أي شيء مادي، وصارت تنفق أموال طائلة في مناسبة عيد الحب، بل إن من الناس من يفلس بهذه المناسبة.

وارتبط الحب في المفاهيم الغربية المهيمنة بالجنس والعري وتبادل الغراميات المحرمة، أو تلك التعبيرات المزيفة الجافة الفارغة من أي معنى.

ولكن الحب الحقيقي الذي جاء محمد –صلى الله عليه وسلم- لتعليمنا إياه هو ذلك الحب المرتبط بالله تعالى وبنهجه في الحياة، وبما ارتضاه من علاقات ومعانٍ وقيم وتعبيرات عن المشاعر.

ونختم بهاتين الآيتين المعبرتين عن عمق الحب وأهمية ارتباطه بالله تعالى. يقول الله تعالى:(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة...)[الروم:21] ويقول عز وجل: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) [آل عمران: 31].

==============

#إحلال القيم.... الانتخابات نموذجاً

د. إبراهيم الناصر * 1426/4/17

2005/05/25

بسقوط الفكر الشيوعي الذي مثل عقيدة وفكراً (أيديولوجية) لعقود من الزمان، وما تلاه أو سبقه من سقوط منظومات فكرية استظلت بمظلة اليسار تكون الساحة الفكرية الكونية خلصت إلى منهجين أو عقيدتين متقابلتين هما الليبرالية الغربية والإسلام، قدر هذين المنهجين أنهما ضدان لا يتعايشان في مكان واحد، من حيث أن كلا منهما يمثل منهجاً للحياة يشمل تصوراً شاملاً للكون والحياة والإنسان، مبايناً للآخر تماماً، فهما يتنافسان في أن يحقق كلٌ منهما عولمة لمنهجه وإحلالاً لقيمه لدى الآخر والآخرين، تحقيقاً لقول الحق تبارك وتعالى في سورة المائدة عندما ذكر اليهود والتوراة ثم النصارى والإنجيل ثم المسلمين والقرآن المهيمن، قال بعد ذلك: (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم), ولذا كان من هدي الإسلام مخالفة المشركين عموماً وأهل الكتاب خصوصاً، وعدم التشبّه بهم فيما هو من خصائصهم تحقيقاً للتوحيد وإبطالاً للتنديد.

والنفس البشرية أُلهمت الفجور، كما أُلهمت التقوى أي وجود قابلية النفس البشرية لهما واستعدادها لقبولهما, كما قال تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) وقال عن الإنسان: (إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً) فالإلهام والهداية هما القابلية والاستعداد لدى الإنسان بسلوك طريق الفجور والكفر من خلال الالتزام بالليبرالية أو طريق التقوى والشكر بالتزام طريق الإسلام.

وكون الليبرالية الغربية تتضمن بعض الحقوق الطبيعية الإنسانية مصحوبةً بتلبية رغبات الإنسان وشهواته وجشعه وأنانيته من خلال مبادئها في الحرية والرأسمالية والفردية والحقوق المنفلتة من قيود الشرائع السماوية، يوجد جاذبية إليها ويمد في عمرها؛ لأن الإنسان أُلهم الفجور كما أُلهم التقوى، ومن الفجور التلبّس بقيم الليبرالية وشهواتها، والإنسان إذا لم يحمل الإسلام سيحمل الليبرالية أو غيرها كما قال تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)، وحكم عليه بالخسران إذا لم يؤمن بالله ويلتزم هديه كما قال تعالى: (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ووصفه بأوصاف السلب والنقص كما في آخر سورة الأحزاب عند عرض الأمانة قال:(وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً)، وقال تعالى (إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين) وغير ذلك من الأوصاف السلبية, وهذه صفات تتوافق مع مبادئ وأهواء الليبرالية الغربية وعموم المناهج الوضعية القائمة على محادّة الله في منهجه والمتعدّية لحدود الله في حكمه وشرعه.

والإنسان بخصاله تلك التي لم يهذبها الإسلام سيجد رغباته بمبادئ الليبرالية الغربية وبيئتها وأهوائها وشهواتها, فهناك إنسان ليبرالي وإنسان مسلم، ولا يوجد مسلم ليبرالي؛ لأن هذا جمع بين الضدين, وهناك منهجان ونظامان للحياة منهج الليبرالية ونظامها، ومنهج الإسلام ونظامه، ولا يوجد منهج ليبرالي إسلامي يكون الإسلام فيه عقائد وعبادات والليبرالية نظام حياة، إلا في أذهان الملبسين الحق بالباطل, المحرّفين للشرائع, المفتونين بحضارة الغرب, الجاهلين بالإسلام وطريقته.

وترويج أن الليبرالية هي بيئة وآليات لا تتعارض مع الإسلام فيه تزوير للحقائق أو جهل بها، وعندما كان أهل الإسلام في قوة إيمان وعزة شأن، كانوا ينشرون مبادئ

التقوى والإيمان وقيم الدين في أنحاء المعمورة، وحققوا عولمة لنموذجهم القيمي في مجتمعات كثيرة, وعندما حصل التراجع للمسلمين وانحسر المد الإسلامي بسبب ضعف إيمان المسلمين ونقص دينهم تمكن منهم النموذج الغربي, وفرض العلمنة في معظم مجتمعات المسلمين بقوة السلاح أولاً ثم بنفوذ الفكر، وسعى إلى إحلال قيمه مستفيداً من حالة ضعف المسلمين وانبهار بعضهم به وإعراضهم عن تحذير نبيهم لهم في ذلك عندما قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى قال: فمن), ولو أخذنا الانتخابات بنسختها الغربية كنموذج باعتبارها آلية للديمقراطية الغربية ورمزاً لقيمة غربية, فلن تجد تعليلاً لهذه الدعوة إلى ممارستها بصيغتها تلك في المجتمعات الإسلامية من قبل الغرب – ساسة ومفكرين– إلا هذا التفسير. صحيح أن الساسة الغربيين تحكمهم المصالح على حساب القيم إذا حصل التعارض بينهما، لكن يبقى مبدأ عولمة النموذج وإحلال القيم ثابتاً في مبادئ ودساتير هذه الحضارة؛ فلا غرابة أن يتضمن مشروع الشرق الأوسط الكبير ومشروع الشراكة الشرق أوسطية منظومة من القيم الغربية في المسألة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وأن يهتم الرئيس بوش رئيس الإمبراطورية الأمريكية بانتخابات جزئية في بلد من دول العالم الثالث (الانتخابات البلدية في السعودية)؛ لأنه يمثل حضارة لها رسالة في دعم قيمها كالحرية والديمقراطية، ولو بصياغة لا تتعارض مع أهواء الهيمنة والسلب والنهب للآخرين.

هل نستطيع أن نصحح واقعنا ونصلح مجتمعنا بتأسيس قيمي محلي وبفعل ثقافي إسلامي؟ وعندما تقعد بنا حالة الجمود التي تشتملنا وضعف الإبداع الذي يشلّ عقولنا, هل نستفيد من إبداعات الآخرين وطرائقهم بمنهج راشد دون استنساخ، أي بأسلمة النموذج حسب مصطلحات البعض.

إن سُلَّم القيم– بضم السين وفتح اللام المشددة – المعروف لدى علماء الاجتماع يبين حال المجتمع من خلال أفراده عندما تبدأ بعض السلوكيات كظواهر معزولة ثم تنتقل إلى اتجاهات مشهودة ثم تتحول إلى قيم حاكمة، وعند هذه المرحلة يتطبع المجتمع بطبيعة تلك القيم الحاكمة لسلوكه، ولهذا فان المصلحين الواعين لهذه

الحقائق يسعون دائماً إلى منع الظواهر والاتجاهات السلبية التي تنشأ في المجتمع من مواصلة تسلّق السلم قبل أن تصبح قيماً، فيسعون إلى ترشيدها وتهذيبها قبل وصولها رأس هرم القيم؛ فيصعب الاقتلاع والتغيير ويحصل التحوّل والتبديل؛ ولذا يصح أن نعدّ صراع التحوّلات في المجتمع أنه صراع قيم, أي إحلال قيم محل أخرى, وهذا الصراع ليس دائماً سلبياً لأنه ليس كل قيمة في المجتمع هي قيمة إيجابية، فالاستبداد في ميادينه المختلفة والفساد المالي والإداري، وبعض قيم القبيلة والعشيرة التي تحكم كثيراً تصرفات الحاكم والمحكوم وبعض القيم الاجتماعية هي قيم حاكمة سلبية، والإصلاح يكون في تغييرها أو تهذيبها كما هي طريقة الإسلام عندما نزل على العرب فغيَّر فيهم قيماً وهذّب أخرى، وهذه مسؤولية المصلحين والمجدّدين من الدعاة والعلماء والمثقفين الراشدين، أما صراع القيم بين دعاة الإسلام ودعاة الليبرالية (العلمانية) فهو في الغالب صراعٌ بين قيم دينية وقيم لا دينية، وفي أحسن الأحوال في المجتمعات المتدينة مثل مجتمعنا هو صراع يبدأ حول الذرائع والمقدمات؛ ولذلك تكثر الدعوة إلى إلغاء باب سد الذرائع، وتتوسع الدعوة إلى باب فتح الذرائع، وهما أصلان محكمان في الشريعة، لكن هاتين الدعوتين في هذين الاتجاهين في هذه المرحلة الاستثنائية تدلان على جهة مؤشر التحوّلات عند أصحابها، والمقصود أن نحذر من إحلال قيم غربية في مجتمعنا على حين غرة أو غفلة أو حسن ظن بمن يسعى إلى ذلك، وليكن لدينا من الفقه بأحوال الواقع ما يجعلنا نميّز بين ما يمكن قبوله وما يجب رفضه، وما يكون مزيجاً من الأمرين فيحتاج إلى ترشيد، والانتخابات هي من النوع الثالث، وقد ذكرت ذلك بأكثر من هذا في ورقة سابقة، ومسؤولية علماء الشريعة ودعاتها وأهل الفكر والنظر في الأمة من المهتمين بالشأن العام يكون في طرح رؤية رشيدة للانتخابات منطلقة من النظر الشرعي أدلة ومقاصد، ومن المواءمة الواقعية، مرونة وملائمة, خاصة إذا كانت البلاد سائرة إلى توسيع هذه الدائرة في ميادين أخرى.

=============

#ظاهرة التطرّف في المنطقة..

محاولة جديدة للقراءة والفهم

عاطف الجولاني * 1426/4/2
2005/05/10

مشكلة التطرف الآخذة بالاتساع في المنطقة والعالم، باتت تُعدّ، في الآونة الأخيرة، من أكثر القضايا التي تثير اهتمام النخب الفكرية والثقافية والسياسية التي تحاول فهم الظاهرة ووضع وسائل مناسبة للتعامل معها.

نمو الظاهرة وانتقالها إلى أطوار وأشكال جديدة، ربما لم تكن موجودة من قبل، يدعو إلى قراءة أكثر عمقاً، بعيداً عن الفهم السطحي، والقراءة الرغائبية للظاهرة. فكثيراً ما كانت القراءة السطحية الساذجة، سبباً في فهم الظاهرة بصورة خاطئة، وبالتالي التعامل معها بصورة خاطئة أيضاً، ما فاقم من حجم المشكلة، عوضاً عن أن يحدّ منها.

وهذه محاولة لفهم الظاهرة بأبعادها الشاملة وتشخيص المشكلة بصورتها الحقيقية، ودراسة المتغيرات والأبعاد الجديدة التي بدأت تأخذها.

ليست ظاهرة جديدة

النهج المتشدد في التعامل مع الأمور، القائم على التعصب للرأي والقناعات، وعلى إلغاء الآخر ونفيه، والتعامل معه بتشدّد وحدّة فكرية أو سلوكية، ليس بالنهج الجديد، ولا يختص بفترة زمنية دون أخرى، ولا بمجموعة بشرية معينة، بل هو ظاهرة بشرية طبيعية موجودة منذ وجد الإنسان، وستظل موجودة ما دامت الحياة البشرية؛ لأنه يتعلق بطبائع البشر وميولهم ونفسياتهم.

والإقرار بأن وجود الظاهرة أمر طبيعي، ليس محاولة للتقليل من حجم المشكلة وخطرها، وإنما وضعها في سياقها الصحيح الذي يساعد على فهمها. وكونها ظاهرة طبيعية لا ينفي عنها صفة أنها ظاهرة مرضيّة لا صحيّة. وإذا كان القضاء عليها – بصورة مطلقة– مطلباً صعباً عزيز المنال، فإن الحدّ منها وتقليص أخطارها وآثارها السلبية على المجتمعات يبقى أمراً مطلوباً بصورة مستمرة.

التطرف يرتبط عادة بالانغلاق والتعصب للرأي، ورفض الآخر وكراهيته وازدرائه وتسفيه آرائه وأفكاره. والمتطرف فرداً كان أم جماعة، ينظر إلى المجتمع نظرة سلبية سوداوية، لا يؤمن بتعددية الآراء والأفكار ووجهات النظر، ويرفض الحوار مع الآخر

أو التعايش معه ومع أفكاره، ولا يبدي استعداداً لتغيير آرائه وقناعاته، وقد يصل به الأمر إلى تخوين الآخرين وتكفيرهم دينياً أو سياسياً، وربما إباحة دمهم.

ويزداد خطر التطرف حين ينتقل من طور الفكر والاعتقاد والتصور النظري، إلى طور الممارسة والتطرف السلوكي، الذي يعبّر عن نفسه بأشكال مادية من أعمال قتل وتفجيرات وتصفيات واستخدام لوسائل العنف المادي المختلفة لتحقيق بعض الأهداف. وعادة ما يكون التطرف السلوكي والمادي نتيجة وانعكاساً لتطرف سابق في الفكر والقناعات والاعتقاد.

والتشدّد أو التطرّف موجود داخل كل مجتمع وحزب وجماعة، لكن بمستويات نسبية. وهذا ما يفسر التصنيفات الشائعة سياسياً لوجود أجنحة مختلفة داخل كل جماعة أو حزب، من متشددين ومعتدلين، صقور وحمائم، محافظين وإصلاحيين. وإذا فشل أي حزب أو جماعة في احتواء وجهات النظر الداخلية المتباينة، ولم تستطع هذه الأطراف التعايش مع بعضها البعض، فإن ذلك يفضي في كثير من الأحيان إلى انشقاقات وانقسامات.

الإسلام يحّذر من الظاهرة

من الخطأ الجسيم ربط التطرف بالإسلام الذي حذّر أكثر من غيره من أخطار هذه الظاهرة، ومن انعكاساتها السلبية على أصحابها وعلى مجتمعاتهم، والقراءة الواعية للنصوص الشرعية الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية، توضح بجلاء مدى إدراك الإسلام لخطورة الظاهرة، بل إن الإسلام أنكر على أتباع بعض الديانات مظاهر التطرف والتشدد في السلوك والعبادة، وانتقد القرآن الكريم أولئك الذين شدّدوا على أنفسهم في بعض الطقوس العباديّة، بقوله: (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم).

وأطلق الإسلام على المتطرفين أوصافاً سالبة، من مثل وصفهم بـ "المتنطعين" و"المغالين"، كما وصف ظاهرة التطرف بـ "الغلوّ" و"التنطّع". والنبي محمد –صلى الله عليه وسلم– حذّر من مصير صعب ومظلم ينتظر المتشدّدين والمتطرفين بقوله: "هلك المتنطعون"، أي المتطرفون المتشدّدون.

وقد عانت الأمة الإسلامية على امتداد تاريخها –كغيرها من الأمم– من ظواهر تطرّف فرديّ وجماعيّ على حدّ سواء.. ويجدر التنبيه إلى ضرورة التفريق بين تنامي ظاهرة التطرف وبين اتساع دائرة الصحوة الإسلامية، والالتزام بالدين وزيادة مظاهر التدين الفطري في المجتمعات العربية والإسلامية. فالبعض يندفع بصورة خاطئة ودون وعي للربط بين الأمرين، الأمر الذي يؤدي إلى استنتاجات خاطئة.

التطرف لا ينحصر بالجانب الديني، فهناك أشكال مختلفة من التطرف السياسي والثقافي والاجتماعي. وإذا كان التطرف الديني في الوقت الراهن هو الأبرز في المجتمعات العربية والإسلامية كما في المجتمعات الغربية، فإن تطرفاً يسارياً ساد المنطقة العربية في فترة الستينيّات وبداية السبعينيّات، ولم يكن التطرف القومي أحسن حالاً. وغالباً ما كان أصحاب التوجهات الدينية في تلك الفترات يقعون ضحية ذلك التطرف اليساري أو القومي حين وصل اليساريون والقوميون إلى السلطة، فتعرّضت الجماعات الدينية للقمع ومصادرة الحريات والاعتقال، وفي بعض الأحيان إلى التصفية والإعدام، بعد أن صودر حقها في التعبير، بل في الوجود، ووُجهت لها الاتهامات بالرجعية والعمالة للاستعمار.

المسألة إذن ليست حكراً على تطرف ديني، فكما أن هناك تكفيراً دينياً، هناك أيضا تكفير سياسي وعلماني. ومثلما أن هناك توجهات إسلامية متطرفة ترفض الاعتراف بالآخرين وتعمل على إلغائهم، هناك في المقابل علمانية متطرفة تستخف بالدين وتتجرّأ على الثوابت الدينية، وترفض محاورة من يخالفونها الرأي، وتصنّفهم على أنهم خارجون على الصف الوطني، وتمارس بحقهم سياسة القمع والاستئصال.

وقد كان المفكر العربي محمد عابد الجابري محقاً حين أكّد أنه "في جميع الأيديولوجيات هناك دوماً موقع ما للتطرف والغلوّ". مضيفاً: "سبق لي أن قلت: إنه لو كان الزمان زمان الماركسية لكان كثير من الشباب الذين يستقطبهم اليوم التطرف الديني أو الإثني يعملون في صفوف التطرف الماركسي، وهذا سبق أن حدث".

كما أن التطرف ليس حكراً على المجتمعات العربية والإسلامية، فكل المجتمعات عانت أو تعاني من أشكال مختلفة من التطرف الديني والسياسي، سواء في الفكر والمعتقد، أو في الممارسة والسلوك. لكن لأسباب مقصودة، وبفعل ضعف العالم

العربي والإسلامي، وسيطرة الآخرين على وسائل الإعلام وأدوات التوجيه القادرة على تشكيل القناعات، تم التركيز على ما يُسمّى "بالتطرف الإسلامي"، في محاولة لإلصاق تهمة الإرهاب بالمجتمعات الإسلامية وبالإسلام ذاته.

وما هو مؤسف أن الإعلام العالمي يسلط الأضواء على كل صغيرة وكبيرة من الممارسات المتشدّدة والمتطرفة في العالم العربي والإسلامي، وفي ذات الوقت يُغضّ الطرف عن الإرهاب والتطرف الديني والسياسي الذي يجتاح المجتمع الإسرائيلي، وأدى إلى سيطرة المتطرفين الإسرائيليين على أغلبية مقاعد الكنيست الإسرائيلي، وكان اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق إسحق رابين أحد تعبيراته السلوكية. كذلك يتم تجاهل كثير من مظاهر التطرف التي بدأت تجتاح عدداً من الدول الغربية التي نجحت فيها أفكار وأحزاب سياسية متطرفة في زيادة رقعة حضورها الشعبي وتأثيرها السياسي، بل إن المحافظين الجدد الذين ينطلقون من قناعات ونبوءات دينية متطرفة باتوا يسيطرون على السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان لأفكار اليمين المحافظ ومؤيديه دور حاسم في التجديد للرئيس بوش لولاية انتخابية ثانية.

أسباب تنامي ظاهرة التطرف في المجتمعات العربية

تنشأ ظاهرة التطرف في العادة نتيجة جملة عوامل متشابكة، وليس نتيجة عامل واحد. وقد لوحظ عند تشخيص كثير من الغربيين لظاهرة التطرف في المجتمعات العربية والإسلامية، مبالغة دراساتهم في التركيز على أربعة عوامل أساسية من وجهة نظرهم هي:

1-الفقر.

2-الجهل والأميّة.

3-مناهج التعليم "المتشدّدة" التي تؤدي إلى تخريج أفراد مشبعين بأفكار متطرفة خاصة ما يتعلق بالدراسات الدينية.

4- وجود أنظمة حكم متطرفة تمارس العنف وترعى بعض الجماعات المتطرفة.

ومن أجل فهم الظاهرة وتشخيصها بصورة صحيحة أكثر عمقاً، يمكن تقسيم الدوافع التي تؤدي إلى تطور مظاهر التطرف الفكري والسلوكي ونموها في المجتمعات العربية والإسلامية إلى قسمين:

- عوامل ذاتية من داخل هذه المجتمعات.

- وعوامل خارجية.

العوامل الداخلية

أولاً: عوامل دينية، وفي مقدمتها:

1- ضعف الوعي، والفهم الخاطئ لبعض المفاهيم الشرعية، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآليات تنفيذ ذلك المسموح والممنوع في التطبيق.

2- ضعف مؤسسات التوجيه الديني الرسمية في الدول العربية، وعدم استقلالية هذه المؤسسات، وتبعيتها المطلقة للسلطة السياسية، وخضوعها الكامل لمواقفها وتوجهاتها، بل ومبالغتها في الدفاع عن كافة سياسات السلطة وتوجهاتها. ما أفقدها ثقة المواطن، وجعلها غير مؤثرة في التوجيه والتوعية والترشيد.

3- القناعة لدى قطاعات شعبية وسياسية بأن كثيراً من الحكومات العربية بعيدة عن التزام أحكام الشريعة الإسلامية، وأنها تعمل على تغييب أحكام الدين عن واقع الحياة، وهو ما أوجد دافعاً لدى البعض للتسرع في إصدار أحكام بتكفير هذه الحكومات، وإلى اتخاذ مواقف متشددة إزاء العمل السياسي والممارسة السياسية.

4- تنامي ظاهرة الصحوة الدينية والتدين الفطري العام في العالم العربي، وفّر فرصة للجميع للاستفادة منها. ولا شك أن بعض الأفكار المتطرفة استفادت من هذا الإقبال على التديّن في كسب مزيد من المؤيدين لأفكارها، في ظل ضعف عملية الترشيد والتوجيه لهذه الصحوة.

5- محاربة الحكومات للتوجيه الديني غير الرسمي، ووضعها لكافة الحركات الإسلامية، المتشددة منها والمعتدلة، في سلة واحدة. وهو ما أضعف قدرة هذه الحركات على الإسهام بدورها في مواجهة بعض مظاهر التطرف التي باتت تشكل خطراً على الجميع. ولا شك أن عدم تمييز الرسميين بين توجهات معتدلة وأخرى متطرفة، أتاح فرصة مهمة لتوجهات التشدّد لتعزيز حضورها، كما أنه أوجد قناعة لدى قطاعات شعبية واسعة بأن تلك الحكومات تقف موقفاً سلبياً ضد كل ما هو ديني، سواء اتسم بالتشدد أو الاعتدال. ونتيجة هذه القناعة السلبية عن تلك الحكومات لدى شعوبها، بدأت تنظر إليها على أنها تقف ضد الدين ذاته لا ضد

توجهات دينية معينة، كما أن المساواة بين المتشددين والمعتدلين ومعاملتهم جميعاً كمتطرفين ومتآمرين وخارجين على القانون، قد يحوّل بالنتيجة بعض المجموعات المعتدلة إلى مجموعات متطرفة ما دامت تشعر بأنها مستهدفة أيا كانت توجهاتها.

6-المبالغة في الاستخفاف بالدين وبالمقدسات الدينية، وفرض توجهات فكرية علمانية من قبل بعض الجهات الرسمية، يشكل نوعاً من الاستفزاز، ويؤدي إلى ردة فعل معاكسة نحو المزيد من التشدّد.

ثانياً: عوامل سياسية، منها:

1- التفرد بالسلطة وعدم تداولها، وغياب الحرية والديمقراطية في المجتمعات العربية والإسلامية، وانسداد أفق التغيير السلمي أمام الحركات والأحزاب السياسية، تسبب بحالة إحباط ويأس – لدى البعض – من إمكانية حدوث إصلاح سياسي ضمن الأطر والأنظمة السياسية القائمة أو عبر الوسائل السلمية، ودفع إلى اللجوء للعنف كسبيل وحيد متاح للتغيير والإصلاح. في هذا السياق يرى الدكتور الجابري أن "من أسباب ظهور التطرف سواء باسم الإسلام أو العرق أو باسم الطائفة أو باسم أي أيديولوجية ما، هو أولاً وقبل كل شيء غياب الديمقراطية، إضافة إلى الظروف الاجتماعية الاقتصادية". ويضيف: "عندما يمارس الإقصاء على هذه الفئة أو تلك يكون رد الفعل هو التطرف".

2- كثيراً ما يكون التطرف الديني أو السياسي من قبل الأفراد والجماعات، ردّ فعل على تطرف فكريّ أو سلوكيّ تمارسه السلطة حين ترفض الحوار مع الآخر وتصرّ على مواجهته بالعنف والقمع فقط.

بعض السلطات العربية لجأت إلى تشويه صورة خصومها ومعارضيها السياسيين، وتتهمهم بالتطرف لتحقيق مكاسب سياسية في معركتها معهم، ولتعطي لنفسها مبرراً للتعامل معهم بقبضة حديدية. وعند النظر إلى مصر والجزائر كحالتين للدول التي عانت ظاهرة العنف والتطرف، يُلاحظ أن القمع الذي استخدمته السلطة ضد المجموعات الإسلامية المعتدلة أدّى إلى تحويل بعض تيارات تلك المجموعات إلى التطرف. فجماعة التكفير والهجرة في مصر نشأت داخل السجون المصرية نتيجة ما لقيه أفرادها من قمع وتعذيب شديدين جعلهم يتحوّلون من مجرد ناشطين عاديين في

صفوف جماعة الإخوان المسلمين إلى أفراد يتبنّون أفكار التكفير. والملاحظ أن السلطات العربية بدل أن تستخلص الدروس والعبر من تجاربها الخاطئة، تلجأ إلى استغلال ما حصل سابقاً لتوجيه الاتهام لجماعة الإخوان بأن جماعات التطرف والتكفير خرجت من تحت عباءتها، وبأنها تشكل محضناً لتفريخ العنف والتطرف.

3- نظرة بعض القطاعات إلى بعض الحكومات العربية والإسلامية على أنها غير وطنية وعميلة ومرتبطة بقوى معادية للأمة، دفع تلك القطاعات إلى القناعة بعدم جدوى الحوار مع تلك الحكومات، وبأن استخدام العنف هو الخيار الوحيد المجدي للتعامل معها.

4- توقيع اتفاقيات ومعاهدات تسوية بين أطراف عربية رسمية وبين (إسرائيل)، أوجد حالة غضب شعبي تجاه الحكومات المؤيدة لتلك الاتفاقيات التي تنظر إليها أغلبية شعبية على أنها ظالمة ومجحفة بالحقوق الفلسطينية والعربية، وأنها تمت بفعل ضغوط خارجية شديدة خدمة للمصالح الإسرائيلية.

ثالثاً: عوامل اجتماعية واقتصادية:

1- الفقر والتفاوت الاجتماعي، وشعور بعض الشرائح بالظلم وغياب العدالة، يؤدي إلى توليد حالات نقمة وإحباط تشكل مرتعاً خصباً لنشوء توجهات متطرفة ليست متعلقة بالضرورة ببعد ديني.

2- التطرف في الانحلال الأخلاقي، والسكوت الرسمي على المظاهر الصارخة للفساد الخلقي، بل وربما تشجيعه بمبرر الانفتاح، يولّد ردّات فعل مضادّة عند مواطنين عاديين وأصحاب توجهات وقناعات دينية. ويمكن القول: إن التطرف اللاديني (العلماني) قد يؤدي إلى تصاعد تطرف ديني مقابل.

رابعاً: عوامل نفسيّة:

وهي تنجم في العادة عن جملة العوامل السابقة؛ فالتوجه للعنف الفكري والسلوكي يكون في العادة ناتجاً عن إحباط سياسي، بسبب اليأس من القدرة على التغيير السياسي والتمتع بالحريات في التعبير والقول والممارسة، ويكون ناتجاً كذلك عن إحباط اجتماعي واقتصادي من إمكانية تحسين الوضع القائم نتيجة اختلالات اجتماعية واقتصادية كبيرة. وربما يكون الإحباط ناجماً كذلك عن الواقع الذي تعيشه

الأمة من حيث الضعف والضربات المتلاحقة التي تُوجّه لها دون أن يكون لها حول أو قوة على المواجهة.

عوامل خارجية

1- أحداث 11 سبتمبر وإعلان أمريكا حرباً شاملة ضد الإرهاب، وما تبعها من ممارسات متشددة ضد الأقليات الإسلامية في عدد من المجتمعات الغربية، والنظرة السلبية إلى المنطقة العربية والإسلامية على أنها مصدر الشرّ والإرهاب في العالم، وتولّد قناعة لدى قطاعات شعبية واسعة في العالم العربي والإسلامي بأن الولايات المتحدة تشنّ حرباً عسكرية وسياسية وثقافية ضد الأمة العربية والإسلامية تهدف إلى السيطرة على المنطقة واستغلال ثرواتها وإعادة رسم خريطتها السياسية والجغرافية وفق الرغبات الأمريكية، إضافة إلى الضغوط القوية على الدول العربية والإسلامية لمحاصرة الجمعيات الخيرية وإدخال تغييرات جوهرية على مناهج التعليم. كل ذلك تسبب بردة فعل سالبة لدى الشعوب العربية والإسلامية والقوى السياسية في المنطقة التي بدأت تلجأ إلى التشدد في الدفاع عن الذات.

2- الاحتلال الأمريكي للعراق ساهم بشكل كبير في تأجيج مشاعر العداء والكراهية في العالم العربي ضد الولايات المتحدة وضد كثير من الأطراف الغربية، ووفّر أرضية مناسبة لكثير من الطروحات المتشددة التي لقيت رواجاً في ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين والاحتلال الأمريكي الجديد للعراق.

3- بروز مقولات ونظريات الصراع الحضاري والثقافي في الغرب، وترويج أوساط غربية أن الإسلام هو العدو الجديد والخطر الداهم الذي يتهدد الحضارة الغربية، أثار كثيراً من الأوساط العربية والإسلامية ودفعها إلى تبني مقولات مقابلة تقوم على أساس الخوف الثقافي والحضاري. وزاد من حجم المشكلة أن الأمر لم يعد يقتصر على طرح نظريات الصدام والصراع الحضاري بين الحضارة الغربية والحضارة العربية والإسلامية، من قبل مفكرين مثل هنتنغتون وفوكاياما، بل تعداه إلى تصريحات تحريضية صدرت عن سياسيين معروفين كنيكسون وتاتشر والعديد من السياسيين الغربيين خلال الأعوام الأخيرة.

4- تنامي نفوذ المحافظين الجدد، ونجاحهم في الوصول إلى سدة الحكم في الولايات المتحدة، وهيمنة البرامج والأجندات الدينية المتشددة لهذا التيار على أفكار وسلوكيات الإدارة الأمريكية، وتشكّل قناعة واسعة في المجتمعات العربية والإسلامية بأن الحرب التي تشنها الإدارة الأمريكية الحالية لمحاربة الإرهاب ما هي في حقيقتها إلا حرب دينية صليبية ضد الإسلام والأمة الإسلامية، وكان له تأثير بالغ في تأجيج مشاعر التشدّد تجاه الولايات المتحدة.

5- تنامي التطرف الديني والسياسي في المجتمع الإسرائيلي، وانسداد الأفق السياسي لفترة طويلة، وزيادة حجم الاعتداءات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني في ظل الانتفاضة، وانحياز الولايات المتحدة وغالبية الأطراف الغربية لصالح الجانب الإسرائيلي، وبحثهم عن حجج وذرائع لتبرير جرائمه بحق الشعب الفلسطيني، شكّل عاملاً آخر في تعزيز حالة الاحتقان النفسي لدى كثير من العرب والمسلمين.

6- مبالغة المجتمعات العربية والإسلامية في الخوف من أخطار وانعكاسات العولمة الثقافية والسياسية والاقتصادية التي تم النظر إليها كسلعة غربية يجري تصديرها إلى العالم الإسلامي، وخشية أوساط إسلامية من أن تؤدي عملية الانفتاح وفتح الحدود وإزالة الحواجز السياسية والثقافية في ظل التفوق والهيمنة الغربيتين، إلى اختراق الثقافة والقيم والعادات الغربية للمنطقة على حساب ثقافتها وهويتها الحضارية، مما دفع إلى تنامي بعض دعوات الانغلاق والتشدد وإغلاق الحدود والمنافذ لاتقاء شرور العولمة العابرة للحدود.

هذه العوامل، إضافة إلى الاحتقانات السياسية والثقافية والنفسية التي تمرّ بها المنطقة، وما ينطوي عليه واقع الأمة العربية من كثير من مظاهر الضعف والعجز والتمزق، أدى إلى توفير أجواء مواتية لتنامي نزعات التشدد والتطرف، ولكن بشكل جديد؛ إذ باتت الظاهرة تشمل المجتمعات ولا تقتصر على الأفراد والجماعات والحركات. وهذه -بالتأكيد- حالة أكثر خطورة من حالات التطرف التقليدي التي كانت موجودة سابقاً. ويساهم في تعزيزها توفر مزاج ومناخ عام يمكن أن تترعرع في ظله توجهات التشدد والعنف بأشكالها المتعددة، الفردية والجماعية، وتشدد المجتمعات كرد فعل على الشعور بالاستهداف.

مقترحات للتعامل مع المشكلة

ما لم يتم استيعاب المتغيرات الجديدة التي طرأت على ظاهرة التطرف في المنطقة والعالم، وما لم تتم مواجهتها بكثير من الحكمة والعقلانية، بعد الفهم العميق للظاهرة، فإن من الممكن ارتكاب أخطاء إضافية تؤدي إلى زيادة حجم المشكلة لا الحدّ منها. فلم يعد ممكناً مواجهة ظواهر التطرف والتشدد والإحباط، بذات الوسائل القديمة التي كان البعض يصرّ على اللجوء، إليها وأثبتت التجربة العملية فشلها.

لا بدّ هنا من التوقف عند نقطتين هامتين:

الأولى: عند العمل على معالجة المشكلة ضرورة التمييز بين التعامل مع التطرف في إطاره الفكري الذي يقتصر على الأفكار والقناعات والتوجهات، وبين التطرف الذي انتقل إلى دائرة الممارسة المادية السلوكية العنفية. فالأساليب المجدية في التعامل مع النوع الأول، لا تجدي بالضرورة في التعامل مع النوع الثاني. وما هو ضروري للتعامل مع الشكل الثاني قد لا يكون ضرورياً للتعامل مع الشكل الأول.

الثانية: جرت العادة على مواجهة ظاهرة التطرف بأحد أسلوبين:

1- الأسلوب الأمني البوليسي: وهو المفضل لدى غالبية الأجهزة الرسمية والمؤسسات الأمنية العربية والإسلامية.

2- الأسلوب السياسي والفكري: عن طريق الاستيعاب، وفتح قنوات الحوار، لإقناع من يحمل فكراً متطرفاً بأن أبواب التأثير والإصلاح بالطرق السلمية بعيداً عن العنف وإراقة الدماء، متيسرة أمامه وليست مغلقة.

ولوحظ أن غالبية الدول التي اقتصرت على التعامل بالأسلوب الأول، لم تنجح بعد سنوات طويلة من المواجهة، في الوصول إلى هدفها بإضعاف التوجهات المتطرفة، وكانت النتيجة مؤلمة للطرفين، للسلطة وللمجموعات المتطرفة، وغالباً ما دفع المجتمع الثمن غالياً من دماء أبنائه ومن اقتصاده واستقراره نتيجة هذه المواجهة العقيمة.

وهنا بعض المقترحات لمواجهة المشكلة:

1- إنهاء حالة التفرد السياسي الذي تمارسه كثير من الحكومات والأنظمة، والتوقف عن سياسة القمع وتكميم الأفواه، والتوجه لفتح أبواب الحريات المسؤولة في كافة

الجوانب. وإذا كانت بعض الأطراف الخارجية تتحدث عن الإصلاح السياسي كضرورة تخدم مصالحها، فإن مصلحة الأمة وشعوبها، بل وحتى حكوماتها، أن تباشر عملية إصلاح ذاتية حقيقية، وأن تقنع الجميع بأن إمكانية التغيير والإصلاح بالوسائل السلمية متاحة. وأي تأخير في ذلك يسهم في زيادة حالة الإحباط السائدة.

2- معالجة الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية، وتقليص الفجوة الآخذة بالاتساع بين أغلبية مقهورة ومسحوقة في المجتمعات العربية، وبين أقلية متنفذة تسيطر على الثروات والمقدّرات والمداخيل. لا سيما أن قناعة تسود لدى أوساط شعبية واسعة بأن الفساد واستغلال المناصب والمواقع للإثراء غير المشروع هي التي تقف وراء ما تتمتع به نخبة مهيمنة محدودة من مكتسبات.

3- إعطاء استقلالية حقيقية لمؤسسات التوجيه الديني، والتوقف عن توظيفها كأداة لحشد التأييد لتوجهات السلطة السياسية، كي تكون قادرة على ممارسة دورها بفاعلية في التوعية والتثقف الديني والتصدي لبعض مظاهر الفهم الخاطئ للإسلام.

4- التوقف عن وضع جميع الحركات الإسلامية في كفة واحدة ومناصبتها جميعها العداء بشكل أعمى، ودون وعي أو تمييز، وإدراك أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه الحركات الواعية في مواجهة الفهم الخاطئ.

5- الحذر من دعم مظاهر "التطرف العلماني" في مواجهة "التطرف الديني"، فكلا التطرفين نتائجه خطيرة على المجتمعات العربية والإسلامية، وتنامي الواحد يستفز الآخر ويعمل على تفعيله.

6- إنهاء الاحتلال الأمريكي للعراق، وتعامل الأطراف الغربية- لا سيما الولايات المتحدة- بصورة أكثر عدلاً مع الصراع العربي الإسرائيلي، يسهم في التخفيف من حالة الغضب التي تجتاح الشارع العربي وتؤدي إلى إيجاد حالات من التشدد كردة فعل متوقعة لما تتعرض له بعض الدول العربية من انتهاك لسيادتها.

7- وقف التصريحات المعادية للإسلام والمسلمين في الغرب، سواء من قبل بعض وسائل الإعلام، أو بعض النخب السياسية والفكرية والدينية، لأن من شأن هذه التصريحات العدائية أن تستفز غضب العرب والمسلمين، وتولّد مشاعر غضب شديدة.

* * * * * * *

خلاصة القول: إن التطرف رد فعل على تطرف آخر. فالعنف لا يولّد إلا عنفاً مضاداً، وسرعان ما يتحول الأمر إلى حلقة مفرغة لا نهاية لها. وما لم تتم معالجة الأسباب التي تشكل أرضاً خصبة لانتشار الأفكار المتشددة في العالم العربي الغربي، فإن أي معالجات أمنية ستكون قاصرة عن مواجهة الظاهرة، بل قد تشكّل سبباً إضافياً لتناميها. ومن الأهمية بمكان أن تدرك كل الأطراف الطور الجديد الذي تمرّ به ظاهرة التطرف في ظل المعطيات القائمة.

* رئيس تحرير صحيفة (السبيل) الأردنيّة

===============

#الحركة الإسلاميّة وتحدّيات الإصلاح والتنمية

إبراهيم غرايبة 1426/3/21

2005/04/30

تواجه الحركة الإسلامية في مرحلة المشاركة في المشروع الأمريكي للإصلاح والتحول إلى العمل الوطني والإصلاحي والتنموي بعد مرحلة طويلة من التركيز على العمل السياسي العام في مجال القضية الفلسطينية والقضايا القومية والإسلامية الكبرى- جملة تحدّيات رئيسة وكبرى ستقرر مصيرها وقدرتها على الاستمرار والبقاء والنمو.

فهذا التحوّل يقتضي إعادة صياغة وإنتاج برامجها وهياكلها وعضويتها وتركيبتها التنظيمية والعضوية وأفكارها ومواقفها بما يلائم التحولات الكبرى المتوقعة في خطابها وبرامجها ووسائلها وعلاقاتها. فأن تكون الحركة الإسلامية حزباً حاكماً أو شريكاً في الحكم يعني مطالبتها ميدانياً وعملياً بتحمل ومواجهة قضايا واقعية ميدانية ومجتمعية، وهو تحول لن يقل في عمقه وصدمته عن تحول الحركة الإسلامي في تركيا عندما أعادت إنتاج نفسها في حزب العدالة والتنمية.

لن تعود الحركة الإسلامية جماعة تعبر عن الضمير العام، والموقف الرومانسي المعلن والمرغوب للمجتمع والناس، ولكنها ستكون شريكاً ومسؤولاً يتعرض للمحاسبة ويطالب بإنجازات سياسية واقتصادية لم يكن يعمل بها ابتداء، ولا يعني هذا التحدي

حتمية الفشل، ولكنه يعني بالتأكيد تحولها إلى حزب سياسي اجتماعي أقرب إلى العلمانية، وتتلاشى المرجعية الأيدولوجية لتحل مكانها فكرة أو فلسفة عملية وتطبيقية محكومة بالمصالح والفرص والممكنات.

وبالطبع فإن الحركة الإسلامية في الأردن منذ بدء مشاركتها في العمل السياسي وإنشاء حزب جبهة العمل الإسلامي قد قبلت عملياً وأيدولوجياً العمل من خلال الدستور والقوانين والعقد الاجتماعي السياسي المنظم للحياة السياسية، ولم يعد للخطاب الأيديولوجي قيمة تنظيمية أو عملية إلا بمقدار دعمه للبرامج والأفكار العملية المتبعة، وتستطيع الجماعات في كل الأديان أن تجد في الدين إطاراً مرجعياً يبرّر ويفسر المواقف والبرامج مهما كانت تبدو متناقضة ومختلفة.

وهكذا فإن المشاركة في الحكم وقضايا المرأة والتسوية السياسية وغيرها ستخضع لمراجعة فكرية وتنظيريّة تجعل المواقف الجديدة صحيحة ومنسجمة مع الضمير العام الذي اتبع لعقود طويلة.

وربما يكون هناك خيار حاسم يشبه خيار حزب العدالة والتنمية، وهو التخلي نهائياً عن "الإسلاميّة" أي الفكر والنظام السياسي والاجتماعي للمسلمين وليس الإسلامي، ودولة المسلمين وليس الإسلامية.

وبالطبع فإن التجربة وتحولاتها لم تقتصر على تركيا، ولكنها طُبقت في السودان، وإيران، والبوسنة، والعراق، وأفغانستان.

وهي تحولات لم تكن سلسلة وتلقائية، فقد صاحبها في كل الأمثلة والحالات السابقة آلام وانقسام وتحديات وتراجع وتغيّر ونزاع وتعديل مستمر في المواقف والأفكار، حتى تحولت التجربة الإسلامية إلى حالة سياسية مجتمعية محكومة بالمعطيات والتفاعلات الجارية أكثر مما تحكمها الأفكار والنظريات.

فقد انقسمت الحركة الإسلامية في السودان عام 1977 عندما قررت المشاركة السياسية مع الرئيس جعفر النميري بعد سنوات من المقاومة والاعتقال، ثم انقسمت المجموعة السياسية التي أنشأها الترابي عام 1999، وهاهو الترابي في السجن على يد رفاقه وتلامذته، وانقسمت الحركة الإسلامية في تركيا، وفي أفغانستان وفي العراق على خلفيات المشاركة والبيئة السياسية المحيطة بالعمل.

وتواجه الحركة الإسلامية في الأردن تحدياً إضافياً مختلفاً عنه في الأقطار العربية والإسلامية الأخرى، فقد بقيت الحركات الإسلامية غير الأردنية مرتبطة بقضايا المجتمع والبلد الذي تعمل فيه، وإن كانت مشاركتها وتجربتها ظلت مرتبطة بمرجعية فكرية وأيديولوجية أكثر مما هي ميدانية وعملية، ولكن الحركة الإسلامية في الأردن كانت في حالة ابتعاد كبير عملي وفكري عن القضايا والبرامج الوطنية والإصلاحية، وقد أنشأت خطابها وجمعت مؤيديها وأعضاءها وأنصارها على أساس القضية الفلسطينية، ومعارضة التسوية السياسية، والتمسك بالحقوق الفلسطينية، وتشكل برنامجها النيابي (الذي يكاد يكون التجربة السياسية الوحيدة) على أساس التعبير عن المطالب الفلسطينية.

هذا الخطاب يتعرض اليوم إلى انعطافة كبرى ومراجعة استراتيجية تعيد النظر في وجوده ومبرراته بعد تحول حركة حماس في فلسطين إلى العمل السياسي ومشاركتها في السلطة الوطنية ومنظمة التحرير والانتخابات البلدية والتشريعية الفلسطينية.

وهنا سيكون التحدي الإضافي، وربما المصيري أمام الحركة الإسلامية الأردنية في إعادة إنشاء برامجها وتجميع الأعضاء والمؤيدين على أسس جديدة مختلفة كثيراً عن المرحلة السابقة، وهو أمر لن يكون سهلاً ولا تحكمه فقط اعتبارات داخلية وبرامجية.

===============

#واجب تغيير المناهج

يوسف الحجيلان 1426/3/5

2005/04/14

إن منطق الهيمنة الذي تفرضه القوة شطر من قاعدة أن القوة مادة البقاء وقوام الحياة. وفي عالم يؤمن بالمادة لا غير ويعتقد بالمحسوس، وتبقى المثل والتقاليد (رشوت) خطابات ومواد دعاية وإكسسوارات تُستخدم عند الحاجة!!

تبقى هذه القاعدة أكثر رسوخاً وواقعية.

وفي أتون هذا الواقع وسيادة هذا المنطق تبقى تبعات الحادي عشر من سبتمبر تساؤلات يتصدر إجابتها بسطاء يرون أن ما تبعه من تغيّرات مسبَّب ونتيجة له.

ومتجاهلون ينظرون بعين طُوّعت لتنظر ما يروق لها، ويوافق توجهاتها لا غير, من قبيل أنه –ومنذ الأزل– وأمريكا تخطط لمثلما فعلت بعد هذا الحدث, ووفق كلتا النظريتين: يكون هذا الحدث وتبعاته على المسلمين شبيهاً بقتل خوارزم شاه لتجار التتر، وما جره ذلك الحدث من ملاحم ومذابح على أمة الإسلام, أما عداء أمريكا فمحل وفاق عند الطرفين.

وعلى كل حال فمؤشر التوجّس والخوف الأمريكي من الشرق وخطر الإسلام والأصولية، وما يحمله الفكر الجهادي من خطورة على الغرب واضح الارتفاع والتغير، وخطاب الديمقراطيين فضلاً عن الجمهوريين واضح صريح على لسان كلينتون, بمعاقبة الدول التي لا تسمح لأهل الديانات الأخرى بممارسة شعائرهم على أرضها.

وإن غازلت دوائر الاستخبارات الأمريكية بعض الفصائل الجهادية في بعض النقاط الساخنة لكن من باب عدو عدوي صديقي، وأحياناً كحلقة من مهمة الاستخبار والرصد.

وبعد سبتمبر أجلبت أمريكا بخيلها ورجلها وحدّها وحديدها في استغلال واضح مكشوف لبيئة أوجدها الحدث؛ فصار العالم مهيّئاً لتقبل كل ما يمكن أن يصدر عن أمريكا. واستشفّ صُنّاع القرار الأمريكي تلك الاستجابة فقالوا: من ليس معنا فهو ضدنا، في إسقاط جليّ لكل معايير الحكمة، وإلغاء لحرية التفكير واستقلال القرار.

فأرعبت دول العالم ووجدت نفسها تُساق راغمة أو راغبة لتستجيب للنداء الأمريكي لمكافحة الإرهاب، وضرب أصوله وتجفيف منابعه.

وكانت زأرة الأسد الجريح كافية لتبليغ الرسالة وتحديد المهمة، ولم تكن الحكومات بحاجة لجسّ المصداقية واختبار النوايا.

كيف وهي ترى بأم عينها حاملات الطائرات والبوارج والقاذفات العملاقة، وعشرات الألوف من نخبة الجيش الأمريكي تمخر عباب البحر، وتشق عنان السماء متوجهة شرقاً لمحو دولة طالبان من الخارطة السياسية.

في تطبيق واضح صريح للشعارات التي رُفعت إثر الحدث.

وبدأت مصانع القرار الأمريكي ممثلة بوكالة الاستخبارات والمباحث الفدرالية ومكاتب الأمن القومي والبنتاجون، ومئات النفعيين من يهود ونصارى متعصبين ورأسماليين بدؤوا كل يعمل على شاكلته، ويخدم منفعته من خلال وضع ما يُسمى بسياسة القضاء على الإرهاب مسخّرين في سبيل ذلك كل المنظمات العالمية ومطوعين كل النظم، وبحجة أنهم اكتوَوْا بناره فكلمتهم الأولى بأن تسمع في سبيل مكافحته.

وعلى الأثر بدأت القرارات والأنظمة تصدر في غير بلادها لتُطبّق حيث شاء الخصم، فاتُّهمت أمم وامتهنت معتقدات، وديست مبادئ، واستبيحت حرم بهذه الحجة.

وكانت مناهج التعليم والمدارس الدينية وحلق العلم والقرآن بل القرآن نفسه والسنة كان هذا كله أول من دخل قفص الاتهام والمحكمة، ولم يخرج بتهمة التنظير للإرهاب، ووضع قواعده فهو بحاجة لفلترة وتنقيح حتى يواكب المجتمع المدني المتحضر، ويساير ركب المعاصرة، ويليق بزمن المنظمات الإنسانية والحقوقية.

وهنا سؤال فرضه واقع: هل كانت المناهج التعليمية وما صحابها، فعلاً ترقى لمستوى التهمة فهي بحاجة لإعادة نظر وفلترة وصياغة جديدة.

والجواب ذو شقين :

أولاً: إن عدداً كبيراً ممن شاركوا فيما يُسمّى بعمليات إرهابية بل وحتى في حدث سبتمبر نفسه، تعلّموا إما في بلاد علمانية بحتة، أو في دول لا تعطي مدارسها للمنهج الديني كبير اهتمام؛ فتدرس أبواباً في الآداب العامة لا تمسّ من قريب ولا بعيد أبواب الجهاد والولاء والبراء والتكفير وغيره.

ثانياً: هذه المدارس والمناهج والحلق محل التهمة كانت فجذورها تضرب في التأريخ قدماً، ولم تحدث شيئاً من هذا فما معنى أن يكون اليوم هو ميلاد مفعولها ونتاج دراستها وثمرة جهدها؟

وهل احتاجت ثلاثمائة سنة من الحملات الصليبية على بلاد الإسلام، ثم بعدها الاستعمار الإمبريالي وما نتج عنه من عسف وقهر واضطهاد؟ وهل احتاج هذا كله لأكثر من سايكس بيكو وبطرس الناسك وشره الكنيسة؟ وهل احتاج التراجع والانكفاء لتغيير في مناهج معاهد اللاهوت والكليات الإنجيلية وسراديب الفاتيكان؟

يتفق المربون وعلى كافة الأصعدة والمستويات على نظرية: أن الدرس العملي التطبيقي أبلغ من الطرح النظري في إيصال المعلومة وبلوغ الهدف المرجو، ومنذ نهاية الاستعمار، وإلى اليوم مروراً بعصر الحرب الباردة ثم تحول العالم إلى أحادية القطب والسياسة الأمريكية ما انفكت تدرِّس شعوب الشرق الإسلامي نظرية العداء لأمريكا والغرب، وبأطروحات متنوعة، ومدارس شتى من خلال الحصار الجائر وتجويع الشعوب، وقتل الكرامة واستباحة الخيرات والمعايير المزدوجة، وصبّ جامّ غضب أمريكا على هذه الشعوب، وتجريب الآلة الحربية المتطورة مباشرة أو بقيادة إسرائيلية ،وعدم الاكتراث بما يجري لهذه الشعوب بل القتل الصريح وبدم بارد بحجة أنها جزء من محور الشر أو داعمة للإرهاب أو خارجة عن القانون الدولي أو غير ذلك من (مانشيستات) الاتهام الجاهزة لمثل هذه الأغراض أصلاً.

تلك الدروس وهذه المدارس نجحت وبجدارة في أداء دورٍ عظيم جعل العداء لأمريكا ومن سار في قطبها عقيدة أكثر رسوخاً وقناعة في الشرق، ودفع بالمئات من الشباب لاسترخاص الموت في سبيل الدفاع عن أرض تُستعمر ودين يُداس وكرامة تُمتهن.

كنا ندرس أن الغرب أكثر إفادة من دروس الماضي، وأن مراكز الرصد لديه لا تفوّت شيئاً في سبيل ضمان عدم تكرار الخطأ. ولكن ها هي أسئلة يطرحها البسطاء ألم تتأدّب أمريكا من مدرسة فيتنام والصومال، وورطة الروس في أفغانستان والشيشان؟!

بعد سبتمبر مباشرة كان القرار الأمريكي الأول وحتى قبل ثبوت التهمة هو ضرب بؤرة العمل الجهادي ومصنع رجالاته ومدارسه أفغانستان، وكانت تطمح إلى ضربة قاضية تكون بداية النهاية لهذا الفكر، غير أن الواقع أثبت أن تفجير قنابل الميكروويف في بانشير وتورا بوار وهندكوش تسبب في تطاير الشظايا إلى كل بلاد العالم تحمل معها أمانة التجنيد للفكر الجهادي وصنع المساحات الكافية لبناء قواعد المدّ اللوجستي والبشري، وتصعيد التعاطف الشعبي الموجود أصلاً ومن خلال دروس ماثلة واقعية يجسدها ما ترتكبه الآلة الأمريكية من ذبح وهدم ودمار ليرقى هذا التعاطف إلى مستوى التفاعل والدعم والتضحية.

إنها حقيقة مرة في المذاق الأمريكي أن يكون نتاج العمل لضرب هذا التوجه بداية ميلاد العشرات من المحاضن المشابهة بل التابعة، وبحالة يصعب معها المتابعة والرصد, إن لم يستحل.

فلم لا يكون والحالة هذه الممثل الحقيقي لدور خوارزم شاه هم الأمريكان، ومن قال من ليس معي فهو ضدي في عقلية لم تعرف الآخر إلا بعد أن اكتوت بناره. إن التأريخ يثبت بالتجربة أن الضربات كلما كانت أقسى كلما كانت أنجع في عملية إيقاظ الأمم من سباتها وبث روح التحدي لديها.

وإن من سوء التدبير أن تطارد أمريكا العائدين من أفغانستان فتلجئهم بطريقة عجيبة إلى أن يكونوا أكثر ولاءً لمبادئهم، وتضحية من أجلها؛ فقد تبين لهم أنه ليس فقط طالبان أو القاعدة في أفغانستان هما المطلوبين في هذه العملية، بل كل من يحمل الفكرة ويدين بها، ولو لم يسع لتفعيلها.

أضف إلى ذلك معتقلات كوبا، والتي أضحت تقوم بدور قميص عثمان لكن بطريقة سلبية، ثم الإكراه الأمريكي للحكومات أو تفاعل بعضها بلا إكراه مع الطلب الأمريكي باستخدام سياسة القوة والاعتقال ضد كل أطياف التيار: سلمه وحربه، وهذا نهج ثبت عدم جدواه مع الجماعات القتالية في العالم، بل وبعد سنين من المعارك والقتل كانت طاولة المفاوضات هي الملجأ للحلّ. إن ما يُمارس على أرض الواقع من ضرب لما يُشتبه أنها معاقل للتيار أو مصادر تمويل له، والأخذ بمجرد الظنة، وإلغاء كل دعاوى الديمقراطية والتعايش، إن بعض هذا يكفي لشحذ همم المئات من الشباب كي تتحول من مجرد الولاء إلى تفعيل الدور والقيام بشيء ما.

ويا لَغباء الأمريكان حين نقلوا المعركة إلى حيث شرايين حياتهم (العراق) وموارد طاقتهم الخليج!! إن الصراعات الأيديولوجية لا يحسمها الحديد والنار وهذه من المسلمات.

فأيّ المناهج أجدر بالمراجعة وأحق بالتغيير؟!

==============

وفاة البابا... صانع مجد الكاثوليكيّة

في العصر الحديث

د. بدران بن الحسن 1426/3/1

2005/04/10

لقد توفي البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان بعد رحلة طويلة مع المرض. أما الهالة الإعلامية التي أُقيمت على وفاته فهي جد مثيرة، وغير مسبوقة في تاريخ الرموز الدينية المسيحية. وفي الحقيقة لقد هالني هذا الاهتمام المنقطع النظير بوفاة هذا الرجل، وخاصة بكاء المسلمين عليه، وبالأخص معظم القنوات العربية التي اهتمت بموته بطريقة لا تصدق.

فمن هو البابا يوحنا بولس الثاني؟ وما هي أهم إنجازاته؟ ولماذا هذا الاهتمام العالمي به؟

من هو يوحنا بولس الثاني؟

البابا يوحنا بولس الثاني، بولندي الجنسية واسمه الحقيقي "كارول جوزيف فوتيلا" ولد في 18 أيار عام 1920 في بولندا لأب كان يعمل موظفاً في الجيش البولندي. وقد تدرج في السلم الكنسي من راعي إلى أسقف إلى كاردينال إلى أن اختير للمنصب البابوي، ورئيساً للكنيسة الكاثوليكية في عام 1978 ليكون أصغر من تولّوْا هذا المنصب في القرن العشرين. ومضى البابا ليصبح أحد أكثر الوجوه المألوفة في العالم. وقد كان يبلغ من العمر آنذاك (58) عاماً، وهو البابا رقم (265) في تاريخ باباوات الكنيسة الكاثوليكية، كما يُعتبر أول بابا غير إيطالي يتقلد هذا المنصب منذ (465) عاماً. وقد وصل يوحنا بولس الثاني إلى "الكرسي البابوي" بطريقة دراماتيكيّة أثارت العديد من الشبهات حوله، وحول القوى الداعمة له، فقد خلف يوحنا بولس الأوّل الذي لم يبق في منصبه سوى (33) يوماً؛ إذ قيل: إنه سُمّم لأنّه لم يكن مناسباً للمرحلة الخطيرة في ذلك الوقت على الصعيد العالمي، وتمهيداً لقدوم بولس الثاني الذي قيل أيضاً: إنه في حقيقة الأمر من أصول يهودية، وإنه بدّل دينه عند انتقاله من تشيكيا وهي بلده الأصلي إلى بولندا كما فعل بعض اليهود آنذاك خوفاً من بطش النازيين كما يدّعون، وخاصة من شاهد الحصة التي أنجزتها القناة التلفزيونية الأمريكية (CNN) يوم وفاته، وذلك الحوار مع أصدقاء طفولته اليهود الذين شهدوا بقربه منهم ومحبتهم له ومعرفتهم بحقيقة شخصيته. بل إن المتأمل في

مسيرته يرى من وراء ذلك مختلف المخططات الأمريكيّة الأوروبيّة التي دعمت وصوله آنذاك، ومختلف مخابر صناعة الزعماء كيف سهرت على تلميع صورته وإبرازه زعيماً دينياً متسامحاً مع الجميع، وممثلاً ليسوع المسيح (بزعمهم)، وتجدّدت الشبهات حول اختياره مرة أخرى عندما أصبح البطل الأهم في إسقاط الشيوعية في بلده بولندا، ومرة أخرى عندما قدّم الفاتيكان اعترافاً دبلوماسياً رسمياً بدولة إسرائيل، وثالثاً عندما ذهب لحائط المبكى واعتذر لليهود عمّا قام به أسلافه في حقهم. وبغض النظر عن صدقية القول: إنه من أصل يهودي، فإن ما يهمنا هنا هو هذه الشخصية المثيرة في التاريخ المسيحي المعاصر، وتاريخ العالم المعاصر ككل، وأهم ما قام به.

لقد كان من أذكى الباباوات في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية الممتد 2000 سنة، ومن أكثرهم جرأة على ممارسة نفوذه بقوة شخصية فريدة من نوعها، كما أنه من أكثر الباباوات ممارسة للعمل السياسي والاجتماعي، وأكثرهم حضوراً في عالم ما بعد الثورة الفرنسية التي غيّرت وجه أوروبا إلى ما يسمى بالعلمانية وانحصار الكنيسة في أداء دورها التعبدي الشعائري. فقد أخرج الكنيسة من جمودها، ودفع بها إلى ممارسة دورها الاجتماعي في توفير الإيمان والدعم الأخلاقي في وجه الماديّة المهيمنة على العالم اليوم، مما استعاد للكنيسة الكاثوليكية خصوصاً، والنصرانية عموماً حيويّتها، وخاصة في أوربا الشرقية وأمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا وأفريقيا. وشملت جولاته البابوية الطويلة أكثر من (120) بلداً، وأحرز لنفسه سمعة دولية كداعية للسلام. وفي عام 2000 قام البابا بخطوة ذكية لها دلالاتها الدينية والحضارية والسياسية بزيارة للمشرق العربي (الشرق الأوسط كما يُقال في الإعلام الغربي والعربي التابع) للاحتفال بذكرى الألفية الثانية، واقتفاء لخُطا القديس بولس، شملت الناصرة في فلسطين ونُصب ضحايا المحرقة النازية في إسرائيل، ودير القديسة (سانت كاترين) في سيناء بمصر. واشتهر البابا بدعوته المستمرة للحوار بين الاديان، وتعزيز التفاهم بينها. ولذلك فيمكن القول: إنه قام بدور لا يعادله دور أي شخصية دينية خلال القرن العشرين الماضي في العالم الغربي.

دوره في هدم المعسكر الشيوعي:

قام البابا بأداء دور محوريّ تاريخيّ في هزيمة الشيوعية بشكل سلمي عام 1989، وذلك في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي، ونهاية الحرب الباردة التي أدت إلى إعادة التوحيد التاريخي لأوروبا في أيار (مايو) 2004 الماضي عندما انضمت بولندا وثماني دول شيوعية سابقة إلى الاتحاد الأوروبي.

فقد تمكن الفاتيكان عبر البابا من لعب دور أساسي في القضاء على الشيوعية وانهيار الكتلة الشيوعية في أوروبا الشرقية، وقد قاد بنفسه الحملة لإسقاط النظام الشيوعي، ليس في موطنه بولندا فحسب، بل وفي معظم دول ما كان يعرف بالكتلة الشرقية. وهذا مما كثف من النشاط السياسي المباشر للفاتيكان مما يخالف الأعراف العلمانية الغربية كما يدّعون، وهذا أيضاً ما يؤكد أن العلمانية التي في الغرب ليست ضد الدين وإنما علمانية ضد الكهنوت والتسلّط الكنسي، لكننا إذا وجدت في الكنيسة سنداً لتحقيق مقولاتها فإنها سرعان ما تفتح البابا للدين لقيادة بل وصياغة مفردات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، وهذا ما نلاحظه من نشاط للفاتيكان خصوصاً في حماية القيم الأخلاقية في مواجهة ثقافة الشذوذ والإباحيّة، وفي مشاركة الفاتيكان في إسقاط النظام الشيوعي المخالف لسنن الفطرة.

أما العلمانية التي صدّرها لنا الغرب فهي علمانية تسلّطية جاهلة متخلّفة ومتحكمة في مصائر الشعوب، ولا تعي دورها سواء في إطار نسختها الغربية التي جاءتنا بها، أو في إطاراتها المختلفة بعد إدخال كثير من المسميّات عليها مثل: الديمقراطية المحليّة، والإصلاح السياسي، أو الحكم الرشيد، أو حرية العقيدة وغيرها.

وفي سياق الدور الذي قام به يوحنا بولس الثاني في هدم الكيان الشيوعي، فإن كثيراً من الدراسات تشير إلى الخلفية التي أتى منها وهي خلفية بولندية ذات بيئة يهودية، ولذلك فإما أن أصوله يهودية، أو ذات صلة وصداقة باليهود، وهذا ما عجل بوفاة سلفه بطريقة غامضة؛ لأن يوحنا بولس الأول -كما يُقال- كان لا يتلاءم مع المشاريع المناهضة للشيوعية لكونه مناصراً للفقراء والمزارعين والفلاحين ومتمسكاً في موقف الكنيسة الصلب من اليهود.

ولذلك فإن المصالح العليا للغرب اقتضت خرق عُرف دام قرابة خمسة قرون وتنصيب بابا غير إيطالي، خاصّة وأن هذا البابا يرجع إليه الفضل في إعادة

العلاقات الدبلوماسية للفاتيكان مع الولايات المتحدة عام 1984 في عهد الرئيس اليميني المسيحي الأمريكي رونالد ريغان.

وبدأ دور البابا في خلخلة الاتحاد السوفيتي منذ استلامه منصبه ففي 2 يونيو 1979 بعد ثمانية اشهر فقط من انتخابه واعتلائه الكرسي البابوي. عاد يوحنا بولس الثاني إلى موطنه الأصلي بولندا (مقر حلف وارسو) لمدة تسعة أيام لزيارة كانت بداية انهيار الاتحاد السوفيتي من خلال دعمه لاتحاد نقابات العمال المستقلة (تضامن) في بولندا حيث ساعدها على الوصول للسلطة لتصبح أول حكومة حرة في الكتلة الشرقية، ومن خلال مطالبته القوية بحرية العقيدة والممارسة الدينية في دول العالم الشيوعي وبخاصة في وطنه.

وكان ممّا قاله في الجموع المحتشدة هناك: "إن المسيح يحارب الشيوعية، لا تكونوا اشتراكيين، نفهم من الكاهن الأكبر، نريد الله في مدارسنا، نريد الله في منازلنا.."، وكان البابا قد أصدر قبل عام ونيّف كتاباً بعنوان (الذاكرة والهوية) قال فيه: إن الشيوعية كانت "شراً لابد منه، وإن هذا الشر المستطير كان يبتلعنا".

والكل يتذكر كيف توالت الانهيارات التي شهدها المعسكر الشرقي ابتداء من بولندا وانتهاء بيوغسلافيا، وكيف استعادت المسيحية دورها من جديد، وكيف انضم نصارى أوروبا الشرقية إلى إخوانهم نصارى أوربا الغربية تحت لواء أوروبا الموحدة، وكيف يتم التأكيد مرة بعد أخرى على أن المسيحية هي الدين المهيمن في أوربا الموحدة، وكيف يعارض كثير من ساسة أوروبا انضمام تركيا؛ لأنها ليست مسيحية، وهو ما يشكل إدخال عنصر غريب في الجسم المسيحي الأوروبي، كما يؤكد ذلك رجالات الكنيسة وكثير من ساسة أوروبا من أصحاب القرار.

تبرئة يهود من دم المسح، وتعاطف مع إسرائيل

أما فيما يتعلق باليهود فإن يوحنا بولس الثاني ما كاد يقضي الثلاث سنوات في منصبه حتى أعلن في عام 1982 الاعتراف بدولة إسرائيل من باب الحق الديني. ثمّ قام البابا بتغيير جذري في مفاهيم الكنيسة يتناسب مع التطورات والتغييرات التي قام بها منذ اعتلائه كرسي الفاتيكان، فأصدر الفاتيكان عام 1985 وثيقة حول "العلاقات الكاثوليكية اليهودية"، وحثّت الوثيقة جميع الكاثوليك في العالم على استئصال رواسب

العداء للسامية وذكّرتهم أن المسيح عبراني أيضاً، ولذلك يجب تفهّم تمسّك اليهود بأرض أجدادهم.

واستمر هذا التغيير الدراماتيكي في موقف الكنيسة من اليهود إلى أن حصلت خطوة أخرى تؤكد الصلة الوثيقة بين ماضيه المتصل باليهود وقراراته المناصرة لهم وللصهيونية، وبين التساؤلات المثارة حول من دفع به إلى زعامة الفاتيكان، فقام في عام 1986 بزيارة كنيس يهودي في روما ليكون بذلك أوّل بابا في تاريخ البابوية يزور كنيسا يهوديا، ثمّ قدم اعتذاراً خطّياً وشفهياً عما يسمى "بالهولوكست اليهودي" عبر الوثيقة الصادرة عن الفاتيكان في 1998/3/16، وجاء فيها: "عندما طردت النازية من أراضيها جموع اليهود ووحشية الحركات العنيفة التي أصابت أناساً عُزّلا من السلاح، كل هذا كان يجب أن يحرك الشك بما هو أسوأ، هل قدم النصارى كل مساعدة ممكنة للمطاردين وبخاصة اليهود؟ لا نستطيع أن نعرف كم عدد النصارى في الدول التي احتلتها أو حكمتها القوى النازية أو حلفاؤها، احتجوا بغضب على فقدان جيرانهم اليهود، ولم يكونوا شجعاناً بما فيه الكفاية لسماع أصواتهم المعارضة، وللنصارى أقول: إن هذا الحمل الثقيل الجاثم على ضمائرهم بخصوص إخوانهم وأخواتهم خلال الحرب العالمية الأخيرة يجب أن يكون مدعاة للندم".

وفي الحقيقة فإن هذا يعتبر تواصلاً مع ما أصدره الفاتيكان سنة 1965، من وثيقة "تبرئة اليهود من دم المسيح" بعد ضغوط كبيرة من اليهود والصهيونية العالمية التي ضغطت بشكل كبير على الكنيسة بمساعدة الولايات المتّحدة وأوروبا، خاصّة فيما يتعلّق باتّهام الكنيسة بالتواطؤ مع النازية التي افتعلت "الهولوكوست" كما يدّعون. وقد كان يوحنا بولس الثاني أحد أهم الذين صاغوا تلك الوثيقة ويعتبر من مهندسيها.

وفي سنة 1991 صرح يوحنا بولس الثاني بأنه يصلّي من أجل أن يحيا "إخوتنا اليهود" بسلام في أرضهم. ثم في كانون أول من عام 1993 وقّع الفاتيكان وثيقة تبادل دبلوماسي مع دولة إسرائيل، وفي نهاية عام 1997 قدم البابا يوحنا بولس الثاني وثيقة بعنوان (نحن نتذكر) لمناقشة وتعديل النصوص في العهد الجديد التي تحمّل اليهود مسؤولية صلب المسيح وقصة تلاميذ المسيح بصفة خاصة، وكان يشير إلى مثل النص الإنجيلي القائل لليهود على لسان المسيح عليه السلام: "أيها

الشعب الغليظ الرقبة، يا أولاد الأفاعي، يا أبناء الشيطان، أنتم لستم من أبناء إبراهيم، أنتم أبناء الشيطان" إلى أنه معاداة للسامية، فعمد إلى طمسه.

خاتمة: من بابا جدار برلين إلى بابا ما بعد 9/11

هذان أهم إنجازين حققهما البابا يوحنا بولس الثاني طيلة تربّعه على الكرسي البابوي للكنيسة الكاثوليكيّة، غير أن هذا لا ينسينا ما قام بإنجازه على مستوى توحيد الكاثوليك في العالم بطريقة لم يسبق لها مثيل، واسترجع دور الكنيسة ومكانتها، كما أنه عمل على الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بأنه نبي، وأن القرآن موحى إليه وليس من تأليفه، بعدما كان النصارى يرون النبي –صلى الله عليه وسلم– مهرطقاً في كتبهم الكنسيّة على مدار التاريخ، ابتداء من يوحنا الدمشقي إلى جيري فالويل الأمريكي الذي يقود التيار المسيحي المتصهين اليوم.

كما أنه ساهم في نشر المسيحية في العالم الاسلامي والعالم أجمع بطريقة رهيبة من خلال شعار المحبة والتسامح، وهذه أخطر الإستراتيجيات التي رسمها الفاتيكان ويوحنا بولس الثاني على رأسه.

بقي أن نقول في الأخير: إن الغرب يعرف كيف يصنع زعاماته وينيط بها أدواراً تاريخية من أجل تحقيق أهدافه الحضارية دينية كانت أم سياسية أم اجتماعية أم ثقافية. ولذلك فإنهم الآن يحضّرون لبابا جديد يتلاءم مع ما بعد 11سبتمبر والملفات الشائكة التي أفرزتها التغيرات الكبرى التي حدثت بعد سقوط المعسكر الشرقي، وتوحّد أوروبا، والحرب على الإرهاب، والصراع على القدس، والحفاظ على هوية أوروبا المسيحيّة وتضمينها الدستور الأوروبي، والحوار بين الأديان، وخاصة مع الإسلام والمسلمين، واليمين المسيحي المتصهين (البروتستانتي الإنجيلي خاصة)

==============

آمنة ودود وجحر ضبّ الفيمينزم

(Feminism)

د. بدران بن الحسن 1426/2/24

2005/04/03

مشهد من أحد فصول المسرحية:

في سابقة هي الأولى من نوعها أمّت امرأة أميركية من أصل افريقي صلاة الجمعة التي اختلط فيها النساء بالرجال مما أثار احتجاجات واتهامات بالاساءة الى الدين من مسلمين آخرين أكّدوا على أنه لا إمامة إلا للرجال.

نظمت الصلاة المثيرة للجدل منظمة تدعى "جولة حرية المرأة المسلمة" والموقع الإلكتروني "صحوة الإسلام". وأصبحت آمنة ودود، أستاذة الدراسات الإسلامية في جامعة فيرجينيا، أول امرأة تؤم صلاة جمعة مختلطة، حضرها نحو مائة من الجنسين، جلسوا متقاربين، في قاعة "ساينوت هاوس" في "كتدرائية سانت جون ذا ديفايد"، بعد أن رفض المسؤولون عن بعض المساجد السماح لها بإمامة الصلاة. وحاولت في خطبتها تبرير موقفها من إمامة الصلاة، وقالت: إن الدين الإسلامي يساوي بين الرجل والمرأة وأن لها الحق في إمامة الصلاة.

أقيمت الصلاة وسط إجراءات أمن مشددة بكنيسة سينود هاوس التابعة لإحدى الكاتدرائيات بمدينة مانهاتن. وكانت أماكن أخرى رفضت استضافة الحدث بعد تلقي تهديدات.

وقالت ودود في مؤتمر صحفي حاشد قبل الصلاة: "لا أريد أن أغير من طبيعة المساجد. أريد أن أشجع قلوب المسلمين على الإيمان بأنهم متساوون" مضيفة أنها تتمنى المساعدة في إزالة "القيود المصطنعة والمزعجة" التي تستهدف المرأة المسلمة.

وكانت إسراء النعماني منظمة الحدث أثارت جدلاً العام الماضي عندما دخلت مسجداً بمنطقة مورجانتاون بولاية وست فرجينيا من الباب الأمامي المخصص للرجال.

وقالت النعماني: "اليوم تنتقل النساء المسلمات من خلفية المسجد الى الأمام. إنه حدث تاريخي".

وتؤكد أمينة ودود مؤلفة كتاب " القرآن والنساء إعادة قراءة النص المقدس من وجهة نظر المرأة" حق النساء في إمامة الصلاة مشدّدة على أن قيام الرجال بهذا العمل "هو أمر مجحف".

وقال بيان صادر عن منظمة " مسلمون استيقظوا" و" حرية النساء المسلمات": إن النساء المسلمات سيحصلن اليوم على حقوقهن الروحية مضيفاً أن النساء سينتقلن من مكانهن التقليدي في آخر المسجد إلى الصفوف الإمامية.

وقال محمد شمسي علي نائب إمام المركز الثقافي الإسلامي في نيويورك: إنه «لا مانع لدينا في أن تؤم ودود بمصلين من النساء فقط، فهذا حق منحها إياه الله، ولكن إذا كانت ستؤم بالرجال أيضاً فهذا غير مسموح في الإسلام لأنه يتعارض مع الشعائر الدينية المتبعة».

واستنكر مجمع فقهاء الشريعة بأميركا إمامة المرأة لصلاة الجمعة. وأصدر المجمع، ومقره ولاية ميرلاند، بياناً استبشع فيه إمامة المرأة للصلاة، ووصفه بالموقف البدعي الضالّ، وحذّر المجمع من الافتتان بمثل «هذه الدعوات الضالة المارقة من الدين، والمتبعة لغير سبيل المؤمنين»، ودعاهم إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، والنظر عمن يأخذون دينهم.

وقال منظمو الحدث: إنه يأتي ضمن حملة أوسع لتشكيل مجتمع جديد يعتمد على مبادئ وتعاليم الإسلام وخاصة العدل والمساواة.

وأضافوا في بيان أن النبي محمد أقام نموذجاً للمجتمع في المدينة المنورة في القرن السابع، وفي القرن الحادي والعشرين "نحن ملزمون بأقامة مجتمع حديث يعتمد القيم الدينية وكذلك على حقوق المرأة".

جحر الضب يبتلع مئات المسلمين

ولعل المشهد السابق يذكرنا بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم– الذي حذرنا فيه من تتبع كل ما يرد إلينا من أهل الكتاب أو بالأحرى اليهود والنصارى، حيث جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: " لتتبعُنّ سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن؟" (البخاري/ الاعتصام بالكتاب والسنة/ قول النبي –صلى الله عليه وسلم– لتتبعن سنن من كان قبلكم).

وجاء في مسند أحمد قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتتبعن سنن من كان قبلكم باعاً بباع وذراعاً بذراع وشبراً بشبر حتى لو دخلوا في جحر ضب لدخلتم معهم قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى. قال: فمن إذا" (مسند أحمد/ مسند المكثرين).

فالتقليد الأعمى الذي درج عليه كثير من أبناء المسلمين حذّر منه الحديث الشريف، وهو حالة من الاتباع النفسي والفكري الذي يأسر صاحبه ويجعله لا يرى الحق إلا كما يراه هؤلاء اليهود والنصارى. وخاصة في وضعنا الحاضر الذي يشهد الغلبة الحضارية والعسكرية والاقتصادي والتكنولوجية من قبل الغرب النصراني اليهودي وسيطرته على مجريات أمور العالم بما فيه العالم الاسلامي.

وقد عبر عن هذه الحالة ابن خلدون –رحمه الله – مستشفاً ذلك من حديث النبي – صلى الله عليه وسلم– ومن تجربته في دراسة تقلبات الامم والشعوب بقوله : "المغلوب مولع بتقليد الغالب"، وهي كما قلنا حالة مرضية نفسية وفكرية تؤثر على تصورات الناس وإدراكهم لحقائق الأشياء.

ولعل من أهم ما أثر على صاحبة المشهد المذكور سابقاً وأدخلها جحر الضب النصراني في نيويورك هو هذه الحالة من الامتهان والذل النفسي والانبهار بمفردات الحياة الغربية ذات المرتكز النصراني المحرّف، فكانت أن لجأت إلى التقليد الأعمى الذي جرها إليه "حركة الفيمينزم" أو الحركة النسوية الغربية ذات الامتداد في التاريخ الحضاري الغربي الذي طالما اضطهد المرأة وحرمها من كثير مما منحها الله لها، سواء في ذلك الحرمان الكنسي أو الحرمان الاجتماعي بفعل هيمنة المفاهيم الكنسية أو العلمانية التي تحتقر المرأة تارة وتنظر إليها بعين المتعة تارة أخرى.

فكانت الفيمينزم هي حجر الضب الذي وقعت فيه كثير من بنات المسلمين ومنهم آمنة ودود.

حجر الفيمينزم feminism: الأيديولوجيا الجديدة

قد يجد الكثيرون من المتابعين صعوبة في استيعاب ما ترمز إليه الخطوة التي قامت بها آمنة عبد الودود، ولذلك أثير نقاش فقهي حاد بين مختلف المتتبعين في مدى جواز إمامة المرأة لصلاة الجماعة، والجملة على وجه الخصوص.

ولكن ما ينبغي ان ننتبه إليه هو تلك العبارات التي تلفظت بها آمنة ودود من خلال تأكيدها على المساواة، وحق المرأة الديني في العدل والمساواة، ومحاولة إشارتها للمؤنث والمذكر في حق الذات الإلهية عند تفسيرها لبعض الآيات التي ذكر فيها اسم الله تعالى، وهو ما يعرف بالاتجاه الانثوي لفهم النص الديني (الفيمينزم).

فمنذ نشوء حركة فيمينزم في أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت مفاهيم حقوق المرأة ووجوب مساواتها بالرجل في كل شيء؛ في حق الملكية، والنشاط الاجتماعي، والممارسة السياسية، والتمثيل النيابي والانتخاب وغيرها، ووصل الأمر إلى ما يُعرف باللاهوت الأنثوي الذي حاول تأنيث كل العبارات المذكرة في الإنجيل.

وبمعنى آخر فإن حركة الفيمينزم نفسها مرت بمراحل تاريخية تأثراً وتأثيراً بمحيطها الفكري والاجتماعي والسياسي، وتبعاً للتطور الحضاري الغربي خاصة، وأهم التيارات الفكرية الموجودة به، والفاعلة على ساحته في كل مرحلة تاريخية.

تطور حركة الفيمينزم

1. مرحلة المشاركة الاجتماعية على قدم المساواة:

من الثابت في التقاليد الكنسية القديمة أن المرأة ذات وجود أقل قيمة من وجود الرجل، بل إنها مستبعدة من كثير من الطقوس الكنسية، والشعائر الدينية، والمسؤوليات لأنها إما "نجس" أو أنها "شيطان جميل" كما وصل إلى ذلك أحد المجامع الكنسية.

ومنذ بدايات حركة النهضة في أوروبا بدأت حركة تحرير المرأة تأخذ طريقها للتشكل والتهيكل. وقد شهدت هذه الحركة مرحلتين مهمتين من تطورها؛ أولها تمثلت في المطالبة بتحقيق المساواة من خلال تحسين واقع المرأة الاجتماعي والاقتصادي، حيث كانت المطالب تشمل تحقيق المساواة من خلال توفير فرص متساوية في مجالات التعليم والعمل والتدريب وأجور متساوية. وأعطى هذا التيار اهتماما أساسياً بخصوصية المرأة البيولوجية، وما يترتب عليها من حقوق أساسية؛ منها حق الاختيار واتخاذ القرار فيما يتعلق بالإنجاب، وحق التمتع بالأمومة ورعاية الأطفال والعمل خارج المنزل.

وركـزت هـذه المرحلـة ورموزهـا علـى المنـاداة بتحسـين واقـع المـرأة مـن خـلال الأبنيـة والمؤسسـات القائمـة فـي المجتمـع؛ حيـث تـم تعريـف المسـاواة فـي أواخـر القـرن التاسـع عشر بأنـها عبارة عن المساواة بين الرجل والمرأة أمـام القانون القائم، وكذلك التمثيل المتساوي في المؤسسات القائمة، إن إستراتيجية الليبرال فيمينزم بُنيت على أساس أن المساواة يمكن تحقيقها من خلال العلاقات الاجتماعية والوسائل القانونية والمؤسسات السياسية والاقتصادية القائمة في المجتمع.

ومـا يترتـب عليهـا مـن إجـازة الأمومـة مـن العمـل والضـمان الاجتمـاعي، والمطالبـة بتـوفير مراكـز رعايـة الأطفـال مـن دور الحضـانة وريـاض الأطفـال، والمطالبـة بحـق المرأة في التحكم في حياتها الإنجابية يعتبر جزءًا لا يتجزأ من مطالب هذه المرحلة.

2. مرحلة المساواة المطلقة أو العبثية

بـدأت المرحلـة الثانيـة مـن تطـور مفهـوم المسـاواة لـدى التيـار الليبرالـي مـن الفيمينـزم نتيجة لتأثرها بالتيارات الراديكالية والماركسية التـي بـدأت تنادي بالمساواة المطلقة من بدايـة النصـف الثـاني مـن القـرن العشـرين. حيـث ظـل الخطـاب السياسـي يطالـب بالإصلاح في إطار المؤسسات المختلفة القائمة داخل المجتمع، وحصل التغيير فقط في جانب تناول المجالات التي تتعلق بالمرأة. وأصبح خطاب التيار الليبرالي يتنـاول قضـايا الخـاص والعـام وأثرهمـا فـي نيـل المـرأة لحقوقهـا، ودور الحكومـات فـي تحقيـق المساواة بين الرجل والمرأة في المجال العام، وأثر ذلك في تحقيق المساواة في المجال الخاص. وكذلك الحرية الشخصية للمرأة، وقضايا أخرى شخصية ومتعلقة بالمرأة.

وبدأ النظر إلـى علاقة المرأة بالرجل من منظور الصراع بين جنسين وتمت الدعوة إلـى القضـاء علـى مفاهيم الـذكورة والأنوثـة، وظهـرت حركـات الشـواذ والعـاملين علـى إيجاد نموذج جنسي بديل لا هو بالذكر ولا هو بالأنثى، كما تمت الدعوة إلى القضاء على مفهوم الزواج المعتاد ودعت إلى الزواج بين المثليين، وبدأت الدعوة إلـى فصل احتياجـات المـرأة عـن احتياجـات الرجـل، ورفـض إشـباع احتياجـات المـرأة العاطفيـة والجنسية من الرجل، والتوجه بدل ذلك نحو المرأة (المثلية الجنسية)، وأدى ذلك إلـى ظهـور التيـار السّـحاقي ليشـكل لـيس تيـاراً انحرافيـاً فـي السـلوك فقـط، بـل تيـاراً فكريـاً وسياسياً ترفده مؤسسـات ومراكـز وجمعيـات وأعضـاء فـي البرلمانـات. بـل ولجـأت هـذه

التيارات النسوية إلى الأمم المتحدة في مؤتمراتها المختلفة وخاصة مؤتمر القاهرة للسكان سنة 1994، ومؤتمر بكين سنة 1995، وما تلاها من مؤتمرات المرأة والسكان وغيرها.

أتباع للفيمينزم وتبرّم بما شرع الله

في الحقيقة أن حركة الفيمينزم في جوهرها تعتبر الدين من وضع الرجال، وترى فيه محاولة رجالية لضمان سيطرة الرجال على مقاليد الأمور، ولذلك يستوى عند حركة الفيمينزم الاعتراض على أفكار البشر والاعتراض على شرائع الكتاب الحكيم، وأظن أن الكثير من المسلمات ممن دخل جحر الفيمينزم نسي قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً). [الأحزاب:36]، وإلا كيف نفسر تبرمهم مما ثبت من شرائع وشعائر.

فإذا كان من حقهن منازعة الرجال في حقوقهن والمطالبة بهن، فإن من الشعائر التعبدية ما لا صلة له بحقوق الإنسان سواء أكان هذا الإنسان رجلاً أو امرأة، وإنما هي حقوق رب الإنسان، الذي شرع من الشعائر ما هو أدرى بحكمتها.

ونختم قولنا بالتأكيد على أن الأمر لا يتعلق بالدفاع عن حق إمامة المرأة من منظور إيماني، بقدر ما يتعلق بعمل يتفق مع رؤية الفيمينزم التي ترى أحقيّة المرأة في منازعة الرجل ومغالبته في كل جبهة، وفي كل موضع وإظهار تماثلها بل وتفوقها على الرجل في كل شيء، ويستوى في ذلك الأمر الديني بالأمر الدنيوي.

ولذلك فإنه لا اعتبار لتلك الشعائر في ذاتها، وإنما محاولة اقتحام أي ميدان وطرق أي موضوع يثير الجدل ويثبت للمرأة حقها.

ولو كان الأمر يتعلق بحق المرأة الشرعي في الإمامة لكانت المشاركات في تلك الصلاة الكنسية التزمن بالزي الشرعي وبآداب الصلاة، ولما كان كل واحد يجلس بقرب صويحبته ويلوك العلكة، وهو يستمع إلى تلك المؤذنة التي أسدلت شعرها، وبدأت تصيح بكلمات الأذان، وكأنها في نادي للرقص الشعبي أو في حفلة تدريب على الأداء الصوتي أمام مرأى الناس، وفي موقع نجس لا تصح فيه الصلاة

=================

#التعصب الأوربي الصليبي!!

د. محمد مورو 1426/2/19
2005/03/29

منذ أن سطع نجم الحضارة الإسلامية .كحضارة عظيمة تحمل قيماً كريمة وتسعى لإسعاد البشر، وتحقيق مجتمع العدل والحرية والانحياز إلى المستضعفين– وهي في حالة صراع دائم ومستمر ضد القوى الشيطانيّة المتربصة بها, وعلى رأس تلك القوى الشيطانية كانت الحضارة الأوروبية التي لم تترك جريمة إلا وارتكبتها في حق البشرية. بدءاً من قهر الإنسان وقمعه، وانتهاء بنهبه وسلب ثرواته.

الحضارة الأوروبية حضارة إغريقية وثنية ذات قشرة مسيحية(1)، وقد أنتجت هذه الخلطة العجيبة بين الوثنية الإغريقية وبين القشرة المسيحية. أنتجت الروح الصليبية التي تتسم بها الحضارة الأوربية في مواجهة الأمة الإسلامية.

الحضارة الإسلامية بما تتسم به من عدل وتسامح وحرية . هي التي أنتجت أمثال عمر بن عبد العزيز الذي أمر بهدم جزء من المسجد ورده إلى الكنيسة.

وحتى في لحظات ضعف الحضارة الإسلامية. نجد أن رجلاً مثل الأمير عبد القادر الجزائري، وهو الذي عانى شخصياً، وعانت معه بلاده الجزائر من المذابح والمجازر والنهب والقمع الاستعماري الصليبي الفرنسي . نجده هو نفسه يحمي نصارى لبنان أثناء نفيه في دمشق سنة 1860 فيما عُرف بطوشة النصارى(2).

وهي الحضارة التي أنتجت أمثال الشيخ الباجوري شيخ الأزهر في عهد عباس باشا الأول . ذلك الشيخ الذي رفض الإفتاء بنفي بعض النصارى في السودان عندما طلب عباس الأول ذلك، وقد قال الشيخ الشجاع.

(إنه لم يطرأ على ذمة الإسلام طارئ، ولم يستول عليها خلل، وهم في ذمته إلى اليوم الآخر) (3).

أما الحضارة الأوروبية الصليبية فهي حضارة مجرمة. أليست هي التي أبادت الهنود الحمر في أمريكا؟ أليست هي التي مارست عمليات الخطف والاستعباد والاسترقاق لأهالي أفريقيا؟ وقتلت منهم (45) مليوناً يوم أن كان سكان إنجلترا مثلاً ثلاثة ملايين؟

أليست هي الحضارة التي ذبحت خمسة ملايين جزائري في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 ـ 1962 (4).

أليست هي الحضارة التي زرعت الكيان الصهيوني في فلسطين؟

الحضارة الأوروبية حضارة مجرمة بكل إفرازاتها السياسية والفكرية. الرأسمالية والاشتراكية. الملكية والجمهورية. الليبرالية والاشتراكية الديمقراطية.

فعلى سبيل المثال عانى شعب الجزائر معاناة شديدة على يد الملكيين والجمهوريين على السواء، على يد المحافظين والليبراليين الفرنسيين على السواء.

بل كانت معاناته تصل إلى ذروتها في فترات الحكم الاشتراكي في فرنسا.

ففي سنة 1940 مثلاً نفذت السلطات الفرنسية مذبحة كبيرة في أهالي الجزائر، وقتلت منهم في يوم واحد أكثر من (45 ألفاً). بل وقام الطيران الفرنسي بحرق قرى جزائرية كاملة. وكان يحكم فرنسا في ذلك الوقت الاشتراكيون الديمقراطيون، بل إن وزير الطيران الذي أمر بدكّ القرى الجزائرية وإحراقها كان وزيراً شيوعياً.

وهكذا فإن الحضارة الغربية الأوروبية الصليبية لم تفرز إلا كل ما هو حقير ومجرم.

ألم تفرز الشيوعية والفاشية والنازية؟ بل إن كل هذه الإفرازات السياسية والمدارس الفكرية المختلفة تتناسى خلافاتها الأيدلوجية والسياسية والفكرية وتظهر على حقيقتها. تظهر روحها الصليبية عندما يكون الأمر خاصاً بالعالم الإسلامي أو أحد شعوبه.

وإذا كانت الرأسمالية والشيوعية قد أُصيبتا بالإفلاس، وأصبحت سمعتهما سيئة للغاية؛ فإن المثقفين المغتربين في بلادنا يحاولون الآن تحسين سمعة الحضارة الغربية، وترويج بضاعتها لدينا عن طريق التبشير بإحدى إفرازاتها وهي الاشتراكية الديمقراطية.

ووصل الأمر إلى عقد أحد مؤتمرات هذه الاشتراكية الديمقراطية في مصر 1990. ويتناسى هؤلاء أن الأفعى لا تلد إلا ثعباناً. بل إن حقائق التاريخ القريب تؤكد أن بلادنا عانت أكثر المعاناة على يد هذه الاشتراكية الديمقراطية بالتحديد.

ألم تقم حكومة فرنسا الاشتراكية الديمقراطية بأبشع المذابح في الجزائر؟ بل ومارس هؤلاء المنتمون إلى الاشتراكية الديمقراطية الفرنسية أبشع أشكال التعذيب والاستنطاق

في السجون الجزائرية. بل وابتكروا أساليب شديدة الهمجية سجلت اختراعها باسمهم مثل الإقعاء على قارورة زجاجية مكسورة، وغيرها من وسائل التعذيب الوحشية.

ألم تتلق إسرائيل الدعم دائماً وأبداً من الاشتراكية الديمقراطية الدولية، بل إن حكومة إسرائيل في معظم الفترات تنتمي إلى حزب العمل الإسرائيلي، وهو العضو النشط في الاشتراكية الديمقراطية الدولية.

ألم تتعرض مصر سنة 1956 إلى عدوان ثلاثي شاركت فيه ثلاث حكومات اشتراكية هي حكومة العمال البريطانية، وحكومة الحزب الاشتراكي الفرنسي، وحكومة حزب العمل الإسرائيلي.

يخطئ من يظن أن الحروب الصليبية هي تلك الحروب التي شهدها الشرق العربي منذ 1098 م وحتى 1295 م، بل الحقيقة أن الصراع مع أوروبا الصليبية امتد في الزمان والمكان قبل ذلك وبعد ذلك.

ففي بلاد المغرب العربي امتد الصراع قبل ذلك، واستمر أكثر من ألف عام، ولا يزال مستمراً، بل إن الجزائريين يُطلقون عليها حرب الألف عام. وهي حرب استمرت بين أوروبا الصليبية . البرتغال . إسبانيا . إنجلترا . فرنسا. ألمانيا وبين بلاد المغربي وخاصة الجزائر بين كر وفر إلى أن انتهت باحتلال الجزائر سنة 1830.

وفي الشرق كانت تركيا تخوض حروب الإسلام ضد أوروبا الصليبية وفي قلب أوروبا ذاتها، واستطاعت أن تخضع معظم القارة الأوروبية للنفوذ الإسلامي التركي . إلى أن عادت أوروبا فاستطاعت أن تحيك المؤامرات ضد الخلافة العثمانية ونجحت في إسقاطها سنة 1924.

وقد استخدمت أوروبا الصليبية في صراعها مع الحضارة الإسلامية في المرحلة الأخيرة عدداً من التكتيكات والأساليب الشيطانية في سبيل السيطرة على الأمة الإسلامية وتدمير الحضارة الإسلامية، منها التطويق البحري عن طريق الكشوف الجغرافية، ومنها إرساليات التبشير المسيحية الأوروبية.

ومنها زرع مدارس الفكر الأوروبي والغربي في بلادنا عن طريق مؤسسات وأحزاب وصحف ومراكز إعلامية، ومنها الاحتلال العسكري، وهي ذات الخطة التي رسمها لويس التاسع أثناء سجنه في المنصورة إبان الحملات الصليبية، وفي الحقيقة فإن

الهدف الأوروبي الصليبي في القضاء على الحضارة الإسلامية يتضمن أيضاً على كنائس الشرق باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية، وخاصة القضاء على الكنيسة القبطية المصرية باعتبارها جزءاً أصيلاً من التراث الحضاري والثقافي الإسلامي، وباعتبارها كنيسة متميزة ومستقلة عن الكنائس الأوروبية.

إذن عندما يتحدث المفكرون الإسلاميون في الوطن العربي عن التعصب الأوروبي الصليبي. فإن هؤلاء لا يعكسون تعصباً إسلامياً . بل هم يقرّرون واقعاً مرئياً لكل ذي عينين؛ بل هؤلاء الذين يتجاهلون الحقائق هم الذين يخفون تعصبهم . ولكن هؤلاء الذين يصفون الواقع كما هو ليسوا متعصبين . إذ لو كانوا متعصبين لحاولوا إخفاء تعصبهم.

نعم . عندما يتحدث الأفغاني أو النديم أو عرابي . أو مصطفى كامل أو محمد فريد أو حسن البنا أو أي زعيم وطني عن التعصب الأوربي الصليبي، وعندما يدعون إلى التمسك بالثقافة والحضارة الإسلامية، وعندما يحشدون الجماهير لمواجهة الغزوة الأوربية على بلادنا ،، فإنهم في الحقيقة يدافعون عن الكنيسة القبطية أيضاً- وعن التراث القبطي أيضاً، لأن الكنيسة القبطية تنتمي إلى الحضارة الإسلامية. ولأن التراث القبطي جزء لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية. وإذا كانت إرساليات التبشير تستهدف تنصير المسلمين. أو زرع أنماط التفكير الغربي في بلادنا- أو العمل كطابور خامس لصالح الاستعمار، وإذا كانت إرساليات التبشير قد ارتبطت بالاستعمار أيّما ارتباط. فهي إما أن تكون طلائع له، أو تأتي في ركابه لتدعيم موقفه ونشر أهدافه والعمل على تهيئة الأجواء لصالح المشروع الاستعماري، فإنها أيضاً استهدفت تذويب الكنيسة القبطية في مصر وتبشير أبنائها، ومحاولة تحويلهم إلى الكنائس الأوروبية البروتستنتية والكاثوليكية، ومحاولة اختراق المجتمع عن طريق التلويح بالمشروع الحضاري الغربي للأقباط.

إلا أن تلك المحاولات وجدت من يتصدى لها من الأقباط وخاصة البابا كيرلس الخامس الذي أنشأ مطبعة خصيصاً للردّ على شبهات ومحاولات إرساليات التبشير بين الأقباط، بل دعا إلى مقاطعة المدارس التابعة لإرساليات التبشير، واعتبر كل من يدعم تلك المدارس خارجاً على الكنيسة القبطية(6).1. من الأمور المثيرة للتأمل أن

مراسم تنصيب بابا روما هي نفسها مراسم تنصيب كهنة المعابد الوثنية الإغريقية القديمة.

2. بسام العسلي . عبد القادر الجزائري . دار النفائس . بيروت

3. ميخائيل شاروبيم . الكافي.

4. محمد خليفة . أحمد بن بيلا . حوار معرفي شامل.

5. أسامة حميد . موجز تاريخ مصر في الحقبة العلمانية.

6. طارق البشري . المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية

=============

#برنارد لويس ...
وصهينة الدراسات الاستشراقيّة

د. بدران بن الحسن 1426/1/25

2005/03/06

ولد برنارد لويس سنة 1916 في لندن لأسرة يهودية، تخصص منذ التحاقه بالدراسات العليا في دراسة الشرق والإسلام بالتحديد وتاريخ الإسلام والمسلمين. وقد حصل على درجة البكالوريوس في التاريخ من مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام 1936، كما حصل على درجة الدكتوراه في تاريخ الإسلام من المدرسة نفسها عام 1939، وكان موضوع رسالته عن الطائفة الإسماعيلية وجماعة الحشاشين.

وأثناء دراسته الجامعية عين مدرساً مساعداً بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، غير أنه ترك العمل بالجامعة خلال سنوات الحرب (1940 – 1945) ليلتحق بخدمة المخابرات البريطانية وبعد الحرب، عاد للعمل بالجامعة حتى عام 1974. واستمرت صلته بالمخابرات البريطانية بعد ذلك، وظل مرجعاً مهماً ومستشاراً يُرجع إليه في شؤون الشرق الأوسط، ولذلك فإنه بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية غيّر اهتمامه من دراسة تاريخ الإسلام في العصور الماضية، إلى دراسة تاريخ الشرق الأوسط والعالم العربي خاصة في العصر الحديث، ونشر في ذلك عدة كتب تصبّ كلها في تنميط صورة صهيونية عن الإسلام والمسلمين عموماً وعن العرب بشكل خاص، تصب كلها في خدمة المشروع الصهيوني في المنطقة، وتوجّه صانع القرار

الغربي والأمريكي بوجه خاص وتزوده بأفكار وزاد معرفي للتعامل مع مختلف قضايا الشرق الأوسط، وتقوم أساساً على إستراتيجية التهويل من خطر الإسلام على الغرب، وتصوير الإسلام والعالم العربي كأنهما الخطر المحدق بالحرية الغربية وبالمصالح الغربية، وتدعو صراحة أو تلميحاً إلى ضرورة دعم دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة.

وللعلم فإن برنارد لويس اليهودي البريطاني سرعان ما تخلّى عن الجنسية البريطانية، وتأمرك وصار أمريكياً لما صعد نجم الولايات المتحدة الأمريكية وتأثيرها في قضايا الشرق الأوسط، فالتحق بأمريكا سنة 1974 ليعمل في جامعة برنستون، وهناك صار نبياً من أنبياء الصهيونية المعاصرة، وعبّر في كثير من كتبه عن هذا التصهين في رؤيته للسياسة الخارجية الأمريكية وقضايا الشرق الأوسط.

ويُلاحظ على برنارد لويس وفاؤه لمنهج الاستشراف في بداياته، حيث كان آلة في خدمة الاستعمار، ولم يتأصر بالتطورات التي حدثت في هذا الحقل المعرفي، وظهور بعض المستشرقين الذين أبدوا موضوعية أكثر في دراسة الإسلام والعرب والشرق.

بل ظل برنارد لويس من طراز مارجليوث وجولدزيهر وغيرهما من المستشرقين شديدي التحيّز ضد الإسلام والعرب، وظل وفياً لمنهجهم في إصدار التعميمات غير العلمية وغير المبرهنة عن الإسلام والعرب وعن منهج دراستهما.

فراح يعمم مقولاته المتحيزة وغير العلمية، بل والكاذبة في منطق العلم والبحث العلمي، عن الإسلام والتخلف الحضاري في العالم الإسلامي، والتخلف العربي. وكان من أوائل من تكلم عن صراع أو صدام الحضارات، ثم تلقفها بعد ذلك تلميذه صموئيل هاتنجتون اليهودي الأمريكي صاحب فكرة "صدام الحضارات" و"الحدود الدموية للإسلام" وغيرها من التقوّلات المتخرصة.

لقد وجد برنارد لويس في أمريكا وفي جامعة برنستون مسرحاً آهلا بمن يتبنّون أفكاره الاستشراقية الظلامية، وأيديولوجيته الصهيونية، وراح يكيل التعميمات تلو التعميمات السوفسطائية، من أجل تنميط صورة المسلمين والعرب بطريقة سلبية تجعل من يستمع أو يقرأ له يشعر بالقرف من هؤلاء العرب ومن دينهم، ويتخذ موقفاً سلبياً منهم، ويشعر بتعاطف كبير مع "العالم الحر" ومع الصهاينة "المضطّهدين" بزعمه.

تولى برنارد لويس في جامعة برنستون خاصة وفي أمريكا عموماً قيادة حقل الدراسات الاستشراقية التي كان يهيمن عليها الصهاينة أو المتصهينين المتمركزين في أقسام ومراكز دراسات الشرق الأوسط، والدراسات الإسلامية، بالجامعات الأمريكية، أمثال ليونارد بايندر، وإيلي كيدوري، ودافيد برايس، و دانيال بايبس، ومارتن كريمر، وتوماس فريدمان، ومارتن بيرتز، ونورمان بودو رتز، وجوديت ميلر، وغيرهم.

والأخطر من ذلك أن ربنارد لويس وأشياعه لم يكونوا في حقيقة الأمر أكاديميين فقط، بل كان لهم دور استشاري من خلال عملهم خبراء لدى هيئات ودوائر اتخاذ القرار في الولايات المتحدة الأمريكية.

وظل برنارد لويس أستاذاً للدراسات الشرقية بجامعة برنستون حتى تقاعده من العمل الأكاديمي في 1986؛ إذ أصبح أستاذاً فخرياً (Professor Emeritus)، وهو مركز جعله يبقى مرجعاً فيما يتعلق بالإسلام والعرب والشرق الأوسط ليس للأكاديميين الغربيين فحسب، بل لدوائر صنع القرار الأمريكي خاصة.

يركز برنارد لويس في كتاباته عن الإسلام والمسلمين والعرب والعالم العربي على مجموعة من الآليات الخطيرة، مثل آليات (ميكانزمات) التهويل، والبتر والتقطيع، وآلية التهوين (الإهمال). فهو يهوّل ما كان هامشياً أو عفوياً أو قليل الحضور في التاريخ الإسلامي والثقافة والحضارة الإسلامية، ويهوّن (يهمل) ما كان غالباً مهيمناً في الحضارة والفكر الإسلامي وفي الثقافة الإسلامية.

كما أنه يمارس بتراً وتقطيعاً لكثير من الحقائق، ويقوم بتغييبها ويعمل على تجاهل أو عزل الأحداث والأفكار عن سياقها الطبيعي. فالقارئ لما كتبه ويكتبه برنارد لويس يجد وكأن الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي لا يوجد به غير الحشاشين والإسماعيلية والقرامطة، وبعض الفرق المنحرفة الأخرى التي بادت أو انحصرت عن التيار العام للإسلام والثقافة والحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي.

ومما يُلاحظ على كتاباته عن التاريخ الإسلامي أنه يبرز كل الفرق المنحرفة والانحرافات الفكرية التي لا يمكن بحال أن تطغى على الخط العام المعتدل في التاريخ الإسلامي.

وبرغم اعترافه في كتابه (تنبؤات برنارد لويس) بأن العالم العربي هو مهد الحضارات والأديان السماوية بقوله: "هذه المنطقة التي كانت مركزاً للحضارات، وحاضنة الأديان السماوية، وكانت موطن أول مجتمع عالمي ذي ثقافة بينيّة بكل ما للكلمتين من معنى، وكان مركز إنجازات عملاقة في كل حقل من حقول العلوم والتكنولوجيا والثقافة والفنون، وكان قاعدة لإمبراطوريات متتالية شاسعة وعظيمة".

فإنه يرى أن هذه المنطقة انتهى دورها الحضاري، وخاصة مع تنامي مد الصحوة الإسلامية، هذه الصحوة التي يراها برنارد لويس بالعين العوراء، حيث يؤكد افتراء أن دعوة الإسلاميين للديمقراطية دعوة خادعة وغير صحيحة، وأن دعوتهم إليها هي بهدف الوصول للحكم، وعندما يتحقق هدفهم ينقضون على الديمقراطية وكل من يخالفهم الرأي. ويرجع ذلك –بزعمه– إلى طبيعة الإسلام ذاته؛ إذ يرى أن الأديان لا تقبل الديمقراطية، وخاصة الأديان الأصولية –يقصد الإسلام طبعاً–.

ويزيد في تهويل الأمر من خلال توقعه بأن العالم العربي والدول العربية هي الأكثر تعرضاً لخطر التفكك، وأنها ليست الوحيدة، فالاتجاه نحو التفكك سيزداد بتشجيع من الشعور الاثني والشعور الطائفي المتناميين، وقد تسربت الفكرة المغرية بحق تقرير المصير إلى عدد من الأقليات الاثنية التي لم تعد تكتفي بوضعها السابق.

لكنه بتطبيقه لآلية التهويل هذه في تهويل أمر الأقليات في العالم العربي، فإنه يمارس آلية التهوين من خلال تغاضيه عن التصريح بمن يقوم بتغذية هذا الشعور العرقي والتفكك الاثني.

ويخرج علينا بمقولة آخرى غربية يدعي فيها نبي الصهيونية الجديد بأنه من اجل إنقاذ الشرق الأوسط ينبغي ان نعتمد على عوامل ثلاثة هي تركيا وإسرائيل والنساء. لأن تركيا اختارت العلمانية والالتحاق بأوربا؛ فهي لا تحمل أمراض الشرق الأوسط بزعمه، اما إسرائيل فهي الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة، في حين أن النساء تعرضن للقمع من قبل الثقافة التقليدية السائدة (الثقافة الإسلامية طبعاً). وخاصة النساء اللائي يركز على دورهن في تحويل الشرق الوسط إلى بحيرة ديمقراطية.

كما أن برنارد لويس أعلن تفكك وموت العالم العربي منذ حرب الخليج، واعتبر أن إسرائيل وتركيا هما الدولتان الوحيدتان الناجحتان في منطقة الشرق الاوسط. كما أكّد

في مقال له في مجلة (Foreign Affairs) في 1992 حيث قال: إن "غالبية دول الشرق الاوسط. مصطنعة وحديثة التكوين وهي مكشوفة لعملية كهذه. وإذا ما تم إضعاف السلطة المركزية إلى الحد الكافي، فليس هناك مجتمع مدني حقيقي يضمن تماسك الكيان السياسي للدولة، ولا شعور حقيقي بالهوية الوطنية المشتركة، أو ولاء للدولة الأمة. وفي هذه الحال تتفكك الدولة مثلما حصل في لبنان إلى فوضى من القبائل والطوائف والمناطق والأحزاب المتصارعة"

ولذلك فهو يرى أن على أمريكا ألاّ تخاف من غضب الشارع العربي، فإن غضب العرب والمسلمين من الغرب يفتقر في مجمله إلى أي أساس، كونه لا يتجاوز محاولة يائسة من مجتمعات فاشلة لتحميل قوى خارجية، خصوصاً الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل، مسؤولية الأزمة الخانقة والتخلف والتفكك الذي تعانيه.

والناظر في معظم توجهات الإدارة الأمريكية في العالم العربي خاصة والعالم الإسلامي ككل، يلاحظ أن مقولات وتوجيهات برنارد لويس قد تحوّلت إلى سياسات وبرامج تعمل الإدارة الأمريكية المتصهينة على تنفيذها، ولا يجد المرء كبير عناء في ربط مختلف تفاصيل هذه السياسات مع الأفكار التي وضعها برنارد لويس في كتاباته الأخيرة منذ أربع سنوات تقريباً إلى اليوم. وبهذا حوّل برنارد لويس الاستشراق من حقل أكاديمي إلى مكتب تحليلات يحرص على توجيه سياسات الإدارات المتصهينة في العالم والإدارة الأمريكية خاصة في الشرق الوسط، كما يعبّرون عنه أو العالم العربي كما هو ثابت تاريخياً.

===========

#نحو تصوّر إسلاميّ للديمقراطيّة

د. عبدالله بن ناصر الصبيح 1425/11/3

2004/12/15

لمصطلح "الديمقراطية" جاذبية كبيرة، ولاسيما في ظل الهجمة الثقافية الغربية على الثقافات المحلية واختيارات الشعوب. وأصبحت تعني عند كثيرين الحرية والتقدم والسلام والاستقرار والرخاء الاجتماعي، بل إنها تعني عند البعض الخير والسعادة كلها.

ومما ساهم في رسم هذه الصورة الوضيئة للديمقراطية الضجيج الإعلامي حولها الذي ربط باسمها كثيراً من الأوهام فصارت تمثل الخلطة السحرية لمعالجة مشاكل المجتمعات المتخلفة. ونتيجة لهذا الصخب العالي وقع كثيرون فيما يمكن أن أسميه "فخ الديمقراطية"، ويعني احتقار الثقافة المحلية وإقصاءها وإفساح المجال لنماذج من الممارسة والمفاهيم لا تمت للواقع بصلة.

ومما يقي من الوقوع في فخ الديمقراطية الوعي بما وجّهه إليها كبار منظّريها من نقد، و اتهموها به من قصور؛ سواء في المفهوم أوفي صوره التطبيقية.

والديمقراطية ليست خيراً محضاً وليست شراً محضاً، ولكن بعض من يدعو إليها لا يراها إلا مفهوماً واحداً متماسكاً له صورة تطبيقية واحدة، والصورة الماثلة في ذهنه لها هي البرلمان والانتخابات، ونتيجة تصور هؤلاء ديمقراطية زائفة. وآخرون ممن يعارضون الديمقراطية لا يتبادر إلى أذهانهم منها إلا أنها حكم الشعب، ومن ثم فهي مرفوضة بإطلاق، ونتيجة تصور هؤلاء حكم الفرد المستبد.

وفي الواقع التطبيقي وفي التصور الفلسفي ليست الديمقراطية مفهوماً واحداً وليس لها صورة تطبيقية واحدة لا تتعدد. وهذا التنوع في المفهوم والممارسة سببه تنوع الخلفية الفلسفية والظروف الاجتماعية في المجتمعات التي طُبّقت فيها الديمقراطية.

فالديمقراطية حينما نشأت في أثينا قبل أكثر من ألفي سنة كانت خياراً للشعب في إدارة شؤونه مقابل حكم الفرد المستبد. فهي كانت وسيلة للتخلص من استبداد الفرد وتمكين أفراد الشعب من التعبير عن إرادتهم في طريقة إدارة مدينتهم.

وقد تطور مفهوم الديمقراطية من ديمقراطية أثينا التي تسمى "الديمقراطية المباشرة" إلى "الديمقراطية التمثيلية" في عصرنا الحاضر وهي ذات مفاهيم وصور تطبيقية متعددة.

وكثيرون من منظّري الديمقراطية يفرّقون بين الفلسفة والقيم التي تشكل محتوى الديمقراطية، وبين الديمقراطية من حيث هي أداة لاستطلاع رأي الشعب أو وسيلة للحكم. ويرَوْن أن الديمقراطية المجردة من حيث هي أداة عاجزة عن تحقيق الهدف منها في المجتمع. ولهذا يتحدثون عن مبادئ للديمقراطية يرون أنه لا بد من تحقيقها، ومنها: سيادة القانون وحرية التعبير، ومبدأ الفصل بين السلطات، والشفافية

في الحكم، وعلمانية الدولة. وقد ذكر (يوروفسكي) في بحث له عن الديمقراطية الأمريكية أحد

عشر مبدأً يرى أنها تشكل العنصر الأساسي لفهم الديمقراطية، وكيف تعمل في الولايات المتحدة الأمريكية.

ورغم أن هذه المبادئ تحظى بالقبول من منظري الديمقراطية إلا أننا نجد جدلاً بينهم في بعض المبادئ ومحاولة منهم لتقليصها، فمثلا من مبادئ الديمقراطية مبدأ الأغلبية الذي يعني القبول بالقرار الصادر عن الأغلبية. وهو مبدأ إذا افتقدته الديمقراطية لم تعد ديمقراطية وفقدت الهدف منها، ومع ذلك نجد أن كثيرين من منظّري الديمقراطية كما يقول (ألان تورين) في كتابه "ماهي الديمقراطية؟" كانوا يخشون من استبداد الأكثرية، بل يقول: إنه لم تكن مسألة أشدّ منها حضوراً عند المفكرين الأمريكيين الذين وضعوا الدستور الأمريكي بعد حرب الاستقلال. ولهذا كان الاتجاه في الماضي إلى حصر حرية الانتخاب في النخب واستثناء طوائف من الشعب كالنساء والعبيد.

وهذا الجدل العريض حول مفهوم الديمقراطية وتطبيقاتها يدفعنا معشر المسلمين إلى أن نخوض فيه ونجتهد في تكييف ديمقراطية تناسب تصورنا الإسلامي، ومما أقترحه في ذلك مايلي:

أولاً: التمييز بين المحتوى والوسيلة فيمكن أن نقبل الديمقراطية وسيلة للحكم ولاستطلاع رأي الشعب، ولكن أرى أنه ينبغي لنا أن نصوغ المحتوى الفكري، والقيم التي تحكمها بما يتفق مع قيمنا الإسلامية. ومن ذلك أن تكون المرجعية في الحكم هي الشريعة الإسلامية، وليست إرادة الشعب. وبهذا يمكن أن نعرف ديمقراطيتنا بأن مرجعها هو القرآن والسنة. وهذا ليس بدعاً في المفهوم الديمقراطي، حيث شاع عند فلاسفتها أنها وسيلة لا تستقيم من غير فلسفة تكون محتواها، يقول المفكر الأمريكي زبغنيو بريجنسكي :" إن الديمقراطية يمكن أن تكون هي إسهام الغرب الأساسي، إلا أن الديمقراطية ما هي إلا وعاء يجب أن يمتلئ بمحتوى...". ونحن يمكن أن نملأ الوعاء بما يتفق مع ديننا.

ومن يدعون إلى الديمقراطية في عصرنا لا يكتفون بالحديث عنها مجردة وإنما يربطونها بالفلسفة اللبرالية وحرية الفرد، ويرون أن الديمقراطية التي لا تحقق ذلك ليست حقيقية. وإذا جاز لهؤلاء أن يربطوها بفلسفة ارتضوها ألا يحق لسواهم فعل الشيء نفسه؟

وربما اعترض معترض بأن هذا يتعارض مع أحد مبادئ الديمقراطية وهو علمانية الدولة، وأجمل الردّ على هذا الاعتراض في النقاط التالية:

أ. ليس كل مبدأ من مبادئ الديمقراطية يلزمنا قبوله فنحن لنا رؤيتنا الخاصة بنا، وبإمكاننا أن نطوّر صوراً من الديمقراطية تتفق مع هويتنا.

ب. لا يوجد في المسيحية المعروفة اليوم شريعة يجب على الدولة الحكم بها أو التحاكم إليها، ولهذا علمانية الدولة لم تكن دعوة لإقصاء شريعة ربانية قائمة في المسيحية؛ لأن هذه الشريعة غير موجودة أساساً، وإنما كانت دعوة للتخلص من سلطة رجال اللاهوت الذين يزعمون أنهم يستأثرون بالحقيقة، ويتكلمون باسم الله واسم المسيح زاعمين أن الله تحدث إليهم أو أن المسيح ألهمهم، ويلزمون الآخرين بالتسليم بما يقولون ويحكمون حكما جبرياً لا يراعي إرادة الشعب ومصالحه. ورجال اللاهوت هؤلاء يوجب الإسلام الأخذ على أيديهم؛ لأن ما يقومون به نوع من الهرطقة والكذب على الله وتزوير الدين.

ج. إذا تبين هذا (وهو أن العلمانية ليست ضد شريعة قائمة في المسيحية) فعلمانية الدولة ليس لها صورة واحدة؛ فبينما نجد في أمريكا مثلا أن الدستور ينص على الفصل بين الدولة والكنيسة، أما في بريطانيا فنجد صورة مغايرة حيث إن الملكة هي رئيس الكنيسة، والدولة هي من يرعى الديانة المسيحية.

د. الفقيه في الإسلام (أو كما يسمى في الكنيسة رجل الدين) لا يملك الحقيقة، ومن حق أي أحد أن يناقشه ويعترض على ما قال؛ لأن المرجع ليس قول الفقيه، وإنما هو مرجع موضوعي مستقل عنه وهو القرآن والسنة.

إذن علمانية الدولة ليست مفهوماً واحداً متفقاً عليه بين الغربيين أنفسهم، وإذا أُريد بها الشورى، وحق إبداء الرأي والاعتراض – وهذا هو روح الديمقراطية – فهذا من أسس الحكم عندنا.

ثانياً : هناك مبادئ للديمقراطية حسنة، ومنها سيادة الدستور والشفافية في الحكم، واستقلال القضاء، والفصل بين السلطات، وحرية التعبير، وصيانة كرامة الإنسان، وحفظ حقوقه، وهذه المبادئ هي حقيقة الديمقراطية وروحها وإذا افتقدتها أصبحت صورة زائفة لا حقيقة لها. وهذه المبادئ مما دعت إليه شريعتنا، وأوجبت على الحكام العمل به. وعلى من أراد أن يأخذ بالديمقراطية أن يأخذ بهذه المبادئ أولاً. ومما يُؤسف له أن الديمقراطية في كثير من بلدان العالم العربي الآن هي صورة الديمقراطية وليس حقيقتها.

ثالثاً: الديمقراطية ثقافة وممارسة اجتماعية، وليست مجرد برلمان وصندوق اقتراع. ولهذا لابد أن يصحب العملية الديمقراطية الحقيقية حرية التعبير وحرية الحوار وعلنيته.

رابعاً: الديمقراطية لا تنفصل عن رقابة الأمة. وكل ديمقراطية من غير رقابة اجتماعية هي زائفة. والرقابة الاجتماعية تقتضي الشفافية في الإدارة، وإتاحة المعلومات لجميع أبناء المجتمع.

خامساً: علينا الاجتهاد في تطوير أساليبنا في الحكم وإبراز مصطلحاتنا الإسلامية النابعة من تراثنا ومرجعيتنا الإسلامية.

================

#الانتخابات العربية: دلالات وأبعاد

د. عبد الله بن عبد العزيز الزايدي 1426/1/6

2005/02/15

تظهر معظم نتائج الانتخابات في العالم العربي فوزًا للاتجاهات الإسلامية أو التي تنسب نفسها إليها بمختلف أطيافها وطوائفها، ففي فلسطين فازت حركة (حماس) في الانتخابات البلدية فوزًا كبيرًا، وفي العراق تغلبت القوائم الدينية على القوائم العلمانية مع ما بذلته من أموال وخدمات لتشجيع الناس على ترشيح قائمتهم.

وقبلها بمدة طويلة انتخابات الكويت التي أسقطت رموز التيار الليبرالي، وزادت نسبة التيار الإسلامي بالرغم من أن معظم الصحف ووسائل الإعلام يهيمن عليها خصوم

التيار الإسلامي من الليبراليين الذين لم يألوا جهدًا في الصدّ عنه والسعي لإسقاطه بكافة أطيافه.

ومع أننا في المملكة العربية السعودية لا تظهر الاتجاهات المخالفة للإسلام بشكل علني، ولا تدعو إلى أفكارها بشكل سافر كما هو الشأن في كثير من البلاد العربية؛ فإن نتيجة الانتخابات البلدية أظهرت فوزاً كاسحاً لمن صنّفهم الآخرون على أنهم إسلاميون، مع أنهم لم يطرحوا أنفسهم بشكل مختلف عن الآخرين في خطابهم وبرنامجهم الانتخابي؛ نظراً لأن الجميع تحت مظلة الشريعة الإسلامية، إلا أن وضوح التوجّه الديني هوا لذي دفع الناس لانتخابهم.

وفي هذا الفوز للإسلاميين دلالات ينبغي أن تأخذها كافة القوى المناوئة للإسلام داخل البلاد العربية وخارجها بعين الاعتبار ومن هذه الدلالات:

1- إن خيار الأمة الحقيقي الذي تتوق إليه وتتمنى سيادته هو المشروع الإسلامي الذي يقدم أهل القوة والأمانة والنزاهة؛ لأن الناس قد جربوا أطيافًا أخرى فما وجدوا سوى التفريط بمقدرات الأمة والفساد بأنواعه.

وفي تركيا الخبر اليقين؛ فقد عانت طويلاً من فساد الأحزاب العلمانية وإهدارها لموارد البلاد حتى وصلت نسبة التضخم حدودًا خيالية، وضاقت سبل المعاش على الناس، وضاقوا ذرعًا بهذه الأحزاب المتسلطة على البلاد منذ سنين طويلة، فلما تقدم البديل الإسلامي المتَّسم بالنزاهة والكفاءة بادر الناس لترشيحه على نحو أدهش المراقبين بالرغم من الحملات الإعلامية المضادة، والتي كانت من الشراسة والفجور في الخصومة بحيث كان المراقب لا يظن أن حزب (العدالة والتنمية) يمكن أن يحظى بربع النسبة التي حصل عليها.

2- إن جمهور العرب والمسلمين –بالرغم من تسلط الإعلام المتجه لإضعاف مستوى التدين في العالم العربي والإسلامي- لا يزال متمسكًا بدينه، مصرًا على إنجاح خياره الإسلامي، مما يؤكد أن تلك الجهود المأزورة لم تؤت ثمارها السيئة بالقدر الذي كان يأمله القائمون على ذلك الإعلام والمالكون له والموجّهون لأهدافه.

3- الظلم الشديد الذي يلاقيه هذا التيار الممثل للأمة والمعبر عن رغباتها والناطق باسم جماهير من قبل الوسائل الإعلامية؛ إذ لا تحتفي أجهزة الإعلام بمثل هذا

الفوز مطلقًا، ولا يجري الإعلاميون مقابلات مع الفائزين، ولا يعطونهم مجالاً للتعبير عن مشروعهم واغتباطهم بهذا الاختيار. ولا تلقى مثل هذه الاتجاهات من يمثلها ويعبر عن رأيها في وسائل الإعلام.

وفوز حركة (حماس) في الانتخابات البلدية في غزة مثال واضح؛ إذ لم يلق الصدى الإعلامي الموازي له، بل ربما حاول المناوئون في هذه الوسائل البحث عن أسباب غير طبيعية لهذا الفوز، محاولين التقليل من دلالاته والتهوين من أثره، بل ربما تجاوز الأمر إلى الطعن في مشروعيته؛ لكونه -بزعمهم- ناتج عن استثمار المشاعر الدينية للجمهور. بينما يحدث العكس تمامًا في حال فوز الاتجاهات العلمانية ويمكن تأكيد هذه الحقيقة بمطالعة الصفحة الأولى للكثير من الصحف العربية بعد إعلان نتائج الانتخابات.

4- إن التيارات الإسلامية تفوز باختيار الشعوب بهذه النسب المرتفعة بالرغم من الحملات الإعلامية المضادة، وبالرغم من عدم امتلاك هذه التيارات أجهزة الإعلام الرسمية والقنوات الفضائية التي غالبًا ما تُسخّر لخدمة القوى المناوئة للتيارات الإسلامية. فكيف لو كان لتلك التيارات الوسائل الإعلامية المكافئة لما لدى خصومها؟ ففي دولة مثل المغرب سخرت أجهزة الإعلام لتشويه التيارات الإسلامية بشتى الأساليب وحملات التشويه المحترفة، ومع ذلك فقد فاز التيار الإسلامي بنسبة تُعدّ مرتفعة قياسًا لما كان متوقعًا نتيجة الحملات المضادة.

5- إن عمليات التفجير والعنف التي مارسها بعض الشباب المتهور المتحمس المندفع بدوافع دينية، والتي استثمرها الإعلام المناوئ وحسبها على التيارات الإسلامية وحمّلها وزر هذه الأعمال الإرهابية، لم تفلح في إسقاط شعبية التيارات الإسلامية وإضعافها.. مما يؤكد وعي الناخب العربي، وأنه لم تنطل عليه أساليب المكر والتشويه.

6- إن هذه النتائج رسالة جلية توجهها الجماهير لحكومات بلادها وللعالم أجمع، وهي أنها لا ترضى بديلاً عن الإسلام دينًا وحضارةً ومنهج حياةٍ، وأنها تريد حكومات تحقق لها هذا المطلب العزيز، ولا تقهرها على تبني النظم المخالفة من علمانية وليبرالية وغيرها.

7- إن من أسباب الاحتقان والتوتر في البلاد العربية والإسلامية هو تناقض كثير من الحكومات مع خيار شعوبها، ومضادتها لتوجهاتها الخيرة، وانسياقها مع القوى المناوئة للمشروع الإسلامي داخليًا وخارجيًا في مقابل شعوبها، وهذا ما سيجعل التوتر قائمًا والثقة غير متبادلة.

8- أن تدرك الحكومات أن هذا التوافق مع الشعوب سيكون عامل قوة لها، وسيجعلها قادرة على مواجهة الضغوط الأمريكية التي تريد فرض أجندة لا ترغب فيها تلك الحكومات، فيمكنها أن تواجه تلك الضغوط بالخيار الشعبي الذي – لاشك – له تقديره عند تلك القوى، وهي تدرك مدى قوته وتأثيره.

ولذلك فمن الحكمة والمصلحة أن تنظر تلك الحكومات لخيار شعوبها بعين الإنصاف والإقرار والتوافق لا بعين السخط والإنكار والتناقض ليتأصل الاستقرار، وتتحقق التنمية الشاملة، وينمو الاستثمار.

كما أن هذه الثقة الجماهيرية ينبغي أن تقابل من قبل الاتجاهات الإسلامية بما تستحق من:

1- الاستمرار في العمل الإيجابي في خدمة الأمة بالأعمال الخيرية وتقديم المشاريع، والخدمات مما يزيد في ثقة الناس، فيغتبطون بسلامة اختيارهم، وتتحقق آمالهم فيمن رشحوهم وأمّلوا منهم خيرًا.

2- الاستمرار في التواصل مع الجماهير وعدم الانقطاع عنها بعد الفوز، بل يجب أن يكون هذا الفوز حافزًا لتواصل مستمر تحقيقًا لمصالح الأمة حاضرًا ومستقبلاً.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

============

#ما المنهج في فكر الحداثة؟

د. بدران بن الحسن 1425/10/18

2004/12/01

هذا سؤال يحتاج إلى تفكيك وتركيب حتى يمكن الإجابة عنه.

تفكيك، أو بعبارة أخرى تحليل إلى عناصر أوّلية، لنفهم المنهج، والحداثة، وفكر الحداثة.

ثم تركيب لهذه العناصر، حتى نستطيع الإجابة عنه، باعتباره يعالج قضية مكتملة الصورة في أذهاننا.

ولهذا، نرى أن نبدأ الحديث عن الحداثة باعتبارها مرحلة تاريخية ارتبطت بالتطور الحضاري الغربي، كما ارتبطت بتطور التاريخ العالمي في صلته بالغرب وبالحضارة الغربية.

ثم بعد ذلك نتحدث عن جذور الحداثة، أو الأسباب المباشرة التي أدت إلى الحداثة، وهي كما نعتقد؛ الإصلاح الديني والسياسي، وحركة النهضة الصناعية، وتفجر المعرفة وظهور التكنولوجيا.

هذه العوامل الثلاثة التي أحدثت انقلاباً في علاقة الأوروبي بالعالم والكون والحياة، كما غيّرت نظرته الكونية كما يقول الفيلسوف الألماني ألبرت شفيتزر.

وهذا يقود إلى تناول الحداثة باعتبارها موقفا فكرياً، أي الحديث عن فكر الحداثة من خلال النظر إلى الحركة الفكرية التي واكبت ظاهرة الحداثة؛ من ثورة على نمط التفسير الكنسي للعالم والحياة والتاريخ، والنسق الأرسطي للتفكير القائم على الاستنباط والدوران داخل محيط المبادئ الفكرية المجرّدة، والاعتماد على الاستنتاجات العقلية، إلى نظرة وضعيّة؛ تؤمن بإمكانية المعرفة من خلال الحواس، واعتماداً على الطبيعة، واستبعاداً للميتافيزيقا واللاهوت الغيبي المسيحي.

وهذا بدوره يؤدي بنا إلى الإمساك بخيوط المنهج الذي قام عليه هذا الفكر؛ فكر الحداثة، وإلى الحديث عن أهم مفردات بل قواعد هذا المنهج، التي هي في تصورنا الفصل بين الفكر الكنسي الأرسطي الجامد وبين الفكر الوضعي العملي الواقعي، وجعل الإنسان مصدر القيم ومركزها؛ اي مرجعيّة إنسانية (هيومانية كما يقول المسيري) كامنة غير متعالية على الطبيعة.

وكذا توسّع مسار العلمنة واستبعاد المقدس من أن يكون فاعلاً في التاريخ، وهذا بدوره يقود إلى إفراغ مفاهيم مثل: الله، والغيب، والأخلاق من معانيها، ومن فاعليتها العلمية والاجتماعية.

لنصل في الأخير إلى مأزق هذا المنهج، ومآلاته الرهيبة على الفكر والحضارة والتاريخ الإنساني، بل وخطورته على الإنسان في أخص خصائصه؛ وهي إنسانية الإنسان وكرامته.

وإذا جئنا إلى العناصر التي تركب سؤالنا عن المنهج في فكر الحداثة، فإن الحداثة في المعنى اللغوي تأتي من الحديث ضد القديم، ولهذا فنحن أمام ثلاثة مصطلحات مترابطة تشكل مفهوما واحداً في مجموعها، هذه المصطلحات هي: الحديث (Modern)، والحداثة (Modernity)، والتحديث (Modernization).

فالأول يعبّر عن وصف لشيء يتصف بأنه حديث ضد قديم، أما الثاني فيعبّر عن حالة أو ظاهرة (phenomenon)، أما الثالث فيعبر عن عملية قصدية تبتغي القيام بتحول من قديم إلى حديث عبر مرحلة زمنية وتاريخية هي الحداثة (process of modernization).

إذن هناك مرحلة تاريخية شهدت ولا تزال تشهد عملية تحول من القديم إلى الجديد (الحديث) شاملة لكل الأبعاد الاجتماعية والثقافية والعلمية وغيرها. وبعبارة أخرى فهي مرحلة تحول ذات أبعاد متعددة.

وإذا تعلق الأمر بالحداثة باعتبارها ظاهرة غربية صاحبت التطور الحضاري الغربي، فإننا نقول بصددها: إنها تلك التحولات ذات الأبعاد المتعددة التي حدثت في المجتمعات الغربية منذ عصر النور والثورة الصناعية والإصلاح الديني إلى بدايات القرن العشرين الميلادي، عبر مسار معقد، وتراكم متنوع، دام عدة قرون.

أما فكر الحداثة، فهو ذلك الفكر الذي مهّد لهذا التحول الحضاري الغربي أو صاحبه، باعتباره (أي الفكر) عملية تعبير عن الظاهرة، وصياغة تجريدية لها ولتجاربها ومقولاتها وإنتاجاتها.

أما المنهج في الحداثة، فهو التصورات والمفاهيم والمقولات التي على أساسها بُني هذا الفكر، وعلى أساسها تمت الصياغات النظرية للحداثة.

الحداثة وأوجهها المتعددة

الحداثة موقف عقلي، يتمثل في عدم الرضا بالطرق التقليدية للحياة، والتركيز على استغلال الموارد الطبيعية مستخدمة في ذلك المعرفة والتقنية الحديثة، والتغير

الاجتماعي أحد أهم علاماتها، كما أن النمو الاقتصادي أكبر نجاحاتها، وهي تلمس الحياة الانسانية في كل جوانبها تقريباً، ولذلك فيمكن القول: إنها ذات أبعاد أو أوجه متعددة.

ومن الصعوبة بمكان إعطاء تعريف محدّد للحداثة، أو تجسيدها في نموذج واحد؛ فالاقتصاديون يركزون اهتمامهم على النمو الاقتصادي، وذلك من خلال ربطها بالتقنية والتصنيع اللذين أدّيا إلى نشوء الرأسمالية والاشتراكية في العالم الغربي. بينما علماء الاجتماع يقدمون لنا عدة تعاريف ونماذج للظاهرة، ويركزون اهتمامهم على ما لحق بنية المجتمع من تغيير، أما علماء السياسة فيركّزون على جانب الأنظمة السياسية وتوازنات السلطة وكيفية تشكيل الحكومات وإدارتها للصراع بين طبقات المجتمع، ومن هذه الزاوية فإن الحداثة تنطبع فيما حدث من تطورات في بنية الديمقراطيات الغربية.

بينما الإعلاميون يرون أن الحداثة تتجلى فيما طرأ على وسائل وطرق وأنواع الاتصال من تطوّر وتغيّر وتعدّد وكثرة ومركزية. وبالتالي ما يحدث في المجتمع من تطوّر في مستوى العلاقات بين مكونات المجتمع وطرق التواصل فيما بينها.

وإذا تأملنا هذه التحدّيات المختلفة في ظاهرها، نجد أن الرابط بينها هو التقنية (Technology)، أي أن الحداثة وسيلتها الأساس هي التقنية، وما لها من عوامل وآثار اجتماعية وثقافية.

ففي الجانب الاقتصادي حولت التقنية (التكنولوجيا) العملية الاقتصادية من المفاهيم البدائية البسيطة إلى ثورة في المعاملات المعقّدة والمتشابكة، وهذا بدوره ارتبط وأنتج نظم الرأسماليّة والاشتراكيّة والشيوعيّة وغيرها، وهي كلها لا تعدو أن تكون إفرازاً طبيعياً للتقدم التكنولوجي.

هذه المظاهر والتمظهرات المادية للحداثة، لا ينبغي أن تحجب عنا حقيقة أن الحداثة لها موقف فكري وثقافي، أو كما سبق، موقف عقلي، هذا الموقف أو المحتوى الثقافي، يتمثل في التركيز على التعامل العلمي (Scientific) مع الواقع، والمقصود منه الخضوع للتفسير الوضعي للحياة بعيداً عن أي لاهوت متعالٍ أو غيب. وهو ما يعني أن الحداثة في جوهرها الثقافي والفكري والعقلي موقف مادي

(Materialistic) منفصل عن أي قيم متعالية ليست من صنع الواقع الاجتماعي أو الطبيعي.

وهذه المظاهر أو الأوجه المتعددة للظاهرة ترجع إلى جذر واحد يربطها، ويشكل من خلالها الحداثة كسيرورة تاريخية للمجتمع الغربي. غير أن الأمر لا يتوقف هنا، فعلينا أن نُفَصّل القول في المنهج الذي سارت عليه الحداثة، قصداً أو عن غير قصد.

المنهج؛ الرؤية والمفاهيم والتطبيقات:

الحديث عن المنهج في الحداثة يقتضي منّا تفصيل الكلام عن الرّؤية الكونيّة التي شكّلت هذا المنهج، ثم أهم المفاهيم التي انتجتها أو قامت عليها الحداثة، ثم بعض التطبيقات لهذا المنهج والمتمثلة في المظاهر التي يمكن أن تنطبع فيها الحداثة، وكذلك القطاعات التي تشملها.

فيما يتعلق بالرؤية الكونية، فإنها بدأت تتشكل منذ بدايات القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك من خلال ثلاثة تيارات مهمة في التاريخ الحضاري الغربي؛ وهي حركة الإصلاح الديني (البروتستانتي خاصة)، والعقلانية أو الفلسفة العقلانية الحديثة، وكذلك التيار الإنساني (humanism).

حيث عملت الاتجاهات الثلاثة متضافرة معاً وظيفياً ومتعاقباً زمانياً ومتكاملة على بناء رؤية كونية حديثة للعالم، والتخلص من الرؤية القائمة على المنظور الكنسي الأرسطي التقليدي (Ecclesiastic).

وإذا كانت البروتستانتية حررت المسيحي الغربي من سلطة الكنيسة والباباوات وانفرادهم بتفسير النصّ المسيحي الديني المقدس، والهيمنة على العقل والمعرفة، فإن الحركة الإنسانية عملت على التركيز على أن الإنسان الفرد هو المرجع في كل شيء؛ سواء في ذلك القيم أو المعايير أو الحقيقة في هذا العالم.

ومن جهتها عملت الفلسفة العقلانية على التأسيس للتفسير العقلي لحركة التاريخ والحضارة، وعلى إيجاد معاني عقلانية لكل المفاهيم المرتبطة بالإنسان في هذا الكون، فشكّلت العقلانية ابتداءً من كوبرنيكوس وكبلر وغاليليو ثم ديكارت وسبنسر وسبينوزا ولوك وهيوم وغيرهم من التجريبيين أيضا، هذه العقلانية شكّلت نظرة للكون

قائمة على استبعاد المقدس عن أن يساهم في صناعة التاريخ، كما أنها رسّخت مفهوم المادة في مقابل الروح، أو انفصال الأخروي عن الدنيوي، خاصة العقلانية الديكارتيّة التي مهّدت للعلمانية على مستوى التفكير، لتنطبع في الواقع في علمانية روسو والثورة الفرنسية، التي حصرت المقدس إلى حساب توسيع الزمني في هذه الحياة.

هذه التيارات الثلاثة، إضافة إلى اتجاهات البحث في الفلك والبيولوجيا والفيزياء وعلوم الكيمياء والعضويات، صاغت مع "أوغست كونت" ما يسمى "بالوضعية" باعتبارها ليست اتجاهاً فلسفياً فحسب، بل رؤية كونية قائمة على تنميط الإنسان وعقله وتجربته مرجعاً للحقيقة ومصدراً للتفسير، ومن الطبيعة المجال الأوحد للفعل التاريخي، الذي ليس له امتداد آخر (غيباً كان أو ميتافيزيقا) متعالٍ عن المادة.

هذه هي الرؤية المركزية لمنهج الحداثة، الوضعية والعلمانية رؤية للكون والتاريخ والإنسان، ووفق هذه الرؤية وما حدث فيها من تعديلات عبر الزمن، تطوّرت الحداثة، ونضجت لديها مجموعة من المفاهيم تميز هذه المرحلة عن مرحلة ما قبل الحداثة (أي مرحلة القرون الوسطى)، ولعل من أهم هذه المفاهيم؛

مفهوم العلم (Science) حيث أعطى له محتوى وضعياً، وصار العلم هو ما أنتجه العقل البشري من خلال تعامله مع الواقع؛ طبيعيا كان أو اجتماعياً، إضافة إلى المعرفة الرياضية واللغوية، ولا شيء خارج الطبيعة واللغة والرياضيات.

وعليه تم استبعاد كل ما له صلة بالغيب من مفهوم العلم، ولهذا صار الدين خارجاً من مفهوم العلم، بل لا صلة للدين بالعلم، كما أن قضايا الدين لا يمكن إقامة الدليل عليها، لأنها ذات طبيعة فوق تاريخية، أو ما وراء الطبيعية، والعلم نطاقه العقل والتجربة والواقع. فصار الدين يشكل في عُرف الحداثة حيّزاً ضيّقاً ضمن نوع من أنواع الأسطورة، وإن سمح الأمر –كما يقول أركون أحد فلاسفة الحداثة الغربية– فإن الدين ذو بنية أسطورية متعالية.

استبعاد المقدس، أو علمانية الحياة (Secularism)

وهو مفهوم مرتبط بالنظرة الكونية التي شكلت الحداثة، فلا دخل للدين في صناعة التاريخ، وإن أمكن إعطاؤه دوراً فهو دور مشارك وليس مركزيا، وذلك من خلال الدور

الاجتماعي للقيم الدينية، والتي يقوم فيها الدين، أو المقدس، بأداء دور لصالح الزمني أو الدنيوي، أما أن يهيمن الدين على التاريخ أو يوجهه أو يصوغ الحياة، فهذه نظرة كنسية تم القضاء عليها، وتم حصر الدين أو المقدس في أداء دور ثانوي تقتضيه الضرورة العقلية المنطقية كما هو شأن "ديكارت" و"كانت"، أو تقتضيه الضرورة الاجتماعية كما هو شأن "دوركايم". أي أن دور الدين محدد بالضرورة، وبقدر ضئيل، وإن لم يُزل تماماً فإن تهميشه قد تمَّ. وهذا بدوره أعطى مكانا لمفهوم آخر هو المادية.

والمادية (Materialism)، وإن كانت تشكل نظرة كونية ورؤية كلية للحياة من خلال التيارات الثلاثة السابقة الذكر، فإنه يشكل مفهوماً مركزياً في تراث الحداثة المفهومي والفكري، فاعتباراً من مفهوم العلمنة والحياة، فإن المادة هي ذات الأولوية في صناعة وتوجيه حركة التاريخ.

ولهذا نجد مفهوم الكم قد أُعطي أولوية كاملة على حساب مفهوم الكيف، كما أن معيار الكم صار هو الفيصل في قياس التقدم والتخلف، والقوة والضعف، والفاعلية وعدمها. أما المفاهيم الروحية مثل الله، الحق والخير والدين، فصارت فارغة من محتواها إلا بمقدار ما تنفع وما يقابلها من مادة، وما تجلبه من ربح مادي وتراكم للمادة.

وهناك مفهوم آخر من المفاهيم المركزية في فكر الحداثة هو مفهوم التقدم، حيث أُعطي له محتوى جعل منه حصان طروادة لكل ثائر على القيم، أو معارض للعُرف والمعروف والمتعارف عليه. فالتقدم مفهوم يتغنى به الحداثيون، ويجعلون العلامة عليه القطيعة مع التراث ومع السلف والتوجه نحو المستقبل ونشدان التغيير إلى ما لا نهاية.

وأهم جوانب التقدم، وأكثرها وضوحاً، هو التقدم المادي، وطبعاً في التعليم والتقنية والسيطرة على الطبيعة، والتحكم في مواردها.

والمفهوم الآخر هو العقلنة (Rationality)، حيث تقوم الحداثة على عقلنة كل شيء؛ الإنسان والطبيعة والتاريخ، وحتى الدين ذاته قد تمت عقلنته، فكل شيء تم إخضاعه للإدراك العقلي، ومناهج النظر العقلي. فكل ما يمكن عقله فهو داخل

ضمن إطار الإدراك والتعامل، وبالتالي فهو واقعي، وحتى ما لم يكن قابلاً لذلك فقد تم إخضاعه، ويتجلى ذلك في جهود "كانت" و"ديكارت" و"هيجل" وغيرهم.

في الأخير، وإكمالا للحديث عن المنهج، فإن أهم تطبيقات هذا المنهج تتجلى في الثورة الفرنسية، والتي كان "روسو" أباها الأول، حيث رفعت شعار "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قِسّيس"، مما يعني الثورة على كل قديم، وعلى النظامين الكنسي والسياسي بصفة خاصة. ومعروف ما كان للثورة الفرنسية من تأثير في العالم الغربي خاصة، من حث على تغيير الأوضاع القائمة.

كما أن من تطبيقات هذا المنهج، انتشار الديمقراطية الغربية، وسيادتها في أنظمة الحكم، واتخاذها منهج الحكم الوحد، وما تستلزمه هذه الديمقراطية من علمانية وعلمنة، وفصل بين الدين والدولة، وصراع التوازنات، وحديث عن حقوق الانسان وتغييب لحقوق الله.

ثم التقدم المادي الاقتصادي الكبير الذي حدث في الغرب، وما جره ذلك من استنزاف لموارد الطبيعة، وإتلاف لقدراتها، وتنميط الإنسان كأنه كائن ذو بعد واحد؛ هو البعد المادي، واعتبار التقدم الاقتصادي معياراً أوحدَ لقياس رفاهية وسعادة الانسان وتحقيقه لأهدافه في هذا العالم.

وكذلك من هذه التطبيقات نجد العلوم الطبيعية والاجتماعية والانسانية التي تطورت بشكل مذهل لتحقيق مقولات التقدم والتحديث، ولكن وفق منظور مادي ورؤية اختزالية تختصر الإنسان وتطلعاته وأشواقه في أفق مادي محدود.

وختام الكلام

إن الحداثة ظاهرة ارتبطت بالوعي الغربي أصالة، ولها علاقة وطيدة بالتحولات التاريخية التي حدثت في الغرب، وهي بمفاهيمها إفراز طبيعي لحركة المجتمعات الغربية خلال التاريخ.

أما الحداثة خارج الغرب فهي تابعة في منهجها وفي تاريخها وفي نتائجها للحداثة الغربية؛ لأنها وليدة إشعاع الحضارة الغربية على العالم وبالتالي إشعاع فوضاه على بقية العالم بتعبير مالك بن نبي عليه رحمة الله، وهي بفعل تأثير الهيمنة الغربية على

العالم، وعلى مصائر الشعوب، ومقاليد التاريخ، خلال هذ القرون الثلاثة الأخيرة. وهي من قبيل تقليد المغلوب للغالب حسب التعبير الخلدوني، والله أعلم.

=============

#إلى التطبيع أيها الدعاة!

د. علي بن عمر بادحدح 1425/9/6

2004/10/20

"التطبيع" مصطلح معاصر له في الواقع دلالة مكروهة مرفوضة، فالتطبيع اليوم جوهر السلام وشعاره، وقاعدته وأساسه، أما مقتضيات ومتطلباته فحقيقتها الهوان السياسي، والانسلاخ الثقافي، والاختراق الأمني والارتهان الاقتصادي، والمراد ببساطة ووضوح أن نعتبر الأعداء أصدقاء، وننسى تاريخهم العدواني، ونغض الطرف عن واقعهم الإجرامي، ولأجل ذلك تغير مناهجنا، ونهجن إعلامنا، ونبدل مصطلحاتنا، لئلا يكون هناك ما يثير حفيظتهم أو يكشف حقيقتهم، ولمزيد من إثبات إنهاء العداء فعلينا أن نفتح لهم أسواقنا ليتاجروا، وأرضنا ليمتلكوا، ومصانعنا لينتجوا، وحقولنا ليزرعوا؛ بل ومدارسنا ومعاهدنا ليعلِّموا ويتعلموا، وأخيرًا ليمسخوا هويتنا، ويتحكموا في رقابنا.

والحقيقة أن الكلمة في أصل دلالتها اللغوية تعني جعل الأمور طبيعية، أي لا غرابة فيها ولا اعتراض عليها، ولا خجل ولا نفور منها، فكونها طبيعية يدل على أنها متوقعة ومألوفة ومقبولة، ويكون الأمر طبيعيًا إذ جاء متوافقًا مع الأصول الثابتة والحقائق الراسخة، ومتجانسًا مع الجذور التاريخية والبيئة الواقعية، مستندًا إلى المعرفة العلمية والممارسة العملية؛ فالأستاذ الجامعي يتحدث بلغة تعليمية ويكتب بمنهجية علمية وهذا طبيعي ولا غرابة فيه، ومثل ذلك التاجر إذا تحدث بلغة الأرقام والأرباح والخسائر.. وهكذا فإن الشيء من معدنه لا يستغرب.

وهنا تتضح لنا المسألة، فهناك أمور غريبة مرفوضة يراد أن تصبح طبيعية، تحت شعار السلام ودعوة العولمة وعصر القرية الكونية، وفي المقابل هناك أمور الأصل فيها أنها طبيعية مقبولة يراد لها أن تكون شاذة مرفوضة تحت شعار (العنصرية)، ولافتة (معاداة السامية)، وعلى خلفية الأصولية، وصناعة التطرف، ودعاية الإرهاب.

إن الشق الثاني أخطر من الأول، ووسائل الوصول إليه أكثر، وصور تسربه وتشربه أظهر. نعم.. إنه من الخطر أن تظهر في مجتمعات المسلمين وديارهم بعض تلك المظاهر؛ فهذا يخجل من انتسابه إلى الإسلام وذاك يخفي التزامه به، والثالث يخشى من الدعوة إليه، والرابع يتراجع عن الدفاع عنه، وتصبح تلك الأمور وغيرها غريبة وتحتاج إلى مقدمات ومبررات.

إن موجة الإرهاب بشقيه: اليهودي الصهيوني، واليميني النصراني بما له من قوة إعلامية وهيمنة سياسية، واختراقات أمنية يعمل جاهدًا على قلب الحقائق، وتغيير الثوابت، وإنشاء أنماط فكرية واجتماعية ضاغطة في الاتجاه المعاكس للأوضاع الطبيعية في المجتمعات الإسلامية.

ومن هنا فإن من واجب الدعاة أن يواجهوا هذه الحملات ويتصدوا لها، وأن يعملوا في التطبيع الصحيح لكل ما هو من أصول الإسلام وطبيعة مجتمعه، وأن تكون حقائق الدعوة وبرامجها وأنشطتها وما يتصل بذلك من ثقافة فكرية وسلوكيات اجتماعية أن يكون كل ذلك طبيعيًا مألوفًا مقبولاً.

لماذا لا يسعى الدعاة في كل البلاد الإسلامية إلى أن يكون من الطبيعي امتلاء المساجد بالمصلين، وانتشار حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وكثرة الدروس والمحاضرات، ووجود البنوك الإسلامية، وتنوع المؤسسات والمنتجات الإعلامية الإسلامية، وقيام المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية، وتأسيس الجمعيات والمنظمات الإسلامية، وتأسيس المؤسسات والتجمعات السياسية الإسلامية، وترويج البرامج الترفيهية والسياحية الإسلامية، وغير ذلك من جوانب الحياة المختلفة التي تنضوي تحت منهج الإسلام الشامل الكامل؟!

إنه من غير الطبيعي أن يكون حجاب المرأة المسلمة غريبًا في ديار الإسلام، فضلاً عن أن يكون مُحارَبًا، وكذلك من المؤسف المحزن أن يسمح في كثير من الدول الإسلامية بإنشاء أحزاب علمانية أو اشتراكية وتحظر الإسلامية، ومن غير المقبول ولا الطبيعي أن تُمنع المدارس الإسلامية أو يُضيّق عليها بينما المدارس الأجنبية على اختلاف أشكالها تُفتح لها الأبواب وتُيسر لها الأسباب. ومن الغرائب، ومن العجائب أن تمتلئ شاشات الفضائيات بما يندى له الجبين من العري والفسق وإثارة

الشهوات ثم تُمنع المذيعة إذا تحجبت، وهذه مجرد أمثلة، والواقع يحتاج إلى انتباه؛ لأن انحصار الدعوة في ميادين محدودة وفي قوالب جامدة وعلى فئات قليلة يزيد من عزلتها، ويسهم في إبعاد المجتمع عن دينه وثقافته وتاريخه، بينما يتم التطبيع المعاكس.

إن مما يساعد على تحقيق هذا الهدف أمور عدة:

أولها: إثبات صواب هذا الرأي بالمقارنة بالآخرين؛ فاليهود يعلنون أن دولتهم دينية لا علمانية ويتصدون لكل من يمس اليهود أو اليهودية في شرق الأرض وغربها مما لهم به من صلة أو ليس لهم به من صلة بحجة معاداة السامية، ولا يقال إن هذا غريب أو مستنكر.

وثانيها: إن الحقائق تكشفت بعد ما عُرِف بأحداث سبتمبر وزالت الأقنعة وأصبح العدوان والظلم واضحًا لا تخطئه عين ولا ينكره عقل، ومن ثم؛ فإذا كان هذا العدوان والحملات الظالمة كلها لأجل ديننا واعتزازنا به ودعوتنا إليه؛ فلندرك أن ذلك هو سر قوتنا وأساس تميزنا ونقطة انطلاقنا.

وثالثها: إن الأمة جربت كثيرًا من الخيارات التي جرّت عليها الوبال، وتجلى لها أن خيارها الأمثل عودتها إلى ربها واستمساكها بدينها؛ فلنسع إذًا إلى إزالة العوائق التي تحول دون ذلك، ولعل أمثل وأنجع ما يفيد في ذلك هو تطبيع الدعوة في الأمة؛ فهذا يعيدها لهويتها ويدنيها من وحدتها ويزيد من قوتها.

فهيا إلى التطبيع أيها الدعاة..

=============

#المسار المستقبلي للعمل الإسلاميّ

إبراهيم غرايبة 1425/7/19

2004/09/04

كيف يعود التيار الإسلاميّ العريض إلى مكانه ومكانته اللتين كان عليهما خلال النصف الأوّل من القرن العشرين، رافداً أصيلاً مندمجاً في مجمل حركة المجتمع نحو التحرّر الوطنيّ والاستقلال السياسيّ والثقافيّ؟ وكيف يخرج العمل الإسلاميّ من دوّامة الاتّهام، والعُنف المتبادل والاستبعاد والعداوة والانزواء والهيمنة؛ ليتحول إلى

مكوّن أساسيّ وأصيل في نسيج الأمّة يتفاعل مع التيارات، والمكوّنات الثقافيّة المتعدّدة، ويحرّك الأمّة نحو النّهضة والتنمية؟

يلاحظ المفكر الإسلاميّ "أحمد كمال أبو المجد" أنّ الحركات الإسلاميّة التي ظهرت في مطلع القرن العشرين وحتى أواسطه كان لها أهداف سياسيّة متطابقة تماماً مع الأهداف السائدة في المجتمع حتى تكاد تكون موضع إجماع جماهير الناس، وكانت في غالبها أهداف تحرير وطنيّ ومقاومة للنفوذ والتسلّط الأجنبيّ، وبهذا وبسببه دخلت جميع تلك الحركات تاريخ بلادها السياسيّ باعتبارها حركة تحرير وطنيّ قوميّ ثقافيّ.

والأستاذ "طارق البشري" يرى أيضاً أنّ الدّعوات الإسلاميّة كانت قبل ظهور الدعوات العلمانيّة المتأثّرة بالغرب مندمجة في حركات التحرير الوطنيّ عامّة، وفي الدّعوات العامّة للإصلاح والنّهوض، فلما انفرزت حركة علمانيّة وطنيّة تدعو للاستقلال بصورة عامّة للمجتمع المستقلّ مستعارة من نماذج الغرب وأُسسه الشرعيّة، لمّا حدث ذلك ظهرت الدّعوة الإسلاميّة تؤكّد أنّ الإسلام دين ودولة.

وبدأ الموقف السياسي التحرري للفكر الإسلاميّ وللحركات الإسلاميّة يتغيّر منذ النصف الثاني للقرن العشرين متّجهاً بتلك الحركات إلى موقف المعارضة الحادّة للنّظم السياسيّة وللحكومات القائمة.. ودافعاً بالطّرفين إلى مواجهات ومصادمات غير مسبوقة، وإلى اتجاه كثير من حكومات الدول العربيّة والإسلاميّة إلى السعي في تصفية الحركات الإسلاميّة سياسياً وجسدياً، وقابل ذلك اتجاه بعض الحركات الإسلاميّة لزعزعة الاستقرار السياسي لتلك الحكومات، وانتقلت إلى العمل خارج الإطار السياسي و "الشرعية القانونية" وتحديث الحركة الإسلاميّة والفكر الإسلاميّ من قوة نهضة إلى مصدر خطر على استقرار المجتمع، وعقبة تهدّد مسيرته نحو النّمو و الرّخاء، وإلى مشكلة أمنيّة مزمنة يكاد حلّها يستعصي على العقلاء والحكماء، وبسيادة هذه النظرة الأمنيّة فقد وقعت أضرار جسيمة، وفات على الأمّة بكل طوائفها خير كثير.

يرى د. "أحمد كمال أبو المجد" أنّ الحكومات مطالبة بأمور ثلاثة من شأن الالتزام بها أنْ يفتح أبواباً واسعة لتحقيق تصفية حقيقيّة دائمة لظواهر العنف والإرهاب الذي

يرفع أصحابه رايات وشعارات إسلاميّة، وأنْ يردّ التيار الإسلاميّ العريض إلى مكانه ومكانته اللتين كان عليهما خلال النصف الأوّل من القرن العشرين، رافداً أصيلاً مندمجاً في مجمل حركة المجتمع نحو التحرّر الوطنيّ والاستقلال السياسيّ والثقافيّ.

إنّ التزام الحكومات بسيادة القانون والدستور، ومواصلة نهج العدل والمساواة مع المواطنين مهما كانت تجاوزات بعضهم واعتداءاتهم على الدولة والمجتمع يجعل الصّراع بين الشرعيّة والخارجين عليها، ولكنّ الحكومات هي الأخرى حين تسلك سلوكاً خارجاً على القانون فإنّ الصراع يتحول بين متساوين في الاعتداء، وقد يتعاطف الناس مع التمرّد والإرهاب المتسمّي بالإسلام إذا كان يواجه إرهاباً غير إسلامي!

ويستند التطرّف وجماعاته على خطاب فكريّ فيه تشوّه وغلوّ وانحراف لكنّه يتضمّن كثيراً من الأسس والقواعد الصحيحة التي يُساء فهمها والاستنتاج المتعلق بها، ويحمل أعضاء هذه الجماعات دافعاً فكرياً وعقيدياً قوياً تجاه تطبيق ما يدعون إليه ويعتقدون بصحته، وستكون المواجهة بعنف وسيلة غير مجدية، وربّما تزيد هذه الجماعات تمسكاً بقناعاتها وآرائها وتزيدها تطرّفاً وعُنفاً، ولكنّ الحوار الفكريّ المتواصل مع قادة وأعضاء هذه الجماعات سيؤدّي إلى التّصحيح، ويحرم التطرّف والإرهاب من روافده الأساسيّة من الشباب المتحمّس حسن النيّة الذين يبحثون عن الصواب، وقد يخطئون في طريق الوصول إليه (...وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)[الكهف: من الآية104].

لقد ثبت بالفعل أنّ أفراد الأمّة وجماعاتها ومؤسّساتها يعيشون في غياب كبير عن التفاهم والاتصال فيما بينهم ويلاحظ دائماً أنّ الفرقاء لا يستمعون إلى بعضهم، وحين يُتاح لهم النقاش والحوار وتبادل الآراء يتبين أنّ مساحات الاختلاف ضيّقة ومحدودة، ويمكن محاصرتها أو استيعابها.

وأخطأت الحكومات خطأ شنيعاً باستجابتها للتيار العلمانيّ المتقرّب في النّظر إلى الفكر الإسلاميّ كله، والجماعات الإسلاميّة المعتدلة على أنّها محضن الإرهاب والتطرف، ومن ثمّ فقد اتجهت حكومات ومراكز قوى إلى محاصرة الفكر الإسلاميّ كله، ووضعه مع التطرّف والإرهاب في سلّة واحدة، ومحاربة الجماعات والتيارات

الإسلاميّة العريضة في المجتمع والمعتدلة، ووضعها مع الجماعات المتطرّفة والإرهابيّة في سلة واحدة، فهي بذلك وضعت نفسها في مواجهة المجتمع الذي يغلب عليه التديّن وينتمي إلى جذوره الإسلاميّة، وأضفت صفة شرعيّة على الجماعات المتطرّفة، وجعلتها ترقى إلى مستوى التيار الإسلاميّ العام والمتجذّر في المجتمع بدلاً من أنْ تكون معزولة ومحاصرة.

ويقترح أخيراً د. "أبو المجد" قائمة من شروط النهضة الإسلاميّة للتكيّف المحسوب مع حقائق العصر تكيّفاً محكوماً بالثوابت الأخلاقيّة المستمدّة من أصول الثقافة العربيّة الإسلاميّة، وذلك بتفعيل القواعد والأفكار الإسلاميّة الحضاريّة التي تصلح إطاراً جامعاً للمسلمين والناس جميعاً، مثل: حرّية الفكر والرّأي، والإلحاح على القضايا المشتركة مع الأمم والناس جميعاً، وتصحيح علاقة المسلمين بسائر الأمم والشعوب وتواصلهم مع سائر الحضارات والثقافات، وتوظيف الأدوات التي اشتمل عليها الإسلام لتحقيق الاستجابة مع تغيّر الأمكنة والأزمنة والأحوال، والاهتمام بالجوانب الإسلاميّة التي استحدث الناس منها ألواناً وصوراً لم تكن معروفة للفقهاء الأوائل أو كانت أصولها معروفة لديهم ولكن صورها المعاصرة صارت تحتاج إلى فقه جديد والكفّ عن تضخيم جوانب صارت معروفة لكل المسلمين (كالعبادات) أو أخرى يحيا ويموت معظم المسلمين دون أنْ يتعاملوا معها (الحدود والجنايات).

ويدعو إلى التيسير في الفتوى تخفيفاً عن الناس ومراعاة الأولويات عند مخاطبة الناس، ووضع النظم والتشريعات، والاستئناس بتجارب الأمم الأخرى، والالتفات إلى قيمة الحريّة في الحياتين: السياسيّة والثقافيّة، والكفّ عن تصوّر الخلافة الإسلاميّة صورة محدّدة من صور الحكم غابت بسقوط الخلافة العثمانيّة، فالعبرة بمبادئ العدل، ومسؤوليّة الحكام وتقيدهم بالقانون، واستمداد التشريعات من مبادئ الشريعة الإسلاميّة، واحترام حقوق الإنسان وحرّياته، وأمّا ما عدا ذلك فترتيبات وتراكيب يجتهد المسلمون لإقامتها بمثل ما يجتهد غيرهم.

وقد ساهم في هذا التحوّل المتسارع وبخاصّة في السنوات العشر الأخيرة ظهور تحالف ثلاثي جديد من الغرب أولاً الذي يرى في الإسلام عدواً بديلاً للشيوعيّة وخطراً يهدّد المصالح الغربيّة ومنافساً للحضارة الغربيّة والحكومات ثانياً التي سيطرت على

أكثرها رؤية ومنهجيّة أمنيّة غلبت منهج الساسة العقلاء والحكماء، ولا ترى طريقاً للعمل سوى العقاب وعدم الحوار والتفاهم، ونُخَب العلمانيّين ثالث من الكتاب والمثقّفين والسياسيّين الذين تهدّد الصّحوة الإسلاميّة مصالحهم ومكاسبهم وشهواتهم.

وساهم في ذلك أيضاً ظهور الجماعات التي ترفض مجتمعاتها، وتتّهمها بالكفر والجاهليّة، وتورّطها في أعمال عُنف عشوائيّ ضدّ المجتمع والغرب، وعزّز ذلك الاعتقاد والتحليل الذي يرى أنّ العمل الإسلاميّ والفكر الإسلاميّ يحمل بذور العنف والتطرّف حتى في صيغته المعتدلة.

الحركة الإسلاميّة وقياداتها الواعية المعتدلة تملك المبادرات، ومفتاح حلّ الأزمة الناشبة مع الغرب والحكومات والتيارات العلمانية، وذلك بتحديد حاسم لمنهجها ورؤيتها نحو العنف، والتكفير بوضوح يميّز بينها وبين تلك الجماعات، وبإعلان واضح ومفصل ومؤصّل لمواقفها السياسيّة والفكريّة تجاه الديمقراطيّة والتعدديّة والأقلّيات والمواطنة والمرأة، والحرّيات العامة والسياسيّة والتوسّل بالعُنف لأجل الوصول إلى الحكم.

إنّ المستقبل القريب يؤشّر على تنامي الاتجاه الإسلاميّ في الشعوب والمجتمعات إلى درجة تؤكّد أنّ الإسلام هو طابع الحكم والإدارة في العالم العربيّ والإسلاميّ وقد يكون ذلك بالحركات الإسلاميّة القائمة اليوم أو بدونه

================

#العلمانيّة وانكشاف الأجندة الخفيّة

أنور بن علي العسيري 1425/6/23

2004/08/09

في حراكنا الإعلاميّ والثقافيّ المحليّ يلحظ المتابع المحايد روابط تكاد تشكّل حلقة واحدة متّصلة رغم تقطّع مراحل ظهورها، وتنوّع وسائل التعبير عن نفسها.. الأجندة الخفيّة التي تحالفت وتناغمت في معزوفة ذات رؤية مرحليّة واستراتيجيّة واحدة؛ تكشف عُريها عبر الأعمدة الصحفيّة الناريّة التي تقذف حمم مهاجمة الصالحين، ومحاولة تهديم بيوت الدّعاة، وَ وَصْم المخيّمات الدّعويّة الشبابيّة بتفريخ الإرهاب، وإلصاق تهم التكفير والتفجير بمراكز الشباب الصيفيّة، ودعوة المسؤولين إلى الأخذ

بيد الحزم سلاحًا للوقوف ضد تنامي الدّعوة ومحاولة توجيه الناس للخير.. والعذر العلمانيّ لديهم هو أنّنا مجتمع مسلم مئة في المئة ولا نحتاج مزيدَ إسلام!!

ويتوّج كل هذه الهجمة المفتعلة من تيار القلّة الشّاذة عقد ندوة هنا أو مؤتمر هناك؛ لتوجيه أصابع الاتهام(الخفيّ) إلى الدّعاة بتكريس وترسيخ منهجيّة أداء العنف في عقل شباب الصحوة التاريخي.

هي حملة شرسة قطفت من ثمار التفوّق المادي الأمريكيّ العالميّ تفوّقها الوهميّ تتكئ على معطى خارجيّ، وتنظر إلى أيّ تقدّم تناله دولة المركز الليبرالي متنفسًا لها لتدعيم وجود صوتها في مجتمعنا.

ومنذ أنْ حلّت كارثة العلمانية في عقول بعض أبنائنا الذين انتقلوا الى الغرب لتعلّم التطوّر التقنيّ فانسلت ونتيجة لظروف غيابهم عن الدين منذ نشأة الكثير منهم وماكان يعيشه مجتمع النشأة من تخلّف ماديّ قياسًا بهول صدمة التفوق الحضاريَّة منذ حلول هذا الداء الإقصائيّ في هذه العقول وفكر تحطيم الدين في قلب المجتمع المسلم هو الفكر الرائج، والذي يراهن عليه هذا التيار لهزيمة فريق الاستمساك بالثوابت الأصيلة، والتي يُنظر إليها على أنّها بوابة الماضي الذي يجب إهماله للدخول في عالم الحداثة العالميّة.

هذه الرؤية شغلت في إطار الوضوح الرقم صفر..لأنّها علمت يقينًا بقوّة الدين في تشكيل حياة المجتمع ما جعلها تهرول نحو منابر الإعلام تتسربل برداء حبّ الدين وتسعى زاحفة إلى هدمه من الخلف..عاشت هذه الأقلام سنين تتدثر بهذا الأداء (الخفيّ)منهج حياة تؤسّس على قاعدته مزيدًا من تهيئة العقول الشّابة، واختراق الصف إلا أنّها فشلت فشلا ذريعًا في تكوين قاعدة مجتمعيّة، أو تجسيد نموذج حداثيّ علمانيّ صالح للحياة في وسط مجتمع إسلاميّ يمجّد القدوة الشرعيّة ويحتفي بها طريقًا للحياة.

ورغم انهزامها إلا أنّ ظروف التغيّر العالميّ فتح مسار التعبير الأكثر وضوحًا لهذه الفئة الضّالة للاستقواء بالأجنبيّ، واعتباره قادرًا على إحداث التغيير المستقبليّ المنشود وفق خططهم لعلمنة أرض الحرمين متى هجم هذا التصوّر الغربيّ بقوّة مادّته وسطوته العالميّة على وطننا الإسلاميّ الحرّ

وتعتبر الكتابات الصحافيّة التي انتشرت في أصقاع الصفحات هذه الأيام نموذجًا يسجل لحظة تاريخيّة في حياة مجتمعنا المسلم على مدى ارتباط هذا الفكر بالسيد الغربيّ!وعلى مدى التناسب الطّرديّ بين الشهرة وتخريب قيم المجتمع، فكلما نزع قلم إلى نزع حياء المجتمع وضرب قيمه كلما ازدادت شهرته، وبزغ نجمه في الإعلام المحتكر من قبل سلاطين الفكر الاقصائي المستغرب والأمثلة والشواهد كثيرة.

قلم : يبارك قرار تخفيض عدد المخيّمات الصيفيّة باعتبارها مراكز تفريخ الإرهاب والبديل الاحتفاء بنجوم الفنّ، وفتح أماكن للتطعيس وملاهي للرقص حتى ينجو المجتمع من تطرّف رجال الدّين!

قلم آخر: يقفز إلى الوراء بعيدًا وهو يخاطب المسؤولين من موقع مسؤوليته الصحافيّة، وخوفه على أبناء وطنه من التطرف بالحزم في وجه الدعاة المتجولين الذين يجوبون القرى والهجر يحملون بضاعة لا اله إلا الله محمد رسول الله.

يدعو هذا القلم إلى منع هؤلاء وتحديد أسماء رسميّة محدّدة للظهور في الإعلام بدل فتح المجال لكلّ داعية؛ فمجتمعنا مسلم عن بكرة أبيه ولا يحتاج مزيد إسلام !

قلم ثالث: يتوجّع من حال وطنه الذي استشرى في جسده نور الدين!! تنتشر مراكزه الصيفيّة في كل مكان، وتحلّق في أجوائه المخيّمات الصيفيّة، ويطالب بالتحديث وتغيير نظرة المجتمع للحياة، وزرع البسمة بدل اقتطافها، وذلك لا يتمّ إلا بمشروع مبارك لاحياء مزيد من الحفلات الموسيقيّة وفتح المجال أمام المرأة لمنافسة الرجل في عمليّة اختلاط لا تجد من ورائها أيّ فرصة حقيقيّة لبناء سوق عمل سعوديّ منتج بقدر ماهي دعوة لإحلال الفساد وتطبيع الانحراف في مجتمع آمن لم ير ولم يسمع من قبل شذوذًا بمباركة أبنائه!

أقلام تنحدر من أعلى قمم المسؤوليّة الأخلاقيّة تهوي بالأمة ألف خريف وهي لا تدري..وأصوات تعالت حاسرة عبر الفضائيّات التي انتشرت انتشار النار في الهشيم لتفتح لهم (وبأموالنا) منافذ تأثير لم تحلم بها عقولهم القاصرة عن فهم أيّ شيء.

هاهم يمتطون كراسي التقديم والإعداد ليعلنوا عن هجومهم الرامي إلى إلصاق تهمة التطرّف بفكرنا الدينيّ، وتوزيع الجرائم على المجتمع كل وفق تخصصه؛ فهذه الفئة تقتل إبداع النساء، وأخرى تحرمها من الميراث، وثالثة تمنعها من العمل، ورابعة

تعتبر التحدّث عن الاعتدال سلوك غير طبيعي ينتهزه رجال الدعوة لعبور نفق الإرهاب ناسية أو متناسية أنّ الإسلام دين الاعتدال، وأنّ علماءنا ودعاتنا أهل منهج الوسطيّة عقيدة لا تملّقًا وتقية!!

ومتجاوزين التاريخ الإسلاميّ العتيق الذي نزل وحيًا من السماء، وانتقل انطلاقًا من ارض الحرمين الشريفين مشكّلا أبناء هذه الجزيرة قدوات يتطلع إليهم الجميع منذ فجر التاريخ الإسلاميّ.

إنّ هذه الدعوات تهدف (إضافة إلى علمنة البلاد) إلى محاولة تحطيم القدوات الإسلاميّة التي يتقدمها أبناؤنا من علماء ودعاة إجلاء في صفوف المواجهة الحضاريّة الإسلاميّة مع الآخر إلى تقديم نماذج جديدة من القدوات المحليّة للعالم الإسلاميّ .. الرذيلة وطنها، والإسلام خصمها فتحلّ بارتفاع أسهم هذه النماذج نكبة كبرى في عالمنا الإسلاميّ عن بكرة أبيه؛ إذْ بانهيار المركز تتفتّت الأطراف.

دعوات خطرة وغايات هرمة وانتهازية مقيتة ومحاولات تصفية حسابات بالية في موطن يعيش أزمة وتربص شديدين ينبغي على من ملك فكرا نيرا أو قلما طيعا أن يدرك خطورة المرحلة وإسلامية هذه البلاد التي حباها الله بالحرمين الشريفين فذلك اعز وأنقى من لخضوع لولاية الغرب وحجز مقاعد التبعية الحداثية لمن يريد محاربة دين هذه البلاد والاعتداء على مقدساتها

=============

#البديل الإسلامي في مجال الإعلام

د. عبد القادر طاش 1425/2/15

2004/04/05

تتميز رسالة الإسلام بأنها منهج شامل للحياة بامتدادها الدنيوي والأخروي: (قُل إنَّ صَلاَتي ونُسُكِي ومَحْياي ومماتي للهِ ربِّ العالمين، لا شَريكَ له وبذلك أمِرتُ وأنا أوَّل المُسلمين) (سورة الأنعام : 162 – 163). ولقد اعتورت المسلمين في حياتهم الحاضرة أسباب الضعف والتفكك، وعوامل الانحراف والتفلت حتى ذبل في نفوسهم وسلوكهم الفردي والاجتماعي ذلك التصور الشمولي للإسلام باعتباره منهجاً للحياة، ودستوراً لحركة الإنسان والمجتمع في هذا الكون.

ولعل من نعمة الله علينا – نحن المسلمين – أن تشهد الساحة الإسلامية في الآونة الأخيرة صحوة إسلامية مباركة، تنطلق من الإحساس بالحاجة إلى تطوير مناهج الإصلاح في حياة المسلمين، بما يتوافق مع أصالة المنهج الإسلامي باعتباره صالحاً لكل زمان ومكان أولاً، وبما يستوعب متغيرات المرحلة الراهنة التي يعيشها المسلمون ثانياً، وبما يتواءم مع الاستجابة الواقعية المبصرة للتحديات التي تواجه التطبيق العملي المتكامل للمنهج الإسلامي في واقع الحياة المعاصرة أخيراً.

وإن من المنطق – ونحن نشهد هذه الصحوة المباركة – أن ننادي بتحويل الإحساس بالحاجة إلى شمولية الإصلاح، وتكامل التطبيق للمنهج الإسلامي، إلى برنامج عمل واضح المعالم، مفصل الجوانب، يقدم البدائل الإسلامية في مختلف مجالات الحياة.

وتكتسب المطالبة بإيجاد البديل الإسلامي في ميدان الإعلام – بجانبيه النظري والتطبيقي – أهمية بالغة لما تتمتع به وسائل الاتصال الجماهيرية اليوم من مكانة خطيرة في توجيه عقليات الجماهير، وتشكيل سلوكياتها في الحياة، في عالم تحول إلى (قرية كونية)، قصرت وسائل الاتصال الالكترونية المسافات بين أجزائه، وربطت شبكةً معقدة من الاتصالات بين دوله وشعوبه، بصورة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية كله.

إن وسائل الاتصال الجماهيرية تعد اليوم الجهاز المركزي الذي يوجه الفرد والمجتمع، ولذلك فإنَّ صياغة منهج للإعلام الإسلامي يعمل على سد الفراغ الهائل في منظومات المنهج الإسلامي ليعتبر ضرورة ملحّة، حتىّ يمكن بلورة أنموذج جديد للإصلاح الإسلامي يقوم على الشمول والتكامل والواقعية.

وهذه الإضاءات المتواضعة محاولة لطرح بعض التساؤلات الحيوية حول الإعلام الإسلامي، ومفهومه، ودوره ومسؤوليته، في وقتٍ نحن في مسيس الحاجة فيه إلى جلاء صورته، وتحديد معالمه، والكشف عن كنوزه وذخائره، والتخطيط من أجل تحويله إلى واقع حيّ، يتعانق فيه القولُ مع العمل، وتتلاحم فيه النظرية بالتطبيق.

وتتركز الإضاءات التي أحاول تسليطها حول ثلاثة تساؤلات هي:

– لماذا نحتاج إلى الإعلام الإسلامي؟

– وما الإعلام الإسلامي الذي نريد؟

- وكيف نصل إلى الإعلام الإسلامي؟

لماذا الإعلام الإسلامي؟

إنَّ المطلب القّيم لا بد أن تتوافر له مبرّرات قوية ومقنعة، تسّوغ تبنيه بإخلاص، وتدفع إلى الدعوة إليه بإلحاح، وتقوي العزائم في سبيل تحقيقه في الواقع بلا توانٍ أو هبوط. وتستند المطالبة بأسلمة الإعلام وصياغته صياغة إسلامية إلى مبررات ثلاثة هي:

1- المبرّر المنطقّي:

لقد جاء الإسلام - كما ذكرنا سابقاً - ليكون منهجاً شاملاً للحياة كلها بجميع جوانبها ومجالاتها. وقد رسم الإسلام للإنسان معالم لنظمه الاجتماعية المختلفة، لتتوافق هذه النظم مع الغاية الرئيسة لوجوده، وهي استخلاف الله له في الأرض لعمارة الكون وفق منهج الله وتحقيق عبادته وحده.

وارتباط المسلم بإسلامه ليس ارتباطاً عاطفياً روحياً فحسب، بل هو - إلى جانب ذلك - ارتباط واقعي عملي من خلال تطبيق شرائع الإسلام وهديه وتعاليمه السامية وتوجيهاته الربانية في مجموعة من النظم الإسلامية التي حكمت حياة المسلمين في شؤونهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمدنية والعسكرية.

وعندما ضعف التزام المسلمين بمبادئ دينهم، وتكالبت عليهم القوى الاستعمارية التي استهدفت خلخلة التصور الشمولي للإسلام وتطبيقه في حياتهم، تحوّل ارتباط معظم المسلمين بالإسلام في العصر الحاضر إلى مجرد ارتباط عاطفي محدود، يكتفي فيه المسلم بإقامة شعائره والتعبديّة، وتزكية نفسه بالرياضيات الروحية والأخلاقية الفردية. وقد نتج عن هذا المفهوم المغلوط لحقيقة الالتزام الإسلامي أن حفلت حياة المسلمين بصور الازدواجية والتناقض بين الارتباط العاطفي بالإسلام في ميدان العباد والأخلاق الفردية، وبين الارتباط العلمي الواقعي بالمذهب المناقضة للإسلام في ميدان النظم والتشريعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

إنّ حياة المسلمين المعاصرة لن تتحقق لها الصبغة الإسلامية إلا عندما ينسجم ارتباطها العاطفي بالإسلام في الجانب العقدي والروحي والفردي مع ارتباطها العلمي والواقعي بالإسلام في الجانب التشريعي والتنظيمي. ومن هنا تكتسب الدعوة إلى

صياغة المعارف والنظم في حياة المسلمين صياغة إسلامية أهمية بالغة. بل إنَّ تحقيق هذا الهدف يعتبر التحدي الحقيقي الذي ينبغي على الأمة الإسلامية أن تواجهه في وقتها الراهن.

ويعتبر الإعلام فرعاً مهماً من فروع المعرفة العلمية والتطبيقية، التي تحتاج إلى العناية بتأصيل مفاهيمها ومناهجها وتهذيب أساليب وطرق ممارستها الواقعية وفقاً لهدي الإسلام وتوجيهاته. وتتعاظم أهمية صياغة النظام الإعلامي: فلسفة وغاية ومنهجاً وممارسة، صياغة إسلامية في ضوء إدراكنا لأهمية الإعلام في حياة المجتمعات، وخطورة ما يقوم به في التأثير على الأفراد والجماعات سلباً كان هذا التأثير أو إيجاباً.

إنَّ المبرر المنطقي للمطالبة بصياغة الإعلام صياغة إسلامية، يؤكد على أن هذه الصياغة نتيجة منطقية لشمول المنهج الإسلامي وتكامله.

2- المبرّر الواقعي:

يواجه المسلمون اليوم في مختلف أقطارهم ومواطنهم غزواً فكرياً وثقافياً وحضارياً رهيباً. ولم يَعُد هذا الغزو الحضاري الشامل مقصوراً على الوسائل التقليدية للغزو من كتب استشراقية، أو مذاهب هدّامة، أو مؤامرات استعمارية مكشوفة. لقد انتهى عصر الغزو الاستعماري الاستشراقي المباشر. إن الغزو الحضاري الذي تواجهه الأمة الإسلامية يستخدم وسائل جديدة، وأساليب جديدة. إن الرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة، بل إلى العقول المثقفة، عن طريق الخبر الذي تبثه وكالة الأنباء، والتحليل السياسي، أو الاقتصادي الذي تكتبه الصحيفة والصورة التي ترسلها الوكالات المصورة. والرسالة الغازية تعبر إلى العقول المثقفة عن طريق الفيلم التلفازي المدهش، وعن طريق شريط الفيديو، وعن طريق البرنامج الإذاعي المشوق. والرسالة الغازية تعبر إلى الأجيال الصاعدة عن طريق فيلم الكرتون المتقن. والرسالة الغازية تعبر إلى العقول المثقفة والأجيال الصاعدة عبر النظريات المدسوسة في مناهج التربية والتعليم، معللة بدعاوى العلم والتقدم والاكتشافات الحديثة !!

ولقد أعجبتني كلمة معبّرة لأحد المثقفين يقول فيها: (إن الغزو الثقافي الخطر اليوم لم يَعُد يأخذ صورة مبشِّر في كنيسة يُقنع (المحلّيين الهمج) باعتناق (ديانة

متحضرة) وإن كانت النشاطات التبشرية في بعض أنحاء العالم الثالث لا تزال مصدر تهديد ثقافي لا يستهان به، والغزو الثقافي الخطر اليوم يَعُد يتخذ شكل مؤامرة استعمارية تستهدف تشكيك شعب ما في تاريخه وأخلاقه وديانته، وإن كان الحديث لا ينقطع عن مؤامرات كهذه، حقيقية أو وهمية. إن أخطر ما في الغزو الثقافي المعاصر أنه أصبح ذا دافع ذاتي تلقائي، يتم دون مجهود من الجهات الغازية، ويتم دون أن يدرك ضحية الغزو أنه معرض لأي خطر، فيقدم، في حماسةٍ وبلاهة، لا على قبول الغزو فحسب، بل إلى اعتناقه واحتضانه. هنا مكمن الخطر).

إن هذا الغزو الحضاري الرهيب يعمل على زعزعة مبادئ الإسلام وقيمه وهدم أخلاقياته ومثله في نفوس أبناء المسلمين لينشأوا في غُربةٍ عن دينهم وحضارتهم وتراثهم، ويصبحوا فريسة سائغة للأفكار الغربية ونمط الحياة الغربية بكل ما فيها من انحرافات ومفاسد وأوبئة. ولقد وصل هذا الغزو إلى منازلنا ولم يعد أمامنا مفر من مواجهته، المواجهة الصحيحة التي لا تكتفي بالتنديد والصراخ والدعاء بالويل والثبور، بل بتطوير استراتيجية مُحكمة تعتمد على هدفين :

الأول: توجيه الإعلام في الدول الإسلامية نحو الأصالة والذاتية النابعة من قيم الإسلام ومبادئه، وتوفير الجو الملائم والدعم المناسب لصنع البدائل الإسلامية التي تقف في مواجهة ما يقدمه الغرب.

والثاني: تنقية الإعلام – إلى جانب التعليم – من المؤثرات الغربية العلمانية والإلحادية، وتفنيد ما تقدمه وسائل الإعلام الغربية من مفاسد وانحرافات وبيان عوارها وتهافتها بمنطق مقنع وبوسائل مكافئة.

وهذه المواجهة الواقعية للغزو الفكري والثقافي في صورتها الشاملة المتكاملة المتكافئة لن تتحقق إلاَّ عندما تتبلور في أذهان المسلمين الصورة الحقيقية للإعلام الإسلامي، وتتوالى معطياته الواقعية وثمراته العملية في واقعهم المعاصر، إذ لا يمكن أن يهزم الباطل الزائف إلا الحقُّ الأصيل: (بَل نَقذفُ بالحَقِّ الباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فإذا هُوَ زاهِقٌ) (الأنبياء: 18).

3- المبّرر الإنساني:

وسائل الإعلام، لسان هذا العصر. وقد أدرك أصحاب الديانات والمذاهب والأفكار أهمية استغلال هذه الوسائل في سبيل إيصال أفكارهم وعقائدهم ومذاهبهم إلى الناس. وكان النصارى الصليبيون أكثر الناس إدراكاً لهذه الأهمية، وأسبقهم إلى استخدامها في مجال التنصير.

وفي الوقت الذي ينشط فيه أصحاب الديانات المحرّفة والمذاهب الفاسدة لاستغلال وسائل الإعلام لخدمة أغراضهم، نجد المسلمين غائبين عن الساحة الإعلامية إلاّ بعض جهود محدودة لا أثر لها.

والبشرية اليوم قد سئمت من الدين المحرّف، وانصرفت عن المذهب الفاسد، وهي تعيش ضياعاً وقلقاً واضطراباً. وقد أثقل كاهل الإنسانية في وقتها الراهن كابوس الإلحاد والعلمانية، والفساد الخلقي، والظلم والاستبداد السياسي، والاستغلال الاقتصادي، والتفكك الاجتماعي، وتعالت الصيحات تبحث عن مصدر للأمان والعدالة والحياة الكريمة، فأين سيجدون كل ذلك إلاّ في الإسلام ؟!!

إن البشرية اليوم بحاجة إلى الإسلام أكثر من أي وقت مضى. والمسلمون مطالبون – وفقاً للتوجيه الإسلامي بمخاطبة الناس بلغتهم ووسائلهم– بأن يستخدمون وسائل الاتصال والإعلام في سبيل الدعوة إلى الإسلام، وتوضيح صورته الناصعة، وإبراز محاسنه وثمراته للناس في كل مكان. إنَّ تبليغ رسالة الإسلام العالمية، وإيصال دعوته إلى البشرية كلها مبّررٌ إنساني عظيم للدعوة إلى صياغة الإعلام صياغة إسلامية حتى يمكن أن يؤدي هذا الإعلام دوره في الحياة الإنسانية.

ما هو الإعلام الإسلامي الذي نريد ؟

تختلف نظرات الناس حول الإعلام الإسلامي ما بين النظرة الجغرافية، والنظرة التاريخية، والنظرة الواقعية التجزيئية. فالنظرة الجغرافية تفهم الإعلام الإسلامي على اعتبار أنه الإعلام الصادر من دول العالم الإسلامي، أو الجهات التي تنتسب إلى الإسلام. وتكاد هذه النظرة أن تكون النظرة السائدة في الدراسات الأجنبية عن الإعلام الإسلامي. ولذل تصنف هذه الدراسات إعلام الدول التي تقع في إطار العالم الإسلامي ضمن الإعلام الإسلامي بمفهومه الجغرافي الرسمي، دون تمييز في المنهج أو الغاية أو الممارسة.

والنظرة التاريخية للإعلام الإسلامي تكاد تحصر الإعلام الإسلامي في إطار زمني ضيق، فتوحي بأن الإعلام الإسلامي مفهوم تراثي، وممارسة محدودة في فترة زمنية معينة، مثل تلك الدراسات التي تتناول الإعلام ووسائله في عهد النبوة أو الخلفاء الراشدين.

أما النظرة الواقعية التجزيئية للإعلام الإسلامي، فتستند إلى صورِ الممارسة الواقعية لبعض جوانب الإعلام الإسلامي المحدودة، وتفهم هذا الإعلام باعتباره إعلاماً (دينياً متخصصاً). ولذلك يغلب على من ينحو هذا المنحى أن يفهم الإعلام الإسلامي في حدود الصفحات الدينية، وركن الفتاوى، والخطب المنبرية، في الصحافة اليومية، أو في حدود تلك الصحف والمجلات التي تسمّى نفسها بالإسلامية، أو في حدود البرامج والأحاديث الدينية في الراديو، أو في حدود البرامج والأفلام والمسلسلات التاريخية والدينية، التي يشاهدونها عبر الشاشة التلفازية أو السينمائية !!

ورغم أن هنالك بعض جوانب الصحة في هذه النظرات المختلفة للإعلام الإسلامي، إلاً أنها لا تعبر عن حقيقة الإعلام الإسلامي بشموله وتكامله، ولا تمثل جوهره الأصيل، وخصائصه النظرية والتطبيقية. فالنظرة الجغرافية توهم الإعلام الصادر من دولة مسلمة يكتسب الشرعية الإسلامية بمجرد انتسابه إلى الدولة المسلمة، دون اعتبار لغاية ذلك الإعلام ومنهجه، ودون اعتبار لمضمونه وأساليب ممارسته. والمؤسف أن واقع الإعلام المعاصر في كثير من دول العالم الإسلامي لا يصور أبداً حقيقة الإعلام الإسلامي. والتحليل العلمي الموضوعي يكشف لنا أن كثيرا من منطلقات الإعلام، ومضامينه، وأساليب، ممارسته، وقواعد تنظيمه في كثير من الدول المسلمة يسير في ركب التقليد والتبعية للأنماط الغربية أو الشرقية في الإعلام، ويفتقد الهوية الإسلامية الواضحة !!

والنظرة التاريخية للإعلام الإسلامي، نظرة قاصرة، إذ تحجّم هذا الإعلام وتصوّره على أنه إعلام تراثي عتيق، ينفصل عن الواقع، ويبتعد عن معالجة قضايا العصر والاستفادة من معطياته ومنجزاته. والحقُّ أن الإعلام الإسلامي ليس مرتبطاً بفترة

زمنيـة، ولـيس محـدوداً ببقعـة مكانيـة محـدودة، بـل هـو مـنهج يتجـاوز حـدود الزمـان والمكان، ويحمل في طياته بذور الملائمة لكل زمان ومكان.

أما النظرة الواقعية التجزيئية للإعلام الإسلامي، فهي نظرة مجحفة، غير منطقية، وهـي مثـل سـابقتيها تحجـم هـذا الإعـلام، وتفصلـه عـن الواقـع، وتخصّـص لـه جـزءاً محـدودا مـن النشـاط الإعلامـي الحافـل. وهـذه النظـرة ذات أثـر خطيـر فـي حيـاة المسلمين، لأنها تفصل الإعلام بنشاطاته الواسعة وممارساته المتنوعة، عن الهدى الإسلامي،ن وتكتفي بتحكيم الإسلام في جزءٍ من النشاط الإعلامي، ثم لا تبالي أن ينـاقض الإعـلام مبـادئ الإسـلام وأخلاقـه ويتعـدى حـدوده وضـوابطه فـي الأجـزاء الأخرى التي يطلق عليها (الإعلام العام) !! وكأن هذا المفهوم يقترب من المفهوم الغربي العلماني في فصل الدين عن الحياة، واعتبار الدين شأناً فردياً وعقيدة مكنونـة، يخصص له جزء من النشاط الإنساني، ولا سلطان له على الواقع، ولا هيمنة لـه على الحياة الاجتماعية ونشاطاتها العامة.

إنَّ المفهوم البديل، بل المفهوم الحقّ للإعلام الإسلامي هو المفهوم المنهجي، الذي لا يجعل مقاييس إسلامية الإعلام مبنية على أساس الحدود الجغرافية والمكانية، أو الوضعية التاريخية المحدودة، أو الممارسة الواقعية الخاطئة للإعلام في الحياة، بل يبنـي تلـك المقـاييس والمعـايير علـى أسـاس المنطلقـات الرئيسـة والأطـر الفكريـة والاجتماعيـة والإنسـانية المنبثقـة مـن روح الإسـلام وتصـوراته الكليـة وقيمـه السـامية، وعلى أساس الضوابط الشرعية التي ينبغي أن يسير الإعلام على هدي منها، ويلتزم بها في نشاطاته المختلفة وممارساته الواقعية.

إن الإعلام الإسلامي – بهذا المفهوم المنهجي – روح تسري في النشاط الإعلامي كله، تصوغه، وتحركه وتوجهه منذ أن يكون فكرةً إلى أن يغدو عملاً منتجاً متكاملاً، مقروءاً كان أو مسموعاً أو مرئياً. وبذلك يصبح الإعلام الإسلامي منهجاً قويماً تسير وفقه جميع النشاطات الإعلامية في كافة الوسائل والقنوات دون أن يحيد نشاط واحد منها عن الطريق، أو يتناقض مع النشاطات الأخرى سواء في الوسيلة الواحدة أو الوسـائل المتعـددة. وبـذلك – أيضـاً – يصـبح الإعـلام الإسـلامي حكمـاً موضـوعياً

تتحاكم إليه جميع هذه النشاطات الإعلامية ثم لا يجد نشاط منها حرجاً في التسليم لحكمه والإذعان لتوجيهه.

وفهم الإعلام الإسلامي بهذه الصورة الشاملة، ينسجم مع الحقيقة الأصلية لهذا الدين، وهي أنه منهج شامل للحياة، وليس منهجاً جزئياً يعالج جانباً من جوانب الواقع الإنساني، ويهمل الجوانب الأخرى. وهذا المفهوم للإعلام الإسلامي، يحقق في حياة الأمة الإسلامية على الدوام الاستقرار والتوازن، ويخلصها من آثار الازدواجية والتناقض والصراع التي تعاني منها الأمة، كلما ابتعدت عن منهج الله. والنشاط الإعلامي المعاصر يعاني من هذه الأمراض الخطيرة، حيث تجد الازدواجية والتناقض في الوسيلة الواحدة فضلا عن وجودهما في الوسائل المتعددة، حيث تستمع إلى برنامج (ديني) يحث على الفضلة، فيعقبه مباشرة برنامج آخر يغري بالرزيلة، أو أغنية ماجنة تزين السقوط بصورة مشوقة !! وتشاهد في التلفاز برنامج (دينيا) يبنى في نفوس المشاهدين معاني الرجولة والصلاح والخير، ثم لا تلبث أن تصدم في الوسيلة نفسها بفيلم مثير، ينقض كل ما بناه البرنامج (الديني) ويهدمه!! والأنكى من ذلك أن يقدم البرنامج (الديني) في أسلوب جاف وإخراج رتيب، فلا يجذب المشاهد ولا يجوز على رضاه، بينما يخدم الفيلم غير الديني خدمة فائقة، فيقبل عليه الصغار والكبار، ويتحلق حوله الشباب والشابات في رغبةٍ وحماس!!

ولو نظرنا إلى واقع النشاط الإعلامي والنظم الإعلامية في المجتمعات المختلفة التي لا تدين بالإسلام لوجدنا ذلك النشاط في مجتمع ينبع أصلاً من التصورات العقدية والأيديولوجية للمجتمع، وينطبع بالقيم والتقاليد والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة فيه، ولوجدنا أن النظام الإعلامي يخدم أساساً الغايات والأهداف البعيدة والقريبة التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها. فالإعلام في الدول الغربية (اللبرالية) العلمانية ينطلق من غايات المذهب (اللبرالي) العلماني، وفلسفته، ويروج بطرق مباشرة وغير مباشرة للنمط العلماني الغربي للحياة الذي يفصل الدين عن واقع الحياة، ويجمد الحرية الفردية، ويعلي من قيمة الأنانية، والإنجاز الشخصي، ويعمق روح المادية والاستهلاكية. والإعلام في الدول الشيوعية يصطبغ بفلسفة الأيديولوجية الماركسية، وينطلق من غاياتها، ويروج بطرق مباشرة وغير مباشرة للنمط الإلحادي

الماركسي للحياة الذي يصور هذه الحياة بأنها صراع بين الطبقات، ويجعل الحزب (ديكتاتوراً) متسلطاً ومهيمناً على الناس، ويوظف الإعلام ليكون خادماً للسلطة ومجرد أداة لتحقيق رغبات الحزب وشهواته !!

وللإسلام – دون شك – فلسفته الإعلامية الخاصة به. وفي ضوء هذه الفلسفة المستقاة من المصادر الأصلية للمنهج الإسلامي، تتحدّد معالم النشاط الإعلامي داخل المجتمع الإسلامي وخارجه. ولقد وضع الإسلام أصولاً عامة وقواعد كلية لكافة جوانب العملية الإعلامية. ولكن هذه الأصول والقواعد مبثوثة في المصادر الإسلامية المتمثلة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي اجتهاد فقهاء المسلمين وعلمائهم عبر العصور المتعاقبة. والإعلام اليوم غداً علماً منظماً. ولذلك فإن المسلمين بحاجة ماسة إلى صياغة منظومة إعلامية ذاتية لهم، تحدّد معالم الهدى الإسلامي في النشاط الإعلامي من حيث :

أ – فلسفته الأساسية، وإطاره الفكري العام المبني على التصوّر الإسلامي للكون والحياة والإنسان وغاية الوجود الإنساني.

ب – غايته الكبرى، ومنهجه الأصيل في تحقيق تلك الغاية.

ج – وظائفه العامة والخاصة، ومدى ارتباط هذه الوظائف بالحاجات الواقعية لأفراد المجتمع، ومقدار استجابته للظروف المحيطة بهم.

د – أساليبهُ وطرقه في تقديم المضمون إلى الناس، ومدى مراعاة هذه.

الأساليب لخصائص الجمهور المتلقي للرسالة الإعلامية، وكيفية تفاعله معه.

هـ– وسائله وقنواته المتنوعة سواء التقليدية منها والحديثة، وخصائص

الوسائل الخاصة بالإعلام الإسلامي والتي ينفرد بها عن غيره من المذاهب الإعلامية الوضعية كقنوات الاتصال الشخصي المنظم، وألوان الاتصال الجمعي والدولي المتميزة، وكيفية استثمارها وتوظيفها لخدمة أهداف المجتمع المسلم وغاياته.

و– نظمه وسياساته العامة والخاصة والأسس والضوابط التي يضعها الإسلام لتقنين تلك النظم وصياغتها، وترشيد السياسات الإعلامية التي يتبناها.

وهذا العمل الذي يستهدف صياغة منظومة إعلامية إسلامية للمجتمع الإسلامي لن يتحقق إلا خلال اجتهاد عصري يقوم به علماء يمتلكون زاداً متيناً من العلم الشرعي،

ويمتلكون أيضاً زاداً متيناً من العلم الإعلامي في جانبيه النظري والتطبيقي. ولا بد من أن يعتمد هذا الاجتهاد العصري على تلاحم عنصرين هامين هما:

أولاً: دراسة المصادر الأساسية للإسلام دارسة إعلامية علمية لاستنباط الأسس والقواعد التي تنظم العملية الإعلامية أو ترشد إليها. ويردف هذه الدراسة محاولة الكشف عن ذخائر التراث الإسلامي عبر العصور مما له صلة بالممارسة الإعلامية.

ثانيا: دراسة نتاج البحوث والدراسات والممارسات الإعلامية المعاصرة واستيعابها، ثم استلهام روح التشريع الإسلامي ونتائج الدراسة الإعلامية العلمية لمصادر الإسلام وتراث المسلمين للوصول إلى رؤية واضحة لما ينبغي أن يكون عليه الإعلام الإسلامي في الجوانب النظرية والتطبيقية التي ذكرتها آنفاً.

كيف نصل إلى الإعلام الإسلامي ؟

إنَّ تحقيق ثمرة هذا التصور النظري للإعلام الإسلامي، بشموله وتكامله، لن يكون إلاّ بمحاولة الإجابة على هذا التساؤل الملحّ: كيف نصلُ إلى الإعلام الإسلامي؟.

وفي تصوّري أنَّ الوصول إلى الإعلام الإسلامي يحتاج منّا العمل الدؤوب في أربعة ميادين رئيسة هي:

1- ميدان الإعداد والتأهيل البشري:

إنَّ أهم الوسائل للوصول إلى تحقيق الإعلام الإسلامي في واقع الحياة وأنجعها هو إعداد الكفايات البشرية المتخصصة في الإعلام، وتأهيلها فكرياً، وخُلُقياً، وعملياً، ومهنياً. إن الإنسان هو العنصر الأول في إحداث أيّ تغيير مقصود. والعناية بإعداد الإعلاميين الإسلاميين، وتأهيلهم حتى يكونوا قادرين على تحمل هذه المسؤولية الضخمة، ليس أمراً سهلاً قليل التكاليف، بل هو عمل كبير، يتطلب منا جهوداً عظيمة وطاقات عديدة. إن الطبيب - وهو يطّبب الأبدان- يمر بفترة صعبة ومكثفة وطويلة من إعداد والتأهيل، فما بالك بالإعلامي، وهو المعلم، والمربي، والقائد، والموجه، وصانع الرأي في المجتمع ؟! إن مهمّته- ولا شك - أعظم، ومسؤوليته أكبر، فهو يطّبب النفوس، ويؤثر في العقول، ويسهم في صياغة مواقف الناس وسلوكهم. ومن ثم، وَجَبَ أن يكون تأهيلُه موازياً لهذه المسؤولية المنوطة به ولابدّ

لإعداد الإعلامي الإسلامي وتأهيله من أن يتكامل المنهج العلمي والعملي في الجوانب التالية:-

أ - الإعداد الأصولي والفكري، حيث يتعرّف الطالب على الأصول العقدية والفكرية والتشريعية للإسلام من خلال مجموعة مختارة من المقررات الشرعية والفكرية في القرآن الكريم، والتوحيد، والتفسير، والحديث، والفقه، والثقافة الإسلامية.

ب - الإعداد اللغوي والتذوقي، فاللغة وسيلة الإعلامي، بل هي وعاء الفكر والثقافة، ولذلك لا بد له من أن يدرس بعض المقررات في اللغة العربية نحواً وصرفياً وفقهاً، وأن يسعى إلى التمكّن في فنون القول، والبيان والأسلوب، والتعبير، والتذوق الأدبي.

ج - الإعداد التخصصي والمهني، وهذا الإعداد لا بد أن يتكامل فيه الجانب النظري والجانب العملي التطبيقي حتى لا تصبح دراسة الإعلام دراسة نظرية بحتة. ولا بد من اكتساب الطالب للمهارات العملية والمهنية المطلوبة منه في واقع الممارسات الميدانية.

د - الإعداد الثقافي العام، وهذا يتطلب الإلمام بالواقع الذي يعيش فيه، من حيث قضاياه ومشكلاته، وأحداثه، وتياراته، كما يتطلب الإلمام ببعض المعارف والعلوم المُعنية له على فهم هذا الواقع وتحليله، وهي علوم وثيقة الصلة بالإعلام كعلم النفس والاجتماع، والعلوم السياسية والاقتصادية، واللغة الأجنبية.

ولا بد من التأكد هنا على أن من مستلزمات هذا الإعداد الصارم للإعلاميين الإسلاميين، أن يخضع الطلاب الذين يقبلون في أقسام الإعلام لشروطٍ موزونة سواء في المجال العلمي أو الأخلاقي. ولا بدّ أن يتوافر فيهم الحدّ الأدنى من الموهبة، والاستعداد النفسي. كذلك لا بد من التأكيد على أن يتوافر لهؤلاء الطلاب في المحيط الأكاديمي جوّ من العلاقة الحميمة بينهم وبين أساتذتهم، المبنية على الثقة والاحترام والتهذيب التربوي والتوجيه الأخلاقي عبر القدوة الصالحة التي يجدها الطلاب في أساتذتهم وموجهيهم. ويعد الجانب التربوي والأخلاقي ذا أهمية بالغة في مجال إعداد الإعلامي الإسلامي نظراً للصعوبات الجمّة والتحديات العديدة والمغريات المتنوعة التي تصادف الإعلامي الإسلامي في حياته العملية.

2- ميدان التأصيل والتنظير العلمي:

ما يزال الاهتمام بتأصيل قواعد الإعلام وأصوله وممارساته من وجهة النظر الإسلامية، محدوداً ومتناثراً. والمطلوب أن يتصاعد الاهتمام العلمي بالإعلام الإسلامي تأصيلاً وتنظيراً، وأن يركز على النوعية. وينطلقُ هذا الاهتمام من خلال إنشاء ودعم معاهد ومراكز البحوث الإعلامية، التي تهتم بالإعلام الإسلامي، واستقطاب الباحثين والدارسين الذين يتميزون بالإخلاص والوعي الإسلامي، والخلفيَّة الشرعية، والاستيعاب العلمي للتخصص الإعلامي، إلى جانب تمتعهم بالمنهجية في التفكير، والتمكن من أساليب البحث العلمي ووسائله.

ولعل من الأهمية بمكان أن تسير هذه الجهود العلمية التأصيلية وفق خطة مدروسة وتصّور سليم للأولويات، وأن تعتمد على أسلوب فرق العمل الجماعية بدلاً من الأعمال والاجتهادات الفردية المحدودة. ولا بد من أن تتوافر لهذا العمل التأصيلي العلمي إمكانية بشرية ومادية ملائمة، كما لا بد من توافر قنوات علمية تُسهم في تحريكه وبلورته وانضباطه كالندوات العلمية، والحلقات الدراسية، والمشايع البحثية، والمؤتمرات واللقاءات، التي تتلاقح فيها الأفكار، ويتبادل فيها الباحثون والدارسون الآراء، ويتناقشون فيها حول نتائج بحوثهم ومؤلفاتهم.

3- ميدان الإصلاح الواقعي :

والمقصود بهذا: الإسهام الإيجابي في إصلاح أوضاع المؤسسات الإعلامية القائمة في العالم الإسلامي، الرسمية منها وغير الرسمية، وتنقيتها من الشوائب وترشيد مسارها الإعلامي، سواء ببذل النصح والمشورة، أو دعم الأعمال التي تخدم الإعلام الإسلامي، أو المشاركة العلمية في تلك المؤسسات والهيئات في ميادينها القيادية والإنتاجية والتقويمية.

ويبدأ الإصلاح الواقعي بمحاولة إيجاد قنوات تواصل وتعاونٍ بين المهتمين بشؤون الدعوة والإرشاد والإعلام الإسلامي من جهة، وبين العاملين في المجال الإعلامي من جهةٍ أخرى، وذلك من أجل تضييق الفجوة بينهم. ولقد عانت الأمة من جرّاء انعزال العلماء وذوي الاتجاهات الإسلامية عن الوسائل الإعلامية، وعدم توثيق صلاتهم وعلاقاتهم بالعاملين في هذه الوسائل. وإنَّ السعي من أجل تنظيف الإعلام من الانحرافات والتشوّهات هدف نبيل ويحتاج إلى تحمل وصبر واقعي للظروف التي

يعيش فيها الإعلام. وإنَّ انتهاج أسلوب التدرج في الإصلاح ضرورة لازمة في ضوء معرفتنا أنَّ كثيرًا من المفاسد والانحرافات التي تحيط بوسائل الإعلام قد استغرق نشرُها وتكريسها زمناً ممتداً، وإصلاحها أو تخليص الإعلام منها يحتاج إلى زمن ممتد أيضاً، وما أسهل الهدم وما أصعب البناء !!

ولا أعتقد أنَّ من الإيجابية في شيء أن ننساق وراء الدعوة إلى عدم الاستجابة لضغط الواقع في المطالبة بإنتاج البدائل الإسلامية، والغياب عن الساحة الإعلامية، بدعوى انتظار نضوج الرؤية النظرية للإعلام الإسلامي، أو بدعوى أن الإنتاج الإعلامي الإسلامي والمشاركة المحدودة في وسائل الإعلام القائمة لن تجد نفعاً خضم التيار الجارف، وأنها ستكون صرخة هائمة في وادٍ سحيق. إن هذا الاتجاه السلبي- في نظري- لن يحقق ما يصبو إليه المخلصون للإعلام الإسلامي. والجهود الصغيرة المتواضعة عندما تجتمع وتتراكم وتتواصل، لا شك أنها ستثمر -بإذن الله تعالى- ثمرات يانعة تفيد الناس وتبقى في المجتمع: (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرارٍ) (إبراهيم : 24-25).

4- ميدان الإنتاج العملي المتميز:

إنّ صناعة البدائل الإسلامية في مجال الإعلام بمختلف فنونه وضروبه وألوانه، تحتاج إلى المبادرة إلى إنشاء مؤسسات وشركات إسلامية للإنتاج والتوزيع الإعلامي في مختلف المجالات، من طباعة، وصحافة، ونشر، وتلفاز، وفيديو، وتسجيلات صوتية، وشرائح مصورة، وأفلام سينمائية وغيرها. وإنشاء مثل هذه المؤسسات يتطلب طاقات بشرية عديدة، ويتطلب تكاليف مادية ومالية باهظة. ولكن الاستثمار في هذا النوع من الإنتاج سيحقق مكاسب معنوية ومادية لا نظير لها.

ولكن ينبغي التنبيه إلى أهمية أن يتولّى مثل هذا الإنتاج العملي الإسلامي المميّز طاقات ذات إخلاص وتقوى، وأن يستعان فيه بأهل الخبرة والمعرفة وان تكون الأعمال المنتجة، متقنةً من حيث جوانبها الفكرية والفنية، حتى لا تشوّه الإنتاج الإسلامي البديل وتعطي صورةً سيئة عنه. ولذلك لا ينبغي الاستعجال في هذا

الجانب إلاّ بعد استكمال العدّة : تصوراً ومضموناً، وتوافر العناصر البشرية: إخلاصاً وتمثلاً، وإتقان العمل فنياً وحرفياً.

إن صياغة الإعلام- نظرياً وتطبيقياً- صياغة إسلامية، ليست مشروعاً سهلاً سريع التنفيذ. بل هو مشروع عملاق يمثل صورة من صورة التحدي الحضاري الشامل الذي تواجهه الأمة الإسلامية في حاضرها ومستقبلها. وإن توافر الجو السياسي والاجتماعي الملائم، والدعم المعنوي والمادي المناسب لتنفيذ مثل هذا المشروع العملاق، يُعدُّ ركيزةً أساسية للانطلاق نحو تحقيقه في واقع الأمة الإسلامية.. فالنشاط الإعلامي مرتبط دائماً بالبيئة السياسية والاجتماعية التي يعيش فيها، ويتأثر بها، سلباً وإيجاباً.

ولكن لا ينبغي أن يصيبنا اليأس أو الإحباط بسبب ضخامة التكاليف المعنوية والمادية، بل ينبغي أن يكون ذلك دافعاً قوياً لنا لنروّي الأمل المتفتح في قلوبنا وواقعنا بماء الإخلاص، والعزيمة الصادقة، والتخطيط المدروس، والعمل الجادّ، والسعي الدؤوب المتواصل حتى يثمر الأمل ويتحقق الحلم. وقد يكون من المناسب أن نلقي نظرة على واقع الإعلام العالمي والإعلام العربي المعاصر، والمأمول الذي نتطلع إليه حتى يؤدي الإعلام العربي الإسلامي دوره ويبلغ رسالته إلى الإنسان

==============

#أمريكا.. انحطاط مغلَّف بالقوة!

صافيناز كاظم 1425/2/9

2004/03/30

الغرب دائمًا..ككيان استعماري ينظر إلينا نحن العرب نظرة متعالية شديدة الاعتداد بالذات واحتقار الآخر، وللأسف أسهم في دعم هذه النظرة الاستعلائية الغربية نحونا بعض مثقفينا وكتابنا الذين بالغوا في الثناء على الحضارة الغربية ومنجزاتها!.

لكن مع اختلاطي بنتاج هذه الحضارة سواء بالقراءة أو الدراسة أو بالمعايشة وجدت أن النظرة الاستعلائية للغرب تخفي وراءها عنصرية متعصبة ضد من يخالفهم في الجنس أو العقيدة؛ وهذه الروح العنصرية ضد الجنس و العقيدة طالما ضربتهم هم أنفسهم فيما بينهم؛ فالمذاهب المسيحية الكنسية تنازعت، والعناصر العرقية المتعددة

تحاربت؛ ففي أساس الحضارة الغربية هناك نظرة فاسدة أراها حضارة متخلفة تمامًا، وأعجب كيف أن مثقفينا بداية من رفاعة الطهطاوي وطه حسين ولطفي السيد ولويس عوض لم يكتشفوها رغم ذكائهم؟ أو لعلهم اكتشفوها وخبأوها لسبب أدركوه!

سافرت إلى أمريكا سنة 1960 وعشت هناك ست سنوات متواصلة اختلطت بشرائح متعددة منها المثقف والجاهل والإنسان العادي وجدت فيها جهلاً شديدًا بالآخر وخصوصًا تجاه المسلمين والعرب ولم يكن هذا الجهل متواضعًا بل استعلائيًا لا يريد صاحبه أن يعرف وإذا عرف يقاوم المعرفة ويتمسك بعنصريته وانحيازه بشكل دفاعي وبشكل غريب يتباهى بقوته ويراها الكفيلة لسيادته على العالم.

إن نابليون على سبيل المثال الذي غزا مصر منذ أكثر من قرنين كان جاهلاً متغطرسًا معقدًا ومع ذلك صور في بلادنا على أنه على قمة الحضارة، بينما عرف أهله ورأوه على حقيقته قصرًا قبيحًا لا يستحق سوى أن يعزل، وكل ممثلي الإمبراطورية البريطانية كانوا على شاكلة نابليون "جهلاء متغطرسين" ، وللعلم الغطرسة وليدة الجهل والجهل يدعم الغطرسة.

انحطاط مغلف بالقوة

وأثناء وجودي في أمريكا وكنت ذاهبة إليها مشبعة بالتمجيد تجاه الغرب وحضارته الذي تم تلقينه لي على يد الأجيال السابقة علينا فوجئت بهذا الانحطاط المغلف بحضارة بالقوة، وفوجئت بمن يقول لي أثناء إحدى المناقشات " أمريكا تستطيع أن تدوس العالم بقدميها وقوتها" وإنني أندهش وأتساءل: لماذا لا تفعل ذلك طالما أن العالم يكرهنا؟

وعندما عدت من دراستي هناك – وكانت على نفقتي الخاصة– كتبت "إننا نظلم أنفسنا عندما نمجد الغرب على حساب تراثنا، وإننا جُهّلنا عمدًا بحضارتنا، وإنني مازلت أذكر ذلك المستشرق الروسي الذي قال لي يومًا بالقاهرة في أواخر الستينيات: هل قرأت للجاحظ؟ هل قرأت لابن حزم؟ هل قرأت لفلان وفلان؟ وأخذ يعدد لي علماء وكتاب الحضارة الإسلامية العظام، وكان ردي عليه: "إنني سمعت عنهم كلهم وقرأت بعضًا من مؤلفاتهم ولم أقرأ لأحدهم مجمل مؤلفاته؛ فكان رده الذي لن أنساه "يا للعار!!" ، وكنت في ذلك الوقت قد قرأت لشكسبير معظم الأدب الغربي والمسرح

الغربي من مبتدئه إلى نهايته بشكل شامل كما قرأت نصوص الفلسفة الإغريقية وما يسمى بنتاج الحضارة الغربية الأساسي، ورغم أنني جادلت هذا المستشرق الروسي إلا أنني شعرت بأنه على حق، وأن هناك كثيرًا من كتبنا المتميزة لم تمتد إليها يدي وأيدي الكثيرين غيري.

بعد ذلك كتبت مقالة نشرت بمجلة "المصور" المصرية، وهي متضمنة في كتابي الأول "رومانتيكيات" عن كتاب "جلستان" أو "روضة الورد" للشاعر سعد الشيرازي، وأذكر أن هذا الكتاب كان أول ملامسة حقيقية بيني وبين تراثنا الإسلامي، وعلقت عليه قائلة: إنني وجدت فيه إليخوت وبريخت ويونسكو وكل الطفرات الإبداعية والثقافية التي يتباهى بها الغرب بالإضافة إلى الحكمة.

تصحيح المسار

ومن هنا الذي لم أكن قد قرأته من قبل وفي مقدمته المراجع الإسلامية. وأذكر أنني قد قرأت عام 1971 كتاب الشهيد سيد قطب "في ظلال القرآن" الذي جاء في ستة مجلدات فعزز من روحي المنتصرة المكتشفة للذات وللقدرات الخاصة بنا، والتي حاول الكثيرون أن يخفوها ويطمروها بعيدًا عن عيوننا، وأن يسرقونا منها ويسرقوها منا لكي نبدو مكسورين مهزومين عميًا وبكمًا وصُمًّا في اتجاه منتجات الحضارة الغربية.

نحن في عصر المقاومة

إن قوتنا الحقيقية ما تزال موجودة في أيدينا ومطمورة حولنا؛ فانكسارات الأنظمة العربية التي زعقت في الخمسينيات، وبدت كأنها تشحذنا بالقوة والكرامة والعزة لم تكن بالقوة الكافية لمواجهة التخلف الغربي؛ لأنها في الحقيقة لم تكن سوى انكسار كبير مغلف بانتصار وهمي، ولذلك فأنا لا أعترف بما يقال من انكسار وتبعية العرب للهيمنة الأمريكية؛ فما هي إلا تبعية سطحية يقودها من يملكون أمر هذه الأمة بشكل تعسفي، فأنا شخصيًّا غير مكسورة وهذا الانكسار الذي يبدو انكسارًا من نظم شاءت أن تكو تابعة للعلمانية الغربية لمصلحتها الخاصة، وأرى أننا لسنا في عصر الانكسار والهزيمة، بل في عصر المقاومة.

=============

#ماذا يريد هؤلاء..؟!

د. خالد بن سعود الحليبي * 1424/12/25

2004/02/16

صخب وضجيج تكتظ به صحافتنا المحلية في أعمدة عدد كبير من الكتاب هذه الأيام، يتحدثون عن بلادنا ـ حرسها الله ـ وكأنها بلاد متخلفة حضاريًّا، لا تزال تعيش بين تلافيف غابات مجهولة تحتاج إلى (كولمبس) جديد ليكتشفها، فتراهم وكأنهم يمسكون بيد ضرير خشية أن يقع في حفرة، أو ليسلكوا به طريقًا لا يعرفه من قبل..! إن هؤلاء الكتبة ينادون برفع (الوصاية) من أيدي علماء الشريعة كما يعبرون ـ بدهاءٍ ـ بهذا المصطلح عن المصطلح الحقيقي الذي يريدونه وهو: (إلغاء مسؤولية العلماء عن المجتمع)، ليأخذوا هم بالزمام فينصبوا أنفسهم أوصياء على بلادنا وشعبنا، فيتحدثون باسم جماهير الشعب دون أن يحصلوا على تفويض منه، بل ولا قسم ضئيل منه؛ لأنهم لا يمثلون سوى أنفسهم، ويكررون الحديث عن المطالبة بحقوق المرأة السعودية في مطالب لا تمثل هموم المرأة السعودية الحقيقية، وإنما تمثل أحلامهم التي نسجوها خلال تلقيهم ثقافتهم المؤمركة.

لقد تجرأ كثير من هؤلاء على أن يتهم المجتمع كله بالتخلف وكاد بعضهم ـ لاسيما من غير السعوديين ـ يصرح بأن المجتمع السعودي للتو بدأ ينهض، ومعنى ذلك أنه كان في تخلف ورجعية. وثان دعا إلى عزل الدين عن الحياة في دعوة صريحة للعلمانية، وثالث استهجن رجوع الشباب إلى العلماء المعتبرين واستشارتهم في أمور حياته وعمله، ورابع يطالب بسفر المرأة دون إذن زوجها لتحقق حريتها، وخامس يضع جميع دعاة البلد من أهل التكفير، وسادس ينادي بألا يتحدث بعد اليوم أحد باسم الدين، فلكل فرد ـ أيًّا كانت خلفيته العلمية ـ أن يتحدث بما شاء من أمور الشريعة، ملغيًا هيئات حكومية عليا بأكملها كهيئة كبار العلماء، ومقام سماحة مفتي عام المملكة، ومجمع الفقه العالمي؛ بل وأحقية الشريعة في كونها أشرف علم وأعظم اختصاص، لا يحق لغير المختصين فيه أن يخوضوا في دقائقه، وسابع ينادي بإلغاء التعليم الشرعي نهائيًّا مدعيًا أن المساجد تكفي للتثقيف الشرعي، وثامن يفصل في قضايا في منتهى الدقة من أمور العقيدة مما يتصل بالولاء والبراء مما يعجز عنه

بعض طلبة العلم الشرعي ولا يفتي فيه إلا كبار العلماء، وتاسع يرى أنه لا خصوصية لمجتمعنا نهائيًا، وأن هذا من أسرار تخلفنا، وأنه آن الأوان ألا ننظر إلى الخلف.. ولا أدري ماذا يعني بالخلف؟! وعاشر بل عشرات..!

كلنا نحب الحرية في طرح آرائنا، ولكن الحرية لا تعني أبدًا أن يتحدث أصحاب الثقافة المستوردة بالكامل في قضايا لا يستطيع الخوض فيها إلا أهل الرسوخ في العلم، يقول الله جل في علاه: (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا). [سورة النساء 83].

إن الأمر جلل.. فلقد أصبح هؤلاء يتقافزون على الصحف بطريقة مثيرة للراصد، فها هي أسماء كثيرة جدت على هذه الصفحات خلال الأيام القليلة الماضية، من خارج المملكة وداخلها، تجعلنا نتساءل . ببراءة . من أين أتى كل هؤلاء؟ وكيف خرجوا؟ ولماذا الآن بالذات؟ وإلى ماذا يرمون؟ ولماذا تسمح لهم الصحف بكل هذه المهاترات والاعتداءات على صميم العلم الشرعي أهله، مشنعين بفلان! ومستهزئين بفلان! وهل وراء الأكمة ما وراءها؟!

وإذا كان من حق كل إنسان أن يقول رأيه بكل حرية، فلماذا تحجب الآراء المخالفة لهذه الأطروحات في الصحف، وتحرق الردود والمناقشات الموجهة ضدها؟ ولماذا لم تحفل معظم الصحف والقنوات الفضائية من بين المشاركين في الحوار الوطني السعودي إلا بالشخصيات التي تحمل الرأي الذي تعتنقه تلك الصحف، بينما اختفت أسماء الدعاة المشاركين على ما لهم من قدر كبير في الطرح، وقدرة على استيعاب مستجدات الحياة المعاصرة، واستعداد واسع الأفق للحوار وتفهم وجهة النظر المخالفة بكل أريحية..؟! ولو لم يكونوا كذلك لما اختيروا أصلاً، ولماذا تصر الصحف على أحادية الطرح، بينما تحمل على الرأي المخالف لها حملة شعواء؛ بل وتلقي كل ما يناقش هذه الآراء في سلة المهملات عمدًا كما صرح بذلك أحدهم..!

إن الأسئلة أكبر من حجم هذه السطور.. ويبقى السؤال الأكبر منها جميعًا: إلا تمثل هذه الأطروحات المتتابعة تطرفًا آخر قد يثير تطرفًا فكريًا جديدًا في مقابله؛ فيخسر الوطن فرصة حوارية كان من الممكن أن توصلنا شفافيتها إلى وضع أفضل؟.

عفوًا أيها المتزيدون.. إنني لا يمكن أن أتهم بلدي بأنها كانت تسير في اتجاه خاطئ؛ بل كانت ولا تزال تسير في اتجاه حدده المولى الخبير بعباده وبما يصلحهم، أوصلها إلى قمة في الأمن لم تحلم به أمريكا منذ أن تكونت من أشتات الأرض، ولكن ذلك لا يعني أبدًا ألا أقبل الحوار؛ بل مرحبًا به بكل آدابه، وبكل نتائجه التي لا تمس معتقدًا ولا مبدأً ولا كيانًا ككيان وطني الحبيب وشخصيته المتميزة.. نعم المتميزة.* الوكيل التعليمي بكلية الشريعة بالأحساء

===============

المثقف والسلطة .. شكل العلاقة:

مأزق المثقف (الليبرالي) .. ! (2/1) .

د. محمد الحضيف 1424/11/21

2004/01/13

أكثر الأسئلة جدلاً .. ربما : من هو المثقف؟

خطر هذا السؤال على بالي مرتين في الفترة الأخيرة . الأولى وأنا أقرأ كتاباً ، ترجمته (مرهقة) ، للمفكر الأمريكي ، الفلسطيني الأصل ، (إدوارد سعيد) . سعيد .. في فصل سماه (صور المثقف) ، من كتابه : (الآلهة التي تفشل دائماً) ، حاول أن يجيب على سؤال مماثل .. من خلال استقراء أراء بعض (المثقفين) ، أمثال الإيطالي أنطونيو غرامشي ، الذي تحدث عن (المثقف العضوي) .

المرّة الثانية ، التي قفز فيها السؤال إلى ذهني ، كان في مناسبات (محلية) . موقفان لشخصيتين ، هما الأكثر إثارة ، وربما حضوراً ، في المشهد الثقافي في المملكة . الأوّل أعلن أنه رفض التوقيع على خطاب (إصلاحي) ، تبنّاه عدد من المفكرين والمثقفين ، بحجة أنه يصادم (مبادئه) .. التي فسرها شخص مقرب منه ، على أنها موقف من الخطاب (الإصلاحي) ، الذي يمثل مكسباً للتيار الإسلامي .. وهو ما لا يتفق معه ذلك المثقف .. (أيدولوجياً) . الثاني شخصية ثقافية وأكاديمية ، شاركت في جلسات الحوار الوطني الثاني . خرج الحوار بتوصيات اتفق عليها المشاركون .. وهو أحدهم . في اللقاء الذي جمع المتحاورين بولي العهد ، تسلل (المثقف) الأكاديمي الكبير ، من بين الصفوف ، مستخفاً بزملائه ، وارتجل

خطاباً (أيدولوجياً) عن الحب (!!)، نسف فيه مفهوم الحوار ، وتوصيات اللقاء .. وأصول اللياقة ..!

المثقف هو المفكر ، وهو طليعة المجتمع فكرياً واجتماعياً . هو الذي يثير الأسئلة المشروعة ، ويتبنى قضايا المجتمع وهمومه .. هل يكون (انتهازياً) .. ؟ هل يقف مع (الحزب) ، أو السلطة .. ضد الأمة .. ؟ !هل ينقلب (ميكيافيليا) ضد فروسية المثقف ؟ تبدو العلاقة بين المثقف والسلطة ملتبسة . هناك علاقة تضاد ، وتكامل .. وعلاقة احتواء . تتوجس السلطة من المثقف المستقل ، فتجعل منه ضداً ، وخصماً .. ويصبح كل ما يصدر منه ، قابل لتأويل عكسي ، ويصير هو .. مطالب بتفسير أي موقف يقفه . وطنيته متهمّة ، وولاؤه موضع تساؤل ..!

حينما تكون العلاقة بالسلطة .. احتواءً ، يتحول (المثقف) إلى بوق للسلطة ، وينحدر إلى مستوى (الأداة) ، التي تستخدمها السلطة ، لإضفاء شكل (أخلاقي) على ممارسات (لا أخلاقية) . تحتاج السلطة المثقف ، لـ (أنسنة) سياساتها، تجاه الفرد والثقافة والمجتمع . تلك السياسات الموسومة بكل ما فيه انتهاك للآدمية ، وامتهان للثقافة .. إذ المثقف والثقافة ، يمثلان أعلى شكل من أشكال الفعل الإنساني .

تكامل السلطة مع المثقف ، يأخذ اتجاهين : سالب وموجب . التكامل السلبي للمثقف مع السلطة يتبدّى ، حينما يتبنى (المثقف) دوراً ،ضمن ترتيب معين ، يظهر من خلاله ، أنه ضد الطروحات الرسمية ، وهو في حقيقته .. وواقع الأمر ، يسعى لتكريس صورة (نمطية) إيجابية للسلطة.. مثل (ديمقراطية) السلطة .. وتسامحها، حيث تسمح له بالمعارضة .. وتعطي الرأي الآخر حق التعبير عن نفسه ، ضمن هامش محسوب . قد يتكامل المثقف إيجابياً مع السلطة .. وهذا أمر جيد، حينما يدعم توجهاتها الإيجابية ، في مسائل مثل ، صيانة الحريات ، والتحرك نحو هامش أوسع للمشاركة الشعبية ، والشفافية في التعاطي مع الشأن العام ، والتوزيع العادل للثروة ، واستقلال السلطة القضائية .. واحترام حقوق الإنسان .

انتهازية المثقف ، أفرزت تقسيمات من نوع المثقف (المرتزق) : كل شيء على ما يرام طال عمرك . أو المثقف (المُسْتَلَب) : طليعة الآخر .. المغاير ، الثقافة

الخصم . أحداث سبتمبر ، كشفت عن نماذج مخيفة من هذا النوع .. الأخير ، من أولئك الذين يقومون بدور (أبي رغال) ، فيقودون (الفيل) الأمريكي ، إلى ما اعتبروه ثغرات في (جدار) الثقافة المحلية . التقيت بمراسل لإحدى الصحف الأمريكية ، كان يدور على بعض المثقفين والأكاديميين .. يحمل كتباً لمقررات مدرسية ، ويتحدث عن مواضيع ، وأسطر بعينها .. من بينها آيات قرآنية وأحاديث شريفة ، يزعم أنها تحرّض على الكراهية ، وتدعو للعنف . ذكر لي .. لما سألته ، أن الذي دلّه عليها (مثقفون) سعوديون ..!

ليبرالية المثقف المحلي .. عندما تكون (الليبرالية) في جوهرها ، احترام خصوصية الآخر .. هل هي حقيقة..؟ حين يكون (الليبرالي) في (خندق) الأجنبي ، ضد الثقافة (الوطنية) .. بسبب موقف أيديولوجي .. ! أو حينما يمارس ازدواجية فجة في معاييره (الليبرالية) : الديمقراطية، والإصلاح الدستوري.. جيدة، شرط ألا يستفيد منها التيار الإسلامي .. والتحالف مع السلطة القمعية ، والنظم الدكتاتورية مبرّر إذا كان الخصم هو الإسلام

المثقف الإسلامي .. ما علاقته بالسلطة ..؟

وسِمَت العلاقة بين السلطة والمثقف الإسلامي ، بتاريخ من الصراعات ، منذ أن ظهر المصطلح .. (إسلامي) . برز مصطلح (المثقف الإسلامي) ، مع تعبيرات أخرى .. لها نفس الصفة ، بعد سقوط (الخلافة) ، وتأسيس الدولة (القومية) الحديثة ، ذات النزعة العلمانية ، المجافية للدين .. وهو ما كان سبباً في نشوء الحركات الإسلامية . إلغاء الخلافة عام 1924 ، من قبل حزب جمعية الاتحاد والترقي العلماني، الذي استولى على السلطة في تركيا ، أحدث حالاً من الأسى والذهول ، لدى كثير من المسلمين ، الذين كانت (الخلافة) .. على ضعفها ، تمثل لهم ملاذاً ، ضد جحافل المستعمر الأوروبي ، الذي نهب الخيرات ، وأشاع الفساد .

الحركة الإسلامية ، التي قامت على المفهوم الشمولي للدين ، بهدف استعادة دور الإسلام في حياة المجتمع المسلم ، اصطدمت منذ البداية بـ (السلطة) . الدولة الحديثة .. (العلمانية)، التي قامت على أنقاض دولة الخلافة ، بعد تقسيم

الاستعمار لإرثها .. على أساس قومي وإقليمي ، مثلث بعنصريها الرئيسيين : القومية والعلمانية ، نقيضاً لـ (دولة) الإسلام .. ومصادماً لنظرية الحكم الإسلامية . إذ الإسلام يقوم على (أخوة) الدين .. وليس العنصر أو القومية ، والعلمانية تقصي (حاكمية) الله ، وتجعل (المشرع) هو الإنسان .. لا الخالق .

أدبيات الحركة الإسلامية في أول أمرها ، اعتمدت المصطلح .. (إسلامي)، بوصفه علامة تميزها عن الأطروحات والشعارات ، التي لا تنطلق من رؤية إسلامية . في وقت لاحق ، انتقلت الحركة إلى طور التنظيم ، والعمل الحزبي ، بسبب تعسف الإجراءات الرسمية وقسوتها، وزيادة المطاردات والتضييق الأمني .. من خلال اضطهاد العلماء ، ومطاردة المفكرين واعتقالهم ، وإغلاق الجمعيات التطوعية والخيرية ، ومصادرة الكتب والمطبوعات . بسبب هذه الممارسات .. صار المصطلح حاجة .. للتعبير عن (هوية) مستقلة .. مضطهدة ومحاربة ، و لتحقيق (تمايز) في الصفوف ، بين ما هو إسلامي ، وغير إسلامي .. لضمان وضوح الرؤية ، ولدرء (الاختراقات) الفكرية والأمنية .

الشعور بالاختلاف والافتراق ، بين الحركة الإسلامية ، والأنظمة الحاكمة ،خلق أجواء (عدم ثقة) ، وألقى بظلاله على العلاقة ، بين المثقف الإسلامي و(السلطة).. التي يقع تحت نفوذها . اتسمت تلك العلاقة ، بعدد من الملامح .. أبرز مظاهرها :

* ظلت (السلطة) ، تتوجس دائماً من المثقف الإسلامي ، وتكيد له ، وتناصبه العداء .. وتتربص به .

* نُظِر لـ (مشروع) المثقف الإسلامي على أنه : تهديد لـ (الشرعية) ، وذو طبيعة تآمريه .. وانقلابي بطبعه .

* اعتبر (مشروع) المثقف الإسلامي .. انعزالياً ، يهدد العلاقة مع الغرب .. وله موقف عدائي من الحضارة الغربية .

* لم تفرق (السلطة) ، في معاملتها للمثقفين الإسلاميين ، بين من يوصف منهم بالاعتدال ، أو ذلك المتهم بالتطرف .

* تعاملت (السلطة) ،في معظم أطوار علاقتها ، مع المثقف الإسلامي .. بصفته الفردية ، أو من خلال المؤسسات والجمعيات التي ينتمي إليها .. بتوحش : فقتلت ، وسجنت ، وحاصرت ، وأقصت ، ونفت .. وقطعت الأرزاق .

* أدى موقف (السلطة) الاستئصالي .. والعنيف للمثقفين ، والأفراد الإسلاميين عموماً ، إلى نشؤ تيارات عنيفة ، تشكلت بسبب المطاردات الأمنية المستمرة ، والاعتقالات ، والتعذيب داخل السجون ، والقوانين العرفية .. و(القضاء) المنحرف .. الظالم في أحكامه .

هل المثقف الإسلامي قريب من نبض الجماهير وهمومها .. ؟

سؤال قد يبدو منطقياً .. إزاء واقع علاقة المثقف الإسلامي بـ (السلطة) . إذا كان المثقف الإسلامي منحازاً في (مشروعه) إلى الجماهير .. لماذا تخلت عنه ، وتركته لـ (السلطة) تستفرد به .. انتهاكاً لحقوقه ، ومصادرة لمشروعه .. ؟ إذا كان مشروعه (وطنياً) ، يهدف إلى تعزيز الاستقلال ، ورفض التبعية .. لماذا وصفته الدوائر الرسمية بـ (العمالة) ، ووصمة اليساريون بـ (الرجعية) .. ويصمه (الليبراليون) ، الوكلاء الحصريون للمشروع الأمريكي في المنطقة .. بـ (الظلامية) .. ؟!

الملاحظات التالية ، التي كانت مظهراً للمثقف الإسلامي ، في أول انطلاق نضاله الدعوي والسياسي ، قبل بداية صعود المد الإسلامي ، عقب هزيمة 67م ، واندحار التيار القومي العلماني .. هذه الملاحظات قد تجيب على بعض التساؤلات :

* ركز المثقف الإسلامي ، على القضايا الكبرى .. السياسية والحضارية ، مثل تطبيق الشريعة ، وإقامة الخلافة ، والإرث الثقافي والحضاري للإسلام . هذه المسائل ، كانت اهتمامات وقضايا نخبة ، مما جعل المثقف الإسلامي ، بمعزل عن غالبية طبقات الشعب .

* ابتعد المثقف الإسلامي ، عن تطلعات رجل الشارع ، وحاجاته الأساسية .. حيث ظلت الهموم اليومية .. للفرد المواطن ، في أدنى اهتمامات ، وأسفل أجندة ، المثقف الإسلامي . انشغاله بالأهداف الكبرى النظرية ، على سموها ، لم تجعله يقترب من (الهم) اليومي للإنسان العربي .

* لم تكن قضية الحريات أساسية عنده .. بسبب المفهوم السائد للحريات .. (الغربي) الجوهر ، الذي يعتدي على الدين ، ويتطاول على المقدسات .. وعلى المستوى الأخلاقي ، يروّج للرذيلة .. باسم الحرية الشخصية .

تَعَامُلْ المثقف الإسلامي بحذر ، مع موضوع (الحريات) .. لهذا السبب ، انعكس على موقف النخب العربية .. وتوجسهم ، من أي دور للإسلاميين في النشاط السياسي . كما أن الإعلام الحزبي المضاد ، بشقيه .. الذي اعتمد مرجعية شرقية (سوفييتية) ، أو ذلك الذي يتبنى توجهاً (ليبرالياً) غربياً .. استغل هذه النقطة ، في تشويه صورة الإسلاميين لدى الجماهير ، ووصفهم بأوصاف باعدت بينهم وبين قطاعات الشعب المهمشة .. التي قطعت الأنظمة شوطاً كبيراً ، في طمس هويتها ، ومصادرة حقوقها الأساسية .

* عدم الوضوح في مسألة حقوق الإنسان . إذ لم يبلور الإسلاميون رؤية واضحة في هذه المسألة ، واقتصروا على خطاب عام ، ينطلق من تكريم الإسلام للإنسان .

* تعدد الفهوم في مسألة حقوق المرأة ، وافتقارها لرؤية متماسكة .. حيث لم يحسم الإسلاميون موضوع المرأة ، ودورها في الحياة العامة .. وترك ممزقا بين الاختلافات الفقهية ، والعادات المحلية لكل بلد . هذا الموقف أعطى فرصة للانتهازيين ، لرفع ورقة المرأة في أكثر من مناسبة.

لقد امتهنت المرأة ،في ظل سيادة المفهوم الغربي لحقوق المرأة .. وغياب مشروع إسلامي ، يفعّل دورها الأسري والاجتماعي .. بوصفها جزءاً فاعلاً في المجتمع ، ويمنع التعدي عليها ، وانتقاص حقوقها المادية والمعنوية .. ويصونها من الاستغلال الغرائزي والشهواني .

* عدم الوضوح في مفهوم تداول السلطة .. وحق الفرد في الاختيار ، حيث ظل المثقف الإسلامي متردداً في رسم آلية للمشاركة الشعبية ، والانتقال السلمي للسلطة .. بسبب تلاعب الأنظمة في عملية الانتخابات . كذلك نجحت الآلة الإعلامية للسلطة .. ولبعض الأحزاب ، في صياغة (صورة ذهنية) مخيفة للواقع ، إذا آل الأمر للإسلاميين .

هل تغير موقف المثقف الإسلامي ، وتجاوز هذه (الملاحظات) ..؟

أعتقد أن التيار الإسلامي الآن ، بمثقفيه ومجاهديه ، هو الذي يقود النضال الوطني من أجل الإصلاح ، ويقود عمليات المقاومة والجهاد ضد (الاحتلال) ، الاستيطاني والغازي . لقد دفعت أحداث سبتمبر بـ (عدو) ضخم ، حاقد .. وشرس ، إلى المواجهة .. وأدت كذلك ، إلى (استقواء) فئات من داخل الصف .. به . رأت هذه (الفئات) .. في هذا (العدو) الجاثم بيننا ، وعلى حدودنا ، فرصة لـ (الانقلاب) ، وتحقيق أهداف ، ومصالح شخصية أو طائفية .. وتصفية حسابات أيدولوجية .

إن (المثقف الإسلامي) مطالب ، أكثر من أي وقت مضى ، أن يقف .. ويقاوم . إن تقديم (التنازلات) ، باسم التسامح ، وقبول الآخر .. لن يجدي مع (هؤلاء) ..!

سيظلون يلعنون سلفنا ، وينتقصون من رموزنا ، ويهدمون ثوابتنا ، وينقضون عرى ديننا ، واحدة تلو الأخرى .. ونحن ننزل (السلم) درجة .. درجة ، إلى الهاوية ..!

" والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون "

==============

#الحجاب وفرنسا... والأزهر!

جمال سلطان 1424/11/27

2004/01/19

حتى لا تضيع الحقائق في واقعة المخطط الفرنسي لفرض حظر على حجاب المسلمات في المدارس بقوة القانون المزمع عرضه على البرلمان لإقراره ابتداءً من العام الدراسي المقبل، هناك نقاط أساسية ينبغي أن نتوقف عندها، خاصة وقد كثر الجدل والضجيج، وأوشكت بعض الحقائق أن تضيع، مما استدعى إثباتها هنا، للحقيقة والتاريخ.

النقطة الأولى: وتتعلق بالمفارقة الحضارية بين العالم الإسلامي وهو في طور الانحطاط، وبين العالم الغربي وهو في بقية من حضارة لها قيم تحاول أن تحافظ عليها؛ فإننا رغم إدانتنا الكاملة للموقف الفرنسي ومشروع القانون واعتقادنا الجازم بأنه عدوان على ديانة المسلم هناك، وحرمانه من حقوقه الدينية المشروعة تحت هواجس

لا أساس لها ولا مبرر، إلا أننا لا يمكننا أن نتجاهل " حضارية " السلوك الفرنسي قبل إصدار القانون، فهناك اجتماعات متوالية مع الجالية المسلمة في فرنسا وممثليها، وهناك حوار إعلامي وصحافي واسع النطاق يمهد لغربلة الأفكار، وهناك حرص فرنسي ظاهر على التشاور مع المؤسسات والمرجعيات الإسلامية المهمة كما حدث مع الأزهر مؤخرًا، وهناك تشاور سياسي مع بعض الدول والنظم الحاكمة في العالم العربي والإسلامي، وذلك كله يحدث قبل أن يصدر القانون، وحتى قبل أن يعرض على البرلمان، بينما في العالم الإسلامي فوجئنا بشيخ الأزهر، وهو يرأس مؤسسة علمية ضخمة، لها هيئاتها الشرعية ومؤسساتها، ناهيك عن هيبتها في العالم الإسلامي –والتي باتت مهددة الآن– فوجئنا به يدعو الصحفيين لكي يعلن أمامهم دعمه للقانون الفرنسي وأن على المسلمات هناك طاعته ولا إثم عليهن لأنهن مضطرات، لم يستشر الرجل أحدًا، ولم يعبأ برأي عام، ولم يحزن لغضب المسلمين في فرنسا، ولم يكلف خاطره أن يستمع للرأي الآخر كما استمع للرأي الرسمي الفرنسي، بحيث يدعو ممثلين عن المسلمين الفرنسيين للتشاور والاستماع لوجهات نظرهم، لم يراع الرجل أي شيء، وإنما ألقى ببيانه الذي وصفته صحيفة "ليبراسيون" الفرنسية بأنه " شيك على بياض" من شيخ الأزهر للحكومة الفرنسية، بكل بساطة وباستبداد واستهتار بكل شيء وبكل من حوله وكل أطراف المسألة، هذه مفارقة مدهشة، بين عقلية تربت في أجواء القمع والاستبداد، وبين عقلية تربت في أجواء الحرية والتعددية والشورى "مع الأسف" التي نحن بها أولى.

ولعل هذه المفارقة تدعونا جميعًا إلى الانتباه إلى أهمية التأسيس في مشروعنا الإسلامي المستقبلي لثقافة الحرية والتعددية والحوار، فإنها –رغم كل سلبية يمكن أن تتمخض عنها– ستكون جسرنا إلى الحقيقة والكرامة واستقلال الإرادة الدينية والوطنية معًا.

النقطة الثانية: وهي ذلك التحالف المدهش والمفاجئ بين النخب الليبرالية واليسارية العربية وبين الحكومة الفرنسية في واحد من أسوأ مواقفها المدان حتى أوربيا بأنه ضد حقوق الإنسان، فبينما كانت النخب اليسارية في فرنسا ذاتها –ناهيك عن غيرها– تهاجم مشروع القانون وتتهمه بأنه انتهاك لحقوق الإنسان واعتداء على المواطنين

المسلمين الفرنسيين؛ وجدنا اليساريين العرب عن بكرة أبيهم، يؤيدون القانون ويدافعون عنه وعن حكومة فرنسا " اليمينية" ويهاجمون المسلمين الفرنسيين ومعهم المسلمين في أنحاء العالم الذين حزنوا لما حدث أو احتجوا، مفارقة عجيبة، أيضًا على صعيد الليبراليين العرب والعلمانيين أصحاب دعاوى حقوق الإنسان، وقفوا جميعًا مؤيدين للقانون الفرنسي ومدافعين عنه، وقد سمعت بنفسي أحد شيوخ الليبراليين العرب في حديث تليفزيوني يؤيد الموقف الفرنسي، باعتباره انتصارًا للعلمانية والليبرالية، فلما واجهه المذيع بالموقف البريطاني والأمريكي وغيره الرافض لهذا القانون والذي يعتبره صراحة عدوانًا على حقوق الإنسان، قال بكل برود: إن العلمانية الفرنسية لها خصوصيتها مع احترامنا لوجهة نظر البريطانيين وغيرهم، أي أنه يتكلم كمندوب فرنسي أو دبلوماسي فرنسي، وليس كمفكر صاحب موقف " ليبرالي" داع إلى الحرية واحترام حقوق الإنسان، بالمقابل كان هناك هجوم واسع النطاق في أكثر من عاصمة أوربية من نخب ليبرالية ضد القانون الفرنسي؛ بل إن محكمة مجلس الدولة الفرنسي نفسها كانت أصدرت حكمًا فيما سبق ينفي بوضوح أن يكون ارتداء الحجاب فيه خروج على علمانية الدولة.

مفارقة أخرى هي أفدح مما سبق بكل تأكيد، وهي أن الكنائس الفرنسية والبريطانية – تحديدًا– كان لها موقف صارم ضد القانون الجديد، واتهام صريح له بأنه معاد للحريات الشخصية واعتداء على حرية العبادة عند المسلمين تحديدًا، في حين أن شيخ الأزهر وهو المؤسسة الدينية الأكبر في العالم الإسلامي، يعطي مباركته للقانون ويمنح فرنسا كل الحق في فعل ما تشاء كيفما تشاء ولا دخل له ولا للمسلمين في ذلك، والرجل لم يكلف نفسه حتى مجرد دعوة الفرنسيين للمراجعة واحترام الحقوق، إنه لم يتعود على نقد الحكومة أي حكومة، اللهم إلا حكومة طالبان، فهي الحكومة الوحيدة التي جرؤ عليها في المشرق والمغرب، ولم يعتبر أن إدانته لها تدخل في حقوق الدول الأخرى، والحقيقة أن ادعاء الشيخ بأنه لا يتدخل في شؤون فرنسا هو مجرد محاولة هروب بالفضيحة، وإلا فإن الرجل لم يتدخل أصلاً حتى في بلده نفسه (مصر) عندما انتهكت قرارات حكومية رسمية حرية لباس الحجاب للفتيات في المدارس، فلم يصدر عن الرجل أي شيء، كذلك عندما قامت مدرسة فرنسية –في

مصر– بطرد فتيات بسبب ارتدائهن الحجاب، وجأر أهلوهن بالشكوى للجميع، لم ينطق شيخ الأزهر بكلمة واحدة.. فحكاية التدخل في الشأن الفرنسي هو محض هروب، وإلا فمتى تدخل حتى في مصر ذاتها؟!

النقطة الثالثة: وهي تتعلق بالادعاءات بأن القرار الفرنسي لم يقصد به الحجاب، وإنما كافة الرموز الدينية، بما في ذلك الصليب والقلنسوة اليهودية، وهذا أيضا مجرد هروب من الفضيحة على المستوى الفرنسي، كما أنه دجل عندما يقول به كتاب عرب "متنورون". وذلك أن القرار استثني الصليب " غير الكبير " وهي مسألة نسبية، كما أن الإجماع منعقد على أن الحجاب ليس مجرد رمز ديني، مثل الصليب أو القلنسوة أو حتى بعض الرموز الدينية الإسلامية التي يتحلى بها النساء مثل المصحف المذهب وما يسمى " كف فاطمة " أو الـ" ماشاء الله " كما يسميها أهل المشرق، وإنما الحجاب فريضة دينية، أي جزء من الدين، بحيث يكون الاعتداء عليه هو اعتداء على صميم الدين وليس على مجرد شعار أو رمز، ثم إن الملاحظة المهمة في هذا السياق أن الصلبان والقلنسوات كانت موجودة ومنتشرة من قبل ولم يتحدث أحد عنهم بشيء ولم يتعرض لهم أحد بانتقاد، فلماذا تذكرها القرار الجديد؟ اللهم إلا كمحاولة للتمويه على المقصد الأساس وهو مصادرة حجاب المرأة المسلمة، فضموا ما سبق للادعاء بأن الحجاب لم يكن هو المقصود وحده في الموضوع، أبدا، الحجاب هو المقصود؛ فالمعارك كلها كانت حوله، والقضية المثارة من أولها لآخرها حوله، والجدل والصخب كله كان عنه، فلا داعي للهروب بادعاء الحديث أيضًا عن منع "الصلبان الكبيرة".

النقطة الرابعة: وتتعلق بحماية الفتوى الشرعية من العبث والتهريج، وضرورة البحث عن آليات لحفظ " الدين" من العبث، ليس على مستوى الأفراد، وإنما أيضًا على مستوى المؤسسات، إن الاتهامات الآن صارخة وصريحة بأن الفتاوى من المؤسسات الرسمية أصبحت تخرج وفق توجيهات سياسية، والفتاوى يتم تفصيلها حسب المقاس المطلوب، وهذه كارثة، وتعريض دين الناس للضياع، كما أنه يؤسس لفتن لا يعلم مداها إلا الله؛ لأن الثقة إذا فقدت في مؤسساتنا الدينية الكبيرة وذات الاحترام والهيبة في وجدان المسلمين وضميرهم؛ فسوف يحدث فراغ علمي كبير، لا يؤمن أن يملأه

آخرون بما تشتهي الأنفس، من أول تخريب العقائد وحتى الترويج للتطرف والإرهاب الذي يفرون منه الآن.

ولقد قرأت – في نفس النازلة– مقالاً لكاتب عربي نشره في صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية قال فيه: إن على الفتيات الفرنسيات إطاعة القانون الجديد عملاً بالآية الكريمة (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، وأضاف الكاتب الجهبذ أن " جاك شيراك " هو ولي الأمر الحالي بالنسبة لهن!، وأظن أن الوقت لن يمر طويلاً حتى نقرأ في صحف عربية لمن يرى أن " جورج بوش " وإدارته هم أولو الأمر بالنسبة لنا أيضًا!

إن الأمانة تقتضي منا الآن أن نبادر إلى حملة واسعة للدعوة إلى إعادة الهيبة والكرامة لمؤسساتنا الدينية، وذلك يكون –أول ما يكون– بحماية استقلالها العلمي والإداري والمالي والتنظيمي، بحيث نضمن عدم خضوعها لمؤثرات السلطات السياسية هنا أو هناك، وبحيث نعزز مصداقية ما يصدر عنها من فتاوى وتوجيهات.

والجانب الآخر هو ضرورة إعادة النظر في قضية فتاوى الشأن العام، التي تتعرض لأمور تمس الأمة كلها أو الجموع الغفيرة فيها، وقد تتحدد فيها مصائر، فمثل هذه الفتاوى لا بد من قيد صدورها على مجامع علمية محترمة ومستقلة، تتناول القضايا بالنظر والتشاور والحيادية، وتخرج الفتوى وفق إجماع أهل العلم أو جمهورهم.

ولا بد من الوضوح والصرامة في تأسيس هذه المجامع الفقهية، فعضويتها مقصورة على المشهود لهم بالعلم والورع والمروءة، وأما الخبراء في الشؤون المعاونة: اقتصادية، أو علمية، أو إدارية، أو سياسية، فهم جهات معاونة واستشارية وليست لها عضوية في المجامع الفقهية؛ لأن الحاصل الآن في بعض المجامع الإسلامية أن العضوية يدخل فيها كل من هب ودب، من أساتذة الزراعة إلى خبراء البترول إلى الأطباء وغيرهم، ثم عندما تصدر الفتوى تخرج بغالبية الأصوات، ولما كان أهل العلم في المجامع المذكورة لا يتجاوزون أصابع اليدين، بين أكثر من مئة عضو، كان طبيعيًّا أن تصدر الفتاوى التي تبيح الربا والتي تشرع لبيع الخمور في بلاد المسلمين لدعم السياحة، ممهورة بتوقيع المجامع العلمية الإسلامية

============

#وهذه الجامعات والمدارس الدينية...ما شأنها؟

زين العابدين الركابي 1424/11/19

2004/01/11

هل نحن في عصر تحريف الأمور عن مواضعها، وقلب الحقائق؟ أو في عصر استراتيجيات نفسية وسياسية وإعلامية تتعمد أو تحترف (إسقاط خطايا الذات على الآخرين) وهي حرفة تعارفت الدراسات النفسية على تسميتها بـ (مرض الإسقاط)؟.

في المبتدأ لن نتورط في تبرئة العرب والمسلمين من الأخطاء والخطايا، فهذه تبرئة تتجافى عن الطبيعة البشرية، وعن الواقع الماثل الطافح بالأخطاء من كل نوع. بيد أنه حسبُ المسلمين أخطاؤهم.. ومن الظلم البواح: أن يحمّلوا أوزار قوم آخرين، وأن يسقط عليهم ما تعج به حياة هؤلاء القوم، والملحظ الأشد حزناً – هنا– أن طوائف من المسلمين صدقت أو كادت تصدق بأن ما يُسقط عليها هو شيء صحيح بإطلاق، وأن هذا الشيء من خصائصها وسماتها التي لا تنفك عنها.. وهذا الشك العاصف في الذات مسبب بالقصف الإعلامي المركز والمستمر والذي يلح – مثلاً– على أن العرب والمسلمين عدوانيون، وشهوانيون، وإنه لكاذب من ينكر أن في العرب والمسلمين شيئاً من ذلك، ولكن بالاستقراء العلمي يتبين: أن المسلمين (هواة) بالنسبة إلى (الخبراء المتخصصين) في هذه المجالات. والغربيون– إلا العقلاء المنضبطين منهم – هؤلاء هم الخبراء المتخصصون العريقون في صناعة الموت.

كم عدد القتلى في الحروب والصراعات التي كان المسلمون طرفاً فيها عبر 1410هـ سنوات؟ هو عدد قليل، لا يساوي واحداً في المائة ألف من عدد القتلى في الحروب والصراعات التي أوقدها وقادها وخاضها غربيون في القرن العشرين، ومن هؤلاء القتلى 27 مليون عسكري في الحربين العالميتين: الأولى والثانية، ويقدر عدد المدنيين من ضحايا هاتين الحربين بـ 13 مليوناً من النساء والأطفال وكبار السن في أثناء الحرب العالمية الأولى، ونحو 20 مليوناً في الحرب العالمية الثانية، وبلغ مجموع القتلى في القرن العشرين – لأسباب دينية وأيديولوجية– وبعيداً عن المعارك الحربية – بلغ 80 مليون إنسان. وفي الجملة فإن 167مليون إنسان لقوا مصرعهم في مجازر وقفت خلفها السياسة، ومعظم هذه المجازر دبرها وقادها غربيون، هكذا

تحدث التاريخ الموثوق فمن مسعّر الحروب على الحقيقة؟ وليس هناك امرؤ أمين صاحب ضمير يستطيع أن ينفي: أن من العرب والمسلمين من استبد به نزق الشهوات، ولكن هل الغربيون أطهار عفيفون زاهدون في هذه المسألة؟ إن الانفجار الشهواني قد بلغ الذروة هناك، بعد أن تحطمت قيم ومعايير عديدة. وهو انفجار تخطى العلاقة بين الذكر والأنثى إلى المعاشرة المثلية.. لسنا ننصر شهوة عربية ملهوفة على شهوة غربية ملهوفة. فالسوء هو السوء، سواء صدر عن هذا الجنس أو ذاك، ومورس في هذه البيئة أو تلك ، ولكنا نعجب من موقف، ومن تفكير من يستكثر بضعة أرطال من الشهوات المفلتة، ولا يلفت نظره: ألوف الأطنان من الشهوانية السائبة، بل يسقط هذه الأطنان على صاحب الأرطال، وفي كل شر.

المثل الثالث هو: المنابع والمصادر الثقافية (وهذا هو جوهر المقال الذي يبسط القول في هذه النقطة التي أجملت في مقال الأسبوع الماضي) فلم تكد أحداث سبتمبر تقع حتى طفقت دوائر معروفة تبدئ وتعيد وتكثر الكلام حول: أن للإرهاب منابع وأن هذه المنابع هي: المناهج الدينية والثقافية في الوطن العربي والعالم الإسلامي. ولم ينحصر التشنيع والاتهام في (الاجتهادات البشرية) التي تصيب وتخطئ، وإنما تعدى هذه الاجتهادات إلى (المصادر العظمى) لدين الإسلام، أي الكتاب والسنة.

وهذا توجه ينطوي على ثلاثة (مخاطر) حقيقية لا وهمية، وجدية غير هازلة.

أ- فهذا التوجه (تدخل في الحرية الدينية) للمسلمين، فهو ينزع إلى أن يعلم المسلمين كيف يعتقدون؟ وماذا يعتقدون؟ وماذا عليهم أن يتركوه من المعتقدات؟.

ب- وهو توجه يحمل (المطالب الصهيونية) ويترجمها على نطاق واسع، فمنذ مدة طويلة تطالب المؤسسة الصهيونية بـ (تعديل) الإسلام نفسه، وفق دعوى تدعيمها وهي: أن (المشكلة) في الإسلام نفسه، لا في أتباعه فحسب. وأنه بناء على هذه الدعوى ينبغي أن ينعقد (إجماع دولي) لمواجهة مصدر التهديد وهو الإسلام ولقد جدد الحاخام اليهودي الأمريكي الشهير(مارفين هير) – منذ أسبوع- هذه الدعوى، عبر برنامج (لاري كنج) ومما قاله هذا الحاخام: "لو سألتني بشكل مباشر: هل هناك آراء متطرفة في القرآن؟ سوف أقول نعم".

ج_ وهو توجه يؤيد –بقوة– مقولات (الإرهابيين) الذين يقولون: إن الغرب – والأمريكان بوجه خاص– يحاربوننا عل أساس عقدي ديني.

ولنبسط القول – الآن– في (المؤسسات) والاتجاهات التي تغذي الناس هناك بآراء ومواقف متحاملة على الإسلام والعرب والمسلمين.

أولاً– في الولايات المتحدة الأمريكية:

على الرغم من أن أمريكا دولة علمانية وفق نص التعديل الأول من الدستور الأمريكي وهو النص الذي يقول: " لن يصدر الكونجرس أي قانون بصدد ترسيخ الدين أو منع ممارسته".

وعلى الرغم من التفسير القاطع الذي قدمه الرئيس الأمريكي الأسبق (جيفرسون) إذ قال: "هدف التعديل الأول في الدستور هو: إنشاء حائط فاصل بين الكنيسة والدولة".

وعلى الرغم من تفسير المحاكم الأمريكية لهذا التعديل أيضًا، أي التفسير الذي يقول: " لا تستطيع الولاية أو الحكومة الاتحادية تأسيس كنيسة أو سن قوانين تساعد أي دين أو تفضل دينًا على آخر أو تجبر إنسانًا أو تؤثر فيه ليذهب أو يبتعد عن الكنيسة ضد رغبته".

على الرغم من ذلك كله، فإن العلاقة بين الدين والدولة في أمريكا لا تزال قوية ولا يزال (المد المسيحي) ينمو ويتأصل، وهذا وضع لا يزعجنا بل يسرنا أن يفيء النصارى إلى ديانتهم، فهذه إفاءة تقربهم إلينا – بموجب النص القرآني– ثم إن الإيمان بكتاب أفضل – بيقين– من الإلحاد يضم إلى ذلك: أن التمسك بمقادير من القيم المسيحية يبقي على تماسك الأسرة، ولقد سرنا – مثلاً– أن أكثر من 70% من أعضاء مؤتمر الترشيح للرئاسة – في أحد الحزبين الكبيرين متزوجون ولديهم عوائل. وهناك المقادير الأخلاقية التي تنشأ عن التمسك بالمسيحية وهي مقادير مشتركة في الغالب.

هذا الانعطاف نحو الديانة المسيحية امتد إلى الحياة السياسية يقول الرئيس الأمريكي الأسبق (جيمي كارتر): " يلعب الدين دوراً حاسماً في الحياة السياسية لأمتنا"، وقال (رونالد ريغان) مثل قوله. أما الرئيس الأمريكي الحالي (جورج بوش) الثاني فقد صرح بأنه : " لن يدخل الجنة من لم يؤمن بالمسيح (نحن نؤمن بالمسيح) وبأن

المسيح هو الفيلسوف الذي يتلقى منه الحكمة والسدادة، ومن المفارقات أن اليهود في أمريكا أثاروا ضجة كبرى حول مسألة (عدم الإيمان) بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ؟ لماذا لأنهم لم يؤمنوا به لا بالأمس ولا اليوم.

وفي ظل هذا الانبعاث المسيحي حصل ارتباط قوي بين جامعات عديدة وبين الكنيسة، ومن هذه الجامعات: الجامعة الأمريكية وجامعة جورج تاون في واشنطن، وجامعتا ديتون في ولاية أوهايو، وبيلور في ولاية تكساس، وجامعة أموري في مدينة أتلانتا، وجامعة دنفر في كوالورادو وجامعة ديوك في كارولينا الشمالية، كما نشأت مؤسسات تعليمية دينية كثيرة منها: (جامعة الحرية) التي أسسها أشهر قس أمريكي هو (جيري فولويل) الذي قدر: أن يصل عدد طلاب هذه الجامعة 50 ألف طالب مع نهاية القرن الماضي، ويتعلم الطلاب في هذه الجامعة علوم اللاهوت من منظور يهودي، كما أنشأ هذا القس أكثر من 20 ألف مدرسة دينية وهذا مثال فحسب. أما في المجال الإعلامي فإن الحركة المسيحية الأصولية تسيطر على معظم شبكة محطات الكنيسة المرئية والمسموعة، أي المحطات التلفزيونية والإذاعية.
ومع اجتناب الوقوع في خطأ التعميم، فمن المؤكد أنه يصدر عن هذه المؤسسات ما يؤيد الظلم والإرهاب الصهيونيين.
ومن ذلك ما قاله جيري فولويل إذ قال: إن الوقوف ضد إسرائيل هو معارضة لله"، وكان (شارون) – مثلاً– هو المعبر عن إرادة الله! ويصدر عن هذه المؤسسات ما يتعمد تقبيح وجه العرب، ومن ذلك ما قاله القس (بات روبرتسون) إذ قال: "إن الله يقف بجانب إسرائيل، وليس بجانب العرب الإسرائيليين". هذه العقليات التي تزكي الإرهاب وتشوه صورة العرب والمسلمين، ألم تتكون في جامعات ومدارس دينية في الولايات المتحدة؟
ثانياً– المؤسسة الصهيونية:
إن العنف والإرهاب الذي مارسته ولا تزال تمارسه هذه المؤسسة، إن هو إلا ثمرة (التعليم الديني) اليهودي، فمع السنوات الأولى لنشأة الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة؛ صدر قانون التعليم الذي قسم المدارس إلى نوعين: مدارس حكومية تضم

ثلثي الطلاب ومدارس حكومية ينتظم فيها الثلث الباقي، ومع ملاحظة أن نصيب التعليم الديني كبير جداً في المدارس الصهيونية العامة، وثمة مادة بعنوان (الوعي اليهودي) يدرسها الطلاب كافة.

وفي هذه المدارس تخرج غلاة الصهاينة الذين احترفوا الإرهاب، ويمارسون قتل (الأغيار) بنفسية من يمارس هوايته المفضلة!! إن (إيجال عامير) – وهو ابن حاخام- الذي اغتال إسحاق رابين قد تربى ونشأ وتكون على تعاليم (المدارس التلمودية) ومن أفضل الكتب التي كان هذا القاتل يدمن على قراءتها (سيرة باروخ جولد شتاين) الذي قتل 27 فلسطينياً مسلماً وهم يؤدون صلاة الفجر في المسجد الإبراهيمي.

فهل تنتظم الدعوة إلى تغيير المناهج الدينية: مناهج الجامعات والكليات والمدارس الدينية في كل من الولايات المتحدة وإسرائيل؟

وهل يوافق أصحاب هذه الدعوة على (خيار الصفر الأيديولوجي) الذي اقترحناه- من قبل-، أم أن المطلوب – فحسب- هو: أن يهجر المسلمون – وحدهم- دينهم ومصادر هويتهم؛ وإلا فهم (إرهابيون) بالهوية والجبلة والديانة؟!

==============

#سيد قطب.. قراءة جديدة

جمال سلطان 1424/10/21

2003/12/15

(1)

لا يوجد قارئ في العربية مر على سيد قطب إلا وترك الرجل فيه أثرًا لا يمحى عبر الزمن، وهي ظاهرة تتصل عادة بالأشخاص أو المواقف الفاصلة والمميزة في حياة البشر، حيث تلتصق بالذاكرة الصورة أو الكلمة أو الذكرى بحيث يصعب على تصاريف الزمن أن تمحوها من ذاكرة الإنسان مهما مرت الأيام ومهما تعاورت الإنسان تصاريفها وأحوالها، من يقرأ سيد قطب يجد هذه الروح العجيبة التي تتسلل إلى حنايا النفس وتلمس أدق ما فيها وأرق ما فيها من مشاعر لكي تأخذ بها وبلباب العقل معها إلى آفاق بعيدة في عمق التاريخ وعمق النفس وعمق الحياة ، بل إنها

تجمع عليك كل هذا في سياق واحد ولحظة واحدة وشعور واحد ، ليس الأمر متصلاً فقط بعبقرية الأدب وبراعة الأديب ، وإنما هناك روح الفكرة وصدقها وتوهجها المذهل في نفس صاحبها ، عندما يجتمع مع قلم حساس وشعور مرهف ، وإيمان بالله عميق ؛ تجد هذا الشعور المتدفق الذي تستشعره في عقلك ووجدانك عندما تقرأ لسيد قطب ، وخاصة في تحفته الكبيرة " في ظلال القرآن " ، ولم أجد أصدق تعبير عن حالها وقيمتها وأسلوبها من الكلمات التي وصف بها الزعيم المصري سعد زغلول كتابًا للأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي فقال : كأنه تنزيل من التنزيل.

(2)

مشكلة التعاطي مع تراث سيد قطب ومنهجه هو مشكلة قرّائه؛ لأن كل قارئ كان يأخذ من الرجل ما يشتهي، بعضهم بحسن نية، مثل التيارات المغالية التي حاولت استنطاق كلماته بما يؤدي إلى التكفير ومشتقاته ، ومنهم من فعل الأمر بسوء نية وترصد غير أمين مثل هؤلاء الذين اندفعوا في خصومة مع غيرهم من الإسلاميين فصفوا حساباتهم مع سيد قطب، حتى أني اطلعت على كتاب اعتبر الرجل من فاسدي العقيدة والداعين إلى حكم الجاهلية والطاعنين في صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ، كذلك هناك القراءات الأمنية لفكر الرجل ودوافعها من قبل بعض النظم القمعية مفهومة من تحويل الرجل وكتاباته إلى " شماعة " يعلقون عليها الثمرات المرة لسياساتهم القمعية في السجون والمعتقلات، مما أفرز لنا دوامات التطرف التي لا تنتهي ، وذلك على النحو الذي حدث مع الحقبة الناصرية في مصر ، وهناك قراءات ظالمة كانت نتيجة قراءات مغلوطة عن عمد من قبل شخصيات علمانية متطرفة ، عجزت عن فهم الحالة الإسلامية وخصوصياتها؛ فراحت تدعي فهما لأخص ما فيها وأعمق ما فيها ، وهو كتابات سيد قطب فأساءت إلى نفسها وإلى منهج البحث ذاته دون أن تسيء إلى الرجل ، هذه النزعات والنزاعات حول الرجل والتي ولدت الكثير من الجدل والعراك الفكري الساخن والمنفعل ، هي التي حرمت الكثيرين من تأمل قيمة الرجل وقامته ، وأسرار القبول العجيب لكتاباته، ومن ثم كيفية الإفادة الجادة من عطائه الفكري والدعوي ، وأحسب أن هذه الحالة هي التي ما زالت قائمة حتى الآن ، ولم يفلح حتى حواريوه وتلاميذه من

الفكاك منها بفعل ضغوط الواقع وربما غياب الوعي بالقيمة المستقبلية لفكر سيد قطب.

(3)

سيد قطب كان . في تقديري . هو اللحظة الفارقة في تاريخ الفكر الإسلامي والعربي الحديث، بحيث يمكن أن يؤرخ المؤرخون للفكر العربي والإسلامي الحديث بهذه اللحظة، ما قبل سيد قطب وما بعد سيد قطب. وبإيجاز نأمل أن يتابعه من وهبه الله سعة الوقت والنشاط الذهني.

أقول: إن الفكر العربي والإسلامي بدأ رحلته في التاريخ الحديث بحال الصدمة والذهول أمام اكتشافه الفارق الحضاري الكبير بينه وبين العالم الغربي ، ووقع التمزق النفسي بين ما يؤمن به ويدين الله تعالى به من أن دينه هو الدين ، وأن نوره هو النور ، وأن من لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ، وأن أمته هي الأعلى بالإيمان ، وبين الواقع الذي انكشف أمامه بهول الفارق بين ذلته وعلو الآخرين ، وهوانه واستكبار الآخرين ، وضعفه وقوة الآخرين ، وفوضاه وعبقرية نظام الآخرين ، وتخلفه وتقدم الآخرين ، هذه الصدمة المذهلة للعقل والمربكة للوجدان انعكست في أفكار ذلك الجيل فوقعت سلسلة الانهيارات الفكرية والعقدية التي طال الحديث عنها، وانتشر فيمن أرخوا لتلك المرحلة، بدء من رحلة رفاعة الطهطاوي مرورًا بانكسارات الشيخ محمد عبده ومدرسته بما فيها كتابات قاسم أمين ، وانتهاء بإحباطات طه حسين الذي رأى في النهاية أن النهوض بأمة المسلمين يكون باتباع أوربا في خيرها وشرها على السواء ، هذا التراث كله يصعب أن يتوقف المتأمل أمامه بمجرد النقد والاشتباك الفكري لدحض منطقه وتسفيه منطلقاته والكشف عن فساد منهجه ، وإن كان كل ذلك مطلوبًا بالتبعية ، ولكن الأهم هو تأمل اللحظة التاريخية التي ولد فيها هذا الفكر، وأبعادها النفسية ، أن تتعايش مع أصحابها وتفهم نزعاتهم والمؤثرات النفسية والاجتماعية التي أثرت عليهم قبل أن تناقش أفكارهم ، لقد كان تراثهم حالة نفسية واجتماعية أكثر منها حالة فكرية.

(4)

ومع اقتراب القرن العشرين الميلادي من انتصافه بدأت تظهر في الأفق علامات وعي جديد ، بكتابات نقدية لتراث الصدمة والذهول ، كانت مقدماتها في التراجع الذي لاحظه مؤرخو الفكر على نزعات الكتابة عند طه حسين والعقاد ومحمد حسين هيكل وعلي عبد الرازق وآخرين ، كانت هناك عودة إلى التراث الإسلامي ، ومشاعر اعتزاز به ، وافتخار بعطاء الأمة الكبير ، وكان كل ذلك غائبًا عن كتابات لحظة الصدمة ، وبدأ الوعي بمشكلات الحضارة الغربية ، وتأملات نقدية في بنيتها وأمراضها النفسية والاجتماعية ونفاقها ووحشيتها التي حاولت إخفاءها بالترويج الكاذب لمعاني الإنسانية وحقوق الإنسان ، كما أن هناك كتابات نقدية للأجيال الجديدة كانت أكثر جرأة وجسارة في نقد تراث مرحلة الصدمة في المنطقة العربية ، ولعله في مقدمة هذه الكتابات مؤلفات الدكتور محمد محمد حسين يرحمه الله ، وخاصة كتابه المهم "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" والذي هاجم فيه بضراوة وعنف . له ما يبرره . أفكار تلك المرحلة وأشخاصها ، ولعل عنف الرجل يرجع إلى إحساسه بأن هالات القداسة التي حاول الإعلام العربي إضفاءها على رموز ذلك الجيل لا يمكن إسقاطها وكشف كذبها وزيفها إلا بهذا القدر من الوضوح ومن الصرامة الفكرية ، كذلك كانت هناك جهود كبيرة وصبورة للراحل الكبير الأستاذ أنور الجندي، وأعتقد أن جهود أنور الجندي مع جهود محمد حسين صاحب الكتاب الشهير الآخر " حصوننا مهددة من داخلها " قد أديا الغرض بكفاءة عالية، وإن كانا لم يمحوا آثار وعي الصدمة عن الواقع العربي وحتى الفكر الإسلامي ، خاصة في ظل صعود نجم الاشتراكية والفكر القومي والذي وصل من إبهاره إلى حد انكسار أفكار الإسلاميين أنفسهم وانجذابهم إلى "القطب" الجديد ، حتى ولو كان برؤية نقدية ، ولعلنا نذكر الكتابات التي عرفتها الستينات الميلادية من القرن الماضي ، والتي حاولت الربط بين الإسلام والاشتراكية أو الإسلام والقومية ، وكان من أبرزها كتاب الراحل الكبير مصطفى السباعي . يرحمه الله . عن " اشتراكية الإسلام".

في هذه اللحظة التاريخية ظهرت كتابات سيد قطب الأخيرة ، والتي مثلت القفزة الروحية والفكرية الرائعة التي نقلت الوعي الإسلامي والوجدان الإسلامي من الانجذاب إلى الواقع وتراث الصدمة بكل آثاره وذيوله إلى أفق جديد وبعيد، لا تشوبه

أية شائبة من ذلك التراث المهزوم والمأزوم ، أتى سيد قطب لكي يقول للجيل الجديد بثبات مدهش وبساطة مفعمة بالثقة بالله ودينه وكتابه إن كل ذلك ركام من الفكر الضال ، بعد عن الحق والحقيقة قدر بعده عن نور الله وهديه. ثم أخذ بيد قارئه إلى هناك ، حيث النبع الصافي " الوحي الإلهي" لكي يعيد إلى قلب المؤمن بشاشة الإيمان ، وإلى عقل المؤمن بهاء الفكرة القرآنية ، ثم يكشف له عن خواء حضارة " الإنسان " الجديدة ، وأن إبهارها كاذب ، وأن عوراتها مفضوحة ، وأنها " محض جاهلية " لا تخفي وحشيتها وانحرافها وبعدها عن " إنسانية الإنسان " كل مساحيق التجميل الحضارية.

(5)

عندما كشف سيد قطب زيف الحضارة الجديدة ، لم يفعل ذلك مجرد حماسة ، رغم العاطفة المشبوبة في كلماته ونبضها ؛ بل كان يقدم خطابًا فكريًّا عاقلا لا يسع أصحاب التأمل الفكري الفكاك من حجيته وسلامة منطقه ، كما أنها كانت رؤى نقدية من بصير وخبير بتلك الحضارة ، معايشة لها أيام سفره في أمريكا، وقراءة متأملة في كتابات مفكريها وروادها ، كذلك كانت من العلامات الفارقة لكتابات سيد قطب عن الحضارة الغربية ، وهي من النقلات التي لم يعرفها الفكر العربي قبله ، أنه لم يكتب ما يكتب من منطلق الدفاع أو دفع التهمة عن دينه وأمته ؛ بل كان يكتب من منطلق استعلاء إيماني رائع وغير متكلف على هذا الواقع المنحرف الجديد الذي شكلته في عالم البشر الحضارة الغربية ، كان يهاجم وينتقد دون أي حاجة إلى دفاع أو مرافعة عن حضارته ودينه وأمته ، هذا لم يحدث قبل سيد قطب أبدًا. في تاريخ الفكر العربي الحديث ، كانت الكتابات حتى التي تهاجم الحضارة الغربية والفكر الغربي . على ندرتها .كانت دفاعية تعتذر عن ذاتها مع نقدها للآخرين ، ويذكر مؤرخو تلك المرحلة الجدل الذي وقع بين سيد قطب ومالك بن نبي . يرحمهما الله . عندما أعلن سيد قطب عن كتابه الجديد " نحو مجتمع إسلامي متحضر " ثم رأى أن يغير عنوان الكتاب قبيل الطبع إلى " نحو مجتمع إسلامي " ومنع كلمة " متحضر " لأنه اعتبر أن وصف الإسلام بذاته يشمل التحضر ويعني التحضر الحقيقي ، مالك تصور أن هذا تكلف من سيد قطب وتوتر فكري لا مبرر له ، ولكن

الحقيقة أن هذا كان تناسقًا طبيعيًّا مع مشروع سيد قطب الفكري والروحي ، الذي لا يرى الإسلام بحاجة إلى دفاع أو تزويق أو تزيين ، هو بذاته النور وهو الحضارة وهو صانع إنسانية الإنسان المتوافقة مع فطرته وجوهر روحه والضامنة أيضًا لتوافق الإنسان مع الكون كله بشجره وحجره وأرضه وسمائه ، وإذا كان عالم المسلمين قد حرم من شيء من ذلك ، فتلك مشكلتهم هم لا مشكلة الإسلام .

(6)

هذه الروح الجديدة التي كتب بها سيد قطب، نقلت مشاعر الجيل الجديد من المسلمين إلى عالم إنساني مدهش، ينظر باستعلاء حقيقي إلى الواقع المحيط به، ويسقط الهالة المقدسة عن رموز فكرية كبيرة في دنيا العرب والمسلمين ، ويجمع على الإنسان المسلم المعاصر لأول مرة شعوره وفكره في صعيد واحد، يجعله أكثر ثقةً في مستقبله ومستقبل أمته ، وأكثر رسوخًا في إيمانه بنور الله وهدي نبيه الكريم –صلى الله عليه وسلم– ، وأكثر إصرارًا على إعادة الاعتبار إلى شريعة الله وحكمه؛ لكي يكون مرجعية الحياة كل الحياة في عالم الإنسان ، ولقد كان سيد قطب – ككل مفكر عقدي يمثل لحظة فارقة في تاريخ أمته–حاسمًا في فصله بين الفكر الإسلامي وغيره من الأفكار التي تتأسس على غير هدى الله ونوره من النظريات المنحرفة أو المناهج الباطلة أو القوانين المصادمة لحكم الله وشرعه، لم يتردد لحظة في وصف ذلك كله بـ"الجاهلية"، وهو مصطلح إسلامي أصيل يختزل في دلالاته معاني البعد عن هدي الله ونوره مع الحمق مع الجهالة مع قصر نظر الإنسان.

وللأمانة فإنه من الصعب أن يجد الإنسان المسلم مصطلحًا آخر يؤدي هذه الصفات والدلالات مجتمعة في الحالة الإنسانية التي صاغتها ورسختها الحضارة الغربية ولوثت بها . على قدر متفاوت . بقاع الأرض كلها ، ولا يضير سيد قطب أن يكون هناك من الشباب الإسلامي من أساء استعمال المصطلح أو أخذه إلى غير رسالته ، وحاول أن يؤسس به فقهًا جديدًا أو منهجًا عقديًّا أصوليًّا جديدًا يفرز به الواقع ، أو من حاول أن يجعله منطلقًا لفتاوى مستهترة أو متعجلة أو متطرفة في تعاملها مع الواقع ، وكل ذلك حدث بالفعل ، ولكنه وزر من أخطأ به ، وليس وزر سيد قطب وعطائه ورسالته ، وهي نفس الاندفاعات التي جعلت طوائف من الجيل الثاني في

الإسلام تسيء التعامل مع نصوص القرآن والسنة ذاتها ، فانتهى بها إلى تكفير صحابة رسول الله والتأسيس لمنهج الخوارج بكل عواقبه وتراثه الكئيب في تاريخ الإسلام .

(7)

يخطئ من يتصور أن مشروع سيد قطب قد انتهى أو أن واقعه وزمانه قد تجاوزه عالم الواقع وعالم الفكر ، ومن يتصور ذلك لا يبعد كثيرًا عن فهم الغلاة في سيد قطب ، الذين حوّلوه إلى مجرد نصوص ودلالات فقهية أو عقدية ، وليس هكذا مشروع سيد قطب ، فمشروع الرجل هو تجديد إيمان المؤمن بدينه، وشحذ همه نحو نهضة أمته وصناعة مستقبل أفضل لها وللبشرية، والتحذير الدائم من الخضوع لنمطية الواقع، أو التقولب في عصر من العصور البائسة ، وإنما العصر الحقيقي هو " عصر الجيل القرآني " هو عصر الإسلام الذي يؤسس لحضارة جديدة يظلها شرع الله وهديه ، فكر سيد قطب ثورة متجددة في عالم الفكر وعالم الواقع ، وهي تزهر في عقول ووجدانات من قرؤوه ويقرؤونه على مر الأيام ، ولا يوجد أديب إسلامي من بعده ، ولا مفكر إسلامي ، ولا داعية إلا وكان للرجل بصمته في فكره وفي مواقفه ، حتى من تكلف مخالفته أو التحفظ على بعض كتاباته ، ومن ثم يبقى مشروع سيد قطب مشروعًا مستقبليًّا تجديديًّا ، يلهم الأجيال الجديدة بروح العطاء للإسلام والعمل على نهضة أمته ، ويجعل نفوسهم مفعمة بالهمم العالية المستعلية على ضغوطات الواقع وتحديات الطريق ، وموصولة بمسيرة التاريخ الفذ والأمة الواحدة منذ آدم –عليه السلام– وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ولذلك لا يعيد القارئ لكتاب الظلال على سبيل المثال قراءته الآن ، إلا ويجد فيه ذات الروح التي وجدها منذ سنوات بعيدة ، يقرؤها الشيخ أو الكهل فيستحضر بها مشاعره وهو شاب متدفق الحماسة والإقبال، وتنفعل بها نفسه من جديد ، وهذه خصيصة يصعب حضورها في أية كتابات فكرية أو أدبية أخرى ، وللأمانة فإن توالي الأحداث الجديدة في العالم وانكشاف مواقف السياسات الدولية ومعها الأخلاق والطموحات عارية مفضوحة بصورة لم تشهدها البشرية من قبل هي من الأمور الواضحة التي تعيد الاعتبار لسطور سيد قطب عندما عرى هذه المعاني كلها قبل أربعين سنة مضت ،

في الوقت الذي كان ينظر الكثيرون –حتى من أهل الإسلام– إلى ما يقوله نظرة شفقة واستهتار، يرحمه الله.

================

#الإبداع حين يكون ستاراً للاختراق الثقافي

كمال السعيد حبيب 1424/10/9

2003/12/03

تشير كلمة الإبداع إلى بناء شيء جديد على غير مثال سابق، فمثلاً أبو الأسود الدؤلي أبدع علم النحو العربي، والخليل بن أحمد أبدع العروض، والشافعي أبدع علم أصول الفقه، وأبو حنيفة أبدع علم القياس، ومالك هو الذي أبدع علم المصالح المرسلة والقياس، فضلاً عن المبدعين في علوم الطب والرياضيات والكيمياء والفلك وغيرها من العلماء العرب المسلمين، ولعمر بن الخطاب أولياته التي أبدعها علي غير مثال سابق في الإدارة والنظم السياسية والاجتماعية، أورد بعضها أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الإبداعي في المالية والاقتصاد الأموال.. ولو أرسلت لنفسي عنانها لوجدتني أذكر كل المبدعين من علمائنا الذين أسسوا في كل منحى علماً متينًا وفكرًا سديداً؛ ففي علم السير –أي العلاقات الدولية– وضع محمد بن الحسن الشيباني مؤلفه الضخم "السير الكبير"، وله أيضاً "السير الصغير"، ناهيك عن قواعد المنهج الراقي في علم الحديث، والتي تعد أساسًا لما يطلق عليه اليوم "مناهج البحث".

في المرحلة الأولي من بناء العلوم الإسلامية كانت الحضارة العربية الإسلامية تتأسس بناء على حركة الحضارة ذاتها في الكون وفي الآفاق، وبمنهج عالم عادل جعل الكثير من المستشرقين يتحدثون عن عظمة الحضارة العربية الإسلامية على الحضارات الأخرى وعلى رأسها الحضارة الغربية ذاتها، ويكفي أن نتذكر كتاب سجريد هونكه "شمس الإسلام تسطع علي الغرب"، ولدينا اليوم ثروة هائلة من التراث الذي تركه أسلافنا جعل من يطلقون على أنفسهم "الحداثيين المعاصرين" ينتحلونه لأنفسهم، ويتمحكون به، ويصدرون كتاباً بعنوان "آباء الحداثة العربية " رغم أنه من الناحية المنهجية لم تكن الحداثة وما بعدها ومناهجها المعقدة وغير المفهومة مثل

البنيوية والتفكيكية قد ظهرت بعد، وهي كلها مناهج غربية أقرب للطابع العبثي الذي يبدد البيان والفكر واللغة ويحيرها أكثر مما يساعدها على البيان والوضوح.

وعرفت الحضارة العربية الإسلامية جدالاً ومدافعة مع الحضارات الأخرى اليونانية بفلسفتها والرومانية بقوانينها وعقلانيتها، وطوعت هذه الحضارات لقيم الحضارة العربية الإسلامية، فلم تكن حضارتنا أبداً مغلقة على نفسها، ولكنها كانت تحافظ دائمًا على خصوصيتها وعلى قيمها، وكانت على وعي دائمًا بأن البعد القيمي والحضاري لابد من الحفاظ عليه، فهناك ثقافة وإطار مرجعي كان المبدع المسلم يضعه في اعتباره.

وقد لاحظت وأنا في تركيا أن عظمة الفن العثماني في البناء والخطوط والنقش كانت تضع في اعتبارها القيم الإسلامية المتصلة باحترام القيم الإسلامية التي لا تضاهي الخالق، فلم نجد رسوماً تنزع لمضاهاة خلق الله، ولم ألاحظ أي فنون متصلة برسم ذوي الأرواح.

ولم نجد شاعراً يثير الغرائز والفتنة بين المسلمين بقصد إشاعة الفاحشة بين الذين آمنوا، ذلك لأن الفن والإبداع مقصده الأساسي هو تحقيق المتعة والإحساس بالجمال وفق المرجعية الإسلامية، نعم عرفت بعض مراحل الرخاوة الحضارية من يحاول الخروج على هذه القواعد؛ لكن لم يكن ينظر لهذه المحاولات بالاحترام أو التقدير أو النظر إليها علي أنها فن وإبداع، وعامة من قام بهذا هم من الشعراء الذين لا وزن لهم كتعبير عن الروح الإسلامية.

الاختراق الثقافي البريطاني

لكنه مع التحول الحضاري لصالح الحضارة الغربية بدأ مثقفو الأمة يتحولون منبهرين تجاه الفنون والأفكار وطرق الكتابة الغربية، وكان يمكن أن يكون ذلك إضافة للحضارة العربية الإسلامية لو كان من يفعل ذلك على وعي بأنه يتعلم لكي يوظف علمه من أجل نهضة أمته وفنونها وأفكارها وطرق حياتها، لكن النخبة -للأسف- هي التي اندفعت كالحمر المستنفرة التي فرت من قسورة!، تلهث وتجري وراء كل ما يقذفه الغرب إلينا دون نظر أو روية، أو بذل أي جهد في محاولة تنقية وتطويع ما يؤخذ من الغرب لقيمنا وعلومنا وحضارتنا، وهنا وجدنا المثقف المرتبط بالأجنبي

المحتل، ووجدنا المثقف المرتبط بمصالح الغرب وقيمه وأفكاره، ووجدنا عملاءً وليسوا مفكرين أو مبدعين.

ففي مصر علي سبيل المثال وجدنا اللورد كرومر والمستشرق بلنت والقس دانلوب يقيمون علاقات مصالح ومصادقة مع النخبة المثقفة في هذا الوقت، ويدعمونها لنشر الثقافة البريطانية والغربية التي تضعف الثقافة الإسلامية، وخذ عندك مثلاً من قالوا عنه أستاذ الجيل (لطفي السيد)، وعميد الأدب العربي (طه حسين)، و (قاسم أمين)، و(سعد زغلول)، و(فتحي زغلول)، و(عبد العزيز فهمي)؛ بل والشيخ (محمد عبده) نفسه!، كل هؤلاء كانت مواقفهم الفكرية والسياسية تعبر عن الاختراق الغربي لفكرنا الثقافي، وبدلاً من مجيء الخبراء الأجانب من الخارج والأفكار من الخارج؛ فإنها أصبحت تزرع في أرضنا، ويروج لها أبناء جلدتنا!، وهذا حدث في مصر والشام و حتى في قلب الدولة العثمانية ذاتها، وهو ما قاد إلي تحللها وانهيارها، وعرفت الساحة الثقافية معارك هائلة فكرية وسياسية وحضارية، وقف فيها من تساندهم سلطة المحتل بسيفه وذهبه في مواجهة عامة الأمة ومثقفيها الحقيقيين؛ ففي معركة كتاب الشعر الجاهلي ومستقبل الثقافة لطه حسين وقف ضده الرافعي والغمراوي والشيخ الخضر حسين وأمين الخولي وغيرهم كثير، وفي المعركة السياسية كان من يطلق عليهم "حزب الأمة" في مواجهة الحزب الوطني، وكان الحديث عن وطنية مصطفي كامل تطرفاً ، وظهر في فترة الاستعمار البريطاني من اعتدى على المقدسات مدعوماً بذهب المستعمر وسيفه، مثل (سلامة موسى) في كتابه "اليوم والغد"، ومثل جريدة "المقتطف" و"المقطم" ومجلة "الهلال" التي كان يصدرها (جورجي زيدان).

المسألة الأساسية هنا هي ارتباط من أطلقوا علي أنفسهم "مثقفين ومفكرين" بالمستعمر، ورغم تقديرنا لجهود الوفد على المستوي الوطني والسياسي؛ لكن حزب الوفد كان يتبنى القيم والأفكار العلمانية، وهذا هو المأزق الحقيقي- في تقديرنا- لحركات الاستقلال؛ فهي مرتبطة ثقافيًا وفكريًا بالمستعمر، لكنها تريد أن تتحرر منه سياسيًا دون وعي بأن الحرية الحقيقة لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق الفكر والثقافة والحضارة.

صار الإبداع أداة لترويج فكر المستعمر وهز ثوابت الأمة الثقافية والحضارية فوجدنا من يهجم على القرآن والسنة واللغة العربية والمرأة المسلمة والأزهر والتعليم الديني، وصارت الجرأة والوقاحة عنواناً للمثقف المرتبط بالمستعمر البريطاني.

الغزو الثقافي الأمريكي الجديد

كما كان الأمر في عهد المستعمر البريطاني وجدنا المثقفين العرب والمصريين الذين حاولوا الوقوف في وجه الهجمة الإمبريالية الغربية يتجهون للإمبريالية السوفيتية. قد يقول البعض: لم يكن السوفييت استعماراً، لكنه كان كذلك وبالذات على المستوي الحضاري والثقافي وتبنى جيل كامل من المثقفين المصريين الأفكار الشيوعية التي تنظر لقيم الأمة ودينها باحتقار، ولم نر من حاول التحرر من السيطرة الإمبريالية الغربية عن طريق الإحياء الثقافي العربي أو الإسلامي، واكتشف تيار هام من هذا الجيل حجم الكارثة التي وقع فيها؛ فترك الفكر الشيوعي وأقبل ينهل من فيض حضارته.

ومع الاكتساح الأمريكي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وجدنا انقلابًا كاملاً في التوجهات الثقافية لمثقفي اليسار؛ فإذا بهم يرتبطون بالمراكز الإمبريالية الغربية عبر المنظمات الحقوقية التي تستلهم القيم الثقافية الغربية، ووجدنا نفس المشهد القديم للورد كرومر يتكرر مع سفراء أمريكا الذين حرصوا علي تكوين نخب جديدة مرتبطة بالقبلة الأمريكية والبوصلة الفكرية الأمريكية، وتكفي الإشارة لما كتبه ناقد عربي له قيمته ووزنه مثل (عبد العزيز حمودة) في كتابيه "المرايا المحدبة والمقعرة" عن ارتباط التوجهات الإبداعية العربية والمدارس الحداثية بقيم الغرب؛ بل وتشجيع المخابرات الأمريكية لهذه التوجهات ودعمها، واستند الرجل في هذا لكتاب المؤلفة البريطانية الجادة (فرانسيس سوندرز) وكتابها القنبلة "من يدفع أجر العازف .. الحرب الباردة الثقافية"، وعلاقة المخابرات الأمريكية بالفنون والثقافة والآداب، وهي تعتمد على مثل إنجليزي يقول (من يدفع أجر العازف يختر اللحن)، وهكذا فالملحنين الذين يلحنون علي النغمات الأمريكية من المثقفين العرب اليوم لابد وأنهم قد دفع لهم أجر عزفهم!. وتوجد حالات واضحة في هذا المجال لا داعي لذكرها حيث يستخدم التمويل الأجنبي للأبحاث والأفكار والمؤسسات ستاراً لذلك كما ذكرت المؤلفة البريطانية.

نقول ذلك على الضجة التي أثيرت في مصر مؤخراً عن الكتاب التافه الذي أصدرته مكتبة الأسرة بأموال المصريين بعنوان "وصايا عشق النساء"، والذي أصدر مجمع البحوث الإسلامية فتوى تجرمه من المنظور الإسلامي، حيث يشبب بالنساء، ويفتح الباب على مصراعيه للفساد الأخلاقي، ويطلق المشاعر الإباحية للمرأة وعاشقها دون أي قيود، واستخدم الكتاب الآيات القرآنية في ثلاثة مواضع بطريقة تسيء للقرآن!.

لقد أصبحت المراكز الثقافية في بعض بلادنا العربية وكراً للترويج للقيم الأمريكية، ووكراً للعملاء الذين يروجون لهذه القيم تحت ستار الإبداع، وهو ليس سوي أداة من أدوات الاختراق الثقافي لحصون الأمة الحضارية لحساب قيم المستعمر الثقافي الجديد، وهو هنا أمريكا هذه المرة.

من يقرأ تاريخ الصراع الفكري بين الإسلام والعلمانية في مصر في أوائل هذا القرن؛ سوف يجد العلاقة الوثيقة بين هذه الحقبة وبين ما يجري اليوم من إعادة إنتاج هذا الصراع من جديد في قوالب جديدة حيث يقف المثقف التاجر يعزف في صف من يدفع له أجره، وكان بالأمس المستعمر البريطاني واليوم المستعمر الأمريكي.. إنها نفس القصة ولكن في سياق جديد

==============

#مشاهداتي في تركيا!

كمال السعيد حبيب 1424/9/15

2003/11/09

زرت تركيا وذلك للتعرف على أوضاع الحالة الإسلامية هناك وعلاقة الإسلام بالواقع الاجتماعي والسياسي وعلاقته بالأحزاب السياسية، فهذا هو موضوع رسالتي للدكتوراه في العلوم السياسية، وفي الواقع فإن الحالة التركية تزخر بالكثير من الدلالات والخبرات، لكني أحاول التركيز على قضية أساسية لم تكن الحركة الإسلامية على وعي بها، وهي الظن أو الاعتقاد أن المجتمعات واحدة وأن العلوم واحدة، وأن ما حدث في مجتمع يمكن أن يحدث بشكل آلي أو أوتوماتيكي على المجتمعات الأخرى، وأن قواعد العلوم التي جري تطبيقها على حالة محددة يمكن أن تطبق علي الحالات الأخرى بدون وعي بأنه من أكبر الخطايا العلمية والحركية والمنهاجية

تصور أنه يمكن تعميم قواعد العلوم على كافة الحالات دون معرفة البيئة أو الأرض أو المجتمعات التي نطبق عليها هذه القواعد، ففي العلوم الاجتماعية بالذات –وهي العلوم التي يجب أن تكون موضع اهتمام الحركات الإسلامية– لا يوجد قانون ثابت يمكن تعميمه بحيث نقول مثلاً: إن الثورات تنشأ في المجتمعات حين ينتشر الظلم والاستبداد، وإن أي مجتمع تنتشر فيه المظالم؛ فإن الثورة تصبح العمل الممكن والمتاح فقد ينتشر الظلم والاستبداد في مجتمع لكنه لا يولد ثورة، وربما يكون اللجوء لاستخدام القوة من أجل تثوير الناس ليس منهجاً صحيحًا، فظروف إيران ليست هي ظروف مصر، ولاهي ظروف تركيا أو الجزائر، ومن هنا فإنه يوجد ما أطلق عليه "علم الفروق بين المجتمعات".

بحيث إن الذي يحدد صحة المقولة العلمية ليس كونها صحيحة في ذاتها علي المستوي التجريدي، وإنما الذي يحدد صحتها هو قابليتها للتطبيق في سياق اجتماعي وسياسي معين، وهذا في الواقع يفرض على الحركات الإسلامية في بلدانها أمرين؛ أولهما: معرفة المقولات والنظريات والاتجاهات العلمية والفكرية، وحتى السنن والقواعد الاجتماعية المستقرة.

وثانيهما: التعمق في معرفة واقع بلدانها الذي تتحرك فيه، بحيث يمكنها فهم ما يصلح لمجتمعها، والتعامل مع الوسائل والأدوات والوسائل المناسبة لإصلاح هذا الواقع، ويدخل في معرفة هذا الواقع التأمل في طبيعة القوى السياسية والمجتمعية وطبيعة التوازنات التي تحكم المجتمع، ومعرفة نفسية وخصائص المجتمع الذي يمثل المجال الحيوي لفعل الحركات الإسلامية. ففي العلوم الاجتماعية والسياسية الذي يحدد كون المقولات أو النظريات المجردة صحيحة أو خاطئة أو أنها ملائمة أو غير ملائمة؛ هو السياق والواقع الاجتماعي والسياسي والحركي الذي تطرح فيه.

وبين المقولة العلمية المجردة أو حتى السنة الكونية الاجتماعية وبين الواقع الذي تطرح فيه يوجد وسيط مهم جداً؛ هو العقل الذي يجتهد لمحاولة التوفيق بين هذه السنن والقواعد المجردة، وبين الواقع الذي تتحرك فيه الحركات الإسلامية. ففي الفترة الأخيرة بدأت الحركات الإسلامية تلتفت لأهمية القواعد والسنن الاجتماعية مثل قوله تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها

تدميراً) ، ففسق الأمراء وترفهم مؤذن بخراب العمران وزوال السلطان لكن هناك ما يطلق عليه في العلوم الاجتماعية الوسيط بين هذه القاعدة وبين الواقع الذي تتحرك فيه، وهذا الوسيط هو ما يطلق عليه التكنيك، أي التوصل عبر العقل والاجتهاد والجهد البشري للحركات الاجتماعية ليتحقق هذا القانون الاجتماعي وهذه السنة الكونية الاجتماعية، فهناك آليات هي التي قادت لوصول المترفين والفاسدين للسلطة، وهناك آليات وجهد بشري في الواقع لحرثه وفهمه ومعرفة كيف يمكن التعامل معه للتخلص من هذه الفئة المترفة الفاسدة، فهذه السنن لا تتحقق بشكل آلي فور وقوع شروطها دون جهد من البشر؛ بل إنني لا أبالغ إذا قلت إنه ربما يكون تحكم المترفين هو نتيجة لعدم القدرة على فهم الواقع والتعامل معه بما يتكافأ ومتطلباته من جانب الحركات الاجتماعية التي تسعى للتغيير ومنها بالطبع الحركات الإسلامية.

تركيا حالة فريدة

كما هو معلوم فإن الأتاتوركية تسلطت على واقع تركيا بعد سقوط الخلافة والقضاء عليها تمامًا عام 1923م، وتم إعلان الجمهورية التي مثلت فيما نتصور حالة فريدة في التاريخ البشري، فبقوة القهر والبطش والجهل سعت الأتاتوركية إلى الاعتداء على هوية المجتمع التركي وتاريخه وتراثه بحيث إنها كانت أكثر عنفًا ووحشية من النازية والشيوعية والفاشية، إلى درجة أن الزائر لتركيا لا يمكنه أن يفارق عقله السؤال الذي لايمكن دفعه وهو كيف حدث هذا؟ كيف استطاعت الأتاتوركية أن تستلب لهذا الحد التراث والتاريخ والهوية والعقيدة لشعب قوي له جذوره الممتدة في التاريخ وناضل وخدم الإسلام لأكثر من ألف عام، قاوم الأتراك الإجراءات المجنونة لأتاتورك لكن عنف السلطة وبطشها عصف بكل الذين قاوموا.

وحدثني متخصصون التقيتهم في التاريخ التركي أن أكثر من خمسين ألف شخص من العلماء والمقاومين راحوا ضحية الإجراءات الكمالية المجنونة، واستمرت الوحشية الأتاتوركية حتى بعد وفاة أتاتورك عام 1938م، إذ كان حكم عصمت أنينو أشد وحشية، لكن محاولة الأتاتوركية الوحشية لبناء عالم ومجتمع ودولة على مزاج التصورات الأتاتوركية باءت بالفشل الذريع، فبعد 27عامًا جاء الحزب الديمقراطي

بزعامة عدنان مندريس ليكنس زبالة الأتاتوركية، وليعيد للإسلام اعتباره، فعاد الأذان باللغة العربية، وفتحت المساجد التي كانت تحولت لمتاحف، وفتحت المدارس الإسلامية، خاصة مدارس الأئمة والخطباء، وبدأت حركة ترجمة واسعة وعادت تركيا تحاول التواصل مع عالمها الإسلامي عبر التعرف على الفكر الإسلامي في البلدان الإسلامية، وتم ظهور جماعة طلاب النور وطبع رسائل سعيد النورسي بشكل علني، لقد كانت هزيمة الحزب الجمهوري الساحقة في انتخابات عام 1950 م تصويتاً على أن الإسلام ليس مجرد قميص يمكن لنظام حكم مهما كانت وحشيته أن ينزعه عن الجسد التركي لكنه – أي الإسلام– هو عظام تركيا ولحمها ودمها، ومع قسوة الدولة الكمالية ووحشيتها أيقنت الحركة الإسلامية هناك أنه لا يمكن الدخول في مواجهة عنيفة مع الدولة، واعتمدت أسلوب المواجهة العقدية والدعوية لدحض الأفكار المادية والإلحادية، وهو ما عبرت عنه رسائل النور التي كان يكتبها سعيد النورسي.

كما أن جماعات النقشبندية كان لها دور كبير في المقاومة والحفاظ علي الإسلام، بل إن هيئة شؤن الديانة التي أسسها أتاتورك للسيطرة على الدين ومشاعر المتدينين كان لها أكبر الأثر في الحفاظ على الإسلام، مع تعاظم الحركة الإسلامية الدعوية في فترة الستينيات بعد الانقلاب العسكري عاد حزب العدالة ليمثل إطاراً للإسلاميين، حتى قرر الإسلاميون خوض العمل السياسي مستقلين وليس تحت مظلة الأحزاب الأخرى، فنشأ حزب النظام ثم حزب السلامة.

وبعد انقلاب عام 1980 عادت الحركة الإسلامية للعمل عبر حزب الرفاه الذي اكتسح الانتخابات المحلية والنيابية واستطاع، رئيسه نجم الدين أربكان أن يكون أول رئيس وزراء في دولة علمانية، وبعد الانقلاب عليه عام 1997 تأسس حزب الفضيلة وهو يقود الآن حزب السعادة، كما أن حزب آق (أي الحزب الأبيض كما يعرف في تركيا) حزب العدالة والتنمية هو الحزب الحاكم، ورغم أنه يقول إنه حزب غير إسلامي؛ لكن مؤسسيه لهم أصول إسلامية، وهم يتبنون أيديولوجية محافظة أشبه بأيديولوجية الحزب الديموقراطي أيام عدنان مندريس وأيديولوجية حزب الوطن الأم أيام تورجوت أوزال، وهي أحزاب عرف المسلمون في تركيا في ظلها انتعاشاً للمد الإسلامي.

تجنب المواجهة

قرار الحركة الإسلامية في تركيا بعدم خوض مواجهة عنيفة مع العلمانية والعسكر كان بناءً على دراسة وفهم للواقع التركي، بحيث استطاعت الحركة الإسلامية أن توظف المساحات المتاحة من الحرية والديمقراطية النسبية في تركيا لصالح حركتها، والتزام قواعد اللعبة السياسية، بل والمسابقة في الحفاظ على هذه القواعد. هنا فهم واضح للواقع وللسياق الاجتماعي والسياسي التركي، ومن هذا الفهم جاء قرار الحركة الإسلامية الواعي باختراق النظام السياسي، والتعامل على أرضية القواعد التي وضعها أتاتورك ووضعتها العلمانية ذاتها، ومحاولة توظيفها وليس التصادم معها، ورغم أن الخبرة التركية مهمة جدًا، لكنها مهمة في السياق التركي وتبقي دلالتها حية بالنسبة للحركات الإسلامية الأخرى في ضرورة فهم الواقع الذي تتحرك فيه الحركات الإسلامية وابتداع وسائل اجتهادية للتعامل مع هذا الواقع دون القفز عليه بطرح رؤى فلسفية ونظرية لا مكان لها إلا في عقول مطلقيها .. الخبرة الواقعية والحركية هي معمل الحقيقة والبرهان على صدق النظريات والمقولات التجريدية أو خطئها، فليس معيار صدق المقولة هو اتساقها المنطقي المجرد ولكن اتساقها وملاءمتها مع الواقع الذي تتحرك فيه وتعمل معه

===============

#الإصلاح ... ضرورة

سهيلة زين العابدين حمَّاد 1424/8/24

2003/10/20

تواجه أمتنا الإسلامية تحديات جمة وخطيرة تستهدف هويتها وعقيدتها وتراثها وحضارتها وثرواتها وعزتها وكرامتها وحريتها، والكعبة المشرفة هدف أعداء الأمة، ولقد أشار إليها رئيس الوزراء البريطاني مستر جلادستون في أواخر القرن التاسع عشر في مجلس العموم البريطاني، وقد أمسك بيمينه كتاب الله عزَّ وجلَّ، وصاح في أعضاء البرلمان وقال: "إنَّ العقبة الكؤود أمام استقرارنا بمستعمراتنا في بلاد المسلمين هي شيئان، ولابد من القضاء عليهما مهما كلَّفنا الأمر، أولهما هذا الكتاب، وسكت قليلاً بينما أشار بيده اليسرى نحو الشرق وقال:هذه الكعبة!!" (1).

ويحاول الآن الأعداء النفوذ إلينا من خلال ثغرات موجودة في مجتمعنا، واستغلال هذه الثغرات للانقضاض علينا مدعين أنَّهم يريدون لنا الحرية والعدل والديمقراطية، هذه الكلمات التي يخدعون بها البعض من أبناء أمتنا من المنبهرين بالغرب وحضارته وثقافته وحريته وديمقراطيته الزائفة، فينصاعوا وراء تلك الشعارات الزائفة، ويكونوا عوناً لأعدائنا علينا، وما يلبثوا أن يجدوا أنفسهم وقعوا وأوقعوا معهم أمتهم وأوطانهم في مستنقع عميق لا قرار له، ولا مخرج منه إلاَّ بعد تقديم الملايين من الشهداء خلال عدد من السنين لا يعلم مداها إلاَّ الله وحده.

ولئلاَّ تتكرر مأساة أفغانستان والعراق علينا أن نعمل على إصلاح ما بأنفسنا (إنَّ الله لا يُغيِّر ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم) ، ونحدد دور كل واحد منا في هذا الإصلاح، وأن نكون يداً واحدة وجبهة واحدة يتضامن فيها الشعب بكل فئاته وعناصره للعمل على سد كل المنافذ والثغرات التي قد ينفذ الأعداء إلينا منها.

لذا فإني سوف أقدم كامل رؤيتي لهذا الإصلاح في جانبه الثقافي والتربوي والإعلامي.

أولاً – الإصلاح الثقافي

لن يتحقق الإصلاح الثقافي في مجتمعاتنا الإسلامية إلاَّ إذا عملنا على تحقيق الآتي:

1-العمل على القضاء على الأمية في عالمنا العربي والإسلامي.

2- السعي إلى توحيد لغة المسلمين بنشر لغة القرآن الكريم:

علينا أن نسعى إلى توحيد لغة المسلمين بنشر لغة القرآن الكريم وجعلها لغة كل مسلم ومسلمة.

3-التسلح بثقافة إسلامية واعية:

يجب أن نتسلح بثقافة إسلامية واعية، وأن نواجه تحديات العولمة بها، بل علينا أن ننشر الثقافة الإسلامية، وأن نقدمها للعالم بكل ما فيها من سمو وجمالية وقيم وفضائل وعدل وخير للبشرية، بدلاً من "الأمركة" المفروضة على العالم بكل أمراضها وشذوذها، وهيمنتها وسطوتها وغرورها وغطرستها وظلمها وانحيازها للصهيونية العالمية ولكل من يحارب الإسلام، ويبيد المسلمين.

فلتكن ثقافتنا ثقافة إسلامية واعية صامدة أمام تحديات العولمة، فارضة ذاتها على الآخر لتكون النموذج الذي نقدمه للعالم في هذا العصر، وبدلاً من أن يفرض علينا الآخر ثقافته، وقد مرَّت علينا قرون، ونحن نتلقى من الآخر، وقد آن الأوان أن نقدم ثقافتنا الإسلامية بكل رقيها وسموها وثراها وغناها وتجددها الدائم، لأنها من نبع لا ينضب، علينا أن نتبع الآتي:

أولاً – الاهتمام بالتربية الأسرية ولا سيما التربية الروحية:

إذ أرى أنّ ضعف الجانب الروحي في شبابنا –ذكور وإناث –هو العامل الرئيس في هذا الانحراف العقائدي، وتنمية هذا الجانب، وغرسه في روح الأبناء غرساً سليماً هو القاعدة الأساسية في الإصلاح، لما للتربية الإسلامية من أهمية بالغة في غرس حب الله والإيمان به في النفوس، ومراقبته والخوف منه، فللتربية الروحية أهمية بالغة في تحديد عقيدة النشء يجب الاهتمام بها، والتركيز عليها منذ الطفولة المبكرة ليستطيع الأبناء مواجهة تحديات العصر، وتيارات التشكيك الموجهة ضد ديننا وعقيدتنا بعقيدة ثابتة لا تتأثر بتلك المحاولات التي تعمل على إفقادهم عقيدتهم الإيمانية بالخالق، وصلاحية ما شرَّعه لهم في أمورهم الدنيوية، وما وعدهم من نعيم في حياتهم الأخروية إن التزموا بما أمرهم به، واجتنبوا عمَّا نهاهم عنه (2)،فإذا قوي في الإنسان الإيمان بالخالق جلّ شأنه ومراقبته في كل قول وعمل فاتبع أوامره، واجتنب نواهيه، ورَّوض نفسه ووطَّنها على كبح جماح الغرائز والشهوات، وأصبحت له إرادة قوية يستطيع أن يصمد بها أمام المغريات، وعالج نفسه من الانحرافات، بالاعتراف بالذنب، والتوبة النصوحة والاستغفار، وقاوم مصائب الدهر بالدعاء، وليس إلى ما يغيب عقله كالمخدرات والمسكرات، كما يكتب معظم كتاب القصص والروايات.

ثانياً – الاهتمام بعلم الاستغراب:

علينا أن نبدأ بدراسة الغرب وعلومهم ومناهجهم، ونقدها من المنظور الإسلامي، وذلك للاستفادة مما حققوه من إنجازات في مجال العلوم التطبيقية، ومن مناهجهم فيما لا يتعارض مع الدين، وتوضيح مثالب وعيوب الحضارة الغربية باتباع منهج علمي حقيقي مجرد من الميول والأهواء والنزعات الذي أرشدنا ووجهنا إليه ديننا الحنيف.

ثالثاً – الاهتمام بالجاليات الإسلامية:

أن يكون هناك تواصل فكري وثقافي بين أبناء الجاليات الإسلامية، وبين مفكري ومثقفي الأمة الإسلامية، عن طريق تنظيم المؤتمرات والملتقيات والمهرجانات والمواسم الثقافية، وعلى المؤسسات والمنظمات الإسلامية أن تنظم مؤتمرات في مختلف البلاد الإسلامية يشارك فيها مثقفو ومفكرو أبناء الجاليات الإسلامية لربطهم بوطنهم الأم، وليتم التواصل بينهم وبين أكبر عدد ممكن من مفكري ومثقفي الأمة.

إنَّ الصلة بيننا وبينهم تكاد تكون منقطعة، وهذا قصور منا نحن شعوبًا وحكومات، وعلينا أن نعمل على التواصل بيننا وبينهم فهم جزء لا يتجزأ منا، وسيسألنا الله عنهم إن فرَّط أحدهم في دينه، أو تعرض إلى ما يسيء إليه دون أن نقف إلى جانبه ونسانده للحفاظ على دينه ليجتاز محنته، ومتى أدركنا هذه المسؤولية، وقمنا بواجبنا نحوهم، نكون قد أسهمنا في أسلمة فكر وثقافة الأمة –وأقول هنا أسلمة فكر وثقافة الأمة لأنَّ الغالبية العظمى منا أضحت للأسف الشديد علمانية الفكر والثقافة، وأصبح معظم القائمين على وسائل الاتصال علمانيين–، ووحدنا توجهاتها لخير البشرية، وبذلك نكون قد أسهمنا في إعادة الدور الحضاري للأمة الإسلامية، وجعلنا الثقافة الإسلامية في موقع القوة والإبداع والابتكار لا موقف الضعف والتقليد والاتباع، كما هي حالنا الآن.

رابعاً – قيام مفكري ومثقفي الجاليات الإسلامية بدورهم الثقافي في المجتمعات الغربية:

على مفكري ومثقفي الجاليات الإسلامية أن يقوموا بدورهم الثقافي في المجتمعات الغربية، بالتعريف بالإسلام ومبادئه وقيمه وحضارته وتاريخه؛ لتصحيح ما شوهه رجال الكنيسة والمستشرقين عن الإسلام ونبيه – عليه الصلاة والسلام– وتاريخه، وما يقوم بتشويهه الإعلام الغربي الذي تسيره وتتحكم فيه الصهيونية العالمية.

ثانياً – الإصلاح في المجال الإعلامي

أولاً – أن تضع الدول العربية والإسلامية خطة إعلامية موحدة لمواجهة ما يواجهنا من مخاطر وضغوط وتحديات:

وأن يراعى في هذه الخطة الآتي:

- إنشاء وكالة أنباء عالمية إسلامية، وصحف وقنوات تلفازية بمختلف اللغات تشرح ديننا وقيمه وحضارته وتاريخه، وترد على ما يثار حوله من شبهات، مع شرح قضايانا، ومن المفارقات العجيبة أنَّنا نجد اليهود الصهاينة الذين لا يتجاوز عددهم الخمسة عشر مليوناً يملكون أربع من خمس وكالات أنباء عالمية، وكبريات الصحف وشبكات التلفزة العالمية في أوربا وأمريكا، إضافة إلى سيطرتها على السينما الأمريكية، وامتلاكها كبريات شركات الإنتاج السينمائي العالمية، مع سيطرتها على المسارح، وشركات الإعلان في أمريكا، ونحن المسلمين البالغ عددنا مليار ونصف لا نملك ولا وكالة أنباء عالمية واحدة، ولا صحيفة أو مجلة أو قناة تلفازية عالمية.والولايات المتحدة وإسرائيل كل منهما سوف يوجه قناة فضائية تبث بالعربية إلى العالم العربي تقدمان مزيداً من التضليل والأكاذيب لتضليل الرأي العام العربي، ونحن الواقع علينا كل هذا الظلم والعدوان لم نبث قناة، ولو باللغة الإنجليزية تعمل على تكوين رأي عام عالمي سليم تجاه ديننا وقضايانا المصيرية.

- إيقاف الدعاية والإعلان للبضائع والمطاعم واللحوم والمشروبات اليهودية والأمريكية. في المحطات التلفازية، والإذاعات الصحف والمجلات التي تصدر في البلاد العربية والإسلامية.

- مقاطعة الأفلام والمحطات التلفازية الأمريكية، بعدم بث الأفلام والبرامج والقنوات الأمريكية على الشبكات التلفازية المشفرة.

- أن يتبنى إعلامنا في البلاد الإسلامية الأدب الإسلامي، لأنه يشكل الآن الجبهة التي تجعلنا نحافظ على هويتنا الإسلامية وأصالتنا وتراثنا الفكري والحضاري، ويقينا شر الذوبان في ثقافة وحضارة الآخر.

- أن يُشجع أصحاب القنوات الفضائية المفتوحة والمشفرة على التنسيق فيما بينهم ليقدموا مواد جيدة بعيدة عن الإسفاف، تجمع بين الترفيه البريء والتثقيف الإسلامي الواعي، وعلى القنوات الفضائية المتخصصة ألاَّ تخرج عن المناهج والأهداف التي أُنشئت من أجلها.

- أن تتاح الفرص للأقلام الإسلامية الواعية المعتدلة غير المتطرفة بالكتابة في الصحف والمجلات.

- لا بد أن يتخذ وزراء العدل والإعلام والثقافة العرب والمسلمون خطوات إيجابية تجاه ما يقوم به اللوبي الصهيوني من إرهاب فكري وثقافي تجاه الأدباء والكتاب والمفكرين والصحفيين:

وهو تكميم أفواهنا كما كمموا سلاحنا ضد الجرائم الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين، فأصبح الذين يدافعون عن الحق العربي في فلسطين ويكشفون أكاذيب وأضاليل اليهود وجرائمهم عبر التاريخ، يُحاكمون بتهمة " المعاداة للسامية" في المحاكم الغربية، يُحكم عليهم بالسجن؛ إذ عليهم المطالبة بإسقاط ما يسمى بتهمة المعاداة للسامية، و رفض المحاكم في كل دول العالم القضايا التي ترفع تحت مسمى هذا الاتهام لأنَّ هذه التهمة تقيد حرية التعبير، وحرية الرأي من جهة، ولأنَّها تعطي المشروعية للجرائم الإسرائيلية والصهيونية العالمية ضد الفلسطينيين والعرب من جهة أخرى.

ثانياً - الالتزام بميثاق جاكرتا للإعلام الإسلامي:

ففي الحادي والعشرين من شهر شوَّال عام 1400هـ الموافق 1سبتمبر عام 1980م عقد المؤتمر الأول للإعلام الإسلامي في جاكرتا بإندونيسيا، وشارك فيه ما يقارب من 450 شخصية إعلامية إسلامية من مختلف أنحاء العالم يمثلون كافة أشكال وسائل الإعلام الإسلامي، وقد أقر هذا المؤتمر ميثاق الشرف الإعلامي الإسلامي، وجاء في المادة الأولى من هذا الميثاق الآتي:

الالتزام:

أ- بترسيخ الإيمان بقيم الإسلام ومبادئه الخلقية.

ب- بالعمل على تكامل الشخصية الإسلامية.

ج- بتقديم الحقيقة له خالصة في حدود الآداب الإسلامية.

د- بتبيين واجباته له تجاه الآخرين وبحقوقه وحرياته الأساسية.

وجاء في المادة الثانية الآتي:

يعمل الإعلاميون على جمع كلمة المسلمين، ويدعون إلى التحلي بالعقل والأخوة الإسلامية والتسامح في حل مشكلاتهم، ويلتزمون:

1- بمجاهدة الاستعمار والإلحاد في كل أشكاله والعدوان في شتى صوره والحركات الفاشية والعنصرية.

2- بمجاهدة الصهيونية واستعمارها الاستيطاني بأشكال القمع والقهر التي يمارسها العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية.

3- باليقظة الكاملة لمواجهة الأفكار والتيارات المعادية للإسلام.

وجاء في المادة الثالثة الآتي:

يلتزمون:

1-بالتدقيق فيما يُذاع وينشر ويعرض حماية للأمة الإسلامية من التأثيرات الضارة بشخصيتها الإسلامية وبقيمها ومقدساتها ودرء الأخطار عنها.

2-بأداء رسالتهم في أسلوب عف كريم حرصاً على شرف المهنة، وعلى الآداب الإسلامية. فلا يستخدمون ألفاظاً نابية ولا ينشرون صوراً خليعة، ولا يتعرضون بالسخرية والطعن الشخصي والقذف والسب والشتم وإثارة الفتن، ونشر الشائعات وسائر المهاترات.

بالامتناع عن إذاعة ونشر كل ما يمس الآداب العامة أو يوحي بالانحلال الخلقي، أو يرغب في الجريمة والعنف والانتحار، أو يبعث الرعب، أو يثير الغرائز سواءً بطريق مباشر أو غير مباشر.

بالامتناع عن إذاعة ونشر الإعلان التجاري في حالة تعارضه مع الأخلاق العامة والقيم الإسلامية.

وجاء في المادة الرابعة الآتي:

يلتزمون بنشر الدعوة الإسلامية والتعريف بالقضايا الإسلامية، والدفاع عنها، وتعريف الشعوب الإسلامية بعضها ببعض، والاهتمام بالتراث الإسلامي والتاريخ والحضارة الإسلامية، ومزيد العناية باللغة العربية، والحرص على سلامتها ونشرها بين أبناء الأمة الإسلامية، وبالخصوص بين الأقليات الإسلامية.

وبإحلال الشريعة الإسلامية محل القوانين الوضعية لاسترجاع السيادة التشريعية للقرآن والسنة.

ويتعهدون بالمجاهدة من أجل تحرير فلسطين وفي مقدمتها القدس وكافة الأقطار الإسلامية المضطهدة.

ويلتزمون بتثبيت فكرة الأمة الإسلامية المنزهة عن الإقليمية الضيقة والتعصب العنصري والقبلي واستنهاض الهمم لمقاومة التخلف في جميع مظاهره وتحقيق التنمية الشاملة التي تضمن للأمة الازدهار والرقي والمناعة(3).

هذا هو ميثاق جاكرتا للإعلام الإسلامي، وعلى الإعلاميين في عالمنا الإسلامي الالتزام به، وكذلك الالتزام بتوصيات وقرارات هذا المؤتمر لمواجهة التحديات التي تواجه أمتنا الإسلامية.

ثالثاً – على أصحاب رؤوس الأموال العرب والمسلمين العمل على الآتي:

1- العمل على إنشاء وكالة أنباء عالمية إسلامية على مستوى وكالات الأنباء العالمية لتنوير الرأي العام العالمي بحقائق تسعى وكالات الأنباء الأجنبية -التي تسيرها الصهيونية العالمية- إلى طمسها، وتضليل الرأي العام العالمي، وتأليبه ضد المسلمين والعرب، وتشويه صورتهم.

2- إصدار صحف عالمية إسلامية، وبث قنوات فضائية بمختلف اللغات الأجنبية توضح للرأي العام العالمي قضايانا المصيرية، وتاريخنا الإسلامي المشرف، وحضارتنا الإسلامية التي تعد أرقى الحضارات الإنسانية. فإعلامنا حتى هذه اللحظة لا يزال يخاطب نفسه، ولم توجد إلى الآن لغة حوار بيننا وبين الغرب، فالصهيونية العالمية لا تزال تسيطر على الرأي العام العالمي وتوجيهه لتحكمها في معظم وكالات الأنباء العالمية، والصحافة العالمية وشبكات التلفاز العالمية، وكذلك السينما والمسرح.

3- إنتاج أفلام سينمائية تاريخية ضخمة، تدبلج بمختلف اللغات توضح روعة تاريخنا الإسلامي، وعظمة الإسلام وسماحته، كما تركز على إنجازات العلماء المسلمين في مختلف مجالات العلم والمعرفة، كما تركز على القضية الفلسطينية، والمذابح التي أحدثها الإسرائيليون في دير ياسين، وقانا، وصبرا وشاتيلا، وما يحدثونه الآن من جرائم بشعة في الأراضي المحتلة، وما أحدثوه من جرائم خلال خمسين عاماً، وعن استشهاد الطفل "محمد الدرة" وغيره من الأطفال، وكذلك إنتاج

أفلام سينمائية مماثلة عن القضية الشيشانية، والألبانية، وقضية البوسنة والهرسك، وما تلاقيه الأقليات الإسلامية من اضطهاد في الفلبين، وسيرلانكا، وغيرها.

4- الاهتمام بالأقليات الإسلامية الموجودة في مختلف أنحاء العالم، ولا سيما في أوربا والأمريكتين، والعمل على جعلها مراكز إشعاع حضاري للعالم، وتُوجّه لها برامج في القنوات الفضائية المقترح إنشاؤها، بإعداد برامج عن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وبرامج توضح لهم أمور دينهم، وتربطهم بأوطانهم، وتحكي لهم تاريخهم، وتسهم في حل ما يواجههم من مشكلات.

5- على القنوات الفضائية العربية الخاصة الالتزام بميثاق جاكرتا للإعلام الإسلامي حفاظاً على بناء الشخصية الإسلامية للإنسان المسلم بناءً سليماً، وحفاظاً على القيم الخلقية.

6- إنشاء دور نشر تهتم بترجمة كتب التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي، والثقافة الإسلامية إلى مختلف لغات العالم، وتوزيعها في أوربا والأمريكتين على وجه الخصوص.

وهكذا نجد أنّ مسؤولية كبرى تقع على عاتق أصحاب القنوات الفضائية العربية الخاصة، وعلى غيرهم من أصحاب رؤوس الأموال الضخمة من العرب والمسلمين، وهذه مسؤولية يوجبها عليهم ديننا الإسلامي، فالأمة الإسلامية تمر بظروف حرجة، والرأي العام الغربي مضلل تجاه قضايانا من قبل الصهيونية العالمية التي تسيطر على معظم وسائل الإعلام الغربي، وصورة الإنسان العربي المسلم مشوهة في العالم الغربي.

وإنني أتساءل: لماذا الأثرياء العرب يقفون هذا الموقف السلبي تجاه أمتهم، فنحن مليار مسلم عاجزون حتى الآن عن تكوين مؤسسات إعلامية عالمية في حين أنَّ يهود العالم الذين لا يزيد عددهم عن ثلاثة عشر مليوناً، يمتلك معظم وكالات الأنباء العالمية والصحف وشبكات التلفاز والسينما العالمية؟

وكلنا أمل أن يدرك هؤلاء مسؤولياتهم الدينية والوطنية.

1 -محمَّد فهمي عبد الوهاب: الحركات النسائية في الشرق، وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية، ص7، دار الاعتصام، القاهرة.

2 – سهيلة زين العابدين حمَّاد:بناء الأسرة المسلمة، ص127، "الدار السعودية للنشر".

3 – د. محمد سيد محمد: المسؤولية الإعلامية في الإسلام، ص355–357.

==============

#الكرامة الجريحة

عبد الكريم بكار 1424/8/20

2003/10/16

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

نحن أهل كرامة جريحة، وهذا الشعور بذلك يأتينا من مصدرين:

من التاريخ أولاً؛ إذ إننا أمة ظلت صاحبة حضارة مهيمنة مدة لا تقل عن سبعة قرون، واستمرت إشعاعات عطاءاتها ثلاثة قرون إضافية، ويزيد في إحساسنا بالإهانة أننا في منتصف القرن الرابع عشر الهجري واجهنا –بوصفنا "أمة ذات منهج ورسالة"– تيارات عديدة، يرمي جميعها إلى طمس هذا المعنى، وجعل وعي الأمة ينفتح على معان وطنية وإقليمية وقومية وعلمانية ....، بوصفها بديلاً عن الانفتاح على أخص خصائصنا، وهو العبودية لله – تعالى – والاحتكام إلى الشريعة في الشؤون العامة والخاصة، وفي مواجهة هذا الاستلاب اجتهد المثقفون والغيورون في تلك المرحلة – وكانوا فيما ذهبوا إليه على صواب إلى حد بعيد – في كيفية مواجهة ذلك، وانتهوا إلى قرار بالذهاب إلى التاريخ على اعتبار أنه الذاكرة الحضارية للأمة والخزان الأساسي لأمجادها وبطولاتها. ونذكر كيف نشطت في تلك المرحلة الكتب التي تتحدث عن العبقريات وعن سير الرجال العظماء والنماذج التاريخية الفذة، والمعارك المظفرة، والإنجازات العلمية الباهرة، بالإضافة إلى بلورة شيء من حكمة التشريع وكون الإسلام لا يتناقض مع العلم... وأسدل الستار على نحو شبه تام على كل الألوان الرمادية والباهتة التي كانت جزءاً من ألوان ذلك التاريخ، كما تم الإعراض عن الحديث عن الأسباب التي أدت إلى توقف الحضارة الإسلامية عن العطاء؛ لأن الكشف عنها في تلك المرحلة كان سيؤدي إلى الإحباط، ويجعل الناس

شبه مجردين من أسلحة المقاومة للتيارات التي أشرت إليها. وقد أدت تلك القراءات المبتسرة والجزئية دورها بكفاءة واقتدار في إنقاذ الذات لمسلمة والثقافة الإسلامية من هزيمة نكراء. وهكذا فقد ترسخ في وعي الأجيال الحاضرة وفي حسَّها مشاعر عميقة بالظلم الذي يلحقه بنا الآخرون اليوم، وبالهوان إذ خسرنا معظم الإنجازات التي كنا نفاخر بها في الأيام الخالية.

وأعتقد أن شيئاً من العلاج لهذا سيكون في إعادة قراءة التاريخ على نحو متوازن وبمنهجية سببية واستقصائية ذكية ومتقنة.

المصدر الثاني لإحساسنا بجرح كرامتنا؛ هو الواقع الذي نعيشه، فنحن أمة تملك أفضل منهج – على مستوى الأصول والأسس والمنطلقات الكبرى على الأقل- لإصلاح العالم، لكننا نعيش في أوضاع سياسية واجتماعية واقتصادية عليلة ومتخلفة عن المنهج الذي نؤمن به، وعن متوسط السائد من كثير من أوضاع عصرنا، ونحتاج إلى الكثير من الفكر والعمل والجهد حتى نتجاوز هذه الأوضاع.

المسلم اليوم يشعر أولاً أنه يعيش على هامش الحضارة، حيث إننا دخلناها من باب الاستهلاك والتمتع ليس أكثر، وينقضي عصر صناعي بعد عصر دون أن نلج أياً منها، ومعظم الدول الإسلامية مازال ما لديها من إمكانات صناعية وتقنية أقل مما كان متوفراً لدى أوروبا في القرن التاسع عشر. ويشعر من وجه آخر أنه غير قادر على حماية أرضه وحقوقه، وغير قادر على تفادي الصفعة التي يوجهها الآخرون إليه ولا على ردها، بل يشعر أحياناً أنه غير قادر على الشكوى من الألم الذي يشعر به، أو غير قادر على جعل تلك الشكوى مسموعة لتكون ذات معنى!!

وهكذا؛ فالإحساس المتضخم بالأمجاد الغابرة جعل إحساسنا بالإهانة التي نتلقاها – وهي أشكال وألوان- شديداً أو متفجراً، لكنه مبهم وغامض حيث لا تعرف الأكثرية الصامتة من هذه الأمة أي تحديدات لأسباب ما نحن فيه على نحو منطقي، فضلاً عن أن تعرف سبل الخلاص منه.

وأود هنا أن أبدي الملحوظتين التاليتين:

1-شيء أساسي أن نشعر بالإهانة والدونية؛ لأننا إذا فقدنا هذا الإحساس فإن ذلك يعني خللاً بنيوياً في رؤيتنا لأنفسنا وللواقع وللعالم من حولنا. وبعض المسلمين

حصل على مواقع اجتماعية أو اقتصادية جيدة، فهو مغتبط بالتمتع بثمرات الحضارة وعقد الصفقات وحصد المزيد من المنافع. وينظر إلى الذين يشكون من سوء الأحوال نظرة استغراب، فالأمور تمضي على أحسن ما يرام، وأن يكون بينك وبين الغرب سبب أو تواصل ما، فهذا يعني انفتاح أبواب إضافية للنعيم والنجاح. هذه الفئة من المسلمين ضعُف لديها الإحساس الجماعي إلى حد التلاشي، وهي تشعر في أعماقها بالدونية، لكنها تجد دائماً ما يوجه وعيها نحو همومها ومكاسبها الشخصية. وهذه الفئة في ظل موجات اللهو والمتعة والأنانية التي تبعث بها العولمة – مرشحة للاتساع – ولا ندري كيف سيكون الحال بعد عشر سنوات من الآن ؟!

2-من المهم أن نتخذ من كرامتنا الجريحة محفزاً على المقاومة واكتساب المنعة والارتقاء والفكاك من أسر التخلف لا أن نجعل منها منهجاً للعمل. وهذه القضية لا تخلون شيء من الدقة، وتحتاج إلى شيء من التوضيح.

حين يشتعل إحساسنا بالهوان، ونستجيب في توجهاتنا واستخدام الإمكانات التي لدينا لتلك الأحاسيس والمشاعر على نحو بدائي ومتسرع ووفق رؤية جزئية ومبتسرة –؛ فإننا نكون آنذاك غير مؤهلين لمداواة الكرامة المجروحة، ولا استرجاع الحقوق المسلوبة؛ بل إن الاستجابة على هذا النحو ستجعل جروحنا تزداد تقرحاً، وتجعل حقوقنا أكثر تعرضاً للاغتصاب والنهب. ولنا فيما جرى خلال العامين الماضيين من المضايقة والتحجيم للدعوة الإسلامية والمحاربة للمؤسسات الخيرية والمطاردة للدعاة... عبرة إن كنا قادرين على الاعتبار!

وأي شيء أسوأ من أن يصبح ذكر الإسلام والمسلمين شيئاً يثير مشاعر الخوف والاشمئزاز لدى كثيرين من أبناء أمريكا وأوروبا وغيرهما؟!

إن أمريكا أحسَّت بجرج عميق في كبريائها حين تعرضت رموزها الاقتصادية والعسكرية للهجوم، وردت على ذلك الجرح الغائر في كرامتها باتخاذه منهجاً للرد، فقابلت الصفعة بصفعات في أماكن عدة من العالم، وما زالت مستمرة في ذلك إلى هذه اللحظة، فماذا جرى؟

إنها تنتقم من بعض خصومها على نحو ساحق، لكنها لن تستطيع أن تحول دون تكرار ذلك الهجوم عليها مرة أخرى؛ لأنها لم تستطع التوقف لقراءة الأسباب الجوهرية

التي أدت إلى الهجوم عليها. إنها تربح معركة هنا ومعركة هناك إلا أنها تخسر جاذبيتها الحضارية من خلال عدوانها على النموذج الذي كانت تقدمه للعالم، وتخسر مع كل ذلك الانسجام الداخلي مع القيم التي تروج لها.وهذا ما علينا أن نستفيد منه على نحو جيد.

أما إذا اتخذنا من جرح الكرامة وكؤوس الإهانة حافزاً على الخلاص؛ فإن سلوكنا آنذاك سيكون مختلفاً. وأتصور أننا آنذاك سنفكر ونتصرف على النحو الآتي:

-إن حالة ارتباك الوعي التي نعاني منها ليست جديدة، ولم تتكون في مرحلة واحدة، وجرحنا الغائر لم يحدث بسبب ما فعله ويفعله بنا الغرب، وإنما بدأ الأمر قبل ذلك بقرون عدة. وحين انفرط عقد الدولة العباسية لم يكن ذلك بسبب غرب أو شرق، وإنما بسبب الانحراف عن المنهج الرباني الأقوم الذي أكرمنا الله به، وبسبب عدم القدرة على التجدد وحل المشكلات المتأسنة .

ولهذا فإن ما نلقاه اليوم من ازدراء لا يعود إلى أحوال هذا الجيل، وإنما بسبب الوضعية العامة للأمة، وهي وضعية صنعتها أخطاء وخطايا القرون.

-كما أن على أمريكا أن تسأل بصدق واهتمام : لماذا يكرهها الآخرون؟ ولماذا يكون هناك شباب في عمر الورود مستعدين للموت من أجل إلحاق الأذى بها؟. فإن علينا أيضاً أن نسأل: لماذا يجري كل هذا لنا؟ ولماذا نحن عاجزون عن الدفاع عن أنفسنا؟ ولماذا لا نساهم في توجيه الحضارة الحالية، ولا نؤثر في موازين القوى فيها؟.

إذا نحن تصرفنا ضد أعدائنا وضد أولئك الذين يوقعون الظلم علينا بعين الأسلوب الذي يستخدمونه معنا، فما الميزة التي تجعلنا أكثر أهلية لوضع أسس لحضارة جديدة ومختلفة عن الحضارة السائدة؟

إننا في حاجة إلى أن نعمل على المدى الطويل حتى نكون في وضعية لا يفكر معها أحد في إهانتنا والعدوان علينا؛ لأن ذلك سيكون بالنسبة إليه مكلفاً جداً. والأرقى من ذلك أن يحترمنا الآخرون للقيم والمنجزات التي لدينا، فينشغلون بكيفية الاقتباس والتعلم منا، بدل الانشغال بإيذائنا وظلمنا. والأرقى من هذا وذاك أن نفكر وندعو ونعمل على تحويل أعدائنا إلى أولياء يدخلون في ديننا، وينشرن مبادئنا وقيمنا. وهذا

ما قام به المسلمون الأوائل حين انتهوا من مشكلة الآخر الوثني في جنوب شرق آسيا عن طريق نشر الإسلام وجذب الناس إليه. وإن الغرب على المستوى الشعبي – ينتظر منا هذا الأداء، وهو في أمس الحاجة إليه.

وأنا هنا لا أرمي إلى تمييع الأمور، ولا إلى إخماد روح المقاومة؛ لكنني أريد لأعمالنا وجهودنا أن تكون في السياق المنتج، وأن تعبر قبل ذلك عن رؤيتنا الكونية للعالم، وليس عن انفعالاتنا ومشاعرنا.

–الصراع بيننا وبين أولئك الذين يجرحون كرامتنا ليس صراعاً عسكرياً، ولا يمكن للقوة اليوم أن تحسم أية قضية على نحو نهائي .

وإن أي نصر عسكري سيكون مؤقتاً ومجوّفاً إذا لم يرتكز على تفوق حضاري. وإن شروط الاحترام ونوعية الرد المطلوب على الإهانة – لا تستمد من أدبيات حقبة تاريخية ماضية، ولا يضعها الناس بحسب أهوائهم وأمزجتهم، ولا بحسب معتقداتهم ومبادئهم، وإنما يصوغ ذلك ويحدده أولئك الذين يضعون بصماتهم على الحضارة الراهنة، مهما كانت هذه الحضارة ضالة أو ناقصة أو خاوية وهذه نقطة جوهرية.

–إن كرامتنا لم تمتهن بسبب استلاب حقوقنا أو نهب ثرواتنا فحسب؛ وإنما هناك أمور أخرى لا تقل أهمية، فالتخلف الذي يخيّم على العديد من جوانب حياتنا أوجد ندوباً ناتئة في نفس كل مسلم، حيث صار هناك ما يشبه الاعتقاد بأننا غير مؤهلين لإنتاج التقنيات المتقدمة ولا لتصميم النظم المعقدة. وإن كثيراً من العمال المسلمين في الغرب لا يجدون فرصاً لكسب أرزاقهم إلا في الأعمال الوضيعة أو الشاقة أو غير المجزية، والتي يترفع عنها كثير من أهالي تلك البلاد، وإن مسلم اليوم يشعر أن الأمة عالة على الأمم الأخرى في كل شيء حتى طباعة المصاحف وتشيد المآذن!

وإن النقلة النوعية في التقنية والصناعة وحدها هي التي تجعل المسلم يشعر بأنه لا يعيش على هامش العصر، كما أنه ليس محروماً من الذكاء ولا المواهب التي يقر للآخرين بامتلاكها.

–سيظل من المهم دائماً أن ندرك أن علاقتنا بالأعداء والمنافسين والأغيار ستظل فرعاً عن الوضعية العامة التي نؤسسها في بلادنا، وإن العلاقات الدولية أشبه بسوق يعرض الناس فيه بضائعهم، ويأخذون منه على مقدار ما في جيوبهم، ولن نستطيع

أن ندافع عن حقوقنا ولا أن نرسخ وجودنا على الصعيد العالمي عن طريق (الفهلوة) والإدعاء والشعارات، فهامش المناورة أمامنا ضيق جداً؛ وإن الناس يحبون أن يروا؛ فلنجعلهم يرون إذا ما كنا نريد لموقعنا العالمي أن يتحَسَّن.

-علينا أن ندرك على وجه جيد نقطة الضعف الأساسية في علاقتنا مع الآخرين؛ لأننا من غير إدراكها سنكون كمن يصرخ في واد، أو ينفخ في رماد. وأظن أن تلك النقطة لا تتجسد في نقص إمكاناتنا وقدراتنا مع أنها محدودة، وإنما في تكبيل إرادتنا؛ لأن أصحاب الإرادة المسلوبة يظلون يشعرون بالعجز والانهزام مهما كانت قوة الأوراق التي بين أيديهم.

إن تحرير الإرادة من الخوف والتبعية والاستخذاء أمام الأجنبي سيظل شرطاً جوهرياً لتحريك إمكاناتنا في الاتجاه الصحيح، وشرطاً جوهرياً لاتخاذ قرارات تاريخية ومصيرية .

والله ولي التوفيق.

============

#المشاركة في الانتخابات البرلمانية (2/1)

د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي 1424/7/28

2003/09/25

مازال موضوع دخول الإسلاميين من علماء ودعاة ومفكرين في معترك السياسة محل أخذ ورد أو تردد من قبل كثير من الباحثين أو المتحاورين .

سواء كان هذا المعترك انتخاباً أو وظائف عليا في مجال التنظيم (التشريع) أو التنفيذ أو القضاء .

والتردد في العمل السياسي قديم, ولا سيما في تولي القضاء, ولكن ذلك التردد ليس بين الحل والحرمة, ولكن بين الجواز والكراهة من منطلق الورع.

وأساس هذا الورع . فيما يبدو . أمران :

الأول: خطورة المنصب (القضاء) ذاته.

الثاني: أن ولاية القضاء متفرعة من الإمامة الكبرى التي كان يتعاقبها خلفاء متفاوتون في العدالة؛ إلا أن الغالب عليهم الفسوق بعد الخلافة الراشدة، الأمر الذي

جعل كثيراً من أهل العلم والورع يزهدون في كل منصب يرتبط بأولئك الخلفاء حذراً وخوفاً من إقرارهم على ظلمهم, أو لأن الرزق الذي يأتيهم عن طريق أولئك ليس حلالاً صرفاً في ظنهم .

بيد أن عدداً لا يستهان به من أهل العلم والفضل لم يترددوا في تولي تلك الولايات تغليباً للمصلحة.

وإذا ما انتقلنا إلى واقعنا المعاصر؛ سيبدو لنا واقع مختلف عن واقع العصور الإسلامية السابقة، ويتجلى هذا الواقع بطغيان العلمانية على مسرح الحياة بحيث اختلفت النظرة والتعامل مع الدين الإسلامي, فبعد أن كان الدين له الهيمنة الكاملة أو شبه الكاملة على تصرفات الأفراد والمجتمع, أصبح لا يكاد يتجاوز تصرفات الأفراد, إذا ما استثنينا بعض المجتمعات المسلمة, كمجتمع شبه الجزيرة العربية, هذا مع الاختلاف النسبي بين تلك المجتمعات أو الدول من حيث التزامها بالتشريع الإسلامي, أو عدم الالتزام.

وعلى رغم أن العلمنة (فصل الدين عن الحياة) منهج غريب على الأمة المسلمة, إلا أنه شاع فكراً وتطبيقاً, حتى أصبح الالتزام بتطبيق الشريعة أو الدعوة إلى التطبيق سبة أو تهمة تلصق بأهل الإسلام, وشارك في الترويج لهذه الفكرة جملة من مثقفي المسلمين.

من هنا اختلفت نظرة كثير من الإسلاميين نحو هذا الواقع المضطرب, وتكييفه، من ناظر إلى هذه المجتمعات بمؤسساتها وأفرادها على أنها انحرفت عن سبيل الهدى, وأن التصحيح لابد أن يكون جذرياً عن طريق التغيير السياسي, ثم هل يكون ذلك بالانقلاب مثلاً, أو بالمنافسة الحادة في العمل السياسي؟

أو يكون بإحداث الشغب وبث الرعب في قلوب الساسة وأعوانهم؟

وقد يكون في بعض هؤلاء من استولى عليه اليأس من صلاح الأمة وعودتها إلى طريق الحق, فآثر العزلة الفكرية، أو شارك بفكر سلبي، لبوسه اليأس والوهن .

ومن ناظر إلى هذه المجتمعات على أنها مازالت على سبيل الرشد والاستقامة, سواء في ذلك سلوك الأفراد أو المؤسسات والدول, فانبرى يصحح الواقع ويبرره, ويدين كل دعوة أو خطوة يقوم بها دعاة الإصلاح، وربما أصدر أحكاماً صارمة لا هوادة فيها,

تحت ذريعة (الابتداع, أو الشذوذ, أو الخروج) ولم يفرق هؤلاء بين دولة ودولة, أو مجتمع وآخر، ولعل أقسى السيوف التي رفعت في وجه بعض الدعاة سيف (التكفير والتبديع)؛ فاضطربت الأقوال والأحكام, وضاع الحق بين ذلك.

ومن ناظر إلى هذه المجتمعات بأنها أرض خصبة صالحة للدعوة والإصلاح، مع ما فيها من الوهن, لكن كيف السعي إلى إصلاحها؟

قد يرى بعضهم أن الإصلاح يكون بالتربية وبث الوعي, وقد يرى آخرون أنه يكون بالمشاركة السياسية، وهكذا...

لذا لا نستغرب إذا ما اختلفت رؤية أهل العلم والفكر، أو مواقفهم نحو المشاركة في الانتخابات البرلمانية .

وقد يصعب على الباحث تحديد كل رؤية أو موقف على وجه الدقة، مع معرفة الأدلة بالتفصيل.

تلك مقدمة لابد منها قبل الدخول في الموضوع (مشاركة الإسلاميين في الانتخابات البرلمانية).

وموضوعنا كما يبدو له شقان:

الأول : حكم المشاركة في الانتخابات .

الثاني : حكم الانتخابات .

ولا يتصور الجواب عن الشق الأول إلا بعد تصور الشق الثاني, الأمر الذي يفرض تقديم الحديث عن الأخير قبل الأول .

والحديث عن الموضوع برمته يتطلب تقديم قواعد تمهيدية قد تكون من عوامل تقريب الموضوع إلى الذهن والخروج به من كثير من مواطن الاشتباه, أو مفترقات الطرقات .

وأهم هذه القواعد:

القاعدة الأولى : الإسلام كلٌّ لا يتجزأ, وأحكامه سلسلة متصل بعضها ببعض .

فالعبادات والمعاملات متداخلة, ويصعب الفصل بينها, وجذورها متصلة بالعقائد والأخلاق, وذلك مما لا شك فيه.

القاعدة الثانية: أن الولايات العامة؛ كالإمامة الكبرى، والقضاء، والوزارة، والإمارة، والحسبة، وما إليها, كلها ذات طابع ديني, أي أنها شرعية؛ حتى وإن كانت لتنظيم شؤون الحياة الدنيا, كالمواصلات, والاتصالات والصحة والطاقة ... وغيرها.

ولهذا قال العلماء في تعريف الخلافة أو الإمامة: إنها " موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا" [الأحكام السلطانية للماوردي ص 5]

ويقول الإمام ابن تيمية: "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين؛ بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها ... فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله, فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات" [مجموع الفتاوى 390/28].

القاعدة الثالثة: انتقال الولايات إلى غير الأمناء لا يسلبها الشرعية, وذلك أن (الشرعية) صفة ملازمة لتلك الولايات, فالقضاء مثلاً هو ولاية شرعية جليلة, فإذا كان قد تحول في بعض البلدان الإسلامية إلى قضاء قانوني صرف، وتولاها علماء القانون دون أهل الشريعة, فهذا الوضع لا يغير من أهمية القضاء وشرعيته شيئاً.

وواجب على المسلم الذي يتولى هذا المنصب أن يعدل فيه ويحكم وفق الشرع المطهر, ولا يجوز له أن يتخلى عن هذا المنصب إذا كان باستطاعته أن يحكم بالتنزيل .

القاعدة الرابعة: أن العلماء مسؤولون عن أمة محمد – صلى الله عليه وسلم–, مسلمهم وكافرهم, وعن المجتمع المسلم بوجه خاص, سواء من حيث أفراده, أو من حيث مؤسساته.

وأساس هذه المسؤولية, هو وجوب التبليغ عليهم؛ فهم أمناء الرسل, ونوابهم في تبليغ الرسالات, (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ)[آل عمران:187].

وفي الحديث: (ليبلغ الشاهد الغائب) متفق عليه , وهذه مهمة شريفة وشاقة إلا على الربانيين منهم, قال سبحانه: (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)[آل عمران:79] .

يقول الإمام الطبري مبيناً حقيقة الرباني: "فالربانيون إذاً هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا, ولذلك قال مجاهد: وهم فوق الأحبار, لأن الأحبار هم العلماء، والرباني الجامع إلى العلم والفقه البصرَ بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم"؛ (ويراجع تفسيره للآية ففيه كلام نفيس) .

كما أن الحكام والقائمين على مصالح الدنيا مسؤولون أيضاً، وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- يقول: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته قال: وحسبت أن قد قال : والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته".

القاعدة الخامسة : إن الأحكام الشرعية نوعان في الجملة :

الأول: الأحكام المفصلة , وهي التي جاء بها الشارع مفصلة ومبينة؛ كالتوحيد أو العقيدة, والعبادات, والفرائض, وأحكام الأسرة؛ كالنكاح والطلاق والنفقات والحضانة, وكالحدود والقصاص والديات.

الثاني: الأحكام المجملة, وهي التي جاء الشارع بها بطريقة الإجمال, كالمعاملات المالية, والتنظيمات الاجتماعية مثل السياسة والإدارة والتعليم ومثل العقوبات التعزيرية.

أما النوع الأول؛ فهو من الثوابت التي لا تتغير, سواء ثبت بالنص , أو بالإجماع, ولا فرق في ذلك بين ما هو قطعي, أو ظني, والخلاف في بعض جزئياتها . وهو موجود قطعاً . محدود, ولا ضير فيه ما لم يؤد إلى النزاع والشقاق .

وأما النوع الثاني؛ فهو مما يقبل التغير والتطور بحسب الأحوال والظروف المكانية والزمانية, ما لم يكن في ذلك تجاوز للقواعد والأصول المقررة فيها.

فالشركات . على سبيل المثال . هي نموذج لتغير الشكل والصورة عن نظام الشركات المعروف عند الفقهاء المتقدمين.

فإذا كانت متفقة مع أصول المعاملات الشرعية؛ فهي صحيحة وإن ظهرت باسم آخر, أو قالب آخر, أو جمعت بين عدد من الشركات المعروفة فقهياً .

القاعدة السادسة: إن النظام السياسي في الإسلام منه المجمل ومنه المفصل, وإن كان الأول هو الغالب.

ومن المفصل؛ الحقوق المشروعة لكل من الراعي والرعية, والواجبات على كل منهما.

ومنه أيضاً: موضوع الحكم, وهو ما يحكم به الحاكم سواء كان إماماً, أو قاضياً أو أميراً أو وزيراً أو غيرهم.

قال الحق تعالى: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) [المائدة:49] , وقال: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [الجاثية:18]؛ فالوحي إذاً هو موضوع الحكم, ولا يتنافى مع ذلك وجود قوانين (أنظمة) إجرائية وتنظيمية, وإذا رتبت هذه الأحكام الشرعية في أبواب وموضوعات معينة فلا ضير في ذلك.

أما الجانب المجمل في النظام السياسي ـ وهو الكثير ـ؛ فهو عموم الإجراءات التنظيمية, وأساليب التنفيذ, مما يعد تفسيراً وتفصيلاً لقواعده, كالشورى , والبيعة, والنصيحة، والعدل, والرفق, والوفاء بالعهود.

يستوي في ذلك ما ينظم شؤون الحياة داخل بلاد الإسلام, وما ينظم العلاقات الخارجية. "وعلى هذا فالتعاليم المنظمة لشؤون المجتمع في كل مجالات السياسة والاقتصاد والدفاع والثقافة والتعليم والمجالات المشابهة هي تعاليم مرنة تقبل تطور الأسلوب التنفيذي لها, فهي وإن كانت ذات هدف واضح ثابت لا يتغير ولا يتبدل، إلا أن طريق تحقيق هذا الهدف ترك مرناً قابلاً للتغيير والتبديل في ضوء ظروف كل مجتمع وزمان" [الدولة وسياسة الحكم في الفقه الإسلامي ـ للدكتور أحمد الحصري 91/1] .

القاعدة السابعة: أن جملة التراتيب (التنظيمات) الإدارية اجتهادية, وليست توقيفية.

وآية ذلك أن التراتيب لم تكن تجري على وتيرة واحدة؛ بل كانت متغيرة من زمان إلى زمان, بل من دولة إلى أخرى, فالتراتيب في عهد الخلفاء الراشدين كانت غيرها في عهد النبوة, وغيرها في العهد الأموي, ثم العهد العباسي ... وهكذا.

ومعروف أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من دون الدواوين, وأنه عدل عن أحكام في عدد من القضايا كان أبو بكر رضي الله عنه يراها.

وعلى هذا فسوابق تراتيب الدولة الإسلامية يؤخذ منها ما يناسب العصر وتقتضيه المصلحة, ومالا يناسب يعدل عنه إلى غيره من تراتيب أخرى.

هذه في نظري من أهم القواعد التي ينطلق منها حوارنا في موضوع الانتخابات والمشاركة فيها . صغتها بأسلوبي الخاص . وهي في زعمي محل اتفاق لدى أهل النظر والاهتمام بالنظم الإسلامية.

فإذا تقررت هذه القواعد نأتي إلى الموضوع نفسه متسائلين أولاً: هل أسلوب الانتخابات ثم المشاركة فيه يمكن أن يعد ترتيباً من الترتيبات أو التنظيمات الإدارية؟ وبصيغة أخرى: هل تولي الولايات العامة من الإمامة والقضاء وعضوية مجالس الشورى أو البرلمانات له أسلوب محدد لا يتغير؟ وما هو؟

فإذا تقررت هذه القواعد نأتي إلى الموضوع نفسه متسائلين أولاً: هل أسلوب الانتخابات ثم المشاركة فيه يمكن أن يعد ترتيباً من الترتيبات أو التنظيمات الإدارية؟ وبصيغة أخرى: هل تولي الولايات العامة من الإمامة والقضاء وعضوية مجالس الشورى أو البرلمانات له أسلوب محدد لا يتغير؟ وما هو؟

والجواب أن الوصول إلى الولايات أو استحقاقها لم يرد به نص معين, وإذا ما أخذنا الولايات منذ العهد الأول للإسلام, أي منذ وفاة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وابتداء قيام الخلافة مقام النبوة, ببيعة أبي بكر الصديق؛ فقد ذهب جمهور أهل السنة إلى أن هذه البيعة تمت باتفاق جمهور الصحابة أو أهل الحل والعقد أجمعهم, ولم تكن بنص شرعي.

والأدلة على ذلك كثيرة ومبسوطة في كتب الفقه السياسي أو السياسة الشرعية؛ بل في بعض كتب العقائد, ولعل من أقواها أن أحداً من الصحابة لم يحتج في تقديم أبي بكر بنص؛ بل قالوا: رضيك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لديننا أفلا نرضاك لدنيانا؟!.

وكذلك قول عمر بعد أن طعن وقيل له: ألا تستخلف؟ فقال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني . يعني أبا بكر . وإن أترك فقد ترك من هو خير مني, يعني رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

وأما دعوى الشيعة أن النص جاء بتعيين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-؛ فهي دعوى عريضة, ليست أقوى من دعوى النص على أبي بكر؛ بل هي أضعف, سواء من حيث الثبوت أو الدلالة.

ورحم الله أبا بكر بن عياش (ت 193) الذي أثبت لنا هذا الموقف, قال: قال لي الرشيد: كيف استخلف أبو بكر رضي الله عنه؟ قلت: يا أمير المؤمنين, سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون؛ فقال: والله ما زدتني إلا عمى, قلت: مرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثمانية أيام فدخل عليه بلال؛ فقال: مروا أبا بكر يصلي بالناس, فصلى بالناس ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت رسول الله لسكوت الله, وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-, فأعجبه ذلك وقال: بارك الله فيك. [سير أعلام النبلاء 506/8].

وإذا كان لم يرد نص بتحديد شخص بعينه أو بتحديد أسرة بعينها؛ فإنه يبقى الأمر مطلقاً غير مقيد.

نعم, ورد أن الأئمة من قريش, ولكن هذا بابه واسع, فدائرة القرشية أوسع من دائرة الشخص أو الأسرة، هذا من وجه, ومن وجه آخر؛ فإنه مقيد بحسب الإمكان, أي إذا وجد المؤهل منهم.

ومن وجه ثالث؛ فهذا مقيد بالإمامة الكبرى فقط, دون سائر الولايات الأخرى عامها وخاصها.

وبناء على ذلك؛ فالولايات إذاً غير مرتبطة بأشخاص ولا بأسر معينة, وهي من ثم لا تورث؛ بل هي مطلقة, فمن توافرت فيه الشروط فهو أحق بها, فلا تجوز المحاباة بها.

ففي الحديث: "من ولى رجلاً على عصابة, وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه؛ فقد خان الله ورسوله والمؤمنين" [رواه الحاكم في مستدركه].

وإلى هنا نأتي إلى بيت القصيد في السؤال المتقدم؛ كيف الوصول إلى الولايات والمناصب؟

وسيبقى الجواب معنا قائماً على الاحتمالات, وليس ثمة ما يسارع إلى الحسم والقطع؛ لذلك يلزم طرح السؤال التالي: ما الأساليب الممكنة أو الواقعة فعلاً في كيفية الوصول إلى الولايات؟

وإذا ما أخذنا التاريخ الإسلامي لاستقراء واقعه الإداري؛ لوجدنا أن المناصب نوعان:

الأول: الإمامة العظمى, وهذه عرف فيها: أسلوب الاختيار, كما حصل في بيعة أبي بكر, وبيعة علي بن أبي طالب, وقد لا يخلو التاريخ من نماذج أخرى مماثلة، وعرف أسلوب الترشيح من الإمام السابق, إما بتعيين ما يعرف بولي العهد, وهذا أسلوب شائع في تاريخ الإسلام السياسي, وإما بتعيين أكثر من شخص ليكون الاختيار لأهل الحل والعقد, كما حصل من فعل عمر, حيث رشح ستة من كبار الصحابة وهم: عثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص؛ ليختاروا واحداً منهم -رضي الله عنهم-.

وعرف أسلوب آخر, وهو أن ينتصب الإنسان بنفسه, وهذا يكون عادة عند وجود المنافسات بين الزعامات، أو ضعف أهل الحل والعقد, وعرف هذا الأسلوب, بطريق الغلبة والاستيلاء.

النوع الثاني: هو الولايات الأخرى غير الإمامة العظمى, وهذه لا يعرف فيها غير أسلوب واحد . فيما أعلم . هو أسلوب التعيين من الإمام الأعظم, أو نائبه.

نعم قد يستبد صاحب القرار في الاختيار والتعيين, وقد يستشير أهل الرأي, أو أهل العلم.

ذلك في التاريخ الإسلامي, أما في غيره؛ فقد عرفت أساليب عديدة عند الأمم الأخرى, منها ما يشبه الأساليب المتقدمة والمعروفة لدى الأمة المسلمة، ومنها ما يختلف عنها.

ولعل أهم الأساليب المختلفة, وراثة الملك من منطلق ديني, كما هو شائع في بعض دول شرق آسيا, وبعض الدول الأفريقية وأمريكا الجنوبية.

وأسلوب الانتخاب الذي شاع بين دول الغرب, التي اتخذت من النظام الديمقراطي منهج حياة, وهذا مربط الفرس, فقد تميز هذا النظام بميزات موضوعية (فكرية وإجرائية تنظيمية:

أما التميز الموضوعي فيتجلى في الآتي:

1 . تشريع القوانين بما تقتضيه مصالح البلاد –حسب تصورهم–، وهذا أهم وظائف البرلمان.

2 . استبعاد الدين –أياً كان مصدره– من واقع الحياة العامة (سياسة، وإدارة، واقتصاداً، وثقافة، واجتماعاً ... إلخ).

لذا أصبحت القوانين دنيوية بحتة, ليس للدين أي أثر أو اعتبار فيها, اللهم إلا مجرد النظرة القائمة على المجاملة والاحترام الظاهري, أو النفاقي.

3 . قيام العلاقات السياسية والاجتماعية والفكرية على الحرية الفردية، وهو مبدأ ديمقراطي يعتز به الغرب الديمقراطي أيما اعتزاز, ويرى أنها مبدأ مقدس لا يساوم عليه .

وقد بالغ الغرب في تقديس هذا المبدأ, حتى جعله كالإله.

وهذه الحرية, وإن كانت مقيدة بعدم الإضرار بالآخرين، فهي مطلقة بحسب الرغبة والشهوة, أما الدين فلا سلطان له عليها، بل هي الحاكمة عليه.

وليس معنى ذلك أنها شر محض؛ بل فيها جوانب إيجابية يذكر منها:

أ . أنها تعطي مريد الحق والداعي إليه مساحة من الحركة والإرادة والاختيار, تجعله يعمل ويفكر في جو هادئ, ليس فيه ضوضائية المراقبة والمحاسبة أو الضغوط الفكرية والنفسية.

ب . أنها تشيع الصراحة والشفافية بين الحاكم والمحكوم بحيث تكون العلاقة بينهما متينة وصريحة.

هذا في جانب الميزات أو السمات الموضوعية للنظام الديمقراطي.

أما ميزاته الشكلية فتبدو في الآتي:

1 . التعددية الحزبية : وهي صفة ملازمة للنظام الديمقراطي, حتى عدها أهل الاختصاص إحدى الضرورات التي تقضي بها طبيعة النظام البرلماني (ينظر: القانون الدستوري والأنظمة السياسية, للدكتور / عبد الحميد متولي ص 108).

2 . الانتخاب , سواء للرئيس الأعلى, أو لأعضاء البرلمان, وهذا أسلوب ملازم للنظام الديمقراطي, حتى أصبحت الحكومة النيابية (المنتخبة) مبدأ راسخاً من مبادئ

الديمقراطية, ثم إن من طبيعة هذا الأسلوب أنه مؤقت بمدة محددة, كخمس سنوات مثلاً أو ثمان أو عشر، بنهايتها تنتهي مدة المنتخب (بفتح الخاء) سواء أكان رئيساً, أم عضواً في البرلمان.

ويجري الانتخاب بأساليب مختلفة, منها ما يسمى بالاقتراع العام, والاقتراع المقيد.

ويراد بالمقيد: اشتراط شروط معينة كالكفاءة وتوافر نصاب المال في الناخب.

ويراد بالعام: مالا يشترط فيه شيء من ذلك في الناخب.

ومنها الانتخاب الفردي, والانتخاب بالقائمة.

ويراد بالفردي ذلك النظام الذي تقسم فيه البلاد إلى دوائر انتخابية صغيرة, تنتخب كل دائرة نائباً واحداً.

ويراد بالانتخاب بالقائمة: تقسيم البلاد إلى دوائر انتخابية كبيرة, كل منها ينتخب عدداً معيناً من النواب لا يقل عن ثلاثة.

3 . فصل السلطات الثلاث بعضها عن بعض, وهي: السلطة التشريعية, والسلطة القضائية, والسلطة التنفيذية.

وهذا واحد من مبادئ الديمقراطية التي ينادي بها الغرب, ويعتز بها.

ومعروف أن السلطة التشريعية تحت قبة البرلمان، والسلطة التنفيذية تحت يد الحكومة (أي رئيس الوزراء ووزراءه)، والسلطة القضائية تحت قبضة القضاة.

وهذه الأخيرة لها السلطة العليا في المراقبة على سائر السلطات.

فهذه الميزات الثلاث (التعددية الحزبية، والانتخابات، وفصل السلطات) من أبرز السمات الشكلية للنظام الديمقراطي, أو النظام النيابي.

وبإعادة النظر الفاحص على تلك الميزات أو السمات الموضوعية والشكلية, يبدو واضحاً أن النوع الأول وهو السمات الموضوعية, يتناقض صراحة مع مبادئ التشريع الإسلامي, فالسمة الأولى وهي وضع القوانين وتشريعها, تتصادم مع أهداف النبوات والرسالات السماوية, لأنها تنازعها (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ)[الشورى:21].

وأما السمة الثانية وهي: فصل الدين عن الحياة, واستبعاده من واقع الحياة الاجتماعية, فهي كسابقتها, إذ فيها تفريق للدين وللحق, (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا*أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا)[النساء:150-151] .

وأما السمة الثالثة وهي الحرية, فإن فيها الحق وفيها الباطل, فلا يمكن الأخذ بها جملة, ولا يمكن رفضها جملة ، بل يتعين تحديد مساحة الحرية المشروعة ليؤخذ بها, ليس لأنها ابتكار غربي أو منحة غربية؛ بل لأنها من طبيعة الحق في الإسلام, لكن ربما عرفت بأسماء ومصطلحات أخرى غير مصطلح (الحرية).

وإذا كان هذا المصطلح غير شائع في الفكر الإسلامي فلا يقتضي ذلك رفضه ورده؛ بل المشروع تجاهه وتجاه نظائره من المصطلحات الوافدة أن نحررها بدقة, ونقبل الحق منها, ونطرح ما سواه.

أما السمات الشكلية وهي: التعددية الحزبية, والانتخابات، وفصل السلطات, فالذي يبدو لي أنها من جملة التراتيب أو التنظيمات الإجرائية, التي يمكن أن يستفاد منها، وهي مثل النظام التعليمي المعاصر الذي ساد العالم كله تقريباً, حيث أصبح يجري وفق تراتيب صارمة لا يمكن التنازل عنها, كتقسيم المراحل إلى: ابتدائية ومتوسطة وثانوية, وجامعية, ثم دراسات عليا , والطالب لا يتجاوز المرحلة إلا بدراسة منتظمة لجميع المقررات المحددة، وبساعات محددة، وبنسبة محددة أيضاً.

وهذا أسلوب غير معروف بهذه التفصيلات عند علماء المسلمين قبل نحو قرن؛ بل لو اقتربنا إلى السياسة أكثر ودخلنا في تراتيبها لوجدنا أن التراتيب المعاصرة تختلف عن سابقاتها, فالدولة في المفهوم المعاصر تختلف عن الدولة في العصور الإسلامية القديمة, حيث أصبحت مسؤولة عن كل شيء, إشرافاً أو تنفيذاً, ولا سيما فيما يعرف بالخدمات, كما أن تعيين الوزراء ومن يماثلهم أو يقاربهم أصبح له أسلوب خاص, سواء من حيث نوع الوزارة واختصاصاتها, أو من حيث تحديد مدة الولاية, وكذلك من حيث توزيع الاختصاصات والصلاحيات والمهمات، فلمجلس الشورى اختصاصات, ولمجلس الوزراء اختصاصات ... وهكذا.

وإذا ما اتفقنا على أن مثل هذه القضايا (أعني التعددية الحزبية , والانتخابات , وفصل السلطات) أنها من جملة التراتيب, فالذي يحكمها هو مبدأ (جلب المصالح

ودرء المفاسد) الذي بني عليه إجراءات كثيرة تمت في العهود الإسلامية, ولا سيما في العهد العمري (نسبة إلى عمر بن الخطاب) الذي أدخلت فيه الدواوين وغيرها.
ومن هنا فالذي أرى أن من التكلف والتعسف البحث عن أدلة تفصيلية خاصة على شرعية التعددية أو الانتخاب, وفصل السلطات أو نحوها من القضايا الإجرائية, أو عدم شرعيتها, ومن يفعل ذلك فلن يسلم له دعواه, فالدليل المثبت أو النافي لابد أن يتطرق إلى التأويل أو الاحتمال, وعلى هذا فكل التراتيب والتنظيمات الإجرائية مبناها على المصالح والمفاسد.
سيقول قائل: إن تقدير المصالح والمفاسد سيكون محل اختلاف بين أهل العلم أو أهل الرأي والنظر, ومن ثم سيبقى الاختلاف في هذه القضايا؟
وهذا أمر وارد فعلاً, إلا أن أصل الدليل لا غبار عليه, فيبقى تحريره ليس إلا .
لذلك أرى أن الأمر بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث والتفكير, من أجل تحديد المصلحة طبيعة وحجماً ومثلها المفسدة, للخروج برأي ناضج.
على أنه يجب ألا يفوتنا التنبيه على أمر مهم هو: أن القول بأن مثل الانتخاب ترتيب إجرائي وأنه يجوز الاستفادة من تجارب الآخرين مما لا يتعارض مع التشريع, لا يقتضي بالضرورة قبول المبدأ برمته؛ بل قد يكون فيه المفيد وغير المفيد, أو تجتمع فيه المصلحة والمفسدة، ومن هنا علينا أن نجري الموازنة, فإذا رجحت المصالح والفوائد قبلناه.
ثم علينا أن نعبر به من خلال الغربال الشرعي المفصل فنستبعد كل ما هو ضار, دينياً أو دنيوياً.
وبهذا الأسلوب في التعامل مع الأفكار والإبداعات الأجنبية نستطيع أن نصهر كل جديد, فندخله إلى الوطن الإسلامي, أو الميدان الإسلامي بثوب إسلامي أصيل.
ولنا باللغويين العرب أسوة, فقد كانوا يعربون الألفاظ الأجنبية بطريقة لغوية دقيقة, فيصوغونها صياغة تتفق مع أحد الأوزان اللغوية المعروفة, والمعاجم اللغوية مليئة بالألفاظ المعربة.

ومما يمكن تعديله في الانتخاب: قصره على فئات معينة, تتصف بصفات عالية, مثل: العلماء, والقضاة, وأساتذة الجامعات, والحاصلين على الشهادات العليا, ونحوهم من الفئات.

ليس من المصلحة, ولا مما يرشد إليه العقل الصحيح أن تفتح مصارع الأبواب كلها لكل من هب ودب من الرعية ليعطي رأياً أو ينتخب شخصاً, قد لا يعرفه أو لا يسمع به, أو لا يعرف مؤهلات الترشيح وأسبابه, لذا لابد من استبعاد الجاهل, والعامي, وأصحاب الفكر المنحرف, وأصحاب السوابق المخلة بالشرف, وغير المسلمين, وأمثال هؤلاء، والاقتصار على أؤلئك النخب المثقفة.

وهذا الأسلوب المنضبط أشبه بنظام (أهل الحل والعقد) المعروف فقهياً وتاريخياً, والذي كان له أثره المهم في حياة الأمة المسلمة, مع تفاوت في التأثير من مجتمع إلى آخر, ومن زمان إلى زمان.

وقد كان العلماء المبرزون هم أبرز أصناف أهل الحل والعقد, وكان لهم (العلماء) آثار ظاهرة على مدار التاريخ الإسلامي, في مجالات متعددة, يأتي في صدارتها: التعليم والتربية, والإفتاء, والقضاء, والحسبة, وإمامة الصلوات, والخطابة, هذا هو أدنى الأعمال التي كانوا ومازالوا يقومون بها.

وقد يتحملون أعمالاً ثقالاً ذات مساس بالحياة السياسية, مثل الشورى, والنصيحة, وتولي بعض الولايات العامة, كالوزارة وإمارة الجيش والجهاد في سبيل الله.

وكان يشاركهم في المسؤولية ويساندهم أصناف أخرى من أصحاب الزعامة والرئاسة والجاه, ونحوهم ممن كان يؤثر اقتحام الحياة العامة.

ذلك من أهم أعمالهم ووظائفهم, برغم أنهم هيئة ليس لها تنظيم محدد.

وفي العصر الحاضر يمكن أن يوضع لها تنظيم دقيق يحدد الصفات والاختصاصات, وتكون كالمجلس الأعلى الذي يشرف على مؤسسات الدولة, وتصرفاتها, كما تكون مسؤولة عن الترشيحات والانتخابات ، أما الترشيح فيسند إلى الجهات، كالجامعات، والقضاء، والنوادي الثقافية والأدبية، ومراكز البحوث العلمية، على نمط الترشيح للفائزين بالجوائز الكبرى على سبيل المثال .

وأما الانتخابات (التصويت) فيسند إلى منسوبي تلك الجهات، ممن يجمل المؤهلات العلمية، وتتوافر فيه الصفات اللازمة، على نمط (أسلوب الاستبانات) مثلاً .

وليس من المهم تحديد الأشخاص, فذلك متعذر,بل يكفي معرفة الصفات ، أو الجهات فقط.

وفي ظني أن مثل هذا التنظيم المطور يحقق المقاصد الآتية:

أولاً: أنه يحقق النيابة عن الأمة, فإذا كان الولاة في واقع الأمر نواباً عن الأمة وولاة عليها, فإن من المنتظر أن تكون هذه النيابة جاءت بطريقة مقنعة للأمة, لا عن طريق الاستعلاء وفرض الذات.

والمتأمل في واقع الولاية العامة في عهد الخلافة الراشدة أنها جاءت في جملتها عن طريق الشورى والاختيار الحر.

وإذا كانت ديمقراطية الغرب تفخر بأنها (حكومة النيابة) فإن لدى الأمة المسلمة من التجارب ما يغنيها ويسعدها في دينها ودنياها, إن هي استجابت لسنن الله الكونية والاجتماعية.

ثانياً: أنه يحقق قاعدة الشورى المأمور بها شرعاً.

وإذا كانت هذه القاعدة جاءت مجملة, فقد تنوعت تطبيقاتها قديماً وحديثاً, وقد حققت أهدافها في عهد النبوة, وعهد الخلافة الراشدة, وعهود أخرى, فالرسول –صلى الله عليه وسلم– استشار في أموره الخاصة كقضية الإفك, وفي أمور المسلمين العامة وهي كثيرة جداً, واستشار أفراداً محدودين, كما أنه استشار عموم الصحابة, وهكذا في العصر الراشدي, فقد اتخذت الشورى صوراً وأنماطاً مختلفة.

ولا يعرف أن نازلة جديدة أو أمراً يهم الأمة, اتخذ فيه الخليفة الرأي قبل المشاورة والحوار العميق.

ثالثاً: أن هذا الأسلوب يثبت براءة السلطة الحاكمة من الاستبداد أو ما يعرف بالدكتاتورية التي طالما أدين بها كثير من الأنظمة السياسية قديماً وحديثاً.

رابعاً: أنه يحقق قاعدة "أنزلوا الناس منازلهم" فالعلماء والقضاة وذوو الفكر النير في الأمة ينبغي أن يكون لهم الصدارة في منازل الشرف, وأن يؤخذ رأيهم في كل أمر

ذي بال, لأنهم كالنجوم يهتدى بها في ظلمات البر والبحر, كما ورد في الحديث, ولن تفلح أمة همشت علماءها, أو أذلتهم, أو استمالتهم للدنيا, أو استغلت ضعفهم وطيبتهم للمآرب الخاصة.

خامساً: أنه يحقق مبدأ التعاون المأمور به شرعاً, ولتكون الصورة واضحة دونك هذا البيان: إن الأمة هي كالجسد, كما جاء تمثيل ذلك في الحديث الصحيح "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" فأهل الحل والعقد يمثلون الرأس لهذا الجسد, والإمام يمثل القلب, وأجهزة الدولة تمثل الجوارح كاليد والرجل واللسان وكل هذه الأجزاء لا يغني أحدها عن الآخر, فالرأس لا يجدي شيئاً بدون القلب وسائر الأعضاء, والقلب وحده لا يعمل بدون رأس وأعضاء, والأعضاء كذلك لا يمكن أن تستغني عن الرأس والقلب, لذا لا غنى عن التعاون البناء والجاد بين عموم أجزاء الجسد, وإلا أصابه الشلل الجزئي أو الكلي, وحينه تتضاعف الأمراض ويزداد الوهن في جسم الأمة فلا تستطيع حيلة, ولا تهتدي سبيلاً.

على أن كل فرد في الأمة يمثل خلية من خلايا الجسم, فإذا مرض هذا الفرد بمرض الانحراف أو مرض الوهن والسلبية, بدأ الوهن يسري في الجسم,وربما تطور حتى يعدي الرأس أو القلب أو الأعضاء الأخرى.

يؤكد ذلك قول الحق تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[التوبة:71] وحديث: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ..." الحديث.

سادساً: أنه يحقق التناسق الطبيعي لهيكلة المجتمع والدولة, فإذا كان المجتمع يمثل جسداً حياً متكاملاً, كما تقدم آنفاً, قلبه الإمام الأعظم, ورأسه ومدبره أهل العلم والرأي والفكر, وأعضاؤه: عموم مؤسسات الدولة بمسئووليها وموظفيها, فإن هذه التركيبة تمثل تناسقاً طبيعياً, متكاملاً في العضوية.

وإذا كانت وظائف الإمام محددة, وكذلك وظائف أجهزة الدولة, فإنه ينبغي توضيح وظائف العلماء والمفكرين (أهل الحل والعقد) كما سبقت الإشارة.

وهكذا يتبين ضرورة وجود هذه الهيئة المطورة (أهل الحل والعقد) وترسيخ دورهم ومكانتهم,وأن وجودهم يسد ثغرة مهمة لا يقوم بها غيرهم.
ويتبين أيضاً أن إسناد الترشيحات لعضوية مجلس الشورى, أو المجالس الأخرى, إلى هذه الهيئة بكل أصنافها وأطيافها, سيحقق نتائج مثمرة بلا شك, وفق المقاصد المتقدمة.
كما أن في ذلك سبقاً إلى تطبيق منهج فريد ومتميز, يجمع بين الأصالة والمعاصرة.
أما الأصالة فهو إحياء دور هيئة أهل الحل والعقد التي رأينا آثارها وأعمالها خلال العرض المتقدم.
وأما المعاصرة فبمواكبة التطور في المجال السياسي الذي يشهده العالم اليوم.
وإذا كانت ديمقراطية الغرب هي النموذج الحي للأنظمة السياسية المعاصرة, وهي المثال المحتذى في نظر كثير من المستغربين, فإن نظام (أهل الحل والعقد) في نظري هو خير منافس للنظام الديمقراطي أو (النظام النيابي), إذا ما أولينا نظامنا عناية مناسبة, واهتماماً لائقاً به.
على أنه ينبغي عدم الخلط بين هذه الهيئة ومجلس الشورى أو البرلمان, فهذا الأخير له أعضاء محصورون، ولهم وظائف معينة, أما الهيئة فهي أوسع نطاقاً من حيث الحجم, وهي كالأصل لما دونها من جهات ومجالس.
ذلك جملة الرأي في موضوع الانتخابات.
أما المشاركة فيها بحسب الوضع الراهن في البلدان المسلمة التي تأخذ بها من قبل الإسلاميين, فذلك في تقديري موكول إليهم, فإذا رأوا في المشاركة مصلحة ظاهرة فلا بأس، لكن بشرط أن يتم ذلك عن طريق التشاور مع أهل العلم ورجالات الدعوة, وألا يكون اجتهاداً شخصياً. و الله أعلم.

==============

#رصد للتحول والتغيير

محمد بن عبد الوهاب الطريري 1424/7/25

2003/09/22

إن الناظر لمشهدنا الثقافي الراهن يرى التحولات الصاخبة في الخطاب الثقافي لمختلف الأطياف الفكرية، ما بين صراع ووفاق وحوار وإقصاء، ونعت بالعلمنة،ورمي بالجهل والرجعية، خلافاً لما هو سائد إلى وقت قريب، حيث كان الخطاب الثقافي بل والعلمي – في الجملة– ينحو اتجاهاً أحادياً عاماً لا ينازعه في طريقة فكر، ولا يؤرقه طرح مخالف.

وكان هذا الخطاب ينعم في طريقه بالأمن الفكري المستتب، فلم يعكر صفوه فكر معين، أو يعثر بأطروحات مختلفة، وكانت له أبجدياته المحددة والمقولبة التي لا تخرج عن قالبها الفكري المحدد واللفظي المحدد، وكأن الفكر قد وضع في إقامة جبرية، لا يخرج عن نطاق مكانه، واللسان كذلك فلا يجاوز عبارات محدودة تلائم القوالب الفكرية.

وكان مجرد الخروج عن هذا السياق يواجه بالويل والثبور وعظائم الأمور، إذ الجرأة على العرف المحلي جرأة على الدين، يجب قمعها بما يناسب حالها.

ولا ريب أن البيئة الهادئة والمنغلقة رعت هذا التوجه وحافظت عليه، غير أنه حصل تغير نوعي في هذه البيئة، وهو انتشار التعليم، وإيفاد البعثات إلى الخارج، والانفتاح الإعلامي الذي ألغى الحدود الجغرافية بين الدول، وطَرقَ العقول طرقاً عنيفاً، ساهم في صوغ ذهنية متسائلة؛ فكون هذا انحساراً للخط الأول، وهو انحسار نسبي، إذ لا يزال له حضوره؛ فحدثت خلخلة لمسلمات هذه الذهنية السائدة، وهي مسلمات إقليمية، إذا لا نزاع على المسلمات الشرعية، والنزاع عليها إن حصل يتوارى بتهافت طرحه.

فطرحت هذه الخلخلة أسئلة في السائد والمألوف لا يحبذها التيار التقليدي، الذي قد ينشئ محاكم تفتيش لأية محاولة تفكير تحاول المس بمسلماته الإقليمية، إذ فيها خروج عن النهج والسمت المحدد.

وجاءت هذه الخلخلة –التي أفرزها انتشار التعليم، وإيفاد البعثات إلى الخارج، والانفتاح الإعلامي– بتيارات غير مألوفة، فتحصل لدينا يمين ويسار (وهي تسمية مجازية) يتضادان في طرائق التفكير وترتيب الأولويات، بل إن نظرة أحدهما للآخر لا تعدو الانسلاخ من قيم الدين، أو التحجر والرجعية.

ثم تطور خطاب اليمين؛ فخرج اليمين المعتدل، رافعاً لواء الحوار، والرأي والرأي الآخر، معتمداً على الآية الكريمة: (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض).

وفوجئ اليسار بهذا الخطاب الجديد؛ فاحتفى به بعض منهم، وكرهه آخرون لمآرب أخرى.

ثم أسهم هذا الخطاب في محاولة تقريب التوجهات بصورة ملفتة تدعو للاحترام والتقدير، معتمداً على ثقافة الحوار، قال تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)، ونابذاً لثقافة الإقصاء والتهم الضبابية التي تجعل بيننا وبين الآخر مسافة شعارها "ممنوع الاقتراب"، وهي لا شك مسافة تضخم الأمور الصغيرة، وتعقد الأمور البسيطة، وتجعل من الممكن غير ممكن، وقد تحجب أبواباً للخير لو فتحت لعم نفعها وأينع ثمرها، ولنا في هدي خير الأنام عليه السلام أسوة،إذ مساحة التحرك والتعامل مع الأمور واسعة أمامه، فلم يمنعه نزول الوحي عليه من السماء أن يسمع لرأي سلمان – رضي الله عنه– في حفر الخندق، وأن يعدل عن رأيه إلى رأي غيره، ثم يكون في ذلك للإسلام فتحاً مبيناً.

ونحن لسنا أصحاب عقائد مبنية على الخرافة، تعيش حالة رعب من التغيير القادم والتوجس من الجيل الصاعد. فلو أخذنا على سبيل المثال الكنيسة البابوية في العصور الوسطى التي كانت تحرق من يفكر بغير الطريقة التي تريد بتهمة الهرطقة، وما ذاك إلا لعجزها عن حمل أتباعها على اتباعها، فحصل زلزال فكري ضخم، قوض أركانها، وأهال عليها التراب، وذاك بقيام ثورة مارتن لوثر، ثم إعلان العلمانية نهجاً للحياة بعد الثورة الفرنسية.

وأما نحن فأصحاب حنفية سمحة انبثق فجرها في جبل النور، وعم نورها أنحاء الكون؛ فلسنا في حاجة لأن نرى في تعاملنا المختلف مع الأحداث المستجدة، ونظرنا المختلف للقضايا النازلة مروقاً عن نهج السلف، إذا كان هذا التعامل وهذا النظر ملتزماً بقواعد الشريعة ومقاصدها.

==============

#من دخل البيت الأبيض فهو آمن!

دكتور محمد يحيى* 1424/6/19

2003/08/17

أصبح الآن عند الكثير أنه من دخل البيت الأبيض فهو آمن، ومن تأَمْركَ به فقد سلم، ولذلك يولي البعض وجوههم شطر البيت الأبيض وأصحابه أينما كانوا، حتى في بلادهم الأصلية، ويكتبون في صحفهم التي تصدر بأموال الشعوب المسلمة المغلوبة على أمرها.

وهؤلاء هم الذين يروجون الآن لفكر الهزيمة والانبطاح والاستسلام والتبعية، بل ويتقاضون عنه الأجر والجوائز، والفكرة بسيطة للغاية فهم يكتبون الآن أن أمريكا هي سيدة العالم، وأنها غالبة على أمرها للأبد، وأنه لا مجال لأحد إلا أن يسمع ويطيع ويفعل ما يؤمر، والمكافأة تكون في الجنة، وجنة أمريكا لا تعني أكثر من مجرد الرضاء المعنوي للأمريكان، وبعض مقالات المديح في صحفهم، وربما بعض المعونة، وأرفع درجات الجنة الأمريكية هي في ضمان البقاء في المقاعد والسلطة، وهي على أية حال درجة غير مضمونة ولا تدوم. أما العقاب فهو دخول النار، ونار أمريكا تعني إرسال قوات المارنز الأمريكي، وإسقاط الحكام والهجوم الإعلامي الدائم، غير أن دراويش وكهنة أمريكا الذين يبشرون بها ليل نهار لا يكتفون بهذا؛ بل يعلنون لنا أن السمع والطاعة والاستسلام والامتثال إنما هي للشعوب والعقائد قبل الحكام والأنظمة، فهؤلاء الآخرون قد أوتوا العلم قبلها وجاؤوا مسلمين للبيت الأول، أما الآن فقد حان أوان إسلام الشعوب ودخولها إلى العقيدة الحقة، وأول شروط الاستسلام اللازم للشعوب؛ هو أن تتخلى عن كل ما يناقض العقيدة الأمريكية ألا وهو دينها السابق الإسلام ، فبوش لا يقبل أن يختلط الإيمان المسيحي الصهيوني مع أية عقيدة أخرى، ولذلك فالإصلاح المطلوب هو إصلاح ديني، أي: إصلاح الدين نفسه بمعنى التخلي عنه ونبذه وتنحيته؛ لإفساح المجال أمام الدين الأمريكي الغربي.

ولذلك فلابد من الإصلاح وتجديد وتحديث الخطاب الديني والمفاهيم الإسلامية والعادات والتقاليد والهوية العربية كي ينزوي الإسلام القديم رويداً رويداً، ويحل محله إسلام الوجه لأمريكا وعقيدتها.

التسليم التام لأمريكا والكتاب الموالون لأمريكا والذين ينالون المكافآت على هذا يخوِّفون الجميع بأنه إذا لم يجر تسليم الوجه والقفا وكل شئ لأمريكا؛ فسوف تحدث كارثة تتمثل في تشويه صورة الإسلام في الغرب، والتخلف عن ركب العولمة الأمريكي.

وهؤلاء الكتاب والكهنة والساسة لا يقفون عند حد التبشير بالدين الأمريكي؛ بل إنهم يشحذون أسلحتهم للهجوم الدائم على الدين (الإسلام) وتسفيهه وتحقيره والتشكيك في شعائره وعقائده وتاريخه وعلمائه، وهم لا يكفون الآن لحظة واحدة في المنابر المفتوحة لهم عن سب ولعن الإسلام جهاراً نهاراً والدعوة إلى العقيدة الأمريكية تحت مسميات العلمانية أو التحديث أو الإصلاح.

إنهم لم يعودوا كما كانوا في الماضي يغطون تصوراتهم ببعض الحياء، فلقد سقط الغطاء تماماً وأصبحت التبعية علنية ظاهرة ومطلوبة تحظى بالمكافأة والجوائز؛ بل يُحاسب تاركها بقدر ما يُثاب فاعلها ويلقى الثناء والرقي والعلو في المكانة .

إنه عصر الدين الأمريكي فمن شاء فليسبق!.

* أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة

==================

#تعدد الزوجات..وحقوق الإنسان (2/1)

صالح بن عبدالرحمن الحصيّن 1424/6/6

2003/08/04

قال الله تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة...) [النساء:3].

هذه الآية واحدة من بضع آيات في سورة النساء جاءت لحماية حقوق اليتامى ذكوراً وإناثاً.

وفرض قيام المجتمع لهم بالعدل، والتحذير من الإخلال بذلك، والهداية إلى الوسائل التي تكْفُل العدل في اليتامى بإيفائهم حقوقهم على المجتمع أو على أفراد معينين فيه.

والنصّ الكريم مؤلف . كما قال الإمام القرطبي في تفسيره . من جزأين؛ شرط هو: (إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى) وجوابه: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع).

وأوَّل ما يتبادر إلى ذهن السامع والقارئ لهذا السؤال: ما هي العلاقة بين الشرط والجواب؟

ا هي العلاقة بين الإقساط في اليتامى . أي العدل فيهم بإعطائهم حقوقهم . وتعدد الزوجات؟

كيف يكون تشريع تعدد الزوجات مقتضياً وموجباً للعدل في اليتامى؟

في الإجابة عن هذا السؤال وعند الرجوع إلى التفسير بالمأثور، نرى أنَّ الإمام ابن جرير رحمه الله أورد في تفسير هذه الآية الكريمة وبيان سبب نزولها أربعة أقوال للسلف مختلفة، ولكن اختلافها اختلاف تنوع لا اختلاف تعارض وتضاد، وهي في هذا الاختلاف محكومة بالقاعدة المعروفة: أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأنَّ القول بأنَّ آية معينة نزلت في كذا قد يعني أنَّ هذا الوضع يشمله معنى الآية المعينة وحكمها، ولا يعني أنَّها لا تشمل وضعاً آخر.

والمقصود بـ(اليتامى) في الآية في ثلاثة أقوال من الأقوال الأربعة: الذكور والإناث.

وفي تفسير القرآن ينبغي الحذر من التجاوز عن التفسير بالمأثور أو ما اختاره أئمة التفسير المعروفين، ولكن ذلك لا يمنع عند تدبر القرآن من استلهام معان يمكن أن يتناولها اللفظ من حيث اللغة ولا تتعارض مع أحكام الشرع.

ومن هذا المنطلق ربما تكون الدلالة اللفظية المجرَّدة للنص الكريم مشيرة إلى الحكمة من تشريع تعدد الزوجات، ولا شكَّ أنَّ الواقع العملي يثبت وجود علاقة قوية وأكيد وظاهرة بين وجود تعدد الزوجات في المجتمع، وضمان حقوق اليتامى بوجه عام، توضيح ذلك فيما يلي:

لا يستطيع المجتمع أن يقوم بما فرضه الله عليه من الوفاء بحقوق اليتامى بمجرَّد إيجاد (دور أيتام) كافية لاستيعاب أعدادهم:

أولاً: لأنَّ لدُور الأيتام سلبيات كثيرة لا يبرر التسامح تجاهها إلا قيام الضرورة لوجود (دُور الأيتام) وعدم البديل لها.

وثانياً: لأنَّ لليتيم حاجات تتجاوز حاجة الجسم من الأكل واللباس والمأوى؛ حاجات عاطفية ونفسية وتربوية لا تقلّ في أهميتها عن الحاجات الجسمية، والواقع العملي وأحكام الشرع (الإسلامي) تظهر أنَّ هذه الحاجات في الغالب تُلبَّى عندما تتزوج أمُّ اليتيم فيكون لليتيم في هذه الحالة أب بديل وجوّ أسريّ بديل وإخوة وأخوات من أمه، وتكون علاقة زوج الأم بربيبه أو ربيبته (أولاد الأم من الزوج السابق) مشابهة في الغالب لعلاقته بأولاده لصلبه، حتى إنه يحرَّم عليه شرعاً الزواج بربيبته، كما يحرم عليه الزواج من ابنته.

وقد تنبَّهت بعض الشعوب بفطرتها إلى هذا الأمر، فوُجد مثلاً تقليد لدى القبائل الأفغانية يلتزم فيه الأفغاني، سواء كان أعزب أو متزوجاً، بالزواج من أرملة قريبه بعد وفاته؛ حماية للزوجة ولأولادها، ولذلك كان مما يلفت النظر أثناء الحرب الأفغانية الروسية، ومع وجود الأعداد الهائلة من الأيتام، عدم قيام الحاجة الظاهرة لإنشاء دُور الأيتام.

وصار همّ دُور الأيتام القليلة . التي أنشأها المحسنون بحماس . أن تتصيَّد الأيتام تصيّداً.

والواقع يظهر أنَّ أمّ الأيتام في الغالب لا تتزوَّج إلا في مجتمع يكون فيه الطلب على النساء كثيراً والعرض قليلاً، وهذا الوضع لا يتحقق عادة إلا في مجتمع يشيع فيه تعدد الزوجات.

في مثل هذه المجتمع وحده تتاح فرصة الزواج لكل امرأة مهما كان لديها من موانع الرغبة فيها كزوجة؛ مثل أن تكون أرملة مصبية، أي ذات أولاد.

وبالعكس فإنَّ المجتمعات التي لا يشيع فيها تعدد الزوجات، تتحدد فيها فرصة الأرامل في الزواج، حتى إنَّه مع مرور الوقت يصبح زواج الأرملة عيباً أو محرَّماً بحكم التقليد، كما هو الحال في القارة الهندية.

معنى ما تقدَّم أنَّ شيوع تعدد الزوجات في مجتمع ما، يجعل الطلب على النساء في ذلك المجتمع كبيراً، فحتى الأرملة ذات الأيتام سوف تجد الرجل المناسب الذي يرغب في زواجها، فإذا تزوَّجت فاء ظلّ الأب البديل على أولادها اليتامى ونعموا

بالجوّ الأسري كأيّ أطفال عاديين لم يُصابوا بفقد أبيهم، وبذلك يتحقق في هذا المجتمع الوفاء لليتيم بحقوقه، أو كما جاء في الآية الكريمة (الإقساط فيه).

وما تقدَّم يشير إلى معنى أوسع للحكمة من تشريع تعدد الزوجات، فكما شاهدنا، فإنَّ المجتمع الذي يشيع فيه تعدد الزوجات يعمل فيه قانون العرض والطلب (وهو قانون طبيعي) عمله في أي مجال آخر، فتتاح فيه الفرصة للزواج لكل امرأة، فلا يبقى فيه عوانس ولا مطلقات ولا أرامل فقدن الأمل في الزواج بعد فقد أزواجهن. وسيعمل هذا القانون الطبيعي . ولا بدّ . عمله، فيؤثر إيجابياً وبصورة ظاهرة على قيمة المرأة في المجتمع، وبالتالي على حريتها، واستيفائها حقوقها، وأن تؤتى ما كتب الله لها، وأن تعامل من قبل الرجل والمجتمع بالعدل.

ولعلَّ هذا ما تشير له الآية الكريمة (ذلك أدنى أن لا تعولوا...)، فتعدد الزوجات . في النظر المتعمق . يحمي المرأة من الظلم وانتقاص الحق، وهذا مشاهد في الواقع العملي، فالمرأة الإفريقية (جنوب الصحراء) حيث يشيع تعدد الزوجات، تتمتع بمركز اجتماعي، وحرية، وقدرة على التصرف بقدر لا يُتاح للمرأة في القارة الهندية مثلاً، حيث تسود عادة وحدة الزوجة، ففي هذه المجتمعات الأخيرة تولد المرأة ومعها شعور أسرتها بأنَّه ولد للأسرة عبء مالي إضافي يتمثَّل في الثمن الباهظ لشراء زوجها عندما تبلغ سنّ الزواج، إذ على الأب أن يدفع (الجهيز) وتتحدد قيمة (الجهيز) في الغالب بمدى القدرة المالية للأب. أعرف أخاً من جنوب الهند كان موسراً، ولكنه انتهى مفلساً بعد أن دفع (الجهيز) لتزويج بناته التسع، والمسلمون الهنود وحدهم . وبحكم تأثرهم بالعادات الهندوكية السائدة . توجد عندهم مشكلة تستأثر بقدر كبير من همومهم؛ هي مشكلة تزويج البنات الفقيرات.

نماذج غير عربية

ومن الطبيعي أنَّ المرأة الهندية عندما تنجح في الحصول على الزوج؛ فإنَّها تحت سلطان شبح الخوف من فقده سوف تصبر على ظلمه، وسوف تتغاضى عن مطالبتها إياه بحقوقها قبله، ولن تستطيع القوانين البشرية مهما كانت كفايتها وفعاليتها مقاومة عمل القوانين الطبيعية.

ومن يتابع الصحف اليومية الهندية وأخبار ما تنشره عن مآسي انتحار الزوجات أو حرقهن من قبل أزواجهن وأسر أزواجهن بسبب عجز الزوجة عن الوفاء بالتزامها بثمن زواجها (الجهيز)، سوف يرى صورة من صور الظلم الناشئ عن تدني قيمتها بتأثير القانون الطبيعي للعرض والطلب.

وهذا الوضع (في الهند) له . ولا شكّ . صلة بمشكلة وأد البنات، وإجهاضهن في الهند، كما تحدَّث عن ذلك موقع (bbc.new) و(بي سي أون لاين) في 2000/12/7م، وذكر صراحة أنَّ وأد البنات مشكلة قائمة في الهند لمدة طويلة، حيث تستمد مبررها من العادات المرتبطة بمهور الزواج، التي تجعل المرأة ذات بعد اقتصادي، وقد طلبت الهيئات الطبية في الهند المساعدة الدولية لمنع مليونين من حالات الإجهاض تتم في الهند سنوياً بسبب اكتشاف أنَّ الجنين أُنثى.

لقد اكتُشف تناقص نسبة الإناث إلى عدد الذكور في الهند منذ مطلع القرن العشرين، ولكنه في السنوات الأخيرة تنامى النقص في نسبة الإناث للذكور بصفة دراماتيكية.

النموذج الأفريقي

وعلى العكس؛ فالمرأة الإفريقية (جنوب الصحراء) عندما تبلغ سن الزواج تستقبلها أبواب العشّ الزوجي مشرّعة، وتدخلها مرفوعة الرأس كريمة، سوف يتردد زوجها كثيراً قبل أن يقدم على ظلمها أو انتقاص حقوقها أو حريتها؛ لأنَّه يعلم أنَّه إذا فارقها فلن تكون أبواب الزواج من جديد موصّدة أمامها، إنَّ قانون العرض والطلب قد رفع قيمتها وأعطاها القدرة على التصرف والاختيار، وسيكون زوجها أمام علة فاعلة وسبب واقعي لمعاشرتها بالمعروف.

إذا صحَّ ما سبق؛ فإنَّ من المنطقي توقع أن تنخفض نسبة الطلاق في مجتمع يشيع فيه تعدد الزوجات، هناك سبب إضافي لتدني نسبة الطلاق في مجتمع تعدد الزوجات؛ يرجع إلى الرجل (وهو بحكم الطبيعة وبصرف النظر عن جنسه أو ثقافته أو مكانه أو زمانه) يميل غالباً إلى (التعدد) لن يجد نفسه (في مجتمع التعدد) في ظروف تحمله على الطلاق، بسبب رغبته في التعدد (كما يحصل في مجتمع عدم التعدد).

وإذا كان الرجل كحقيقة واقعة يميل غالباً إلى التعدد؛ فإنَّ تشريعاً للتعدد .كالتشريع الإسلامي بقيوده وضوابطه .يضمن البديل العادل للمرأة، ولا يجعلها .كما هو الواقع في المجتمعات التي تنكر التعدد المشروع .محرومة من الحماية لحقوقها وحقوق ثمرة التعدد، أو محتاجة لتشريع قوانين (غير كاملة وغير مضمونة النفاذ والفعالية) لحماية حقوقها وحقوق أولادها.

وبعد هذا؛ فإنَّ لصلة تعدد الزوجات (في الحدود وبالقيود التي يرسمها التشريع الإسلامي) بالعدل في جانب المرأة بالنسبة لمفاهيم الحضارة المعاصرة مجالاً آخر للقول، ملخصه:

إنَّ رعاية حقوق الإنسان وحمايتها أهم .أو من أهم .القيم الخلقية في الحضارة المعاصرة (على الأقل نظرياً، وبصرف النظر عن التطبيق الواقعي).

يشهد لذلك أنَّه عندما ظهر إخفاق المعيار الاقتصادي في تصنيف البلدان والدول من حيث التقدم والتخلف، جاءت النظرية الحديثة باعتماد معيار مدى رعاية الدولة لحقوق الإنسان؛ لقياس درجتها في سلم التقدم والحضارة، ونتيجة لذلك اعتبرت البلدان الاسكندنافية متقدمة في هذا السلم عن البلدان الأوربية الأخرى.

الغرب وفرنسا كنموذج

كانت فرنسا أول دولة أوربية تصدر إعلاناً لحقوق الإنسان عام 1789م، وفي دستورها عام 1946م أكدت تلك الحقوق، وأضافت إليها حقوقاً أخرى كحقّ العمل، وحق الانضمام إلى الاتحادات، وحقّ الإضراب. ولكن للمرأة حقوقاً هي أهمّ لديها، أو يجب أن تكون أهمّ لديها من حقّ الإضراب، أو الانضمام إلى الاتحادات أو حتى العمل، وأعني بذلك حقّ المرأة في الأمومة، وفي الزواج، وفي أن يكون لها بيت تكون مليكته الراعية فيه، وتؤدي فيه وظائفها الطبيعية.

ووجه أهمية الأمومة للمرأة يتضح من أنَّ علم النفس عندما دخل المعاملات والمختبرات على يد علماء النفس السلوكيين، أثبت أنَّ غريزة الأمومة أقوى لدى الأنثى من غريزة الجوع ومن غريزة الجنس.

أمَّا بالنسبة لأهمية الزواج للمرأة؛ فتظهر عندما نتذكر أنَّ الهدف الذي رسمه القرآن الكريم للزواج أن يسكن الرجل إلى المرأة، والمرأة إلى الرجل، وأن يكون بينهما المودة

والرحمة، (وجعل منها زوجها ليسكن إليها) [الأعراف:189]، (خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) [الروم:19] ولفظ "ليسكن"، "لتسكنوا" يحمل معاني واسعة تشمل الشعور بالراحة والمتعة والأمن والسلام، وما يشبه شعور الطفل عندما تحضنه أمه، وهذا اللفظ بما يحمل من معان لا مرادف له في العربية، وربما لا يوجد له مرادف في اللغات الأخرى، وإذا تحقق هذا الهدف للزواج؛ فإنه يكون مصدراً للسعادة لا يمكن أن يعوّض بأي أمر آخر اعتاد الناس أن يعتبروه مصدراً لها.

وأما بالنسبة لأهمية وجود المكان والجو الأسري الذي تمارس فيه المرأة وظائفها التقليدية التي تتناغم مع طبيعتها ومشاعرها ومواهبها وإحساسها بالجمال، وهو ما يعطي المرأة قدراً كبيراً من الشعور بالاكتفاء، الذي هو بدوره أمر ضروري للصحة النفسية، أقول: بالنسبة لأهمية ذلك للمرأة؛ فإنَّ الأمر لا يحتاج إلى تدليل أو إفاضة في الإيضاح. وفي رأي أحد الخبراء أنَّ ظاهرة ظهور بعض أعراض الاختلال النفسي لدى المرأة الخليجية، مثل حالات الاكتئاب والقلق والشعور بعدم الاكتفاء راجع إلى تخلي المرأة الخليجية عن ممارسة وظائفها التقليدية في البيت بإسنادها إلى الخادمة، وبذلك يظلّ الشعور بعدم الاكتفاء، وأنَّ شيئاً . غير معين . ينقصها في حياتها يلازم مثل هذه المرأة في تفكيرها اللاشعوري، ولا تدرك في عقلها الواعي أن ما ينقصها هو حرمانها من ممارسة الوظائف التقليدية للمرأة، ولو كانت هي التي اختارت هذا الحرمان.

فإذا كانت حقوق المرأة في الأمومة، والزواج، وتمتعها بالجو الأسري الذي تمارس فيه الوظائف التقليدية للمرأة، إذا كانت هذه الحقوق بهذه الأهمية للمرأة؛ فإنَّ أية دولة أو مجتمع يحدد ويضيّق فرصتها في الحصول على هذه الحقوق لا يمكن أن يدعي العدل في جانب المرأة، ولا العمل لصالحها وسعادتها.

وقد وضح فيما سبق أنَّ معارضة الدولة والمجتمع لتعدد الزوجات (كما هو في النظام الإسلامي) يحدد حتماً ويضيّق بصورة جدية الفرصة أمام المرأة للحصول على تلك الحقوق، وإذا كان الأمر كما ذكر، فكيف نفسِّر الصورة السلبية لدى الحضارة المعاصرة لنظام تعدد الزوجات؟

للإجابة عن هذا السؤال نلاحظ أمرين:

الأول:يتعلق بالمجتمعات والدول الغربية، ومن المناسب ذكر قصة معبرة لها دلالتها، فحينما أصدر البرلمان الإنجليزي القانون المشهور بإباحة العلاقات الجنسية الشاذة كان هذا الحديث موضوع حديث بيني وبين أحد الأصدقاء، وقد علق بقوله: "ولكن ستمضي خمسون سنة قبل أن يصدر البرلمان الإنجليزي قانوناً بإباحة تعدد الزواج" لم يكن صديقي مبالغاً، فقد مضى حتى الآن على تعليقه أكثر من خمس وثلاثين سنة!. إنَّ ضمير المجتمع في أوربا يسهل عليه أن يقبل وجود علاقات جنسية خارج نطاق الزواج حتى لو كانت شاذة تحت تأثير قبوله لفكر الحرية الجنسية، أما (تابو) تعدد الزوجات فلا يزال جزءًا ثابتاً في الموروث الثقافي الأوربي (Cuiture) ، وبعبارة أخرى جزءًا من المعنى القانوني الغامض لعبارة: النظام العام والآداب العامة في المجتمعات الغربية.

وإذا استحضرنا أنَّ الديانة المسيحية . بشكلها الأوربي . عنصر هام من عناصر الموروث الثقافي الأوربي، واستحضرنا نظرة هذه الديانة للزواج بحدّ ذاته، سهل علينا فهم النظرة السلبية للثقافة الأوربية إلى نظام تعدد الزوجات.

والموروثات الثقافية . كما هو معروف . لا تخضع دائماً للمنطق ولا للمحاكمة العقلية، ولكن على كل حال فهذه النظرة لها في المجتمعات الغربية . كما رأينا . مبررات مفهومة، وإن كانت غير صحيحة.

أمَّا في العالم الإسلامي حيث صدرت قوانين في العراق وتركيا وتونس تحرِّم وتجرم تعدد الزوجات، فإنه يصعب أن توجد لهذه القوانين مبررات مفهومة، إذ إنه حتى فكرة النظام العام والآداب العامة، لا يمكن أن تكون أساساً لهذه القوانين، والموروث الثقافي في هذه البلدان –فضلاً عن أحكام الشريعة– لا يمكن أن يكون مصدراً لهذه القوانين، بل إنَّه ضدها.

وإذاً، فما هو التفسير لصدور هذه القوانين في العالم الإسلامي؟

الجواب:إذا استثنينا الانتهازية السياسية، النزق الطائش في تصور العلمانية، والهوى الجامح في التفلت من أحكام الإسلام؛ فإنَّه يمكن القول بأنَّ الدافع لإصدار تلك

القوانين، الخضوع اللاواعي لسلطان الثقافة (Cuiture)، والانبهار بألفاظ الحرية والمساواة وكرامة الإنسان، دون أن يوجد تحديد واضح لمفاهيمها في الذهن.
وفي المقابل تعوَّد الغرب على إطلاق ألفاظ وعبارات لها إيحاءات وظلال فكرية مكروهة مثل: الحريم، واستعباد الرجل للمرأة وتسخيرها لمتعته، والحياة المهينة للمرأة، كما تعوَّد ببغاوات الشرق على ترديد هذه الألفاظ والعبارات.
وليس أدلّ على طغيان سلطان الثقافة الغربية على عقل المسلم في هذا المجال من أنَّه حتى المدافعون عن الإسلام من الكتاب الإسلاميين لم يستطيعوا التخلص من هذا الطغيان، فنجدهم يدافعون عن نظام تعدد الزوجات بصفة اعتذارية، وكأنهم قد اقتنعوا بأنَّ هذا النظام غير مرغوب فيه، وأنَّهم يودّون أنه لم يوجد في تشريع الإسلام. أما وقد وُجد؛ فلا حيلة لهم إلا التماس المبررات الاعتذارية لوجوده، فهم يسلمون من حيث المبدأ بصحة النظرة السلبية لهذا النظام كنظام اجتماعي، ثم يبررون وجوده في الإسلام بأنَّه نظام استثنائي، وأنَّه في طريق الانقراض عن حياة المسلمين، وأنَّه مبرر فقط في ظروف معينة، ثم يحاولون حصر هذه الظروف التي تقوم بها الحاجة الفعلية أو الضرورة لأن يتزوَّج الرجل على زوجته.
وفضلاً عن أنَّه لا يوجد أساس علمي شرعي لاعتبار نظام تعدد الزوجات (كما هو منظَّم في الإسلام) نظاماً استثنائياً لا يمكن أن يتسامح الإسلام تجاهه إلا في ظلّ الظروف وضمن الشروط الواقعية التي تجعله حاجة معتبرة (في تقديرهم)، إذ إنه لا النصوص الثابتة ولا تطبيقها من قبل الرعيل الأول من الصحابة والتابعين يشهد لذلك، فضلاً عن ذلك؛ فإنَّه إذا صحَّ ما أوردته . فيما سبق . من حجج عقلية لإثبات أنَّ نظام تعدد الزوجات في ذاته نظام يحقق المصلحة العامة للمجتمع، فقد كان ينبغي لهؤلاء الكتَّاب أن يعتبروه نظاماً اجتماعياً صالحاً حقيقاً بأن يعتزَّ به ولا يعتذر عنه، وأن يكون همهم تشجيعه والدعوة إلى إشاعته، بدلاً من التنفير عنه، على أنَّه في الحالات التي لا يكون الدافع فيها وراء القوانين المحرمة لتعدد الزوجات في العالم الإسلامي اتباع ما تهوى الأنفس، فإنَّ الدافع لها اتباع الظن والخضوع للأوهام، بدلاً من البناء على الحقائق وإجراء المحاكمة العقلية للأمور قبل الحكم عليها، ولو حكم المشرعون لتلك القوانين العقل؛ لأبصروا التناقض العجيب بين تحريم تعدد الزوجات،

وإباحة صور من علاقات المتزوجين بنساء خارج نطاق الزوجية، علاقات تشبه العلاقة الزوجية في كل شيء إلا في عدم وجود الإجراء الشكلي لعقد الزواج، والذي كان سيحمي حقوق المرأة وحقوق ثمرة علاقتها بالرجل من الأولاد.

ويبرز التناقض عندما يقدم الشخص للمحاكمة بتهمة ارتكابه لجريمة تعدد الزوجات، فتبرئه المحكمة إذا عجز الإدعاء العام عن إثبات وجود عقد زواج شرعي في الحالة، بحيث يقوم الدليل على أنَّ الحالة حالة زواج يمنعه القانون، وليست حالة زنا يبيحها القانون!.

المشرّعون لتلك القوانين يقولون (إنَّما نحن مصلحون) غايتنا حماية حقوق المرأة وكرامتها وحريتها، ولا (يشعرون) أنَّ هذه القوانين تهيئ لهم الظروف الطبيعية لحرمان المرأة من حقوقها ولتحديد حريتها واستلاب كرامتها، وما كانت القوانين البشرية أبداً قادرة على مغالبة القوانين الطبيعية وإلغاء آثارها، لا سيما في مجتمع تتسم فيه الأجهزة المسؤولة عن تنفيذ القوانين بالعجز والتخلف والفساد، كما هو الحال في أغلب المجتمعات فيما يسمى العالم الإسلامي.

إنَّ الوهم السائد بأنَّ نظام تعدد الزوجات نظام اجتماعي سيئ وضد مصلحة المجتمع، وقد اخترعه الرجل استجابة لهواه ومتعته، وأنَّه مظهر لاستعلاء الرجل على المرأة، منتقص لحقوقها مهين لكرامتها وسبب لشقائها، والإلحاح على تكرار هذه الأحكام على نظام تعدد الزوجات في الندوات والمؤتمرات ووسائل الإعلام، كل ذلك أوجد لدى الكتّاب الإسلاميين المعاصرين الوحشة تجاه نظام تعدد الزوجات المحكوم بقيود الشرع وضوابطه، دون محاولة منهم للقيام لله، والتفكير والاختبار الموضوعي الحيادي لهذه الأحكام المسبقة على النظام، وتحديد ما إذا كانت هذه الأحكام نتيجة الأفكار الشائعة السائدة في أذهان الناس وعلى ألسنتهم أو نتيجة للمحاكمة الفعلية، والبحث عن المصالح في ضوء الواقع وتجارب الأمم، وعدم الانسياق مع الهوى والعاطفة والشعارات الخادعة.

ومعلوم أنَّ شيوع الفكرة وسيادتها ولو كانت وهمية، يعطيها من إمكانية الإيمان بها واليقين ما لا تحظى به ـ في كثير من الأحيان ـ الحقائق، بل يجعلها من المسلّمات البديهية التي لا تقبل المراجعة أو التشكيك. ونتيجة لما سبقت الإشارة إليه؛ رأينا

الكتابات المعاصرة في الدفاع عن الإسلام تنساق مع الأفكار الوهمية الشائعة عن تعدد الزوجات، فتعتبره من حيث المبدأ غير مرغوب فيه، وإنَّما يكون مشروعاً على وجه الاستثناء، وحيث توجد ظروف معينة تجعله استجابة لحاجة حقيقية وفعلية تبرر الاستثناء، وأنَّه لا ينبغي أن يكون الدافع إليه الرغبة الطبيعية للرجل في الاستمتاع، وحسب علمي القاصر فإنَّه لا يوجد من نصوص الشرع ما يسند هذا الاتجاه، وهدي الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين . كما يشهد التاريخ الصادق . على خلافه.

وإذا صحَّ ما أطلت الجدال فيه والاحتجاج عليه من أنَّ هذا النظام . كما رسمه الشرع الحكيم . نظام اجتماعي صالح، ليس فقط لأنَّ أي بديل عنه . في ضوء دراسة الواقع . ضار بالمجتمع عامل على فساده؛ بل لأنَّه يحقق مصلحة المرأة مثل ما يحقق مصلحة الرجل أو أكثر، ويضمن للمرأة من العدل والحرية والوفاء بحقوقها الطبيعية ما يفوت عليها في ظلّ أنظمة تمنع تعدد الزوجات كما ينظمه الإسلام.

إذا صحَّ ما ذكر فإنَّ هذا النظام سوف يحقق آثاره النافعة بصرف النظر عن دوافع الرجل للزواج، وهذا تماماً مثل الزواج بحدّ ذاته، فهو نظام اجتماعي صالح، بصرف النظر عن العامل النفسي الذي دفع الرجل للزواج، إذا لم يكن هذا العامل النفسي عاملاً سيئاً.

إنَّ نظام تعدد الزوجات . كأي نظام اجتماعي صالح . له بلا شك سلبياته، وبعض هذه السلبيات راجع إلى طبيعته، ولكنها حينئذٍ لا توجب إلغاءه، إلا لو كانت ترجح على إيجابياته، وهذا غير واقع، وبعضها راجع إلى إساءة استعمال البشر، وهذه أيضاً لا تعالج بإلغاء النظام، وإنَّما بالعمل على حمل الإنسان المسلم على عدم إساءة استعمال النظام.

وبناءً على ما تقدم؛ فإنَّه ليس من العدل أن يُترك الناس للأوهام والأفكار الخرافية حول تعدد الزوجات، ويكون الواجب أن يكشف عن أعينهم غشاوتها، وأن يُوعوا بالحقائق عن هذا النظام. وإذا كانت وسائل الدعوة عاجزة عن القيام بدور فاعل في هذا المجال؛ فإنَّ الجهات المسؤولة عن التربية والتعليم مسؤولة عن تضمينها مناهج التعليم ما يميز بين الأوهام والحقائق، في هذا النظام وغيره من الأنظمة الاجتماعية.

وعوداً للكلام على الآية الكريمة المصدَّر بها هذا المقال، وفي ضوء ما سبق؛ فإنَّه يمكن إبداء الملاحظات التالية:

1 . هذه الآية هي الآية الوحيدة التي تدلّ بنصّها على مشروعية تعدد الزوجات، أمَّا النصّ الوارد في الآية الأخرى (وأن تجمعوا بين الأختين) [النساء:23] في سياق تعداد المحرَّمات في الزواج؛ فلا يدلّ بالنص على التعدد، وإنما بمفهوم المخالفة، وكذلك النص الوارد في الآية الأخرى: (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) [النساء:129] فإنَّما يدل على مشروعية التعدد بالإشارة.

2 . ورد في التعبير عن العدل بثلاثة ألفاظ (أن لا تقسطوا)، (أن لا تعدلوا)، (أن لا تعولوا)، والإقساط والعدل وعدم العول متقاربة في المعنى، على أنَّه ينبغي التمييز في المعنى بين العدل في الأشخاص، والعدل بين الأشخاص؛ فالعدل في الأشخاص يعني إيفاءهم حقوقهم، والعدل بين الأشخاص يعني التسوية بينهم.

والعدل المشروط لإباحة تعدد الزوجات في الآية الكريمة –كما يدلّ كلام المفسرين– يعني الأمرين: وجود العزم على التسوية في المعاملة بين الزوجات، ووجود الظنّ الغالب بقدرة الزوج على ذلك، ثم وجود العزم على الوفاء بما لكلّ من الزوجات من حقوق الزوجية، ووجود الظنّ الغالب لدى الزوج بقدرته على ذلك.

3 . كما رأينا؛ فإنَّ نظام تعدد الزوجات في الإسلام صورة مختلفة عن نظام تعدد الزوجات في أي دين آخر، أو ثقافة أخرى، وإذا كان أيّ نظام اجتماعي له سلبياته ولا بد؛ فإنَّ النظام الإسلامي يتفادى ما أمكن تلك السلبيات، فيشترط فيه العدل في الزوجات، ثم العدل بين الزوجات حين يكون ذلك ممكناً بحكم الطبيعة البشرية، ثم لا يسمح به حين يؤثر سلباً على غاية مصلحية يهتم بها الإسلام وهي صلة الرحم، فيمنع أن يكون بين الزوجات نوع معين من القرابة كما بين المرأة وأختها، أو المرأة وخالتها، ثم هو بعد ذلك يحدد العدد، فلا يجيز التعدد لأكثر من أربع، والزيادة عن أربع من خصائص نبينا –صلى الله عليه وسلم–، وقد كشف التاريخ والواقع العملي عن حكمة مهمة من حِكَم هذه الخصيصة، ذلك أنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– يبلغ نبوته، ويهدي بهداية الله عن طريق القول والعمل، فهو مثال ونموذج للأمة، (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)، وهو شاهد على أمته، وموجب هذه الشهادة

أن تكون بينة واضحة ودليلاً ظاهراً على مشروعية الفعل، وأنَّ تطبيق ما أنزل الله من الهدى ممكن، وكيفية هذا التطبيق، ولا يتم ذلك على كماله إلا بأن يكون لدى الأمة علم تفصيلي بحياته –صلى الله عليه وسلم– العامة والخاصة، وذلك يوجب أن يوجد عدد كاف يضمن به البلاغ، ولا إشكال في شؤون الحياة العامة، أمَّا الحياة الخاصة فلا يمكن أن يبلغ هديه فيها إلا عن طريق الزوجات، وإذا كان النقلة عدداً قليلاً فقد ينسى الناقل أو لا يرى أنَّ الأمر من الأمور التي يجب نقلها، أو يخطئ في النقل، وهذه العوارض تعرض لمن ينقل عنه في سلسلة الإسناد. وقد كشف التاريخ أنَّه بسبب وجود هذا العدد من الزوجات الذي اختاره الله لنبيه أمكن أن تعرف الأمة كل تفاصيل ودقائق حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– الخاصة، حتى إنَّ المسلم العادي بعد أربعة عشر قرناً يعرف عن تفاصيل الحياة الخاصة للنبي –صلى الله عليه وسلم– أكثر مما يعرف عن الحياة الخاصة لأبيه.

4 . قوله تعالى: (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) قيد غير مراد، فلا يعني أنه إن لم يخف الأفراد أو المجتمع الإقساط في الأيتام فلا يجوز لهم تعدد الزوجات، وإنما يستفاد منه الإشارة إلى أنَّ تعدد الزوجات بديل صالح يوفر الوقاية من ظلم اليتامى وعدم إيفائهم حقوقهم.

5 . المنطق الصحيح والواقع العملي يشهدان بأنَّ شيوع تعدد الزوجات في المجتمع يعطي المرأة الفرصة في الزواج مهما كانت الصعوبات والعوائق التي تقف في طريقها إلى الزواج، وبذلك تتوفر الحماية الاجتماعية لأمّ اليتامى وأولادها، ويتأثر مركز المرأة الاجتماعي إيجابياً، فتكون أقدر على الحفاظ على حقوقها وحريتها وضمان معاملتها بالعدل، وعموم لفظ الآية يتضمَّن أنَّ نظام تعدد الزوجات عامل فاعل في العدل في اليتامى، وإذا كان اسم الإشارة (ذلك أدنى أن لا تعولوا) راجعاً إلى كلّ ما سبقه، فذلك يعني أنَّ هذا النظام عامل فاعل للعدل في النساء من حيث الجملة.

6 . المنطق الصحيح والواقع العملي يشهدان أنَّ المجتمع أو القانون الذي يعارض تعدد الزوجات، يحدد فرصة المرأة في الزواج، فيحدد بالتالي فرصتها في أن تكون أماً، وأن يكون لها زوج تسكن إليه ويسكن إليها، وتنمو بينهما المودة والرحمة، ويكون

لها بيت تؤدي فيه وظائفها الطبيعية كامرأة، وكلّ هذه الأمور حاجات أساسية وحقوق للمرأة أهمّ لديها وفي واقع الحياة من عدد من الحقوق التي تضمَّنتها وثيقة حقوق الإنسان.

فتحديد فرصة المرأة في الحصول على هذه الحاجات الأساسية بالحدّ من تعدد الزوجات انتهاك واضح لحقوقها – كإنسان-.

7 . عند التأمل والاحتكام للنظر المنطقي والعقلي، يظهر جلياً أنَّ نظرة الغرب إلى نظام تعدد الزوجات (كما هو في الإسلام)، أساسها التصورات الناتجة عن الموروثات الثقافية، وليس أساسها المنطق والمحاكمة العقلية، أو اعتبارات المصلحة الاجتماعية العملية. والنظرة السلبية لهذا النظام لدى بعض المسلمين المعاصرين ناشئة فقط عن التأثر بالتصورات الغربية، والانخداع بتحقير الغرب لهذا النظام عند المسلمين، وعيبهم به.

8 . بحكم طبائع الأشياء، فإن لنظام تعدد الزوجات .كأي نظام اجتماعي آخر . سلبيات، ويحدث أحياناً كثيرة أن يُساء استعماله، ولكن هذا شأن أي نظام اجتماعي صالح، والعلاج ليس بهدم النظام وإنَّما بمعالجة السلبيات والعمل على تقليلها، ومكافحة إساءة الاستعمال.

وبالله التوفيق.

==============

#الصحوة .. المواجهة وأزمة التخطيط

د.سفر بن عبدالرحمن الحوالي 1424/6/2

2003/07/31

إن مما يجب الاعتراف به وجود قدر من العفوية والارتجال في برامج الحركات الإسلامية، وهي مظاهر تدل على أن الصحوة مع انتشارها وقوة زخمها لم يصلب عودها بعد، وليست قادرة على مواجهة الحضارة الجاهلية المعاصرة التي تسعى لاجتياح العالم تحت ستار (العولمة).

هناك أزمة في التخطيط، وأزمة في فهم الآخر ومطابقة العلاقة معه لمقتضى الشرع، وأزمة في معرفة سنن الله في التغيير والهزيمة والنصر. لا ينقص الصحوة الإخلاص

وحب التضحية؛ لكن هذين لا يكفيان، ولا ينقصها –كثيراً– العلم الشرعي؛ لكن وجوده شيء وفهمه والعمل الصحيح به أمر وراء ذلك. كثير من شباب الصحوة ومعهم بعض موجهيها أيضاً يميلون إلى التصنيف المبسط للأشخاص والقضايا، والحرفية الظاهرية في فهم النصوص، والسذاجة في التعامل مع تعقيدات العصر، لكن هذا لا يعني التشاؤم؛ فالمبشرات أكثر من المعوقات بفضل الله، ومظاهر التحسن والنضج بادية سواء في الأحداث أو الوسائل، ومن أهم السبل للارتقاء بالواقع الدعوي والأخذ بأسباب النصر والقوة؛ دراسة سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– والتأسي بها، والاعتبار بأحداثها ومواقفها، وأضرب لكم مثالاً واحداً مما يناسب حالنا هذه الأيام؛ وهو أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان إذا أراد أن يغزو قبيلة ورّى بغيرها (أي أظهر أنه يريد غزو غيرها لكي يباغتها)، واليوم تأتي مواقف تحتاج الأمة فيها إلى التورية ضمن السياسة الشرعية، ولكن ذلك لا يحدث خوفاً من الاتهام؛ لأن الاتهام عند آخرين جاهز لأدنى احتمال دون تقدير للاعتبارات العلمية، والمصالح الشرعية، وبُعد النظر في العواقب، سواء في ميدان الجهاد أو الدعوة والإصلاح.

منهجية الصراع

من أهم أوجه الخلل في التفكير المنهجي افتعال الصراع أو توهمه حيث لا سبب له.

فهو يفتعل بين العلم والدعوة لمن ترك أحدهما، وبين الجهاد والإصلاح ممن لم يستطع التوفيق بينهما، وهكذا كما ذكر الله عن النصارى: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ [المائدة: 14]، وسبب ذلك عدم إدراك سنة الله في التنوع وتيسير كل أحد لما خُلق له، وفقد الرؤية الكلية والانحصار في رؤية ضيقة على جانب واحد من الحق؛ وإلا فما المانع من أن يجتمع الحوار العلمي والإعداد الجهادي العام؟

إنهما ليسا متناقضين؛ بل كل منهما وجه للقوة، فلولا قوة الصين لما اضطرت أمريكا إلى حوارها، ولولا القنبلة النووية لما سمعت الهند من باكستان، وفي الوقت نفسه سقطت قوة الاتحاد السوفيتي عسكرياً لما أخفق عقدياً.

كلنا نؤمن بأن الإيمان شُعب، واستكمال التربية على كل الشعب متعسر أو متعذر؛ فالحل الصحيح إذاً هو مراعاة حال الأمة؛ ففي مثل واقعنا الحالي أرى أن أهم شعبتين بعد التوحيد هما: الجهاد، والزهد. ونتدرج في استكمال ذلك بواقعية؛ فالمجاهد في فلسطين وإريتريا والشيشان وكشمير والفلبين هو في حالة ضعف بالنسبة لعدوه المباشر؛ مع أنه في الوقت نفسه يواجه القوى العالمية التي تنصر هذا العدو عليه، ويعاني من قلة الناصر من المسلمين بعذر أو بغير عذر.

وأهم من ذلك أن قوتنا العظمى هي في ديننا وعقيدتنا، وبها نغلب العدو ونفتح القلوب والبلاد؛ فاهتمامنا بالعلم والدعوة، وقدرتنا على البلاغ والحوار لشرح محاسن الإسلام أكبرُ أسباب النصر على العدو في ميدان المعركة، وأعظم ممهد لإعلاء كلمة الله في الأرض دون أن يعني ذلك الاكتفاء بالحوار عن الجهاد، أو الاستغناء بالمقاومة عن المجادلة والدعوة. إن مقتل جنرال من العدو نصر نفرح به؛ لكن ينبغي أن يكون فرحنا بإسلام عالم أو قسيس أعظم منه.

منهجنا في الحوار

في كل حالٍ يجب أن نكون أقوياء؛ فالغرب وغيره لا يستمع إلا للقوي، ومن القوة قوة الحجة والبرهان والحكمة في التعامل مع الاستمرار في المصابرة، لا نمنع الحوار لكن ننبه إلى ضوابطه ومحاذيره، ونحرض على الجهاد لكن ننبه إلى شروطه وعواقبه، ويعمل الطرفان كاليدين للإنسان.

أما بالنسبة للغرب؛ فهو ليس شيئاً واحداً، وأمريكا نفسها منقسمة، ومن الخطأ التعامل معها على أنها كلها يمين متطرف أو كلها مفكرون عقلانيون، فأمريكا فيها أسوأ ما أنتج الغرب من دعاة الدمار والهمجية، وفيها أحرص الناس –بعد المسلمين– على العدل.

ومن الحكمة أن يواجه كل منهما بما يناسبه، ومن هنا يجب أن نستكمل القوة في كل ميادينها والإعداد للمواجهة الحاسمة دون استعجال للأحداث واستثارة للعدو ونحن لا طاقة لنا به، وقد أثبتت الحرب الأخيرة في أفغانستان أن ضعفنا الإعلامي شديد؛ بل هو أشد من الضعف العسكري.

نبدأ بالتعريف ثم العمل!

علينا أولاً أن نحدد مفهوم المقاومة وصفة العدو، فإن كان المقصود بالمقاومة المواجهة الشاملة دعوياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً؛ فالجواب بيقين: نعم! ولكن وفقاً لسنة الله في الإعداد والتدرج والقومة بعد الكبوة؛ فهي إذاً مصابرة طويلة، وجبهة عريضة هائلة، لا حدود للمعركة مع الصليب على الأرض، ولا نهاية لها إلا قيام الساعة، ونحن الآن نعيش مقدمات النصر وذلك بسقوط القيم الأخلاقية لأمريكا، ذلك السقوط الذي حوّل كثيراً من الناعقين بتمجيدها إلى ثكالى يصرخون لرثائها.

وأما صفة العدو؛ فإن كان المقصود بأمريكا إدارتها الصهيونية وغطرستها العسكرية، فهذا ما يجب على العالم كله أن يقاومه؛ لأنه شر على الإنسانية كلها. وإن كان المقصود الشعب أو طائفة كبيرة منه وأكثر المثقفين؛ فهم أخصب بيئة للدعوة إلى الإسلام، ويجب أن تكون قوتنا هنا هي قوة العلم والإيمان، وسلاحنا هو الحجة والبرهان، ولا ينبغي أن يغيب عنا أنه بعد الهجوم على أمريكا كتب كثير من المفكرين هناك في نقد الغطرسة الأمريكية والانحياز ضد المسلمين ما لا يقل عما كتبه أكثر المسلمين صلابة وأبلغهم بياناً، ومن هنا يجب أن يكون تقييمنا للمقاومة شاملاً وحكيماً، وأن تكون خطة العمل متكاملة وسليمة.

لفتة لابد منها!*

إن الأمر لم يعد أمر جماعات إسلامية.. لقد طورت الأمة نفسها، وطورت بعض الجماعات منهجها فنشأ تيار عريض تجاوز الأطر الضيقة والتجمعات المحدودة؛ ليمتلك مواقع ومؤسسات وتأثيراً متنامياً داخل المجتمعات الإسلامية وخارجها، إن (80%) من الأخبار التي يتداولها العالم يومياً هي مما له علاقة بالإسلام والمسلمين، وفيما تتعرض العلمانية لإخفاقات متوالية يشهد العالم كله عودة صاخبة للتراث وحديثاً جديداً عن الدين، وبالإفادة من وسائل التواصل الحديثة، وبالاستناد إلى أن الإسلام هو دين الفطرة، وهو الحق وما عداه باطل أو محرف؛ استطاعت الصحوة الإسلامية أن تكسب مواقع جديدة كل يوم، وسهلت مهمة العاملين للإسلام فرادى أو جماعات أو مؤسسات، ولم تقف الأمة عند حدود الإيمان بأن الإسلام هو الحل، وأن كل الشعارات والأفكار العلمانية يجب أن تُوأد، بل تجاوزته إلى الإيمان بأهمية الجهاد والمطالبة بتطبيق الشريعة، وهناك أكثر من مسؤول غربي –فضلاً

عن دراسات كثيرة جداً- صرح بأن الشعوب الإسلامية لو أتيح لها حرية الاختيار لما اختارت سوى الإسلام، ولو أُعطيت فرصة الجهاد لاندفعت إليه من كل مكان؛ فالعلمانية والانهزامية إذاً مفروضتان على الأمة فرضاً، وكفى بذلك إنجازاً وسبباً للتفاؤل.

===============

#الاستراتيجية المقبلة لما بعدالعراق (2/1)

د. المصطفى تاج الدين* 1424/5/23

2003/07/23

لعل من أهم الأسئلة المركزية المطروحة في مرحلة ما بعد حرب العراق سؤال : ما العمل؟ وكيف السبيل إلى الإبقاء على الذات العربية الإسلامية مكتنزة بكل آمال النهوض رغم هذا الواقع الكئيب؟ سؤالان لم يعد هناك مجال لتجاهلهما أو محاولة إخفائهما بادعاء امتلاك الجواب الجاهز، أو ربما بإنكار شرعية السؤال ذاته.

يقدم القرآن الكريم توصيفين لمستقبل هذه الأمة، وكلاهما متعلق بشرط سنني لا تتحقق نتيجته إلا بتحقق شرطه الموجب، فهناك الوعد بالنصر شرط التحقق بشروطه "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم"، وهناك إمكانية الهزيمة التي تركها القرآن الكريم ممكنة إذا تحققت شروطها "ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا"، فربط نصرهم بالاستطاعة، والتي هي بدورها مرتبطة بدور المسلمين -الموجه لهم الخطاب- في إيجاد هذه الاستطاعة وخلقها.

إن أي قراءة للقرآن الكريم بخلفية النصر المحتوم موقف غير قرآني، وإن بدا مبشراً ومدغدغاً للعواطف الزائلة؛ لأنه يقع في خطأ تجاهل مرير لقوة الآخر ووهن الذات، وإن الإيمان باحتمال الهزيمة يشحذ الهمم لتجنب أسبابها. كما أن قراءة القرآن بنفسية الهزيمة المحتومة لا شك موقع في اليأس من رحمة الله الواسعة، وتصور قدري ينفي القدرة على التغيير والإصرار على الإصلاح. فاعتبار التوصيفين مؤذن بخلق التوازن في الشخصية المسلمة حتى لا تستسلم لموقفين سلبيين موقف الشعار، والذي يجعل الحناجر تصرخ بالويل والثبور على كل شيء، وتصيح بأننا منصورون وأننا سنفعل

ونفعل، وأن أمريكا ستسقط ليس في العراق هذه المرة، بل ولا قدر الله في سوريا وربما في مصر أو السعودية، هكذا حتى تسقط كل القلاع. الموقف الشعاري موقف منكفئ على نفسه، رومانسي الطابع يستلهم شخوص التاريخ: عمر و صلاح الدين، دون الوعي بالظروف التي صنعت الرجلين العظيمين وأمثالهما. إن مثل هذا الموقف كمثل موقف بطل في الملاكمة لم يقبل بالهزيمة فقط؛ لأن تاريخه مليء بالانتصارات، ولم تسمح له كرامته بالانسحاب. و قد يكلفه هذا حياته، يمنعه من رجعة أخرى والأيام دول!.

وموقف الهزيمة الذي لا يرى في التراجع سوى نهاية التاريخ، والصراع عنده لحظات تاريخية متقطعة لا تعاد في الزمن، وإن مثله كمثل بطل في الملاكمة رفض النزال لأنه سيهزم كما هزم في معركة سابقة.

ولو ادعينا القدرة على أن نضع تصوراً تفصيلياً لاستراتيجية مستقبلية للعمل من أجل العودة التاريخية لهذه الأمة؛ لكان محض تقول لا تسمح بتحقيقه طبيعة الأشياء، فحسب هذه الحروف أن تكون إطاراً لبرنامج عمل يفضله العاملون على بعث هذه الأمة والمرابطون على ثغورها المختلفة.

على المستوى الداخلي:

لقد أصبحت الدولة القطرية أمراً واقعاً، والوحدة الإسلامية –بل والعربية– أمراً ثقافياً ونفسياً، والدليل على ذلك فلسطين، والآن العراق، وقبل ذلك الكويت، حيث إن صدق العواطف في مساندتها سرعان ما تتكسر على المعطيات المحلية التي أفرزتها الدولة القطرية. فنحن لا نستطيع أن نفعل شيئا ذا بال رغم أعدادنا الغفيرة، وإيماننا بعدالة القضية. وإذا كان الأمر كذلك فإن خطابات التخوين والتفسيق بسبب الوقوف إلى جانب أمريكا ومساعدتها في ضرب العراق يجب أن تتوقف، ليحل محلها خطاب جديد يرنو إلى المستقبل، ويشكل نواة فكر وحدوي جديد سنبرز بعض ملامحه. هل الكويت مذنبة لأنها قدمت أرضها للمحتل للهجوم على العراق؟ وهل الأكراد متواطئون لأنهم فتحوا الشمال للعدو أو ربما "الصديق" ليلتف على أرض العراق؟ نعم إنهم كذلك، و لكن من لم يخن فليرم الكويت والأكراد بحجر. ترى من أين مرت

السفن الحربية الأمريكية؟ ألم تمر من البحر المتوسط عبر بلدان عربية؟ ومنها بلدان "ثورية"؟!

إن عقلية البحث عن المذنب عقلية غير مثمرة، والسبب بكل بساطة: كلنا مذنبون. إننا ومن موقع قومي ضيق ننتقد تركيا؛ لأنها تريد الاستفادة من الوضع العربي لتعزيز دورها الإقليمي في الشرق الأوسط، ونحن ننسى أننا نحن الذين ضربنا الخلافة العثمانية في العمق، حينما أقنعنا لورنس العرب بإقامة الدولة العربية الحديثة على حساب دولة الخلافة (أقول هذا وأنا على علم بالاستبداد التركي ونتائجه في تحطيم دولة الخلافة) نعم لكل منا نصيب من الخطأ ينبغي أن يعترف به، ولكل دولة عربية وإسلامية نصيبها مما نحن فيه. أجل لقد أصبحنا –ومع كامل الأسف– متساوين في الخيانة بعد أن كنا متساويين في صنع قصة الكرامة العربية الإسلامية. فهل نوقف السباب والشتائم؟ ترى إن لم نتوحد في الهزيمة، فهل نأمل فيها بعد النصر إن كان ثمة نصر؟

ينبغي إذاً التركيز على خلق تصور جديد لعلاقتنا بالأنظمة السياسية التي تحكمنا في إطار الدولة القطرية، ويقوم هذا التصور على:

الحرص على استقرار الأنظمة السياسية ذات التوجه التعددي:

على أي حركة جماهيرية أن تتجاوز فكرة تغيير الأنظمة وإحلال أنظمة جديدة مكانها، والسبب أن كل نظام جديد سيكون أقل نفوذاً من سابقه وعليه أكثر ارتباطاً بالخارج حيث يستمد قوته ونفوذه.

إن علينا العمل بكل إخلاص من أجل تقوية الأبعاد الوطنية والدينية في أنظمتنا عن طريق خلق مصالحة شاملة مع أنظمة الحكم في العالم العربي والإسلامي، بشرط أن يوفر هذا النظام السياسي أرضية لممارسة الحريات، واحترام حقوق الإنسان، وما على التجمعات السياسية وخصوصا الإسلامية والوطنية سوى تقوية المجتمع المدني، ودعم النظام السياسي في اتجاه سياسات الإصلاح، وبذل النصح الخالص من أي شوائب المنافسة والاستقطاب، وعلينا أن نربي شبابنا على ثقافة سياسية إسلامية قوامها العمل من أجل البناء لا الهدم، والقدرة على ابتكار الأفكار وصياغتها في

إطار برامج عمل قابلة للتنفيذ، بدلاً من فناء الأعمار في النقد الهدام، والاحتشاد لخلق اضطراب هنا أو مشكلة هناك.

تخليص العمل الإسلامي من بعده الحزبي:

لقد أنتج واقع الدولة القطرية واقعاً جديداً في الممارسة السياسية الإسلامية لم يتعودها العقل الإسلامي، وهو تشكيل أحزاب من أجل تغيير مسار الحكم من العلمانية إلى الإسلام. ورغم أن الحركة الإسلامية تحاول جاهدة التأريخ لظهورها بالحركات التحررية من الاستعمار- باستثناء جماعة الإخوان المسلمين التي شاركت فعليا في طرد المستعمر -إن طرد فعلاً- فإن ثمة فرقاً واضحاً بين الخطاب الإسلامي والخطاب الوطني. حيث تحول الحزب الإسلامي إلى ما يشبه الطائفة الدينية، فكل حزب له علماء محسوبون عليه، وله مفتون، وله منبر إعلامي يمتلئ بما يوافق توجهات الحزب؛ بل ولكل حزب آيات قرآنية مفضلة تختزل رؤيته السياسية، أي أن البعد الطائفي في التحزب الإسلامي ليس مقصوداً ولكنه نتيجة طبيعية لأساليب العمل وطبيعة الخطاب المتحكم في الأداء السياسي. ولقد أنتج هذا الواقع توجها للأحزاب الإسلامية نحو الاستقطاب، وخصوصاً في الانتخابات، وهذا ما أدى بالخطاب الإسلامي إلى الانكماش رغم الزخم الظاهر؛ لأن الطائفة تبقى طائفة رغم امتدادها الظرفي لسبب أو لآخر، كما أن المواطن البسيط لا يستطيع التمييز بين الإسلام والحزب الإسلامي، وأي تمثيل سيئ للإسلام فإنه يؤدي إلى الشك في المبادئ الدينية ذاتها وقدرتها على الإصلاح (نموذج السودان، الجزائر، أفغانستان، اليمن)، وعليه فعلى الأحزاب الإسلامية أن تعالج هذا عن طريق:

- التعاون مع الحكام تعاوناً صادقاً دون السكوت على مظاهر الانحراف في إطار الحرص على المصلحة الوطنية، وإسداء النصح الناضج والعملي للحكومات.
- على العلماء ألا ينضموا لحركات أو أحزاب معينة؛ لأنهم ضمير هذه الأمة، وروحها الموحدة، فمن غير المقبول أن يستمر العلماء محسوبين على إطار دون آخر؛ باستثناء نوع من العلماء الذين إذا تكلموا أو كتبوا لا يتأثرون بأولويات تنظيماتهم، ويكاد أن يستحيل هذا النوع وجوداً.

- على الشباب المستقيم والمثقفين النزهاء أن ينضموا إلى كل الأحزاب القائمة، ويعملوا في إطارها صبراً واحتسابا، فليس المشكل في الأنظمة فقط؛ بل إن الأحزاب على اختلاف أطيافها أيضا تحتاج إلى إصلاح.
- الحرص على خلق فرص الحوار الدائم والمستمر في كل فرصة بين كل الحساسيات الإيديولوجية والفكرية بدون هدف في الاستقطاب أو الكسب الجماهيري، وليكن الحوار منظماً متسقاً مع أنماط أخرى من الحوار غير الرسمي.
- على الأحزاب الإسلامية أن تقلل وربما أن توقف تعيين أعضائها في المناصب الانتخابية، وأن تعمل بدلاً من ذلك على ترشيح المستقيمين من خارج أطرها، بشرط أن يكونوا من الوجهاء، ومنحدرين من أسر علم وتدين وصلاح. إن بريق المناصب يخطف الألباب، وخصوصاً أولئك المحرومون والذين مهما أظهروا من زهد فإن نفسياتهم قد تركبت في جو من الحرمان يمنعهم من الوفاء بأمانة المسؤولية، وأدائها على الوجه الأحسن، ثم إن العمل للإسلام ينبغي أن يتخلص من كل سعي إلى المكسب الدنيوي وهي ضريبة يقدمها المصلحون في كل زمن وعلى رأسهم الأنبياء. وأنا هنا أتحدث عن الغالب، لا أن نحرم كل داعية من منصب سياسي قد يستحقه بشرط ألا يتخذه بابا للكسب. والمراد أن يتحول التيار الإسلامي إلى قوة ضغط شعبية، وليس إلى مجرد طرف من أطراف اللعبة السياسية.
- على الحركة الإسلامية أ أن تعمل على إحياء الورع من جديد والذي به نستطيع محاربة الفردية والاتجاه نحو الاستمتاع المادي الاستهلاكي، وهو ما لم تستطع الحركة الإسلامية التحديثية محاربته؛ بل إنها هي أيضا خلقت المسلم المادي الذي لا يكفيه راتبه مهما كان، والذي يعيش في دوامة استهلاكية لا تتوقف، تجعله غير قادر على العمل الصحيح من أجل حل مشاكل مجتمعه، أو ربما قول كلمة حق في مكانها.

لعل من أهم الأسئلة المركزية المطروحة في مرحلة ما بعد حرب العراق سؤال : ما العمل؟ وكيف السبيل إلى الإبقاء على الذات العربية الإسلامية مكتنزة بكل آمال النهوض رغم هذا الواقع الكئيب؟ سؤالان لم يعد هناك مجال لتجاهلهما أو محاولة إخفائهما بادعاء امتلاك الجواب الجاهز، أو ربما بإنكار شرعية السؤال ذاته.

يقدم القرآن الكريم توصيفين لمستقبل هذه الأمة، وكلاهما متعلق بشرط سنني لا تتحقق نتيجته إلا بتحقق شرطه الموجب، فهناك الوعد بالنصر شرط التحقق بشروطه "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم"، وهناك إمكانية الهزيمة التي تركها القرآن الكريم ممكنة إذا تحققت شروطها "ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا"، فربط نصرهم بالاستطاعة، والتي هي بدورها مرتبطة بدور المسلمين –الموجه لهم الخطاب– في إيجاد هذه الاستطاعة وخلقها.

إن أي قراءة للقرآن الكريم بخلفية النصر المحتوم موقف غير قرآني، وإن بدا مبشراً ومدغدغاً للعواطف الزائلة؛ لأنه يقع في خطأ تجاهل مرير لقوة الآخر ووهن الذات، وإن الإيمان باحتمال الهزيمة يشحذ الهمم لتجنب أسبابها. كما أن قراءة القرآن بنفسية الهزيمة المحتومة لا شك موقع في اليأس من رحمة الله الواسعة، وتصور قدري ينفي القدرة على التغيير والإصرار على الإصلاح. فاعتبار التوصيفين مؤذن بخلق التوازن في الشخصية المسلمة حتى لا تستسلم لموقفين سلبيين موقف الشعار، والذي يجعل الحناجر تصرخ بالويل والثبور على كل شيء، وتصيح بأننا منصورون وأننا سنفعل ونفعل، وأن أمريكا ستسقط ليس في العراق هذه المرة، بل ولا قدر الله في سوريا وربما في مصر أو السعودية، هكذا حتى تسقط كل القلاع. الموقف الشعاري موقف منكفئ على نفسه، رومانسي الطابع يستلهم شخوص التاريخ: عمر و صلاح الدين، دون الوعي بالظروف التي صنعت الرجلين العظيمين وأمثالهما. إن مثل هذا الموقف كمثل موقف بطل في الملاكمة لم يقبل بالهزيمة فقط؛ لأن تاريخه مليء بالانتصارات، ولم تسمح له كرامته بالانسحاب. و قد يكلفه هذا حياته، يمنعه من رجعة أخرى والأيام دول!.

وموقف الهزيمة الذي لا يرى في التراجع سوى نهاية التاريخ، والصراع عنده لحظات تاريخية متقطعة لا تعاد في الزمن، وإن مثله كمثل بطل في الملاكمة رفض النزال لأنه سيهزم كما هزم في معركة سابقة.

ولو ادعينا القدرة على أن نضع تصوراً تفصيلياً لاستراتيجية مستقبلية للعمل من أجل العودة التاريخية لهذه الأمة؛ لكان محض تقول لا تسمح بتحقيقه طبيعة الأشياء،

فحسب هذه الحروف أن تكون إطاراً لبرنامج عمل يفضله العاملون على بعث هذه الأمة والمرابطون على ثغورها المختلفة.

على المستوى الداخلي:

لقد أصبحت الدولة القطرية أمراً واقعاً، والوحدة الإسلامية –بل والعربية– أمراً ثقافياً ونفسياً، والدليل على ذلك فلسطين، والآن العراق، وقبل ذلك الكويت، حيث إن صدق العواطف في مساندتها سرعان ما تتكسر على المعطيات المحلية التي أفرزتها الدولة القطرية. فنحن لا نستطيع أن نفعل شيئا ذا بال رغم أعدادنا الغفيرة، وإيماننا بعدالة القضية. وإذا كان الأمر كذلك فإن خطابات التخوين والتفسيق بسبب الوقوف إلى جانب أمريكا ومساعدتها في ضرب العراق يجب أن تتوقف، ليحل محلها خطاب جديد يرنو إلى المستقبل، ويشكل نواة فكر وحدوي جديد سنبرز بعض ملامحه. هل الكويت مذنبة لأنها قدمت أرضها للمحتل للهجوم على العراق؟ وهل الأكراد متواطئون لأنهم فتحوا الشمال للعدو أو ربما "الصديق" ليلتف على أرض العراق؟ نعم إنهم كذلك، و لكن من لم يخن فليرم الكويت والأكراد بحجر. ترى من أين مرت السفن الحربية الأمريكية؟ ألم تمر من البحر المتوسط عبر بلدان عربية؟ ومنها بلدان "ثورية"؟!

إن عقلية البحث عن المذنب عقلية غير مثمرة، والسبب بكل بساطة: كلنا مذنبون. إننا ومن موقع قومي ضيق ننتقد تركيا؛ لأنها تريد الاستفادة من الوضع العربي لتعزيز دورها الإقليمي في الشرق الأوسط، ونحن ننسى أننا نحن الذين ضربنا الخلافة العثمانية في العمق، حينما أقنعنا لورنس العرب بإقامة الدولة العربية الحديثة على حساب دولة الخلافة (أقول هذا وأنا على علم بالاستبداد التركي ونتائجه في تحطيم دولة الخلافة) نعم لكل منا نصيب من الخطأ ينبغي أن يعترف به، ولكل دولة عربية وإسلامية نصيبها مما نحن فيه. أجل لقد أصبحنا –ومع كامل الأسف– متساوين في الخيانة بعد أن كنا متساويين في صنع قصة الكرامة العربية الإسلامية. فهل نوقف السباب والشتائم؟ ترى إن لم نتوحد في الهزيمة، فهل نأمل فيها بعد النصر إن كان ثمة نصر؟

ينبغي إذاً التركيز على خلق تصور جديد لعلاقتنا بالأنظمة السياسية التي تحكمنا في إطار الدولة القطرية، ويقوم هذا التصور على:

الحرص على استقرار الأنظمة السياسية ذات التوجه التعددي:

على أي حركة جماهيرية أن تتجاوز فكرة تغيير الأنظمة وإحلال أنظمة جديدة مكانها، والسبب أن كل نظام جديد سيكون أقل نفوذاً من سابقه وعليه أكثر ارتباطاً بالخارج حيث يستمد قوته ونفوذه.

إن علينا العمل بكل إخلاص من أجل تقوية الأبعاد الوطنية والدينية في أنظمتنا عن طريق خلق مصالحة شاملة مع أنظمة الحكم في العالم العربي والإسلامي، بشرط أن يوفر هذا النظام السياسي أرضية لممارسة الحريات، واحترام حقوق الإنسان، وما على التجمعات السياسية وخصوصا الإسلامية والوطنية سوى تقوية المجتمع المدني، ودعم النظام السياسي في اتجاه سياسات الإصلاح، وبذل النصح الخالص من أي شوائب المنافسة والاستقطاب، وعلينا أن نربي شبابنا على ثقافة سياسية إسلامية قوامها العمل من أجل البناء لا الهدم، والقدرة على ابتكار الأفكار وصياغتها في إطار برامج عمل قابلة للتنفيذ، بدلاً من فناء الأعمار في النقد الهدام، والاحتشاد لخلق اضطراب هنا أو مشكلة هناك.

تخليص العمل الإسلامي من بعده الحزبي:

لقد أنتج واقع الدولة القطرية واقعاً جديداً في الممارسة السياسية الإسلامية لم يتعودها العقل الإسلامي، وهو تشكيل أحزاب من أجل تغيير مسار الحكم من العلمانية إلى الإسلام. ورغم أن الحركة الإسلامية تحاول جاهدة التأريخ لظهورها بالحركات التحررية من الاستعمار- باستثناء جماعة الإخوان المسلمين التي شاركت فعليا في طرد المستعمر -إن طرد فعلاً- فإن ثمة فرقاً واضحاً بين الخطاب الإسلامي والخطاب الوطني. حيث تحول الحزب الإسلامي إلى ما يشبه الطائفة الدينية، فكل حزب له علماء محسوبون عليه، وله مفتون، وله منبر إعلامي يمتلئ بما يوافق توجهات الحزب؛ بل ولكل حزب آيات قرآنية مفضلة تختزل رؤيته السياسية، أي أن البعد الطائفي في التحزب الإسلامي ليس مقصوداً ولكنه نتيجة طبيعية لأساليب العمل وطبيعة الخطاب المتحكم في الأداء السياسي. ولقد أنتج هذا الواقع توجها

للأحـزاب الإسـلامية نحـو الاسـتقطاب، وخصوصـاً فـي الانتخابـات، وهـذا مـا أدى بالخطاب الإسلامي إلى الانكماش رغم الزخم الظاهر؛ لأن الطائفة تبقى طائفة رغم امتدادها الظرفي لسبب أو لآخر، كما أن المواطن البسيط لا يستطيع التمييز بين الإسـلام والحـزب الإسـلامي، وأي تمثيـل سيئ للإسـلام فإنـه يـؤدي إلـى الشـك فـي المبادئ الدينية ذاتها وقدرتها على الإصلاح (نموذج السودان، الجزائر، أفغانستان، اليمن)، وعليه فعلى الأحزاب الإسلامية أن تعالج هذا عن طريق:

– التعاون مع الحكام تعاوناً صادقاً دون السكوت على مظاهر الانحراف في إطار الحرص على المصلحة الوطنية، وإسداء النصح الناضج والعملي للحكومات.

– علـى العلمـاء ألا ينضـموا لحركـات أو أحـزاب معينـة؛ لأنهـم ضـمير هـذه الأمـة، وروحهـا الموحـدة، فمـن غيـر المقبـول أن يسـتمر العلمـاء محسـوبين علـى إطـار دون آخـر؛ باسـتثناء نـوع مـن العلمـاء الـذين إذا تكلمـوا أو كتبـوا لا يتـأثرون بأولويـات تنظيماتهم، ويكاد أن يستحيل هذا النوع وجوداً.

– علـى الشـباب المسـتقيم والمثقفـين النزهـاء أن ينضـموا إلـى كـل الأحـزاب القائمـة، ويعملوا في إطارها صبراً واحتسابا، فليس المشكل في الأنظمة فقط؛ بل إن الأحزاب على اختلاف أطيافها أيضا تحتاج إلى إصلاح.

– الحـرص علـى خلـق فـرص الحـوار الـدائم والمسـتمر فـي كـل فرصـة بـين كـل الحساسيات الإيديولوجية والفكرية بدون هدف في الاستقطاب أو الكسب الجماهيري، وليكن الحوار منظماً متسقاً مع أنماط أخرى من الحوار غير الرسمي.

– علـى الأحـزاب الإسـلامية أن تقـل وربمـا أن توقـف تعيـين أعضـائها فـي المناصـب الانتخابية، وأن تعمل بدلاً من ذلك على ترشيح المستقيمين من خارج أطرها، بشرط أن يكونوا من الوجهاء، ومنحدرين من أسر علم وتدين وصلاح. إن بريق المناصب يخطـف الألبـاب، وخصوصـاً أولئـك المحرومـون والـذين مهمـا أظهـروا مـن زهـد فـإن نفسياتهم قد تركبت في جو من الحرمان يمنعهم من الوفاء بأمانة المسؤولية، وأدائها على الوجـه الأحسن، ثم إن العمل للإسلام ينبغي أن يتخلص من كل سعي إلـى المكسب الدنيوي وهي ضريبة يقدمها المصلحون في كل زمن وعلى رأسهم الأنبياء. وأنا هنا أتحدث عن الغالب، لا أن نحرم كل داعية من منصب سياسي قد يستحقه

بشرط ألا يتخذه بابا للكسب. والمراد أن يتحول التيار الإسلامي إلى قوة ضغط شعبية، وليس إلى مجرد طرف من أطراف اللعبة السياسية.

- على الحركة الإسلامية أ أن تعمل على إحياء الورع من جديد والذي به نستطيع محاربة الفردية والاتجاه نحو الاستمتاع المادي الاستهلاكي، وهو ما لم تستطع الحركة الإسلامية التحديثية محاربته؛ بل إنها هي أيضا خلقت المسلم المادي الذي لا يكفيه راتبه مهما كان، والذي يعيش في دوامة استهلاكية لا تتوقف، تجعله غير قادر على العمل الصحيح من أجل حل مشاكل مجتمعه، أو ربما قول كلمة حق في مكانها.

* أستاذ التعليم العالي المساعد – الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

================

#الصحافة.. ودرس في الإرهاب

خالد بن محمد الماجد 1424/3/27

2003/05/28

إذا لم يشغلنا الهياج العاطفي المصاحب للهجمة التي تشنها بعض الصحف على مجتمع العلم والدعوة، وإذا أتحنا لعقولنا أن تنفذ بصيرتها في تفاصيل هذه الهجمة التي تمثل الجزء الأكبر من تغطيات تلك الصحف اليومية لحوادث التفجير، وما تلاها من تداعيات، فسنكتشف أن حظوظ الهجمة في الفشل كبيرة؛ لسبب واحد راجع إليها نفسها، وهو أنها تفتقر إلى شروط القول الحسن الذي يتلقاه الناس بالرضا والتسليم، أو بالاحترام والتماس العذر، وهي: العلم، والحكمة، والصدق(المصداقية)، والنصح، وعدم التناقض. وحين لا يكون في القول من الحسن إلا حلاوة اللفظ، فما ينبغي للقائل أن تغره فيفرح بها؛ لأنها إيذان بدخوله في الذين وصفهم أعلم المتكلمين، وأحكمهم، وأصدقهم، وأنصحهم، فقال عزَّ من قائل عليم: (وإن يقولوا تسمع لقولهم)، بيد أن هذه الفرصة التي منحها هؤلاء للتخفي وراء ستر الحلاوة اللفظية فرصة مشوبة بكدر الكشف؛ لأن سترها لا يخفي معالم القبح كلها، مما يتيح للخاصة الاطلاع عليه (ولتعرفنهم في لحن القول) ، كما أنه ستر لا يطول زمنه، إذ

لا يلبث أن ينحسر كاشفاً للعامة عن العورة كلها، فهو كالظلام لا يزال يستر العاري حتى يشرق عليه النور.

إنها هجمة تفتقر إلى العلم بما تهاجمه فتنسى في غمرة هجومها أنها تقترب من نسف بعض أهم الثوابت، التي تمثل أركاناً في الدين الذي آمن به المجتمع –حتى المهاجمون– وأصبح الأساس الذي قام عليه، والمرجعية التي يفيء إليها، ومنها عقيدة الولاء والبراء، وهي ثمرة الإيمان بالإسلام، ويصرح بعض المهاجمين بدعوى التناقض الذي عليه العلماء والدعاة حين يستنكرون عمليات التفجير، ثم يقررون مبدأ الولاء والبراء، والجهاد في سبيل الله، وتسدد أقلامُ كتاب تلك الهجمة و(كاريكاتورييها) سهامَ التجريح والتنقيص إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير محتفلة بجماله، ولا خجلة من جلاله، ولم يشفع له عندها ما زخر به الكتاب العزيز من الاحتفاء العظيم به، وبأهله، حتى ليكاد يخلو من التصريح بعدِّ أخطائهم التي قد تقع حال قيامهم به، وتعدى هجومها فطال المجتمع بأسره الذي لم يزل يقر تدريس هذه المبادئ في مناهج التعليم، وشمل هجومها الدعوة إلى الله فأنكرتها في مجتمع المسلمين، بل وجرمتها، وأعلنت أنها خروج عن أهداف العملية التعليمية، وساقت حجة تنبئ عن افتقار إلى العلم فتقول: كيف تتوجَّه الدعوة إلى المسلمين، هل هم كفار؟ وإذا كان من الممكن أن يقترح أصحاب الهجمة شطب أول أهداف التعليم في المملكة الذي نصت عليه سياسته، وأن يقترحوا على وزارة الشؤون الإسلامية إغلاق قسم الدعوة في الداخل، وتسريح دعاته، فليبينوا لنا كيف نفعل بالقرآن الذي يشاركوننا الإيمان بأنه حق (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ، حيث ترد نصوصه بأمر المؤمنين بالإيمان كقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله..) وأمر المسلم المصلي قارئ القرآن بأن يردد في كل صلواته أكثر من سبع عشرة مرة (اهدنا الصراط المستقيم) وتوجه دعوة صريحة للمؤمنين كقول الله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) ، فما الحيلة مع هذه النصوص؟ هل نقبلها فنؤمن بها، ونعمل بمقتضاها، أو ننقلب عليها، فنزيلها من المصحف.. مثلاً، أو نتعامل معها بعقلية الببغاء فنمرها كما جاءت، بلا فهم لمعانيها، ولا عمل بمقتضاها.

كما أنها تفتقر إلى العلم بمن تهاجمه، فهي تظن أنها تهاجم طائفة قليلة من المجتمع، يحلو لها أن تسميهم بالمحافظين والسلفية الحركية أو الصحويُّون، أو (غلاة الوهابية) والحقيقة الساطعة أن كل من يدين بالولاء لهذا الدين، والعمل لنصرته، ويفرح بكل انتصار يحققه، ويحزنه كل هجوم من أعدائه على مقدسات الدين، وعلمائه، ودعاته، ومؤسساته، يشعر بأنه هدف هذه الهجمة، وهذا يشمل المسلمين جميعاً، من أعضاء هيئة كبار العلماء إلى عجائز المسلين في القرى والهجر، فهاتوا أحداً من هؤلاء يقبل تصريح بعض أولئك المهاجمين، بأن أحد عناصر ثالوث الإرهاب (العقيدة التيمية الوهابية).

ولئن احتالت الهجمة بأن تقصر التهمة على تلك الطائفة، وأن تبرئ المجتمع منها، وتبرئ الدين منها ظاهراً، فحيلتها مكر سيئ (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) ، وهو أسلوب رخيص سبقتهم إليه الإدارة الأمريكية في حربها على الإسلام وأهله، حين احتالت بدعوى معاداة الأصولية لا الإسلام، ومحاربة الإسلاميين لا المسلمين، فما استساغ حيلتها المسلمون في أقطار الأرض كلها، فكيف ينتظر أن يستسيغها هذا المجتمع، وحظوظ أهل العلم والدعوة فيه أعظم من حظوظ الصحافة، وأقدامهم في أرضه أرسخ من أقدامها، وأيديهم أطول، وقلوبهم أثبت، ونفوسهم أشجع، ومقاصدهم أسمى، وأعمالهم أزكى!، فنصرة المجتمع ستكون لهم، لا لها، وغضبه سيكون عليها، لا عليهم، كيف وهم أهل الإسلام، وفي جزيرة الإسلام، وجوارهم حرم الكعبة قبلة الإسلام، وحرم المدينة أول مسجد بني في الإسلام. وهاهي حملتها نفسها تكشف للمتبصِّر ما لأولئك العلماء والدعاة من الحضور، حيث طلب رأيهم المجتمع كله وتطلَّع إليه، حتى هذه الصحافة أصرت على إحراجهم فإذا هي تعزز حضورهم من حيث أرادت أن تسحب البساط من تحتهم، فأطبق المجتمع على أن أي جهود لحل العنف لا يكون للعلماء والدعاة فيها القدح المعلى فمآلها الفشل. ويالها من مفارقة! وصدق ربنا إذ يقول: (إن الله لا يهدي كيد الخائنين) .

كما تفتقر إلى المصداقية –أهم سمات الصحافة الهادفة الشريفة– وذلك ما شاهده الناس، وشهدوا به، وبخاصة في حملاتها على مؤسسات الدولة الشرعية، وأكذبهم فيها المسئولون أنفسهم، وليس آخرها تغطية بعض الصحف لتمثيلية الانتحار

الساذجة في الأسبوع قبل الماضي، وهي بمعايير الصحافة كلها فضيحة مخزية، لو كان ثمة من يحاسب. إن رسالة الصحافة الإصلاح، وليس الكذب، أو الاستفزاز تحت اسم الإثارة، وما ينبغي أن تكون مكاناً لنفث أحقاد الصدور، أو دعوة الناس إلى (الكراهية).

كما تفتقر إلى النصح، فأما عدم نصحها للدين فذلك أيسر ما يمكن المتابع التوصل إليه، وأما المجتمع فما نصح له من ضرب عامته بأئمته، وأوقد فيه نار الاحتراب، وهذا ما أحسب الهجمة قد أوغلت فيه.

وهي بهذا تفتقر إلى الحكمة؛ لأنها إذ تعمم تهمة الإرهاب على مجتمع العلم والدعوة كله، وهو الذي يواليه بل وينضم إليه غالب المجتمع فإنما تفتت وحدة المجتمع أبلغ تفتيت، وترسِّخ -بلا وعي- قدم الإرهاب في المجتمع، وتقوي ذراعه، حيث يظن من هو واقع في الإرهاب حقاً بدافع ديني -على فرض صدق التهمة- أن قاعدة المجتمع العريضة تؤيده، فيوغل في العنف، كما أنها تقدم الذريعة القوية للإدارة الأميركية لمزيد من الضغط على المجتمع وابتزازه في مرحلة عصيبة من تاريخه، فأي خير للمجتمع -يا أصحاب الهجمة- تجلبون، وأي شر تدفعون؟!.

وأما أنها هجمة تفتقر إلى الاتفاق وعدم التناقض، فلأن هدفها المعلن الكف عن الإرهاب، ومحاربته، وتجفيف منابعه، وأسلوب هجومها يناقض ذلك أشد مناقضة؛ لأن مسلكها العدائي الصارخ لمجتمع العلم والدعوة، والاستعداء عليه، الواقع عن إصرار وتعمد ينبت الإرهاب، بل هو ممارسة لأشد أنواع الإرهاب أثراً، فهو من جهة يحفز إلى الإرهاب الدموي؛ بمحاولته توسيع دائرة الاتهام به، ليشمل أكبر عدد من المسلمين البرآء، فيوقد نار العداوة في قلوبهم، ويغريهم بالانتقام. ولا أدري كيف يعزب عن المهاجمين معرفة ما يحدثه هجومهم من غضب عارم في أوساط المسلمين، وأوساط الشباب خاصة، وسنهم سن الإرهاب الذي يخشونه؟ وهذا الأسلوب من جهة أخرى ممارسة للإرهاب الفكري؛ حيث يستعدي السلطة على ذلك المجتمع لتوجه إليه سوطها الغليظ، فتحاصر رأيه، وتضيِّق الخناق عليه، وتسلبه حقه في معالجة المشاكل وفق ما يراه هو، لا ما تراه الصحافة، وتعلمنا درساً في الحرية التي تلوكوها كثيراً ألسنة المهاجمين حين يلزم رئيس تحرير إحدى الصحف السلطة

بأن عليها أن تفهم خطاب ولي العهد وتعمل به (ألا تقبل استنكاراً للحدث تعقبه(لكن)، أو يكون مشروطاً بنقد العلمانية). هذا الإرهاب الذي يؤصله أدعياء الحرية أشد وأنكى من الإرهاب الدموي، يقول ربنا : (والفتنة أشد من القتل) .

فإلى مجففي منابع الإرهاب دعوة صادقة ألا ينسوا تجفيف هذا المنبع الفوار بطوفان الإرهاب، الذي قد يغرق المجتمع.

ومع هذا الحظ الكبير في الفشل الذي ينتظر الهجمة؛ فإن لها فرصة في النجاح، هي فرصة الباطل الضعيف في غيبة الحق القوي، لن يكون إلا استثناءً، غير كامل، ولا دائم، وسيكون سببه السبب نفسه الذي ينعتق به اليهود – لفترة من الزمن– من ربقة الذلة المضروبة عليهم، المنصوص عليه في الكتاب العزيز (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) وفرصة النجاح هذه وإن كانت قليلة النفع لأصحاب الهجمة، قليلة الضرر على أهل العلم والدعوة؛ إلا أنا نرجو الله ألا تتاح لهم، فلا يمتد إليهم حبل من الله، ولا من الناس، وإن كان امتد منه شيء؛ فنأمل أن ينقطع بهم، ليتردوا من شاهق في درك الذلة الذي يستحقونه.

ولأن هذه الهجمة قدمت لنا مثالاً غير مشرف للصحافة العدائية التي تنتهك شرف الصحافة، وداست على أدب الحوار، وأغلقت نوافذه، وبينت لنا كيف يُعمي الهوى ويصم، فلا يبصر صاحبه النور، ولا يسمع الحق، ولا يقتفي أثره، وبينت كيف يذره صريع الحقد و"الكراهية" والبغضاء، فإننا نتذكر الاستجابة لأمر الله –جل وعلا– فنقول: (موتوا بغيظكم) .

وبعد، فإن التحدي الحق الذي يواجه مجتمع العلم والدعوة ليس في كيفية مواجهة سهام من الشبه ترشقها يد قصيرة، ولا الجواب على ألفاظ السباب التي يتقيؤها كل همزة لمزة، ولكنه في كيفية صياغة وتقديم مشروع الحياة الكريمة الرائدة، الذي يستلهم من الإسلام الأهداف والمقاصد، وينفتح في رشد وهدى على الآليات والوسائل، ويساهم في صياغته، وتطبيقه، والدعوة إليه كل من تحقق فيه شرط الإسلام، ويعاديه من يعادي الإسلام فحسب.

فيا أيتها الهجمة المعادية ..

امضي في عدائك واستعدائك، وكيدك ومكرك إلى المدى الذي ترسمين..

فلن يهول أهل العلم والدعوة هذا العداء..
لن يحول بينهم وبين النصح الذي دانوا به، والإصلاح الذي قصدوه ذلك الاستعداء..
لن تهزهم عبارات الاستهزاء ..
لن يجرهم إلى معركة لا يقتنعون بخوضها ذلك الاستفزاز..
لأنهم يؤمنون بأن هذا كله مكر سيئ سيحيق بأهله، وكيد شيطاني و (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) ..
ولأنهم يوقنون بأنهم يحملون دعوة وعد الله حاملها بالنصر فقال: (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقد نصرها الله فيما مضى من الدنيا وهو الأطول؛ فلن يعجز أن ينصرها فيما بقي وهو الأقل..
ولأنهم يتطلعون إلى الانضمام في سلك من قال فيهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله)..
امضوا في رشق سهامكم؛ فلسوف تلاقي حصوناً حصينة، لا أجساداً هزيلة، فهي – لا محالة– على متونها متكسرة، (والعاقبة للمتقين) .

=============

#درس من بغداد

د. وليد بن عثمان الرشودي 1424/2/20

2003/04/22

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:
فلقد كان يوم الأربعاء السابع من صفر لعام أربعة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة يوم مفاجآت لكل العالم، حيث هوت بغداد تحت أقدام جيش التحالف (الأنجلو أمريكي) الذي اجتاج أرض العراق كاملة، فما أبقى فيها ذرة إلا ودنستها أقدام ذلك العدوان الأثيم الذي استنكرته سائر البشرية.

وبعد أن تهاوت بغداد التي صنع لها صدام قوة –هي أشبه بنمر الورق– تدعو العاقل إلى التأمل في هذه الملمة، وتدبر دروسها وأخذ العبر منها؛ كي يحافظ على هويته وينطلق نحو عالميته .

لقد كان لسقوط بغداد ألمه في النفوس، ولكن يجب أن يكون لهذا الألم أثر ينتج أملاً فمن ذلك:

01 لقد ظهر في هذه الحرب أن السنن الكونية نافذة، والأقوى هو الأغلب، فأمريكا طاغية وصدام ظالم باغٍ، وكانت آليات أمريكا أقوى من عتاد وجند صدام، فحسمت المعركة لصالحها، ولو قال قائل: أين الشعب العراقي –والمسلم منهم– من هذه السنة الكونية؟ لقلنا إن صدام لم يعلن توبة صادقة، ورجوعاً صريحاً لدين الإسلام، وإعلان الجهاد في سبيل الله لتحقق له سنة شرعية، وقد تدفع السنة الشرعية السنة الكونية .

02 إن الجيوش إذا ربِّيت على نصرة الأفراد وحمايتهم سقطت وتهاوت سريعاً، وذلك مصداق حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم– (من تعلق شيئاً وكل إليه) فجيش صدام صمم ليحافظ على فرد فزال الفرد، ومن يحافظ عليه بخلاف قوة التحالف التي صممت أصلاً لهدف فجعلته نصب عينها، حتى حققت هدفها وهذه حقيقة لا تقبل الجدل.

03 إن الله تعالى حكيم عليم فلا يقع شيء إلا بعلمه، ولا يظهر شيء إلا بحكمته فمع سقوط بغداد وحرقة النفس عليها إلا أن في ذلك حكمة قد نعلم بعضها وقد لا نعلم أكثرها، فلعل من أعظم الحكم تهيئة المناخ لجيل جديد يعيد لبغداد هيبتها وهويتها الشرعية، ويرفع الراية التي يصح تحتها جهاد القوات المحتلة، ولعل من الحكم أن تثأر الناس لدينها، وأن تنهض بمهمتها في إعلاء كلمة الدين ومجاهدة المعتدين، فتنتقل المعركة من معركة جيش البعث إلى معركة جيش الإسلام، وهنا يكون الوعد الرباني متحقق الوقوع (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين).

04 لقد انقطع البعض عن القنوت بعد سقوط بغداد، وهذا في نظري يكمن في تصور الأزمة وأنها متعلقة ببقاء النظام العراقي أو زواله، وأنا عندي أن القنوت اليوم أولى منه بالأمس، فاليوم الأمة تمر بمرحلة استعمارية جديدة، وهذه نازلة كبرى تقتضي التضرع والابتهال والانكسار والدعاء بإلحاح، لعل الله أن يحمي بلاد المسلمين.

05 إن الألم الذي نعانيه اليوم يعاني الكافر مثله (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) فنحن نرجو الأجر والظفر، وهم ألمهم لا رجاء من ورائه في الآخرة، وإنما هو الخسران المبين، فلابد من السعي في زيادة ألمهم، وذلك بعدة صور من أعظمها المحافظة على ثوابتنا وتعلقنا بديننا، ومن ذلك بغض ثقافتهم المنحرفة ورفضنا لها، ومن ذلك تواصينا مع أهل العراق فنفتح باب الدعوة والتواصل، وأن نضع لنا موقع قدم هناك قبل غيرنا، ومن ذلك أن نحافظ على المكتسبات المتبقية في بلاد العراق بلاد العلم والحضارة.

06 إن على الأمة أن تعيد حساباتها وألا تتعامل مع قضاياها عاطفياً أو آنياً، بل لا بد أن يكون عملها منهجاً استقرائياً على وفق خطط مدروسة متأنية تقتضي دراسته اجتماع لأهل العلم والسياسة والاقتصاد والاجتماع، والخروج برؤية تامة متماسكة، إن مشكلة الأمة في تعاملها مع قضاياها هي أنها تتعامل مع أحداثها بعين العاطفة، فيكون علاجها للأزمات هو جمع التبرعات ومعالجة المرضى ومداواة الجرحى وحفر الآبار، وهذا خير عظيم ولكن خير منه هو أن نحسن قراءة المستقبل وأن نعرف كيف نتعامل معه وأن نضع لنا في المستقبل موطن قدم، وألا يكون حالها هو دفع هذه الملمة لنستقبل بعدها أختها أكبر منها، فلو كان هناك قراءة للمستقبل لما وصلت أفغانستان إلى ما وصلت إليه اليوم، ولما كانت البوسنة تتأرجح تحت العلمانية بعد جهاد شرعي طويل، ولما ضاعت العراق، ولكن هي العاطفة التي تسيِّرنا، ولقد كان لنا في رسول الله أسوة حسنة حينما نظر إلى المستقبل فقال: (اليوم نغزوهم ولا يغزونا)، وحينما ولوا عليهم امرأة قال: (لا يفلح قوم ولوا عليهم امرأة) فلا بد من إنتاج في قراءة المستقبل على جميع صوره العلمية والعملية.

07 لقد أثبتت هذه الأحداث كره الناس لأمريكا، فلا بد من تغذية هذه الكراهية، حيث إن أسبابها موجودة وسبل دفعها مفقودة، فالظلم والطغيان والكبرياء والجبروت وفرض مفاهيم الحريات الخاصة على الناس واختبار نمط حياتهم والتصرف بثرواتهم وإعادة سياسة الرجل الأبيض، كل هذه أسباب تورث الحقد والبغض لهذه الأمة الأمريكية، ولئن ظن الأمريكان أن انصراف كثير من أبناء الأمم عن بلدانهم هو بسبب الظروف الأمنية، فقد أخطأوا وأبعدوا النجعة، وإنما هو بسبب البغض الحقيق للثقافة

الأمريكية، ثقافة القهر والاستعلاء على الناس، ذلك الذي جعل الناس يختارون دولاً هي بالنسبة لأمريكا في ذيل القائمة تفضيلاً لثقافتها على الثقافة الأمريكية، وكلنا ذلك الرجل الذي يحمد الرب- جل جلاله- على النعماء والبأساء وبحمده على كشف وهتك الستر الأمريكي، ولا أستبعد أن تحاول أمريكا أن تعيد حساباتها في الاصطلاح مع الشعوب الأخرى.

فأمريكا هي الإرهاب يا ولدي
هي الإسفين في عضدي
هي الطاعون يفتك في عرى كبدي
هي الأستاذ في تشويه معتقدي
هي التدمير والتشريد والتجويع في بلدي
فلن أبكي على أرواح موتاها
ولن أمشي أعزي في ضحاياها
ولن أعطي ولو فلساً لجرحاها
ولن أدعو لعل الله يرعاها
فهذا بعض ما صنعته يمناها
ففي الأقصى جراحات وتقتيل
وفي بغداد تجويع وتدمير
ألا تبَّت بحول الله يمناها ويسراها

08 لقد أظهر الإعلام قوته في الحرب، وأنه أقوى من الآلة العسكرية، وإن كان ظهور ذلك في حرب 67 و 73، إلا أنه في الحرب العراقية ظهر بقوة وجلاء، فمن كان يستمع للحديث العراقي يظن أن العراق لن تكفي أرضه لدفن جثث الجنود الغازين، ومن سمع الإعلام الغازي ظن أن الأمة العربية والإسلامية قد غيبت هويتها واستنسخت لها هوية أمريكية أخرى، ولقد حازت أمريكا قصب السبق في الآلة العسكرية والإعلامية، وخدرت الشعوب كافة في وقت كانت فيه القنوات الإعلامية العربية تحاسب المتكلم عن حدة كلامه وقوة عبارته في نقده لعدوه وعدو الأمة .

إن الغرابـة كـل الغرابـة أن تجـد أمريكـا مـن يـدافع عـن كرامتهـا المزعومـة فـي الـبلاد الإسلامية أكثر ممن يدافع عنها في بلاد أمريكا، وحرام في القنوات الإعلامية العربية أن تنتقد أمريكا، وهذا ظاهر بيّن وما تخفي الكواليس أعظم. ولكن ما أملك قولـه هو رحمـة الله علـى رفات إنسان ضـحى مـن أجل الحقيقـة فـي تلك الوسـائل الإعلاميـة، وأنت ما زلت تتذكر فصل ذلك الإعلامي الغربي الذي انتقد أمريكا في حربها بعد دقـائق مـن إتمـام الحـوار مـع القنـاة العراقيـة، فمـا أعظـم حريـة أمريكـا ومصـداقية إعلامها!.

09 لقد ظهر من دروس بغداد أن الطابور الخامس هو أخطر الفرق المقاتلة، وأن أمريكا استطاعت –عبر قوتها الاستخباراتية– أن تجعل لها عيناً وأذناً في كل مكان قيـادي، ومـازال كثيـر مـن القيـاديين لا ينتبهـون لخطـورة الطـابور الخـامس، وأنـه هـو الثغر الشاغر بيد المعتدي، وهم يلاحظون أن قراراتهم تبلغ أمريكا قبل أن تستكمل أنـاملهم التوقيـع، فهل نعيد الحسابات كرة بعد كرة؛ لنقي الصف ونوحد الكلمة على هدف واحد حقيقي إن شئنا أن تكون لنا كلمة ويبقى لنا كيان .

010 فـي صـحيح مسـلم مـن حـديث المسـتورد القرشـي قـال عنـد عمـرو بـن العـاص سـمعت رسـول الله – صـلى الله عليـه وسـلم– يقـول : (تقـوم السـاعة والـروم أكثـر الناس، فقال لـه عمرو أبصر ما تقول قال أقول ما سمعت من رسول الله – صلى الله عليـه وسلم– قال لئن قلت ذلك إن فيهم لخصـالاً أربعـاً إنهم لأحلم النـاس عند فتنـة وأسرعهم إفاقـة بعد مصيبة وأوشكهم كـرة بعد فـرة وخيـرهم لمسكين ويتيم وضـعيف وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك).

خمس قواعد ذهبية حقيق بالأمة أن تعمل بها وهي خير أمة أخرجت، للناس فهل يكون فينا الحلم مع هذه الفتنة فلا يهلكنا الاستغراق في لحظتنا ومصيبتنا هذه فنجر الأمة إلى هوة سحيقة بتصرف غير مدروس وعمل غير مسؤول؟ وهل نفيق بعد هذه المصيبة بعجالة؛ لنلملم الجراح ونواسي الثكالى، ونبدأ حياة الجد والاجتهاد في نصر جديد مجيد للأمة؟ وهل نبذل فراً كراً ونخطط برؤى مستقبلية ناضـحة، بحيث نعرف ماذا سوف نعمل بعد عشر بل عشرين بل خمسين سنة، وهل ينتهي الفقر والمسكنة والضعف في أمة هي أغنى الأمم حتى طمع العدو في خيراتها، وقرر أنها لا تستحق

هذه الخيرات لعدم استفادتها منها؟ وخامسة هي ما نرجوها بعد الصور التي رأيناها من الشعب العراقي تجاه نظامهم الساقط، فما أعظم لعنة الشعوب وأبلغ دعائهم على كل ظالم ولو بعد حين؟

وبعد فهذه أسطر كتبتها بحسرة وألم أرجو أن تكون عاقبتها أملاً، وأن يعمل ولو بشيء منها، وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت

==============

الله أكبر غلبت الروم*

أ.د ناصر بن سليمان العمر 1424/2/16

2003/04/18

......

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

• (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون).

• (إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لايحب الظالمين، وليمحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين).

• (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين).

مآتم الظلم تتلوهن أعياد ... ...

إياك أن تجزعي إياك بغداد

أم استبد بأهليك الطغاة أذى ... ...

وراح يمتحن الأحرار جلاد؟!

ماكان للظلم أن يمحو عقيدتنا ... ...

ولن يروق لنا كفرٌ وإلحادُ

نهاية الظلم يابغداد واحدة ... ...

الله، والحق، والتاريخ أشهاد

أيها الأحبة:

عن ماذا أتحدَّث ؟

ليست العبرة أن نسرد التاريخ، ولكن العبرة أن نستفيد من التاريخ، وأن نستفيد من الأحداث، وأن تتربَّى الأمة من أحداثها.

هذه الأحداث التي جرت، وسقوط بغداد، فيها عبر وفيها دروس، أوجزها بمايلي:

فأقول : مقتصراً على أهمِّ الدروس والعبر:

أولاً: السؤال الكبير :

هل فعلاً انتصرت أمريكا وحلفاؤها ؟

الناس يتحدثون عن هذا الانتصار،ولكنني أقول لكم:

نعم، حققت أمريكا بعض المكاسب، لكنها لم تنتصر.

تحقيق المكاسب شيء، والانتصار شيء آخر.

بل إنني جلست أتأمل في الهزائم والخسائر والنكبات التي حققتها أمريكا من خلال هذه الحملة الظالمة الباغية الطاغية على العراق، وما تتوعد به من حملات آتية، فوجدتُ أن خسائرها وأن هزائمها تتفوق أضعافاً مضاعفة على ما بدا لنا من بعض الانتصارات والمكاسب السريعة.

هذه مسألة آمل ألاَّ تستغرقنا اللحظة الحاضرة فيما نشاهده، عن الحقيقة الكبرى التي كنت أتحدث بها منذ فترة طويلة، ولا أزال، وسأظل – بإذن الله – حتى نرى الأمر عياناً بياناً وهو : سقوط هذا الصنم . سقوط هذه الدولة الظالمة الباغية الطاغية: أمريكا، ومن معها.

أمريكا نعم دخلت بغداد، ودخلت العراق.

نعم.. حصلت على بعض المكاسب..

وعندما أتحدث عن أمريكا فغيرها تبع لها، ولكنها خسرت خسائر جمَّة أذكر بعضها على سبيل الإشارة لاعلى سبيل الحصر، فالمقام لايتسع لذلك.

1. أمريكا سقطت أخلاقياً.. وما أحدثته في هذه الحرب مما تهون عنده جرائم وردت في التاريخ .. يبين أن أمريكا لم تلتزم بأي ميثاق بشري ولاغيره من مواثيق الحروب التي نزلت في الكتب السماوية أوحتى التي أقرَّتها بعض القوانين البشرية، بل حتى ما أقرَّته أمريكا نفسها من قوانين لم تلتزم بها في هذه الحرب، فهي سقطت أخلاقياً.

واطمئنوا، إذا سقطت أخلاقياً فستسقط من أرض الواقع – بإذن الله – .

2. أمريكا سقطت – كما قلت أكثر من مرة – دولياً .. لتحديها دول العالم، ونُشرت احصائية – أشرت إليها في الدرس الماضي – مذهلة لبعض الدول الصديقة لأمريكا حيث وصلت شعبيتها في بعض تلك الدول إلى 25%، بل إلى 12%، وهي في نزول وانهيار – والحمدلله – بسبب حملتها الظالمة الجائرة، وتحديها العالم أجمع.

وهذا مكسب ضخم .. ماكان يتوقع أحد أن يتحقق في هذه الفترة الوجيزة القصيرة من عمر التاريخ !

شعبية أمريكا خلال سنة فقط انهارت أكثر من 50%..

والأيام القادمة .. والشهور القادمة .. والسنوات القادمة – بإذن الله – تحمل مزيداً من العداء والكُره والبُغض لأمريكا..

وقلت لكم أكثر من مرة . إذا أراد الله سقوط دولة، أسقطها من قلوب الناس قبل أن تسقط من أرض الواقع، فكما سقطت روسيا الشيوعية من قلوب الناس،حتى من المؤيدين لها، ثم سقطت من أرض الواقع، هاهي أمريكا تسقط من قلوب الناس حتى من كان يؤيدها قبل سنتين فقط، ويدافع عنها، وهذا مؤذن بسقوطها – بإذن الله – من أرض الواقع.

3. كانت أمريكا قبل سنة فقط تتهم المسلمين بالإرهاب، وليس الغريب أو العجيب أن تتهم أمريكا المسلمين بالإرهاب، فهذا ديدنها، وإنما المشكل أن الكثير صدَّق هذه الدعوى، وهذه الحملة، حتى إن بعض المسلمين، وبعض المحسوبين على الإسلام، ومن يتكلم بلغتنا، بل من بني جلدتنا صدَّق هذه المقولة فأصبح في كتاباته يكتب عن الإرهاب الذي تتحدث عنه أمريكا، وهو لايعلم أو يعلم أنها تقصده هو، فضلاً عن غيره، وماهي إلا شهور فينكشف للعالم أن أكبر دولة إرهابية في العالم هي : أمريكا .

أمريكا هي حاضنة الإرهاب، وداعمة الإرهاب، سواء في فلسطين وفي أقطار عدة من العالم.. وبالمناسبة ليس هذا جديداً، ولكنه لم ينكشف إلا أخيراً، وإلا قبل ثلاثين سنة وأمريكا تحمي الإرهاب في مواطن عدة من أنحاء العالم.. الإرهاب الحقيقي، سواء إرهاب اليهود أو المنظمات الإرهابية الحقيقية، كانت أمريكا هي التي تدعمها، وكانت أمريكا هي التي تمدَّها..

لم ينكشف هذا للعالم، وماكان يعرفه إلا خواص الناس والساسة، والمتخصصين فإذا هو ينكشف للعالم أنه لاأحد يجاري أمريكا في إرهابها..

وماحدث في بغداد، وفي العراق، وما تتوعد به الآن دليل على ذلك.

بعد دخول بغداد.. سئل وزير الدفاع الأمريكي :

أين أسلحة الدمار الشامل ؟

انظروا لهذه الإجابة الخبيثة التي تدل على ما تخفي صدورهم، وما نطقت به ألسنتهم، وما تخفي صدورهم أكبر.. قال:

إن أسلحة الدمار الشامل يبدو أنها هُرِّبت إلى سوريا..!! وهو أراد أن يكسب شيئين:

1- أن يقول للناس: نحن ما كذبنا أن في العراق أسلحة دمار شامل، لكن هرَّبها إلى سوريا.

2- وحتى تكون ذريعة لمواجهة سوريا التي بدأت لها التهديدات الآن، وإذا دخلوا سوريا – وأسأل الله أن لا يحقق أمنيته – سيقول: هُرِّبت إلى البلد الفلاني، وهكذا دواليك..

والمعركة قائمة الآن.. اليوم ذكرت الصحف أن أحد كبار المسئولين في أمريكا انضم – قالت انضم – لعدد من المسئولين الأمريكان الذين يهددون عدداً من دول المنطقة، وخاصة بعد ما رأوه من انتصار – والله المستعان –.

إذن هذا.. بيَّن من أصبح الإرهابي ؟هذا مكسب: أن يعرف العالم أن أمريكا هي داعمة الإرهاب، وداعية الإرهاب.

4. أيضاً.. أمريكا دخلت بغداد.. ولكنها دخلت معركة لن تنتهي – بإذن الله – إلا بهزيمتها الساحقة.. دخلت في حروب ومواجهات لن تنتهي، بل ما حدث في العراق، وفي بغداد، ليس إلا أول المعركة، وهذا قلته لكم قبل ثلاثة أسابيع بل إنني قلت بعد

بدء ضرب بغداد بساعات بموقع: (الإسلام اليوم) قلت: لم تبدأ المعركة بعد.. أي أن المعركة في بدايتها، والمعركة طويلة، وطويلة وطويلة..

وأبشروا وأسأل الله أن تكون قصيرة، وستكون بهزيمة أمريكا وحلفائها – بإذن الله –.

إذن هي لن تنعم بالأمن.. لن تنعم بالراحة.. لن تنعم بالهدوء.. لن تستقر لا في داخلها، ولا في خارجها.. لن تستقر مصالحها في الخارج، ولا في الداخل، وهذا لاشك هزيمة لأمريكا بدل أن كانت من أكثر دول العالم أمناً مع وقوع الجرائم، لكن كانت الجرائم فردية، الآن دخلت في مواجهات أكبر من ذلك..

5. وأخيراً.. انكشفت أمريكا على حقيقتها، وسقطت شعارات العدالة والحرية، والديمقراطية التي طالما تغنَّت بها أمريكا، وصدَّقها المغفلون من أبناء المسلمين، فضلاً عن غيرهم من العالم.

وأعطيكم مثلاً واحداً برهاناً على ذلك:

أليست الحملة اسمها: (حملة حُرِّية العراق).

ثمَّ.. سقطت بغداد.. ما الذي حدث في العراق ؟ انتهى النظام – كما أعلن الرئيس الأمريكي نفسه – بدأ النهب والسلب والقتل والاقتتال بين أبناء العراق من المسلمين وغيرهم.. وعندما أقول: (أبناء العراق) لا يعني أنهم كلهم من المسلمين..

أين الحُرِّية التي جاءت بها أمريكا ؟ جاءت الفوضى، وجاء الدمار، وجاء الإخلال بالأمن، وجاءت السرقات.. هذه هي حُرِّية العراق، كما تفهمها أمريكا..

باختصار.. هذه بعض الهزائم الضخمة بعيدة المدى التي حققتها أمريكا في هذه الحملة، فمن المنتصر ؟

هل انتصرت ؟ قد تكون انتصرت في بادي الأمر، أو حققت بعض المكاسب، ولكنها في الحقيقة لم تنتصر، ولن تنتصر – بإذن الله – .

هذا درس عظيم.. حتى لا نعيش اليأس والقنوط والتشاؤم والاستسلام، كما يروِّج له البعض من بعض الكُتَّاب الذين يقولون: هذه أمريكا، وهذا جزاء من يواجهها، فهم يهيئون لمرحلة قادمة من أجل الاستسلام لهذا العدو الغاشم.

ثانياً: الدرس الثاني، وهو درس عظيم:

سقوط الشعارات الوثنية من قومية وبعثية وغيرها بشكل لم يكن يتصوره أكثر الناس.

وهذه الشعارات – أيها الإخوة – سبق أن ذكرت لكم في محاضرة.. في كتاب: (رؤية استراتيجية في القضية الفلسطينية) قبل سنتين، وقلت:

إنه تحقق في فلسطين انتصارات ضخمة، ومن أعظم هذه الانتصارات:

سقوط الشعارات العلمانية والبعثية والقومية وغيرها في فلسطين، ولم يبق إلا راية الإسلام، هي التي تواجه اليهود في فلسطين.

هذا مكسب ضخم، الآن المعركة متعددة بين اليهود وبين المسلمين في داخل فلسطين ومن يرفع راية الجهاد، وسقطت جميع تلك الشعارات التي قبل ثلاثين سنة تقول: سنلقي إسرائيل في البحر.

هذا السقوط مكسب ضخم..

الآن أيضاً: سقوط ركن من أركان الظلم، وهو الحكم البعثي في العراق.. لا شك أنه مكسب، وسقوط هذا الشعار: شعار القومية أو شعار البعثية،كل الشعارات الوثنية ستتساقط بإذن الله.

وهنا – أيها الإخوة – آمل أن ترعوني أسماعكم لحقيقة تنمو وتكبر يوماً بعد يوم، أقول لكم – واثقاً بوعد الله وبنصره – .

إن الإسلام قادم، وإن النصر قادم، وإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

الذي يرقب المسيرة منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة، يلحظ هذا الأمر: تتهاوى عروش ضخمة عدوة لله ولرسوله، وترتفع رايات قوية تنصر دين الله – جل وعلا.

– هوت الشيوعية، وهي عقبة كؤود أمام المسلمين.

– هوت المنظمات التي كانت في داخل المسلمين: القومية، الناصرية، البعثية، العلمانية، كثير.. هوت الآن.. ومن لم يهوِ منها يتهاوى.. وهذا أيضاً انتصار ضخم للمسلمين، والآن تتهاوى أمريكا.. وهذا انتصار ضخم للمسلمين.

في النهاية: المسلمون يرتفعون، ويعودون إلى ربهم، ويدركون فعلاً كيف يكون لهم المستقبل – بإذن الله – وأعداؤهم يتهاوون واحداً تلو الآخر.

لو أحصينا – خلال ثلاثين سنة – ما سقط من أعداء لأمة الإسلام ولهذا الدين فإذا هي أعداد ضخمة – كما أشرت لكم – سواء خارج بلاد المسلمين أو في داخلها.

وهذا يجب أن لا نغفل عنه، وهو مكسب لا بد أن تمر به الأمة حتى تحقق النصر.. (ولكنكم تستعجلون).

إذن: سقوط البعثية، سقوط القوميات، سقوط الشعارات التي أقضَّت الأمة، وأزعجت الأمة زمناً طويلاً.. ثلاثين أو أربعين سنة.. هذا انتصار للأمة، لا يقدَّر بثمن، ولكن لا تزال الأمة أمامها طريق طويل من أجل أن تعيد مجدها وعزّها – بإذن الله.

ثالثاً: أيضاً من هذه الدروس:

قارن بعملية يسيرة: بين مواجهة المسلمين لأعدائهم، في أفغانستان عندما واجهوا روسيا، أو في فلسطين وهم الآن يواجهون اليهود، أو في الشيشان وهم يواجهون أيضاً الروس، أو في كشمير وهم يواجهون الهند مع قلة عددهم وعدتهم، وثباتهم إلى الآن، ويزدادون ثباتاً بعد ثبات – والحمد لله – .

بينما دولة ضخمة كالعراق، بأسلحتها وأموالها ونظامها وأرضها تهوي في ثلاثة أسابيع. يعطينا حقيقة لامجال فيها :

أن الذي يقف أمام مد الطغيان والكفر هو الإسلام.

وأن جميع الشعارات مهما كانت قوتها لاتستطيع أن تقف مع من هو أقوى منها، أما إذا كان الإسلام هو المقابل فإنه يثبت ثبوتاً يبهر أعداءه قبل أصدقائه.

وهنا أعطيكم قاعدة :

أن سنن الله . الكونية إذا تدافعت غلب الأقوى، أما إذا انضمَّت السنة الشرعية فإنه في هذه الحالة تكون القوة والغلبة للسنة الشرعية : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) (ولما برزوا لجالوت وجنوده) وهم قلة ضعفة، عددهم محدود، ودعوا الله: (ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) (فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت) سبحان الله .. (قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال: كلا، إن معي ربي سيهدين).

إذن . ثبات المسلمين في أفغانستان حتى سقطت روسيا، وليس فقط حتى خرجت من أفغانستان،وثبات المسلمين الآن على قلتهم وضعفهم في فلسطين، واليهود يعانون معاناة وهزيمة ورعباً في داخل فلسطين – زادهم الله رعباً وذلاً –، وفي الشيشان .. عدد سكان الشيشان كله رجاله ونساؤه، كباره وصغاره .. المجاهدون

وغير المجاهدين، كلهم قرابة مليون، والجيش الروسي مليون، الجيش الروسي المدجج بالسلاح مليون، وثابتون منذ قرابة عشر سنوات وفي كشمير يواجهون دولة طاغية ظالمة باغية، تملك سلاحاً نووياً وأسلحة فتاكة، وثابتون منذ سنوات عدة – والحمد لله – .

فأبشروا بالخير.. أليس هذا من الانتصار ؟

لامكان لليأس .. لامكان للتشاؤم.. ولكن مرة أخرى أقول :

إن الطريق طويل، ويحتاج إلى صبر وتحمُّل وبُعد نظر وعدم استعجال.

رابعاً / من هذه الدروس التي نقف معها :

هو ما أشرتُ إليه عندما قلت :

لن يقف أمام اليهود والنصارى وغيرهم من ملل الكفر إلا المجاهدون الصادقون، وهذا يتطلَّب استعداداً مبكراً، واستثماراً لكل الفرص، مع عدم الاستعجال أو اليأس أو القنوط.

وهذا حديثنا مع سورة يوسف – إن شاء الله – بعد الآذان. حيث سأبيِّن أن جميع مقوِّمات النصر، والتي تحقَّق بها انتصار يوسف موجودة في سورة يوسف وسيرته – عليه السلام – فإذا أخذنا بها حصل لنا العز والتمكين، كما حصل ليوسف.

خامساً: من الدروس :

ظهر الرافضة على حقيقتهم،فما أن تمكنوا، واطمأنوا إلى تمكن أمريكا، فإذا هم يعيثون في الأرض فساداً .. وإذا هم يبدأون في قتل إخواننا أهل السنة، وهذا ماكان يخشاه إخواننا من قبل الحرب، أما المقاومة التي حدثت في أول دخول القوات الأمريكية فلها عوامل وأسباب ليس هذا مكان بيانها، وتفاصيل أدعها لحينها،أما الحقائق فقد ظهرت الآن .. وهذا يظهر قوة العلاقة بين أمريكا والرافضة، منذ سنوات ونحن نقول هذا الكلام.

ومن أبرز مظاهر ذلك : أن الذين رحَّبُوا بالقوات الأمريكية عندما دخلت بغداد أغلبهم من الرافضة، ما أقول كلهم من الرافضة، أغلبهم من الرافضة.

وهذا ليس كلامي أنا، وإنما كلام وسائل الإعلام الغربية...

القنوات الفضائية ووسائل الإعلام الغربية ذكرت : أن الذين رحَّبُوا بأمريكا أكثرهم من الرافضة.. وليس هذا غريباً عليهم.

ثم الآن أكثر الزعماء الذين برزوا – لاأريد ذكر أسماءهم – كلهم من الرافضة، وأثبتوا عمالتهم لأمريكا ومساعدتهم لأمريكا قبل دخولها.. واقرأوا الصحف تجدون هذه الحقيقة .. كأحمد الجلبي وغيره، وحزام التميمي .. وتميم بريئة منه.. هذه حقائق.. قوة العلاقة بين أمريكا والرافضة قديمة.. وتذكرون في هذا المكان قلت لكم قبل ستة أشهر تقريباً أو خمسة أشهر قلت :

إن (70%) في دراسة استطلاعية أجريت في إيران، تطالب بتوثيق العلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية .. حقائق.. أرقام.. فأين دعاة التقريب ؟ أين دعاة التسامح ؟ أين الذين يقولون – مع كل أسف – لاداعي لإثارة الفروق المذهبية ؟

من قال : إن خلافنا مع الرافضة هو فروق مذهبية ؟!

نعم .. لاداعي لإثارة الفروق المذهبية بين الأحناف والشافعية والمالكية والحنابلة .. نعم.. لايجوز هذا الأمر .. وهذا يخدم العدو.

أما الرافضة نحن نختلف وإياهم في الأصول لافي الفروع.

والحقيقة: أننا لانلتقي وإياهم أبداً في الطريق.

لانخدع بما يقال، فهم من أكثر الناس كذباً على مر التاريخ..

اليهود على كذبهم، لم يصلوا في الكذب كما وصل إليه الرافضة، لماذا ؟

لأن الكذب عند الرافضة جزء من عقيدتهم أدخلوه باسم التقية، فهم يخدعون الناس، ويكذبون على الناس، ولكن عندما تظهر الحقائق يظهرون على حقيقتهم.

فأقول لهؤلاء المخدوعين من أبناء جلدتنا:

رويدكم، إياكم أن تخدعوا، وإن كنتم منخدعين فلا تخدعوا غيركم من أبناء الأمة .

نعم .. أنا أقول: قد تقتضي المصلحة الشرعية والسياسة الشرعية أن نتقي شرهم كما نتقي شر غيرهم، وهذا يُحدَّد في مكانه وزمانه وأسلوبه ضمن الأطر الشرعية، وأصول الشرع تقضي بأن المفسدة الكبرى قد تدفع بالصغرى.

أما أن نقول : إنه ليس بيننا وبينهم فروق فهذا باطل وخداع !! .. بل إنني أدعو هنا إلى دعوة الرافضة للإسلام الصحيح،وقد حقَّقت هذه الدعوة نجاحاً ضخماً – والحمدلله

– في عدد من مناطق المملكة، وفي غيرها.. أن يدعوا إلى الإسلام، والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، وهذا أمر قصَّرنا فيه كثيراً فاستغله الأعداء.

وموقفي من الرافضة قد بيَّنته في مذكرة قدمتها لهيئة كبار العلماء قبل قرابة عشر سنوات بعنوان : الرافضة في بلاد التوحيد – كفانا الله شرَّهم – .

هذه حقيقة ظهرت مع الأحداث، لابد أن نكون على يقظة وتنبه لها.

سادساً: من الدروس العجيبة :

نهاية الظالمين ..

وهي سنة كونية، طال الزمن أوقصر، فإن لهم موعداً لايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون.

فهذا ظالم سقط، وهذا مؤذن بإذن الله بسقوط من هو أعظم منه ظلماً وهي أمريكا ومن معها، واليهود ومن معهم، وكل من حالفهم أو أيدهم، فهذه نهاية الظالمين.. درس عظيم من دروس سقوط بغداد ((إن ربك لبالمرصاد))، ((فلا تحسبنَّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون)) ((إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته)).

سابعاً: من الدروس أيها الأحبة:

عدم الاستعجال . والثقة بوعد الله، والأخذ بالأسباب المؤدية إلى ذلك .

ومن أسباب تأخر النصر :

أن الأمَّة ليست أهلاً له الآن – والعلم عند الله – .

وواقعها العام والخاص يشهد بذلك، وإلا فوعد الله لايتخلف أبداً، ولكن تتخلف أسبابه، وتوجد موانعه، فإذا توافرت الأسباب، وزالت الموانع تحقَّق النصر بإذن الله (وعدالله، لايخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس لايعلمون).

فلا تستعجلوا.. أبشروا بالخير وأمِّلوا واثبتوا واصبروا وصابروا، وسترون – بإذن الله – أويرى أبناؤكم ما يسرُّهم ويسر هذه الأمة .

المهم .. أن نأخذ بأسباب النصر، وأن لانقف متفرجين .. (يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلاً) .

مما أظهرته الأحداث وتأثرت له كثيراً :

الحاجة إلى إصلاح الأمة في عامتها وخاصتها.

ففي الوقت الذي كان الطغاة البغاة يدخلون بغداد ويستبيحون هذه الدولة المسلمة بشعبها المسلم،فإذا مباراة تقام في الوقت نفسه يحضرها أكثر من (50) ألف متفرج!!!

يا أمة ضحكت من جهلها الأمم..!!

والله يا أحبتي .. إنها لمأساة .. حتى في هذه اللحظات ؟! أكثر من (50) ألف، غصَّت بهم المدرجات، يصيحون ويصفِّرون ويشجِّعون..!!

يشجِّعون ماذا ؟ وقوَّات الصليب تجتاح بغداد!

ألا نستحي من الله ؟ ألا نخاف من الله ؟ ما أحلم الله علينا! ما أحلم الله!

فيا أحبتي الكرام .. لانتساهل في هذه المسائل..

الأمة بحاجة إلى إصلاح في داخلها من أفرادها ومن عامتها وخاصتها، كلٌ منايبدأ في بيته..

كثيراً مانسمع النقد للدول وللمؤسسات.. لكن مامدى تطبيق الإسلام على بيوتنا وعلى أنفسنا ؟ كل منكم ينظر إلى بيته الآن، بل إلى نفسه:

مامقدار قيامه بأمر الله – جل وعلا – في صلاته، في عبادته، في إنابته، في أخذه بالحق، في ماله، في أكله، في شربه، في تربية أبنائه..

بل إن البعض بسبب هذه الأزمة أدخلوا آلات اللهو والدشوش إلى بيوتهم باسم متابعة الأخبار، فأدخلوا بلاءً عظيماً إلى بيوتهم.

الاستراحات .. المقاهي مليئة بالشباب.. ماذا يفعلون في تلك المقاهي والاستراحات ؟ الأسواق مليئة بما مايغضب الله – جلَّ وعلا – وهذه تكون من أسباب العقوبة – أيها الأخوة – .

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) 000.

هذه سنة كونية، إذا أردا الله إهلاك قرية، إهلاك أمة، إهلاك بلد تسلَّط المفسدون السفهاء، فعبثوا فيها وأفسدوا فحق عليها القول .. حق عليها العذاب، فيدمِّرها الله تدميراً .

الناس الآن لايستمعون إلى المواعظ، لوجاء أحد يعظهم لملَّوا، ولذلك فإني أقول لكم : أول مانبدأ بالوعظ في أنفسنا، وفي بيوتنا، وأن نقيم حِلَق الذكر في بيوتنا، ومع أهلنا وعشيرتنا،وفي مساجدنا، هذا العدد الذي يستمع إلى هذه الكلمة أمامي الآن،هذا العدد الطيِّب الخيِّر، لو أنهم بثُّوا وانتشروا في مناطق عدة، وذكَّروا ووعظوا لأحيوا الأمة، وإلا فإنني أخشى من عقوبة، ونحن نتفرج الآن على العقوبات تحل بالبلاد القريبة منا.

أفنأمن ونطمئن ؟

هل بيننا وبين الله عهد وميثاق أن يمنع عنا العقوبة إلا بالالتزام بدينه ؟

فإذا تخلينا عن دينه، وعن عقيدتنا فأخشى أن يحلَّ بنا ماحلَّ بغيرنا !

فعودوا إلى الله .. توبوا إلى الله .. واقع مؤلم.. الأحوال لم تتغير.. لم يعد الناس إلى الله – جل وعلا –، ولذلك صدقت كلمة الإمام/ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – عندما قال هذه الكلمة العجيبة الرائعة :

إن مشركي زماننا أشد شركاً من الأولين.

لأن الأولين إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، أما مشركوا زماننا فلا يعودون إلى الله، لافي السرَّاء ولافي الضرَّاء.

هذا درس عظيم من هذه الدروس: المبادرة .. المبادرة، قبل حلول العقوبة.

ثامناً: أيضاً من هذه الدروس:

سذاجة الشعوب وبساطتها.

شعوب ساذجة بسيطة، سواء المعجبون بصدام، أو المعجبون المرحِّبون بأمريكا.

كم ضاعت الأمة وهي تصفِّق للطغاة.

عشرون سنة أو ثلاثون سنة تصفِّق لصدَّام، وقبل صدَّام كانت تصفِّق لآخرين هووا وذهبوا، والآن يسقط صنم، فيرحبون بأمريكا ببساطة وسذاجة عجيبة جداً .

إذن هذا يحتاج إلى إصلاح الأمة، وإلى بث الوعي فيها أكثر من أي وقت مضى.

تاسعاً: من هذه الدروس:

إن الأمة – في هذه الأحداث – ثبت أن فيها أخياراً وصلحاء، وعلماء ومجاهدين، ورجال من المجاهدين الذين أثبتت الأحداث صدقهم وضربوا لنا، وفتحوا صفحات

مشرقة بإيمانهم وحسن ظنهم بربهم، ذكَّرونا بعهد السلف – رضوان الله عليهم – من الرجال والنساء.

الأمة فيها أخيار، الأمة فيها خير، فيها صلاح، في الوقت الذي أقول وبغداد تسقط وكان أكثر من (50) ألف يتفرَّجون على مباراة، مع ذلك لدينا من الأخيار والشباب الصالحين والعلماء رجالاً ونساء مايسر – والحمد الله – .

الآن عدد النساء اللاَّتي أقول إنهن من العالمات، لاأستطيع أن أقول إنهن بالمئات أبالغ، ولكنهن بالعشرات – والحمد لله – .

أما الداعيات والخيِّرات فهن بالمئات، إن لم يكن أكثر من ذلك.

منطقة الرياض فقط فيها (200) دار نساء، فيهن أكثر من (40) ألف امرأة، مجموع المنتمين لجماعة تحفيظ القرآن – كما سألت قبل يومين – في الرياض فقط، والقرى المحيطة،أكثر من مائة ألف فرد، يحملون القرآن، ويحفظون القرآن، ويقبلون على القرآن .. هذا فقط في الجماعات الخيرية، دون مدارس تحفيظ القرآن، ودون عدد من المدارس التي لاعلاقة لها بدور التحفيظ ... غير أولئك الذين في داخل بيوتهم، أو في الجامعات .. هذا في مدينة الرياض فقط...

الخير موجود .. ثبت في هذه الأحداث أن هناك رجالاً يتألَّمون ويتحسَّرون على واقع أمَّتهم، من أكثر مايأتينا من الرسائل هي الدعوة للجهاد، وطلب الجهاد، والاستعداد للبذل بالمال والنفس والأهل.

الأمة فيها خير كثير، ولكنها تحتاج إلى جمع هذه الجهود وترتيب هذه الجهود، حتى لاتذهب هباء.

عاشراً: من الدروس العجيبة :

أن الجيوش والأمم إذا رُبيَّت على خدمة الأفراد وطاعتهم هُزِمت في لحظات،أما إذا رُبِّيت على طاعة الله – جل وعلا – انتصرت، وعاشت بين الأمم .

الأمة بُلِيت في عصورها المتأخرة بعدد من الدول التي تربِّي أفرادها على حب الأفراد والطاعة للأفراد، الطاعة العمياء من دون الله – جل وعلا – .

ومن آخر الأمثلة في ذلك :

ماحدث في العراق، فلما هوى الصنم استسلم الجميع.

وقد انتبه لهذا أبو بكر – رضي الله عنه – ، وانتبهوا للمقارنة :
لما توفِّي – صلى الله عليه وسلم – وكان الموقف الذي وقفه بعض الصحابة من هول الصدمة والمفاجأة، حتى قال بعضهم، كما قال عمر : إن محمداً– صلى الله عليه وسلم – لم يمت، قام أبو بكر فقال قولته – التي تعتبر من أقوى مواطن الثبات – :
(من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات،ومن كان يعبد الله فإن الله حي لايموت).
هذا في حق محمد – صلى الله عليه وسلم – فكيف بتعبيد الناس للطواغيت وللأصنام..
إذا تهاوى الصنم تهاوى الجميع، أما إذا عُبِّدت الأمة لله،في حبها في بغضها في كل شأنها (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين).
إذا عُبِّدت لله كانت النتائج الباهرة، ولذلك قلت لكم : انظروا سرعة السقوط في بغداد، والثبات الذي ثبته المجاهدون في فلسطين وفي أفغانستان وفي الشيشان وفي كشمير، وفي غيرها، زادهم الله ثباتاً وعزاً ونصراً .
لانهم هناك عُبِّدوا لله، لم يُعبَّدوا لمنظمة ولالفرد، حتى لوكان صالحاً..
وأذكر لكم قصة حدثت معي شخصياً أيام جهاد أفغانستان :
كنت في زيارة إلى هناك من أجل مساعدة إخواننا في أفغانستان، عندما كانت منظماتهم تعمل في باكستان، فسألت (سيَّاف) سؤالاً لاتزال إجابته ترن في أذني، قلت له : إن مما لاحظته أن بعض زعماء المجاهدين الأفغان يرفعون صورهم في معسكراتهم، والأفراد التابعين لهم، وأنت أراك لاترفع أي صورة لك .
قال : إن جهادنا لله – جل وعلا –، ونحن نجاهد في سبيل الله، فإذا رفعت صورتي سيتحوَّل جهادي من أن يكون لله ليكون دفاعاً عن هذه الصورة، فأنا لاأريد أن أرفعها حتى تبقى نيتي لله – جل وعلا – وصدق !
مجرد رفع صورة قد يحوِّل الولاء فيكون للأفراد بدلاً من أن يكون لله.
ولذلك لمَّا دخل المجاهدون كابل بدأت العصبية الشخصية والفردية التي دمَّرت أفغانستان – كما تعلمون – .

هذا يتعصَّب لهذا الزعيم، وهذا يتعصَّب لهذا الزعيم، وهذا يتعصَّب لهذه القبيلة، ولهذه الطائفة حتى حلَّ بأفغانستان مالايخفى عليكم.

فلذلك علينا أن نعبِّد الناس لله، ولا نعبِّدهم لأحد من البشر كائناً من كان، فإذا كان أبو بكر – رضي الله عنه – يقول في حق محمد – صلى الله عليه وسلم – :

(من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبدالله فإن الله حي لايموت)

فكيف يعبَّد الناس لأمثال هؤلاء !

وهذه نتيجة مؤلمة رأينا حقيقتها في بغداد، وقبل ذلك في دول أخرى .

الحادي عشر: أيضاً من هذه الدروس:

نحن عاطفيون

العاطفة مهمة وجميلة وجيدة، لكن يجب أن تخضع للعقل، والعقل يجب أن يخضع للشرع.

لاحظوا: بدأ سقوط بغداد بعد العصر!

بعض الإخوان كان يقنت في كل يوم العشاء، أوقف القنوت في صلاة العشاء!!

سبحان الله .. حتى العشاء ماقنت ! قال : خلاص انتهى الأمر!

والأسئلة ! لاأحصي ماجاءني من أسئلة : هل نقنت أو نوقف القنوت ؟

الآن حاجة المسلمين للقنوت أكثر من حاجتنا من قبل، لأن العدو الذي جاءنا أعظم ظلماً وطغياناً وكبراً من الظالم الأول.

ومأساة العراق التي كنا نقنت من أجلها، الآن تتحوَّل إلى مأساة العراق، ومأساة المسلمين أجمعين.

التهديدات الآن على قدم وساق، اقرأوا وسائل الإعلام.. تهديدات لدول تهديدات لشعوب .. تهديدات لأنظمة..

وهكذا يفعل المنتصر إذا كان ظالماً طاغياً باغياً، لايفكِّر في السنن الكونية، فأقول: العاطفة جميلة وجيدة، لكن يجب أن تحكم بالقواعد الشرعية، والضوابط الشرعية.

الثاني عشر: من تلك الدروس التي رأيناها:

قوة الإعلام

والحرب خدعة – كما قال النبي صلى الله عليه وسلم – .

أستطيع أن أقول : إن الإعلام هو الذي أدار المعركة أكثر من السلاح !
والغرب متفوّقِون – قاتلهم الله – في هذا الأمر.
وإعلام بعض الدول العربية هو الذي أحدث الهزيمة في نفوس المسلمين، لأنهم كانوا يعطون أرقاماً خادعة، فلما انكشفت الحقيقة كانت صدمة عنيفة!
ولذلك قلت لبعض المسلمين ولبعض المجاهدين في بعض الدول :
لو أنفقتم 50% على الإعلام،و50% على الاستعداد للجهاد من سلاح وغيره، لكان صواباً، وماذاك إلا لأهمية الإعلام اليوم، والدعم أوالرعب الذي يبثه، فلا نقلل من شأن الإعلام، لأنه هو الذي يؤثِّر في الناس الآن.
ووقفتان أخيرتان .. من الدروس التي آمل أن لاتؤاخذوني إذا ذكرتها، وأنا والله محب لكم، ومحب للسامعين،وللجميع،وصريح معكم :
الحماس غير المنضبط، والاستغراق في اللحظة الحاضرة !
كنا نقول للشباب : اهدأوا، والوضع لايسمح بالذهاب إلى العراق !
أنا على يقين كما أنكم أمامي، أنه لن يحل مشكلة الأمة إلا الجهاد في سبيل الله، وهو الجهاد الحقيقي،وهو مقاتلة أعداء الله.. ولكن.. أن يؤتى للجهاد قبل أوانه تحدث المصيبة !
فقلت للإخوة : ادعموا إخوانكم في العراق.. بالنسبة لإخواننا في العراق يدعمون بالمال، وبكل مانستطيع، وهم قد هُجم عليهم، والدفاع ليس له شروط، جهاد الدفع ليس له شروط، لكن بالنسبة للذها ب إلى هناك فلم تكن هناك راية، لم يكن هناك ميدان، وإلى اليوم.. اسمعوا الأخبار ماالذي يحدث في بغداد ؟ الذين ذهبوا أسأل الله أن يعظم أجورهم وأن يجزيهم على قدر نياتهم، بل أعظم من نياتهم، واسأل الله لمن قتل منهم أن يكون شهيداً في سبيل الله، لأنه سأل الله الشهادة، بل سعى إليها. لكن هذا شيء،والاندفاع في غير موضعه شيء آخر!
وقلت لكم: المعركة طويلة، فنحتاج للحماس، لكننا نحتاج للحماس المنضبط بالضوابط الشرعية.
العاطفة وحدها لاتكفي .

ودراسة الآيات والأحاديث التي وردت تبين هذا الجانب، وقصة خالد في مؤتة، ادرسوها، ماذا فعل، وماذا قال له الرسول – صلى الله عليه وسلم – .

فيجب التوازن في هذه المسألة، نعم هناك مخذِّلون، مثبِّطون، لايرون الجهاد أبداً.

هؤلاء لهم شأن آخر، لاعلاقة لنا بهم.

وآخرون مندفعون متحمِّسون قد يضعون الشيء في غير موضعه، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

فهذا من الدروس، وتكرر هذا الدرس في العام الماضي عندما قلناه في أفغانستان، وحدث ماكنا نخشاه،وهاهو يتكرر اليوم في العراق.

ماأحوجنا إلى أن نتعلم، وأن نستفيد من الدروس،ونسأل الله الصدق والإخلاص (من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه)

لكن يكون بصدق، أن يكون متهيِّئاً .

في مقابلة مع قناة المجد – يوم الثلاثاء الماضي – سئلت عن العمليات الاستشهادية، وقلت : إنها هي السلاح المباشر الذي يُخيف الأعداء إذا استخدم في موطنه.

ودعوتُ الإخوة في فلسطين وفي العراق وفي الشيشان أن يطوِّروا هذا السلاح فهو الذي يهز الأعداء. وإذا كانوا أكثر منا عدَّة وعدداً فنحن أقوى منهم إيماناً، وحبنا للشهادة أكثر من حبهم للحياة فهذه حقيقة. وقد ذكرت ضوابطاً لموضوع العمليات الإستشهادية ليس هذا مكان بيانها لكنها ليست مطلقة. وهي مسألة خلافية بين العلماء ولكنني من خلال بحثي للمسألة ترجح لدي القول بجواز ومشروعية العمليات الإستشهادية ولكن بضوابط حتى لايستعجل الناس وأن لاتنتقل إلى بلاد المسلمين ولكن في مواطن القتال كما أشرت في فلسطين في العراق الآن وهو بلد محتل في الشيشان في كشمير المحتلة، كلها من أقوى الأسلحة وأنجح الأسلحة وهي شهادة في سبيل الله، نرجو لصاحبها أن يكون شهيداً بإذن الله. لكن مرة أخرى أقول يحتاج الأمر إلى ضوابط وعدم استعجال وبعد نظر....

وأخيراً... في هذه الأحداث ظهرت حكمة الله جل وعلا وأنَّ الله حكيم عليم وما أحوجنا إلى تأمُّل هذه الحكمة وبعد النظر للإفادة من الأحداث فالله سبحانه وتعالى

حكم عدل ولايظلم ربك أحداً. ومقياس ذلك في قوله تعالى ((أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنا هذا قل هو من عند أنفسكم)) هذه لأهل أحد ... أقول ما أصابنا من عند أنفسنا ((وما أصابكم من مصيبة فما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)) ((ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة)) فما أحوجنا إلى دراسة هذا الحدث والإفادة منه وبعد النظر والتأمل حتى لانؤخذ على حين غرة ..

أقراء ايضا:

كيف مكَّن ليوسف في الأرض؟ * هذا المقال نسخة مكتوبة من الدرس الذي ألقاه فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور / ناصر بن سليمان العمر يوم الأحد 1424/2/11هـ في مسجد خالد بن الوليد بالرياض ارتجالاً – كعادته في دروسه ومحاضراته ـ دون أن يحرَّر وينقَّح كسباً للوقت.

==============

#يا أهل العراق

أ.د. عبدالله الطريقي 1424/1/29

2003/04/01

نحمد إليكم الله تعالى يا شعب العراق، الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون.

ونعتذر إليكم – أيها الإخوة– عن تأخر الخطاب، ونقدر الوضع الذي تعيشون.

ويسرنا أن نقدم التحايا الطيبة لكل فرد منكم، جاهد وما زال يجاهد في سبيل دينه الإسلامي العظيم، ويدافع عن وطنه وحرماته.

ولا نملك في هذا الزمن الذي ينطق من خلال أصوات الطائرات والمدافع والصواريخ، أَوْ من خلال أبواق وسائل الإعلام الصاخبة، إلا أن تنطق ألسنتنا وأقلامنا بهذه الحروف التي نرفعها إليكم على استحياء، راجين قبولها، وتقدير أعذارنا.

إن الصيحات والتعليقات التي نسمعها وتسمعونها وإن غلب عليها التأييد لقضية العراق العادلة، إلا أنها ذات مضامين متقاربة، تخاطب الوجدان والعواطف.

أما حروفنا نخاطب فيها عقولكم وضمائركم الحية التي تربت على مدارس الأئمة: أبـي حنيفـة والشـافعي وابـن حنبـل، وسياسـة العظمـاء: هـارون الرشـيد، والمـأمون والمتوكل، وغيرهم كثير كثير.

ولهذا نتقدم إليكم بذكرى ووصايا:

أما الذكرى فبالآتي:

01 يعلم الشعب العراقي جيداً تاريخه الإسلامي المجيد الحافل بالبطولات التي وقعت في أرض العراق، كالقادسية .

02 والتاريخ ما زال يتحدث ويتذكر أرض الخلافة الإسلامية في الكوفة وبغداد، والتي امتدت قروناً من السنين، وكتبت بمداد الذهب.

03 ولـئن كـان النسيان قد طوى تلك الحضـارة، أو تناسـاها عند بعض أبنـاء أمتنـا، وأخذوا يبحثون في تاريخ الأجنبي وحضارته ويتغنون بهما، إلا أن مثل هذه الأحداث المتمثلة بتكالب العدو الغربي على الأمة المسلمة، يؤكد علينا جميعاً ضرورة التمسك بحبـل الله والاعتـزاز بـديننا وحضـارتنا والرجـوع الصـادق إلـى الله تعـالى والاسـتظلال بكنفه.

04 الصراع بين الحق والباطل سنة إلهية لا يمكن أن تتخلف، مهما يحاول الأعداء من التظاهر بالتسامح والتقارب مع المسلمين.

وكفى بالواقع شهيداً على ذلك.

وصـدق الله العظيم فـي قولـه: " ولـولا دفـع الله النـاس بعضـهم بـبعض لفسدت الأرض" وقولـه " ولـو شـاء الله مـا اقتتـل الـذين مـن بعـدهم مـن بعـد مـا جـاءتهم البينـات، ولكـن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد".

05 ومن اللائق بكل مسلم أن يؤمن بأن العاقبة للمتقين، وأن الخذلان والهزيمة لأهل الكفران والطغيان، قال عز وجل " فاصبر إن العاقبة للمتقين"، وقال " فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين".

06 وجدير بالمسلم أيضاً ألا يغيب عنه أن النصر من عند الله القوي العزيز، الكبير المتعال. هذا هو التصور الحقيقي للنصر، أما القوة المادية فما هي إلا أسباب وقد

تصيب وقد تخطيء " وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم"، "وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ".

ومتى وجد هذا اليقين عند المسلمين، وبذلوا ما استطاعوا من أسباب مادية، فإن الله تعالى ناصرهم بفضله وقدرته.

وأما الوصايا التي نتقدم بها إلى إخواننا الصامدين في أرض العراق، فنوجزها في الآتي:

01 نوصيكم بصدق التوكل على الله والاعتماد عليه والاستعانة به، وطلب المدد والنصر منه، فكفى بالله وكيلاً، وكفى به معيناً ونصيراً . وما أحسن وصية نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم– لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما "يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف".

02 ومما هو لائق بكم – وأنتم تعيشون هذه الظروف– أن تحسنوا الظن بربكم سبحانه، وأن تثقوا بنصره وإنفاذ وعده، وأنه ليس من سننه خذلان عباده الصادقين " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"، وفي الحديث الصحيح " أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني".

03 أن يكون هدفكم الأعلى والأسمى دائماً إعلاء كلمة الله تعالى، وليس شيئاً آخر . فهذا هو المقصود من الجهاد المشروع في الإسلام ولا شيء غيره.

ومن العبث بالنفس وبالإنسانية أن يخاطر الإنسان بنفسه، ويضحي بماله وما يملك في سبيل غايات دنيئة ومتواضعة، من تلك شعارات القومية والوطنية والحزبية. وإذا صح أن تصدر هذه الغايات، من قبل أهل الجهل والظلم والكفر،فإن المسلم يجب أن يتعالى على مثل تلك الغايات ويسمو بنفسه إلى مستوى رفيع ينشد الحق والعدل ورضا لله والجنة.

وحينما سُئل نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام– عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل حمية ، والرجل يقاتل ليُذكر، أي ذلك في سبيل الله؟ قال كلمته الجامعة (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

04والذي ينبغي علينا وعليكم جميعاً في ظل هذه الظروف أن نلهج إلى الله ونلح عليه بالدعاء بالنصر والتمكين من العدو فهذا الموطن فمن يستجاب فيه الدعاء كما قال سبحانه " أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض".

05 ونحن إذ نقدر صعوبة الظروف التي يعيشها أبناء العراق قبل الحرب وأثناءها؛ نتمنى عليهم أن يكونوا لحمة واحدة في سبيل نصر الحق، وقمع الباطل، وتصحيح الأخطاء السابقة، وإذا وجدت العزيمة الصادقة نحو هذه الأمور فعند ذلك ستكون من عوامل النصر بإذن الله.

06 ولهذا ندعو الشعب العراقي إلى توحيد الصف، ووحدة الهدف، والوقوف بحزم ضد الاستعمار والاحتلال، مهما كانت شعاراته ومهما كانت وعوده ، وتذكروا قول الشاعر العربي:

إن الأفاعي وإن لانت ملامسها ... ...

عند التقلب في أنيابها العطب

ومتى كانت أمة الصليب تعرف الوفاء بالعهود، أو تعرف الرحمة بالشعوب المستضعفة.

لقد تجاهلوا قوانينهم الدولية التي ترعاها هيئة الأمم المتحدة، وتجاهلوا ما يسمى بالأعراف الدولية، فكيف يصدقون مع قوم لا يعيرون لهم اهتماماً، ولا يقيمون لهم وزناً – أعني العرب والمسلمين عامة – .

07 وقد يتساءل البعض ممن يتحرى طلب الحق والعدل من أهل العراق، ما موقف المسلم من هذه الحرب؟ هل يقف في صف القيادة العراقية (البعثية)، أم يقف ضدها فيتحالف مع أمريكا؟ أم يقف على الحياد؟ والذي يبدو واضحاً أن المسلم وهو يرى هذه الهجمة الصليبية الشرسة على العراق، لا يسعه إلا أن يقف صامداً في وجه هذه الهجمة ، وأن يقاتل بكل ما يستطيع في سبيل دينه وأمته وبلده، ولا يجوز للمسلم أن

يقدم أي خدمة لهذا التحالف المعتدي، لما في ذلك من موالاة العدو ومناصرته ضد الأمة المسلمة، ولما فيه من الخيانة لهذه الأمة العزيزة، بل الخيانة لله ورسوله.

وأما التعاون مع حزب البعث، فنرى أنه يجوز منه ما يحقق مصلحة البلاد، ويدرأ عنها هذا الشر الجسيم، لكن لا يجوز للمسلم أن يكون عضواً فاعلاً في هذا الحزب، يأتمر بأمره وينتهي بنهيه .

أما أن يكون المسلم حيادياً في هذه الحرب؛ فهذا فيه خذلان للشعب العراقي، وتشجيع للغازي المعتدي، لأن ذلك هو غاية ما يريد من أجل سرعة سقوط العراق في يده.

08 ومن الكياسة أن يتأمل في دوافع هذه الحرب ومغازيها، وألا نأخذ كلام الخصم ودعاويه على ظاهرها .

إن أمريكا تدعي – حين حشدت لهذه المعركة– بأنها تريد تطهير العراق من النظام الدكتاتوري، وتنقذ شعب العراق من ظلمه.

ولو كانوا صادقين فأين هم من الأنظمة الدكتاتورية المتسلطة في عدد من دول العالم، وما الذي جعل العراق هي الضحية الأولى من بين الدول العربية؟ بل أين هم من هذا النظام منذ أكثر من عشرين سنة؟!، قد يقول كثير من المحللين والمفكرين إن أمريكا إنما تقاتل من أجل مصلحتها.

ونحن نقول نعم من أجل مصلحتها، ولكن هل هذه المصلحة هي النفط فقط كما يقال حديثاً؟ أم هي المصالح الإستراتيجية في المنطقة؟ أم هي مصالح غير محددة؟ الحق أن مصالح أمريكا متنوعة، منها مصالح مادية، ومصالح سياسية، ومصالح فكرية وهذا النوع من المصالح - ونعني المصالح الفكرية– من أهم المصالح والمقاصد لهذه الحرب، أي أن لها أبعاداً دينية وثقافية وحضارية.

وهذا أمر لا يمكن أن يفصل عن السياسة الأمريكية فهي دولة غربية، وتعتمد فلسفتها على أمرين يبدو في ظاهرها التناقض هما: العلمانية والنصرانية، ولكنها استطاعت أن تمزج بينهما.

ولعل ذلك ما جعل الحكومة الأمريكية تعلن –بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر– أن الحرب على ما يسمى بالإرهاب قد تمتد عشر سنين، وأنها ستكون حرباً صليبية.

============

العمل الإسلامي: مرحلة مجتمعية

من النخبوية إلى المجتمعية ومن الهرمية إلى الشبكية

إبراهيم غرايبة 1423/12/23

2003/02/24

بدأ العمل الإسلامي والنهضوي فرديا ثم تحول إلى مؤسسي، والمطلوب اليوم أن يتحول من النخبوي والتنظيمي إلى مجتمعي تؤديه الأمة كلها، فالتحدي هنا أن تقوم المؤسسات والحكومات والجماعات بنقل الخبرات التي لديها إلى المجتمع كله، وأن تشاركها الأمة المسؤوليات والأدوار والأعمال، وهنا تؤدي الشبكية إلى ربط الأعمال وتنسيقها، وسد الثغرات، ودعم الحلقات الضعيفة وتقويتها.

ونشاهد اليوم لدى الأمة الكثير من المظاهر والإنجازات التي تدل على إمكانية نقل الدعوة والإصلاح والهم العام من نخبة إسلامية في أعلى هرم الأمة إلى الأمة كلها، فالمساجد اليوم تمتلئ بالرواد من الناس الذين لا ينسق وجودهم في الصلوات والدروس جماعة ما كما كان الأمر قبل عشرين سنة أو أكثر، حين بدأت الصحوة الإسلامية بالنمو والانتشار، ولكن الإقبال على المساجد حالة مجتمعية عامة، والأمر نفسه ينطبق على رحلات الحج والعمرة والحجاب والأشرطة الكاسيت والإعلام وغيرها من البرامج التي بدأت نخبوية تقوم عليها وتنسقها جماعة إسلامية منظمة وصارت اليوم حالة مجتمعية عامة.

وامتدت الصحوة الإسلامية إلى دول وأقطار ليس فيها وجود لجماعات إسلامية منظمة، كما شملت فئات من المجتمع ليس من بينها في العادة من ينتظمون في الجماعات الإسلامية.

وقامت مؤسسات استثمارية تجارية لا علاقة لها بحكومة أو جماعة مستمدة أساساً من إقبال الناس ورغبتهم بتطبيق الشريعة الإسلامية، مثل البنوك الإسلامية التي تزيد موجوداتها على المائة وخمسين مليار دولار، وشركات التأمين الإسلامية.

ويقابل هذه الحالة صورة أخرى مردها إلى عدم رعاية الصحوة الإسلامية وترشيدها واستثمارها على نحو إيجابي، ونعني التطرف والتدين المنقوص المشوه والإرهاب

المنسوب إلى الإسلام، ولا نقلل من شأن هذه المشكلات، ولكننا نعتقد أنه يمكن تحويل هؤلاء المتدينين إلى أعمدة في الإنتاج والإصلاح والاستقرار بدلاً من استدراجهم ليكونوا أعداء لبلادهم، ومصدر إعاقة للنهوض والتنمية.

فأبناء الصحوة الإسلامية والمتدينون أغلبهم من المتعلمين والمثقفين الذين تخرجوا من الجامعات في بلادهم وفي الدول لغربية المتقدمة، هم يرون في الدعوة الإسلامية مصدر حراك للمجتمع يصلحه وينميه، ويمتلكون رؤى برامج في الإصلاح يتحمسون لها، فالتدين يعطي الدافع والحماس لمشروعات حياتية وتنموية تقلل كثيراً من تكاليفها وتجعلها منسجمة مع ضمائرهم وتطلعاتهم.

إن الحكومات والمؤسسات يمكن أن تجد في الدعوة الإسلامية مورداً كبيراً لو استثمر استثماراً صحيحاً، فإنه سيخفض كثيراً من النفقات والجهود المبذولة مع فاعلية ونجاح أكبر في تحيق الأهداف، وبخاصة في مكافحة الجريمة والإدمان والتفكك الأسري، وبرامج العمل التطوعي، والتعليم المستمر، وتأهيل الأسر والمجتمعات المحلية وبرامج البلديات والنقابات، وغير ذلك كثير مما يمكن تفعيله، والحصول على أفضل النتائج بأقل التكاليف.

ويقدم تقرير "الحالة الدينية في مصر" الصادر عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية مداخل متقدمة و مهمة لفهم حراك المجتمع العربي وتفاعلاته، وبخاصة أن مصر تمثل قلب الوطن العربي وبارومتر حياته العامة والسياسية.

لقد أصبح موضوع العلاقة بين الدين والحياة العامة أهم الموضوعات التي شغلت بها دراسات العلوم السياسية في الجامعات ومراكز البحوث والدراسات والمؤتمرات والندوات فضلاً عن الصحافة والإعلام، وقد كانت معظم الصراعات والحروب في السنوات العشر الأخيرة يشغل الدين موقع القلب فيها، وكانت الدراسة الشهيرة لـ "صمويل هنتنغتون" عن صراع الحضارات التي نشرت في مجلة الشؤون الخارجية الأميركية قد أثارت جدالاً واسعاً لم يتوقف حتى اليوم.

إن النظرة العلمية إلى الحالة الدينية يجب ألا تستغرقها ظاهرة الأصولية الإسلامية، فقد تنامت أيضاً الأصولية المسيحية واليهودية وربما الأصوليات الأخرى، كما بدا واضحاً في الانتخابات الهندية حيث نجحت الأصولية الهندوسية أكثر من أية فترة

سابقة، وحتى الأصولية الشاملة لا تمثل إلا جزءاً قليلاً من الظاهرة الدينية، إذ إن المؤسسات الدينية التقليدية كوزارات الأوقاف والأزهر في مصر والكنائس تؤدي دوراً متنامياً في الحياة العامة.

والعودة إلى الدين تحولت إلى ظاهرة اجتماعية، قد تكون مسألة الفنانات المتحجبات واحدة من تجلياتها الإعلامية التي امتلكت دوياً إعلامياً ولكنها تتعدى ذلك إلى أوساط اجتماعية عديدة، ويلاحظ في مدينة عمان كيف تنتشر مساجد في أحياء مقتصرة على الأغنياء، تمتلئ بالمصلين في جميع الأوقات، ولعل من أطرف المشاهد في هذه المساجد هي مجيء نساء غير محجبات للصلاة في هذه المساجد، وربما يكون هذا الاتجاه يحمل بعداً نفسياً وسلوكياً للبحث عن الشخصية والهوية وعن توازنات نفسية وثقافية جديرة بالبحث والتفكير.

ولكن من أهم ما يجب الالتفات إليه في فهم الظاهرة الإسلامية بشكل خاص والدينية بشكل عام هي التحول المجتمعي الذي يجري في العالم العربي والإسلامي، وكيف انتقل الهم النهضوي والإصلاحي من عمل فردي بدأ في القرن التاسع عشر أو ما قبله بقليل، أو في بدايات القرن العشرين، ثم تبلورت المشروعات الدعوية والإصلاحية في حركات وجماعات إسلامية كجماعة الإخوان المسلمين، والجماعة الإسلامية في دول القارة الهندية، وحزب الرفاه في تركيا والجماعات السلفية والصوفية.

وما يحدث اليوم هو تحول في التدين والعمل الإسلامي من كونه عمل جماعات وحركات إلى عمل مؤسسي ومجتمعي تؤديه الأمة بأسرها، وقد يضلل أفهامنا ويستدرجنا إلى مواقع غير صحيحة ذلك التناول الإعلامي الذي يتعامل مع الظاهرة الإسلامية باعتبارها فقط عملاً حركياً منظماً تنسقه جماعات إسلامية بعضها معتدل وأخرى متطرفة دون ملاحظة تذكر لدور المجتمع أو المؤسسات الرسمية والأهلية.

ويمكن التقاط مجموعة من التعاملات المؤسسية والاستثمارية مع الظاهرة الإسلامية بعيداً عن عمل الجماعات والحركات الإسلامية، مثل البنوك الإسلامية، وقد أنشأ مؤخراً البنك العربي أكبر وأهم البنوك العربية بنكاً إسلامياً "البنك العربي الإسلامي الدولي" وشركات التأمين الإسلامية، وشركات الحج والعمرة، والمحلات التجارية

المرتبطة بالسلوك الإسلامي كالحجاب والكاسيت، والأمر يتعدى الملاحظات السابقة بكثيـر إذا أعـدنا النظـر والتفكيـر فـي دور وزارات الأوقـاف والمسـاجد والجامعـات والمـدارس ومحطـات الإذاعـة والتلفزيـون والإنتـاج السـينمائي والتلفزيـوني فسـنجد أن جهوداً كبيرة تبذل للدعوة الإسلامية وينفق عليها مئات الملايين، وهي أعمال ستؤدي مراجعتها وإصلاحها إلى حالة حضارية متقدمة.

ويسجل مركز الدراسات السياسية ملاحظات واستنتاجات مهمة متعلقة بدراسة الظاهرة الإسلامية، منها أن الدراسات الأكاديمية والصحفية كانت معنية أكثر شيء بسياسات الحركة الإسلامية تجاه الدولة أو دراستها كحركة اجتماعية، وركزت هذه المعالجات علـى ظـواهر العنـف السياسـي دون غيرهـا، ويمكـن القـول مـع قـدر مـن التحـوط إن الدراسات في هذا الحقل ما تزال تقع في دائرة العلوم السياسية، ولم توظف مناهج علم الاجتماع أو التحليل الثقافي.

ومـن هنـا فـإن الظـاهرة الإسـلامية تفتقـر إلـى المعلومـات الدقيقـة الشـاملة، ولا تـتلاءم دراساتها مع طبيعة الظاهرة ولا مع فهم المجتمع، وتحكمها صورة نمطية يغلب عليها السجال والهجاء والشغل بما يسمى "الإسلام السياسي"، وتعاني من العمومية والتكرار ولا تستند إلى ممارسة تحليلية عميقة.

حالة الانبعاث الديني لا تقتصر على العالم الإسلامي، فالعالم كله يشهد بعثا دينيا يؤثر على الحياة العامة والثقافة، ويعيد تشكيل الدول والمجتمعات، فإلى جانب العالم الإسـلامي حيث تمثـل الحركـة والاتجاهـات الإسـلامية القوة الشـعبية الفاعلـة والغالبـة، تقـوم فـي أوروبـا صـراعات دينيـة قوميـة مثـل الكـروات والصـرب، الصـرب والبوسـنة، الصرب والألبان، والكاثوليك والبروتستنت في إيرلندا، وتحتل الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة مكانة مؤثرة في الحياة السياسية والعامة، وينسب إليها نجاح الرئيس الأمريكـي بـوش وبرامجـه ومواقفـه، وتمتلـك شـبكة واسـعة مـن الكنـائس والجامعـات ومحطات التلفزة والشركات والجمعيات، وفي الهند تغلبت الأصولية الهندوسية على حزب المؤتمر العريق الذي ظل يحكم الهند منذ تأسيسها، وفي أمريكا اللاتينية قام دعاة التحرر من رجال الدين الكاثوليكي بمحاولات للإصلاح الاجتماعي والسياسـي، مثـل مـؤتمر مـدبللين للأسـاقفة الكاثوليـك عـام 1968، ومـؤتمر يوبليـا عـام 1979،

وكانت الكنيسة في أوروبا الشرقية أهم خصم سياسي للشيوعية ولعبت دوراً مهماً في إسقاطها، وفي سيريلانكا يدور صراع بين البوذيين "السنهال" والهندوس "التاميل"، والصراع بين المسلمين والهندوس في الهند لم يتوقف، وفي الصين أخذت انتفاضة المسلمين بُعداً جديداً، حيث تقوم الحكومة الصينية بإعدام العشرات منهم بعد أكثر من نصف قرن من التعايش المعقول نسبياً، وهي أحداث تمثل نموذجاً وليست شاملة، وتدل على القوة الكامنة للدين، كما تكشف ضعف العديد من الأمم والدول.

إن الدولة ظاهرة حديثة جداً، ولم تكن الدول السيادية في مطلع القرن العشرين تتجاوز العشرين دولة، لكنها اليوم حوالي مائتا دولة، أي أنها تضاعفت خلال مائة سنة عشرة أضعاف، وهي اليوم تواجه تحدياً حقيقياً يهدد مصيرها واستمرار سيادتها وطبيعتها ووظائفها، وتقدم الحركات الدينية في معظم أنحاء العالم شعوراً جديداً بالهوية والانتماء وتجمع مساعي الشعوب نحو الإصلاح وحياة أفضل، بعدما فشلت معظم الدول والحكومات في تحقيق الرفاه لمواطنيها.

وقد أضافت العولمة وتقنيات الاتصال فرصاً وتحديات جديدة، حيث بدأت الدول تتخلى بسرعة عن كثير من وظائفها وسيادتها لصالح الشركات والمجتمع الأهلي أو للقوى والمنظمات الخارجية كالأمم المتحدة، وحلف الأطلسي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية أو للشركات العالمية الكبرى التي تحولت بسرعة فائقة إلى دول وإمبراطوريات عملاقة.

يرى "جون اسبوزيتو" الأستاذ بجامعة جورجتاون أن مشروعات ووعود النخب السياسية بالتنمية وحياة أفضل لم تتحقق، وارتبط هذا الفشل بالعلمانية، وكان المشهد الذي آلت إليه الدول والمجتمعات يدعو إلى ردود فعل عكسية وغاضبة وبحث عن وسائل وأطر أخرى للإصلاح غير تلك التي سادت طوال هذا القرن، حيث تكونت مجتمعات تستفيد فيها أقلية ضئيلة عدداً من كل مزايا الحضارة الحديثة، وترزح الأغلبية في بؤس وفقر، وكان هذا الغنى الفاحش والفقر المدقع على درجة من التجاور والاحتكاك، تؤدي إلى المواجهة المستمرة.

ويقدم ممثلو الحركات الدينية أنفسهم على أنهم سيحققون مجتمعاً أكثر أصالة وعدالة اجتماعية، ويدافعون عن الفقراء والمضطهدين، وقد جذبت هذه الحركات مهنيين

ومثقفين وأساتذة وعلماء تخرجوا من أفضل الجامعات وأهمها في بلادهم وفي أوروبا وأمريكا، كما تستخدم بفاعلية التقنية الحديثة ووسائلها الإعلامية في التأثير والاتصال على نحو يبشر بمهارة قيادية وتقنية تؤهلها لقيادة المجتمعات والدول.

فالمجتمعات تبحث بحرقة عن أصالتها وهويتها، ولا يكفي القول إن الفقر والبطالة والتهميش هي الأسباب الوحيدة المحركة للبعث الديني، وسيظل الدين والثقافة لها وزنها في التنمية.

وقد عرضت مجلة اليونسكو في أحد أعدادها صورتين متجاورتين ومعبرتين، في الصورة الأولى ترقص مجموعات من الهنود الحمر بملابسهم التقليدية، وفي الصورة الثانية يقف آلاف الروس في طابور طويل ينتظرون فرصة الدخول إلى مطعم مكدونالدز للوجبات السريعة، والصورتان ضمن حوار مع المفكر الهندي "سميتو كوتاري" أحد اثنين أسسا مركز لوكايان لتعزيز التبادل بين المثقفين في الهند والعالم، حيث يعرض كوتاري في ذلك الحوار أنماطاً وأمثلة مما يجري في العالم من سلب ممتلكات الآخرين المادية والمعنوية دون مراعاة واعتبار للعلاقة بين الدين والثقافة وبين التنمية، فقد أدى استخراج الموارد الطبيعية إلى تهميش الملايين في تلك المناطق وضياع هويتهم الثقافية.

وفي الهند تمتلك 42 عائلة أكثر مما يمتلكه 150 مليون مواطن هندي، والشاهد في الأمثلة ليس فقط في الفجوة المتسعة بين الفقراء والأغنياء، ولكن في انقراض أفكار وثقافات كانت تحقق للناس قدراً كبيراً من احتياجاتهم كالزراعة والبناء وفق النظام التعاوني، فيستطيع الناس أن يحصلوا على بيوتهم وأقواتهم بمجهودهم دون نفقات مالية، والتدمير الذي حدث ليس فقط في النظام الاقتصادي، ولكن الثقافة المصاحبة لهذا النظام تعرضت للانهيار.

إن الحكومات والمؤسسات الأهلية تمتلك في الدين مورداً كبيراً، لو استثمر بشكل صحيح فإنه سيخفض جزءاً كبيراً من أعباء الناس الاقتصادية والاجتماعية، وتستطيع الحكومات لو أرادت أن تحول المتدينين من أعداء لمجتمعهم وبلادهم إلى أعمدة مهمة في الاستقرار والإنتاج

============

#أمة على كف صدام

أنور العسيري 1423/11/23

2003/01/26

بين العهد العمري –الذي قاد بإذن من الله شعاع الإسلام إلى أرض العراق، وبين العهد الصدامي الحديث– بون شاسع ومسافة كالفضاء لا تقطعها الأزمنة ولا الأمكنة، بون بين صناعة الحضارة على قاعدة النور الإسلامي وبين صناعة الهزيمة على قاعدة تنظيرات اللادينيين على مساحة الكرة الأرضية الشاسعة، بون بين معنى الرجولة الحقيقية التي أرسلت أفواج "سعد بن أبى وقاص" تدك معاقل الكفر، وتزرع الإسلام بساطا من نور، وبين رجولة صدام الحاكم بهوى نفسه، الذي قاد شعبه المسكين والمنكوب منذ فجر التاريخ الدموي لأرضه العذراء، إلى مهالك سماها معارك من أجل انتصار منطق العمالة الموحد على امتداد جغرافية الأنظمة السياسية الحاكمة في أرض أمتنا المباركة، وصل الإسلام –بفضل الله– ثم بفضل الرجال من قادة أمتنا– إلى العالم، وواصل فعل البعث العراقي مسلسل التدمير الذاتي للعراق إلى آخر لقطاته، لنرى هذه المرة أيموت الشعب من أجل انتصار البطل، أم ينتصر الشعب من أجل انهزام البطل ؟

انشطار في الفهم، وتعامٍ عن دور الحق، وقمع للنور وكبت للشعوب كان من نتائجه أن استنسخت من رحم صدام السلطة عشرات الأشكال، فتوزعت صورته في أنحاء الإدراك العربي المسلم لتجعله نموذجا حقيقياً لحالات صدامية تقبع في صدورنا منذ سنين، لا تريد التخلي عن مواقعها القيادية ولا تريد أن تتيح للآخر فرص التعبير والتغيير، ولا تملك مشروعا قابلا للفهم أو التطبيق، لكنها –على أي حال– تملك مشروعا شعريا سلطويا مادحا مصفقا مطبلا راقصا فنانا راكلا معبرا عن هم كرة وعن واقع إبداع المهرولين، بين هذه المشاريع المختلفة المتفقة بين مشاريع سلطوية اجتمعت مئات المرات، ولم تتفق على أي شيء، ويبدو أنها لن تتفق إلا على تمسكها بحقها في العيش على هرم السلطة، وبين واقع عالمي يقظ متوثب طامع مبهر متجاوز، يرفض الصغير ويحتقر الضعيف.

فمن يصدق أن إرهابيا مثل "نتنياهو" لم يصلِ لأنه ابن لعائلة فلان، بل لأنه رجل يفكر لدولته، وهاهو كتابه بين يديّ يرسم تصورا عميقا مفكرا لمستقبل دولته، أما نحن فنؤكد أن الكثير منا لم يعرف من العلم إلا قليلا ولم يقرأ إلا ما مدح به، ولم يدرك إلا ما صاح به مستشاره الغربي، أو ما أدركه منذ نعومة أظفاره، من أن الحركات الإسلامية خطر على كيان الدولة، أو فلنقل على كيان الكرسي!

إن خطورة المرحلة القادمة في نظر العقلاء ليست في اقتلاع صدام؛ لإبداله بصدام مناسب للهوى الأمريكي الجديد، إذ إن هذا الأمر لا يعدو كونه إفرازاً طبيعيا لمدخلات فاسدة لوثت الأمة، فأنتجت هذا الكم الهائل من الذل، لكن الخطر الحقيقي في هذه المرحلة هو في هذه القرارات التي تساق منذ زمن لتغير مجرى حياتنا كمجتمعات، فتقذف بنا من هوى سلطة لهوى سلطة أخرى دونما نظر لهذا الإنسان(الغلبان)، الذي يلتحف الليل في زنازينهم. المعادلة الصعبة التي باتت أكثر انفعالا وإثارة هي الجريان المثير لسلسة غير محدودة ومتوالية غير مضبوطة من القرارات المصيرية دونما إدراك من المواطن الإنسان، وكذا انفلات عقال الهموم التي ترسلها قرارات الفوقية الحاكمة في أمتنا، والبركان الثائر أراه قد نثر أولى ثماره، تتلقفه الأيادي المسلمة في كل مكان وعيا بخطورة ما يقودنا إليه القائد العربي الذي استسلم تماما لكل ما تفرضه الشرعية الدولية، ونسي أن يرضخ لشرعية الله ودستور القرآن فينهل من معينه؛ ليغذي قراراته الفردية، وينضج قدرتها على الصمود في عالم تحكمه القوة والمصلحة والرغبة في المنافسة على زمام القيادة الحضارية للعالم .

أمة على كف رجل مصيره الفردي قد لازم مصيرها، وعبثه الشخصي قد أدار مفتاح انهيارها! ياله من مصير مضحك مبكٍ، و أمر يبدو في عالمنا اليوم قليل الحدوث إلا في المنطقة المحكومة بلغة الضاد، فرد يستطيع أن يحيل أمة بتاريخها وحضارتها إلى سراب، يبيح لنفسه وأبنائه ميراثها يبعث في شعبه حق التهليل والتصفيق والمدح، في وقت فتحت في العالم كله مغاليق الاستبداد فانفجرت شلالات الإبداع تقود أمما كانت في عصر حريتنا الإسلامية المضبوطة على بساط الدين بؤرا للجهل وملاذا آمنا للغوغاء، تشبث بأسلوب الحكم المبعد لكل قوى المجتمع المدني الحر أتاح لأمريكا التي تهرول بإعلامها القبيح فرص التباكي على حال المرأة العربية والمسلمة

وادعاء اهتمامها بحاجة شعوب منطقتنا للحرية والديمقراطية والتربية والتعليم، مثلهم مثل المواطن الأمريكي، وهي بذلك لا تعلم أو هي تعلم، ولا تريد أن تعي حقيقة أن منشوراتها الإعلامية التي أرسلتها وترسلها علينا وعلى شعب العراق عبر طائراتها؛ لتبشرنا بمستقبل مشرق يتلو قدوم الكوبوي الأمريكي على ظهر طائرته المثيرة للألم قد باتت لعبة خارج إطار الزمن وأن الشعب المغيب عن العالم قد استطاع أن يقرأ في تيار المعرفة المتدفق أولى خطوات نصره المحتم بإذن الله ومن هنا وجب التأكيد على أن تنادي العقلاء من أمتنا اليوم إلى استيعاب خطر المرحلة ليس مجرد تنظير فلسفي بل هو عمل ملح، إذ المواجهة اليوم أصبحت –وبلغة الواقع على المكشوف– فأمريكا اليوم لم تعد تبالي بهده النوعية الصدامية بعد أن تحولت رغبتها لاستنزاف الشعوب إلى نوعية حاكمة أكثر جرأة في إعلان الخيانة، فهي تبحث عن نمط يضيف لقيمها بعدا جغرافيا جديدا من التمكين، ويساعد على تهيئة إسلام على الطريقة الأمريكية يعد بوابة رئيسة للعلمانية، وهو ما دعت إليه صراحة "مادلين اولبرايت" في فترات سابقة لهذه الأنظمة التي تضع الإسلام ستارا وتخبئ تحت مركبتها عجلة تجاوزه من العمل على تكثيف تحولها للعلمانية لتخرجه إلى النور، ولتصادم بذلك مجتمعاتها علانية وليكون النموذج التركي البغيض هو النموذج الإسلامي الذي تقبله أمريكا، ورغم هذا السباق لقلب قاعدة المجتمعات الإسلامية، فأمريكا لا يمكن لها أن تغفل دور الحركات الإسلامية الشعبية، والتي–ورغم كل هذه الخطط والمناوشات السياسية والترهات الجدلية بين الحكام وأمريكا– مازالت مدركة لأطماع العدو، مستفيدة من قربها من كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هنا تكمن حراجة الموقف الأمريكي، والذي سيواجه اليوم في دخوله لأرض الإسلام موجات الحركات الإسلامية الشعبية الرافضة شرعا لوجوده المحتل، والتي وجدت سندا شعبيا جارفا جراء التهور الأمريكي تجاهها، ومحاولة إرغامها على القبول بالموقف الغربي الحضاري نموذجا ورؤية للحياة بشكل سافر لم يشهد التاريخ له مثيل من قبل، وقد يكون هذا التنامي للطموح الأمريكي على أية حال أمر في صالح المجتمعات المسلمة المنتفضة ضد الظلم، فهذا النوع من التغيير الهيكلي والذي يستهدف بنية أمة بذاتها لايمكن له أن يتم عبر ضربات خاطفة هنا أو هناك،

بل يحتاج إلى بسط سيطرة زمانية ومكانية تسمح بتغلل هذه الأفكار ومواجهتها لقيم الأصالة الساكنة في صدور أمتنا، وهذه النوعية من الهيمنة الممتدة ستعطي للأمة إمكانية التقاط الأنفاس وفرص إعادة البناء -ولو على عجل- لمواجهة مهمة في تاريخ عودتها إلى النور .

إن توتر الوضع يزداد كل لحظة، وأمريكا التي باتت تؤمن أكثر من أي وقت مضى بقدرتها على تجاوز الجميع، وفي الوقت نفسه بخطورة الوجود الإسلامي الحركي والسياسي المنادي بحكم الله في الأرض، ستسعى -إن فشلت في إيجاد مبرر يلف العالم تحت عباءة تأييدها، لتدك معاقلنا جوا وبرا وبحرا- إلى العودة الى ألف باء السياسة الأمريكية من خلال تطبيق نظرية (فرق تسُد) وذلك عبر زرع بذور الشقاقات والخلافات والدعم غير المحدود، لكل من يحقق مصالحها في خلخلة الاستقرار في المنطقة البترولية الاستراتيجية لها وللعالم، مما يوجد في ذلك الوقت المبرر الصالح لتكثيف وزيادة حجم وجودها وتمركز قواتها الزاحفة بمئات الآلاف صوب منطقتنا الآمنة .

إن الخطر الذي نعلنه اليوم هو في ذات الوقت فرصة قد لا تتكرر لهذه الأمة، فلقد كتب الله لها مواجهة مباشرة مع عدوها، متجاوزة بذلك كل إسقاطات السياسة العمياء المتوارية خلف سحب الغفلة والانتهازية والمصلحية الفردية الضيقة، ومواجهة كهذه تستلزم رصا للصفوف من نوع جديد لم تعهده الأمة منذ سنين، و بعث لروح الحوار في تنظيماتنا الشعبية الإسلامية الدعوية والسياسية، وكل الأفكار الملتقية في طريق النور، وهذا يتطلب ارتفاع النخب الإسلامية على خصوماتها الحزبية والمتسربة من بيئة الفردية التي تحياها في مجتمعاتها حتى تستطيع معالجة مشاكل الأمة، فالتقاء علماء الأمة ورجال فكرها وثقافتها أهل الإدراك والحكمة لينسجوا رؤية شمولية متكاملة لواقعنا اليوم، وليضعوا الإنسان العادي قبل الحاكم المنهزم أمام مسئوليته الشرعية و التاريخية أمر لا يحتمل التأخير، إذ لا مبرر للصمت بل لتجاوز التفكك وصناعة اللقاء وترك كل دعاوى الحوار مع الآخر، ولو مؤقتا والتركيز الفوري على نشر فضيلة الحوار مع الذات أول؛ا حتى نتمكن من فهم أنفسنا وتقوية إمكاناتنا وتجميع عناصر قوتنا، ومواد فهمنا للأشياء من حولنا، فنتخذ المواقف التي ستجد

جمهورا يحملها على أكتافه وخطوة كهذه ستكون –ولا شك– محسوبة ومتصدرة ومتوثبة في أوراق صانع القرار الأمريكي، فعهد صدام الفرد قد انتهى، عهد انتحار تاريخ برحيل رجل، قد ولى عهد انكسار عزة لانكسار رجل، قد تلاشى عهد الخنوع لذلك الفرد، واليوم عهد الإسلام يحتاج رجالا يحملونه، وعقولا تدركه وسواعد تستقبله، ومراكز تدرسه وملتقيات تخرج أبناءه فتثيره للعالم سنا عزة.

وأخيرا :

فالإسلام لم يدخل منذ سنين في واجهة الصراع مع العدو بفضل محاولات القوى السياسية العلمانية العربية والغربية على حد سواء لإخراجه من قيادة المسيرة، واليوم تريح أمريكا العالم الإسلامي بفتح باب الصراع على حقيقته وكشف غوامض الكلمات، ومواجهة نور الإسلام مباشرة، وهذا الدخول المباشر للإسلام كطرف رئيس في الصراع سيكون –ولاشك– تحولاً نوعياً وسيهيئ للنخب الإسلامية صاحبة المشروع الحقيقي القابل للتنفيذ إلى أخذ زمام المبادرة، وهي كذلك فقد ساعدت أمريكا من حيث لا تدري على ارتداد الشعوب الإسلامية إلى ملاذها الإسلامي، وذلك بتهجمها السافر على كل ملامحه وتنظيماته وأبنائه في أنحاء العالم، وبات الصراع –ولأول مرة مباشرا– لا يمر– عبر وسيط سياسي علماني الهوى، بل شعب مسلم أمام أمريكا بكل جبروت مادتها، وهو باعث أمل ومحط انتظار لأمل جديد بالانتصار، والمفتاح الوحيد للنصر يكمن في عودتنا الأصيلة إلى منهج الله تعالى منهج الأنبياء منهج العزة، فبه سنسكن قلب الحضارة، وهذا هو شرط الله لتمكين المسلمين، وليدرك الجميع أن قوتنا في عودتنا وأن نهاية الظلم قادمة، وأن النظر إلى المادة دون غيرها في حسم الصراع أمر لم تعهده كثير من معارك المسلمين، والثورات الشعبية في التاريخ ضد كل غاز عنيد.

============

وحدة الأمة بديلا عن الوحدة الوطنية لمواجهة الغزو الأمريكي القادم

كمال حبيب * 1423/11/12

2003/01/15

يشير مفهوم الوحدة الوطنية إلى لحظة استثنائية في الحياة السياسية، تفرض على المختلفين التنازل عن اختلافاتهم من أجل مواجهة هذه اللحظة، فنسمع مثلاً عن حكومات الوحدة الوطنية التي تأتلف فيها أحزاب متباينة في توجهها لمواجهة لحظة خطر، ونسمع عن حركات التحرر التي تتحدث عن الوحدة الوطنية بين الفصائل السياسية المختلفة لمواجهة عدوها المشترك، وبالطبع فإنه بعد انقضاء لحظة الخطر هذه، أو اللحظة التي فرضت الوحدة يصبح من حق كل فصيل أن يستقل عن الطرف الآخر، ويعتبر مفهوم الوحدة الوطنية هنا ذا طابع إيجابي؛ لأنه يفرض على القوى المختلفة المنتمية لوطن واحد أن تتنازل عما يفرقها، وتجتمع على ما يوحدها باعتبار أن الوحدة هي طوق النجاة للطرفين، وأنها مصلحة أكيدة لهما معاً، وكل المجتمعات عرفت هذا اللون من الوحدة الوطنية الإيجابية .

لكن مفهوم الوحدة الوطنية يجري طرحه في سياق آخر مختلف بنوع من المراوغة اللئيمة – في تقديرنا– وهو مجال التنازل عن الانتماء الديني من أجل التمسك بالهوية الوطنية، والمفترض وفقاً لهذا المفهوم أن يتنازل المسلم وغير المسلم في البلدان الإسلامية عن انتمائهما الديني في سبيل التمسك بالهوية الوطنية، وهنا يتم طرح الهوية الوطنية كمفهوم مناقض للهوية الدينية، وفي الواقع فإن المسلم أو غير المسلم لا يقبل أن يتنازل عن هويته الدينية بأي حال من أجل الهوية الوطنية فالدين عنصر حاكم في التكوين البشري والإنساني بل والمجتمعي، لذا فالهوية الوطنية تعمل كما أوضحنا في المجال السياسي الذي يعني جيشاً واحداً وعلماً واحداً ودولة واحدة، أما مجال ما قبل السياسة أو المجال المجتمعي، فإن الدين يبقى يعمل وينشط سواء لدى المسلم أو غير المسلم، وعلى سبيل المثال فإن غير المسلم لن يقبل أن تكون الوطنية دينا بديلاً له تمنعه من تطبيق عقيدته في مجال الأحوال الشخصية والعبادات، كما أن المسلم لن يقبل هو الآخر أن تكون الوطنية بديلاً عن تطبيق عقيدته في المجالات التعبدية والحياتية، أي أن الوطنية التي تصنع من نفسها ديناً بديلاً لن تكون مقبولة لا من المسلم ولا غير المسلم .

الحيلة العلمانية وشعار الوحدة الوطنية

يذهب العلمانيون العرب –وهم في ذلك متأثرون بشكل بائس بالعلمانية الغربية – إلى أن الدين في العالم الغربي كان وراء الحروب الدينية التي أدت إلى قتل الآلاف من المذاهب الدينية المتعصبة ضد بعضها، كما أن الدين هو الذي احتكر الحقيقة عبر رجال الدين في الغرب، ومن ثم فإنه علينا أيضاً في العالم العربي أن ننحي الدين جانباً ونتمسك بهوية مختلفة هي الهوية الوطنية أو القومية، ومعني الهوية الوطنية أي الانتماء للقطر، فمصر يكون أبناؤها مصريين "المسلمون منهم وغير المسلمين" وهكذا السوريون والمغاربة والعراقيون، وهذه الدعوة القطرية الضيقة نشطت في أوائل هذا القرن إبان الاحتلال البريطاني، الذي شجع الاتجاهات القطرية في مصر من جانب آباء العلمانية الأوائل، الذين كانوا مرتبطين بالاستعمار مثل أحمد لطفي السيد وقادة الوفد المصري، ويلاحظ المراقب أن الاستعمار البريطاني وظف مفهوم الوطنية توظيفاً سياسيا لصالح أهدافه في مصر، فلم يشجع الهوية القومية العروبية وإنما شجع المصرية؛ لأن البعد القومي لمصر كان سيوسع من العالم الضيق لمصر إلى ما وراء حدودها، خاصة في فلسطين باعتبارها مسألة أمن قومي، لذا نجد علمانيا مثل طه حسين كان يدعو للمصرية الضيقة ولم يعتبر الصهيونية خطراً، وشارك في افتتاح الجامعة العبرية في القدس، والتي كانت أحد أسس قيام الكيان الصهيويني بعد ذلك .

أي أن الهوية المصرية من منظور علماني هي انتماء المصري لمصريته فقط دون أن يكون لديه أي شعور بما وراء هذا الوطن الضيق، ومن هنا كان الشعار مصر للمصريين، ونحن مع هذا الشعار حين يكون في مواجهة المستعمر البريطاني، لكن حين يكون بمعنى التخلي عن الشعور بالهوية للعروبة وللوطن العربي الكبير، فإنه شعار آثم ويصب في النهاية في مصلحة أعداء الأمة في كل وقت .

لكن نعود مرة أخرى لمفهوم الوحدة الوطنية، بمعنى نزع الطابع الديني عنه، وأن يكون الدين لله والوطن للجميع، أو بمعنى فصل الدين عن الدولة على نسق الخبرة الغربية، لابد من الإشارة هنا إلى الخبث العلماني في نسخته العربية البائسة، فالعلمانية كما طرح البعض هي حركة إحيائية داخل الحضارة الغربية، بمعنى أنها تعود إلى المسيحية في صورتها الأصلية التي تدعو إلى الفصل بين الدين والسياسة

" أي بالتمسك بمبدأ دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر " أي فصل ما للكنيسة ولرجالها عن الدولة التي تم طرحها كإطار يجمع ولا يجزأ في الخبرة الغربية، لكن الدولة لم تلغ الكنيسة، ومن ثم فالوحدة الوطنية بالنسبة لغير المسلم في مصر تعني الانتماء إلي الدولة المصرية دون التخلي عن ممارساته الدينية، لكن المسلم الذي يدعو دينه الإسلام إلى عدم الفصل بين الدين والسياسة سوف يجد نفسه محكوماً بنظام سياسي غير إسلامي، أي لا يستلهم الإسلام كشريعة وكمرجعية في إدارة الشؤون السياسية .
وهنا فالوحدة الوطنية هي حيلة علمانية لإبعاد الإسلام عن السياسة وعن إدارة شؤون الدولة والتي من المفترض أن تكون دولة إسلامية أي محكومة بالشرعية الإسلامية، ولم يظهر شعار الوحدة الوطنية في مصر بشكل واضح إلا في فترة السبعينات، حيث اعتبره النظام الساداتي أحد أسس نظامه خاصة مع تصاعد المطالب الطائفية للجماعة القبطية في مصر مع ظهور البابا شنودة في فترة السبعينات، وتحول الكنيسة من دار للعبادة إلى دولة موازية للأقباط هي التي تقدم لهم الخدمات، وهي التي يتكلم رئيسها باسمهم في مواجهة الدولة وهو ماجعل قطاع واسع من الأقباط يرفض تدخل البابا شنودة في القضايا السياسية باعتباره رجل دين، وتحدث البعض عن هل الانتماء القبطي للدولة أم للكنيسة ؟ كما أن قطاع من رجال الدين الذين جرى تهميشهم من جانب البابا شنودة قاوموا فكرة التدخل السياسي للبابا في الشؤون العامة، وقاد التوظيف العلماني للوحدة الوطنية ضد الصحوة الإسلامية، وضد المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية في مصر لصالح الأقباط التي فجرت أحداث العنف الطائفية في مصر عام 1981م والتي كانت أحد الأسباب التي قادت السادات إلى اعتقالات سبتمبر، فبينما جرى توظيف شعار الوحدة الوطنية في مواجهة الإسلاميين من العلمانيين، استغل البابا شنودة الشعار لطرح مطالب ذات طابع طائفي مثل زيادة عدد الكنائس، والحصول على نسب في الوظائف العليا تساوي نسبة الأقباط، هذا الأمر دفع السادات في بعض خطبه إلى القول " أنا رئيس مسلم لدولة مسلمة " أي أن الكنيسة هي الأخرى استغلت شعار الوحدة الوطنية لصالح مطالب طائفية في مواجهة الدولة، ولم تلتزم بفكرة المواطنة التي تعد المرادف من وجهة النظر العلمانية والكنسية لشعار الوحدة الوطنية .

عودة الطائفية والحديث عن الوحدة الوطنية

ظل شعار الوحدة الوطنية أحد أدوات الاتجاه الاستئصالي العلماني في مواجهة الصحوة الإسلامية والتيار الإسلامي والمشروع الإسلامي، طوال فترة الثمانينات والتسعينات، والتي شهدت أحداث عنف طائفية في مصر بالوجه القبلي وكان أخطرها أحداث الكشح عام 1989م والتي أعطت مؤشرات على خطر عودة الطائفية والارتباط بالقوى الخارجية وإحساس الأغلبية بأنها محاصرة مع شعور الأقلية بالاستقواء بالخارج، وقبل أن ينصرم القرن الماضي بدأت أمريكا تدخل الجانب الديني في سياستها الخارجية، وأنشأت ما عرف بقانون الاضطهاد الديني أو قانون الحريات الدينية، والذي وضع غالب الدول الإسلامية على اللائحة السوداء باعتبارها دولا تضطهد الأقليات وركزت التقارير السنوية التي تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية عن الحريات الدينية على مطالب طائفية للأقباط في مصر، وتكلم آخر تقرير عن اضطهاد الشواذ باعتبارهم أقلية من المنظور الأمريكي، وتوعد هذا التقرير علماء الدين المسلمين أنهم إذا لم يفسروا الدين بطريقة تعبر عن حرية الضمير الديني _أي حق الشواذ في التعبير عن فسادهم – فإنهم سيدخلون تحت طائلة الإرهابيين، وسيتم القبض عليهم في سياق الحملة الدولية لملاحقة الإرهاب من المنظور الأمريكي .

أي أن مسألة الأقليات لم تعد فقط دعما علمانيا داخليا عبر شعار الوحدة الوطنية سيئ الصيت، وإنما أصبحت المسألة تدخلاً دوليا لحماية حقوق الأقليات تحت شعار الحماية الدينية لهم، وظهرت دوائر قبطية للتأثير من الخارج مثل أقباط المهجر الذين يتحالفون مع المنظمات الأصولية الإنجيلية، بل ومع المنظمات الصهيونية لدعم المطالب الطائفية لطائفتهم في الداخل، وبدت الدولة المصرية غير قادرة على مقاومة الضغوط الخارجية وفي الوقت نفسه هي تتحرك في محيط أغلبيته مسلمة، لكنها وتحت الضغوط الخارجية حاصرت مظاهر الصحوة الإسلامية، بل وتعقبت التعبير الإسلامي الطبيعي لعوام الناس، وكان أغرب ما قامت به هو الحديث عن الشروط العشرة لبناء المساجد، أي أن الأمر وصل إلى أن تقوم الدولة بمحاصرة المساجد التي تمثل المتنفس الوحيد للناس، وهو ما لم يحدث في تاريخ الإسلام وفق ما نعرف، نعم عرفنا الشروط العشرة لبناء الكنائس باعتبار أن الدولة غالبيتها مسلمة

وتنظم أمور أقليتها، لكن أن يصل الأمر إلى حد تنظيم بناء المساجد واختفاء شروط بناء الكنائس فهذا مالم نسمع عنه .

وكان مدهشاً في الأسابيع الماضية أن تحدث حادثتان أثارتا جدلاً كبيراً ويعكسان كيف يتم استغلال مفهوم الوحدة الوطنية بشكل ذرائعي ضد الوطن وضد الإسلام، الحادثة الأولي هي :

تصريحات البابا شنودة في نادي الليونز، والتي طالب فيها بضرورة التمثيل النسبي للأقباط في المجالس النيابية، وأنه خشي أن يفسر سكوته من جانب من سأل وهو قبطي على أنه يخشى الحكومة المصرية، وأكد في حواره مع جريدة الأسبوع المصرية المستقلة إنه يتحدث بلسان طائفة من الشعب هم الأقباط، وقال بالحرف الواحد : إنني يهمني مصلحة قطاع معين من الشعب يريد أن ينال حقوقه " وقادت تصريحات البابا الطائفية إلى انزعاج في الأوساط المصرية أن تكون قراءة كاشفة للوضع الدولي الجديد الذي يجري الترتيب له من جانب أمريكا في المنطقة تحت عنوان " الشرق الأوسط الجديد".

الواقعة الثانية هي التدخل الفج للكاتب "مفيد فوزي" في واقعة منع الداعية الإسلامي "عمرو خالد" من الخطابة من موقعه كقبطي وليس كعلماني، واعتباره أن طرد عمرو خالد هو تأكيد للوحدة الوطنية، ووصفه له بأوصاف جارحة ومهينة وهو داعية إسلامي مثل وصفه له "براسبوتين " وأبو جهل وداعية القنوات الفضائية، كما هلل لميرنا المهندس الفنانة المصرية التي خلعت حجابها، واعتبر الحجاب حجاباً للعقل وحائلاً دون الوحدة الوطنية، ودون الوجه العلماني لمصر وقال " بعودة ميرنا المهندس تكون مصر عادت لمصر الوحدة الوطنية، مصر الحضارة، مصر في مواجهة قوى الظلام والغيبيات ودعاة الاسموكن .

وهذه الواقعة الثانية قادت كتاباً في صحف عديدة لاعتبار ماحدث فتنة طائفية لعن الله من يوقظها، وهاجمت هذه الصحف بعنف ما كتبه "مفيد فوزي" وهو ما جعله يتراجع عن تصريحاته بضغوط سياسية .

وحدة الأمة المفهوم البديل

مفهوم وحدة الأمة مفهوم مركزي في الحضارة الإسلامية، وهو يعني شيئيين هما : التعاضد بين أبناء العقيدة الواحدة، بمعنى أن تكون هناك رابطة خاصة بين أبناء الدين الواحد، ثم الرابطة السياسية التي تقبل بوجود المخالفين في العقيدة، وفق عقد يتبادل فيه أبناء الأمة جميعاً الواجبات والمسؤوليات، فالإسلام يقر الرابطة الخاصة بين أبناء الديانات غير المسلمة على المستوى الاجتماعي أي مستوى ما قبل السياسة، فلهم عبادتهم ولهم طرقهم الخاصة في الأحوال الشخصية، ولكن على المستوى السياسي فإن الإطار الإسلامي هو الحاكم دون أن يخل بالحقوق السياسية لغير المسلمين كأبناء للأمة " لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم " أي أنهم جزء من الأمة وليسوا منفصلين عنها على المستوى السياسي، مع تقدير أن الغالبية هي مسلمة وأن قانونها هو الشريعة الإسلامية .

ومثل مفهوم وحدة الأمة بالمعنى الإسلامي أداة حماية غير المسلمين طيلة أربعة عشر قرناً، حتى إن كتاباً مستشرقين اعتبروا العصور الإسلامية هي عصر الصعود الكاسح للأقليات غير المسلمة .

وتبقى مصر والأمة الإسلامية انتماءً لأبنائها جميعا، على المستوى السياسي طالما كان الولاء لهذه الأمة التي محورها الوطن الإسلامي ،

وعلى الأقليات أن تكون واعية؛ لأن قوتها ومستقبلها في أوطانها وليس في يد القوى الخارجية الدولية القادمة والغازية، والتي تريد أن توظف الأقليات لصالح مخططاتها .

إن معيار الولاء للأمة الإسلامية والتي تعني حماية أراضي وبلدان العالم الإسلامي وشعوبه جميعاً في مواجهة الغزوة الأمريكية القادمة، هي العلة الحاكمة بتعبير الأصوليين لمعيار الانتماء، لا فرق في ذلك بين مسلم أو غير مسلم، أين يكون موقف أي فئة أو طائفة أو جماعة هو الذي سيحدد مدى انتمائها لأمتها، كما أنه سيحدد نجاحها أو إخفاقها في اختبار الانتماء والولاء .

* كاتب وصحفي مصري

================

#رسالة إلى عقلاء أمريكا

د. وليد عثمان الرشودي 1423/10/28

2003/01/01

امتلأ العالم بأسره بروح الكراهية للإدارة الأمريكية جراء بغيها وغطرستها وظلمها.

وهذه أسطر أكتبها إلى العقلاء لعلهم يرجعون عن سكرة الغرور وحب الذات إلى تحكيم العقل ورعاية الحرمات.

ومع أن الإدارة تدثرت زمناً طويلاً بدثار العلمانية، ورفعت شعارات الحرية والمساواة وغيرها، إلا أن الأحداث الأخيرة وتداعياتها كشفت عن هشاشة هذه الدعوى، وفتحت مجالاً خصباً للتيارات الدينية المتطرفة لتهيمن على مجريات الأحداث وتوجهات السياسة الأمريكية.

إن شعار (الحرب على الإرهاب) الذي رفعه هؤلاء إنما تم بخلفية دينية واضحة، وكأن الإرهاب صناعة إسلامية أو ابتكار وهابي !

وهكذا تم وصم المسلمين بالتطرف والإرهاب، وأصبحت المظاهر الإسلامية رمزاً للعنف في وسائل الإعلام، وصارت الجمعيات الخيرية الإسلامية في تقييم الإدارة الأمريكية أوكاراً للإرهاب وممولاً للأعمال التخريبية في أنحاء العالم !!

ولست أحب أن أكرر مآسي الظلم الأمريكي الصارخ، في القضية الفلسطينية أو مسألة السودان أو غيرهما.

ولكنني أقف مع تقرير الخارجية الأمريكية حول حرية الأديان، واتهامات التقرير الموزعة على الدول الإسلامية بممارسة الاضطهاد الديني وعدم احترام الحريات.

ونريد أن نسأل الإدارة الأمريكية، ليس عن احترام الحريات الدينية داخل بلدهم، بل : هل تركوا الناس وشأنهم وحرياتهم في بلادهم وليس في بلاد الأمريكان؟ فما بال التدخل الأمريكي في المدارس الدينية، وفي الأسلوب الحياتي، وفي المناهج السلوكية.

- إن على كل إنسان يحب ألا يعتدى عليه ألا يعتدي على الآخرين، يستوي في ذلك الاعتداء الحسي والمعنوي، وعلى كل من ذاق ويلات الإرهاب بجميع صوره الإرهاب الفكري والعسكري ألا يرهب الآخرين؛حتى لا يرهب هو وأن يعامل الآخرين بما يحب أن يعاملوه به وهذا موجود في شريعة الإسلام كما في الحديث ((لا يؤمن

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) وفي القرآن قال تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) (النحل:126) وقال تعالى : (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)(البقرة: من الآية194) (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة:190) .

- إن على من يحب الخير للآخرين أن يمتثل الخيرية في نفسه قبل ذلك، فلا يصح أن ينصح ممول المخدرات الناس أن يدعو التعاطي، كما لا يصح من فاجر أن ينصح الناس بترك الفجور، فالقدوة هي أساس قبول القول والعمل، والسلطة الحقيقية ليست ما ينال بالقوة والحديد والنار، فهذا لا بد أن يلحقه الضرر بنفس سلاحه (ومن قتل بالسيف فبالسيف يُقتل).

فكل دولة سادت الناس بالعدل خلدت وحفظ ذكرها بخلاف الدولة التي سادتها بالقوة والهيمنة .

- إن على من يريد نشر الخير للناس أن يشمل جميع الفئات، ولا يخص فئة دون فئة أو جماعة دون جماعة، فما أقبح الانتقائية فأين خير أمريكا من ايرلندا وأفريقيا والصين وغيرها من البلاد التي تعاني ما تعاني ؟ فلماذا لا تتحرك في رفع الظلم عنهم كما تزعم هي في حبها للخير للناس، أم أن من أوقع الظلم هناك يختلف عمن أوقع الظلم هنا في المصالح المتبادلة وتوزع قوى الهيمنة ؟.

- إن من أعظم الجرائم وأخطرها حينما يُنصب على الناس من لا يرضونه، فإنه بهذا يفتح باب الدماء والشحناء وتنتهك الحريات والأخلاقيات وصوره ذلك في أفغانستان ظاهره اليوم، وربما في العراق غداً، حتى لو ادعوا الديمقراطية وهي ديمقراطية قسرية فرضتها قوة الهيمنة لا المحبة والمنفعة، فما يظنه من يحب الخير للناس أنه جاءهم بالخير فإنما جاءهم بالشر وأهل الدار أدرى بما فيها، فليس لصناع القرار في البيت الأبيض التحكم في البلدان وسكانها بوجهة نظر فردية أمريكية، فإن كل أهل بلد أدرى بما يصلح بها، ولو تُرك أهل العراق ونظامه دون تدخل أمريكا طوال السنوات الماضية لكانت الأمور أفضل بكثير للعراق وأهله وشعبه و للعالم أجمع.

- إن على طالب العدل أن يقيمه على نفسه أولاً، فلا يظلم أحداً، ثم ليطلب العدل للآخرين بعد ذلك، وكل من أقلع عن ظلم فعليه أن يصطلح مع من ظلمه ليكون بذلك قدوة بين العالمين، وأمريكا حتى يضرب لها تمثال العدالة كما عندها تمثال الحرية فلا بد لها أن تُرجع إلى الناس مظالمهم وأعظمها مظلمة هيروشيما التي أبادت بها مدناً بأكملها، وأضافت إلى تاريخها أعظم مجزرة عالمية لم يعرفها التاريخ من قبل، ثم مظلمة فيتنام وألوف القتلى من غير ذنب ناهيك عن جرائم الجاسوسية، ولا أريد أن أعكر الصفو بذكر المظالم على الأمة الإسلامية في فلسطين وليبيا والعراق والسودان وكل بلد من المسلمين نالها شيء من ويلات أمريكا، فيا أيها العقلاء أفيقوا من سباتكم إن أردتم نشر العدل بين العالمين.

لقد علم الجميع أن السدود مع قوتها وصلابتها وتحملها لقوة دفع الماء يتلفها الفأر الصغير، ويعلم الجميع أن الماء مهما بلغ الحاجز الذي يحجزه ثم كان فيه خرقاً لتدافع الماء تجاه هذا الخرق ليخرج منه، وهكذا الشعوب مهما بلغت القوة التي تسيطر وتفرض قوتها عليها فسوف تبحث عن ذلك الخرق، ومتى ما تسلطت أمريكا على شعب من الشعوب فإنه يقوم بواجب المدافعة مهما بلغت تكاليف تلك المدافعة في الأرواح والأموال، ولعل العقلاء يتذكرون شهداء الجزائر وليبيا وغيرهم في وجه المستعمر .

- إن اعتداء ابن عمي علي أحب من اعتداء الغريب، وهذه نظرة عربية معروفة، ولذلك فالتفكير الأمريكي في تخليص بعض الشعوب من ظلم حكامها كما يقولون مرفوض عند مقارنته بحكم الغريب عليهم، إذ مهما يكن من أمر حكامهم فهو أهون عليهم من تولي الغريب عليهم، ولقد ذاقت الشعوب ويلات الاستعمار ورأت خاتمته في أفغانستان .

- معاشر العقلاء إن من أحب أن يعيش في سلام فعليه أن يحترم اختيار الآخرين وها هي اختيارات أمة الإسلام في العالم اليوم قد اختارت من يرفع شعار الإسلام في تركيا وباكستان والسودان والبحرين، فضلاً عن من هي إسلامية من غير شعارات كالسعودية، فاحترموا اختيارات الشعوب تقدم لكم العيش الذي تطلبونه بسلام ونعيش معكم في وئام، هذه كلمات سريعة أطلقها لكل من أحب أن يعقل ويعرف العاقبة وأنه

لا يغنى التجبر ولا التكبر، فإن الظلم عاقبته وخيمة ولله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وهو العزيز الرحيم.

===============

#التقسيم التوحيدي:سلاح أمريكي جديد!

د. محمد يحيى * 1423/10/18
2002/12/22

من الشائع في الكتابات السياسية اليوم أن أمريكا تسعى الآن إلى عملية تقسيم واسعة النطاق للعديد من البلدان الإسلامية ، وأولها هو العراق الذي يقال إن الخطة التي تقضي بتقسيمه إلى ثلاثة أجزاء هي دولة كردية ودولة سنية ودولة شيعية ، ويرد في الأخبار كذلك تقسيم السودان إلى جنوب وشمال ، بل وربما إلى دول أخرى في الغرب والجنوب الغربي وحتى داخل الدولة الشمالية نفسها ، وآخر هذه التقسيمات هو تقسيم السعودية إلى دول شرقية تحوي المواد البترولية ودول غربية تضم الأماكن الإسلامية المقدسة كما يسمونها، وحتى هذه الدول الغربية قد تنقسم إلى أجزاء شمالية ووسطى وجنوبية وهناك بالطبع الحديث القديم حول تقسيم مصر إلى دولة قبطية ونوبية وإسلامية(أو بالأصح علمانية) ثم هناك حديث عن تقسيم الصومال وهو أمر واقع وتقسيم الجزائر بفصل دولة للبربر وتقسيم إندونيسيا ، وقد بدأ بالفعل بفصل تيمور الشرقية كدولة نصرانية وقد يستمر بفصل أجزاء أخرى .

وقد يمتد حديث التقسيم ليطال إيران مثلا بفصل جزء كردي وجزء عربي سني وحتى جزء أذربيجاني وكذلك إلى تركيا بفصل جزء كردي وإلى نيجيريا بفصل عدة دول في الجنوب الموصوف خطأ بالنصراني.

سلاح استعماري

والواقع أن التقسيم والفصل والتجزئة والتفتيت هي من الأسلحة المفضلة لدى الدول الاستعمارية بالذات لضرب الدول والكيانات الإسلامية .

وهو سلاح فعال لإيجاد دويلات صغيرة تقوم على أقليات دينية أو عرقية أو ثقافية غير إسلامية ، معادية للإسلام تقبع في مناطق استراتيجية الموقع أو تملك موارد طبيعية غنية وتكون موالية للغرب وتستخدم سلاحا لضرب ما تبقى من الكيانات

الإسلامية الكبيرة والتى تتحول إلى حالة ضعف وتشرذم داخلي وحالة إضراب وفقر بعد فصل الدويلات التابعة .

وعملية التقسيم والتجزئة تحقق أهدافا كثيرة للدولة الاستعمارية ومنها أمريكا فهي كما قلنا توجد دويلات صغيرة تابعة يمكن التحكم فيها وهي سوف تكون بطبيعتها موالية وعملية للأمريكان ومتحمسة في خدمتهم في محاولة لشكرهم ورد الجميل لمساعدتهم كما أنها تكون عادة وكما قلنا قابعة في مواقع استراتيجية أو مالكة لثروات طبيعية ثمينة مما يجعلهم يسيطرون على هذه الثروات ويستغلون الموقع الاستراتيجي لمصلحة سياستهم أو كقواعد لقواتهم ، كما أن التقسيم يضعف الدول الإسلامية ويلقي بها في حالة من الفقر لضياع الثروات والوقوع في حالة من الإضراب العام بعد أزمات الانفصال مما يقضي على أية آمال أو احتمالات لها في التقدم والوصول إلى وضع القوة والاستقلال ..وهناك العديد بالطبع من الفوائد التي تعود على الدول الاستعمارية من ممارسة التقسيم والتجزئة .

تقسيم من نوع جديد

ولكن لا يجب أن يكون الحديث عن التقسيم والتجزئة حديثا مرسلا وسهلا يطلق في كل وقت بلا تمييز ولا تدقيق ، فهناك حقيقة غائبة عن هذا الحديث في كتابات الصحف المستعجلة وهي أن أمريكا كقوة غاشمة استعمارية أكبر قد تجاوزت الآن عملية التقسيم والتجزئة للدولة المستهدفة بمعناها وشكلها القديم غير المميز .

إننا الآن إزاء حالة جديدة وفريدة من التقسيم الجديد النوع يمكن أن نسميه بالتقسيم التوحيدي، أو التجزئة التكاملية، وهي حالة تحقق نفس أهداف النوع القديم من التقسيم، ولكنها تتفادى عيوبه ومنها إثارة الرأي العام فى البلد المستهدف وتحفيزه للرد والدفاع ،ومنها مخالفة القوانين الدولية بشبهات التدخل وغير ذلك، والواقع أن النوع الجديد من التقسيم التوحيدي نتيجة لعيوب النوع القديم أو التقليدي من التقسيم يحقق نفس الأهداف القديمة ويزيد عليها أهدافا جديدة ، كما يحسن من كفاءتها وبذلك أخذ يدخل الساحة الآن وبقوة ، ولكن ما الذي نعنيه بالتقسيم التوحيدي ، إننا نعني ببساطة نوعا من فصل الأقليات وبالذات الدينية عن جسد الدولة أو الكيان الإسلامي الأكبر ووضع هذه الأقلية في حالة قوة وهيمنة وسيطرة من مواجهة الأغلبية المسلمة

دون أن يستتبع ذلك الشقاق هذه الأقلية أو الأقليات في هيئة كيان أو دولة مستقلة منفصلة في هذا الجسد، وإنما تظل هذه الأقلية على حالة القوة والهيمنة هذه داخل الجسد الواحد لكي تسيطر وتهيمن وتتحكم في الأغلبية (المسلمة) وذلك كله من وراء شعارات الوحدة الوطنية والجسد الواحد والعلمانية بالطبع .

سودان علماني

وهذا النمط الجديد هو بالتحديد ما وجدناه بداية في السودان مع تقوية حركة جارانج إزاء الاتفاقات التي عقدتها حكومة السودان مع هذه الحركة بفضل النفوذ الأمريكي والأوروبي تصايحت أصوات في عدة بلدان عربية تتحدث عن مخاوف التقسيم وفصل الجنوب عن الشمال وكانت الحركة المتمردة تنفي ذلك وتؤكد حرصها على وحدة السودان بينما يشكك البعض في هذه التأكيدات ويصفونها بأنها مجرد ألاعيب سياسية ودعائية لإبعاد الأنظار عن هدفها الحقيقي، وهو إقامة دولة مستقلة في جنوب السودان ، ولكن في الحقيقة فإن حديث جارانج وعصابته حول وحدة السودان هو حديث صحيح حقيقي بل وطبيعي من وجهة نظرهم لأن المسألة فيه تتوقف على نوعية السودان الذي يريدونه موحدا، أنه حسب كلامهم وكلام أنصارهم الأجانب والسودانيين وحتى المصريين من المتعاطفين معهم وبالذات من مجموعة الاستراتيجيين إياهم والطائفيين هو سودان علماني في الشمال تنزع منه الهوية الإسلامية والعربية وتقيد حياته وعقيدته الإسلامية وتمنعها، بينما تطلق كل الحرية للهوية المسيحية المزعومة للجنوب وذلك تحت شعار الحرية وحقوق الأقليات ومنع طغيان الأغلبيات .

إن حركة جارانج قد ذاقت طعم القوة بالدعم الدولي الواسع النطاق والمساعدات الهائلة من كل الأنواع ومن كل الجهات (بما في ذلك إسرائيل) لم تعد تكتفي بحلم إقامة دولية مستقلة في الجنوب حتى وإن امتلكت هذه الدولة موارد البترول والثروات الطبيعية لكن القوة العسكرية الهائلة التي أعطيت لها مع تدخل دولة خارجية أخرى معها وآخرها إريتريا، ومع إضعاف الطرف الآخر هو الحكومة السودانية الشرعية ومع خيانة بعض الأطراف السودانية الداخلية والعربية كل هذا أعطاالحركة المتمردة الطموح لكي تسير ، ومن موقع القوة والهيمنة والعلو على كامل أراضي السودان

بحيث تصبح هي الطرف الأقوى في معادلة كونفدرالية أو فدرالية يتم التوصل إليها ويقيد الطرف الآخر بدعاوى العلمانية أو مساواة الأقليات أو التعددية وما أشبه بعد تفسير هذه الشعارات على النحو الذي يؤدي إلى تكبيل الأغلبيات وهيمنة الأقليات أو بالأصح إلى تكبيل ومنع وحصار الإسلام والعروبة (باعتبارها الأطراف المعتدية أصلا والمطلوب تقيدها وعقابها) ومنح الحرية الواسعة للأقليات (النصرانية فقط وليست الجنوبية كلها التي تضم المسلمين والوثنيين) باعتبارها هي الضحية التي طالت معاناتها وجاء آوان تعويضها .

تقوية النخب العلمانية

هذا هو ما نعنيه بالتقسيم التوحيدي وهو لن يطبق في السودان وحده بل هناك دول عديدة مرشحة لتطبيقه وهي ليست بعيدة بحال عن السودان ففيها يجرى تشجيع وتكتيل وتقوية الأقليات الدينية أو العرقية أو الثقافية (العلمانية مثلا) وتركيز مفاتيح القوة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في يدها، مع إضعاف الأغلبيات المسلمة بشتى الوسائل وفي كل الاتجاهات والمجالات تحت شعار المرحلة الرئيسة، وهو ضرب التطرف الإسلامى ومعه كوكبة الشعارات المصاحبة مثل العصرنة والعلمنة والتحديث وما شابه ، لكن عملية تقوية الأقليات وإضعاف الأغلبيات المسلمة لا تصل إلى حد الانفصال الفعلي، أي الرسمي المعلن عنه في هيئة دولة وجيش وعلم واسم ومقعد في الأمم المتحدة ... إلخ، بل تظل في إطار الدولة الأهلية القديمة الواحدة ولكن مع فارق جذري وجوهري، وهو إبعاد الأغلبيات الإسلامية عن السيطرة على أجهزة ومؤسسات هذه الدولة ومنح هذه السيطرة للأقلية النخبوية العلمانية المتغربة (التي لا تزال تحمل أسماء إسلامية تفاديا للإثارة النهائية للجماهير الإسلامية) والتي تحكم ومعها الأقلية القوية تحت شعارات المساواة والديمقراطية بمفاهيمها المزيفة والمشوهة وليس الحقيقة .

وبهذه الطريقة تصل الأقليات ومعها القوة الاستعمارية الاستكبارية الكبرى المؤيدة لها (أمريكا) إلى نفس أهداف الانفصال والتقسيم لكنها تضيف إليها ميزات جديدة وهي أن الأقليات لا تقيم دولة خاصة بها تنعزل فيها وتتغلف فيها على نفسها بحيث تتولد داخلها صراعات وانقسامات وضغوط تضعفها أو بحيث تدخل في حرب قد تفضح

مخططات ومصالح الدولة الكبرى المشجعة لها وإنما تكون لها قوة وهيمنة وسيطرة داخل الدولة الواحدة الأصلية على الأغلبية الضعيفة وبذلك يحدث لها أمران أولهما تماسك قوتها الداخلية في وجه العدو الإسلامي والثاني هو توجيه أية قوى داخلية شرسة نحو الهيمنة على الإسلام المحيط بها .

تحكم الأقلية في الأغلبية المسلمة

كذلك فإن هذا الترتيب وهو التقسيم التوحيدي يتجنب إثارة مشاكل تترتب على الانقسام التقليدي كما أنه في الوقت نفسه يضمن وجود الأقليات الدينية القوية داخل الدولة الموحدة لكي تحكمه وتربطه الأغلبيات الإسلامية وتسيطر عليها بالمشاركة مع النخب العلمانية المتدربة التي تحمل أسماء إسلامية .. ذلك لأنه لو انفصلت هذه الأقليات الدينية في دولة خاصة بها فإنه سوف ينشأ رد فعل مضاد داخل الدولة المتبقية ذات الأغلبية المسلمة الصافية يطالب بإقامة حكم إسلامي صريح في مقابل الدولة الدينية الجديدة ، وأمريكا بالطبع لا تريد مثل هذا التطور بل تريد أن تهيمن العلمانية المتغربة على أمور الحكم في البلدان الإسلامية وتريد في الوقت نفسه أن تصل الأقليات الدينية غير المسلمة إلى وضع من الهوية الدينية الخاصة بها والقوة والاستقلالية القائمة على هذه الهوية الدينية ، والحل السحري لتحقيق ذلك هو ذلك التقسيم التوحيدي الجديد الذي يبقي الأقلية رسميا داخل الكيان الموحد القديم لكنها تبقى في موضع القوة المسيطرة أو الفعالة المتمتعة بالهوية الدينية المعلنة تحت دعاوى المساواة بينما لا يسمح هذا الوضع برد فعل إسلامي يطالب بإدارة دولة إسلامية في مقابلة الدولة النصرانية أو الأقلية؛ لأنه ببساطة لا توجد مثل هذه الدولة، وتظل هذه الأغلبية المسلمة في هذا الوضع تحت حكم النخبة العلمانية المتغربة ومعها حكم الأغلبية الدينية وتكبت مشاعرها وهويتها بحجة مراعاة الوحدة الوطنية من ناحية، وبحجة مراعاة متطلبات العلمنة والتحديث من الناحية الأخرى .

إننا عندما نتحدث عن التقسيم وهو أمر حقيقي وواقع كأداة للقوة المتغطرسة لا يجب أن نبصر كلامنا على التقسيم التقليدي الذي أخذ يختفي من على الساحة بل يجب أن نضع في اعتبارنا التقسيم بمعناه الجديد التوحيدي وهو أخطر بكثير على مصالح

الأمة الإسلامية ووجودها نفسه من الانقسام التقليدي .*مفكر إسلامي وأستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة

==============

#سياط المستضعفين (2/1)

محمد عبد الله بن الشيباني * 1423/8/24
2002/10/30

أعلنت حالة الطوارئ في المستشفيات الإسرائيلية وأقسام الشرطة والأجهزة الأمنية في كافة أرجاء القدس المحتلة والمناطق المحيطة بها بعد سماع انفجار قوي وتبين في ما بعد –حسب وكالة عيتيم" الصهيونية" التي أوردت الخبر– أن الانفجار ناتج عن عجلة سيارة"باص" تجاوزت السرعة العادية(1).

وقبل ذلك بيومين أعلنت حالة الاستنفار القصوى في صفوف هذه الأجهزة والجيش وبعد 24 ساعة على إعلان حالة الطوارئ، هزَّ الجامعة العبرية دوي انفجار مريع.

هذان الحادثان جاء أولهما ليترجم حالة الهلع والذعر والخور التي خلفتها سنتان من انتفاضة الأقصى، والتي تسود الدولة العبرية

أما الثاني فأطار مع الريح أسطورة "الأمن "ومعجزة "الموساد"فضلاً عن هيبة الجيش وعيون التكنلوجيا"الباصرة"، وإلاَّ فأي معنى لكل هذه الأجهزة، إذا كانت تستنفر كافة أفرادها إضافة إلى المستشفيات لمجرد انفجار" إطار" سيارة؟ ثم يسفر استنفارها واستعدادها عن مثل هذه العملية التي وضعت بدقة فائقة في موقع حرج وفجرت بتقنية عالية.

هذه الحادثة ليست سوى واحدة من آلاف الحوادث التي أرغمت المتعاطفين مع الكيان الغاصب –وحتى أخلص أهله له – أن يطلقوا صرخات آيسة تنذر بزوال الكيان بعد انهيار كافة مقومات بقائه.

وما المقال الذي نشرته صحيفة (يدعوت احرنوت) بقلم الإرهابي "نتنياهو"بعنوان" وجود إسرائيل بات مهددًا "وما ذكر من (وهن وضعف القوة الإسرائيلية الفعلية والمعنوية في عيون العرب)، وقول أخيه في الإرهاب "بيريز":(إن الصراع وصل إلى مرحلة حرجة وأن مستقبل الصراع أصبح يلفه الغموض)(2)، وقول أحد الصحف

الإسرائيلية وكان الأكثر صراحة:"عن عيد اغتصاب فلسطين": (إن الاستقلال الذي نحتفل به لم يعد له معنى).. تلك شهادات أماطت اللثام عن بعض الإنجازات الكبرى "التي حققتها انتفاضة الأقصى المباركة وعن ومضة من الأذى البالغ ، والهزة الشنيعة التي أصابت بها المجتمع الصهيوني، حقائق ناطقة وإن لم يصدقها المدجنون بقدرات الموساد الخارقة والمؤمنين ببشارة "الكيان" الذي لا ينال منه.

لقد كانت انتفاضة الأقصى بمثابة رحمة وزعت الصمود والتحدي على كافة الشعب الفلسطيني والشعوب الإسلامية من ورائه،وأصاب كل المجتمع الإسرائيلي بأذى .

وقد ساعدت عدة عوامل في إنجاح هذه الانتفاضة رغم "الصفقات" المربحة "والصفعات" المؤلمة التي استهدفت زعزعتها والنيل منها:

أولاً: ارتفاع روح التضحية والجهاد/

لاشك أن دعوات الحكومات الإعلامية للتطبيع وهرولتهم "العملية "إليه،ودعوة "حكماء " العلمانية إلى تحكيم العقل بدل العواطف الجياشة واعتماد المصالح بدل المبادئ في تحديد العلاقات والتحالفات، لاشك أنها كانت أكثر زخمًا، وأجهر صوتًا وأكثر صخبًا،إلا أن انتفاضة الأقصى أثبتت أن الصوت الرافض للتخلي عن الذات مقابل "أوهام" السلام كان أصدق قيلاً وأكثر نصيراً، فما أن انطلقت حجارتها الأولى حتى أصبح التطبيع – وكما هو الواقع- أشد المصطلحات مقتًا لدى الشعوب ، والمدافع عنه خائنًا ، والعمليات الإستشهادية خيارًا إستراتيجيًا لا يقبل النقاش، والدعوة إلى المقاطعة فخرًا، وأصبح جل شباب فلسطين مشاريع استشهادية ،وزاحمت الفتيات الفتيان وانتقل وجدانهم من أرض فلسطين المباركة إلى فسيح جنة عرضها السماوات والأرض.

ثانيًا: توازن الرعب..المبادرة الفلسطينية/

اكتشف المجاهدون أن لكل سلاح متطور سلاحًا بدائيًا مساويًا له في التأثير مشابها له في النتائج، وأن سياط المستضعفين مع الإيمان و التحدي تفعل مالا يفعله سيف المستكبرين مع الخواء الروحي والإفلاس النفسي فظهرت من سياط المستضعفين ضروب نقف عند آلمها بإيجاز:

السوط الأول:الحجارة والمقلاع والصدور العارية .

وهذه آية الإيمان وعلامة التحدي الكبرى، وما طالعتنا وسائل الإعلام بصور اليهود مختبئين عن حجارة الأطفال في مصفحاتهم ودباباتهم أو وراء الأبنية الإسمنتية والحواجز الرملية إلا دوى في وجداننا قوله -عز وجل- (لا يقاتلونكم جميعًا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر)

السوط الثاني:العمليات الاستشهادية:

لم يكن (جمال سليم) مبالغًا حين قال:"إن القنبلة البشرية- الاستشهاديون- ستنتصر على القنبلة النووية التي تتباهى بها إسرائيل"(3) وحسب إحصاءات إسرائيلية، رسمية فإنه تم تنفيذ 130 عملية استشهادية، 95 منها ناجحة"(4) إلا أن الذي لم تذكره الشرطة الإسرائيلية أن هذه العمليات كانت تجمع في توقيتها ومكانها بين البعدين السياسي والعسكري الأمني، مما أربك أجهزة دولة العدو وأرهب مواطنيها وما لم تذكره أيضًا هو أن طلعة الفتيان والفتيات البهية على شاشات وسائل الإعلام وهم يبتسمون للموت وهم في مقتبل العمر، أشاعت جوًا عامًا من التوق للشهادة في سبيل الله، وبشَّرت المسلمين أن هناك من يبذل دمه نصرة للإسلام و أهله وأقنعت الرأي العام العالمي أن هناك أذى بالغًا دفع هؤلاء إلى مثل هذه الأعمال .

السوط الثالث: مصانع الأسلحة :

بعد عدة دلائل أشارت إلى وجود مصانع سرية لدى الفلسطينيين، حسمت قناة(أم بي سي) الأمر في الشهر (2002-3) بعرضها تقريرًا مصور ومفصلاً عن أحد هذه المصانع حيث قام المهندسون بشرح خطواتهم لصناعة الأسلحة وتعبئة العبوات والأحزمة الناسفة للاستشهاديين ، ووحدات لتطوير الصواريخ الصغيرة، ومدافع الهاون،وفي خبر عاجل أوردته (يدعوت أحرنوت) يوم (002-08-28)) "أن جنود العدو عثروا في جنين على مختبر كبير لتصنيع المتفجرات، وعثروا على عدة عبوات ناسفة جاهزة مختلفة الأحجام(5).

السوط الرابع: السيارات المفخخة:

وهي أقدم الأساليب وأشد هذه "السياط " فتكًا وكانت عنوان العام الأول من الانتفاضة، قبل أن تزاحمها الأحزمة والعبوات الناسفة وتحد من فاعليتها الحواجز الأمنية.

السوط الخامس: الصهاريج الملغومة:

وقد تمت عمليتان –على الأقل– إحداهما في مجمع " بي غليلو" وتزامنت مع اجتماع أمني للحكومة الإسرائيلية لبحث جاهزية الدولة الصهيونية للتعامل مع عمليات كبرى، كما لو أن هذه العملية نجحت، والثانية وقعت (002–08–08) في أكبر مجمع للغاز في الكيان وقالت الشرطة الإسرائيلية إن 3000 شخص –على الأقل– سيموتون لو لم تنفجر الشاحنة المحملة بـ 15طنًا من الوقود(6) قبل المكان المحدد بأمتار ووصفتها بالكارثة التي لا يمكن تصورها، ومنذ بداية العام 2002 بلغت تكاليف الإجراءات الأمنية التي اتخذتها الشركة 17مليون شيكل/.

السوط السادس:الأسلحة الرشاشة:

وعنها تقول مصادر الشرطة الصهيونية– حسب مجلة العصر– أنه تمت 13 ألف عملية بمختلف أنواعها، لقي فيها 660 مستوطنًا وجندياً حتفهم وأصيب 3500 بجروح متفاوتة، وقال المفتش العام لشرطة العدو "شلومو اهرونيتشي": وقع منذ يناير 2002 حتى يوليو 1071 عملية أصيب جراؤها1935، توفي منهم 238 وأحبطت 50 وأبطل مفعول 148 عبوة ناسفة (7) ويضيف "هذه ليست معطيات شرطة جافة بل هي صورة للوضع الاجتماعي في إسرائيل" الحالة التي اختصرها الصحافي الإسرائيلي "فيرد لويتش من" يدعوت"بالعنوان:(إسرائيل : يهود أقل زواجًا أقل عمالاً) .

السوط السابع: نهب المستودعات:

لم يعد يشغل بال الصهاينة وصول الفلسطينيين إلى مستودعات الذخيرة ومخازن الأسلحة الإسرائيلية، فهذا أمر أصبح شبه شهري، وإنما أصبح شغلهم الشاغل ما آذنت به هذه العمليات من احتمال وصول الأيادي الفلسطينية إلى المواد المشعة والكيماوية بعد وصولهم إلى المستودعات الصهيونية عن طريق اختراق التحصينات الأمنية وشراء ذمم الضباط ، ونقلت محطة التلفزة الإسرائيلية "الثانية" الجمعة (11–5–2001) أن سرقة لمستودع إسرائيلي أسفرت عن نهب42 قذيفة هاون و10 قذايف مضادة للدبابات و 4000 طلقة رشاش و 10000 رصاصة بندقية والطريف أنه تم نقل هذه "الغنيمة" على الحمير إلى غزة حسب القناة الإسرائيلية الثانية (8)

السوط الثامن: جيش الرعب:

أسفرت سنتان من انتفاضة الأقصى عن انكشاف ضعف اليهود النفسي وخلفت حالة هلع وذعر أصبحوا معها يحسبون كل صيحة عليهم، وفي هذا المنحى ذكرت الشرطة الصهيونية أنها تلقت منذ (يناير-2002) وحتى فاتح يوليو أكثر من مليون و700 ألف اتصال هاتفي منذر بوقوع عملية أو الاشتباه بجسم غريب(9) أي بمعدل 9239 اتصالاً يوميًا، هذا ولم يسفر اتصال واحد عن كشف عملية واحدة.

السوط التاسع: المقاطعة :

وهي التعبير الحقيقي عن صحوة الضمير العالمي وازدياد الوعي الإسلامي بالقضايا الكبرى، ولم تعد المقاطعة مقتصرة على المسلمين في الدول الإسلامية، بل ولا على المسلمين عمومًا وفي هذا المعنى وقّع أكثر من 750 أكاديميًا غربيًا على دعوة لمقاطعة المنتجات الإسرائيلية، ودعت جمعية النقابات البريطانية الكبرى إلى مقاطعة إسرائيل. وقد انخفضت صادرات العدو -حتى إلى أمريكا- فقد انخفضت بنسبة 10% (10).

عاشر السياط:

أخيرًا نعرج على أشهر إبداعات الانتفاضة: سلاح التحدي.

إن شعبًا شاهد بعينيه ما وقع في جنين، ثم فكر في التحدي لشعب صمود، فكيف إذا رأيت الذين عايشوا فصول مجزرته المرعبة، وهم يتعالون على كل هذا الأذى فيخرجون من هذا الجحيم بهمة أقوى وعود أصلب ؟

لكن ..ما النتيجة؟* كاتب وشاعر شنقيطي

أصوات المغالين بأسطورة" الأمن "الدائم وأكذوبة "الرادع "النووي" و الجيش الذي لا يقهر قد بحت تحت مطارق الحقائق الواقعية المتتالية ، وأبان الصمود الفلسطيني- وبوسائل بدائية- أن الكيان كله نقطة ضعف وكله ثغرة أمنية .

صحيح أن الصهاينة يتبعون من أساليب المخادعة والعمل في الظلام والوسائل القذرة مالا يستخدمه المسلمون ولا يستحلونه ، وأن جل الإعلام والساسة الغربيين يخشون تلك الأساليب، وكل ذلك لم يمنع الشعوب أن تكتشف زيف دعوتهم،ولم تمنع اقتصادهم أن ينهار ولا الأصوات المنددة بهم أن تعلو ولا الانتفاضة أن تعبث

بمقومات وجودهم وتستنزف مواردهم ،ولنستعرض شهادات من صحائفهم التي يصدرون عن حقيقة الواقع الذي يعيشون ، لنقف على مدى الانهيار الكلي والإفلاس العسكري والسياسي فضلا عن الضغط العصبي والنفسي، الذي أصبح إخوان القردة يصطلون به من لذع انتفاضة الأقصى المباركة

الاقتصاد الصهيوني ...وفقدان المناعة.

أصيب الاقتصاد الإسرائيلي بـ"داء" فقدان المناعة المكتسبة من جراء إصابته بفيروس"الذعر" وبكتيريا "الخوف من" مستقبل يلفه الغموض" فرصدت أموال الدولة لتغطية نفقات الحرب، وهربت رؤوس الأموال إلى الخارج ،وقيل على السياحة السلام، ولم تجد أمام هذه الحالة مضادات"المساعدات الخارجية " الحية السخية خصوصًا الأمريكية.

عناوين وأرقام:

ثمن السلام مع بدء مسيرة التنازلات السلمية91 بدأ الاقتصاد الصهيوني يتطور وأعطته أوسلو93 دفعة قوية، وكادت سنوات التطبيع بعد ذلك أن تخلق له موطئ قدم ثابتة في الأسواق العربية، لولا أن تداركنا الله برحمة انتفاضة الأقصى، فعصفت بمكاتب رعاية "المفاسد" الصهيونية وبينت أن التسوية بين الظالم والمظلوم والمعتدِي والمعتدَى عليه، والمحتل والمحتلة أرضه لا يمكن أن تكون تسوية سلمية .

خسائر بالجملة قال مدير شركة ميتاف الصهيونية إن خسائر الاقتصاد الصهيوني بلغت في هذا العام2002 وحده: 28 مليار دولار وهو ما يساوي –حسب المصدر– 10% من أملاك الإسرائيليين (11) وبشكل أوضح قال : بلغت خسائر هذا الشهر 14 مليون دولار، وبلغت البطالة 11%حسب cnn وكان مما ترتب على هذه الخسائر العامة ما يلي:

1) إغلاق المشاريع الاستثمارية: وفي هذا الصدد أعلنت دائرة الإحصاء المركزية أن 37 مشروعًا استثماريًا أغلقت من أصل 42 تم افتتاحها سنة 2001 وعزت السبب إلى "الأوضاع الأمنية المتدهورة"(12)

2) تحويل الأموال إلي الخارج: ولكي تتصور حجم هذه الأموال المهربة إلى الخارج استمع إلى راديو"الكيان" وهو يقول في شهر مايو 2002 وحده حول للخارج مبلغ

133 مليون دولار، وسحب من صناديق الائتمان مبلغ ملياري شيكل حسب مدير شركة" ميتاف" (13) بل قال رئيس قسم مراقبة العملة الأجنبية البنك المركزي للكيان أنه حول من 20-9-01 إلى يوليو-2002 مبلغ مليار دولار(14)

3)التسريح الجماعي للعمال : وهو نتيجة طبعية لأي تباطؤ وركود اقتصادي فضلاً عن انهيار شبه شامل، وتوالت إعلانات التساريح للعمال، وقالت صحيفة معارف الإسرائيلية إن 20 ألف سيتم تسريحهم من قطاع التكنولوجيا وحده و أن ألفًا سيتم تسريحهم من شركة الصناعات العسكرية(15) و65 ألفًا من شركات السياحة فضلاً عن شركات البناء وقطاع الزراعة .

القطاعات الحيوية وبنظرة سريعة إلى القطاعات المهمة في اقتصاد الدولة العبرية تبين ما يلي :

قطاع السياحة: تم إغلاق 25 شركة سياحية ،والاستغناء عن خدمة 65 ألف عامل في القطاع وتدنت السياحة ب70% حسب cnn نقلاً عن (للآسوشيتد برس) ،وانخفض عدد السواح بـ65%.

قطاع النقل: وبلغت خسائره 500 مليون دولار(16) وبلغت أرباح شركة "العال" العكسية 240 مليون(17) ولأن هذا القطاع استهدف زعزعته عاملان :أولهما العلاقة الغرامية بين الاستشهاديين والباصات.

الثاني: تأثر النقل الجوي أولاً والبري ثانيًا بانهيار قطاع السياحة.

قطاع التكنولوجيا: وفيه تراجعت قيمة الأسهم المعلنة في "ناسداك" لـ80 شركة إسرائيلية من 54 مليار دولار إلى34 مليار دولار(18) وهذا ما يفسر توقع (يدعوت احرنوت) بفصل هذا العدد الهائل 20 ألف عامل من هذا القطاع.

القطاع المالي: ونقتصر على هذه العناوين البارزة، فمن موقع صحيفة يدعوت "وتيرة التضخم المالي ترتفع إلى10.7%(19)..."تراجع الشيكل أمام الدولار وباقي العملات "وبلغ تراجع الشيكل أمام الدولار منذ بدء الانتفاضة 36%" حجم إيرادات الدولة تراجع بنحو مليون دولار "وانحفض معدل الأجور بنسبة 5.8% (19*)

قطاع الزراعة: وبلغت خسائره 127 مليون دولار(20) من جراء أجواء الحصار وضعف القدرة الشرائية للفلسطينيين والصهاينة واتساع دائرة المقاطعة

شركة الصناعات العسكرية : جاء في عنوان ليدعوت أحرنوت :عمال "الصناعات العسكرية يغلقون الشوارع وأعلنت إذاعة العدو السبب في نشرتها 28-08-02 حيث قررت "الصناعات العسكرية بيع كافة مصانعها وأن الدولة ستقدم لها دعمًا بقيمة 300 مليون دولار شريطة بيع بعض المصانع وتسريح عدد كبير من العمال(21)

إبداع وخصخصة : ذكرت إذاعة الجيش المحتل أن الجيش سيتنازل عن حراسة المستوطنات لصالح شركات خاصة وأن مستوطنة "غوش عيسون " ستكون أول المستوطنات المتخلى عنها وعلى ذمة إذاعة جيش العدو قال قائد القوات البرية " إن عدم وجود خبرة لدى كثير من أفراد الجيش في الحراسة والتعامل مع المقاومين الفلسطينيين، الذين أصبحوا قادرين على اختراق أقوى التحصينات الأمنية وتنفيذ عملياتهم هو السبب في اللجوء إلى إبداع الخوصصة هذا. (22)

الصحة والتعليم وذكرت (يدعوت) أن مستشفيات الكيان تعاني من حالة عجز في الأجهزة والأدوية وأزمة في السيولة المادية التي لا تمكنها من سد ديونها البالغة 80 مليون دولار(23) أما في التعليم فقد قلصت ساعات الدراسة 40 ألف ساعة دراسية (23)

ليس سرًا " براك" والجيش والعفونة

الجيش: ولن نزيد في شأن الجيش على هذه الكلمات من "براك" استمع إلى هذا الصوت التعيس من وسط وزارة الدفاع وهو يخاطب ضباطه :إن الحالة المتقدمة للعفونة وترهل القيم تقوض معنويات الجمهور الإسرائيلي، ويضيف "وليس سرًا أن قوات الاحتياط والتي تمثل ثلث القوات المقاتلة في انهيار تام "(24)وقول" يدعوت" الجيش يتعرض لموجة انتحارات منذ أربعة أشهر.

الشرطة(2500) هاربون

ولذلك طلبت الشرطة العسكرية بزيادة مخصصًا تهم (25) من أجل إنشاء سجن حربي" لا تحزن" ليس لاستقبال الفلسطينيين الذين خططوا لهجمات- بل لاستقبال المجندين الإسرائيليين الذين اختاروا غياهب السجون الإسرائيلية على جحيم غزة الذي لا يطاق.وقال (عوزي دايان) رئيس مجلس الأمن القومي للكيان الأربعاء 4-9-02

:(إن الاقتصاد الإسرائيلي لن يتمكن من توفير ميزانيات الأمن لمدة طويلة) وفقا لتقرير ل"شمدار سمويلمن يدعوت الصهيونية".
وللرياضة نصيب: ألغى اللاعب "الرماني "تاناس" عقدًا مع نادي" مكابي نتانيا" قائلاً: لقد انفجرت القنابل على بعد أمتار مني، وأنا أتناول الطعام فقررت التخلي عن عقد بقيمة 185مليون دولار سنوياً والعودة سالماً.
وهاجر الشباب:نبهت (معاريف) إلى ما دعت ظاهرة هجرة الشباب وذكرت أن 22% من الشباب ينوون الهجرة وذكرت ديل اشبيكل " الألمانية"أن 60 طالب هجرة تقدموا للسفارة الألمانية(26) وبلغ عدد المهاجرين من الكيان بالجملة مليون مهاجر وانخفضت نسبة المهاجرين إلى الكيان ب35% عام 2001 (27) وفي القدس – وهي المحك الحقيقي للصراع– هاجر 16 ألف يهودي بينما انتقل للسكن فيها وفي المناطق التابعة لها 10آلاف فلسطيني حسب أسبوعية (يروشلايم) الصهيونية /قدس برس/15–06–2002.
أزمات نفسية :قالت الجمعية الإسرائيلية لتقديم الاستشارات النفسية "عيران" إن عدد الموجهين إليها زاد بنسبة 12% سنة 2001 وأن 3900 من بينهم كانوا ينوون الانتحار (28).
الرد :شاروني .عسكري وشعبي.
أسقطت الانتفاضة باراك وسواءً أسقطت شارون أو أخطأته فقد سحبت منه كل الأوراق ،وأيست شعبه من أي أمل فيه ، فاستنفد كافة الوسائل السياسية ،والدبلوماسية والعسكرية" الأمريكية والصهيونية" وبدا عاجزًا عن فعل أي شيء لا يهمه إلا الكرسي، مما اختصرته (هآرتس) بعنوان "فشل شارون هو العنوان البارز على كل المسارات" يذكر أن شارون جاء ليوقف الانتفاضة فرد عليه الشهيد (فؤاد إسماعيل الحوراني) ببرود أعصاب وأيقظه على معزوفة الانتفاضة تعزف في فندق لا يبعد عن مخدعه 50 مترًا مخلفًا عشرات القتلى والجرحى بعد أن بلغ الرسالة.
استراحة : قد يجد بعض الإسرائيليين وسائل خاصة بهم أيامًا ريثما يرحلوا:
فينقذ شارون بورصتهم بإقالة زعيم حزب شاس ليغير عناوين الصحف ويشغل المحتلين عن وطأة الاقتصاد كما اعترف به رئيس مكتبه ، وأمام المجندين أن

يستريحوا في غياهب السجون،ويجنح بعضهم إلى المهدئات من لفح الحقائق المرة وقد بيع في ثلاثة أشهر 150 ألف دواء مهدئ حسب معاريف الصهيونية. ولآخرين أن ينحدروا إلى وحل المخدرات وعددهم حسب معا ريف عدد الخميس 06-07-02 يبلغ 300 ألف متعاط .بينما لجأت فتيات وفتيان إلى الوشم تفاديًا للعنة العمليات الإستشهادية (29)، حسب (يديعوت أحرنوت) 02-07-11 ويبدو أنهم لجأوا إلى الوشم لينقذهم من "بركة" العمليات الإستشهادية بعدما يئسوا من سياسة شارون التي فرغها ما أبان عنه الفلسطينيون من الصمود والتحدي، وما أسفر عنه ذلك من حالة الجيش والاقتصاد- من أي معنى.1-وكالة عيتيم الصهيونية للأنباء 04-08-2002.

2-طلال فخري /مجلة الجندي المسلم/10-11-1422هـ

3-أحد قادة حماس "حفل تأبين الشهيد محمود مرمش/الأخبار/ islamonline.net

4-معطيات رسمية للشرطة الصهيونية/وسام عفيفة/WWW.ALASR.WS

5- الأخبار العاجلة/يدعوت أحرنوت/الموقع العربي بتاريخ:28-08-2002م

6- قسم الأخبار-bbcarabic.com

7- أشلومو أهرونتشي" المفتش العام لشرطة الكيان-08-08-2002م/ISLAMTODAY.NET

8- المحطة الثانية في التلفزة العبرية بتاريخ الجمعة 11-05-2001م

9-تقرير رسمي للشرطة الصهيونية/قدس برس/البشير للأخبار

10- رئيس شرجا باروش"رئيس معهد التصدير بالكيان02-09-2002م

11- تسفي ستيفاك رئيس شركة ميتاف الصهيونية / gihadonlineorg

12-إدارة الإحصاء المركزية في الكيان /قدس برس/الجزيرة

13- تسفي ستيفاك رئيس شركة ميتاف الصهيونية / qassam.org

14-قسم الإشراف على العملة الأجنبية في المصرف المركزي في الكيان -نشرة بتاريخ الثلاثاء 82-08-2002*-وأيضا حسب أمنون أطاد /يدعوت أحرنوت الموقع العربي/اقتصاد

15-"اريبه مرزاحي نقلا عن رئيس المجلس الإداري للشركة صحيفة هآرتس "11-8-2002م

16- نشــــرة لرمكـــز الدراســـــات الإســـتراتيجية 10-08-2002/حســـب gihadonlineorg

17- نشرة لمركز الداسات الاستراتيجية 10-08-2002

18- المصدر السابق

19- معطيات نشرتها دائرة الإحصاء المركزية للكيان يوم الثلاثاء 20-08-2002

19*- أمنون أطاد/يدعوت أحرنوت

20-- مجلة البيان/مقالات ملف الانتفاضة/الموقع

21-الإذاعة العبرية صباح الأربعاء 28-08-2002م البشير للأخبار

22- إذاعة الجيش الصهيوني /عوض الرجوب/المستوطنات بداية الدولة ونهايتها

23- يدعوت أحرنوت/قدس برس

24- يهود براك" في خطاب بوزارة الحرب العبرية 25-أكتوبر2000/مجلة "نتيف" الصهيونية

25- الإذاعة العبرية مساء الاثنين 22-05-2001

26-ديل أشبيكل" نقلاً عن السفارة الألمانية بتل أبيب/البشير 05-08- 2002

27-نشرة لمركز الدراسات الاستراتيجية 10-08-2002/حسب gihadonlineorg

28- نشرة لمؤسسة عيران /حسب arabnews.com/ashaab

29- يدعوت أحرنوت العدد الصادر بتاريخ 01-07-2002م

==============

#من يحكم العالم ؟

سهيلة زين العابدين حماد 1423/8/22

2002/10/28

بعد سقوط الاتحاد السوفييتي اختل ميزان القوى في العالم ،وأصبح أحادي القوة ،وغدت الولايات المتحدة الأمريكية هي التي تحكم العالم ،فهي التي تفرض العقوبات على من تريد، وتعلن الحرب على من تريد، وتزيل أنظمة الحكم التي تريد، وتتدخل

في أدق الشؤون الداخلية لدول العالم الثالث، ولا سيما الشعوب العربية والإسلامية، بل تتدخل في مناهجها التعليمية، وفي العلاقات الأسرية، والظاهر لنا أنَّ هذا الأمر كله بيد الولايات المتحدة، ولكن الحقيقة أنَّ هناك حكومة خفية في الظل تحكم الولايات المتحدة، وقد اعترف القادة الأمريكان بهذا، فهناك قوة تُسيِّر الولايات المتحدة وفق ما تريد، وتتحكم في القرارات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تتخذها الإدارة الأمريكية، وأقول هنا إنَّها القوة اليهودية الصهيونية التي تسيطر على البيت الأبيض الأمريكي، وعلى الكونجرس الأمريكي، وعلى مجلس الشيوخ الأمريكي، وعلى الاستخبارات الأمريكية، وعلى وزارة الدفاع الأمريكية، وعلى الاقتصاد الأمريكي، وعلى الإعلام الأمريكي، بل هي التي تسيطر على الحكومات الأوروبية وعلى اقتصادها وإعلامها، فاليهود الصهاينة يمتلكون كبريات الصحف والمجلات وشبكات التلفاز والإذاعة في أوروبا وأمريكا، إضافة إلى امتلاكهم أربع من خمس وكالات أنباء عالمية، بل هم يسيطرون أيضاً على المنظمات الدولية، وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ومؤسسة النقد الدولي، ومنظمة اليونسكو، وغيرها، فما الذي يجعل الأمين العام للأمم المتحدة – بعدما صدر قرار من الأمم المتحدة بتكوين لجنة تقصي الحقائق في جنين بناءً على طلب فلسطين والبلاد العربية– يقول : إنَّه يرسل إلى جنين لجنة تقصي الحقائق، ثمّ يقول : لا..ليس تقصي حقائق، إنَّما تحقيق، قالت له إسرائيل لا بد أن يكون فيها عسكريون، فيوافقهم على ذلك، فقال الإسرائيليون لابد أن نحدد العسكريين نحن، فيجيبهم حددوا العسكريين، فتُستجاب كل الطلبات، ولكن ينظر المتغطرس . على حد تعبير الدكتور كمال أبو المجد . وقد أخرج لسانه للعالم قائلاً في تحدٍ سافر: لا نريدها... لا تأتي! فلا تأتي. وتقف الأمم المتحدة عاجزة أمام إسرائيل –إسرائيل فقط– !!ولكن أية دولة عربية أو إسلامية تفرض عليها على الفور عقوبات اقتصادية وحصار اقتصادي، وقد لا تتورع الولايات المتحدة بتوجيه حملة عسكرية إليها كما في العراق الآن، أليس هذا دليلاً كافياً على أنَّ اليهود الصهاينة هم الذين يحكمون العالم الآن ؟ كما نجد الإدارة الأمريكية تفرض الآن على الحكومة السودانية شروطاً للحوار مع المتمردين الجنوبيين، وتهدد الحكومة السودانية إذا لم تبد حسن النوايا في هذا الحوار، فسوف يحظر على السودان حق

التسلح، وسوف.. وسوف...إلخ التهديدات الأمريكية التي سئمناها، وذلك لأنَّها تستهدف من هذا إمَّا جعل السودان دولة علمانية تتخلى عن الإسلام في دستورها أو تنشئ دولة مسيحية في الجنوب، بينما لم تفرض على إسرائيل مثل هذه الشروط في مفاوضاتها مع الفلسطينيين، بل نجد كل الشروط والتهديدات تقع على الجانب الفلسطيني المغلوب على أمره، المسلوب أرضه.

هناك دليل آخر: العراق تحارب منذ أكثر من أحد عشر عاماً بحجة أنَّها تمتلك أسلحة الدمار الشامل، وفرض عليها الحصار الاقتصادي منذ ذلك الحين، والذي راح ضحيته أكثر من مليون طفل عراقي، وأصبح المواليد في العراق من يعيش منهم يصاب بالتخلف العقلي لقلة الغذاء ونقص الدواء، وقضية المفتشين الدوليين التي كان الهدف منها التجسس على العراق واضحة لدى الجميع، وتعد الولايات المتحدة الآن حملة كبيرة لغزو العراق واحتلالها للسيطرة على بترولها وتقسيمها إلى ثلاث دويلات على أساس عرقي ومذهبي، دولة كردية في الشمال، ودولة شيعية في الجنوب، ودولة سنية في الوسط، وتستمر هذه الدويلات الثلاث تتصارع وتتنازع فيما بينها لخلافات طائفية ومذهبية، وهكذا تمحى العراق ذات الحضارة العريقة من خريطة العالم؛ تمهيداً للسيطرة اليهودية الصهيونية عليها وفق تخطيط اليهود الصهاينة لذلك، بدليل إعطاء الإدارة الأمريكية الإذن لإسرائيل بتوجيه ضربة عسكرية للعراق، وتعد إسرائيل العدة لذلك بقنابل نووية ،فما هي مبررات توجيه إسرائيل مثل هذه الضربة للعراق ؟

أين هو المجتمع الدولي والمنظمات الدولية ليعترضوا على هذا الغزو، وضرب إسرائيل للعراق؟

يوجه هذا الغزو للعراق، ويعد نصف مليون جندي لهذا الغزو؛ لأنَّه يملك أسلحة الدمار الشامل، ومن يوجهه الولايات المتحدة مصنعة هذا السلاح ومستخدمته في حروبها، وهي أول دولة في العالم استخدمت السلاح النووي بتفجير قنبلتين نوويتين على جزيرة "هيروشيما ونجازاكي " اليابانيتين عام 1945م، كما استخدمت أسلحة الدمار الشامل في حروبها في فيتنام وغيرها، وقد استخدمته في حربها لأفغانستان، ولكن لا يستطيع أحد أن يتكلم ويقاضيها.

وتوجه الولايات المتحدة هذا الغزو للعراق بحجة امتلاكها أسلحة الدمار الشامل التي تشكل خطراً ليس على دول المنطقة، بل على العالم أجمع بما فيه الولايات المتحدة الأمريكية، كما يروج لذلك الرئيس الأمريكي ومعاونه، في حين أن إسرائيل . وهي في المنطقة نفسها . تمتلك أضعاف ماكانت تمتلكه العراق من أسلحة تم القضاء عليها وإتلافها، والولايات المتحدة ذاتها هي التي زودت، وتزود إسرائيل بكل أنواع الأسلحة بما فيها أسلحة الدمار الشامل، وقد كشفت صحيفة "هارتس" الإسرائيلية جانباً من ترسانة أسلحة الدمار الشامل لدى إسرائيل، فلقد ذكرت أنباء صحفية في إسرائيل، يوم الاثنين 10 جمادي الآخرة 1423هـ الموافق 19 أغسطس عام 2002م أن الطائرات الحربية "إف 16" ستستخدم لحمل أسلحة نووية إسرائيلية مستندة في معلوماتها إلى " نوكليير نوت بوك"، وهو مقال أمريكي متخصص صدر في سبتمبر ضمن نشرة علمية متخصصة تسمى " بولتان أوف ذي أوتوميك سيانتيست"، ونقلت صحيفة " هارتس" عن المقال قوله : " إنَّ إسرائيل تملك السلاح النووي منذ عشرات السنين على الرغم من أنَّ مسؤوليها يؤكدون باستمرار أنّ إسرائيل لن تكون أول دولة تدخل السلاح النووي إلى الشرق الأوسط." وينقل المقال عن تقرير للبنتاجون يعود إلى 11سنة "أن إسرائيل تملك منذ ذلك الوقت 75إلى 200 سلاح نووي بينها قنابل أو رؤوس نووية مركبة على صواريخ، بالإضافة إلى بعض الأسلحة النووية التكتيكية ،وتشير النشرة إلى أنَّ 25 طائرة "إف 15" من طراز " رعام" سلمت في عام 1998م إلى سلاح الجو الإسرائيلي، وهي قادرة على نقل 4,5 أطنان من المحروقات، و11 طناً من الذخيرة ضمن شعاع عمل يبلغ 4450 كيلومتراً "، ويقول المصدر ذاته : " إنَّ إسرائيل تملك أيضاً الصاروخ البالستي "أريحا"، كما تملك قمراً صناعياً للتجسس "أفق 5" الذي يزن 300 كلجم ،ويطلق بواسطة صاروخ "شافيت"، ويحصي المقال أخيراً 3 غواصات إسرائيلية قادرة كلها على إطلاق صواريخ بالستية (1)." [انتهى الخبر]

والسؤال لماذا لم تطالب إسرائيل بنزع أسلحة الدمار الشامل ؟ ولماذا لم يرسل لها مفتشون دوليون بحثاً عنها ؟ ولماذا لم تفرض عليها عقوبات اقتصادية وحصار اقتصادي لامتلاكها هذه الأسلحة ؟ ولماذا لاتوجه إليها ضربة عسكرية لامتلاكها

أسلحة الدمار الشامل، وهي بالفعل تشكل خطراً على العالم؛ لأنَّها تستهدف السيطرة عليه، وهذا مكتوب في تلمودها، وفي برتوكولات حكمائها؟

بل لماذا لم توجه لها ضربة عسكرية باعتبارها دولة إرهابية تمارس الإرهاب على الشعب الفلسطيني، وتستعمل كل وسائل الإبادة ضده ،ويكفي شهادة السيد " ديفيد ديوك "على ذلك، والتي تعلمها الإدارة الأمريكية جيداً، وتؤيدها بكل ما أوتيت من قوة؟

لماذا لم تصدر الأمم المتحدة ومجلس الأمن حتى الآن قراراً يدين إسرائيل على أعمالها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني ،واختراقها لكل الاتفاقيات والقوانين الدولية ؟

لماذا لم تُدَنْ إسرائيل وتعاقب على ضربها المفاعل النووي العراقي في الثمانينات من القرن الماضي، مع ثبوت إقامته لأغراض سلمية؟

لماذا لم تدن إسرائيل لضربها العمق اللبناني، بضربها بيروت، وتدمير البنية التحتية فيها، وبتدميرمحطات الكهرباء بها وفي فصل الشتاء؟ لقد ذهبتُ لزيارة بيروت إثر الضربة فوجدتها تعيش في ظلام دامس!

لماذا لم تتخذ الإدارة الأمريكية أي قرار ضد إسرائيل بعد اكتشافها لشبكات التجسس الإسرائيلية في الولايات المتحدة الأمريكية التي تهدد أمنها القومي ؟

بل لماذا تتكتم على هذه الشبكات التجسسية وتداري عليها في الوقت الذي تتصيد كل عربي ومسلم بتهمة أحداث سبتمبر، وتزج بهم في أقفاص "جوانتانامو"؟

لماذا يقرر الكونجرس في ما لاحق فيه بجعل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل، خارقاً بذلك كل القوانين والأعراف الدولية، وكل الدساتير، إذ لا حق له قانوناً ودستوراً أن يقر مثل هذا القرار في أرض لا يملكها الكونجرس، ولا تملكها إسرائيل، فجميع قرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن تعتبر القدس من الأراضي المحتلة؟

في حين أن اليهود الصهاينة، والصحافة العالمية، وبعض رجال الدين المسيحي يوجهون كل يوم هجمات شرسة ضد الإسلام، وضد النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– .

كل هذا يثبت بيقين لا يقطعه أدنى شك أنَّ اليهود الصهاينة هم الذين يحكمون العالم اليوم، وهم يتحكمون في القرارات السياسية والعسكرية للولايات المتحدة والدول

الأوروبية،وهم يسخَّرون هذه الدول والحكومات لخدمة مصالحهم ،وتحقيق مخططاتهم وفق بروتوكولات صهيون ؛ ليتسلموا في النهاية زمام الحكم في العالم.

ولنقرأ معاً هذا النص من البروتوكول التاسع:

"إنَّ لنا طموحاً لا يحد ،وشرهاً لا يشبع ،ونقمة لا ترحم ، وبغضاء لا تحس ،إنَّنا مصدر إرهاب بعيد المدى .وإنَّنا نسخر في خدمتنا أناساً من جميع المذاهب والأحزاب ،من رجال يرغبون في إعادة الملكيات، واشتراكيين ،وشيوعيين ،وحالمين بكل أنواع الطوبيات (Utopias) ،ولقد وضعناهم جميعاً تحت السرج ،ويحاول أن يحطم كل القوانين القائمة ،وبهذا التدبير تتعذب الحكومات ،وتصرخ طلباً للراحة ،وتستمد- من أجل السلام . لتقديم أي تضحية ،ولكننا لن نمنحهم أي سلام حتى يعترفوا في ضراعة بحكومتنا الدولية العليا"

وجاء في البروتوكول الرابع عشر هذا النص :

"حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض- فلن نبيح قيام أي دين غير ديننا ،أي الدين المعترف بوحدانية الله الذي ارتبط حظنا باختياره إيانا، كم ارتبط به مصير العالم؛ ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان ،وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار ملحدين فلن يدخل هذا في موضوعنا ،ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التي ستصغي إلى تعاليمنا على دين موسى الذي وكل إلينا . بعقيدته الصارمة . واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا." (2)

ومخطط اليهود للسيطرة على العالم ليس حديث النشأة ،فما هو إلاَّ إحياء لتعاليم التلمود التي أكَّدت عليها بروتوكولات، من هنا نجد أنَّ الصهيونية العالمية قد أقامت دولة إسرائيل في قلب وطننا العربي لتتمكن من تحقيق هدفها الأكبر ،وهو السيطرة على العالم ،ولقد صرَّح بهذا الدكتور "ناحوم جولدمان"رئيس المؤتمر اليهودي العالمي في محاضرة له في مدينة منتريال في كندا سنة 1947م ،فلقد صرَّح بأنَّ اليهود اختاروا فلسطين ليس لمعناها التوراتي والديني بالنسبة إليهم ،ولا لأنَّ مياه البحر الميت تعطي بفعل التبخر ما قيمته ثلاثة آلاف مليار دولار من المعادن وأشباه المعادن ،وليس أيضاً لأنَّ مخزون أرض فلسطين من البترول يعادل عشر مرات مخزون الأمريكتين معاً ،بل لأنَّ فلسطين ملتقى طرق أوروبا وآسيا وأفريقيا ،ولأنَّ

فلسطين تشكل بالموقع نقطة الارتكاز الحقيقية لكل قوى العالم؛ لأنَّها المركز الاستراتيجي العسكري للسيطرة على العالم."

وقد خططوا لهذا في مؤتمراتهم التي كان أولها في مدينة (بال) بسويسرا عام 1897م برئاسة زعيمهم تيودور هرتزل (1904–1860م) ،واجتمع فيه نحو ثلاثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية ،وقرروا فيه خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود.

وتتلخص خطتهم في محاولتهم السيطرة على السياسة العالمية بالقبض على زمام الصيرفة ،ونشر وسائل الفتنة التي تمهد لقلب النظام العالمي وتهدده في كيانه بإشاعة الفوضى والإباحية بين الشعوب ،وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه ،وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخلق القويم.

والمخطط الصهيوني هذا مستوحى من التلمود ؛إذ جاء فيه :

"يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم..وإذا تسلَّط غير اليهود حق لهؤلاء أن يندبوا ويقولوا يا للعار ويا للخراب"

وجاء فيه أيضاً:

" وقبل أن يحكم اليهود نهائياً على باقي الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ،وبعد النصر تنبت أسنان أعداء بني إسرائيل بمقدار اثنين وعشرين ذراعاً خارج أفواههم"

ومن تعاليم تلمودهم أيضاً :

"لا يأتي المسيح إلاَّ بعد انتهاء حكم الأشرار الخارجين على دين بني إسرائيل، وحينما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيراً وملابس من صوف وقمحاً كل حبة منه بقدر كلية الثور الكبير ،وفي ذلك الزمن تعود السلطة لليهود ،كل الأمم تخدم ذلك المسيح، وتخضع له ..وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه"

والتلمود أنشأه الكهنة ورجال الدين اليهودي وضمُّوه إلى التوراة، وأصبح يشكل جزءاً لا يتجزأ من عقيدة اليهود ،فهؤلاء الكهنة ورجال الدين المقيمون في المعابد والمدارس

الفلسطينية والبابلية الذين ألَّفوا أسفار الشريعة الضخمة المعروفة بالتلمود الفلسطيني والتلمود البابلي ،وكانوا يقولون إنَّ موسى لم يترك فقط لشعبه شريعة مكتوبة تحتويها الأسفار الخمسة ،بل ترك له أيضاً شريعة شفوية تلقاها التلاميذ عن المعلمين ووسَّعوا فيها جيلاً بعد جيل ،وقد ثار جدل حول هذه الشريعة الشفوية هل هي من عند الله فتكون واجبة الطاعة؟

وما إن زال الصدوقيون (3) بعد تشتت اليهود عام 70م على يد تيتس الروماني، وورث رجال الدين تقاليد الفرسيين ورواياتهم قبل جميع اليهود المتمسكين بدينهم الشريعة الشفوية وآمنوا بأنَّها أوامر من عند الله، وأضافوها إلى أسفار موسى الخمسة فتكونت من هذه وتلك التوراة أو الشريعة الموسوية التي استمسك بها اليهود وعاشوا بمقتضاها كانت حقيقة لا مجازاً ،هي كيانهم وقوام حياتهم .وإنَّ القصة التي تروي تلك العملية الطويلة التي استغرقت ألف عام ،والتي تجمعت في خلالها الشريعة الشفوية ،واتخذت فيها صورتها النهائية المعروفة بالمشنا، والقرون الثمانية التي تجمعت فيها ثمار الجدل ،والأحكام والإيضاح فكانت هي الجمارتين أو شروح المشنا،وانضمام المشنا إلى أقصر هاتين الجمارتين ليتألف منهما التلمود الفلسطيني ،وإلى أطولهم ليتألف منهما التلمود البابلي . إنَّ القصة التي روت هذه الأحداث الثلاثة لمن أكثر القصص تعقيداً أو أعظمها إثارة للدهشة في تاريخ العقل البشري"

هذا بالنص ما قاله (ول ديورانت) عن منشأ التلمود في الجزء الثالث من المجلد الرابع لقصة الحضارة والذي خصص لعصر الإيمان.

هذا ويقول (ول ديورانت) "كان يهود ألمانيا وفرنسا في العصور الوسطى يدرسون التلمود أكثر ممَّا يدرسون الكتاب المقدس نفسه."(4)

وما يسعى إليه اليهود هو خراب العالم ودماره وفق تعاليم تلمودهم ليقيموا فوق أنقاضه مملكتهم الوهمية الأسطورية ،وهم ينشرون في سبيل هذا الوهم أوهاماً وخرافات بلغوا معها مدى توهموا فيه أنَّ اليهود من نطفة تختلف عن باقي النطف ،فمن تعاليم تلمودهم الذي كان أساساً لبروتوكولاتهم " إنَّ نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات.(5)"

ويقول التلمود "النطفة المخلوق منها باقي الشعوب هي نطفة الحصان ،واليهود كما يتوهمون يعتقدون أنَّ أرواحهم متميزة عن باقي الأرواح ،وأنَّها جزء من الله ،كما أنَّ الابن جزء من أبيه ،وهذا يبيح –بل يوجب لهم– دخول الجنة التي خلقت لهم ، وليس لأحد سواهم ،فيقول التلمود :"النعيم مأوى أرواح اليهود ،ولا يدخل الجنة إلاَّ اليهود..أمَّا الجحيم فمأوى الكفار مهما اختلفت أسماء دياناتهم ،ولا نصيب فيها إلاَّ البكاء لما فيها من الظلام والعفونة والطين "(6)

وجاء فيه أيضاً " تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنَّها جزء من الله ،كما أنَّ الابن جزء من أبيه ،وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح لأنَّ الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية تشبه أرواح الحيوانات "(7) ،وهم يرون أنَّ الله خلق" الأجنبي" أي غير اليهودي على هيئة إنسان . فقط . ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم " ،ومن تعاليمه أيضاً " أنَّ الأمم الخارجة عن دين اليهود أشبه بالحمير ويعتبر اليهود بيوتهم أشبه بزرائب الحيوانات." (8)

بهذه النظرة العنصرية المتعالية يريد اليهود أن يحكموا العالم،وهذا التعالي لا يقتصر على التلمود ،فالتوراة المحرفة أيضاً قائمة على ذات النظرة ،فاليهود يزعمون أنَّهم شعب الله المختار ،والحقيقة أنَّ دعوة اليهود لحكم العالم لم تكن من وضع منشئ التلمود ،وإنَّما كانت من وضع (فيعون) عام 30أو 20 قبل الميلاد، مستمداً الفكرة من التوراة المحرفة ،إذ وضع المبدأ الديني الفلسفي الذي قال " إنَّ العنصر اليهودي يجب أن يستوطن الأرض المقدسة : أرض الميعاد والزحف منها إلى العالم والسيطرة عليه." (9)

هذه الحقيقة ينبغي أن يدركها قادة العالم ليقفوا صلف اليهود وطغيانهم وجبروتهم وإرهابهم . 1– جريدة الوطن السعودية : العدد 690 ، الصادر يوم الثلاثاء 11 جمادى الآخرة 1423هـ الموافق 20 أغسطس 2002م.

2 –المرجع السابق:169.

3 –الصدوقيون طبقة دينية تعود بأصولها إلى قرون عدة قبل ظهور المسيح .لا يؤمن أصحابها بالعالم الآخر ،ولا يؤمنون إلاَّ بالشريعة المكتوبة خلافاً للفرسيين الذين كانوا يدافعون عن الشريعة الشفوية . اصطدمت هذه الجماعة بعامة اليهود ،وتعاونت

مع الهيلينيين ثم الرومان لتحتفظ بمكانتها الاجتماعية،نوقد اختفت من الوجود بعد تحطيم الهيكل."

إسرائيل شاحاك ،الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود،ترجمة حسن خضر ،ص 11،12،سينا للنشر ،ط1994،1م.

4 –ول ديورانت :قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران،،الجزء الثالث المجلد الرابع ،عصر الإيمان ،ص 17،جامعة الدول العربية

5 –شوقي عبد الناصر :بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود ص 33،ط5.

6 –د.روهلنج :عقائد اليهود حسب التلمود ،وهو ضمن كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود ،ترجمة الدكتور يوسف نصر الله ،ص 68

7 – المرجع السابق :ص66..

8 –شوقي هبد الناصر: بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود : ص 35.

9 –أنور الجندي: المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي ،ص23،دار الاعتصام

==============

#العمل الإسلامي واقع وآفاق

د. سارة بنت عبد المحسن بن جلوي* 1423/4/19

2002/06/30

يمر العالم الإسلامي اليوم بأوقات حرجة، ويعيش لحظات حاسمة في تاريخه، تقف به على مفترق طرق، طريق يقوده إلى استعادة مجده، والقيام بدوره الحضاري في قيادة الأمم والشهود عليها، وآخر يهوي به في غياهب التيه والتخبط، وبقية عالة على الأمم.

وعليه أن يأخذ موقفه، ويختار بين مجد يقدمه له منهاجه الرباني الصحيح، وتراثه الإسلامي العظيم، أو أن يستمر في تجرع انهزاميته وهو يرقب انحسار شهوده الحضاري أمام عالم اليوم .

واختياره يعني تحمله مسؤوليته، والمسؤولية هي موقف يتطلب من الإنسان أن يكون جديراً بتحملها .

فمنذ أن يختار المرء موقفاً بعينه، تتحول مسؤوليته إلى فعل متحقق، لا مجرد قدرة على الفعل أو الاختيار فقط .

ومسؤولية الإنسان المسلم أمام نفسه، أو غيره، هي مسؤولية صادرة من مصدر الحكم الأصلي، وهو الله – سبحانه وتعالى– فهي مسؤولية أمام الله (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسؤُولُونَ).

لذا فإن المسؤولية – في الإسلام– تمتد من الفرد إلى الجماعةِ، فالأمةِ، فالناسِ كافة، في نظام متناسق كامل مترابط، يوحد الجهود، ويحقق الأهداف، من خلال علاقة جدلية بين رعاية الحقوق وأداء الواجبات. ومن ثم فإن كل لحظة في حياة المسلم تتجسد فيها المسؤولية بصورة ما .

وهنا يتحقق حمل الأمانة التي أشفقت منها مخلوقات الله ، وحملها الإنسان: (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَال فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً).

والإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في حمل الأمانة، والقيام بالمسؤولية، فهما مكلفان شرعاً، ومسؤولان قضاء وديانة (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِك سَيَرْحَمَهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ).

(مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَّنهُ حَيَاةَ طَيِبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

فالإسلام بخطابه العام المتعدد الأبعاد قد أناط بالمسلمين جميعاً رجالاً ونساء مسؤوليات شخصية خاصة مثل : العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والأسرة، وغيرها.

ومسؤوليات عامة تتعلق بالمجتمع، وقضايا الأمة، بل ومصير الأمة. مثل : التربية، والتعليم، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، وغيرها من المسؤوليات العامة التي يؤديها كلٌّ حسب وسعه وطاقته، وإمكاناته المادية، والنفسية والعقلية، وجَعَل ميزان ذلك كُلَّه التقوى والعمل الصالح، لا الذكورة والأنوثة، ومن هنا نقول: إن اختيار الطريق الذي يحكم مصير أمة الإسلام هو مسؤولية في أعناق أهلها رجالاً كانوا، أو نساء .

ومن منطلق القيام بهذه المسؤولية في مثل هذا الزمن الذي كثرت فيه التيارات الفكرية، والعقدية، والأخلاقية، والسياسية، وقوي فيه تدفقها من كل مكان، حتى نازعت المسلم دينه، وقيمة وأخلاقياته، جاهدة في محو ملامح شخصيته الإسلامية المتميزة، وتذويبها في خضم دوامة صراعات لا تنتهي، واستطاعت أن تؤثر في المجتمع المسلم بصورة لا يمكن تجاهلها، أو التقليل من شأنها؛ لأنها أدت إلى اضطرابات سياسية، واجتماعية، وفكرية، وصراعات داخلية أنهكت الأمة ومزَّقت شملها، وفرقت صفوفها، وغربت أبناءها عن دينهم، وقيمهم ، ومجدهم .

أقول: فمن منطلق القيام بالمسؤولية انبعثت حركات الصحوة الإسلامية بتياراتها المختلفة في محاولة صادقة للوقوف في وجه مد تلك التيارات الوافدة، والعودة بالأمة إلى مكانها الصحيح في ظل المنهاج الرباني، ليكون هو الموجه الوحيد لحياتها كلها، وتخليصها من التوتر، والتناقض الذي عاشته ردحاً من الزمن، بين قيم إيمانها وواقعها، وماضيها المجيد وحاضرها المهزوم .

وأصبحت الصحوة الإسلامية واقعاً له أثره الواضح في حياة الأمة، على الرغم من قلة إمكاناتها، وضعف خبراتها، وكيد أعدائها .

واقع العمل الإسلامي النسوي:

من أهمية دورها في مثل هذه الأيام الحافلة بأقصى أنواع الصراعات : العقدية، والفكرية، والاجتماعية، والسياسية مع اختلاف درجاتها، وتباين صورها.

وإن كان لها وجود، فهو وجود محدود في نطاق ضيق لا يؤثر في تحريك عجلة التغيير الاجتماعي نحو الإسلام إلا شيئاً قليلاً .

فواقعها يتسم بالسكونية وعدم الفاعلية، والغياب المقنع عن ساحة الصراع في هذه المرحلة الحرجة من تأريخ الأمة. ودورها ما زال قاصراً وهامشياً، لم يصل إلى المستوى المطلوب من الفاعلية، كما أنه محكوم بالارتجالية وغياب التخطيط.

ولو ألقينا نظرة عامة على ساحة العمل الإسلامي النسوي، نجد أنها متنوعة الاتجاهات وفق طبيعة البلد الذي تتحرك فيه .

بالإضافة إلى الاهتمام بحفظ القرآن الكريم، وحضور الندوات، والأمسيات الدينية التي تركز على الأمور العقدية، والعبادات ، والمواعظ .

وإن كان يلاحظ نجاح التيار الصوفي المعتمد على الروحانيات، والعبادات ونظام المشيخة الصارم في بعض الأقطار الإسلامية.

في حين يتم تفعيل التنظيمات النسائية الإسلامية في العمل السياسي في بعضها الآخر، وإن كان ذلك ضمن نطاق ضيق محدود .

هذه لمحات خاطفة لطبيعة العمل الإسلامي النسوي بشكل عام، وإن كانت لا تقدم لنا صورة واضحة متكاملة ودقيقة؛ لأن تصوير الواقع بشمول ودقة، يحتاج إلى دراسة ميدانية متقصية، وهو أمر لم يتح لي .

إلا أن الأمر الأكيد في ذلك، هو أن العمل النسوي الإسلامي –في مجموعه– غير منظم، ولا فاعل، بالإضافة إلى أنه تابع تبعية مطلقة للتنظيمات الرجالية، إذ لا توجد –في الغالب– تنظيمات نسائية مستقلة، وقد أدت هذه التبعية إلى تعطيل كثير من الطاقات النسائية الفاعلة، وجمدت دورها في حدود ما يرسمه لها الرجل في التنظيم التابع له .

وهذا بدوره أدى إلى الحد من تحركها، وتأهيلها الدعوي، فلم تأخذ دورها كاملاً، ولا مكانها الحقيقي في بناء الأمة، بدليل أنه على الرغم من كثرة أعداد المسلمات الحاصلات على درجات علمية عالية، واللاتي تولين مناصب قيادية، واقتحمن معظم الميادين، إلا أننا نلحظ افتقاد الساحة الإسلامية لوجود زعامات نسائية مؤهلة في ميادين: الدعوة، والفكر، والعلم، والأدب، والتربية .. وغيرها.

وهذا يدل على عدم نجاح العمل الإسلامي النسوي في إبراز مثل تلك الزعامات، وأنه ما زال قاصراً وهامشياً .

فمحاولة الرجل – دائماً– السيطرة على توجيه النساء، وعدم ترك الفرصة لهن للتعبير عن أنفسهن، والتعسف في ممارسة حق القوامة عند الكثيرين جعل العمل النسوي يقاد ويوجه دائماً من قبل الرجل، فهو المفكر، والمخطط، والمنفذ الفعلي. وزمام الأمر دائماً يكون بأيدي الرجال، مما لا يدع للمرأة مجالاً للبروز، والتعلم من التجربة والممارسة العملية.

حتى قضايا المرأة نفسها تطرح دائماً وتعالج من قبل الرجل، والمرأة مستسلمة منصاعة لذلك كله، فكيف يمكن أن يكون لها دور فاعل في حياة المجتمع والأمة، إذا كانت لا تحكم نفسها، ولا فكرها ولا تقدر على تحديد وجهتها، وهدفها ؟

وهذا الوضع فيه إخلال بمسيرة العمل الإسلامي في بناء الفرد، والأمة، والواقع، إن عجز المرأة عن القيام بدورها له أسباب متعددة، وعوامل مختلفة، أسهم كل منها بدوره في هذا العجز الذي وصل –في بعض حالاته– إلى السكونية المميتة، سواء كبر هذا الدور، أم صغر.

فالمجتمع عجز عن أن يمد المرأة بالشروط الضرورية للتوازن الصحيح الذي يشعرها بقيمة دورها في الإسهام ببنائه، فبالإضافة إلى العامل السابق، فهناك الوسائط التربوية التي يتم من خلالها تربية النشء وتثقيفه، وتعليمه، منها:

01 الأسرة: المحضن الأساس لتلقي الأصول الرئيسة في تحديد ملامح الشخصية، والسلوك، والفكر، والتوجه.

المسؤولية في النفس، وبناء الشخصية الإيجابية المتوازنة، البناء الروحي الصحيح، وتأصيل الثقة بالنفس .

ولعل السبب في ذلك هو جهل الأبوين أصلاً بحقائق الإسلام التربوية، وأن شعور المرأة بأنها تسهم في بناء أسرتها، ومجتمعها، وأمتها، يعطيها التوازن الذي يدفعها إلى الحركة.

02 التعليم : بمستوياته جميعها صار همه الأوحد توصيل أكبر قدر من المعلومات والمعارف دون الاهتمام بالجوانب التربوية العلمية، التي تغرس الأهداف، وتوجه الميول والطاقات لتحقيق الأهداف، من خلال الربط بين الميول والغايات .

بالإضافة إلى أن تعليم المرأة لا يهتم إطلاقاً بتنمية ملكاتها الخاصة، التي تؤهلها للقيام بدور مستقبلي، من حيث طبيعة المواد والعلوم التي تناسب المرأة وتهيئتها لتكون فرداً فاعلاً منتجاً، وفي الوقت ذاته الصبغة العلمانية البحتة التي اتسمت بها تلك العلوم في معظم الأقطار الإسلامية، والتي لا تساعد على تكوين المعاني الربانية، والتي قال عنها محمد إقبال في وصفه للمدرسة الحديثة: إنها قد تفتح أعين الجيل الجديد على حقائق ومعارف، لكنها لا تعلم عينه الدموع ولا قلبه الخشوع .

03 التقاليد: إن كثيراً من التقاليد التي تحكم حياة المسلمين وبيوتهم لم توزن بميزان الإسلام، بل إنها تحكمت في حياة الناس، وحكمتهم وحلَّت محل التعاليم الإسلامية الصحيحة، واستطاعت أن تهمش دور المرأة، وتقلل من مكانتها، حتى كادت تبعدها كلياً عن المشاركة في بناء صرح الأمة الإسلامية، بل إنها ألغت الكثير من حقوق المرأة التي قررها لها الإسلام، وجعلت تلك الحقوق حبيسة كتب الفقهاء، وأدمغة المشايخ والدعاة. مع أن تلك الحقوق والمكانة لم تكتسبها المرأة من الظروف، وإنما هي منحة إلهية، وتشريع رباني .

04النظرة الخاطئة: التي تنظر بها المرأة إلى نفسها، وإلى دورها، وإلى قدرتها، كانت سبباً رئيساً في عرقلة حركة المرأة، بل ووقف حركتها، وتسليمها إلى السكونية المميتة.

وهذه النظرة غالباً ما تكون متخفية في أعماق المرأة، بصورة دقيقة عميقة، لا تشعر بها في عقلها الواعي، وإن حكمت تصرفاتها وحركاتها الخارجية .

05 الإعلام : بوسائله المختلفة: المسموعة، والمقروءة، والمرئية، قد تجاهل عامداً دور المرأة المسلمة في بناء الأمة، ومكانتها فيها. وكان تركيزه الكلي على تنمية الجوانب المظهرية، والشؤون المنزلية، بل إنه أسهم –إلى حد كبير– في التقليل من شأنها ودورها، حين قدمها بصورة مبتذلة عابثة، في محاولة منه لتذويب شخصيتها الإسلامية، وخلعها من دينها، وقيمها، وأخلاقياتها ، ومبادئها، وأصالتها، وتحويلها إلى صورة مشوهة مهزوزة للمرأة الغربية، مع الفارق الثقافي، والتفاعل الإيجابي. وعمل على إقصاء المرأة المسلمة عن حقائق دينها بهجومه الخبيث على قيم الإسلام المتعلقة بالمرأة، فكان له كبير الأثر في تمردها على قيم دينها، وفتنتها بالغرب.

هذا هو واقع المرأة المسلمة بشكل عام، والعمل النسوي الإسلامي بشكل خاص.

فكيف يمكن أن تقوم المرأة المسلمة بدورها في المشاركة الإيجابية الفاعلة لتحقيق النهضة الإسلامية المعاصرة، وبناء جيل إسلامي واع مثقف مؤهل لتحمل المسؤولية العظيمة في إعادة بناء صرح هذه الأمة .

إن هذا يقتضي أن تؤهل المرأة المسلمة تأهيلاً خاصاً يتناسب مع عظم دورها، وحقيقة مكانتها.

والتأهيل يستلزم الإعداد المسبق من خلال برامج وآليات خاصة تهتم ببناء الشخصية المتكاملة، والعقلية الواعية المستقلة، والعلم الصحيح وغيرها من متطلبات التأهيل المدروس الأهداف، المحدد الملامح ، المطبق عملياً ، بشكل جماعي منظم .

فالجهود الشخصية، أو الفردية، أو الوقتية ، لا تكفي لتأهيل المرأة المسلمة، وترشيد العمل النسوي لدور مرتقب .

بل لا بد لهذا التأهيل أن يبدأ من الأسس الأولى، ويكون تأهيلاً متكاملاً في مناحي الحياة جميعها، حتى لا يحدث تشتت فكري، أو اضطراب نفسي، أو توزع قلبي،أو خلل حركي.

يضاف إلى ذلك وضوح الرؤية، وتحديد الهدف، والشعور بقيمة الدور وأهميته، وأن يتأصل ذلك كله في النفس، والفكر، والوجدان.

وهذا، ما نفقده في كثير من النساء المسلمات، وبخاصة الطبقة المتعلمة والمثقفة التي تتولى تربية الأجيال .

لأجل هذا فلا مناص من التأهيل؛ ليكون للعمل النسوي الإسلامي دوره الفاعل، وليكون لهذه الصحوة الإسلامية تأثيرها الحقيقي .

وهذا يستلزم الخطوات التالية :

الخطوة الأولى:

أن تعي المرأة المسلمة أن لها دوراً حقيقياً فاعلاً في بناء المجتمع، والأمة المسلمة، وأن هذا الدور لن يتحقق إلا إذا توافرت فيه العناصر التالية:

01 الوعي الصحيح لمقاصد الدين، وتعاليمه، لإيجاد قاعدة إيمانية تعين على الترقي في الالتزام الإسلامي من أدنى إلى أعلى .

02 صدق النية مع الله، وإخلاص العمل .

03 دراسة الواقع المعاصر ،نفسياً، وفكرياً، وعلمياً، واجتماعياً، وأسرياً لمعرفة مواقع الخلل، ومواطن القصور، والثغرات .

04 معرفة حقيقة الطريق الذي تسلكه ، وتفصيلاته، وترتيب خطواته، ومراحله.

05 معرفة الوسائل التي تحتاج إليها، والأساليب التي ينبغي اتباعها، واختيار المناسب منها لإصلاح الخلل، وسد الثغرات، وإكمال القصور، بما يتناسب مع طبيعة كل مرحلة، وظروف المكان، والزمان، والإمكانات المتاحة.

06 تحديد الأهداف القريبة، والمستقبلية التي ينبغي الوصول إليها، ووضوحها.

07 معرفة حدود الطاقات النسائية وتجميعها.

08 تحديد ميادين العمل، والتأكد من مدى مساندتها لها .

09 القراءة المكثفة الجادة لفقه النص، وفقه الواقع.

الخطوة الثانية :

البدء بمحاولة تصحيح المفهومات المنحرفة في المجتمع، وبخاصة بين طبقة النساء، وتنمية الاستعلاء الإيماني الذي يرسخ موقف المرأة المسلمة في معركتين، معركة التقاليد المنحرفة، ومعركة التقليد للغرب .

الخطوة الثالثة :

تأهيل أكبر عدد من المثقفات المسلمات علمياً، ودينياً، وعقلياً، وفكرياً، وأخلاقياً، ليكُنَّ طليعة إسلامية قادرة على تحريك المجتمع وقيادته .

(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلّ فِرْقَةٍ مّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ).

الخطوة الرابعة :

وضع مناهج تربوية نسائية تراعي خصوصيات المرأة النفسية، والفكرية، والجسدية، وتكون متسمة بالتكامل، والتدرج، والشمول والواقعية، بحيث تعمل على بناء شخصية المرأة المسلمة الواعية، وتناسب فطرتها وتلبي حاجاتها لمواجهة الحياة المعاصرة بمتطلباتها كلها. وفي الوقت ذاته تتوافق مع مراحل حياتها الفكرية، والنفسية، ومقتضيات الواقع المحيط من حيث: التربية العقلية، والاستيعاب الإيماني، وتعويد العقل على الفهم، والموازنة بين الأمور، وتنمية المواهب .

الخطوة الخامسة :

رسم منهاج سلوكي متنام مستقيم متفق مع شرع الله، ملائم للحياة الإسلامية الصحيحة، والحياة المعاصرة، متفق مع المنهاج الفكري ، والتربوي، للعمل على

تنمية العقيدة الصحيحة، والإيمان الراسخ، والشعور بالمسؤولية. مع البعد عن الغموض والتعقيد.

ولا يكون ذلك إلا من خلال وعي للعلاقة الجدلية بين النص الإسلامي، والواقع الإسلامي، وذلك بدراسة تخصصية جادة لفقه النص، وفقه الواقع.

فإن أي محاولة لا تقوم على أساس عقيدة إسلامية صافية، وتفوق فكري فاعل لن يكون له أثر ؛ ذلك أن اتحَّاد العقيدة والفكر، هو طاقة الدفع الحضاري للعمل الإسلامي، والفصام بينهما هو سبب التدهور والضعف.

الخطوة السادسة :

الموازنة بين الطموح، والإمكانات، وبين ما نسعى إليه، وما نقدر عليه، فلا تتورط النفس في أمور لم تستعد لها، ولم تهيئ لها الوسائل اللازمة. (فاتقوا الله ما استطعتم).

الخطوة السابعة :

العمل على تحريك المسلمات كافة للقيام بدورهن، مهما صغر هذا الدور، وفي أي مجال، ومكان، وزمان .

الخطوة الثامنة:

تحديد طبيعة العلاقة بين التنظيم النسوي، وتنظيم الرجال، من حيث التبعية والاستقلال. وفق الظروف المحيطة به، مع توعية الرجل بأهمية دور المرأة في عملية البناء والتغيير، من أجل تسهيل تحركها ونشاطها، لبناء الأمة من جديد، كما بناها الرعيل الإسلامي الأول في عهد المصطفى – صلى الله عليه وسلم – الذي قال : " النساء شقائق الرجال" فتعمل النساء إلى جانب الرجال في تحقيق خير أمة أخرجت للناس. (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ).

الخطوة التاسعة :

العمل على إيجاد مؤسسات إسلامية نسائية عالمية، تتابع صحوة المرأة المسلمة، وتوحد صفوفها، وتنظم حركتها، وتنقلها من الاجتهادات التطوعية الفردية، إلى العمل

الجماعي المنظم، من خلال عقد المحاضرات، والندوات، والمؤتمرات الإسلامية النسائية قطرياً وعالمياً، وفق متطلبات الظروف .

الخطوة العاشرة :

التحرك البصير في جميع شرائح المجتمع، مع التركيز على الشرائح الثقافية المتميزة، من خلال العمل الواعي الجاد في الوصول إلى قلوب النخبة من المثقفات غير الإسلاميات، ومحاولة كسبهن للعمل الإسلامي، وكذلك محاولة الوصول إلى قلوب العامة، وتحطيم الحواجز القائمة والمفتعلة الموجودة بين العمل الإسلامي، وعامة أفراد المجتمع بفعل الظروف الداخلية، والخارجية، وإعادة ولائهم للإسلام من أجل تكوين رأي إسلامي عام يقف وراء الدعوة، ويحبها، ويساندها، ويشد من أزرها .

الخطوة الحادية عشرة :

المشاركة الفاعلة في الأنشطة الاجتماعية المتنوعة، مع التركيز على النشاطات الطلابية في مراحل التعليم العام، والجامعي، والإسهام المتواصل في الكتابات الصحفية: الأدبية، والثقافية، والتخصصية، والدعوية، وإصدار الكتب الإسلامية التي تعالج قضايا المرأة وتحركها في الاتجاه الصحيح. وقبل ذلك كله، تغيير ما بداخلنا؛ لأن الخلل الحقيقي يكمن فيه، وتغيير الواقع يبدأ من داخل نفس كل منا، وهذا يستلزم معرفة سنن تغيير ما بالنفس، والمجتمع، والأمة. (إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ).

وما بالنفس هو : الأفكار، والمفاهيم، والظنون، التي هي مصدر العمل، والسلوك .

وختاماً :

عَوْد على بدء، وهو أن مصير هذه الأمة، واختيار طريق نجاتها، يقتضي منا أن نتحمل المسؤولية، ونقوم بالأمانة، ونؤدي الرسالة، وننتقل من سكونية، الواقع وهامشية دورنا فيه، إلى آفاق حركة المستقبل، وفاعلية دورنا فيه، ضمن إطار منهاج إسلامي تربوي تعليمي صحيح، وأهداف واضحة محددة تكون قاعدة لانطلاقة قوية ثابتة (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ).

فالفاعلية في الحياة لا تتحقق إلا بالفهم العميق لطبيعة الدور الذي يقوم به الإنسان في هذه الحياة، ووضوح الفكرة التي يؤمن بها، وتحديد الأهداف التي يسعى لتحقيقها،

والغايات التي يعمل لأجلها، واستشعاره لمسؤوليته أمام الله، فالوصول يحتِّم أن تلتقي حركة الإنسان مع هدفه، فإن اختلفت الحركة مع الهدف، أو لم يلتقيا، وجد القلق، والاضطراب، وطال الطريق (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِياً عَلَى صِراطٍ مُّسْتَقِيمٍ). *رئيسة تحرير مجلة الشقائق

============

#أي علمانية تناسب البلاد الإسلامية؟

عبد السلام بلاجي 1423/11/15

2002/02/27

إن هذا السؤال مهم ومحفز لأكثر من سبب: فهو تسليم – كما يظهر – بتعدد العلمانيات من جهة، كما أنه من جهة ثانية يبدو وكأنه يتساءل – ضمن تنوع العلمانيات – عن أيها يناسب البلدان الإسلامية، فهل العلمانية عقيدة عالمية ونظام كوني يحتم على كل الناس الالتزام به؟ أم أن العلمانية بتأويلاتها المختلفة تجربة خاصة أفرزتها سيرورة تاريخية معينة؟

لقد ظهرت العلمانية، بمختلف مدارسها، في بيئات نصرانية، فهل كان هذا مجرد صدفة؟ إن النصرانية، تم التبشير بها أول الأمر في فلسطين على يدي نبي الله عيسى عليه السلام، ثم قامت الدولة الرومانية بنقل مركز الكنيسة من فلسطين إلى بيزنطة، وبعد ذلك نقل هذا المركز إلى روما، علما بأن كلا من بيزنطة وروما لم تعرفا نزول أي نبي أو ديانة سماوية، ومع ذلك فقد اكتسبتا قداسة مركزية أضفتها عليهما الكنيسة وعامل. فهل هذا النقل كان تعسفاً؟ أم أنه يرجع إلى إرادة الكنيسة نفسها التي تدعو إلى إعطاء "ما لله لله وما لقيصر لقيصر"؟ وبالتالي قابليتها الذاتية للفصل بين ما هو روحي وما هو دنيوي؟ أم أن الأمر يرجع إلى هذين العاملين معا؟ وبعد انتقال الكنيسة إلى أوربا، واتخاذها من روما مركزاً لها، شهدت علاقة الكنيسة بالسلطة الحاكمة عدة تطورات، بداية من الجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية إلى توازي السلطتين معا، إلى الفصل بينهما في مطلع القرن العشرين بعد كفاح مرير خاضه العلماء والمثقفون في عصور التنوير نظراً لأن المؤسسة الكنسية عرفت عدة ممارسات مستهجنة من قبيل مصادرة حرية التفكير والبحث العلمي، مما أدى إلى

إعدام عدد من العلماء والمفكرين، وبيع "صكوك الغفران" أو حجبها عن الناس، وممارسة الدعارة بين الرهبان والراهبات مع دفن الولدان في أقبية الكنائس، أو التحالف مع الإقطاع والوقوف ضد دعوات التحرر والانعتاق...

أما في ربوع الإسلام، فقد كانت هناك تصورات وممارسات ومسارات أخرى مختلفة تماما، فالإسلام ذاته يتشكل من منظومة متماسكة وشاملة لا يمكن فصل مكوناتها: عقائد غيبية، وعبادات منتظمة، وتشريعات تنظم كل جوانب الحياة اليومية، وليس للفقهاء إلا دور اجتهادي واستنباطي لمواكبة مستجدات الحياة، علما بأن دائرة الفقهاء دائرة علمية مفتوحة، وليست مؤسسة دينية منغلقة المنافذ أو هرمية التنظيم، كما أن قبلة المسلمين لم تخضع لأية تنقلات تعسفية من قبل السلطات المتعاقبة في دمشق أو بغداد أو القاهرة أو مراكش أو قرطبة... ولم تكن هناك مؤسسة دينية تعدم العلماء والمثقفين، أو تتوسط بين العباد وربهم، أو ترتكب في دهاليزها فضائح جنسية أو أخلاقية, وحتى إذا وجدت بعض الانحرافات فإنها ترتبط بالسلطة أو بالأشخاص المرتكبين لها وليس بالدين نفسه أو بالأحرى بمؤسسة دينية لا وجود لها أصلا. وحتى في أسوأ الأحوال فإن بعض التأويلات أو الممارسات غير الملائمة قد ارتبطت بتيارات فكرية كالمعتزلة قديما، أو بعض الحركات الإسلامية حديثا. ولهذا السبب لم تجد حتى أكبر الحركات اللادينية راديكالية داخل الأمة الإسلامية مؤسسة دينية محددة تناطحها أو تصارعها، بل إنها تجد نفسها معزولة داخل مجتمعاتها كلما جادلت في قضايا مرتبطة بالدين الإسلامي بصفة مباشرة أو غير مباشرة، فالأمة إذن هي التي احتضنت الدين، وسهرت على حمايته، فهل يتصور أن يطالب الحاضن أو يطلب منه الانفصال عن محضونه؟! أو يقف صامتاً أمام من يريد انتزاعه منه؟

وإذا عدنا إلى العلمانية ذاتها، وجدنا أن لها مدارس واتجاهات مختلفة نلمسها في مختلف التجارب والتصورات المطروحة، ويمكن على سبيل المثال لا الحصر إيراد التوجهات التالية:

1-العلمانية هي فصل للدين عن الدولة:

باعتبار أن الدين شأن فردي ينظم العلاقة بين الإنسان وخالقه، وأن الدولة مفهوم اجتماعي بشري ينظم علاقة الناس بالدولة، وعلاقة الناس ببعضهم البعض، وهذا التأويل قد ينسجم إلى حد بعيد مع التصور الكنسي نفسه، إلا أن السياسة والممارسات السياسية قد يكون لها اهتمام بالشأن الديني باعتبار جانبه البشري الاجتماعي.

2-العلمانية هي فصل للدين عن السياسة:

إن هذا التوجه أو التأويل أقل تساهلا تجاه الدين من التوجه الأول، فطبقاً لهذا التوجه لا ينبغي أن يكون للدين أي تأثير مهما كان صغيراً في برامج الدولة أو الأحزاب السياسية لا من قريب ولا من بعيد.

3- العلمانية هي فصل الدين عن الحياة:

هذا التوجه أكثر راديكالية ويبرز أكثر ما يبرز لدى بعض "الفرانكفونيين" سواء داخل فرنسا أو خارجها، وهو التوجه الذي أجج المعارك من أجل قضايا دينية شخصية مثل الحجاب، بل واعتبرها تهديدا للعلمانية والديمقراطية مع أنها قضايا فردية بحتة، و هذا التوجه يجعل من العلمانية عقيدة دينية وضعية متطرفة.

4- العلمانية هي القضاء على الدين:

ويتمثل هذا التوجه أساسا في "الفكر الماركسي" الذي يرى في الدين مجرد "أفيون" للشعوب، ويطرح العقيدة الماركسية والإلحادية بديلا للدين والفكر الديني، وهو أقرب ما يكون للتوجه السابق، مع فارق هو أن التوجه السابق يبيح التعدد والديمقراطية للعلمانيين دون غيرهم (المؤمنين بالعقيدة أو الدين العلماني) بينما لا يؤمن التوجه الماركسي بالتعددية أصلا، أما الديمقراطية عنده فهي مركزية لا يسمح بها سوى "للبروليتارية" وحلفائها المنضوين في الأحزاب الماركسية.

أما على مستوى الممارسة، فلقد أفرزت العلمانية "الأنجلوسكسونية" أنظمة سياسية أكثر تساهلا تجاه الدين، ففي الولايات المتحدة الأمريكية -البروتستانتية- نجد نظاماً ديمقراطياً رئاسياً يفصل بين السلطات فصلا قاسياً، أما فيما يتعلق بالدين فإنه يسلك منهجا معتدلا، بحيث يسمح للمدارس بتعليم مبادئ الدين للأطفال، وعادة ما يجاهر رؤساء الدولة بالممارسة الدينية التي يعتبرها المواطنون ميزة إضافية للمرشحين

للرئاسة، فضلا عن أن مختلف مناطق البلاد تشهد صحوة دينية قوية لا تلقى أية معارضة أو مصادمة من طرف الدولة ومؤسساتها، بل إنها تلقى كل القبول والترحيب.

وفي إنجلترا -الأنجليكانية- أفرزت الممارسة ديمقراطية برلمانية مع فصل مرن للسلطات في ظل نظام ديني غير علماني، وتعتبر هذه الديمقراطية عند علماء السياسة والقانون الدستوري أنضج وأعرق الديمقراطيات، وأكثرها سماحة واعتدالاً واستقراراً.

أما في فرنسا -الكاثوليكية- فقد أفرزت العلمانية، نظاماً ديمقراطياً شبه رئاسي، يتوسط بين النظامين الأمريكي والبريطاني سياسياً، وأقل سماحة منهما دينياً، وأكثر خصومات سياسية، وأشرس معارك حزبية وأيديولوجية.

إن هذه الفروقات السابقة هي التي جعلت البعض يستنتج أن التجربة الديمقراطية الغربية تكون أكثر مرونة وسماحة إذا ارتبطت دستوريا بالدين (أنجلترا نموذجاً)، وأقل مرونة إذا ارتبطت واقعياً بالدين ولم ترتبط به دستوريا (تجربة الولايات المتحدة الأمريكية)، ومنعدمة المرونة إذا انفصلت دستوريا وعمليا عن الدين (التجربة الفرنسية)، بينما يذهب البعض الآخر إلى أن درجة المرونة أو التصلب لهما ارتباط بالمذهب الديني، فهو منعدم المرونة في الوسط الكاثوليكي (فرنسا) ومتوسط المرونة في الوسط البروتيستانتي (ألمانيا وأمريكا)، ومرن جدا في الوسط الأنجليكاني (إنجلترا) وبغض النظر عن هذا التوجه أو ذاك, فإن التجارب الديمقراطية الغربية ذاتها تدل على أنه لا يوجد تلازم حتمي بين الديمقراطية والعلمانية أو الديمقراطية واللادينية، فالماركسية التي أبعدت الدين جملة وتفصيلا كانت أقل الأنظمة ديمقراطية وتسامحاً على الإطلاق.

أما في العالم الإسلامي المعاصر، فقد تعددت التجارب والمسارات، ففي تركيا ومنذ أكثر من سبعين عاما نهج أتاتورك أكثر التوجهات العلمانية تطرفاً، لكن هذا المسارلم يؤت أكله سواء على الصعيد الاجتماعي أو السياسي، فعلى الصعيد الاجتماعي تعرف تركيا صحوة دينية متنامية جوبهت بردات فعل رسمية عنيفة وتراجعات خطيرة على صعيد السياسة والتعليم والإعلام وغيرها، وعلى الصعيد السياسي استطاع التيار

الديني اكتساح الانتخابات والوصول إلى سدة الحكم رغم كل العراقيل والمساطر المعقدة المعتمدة الأمر الذي أدى إلى عسكرة الديمقراطية وانسداد آفاقها اجتماعيا وسياسيا وحتى اقتصاديا.

وفي تونس حاول نظام بورقيبة اقتفاء آثار "أتاتورك" فعصفت به الصحوة الدينية دون أن يتمكن حتى من ترسيخ ديمقراطية عسكرية مماثلة للنموذج التركي، وحاول خلفه ترميم الواجهة الديمقراطية بالاستناد على القوى العلمانية المعزولة شعبياً، فنتج عن ذلك نظام ديكتاتوري معزول داخلياً وخارجياً، بل وقعت تناقضات حتى مع التيارات العلمانية التي ساندته في بداية الأمر لاقتلاع الحركة الإسلامية. فلما خلت له الساحة فتك بالجميع.

وفي أندونيسيا حاول "سوهارتو" بناء علمانية أقل تطرفا، لكنها لم تعمر إلا مؤقتا تحت سلطة الجيش والشرطة، لتسقط مؤخراً تحت ضغط الصحوة الإسلامية، لتستأنف الدولة مسارها في ظل نظام أكثر تسامحاً مع الدين وبتمثيل أكبر للأحزاب المستندة إلى المرجعية الدينية.

ويضيق بنا المجال لو أردنا استعراض كل التجارب في باكستان وماليزيا ومصر والسودان، والجزائر والمغرب ونيجيريا... وخلاصة القول أن العلمانية تجربة بشرية محدودة لا ينبغي إضفاء صفة الكونية عليها، وهي متعددة التوجهات والمشارب وليست توجهاً واحداً وموحداً، كما أنها فشلت في التطبيق خارج بلدانها وبيئتها وخصوصاً في البلدان الإسلامية، وهذا يحتم علينا ابتكار أساليب جديدة ملائمة لمسارنا التاريخي ولجذورنا الحضارية، ولبيئتنا الحاضرة، ففي كل أرجاء العالم، فإن الماضي يتحكم في بناء الحاضر، والحاضر يتحكم في بناء المستقبل، وأي إغفال لهذه القاعدة قد يترتب عليه انتحار حضاري أو انسداد وتوقف في مسار التنمية والتقدم.

==============

#فلسفة النص السياسي العربي(2/1)

أنور علي العسيري 1423/11/1

2002/02/13

على مساحة الأداء التاريخي للسياسة في عالمنا الإسلامي وبخاصة منطقتنا العربية تشكلت أنماط من التجاذبات والصراعات السياسية أثرت في بنية تطورها العام وساهمت مع عوامل أخرى في تحلل نموذجها الحضاري ، فمنذ قرون والامة تقود العالم حضاريا وتزدهر أنشطتها في اتجاهات مختلفة لكنها غالباً ما كانت تفشل في جانبها السياسي الذي كان يهيئ دائماً لسقوطها كأنموذج حضاري إسلامي راق من المفترض استمراره . وفي هذا العصر الذي نعيشه اقتحم (الاستخراب) وأدواته مرتكزاتنا واستطاع التغرير بكثير من المحبطين من هذا التاريخ السياسي وقلة منتجاته القابله للتطبيق والذي تغافل عنها الأداء الفكري السياسي في السابق بشكل لا يتناسب مع تطور الحضارة الإسلامية فكان أن اصطدم ذوو العقول الذين خرجوا يبحثون عن العلم في الغرب بمجتمعات مدنية تمارس حياتها في جو هادئ يتيح للإبداع فرص التكاثر عكس ماكان سائدا في أوطانهم ، ونتيجة لهذه المواجهة التاريخية بين شخصية إسلامية منهزمة من الداخل وسطوة الحضارة المادية سقطت أوراقهم، وبدلاً من أن يأخذوا منهم الوسائل أصبحوا يلهثون وراء قيمهم وأفكارهم وأسلوب حياتهم ، نتيجة لغياب الإيمان العميق والعقيدة داخل نفوسهم.

سهلت هذه الحالة التاريخية الفرصة لتكاثر الأفكار والأيديولوجيات الغريبة عن مجتمعاتنا فمن ليبرالية فرغت الحضارة من قيمها الروحية السامية إلى اشتراكية قمعت الإنسان البسيط من أجل الجماعة(جماعة الصفوة الاشتراكية ولاشك) إلى حركات تحرر مبتذلة تدعي لنفسها القومية والوطنية وهي تستقي وحي عقيدتها الفاسدة من الوحل الأساس ... وفي مدار هذه الهرولة الأيديولوجية كانت الأمة بمجموعها في حالة من الجهل لا يسمح لها أن تعرف أين تقف ومع من تبدأ أجبرت وليس لها من الإدراك ما يجعلها تقاوم هذه حركات الدخيلة فاستلبت فئام من ذوي النفوذ العقلي والسلطوي والمالي مراكز التأثير إرادتها ودفعت بأفكارها عبرها وسخرت وسائل إعلامها ومنتدياتها بل وجعلت المنطق يؤيد وجودها كحتمية تاريخية ...زخم من الاندفاع الأيديولوجي مورس على الأمة من مثل هذه القيادات المتغربة كان من نتائجه: اعتناق عقول من الشباب اليافع لمثل هذه الأفكار وعباراتها الثورية فأنتجت

أجيالا متعددة تؤمن بهذه الأفكار كمخرج من حالة التشرذم وخاصة أن فلسطين كانت الورقة الأساسية في يد أي انقلاب يطيح بأي سلطة!

والآن وبعد أن جرب في حقل الأمة إفراز هذه الأيديولوجيات سقطت الأقنعة ، وصدم المؤيدون بهذه الحالة من الانهيار الحضاري والتردي المقيت الذي أوقف أمة الإسلام على طرقات العالم المتقدم تتسول كل احتياجاتها من الخيط حتى السيارة!

حالة من الانهيار تضافرت في شكل صدمات متلاحقة من الأحداث شكلت في تراكماتها التاريخية فرصة لظهور ملامح الحركات الإسلامية على الساحة في مقابل شعور الأنظمة السياسية بانخلاع الشعب عن خطاباتها الرنانة وشعاراتها الأيديولوجية الغريبة عنها والتي لا يفهمها إلا أبناء موسكو ورواد مقاهي نيويورك العابثة! هذا الانخلاع توافق خوفا من انهيار أنظمة هذه الفئات فقررت التوشح بالإسلام ولو صوريا من خلال التصريح علناً بأن الدستور إسلامي (مع بقاء التطبيق تحت عباءة العلمانية المقيتة) !!

والان ورغم هول الأحداث وتسارعها وفرضها لتغيرات شاذة في منحنى الفعل السياسي العالمي إلا أن هذه الأحداث كذلك قررت أن تفرض جيلاً مسلماً شاباً غير الذي كان قبل الحدث الحادث.

جيل أراه يتزايد كل يوم ولله الحمد والمنة ، يعتز بدينه ويقرأ الأحداث من خلاله ويعرف أن لا نجاة لهذه الأمة إلا السير في قافلة الدين الإسلامي الحنيف، ومما يزيد الأمر تفاؤلاً وقوة أنها أجيال شابة دفعت الملايين من الدولارات لإلهائها عن الحقيقة بتعرية الأجساد على الشاشات الفضائية ورغم ذلك وقفت فطرتهم- بتوفيق من الله- أمام هذا المحك الجلل. ولأن الأمة تمر بمرحلة تمثل منعطفاً في تاريخها كان على أبنائها التوحد وخاصة الحركات الإسلامية ، لكن المشكلة التي كانت و مازالت تعاني الحركات الاسلامية منها هي تلك الريبة من أي مشاركة إسلامية سياسية ! وللحق فان مثل هذه الريبة ليست وليدة حالة بعينها بقدر ما هي وليدة تراكم تاريخي وسياسي واجتماعي وتجارب اقتحمتها الأمة منذ وقت مبكر في فجر تاريخها حتى غدت السياسة وأهلها في نظر الكثير من المسلمين أمر مهين ولا يجب للعاقل أن يقترب من أبوابها بل يصل الأمر إلى حد اتهام العلماء الذين يحاولون التأصيل لهذا

العلم ومناقشة دور الأمة في صناعة القرار بتهم أقل ما يقال فيها عنهم انهم يثيرون الفتنة ويخرجون عن الإجماع ويسيرون على درب الخوارج !! سيل من العناوين المعلبة تحاول أن تقتل كل محاولات النهوض الإسلامي وتعتقد أن كل من يخالفها على خطأ، وهم بذلك يتجاهلون أن السياسة وسيلة مهمة لإعلاء كلمة الأمة وأنها نشاط مهم ورحب لإعلان قوة المسلمين مثلها في ذلك مثل الاقتصاد والطب وما سوى ذلك.

لقد كانت النتيجة لهذه النظرة القديمة للسياسة إخلاء هذا المركز الحساس للأمة من قوى تحمل الهاجس الإسلامي، مما أدى إلى تمكين قوى الجهل السياسي من إحكام قبضة فهمها لمجريات الأمور وكيفية إدارة الدولة وفق عقيدتها التي لا يخفى على إنسان مواردها .

فأتيح للآخر الغريب عنا وضمن نطاق هذه الرؤية القاصرة أن يستولي على مقاليد الفهم السياسي وأن ينصب أدوات فهمه كمعيار ترتكز على يديه أي محاولة لدخول هذا المعترك الذي رغم منجزات الحضارة الإسلامية وتطورها في مراحل سابقة إلا أن فكرها السياسي ومفكريها ظلوا بأقل من درجة التأثير لصياغة هذا النمط من المعرفة السياسية المتراكمة والتي تسمح باجتياز الأنفاق التي مرت بها الأمة منذ قرون بفعل هذ الاقتتال الداخلي على السلطة السياسية على الرغم من أن الإسلام كان حكمه حاسما في اعتبار واجب المشاركة واجبا شرعيا وخاصة في مبدأ التناصح الذي يعني الرقابة على سلوك وأداء أي حكومة إسلامية وتقويم انحرافاتها، كذلك بسطه لقاعدة العمل الجماعي من خلال مفهوم الشورى الإسلامي إضافة إلى كون السياسة مشاركة لجموع الأمة في النهضة المرجوة كما أكد فلاسفة اليونان على هذا الأمر حين اعتبروا أن السياسة جزء من واجب المواطن الصالح والكامل ، ومن هنا يتكامل الأداء الحضاري في كل جوانبه وتتفاعل المعطيات البشرية الفردية وتندمج مجتمعيا لتؤسس حضارة فاعلة قادرة على البناء وإثراء الآخرين والاستفادة منهم مستلة سيف الحق من نور الإسلام الوسطي .

من هنا بدأت كثير من الحركات الاسلامية محاولة الخوض في المعترك السياسي ورغم أنها قبلت وجود الآخر الوافد إلا أن تلك الحركات ظلت تواجه الرفض من كثير من الحكومات العربية .

وإزاء هذا الركام من الشك الذي يصيب السياسي العربي تجاه هذه المشاركة ، والريبة الكبيرة من نوعية هذا الطرح ؛ من المنطقية العلمية أن نحاول كمسلمين أن نساهم في تفكيك هذا الشك وحالات التوجس السياسي عبر نثر مفردات هذا النص السياسي العربي وإذابة كل تضاريسه ومعرفة أين يكمن الخلل وهذا بدوره ينعكس على اللقاء السياسي الإسلامي بمجموعه فقد قدر للعرب أن يكون لهم قصب السبق عندما تزداد لحظات وعيهم الإسلامي فقط!

وبنظرة مجهرية لهذا النص السياسي العربي الذي هو بمجمله نص يتوائم مع حالات شاذة تضطرب فيها عرى الأمن وتتقوض وبالتالي تفرض هذا النمط الشاذ من الرؤيا والبناء الذاتي لهيكلة هذا النوع من القرار الذي يؤثر في كيان أمة بأسرها لابشخص بعينه ! إن هذا النص السياسي محمل بماض مثقل بالنزاعات والستغراق في الذاتية بحيتث تنقلب أفكار أمة وتوجهاتها لمجرد أن موقعاً سياسيا قد ارتضى تلك الأيديولوجية أو ذلك النمط من الحياة ، وتتم في سني الإطاحة بكل منجزات القرون الماضية وهكذا تأتى كل حالة سياسية لتفرض نصها وبرنامجها الخاص لتعممه على مجموع الأمة دون الأخذ في الاعتبار رأي الدين في مشاريعها ومدى توافقها معه.

لقد سهلت هذه النوعية من القرارات في مقابل غياب الرقابة فتح المجال لظاهرة الاستيراد السياسي لأيديولوجيات لاتنتمي للأمة ثبت فشلها ولامجال لمناقشة ذلك

لعل المتابع لطبيعة النص السياسي العربي تاريخياً يلحظ سمات مميزة؛ فهو نص فرضي أريد له أن يقدم قائمة بعباراته وملامح نموذجه في مجتمعات لاتنتمي له؛ فاضطر إلى بذر بذور الكسر ، واستخدام مصطلحات الإجبار. هذا النص وهذه الفلسفة "الهوبزية" المستخدمة منذ قرون لا تتيح تشكيل مجتمع إسلامي مبدع واعٍ متفتح ، فشعور المرء بإنسانيته هو ما يمنحه القدرة على التميز وبالتالي ينسحب هذا التميز على شكل الأمة ، على عكس الفلسفة "الهوبزية" المتسلطة التي تخرج أنماطاً من البشر ذات سلوك –على أحسن الأحوال– غير فعال وعلى أسوأ الأحوال متمردة

على سلطة القرار المفروض . هذا النوع من القرار نجده قد استفرغ كل شخصيته السلطوية في مؤسساتنا العربية فتحولت كل منظمة- رسمية كانت أو غير رسمية- إلى حقل تجارب لهذا النمط من صناعة القرار، وكذا تناثرت أشلاؤه على بنيان المجتمعات حتى وصلت إلى البوابة الأولى للمجتمع المسلم وللأسرة التي غدت -الا فيما ندر-قهرية وسلطوية على رقاب أبنائها يفكر الآباء عنهم خيارات حياتهم، ويقررون عنهم تفاصيل آمالهم دون أن يتاح لهم فرص التعود على نمط الشورى في المجتمع عبر إتاحة نافدة لشورى الأسرة المسلمة! كل ذلك شكل في المحصلة جيلا تواقاً للانعتاق من هذه المتوالية القمعية التي تخنقهم في دوائر متشابكة لا يفصلها فاصل .

والآن وقد توسعت مدارك الإنسان و تأكد . حتى السياسي . بأن كل ما جرب كان سبباً في إعطاء الانهيار سمة مركبة، كان علينا أن نقف جميعاً لنواجه الحدث فأمريكا تريد أن تتحكم في رؤوسنا و شخصيتنا وملامح عقول أبنائنا، وشكل بناتنا، ومكاسب تاريخنا؛ و من هنا فعلى المصلحين أن يخترقوا الجدار في اتجاهين وفي تواز وبمستوى متقارب من الجهد، واحد باتجاه يراد منه بث الوعي في المجتمعات ، وباتجاه آخر يراد منه فتح باب الحوار بكل وسيلة ممكنة لفرض نمط من التغيير في سلوك القرار السياسي، وبنية تركيبه، وإعادة صياغته اسلامياً ، مع الاعتبار بأن هذه المعركة تبارزنا فيها الامبراطورية الأمريكية التي تسعى في هذه الأيام إلى كوننة نمطها السياسي ليسهل لها قيادة الركب بشكل كامل عبر توالي قصفها السياسي والعسكري على المنطقة؛ فلم يبق في العالم الضعيف من يجرؤ على التحدث إلا المسلمون ورغم أنهم في ذيل العالم هذه الأيام إلا أن دينهم وبقيته المستمسكة أبى الله عليهم إلا أن يكونوا أصحاب مشروع يخيف أعتى الامبراطوريات العالمية سطوة في التاريخ !!

إن أكثر ما يدفع تفاؤلنا للاعتقاد بتناسب أرضية الزمن الحالي لإعطاء هذه اللحمة المأمولة شكلاً ملموساً هو هذا التحول المفصلي في تاريخ الغرب مع العالم الإسلامي ، إذ نشهد اقتحاماً لكل خصوصياتنا في عملية وقحة أقل ما يقال عنها: إنها استخفاف بهذه الشعوب وتاريخها ! وهذه هي الحال فكلنا على نفس القارب

وعلينا جميعاً أن نكون على قدر المسؤولية... وبهذا فإننا ندعو قوى الوعي وأرباب القرار، وعلماء الأمة ومفكريها على حد سواء إلى العودة لهذا الدين الذي تجاهلناه كثيراً في شؤوننا، وأن نفتح أبواب الحوار الصادق لنحدد مسار تلك العودة، فالحالة التي نمر بها أكبر من أن يسكت عنها مخلص أو أن يمررها ناصح ، فمجرد الانصياع (لروشتة) العلاج الأمريكي سيؤدي إلى اقتتال وفتنة داخلية أتاحت وستتيح فرصاً أوسع لتشكيل العالم الإسلامي ومناطق قواه أمريكياً ، فالإرهاب "المزعوم" لم يكن سببه مناهج تعليمية دينية بل العكس هو الصحيح فإن أهم أسبابه هو غياب المناهج الإسلامية في أغلب دول العالم الإسلامي التي ترشد سلوك الشباب، إضافة إلى ذلك غياب قوى الحرية في مقابل تحرر قوى القمع.إننا نربأ بأمتنا أن تفتح ذراعيها لمثل هذه التوجهات ونعلم تمام العلم أن الحضارة لا ترتقي على أكتاف القهر أو بشعار ((نحن فقط من يملك الحق)) فالغرب يتجه بسرعة مذهلة للاستغراق في الماديات القاتلة حتى أعلن كثير من مفكريه أن الإسلام هو المخرج الوحيد لاعادة التوازن إلى العالم، ولا غرو فنحن نملك المفتاح ولكننا لم نعره بالاً بعد!! فهل يفتح القرار يديه للفكر ، وهل يقبل الفهم أن يرشد الأداء ؟! ... نعم كل ذلك ممكن لو أعلنت الأمة رغبتها الصادقة الموسومة بالعمل في العودة، ولو قررت تفريغ مفكريها لبحث التاريخ ونبش كل مكنوناته لنعرف أين كنا؟ ولماذا أصبحنا وما هو المخرج ؟؟ من هذا المنطلق وعبر هذه المعرفة فليس أمام العقل السياسي وأهل العلم والفهم إلا أن يتكاتفوا أكثر من أي وقت مضى، وأن يفتحوا بوابة طالما أغلقت ... بوابة فتحها العالم الغربي باتجاه أبنائه فاستطاعوا الانطلاق؛ لأن عقولهم حية تنبض كل دقيقة ولا أدل على ذلك من وجود أكثر من أربعين ألف خلية أو وحدة فكرية في أمريكا كل خلية تضم مجموعة من المفكرين المنشغلين بقضية بعينها بحثاً واستقصاءً ودراسةً ... إنهم يستخدمون الفهم لتحديد خططهم وخطواتهم ، فكم مركز بحثياً يوجد في هذه الأمة ؟ وهل فعل القرار السياسي بنتائج تلك المراكز الاسلامية البحثية على قلتها ؟ إننا أمام معضلة داخلية أهم ما يجب علينا فيها أن نلغي الذاتية وأن نحل مكانها الأمة بمجموعها.

بهذا الفهم ستعز الأمة، وسيدوي في العالم صدى حضارتنا، فلامجال أمام الذاتية إلا في الانحسار إزاء ركب الأمة المسلمة .

واخيراً فالحل لن يكون بقرار ... بل بفكر إسلامي حر يحمل على يديه العقيدة

ولا يجب على هذه الأمة مهما احلولك الظلام أن تنسى أننا عباد رب... لاعباد غرب!

==============

#سقوط قيم الحضارة الغربية

عمر عبيد حسنة 1423/10/8

2001/12/23

المواجهة بين المسلمين وأعدائهم لم تتوقف منذ فجر الإسلام ، مصداقاً لقوله تعالى : " ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا " ، فالمعركة مستمرة ، وإن تعددت ساحاتها وتبدلت أسلحتها ، لأن الشر من لوازم الخير ، يقول تعالى: " وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيرا " فسنة التداول الحضاري من طبيعة الحياة : " وتلك الأيام نداولها بين الناس " ولعل ذلك من أقدار الله الغلابة ومن ابتلاءات الخير والشر ، فالمسلمون مستهدفون بأصل إيمانهم وليس بسبب كسبهم أو فعلتهم في كثير من الأحيان ، يقول تعالى : " وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد "، وسوف تتداعى عليهم الأمم لتأكل خيراتهم وتستنزف طاقاتهم وتتحكم ببلادهم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، وسوف تجتمع عليهم ، ولن ترضى عنهم حتى يتخلوا عن دينهم ويصبحوا أتباعاً لليهود والنصارى ، وإلا فالمعركة مستمرة : " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " وهذا قد يكون طبعياً من الأعداء ، لكن المشكلة – في غالب الأحيان – إنما تتمثل في غفلة المسلمين وسُبَاِتهم ، وعدم اليقظة إلى مكر عدوهم " ودَّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة " .

وهذا الذي أتينا على ذكره من القرآن ، يشكل قانوناً أو سنة من سن النهوض والسقوط ، والتاريخ شاهد على ذلك في القديم والحديث ، وكم غفل المسلمون أو تغافلوا عن هذا القانون ، وركنوا إلى الذين ظلموا ، ووالوا أعداء الله ، واتخذوا بطانة

من دونهم لا يألونهم خبالاً ، وخودعوا بعهود ووعود ، فكان السقوط وكان التخلف ، وكانت الهزيمة الثقافية والسياسية والعسكرية ، لكن من نعمة الله على المسلمين أن تسليط عدوهم عليهم ليس تسليط استئصال وإبادة ؛ لأنهم أمة النبوة الخاتمة ، وإنما تسليط إيذاء وعقوبة على المعاصي الفكرية والسياسية والأخلاقية التي يقعون فيها ، قال تعالى : " لن يضرُّوكم إلا أذى" هذا الأذى ليس هو شراً دائماً بل هو – في كثير من الأحيان –خير " لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم " لأنه أشبه بالمحرّضات والمنبهات الحضارية ، التي تشعر الأمة بالتحدي وتبصَّرها بمواطن التقصير ،وتقضي على الجوانب الرخوة في حياتها ، فتستعد للإقلاع من جديد .. فالغريب أن تتوقف المعارك ويتوقف الأذى ، والغريب ألاّ يدرك المسلمون ذلك حق الإدراك ، وهم يتلون القرآن ويقرؤون التاريخ .

لقد مر على الأمة الإسلامية من الحروب والمواجهات والكيود والعداوات ما يكفي لإلغائها ، ليس من الحاضر فقط ، وإنما لاقتلاعها من الماضي أيضاً ، والذي يعرف طرفاً من هذه الحروب والمواجهات والعداوات المتسمرة ، قد لا يفاجأ بالواقع هنا وهناك ، وإنما يرى ذلك شيئاً طبعياً ، فالشر من لوازم الخير –كما أسلفنا – .

ونستطيع أن نقول : إنه على الرغم من شراسة المعركة ، ووحشية الهجمة على الإسلام والمسلمين في كل مكان ، وضخامة الضحايا والتضحيات ، إلا أن ذلك لا قيمة له إذا ما قيس بالمكاسب التي تتحقق يومياً لعالم المسلمين ، والحقائق التي تتكشف يومياً أمام من كانوا غافلين عن طبيعة الصراع إلى زمن قريب ، وكانوا يحسنون الظن بقيم الحضارة الغربية ، ويتوهمون أنها قيم عالمية إنسانية ، تساهم باستنقاذ الإنسان من الظلم والعدوان ، وتمنحه الحرية والعدالة والمساواة ، وإذا بها شعارات للمخادعة والتضليل السياسي ، طرحت في بلاد المسلمين لإخراجهم عن قيم دينهم وحضارتهم ، وتأمين ارتهانهم السياسي والثقافي للغرب وحضارته وبمجرد أن تعجز هذه القيم الغربية عن تأمين العمالة الثقافية وتحقيق الغايات والأهداف ، التي طرحت من أجلها ، فإن الغرب يكون أول المضحِّين بها والمتنكرين لها ، وشواهد الإدانة واضحة في البلقان ، وفلسطين ، وأفغانستان ، وغيرها كثير .

لقد بذل الغرب جهوداً جبارة لإشاعة قيمة الحضارة في عالم المسلمين ، وبلغ في ذلك شأواً بعيداً خاصة بعد سقوط مرحلة الاستعمار العسكري ، وأغرى الكثير من أبناء المسلمين بمحاكاته وتقليده والانتهاء إليه والافتتان به ، فاتخذوه قبلة في ثقافتهم ولباسهم وعاداتهم وكتبهم ومناهجهم وإعلامهم وتعلمهم وطعامهم وشرابهم ، إلى درجة قد يظن معها بعض الغافلين عن سنن التداول والتدافع الحضاري ، أن الأمة الإسلامية قد تودع منها ، حيث انتهى زمام السياسة والثقافة في كثير من بلاد العالم الإسلامي إلى قيادات موالية للغرب ، تحميها حراسات مدينة للغرب في وجودها ووسائلها ومصادرها . لكن الذي نراه ونشهده اليوم في هذه الحقبة ، التي يمكن أن نطلق عليها : حقبة المواجهة الثقافية والحضارية ، بعد المواجهة الاستعمارية : أن المسلمين الذين أسقطوا الاستعمار العسكري في الماضي –على الرغم من قوته وجبروته – يسقط أحفادهم اليوم القيم الغربية ويعرونها ويكشفون زيفها .. وأن هذه المواجهة الثقافية والحضارية اليوم تعم العالم الإسلامي ، من مغربه إلى مشرقه .. وأن البلاد الإسلامية التي أسقطت الاستعمار العسكري ،هي المهيأة دون غيرها للانتصار في المواجهة الحضارية ، وإسقاط القيم الغربية ، على الرغم من تصاعد المواجهة إلى صور من المواجهات المسلحة حيث يستنفر لها اليوم كل أعداء الإسلام .

وما أظن أن أحداً يقدر اليوم على إقناع حتى المسلمين البسطاء ، بأن قيم الحضارة الغربية في الحرية والمساواة والديمقراطية تستحق أدنى احترام أو تقدير ، بعد أن وَأدَها الغرب وتنكّر لها دعاتها من تلامذته ، عندما انقلبت عليه ، ورضي بمساندة الإرهاب والاعتداء والاستبداد السياسي والعسكريات الديكتاتورية في العالم الإسلامي . لقد كان الغرب ودعاة الديمقراطية أول من تنكر لها وضحى بها في أكثر من موقع في العالم الإسلامي ، وذلك عندما أتاحت الفرصة لظهور الإسلام ومجيء الإسلاميين ، وكان دعاتها أول الخائفين منها والمحاربين لها؛ لأن الهوامش البسيطة – لتطبيقها في العالم الإسلامي ، على مستوى النقابات والجمعيات والمؤسسات – عرَّفتهم بأقدارهم وحقيقتهم ، ذلك أن الذين يحاربون الديمقراطية ويخافون منها هم الذين يخسرون مواقعهم عند تطبيقها ..وأن الذين يتهمون بمعاداتها وحربها ، هم

ثمار تطبيقها الحقيقي ، وأن الديمقراطية كانت – دائماً – فرصتهم الإسلامية ، والاستبداد وسيلة أعداء الإسلام ، وأعتقد أننا لو أنفقنا ما في الأرض جميعاً لما استطعنا إسقاط القيم الغربية من نفوس كثير من أبناء المسلمين المرتهنين لها ، كما سقطت – اليوم – على أيدي أصحابها ودعاتها الذين كانوا أول المتنكرين لها عندما سمحت بمجيء الإسلام والإسلاميين ، وأصبح من اليقين الثابت ؛ أن هذه القيم الغربية إنما وجدت لتحقق أغراض أصحابها ، وتأمين العمالة الثقافية في بلاد المسلمين .. وأنها بمجرد أن عجزت عن تحقيق أهدافها ، كان أصحابها ودعاتها أول المتنكرين لها .

لقد سقطت القيم الغربية اليوم ، كما سقط الاستعمار الغربي العسكري بالأمس ، سقطت في البلقان ، وسقطت من قبل في فلسطين ، وها هي تسقط اليوم في أفغانستان ، وفي الكثير من بلاد العالم الإسلامي ، حيث يدعم الغرب اليوم العسكر ، والاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي الذي يغاير قِيَمه بحسب الظاهر ؛ لأن ذلك يحول دون البديل الإسلامي ، الذي بقي الأمل الوحيد .. ولم يبق من سبيل أمام إنقاذ البقية الباقية من قيم الحضارة الغربية في بلاد المسلمين إلا تشويه البديل الإسلامي واستفزازه ، ودفعه إلى ممارسات شاذة وانفجارات عشوائية ، تشوّه صورته ، وتعطي انطباعاً مخيفاً عنه ، وتصور أن العودة إلى العلمانية وقيم الحضارة الغربية ، هي طريق الخلاص من هذه الأصوليات المرعبة ، ولكن جاء ذلك بعد فوات الأوان وانكشاف الحقائق .. وقد يكون المطلوب من الإسلاميين اليوم ، أكثر من أي وقت مضى:

-التمسك بقيم الحضارة الإسلامية وثوابتها ،وتمثلها في حياتهم حتى يدرك الناس الفوارق الحقيقية بينهم وبين دعاوى الآخرين .

-تجنب المواجهة وردود الأفعال ، مهما كانت الاستفزازات وعظمت التحديات ؛ لأن المواجهة غير المتكافئة سوف تكون لصالح أعدائهم .

-التزام الخلق الإسلامي في التعامل مع الآخر ، مهما اشتدت عداواته .

-الانتصار لقضايا الحرية والمساواة وكرامة الإنسان، مهما كانت التضحيات ، والدفاع عنها كالدفاع عن الأنفس والأعراض .

–عدم الانفصال عن جسم الأمة وأهدافها الأساسية ، وتوسيع قاعدة الالتزام بالإسلام ؛ ليتحول من كونه دعوة جماعة أو جماعات ، إلى اختيار أمة بكاملها .

–الوقوف مع الحق أينما كان ، ومن أي إنسان جاء ، وعدم التعصب للذات ، أوالانتصار للنفس .

–عدم المساومة على القيم والمبادئ والثوابت الإسلامية .

–الشجاعة في الاعتراف بالأخطاء ، والإقلاع عنها ، مهما كانت الخسائر ، ذلك أن الفرصة اليوم متاحة أكثر من أي وقت مضى لقيام البديل الإسلامي السليم ، والتأكيد على أن الإسلام دين الأمة وخيارها ، وليس حكراً على أحد ، وليس إلغاءً وتسلطاً لأحد ، وأنه الأمل الباقي بعد سقوط قيم الحضارة الغربية في عالم المسلمين .

============

#انتفاضة الأقصى ... بين رؤيتين!

عبد العزيز بن محمد الوهيبي 1423/8/22

2001/11/07

"بعد أن تهدأ الحناجر من الصراخ ، والأيادي من قذف الحجارة ، والسواعد من رفع كلمات الاحتجاج ودعوات الجهاد، والتحرير ... بعد ذلك هل يعلو صوت العقل والحكمة والدراسات المبنية على الإحصائيات والدراسات الدقيقة والتحليل المنطقي البعيد عن العواطف؟" هكذا يتحدث عقلاء الليبراليين ، ومنظرو قاعات الفنادق، ومراكز المؤتمرات الفخمة التي تعمرها الأرائك الأمريكية العالية القيمة . يتحدث هؤلاء أصحاب الياقات الزرق الذين ينتمي كثير منهم إلى مراكز الدراسات والنشر والبحث العلمي التي تعطي الرواتب الضخمة وترتبط بدعم مباشر أو غير مباشر من هذه الجهة الأجنبية أو تلك؟! هؤلاء الذين لا يملون من تكرار النصيحة لنا بعبارات مملولة، وحجج جوفاء يودون لو أن مصطلحات من نوع : الجهاد ، دار الكفر ، دار الإسلام، المشركين ... الخ ، يودون لو تختفي من قواميس الخطاب السياسي العربي ليظهر بدلاً عنها مصطلحات من نوع : التعايش ، الشرعية الدولية ، احترام الحدود والسيادة الداخلية ... الخ من عبارات عصر التنوير والثورة العلمانية الحديثة هذه هي – وحدها – اللغة التي يودون أن يكون الحوار على أساسها ، ويستخدم نفس أدواتها

المنهجية وينطلقون من نفس تحيزاتها المنهجية والمعرفية وخياراتها التاريخية والاجتماعية ... لكن هذه الخيارات – وإن كان كثير من النخب الثقافية يستعملونها بإصرار ، ويدافعون عنها بحماسة التبشير العقدي – أقول : إن هذه الخيارات لا تفهمها الجماهير العريضة ، ولا تتعاطى معها ، ولا تستسيغها، وهي
–وإن رضخت لها كواقع جغرافي إكراهي ضاغط– ، ترضخ لها رضوخاً مؤقتاً، وتستسلم لها إلى حين ، وهي تدرك في أعماقها أن الفجر "الصادق" قادم لا محالة ، وأن قدر المواجهة حق لا ريب فيه ، وأن كل وضع –بخلاف ذلك– إنما هي مسكنات مؤقتة ، ومعالجات جزئية ؛ ولذلك فقد انفجرت هذه الجماهير في كل مكان، وعبّرت عن بركان غضبها الهادر بكل السبل الممكنة بل وغير الممكنة أحياناً!! ومضت تلعن جلاديها وتهددهم وتتوعدهم بيوم المواجهة الكبير ... " خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود ...!! " .

ونحن إزاء تحليل هذه الحدث نقف أمام نموذجين معروفين متناقضين غاية التناقض: النموذج العلماني الذي يجعل المنفعة المادية هي الهدف الأسمى ولا يؤمن بقضية الكرامة أو الهوية المتمايزة ، أو التناقض العقدي سبباً في التفرقة بين الشعوب ، ولذلك فهو يدعو إلى تطبيع العلاقات ، والتبادل الاقتصادي والتكامل التقني ، والاعتراف المتبادل ، وكسر الحواجز النفسية ، ولو كان ذلك بتغيير المناهج الدراسية ، والمفاهيم العقدية ... !!

هذا النموذج هو الذي تأسست على هديه الدولة الحديثة ، ونالت مشروعيتها بالانتماء إلى الأمم المتحدة ، ورضخت لقراراتها وتوجيهاتها، وقبلت بالتعاطي معها والتحاكم إلى مؤسساتها ، وشاركت وأقرت بمؤتمراتها ولجانها واجتماعاتها؛ ذلك أن أي خروج عن هذه الشرعية هو – في رأيها– خروج عن أصل وجودها ومبرر سلامتها وأمنها . هذه الدولة على هذه الرؤية والمشروعية شكلت بناها الداخلية، وتوجهاتها الخارجية على هذا الاعتبار ، وبذلك فهي تتوجس من أي معالجة تخرج عن هذا النسق .

في المقابل هنالك الجماهير المسلمة التي تملك مرجعية دينية تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعتقد: أن من قُتِلَ دون أرضه فهو شهيد ، وأن الشهداء في منزلة عليا من الجنة

مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، وأن الشهيد يرغب أن يحيا ثم يستشهد ثم يحيا ثم يستشهد مما يجد من منزلة الشهيد . وهي كلها قيم ومفاهيم لا يفهمها العلمانيون ولا يقدرونها ولا يتعاملون معها ... العلماني يقلقه انخفاض ميزانية الدولة الفلسطينية وعدد العاطلين عن العمل و... و... وغيرها من فقدان الأشياء المادية عاجزاً تمام العجز عن إدراك المعنى العميق الذي تبعثه هبة الشعب الكريم للذود عن حياضه ، عن حجم الكرامة والقيمة والمعنى الذي تبعثه هذه الحركة الجماعيّة في جسد الأمة ، التجاوز عن القيم المادية إلى القيم العليا نقله يعجز عنها الكثير من هؤلاء المثقفين للأسف ، وهم مرتهنون –تماماً– بالنموذج الغربي المعادي والمتحيز ... لا يدرك هؤلاء كيف يتمكن شعب أعزل – إلا من سلاح الحجارة أن يواجه جيشاً مدرباً ومتخصصاً على أعلى فنون القتال الإلكتروني الحديث ؟ كيف يمكن لأسر تمزق تحت مطارق الأعداء في سكنها ومصدر قوتها وفي أجيالها الصاعدة ومع ذلك تقاوم وتقاوم !! هؤلاء لن يدركوا –أبداً– هذه المعاني؛ لأنهم تدربوا تدريباً عالياًًٌٍ على التفكير بالطريقة الغربية ، وقد تشكل مع الوقت بينهم وبين أمتهم "حاجز"يصعب عليهم أن يتجاوزوه . في الرؤية العلمانية "الموت" فناء لا حياة بعده ؛ ولذلك فلا معنى لأن نموت من أجل أي شيء في الرؤية العلمانية البذل هدر مغفل للطاقة في غير موضعها وبلا مردود فهو تهور وجنون وفي الرؤية الإسلامية من تزكى فإنما يتزكى لنفسه ومن يبذل يعطِهِ الله ويعوضه. ومن هنا ندرك لماذا كانت الشعوب تستنجد بهويتها الدينية دائما في لحظات الصراع التاريخية ،لحظات التحرر من الاستعمار أو المواجهة مع العدو أو المواجهة مع المحتل؟ في تلك اللحظات كان يتقدم أساتذة الكتاتيب، وحفاظ القرآن من أمثال عمر المختار أو عبد الحميد بن باديس ويتراجع أصحاب الياقات الزرق خلف مكاتبهم حتى ينكشف الغبار فإذا رجع المجاهدون تحت رايات النصر المبين تقدم هؤلاء باعتبارهم الأقدر على الإدارة والكلام ، ثم لا نحتاج لكثير وقت حتى نكتشف أن المعركة أصبحت معهم لا مع الخصم البعيد !! فهل تتكرر مآسينا؟ نأمل ألا يحدث مثل ذلك. ولله الأمر من قبل ومن بعد .

=================

#العلمانية قوانين ظالمة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد :

في هذه المداخلة اود ان اضع بعض العيوب العامة للعلمانية وقوانينها المعمول بها في العالم ولن استخدم شيء خاص بدولة وانما ما كان تابع للنظام العلماني وهو مشترك لكل معتقدي العلمانية.

الباب الاول: الاموال

اساس الاموال هي ما يمتلكه الشخص من متاع او عقار ولا تختص بالنقد المتداول بين الناس فالاموال في اساسها مقابلة لكلمة الاملاك في مصطلحاتنا المعاصرة . التركيز هنا اساسا على النقد لا على الاملاك نفسها لان الاموال بها يقيم الاملاك في النظام العلماني . وهي ليست كما يظن الكثير بانها مقياس للاملاك بل هي خدعة تسرق بها الدول شعوبها ومن يتعامل في هذه العملة .

****
******** *

مقدمة لا بد منها

****

التحول من النظام الذهبي او المسكوكات الذهبية الى النظام الورقي.

بعد مرور مدة طويلة على المقايضة كنظام منفرد في التبادل السلعي , وجد الناس بعض السلع التي تصلح كمادة تبادل يقاس بها السعر او ثمن المقايضة يحتفظ به ولكون الذهب والفضة من اكثر الاموال التي تحتفظ بقيمتها بشكل نسبي اعتمدها الناس للتبادل , فبعد الحصاد لا تستطيع شراء كل ما يلزمك للموسم المقبل بل ان حاجاتك ستتقلب حسب الحوال وحسب احتياجك الطاريء وبنفس الوقت لا تستطيع ان تخزنه الى مدة طويلة وتعرضه للتلف . الحل هو ان تبدله الى سلعة يمكنك ان تبدلها مع اي شخص بسهولة . من هنا ابتدأ امر المسكوكات من دنانير ذهبية ودراهم فضية .

****

الدراهم والدنانير هي اموال عرضة للضياع والسرقة كما انها عبيء في المبادلات الضخمة . في البداية بدأ اصحاب الاموال باصدار اورق سميت بالبنكوت وهي اوراق مالية يمكن استبدالها من عند الصراف بقيمتها نقدا اي ذهبا وفضة .

انتشر التعامل في اوراق البنكوت حيث تحول الاصدار من البنوك او المصارف الى الدول فتولت الدول اصدار اوراق العملة بطريقة يمكن لاي شخص يحمل هذه الاوراق التوجه الى المصرف المركزي ثم تبديل الاوراق النقدية بما تكفلت به الدولة كقيمة لهذه الورقة ,مما يلزم الدولة بعدم اصدار اوراق مالية دون وجود ما يغطيها من الذهب .

بعد ذلك اصدرت قوانين تلغي التحويل مع احتفاظ العملة بقيمتها ذهبا او ما يقابلها من ضمانات.

بعد الغاء التحويل كان بامكان اي شخص شراء الذهب من المحلات التجارية على شكل سبائك بقيمة التحويل .

لاسباب عديدة الغي الربط بين العملة والغطاء الذهبي للعملة , مما جعل الورق النقدي يتغير قيمته بالنسبة للذهب .

لم يتوقف الامر عند هذا الحد بل تجاوزه الا تصرف الدول بمخزونها او الغطاء بمقابل سمعة الدول او قوة اقتصادها .

****

***

الوضع الحالي للعملة :

العملة حاليا تمثل تعهد من الدولة بالمحافظة على قيمة تبادلية دون وجود قيمة حقيقية للعملة . فبامكان الدولة تخفيض قيمة العملة او ربطها بعملة اخرى او ترك قيمتها معومة مربوطة بالاقتصاد المحلي , ومن هنا يمكن لاي دولة تغير عملتها او تخفيض قيمتها دون سابق انذار .

****
***** *
****
***** *

دول تسرق شعوبها!!!!

عندما تمتلك عقارا وتتغير قيمة الصرف فان هذا العقار سيتناسب قيمته مع القيمة الجديدة للعملة بشكل عكسي

عادة , اما ان كنت قد بعت عقارك قبل تغير قيمة العملة فعوضك على رب العالمين فان ما تملكه من نقد لا يمكنك من شراء عقارك مرة اخرى . ما معنى ذلك ؟

ان الفرق بين القيمة الجديدة للسلع والقيمة القديمة هو مقدار ما سرقته منك الدولة بشكل مشروع علمانيا

ما حكم ذلك شرعا ؟

هو حرام

يعد بمثابة السرقة

من ذلك حكم على من قطع من الدنانير الذهبية في الماضي انه سارق ويجب اقامة حد السرقة عليه.

اما هذه الدول ما هدفها من تخفيض العملة ؟

الغرض الاساسي هو تغطية ما عجزت الدولة عن دفعه من اجور ومرتبات وتخفيف الاعباء الداخلية المترتبة على الدولة نحو مواطنيها .

فاذا كان اساس التداول في الدول العلمانية مبني على السرقة . فما ترجوا من مواطنيها؟؟؟

اذا كان هذا نصح امريء لنفسه*****فمن ذا الذي منه الهدى يتعلم ؟

==============

#العلمانية وانكشاف الأجندة الخفية

بقلم : أنور بن علي العسيري

في حراكنا الإعلاميّ والثقافيّ المحليّ يلحظ المتابع المحايد روابط تكاد تشكّل حلقة واحدة متّصلة رغم تقطّع مراحل ظهورها، وتنوّع وسائل التعبير عن نفسها.. الأجندة الخفيّة التي تحالفت وتناغمت في معزوفة ذات رؤية مرحليّة واستراتيجيّة واحدة؛ تكشف عُريها عبر الأعمدة الصحفيّة الناريّة التي تقذف حمم مهاجمة الصالحين، ومحاولة تهديم بيوت الدّعاة، وَ وَصْم المخيّمات الدّعويّة الشبابيّة بتفريخ الإرهاب، وإلصاق تهم التكفير والتفجير بمراكز الشباب الصيفيّة، ودعوة المسؤولين إلى الأخذ بيد الحزم سلاحًا للوقوف ضد تنامي الدّعوة ومحاولة توجيه الناس للخير.. والعذر العلمانيّ لديهم هو أنّنا مجتمع مسلم مئة في المئة ولا نحتاج مزيدَ إسلام!

ويتوّج كل هذه الهجمة المفتعلة من تيار القلّة الشّاذة عقد ندوة هنا أو مؤتمر هناك؛ لتوجيه أصابع الاتهام (الخفيّ) إلى الدّعاة بتكريس وترسيخ منهجيّة أداء العنف في عقل شباب الصحوة التاريخي.

هي حملة شرسة قطفت من ثمار التفوّق المادي الأمريكيّ العالميّ تفوّقها الوهميّ تتكئ على معطى خارجيّ، وتنظر إلى أيّ تقدّم تناله دولة المركز الليبرالي متنفسًا لها لتدعيم وجود صوتها في مجتمعنا.

ومنذ أنْ حلّت كارثة العلمانية في عقول بعض أبنائنا الذين انتقلوا إلى الغرب لتعلّم التطوّر التقنيّ فانسلت ونتيجة لظروف غيابهم عن الدين منذ نشأة الكثير منهم وما كان يعيشه مجتمع النشأة من تخلّف ماديّ قياسًا بهول صدمة التفوق الحضاريَّة منذ حلول هذا الداء الإقصائيّ في هذه العقول وفكر تحطيم الدين في قلب المجتمع المسلم هو الفكر الرائج، والذي يراهن عليه هذا التيار لهزيمة فريق الاستمساك بالثوابت الأصيلة، والتي يُنظر إليها على أنّها بوابة الماضي الذي يجب إهماله للدخول في عالم الحداثة العالميّة.

هذه الرؤية شغلت في إطار الوضوح الرقم صفر.. لأنّها علمت يقينًا بقوّة الدين في تشكيل حياة المجتمع ما جعلها تهرول نحو منابر الإعلام تتسربل برداء حبّ الدين وتسعى زاحفة إلى هدمه من الخلف.. عاشت هذه الأقلام سنين تتدثر بهذا الأداء (الخفيّ)منهج حياة تؤسّس على قاعدته مزيدًا من تهيئة العقول الشّابة، واختراق الصف إلا أنّها فشلت فشلا ذريعًا في تكوين قاعدة مجتمعيّة، أو تجسيد نموذج

حداثيّ علمانيّ صالح للحياة في وسط مجتمع إسلاميّ يمجّد القدوة الشرعيّة ويحتفي بها طريقًا للحياة.

ورغم انهزامها إلا أنّ ظروف التغيّر العالميّ فتح مسار التعبير الأكثر وضوحًا لهذه الفئة الضّالة للاستقواء بالأجنبيّ، واعتباره قادرًا على إحداث التغيير المستقبليّ المنشود وفق خططهم لعلمنة أرض الحرمين متى هجم هذا التصوّر الغربيّ بقوّة مادّته وسطوته العالميّة على وطننا الإسلاميّ الحرّ

وتعتبر الكتابات الصحافيّة التي انتشرت في أصقاع الصفحات هذه الأيام نموذجًا يسجل لحظة تاريخيّة في حياة مجتمعنا المسلم على مدى ارتباط هذا الفكر بالسيد الغربيّ! وعلى مدى التناسب الطّرديّ بين الشهرة وتخريب قيم المجتمع، فكلما نزع قلم إلى نزع حياء المجتمع وضرب قيمه كلما ازدادت شهرته، وبزغ نجمه في الإعلام المحتكر من قبل سلاطين الفكر الاقصائي المستغرب والأمثلة والشواهد كثيرة.

قلم: يبارك قرار تخفيض عدد المخيّمات الصيفيّة باعتبارها مراكز تفريخ الإرهاب والبديل الاحتفاء بنجوم الفنّ، وفتح أماكن للتطعيس وملاهي للرقص حتى ينجو المجتمع من تطرّف رجال الدّين!

قلم آخر: يقفز إلى الوراء بعيدًا وهو يخاطب المسؤولين من موقع مسؤوليته الصحافيّة، وخوفه على أبناء وطنه من التطرف بالحزم في وجه الدعاة المتجولين الذين يجوبون القرى والهجر يحملون بضاعة لا اله إلا الله محمد رسول الله.

يدعو هذا القلم إلى منع هؤلاء وتحديد أسماء رسميّة محدّدة للظهور في الإعلام بدل فتح المجال لكلّ داعية؛ فمجتمعنا مسلم عن بكرة أبيه ولا يحتاج مزيد إسلام!

قلم ثالث: يتوجّع من حال وطنه الذي استشرى في جسده نور الدين!! تنتشر مراكزه الصيفيّة في كل مكان، وتحلّق في أجوائه المخيّمات الصيفيّة، ويطالب بالتحديث وتغيير نظرة المجتمع للحياة، وزرع البسمة بدل اقتطافها، وذلك لا يتمّ إلا بمشروع مبارك لإحياء مزيد من الحفلات الموسيقيّة وفتح المجال أمام المرأة لمنافسة الرجل في عمليّة اختلاط لا تجد من ورائها أيّ فرصة حقيقيّة لبناء سوق عمل سعوديّ منتج بقدر ما هي دعوة لإحلال الفساد وتطبيع الانحراف في مجتمع آمن لم ير ولم يسمع من قبل شذوذًا بمباركة أبنائه!

أقلام تنحدر من أعلى قمم المسؤوليّة الأخلاقيّة تهوي بالأمة ألف خريف وهي لا تدري.. وأصوات تعالت حاسرة عبر الفضائيّات التي انتشرت انتشار النار في الهشيم لتفتح لهم (وبأموالنا) منافذ تأثير لم تحلم بها عقولهم القاصرة عن فهم أيّ شيء.

هاهم يمتطون كراسي التقديم والإعداد ليعلنوا عن هجومهم الرامي إلى إلصاق تهمة التطرّف بفكرنا الديني، وتوزيع الجرائم على المجتمع كل وفق تخصصه؛ فهذه الفئة تقتل إبداع النساء، وأخرى تحرمها من الميراث، وثالثة تمنعها من العمل، ورابعة تعتبر التحدّث عن الاعتدال سلوك غير طبيعي ينتهزه رجال الدعوة لعبور نفق الإرهاب ناسية أو متناسية أنّ الإسلام دين الاعتدال، وأنّ علماءنا ودعاتنا أهل منهج الوسطيّة عقيدة لا تملّقًا وتقية!!

ومتجاوزين التاريخ الإسلاميّ العتيق الذي نزل وحيًا من السماء، وانتقل انطلاقًا من ارض الحرمين الشريفين مشكّلا أبناء هذه الجزيرة قدوات يتطلع إليهم الجميع منذ فجر التاريخ الإسلاميّ.

إنّ هذه الدعوات تهدف (إضافة إلى علمنة البلاد) إلى محاولة تحطيم القدوات الإسلاميّة التي يتقدمها أبناؤنا من علماء ودعاة إجلاء في صفوف المواجهة الحضاريّة الإسلاميّة مع الآخر إلى تقديم نماذج جديدة من القدوات المحليّة للعالم الإسلاميّ.. الرذيلة وطنها، والإسلام خصمها فتحلّ بارتفاع أسهم هذه النماذج نكبة كبرى في عالمنا الإسلاميّ عن بكرة أبيه؛ إذْ بانهيار المركز تتفتّت الأطراف.

دعوات خطرة وغايات هرمة وانتهازية مقيتة ومحاولات تصفية حسابات بالية في موطن يعيش أزمة وتربص شديدين ينبغي على من ملك فكرا نيرا أو قلما طيعا أن يدرك خطورة المرحلة وإسلامية هذه البلاد التي حباها الله بالحرمين الشريفين فذلك اعز وأنقى من الخضوع لولاية الغرب وحجز مقاعد التبعية الحداثية لمن يريد محاربة دين هذه البلاد والاعتداء على مقدساتها!

=============

#الجواب عن شبهات الداعون إلى علمانية العاصمة القومية

بقلم : د.عبد الحي يوسف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فإن طرح الشبهات وإيراد المشكلات دأب أهل الضلالة من قديم، يفعلون ذلك صداً عن سبيل الله واستجابة لداعي الهوى في نفوسهم التي جبلت على الإعجاب بالرأي وإيثار العاجلة على الباقية، وفي القرآن الكريم نماذج لبعض تلك الشبهات التي طرحها المشركون الأولون على الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كقولهم: (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون)، وقولهم: (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون)، وقولهم: (أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر)، وقولهم: (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء)، وجماع ذلك قول الله في القرآن: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)، قال أهل التفسير: نزلت الآية فيمن اعترضوا على تحريم الميتة بقولهم للنبي – صلى الله عليه وسلم –: ما قتله الله حرام وما قتلته بيدك حلال؟ وقوله – سبحانه –: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)، وهم في هذا كله يدّعون أنهم أهل استقامة وسداد وأنهم يرومون الخير للناس: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

وهاهنا نعرض لبعض هاتيك الشبهات التي يروِّج لها الداعون إلى علمانية العاصمة القومية:

[1] قولهم: إن في العاصمة ناساً يدينون بغير الإسلام وفي الحكم بالشريعة تضييق عليهم:

والجواب: أن وجود غير المسلمين في مجتمع يحكم بالإسلام ليس وليد اليوم، ولا هي مشكلة طارئة تحتاج إلى بحث، بل منذ أن بعث الله نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – وأنزل عليه القرآن وقامت للإسلام دولة في المدينة، وغير المسلمين . من اليهود وغيرهم . موجودون يعيشون بين ظهراني المسلمين ويمارسون شعائر دينهم؟ فما الجديد إذن؟ ومتى كان وجود الأقلية في أي مكان أو زمان يمنع الأغلبية من أن

تطبق دينها؟ وهل عهد في تاريخ الإسلام كله إجبار غير المسلم على الدخول في الإسلام؟

يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: "وكان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم، ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فقد أدرك الخلفاء السابقون . الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة . أن النظم والديانات ليست مما يفرض قسراً فعاملوا . كما رأينا . أهل سورية ومصر وإسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم نظمهم وقوانينهم ومعتقداتهم... فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم".

وغير المسلمين . تحت حكم الإسلام . في حمايةٍ من كل ظلم داخلي أو اعتداء خارجي، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه كنت أنا خصمه يوم القيامة))، بل إن الثابت . واقعاً وتاريخاً . أن المسلمين كانوا هم المتضررين من تطبيق غيرهم ما يحسبونه ديناً، حيث عانوا في القديم من محاكم التفتيش في الأندلس . وقد اعترف بذلك مفكرو الغرب ومؤرخوه . وفي التاريخ الحديث ما أمر البوسنة وكوسوفا عنا ببعيد؟ ونقول أيضاً: إن الالتزام بالتشريع الإسلامي لا يمس حقوق غير المسلمين؛ لأن الإسلام كفل لهم حرية الاعتقاد وتطبيق تشريعهم في الأحوال الشخصية، ومن المعلوم للكافة أن الإنجيل ليس فيه أحكام تشريعية في المسائل المدنية والتجارية، ولهذا يأخذ النصارى في كل دولة بتشريعها في هذا المجال، فضلاً عن ذلك فالقوانين الدولية قد تواترت على إقليمية التشريع في جميع التشريعات إلا في مسائل الأحوال الشخصية، وبمقتضى ذلك يخضع الشخص لقانون الإقليم الذي يعيش فيه.

ثم ماذا يضير النصارى أن تمنع الخمور ويحظر الفجور ويلغى الربا ويحارب البغاء؟ هل يزعم أحدهم أن ديناً نزل من السماء يبيح شيئاً من ذلك؟ اللهم لا. لكن منطق الاستبداد الأرعن الذي تمارسه أمريكا على سائر الأمم هو الذي يحملها . ومن وراءها من الأذناب كحركة التمرد . على أن يحاولوا منع المسلمين من تطبيق شرائع دينهم

تحت ذرائع شتى، والحال كما قال ربنا: (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء)، (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)، لكن العجب العاجب هو أن يرضى بعض من ينتسب إلى الإسلام لنفسه أن يكون مروّجاً لمثل تلك الأباطيل، واضعاً في طريق سيادة الشريعة شتى العراقيل.

[2] قولهم: إن تطبيق الأحكام الشرعية يحرم العاصمة من مجيء السائحين، وترك الأحكام الشرعية يجعلها عاصمة جاذبة:

والجواب: أن العقلاء وأهل المروءة متفقون على أن الغاية لا تبرر الوسيلة وأن ما عند الله لا يطلب بمعصيته، وقد قال العرب الأوّلون: "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها". ثم من الذي يقول: إن العاصمة لا تكون جاذبة إلا إذا أبيح فيها الحرام؟ لو أنصفوا لقالوا: إن الواجب علينا أن نرعى الأخلاق، ونحفظ حدود الله من أن تضيّع فنحلّ الحلال ونحرّم الحرام؛ حتى يأتي إلينا السائحون الملتزمون وهم آمنون على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، ولو أنصفوا لقالوا: إن الواجب أن تتضافر الجهود لترقية الخدمات وتأمين الماء والكهرباء، وتعبيد الطرق وتوسعة المطارات وتجميل المسارات وإنارة الشوارع حتى تكون الخرطوم عاصمة جاذبة، بدلاً من الدعوة إلى العلمانية المنكرة التي تبيح ما حرم الله فنكون ممن لم يحفظ ديناً ولم يصلح دنيا، (وشر الناس من خسر الدنيا والآخرة)، ونذكّر أنفسنا وهؤلاء بقول الله – عز وجل –: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء)، وبقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((ولا يحملنكم طلب الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله))، ومن التاريخ القريب يعلم المنصفون أن الخرطوم كانت يوماً ما . بوجهها الشائه وخدماتها المتردية . عاصمة الموبقات المهلكات فهل جذب ذلك السائحين إليها؟ أو فتح أبواب الرزق عليها؟ اللهم لا هذا ولا ذاك. لكن..

يقضى على المرء في أيام محنته *** حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

ثم ألا يعتبر هؤلاء بحال أمم سارت في ذات الدرب فلم تحصد إلا المرّ والعلقم، فلا أزماتها الاقتصادية حلّت، ولا وحدتها الوطنية حققت، ولا مشاكلها الأمنية زالت، بل زادت، (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى).

[3] قولهم: إن الاستمساك بهذا الأمر ـ أي تطبيق الشريعة في العاصمة ـ يفوّت فرصة تحقيق السلام الذي بات وشيكاً بزعمهم:

والجواب: أن أهل الإسلام مجمعون على أن حفظ الدين مقدّم على حفظ النفوس والأعراض والأموال والعقول؛ وعليه فلو كان السلام في مقابل التنازل عن أحكام الله – عز وجل – فنقول: لا حيّاه الله ولا سقاه ولا مرحباً به ولا أهلاً، وحسبنا أن نذكّر أنفسنا؛ لتكف عن طاعة المبطلين، بتلك الدماء الزكية التي نزفت على أرض الجنوب والشرق لتكون كلمة الله هي العليا، فهل كان ذلك ليأتي آتٍ بعد زمان قريب ليقول: لا بأس بالتنازل عن الشريعة في العاصمة من أجل تحقيق السلام، ولو أن امرءاً رضي لنفسه أن يتنازل عن دينه لينال سلاماً متوهماً؛ فلن يبالي بعد ذلك بالتنازل عن عرضه، ومن تتبع تاريخ المتمردين وزعيمهم في نقض العهود ازداد يقيناً بقول الله في القرآن: (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون)، وبقوله – سبحانه –: (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون)، ومن أعطى الدنية في دينه فرضي بتغييب الشريعة في العاصمة اليوم فسيرضى بتغييبها في غيرها غداً.

[4] قولهم: إن علمانية العاصمة علاج للأوضاع وحماية لها من التعصب الديني:

والجواب: هو أن العلمانية ما كانت في يومٍ من الأيام علاجاً للتعصب الديني أو الطائفي أو العرقي، ومن كان في شك من ذلك فليرجع إلى تاريخ بلاد ارتضت العلمانية مبدأً ومنهجاً من قديم . كالهند ولبنان وتركيا . هل حالت العلمانية دون قيام مذابح الهندوس ضد المسلمين في الهند؟ أم حالت دون قيام الحرب الأهلية التي استمرت سنين عدداً في لبنان؟ أم حالت دون اضطهاد الأكراد في تركيا؟ والتاريخ شاهد بأن حرب الجنوب قامت قبل أن تطبق الشريعة سواء في ذلك التمرد الأول أو

الثاني، بل إننا نقول إن المسلمين هم الخاسرون من تطبيق هذا المبدأ الفاسد حيث عهدنا في أكثر البلاد علمانية .كفرنسا مثلاً . أن تمنع الفتاة المسلمة من ارتداء حجابها في المدرسة، وفي تركيا تمنع نائبة في البرلمان من الدخول إليه إلا بعد خلع حجابها فأين العلمانية هنا؟ إن علاج التعصب لا يكون إلا بنشر الوعي وبث العلم وتربية الناس على فن الحوار مع الغير واحترام النظام وأدب الكلام، ولا أنفع ولا أطيب ولا أحسن من هدي القرآن في ذلك، (وجادلهم بالتي هي أحسن)، (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، (لا إكراه في الدين)، (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، ولو أنصفوا لقالوا: إن العلاج يكمن في إعطاء كل ذي حق حقه، ورفع الظلم وبسط العدل بتطبيق الشريعة.

[5] قولهم: إن العلمانية هي المبدأ السائد الذي يحكم العالم الإسلامي كله، وما ينبغي أن نكون نشازاً بين الناس:

والجواب: أنه قد أجمع علماء المسلمين من قديم على أن الشريعة حاكمة على جميع أفعال المكلفين، وأنها حجة عليهم لا العكس، وقد قال الله – عز وجل – في القرآن: (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث)، (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)، وقال: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)، وقال: (وإن كثيراً من الناس لفاسقون)، (وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم)، وأخبرنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن الإسلام ستنقض عراه عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة، وأخبرنا أن الكتاب والسلطان سيفترقان وأمرنا ألاّ نفارق الكتاب، ثم أي عقل هذا الذي يحكم على المكلّف بأن يدع تعاليم دينه ويهمل شريعة ربه ويكون إمعة لأن الناس أو أكثرهم فعلوا ذلك؟ وقد علم الناس أجمعون أن العلمانية ما حكمت العالم الإسلامي برضى المسلمين ولا مشورتهم، بل فرضت بقوة الحديد والنار عن طريق الانقلابات العسكرية التي قام بها أذناب المستعمر ومن ثم مارسوا التضييق على الدعوة وأهلها، وعمدوا إلى تغييب الدين عن حياة المسلمين، ومنذ أن طبقت ما عرف المسلمون تقدماً ولا رقياً بل إن أعرق البلاد المسلمة علمانية . وهي تركيا . صار همُّ ساستها

اللهاث خلف أوروبا، والتوسل من أجل أن يمنحوا عضوية في الاتحاد الأوروبي، وفشلوا في ذلك رغم قول قائلهم من قديم: "لا بد أن نأخذ بحضارة الأوروبيين حتى النجاسات التي في أمعائهم والأوبئة التي في أكبادهم".

[6] قولهم: إن الدين لله والوطن للجميع، فلا بد أن يتساوى الجميع في الحقوق والواجبات:

نقول: بل الدين لله، والوطن لله، والحكم لله، والخلق عباد الله، (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)، وماذا يضير غير المسلمين في أن تحكم الأغلبية بشريعتها وترجع إلى أحكام دينها في الأمر كله؟ ثم ماذا لو حدث العكس وكان المسلمون هم الأقلية هل كان يقبل منهم أن يطلبوا إلى الأكثرية التنازل عن هويتهم ومقدساتهم طلباً لمرضاتهم؟ وهاهم المسلمون يعيشون في البلاد الكافرة . في أوروبا وأمريكا . ويخضعون لأنظمة وتشريعات تتعارض مع بدهيات دينهم، ولا يجرؤون على المطالبة بتغييرها أو تعديلها، ولو فعلوا لقيل لهم: هذا هو حكم الأغلبية، إنه لا يقبل شرعاً ولا عرفاً بل ولا ديمقراطياً . وهم أكثر الناس تشدقاً بالدعوة إليها . أن تتخلى الأغلبية عن هويتها ومقدساتها وحضارتها طلباً لمرضاة الأقلية، لا سيما إذا كانت هذه المقدسات لا مساس لها بالحقوق الأساسية المشروعة لهذه الأقليات. ثم لماذا يتخلى القوم عن علمانيتهم القاضية بأن القانون الحاكم يجب أن يكون نابعاً مما ترتضيه الأغلبية؟

[7] قولهم: إننا متدينون نصلي ونصوم ومع ذلك نعتقد أن العلمانية هي العلاج الناجع والدواء الشافي:

نقول: إن العبادات والتشريعات وأحكام المعاملات من عند الله ولا يد فيها للبشر، والإسلام كل لا يتجزأ، فليس مسلماً من قال: أصلي على نظام الإسلام وأتخذ منهجاً سياسياً على نظام ميكافيللي، ونظاماً اقتصادياً ماركسياً، كيف يكون الشخص متديناً وهو يرفض حكم الله وحكم رسوله، وصريح القرآن يقول: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)، ويقول: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)، وهذا الفهم المغلوط للتدين هو

الذي حمل بعضهم على أن يحج ويعتمر وينتسب إلى بيوتات دينية، ثم لا يبالي بالجلوس على مائدة يدار فيها الخمر أو يراقص الفتيات؛ لأن التدين في فهمه الكاذب الخاطئ قاصر على جانب الشعائر وحدها ولا علاقة له بمعتقد أو سلوك.

[8] قولهم: إن في تطبيق العلمانية ضماناً لعدم استغلال الدين في أغراض سياسية:

ولغرابة هذه الشبهة فإننا نستعمل معهم الدَّوْر فنقول: علينا ألا نطبق العلمانية لنضمن ألا تستغل في أغراض سياسية، وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت. هل يعقل أن يمنع المسلمون من تطبيق أحكام دينهم بدعوى عدم استغلاله، ثم يجبرون على نظام مستورد يخالف دينهم وعقيدتهم بل يخالف رغبتهم واختيارهم؟ ما لكم كيف تحكمون؟ أم لكم كتاب فيه تدرسون؟ إن لكم فيه لما تخيرون.

إن العلمانية ضد الدين لأنها لا تقبل التعايش معه كما أنزله الله بل تريد إقصاءه عن الحياة وحصره في زاوية ضيقة منها، إنها ضد الدين لأنها تريد أن تأخذ منه ما يوافق هواها وتعرض عما يخالفه، ولأنها تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض، (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)، إنها ضد الدين لأنها تتعالم على الله – عز وجل – وتقول له: نحن أعلم منك بما يصلح للناس والقوانين الوضعية أهدى سبيلاً من حكمك.

إن العلمانية ضد إرادة الشعب في السودان كما أنها ضد إرادة المسلمين الذين رضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً، والقاعدة العريضة من مثقفي الأمة . الذين هم أنضج وعياً وأزكى خلقاً وأقوى إرادة . لا يبغون غير الله حكماً ودينه شرعاً.

[9] قولهم: إن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تستوعب ملايين القضايا والمشاكل الإنسانية المعقدة، أو أن تقدم حلولاً جاهزة لكل ما يستجد على مسرح الحياة:

والجواب: أن هذا التصور قائم على أساس أن الدين ثابت لا يتغير، وأن الحياة في تغير دائم، وأن الحكم بالأسلام من شأنه إلغاء كل اجتهادات البشر وتجاربهم، وإبطال كل عرف واجتهاد لم يرد من القرآن والسنة، وهذا تصور قد حكم الإسلام بفساده، فقد شرع الله – تعالى – للناس قواعد عامة للأمور التي حرمها الله وأمرنا

باجتنابها، وأرشدنا أن ما سكت الله عنه فلم يبينه فهو مباح، لنا أن نجتهد فيه في حدود هذه القواعد العامة أي بما لا يحل حراماً. قال الله – تعالى –: (وقد فصّل لكم ما حرم عليكم)، وقد أوضح النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الله سكت عن أمور رحمة بنا غير نسيان، وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((أنتم أعلم بشئون دنياكم)).

فأمور المعاملات في جوانبها المختلفة من مدنية وجنائية ودستورية منها ما هو ثابت محكم، ومنها ما هو متجدد مرن، فالأسس والقواعد الكلية التي تشكل الإطار العام تتسم بالثبات والإحكام، وهي تلك التي جاءت بها الأدلة القطعية ثبوتاً ودلالة، ولا مجال فيها لتعدد الأفهام وتفاوت الاجتهادات، والفروع الجزئية والتفاصيل المتعلقة بالكيفيات والإجراءات ونحوها تتسم في أغلبها بالمرونة والتجدد، ويكفينا قول الله – عز وجل –: (والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

إن المشكلة لا تكمن في وفاء الشريعة بحاجات الإنسان ومصالحه الحقيقة، ولكنها تكمن في كبحها لجماح الأهواء، ووقوف أحكامها عقبة في وجه دعاة العربدة والتحلل، إن أهل الفجور يتهمون الشريعة بالجمود لامحالة؛ لأنها لا تساير ما في نفوسهم من الشهوات والأهواء. فلا تبيح لهم الخمر ولا الرقص المختلط، ولا الردة ولا التبعية لكفار الأرض، ولا ترويج بضاعة المستشرقين باسم الفكر الإسلامي ولا تزييف التاريخ باسم حرية البحث، هذه هي المشكلة حقاً.

=============

قراءة في كتاب العلمانية

بقلم : صفاء الضوي أحمد العدوي

نادرة تلك الكتب التي تستوعب أجزاء البحث الذي تتناولهه، وأقل منها أن يكون مع الاستيعاب؛ العمق، والجُدة، والأصالة، والتحقيق، وأندر النادر أن تجمع مع كل ذلك الإمتاعَ والأسلوب الأدبي الرصين، من تلك الكتب التي تستولي على القارئ المثقف الجاد، وتحرك عقله، وتدفعه للنظر المتعمق في القضايا المعروضة كتاب العلمانية للدكتور سفر بن عبد الرحمن الحوالي.

المقدمة:

قدم المؤلف للكتاب بمقدمة بين فيها أن الإسلام هو أعظم منن الله على البشرية عامة، وعلى أمة الإسلام خاصة، وأن كلمة لا إله إلا الله هي روح هذه الأمة، وسر وجودها، ومنبع حياتها، وأن الأمة بقيت ردحاً من عمرها تتبوأ منزلة عالية بين الأمم حين كانت تدرك معنى هذه الكلمة، وتعمل بمقتضاها.

ثم بدأ نور هذه الكلمة في الخفوت، فبدأ شأن الأمة في الهبوط، حيث ظلت تفقد من ذاتيتها وأصالتها بمقدار ما تفقد من نور هذه الكلمة، في علاقة مطردة تؤكد سنة من سنن الله لم تتبدل على مدار التاريخ.

وكان من أعراض هذا المرض المدمر ؛" فقدان الذات": الانبهارُ القاتل بالأمم الأخرى، والاستمداد غير الواعي من مناهجها ونظمها وقيمها، وكان مما زاد هذا المرض خطورة؛ الجهل بحقيقته، وعدم إدراك أسبابه، فكان التشخيص الخاطئ سبباً في العلاج الخاطئ الذي أدى إلى مضاعفات جديدة.

لقد تصور البعض أن هذا الداء يمكن علاجه بترقيعات نتلقاها من الكفار الذين أسموهم العالم المتحضر !.

كانت قابليتنا للذوبان مبرراً للحرب الشرسة التي شنها الغزاة على أفكارنا وأخلاقنا، حيث طمعوا في القضاء على مقومات وجودنا قضاء تاماً، فأقبلت طلائع ذلك الغزو الفكري تحمل شعارات متباينة الاتجاهات؛ عليها من البهرجة والبريق ما يكفي لتضليل أمة منبهرة مهزوزة.

جاءت الاشتراكية والقومية والديمقراطية وفلسفة التطور واللادينية وغيرها من المسميات والشعارات، وتغلغلت هذه الأوبئة في العقول والقلوب التي فقدت رصيدها من " لا إله إلا الله " أو كادت، ونشأ على ذلك فلول ممسوخة أخذت على عاتقها إكمال عملية المسخ لباقي الأمة، وتعبيد الشعوب المسلمة للغرب، والإجهاز على منابع الحياة والقوة الكامنة في دينها، لكن الله – تعالى – تدارك الأمة برحمته، فأنبت من بين هذا الركام والظلام رجالاً صادقين، وأطلت من بين النيام والأموات صحوة جهادية أصيلة، طلبت الهداية والعلاج من كتاب الله – تعالى – وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم –، فعادت إلى صفاء العقيدة، وسلامة المنهج، ولمحت ما في المناهج الموجودة من انحراف وضلال، فلفظت سموم الغزو الفكري الذي كاد أن

يقضي عليها، وانتبهت إلى ما يروج في ساحاتنا الفكرية من مذاهب هدامة، كان منها مذهب العلمانية الذي كانت سحابة كثيفة من الضبابية تغشاه وتعمي حقيقته عن المثقفين فضلاً عن العامة، مما جعل أسهمها لا تزال مرتفعة في أسواقنا سواء باسمها الصريح، أو تحت شعار الديمقراطية، أو شعار " الدين لله، والوطن للجميع، أو غير ذلك من الشعارات.

كان هذا أحد الأسباب التي حدت بالمؤلف أن يتناول العلمانية بتلك الدراسة الجادة العميقة الموسعة، وكان السبب الثاني هو أن موضوع العلمانية المتمثل في عزل الدين عن توجيه الحياة يصادم مفهوم لا إله إلا الله، ومع ذلك نجده موجوداً في كافة مناحي الحياة في مجتمعات المسلمين، مما يستلزم كشف الزيف الذي يلفه ويخفي حقيقته عن المسلمين.

ثم عرف المؤلف بالعلمانية، وبيّن الخطأ في ترجمة الكلمة الإنجليزية secularism بالعلمانية، وأن هذه الكلمة لا صلة لها بالعلم، وأن الترجمة الصحيحة للكلمة هي اللادينية، ثم أيد ذلك بإيراد عدة تعريفات من دوائر المعارف الأجنبية للعلمانية، كلها تؤكد أن معنى ال (secularism) في بيئتها التي نشأت فيها: الروح الدنيوية، أو الاتجاهات الدنيوية، أو الحركة المضادة للديانة المسيحية، وأنها نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أي شكل من أشكال الإيمان والعبادة، وأن الدين لا دخل له في شؤون الدولة، ولا سياسات الحكومة، وخاصة التربية العامة، وأنها دنيوية مادية لا تقبل المفاهيم التي تتعلق بالدين والروحانية، فالتربية التي تعتمدها لا دينية، فالدين في معنى هذا المذهب لا ينبغي أن يكون أساساً للأخلاق والتربية، ويقدم المستشرق " أربري " في كتابه (الدين في الشرق الأوسط) نموذجاً لأهم معاني العلمانية وهو فصل الدين عن الدولة بالجمهورية التركية، ثم يعلق المؤلف على العبارة المشهورة في وصف العلمانية " فصل الدين عن الدولة " بأنها تعريف غير دقيق، وأن مدلولها الصحيح هو " إقامة الحياة على غير الدين "، فالإسلام والعلمانية – أي اللادينية – نقيضان لا يجتمعان.

قسم المؤلف الموضوع إلى خمسة أبواب: الباب الأول دين أوروبا أو المسيحية بين التحريف والابتداع وفيه فصلان: الأول: التحريف: تكلم فيه أولاً عن تحريف العقيدة (

قضية الألوهية – تحريف الأناجيل)، وثانياً عن تحريف الشريعة، وفصل الدين عن الدولة.

والفصل الثاني: البدع المستحدثة في الدين النصراني: تكلم في هذا الباب عن دين أوروبا النصرانية الذي انحرفت عنه إلى اللادينية، وأثبت ما اعترى النصرانية من تحريف وتبديل، وأنه لم يعد يمثل دين الله الحق لا في العقيدة، ولا في الشريعة، بل تحول إلى مجموعة من الخرافات والبدع تولت الكنيسة كِبَر تسويقها وترويجها، وإيهام الناس أن ذلك هو الدين النصراني، وكان هذا التحريف الذي أصاب الدين النصراني على يد القساوسة الكذبة هو السبب الممهد للعلمانية، حيث طغت الكنيسة ودوخت أتباعها في خرافات يرفضها العقل، وتمجها الفطرة، فقد وقع أولاً تحريف العقيدة، وتحريف الأناجيل التي بلغت سبعين إنجيلاً كلها شاهدة على أنها محرفة، يكذب بعضها بعضاً، هذا فوق مئة وعشرون رسولاً منهم من ألّف أناجيل، ومنهم من كتب رسائل، وفرق وطوائف تزيد على الحصر تختلف في قضايا أساسية بالغة الأهمية.

ولقد كان انعقاد مجمع نيقية الشهير في عام 325م يمثل معلماً من معالم التاريخ البارزة، وشاهداً على أن النصرانية قد حرفت وبدلت، وفقد الناس الثقة في حقيتها وقدسيتها، وبعد تحريف الأناجيل جاء تحريف الشريعة، وكان من أولى فصول هذا التحريف فصل الدين عن الدولة،

بين المؤلف أن الشريعة النصرانية لم يكتب لها التطبيق على المستوى العام، وذلك لسببين متلازمين: الأول أن الشريعة النصرانية لم تقم لها دولة تتبناها وتقيمها في الأرض، فقد توفى الله عيسى – عليه السلام – ورفعه إليه وهو لم يزل في مرحلة الدعوة التي تشبه حال الدين الإسلامي قبل الهجرة، والسبب الثاني: أن المسيح – عليه السلام – بعث إلى قوم قساة تسيطر عليهم إمبراطورية وثنية عاتية، اضطهدت المؤمنين من أتباع المسيح وعذبتهم، فانحسر تطبيق الشريعة في أضيق نطاق بسبب هذا العداء الشديد.

وكان لليهود اليد الطولى في إلحاق الأذى بالمؤمنين بتعاليم المسيح – عليه السلام –، فلا يخفى أمر شاؤل الطرسوسي أو بولس (رسول الأمم)! وخداعه باعتناق

المسيحية، وقيامه بغزوها من الداخل تماماً كما قصد عبد الله بن سبأ غزو الإسلام من الداخل.

فكان بولس المفسد الأول والأكبر بجدارة لتعاليم المسيح – عليه السلام –، قام شاؤل هذا بإصداره تعليمات مناقضة لتعليمات المسيح مما أحدث في الناس بلبلة وفتنة، فوقعوا بذلك في بلاء عظيم، كما أنه مزج الدين الذي جاء به المسيح – عليه السلام – بالوثنيات القائمة آنذاك، ثم ما كان من الاضطهاد الشديد الذي أوقعه أباطرة الرومان – وعلى رأسهم نيرون – بأتباع المسيح – عليه السلام –، حيث تقشعر الأبدان من ذكر فظائعهم وجرائمهم، ثم جاء عام 325م الذي يمثل عام النصر الحاسم على أعداء المسيح، حيث ظفرت الكنيسة بالإمبراطور، وأدخلته في الدين المسيحي، لكن الكنيسة لم تنتفع بهذا التزاوج بين القصر والكنيسة بما يعود بالخير على الناس في دينهم، بل كان ارتباطها بالإمبراطور ارتباط مصلحة لا يمت إلى الإيمان بصلة؛ فبقيت الوثنية متجذرة في نفوس الناس تغطيها غلالة رقيقة من الصبغة المسيحية، ولهذا عجزت الكنيسة عن إقامة الحياة على أسس متينة من الإيمان، وفتح الباب للخرافات والأساطير والتقاليد الوثنية، وامتزج كل ذلك بروايات الأناجيل وآراء المجامع المقدسة، وتلاقحت الشريعة والقانون الروماني فأصبحت المسيحية ديانة تركيبية أو بوتقة انصهر فيها عقائد وخرافات وآراء متباينة شكلت ديناً غير متسق ولا متناسق.

ثم بدأت الكنيسة في إصدار نصوص مكذوبة تبرر بها للناس ذلك المنحى الجديد الذي اتخذته بعد هذا التزاوج المقيت بين الكنيسة وقيصر، وكان من أهم هذه الأقوال القول المنسوب زوراً للمسيح: أعط ما لقيصر لقيصر، وما لله لله ".

فلقد ظل هذا القول شعاراً ترفعه الكنيسة كلما عنّ لها أن تتمرد على شرع الله، ثم بين المؤلف أن هذه العبارة المنسوبة للمسيح في إنجيل متى تبين أن الأناجيل التي بأيديهم لا تثبت أمام البحث العلمي، وأنها لا قيمة علمية تاريخية لها، فكلها ظنية الثبوت، ظنية الدلالة، فكيف يحتج بهذه الظنيات على مسألة بالغة الخطورة كهذه، ويعني مسألة أن يوافق المسيح على أن يجعل قيصر شريكاً لله – تعالى – في التوجه إليه بالعمل، وإيقاع الناس في شرك الطاعة والاتباع.

ثم يتنزل المؤلف جدلاً ويفترض أن المسيح – عليه السلام – تفوه بهذه الكلمة، ويتساءل: هل يعني ذلك أن نفهم من العبارة ما فهمته الكنيسة من ظاهرها؟، ونتخذ من فهمنا هذا قاعدة هي أعظم القواعد الكنسية العملية على الإطلاق؟ ثم يعرض المؤلف العبارة التي استلوها من إنجيل متى، ويتتبع السياق لفهمها في إطارها فهماً صحيحاً على افتراض صحة ثبوتها، ونص القصة: "ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة، فأرسلوا إليه تلاميذهم قائلين: يا معلم، إنك صادق، وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالي بأحد، فقل لنا: أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع خبثهم، وقال: لماذا تجربونني يا مراؤون، أروني معاملة الجزية، فقدموا له ديناراً، فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ قالوا له: لقيصر، فقال لهم أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فلما سمعوا تعجبوا وتركوه "اهـ، وهكذا شأن أعداء الرسل، وخصوم الإيمان في كل زمان، يسعون في الإيقاع بالمؤمنين، ويحاولون إثارة السلاطين عليهم بما يدركون من افتراق طريق الإيمان وطريق السلطان، يفعلون ذلك لحرمان أهل الإيمان من الاستفادة من هدوء الحال لتمضي الدعوة في خطة تكوين طلائع الإيمان، وتربيتهم لحمل الأمانة، وتبليغ الرسالة، ونشر هدايتها في الناس، ويعلق المؤلف على هذه القصة فيقول: كان المسيح – عليه السلام – وأتباعه قلة مضطهدة تتبنى دعوة جديدة ناشئة، فلم يكن في مقدورها أن تصطدم بالإمبراطورية الطاغية، وتواجهها بعداوة سافرة، ولم تكن هذه المواجهة مطلوبة منها وهي لا تزال في طور الدعوة – يقابل ذلك في الإسلام فترة ما قبل فرض الجهاد –، وهذا الطور يقتضي الالتزام بمبدأ " كفوا أيديكم " كيلا يستثار عدو باطش فيفتك بالدعوة في مهدها، ثم يقول: فالمسيح – عليه السلام – (لو صحت العبارة) وافق على إجراء مؤقت تقتضيه ضرورة الواقع، وطبيعة الدعوة المرحلية، ثم أشار إلى نظائر ذلك في مراحل الدعوة في السيرة النبوية.

ويمضي المؤلف في استعراض ما عمدت إليه الكنيسة الزائغة من عبارات موهمة تنسبها الأناجيل إلى المسيح، وهي عبارات قيلت مجازاً، أو رددت في ظروف مؤقتة، وملابسات خاصة، وإنما قصدت الكنيسة أن تقرر بهذه العبارات قواعد أصولية

تؤسس عليها دينها المحرف دون مراعاة لمنطق الاستدلال، ومقتضى التحقيق العلمي.

وكان من هذه العبارات التي نسبوها إلى المسيح – عليه السلام – أيضاً: "مملكتي ليست من هذا العالم"، وأشاعت الكنيسة المفهوم الذي تريده لهذه العبارة وهو: الدنيا والآخرة ضرتان متناحرتان، وضدان لا يجتمعان، الدنيا مملكة الشيطان، ومحط الشرور والآثام، وأن سعي الإنسان فيها للسعادة والتمتع بخيراتها دنس يحرمه من ملكوت الله في الآخرة، وهو مفهوم يتيح للمفسدين من القساوسة والقياصرة الطغاة أن يعبثوا بالحياة ما شاءوا دون أن يعترض طريقهم أحد، وما كان للمسيح – عليه السلام – أن يتكلم بمثل هذه العبارة التي هي أقرب إلى النظرة البوذية الوثنية للحياة من نظرة رسول كلفه الله بدعوة الناس لعبادة الله، وتحذيرهم من اتباع الأهواء، وما كان هذا المفهوم الذي روجوه للعبارة أن يخطر ببال أحد رسل الله الذين جاءوا لتغيير الواقع الجاهلي المنحرف، وإقامة واقع جديد تحكمه الشريعة المنزلة.

ثم أفرد المؤلف فصلاً عن البدع المستحدثة في الدين النصراني، فعد منها رجال الدين (الإكليروس)، ورفض التعليل الجاهلي لظهور طبقة رجال الدين بأنه مجرد تطور بشري ديني اجتماعي، وأنه مر بثلاث مراحل: مرحلة السحر والخرافة، ومرحلة الدين، ومرحلة العلم، وأن الإنسان حين انتقل إلى مرحلة الدين بقيت فيه رواسب موروثة عن المرحلة الأولى من أبرزها طبقة رجال الدين الذين ليسوا سوى امتداد للسحرة والكهان، فيبين المؤلف أن هذا التفسير مرفوض، وأن التصور الإسلامي للتاريخ ينظر إلى الحياة البشرية على أنها خطان متوازيان: خط مشرق يمثل البشرية حين تهتدي إلى الله، وتسلك طريق الأنبياء الذين يتعاقبون لردها إلى جادة الطريق، وخط آخر مظلم يمثل حزب الشيطان، وفترات الضلال الذي طرأ على البشرية بعد أن كانت أمة واحدة على الإيمان، والسمة العامة للتاريخ هي الصراع بين الهدى والضلال، بين الحق والباطل.

ثم أوضح أننا لا ننكر التشابه الظاهر بين رجال الإكليروس في المسيحية وبين السحرة والكهان في العصور السابقة، لكننا نرجع ذلك إلى كون الطائفتين انحرفتا عن الأصل الصحيح.

ثم تكلم عن خط الانحدار الذي يصف حالة الكنيسة وهي تتردى وتفقد صلتها بالدين، وتقطع أواصرها بالإيمان، فيقول بعد أن يشير إلى أحبار اليهود وفسادهم، وأن المسيح – عليه السلام – كان يسميهم أولاد الأفاعي، وبائعي العهد، وعباد الدنيا، قال: لكن القسيسين والرهبان لم يكونوا أفضل حالاً من الأحبار، فقد سلكوا الطريق نفسها، وانصاعوا إلى الدنيا مستعبدين أتباعهم المؤمنين، فكانت هيئة الدولة تمثل هرماً قمته الإمبراطور، وقاعدته الجنود، وكانت الهيئة الكنسية تمثل هرماً مقابلاً قمته الباب، وقاعدته الرهبان، ونتيجة لمبدأ فصل الدين عن الدولة رعت الإمبراطورية الهرم الكنسي، ولم تر فيه ما يعارض وجودها، فرسخ واستقر، وكان من البدع المستحدثة في الدين النصراني أيضاً الرهبانية: وقد بين المؤلف أن للوجود الإنساني في هذه الأرض غايةً أرادها الخالق سبحانه منذ أن استخلف الإنسان في الأرض، وأناط به مسئولية عمرانها بالخير والصلاح، وركز في فطرته الاستعداد لهذه المهمة وبعث الرسل لقيادة الإنسان لتحقيق هذه الغاية على أكمل نموذج، وأقوم مثال، لكن الناس كانوا يضلون فيسيرون في غير الاتجاه الذي تأخذهم إليه الفطرة، وتقودهم إليه الرسل، فتستهويهم الشياطين، وتضلهم الشهوات عن سواء السبيل، فينحرفون عن الجادة في صور من الضلال متعددة ومتنوعة، وكان من هذه الصور المنحرفة النظرة غير السوية إلى الحياة وغايتها وقيمتها، والغلو في تهذيب النفس إلى حد التضييق والتعذيب، مع الانصراف عن عمارة الأرض، التي هي جزء من الغاية العظمى، ومع أن الرهبانية بدعة بشرية مشتركة بين أديان عديدة؛ إلا أن للرهبانية النصرانية ظروفاً وأسباباً أبرزتها حتى غدت من أجلى مظاهر النصرانية على مر العصور.

أسباب الرهبانية: (1) عقيدة الخطيئة الأصلية الموروثة، وهي إحدى التعاليم الكبرى في المسيحية المحرفة، ومرجعها عندهم أن آدم – عليه السلام – لما أكل من الشجرة عوقب بالحرمان من الجنة، فظل بنوه يرسفون في أغلال تلك الخطيئة حتى جاء الخلاص على يد المسيح ليصلب فداء للنوع الإنساني، فأصبح لزاماً على الإنسان أن يقتل نفسه ليمنحها الخلاص كما يقول متى في إنجيله: " من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ".

(2) رد الفعل المتطرف للمادية اليهودية الجشعة، والأبيقورية الرومانية النهمة.
(3) الأثر الذي خلفته الفلسفات والوثنيات التهريبية القانطة.
(4) الأوضاع الاجتماعية القاسية.

نظام الرهبانية:

ثمة شروط يتضمنها نظام الرهبانية: أولها العزوبة، وما يلزمها من التنفير من المرأة وإن كانت زوجة، وترذيل الصلة الجنسية وإن كانت حلالاً، فهذا " سان بونافنتور " أحد رجال الكنيسة يقول: إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائناً بشرياً، بل ولا كائناً حياً وحشياً، وإنما الذي ترون هو الشيطان بذاته، والذي تسمعون هو صفير الثعبان ".

الثاني: التجرد الكامل عن الدنيا، ويعنون بها العزلة النهائية عن المجتمع، وقطع النظر عن كل أمل في الحياة.

الثالث: العبادة المتواصلة.

الرابع: التعذيب الجنوني.

صادمت هذه التعاليم المنحرفة الفطرة فكان لابد من الخسران والشقاء، وكان من تلك البدع المستحدثة كذلك الأسرار المقدسة: امتلأت الوثنيات القديمة بالأسرار والأساليب الخفية، والرموز الغامضة، وقد سجل التاريخ غلطة شنيعة على بعض أتباع الديانات باقتباسهم لأشياء من تلك الأسرار والرموز؛ وإدخالها في دينهم، وذلك ما حصل بعينه في المسيحية المحرفة.

تناول المؤلف واحداً من هذه الأسرار التي دأبت الكنيسة على استعمالها في ستر نقائصها ومخازيها، وقطع الطريق على كل محاولة تطلب تفسيراً يقبله العقل، وترفض أن تتصلت الكنيسة على عقول الناس بقولها (سر إلهي)، وكان من هذه الأسرار الإلهية الكنيسية سر " العشاء الرباني " أو " القربان المقدس ".

ثم يبين المؤلف أن ذلك كان من دس شاؤل اليهودي الذي يؤكد جوستاف لوبون – أحد النقاد العقليين – أن شعائر النصرانية ومنها العشاء المقدس بدعة منقولة عن الوثنية المثرائية، وأن شاؤل كان متأثراً بالمثرائية التي كان من شعائرها التضحية بالعجل المقدس، ولهذا كان المسيحيون الأوائل يقيمون وليمة تذكارية في عيد الفصح

قوامها الخبز والخمر يرمزان إلى جسد ودم المسيح، وهي التي تعرف بعقيدة الاستحالة أ أي استحالة الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح، فليس لأحد من أتباع الكنيسة أن يسأل أو يشكك في ذلك السر، وإلا عوقب بالحرمان والطرد من الملكوت، وكانت هذه العقيدة العجيبة من الثغرات الواسعة التي دخل منها النقد المرير للكنيسة، وسبب كثيراً من الإنشقاقات الدينية، والسخرية الشديدة التي انهال بها على الكنيسة النقاد العقليون من أمثال الفيلسوف الفرنسي فولتير.

البدعة الرابعة: عبادة الصور والتماثيل: وهذه أيضاً كانت من البصمات الظاهرة التي تركتها الوثنية على الديانة النصرانية، على الرغم من أن التماثيل تعتبر من الأعمال المحرمة في شريعة التوراة، ولم يقف الحد عند كونها مظهراً من مظاهر المخالفة لشريعتهم، بل تعدى ذلك إلى أن صارت التماثيل والصور آثار مقدسة، ومعبودات يسجد الناس لها، ويوقدون لها الشموع، ويحرقون البخور، وينثرون فوقها الزهور التماساً لبركاتها، ورجاء تأثيرها الخفي، وكان للفتوحات الإسلامية التي امتدت حتى شملت معظم المعمورة أثرها في أن يعيد كثير من شعوب الدول النصرانية نظرتهم إلى ما أصاب دينهم من لوثات الوثنية، حيث اطلعوا على عقيدة التوحيد الخالص في دين الإسلام، فأحسوا بسخافة معتقداتهم، وضحالة تفكيرهم، ففتحوا أعينهم على تلك الحضارة الغازية الشامخة الناصعة، فقامت في الغرب حركات معادية لبدعة التماثيل والصور، وطالبت بإزالة تلك الوصمة الشنيعة التي كشفت الدين الذي ينتسبون إليه، وأظهرت ما فيه من النقص والعيوب والتشويه الذي يخجلهم أمام المسلمين، لكن الكنيسة رفضت ذلك، وظل الصراع بين المنادين بتحطيم التماثيل والصور وبين الكنيسة المعاندة، وعقد مجمع نيقية الثاني عام 787م وحضره 350 أسقفاً، وقرروا جميعاً بقاء الثماثيل والصور، بل ألزموا الناس بالإغراق في ذلك بوضع التماثيل والصور كذلك في البيوت والطرقات، لبقاء أثر المسيح وأمه والرسل وسائر القديسين في نفوسنا، وبذلك انتصرت الكنيسة الوثنية على حركات الإصلاح، ثم عادت الحركة المناهضة لعبادة الصور والتماثيل للظهور مرة أخرى بعد ثلاثة قرون، وذلك حينما اتصل الغرب الوثني بالشرق المسلم إبان الحروب الصليبية، وكان البروتستانت هم الذين يتولون الحركة الإصلاحية في هذا الجانب، بينما ظل

الكاثوليك على تقديسها ولعن محطميها، وبلغ الهوس بهؤلاء المفتونين بصور المسيح – عليه السلام – وأمه أن قامت إحدى شركات السينما في السويد بإنتاج فيلم عن " حياة المسيح الجنسية "، في ابتذال وامتهان لم يحرك في الدول الغربية ساكناً، بينما احتجت بعض المنظمات الإسلامية، وطالبت بإيقاف عرض الفيلم، ولم يقتصر الأمر على المسيح وأمه بل إن الكنيسة تجرأت على الباري – جل شأنه – وصورته كما تصور المخلوقين – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً –، معلنين أنهم لا يمكنهم أن يفهموا الله إلا عن طريق تصوره بالصورة البشرية، كما يقرر ذلك أحد علماء الكنيسة.
ويتابع المؤلف عرض البدع التي استحدثت في النصرانية؛ فيذكر منها المعجزات والخرافات، فكان من الطبيعي لدين مركب من تعاليم المسيح، وكم هائل من المعتقدات الوثنية؛ أن يجد صعوبة في الإقناع العقلي، والبرهان المنطقي، فذهب يعوض هذا النقص بادعاء الخوارق التي هي في حقيقتها أوهام وأخلاط، بقصد التمويه على العقول الضعيفة، والنفوس الساذجة، وساعد الإرث الوثني على تقبل جماهير الناس المتعلقة بالكنيسة بهذه السخافات، واتسع نطاق تلك الأوهام حتى أصبحت مكانة رجل الدين وقداسته مرهونة بما يظهر على يديه من الخوارق، وما يتعاطى من الشعوذات، وما يأتي به من ألاعيب تجهل العقول الساذجة علته الحقيقية، مدعياً أن ذلك هبة من الروح القدس له، ويسجل لنا التاريخ أمر " الساعة " التي أهداها هارون الرشيد إلى الإمبراطور (شارلمان)، فأصابه الفزع هو وحاشيته ظانين أن بها جناً يحركها، فكيف بعامة الشعب من الفلاحين والرعاة؟!.
وكان لهذه الخرافات جذور عميقة في نفوس أتباع الكنيسة، ولهذا كانوا يتعلقون بالقساوسة، ويعتقدون فيهم قدرات خارقة في صد العواصف، وإنزال المطر، وكانوا ينزلون بهم أشد النكال إذا فشلت تراتيلهم في تحقيق آمال الناس، فكم من قديس أهانوه وضربوه، ونزعوا أجنحته الذهبية، وركبوا له أجنحة ورقية إهانة له على فشله، كما كانت صيحاتهم الغاضبة تعلو في الساحات الكبرى حيث يأتون بهؤلاء القديسين الكذبة، ويقيدونهم عراة، ويهتفون بهم: المطر أو حبل المشنقة.
وأشار المؤلف إلى عدد من تلك الخرافات التي كانوا يشيعونها في الناس، فذكر خرافة " تجلي العذراء " التي يثيرونها بين الحين والحين، وذكر أيضاً خرافة الرقم

(13)، ويبين أن أصله أن يهوذا الذي دل على المسيح هو التلميذ الثالث عشر للمسيح، فكان ذلك مصدر شؤم للكنيسة وأتباعها.

ومن البدع المستحدثة في الديانة النصرانية بدعة: صكوك الغفران، وهي الصكوك التي كان القساوسة يمنحونها لأتباع الكنيسة ليتطهروا من الخطايا، ضامنين لهم المغفرة، مطلقين لهم العنان ليفعلوا ما شاءوا من المعاصي، طالما اشتروا هذا الصك، أما البؤساء ممن لا يملكون المال لشراء هذا الوهم فيظلون محرومين من هذه الموهبة مهما بلغ تقواهم وحبهم للمسيح، وتعلقهم بالعذراء.

وكان الأساس الذي بنيت عليه هذه الأكذوبة هو فكرة القداسة التي ادعاها رجال الدين، والتي بني عليها فكرة الاستشفاع بهم لدى الله لمغفرة الخطايا، وظل الجهلة والسذج يتوسلون إلى القساوسة راجين الشفاعة، والتقرب إلى الله زلفى؛ فنتج عن ذلك مبدأ التوسط بين الله والخلق، حتى أصبحت وظيفة رجل الدين المسيحي القيام بهذه الوساطة، فعن طريقه تؤدى الصلاة، ويتناول العشاء الرباني، وهو الذي يقوم بالتعميد، وطقوس الزواج، والموت، ويتقبل الاعترافات بالمذنبين.

ثم يبين المؤلف أن هذه الصكوك إنما بدأت حين كانت الكنيسة تواجه ظروفاً عصيبة إبان الحروب الصليبية التي بلغ معها يأس النصارى من تحقيق النصر على المسلمين مبلغاً عظيماً، وأصاب الشعوب الأوروبية إحباط شديد؛ فاخترعت الكنيسة فكرة هذه الصكوك كتجسيد لأماني المشتركين في تلك المعارك بالمغفرة، ولشحذ هممهم للاندفاع في المشاركة في تلك الحروب، كما يقول ول ديورانت في قصة الحضارة.

ويخلص المؤلف من هذا العرض لهذه البدعة بقوله: وعليه فلم يكن يحظى بالحصول على صك الغفران إلا رجل ذو مال يقدر على شرائه حسب التسعيرة التي تحددها الكنيسة، أو رجل يحمل سيفه ليقاتل تحت راية الكنيسة، وغير هذين رجل ثالث فقير لا مال له، أو عاجز عن القتال، أو رجل غير مستعد للموت في سبيل الكنيسة، لكنه يظل أسير صراع نفسي مرير، وشعور بالحرمان قاتل.

وهكذا فالكل مضحون، والكل خاسرون، والكنيسة هي الرابح الوحيد، حيث أثرت ثراء فاحشاً من عملية بيع الصكوك، وإن كانت عند الله أذل مقاماً، وأخسر صفقة.

ومن الوجهة السياسية قويت الكنيسة، وتدعمت سلطتها، فكان الثراء والنفوذ بعض ثمار تلك البدعة التي دفعت الكنيسة إلى الطغيان والغطرسة الباغية، ولم ينتبه رجال الكنيسة الذين أعماهم الغرور بسبب ما وصلوا إليه من الغنى والسيطرة عن خطر هذا الطغيان عليهم، فكانت مهزلة صكوك الغفران مسماراً في نعش الكنيسة، وبداية لنهايتها، حيث هبط سوق الصكوك، وأصابه الكساد، وتجول القساوسة ببضاعتهم يبيعونها بأبخس الأثمان، فازداد إعراض الناس عنها، حيث تولد لديهم شعور بأن شراءها إن هو إلا إضاعة للمال فيما لا فائدة فيه، أو أنه غير مضمون العاقبة، وتبع ذلك الشعور ظهور الفضائح التي كشفت جانباً من سيرة رجال الكنيسة وفجورهم، فكان ذلك إيذاناً بالشك الكبير في قداسة هؤلاء القساوسة وصلاحهم، وتوحدت المشاعر من مختلف قطاعات الشعب بالعداوة والازدراء تجاه رجال الكنيسة، ورأى الأوربيون – حكاماً ومحكومين – الحياة الكريمة التي يعيشها الشرق الإسلامي، حيث لا كهنوت، ولا طغيان، ولا احتكار، فهزت هذه الرؤية أنفسهم، وبهرت عيونهم، فباتت صكوك الغفران في نظرهم هراء لا طائل تحته، وعبئاً يبعث على الاشمئزاز والاستخفاف.

ولما كانت الكنيسة هي الدين النصراني في نظر أتباعها كان لابد أن يهتز الدين كله في نظرهم باهتزاز صورة الكنيسة، وفقدان الثقة في قدسيتها وطهارة رجالها، وكان ذلك هو بداية السير في طريق الكفر، ونبذ الدين، واستغل أعداء الدين – لا سيما اليهود – تلك الأجواء فبذروا على الفور بذورهم بالمناداة بطرد الدين من حياتهم، ووضعوا أمامهم ذلك الخيار الصعب الذي مفاده: إما أن يؤمن بصكوك الغفران فيحكم على نفسه بالجمود، والغباء، والرجعية المتناهية، وإما أن يكفر بها فيلزمه الكفر بالإطار الذي يحويها بكامله؛ إطار الدين والغيبيات، لا سيما الآخرة، وهو الخيار الذي جسده الفيلسوف اليهودي الوجودي " جان بول سارتر" في إحدى رواياته المشهورة (الشيطان والرحمن).

هذا مع أن الكنيسة في عصرنا الحاضر لا تصدر تلك الصكوك المخزية، بل تستحي من ذكرها، وتخجل كلما دار الحديث عنها.

الباب الثاني: أسباب العلمانية: وفيه أربعة فصول: الفصل الأول: الطغيان الكنسي: أسبابه، أنواعه (الطغيان الديني – الطغيان السياسي – الطغيان المالي)، الفصل الثاني: الصراع بين الكنيسة والعلم، الفصل الثالث: الثورة الفرنسية: (الفكر اللاديني – وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير – القوى الشيطانية الخفية)، الفصل الرابع: نظرية التطور: (آثار الداروينية – انهيار العقيدة الدينية – نفي فكرة الغاية والقصد – حيوانية الإنسان وماديته – فكرة التطور المطلق).

بدأ المؤلف في فصل الطغيان الكنسي إلى التعريف بداء الطغيان، وبيان أنه مرض يدمر النفس الإنسانية حين تصاب به، وأن من خصائصه أنه لا يصيب إلا ذا نفس هزيلة أتيح لها وسائل تفوق طاقتها، ولم يكن لديها ما تتحصن به من خلق أو إيمان يكبح جماحها، وأشار إلى أن ظهور هذا المرض على الحكام الوثنين، أو الطغاة من زعماء الدنيا؛ فإنه يكون معقولاً إلى حد ما، أما حين يصدر هذا السلوك الشائن ممن يراهم الناس قديسين ورسل سلام فهذا مما يشق على النفس تحمله، ويصعب على العقل تقبله، فهم الرجال الذين طالما سمعوا منهم عبارات التسامح والمحبة في مواعظهم الدينية. ويبحث المؤلف في أسباب ذلك الطغيان الذي كانت الكنيسة تمارسه، فأشار إلى الاضطهاد الذي أوقعه الوثنيون من الرومان على أتباع المسيح – عليه السلام –، والذي ألجأ هؤلاء الأتباع إلى التخفي بالدعوة، وإخفاء ما بأيديهم من نسخ الأناجيل، التي كانت تتعرض للمصادرة والحرق، مما أدى إلى انحصار المصادر الدينية للمسيحية على فئة قليلة من الناس كان لهم وحدهم حق شرحها وتأويلها، فلم يكن بأيدي الناس من المصادر التي يراجعون على أساسها ما يسمعون من رجال الكنيسة، فتكلم هؤلاء وحدهم، وكان على الناس جميعاً أن يسمعوا من هذه الفئة التي احتكرت حق الشرح والبيان، فكان على الناس أن يقدموا الطاعة العمياء، فشجع ذلك رجال الكنيسة على الطغيان، وفرض سلطانهم وتعميق هيبتهم لدى الناس، وكان من نماذج هذا الطغيان:

الطغيان الديني: فمنذ مجمع نيقية عام 325م والكنيسة تمارس الطغيان الديني، حيث فرضت عقيدة التثليث، ولعنت مخالفيها، وعذبت الموحدين، ومارست التحليل والتحريم، والنسخ والإضافة، فحرمت الختان، وأباحت الميتة، والتماثيل، والضرائب

التي تجبيها الكنائس، وغير ذلك من المحرمات التي أحلتها المجامع الكنسية، كما أضافت الكنيسة ألواناً من المعتقدات الوثنية كقضية الاستحالة في العشاء الرباني، وعقيدة الخطيئة الموروثة، وعقيدة الصلب، والعذراء، والطقوس السبعة، وفرضت الكنيسة كل ذلك على أتباعها بحجة أنها أسرار عليا لا يجوز الشك فيها، بل لا يجوز الخوض فيها.

لم يقف الأمر عند هذا الحد من الطغيان الذي فرض على الناس الانصياع لتلك المعتقدات، بل تعدى ذلك إلى إنزال النكال البشع بكل من تسول له نفسه الاعتراض أو التبرم من أحوال الكنيسة، وفساد رجالها، وما خبر محاكم التفتيش بجديد، فقد كان المسلمون في الأندلس هم الضحية الأولى لتلك المحاكم البشعة، فقد أبيدوا إبادة تامة بأقسى وأشنع ما يتخيله الإنسان من الهمجية والوحشية، وكانت المحكمة الأم لهذه المحاكم الوحشية (المحكمة المقدسة!! في روما)، وإن المؤرخين ليصابون بالرعب عند ذكر هذه المحاكم، وسرد تاريخها الأسود، فكيف بالضحايا الذين وقع عليهم هذا العذاب الذي يفوق الخيال، وكان يكفي لوقوع الشخص في هذا العذاب الرهيب أن يوشي به جاره أنه سمعه يذكر الثالوث أو المعجزات بما يعد في نظر رجال الكنيسة جريمة يستحق صاحبها أن يقطع جسده، أو يفرم في مفارم اللحم، أو يشعل تحته النيران الخفيفة ليموت موتاً بطيئاً، أو تغرز الكلاليب في لسانه ويشد فيقطع، وعقدت الأهوال ألسنة كبار العلماء الأفذاذ مثل نيوتن، وبيكون، وديكارت، وكانت، وغيرهم، فلم يجرؤ أحد منهم على التلفظ بكلمة تثير عليهم غضب رجال الكنيسة القساة.

الطغيان السياسي: من الطبيعي أن يكون لرجال الدين في أي أمة أثرهم الطيب في المجتمع، وأن تكون أزمة الأمور في أيديهم، لتقويم المعوج، وتصحيح الخطأ، أما أن يتحول رجال الدين إلى طواغيت ومحترفين سياسيين، مع نبذ شريعة الله، ليحل محلها التسلط والاستبداد، فذلك العجب العجاب، لكن هذا هو الذي حدث من الكنيسة، حيث تناحر البابوات مع الأباطرة على النفوذ، والقبض على مقاليد الأمور في المجتمع، ولم يفتأ البابوات يعلنون أن الكنيسة – بوصفها نظاماً إلهياً – خليقة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية، ومن حق البابا وواجبه أن يخلع الملوك غير الصالحين، أو يرفض اختيار البشر للحكام.

ظلت الكنيسة على هذا الحال من السلطة الروحية البالغة، والهيكل التنظيمي الدقيق والاستبداد المطلق، فكان البابوات هم الذين يتولون تتويج الملوك والأباطرة، كما كان بإمكانهم خلع الملوك وعزلهم بإرادتهم المحضة، ومن رفض الرضوخ لأحكام البابوات أسقط البابوات عنه الشرعية، وأعلنوا الحرب عليه، ولعل خير مثال على ذلك يعرضه علينا المؤرخ البريطاني "ويلز"، وكذلك "ديورانت" في (قصة الحضارة) وهو حادثة الإمبراطور الألماني (هنري الرابع) المشهورة مع البابا جريجوري السابع، فقد جرى بينهما خلاف فظن الإمبراطور أن بوسعه أن يخلع البابا، فرد البابا بخلعه، وألب عليه أتباعه والأمراء، فعقد الأمراء مجمعاً وقرروا فيه أن الإمبراطور سيفقد عرشه إلى الأبد إذا لم يحصل على عفو البابا، وخضع الإمبراطور، وأذل نفسه، وسافر مجتازاً جبال الألب في برد الشتاء القارس، وظل واقفاً في فناء القلعة ثلاثة أيام وهو في لباس الرهبان، متدثراً بالخيش، حافي القدمين، عاري الرأس، مظهراً كل علامات المسكنة والتوبة حتى ظفر بالمغفرة، وحظي برضا البابا!

وأشار المؤلف إلى نماذج من التحديات التي كانت تصدر من بعض الملوك تجاه الكنيسة لكنها كانت تتحطم أمام نفوذ الكنيسة وطغيانها، وكان من أشهر هؤلاء الملوك الذين قاوموا هذا الطغيان الإمبراطور " فردريك الثاني " الذي عرف بصلابته التي عزاها المؤرخون إلى ثقافته العربية والإسلامية، حتى اتهمته الكنيسة بأنه اعتنق الإسلام، وسمته الزنديق الأعظم، فدافع هذا الإمبراطور عن نفسه برسالة عدت وثيقة هامة في وصف الصراع بين البابوات والملوك، أو الصراع بين الكنيسة والعلمانيين الذي كان يثور ويتأجج، فكان موقف فردريك ظاهرة فذة، لكنها لم تصمد أمام قرارات الحرمان، وسطوة الكنيسة الباغية.

الطغيان المالي: بيّن المؤلف أن الأناجيل على ما فيها من تحريف كانت قاطعة في الدعوة إلى الزهد، والتنفير من التهالك على ملذات الدنيا، لا سيما جمع المال والافتتان به، وأن المسيح – عليه السلام – كان أسوة حسنة في ذلك فقد عزف هو وحواريوه عن الدنيا عزوفاً صادقاً بينما كان القوم من اليهود ينظرون إلى الدنيا نظرة جشع لا ينتهي، وشره لا ينقطع. وجاءت القرون التالية فشهدت مفارقات عجيبة بين مفهوم الكنيسة في هذا الأمر وبين واقعها العملي، فبينما كانت تحرم ما أحل الله من

الطيبات متأثرة بتلك النظرة التشاؤمية للحياة الدنيا؛ كانت سيرتها الذاتية مخزية، حيث تهالكت على الدنيا، وامتصت دماء أتباعها، وعاش رجالها في بذخ متناه، وكانت أملاك الكنيسة الإقطاعية من الأراضي تفوق كبار الإقطاعيين في أوروبا، حتى بلغت ممتلكاتها الإقطاعية ثلث أراضي إنجلترا، كما كانت تأخذ الضرائب الباهظة من الباقي من الأرض، كما فرضت الكنيسة العشور على غلات الأراضي الزراعية والمهنيين، ولم تكتف الكنيسة بالأوقاف والعشور بل فرضت الرسوم والضرائب، كما كانت تحظى بالكثير من الهدايا والهبات التي كان الأثرياء يقدمونها لها للتملق، أو الرياء، أو ما كان منها على سبيل الصدقة والإحسان، وفوق ذلك كانت هناك المواسم المقدسة، والمهرجانات الكنسية التي كانت تدر على الكنيسة أموالاً طائلة، كما كانت الكنيسة ترغم أتباعها على العمل المجاني في حقولها وفي مشروعاتها لا سيما بناء الكنائس والأضرحة، كان كل ذلك يملأ نفوس الناس جميعاً بالسخط، إلا أن الظروف لم تكن مواتية لإعلان هذا السخط، أو التعبير عنه بشكل صريح.

الفصل الثاني: الصراع بين الكنيسة والعلم:

بين المؤلف في هذا الفصل أن الصراع الذي نشب بين العلم والدين كان من أعقد وأعمق المشكلات في التاريخ الفكري الأوروبي، ورغم كل الظواهر البارزة في الحياة الغربية التي تؤكد أن المعركة قد حسمت لصالح العلم، فإن هناك ما يدل على أن الدين أو بعض قضاياه الاعتقادية والسلوكية لا يزال موجوداً، وأن المعركة لم تحسم نهائياً، بل هي مستمرة، وأن كل طرف من الطرفين قد حقق في هذا الصراع ثباتاً وصموداً، أو تمكن من احتلال مساحات من مناطق نفوذ الآخر، فالمناطق التي احتلها العلم من مناطق نفوذ الدين هي في الحقيقة المواقع التي انتصر فيها العقل واليقين على الخرافة والوهم، كما أن المواقع التي صمد فيها الدين أمام الهجوم العلمي الكاسح هي المواقع التي انتصرت فيها الحقيقة الموحاة على التخرصات والأهواء.

ويلخص المؤلف هذه الفكرة في عبارة موجزة فيقول: إن الحق في كل من الطرفين هو الذي انتصر أو سينتصر على الباطل في كليهما، وأنه لو كان الدين الأوروبي يقيناً مجرداً، والعلم الأوروبي يقيناً مجرداً؛ لما حدثت معركة على الإطلاق،

ويضيف: إن الدين بصبغته الإلهية النقية لم يدخل المعركة، ولهذا فإن الأوفق أن نسمي ما حدث في الغرب صراعاً بين الكنيسة والعلم وليس بين الدين والعلم.

ثم يبين أن جناية رجال الدين الأوربيين على الحقيقة كانت أشنع وأنكى من جناية أنصار العلم عليها، ذلك أن الكنيسة ارتكبت خطأين فادحين: أحدهما تحريف حقائق الوحي الإلهي، وخلطها بالفلسفة والأهواء، والآخر فرض الوصاية الطاغية على ما ليس داخلاً في نطاق اختصاصها.

كانت أوربا مستغرقة في دياجير الخرافة والجهل، فعرفت الطريق إلى النهضة العلمية التي كانت تشع من الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية، فاستيقظ العقل الأوروبي من سباته، وأخذ يقتبس عن المسلمين طرائق البحث، ومناهج التفكير، وهنا ثارت الكنيسة، وهاج هياجها على أولئك الذين يتلقون علوم الكفار (المسلمين)!، ويلتفتون عن الكنيسة وتعاليمها، فأعلنت حالة الطوارئ، وشكلت محاكم التفتيش، فاشتعلت المعركة، وازداد أوارها بمرور الأيام.

ثم استعرض المؤلف مراحل ذلك الصراع فتحدث عن النظرية التي هزت الكنيسة، وأذهبت قدراً كبيراً من ثقة أتباعها فيها، وهي النظرية الفلكية التي قدمها كوبرنيق 1543م وخالف فيها ما كانت الكنيسة تعتقده من أن الأرض مركز الكون، وأن الأجرام السماوية كافة تدور حولها، ولم ينج من محاكم التفتيش لأنه كان قسيساً بل لأن المنية أدركته بعد طبع كتابه بقليل، فأفلت من عقوبة الكنيسة، التي حرمت كتابه، واعتبرته من وساوس الشياطين، وجاء بعده " برونو" بتأكيد نفس النظرية، فسجنته الكنيسة فأصر على رأيه فأحرقته، ثم جاء جاليليو فأيد النظرية فلقي في السجن العذاب والمهانة، وكاد أن يلقى نفس مصير برونو لولا أنه خشي على حياته فأعلن ارتداده عن أفكاره، وركع ذليلاً أمام رئيس المحكمة، وراح يلعن ما توصل إليه، ويصفه بالإلحاد، وتعهد بالإبلاغ عن كل ملحد يوسوس له الشيطان بتأييد مثل هذه الأبحاث المضللة!! وبعد مدة من الزمن راجت تلك النظرية الفلكية، وهبطت أسهم الكنيسة، وطالب العلماء ودعاة التجديد بتقديس العقل واستقلاله بالمعرفة بعيداً عن الوحي، ثم ظهر ديكارت فدعا إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة، واستثنى الدين تحت الرهبة من الكنيسة التي لم يزل لها نفوذ وسطوة.

وهذه الازدواجية في الفلسفة والنظر العلمي، والفصل بين العلم البشري والوحي الإلهي ظهرت أيضاً في منهج " بيكون " التجريبي، الذي كان يمثل مرحلة طبيعية في سلم التدرج من الإيمان المطلق بالوحي إلى الإنكار المطلق له، بيد أن بعض الفلاسفة آثر الدخول المباشر على آراء الكنيسة وإخضاعها للمنهج العلمي، ومن هؤلاء " سبينوزا " اليهودي الذي وضع أسس مدرسة النقد التاريخي، وقد أعمل سبينوزا منهجه بدراسة الكتب الدينية بنفس المنهج الذي تدرس به الروايات التاريخية، واستنتج أن أسفار التوراة لم يكتبها موسى، وإنما كتبت بعده، ثم جاء باسكال ووجه النقد لعقيدة الخطيئة، ثم جاء " جون لوك " فكان أبلغ من ديكارت في المطالبة بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض، ثم دعا إلى التسامح الديني، وإفساح الطريق أمام الناس ليعتنقوا ما شاءوا من الأديان، على أن كل ذلك كان يظهر بتلطف وحذر حيث كانت الكنيسة تتربص بأصحاب تلك الأفكار، وتخيفهم بمحاكم التفتيش، وقد تعرضت كتب هؤلاء العلماء للحرق والمصادرة، كما تعرضوا هم للإيذاء والمضايقة من قبل الكنيسة، ثم جاء " نيوتن " وظهرت نظريات علمية هزت الكنيسة وأثارتها، كان من هذه النظريات القول بأن من الممكن تفسير ظواهر الطبيعة بربط بعضها ببعض دون حاجة إلى تدخل قوى خارجية عنها، وكانت هذه النظرية بمثابة النواة للمذهب الطبيعي، والنظرية الميكانيكية.

حاربت الكنيسة هذه النظرية على أساس أنها أهملت الاعتقاد في أن الله هو الذي يسير كل حركة في الكون، ولم يتسع أفق الكنيسة لإدراك أن نسبة الأفعال إلى الأسباب والوسائط لا يلزم منه إنكار نسبتها إلى الله – تعالى – باعتباره الفاعل الحقيقي، لكن الكنيسة دأبت على محاربة كل جديد، فترتب على ذلك جنوح أصحاب النظرية برد فعل أهوج، فأنكروا عمل العناية الإلهية، وأعلنوا أن كل ما عرفت علته المباشرة فلا داعي لافتراض تدخل الله فيه – حسب تعبيرهم –.

كان اندفاع الباحثين والعلماء في مواجهة الكنيسة، والانفكاك من ربقة رجالها المتغطرسين؛ يعبر بشكل صريح بكفرهم بالكنيسة وبرجال الدين، وساعدت نظرية نيوتن على إيجاد فكر لا ديني منظم، وربما كانت النظرية قد مهدت للثورة الفرنسية، وفتحت الطريق أمام نظرية دارون التي كانت إيذاناً بأفول نجم الكنيسة، وانتهاء

وصايتها الفكرية على أوروبا، وولادة آلهة جديدة لا كنائس لها، ثم ظهر في القرن الثامن عشر روح جديدة عمت الباحثين والفلاسفة والعلماء، دار محورها حول العقل والطبيعة، وتعالت الأصوات بتضخيم دور العقل، وبأنه الحكم على كل شيء، وأن ما عداه فوهم وخرافة، فالوحي يخالف العقل، فهو أسطورة كاذبة، وصار لزاماً على الذين نبذوا الإيمان بالله كلية أن يبحثوا عن بديل فوجدوه في الطبيعة، فخلعوا على هذا المسمى كل صفات الله التي عرفوها في المسيحية مع فارق بين الإلهين في نظرهم، فإله الكنيسة يبطش ويعذب، ويفرض القيود، أما إله الطبيعة فجذاب ليس له كنيس، ولا يفرض طقوساً، ولا صلوات، ولا رجال دين يستعبدون الناس.

وسادت تلك العبادة الجديدة؛ عبادة العقل والطبيعة، فكانت سمة هذا العصر الذي سمي عصر التنوير، وتوالت انتقادات العلماء للكنيسة ترسم خط العداء الذي ظهر في أجلى صوره على يد فولتير الذي انتقد عقيدة التثليث، وتجسيم الإله، وأشار إلى أن " بولس " طمس المسيحية وحرفها، ونادى بأن الطاعة إنما هي طاعة البشر باسم قوانين الدولة، وأن على رجال الدين أن يخضعوا مع جميع الناس لنظم الدولة، فلعنته الكنيسة، وحرمت قراءة كتبه، ونتج عن المذهب العقلي الجديد بالإضافة إلى نظرية نيوتن مذهبان جديدان على العالم الإسلامي ينمان عن التخبط والضياع: الأول: مذهب المؤلهة أو المؤمنين بإله مع إنكار الوحي.

================

#العلمانيون واحتراف البكاء على الحرية

بقلم : شادي الأيوبي

من المضحك المبكي في هذه الأيام ما احترفه بعض العلمانيين من البكاء على أطلال الحرية المفقودة، والتضجر من بعض القيود التي يدعون وجودها على الجهر بآرائهم، سواء أكانت تلك قيوداً اجتماعية، أم كانت قيوداً من المشرفين على وسائل الإعلام، ولا يتورع البعض منهم عن الادعاء بوجود "اضطهاد فكري ونفسي" من فئات المجتمع المختلفة.

وتتنوع شكاوى هؤلاء من التضييق على الظهور، إلى إعطاء الفرص الأوفر لمخالفيهم- من الإسلاميين في معظم الأحيان- للإدلاء بآرائهم في مختلف القضايا،

ولا يتورع بعض المغالين من مغموريهم بادعاء وجود تهديدات وأخطار تمس حياته، وهذه مسألة بالغة الخطورة؛ لأنها تمس قضية الأمن الوطني الذي يجب أن يشترك جميع أبناء الوطن في الحفاظ عليه بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية أو الدينية.
والحق أن الأجواء قد اختلفت كثيرا بالنسبة لهؤلاء، لكن هذا الاختلاف كان نتيجة طبيعية لزيادة الوعي لدى فئات المجتمع المختلفة، وليس بسبب رغبة الإعلاميين في اضطهاد العلمانيين كما يحاول بعض هؤلاء أن يوحوا لنا، حباً منهم في لعب دور الضحية المستحقة للشفقة.
فهؤلاء اعتادوا خلال سنوات الطويلة امتدت من الخمسينات والستينات وحتى منتصف الثمانينات تقريبا- مدة المد اليساري عالمياً- اعتادوا أن يكونوا فرسان الميدان الإعلامي دون منافس أو معترض، وكانت جميع الميادين الإعلامية مفتوحة لهم على مصراعيها، من مكتوبة ومسموعة ومقروءة، وكان من النادر سماع أصوات قوية معارضة لهم؛ لأن التيار السائد في ذلك الوقت كان مؤيداً بشدة لأفكارهم ومبادئهم، بحيث كانت أي أصوات معارضة تخنق في مهدها، أو ترسل إلى كواليس النسيان والإهمال، مما جعلهم يصولون ويجولون دون معارض أو محاسب لسنوات طويلة.
غير أنه في المدة الأخيرة، وبسبب أن الحالة الإسلامية بدأت تؤتي أكلها، وبسبب من إلحاح الجماهير التي عادت إلى مبادئ دينها ورفض ما يخالفه، فقد صارت هناك ضرورة لمراعاة الذوق العام المتجه نحو التدين الواعي، والرغبة بالاستزادة من المعلومات الدينية والثقافة الجادة، وهكذا اتجه العديد من المنتجين إلى برامج وأفلام ومسلسلات تراعي رغبة الجمهور.
وهنا يحق لمعترض لأن يقول: ألا تنظرون إلى ما يجري اليوم من برامج هابطة يجري وراءها الشباب بالآلاف، ولا ترون المسلسلات الخليعة التي تملأ الساحة؟
نقول: نعم هذا صحيح وموجود، لكنه لا يقارن بما كانت عليه الأحوال في السنوات الخالية، حيث كانت الشاشات المختلفة لا تعرض لذكر الدين إلا في الأعياد أو في شهر رمضان المبارك، وذلك ببعض المسلسلات الموجهة أصلاً لتضييع معنى الصيام، عبر ما تعرضه من فنون ورقصات وغناء مائع.

ونحن إذا عقدنا اليوم مقارنة بين تلك السنوات وبين السنوات التي نعيشها اليوم، نجد فرقاً كبيراً، فالجمهور المتدين الذي يقاطع البرامج التافهة، كان غير موجود تقريباً، أما أنه توجد اليوم جماهير تائهة تجري وراء كل هابط، فهؤلاء كانوا دائماً موجودين، وسيظلون موجودين، وذلك أن الغث يبقى دائماً ليتميز الصحيح.

فقبل عشرين سنة مثلاً، كنت ترى شيوخاً معممين يتكلمون في أمور الدين المبدئية، لكنك لن تجد من يعطي تحليلاً سياسياً أو اقتصادياً من وجهة نظر دينية، كما لن تجد من يتكلم عن حيوية الدين الإسلامي، والدعوة إلى النهضة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، من خلال مبادئ مستقاة من الدين ومبادئه.

واليوم لا يماري أحد في وجود تغير كبير وجذري، يسميه الإسلاميون صحوة، ويسميه خصومهم انتكاسة وتخلفاً، لكنه على كل حال فرض وجوده واحترامه على من يريده ومن لا يريده، ومن مظاهر ذلك التغير:

- الإقبال على التدين والالتزام بمبادئه، سواء على الصعيد الفردي، أو على صعيد الجماعات والمجتمعات، ويستطيع المراقب ملاحظة الفارق الواسع بين التدين قبل 30 عاماً والتدين في أيامنا هذه، فقبل كان التدين محصوراً في جماعات إسلامية معينة - ولا ينكر أحد ما قام به هؤلاء من خدمات للدين في مدة كان الدين فيها غريباً تماماً- أما اليوم فالتدين صار حالة عامة يشترك فيها ابن الشارع البسيط والأكاديمي المثقف، وابن الحركة الإسلامية ومن لا ينتسب إليها، ولك أن تنظر إلى عدد المجاهرين بالإفطار في رمضان قبل ثلاثين عاماً وأعدادهم اليوم لتعرف مدى التغير..

- البرامج الإسلامية التي انتشرت في القنوات المختلفة والإقبال المتزايد عليها، خاصة برامج الفتاوى وجلسات العلم والفقه، حيث تقبل عليها اليوم فئات كبيرة من المجتمع، ومما يجعل من هذه البرامج ومثيلاتها واعدة اهتمام فئتين من المجتمع كانتا تقليدياً في الجهة المقابلة وهما فئتا الشباب والنساء.

- ظهور القنوات الفضائية ذات التوجه الإسلامي ونجاحها في دخول البيوت دون تحفظ، خاصة بعد ارتفاع صرخات التحذير من البرامج الهابطة التي ظهرت نتائجها الخطيرة على الكثير من الشباب، ثم نجاحها في تقديم الجديد الممتع، والذي يعتمد

على العقل والنقل والعلم الحديث، مما رفع من سقف خطابها ليصل إلى المثقفين الكبار، مع محافظتها على مخاطبة رجل الشارع البسيط.

- طبقة العلماء المثقفين والمفكرين والإداريين الذين أثبتوا وجودهم خلال المدة الأخيرة، والذين قدموا الدين بطريقة عصرية قريبة للأفهام وآسرة للعقول، بعيدة عن التعقيدات، فبرامج الإعجاز القرآني المعتمدة على الآيات القرآنية والمستندة إلى أدلة من العلم الحديث، وبرامج تعليم الإدارة وفنون المهارات الذاتية، والتي جاء بها مثقفون مسلمون من بلاد الغرب وطعموها برجوعهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وغيرها من البرامج التي تتخذ من الدين مرجعية لها، أصبحت في غاية الجاذبية والرواج، حيث نبهت الجماهير إلى فكرة مهمة كانت غير واضحة المعالم لسنوات عديدة: إمكانية قيام نهضة حضرية على أساس من الالتزام بتعاليم الدين وشريعته..

- ظهور تطبيقات عملية ناجحة للفقه الإسلامي في مجالات كانت مهجورة منذ زمن بعيد خاصة المجال الاقتصادي، والذي كان من أول مجالات الشريعة الذي تسربت إليه التطبيقات الوضعية، حيث تشق البنوك الإسلامية وشركات المضاربة الشرعية طريقها بنجاح مضطرد يوما فيوما، ورغم الإخفاقات التي تعرضت لها في بداية مسيرتها، إلا أنها استطاعت إثبات وجودها على الساحة، بحيث صارت منافساً- ولو مبتدئاً- للبنوك التقليدية.

التغير الأخير لم يكن نتيجة مصادفة تاريخية أو اجتماعية لكنه كان نتيجة لجهود كبيرة بذلت ولا تزال تبذل، وإلى عوامل أخرى، منها:

- الجهود التربوية الجبارة التي قامت بها الحركات الإسلامية المعتدلة في سبيل نشر الوعي المرشد بين المجتمعات المسلمة، ولكي نكون منصفين في خضم الثورة الإعلامية الحالية، فإن تلك الجهود الخفية تلك كانت أساس الوعي الجماهيري الحالي، مع أن تلك الجهود لم تنل حقها من الدراسة والأضواء، فقد كانت ولا تزال جهوداً خفية بعيدة عن الظهور لأسباب عديدة.

- الجهود التي قام بها الدعاة الجماهيريون المثقفون، والذين استطاعوا إيصال الثقافة الإسلامية إلى الجماهير دون تحفظ حزبي أو فئوي، فهؤلاء بطريقة بسيطة ودون

الانجرار إلى المواجهة مع أي طرف، جعلوا من الدين والشريعة أهم عامل تأمل الجماهير اليوم في قيام نهضتها على أساسه.

- الانفتاح الإعلامي الأخير الذي حمل في طياته الكثير من الغث والسمين، على أنه ساهم بشكل عام في خلق مناخ عام من الشعور بالوحدة بين الشعوب العربية والإسلامية، خاصة في أوقات الأزمات، مما جعل القوى الاستعمارية تضيق بها ذرعاً، وتطالب بإقفالها أو التضييق عليها، وهي التي كانت أصلاً تطالب بإفساح المجال لها، عندما كانت تغطيتها توفر لها الحجة للتدخلات غير المنتهية في شؤوننا.

- مسارعة الإسلاميين إلى مجالات التقنية الحديثة لا سيما مواقع الإنترنت، فبعد الراديو والتلفزيون اللذان كان العلمانيون سباقين إليها ثم مسيطرين عليها، كان الإسلاميون من الذين لم يتأخروا في إنشاء مواقع على الإنترنت، وهذه ساهمت في نشر أفكارهم، والترويج لمبادئهم وتواصلهم مع الناس، ومواقع الإنترنت كما هو معلوم- من ناحية تقنية أسهل وأقل تكلفة من غيره من أدوات الإعلام..

- إعراض القنوات غير الملتزمة عن التصدي للقضايا المصيرية والقضايا المهمة، وانصرافها إلى برامج اللهو التي لا تنتهي، فلا تكاد ترى ذكر قضيتي العراق وفلسطين إلا في نشرات الأخبار، أما المشاكل الاجتماعية فليس لها معالجة جادة كذلك، بينما تئن المجتمعات العربية تحت وطأة مشاكل خطيرة، مثل: البطالة والغلاء وانتشار الأمراض الاجتماعية كالتدخين والمخدرات وانتشار فظيع للأمية والجهل..

على أن الدعاوى العلمانية تحتوي على الكثير من التعامي والتجاهل لكثير من المشاكل التي ساهم هؤلاء في إيجادها، ولمشاكل أخرى لا يزالون يتسببون بإيجادها، كما تحوي تناسياً وتجاهلاً لتاريخ عريض من التفرد مارسه هؤلاء بدعم من قوى كثيرة، جعلتهم- كما أسلفنا- يتفردون بالمجاهرة بآرائهم والترويج لمبادئهم علناً لسنوات طويلة..

ويستطيع المرء تعداد الكثير من التجاوزات والمضايقات التي تعدى فيها العلمانيون على الحريات العامة، في سبيل إقصاء منافسيهم عن المجالات العامة، تبدأ بالمضايقات والتحرش وتنتهي بالإقصاء والطرد، ومنها على سبيل المثال:

- تمسك العلمانيين غير المنتهي بالسلطة السياسية وإقصاء جميع معارضيهم بشتى الوسائل القمعية، وهذه النقطة هي قمة المأساة في عالمنا العربي والإسلامي، حيث تسخر إمكانات الدول والشعوب لخدمة طائفة أو جهة معينة جعلت من نفسها طبقة فوق سائر الناس، وتمتعت بالخيرات دون الخلق، دون أن تسمح لأي أحد بسؤال بسيط من نوع: من أين لك هذا؟؟
- إقصاء الخصوم السياسيين من الوظائف العامة والتعليم، خاصة ما تتعرض له النساء المحجبات من مضايقات وطرد من جامعات ووظائف الدولة حتى الأماكن العامة، والقانون الوحيد الذي لم يسنه العلمانيون في هذا المجال هو منع الهواء والماء عن هؤلاء المحجبات وأسرهن..
- إبعاد الملتزمين بالدين حتى غير المنتمين منهم لأي تيار إسلامي - عن الظهور الإعلامي، فكثير من المذيعات اللواتي التزمن بالحجاب مثلاً، أُخرن إلى الصفوف الخلفية ومنعن من الظهور على الشاشات، إن لم توجه لهن إنذارات بالطرد من العمل إن لم يتراجعن عن قرارهن الجديد..

===============

#العلمانيون وزلزال تسونامي

إعداد : د. الوصيف علي حزة- رحمه الله

إن المتابع لهذا الحدث الذي هز القلوب والأسماع وأودى بحياة الكثير على حين غرة ، والذي تناولته وسائل الإسلام بتفسير مادي بحت يثير العجب ، حيث إنه كان من المتوقع أن تكون النظرة إلى الحدث بعين المعتبر المتعظ؛ ذلك أن المؤمن لا يمر على آية من آيات الله تعالى إلا مرور المعتبر ، قال تعالى : قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (137) هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين {آل عمران: 137، 138} ، وقال تعالى : فاعتبروا يا أولي الأبصار {الحشر : 2} .

ذلك أن من شيم أهل الغفلة والجهل والكفر الإعراض عن آيات الله تعالى مطلقًا سواء الآيات القرآنية أو الآيات الكونية ، قال تعالى : اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (1) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (2)

لاهية قلوبهم {الأنبياء:1- 3}، وذلك لأن انتفاعهم بالآيات معدوم ، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون {يونس: 101}.

ومن طبيعة هؤلاء أن يفسروا الأحداث والتاريخ والوقائع تفسيرًا ماديًا: وإن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم {الطور:44} ، وليس هناك مجال – عندهم – لمفهوم الإيمان المقترن بالآية الكونية ، فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم (24) تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم {الأحقاف:24، 25} .

ولما كانت نظرتهم إلى الحدث بهذه الصورة المادية البعيدة عن الإيمان كان علاجهم للمشكلة من هذه الزاوية أيضًا؛ إذ لَمَّا حدث الزلزال اتجهوا للبحث عن خبراء اليابان والمراصد وأحزمة الزلازل في العالم – ونحن لا نقلل من شأن العلم الحديث – لأن المؤمن يتخذ الأسباب التي أودعها الله في كونه ، ولكنه – أي المؤمن- لا يكتفي بالأسباب فقط وإنما يتجه إلى خالق الأسباب مبدع الكون الذي إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ، فيطلب منه العون والمدد حتى لا يتشبه بولد نوح ، لما قال له أبوه: يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، كان جوابه باحتياطات مادية أيضًا : قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين {هود:43} .

فهل نسي العلمانيون – أو تناسوا – بأن القشرة الأرضية تأتمر بأمر الله ؟ قال تعالى: ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين {فصلت:11} .

فكل ما في الكون طوع أمره جل وعلا خاضع لعظمته متذلل لجلاله : ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس {الحج: 18}، أمرها فأطاعت وأسجدها فسجدت وأمسكها لتؤدي دورها: إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده {فاطر: 41}.

والعقلاء يعلمون أن الأرض بيد الله وحده يحركها كيف يشاء ، وفي كتاب الله ذِكْرُ الخسف الذي لحق بقارون لما عتا وتكبر بسبب ما أعطاه الله تعالى فكان التذكير

بنهاية طاغية وهو قارون الذي نسب الفضل لنفسه ولم ينسبه لصاحبه، فقال: إنما أوتيته على علم عندي ، فكان الجزاء : فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين {القصص:81} .

وانظر إلى قوم لوط لما استباحوا الفاحشة وإتيان الرجال من دون النساء شهوة وترديًا في حمأة الرذيلة فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر : فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود {هود:82} .

إن ما أصاب ثماني دول في زلزال تسونامي أولى بنا أن نفسره على أن هذا جزاء ما اقترفت أيدي الناس من حل للربا والخمر والزنى والحرب على كتاب الله واتخاذ آيات الله هزوًا فكان كما قال ربنا : وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا (8) فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا {الطلاق: 8، 9}.

إن كثيرًا من المنكرات تُرتكب باسم الفنون والآداب والحداثة والعصرية من خلال وسائل الإعلام والسياحة والتي يتمكن فيها العلمانيون فيشوشون على أهل الإيمان إيمانهم، وما نجم عن هذا الزلزال المدمر من هلاك وإبادة لمدن بأسرها فيها الصالح والطالح هو من سنن الله تعالى كما روى البخاري في صحيحه أن السيدة زينب بنت جحش سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : "نعم ، إذا كثر الخبث".

قال ابن حجر : الخبث : هو الزنى وأولاد الزنى .

وقال صلى الله عليه وسلم : "إن الله يغار من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن"، ولعل انتشار سياحة الجنس في هذه البقاع والاستعلان بالفاحشة أدى إلى هذا الدمار الهائل والذي لم يقف عند محل الزلزال وإنما تعداه إلى أماكن بعيدة .

قال تعالى : واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة {الأنفال :25}.

وقال آخرون : إن بلادًا كثيرة كأمريكا وأوربا انتشرت فيها الفواحش أضعافا مضاعفة ولا يزالون في نعمة تتلوها نعمة!!

نقول: إن الله جل وعلا يستدرج أهل الباطل ويعطيهم على المعاصي ليس حبًا لهم ولا رضا عنهم ولكن استدراجًا، قال تعالى: فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون {الأنعام:44}.
وقال تعالى : فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (44) وأملي لهم إن كيدي متين {القلم:44، 45}.
فأما المؤمنون إن قصروا وعصوا فإنما تصيبهم النوازل لتعيدهم إلى سواء السبيل ، قال تعالى : ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون {الروم:41} .
وأخيرًا نقول لمن أراد معرفة الزلزال قبل وقوعه فلقد نبه رسولنا صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فيما رواه البخاري : "لا تقوم الساعة حتى يقل العلم ويفشو الجهل وتكثر الزلازل ويفيض المال فلا يقبض" .
وقد قل العلم الشرعي وإن زادت العلوم الدنيوية التي لا نقلل من أهميتها ولكن على حساب العلوم الإسلامية ، وفشا الجهل بالتوحيد ومنهج أهل السنة والجماعة وكثرت الزلازل كما رأينا .
وهذه إرهاصات بين يدي الساعة تدل على قرب وقوعها ولكننا لا يمكن أن نحدد عددًا معينًا من السنين كما ذهب بعض الدجاجلة إلى ذلك ، وإنما نقول : علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة {الأعراف:187}.
ومن الجدير بالذكر أن المسلمين لهم نظرتهم الإيمانية إلى الأشياء والأحداث والتاريخ ، إلا أن العلمانيين الذين أشربوا في قلوبهم حب الغرب الصليبي أو الإلحاد الشيوعي زلزلوا حياة الأمة وشككوا العامة في إيمانهم برب الأرض والسماوات بنظم التعليم والإعلام.
فهل من عودة صادقة إلى الله جل وعلا حتى يرفع عنا هذه الغمة كعودة قوم يونس : إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين {يونس:98}.

هل من عودة إلى شريعة الإسلام وأحكامه لتدفع عنا الخزي والعنت ؟ هل من مجيب ، وهل من مدَّكر؟

والحمد لله رب العالمين

==============

#العلمانية. . ذلك الشرك الأكبر

[الكاتب: محمد الفزازي فك الله أسره]

كانت العلمانية ولا تزال باباً من أبواب الشرك والإلحاد، وكان العلمانيون ولا يزالون صناديد الكفر والعناد. ولما كانت هذه المعضلة متمثلة في إقصاء شرع رب العالمين عن الحكم به والتحاكم إليه، واستبدال شريعة الغاب به، كانت كل البلايا والمصائب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية.. وما يتفرع عن ذلك، مما يكتوي به الناس اليوم، من أقصى الأرض إلى أقصاها، كانت بسببه.

إن إبعاد الشريعة الإسلامية عن الحياة رزية عظيمة للحياة، بل قضاء على الحياة. والناس بدونها {صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة:7] وجثثاً لا روح فيها، مهما بدت للعيان كأنها حية تأكل الطعام وتمشي في الأسواق؛ إذ الحياة على هذا النحو الفارغ من الإيمان هي مجرد حياة، كحياة من قال فيهم رب العزة: {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ} [البقرة:96]

إن أمة لا يحكمها شرع الله تعالى أمة ميتة، ولن ينفخ فيها الروح من جديد إلا أن تعود لمصدر الحياة الوحيد، ألا وهو الاستجابة لله العزيز الحميد، ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهديه التليد: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال:24] فشرع الله يحيينا، وشرع البشر سم قاتل مميت. شرع البشر مزرعة للظلم وحمى للظالمين، شرع البشر ساحة تتفاقم فيها المعضلات وتتوالد فيها المآسي. شرع البشر شرع قاصر بقصور البشر، جاهل بجهل البشر، شرع محكوم بالهوى والنفعية والجهل.. ولا يستطيع الإنسان أن ينفك عما جُبِل عليه من هذه النقائص، إذ هي من نسيج مكوناته وصنعته، ومِلاط بنيته وطِلاء واجهته.. وهذا ما يجعل شرع الإنسان يحمل كل النقائص الطابعة لفطرته، ولا يرجى الكمال من ناقص، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ومما هو معطل من شرع الله تعالى والذي هو أحد أسباب الحياة: القصاص. وتعطيل القصاص وحده يكفي لإشاعة الفوضى والجريمة والانتقام والثأر بين الناس. وهذا الإقصاء في صورته الجزئية هذه باب من أبواب الموت للمجتمعات والأفراد. قال الله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاأُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة:179]، إذن فليس في تعطيل مصدر الحياة هذا سوى جلب للموت المحتوم.

إن الكل يعلم أن العلمانية هي اللادينية، وهذا يكفي المسلم في إنكارها واستنكارها والبراءة منها ومن أهلها. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لا صلة تربط بين العلم والعلمانية البتة. ولهذا نصحح للذين ينطقون الكلمة بكسر العين، أن الفتح هو الأصح، وأنها عَلمانية لا عِلمانية. والنسبة فيها إلى العَلم لا إلى العِلم. فتنبه إلى هذا. فالعلم بريئ من ساحة الجاهلية، الجاهلية جهل. والعلم كل العلم فيما قال الله تعالى، وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما قاله الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

لذا نؤكد أن المعركة بين الإسلام والعلمانية في حقيقتها هي معركة بين العلم في جانبها الإسلامي لأن الإسلام من عند العليم الخبير، وبين الجهل المركب في جانبه العلماني الذي هو من عند الإنسان الجاهل. {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [البقرة:216] وقل إن شئت هي المعركة بين الإسلام والكفر. فلينظر العلمانيون في أي جانب هم؟ ومع من يحاربون؟ ومن يحاربون؟ وسيجدون أنفسهم أعداء لله تعالى وللمؤمنين، ولن يغني عنهم الغرب الكافر يوم القيامة شيئاً، {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ} [آل عمران:22]

إن المحقق المدقق، وإن كان الأمر في غنى عن التحقيق والتدقيق، يرى أن ما من نكبة أو نكسة أو مصيبة تحل بالأمة إلا ويقابلها شرع من شرائع الله تعالى قد تعطل. وما من مأساة أو هزيمة أو جائحة أو معضلة.. سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية... كالبطالة والأمية والجهل والتضخم والفقر والمرض وتفشي ما يعلمه الناس من ويلات خلال ممارساتهم اليومية... إلا ويقابل كلا من ذلك شرع من شرائع الله قد تعطل وألغي وأقصي على يد الكافرين والمنافقين. وهكذا تستطيع أن تدرك مدى الشرائع الإسلامية المعطلة والمبعدة من حدود وقصاص وتعازير وآداب عامة

وحِسبة... بمدى المصائب والكوارث النازلة على كاهل الناس، أفراداً وأسراً وجماعات ودولاً... وتستطيع أن تدرك أيضاً مدى الجرم الذي يرتكبه العلمانيون وهم يمارسون حربهم على الله تعالى في إقصاء الكتاب والسنة في حق البشرية كلها.

ولا داعي هنا للتذكير بأن كلاً من الإيمان والتقوى المبنيين على الفهم السليم للإسلام، مجلبة للرزق والسعادة والطمأنينة والعز والتمكين والتقدم... طبعاً العلمانيون لا يفهمون هذا. ولا سيما وهم يرون مجتمعات الغرب تغرق في الترف والأموال والرفاهية والتقدم والعلم والتكنولوجيا وما إلى ذلك، ثم ينظرون إلى المجتمعات الإسلامية فلا يجدون إلا عكس ذلك. إلا أن بلادتهم لا تمنعنا من تنبيههم إلى أن الغرب وصل إلى ما صل إليه، ليس بالكفر والإلحاد، ولا حتى بالاعتماد على النفس في معركة السبق العلمي وما يؤول إليه كل سبق من هذا النوع. ولكنهم وصلوا إلى ذلك بسرقة الحضارات ونهب الثروات بالعسكر والمستعمرات، وبجلب اليد العاملة الرخيصة طوعاً أو كرهاً، واستيراد الأدمغة العالمة من شتى البقاع رغبة أو رهبة، ثم بناء ما نراه من أوجه المدنية والتقنية والفنية والقوة... وفي المقابل تخلف من تخلف من المجتمعات، ومنها المجتمعات الإسلامية، لا بسبب الإسلام الذي أول آية من كتابه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق:1] ولكن، أولاً وأخيراً، بسبب بعدهم عن الإسلام نفسه علماً وعملاً، ولم تنفع في امتلاخ المجتمعات الإسلامية من التخلف بكل صوره بعض الشعائر التعبدية المفصولة عن الشرائع القضائية التي ليس في الفصل بينها إلا الخزي في الدنيا وعذاب الرب في الآخرة: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [البقرة:85]. إن تعرية فصول الاستعمار وما صاحبه من ترحيل اليد العاملة وتهجير العقول العالمة من كل حدب وصوب.. كان من أسرار تقدمهم التقني والعلمي والعسكري والاقتصادي... وما إلى ذلك، كما كان تخلفنا عن الإسلام العظيم مطية لتخلفنا عن أعدائنا وعقاباً لنا بهذا التخلف الذي آل إلى التبعية التامة في أخص خصوصياتنا ألا وهي عقيدتنا. وها أنا ذا أهمس في آذان العلمانيين أن حضارة الغرب حضارة مسروقة ومنهوبة في أسسها.

ولم يكن تخلفنا إلا جزاء وفاقاً لتعطيل شرع الله تعالى وتطبيق شرع اليهود والنصارى الذي هو آفة الآفات اليوم، وفي كل يوم بكل المقاييس والاعتبارات.

نعم عندهم الأموال، بصرف النظر عن مصدرها..، وعندهم المتاع والرجال والأولاد المتعلمون، وهم أملهم في المستقبل.. لكنه مال حرام وسحت قام على كتف المستضعفين، وارتوى بعرق المغلوبين.. أما أولادهم فجلهم لقطاء وأبناء زنى، من أمهات باغيات لا أب لهم.. وبالجملة نقول ما قال الله تعالى: {فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة:55]

ومع ذلك فمشاكلهم لا أول لها ولا آخر وعوامل الانهيار لديهم بادية للعيان، وبداية الانحدار إلى الهاوية الدنيوية قبل الأخروية قد بدأت بالفعل. وهو أمر محتوم لا مفر منه. والمسألة مسألة وقت. والتذكير هنا بأمراضهم الاجتماعية من بطالة وجريمة ومخدرات وتفكك الأسر وما إلى ذلك له اعتباره في ما نحن فيه. وعلامة على صدق ما نقول. فمن كان يصدق أن ينهار الاتحاد السوفياتي الجبار وتتمرغ الشيوعية الاشتراكية في أوحال المذلة على يد بدو حفاة عراة جياع، زادهم الأول والأخير: [الله أكبر]، ولولا مكر المنافقين والكافرين، لأمر كان مقدراً، لفتح الأفغان ومن كان معهم الكريملين وليس فقط كابول. ولكن قدر الله وما شاء فعل.

والحديث مع العلمانيين في الحقيقة حديث مع الذين لا ينكرون الدين، على الأقل في تصريحاتهم. ذلك لأن منهم من يقول هو مسلم مؤمن قوي الإيمان، وربما يصلي ويزكي ويصوم ويحج.. فقط هو يرى أن الإسلام في جانبه التشريعي إما أنه استنفذ أغراضه ولم يعد صالحاً لهذا الزمان، وبالتالي هو مرتد كافر بالله تعالى لا تنفعه صلاة ولا صيام.. وإما أنه يقول: تطبيق الشريعة سوف يجر علينا الويلات من القوى الغربية، وسيكون هناك حصار وعقاب وعزل عن المجتمع الدولي، وسيُحدث مشكلات داخلية وخارجية لا قبل لنا بها... إلى آخره، وبالجملة فنحن مغلوبون على أمرنا، ولا خيار لنا في مجاراة هؤلاء ولو على حساب دين الله تعالى. ومعلوم أن من يفكر هذا التفكير ليس بمؤمن بأن الله تعالى هو الذي بيده الأرزاق والأعناق، وأن

الخشية ينبغي أن تكون منه وحده سبحانه، لا من غيره. {أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [التوبة:13]

وللذين يؤمنون بالقرآن –جدلاً– وهم يبحثون عن الازدهار الاقتصادي لشعوبهم، ويبحثون عن رفع المستوى المعيشي لمواطنيهم في صحتهم وتعليمهم وتشغيلهم... في غير دينهم. عليهم أن يعيدوا قراءة كتاب ربهم الذي يدّعون أنهم به مؤمنون، وليتأملوا في هذه الآيات الكريمة:

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف:96]

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام:82]

{وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة:282]

{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ} [الطلاق:2 / 3]

{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق:4]

إلى آخر ما هناك مما يصعب إحصاؤه ويعسر استقصاؤه من النصوص القرآنية والحديثية في أن طاعة الله ورسوله خير في الدين والدنيا: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:71]

ونعيد السؤال الآن بوضوح تام:

هل أنتم – معشر العلمانيين – تؤمنون بالله واليوم الآخر، وتؤمنون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتؤمنون أن القرآن حق كله، يهدي للتي هي أقوم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتؤمنون بالدين كله، وتكفرون بالطاغوت كله، أي أنكم تقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، حقيقة صادقة من قلوبكم..؟؟

فإن كان الجواب بالإيجاب، فدونكم السنة، ودونكم الكتاب، ولتكفروا بالطاغوت المتمثل في شريعة الغاب. وإن كان الجواب سلباً وكفراً فلن تزدادوا بالكفر إلا ضنكاً وخُسراً. والعاقبة للتقوى. وويل يومئذ للمكذبين.

إن العلمانية أكبر من أن تكون ظاهرة قطرية أو مسألة اجتماعية يمكن علاجها بوسيلة أو بأخرى. إنها سياسة عالمية محكمة، ومصممة العزم على تنحية دين الله تعالى من الأرض إلى الأبد. وهي سياسة ثابتة ومستمرة ومستقرة، ولن يتغير منها

شيء، بل هي باقية، وباقية معها ويلاتها إلا أن يصح حسن العزم منا، ونتوب إلى الله جلت قدرته، وحينها، حينها فقط ترحل عنا العلمانية، ولا يبقى لها بيننا مكان من طنجة إلى جاكارتا، وما وراءهما. ويرحل عنا الذل والهوان الذي نعيشه الآن. قال الله تعالى: {إِنَّ اللّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ} [الرعد:11]

وأخيراً، أقول: إن العلمانية كفر بالله تعالى وبما أنزل، وسبب مباشر في نقمته سبحانه على من احتضنها أو ناصرها أو رضي بها وعنها. وإنها أيم الله باب من أبواب الفتنة الكبرى التي لا تذر شيئاً ذا بال إلا أتت عليه كالرميم. لا يصمد في وجهها أخضر ولا يابس إلا ما شاء الله.

فلينظر العلمانيون في بلادنا الإسلامية في ما هم فيه، وليعلموا أن علمانيتهم هي الحاجز المنيع دون أي تحرر أو تحرير للبلاد والعباد سواء. ولنستحضر دائماً أن الذي عطل الجهاد في سبيل الله تعالى وتعطل بسببه عز المسلمين هو العلمانية التي جعلت البَغاث يستنسر والكلاب تستأسد.

والله أسأل أن يهدي الضالين وينصر المجاهدين في شرق الأرض وغربها، آمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

وكتبه محمد بن محمد الفزازي

طنجة، ليلة يوم التروية 1419 للهجرة

=============

#كنتُ في جُحر العلمانية ..
فخرجتُ لفضاء الإسلام ..

إذا أردنا لأمتنا حقيقة امتلاك جيل النصر المنشود فلا بد من إعداد النخبة المسلحة بسلاح العلم والفكر القادرة على استيعاب المتعمق لسائر الجوانب الفلسفية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية العالية للواقع الذي نعيشة ..

هذه خاطرة تجول قبل البدء في مسطورتي ..

حينما أكون مُتجرِّدة من أي تأثير خارجي، ولم يَدُر في فلك ذهني خاطرة ما تُجاه فكرةٍ ما سأقبل بالإسلام بالطبع فقيَم الفطرة، ونواميس الاستقامة والاعتدال، تتركز

فيه، كنتُ أفكر يوماً ما عن أمر حرّمه الإسلام وليس فيه فائدة للبشر، أو العقول السليمة تخالفه، لم أجد مع إدامة نظري حيناً ..
قلّبت قواميس النصوص الشرعية في مكتبتي الصغيرة، ذهبت لأصرح حروف النهي (لا) لا تفعل .. أريد تتبع تلك المنهيات والزواجر .. قلبتها دون شكّ أو ريب، فرأيت الحياة الرغيدة والمعيشة السعيدة، لو وقفنا عند حدودها، نظام عجيب من الأخلاق والقيم تأباه القيم الشهوانية، التي تربت على انفلات النزوة .
لم أكن علمانيةً يوماً ما ، ولم أكد أن أكون .. كلا .. ولكنني دخلت في جحرها أبحث عن الحقيقة حتى في الجحور، في ظلام دامس، وليل كالحٍ .
إن رغبت أن ترى قلب الإنسان وقالبه يظهر لك كأشعة الطبيب حينما يخبرك عن شرخ في جمجمة مُخك، وشعر ينفد منه الهواء إلى قلبك، فعليك بالنت، لا تأخذ من أي أحد كان منهجاً أو فكرة، وإن إدعى النزاهة والخُلُق والطيبة والطهارة، حتى ترى صنيعه حينما يختفي خلف حاسبه لينفث ما يمليه عليه قلبه في ظلام النت الدامس .
أقول .. دخلت جحر العلمانية في أحد مواقعها على هذه الشبكة، أريد أمرين لا ثالث لهما، أحاور وأناقش، هذا أولاً .. وثانياً : أبحث عن الحقيقة في ظل هذا الصراع، ..
أنا مُسلمة ولا أزال لم أتعلمن في يوما ما ساعة، الذي أعجب منه هو صمود إسلام واحدة قليلة العلم في جحر العلمانية، وتكسر كثير من صخور العلمانيين أمام ساعدها ..
العلمانية في مجتمعاتنا –بحمد الله – مشوّهة لأبعد حد ويصف، حتى لو وَصفتُ امرأة حولي بالزنا أهون من أن أصفها بالعلمانية أو الليبرالية، وهذا ما جعل كثيراً من أبواقها يتلونون في عالم المصطلحات ..
فبعد تشويه العلمانية ظهر ما يسمى بـ (الليبرالية) وإن كان المسمى قديماً لكنه انتشر بعد تشويه سمعة شقيقه وصنوه (العلمانية) .. ولم تلبث الليبرالية أن تشوّهت بفعل مجانين الشرق ومهوسي النزوات فاستعاض كثير منهم ذالك الاسم بـ (الاصلاح)
دخلت موقعاً يُعد عند المعتنين بالفكر العلماني من أشهر المواقع مكثت فيه أشهر طويلة أتصفحه كل يوم ساعات، رأيت كيف أن الانسان بمقدوره أن يجعل من نفسه حيواناً بهيماً، بدل الآدمية والتشريف التي تشرف بها .

لي قصص متنوعه معهم في مواقعهم ومع بعض رموزهم عبر مكاتبات بريديه، أقول وبعد تجربة مريرة –أقول وأقول بملىء فمي– من ظن أن هناك كائنا ليبرالياً أو علمانياً منصفٌ فهو كاذب أو مجنون ..

وأقول .. بعد خوض حمم كثيرة ومراشقات متنوعة يخرج العلماني مكنونه وهو كفره الصريح بالإسلام وردته عن الملة القيمة! وإن زعم في أول الأمر أنه مسلم يصلي فهو في الحقيقة مُلحد، لكنه ينتظر فقط الفرصة السانحة التي تناسبه لكي لا يفقد بريقه الذي يريد ..

حينما أحاور علمانياً غربياً وأتناقش معه في النت، وأناقش بعده علمانياً شرقياً يتمالكني إحساس قويّ أن ذلك الغربي أقرب للإسلام من ذلك الشرقي المتهافت ..

99% من علمانيي العرب لا يعرفون من العلمانية سوى الشهوة والنزوة، ولو ذكرت عنده دولة لبنان لامتدحها بأنها متحضرة متطورة، ولو ذكرت عنده السعودية لقال متخلفة !

بماذا تحضرت لبنان وبماذا تخلفت السعودية ؟! هناك جانبان للحضارة لا ثالث لهما :

الأخلاقيات .. والتقنية ! فبماذا غلبنا لبنان وبماذا غلبناها ! .. الجواب معروف، فلن أجيب عليه، وبمعرفة الجواب تعرف أي عقل يمتلكه العلماني الشرقي أو العربي بالمعنى الأدق ..

إن ما يمارسه العلمانيون مع الغرب يطيب لي أن أسميه دعارة فكرية، وسفاحاً سلوكياً، حيث لم ينظر هؤلاء العرب إلا لبريق المادة فباعوا عقولهم وباقي الحضارة أخذوا منها كما أخذنا لا فرق ..

العلمانيون ومن تحاورت معهم يعيشون اضطراب غير محدود في تحديد الهوية، ولو شبهتهم على الصعيد السياسي لشبهتهم بتركيا العلمانية !

تمرد الغرب على دينه البشري .. أقول بشري أي أنه من صنع البشر بسبب تحريفه .. لأنهم بدلو ما أنزل الله فتمردو على ما صنعت أيديهم، فأراد بعض السَقَطة من المسلمين أن يحاكوهم في ذلك ليتمردو على دين سماوي محفوظ، فكل ما يقوله الغربي العلماني عن دينه يريد أن يقوله عن الاسلام !

وهو لا يدري الفرق بينهما ..!
فتجده يلحق كل مصيبة بالاسلام، ومع توالي النكبات وتفوق الغرب وتكرار المصائب بشكل يومي تبع من كره دينه وقيمه وتعاليمه .
ومع ذلك تشبعوا كرها لمجتمعاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، فهي التخلف والنكسه مهما كانت بلا نظر ولا ترو .. هكذا الحكم مسبقاً .
فأصبح هؤلاء يتكلمون معك وكأنه يتكلم بلسان بوش أو بلير !
اللهم أحشرني مع بوش وبلير .. فمن يكون معنا يكمل العدد لنلعب بلوت في الآخرة !
هذا الدعاء ليس مني بالطبع فأنا مسلمة، لكن قاله لي علماني سعودي (يزعم) ومع ذلك يقول: أنه مسلم، ولو قلت له أنك (كافر) بهذا لأصبحت تكفيرياً –طبعاً في عرف اسلام بوش–
مروق من الإسلام وتمرد عليه منقطع النظير ..
لم أر في حياتي تجمّع آدمي كهؤلاء حينما يجتمعون في موقع حواري على الشبكة، خذ صنوف اللأحاد على أطباق شتى، وصاحبها قرير العين ..
حينما ولجت مواقعهم رأيت الأسماء العربية الأصيلة .. فلانة القحطانية .. فلانة المطيرية .. فلان الشمري .. هذه كلها ترويج وسياسة إعلامية كاذبة للترويج للفكرة العلمانية الساقطة، وأكثر من يتخفى خلف هذه الأسماء هم من أصحاب العقائد المنحرفة مسبقاً كالشيعة والاسماعيلية والصوفية الحجازية خاصة ..
كنتُ مغترة بهذه الأسماء مصدقة لها لأول الأمر، لكن بان لي أن هؤلاء لا يعرفون من ثقافة الاسلام شيء أو من الأصول العربية المعروفة لدى هذه الأسماء العربية العريقة ..
متلازمتان لا تنفكان العلمانية والنزوة الشهوانية .. هكذا رأيت أن الغاية من تغريبنا ليس لأجل القوّة الاقتصادية ولا العسكرية ولا غيرها ... بل يكفينا أن نكون متحضرين إن رمينا الحجاب وبعنا الخمر وأبعدنا كلمة حرام من قاموسنا ..
فبعد ذلك فنحن متحضرون بالطبع .. ليس اقتصادياً وعسكريا وتقنياً لأن هؤلاء لا يعرفون شيئاً من ذلك !

سنكون متحضرون كحضارة لبنان .. فقط

عُذراً على الإطالة ..

شذى قباني

نقلاً عن منتدى الساحات

===============

#خطبة الحاجة على الطريقة العلمانية

يتأدب المسلمون – عادة – عندما يبدأون الكلام ذا البال ، أو الأحاديث الهامة ، أو الخطب المطولة ، فيبدؤون بحمد الله تعالى ، والثناء عليه بما هو أهله ، يلي ذلك إعلان كلمة التوحيد والتصديق بنبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – ، وتلاوة آيات من القرآن الكريم ، على النحو الذي يعرف باسم "خطبة الحاجة" اهتداءً بهدى النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – ، ثم يدخلون في الموضوع المقصود .

لقد أصبح للعلمانيين العرب في – أيامنا هذه – ما يشبه "خطبة الحاجة" عند المسلمين ، غير أن خطبتهم تبدأ بسب الإسلاميين والتعريض بهم، وإعلان التصديق بأنهم إرهابيون، وتأييد خطوات "الحكومات الديموقراطية" التي تبطش بهم ، ووصفهم بأنهم أعداء الحضارة، وأعداء التقدم والاستنارة ، ودعاة الفتنة.. إلى آخر قائمة المغالطات الإعلامية المعروفة .

ويندر أن نجد اليوم مقالاً في صحيفة ، أو بحثاً في مجلة ، أو حواراً بين أصحاب الفكر العلماني المنحرف ، في أي مكان ، وعبر أي منبر ، يتعرض للأحوال العامة في المنطقة العربية ، إلا ويبدأ بسب الإسلاميين ، والهجوم عليهم ، والدعوة إلى عزلهم ، والتنكيل بهم ونحو ذلك .

اليساريون في مصر ، كتبوا مقالاً هاجموا فيه أحد الكتاب في صحيفة "الأهرام" بدعوى أنه يتعاطف مع الإسلاميين ، وقدموا للمقالة بالديباجة المعروفة فلم يقصروا في شتم الإسلاميين ولعنهم والتأكيد على أنهم سبب كل بلاء ، ولكن الكاتب المقصود ، لم يتأخر ، حيث نشر مقالاً ينفي فيه "تهمة" تعاطفه مع الإسلاميين، ولم ينس أن يبدأ مقاله بالديباجة أو "خطبة الحاجة العلمانية" من سب وتجريح وتشهير بالإسلاميين ، ثم دخل في موضوعه مدعياً : أن "التطرف اليساري" هو الذي يغذي

"التطرف" الإسلامي ، فأصبح الأمر مثيراً للضحك حيناً ، وللشفقة أحياناً أخرى ، في زمن الهوان والضعة ، زمن انحدار أصحاب الأقلام العربية العلمانية.

....

بقلم جمال سلطان

مجلة البيان

===============

#العلمانية والجاهلية وجهان لعملة واحدة

مجلة منار السبيل

السنة الثانية-العدد 4- أكتوبر 1993

د. جعفر شيخ إدريس

بما أن الحضارة أو الثقافة العلمانية حضارة تحل الهوى محل الإله الحق، فإن لها في كل أشكالها -القديمة أو الحديثة، اليونانية والأوربية أو العربية- سمات مشتركة، نابعة من ذلك الأصل الكفري المشترك، لأن قيم الناس وثقافاتهم هي ثمرة معتقداتهم وأحوال قلوبهم، فإذا تشابهت المعتقدات وتشابهت لشابهها القيم، تشابهت الأقوال والأعمال والتحليلات والتفسيرات:

"كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم، تشابهت قلوبهم" [البقرة 118]

"كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون، أتواصوا به؟ بل هم قوم طاغون" [الذاريات 52-53]

فالثقافات الجاهلية كلها ثقافات تطلق العنان للشهوات الجنسية فتبيح الزنا بكل أشكاله:

عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع

ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل ونكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم. [البخاري، النكاح:37]

هذه الإباحية الجنسية العربية أقل شراً من إباحيات أمم أخرى، لأنها كما ترى تحرص على أن يكون للمولود نسب ينتمي إليه وإن كان نسباً غير حقيقي.

وكما تبيح الحضارة الجاهلية الزنا فإنها تبيح كل مقدماته ومسبباته، فالنساء في المجتمع العربي الجاهلي، كأخواتهن في المجتمع الجاهلي الغربي، كن لا يتحرجن من إظهار محاسنهن الأنثوية لكل الرجال، فكن يكشفن شعورهن ونحورهن بل صدورهن، ولم يكن يدنين عليهن جلابيبهن، بل كن أحياناً لا يتحرجن حتى من التعري الكامل، وكن يختلطن بالرجال ويخلون بغير المحارم، وكن يتعطرن ويخرجن ويخضعن بالقول في خطابهن.

والحضارات الجاهلية حضارات لا تعرف التوسط ولا سيما في معاملة النساء.

فهي تذهب من طرف معاملتها معاملة الحيوان والعبيد (قال عمر رضي الله عنه كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً – البخاري، اللباس، 30) إلى طرف مساواتها بالرجال في كل شئ بل تقديمها عليهم: (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم) [النمل: 23]

"قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون. قالوا نحن ألو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين" [النمل 32–33]

وقد تغلو الحضارة الجاهلية في اتباع الشهوات الجنسية فتبيح الشذوذ، كما فعل قوم لوط وكما فعلت الحضارة اليونانية، وكما تفعل اليوم الحضارة الأوربية.

والحضارات الجاهلية كلها تبيح شرب الخمر، ولعب الميسر، وأكل الربا. وهي حضارات لا ينفك أهلها عن الفخر بالأنساب أو الألوان أو القوى المادية أو غير ذلك مما لا تعلق له القيم الفاضلة، ويتخذون مثل هذه الميزات ذريعة إلى الاعتداء على الضعفاء. هكذا كان العرب في جاهليتهم يفعلون، وهكذا فعلت الحضارة الغربية مع الأمم الضعيفة فاستعمرت بعضاً، واحتلت بعضاً، واسترقت بعضاً ثم عاملتهم أسوأ مما تعامل به الحيوان.

لكن الحضارات الجاهلية قد تفلح رغم كل هذه المثالب في بناء مدنيات باهرة، وتتفوق في العلوم الدنيوية وما يبني عليها من تقنية فتأتي بمنجزات كبيرة في مجال الزراعة والصناعة وسائر أنواع التفوق المدني العمراني. ولكن لما كان هذا الجانب المدني المادي قائماً على جرف ثقافي هار فإنه لا يلبث أن يتداعى.

"يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون" [الروم: 7]

"أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أشد منهم قوة، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها. وجائتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون." [الروم: 9]

ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد، وفرعون ذي الأوتاد، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد." [الفجر:6-14]

==============

#يا (بني علمان) ..... ما قولكم في اليابان ؟!

بقلم : سليمان بن صالح الخراشي

عندما يقدر لك أن تقرأ كتابات (بني علمان) ، أو تتحاور معهم تجد أنهم متشبعون بالنظرة الغربية للدين ، وبتاريخهم المعاصر ؛ حيث الصراع بين الدين النصراني (المحرف) ممثلا في الكنيسة ، والعلم المادي .. مما أدى بهم إلى تنحية الدين واستبداله (بالعلمنة) ... فهذه النظرة مسيطرة بشكل طاغ على (بني علمان) في

البلاد الإسلامية ، مما أدى بهم إلى المطالبة بعزل الإسلام عن شؤن الدنيا ؛ لعلهم يصلوا إلى ما وصل إليه الغربيون !

فهم كما قال الأستاذ محمد قطب في كتابه (التطور والثبات .. ، ص 266) : (اختفت الحملة الأولى والثانية وظهرت في الأفق دعوة جديدة، هي التي ما تزال قائمة حتى اليوم، على يد أولئك "التلاميذ" المخلصين من "المسلمين!" إن أوربا اليوم متقدمة، وهي ليست متدينة! لقد طرحت الدين جانباً فتقدمت وتحضرت ووصلت إلى القوة والسلطان! ونحن متدينون (!) وفي الوقت ذاته متأخرون! فينبغي أن نسلك الطريق القويم، ننبذ ديننا –كما فعلت أوربا– فنتقدم ونتحضر ونصل إلى القوة والسلطان! وليس من الضروري أن نكفر ونلحد! إنما يجب أن نسارع إلى فصل الدين عن كل ما له علاقة بواقع المجتمع وواقع الحياة) !!

وفات هؤلاء المخذولين أن التقدم التقني المادي لا علاقة له بالأديان ولا بالثقافات ولا بالمجتمعات .. إنما هو كلأ مباح للجميع ، من بذل أسبابه حصله وظفر به ؛ كما قال تعالى (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك . وما كان عطاء ربك محظورا) .

وما التجربة الغربية إلا أنموذج واحد من النماذج التي ظفرت بالتفوق الدنيوي حاول (بنو علمان) تضخيمه والترويج له ؛ لحاجة في نفوسهم !

وتناسوا أو تغافلوا عن نماذج كثيرة غير غربية متفوقة .. لم تمر بحالة (الفصام النكد) الذي مر به الغرب بين الدين والعلم .

ومن هذه النماذج البارعة : نموذج (اليابان) الذي لا يتحدث عنه (بنو علمان) كثيرا !! لأنه يهدم نظرتهم القاصرة ؛ حيث استطاعت هذه البلاد أن تبز الآخرين بمن فيهم الغرب في مجال التقنية ، مع محافظتها على (ثقافتها) في مواجهة الغزو الفكري الغربي – كما سيأتي إن شاء الله – .

وقد أحببت في هذا المقال أن أنقل آراء بعض المطلعين (العقلاء) ممن تأملوا أسباب تفوق اليابان وأخذوا منها العبر ؛ لعلها تساهم في نقض النظرة التي رسخها (بنو علمان) في أذهان المسلمين سنين عددا ، بل حاولو تطبيقها عمليا على أرض

الواقع ، فباؤا بالفشل ، وخسروا دينهم ودنياهم . فلا هم الذين سلم لهم دينهم ولا هم الذين الذين نافسوا الآخرين في تفوقهم .

أقوال العقلاء في اليابان :

يقول الدكتور نعمان السامرائي في كتابه (في أعماق التجربة اليابانية ، ص 10) : (حين أتأمل في التجربة اليابانية أجدها تطرح أكثر من قضية ؛ لعل على رأسها : أولا : لقد أثبتت اليابان بالدليل العملي أنه يمكن انتهاج سبل ووسائل مستقلة للتقدم والتنمية ، بعيدًا عن الغرب ووسائله وقيمه ونظمه). ويقول أيضًا (ص 99) : (ربما كان الجانب المهم بالنسبة لنا من التجربة اليابانية هو ذلك التطور الواسع مع المحافظة على التقاليد) .

ويقول أيضًا (ص 16) : (إن التجربة اليابانية في التنمية والتقدم فذة ومثيرة ، وهي تهمنا في الشرق الإسلامي أكثر من غيرنا ، فقد سجلت نجاحًا باهرًا دون أن تدير ظهرها للتراث والدين والنظام الاجتماعي ، وقد حافظت وما زالت على الهوية واللغة ، وهي تستخدم أصعب لغة في العالم ، بحيث يزيد عدد الحروف والصور والرموز على ثلاثة آلاف ! ، وأن الإملاء الياباني يشكل معضلة من المعضلات ، ومع كل ذلك ومع شح الموارد تقدمت ومازالت تتقدم ، على حين يطالبنا البعض بالتخلي عن الدين والتراث والهوية مقابل " شيك " بالتقدم رصيده مجرد " حلم " ليس أكثر) !.

إلى أن يقول (ص 17) : (إن التجربة الغربية في التنمية تجربة إنسانية واحدة ليس أكثر ، ويمكن أن يقوم إلى جانبها تجارب ناجحة ؛ كتجربة اليابان والصين ، دون أن تكون تقليدًا حرفيًا ..) .

ويقول الإداري الاقتصادي حمدي أبوزيد إن اليابان (لم يرفض الإصلاحات بصورة كلية ، ولكن عمل على تبنيها بصورة تتناسب مع احتياجات العصر الجديد والتقاليد اليابانية الإجتماعية الموروثة) . (اليابان : دروس ونماذج ، ص 31) .

ويعترف الأمير طلال بن عبدالعزيز في كتابه (حوار حول العولمة .. ، ص 35) : أن اليابان (حافظت على هويتها الثقافية في الوقت الذي استطاعت فيه أن تتواءم مع النظام العالمي) .

ويقول بول كنيدي في كتابه الاستعداد للقرن الحادي والعشرين : (تتمثل نقاط القوة اليابانية في التماسك الإجتماعي والعرقي ، والشعور العميق بالهوية القومية والتفرد الثقافي وخضوع الرغبات الفردية لصالح الجماعة) . (نقلا عن عرض للكتاب في مجلة الجديد ، العدد الأول 1994م) .

ويقول الدكتور حسين شريف في كتابه (التحدي الياباني ، ص 16 – 17) : (إن تجربة ميجي – نسبة للإمبراطور ميجي ايشن الذي أطاح بالحكم العسكري في اليابان عام 1868م – وما اتسمت به من خبرة متميزة في عملية التوفيق بين القديم والحديث قد نجحت في تحقيق الاستمرارية لعملية التكيف بالسرعة الملائمة مع الغرب مع الحفاظ في الوقت ذاته على هويتها وقوميتها) .

ويقول (ص 17) : (أصبحت اليابان بفضل إصرارها وعزيمتها من أسرع دول العالم تطورًا بالرغم من قيامها أساسًا على تقاليدها العريقة).

ويقول (ص 20) : (أما عن المقومات التي أدت إلى نجاح نهظة اليابان الحديثة فإنها ترجع في الأساس إلى المواءمة بين الأصالة والتحديث ، وبالتوفيق بين التقاليد اليابانية القديمة ومتطلبات العصر الحديث) .

ويقول السفير المصري في اليابان : عبدالفتاح شبانه في كتابه (اليابان : العادات والتقاليد وإدمان التفوق ، ص 7) : (حافظ المجتمع الياباني على تقاليده العريقة ، وأخلاقياته الشرقية ...).

ويقول (ص 9) : (يلعب الدين دورًا رئيسًا في حياة الإنسان الياباني ، ونظرًا لاتباعه تعاليم ديانته بصدق وتنفيذها بأمانة حتى في عمله فقد تمكن المجتمع الياباني من تحقيق التفوق الاقتصادي على كافة دول العالم) .

وماذا عن المرأة اليابانية ؟

يقول السفير المصري في اليابان : عبدالفتاح شبانه : (مايزال المجتمع الياباني حتى اليوم يرى أن الهدف من التعليم بالنسبة للفتاة هو جعلها أكثر استعدادًا للقيام بأعباء الحياة الزوجية) . (مرجع سابق ، ص 21–22) .

ويقول أيضًا (ص 23) : (لم تحقق حركات تحرير المرأة تقدمًا كبيرًا في اليابان رغم الدعاية التي تمارسها هذه الحركات في وسائل الإعلام ، ورغم القانون الذي وضعه المحتل الأمريكي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية) .

يقول الدكتور نعمان السامرائي : (لقد جرى استطلاع للرأي العام عام 1986م حول الأسرة ، وقد تبين أن أكثر من 90% من اليابانيين ممن شاركوا في الاستطلاع قالوا : إن تدبير أمور المنزل ورعاية الأطفال هي المجال الأول للمرأة حتى وإن كانت تعمل) . (ص 73 مرجع سابق) .

ويقول السفير الأمريكي " أدوين " في كتابه (اليابانيون ص303 مترجم) : (ومن الأسباب الأخرى التي تفسر عدم استجابة المرأة اليابانية بصورة أكبر لحركة التحرير النسائية أن هذه الحركة ببساطة لا تناسب أسلوب حياتها ومن ثم يكون الارتباط بهذه الحركة بمثابة فخ وقعت فيه المرأة اليابانية ..) .

كيف صنع الإنجاز الياباني ؟

(في حديث لمسؤول كبير في إحدى المؤسسات الأمريكية تعمل في مجال التقنية المتقدمة يقول: (لقد هزمتنا اليابان في أي حقل يختارونه: في صناعة الراديوهات، التلفزيونات والسيارات وغيرها من الصناعات، لقد تغلبوا علينا في جودة المنتجات والأسعار المنخفضة، والآن يتغلبون علينا في مجال الإبداع.. لا يوجد دفاع ضدهم، وفي القريب العاجل ستصبح الولايات المتحدة مصدراً للغذاء والمواد الخام لليابان ومستورداً لمنتجاتها الصناعية.. إن اليابان تدفع الولايات المتحدة بسرعة هائلة إلى مجموعة العالم الثالث) .

(تبدأ القصة بعد الحرب العالمية الثانية حيث خرجت اليابان منها مهزومة محطمة، وكانت سياسة السلطات الأمريكية لليابان تهدف إلى إقالة اليابان من عثرتها وإعادة تكوينها لتصبح ضمن المعسكر الغربي، ولكن تلك السياسة لم تكن تهدف ولا تتصور أن ما تقدمه من مساعدة لليابان يمكن أن تخرج هذا العملاق مرة أخرى من قمقمه... فتساهلت الولايات المتحدة في نقل التقنية الأمريكية لليابان بل شجعت على ذلك وكانت شركة سوني شركة يابانية مغمورة وناشئة، ولكنها كانت طموحة وذات بصيرة

نافذة، فتولت زمام المبادرة في بدء رحلة نقل التقنية الالكترونية لليابان، وكان ذلك عندما تمكنت من شراء رخصة تصنيع جهاز الترانزستور في اليابان من شركة بل الأمريكية مقابل 25000 دولار.

وكان هذا شأن الشركات اليابانية الأخرى التي استخدمت نفس الاستراتيجية التي تتمثل في شراء رخص التصنيع لمنتج أمريكي ما، ثم تعمل على تقليد التصميم وتنتجه بعد أن تضيف إليه تحسينات تجعله أكثر جودة وبتكاليف أقل وأسعار أقل، واستمر اليابانيون يسلكون هذا الطريق لعدة عقود من الزمن دون أن يتنبه الأمريكيون لخطورة هذا الوضع ، ولم يدركوا ذلك إلا مؤخراً عندما اشتدت المنافسة اليابانية للمنتجات الأمريكية والأوروبية، فأخذت حكومات تلك الدول والشركات الخاصة فيها تضع القيود والأنظمة التي تحد من نقل التقنية لليابان أو تمنعها إن كان ذلك في مقدروها، ولكن ذلك التنبه جاء بعد فوات الأوان، لأن اليابان كانت قد بلغت مرحلة النضج، وتجاوزت مرحلة التقليد والتبني إلى مرحلة الأبحاث الذاتية والإبداعات الذاتية التي جعلتها مصدراً غنياً للتقنية ، وفي مركز قوي يفرض حتمية تبادل التقنيات المختلفة مع تلك الدول.

لقد استطاعت الشركات اليابانية وغيرها من المنظمات اليابانية خلال الفترة من عام 1951م وحتى مارس 1984م الدخول في عقود بلغت حوالي 42.000 عقداً لاستيراد التقنية لليابان من الخارج، وكانت تلك التقنيات تمثل خلاصة وأفضل ما توصلت إليه الدول المتقدمة، وكان للأسلوب الياباني في اختيار هذه التقنيات دور كبير في نجاح نقل التقنية. فاليابانيون لم يكونوا مهتمين بنقل أي نوع من التقنية، ولكنهم كانوا حريصون على اختيار الأفضل، وكان سبيلهم إلى ذلك يتمثل في إرسال موجات من المتخصصين اليابانيين لدراسة التقنية المرغوب نقلها بدقة وعمق فيحققون بذلك أكثر من هدف:

الأول :هو التعرف عن كثب على نوعية التقنية وخصائصها من مصادرها، وفي نفس الوقت يحاولون الحصول على ما يتعلق بها من رسومات وتصاميم ومعلومات.

أما الهدف الثاني : فإنه يتمثل في استغلال مرحلة الدراسة هذه للتحضير لمرحلة التحسينات التي سوف يضيفونها على المنتج قبل إعادة إنتاجه وبالتالي مفاجأة

المنتجين الأصليين في وقت قصير عادة بالتعديلات والتحسينات التي يضيفونها إلى المنتج فتجعله أكثر جودة وأقل سعراً، ويمهد لهم الطريق لتعزيز منافستهم وكسب الأسواق بصورة إقتحامية مذهلة... لقد كانت الكمية الضخمة من الرخص التقنية المتنوعة من أهم الأسباب التي ساعدت اليابانيين على بناء قاعدتهم الصناعية المتطورة، ومن المذهل أن ما دفعته اليابان مقابل كل هذه العقود وعلى مدى هذه السنوات القليلة لم يتجاوز مبلغ 17 بليون دولار أمريكي ، والذي يمثل جزءاً بسيطاً جداً من الميزانية السنوية للأبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية !

لقد أثبت اليابانيون في هذا المجال مثل العديد من مجالات التنمية الأخرى بأنهم ذوو بصيرة نافذة، فقد كان أمامهم طريقان لتنمية وتطوير التقنية اليابانية: إما صنعها بأنفسهم أو شرائها من الخارج . وكان قرارهم حاسماً وهو اختيار البديل الثاني أي شراء التقنية، أما بالنسبة لبائعي التقنية فقد كانت النتيجة مدمرة، فالتقنية التي يبيعونها لليابانين تعود إلى أسواقهم في شكل أجود محدثة لهم كابوساً ومنافسة مزعجة، ولكن البائعين كانوا ينظرون إلى عملية البيع باعتبارها صفقة تجارية ومصدراً للدخل ولم يخطر في بالهم ما يمكن أن يحدثه ذلك من تطورات ومنافسة تهدد مصالحهم ومراكزهم، وهي الحقيقة التي لم يكتشفوها إلا مؤخراً مما أحدث لديهم رد فعل ليس في مواجهة اليابان فقط، ولكن كمبدأ عام في نقل التقنية لجميع الدول ، وبدأت تبرز عبارات مثل "نحن نريد الآن أن نبيع حليباً أكثر من أن نبيع بقراً"!!

إنه واقع يجب إدراكه من قبل الدول النامية التي تطمع وتحلم في نقل التقنية من الدول المتقدمة ، فقد تعلمت تلك الدول درساً قاسياً من تجربتها مع اليابان ولن تسمح بتكرارها، بل إن اليابان نفسها أخذت تعض أصابع الندم على ما قدمته من مساعدة تقنية لكوريا الجنوبية والصين الوطنية والتي لن تكررها مع أية دولة أخرى، وما على الدول النامية إلا البحث عن الطرق الكفيلة لإرساء قواعد التقنية فيها سواء عن طريق المجهودات الذاتية أو باتباع وسائل مبدعة تخترق بها التحصينات المفروضة على التقنية في الدول المتقدمة) . (انتهى النقل من كتاب الأستاذ حمدي أبوزيد ، مرجع سابق ، ص 312–315).

قلت : فتبن من كل ما سبق أن الدول (كلها) مهما كانت ديانتها وثقافتها تستطيع أن تصل إلى التفوق الدنيوي إذا ما بذلت أسبابه المادية ، وتخلصت من معوقاته (الداخلية والخارجية) ، وما تجربة اليابان (الوثنية) عنا ببعيد ، وقل مثل ذلك في غيرها : الصين ، كوريا ، نووي باكستان ، ...الخ

خاتمة :

وإذا كانت اليابان قد اعتزت بتراثها الوثني وثقافتها .. أفلا يليق بأصحاب الدين الصحيح ، خاتم الأديان ، أن يعتزوا بما فضلهم الله به على العالم ؟؟ وألم يأن للمسلمين أن يتخلصوا من (الأكذوبة الكبرى) التي طيرها (بنو علمان) في كل مكان من ديارهم ؟؟!

وبلادنا – بلاد التوحيد – خير مؤهل لنقض هذه الأكذوبة العلمانية على أرض الواقع ، حيث لم تتورط بعد في تلك النظرة المغلوطة ، فتجمع رغم أنوف الجميع بين الدين الصحيح والدنيا اللائقة (بنقل التقنية كما سبق)، وتحافظ على أصالتها وأخلاقها وكرامة رجالها ونسائها .... فتكون خير قائد لبلاد المسلمين يهديهم إلى طريق العزة والقوة . أسأل الله الكريم أن يهدي حكام المسلمين إلى الإعتزاز بدينهم ، وتحكيم شرع الله في بلادهم ، ومجانبة (بني علمان) ممن يريدون لهم أن يكونوا مجرد (تابع ذليل) لأعداء الإسلام .

===============

#فصل الدين عن الدولة

مجلة البيان

د. جعفر شيخ إدريس

أصبحت قضية فصل الدين عن الدولة، أو ما يسميه الغربيون فصل الدولة عن الكنيسة، من القضايا المسلم بها في الفكر الغربي السياسي، وبالتالي في الفكر السياسي العالمي الدائر في فلك الحضارة الغربية. ودعاة فصل الدين عن الدولة قد يعترفون بأن هذا أمر حدث لظروف تاريخية خاصة بالحضارة الغربية، وبالديانة النصرانية، لكنهم مع ذلك يرون أنه أصبح أمرا لازما لكل دولة حديثة، ويسوغون هذا بأن الأساس في الدولة الحديثة هو المواطنة. وما دام المواطنون في الدولة الواحدة لا

ينتمون في الغالب إلى دين واحد، بل تتقاسمهم أديان متعددة، وقد يكون بعضهم ملحدا لا يؤمن بدين، ففي التزام الدولة بدين واحد من هذه الأديان افتئاتا على حقوق المواطنين المنتمين إلى الأديان الأخرى أو المنكرين لها كلها لأنه:

يفرض عليهم دينا لا يؤمنون به،

ويحرمهم من ممارسة الدين الذي اختاروه إما كله أو بعضه،

ويحرمهم من حقهم في شغل بعض الوظائف الكبيرة كرئاسة الدولة،

وقد يكون سببا لخلافات ونزاعات عميقة تفقد الدولة معها الاستقرار اللازم لتطورها.

ويرون لذلك أن تكون الدولة دولة علمانية محايدة لا تلتزم بالدين ولا تحاربه ولا تنكره، بل تترك أمره للمواطنين يختارون ما شاؤوا من عقائد، ويلتزمون بما يريدون من قيم، ويمارسون ما يروق لهم من عبادات.

هذه الصورة للعلمانية التي حرصت على أن أجعلها براقة كأشد ما يريد المدافعون عنها أن تكون، تنطوي على افتراضات هي أبعد ما تكون عن الحقيقة. من ذلك:

أولا: أنها تفترض أن العلمانية يمكن أن تكون محايدة بالنسبة لكل الأديان. لكنها لا تكون كذلك إلا إذا كان مجال الدين مختلفا عن مجال الدولة، إلا إذا كان الدين والدولة يعيشان في منطقتين مستقلتين لا تماس بينهما، وأن دعاة الدولة الدينية يقحمون الدين في مجال غير مجاله، ولذلك يضرون به وبالدولة.

فهل هذا الافتراض صحيح؟ إنه لا يكون صحيحا إلا إذا كان الدين محصورا بطبعه في بعض المعتقدات وبعض الشعائر التعبدية، وبعض أنواع السلوك الشخصي الذي لا علاقة له بالجماعة، ولا يدخل لذلك في مجال الدولة. لكن الواقع أن هذا الوصف لا ينطبق على أي من الأديان الكبيرة المشهورة: اليهودية والنصرانية والإسلام. فما منها إلا وله حكم في العلاقات بين الجنسين، وفي العلاقات الأسرية، والاجتماعية، وفيما يحل أكله وشربه وما يحرم، وهكذا. وكلها أمور تدخل بالضرورة في مجال الدولة.

كيف حل الغربيون هذا الإشكال؟ حلوه بنوع من المساومة: فهم قد أخذوا بعض القيم النصرانية وجعلوها قوانين للدولة. وهم يجعلون اعتبارا كبيرا لقيمهم الدينية في سياستهم الخارجية، ولا سيما في معاملة الإسلام. لكنهم في الجانب الآخر تركوا

أشياء من دينهم، وساعدهم على ذلك تاريخهم الملئ بتحريف الدين إما في نصوصه أو في تأويله، ثم جاءت في العصور الأخيرة حركات فكرية تحررية أذاعت القول بأن ما يسمى بالكتاب المقدس ليس كلام الله تعالى، وأنه من كتابة بشر عاديين تأثروا بالجو الثقافي في المرحلة التاريخية التي عاشوا فيها. ولذلك فإن ما قرره هذا الكتاب في مسائل مثل الشذوذ الجنسي ينبغي أن لا ينظر إلا على أنها قيم مجتمعات سابقة. هذا كلام لا يقوله السياسيون والحكام فحسب، وإنما يقوله كثير من رجال الدين، والمختصين بدراسته. لكن حتى هؤلاء المتحررون يشعر الكثيرون منهم الآن أن العلمانية لم تعد محايدة بين الأديان بل صارت هي نفسها دينا يدافع عنه أصحابه ويحاربون به النصرانية. وأذكر أن أحدهم قال لي في أحد المؤتمرات ناصحا: لا تخدعوا كما خدعنا، فتظنوا أن العلمانية موقف محايد، بل هي الآن دين.
أو كما قال ذاك الناصح.

فكيف تحل هذه المشكلة بالنسبة لأناس كالمسلمين يرون أن القرآن كلام الله تعالى لم يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن ما صح من سنة رسول الله هو أيضا وحي الله؟

وكيف إذا كان دينهم لا يقتصر على ما ذكرنا من أمور تدخل في نطاق الدولة، بل يتعداها إلى اخرى هي من أخص خصائص الدولة؟

ما ذا يفعل هؤلاء؟ لا خيار لهم بين الحكم بما أنزل الله ورفض العلمانية، أو الحكم بالعلمانية والكفر بما أنزل الله تعالى.

إن أكثر ما يتعلل به دعاة العلمانية في بلادنا هو اختلاف الأديان في البلد الواحد. بأي حق يقولون . تفرض على أناس دينا غير دينهم، وقيما ليست قيما لهم؟ ماذا إذا لم يكن في البلد إلا مسلمون، أو كان غير المسلمين أفرادا قلائل؟ لماذا يفصل هؤلاء بين دينهم ودولتهم؟

وحتى لو كان المنتسبون إلى غير الإسالم من أصحاب الديانات الأخرى يمثلون نسبا كثيرة، فإن العلمانية ليست هي الحل العادل. لأن أصحاب هذه الديانات إما أن يكونو في السياسة علمانيين، وإما أن يكونوا ممن يريد للدولة أن تستمسك بعقائده وقيمه وتدافع عنها. فإذا كان من الفريق الأول يكون المسلمون قد تنازلوا عن دينهم

بينهما هو لم يتنازل عن شيئ، لأن العلمانية هي مبدؤه سواء كان هنالك مسلمون أو لم يكن. أذكر أنني قلت ذات مرة لبعض الجنوبيين المثقفين عندنا في السودان إنكن لا تعترضون على الحكم إذا كان اشتراكيا كما كان الحال في أوائل حكم الرئيس نميريى، ولا تعترضون عليه إذا أقر الرأسمالية أو الليبرالية، لأنكم تعتقدون أن الدين لا دخل له بهذه المسائل، فلماذا إذن تعترضون على الحكم الإسلامي. إن الإسلام لا يفرض عليكم دينا بالمعنى الذي حصرتم الدين فيه، أعنى العبادات والأحوال الشخصية. فلماذا لا تعاملون جانبه السياسي معاملتكم للإشتراكية والرأسمالية لأنه يعطيكم أكثر مما تعطيم إياه العلمانية؟

يقول أنصار العلمانية في الغرب وفي البلاد الإسلامية، إن هذا قد يكون صحيحا لكنهكم في الحكم الإسلامي تفرقون بين الناس بسبب دينهم، فتمنعون غير المسلم من أن يكون رأس دولة. وأقول لهم دائما: ولكن العلمانية هي الاخرى تفعل ما نفعل. إنها تشترط على الإنسان أن يكون علمانيا لكي يكون رأس دولة، تشترط عليه ان يؤدي القسم للولاء لدستور يفصل الدين عن الدولة، أي أنها تشترط على المسلم أن يعلن كفره بجزء من دينه. وإذا فعل هذا عن اعتقاد كان كافرا خارجا عن الإسالم. وإذن فكما أن الإسلام يشترط في رأس الدولة المسلمة ان يكون دائنا بدين الإسلام، فإن العلمانية تشترط في رئيس دولتها أن يكون دائنا بدينها. فما الفرق.

يقولون: لكن العلمانية ليست دينا. ونقول هذا في مفهومكم أنتم. أما في لغتنا العربية، وديننا الإسلامي، فإن كل ما يلتزم به الإنسان من عادات وتقاليد، ومن باب أولى من قيم وعقائد، هو دينه، سواء كان مبنيا على إيمان بالله او كفر به. ام لم تسمع قول الشاعر العربي عن ناقته:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

تقول إذا شدد لها وضيني أهذا دينه أبدا وديني؟

أكل الدهر حل وارتحال؟ أما ... أما يقيني؟

فإذا كان دوام الحل والارتحال دينا فما بالك باعتياد معتقدات وقيم وسلوك؟ ألم يقل الله تعالى عن سيدنا يوسف (ما كان لياخذ أخاه في دين الملك) يعني ما نسميه نحن الآن بقانونه؟العلمانية ليست إذن حلا لبلد يكون فيه المسلمون أغلبية، بل ولا حتى

أقلية معتبرة، إذ أن ما تطلبه العلمانية من المسلمين إنما هو التخلي عن دينهم من أجل دين العلمانيين.

===============

#حوار عن العلمانية الديمقراطية بين مثقفين عربيين

أ.د. جعفر شيخ إدريس

مجلة البيان العدد 166، جمادى الآخرة 1422هـ الموافق سبتمبر 2001هـ

قال الأول لصاحبه: إنه من حسنات البلاد الديمقراطية العلمانية أنها تعاملنا من حيث الدين معاملة أحسن من معاملتنا لها. من أمثلة ذلك أنهم يسمحون لنا بأن نبني المساجد ونقيم فيها الصلوات، ويسمحون لنا بحرية الدعوة إلى الإسلام بينما لا نسمح نحن لهم بشيء من ذلك في بلادنا

.

قال الثاني: إنّ ما ذكرته عنّا ليس بصحيح على إطلاقه؛ ففي العالم العربي والإسلامي نصارى يمارسون دينهم في كنائسهم وبِيَعِهم في حرّية كاملة. ألم تزر بلاداً مثل مصر والسودان؟

قال الأول: ولكن ماذا عن السعودية؟

الثاني: للسعودية وضع خاص؛ فهي جزء من الجزيرة التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يكون فيها دين غير الإسلام. وينبغي أن لا يكون هذا أمراً غريباً حتى على الدول الغربية التي أراك تدافع عنها

.

الأول: ماذا تعني؟

الثاني: ألم تسمع ببلد اسمه الفاتيكان؟ هل تجد فيه من مساجد أو دور للعبادة غير دور الكاثوليك؟

الأول: كلا.

الثاني: الأمر الثاني الذي كنت أود أن أُنبهك إليه هو أنهم لا يسمحون لنا بما يسمحون بدافع الإحسان إلينا، أو مجاملةً لنا كما يظن بعض الذين لا يعلمون، وإلاّ لقالوا لنا: إمّا أن تسمحوا لنا بما نسمح به لكم وإلاّ منعناكم كما تمنعوننا.

الأول: هذا ما كنت أظنهم فاعليه، وقد ازداد تقديري لهم إذ لم يفعلوه.
الثاني: إنّ ما يسمحون لنا به من قدر من الحرّية الدينية هو أمر يسمحون به لكل صاحب معتقد مُصدِّقاً بوجود الخالق أو مُنكراً لوجوده، مؤمناً كان أم مشركاً، عابد وثن أو عابد بشر. وكما يسمحون بِهذا القدر من الحرّية الفكرية فإنَّهم يسمحون بقدر مثله أو أكبر منه لدعاة الرذيلة من الشواذ والزناة وراسمي الصور الفاضحة. يفعلون كل هذا؛ لأنهم يرونه في مصلحة بلادهم بحسب تصورهم للحرية. وأمّا الأمر الثالث فهو أنهم يستعملون قوانينهم كثيراً ليحدوا من هذه الحرية سواء لزائريهم من البلاد الإسلامية أو القاطنين فيها.
الأول: أوافقك. ولكن ألا ترى مع ذلك أنّ نظامهم خير من نظامنا من حيث أنّ القدر الذي يسمح به من الحرية أكبر مما نسمح به نحن؟
الثاني: كلا لست أرى ما ترى؛ لأن الحريات لا تُقاس كميّاً، وإلاّ لكان أحسن النظم هو الذي يترك الناس سدى لا يأمر أحدهم بشيء ولا ينهاه عن شيء ألبتة.
الأول: بِمَ تُقاس إذن؟
الثاني: تقاس بمدى نفعها وضررها. فالنهي عن السرقة هو حد من الحرية، لكنه حد مفيد. أما النهي عن أكل السمك مثلاً فهو حد لا فائدة فيه، بل قد يكون ضرره بالغاً بالنسبة لبعض الناس. ولذلك وصف النواهي الإسلامية بأنها حدودٌ إذا تجاوزها الإنسان وقع فيما يضره. وبإمكانك أن تتصورها كالحدود التي توضع على جانبي الجسر؛ فهي أيضاً تحد من حرية السائر أو السائق، لكها مفيدة له؛ لأنها تمنعه من الوقوع في البحر أو الهوي في واد سحيق.
الأول: لا شك في ذلك. لكن من الذي يصدر هذه القوانين التي تُحِلّ وتُحَرِّم؟ إن النظام الديمقراطي يكل ذلك للناس؛ فهم الذين يحددون ما يُصلحهم وما يضرهم في حرية كاملة. أما النظم الدينية، ومنها النظام الإسلامي، فإنها لا تعطي الناس هذه الحرية، بل تكل الأمر إلى الدين.
الثاني: أتعني أنّ كل قانون يُحِلّ أو يُحَرِّم يصدر بإجماع الناس؟
الأول: كلا؛ فأنت تعلم أن الأمر ليس كذلك، وإنما الذي يُصدِره هم غالبية الناس.

الثاني: لكن غالبية الناس ليست هي التي تصدر القوانين في البلاد الديمقراطية العلمانية، وإنما الذي يصدرها هو المجالس التشريعية.
الأول: نعم! لكن هذه المجالس تتكون من أفراد اختارهم الناس بالأغلبية؛ فهم يعبرون عن أفكارهم.
الثاني: تعني أنهم يعبرون عن أفكار من صوَّتَ لهم.
الأول: لكن يستحيل واقعاً أن يكون الأمر على غير ذلك.
الثاني: نعم! ولكنك تعلم أيضاً أنه حتى قولنا بأنهم يعبرون عن رأي الأغلبية التي انتخبتهم ليس بصحيح؛ لأن هذه الأغلبية لا تُستَشار. ولو استُشيرت لما كان لأغلبيتها رأي في غالبية القوانين؛ لأنها تحتاج إلى معرفة لا تتوفر لهم.
الأول: لكن تبقى مع ذلك الحقيقة بأن هؤلاء قوم رضيهم الناس حكّاماً لهم، وأوكلوا إليهم إصدار ما يرونه مناسباً من القوانين.
الثاني: إذن؛ فالناس في البلاد الديمقراطية العلمانية رضوا بأن يكون المشرعون لهم بشراً مثلهم.
الأول: أجل! وهذا ما يمتازون به.
الثاني: واشترطوا عليهم أن تكون تشريعاتهم في إطار الدستور، ولم يتركوهم أحراراً يشرعون ما شاءوا.
الأول: نعم! لأن الاستقرار السياسي لا يتوفر إلا بشيء كهذا.
الثاني: ما الفرق بيننا وبينهم؟ نحن أيضاً يمكن أن تكون لنا مجالس تشريعية يختار الناس أعضاءها ويعطونهم حق التشريع على شرط أن لا يكون مخالفاً للقانون الأعلى للبلاد الذي يسمى دستوراً. والذي هو بالنسبة لنا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
الأول: لكن دستورهم هو نفسه مِن وَضعِهم، وبإمكانهم أن يُغيّروا فيه ما شاءوا.
الثاني: لكن دستورهم أيضاً يتضمن مواد كتلك المتعلقة بما يسمونه حقوق الإنسان ليس لأحد أن يغيرها.
الأول: نعم! لأن هذه الحقوق لكل إنسان بما هو إنسان، فلا يجوز لأحد أن يجور عليها.

الثاني: من الذي أعطاه هذه المكانة؟ وعلى كلّ فأنا لا أريد أن نخرج عن موضوعنا لنتحدث عن حقوق الإنسان، فلعلنا نفعل ذلك في مناسبة أخرى. فلنعد إلى موضوعنا إذن!

الأول: حسن.

الثاني: أردت أن أقول لك إنه ليس لهم علينا فضل في كون دستورهم من اختراعهم؛ لأنهم إذا كانوا هم بمحض اختيارهم رأوا أنه من مصلحتهم أن يشرِّع لهم بشر مثلهم؛ فنحن أيضاً فكَّرنا لأنفسنا ورأينا أنه من مصلحتنا أن نرضى بما شرعه لنا ربنا الذي خلقنا، والذي هو أعلم منا بما هو مُفسِد أو مُصلِح لنا، والذي هو رحيم بنا لا يأمرنا إلا بما ينفعنا، ولا ينهانا إلا عما فيه ضرر علينا. لا فرق إذن بيننا وبينهم من حيث مبدأ الاختيار. فكما أنهم اختاروا بحريتهم، فنحن كذلك اخترنا بحريتنا، ولم يجبرنا ربّنا على الرضى بما شرع لنا، وإنما ترك الأمر لنا نحن البشر ((فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)) [سورة الكهف: 29]، ونحن اخترنا بتوفيق من ربنا أن نؤمن. فلا فضل لهم علينا إذن من حيث مبدأ حرية الاختيار، وإنما الفضل لنا نحن الذين أرانا الله الحق حقاً ووفقنا لاتّباعه.

الأول: لكن الذي اخترتموه دين، والناس يختلفون في أديانهم، ومجتمعاتنا المعاصرة متعددة الأديان، ولا بدّ لكل مواطن فيها من أن تكون له حقوق مساوية لغيره بغض النظر عن دينه.

الثاني: فكيف حلّت العلمانية هذا الإشكال؟

الأول: حلته حلاً يسيراً، هو أن تُقصَى الأديان عن الحكم حتى يكون لكل مواطن الحق في أن يتقلد أي منصب سياسي من رئاسة الدولة إلى ما دونها مهما كان دينه أو اعتقاده

.

الثاني: ونحن أيضاً نفعل ما فعلوا: نقصي كل الأديان – عدا الإسلام – عن الحكم، وكما

...

الأول: – مقاطعاً –: لكنهم أقصوها كلها ولم يستثنوا منها أحداً كما تفعلون.

الثاني:تعني أنهم أقصوها كلها ما عدا الدين العلماني.

الأول: ولكن العلمانية ليست ديناً.

الثاني: أجل! إنها والله لدين بمفهومنا العربي الإسلامي، لكنها شرّ دين.

الأول: ماذا تعني؟

الثاني: أعني أنّ الدين عندنا هو كل أمر يدين به الناس ويعتادونه ويمارسونه في أي جانب من جوانب حياتهم المادية والروحية سواء كان من عند ربهم أو كان من اختراعهم. ألم تسمع قول الشاعر العربي عن ناقته التي اجهدها بكثرة الترحال:

إذا ما قمت أُرحِلها بليلٍ تَأَوَّه آهَةَ الرجلِ الحزينِ

تقول إذا شددت لها وضيني: أهذا دينه أبداً وديني؟

أكل الدهر حِلّ وارتحالٌ أما يُبقي عليّ وما يقيني؟

الأول: لكنك تعلم أنّ الشاعر استعمل الدين هنا بمعنى العادة؛ فما علاقة ذلك بأنظمة الحكم؟

الثاني: لا جدل في أنه استعمله بمعنى العادة؛ ولكن ألا ترى أنه إذا كان اعتياد الحِل والترحال وهو أمر واحد في حياة رجل وناقته يسمى ديناً، فمن باب أولى أن يسمى كذلك اعتياد ما كان أشمل نطاقاً وأكثر عدداً. ثم إن القرآن الكريم استعمل الدين بهذا المعنى العربي، ألم تسمع قول الله – تعالى – عن يوسف وأخيه: ((ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله)) [سورة يوسف: 76]، فالمقصود بالدين هنا ما نسميه الآن بالقانون. وفي القرآن الكريم أيضاً يطلق الدين على الهدي الذي أنزله الله – تعالى – وأرسل به رسوله، كما يطلق على ما يدين به الناس في الواقع سواء كان موافقاً لذلك الدين الحق أو مخالفاً له. يبين لك ذلك بوضوح حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ذكر فيه أن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها؛ فالدين الذي يُجَدَد هو ما يدين به الناس. أما الدين النازل من السماء فلا يحتاج إلى تجديد؛ لأنه لا يَخْلَق. وتجديد ما يدين به الناس هو جعله موافقاً للدين الحق

.

الأول: هذا تفسير غريب للدين، وهو مخالف لما اصطلح عليه الناس، ولا سيما في البلاد الغربية العلمانية التي هي موضوع حديثنا.

الثاني: لكن هل من الإنصاف أن يكون النقاش دائماً وفق تصوراتهم ومصطلحاتهم؟ لماذا لا نُفهِمُهُم أنّ هنالك اختلافاً بيننا حتى في تصورنا للدين؟ على كلّ أنا لا أريد للحوار أن يتحول إلى جدل عن الألفاظ. المهم أن تتضح المعاني؛ وإذا اتضحت فلا مشاحّة في الألفاظ. ألا يمكن أن نترك كلمة الدين ونستعمل بدلاً عنها كلمة تنطبق على العلمانية وما يسمونه هم ديناً؟ ما رأيك في عبارة منهاج الحياة؟

الأول: لا بأس بها.

الثاني: أرجوا أن يتضح لنا من استعمالها أن القول بأن النظام العلماني نظام محايد بين الأديان إنما هو خرافة راجت على كثير من الناس.

الأول: أظنني من المصدقين بهذه الخرافة؛ فهلاّ أوضحت لنا يا سيدي المنكر للخرافة دليلك على كونها خرافة؟

الثاني: هب أننا قلنا لإنسان منصف: إن هنالك نظامين (أ) و(ع) وأعطيناه الجدول الآتي:

النظام أ

النظام ع

إن الحكم إلاّ لله

إن الحكم إلاّ للشعب

يباح للرجل أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع

لا يجوز للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة

يأخذ الورثة حقهم أوصى بذلك المُورّث أم لم يوص

إنما يرث من أوصى له المُورِّث ولو كان حيواناً، وإذا لم يوص فللدولة أن تتصرف في ماله

الخمر حرام

الخمر حلال

لا تكون علاقة جنسية إلا بين المتزوجَين

تباح العلاقة الجنسية بين كل بالغين متراضيين
الربا حرام
الربا حلال
الأول: ما أظنه سيستطيع إذا وضع الأمر بهذه الطريقة.
الثاني: ولا طريقة غيرها. إذن فيجب على من يريد أن يكون مسلماً أن لا يخدع نفسه. إنه لا يمكن للإنسان أن يكون مؤمناً ويكون مع ذلك راضياً بالعلمانية نظاماً للحكم. فإما هذا أو ذاك.
الأول: نعم! إن منهاج الحكم العلماني يُقصي غيره عن منهاج الحكم؛ لأنك لا يمكن أن تطبق منهجين مختلفين في وقت واحد كما يتضح ذلك من جدولك. لكن ميزته على المناهج الأخرى – ومنها المنهج الإسلامي – أنه يفرق بين إقصاء الأفراد وإقصاء المناهج.
الثاني: ماذا تعني؟
الأول: أعني أنه يعامل الأفراد جميعاً معاملة متساوية باعتبارهم مواطنين من حق كل واحد منهم أن يتقلد أي منصب سياسي في الدولة إذا ارتضاه الناس.
الثاني: بشرط أن يكون حكمه وفقاً للدستور العلماني الذي يُقصي منهجه عن الحكم إذا كان مسلماً.
الأول: أجل! وأظننا قد اتفقنا على الأمر البدهي الذي يقضي باستحالة الجمع بين منهجين في الحكم مختلفين.
الثاني: لكن معنى هذا أنك تعطي المسلم الأمريكي مثلاً الحرية في أن يكون رئيساً بشرط أن يتخلى عن دينه.
الأول: كلاّ! فبإمكانه أن يظل مسلماً يصلي ويصوم ويحج ويفعل كل ما يأمره به دينه.
الثاني: إلاّ فيما يتعلق بالحكم.
الأول: نعم.
الثاني: لكن المسلم المخلص لدينه العارف به لا يرضى بهذا؛ لأنه يعرف أن دينه كلّ لا يقبل التجزئة؛ فالذي ينكر بعضه فقد أنكره كله. قال – تعالى – ((أفتؤمنون

ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب)) [سورة البقرة: 85]. وهذا هو الذي يشترطه النظام العلماني على المسلم.

الأول: لكن النظام الإسلامي لا يعطيه حتى هذا القدر.

الثاني: النظام الإسلامي لا يمنع غير المسلم أن يكون مسلماً، وأن يتأهل بذلك أن يكون حاكماً للمسلمين. لكن الإنسان كما ذكرنا لا يكون مسلماً إلاّ إذا آمن بالدين كله؛ لأن نظام الحكم في الإسلام غير منفصل عن شرائعه الأخرى؛ بل إن هذا هو الحال في الديانات الأخرى وما زال هو الذي يراه بعض اليهود وبعض النصارى الرافضين للنظام العلماني، والذين يصفون العلمانية – كما نصفها – بكونها ديناً محارباً لأديانهم.

الأول: نعم! إنهم ليفرضون عليهم هذا باعتباره الدستور الذي ارتضته الأغلبية، لكنهم بعد ذلك يسمحون لهم بما لا يتعلق من دينهم بأمر الحكم.

الثاني: ونحن أيضاً نسمح لهم بما ذكرت، بل إننا لنعطيهم أكثر مما تعطيهم العلمانية الديمقراطية.

الأول: لكنهم يرون نظام الحكم الذي تفرضونه عليهم هو دينكم، وهم لا يرضون أن يفرض عليهم دين ليس بدينهم.

الثاني: نحن لا نفرضه عليهم بكونه ديناً بمعنى كونه عبادة يتقربون بها إلى الله، وإنما نفرضه عليهم باعتباره نظاماً للحكم ارتضته أغلبية المواطنين؛ ولا فرق في هذا بيننا وبين النظام العلماني الديمقراطي. فإذا كانوا وهم الأغلبية في البلاد الغربية العلمانية قد رضوا بأن يقصوا دينهم عن الحكم، ويرضوا بالعلمانية بديلاً؛ فما الذي يمنعهم – حيث يكونون أقلية في البلاد الإسلامية – من أن يرضوا بإقصاء دينهم عن الحكم والرضى بالحكم الإسلامي باعتباره اختيار الأغلبية في البلد الذي يعيشون فيه.

الأول: يبدو من كلامك هذا أنك تكاد ألا ترى في الحياة العلمانية الغربية الديمقراطية أي حسنة.

الثاني: أنا لم أقل ذلك وإنما كنت أرد ظنك بأنّ نظامهم يفضُل النظام الإسلامي.

الأول: أفهم من ذلك أنك ترى في الحياة الغربية جوانب حسنة؟

الثاني: لا شك في ذلك. بل أرى أن في كل أمة من الأمم بعض الجوانب الخيّرة. أقول هذا ديناً؛ لأني أعتقد أنه لا يمكن لإنسان لا خير فيه ألبتّة أن يرى الخير الذي في الدين الحق فيؤمن به. وما دام هذا الدين قد جاء للناس جميعاً، فلا بد أنّ الله – سبحانه تعالى – جعل فيهم من الخير ما يُمَكِّنُهم من رؤيته حقاً.

الأول: هلاّ ذكرت لي بعض هذه الجوانب الخيرة!

الثاني: الحديث في هذا قد يطول فالأكتفِ لك بذكر أحسن ما أراه عندهم. أحسن ما عندهم هو هذا التطور الكبير في العلوم الطبيعية وما بُني عليه من تقنية في شتى جوانب الحياة ومنها الجانب العسكري. وقد كنت أتمنى لو أننا ركّزنا على هذا الجانب العلمي التقني فيما نأخذه من الغرب، لكن العلمانيين في بلادنا شغلونا بمثل هذه القضايا التي كنا نتحدث عنها الآن؛ لأنهم لسذاجتهم ظنوا أن السبب الأساس لتطور الغرب هو فصله للدين عن الدولة، وقد كان هذا التركيز على الجانب الثقافي في التجربة الغربية هو السبب الأساس لضعفنا وعدم تطورنا؛ لأنه كان السبب الأساس في النزاع بيننا؛ وأنت تعلم أن الأمم لا تستطيع أن تحقق إنجازاً كبيراً دينياً أو دنيوياً وهي منقسمة على نفسها متنازعة فيما بينها. فأسأل الله تعالى أن يجمعنا على الخير، وأن يوفقنا للأخذ بأسباب النهضة والقوة والرفعة في كل جوانب حياتنا المادية والروحية.

الأول: آمين.

===============

#تركيا بعد 77 عاماً من العلمانية

على قيام الدولة العلمانية التركية نحو 77 عاماً، تلك الدولة التي أسسها مصطفى كمال عام 1923م، وبعد هذه الأعوام من الحكم العلماني تقف تركيا حائرة غير مستقرة لا تعرف لنفسها وجهة، ولا تثق بالأرض التي تقف عليها ولا المبادئ التي تنطلق منها؛ فالعلمانية التي تبنَّاها أتاتورك تحولت إلى أيديولوجية قمعية أقرب إلى الأيديولوجيات الفاشية والنازية والشيوعية، وكل من تسوِّل له نفسه الخروج على مبادئها فإن نصيبه السجن والتنكيل بل القتل، ولم تستطع العلمانية أن تحقق

الاطمئنان للمواطن التركي؛ لأنها مزقته بين تاريخه وإسلامه وحضارته وبين قيم غريبة عنه مفروضة عليه، كما لم تحقق العلمانية لتركيا حلم الالتحاق بأوروبا (المسيحية)؛ إذ ظلت أوروبا تنظر لتركيا على أنها مسلمة، ولم تعبأ بتبني قيم التغريب والحداثة من قِبَل أتاتورك ومَنْ جاء بعده.

لقد فُرضت العلمانية بوصفها أيديولوجية صارمة وحادة وقمعية على المجتمع التركي، فهددت وحدته وتكامله برفض أي وجود للآخرين الذين يشاركون الأتراك العيش في وطنهم، ومن هنا كان الإنكار الصارم لوجود الأكراد، واعتبارهم أتراكاً يسكنون الجبال. ولا تزال المشاكل الكردية تمثل أكبر التحديات أمام العلمانية الكمالية.

وعلى مستوى الإنجاز الاقتصادي لم تستطع العلمانية أن تحقق للمواطن التركي مستوى للمعيشة ينشله من واقع البؤس والفقر، وعلى مستوى الطهارة الأخلاقية فإن التقارير تتحدث عن تحالف المافيا والفساد مع مؤسسات الدولة المختلفة بدءاً من المؤسسات الأمنية السيادية وحتى المؤسسات السياسية مثل مجالس الوزراء والنواب وغيرها. وفي العلاقات الخارجية لا تزال تركيا تمثل الأداة الأمريكية لملء الفراغ في المنطقة، وهي تتحالف في ذلك مع الكيان الصهيوني ضد الدول العربية والإسلامية، وكانت أزمة تركيا مع سوريا منذ عامين جزءاً من التوتر العلماني القلق في اكتشافه أن العلمانية التركية بعد هذا العمر لم تحقق لأصحابها طموحاتهم في سياستهم الخارجية. إن العلمانية الكمالية كأيديولوجية قد انهارت مع الأيديولوجيات الكبرى التي انهارت في هذا القرن، والبحث مطروح الآن بقوة عن مخرج للتخلص منها.

الكمالية تسقط في نظر العلمانية:

يقول الكاتب التركي المعروف أنيس باتور: « لقد انتهت الجمهورية الأولى بمدرستها ومستشفاها وسجنها ومحكمتها وبرلمانها»، أي أن الكاتب يرى أن التجربة الكمالية قد سقطت بمؤسساتها، ولا بد من البحث عن بديل لها. إن العلمانية الكمالية محمية بقوة الجيش، وإذا قُدِّر للجيش أن يُستبعد عن صناعة القرار في تركيا فإن ذلك سيكون بمثابة إطلاق رصاصة الرحمة على الكمالية، والذين يتحدثون عن ضرورة وجود ما يطلقون عليه: (الجمهورية الثانية) هم علمانيون وليسوا إسلاميين؛ لكنهم يرون العلمانية الكمالية استبدادية وقمعية ومتخلفة، ولا تصلح أن تكون صيغة تتجاذب مع

تحولات السياسة والمجتمع في تركيا المعاصرة. إن العلمانية الكمالية جعلت من نفسها صنماً مقدساً لا يجوز الخروج على مقرراته العقيمة؛ فالدولة في الأيديولوجية الكمالية أصبحت عنصراً للتحكم والهيمنة، كما أن الديمقراطية أصبحت تعبيراً عن الاستبداد والتسلط.

حتى التحولات العالمية المتصلة بالتحول نحو اقتصاد السوق وانتشار الأفكار الليبرالية ثم اعتبار حقوق الإنسان معياراً للانتماء إلى الدول المتحضرة . حتى هذه التحولات لا تستجيب العلمانية الكمالية لشروطها، ومن هنا كان حديث فريق آخر من العلمانيين عن ضرورة تجاوزها إلى ما يطلق عليه: «الجمهورية الثانية».

ويتحدث البروفيسور «خليل جين» عن إخفاق العلمانية . الكمالية في تحقيق الوفاق الاجتماعي فيقول: «الجمهورية التركية دولة علمانية . ديموقراطية حقوقية، وهي أيضاً نتاج التوافق الشعبي في إطار الوحدة القومية. وعجز الكمالية عن حل مشكلة تعدد الأصول والأعراق في تركيا يؤكد عجزها عن التعبير عن التوافق الشعبي في إطار الوحدة القومية. فالمشكلة الكردية متفاقمة وإصرار العلمانية الكمالية على نفي الوجود الكردي سيؤدي إلى تمزيق وحدة الدولة.

العلمانية تسقط في نظر الإسلاميين:

طرح فوز حزب الرفاه في الانتخابات البلدية والبرلمانية على بساط البحث الجدِّي مسألة العلمانية والديموقراطية التي دشنها الرجل الصنم «أتاتورك»؛ فالانتصار الإسلامي أكد إفلاس النظام السياسي في تركيا وعجزه عن مواجهة قضايا المواطنين، ويعبِّر رئيس فرع إسطنبول في حزب الرفاه عن إخفاق الأيديولوجية الكمالية قائلاً: «يمكن بمفهوم ما خارج الأيديولوجيا الرسمية إيجاد حل للأزمات الحالية في المجتمع التركي، إننا لا نجرؤ حتى على مجرد الحديث ومناقشة قضايانا الراهنة في ظل ضغط الأيديولوجيا الرسمية وتهديدها، إننا عندما نتحادث ونتناقش نكون وجهاً لوجه أمام خطر المعاقبة، وإن لم تحل هذه المسألة فمن المتعذر حل المشاكل الأخرى. انظروا اليوم فإننا لا نستطيع أن نناقش بصراحة كافية المسألة الكردية، لقد تشكل في تركيا مجتمع مغلق مستند على الخوف والقمع باسم

الأيديولوجيا الرسمية التي تواصل الآن خصوصية كونها طوطماً أي شيئاً محرَّماً ومقدَّساً لا يجوز الاقتراب منه وإلا أصابتك لعنته».

ويؤكد بولانت أجاويد . رئيس الوزراء التركي الحالي . إخفاق العلمانية فيقول: «إن الأصوات التي حصدها الرفاه والإسلاميون هي أصوات «خيبة الأمل» في الأحزاب الأخرى سواء ما كان منها في السلطة أو المعارضة».

والمعضلة الأساسية التي توجدها العلمانية الكمالية هي أنها تحاول نبذ جزء أساسي من شخصية الشعب التركي وهو الدين؛ فمثلاً جنكيز شندار «أهم مفكر علماني تركي» يقول: «إن الإسلام في تركيا ليس ديناً فقط، بل هو شخصية وثقافة»، كما أن مسعود يلماظ الرئيس السابق للوزراء قال عام 1993م: «إن الدين محدد أساسي في الشخصية القومية لتركيا».

وبدا الفشل العلماني واضحاً في صعود نزعة إسلامية في تركيا منذ فترة «تورجوت أوزال» استمراراً لصعود هذه النزعة منذ (عدنان مندريس) في الخمسينيات؛ فقد تم رفع حظر الأذان باللغة العربية، وفتح معاهد تخريج الأئمة، وبعد انقلاب عام 1980م نصت المادة (24) من الدستور على اعتبار الدروس الدينية والأخلاقية مادة إجبارية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة من التعليم، وكان أوزال يحرص على الصلاة في المساجد، وسقطت محرمات مثل التعرض لشخص أتاتورك بالنقد؛ فقد انتقده حسن مزارجي «نائب حزب الرفاه وسبَّه علناً، وطالب بوقف تقليد زيارة ضريحه في أنقرة، وطالب علمانيون ببناء جامع في حديقة القصر الجمهوري بأنقرة، وكانت تانسو تشيللر تحرص على استهلال خطبها بـ (الحمد لله)، وقبَّلت أمام آلاف من أنصارها نسخة من القرآن الكريم، وطالب «غفار ياكين» النائب المستقل عن محافظة أفيون التركية بتعطيل العمل في الدوائر الحكومية لتمكين الموظفين من صلاة الجمعة، وطالب بولانت أجاويد «رئيس حزب اليسار الديموقراطي» بالتعطيل ليس فقط وقت الجمعة وإنما أثناء صلاة الظهر في كل أنحاء تركيا، وطالب حزب الرفاه عام 1995م بفتح مسجد أيا صوفيا للصلاة بعد أن حُوِّل منذ أمدٍ بعيد إلى متحف، وأقر البرلمان توقيت ساعات العمل بحيث تنتهي مع مواقيت الإفطار في

شهر رمضان، وتزايدت الدعوة للسماح للموظفين بأداء فريضة الحج بدون قطع رواتبهم.

وبالطبع فإن هذه المطالب أثارت نقاشاً كبيراً حول مفهوم العلمانية، كما انزعج الكماليون؛ بَيْدَ أن الحقيقة الأساسية هي أن الإسلام يضرب جذوره بعمق في النفسية التركية، ولا يمكن لأي أيديولوجية أن تطرح نفسها بديلاً عنه. إن هناك تحولات كبيرة في بنية المجتمع التركي، ولا تزال الدولة المقيدة بأغلال العلمانية عاجزة عن الاستجابة لهذه التحولات وهو ما يؤدي إلى خطر القلق في المجتمع التركي.

السقوط الأخلاقي والاقتصادي للعلمانية :

بالمعايير الاقتصادية لا تزال تركيا دولة نامية بعد 77 عاماً من العلمانية؛ فمتوسط دخل الفرد السنوي لا يزال عند حد ثلاثة آلاف دولار، ولا تزال نسبة الصناعة تمثل 25% من الدخل القومي، والاقتصاد جنوب شرق البلاد في مناطق الأكراد لا يزال متخلفاً، ونسبة العجز في الميزان التجاري 20 مليار دولار، وارتبط نمو الاقتصاد التركي 5% سنوياً بتكلفة عالية؛ فمعدل التضخم وصل عام 1994م إلى 124%، وبلغ العام الماضي 99%، وقارب عجز ميزانية الدولة 8.5 % من الناتج المحلي الإجمالي، وتفاقمت الديون الخارجية لتبلغ 95 مليار دولار أي بنسبة 48% من الناتج القومي العام الماضي، وتعبِّر خريطة الدخل عن اختلال واضح بنسبة الـ20% الأفقر من السكان التي لا يتجاوز نصيبها 3.5% من إجمالي الدخل في حين يبلغ نصيب فئة الـ20% الأغنى أكثر من 55% من إجمالي الدخل عام 1998م. فالعلمانية رغم محاولة إخفاء إخفاقها على مستوى الهوية والديمقراطية وحقوق الإنسان بالتركيز على الجانب الاقتصادي، إلا أنها لم تستطع أن تحقق إنجازاً ذا بال، ولا تزال البيروقراطية والمركزية تعوقان التحول ناحية اقتصاد السوق، كما ارتبط التخصيص في تركيا بالفساد الأخلاقي؛ فقد اتُّهم تورجوت أوزال «بإنشاء مجموعات اقتصادية احتكارية مثل «صاربنجي وكوج»، واتهمت «تانسو تشيللر» بالحصول على تسهيلات ائتمانية حولتها للخارج، واتهم مسعود يلماظ «بتسهيل بيع البنك التجاري التركي للمافيا»، وتحولت تركيا إلى مركز عالمي لغسيل الأموال القذرة،

ووفقاً لتقديرات رسمية فإن الأموال غير المشروعة التي تتدفق على تركيا تبلغ 50 مليار دولار.

ويزيد التنافس على تملك البنوك في تركيا؛ لأن أهم وسيلة لغسيل الأموال هي الاقتراض من البنوك ثم تسديد القروض بأموال قذرة. وتشير التقديرات الرسمية إلى أن فرقة إعدامات تم تشكيلها ضمن الدولة قتلت ما بين 2500 . 5000 كردي في الفترة ما بين عام 1990م . 1996م، وفرقة الإعدامات هذه كانت ثمرة تحالف بين مؤسسات الدولة وبين محترفي الإجرام من تجار المخدرات والهيروين، واعتبار ذلك جزءاً من مواجهة المشكلة الكردية، وهناك تقرير رسمي اسمه تقرير (سافاس) يصل إلى 120 صفحة تم نشره في الصحف التركية يتحدث عن عمق العلاقة الفاسدة بين مؤسسات الدولة ورجال العصابات والمافيا التركية.

مستقبل تركيا:

الشيء المقطوع به أن العلمانية الكمالية قد سقطت في تركيا، وأن تركيا تقف الآن على مفرق طرق حائرة تبحث من جديد عن تحديد وجهتها؛ فإلى أين تتجه؟

هناك ثلاثة تيارات على الأقل تتقاذف تركيا لإعادة اكتشاف هويتها:

التيار الأول: يصر على الاستمرار في تبني العلمانية التي تجعل من تركيا دولة أوروبية؛ ويتبنى هذا التيار النخبة التركية، وقطاع واسع من التكنوقراط ورجال الأعمال وأصحاب المصالح مع الغرب.

والتيار الثاني: يتجه نحو العودة إلى الشرق الإسلامي وإعادة الأهلية للتراث الثقافي العثماني، والانفتاح أكثر على العالم الإسلامي؛ وهو تيار يتبناه قطاع واسع من سكان الريف والزراعيين والحرفيين وبعض الأكاديميين وطلبة الجامعات.

التيار الثالث: وهو تيار نشط بعد تحرر دول آسيا الوسطى التركية من القبضة الشيوعية، وانفتاح مجال حيوي جديد لتركيا باعتبار هذه المنطقة الحديثة فضاءاً سياسياً لتركيا للتوغل فيه.

وفي الواقع فإن رفض أوروبا القاطع بقبول تركيا دولة ضمن الوحدة الأوروبية النقدية والمالية صدم القطاع الذي كان يراهن على أن المبالغة في تبني قيم الحداثة والعلمانية الغربية ستؤدي إلى قبول أوروبا لتركيا عضواً على قدم المساواة في النادي

الأوروبي، علماً بأن الذين يأملون في الرهان على أوروبا أقلية غير مذكورة؛ إذ لا تزال أوروبا تنظر إلى تركيا باعتبارها وريثة الدولة العثمانية التي أخذت بالسيف مناطق من أوروبا، واليونان لا تزال تنظر إلى الأراضي الأوروبية التي دخلت في الحوزة العثمانية باعتبارها أيضاً محتلة، ويقول الصحفي والكاتب التركي موسى عنتر: «عاداتنا وثقافتنا مختلفة وهم ـ الأوروبيون ـ لا يريدوننا».

أما التيار الثالث: وهو الذي دعا إليه «تورجوت أوزال» وأطلق عليه: «العثمانية الجديدة» ـ أي تنشيط الدور التركي في عالم تركيا الجديدة ـ فهذا الدور يثبت من الممارسة أن تركيا غير قادرة على تحمُّل أعبائه؛ إذ إن تركيا لا تزال عاجزة عن التأثير في المشكلة القبرصية، كما أنها عجزت عن التأثير في مشكلة البوسنة، أي أن مؤهلات تركيا لا تمنحها القدرة على أداء دور يجعل منها قوة إقليمية كبيرة في هذه المنطقة.

يبقى التيار الثاني: الذي يدعو إلى العودة إلى الإسلام والقيم الإسلامية والتواصل مع العالم العربي والإسلامي، وهو ما يتبناه حزب «الرفاه» والذي تحول اسمه إلى حزب «الفضيلة»، وهذا التيار يتصاعد بقوة، وهو الذي سيحسم المستقبل السياسي لتركيا. ونمو هذا التيار يؤكد عودة تركيا إلى جذورها الأولى. إن الإسلام قوة لا يمكن حذفها في أي بلد أغلبيته مسلمة، وإذا حاولت العلمانية الكمالية مرة أخرى استئصاله فإنها ستخفق إخفاقاً ذريعاً؛ فإنها فقدت مسوِّغ بقائها ووجودها، وإن مزابل التاريخ تتوق شوقاً لضمها بين المخلفات التاريخية والأيديولوجية الأخرى التي سقطت في هذا القرن.

===========

#كيف تعرف العلماني ؟ و ما هي معتقداته ؟

خليفه بن إسماعيل الإسماعيل

العلماني :

تجده يؤمن بوجود إله لكنه يعتقد بعدم وجود علاقة بين الدين وبين حياة الإنسان (فكر بوذي) كما يعتقد بأن الحياة تقوم على أساس العلم التجريبي المطلق وهذا (فكر ماركسي).

والعلماني :

تجده يعتبر القيم الروحية التي تنادي بها الأديان والقيم الأخلاقية بأنواعها هي قيم سلبية يجب أن يتم تطويرها أو إلغائها وهذا (فكر ماركسي).

والعلماني :

تجده يطالب بالإباحية كالسفور ، والاختلاط بين الجنسين في الأماكن العامة والخاصة (أي الخلوة) ويحبذ عدم الترابط الأسري (دعوة ماسونية).

والعلماني :

تجده يطالب بعدم تدخل الدين في الأمور السياسية وأنه يجب تطبيق الشرائع والأنظمة الوضعية كالقانون الفرنسي في الحكم . وأن الدين للعبادة فقط دون تدخل في شئون الخلق وتنظيمها – كما أراد الله سبحانه وتعالى –.

والعلماني :

تجده يردد دائماً بأن الإنسان هو الذي ينبغي أن يستشار في الأمور الدنيوية كلها وليس رجال الدين – وكأن رجال الدين هم الذين اخترعوا التعاليم السماوية – ويطالب بأن يكون العقل البشري صاحب القرار وليس الدين . (مع تحفظنا على رجال الدين لان ليس عندنا رجال دين ولكن عندنا علماء)

والعلماني :

تجده يصرح باطلاً بأن الإسلام لا يتلائم مع الحضارة وأنه يدعوا إلى التخلف لأنه لم يقدم للبشرية ما ينفع ويتناسى عن قصد الأمجاد الإسلامية من فتوحات ومخترعات في مجال الهندسة والجبر والكيمياء والفيزياء والطب وأن علم الجبر الذي غير المفاهيم العلمية وكان السبب الرئيسي لكثرة من مخترعات اليوم وربما المستقبل ينسب لمبتدعه العبقري جابر بن حيان وهو مسلم عربي .

والعلماني :

تجده يعتقد بأن الأخلاق نسبية وليس لها وجود في حياة البشر إنما هي انعكاس للأوضاع المادية والاقتصادية وهي من صنع العقل الجماعي وأنها أي الأخلاق تتغير على الدوام وحسب الظروف (فكر ماركسي) .

والعلماني :

تجده يعتقد بأن التشريع الإسلامي والفقه وكافة تعاليم الأديان السماوية الأخرى ما هي إلا امتداد لشرائع قديمة أمثال القانون الروماني وأنها تعاليم عفى عليها الزمن وأنها تناقض العلم . وأن تعاليم الدين وشعائره لا يستفيد منها المجتمع . (وهذا فكر ماركسي) .

تنبيه :

العلماني تجده يصرح بهذه المقولة ويجعلها شعاراً له دون أن يكون له دراية أو علم أو اطلاع على التعاليم الفقهية الإسلامية أو على الإنجازات الحضارية الإسلامية0

والعلماني :

تجده حين يتحدث عن المتدينين فإنه يمزج حديثه بالسخرية منهم ويطالب بأن يقتصر توظيف خريجي المعاهد والكليات الدينية على الوعظ أو المأذونية أو الإمامة أو الأذان وخلافه من أمور الدين فقط .

والعلماني :

يعتبر أن مجرد ذكر اسم الله في البحث العلمي يعتبر إفساداً للروح العلمية ومبرراً لطرح النتائج العلمية واعتبارها غير ذات قيمة حتى ولو كانت صحيحة علمياً .

والعلماني :تجده يعتبر أن قمة الواقعية هي التعامل بين البشر دون قيم أخلاقية أو دينية لأنها في اعتقاده غير ضرورية لبناء الإنسان بل أنها تساهم في تأخيره وأن القيم الإنسانية ما هي إلا مثالية لا حاجة للمجتمع بها .

والعلماني :

تجده يعترض اعتراضا شديداً على تطبيق حدود الله في الخارجين على شرعه كالرجم للزاني أو قطع اليد للسارق أو القتل للقاتل وغيرها من أحكام الله ويعتبرها قسوة لا مبرر لها .

والعلماني :

تجده يطالب ويحبذ مساواة المرأة بالرجل ويدعو إلى تحررها وسفورها واختلاطها بالرجال دون تحديد العمل الذي يلائمها ويحفظ كرمتها كأنثى .

والعلماني : تجده يحبذ أن لا يكون التعليم الديني في المدارس الحكومية إلزامياً بل إختيارياً .

والعلماني :
يتمنى تغيير القوانين الإسلامية بقوانين علمانية كالقانون المدني السويسري والقانون الجنائي المعمول به في إيطاليا والقانون التجاري الألماني والقانون الجنائي الفرنسي وهذا القانون يعمل به في بعض الدول العربية . ويعتبر أن تلك القوانين هي الأفيد في حياة الفرد والمجتمع من التنظيم الإسلامي .

المصدر كتاب : كيف تعرفهم ؟ لخليفه بن إسماعيل الإسماعيل

نقلا عن موقع صيد الفوائد

=============

#جذور العلمانية (1)

الفكر الرشدي والممانعة الكنسية

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم د . أحمد إدريس الطعان

بريد إلكتروني : ahmad_altan@maktoob.com

الفكر الرشدي وبوادر العلمنة :

درج بعض الباحثين على البدء بالتاريخ للعلمانية منذ عصر النهضة ( ) الذي يؤرخ لبدايته عادة مع فتح القسطنطينية في عهد السلطان محمد الفاتح سنة 1453 ( ).

كما درجوا عادة على اعتبار مساوئ الكنيسة واضطهادها وتاريخها الأسود ( ) هو الذي أنتج العلمانية ( ) . بيد أننا إذا رجعنا إلى الوراء قليلاً إلى القرن الثالث عشر سنجد أن بدايات الصراع بين الفكر والكنيسة يمكن أن يعتبر من آثار ترجمة الفكر الرشدي إلى اللغة اللاتينية ، وبالتالي فيمكن القول : إن الفكر الرشدي العلماني – بالاعتبار الغربي – هو الذي أنتج الاضطهاد الكنسي ، ثم إن هذا الاضطهاد ساهم في شيوع الفكر الرشدي وانتشاره في الغرب ، ذلك أنه من المعروف في تاريخ المعتقدات والآراء أن أكثر ما يسهم في انتشارها هو الاضطهاد والقمع والمحاصرة ( ).

لقد حرر الفكر الرشدي الغرب من سيطرة الكنيسة فبدأ يراجع مسلماته التي ظلت طيلة ألف عام فوق العقل ، ولا يجرؤ أحد على المجاهرة بما يناقض المسلمات

الكنسية . وقد تم ذلك على يد ميشيل سكوت فهو أول من أدخل ابن رشد إلى اللاتين في القرن الثالث عشر ، وجميع كتب ابن رشد المهمة تقريباً تُرجمت من العربية إلى اللاتينية في أواسط القرن الثالث عشر . ( ) ومن المعروف لدى باحثي الفلسفة أن ابن رشد تبنى مذهب أرسطو وانبهر به انبهاراً لا يقل عن انبهار بعض المعاصرين اليوم بالفكر الغربي وسمي " الشارح " وعرف في الغرب بهذا اللقب ( )
لقد كاد ابن رشد أن يفضل أرسطو على الأنبياء واعتبره أكمل البشر حين قال : "" نحمد حمداً لا حد له ذاك الذي اختار هذا الرجل – أرسطو – للكمال فوضعه في أعلى درجات الفضل البشري التي لم يستطع أن يبلغها أي رجل في أي عصر كان "" ( ) .

وإذا كان العلمانيون اليوم يشيدون بابن رشد ويعتبرونه رائد عصر التنوير ، وسيد العقلانيين العرب ومطلق ثورة العقل العربي . ( ) ويهاجمون الفكر الإسلامي السلفي باعتباره فكراً تقليدياً ،ويُسمُّون دعاة هذا الفكر " ملاك الحقيقة المطلقة " ( ) ويتهمونهم بممارسة الإرهاب الفكري بالإقصاء والنفي فإن رائدهم هذا هو الذي ينفي كل الآخرين ويعترف بأرسطو وحده وذلك "" لأن مذهب أرسطو [بنظره] هو الحقيقة المطلقة ، وذلك لبلوغ عقله أقصى حدود العقل البشري ، ولذا فإن من الحق أن يقال عنه : إن العناية الإلهية أنعمت به علينا لتعليمنا ما يمكن أن نتعلم "" ( ) 0

لقد تزامن انتقال الفكر الرشدي إلى الغرب مع عاملين :

العامل الأول : الفتح الثقافي الإسلامي والعربي للبلاد الأوروبية .

فقد كان هذا الفتح هائلاً ولم يكن ابن رشد وحده هو الذي يحتل الساحة الثقافية الأوربية بل أعلام كثر ، يقول أحد علماء اليهود مبيناً هذا الأثر : "" إنه لم يبق بين اليهود الخاضعين للعرب واحد لم يترك دين إبراهيم ، ولم تفسده ضلالات العرب أو ضلالات الفلاسفة "" ( ) .

وقد بلغت السلطة الثقافية العربية في الغرب آنذاك أن بعض الأعلام الغربيين مثل أولهرد فون باث يعترف بأنه كثيراً ما نحل أفكاره الخاصة مؤلفين عرباً حتى تظفر بالرواج ( ). والشاعر الفرنسي " فولشير الشارتي " سحره العرب أثناء الحروب

الصليبية بأخلاقهم وحضارتهم فقال : "" أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب ، بعدما أفاء الله علينا وبدل الغرب إلى الشرق "" ( ) .

وبين أيدينا نص طويل ولكنه يجلي الصورة بوضوح للعلاقة الثقافية آنذاك بين المسلمين والغرب يقول أسقف قرطبة " ألقارو " إن كثيرين من أبناء ديني يقرؤون أساطير العرب ويتدارسون كتابات المسلمين من الفلاسفة وعلماء الدين ليس ليدحضوها ، وإنما ليتقنوا اللغة العربية ، ويحسن التوسل بها ،وأين نقع اليوم على النصراني من غير المتخصصين الذي يقرأ التفاسير اللاتينية للإنجيل ؟ واحسرتاه ! إن الشباب النصارى جميعهم اليوم الذين لمعوا وبذوا أقرانهم بمواهبهم لا يعرفون سوى لغة العرب والأدب العربي ... منفقين المبالغ الطائلة في اقتناء الكتب العربية ، ويذيعون جهراً في كل مكان أن ذلك الأدب العربي جدير بالإكبار والإعجاب ، ولئن حاول أحد إقناعهم بالاحتجاج بكتب النصارى فإنهم يردون باستخفاف : وامصيبتاه ! إن النصارى قد نسوا حتى لغتهم الأم فلا تكاد تجد اليوم واحد في الألف يستطيع أن يدبج رسالة بسيطة باللاتينية السليمة ، بينما العكس من ذلك لا تستطيع إحصاء من يحسن منهم العربية تعبيراً وكتابة وتحبيراً . بل إن منهم من يقرضون الشعر بالعربية حتى لقد حذقوه وبذوا في ذلك العرب أنفسهم "" ( )

هذا العامل جعل الغربيين كما هو ملاحظ من النصوص ينبهرون بالحضارة الإسلامية الغازية مما حدا بالتنويريين والمتحررين منهم أن يتعاطفوا مع هذه الحضارة ، ويتقبلوا الفكر الوافد ليس على أنه فكر معاد . وإنما على أنه فكر إنساني يسهم في رقي الإنسان وتحضره حتى لقد كاد روجر بيكون 1211 – 1294م أن يُعدم حرقاً بسبب شغفه بكل ما هو عربي وتحمسه لعلومهم ، وطُرد من أكسفورد لمدة عشر سنوات بسبب شجبه للمعاملة غير الإنسانية للعرب ، ولهجه دائماً بأسماء علمائهم ، ومخالطته للكفرة أعداء الرب – المقصود العرب والمسلمين – وإشادته بآلاتهم وأجهزتهم ، وتدوينه لتجاربهم ، ونقده الدائم للنظام الكنسي ، فاتهم لذلك بالاشتغال بالسحر وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ولكن التعيس مات شقياً بائساً بعد أن قضى خمسة عشر عاماً في أعماق السجن المظلم الرطب عام 1294م ( ) .

العامل الثاني : لقد ترافق انتقال الفكر الرشدي إلى الغرب مع أجواء الحروب الصليبية ، وحالة العداء الشديدة التي تزعمتها الكنيسة لكل ما هو عربي وإسلامي . كان ذلك منذ أن دعا البابا أوربان الثاني في القرن الحادي عشر الميلادي 1095 م في كلير مونت بفرنسا إلى تحرير قبر المسيح المقدس وكان يوصيهم قائلاً : "" عليكم أن تُطهِّروا الأرض المقدسة التي يعيش فيها إخوانكم المسيحيون من أولئك الرعاع ""( ) ، فبدأ الوعاظ يطوفون أوربا يؤلبون الفرسان " العاطلين عن العمل " بحماس لكي ينقذوا قبر المسيح ، وكانت هي في الحقيقة دعوى تخفي أطماع الكنيسة السياسية ( ).

في تلك الأثناء التي كان الغرب يتربص بالمسلمين الدوائر، والكنيسة تُجيّش الفرسان ، وتُحمِّس الجنود لقتال الكفرة الفجرة كان الأسقف أجناتيوس في بيزنطة يتلقى رسالة من أخيه الروحي البطريرك تيودوسيوس من بيت المقدس يقول فيها : "" إن العرب هنا هم رؤساؤنا الحكام وهم لا يحاربون النصرانية بل على العكس من ذلك يحمونها ويذودون عنها ، ويوقرون قساوستنا ورهباننا ويجلون قديسينا "" ( )

ولكن الخطب الحماسية الرنانة كانت قد فعلت فعلها في قلوب المسيحيين وأججت نار الحقد المسعور حتى دفعتهم أن يدخلوا بيت المقدس فيحصدوا الأرواح حصداً ، ومصادرهم الغربية تشير إلى أنهم ذبحوا قرابة عشرة آلاف إنسان في الشوارع من النساء والأطفال والرجال ( ). ومما يزيد الجرح عمقاً أن أحد البطاركة نفسه كان يعدو في زقاق بيت المقدس وسيفه يقطر دما يحصد به كل من يواجهه ، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة فغسل يديه وهو يردد : "" يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار ، ويغسلون أقدامهم بدمهم ، فيقول الناس حقاً إن للصديق مكافأة وإن في الأرض إلهاً يقضي ""( )

لقد كان البابا يخاطب الفرسان الصليبيين قائلاً : "" أي خزي يجللنا ، وأي عار لو أن هذا الجنس من الكفار الذي لا يليق به إلا كل احتقار ، والذي سقط في هاوية التعري عن كرامة الإنسان ، جاعلاً نفسه عبداً للشيطان قد قُدِّر له الانتصار على شعب الله المختار "" ( ).

وكانت الحملة الصليبية الثانية سنة 1144م شارك فيها لويس السابع 1121 – 1180م وكونراد الثالث 1093 – 1152 م ملكا فرنسا وألمانيا ولم تنجز شيئاً ( ) ثم استعاد صلاح الدين بيت المقدس سنة 1187 م ولم يفعل كما فعل النصارى قبل ثمان وثمانين عاماً بل احتل المدينة احتلالاً نظامياً وإنسانياً لم يؤذ فيه أحداً من النصارى ، ولم ينهب بيوتهم ، ثم أطلق الأزواج والأسرى ، وقدم الهبات والعطايا للأرامل واليتامى ( ).

وفي سنة 1189م قاموا بحملة صليبية ثالثة شارك فيها فريدريك بربروسا 1152 – 1190 م ملك ألمانيا . وفيليب أغسطس 1165 – 1223م ملك فرنسا ، وريكاردوس قلب الأسد 1157 – 1199 ملك انكلترا ، ولكن الحملة باءت بالفشل( )

وعموماً فقد نجحت الحروب الصليبية " المقدسة "في خلق شقة واسعة تفصل بين الشرق والغرب بدلاً من أن تعيد تدعيم الجسر الرابط بين ثقافتين تجمع بينهما في نهاية المطاف مفاهيم إيمانية مشتركة ( ).

في مثل هذه الظروف العدائية احتك الفكر الرشدي بالغرب فما كان من الكنيسة إلا أن جندت سدنتها لمحاربة الفكر الرشدي الغازي فقامت بترجمة كتاب " تهافت التهافت " ترجمة لاتينية بعيدة كل البعد عن حقيقة الكتاب ومحشوة بالتحريف والتناقض والافتراء( )،علماً بأن ابن رشد مشائي أرسطي في أغلب فلسفته ، والكنيسة كذلك كانت تتبنى نظرية أرسطو في الكون ، ولكن الذي منعها من مهادنته والتحالف معه هو أنه عربي مسلم . وبذلك كان جل خدام الكنيسة في القرن الثالث عشر متفقين على مناهضة الرشدية ومحاربتها ومن هؤلاء ريمون لول، وجيل دوروم ، وتوما الأكويني ، وألبرت الكبير ، وغليوم الأفرني ،وبترارك ( ) .

لقد شن ريمون لول حرباً صليبية في القرن الثالث عشر ضد الرشدية ، والرشدية عنده تساوي الإسلام ، وهدم الإسلام كان حلم حياته السعيدة وبلغت أهمية ريمون لول منتهاها بين سنتي 1310 و1312م على الخصوص حيث تنقل في أوربا مفنداً ابن رشد ومحمد (، وقد اقترح على كليمان الخامس إيجاد منظمة حربية جديدة لهدم الإسلام ، وإنشاء كليات لدراسة العربية ، والحكم على ابن رشد وأتباعه ( ).

وأما بترارك فقد بلغ به الحقد على العرب والمسلمين أن شن مقاطعة اقتصادية وثقافية لكل ما هو عربي وإسلامي ، فيرفض أن يتعاطى أي دواء عربي ، أو يحمل اسماً عربياً ، ويقول لصديقه : "" أرجو منك فيما هو خاص بي ألا تعتمد على عربك( ) وأن تعدهم كأنهم لم يكونوا ، فأنا أمقت هؤلاء القوم وأعرف أن بلاد الروم( ) أنجبت علماء وبلغاء وفلاسفة وشعراء ورياضيين وخطباء ، وهناك ولد الطب أيضاً ، وأما أطباء العرب فعليَّ أن أعرف من هم ، وأما أنا فإنني أعرف شعراءهم فلا يمكنني أن أتصور من هو أكثر منهم تخنثاً وارتخاء وهجراً ... ولا أكاد أُحمل على الاعتقاد بإمكان صدور ما هو صالح عن العرب ، ومع ذلك فبأي حق لا أدريه أيها العلماء تغمرونهم بمدائح لا يستحقونها "" . ثم يصف من يمدح العرب بحضرته بأنه كمن يطعنه بخنجر أو يلسع قلبه بقراص( ) .

إن هذا النص بالإضافة إلى كشفه عن مدى الحقد الصليبي الذي امتلأت به قلوب بعض خدام الكنيسة ، فهو يلفت النظر أيضاً إلى المدى الذي بلغته الثقافة الإسلامية في امتلاكها لناصية الحضارة والعلم ، واجتذابها لتعاطف الأعداء قبل الأصدقاء .

إن العاملين الذين ذكرناهما وتحدثنا عنهما إلى الآن كلاهما أسهما في شهرة الفكر الرشدي وذيوعه وانتشاره ، فالتعاطف مع الحضارة الغازية من جانب الراغبين في التحرر من الاحتكار الكنسي للعلم والثقافة ، والاضطهاد الكنسي للفكر الرشدي ومحاربته والسعي إلى قمعه ونفيه جعل لهذا الفكر أنصاراً أو جماهير ، ولكن كان للعامل الثاني الدور الأساس في بلورة الصورة الرشدية في أعين الغرب ، وتحديد صفة هذا الفكر وذلك بوصمه بالإلحاد والكفر والزندقة ، لتجعل منه الكنيسة ممثلاً للعرباوية – أي العرب – الذين سعت دائماً إلى اعتبارهم ملحدين كفرة ( ). وذلك ليكون الإلحاد وافداً من الشرق الإسلامي ، بقصد تجييش الغرب الذي لا تزال السيادة فيه للمسيحية – ضد الإسلام – وإذكاءً لبواعث الحقد والكراهية الصليبية .

ولم يجد التيار العقلاني الناهض المتأثر بالعرب والمتعاطف معهم أي غضاضة في هذه الصورة التي رُسمت لابن رشد وفكره بل إنها تُقبِّلت بترحيب ، واستُخدمت كسلاح مضاد للكنيسة والسلطات الكهنوتية بعكس ما أرادت هذه السلطات ورغبت .

وهكذا يكون ابن رشد افُتريَ عليه مرتين الأولى: من قبل الكنيسة . والثانية: من قبل التيار المناهض لها، وأُريد له أن يكون ملحداً زنديقاً من قبل الطرفين، واتخذته الرشدية اللاتينية التي بدأت تتصادم مع الكنيسة غطاءً لأفكارها التحررية، وستاراً لدعوتها العلمانية ( ).

هذا التوظيف الغرضي ( ) للفكر الرشدي ساعد في الواقع على بروز ابن رشد كرائد للعقلانية في مواجهة القمع والاضطهاد الفكري الكنسي ، فبدأت تتزايد ترجمات كتبه إلى اللاتينية تزايداً هائلاً حتى لم تكد تمر سنة فيما بين 1480 م و 1580 م دون ظهور طبعة جديدة لإحدى تلك الترجمات ( ). وطوال عدة قرون تالية درست أوربة فلسفة أرسطو من خلال عيني ابن رشد ، واحتلت الرشدية مقام السيادة في الجامعات الغربية الكبرى( ) مثل جامعة " بادوفا " في إيطاليا التي أصبحت معقل الرشديين فيما بعد ( ).

ثم توسع انتشار الأضاليل الرشدية – على حد تعبير المسيحيين المحافظين – حتى وجدت لها صدى في الجامعة الباريسية حتى يمكن القول إن رسائل توما الأكويني ، وألبرت كانت موجهة شخصياً ضد أساتذة باريسيين تأثروا بالرشدية( ) وهو ما يبدو واضحاً في رسالة لتوما تحمل عنوان " ضد الرشدية الباريسية "( ) .

والذي يبدو أن الرشدية أصبحت في ذلك الوقت كالعلمانية اليوم معياراً – لدى جماهيرها– للثقافة والتحضر والرقي ، فلا بد لكي يُعد الباحث من المثقفين واسعي الإطلاع أن يتشدق باسم ابن رشد ، ويتفوه ببعض أفكاره لقد أصبحت الرشدية في نظر المحافظين " ابتلاء بالتشرق " على غرار " الابتلاء بالتغرب "( ) الذي نحاربه اليوم ، وغدت ثقافة دارجة لدى الطبقة الراقية في البندقية ( )، حتى أن الذي لا يتبنى الرشدية ، ولم يطلع عليها يعتبر تقليدياً أو ظلامياً أو رجعياً على غرار ما هو سائد اليوم لدى العلمانيين المتغربين ، نستشف ذلك من حديث بترارك مع أحد الرشديين إذ يستشهد الأول أثناء حديثه بالقديس بولس ، فيعبس الرشدي ازدراء ويقول : "" احتفظ لنفسك بهذا النوع من المعلمين وأما أنا فلي معلمي ، وأعرف من أعتقد "" . ثم يتابع الرشدي قائلاً : "" أيه ! إبق نصرانياً صالحاً ، وأما أنا فلا أؤمن بواحدة من جميع هذه الأساطير ، ولم يكن بولسك ، وأوغستتك – أوغسطين – وجميع هؤلاء

الناس الذين تقيم لهم وزناً غير ثرثارين ، آه ! ليتك كنت قادراً على مطالعة ابن رشد ... فتبصر مقدار ما هو أعلى من جميع هؤلاء المجّان "" ( )

إن هذا النص فيه دلالات متعددة فهو يكشف عن المدى الذي بلغه الفكر الرشدي في السيطرة على عقول الطبقة المثقفة ودفعها في طريق المواجهة للثقافة التقليدية التي يمثلها كل من بولس وأوغسطين وبترارك ، ولكن علينا أن لا ننسى أن مثل هذا الكلام لم يكن يمكن المجاهرة به لأن ذلك يؤدي إلى الموت ، كل ما في الأمر أنه حوار شخصي يدور بين بترارك وأحد زائريه في منزله .

إن النص يكشف أيضاً عن جهل بترارك باللغة العربية التي يكتب بها ابن رشد ولذلك فإن الرشدي يتحسر لأن بترارك لا يمكنه قراءة ابن رشد مباشرة ، وقد سبق لنا قريباً أن نقلنا نصاً يوضح احتقار بترارك للعرب ولغتهم وحضارتهم . والله أعلم .

فكرة الحقيقة المزدوجة :

لقد شجع الفكر الرشدي الغربيين على الجرأة الجدلية في مواجهة – لا أقول الكنيسة وإنما بعض القائمين عليها ممن يُطمأن إليهم ، ويؤمن جانبهم ، ولكن لم يصبح هذا شائعاً في كل الأوساط ، وإنما كان محاولات فردية تحاول أن تفلت من سلطان الكهنوت الكنسي ، ورقابة البابا .

ولكن الأمور كانت تسير لصالح الرشديين ، فلم يمض قرنان من الزمان حتى أصبحت الأضاليل الرشدية ( ) التي كانت تتحاشى العلانية ، ويتم تداولها سراً وبحذر ، أصبحت في أوائل القرن السادس عشر فلسفة جميع إيطاليا الرسمية تقريباً ( ) ، وأمسى كل التنويريين والوجهاء يتسابقون في تبني الفلسفة الرشدية الإلحادية التي أريد لابن رشد أن يمثلها إن بحق وإن بباطل –كما أسلفنا – فقد أصبح أغلب المثقفين يعتقدون أن الجحيم من اختراع الأمراء والرؤساء ، والصلوات والقرابين من اختراع الكهنة والأحبار ، وكل ما تمتلئ به الكتب المقدسة ما هو إلا أقاصيص وخرافات . ( )

وهكذا فقد كان من آثار الرشدية أن جرأت الناس في الغرب على إعادة النظر في معتقداتهم ومسلماتهم . وأدى ظهور المطبعة في القرن الخامس عشر( ) إلى انتشار

الأفكار المناهضة للكنيسة والعقائد الشائعة ، كما استطاع الأفراد أن يمتلكوا نسخاً من الكتاب المقدس ، ويقرؤوه بأنفسهم بعد أن كان اقتناؤه وتفسيره حكراً على الكنيسة ورجالها . وبهذا الشكل بدأت الكنيسة تفقد سلطانها على العقول والأفكار ، وبدأ زمام الأمور يفلت من يدها( ) .

غير أنه إذا كان الفصل بين العلم والدين ، والقول بالنسبية المطلقة هو من أهم خصائص العلمانية ، وأجلى مظاهرها في العصر الحديث ، فإن ذلك يعود تكريسه في جانبه الأكبر إلى الرشدية اللاتينية ، ونُسب ذلك طبعاً لابن رشد ، إن القضية الأصل المثارة هنا هي ما سمي " بالحقيقة المزدوجة " أو " الحقيقة ذات الوجهين " والتي أروم إلى اعتبارها الأساس الأول للعلمانية ، والمسمار الأول في نعش الكنيسة ( ) .

وتعني – الحقيقة المزدوجة – أنه يمكن أن يكون الشيء صادقاً فلسفياً خاطئاً لاهوتياً أو العكس ، وبذلك يصبح الفيلسوف حراً في المجاهرة بآرائه ونتائجه في مجال الفلسفة بحجة أنه فيلسوف وإن لم تكن مطابقة للاهوت ، وبذلك استطاع الفلاسفة أن يحصلوا على قدر من التسامح بوصفهم فلاسفة يعتبرون موضوعات الإيمان تتجاوز الفهم البشري وإن كانت نتائجهم الفلسفية تتعارض مع هذه الموضوعات . ( )

فهي فكرة –إذن – يراد منها استرضاء الكنيسة دون خسائر علمية أو فلسفية ، وعقد نوع من المهادنة بين الكنيسة والفلاسفة . ولقد عبر بترارك عن سخطه من هؤلاء الذين يفصلون بين الدين والفلسفة ولم يقبل هذه المهادنة ، لأنه يعلم أنها بداية النهاية بالنسبة لسلطان الكنيسة ، فالرشديون – كما يتحدث – إذا جاهروا بمجادلاتهم احتجوا بأنهم يتكلمون مع قطع النظر عن الدين ، إنهم يبحثون عن الحقيقة بنبذهم الحقيقة ، وإنهم يبحثون عن النور بإدارة ظهورهم نحو الشمس ، ولكنهم في السر لا يتركون مغالطة أو تجديفاً . ( )

أليس هذا هو ما يردده أولئك الذين يتحدثون – في عصرنا – عن أنهم رجال علم لا علاقة لهم بالدين ، ولذلك فهم يبيحون لأنفسهم باسم العلم أن يقرروا ما يشاءون من القضايا التي يرفضها الدين، فالدين بنظرهم له مجاله والعقل له مجاله ولا يتدخل أحدهما في شؤون الآخر( ) لأن العناصر الغيبية في الوحي ليست معقولة . ( )

ويبدو أنه بقدر ما أصبح للرشديين من سلطان على العقول أخذت هذه الفكرة تتمدد في الأوساط الثقافية فظهر من هؤلاء يونبوناتزي 1462 – 1525م وهو من أشهر أساتذة بادوفا في ذلك العصر ، وكانت جامعتها رشدية خالصة وقد تبنى هذا فكرة الحقيقة المزدوجة فأصدر كتاباً أنكر فيه خلود النفس ، ثم أعلن خضوعه لتعاليم الدين في الخلود ، وكاد أن يُعدم حرقاً ولكنه نجا بحماية أحد الكرادلة له( ) .

ويؤكد يونبوناتزي أن الجمهور الذي يفعل الخير طلباً للثواب الأخروي والنعيم ، ويتجنب الشر هرباً من الجحيم لا يزال في طور الطفولة ، وبذلك فهو بحاجة إلى الوعد والوعيد ، وأما الفيلسوف فيصدر عن المبادئ والبراهين فقط ، إن المشرعين بنظره هم الذين ابتكروا الخلود لا عناية منهم بالحقيقة ، بل حرصاً على الخير العام ، ومن هنا لا يمكن بنظره التوفيق بين العناية الإلهية والحرية الإنسانية ، فالأولى ثابتة بالإيمان ، والثانية ثابتة بالتجربة ( ) .

ظهر بعد ذلك فرنسيس بيكون 1561 – 1626 كمحام عن نظرية الحقيقة المزدوجة وهي تعني عنده أن ما يثبت بالعقل لا علاقة للإيمان به ، الإيمان طريق الوحي ، والعلم طريق العقل . ( ) وعلى ذلك فالكتاب المقدس شيء ، وكتاب الطبيعة شيء آخر ( ) ، والدراسة الفلسفية عنده لا تساند أي استدلال على وجود الله [عز وجل] أو العناية الإلهية ، وكل ما يمكن أن نصل إليه من دراسة كتاب الطبيعة هو إثبات وجود إله قادر وحكيم ( ) .

ولذلك أوصى بيكون في تقرير رفعه إلى الملك جيمس الأول لإصلاح التعليم أن تتم المحافظة على هوة عميقة بين العلوم الطبيعية من ناحية ، وبين الدين واللاهوت المقدس من ناحية أخرى ، ذلك أن الانسجام الاجتماعي والتكامل العلمي يتطلبان بنظره فصلاً صارماً بين هذين الجانبين ، فالفيلسوف الذي ينغمس في اللاهوت يخلق مذهباً خرافياً جامحاً ، في حين أن اللاهوتي الذي يهتم اهتماماً بالغاً بالفروق الفلسفية والكشوف العلمية ينتهي إلى الزندقة ، والمسلك الوحيد المنقذ – بنظره – هو إقامة ثنائية حادة بين العلوم الطبيعية والوحي الإلهي( ) .

ولم يكن غاليلو 1564 – 1642م المعاصر لبيكون بعيداً عن هذه النظرية فقد كان يستشهد بالكاردينال بارونيوس عندما قال : "" غاية الروح القدس أن يعلمنا كيف

نذهب إلى السماء ، لا كيف تسير السماوات "" .( ) وكتب لصديق له : "" أعتقد أنه يجب أن لا نبتدئ في مناقشة المسائل الطبية بالاستشهاد بأقوال من الكتب المقدسة ، ولكن بالتجارب الحسية والبراهين الضرورية ""( ).

أما سبينوزا 1632 – 1677 م فقد استمات في الدفاع عن الحقيقة المزدوجة ليجد لنفسه منفذاً يقول من خلاله ما يشاء دون أن يخشى بطش اليهود فهو يرفض أن يكون العقل خادماً للكتاب ، كما يرفض أن يكون بينهما أي تناقض لأن لكل ميدانه الخاص ويمكنهما أن يعيشا في وئام ( ) "" فاللاهوت ليس خادماً للعقل ، والعقل ليس خادماً للاهوت ، بل لكلٍ مملكته الخاصة ، للعقل مملكة الحقيقة والحكمة ، وللاهوت مملكة التقوى والخضوع "" ( ) فإذا وجد تناقض في الكتاب مع العقل فلا خوف لأنه ليس في مملكة العقل ، ويستطيع عندئذ كل فرد أن يفكر كما يشاء دون أي خوف ( ) ويمكننا أن نبرر قبولنا للعقائد الموحى بها عن طريق اليقين الأخلاقي فقط ولا نملك أكثر من ذلك ( ) .

وهكذا وظف العلمانيون فكرة الحقيقة المزدوجة لأمرين الأول : – محاولة إيجاد تبرير لفضائح الكتاب المقدس وتناقضاته لكي لا يخسروا الجمهور المسيحي المؤمن .

– والثاني مخادعة الكنيسة لكي تكف عن اضطهادهم وإرهابهم .

ولكن إلى حين .

لقد بدأت ثقة الناس تتزعزع في الكنيسة عندما وجه إليها مكيافللي 1469 – 1527م انتقادات فاضحة في رجالها الذين يحيون حياة الرذيلة والشهوات ، ويحتكرون المتع الدنيوية داخل أسوارها في حين يدعون الناس إلى حياة الزهد والتقشف ، واعتبر الكنيسة رأس الشر وأساس الفساد وأنها السبب في انهيار العقيدة الدينية وقال : "" كلما كان الناس أقرب إلى كنيسة روما وهي رأس ديننا كانوا أقل تديناً ""( ) .

وانتقاداته في الحقيقة لم تقتصر على الكنيسة بل انتقد المسيحية عموماً ورأى أنها أوهنت من عزيمة الإنسان وأسلمت الدنيا لأهل الجرأة والعنف ( ) ، ولذلك فهو يفضل الوثنية على المسيحية لأن الأديان الوثنية تُمجِّد الجاه والصحة والقوة وتضفي هيبة على القادة والأبطال ، بينما المسيحية تحض على التواضع والضعف( ) .

وعلى كل حال فقد عُرف عن مكيافللي بأنه مكرس لأخلاق القوة هذه الأخلاق التي نادى بها قديماً السوفسطائيون عندما رأوا أن العدالة هي سيادة القوي على الضعيف ، وإذعان الضعيف لهذه السيادة ( ) ، وأن القانون من اختراع الضعفاء للحد من تسلط الأقوياء وأن القوة هي الحق ( ) .

ثم تفاقمت هذه النزعة بعد مكيافللي على يد نيتشه 1844 – 1900 م الفيلسوف الألماني الذي يرغب في القضاء على الملايين من الضعفاء والفقراء لأنه يؤمن بالبطل وبالإنسان الأعلى أو الأرقى الذي يجب أن يستعيض بالقوة عن الأخلاق ، وهو مثل ميكيافللي يعتبر المسيحية هي السبب في ترسيخ أخلاق الرقيق .( ) ولم تكن نظرية داروين " البقاء للأقوى " إلا خطوة أخرى في هذا الاتجاه .

وأهم ما عُرف عن مكيافللي أيضاً أن الغاية تبرر الوسيلة لذلك يجب على الحاكم أن يكون ماكراً مكر الذئب ، ضارياً ضراوة الأسد ،غادراً غدر الثعلب ، وأن يتعلم كيف يبتعد عن الطيبة والخير ، وأن يرتكب الشر والفظائع أحياناً– ، ويقترف الإساءات ويسير على مبدأ " فرق تسد " ، من أجل المحافظة على سلطانه . ( )

ولكن عليه في نفس الوقت أن يُخفي هذه الصفات المرذولة ، ويكون دَعِيّاً ماهراً ومرائياً كبيراً وأن يحسن التظاهر بالأوصاف الحميدة والتدين الشديد . ( )

هذه المبادئ المكيافللية التي كانت تحدياً للكنيسة في إيطاليا كانت تتزامن مع ثورة مارتن لوثر 1483 – 1546م في ألمانيا عام 1518م داخل الكنيسة للإصلاح الديني الذي حدّ كثيراً من تسلط البابوات وأتباعهم ، لقد كانت البروتستانية في البداية احتجاجاً على الغفرانات ثم تطورت إلى الفحص الحر للكتاب المقدس ، والتجربة الشخصية . ( ) وشملت حركته هذه جنيف وفرنسا وهولندا واسكتلندا ( ) .

لقد جعل لوثر الفرد حراً في قراءة الكتاب المقدس وحراً في تفسيره ، وألغى وساطة الكهنة والأسرار المقدسة التي تحتفظ بها الكنيسة ، وجعل الصلة مباشرة بين الله والإنسان الفرد . ( ) وأظهر أنه يمكن الخلاص خارج الكنيسة ، وأنه يمكن تأويل الكتاب المقدس تأويلاً عقلياً ( ) وتحرير الإنسان من أي نظام لاهوتي فوق الطبيعة ( ) . وبذلك يكون لوثر قد قضى بضربة واحدة على ما شاع مئات السنين من أن حياة الرهبنة والأديرة ضرورية لتحقيق السعادة الأبدية ( ) .

ولذلك رحبت الطبقة المتوسطة بالبروتستانتية لأنها رأت فيها منفذاً يتيح لها ممارسة الحياة بصورة حرة ، وممارسة التجارة ، وتحقيق الأرباح ، ومحاصرة للتدين إلى زوايا ضيقة . ( ) وأصبح الكثيرون لا يذكرون الدين إلا يوم الأحد بعد أن يكونوا قضوا أيام الأسبوع منهمكين في الحياة الدنيوية ( ) .

ومما وطد الدعوة اللوثرية ظهور إيرازموس 1466 – 1536م الذي هاجم الكنيسة الكاثوليكية بضراوة ، وسخر من صكوك الغفران ، ودعا إلى عدم الاكتفاء بالحياة الآخرة ، وضرورة الارتقاء بالحياة الدنيا ، وتهكم بالمظاهر الفارغة التي يوليها الأساقفة عنايتهم مثل عدد العُقَد الواجب عملها في الصندل الذي يلبسه الراهب ، ولون ردائه ، ونوع القماش الذي يُصنع منه ، وتفاخرهم بشكليات مضحكة مثل قول أحدهم بأنه قضى على نهمه الجسدي بالاقتصار على أكل السمك فقط ، ودعوى آخر بأن يده لم تلمس النقود طوال ستين سنة إلا من فوق القفاز أو بالإشارة . ( ) ولم يخطر في بال أحدهم أن يحب الناس ، وهي الوصية الجوهرية للمسيح عليه السلام . ( )

لقد امتد أثر الرشديين إلى هيجل 1770 – 1831م – فيما بعد – فأكد أن المسيحية وغيرها من الأديان ليست إلا طرقاً مجازية للتعبير عن الحقيقة الفلسفية الفريدة ولا شيء غير ذلك ، والدين في كل المستويات ميتافيزيقا ظاهرية معلنة لجمهور الناس الذين لا يستطيعون فهم التصورات الفلسفية المجردة ، وإنما يحتاجون إلى مضمون الفلسفة في صور سائغة ( ) ، وعبر عن ذلك في كتابه فلسفة الدين ( ) .

ولكن علينا أن نتذكر هنا أننا أشرنا إلى مثل هذا الكلام لابن رشد سابقاً وقلنا أنه ليس تعبيراً عن الحقيقة المزدوجة ، ولا يراد به أن هناك حقيقتين وإنما حقيقة واحدة تختلف الطرق في الوصول إليها ، والقصد هنا إيضاح امتداد الأثر الرشدي إلى قرون لاحقة .

في هذه المرحلة كان كوبرنيقوس 1473 – 1543م متردداً في طرح نظريته الجديدة لأنها تهدم الفلك الأرسطي والنظرة المدرسية للكون ، والتي تتبناها الكنيسة لأنه كان يعلم كم سيتعرض للازدراء إذا أذاع نظريته ، وقد فكر أن يلغيها أو يبوح بها سراً لأقاربه وأصدقائه كما كان يفعل الفيثاغوريون ( ) . ولكنه سلك طريقاً آخر فقام

بإهداء كتابه للبابا ، وبدأ يتكلم بنظريته ولكن ليس على مستوى عام ، ويعرضها على بعض الأفراد ، فلم يتعرض لأي مضايقة في حال حياته ، ربما لأن الكنيسة لم تدرك ما في النظرية من مخاطر تهدد تعاليمها ، وربما لأنها كانت أكثر ليبرالية في ذلك الوقت قبل مجلس الترنت الذي مارس بعده الجزويت الاضطهاد واستعادت محاكم التفتيش نشاطها ( ) .

تقوم النظرية على قلب الفلك القديم فبدلاً من النظرة التي كانت سائدة والتي تعتبر الأرض – مهد المسيح – هي مركز الكون وهو ما تتبناه الكنيسة ، أصبحت النظرة الجديدة تعني أن الشمس هي المركز والأرض ليست إلا كوكباً من الكواكب التي تدور حول الشمس وهو ما ترفضه الكاثوليكية لأن فيه انتقاصاً من مهد المسيح وتهويناً لشأنه وهو ما يعتبر هرطقة تستحق الموت ( ) .

لقد أنزل إذن كوبرنيقوس الإنسان من مركزيته الكونية التي خصه بها اللاهوت المسيحي ( ) ، وكانت هذه النظرية أول اقتحام جدي للعلم عندما نشرت سنة 1543م ، ولكنها لم تصبح ذات نفوذ إلا في القرن السابع عشر عندما تولاها كبلر وغاليلو وأصلحاها ، ثم بدأ العراك بين العلم والعقائد الجامدة ، وهو العراك الذي أدار فيه المحافظون معركة خاسرة ضد المعرفة الجديدة ( ) . ورغم إيمان كوبرنيقوس المخلص فقد كان لنظريته أثر مدمر على اللاهوت المسيحي ( ) وشكلت صدمة قوية للكنيسة مهدت لانفصال العلم عن الدين في الغرب وذلك بسبب التصادم الشديد الحاصل بين النظريات العلمية المطروحة ونصوص الكتاب المقدس ( ) . ولذلك رفض كل من مارتن لوثر 1483 – 1546 م وكالفن 1509 – 1564 م هذه النظرية، واعتبر لوثر أن كوبرنيقوس منجم مدع ، لأن الشمس والقمر هي التي يجب أن تدور ، ويسوع أمر الشمس أن تظل كما هي لا الأرض ، وكذلك رفضها كالفن فقال : "" العالم ثابت لا يمكن تحريكه ، من يجرؤ على أن يضع سلطة كوبر نيقوس فوق سلطة الروح القدس ؟ ""( ) .

وهكذا بدأت الكنيسة تفقد هيبتها من النفوس ، وبدأ البساط يسحب من تحت أقدام القائمين عليها ..

المحرقة الكنسية :

أشرنا إلى أن نظرية كوبرنيقوس نشرت سنة 1543 م وهو العام الذي توفي فيه كوبرنيقوس ، وبعد خمس سنوات من هذا التاريخ ولد جيوردانو برونو 1548 – 1600 م الذي تبنى الفلك الكوبرنيقي وأثار ضجة قوية عندما بدأ يجاهر به في كل مكان( ) ، وذلك لتعزيز نظريته في الكون اللامتناهي ، هذه النظرية التي تحل برأيه محل المسيحية بوصفها السبيل الأوحد للخلاص والسعادة ، لأنها تحرر قلبه من الخوف السخيف من الموت والمحن الأرضية( ) ، ورفض التسليم بالوحي على أنه حقيقة سواء على صورته الكاثوليكية أو البروتستانتية ، كما رفض أن

ينظر إلى الأخلاق المسيحية على أنها سبيلاً للسعادة الإنسانية ( ) ، وقال بأن الله عز وجل هو روح الكون ( ) ، وأن الله والطبيعة الجوهرية شيء واحد ، والتجلي الوحيد المسموح به لهذا الإله هو التجلي الطبيعي وليس لله [عز وجل] علو واقعي جوهري على الطبيعة المحسوسة ( ). إنه بذلك يعبر عن وحدة الوجود ، ويمهد لسبينوزا ( ) .

لم يكتف برونو بذلك بل أنكر التثليث والأقانيم والتجسد والتحول ، واعتبر المسيح دجالاً مخادعاً ساحراً ، فقُبض عليه وسُلِّم للسلطة المدنية لتتولى إنزال العقاب به على أن تتجنب سفك الدماء ، وهو ما يعني قراراً بإعدامه حرقاً ، وعندما قُدِّم لتنفيذ الحكم قبل حرقه مباشرة عُرِضت عليه صورة المسيح على الصليب فرفضها بوجوم تام وأشاح عنها بوجهه( ).

لم يكن جيوردانو برونو أول من يعدم حرقاً ، فقد أعدم حرقاً قبله جيو فروي فاليه أحد نبلاء فرنسا بتهمة الإلحاد مع أنه في الواقع لم يكن ملحداً بل كان يقر بالألوهية ، ولكنه كان يناصب الأديان العداء لأنها بنظره تبث الهلع في النفس البشرية ، ويرفض اعتبار المسيح قدوة ونموذجاً يُحتذى به ، فأعدم حرقاً سنة 1574 م ( ) .

وفي سنة 1587م أعدم بومبو نيو راستيكو في روما لأنه ذهب إلى أن الحكايات الواردة في الكتاب المقدس لا تستحق غير الاستخفاف والاستهزاء ( ) .

كان هذان الشخصان قبل برونو ، وقد أُعدم بعده عدد من المفكرين ففي عهد الملك جيمس الأول 1566 – 1625 م أُحرق شخصان من المارقين على الكنيسة

الكاثوليكية هما بارثو لوميو ليجات ، وإدوارد وايتمان ، أعدم الأول حرقاً سنة 1612م لأنه أنكر ألوهية المسيح
واعتبره مجرد إنسان ، ولم يمض شهر واحد في نفس العام حتى أحرق الثاني ، لأنه تشكك في التثليث ، ونفى أن يكون الله [عز وجل] ثلاثة أقانيم ، ورفض قدسية العشاء الأخير ، وأنكر تعميد الأطفال( ).
ثم خرج جوليو سيزار فانيني 1585 – 1619م على الناس بهرطقاته الإلحادية فهو ينفي وجود الله لكي لا ينسب إليه الشر : ويقول : "" كيف يمكن لإله غير مادي أن يخلق عالماً مادياً ؟ وينتهي إلى أن العبادة الحقة ليست عبادة الله بل عبادة الطبيعة ، ويؤمن بخلود المادة ، ويرى أن الحياة خرجت من الحرارة والعفونة ، وأن الأديان من اختراع الحكام والكهان لاستذلال العباد . قُبض عليه وأعدم حرقاً في مدينة تولوز وهو لا يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره( ) .
وفي فرنسا أُعدم قسيس اسمه فيرانت بالافيسينو سنة 1644 م لأنه يعتبر الكنيسة تحتكر المعرفة ، وتعمل على تجهيل الناس لكي لا يدركوا الحقيقة ، كما رأى أن الإباحية الجنسية شيء طبيعي ( ) .
وفي اسكتلندا أنكر جون الاسكتلندي التثليث وألوهية المسيح وسخر بالأديان ، وتجرأ على الذات الإلهية فقيل له ذات يوم : ألا تذهب إلى الكنيسة ؟ فقال : ليذهب الله [جل شأنه] إلى حبل المشنقة . قُبض عليه وأُدين سنة 1651 م فذهب هو إلى حبل المشنقة ( ) .
هذه الإعدامات المتعددة في أنحاء أوربا للمفكرين هي نماذج ذكرناها فقط لبيان أن واقع الكنيسة كان يفرض على المجتمع والأمة أن تتكاتف وتتخلص من منابع الاستبداد والقهر والاضطهاد التي تعتمد عليها الكنيسة ولم يكن ذلك إلا في " الدين " وهو ما بدأ الغرب يسعى للتخلص منه وإلا فإن القتل كان بأعداد هائلة فقد قدر لورنتي سكرتير التفتيش في إسبانيا عدد الضحايا فيها الذين تم إحراقهم من سنة 1790 م إلى 1792 م بنحو ثلاثين ألف شخص ( ) ، هذه الوحشية الكنسية خلقت لدى الناس نوعاً من التشاؤم والكراهية للكنيسة ، بل للأديان جميعا ، كما أثار تعاطف الناس مع هؤلاء الذين يعدمون في سبيل أفكارهم ، وكان هذا يزيد من أعداد

القراء لأفكار هؤلاء وإعجابهم بها ، ويجتذب ضمائر الجماهير ضد الكنيسة . وإذا علمنا أن حال الكنيسة أصلاً كان في غاية الانحلال والتردي فإننا نضيف عاملاً آخر من عوامل انتشار الفكر العلماني وترسيخه ، فقد أصبح فساد البابوات والرهبان شائعاً إلى درجة خطيرة ( ). فالفساد أصبح هو القاعدة ، والصلاح استثناء ، فالغدر والخيانة وارتكاب الآثام لم يكن ينفصل عنهم ( ) إلى درجة أن الكرادلة في إيطاليا كانوا حين يدعون إلى الغذاء بمناسبة تتويج أحد البابوات يحضرون معهم غداءهم الخاص وسقاتهم خوفاً من السم ( ) .

هذا الفساد الكنسي بالإضافة إلى ممارسة التسلط والقهر والقتل والإحراق كان كافيا لإلغاء مصدر سلطتهم وتسلطهم ، ولم يكن هذا المصدر الذي يفعلون باسمه كل الموبقات إلا " إلاههم " لقد كان أفضل عقاب لرجال الكنيسة أن يُلغى " إلاههم " الذي يرتكبون باسمه وتفويضه – حسب زعمهم – كل الموبقات والشرور والآثام ، وعندئذ لن يبقى لهم مبرر يتقبلون باسمه الصدقات والتبرعات وسيضطرون للعودة إلى مجاديفهم . ( )

لقد ألغى الغرب " الإله " ليس لأنه يكرهه ، ولكن لكي يلغي الكنيسة لأنها أصبحت مكروهة من كل الناس ، بل إن الغرب قتل " الإله " وأماته على يد نيتشة لكي تنتهي وتموت الكنيسة .

ومن هنا بدأ التيار المضاد للكنيسة يقوى ويتسع ولم يعد بإمكان الكنيسة أن تحرق كل المهرطقين والمجدفين على كثرة ما قتلت وأحرقت وعذبت ، لأن زمام الأمور بدأ يفلت من يدها ، والبساط أخذ يسحب من تحتها .

فقد عبر ميشيل دي مونتاني 1533 – 1592م وبيير شارون 1541 – 1603م عن شكوكهما وشكلا مذهباً شكياً على غرار المذهب الشكي اليوناني الذي تزعمه بيرون ( ) ، فتبنى الأول الفلسفة الإيطالية التي تتلمذت على شروحات ابن رشد ، فذهب إلى أن الفلسفة البحتة والعقل المجرد لا يمكنه أن يدافع عن خلق حر ، أو عناية إلهية ، أو خلود شخصي ، وعلى هذه النظريات أن تنسحب أمام البراهين الفلسفية الصلبة التي تؤيد أبدية المادة ، وحتمية القوانين الطبيعية للحركة ، وفناء الروح ، وكل ما تستطيع الفلسفة أن تؤكده هو أن الله عز وجل ليس خالقاً حراً ، بل صانعاً

للعلم بالضرورة ، ومُلزَمٌ على أن تتماشى أفعاله مع قوانين الطبيعة ، وبذلك تصبح المعجزات مظهراً من مظاهر الجهل الإنساني بقوى الطبيعة( ).وأعلن عن عجز العلم والعقل عن توفير اليقين، وقال""بأن أكثر الناس علماً ليعلمون أننا لا نعلم شيئاً ""( ). وهنا نتذكر سقراط الذي قال :""أنا لا أعرف إلا شيئاً واحداً هو أنني لا أعرف شيئاً""( ).

وأما الثاني فقد كتب كتاباً " عن الحكمة " قيل عنه بأنه لا يمكن لأحد أن يقرأه دون أن تتعرض عقيدته الكاثوليكية للاهتزاز ( ) وقد أصدر البابا سنة 1605م قراراً بتحريم الكتاب ، مما زاد في شيوعه وانتشاره ، فطُبع مختصراً ما بين 1606 – 1645 م اثنتي عشرة مرة ( ) .

ويرى شارون أن الشك ليس تعاسة وشقاء كما يُظن بل هو سعادة الحكماء وملاذهم ، وأن الإنسان العاقل هو الذي ينتهي إلى نسبية الأخلاق والأديان . ويصف الدين بأنه مجرد خزعبلات تنتشر بين الناس بسبب التقليد الأعمى ، الذين يستولي على الحمقى ولأن عدد هؤلاء أكثر من عدد العقلاء فإن الأديان تظل شائعة بين الناس ( ) .

ونلفت النظر هنا إلى أنه رغم هرطقاته هذه فهو لا يريد القضاء على النصرانية ، بل يدعو إلى تنصير العالم – قد يكون ذلك بدوافع سياسية استعمارية – وأفضل وسيلة بنظره لتنصير العالم هي إشاعة مذهب الشك بين الناس ، فعلى المبشر أن يمسك الكتاب المقدس بيد ، وسكستوس امبيريقوس( ) باليد الأخرى( ) .

وهذا ما يمارسه المنصرون اليوم على أرض الواقع فهم لا يهمهم أن يدخل المسلم في النصرانية بقدر ما يهمهم أن يترك دينه ، ويتجرد من إيمانه .. ما أشد براءة المسيح عليه السلام من هذه الأخلاقيات الذئبية !!

=============

#نماذج من تحريفات العلمانيين لنصوص الكتاب والسنة (1)

النص الأول :

قوله تعالى (لا إكراه في الدين) :

ويستدلون بهذه الآية على أنه:

1- (لا يجوز إكراه أحد في دينه ، قال الله تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة:256)، بل إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه).

2- (أن لكل شعب قيمه وتقاليده الخاصة التي اختارها ، فنحن لا نكرهه على تركها ، ذلك أن ديننا علمنا أن لا إكراه في الدين).

3-(أن تبنّي الدولة (أيُ دولة) للدين الإسلامي ليس معناه التدخل في خصوصيات الأقليات وإجبارها على التخلي عن دينها وإكراهها على الدخول في الإسلام فقد استقر في وعي المسلم وعُلِمَ من صريح آيات القرآن أن لا إكراه في الدين) .

* والكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أن الإكراه على الدين قد يراد به الإكراه على (الاعتقاد) ، وقد يراد به الإكراه على (الالتزام بالحكم) :

فقد دلت الآية نفسها على أن المراد بعدم الإكراه هنا هو (الإكراه على الاعتقاد) ، وذلك بقرينة قوله تعالى بعد هذا (قد تبين الرشد من الغي) ، وذلك إنما يدل على إرادة الاعتقاد ، ويبقى الإكراه على الالتزام بحكم الإسلام قائماً لم يخصه دليل ، لقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ونحوها من آيات القتال والجهاد .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى على هذه الآية :

" والدين في القرآن واللغة : يكون الشريعة ، ويكون الحكم ، ويكون الجزاء :

1-فالجزاء في الآخرة : إلى الله تعالى لا إلينا .

2-والشريعة : قد صح أن نقرهم على ما يعتقدون إذا كانوا أهل كتاب.

3-فبقي الحكم : فوجب أن يكون كله حكم الله كما أمر".

وقال القرطبي رحمه الله :

"قوله تعالى (لا إكراه في الدين) : الدين في هذه الآية : المعتقد والملة ؛ بقرينة قوله (قد تبين الرشد من الغي) ".

فعلى هذا : فقولهم (إننا لا نكره شعباً على التخلي عن قيمه الخاصة) ، و (لا نتدخل في خصوصيات الأقليات) غير صحيح ، بل يلزمون بالامتثال لشريعة الإسلام فيما يتعلق بأحكام أهل الذمة كما مر .

على أن نفي الإكراه على الاعتقاد أيضاً لا يصح ، وهذا هو :

الوجه الثاني : وهو أن إطلاق القول بعدم الإكراه في الدين باطل ، وذلك أن مسألة الإكراه في الدين على قسمين :

القسم الأول : الإكراه على الدخول في الإسلام :

القسم الثاني : الإكراه على التزام حكم الإسلام :

أما القسم الأول : وهو الإكراه على الدخول في الإسلام :

فينقسم إلى ثلاثة أقسام :

قسم يكره فيه بالاتفاق ، وقسم يكره فيه عند الجمهور ، وقسم لا يكره فيه بالاتفاق :

أما الأول : فهو نوعان :

1- المرتد عن الإسلام :

فإنه يقتل بالإجماع إذا ارتد ، ووقع الخلاف في الاستتابة قبل القتل ، وفيمن تقبل منه التوبة ، إلا أن الإجماع وقع على عدم تركه .

ومن أشهر أعمال الصحابة رضي الله عنهم بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم حروب المرتدين ، وهي الحروب التي عناها قوله تعالى – كما ذكر كثير من المفسرين – (ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) فلم يذكر غير هذين الخيارين.

2- المشرك العربي :

قال أبو عبيد رحمه الله :

" تتابعت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده في العرب من أهل الشرك أن من كان منهم ليس من أهل الكتاب فإنه لا يقبل منه إلا الإسلام أو القتل".

وقال ابن جرير الطبري رحمه الله :

" أجمعوا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى أخذ الجزية من عبدة الأوثان من العرب ، ولم يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف " .

وقال ابن حزم رحمه الله :

" لم يختلف مسلمان في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبل من الوثنيين من العرب إلا الإسلام أو السيف إلى أن مات عليه السلام فهو إكراه في الدين".

فهذا النوعان يكره فيهما بالاتفاق ، ويدل عليه أدلة كثيرة منها :

قوله تعالى (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم).

وقوله تعالى (ستدعون إلى قومٍ أولي بأسٍ شديد تقاتلونهم أو يسلمون) كما سبق.

والحديث المتفق عليه مرفوعاً (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ...الحديث).

وما في البخاري أيضاً مرفوعاً (من بدل دينه فاقتلوه) ، وغيرها من النصوص .

وأما الثاني : فهو الكافر من غير أهل الكتاب والمجوس :

فقد ذهب الشافعية والحنابلة والظاهرية وبعض المالكية إلى أن كل كافر ليس كتابياً أو مجوسياً فإنه يقاتل حتى يسلم ، فلا يقر على دينه ولو بالجزية مطلقاً .

ودليلهم في ذلك قوله تعالى (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) ، وآيات الجهاد والقتال في سبيل الله المطلقة.

وحديث ابن عمر المشهور مرفوعاً (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها) ، ونحوها من النصوص .

وقالوا : إن آية الجزية إنما خصت أهل الكتاب في قوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون).

فيبقى غير أهل الكتاب على الأصل في عدم قبول غير الإسلام منهم .

وأما الثالث : فهو الكافر من أهل الكتاب والمجوسي :

فقد وقع الاتفاق في الجملة على أنه يقر على دينه بالجزية ، وهو الالتزام بأحكام الإسلام وهو المراد بـ :

القسم الثاني : وهو الإكراه على التزام حكم الإسلام :

فيكره جميع الكفار – ممن تقبل منهم الجزية – على التزام أحكام الإسلام المعروفة عند أهل العلم بـ(أحكام أهل الذمة) .

ويدل عليه قوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .

وما ثبت في صحيح مسلم من حديث بريدة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم قال : (اغزوا باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أو خلال – فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم).

ويبقى هاهنا تنبيه :

وهو أن هذا الإقرار بالجزية تحت حكم الإسلام إنما هو حكم مؤقت إلى نزول المسيح عليه السلام ، كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا له من الدنيا وما فيها) وفي رواية (يقاتل الناس على الإسلام).

وعلى ذلك فيكون الإكراه على الدخول في الإسلام ذلك الوقت على جميع الكفار ، فلا يقبل منهم إلا الإسلام ، أو السيف.

الوجه الثالث : أن هذه الآية ليست على ظاهرها بإجماع المسلمين _ وهذ يظهر مما سبق _ سواء قيل بنسخها أو لا ، ولم يستدل بها أحد من علماء الإسلام على ترك الإكراه على الدين بإطلاق ، ولم يستدل بها أحد على ترك الإلزام بأحكام أهل الذمة لمن أقر منهم في بلاد الإسلام بالجزية ، وقد ذكر في معنى الآية نحواً من ستة أقوال ، و ليس فيها قول واحد أخذ بظاهرها في جميع الكفار ، وقد قال ابن جرير رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأقوال في الآية :

"وأولى هذه الأقوال بالصواب : قول من قال : نزلت هذه الآية في خاص من الناس ، وقال : عنى بقوله تعالى ذكره (لا إكراه في الدين) أهل الكتابين والمجوس وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه ، وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخا ، وإنما قلنا : هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب ؛ لما قد دللنا عليه في كتابنا (كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام) : من أن الناسخ غير كائن ناسخاً إلا ما نفى حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما ، فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل ، وإذ كان ذلك كذلك ، وكان غير مستحيل أن يقال لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزية في الدين ، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك ، وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام ، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه ، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب ، وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ، ومن أشبههم ، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه وإقراره على دينه الباطل ، وذلك كأهل الكتابين ومن أشبههم ، كان بيّناً بذلك أن معنى قوله (لا إكراه في الدين) إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم الإسلام".

وقال ابن حزم رحمه الله عن هذه الآية :

"لم يختلف أحد من الأمة كلها في أن هذه الآية ليست على ظاهرها ؛ لأن الأمة مجمعة على إكراه المرتد عن دينه ".

الوجه الرابع : قولهم (إن الإسلام نفسه لا يصح مع الإكراه) لا يصح على إطلاقه كما سبق :

فإسلام المرتد والوثني من العرب يصح منه بالإجماع ، والكافر غير الكتابي والمجوسي يصح منه عند الجمهور .

قال ابن رجب رحمه الله :

" وأما الإكراه بحق : فهو غير مانع من لزوم ما أكره عليه ، فلو أكره الحربي على الإسلام فأسلم ، صح إسلامه ".

الوجه الخامس : قولهم (وقيم خاصة بشعب معين آثرها واختارها فنحن لا نكرهه على تركها ، ذلك أن ديننا علمنا أن لا إكراه في الدين) ، وقولهم (وتبنّي الدولة للدين الإسلامي ليس معناه التدخل في خصوصيات الأقليات) ، لا يصح أيضاً :

وذلك أن الكفار الذين يقرون على دينهم في بلاد الإسلام يلزمون بأحكام (أهل الذمة) وهي أحكام معروفة في كتب الفقه وأجمع عليها الصحابة ومن بعدهم من أهل العلم في الجملة ومن أحكام أهل الذمة التدخل في خصوصيات الأقليات ، والإجبار على ترك بعض القيم ، فمن الشروط العمرية المشهورة عليهم : (ولا نبيع الخمور ، وأن نجز مقادم رءوسنا ، وأن نلزم زينا حيثما كان ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا ، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا ، ولا نظهر صليبا ، ولا كتبا من كتب ديننا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضربا خفيفا ، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين) وغيرها .

(أنظر كتاب التنكيل للفهد)

سئل فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز س: مذكور في القرآن الكريم : (لا إكراه في الدين قد تبيَّن الرشد من الغي)، فما معنى هذا ؟

ج: قد ذكر أهل العلم رحمهم الله في تفسير هذه الآية ما معناه: أن هذه الآية خبر معناه: النهي، أي: لا تُكرهوا على الدين الإسلامي من لم يُرد الدخول فيه، فإنه قد تبين الرشد، وهو دين محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعهم بإحسان، وهو توحيد الله بعبادته وطاعة أوامره وترك نواهيه (من الغي)، وهو: دين أبي جهل وأشباهه من المشركين الذين يعبدون غير الله من الأصنام والأولياء والملائكة والأنبياء وغيرهم، وكان هذا قبل أن يشرع الله سبحانه الجهاد بالسيف لجميع

المشركين إلا من بذل الجزية من أهل الكتاب والمجوس، وعلى هذا تكون هذه الآية خاصة لأهل الكتاب والمجوس إذا بذلوا الجزية والتزموا الصَغار فإنهم لا يُكرهون على الإسلام؛ لهذه الآية الكريمة، ولقوله سبحانه في سورة التوبة: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرَّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)، فرفع سبحانه عن أهل الكتاب القتال إذا أعطوا الجزية والتزموا الصَغار.

وثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ الجزية من مجوس هجر، أما من سوى أهل الكتاب والمجوس من الكفرة والمشركين والملاحدة فإن الواجب مع القدرة دعوتهم إلى الإسلام فإن أجابوا فالحمد لله، وإن لم يجيبوا وجب جهادهم، حتى يدخلوا في الإسلام، ولا تُقبل منهم الجزية؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يطلبها من كفار العرب، ولم يقبلها منهم، ولأن أصحابه رضي الله عنهم لما جاهدوا الكفار بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لم يقبلوا الجزية إلا من أهل الكتاب والمجوس، ومن الأدلة على ذلك قوله سبحانه: (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم)، فلم يخيرهم سبحانه بين الإسلام وبين البقاء على دينهم، ولم يطالبهم بجزية، بل أمر بقتالهم، حتى يتوبوا من الشرك ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فدل ذلك على أنه لا يُقبل من جميع المشركين ما عدا أهل الكتاب والمجوس إلا الإسلام، وهذا من القدرة، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة تدل على هذا المعنى منها: قول النبي صلى الله عليه وسلم : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل" متفق على صحته، فلم يخيرهم النبي صلى الله عليه وسلم بين الإسلام وبين البقاء على دينهم الباطل، ولم يطلب منهم الجزية.

فدل ذلك: أن الواجب إكراه الكفار على الإسلام، حتى يدخلوا فيه ؛ ما عدا أهل الكتاب والمجوس؛ لما في ذلك من سعادتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة، وهذا من محاسن الإسلام، فإنه جاء بإنقاذ الكفرة من أسباب هلاكهم وذلهم وهوانهم وعذابهم في الدنيا والآخرة، إلى أسباب النجاة، والعزة والكرامة والسعادة في الدنيا والآخرة، وهذا قول أكثر أهل العلم في تفسير الآية المسئول عنها. أما أهل الكتاب والمجوس فخصوا بقبول الجزية والكف عن قتالهم إذا بذلوها لأسباب اقتضت ذلك، وفي إلزامهم بالجزية إذلال وصَغار لهم، وإعانة للمسلمين على جهادهم وغيرهم، وعلى تنفيذ أمور الشريعة ونشر الدعوة الإسلامية في سائر المعمورة، كما أن في إلزام أهل الكتاب والمجوس بالجزية؛ حملاً لهم على الدخول في الإسلام، وترك ما هم عليه من الباطل والذل والصَغار ؛ ليفوزوا بالسعادة والنجاة والعزة في الدنيا والآخرة، وأرجو أن يكون فيما ذكرنا كفاية وإيضاح لما أشكل عليكم) . (مجموع الفتاوى 8/287-289) .

==============

#المتعلمنون والكلام على العلم حقيقة أم دسيسة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الكريم أما بعد .

أحبتي من الذين آمنوا بأن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله والمؤمنون بالغيب والمقيمون للصلاة والمؤتون للزكاة .كثيرا ما يصك أذاننا ذينك المتعلمن أو ذاك بأهمية العلم ..في حياة البشرية,ولابد من العلم لأنه الخلاص الوحيد من الرجعية الإسلامية,والمهم هو أننا نرى بعد إخواننا المؤمنين يتأترون بداعوي أولائك العلمانيين الغير العلميين حقيقة؟!وهذه هي الحقيقة فكتير من العلمانيين لايكاد واحد منهم إن لم نقل الكل متؤتر بالفلسفة بمعنى أنه إما أستاد فلسفة أو أستاذ لغة عربية أوشاعر .....الخ.أنا لا أحقرمن السادة اللاإضل في السلك التعليمي أو الأدبي لكن الله عز وجل علمنا أن قول الحق فضيلة وهذا ما أود وله في هذه الكتابة .المهم قلت أن الإخوة المتعلمنون يصكون أذاننا بالعلم والدعوة الى المنطق وفي الواقع....ليس لمعضمهم منطق مع الإحترام لكن لماذا نحاجج فيما نعلم وما لانعلم وأشد على ما لا نعلم لأنا صل الموضوع .

وليعلم الإخوة الأفاضل أنه لاخوف من العلمانيين بتاتا سواء استخدموا في مواضيعهم تلك الكليمات العلمية ,لماذا لأنها لاتنبع من شخص متخصص عادة ولذلك نجد في أكتر مواضيعهم ..توصل العلم ..صنعت أوربا..وصلت أمنريكا..الخ.بمعنى أكتر أنه متلفون للكلام ومقتبسون للمواضيع أنا لاأقول لاللتعلم لكن علينا التعلم أن لكل شخص وذاته وبالطبع قدراته ومحدوداته لكن لماذا بعض الإخوة العلمانيون يعيبون علينا نحن الإسلماويون كما يحبون أن ينادوننا بالتخلف وأخذ النصوص دون استعمال العقل؟وفي الوقت ذاته نجدكم اخواننا العلمانيون تقدسون كلام الأوربيين أصد المتقفون العلمالنيو الوربيون فنحن المتأسلمون كما تحبون مناذتنا لاتخلوا خطاباتنا أو مقالاتنا من قال الله ورسوله وأعلم أن هذا يزعجكم لكن في الوقت ذته نجد أنكم أكتر منا نحن الذين تطلقون علينا التقليديون الغير المبدعون..الخ بمعنى أننا كذلك نجد في خطاباتكم أنها لاتخلوا من قال فلان وتوصل علان أليست هذه هي الديكتاتورية بعينها ؟أليست هذه هي البيوسميائية؟أليست أليست أليست؟ستقولون نحن نجدد !!لابل نحن تجديديون وتنعتوننا بالتأخرية والرجعية ألستم أنتم من يعتمدون الى الأن على كلام فلاسفة ما قبل الاريخ؟ستصرخون تحتجون وتقولونا :لاإله إلا الله محمد رسول الله لكننا نأخد مايفيدنا من الفلاسفة لأن كلامهم كله معنى ومغزى؟!سنقول نحن الضالون الرجعيون الحفاة المتعريون تعالوا الى مناظرة بيننا وبينكم ونشهد الصغار علينا وعليكم بأننا نتحادكم بجوامع الكلم الذي أرقكم .
جوامع الحبيب محمد عليه السلام ولنأت بأقوال سقراط وبجميع الفلاسفة والنقاد ونضع كلمة من كلمات رسول الله ونرى من الأحسن ...لم يعد لذي وقت وسأعيد هذا الكلام في المرة المقبلة بإذن الله

=============

الحرية والعلمانية موضوع للنقاش

العلمانى هو أكثر الناس حديثا عن الحرية وأكثرهم منعا لها

لفت نظرى عبارة قرأتها لأخ حازم فى رد له على موضوع قطع الله يدك للأخ الجندى أهو علمانى ؟ .. هم والله أشد الناس منعاً للحرية ، رغم ما يتشدقون به ،

وهذه صحفهم وكتبهم فى بلادنا مليئة بآلاف الأمثلة على قتل الحريات التى يزعمون نصرتها ..

لك أن تأمرنى وآتيك بأمثلة لا حصر لها على الحجر على الرأى ..

سواء على الرأى الآخر .. أم على آراء بعضهم البعض !

فالحرية عند العلمانى حريته فى أن يقول ما يشاء ويكذب كما يشاء

ويجند وسائل إعلامه لهذا الغرض

ويكرر الكذب فى رسائل إعلامية حتى يصدقه الغافلون

وربما حتى يصدق نفسه

رؤساء الصحف بالتعيين والقابلية للعزل

وكذلك الإذاعة والتليفزيون

والصحفيون تحت السيطرة مختارون من الأتباع والموالين من أصحاب الطموح

سيطرة كاملة على الكلمة فلا تنشر كلمة ما لم تتوافق مع توجهاته

أما حرية الآخرين فى قول الرأى فلا مكان لها عنده

كلمات المعارضين وآراؤهم تحجب قبل قبل النشر

وإن نشرت خطأ أو ذرا للرماد تسفه أو تهمل فلا يلتفت إليها

فأين هذا من حرية الكلمة فى الإسلام

حيث يعتبر من أعظم الجهاد قولة الحق عند سلطان جائر

حين أبطل قول المرأة قول عمر وهو على منبره فاعترف وأصلح وقال أصابت امرأة وأخطأ عمر

حيث عدل محمد صلى الله عليه وسلم قرار حرب وأخذ برأى رجل من المسلمين أشار بالحيلولة دون المشركين وماء بدر فى غزوة بدر

أين حرية الكلمة فى الإسلام من الحرية المقيدة بآلاف المعتقلات والسجون فى مختلف بلاد العالم لخنق الكلمة وخنق المتكلمين بها

=============

#العَلمانية والعِلمانية

د. أحمد إدريس الطعان– كلية الشريعة – جامعة دمشق

بريد إلكتروني : ahmad_altan@maktoob.com

العَلمانية والعِلمانية

أولاً – العلمانية من العلم أم من العالم ؟ :

من خلال قراءتنا السابقة للمصطلح في المصادر الأجنبية من معاجم ودوائر للمعارف ، وتعريفات للباحثين الغربيين يمكننا أن نؤكد أن العَلمانية – بفتح العين – هي الترجمة الصحيحة على غير قياس لكلمةsecularism الإنجليزية أو secularit الفرنسية ، وهاتان الكلمتان لا صلة لهما بلفظ العلم ومشتقاته ، فالعلم في الإنجليزية والفرنسية يعبر عنه بكلمة science والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة scientism والنسبة إلى العلم هي scientific أو scientifique في الفرنسية والترجمة الدقيقة للكلمة هي " العالمانية " أو " الدنيوية " أو " اللادينية " ( ) ، ولكن تحولت كلمة عالمانية إلى عَلمانية لأن العربية تكره تتابع الحركات وتلجأ إلى التخفف منه ( ) .

وكذلك فإن زيادة الألف والنون هنا ليست قياسية في اللغة العربية أي في الاسم المنسوب " عالماني "، وإنما جاءت سماعاً مثل: رباني ، نفساني ، روحاني ، عقلاني ، ومثلها علماني ، واللغة العربية تقبل إضافة الألف والنون لاحقة لبعض الكلمات ( ) ، والترجمة الحرفية في قاموس اللغة للعلمانية هي " الدنيوية " لأنها مشتقة من العالَم أي " الدنيا " ( ) . ومن هنا فإن العلماني هو الدنيوي لأنه يهتم بالدنيا ، بخلاف الديني أو الكهنوتي فهذا الأخير يهتم بالآخرة . وأول معجم عربي يورد الكلمة هو المعجم الوسيط ، وقد جاءت فيه بهذا المعنى في طبعتيه الأوليين ( ) .

وأول معجم ثنائي اللغة قدم ترجمة صحيحة للكلمة هو قاموس " عربي فرنسي " أنجزه لويس بقطر المصري عام 1828 م وهو من الجيل الذي ينتمي للحملة الفرنسية ، وقد كان متعاوناً مع الفرنسيين ورحل معهم إلى باريس وعاش هناك وكانت ترجمته لكلمة : = ecularitecعالماني و = ceculierعلماني ، عالماني ، وميزة هذه الترجمة أنها أول وأقدم ترجمة صحيحة للكلمة تدحض آراء الذين يعتبرون العَلمانية من العِلم ، لأنه نسبها إلى العالَم ( ) . وكما أن الرباني منسوب إلى الرب

بزيادة الألف والنون للدلالة على المبالغة الشديدة في التخلق بصفات الرب عز وجل والعبودية له ، وللدلالة على كمال الصفة أو بلوغها حداً قريباً من الكمال قالوا في كثير الشعر : شعراني . وغليظ الرقبة : رقباني . وطويل اللحية أو كثيفها : لحياني ( ) ، كذلك فإن العَلماني منسوبٌ إلى العالَم – بهذا الشكل – للدلالة على المبالغة في الانتماء إلى العالم والإيمان به ( ) .

ومما يؤكد انقطاع الصلة بين العَلمانية والعلم البحث القيم الذي تقدم به د . عدنان الخطيب حول تاريخ الكلمة الذي أرجعه إلى قرون عديدة ، وتاريخ دخولها إلى اللغة العربية ، وقد استند في بحثه على مراجعة مصادر الكلمة في اللغات القديمة كالآرامية والسريانية ، وصلة الكلمة بالعلاقة بين رجال الكنيسة وعامة الناس ، حيث إن رجال الكنيسة ليسو عَلمانيين ، لأنهم يهتمون بالآخرة فقط ، أما بقية الناس والشعب فهم : " دنيويون ، دهريون ، زمنيون ، قرنيون ، عالميون " ، وهذه التفرقة انتقلت إلى اللغة العربية – بنظره – عندما تغلبت هذه على الآرامية بعد الفتح الإسلامي عن طريق ترجمات علماء السريان .

وعندما استقل التعليم عن الكنيسة في فرنسا بعد الثورة وُصِف هذا التعليم بأنه ceculaire ودلالتها هي نفس الدلالات القديمة التي يوصف بها من هو خارج الكنيسة من عامة الشعب ، فكل واحدة من الكلمات السابقة " دنيوي ، زمني ، دهري... " تصلح مقابلاً للكلمة الفرنسية seculaire إلا العِلم فلا يدخل في مدلولاتها مطلقاً ( ) .

مع أن هذا التأصيل المعجمي لمصطلح العلمانية يكاد يكون حاسماً في أن العلمانية من العالَم وليس من العِلم ، ولذلك فهي بفتح العين وليس بكسرها ، فإن كثيراً من العلماء والباحثين العرب والمسلمين مختلفون حول النسبة الصحيحة للعلمانية ، فالبعض ينسبها إلى العلم وينطقها بكسر العين ، ومن هؤلاء أستاذنا الجليل الدكتور البوطي ( ) ، والدكتور يوسف القرضاوي ( ) ، والدكتور عبد العظيم المطعني( ) ، والشيخ محمد مهدي شمس الدين ( ) والدكتور عماد الدين خليل ( ) والدكتور زكي نجيب محمود ( )، والدكتور سفر الحوالي ( )، وممن أجاز الوجهين – الكسر والفتح – الدكتور:عزيز العظمة وإن كان يفضل الكسر ( ) ، والدكتور رفعت السعيد ( ).

إلا أن الأغلبية الساحقة من الباحثين والمفكرين ينطقون الكلمة بالفتح وينسبونها إلى العالَم وليس إلى العِلم ، وهو ما يتفق مع المصادر الغربية التي توضح مصدر الكلمة ومعناها والغاية منها ، ومن هؤلاء الدكتور محمد البهي ( ) والدكتورسيد محمد نقيب العطاس ( ) والدكتور محمد عمارة ( ) والدكتور عبد الوهاب المسيري ( ) وأستاذنا الدكتورالسيد رزق الحجر ( ) والدكتور أحمد فرج والدكتور عبد الصبور شاهين والدكتور عدنان الخطيب ( ) والدكتور عبد الله كامل( ) والدكتور : محمد سالم محمد ( ) والدكتور زكريا فايد ( ) ومحمد إبراهيم مبروك ( ) والدكتور يحيى هاشم حسن فرغل ( ) والدكتور حسن حنفي( ) والدكتور محمد عابد الجابري ( ) والدكتور مراد وهبة ( ) والدكتور عادل ضاهر ( ) وحسين أحمد أمين ( ) والدكتور عبد المجيد الشرفي ( )والدكتور فادي إسماعيل ( ) وغير هؤلاء من الباحثين إسلاميين وعلمانيين كثير ، وليس مرادي هنا الاستقصاء ، وإنما المراد هو أن أمهد لملاحظتين تبدوان هما السبب – بنظري – للخلاف بين الباحثين في نسبة الكلمة :

الأولى : هي أن التقارب في الألفاظ بين العَلمانية – بالفتح –والعِلمانية – بالكسر – قائم في اللغة العربية مما أوقع بعض المعاجم والباحثين في اللبس وشاع ذلك قبل أن يتبين الباحثون الخطأ من الصواب .

الثانية : أن العَلمانية – بالفتح – والعِلمانية – بالكسر – ظاهرتان بارزتان في الفكر الغربي ، وإحداهما تكمل الأخرى ، ومع أننا نرى أن العَلمانية – بالفتح – ظاهرة قديمة وممتدة في عمق التاريخ ، وتغلغلت في كافة الحضارات ، إلا أنها في العصر الحديث وفي أوربا بالذات تفاقمت بشكل لم يسبق له مثيل ، وشد أزرها في ذلك العِلمانية – بالكسر – أي تطور العلم وارتفاع مستوى السيطرة الإنسانية على الطبيعة، نتيجة للكشوفات العلمية المتلاحقة التي غيرت نظرة الإنسان إلى الكون، فولّد هذا العلم أو العِلمانية – بالكسر – الغرور الشديد بالذات الإنسانية ، والاعتداد المفرط بقدرة الإنسان وعقله ، ونتج عن ذلك العَلمانية – بالفتح – أي الدنيوية والتطلع إلى هذا العالم القريب المحسوس المشاهد ، وانعدام أي أمل في عالم آخر غيبي مفارق .

وأهم عنصر ولدته العِلمانية – بالكسر – هو انعدام الانبهار بالطبيعة ، وتجريد الطبيعة من العناصر والإحالات الزائدة ، والمقصود بالعناصر والإحالات الزائدة العناية الإلهية ، أو الآثار الإلهية في الكون ، أو الماورائيات والغيبيات التي يمكن أن تدل عليها الطبيعة ، وبالتالي انفتح المجال أمام الإنسان للتصرف في الطبيعة بحرية ، واستخدامها وفق حاجاته وغاياته ( ) .

إن هذا التجريد العلماني للطبيعة من مغزاها الروحي ، والحط من قيمتها بحيث لا تتجاوز مجرد كونها شيئاً من الأشياء خالياً من أي معنى علوي قدسي قد كان هو العامل الأساسي الذي انطلقت منه عملية العلمنة في الغرب ( ) .

وهكذا ترسخت الدهرية والدنيوية – العلمانية – بالفتح – في ضمير الإنسان وتطلعاته نتيجة للعِلمانية – بالكسر – كما رأينا في التمهيد وأصبح همه أن يتصرف في العالم حسبما يريد ، ويتمتع بدنياه كما يحب ودون أية قيود . ولذلك فإن أقرب كلمة تصلح أن تكون مقابلاً لمصطلح العَلمانية – بالفتح – كما يقترح د . سيد محمد نقيب العطاس هي ما أشار إليه القرآن الكريم دائماً بعبارة " الحياة الدنيا " فلفظ دنيا المشتق من " دنا " يعني كون الشيء قد جُعل قريباً ، وعلى ذلك فالعلم الطبيعي قد جعل العالم قريباً من الإنسان ، وتحت سيطرته وخاضعاً لوعيه ، وخبرته العقلية والحسية ، وبما أن العالم قد أصبح كذلك فإنه من المؤكد سيصرفه عن مصيره الأبدي الذي يتجاوز هذه الحياة الدنيا إلى الآخرة . وبما أن الآخرة تأتي في النهاية فإنها تبدو للإنسان العجول بعيدة ، وهذا الشعور من شأنه أن يزيد في الإلهاء الذي يسببه ما هو قريب ومغري ، ولذلك نجد هذه الحياة الدنيا ، وهذا العالم هما محور المنظور العلماني ومَحَطُّ اهتمامه ( ) .

ثانياً – خلاصة القضية :

لم ننته بعد من الحديث عن الفرق بين العَلمانية – بالفتح – والعِلمانية – بالكسر – وقد ذكرت آنفاً – وفي التمهيد ، وأتفق في ذلك مع د . " عدنان الخطيب كما أشرنا ( ) و د . فتحي القاسمي كما سنشير ( ) أن العَلمانية – بالفتح – قديمة قدم التاريخ والحضارات ، ذلك أن العَلمانية " الدنيوية " " حلوة خضرة " وفيها إغراءٌ شديد للإنسان العجول المجبول على الرغبة في السعادة العاجلة ، والتغاضي عن السعادة

الأبدية التي تبدو له بعيدة ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد أن أمماً كثيرة ، وأقواماً كثيرين قد اختاروا الحياة الدنيا على الآخرة ، وهذا هو جوهر العلمانية ( ) .

ويؤكد ما نذهب إليه أن للعَلمانية – بالفتح – أصلاً لاتينياً سابقاً للعلم الأوربي الحديث "" إذ لا علاقة للأصل اللاتيني SECULUM بالعلم من قرب ولا من بعد ، وإنما صحتها بفتح العين نسبة إلى العَلْم بمعنى العالم الدنيوي "" ( ) . أما العِلمانية – بالكسر – فهي احتكام لمنطق العلم – دون سواه – في تأويل الأشياء المتصلة بمختلف أوجه النشاط البشري ( ) .

وقد ظهرت لفظة العِلمانية – بالكسر – في بدايات القرن العشرين تقريباً سنة 1911م تياراً ذهنياً يقوم على حل المشاكل الذهنية بواسطة العلوم ، فهي تنطلق من الإيمان بأن للعلم قدرة فائقة على إعطاء تفسير علمي للأشياء ، أو كما قال جون فيول : "" الاعتقاد في القدرة الفائقة للعلم الوضعي حتى في المجال الديني ""( ) ، وفي القاموس الإنجليزي الجديد : "" العِلمانية – بالكسر – تعني العادات وطريقة التعبير لدى رجل العلم "" ( ) ، ويرى فريدريك فون هايك صاحب كتاب " العلمانية وعلم الاجتماع أن هذا المفهوم "" تبلور معناه واكتمل مدلوله عندما تكونت الجمعية البريطانية للتطور العلمي "" ( ) .

ونختم هذه الفقرة بالقول :

إن العِلمانية – بالكسر – مشتقة من العِلم وتدعو إلى الاحتكام إلى العلم ، وهي ظاهرة حديثة وظفتها العَلمانية – بالفتح – توظيفاً خاطئاً وخطيراً على البشرية والإنسانية جمعاء .

وكما يبدو فنحن كمسلمين لسنا ضد العِلمانية – بالكسر – لأن ديننا وقرآننا يدعوانا إلى الاحتكام لمنطق العلم (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (( ) ويمجد العلماء (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الألباب (( ) ولكن الخلاف بيننا وبين العِلمانيين في تحديد مفهوم العلم ، فالعلم عند الغربيين الطبيعيين لا يتناول إلا المحسوسات والمشاهدات ، فهو العلم الطبيعي والرياضي فقط ( ) ولا صلة له بالميتافيزيقا أو بالأسئلة الكبرى المتعلقة بمصير الإنسان ، وإن العالِم بنظرهم ما إن يسأل نفسه هذه

الأسئلة ويحاول الإجابة عنها حتى يتحول عن سلوكه كعالم ويتخلى عن وظيفته العلمية ( ) ، أما عندنا فالعلم يشمل كل ما يتصل بالكون والإنسان والحياة .

فنحن إذن على المستوى العملي على طرف نقيض مع العِلمانية – بالكسر –لأن هذه الأخيرة تحصر العلم في المحسوس في الدنيوي وتقوم على عقلانية مادية وضعية اجتماعية وتطرح مفهوماً جديداً للعلم يحيد التفكير الميتافيزيقي عن ساحته ( ) . "" فالعِلماني – بالكسر– هو من يتخذ من المعرفة العملية كما هي ممثلة في العلوم الطبيعية بخاصة نموذجاً لكل أنواع المعرفة، إنه يتبنى وجهة النظر الوضعية، مما يعني عدم اعترافه بإمكان المعرفة الخلقية أو الدينية أو الميتافيزيقية ، لأن القضايا المزعومة لأي منها لا يمكن إخضاعها – حتى من حيث المبدأ – لمعايير العلم "" ( )،فالفهم العلمي العِلماني – إذن – يتنافى مع الإيمان بالوحي الإلهي ( ) وهكذا تعود العِلمانية فتنقلب إلى عَلمانية.

والخلاصة : أن لفظتي عَلمانية – بالفتح – وعِلمانية – بالكسر – تصلحان تعبيراً عن الظاهرة المادية التي تستولي اليوم على مجتمعاتنا الإسلامية ، وذلك لأن الكلمتين متكاملتان متفاعلتان من حيث المفهوم ، فالعَلمانية هي تكريس للدنيوية ، والعِلمانية أساس هذا التكريس لأن العلم بمفهومها هو العلم المادي والتجريبي والطبيعي – أي الدنيوي فقط – ولا تعترف بعلوم غيبية ميتافيزيقية أخرى . فالعَلمانية وإن لم ترتبط بالعلم من حيث الاشتقاق ولكنها لا تنفك عنه إذ هي ارتبطت تاريخياً بتعلم العلوم العقلية والطبيعية والتجريبية ( ) .

وأخيراً يمكن القول أيضاً : إن بعض الإسلاميين الذين يستخدمون العلمانية – بالفتح – لا يفعلون ذلك بسوء نية ، وبقصد فصل العَلمانية عن العلم وربطها بالدهرية كما يزعم بعض العلمانيين ( ) ، وإنما يفعلون ذلك لأن معاني الكلمة ومصادرها واشتقاقاتها في اللغات الأجنبية لا صلة لها بمفهوم العلم – كما رأينا – وصلتها – كما رأينا – في دوائر المعارف والمعاجم ودراسة تاريخ الكلمة أقوى ما تكون بالدنيوية والمادية ، كما أن السياق التاريخي والاجتماعي الذي نشأت فيه العلمانية وتبلورت يؤكد على ربط المصطلح بالعالم المحسوس والمادة فقط .

( ) انظر : يمكن مراجعة ما عرضناه من تعريفات للعلمانية في المصادر الغربية في المبحث الأول من الفصل الثاني .

( ) انظر :د . عبد الصبور شاهين " العلمانية – تاريخ الكلمة " ص 124 مقال ملحق ضمن كتاب أحمد فرج "جذور العلمانية ".

( ) انظر : السابق ص 126 ملحق ضمن كتاب جذور العلمانية " وانظر : د . القرضاوي – التطرف العلماني ص 13 .

( ) انظر : منير البعلبكي " قاموس المورد " ص 510 ، 517 ، 518 ، 527 – دار العلم للملايين – بيروت 1970 .

( ) انظر : مجمع اللغة العربية – المعجم الوسيط 2 / 624 الطبعة الثانية 1972 م دار الدعوة – استنبول – ودار المعارف القاهرة 1973م وقد كان هذا رأي المعجم في طبعته الأولى 1960 م والثانية 1973 م ولكن المعجم في طبعته الثالثة 1985م جاء فيه العلماني – بكسر العين – خلاف الديني أو الكهنوتي وهذا خطأ فادح يخالف الترجمة الصحيحة والتاريخ الصحيح للكلمة .== انظر : د . عدنان الخطيب ص 166 " قصة دخول العلمانية في المعجم العربي " ملحق بكتاب جذور العلمانية . وانظر معجم العلوم الاجتماعية ص 211 ، 245 إعداد نخبة من الأساتذة – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

( ) انظر : د . أحمد فرج ص 138 " علماني وعلمانية تأصيل معجمي " ملحق بكتابه جذور العلمانية " و د . عبد الصبور شاهين ص 119 " العلمانية . تاريخ الكلمة وصيغتها " ملحق بـ أحمد فرج " جذور العلمانية " .

( ) انظر : " الكتاب " لسبيبويه 3 / 280 الهيئة المصرية للكتاب 1977م و انظر : تفسير الطبري 3 / 327 والشوكاني " فتح القدير " 1 / 355 وابن الجوزي " زاد المسير " 1 / 413.

( ) انظر : د . عبد الصبور شاهين – السابق ص 127 وأحمد فرج السابق : ص 143 .

( ) انظر : د . عدنان الخطيب ص 146 – 166 ملحق بكتاب " جذور العلمانية " . لا بد من الإشارة هنا إلى أن الخطاب العلماني يهمه دائماً أن يربط العلمانية بالشعب والعامة في مقابل رجال الدين أو الكهنوت انظر : علي حرب " نقد الحقيقة " ص 57 والقصد من ذلك هو أن تبرز العلمانية على أنها تمثل سواد الأمة والشعب في مقابل طبقة احتكارية هي طبقة رجال الدين والكهنوت ، فتكون العلمانية لذلك ذات مدلول إيجابي يقابل القهر والاستبداد . انظر :د. رفعت السعيد " العلمانية بين العقل والإسلام والتأسلم " ص 7 .

( ) انظر : د . محمد سعيد رمضان البوطي " العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر " ص 247 كتاب جامعي – مقرر لطلاب السنة الثالثة في كلية الشريعة بجامعة دمشق .

( ) انظر : د . القرضاوي : " التطرف العلماني في مواجهة الإسلام " ص 13 – أندلسية للنشر والتوزيع – المنصورة – الطبعة الأولى 1421هـ ، 2000 م وانظر له أيضاً كتاباً أسبق بكثير " الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه " ص 48 – دار الصحوة – القاهرة – الطبعة الثانية 1414 هـ 1994 م والطبعة الأولى للكتاب 1407 هـ أي 1986 ، 1987 م .

( ) انظر : د . المطعني " العلمانية وموقفها من العقيدة والشريعة " ص 7 .

( ) الشيخ محمد مهدي شمس الدين " العلمانية " ص 125 . مع أن الشيخ شمس الدين يعيدها إلى العالم على غير قياس .

( ) انظر : عماد الدين خليل " تهافت العلمانية " ص 46 مؤسسة الرسلة – ط6 / 1407 هـ 1986 م . وهو يستخدم الكلمة مضبوطة بالكسر في أكثر صفحات كتابه .

( ) انظر : د . زكي نجيب محمود " تجديد الفكر العربي " ص 34 ، 35 .

( ) انظر : د . سفر الحوالي " العلمانية " ص 21 – دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة الأولى 1402 هـ 1982 م مكة المكرمة – وهي في أصلها – رسالة ماجستير من مقدمة في كلية أصول الدين – جامعة الأزهر – إشراف د . محمد قطب .

( ) انظر : د . عزيز العظمة " العلمانية تحت المجهر " ص 157 . وله أيضاً " العلمانية من منظور مختلف " ص 17 ، 18 . مركز دراسات الوحدة العربية – ط1 / 1992 .

( ) انظر : د . رفعت السعيد " العلمانية بين الإسلام والعقل والتأسلم " ص 7 – دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق – الطبعة الأولى 2001 م .

( ) انظر : د . محمد البهي " العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق " ص 7 ، 8 – طبعة القاهرة 1976 وله : " الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر – مشكلات الأسرة والتكافل " ص 11 طبعة بيروت 1967 د ، ط .

( ) انظر : د . سيد محمد نقيب العطاس " مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية " ص 24 – ترجمة محمد طاهر الميساوي – دار النفائس – الأردن – الطبعة الأولى 1420 هـ 2000 م .

( ) انظر : د . محمد عمارة " العلمانية بين الغرب والإسلام " ص 5 – دار الوفاء للنشر – الطبعة الأولى 1417 هـ 1996 م سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية رقم 23 وله أيضاً : " الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين " ص 9 – نهضة مصر – القاهرة يونيه 2000 د . ط سلسلة في التنوير الإسلامي رقم 49 .

( ) انظر : د . عبد الوهاب المسيري " العلمانية تحت المجهر " ص 58 – 60 .

( ) انظر : د . السيد رزق الحجر " مدخل لدراسة الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر " ص 316 – 317 .

( ) انظر : " جذور العلمانية " ص 129 ، 117 ، 146 للدكتور السيد أحمد فرج – دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة – سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية رقم 2 – الطبعة الخامسة 1413 هـ 1993 م وقد أضاف الدكتور أحمد فرج إلى الكتاب ثلاثة ملاحق أحدها له والثاني للدكتور " عبد الصبور شاهين والثالث للدكتور " عدنان الخطيب " .

( ) انظر : د . عمر عبد الله كامل " العواصم من قواصم العلمانية " ص 11 – مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة – الطبعة الأولى 1419 هـ 1998 م .

( ) انظر : " أسباب النزول بين الفكر الإسلامي والفكر العلماني " ص 15 ، 16 أولاد : عثمان للكمبيوتر وطباعة الأوفست – الطبعة الأولى 1417 هـ 1996 م .

( ) انظر : د . زكريا فايد " العلمانية – النشأة والأثر في الشرق والغرب " ص 11 – الزهراء للإعلام العربي – الطبعة الأولى 1408 ، 1988 م .

( ) انظر له : " علمانيون أم ملحدون " ص 6 – دار ثابت – الطبعة الأولى 1410 هـ 1990 م .

( ) انظر له : " حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب " ص 7 ، 8 صدر عن الأمانة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف – الناشر دار الصابوني – القاهرة د . ط . د . ت .

( ) انظر : د . حسن حنفي و د . عابد الجابري " حوار المشرق والغرب " ص 42 – مكتبة مدبولي – الطبعة الأولى 1990م .

( ) انظر : د . محمد عابد الجابري " وجهة نظر " ص 102 .

( ) انظر له : " ملاك الحقيقة المطلقة " ص 23 – مكتبة الأسرة 1999 م .

( ) انظر له : " الأسس الفلسفية للعلمانية " ص 37 – دار الساقي – الطبعة الثانية 1998 – بيروت .

( ) انظر له : " حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية " ص 90 ، 95 .

( ) انظر له : " لبنات " ص 53 – 68 – دار الجنوب للنشر – تونس 1994 والشرفي هنا لم يتعرض لاشتقاق المصطلح إلا أن أسباب حديثه عن سير العلمنة يفهم منه أنه يعتبرها من الدنيوية والعالمانية والتوجه إلى هذا العالم ونبذ المغيبات والماورائيات .

( ) انظر : د . فادي إسماعيل " الخطاب العربي المعاصر " ص 155 ، 156 . المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط2 / 1993 .

( ) انظر : د. سيد محمد نقيب العطاس " مد اخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية " ص 34 ، 44 .

( ) انظر : " السابق " ص 55 .

( ) انظر : " السابق " ص 67 ، 68 .

( ) انظر : د . عدنان الخطيب " قصة دخول العلمانية في المعجم العربي " ص 146 ، 166 .

( ) انظر : د . فتحي القاسمي " العلمانية وانتشارها شرقاً وغرباً " ص 56 ، 57 .

( ) قال عز وجل " (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (سورة الجاثية آية (24) . (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (سورة البقرة : آية 200

( ) انظر : عبد الله العلايلي " حول كلمة علمنة " مجلة آفاق البيروتية عدد خاص بالعلمنة حزيران 1978 ص 1 ، 2 .

ولكن أنبه هنا إلى أن العلمانية لا تنسب إلى العَلم – بفتح العين – وإنما إلى العالم ، إذ لا صلة للعَلم بالعَلمانية لأن العَلم هو مثل العُلاّمة ما يستدل به ، يعني أنه علامة ، أو دلالة ، وسبب الخطأ كما يبدو قراءة غير صحيحة للقاموس المحيط فقد جاء فيه ، ومَعْلم الشيء كمقعد مظنته ، وما يستدل به ، كالعُلاّمة كرمانة ، والعَلْم . والعالم : الخلق كله . فكلمة العَلْم في السياق مجرورة معطوفة على كلمة العُلاّمة ، أي أن العَلم هو ما يُستدل به ، ولكن بعضهم قرأ كلمة العَلْم مبتدأ ، وعطف عليها كلمة العالم فكأنه قال : والعَلْم والعالَم : الخلق كله ، وهذا وهم وخطأ في الفهم . أنظر : د . القرضاوي " التطرف العلماني في مواجهة الإسلام " ص 13 .

( ) انظر : د . فتحي القاسمي ص 55 ، 65 .

( ) د . فتحي القاسمي ص 54 .

( ) السابق ص 54 .

( ) السابق ص 55 .

( ) سورة الإسراء آية 36 .

( ) سورة الزمر : آية 9

( ) انظر : د. ولتر ستيس " الدين والعقل الحديث " ص 251 . ترجمة وتعليق د. إمام عبد الفتاح إمام – مدبولي – القاهرة – ط1 / 1998 . وانظر : د. زكي نجيب محمود " خرافة الميتافيزيقا " ص 3 . مكتبة النهضة المصرية 1953 .

( ) انظر : كرين برينتون " تشكيل العقل الحديث " ص 71 ، 72 .

( ) انظر : د . برهان غليون " اغتيال العقل " ص 165 . ط3 / 1990 – مدبولي القاهرة .

( ) انظر : عادل ضاهر " الأسس الفلسفية للعلمانية " ص 38 . دار الساقي بيروت – ط2 / 1998 .

( ) انظر : علي حرب " نقد النص " ص 210 .

( ) انظر : علي حرب " نقد الحقيقة " ص 58 .

( ) انظر : د . عزيز عظمة مناظرة مع د . عبد الوهاب المسيري " العلمانية تحت المجهر " ص 157 ورفعت السعيد " العلمانية بين الإسلام والعقل والتأسلم " ص 7 .

==============

#العلمانية في المصادر الغربية

المقالة الأولى

د. أحمد إدريس الطعان– كلية ال شريعة – جامعة دمشق

بريد إلكتروني : ahmad_altan@maktoob.com

تعريف العلمانية في المصادر الغربية

أولاً : التعريف في المعاجم الأوربية :

أول ما نطالعه في معجم اللغة البريطانية عن مادة " علمانية " ما يلي :

1 . علمانية secularism ما يهتم بالدنيوي أو العالمي كمعارض للأمور الروحية ، وبالتحديد هي الاعتقاد بالدنيويات .

2 . العلماني secularist وهو ذلك الشخص الذي يؤسس سعادة الجنس البشري في هذا العالم دون اعتبار للنظم الدينية أو أشكال العبادة .

3 . علمانية secularity أو secularism أي محبة هذا العالم ، أو ممارسة أو مصلحة تختص على الإطلاق بالحياة الحاضرة .

4 . يعلمن seculariye يجعله علمانياً ، يحّوله من مقدس إلى دنيوي ، أو من راهب إلى دنيوي .

5 . علماني secular ما يختص بهذا العالم أو بالحياة الحاضرة ، زمني أو عالمي أو ما يناقض كل ما هو ديني أو روحاني ، أو ما لا يخضع لسلطة الكنيسة ، مدني أو غير روحاني ، أو ما لا يهتم بالدين ، أو ما ليس بمقدس ( ) .

وفي معجم أكسفورد بيان معنى كلمة secular كما يلي :

1 . دنيوي أو مادي ، ليس دينياً ولا روحياً ، مثل التربية اللادينية ، والفن والتربية الموسيقى اللادينية والسلطة اللادينية ، والحكومة المناهضة للكنيسة .

2 . الرأي الذي يقول : إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية ( ) .

ويطرح معجم ويبستر :

علماني : دنيوي ، ومن معانيه الشيء الذي يحدث مرة واحدة في عصره أو جيل ، أو شيء وثيق الارتباط بالحياة المعاصرة ، وأشهر معانيه الآن : الأشياء الدنيوية المتمايزة عن الأشياء الروحية غير العقدية ، وغير التي لها صفة الخلود ( ) .

أما المعجم الدولي الثالث الجديد فيعرف بمادة secularism كما يلي : "" اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة ، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً . فهي تعني مثلاً : السياسة اللادينية البحتة في الحكومة. وهي نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة، والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين "" ( ).

وفي قاموس المورد لمنير البعلبكي : العلمانية تعني حرفياً " الدنيوية " أو " المذهب الدنيوي " ( ) .

وخلاصة التأصيل المعجمي الأوربي يورده أحمد فرج عندما يشير إلى أن المعاجم الأوربية حتى نهاية القرن التاسع عشر تدور فيها كلمة secularism حول المعاني التالية :

– الذي يأتي في كل قرن مرة واحدة .

– المنتسبون إلى العالم الأرضي " دنيويون " وهم ضد طائفة الكهنة من الإكليروس ورجال الكهنوت . " يحتفل بمرور المائة عام " القرن الزمني " ." أجناس شتى من البشر " ( )

وفيما يخص اللغة الفرنسية يذكر د . عدنان الخطيب أن كلمة seculaire تعني : " دنيوي . زمني ، عامي ، قرني ، دهري ، ترابي ، عالمي أو عالماني " ( ) .

ونكتفي بهذا العرض المعجمي لننتقل إلى توضيح أكثر في دوائر المعارف الغربية .

ثانياً : العلمانية في دوائر المعارف الغربية :

في دوائر المعارف تزداد الفكرة جلاء وبياناً وتأكيداً ففي دائرة المعارف البريطانية نجد بخصوص كلمة secularism أنها "" حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها ، ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا ، والتأمل في الله [عز وجل] واليوم الآخر ، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية ، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية ، وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة ، وظل الاتجاه إلى secularism يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله ، باعتبارها حركة مضادة للدين ، ومضادة للمسيحية "" ( ) .

وفي دائرة المعارف الأمريكية :

"" العلمانية نظام أخلاقي مستقل مؤسس على مبادئ من الخلق الطبيعي ، مستقل عن المظهر الديني أو الفوق طبيعي ، إنها عرضت لأول مرة في شكل نظام فلسفي بواسطة جورج جاكوب هوليوك حوالي سنة 1846م في إنكلترة ، إنها سلمت لأول مرة بحرية الفكر ، وبأن من الحق لكل إنسان أن يعتقد بنفسه ما يريد ، وطبقاً لهذا التسليم ، وكتتمة ضرورية له يكون من الحق أن يكون هناك اختلاف في الرأي حول كل الموضوعات العقائدية ، هذا الحق في اختلاف الرأي لا يتفق بدون حق تبرير ومناقشة ذلك الاختلاف ، أخيراً : العلمانية تؤكد الحق في مناقشة ومجادلة كل الأسئلة الحيوية مثل المعتقدات المعتبرة أسس الالتزام الأخلاقي مثل : وجود الله [عز وجل] وخلود الروح ، وسلطة الضمير . العلمانية : لا تعني أنه لا يوجد خير آخر ، لكن الخير في الحياة الحاضرة ، إنها تعني أن الخير في الحياة الحاضرة هو الخير الحقيقي ، ويُبحث عنه لأنه الخير ، إنها تهدف إلى إيجاد وضع مادي يكون فيه من المستحيل أن يوجد معدم أو فقير ، إنها تؤكد القوى المادية في هذه الحياة ، التي لا

يمكن إهمالها دون الوقوع في حماقة أو مضرة ، ومن الحكمة والرحمة والواجب الاعتناء بها ، إنها لا تمانع المعتقدات المسيحية ، إنها تقول : إنه لا يوجد هاد أو منقذ في هذه الطبيعة بالأحرى إنها تعني : أن الرشد أو المنقذ يوجد في الحقيقة العلمانية التي تملك من المصادفات والتجارب ما يجعلها مستقلة ، فالسلوك الإنساني مستقل إلى الأبد "" ( ) .

ونختم برؤية دائرة معارف الدين والأخلاق التي تقول :

"" العلمانية توصف بأنها حركة ذات قصد أخلاقي منكر للدين ، مع المقدمات السياسية والفلسفية ، فهي مؤسسة بقصد إعطاء نظرية معينة للسلوك والحياة ، وهي تتبع في ذلك المذهب الوضعي الأخلاقي ، منذ أن تكفلت أن تعمل هذه دون الرجوع إلى الألوهية أو الحياة الآخرة ، ولهذا فقد كان مطلبها هو تتميم " إكمال " وظيفة الدين " العقيدة " خالية من الاتحاد الديني ، ولذلك فإنه يجدر بها أن تكون ديناً إنكارياً سلبياً "" ( ) .

ثالثاً – تعقيب :

نسجل في هذا التعقيب الملاحظات التالية :

الأولى : أن هناك اتفاقاً بين المعاجم ودوائر المعارف المشار إليها على أن العلمانية هي توجه دنيوي محض ، وتسعى لصرف الناس عن الاهتمام بالآخرة أو أي غيبيات ، وتدعوهم إلى الاهتمام بالعالم الحاضر ، والحياة المشاهدة ، وتكرس محبة هذا العالم لأن الخير الوحيد ، الحقيقي الذي يجب أن يُعترَف به هو في هذا العالم .

أرجو أن نحتفظ بهذه الملاحظة معنا لأننا سنحتاجها قريباً .

الثانية : هناك اتفاق صراحة أو ضمناً على أن العلمانية مناهضة للأديان ، ومتقاطعة معها فهي تُحوّل المقدس إلى مدنس ، وتقلل من قيمة الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر .

لقد صرحت دائرة معارف الدين والأخلاق ، ودائرة المعارف البريطانية بأن العداء قائم بين العلمانية والأديان ، أما دائرة المعارف الأمريكية فلجأت إلى المراوغة مما أوقعها في التناقض فهي تقول : بأن العلمانية لا تمانع العقائد المسيحية ، ولا تنكر وجود خير آخر ، ثم تقول في نفس الوقت ، ولكن الخير الحقيقي في هذه الحياة

الحاضرة ، وهو الجدير بالاهتمام والبحث وإذا كانت المسيحية تعتبر المسيح هو المنقذ والمخلص ، فإن الخلاص والغاية في نظر العلمانية هو في العلمانية القائمة على التجارب والمحسوس .

الثالثة : مهما حاولت العلمانية والعلمانيون المصالحة مع الأديان ، فإن هذا يبدو بعيداً ، لأن العلمانية القائمة في أساسها على رفض المبادئ الدينية ، وعدم الاعتراف بها كأسس للالتزام الأخلاقي ، بل ورفض كل الماورائيات التي تقوم عليها الأديان ، وتدعو إلى إقامة الأخلاق والحياة الاجتماعية والسياسية على أسس وضعية نسبية وطبعية ، وهذا بحد ذاته بمثابة إعلان الحرب على الأديان ؛ لأن هذه تطرح نفسها على أنها الحقيقة المطلقة .

الرابعة : نلاحظ أن العلمانية التي تقوم على محاربة احتكار الحقيقة ، وتندد بـ " ملاك الحقيقة المطلقة " تقع هي نفسها في هذا الاحتكار والتملك فهي كما تشير دائرة معارف الدين والأخلاق تطرح نفسها على أنها : دين سلبي إنكاري ، وهي كما أشارت دائرة المعارف الأمريكية ترى الخلاص الوحيد والحقيقة المطلقة في العلمانية .

الخامسة : إن ما قرأناه من تعريفات وتفسيرات في المعاجم ودوائر المعارف يمكن اعتباره خلاصات مضغوطة للتمهيد الذي عرضناه لبيان الجذور التاريخية والفكرية للعلمانية ، ونتائج استقرت عليها الرؤية في الغرب بشأن العلمانية .

رابعاً – تاريخ المصطلح وارتباطه بالمادية والإلحاد :

العلمانية . كما أشرنا . هي ترجمة لكلمة سكيولاريزم secularism الإنجليزية ، وقد استخدم مصطلح " سكيولار " لأول مرة مع نهاية حرب الثلاثين عاماً سنة 1648 م عند توقيع صلح " وستفاليا " وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة ، وهو التاريخ الذي يعتمده كثير من المؤرخين بداية لمولد ظاهرة العلمانية في الغرب .

وكان معنى المصطلح في البداية محدود الدلالة ، ولا يتسم بأي نوع من أنواع الشمول أو الإبهام إذ تمت الإشارة إلى علمنة ممتلكات الكنيسة وحسب ، بمعنى نقلها إلى سلطات غير دينية ،

أي إلى سلطة الدولة أو الدول التي لا تخضع لسلطة الكنيسة ( ) .

وفي فرنسا في القرن الثامن عشر أصبحت الكلمة تعني من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية : "" المصادرة غير الشرعية لممتلكات الكنيسة "" أما من وجهة نظر المستنيرين فإن الكلمة تعني : "" المصادرة الشرعية لممتلكات الكنيسة لصالح الدولة "" .

ولكن المجال الدلالي للكلمة اتسع وبدأت الكلمة تتجه نحو مزيد من التركيب والإبهام على يد هوليوك 1817 – 1906م الذي يعتبر أول من صاغ المصطلح بمعناه المعاصر ، وجعله يتضمن أبعاداً سياسية واجتماعية وفلسفية ، وأراد هوليوك أن يُجنب المصطلح مصادمة الأديان فعرّف العلمانية بما يشير إلى الرغبة في الحياد فقال:""العلمانية : هي الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية، دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض" ( ).

ولكن مع ذلك إذا شئنا أن نربط العلمانية بفلسفة منظرها هوليوك فيمكن القول إن العلمانية قائمة على الشك أحياناً ، والإلحاد الصريح أحياناً أخرى ؛ لأن هوليوك كان ينفي عن نفسه تهمة الإلحاد ، ولكنه في نفس الوقت يعترف بعدم وجود أدلة كافية للإيمان بالله [عز وجل] ( )، ويجهر أحياناً بأن الإله إنما هو " الحاضر المعيش " ( ) .

ويرجع أول استخدام لكلمة علمانية عند هوليوك إلى شهر ديسمبر سنة 1846 م عندما أوردها في مقال نشره في مجلة " ذي ريزونور " أي "المجادل العقلاني " ، والسبب أنه شعر مع بعض زملائه وأسلافه مثل " توماس بين " و "ريتشارد كارليل " و "روبرت تيلور " أن المسيحية لم تعد مقبولة لدى أكثر فئات المجتمع ، وقد مست الحاجة إلى استبدالها بمبدأ حديث فكان هو " العلمانية " وقد سماها أتباع روبرت أدين بـ " الدين العقلاني " ( ) . وهنا نتذكر ما تحدثنا عنه في التمهيد مما سمي " دين العقل " أو " الدين الطبيعي " .

أسس هوليوك في عام 1855 م " جمعية لندن العلمانية " وفي ديسمبر من نفس العام تحولت الحركة العلمانية إلى تيار واسع النطاق ، وتزايد انتشارها بين عامي 1853 – 1854 م ، مما دفع القس بردين جرانت إلى التصدي لها في كل أنحاء إنكلترة مفنداً ومجادلاً .

ولكن ازداد توزيع مجلة " الريزونور " العلمانية إلى خمسة آلاف نسخة ، وانتشرت الجمعيات العلمانية في جميع أنحاء بريطانيا ومن أبرزها " جمعية لستر العلمانية " و" جمعية بولتون العلمانية " وجمعيات أخرى في سائر أنحاء البلاد ( ) .

وكان لجهود تشارلس برادلاف 1833 – 1894 م دوراً كبيراً في ترسيخ المبادئ العلمانية الجديدة ، وإضفاء طابع الإلحاد عليها ، وذلك عندما استلم رئاسة جمعية لندن العلمانية سنة 1858 م بدلاً من هوليوك ، واشترك سنة 1860 م في تحرير مجلة " المصلح القومي " التي حلت محل سابقتها " الريزونور " وأسس الجمعية العلمانية القومية سنة 1866 م ( ) .

اندثرت مجلة " المصلح القومي " سنة 1881 م لتحل محلها مجلة " المفكر الحر " التي زادت من جرعتها الإلحادية ، فكانت لا تكف عن الاستهزاء بالأناجيل ، والسخرية من الذات الإلهية ، إلى درجة أنها طالبت بمحاكمة أصحاب الأناجيل الأربعة لأنهم يجدفون على الله [عز وجل] فهم يقولون بأن الله [عز وجل] ، ضاجع عذراء يهودية وأنجب منها طفلاً غير شرعي أسماه المسيح ( ) .

خامساً – خلاصة الرؤية الغربية العلمانية :

في الواقع إننا لا نعرض هنا خلاصة لأن الخلاصة كانت هي ما عبرت عنه دوائر المعارف والمعاجم .كما رأينا .ولكن يمكن اعتبار ما نذكره هنا على أنه تأكيد للخلاصة ، أو أنه خلاصة الخلاصة ، وهو ما سنحتاجه عندما نختار تعريفاً للعلمانية .

لقد رأى بعض القسيسين أن العلمنة في الأصل تحوُّل المعتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية عن البشر والعالم ولا سيما من منظور بروتستانتي ( ) . ولكن عالم اللاهوت الهولندي "كورنليس فان بيرسن " يوضح ذلك بشكل أكثر صراحة عندما يقرر بأن العلمانية تعني : "" تحرر الإنسان من السيطرة الدينية أولاً ، ثم الميتافيزيقية ثانياً على عقله ولغته " ويفصل أكثر بقوله : " إنها تعني تحرر العالم من الفهم الديني ، وشبه الديني ، إنها نبذ لجميع الرؤى الكونية المغلقة ، وتحطيم لكل الأساطير الخارقة، وللرموز المقدسة ... إنها تخليص للتاريخ من الحتميات والقدريات، وهي اكتشاف الإنسان أنه قد تُرك والعالَم بين يديه، وأنه لا يمكن بعد

الآن أن يلوم القدر أو الأرواح الشريرة على ما تفعله بهذا العالم، إنها تعني أن يدير الإنسان ظهره لعالم ما وراء الطبيعة، وأن يولي وجهه شطر هذا العالم أو" الهنا "وأن يحصر نفسه في الزمن الحاضر"" ( ) .

إنها تعني : "" زوال وظيفة الدين في تحديد رموز التوحيد والاندماج الثقافي " ، وتعني أن هناك : " مساراً تاريخياً لا راد له تقريباً هو الذي يتحرر بمقتضاه المجتمع والثقافة من الخضوع لوصاية الدين والأنساق الميتافيزيقية المغلقة "" ، وتعني : "" القضاء على التبعية الطفولية في كل مستوى من مستويات المجتمع ، إنها عملية نضج ورشد وتحمل للمسؤولية ، أو قل إنها التخلي عن كل سند ديني أو غيبي أو ميتافيزيقي ، وجعل الإنسان يعتمد على نفسه "" ( ) .

أخيراً يمكن أن نختم بما يلي : العلمانية في المنظور الغربي هي: التحرر من الأديان عبر" السيرورة " التاريخية، واعتبار الأديان مرحلة بدائية لأنها تشتمل على عناصر خرافية كالماورائيات والغيبيات، ولا يتم الخلاص من هذه الأعباء إلا عن طريق تحقيق النضج العقلي الذي تحققه العلمنة عبر آلياتها الثقافية والفكرية والفلسفية. وهذا ما يعبر عنه د.ج.ويل بقوله:"" الفكرة العلمانية تنطوي على مفهوم فلسفي يتعلق باستقلال العقل في قدرته "" ( ).وذلك يعني بنظر كلود جفراي "" إلغاء كل مرجع ديني""( ). وهو نفس ما يريده جول فيري 1832 – 1893م ولكن بتعبير أكثر حدة حيث الغرض النهائي من العلمانية عنده هو:"" تنظيم المجتمع بدون الله ""[عز وجل]( ). إنها الدنيوية إذن .

الهوامش

( ) انظر : معجم اللغة البريطانية العالمية 3 / 1138 وانظر : " العلمانية وموقف الإسلام منها " رسالة ماجستير عزت عبد المجيد أبو بركة ص 2 – 3. و د . صلاح يعقوب يوسف عبد الله " العلمانيون والقرآن " ص 39 رسالة دكتوراة في جامعة الأزهر – كلية أصول الدين.

( ) معجم أكسفورد ص 849 – 850 وانظر : " العلمانية " د . سفر الحوالي ص 22 دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع – مكة المكرمة – الطبعة الأولى 142 هـ 1982 م .

( ) معجم ويبستر ص 2053 وانظر : د . أحمد فرج " جذور العلمانية " ص 109 – 112. وانظر : د . سفر الحوالي " العلمانية " ص 23 ود. صلاح يعقوب يوسف عبد الله " العلمانيون والقرآن " ص 40 .

( ) نقلاً عن سفر الحوالي " العلمانية " ص 23 .

( ) المورد – منير البعلبكي قرص سي دي كمبيوتر .

( ) انظر : د . أحمد فرج " جذور العلمانية " ص 134 – دار الوفاء للطباعة والنشر – المنصورة – الطبعة الخامسة 1413 هـ 1993 م سلسلة نحو عقلية إسلامية واعية رقم 2 .

( ) انظر : عدنان الخطيب : " قصة دخول العلمانية في المعجم العربي " ملحق رقم 2 ضمن كتاب " جذور العلمانية " للدكتور أحمد فرج ص 146 .

( ) دائرة المعارف البريطانية 10 / 594 وانظر : لأستاذنا الدكتور السيد رزق الحجر " مدخل لدراسة الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر " ص 317 . وله : " اضمحلال المشروع العلماني للنهضة " ص 157 بحث ضمن كتاب المؤتمر الدولي السادس للفلسفة الإسلامية في كلية دار العلوم جامعة القاهرة 1422 هـ 2001 م و د . سفر الحوالي " العلمانية " ص 22 .

( ) دائرة المعارف الأمريكية 24 / 510 – 511 .

( ) دائرة معارف الدين والأخلاق 9 / 347 . وانظر : عزت عبد المجيد أبو بركة " العلمانية وموقف الإسلام منها " ص 13 ، 14

( ) انظر : د . عبد الوهاب المسيري " العلمانية تحت المجهر " ص 11 وانظر أيضاً د . عبد المجيد الشرفي " العلمنة في المجتمعات العربية والإسلامية الحديثة ضمن كتاب " لبنات " ص 53 – دار الجنوب للنشر – تونس 1994 د ، ط .

( ) انظر : د . المسيري " العلمانية تحت المجهر " ص 11 ، 12 وانظر : رمسيس عوض " الإلحاد في الغرب ص 248 .

( ) انظر : د. رمسيس عوض – الإلحاد في الغرب ص 246 .

( ) انظر : د . فتحي القاسمي " العلمانية وانتشارها شرقاً وغرباً " ص 47 – الدار التونسية للنشر – تونس 1993 سلسلة موافقات – العدد 16 .

( ) انظر : د. رمسيس عوض " الإلحاد في الغرب " 251 .

( ) انظر : السابق ص 252 ، 253 .

( ) انظر : السابق ص 255 ، 257 .

( ) انظر : السابق ص 259 ، 262 .

( ) انظر : للقس الألماني " جوتفرايد كونزلن " مأزق المسيحية والعلمانية في أوربا " تقديم وتعليق د . محمد عمارة ص 22 دار نهضة مصر – القاهرة – 1999م . د . ط سلسلة في التنوير الإسلامي رقم 44 .

( ) د . سيد محمد نقيب العطاس " مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية " ص 42 ، ترجمة : محمد طاهر الميساوي ط 1 / 1420 هـ 2000 م 43 .

( ) د . العطاس " السابق " ص 44 .

( ) د. فتحي القاسمي " العلمانية وانتشارها شرقاً وغرباً " ص 47 .

( ) السابق ص 46.

( ) السابق ص 47 .

=============

#خطأ في تعريف العلمانية

بقلم : إبراهيم بوصندل

لا أدري ما هو السر في كثرة الكتابات التي تمجد العلمانية والليبرالية مؤخراً. فقد لاحظنا أن (بعض) أنصار العلمانية والليبرالية وكأنهم اكتفوا من المشاركة في العملية الإصلاحية بمهاجمة المتدينين، واستعراض العضلات، واستخدام أقسى الألفاظ في إثارة الرأي العام ضدهم، والتشكيك في إسلامهم (متأسلمين) ومرجعياتهم (موروثات الماضي) وذممهم (الطعن في توجيه التبرعات) واتجاهاتهم ونواياهم، بل لم يترك العلمانيون جزئية صغيرة أم كبيرة للإسلاميين إلا وأظهروها على أنها من مثالبهم،

وأما بالنسبة للناخبين فهم أيضا لم يسلموا من غبار العلمنة فاتهموا بقلة الوعي السياسي.

ونلاحظ أيضا أن العلمانيين باتوا أكثر جرأة وأوضح لهجة من ذي قبل، فهم يصرحون اليوم بما كانوا به يُسرون، ويطالبون بما كانو به يحلمون. وقد بلغت الجرأة بهم أنهم يطعنون في نظام الحكم الإسلامي الذي أثبت صلاحيته في كل مكان وزمان طبق فيه تطبيقاً إيجابياً، بكل صراحة وعلانية وهو أمر خطير، ومع ذلك فسوف أرجأ الحديث عنه، وأتناول بالنقد جزئية صغيرة مما نشر مؤخرا عن العلمانية. وسأبدأ بالتعريف، وسوف لن أستشهد لذلك بما ورد في تعريفات علماء الإسلام والذي أخطأ بعضهم في التعريف كما سيأتي، ولكن بتعريفات أهل العلمانية الذين ابتدعوها وصدروها لبقية العالم.

إن لفظة العلمانية ذاتها إنما هي ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية، أو (Secularite) بالفرنسية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ "العلم" ومشتقاته على الإطلاق. فالعلم في الإنجليزية والفرنسية معناه (Science) والمذهب العلمي (Scientism) والنسبة إلى العلم هي (Scientific) أو (Scientifique) في الفرنسية. والترجمة الصحيحة لمفهوم العلمانية هي (اللادينية) أو (الدنيوية). تقول دائرة المعارف البريطانية مادة (Secularism): (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيهم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها). وكما يقول المختصون فقد ظل الاتجاه إلى الـ (Secularism) اللادينية يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية.

وقد جاء في قاموس "العالم الجديد" لو بستر، شرحاً للمادة نفسها:- بأنها الروح الدنيوية، أو الاتجاهات الدنيوية، ونحو ذلك. وعلى الخصوص: نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أي شكل من أشكال العبادة. ومن معانيها في ذات القاموس: الاعتقاد بأن الدين والشؤون الكنسية لا دخل لها في شئون الدولة وخاصة التربية العامة".

أما معجم أكسفورد فيشرح الكلمة بمعاني عدة منها:

"1- دنيوي، أو مادي، ليس دينيا ولا روحيا: مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.
2- الرأي الذي يقول أنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية"
وفي "المعجم الدولي الثالث الجديد" جاء شرح مادة: (Secularism) على أنها: "اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب ألا تتدخل في الحكومة، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادا مقصوداً، فهي تعنى مثلاً "السياسة اللادينية البحتة في الحكومة "
إذا العلمانية أو بمعنى أصح على مقاييس علماء الغرب اللادينية هي: "نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين "
ويقول المستشرق " أر برى " في كتابة " الدين في الشرق الأوسط " عن الكلمة نفسها : " إن المادية العلمية والإنسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها أشكال اللادينية، واللادينية صفة مميزة لأوربا وأمريكا ... "
ويقول الشيخ سفر الحوالي: "والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو "فصل الدين عن الدولة"، ويرى الشيخ سفر بأن هذا التعبير قاصر ولا يعطى المدلول الكامل للعلمانية. والمدلول الصحيح لها هو "إقامة الحياة على غير الدين" سواء بالنسبة للأمة أو للفرد، ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود فبعضها تسمح به، كالجماعات الديمقراطية الليبرالية، وبعضا يرفض الدين تماما كجماعات (العلمانية المتطرفة-Anti Religious)، المضادة للدين، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها.
هذه هي حقيقة العلمانية، وهذا هو وجهها الحقيقي الذي لا يزينه الماكياج ولا يخفي عيوبه التلاعب بالألفاظ، العلمانية تعني اللادينية ليس إلا.

============

#الفقه العلماني للإسلام

بقلم : عبد الرحمن الجميعان

الإشكالية للمنظومة العلمانية تستند إلى نمطية التفكير العلماني في عالمنا الإسلامي على المرجعية الأوروبية في كثير من القضايا والرؤى، بل إن هذه المرجعية تؤطر الفكر النظري للمنظومة العلمانية، ولا غرو فالعلمانية في أصل اشتقاقها غربية المنشأ واللسان، وهي نبت خارج أرضه.

ولهذا فالعلمانية مع محاولة استزراعها في بلاد المسلمين جرت خلفها الكثير من الإشكاليات النظرية والصعوبات العملية التي اصطدمت في ارض الواقع الإسلامي نظراً لتباين الإطار النظري في أوطاننا الإسلامية مع الإطار النظري للعلمانية المستوردة.

بل إن علمانية العرب زادت على ذلك لأنها تريد ليّ أعناق النصوص كي تتسق مع فهمها للإسلام وواقعها السياسي والاجتماعي، وتلك إشكالية رئيسة في الفكر العلماني الوافد، وتبدو واضحة تلك المحاولة التي تريد استنساخ المفهوم الغربي وتجاربه تجاه الأديان، ومحاولة إسقاط هذا المفهوم على الدين الإسلامي.

إن مفهوم الدين عندنا يغاير المفهوم الغربي للدين لتباين الدينين واختلاف الملتين، فذاك دين محرف لم يجعله الله – تبارك وتعالى– للناس كافة وإنما هو محصور في زمن معين محدد ولأناس محددين كما قال المسيح –عليه السلام–: إنما بعثت لخراف بني إسرائيل الضالة.

فلهذا من الخطورة بمكان أن تتوحد النظرة تجاه كل الأديان، وهنا يكمن الخطر حيث يعامل الإسلام كما يعامل أي دين آخر، ولذلك جرت هذه النظرة الضيقة والظالمة فكراً خطيراً جداً على العالم الإسلامي وهي فكرة لم تعرفها الأجيال المسلمة قبل عهد الاستعمار بشتى أنواعه، تلك هي الفصل بين الدين والدنيا، مفهوماً وعملاً فالدين عندهم مجموعة من الطقوس غير المفهومة إلا لأناس محددين، فكانت النهضة الأوروبية نتيجة طبيعية للتحرر من الدين والتفلت من التزاماته القاسية، أما عندنا فلا توجد هذه الإشكالية التي يريد هؤلاء إلباسها الإسلام الحنيف، والذي جعله الله تعالى للناس كافة ويسر فهمه لمن أراد الفهم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر).

ومن الإشكاليات الخطيرة التي يتعمد العلمانيون إثارتها: الدمج بين العروبة والإسلام، فالعربي عندهم يعني المسلم وتاريخ العروبة والعرب هو تاريخ الإسلام والمسلمين،

ولهذا فهم يعدون الإسلام امتداداً طبيعياً لتاريخ العرب الجاهلي ويعتبرون محمد (صلى الله عليه وسلم) مجرد مصلح عربي كان له تصور راق لإصلاح الأمة، فيفصلون بين النبوة والنبي، وهذا تهوين لشأن النبوة في حياة الناس، إنها إشكاليات واضحة تعيشها العلمانية المستوردة على صعيد الواقع والمنهج والرؤية وكنموذج صارخ لهذه العلمانية سنعرض لإحدى المقالات التي تطرح هذا الفكر الغربي المبطن.

=============

#العلمانية وثقافة السلام

د. أحمد إدريس الطعان
كلية الشريعة – جامعة دمشق

في الوقت الذي كان فيه الإنكليز يحتلون البلاد العربية والإسلامية ، ويرتكبون الفظائع من قتل وتدمير وإبادة وتجويع وتجهيل في العراق ، والهند ، ومصر ، كان سلامة موسى يتغزل بالإنجليز فهم ""النظاف الأذكياء "" ( ). وهم "" أرقى أمة موجودة في العالم ، والخلق الإنجليز يمتاز عن سائر الأخلاق، والإنسان الإنجليزي هو أرقى إنسان من حيث الجسم والعقل والخلق"" ( )، ثم دعا إلى التعاون معهم وهم يحتلون البلاد ، ويقتلون العباد فقال : "" فنحن إذا أخلصنا النية مع الإنجليز فقد نتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم ، وهم في الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا ، فإننا نقضي على مراكز الرجعية في مصر ، وننتهي منها ، فلنول وجوهنا شطر أوربا "" ( ) .

هذا هو ثمن السلام بنظر سلامة موسى أن نتعاون مع الإنجليز ، ونضمن لهم مصالحَهم ، ومصالحُهم أن يظلوا جاثمين على صدر مصر ، ينهبون خيراتها ويستذلون أهلها ، ويدوسون كرامتها ، ولكن هذا لا يشكل خطراً على سلامة موسى لأنه سيظل هو والنخبة الربيبة ينعمون بالرفاهية ، ويتمتعون بالخيرات ما دام أسيادهم راضين عنهم ، آمنين لجانبهم .

والربح الذي يحققه سلامة موسى من التعاون مع الإنجليز هو القضاء على الرجعية ، والرجعية المقصودة عنده والتي يحلم بالقضاء عليها هي الأزهر الذي يبث فينا

ثقافة القرون المظلمة ، وشيوخ الأزهر المأفونين ، الذين لا يكفون عن التوضؤ على قوارع الطرق ( ) . أليس هذا هو الفاشيست الذي يتحدثون عنه ؟! .

واليوم يدعونا طارق حجي إلى الإيمان بحتمية الوصول إلى السلام مع إسرائيل ، وعلينا أن نكافح لترسيخ ثقافة السلام بدلاً من ثقافة العدوان ( ) وأن نسير على خطا السادات لكي تتجنب المنطقة السقوط في العنف والماضوية والتخلف والفقر ، وعلينا أن نقبل قيام دولة ديمقراطية لا دينية على كامل تراب فلسطين يتساوى فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون ( ). ويعني هذا أن يتنازل الفلسطينيون عن مقدساتهم ، وعن حق العودة للمشردين من أبنائهم ويرضخوا لما يفرضه منطق القوة الإسرائيلي والأمريكي . إنها دعوة للاستسلام تحت عنوان:" الإيمان بحتمية السلام " .

أما مراد وهبة فالعلمانية بنظره هي الحل لمشكلة الشرق الأوسط في فلسطين ( ) ذلك أنه يعرف العلمانية بأنها "" النظر إلى النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق ""( )، ويعني بذلك سيادة النسبية على كافة المستويات ، وإقصاء المطلقات من الوجود، لأنه لا وجود لحقيقة مطلقة ، والقول بها مجرد خرافة ، وسيادة المطلق يهدد السلام العالمي ، لأنها ستدخل في صراع كما هو الحال بين المطلقات الثلاثة الإسلامي اليهودي والمسيحي ، وليس من وسيلة لحل هذا الصراع إلا بالقضاء على المطلقات ، ويتم ذلك بنفي الدوجماطيقية " أي نفي علم العقيدة " لأن مفهوم الحرب كامن في هذا العلم ( ) . لأن هذا العلم قائم على اليقين "" واليقين لا يمكن أن يكون إلا مغلقاً ، ولهذا فهو يؤول في المنتهى إلى الدوغمائية التي تُترجَم تعصباً وتحزباً وربما عنفاً وإرهاباً "" ( ) ومع أن هذا الكلام لا يرضي الناطقين باسم الغائب والمدافعين عن العقائد وحراس النصوص كما يقول الخطاب العلماني ( ) إلا أنه يقرر ذلك ليؤكد على أن الصراع العربي الإسرائيلي في النهاية هو صراع مطلقات ، والحل الوحيد في العلمانية لأنها المضاد الحيوي للأصوليات الدينية التي تغذي المطلقات وتتغذى منها ( ) ، وعلى ذلك بدلاً من شعار " الإسلام هو الحل " تصبح " العلمانية هي الحل " .

ولكن تجاهل مراد وهبة هنا أن العلمانية تصالحت مع الصهيونية واليهودية وبررت لهم وجودهم في فلسطين ، وشرّعت لاستمرارهم فيها على حساب العرب والمسلمين

الذين لم يربحوا شيئاً ، ولم يحصلوا على شيء من علمانية مراد وهبة ، إلا إذا كان مراد وهبة وأمثاله سيجيبون بأن الربح العربي يتمثل في النجاة من القنابل النووية الإسرائيلية ، وهذا ما لا يحسب الأصوليون المسلمون حسابه ، لأن الخوف من الموت لا يردعهم عن المطالبة بحقوقهم ولديهم من الآليات والوسائل " الإرهابية " ( ) ما يجعل إسرائيل تفقد صوابها .

بقي أن نتساءل :

ألم تتحول علمانية مراد وهبة إلى مطلق هي أيضاً ينفي المطلقات الأخرى ؟ فإذا قرر هو وشيعته أن " العلمانية هي الحل " وقرر المسلمون بشكل مطلق أن " الإسلام هو الحل " وقررت إسرائيل أن " التلمود هو الحل " أفلا تدخل العلمانية هنا طرفاً جديداً فيما يسميه " صراع المطلقات " ، وبالتالي فإن أية رؤية تُطرح على أنها الحل هي بنظر أصحابها مطلق على الآخرين أن يرضخوا لها ، وهكذا فإنه لا خلاص من المطلق ، ولا بد من مطلق واحد تذعن له كل الأطراف المعارضة ( ) .

ونتساءل مرة أخرى : هل حربنا مع إسرائيل هي حرب مطلقات ؟ في الواقع لا ، لأننا نحن لا نحارب إسرائيل لندخلها في مطلقنا الإسلامي ، وإسرائيل لا تحاربنا لتدخلنا في مطلقها اليهودي ، نحن نريد أن نستعيد أراضينا المغتصبة – في إطار وعود ومؤامرات دبرت – على مرأى ومسمع من كل العالم ، ونريد أن يعود الشعب المشرد الطريد في كل بقاع العالم إلى أرضه ودياره ، ويريد الشعب المضطهد المقموع أن يتخلص من الاضطهاد والقمع ، ويتمتع بحريته وكرامته واستقلاله ، فأين المطلقات في هذا الصراع ؟ وإذا كانت حربنا مع إسرائيل حرب مطلقات فإن هذا يعني أنه لا يوجد خلاف بين شخصين في محكمة إلا ويمكن تسميته أيضاً " صراع مطلقات " ، وأن الإنسان الذي يأتي ليغتصب منزل مراد وهبة أو يعتدي على أسرته أو حتى على حياته ، على مراد وهبة ألا يدافع عن نفسه – طبقاً لعلمانيته أو لنسبيته – حتى لا يدخل في صراع المطلقات .

ولكن الأمر المستغرب في هذا العصر عصر الغرائب أن الضحية التي تُذبح وتُخنق هي التي توصم بالعنف والإرهاب والعدوان ، أما الجاني فهو داعية الحرية والديمقراطية ورافع لواء التحضر ، وراعي السلام !!

أرأيت لو أن شخصاً قام يخنق شخصاً آخر ، وبالطبع فإن المخنوق سوف يدافع عن نفسه بأظافره وأسنانه ، وربما يتسبب في بعض الخدوش التي تلحق خانقه ،أرأيت لو أن الجاني قام بعد أن يفرغ من ضحيته وعقد مؤتمراً رام فيه أن يقنع الناس بأن الضحية كان إرهابياً عنيفاً عدوانياً ، لماذا ؟ بسبب هذه الخدوش والجروح التي لحقت به !! . أليس هذه مهزلة !! ؟ إن هذا ما يحدث اليوم في غابة البشر ، ولكن لا عليك فنحن في عصر المهازل ! .

نحن أمة تُذبح وتُباد وتُخنق وبدلاً من أن يتصايح أبناؤها للجهاد ، وينفروا خفافاً وثقالاً بأموالهم وأنفسهم ، تجد دور النشر ومؤتمرات الحوار ورهط كبير من الباحثين يدعون إلى اللاعنف ، واللاإرهاب ، واللاعدوان !! رضي الله عن سعد بن معاذ !! .

( ) سلامة موسى " اليوم والغد " ص 239 .

( ) السابق : ص 58 – 63 .

( ) السابق : ص 257 .

( ) انظر : السابق ص 229 – 231.

( ) انظر : د . طارق حجي " الثقافة أولاً وأخيراً " ص 111 .

( ) انظر : د. طارق حجي " الثقافة أولاً وأخيراً " ص 25 . ملاحظة : قد تكون هذه الدولة هي التي دعا إليها القذافي تحت اسم "إسراطين ".

( ) انظر : د . مراد وهبة " ملاك الحقيقة المطلقة " ص 366 .

( ) السابق ص 29 .

( ) انظر : " السابق " ص 353 .

( ) علي حرب " نقد النص " ص 22 .

( ) انظر : السابق ص 23 .

( ) انظر : " السابق " ص 366 .

( ) إن كلمة إرهاب في القرآن ذات مدلول إيجابي وهو الردع (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ((الأنفال:60) عندما يكون الإرهاب من أجل الدفاع عن الحق أو الحصول عليه فنعم الإرهاب هو . ولكن

الكلمة شُحنت بمعاني سلبية دموية تتبادر إلى الأذهان بسبب الترويج الإعلامي الغربي والعربي المستمر والمتكرر .

( ) لقد تجلى ذلك فيما آلت إليه العلمانية في أبرز صورها وذلك في الغطرسة الأمريكية التي كشرت عن أنيابها بكل صراحة في غزو العراق ورفضت الإذعان لمقررات الأمم المتحدة التي هم واضعوها ولكنها لم تعد تخدم مصالحهم فأصبحت الرؤية الأمريكية اليوم هي المطلق الذي يجب على كل الآخرين الإذعان له وإلا واجهوا الموت تحت وابل القنابل الذكية . وهكذا لم تجد العلمانية مفراً من المطلق .

===============

#مآل الإسلام في القراءات العلمانية

بقلم : د. أحمد إدريس الطعان

الجزء 3/1

تكريس تاريخية الإسلام القرآني

تتناول المشاريع العلمانية المختلفة الإسلام بحسب خلفياتها الفكرية والأيديولوجية تناولاً مختلفاً ولكنها تتفق جميعاً على أمرين: الأول: أنهم جميعاً يتكلمون وكأنهم مختصون بتفسير الإسلام ومتبحرون في دراسة نصوصه دون اعتبار لكونه ديناً له رؤيته ومصادره التي تحتاج إلى تخصص ودراية وهي غير متوفرة لدى أصحاب هذه المشاريع.

والأمر الثاني: أن هذه القراءات جميعها تتفق على طمس الإسلام الحقيقي الذي يدين به المسلمون جميعا، واعتباره ديناً طواه التاريخ، وعفى عليه الزمن، وأصبح مجرد ذكرى، ومن ثم تسعى لابتكار إسلام جديد لا يمت إلى الأول بأي صلة حتى الاسم لا يراد له أن يستمر لكي لا يفهم الآخرون أننا دوغمائيون ومتخلفون.

وقد تتبعت المقولات المتصلة بالإسلام في هذه القراءات وحاولت أن أعرض نصوصها بشكل موجزٍ ثم أحلت القارئ الذي يرغب بالتوسع أو التوثق إلى مصادر هذه النصوص ليراجعها في سياقاتها وإطاراتها الكاملة. كما أنني لم أُعن في هذا البحث بمناقشة هذه الأطروحات لسببين: الأول: أنها دعاوى مجردة عن الاستدلال فهي مزاعم كبيرة جداً بدون أي محاولة للبرهنة.

والدعاوى إذا لم يقيموا *** عليها بينات أصحابها أدعياء

والثاني: أن أي مسلم بل أي عاقل لديه إلمام بالإسلام ومصادره وتاريخه يجد أن ما يطرحه هؤلاء العلمانيون لا يمت إلى الإسلام، وإنما هو تخرصات من وحي الفلسفة الغربية وحداثتها، تريد أن تتقمص شخصية الإسلام.

فالهدف من هذا البحث إذن هو وضع القارئ أمام التصور العلماني للإسلام، والمآل الحقيقي الذي ينتهي إليه، وفضح هذه المشاريع العلمانية وكشف الأقنعة التي تتستر بها، وتعريتها أمام الباحثين عن الحقيقة.

وسنعالج القول العلماني في الإسلام في نقطتين وخلاصة:

* تكريس تاريخية الإسلام القرآني.

* ترويج الإسلام العلماني الجديد.

أ. تكريس تاريخية الإسلام القرآني

أولاً: التورخة من منظور حداثي

إن الموقف العلماني من الإسلام عموماً ليس مستغرباً إلا لكونه يصدر من أناسٍ يقولون إنهم مسلمون، ولكن إسلامهم ليس استثناءً بين الأديان، فهو ليس إلا مجموعة أساطير مخلوطة من أساطير الشعوب القديمة البابلية، والسومرية، والآشورية، والفرعونية(1)، وما هو إلا امتداد للأساطير والوثنيات السابقة كعبادة الإله بعل إله القمر، لذلك جاءت العبادة العروبية عبادة قمرية، وتحتفظ إلى اليوم بقدسية القمر، فالشهور قمرية، والتاريخ قمري، والصيام قمري، والزمن العربي كله قمري(2).

واحتفظ الإسلام ببعض الشعائر والطقوس من الجاهلية وأديان الشرق الأوسط القديم جداً مثل الحج، والاعتقاد بالجن، وتقديس الحجر الأسود، والختان وعذاب القبر وبعض التصورات الأسطورية الأخرى، واستخدمها من أجل إعادة توظيف نتف متبعثرة من خطاب اجتماعي قديم، بغية بناء قصر إيديولوجي جديد(3).

وهكذا يقرر الخطاب العلماني بناءً على ذلك أن الرسالة المحمدية لم تكن أحسن حظاً من سابقاتها(4)، والإسلام "بالرغم من ادعاء الإسلاميين والمراقبين الذين

ينسـخون خطابـاتهم دون أن يفككـوا بناءهـا لا يفلـت مـن قواعـد التحليـل التـاريخي والسوسيولوجي، والأنتربولوجي والفلسفي بكل تأكيد"(5).

وهو أي الإسـلام كظـاهرة دينيـة لا يختلـف عـن بقيـة الأديـان وهـو مـا يتعـارض مـع الموقف الإيماني العقائدي الموروث(6)، ويعني أركون بأن الإسلام كبقية الأديان فـي الخضـوع للتاريخيـة بعكـس مـا يُنظِّـر الفكـر الـدوغمائي الإيمـاني(7)، وهـو سيخضـع لمنـاهج التحليـل التـاريخي التـي خضـعت لهـا المسيحية إذ أن الإسـلام لا يختلـف عـن المسـيحية فـي كونـه يقـع ضـمن الإطـار المعرفـي للقـرون الوسـطى(8)، وسيصـبح الإسـلام بفعـل تيـار العولمـة الـذي لا يقـاوم وبفعـل الحداثـة المكتسـحة "شيئاً بالياً لا معنـى لـه" وسـوف يتبخـر ويـذهب مـع الـريح(9)، وسـينهار الإسـلام المثـالي، ويبقـى الإسلام التـاريخي للذكرى والدراسـة فقط كمـا حصـل للمسيحية(10)، ولكـن يبقـى منـه أنــه تجربــة تاريخيــة علينــا الاســتفادة منهــا(11). لأنــه ظــاهرة تاريخيــة طــرأت علــى المجتمعـات البشـرية، وهـو مثـل الظـاهرة الاقتصـادية، أو الظـاهرة السياسـية، أو كغيـره مــن الظــواهر الاجتماعيــة لا يجــب أن ننظــر إليــه علــى أنــه ظــاهرة فريــدة مــن الأديان(12). كما ينبغي أن نعلم – بنظر أركون – أن الإسلام كأي عقيدة دينية أو غيـر دينيـة مـا هـو إلا نتـاج القـوى المحسوسـة التـي تشـكله عقائديـاً وأيـديولوجياً(13). "إنــه نتــاج الممارســة التاريخيــة للبشــر، وبالتــالي فهــو يتطــور ويتغيــر، إنــه يخضــع للتاريخيـة مثلـه مثـل أي شـيء علـى وجـه الأرض، إنـه نـاتج عـن الممارسـة التاريخيـة لفـاعلين اجتمـاعيين شـديدي التنـوع ... كمـا أنـه نـاتج عـن فعـل الشـروط التاريخيـة الشديدة التعقيد عبر الزمان والمكان"(14).

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نؤقنم قيم الإسلام فننظر إليها على أنها حقائق مطلقة، ومن الخطأ أن ننتزعها من مشروطيتها التاريخية(15)، لأن الإسلام رسالة موجهة إلى أناس بأعيانهم في القرن السابع الميلادي، ولذلك نجد فيها ظواهر ميثية تتناسب مع ثقافة ذلك العصر كالجنة وإبليس والشياطين والملائكة والطوفان وعمر نوح وغير ذلك، وهي اليوم بعيدة عن التصورات الحديثة، وليست لها الدلالات ذاتها التي كانت موجودة في ذلك العصر(16).

وهو ما يعني أن الارتباط بالدين مشروط بالحالة التاريخية التي يعيشها المجتمع أو الفرد، فالمثقف المسيحي كان يؤدي كل طقوس دينه حتى القرن التاسع عشر، ثم تحرر منها بعد الثورة التنويرية والثورة الصناعية، وهذا ما يتعرض له المسلم اليوم(17).

وهنا يرى أركون ومترجمه هاشم صالح أن تحقيق الإسلام لمهمته الروحية قد يحصل دون أن تؤدى الطقوس والشعائر بالضرورة(18)، ولذلك يجب تحرير الناس من العقلية الشعائرية(19)، "فليس من الضروري أن يحتشد الناس جماعات في مسجد لإقامة الصلاة، ذلك أن الصلاة مسألة شخصية في الإسلام كما في الديانات الأخرى"(20).

ولكي يتحقق ذلك لابد أن نخرج من الدائرة العقائدية والمعيارية للإسلام الأرثوذكسي(21)، وإعادة تحديد الإسلام بصفته عملية اجتماعية وتاريخية من جملة عمليات وسيرورات أخرى، وبيان الأصل التاريخي للتصرفات والمعطيات والحوادث التي تُقدَّم وكأنها تتجاوز كل زمان ومكان وتستعصي على التاريخ(22). وهذه مهمة التاريخية وهي أن تقوم بالكشف عن السياق الاجتماعي والثقافي الذي يتولد عنه التراث وأسباب ذلك وأبعاده(23)، وإعادة تفسيره طبقاً لحاجات العصر(24). وهذا الأمر يحتاج إلى جرأة في طرح الأسئلة على التراث، وجرأة في الإجابة عليها، مع الحذر من تأثير الإجابات الجاهزة(25)، لأن ما حفظ لنا من التراث هو التراث الرجعي(26).

وكل ما لدينا هو تقليدي الصورة مثل: تشكل المصحف، والشريعة، وشخصيات الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم، ونريد الصورة التاريخية أي الحقيقية، العقلانية "كما فعل الغربيون بالنسبة للمسيحية الأولى"(27).

إن الإسلام الشائع اليوم بنظر أركون هو الإسلام السني الأرثوذكسي وهو ليس إلا تنظيراً دوغمائياً جاء نتيجة سلسلة من الأعمال المنجزة تاريخياً(28)، ونفس الشيء يقال عن الإسلام الشيعي(29)، فلا يوجد إذن إسلام حقيقي "لقد خُرِّب تاريخ الإسلام الأولي وأُفسد إلى الأبد"(30)، وما قُدّم إلينا ما هو إلا الإسلام الرسمي السلطوي(31).

و"تغيرت معالم الإسلام الأساسية، وملامحه المحددة، وسماته الذاتية، وصفاته الخاصة، وحلت بدلاً منها معالم أخرى مخالفة تماماً، ومناقضة كلية، ومضادة على الإطلاق، واستُبدلت بالمعالم الأساسية للإسلام معالم أخرى خاطئة وفاسدة ودخيلة"(32) "وانزلق الإسلام إلى مهوىً خطير، وانحدرت الشريعة إلى مسقط عسير"(33).

ثانياً: التورخة من منظور ماركسي

أما بنظر الاتجاه الماركسي العربي فقد كان الإسلام "ثورة تعمل على تغيير المجتمع وتطويره اقتصادياً وطبقياً وسياسياً ودينياً طبقاً لأنظمة وعلاقات ومبادئ وعقائد جاءت بها حلاً للتناقضات الحادة التي كانت تعتمل في كيان المجتمع العربي بخاصة والإنسانية بعامة"(34).

والقرآن كتاب الثورة الإسلامية الكبرى والمعبر عنها ومصدر المعرفة الأول لنظرية هذه الثورة(35)، والقراء المستنيرون أمثال مصعب بن عمير انضموا إلى الثورة، وتخلوا عن طبقاتهم المترفة، ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم أكفأ من القراء يمثلونه وينوبون عنه في ممارسة ذلك العمل الخطير، الذي لم يكن شيئاً سوى إعادة بناء شخصية الفرد العربي وإعادة تخطيط المجتمع العربي في وقت واحد(36). ولتأمين الثورة ضد المؤامرات الرجعية والوثنية انتقل مركز الثورة ومقر قيادتها من مكة إلى المدينة(37)، ثم كان عمر القائد التالي للثورة(38). وبذلك يكون الإسلام ثورة عربية خاصة بالعرب ومن الخطأ أن نعممه(39)، وليس الإسلام إلا فرعاً للعروبة، وليس هو إلا طوراً من أطوار المسيرة العربية(40). والله عز وجل معبود عربي، وأول بيت بني له بأرض العرب من قبل أن يكون الإسلام، وهكذا نستطيع أن نذهب إلى عروبة المُرسِل للرسالة التي تعرف باسم الإسلام(41). فا"الإسلام ليس إلا النظام الديني للأمة العربية أولاً وقبل كل شيء، النظام الذي نزل من السماء ليكون البديل عن الأنظمة الأخرى التي كانت الأمة العربية تمارس حياتها على أساس منها". "والعرب في كل مكان يرون الإسلام ديناً قومياً لهم، قبل أن يكون ديناً عالمياً لكل الناس". "والله حاضر في ذهن الإنسان العربي قبل أن يكون الإسلام، فالعروبة هي الأصل والإسلام هو الفرع"(42).

وهكذا وطبقاً للتحليل الماركسي يوصف الإسلام بأنه حركة محمدية(43) أو ثورة(44) يقارن بينها وبين الثورة البلشفية والثورة الفرنسية(45) وأن محمداً صلى الله عليه وسلم تجسدت في داخله أحلام الجماعة البشرية التي ينتمي إليها، فهو إنسان لا يمثل ذاتاً مستقلة منفصلة عن حركة الواقع، بل إنسان تجسدت في أعماقه أشواق الواقع، وأحلام المستقبل(46).

وبما أن التوحيد نتيجة للتطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي فإن التوحيد اليهودي الذي ظهر في جزيرة العرب غير ممكن لأنهم متخلفون، أما توحيد أخناتون فقد كان بسبب وجود بنية تحتية متقدمة(47).

ولكن أوضاع الجزيرة العربية الاقتصادية والاجتماعية وبخاصة مكة، دخلت مرحلة متسارعة من التغيرات الكيفية الناتجة عن تغيرات عديدة متراكمة، ومرتبطة بظروف أدت إليها، مما هيأ مكة للتحول من كونها مجرد استراحة ومنتدى وثني دنيوي على الطريق التجاري، للقيام بدور تاريخي حتَّمتْه مجموعة من الظروف التطورية في الواقع العربي والعالمي، وكان ذلك الدور هو توحيد عرب الجزيرة في وحدة سياسية مركزية كبرى(48).

فكان الأحناف تجسيداً لنزوع ما لاتجاه جديد في رؤية العالم في هذه الثقافة، وكان محمد صلى الله عليه وسلم جزءاً من هذا الاتجاه(49). ولم يكن متشدداً مثل زيد بن عمرو بن نفيل فكان يتقبل الأكل مما ذبح على النصب لأنه كان ينتمي إلى ثقافة وواقع ومجتمع(50).

وتهيأت مكة لقبول فكرة الإله الواحد، ومن هنا يكون توحيد الأديان في إله واحد قد جاء عند الرواد الحنيفيين كناتج طبيعي لهدير الواقع، وقد حتمت الظروف، وتضافرت الأحداث بحيث صبت الأقدار في يد قريش، وفي البيت الهاشمي الذي أخذ على عاتقه تحقيق هذا الأمر العظيم(51).

"ولم يجد الآخرون [يقصد أقارب النبي صلى الله عليه وسلم] سوى الاهتداء إلى أنه لا حل سوى أن يكون منشئ الدولة المرتقبة نبياً مثل داوود"(52). "واتبع محمد صلى

الله عليه وسلم خطا جده كما اتبع خطواته من قبل إلى غار حراء، وأعلن أنه نبي الفطرة"(53) "وعندما بلغ الأربعين حسم الأمر بإعلانه أنه نبي الأمة"(54).

وهكذا يبدو الإسلام في – المنظور العلماني – ليس إلا حلماً سياسياً راود عبد المطلب ثم حققه الحفيد محمد صلى الله عليه وسلم "أي جدي ها أنذا أحقق حلمك" وقد حققه(55).

وهكذا استبدل الإسلام بالآلهة إلهاً واحداً، وانتسب إلى دين إبراهيم لاستيعاب اليهودية والنصرانية(56)، وبحثاً عن الهوية القومية للعرب(57) لأنه "... أصبح تعدد الأرباب عائقاً دائماً ومستمراً في سبيل المحاولات التي قامت من أجل خلق كيانات سياسية في جزيرة العرب"(58).

وحتى القرآن ما هو إلا مجرد تراكيب لغوية اقتبسها النبي صلى الله عليه وسلم من شعر أمية بن أبي الصلت وخصوصاً ما يتعلق بوصف القيامة والبعث والجنة والنار(59)، وحتى تسمية ديننا بالإسلام ما هي إلا من بقايا زيد بن عمر بن نفيل حيث كان هذا يسمي حنيفيته بالإسلام(60). (يتبع)

( ) حاول تركي علي الربيعو في كتابه " الإسلام وملحمة الخلق الأسطورة " أن يعقد مقارنات بين العقائد الإسلامية والأساطير القديمة زاعماً أن إسلامنا ما هو إلا امتداد لهذه الأساطير. وانظر: رشيد الخيون " جدل التنزيل " ص 74، 75 يقول الخيون: إن طه اسم إله عند الهنود الحمر، وعند السومريين اسم مسيح منتظر. قلت: إن طاهايو الذي ينتظره السومريين ما هو إلا بشارة بطه أي بمحمد صلى الله عليه وسلم.

(2) انظر: سيد القمني " رب الزمان " ص 168.

(3) انظر لأركون " القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " ص 108 و " نافذة على الإسلام " ص 114 و " تاريخية الفكر العربي الإسلامي " ص 231 وانظر: طيب تيزيني " النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة " ص 113 وانظر " عبد المجيد الشرفي " الإسلام بين الرسالة والتاريخ " ص 26.

(4) انظر: محمد شحرور " نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي " ص 348.

(5) أركون " نافذة على الإسلام " ص 171.

(6) انظر: أركون " قضايا في نقد العقل الديني " ص 326.

(7) انظر: أركون " أين هو الفكر الإسلامي المعاصر " ص 169 – دار الساقي لندن ط 1 / 1997 وانظر: إلياس قويسم " إشكالية قراءة النص القرآني في الفكر العربي المعاصر، نصر حامد أبو زيد نموذجاً " بحث لنيل شهادة الدراسات المعمقة في الحضارة الإسلامية – جامعة الزيتونة – تونس 1420 هـ 1999 – 2000 م / ص 201.

(8) انظر: أركون " قضايا في تقد العقل الديني " ص 194.

(9) انظر: السابق ص 60.

(10) انظر: أركون " قضايا في نقد العقل الديني " ص 60 و ص 328، 318 .

(11) انظر: نصر حامد ابو زيد " الخطاب والتأويل " ص 227.

(12) انظر: أركون " مجلة رسالة الجهاد " عدد 40، ص 59، 60 نقلاً عن عبد الرازق هوماس " القراءة الجديدة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير " رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا – جامعة محمد الخامس – كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1408 هـ 1987 – 1988 شعبة الدراسات الإسلامية.

(3) انظر : أركون " قضايا في نقد العقل الديني " ص 175 وانظر: أبو زيد " مفهوم النص " ص 16.

(4) أركون " قضايا في نقد العقل الديني " ص 174.

(5) انظر: أركون " نافذة على الإسلام " ص 170.

(6) انظر: عبد المجيد الشرفي " الإسلام بين الرسالة والتاريخ " ص 45.

(7) انظر: أركون " قضايا في نقد العقل الديني " ص 28.

(8) انظر: السابق ص 36.

(9) انظر: السابق ص 329.

(20) نقلاً عن عبد الرزاق هوماس " القراءة الجديدة في ضوء ضوابط التفسير " " ص 169 ويحيل إلى مصدر لأركون باللغة الفرنسية.

(21) انظر : أركون " تاريخية الفكر " ص 217.

(22) انظر: رمضان بن رمضان " خصائص التعامل مع التراث الإسلامي عند محمد أركون من خلال كتابه قراءات في القرآن " ص 15، 16 والباحث تلميذ لأركون ويحيل إلى كتابات لأركون باللغة الفرنسية – جامعة تونس الأولى بمنوبة – 1991 م تونس – شهادة الكفاءة في البحث – قسم اللغة العربية – إشراف د. عبد المجيد الشرفي.

(23) انظر: رمضان بن رمضان " خصائص التعامل من التراث " ص 17.

(24) انظر: نصر حامد أبو زيد " مفهوم النص " ص 16.

(25) انظر: نصر حامد أبو زيد " مفهوم النص " ص 17.

(26) انظر: السابق ص 14.

(27) انظر: أركون " قضايا في نقد العقل الديني " ص 293.

(28) انظر: أركون " تاريخية الفكر العربي الإسلامي " ص 52.

(29) انظر: السابق ص 53.

(30) السابق ص 84.

(31) انظر : طيب تيزيني " النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة ص 167.

(32) انظر: محمد سعيد العشماوي " معالم الإسلام " ص 8 طبعة القاهرة 1989 وانظر للدكتور محمد عمارة " سقوط الغلو العلماني " ص 12.

(33) انظر: العشماوي " معالم الإسلام " 132 وانظر: د. عمارة " سقوط الغلو العلماني " ص 17.

(34) د. عبد الله خورشيد البري " القرآن وعلومه في مصر " ص 112 دار المعارف بمصر 1969 م .

(35) انظر: البري السابق ص 5، 108، 116، 117. وانظر د. عمارة " الإسلام بين التزوير والتنوير " ص 202.

(36) انظر: السابق ص 112، 113. وانظر: د. محمد عمارة " الإسلام بين التزوير والتنوير " ص 203.

(37) انظر: السابق 117 .

(38) انظر: السابق ص 121 .

(39) انظر: د. محمد أحمد خلف مقال في جريدة الأهرام 16 / 9 / 1987 صفحة الحوار القومي نقلاً عن فهمي هويدي في " المفترون " ص 170.

(40) نقلاً عن فهمي هويدي " السابق " ص 174، 180 .

(41) انظر: السابق ص 181 .

(42) السابق ص 182 والنصوص لخلف الله ينقلها عنه فهمي هويدي .

(43) انظر: د. طيب تيزيني " النص القرآني إما إشكالية البنية والقراءة " ص 113.

(44) انظر: د. محمد شحرور " الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة " ص 555 فما بعد دار الأهالي – دمشق.

(45) انظر: جمال البنا " تثوير القرآن " ص 10، 11 – د، ط / د، ت دار الفكر الإسلامي – القاهرة.

(46) انظر: د. نصر حامد أبو زيد " مفهوم النص " ص 74.

(47) انظر: القمني " رب الزمان ": ص 187.

(48) انظر: السابق 206.

(49) انظر: نصر حامد " مفهوم النص " ص 72.

(50) انظر: " مفهوم النص " 71.

(51) انظر: القمني " رب الزمان " ص 206.

(52) القمني: " الحزب الهاشمي " ص 54 .

(53) السابق ص 151.

(54) السابق ص 132.

(55) السابق ص 151، 153.

(56) انظر: د. نصر حامد أبو زيد " الخطاب والتأويل " ص 135.

(57) انظر: د. نصر حامد أبو زيد " مفهوم النص " ص 72، 74 وأنور خلوف " القرآن بين التفسير والتأويل والمنطق العقلي " ص 122 دار حوران – الطبعة الأولى – سوريا 1997 وانظر: القمني " الحزب الهاشمي ص 116.

(58) انظر: سيد القمني " الحزب الهاشمي " ص 66.

(59) انظر: " السابق " ص 122، 124.

(60) انظر: السابق ص 117، 118.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ

التورخة التشطيرية والتورخة النسبية والتورخة الهدمية

يحرص الخطاب العلماني على الحديث عن إسلامات متعددة، وذلك ليمزق الإسلام تمزيقاً شديداً، لكي تسهل عملية تصفيته وتذريته في الرياح، ويُحمَّل الإسلام لتحقيق ذلك كل التجليات التاريخية للحياة الاجتماعية والسياسية التي مرت بها وتمر بها الأمة الإسلامية،

فتُحُدِّث عن الإسلام الرسمي المرتكز على سلطة الدولة المركزية والذي مارس بنظر العلمانيين دوره في التحريف والتزييف(1)، ويقصد أركون بالإسلام الرسمي أنه "نتاج الخيار السياسي الذي اتخذته الدولة أو النظام الحاكم الذي راح يصفي معارضيه جسدياً"(2)، وهو مصطلح استعاره الخطاب العلماني من نيكلسون كما هو واضح(3) وهذا الإسلام السلطوي يسميه محمد أركون أحياناً الإسلام الأرثوذكسي(4)، وأحياناً الإسلام الكلاسيكي التقليدي(5)، وأحياناً الإسلام الأقنومي ويعني به أن المسلمين حولوا الإسلام إلى أقنوم ضخم ومضخم، قادر على كل شيء، ويؤثر في كل شيء، دون أن يتأثر بشيء، في حين أنه هو يريد الإسلام المعاصر الذي يخضع للتاريخية مثله مثل أي شيء على وجه الأرض(6). وأحياناً الإسلام الملاذ، أي إسلام الهروب من مواجهة المشاكل الملحة، إسلام التعذر والتعلل، إسلام الملاذ من الفشل، الإسلام الذي يبدو وحده كتعاليم إلهية قادراً على الحفاظ على التماسك الاجتماعي(7). وليس هو السلامة المعرفية والصحة الأبستمولوجية(8).

هذه الإسلامات المتعددة تقابل الإسلام المعاصر كما أشرنا أو الإسلام الدين ولكنه إسلام أركوني جديد(9).

والخلاصة الأركونية أن "الإسلام فرض نفسه كدين مدعوماً بواسطة نجاح سياسي، إذن فهو حدث تاريخي بشكل كامل"(10)، وتشكل منه إسلام مثالي متعال وفوق تاريخي هو الدين الصحيح [بنظر أصحابه طبعاً] يُبطل ويلغي كل الإسلامات الأخرى، ولا يمكن هو نفسه أن يُلغى أو يُبطَل(11)، ولذا فإن "إدخال البعد التاريخي

في التحليل سوف يضطرنا إلى التفريق بين الإسلام المثالي هذا، وبين الإسلام التاريخي"(12).

وهكذا فإن أركون يعتبر الإسلام الذي فهمته الأمة عبر تاريخها وتقبله الناس، وآمن به السواد الأعظم من البشر إسلاماً مثالياً خيالياً يختلف عن الإسلام الحقيقي [وليس هناك إسلام حقيقي في المنظور العلماني عموماً] ولذا فإن أركون يأخذ على عاتقه أن يكشف عن الإسلام بمفهوميه: الإسلام المعاش،وهو غير مطابق وغير صحيح، والإسلام غير المعاش وغير المفهوم وهو الخاضع للتحليل(13) [الأركوني طبعاً].

ومن الإسلامات العلمانية الأخرى: الإسلام الشعبي(14) الذي يقوم على الثقافة غير العالمة(15)، لأنه إسلام جمهور المسلمين وعامتهم(16)، وهذا النوع من الإسلام لا يتفق مع الإسلام المحمدي – بنظر الخطاب العلماني – إلا في الاسم، لأن لكل شعب مسلم عاداته وتقاليده وإسلامه الخاص(17)، وفيه مظاهر وثنية(18).

والإسلام النظري وهو النسق الفكري المتشعب والمتشظي الذي أنجزه جمع من المفكرين، ويستمد إمكاناته من الوضعية الاجتماعية المشخصة "الواقع"، وتشخص في بعض المنظومات المهمة مثل الاجتهاد والتأويل والقياس والتفسير والإجماع(19).

والإسلام الشخصي الفردي، ويسميه أركون الإسلام الثالث أو الفردي(20)، وهو قائم على الضمير الشخصي الحر، والممارسة الشخصية للإسلام(21). وتجلى في الممارسات الصوفية التي أفصحت عن نفسها في الطموح إلى العيش في علاقة مع الله [عز وجل] على نحو يلبي الحاجات الروحية المطلقة، وقد حاول الإجماع الذي هو في حقيقة الأمر إجماع فقهي نخبوي أن يحد من هذه الحرية الفردية(22).

والإسلام الإتني(23) وهو – كما يبدو لي – إسلام الشعوب المختلفة غير العربية الذي امتزج بعناصر من حضاراتها السابقة وعاداتها المختلفة(24)، وهو ما يعبر عنه آخرون بإضافة الإسلام إلى بلدانه، أو مذاهبه المختلفة لتكريس التجزئة، فيقال مثلاً: الإسلام الأندونيسي، والإسلام الباكستاني والإسلام العربي أو الإيراني والإسلام العراقي أو الشامي(25). والإسلام السني أو الشيعي(26). والإسلام الأشعري الرجعي المسيطر، بينما الإسلام الاعتزالي التقدمي مهمش(27). والإسلام التقدمي

بنظر جاك بيرك هو الغاية والمطلب لأنه إسلام الديمومة(28)، ومعيار ذلك أن يتخلى الإسلام عن مفاهيمه وتصوراته ومبادئه، ويعتنق الرؤية الغربية لكي يصبح إسلاماً تقدمياً، فالشرط الجوهري للتقدم هو الإسلام أو الاستسلام، ولكن ليس لله عز وجل وإنما للغرب المهمين، أو النظام العالمي – أقصد الأمريكي – الجديد، للقطب الواحد(29).

رابعاً – التورخة النسبية

لقد قُطِّع الإسلام – كما رأينا – في دوامة المجزرة العلمانية إلى إسلامات كثيرة، ولا بد هنا من السؤال: هل يطرح العلمانيون مفهوماً جديداً للإسلام يضاف إلى الإسلامات التي رأيناها؟ أم يرتضون مفهوماً من بين تلك المفاهيم ؟ أم أن هناك خياراً آخر؟

إذا كان الإسلام بنظر أحد الباحثين فكرة مجردة(30)، وإذا كان الإسلام جاء وذهب بنظر باحث آخر(31)، ولا يمكن إعادته في بكارته النبوية الأولى عقيدة وتشريعاً وفقهاً(32). وكان في أساسه قاصراً على الأخلاق والقيم، ولم يكن فيه أي نظام سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي(33)، وكان رخواً مرناً جداً في التعامل مع الشعوب المفتوحة، فلم يطلب أكثر من إعلان الشهادة فقط، وليمارسوا عاداتهم ومعتقداتهم كما يريدون(34) فإن هذا يتيح لنا – أقصد للخطاب العلماني – أن نبحث عن إسلامٍ عصري مستنير مساير لروح العصر(35) فالإسلام لا يكون صحيحاً إلا إذا طرح بالمفهوم البرغسوني وذلك بجعله ديناً منفتحاً(36)، والتخلص من الفهم الحرفي للدين(37)، ولن يتم ذلك إلا إذا تمت إعادة النظر في الإسلام كلية من منظور تاريخي بحيث يصبح من الضروري أن نوفق بين الإسلام والفكر اللاديني(38)، وبحيث يمكن أن يصبح الإلحاد إيماناً، والإيمان إلحاداً، "فالإلحاد هو التجديد، وهو المعنى الأصلي للإيمان"(39).

وهذا يقتضي التخلص من المفاهيم السائدة عن الإسلام بأنه دين الحق، أو الحقيقة المطلقة، أو الدين القويم وأنه النسخة الأخيرة من الدين المقبول عند الله عز وجل(40).

كما أنه لم يعد يكفي لتعريف الإسلام أن نقول عنه: إنه "الدين الذي أتى به محمد"(41) صلى الله عليه وسلم، لأن الإسلام ليس إلا "أحد التجليات التاريخية للظاهرة الدينية"(42) و"حقيقة الإسلام وهويته ليست شيئاً جاهزاً يُكتسب بصورة نهائية، وإنما هي مُركب يجري تشكيله وإعادة إنتاجه باستمرار، وهي تتنوع أو تتغير بتغير الظروف والشروط والمعطيات"(43).

فـ"لا يوجد إذن إسلام (ما هوي) قائم في ذاته بصرف النظر عن أنماط تحققه في الـ(هنا) و(الآن)، لا يوجد إسلام جوهري حقيقي نموذجي، وإنما الإسلام هو ما طُبِّق في التاريخ"(44)، وهو ما يعني أنه "لا يوجد إسلام في ذاته، وإنما لكل واحد تصوره المختلف للإسلام، وطريقته الخاصة في أدائه وممارسته"(45) "لا يوجد إسلام أصولي صحيح يمكن استعادته وتطبيقه التطبيق الأفضل"(46). "ولأن التطبيق خيانة فإنه لا وجود لإسلام حقيقي أصولي يمكن العودة إليه، فالإسلام الحقيقي لم يوجد ولم يطبق لا في هذا الزمان ولا في صدر الإسلام، لأن حقيقة الإسلام هي محصلة تواريخه"(47).

ولأننا لا يمكننا اليوم أن نحدد ما هو الإسلام الصحيح ولا يوجد أي معيار لتحديد ذلك(48) فإن مفهوم الإسلام يجب أن يبقى منفتحاً مستعصياً على الإغلاق لكي يقبل الخضوع للتغير المستمر الذي يفرضه التاريخ، فالإسلام لا يكتمل أبداً، بل ينبغي إعادة تحديده وتعريفه داخل كل سياق اجتماعي ثقافي، وفي كل مرحلة تاريخية معينة(49).

وهذا هو معنى القراءة العلمانية للإسلام "أن لا نسلم بالمسلم به"(50)، وأن نطرح مفهوماً موضوعياً للإسلام يتجاوز الأطروحات الأيديولوجية(51)، ويخرج من الدائرة العقائدية المعيارية للإسلام الأرثوذكسي(52).

ولكن هذا لا يعني بنظر أركون – متفضلاً !!– أن نحذف كل إشارة إلى الإسلام(53)، وإن كان حسن حنفي يبخل علينا بهذا الفضل !! فيرفض حتى كلمة إسلام ويستبدلها بكلمة التحرر، لأن هذا اللفظ الأخير "يعبر عن مضمون الإسلام أكثر من اللفظ القديم"(54).

خامساً – التورخة الهدمية الاجتثاثية

كيف يتم الوصول إلى هذا التجديد العلماني بشكل جذري وثوري؟

النقد الإيديولوجي هو وسيلتنا للتخلص من فكر العصور الوسطى لكي "نودع نهائياً المطلقات جميعاً، ونكف عن الاعتقاد أن النموذج الإنساني وراءنا لا أمامنا"(55). من أجل ذلك لا بد أولاً من انزياح هذه الأنظمة الكبرى المتمثلة في الأديان من دائرة التقديس والغيب، باتجاه الركائز والدعامات التي لا زال العلم الحديث يواصل اكتشافها(56).

وانزياح المقدس يعني أن نخترق المحرمات وننتهك الممنوعات السائدة أمس واليوم ونتمرد على الرقابة الاجتماعية(57) ونخترق أسوار اللامفكر فيه وندخل إلى المناطق المحرمة(58)، ونسعى إلى خلخلة الاعتقادات، وزحزحة القناعات، وزعزعة اليقينيات، والخروج من الأصول العقائدية(59)، وإعادة النظر في جميع العقائد الدينية عن طريق إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة(60)، ومراجعة كل المسلمات التراثية(61)، وطرد التاريخ التقليدي من منظومتنا الثقافية لأنه بناء عتيق تهاوت منه جوانب كثيرة، فوجب كنس الأنقاض قبل الشروع في البناء(62).

وتكريس القطيعة مع الماضي – كما فعل الغربيون – هو الحل وليس الإصلاح "لا أحد يتكلم أبداً عن التجديد بمعنى القطيعة والاستئناف، بل الجميع يدعو إلى الإصلاح والإحياء والعودة إلى حالة ماضية"(63) في حين المطلوب هو "اجتثاث الفكر السلفي من محيطنا الثقافي"(64) لأنه كان وسيبقى سبب التخلف(65) لأنه قائم على ثقافة ماضوية، لفظية، عقيمة اجترارية، انتهازية، نفعية، محافظة، رجعية، تقليدية... الخ(66). ولا يمكن أن تنهض الحياة العربية ويبدع الإنسان العربي إذا لم تنهدم البنية التقليدية للذهن العربي، وتتغير كيفية النظر والفهم التي وجهت الذهن العربي وما تزال توجهه(67).

والوسيلة المجدية لذلك هي "هدم الأصل بالأصل نفسه" وإذا كان التغير يفترض هدماً للبنية التقليدية القديمة، فإن هذا الهدم لا يجوز أن يكون بآلة من خارج التراث العربي، وإنما يجب أن يكون بآلة من داخله، وإن هدم الأصل يجب أن يمارس بالأصل ذاته(68). هذه الآلة ما هي إلا التأويل الباطني الغنوصي الذي ينفي النبوة الإسلامية ويقيم على أنقاضها دين العقل(69).

----

(1) انظر: د. طيب تيزيني " النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة " ص 163، 164 وانظر لأركون " تاريخية الفكر العربي الإسلامي " ص 146، 202، 206 و رمضان بن رمضان " خصائص التعامل مع التراث الإسلامي لدى محمد أركون من خلال كتابه " قراءات في القرآن " ص 17.

(2) انظر: د. أركون " الفكر الإسلامي نقد واجتهاد " ص 63 وانظر: " العواصم من قواصم العلمانية " ص 211.

(3) انظر: د. طيب تيزيني " النص القرآني " ص 344.

(4) انظر: لأركون " القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " ص 12 و " قضايا في نقد العقل الديني " ص 101 ولا حاجة للإحالة أكثر لأن هذه اللفظة تعتبر مصطلحاً يتميز به أركون عن غيره في كل كتاباته، وقد لاحظ ذلك عابد الجابري واعتبر مفردة الأرثوذكسية تميز أركون عنه أما هو الجابري فما يميزه مصطلحي " اللفظ والمعنى" أو " الأصل والفرع " انظر: الجابري " التراث والحداثة " ص 321. والأرثوذكسية في الأصل تعني الرأي المستقيم ولكن أركون لا يقصد بها أن هذا النوع من الإسلام هو الإسلام الصحيح، إذ لا يوجد عنده إسلام صحيح، وإنما يعني بالإسلام الأرثوذكسي وفي كل مكان ترد فيه مضافة إلى الإسلام أو الفكر الإسلامي يعني أنه إسلام مستقيم من وجهة نظر أصحابه، ولذلك يضعها بين قوسين، وهذا ما يوضحه مترجم أركون هاشم صالح انظر: " القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " هامش المترجم ص 44 ويوضح هذا المعنى أيضاً تلميذ أركوني آخر بقوله: " مفهوم الأرثوذكسية الذي يعني في الاصطلاح، الرأي الدوغمائي أو العقائدي المتصلب والمتزمت الذي فرض نفسه بالقوة، بصفته الرأي الصحيح أو المستقيم، أي لم يفرض نفسه عن طريق الإقناع والمحاجة والمناقشة المسبقة كما يحاول أن يوهمنا وينجح بسبب مرور الزمن المتطاول " انظر: خالد السعيداني " إشكالية القراءة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر " ص 231. ويوضح أركون نفسه مراده بإطلاق الأرثوذكسية على الإسلام أو الفكر الإسلامي

فهو يعني بها المبادئ والمسلمات والبديهيات المشكلة للاعتقاد الديني التي لا يمكن التمرد عليها دون عقوبة، وبهذا المعنى فإن هناك أرثوذكسيات إسلامية تتفرع إلى أرثوذكسيات سنية أو شيعية فالسيادة الأرثوذكسية هي كل سلطة دينية تمنع كل محاولة نفاذ نقدية داخل الأطر المشكلة لمنظومتها الدينية، نظراً لأن إعادة القراءة يهدد ثبات مكانتها ومصالحها. انظر " لأركون " العلمنة والدين " دار الساقي ط 2 / 1993 ص 14 وانظر: إلياس قويسم " إشكالية قراءة النص القرآني في الفكر العربي المعاصر. نصر حامد أبو زيد نموذجاً " ص 104. وانظر: رمضان بن رمضان " خصائص التعامل مع التراث العربي الإسلامي لدى محمد أركون من خلال كتابه قراءات في القرآن " ص 35.

(5) انظر: لأركون " نافذة على الإسلام " ص 24، 172 و لعلي حرب " نقد النص " ص 127.

(6) انظر: لأركون " قضايا في نقد العقل الديني " ص 174، 175.

(7) انظر: لأركون " تاريخية الفكر العربي الإسلامي " ص 115، 116 وانظر: عبد الرزاق هوماس " القراءة الجديدة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير " ص 286.

(8) انظر: نصر حامد أبو زيد " الخطاب والتأويل " ص 108.

(9) انظر: أركون " تاريخية الفكر " ص 115، 116.

(10) د. أركون " الفكر الإسلامي قراءة علمية " ص 115.

(11) انظر: السابق ص 115.

(12) السابق: ص 115.

(13) انظر: السابق ص 116.

(14) انظر: د.طيب تيزيني " النص القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة " ص 147 وانظر: أركون " تاريخية الفكر " ص 180، 132، 202 وانظر: له " نافذة على الإسلام " ص 14، 106 وانظر: عبد المجيد الشرفي " لبنات " ص 77.

(15) انظر: د. طيب تيزيني " السابق " ص 162.

(16) انظر: السابق ص 141.

(17) انظر: د. تيزيني " السابق " ص 158، 159.

(18) انظر:د. عبد المجيد الشرفي " لبنات " 77.

(19) انظر: د.طيب تيزيني " النص القرآني " ص 166.

(20) انظر: السابق ص 169

(21) انظر: السابق ص 174.

(22) انظر: السابق ص 173، 174.

(23) انظـر: د. تيزينـي " السـابق "ص 176 وانظـر أركـون " تاريخيـة الفكـر " ص 180 حيث يستخدم مصطلح المجموعات الإتنية و الإثنية أو الإتنية: تـأتي للدلالـة علـى تصـنيف عرقـي ثقـافي وهـي مشـتقة مـن الإثنولوجيـا التـي تعنـي علـم الأجنـاس البشرية حيث يـدرس هذا العلم القوانين العامـة لتطور البشرية انظر: رابعـة جلبـي " ملحق من إعدادها تعرف فيه بعض المصطلحات " ملحق بكتاب " الإسلام والعصـر " مشترك بين د. البوطي – تيزيني ص 239.

(24) انظر: د. تيزيني " السابق " 176.

(25) انظر: د. محمد أركون " قضايا في نقد العقل الديني " ص 230 وتلميذه خالد السعيداني " إشكالية القراءة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر نتاج محمد أركون نموذجـاً " ص 79 بحـث لنيـل شـهادة الدراسـات المعمقـة فـي الحضـارة الإسـلامية – جامعة الزيتونـة – تونس – المعهد العالى لأصول الدين 1428 هـ 1997 م إشراف د. محمـد محجـوب وانظـر: حسـين أحمـد أمـين " حـول الـدعوة إلـى تطبيـق الشـريعة الإسلامية " ص 27، 197.

(26) انظر: د.جورج طرابيشـي " إشكاليات العقل العربـي " ص 13 وأصـحاب هذه التفرقة في الأصل هم المستشرقون كما يشير طرابيشي.

(27) انظر: د. نصر حامد أبو زيد " النص السلطة الحقيقة " ص 14.

(28) انظـر: جـاك بيـرك " القـرآن وعلـم القـراءة " ص 131 ترجمـة وتعليـق منـذر عياشي – دار التنوير – بيروت – مركز الإنماء الحضاري – حلب ط 1 / 1996 تقديم: د. محمود عكام.

(29) انظر: المصدر السابق هوامش المترجم منذر عياشي ص 131، 132.

(30) انظر: د. زكي نجيب محمود " تجديد الفكر العربي " ص 68 يعني لا يمكن تحديد نموذج تطبيقي له في الواقع فيكون معياراً يرجع إليه.

(31) انظر: " الصادق النيهوم " صوت الناس، محنة ثقافة " ص 155.

(32) انظر: د. طيب تيزيني " الإسلام والعصر " ص 129، 130.

(33) انظر: د. طارق حجي " الثقافة أولاً وأخيراً " ص 20.

(34) انظر: عبد الهادي عبد الرحمن " سلطة النص " ص 41، 42.

(35) انظر: حسين أحمد أمين " حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة " ص 5 ونصر حامد أبو زيد " الخطاب والتأويل " ص 195، 197.

(36) انظر: د. عبد المجيد الشرفي " لبنات " ص 50 وانظر له أيضاً " الإسلام بين الرسالة والتاريخ " ص 47 يفرق برجسون بين الدين المغلق والدين المفتوح والأخلاق المغلقة والأخلاق المفتوحة انظر: مراد وهبة " المذهب في فلسفة برجسون " ص 92 ص 140، 142.

(37) والمقصود بالفهم الحرفي هو الفهم المستقر بين الأمة للإسلام والذي يدين به مليار مسلم ودانت به الأمة منذ أربعة عشر قرناً. والفهم الحرفي والحرفيين كلمة تتكرر كثيراً لدى العلمانيين.

(38) قال د. أركون ذلك في حوار مع إحدى المجلات الفرنسية انظر: عبد الرزاق هوماس " القراءة الجديدة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير " ص 171.

(39) انظر: د. حسن حنفي " التراث والتجديد " ص 67 طبعة القاهرة 1980 وطبعة بيروت – دار التنوير 1980– ص 53 وانظر: د. محمد عمارة " الإسلام بين التنوير والتزوير ص 196 وانظر: جورج طرابيشي " المثقفون العرب والتراث " ص 212 وانظر " التأويل في مصر في الفكر المعاصر " ص 326.

(40) انظر: د. أركون " القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " ص 69 إن مثل هذه المفاهيم بنظر أركون جاءت في سياق تاريخي لتحقيق سيادة المؤمنين على غيرهم من الفئات الأخرى كاليهود والنصارى، لتأسيس مشروعية سلطوية للنبي والمؤمنين متميزة عن الفئات الأخرى، فهي إذن مفاهيم تاريخية مهمتها

تحقيق مصالح مباشرة لفاعلين اجتماعيين " أي للمؤمنيين " انظر: " أركون " القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " ص 70، 71.

(41) انظر: د. أركون " الفكر الإسلامي قراءة علمية " ص 114.

(42) انظر: د. أركون " قضايا في نقد العقل الديني " ص 39.

(43) انظر: علي حرب " نقد النص " ص 155.

(44) انظر: علي حرب " نقد النص " ص 153.

(45) انظر: السابق ص 158.

(46) انظر " علي حرب " الممنوع الممتنع في نقد الذات المفكرة " ص 28.

(47) انظر: السابق ص 28.

(48) انظر لأركون " تاريخية الفكر العربي الإسلامي " ص 146 وانظر عبد الرزاق هوماس " القراءة الجديدة " ص 84.

(49) انظر: خالد السعيداني " إشكالية القراءة في الفكر العربي الإسلامي المعاصر، نتاج محمد أركون نموذجاً " ص 56 ورمضان بن رمضان " خصائص التعامل مع التراث العربي الإسلامي لدى محمد أركون في كتابه قراءات في القرآن " ص 16.

(50) علي حرب " نقد الحقيقة " ص 58.

(51) انظر: د. نصر حامد أبو زيد " مفهوم النص " ص 20.

(52) انظر: لأركون " تاريخية الفكر " ص 217.

(53) انظر: السابق ص 217.

(54) انظر: د. حسن حنفي " التراث والتجديد " ص 99.

(55) د. عبد الله العروي " الإيديولوجيا العربية المعاصرة " ص 16 وانظر: مبروكة الشريف جبريل " الخطاب النقدي في المشروع النهضوي العربي العروي والجابري نموذجاً " ص 41.

(56) انظر: أركون " تاريخية الفكر " ص 26.

(57) انظر: خالد السعيداني " إشكالية القراءة " 125.

(58) انظر: د. نصر حامد أبو زيد " الخطاب والتأويل " ص 116 والحديث عند نصر حامد عن أركون وانظر ص 235.

(59) انظر: علي حرب " نقد النص " ص 72، 143، 144.

(60) انظر: د. أركون " القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني " ص 6.

(61) انظر: د. نصر حامد أبو زيد " الخطاب والتأويل " ص 228.

(62) انظر: د. عبد الله العروي " مجمل تاريخ المغرب " ص 25 نقلاً عن مبروكة الشريف " الخطاب النقدي " ص 133.

(63) د. العروي " الإيديولوجيا العربية المعاصرة " ص 104 وانظر: مبروكة الشريف " الخطاب النقدي " ص 115.

(64) د. العروي " العرب والفكر التاريخي " ص 225 وانظر" مبروكة الشريف ص 101.

(65) انظر: السابق ص 223.

(66) انظر: د. " مبروكة الشريف " الخطاب النقدي " ص 53 وهي كلمات متفرقة في خطاب عبد الله العروي تحصيها الباحثة.

(67) انظر: أدونيس " علي أحمد سعيد " الثابت والتحول " 1 / 32، 33 دار العودة – بيروت 1974.

(68) انظر: السابق 1 / 33 وانظر نصر حامد " إشكالية القراءة " آليات التأويل " ص 232.

(69) انظر: أدونيس " الثابت والتحول " 2 / 209 – ط 4 / 1986 – دار العودة – بيروت.

ـــــــــــــــــــــــــــ

ترويج الإسلام العلماني الجديد

لا أعتقد أننا بحاجة إلى التذكير بأن ما يتحكم بالموقف العلماني الذي عرضناه آنفاً بشكل مكثف هو معيار مادي فلسفي غربي اعترف العلمانيون بذلك أم لم يعترفوا، وأن الخلفية الإلحادية أو الشكية أو اللاأدرية هي التي يستبطنها أغلب العلمانيين في تناولهم للإسلام.

وأنه حتى الذين لم يصرحوا برفض الإسلام، ولم يجاهروا بإلحادهم وتحدثوا عن إمكانية وجود ما للإسلام، فإن الإسلام الذي يتحدثون عنه، ليس هو الإسلام الذي أنزله الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم وقال عنه {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ}(1). {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ}(2).

وإنما إسلام جديد يخترعونه منفتح – كما رأينا – وغير مغلق، وغير مكتمل، بعكس ما أراده الباري عز وجل: {اليوم أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلامَ دِينًا}(3). إنه امتداد لما سمي بدين العقل أو الدين الطبيعي كما طرحه فلاسفة النهضة الأوربيين واستعاضوا به عن المسيحية، وهكذا يسلك العلمانيون العرب درب أساتذتهم فيما يخص علاقتهم بالإسلام، فالإسلام الجديد العصري المستنير ليس من الضروري أن يقوم على خمسة أركان هي «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً».

فالشهادتان في الدين العلماني الجديد ليس لهما مدلول إيماني لأنه "في حقيقة الأمر وطبقاً لمقتضيات العصر لا تعني الشهادة التلفظ بهما أو كتابتهما، إنما تعني الشهادة على العصر... ليست الشهادتان إذن إعلاناً لفظياً عن الألوهية والنبوة، بل الشهادة النظرية والشهادة العملية على قضايا العصر وحوادث التاريخ"(4).

أما الجزء الثاني من الشهادة فليس من الإسلام لأنه أضيف إلى الأذان فيما بعد إذ كان الإسلام في البداية دعوة إلى لقاء لكل الأديان(5).

- والصلاة مسألة شخصية(6)، وليست واجبة(7)، وفرضت أصلاً لتليين عريكة العربي، وتعويده على الطاعة للقائد(8)، وتغني عنها رياضة اليوغا وهو ما غفل عنه الفقهاء(9)

- والزكاة أيضاً ليست واجبة وإنما هي اختيارية(10)، كما أنها لا تؤدي الغرض لأنها تراعي معهود العرب في حياتهم التي كانوا عليها "فهي تمس الثروات الصغيرة والمتوسطة أكثر مما تمس الثروات الضخمة... ولم توضع للحد من الثروات الكبيرة القائمة على الربح المرتفع، فهذه لم تكن معهود العرب زمن النبوة... ولذلك فالزكاة

وحدها لا يمكن أن تنال شيئاً من الفوارق الطبقية الكبيرة لأنها وضعت أصلاً لمجتمع ليس فيه مثل هذه الفوارق الطبقية الكبيرة"(11). إن الزكاة مقدمة يحثنا فيها الإسلام على الوصول إلى الشيوعية المطلقة(12).

- والصوم كذلك ليس فرضاً وإنما هو للتخيير(13)، وهو مفروض على العربي فقط، لأنه مشروط بالبيئة العربية ولذلك فالصوم بالنسبة للمسلم غير العربي مجرد دلالة وعبرة دينية(14). بل إن الصوم يحرم على المسلمين في العصر الحاضر لأنه يقلل الإنتاج(15).

- أما الحج كذلك فهو من الطقوس الوثنية الميثية العربية القديمة التي أقرها الإسلام مراعاة لحال العرب(16) وما هو إلا تعبير عن الحنين إلى أسطورة العود الأبدي(17)، وإعادة إحياء لتلك التجربة الجنسية الدينية المقدسة التي تمت بين آدم وحواء، والحج العربي العاري في الجاهلية يؤكد المشاركة في الجنس بين الألوهية والبشر(18). كما أن تحويل القبلة والحج تعبير عن الرغبة في تعريب الإسلام وتأكيد عروبيته(19). وليس من الضروري أن يقام بطقوسه المعروفة إذ يغني عنه الحج العقلي أو الحج الروحي(20).

وهكذا تُميَّع كل الشعائر الإسلامية وتعتبر طقوساً وثنية تحدرت إلى القرآن من البيئات والأمم السابقة والجاهلية(21)، وقد مارس الفقهاء دورهم في تقنينها(22) بعكس الرسالة التي تميزت في هذا الشأن بمرونة ولكن الفقهاء ألغو هذه المرونة(23). إن تحقيق الإسلام لمهمته الروحية قد يحصل دون أن تؤدى الطقوس والشعائر بالضرورة(24) فقد أصبحت المساجد أوكار الإرهاب(25)، وبرزت معالم التخلف ومظاهره في تنامي التدين الشخصي كما هو واضح في صفوف المصلين، والحجاب واللحى(26).

إن علامات الاستسلام تتجلى في ممارسة الشخص للصلاة والزكاة وهما عملان يقدمهما القرآن على أساس أنهما محض دينيين، ولكن لا يغيب عن أنظارنا أن لهما وظيفة حاسمة من حيث الدمج الاجتماعي والسياسي للفرد، ولهما وظيفة في كسر العصبيات والتضامنات التقليدية(27)، ونحن اليوم مدعوون لإعادة النظر في

الفرائض والعبادات وسؤال أهل الخبرة والاختصاص عن فوائد الصيام وأضراره اقتصادياً وصحياً(28).

وهكذا يُطمس الإسلام الرباني الذي أُرسل به محمد صلى الله عليه وسلم، ويبرز الإسلام العلماني المخترع بأركانه الجديدة العصرية المفتوحة، والقابلة لكل الأفهام والتأويلات، والتي لم تتوقف عند هذا الحد، لأنه لا حدود يمكن الوقوف عندها في الخطاب العلماني.

ثانياً: الإيمان العلماني الجديد

والإيمان أيضاً ليس هو الإيمان المحمدي الذي يقوم على ستة أركان «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره» وإنما "هناك تغيُّر جذري في المفهوم الإيماني نفسه، وفي وسائل تحققه اليقينية، ليست القضية الآن في السجود لصنم أو اتخاذ أرباب أو ممارسة علاقات فلكية أو أبراجية معينة ... المشكلة الإيمانية الآن في توجه الإنسان كلياً نحو الاتحاد بالطبيعة عبر منهجية العلم بديلاً عن التوجه إلى الله كونياً عبر منهجية الخلق ... فالإيمان في عصرنا يعني الانتقال إلى إدراك عميق لمنهجية الخلق والتكوين كما يوضحها الله في القرآن، وهي مرحلة إيمانية لم يصلها من قبل إلا من الذين اصطفاهم الله"(29).

وأصبحت الحداثة تفرق بين إيمان جديد وإيمان تقليدي فالإيمان الحديث "يقبل إعادة النظر حتى في الأصول الأولى من أجل انتهاكها وإعادتها إلى المشروطيات المشتركة للجدلية الاجتماعية، وهو ما ندعوه بأرخنة الأصول الأولى للأديان التوحيدية، أي الكشف عن تاريخيتها المحجوبة أو المغطاة بستار كثيف من التقديس والتعالي"(30).

إن الإيمان بالمعنى الحديث يقبل حتى فكرة موت الله وغياب الله عن العالم، وإن كانت هذه الفكرة تصدم الشرائح الكبيرة المؤمنة بالمعنى التقليدي(31). وبناءً على هذا المفهوم الجديد للإيمان الأركوني فإن كل الذين اعتُبروا ملحدين في التاريخ الإسلامي أو الغربي يمكن اعتبارهم مؤمنين لأنهم لهم إيمانهم الخاص، وهم لا يمكن أن يخرجوا عن الإسلام وإنما عن فهم ضيق قسري له، وقد كانت لهم طقوسهم وشعائرهم الخاصة(32).

ومن هنا يكفي أن يتحقق في الإيمان المعاصر عند طائفة من العلمانيين ركنان فقط هما الإيمان بالله واليوم الآخر(33)، وعند آخرين "الإيمان بالله والاستقامة"(34)، والقصد من ذلك هو إدخال النصارى واليهود في مفهوم الإيمان والإسلام، واعتبارهم ناجين يوم القيامة، ويُستدل لذلك بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}(35) (36).

وعند طائفة ثالثة يُفتح المجال للكونفوشيوسية، والبوذية وكل الأديان الوضعية للدخول في سفينة النجاة العلمانية(37)، لأنه يعسر على المؤمن في عالم اليوم أن يهمل التحديات التي تمثلها الأديان الأخرى المخالفة لدينه الموروث، فليس من الحكمة الإلهية أن أحكم أنا المسلم على ثلاثة أرباع البشرية من معاصري غير المسلمين بالذهاب إلى الجحيم، وبالتالي أليست الحقيقة التي أؤمن بها نسبية؟!(38).

وهكذا بالتوازي مع تغير مفهوم الإيمان يتغير معه مفهوم الإلحاد أو الشرك فكما أصبح الإلحاد عند نيتشة وماركس وفيورباخ نظرية للتحرير(39) يصبح كذلك عند المفكرين العرب "الإلحاد هو التجديد لأنه يطابق الواقع ووعي بالحاضر ودرء للأخطار ومرونة في الفكر ... إن الإلحاد هو المعنى الأصلي للإيمان لا المعنى المضاد، والإيمان هو المعنى الذي توارده العرف حتى أصبح بعيداً للغاية عن المعنى الأصلي، إن لم يكن فقداً له ... لأن الإيمان تغطية وتعمية عن شيءٍ آخر مخالف لمضمون الإيمان، والإلحاد هو كشف القناع وفضح النفاق"(40). والشرك بالله عز وجل لم يعد هو التوجه بالعبادة إلى غير الله عز وجل، وإنما أصبح يعني الثبات في هذا الكون المتحرك، وعدم التطور بما يتناسب مع الشروط الموضوعية المتطورة دائماً، فالتخلف شرك والتقدم توحيد(41).

إن التوحيد هو توحيد الأمة والفكر وليس توحيد الآلهة {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}(42) (43).

ولكن لا يجب أن نفهم أن الله عز وجل في الإيمان الجديد هو الله الذي يؤمن به المسلمون والموصوف في القرآن الكريم بكل صفات الكمال وإنما الله يعني الإنسان، وصفاته جميعها حتى صفة الوجود تعني الوجود الإنساني(44). الله الجديد [سبحانه

وتعالى] هو: الدافع الحيوي، التقدم، الحرية، الطبيعة، الخبز، الحب(45) أو هو الأمل بالعدالة والحرية والمساواة(46).

كذلك لا يجب أن نفهم أن اليوم الآخر في الدين العلماني الجديد هو نفسه الذي تؤمن به الأمة فإن الغيبيات عموماً كالعرش والكرسي والملائكة والجن والشياطين والصراط والسجلات وغير ذلك ليست إلا تصورات أسطورية(47). وإن فكرة اليوم الآخر في أساسها نشأت في منظور بعض العلمانيين مع عبادة الشمس لدى المصريين، ونشأت فكرة الخلود مع الدين الرسمي أو دين الدولة(48) أي أن العالم الآخر أسطورة ولدها الكهنة ليسيطروا على الناس ويحكموهم(49).

والكتب المقدسة بما فيها القرآن تنكر العالم الغيبي لأن الغيب في القرآن هو المستقبل فهو الوحيد الغائب، وأصبح من الممكن أن يُوصَل إليه بقليل من المنطق والحساب(50). إن عالم الغيب الجديد لم يعد رهناً بما يقوله الكهنة، ولم يعد خارجاً عن سنن الطبيعة، وصار قابلاً للتفسير العلمي(51).

إن البعث ليس في السماء، إنه في المستقبل على الأرض، ولا يحتاج إلى دليل مشاهد ملموس، إن الدين لا يتحدث عن الموتى ولا يُكلم الناس الحاضرين عن عالم غير حاضر(52).

البعث الذي يريده القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ليس هو البعث بعد الموت، وإنما هو البعث من عالم الطفولة والتخلف إلى عالم التقدم والوعي، البعث من الحياة الغريزية الطفولية الغائبة في ظلام الوعي إلى عالم العقل الحاضر في ضوء الصحوة واليقين. إن العرب أساءوا الفهم فحولوا الجدال إلى عالم الأموات، وتحدوا الرسول لكي يحيي أمامهم رجلاً ميتاً، ولو كان الرسول صلى الله عليه وسلم يريد من العرب أن يؤمنوا بالبعث بعد الموت فقط لقبل هذا التحدي وسكت، لكن الرسول كان يدعو العرب إلى الإيمان بالبعث في هذه الحياة، بإعادة الوعي إلى جيل غائب عن عالم الوعي(53).

إن المرء لكي يكون مسلماً لا يحتاج إلى الإيمان بالجن والملائكة، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل(54). ولا يحتاج للفرائض الشعائرية أو القبول الساذج للحياة الآخرة(55).

"قد لا يكون البعث واقعة مادية تتحرك فيها الجبال وتخرج لها الأجساد بل يكون البعث هو بعث الحزب وبعث الأمة وبعث الروح فهو واقعة شعورية تمثل لحظة اليقظة في الحياة في مقابل لحظة الموت والسكون"(56) "إن أمور المعاد في نهاية الأمر ما هي إلا عالم بالتمني عندما يعجز الإنسان عن عيشه بالفعل في عالم يحكمه القانون ويسوده العدل، لذلك تظهر باستمرار في فترات الاضطهاد وفي لحظات العجز وحين يسود الظلم ويعم القهر كتعويض عن عالم مثالي يأخذ فيه الإنسان حقه... أمور المعاد في أحسن الأحوال تصوير فني يقوم به الخيال تعويضاً عن حرمان في الخبز أو الحرية، في القوت أو الكرامة.." (57)

إن "الجنة والنار هما النعيم والعذاب في هذه الدنيا وليس في عالم آخر يحشر فيه الإنسان بعد الموت، الدنيا هي الأرض، والعالم الآخر هو الأرض، الجنة ما يصيب الإنسان من خير في الدنيا، والنار ما يصيب الإنسان من شر فيها"(58)، "أمور المعاد هي الدراسات المستقبلية بلغة العصر والكشف عن نتائج المستقبل ابتداء من حسابات الحاضر"(59). أما الحور العين والملذات فهي تعبير عن الفن والحياة بدون قلق(60) وأما الوطء فهو تعبير عن عقلية ذكورية جامحة إلى السيطرة(61).

إذا كان العلمانيون حريصون فعلاً على نهضة الأمة وتقدمها ورقيها كما يعلنون وليس على مصالحهم الشخصية من شهرة ومجد ونجومية، فهل يعتقدون حقاً أن أطروحاتهم العجيبة والغريبة بشأن الإسلام والقرآن – كما رأينا – ستحقق هذه النهضة وهذا التقدم والرقي؟

وهل وقف الإسلام "القرآني" وليس العلماني في تاريخه عائقاً أمام ازدهار الأمة، وازدهار حضارتها وثقافتها ومجتمعاتها؟ حتى يحتاج الإسلام إلى مسخ أو طمس أو تشويه؟ أم أن الإنسان هو الذي يحتاج إلى إصلاح وتمثل حقيقي لدين الله عز وجل، وتفاعل حقيقي مع كلمات الله جل وعلا؟ ألا يشعر العلمانيون أنهم يتلاعبون بالعقول ويعبثون بالفكر، وأن هذا التلاعب والعبث إذا انطلى على فئة من الناس أو جيل من الأجيال، فإن الزيف لا بد أن يظهر، والخداع لا بد أن ينكشف؟

أي مسلم يمكنه أن يقبل هذا المسخ والتشويه للإسلام باسم الإسلام، بل أي عاقل حتى ولو لم يكن مسلما يمكنه أن يقتنع بأن هذه الأفهام التي تُطرح، والأفكار التي

تُعرض موصولة بالإسلام، ومستندةً على نصوصه؟ إن الإسلام بطبيعته وتكوينه لا يقبل العبث، وهذا ما لاحظه المستشرقون لأنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كمثل المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، إنه واضح ليس فيه غموض ويسر ليس فيه عسر، ورحب ليس فيه حرج، وهذا مكمن قوته، وسر خلوده، ومظهر عالميته وشموليته، وسبب انتشاره وإقبال الناس عليه.

إن تضييع الوقت في تأويل الإسلام وتحريفه لن يجدي شيئاً، وسوف يزيد من مآسي الأمة وتأخر نهضتها، وخيرٌ منه أن نتوجه إلى العمل الصالح والبناء المثمر، لأن أمتنا ليست بحاجة إلى هدم، فليس لدينا ما يهدم، إن لدينا قواعد متينة، وأعمدة راسخة، وحصون منيعة، وتحتاج إلى بناء وبناءين، وأدوات وعاملين، أكثر من حاجتها إلى خطط ومشاريع ومهندسين.

إن مصيبة الأمة ومآسيها منذ قرون طويلة لا تتمثل في النصوص وإنما في اللصوص، إنهم الحكام الذين يحولون بينها وبين أي تقدم أو نهوض، لأن ذلك يُفوِّت عليهم كل ألوان الابتزاز والامتصاص والفرعنة التي يمارسونها، والاستبداد الذي يقارفونه.

لا يوجد من هؤلاء من يفكر بمستقبل الأمة أو بحاضرها، بل يوجد من يفكر بنفسه، وعرشه وولي عهده، لا يوجد من يفكر بتهيئة وسائل القوة والتمكن، ولا يوجد من يفكر بتهيئة وسائل العيش الكريم للناس، ولا يوجد من يفكر بالعلم والصناعة والاختراع والابتكار، ولا يوجد من يفكر بحراسة العدل والأمن والحق وتوفير ذلك لكل الناس، وحماية المجتمع من الفساد الخلقي والانحلال الاجتماعي والرشوة والظلم والفقر والمرض، ومن هنا فنحن لسنا بحاجة إلى المشاريع العلمانية التي تطمس الإسلام، لأنه لم يكن عقبة في وجه التقدم، بل إننا بحاجة إلى ثورة إسلامية تعيد الإسلام إلى مقر القيادة والفاعلية، وتزيح عن طريقة اللصوص والفراعنة والمنافقين، ليمارس دوره في ازدهار الأمة وحضارتها كما فعل ذلك من قبل.

---

(1) سورة آل عمران آية 19.

(2) سورة آل عمران آية 85.
(3) سورة المائدة آية 3.
(4) انظر: د.حسن حنفي "من العقيدة إلى الثورة" 17/1 وانظر: أبو طالب حسنين "التأويل في مصر" ص 339.
(5) انظر: الصادق النيهوم "صوت الناس، محنة ثقافة مزورة" ص 25.
(6) انظر: عبد الرزاق هوماس "القراءة الجديدة" ص 129، 169 ينقل عن أركون في مصدر أجنبي له.
(7) انظر:د. عبد المجيد الشرفي "الإسلام بين الرسالة والتاريخ" ص 63.
(8) انظر: د. عبد الهادي عبد الرحمن "سلطة النص" ص 110، 111.
(9) انظر: الصادق النيهوم "الإسلام في الأسر" ص 127، 134.
(10) انظر: د. عبد المجيد الشرفي "الإسلام بين الرسالة والتاريخ" ص 63 وانظر: العشماوي "جوهر الإسلام" ص 7، 8 79، 80.
(11) د. الجابري "وجهة نظر" ص 150 – 151.
(12) انظر: محمد محمود طه "الرسالة الثانية" ص 155، 164.
(13) انظر: د. الشرفي "لبنات" ص 173 فما بعد وانظر للشرفي "الإسلام بين الرسالة والتاريخ" ص63، 64.
(14) انظر: د. عبد الهادي عبد الرحمن "سلطة النص" ص 109.
(15) هذا ما أعلنه الرئيس التونسي الأسبق "بورقيبة" وألزم به الشعب التونسي انظر "تونس الإسلام الجريح" لمحمد الهادي مصطفى الزمزمي ص 48، 49 نقلاً عن الدكتور القرضاوي "التطرف العلماني في مواجهة الإسلام" ص 144.
(16) انظر: د. الشرفي "الإسلام بين الرسالة والتاريخ" ص 65 وانظر: طيب تيزيني "النص القرآني" ص 154، 155 وانظر: تركي علي الربيعو "العنف والمقدس والجنس" ص 89.
(17) انظر: الربيعو "العنف والمقدس والجنس" ص 89.
(18) انظر: الربيعو "السابق" ص 89 وانظر: القمني "الأسطورة والتراث" ص 165.
(19) انظر: عبد الهادي عبد الرحمن "سلطة النص" ص 106.

(20) انظر: أركون "مجلة الكرمل" العدد 1989/34 جزء 1 ص 23 فصيلة تصدر عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين مؤسسة بيسان للصحافة والنشر والتوزيع – قبرص – وانظر: خالد السعيداني "إشكالية القراءة" ص 37 وانظر: رمضان بن رمضان "خصائص التراث" ص 108، 109، 124 يعتبر أركون الحج العقلي ينتمي إلى القرآن الكريم أو على حد تعبيره إلى "الحدث القرآني" أما الحج الشرعي فينتمي إلى تأطيرات الفقهاء المغلقة الأرثوذكسية أو ما يسميه "الحدث الإسلامي" وهو يستعير المصطلح من التوحيدي الذي ألف كتاباً بعنوان "الحج العقلي إذ ضاق الفضاء عن الحج الشرعي" كما يذكر أركون نفسه. راجع "المصادر السابقة".

(21) انظر: طيب تيزيني "النص القرآني" ص 154، 155.

(22) انظر: أركون "تاريخية الفكر" ص 81.

(23) انظر: الشرفي "الإسلام بين الرسالة والتاريخ" ص 121.

(24) انظر: أركون "قضايا في نقد العقل الديني" 36.

(25) انظر: "الفاشيون والوطن" ص 200.

(26) انظر: العظمة "العلمانية تحت المجهر" ص 181.

(27) انظر: أركون "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني" ص 17.

(28) انظر: حسين أحمد أمين "الاجتهاد في الإسلام" ص 23 نقلاً عن د. عمارة "الإسلام بين التزوير والتنوير" ص 218.

(29) انظر: أبو القاسم حاج حمد "العالمية الإسلامية الثانية" 497/2، 498 وانظر: "البعد الزماني والمكاني وأثرهما في التعامل مع النص البشري" 116

(30) انظر: أركون "من القرآن إلى التفسير الموروث" ص 83، 84.

(31) أركون "قضايا في نقد العقل الديني" ص 207. يميز أركون أيضاً بين ثلاثة أنواع من الإيمان: الإيمان التقليدي البسيط والإيمان الواعي التاريخي، والإيمان الأسطوري العاطفي، أو الإيمان الحق والإيمان الباطل الزائف انظر: أركون "من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي" 50 – 51.

(32) انظر: أركون "مجلة الكرمل" ص 39 عدد 1989/34 م.. وانظر: "من فيصل التفرقة إلى فصل المقال"، ص 9.

(33) انظر: محمد شحرور "نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي" ص 31 والدكتور حامد طاهر يكرر ذلك كثيراً في كلية دار العلوم.

(34) انظر: العشماوي "جوهر الإسلام" ص 109، 121.

(35) سورة البقرة آية 62.

(36) انظر: السابق ص 127 وله: "أصول الشريعة" ص 100.

(37) انظر: د. أركون "نافذة على الإسلام" ص 60 وله أيضاً "الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد" ص 84.

(38) انظر: د. عبد المجيد الشرفي "لبنات" ص 101.

(39) انظر: كوليز "الله في الفلسفة الحديثة" ص 333، 334.

(40) د. حسن حنفي "التراث التجديد" ص 54.

(41) انظر: د. شحرور "الكتاب والقرآن" ص 496 وانظر: الشيخ عبد الرحمن حنبكة الميداني و"التحريف المعاصر في الدين" ص 202.

(42) سورة ص آية 5.

(43) انظر: د. حسن حنفي "حوار المشرق والمغرب" ص 54 – 57 والاستشهاد بالآية منه طبعاً.

(44) انظر: د. حسن حنفي "من العقيدة إلى الثورة" 92/2 – 93، 112 –113. "الصفات في الإنسان على الحقيقة وفي الله على المجاز" 602/2 وانظر 604/2 112/2 – 113، 114، 630 أما أن تكون الصفات في الله على الحقيقة وفي الإنسان على الحقيقة فهو مستحيل بنظر د. حنفي. انظر: السابق 601/2 وانظر: التأويل في مصر ص 347 فما بعد.

(45) انظر: حسن حنفي "حوار المشرق والمغرب" ص 72،

(46) انظر: أركون "قضايا في نقد العقل الديني" ص 282 وانظر: نوال السعداوي "المرأة والدين والأخلاق" ص 50.

(47) انظر: نصر حامد أبو زيد "النص، السلطة، الحقيقة" ص 135.

(48) انظر: مراد وهبة "ملاك الحقيقة" ص 299.

(49) انظر: الصادق النيهوم "الإسلام في الأسر" ص 82.

(50) انظر: السابق ص 81.

(51) انظر: السابق ص 82.

(52) انظر: السابق نفسه.

(53) انظر: النيهوم "السابق" ص 106، 107.

(54) انظر: حنفي "في فكرنا المعاصر" ص 93.

(55) انظر: أركون ص 81.

(56) د. حنفي "من العقيدة إلى الثورة" 508/4.وانظر أبو طالب حسنين "التأويل في مصر" ص 374.

(57) د. حنفي "من العقيدة إلى الثورة" 600/4.

(58) د. حنفي "من العقيدة إلى الثورة" 601/4.

(59) د. حنفي "من العقيدة إلى الثورة" 605/4.

(60) انظر: تركي علي الربيعو "العنف والمقدس والجنس" ص 140 – 141.

(61) انظر: السابق ص 132، 138.

=============

#لماذا يتدخل العلمانيون في أحكام الإسلام وشئون المسلمين؟

جواب:

يتدخل العلمانيون في أحكام الإسلام وشئون المسلمين , لهذه الامور :

1- عدم الأخذ بالإسلام كدين يمارس على أرض الواقع وعدم الأخذ بالإسلام دين ودولة .

2- تمييع مجتمعاتنا الاسلامية وجعلها مجتمعات بدون اسس وقيم واصول ثابتة وبالتالي حرمانها من الفكر الاسلامي الذي هو اساس النهضة والتقدم والقوة .

3- العلمانية هي نظرة مادية للإنسان والمجتمع والكون تستبعد الدين من ذلك , وبالتالي حرمان المجتمع من القوة الايمانية والروحية التي هي اكبر حوافز البذل والعطاء والتعاون والمثابرة والتكافل .

4- حصر الدين في المسجد وتقزيم للإسلام إن لم يكن القضاء عليه حتى لا يبقى للإنسان من وجود وهو يشاهد الكثير من الأخطاء والفساد والمآسي تحيط حوله دون أن يؤثر في ذلك ، من حيث مقاومة الظلم والتأكيد على العدل والمساواة والوقوف في وجه الفساد في الدولة والمجتمع .

5- رغبتهم بعدم الالتزام لأن الالتزام سوف يقف ضد الكثير من رغباتهم وشهواتهم غير المشروعة .

6- العمالة والتبعية للغرب السياسي والفكري والتشريعي والاستعماري .

7- زيادة أزمات المجتمعات الإسلامية .

8- تمييع النظام والفكر والفقه الاسلامي السياسي والاقتصادي والاجتماعي حتى يعيش المسلمون كأنهم غرباء في مجتمعاتهم , وايجاد الازدواجية والتعارض والتناقض في المعايير والنظم.

9-إبعاد أثر الدين عن الحياة السياسية ، وإضعاف أثر الدين في مقاومة الاستعمار السياسي والفكري والثقافي والاجتماعي ، قوى تستند للدين كمرجعية في مقاومة الاستعمار .

10- نشر المحرمات الفواحش في المجتمعات الاسلامية , كمنع الحجاب, او منع المتحجبات من التعليم الجامعي .

11- تعطيل عدد من الأحكام التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتي أمرنا باتباعها . مثل احكام الحدود وخاصة الردة , وربما حتى السماح بان يكون رئيس الدولة الاسلامية كافرا - غير مسلم - , ووضع احكام بديلة تسمح باعلان الكفر والارتداد وتسمح بالربا والزنا وشرب الخمر ...الخ .

12- فصل الترابط المهم بين الفكر والممارسة وبين العقيدة والسلوك .

13- إبعاد أثر الدين عن الحياة الفكرية ، ووضع الافكار والمذاهب والفلسفات الغربية من ليبرالية وديمقراطية والحريات المطلقة وغير المقيدة بقيود الشريعة , حتى يعم الفساد الفكري والاخلاقي وينتشر الاحتكار والاستغلال وتغليب المصلحة والمنفعة الشخصية الفردية على مصلحة الجماعة , مما يسبب التنافر والتشاحن بين افراد االمجتمع .

مما سبق يتبين ويتأكد لنا ما يلي من الحقائق :

1- ان الدعاة الى العلمانية هم دعاة الى الردة والكفر والفساد والتمييع والضعف .

2- ان الدعاة الى العلمانية هم عملاء للغرب بمعنى الكلمة .

3- لا يمكن ان تنجح او تسيطر العلمانية وافكارها في المجتمعات العربية والإسلامية .

4- لا يمكن للعلمانية ان تحل مشاكلنا بل ستزيدها تعقيداً .

5- الدعوة الى العلمانية دعوة الى تجارة وتعاطي المخدرات ، وانتشار الأمراض الجنسية أبرزها الأيدز ، والاكثار من الاغتصاب ومن عمليات الإجهاض المحرمة ، والاكثار من الأطفال غير الشرعيين وابناء الحرام واللقطاء ، والعمل على التفكك والعنف الاجتماعي ، وانتشار السرقات ، والنصب ، والاحتيال ، والقتل إلى غيره من المشاكل الاجتماعية .

التوصيات :

1- يجب محاربة العلمانية والعلمانيين وكل من يدعو اليها او الى اي فكرة فيها .

2- يجب ابعاد العلمانيين عن مراكز القرار والتاثير والاعلام .

3- يجب العمل على بيان حكم العلمانية وان الاخذ بها هو اخذ بالكفر وهو ردة عن الدين الاسلامي عقيدة وشريعة .

كتبه الأخ الفاضل / علوش

===============

#بين العلمانية والدين

قال لي أحد العلمانيين يوما:

العلمانية كالدين أيديولوجيةً ، لكنها تختلف عن الدين في انها لا تتعلق بخصوصيات تاريخية اكل الدهر عليها و شرب ، بل هي أيديولوجيا متحركة ،رجراجة ، متطورة ، لا تقبل التحجر و الجمود . هذا ما يميزها عن غيرها من الأيديولوجيات الدينية (الاديان) .

قلت له جوابا عن سؤاله:

أشكر لك أولاً صراحتك مع ذاتك أولا ثم في إعلانها دون مواربة
ثم إذا ما كنت يا عزيزي تتهم قيمنا المنبثقة عن أدياننا بأنها جامدة وقد أكل عليها الدهر وشرب فماذا تقول في علمانيتك التي هي إلى الآن مجرد شعارات مبهمة لا تعتمد على أسس ولا ترتكز على مبادئ فقط مجرد كلمات ورثتم أغلبها عن الفكر الماركسي الذي أكل عليه الدهر وشرب بل غسل يده أيضا
إن أي فكر يجب أن يرتكز على جانبين ليس أحدهما بأولى من الآخر هما نقد الآخر وطرح المشروع البديل وللأسف كل ما نلاقيه منكم هو مجرد النقد الذي لا يعتمد على مرجعية لا من جهة النظرية ولا من جهة الواقع
أخبرونا ماذا فعلتم معشر العلمانيين في بلادنا وماذا قدمتم؟
ما الأنموذج الذي قدمتموه لتطلبوا منا أن تعتمده أسلوبا في حياتنا ؟
لا شيء 0000000
حتى في هجومكم على الدين ماذا كان نهجكم ؟
مجرد كلمات اختزلتم فيها فكرة الدين في مسألة حقوق الإنسان ثم بان لكم أنه ثوب واسع وان أدلتكم ترُد عليكم وأن العلمانيين هم أول من يضيع حقوق الإنسان فاختزلتموه في حقوق المرأة – وقد أجبنا عن كل ما أثرتموه في هذا المجال لكنكم لا تقرؤون أو تتجاهلون– ثم ارتقى أمركم إلى مستوى الدعوة إلى قسر المرأة على خلع حجاب يستر ما تود ستره نعم هذه هي العلمانية التي تتشدقون بها
يا عزيزي العلمانية التي لجأ إليها الغرب كانت ضرورة قومية لم يكن منها بد لمواجهة التسلط الكنسي الذي وقف حجر عسرة أمام أي فكرة علمية وأقام محاكم التفتيش لمناهضة ذلك وغيره وهذا بالطبع لا يخفى على أحد أما العلمانية التي تروجون لها أنتم فهي ثورة على الأخلاق هذا هو الفارق الذي لا ينبغي تجاهله 0ولذلك لم ولن تنجح العلمانية في بلادنا
وإلا فسأعيد نفس السؤال ماذا قدمتم أيها العلمانيون ؟ ما هي مشروعاتكم وما هي مبادئكم وما هي بدائلكم العملية ؟
هل اخترع أحدكم شيئا منتجا وقيل له إن ذلك حرام ؟
هل صادر الدين أي فكرة علمية قد تقدمتم بها ؟

ورغم هذا فلست أنكر أن في العلمانية أنماطا إيجابية استفاد منها الغرب حيث قادته إلى العمل الجاد فنال بذلك التقدم العلمي الهائل الجدير بالاحترام والإعجاب أما علمانيو الشرق فقد وقفوا عند حد العبارات والكلام الذي لا يجيدون غيره سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أما على المستوى الفردي فهو ما ناقشته من خلال ما سبق وأما على المستوى الجماعي فهاهي تركيا التي أعلنت منذ ما يقرب من قرن أن العلمانية هي نهجها ماذا قدمت أو ماذا جنت ؟

دمار اقتصادي وهوان سياسي وقس على ذلك بقية الدول الإسلامية التي هي في الحقيقة دول علمانية

=============

#هرقل والعلمانيون !

بقلم : د. عبد الرحمن صالح العشماوي

ما أزال أعجب كلَّ العجب ، وآسى كلَّ الأسى على فئات من المسلمين يرفعون شعارات بعيدة عن الإسلام ، ويدعون إليها وينافحون عنها ، وينالون من الإسلام وأحكامه وشعائره من أجلها ، ويهاجمون دعاة الإسلام ورجاله المصلحين ليل نهار ، أعجب والله من ذلك كلَّ العجب ، وأسأل الله السلامة والعافية وأحمده على صحة المعتقد ، وسلامة العقل ، وأسأله الثبات على الحق .

إنَّ الذي يتأمل "الطرح العلماني" في صُحفنا ووسائل إعلامنا في هذه الأيام يشعر بالحزن لحال هذه الفئة "العلمانية" التي أغلقت عقولها وقلوبها أمام الحق ، ورضيت لنفسها أن تتخبط في دروب الضياع .

ومع أننا لا نستغرب "الهجمة العلمانية" الشرسة - هذه الأيام - التي يشنها أدعياء الثقافة والفكر على إسلامنا ورجاله فإنها "شنشنة نعرفها من أخزم" ، وقد تعودنا على مثل هذه الهجمات من "اليساريين" الذين أفرغوا - في زمن مضى - ما في قواميس اللغة من عبارات السِّباب والشتم للدين والدعاة الملتزمين به والداعين إليه ، مع أننا لا نستغرب هذه الهجمة ، إلا أننا نستغرب هذا القدر الهائل من الوهم الذي تشقى به عقول هؤلاء العلمانيين ، وهذا القدر الكبير من "الغباء" الذي يُعمي أبصارهم عن رؤية الحق .

فهذه الأنظمة البشرية ، والمذاهب والأفكار والمعتقدات الوضعية تتهاوى واحداً تلو الآخر، وتنهار بصورة مروِّعة أمام أعين الناس ، ومع ذلك ما تزال فئة "العلمانية" في بلادنا جادة في طرح أفكار الغرب ، وطروحات الغرب السياسية والثقافية ، وكأن ما يجري في العالم من سقوط لتلك الأفكار إنما هو شريط خيال يمر، أو مشهد من مسرحية "مأساوية" لا علاقة له بالواقع المعاش .

أحدهم يكتب المقالات الطوال مؤكداً أهمية "المشروع الغربي" سياسياً وثقافياً واجتماعياً لإنقاذ الأمة من ضعفها وتخاذلها ، ويرى أن النظام العالمي الجديد مظلة يمكن أن نستظل بها، وأن نعيش حياة العزة والكرامة تحت سقفها، ويرى أن هؤلاء المتخلفين أصحاب النظرة الأحادية من "دعاة الإسلام ورجاله" إنما يريدون أن يعودوا بالأمة إلى الوراء وأن يمارسوا نوعاً من "التسلط الديني" على رقاب الناس .

وآخر من فئة "العلمانيين" يرى أن علمنة الفكر والثقافة والنقد الأدبي أمرٌ لا بد منه إذا أردنا الخروج من سجن "الفكرة الواحدة" و "النظرة الواحدة" إلى فضاءات الحرية الثقافية التي لا حدود لها ، وهي حرية – في رأيه متحققة – في "المشروع الثقافي الغربي" .

وآخر يقول : إن فكرة النظام العالمي الجديد ستساعدنا على التخلص من سيطرة "الدوغما" أي من سيطرة العقيدة والمبدأ ، فهو يرى أن سبب تخلُّف الأمة العربية هو التزامها بالمبدأ مما يشكل "سلطوية دينية"(*) تحكم الثقافة العربية والعقل العربي ، ولذلك تخلف العقل العربي عن اللحاق بالعقل الغربي في ميادين العلم والثقافة والسياسة وغيرها .

إن هذا الاتجاه المخيف – عند فئة "العلمانيين" – إلى ثقافة الآخرين وفكرهم ومذاهبهم بحاجة إلى طرح واع ودراسة واعية ، إنها فجيعة كبيرة يجب أن لا تمر بنا هكذا ، ففي الوقت الذي طلعت فيه الشمس صافية لا يكدر وجهها غبار ولا غيوم ، وفي الوقت الذي تتهاوى فيه طروحات الديموقراطية الغربية إلى الحضيض؛ كما تهاوت قبلها الأيديولوجية الروسية – وما جرى في الجزائر دليل على ذلك – وفي الوقت الذي يعلن فيه الغرب عودة أساليب الاستعمار العسكري بشكل واضح فيه قدر كبير من التبجح – كما هو الحال في البوسنة والهرسك والصومال – أقول : في هذا

الوقت ما نزال نرى هذا الاندفاع الأعمى من فئة "العلمانيين" في بلادنا في هذه الطرق المعوجّة المنحرفة ، وما نزال نرى هذا التحامل على الإسلام وأهله وعلى كتابه وسنته ، وأقول لفئة العلمانيين من أبناء المسلمين : ألا يسعكم ما وسع هرقل الروم في موقفه الإيجابي من دعوة الرسول –عليه الصلاة والسلام– حينما قال – كما ورد في صحيح البخاري –: "قد كنت أعلم أنه خارج – يعني النبي عليه الصلاة والسلام – لم أكن أعلم أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشَّمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت قدمه". ألا يخجلكم أيها العلمانيون موقف هرقل هذا ؟

================

الهوامش:

*- يعتبر الكاتب السوري علي أحمد سعيد المسمى : أدونيس من ألد أعداء الإسلام المروجين لهذه الآراء الفاسدة . وتحتل مقالاته مكاناً بارزاً في الصحف والمجلات العربية . بالإضافة إلى مقالات زوجته : خالدة سعيد ، ومقالات ابنته : أرواد أسبر .

=============

أم أنس حصّة الهاجري :

الرسولُ الغبيُّ لإبليسَ

بقلم فتى الادغال

عجائبُ الدُّنيا ثلاثةٌ : الغولُ ، والخِلُّ الوفيُّ ، والعنقاءُ ، ومضربُ المثلِ في الحماقةِ من الحيواناتِ : الضبعُ والنعامةُ ، أمّا الضبعُ فيبلغُ حمقُها أنها إذا قيلَ لها : ليستْ هذه أم عامرٍ – وهي كُنيةٌ لها – سكنتْ واطمأنتْ وظنّتْ أنّها غيرُ مرادةٍ ، فتُمسكُ وتُصطادُ وتُقادُ ، ويُقالُ لها : خامري أمَّ عامرٍ ، أي اسكني وانخدعي ، وأمّا النعامةُ فمن حماقتِها أنّها تتركُ بيضها وتخرجُ للبحثِ عن الطعامِ ، فإذا رأتْ بيضاً آخراً جلستْ عليهِ وحضنتهُ ونسيتْ بيضها .

هكذا قالَ علمائُنا عن الغرائبِ والحمقى من الحيواناتِ والعجماواتِ ، ولو أنَّ مُذيّلاً أرادَ أن يُذيّلَ على كتابِ الحيوانِ للجاحظِ أو الدّميريّ ، فلنْ يتوانى أبداً في البدائةِ بالعلمانيينَ ، وجعلهم على رأسِ القائمةِ ، فصلاً وافراً في الحماقةِ والجهلِ ، فلديهم حماقةٌ بالفعلِ وبالقوّةِ القريبةِ ، حاضرةً على الدوامِ ، مبذولةً لمن يرومُها .

حاولتُ أن أجدَ علمانيّاً عاقلاً فأعياني البحثُ ، ثمَّ كرّرتُ المحاولةَ وقلتُ علَّ وعسى أن أجدَ فيهم من يُحسنَ الفهمَ ويعرفُ كيفَ يقرأ ويستنبطُ ، فلم أجدْ فيهم إلا غباءً مُطبقاً ، وحماقةً فاقتِ الحدودَ ، ودلاخةً فكريّةً ، إضافةً إلى بلاهةٍ فطريّةٍ تصلحُ أن تكونَ فصلاً في دراسةِ الأجنّةِ الخديجةِ عقلياً ، فيُضافونَ إلى الأطفالِ المنغوليّينَ .

أقولُ هذا الكلامَ وبينَ يديَّ روايةٌ من أنتنِ ما سطّرتهُ يدٌ ونضحتْ بهِ جارحةٌ ، بطلتُها أمُّ أنسٍ حصّة الهاجريُّ ، والهواجرُ منها ومن أفنِها وكذبِها براءٌ ، أمُّ أنسٍ وما أدراكم ما أمُّ أنسٍ ، يبدو أنّكم تذكّرتموها فقد سبقَ لها نشرُعفِنها ونتنِها قديماً ، فهي مضربُ المثلِ في الجهلِ والكذبِ ، بعدَ أنْ كشفَ اللهُ عنها حجابَ الغيبِ ، فظهرَ لنا من وراءِ ذلكَ وجهاً قبيحاً وشارباً كثيفاً ، وجثّةً كجُثّةِ البغلِ ، وعقلاً كعقلِ العصفورِ حجماً ، وأمّا رجاحةً فالعصفورُ أرجحُ وأركدُ .

الرّاويةُ المريضةُ كانتْ عن امرأةٍ تزوّجتْ شيخاً ، ثمَّ أخذتْ تسردُ فصولاً باهتةَ المضمونِ ، سخيفةَ الأسلوبِ ، وضيعةَ المقصدِ ، حرباً على الدينِ والمُتمسّكينَ بهِ .

تبّاً لهم وسُحقاً ، أما وجدَ شيطانُهم رسولاً أحذقَ وأفهم وأحكمَ منها ؟ ، فقد فضحتهم وشرّدتْ بهم في كُلِّ وادٍ ، وأصبحوا أضحوكةَ المجالسِ والدواوينِ .

لقد كشفوا عن سخفٍ في الطرحِ وبلادةٍ في الطبعِ ، ناهيكَ عن الأساليبِ الركيكةِ في الكتابةِ ، والإقصاءِ الفظيعِ لجميعِ من خالفهم أو حاورهم ، مع تشدّقهم الدائمِ بحرّيةِ الرأي ، فصرنا حديثَ الدّنيا عن التخلّفِ الرهيبِ الذي يُعاني منهُ العلمانيّونَ .

لماذا هذه القصصُ المكذوبةُ ؟ .

قرأتُ قصّةَ أمِّ أنسٍ الأخيرةَ ، فضحكتُ بملءِ فمي وطلبتُ على وجهِ السرعةِ كأساً من الشاي المنعنشِ ، لأتمتّعَ بقراءةِ التهافتِ والتناقضِ ، وأنعم دهراً بالفراغِ من المضمونِ والمحتوى ، فلا الأسلوبُ أسلوبُ الأدباءِ ، ولا القصّةُ جاريةٌ على سننِ النقّادِ ، وإنّما كانتْ أبضاعاً مشوّهةً وجثّةً هامدةً لكلماتٍ قُصدَ منها هدمُ الدينِ والقيَمِ ، كُتبتْ بيدٍ ترتعشُ وعقلٍ غائبٍ بفعلِ الكراهيّةِ ، وأسنانٍ تصتكُّ بعضُها على بعضٍ غيظاً ، وصدرٍ يلتهبُ زفيراً ورجيعاً ، وظهرٍ قد احدودبَ من طولِ

الجلوسِ على الكرسيّ ، بعدَ مُعاناةٍ طويلةٍ من إمساكٍ فكريٍّ ومعرفيٍّ ، ثلطَ معهُ صاحبهُ فيما بعدُ كلماتٍ موبوءةً وأفكاراً موتورةً .

مساكينٌ هؤلاءِ الحمقى والمغفّلونَ من العلمانيين الأقزامِ ، يُحاربونَ نوراً سطعَ من السماءِ منذُ 1400 سنةٍ خلتْ ، قاومهُ عبرَ التأريخِ جماعاتٌ ودولٌ ، وتآمرَ عليهِ اليهودُ والنصارى والمشركونَ ، وأقميتْ ألوفُ المراكزِ البحثيّةِ في دولِ العالمِ ، وجُهّزتْ لهُ جيوشٌ من المستشرقينَ العباقرةِ الأفذاذِ وأذنابهم من المستغربينَ في العالمِ الإسلاميّ ، فما قدروا أن يهزّوا فيهِ شعرةً ، ولا أن يُطفئوا منهُ جذوةً مُشتعلةً ، بل هاهو الآنَ يزدادُ توقّداً ويعلو سموّاً ويترسّخُ نهجاً ، فهل سيقدرُ هؤلاءِ الحثالةُ الساقطونَ من أن يهدموا ركنهُ المشيدَ ؟ .

الحمدُ للهِ أنّ العلمانيينَ بهذا المُستوى من التردّي الفكري ، فواللهِ لقد كنّا نحسبهم شيئاً ذا بالٍ ، وإذا بهم يغدونَ أحقرَ من ضرطةِ عيرٍ في فلاةٍ ، فلا أسلوبَ ولا فكرَ ولا عقليّةَ ، بل هو الكذبُ والزيفُ والدّجلُ ، وفي كلِّ مرّةٍ يكتبونَ فيها شيئاً نكتشفُ من خبايا عوراتِهم ما استكنَّ عنا من قبلُ .

هل تعرفونَ قضيّةً شغلتِ العلمانيين أكثرَ من قضيّةِ الإسلامِ ؟ ، ومهما غيّروا من عباراتٍ فمقصدهم الإسلامُ والدينُ ، فمرّةً يُهاجمونَ الوهّابيّةَ ، وأخرى يُهاجمونَ السلفيّةَ ، وثالثةً يُهاجمونَ الراديكاليّةَ والمُحافظةَ ، والكلُّ عندَ التحقيقِ والتمحيصِ هو الإسلامُ ، فمُثُلُ وقيمُ الوهّابيّةِ والسلفيّةِ والمُحافظةِ التي تُهاجَمُ هي عينُها مثُلُ وقيمُ الإسلامِ ، ومن أرادَ صدقَ قولي هذا وبرهانهُ فليحاققْ علمانيّاً في قولِهِ وليناقشهُ ، وسيجدُ أنّهُ يختطفُ نصوصاً شرعيّةً وأحكاماً مُجمعاً عليها ثُمَّ يجيّرُها للوهّابيّةِ أو السلفيّةِ ، وما درى المسكينُ أنَّ هذا دينٌ أتى بهِ محمّدُ بنُ عبداللهِ – صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ – وجدُّ بوشٍ الأبُ راعٍ مملوكٌ لرجلٍ من عامّةِ الناسِ وساقتِهم ، في سنواتِ عزِّ الإسلامِ .

لماذا يكرهونَ الإسلاميينَ ! ، هل لأنَّ نجمهم في علوٍ ومكانتُهم تسمو وترتفعُ ، والمجتمعُ عنهم راضٍ بهم مُفتخرٌ إليهم مُحتكمٌ ؟ ، أفيحسدونَ الناسَ على ما آتاهم اللهُ من فضلهِ ؟ ، أعلمُ أنَّ أعظمَ ما يغيظُ العلمانيينَ هو رؤيتُهم للشبابِ المُسلمِ المثقفِ ، والذي يعي ويفهمُ دروسَ الحضارةِ ومُشكلاتِ الواقعِ ، ويُنظّرُ لذلكَ ويكتبُ

عنهُ كتابةَ المُفكّرِ الذي سبرَ الأمورَ ووقفَ على دقائقِها ، فإذا رأوا شيئاً من هذا لدى الشبابِ المُسلمِ الواعي ، أدركتهم الحميّةُ الحمقاءُ وتوجّهوا لشاشةِ الحاسبِ الخاصّ بهم وأخذوا يبصقونَ على الشاشةِ غيظاً وحنقاً ، ثمَّ يتفجّرُ منهم سُعارُ الحقدِ والكراهيّةِ ولا يجدونَ شيئاً يُقدمونهُ قرباناً إلى شيطاينهم ، إلا روايةً هزيلةً مريضةً يستحي منها إبليسُ ، فيُغضي عنها غضباً وأسفاً ، أن خابَ تعليمهُ فيهم وضاعَ رجاؤهُ .

هل لدى هؤلاءِ العلمانيينَ شيءٌ لم يأتِ بهِ الجعدُ بنُ درهمَ والجهمُ بنُ صفوانَ وابنُ الرّاونديّ والحلاّجُ وجابرُ بنُ حيّانٍ وابنُ عربيٍّ انتهاءً بطه حُسين وأحمد لُطفي السيّد وإسماعيل أدهم وجلال صادق العظم وعبدُاللهِ القصيمي وغيرُهم ؟ ، أفلا يعتبرونَ لمصرعِ أولئكَ ، وكيفَ أضحتْ حُججهم وكُتبهم نهباً مُشاعاً لأهلِ الحقّ يفنّدونَ شُبههم ويكسرونَ كلامهم ، حتّى ذوتْ أشجارهم وماتتْ آثارُهم وصارتْ أثراً بعدَ عينٍ ، نقرأها لنعرفَ شرّها ونتّقي ضرّها ؟ .

أتمنّى أنْ أجدَ لدى أحدِ هؤلاءِ العلمانيينَ مشروعاً تربويّاً ، أو فكراً حضاريّاً ، لقد بحثتُ وقرأتُ وفتشتُ فلم أجد أكثرَ من شتمِ الإسلاميينَ والافتراءِ عليهم ، والفرارِ منهم من ومناقشتِهم ، والإزراءِ بشرائعِ الإسلامِ والحطِّ على قيمِهِ ، وحقوقِ المرأةِ .

آه .. حقوقُ المرأةِ ، تلكَ الأسطوانةُ المشروخةُ والجوقةُ المُردّدةُ لدى كلِّ علمانيٍّ ، حتّى كأنَّ كُلَّ امرأةٍ خوّلتْهُ للحديثِ عنها ، ونصّبتهُ محامياً دونها ، ولكنْ ماذا يعرفُ العلمانيُّ عن المرأةِ ؟ ، لا يعرفُ عنها إلا أنّها مشروعٌ تِجاريٌّ لا بُدَّ أن يُستثمرَ ، تبعاً للخريطةِ الجسميّةِ الدقيقةِ والتفاصيلِ المرضيّةِ ، وكلّما كانتْ جميلةً وبضّةً كانتْ مشروعاً يُدرُّ أرباحاً طائلةً ، فهو حينَ ذلك يخُبُّ ويضعُ حتّى يحرّرها من قيودِ العفافِ والحشمةِ لتغدو لحماً يُساومُ عليهِ أهلُ الفسقِ والفجورِ ، ولكنْ ماذا عن المرأةِ في الرّيفِ والمرأةِ في القرى ، والمرأةِ في الكونغو الديمقراطيّةِ والمرأةِ في أدغالِ الغابونِ ، أليسو نساءً يستحقّونَ الحديثَ عنهم ؟ ، لماذا خلتْ روزناماتُ بني علمانٍ من الحديثِ عن النساءِ اللائي سُحقنَ وسُحلنَ تحتَ أسوارِ الفقرِ والمجاعةِ والتشرّدِ ؟ ، أم أنَّ حقوقَ النساءِ تتوقّفُ عندَ المرأةِ الناعمةِ القدِّ ممشوقةِ القوامِ ، والتي تصلحُ عارضةً للأزياءِ ، أو راقصةً في فيديو كليب صارخ ، أو نادلةً في

ملهىً ليلي تُقدّمُ فيهِ الكأسَ وتُصبحُ وتُمسي رهنَ طلبِ الزبونِ وطوعَ مالهِ ودراهمهِ ؟ .

إنّهم لا يعرفونَ عن الحضارةِ أكثرَ من أفلامِ ميل جبسون وبراد بيت وجون ترافولتا وجيمس كامرون ورتشارد مور ، أو أسطواناتِ ألفيس بريسلي ومايكل جاكسون وففتي سنت وسنوب دوق وبرتني سبيرز والشمطاءِ مادونا ، وكذلك المطاعمِ من عيّناتِ هارديز وبيتزا هت وفرايديز وتشيلز ، والثالوثِ الأمريكيِّ الشهيرِ : الجنزِ ومالبورو وكوكا كولا ، هذا مبلُغهم من العلمِ عن الحضارةِ ، فتراهُ يصدحُ بها في كُلِّ مجلسٍ ، ويتباهى بمعرفتهِ بالمطاعمِ والمشاربِ والممثلينَ والممثلاتِ ، والمدنِ التي زارها أو الحاناتِ التي قصدها ، وما عدى ذلك فهو فيهِ أجهلُ من حمارِ أهلهِ ، لا يعرفُ شيئاً من التطوّرِ أو التقنيّةِ ، وإنّما يشتمُ ويلعنُ قومهُ من المسلمينَ لتأخّرهم عن ركبِ الحضارةِ ، والتي لم يأخذْ هو منها غيرَ القذارةِ والعفنِ فكراً وسلوكاً .

نسيتُ أمراً مُهمّاً : ماذا عن عمّتهم العجوزِ أمريكا ! .

أينَ هو صوتُ هؤلاءِ الصبيانِ عن شنائعِ عمّتهم العجوزِ أمريكا في سجنِ أبي غريب ، وما فعلتْهُ من عظائمَ يندى لها الجبينُ ، وتخفقُ الرؤوسُ عند ذكرها خجلاً وحياءً ، لمَ لا نرى لهم حديثاً عن ذلكَ ؟ ، وأين هم عن تصريحاتِ الوغدِ الكهلِ جون كيري عن هذه البلادِ – حرسَها اللهُ – وهو يتهجّمُ عليها في كلِّ يومٍ وبمناسبةٍ أو بدونِها ، لمَ لا يذبّونَ عن معقلِ الدينِ ومأرزِ الخيرِ ، ألا يرعوونَ ألا يخجلونَ على علمانيّتهم وهم يرونَ بوّابةَ العلمانيّةِ والتحرّرِ تتهاوى صروحُ قيمها وتتضائلُ أسهمها ، بعدَ المخازي الفظيعةِ التي أرتكبوها ؟ ، بعدَ أن صمّوا آذانَنا حديثاً عن الحرّياتِ والديمقراطيّةِ والشرخِ الأوسطِ الكبيرِ ! .

هي كلمةٌ أقولُها لكلِّ علمانيٍّ استغلَّ هذه الأحداثَ المؤلمةَ في بلادِنا ، وراحَ يبُثُّ فسادَهُ ومُنكرهُ عبرَ شبكاتِ الانترنت ومواقعِ الرّذيلةِ : إنَّ قدرَ هذه البلادِ هو الإسلامُ ، هكذا وعدَ اللهُ سُبحانهُ وتعالى ، وهكذا أخبرَ نبيّهُ الكريمُ – صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ – فالدّينُ والإيمانُ يأرزانِ إلينا ، وهكذا اختارتِ القيادةُ الحاكمةُ – أدامَ اللهُ سعدها – ، والشعبُ بأسرهِ – ثبّتهُ اللهُ – ، فنحنُ حضنةُ الملّةِ عِمادُ الدّينِ ، ومهما حاولَ الجهلةُ والمُراغمونَ النيلَ من قيَمِ هذه البلادِ ، أو التطاولَ على ثوابتِها الشرعيّةِ

فسوفَ يجدونَ من العلماءِ والمُفكّرينَ من يوقفهم عندَ حدّهم ، وقد صدقَ الأميرُ عبداللهِ بنُ عبدِالعزيزِ – وفّقهُ اللهُ – بقولِهِ : إنَّ هذه البلادِ إمّا أن تكونَ مُسلمةً أو لا تكونُ ، فالحمدُ للهِ الذي لجمَ بهذه الكلماتِ فمَ كلِّ ناعقٍ ، وأخرسَ كلَّ ناهقٍ : ((وردَّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى اللهُ المؤمنينَ القِتالَ)) .

أتمنّى من كلِّ قلبي أن يلجىءَ العلمانيّونَ إلى حيلةٍ ناجعةٍ لبثِّ فكرهم الصديءِ ، فقد كُشفتْ جميعُ أوراقهم وفُضحتْ جميعُ ألاعيبِهم ، وعلمَ النّاسُ حقائقهم ومخازيهم ، وما عادتْ تنطلي على النّاسِ ترّهاتُهم وكذباتُهم ، وصدقَ اللهُ سبحانهُ وتعالى إذ يقولُ : ((ولا يأتونكَ بمثلٍ إلا جئناكَ بالحقِّ وأحسنَ تفسيراً)) ، وقد ذكرَ علماؤنا – عليهم رحمةُ اللهِ – أنَّ هذه الآيةَ عامّةٌ شاملةٌ على مرورِ ِ الأزمانِ ، ومع جميعِ الطوائفِ المُخالفةِ للحقّ .

وحتّى لا ننسى فهذه دعوةٌ صادقةٌ لجميعِ العلمانيين ، أن ينعموا ولو لحظةً واحدةً بنعمةِ الهدايةِ ، ويلتذّوا بذكرِ اللهِ وبمناجاتهِ ، فأنا أعرفُ من حالهم الضيقَ والضّنكَ والحيرةَ والحسرةَ ، وصدورهم فيها من الحرجِ والعنتِ ما يُلهبُ أضلعهم ويُقظُّ مضاجعهم ، فلا ينعمونَ برُقادٍ أو طعامٍ أو شرابٍ ، وحياتُهم شرذمةٌ بينَ خيالٍ وطيفٍ ، أو أسرى لشهوةٍ ونغمٍ ، فهلاّ ذاقوا لذّةَ العِبادةِ وسكونَ الطّاعةِ ، فهي واللهِ ملاذُ آمنٌ من التشرّدِ الفكريّ والضياعِ الخُلقيّ ، والتعبّدُ للهِ أهنأ وأبركُ من التعبّدِ للغواني والملاذِّ والشهواتِ ، وربّاً واحداً تصمدُ إليهِ ، ولا ألفُ ربٍّ تُسخطُ بعضهم لتُرضي بعضاً .

============

#حقيقة العلمانية وخبث اركانها > تنزه الاسلام عنها >

بسم الله الرحمن الرحيم

لكثرة الحديث عن العلمانية وارتباطها المزعوم بالاسلام ومن احد المواضيع التي طرحت هنا رايت ان اضع لكم بعض من هذا المذهب المدعى والمختلق حتى لايتم مقارنته بالاسلام باي وجه اولا :ما هي العلمانية ؟!

أن كلمة (علماني) تعني :

1- دنيوي أو مادي .

2- ليس بديني أو ليس بروحاني .

3- ليس بمترهب ، ليس برهباني .

وجاء أيضًا عنها بيان معنى كلمة العلمانية ، حيث يقول : العلمانية : هي النظرية التي تقول : إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية .

وفي دائر المعارف البريطانية ، نجدها تذكر عن العلمانية : أنها حركة اجتماعية ، تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب .

ودائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن العلمانية ، تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد ، وقد قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين :

* إلحاد نظري .

* إلحاد عملي ، وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي .

وما تقدم ذكره يعني أمرين :

أولهما : أن العلمانية مذهب من المذاهب الكفرية ، التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا ، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها ، بعيدًا عن أوامر الدين ونواهيه .

ثانيهما : أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم ، كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس ، بأن المراد بالعلمانية : هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به ، فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه بما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها .

ولهذا ، لو قيل عن هذه الكلمة (العلمانية) إنها : (اللادينية ، لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق) ، وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس وأوضح في المدلول .

صور العلمانية

للعلمانية صورتان ، كل صورة منهما أقبح من الأخرى :

الصورة الأولى : العلمانية الملحدة : وهي التي تنكر الدين كلية : وتنكر وجود الله الخالق البارئ المصور ، ولا تعترف بشيء من ذلك ، بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله ، وهذه العلمانية على فجورها ووقاحتها في التبجح

بكفرها ، إلا أن الحكم بكفرها أمر ظاهر ميسور لكافة المسلمين ، فلا ينطلي – بحمد الله – أمرها على المسلمين ، ولا يُقبل عليها من المسلمين إلا رجل يريد أن يفارق دينه ، (وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس على عوام المسلمين خطر ضعيف) ، وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين ، ومعاداة المؤمنين وحربهم وإيذائهم بالتعذيب ، أو السجن أو القتل .

الصورة الثانية : العلمانية غير الملحدة (3) وهي علمانية لا تنكر وجود الله ، وتؤمن به إيمانًا نظريًا : لكنها تنكر تدخل الدين في شؤون الدنيا ، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا ، (وهذه الصورة أشد خطرًا من الصورة السابقة) من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين ، فعدم إنكارها لوجود الله ، وعدم ظهور محاربتها للتدين (4) يغطي على أكثر عوام المسلمين حقيقة هذه الدعوة الكفرية ، فلا يتبينون ما فيها من الكفر لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين ، ولذلك تجد أكثر الأنظمة الحاكمة اليوم في بلاد المسلمين أنظمة علمانية ، والكثرة الكاثرة والجمهور الأعظم من المسلمين لا يعرفون حقيقة ذلك .

ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم ، تحارب الدين حقيقة ، وتحارب الدعاة إلى الله ، وهي آمنة مطمئنة أن يصفها أحد بالكفر والمروق من الدين ؛ لأنها لم تظهر بالصورة الأولى ، وما ذلك إلا لجهل كثير من المسلمين ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا وسائر المسلمين ، وأن يفقه الأمة في دينها حتى تعرف حقيقة هذه الأنظمة المعادية للدين .

ولهذا فليس من المستبعد أو الغريب عند المسلم الفاهم لدينه أن يجد في كلمات أو كتابات كثير من العلمانيين المعروفين بعلمانيتهم ذكر الله سبحانه وتعالى ، أو ذكر رسوله – صلى الله عليه وسلم – أو ذكر الإسلام ، وإنما تظهر الغرابة وتبدو الدهشة عند أولئك الذين لا يفهمون حقائق الأمور .

والخلاصة : أن العلمانية بصورتيها السابقتين كفر بواح لاشك فيها ولا ارتياب ، وأن من آمن بأي صورة منها وقبلها فقد خرج من دين الإسلام والعياذ بالله ، وذلك أن الإسلام دين شامل كامل ، له في كل جانب من جوانب الإنسان الروحية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، منهج واضح وكامل ، ولا يقبل ولا يُجيز

أن يشاركه فيه منهج آخر ، قال الله تعالى مبينًا وجوب الدخول في كل مناهج الإسلام وتشريعاته : { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة } . وقال تعالى مبينًا كفر من أخذ بعضًا من مناهج الإسلام ، ورفض البعض الآخر ، { أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون } .

والأدلة الشرعية كثيرة جدًا في بيان كفر وضلال من رفض شيئًا محققًا معلومًا أنه من دين الإسلام ، ولو كان هذا الشيء يسيرًا جدًا ، فكيف بمن رفض الأخذ بكل الأحكام الشرعية المتعلقة بسياسة الدنيا – مثل العلمانيين – من فعل ذلك فلاشك في كفره .

والعلمانيون قد ارتكبوا ناقضًا من نواقض الإسلام ، يوم أن اعتقدوا أن هدي غير النبي – صلى الله عليه وسلم – أكمل من هديه ، وأن حكم غيره أفضل من حكمه

نتائج العلمانية في العالم العربي والإسلامي

– رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى ، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة ، والاستعاضة عن الوحي الإلهي المُنزَّل على سيد البشر محمد بن عبدالله – صلى الله عليه وسلم – ، بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله ، واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية ، اعتبار ذلك تخلفًا ورجعية وردة عن التقدم والحضارة ، وسببًا في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم ، وإبعادهم عن تولي الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب ، حتى لا يؤثروا فيهم .

2– تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه ، وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية ، على أنها عصور همجية تسودها الفوضى ، والمطامع الشخصية .

3– إفساد التعليم وجعله خادمًا لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق :

أ– بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ ، والطلاب في مختلف مراحل التعليم .

ب – تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن .

جـ – منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم .

د – تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها ، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني ، أو على الأقل أنها لا تعارضه .

هـ – إبعاد الأساتذة المتمسكين بدينهم عن التدريس ، ومنعهم من الاختلاط بالطلاب ، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش .

و – جعل مادة الدين مادة هامشية ، حيث يكون موضعها في آخر اليوم الدراسي ، وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب .

4- إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة ، وهم المسلمون ، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد ، وصهر الجميع في إطار واحد ، وجعلهم جميعًا بمنزلة واحدة من حيث الظاهر ، وإن كان في الحقيقة يتم تفضيل أهل الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان على أهل التوحيد والطاعة والإيمان .

فالمسلم والنصراني واليهودي والشيوعي والمجوسي والبرهمي كل هؤلاء وغيرهم ، في ظل هذا الفكر بمنزلة واحدة يتساوون أمام القانون ، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني .

وفي ظل هذا الفكر يكون زاج النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الشيوعي بالمسلمة أمرًا لا غبار عليه ، ولا حرج فيه ، كذلك لا حرج عندهم أن يكون اليهودي أو النصراني أو غير ذلك من النحل الكافرة حاكمًا على بلاد المسلمين .

وهم يحاولون ترويج ذلك في بلاد المسلمين تحت ما سموه بـ (الوحدة الوطنية) .

بل جعلوا (الوحدة الوطنية) هي الأصل والعصام ، وكل ما خالفوها من كتاب الله أو سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – طرحوه ورفضوه ، وقالوا : (هذا يعرض الوحدة الوطنية للخطر !!) .

5- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية ، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية ، وتشجيع ذلك والحض عليه : وذلك عن طريق :

أ – القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها ، وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة .

ب – وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ، ونشر الرذيلة بالتلميح مرة ، وبالتصريح مرة أخرى ليلاً ونهارًا .

جـ – محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات .

6- محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق :

أ – تضييق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي ، مع إفساح المجال للكتب الضالة المنحرفة التي تشكك في العقيدة الإسلامية ، والشريعة الإسلامية .

ب – إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين المنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر الضال المنحرف ، ولتحريف معاني النصوص الشرعية ، مع إغلاق وسائل الإعلام في وجه علماء المسلمين الذين يُبصِّرون الناس بحقيقة الدين .

7- مطاردة الدعاة إلى الله ، ومحاربتهم ، وإلصاق التهم الباطلة بهم ، ونعتهم بالأوصاف الذميمة ، وتصويرهم على أنهم جماعة متخلفة فكريًا ، ومتحجرة عقليًا ، وأنهم رجعيون ، يُحارون كل مخترعات العلم الحديث النافع ، وأنهم متطرفون متعصبون لا يفقهون حقيقة الأمور ، بل يتمسكون بالقشور ويَدعون الأصول .

8- التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية ، وذلك عن طريق النفي أو السجن أو القتل .

9- إنكار فريضة الجهاد في سبيل الله ، ومهاجمتها واعتبارها نوعًا من أنواع الهمجية وقطع الطريق .

وذلك أن الجهاد في سبيل الله معناه القتال لتكون كلمة الله هي العليا ، وحتى لا يكون في الأرض سلطان له القوة والغلبة والحكم إلا سلطان الإسلام ، والقوم – أي العلمانيين – قد عزلوا الدين عن التدخل في شؤون الدنيا ، وجعلوا الدين – في أحسن أقوالهم – علاقة خاصة بين الإنسان وما يعبد ، بحيث لا يكون لهذه العبادة تأثير في أقواله وأفعاله وسلوكه خارج مكان العبادة .

فكيف يكون عندهم إذن جهاد في سبيل إعلاء كلمة الدين ؟!!

والقتال المشروع عند العلمانيين وأذنابهم إنما هو القتال للدفاع عن المال أو الأرض ، أما الدفاع عن الدين والعمل على نشره والقتال في سبيله ، فهذا عندهم عمل من أعمال العدوان والهمجية التي تأباها الإنسانية المتمدنة !!

10- الدعوة إلى القومية أو الوطنية ، وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح ، على ألا يكون الدين عاملاً من عوامل التجميع ، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعد عاملاً من أكبر عوامل التفرق والشقاق ، حتى قال قائل منهم : (والتجربة الإنسانية عبر القرون الدامية ، دلَّت على أن الدين – وهو سبيل الناس لتأمين ما بعد الحياة – ذهب بأمن الحياة ذاتها) .

هذه هي بعض الثمار الخبيثة التي أنتجتها العلمانية في بلاد المسلمين ، وإلا فثمارها الخبيثة أكثر من ذلك بكثير .

والمسلم يستطيع أن يلمس أو يدرك كل هذه الثمار أو جُلها في غالب بلاد المسلمين ، وهو في الوقت ذاته يستطيع أن يُدرك إلى أي مدى تغلغلت العلمانية في بلدٍ ما اعتمادًا على ما يجده من هذه الثمار الخبيثة فيها .

والمسلم أينما تلفت يمينًا أو يسارًا في أي بلد من بلاد المسلمين يستطيع أن يدرك بسهولة ويسر ثمرة أو عدة ثمار من هذه الثمار الخبيثة ، بينما لا يستطيع أن يجد بالسهولة نفسها بلدًا خاليًا من جميع هذه الثمار الخبيثة .

الجاهلية تتعدد صورها وأشكالها

يجب أن نعلم أن الجاهلية بعضها يتمثل في إلحاد بالله سبحانه وإنكار لوجوده... فهي جاهلية اعتقاد وتصور كجاهلية الشيوعيين. وبعضها يتمثل في اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه وانحراف في الشعائر التعبدية وفي الاتباع والطاعة كجاهلية الوثنيين من الهنود وغيرهم.. وكجاهلية اليهود والنصارى كذلك.

وبعضها يتمثل في اعتراف بوجود الله سبحانه وأداء للشعائر التعبدية مع انحراف خطير في تصور مفهوم ودلالة " لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله".. ومع شرك كامل في الاتباع والطاعة، وذلك كجاهلية من سمون أنفسهم "مسلمين" من العلمانيين ويظنون أنهم أسلموا واكتسبوا صفة الإسلام وحقوقه بمجرد نطقهم بالشهادتين وأدائهم

للشعائر التعبدية مع انحرافهم وسوء فهمهم لمعنى الشهادتين ومع استسلامهم لغير الله من العبيد.. وكلها جاهلية.. وكلها كفر بالله كالأولين. أو شرك بالله كالآخرين.

مقارنة بين الجاهلية العربية القديمة والجاهلية العلمانية الحديثة

الجاهلية العربية القديمة لم تكن تنكر وجود الله أبداً، بل كانت توحده في معظم أفعاله تعالى كالخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة.. {ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله} [لقمان: 25].

وكانوا يقرون بمشيئة الله النافذة في الكون وقدره الذي لا يرد.. {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا أباؤنا ولا حرمنا من شيء} [الأنعام: 148].

وكانوا يؤمنون بالملائكة {وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أزل علينا الملائكة} [الفرقان: 21]، ويؤمنون بالرسل.. {وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثلما أوتي رسل الله} [الأنعام: 124].

ويقرون بأن الله يملك الرزق والسمع والبصر ويحيي ويميت وأنه يدبر الأمر.. {قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله} [يونس: 31].

وكان منهم من يؤمن بالبعث والحساب كقول زهير:

(يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر *** ليوم الحساب أو يعجل فينتقم) [4]

وكذلك كان لدى الجاهلين العرب بعض الشعائر التعبدية منها تعظيم البيت الحرام وطوافهم حوله ووقوفهم بعرفات وتعظيم الأشهر الحرم. وكذلك ذبحهم ونذرهم لله كما في قصة نذر عبد المطلب وإهدائهم للبيت الحرام وتخصيص شيء من الحرث والأنعم لله.. {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً} [الأنعام: 136].

ومن الناحية التشريعية كانت الجاهلية العربية تقيم بعض الحدود كحد السرقة، فقد ذكر الكلبي والقرطبي في تفسيره: "أن قريشاً كانت تقطع يد السارق"[5]. وهو حد معروف في الشرائع السابقة كما في حديث المخزومية وشفاعة زيد لها.

وشيء آخر سبقت – بل فاقت– به الجاهلية العربية القديمة الجاهليات العلمانية المعاصرة وهو "حرية التدين". فكان منهم الحنفاء الذين يتعبدون ببقايا دين إبراهيم عليه السلام...

وكان منهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى...
وكان منهم عبدة الكواكب وعبادة الأوثان...
وبعضهم كان يعبد الجن أو الملائكة.

بيان حكم الله على المجتمع رغم كل ذلك

بماذا حكم الله على هذا المجتمع؟ إن الله تعالى حكم على هذه البيئة وعلى هذه المجتمعات والتصورات بأنها كفر وجاهلية، وعد تلك الأمور جميعها - التي يحتج العلمانيون اليوم بها على إسلامهم - صفراً في ميزان الإسلام، وكفراً بالله ورسوله.

ولذلك نشبت المعركة الطويلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشتد النزاع، معركة شرسة ونزاع حاد، حتى أن السيف كان الحكم الأخير.

والشيء المثير أيضاً، أن موضوع هذه المعركة العنيفة الطويلة لم يكن سوى كلمة واحدة "لا إله إلا الله" كلمة يصر عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى أقصى حدود الإصرار، وترفضها الجاهلية إلى أبعد مدى للإنكار والرفض.

لماذا؟... لأنه منذ اللحظة الأولى حين دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم، إلى شهادة أن "لا إله إلا الله" كان الجواب الفوري... {أجعل الآلهة إلهاً واحدا إن هذا لشيء عجاب} [ص: 5].

فالقضية واضحة في أذهانه من أن الالتزام بهذه الكلمة معناه الرفض الجازم والتخلي الكامل عن كل ما عدا الله من معبوداتهم وطواغيتهم المختلفة، طاغوت الأوثان وطاغوت الزعامة وطاغوت القبيلة وطاغوت الكهانة وطاغوت التقليد... الخ، والاستسلام الكامل لله ورد الأمر كله - جليله وحقيره وكبيره وصغيره- إلى الله تعالى وحده لا شريك له.

العلمانية نظام طاغوتي جاهلي كافر

وانطلاقاً من هذا المفهوم - الذي يعتبر في حقيقة الأمر من المعلوم من الدين بالضرورة عند أهل السنة والجماعة- نستطيع أن نرى حكم الإسلام في العلمانية بسهولة ووضوح. ونستطيع أن نصل بالقضية إلى المستوى المطلوب من الحسم والوضوح في نفوس أهل السنة اللازمين لفضح العلمانية ومواجهتها.

إن العلمانية باختصار " نظام طاغوتي جاهلي كافر" يتنافى ويتعارض تماماً مع شهادة "لا إله إلا الله" من ناحيتين أساسيتين متلازمتين:

الأولى: من ناحية كونها – أي العلمانية – حكما بغير ما أنزل الله.

الثانية: من ناحية كونها شركاً في عبادة الله.

إن العلمانية تعني – بداهة– الحكم بغير ما أنزل الله وتحكيم غير شريعة الله وقبول الحكم والتشريع والطاعة والاتباع من طواغيت من دون الله. فهذا معنى قيام الحياة على غير الدين أو بعبارة أخرى فصل الدين عن الدولة، أو فصل الدين عن السياسة، ومن ثم فهي– بالبديهة أيضا– نظام جاهلي لا مكان لمعتقده ولا لنظامه ولا لشرائعه في دائرة الإسلام. بل هو نظام كافر بنص القرآن الكريم {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} [المائدة: 44].

لماذا التردد في الحكم على الأنظمة العلمانية بالكفر؟

إذا كان الأمر كذلك، فهل يبقى بعد هذا أي مجال للشك أو التردد في حسم هذه القضية في نفوس أهل السنة تجاه العلمانية؟

الحق أنه لا مجال لشيء من ذلك، ولكن الغياب المذهل لحقائق الإسلام من العقول والغبش الكثيف الذي أنتجته الأفكار المنحرفة، هما اللذان يجعلان كثيراً من الناس يثيرون شبهات متهافتة لم تكن لتستحق أدنى نظر لولا هذا الواقع المؤلم الذي يعتبر من أشد عوائق الانطلاقة الكبرى المرتقبة لأهل السنة والجماعة بمشيئة الله.

فمن هذه الشبهات، استصعاب بعض الناس إطلاق لفظ الكفر أو الجاهلية على من أطلقها الله تعالى عليه من الأنظمة والأوضاع والأفراد، وبذريعة أن هذه الأنظمة – ولا سيما العلمانية الديمقراطية– لا تنكر وجود الله، وبذريعة أن هذه الأنظمة العلمانية الديمقراطية لا تمانع في إقامة بعض شعائر التعبد، وبحجة أن بعض قيادات الأنظمة العلمانية الديمقراطية يتلفظون بالشهادة ويقيمون الشعائر من صلاة وصيام أو حج وصدقة، ويظهرون احترامهم في المناسبات العامة لمن يسمون ب(رجال الدين)!! والمؤسسات الدينية.

وفي ظل هذه الشبهات المتهافتة المردودة، يستصعب بعض الناس، ومنهم – للأسف الشديد– بعض من يرفع راية الدعوة الإسلامية اليوم، القول بأن الأنظمة العلمانية الديمقراطية أنظمة جاهلية كافرة وأن المؤمنين بها المتبعين لها جاهليون كافرون.

ومن الواضح جدا أن الذين يلوكون هذه الشبهات، لا يعرفون معنى "لا إله إلا الله"، ولا مدلول "الإسلام". وإن جاز هذا في حق البعض على فرض حسن الظن بهم، فهو لا يجوز في حق كثير من المثقفين المطلعين على حقائق الأمور، وبالذات بعض من يرفعون راية الدعوة الإسلامية اليوم ويتعللون بهذه العلل الواهية.

ولا نملك إلا أن نذكر هؤلاء بأن تاريخ الدعوة الإسلامية وصراع أهل السنة والجماعة المرير عبر القرون، بل والقرآن الكريم كله من أوله إلى آخره ومثله السنة المطهرة لتقطع الطريق على هذه الشبهة وقائليها.

وهل تحمل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه العنت والمشقة والحرب والجهاد ثلاثاً وعشرين متوالية، وهل نزل القرآن موجهاً وآمراً وناهياً طوال هذه السنين من أن أجل أن يقول الجاهلون باللسان فقط... " لا إله إلا الله"، ويقيموا الشعائر التي يمن دعاة العلمانية على الله أنهم يسمحون بها اليوم.

وما الفرق بين قول قريش.. يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، وبين قول العلمانيين لفظاً وحالاً: نعبد الله في المسجد ونطيع غيره في المجالس التشريعية والبرلمان وفي القضاء والتجارة والسياسة!!

أهو شيء آخر غير أن قسمة أولئك زمنية، وقسمة هؤلاء مكانية أو موضوعية!!..

لماذا تتمسح الأنظمة العلمانية بالدين وتدعي الإسلام؟

والسؤال الآن هو لماذا تصر الأنظمة العلمانية على التمسح بالدين وادعاء الإسلام رغم أنها – على ما يبدو في الظاهر– تسيطر على مراكز القوة والحكم والتشريع؟

وللإجابة على ذلك، يجب أن نعلم أولاً أنه بعد أن نجحت الجاهلية– مؤقتا– في تنحية شرع الله من أن يحكم حياة المسلمين في ديارهم حاول أعداء الإسلام إخراج المسلمين عن أصل دينهم إلى المذاهب الإلحادية والمادية.

وبعد أن فشلوا في تنفيذ هذا المخطط وأصابهم اليأس من ذلك، لجأوا – بعد التفكير والتدبير – إلى ما هو أخبث وأخطر، لجأوا إلى اصطناع أنظمة تحكم بغير ما أنزل

الله وفي الوقت نفسه هي تدعي الإسلام، وتظهر احترام العقيدة بوسائل مختلفة، فقتلوا إحساس الجماهير وضمنوا ولاءها وخدروا ضميرها، ثم انطلقوا يهدمون شريعة الله في مأمن من انتفاضتها.

ولذلك لا يجرؤ أرباب هذه الأنظمة العلمانية الديمقراطية على التصريح بأنهم ملحدون أو لادينيون أو أنهم ضد شريعة الله. بينما يصرحون – مفتخرين– بنهم ديمقراطيون مثلا!!.

شعارات العلمانيين وراياتهم

لذلك تبلورت شعارات العلمانيين وأفكارهم التي تعبر في جوهرها عن حقيقة الجاهلية ولكنها وبخبث شديد وتدبير محكم تحاول أن تنتسب إلى الدين بتبجح غريب ومكر وضيع، فأعلنوا شعار "تطوير الشريعة". ورفعوا راية "مرونة الشريعة لتلبية حاجات العصر". ثم نادوا بعد ذلك بشعار "تقنين الشريعة". وذلك حتى لا ينفر من هذه الأفكار جمهور المسلمين، فهم يريدون أن تسري العلمانية ببطء في عقول ونفوس جمهور المسلمين سريان السم البطيء الذي يودي بحياة صاحبه دون أن ينتبه له جسده.. وذلك بجرعات منتظمة تحت شعار " التدرج في تطبيق الشريعة"!!

والعلمانية الديمقراطية كما هو معروف تجعل العقيدة والشعائر لله ووفق أمره، وتجعل الشريعة والتعامل لغير الله ووفق أمر غيره. وذلك معنى قولهم "لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين" أي "فصل الدين عن الدولة". وكما هو معلوم من الدين بالضرورة، فإن هذا هو عين الشرك في حقيقته وأصله.

ولكنهم يستميتون حتى لا تصل هذه الحقيقة إلى جماهير المسلمين ويلهون الناس بشعارات "المدرسة العقلانية" و"الإسلام المستنير" وشعار "حكم الشعب بالشعب"، وتحت شعار "الحرية الشخصية" تمارس جميع أنواع الشذوذ الجنسي والإباحية تحت سمع وبصر وحماية الشرطة ومباركة أجهزة الإعلام. وتحت شعار "الأمة مصدر السلطات" تصادر جميع السلطات إلا سلطة البطش والتنكيل بالمسلمين دون غيرهم. وتحت شعار "الاستنارة" يخرجون الناس من نور الإسلام إلى ظلمات الجاهلية. وتحت شعار "حرية الثقافة والفكر" تمارس جميع أنواع الفنون الساقطة ويفتح الباب أمام الزنادقة للتهجم على الإسلام حتى يصل بهم الأمر بالسخرية من بيت الله الحرام

وعُمَّاره حيث يظهر نموذج للكعبة المشرفة في إحدى المسرحيات وإذا بها تفتح فجأة وتخرج من داخلها راقصة تتلوى أمام الجماهير التي تنتسب إلى الإسلام!! ولم لا... وقد أصبح للعاهرات عيد يسمونه "عين الفن"، تمنح فيه العطايا والمكافآت، وجوائز الدولة التقديرية، ومفتي الديار العلمانية يبارك ذلك بمزيد من الفتاوى اليومية فحلل الرقص وحلل الغناء وحلل الموسيقى والفن وأخيراً وليس آخراً.. حلل مفتي الديار العلمانية.. الربا!!

العلمانية خبث لا يخرج إلا نكداً

قول الله تعالى: {والذي خبث لا يخرج إلا نكداً} [الأعراف: 58]. ولأن العلمانية شجرة خبيثة فقد أثمرت بيننا اليوم – ممن يقولون إنهم مسلمون– من يستنكر وجود صلة بين العقيدة والأخلاق، وبخاصة أخلاق المعاملات.

وأثمرت بيننا اليوم حاصلين على الشهادات العليا من جامعاتنا وجامعات العالم يتساءلون في استنكار ما للإسلام وسلوكنا الشخصي؟ وما للإسلام والعري على الشواطئ؟ وما للإسلام وزي المرأة في الطريق؟ وما للإسلام وتصريف الطاقة الجنسية بأس سبيل؟ ما للإسلام وتناول كأس من الخمر لإصلاح المزاج؟ ما للإسلام وتعامل الناس بالربا في البنوك؟ ما للإسلام وهذا الذي يفعله "المتحضرون!!"؟ الذين يلهثون خلف راياتهم الخبيثة ويرددون بأن "الدين لله والوطن للجميع".. ولا عجب في ذلكن فهم طلائع مدرسة "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"..!!

... فأي فرق بين هذا وبين سؤال أهل مدين: {أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا} [ص: 5].

وهم يتساءلون كذلك، بل ينكرون بشدة وعنف أن يتدخل الدين في الاقتصاد، وأن تتصل المعاملات بالاعتقاد، أو حتى بالأخلاق من غير اعتقاد.. فما للدين والمعاملات الربوبية؟ وما للدين والمهارة في الغش والسرقة؟ وما للدين وتجارة الخمور والمخدرات ما لم يقع تحت طائلة القانون الوضعي؟ وما للدين والسياسة والحكم؟ لا .. بل إنهم يتبجحون بأن الأخلاق إذا دخلت في الاقتصاد تفسده!! ولا غرابة في

ذلك، فهم قد رضعوا وشبوا على شعارات "فصل الدين عن الدولة"، و "لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين"!!

فلا يذهبن بنا الترفع كثيراً على أهل مدين في تلك الجاهلية الأولى، ونحن اليوم في جاهلية أشد جهالة، ولكنها تدعي العلم والاستنارة والمعرفة والحضارة وتتهم الذين يربطون بين العقيدة في الله والسلوك الشخصي في الحياة والمعاملات المادية في السوق والسياسة والحكم... تتهمهم بالرجعية والتعصب والجمود!! وبعد أن استهلكت هذه الألفاظ أضافت الجاهلية العلمانية اليوم وصفهم بالتطرف!! ثم ألصقت بهم أخيراً صفة الإرهاب!!

أليس هذا بعينه ما يردده أدعياء الإسلام من العلمانيين أو غيرهم؟

==============

#العلمانية في الإسلام

قد يستغرب الكثير من القراء هذا العنوان، وسيتساءلون حتما هل يفصل الإسلام الدين عن الدولة؟ كما هو تعريف العلمانية المختزل من قبل الإسلاميين، وسيرددون في أنفسهم إن الدين الإسلامي (وكأنه دين محمدي فقط لا دين الأنبياء جميعا) جمع بين الدنيا والآخرة، أي بين الدنيا والسياسة والآخرة وأحكام الدين.

نقول للقارئ الكريم قبل أن نخوض معه في تحليل العلمانية في الإسلام يجب عليه أن يعرف ماذا تعني العلمانية في مفهومها الشامل لا المختزل من قبل المعارضين لمنهجها الفكري من الإسلاميين وهم من يهمنا نقض تعريفهم المغلوط المغرض الذي يقول أن العلمانية هي ((فصل الدين عن الدولة)) بهذا التعريف الساذج؛ لأننا في صدد تعريف العلمانية الإسلامية التي ينفونها عنها بصفتهم حامين الحمى أي حمى الإسلام، وهذا ما يرفضه الإسلام ويرفضونه هم أيضا عند النظر في تأيديهم المنقطع النظير للثورة ضد أسر الإقطاع ورجال الكنيسة ورفضهم الكهنوت الذي للأسف الشديد تلبسه فقهاء الإسلام بعد النكسة التي مني بها الإسلام من أثر إلغاء حكم الجماعة على يد معاوية، إن نهوض مفهوم العلمانية إبان الصحوة التنويرية في أوربا هو الأمر الذي يمثل الإسلام في طرحه العام تجاه التحرر من القيود والتسلط في الفهم والقراءة وامتلاك الحقيقة المطلقة، وهو ذاته الأمر الذي يحاربه من ينتمون

للإسلاميين خشية سلبهم السلطة والحاكمية التي أرجعت العالم الإسلامي إلى عصور الظلمات التي كانت تعيش فيها أوربا قبل اكتشافها لروح الإسلام العملي بين البشر المتمثل في ما اصطلح عليه اليوم بالعلمانية دون التطبيق لروح الإسلام الخلقي بين العبد وربه، وهو اصطلاح منقوص من الناحية التعريفية حيث أن العلمانية هي مزيج من تطبيق روح الإسلام العملي والخلقي لا الإنفراد بإحداهم كما هو الحال في الغرب اليوم.

تعرف العلمانية كما قلنا من قبل عند الإسلاميين بأنها فصل الدين عن الدولة، وهذا هو التعريف المغرض، أما تعريفها الذي يبين شمولها يقول: ((مفهوم سياسي اجتماعي نشأ إبان عصور التنوير والنهضة في أوروبا.عارض ظاهرة سيطرة الكنيسة على الدولة وهيمنتها على المجتمع وتنظيمها على أساس الانتماءات الدينية والطائفية ورأى أن من شأن الدين أن يعنى بتنظيم العلاقة بين البشر وربهم ونادى بفصل الدين عن الدولة وبتنظيم العلاقات الاجتماعية على أسس إنسانية تقوم على معاملة الفرد على أنه مواطن ذو حقوق وواجبات وبالتالي إخضاع المؤسسات والحياة السياسية لإرادة البشر وممارستهم لحقوقهم وفق ما يرون وما يحقق مصالحهم وسعادتهم الإنسانية)). هذا تعريف العلمانية كما جاء في موسوعة السياسة.

فأنا أسأل أين فصل الدين عن الدولة؟ فقد جاء في تعريفها أنها مفهوم سياسي اجتماعي لا ديني، أي (كيان دولة) عارض سيطرة الكنيسة الحاكمة باسم الرب، أي عارض الظلم والجور والتسلط والاستبداد والاستئثار والاضطهاد، وهذه الصفات يرفضها الإسلام بالنصوص لأهل النصوص وبالعقول لأهل العقول، وللأسف الشديد هذه الصفات التي تعارضها العلمانية هي السائدة في المجتمع الحاكم الإسلامي نتيجة مفهوم التراث الإسلامي لحاكمية السلطان (دولة الإسلام)، أما الهيمنة أي هيمنة رجال الدين فهي بلا شك واضحة وملموسة في الحياة العامة والخاصة في مجتمعنا العربي والإسلامي ومن يستطيع أن ينكر هذا؟! فما هو بين العبد وربه أصبح بين العبد وربه مرورا بموافقة زبانية الحكام وفقهائهم، وما هو بين العبد والعبد في النظر والاختيار يهيمن عليه من بيده مقاليد الحكم والحديد والنار، أما التنظيم على أساس الانتماءات الدينية والطائفية فهذا بين للجميع فهؤلاء الشيعة والسنة

والصوفية والقومية العربية والكردية و...الخ وتاريخنا الإسلامي خير شاهد على مأساة الأقليات الدينية والطائفية.

أما رأي العلمانية وهو رأي الإسلام _ لا دولة الإسلام التي لا وجود له في عهد رسول الله صلى الله عليه _ بلا شك أن تكون العلاقة الدينية بين المرء وربه لا بين العبد والحاكم أو الفقيه وربه، والنصوص القرآنية شاهد على ذلك، ولكن الإسلاميين أبو إلا أن تكون لهم الكلمة الفصل دون غيرهم فيما قال الله حسب فهمهم وتأويلهم أو جمودهم على النصوص من غير نظر ولا تفكير، مستوحين الأحقية في هذا ممن سبقهم في القول تقليدا لا بحثا وتمحيصا، معتبرين من سواهم لا يفقه شيء إلا إذا وافقهم أما المخالف لهم فلا يعتد بقوله، بل الألقاب من الكافر إلى الفاسق مرورا بالمبتدع ستكون من نصيبه التي قد تجرؤ أحد الأتباع أو المقلدين الجهال بتنفيذ فتوى لمقلد جاهل بإهدار دمه، وما ذلك إلا لإرضاء رغبات آلهة الأرض المنصبة في دواوين السلاطين والمساجد والمنابر والإعلام مطبقين في ذلك مفهوم التوحيد الفهمي لكتاب الله تعالى، وبذلك شاركوه فيما انفرد به من الصفات سبحان وتعالى.

أما زيادة العبارة القائلة ((فصل الدين عن الدولة)) في تعريف العلمانية فهي في حقيقة الأمر دفعت دفعا في هذا التعريف ليضمن فقهاء ومفكرو النظام الحاكم عدم سلبهم سلطاتهم التي تعطيهم حق الاستبداد والاستئثار والاضطهاد للشعوب المحكومة بالحديد والنار باسم الدين والدفاع عنه، وإن أحسنا الظن بمن عرف هذا التعريف نقول أنه قصد بفصل الدين عن الدولة أي فصل سلطة رجال الدين بدينهم المصطنع المحرف والمفصل طبقا لحاجاتهم المتنوعة كما في الكنيسة والمسجد ففي الإسلام يقف رجال الدين خلف وأمام الحاكم بأمر الله الحاكم المسلم ليشرعوا له بما توفر له من أدوات التحريف وهي الحديث النبوي أو السنة كما شاع بين المسلمين كل ما يخالف الكتاب المبين نصا ومفهوما وإشارة بدعوى النسخ والحق في التشريع، وفي حالة المسيحية يقف رجال الدين خلف وأمام النظام الإقطاعي _ السائد في العالم الإسلامي اليوم بعد أن جاء الإسلام ليحرر العرب من العبودية والاستبداد والذل والهوان والجاهلية الأولى _ الذي تربطه برجال الدين (الكنيسة) علاقة بقاء

يكون مصيرها الزوال إن جرد منها، شأنه في ذلك شأن ما عليه الإسلام ورجال دينه اليوم.

أما كون العلمانية تدعو إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية على أسس إنسانية تقوم على معاملة الفرد على أنه مواطن ذو حقوق وواجبات وبالتالي إخضاع المؤسسات والحياة السياسية لإرادة البشر وممارستهم لحقوقهم وفق ما يرون وما يحقق مصالحهم وسعادتهم الإنسانية، فأين مخالفة الدين في هذا؟ وهل الدين إلا حرية الاختيار؟!! أليس للمسلم حقوق وواجبات؟ في الحقيقة الجواب على هذا من الواقع المعاش يكون كالتالي: الحقوق والواجبات عليه تجاه الله وخليفته في الأرض عبر وكالة شرعية انتزعها له فقهاؤه ليحكم بأمره فيما يخص العباد من أمور دينهم التي بينهم وبين ربهم وفي تفسير حكمه كما يرى فقهاؤه ورجال دينه، ولكن هل له من الحقوق والواجبات من قبل الحكومات؟!، الجواب ببساطة لا، على الأقل في العالم الثالث والعالم الإسلامي خاصة والعربي بأخص الخصوص، وهو العالم الذي حظي بما لم تحظ به الأمم السابقة من كمال قبل تحريفه في التطبيق لا المضمون وثبات التحرر من القيود كما في الإسلام.

أما الحياة السياسية فهي لا تخص العامة من الناس لأن الله قد اصطفى –حسب ظنهم وربما يقينهم الموروث– من عباده من يقوم بهذا، ضاربين عرض الحائط النصوص القرآنية وسيرة النبي وصحبه التي لا تخالف العقل والكتاب المبين إذا أن كثير من كتب السيرة بها من الحشو مالا يطيقه العقل والكتاب. بل إن الخوض في السياسة يعتبر من الكبائر عن بعض المسلمين، أضف إلى ذلك التعتيم المطبق على العلوم السياسية من قبل أعلام المسلمين الذين برعوا في كل العلوم وخاصة تلك التي اقتبسوا منها من كتب اليونان، فلا نراهم أولوا اهتمام لكتاب سقراط ((السياسة)) ولا كتاب أفلاطون ((المدينة الفاضلة))، وتركوا المكتبة الإسلامية خالية من هذه العلوم، ثم يأتي من لا يعقل ويقول أن العلمانية فصل الدين عن السياسية، وهنا يجب السؤال من الذي فصل الناس عن السياسة الحاملين لهذا الدين الاختياري؟ أما أن الدين لا يحشر في شيء إلا ليكون السبيل إلى كرسي السلطة والملك العضود؟!!!.

قالوا أن الإسلام بني على خمس الشهادتين والصلاة والصيام والزكاة والحج. ونحن نقول أن الإسلام أكمل وأشمل مما يدور بين العبد وربه، فالإنسان مستخلف في الأرض لإعمارها فكيف يكون الإعمار بالإسلام وكل الإسلام يخضع لهذه الأركان الخمس التي مكانها المحراب للمتعبد الرسمي والأرض بأسرها للمسلم العادي؟!! هناك أمور ثلاثة غيبها ملوك وسلاطين المسلمين وأصبحت من الأمور المنسية، بل وأصبحت من الأمور المحظورة دينيا بفعل تأصيل المفكرين الذين غيبوا عن الساحة السياسية في العالم الإسلامي نتيجة الخوف والاضطهاد ألا وهي على الترتيب في أولويتها العدل والحرية والمساواة.

فما سبق الرد عليه كان على ما اصطلحوا على تعريفه، أما تفصيل القول في تعريفهم القائل بفصل الدين عن الدولة من وجهة نظر الإسلام فهي كما يلي:

تعريف الدولة:

إن من مكونات أي دولة خمسة عناصر بدونها لا تكون الدولة:

1. الأرض، وحدودها الجغرافية.
2. الشعب، بمختلف أعراقه ودياناته وثقافاته.
3. الدستور، الذي يختاره الشعب، ديني قابل للتقنين، أو وضعي على أسس عقلية عرفية اجتماعية.
4. الجيش، الذي يحمي البلاد من أعدائها الخارجيين، على غرار الجيش السويسري، وهو الجيش الشرعي للشعب لا الحكام.
5. الحكومة المنتخبة، ديمقراطيا، شوريا، أي جماعيا ذكورا وإناثا كبارا و صغارا.

تعريف الدين:

الدين هو رسالة السماء لأهل الأرض، ليعلموا حكم الله فيما ارتضاه لهم وهي أحكام غير دائمة، لأن الدوام من صفات الله، وهي تخضع للتطور التاريخي والاجتماعي والمعرفي والثقافي للإنسان، كما أن الدين أيضا ينظم العلاقات الاجتماعية بين الناس من طلاق وزواج ومواريث...الخ ويكفل حق المستضعفين في الأرض، ويعلمهم الصلة التي يجب أن تكون بين العباد لا العبيد وربهم من صلاة وزكاة وحج ...الخ.

ما يربط به الإسلاميون بين الدين والدولة هو الدستور، فيقولون (دستورنا كتاب الله) دون الأخذ بالاعتبار الحاجة في تفصيل القول في هذه المقولة التي سلطت الحكام على شعوبها باسم الدين فجردتهم من حق المشاركة في السياسة من ترشيح وانتخاب والحرية الدينية من إنشاء مساجد أو كنائس...الخ وأعطت الحكام الحق الإلهي بتنصيب أنفسهم خلفاء لله والحكم فيهم كما أراهم الله مستغلين في ذلك ما فصله لهم فقهاؤهم من تقسم الإسلام إلى فقه عبادات وفقه معاملات.

وقد ركزت السلطة الحاكمة في الممالك الإسلامية – لا الدول التي لا صلة لها بالدين– لاحظ الفرق، على شق الفقه التعبدي للدين، وهو كما سبق وأن أشرنا أنه علاقة صلة بين العبد وربه، ليس لأحد المروج والدرج فيها، لتغيب عن الفرد المسلم حقه في الاستقلال والإرادة فيما بينه وبين ربه الأمر الذي كان له الأثر الكبير في بنية العقل المسلم تجاه الحاكم الذي سلم له حقه في إدارة الدولة فضلا عن حقه فيما بينه وبين ربه.

أما فقه المعاملات والذي يعد من أهم مقومات التعامل في الدولة والفرد وهو أمر قد همش تهميشا خطيرا من قبل الحكام، لكي لا يكون للناس علم بما لهم تجاه الدولة، ويشغلوهم بمسائل الحيض والغسل ولمس المرأة والصلاة والمكروه والمستحب من الدين، بل الأمر الأخطر من هذا، إذ أن هذا الفقه بشقيه أصبحا تابعين للسلطان بنصوص وضعوها وأخرى حرفوها عن معناه الأصلي فأصبح القضاء الذي يشمل ضمن مظلته هذه الأمور تابعا للسلطان الحكام بأمر الله تعالى، بعيدا عن الاستقلالية في الحكم والقرار والتشريع والاجتهاد، مجردا إياه من الحق في مقاضاته أو أحد أعيانه أو خدامه، خلافا لما كان عليه القضاء من استقلالية في صدر الإسلام.

ونستنتج من هذا أن القضاء في الإسلام كان مستقل استقلالا شاملا بدليل كونه الممثل الوحيد للدستور، الذي يحمي حقوق المواطن، الذي هو أحد مكونات الدولة وليس من مكونات الحكومة التي هي أحد مكونات الدولة كما سبق و أن بينا. فالقول بأن العلمانية تفصل الدين عن الدولة تعريف غير دقيق، ففي المثال الإسلامي القرآن هو الدستور والدستور له مشرعون يقننون له ويرسمون طريقه المستنبط على الوفاق

بين القائمين على هذه المؤسسة الدستورية، وهي ليست منفصلة عن مكونات الدولة ولكنها مستقلة عن إدارة أحد المحركين للدولة ألا وهي الحكومة المنتخبة ديموقراطيا، فالذين يصرون على أن العلمانية تفصل بين الدين والدولة ليهيجوا مشاعر المسلمين الغافلين، يريدون أن تكون الحكومة (السلطة التنفيذية) مسيطرة على الدستور (السلطة التشريعية) وفي حالة الإسلام القرآن غير التعبدي الذي يضم تحت مظلته الأركان الثلاثة العدل و الحرية و المساواة المغيبة من قبل الحكام والسلاطين المنتمين للإسلام، في حين أن الإسلام ونصوصه لا يسيطر أحد على معطيات كتابه المقدس في ما يخص الدسترة إلا بالاتفاق بين المتخصصين المنتخبين من قبل الشعب الذي يتكون من شرائح متعددة الديانات واللغات والثقافات استطاع الإسلام بعالميته احتواهم بما يحمله من أركان هي محل قبول ورضاء الجميع لأن مصدره الخالق العليم بخلقه أجمعين. فهل نقبل العلمانية (لا الغربية القائمة على رأس المال) وإنما مفهم العلمانية الإسلامية التي اقتبس منها الغرب مفهومها ولكن حرفها ليخدم مصالح رأس المال على حساب القيم وحق الجماعة، التي جاء الإسلام و الكتاب يدافع عنهما ودفع سيطرة الأشخاص على معطيات الكتاب التي هي رحمة للناس أجمعين، أما نرد ما يمليه الشخص الواحد الواهم بكرسي العرش أنه إله الأرض والناس على عواطف المسلمين من التمسك بكتاب الله الذي يسيطر عليه ويؤله كيفما يشاء حسب حاجاته ورغباته بأذنابه من فقهاء السوء؟!!، والتاريخ خير شاهد و الحاضر ليس ببعيد.

إن مكونات الدولة التي سبق و أن ذكرناه يعمل كل منها في سمائه وفضائه المخصص له فالحدود الجغرافية محفوظة دوليا ويحافظ عليها الجيش (الذي هو من أبناء الشعب لا زبانيته) الذي يتبع سياسة الحكومة المنتخبة ديموقراطيا (أي الشعب) فيما لا يخالف الدستور الإلهي الذي فضل الإنسان على سائر خلقه والدستور الوضعي الذي قنن وحفظ الحقوق والواجبات للجميع، لا كما هو الحال في كثير من الممالك العربية والإسلامية وبعض من أصابهم داء الملك والسيطرة من تسليط الجيوش والعسكر لخدمة حفنة من الناس المستبدين بالسلطة عنوة وقهرا والمسخرين

لثروات البلاد المستأثر بها لتموين هذا العصابات الدولية التي ولأوهها للدرهم والدينار من الذهب والفضة لا لله والشعب والدستور.

أما الشعب فيعمل ويتعايش مع بعضه البعض على أساس المواطنة التي تكفل مساواة الحقوق واختلاف في الواجبات نسبياً بين أفراد الشعب رجالا ونساء كبارا وصغارا عاقلا أو مجنونا لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى عند الله أما عند البشر فحقهم مكفول في العمل والدين – الذي ليس من مكونات الدولة– والمذهب والفكر والثقافة واللغة...الخ بما نص عليه الدستور الإلهي والوضعي المفقود في عالمنا الإسلامي والمتواجد في بلاد من ينعتم بعض المسلمين بالكفار، أما الدستور فهو ما يختاره الناس طوعا مسلمهم و مسيحيهم ويهوديهم ...الخ إما من أصل ديني يتفقون عليه أو من أصل عقلي وكلا الأمرين أمرهما ومردهما إلى الله ولكن الخيار يكون للشعب الذي سيسأل يوما عما أختار وفعل، فمن غير المعقول أن يسمح الله تعالى للإنسان بالخيار في الدخول في الإيمان أو الكفر دون أن يعطيه الخيار في قبول النظام الذي يعيش فيه والدستور الذي يطبق عليه، فإذا رفض الإسلام بالخيار فكيف يطبق أحكامه عليه؟ إذا ما الدين إلا دين دون دولة، وبهذا المنهج الإسلامي البسيط يضمن الجميع حقهم في التشريع المدني بعيدا عن إملاءات القياصرة والأكاسرة والسلاطين والباباوات المعممة التي تستخدم الأحكام القرآنية أو الإنجيلية أو التوراتية في تيسير أمورها فرد سلطتها على الناس باسم الدين.

أما الحكومة المنتخبة فهي لا تتعدي كونها مجلس إدارة يدير مصالح الشعب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية بما تمليه عليهم وعودهم ومشروعاتهم التي قدموها للناخب أثناء حملتهم الانتخابية، مع حراسة الدستور وعدم انتهاكه للبديهيات من الأمور مثل العدالة والحرية والمساواة من جانب الحكومة. أما أن تحاول الحكومة أن تسيطر على مكونات الدولة باسم الدين (الجهاد) بأن تسعى لتوسيع حدودها على حساب حدود الدول الأخرى أو أن تحجر على الشعب حرية الفكر والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية وحرية الكلمة والصحافة الحرة والعدالة الاجتماعية بجميع أنواعها والمساواة في توزيع الثروة بين المواطنين لا لحساب الطبقات والأسماء والقبائل والأقارب كما هو الحال في وطننا العربي

والإسلامي، أو أن تفرض دستور بعينه يخالف رأي الأكثرية باسم الدين المسيس بالعقيدة أو المذهب أو الطائفة أو العائلة أو أن يعطل الدستور القائم باسم الشعب بدعوى الحفاظ على الدولة وهو ما يعرف بقانون الطوارئ أو الأحكام العرفية، فما هذا إلا الظلم بعينه للشعب بأسره، أو أن يسخر نواة المجتمع الدفاعي للهجوم على الشعب ومقدرات الأمة بأسباب لا يقبلها إلا من خاف على نفسه وولده من سطوت رجال القبضة الحديدية والدين الموالين للحكومة أو بالأحرى الحكومة نفسها، فكل هذا لا يصح أن نقبله باسم الدين، إذ الدين خلافه بالكلية وسنفصل المقال في هذا لاحقا.
إن فلسفة العلمانية تتجسد في حماية ما يختاره الناس في التحاكم إليه بغض النظر عن محتويات ومصدر هذا التحاكم أهو ديني أم وضعي، بعيدا عن الخداع بما روج له من أفيون الشعوب واللعب بمشاعرهم وعواطفهم الدينية خدمة لسياستهم السلطوية الاستبدادية.

الأستاذ المعارض ....

مشكلتكم أنكم أنتم معشر العلمانيين تنظرون إلى الآخرين بمرآة مصغِّرة فترون الآخرين دائماً صغاراً ولذلك لن تتعلموا لأن المتكبر لا يمكن أن يتعلم ... أنتم تعتبرون أنفسكم النخبة المثقفة والمدللة والآخرون هم المتخلفون والظلاميون ووو الإرهابيون ووو وإذا كنت تعتقد أن المسلمين يقفون عند حد هذا التعريف بالعلمانية الذي ذكرته // فصل الدين عن الدولة أو السياسة /// فأنت واهم ويجب إذن أن تتواضع وتقرأ للباحثين المسلمين المعاصرين وتنظيراتهم الجديدة للعلمانية ...

ومن هنا فإن ما ذكرته أو ما اقتبسته أو ما نقلته أنت من تعريف للعلمانية وبدأت تبني عليه سينهد مباشرة إذا ما علمت أن العلمانية في المنظور الإسلامي لا تقف عند هذا الحد ... بل هي أوسع وأشمل من ذلك بكثير وذلك باعترافات العلمانيين أنفسهم ....

عندما عزمت على دراسة ظاهرة العلمانية كان التعريف القابع في ذهني هو التعريف الشائع لها وهو " فصل الدين عن الدولة " ولما قرأت قليلاً ورأيت من يطرح تعريفاً جديداً هو " فصل الدين عن الحياة " ( ) ملت إليه وقلت هو هذا ..!!

ومع طول المعايشة والمعاشرة للخطاب العلماني رأيت أن القضية أكبر من كونها قضية فصل ، وإنما هي في كثير من الأحيان أقرب إلى الجحود والنكران للأديان وقيمها ، فضعفت قناعتي بهذا التعريف ، وهذا لا يعني أن التعريف قد فقد قيمته عندي ، وإنما يعني أنه قاصر عن الحد الكامل ، وإن كان يغطي مرحلة من مراحل العلمانية أو حيّزاً من رقعتها الشاسعة .

تبادر إلى ذهني في وقت من الأوقات أن العلمانية هي إلغاء المقدس ، ولكن بعض العلمانيين أنفسهم يعتبرون المقدس نمطاً لوجود الإنسان ، وأن الإنسان يعيد إنتاج المقدس بأشكال جديدة وهو يمارس دنيويته ( ) وأن المقدس عنصر من عناصر الوعي ، وأن أقصى مظاهر الحداثة المعاصرة غارقة في المقدس ( ) ، وهو ما يعني أن العلمانية غارقة في مقدسات ، بل ووثنيات جديدة تخترعها كبديل للمقدس الديني ، بل وتضع آلهة جديدة ، وتقدم لها مراسم وقرابين وألوان من العبودية والخضوع ، وهو ما أشار إليه – آنفاً – رفيق حبيب ."" إن الأسطرة ملَكة ثابتة وعبر هذا فالإنسان المعاصر يساهم أيضاً وعبر حرتقاته العلمية الجديدة في صنع أساطيره "" ( ) ولذلك "" يمكن أن يُؤلَّف عمل كامل عن أساطير الإنسان الحديث "" ( ) .

قلت : فهي إذن " إنكار الغيب ، وإثبات المادة " بيد أن العلمانية لم تتمكن من الاستمرار في إنكار الغيب ، لأن الإيمان بالغيب لا بد منه ، فإذا لم يأت اختياراً جاء اضطراراً ، وهذا هو الواقع فالعلمانية تؤمن بغيبيات وميتافيزيقيات كثيرة مثل النيترونات ، والأنتيرونات ، والأثير أو السديم ، وغير ذلك من أشياء يقوم عليها العلم ولكنها افتراضية ، والإيمان بها ليس إلا ضرباً من ضروب الإيمان بالغيب ، وإن كابرت العلمانية وعاندت ( ) ، وهو ما يلفت النظر إليه جلال أمين عندما يذهب إلى أنه "" لا مفر من اتخاذ موقف ميتافيزيقي ما ، والبدايات الميتافيزيقية هي التي تفضي إلى النتائج ، والمقولات المختلفة التي تكون أيديولوجية ما، والتي توجه السلوك الإنساني ، وهذا يعني أن العلمانية منظومة شاملة ورؤية للكون والطبيعة والإنسان تستند إلى ميتافيزيقا مُسبقة تطرح إجابات عن الأسئلة النهائية الكبرى ، فحالة الشك المطلقة ، الشك في كل المسلمات تجعل الحياة مستحيلة "" ( ) . ""

فالغيبي مبدأ من مبادئ علم الاجتماع لا بد منه للمجتمع ولا يأتلف المجتمع ويكتمل إلا بمبدأ غائب عنه يرسم الحدود الفاصلة بين المقدس والدنيوي ( ) .
قلت : إذن فالعلمانية هي " النسبية المطلقة " أو "" أن الإنسان هو ما يفعله "" ( ) كما طرح غير واحد منهم – على سبيل المثال – مراد وهبة ، ولكن المتأمل يرى كثيراً من المنظرين والمؤسسين للفكر العلماني لا يقولون بالنسبية المطلقة ، لأنهم يعتبرون آراءهم وفلسفاتهم حقائق مطلقة يجب على الناس أن يلتزموا بها ، ويسيروا على مقتضاها ، فالماركسيون – مثلاً – يعتبرون الماركسية هي الحقيقة المطلقة ، حقيقة الحقائق ، وكل العلوم التي جاءت قبلها كانت تمهيداً لها ، وكل ما سيأتي بعدها يجب أن يكون شرحاً لها ( ) .
ولذلك مع أن النسبية المطلقة تستحوذ على حيز عريض جداً من النظرية العلمانية ، إلا أنها لا يمكن أن تكون حداً شاملاً لكل عناصرها وأسسها ، هذا بالإضافة إلى أن العلمانية نفسها تتحول إلى مطلق في نظر أصحابها وعلى الآخرين أن يتعلمنوا أو يُوصَمُوا بالجهل والظلامية والأصولية .
سمعت أحد العلماء الأجلاء( ) يؤكد مراراً على أن العلمانية هي الغنوصية فتأملت في هذا الحد فوجدته يغطي مساحة من مساحات العلمانية ، وحقلاً من حقولها وهو : التأويل ، حيث بالرغم من أن الغنوصية قائمة على العرفان ( ) ، والعلمانية – بحسب أصحابها – قائمة على العقل ، إلا أنهما يلتقيان في النتائج المترتبة عن " التأويل المنفلت " ، حيث نصل عن طريق التأويل العلماني والغنوصي المنفلتين إلى خلاصات ما أنزل الله بها من سلطان ، وفهوم تتجافى إلى أبعد الحدود مع النص ، فإن النص إذا كان في السماء فإن التأويل العلماني أو الغنوصي في أسفل الأرضين ، وإذا كان النص يتجه غرباً فإن تأويلهما يتجه شرقاً . وهكذا رأيت أن الجامع بين العلمانية والغنوصية هو " التأويل المنفلت " .
وسمعته أيضاً يعرف العلمانية بأنها " تنحية الأسئلة الكبرى " ولكن الذي بدا لي أن العلمانية بعد أن فشلت في الإجابة عن هذه الأسئلة اقترحت تنحيتها لأنها بدأت تُعكِّر عليها سيرورة العلمنة . وهذه التنحية كارثة من كوارث العلمانية على الإنسانية لأنها الأسئلة الجوهرية للإنسان ، بل هي محور إنسانيته ، والمعنى الصميم لهذه

الإنسانية ، وتنحيتها حَطّم إنسانية الإنسان ، وجعله مادة بلا هدف ولا غاية ، يتقلب في ظلام الشك والحيرة ، وبدد له كل أمل في السعادة .

ومن هنا رأيت أن تنحية الأسئلة الكبرى ليست تعريفاً للعلمانية وإنما نهاية من نهايات العلمانية ، بل يمكن اعتبار هذه التنحية : إشهاراً للإفلاس ، وإعلاناً للخيبة .

استبطنت في مرحلة من مراحل البحث التعريف القائل بأن العلمانية "" رؤية مادية بحتة للوجود بما فيه "" ولكن تذكرت أن باركلي لم يكن مادياً فقد أنكر المادة واعتبرها موجودة لأنها مُدرَكة فقط، وأن هيوم أنكر الروح والمادة ولم يعترف بأية حقائق ضرورية ، وكذلك فإن جان جاك روسو كان ممثلاً للفلسفة المثالية ، ومع ذلك كان لهؤلاء جميعاً إسهاماً بارزاً في علمنة الفكر الأوربي .

هذا بالإضافة إلى – ما أشرنا إليه سابقاً – من أن العلمانية لم تتمكن من الاستمرار في المادية لأن العقل يؤكد وجود حقائق كونية ليست مادية يقوم عليها الوجود والعلم .

فالمادية سمة أساسية من سمات العلمانية ولكنها لا تُعبّر عنها تماماً وإن كان بروزها يكاد يجعل العلمانية تُختَزَل غالباً في هذه السمة .

2 – أبرز الخصائص :

لقد استقر رأيي – ردحاً من الزمن – على أن العلمانية هي : "" أنسنة الإلهي ، وتأليه الإنساني "" ويتميز هذا الحد بأنه يجمع خصائص كثيرة للعلمانية في شطريه : فالشطر الأول " أنسنة الإلهي " يحتوي على مقولة العلمانية في رفض المصدر الإلهي للأديان أو الوحي ، واعتبارها ظواهر اجتماعية وإنسانية تاريخية برزت ضمن ظروف ومعطيات معينة كما أراد فرويد وغيره . ويحتوي هذا الشطر أيضاً : على إلغاء أو تمييع كل المقدَّسات والمعجزات ، وإعادة تفسيرها تفسيراً إنسانياً اجتماعياً أو اقتصاديا أو مادياً ، أو نفسانياً واعتبارها مجرد خرافات وأساطير عفا عليها الزمن .

ويحتوي هذا الشطر أيضاً : على أنسنة الطبيعة والكون بمعنى تجريده من أية دلالات روحية أو كونية أو رمزية ، واعتبارها مواد للإنسان عليه أن يستثمرها في منفعته وأنانيته بشكل مطلق وإمبريالي دون أي اعتبار آخر ، مع رفض الدلالات

الغيبية ، والإشارات الربانية التي تؤكد عليها الأديان جميعاً كمعالم للهداية ، باعتبار الطبيعة – في رؤيتها – كتاباً كونياً منظوراً إلى جانب الوحي المكتوب .

ويحتوي هذا الشطر أيضاً : على الجهود التي تبذلها العلمانية لاستثمار الإلهي وتحويله إلى فكرانية ( ) بمعنى : "" تحويل الوحي إلى إيديولوجية "" ( ) . "" تحويل الوحي ذاته إلى علم إنساني "" ( ) وذلك لتحقيق أغراض الإنسان وأطماعه ، وقد تجلى ذلك واضحاً في الفلسفة الفيورباخية ، وتبنى ذلك حسن حنفي من العلمانيين العرب – كما سنرى – ومعنى ذلك "" إلغاء الغيب كمصدر للمعرفة ، وقصرها على عالم الشهادة "" ( ) ويتم ذلك بالعقل والتجريب بعيداً عن الوحي .

وعلى مستوى العلاقة بين العلمانية العربية والنص القرآني فإنه يتجلى أيضاً دور الشطر الأول من التعريف حيث نجد نزعة الأنسنة سائدة لدى هؤلاء فكتب أركون كتابه " نزعة الأنسنة " وحاول نصر حامد أبو زيد وغيره استعادة القضية الكلامية القديمة التي ثار حولها جدل طويل ، وهي مسألة خلق القرآن في شكلها الاعتزالي ، وذلك من أجل تكريس إنسانية الوحي ومنتوجيته البشرية ، وسنفصل ذلك فيما بعد .

وأما الشطر الثاني من التعريف " تأليه الإنساني " فيتولى تغطية جوانب كثيرة أيضاً من خصائص العلمانية أهمها : النزعة الغرورية التي كرستها فلسفة نيتشة وداروين عبر " الإنسان الأعلى " و" البقاء للأقوى " والتي مورست عملياً من خلال حكام النازية والفاشية كما أشرنا سابقاً.

ويتضمن هذا الشطر أيضاً : التركيز العلماني الدائم على مركزية الإنسان ، واستقلالية العقل ، وهذه الأخيرة تشكل بُعداً أساسياً في العلمنة حتى عُرِّفت بأنها لا سلطان على العقل إلا للعقل في تفسير الوجود . هذا الجزء يتكفل بالإشارة إلى هذا البعد ، حيث إن تأليه الإنسان يعني أن التفكير الإنساني مستقل عن الوحي ، بل يرقى إلى مرتبة الوحي ، ويحظى بنصيب من الألوهية . لقد بلغ الأمر بالفرنسيين بعد الثورة أن نصبوا تمثالاً وعبدوه سموه " إلاهة العقل " ( ).

ويتضمن هذا الشطر أيضا : الإشارة إلى تأليه القيم الجديدة للعلمانية المتمثلة في حقوق الإنسان ، وترسيخ الفردية المطلقة ، والديمقراطية ، وحرية المرأة المطلقة ، ونسبية الأخلاق ، والعِلمانية – بالكسر – ، وكل ذلك ما هو إلا إحلال لمنظومة

جديدة مؤلَّهة من القيم الإنسانية ، وإضفاء حالة من القداسة عليها ، بدلاً من الدستور الإلهي القائم على الوحي .

ويتضمن هذا الشطر أيضا : الإشارة إلى الجانب العبثي في العلمانية وهو بعد جوهري فيها ، ذلك لأن تأليه الإنساني يعني أن الإنسان الجسد هو المُؤلَّه ، لأن العلمانية لا تعترف إلا بالجسد ، وحاجات هذا الجسد الجنسانية والغرائزية تنال حظاً وافراً من الإجلال والقداسة – كما رأينا في الفصل الأول –إن تأليه الإنساني يعني تقديس المُدَنَّس والارتفاع به إلى مستوى الألوهية.

أما البعد المادي في العلمانية فإن شطري التعريف يسهمان في تغطيته ، إذ إن أنسنة الإلهي تعني تحويل ما ليس بمادة إلى مادة ، أو بعبارة أخرى تدنيس المقدس والتعامل معه على هذا الأساس الدَّنِس . ثم يأتي الشطر الثاني ليضفي على المادة قداسة جديدة " تقديس المدنس " وتصبح المادة بهذا الشكل حالَّة محل الألوهية ، ويغدو كل ما سواها ضربٌ من الأساطير والأوهام . وهو ما سعت الفيورباخية والماركسية إلى تكريسه .

3 – العلمانية هي الدنيوية :

هذا التعريف الذي اقترحته وتحدثت عنه للتو ، وقلت إن رأيي استقر عليه ردحاً من الزمن لم يدم هذا له هذا الاستقرار ، مع أن خصائصه – كما أشرت – موزعة في التعريفات التي عرضناها سابقاً لكثير من الباحثين .

والسؤال هنا : " هل يمكن اختزال هذا التعريف أو التعريفات المطروحة سابقاً بكلمة واحدة ؟

لقد سبق أن قلنا إن سيد محمد نقيب العطاس رأى أن اقرب كلمة تعبر عن العلمانية في المفهوم القرآني هي ما يعبر عنه القرآن بلفظ " الحياة الدنيا "، وإن لم يقترح ذلك كتعريف للعلمانية ، ورأينا كذلك أن العلمانية تُرجمت في مصادرها الأجنبية على أنها " العالمانية " أو " الدنيوية " أو " الدهرية " وكتب جمال الدين الأفغاني كتابه " الرد على الدهريين " يرد فيه على العلمانيين المعاصرين له .

وما أريد أن أقوله هنا : هو أن " الدنيوية " ليست مجرد ترجمة لغوية للعلمانية ، وأعني أن العلمانية يمكن أن تُعرَّف تعريفاً جامعاً مانعاً – فيما أرى – بكلمة واحدة هي : " الدنيوية " .

إن هذا التعريف – كما يبدو لي – لا يكاد يغادر صغيرة ولا كبيرة من مقولات العلمانية وخصائصها إلا ويطويها في داخله ، وإن نظرة سريعة في تاريخ العلمانية وأسسها وجذورها ، وأبعادها وتجلياتها سوف تبين أن الدنيوية هي الهم الأول ، والهاجس الأساسي ، بل الوحيد الذي تدور عليه العلمانية .

فالمادية ، واللامادية ، والمثالية ، والعقلانية ، والعِلمانية ، والتطورية ، والجنسانية ، والأنسنة ، والحرية ، والديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، والعنصرية ، والفردية ، كل هذه العناصر التي أفرزتها العلمانية عبر تاريخها الطويل أُريدَ منها أن تحقق للإنسان السعادة في هذه الحياة الدنيا دون أي اعتبار آخَر ليوم آخِر ، والسعادة المقصودة هنا هي أقصى قدر ممكن من اللذة والمتعة .

وهنا يمكن أن يتبادر إلى الذهن سؤال وهو : أن الشرائع السماوية أيضاً قصدت تحقيق السعادة للإنسان في الحياة الدنيا فهل الأديان منخرطة على هذا الأساس في تيار العلمانية ؟

والإجابة : أن الشرائع الإلهية تربط سعادة الدنيا بالسعادة في الآخرة ، لذلك فسعادة الإنسان في الحياة الدنيا بمنظور الشرائع الإلهية ألا ينخرط في الملذات والشهوات والمُتع دون ضوابط وحدود لأن هذا سينغص سعادته في الآخرة .

لقد تركت هذه الدنيوية العلمانية أثرها حتى على الإسلاميين ، فأصبحنا نُبرز كثيراً عناية الإسلام بالحياة الدنيا ، ودعوته إلى عمارتها ، والاستمتاع بالطيبات منها ، ونتغاضى – مجاراة للعلمانيين – عن أن الإسلام في الأصل يدعو الناس إلى الآخرة عبر ممر الدنيا ، وهذا لا يعني تخريب الدنيا ، وإنما يعني التطلع إلى المستقبل الأبدي ، وليس إلى الحياة العاجلة ، وهذا ليس من شأنه أن يجعلنا نهمل عمارة الحياة الدنيا ، وإنما من شأنه أن يُهذِّب نفوسنا ويسموَ بها عن الأنانية ، ويطهرها من السخائم والعداوات والتنافس على المتاع الزائل والحطام الفاني .

وهنا يجدر بنا أن نتذكر قول أحد أقطاب الصوفية كتلخيص لموقف الإسلام من الحياة الدنيا " أن تكون الدنيا في يدك وليس في قلبك " وهذا بعكس العلمانية التي تريد أن تمزج الدنيوية بكل ذرة من ذرات الجسد الإنساني ، وتغرسها في صميم قلبه ، وتجعلها الملاذ الوحيد ، والمعشوق الوحيد ، والغاية النهائية للإنسان ، ولا يخفى ما في ذلك من تكريسٍ للتنافس الأعمى بين البشر دولاً وأفراداً ، وهو ما نعايشه اليوم ، لأن البقاء للأقوى ، وساحة البقاء في المنظور العلماني قاصرة على هذا العالم المحسوس فقط .

وتتجلى الدنيوية واضحة في الممارسات التأويلية التي تشتغل على النص القرآني فتحاول دائماً أن تحد من سلطانه الإلهي ، وتبرز دائماً ما يؤكد على الاعتبارات الدنيوية في مسائل الميراث ، والمرأة ، والحجاب ، والدولة والأخلاق ، ويُبرَّر ذلك بمبررات دنيوية محضة مثل : مواكبة العصر ، ومسايرة التحضر ، وتطور الفكر . والنموذج الذي يُحتذى في كل ذلك هو الغرب ، فكل ما عنده أصبح معيار التطور والتحضر والتقدم ، وتغفل هذه الممارسات أو تتنكر للجانب الغيبي الأخروي الذي يشكل الحيِّز الأكبر من الرسالة القرآنية ، وفي حالات متطرفة فإنها تقوم بعملية مسخ وتشويه لهذا الجانب عن طريق " التأويل المنفلت " لتجعله يصب في خدمة الدنيوية أيضاً .

4 – خلاصة :

العلمانيون – كما مر بنا سابقاً – يستدلون على علمانية الإسلام بدنيويته ، وبما حصل في التاريخ الإسلامي من ترف وبذخ وإقبال على الدنيا ، فهم بذلك يقرون بأن الدنيوية هي جوهر العلمانية ، وقد مر معنا كذلك كيف تؤكد دوائر المعارف والمعاجم الغربية على دنيوية العلمانية بما يغني عن الإعادة هنا .

لقد أشرنا – سابقاً – إلى أن الدنيوية ضاربة بجذورها في عمق التاريخ والحضارات ، وأن أكثر الأمم اختارت الحياة الدنيا على الآخرة ، ذلك لأن الحياة الدنيا حلوة خضرة وقريبة ، أما الآخرة فهي في منظور الإنسان العجول بعيدة غير مغرية كما تفعل الحياة الدنيا "متاع الغرور " .

والسؤال هنا : كيف نحدد عناصر الحضور والغياب في التعريف الذي نقترحه ؟ وهل الدنيوية مطلقاً تُوصَف بأنها علمانية ؟ أم أنها دنيوية ذات نسبة معينة ؟

والسؤال بعبارة أخرى : ما هو الحد الذي تتحول فيه الدنيوية إلى علمانية .

لقد أشرنا سابقاً إلى أن الشرائع السماوية فيها جانب دنيوي فهل هي بذلك علمانية ، أم تحتوي على نسبة معينة من العلمنة ؟

إن الدنيوية تتحول إلى علمانية عندما تتحول الوسيلة إلى غاية ، والممر إلى مقر ، وقد يعترض علينا هنا بأننا نتحدث بلهجة صوفية وعظية ، ولكن هذه هي الحقيقة سواء كانت في قالب صوفي وعظي أم حداثي معاصر ؟

عمارة الدنيا مرادة إلى أقصى الحدود ، ولكن على أن لا يؤدي ذلك إلى الفساد في الأرض ، كما يجب مراعاة أن الإنسان مؤتمن وليس مالكاً حقيقياً ، وأنه رضي بحمل الأمانة ، وكل ما يؤدي إلى الإخلال بحفظ الأمانة " الكون والطبيعة والإنسان ورسالته فيهما " فإنه انقلاب إلى دنيوية عضوض أي علمانية .

الإنسان مُستَخلَف في الأرض ، وهذا يعني أنه لا يملك أن يضع لنفسه منهجاً في الحياة باستقلالية كاملة ، لأن المنهج وضعه المالك الحقيقي ، والسيد الحقيقي في هذا الوجود ، أما وظيفته هو فإنها تنحصر في أن يفهم المنهج بشكل صحيح وينزله على حياته كما أراد واضعه عز وجل . والفهم غير الوضع والإنشاء وإن كان الخطاب العلماني سينازع في هذا كما سنرى .

إن أي إنسان عاقل عندما يشتري جهازاً من شركة ما يقرأ النشرة المرفقة معه والتي تُبيِّن كيفية استعماله ، وقراءة هذه النشرة توفر عليه جهداً ووقتاً يبذله في محاولته تشغيل الجهاز دون استعانة بالصانع . إن جهده المستقل قد ينتهي بالوصول إلى معرفة تشغيل الجهاز ولكن بعد جهد ووقت من التجريب والمحاولة ، ولكنه قد ينتهي أيضاً بإتلاف الجهاز وإعطابه .

إن كل ممارسات الإنسان في هذا الكون لكي تبرأ من " الدنيوية العلمانية " يجب عليها أن تكون قائمة على مبدأ العبودية لله عز وجل ، والرغبة فيما عنده من الخير والسعادة ، ومنافية لمبدأي الكبرياء الزائف ، والعقلانية المتهورة القائمين على

الاعتداد الأعمى بالذات والمنفعة العاجلة ، واللذة الزائلة ، والنظرة القاصرة على هذه الحياة الدنيا .

إن الاحتراز الوحيد الذي نضعه هنا لعله يجنبنا كثيراً من الانتقادات والإلزامات التي قد ترد علينا إزاء هذا التعريف هو أن العلمانية " الدنيوية " التي نقصدها تزيد وتنقص ، وتهبط وتصعد ، وأننا عندما نتحدث عن العلمانية التي تقارن الإلحاد والزندقة فإننا نقصد العلمانية في أعلى درجاتها . إن هذا يعني أن بعض الباحثين الحريصين على إسلامهم وإيمانهم ولكن تصدر منهم بعض الأفكار التي تخدم التوجه الدنيوي العلماني ، وتتحرك في داخل أسواره لا يمكن أن يوصفوا بأنهم علمانيين ، وإن كان يصح أن نصف أفكارهم المنحرفة بأنها أفكار علمانية . والله أعلم

العلمانية ما هي ؟

الأستاذ المعارض ....

مشكلتكم أنكم أنتم معشر العلمانيين تنظرون إلى الآخرين بمرآة مصغِّرة فترون الآخرين دائماً صغاراً ولذلك لن تتعلموا لأن المتكبر لا يمكن أن يتعلم ... أنتم تعتبرون أنفسكم النخبة المثقفة والمدللة والآخرون هم المتخلفون والظلاميون ووو الإرهابيون ووو وإذا كنت تعتقد أن المسلمين يقفون عند حد هذا التعريف بالعلمانية الذي ذكرته // فصل الدين عن الدولة أو السياسة /// فأنت واهم ويجب إذن أن تتواضع وتقرأ للباحثين المسلمين المعاصرين وتنظيراتهم الجديدة للعلمانية ...

الرد: سبحان الله تستفتح بتصغير خصمك وشخصنة الرد، فماذا تسمي هذا؟؟؟ رمتني بدائها وأنسلت!!!!!! أما تنظير المسلم المؤدلج لا قيمة له لأنه لم يتجرد، فلا يمكن أن يكون باحثا.

ومن هنا فإن ما ذكرته أو ما اقتبسته أو ما نقلته أنت من تعريف للعلمانية وبدأت تبني عليه سينهد مباشرة إذا ما علمت أن العلمانية في المنظور الإسلامي لا تقف عند هذا الحد ... بل هي أوسع وأشمل من ذلك بكثير وذلك باعترافات العلمانيين أنفسهم ....

الرد: سبحان الله، كم من مرة طلبنا منك العرض، فأعرضت؟؟؟؟؟

عندما عزمت على دراسة ظاهرة العلمانية كان التعريف القابع في ذهني هو التعريف الشائع لها وهو " فصل الدين عن الدولة " ولما قرأت قليلاً ورأيت من يطرح تعريفاً جديداً هو " فصل الدين عن الحياة " ( ) ملت إليه وقلت هو هذا ..!!

الرد: وهل أنت الفرد الصمد من عزم؟؟؟؟؟ سبحان الله، مادح نفسه كذاب!!!

ومع طول المعايشة والمعاشرة للخطاب العلماني رأيت أن القضية أكبر من كونها قضية فصل ، وإنما هي في كثير من الأحيان أقرب إلى الجحود والنكران للأديان وقيمها ، فضعفت قناعتي بهذا التعريف ، وهذا لا يعني أن التعريف قد فقد قيمته عندي ، وإنما يعني أنه قاصر عن الحد الكامل ، وإن كان يغطي مرحلة من مراحل العلمانية أو حيّزاً من رقعتها الشاسعة .

الرد: أين الحجود والنكران في العلمانية للأديان؟؟؟؟ هات الدليل!!!!

تبادر إلى ذهني في وقت من الأوقات أن العلمانية هي إلغاء المقدس ، ولكن بعض العلمانيين أنفسهم يعتبرون المقدس نمطاً لوجود الإنسان ، وأن الإنسان يعيد إنتاج المقدس بأشكال جديدة وهو يمارس دنيويته ( ) وأن المقدس عنصر من عناصر الوعي ، وأن أقصى مظاهر الحداثة المعاصرة غارقة في المقدس ( ) ، وهو ما يعني أن العلمانية غارقة في مقدسات ، بل ووثنيات جديدة تخترعها كبديل للمقدس الديني ، بل وتضع آلهة جديدة ، وتقدم لها مراسم وقرابين وألوان من العبودية والخضوع ، وهو ما أشار إليه – آنفاً – رفيق حبيب ."" إن الأسطرة ملَكة ثابتة وعبر هذا فالإنسان المعاصر يساهم أيضاً وعبر حرتقاته العلمية الجديدة في صنع أساطيره "" ( ) ولذلك "" يمكن أن يُؤلَّف عمل كامل عن أساطير الإنسان الحديث "" ( ) .

الرد: كل هذا الإنشاء لا قيمة له دون الدليل عليه.

قلت : فهي إذن " إنكار الغيب ، وإثبات المادة " بيد أن العلمانية لم تتمكن من الاستمرار في إنكار الغيب ، لأن الإيمان بالغيب لا بد منه ، فإذا لم يأت اختياراً جاء اضطراراً ، وهذا هو الواقع فالعلمانية تؤمن بغيبيات وميتافيزيقيات كثيرة مثل النيترونات ، والأنتيرونات ، والأثير أو السديم ، وغير ذلك من أشياء يقوم عليها العلم ولكنها افتراضية ، والإيمان بها ليس إلا ضرباً من ضروب الإيمان بالغيب ، وإن كابرت العلمانية وعاندت ( ) ، وهو ما يلفت النظر إليه جلال أمين عندما يذهب

إلى أنه "" لا مفر من اتخاذ موقف ميتافيزيقي ما ، والبدايات الميتافيزيقية هي التي تفضي إلى النتائج ، والمقولات المختلفة التي تكون أيديولوجية ما، والتي توجه السلوك الإنساني ، وهذا يعني أن العلمانية منظومة شاملة ورؤية للكون والطبيعة والإنسان تستند إلى ميتافيزيقا مُسبقة تطرح إجابات عن الأسئلة النهائية الكبرى ، فحالة الشك المطلقة ، الشك في كل المسلمات تجعل الحياة مستحيلة "" ( ) . "" فالغيبي مبدأ من مبادئ علم الاجتماع لا بد منه للمجتمع ولا يأتلف المجتمع ويكتمل إلا بمبدأ غائب عنه يرسم الحدود الفاصلة بين المقدس والدنيوي ( ) .

الرد: أين فحو كلامك هذا على العلمانية التي يمارسها الغرب؟؟؟؟؟ الكلام ليس عليه جمرك.

قلت : إذن فالعلمانية هي " النسبية المطلقة " أو "" أن الإنسان هو ما يفعله "" ( ) كما طرح غير واحد منهم – على سبيل المثال – مراد وهبة ، ولكن المتأمل يرى كثيراً من المنظرين والمؤسسين للفكر العلماني لا يقولون بالنسبية المطلقة ، لأنهم يعتبرون آراءهم وفلسفاتهم حقائق مطلقة يجب على الناس أن يلتزموا بها ، ويسيروا على مقتضاها ، فالماركسيون – مثلاً – يعتبرون الماركسية هي الحقيقة المطلقة ، حقيقة الحقائق ، وكل العلوم التي جاءت قبلها كانت تمهيداً لها ، وكل ما سيأتي بعدها يجب أن يكون شرحاً لها ( ) .

الرد: ما يطالب به العلماني هو ما يطالب به القرآن، فهل القرآن حقيقة مطلقة؟؟؟؟

ولذلك مع أن النسبية المطلقة تستحوذ على حيز عريض جداً من النظرية العلمانية ، إلا أنها لا يمكن أن تكون حداً شاملاً لكل عناصرها وأسسها ، هذا بالإضافة إلى أن العلمانية نفسها تتحول إلى مطلق في نظر أصحابها وعلى الآخرين أن يتعلمنوا أو يُوصَمُوا بالجهل والظلامية والأصولية .

الرد: وهل هذا يختلف عن موقع المتأسلمين السلفيين؟؟؟؟

سمعت أحد العلماء الأجلاء( ) يؤكد مراراً على أن العلمانية هي الغنوصية فتأملت في هذا الحد فوجدته يغطي مساحة من مساحات العلمانية ، وحقلاً من حقولها وهو : التأويل ، حيث بالرغم من أن الغنوصية قائمة على العرفان ( ) ، والعلمانية – بحسب أصحابها – قائمة على العقل ، إلا أنهما يلتقيان في النتائج المترتبة عن "

التأويل المنفلت " ، حيث نصل عن طريق التأويل العلماني والغنوصي المنفلتين إلى خلاصات ما أنزل الله بها من سلطان ، وفهوم تتجافى إلى أبعد الحدود مع النص ، فإن النص إذا كان في السماء فإن التأويل العلماني أو الغنوصي في أسفل الأرضين ، وإذا كان النص يتجه غرباً فإن تأويلهما يتجه شرقاً . وهكذا رأيت أن الجامع بين العلمانية والغنوصية هو " التأويل المنفلت " .

الرد: وما هو في رأيك التأويل الغير منفلت، هل مرجعه بشري عقلي أم ربابي سماوي؟؟؟

وسمعته أيضاً يعرف العلمانية بأنها " تنحية الأسئلة الكبرى " ولكن الذي بدا لي أن العلمانية بعد أن فشلت في الإجابة عن هذه الأسئلة اقترحت تنحيتها لأنها بدأت تُعكِّر عليها سيرورة العلمنة . وهذه التنحية كارثة من كوارث العلمانية على الإنسانية لأنها الأسئلة الجوهرية للإنسان ، بل هي محور إنسانيته ، والمعنى الصميم لهذه الإنسانية ، وتنحيتها حَطّم إنسانية الإنسان ، وجعله مادة بلا هدف ولا غاية ، يتقلب في ظلام الشك والحيرة ، وبدد له كل أمل في السعادة . ومن هنا رأيت أن تنحية الأسئلة الكبرى ليست تعريفاً للعلمانية وإنما نهاية من نهايات العلمانية ، بل يمكن اعتبار هذه التنحية : إشهاراً للإفلاس ، وإعلاناً للخيبة .

الرد: إلينا بتلك الأسئلة الكبرى التي أبعدتها العلمانية لكي لا تعكر سيرورة العلمنة؟؟؟

استبطنت في مرحلة من مراحل البحث التعريف القائل بأن العلمانية "" رؤية مادية بحتة للوجود بما فيه "" ولكن تذكرت أن باركلي لم يكن مادياً فقد أنكر المادة واعتبرها موجودة لأنها مُدرَكة فقط، وأن هيوم أنكر الروح والمادة ولم يعترف بأية حقائق ضرورية ، وكذلك فإن جان جاك روسو كان ممثلاً للفلسفة المثالية ، ومع ذلك كان لهؤلاء جميعاً إسهاماً بارزاً في علمنة الفكر الأوربي .

هذا بالإضافة إلى – ما أشرنا إليه سابقاً – من أن العلمانية لم تتمكن من الاستمرار في المادية لأن العقل يؤكد وجود حقائق كونية ليست مادية يقوم عليها الوجود والعلم .

فالمادية سمة أساسية من سمات العلمانية ولكنها لا تُعبّر عنها تماماً وإن كان بروزها يكاد يجعل العلمانية تُختَزَل غالباً في هذه السمة .

الرد: حقائق الكون لا يدركها أحد إلا بالبحث والنتيجة نسبية، حالها كحال منهج الإسلام و تطوره التاريخي، ولا ضير علي من ينظر و يفكر ليصل، وليس هذا بدليل على العلمانية بل دليل على قدرة هذا الإنسان في النظر والبحث الأمر الذي تركه من يعتنق الإسلام بإدعاء الحقيقة المطلقة للكون.

2 – أبرز الخصائص :

لقد استقر رأيي – ردحاً من الزمن – على أن العلمانية هي : "" أنسنة الإلهي ، وتأليه الإنساني "" ويتميز هذا الحد بأنه يجمع خصائص كثيرة للعلمانية في شطريه : فالشطر الأول " أنسنة الإلهي " يحتوي على مقولة العلمانية في رفض المصدر الإلهي للأديان أو الوحي ، واعتبارها ظواهر اجتماعية وإنسانية تاريخية برزت ضمن ظروف ومعطيات معينة كما أراد فرويد وغيره . ويحتوي هذا الشطر أيضاً : على إلغاء أو تمييع كل المقدَّسات والمعجزات ، وإعادة تفسيرها تفسيراً إنسانياً اجتماعياً أو اقتصاديا أو مادياً ، أو نفسانياً واعتبارها مجرد خرافات وأساطير عفا عليها الزمن .

الرد: القرآن يقر هذه النظرية في قصة إبراهيم فترقبها قريبا. أي مقدسات، وأي معجزات؟

ويحتوي هذا الشطر أيضاً : على أنسنة الطبيعة والكون بمعنى تجريده من أية دلالات روحية أو كونية أو رمزية ، واعتبارها مواد للإنسان عليه أن يستثمرها في منفعته وأنانيته بشكل مطلق وإمبريالي دون أي اعتبار آخر ، مع رفض الدلالات الغيبية ، والإشارات الربانية التي تؤكد عليها الأديان جميعاً كمعالم للهداية ، باعتبار الطبيعة – في رؤيتها – كتاباً كونياً منظوراً إلى جانب الوحي المكتوب .

الرد: سبق و أن قلت أن العلمانية تؤمن بالغيب وهي مضطرة لذلك و الآن تقول ترفض الدلالات الغيبية؟؟؟؟ كيف؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ وهذا كلامك: قلت : فهي إذن " إنكار الغيب ، وإثبات المادة " بيد أن العلمانية لم تتمكن من الاستمرار في إنكار الغيب ، لأن الإيمان بالغيب لا بد منه ، فإذا لم يأت اختياراً جاء اضطراراً ، وهذا هو الواقع فالعلمانية تؤمن بغيبيات وميتافيزيقيات كثيرة مثل النيترونات ، والأنتيرونات ، والأثير أو السديم ، وغير ذلك من أشياء يقوم عليها العلم ولكنها افتراضية ، والإيمان بها ليس إلا ضرباً من ضروب الإيمان بالغيب....

ويحتوي هذا الشطر أيضاً : على الجهود التي تبذلها العلمانية لاستثمار الإلهي وتحويله إلى فكرانية ( ) بمعنى : "" تحويل الوحي إلى إيديولوجية "" ( ) . "" تحويل الوحي ذاته إلى علم إنساني "" ( ) وذلك لتحقيق أغراض الإنسان وأطماعه ، وقد تجلى ذلك واضحاً في الفلسفة الفيورباخية ، وتبنى ذلك حسن حنفي من العلمانيين العرب – كما سنرى – ومعنى ذلك "" إلغاء الغيب كمصدر للمعرفة ، وقصرها على عالم الشهادة "" ( ) ويتم ذلك بالعقل والتجريب بعيداً عن الوحي .

الرد: هذا ما يقرن الإسلام و القرآن، ولكن ليس للعقل التابع ولكن للعقل المسيطر.

وعلى مستوى العلاقة بين العلمانية العربية والنص القرآني فإنه يتجلى أيضاً دور الشطر الأول من التعريف حيث نجد نزعة الأنسنة سائدة لدى هؤلاء فكتب أركون كتابه " نزعة الأنسنة " وحاول نصر حامد أبو زيد وغيره استعادة القضية الكلامية القديمة التي ثار حولها جدل طويل ، وهي مسألة خلق القرآن في شكلها الاعتزالي ، وذلك من أجل تكريس إنسانية الوحي ومنتوجيته البشرية ، وسنفصل ذلك فيما بعد .

الرد: القرآن قد اختلف أهل الإسلام في نصية كلامه هل هو إلهي أم هو محمدي، بغض النظر عن مصدرية هذا الوحي أكان من الله الذي أوجده العقل المسيطر أم من الله الكائن في السماء وأي سماء ترى أو ربما الفضاء، فالمسلمون لم يحترموا هذا النص فأخذوا ينسخون هذه بهذا وأخذوا يعطلون هذه لهذه ...الخ حتى أصبح القرآن غنيمة كل ملك أراد أن يكون إلها، ولكن إلها لا كالأنبياء بل إلها نرجسيا.

وأما الشطر الثاني من التعريف " تأليه الإنساني " فيتولى تغطية جوانب كثيرة أيضاً من خصائص العلمانية أهمها : النزعة الغرورية التي كرستها فلسفة نيتشة وداروين عبر " الإنسان الأعلى " و" البقاء للأقوى " والتي مورست عملياً من خلال حكام النازية والفاشية كما أشرنا سابقاً.

الرد: قد سبقهم سلاطين العرب والمسلمين بقرون.

ويتضمن هذا الشطر أيضاً : التركيز العلماني الدائم على مركزية الإنسان ، واستقلالية العقل ، وهذه الأخيرة تشكل بُعداً أساسياً في العلمنة حتى عُرِّفت بأنها لا سلطان على العقل إلا للعقل في تفسير الوجود . هذا الجزء يتكفل بالإشارة إلى هذا البعد ، حيث إن تأليه الإنسان يعني أن التفكير الإنساني مستقل عن الوحي ، بل

يرقى إلى مرتبة الوحي ، ويحظى بنصيب من الألوهية . لقد بلغ الأمر بالفرنسيين بعد الثورة أن نصبوا تمثالاً وعبدوه سموه " إلاهة العقل " ( ).

الرد: الذي يوجد الشيء ويجعل الناس تنقاد إليه في مرحلة تاريخية معينة يحق له أن يكون هو الإله، وقد كفل الإسلام للعقل الحديث باسم الإله في التشريع و التقنين حسب ما تمليه الظروف العقلية للديمومة و الخلافة في الأرض.

ويتضمن هذا الشطر أيضا : الإشارة إلى تأليه القيم الجديدة للعلمانية المتمثلة في حقوق الإنسان ، وترسيخ الفردية المطلقة ، والديمقراطية ، وحرية المرأة المطلقة ، ونسبية الأخلاق ، والعِلمانية – بالكسر – ، وكل ذلك ما هو إلا إحلال لمنظومة جديدة مؤلَّهة من القيم الإنسانية ، وإضفاء حالة من القداسة عليها ، بدلاً من الدستور الإلهي القائم على الوحي .

الرد: وهل القرآن و الإسلام لا يدعو لحقوق الإنسان؟؟؟

أما الفردية المطلقة فهي خاصة بذات الإنسان، كما أمر الله.

أما الديمقراطية أو الشورى ..الخ فهي في كتاب الله فهل تنكرها.

أما حرية المرأة المطلقة فهي حق شأنها شأن الرجل إن لم تيقد نفسه بعقود و عهود ومواثيق.

أما نسبية الأخلاق، فهل أنت كامل؟؟؟؟

أحلال منظومة جديد؟؟؟؟ إذا الإسلام لا حظ هل فيها؟؟؟

الوحي لم يأت من الله مباشرة لكل إنسان بل جاء عبر بشر مثلنا.

ويتضمن هذا الشطر أيضا : الإشارة إلى الجانب العبثي في العلمانية وهو بعد جوهري فيها ، ذلك لأن تأليه الإنساني يعني أن الإنسان الجسد هو المُؤلَّه ، لأن العلمانية لا تعترف إلا بالجسد ، وحاجات هذا الجسد الجنسانية والغرائزية تنال حظاً وافراً من الإجلال والقداسة – كما رأينا في الفصل الأول –إن تأليه الإنساني يعني تقديس المُدَنَّس والارتفاع به إلى مستوى الألوهية.

الرد: تأليه الجسد و حاجات جنسية وغرائزية، عجبا؟؟؟؟

أما البعد المادي في العلمانية فإن شطري التعريف يسهمان في تغطيته ، إذ إن أنسنة الإلهي تعني تحويل ما ليس بمادة إلى مادة ، أو بعبارة أخرى تدنيس المقدس

والتعامل معه على هذا الأساس الدَّنِس . ثم يأتي الشطر الثاني ليضفي على المادة قداسة جديدة " تقديس المدنس " وتصبح المادة بهذا الشكل حالَّة محل الألوهية ، ويغدو كل ما سواها ضربٌ من الأساطير والأوهام . وهو ما سعت الفيورباخية والماركسية إلى تكريسه .

الرد: العقل لا يعترف إلا بالمادة، فإذا كان الله ليس بمادة فالعقل لا يدركه و لا يراه و يعلمه، تماما كما قال القرآن واصفا الله.

3 – العلمانية هي الدنيوية :

هذا التعريف الذي اقترحته وتحدثت عنه للتو ، وقلت إن رأيي استقر عليه ردحاً من الزمن لم يدم هذا له هذا الاستقرار ، مع أن خصائصه – كما أشرت – موزعة في التعريفات التي عرضناها سابقاً لكثير من الباحثين .

والسؤال هنا : " هل يمكن اختزال هذا التعريف أو التعريفات المطروحة سابقاً بكلمة واحدة ؟

لقد سبق أن قلنا إن سيد محمد نقيب العطاس رأى أن اقرب كلمة تعبر عن العلمانية في المفهوم القرآني هي ما يعبر عنه القرآن بلفظ " الحياة الدنيا "، وإن لم يقترح ذلك كتعريف للعلمانية ، ورأينا كذلك أن العلمانية تُرجمت في مصادرها الأجنبية على أنها " العالمانية " أو " الدنيوية " أو " الدهرية " وكتب جمال الدين الأفغاني كتابه " الرد على الدهريين " يرد فيه على العلمانيين المعاصرين له .

وما أريد أن أقوله هنا : هو أن " الدنيوية " ليست مجرد ترجمة لغوية للعلمانية ، وأعني أن العلمانية يمكن أن تُعرَّف تعريفاً جامعاً مانعاً – فيما أرى – بكلمة واحدة هي : " الدنيوية " .

إن هذا التعريف – كما يبدو لي – لا يكاد يغادر صغيرة ولا كبيرة من مقولات العلمانية وخصائصها إلا ويطويها في داخله ، وإن نظرة سريعة في تاريخ العلمانية وأسسها وجذورها ، وأبعادها وتجلياتها سوف تبين أن الدنيوية هي الهم الأول ، والهاجس الأساسي ، بل الوحيد الذي تدور عليه العلمانية .

فالمادية ، واللامادية ، والمثالية ، والعقلانية ، والعِلمانية ، والتطورية ، والجنسانية ، والأنسنة ، والحرية ، والديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، والعنصرية ، والفردية ، كل

هذه العناصر التي أفرزتها العلمانية عبر تاريخها الطويل أُريدَ منها أن تحقق للإنسان السعادة في هذه الحياة الدنيا دون أي اعتبار آخَر ليوم آخِر ، والسعادة المقصودة هنا هي أقصى قدر ممكن من اللذة والمتعة .

وهنا يمكن أن يتبادر إلى الذهن سؤال وهو : أن الشرائع السماوية أيضاً قصدت تحقيق السعادة للإنسان في الحياة الدنيا فهل الأديان منخرطة على هذا الأساس في تيار العلمانية ؟

والإجابة : أن الشرائع الإلهية تربط سعادة الدنيا بالسعادة في الآخرة ، لذلك فسعادة الإنسان في الحياة الدنيا بمنظور الشرائع الإلهية ألا ينخرط في الملذات والشهوات والمُتع دون ضوابط وحدود لأن هذا سينغص سعادته في الآخرة .

الرد: هذا صحيح والقرآن يقول هذا أيضا و إلا لماذا الاستخلاف في الأرض؟؟؟؟ أما شرطك الأخير بعدم الاعتبار باليوم الآخر، فإن حدث هذا فلن يكون هناك حياة ولا نظام بل فوضى عارمة، فهل ترى هذا في الغرب العلماني أم تراه في علمنا الإسلامي؟؟؟؟

لقد تركت هذه الدنيوية العلمانية أثرها حتى على الإسلاميين ، فأصبحنا نُبرز كثيراً عناية الإسلام بالحياة الدنيا ، ودعوته إلى عمارتها ، والاستمتاع بالطيبات منها ، ونتغاضى – مجاراة للعلمانيين – عن أن الإسلام في الأصل يدعو الناس إلى الآخرة عبر ممر الدنيا ، وهذا لا يعني تخريب الدنيا ، وإنما يعني التطلع إلى المستقبل الأبدي ، وليس إلى الحياة العاجلة ، وهذا ليس من شأنه أن يجعلنا نهمل عمارة الحياة الدنيا ، وإنما من شأنه أن يُهذِّب نفوسنا ويسموَ بها عن الأنانية ، ويطهرها من السخائم والعداوات والتنافس على المتاع الزائل والحطام الفاني .

الرد: لو أنكشف لك ما تحت الجبة في عالمك الإسلامي و العربي لأدركت أنك في الجحيم.

وهنا يجدر بنا أن نتذكر قول أحد أقطاب الصوفية كتلخيص لموقف الإسلام من الحياة الدنيا " أن تكون الدنيا في يدك وليس في قلبك " وهذا بعكس العلمانية التي تريد أن تمزج الدنيوية بكل ذرة من ذرات الجسد الإنساني ، وتغرسها في صميم قلبه ، وتجعلها الملاذ الوحيد ، والمعشوق الوحيد ، والغاية النهائية للإنسان ، ولا يخفى ما

في ذلك من تكريسٍ للتنافس الأعمى بين البشر دولاً وأفراداً ، وهو ما نعايشه اليوم ، لأن البقاء للأقوى ، وساحة البقاء في المنظور العلماني قاصرة على هذا العالم المحسوس فقط .

الرد: هذا محض إفتراء، ونصرة لمنهجك الذي بات مع الأموات. وهل نسيت ما فعله أهل الإسلام الأول من إمبريالية واحتلال و استغلال للأوطان و الإنسان باسم الله و رسوله؟؟؟؟

وتتجلى الدنيوية واضحة في الممارسات التأويلية التي تشتغل على النص القرآني فتحاول دائماً أن تحد من سلطانه الإلهي ، وتبرز دائماً ما يؤكد على الاعتبارات الدنيوية في مسائل الميراث ، والمرأة ، والحجاب ، والدولة والأخلاق ، ويُبرَّر ذلك بمبررات دنيوية محضة مثل : مواكبة العصر ، ومسايرة التحضر ، وتطور الفكر . والنموذج الذي يُحتذى في كل ذلك هو الغرب ، فكل ما عنده أصبح معيار التطور والتحضر والتقدم ، وتغفل هذه الممارسات أو تتنكر للجانب الغيبي الأخروي الذي يشكل الحيِّز الأكبر من الرسالة القرآنية ، وفي حالات متطرفة فإنها تقوم بعملية مسخ وتشويه لهذا الجانب عن طريق " التأويل المنفلت " لتجعله يصب في خدمة الدنيوية أيضاً .

الرد: العالم يبحث في الفضاء الخارجي عن مواطن آخر وأنتم مازلتم في الميراث و الحجاب و الدولة و الأخلاق ، وكأن لا أخلاق إلا أخلاق المسلم، يا رجل أي نصراني و يهودي أشرف و أأمن من أي مسلم اليوم، هذا واقع لا تنظير. وما الغيب إلا ورقة بيضاء تخول العقل المسيطر لكتابة ما يراه صالحا للناس وهذه هب ميزة العلمانية، ولمن بثوب آخر.

4 – خلاصة :

العلمانيون – كما مر بنا سابقاً – يستدلون على علمانية الإسلام بدنيويته ، وبما حصل في التاريخ الإسلامي من ترف وبذخ وإقبال على الدنيا ، فهم بذلك يقرون بأن الدنيوية هي جوهر العلمانية ، وقد مر معنا كذلك كيف تؤكد دوائر المعارف والمعاجم الغربية على دنيوية العلمانية بما يغني عن الإعادة هنا .

لقد أشرنا – سابقاً – إلى أن الدنيوية ضاربة بجذورها في عمق التاريخ والحضارات ، وأن أكثر الأمم اختارت الحياة الدنيا على الآخرة ، ذلك لأن الحياة الدنيا حلوة خضرة وقريبة ، أما الآخرة فهي في منظور الإنسان العجول بعيدة غير مغرية كما تفعل الحياة الدنيا "متاع الغرور " .

والسؤال هنا : كيف نحدد عناصر الحضور والغياب في التعريف الذي نقترحه ؟ وهل الدنيوية مطلقاً تُوصَف بأنها علمانية ؟ أم أنها دنيوية ذات نسبة معينة ؟

والسؤال بعبارة أخرى : ما هو الحد الذي تتحول فيه الدنيوية إلى علمانية .

لقد أشرنا سابقاً إلى أن الشرائع السماوية فيها جانب دنيوي فهل هي بذلك علمانية ، أم تحتوي على نسبة معينة من العلمنة ؟

إن الدنيوية تتحول إلى علمانية عندما تتحول الوسيلة إلى غاية ، والممر إلى مقر ، وقد يعترض علينا هنا بأننا نتحدث بلهجة صوفية وعظية ، ولكن هذه هي الحقيقة سواء كانت في قالب صوفي وعظي أم حداثي معاصر ؟

عمارة الدنيا مرادة إلى أقصى الحدود ، ولكن على أن لا يؤدي ذلك إلى الفساد في الأرض ، كما يجب مراعاة أن الإنسان مؤتمن وليس مالكاً حقيقياً ، وأنه رضي بحمل الأمانة ، وكل ما يؤدي إلى الإخلال بحفظ الأمانة " الكون والطبيعة والإنسان ورسالته فيهما " فإنه انقلاب إلى دنيوية عضوض أي علمانية .

الرد: الله أكبر !!!!! معانا معانا ضدنا علماني، هههههه، حلوه.

الإنسان مُستَخلَف في الأرض ، وهذا يعني أنه لا يملك أن يضع لنفسه منهجاً في الحياة باستقلالية كاملة ، لأن المنهج وضعه المالك الحقيقي ، والسيد الحقيقي في هذا الوجود ، أما وظيفته هو فإنها تنحصر في أن يفهم المنهج بشكل صحيح وينزله على حياته كما أراد واضعه عز وجل . والفهم غير الوضع والإنشاء وإن كان الخطاب العلماني سينازع في هذا كما سنرى.

الرد: إن كان المالك الحقيقي وضع المنهج، فلماذا اختلف الناس فيه؟؟؟؟ ومن هذا الذي يفهم المنهج الصحيح؟؟؟؟؟

إن أي إنسان عاقل عندما يشتري جهازاً من شركة ما يقرأ النشرة المرفقة معه والتي تُبيِّن كيفية استعماله ، وقراءة هذه النشرة توفر عليه جهداً ووقتاً يبذله في محاولته

تشغيل الجهاز دون استعانة بالصانع . إن جهده المستقل قد ينتهي بالوصول إلى معرفة تشغيل الجهاز ولكن بعد جهد ووقت من التجريب والمحاولة ، ولكنه قد ينتهي أيضاً بإتلاف الجهاز وإعطابه .

الرد: فهل هذه النشرة يعمل عند أهل الإسلام أم أنه مطموس بعضه و منسوخ بعضه بكلام بشر و آراء بشر و أوامر ملوك و سلاطين ...الخ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

إن كل ممارسات الإنسان في هذا الكون لكي تبرأ من " الدنيوية العلمانية " يجب عليها أن تكون قائمة على مبدأ العبودية لله عز وجل ، والرغبة فيما عنده من الخير والسعادة ، ومنافية لمبدأي الكبرياء الزائف ، والعقلانية المتهورة القائمين على الاعتداد الأعمى بالذات والمنفعة العاجلة ، واللذة الزائلة ، والنظرة القاصرة على هذه الحياة الدنيا .

الرد: لكي يكون لك الحق في قول هذا يجب عليك أن تلتزمه أولا.

إن الاحتراز الوحيد الذي نضعه هنا لعله يجنبنا كثيراً من الانتقادات والإلزامات التي قد ترد علينا إزاء هذا التعريف هو أن العلمانية " الدنيوية " التي نقصدها تزيد وتنقص ، وتهبط وتصعد ، وأننا عندما نتحدث عن العلمانية التي تقارن الإلحاد والزندقة فإننا نقصد العلمانية في أعلى درجاتها . إن هذا يعني أن بعض الباحثين الحريصين على إسلامهم وإيمانهم ولكن تصدر منهم بعض الأفكار التي تخدم التوجه الدنيوي العلماني ، وتتحرك في داخل أسواره لا يمكن أن يوصفوا بأنهم علمانيين ، وإن كان يصح أن نصف أفكارهم المنحرفة بأنها أفكار علمانية . والله أعلم .

==============

#الدولة العلمانية مثال للتعصب الأعمى وكبت الحريات ..

أولا: هل تسمح الدولة العلمانية لأصحاب الأديان باتخاذ العقيدة أساسا للإنتماء والولاء والبراء ؟؟؟ أم أنها لا تقيم لعقيدة المتدينين وزنا بل تقدم عليها رابطة الدم والعنصرية ورابطة حبة الطين وحبة الرمل ....؟؟؟؟؟؟

ثانيا : هل تقبل الدولة العلمانية بتطبيق ما توجبه الشريعة الإسلاميه على أبنائها من النزول على حكم الله ورسوله والتسليم لهما أم أنها ستقوم بعملية مسخ لكل مظاهر الحياة وتكبت حريات المتدينين في ممارسة شعائرهم التي يقدسونها ..؟؟؟؟

ثالثا : هل سيكون في الدولة العلمانية مسألة كمسالة الجزية في الدولة الإسلامية أم أنها ستجبر جميع المواطنين على الدفاع عنها حتى من لا يؤمن بمبادئها؟؟؟؟ هل ستأخذ مالا مقابل الدفاع عن المسلمين وحمايتهم أم أنها ستشترط عليهم أن يدافعوا عن أفكار لا يؤمنون بها .. تشترط عليهم أن يقدموا أرواحهم فداء لعقيدة لا يعترفون بها .....؟؟؟؟

إلى متى ستظل أمريكا تجبر المسلمين على الانضمام إلى جيشها وأن يقدموا أرواحهم في حروبها ..إلى متى ستظل أمريكا تجبر إخواننا المسلمين على الدفاع عن أفكار لا يؤمنون بها بل وقتال إخوانهم في بلاد الأرض متى ستطبق الحل الإسلامي في أمور خطيرة مثل هذه وتحترم معتقدات مواطنيها؟؟؟؟؟

رابعا : هل ستقيم الدولة العلمانية حد الردة أم أنها ستترك البلاد لفتنة المجاهرة بالكفر وفتنة تغيير الأديان وما أدراكم ما فتنة تغيير الأديان أم أنها ستطبق تعاليم الدولة المسلمة وتقيم حد الردة فمن أراد أن يكفر فليكفر في بيته لكن لو أظهر كفره فهذا يجر من الفتن واستشراء القتل والحقد والتباغض بين البشر ما الله به عليم وما إلى ذلك من الفتن نتيجة ترك المرتد لدينه ...؟؟؟

خامسا : هل ستقيم الدولة العلمانية حد للاغتصاب أم أنها ستترك البلاد للعبث والمجون وتنتهك حرمات النساء الشريفات .. وما عدد الشهود هل شاهد واحد يكفي في الدولة العلمانية وكل من هب ودب يتهم النساء ويقع في أعراضهن أم أن الدولة العلمانية ستضطر إلى اللجوء إلى التشريع الإسلامي الذي يعاقب الزاني وفي نفس الوقت يجعل عدد الشهود اربعا حتى لا تكون حرمات النساء لعبة في يد كل ماجن ...؟؟؟؟؟

سادسا : هل للدولة العلمانية اتجاه واحد أم أنها تيارات ينهش كل تيار في التيار الذي يليه وتتلاعن التيارات فيما بينها وكما قال مكسيم رودسون الكاتب الماركسي الشهير عندما قال الحقيقة أن هناك ماركسيات كثيرة بالعشرات والمئات ولقد قال ماركس أشياء كثيرة حتى الشيطان يستطيع أن يجد فيه نصوصا تؤيد ضلالته .. أم أن الدولة العلمانية لها قسم يمثل الثبات والخلود كما الدولة الإسلامية وقسم يمثل المرونة والتطور ..؟؟

ففـي الكـون أشـياء ثابتـة مـن أرض وسـماء وأشـياء فرعيـة تتطـور مـن جـزر تنشـأ وبحيرات تجف وكل نظم الكون والحياة بهذه الصيغة أمور ثابتة وأمور تتطور كما الإسلام لكن العلمانية كل يوم بدين وكل يوم بمنطق وهذا يبعث على الخوف والقلق ......!!!!!

والآن لنذهب إلـى مزيد تفصيل بخصوص الأمور التـي أنـا ذكرتها آنفا ونحـاول أن نلقي الضـوء علـى الرؤيـة الإسـلامية لهذه الأمـور وكيـف أن الدولـة الإسـلامية هـي الوحيدة التي شهد لها العالم بالمثالية هي الوحيدة التي مثلت حرية الفكر حرية البحث العلمـي حريـة التصور حريـة الفهم .. بشرط ان هذه الحريات لا تطغى على حريات الآخرين ..

أولا : فـي حريـة تطبيق الأديـان نجد الدولـة المسلمة تسمح لكـل صـاحب ديانـة أن يطبق ديانته في كنف الدولـة المسلمة ويبلغ من احترام الحرية الدينية عند المسلمين أن يقبلوا زواج المجوسي من ابنته ما دامت شريعته تبيح لـه ذلك .. وفـي المغنـي (وهو من أكبر كتب الفقه) في هذا الكتاب توجد هذه المسألة : مجوسي تزوج ابنته فأولدها بنتا ثم مات عنهما فلهما الثلثان ..

إن الإسلام لم يقم البتة على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو إرغامهم علـى تقييد طقوسهم بمعابدهم كما تفعل الدولة العلمانية الديكتاتورية ..

انظروا ماذا يفعلون في أخواتنا المسلمات في فرنسا إنهم يصرون على خلع حجابهن بـأي ديـن فـي الـدنيا كلهـا بـل وبـأي إلحـاد تسـتطيع حكومـة أن تتـدخل فـي الطقـوس الدينيـة لمجموعة من البشر ... مـالكم أنت ومـال أخواتنـا المسلمات العفيفات ... مـا دخلكم بـزيهن ؟؟؟؟ فرنسـا صـاحبة أكبـر معرض للتقليعـات والأزيـاء فـي الـدنيا كلهـا تعارض حجاب أخواتنا الطاهرات بأي دخل هذه الحكومة العلمانية القذرة تتدخل هذا التدخل السافر وتجبر أخواتنا الطاهرت على التعري ....

ثانيا : مسالة الجزية من مسائل الرحمة في الدولـة الإسـلامية .. فقد أوجب الإسـلام علـى أبنائـه (الخدمـة العسكرية) ونـاط بهم واجب الدفـاع عن الدولـة، وأعفـى من ذلك غيــر المســلمين، وإن كـــانوا يعيشـــون فـــي ظـــل دولتـــه.ذلك أن الدولـــة الإســـلامية دولة(أيديولوجية) أي أنها دولة تقوم على مبدأ وفكرة، ومثل هذه الدولة لا يقاتل دفاعًا

عنها إلا الذين يؤمنون بصحة مبدئها وسلامة فكرتها . . وليس من المعقول أن يؤخذ شخص ليضع رأسه على كفه، ويسفك دمه من أجل فكرة يعتقد ببطلانها، وفي سبيل دين لا يؤمن به فكانت الجزية مقابل الدفاع عنه وحمايته .. وها هو أبو عبيدة حين أبلغه نوابه عن مدن الشام، بتجمع جحافل الروم، فكتب إليهم أن يردوا الجزية عمن أخذوها منه، وأمرهم أن يعلنوهم بهذا البلاغ: "إنما رددنا عليكم أموالكم، لأنه قد بلغنا ما جُمع لنا من الجموع، وإنكم اشترطتم علينا أن نمنعكم (أي نحميكم) وإنا لا نقدر على ذلك . وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشروط، وما كتبنا بيننا وبينكم، إن نصرنا الله عليهم"

ويقول الدكتور نبيل لوقا بباوي في كتابه انتشار الإسلام بالسيف بين الحقيقة والافتراء : إن الجزية كانت تأتي أيضاً نظير التمتع بالخدمات العامة التي تقدمها الدولة للمواطنين مسلمين وغير مسلمين ، والتي ينفق عليها من أموال الزكاة التي يدفعها المسلمون بصفتها ركناً من أركان الإسلام ، وهذه الجزية لا تمثل إلا قدرا ضئيلا متواضعاً لو قورنت بالضرائب الباهظة التي كانت تفرضها الدولة الرومانية على المسيحيين في مصر ، ولا يعفى منها أحد ، في حيث أن أكثر من 70% من الأقباط الأرثوذكس كانوا يعفون من دفع هذه الجزية ، فقد كان يعفى من دفعها: القُصّر والنساء والشيوخ والعجزة وأصحاب الأمراض والرهبان.

فمتى تتعلم الدولة العلمانية هذه المبادىء السامية متى ترقى إلى هذا الفكر الرائع ....

ثالثا : حد الردة ..والردة عن الإسلام ليست مجرد موقف عقلي ، بل هي أيضاً تغير للولاء وتبديل للهوية وتحويل للانتماء. فالمرتد ينقل ولاءه وانتماءه من أمة إلى أمة أخرى فهو يخلع نفسه من أمة الإسلام التي كان عضواً في جسدها وينتقل بعقله وقلبه وإرادته إلى خصومها ويعبر عن ذلك الحديث النبوي بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه: [التارك لدينه المفارق للجماعة] [رواه مسلم] ، وكلمة المفارق للجماعة وصف كاشف لا منشئ ، فكل مرتد عن دينه مفارق للجماعة والمفارقة للجماعه في أي أمة من الأمم تعد خيانة عظمى عقوبتها القتل لما في ذلك من الفتن العظيمة وتهييج الرأي العام ونشر التباغض والطائفيات بين أصحاب الأديان

المختلفة . فمن أراد أن يكفر فليكفر في بيته لكن أن يظهر كفره أو تركه لدينه أمام الناس فإن هذا يفتح باب فتنة لا يعلم عواقبها إلا الله سبحانه ..

فالردة تعامل معاملة تهمة الخيانة العظمى التى تعاقب عليها الدول بالقتل. فقتل المرتد في الشريعة الإسلامية ليس لأنه ارتد فقط ولكن لإثارته الفتنة والبلبلة وتعكير النظام العام في الدولة الإسلامية. تحول الإنسان من دين إلى دين كفيل بفتنة عظيمة لا يعلم مداها إلا الله وليس أقرب من حالة الفتاه المصرية زوجة الكاهن التي أعلنت إسلامها منذ شهور فقامت الدنيا ولم تقعد وخرجت مظاهرات النصارى تملأ شوارع مصر وحدث شغب وفساد عظيم ؟؟؟فتنة كهذه لا يعلم مداها إلا الله وإلى اليوم الفتاه لا يعرف عنها أحد وقد اختفت تماما .. ولو ظهرت مرة أخرى ستعود الفتنه إلى أوجها وسيموت فيها خلق كثير .. لذلك من مقاصد الإسلام الأساسية منع الفتن والفتنة أشد من القتل ولو أراد أحدهم أن يترك دينه فليتركه في بيته لماذا يدعو وينادي أنه ترك دينه ويتباهى بذلك هل هذا يريد إلا الفتنه؟؟ يريد إلا الخيانة لمن معه ؟؟؟

هل ستسمح الدولة العلمانية بفتنة كتلك أم ستقبع الفتنة قبل ظهورها وتطبق الحل الإسلامي..؟؟؟

رابعا : الإسلام بطبيعته بما أنه الدين الذي ختم الله به الشرائع والرسالات فقد أودع الله فيه عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور وهذا من روائع الدين عند تطبيقه فهي آيه من آيات عمومه وخلوده وصلاحيته لكل زمان ولكل مكان .. الثبات على الأصول والكليات والمرونة في الفروع والجزئيات .. الثبات على القيم الدينية والأخلاقية والمرونة في الشئون الدنيوية والعلمية فقد جاء الإسلام ليتسق مع طبيعة الحياة الإنسانية نفسها ففيها عناصر ثابتة باقية ما بقي الإنسان وعناصر مرنة قابلة للتطور والتغير وهي الأمور الخاصة بمراعاة اقتضاء المصلحة كالتعزيرات وغيرها ...

هذا هو الإسلام وهذه هي دولته ولكن ما هي دولة العلمانية ؟؟؟ هل لها أصول ثابتة أم أن الأمر كما يقول الأستاذ ثاوني: إن الاشتراكية، كغيرها من التعبيرات المختلفة للقوى السياسية المركبة، كلمة لا تختلف في مدلولها من جيل إلى جيل فحسب، بل

من حقبة إلى حقبة. أم كما يقول مكسيم لوروا" في كتابه "رادة الاشتراكية الفرنسية" يقول: "لاشك في أن هناك اشتراكيات متعددة، فاشتراكية بابون، تختلف أكبر الاختلاف عن اشتراكية برودون، واشتراكيتا سان سيمون وبرودون، تتميزان عن اشتراكية بلانكي، وهذه كلها لا تتمشى مع أفكار لويس بلان، وكابيه وفورييه، وبيكور ، وإنك لا تجد داخل كل فرقة أو شعبة إلا خصومات عنيفة، تحفل بالأسى والمرارة.....

هذه هي دولة الإسلام دولة حفظ الحريات دولة المبادىء المعروفة .. وهذه هي الدولة العلمانية دولة كبت الحريات دولة المبادىء المجهولة .....

أنا في هذا الموضوع بحثت في نقطة واحدة فقط وهي نقطة الحريات في الدولة العلمانية وهي أكبر حجة يتفاخر بها الملاحدة واستطعت أن أبين كذب هذه الدعوى وقمت بطرح الحل الإسلامي كحل وحيد وأقول وحيد لأنه لا يوجد حل حتى يشبهه أو يدانيه فالواقع المؤسف فيما حفظته الدنيا من حروب التعصب وغارات الإبادة والتجني وقتل 55 مليون إنسان في حروب عشوائية قذرة وراء دعاوى غبية في الحرب العالمية الثانية بإسم العنصرية والتعصب للجنس الآري الهتلري من مخلفات دارون وأتباعه وغيرها وغيرها الكثير كل هذا يجعلنا لا نشطح مع التمني ونسرح مع الخيال ونظن أن هناك حل يشبه الحل الإسلامي والحروب باسم العلمانية التي عرفها التاريخ الأوربي دلالات يخزى لها أولو الضمائر ..

كل هذا في موضوع واحد ناقشت فيه مسألة الحرية بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية ...!!! فما بالنا لو فتحت موضوع وناقشت فيه الأخلاق بين الدولة الإسلامية والدولة العلمانية ..؟؟؟ اقسم بالله سيندى الجبين ويظهر خزي الملحدين .. يا سادة يا سادة يوجد على الأرض ألف مليون مسلم لا يتعاطون المسكرات .. ألف مليون مسلم لا يرتكبون فاحشة الزنا بفضل تعاليم هذا الدين في المقابل تحولت أوربا وأمريكا إلى بيت دعارة كبير لممارسة جميع أنواع الشذوذ الجنسي والشذوذ الفكري والنفسي .. أي علاقة هذه بين الثرى والثريا أي علاقة هذه بين العزة والشرف والحرية والطهر الإسلامي وبين الحقارة والتدني العلماني ..

ماذا لو فتحت شريط عن الجانب الأدبي والإنساني عند الدولة الإسلامية والدولة العلمانية .. يا سادة يا سادة ملايين الأطنان من القمح تلقيها أمريكا في المحيط حتى لا تنخفض أسعار القمح في حين أنه يوجد ملايين ملايين يموتون جوعا كل عام ماذا لو قارنا بين هذا الفعل الوقح اللاإنساني وبين عصر عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه عندما فاضت الأموال فوضع الجزية وزوج الشباب وسدد عن المعسرين وفتح الله به باب خير كثير ..

{أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (50) سورة المائدة

للإستزادة:- الإسلام والعمانية وجها وجه للشيخ القرضاوي حفظه الله ..

12&parent_id=0http://www.qaradawi.net/site/topics/...

غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ..

12&parent_id=3http://www.qaradawi.net/site/topics/...

رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا

كتب هارون يحيى قاهر الملاحدة :-

http://www.harunyahya.com/arabic/index.php

توضيح لنقطة هامة ....

أي إسلام يريد المسلمون تطبيقه في الدولة الإسلامية هل هو إسلام الإخوان المسلمون أم إسلام الجماعات الإسلامية أم إسلام دعاة الإصلاح ؟؟؟؟

هذا السؤال كثيرا ما يطرحه الذين لا يعرفون منبع التلقي عند أمة الإسلام ... والرد على هذه الشبهة هو كالتالي

إن النص الإلهي لا يفسر نفسه بنفسه، ولا يطبق نفسه بنفسه، وإنما يفسره البشر ويطبقونه، وفي عملية التفسير والتطبيق البشري هذه، تتدخل كل أهواء البشر ومصالحهم وتحيزاتهم، ففي عصر الرسول وصحابته فقط، كان التشريع إلهيا، وكان التفسير والتطبيق بدوره إلهيا، لأن المكلف بالتفسير والتطبيق كان مبعوثا من عند الله. أما في جميع العصور اللاحقة، فقد دخل البشر، بكل ما يتصفون به من ضعف وهوى ولم يعد النص الشرعي الإلهي يتحول إلى واقع متحقق، إلا من خلالهم. وهذا

هو التعليل الوحيد للتباين بين أنظمة متعددة، يقسم كل منها بأغلظ الإيمان أنه هو الذي يطبق الشريعة، كما ينبغي أن يكون التطبيق

فكل ما في الأمر هو أنه على دعاة الحل الإسلامي الذين تتملكهم رغبة حقيقية في الإصلاح، يريدون أن يتخلصوا من ضعف البشر وتخبطهم بالالتجاء إلى حكم إلهي .... فقط هذا كل ما في الامر تخليص النفس من الأهواء .... وليس أدل على ذلك من عصر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وكلما ذكرنا لملحد من دعاة العلمانية عصر عمر ابن الخطاب فإنه يقول لنا إن عمر بن الخطاب شخصية فذة فريدة، ظهرت مرة واحدة، ولن تتكرر؟! وإذا كانت تجارب القرون العديدة، وكذلك تجارب العصر الحاضر، قد أخفقت كلها في الإتيان بحاكم يداني عمر بن الخطاب، فلماذا يداعبون أتباعهم بالأمل المستحيل في عودة عصر عمر بن الخطاب؟!

إن هذا القول ينطوي على أغلاط أو مغالطات :-

أول هذه الأغلاط أو المغالطات، هو اختزال عهد الراشدين كله إلى عهد عمر وحده، متجاهلين عهد أبي بكر (رضي الله عنه)، وما فيه من إنجازات هائلة، رغم قصره، حتى قال د. محمد حسين هيكل، في كتابه "الصديق أبو بكر": أليست هذه بعض معجزات التاريخ؟! في سنتين وثلاثة أشهر، تطمئن أمم ثائرة، وتصبح أمة متحدة قوية، مرهوبة الكلمة، عزيزة الجانب، حتى لتغزو الامبراطوريتين العظيمتين، اللتين تحكمان العالم، وتوجهان حضارته، لتنهض بعبء الحضارة في العالم قرونا بعد ذلك.ومتجاهلين . كذلك . السنوات الأولى في عهد عثمان (رضي الله عنه) وما حققت من رخاء ورفاهية في الداخل، وفتوحات وانتصارات في الخارج، كما يشهد بذلك التاريخ.

والغلط الثاني أو المغالطة الثانية، هي الإدعاء بأن عمر كان فلتة لا تتكرر، فهو قول يكذبه الواقع التاريخي، فقد رأينا النموذج العمري بتكرر في صور مختلفة، وفي عصور مختلفة.

رأيناه في سميه عمر بن عبد العزيز، الذي أقام العدل، وأحيا ما مات من سننه، ورد المظالم، ومكن لدين الله في الأرض، وأعاد الحكم إلى نهج الخلافة الراشدة، حتى سماه المسلمون "خامس الراشدين". ورغم قصر مدته، استطاع أن يبث الأمن والرخاء

والاستقرار في أنحاء دار الإسلام، حتى روى البيهقي في الدلائل عن عمر بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، قال: "إنما ولى عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرا، لا والله، ما مات، حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا، حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، يتذاكر من يضعه فيه، فلا يجده، فأغنى الناس عمر".

رأيناه . بعد ذلك . في مثل نور الدين محمود الشهيد، الذي كانوا يشبهونه بالراشدين في سيرته، وعدله، وجهاده للغزاة الصليبيين، وتصميمه على تطهير المجتمع من الظلم والفساد.

رأيناه في مثل صلاح الدين الأيوبي، الذي شهد له خصومه قبل أنصاره، شهد له الصليبيون الغربيون، الذين حاربهم وحاربوه، كما شهد له المسلمون.

وهارون الرشيد كان يحج عاما ويجاهد عاما ... هذا هو تاريخنا وهذا هو شرفنا وهذه هي دولتنا الإسلامية عندما قامت شاهدة عليكم

فأين هي الدولة العلمانية دولة كبت الحريات والإرغام على اعتناق فكرها والحرب من أجلها أين الحرية يا دعاة الحرية الزائفة ..

وفد نصراني بين يدي السلطان العثماني يطلب منه أن ياتي ليفتح بلاده .. سبحان الله العظيم ....

فتح السلطان العثماني مراد الثاني مدينة سلانيك عام 1431 م وهزم البندقيين شر هزيمة ودخل المدينة منتصراً- أعلم الحاجب السلطان أن وفداً من مدينة (يانيا) قد حضر، وهم يرجون المثول بين يديه لأمر هام... تعجب السلطان من هذا الخبر، إذ لم تكن له أي علاقة بهذه المدينة التي كانت آنذاك تحت حكم إيطاليا.

أمر السلطان مراد رئيس حجّابه بالسماح للوفد بالدخول عليه، ثم قال لرئيس الوفد بواسطة الترجمان: أهلاً بكم، ماذا أتى بكم إلى هنا؟ وماذا تبغون؟ قال رئيس الوفد: أيها السلطان العظيم، جئنا نلتمس منكم العون، فلا تخيب رجاءنا .

– وكيف أستطيع معاونتكم؟ – يا مولاي، إن أمراءنا يظلموننا، ويستخدموننا كالعبيد، ويغتصبون أموالنا ثم يسوقوننا للحرب.

– وماذا أستطيع أن أفعل لكم؟ إن هذه مشكلة بينكم وبين أمرائكم.

– نحن أيها السلطان لسنا بمسلمين، بل نحن نصارى، ولكننا سمعنا كثيراً عن عدالة المسلمين، وأنهم لا يظلمون الرعية، ولا يكرهون أحداً على اعتناق دينهم، وإن لكل ذي حق حقه لديهم... لقد سمعنا هذا من السيّاح، ومن التجّار الذين زاروا مملكتكم، لذا فإننا نرجو أن تشملنا برعايتكم وبعطفكم، وأن تحكموا بلدنا لتخلصونا من حكامنا الظالمين. ثم قدّموا له مفتاح المدينة الذهبي... واستجاب السلطان لرجاء أهل مدينة (يانيا)، وأرسل أحد قواده على رأس جيش إلى هذه المدينة، وتم فتحها فعلاً في السنة نفسها، أي في سنة 1431 م.

هذه القصة تصور الرؤية النقية للإسلام وللحكم الإسلامي .....

بل ونظرة سريعة للتاريخ تضع لنا ألغازا عجيبة ... فماذا مثلا عسى أن يصنع أربعة آلاف رجل في قطر كمصر أمام عشرات الآف من جنود الرومان ومشايعيهم .. وهب أنهم جن في الوغى وخصومهم هباء ما الذي جعل جماهير الشعب تسالم الوافدين ثم تشرح صدرا بعقائدهم ...!!!! ثم تهب هي لنصرتها بعد ما اعتنقتها !!!

إنها طبيعة الحق عندما يحسن عرضه وتنزاح العوائق أمام الرغبة فيه ....

بل لقد كانت أجهزة الدولة الإسلامية في القرن الأول ترقب التحول الرهيب للأمم والشعوب وسواد الناس إلى الإسلام وهي دهشة فها هي مباديء الإسلام تنساب إلى القلوب من تلقاء نفسها لأنها الفطرة .. ها هي تعاليم الإسلام تنساق إلى العقول كما تنساق البديهيات التي يلقاها الفكر بالتسليم ولا يستطيع أمامها مراء

إن الإنسانية الآن بحاجة إلى دين يشبع جوعها الروحي وتألقها الذهني .. بحاجة إلى الدين الذي تعاون النبيون جميعا على إبلاغ أصوله وتوطيد أركانه ثم جاء صاحب الرسالة الخاتمة فأعطاه صورته النهائية المقنعة المشبعة

النظام الدكتاتوري وليد المدرسة العلمانية

لا يخفى أن معظم الدكتاتوريات في العصر الحديث هي علمانية المنبع

ورغم أن العلمانيين القادمين من الغرب أو الذين عاشوا في الغرب يحاولون أن يصبغوا علمانيتهم بصبغة ديمقراطية ، فإن الملازمة بين العلمانية والديمقراطية هي ملازمة خاطئة .

فنجد أن من يحمل لافتة العلمانية يتخذ لنفسه واجهة ديمقراطية وهو في حقيقته يملك منهجاً أو روحاً دكتاتورية شرسة لا تقل خطورة عن العلمانية الدكتاتورية ، هذا التطبيق والروح الدكتاتورية الموجودة عند العلمانيين الديمقراطيين تظهر معالمها في تصريحاتهم ومقالاتهم وفي طريقة تعاملهم مع الجماهير ، وتظهر بوضوح في تحقيرهم لبعض أطياف الشعب العراقي المخالف لهم في الفكر والمنهج ، كما هو حال العلمانية الدكتاتورية بلا فرق معتد به !

ويمكن تمييز هذه الروح الدكتاتورية عند العلمانيين من خلال نموذج مقال لأحد العلمانيين وهو الدكتور تيسير الآلوسي ومقاله الموسوم [(من أجل تفعيل الحملة من أجل دستور علماني؟)] ، والمنشور في موقع أنكيدو ، (ومثله مقالات العلماني الدكتور كامل النجار حين ينقل في كل ما يكتبه النصوص بشكل خاطيء أو يقوم بتحميلها غير معانيها ويقلب الأمور ويستدل بالتواريخ بشكل معكوس كما في مقاله في مقاله بعنوان [(الارتداد ... هل هو حق من حقوق الإنسان ؟)]

فهذه المقالات تمثل نموذجاً صريحاً للتفكير العلماني الديمقراطي ذي الروح الدكتاتورية.

ففي هذا المقال نجد أن الكاتب العلماني يحاول تجاهل وجود شرائح واسعة من أبناء الشعب العراقي لكونهم رافضين للأفكار العلمانية ، ثم يعمد إلى التقليل من إحترام الشرائح العراقية المتمسكة بالمنهج الديني ، فيصفها بأوصاف غير لائقة ، كقوله : [(قطعان من غوغاء أو من جهلة يخضعون لتعاليم التخويف والإرعاب اللاهوتي بمرجعيات مزيفة تدعي أو تزعم تمثيل الله على الأرض)] ، وفي مقال سابق يصف النساء بوصف غير لائق هو الآخر حيث قال : [(إنّ المشكلة الحقيقية لا تكمن في مظاهر حجاب الثياب وبراقع الملابس وأقنعة السواد [كبنكات قادمة من الغرب والجنوب أو كواني قادمة من الشرق])] !!

ثم يتطور خطوة أخرى لوصف القوى السياسية التي تمثل الطموحات الإسلامية للشعب العراقي بأنها قوى دخيلة على الشعب العراقي ! فيعتبر العلمانيون أنفسهم وحدهم هم العراقيون ومن يخالفهم في المنهج يجب أن تنزع عنه عراقيته قسراً !

ويحاول كاتب المقال إضفاء صفات فريدة على العلمانيين العراقيين ، وعلى العلمانية التي يحملونها ، ويحمِّل المخالفين للعلمانية مسؤولية أفكار يتخيلها منها: تمزيق نسيج الوحدة الوطنية وتهميش أحرار العراق وعلمانييه وتقزيم الحركة الشعبية والإمعان في إيذاء الشعب نفسه!! متناسياً إفلاس العلمانيين من القاعدة الشعبية ، وقد كشفت الإنتخابات عن الضعف الذي ينتاب التيار العلماني في العراق رغم أنه تيار يستهلك الملايين من الدولارات من أجل الدعاية والإنتشار ، ففي محافظات جنوب العراق ووسطه وفي العاصمة بغداد أتضح عدم وجود أي قاعدة معتد بها للعلمانيين وأنهم يفتقرون للكثير من المقومات التي تمكنهم من وثوق أبناء الشعب بهم ، أهمها إستقوائهم بالأجنبي وحملهم فكرا غريبا عن ثقافة المجتمع العراقي. والحزبان الرئيسان في محافظات كردستان هما حزبان علمانيان

وليست إنتخابات الجمعية الوطنية وحدها قد كشفت زيف إدعاء وجود قاعدة للعلمانيين في العراق بل إنتخابات مجالس المحافظات أيضاً والتي شاركت بها جميع الأحزاب الإسلامية والعلمانية وفازت الأحزاب الإسلامية فيها فوزاً ساحقاً ، ولم يكن للأحزاب العلمانية فيها نصيب يذكر ، مما يؤكد على الهوية الإسلامية للشعب العراقي ، وأنه شعب متدين ومحافظ في غالبيته وليس للأفكار العلمانية بين أبنائه نصيب كبير.

فالعلمانية عند العلمانيين العراقيين ليست مجرد فصل للدين عن الدولة بل هي علمانية تحاول تغيير معتقدات المواطنين ، وإعتبار الفكر العلماني هو الفكر الذي يجب أن يسود ، وأنه ليس لبقية القوى غير العلمانية أي نصيب ما داموا يستندون في منهجهم ويرجعون في قراراتهم الحيوية الدنيوية والسياسية إلى [(مرجعيات مزيفة تدعي أو تزعم تمثيل الله على الأرض)] على حد تعبير تيسير الآلوسي ، وبالتالي فليس لغير العلمانيين نصيب في السياسة بل ليس لغيرهم نصيب في الوطن ما داموا غير علمانيين !!

هذه هي الدكتاتورية التي يحاول العلمانيون فرضها على أبناء الشعب العراقي ، ولذلك فنحن ننبه أبناء الشعب إلى خطورة الدعاوى التي يطلقها بعض العلمانيين من قبيل أنَّ فصل الدين عن الدولة فيه حماية للدين من تسلط الدولة ، كما سمعت هذه

الدعوى من أياد جمال الدين أكثر من مرة وآخرها في لقائه مع فضائية العراقية ، فالعلمانيون لا يريدون حماية للدين من تسلط الدولة بل هم يريدون :
. منع الدين من أن يكون هويةً للشعب العراقي
. ومنع الدين من أن يكون مرتكزاً تشريعياً لأبناء الشعب العراقي
. ومنع الدين من أن يكون منهجاً فكرياً للشعب العراقي
. ومنع الدين من ان يكون له أي دور في حياة الشعب
إنهم يريدون مسخ الإسلام وتحويله إلى دين يُختَصَر على العلاقة بين الفرد وخالقه وليس لهذه العلاقة أي أبعاد أخرى لا على مستوى العائلة ولا على مستوى المجتمع.
إنها دعوى مخلصة لجميع العلمانيين وفي مقدمتهم أياد جمال الدين للتراجع عن موقفهم المعادي للإسلام في حقيقته ، وأذكر أياد جمال الدين بأن العلمانية هي منهج لا يصلح بديلاً عن الإسلام ، وليس في المبدأ العلماني أي خير .
لا يوجد لدى العلمانيين وهم ينتهجون المنهج الذي ذكرناه آنفاً ضد القوى الإسلامية وضد الهوية الإسلامية ومحاولتهم تهميش غالبية أبناء الشعب المخالفين لمنهجهم ، لا يوجد لديهم ما يمنعهم من ان يتخذوا جميع المواقف المعادية للإسلام عبر التأريخ لو حضروها ، مثلما يقفون اليوم في مواقف أخرى معادية للإسلام ومنهجه الأصيل .

وقد وجدنا في هذا المقال الذي كتبه الدكتور تيسير الآلوسي الملاحظات الآتية حول طبيعة الفكر والمنهج والوجود العلماني للعلمانيين العراقيين :
1. إنَّ مجال نشاط العلمانيين في غالبيته وفي ثقله الأكبر حول كتابة الدستور العراقي الدائم هو خارج العراق ، لكونهم يفتقرون القاعدة الشعبية والإسناد الشعبي الذي يمكن أن يسند نشاطهم داخل العراق من بين أبناء الشعب العراقي. حيث يبدو أن غالبية العراقيين لا يؤمنون بالعلمانية لكون العلمانية التي ينادي بها البعض هي علمانية غربية لم ولن تستطيع التكيف مع الواقع العراقي الثقافي والإجتماعي. ويمكن إستقراء هذا الأمر بوضوح في المقال المذكور.
2. محاولة المقال فرض هوية قسرية على الشعب العراقي من خلال قول الكاتب في بداية مقاله : [(نشطت القوى الديموقراطية والعلمانية في مسيرة الدفاع عن حقوق

العراقيين في اختيار الدستور الذي يعبر عن هويتهم التعددية وأطيافهم المتنوعة)] ، فالشعب العراقي ليس لديه هوية تعددية بل لديه تركيبة سكانية تعددية من حيث الأديان والقوميات ، والتركيبة السكانية لا يمكن أن تحل بديلاً عن الهوية الثقافية ، فالكاتب العلماني يحاول مسخ الهوية الثقافية للشعب العراقي وهي هوية إسلامية واضحة المعالم وإبدالها بهوية تعددية ليس لها واقع في الشخصية العراقية ، فكل عراقي يعتز بإنتمائه الديني مع إحترامه للآخرين من أطياف الشعب المشتركين معه في المواطنة ، ولا نتصور أن هناك عراقياً يشعر بأن هويته عربية وكردية وسريانية في آن واحد حتى يقال بأن هويته تعددية.

3. يدعو الكاتب إلى الإستقواء بالأجنبي من أجل التأثير على كتابة الدستور بالطريقة التي يريدها العلمانيون ! فهل نسي كاتب المقال أن أي اجنبي لن يؤثر في الدستور إلا في إتجاه مصالحه الخاصة والمحافظة عليها بعيداً عن المصلحة الوطنية للشعب العراقي ؟!

4. يتعمد الكاتب إهانة الشعب العراقي من خلال إستعماله تعابير غير مهذبة كما ذكرنا آنفاً ونعيد ذكره هنا للتأكيد ، فيصف قطاع كبير من أبناء الشعب بأنهم : [(قطعان من غوغاء أو من جهلة يخضعون لتعاليم التخويف والإرعاب اللاهوتي بمرجعيات مزيفة تدعي أو تزعم تمثيل الله على الأرض)] ، وفي مقال سابق يصف النساء بوصف غير لائق هو الآخر حيث قال : [(إنّ المشكلة الحقيقية لا تكمن في مظاهر حجاب الثياب وبراقع الملابس وأقنعة السواد [كبنكات قادمة من الغرب والجنوب أو كواني قادمة من الشرق])] ، ولا نعلم سبب هذه المفردات غير اللائقة التي يستعملها الكاتب دون سبب معقول ! وكأن كرامة الشعب العراقي غير مهمة بالنسبة إليه !؟ وهل هذه هي الثقافة العلمانية التي تعلموها من الغرب !!؟

5. رغم أن الكاتب وهو الدكتور تيسير الآلوسي يعرف نفسه في بداية المقال بأنه [(ناشط في حقوق الإنسان)] ، إلا أنه يغفل الكثير من حقوق الإنسان عندما تتعارض مع أفكاره العلمانية ، فالكاتب يستكثر على المواطنين ممارسة حريتهم الدينية والتي تنص عليها المادة (18) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والتي تنص على حرية الممارسة الدينية للأفراد والجماعات سراً وعلانية ! فنجد الكاتب وقد

أخذ يعيد تناول الأفكار الشمولية الخاطئة التي نادى بها البعض أيام الإنتخابات [(من قبيل أن الجماهير مسلوبة الإرادة بسبب تدخل رجال الدين ، وأن الجماهير قد تعرضت للتضليل الواسع بغير وجه حق)] ، في حين أن الجماهير وفقاً لقانون حقوق الإنسان لها الحق أن تمارس عقيدتها بالشكل الذي تعتقده .

6. ذكرنا آنفاً إتهام الكاتب لقوى وطنية بأنها لاتنتمي للشعب العراقي ، وهكذا أصبح العلمانيون هم من يحدد إنتماء هذا أو ذاك من القوى السياسية ، وفقاً لدرجة قربه من تعاليمهم العلمانية أو بعده عنها ! وهو مثال أكيد للمنهج الدكتاتوري الذي ينتهجه العلمانيون في وقتنا الحاضر.

فالإتجاه الدكتاتوري هو السائد عند العلمانيين الديمقراطيين وهو الأكثر وضوحاً وشيوعاً بينهم ، هؤلاء العلمانيون غير قادرين على التعايش مع بقية القوى السياسية العراقية

ومن المريك أن تهتم بعض الجهات العلمانية بحق الفرد في إعتناق وممارسة عقيدته الدينية ولا تهتم مطلقاً بحق المجتمع في إعتناق وممارسة عقيدته ، مع أن المجتمع هو مجموع من الأفراد ، فيتحدثون دائماً حول حق الفرد . فقط . في إعتناق العقيدة التي يريد ، وفي هذا الصدد يقول توم فار مدير مكتب الحرية الدينية الدولي في وزارة الخارجية الأمريكية في مقابلة معه : (لكل إنسان ، إنطلاقاً من وجوده على الأرض ، الحق الذي لا يجوز إنتهاكه ليسعى إلى الحقيقة الدينية وليمارس الشعائر الدينية) ، نعم إنه كلام جميل ومطلوب ، ولكن حين نتطلع لمنح الأفراد حقوقهم الدينية وممارسة شعائرهم فكذلك علينا أن نتطلع لمنح المجتمع وهو المتكون من مجموعة كبيرة من الأفراد حقه في التعبد بعقيدته وممارسة تعاليمها. فالمادة (28) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تنص على : (لكل فرد حق التمتع بنظام إجتماعي ودولي يمكن أن تتحقق في ظله الحقوق والحريات المنصوص عليها في هذا الإعلان تحققاً تاماً) ، فهذه المادة تمنح الحق لفرد ، وتتجاهل جميع أفراد المجتمع ! فما يريدونه من منح الحق المذكور لفرد واحد وسلبه عن مجموع الأفراد المكونين للمجتمع فهذا توجه غير منطقي وبعيد عن العدالة والإنصاف.

وتهتم بعض الجهات العلمانية بحق حرية الفرد وعدم الاعتداء على حدود الاخرين ... في حين انها لا تعتم بتعدي الفرد بحريته هذه على حدود الله الخالق !!

بارك الله فيكم أخي الحبيب د.السمالوطي.

وانظر هنا أيضًا:

3566/vb/showthread.php?t=70.84.212.52http://

وتفضلوا هذه الفقرات من كلام الدكتور محمد عباس بارك الله فيه:

هل تجد أي فرق أيها القارئ بين ما يحدث منذ شهور وما حدث منذ قرون..

اقرأ .. ستجد نفس الهمجية والتوحش ونفس الخسة.. وهي خسة لا تفلت من أمتهم أحدا.. لا تلت الناس ولا العلماء ولا القساوسة ولا الحكام..

اقرأ وستجد أن الأمر لم يختلف في أوروبا المجرمة عنها في أمريكا المجرمة..

اقرأ كلبا من كلابهم يتحدث عن الجحيم التي قدرت على المسلمين في القدس وقارنه بالخنزير الأمريكي الذي طلب أن يكون سجن أبي غريب " جهنم" لمن فيه:

ويشهد المبشر "استيفان نيل " في: "تاريخ الإرساليات المسيحية- لندن 1971) حيث إنه قد قدرت الجحيم بخصوص " الكفار" (نحن المسلمين) فإن الصليبيين يعتقدون أن سحقهم أمر ضروري وخلقي أيضاً (!) وأما من يسمح له بالحياة منهم، فإلى عبودية دائمة، بمعنى ما يقومون به من خدمات للمؤمنين (المسيحيين)!! وحيث إن المسلمين- ببساطة- كفار، فليس لهم الحق في الوجود، فلا عهد معهم، وينبغي أن يذبحوا بلا رحمة أو شفقة تمجيدا لإله المسيحية" (ص 113).

فهل يختلف هذا عما يقوم به خنازير الصهاينة في فلسطين أو خنازير الأمريكان في العراق و أفغانستان أو خنازير الروس في الشيشان؟!..

وينقل عن "أولدينبرج " من كتابه "تاريخ الحروب الصليبية" قوله: "إن البابا كان على علم بالفظائع التي ارتكبها الصليبيون حيث نقل إليه ممثله هناك - غداة دخولهم القدس- بصراحة مبهرة، أن ما يقرب من عشرين ألفا من هؤلاء الناس (أي المسلمين) قد أعمل فيهم السيف دون النظر إلى العمر أو الجنس " (1)!! (ص هـ 11).

ومع ذلك يوافق الكاتب "القسيس نيل) على ما حدث ويباركه بقوله: "وعلى أية حال فإن المسلمين. لا يظهر أنهم أتباع أمير السلام (المسيح) إ! ومن ثم استحقوا ذلك.. " (ص 114).

البابا المتوحش الهمجي كان على علم..

بوش المتوحش الهمجي أيضا كان على علم..

شبه الرجل بلير أيضا على علم..

والمسخ البشري شارون على علم..

والحرب التي بدأت منذ ألف عام هي نفس الحرب التي ما زالت مشتعلة.

والأمر لا يقتصر إذن على ملك مجرم أو وزير متوحش.. و إنما إجرام توارثته الأجيال عبر القرون ليتركز أكثر ما تركز في أمريكا حيث الشعب مجرم والنخبة مجرمة والرئيس مجرم وتاريخهم كله مجرم.

هذه هي الصورة الصحيحة..

أما الصورة المقلوبة فقد كانت في الادعاءات الفاجرة الكاذبة عن إنسانية هؤلاء الناس وموضوعيتهم و إنسانيتهم..

Sorah.htm70al/2http://www.mohamadabbas.net/Ma

ويقول الدكتور محمد عباس في مقال آخر:

ماذا يريد هؤلاء الصليبيون والصهاينة منا..

ماذا يريدون منا..وقد اتضح الآن أن كل المعلن من أهدافهم كذب.. لكن موجزه أن هذا العصر ليس عصر محمد عليه الصلاة والسلام و إنما عصر الشيطان الرجيم بوش..

أما الوسيلة فقد كانت أكثر الوسائل خسة ووحشية و إجراما ودموية وقسوة.. وهي صفات لا تقتصر على حاكم أو نخبة و إنما هي المكون الرئيسي لحضارة كافرة

يقول منير العكش في كتابه – "أمريكا والإبادات الجماعية" عرض وكالة الأنباء الإسلامية :

لقد أبادت هذه الإمبراطورية الدموية 112 مليون إنسان بينهم 18.5 مليون هندي(بعض الأرقام تصل بعدد الضحايا من الهنود الحمر فقط إلى 110 مليون)

أبيدوا ودمرت قراهم ومدنهم، ينتمون إلى أكثر من 400 أمة وشعب – ووصفت أمريكا هذه الإبادات بأنها أضرار هامشية لنشر الحضارة – وخاضت أمريكا في إبادة كل هؤلاء البشر وفق المعلوم والموثق 93 حرباً جرثومية شاملة وتفصيل هذه الحروب أورده الكاتب الأمريكي هنري دوبينز في كتابه "أرقامهم التي هزلت " THE NEMBER BECAM THINNED : NATIVE AMERICAN POPULATION في الجزء الخاص بأنواع الحروب الجرثومية التي أبيد بها الهنود الحمر بـ 41 حرباً بالجدري ، و4 بالطاعون ، 17 بالحصبة ، و10 بالأنفلونزا ، و25 بالسل والديفتريا والتيفوس والكوليرا . وقد كان لهذه الحروب الجرثومية آثاراً وبائية شاملة اجتاحت المنطقة من فلوريدا في الجنوب الشرقي إلى أرغون في الشمال الغربي ، بل إن جماعات وشعوب وصلتها الأوبئة أبيدت بها قبل أن ترى وجهة الإنسان الأمريكي الأبيض .

" فرانسيس ياركين " أشهر مؤرخ أمريكي في عصره لا يدين هذه القسوة والوحشية والإجرام و إنما يقول أن الهندي نفسه في الواقع هو المسئول عن الدمار الذي لحق به لأنه لم يتعلم الحضارة ولابد له من الزوال ..

ما ينطبق على الهندي الأحمر ينطبق على المسلمين إذن.

وهؤلاء المجرمون لا يقترفون كل هذه الجرائم ولا يقتلون كل هؤلاء الناس تبعا لمقتضيات الحرب حتى بمفهومهم هم..إنهم يقتلونهم حين يقاومون.. ويقتلونهم إذ يستسلمون.. وحتى إذا فروا من الميدان فإنهم يتعقبونهم ليقتلوهم.. وكأنما الجريمة التي ارتكبوها هي أنهم جرءوا على أن يوجدوا!!.. وكأنهم هم الذين أوجدوا أنفسهم.. لا يقتل البيض إذن ليسرقوا أو لينهبوا.. و إنما يقتلون ويعذبون ويمثلون بالبشر لأن لهم طباع الحيوانات الشرسة المفترسة.. بل أشد سوءا.. نعم.. إنهم يستمتعون بالقتل.. ليس استمتاع فرد شاذ.. بل استمتاع مجتمع شاذ وحضارة شاذة و أمة شاذة بأسلافها و أبنائها وعقيدتها المحرفة الشيطانية.. و لست أشك في أنهم جميعا ملحدون وليسوا مسيحيين بروتستانت كما يقولون.. تماما كما أن جل بناة دولة إسرائيل من اليهود ليسوا يهودا و إنما كافرون بالله العظيم وملحدون.

نعم.. الجريمة تجري منهم مجرى الدم وتقبع في النخاع.. جرت وتجري وستجري.. وربما يتخيل قارئ أن وحشية الأمريكي وخسته و إجرامه إنما تعود إلى أزمنة غابرة لم يعد لها الآن من أثر..

لكن..

فلنقرأ هذا الخبر في صحيفة القدس العربي:

واشنطن . اف ب: دافعت وزارة الدفاع الأمريكية الخميس عن جنرال في سلاح مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) اعتبر أن من الممتع إطلاق النار علي المسلحين في العراق أو أفغانستان. فخلال نقاش علني الثلاثاء في سان دييغو (كاليفورنيا غرب الولايات المتحدة) قال الجنرال جيمس ماتيس في الحقيقة من الممتع القتال. من الممتع إطلاق النار علي الناس.. ونشر سلاح المارينز بيانا قال فيه أن الجنرال ماتيس هو من القادة العسكريين الذين يتمتعون بقدر كبير من الشجاعة والخبرة في البلاد . وقال الجنرال مايكل هاغي أن ماتيس غالبا ما يتحدث بصراحة كبيرة .

القدس العربي 5-2-2005

***

نعم..

كانت المشكلة أن "ماتيس" لم يخف شيئا وتحدث بالحقيقة دون إخفاء أو تزوير..

و إنهم يستمتعون بقتلنا..

***

يستمتعون كما استمتعوا بجريمة سلخ فروة الرأس لكل ضحاياهم من الهنود الحمر وذلك على النقيض مما تروج له هوليود والرسميون والإعلاميون وأكاديميو التاريخ المنتصر ، فقد رصدت السلطات الاستعمارية مكافأة لمن يقتل هنديا ويأتي برأسه ، ثم اكتفت بعد ذلك بسلخ بفروة الرأس ، إلا في بعض المناسبات التي تريد التأكد فيها من هوية الضحية ، ولعل أقدم مكافأة على فروة الرأس بدلاً من كل الجمجمة تعود إلى عام 1664 ، وفي 12 أيلول سبتمبر من ذلك العام ، حيث رصدت المحكمة العامة في مستعمرة ماسوسيتش مكافأة مختلفة لكل من يأتي بفروة رأس هندي مهما كان عمره أو جنسه وتختلف المكافآت بحسب مقام الصياد ، 50 جنيهاً إسترلينيا

للمستوطن العادي ، و20 جنيهاً لرجل الميليشا العادي ، و10 جنيهات للجندي ، ثم تغيرت التعريفة في عام 1704 فأصبحت مائة جنيه لكل فروة رأس ومن المفارقات أن المكافآت المتواضعة التي رصدت كانت لفروة رأس الفرنسي عام 1696 وهى 6 جنهيات ، حتى أن المغامر "لويس وتزل " يروى أن غنيمته من فرو رؤوس الهنود لا تقل عن 40 فروة في الطلعة الواحدة .

في أمريكا لا يتكلمون عن وتزل كمجرم ولا كإرهابي ولا كقاتل ولا كسفاح ولا يخجلون منه.. بل ويعتبرونه من أبطال التاريخ الأمريكي وما يعرف بعمالقة الثغور.

يفخرون به رغم أنه يخجل..

أما نحن فنخجل من أبطالنا رغم أنه كان لنا وعلينا أن نفخر بهم..

نحن نسمي الأبطال إرهابيين!!..

***

وبدءا من وتزل صار قطع رأس الهندي وسلح فروة رأسه من الرياضات المحببة في أمريكا ، بل إن كثيراً منهم يتباهى بأن ملابسه وأحذيته مصنوعة من جلود الهنود ، وكانت تنظم حفلات خاصة يدعى إليها علية القوم لمشاهدة هذا العمل المثير (سلخ فروة رأس الهندي وهو على قيد الحياة) حتى أن الكولونيل جورج روجرز كلارك في حفلة أقامها لسلخ فروة رأس 16 هندي طلب من الجزارين أن يتمهلوا في الأداء وأن يعطوا كل تفصيل تشريحي حقه لتستمتع الحامية بالمشاهد (راجع اليوميات في Michigan pioneer and historical colloction العدد 9 ، 1886م ، صـ501، 502) وما يزال كلارك إلى الآن رمزاً وطنياً أمريكياً وبطلاً تاريخاً وما يزال من ملهمي القوات الخاصة في الجيش الأمريكي .

ومع تأسيس الجيش الأمريكي أصبح السلخ والتمثيل بالجثث تقليداً مؤسساتيا رسمياً فعند استعراض الجنود أمام وليم هاريسون (الرئيس الأمريكي فيما بعد) بعد انتصار 1811م على الهنود التمثيل بالضحايا ثم جاء الدور على الزعيم الهندي "تكوميسه" وهنا تزاحم صيادو الهنود والتذكارات على انتهاب ما يستطيعون سلخه من جلد هذه الزعيم الهندي أو فروة رأسه ، ويروى جون سغدن في كتابه عن "تيكوميسه" كيف شرط الجنود المنتشون سلخ جلد الزعيم الهندي من ظهره حتى فخذه .

وكان الرئيس أندره جاكسون الذي تزين صورته ورقة العشرين دولارا من عشاق التمثيل بالجثث وكان يأمر بحساب عدد قتلاه بإحصاء أنوفهم المجدوعة وآذانهم المصلومة ، وقد رعى بنفسه حفلة التمثيل بالجثث لـ 800 هندي يتقدمهم الزعيم "مسكوجى" ، وقام بهذه المذبحة القائد الأمريكي جون شفنغنتون وهو من أعظم أبطال التاريخ الأمريكي وهناك الآن أكثر من مدينة وموقع تاريخي تخليداً لذكره ولشعاره الشهير "اقتلوا الهنود واسلخوا جلودهم ، لا تتركوا صغيراً أو كبيراً ، فالقمل لا يفقس إلا من بيوض القمل " .

***

نعم ..

القمل لا يفقس إلا من بيض القمل..!!..

والإرهاب لا ينبع إلا من المسلمين..!!!!..

يكفي أن يكونوا مجرد مسلمين.. وليس يهم ماذا فعلوا وماذا لم يفعلوا..

بل لقد وصل الأمر لحد المهزلة .. ذلك أن فيرينك جيوركساني رئيس الوزراء المجري قد استخدم في 10-2-2005 تعبير "الإرهابيين العرب« أثناء إشادته بفريق بلاده الوطني لكرة القدم لتصديه للفريق السعودي. وكان جيوركساني قد أعلن »أن فريق بلاده قاتل بشجاعة تتحدي الموت ضد الإرهابيين العرب".

تحول الأمر إذن إلى عنصرية بغيضة حقيرة منتنة..

لا..

بل على الأحرى هو منذ البداية كذلك..

لكن لنواصل القراءة في سفر الحضارة الغربية الوحشية الشاذة المجرمة.. في كتاب:" أمريكا والإبادات الجماعية"..

***

يقول الجندي الأمريكي " أشبري" أن الأمر قد وصل إلى حد التمثيل بفروج النساء ويتباهى الرجل بكثرة فروج النساء التي تزين قبعته وكان البعض يعلقها على عيدان أمام منزله .

ثم اكتشف أحد صيادي الهنود إمكانية استخدام الجلد المسلوخ عن الأعضاء الذكرية للهنود كأكياس للتبغ ، أكياس فاخرة غير مخيطة من الجانب، ثم تطورت الفكرة المثيرة من هواية فردية للصيادين إلى صناعة رائجة وصار الناس يتهادونه في الأعياد والمناسبات ، ولم تدم هذه الصناعة طويلاً بسبب قلة عدد الهنود حيث وصلوا في عام 1900 إلى ربع مليون فقط (لمزيد من التفاصيل راجع stand hoig في كتاب the sand creek massacars) .

***

أعرف أن النخبة المثقفة المجرمة في بلادنا وعلى رأسهم الحداثيون والعلمانيون والشيوعيون سيحاولون الهرب من المواجهة.. وسوف يدعون أن ذلك حدث في الماضي البعيد.. و أن أول شرط للحداثة هو القطيعة المعرفية.. هو نسيان ما حدث في الماضي..

يطلبون منا –كلاب النار– نسيان ما حدث منذ خمسين عاما من حقائق .. ولا ينسون هم أساطير مزعومة ترجع إلى الوراء أربعين قرنا.

وهذه النخبة المجرمة ليست جاهلة و إنما هي خائنة..

وهي لا تتناول الماضي بهذا الاستخفاف إلا لسبب واحد: هو إتاحة الفرصة للصليبيين لكي يواصلوا مذابحهم ضدنا دون مقاومة.. وتلك ليست مهمة النخبة بل وظيفة الطابور الخامس..

وقد يقول أحدهم أن تاريخ الهنود هذا تاريخ قديم.. و أن تيك الجرائم الأمريكية سقطت بالتقادم ولا ينبغي أن نحمل الأجيال التالية وزرها..

ليس حسنا يا كلاب النار يا حطب جهنم..

ليس حسنا وليس صحيحا و أنتم أول من يعلم أنه غير صحيح..

لكن.. فلنتناول إذن تاريخا غير قديم..

وليلاحظ القارئ أن ما حدث هو بعينه الذي يحدث الآن في العراق..

***

ففي أربعينات القرن العشرين دخلت اليابان أطلس الشعوب المتوحشة الأمريكي (سوف تسمى بعد ذلك محور الشر) .

ويروى مراسل حربي في مقالة له في atlantic monthly " لقد قتلنا الأسرى بدم بارد، ومحونا المستشفيات من الوجود ، وأغرقنا مراكب الإنقاذ ، وقتلنا المدنيين وعذبناهم ، وأجهزنا على الجرحى وقدناهم إلى حفر جماعية ، وهناك في الهادي سلقنا لحم جماجم أعدائنا (بقصد اليابانيين) لنصنع منها عاديات تذكارية توضع على الطاولات وتهدى إلى الأحباب أو صنعنا من عظامهم سكاكين لفتح الرسائل " .

وقد لاقت هذه الرسائل ترحيباً كبيراً لدى الشعب الأمريكي حتى أن مجلة لايف نشرت في عام 1944 موضوعاً عن الحرب مزيناً بصفحة كاملة لصورة صبية شقراء مبتسمة وهو تقف إلى جانب جمجمة يابانية أرسها إليها خطيبها من الجبهة .

***

ألم أقل لكم أن المشكلة ليست في الإدارة الأمريكية بل المشكلة في شعب جله مجرم، مع استثناءات تثبت القاعدة ولا تلغيها..

شعب مجرم نشأ من حرام وارتوي بالدماء، ولن تردعه أبدا إلا الدماء.

***

وفي الحرب العالمية الثانية اقترفت الجيوش الأمريكية العديد من جرائم الحرب وضد المدنيين العزل بشكل خاص. فقد شارك الأسطول الجوي الأمريكي عبر ما يسمى بالقصف السجادي، في تدمير العديد من المدن المكتظة بالسكان والتي لا تمثل أي قيمة عسكرية تذكر، وما تدمير مدينتي روتردام في هولندا ودرسدن في ألمانيا سوى نموذج للهمجية الأمريكية، والتي لا تعرف مكانا للقيم في منظوماتها العسكرية.

وبلغت هذه الهمجية ذروتها حين تم ضرب مدينتي هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين – اللتين لا قيمة عسكرية لهما – بالقنبلة النووية، والتي خلفت دمارا شاملا لا يمكن وصفه في صفوف المدنيين العزل إضافة إلى المنشئات والبيئة الطبيعية. وهذا مما يخالف كل قوانين الحرب التي تدعي أمريكا بهتانا اتباعها.

ولقد تبنت القوة الجوية الملكية والقوة الجوية للجيش الأمريكي أسلوب القصف الاستراتيجي والتدمير الواسع للمدن باستعمال القنابل الحارقة، فأمر الجنرال جورج مارشال – رئيس الأركان الأمريكي آنذاك – مساعديه بتخطيط هجمات حارقة على المدن اليابانية الكثيفة السكان، ومن ثم انطلقت 334 طائرة أمريكية لتدمر ما

مساحته 16 ميلا مربعا من طوكيو بواسطة إلقاء القنابل الحارقة، مما أدى إلى مقتل 100 ألف شخص وتشريد مليون نسمة، بينما وصلت درجة حرارة الماء في القنوات إلى درجة الغليان وذابت الهياكل المعدنية وتلاشت الأجساد في ألسنة من اللهب. ولم تكن طوكيو وحدها هي التي تعرضت لتلك الهجمات الأمريكية الوحشية، فقد تكرر هذا السيناريو في 64 مدينة يابانية أخرى.. فضلا عن دك هيروشيما وناجازاكي بقنبلتين ذريتين حصدتا عشرات الآلاف من الأرواح، وأهلكتا الزرع والضرع، رغم أن الحرب كانت قد وضعت أوزارها بالفعل !!

***

غيروا أسماء المدن والتواريخ لتقرءوا ما حدث في العراق بعد ذلك بستين عاما..
ضعوا اسم بغداد مكان طوكيو.. والفلوجة مكان هيروشيما.. وبعقوبة مكان نجازاكي.. وعام 2004 بدلا من عام 1944..افعلوا ذلك تقرءوا ما حدث في العراق.. نفس المجرم ونفس الادعاءات ونفس الجرائم و إن اختلفت الضحايا..

***

في عام 1946 أنشأت الولايات المتحدة في بنما المدرسة الأمريكية المشؤومة –للتعذيب!!– ثم نقلت في عام 1984 إلى فورت بنينغ في جورجيا حيث كان يتم التدريب على الحرب وعلى العمليات البوليسية وقد تعلم فيها أكثر من 60 ألف عسكري وشرطي من أمريكا اللاتينية خلال سنوات عديدة فنون القهر والتعذيب والاغتيال وعمليات الكومندوس ومنهم كومندوس الموت ضد أطفال الشوارع.

***

هل عرفتم الآن أين تدربت وكيف تدربت وحوش بشرية كزكريا محيي الدين وصلاح نصر وصلاح دسوقي وحمزة البسيوني وحسن طلعت وزكي بدر والنبوي إسماعيل وحسن الألفي و فؤاد علام ..و..و..

وهل عرفت الآن – أنا – إجابة السؤال الذي طالما دوخني وأنا أتابع تفاصيل التعذيب في سجوننا فأهمس لنفسي مروعا مذهولا:

– من الذي علمهم ذلك.. ما يفعلونه مروع ورهيب وليس له أي جذور في الفكر الإسلامي ولا العربي ولا حتى الفرعوني.. ما يفعلونه مروع ورهيب لا يقوم به إلا كافر..

وكانت أمريكا و أوروبا فوق الشكوك كما علمنا أتباع دنلوب و أحفاد كرومر..

الآن أعرف من علمهم..

و أعرف الكفر و أهله و أصله..

أعرف علاقة النسب والدم بين جلادين وطغاة كحكامنا وبين المجرمين الصليبيين واليهود..

***

" هيوه مانكه " رئيس قسم المتطوعين الدولية، قال في شهادة له أمام الكونجرس 1971 قد أكد على عزم القوات الأمريكية على إبادة فيتنامي الجبل فقال " إننا سنحل مشكلتهم كما فعلنا مع الهنود " بينما قال " ماكسويل تايلور " وهو يصف الفييتكونغ في شهادة له أمام الكونجرس " إن الفيتناميين ليسوا بأفضل من قمل يغزو جلد الكلب " .

وكانت قناة history التليفزيونية الأمريكية قد عرضت في 3 تموز 1996 شكلاً حديثا من مشاهد السلخ في فيلم وثائقي بعنوان " قيام العنقاء " نرى فيه الجنود الأمريكان في فيتنام وهم يقطعون رؤوس الفييتكونغ ويعرضونها في مهمة أشرفت عليها وكالة الاستخبارات المركزية في أواخر عام 1967 وأطلقت عليها اسم " العنقاء " "operation phoenix" ، وقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية أن عدد ضحايا عملية العنقاء وحدها وصل إلى 26369 قتيل ، و33358 معتقل ، بينما يؤكد روي بروسترمن " أستاذ القانون في جامعة واشنطن أن عملية العنقاء شملت " فيتنام – والفلبين – والسلفادور " وبلغ عدد ضحايا فيتنام وحدها في الفترة بين 1968 ، 1971 ، ما يزيد عن 40 ألف قتيل وأكثر الضحايا كانوا من المدنيين والمعتقلين جزاء التعذيب .

ويروى "بارتون " أحد ضباط عملية العنقاء في شهادته أمام الكونجرس عام 1973 " كنت أنظر في قضية مشتبه يقول أحد عملائي أنه متعاطف مع الفييتكونغ وكان

التحقيق يجرى في مجمع بالتجسس المضاد لفرق المارينز وحين دخلت لمتابعة ما يجري كان الرجل قد فارق الحياة بعد أن دكوا في فتحة أذنه سيخاً حديدياً طوله 6 بوصات اخترق دماغه وقتله .. لقد كانت حرب إبادة منظمة " .

وتصف مجلة country spy في عددها ربيع/ صيف 1975 عملية العنقاء بأنها أكبر برنامج للقتل الجماعي المنظم يشهده العالم منذ معسكرات الموت النازية فتقول " في 16 آذار ، مارس 1968 دخلت مجموعة من الكتيبة 11 إلى قرية (ماى لاى) فقتلت 347 عجوزاً وامرأة وطفلاً رضيعاً ، ثم أن المشاة أحرقوا البيوت والأكواخ بمن فيهم البشر وهنأ الجنرال "وستمولند" هذه المجموعة لعملها " الممتاز" ، وفي يوم المجزرة نفسه هاجمت مجموعة أخرى من الكتيبة قرية (ماى خه) وفتحت نيرانها على طريقة الكابوي وفي هذه المجزرة تولت مجموعة من صغيرة من الجنود تكويم الجثث "

وفي اليوم التالي زحفت هذه المجموعة عبر شيه جزيرة "باتنغن" جنوب بحر الصين وراحت تحرق كل قرية تعبرها وتقتل كل ما يدب فيه الروح من الجواميس والخنازير والبط والدجاج والبشر وتدمر المحاصيل ، وقال أحد جنود هذه المجزرة " ما فعلناه هنا ليس استثناء ، لقد فعلناه في كل مكان " وقال آخر " لقد كنا نتسلى "

كنا نتسلى..

كنا نتسلى..

كنا نتسلى..

كما يتسلون في العراق وكما تتسلى إسرائيل في فلسطين..

***

وعن مذبحة (ماى لاى) يروي سيمور هيرش الكاتب الأمريكي (والكلام عن المذبحة مقتبس من كتابيه(my lai – cover up) يروى أن الطيار هيو تومسون كان يحلق بطائرته الهليوكوبتر الصغيرة صباح 16 آذار ، مارس 1968 فوق منطقة ماى لاى ، وما إن اقترب من قرية سونغ ماى حتى رأي الأرض مزروعة بالقتلى والجرحى من دون إشارة تدل على وجود على وجود قوة معادية ، (في المنطقة التي تقع داخل فيتنام الجنوبية الحليفة التي تستضيف الجيش الأمريكي والضحايا كلهم من

مواطنيها) ، وظن الطيار أن أفضل ما يستطيع فعله هو تحديد المكان بالدخان حتى يسرع الجنود على الأرض للنجدة والمساعدة ، وكان أول ما فعل أن حدد مكان فتاه مصابة بطلقات في بطنها ومبطوحة على حافة السياج فيما كان نصفها السفلي فوق حقل الأرز . ولدهشته فإن الجنود أسرعوا إلى الفتاة ليجهزوا عليها لا ليسعفوها ، فقد أفرغوا في رأسها عدة طلقات " .

ويقول أحد مساعدي تومسون " إن الجثث كانت كالنمل ، كان هناك من سمم مياه الشرب وكان كل من في القرية شرب من هذه المياه المسمومة وسقط صريعاً ، لقد استغرق دفن القتلى أكثر من خمسة أيام "

وكان جوزيف ستريك قد أجرى لقاءات مطولة مع جنود هذه المذابح لتوثق لعام 1971 ، فقال " فردانو سمبسون : " كانوا يمثلون بالجثث وبكل شئ ، كانوا يشنقونها أو يسلخونها ، وكانوا يستمتعون بذلك ، يستمتعون بكل معنى الكلمة . وكانوا يتلذذون بقطع حناجرهم " .

وكانت "النيويورك تايمز" في أواخر نيسان 2001 قد كشفت عن مجزرة لم يكن أحد يذكرها لولا أن بطلها أصبح عضواً في مجلس الشيوخ ، وقد أرتكبها السيناتور " بوب كيري " في شباط فبراير 1969 ، عندما كان ضابطاً بحرياً متطوعاً في حرب فيتنام ونال جزاء بطولتها وسام النجم البرونزي ، ويروى " غيرهارد كلان " أحد الذين شاركوا في هذه المجزرة كيف كان أن السناتور بوب كيري الذي خاض الانتخابات الرئاسية الماضية قادهم في تلك الليلة إلى قرية ثونه فونغ حيث جمعوا 13 امرأة وطفلاً وأطلقوا عليهم النار بدم بارد ، وكيف أنهم بعد سقوط القتلى سمعوا طفلاً يبكى بين الضحايا فعاجلوه بالرصاص الكثيف . وقال إنهم بينما كانوا في طريقهم إلى مكان المجزرة مروراً بكوخ فيه عجوزان وثلاثة أطفال فطعنوهم جميعاً بالسكاكين ثم قطعوا حناجرهم " .

***

في فيتنام كما يؤكد الراهب البوذي الفيتنامي ثيتش ثين هاو أن " حرب فيتنام تسببت بحلول منتصف عام 1963 في مقتل 160 ألف شخص، وتعذيب وتشويه 700 ألف شخص، واغتصاب 31 ألف امرأة، كما نزعت أحشاء 3000 شخص وهم أحياء،

وأحرق 4000 حتى الموت، ودمر ألف معبد، وهوجمت 46 قرية بالمواد الكيماوية السامة ".

كما أدى القصف الأمريكي لهانوي وهايفونغ عام 1972 إلى إصابة أكثر من 30 ألف طفل بالصمم الدائم.. وبينما عانى الأمريكيون بعد الحرب من فقد 2497 جنديا (بحسب أحد التقديرات)، كانت العائلات الفيتنامية تكافح للتكيف مع فقد 300 ألف فيتنامي، فضلا عن أن عدد القتلى في فيتنام بلغ 4 ملايين شخص، إلى جانب عدة ملايين آخرين من المعوقين والمصابين بالعمى والصدمات والتشوه، مما حول فيتنام إلى ساحة كبرى للقبور ومبتوري الأعضاء والأرض المسممة واليتامى والأطفال المشوهين.

***

لسنا أمام أزمة عابرة إذن، ولا أمام جنوح عابر أو جنون مؤقت، نحن أمام شعب متوائم مع نفسه متسق مع شخصيته و مبادئه بل ودينه، دينه الشيطاني الذي لا يتبع حتى المسيحية المحرفة.. بل يتبع الشيطان.. نحن أمام أمة مجرمة حتى النخاع. ولعلها تتفوق على أوروبا في الكم فقط، أما في الكيف فلا فرق. أمة مجرمة لن يردعها إلا المواجهة والجهاد.. ولن يمنعها عنا إلا إرهاب عدو الله وعدونا..

وحسبنا هنا أن ننقل ما أوردته جريدة التايمز البريطانية على لسان صحفي بريطاني في وصف ما حدث في العراق عام 1991: " كانت الحرب نووية بكل معنى الكلمة، وجرى تزويد جنود البحرية والأسطول الأمريكي بأسلحة نووية تكتيكية، والأسلحة المطورة أحدثت دمارا يشبه الدمار النووي، حيث استخدمت أمريكا متفجرات وقود الهواء المسماة -82Blu، وهو سلاح زنته 15000 رطل وقادر على إحداث انفجارات ذات دمار نووي حارق لكل شيء في مساحة تبلغ مئات الياردات ".

كما استخدمت قنابل اليورانيوم المستنفد لأول مرة للتخلص من نفايات المفاعلات والمحطات النووية، حيث أطلقت الدبابات الأمريكية ستة آلاف قذيفة يورانيوم، بينما أطلقت الطائرات عشرات الآلاف من هذه القنابل، لدرجة أن تقريرا سريا لهيئة الطاقة الذرية البريطانية قدر ما خلفته قوات التحالف على أرض العراق بما لا يقل عن أربعين طنا من اليورانيوم المنضب.

كما أكدت مصادر غربية أن هناك 800 طن من غبار وذرات اليورانيوم المنضب سوف تستمر في الهبوب على شبه الجزيرة العربية لمدى طويل جدا، حيث تم تلويث الهواء والتربة والأنهار بكميات مفزعة من الإشعاع المسبب للسرطان، مما دفع مكتب السكان الأمريكي نفسه لوصف العواقب الوخيمة لذلك على العراقيين بأنه تسبب في انخفاض عمر الرجال العراقيين بمعدل 20 سنة وانخفاض عمر العراقيات بمعدل 11 سنة، فضلا عن نصف مليون حالة وفاة بالقتل الإشعاعي في العاجل والآجل.

***

نذكر ما حدث عام 1991.. أما ما حدث عام 2004 فلا نذكره .. لأن راعية العالم الحر أخفت المعلومات وقتلت المراسلين الذين حاولوا نقل الحقيقة إلى العالم..

***

يورد محمد حسنين هيكل في مقال له بعنوان الإمبراطورية على الطريقة الأمريكية – مجلة وجهات نظر– قصة احتلال الفلبين " في سبتمبر 1898 :

استقبل الرئيس الأمريكي " ماكينلى" وفداً من قساوسة جمعية الكنائس التبشيرية الذين فوجئوا به بعد أن انتهت جلسته يقول لهم " عودوا إلى مقاعدكم أيها السادة لأني أريد أن أقص عليكم نبأ وحي سماوي ألهمني ، أريد أن أقول لكم أنني منذ أيام لم أنم الليل بسبب التفكير فيما عسى أن نصنعه بتلك الجزرة البعيدة (الفلبين) ولم تكن لدى أدنى فكرة عما يصح عمله ورحت أذرع غرفة نومي ذهابا وجيئة أدعو الله أن يلهمني الصواب ثم وجدت اليقين يحل في قلبي والضوء يسطع على طريقي ، إن الجزرة جاءتنا من السماء فنحن لم نطلبها ولكنها وصلت إلى أيدينا منة من خالقنا ، ولا يصح أن نردها وحتى إذا حاولنا ردها فلن نعرف لمن ؟ – ولا كيف؟

وقد بدا لي أولاً أنه من زيادة الجبن وقلة الشرف والتخلي على الواجب أن نعيدها إلى أسبانيا ، ومن ناحية ثانية وجدت من سوء التصرف والتبديد أن نعهد بها إلى قوة أوروبية متنافسة على المستعمرات في آسيا مثل فرنسا وألمانيا ، ومن ناحية ثالثة أحسست أنه من غير الملائم أن نترك هذه الجرزة لحماقة وجهل سكان محليين لا يصلحون لتولى المسؤولية ، وكذلك فإن الخيارات المقترحة أمامنا تركزت في حل واحد هو في الواقع لمصلحة الفلبين قبل أي طرف آخر ، وهذا الحل هو ضم الجزر

إلى أملاكنا ، بحث نستطيع تعليم سكانها ورفع مستواهم وترقية عقائدهم المسيحية ليكونوا حيث تريد لهم مشيئة الرب أخوة لنا فدتهم تضحية المسيح كم فدتنا! " .

***

تصوروا لو أن حاكما عربيا أو مسلما تحدث عن: نبأ وحي سماوي ألهمه ، بعد أن ظل طول الليل يذرع غرفة نومه ذهابا وجيئة يدعو الله أن يلهمه الصواب ثم وجد اليقين يحل في قلبه والضوء يسطع على طريقه ، إن فلسطين جاءتنا من السماء وهي منة من خالقنا، ووديعة سيدنا عمر، ولا يصح أن نتركها لليهود وحتى إذا حاولنا تركها فلن نعرف ..

تصوروا لو أن حاكما أو عربيا قال مثل ذلك.. ماذا كان يمكن للغرب أن يفعل به.. بل ماذا كان يمكن لكلاب العرب الشرسة التي بثها الغرب فينا من خونته وعملائه العلمانيين والحداثيين والشيوعيين سيفعلون بمثل هذا الحاكم..

هذه الطغمة الفاسدة المجرمة التي تعوي ككلب أجرب كلما ذكر مسلم الإسلام أو القرآن.. وانظروا ماذا فعلت تلك الكلاب البشرية بواحد من أفضل كتاب المغرب و أوسعهم علما و أكثرهم نشاطا هو الأستاذ حسن السرات لمجرد أنه استخدم كلمة غضب الله بدلا من غضب الطبيعة وهو يتحدث عن زلزال تسونامي.. لكننا سنعود بالتفصيل إلى هذه النقطة في جزء تال.

لكنني أذكركم فقط كيف حاصر الغرب السلطان عبد الحميد الثاني واتهمه بالرجعية والتخلف والجمود رغم أن الرجل لم يدع أن هناك وحيا هبط من السماء عليه كما قال " ماكينلى" أو أن الله أمره كما قال القرصان الدموي المجرم جورج بوش..

***

دعونا نعود إلى الجرائم الأمريكية:

واشتهرت الوحدات الخامسة للقوات الأمريكية الخاصة (البيريه الخضراء) بعملياتها السرية والمعلنة في فيتنام بين عامي 1968 و1969 ثم في أمريكا الوسطى لاحقا، وسميت عملياتها في فيتنام بـ"مشروع فوينكس"، وفيه كانت تقوم بالكثير من الأعمال العسكرية "القذرة" – على حد وصف بعض مؤرخي الحرب الأمريكية– ومن بينها اغتيال زعماء القرى وحتى بعض الجنود الأمريكيين لضمان تأييد الكونجرس

لاستمرار الحرب، وهو المشروع الذي وصفه المحرر العسكري المعروف "باول شيهان" بأنه "كذبة ناصعة"!.

***

والتاريخ يعيد نفسه..

اقرأ عن المذابح الوحشية للأمريكيين تظن أنك تقرأ عن الحروب الصليبية واقرأ عن الحروب الصليبية تظن أنك تقرأ عن مذابح الأمريكيين في التاريخ المعاصر..

ينقل لنا المستشرق غوستاف لوبون هذه الصفحة من تاريخ الحروب الصليبية : "اقترف الصليبيون من الجرائم مالا يصدر عن غير المجانين ، وكان من ضروب اللهو عندهم تقطيع الأطفال إرْباً إرباً وشيّهم ! . لقد أفرط قومنا في سفك الدماء في بيت المقدس ، وكانت جثث القتلى تحوم في الدم .. وكانت الأيدي والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها !! وأباد الفرسان الصليبيون الأتقياء جميع سكان القدس من المسلمين واليهود والنصارى .. وكان سلوك الصليبيين غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب حين وصل القدس منذ بضعة قرون .. ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤاخذ على اقترافه جرائم قتل كتلك التي اقترفت ضد المسلمين".

أما المستشرق روم لاندو فيقول : "مثل هذا الإفناء البشري باسم المسيح كان لا بد له أن يُذهل الإنسانية ، ولقد عجزت القرون المتعاقبة عن محو هذه الوصمة ... وإن كَرّ السنين لم يخفف من أعمال اللا تسامح التي قام بها الصليبيون باسم الله"

أمّا كنه هؤلاء" الأتقياء" فيحدّده أسقف عكا (جاك دوفيتري) : " كان لا يُرى منهم في أرض الميعاد غير الزنادقة والملحدين واللصوص والخائنين"..

نعم..

نعم..

كان وما يزال لا يُرى منهم في بلادنا غير الزنادقة والملحدين واللصوص والخائنين"...

***

نعم.. نحن نواجه أمة مجرمة حتى النخاع.. أمة مجرمة عبر تاريخها كله.. ولم تتوقف أبدا عن ممارسة الإرهاب.

ولنقرأ من وكالات الأنباء هذا الخبر.

واشنطن: «الشرق الأوسط»..

سناتور يطالب بالتحقيق في تصريحات مدير أخبار الـ«سي. إن. إن» في منتدى دافوس

قال إن الجيش الأميركي يتعمد استهداف الصحافيين في العراق..

ما يزال الجدل مستمراً حول ما قاله رئيس قسم الأخبار في شبكة الـ«سي إن إن»، ايسون جوردان، في منتدى دافوس الاقتصادي أخيرا. وبحسب التقارير فإن جوردان اعتبر في ندوة عن الديمقراطية والإعلام أن الجيش الأميركي استهدف الصحافيين خلال عملياته في العراق. وقال انه على علم بحوالي 12 صحافيا لم يقتلوا برصاص القوات الأميركية فحسب، بل تم استهدافهم، وذلك تنفيذا لسياسة معينة وقد أيده في ذلك العضو الديمقراطي في مجلس النواب بارني فرانك.

***

يورد محمد حسنين هيكل في مقالة "مهمة تفتيش في الضمير الأمريكي في العدد التاسع والأربعون – مجلة وجهات نظر– فبراير 2003م " ، وهنا يم يكن مستغرباً أن تكون مقدمة الظهور الأمريكي مع مطلع القرن العشرين رجالاً من طراز "مورجان " وهو من أسرة اعتمدت ثروتها على في الأصل على جد من كبار القراصنة خبأ كنزه في إحدى جزر البحر الكاريبي ثم ترك لأسرته خريطة تدل على موقعه، وعندما تمكن الورثة من فك الرموز– أصبح الكنز في العصر الحديث أهم أصول واحد من أكبر البنوك الأمريكية)– ونفس الطراز من الرجال تكرر في "جون روكفللر" (فقد تحصل على غنى أسطورى من إبادة قبائل بأكملها في "فنزويلا" كي يفسح المجال لحقول بترول تأكد له وجودها وصمم على امتلاكها، واستحق أن يوصف بأنه أسال دماء على سطح فنزويلا بأكثر مما استخرج من عمق آبارها نفطا)– ونفس الطراز كذلك تكرر في "فاندربيلت" (الذي تسابق مع "مورجان" في مشاريع مد السكك الحديدية تربط أمريكا الشمالية بقضبان من الصلب ، تشق طريقها صاعقة نافذة في

الجبال مكتسحة لمعظم ما بقى لمواطن الهنود الحمر ، والجيوب المنسية من جماعات المهاجرين .

***

ويقول (فرانك براوننغ) في كتابه (الجريمة على الطريقة الأمريكية): منذ سنة 1960م اخذوا في الولايات المتحدة الأمريكية يتحدثون كثيراً عن (سلطة خامسة) هي أحياناً قوية لدرجة الذي السلطات الأربع الأخرى تنحني أمامها.. كان البعض يقصد بها فيها الجيش، والبعض الآخر المخابرات. ولكننا نعتقد بأن ما وراء كافة هذه القوى الاجتماعية، توجد قوة أخرى (سلطة سادسة) قد ظهرت في الولايات المتحدة. قوة قادرة على التأثير في الحكومة، في القانون، في الاقتصاد، في الشرطة، في الأسعار، في الأذواق... إن هذه القوة تغرز جذورها حتى منبت التاريخ الأمريكي، الذي تأثيرها عميق وسيطرتها واسعة، وقدرتها متنامية باستمرار. فأمريكا لا تستطيع اليوم أن تعمل بدونها. إن هذه (السلطة السادسة) هي التي يمارسها عالم محترفي إجرام يعملون في خدمة الصناعيين والسياسيين من غير الشرفاء... أن الأفراد الذين ينتهكون القانون يعرفون من الآن فصاعداً أن باستطاعتهم الاعتماد على حماية (المنظمة) وعلى ضمان أموالها وعلى تعريف كافة مستويات المجتمع للشبهات، هذا التعريف الذي تثبت بواسطته سلطتها. إن (السلطة السادسة) تستعلي على تحالفات الطبقات وعلى الصداقات السياسية التقليدية... إن (السلطة السادسة) تلك الجريمة الممأسسة ليست إذن إفساد القوى الاجتماعية الأخرى وحسب. إنها تؤلف سلطة مستقلة تقاوم السلطات الأخرى في الوقت ذاته الذي تنفذ به إليها مندسة في مستويات الحياة العصرية كافة. ولكل هذه الأسباب لا يمكن لتاريخ الجريمة في الولايات المتحدة إلاّ أن يكون تاريخ الولايات المتحدة الذي تنتشر فيه مغامرات الخارج على القانون، وقاطع الطريق والمتمرد والمبتز.

***

نعم..

شعب مجرم و إدارة مجرمة..

يقول منير العكش:

لا عجب إذاً إذا رأينا أن ساسة هذه السلطة يكافئون الضابط البحري الذي أمر بإطلاق صاروخ على الطائرة الإيرانية المدنية ليقتل 298 مدنيا بريئاً، مثلما كوفئ (كولبي) بقتله المدنيين في فيتنام بأعصاب باردة. في إحدى جلسات الاستماع التي عقدتها إحدى لجان الكونجرس الأمريكي في عام 1971م حيث سأله المشرعون الأمريكيون المحبون للمعرفة عن درجة ارتباط الولايات المتحدة بمشروع (فينكس)، قال كولبي الذي استدعوه للإدلاء بأقواله: انه يشارك في المشروع 637 من العسكريين الأمريكيين بالإضافة إلى (المدنيين) أي موظفي وكالة المخابرات المركزية

***

أمة مجرمة يغطي إجرامها تاريخها كله.. ماضيها وحاضرها و أغلب الظن مستقبلها أيضا.

وحسب الإحصاءات كان في المعتقلات الأمريكية في منتصف العام 1998 نحو 1.800 مليون سجين و 200 مليون قطعة سلاح ناري، وتعد السجون هي الأمكنة التي يتم فيها أكبر تجاوز لحقوق الإنسان في الولايات المتحدة ويعامل موظفو السجون المعتقلين معاملة مهينة ، خاصة السود والمهاجرين والنساء ، الذين يتعرضون لكثير من عمليات التعذيب. وتؤكد الدراسة أن السود الذين يمثلون ن 12% من السكان أمريكا يشكلون 42% من المسجونين.

وفي تقرير صدر في سبتمبر 2001 حثت منظمة "مراقبة حقوق الإنسان" إدارة الرئيس بوش على التخلي عن سياسة اغتيال الأجانب ، وتجنيد مخبرين من مقترفي الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان في وكالة المخابرات المركزية.

***

أمة مجرمة تريد أن تعلمنا وليس هناك أمة في التاريخ أكثر إجراما وجهلا..

أمة تباهينا – ضمن ما تباهينا – بحقوق المرأة عندها..

فلنقرأ تقريرا دوليا عما يحدث للمرأة داخل المجتمع الأمريكي ننقله بتصرف واختصار كثير عن الأخ أبو معاذ المكي في الساحات:

صدر عن معهد الدراسات الدولية حول المرأة ، ومقره مدريد ، وهو معهد عالمي معترف به ، التقرير السنوي المسمى بـ قاموس المرأة ، وقد جاء فيه:

– في عام 1980م: (1.553000) حالة إجهاض ، 30 % منها لدى نساء لم يتجاوزن العشرين عاماً من أعمارهن ، وقالت الشرطة: إن الرقم الحقيقي ثلاثة أضعاف ذلك.

– وفي عام 1982 م: 80% من المتزوجات منذ 15 عاماً أصبحن مطلقات .

– في عام 1995م: 82 ألف جريمة اغتصاب ، 80% منها في محيط الأسرة والأصدقاء ، بينما تقول الشرطة إن الرقم الحقيقي 35 ضعفاً

– 70% من الزوجات يعانين الضرب المبرح ، و4 آلاف يقتلن كل عام ضرباً على أيدي أزواجهن أو من يعيشون معهن. 74% من العجائز الفقراء هم من النساء ، 85% من هؤلاء يعشن وحيدات دون أي معين أو مساعد.

– ومن 1979م إلى 1985م: أجريت عمليات تعقيم جنسي للنساء اللواتي قدمن إلى أمريكا من أمريكا اللاتينية ، والنساء اللاتي أصولهن من الهنود الحمر ، وذلك دون علمهن.

– ومن عام 1980 إلى عام 1990م: كان بالولايات المتحدة ما يقارب مليون امرأة يعملن في البغاء. وفي عام 1995م: بلغ دخل مؤسسات الدعارة وأجهزتها الإعلامية 2500 مليون دولار.

– وفي الولايات المتحدة فقط 1400 ملجأ للنساء المضروبات ، أو الهاربات من أزواجهن ، وهن اللاتي لا يجدن ملجأ عند أهل أو أقارب . من 90-95% من ضحايا العنف العائلي في أمريكا هم من النساء. •

– ضرب الزوجات في أمريكا : انتشرت عادة ضرب الرجل زوجته في الغرب على المستويات الاجتماعية والثقافية ودون ضوابط ، وتقول الإحصاءات إن في أمريكا كل 15ثانية يضرب أحد الأزواج زوجته ضرباً مبرحاً .. ونشرت مجلة التايمز تحقيقاً حول حوادث الضرب التي تتعرض لها الزوجات الأمريكيات ، فقالت إن من بين 2000 إلى 4000 زوجة تتعرض للضرب الذي يفضي إلى الموت .

– المقتولات في أمريكا من قبل أزواجهن أو أخلائهن : طبقاً لإحصائيات مكتب التحقيقات الفدرالي ، فإن30 % من ضحايا قتل الإناث بالولايات المتحدة الأمريكية في 1990م قد قتلن من قبل أزواجهن أو أخلائهن ، وقد بلغ ذلك تقريبا 3000 امرأة.

- 80% من الأمريكيات يعتقدن أن الحرية التي حصلت عليها المرأة خلال الثلاثين عاما هي سبب الانحلال والعنف في الوقت الراهن ، 75% يشعرن بالقلق لانهيار القيم والتفسخ العائلي.

- و80% يجدن صعوبة بالغة في التوفيق بين مسؤولياتهن تجاه العمل ومسؤولياتهن تجاه الزوج والأولاد. و 87% لو عادت عجلة التاريخ للوراء لاعتبرن المطالبة بالمساواة مؤامرة اجتماعية ضد الولايات المتحدة وقاومن اللواتي يرفعن شعاراتها.

- و42% من الأمريكيات يتعرضن لتحرشات جنسية في أماكن العمل والدراسة والمنتديات والشوارع.

- 6 ملايين امرأة تضرب في بيوتهن دون أن يبلغن الشرطة أو يذهبن إلى المستشفى، عشرات الآلاف دخلن المستشفيات للعلاج من إصابات تتراوح بين كدمات سوداء حول العين وكسور في العظام وحروق وجروح وطعن بالسكين وجروح الطلقات النارية وبين ضربات أخرى بالكراسي والقضبان المحماة .

- 20% من النساء اللاتي شملتهن الدراسة (دراسة عن النساء المغتصبات في أمريكا) اعترفن أنهن اغتصبن من قبل أصدقائهن. و24 امرأة جرى الاعتداء عليهن نهارا في إحدى حدائق نيويورك .

- دلت الإحصاءات الحديثة أن ربع طالبات المدارس الثانوية حبالى، وأن البكارة مفقودة البتة ، وفي مدينة (نفز) عاصمة (كولورادو) تبلغ نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية 48%. يقول القاضي لندرس: "إنه يسقط في أمريكا مليون حمل ، على الأقل ، في كل سنة ، ويقتل آلاف الأطفال فور ولادتهم". وفي أمريكا مليون طفل يولدون سنويا من السفاح.

- 85% من الزيجات في الدول الغربية تنتهي بالطلاق.

- في دراسة باسم (جهنم شخصية) في مجلة تايم الأمريكية بالنسبة للطفل أو المرأة يعتبر البيت أشد خطرا من الشارع والعنف المنزلي يسبب في سقوط ضحايا أكثر مما تسببه الأمراض أو حوادث الطريق . وحسب الإحصائيات الأمريكية: 80% من جرائم القتل هي جرائم عائلية ، و (24،500) جريمة عائلية في عام 1993م ، و 48 % من الجرائم مسرحها البيت .

- في تقرير نشر في أمريكا جاء فيه: إن واحداً من بين كل ستة أطفال في أمريكا يعاني من الفقر. وفي التقرير السنوي لصندوق الدفاع عن الأطفال الأمريكيين والمسمى الكتاب الأخضر: أظهرت إحصاءات الحكومة عن الفقر لعام 1999م أن أكثر من 12 مليوناً من أطفال أمريكا يعيشون تحت خط الفقر على المستوى الاتحادي .

- يعتقد الخبراء مثل رايان ريني من المركز الوطني لادعاء الاعتداء على الأطفال أنّ عدد وفيات الأطفال سنويًا بسبب القسوة قد يصل إلى (5،000).

- في الولايات المتحدة في عام واحد (5600) طفل دخلوا المستشفى بسبب ضرب أمهاتهم العاملات لهم غالبهم تعرض لعاهات بسب الضرب .

- الأطفال الأمريكيون هم الأكثر عدوانية وانحرافا في سلوكهم يليهم أطفال إسرائيل . وهناك 6 ملايين حالة ضرب شديد من قبل الوالدين في أمريكا ، 3 آلاف منهم يؤدي بهم الضرب إلى الموت . وهناك 12 مليون طفل أمريكي مشرد في ظروف غير صحية . وفي إحصائية أخرى تبين أنه يباع في أمريكا أكثر من (5000) طفل كل سنة . في عام 1990م اتخذ البرلمان الأوربي قراراً يدين الولايات المتحدة على قيام الأمريكيين ، على نطاق واسع ، بشراء الأطفال في الأحياء الفقيرة في هندوراس وغواتيمالا ، لاستخدام أعضائهم لزراعتها في أجسام أخرى.

- كشفت الأبحاث أن 80% من الأمريكيين يعتقدون أن القمار شكل من أشكال التسلية، بينما لا يخجل 60% منهم من المراهنة . وينفق الأمريكيون الآن على القمار 480بليون دولار بعد أن كانوا ينفقون عليه 22 بليون دولار عام 1976م .

- إدمان الكوكايين في أمريكا أو تجربته : أظهر استطلاع لوزارة الصحة الأمريكية أن مدمني الكوكايين في أمريكا بلغ عام 1985م 5.8 مليون شخص ، بعد أن كانوا 4.3 مليون عام 1983م، وفي الاستطلاع نفسه تبين أن 36.9 مليون أمريكي (أي 19% من حجم السكان) قد جربوا الماريجوانا أو الكوكايين أو مواد أخرى على الأقل مرة واحدة .

– الإنفاق على المخدرات في أمريكا وحدها يفوق إجمالي الإنتاج الوطني لأكثر من 80 بلداً من البلدان النامية كما تنتج شركات الخمور في أمريكا ما قيمته أكثر من 24 ملياراً من الدولارات .

– في تقرير قام بإعداده فريق بحث مقره جامعة جون هبكنز في ميريلاند : Johns Hopkins بـ Maryland بالولايات المتحدة نشرته محطة CNN الإخبارية الأمريكية عن انتشار ظاهرة تجارة الرقيق من النساء 120 ألف امرأة من أوروبا الشرقية (روسيا والدول الفقيرة التي حولها) يتم تهجيرهن إلى أوروبا الغربية و لهذا الغرض الدنيء ، 15 ألف امرأة أو أكثر يتم إرسالهن إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأغلبهن من المكسيك ، بـ 16 ألف دولار تباع المرأة القادمة من دول شرق آسيا بأمريكا ليتم استخدامها بعد ذلك في دور الفواحش والحانات.

– (5200) مدرس أمريكي يتعرض للضرب في الشهر الواحد . وهناك 21 مليون أمريكي لا يستطيع القراءة والكتابة . 270 ألف مسدس يحمله طلاب المدارس المتوسطة والثانوية في الولايات المتحدة .

– من بين كل عشرة أشخاص سبعة يعانون اضطرابات نفسية (من أمريكا). وتحولت 70% من مستشفيات أمريكا إلى مصحات عقلية ونفسية.

– تقع في الولايات المتحدة الأمريكية 50 ألف جريمة قتل في العام الواحد ، و30 ألف حالة انتحار ، وهذا الرقم الرسمي ، ولكن الرقم الحقيقي غير المسجل أكبر بكثير.

– بلغت حالات الوفاة بمرض الإيدز في أمريكا عام 1994م 25 ألف حالة وفاة . 1 إلى 3 من المصابين لا يمانعون ، بل يقولون أنهم راغبون في نقل جرثومة الإيدز إلى أصدقائهم .

– انتقدت منظمة العفو الدولية النظام القضائي الأمريكي وقالت: إنه يتسم بالعنصرية مشيرة إلى أن احتمالات الإعدام للسود أكبر منها للبيض . 60 مليون زنجي أزيلوا من أفريقيا عن طريق تجارة الرقيق الأمريكية ، 50 مليون توفوا قبل وصولهم إلى أمريكا . وهناك 627 ألف جريمة عنف عنصري في عام واحد 1993م بسبب التفرقة العنصرية مع السود .

- معدل الانتحار بين الشباب الأمريكي أكثر من معدلات الانتحار في أوربا بعشرين ضعفا ومن اليابان بأربعين ضعفا ، (30000) عدد حوادث الانتحار في العام الواحد . وقد تجاوزت حالات الانتحار عام 1994م 31 ألف حالة

- في دراسة عينة من الشعب الأمريكي91% من الذين شملتهم الدراسة قالوا أن الكذب أصبح عادة وسلوكاً مألوفاً في حياتهم اليومية ، و20% اعترفوا أنهم ليس في استطاعتهم الصبر عن الكذب ولو يوماً واحداً ، 75% من الأمريكيين يعتقدون أنه لا حرج في الكذب .

- الأمريكان يقولون: 74% منهم لن يتردد في السرقة متى ما رأى أن الفرصة سانحة ، و 56% منهم يقولون لن أتردد في قيادة السيارة وأنا في حالة سكر ، و 53% يقولون لن أتردد في غش زوجي أو زوجتي ، و 41% يقولون سأستخدم المخدرات للترفيه عن نفسي ، و 31% سأعرض حياة عشيقي أو عشيقتي لخطر الإصابة بالمرض الذي أعاني منه .

***

نحن لا نواجه فكر مجموعة شذت عن المجتمع.. و إنما مجتمعا شذ وسار في طريق الشيطان..

يقول محمد جابر الأنصاري:

تصر واشنطن على منح الجنود والمدنيين الأميركيين حصانة دائمة استثنائية من أي ملاحقة قضائية من جانب المحكمة الجنائية الدولية الجديدة, وعليه تتصرف الولايات المتحدة وكأنها فوق القانون والبشر. جنودها يرتكبون جرائم حرب ولا يحاسبون, وغيرهم يحاكمون, وهكذا تتمسك بسياسة ازدواجية تنطوي على إهانة لغيرها من الشعوب. وتمثل عبئاً على آلية العدالة. فمن المعروف انه في الحرب العالمية الثانية, وأمام البربرية النازية, حافظت باريس على تراثها الحضاري ولم تخسر أثرا ولم يهدم فيها متحف أو تمثال, وفي بغداد وقفت القوات الأميركية تشاهد تدمير تراث حضاري وإنساني لا مثيل له, بل الذي الجنود الأميركيين شاركوا في عمليات النهب.

نعم.. ليس فكر مجموعة شذت عن المجتمع.. و إنما مجتمع شذ وسار في طريق الشيطان..

ولقد رأينا ما يفعله هذا المجتمع بأعدائه..
ثم رأينا ما يفعله بنفسه..
ثم أن كل ذلك لم يأت اعتباطا و إنما انبنى على أساس فلسفات نظرية في كتب منشورة.
والمجموعة المجرمة الحاكمة في أمريكا الآن تعود مرجعيتها الفكرية الأساسية إلى ليو شستراوس.. وكما يقول الكاتب المغربي يحيي اليحياوي أن المشروع الفكري الذي بناه ليو شتراوس وترجمه تلامذته علي أرض الواقع، إنما هو مشروع إيديولوجي بامتياز ليس فقط باعتبار نزوعه إلي المطلق في الحكم، ولكن أيضا بحكم طبيعة السياسات المترتبة عنه في الزمن والمكان.
ينبني مشروع ليو شتراوس (المؤسس لتيار المحافظين الجدد) علي فكرتين بديهيتين لكنهما ذوات آثار وتبعات كبري:
. فكرة النخبة العالمة والنزيهة، المالكة لسلطان المعرفة والتواقة لبلوغ السلطة بغرض ضمان النفاذ لمعرفتها و إشاعة حكمتها لخير البشرية .
ولما كانت كذلك فهي حتما صاحبة الرؤية وصاحبة التخطيط في الآن معا.
. وفكرة مكافحة النسبية الأخلاقية علي اعتبار أن الحقيقة الفلسفية لا تقبل التسويات. وهذه الحقيقة عندما تبلغ مجال السياسة فإنها تلهمها مضامينها وقوامها الأخلاقي الذي تعمل النخبة العالمة علي تصريفه بعدما يكون قد تسني لها صياغته والتنظير له.
وعلي هذا الأساس، يري شتراوس، أن أمريكا بنخبتها العالمة و سيادة الحقيقة من بين ظهرانيها، إنما تملك دعوة أخلاقية كبري باسم فكرة الحرية...لا يصح التنازل عنها في الداخل ولا مع العالم الخارجي ، بل هي مطالبة بضرورة التدخل لتحقيق الفكرة المطلقة والرسالة دون تردد حتى وإن استدعي الأمر تجاوز القانون ودهسه.
يقول شتراوس بهذا الخصوص: إنه لمن السخافة أن نعيق الانسياب الحر للحكمة بالقوانين... يجب أن يكون حكم الحكماء مطلقا، كما أنه من السخافة وبالقدر ذاته أن نعيق الانسياب الحر للحكمة عبر أخذنا بعين الاعتبار رغبات غير الحكماء. لهذا يجب ألا يكون للحكماء العاقلين مسؤوليات علي رعاياهم غير العاقلين .

بالتالي، فهو يري أن الديمقراطية الحقة هي فعل يتعارض مع أحكام الطبيعة، لذا يجب منعه كائنة ما تكن التكاليف علي اعتبار أن القانون الطبيعي (وضمنه الدين) هو شيء سماوي يبرهن علي نفسه بنفسه .

لا يقتصر الأمر، عند شتراوس، عند هذا الحد، بل يتعداه إلي تدوين وصايا كبري أضحت لدي المحافظين الجدد المشعل الذي ينير لهم الطريق:

ـ الأولي وتتعلق، في نظرهم، بتلازم القوة والديمقراطية. فإذا كان شتراوس وتلامذته يقدمون مبدأ العدالة علي الحرية ومبدأ الحرية علي الديمقراطية، فإنهم بالتالي لا يؤمنون بعدالة لا تكون القوة والسلطة قوامها، بل يذهبون لحد إدانة العدالة التي لا توظف القوة في تنفيذ محتوياتها.

. الوصية الثانية وتكمن في تلميح شتراوس إلي التراتبية الاجتماعية وفي التقاطها من لدن تلامذته ليحولوها إلي مبدأ في الحكم ومسلك في الحكامة: الرئيس أولا ثم حراسه، ثم أصحاب المهن والحرف ثم، في آخر الترتيب، العبيد والدهماء.

لا تنحصر تداعيات هذه الوصية في معاداتها للعامة من الشعب، بل تذهب لحد عدم اكتراثها بالأغلبية التي من المفروض أن توضع تحت طائلة القانون وتعمل بتوجيه من خاصة القوم أي من نخبته العالمة.

ـ أما الوصية الثالثة فتكمن فيما أسماه ليو شتراوس بـ الكذبة النبيلة . ومفادها أن الكذبة إياها إنما هي أداة من أدوات السياسة الحكيمة...المهمة والضرورية مادامت في خدمة المصلحة الوطنية ...وهو ما لا يسري كما يعتقد شتراوس، علي الزوجة مثلا التي تكذب علي زوجها صيانة لأسرتها، لأن المرأة غير نبيلة بالتالي لا يجب مسامحتها بقدر مسامحة الحكماء المسؤولين .

إن الإدارة الأمريكية تحتقر الديمقراطية عندما تمرر لفكرة شتراوس بأن الإنسان شرير جدا، لذا يجب أن يحكم . بالتالي، وجب استباق سلوكه قبل أن يلجأ إلي اعتماده فيصيب به الآخرين . لقد احتقرت الإدارة الأمريكية الديمقراطية عندما دفعت بـ الكذبة النبيلة عن امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل، حتى عندما بينت لها التقارير أن لا أثر لذات الأسلحة دفعت بكذبة استجلاب الإرهاب إلي أرض العراق للقضاء عليه

، ولما تبين لها أن الذي يجري بأرض العراق هو عمل مقاومة طلعت بكذبة الزرقاوي وهكذا إلي ما لا نهاية.

بالتالي، فالإيديولوجيا الاستباقية (كما أسس لها شتراوس) إنما تتفيأ إيجاد عدو وهمي تعطي الانطباع بأنها تلاحقه في حين أنها تلاحق سرابا من المستحيل الإمساك به أو توصيفه حتى.(يحيى اليحياوي- القدس العربي-1-2-2005).

يقول جوزيف ليبيرمان (وهو عضو صهيوني بالكونغرس الأمريكي ومن غلاة المحافظين الجدد): يجب أن تكون حربنا علي الإمبراطورية الشيطانية الحديثة، الخلافة الإسلامية المتشددة التي تناهض حرية مواطنيها وتهدد أمن مواطني الدول الأخري .

***

ويرى الأستاذ الدكتور محمد العبيدي أن الكذب وشريعة الغاب في سياسة وقوانين الفاشية الأمريكية ، وأن هناك مبدأ يلتزم به المرتبطون بها، ألا وهو رفض فهم الآخرين، حيث يعتبر هذا المبدأ من أهم وسائلهم السياسية، بل هم ينشرون أفكارهم السياسية الهجومية المتشددة وأفعالهم وأكاذيبهم ضد الحكومات التي لا يعتبروها صديقة للولايات المتحدة. وفي نفس الوقت فإنهم يرفضون السماح للآخرين بتقرير مصيرهم وخططهم السياسي لأن ذلك برأيهم ليس خياراً قابلاً للنقاش. فمهما يكن الآخرون، فإنهم مرفوضون من هؤلاء الفاشيين إلا إذا قالوا "نحن معكم"، وهذا بالضبط ما طرحه جورج بوش بكلمته الشهيرة بعد أحداث 9/11 حين خاطب العالم بقوله "أنتم إما معنا أو ضدنا". كذلك، من قمة الإدارة الأمريكية إلى قاعها، يمثل الكذب زبدة السياسة لديهم. ومن خلال سياستهم هذه تراهم يعبرون عن طبيعة الوقائع والحقائق بعبارات السخف والاستهزاء والتهكم والسخرية، وبهذا فإن الأكاذيب بنظرهم هي حقائق والحقائق أكاذيب. وذلك ليس غريباً على أعضاء الإدارة الأمريكية الذين جلهم من اليمين المتطرف الفاشي الذين ينتمون إلى الحركة الفاشية الشتراوسية. فهؤلاء يؤمنون، وفقاً لأيديولوجية تلك الحركة، بالسيطرة مهما كان الثمن، وبسيطرتهم على البيت الأبيض والكونغرس ومؤسسات صنع القرار الأخرى فإنهم ينشرون المبادئ العامة للحركة في كل الكيانات المؤسساتية وفي جميع أنحاء العالم من

خلال شبكة معقدة من الملتزمين بالفكر الفاشي الشتراوسي غرضها السيطرة على الحقائق ونشر الأكاذيب. ولكي يبقوا مسيطرين دولياً ومحافظين على تلك السيطرة فإنهم يكذبون ويستمرون بالكذب، بل ويوفرون كل ما يمكنهم من أموال لشراء ذمم من يستطيع أن يدعم كذبهم وسيطرتهم سواء كانوا أشخاص أو حكومات. والكذب هو في صلب تفكيرهم لتحقيق الأهداف وإخفاء الحقيقة عن الشعب لكي يجمعوا القوة من أجل إساءة استخدامها. ولكي تتم السيطرة لهم من خلال الكذب، الذي لا يميز الإدارة الأمريكية الحالية فقط بل هو سمة الوجود الأمريكي منذ بداية تأسيس أمريكا، خاضت أمريكا 190 حرباً منذ عام 1890 بحجة ترسيخ الديمقراطية التي هي سمة ادعاءاتهم الكاذبة. وقد استخدموا كلمة الديمقراطية كمنفذ لتعميم أفكارهم، وكما أشار إليها مؤسس الحركة الصهيوني ليو شتراوس حين قال، " يجب أن نجعل العالم بأجمعه ديمقراطياً ". إلا أن عبارة شتراوس هذه تتناقض من ناحية أخرى مع تصريحه بأن " بعض المجتمعات تستحق القيادة والبعض الآخر يجب أن تقاد، والعدالة تقتضي أن نكون بجانب القوي وأن من يستحق القيادة هم أولئك الذين يؤمنون بعدم وجود الأخلاق والذين وحدهم لهم حق واحد هو حق القوي لحكم الضعيف "، وتلك هي شريعة الغاب بأبسط تعريف لها. وأضاف شتراوس (اليهودي الصهيوني)يقول، " ولأن الجنس البشري بحد ذاته دنئ وحقير، لذا يجب حكمه من سلطة قوية، ولكي تسيطر تلك السلطة، يجب عليها أن تحكم بالقوة من قبل أشخاص متحدين حيث يتحد هؤلاء الأشخاص فقط ضد أناس آخرين ".

ويستطرد الدكتور العبيدي قائلا:

إن الخداع والكذب في السياسة الأمريكية الحالية يأتي بكامله من نظرية ليو شتراوس الفاشية اليمينية المتطرفة التي وضعت أيضاً مقولة " الإيمان بكفاءة الكذب المتعمد في السياسة "، وبهذا فإن جميع من يرتبط باليمين المتطرف هم كذابون ملتزمون بهذه النظرية.

***

وثمة ملف هام في هذا الصدد عرف بملف (أطفال الشيطان) أعدته حملة لاروش لانتخابات الرئاسة الأميركية الماضية• تقول الدراسات إن هؤلاء الشستراوسيون لا

يهتمون للمنطق الإنساني، ولا يعنيهم أن تكون أكاذيبهم مفضوحة فهم يعتبرون القوة وحدها منطقهم، ويرون في السلام طريقاً نحو الانحطاط، ومشروعهم هو الحرب الدائمة• وقد اختاروا للمواقع القيادية أناساً حسب توصيف ليو شتراوس (لايؤمنون بأية أخلاقيات، حيث يكفي أن يكونوا متفوقين ليمتلكوا حق التسلط على الآخرين) وهم كما تصف الدراسات، يعتقدون بأهمية وجود عدو خارجي فإن لم يكن موجوداً فإنهم يصنّعونه، وهم يبشرون بأنهم دعاة ليبرالية وديمقراطية في الوقت الذي يسعون فيه إلى تعميق الجوانب العدائية والعدوانية في السياسة الخارجية الأميركية.

***

الشستراوسية إذن رغم أنها تدعي المطلق إلا أنها انقلاب عليه وليست إلا توزيعا آخر لنفس اللحن الشيطاني الذي بدأه نيتشة الشهير بقوله أن "الله قد مات" (تعالى الله علوا كبيرا.. أستغفرك اللهم).. والذي يعنى أن كل الجوانب الروحية والأخلاقية في حياة الإنسان أصبحت لا ضرورة لها أو أنها مجرد شأن خاص لا علاقة له بحياة الفرد في المجتمع.ومن ثم وصل شستراوس إلى أحد بنود فلسفته عن فكرة إنكار النسبية الأخلاقية، مستندا إلى أن الحقيقة الفلسفية لا تقبل التسويات، وهي عندما تصل إلي السياسة من خلال فلسفتها فإنها تهبها مضامينها وقوامها الأخلاقي الذي تحتضنه النخبة وتسعى لتطبيقه من دون تنازلات أو مفاوضات أو تسويات. ويعني ذلك أن الليبرالية التي تقول بالنسبية والتعددية، هي فلسفة غير أخلاقية لأنها تجزئ الحقيقة أو تعددها، وهي عندما تصل للسياسة تتحول إلى براغماتية منحطة. وقد كانت هذه الفلسفة المنحطة محطة في الطريق المزيف إلى مفاهيم مغلوطة مثل "نهاية الأيديولوجية" و "نهاية التاريخ" والتي تعنى، في واقع الأمر، نهاية الفكر والتنظير بل والمنهج.

***

هذا هو الغرب إذن..

هذا هو العدو الذي نواجهه..

هذا هو العدو الذي سيطر على حكامنا وجيوشنا وبوليسنا وصحافتنا وتلفازنا ومفكرينا.. بل وشيوخنا أيضا..

هذا هو العدو فهل نستسلم أم نجاهد؟!
أسأل نفسي و أسألكم يا ناس..
أسأل فيسقط الغطاء عن الجرح العاري..
ويتأخر الجواب وتتلعثم الألسنة فأدرك كم كان الحصار من الحكام والعسكر والأمن والمثقفين ضاريا ومؤثرا وكم نال من الأمة..
سقط الغطاء..
***

سقط نفس سقوطه يوم رحت قدرا – لا أقول صدفة– أستمع إلى خطاب أبي لهب، وكان يومها يلمز ياسر عرفات – ولا أملك إلا الدعاء له بالرحمة (لياسر عرفات وليس لأبي لهب) ، فالرجل و إن بدا كثيرا على تخوم الخيانة وحتى الفسوق أفضل ممن بعده وكان أفضل ممن حوله – وكان أبو لهب يلوم ياسر عرفات، لماذا؟.. لأن ياسر عرفات لم يوافق على التنازل عن القدس لإسرائيل.. والأمر الذي جعل المشكلة غير قابلة للحل.. كما قال أبو لهب لأمريكا.. هو أنه لا يوجد زعيم عربي يجرؤ على المجاهرة أمام شعبه بموافقته على التنازل عن القدس.. وكان مفهوم هذا الكلام الخسيس الخائن.. أن أبا لهب كان يريد من ياسر عرفات أن يبادر هو بتحمل المسئولية وحده، فيتنازل عن القدس.. دون أن يورط الطواغيت العرب في المجاهرة بهذه الفاحشة .. وهي فاحشة لا أظن أحدا يرتكبها إلا من خرج من الملة.
لم يقل أبو لهب لأولياء نعمته في واشنطن وتل أبيب أنه لا يستطيع التنازل عن القدس من أجل عقيدته.. ودينه.. ولا حتى من أجل عروبته.. ولا حتى من أجل الأمن القومي لدولته ومجالها الحيوي (تقول إسرائيل أن مجالها الحيوي يمتد من جاكرتا إلى طنجة.. لكن الأمن القومي لدولنا لا يتعدى قصر الحاكم..).. لم يقل ذلك.. وإنما قال أنه لا يستطيع مواجهة شعبه .. خوفا لا حياء..
كان التصريح فجا وخسيسا.. وذكرني بجمل هابطة في بعض أفلامنا ومسلسلاتنا التلفازية.. عندما يحاول الداعر غواية فتاة فتتمنع.. لا من أجل تقوى لله.. ولا خوفا من النار.. ولا رغبة في الجنة.. ولا حرصا على الخلق القويم.. ولا حتى لدواعي الكرامة وعزة النفس.. و إنما لأنها تخشى أن يراها الناس!!..

هذه الفتاة زانية و إن لم تزن..

أما أبو لهب فهو أشد سوءا و أكثر خسة..

***

لم يقل لنا أبو لهب.. ولم يقل لنا أقرانه الطواغيت إلى أي مدى ينبغي علينا الانسحاب والتراجع والتنازل.

وهل يرضي الصليبيون منا منزلة دون الكفر كله..

هل يرضى عنا اليهود والنصارى إلا أن نتبع ملتهم..

فإن كان القرآن يخبرنا ذلك .. فلماذا يدفعنا أبولهب و أبو جهل خطا وراء خط.. وخندقا خلف خندق.. وانسحابا بعد انسحاب..

ألإلى الكفر يدفعوننا..

و أنت يا أمة تستجيبين ولا تقاومين..

ما أقوله ينطبق على الأمة انطباقه على الأفراد..

فلو أن نشالا أو قرصانا أو قاطع طريق خطف حقيبتك من يدك، فهل تسكت على ذلك وتستسلم لما حدث حتى لو كانت الحقيبة فارغة؟.. وماذا لو لم تكن فارغة، بل كانت تحتوى على كَدِّ عمرك وكَبَدِ أيامك..

فهل تسكت؟..

ولو أنه لم يكتف بذلك، فخطف – مع الحقيبة التي تحتوي على الكَدِّ والكَبَدِ –امرأتك أيضا..

ثم لم يكتف بذلك فخطف أبناءك .. ثم أباك و أمك..

فهل تسكت..

هل تستطيع أن تسكت؟..

ولو أنه بعد أن فعل ذلك استولى على بيتك وطردك منه بعد أن حول زوجتك إلى محظية و أبناءك إلى عبيد و قتل أبويك..

ولو أنه راح بعد ذلك يعتبر كل محاولة للمقاومة منك إرهابا، وكل محاولة للبحث عن أكثر الأسلحة بدائية كي تواجه بها أعتى الأسلحة تطورا، جرائم تهدد السلم العالمي..

ولو أنه راح بعد ذلك يبيع ممتلكاتك بأبخس الأسعار كي يسدد بها تكاليف عدوانه عليك وخطفه حقيبتك وانتهاك زوجتك واسترقاق أبنائك وقتل أبويك وغصب بيتك، على اعتبار أن ذلك كله كان خدمة كبرى أداها لك وله أن يتقاضى مقابلها بأعلى سعر، بل و أن يغالط في الحساب كما يشاء.

إلا أن الأمر لا يتوقف عند هذا..

فهل تسكت؟!..

هل تستطيع أن تسكت؟..

ذلك أن أي اعتراض منك سوف يفهم منه على الفور أنك تحتاج إلى مزيد من الترويض، و إلى تعليم كي تفهم أن كل ما حدث إنما كان في صالحك، فإن لم تفهم ذلك، و إذا لم تبادر بطلب الصلح فإنك إرهابي. وسيكون العالم أفضل بدونك.

فهل تسكت؟..

وهل تسكت إذا علمت أن هذا الصلح لن يعيد إليك بيتك المغتصب ولن يعوضك عن ضحاياك ولا هو سيعيد إليك بنيك أو امرأتك، ولا حتى حقيبتك، لن يعيد إليك أيا من ذلك، بل إن أول شروط هذا الصلح أن تتعهد بأنك لن تطالب أبدا بأي شئ من ذلك، و أنك تدرك أن ما حدث كان في صالحك، و أنك ممتن..

ثم .. وهذا هو الأهم.. أن تدرك أن السبيل الوحيد لكي يبقيك القرصان على قيد الحياة، هو أن تترك ملتك وتتبع ملته.

***

نعم..

هذا هو المطلوب يا ناس..

هذا هو المطلوب..

فهل نسكت؟..

***

و إذا كنتم قد استطعتم أن تعيشوا دون أمن ودون كرامة ودون حرية، إن كنتم قد استطعتم أن تبيتوا على الطوى، و أن تمسوا على العطش، وأن تسكنوا المقابر، و أن يحاصركم الفساد والعفن لكي تعيشوا بلا أمل.. فهل تستطيعون الحياة بلا دين..

هل أنتم مستعدون لدفع الثمن..

أن تتبعوا ملة اليهود والنصارى..

هل أنتم مستعدون يا ناس للحياة دون ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي؟..

هل تستطيعون الحياة دون البخاري ومسلم؟..

هل تستطيعون الحياة بغير أبي حنيفة والشافعي ومالك و أحمد..

هل تستطيعون المواصلة بدون أبى بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين؟؟..

هل تستطيعون الحياة دون صلاة الفجر ورواء الروح بها..

هل تستطيعون الحياة دون "آمين" تزلزل الأرض حين تجتمعون في المساجد..

هل تستطيعون؟؟..

هل تستطيعون الصبر على أكاذيبهم الخسيسة الفاجرة عن سيد البشر وخاتم الرسل..

و أنه لم تكن هناك رسالة ولا نبوة و إنما هو – غفرانك اللهم- كذاب كذب على ربه..

هل تستطيعون المضي في هذه الحياة دون الأحاديث النبوية..

هل تستطيعون الاستمرار في هذه الحياة دون القرآن؟..

إن الحيوان الأعجم قد يسلمه خوفه وجبنه إلى الفرار نشدانا للسلامة فيهلك. ولكنه عندما يدافع عمن يحب يبذل حياته راضيا وسعيدا.

***

هل تستطيعون يا ناس أن تعيشوا دون الإيمان بالله، إيمان الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، هل تستطيعون الاحتمال لحظة واحدة إذا تجردتم من الشعور بأنكم كأنكم ترونه، فإن لم تكونوا ترونه فإنه يراكم، هل تستطيعون المواصلة دون الأمل في مغفرته ورحمته وجنته ولقائه..

عدوكم يريد أن يجردكم من هذا كله..

عدوكم يريدكم أن تنسوا هذا كله..

عدوكم يريد منكم أن تتكروا القرآن (لأنه نص بشري كما يقول المرتد – بحكم محكمة – نصر حامد أبو زيد..

عدوكم يريدكم أن تتركوا السنة..

و أن تكذبوا محمدا.. صلى الله على محمد..

عدوكم يريدكم أن تخرجوا من الإسلام..

فهل تستطيعون الاحتمال ثانية واحدة.

***

هل تستطيعون؟

هل تستطيعون؟..

هل تستطيعون؟..

فإن لم تكونوا تستطيعون فلماذا استسلمتم ولماذا تستسلمون ولماذا لا تقاتلون؟..

***

هل تستطيعون؟..

جيفري لانج يفضل الموت..

وجيفري لانج (أستاذ الرياضيات في جامعة كنساس الأمريكية) هذا لم تخطف حقيبته، ولا زوجته، ولا أبناؤه ولا أبويه ولا اغتصب منزله، ولا روع ولا اضطهد، ولا هدد بالقتل، لكنه عندما طرح الاختيار على نفسه، وهو المرفه الآمن القوي، عندما طرح على نفسه الاختيار بين الحياة دون إيمان أو الموت.. اختار الموت..

يصف جيفري لانج أول محاولة له للصلاة فيقول:

.."..وانحنيت راكعاً حتى صار ظهري متعامداً مع ساقي ، واضعاً كفي على ركبتي وشعرت بالإحراج ، إذ لم أنحن لأحد في حياتي . ولذلك فقد سررت لأنني وحدي في الغرف. وبينما كنت لا أزال راكعاً ، كررت عبارة سبحان ربي العظيم عدة مرات .ثم اعتدلت واقفاً وأنا أقرأ: سمع الله لمن حمده ، ثم ربنا ولك الحمد.. أحسست بقلبي يخفق بشدة ، وتزايد انفعالي عندما كبّرتُ مرةً أخرى بخضوع ، فقد حان وقت السجود . وتجمدت في مكاني ، بينما كنت أحدق في البقعة التي أمامي ، حيث كان علي

أن أهوي إليها على أطرافي الأربعة وأضع وجهي على الأرض . لم أستطع أن أفعل ذلك ! لم أستطع أن أنزل بنفسي إلى الأرض ، لم أستطع أن أذل نفسي بوضع أنفي على الأرض ، شأنَ العبد الذي يتذلل أمام سيده . لقد خيل لي أن ساقي مقيدتان لا تقدران على الانثناء . لقد أحسست بكثير من العار والخزي وتخيلت ضحكات أصدقائي ومعارفي وقهقهاتهم ، وهم يراقبونني وأنا أجعل من نفسي مغفلاً أمامهم . وتخيلتُ كم سأكون مثيراً للشفقة والسخرية بينهم . وكدت أسمعهم يقولون : مسكين جف ، فقد أصابه العرب بمسّ في سان فرانسيسكو ، أليس كذلك ؟

وأخذت أدعو: أرجوك ، أرجوك أعنّي على هذا . أخذت نفساً عميقاً ، وأرغمت نفسي على النزول . الآن صرت على أربعتي ، ثم ترددت لحظات قليلة ، وبعد ذلك ضغطت وجهي على السجادة . أفرغت ذهني من كل الأفكار وتلفظت ثلاث مرات بعبارة سبحان ربي الأعلى . الله أكبر . قلتها ، ورفعت من السجود جالساً على عقبي . وأبقيت ذهني فارغاً ، رافضاً السماح لأي شيء أن يصرف انتباهي . الله أكبر . ووضعت وجهي على الأرض مرة أخرى . وبينما كان أنفي يلامس الأرض ، رحت أكرر عبارة سبحان ربي الأعلى بصورة آلية . فقد كنت مصمماً على إنهاء هذا الأمر مهما كلفني ذلك . الله أكبر . و انتصبت واقفاً ، فيما قلت لنفسي : لا تزال هناك ثلاث جولات أمامي وصارعت عواطفي وكبريائي في ما تبقى لي من الصلاة . لكن الأمر صار أهون في كل شوط . حتى أنني كنت في سكينة شبه كاملة في آخر سجدة . ثم قرأت التشهد في الجلوس الأخير ، وأخيراً سلَّمتُ عن يميني وشمالي .

وبينما بلغ بي الإعياء مبلغه ، بقيت جالساً على الأرض ، وأخذت أراجع المعركة التي مررت بها . لقد أحسست بالإحراج لأنني عاركت نفسي كل ذلك العراك في سبيل أداء الصلاة إلى آخرها . ودعوت برأس منخفض خجلاً: اغفر لي تكبري وغبائي ، فقد أتيت من مكان بعيد ، ولا يزال أمامي سبيل طويل لأقطعه . وفي تلك اللحظة ، شعرت بشيء لم أجربه من قبل ، ولذلك يصعب علي وصفه بالكلمات . فقد اجتاحتني موجة لا أستطيع أن أصفها إلا بأنها كالبرودة ، وبدا لي أنها تشع من نقطة ما في صدري . وكانت موجة عارمة فوجئت بها في البداية ، حتى أنني أذكر

أنني كنت أرتعش . غير أنها كانت أكثر من مجرد شعور جسدي ، فقد أثّرت في عواطفي بطريقة غريبة أيضاً . لقد بدا كأن الرحمة قد تجسدت في صورة محسوسة وأخذت تغلفني وتتغلغل فيّ . ثم بدأت بالبكاء من غير أن أعرف السبب . فقد أخَذَت الدموع تنهمر على وجهي ، ووجدت نفسي أنتحب بشدة . وكلما ازداد بكائي ، ازداد إحساسي بأن قوة خارقة من اللطف والرحمة تحتضنني . ولم أكن أبكي بدافع من الشعور بالذنب ، رغم أنه يجدر بي ذلك ، ولا بدافع من الخزي أو السرور . لقد بدا كأن سداً قد انفتح مطِلقاً عنانَ مخزونٍ عظيمٍ من الخوف والغضب بداخلي . وبينما أنا أكتب هذه السطور ، لا يسعني إلا أن أتساءل عما لو كانت مغفرة الله عز وجل لا تتضمن مجرد .العفو عن الذنوب ، بل وكذلك الشفاء والسكينة أيضاً ظللت لبعض الوقت جالساً على ركبتي ، منحنياً إلى الأرض ، منتحباً ورأسي بين كفي . وعندما توقفت عن البكاء أخيراً ، كنت قد بلغت الغاية في الإرهاق . فقد كانت تلك التجربة جارفة وغير مألوفة إلى حد لم يسمح لي حينئذ أن أبحث عن تفسيرات عقلانية لها . وقد رأيت حينها أن هذه التجربة أغرب من أن أستطيع إخبار أحد بها. أما أهم ما أدركته في ذلك الوقت : فهو أنني في حاجة ماسة إلى الله ، وإلى.الصلاة وقبل أن أقوم من مكاني ، دعوت بهذا الدعاء الأخير:

"اللهم ، إذا تجرأتُ على الكفر بك مرة أخرى ، فاقتلني قبل ذلك -- خلصني من هذه الحياة . من الصعب جداً أن أحيا بكل ما عندي من النواقص والعيوب ، لكنني لا أستطيع أن أعيش يوماً واحداً آخر وأنا أنكر وجودك "

***

أحسها الأجنبي الذي يصلي أول مرة فبماذا تحسون يا من تصلون منذ عشرات الأعوام..

والذي يجرب الإيمان لأول مرة دعى الله أن ينهي حياته إذا قضى عليه أن يفقد هذا الإيمان مرة أخرى..

بماذا تحسون أنتم يا ناس.. بماذا تحسون و أنتم تدركون يوما بعد يوم و ساعة بعد ساعة أن المطلوب منكم يتجاوز حريتكم و أرضكم وشرفكم و عرضكم إلى دينكم ونبيكم وقرآنكم؟..

وليس الأمر أمر هواجس أو ادعاءات فكتبهم المنشورة تعرض ذلك كله دون خفاء أو حياء.

نعم..

لم يكفوا عن الجهر بذلك..

ولم يكف علمانيونا وحداثيونا في نفس الوقت عن التمويه على مخططاتهم حتى لا تدركها الأمة..حتى لا تنهض وتقاوم..

***

لقد بدأ العداء الغربي للإسلام منذ ظهور الإسلام وتحريره الشرق والشرقيين من هيمنة الرومان.. وفي هذا المقام يقول الكاتب والقائد الإنجليزي (جلوب باشا) (1897 – 1986) كلمته التي توقظ النيام: "إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد!!".

***

يقول مراد هوفمان في كتابه (رحله إلى مكة) : (إن الغرب يتسامح مع كل المعتقدات والملل ، حتى مع عبدة الشيطان ، ولكنه لا يظهر أي تسامح مع المسلمين . فكل شيء مسموح إلا أن تكون مسلمًا)

***

أما محمد أسد (ليوبولد فايس) فيسلط الضوء على سبيل النجاة من واقعنا المتردي فيكتب :"ليس لنا للنجاة من عار هذا الانحطاط الذي نحن فيه سوى مخرج واحد ؛ علينا أن نُشعر أنفسنا بهذا العار ، بجعله نصب أعيننا ليل نهار ! وأن نَطعم مرارته ... ويجب علينا أن ننفض عن أنفسنا روح الاعتذار الذي هو اسم آخر للانهزام العقلي فينا ، وبدلاً من أن نُخضع الإسلام باستخذاء للمقاييس العقلية الغربية ، يجب أن ننظر إلى الإسلام على أنه المقياس الذي نحكم به على العالم ..

أما الخطوة الثانية فهي أن نعمل بسنة نبينا على وعي وعزيمة..

***

ثم يوصينا محمد أسد بهذه الوصية :"يجب على المسلم أن يعيش عالي الرأس ، ويجب عليه أن يتحقّق أنه متميز ، وأن يكون عظيم الفخر لأنه كذلك ، وأن يعلن هذا التميز بشجاعة بدلاً من أن يعتذر عنه !".

الإسلام على مفترق الطرق محمد أسد

***

نعم..

ذلك هو الطريق الذي رسمه القرآن لنا..

الطريق الذي رسمه الخلفاء الراشدون المهديون..

الطريق الذي وضحه لنا علماؤنا عبر التاريخ..

طريق الجهاد..

طريق " أتيتكم بالذبح" لأعداء الله الذين جاسوا في ديارنا واغتصبوا نساءنا وهتكوا أعراضنا واغتصبوا أموالنا....

طريق الجهاد..

وطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

يقول شهيد الإسلام عبد القادر عودة «ومن المتفق عليه بين الفقهاء أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس حقا للأفراد يأتونه إن شاءوا, ويتركونه إن شاءوا وليس مندوبا إليه يحسن بالأفراد إتيانه, وعدم تركه, وإنما هو واجب علي الأفراد, ليس لهم أن يتخلوا عن أدائه, وفرض لا محيص لهم من القيام بأعبائه».

***

لعل القارئ يلاحظ كثرة الاستشهادات – خاصة الأجنبية – في هذا المقال.. والحقيقة أنني بهذه الاستشهادات أهدف أمرين: أولهما أن موقفي من الغرب ليس موقفا عنصريا، ,إنما أقول لمن أحسن أنه أحسن ولمن أساء أنه أساء، كاشفا في نفس الوقت أن الحقيقة ليست عصية على من يبحث عنها.أما الهدف الثاني فهو أن أحاول كشف علمانيينا الأشرار الكذبة.. الذين لا يتوقفون عن الكذب أبدا ولا ينتقون من المستشرقين إلا من هاجم الإسلام.. أما من يناصر الإسلام فهم لا يذكرونه أبدا.. وهذا بالتمام ما يفعلونه في مصر. إن خالد محمد خالد لا يذكر إلا بكتاب كفر

هو " من هنا نبدأ" أما كتب توبته وعودته إلى الإيمان والصواب فلا تذكر أبدا.. وهكذا دواليك.

إنهم يحتفلون- مثلا- بهجوم الفيلسوف (فولتير) على الإسلام لكنهم لا يذكرون عودته عن هذا الهجوم ، فالأضواء لا تسلط إلا على أقواله الأولى ، أما أقواله الأخيرة فقد طُمست! إذ يعترف فيها بأنه كان ضحية الأفكار السائدة الخاطئة : "لقد هدم محمد الضلال السائد في العالم لبلوغ الحقيقة ، ولكن يبدو أنه يوجد دائماً من يعملون على استبقاء الباطل وحماية الخطأ ! "

***

ولقد وجد من المستشرقين أنفسهم من ينحازون للحق والصدق ضد بني جلدتهم، يقول توماس كارليل : "إن أقوال أولئك السفهاء من المستشرقين في محمد ، إنما هي نتائج جيل كفر ، وعصر جحود وإلحاد ، وهي دليل على خبث القلوب وفساد الضمائر، وموت الأرواح"...

وتقوم بيانكا سكارسيا بتحليل عميق لهذه الفئة فتقول : "عمل الاستشراق لصالح الاستعمار بدلاً من إجراء التقارب بين الثقافتين . إن إنشاء هذا العلم لم يكن إلا من أجل تقديم أدوات للاختراق أكثر براعة ، فهناك فعلاً عملية ثقافية مستترة ماكرة ومرائية ، وهذا ما يفسر ريبة المسلمين حيال كل ما يقال عنهم في الغرب"، ويقول برناردشو متأسفاً : "مضت على الغرب القرون وهو يقرأ كتباً ملأى بالأكاذيب على الإسلام".

***

هذه الكتب الملأى بالأكاذيب هي ما يراد لها أن تدرس تحت راية التنوير والتطوير..!!..

وهو ما تبنته الحكومات العميلة..

ولقد أتيحت لي الفرصة للاطلاع على مناهج كلية الآداب في مصر..

وكأنهم – كلاب النار – قد اكتشفوا أن الإلحاد هو الحقيقة الوحيدة المطلقة..

ليست هناك من كلمة واحدة تدعو إلى الإيمان..

وليس هناك كلمة واحدة تشكك في إمكانية أن يكون الكفر خطأ.. ولو بالاحتمالات الفلسفية والرياضية..

***

لقد كانت مهمة المستشرقين باختصار كما أرادها لهم المبشّر الصهيوني صموئيل زويمر تحويل المسلم إلى لا ديني.. فيقول في محاضرة لتلاميذه المبشرين:
"مهمّتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الاستعمار ..
استمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب!!".

***

تنطلق هذه الزمرة من المستشرقين وكلابهم المحليين من المبدأ الذي يقول : اكذب ثم اكذب ثم اكذب حتى يصدّقك الناس ! وإذا كان الكذب شعاراً فكل شيء متوقع بعد ذلك ..

وهؤلاء المستشرقون وتلاميذهم يصطنعون في بحوثهم – كما يقول الدكتور إبراهيم عوض– سمت العلم والموضوعية والبراهين ، وهذا أخطر ما فيهم ومن خطورتهم التلطف في دس السموم مع التدرج ، وذلك بعد منافقة القارئ بكلمات معسولة كي يَركَن إليهم .

ومن وسائلهم اللعب بالتاريخ ، فيصححون الأخبار الكاذبة ، ويطمسون الأخبار الصحيحة ، ويضخمون الأخطاء الصغرى ، وما أسهل تغيير مجرى التاريخ على قلم المؤرخ الكذوب ! فقد جعل هؤلاء المتعصبون من التاريخ هواية يتم من خلالها التنفيس عن الأهواء والأحقاد الإيديولوجية .

ومن وسائلهم وضع الفكرة مقدَّماً ثم البحث عن أدلة تُعزّزها مهما كانت واهية على أسلوب (محاكم التفتيش) حيث كانت توضع التهمة أولاً ثم تثبت بالشهود الذين ينوب عنهم التعذيب ! وليس هذا الأسلوب غريباً عمن يكون شعاره : "اعتقد أولاً ثم افهم ما اعتقدت !".

يقول محمد أسد " ليوبولد فايس" : "إن أبرز المستشرقين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام ! وإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع (دواوين التفتيش) " .

"لا تستطيع أمريكا إلا أن تقف في الصف المعادي للإسلام ، لأنها إن فعلت غير ذلك تنكّرت للغتها وثقافتها ومؤسساتها ! . إن هدف العالم الغربي في الشرق الأوسط هو تدمير الحضارة الإسلامية ، وإن قيام إسرائيل هو جزء من المخطط ، وليس إلا استمراراً للحروب الصليبية "

لم يصرح بالجملة الأخيرة حاخام أو قسيس و إنما يوجين روستو ، رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الأمريكية سابقاً . وتؤكد رئيسة وزراء بريطانية السابقة تاتشر هذه المخططات فتقول : "يقف الغرب اليوم مع الشرق الأرثوذكسي والكاثوليكي في خندق واحد لمجابهة العدو ، وهو الإسلام".

وينفخ المستشرق المعاصر فرانسيس فوكوياما نار الصراع ليزيد من الرُّهاب المرضى الغربي من الإسلام فيقول : " إن هناك عدواً قادماً للحضارة الغربية هو الإسلام ... وهذه الإيديولوجية ستصبح النقيض للإيديولوجية الغربية ، وبالتالي لا بد أن ينتصر أحدهما وينهزم الآخر ، لأن العالم لن يستمر في حالة صراع بين العقيدة الغربية والإسلام"! .

وأكد هذه الحقيقة د.مراد هوفمان فكتب ساخراً : "لم يتدخل العالم المتحضر عسكرياً لإنقاذ مسلمي البوسنة ، ولكن انشغل بالمساعدات الإنسانية ! وعمل بجد واجتهاد حتى يضمن للمسلمين أن يُعذَّبوا أو يُغتصبوا أو يموتوا وهم شبعانون ! لقد سمّت وسائل الإعلام الغربية ضحايا البوسنة بالمسلمين ، ولكنها أغفلت تماماً الإشارة إلى ديانة القتلة المعتدين" !.

ويتساءل وزير الخارجية السوري الأستاذ فاروق الشرع : "لو كان مسلمو البوسنة الذين يتعرضون لعمليات التطهير العرقي والترحيل الجماعي والاغتصاب الوحشي ينتمون إلى عرقٍ ودينٍ آخر هل كانت هذه المذبحة ستستمر؟! إننا لا نستطيع أن نثق بأن الغرب يستهدف فعلاً رفع الظلم عن الإنسان ، وإحقاق حقوقه في كل مكان

وزمان .. إن من يخرق الحقوق الأساسية للشعوب ، هم أولئك الذين يرفعون شعار حقوق الإنسان.

هذه الروح المتوحشة انتشرت في أوربا ، ففي فرنسا صدر أمر بابوي بطرد رئيس الكنيسة الكاثوليكية بمدينة(افروه) من أسقفيته لأنه أعلن تأييده للمسلمين في البوسنة والشيشان.

أما عالم الاجتماع الأمريكي نيكولاس هوفمان فيقول : "لا توجد ديانة أو قومية أو ثقافة كثقافة العرب والمسلمين تتعرض في الولايات المتحدة لمثل هذا التشويه الفظيع".

ويعترف المستشرق غوستاف لوبون بهذا العداء الكبير : "تراكمت أوهامنا الموروثة ضد الإسلام بتعاقب القرون ، وصارت جزءاً من مزاجنا ، وأضحت طبيعة متأصلة فينا تأصُّلَ حقدِ اليهود على النصارى الخفيّ أحياناً والعميق دائماً".

وهذا المعنى أكده ليوبولد فايس (محمد أسد) بقوله : "إن روح الحروب الصليبية ما تزال تتسكع فوق أوربا ، ولا تزال تقف من العالم الإسلامي موقفاً يحمل آثاراً واضحة لذلك الشبح المستميت في القتال".

و يرسم د. مراد هوفمان صورة دقيقة فيقول: "إذا سبرت غور النفس الأوربية ولو بخدش سطحي صغير ، لوجدت تحت الطبقة اللامعة الرقيقة عداء للإسلام" .

وفي محاولة لرصد من يقف وراء تأجيج هذه الروح العدائية تقول المفكرة الشهيدة الإسبانية (صبورة أوريبة) : " قد أعلن الدساسون من الغربيين المتلاعبون بالضمائر عداوتهم للإسلام ، لأنه ينزع أقنعتهم ، ويقاوم شعوذتهم الخادعة".

ويقول السيناتور الأمريكي (بول فندلي) : "هناك الكثير من رجال الدين المسيحي في أمريكا يقومون بتشويه صورة الإسلام ... وإن الإسلام ليس خطراً على المسيحية أو الحضارة الغربية ، وإن كُتّاباً غير مسلمين هم الذين شوهوا صورته في الغرب".

(جملة اعتراضية: لكن الطابور الخامس من العلمانيين والحداثيين والتغريبيين هم الذين يقومون بالمهمة الآن وليس الكتاب غير المسلمين..)

أما عالمة الاجتماع المسلمة(ديانا روتنشتو ك) فترى : " أن أهل أوربة في أمسِّ الحاجة إلى الإسلام ، ولكن الوضع السياسي حالياً يشوّه الإسلام".

ويقول كارل بروكلمان: لقد حورب الإسلام كثيراً وما زال يُحارب ، ولكن النصر دائماً للحق ، وما جاء محمد إلا بالحق والحقيقة. لقد شاع في الفكر الغربي ولدى المتأثرين بتعاليم الكنيسة النصرانية ورواسب الأفكار الشعبية المنحرفة التي روجتها أوروبا عن الإسلام ونبيه وعن المسلمين إبان وبعد الحروب الصليبية، أن الفتوحات الإسلامية قامت على السيف والقهر والتسلط والقسر، ولم تقم على الكلمة الطيبة والدعوة الرفيقة والعقيدة الواضحة، لكن فئة عادلة من مفكري الغرب لم يقتنعوا بهذه الشائعات ورحلوا يتأملون في تلك القدرة العجيبة للمسلمين على نشر دينهم بتلك السرعة المدهشة، وذلك الزحف للدخول الكبير للناس أفواجا في دين الله، فعادوا إلى رسالة النبي ليجدوا أنها تقوم على الدعوة اللينة لا على القسر الخشن.

ويقف المفكر(لورد هدلي) مندهشا عند معاملة النبي (صلى الله عليه وسلم) للأسرى من المشركين في معركة بدر الكبرى، ملاحظا فيها ذروة الأخلاق السمحة والمعاملة الطيبة الكريمة، ثم يتساءل: "أفلا يدل هذا على أن محمدا لم يكن متصفا بالقسوة ولا متعطشا للدماء؟، كما يقول خصومه، بل كان دائما يعمل على حقن الدماء جهد المستطاع، وقد خضعت له جزيرة العرب من أقصاها، وجاءه وفد نجران اليمنيون بقيادة البطريق، ولم يحاول قط أن يكرههم على اعتناق الإسلام، فلا إكراه في الدين، بل أمنهم على أموالهم وأرواحهم، وأمر بألا يتعرض لهم أحد في معتقداتهم وطقوسهم الدينية".

ويقول الفيلسوف الفرنسي(وولتر): "إن السنن التي أتي بها النبي محمد كانت كلها قاهرة للنفس ومهذبة لها، وجمالها جلب للدين المحمدي غاية الإعجاب ومنتهى الإجلال، ولهذا أسلمت شعوب عديدة من أمم الأرض، حتى زنوج أواسط إفريقيا، وسكان جزر المحيط الهندي".

أما العالم الأمريكي مايكل هارت فهو يرد نجاح النبي (صلى الله عليه وسلم) في نشر دعوته، وسرعة انتشار الإسلام في الأرض، إلى سماحة هذا الدين وعظمة أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام الذي اختاره على رأس مائة شخصية من الشخصيات التي تركت بصماتها بارزة في تاريخ البشرية، ويقول:" إن محمدا هو

الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح مطلقا في المجالين الديني والدنيوي، وأصبح قائدا سياسيا وعسكريا".

ويقول الفيلسوف والكاتب الإنجليزي المعروف برنارد شو:" إن أوروبا الآن ابتدأت تحس بحكمة محمد، وبدأت تعيش دينه، كما أنها ستبرئ العقيدة الإسلامية مما أتهمتها بها من أراجيف رجال أوروبا في العصور الوسطى"، ويضيف قائلا: "ولذلك يمكنني أن أؤكد نبوءتي فأقول :إن بوادر العصر الإسلامي الأوروبي قريبة لا محالة، وإني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم، لتم له النجاح في حكمه، ولقاد العالم إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم كله السلام والسعادة المنشودة".

ويقول المستشرق الفرنسي بارتيملي سانت هيلز في كتابه «خواطر شرقية»: «من العجيب حقاً أن نتطاول اليوم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلى دينه والأعجب من ذلك تلك النظرة الحمقاء التي نرى من خلالها المسلمين حيث تناسينا أن العلوم التي نباهي بها العالم اليوم هي نتاج تطور العلوم التي ألفها العرب والمسلمون الذين ساروا على نهج محمد صلى الله عليه وسلم بحرفية دقيقة فأنبتوا لنا نبت الحضارة التي نقطف ثمارها الآن، ومن الشرف والوفاء الأخذ بأيديهم والشعور بالامتنان نحو نبيهم العظيم وأجدادهم المبدعين». ويؤكد هذه الحقيقة المستشرق الفرنسي ديمومبين فروا حيث يقول: «أقام العرب والمسلمون منائر العلوم في مختلف الفروع في أسبانيا وقد استقت أوروبا الأسس التي قامت عليها حضارتها من ذلك الجيل الذي تربى على يد علماء الإسلام ومن هنا انطلقت النهضة الأوروبية في مسارها حتى اليوم».

مصدر الأقوال من كتاب " ربحت محمداً ولم أخسر المسيح "

***

لماذا إذن ونحن نملك هذا المجد كله نشعر بالخزي..

لماذا ولدينا هذه القوة كلها نشعر بالضعف..

لطالما سألت نفسي:

- ثمة يقين لا شك فيه أن ديننا هو الحق، والعيب لا يمكن إلا أن يكون في واحد أو أكثر من ثلاثة: الحكام والنخبة والأمة..

نعم.. الحكام والنخبة والأمة..

فساد الحكام لا شك فيه.. بل إننا نظلم كلمة فساد عندما نستعملها في هذا المجال.. فليس لخستهم حد ولا لخيانتهم حد ولا لإجرامهم حد ولا لفسادهم حد ولا لجشعهم وطمعهم حد.. بل و أكاد أقول:

- ولا لكفرهم حد..

نعم .. يحذرني الخلان دائما من الإسراف في التكفير فأصرخ في وجوههم:

- هل الإسلام إلا كفر بالطاغوت وإيمان بالله؟ ألا تعلمون أن عدم تكفير الكافر كفر بالله تعالى.

ثم أروح أحدث نفسي.. حتى متى نصمت.. إن العلمنة والحداثة والتبشير والتنصيرهي كلها أوجه لعملة واحدة.. أوجه لما أراده المنصر صمويل زويمر.. إخراج المسلمين من الإسلام.. وهم للمرة الأولي بعد محاولات القرون يحققون نجاحات واضحة..

نعم..

فهل نستمر على صمتنا حتى ينجحوا في تنصير المسلمين..

في تكفيرهم..

لقد وصل الأمر بهم – لعنهم الله- أن تكفير المسلمين جائز أما تكفير الكفار فدونه خرط القتاد..

وصل الأمر بهم – لعنهم الله- أن وزيرا من عبدة الشيطان قد اتهم المجاهدين الذين تسنموا ذروة سنام الإسلام بالكفر.. ولم يكتف بذلك بل صرح أنه ليس لهم عنده إلا السيف.. ولم يكن على قوله من تثريب.. بينما لو وصفنا شارون أو بوش بالكفر لانقلبت الدنيا علينا..

وصل بهم الأمر لعنهم الله – وهم الذين لا يكفون عن تقديس القضاء ما دام يحكم لصالحهم – أن لعنوا أعلى محكمة مصرية – محكمة النقض- لأنها حكمت على الكافر نصر حامد أبو زيد بالردة..

ووصل بهم الأمر لعنهم الله إلى استدراج شيخ من شيوخ الأزهر– عليه من الله ما يستحق – للحكم على حسن الهضيبي وعبد القادر عودة وسيد قطب بالخروج من الإسلام.. ولم يعلق أحد.. و عندما أفتى بعض العلماء بكفر الحاكم الذي يرفض الحكم بما أنزل الله انقلبت الدنيا عليه.

وصل بهم الأمر لعنهم الله إلى الحد الذي أصبح فيه وصف " مفكر إسلامي" لا يكاد يلحق إلا بكافر..

وصل بهم الأمر لعنهم الله إلى الدفاع عن حسن إيمان فرج فودة الذي كتب آخر مقالاته في رثاء كلب له دهمته سيارة.. و كانت آخر كلمة له في آخر ذلك المقال أن ذلك الكلب كان أقرب إليه من حبل الوريد (اقرأ: من قتل الكلب: أبو إسلام أحمد عبد الله)..

حتى متى نصمت..

حتى ينجحوا في إخراج المسلمين جميعا من الإسلام؟!..

حتى متى نصمت..

إن عدم تكفير الكفار، أوالشك في كفرهم، أوتصحيح مذهبهم من نواقض الإسلام الجلية، إذ ليس بعد الحق إلا الضلال، فمن لم يكفر اليهود والنصارى مثلاً مع الأدلة الكثيرة التي وردت في ذلك فقد كذّب القرآن والسنة وأنكر ما هو معلوم من الدين ضرورة.

يقول الدكتور عبد الله قادري الأهدل إن أمر التكفير خطير، كما أن التساهل الذي يؤدي إلى عدم تكفير الكافر خطير كذلك. والواجب الوقوف عند نصوص الشريعة وقواعدها، دون إفراط أو تفريط، والحكم في ذلك لله وليس لغيره، والمرجع في تكفير الشخص المعين هم لعلماء الذين تفقهوا في دين الله، وتمكنوا من معرفة نصوص القرآن والسنة وفقهوا معانيهما، وتبينوا من واقع الأشخاص الذين يراد الحكم عليهم وظروفهم، ثم التحقق من صحة تنزيل الحكم على كل شخص بعينه. ولا يجوز أن يترك الحكم بتكفير المسلم لمن يدعي العلم وهو منه خلي، ممن لم يتفقهوا على أيدي العلماء الذين أخذوا العلم عن أهله في الكتاب والسنة، وما يخدمهما من علوم الآلة،

كأصول الحديث، وعلوم التفسير، وقواعد اللغة العربية، وقواعد الضرورات... وأقوال أهل العلم وأوجه استدلالاتهم من مصادرها الأصلية.

ثم أن الذي نهينا عن تكفيره هو المسلم – بشروطه – لا الكافر.

و إلا فإنه كان على المسلمين أن يصدقوا نابليون عندما قال أنه مسلم.. وأن هتلر قد غير اسمه إلى الحاج محمد هتلر!!

لقد وصل الأمر إلى أن نخبتنا العلمانية الحداثية الكافرة أصبحت تتناول هذا الأمر على سبيل السخرية المكشوفة والتندر فتنقض عرى الإسلام كلها .. فإذا ما واجههم أحد صرخوا:

– هلا شققت عن قلبه؟!..

***

ثم أن الفقهاء حين تحدثوا عن الضوابط التي يضعها علماء المسلمين في دولة الإسلام للتكفير قد افترضوا وجود الدولة الإسلامية وعلماء الدين الأحرار الذين لا يرهبهم سيف المعز ولا يغويهم ذهبه.. بل و أظنهم قد افترضوا الطبيعية الرسمية لهيئة العلماء تلك..

ثم أنني أظن أولئك الفقهاء لم يتخيلوا أبدا أن يكون حاكم الدولة المسلمة مرتدا وخائنا وعميلا وقد باع أمته ودولته ودينه للكفار لكنه حريص طول الوقت على تسمية الأشياء بغير أسمائها حتى لا يبدو منه ما هو خروج على المعلوم من الدين بالضرورة.. فتراه يسمي الالتزام بالدين تطرفا.. والجهاد إرهابا.. والتوحيد غلوا.. والتفريط تحضرا والكفر حداثة.. ويظل ينخر كالسرطان في جسد المسلمين..

فهل عجز فقهاء الإسلام عن مواجهة مثل ذلك الحاكم..؟!..

أسأل والسؤال ليس تزيدا ولا ترفا..

بل لعله المفتاح الوحيد الباقي لنا للإفلات من مقتلة هائلة للإسلام والمسلمين..

أقول هذا و أنا أعلم أن عظمة هذا الدين قد اقتضت أن من تسمى بالإسلام ولو منافقا كاذبا, حرم دمه وماله وعرضه, وحفظت حقوقه, فكيف بمن ينتسب للإسلام صادقا.

تقتضي عظمة الدين ذلك لكن ما العمل إذا اقتضى أمنه غير ذلك والضرورات تبيح المحظورات.

***

لطالما أنحيت باللائمة على الحكام.. وكنت على صواب..

ولطالما اعتذرت عن الأمة وكنت على خطأ..

ثم أدنت الأمة وكنت على صواب..

لكنني أعتقد أن من يستحق الإدانة أكثر من الحكام والأمة هم العلماء.

***

الرئيس صدام حسين- فك الله أسره- وبغض النظر عن اختلاف الآراء فيه، ليس أقوى من أمريكا.. ومع ذلك كان قادرا على ضبط الأمن في العراق.. بينما يمرغ المجاهدون أنف أمريكا في الطين والدم كل يوم..

الفارق في القوة بين القرصان المجرم بوش والرئيس الأسير لا يحتاج إلى بيان.. ولكن النتيجة العكسية تعود إلى أنه مع صدام فقد كان هناك عند الأمة شبهة أنه حاكم مسلم و إن عصى.. وكانت هناك دائما شبهة الخروج على حاكم مسلم.. وقد عصمته هذه الشبهة من الخروج عليه.

مع أمريكا حدث ما حدث..

هذا يعني إذن أن العلماء لو اتفقوا على رأي لحرموا الحاكم المرتد من عصمة لا يستحقها.. ولحموا الأمة من ردته وخيانته وجنونه..

***

أستعيد الماضي.. أتذكر على سبيل المثال الكافر كمال أتاتورك .. فلو أن العلماء تنبهوا لكفره في الوقت المناسب لحموا الإسلام من جنونه وخيانته وكفره..

لكن تردد العلماء وعدم حسمهم قد مكن للطاغية الكافر من النيل من الإسلام ومن المسلمين ومن عاصمة الخلافة ما نرى وما نعلم..

ولقد وضعت اسم كمال أتاتورك.. ليس على سبيل المثال فقط.. بل إيثارا للسلامة أيضا.. و إن كان يمكن رفع اسم أتاتورك ووضع جل حكام المسلمين مكانه..

تردد العلماء إذن وضعفهم هم ثالثة الأثافي التي يرتكز عليها انهيارنا..

تردد العلماء وعدم حسمهم هو الذي يؤدي إلى تمييع الموقف من الجهاد..
وتردد العلماء وعدم حسمهم هو الذي محا الفرق بين الشيخ والحاخام.. وهو الذي يسقط الأمة بحكامها وعلمائها في الضلال المبين..
أما فقهاء السلطان الذين يدعون ألا جهاد إلا بوجود إمام وراية فليسوا إلا ضالين مضلين.. وقولهم ذلك لا أصل له بإجماع الأئمة وسلف الأمة بل هو قول ظاهر البطلان مصادم للنصوص القطعية والأصول الشرعية والقواعد الفقهية .

***

وا حسرتاه وحاخام شيوخنا يستفتى في الجهاد فيفتي بأن أهل العراق أدرى بشعابها طبقا لشعاب سايكس بيكو وحدودها!!- وحين يستفتي في انتخابات العراق يفتي بوجوبها طبقا لحدود بوش- شارون!..
واحسرتاه و أهل الفلوجة يذهبون إلى شيخ الحرم يستصرخونه الدعاء والقنوت من أجل أبطال الفلوجة فيأبي.. ثم يؤمر أن يدمغ المجاهدين بالإرهاب فيرضى..
وا حسرتاه..

***

لقد بلغ من تردد العلماء أن عجزوا عبر ما يقرب من قرن من وضع الفتاوى الرادعة التي تمنع التعذيب..
بعض علماء الشيعة أفتى بإهدار دم من يعذب..
أما علماء السنة فوا حسرتاه عليهم ..

***

إنني أعلم أن التعذيب مهما بلغت ضراوته، حتى و إن أدي إلى الموت ، إذا تم بجهل أو لمجرد السلوك الحيواني الوحشي الشرس الشاذ المجرم، فهو كبيرة من الكبائر لا تخرج من الملة.
أما أن يكون التعذيب مهما بلغت درجته- لصرف المسلمين عن الإسلام .. أو لمنعهم من الجهاد.. فإن لم يكن الكفر هذا فماذا يكون؟!..
لماذا لم يتصد العلماء للجلادين الكفرة الذين حاربوا الإسلام والمسلمين..

لماذا لم يتصدوا للكفرة الذين قتلوا وعذبوا المجاهدين في مصر وليبيا والسعودية والكويت والمغرب..و..و..و.. لصرفهم عن نصرة الإسلام..

لو أنهم تصدوا منذ البداية لما كانت تلك النهاية..

ولو أنهم تصدوا في مصر لما جرؤ ذلك الأمير المجرم على اتهام المجاهدين بالإرهاب ودمغهم بالكفر وقتلهم على الشبهة..

ولو أنهم تصدوا في بلد ذلك الأمير المجرم لما حدث ما حدث للشهيد الشيخ/ عامر خليف العنزي الذي استشهد تحت وطأة التعذيب أثناء احتجازه لدى الأجهزة الأمنية في الكويت.

في الكويت أيضا يسمم كلاب النار المجاهدين بعقاقير الهلوسة وعقاقير أخرى تسلب إرادتهم فيعترفون ويبوحون.. وعندما يشرفون على الموت بسبب زيادة الجرعة يذهبون بهم إلى المستشفيات ويتخرصون – لعنهم الله – بأن المجاهدين يتعاطون المخدرات.

لا تكف مباحث أمن الشيطان عن الكذب.. ولم يسأل أحدهم نفسه لماذا أخون الله ورسوله.. لماذا أرتد عن الإسلام بقتل رجل لمجرد أن يقول ربي الله.. والأفظع أن يكون من المجاهدين.

***

خلافنا مع كلاب النار من حكام ونخبة و أمن وفقهاء سلطان لم يكن أبدا خلافا في الرؤى، ولا بحثا عن الحقيقة، ولا تصادما بالفكر، و إنما هو التصدي لمجموعة من الخونة والعملاء والجواسيس الذين ينخرون كالسوس في دين الأمة.. أي في وجودها كله..

خلافنا مع أوغاد قذرين في الداخل والخارج.

***

والتعبير ليس من عندي و إنما من هانز بليكس كبير مفتشي الأمم المتحدة عن أسلحة الدمار الشامل العراقية المزعومة الإدارة الأمريكية الذي في تصريحات لصحيفة الجارديان البريطانية ويوم 12 يناير 2003 " أن الأمريكيين أوغاد قذرون لم يكفوا عن وضع العقبات في طريقي"

ولم يكتف بليكس باستخدام كلمة " قذرون" بل مضى يقول " هناك طغاة في واشنطن ، إنهم أوغاد يروجون للأكاذيب وبالطبع يزرعون أشياء مروعة في وسائل الأعلام " .

***

نعم..

أوغاد قذرون..

هناك.. كما هنا..

ولقد كان منهم من فضحهم شارون في خطاب أخير بقوله لهم:

– لتضعوا أيديكم في يدي لمحاربة التطرف الإسلامي الذي يستهدفنا جميعا

وكان شارون صادقا.. فعداء أولئك الحكام للإسلام لا يقل عن عداء شارون نفسه له..

لكن إن كان شارون يعتبرهم حلفاء فكيف نرتضيهم ملوكا ورؤساء؟!

***

وفي ظل هؤلاء و أولئك فإن أخشى ما أخشاه أن ما أخشاه سيحدث!!..

أخشى ما أخشاه أن الدول الإسلامية كلها لم تدرك بعد – كيف؟ .. لا أدري– أن الحرب ليس مقصودا بها بترول العراق ولا أفيون طالبان ولا قنابل إيران ولا إرهاب السعودية ومصر.. ولا.. ولا.. ولا..

المطلوب هو القضاء على الإسلام وجميع ما يقع في أيديهم أثناء ذلك هي غنائم وجوائز الانتصار.. لكنها لو لم توجد لما نكصوا عن خطتهم للقضاء على الإسلام قيد أنملة..

إنني أسألكم يا ناس: ماذا يمكن أن تقولوا حين تشاهدون إنسانا يصلي إذا لم تكن عندكم فكرة عن الإسلام.. ستقولون أنه يؤدي بعض التمارين الرياضية وستعرضون عليه تمارين ترون أنها أفضل.

أسألكم يا ناس: ماذا يمكن أن تقولوا حين تشاهدون إنسانا يصوم إذا لم تكن عندكم فكرة عن رمضان.. ستظنونها حمية غذائية ستوصون بسواها مع التوصية بكثرة شرب السوائل أثناء الصوم؟!..

أسألكم يا ناس : ماذا يمكن أن تقولوا حين تشاهدون إنسانا يحج إلى بيت الله الحرام إذا لم تكن عندكم فكرة عن الحج.. ماذا ستقولون إلا أنها طقوس وثنية كما قالت الفاسقة المرشحة..

أسألكم يا ناس : ماذا يمكن أن تقولوا حين تشاهدون إنسانا يستشهد في سبيل الله إذا لم تكن عندكم فكرة عن جنة عرضها السماوات والأرض وعن رب يعرف و إله مألوه يؤله و أسماء وصفات تصدق وغيب وكتب ورسل يؤمن بها.. ماذا يمكن أن تقولوا عمن يفعل ذلك إلا أنه إرهابي أو مجنون..

يا ناس.. الصليبيون والصهاينة يروننا كذلك..

رغم أنني لم أفهم أبدا كيف يمكن لمن آمن بالله أن يؤمن به على شريعة موسى وعيسى ثم يكفر به على شريعة سيد المرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

يقول الكاتب المسيحي الشهير نظمي لوقا في كتابه محمد الرسالة والرسول: " أن التسليم بوجود رسل ونزول وحي يجعل من الصعب التسليم برسالة ورفض الأخرى، والإقرار بظهور رسول ونفي ذلك عن آخر" (ولأنه تحدث عن نبي الإسلام بموضوعية و إجلال في كتابه" محمد الرسالة والرسول" فطرده البابا شنودة شر طردة، وحرم الصلاة عليه في كنائسه، ودارت أرملته الكاتبة صوفي عبد الله على الكنائس دون فائدة: راجع المقال بالغ الأهمية للأستاذ جمال سلطان- مجلة المنار الجديد – شتاء 2005).

و أعجب من ذلك تحالف الصليبيين واليهود رغم ما بينهم من عداوة ضد المسلمين. وهو التحالف الذي يحمل لنا الكاتب المغربي الرصين الموسوعي حسن السرات بعضا من تفاصيله في مقال له بصحيفة التجديد المغربية نقلته لنا مجلة الوحدة الإسلامية بتاريخ 25-1-2005 إذ يقول أن الأمر يعود إلى أكثر من خمسة قرون .. في الأندلس!.. حيث انطلقت أول بعثة مسيحية لاكتشاف قارة أمريكا على يد كريستوف كولومبوس بمشاركة ومساعدة من مسيحيين ذوي أصول يهودية. فقد تعرض المسلمون وأهل ذمتهم من اليهود إلى الإكراه على التنصير، ثم ما لبث اليهود المتنصرون أن نجحوا في تهويد الفضاء الديني المسيحي بأوروبا خاصة بعد أن

أصبحوا مستشارين لرجال الكنسية ومعابر لنقل التراث التوراتي وتعاليم اليهودية. ومن أهم ما تم تسريبه ترقب اليهود وانتظارهم للمسيح المنقذ الذي سوف يعود في آخر الزمان وينتهي بعده التاريخ في الألفية السعيدة، وبذلك "تحقق الإدماج بين المسيح اليهودي العائد لتجديد دولة اليهود بالحديد والنار والمسيح العائد في آخر الزمان للدينونة الكبرى كما عبرت عن ذلك رؤيا يوحنا التي قدمت تحت عنوان "أبوكاليبس" أي النهاية المرعبة للعالم". وترتب على ذلك أسطورة كاذبة تتلخص في أن المسيح لا يمكن أن يعود إلا بعد إرجاع كافة يهود العالم إلى أرض فلسطين، وفي اعتقاد المسيحيين البروتستانتيين أن اليهود الموجودين هم شركاء لا غنى عنهم في الأحداث العظمى المقبلة قبل مجيء المسيح.

من هنا جاء اتحادهم واجتماعهم على الإسلام والمسلمين..

المهم أن هذه الخراف، بل الخنازير الضالة تري في سيد الرسل دعيا على الله وترى أن القرآن من تأليفه، وترى أنه قد آن الأوان ليخرج المسلمون من الإسلام أفواجا.. إن لم يكن بالاقتناع فبالصواريخ والقصف السجادي.

نعم.. ترى تلك الفئة أن القرآن تأليف سيدنا محمد وليس كلام الله رب العالمين..(و أنه إنما أملاه عليه أناس عديدون منهم ورقة بن نوفل ومنهم سلمان الفارسي رضى الله عنه.. وتنشر هذا الكلام الساقط السافل مجلات وجرائد حكومية.. أو ما هو أشد كفرا كالصحف اليسارية) أما الردود البسيطة الساحقة الماحقة كردود الأستاذ الدكتور إبراهيم عوض : إذا كانا أملياه القرآن فقد كان عليهما أن يكونا أول من يكفر برسالته لا أول من يؤمن بها!!.. لكن هذا الكلام لا يجد من ينشره.. ولا نعثر عليه إلا بالجهد الجهيد.

أتباع اليسار والعلمانية والحداثة .. من هم أسوأ من مشركي الجاهلية من نخبتنا التي جعلتها أجهزة الأمن في الصدارة كخليل عبد الكريم- شيخ مشايخ صحيفة الأهالي- وسيد القمني حاخام روز اليوسف جاهزون لتلقي وساخات المستشرقين لكي يقدموها بأسمائهم..

كما يتصدى كاتب كجمال الغيطاني – دفاعا عن الفراعنة – في إنكار قصة خروج بني إسرائيل من مصر!! وهو بهذا لا يدافع عن الفراعنة .. و إنما يدافع عن بني

إسرائيل لأنه يكذب القرآن .. والقرآن هو أشد ما أدان بني إسرائيل ويحافظ على مشاعر المسلمين ضدهم..

ولقد تعلموا من تجربة طه حسين في الشعر الجاهلي أن ينطقوا بمضمون الكفر دون لفظه لأنهم يعلمون القيد الصارم الذي يضعه القرآن على تكفير الكافر.. وأنه – على سبيل المثال – إذا ما وجد في كلام الغيطاني تسعة وتسعين بابا للكفر وبابا واحدا للإيمان فإن باب الإيمان هو الذي يعتبر.

والكلام صحيح بالقطع.. لكن في الظروف الطبيعية..

الرياضة البدنية مفيدة جدا.. لكنها لمريض القلب قد تكون قاتلة.. ونحن – أمة المسلمين – مرضى..

(ذكرني بالغيطاني أنه الآن – أثناء كتابة هذا المقال– أمامي الآن على شاشة التلفاز يتحدث عن الكتاب المؤسس الركن: أصل الأنواع لتشالز دارون ويتباكى على الفكر الظلامي الذي أخر طباعته ونشره.. ومطالبته بأن يمنع أساتذة الجامعة الذين لا يؤمنون بها وما على شاكلتها من التدريس.. ولا تعليق سوى الاشمئزاز والقرف.. وتذكيركم بمبرر منحهما الصحف والقنوات التي ينفثون فيها السموم)

– لطالما حذرتكم يا قراء من جمال الغيطاني وصلاح عيسى و المزارع التي يربون فيها العلمانيين والحداثيين كما تربى الخنازير.. ولا تنسوا أنهما حكوميان– ..

نعود إلى الكلاب الجاهزة المتلمظة إلى تحريف القرآن.. فبعد أن فشلت كل خططهم لتحريف القرآن وتصحيفه والتشكيك فيه.. بعد هذا الفشل انتقلوا إلى فشل آخر هو محاولة عزل اللغة العربية كلها – انظر مثلا محاولة حكومي آخر هو شريف الشوباشي– ومحاولة إلغاء الفصحى واستعمال العامية.. لكنهم فشلوا في كل هذا ليقدم لهم الخنازير العرب حلا آخر.. وهو أن حكم النسخ ما يزال قائما وأنه إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فعله لتغير الظروف الاجتماعية فإن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء–!!– من حقهم النسخ الآن.. وتتجاهل الخنازير أن الله هو الذي نسخ وهو الذي أثبت.. وهذا المعنى هو القابع خلف مصطلحات فاجرة كـ:تاريخية النص.. بمعنى أن النص القرآني مرتبط بتاريخ معين.. و أنه لا يلزم إلا من عاشوا في هذا التاريخ.. أما من يعيشون في العصور التالية فليس لهم أن يتبعوه.. وهو

طريق يا قراء ملتف جدا.. لأم يدفعهم إليه إلا خوفهم من رد فعل الناس إذا ما قالوا أن سيد البشر وخاتم الرسول – غفرانك اللهم – كذاب و أن القرآن كله موضوع.

هذه الخنازير على دين المستشرقين – وجل المستشرقين جواسيس وموظفون في الهيكل الحكومي الصليبي الاستعماري– أو على الأحرى هم صبيانهم.. وهؤلاء الصبيان ينشرون بين الناس بصورة غير مباشرة أننا ما زلنا نصدق بالقرآن والحديث لمجرد تخلفنا.. و أن " التنوير " هو الذي سيخرجنا من ظلاميته..

وهذا هو التنوير وتلك هي الظلامية لكل من يردد مثل هذه الألفاظ دون أن يدري معناها..

على أن هذه الخنازير الضالة تغالط نفسها حين تصر على إخراج المسلمين من الإسلام بينما تترك الوثنيين يرتعون في وثنيتهم بل وتقدم لهم آيات التبجيل والاحترام. إنهم يفعلون ذلك لأنهم يدركون أن الوثنية ليست خطيرة عليهم.. أما الإسلام فلو تركوه وشأنه فسوف يكتسحهم اكتساحا.. إذ لا توجد فكرة ولا نظرية ولا فلسفة تصمد له.. لسبب بسيط هو أنه حق بذاته.

إحدى خريجات مدرسة الخنازير كانت وزيرة في مصر وكانت قريبة جدا من رأس السلطة، وقفت في منتدى بدار خديجة بنت خويلد رضي الله عنها – في جدة – تسب الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم وتكفر بالإسلام..

خريجة مدارس الخنازير اسمها ميرفت التلاوي.. كانت تتحدث في ندوة تتبع الأمم المتحدة صباح يوم الأحد 22 شوال / هـ1425الموافق 5 ديسمبر/2004م حيث سخرت هذه المجرمة الآثمة من رسولنا العظيم صلى الله عليه وسلم ومن الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه والتقليل من السنة الشريفة والسخرية من شيخ الإسلام ابن تيمية ..

شددت ميرفت التلاوي على أهمية اختراق المجتمع السعودي من الداخل (راجع كل ما قلناه!!).... حيث ثبت نجاح الاختراق من الداخل مقارنة بالاختراق من الخارج الذي سيرفضه أكثر أي شخص (...).. فسألتها إحدى الحاضرات عن مدى تقبل المجتمع لذلك ، خاصة وأن الإسلاميين وجدوا أنهم متهمين بالعنف والإرهاب .. وكأن في ذلك مؤامرة لهذا الاتهام لأحداث التغيير ! وأجابت الدكتورة مرفت "

وبصراحة لا تنقصها الوقاحة " بقولها : الله ابتلاكم في السعودية بجهلة ومتخلفين يتبعون أفكار المتخلف ابن تيمية .. حيث أن أفكاره المتخلفة والجاهلة هي التي نشرت الإرهاب في السعودية .. و مشكلتكم في السعودية تشبه مشكلة مصر عندما سادت أفكار " متخلف هندي " اسمه أبو الأعلى المودودي صاحب الفكر التكفيري ومورده .. حيث بدأ المجتمع يتأثر بهذا الفكر فحاول البعض توعية المجتمع من خلال المقالات والمسرحيات والأفلام ونجحوا بتوعيتهم . ولكن لم تستطع الدولة تجفيف منابع الفكر التي كانت تتم من خلال خطب المساجد والدروس والمحاضرات . والسعودية الآن مبتلاة بفكر المتخلف ابن تيمية ويجب أن تبادروا بتجفيف منابع هذا الفكر الذي سيرجع المجتمع للوراء .. حيث أوقف الاجتهاد والفقه الذي يجب أن يواكب التغيرات .. وعندما تتحدثين مع هؤلاء يقولوا لك : قال أبو هريرة .. وروى أبو هريرة ..

وقالت بلهجتها : (هو من أده أبو هريرة ؟ وآيه التخلف أده لما راجل ميت من 14 قرن يحكمني وهو في قبره ؟ أده تخلف لما أعطل عقلي وأسيب الراجل الميت يحكمني بعقلية عمرها14 قرن وما أعطي المجال لأي تقدم وتطور واستمر في التخلف)!

ونكتفي بهذا الموضوع مستندا إلى الكاتب اللامع بالساحات العربية " أبولجين"..

***

نعم.. يصرون (الأساتذة وصبيانهم) على إخراج المسلمين من الإسلام.. لكن مبشرهم الأكبر صمويل زويمر يعزيهم عن فشل خطتهم في تنصير المسلمين بقوله أن هدفهم كان إخراج المسلمين من الإسلام فقط.. و أنهم قد حققوا نجاحا باهرا في ذلك.. أما الدخول في المسيحية فشرف لا يستحقه من كانوا ذات يوم مسلمين..

نعم..

يصرون على ذلك..

فإن عجزوا عن بلوغه بالتطوير والتنوير والإصلاح والعلمنة والحداثة – لا التحديث– فسوف يفعلونه بالصواريخ والنابالم والغزو العسكري بتهمة الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل..

***

لم يسأل الحداثيون والعلمانيون أنفسهم عن المدى المسموح لنا به كي لا نتهم بالإرهاب..

هل مسموح لنا مثلا بتطوير قواتنا للدفاع هن أنفسنا.. لمجرد الدفاع.. ليس للدفاع المتكافئ.. بل لمجرد إشعار العدو أنه حين يقتلنا سنصيبه بجرح..

هل هذا هو المسموح لنا به في إطار الدفاع عن أنفسنا؟..

هل مسموح لنا مثلا أن نواجه 200 قنبلة نووية عند إسرائيل بقنبلة نووية واحدة؟..

فلنقلع عن ذكر السلاح النووي لأنه يثير غضب الشياطين في واشنطن وتل أبيب..

فهل مسموح لنا بقليل من السلاح الكيماوي والجرثومي.. ولو عشر معشار ما لدي إسرائيل؟..

بل هل المسموح للعرب والمسلمين أن يسلحوا جيوشهم دون عمولات هائلة لأسلحة يراعى فيها أنها لا تصلح أبدا لمواجهة إسرائيل (دعنا من المواثيق الغليظة في عقود الشراء بألا تستعمل هذه الأسلحة ضد إسرائيل.. فهي منذ البداية لا تصلح).. و إنما تصلح لمواجهة الشعوب الغاضبة أو للحروب بين الدول الإسلامية وبعضها البعض..

أتصور.. أن الدول الإسلامية لو قررت إعلان الحياد السلبي.. وتسريح الجيوش.. لكان هذا سببا للغزو العسكري الأمريكي لإعادة تلك الجيوش..فهم من ناحية لا يستغنون عن المكاسب الاقتصادية الهائلة التي يجنونها من تسليح تلك الجيوش.. ومن الناحية الأخرى لا يستغنون عن خدماتها لمواجهة الشعوب وللحروب العنترية التي يشعلون أوارها بين الدول الإسلامية..

ولاحظوا أن جيش مصر و جيش الأردن وجيش سوريا – وليس جيش إسرائيل – هي التي تحمي حدود إسرائيل!!.. و أن الضغط الواقع على سوريا الآن بسبب اتهام جيشها أنه لا يقوم بواجبه كما يجب.. واجبه في حماية الأمريكيين!!..

دعنا من الجيوش..

هل مسموح لنا – حقا وفعلا– بإقامة حكم ديموقراطي صحيح..

هل المسموح لمن يحوزون ثقة الشارع أن يصلوا إلى الحكم..

ألـم يكـن أبـو لهـب هـو الـذي حـذركم مـن أن الانتخابـات غيـر المـزورة سـتحمل الإسلاميين إلى الحكم....

هل المسموح لنا به أن نحترم ونطبق مواثيق حقوق الإنسان فعلا..

هل مسموح لنا بالإفراج عن المعتقلين دون أحكام قضائية (ودعنا الآن من تساؤل آخر عما إذا كان مسموحا لنا بقضاء حقيقي وليس بمجرد قلم يتبع البوليس اسمه النيابة وقلم يتبع النيابة اسمه القضاء)..

هل مسموح لنا بالتوقف عن تعذيبهم وقتلهم وتلفيق التهم لهم؟!..

ألا تعرف المخابرات الغربية تفاصيل التعذيب..

بل من علم كلاب صيدنا فنون التعذيب إلا خنازيرهم ومعاهدهم وعلى رأسه معهد فورت بنينغ..

من علم الكلاب فنون الكذب والتشويه إلا الخنازير..

فـي سـبق صـحافي غيـر منكـور تمكـن المرصـد الإعلامـي الإسـلامي مـن لقـاء " الدوسري" المطلوب الأول في الكويت ليكشف أكاذيب مباحث أمن الشيطان ونيابة أمن الشيطان وقاضي أمن الشيطان، وليعطى المثل والنموذج لما يحدث في البلاد العربية الأخرى(تذكروا أن أجهزة أمن الشيطان تلك قد اتهمت الإسلاميين في مصر أنهـم يريـدون قتـل المطربـات.. وفـي السـعودية قتـل الحجـاج.. وفـي الكويـت قتـل المدنيين).. وكانت كلها أكاذيب.. وما يحدث في الكويت لم يكن إرهابا و إنما كان جهادا..

ولنفهم.. أن الإرهاب ليس ممنوعا.. الجهاد هو الممنوع..

والدليل أن أمريكا وصبيانها من رؤساء و ملوك و أمراء هم الذين يمارسون الإرهاب ولا تثريب عليهم!!

ولقد كشف الدوسري أن الشهيد عامر العنزي- الذي قتله كلاب أمن الدولة الكويتيون ..رحمه الله – ورفاقه كانوا ينوون الذهاب للعراق ولكن السلطات وبأمر من أمريكا قتلتهم.. ووصف الدوسري ما نشره ضباط أمن الدولة و إعلام أمن الدولة بأنها مزاعم وادعاءات باطلة ، و أنه لا يوجد شيء اسمه خلية أسود الجزيرة في الكويت

كـان الدوسـري كمـا يقـول بيـان المرصـد الإسـلامي قـد اعتقـل فـي المغـرب مـن قبـل الأجهزة الأمنية لمدة أكثر من شهرين لوجوده أثناء تفجيرات الربـاط التـي استهدفت كنيسا يهوديا ومرافق سياحية، وتعرض خلالها لتعذيب جسدي ونفسـي وأفـرج عنـه لعدم ثبوت شيء ضده . وقد ذكر أنه تعرض للتعذيب في المغرب خلال فترة اعتقالـه مـن تـاريخ 2002/6/11 إلـى 2002/8/19 تمثلـت الوسـائل فـي الضـرب والجلـد والحـرق بأعقـاب السـجائر والحرمـان مـن الطعـام والنـوم والإضـاءة العاليـة وتكـرار الضرب على الرأس ووضع صافرة في الزنزانة وشرب سائل يؤثر على الدماغ والسب والشتم والإهانـة والإجبار علـى تقبيـل أرجل المحققين والابتزاز والمساومة والإجبار علـى الإدلاء بمعلومـات كاذبـة مثـل الانتمـاء لأمـن القاعدة واللقاء بمسؤول مخـابرات عراقية ومسؤول في حماس. وأكد أنهم طلبوا منه أن يصرح بوجود علاقة بين القاعدة والنظام العراقي مقابل الإفراج عنـه. الدوسري يرفض الاحتلال الأمريكي ككل عربـي ومسلم غيور ويدعو إلى خروج الاحتلال من العراق لذا اتهموه بأنـه يمول ويجهز كل شاب يريد الذهاب إلى العراق للمشاركة في القتال ضد قوات الاحتلال(...) و خالد عبد الله الدوسري عمره 32 سنة وهو يكشف ما حدث لعامر العنزي – رحمـه الله – فيقول:

" الشيخ عامر العنزي رحمة الله عليه واسكنه فسيح جناته رجل ورع ودمث الأخـلاق وطالب علم متمكن ومحبوب ، معرفتي به بدأت منذ أن تم اعتقالـه فـي 2003 من قبـل جهـاز أمـن الدولـة حيث قـاموا بتعذيبـه مـن دون تهمـة سوى انهم يبحثـون عـن شـخص مطلـوب !! إيصـال وبعـد خروجـه مـن المعتقـل زرتـه فـي بيتـه وأخبرنـي انـه تعرض لانتهاكات صارخة في جهاز أمن الدولة ، واتفقت معه على ضرورة أن نعمل مـن أجـل وقـف هـذه التجـاوزات عبـر توصـيل الشـكاوى وأصـوات المظلـومين إلــى المسئولين ، وكـان يعتقـد انهـم – أي السلطات – لا يعلمـون شيئاً عمـا يحصـل فـي دهاليز معتقل أمن الدولة . وبالفعل بدأنا الاتصال بالمسئولين في الدولة وتحدثنا عبر وسطاء عن هذه التجاوزات الخطيرة التي تحدث في داخل أقبية جهاز أمن الدولـة . . وبعد فترة من الزمن ومن المحاولات . . وفي نهاية المطاف اقتنعنا بأن ما يحدث من انتهاكات بحقوق الإنسان في الكويت تحدث بعلم ومباركة الحكومة وأعني هنا صباح

الأحمد حيث انه هو المسئول عن هذه التجاوزات خصوصاً انه يحتقر شريحة وقطاع كبير من الشعب وهم أبناء القبائل . . كما أنه معروف عنه كرهه لمظاهر الإسلام والتدين وكل ما هو إنسان محافظ ، وهذا الشيء يعرفه الشارع الكويتي (...)

ويواصل الشيخ خالد الدوسري حديثه عن عامر العنزي:

" لقد خدعه وخانه عذبي الصباح فقد كان يقول لعامر دع الشباب يسلمون أنفسهم وسوف يذهبون إلى النيابة مباشرة، وهذا ما حدث أيضاً عند مداهمة المكان الذي اعتقل فيه ، ولكن المفاجأة انه قام بتصفية البدون والسعوديين لاعتقاده أنهم لقطاء وليس لهم أحد يثأر لهم ! .أضيف هنا أنه قبل حوالي خمسة أيام من مداهمة مكان عامر اتصل بي عامر وقال لي أنه رأى رؤية وجد أن كلاباً تنبح وتذهب وتعود . . (...) وقاموا باقتحامه والشباب لم يقاوموا لأن عذبي الصباح عبر مكبرات الصوت أعطاهم آمان كاذب . . وعامر وثق به لذا لم يقاوم ومن معه لأنهم وثقوا وصدقوا عذبي الصباح وأعلن عامر استسلامه والشباب فما كان من عذبي والقوة المرافقة وبمجرد أن خرج الشباب وألقوا سلاحهم انهالت عليهم اللكمات والركلات من كل حدب وصوب . . (...) عامر – رحمه الله – ورفاقه كانوا ينوون الذهاب للعراق ولكن السلطات وبأمر من أمريكا قتلتهم .(...) هم لا يريدون أي شخص يغرد خارج سربهم ، فالنظام اتخذ قراراً مصيرياً يتعلق بحياة شعوب المنطقة ولم يعر هذه الشعوب أي احترام لإرادتها، فهو قد فتح الطريق لجيوش الاحتلال لتحتل المنطقة، ومن يعارض هذا النظام يكون مصيره السجن أو القتل . . وأقول لهم إن الأيام دول، وستكنسون مع فلول الجيوش المنهزمة إلى مزبلة التاريخ .(...).. وكذلك هناك محتل عابر للمحيطات يقبع في أرضنا مدجج بشتى وأحدث أنواع الأسلحة وله حصانة في الدستور الكويتي كحصانة الأمير حيث أن الجندي الأمريكي يفعل ما يشاء في البلد ولا يحق لك الاعتراض، فأصبحت البلد ولاية أمريكية ولم تعد ذات سيادة (...) وجلاوزة التعذيب في جهاز أمن الدولة يستخدمون جميع الوسائل والأساليب الدنيئة لكسر إرادة المعتقل فهم يجبرونهم على تعاطي مواد وشرب سائل يؤثر على الدماغ من أجل سلب إراداتهم كما يحدث للمعتقلين في جوانتناموا وكما حدث لي شخصياً عندما اعتقلت في المغرب حيث أجبرت شرب سائل يؤثر على الدماغ ، فهم

يسممونهم ويقتلونهم ويدعون انهم كانوا يتعاطون مؤثرات عقلية قبل اعتقالهم!!..أسلوب جديد قديم وهذا الأسلوب مرتبط باللواء عبد الله الفارس – وكيل وزارة الداخلية لشئون أمن الدولة – فهو أول من استخدمه في منتصف التسعينيات مع المعتقلين الإسلاميين . . وقد ذكر لي الأخ / مطر المطيري – رحمة الله عليه وقد كنت زرته بالسجن قبل أن تعدمه السلطات الكويتية – أن عبد الله الفارس كان يرغمه على استنشاق مادة دخانية حتى يهذي ويتكلم من غير شعور حتى يهلوس بالكلام وليحصل على اعترافات نتيجة ذلك .. فها هم يعيدون الكرة . . وحسبنا الله ونعم الوكيل . (...) لا يوجد شيء اسمه خلية أسود الجزيرة . . وهذه التسمية من فبركة جهاز أمن الدولة ، وهؤلاء الشباب قرروا الخروج للجهاد في سبيل الله في العراق وعلمت السلطات بنواياهم فأرادوا اعتقالهم والآن تقوم السلطات بتصفيتهم جسدياً لأنه لو تم تقديمهم للقضاء لا توجد أدلة ضدهم .(...).. العراق بلد مسلم جريح محتل من قبل جيوش عابرة للمحيطات لتسرق خيراته وتقتل شعبه ، وموقفي من هذا واضح وهو وجوب إخراج الغزاة وطردهم من العراق وجزيرة العرب.

***

مرة أخرى.. ما هو المسموح به لنا كمسلمين ..

لن أتكلم أنا.. ولن أستشهد بواحد من الإسلاميين (أستعمل المصطلح مضطرا.. وصحته المسلمين وليس الإسلاميين.. لكنني أقصد بالإسلاميين من يطالبون بالحكم بما أنزل الله.. و أخشى أن أقول المسلمين فأضطر إلى ما يبدو أنه تكفير للآخرين).. أستشهد بكاتب قومي موضوعي متزن : تبدو الكلمات غريبة.. فكيف يكون القومي موضوعيا.. وكيف يكون موضوعيا دون أن يكتشف أن القومية كانت جزءا من المؤامرة الكبرى على المسلمين.. وقد شجعتها بريطانيا بالجامعة العربية.. و أمريكا أيضا.. وكيف يدعي البعض أنهم قوميون مسلمون.. والأمر لا يصح إلا إذا صح أن هناك مسلم كاثوليكي!!..

يقول الكاتب محمد عبد الحكيم دياب بصحيفة القدس العربي:19-2-2005 عن المطلوب أمريكيا من المنطقة:

" فبضاعتهم المراد تسويقها للمنطقة هي الديمقراطية، بمعناها الأمريكي، وتقوم علي عدة ركائز، الأولي: القبول بالدولة الصهيونية، كدولة طبيعية في المنطقة، والتخلي بالكامل عن كل طموح عربي أو إسلامي لتفكيك نظام التمييز العنصري (الأبارتايد) الصهيوني وتحرير فلسطين، وهذا المخطط يقوم علي ضرورة تحمل المنطقة مسؤولية حماية الدولة الصهيونية وضمان أمنها. والثاني: هو الحفاظ علي مصالح أمريكا، وتمكينها من مصادر الطاقة، كأحد أدواتها في معركتها المتوقعة مع القوي الدولية الكبرى الصاعدة، مثل الصين والاتحاد الأوربي، والثالث: تصفية الثقافة العربية والإسلامية، باعتبارها ثقافة مفرخة للإرهاب، وهي في حقيقتها معادية لمخطط المحافظين الجدد ، واستخدام كل الوسائل الممكنة في ذلك، مثل التطهير العرقي كما هو جار علي الساحة الفلسطينية، وضد جماعات المقاومة المسلحة، وطنية وقومية وإسلامية، والغزو والاحتلال المباشر، كما حدث في أفغانستان والعراق، وكما هو متوقع للسودان وإيران وسورية والسعودية ومصر، وبتزكية النعرات العرقية والمذهبية، وتفتيت المنطقة، وفق خريطة عرقية ومذهبية، وإفقار اقتصادي، وإضعاف عسكري، وتجهيل تاريخي وثقافي، وعودة فرق التبشير ومدارس الإرساليات، وهيمنة التعليم الأجنبي، وتغيير مناهج التعليم الديني والوطني والقومي، ونشر الانحلال والإباحية والعري في أجهزة الإعلام العامة والخاصة."..

ويواصل محمد عبد الحكيم دياب قوله:

"وجمال مبارك لا يرفض خدمة هذه التوجهات، ووالده لا يمانع من تبنيها، وإذا ما نظرنا إلي تفاقم مشكلة الحريات وزيادة مستوي الاستبداد الذي أصبح لا يحتمل.."

***

هذا هو المطلوب إذن على لسان كاتب قومي لا إسلامي..

ومن المؤكد أن المطلوب أكثر مما قال..

وبعد أن نحيي موضوعيته دعونا نواصل التساؤل ما هو المسموح به لنا كمسلمين..

هل مسموح لنا بالإعلام الحر..؟..

هل قلت لنا؟!..

بل هل مسموح لهم؟!.. للأمريكيين أنفسهم..؟!.. هل مسموح لهم بالإعلام الحر؟؟!!..

لقد أرغموا مدير الأخبار في شبكة CNN التلفزيونية للأنباء "إيسن جوردان" على الاستقالة بسبب اعترافه في منتدى دافوس السويسري بقيام الجيش الأميركي بقتل 12 صحفيا بالعراق كما كشف النقاب عن قيام القوات الأميركية بإيقاف مراسل لقناة الجزيرة بالعراق ثم احتجازه بسجن أبو غريب وإجباره على أكل حذائه، مشيرا إلى أن هذه القوات قامت بالتهكم على المراسل والسخرية منه أثناء اعتقاله بمناداته بـ"صبي الجزيرة ".

وذكرت المصادر الصحيفة الأمريكية أن جوردان قال أثناء مناقشة بعنوان "هل تنجو الديمقراطية من الإعلام؟" إنه ليس على علم بمقتل 12 صحفيا على يد القوات الأميركية في العراق فحسب، بل أكد أن استهدافهم كان سياسة متعمدة.

إن تدمير مكاتب الجزيرة في أفغانستان والعراق غنية عن إعادة السرد..

فهل مسموح لنا بالإعلام الحر حقا؟!..

يقول الإذاعي العربي الأشهر والأذكى الدكتور فيصل القاسم أن الغرب يفرض على إعلامنا أن يقوم بمهمة تفكيك المجتمعات العربية .. ويصرخ فيصل القاسم في صحيفة الشرق القطرية:

" إنه الإعلام وليس أي إعلام بل الإعلام الترفيهي التجهيلي الهابط المعتمد على إثارة الغرائز ومسح العقول وتغييب الوعي خاصة وأن المهمة أمامه شاقة للغاية وتحديداً في البلدان التي حملت مشعل الإسلام الأصولي. فليس من السهل تحويل اتجاه المتزمتين دينياً باتجاه العولمة إلا بفضائيات رخيصة تنتشر كالفطر البري في السموات العربية وتغزو عقولهم وقلوبهم بما لذ وطاب من أغان ومسلسلات محلية ومدبلجة وغانيات كاسيات عاريات وراقصات ومطربات ماجنات واحتكارات فنية شيطانية"..

ثم يواصل فيصل القاسم نزيفه:

"إن ما يحصل في هذه الكباريهات التي يقولون إنها محطّات فضائية يسيء إلينا للغاية حين يتمّ تفسير هذه الممارسات الساقطة على أنها أحد أشكال التحرّر؛ وهكذا،

يسقط المواطن العادي في شرك الخلط بين التحرّر والتحلّل؛ بين الفجور والسفور؛ بين هيفاء وهبي وهدى شعراوي؛ وبين هذا المتمول التليفزيوني والمصلحين والمفكرين. إن أبسط قواعد التحرّر، وفق أبسط المعايير، تعني احترام الإنسان، جسداً وروحاً، رجلاً وامرأة، طفلاً وكبيراً."..

دعنا الآن من أنني لا أعرف هيفاء وهبي.. لكن أغلب الظن أنها كاعتماد خورشيد ونانسي عجرم(أعرف اسميهما لا رسميهما!!).. دعنا أيضا من أن فيصل القاسم لم يدرك رغم ذكائه أن هدى شعراوي هي الوجه الآخر لهيفاء وهبي.. بل كانت هي التي مهدت الطريق إليها.. (إحدى داعيات تحرير المرأة اكتشفت الحقيقة فجأة.. حقيقة أن الأمر لم يكن تحرير المرأة بل تعهير المرأة.. أدركت المرأة ذلك فصرخت: يا إلهي.. هل ظللنا مائة عام – منذ قاسم أمين – نناضل لكي نخلع ثيابنا ونتعرى.. بضع دقائق فقط كانت تكفينا!!).. أقول دعنا من كل ذلك ولنتساءل مع الإذاعي والإعلامي الأشهر فيصل القاسم: هل مسموح لنا بإعلام لا يفكك الأمة وينشر بينها الفحشاء والتحلل والشذوذ والعهر؟!..

هل مسموح لنا بذلك؟

***

دعنا من الإعلام الحر..

هل مسموح لنا بتعليم حر..

تعليم نعرف فيه عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قدر ما نعرف عن نابليون أو واشنطن؟.

هل مسموح لنا أن نعلم ونتعلم التاريخ الحقيقي غير المزيف..

هل.. وهل.. وهل.. وهل..

***

باختصار المطلوب والمستهدف هو القضاء على الإسلام كله..

ولكن هذا لا يكفي.. فلابد إذن من تمزيق الدول وشرذمة الأمة حتى لا تعود أبدا كما كانت..

ولقد أغرى الخنازير سقوط القاهرة والرياض وبغداد ودمشق، وليس لدي أي قدرة على الخداع، لذلك أقر و أعترف أن ما سقط حديثا كان ساقطا منذ البداية، وأن هذه العواصم الأربعة بالذات قد سقطت منذ بدايات القرن العشرين، ويمكن للمراقب الحصيف أن يلاحظ أن حركتها طول القرن الماضي كانت تجاه العلمانية والكفر .. وكان ذلك في اتجاه إسرائيل حتى قبل أن تولد إسرائيل.

ثورة الشريف حسين كانت ولاء للطاغوت وبراء من الله وكانت اقترابا من إسرائيل..

تكوين المملكة السعودية كانت كذلك وكانت اقترابا..

حزب الوفد المصري كان كذلك وكان اقترابا..

القومية كانت اقترابا والناصرية والبعث كانت سقوطا داويا مهد لكل ما جاء بعده (خلاصة الناصرية وبقاياها السامة تتركز الآن في القذافي ووليد جنبلاط، وخلاصة البعث وبقاياه في بشار الأسد).

[القارئ أحمد عبد الله.. قارئ مثقف دمث يواظب على مهاتفتي طيلة سنوات لخص الأمر بعد قراءات طويلة ومعاناة هائلة بقوله: خلاصة الأمر أن عبد الناصر باع الدين، والسادات باع الدولة، ومبارك باع الشعب، وقد باع كل واحد منهم ما باع، لمجرد استمرار حكمه]..

نعم.. سقطت الرؤوس..

بعد سقوط الرؤوس أصبح الأمر أمام أمريكا سهلا..

تماما كما حدث عند تدمير الطيران المصري عام 67..

أصبح الأمر بعدها تحصيل حاصل..

و أصبحت القوات فريسة لكل ما يريدون أن يفعلوه بها..

و هكذا تظن أمريكا الآن أن الأمور قد دانت لها وأنه لم يبق إلا التمشيط!!..

ما تعمي عنه أبصار وبصائر الأمريكيين أن الإسلام أصلب من أن يكسر.. و أن المسلمين أكثر من أن يبادوا .. و أنه لو بقي على ظهر الأرض مسلم واحد فسيظل واثقا أن الله سيجدد شباب الإسلام على يديه و أنه في النهاية سيقضي على أمريكا.

ما تعمى عنه أبصار وبصائر الأمريكيين أن الحضارة الأمريكية بثقافة: منجم الذهب وقطع رأس الهندي و "السوبرمان". بينما تشبعت حضارة الإسلام بقول النبي الكريم

((الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار)) وقوله ((إذهبوا فأنتم الطلقاء)) و ((من تواضع لله رفعه الله)).

ما تعمى عنه أبصار وبصائر الأمريكيين أن أخطر ما يواجه الولايات المتحدة هو إفلاسها الأخلاقي على المستوى الدولي في ظل وبسبب سياستها الخارجية غير الحكيمة. وهو البعد الأساسي الذي قد يساعد على سقوط الإمبراطورية الأمريكية.

***

في وضع كهذا لن يردع أمريكا عن محاولة القضاء على الإسلام رادع.. إلا الجهاد..

الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام.. الجهاد الذي يقتل كل معتد أينما ثقفناه..

قال لي صديق:

- ليتك تركز على الجهاد السلمي الآن وتنبذ العنف..

ورددت عليه في مرارة:

- أأنبذ ذروة سنام الإسلام..

ثم رددت ساخرا:

- ومع ذلك لا أخفيك أنني كنت أفضل عدم الجهاد كله.. لا سلما ولا حربا.. كنت أتمني أن يضل اليهود في بلادهم فلا يتجمعوا من أصقاع الأرض ليسرقوا بلادي.. وكنت أتمنى أن تظل أمريكا في بلادها فلا تحتل بلادي.. ساعتها لم أكن لأجاهدهم جهادا سلميا أو عسكريا.. لكنهم جاءوا.. فما حيلتي..

ثم واصلت:

- ثم ماذا لو لم ينجح الجهاد السلمي.. وهو بالقطع لن ينجح..هل نستسلم؟؟..

ثم قلت إزاء ذهول الصديق:

- طريق بن لادن هو الطريق.. وحله هو الحل.. ليس اختيارا بل إجبارا..

ورحت أتلو على الصديق قوله تعالى:

) كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ((216) البقرة.

***

نعم..

طريق بن لادن هو الطريق.. وحله هو الحل.. ليس اختيارا بل إجبارا..

.. ولقد قالها واحد لا أكاد أعرف عنه شيئا هو عبد الستار قاسم .. مرشّح انتخابات الرئاسة الفلسطينية .. الذي اعترف أخيراً – كما اعترف محمد عبد الحكيم دياب!!– وانسحب من الترشيح قائلاً:

ابن لادن هو الحل !!!

وواصل قوله:

لسان أعمال أمريكا يقول للعرب: ابن لادن أو منهجه هو الحل. من تجربتي في الانتخابات الرئاسية الفلسطينية، ترسخت لدي قناعة سابقة بأن الولايات المتحدة لن تترك أحدا في العالم وشأنه، وهي تصر على التدخل في مختلف الأمور بهدف خدمة مصالحها ورؤيتها لما يجب أن تكون عليه أوضاع العالم. إنها تتدخل في الانتخابات الفلسطينية مباشرة وبصورة غير مباشرة بهدف الوصول بالسيد محمود عباس إلى رئاسة السلطة الفلسطينية. لقد تدخلت بداية بتقديم معونة سريعة بمقدار 20 مليون دولار للسلطة الفلسطينية عقب تسلم عباس رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية، ووعدت بتقديم المزيد من المساعدات المالية إذا قرر الشعب الفلسطيني أن ينتخب شريكا لإسرائيل في المفاوضات(...).. أمريكا تريد ديمقراطية مفصلة حسب مقاييسها هي بغض النظر عن مصالح الشعوب. إنها تعتبر نفسها صاحبة الحقيقة المطلقة، ولا حقيقة سوى الحقيقة التي ترى هي أنها الحقيقة(...) بمنهجها الاستبدادي العدواني هذا، أمريكا تزرع بذور كراهيتها وتنمي الأحقاد ضدها(...) لقد داست على كبرياء الأمة ونهبت ثرواتها وأمعنت في إذلالها حتى ظهر ابن لادن لينتقم، وليكسب قلوب مئات الملايين من العرب والمسلمين الذين يريدون رؤية البيت الأبيض ملفلفا بالسواد، وبأمريكا أياما عصيبة يرتعش الحزن من آلامها. لقد أيقنت أن ابن لادن لم يتصرف إلا بعد أن أدمت أمريكا قلبه وقلوب مؤيديه بأعمالها الإجرامية الدموية البغيضة. وأمريكا ما زالت تصر على نهجها الذي لا يدع مجالا أمام العرب إلا الالتفاف حول ابن لادن أو السير على نهجه. إنها تدفع الناس دفعا

نحو السير خلف ابن لادن وانتهاج نهجه في الدفاع عن الأمة والانتقام. إنها لا تترك حلا أمام الناس إلا ابن لادن.

***

نهج ابن لادن لا يستقطب فقط المسلمين الذين يدافعون عن الدين وإنما يستقطب كل الذين يشعرون بالظلم والسطوة الأمريكية الصهيونية على العرب والمسلمين.

***

نعم .. لم تترك أمريكا لنا خيارا..

إنها تتصرف كقرصان دموي مجرم.. وكانت آخر آيات إجرامها – كما تقول قناة الجزيرة ومفكرة الإسلام) أن بدأت حملة من خلال تلفزيون وإذاعة باكستان، للإعلان عن مكافآت بملايين الدولارات لمن يدلي بمعلومات تقود إلى القبض على أسامة بن لادن وزعماء آخرين في تنظيم القاعدة. وتظهر في الإعلان التلفزيوني . ومدته 30 ثانية ويذاع باللغات الأوردية والباشتو والبلوش والسندية . صور لابن لادن وساعده الأيمن أيمن الظواهري اللذين رصد مبلغ 25 مليون دولار مكافأة للقبض على أي منهما أو قتله، و12 آخرين منهم الملا محمد عمر زعيم حركة طالبان الأفغانية.

قلت لنفسي.. أنني أعرض أنا الآخر مكافأة مني.. دراهم معدودة لمن يقتل قرصانا دمويا مجرما آكلا للحوم البشر..

أما اسمه فهو جورج بوش..

جورج بوش.. الذي يدفع الأمة كلها إلى إدراك أن بن لادن هو الحل.. ولا طريق غير طريقه..

الوجه الحقيقي للغرب وأمريكا ... وشجرة الكراهية

ــ

شجرة الكراهية. . من الذي زرعها , ومن الذي يسقيها؟!

ــ

حسب جريدة (الحياة) عدد 15529 الجمعة 1426/9/7هـ , قال جورج بوش – تعالى الله عما يقول علواً كبيراً– : " إن الله أمره أن يخوض الحرب في أفغانستان والعراق"، وقال : "إنه يشعر بكلمات الله تصل إليه وهي تقول: اذهب، وأعط

الفلسطينيين دولتهم واحصل للإسرائيليين على أمنهم، وأقم السلام في الشرق الأوسط، وأقسم أنه سيفعل ذلك. إلا أنه تراجع عن قسمه، وحنث بيمينه عندما تخلى عن تعهده بإقامة دولة فلسطينية قبل نهاية ولايته، كما ورد في جريدة (الجزيرة) عدد السبت 1426/9/19هـ.

والأمر الذي يستوقف المتابع لمتعلقات الحراك الأمريكي ليست هذه الوعود أو النكوص والتراجع عنها؛ فتلك أمور مألوفة ومعتادة عند هؤلاء القوم، وإنما ما يهمنا هنا هذا الادعاء والتقوّل على الله بأن ما فعلته وما تفعله أمريكا استجابة وتنفيذ لأمر إلهي تلقاه جورج بوش من الله سبحانه وتعالى عما يقول.

وإنك لتأخذك الحيرة بتفسير مثل هذه الأقوال، وتتساءل وأنت غارق في حيرتك: أحقاً أن هذه الدولة العظيمة القوية والمهيمنة تُقاد وتُسيّر بمثل هذه التصورات، وتتعامل مع الآخرين من هذا المنطلق الخطر؟! وهي التي تدعي أنها الأكثر علمية وعقلانية وتثبتاً بهذا العالم!!

ولمحاولة فهم هذه الأقوال واستيعابها أرى أننا أمام أحد تفسيرين أو كليهما معاً:

التفسير الأول- فإما أن تكون أمريكا تسعى من وراء هذا الادعاء لإقناع ذاتها ومواطنيها بنزاهة وعدالة خطها، وبشرعية أفعالها لكي تتجاوز بهذه القناعة وخز الضمير من بشاعة الأفعال التي ترتكبها إن كان هناك وخز أو كان هناك ضمير. وهذا التفسير أشار إليه (ماكس ليرنر) في كتابه (أمريكا كحضارة) ترجمة الدكتور راشد البراوي، وهو يرد ذلك الوخز إلى عبادة المال والنجاح.

التفسير الآخر- أو أن أمريكا تسعى من خلال ما تدعيه إلى إقناع الآخرين بأن نهجها وخط سيرها توجيه إلهي ورسالة مقدسة لا يصح الاعتراض عليها. وأن الهيمنة الأمريكية قدر أمام شعوب العالم لا مفر منه.

ومن هنا -ولكون القوم صدقوا أنفسهم بما يدّعونه- فهم يتساءلون مستنكرين ومستغربين كراهية الآخرين لهم "لماذا يكرهوننا.؟!"، وكأنهم لم يقرؤوا تاريخ بلادهم، ولا واقعها الحاضر والمشاهد، وعلى كل الأصعدة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية!!

والإقرار والتصديق لهذا التصور، وهذا المفهوم الغيبي الذي يدّعونه يصلح أن يكون تفسيراً لكثير من الممارسات والسياسات غير المسوّغة وغير المنطقية التي تجترحها الإدارة الأمريكية بكل هذا القدر من العنف والصلف والهياج الثوري نسبة إلى الثور، وليس إلى الثورة، والذي يبدو وكأنه تطبيق واقعي وعملي لما يدور في أفلام رعاة البقر السينمائية، وهنا تكمن الخطورة.

غير أنك وعندما تقرأ في تاريخ هذه الدولة ستجد أن ما ادّعاه جورج بوش لم يكن حصراً على هذا الرجل، ولم يكن أمراً محدثاً تفرّد به هذا الرئيس، واخترعه من بنات أفكاره بل إنك ستجد كثيراً من النخب والزعامات والمنظرين الذين يزخر بهم التاريخ الأمريكي سبقوه إلى ذلك، ابتداء من جورج واشنطن المؤسس ومتابعة على أثره من عدد غير محدود من رجالات الفكر والسياسة الأمريكية.

يقول الدكتور فهد العرابي الحارثي في كتابه (أمريكا التي تعلمنا الديمقراطية والعدل) صفحة (311): " إن الرئيس الأمريكي (ويليام ماكينلي) عندما أمر بغزو الفلبين عام 1898م وقف يخطب في شعبه علناً، ويقول: نحن لم نذهب إلى الفلبين بهدف احتلالها, لكن المسألة أن السيد المسيح زارني في المنام، وطلب مني أن نتصرف كأمريكيين ونذهب إلى الفلبين لكي نجعل شعبها يتمتع بالحضارة. ويذكر –والكلام مازال للدكتور الحارثي– أن رونالد ريغان أعلن ذات يوم أن ثراء ورخاء الولايات المتحدة يرجع لكونها (أمة مباركة من الله)، وهذه مغالطة غير مقبولة، كما يقول روجيه غارودي؛ لأن هذا الثراء يرجع إلى استغلال العالم، وخاصة العالم الثالث عبر فرض المنتجات الأمريكية بالقوة، وعبر غزو رؤوس الأموال الأمريكية للدول التي تنخفض فيها المرتبات، وعبر الفوائد الاستغلالية للقروض. ويقود كل ذلك ويباركه علامة الصليب على أسنة السيوف كصنم يمثل الذهب والموت كما يقول غارودي.

ومع كل هذه الهرطقات المكشوفة وغير المنطقية، والادعاءات الباطلة بإلوهية التوجّه الأمريكي –والتي إن قبلها وأقر بها الآخرون– فإن العقلية القرآنية، والمنطق الإيماني الذي يتحلى به المسلم حتى في أدنى مراتبه الثقافية والعلمية يرفض قبول هذا المنطق والتصديق به.

مع هذا كله نرى واحداً من مثقفينا يستحي من هؤلاء الذين هذا منطقهم، ويدعونا إلى الخجل والاستحياء من القول بأن ما أصاب أمريكا من أعاصير مدمرة قد يكون غضباً إلهياً أرسله الله على هؤلاء القوم.

وإنه لمن حقنا –كمتلقين وكقراء (لمثل هكذا كتابات)– أن نتساءل: عمن هو الأجدر بأن يكون مثيراً للخجل والضحك؟ أهو هذا المنتصر – كما يسميه بعض إخواننا الكتاب – والذي يدّعي أحدهم بأن الله يقول له: اذهب، وحارب الآخرين، ودمر ديارهم، وسق الذرائع كل الذرائع حتى وإن كانت كاذبة، حتى وإن قتلت المدنيين، حتى وإن عارضك العالم كله. أمضي إلى كل ذلك بأمر إلهي مباشر من الله. أهذا الذي يقول مثل هذا القول، ويبني عليه كل هذا الفعل المتوحش المشين أجدر بأن يكون مثيراً للاستهجان والاستنكار؟ ولا أقول للضحك إلا إذا كان ضحكاً كالبكاء كما يقول المتنبي، وشر البلية ما يضحك!!

أم أن هؤلاء القائلين بأن أعاصير كاترينا وريتا قد تكون عقاباً إلهياً حل على أمريكا لقاء استكبارها وجرمها هم من يثير الخجل والضحك؟ ولا أعتقد بأن هناك مقارنة بين ما ادّعاه بوش مما لا يقبله عقل ولا منطق وهو الرجل الأخطر الذي يملك زمام أقوى قوى الحرب والتدمير في العالم؟

وبين ما قال به هؤلاء الذين لا يملكون سوى كلام لا يقتل أحداً، ولا يدمر بيوتاً، والذين يُكال لهم بتعالم واستعلاء ظاهر كل صفات التحقير والتسفيه والسذاجة، وهو الذي يدعو إلى احترام الآخرين. علماً أن ما قالوه لا يستدعي كل هذا التشنج والاستخفاف والخجل، لا لكون هذا التهجم أسلوباً متدنياً للنقاش والمحاورة فحسب، بل لكون ما يقولون به رأي له مايسنده من الدين، كما وأن له ما يبرره من الواقع والتاريخ الأمريكيين.

وإن كنا نرى كمسلمين أن ليس لأحد الحق بأن يجزم بتفسير ظواهر الكون وكوارث الطبيعة تفسيراً يتقول به على الله فيما لا يعلم، ولكننا –وفي الوقت ذاته– نعلم أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قد أهلك أقواماً بكوارث مناخيه كان من بينها الريح الصرصر العاتية كما وطوفان المياه وخسف الأرض، وقد كان كل ذلك عقاباً إلهياً لأفعال مشينة ومعاصٍ ترتكب أمريكا المعاصرة أمثالها، بل وعلى مستوى الدولة وكنظم

وقوانين تبيح المحرمات كالشذوذ والزنا والاستكبار في الأرض، وأكل أموال الناس بالباطل، بل وتدافع عن كل ذلك وتسعى لفرضه على الآخرين كقيم أمريكية راقية وحضارية. حتى وإن عارضه هؤلاء الآخرون، وعارضته عقائدهم ودياناتهم وقيمهم الحضارية، كما حدث ذلك عندما تدخلت لما تسميه حماية حقوق المثليين (الشواذ) في مصر المسلمة على سبيل المثال.

إن ممارسات أمريكا عبر تاريخها منذ التأسيس وحتى اليوم هي وحدها ما يدعو لكراهيتها والتوجس منها بدليل أن هذه الكراهية، وهذا التوجس لم ينسحبا على بلاد كالصين واليابان وكوريا مثلاً، فليست العبرة بالاختلاف والتغاير في المعتقد والمفاهيم بل العبرة بالممارسات والأفعال والوقائع.

وتعالوا معنا نقلب صفحات الواقع والتاريخ الأمريكيين: حديثه وقديمه علنا لنرى الصورة بوضوح.

أما واقع اليوم فأمريكا تقول وعلى لسان جورج دبليو بوش: " إن من ليس معنا فهو ضدنا" وهذا عين الكراهية، وعين الإطاحة وإقصاء الآخر. وهي تسوق العالم بكل وسائل القوة والتهديد والابتزاز لغرض الهيمنة والتعالي والاستكبار على هذا الآخر. لا تلتفت في هذه السبيل لاعتبارات الحق والعدل، ولا للشرائع والمواثيق الدولية، ولا تقيم وزناً واحتراماً لخصوصيات الآخرين. وأقرب الأمثلة على ذلك وأوضحها هو ما فعلته وما تفعله في العراق وفي أفغانستان، وتباركه وتدعمه وتدافع عنه من أعمال إسرائيل بفلسطين من القتل والتدمير واحتلال الأراضي ومصادرتها والتشريد والقهر للإنسان الفلسطيني على مدى أكثر من خمسين عاماً خلت وحتى اليوم.

أما التاريخ كشاهد على تنامي كراهية أمريكا لدى الآخرين، وليس لدينا وحدنا فحدث ولا حرج، ابتداءً من حرب الاستقلال "كما يسمونها" والتي هي في حقيقتها حرب استئصال، ومحو لأهل البلاد الأصليين؛ حيث تعرض الهنود الحمر لعملية إبادة متوحشة يندى لها جبين الإنسانية جمعاء، ولا يمكن للتاريخ الأمريكي أن يتخلص من عارها.

يقول نعوم تشو مسكي في تواريخ الانشقاق، وهي حوارات أُجريت معه وطُبعت في كتاب ترجمه محمد نجار يقول: " الولايات المتحدة وُجدت وأُسست على دمار السكان

الأصليين للبلاد. فقبل أن يكتشف كولومبس أمريكا، فقد قدر السكان الذين كانوا يعيشون شمال (ريوجراند) من (12–15) مليون نسمة إلا أنهم تقلصوا مع بداية هذا القرن –يعني القرن العشرين– إلى مائتي ألف نسمه فقط" وكتب جورج واشنطن في إحدى رسائله إلى المفوض للشؤون الهندية يقول: " إن طرد الهنود من أوطانهم بقوة السلاح لا يختلف عن طرد الوحوش المفترسة من غاباتها"، وسن الكونغرس عام 1830م قانون ترحيل الهنود بالقوة من شرق المسيسبي إلى غربه، فصار من حق كل مستوطن أن يطرد الهندي من بيته وأرضه، وأن يقتله إذا لم يستجب لصوت العقل"، وقد استخدم الأمريكيون لإبادة سكان البلاد الأصليين بالإضافة إلى القتل وهدم المدن والقرى استخدموا وسائل أكثر وحشية وحقداً؛ فقد قاموا بنشر وباء الجدري بين قبائل الهنود بوساطة التلويث المتعمد بجراثيم هذا الوباء للأغطية التي أُرسلت لهم، كما اعترف بذلك (وليم براد فور) حاكم ولاية بليموت الذي يرى أن نشر الجدري بين الهنود يدخل السرور والبهجة على قلب الله!! راجع كتاب الدكتور الحارثي. ولم يحصل بقايا هؤلاء الهنود الحمر على الجنسية الأمريكية إلا عام 1924م وفي عام 1976م فقط أقر الكونغرس للهنود الحمر بحق ممارسة دياناتهم الخاصة بهم.

وفي أواخر القرن التاسع عشر اجتاحت القوات الأمريكية الفلبين وارتكبت أبشع الفظائع هناك. يقول أحد أعضاء الكونغرس ضمن تقرير له على إثر زيارة قام بها للفلبين: " إن الجنود الأمريكيين قتلوا كل رجل وامرأة، وكل سجين وأسير، وكل مشتبه به ابتداءً من سن العاشرة، وهم أي الجنود الأمريكيون يعتقدون أن الفلبيني ليس أفضل كثيراً من كلبه وخصوصاً أن الأوامر الصادرة لهم من قائدهم فرانكين قالت لهم: " لا أريد أسرى، ولا أريد سجلات مكتوبة". والجنرال (جاكوب سميث) أمر بذبح (8249) طفلاً وَ (2714) امرأة، وَ (420) رجلاً في جزيرة ساما أيام الاحتلال الأمريكي للفلبين. راجع كتاب أمريكا التي تعلمنا الديمقراطية والعدل.

وفي ألمانيا وبعد انهيار قوات الرايخ أسفر القصف الجوي العشوائي الأمريكي على المدنيين عن خمسمائة وسبعين ألف قتيل، وثمانمائة ألف جريح.

وفي هيروشيما باليابان قُتل مئات الآلاف من المدنيين بالقنبلة النووية، وبعد ثلاثة أيام من ذلك الحدث أُلقيت على ناجازاكي قنبلة أخرى مماثلة، ولم يكن لفظاعة قنبلة

هيروشيما وما نجم عنها من أهوال وفواجع، لم يكن لذلك رادع من ضمير عن تكرار ذلك العمل الرهيب؛ مما يعني الإصرار على القتل والتدمير، وبدم بارد كما يُقال، علماً بأن إمبراطور اليابان قد اقترح قبل ذلك أي قبل إلقاء القنابل الدخول في مفاوضات الاستسلام.

أما حرب فيتنام فقد بلغت ضحاياها أكثر من مليون نسمة، استخدمت لقتلهم كل الوسائل –بما في ذلك الأسلحة المحرمة– وقد كان الجنود الأمريكيون يقتلون كل ذي روح. يقول (روبرت كرش) وهو أحد المشاركين بمذبحة (ماي لاي) يقول: إنه تنفيذاً لأمر رئيسهم الذي قال لا أريد أسرى، أريد إحصاء للجثث، إننا كنا نعد كل من هو فوق الثانية عشرة مشروع جثة، وكانوا يحرقون القرى والبيوت والأكواخ بمن فيها من البشر، ويحرقون الشجر والجواميس وكل ماله روح. وقال (هيومانكه) رئيس قسم المتطوعين الدوليين أمام الكونغرس: " إننا سنحل مشكلتهم كما فعلنا مع الهنود"، ويعني بذلك الفيتناميين. كتاب الدكتور الحارثي.

هذه صور وملامح مختصرة مأخوذة من حاضر أمريكا، ومن تاريخها القريب والبعيد. من أراد الاستزادة فإن المكتبة العربية غنية بذلك. فأمريكا اليوم هي شاغلة الدنيا وشاغلة الصحافة والإذاعة المرئية والمسموعة، وشاغلة الكتَّاب والدارسين والمفكرين، غير أنها لا تملك أن تحمل الآخرين على حبّها وعلى القبول بها واتخاذها أنموذجاً يُحتذى متى كان هؤلاء الآخرون يرفلون بعافيتهم الروحية والأخلاقية والحضارية، ومتى كانوا كذلك يعرفون حاضر أمريكا وتاريخها.

إن من يسقي شجرة الكراهية هو من يسفك الدماء، وينتهك الأعراض، ويحتل البلاد، وينهب ثروات الشعوب، ثم هو بعد ذلك تعالياً واستكباراً يطالب ضحاياه بأن يحبوه ولا يكرهوه...!!

سليمان بن عبد العزيز العتيق

الحرب الأمريكية الإرهابية و"العظمة العسكرية الاجرامية والوحشية "

حرّم الله قتل النفس بغير حق مشروع، وذهب إلى أبعد من ذلك فجعل قتل هذه النفس بغير حق مثل قتل الناس جميعًا، ولو كانت "نفسًا واحدةً"؟!

استحضرت هذا المعنى العظيم ونحن نسمع مرارًا وتكرارًا نبرة الرعب والتهديد التي تثيرها الولايات المتحدة في المنطقة، ورموز البنتاجون وهم يحركون القوّات، ويكثّفون الانتشار، ويستعرضون القوّة، ويوظّفون كل معطيات "العظمة العسكرية الأمريكية" التي يقول عنها بوش: إنها تعني استخدام الولايات المتحدة لجميع قواتها العسكرية في الحرب على "الإرهاب"!!

هذه "العظمة العسكرية" كم أزهقت من "الأنفس".. وكم دمرت .. وكم اهلكت ... ؟!

"العظمة العسكرية" لا تعني سحق الأنفس، ولا المبادأة بالظلم، ولا "تعميم" العقوبة.. وإذا تجاوزت هذه "العظمة" المدى، وبلغت المنتهى في المحاسبة والمعاقبة متى تشاء ومع من تريد.. عندئذ تُردّ على أعقابها خاسرة، وتقع عليها سنة الله في البغي والطغيان والبطش والاستكبار، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

د. محمد بن سعود البشر

نُخبٌ أشدُّ نكوصاً من إبليس!!

ما يشهده مسرح الأحداث في العالم الإسلامي اليوم هو مواجهة شاملة بين الأمة بعقيدتها وإيمانها، وبين الأجنبي المحتل بجنوده وفكره وثقافته.. هي امتداد للمسير المواجهي الطويل الذي بدأ في المدينة المنورة، وفصّلت مشاهده وحقائقه سورة (آل عمران)..

نراه اليوم يتكرر، باختلاف في الوسائل والأدوات، وثبات في الأهداف والغايات.

هذه المواجهة (العامة) يبذل فيها الأجنبي كل جهد، ومكر، ومكيدة، ليُلبس الحق بالباطل، ويبث الشكوك في المعتقد والثوابت.

إذا اضطُر إلى السلم والمهادنة وجه النهار، فإنه يكفر بذلك آخره، وإذا اضطُر أن يلوي لسانه بما ظاهره الخير (للإنسان) فإنه يضمر الشر والضرر، والقوس الواحدة التي يرمي بها الأجنبي وأعوانه هدفها الإصابة المتفق عليها.

هذه سنة الله في الصراع بين الحق والباطل ليستفيد منها المسلمون دروساً تتجدّد صورها وتبقى أصولها.

ومن الدروس المؤلمة صور للنخب التي كانت أشدّ علينا في هذه المواجهة العامة من إبليس يوم بدر، أعلن إبليس يوم بدر إجارته للعدو ونصرته إياه، فما لبث أن

نكص على عقبيه، فخذله، وتركه يلاقي مصيره وحده (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ...)[الأنفال: من الآية48].

أما النخب المهزومة في مواجهة اليوم فلم تكتف بالذل والحياد المستلب للقيمة والهُوِيّة، وإنما استوت في صف العدو، واتخذته مؤيداً وظهيراً، وهُرِعت إليه زرافات ووحداناً، فهو نكوص وانحياز.. نكوص عن الأمة، وانحياز للعدو!!

كم هي المسافة شاسعة والمفارقة كبيرة بين هؤلاء وبين من قال الله تعالى عنهم: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) [آل عمران:173].

صور تتجدّد، وأصول تبقى، ليعلم الله والمؤمنون: مَن يتبع الرسول مِمّن ينقلب على عقبيه!!

د. محمد بن سعود البشر

المشاركة الأصلية كتبت بواسطة ياسمينة

هل لك ان تدلنا على مثال حكم الشورى الاسلامي من التاريخ المعاصر؟؟ ثم هلا تخبرنا ما هي شروط الحكم والحاكم في الاسلام ؟ وما هي صلاحيات الحاكم ؟ وهل هو فوق القانون ام تحت القانون ؟ وكيف ينتخب الحاكم وكيف يعيين الحاكم مجلس الشورى ؟ وكيف العمل وما الميكانيكية الاسلامية لعزل الحاكم اذا اخطأ او سرق او تجاوز صلاحياته ؟ ومن يحاسب الحاكم او مجلس الشورى وكم مدة الحكم للحاكم ؟؟ وفي حال مقتل الحاكم او اصابته بعاهه ما او حادث ما من الذي يقرر انه غير صالح للحكم؟ وهل يستطيع هذا الحاكم ان يقيل مجلس الشورى او احد اعضاءه؟ وهل هناك نائب للحاكم وماهي صلاحياته وكيف يعين ؟ وهل للحاكم ان يعين ذوي القربى والاصدقاء ام هو ملزم بتعين ذوي الخبرة والاختصاص؟ وارجوا تدلل على كل اجابة من اجاباتك بنص صريح ماخوذ من القرآن او السنة النبوية لنكون على بينه.

وبعدها سنبدا بمسالة الشورى ومجلسها وتعياناتها و

قاتل الله الجهل والجاهلين .....

الاف الموسوعات الاسلامية كتبت في النظام السياسي الاسلامي منذ الماوردي والاحكام السلطانية , وابن القيم والسياسة الشرعية , وابن قتيبة الدينوري والامامة والسياسة , والخراج في الاسلام – نظام اقتصادي – لابي يوسف ....ووووووووو ......

وليس مثل الغرب الكافر وميكافيللي وكتابه الامير الذي هو مرجع كل ساسة الغرب منذ كتبه الى اليوم ..

تغزو فكرة الديمقراطية في وقتنا الحاضر العالم عبر النشاطات الإعلامية والثقافية سواء على مستوى الندوات أو المحاضرات أو اللقاءات المرئية أو صفحات الجرائد وغيرها، أو عبر الحملات العسكرية لغزو البلدان العربية والإسلامية لنشر (الديمقراطية!؟) في هذه البلاد وقمع الأنظمة (الديكتاتورية). وصار مفهوم الفكرة (الديمقراطية) مرادفاً (للحرية).

ولا ينتبه الكثيرون من الناس أن الحرية قد تكون أكثر شمولاً أو أقل اتساعاً من الديمقراطية، وأن لكل مفهوماً خاصاً ربما يتقاطع مع الآخر ولا يلتقي معه بالضرورة. وربما أن هذا الأمر هو الذي قاد بعض المفكرين والباحثين المسلمين إلى القول بأن الإسلام (ديمقراطي) وأن القيم الديمقراطية قيم إسلامية يجب الدفاع عنها، وبدلاً من أن يركزوا على البحث في مجال الحريات في الإسلام، انطلقوا يتحدثون عن الحداثة الإسلامية في ثوب ديمقراطي.

* إذن ما المقصود بالديمقراطية:

لقد عرفت الديمقراطية لغوياً أنها حكم الشعب.

وقد نشأ هذا المفهوم في أثينا في الثقافة اليونانية القديمة ثم تجسدت هذه الفكرة في العصور اللاحقة في الفكر السياسي الغربي واتخذت نشاطاً من أجل الديمقراطية بين الحكام والمحكومين بلغ أوجه خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر عندما استطاع البريطانيون من الحد من صلاحيات الملك بعد ثورتي 1649 و 1688.

وكان ل (جون لوك) دور بارز في الدعوة للديمقراطية بالمفهوم الغربي والذي عرفها بأنها (حق الأكثرية التي اكتسبت سلطة الجماعة بالاتحاد في استخدام تلك السلطة لتشريع القوانين وتنفيذها بواسطة موظفين عينوا لذلك).

أما الولايات المتحدة فلم تعرف النظام الديمقراطي إلا بعد الاستقلال (1776) رغم أن الديمقراطية الأمريكية بقيت مشوهة إلى اليوم حيث لا يحق مثلاً الترشيح للرئاسة إلا لفئة معينة من الشعب كالبروتستانت أو البيض أو الانكلوسكسون، كما أن الثروة المالية للمرشح مقدمة على أن نوع من الكفاءات الأخرى.

أما في فرنسا فقد انفجرت الثورة سنة 1789 معلنة حقوق الإنسان والمواطن، حيث عرف جان جاك روسو الديمقراطية بما يلي:"يستطيع صاحب السيادة في المقام الأول أن يعهد بأمانة الحكم إلى الشعب كله أو إلى الجزء الأكثر منه بحيث يكون هناك من المواطنين الحكام أكثر من المواطنين الأفراد ويطلق على هذا الشكل من الحكومة اسم ديمقراطية". أما (مونتسكيو) ففي معرض تقسيمه للحكومات اعتبر الحكم الديمقراطي شكلاً من أشكال الحكم الجمهوري. فالديمقراطية في راية تحكم على أساس الفضيلة السياسية وتعني حب الدولة وحب المساواة، وفي ظل النظام الديمقراطي فإن المواطنين يختارون وفقاً لبمدأ المساواة وإمكانياتهم وقدراتهم، والسلطة التشريعية يجب أن تكون بين الأفراد كما أن التصويت يجب أن يكون عاماً.

إذن، فالديمقراطية بالمعنى اللغوي (حكم الشعب): هي قاعدة لا يمكن تطبيقها على أرض الواقع في حال من الأحوال، وهو الأمر الذي يؤكده (روسو) حيث يقول (وإذا أخذنا عبارة الديمقراطية بكل معناها الدقيق نجد أن الديمقراطية الحقيقية لم توجد أبداً ولن توجد أبداً فيما يخالف النظام الطبيعية أن يحكم العدد الأكبر وأن يكون العدد الأصغر هو المحكوم ولا يمكن أن نتصور بقاء الشعب مجتمعاً على الدوام للنظر في الشؤون العامة ونستطيع أن نرى بسهولة أنه لا يمكن إقامة لجان من أجل ذلك دون تغيير في شكل الإدارة.

أما المفهوم الاصطلاحي للديمقراطية فقد أصبح يشمل معان أخرى أضيفت إليه كإعطاء الحرية للناس في تشريع القانون واختيار من ينفذه من خلال الانتخابات العامة التي تكفل المساواة للأفراد في المشاركة في الحياة السياسية حيث يكون الرأي للأغلبية.

إذن فالديمقراطية تعتبر منهجاً في الحكم يرمي إلى وضع حد لثنائية الحاكم والمحكوم التي سادت تاريخ أوروبا القديم والوسيط، واقترنت بانتشار الحكم الفردي وسيطرة

الكنيسة وغياب القانون.ويهدف هذا المنهج إلى استبدال هذا الوضع القديم بآخر جديد هو وضع الدولة الحديثة التي يحكمها القانون باعتبارها معبرّاً عن إرادة الشعب وملزماً للرئيس والمرؤوس معا.

ولبلوغ هذا الهدف يعتمد المنهج الديمقراطي على جملة من المبادئ الأساسية التي تتولد عنها آليات وأجهزة دستورية تختلف صيغتها التفصيلية من نظام إلى آخر، ويمكن إجمالها فيما يلي:

1. الشعب صاحب السيادة ومصدر السلطات والشرعية.
2. انبثاق السلطات بواسطة الانتخابات
3. الإقرار للأغلبية بأن تحكم وللأقلية بأن تعارض
4. التعددية الحزبية
5. التداول السلمي على السلطة
6. مراقبة الحكام وممارسة التأثير عليهم
7. فصل السلطات
8. ضمان حريات المعتقد والتعبير والعمل النقابي
9. حفظ مصالح الضعفاء والأقليات
10.احترام حقوق الإنسان

مقارنة عامة لبعض المفاهيم بين الديمقراطية والإسلام

مصدر التشريع

يمتاز نظام الحكم في الإسلام بخصائص أهمها:

1- الحاكمية لله

2- السيادة للأمة

3- الدولة الإسلامية واحدة في المبادئ، متعددة في الأشكال حسب الزمان والمكان.

الحاكمية لله؛ تعني أن مصدر التشريع هو الله سبحانه وتعالى وحده وأن الرسول صلى الله عليه وسلم مبلغ عن الله تعالى بالوحي.

الحاكم منفذ لأحكام الله تعالى في الأمة مجتهد في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الأساسية.

طاعة الحاكم واجبة ما لم يخالف نصاً صريحاً.

قال تعالى: (أيا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً)

وقال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم).

وقال تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك).

قال تعالى(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)

أما النظام الديمقراطي، فإن حق التشريع للشعب، فالدستور وسائر القوانين هي من صنع البشر ويمثل على أفضل تقدير وفي لحظات مثالية تحكم الأكثرية بالأقلية.وشتان بين نظام وضعه خالق الإنسان والعالم بخفايا نفسه والقادر على وضع ما يصلها من القوانين التي توصل الإنسان إلى سعادته الحقيقية وبين نظام يستمد من الإنسان الذي هو في أفضل حالات نزاهته وتجرده عن اللذات عرضة للخطأ الذي يذهب ضحيته البشر.

اختيار الحاكم:

- حق اختيار الحاكم هو للأمة بواسطة أهل الحل والعقد، فالحكم بالإسلام هو عقد عن تراض بين الأمة والحاكم.

- البيعة تعني الطاعة والقبول

- الحاكم مقيد بتبني الأحكام الشرعية المستنبطة استنباطاً صحيحاً من الأدلة الشرعية ومقيد بالحلال والحرام.

- لا يخرج على الحاكم أو يعزل إلا إذا أظهر كفراً بواحاً.

عن عبادة بن الصامت قال: (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في المكره والمنشط، فبايعناه، فقال: فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع

والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان).

الشورى

الشورى ضرورة إنسانية في جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلاقات الفردية.

قال عليه الصلاة والسلام (إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه)

وهي في النظام السياسي في الإسلام من لوازم الإيمان بالله تعالى.

قال تعالى (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون).

النظام السياسي في الإسلام نظام شوري يرفض جميع أشكال الحكم الاستبدادي وكل الأنظمة السياسية الغوغائية والفوضوية.

قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين).

الحاكم يمارس تنفيذ هذا النظام من خلال الوقوف على رأي فئة من الأمة تتصف بالذكاء والحنكة والتجربة والإخلاص للنظام والأمة، وهذه الفئة تمثل الأمة تمثيلاً حقيقياً بجميع قطاعاتها وتحاسب الحاكم محاسبة من شأنها تسديد مسيرته ودعمه في اتجاهاته الخيرة وتعينه على اتخاذ القرارات المهمة والحسم في المواقف التي تواجهه.

لما سار رسول الله إلى بدر خرج فاستشار الناس فأشار عليه أبو بكر رضي الله عنه ثم استشارهم فأشار عليه عمر عنه فسكت فقال رجل من الأنصار إنما يريدكم، فقالوا يا رسول الله، "والله لا نكون كما قالت بنوا إسرائيل لموسى عليه السلام (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)، ولكن والله لو ضربت أكباد الإبل، حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك".

المرأة

لقد وزع الإسلام الاختصاصات العملية توزيعاً يوافق طبائع الذكورة والأنوثة.

كفل الإسلام للمرأة حقوقاً عديدة في المجالات السياسية، فقد أقر لها حق المشاركة السياسية من حيث إبداء الرأي، وأن الآية الكريمة (وأمرهم شورى بينهم) لم تخص الرجال دون النساء.

وقد شاركت أم سلمة في صلح الحديبة وهي التي أشارت على النبي صلى الله عليه وسلم بأن يحلق رأسه.

كما عارضت أسماء بنت أبي بكر بيعة بأنها عبد الله بن الزبير للأمويين.

منح الإسلام للمرأة حق التعبير عن الرأي أسوة بالرجال.

فقد خطب عمر رضي الله فقال: (ألا لا تغالوا في صدقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية، فقالت إليه امرأة فقالت: يا عمر يعطينا الله وتحرمنا، أليس الله سبحانه وتعالى يقول (وآتيتم إحداهم قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً)، فقال عمر، أصابت امرأة وأخطأ عمر، وفي رواية فاطرق عمر ثم قال كل الناس افقه منك يا عمر، وفي رواية أخرى امرأة أصابت ورجل أخطأ وترك الإنكار.

ساوى الإسلام بين الذكور والإناث في حق التعليم والثقافة

فسح الإسلام أمام المرأة مجال العمل وراعى تركيبة المرأة البيولوجية وأنوثتها.

(قل اباالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون)

===============

مقدمة في فقه النظام السياسي الإسلامي

محمد بن شاكر الشريف

الحمد الله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده الرسول الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .. أما بعد:

«فليس دين زال سلطانه إلا بُدِّلت أحكامه، وطُمست أعلامه، وكان لكل زعيم فيه بدعة، ولكل عصر في وهيه . ضعفه . أثر»[1]. كلمة حكيمة من عالم خبير، لها ما يصدِّقها من شواهد التاريخ البعيد والقريب على السواء، وهي من جهة أخرى تبين

الترابط الوثيق بين حفظ الدين وبين السلطان . النظام السياسي .؛ إذ السلطان حارس، وما لا حارس له فهو ضائع، أو يوشك أن يضيع.

في أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وأواخر الربع الأول من القرن العشرين الميلادي، نشبت معركة فكرية كبرى، تزعمها أحد الشيوخ[2]، أنكر فيها أن تكون هناك علاقة بين الإسلام والسياسة أو الحكم، أو أن الدين يتدخل في إدارة الحياة، ورأى أن الدين مسألة روحية فقط، وهو علاقة بين الإنسان وربِّه ولا يتعدى هذا الإطار، وعلى إثر ذلك انتفض العالم الإسلامي، وقام علماؤه يردُّون على الشيخ ويبينون زيف رأيه وضلاله [3]، وقد بيَّن أهل العلم فيما كتبوه علاقة الإسلام بالحكم، وأنه يشمل بنظره أمري الدنيا والآخرة.

وقد قيَّض الله لجهود هؤلاء العلماء النجاح، فإنها تمثل الحق الذي جاءت به نصوص الشريعة، وقد تمثلت مظاهر النجاح في عدة أمور:

1 . عُقدت محاكمة في الأزهر من قِبَل هيئة كبار العلماء برئاسة الشيخ محمد أبو الفضل شيخ الجامع الأزهر، وعضوية أربعة وعشرين عالماً من كبار العلماء، وبحضور علي عبد الرازق نفسه، وقد تمت مواجهته بما هو منسوب إليه في كتابه، واستمعت المحكمة لدفاعه عن نفسه، ثم خلصت الهيئة إلى الحكم التالي: «حكمنا . نحن شيخ الأزهر . بإجماع أربعة وعشرين عالماً معنا من هيئة كبار العلماء: بإخراج الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب (الإسلام وأصول الحكم) من زمرة العلماء»[4]، كما حكم مجلس تأديب القضاة الشرعيين بوزارة الحقانية (العدل) بالإجماع بفصله من القضاء الشرعي[5].

2 . ضَعُفَ هذا الصوت النشاز بدرجة كبيرة، وانكسر الشيخ حتى إنه رفض إعادة طبع الكتاب مرة أخرى حينما عرض عليه ذلك، وهو الذي كان وعد في كتابه بمواصلة البحث في الموضوع.

وهناك من يزعم . من محبي الشيخ . أنه قد تراجع قبل وفاته عما تضمنه كتابه السابق، فإن كان هذا التراجع صحيحاً؛ فلله الحمد على ذلك، وإن كان غير صحيح فهو على الأقل يدل على عدم اقتناع محبيه بما ذهب إليه.

3 . اضطرار بعض مَنْ ناصر الشيخ في رأيه السابق؛ لأن يعلن تراجعه عن رأيه في أن الإسلام رسالة روحية فقط، والإ قرار بأن الإسلام يرعى الدين والدولة مع[6].

4 . اضطرار كثير من أصحاب ذلك التصور إلى عدم الإفصاح الصريح عن تصوراتهم، والتخفي وراء بعض العبارات الإسلامية، بل إظهار أنفسهم بأنهم في الصف المعادي للعلمانية، وأنهم من المؤيدين للمقولة المشهورة: «إن الإسلام دين ودولة»، والاكتفاء في ترويج مذاهبهم بالدس في العبارات، وإن كانت حقيقة مواقفهم لا تخفى على الناقد البصير.

وإذا كان الاتجاه العلماني . الذي يقوم على فصل الدنيا عن الدين، ومنع قيومية الدين على الحياة . قد هُزم في مجال الأفكار والتصورات وبناء النظريات؛ فإن هذا لم يمنع أن يكون هو المتغلب حقيقة على الواقع السياسي في الأغلب الأعم من ديار المسلمين، فقد ألغيت الخلافة منذ أكثر من ثلاثة أرباع قرن، وتفككت أوصال دولها، وصارت تركيا . مركز دولة الخلافة . دولة قومية علمانية، تنص على ذلك في دستورها، وتحمي علمانيتها بالحديد والنار.

وكذلك فإن الكيانات السياسية التي نشأت على أنقاض الخلافة المهدَّمة؛ هي أيضاً من حيث الواقع والممارسة دول علمانية، وإنْ نصَّ بعضها في دستور البلاد على بعض الألفاظ التي قد توهم خلاف ذلك؛ مثل «مبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيس للتشريع» أو «المصدر الرئيس» أو نحو من ذلك، فإنك لا تكاد تجد غير تلك العبارة في أي من مواد الدستور مما يثبت صلته ونسبه للإسلام، بل تجد فيه ما ينص على أن الدولة ديمقراطية، أو قومية، أو اشتراكية، ونحو ذلك من تلك الأمور.

وإذ توقفت المعركة الفكرية عند حد هزيمة الفكر العلماني في نفيه لعلاقة الإسلام بالحكم والسياسة، وقبول غالبية هذا الاتجاه بتلك النتيجة ولو ظاهرياً على الأقل (وإن كان يحاول تطويقها والالتفاف عليها من خلال دروب ومسالك متعرجة)؛ فإننا لسنا بحاجة في هذه الدراسة الموجزة للتدليل على فساد النظرية العلمانية في علاقة الدين بالسياسة[7]، ويكفينا الحديث عن النظام السياسي الإسلامي نفسه، فنعرّفه، ونبيّن شكله وحدوده، وإدارته للدولة، وأهم خصائصه، ولا شك أن الحديث عن تفاصيل

النظام السياسي الإسلامي؛ يحمل في طياته رداً بليغاً على أصحاب النظرية العلمانية في علاقة الإسلام بالحكم والسياسة.

منهج البحث:

النظام السياسي في الإسلام هو نظام أقامته الشريعة، وطبَّقه المسلمون في واقعهم، وقد جرى البحث على أن تتناول موضوعاته طبقاً للمصطلحات الإسلامية نفسها ولطريقة أهل العلم في عرضها في مصنفاتهم، وإذا لاحظنا غياب النظام الإسلامي الحقيقي لأعصر خلت من كثير من دول المسلمين، مما ترتب عليه غربة المصطلحات المستعملة في هذا الشأن؛ فقد يكون من الأوفق . مع التزامنا بالمنهج المتقدم . أن نقرِّب هذه المصطلحات بلغة العصر، كما نعقد بعض الموازنات بين ما عندنا من الحق وما عند غيرنا من الباطل لتقريب الصورة وتوضيحها؛ مما قد يترتب عليه استعمال بعض المصطلحات من تلك المنظومة السياسية المغايرة.

خطة البحث:

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وقسمين.

أما المقدمة: فهي التي بين أيدينا.

وأما التمهيد: فيشمل مبحثين: الأول في تعريف النظام السياسي الإسلامي، والثاني عن التنظيمات الإدارية في النظام السياسي الإسلامي.

وأما القسم الأول: فهو عن أحكام الخلافة وما يتعلق بها.

وأما القسم الثاني: فنتناول فيه بعض المسائل المتعلقة بإدارة الدولة.

وأما الخاتمة: فنتناول فيها مستقبل النظام السياسي الإسلامي في عالمنا المعاصر.

وهذا أوان الشروع في المقصود، نسأل الله من فضله التوفيق والسداد والعون على تحصيله.

----

[1] - أدب الدنيا والدين، للماوردي، (ص 115).

[2] - هو الشيخ علي عبد الرازق، أحد علماء الأزهر الشريف، والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة، حيث كتب في ذلك الوقت كتاباً باسم (الإسلام وأصول الحكم)، وقد طبع عام (1344هـ/1925م).

[3] – وممن رد عليه الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، والشيخ محمد شاكر وكيل الأزهر، والأستاذ أمين الرافعي. وقد أفتى بردته كلٌّ من الشيخ محمد شاكر، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية، والشيخ محمد رشيد رضا، وقد ألَّف العلماء كتباً في الرد عليه، منهم الشيخ محمد الخضر حسين . الذي صار فيما بعد شيخاً للأزهر .، والشيخ محمد بخيت، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ولم تنقطع الكتب في الرد عليه، انظر: الإسلام والخلافة في العصر الحديث، د/ محمد ضياء الدين الريس، (ص 135)، تحطيم الصنم العلماني، محمد بن شاكر الشريف، (ص 14 . 15).

[4] – حكم هيئة كبار العلماء، (ص 32).

[5] – انظر: المرجع السابق، (ص 40).

[6] – كان الشيخ خالد محمد خالد . أحد خريجي الأزهر، والذي خلع الزي الأزهري ولبس «البدلة» ـ ناصر الشيخ علي عبد الرازق بكتابه (من هنا نبدأ)، وقد طبع الكتاب عام 1950م، ثم تراجع بعد ربع قرن من الزمن مع اشتداد عود الصحوة الإسلامية، وأصدر كتاباً يُقرر فيه أن الإسلام دين ودولة.

[7] – يمكن مراجعة عدة كتب في ذلك؛ منها: (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) للشيخ محمد الخضر حسين، و(حقيقة الإسلام وأصول الحكم) للشيخ محمد بخيت المطيعي، وكتاب (نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم) للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وكتاب (حكم هيئة كبار العلماء في كتاب الإسلام وأصول الحكم)، و(الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) د/محمد البهي، و(اتجاهات وطنية في الأدب) د/ محمد محمد حسين، و(الإسلام والخلافة في العصر الحديث) د/ محمد ضياء الدين الريس.

==============

#لقاء علمى فى ملتقى اهل التفسير

مع الدكتور احمد الطعان حول العلمانية

انقل لكم المشاركات المطروحة فى ملتقى اهل التفسير للقاء الدائر مع الدكتور احمد ادريس الطعان ويديرها الاخ رحيم

الكاتب : عبد الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قريباً بإذن الله تعالى.. سيتم اللقاء العلمي مع الدكتور أحمد إدريس الطعان الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بجامعة دمشق ، وهذا هو اللقاء العلمي الخامس الذي يجري في شبكة التفسير والدراسات القرآنية ، بعد اللقاءات الأربعة السابقة .

وسيكون الحوار كما يأتي :

بعد التعريف بالدكتور وأطروحته للدكتوراه سيتم الدخول مباشرة في محاور اللقاء وهي :

* مدخل: العَلمانية :المفهوم والخصائص.

أ- تدرج معنى المفهوم بحسب العصور والمجتمعات:

1. فصل الدين عن الدولة.
2. فصل الدين عن الحياة.
3. إنكار الغيبيات.
4. تنحية الأسئلة الكبرى.
5. أنسنة الإله وتأليه الإنسان.
6. الدنيوية.

ب- علاقة العَلمانية بـ:

1. العِلمانية.
2. اللائكية.
3. العَلمانوية.
4. السلام.
5. الديمقراطية.
6. العولمة.
7. العقل.

* المحور الأول: أسلمة العلمانية (هل يمكن التوفيق بين الإسلام والعَلمانية ؟ ولماذا ؟)

- إجاية العَلمانيين.

- تعقيب.

* المحور الثاني: مصدر القرآن الكريم .

- نظرة العَلمانيين إلى مفهوم الوحي.

- تعقيب.

* المحور الثالث: التأويل .

- العَلمانيين والتأويل.

- تعقيب.

* المحـور الرابـع: حتميـة العَلمانيـة (طوفـان العَلمانيـة - هـل سيكتسـح المجتمـع الإسلامي ؟ متى ؟ وكيف ؟)

- إجابة العَلمانيين.

- تعقيب.

* المحور الخامس: مصطلحات الفكر العَلماني: (تعريفها وبيان خطر تطبيقها).

مدخل أول: حرص العلمانيين على زخرفة اللفظ (التفيهُق).

مدخل ثاني: علم اللسانيات.

1. البنيوية.
2. التفكيكية.
3. الهرمينوطيقا.
4. الأنسنة.
5. المركَسة.
6. الأرخنة.

(مصطلحات أخرى يطلب الإخوة التعريف بها).

أرجو من الإخوة التكرم بالمشاركة بمقترحاتهم وأسئلتهم أو إضافة محاور جديدة..

لا يوجد أحد غير الملاحدة قد سخر هذا الكم الهائل من الفكر لتحويل البشر إلى حيوانات... فبعد التمعن فى ما كتبوه ومعرفة ما يريدونه للبشرية لم يبق لنا سوى انتظار المشى على اربعة !

روابط هامة :

فهرس مواضيع الرد على الملحدين والعلمانين ... فهرس قسم الحوار حول الإسلام

مجموعة من الكتب لاغنى عنها للرد على الملحدين والعلمانيين ... الدليل الجامع للرد علي الشبهات والاباطيل

أيها الموحدون .... انتبهوا إلى ألاعيب الملحدين !

الكاتب : عبدالرحمن الشهري

نرحب بالدكتور الكريم أحمد إدريس الطعان في ملتقى أهل التفسير ضيفاً كريماً ، ومشاركاً فيما يدور في هذا الملتقى العلمي من حوارات ونقاشات علمية . ونسأل الله أن يبارك في جهوده العلمية في الدفاع عن القرآن الكريم ، وكشف الشبهات التي تثار بين الحين والآخر ضده. ونرجو أن يوفق الدكتور أحمد الطعان في أجوبته في هذا اللقاء العلمي المتجدد. كما أشكر أخي الكريم الأستاذ عبدالرحيم الشريف على تبنيه إدارة هذا الحوار لصلته بالضيف الكريم ، وبموضوع اللقاء العلمي ، وآمل أن ينير هذا اللقاء العلمي جوانب كثيرة تخفى على كثير من المتخصصين في الدراسات القرآنية من الشبهات المتجددة التي تثار حول كتاب الله الكريم ، والتي تمس الحاجة إلى معرفتها ، وكيفية التعامل معها ، والرد عليها رداً علمياً.

____

الكاتب : ابو بيان

مرحبا بالدكتور الطعان في الملتقى, وشكر الله له تعاونه ومشاركته, ونسأل الله أن يوفقه ويفتح عليه. والشكر موصول لأخينا الأستاذ عبد الرحيم على ما يقدمه من فوائد للملتقى, والتي ليس من آخرها هذا اللقاء إن شاء الله.

____

الكاتب : احمد الطعان

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أشكركم إخوتي الأكارم جميعاً على حسن استقبالكم وبارك الله فيكم ...

وأسأل الله عز وجل أن يوفقني لبيان الحق وكشف الزيف ...

ولي طلب واحد هو أن يتاح لي من الوقت ما يكفي لتنسيق مشاركاتي وعرضها عليكم وجزاكم الله خيراً .. وأنا الآن إن شاء الله عز وجل جاهز للبدء إذا رغبتم ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

الكاتب : أحمد البريدى

نرحب بالدكتور أحمد ونسأل الله له السداد , ونؤمل فيكم كثيراً في ملتقى التفسير عموماً , وفي ملتقى الانتصار للقرآن خصوصاً إن كتب الله له الافتتاح .

الكاتب : الجندى

مقالات الدكتور أحمد الطعان

36http://www.eltwhed.com/vb/forumdisplay.php?f=

الكاتب : الخطيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

مرحباً بالأخ الحبيب د.أحمد الطعان ، وبمدير الحوار الأخ الحبيب الأستاذ عبد الرحيم الشريف.

أثق بأن حواراً يديره الأخ عبد الرحيم ، ويكون فارسه الأخ د.أحمد الطعان سوف يكون مفيداً بعون الله. فالأخ د.أحمد الطعان باحثٌ جيد جداً ، له خبرته وباعه في مناقشة الخطاب العلماني . أرحب بالأخوين الكريمين ، ولي بعون الله عودة.

الكاتب : احمد الطعان

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الفاضل وأستاذي الخطيب بارك الله فيك وأكرمك الله لقد طال البعد بيننا أرجو أن نلتقي قريباً على الأقل في المراسلة والخاص ..

والسلام عليكم ورحمة الله

الكاتب : د. عيسى الدريبي

نكررالترحيب بضيف الملتقى د/أحمدالطعان في هذا الموضوع الهام ومن كاتب متخصص فيه ، اذأن سببا رئيسا من اهم اسباب هجمة العلمانيين على هذا الدين هي موقفهم من القران وطريقة تعاملهم معه كنص إلهي، أوكنص من النصوص، كما يرى بعض كتابهم

واقترح على اخي الدكتور عبدالرحمن الشهري – اثراء للموضوع –التنسيق مع الدكتور سعيدبن ناصر الغامدي الاستاذ بجامعة الملك خالدللمداخلة في هذا الموضوع فهو راصد لكتابات العلمانيين ومهتم بهذا الموضوع من الناحية العقدية

الكاتب : احمد البريدى

معنا في الملتقى أحد الأخوات لها عناية بهذا الموضوع وهي الأخت منى محمد بهي الدين , وعنوان رسالتها : التيار العلماني الحديث وموقفه من التفسير, نوقشت في جامعة الأزهر , فليتها تطرح ما تراه .

الكاتب : مرهف

هلا شرحت لنا فضيلة الدكتور أحمد الطعان مدى العلاقة بين العلمانية والاستشراق منذ النشأة الاستشراقية والعلمانية إلى وقتنا الحالي وذلك من جهات التوافق والافتراق والمؤسسات الراعية والممولة إن أمكن ،فإن الدارس يلحظ توافقاً إن لم نقل تطابقاً بين ما تطرحه العلمانية ضد الإسلام وما يزعمه الاستشراق على الإسلام ،أم أن هذا الربط بين العلمانية والاستشراق غير سليم ، لأن البون شاسع بين المبدأين ، فالاستشراق ذو مبدأ ديني صليبي ، والعلمانية تفصل بين الدين والدنيا ولا تقبل الدين أصلاً وإن اتفقا في الغاية وبعض الأفكار,أرجوا التوضيح مع فائق احترامي مع بعض الأمثلة على التوافق .

إن كلاً من العلمانية والاستشراق يحثان على التعامل مع النص القرآني على أساس أدبي لا على أنه نص إلهي .

إن كلاً من العلمانية والاستشراق يطرحان فكرة أن الإسلام هو خليط النصرانية واليهودية

لا يوجد أحد غير الملاحدة قد سخر هذا الكم الهائل من الفكر لتحويل البشر إلى حيوانات... فبعد التمعن فى ما كتبوه ومعرفة ما يريدونه للبشرية لم يبق لنا سوى انتظار المشى على اربعة !

روابط هامة :

فهرس مواضيع الرد على الملحدين والعلمانين ... فهرس قسم الحوار حول الإسلام

مجموعة من الكتب لاغنى عنها للرد على الملحدين والعلمانيين ... الدليل الجامع للرد علي الشبهات والاباطيل

أيها الموحدون .... انتبهوا إلى ألاعيب الملحدين !

الكاتب : احمد الطعان

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
الأخ الفاضل مرهف بارك الله فيك :
العلمانية هي البيضة التي باضها الاستشراق في عالمنا العربي والإسلامي وأفقست بعده بعقود من الزمن، والواقع أن الاستعمار والتبشير والاستشراق // أجنحة المكر الثلاثة // هي التي مهدت الأرضية الثقافية والبيئة المناسبة لتقبل بعض العقول للعلمانية .
ولا يمكن الفصل بين هذه الأجنحة الثلاثة إلا على مستوى التنظير ، وقد تحالفت العلمانية بعد أن استوت على سوقها مع آبائها وكانت وفيَّة لهم فترجمت ثقافتهم وبررت استعمارهم وتقبلت حضارتهم دون تمييز ويكفي أن نتذكر هنا جهود سلامة موسى في توطئة الأرض للإنكليز وطه حسين وعلاقاته مع عدد من المستشرقين ثم علي عبد الرازق الذي أصدر كتابه الإسلام وأصول الحكم في الوقت الذي تكاتفت فيه أوربا لإسقاط الخلافة في تركيا .
كما أن أكثر الأفكار التي طرحها الاستشراق رددها العلمانيون فيما بعد ولا يزالون فقد تبنى طه حسين فكرة مرجليوث حول الانتحال في قضية الشعر ، وإنكار وجود سيدنا إبراهيم عليه السلام .
وهنا يمكن مراجعة هذا الموضوع :
2649http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=
وإذا تأملنا سوف نجد أن العلمانية تسربت إلى بلادنا العربية عبر نافذتين أساسيتين هما : لبنان ومصر ، وتأتي تونس في المرحلة الثانية لهاتين ، فقد كان اهتمام الدول الغربية بالأقليات المسيحية في لبنان وسوريا تحركه طائفة من الأطماع والغايات ، وقد احتضنت العديد من الجامعات والمدارس في إيطاليا وفرنسا طلبة مشرقيين مسيحيين ووجدت صلات وروابط قوية بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية ، والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية رغم الاختلاف بينهما ، ويعود تاريخ الإرساليات التبشيرية الأجنبية إلى الشام إلى مطلع القرن السابع عشر ، وكان اليسوعيون أنشط هذه الجمعيات وتعود صلتهم بالشام إلى سنة 1625 م .

وقبل ذلك كانت العلاقة بين الأمير فخر الدين الثاني 1572 – 1632 حاكم لبنان والبابا غريغواريوس الثالث عشر 1585 – 1605م متينة ، وقد فتح هذا الأمير أمام الطلبة اللبنانبيين باب الذهاب إلى روما للدراسة فيها ، ومنحهم أرضاً ومساكن ثم أنشأ لهم مدرسة خاصة عام 1584م أسماها المدرسة المارونية ، وتعاطف كثيراً مع الإرساليات الأوربية ، وبسط يد الحماية في بلاد الشام حتى صار الأوربيون يدعونه " حامي النصارى في الشرق " .

ومن هؤلاء الطلبة " إبراهيم الحاقلاني 1605 – 1664م والمطران جرمانوس فرحات 1670 – 1732م ويوسف السمعاني 1687 – 1778 م وقد آلت السلطة بعد ذلك في لبنان إلى البطارقة والأساقفة المنتمين إلى الطوائف الدينية المتنوعة ، وكان هؤلاء الطلبة على حظ كبير من المعرفة والاطلاع على علوم الغرب ، وكانوا ثمرة الإرساليات الآتية من أوربا وفرنسا خصوصاً ثم من أمريكا ، ثم أصبحوا بعد ذلك في نظر القوميين والعلمانيين العرب أركان النهضة وطلائع التنوير .

ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت المطابع ، ونقلت البعثة التبشيرية الأمريكية مطبعتها من مالطا إلى بيروت . وهنا يجب أن لا يغيب عن بالنا الصلة الوثيقة الملاحظة بين العلمانية والتبشير من جهة ، وبين العلمانية والمسيحيين الذين حملوا لواء الدعوة إلى القومية فيما بعد من جهة ثانية .

لقد أنشأ بطرس البستاني 1819 – 1883 م المدرسة الوطنية في بيروت سنة 1863 م ثم أصبح النصف الثاني من القرن التاسع عشر مسرحاً للتنافس الشديد في إنشاء المدارس فكانت مدرسة عينطورة ومدرسة القديس يوسف ، والمدرسة الوطنية والمدرسة السورية الإنجيلية ومدارس الجمعية الأهلية كالمدرسة البطريركية ، ومدرسة الأقمار ، ومدرسة الحكمة ، ومدرسة كفتين التي تخرج منها فرح أنطون .

وكانت الجامعة الأمريكية البروتستانتية التي أُسست في بيروت سنة 1866م وتأيدت بمطبعة أحد المراكز الرئيسة في الشرق والتي كان هدفها الأساسي هو بعث الأفكار التنصيرية ، وإشاعة الثقافة الغربية في الوسط المسيحي أولاً ، والإسلامي ثانياً .

وكان الرهط الأول من العلمانيين قد تخرجوا منها ومن هؤلاء شبلي شميل ثم يعقوب صروف ، وفارس نمر ، ثم جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال .

بيد أن المنافسة كانت شديدة بين الجامعة الأمريكية البروتستانتية والإرساليات الفرنسية الكاثوليكية التي تسعى لصيانة أبناء ملتهم الكاثوليك من الأضاليل البروتستانتية ، وقد انتشرت مدارس هؤلاء في بيروت وصيدا، وأسسوا الكلية الكاثوليكية على غرار الجامعة الأمريكية سنة 1875م وتبنت فرنسا هذا المشروع في إطار الصراع على النفوذ بينها وبين أمريكا في لبنان .

ولكن يبدو أن الطائفية الشديدة المنتشرة في بيروت ولبنان بشكل عام ، والتي تتميز بنوع من العنصرية المتحكمة ، والعدوانية المتجذرة لم تساعد الغرب الأمريكي أو الأوربي على إمداد رجالاته ورموزه الذين زرعهم في لبنان بالوسائل المرادة لتحصيل أغراضه في العلمنة ، والتبشير والسيطرة ، وكانت فتنة الستين الرهيبة في لبنان والتي وقعت سنة 1860 م تمخضت عن مجزرة رهيبة في صفوف اللبنانيين ، واستهدفت البعثات التبشيرية الكاثوليكية وخصوصاً اليسوعية التي كانت أكثر الطوائف نشاطاً في ممارسة التنصير .

كانت هذه المجزرة دافعاً قوياً للتلاميذ " المدللين " إلى الهجرة من لبنان إلى مصر ، وخلافاً لما يؤكده بعض الباحثين من أن هجرة هؤلاء المفكرين كانت لأسباب وعوامل سياسية واجتماعية وثقافية وبحثاً عن الحرية ، فإني لا أستبعد أن تكون هذه الهجرة نتيجة لمؤامرة دبرت، وخطة رسمت في الأروقة الغربية ، وأوعز بتنفيذها إلى هؤلاء المتغربين ، ومن ثم نقلوا نشاطهم من لبنان إلى مصر .

وكان من هؤلاء المهاجرين فرنسيس مراش بين عامي 1867 – 1873 م وخليل سعادة، ونجيب حداد بين عامي 1867 – 1899 م وشبلي شميل هاجر إلى الإسكندرية سنة 1886م وفرح أنطون هاجر سنة 1897 م واستقر في مصر أيضاً كل من يعقوب صروف ، ونقولا حداد، وفارس نمر .

وأما في مصر :

فقد كانت حملة نابليون التي بدأت سنة 1798 م 1213 هـ بداية الغزو الصليبي الحديث ، ولكنه هذه المرة يختلف عن الحملات الصليبية السابقة ، فقد جند معه العقول ، وكل ما وصلت إليه الحضارة الغربية من منجزات مادية وفكرية وثقافية لتسهم معه في تكريس هذا الغزو وتوطيد أركانه وكان لهذه الحملة أثران :

إيجابي : حيث قامت بدور الصاعق الكهربائي الذي يجعل النائم يصحو ، والمريض ينتفض وينشط وكان ذلك قد لفت أنظار المسلمين إلى واقعهم المتردي ، وانحطاطهم المتفاقم عن ركب الحضارة .

سلبي : حيث رافق هذه الحملة ملابسات ، وأعراض مرضية أخذت تتفشى وتنتشر في المجتمع المصري من أزياء وعادات وأخلاق ، بالإضافة إلى الفكر الوافد الذي زرعه نابليون في عقول بعض الفئات وبدأ ينمو حتى أينعت ثماره فيما بعد على يد سلامة موسى وأمثاله .

لقد جاء الفرنسيون معهم بكل ما نشاهده اليوم من مظاهر للعلمانية في الأخلاق والسلوك والفكر ، فقد قتل نابليون عدداً كبيراً من العلماء ، ودنس جنوده المقدسات ، وزينوا للمصريين مخالفة دينهم بالممارسات الشنيعة ، فتأثراً بهم خرجت المرأة المصرية عن حشمتها ، وحجابها ، واختلطت بهم ، وكان الهدف الأكبر للفرنسيين هو قلب التقاليد الإسلامية المصرية . ورافق هذا الاحتلال محاولات متواصلة وجهود مكثفة لقطع الشعوب الإسلامية " الغافية " عن ماضيها وتراثها ودينها ولغتها ، وصبغها بصبغات غربية ، وإشاعة الفواحش والمنكرات والعادات الغربية بين أبناء المسلمين ، وساعد على ذلك الفقر الشديد الذي تعانيه المجتمعات الإسلامية نتيجة للاستعمار ، والحكام والملوك المستبدين الذين صنعهم الاستعمار ووطد سلطانهم لخدمة مصالحه واستفحل نتيجة لذلك الجهل والأمية ، وظل التعليم محصوراً في بعض الطبقات الثرية ، والأسر الأرستقراطية .

وقد أدرك المستعمر أن تغيير الفكر، وغسل الأدمغة يجب أن يتم قبل أي مشروع آخر وذلك لتسهيل مهمته في استعباد الشعوب واستغلالها، وجعلها دائماً في دوامة التبعية الحضارية والحاجة إلى الوصاية والانتداب، فكانت دراسات المستشرقين الهائلة التي وُظِّفت لها أموالٌ طائلة وبُذلت من أجلها جهودٌ جبارة، وكانت في معظمها قائمة على التزوير والتحريف والافتراء .

ومن هنا ظلت أعين المسلمين دائماً تنظر إلى الإنتاج الاستشراقي بالريبة والحذر بل غالباً ما يتعامل معها المسلمون على أنها جهود استعمارية معادية ، والحسن فيها استثناءً نادرٌ ، ولذلك رأى المستعمر أن يصنع لهذه الأمة قادة من أبنائها يربيهم

على موائده ، ويعلمهم في معاقله ، ثم يفيض عليهم من إحسانه ، ويمرغهم في إنعامه ، ويغمسهم في ملذاته ، ويسديهم من خيراته ، ثم يضفي عليهم من الشهرة والمجد ما يجعلهم محط الأنظار وقادة الأفكار ، ورواد الإصلاح ، وزعماء التجديد إنها نصيحة زويمر للمبشرين : "" تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها "" .

وهذا ما فعله الغرب المستعمر فأبرز من أبرز وطمس من طمس ، وكان الذين برزوا هم الذين أخلصوا لسادتهم المستعمرين ، وتحقق هؤلاء السادة من عمالتهم ودناءتهم فجعلوهم نجوماً للأمة يَهدُونها إلى التغرُّب ، ويزينون لها التأوْرُب .

أخي الكريم :

العلمانية هي المُسخة الجديدة للاستشراق ...

وأنا أسميها مُسخة لأنها نسخة مشوهة تريد ان تلصق نفسها بحضارتنا وتراثنا على أنها من داخل هذا التراث وليست غريبة عنه وكما جاء في الحديث // هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا // .

والعلمانيون في تعاملهم مع القرآن الكريم على أنه نص بشري أو أدبي هم يجترون في ذلك جهود المدارس الغربية التاريخية وخصوصاً المدرسة الألمانية في دراساتهم وانتقاداتهم للكتاب المقدس وخصوصاً ما سمي بالنقد العالي للكتاب المقدس .

إنهم يسعون لإسقاط ما تم إنجازه بخصوص الكتاب المقدس على القرآن الكريم .

الكاتب : عبد الرحيم

إخوتي الأحبة: سنبدأ اللقاء مع الأخ أحمد الطعان، وبالنسبة للتعريف به وبأطروحته: " موقف الفكر العربي العلماني من النص القرآني / دعوى تاريخية النص نموذجاً " فسيتم ذلك في موضوع مستقل حين يزف لكم البشرى بطباعتها قريباً تحت عنوان مبدئي: " العلمانيون والقرآن ".

ولنبدأ اللقاء:

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

سؤال:

أخي الفاضل... تعددت التعريفات، واشتهرت الدراسات، لكن: لا بد مما ليس منه بد فما العلمانية ؟

لن أتعب رؤوسكم بقراءة ما كُتب في دوائر المعارف والمعاجم الأوربية عن العلمانية وسوف أدخل معكم مباشرة إلى بعض النتائج :

– أولاً : هناك اتفاق بين المعاجم ودوائر المعارف المشار إليها على أن العلمانية هي توجه دنيوي محض ، وتسعى لصرف الناس عن الاهتمام بالآخرة أو أي غيبيات ، وتدعوهم إلى الاهتمام بالعالم الحاضر ، والحياة المشاهدة ، وتكرس محبة هذا العالم لأن الخير الوحيد ، الحقيقي الذي يجب أن يُعترَف به هو في هذا العالم . أرجو أن نحتفظ بهذه الملاحظة معنا لأننا سنحتاجها قريباً .

– ثانياً : هناك اتفاق صراحة أو ضمناً على أن العلمانية مناهضة للأديان ، ومتقاطعة معها فهي تُحوّل المقدس إلى مدنس ، وتقلل من قيمة الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر .

لقد صرحت دائرة معارف الدين والأخلاق ، ودائرة المعارف البريطانية بأن العداء قائم بين العلمانية والأديان ، أما دائرة المعارف الأمريكية فلجأت إلى المراوغة مما أوقعها في التناقض فهي تقول : بأن العلمانية لا تمانع العقائد المسيحية ، ولا تنكر وجود خير آخر ، ثم تقول في نفس الوقت ، ولكن الخير الحقيقي في هذه الحياة الحاضرة ، وهو الجدير بالاهتمام والبحث وإذا كانت المسيحية تعتبر المسيح هو المنقذ والمخلص ، فإن الخلاص والغاية في نظر العلمانية هو في العلمانية القائمة على التجارب والمحسوس .

– ثالثاً : مهما حاولت العلمانية والعلمانيون المصالحة مع الأديان ، فإن هذا يبدو بعيداً ، لأن العلمانية القائمة في أساسها على رفض المبادئ الدينية ، وعدم الاعتراف بها كأسس للالتزام الأخلاقي ، بل ورفض كل الماورائيات التي تقوم عليها الأديان ، وتدعو إلى إقامة الأخلاق والحياة الاجتماعية والسياسية على أسس وضعية نسبية وطبعية ، وهذا بحد ذاته بمثابة إعلان الحرب على الأديان ؛ لأن هذه تطرح نفسها على أنها الحقيقة المطلقة .

– رابعاً : نلاحظ أن العلمانية التي تقوم على محاربة احتكار الحقيقة ، وتندد بـ " ملاك الحقيقة المطلقة " تقع هي نفسها في هذا الاحتكار والتملك فهي كما تشير دائرة معارف الدين والأخلاق تطرح نفسها على أنها : دين سلبي إنكاري ، وهي كما أشارت دائرة المعارف الأمريكية ترى الخلاص الوحيد والحقيقة المطلقة في العلمانية .

سؤال:

يرفض العلمانيون العرب نعتهم بالملحدين، فهل للعلمانية جذور إلحادية ؟

العلمانية هي ترجمة لكلمة سكيولاريزم secularism الإنجليزية ، وقد استخدم مصطلح " سكيولار " لأول مرة مع نهاية حرب الثلاثين عاماً سنة 1648 م عند توقيع صلح " وستفاليا " وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة ، وهو التاريخ الذي يعتمده كثير من المؤرخين بداية لمولد ظاهرة العلمانية في الغرب .

وكان معنى المصطلح في البداية محدود الدلالة ، ولا يتسم بأي نوع من أنواع الشمول أو الإبهام إذ تمت الإشارة إلى علمنة ممتلكات الكنيسة وحسب ، بمعنى نقلها إلى سلطات غير دينية ، أي إلى سلطة الدولة أو الدول التي لا تخضع لسلطة الكنيسة .

وفي فرنسا في القرن الثامن عشر أصبحت الكلمة تعني من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية : "" المصادرة غير الشرعية لممتلكات الكنيسة "" أما من وجهة نظر المستنيرين فإن الكلمة تعني : "" المصادرة الشرعية لممتلكات الكنيسة لصالح الدولة "" .

ولكن المجال الدلالي للكلمة اتسع وبدأت الكلمة تتجه نحو مزيد من التركيب والإبهام على يد هوليوك 1817 – 1906م الذي يعتبر أول من صاغ المصطلح بمعناه المعاصر ، وجعله يتضمن أبعاداً سياسية واجتماعية وفلسفية ، وأراد هوليوك أن يُجنب المصطلح مصادمة الأديان فعرّف العلمانية بما يشير إلى الرغبة في الحياد فقال:""العلمانية : هي الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية، دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض".

ولكن مع ذلك إذا شئنا أن نربط العلمانية بفلسفة منظرها هوليوك فيمكن القول إن العلمانية قائمة على الشك أحياناً ، والإلحاد الصريح أحياناً أخرى ؛ لأن هوليوك كان ينفي عن نفسه تهمة الإلحاد ، ولكنه في نفس الوقت يعترف بعدم وجود أدلة كافية للإيمان بالله [عز وجل] ، ويجهر أحياناً بأن الإله إنما هو " الحاضر المعيش ".

ويرجع أول استخدام لكلمة علمانية عند هوليوك إلى شهر ديسمبر سنة 1846 م عندما أوردها في مقال نشره في مجلة " ذي ريزونور " أي "المجادل العقلاني " ، والسبب أنه شعر مع بعض زملائه وأسلافه مثل " توماس بين " و "ريتشارد كارليل " و "روبرت تيلور " أن المسيحية لم تعد مقبولة لدى أكثر فئات المجتمع ، وقد مست الحاجة إلى استبدالها بمبدأ حديث فكان هو " العلمانية " وقد سماها أتباع روبرت أدين بـ " الدين العقلاني ". وهنا نتذكر ما تحدثنا عنه في التمهيد مما سمي " دين العقل " أو " الدين الطبيعي " .

أسس هوليوك في عام 1855 م " جمعية لندن العلمانية " وفي ديسمبر من نفس العام تحولت الحركة العلمانية إلى تيار واسع النطاق ، وتزايد انتشارها بين عامي 1853 – 1854 م ، مما دفع القس بردين جرانت إلى التصدي لها في كل أنحاء إنكلترة مفنداً ومجادلاً .

ولكن ازداد توزيع مجلة " الريزونور " العلمانية إلى خمسة آلاف نسخة ، وانتشرت الجمعيات العلمانية في جميع أنحاء بريطانيا ومن أبرزها " جمعية لستر العلمانية " و" جمعية بولتون العلمانية " وجمعيات أخرى في سائر أنحاء البلاد.

وكان لجهود تشارلس برادلاف 1833 – 1894 م دوراً كبيراً في ترسيخ المبادئ العلمانية الجديدة ، وإضفاء طابع الإلحاد عليها ، وذلك عندما استلم رئاسة جمعية لندن العلمانية سنة 1858 م بدلاً من هوليوك ، واشترك سنة 1860 م في تحرير مجلة " المصلح القومي " التي حلت محل سابقتها " الريزونور " وأسس الجمعية العلمانية القومية سنة 1866 م .

اندثرت مجلة " المصلح القومي " سنة 1881 م لتحل محلها مجلة " المفكر الحر " التي زادت من جرعتها الإلحادية ، فكانت لا تكف عن الاستهزاء بالأناجيل ، والسخرية من الذات الإلهية ، إلى درجة أنها طالبت بمحاكمة أصحاب الأناجيل

الأربعة لأنهم يجدفون على الله [عز وجل] فهم يقولون بأن الله [عز وجل] ، ضاجع عذراء يهودية وأنجب منها طفلاً غير شرعي أسماه المسيح.

والخلاصة ؟

في الواقع إننا لا نعرض هنا خلاصة لأن الخلاصة كانت هي ما عبرت عنه دوائر المعارف والمعاجم .كما رأينا .ولكن يمكن اعتبار ما نذكره هنا على أنه تأكيد للخلاصة ، أو أنه خلاصة الخلاصة .

لقد رأى بعض القسيسين أن العلمنة في الأصل تحوُّل المعتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية عن البشر والعالم ولا سيما من منظور بروتستانتي . ولكن عالم اللاهوت الهولندي " كورنليس فان بيرسن " يوضح ذلك بشكل أكثر صراحة عندما يقرر بأن العلمانية تعني : "" تحرر الإنسان من السيطرة الدينية أولاً ، ثم الميتافيزيقية ثانياً على عقله ولغته " ويفصل أكثر بقوله : " إنها تعني تحرر العالم من الفهم الديني ، وشبه الديني ، إنها نبذ لجميع الرؤى الكونية المغلقة ، وتحطيم لكل الأساطير الخارقة، وللرموز المقدسة ... إنها تخليص للتاريخ من الحتميات والقدريات، وهي اكتشاف الإنسان أنه قد تُرك والعالَم بين يديه، وأنه لا يمكن بعد الآن أن يلوم القدر أو الأرواح الشريرة على ما تفعله بهذا العالم، إنها تعني أن يدير الإنسان ظهره لعالم ما وراء الطبيعة، وأن يولي وجهه شطر هذا العالم أو" الهنا "وأن يحصر نفسه في الزمن الحاضر"" .

إنها تعني : "" زوال وظيفة الدين في تحديد رموز التوحيد والاندماج الثقافي " ، وتعني أن هناك : " مساراً تاريخياً لا راد له تقريباً هو الذي يتحرر بمقتضاه المجتمع والثقافة من الخضوع لوصاية الدين والأنساق الميتافيزيقية المغلقة "" ، وتعني : "" القضاء على التبعية الطفولية في كل مستوى من مستويات المجتمع ، إنها عملية نضج ورشد وتحمل للمسؤولية ، أو قل إنها التخلي عن كل سند ديني أو غيبي أو ميتافيزيقي ، وجعل الإنسان يعتمد على نفسه "" .

أخيراً يمكن أن نختم بما يلي : العلمانية في المنظور الغربي هي: التحرر من الأديان عبر" السيرورة " التاريخية، واعتبار الأديان مرحلة بدائية لأنها تشتمل على

عناصر خرافية كالماورائيات والغيبيات، ولا يتم الخلاص من هذه الأعباء إلا عن طريق تحقيق النضج العقلي الذي تحققه العلمنة عبر آلياتها الثقافية والفكرية والفلسفية. وهذا ما يعبر عنه د.ج.ويل بقوله:"" الفكرة العلمانية تنطوي على مفهوم فلسفي يتعلق باستقلال العقل في قدرته " . وذلك يعني بنظر كلود جفراي "" إلغاء كل مرجع ديني" . وهو نفس ما يريده جول فيري 1832 – 1893م ولكن بتعبير أكثر حدة حيث الغرض النهائي من العلمانية عنده هو:"" تنظيم المجتمع بدون الله ""[عز وجل]. إنها الدنيوية إذن .

ـــ

سؤال:

من حيث تعريف العلمانية: لا علاقة لها بالدين، لكنها في الجوهر: دراسات متعمقة في الدين هل هذا ما تقصده ؟

من خلال تتبعي لكتابات العلمانيين ودراستها دراسة علمية:

كان قد استقر رأيي – ردحاً من الزمن – على أن العلمانية هي : "" أنسنة الإلهي ، وتأليه الإنساني "" ويتميز هذا الحد بأنه يجمع خصائص كثيرة للعلمانية في شطريه : فالشطر الأول " أنسنة الإلهي " يحتوي على مقولة العلمانية في رفض المصدر الإلهي للأديان أو الوحي ، واعتبارها ظواهر اجتماعية وإنسانية تاريخية برزت ضمن ظروف ومعطيات معينة كما أراد فرويد وغيره . ويحتوي هذا الشطر أيضاً : على إلغاء أو تمييع كل المقدَّسات والمعجزات ، وإعادة تفسيرها تفسيراً إنسانياً اجتماعياً أو اقتصاديا أو مادياً ، أو نفسانياً واعتبارها مجرد خرافات وأساطير عفا عليها الزمن .

ويحتوي هذا الشطر أيضاً : على أنسنة الطبيعة والكون بمعنى تجريده من أية دلالات روحية أو كونية أو رمزية ، واعتبارها مواد للإنسان عليه أن يستثمرها في منفعته وأنانيته بشكل مطلق وإمبريالي دون أي اعتبار آخر ، مع رفض الدلالات الغيبية ، والإشارات الربانية التي تؤكد عليها الأديان جميعاً كمعالم للهداية ، باعتبار الطبيعة – في رؤيتها – كتاباً كونياً منظوراً إلى جانب الوحي المكتوب .

ويحتوي هذا الشطر أيضاً : على الجهود التي تبذلها العلمانية لاستثمار الإلهي وتحويله إلى فكرانية بمعنى : "" تحويل الوحي إلى إيديولوجية "". "" تحويل الوحي

ذاته إلى علم إنساني "" وذلك لتحقيق أغراض الإنسان وأطماعه ، وقد تجلى ذلك واضحاً في الفلسفة الفيورباخية ، وتبنى ذلك حسن حنفي من العلمانيين العرب – كما سنرى – ومعنى ذلك "" إلغاء الغيب كمصدر للمعرفة ، وقصرها على عالم الشهادة "" ويتم ذلك بالعقل والتجريب بعيداً عن الوحي .

وعلى مستوى العلاقة بين العلمانية العربية والنص القرآني فإنه يتجلى أيضاً دور الشطر الأول من التعريف حيث نجد نزعة الأنسنة سائدة لدى هؤلاء فكتب أركون كتابه " نزعة الأنسنة " وحاول نصر حامد أبو زيد وغيره استعادة القضية الكلامية القديمة التي ثار حولها جدل طويل ، وهي مسألة خلق القرآن في شكلها الاعتزالي ، وذلك من أجل تكريس إنسانية الوحي ومنتوجيته البشرية ، وسنفصل ذلك فيما بعد .

وأما الشطر الثاني من التعريف " تأليه الإنساني " فيتولى تغطية جوانب كثيرة أيضاً من خصائص العلمانية أهمها : النزعة الغرورية التي كرستها فلسفة نيتشة وداروين عبر " الإنسان الأعلى " و" البقاء للأقوى " والتي مورست عملياً من خلال حكام النازية والفاشية كما أشرنا سابقاً.

ويتضمن هذا الشطر أيضاً : التركيز العلماني الدائم على مركزية الإنسان ، واستقلالية العقل ، وهذه الأخيرة تشكل بُعداً أساسياً في العلمنة حتى عُرِّفت بأنها لا سلطان على العقل إلا للعقل في تفسير الوجود . هذا الجزء يتكفل بالإشارة إلى هذا البعد ، حيث إن تأليه الإنسان يعني أن التفكير الإنساني مستقل عن الوحي ، بل يرقى إلى مرتبة الوحي ، ويحظى بنصيب من الألوهية . لقد بلغ الأمر بالفرنسيين بعد الثورة أن نصبوا تمثالاً وعبدوه سموه " إلاهة العقل " .

ويتضمن هذا الشطر أيضا : الإشارة إلى تأليه القيم الجديدة للعلمانية المتمثلة في حقوق الإنسان ، وترسيخ الفردية المطلقة ، والديمقراطية ، وحرية المرأة المطلقة ، ونسبية الأخلاق ، والعِلمانية – بالكسر – ، وكل ذلك ما هو إلا إحلال لمنظومة جديدة مؤلَّهة من القيم الإنسانية ، وإضفاء حالة من القداسة عليها ، بدلاً من الدستور الإلهي القائم على الوحي .

ويتضمن هذا الشطر أيضا : الإشارة إلى الجانب العبثي في العلمانية وهو بعد جوهري فيها ، ذلك لأن تأليه الإنساني يعني أن الإنسان الجسد هو المُؤلَّه ، لأن

العلمانية لا تعترف إلا بالجسد ، وحاجات هذا الجسد الجنسانية والغرائزية تنال حظاً وافراً من الإجلال والقداسة – كما رأينا في الفصل الأول –إن تأليه الإنساني يعني تقديس المُدَنَّس والارتفاع به إلى مستوى الألوهية.

أما البعد المادي في العلمانية فإن شطري التعريف يسهمان في تغطيته ، إذ إن أنسنة الإلهي تعني تحويل ما ليس بمادة إلى مادة ، أو بعبارة أخرى تدنيس المقدس والتعامل معه على هذا الأساس الدَّنِس . ثم يأتي الشطر الثاني ليضفي على المادة قداسة جديدة " تقديس المدنس " وتصبح المادة بهذا الشكل حالَّة محل الألوهية ، ويغدو كل ما سواها ضربٌ من الأساطير والأوهام . وهو ما سعت الفيورباخية والماركسية إلى تكريسه .

———————————————————————

سؤال:

ما هو التعريف النهائي الجامع المانع الذي ارتضيته للعلمانية

الدنيوية، وما أريد أن أقوله هنا : هو أن " الدنيوية " ليست مجرد ترجمة لغوية للعلمانية ، وأعني أن العلمانية يمكن أن تُعرَّف تعريفاً جامعاً مانعاً – فيما أرى – بكلمة واحدة هي : " الدنيوية " .

إن هذا التعريف – كما يبدو لي – لا يكاد يغادر صغيرة ولا كبيرة من مقولات العلمانية وخصائصها إلا ويطويها في داخله ، وإن نظرة سريعة في تاريخ العلمانية وأسسها وجذورها ، وأبعادها وتجلياتها سوف تبين أن الدنيوية هي الهم الأول ، والهاجس الأساسي ، بل الوحيد الذي تدور عليه العلمانية .

فالمادية ، واللامادية ، والمثالية ، والعقلانية ، والعِلمانية ، والتطورية ، والجنسانية ، والأنسنة ، والحرية ، والديمقراطية ، وحقوق الإنسان ، والعنصرية ، والفردية ، كل هذه العناصر التي أفرزتها العلمانية عبر تاريخها الطويل أُريدَ منها أن تحقق للإنسان السعادة في هذه الحياة الدنيا دون أي اعتبار آخَر ليوم آخِر ، والسعادة المقصودة هنا هي أقصى قدر ممكن من اللذة والمتعة .

——————————————————

سؤال:

إن كان للعلمانية بعدها الدنيوي الإلحادي، فما علاقتها بالتنصير وما يتفرع عنه من تبشير واستعمار واستشراق... الخ

العلمانية هي البيضة التي باضها الاستشراق في عالمنا العربي والإسلامي وأفقست بعده بعقود من الزمن، والواقع أن الاستعمار والتبشير والاستشراق // أجنحة المكر الثلاثة // هي التي مهدت الأرضية الثقافية والبيئة المناسبة لتقبل بعض العقول للعلمانية .

ولا يمكن الفصل بين هذه الأجنحة الثلاثة إلا على مستوى التنظير ، وقد تحالفت العلمانية بعد أن استوت على سوقها مع آبائها وكانت وفيَّة لهم فترجمت ثقافتهم وبررت استعمارهم وتقبلت حضارتهم دون تمييز ويكفي أن نتذكر هنا جهود سلامة موسى في توطئة الأرض للإنكليز وطه حسين وعلاقاته مع عدد من المستشرقين ثم علي عبد الرازق الذي أصدر كتابه الإسلام وأصول الحكم في الوقت الذي تكاتفت فيه أوربا لإسقاط الخلافة في تركيا .

كما أن أكثر الأفكار التي طرحها الاستشراق رددها العلمانيون فيما بعد ولا يزالون فقد تبنى طه حسين فكرة مرجليوث حول الانتحال في قضية الشعر ، وإنكار وجود سيدنا إبراهيم عليه السلام .

وإذا تأملنا سوف نجد أن العلمانية تسربت إلى بلادنا العربية عبر نافذتين أساسيتين هما : لبنان ومصر ، وتأتي تونس في المرحلة الثانية لهاتين ، فقد كان اهتمام الدول الغربية بالأقليات المسيحية في لبنان وسوريا تحركه طائفة من الأطماع والغايات ، وقد احتضنت العديد من الجامعات والمدارس في إيطاليا وفرنسا طلبة مشرقيين مسيحيين ووجدت صلات وروابط قوية بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية ، والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية رغم الاختلاف بينهما ، ويعود تاريخ الإرساليات التبشيرية الأجنبية إلى الشام إلى مطلع القرن السابع عشر ، وكان اليسوعيون أنشط هذه الجمعيات وتعود صلتهم بالشام إلى سنة 1625 م . تسربت العلمانية إلى بلادنا العربية عبر نافذتين أساسيتين هما : لبنان ومصر ، وتأتي تونس في المرحلة الثانية لهاتين.

فقد كان اهتمام الدول الغربية بالأقليات المسيحية في لبنان وسوريا تحركه طائفة من الأطماع والغايات ، وقد احتضنت العديد من الجامعات والمدارس في إيطاليا وفرنسا طلبة مشرقيين مسيحيين ووجدت صلات وروابط قوية بين الكنيسة الكاثوليكية الغربية ، والكنيسة الأرثوذكسية الشرقية رغم الاختلاف بينهما ، ويعود تاريخ الإرساليات التبشيرية الأجنبية إلى الشام إلى مطلع القرن السابع عشر ، وكان اليسوعيون أنشط هذه الجمعيات وتعود صلتهم بالشام إلى سنة 1625 م .

وقبل ذلك كانت العلاقة بين الأمير فخر الدين الثاني 1572 – 1632 حاكم لبنان والبابا غريغواريوس الثالث عشر 1585 – 1605م متينة ، وقد فتح هذا الأمير أمام الطلبة اللبنانبيين باب الذهاب إلى روما للدراسة فيها ، ومنحهم أرضاً ومساكن ثم أنشأ لهم مدرسة خاصة عام 1584م أسماها المدرسة المارونية ، وتعاطف كثيراً مع الإرساليات الأوربية ، وبسط يد الحماية في بلاد الشام حتى صار الأوربيون يدعونه " حامي النصارى في الشرق " .

ومن هؤلاء الطلبة " إبراهيم الحاقلاني 1605 – 1664م والمطران جرمانوس فرحات 1670 – 1732م ويوسف السمعاني 1687 – 1778 م وقد آلت السلطة بعد ذلك في لبنان إلى البطارقة والأساقفة المنتمين إلى الطوائف الدينية المتنوعة ، وكان هؤلاء الطلبة على حظ كبير من المعرفة والاطلاع على علوم الغرب ، وكانوا ثمرة الإرساليات الآتية من أوربا وفرنسا خصوصاً ثم من أمريكا ، ثم أصبحوا بعد ذلك في نظر القوميين والعلمانيين العرب أركان النهضة وطلائع التنوير .

ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت المطابع ، ونقلت البعثة التبشيرية الأمريكية مطبعتها من مالطا إلى بيروت. وهنا يجب أن لا يغيب عن بالنا الصلة الوثيقة الملاحظة بين العلمانية والتبشير من جهة ، وبين العلمانية والمسيحيين الذين حملوا لواء الدعوة إلى القومية فيما بعد من جهة ثانية .

لقد أنشأ بطرس البستاني 1819 – 1883 م المدرسة الوطنية في بيروت سنة 1863 م ثم أصبح النصف الثاني من القرن التاسع عشر مسرحاً للتنافس الشديد في إنشاء المدارس فكانت مدرسة عينطورة ومدرسة القديس يوسف ، والمدرسة الوطنية

والمدرسة السورية الإنجيلية ومدارس الجمعية الأهلية كالمدرسة البطريركية ، ومدرسة الأقمار ، ومدرسة الحكمة ، ومدرسة كفتين التي تخرج منها فرح أنطون.

وكانت الجامعة الأمريكية البروتستانتية التي أُسست في بيروت سنة 1866م وتأيدت بمطبعة أحد المراكز الرئيسة في الشرق والتي كان هدفها الأساسي هو بعث الأفكار التنصيرية ، وإشاعة الثقافة الغربية في الوسط المسيحي أولاً ، والإسلامي ثانياً .

وكان الرهط الأول من العلمانيين قد تخرجوا منها ومن هؤلاء شبلي شميل ثم يعقوب صروف ، وفارس نمر ، ثم جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال .

بيد أن المنافسة كانت شديدة بين الجامعة الأمريكية البروتستانتية والإرساليات الفرنسية الكاثوليكية التي تسعى لصيانة أبناء ملتهم الكاثوليك من الأضاليل البروتستانتية ، وقد انتشرت مدارس هؤلاء في بيروت وصيدا، وأسسوا الكلية الكاثوليكية على غرار الجامعة الأمريكية سنة 1875م وتبنت فرنسا هذا المشروع في إطار الصراع على النفوذ بينها وبين أمريكا في لبنان .

ولكن يبدو أن الطائفية الشديدة المنتشرة في بيروت ولبنان بشكل عام ، والتي تتميز بنوع من العنصرية المتحكمة ، والعدوانية المتجذرة لم تساعد الغرب الأمريكي أو الأوربي على إمداد رجالاته ورموزه الذين زرعهم في لبنان بالوسائل المرادة لتحصيل أغراضه في العلمنة ، والتبشير والسيطرة ، وكانت فتنة الستين الرهيبة في لبنان والتي وقعت سنة 1860 م تمخضت عن مجزرة رهيبة في صفوف اللبنانيين ، واستهدفت البعثات التبشيرية الكاثوليكية وخصوصاً اليسوعية التي كانت أكثر الطوائف نشاطاً في ممارسة التنصير.

كانت هذه المجزرة دافعاً قوياً للتلاميذ " المدللين " إلى الهجرة من لبنان إلى مصر ، وخلافاً لما يؤكده بعض الباحثين من أن هجرة هؤلاء المفكرين كانت لأسباب وعوامل سياسية واجتماعية وثقافية وبحثاً عن الحرية ، فإني لا أستبعد أن تكون هذه الهجرة نتيجة لمؤامرة دبرت، وخطة رسمت في الأروقة الغربية ، وأوعز بتنفيذها إلى هؤلاء المتغربين ، ومن ثم نقلوا نشاطهم من لبنان إلى مصر .

وكان من هؤلاء المهاجرين فرنسيس مراش بين عامي 1867 – 1873 م وخليل سعادة، ونجيب حداد بين عامي 1867 – 1899 م وشبلي شميل هاجر إلى

الإسكندرية سنة 1886م وفرح أنطون هاجر سنة 1897 م واستقر في مصر أيضاً كل من يعقوب صروف ، ونقولا حداد، وفارس نمر .

وأما في مصر :

فقد كانت حملة نابليون التي بدأت سنة 1798 م 1213 هـ بداية الغزو الصليبي الحديث ، ولكنه هذه المرة يختلف عن الحملات الصليبية السابقة ، فقد جند معه العقول ، وكل ما وصلت إليه الحضارة الغربية من منجزات مادية وفكرية وثقافية لتسهم معه في تكريس هذا الغزو وتوطيد أركانه وكان لهذه الحملة أثران :

إيجابي : حيث قامت بدور الصاعق الكهربائي الذي يجعل النائم يصحو ، والمريض ينتفض وينشط وكان ذلك قد لفت أنظار المسلمين إلى واقعهم المتردي ، وانحطاطهم المتفاقم عن ركب الحضارة.

سلبي : حيث رافق هذه الحملة ملابسات ، وأعراض مرضية أخذت تتفشى وتنتشر في المجتمع المصري من أزياء وعادات وأخلاق ، بالإضافة إلى الفكر الوافد الذي زرعه نابليون في عقول بعض الفئات وبدأ ينمو حتى أينعت ثماره فيما بعد على يد سلامة موسى وأمثاله .

لقد جاء الفرنسيون معهم بكل ما نشاهده اليوم من مظاهر للعلمانية في الأخلاق والسلوك والفكر ، فقد قتل نابليون عدداً كبيراً من العلماء ، ودنس جنوده المقدسات ، وزينوا للمصريين مخالفة دينهم بالممارسات الشنيعة ، فتأثراً بهم خرجت المرأة المصرية عن حشمتها ، وحجابها ، واختلطت بهم ، وكان الهدف الأكبر للفرنسيين هو قلب التقاليد الإسلامية المصرية. ورافق هذا الاحتلال محاولات متواصلة وجهود مكثفة لقطع الشعوب الإسلامية " الغافية " عن ماضيها وتراثها ودينها ولغتها ، وصبغها بصبغات غربية ، وإشاعة الفواحش والمنكرات والعادات الغربية بين أبناء المسلمين ، وساعد على ذلك الفقر الشديد الذي تعانيه المجتمعات الإسلامية نتيجة للاستعمار ، والحكام والملوك المستبدين الذين صنعهم الاستعمار ووطد سلطانهم لخدمة مصالحه واستفحل نتيجة لذلك الجهل والأمية ، وظل التعليم محصوراً في بعض الطبقات الثرية ، والأسر الأرستقراطية .

وقد أدرك المستعمر أن تغيير الفكر، وغسل الأدمغة يجب أن يتم قبل أي مشروع آخر وذلك لتسهيل مهمته في استعباد الشعوب واستغلالها، وجعلها دائماً في دوامة التبعية الحضارية والحاجة إلى الوصاية والانتداب، فكانت دراسات المستشرقين الهائلة التي وُظِّفت لها أموالٌ طائلة وبُذلت من أجلها جهودٌ جبارة، وكانت في معظمها قائمة على التزوير والتحريف والافتراء .

ومن هنا ظلت أعين المسلمين دائماً تنظر إلى الإنتاج الاستشراقي بالريبة والحذر بل غالباً ما يتعامل معها المسلمون على أنها جهود استعمارية معادية ، والحسن فيها استثناءً نادرٌ ، ولذلك رأى المستعمر أن يصنع لهذه الأمة قادة من أبنائها يربيهم على موائده ، ويعلمهم في معاقله ، ثم يفيض عليهم من إحسانه ، ويمرغهم في إنعامه ، ويغمسهم في ملذاته ، ويسديهم من خيراته ، ثم يضفي عليهم من الشهرة والمجد ما يجعلهم محط الأنظار وقادة الأفكار ، ورواد الإصلاح ، وزعماء التجديد إنها نصيحة زويمر للمبشرين : "" تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها "" .

وهذا ما فعله الغرب المستعمر فأبرز من أبرز وطمس من طمس ، وكان الذين برزوا هم الذين أخلصوا لسادتهم المستعمرين ، وتحقق هؤلاء السادة من عمالتهم ودناءتهم فجعلوهم نجوماً للأمة يَهدُونها إلى التغرُّب ، ويزينون لها التأوْرُب .

سؤال:

لنعد إلى (تفكير) الفكر العلماني، يقول العلمانيون: " نحن لا نريد للدين أن يتدخل في السياسة، الاجتماع، الاقتصاد.. ". لكنهم هم يتدخلون في الدين، ألا تجد في ذلك مفارقة ؟

عندما عزمت على دراسة ظاهرة العلمانية كان التعريف القابع في ذهني هو التعريف الشائع لها وهو " فصل الدين عن الدولة " ولما قرأت قليلاً ورأيت من يطرح تعريفاً جديداً هو " فصل الدين عن الحياة " ملت إليه وقلت هو هذا ..!!

ومع طول المعايشة والمعاشرة للخطاب العلماني رأيت أن القضية أكبر من كونها قضية فصل ، وإنما هي في كثير من الأحيان أقرب إلى الجحود والنكران للأديان

وقيمها ، فضعفت قناعتي بهذا التعريف ، وهذا لا يعني أن التعريف قد فقد قيمته عندي ، وإنما يعني أنه قاصر عن الحد الكامل ، وإن كان يغطي مرحلة من مراحل العلمانية أو حيّزاً من رقعتها الشاسعة .

تبادر إلى ذهني في وقت من الأوقات أن العلمانية هي إلغاء المقدس ، ولكن بعض العلمانيين أنفسهم يعتبرون المقدس نمطاً لوجود الإنسان ، وأن الإنسان يعيد إنتاج المقدس بأشكال جديدة وهو يمارس دنيويته وأن المقدس عنصر من عناصر الوعي ، وأن أقصى مظاهر الحداثة المعاصرة غارقة في المقدس ، وهو ما يعني أن العلمانية غارقة في مقدسات ، بل ووثنيات جديدة تخترعها كبديل للمقدس الديني ، بل وتضع آلهة جديدة ، وتقدم لها مراسم وقرابين وألوان من العبودية والخضوع ، وهو ما أشار إليه – آنفاً – رفيق حبيب ."" إن الأسطرة ملَكة ثابتة وعبر هذا فالإنسان المعاصر يساهم أيضاً وعبر حرتقاته العلمية الجديدة في صنع أساطيره "" ولذلك "" يمكن أن يُؤلَّف عمل كامل عن أساطير الإنسان الحديث "" .

قلت : فهي إذن " إنكار الغيب ، وإثبات المادة " بيد أن العلمانية لم تتمكن من الاستمرار في إنكار الغيب ، لأن الإيمان بالغيب لا بد منه ، فإذا لم يأت اختياراً جاء اضطراراً ، وهذا هو الواقع فالعلمانية تؤمن بغيبيات وميتافيزيقيات كثيرة مثل النيترونات ، والأنتيرونات ، والأثير أو السديم ، وغير ذلك من أشياء يقوم عليها العلم ولكنها افتراضية ، والإيمان بها ليس إلا ضرباً من ضروب الإيمان بالغيب ، وإن كابرت العلمانية وعاندت ، وهو ما يلفت النظر إليه جلال أمين عندما يذهب إلى أنه "" لا مفر من اتخاذ موقف ميتافيزيقي ما ، والبدايات الميتافيزيقية هي التي تفضي إلى النتائج ، والمقولات المختلفة التي تكون أيديولوجية ما، والتي توجه السلوك الإنساني ، وهذا يعني أن العلمانية منظومة شاملة ورؤية للكون والطبيعة والإنسان تستند إلى ميتافيزيقا مُسبقة تطرح إجابات عن الأسئلة النهائية الكبرى ، فحالة الشك المطلقة ، الشك في كل المسلمات تجعل الحياة مستحيلة "" . "" فالغيبي مبدأ من مبادئ علم الاجتماع لا بد منه للمجتمع ولا يأتلف المجتمع ويكتمل إلا بمبدأ غائب عنه يرسم الحدود الفاصلة بين المقدس والدنيوي.

قلت : إذن فالعلمانية هي " النسبية المطلقة " أو "" أن الإنسان هو ما يفعله "" كما طرح غير واحد منهم – على سبيل المثال – مراد وهبة ، ولكن المتأمل يرى كثيراً من المنظرين والمؤسسين للفكر العلماني لا يقولون بالنسبية المطلقة ، لأنهم يعتبرون آراءهم وفلسفاتهم حقائق مطلقة يجب على الناس أن يلتزموا بها ، ويسيروا على مقتضاها ، فالماركسيون – مثلاً – يعتبرون الماركسية هي الحقيقة المطلقة ، حقيقة الحقائق ، وكل العلوم التي جاءت قبلها كانت تمهيداً لها ، وكل ما سيأتي بعدها يجب أن يكون شرحاً لها.

ولذلك مع أن النسبية المطلقة تستحوذ على حيز عريض جداً من النظرية العلمانية ، إلا أنها لا يمكن أن تكون حداً شاملاً لكل عناصرها وأسسها ، هذا بالإضافة إلى أن العلمانية نفسها تتحول إلى مطلق في نظر أصحابها وعلى الآخرين أن يتعلمنوا أو يُوصَمُوا بالجهل والظلامية والأصولية .

سمعت أحد العلماء الأجلاء يؤكد مراراً على أن العلمانية هي الغنوصية فتأملت في هذا الحد فوجدته يغطي مساحة من مساحات العلمانية ، وحقلاً من حقولها وهو : التأويل ، حيث بالرغم من أن الغنوصية قائمة على العرفان ، والعلمانية – بحسب أصحابها – قائمة على العقل ، إلا أنهما يلتقيان في النتائج المترتبة عن " التأويل المنفلت " ، حيث نصل عن طريق التأويل العلماني والغنوصي المنفلتين إلى خلاصات ما أنزل الله بها من سلطان ، وفهوم تتجافى إلى أبعد الحدود مع النص ، فإن النص إذا كان في السماء فإن التأويل العلماني أو الغنوصي في أسفل الأرضين ، وإذا كان النص يتجه غرباً فإن تأويلهما يتجه شرقاً . وهكذا رأيت أن الجامع بين العلمانية والغنوصية هو " التأويل المنفلت " .

وسمعته أيضاً يعرف العلمانية بأنها " تنحية الأسئلة الكبرى " ولكن الذي بدا لي أن العلمانية بعد أن فشلت في الإجابة عن هذه الأسئلة اقترحت تنحيتها لأنها بدأت تُعكِّر عليها سيرورة العلمنة . وهذه التنحية كارثة من كوارث العلمانية على الإنسانية لأنها الأسئلة الجوهرية للإنسان ، بل هي محور إنسانيته ، والمعنى الصميم لهذه الإنسانية ، وتنحيتها حَطّم إنسانية الإنسان ، وجعله مادة بلا هدف ولا غاية ، يتقلب في ظلام الشك والحيرة ، وبدد له كل أمل في السعادة .

ومن هنا رأيت أن تنحية الأسئلة الكبرى ليست تعريفاً للعلمانية وإنما نهاية من نهايات العلمانية ، بل يمكن اعتبار هذه التنحية : إشهاراً للإفلاس ، وإعلاناً للخيبة .
استبطنت في مرحلة من مراحل البحث التعريف القائل بأن العلمانية "" رؤية مادية بحتة للوجود بما فيه "" ولكن تذكرت أن باركلي لم يكن مادياً فقد أنكر المادة واعتبرها موجودة لأنها مُدرَكة فقط، وأن هيوم أنكر الروح والمادة ولم يعترف بأية حقائق ضرورية ، وكذلك فإن جان جاك روسو كان ممثلاً للفلسفة المثالية ، ومع ذلك كان لهؤلاء جميعاً إسهاماً بارزاً في علمنة الفكر الأوربي .
هذا بالإضافة إلى – ما أشرنا إليه سابقاً – من أن العلمانية لم تتمكن من الاستمرار في المادية لأن العقل يؤكد وجود حقائق كونية ليست مادية يقوم عليها الوجود والعلم .
فالمادية سمة أساسية من سمات العلمانية ولكنها لا تُعبّر عنها تماماً وإن كان بروزها يكاد يجعل العلمانية تُختَزَل غالباً في هذه السمة .
ــ

سؤال:
هل يمكن (علمَنَة الإسلام) بنظرهم ؟
في البداية يمكن أن يتبادر إلى الذهن سؤال وهو : أن الشرائع السماوية أيضاً قصدت تحقيق السعادة للإنسان في الحياة الدنيا فهل الأديان منخرطة على هذا الأساس في تيار العلمانية ؟
والإجابة : أن الشرائع الإلهية تربط سعادة الدنيا بالسعادة في الآخرة ، لذلك فسعادة الإنسان في الحياة الدنيا بمنظور الشرائع الإلهية ألا ينخرط في الملذات والشهوات والمُتع دون ضوابط وحدود لأن هذا سينغص سعادته في الآخرة .
لقد تركت هذه الدنيوية العلمانية أثرها حتى على الإسلاميين ، فأصبحنا نُبرز كثيراً عناية الإسلام بالحياة الدنيا ، ودعوته إلى عمارتها ، والاستمتاع بالطيبات منها ، ونتغاضى – مجاراة للعلمانيين – عن أن الإسلام في الأصل يدعو الناس إلى الآخرة عبر ممر الدنيا ، وهذا لا يعني تخريب الدنيا ، وإنما يعني التطلع إلى المستقبل الأبدي ، وليس إلى الحياة العاجلة ، وهذا ليس من شأنه أن يجعلنا نهمل عمارة

الحياة الدنيا ، وإنما من شأنه أن يُهذِّب نفوسنا ويسموَ بها عن الأنانية ، ويطهرها من السخائم والعداوات والتنافس على المتاع الزائل والحطام الفاني .
وهنا يجدر بنا أن نتذكر قول أحد أقطاب الصوفية كتلخيص لموقف الإسلام من الحياة الدنيا " أن تكون الدنيا في يدك وليس في قلبك " وهذا بعكس العلمانية التي تريد أن تمزج الدنيوية بكل ذرة من ذرات الجسد الإنساني ، وتغرسها في صميم قلبه ، وتجعلها الملاذ الوحيد ، والمعشوق الوحيد ، والغاية النهائية للإنسان ، ولا يخفى ما في ذلك من تكريسٍ للتنافس الأعمى بين البشر دولاً وأفراداً ، وهو ما نعايشه اليوم ، لأن البقاء للأقوى ، وساحة البقاء في المنظور العلماني قاصرة على هذا العالم المحسوس فقط .
وتتجلى الدنيوية واضحة في الممارسات التأويلية التي تشتغل على النص القرآني فتحاول دائماً أن تحد من سلطانه الإلهي ، وتبرز دائماً ما يؤكد على الاعتبارات الدنيوية في مسائل الميراث ، والمرأة ، والحجاب ، والدولة والأخلاق ، ويُبرَّر ذلك بمبررات دنيوية محضة مثل : مواكبة العصر ، ومسايرة التحضر ، وتطور الفكر . والنموذج الذي يُحتذى في كل ذلك هو الغرب ، فكل ما عنده أصبح معيار التطور والتحضر والتقدم ، وتغفل هذه الممارسات أو تتنكر للجانب الغيبي الأخروي الذي يشكل الحيِّز الأكبر من الرسالة القرآنية ، وفي حالات متطرفة فإنها تقوم بعملية مسخ وتشويه لهذا الجانب عن طريق " التأويل المنفلت " لتجعله يصب في خدمة الدنيوية أيضاً .
والخلاصة :
العلمانيون – كما مر بنا سابقاً – يستدلون على علمانية الإسلام بدنيويته ، وبما حصل في التاريخ الإسلامي من ترف وبذخ وإقبال على الدنيا ، فهم بذلك يقرون بأن الدنيوية هي جوهر العلمانية ، وقد مر معنا كذلك كيف تؤكد دوائر المعارف والمعاجم الغربية على دنيوية العلمانية بما يغني عن الإعادة هنا .
لقد أشرنا – سابقاً – إلى أن الدنيوية ضاربة بجذورها في عمق التاريخ والحضارات ، وأن أكثر الأمم اختارت الحياة الدنيا على الآخرة ، ذلك لأن الحياة الدنيا حلوة خضرة

وقريبة ، أما الآخرة فهي في منظور الإنسان العجول بعيدة غير مغرية كما تفعل الحياة الدنيا "متاع الغرور " .

سؤال:

وما تعقيبك على ذلك ؟

إن الدنيوية تتحول إلى علمانية عندما تتحول الوسيلة إلى غاية ، والممر إلى مقر ، وقد يعترض علينا هنا بأننا نتحدث بلهجة صوفية وعظية ، ولكن هذه هي الحقيقة سواء كانت في قالب صوفي وعظي أم حداثي معاصر ؟

عمارة الدنيا مرادة إلى أقصى الحدود ، ولكن على أن لا يؤدي ذلك إلى الفساد في الأرض ، كما يجب مراعاة أن الإنسان مؤتمن وليس مالكاً حقيقياً ، وأنه رضي بحمل الأمانة ، وكل ما يؤدي إلى الإخلال بحفظ الأمانة " الكون والطبيعة والإنسان ورسالته فيهما " فإنه انقلاب إلى دنيوية عضوض أي علمانية .

الإنسان مُستَخلَف في الأرض ، وهذا يعني أنه لا يملك أن يضع لنفسه منهجاً في الحياة باستقلالية كاملة ، لأن المنهج وضعه المالك الحقيقي ، والسيد الحقيقي في هذا الوجود ، أما وظيفته هو فإنها تنحصر في أن يفهم المنهج بشكل صحيح وينزله على حياته كما أراد واضعه عز وجل . والفهم غير الوضع والإنشاء وإن كان الخطاب العلماني سينازع في هذا كما سنرى .

إن أي إنسان عاقل عندما يشتري جهازاً من شركة ما يقرأ النشرة المرفقة معه والتي تُبيِّن كيفية استعماله ، وقراءة هذه النشرة توفر عليه جهداً ووقتاً يبذله في محاولته تشغيل الجهاز دون استعانة بالصانع . إن جهده المستقل قد ينتهي بالوصول إلى معرفة تشغيل الجهاز ولكن بعد جهد ووقت من التجريب والمحاولة ، ولكنه قد ينتهي أيضاً بإتلاف الجهاز وإعطابه .

إن كل ممارسات الإنسان في هذا الكون لكي تبرأ من " الدنيوية العلمانية " يجب عليها أن تكون قائمة على مبدأ العبودية لله عز وجل ، والرغبة فيما عنده من الخير والسعادة ، ومنافية لمبدأي الكبرياء الزائف ، والعقلانية المتهورة القائمين على

الاعتداد الأعمى بالذات والمنفعة العاجلة ، واللذة الزائلة ، والنظرة القاصرة على هذه الحياة الدنيا .

إن الاحتراز الوحيد الذي نضعه هنا لعله يجنبنا كثيراً من الانتقادات والإلزامات التي قد ترد علينا إزاء هذا التعريف هو أن العلمانية " الدنيوية " التي نقصدها تزيد وتنقص ، وتهبط وتصعد ، وأننا عندما نتحدث عن العلمانية التي تقارن الإلحاد والزندقة فإننا نقصد العلمانية في أعلى درجاتها . إن هذا يعني أن بعض الباحثين الحريصين على إسلامهم وإيمانهم ولكن تصدر منهم بعض الأفكار التي تخدم التوجه الدنيوي العلماني ، وتتحرك في داخل أسواره لا يمكن أن يوصفوا بأنهم علمانيين ، وإن كان يصح أن نصف أفكارهم المنحرفة بأنها أفكار علمانية . والله أعلم .

سؤال:

هل العلمانية من العِلم (العِلمانية)، أم من العالَم (العَلمانية) ؟

من خلال القراءة للمصطلح في المصادر الأجنبية من معاجم ودوائر للمعارف ، وتعريفات للباحثين الغربيين يمكننا أن نؤكد أن العَلمانية – بفتح العين – هي الترجمة الصحيحة على غير قياس لكلمةsecularism الإنجليزية أو secularit الفرنسية ، وهاتان الكلمتان لا صلة لهما بلفظ العلم ومشتقاته ، فالعلم في الإنجليزية والفرنسية يعبر عنه بكلمة science والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة scientism والنسبة إلى العلم هي scientific أو scientifique في الفرنسية والترجمة الدقيقة للكلمة هي " العالمانية " أو " الدنيوية " أو " اللادينية " ، ولكن تحولت كلمة عالمانية إلى عَلمانية لأن العربية تكره تتابع الحركات وتلجأ إلى التخفف منه.

وكذلك فإن زيادة الألف والنون هنا ليست قياسية في اللغة العربية أي في الاسم المنسوب " عالماني "، وإنما جاءت سماعاً مثل: رباني ، نفساني ، روحاني ، عقلاني ، ومثلها علماني ، واللغة العربية تقبل إضافة الألف والنون لاحقة لبعض الكلمات ، والترجمة الحرفية في قاموس اللغة للعلمانية هي " الدنيوية " لأنها مشتقة من العالَم أي " الدنيا ".

ومن هنا فإن العلماني هو الدنيوي لأنه يهتم بالدنيا ، بخلاف الديني أو الكهنوتي فهذا الأخير يهتم بالآخرة . وأول معجم عربي يورد الكلمة هو المعجم الوسيط ، وقد جاءت فيه بهذا المعنى في طبعتيه الأوليين.

وأول معجم ثنائي اللغة قدم ترجمة صحيحة للكلمة هو قاموس " عربي فرنسي " أنجزه لويس بقطر المصري عام 1828 م وهو من الجيل الذي ينتمي للحملة الفرنسية ، وقد كان متعاوناً مع الفرنسيين ورحل معهم إلى باريس وعاش هناك وكانت ترجمته لكلمة : = cecularite عالماني و = ceculier علماني ، عالماني ، وميزة هذه الترجمة أنها أول وأقدم ترجمة صحيحة للكلمة تدحض آراء الذين يعتبرون العَلمانية في أصلها من العِلم ، لأنه نسبها إلى العالَم. وكما أن الرباني منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للدلالة على المبالغة الشديدة في التخلق بصفات الرب عز وجل والعبودية له ، وللدلالة على كمال الصفة أو بلوغها حداً قريباً من الكمال قالوا في كثير الشعر : شعراني . وغليظ الرقبة : رقباني . وطويل اللحية أو كثيفها : لحياني ، كذلك فإن العَلماني منسوبٌ إلى العالَم – بهذا الشكل – للدلالة على المبالغة في الانتماء إلى العالم والإيمان به.

ومما يؤكد انقطاع الصلة بين العَلمانية والعلم البحث القيم الذي تقدم به د . عدنان الخطيب حول تاريخ الكلمة الذي أرجعه إلى قرون عديدة ، وتاريخ دخولها إلى اللغة العربية ، وقد استند في بحثه على مراجعة مصادر الكلمة في اللغات القديمة كالآرامية والسريانية ، وصلة الكلمة بالعلاقة بين رجال الكنيسة وعامة الناس ، حيث إن رجال الكنيسة ليسو عَلمانيين ، لأنهم يهتمون بالآخرة فقط ، أما بقية الناس والشعب فهم : " دنيويون ، دهريون ، زمنيون ، قرنيون ، عالميون " ، وهذه التفرقة انتقلت إلى اللغة العربية – بنظره – عندما تغلبت هذه على الآرامية بعد الفتح الإسلامي عن طريق ترجمات علماء السريان .

وعندما استقل التعليم عن الكنيسة في فرنسا بعد الثورة وُصِف هذا التعليم بأنه ceculaire ودلالتها هي نفس الدلالات القديمة التي يوصف بها من هو خارج الكنيسة من عامة الشعب ، فكل واحدة من الكلمات السابقة " دنيوي ، زمني ،

دهري... " تصلح مقابلاً للكلمة الفرنسية seculaire إلا العِلم فلا يدخل في مدلولاتها مطلقاً.

ـــ

سؤال:

هل ترى مبرراً للتحذير من الخلط بين العَلمانية والعِلمانية ؟

السبب – بنظري – للخلط، هو الخلاف بين الباحثين في نسبة الكلمة، ومنشأ ذلك عامِلَين:

الأول : التقارب في الألفاظ بين العَلمانية – بالفتح –والعِلمانية – بالكسر – قائم في اللغة العربية مما أوقع بعض المعاجم والباحثين في اللبس وشاع ذلك قبل أن يتبين الباحثون الخطأ من الصواب .

الثاني : أن العَلمانية – بالفتح – والعِلمانية – بالكسر – ظاهرتان بارزتان في الفكر الغربي ، وإحداهما تكمل الأخرى ، ومع أننا نرى أن العَلمانية – بالفتح – ظاهرة قديمة وممتدة في عمق التاريخ ، وتغلغلت في كافة الحضارات ، إلا أنها في العصر الحديث وفي أوربا بالذات تفاقمت بشكل لم يسبق له مثيل ، وشد أزرها في ذلك العِلمانية – بالكسر – أي تطور العلم وارتفاع مستوى السيطرة الإنسانية على الطبيعة، نتيجة للكشوفات العلمية المتلاحقة التي غيرت نظرة الإنسان إلى الكون، فولّد هذا العلم أو العِلمانية – بالكسر – الغرور الشديد بالذات الإنسانية ، والاعتداد المفرط بقدرة الإنسان وعقله ، ونتج عن ذلك العَلمانية – بالفتح – أي الدنيوية والتطلع إلى هذا العالم القريب المحسوس المشاهد ، وانعدام أي أمل في عالم آخر غيبي مفارق .

وأهم عنصر ولدته العِلمانية – بالكسر – هو انعدام الانبهار بالطبيعة ، وتجريد الطبيعة من العناصر والإحالات الزائدة ، والمقصود بالعناصر والإحالات الزائدة العناية الإلهية ، أو الآثار الإلهية في الكون ، أو الماورائيات والغيبيات التي يمكن أن تدل عليها الطبيعة ، وبالتالي انفتح المجال أمام الإنسان للتصرف في الطبيعة بحرية ، واستخدامها وفق حاجاته وغاياته.

إن هذا التجريد العلماني للطبيعة من مغزاها الروحي ، والحط من قيمتها بحيث لا تتجاوز مجرد كونها شيئاً من الأشياء خالياً من أي معنى علوي قدسي قد كان هو العامل الأساسي الذي انطلقت منه عملية العلمنة في الغرب.

وهكذا ترسخت الدهرية والدنيوية – العَلمانية – بالفتح – في ضمير الإنسان وتطلعاته نتيجة للعِلمانية – بالكسر – وأصبح همه أن يتصرف في العالم حسبما يريد ، ويتمتع بدنياه كما يحب ودون أية قيود .

ولذلك فإن أقرب كلمة تصلح أن تكون مقابلاً لمصطلح العَلمانية – بالفتح – كما يقترح د . سيد محمد نقيب العطاس هي ما أشار إليه القرآن الكريم دائماً بعبارة " الحياة الدنيا " فلفظ دنيا المشتق من " دنا " يعني كون الشيء قد جُعل قريباً ، وعلى ذلك فالعلم الطبيعي قد جعل العالم قريباً من الإنسان ، وتحت سيطرته وخاضعاً لوعيه ، وخبرته العقلية والحسية ، وبما أن العالم قد أصبح كذلك فإنه من المؤكد سيصرفه عن مصيره الأبدي الذي يتجاوز هذه الحياة الدنيا إلى الآخرة .

وبما أن الآخرة تأتي في النهاية فإنها تبدو للإنسان العجول بعيدة ، وهذا الشعور من شأنه أن يزيد في الإلهاء الذي يسببه ما هو قريب ومغري ، ولذلك نجد هذه الحياة الدنيا ، وهذا العالم هما محور المنظور العلماني ومَحَطُّ اهتمامه.

ونختم هذه الفقرة بالقول :

إن العِلمانية – بالكسر – مشتقة من العِلم وتدعو إلى الاحتكام إلى العلم ، وهي ظاهرة حديثة وظفتها العَلمانية – بالفتح – توظيفاً خاطئاً وخطيراً على البشرية والإنسانية جمعاء .

وكما يبدو فنحن كمسلمين لسنا ضد العِلمانية – بالكسر – لأن ديننا وقرآننا يدعوانا إلى الاحتكام لمنطق العلم " وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا " ويمجد العلماء " قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الألباب " ولكن الخلاف بيننا وبين العِلمانيين في تحديد مفهوم العلم ، فالعلم عند الغربيين الطبيعيين لا يتناول إلا المحسوسات والمشاهدات ، فهو العلم الطبيعي والرياضي فقط ولا صلة له بالميتافيزيقا أو بالأسئلة الكبرى المتعلقة بمصير الإنسان ، وإن العالِم بنظرهم ما إن يسأل نفسه هذه الأسئلة ويحاول

الإجابة عنها حتى يتحول عن سلوكه كعالم ويتخلى عن وظيفته العلمية ، أما عندنا فالعلم يشمل كل ما يتصل بالكون والإنسان والحياة .

فنحن إذن على المستوى العملي على طرف نقيض مع العِلمانية – بالكسر –لأن هذه الأخيرة تحصر العلم في المحسوس في الدنيوي وتقوم على عقلانية مادية وضعية اجتماعية وتطرح مفهوماً جديداً للعلم يحيد التفكير الميتافيزيقي عن ساحته. "" فالعِلماني – بالكسر – هو من يتخذ من المعرفة العملية كما هي ممثلة في العلوم الطبيعية بخاصة نموذجاً لكل أنواع المعرفة، إنه يتبنى وجهة النظر الوضعية، مما يعني عدم اعترافه بإمكان المعرفة الخلقية أو الدينية أو الميتافيزيقية ، لأن القضايا المزعومة لأي منها لا يمكن إخضاعها – حتى من حيث المبدأ – لمعايير العلم "" ،فالفهم العلمي العِلماني – إذن – يتنافى مع الإيمان بالوحي الإلهي ، وهكذا تعود العِلمانية فتنقلب إلى عَلمانية.

والخلاصة :

أن لفظتي عَلمانية – بالفتح – وعِلمانية – بالكسر – تصلحان تعبيراً عن الظاهرة المادية التي تستولي اليوم على مجتمعاتنا الإسلامية ، وذلك لأن الكلمتين متكاملتان متفاعلتان من حيث المفهوم ، فالعَلمانية هي تكريس للدنيوية ، والعِلمانية أساس هذا التكريس لأن العلم بمفهومها هو العلم المادي والتجريبي والطبيعي – أي الدنيوي فقط – ولا تعترف بعلوم غيبية ميتافيزيقية أخرى. فالعَلمانية وإن لم ترتبط بالعلم من حيث الاشتقاق ولكنها لا تنفك عنه إذ هي ارتبطت تاريخياً بتعلم العلوم العقلية والطبيعية والتجريبية .

وأخيراً يمكن القول أيضاً : إن بعض الإسلاميين الذين يستخدمون العلمانية – بالفتح – لا يفعلون ذلك بسوء نية ، وبقصد فصل العَلمانية عن العلم وربطها بالدهرية كما يزعم بعض العلمانيين ، وإنما يفعلون ذلك لأن معاني الكلمة ومصادرها واشتقاقاتها في اللغات الأجنبية لا صلة لها بمفهوم العلم – كما رأينا – وصلتها – كما رأينا – في دوائر المعارف والمعاجم ودراسة تاريخ الكلمة أقوى ما تكون بالدنيوية والمادية ، كما أن السياق التاريخي والاجتماعي الذي نشأت فيه العلمانية وتبلورت يؤكد على ربط المصطلح بالعالم المحسوس والمادة فقط .

سؤال:

ما هي اللائكية وما الفرق بينها وبين العلمانية ؟

رأينا أن العِلمانية – بالكسر – وظفها الفكر الغربي كأساس تبريري للعَلمانية – بالفتح – هذه الأخيرة التي اعتبرناها ظاهرة تستولي على كل البشر إلا من رحم ربك ، وتمتد في عمق التاريخ والحضارات والأمم .

وإذا كان هناك من يعتبر اللائكية مصطلحاً رديفاً أو ترجمة للعلمانية ، ولا يرى مانعاً من استخدامه بديلاً لها ، فإن هناك من يراها تمثل الجانب السياسي للعَلمانية المتطرفة ، التي استفحل أمرها في فرنسا على وجه الخصوص في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حيث طغت عليها النزعة الانتقامية من الدين ، فكان الاعتماد على اللائكية لاجتثاث التدين بطريقة متعسفة ومغالية ، وقد ارتبطت اللائكية في فرنسا على الخصوص بالتعليم وأُغلقت "" اثنتين وعشرين ألفاً من المدارس المسيحية "" في القرن التاسع عشر فاللائكية إذن الصورة العملية المتطرفة للعلمانية مارستها النظم السياسية التي انتهجت أسلوب الرفض الديني .

وبناء على هذه التفرقة يمكن اعتبار الممارسات الجنونية التي قام بها أتاتورك وأتباعه في تركيا للقضاء على كل مظاهر التدين نوعاً من اللائكية التي مورست في البلاد الإسلامية ، في حين تظل الحكومات الجاثمة في الدول الإسلامية والعربية الأخرى التي تحاول فرض العلمانية على شعوبها بطرق دبلوماسية مراوغة ومتخفية ، تتحرك في الإطار العَلماني وليس اللائكي ، وحتى على تعريف بعض الحداثيين للائكية بأنها ""أن يكون كل إنسان سيد نفسه "" فلا يمكن اعتبار اللائكية ذات صلة بالبلاد العربية أو الإسلامية ، لأن الإنسان هنا لا يملك من أمر نفسه شيئاً ، فإذا كان حراً مخيراً في الغرب ، فإنه في الشرق مسيّر كما قال الشيخ محمد الغزالي عليه رحمة الله ساخراً من النظم السياسية في البلاد العربية والإسلامية .

والواقع أن التعريف الحداثي السابق أقرب إلى كونه تعريفاً للعَلمانية عند الذين يعتبرون العَلمانية محايدة تترك المتدين وشأنه ، فهي ليست لائكية ، لأن اللائكية

ترفض أي مظهر للتدين ، حتى حرية الإنسان في اختيار لباسه ، وإطلاق لحيته وارتياد دور العبادة .

والخلاصة : أن اللائكية تمثل الجانب العملي التطبيقي للعلمانية ، فإذا اعتبرنا العِلمانية – بالكسر – مرحلة بحث وتأسيس وتأصيل ، والعَلمانية – بالفتح – مرحلة قرار وحسم ، فإن اللائكية هي مرحلة التنفيذ والتطبيق لهذا القرار، وإنزاله من مستوى النظر إلى مستوى العمل ، وأبرز مظهر لذلك " أليكة " التعليم بمراحله المختلفة والقوانين بكل فروعها ومجالاتها ، والحياة السياسية والاجتماعية بكل نشاطاتها ، ويتم ذلك عبر مؤسسات الدولة التي حَجَّمت من سلطات الكنيسة إلى أقصى ما يمكن .

ولكن الصراع لم يُحسم لصالح الدولة ، فلم يكن من السهل القضاء على الكنيسة ، فحافظت على الأقل على وجودها الشكلي والرمزي واعتُبرت العلاقة بين الدولة والكنيسة كالروح والجسد والفصل بينهما انتحاراً وطنياً ، ولذلك أُختير في النهاية التعايش السلمي بين الدولة المعلمنة والكنيسة، فالملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانية كانت هي رئيسة الكنيسة الإنجليزية، وفي ألمانيا يؤدي المواطن ضريبة إلى الدولة خاصة بالكنيسة، ويتعايش في بلجيكا التعليم الديني مع التعليم الرسمي في المدارس الحكومي .

أخيراً : يمكن القول إن العَلمانية – بالفتح – هي بمثابة السلطة التشريعية ، واللائكية بمثابة السلطة التنفيذية ، أما العِلمانية – بالكسر – فهي المرجعية الفكرية والتاريخية الحديثة لهاتين، كما يمكن تمثيل الفكرة السابقة بالبناء حيث المواد الأولية اللازمة له هي العِلمانية – بالكسر –، والبناء قائماً مهيئاً هو العَلمانية – بالفتح – والمرحلة الأخيرة وهي استقرار سكانه فيه واستخدامه والاستمتاع به هو اللائكية . والله أعلم .

سؤال:

في هذا البحر المتلاطم من المصطلحات، أخرج محمد أركون مصطلح (العلمانوية) فما المقصود به ؟

يهوى العلمانيون التشدق بالألفاظ والتمعك بالمصطلحات بقصد الإغراب أو الاستفزاز أو استعراض الذات ، والطرق التي يصك بها العلمانيون مصطلحاتهم كثيرة ومتنوعة تحتاج إلى رسالة لغوية مستقلة تتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل .

ونريد نحن هنا أن نتطرق لطرف من هذا الموضوع بعجالة نتناول فيه طريقة واحدة شائعة في كتبهم ومصنفاتهم هي هذه أا- " وية " التي تضاف إلى كثير من المصطلحات الدارجة والشائعة لإعطائها مدلولات جديدة وغريبة لا يعرفها أحد لولا أنهم ينصون عليها ، أو تُفهم من خلال السياق الذي يتحدثون فيه .

ويبدو لي أن طيب تيزيني ومحمد أركون هما أكثر من يمارس هذه ألـ " وية " فالسلفية عند طيب تيزيني تتحول إلى سلفوية ، والسلفي إلى سلفوي . وأحياناً يخيل إليه أن هذه ألـ " وية " ليست كافية في الاستفزاز ، ولا تحقق غرضه في تعميق الهوة بينه وبين الإسلاميين فتتوالى الكلمات المعبرة عن الانتقاص والاستخفاف بالفكر الإسلامي، ويتفنن في الأوصاف فتصبح السلفوية : السلفوية الماضوية ، أو السلفوية الدوغمائية، أو السلفوية الطوباوية .

وكان عليه أن يترفع عن أخلاق السوقيين الذين يشعرون في شجاراتهم أن شتيمة واحدة لا تكفي ولذلك تتلاحق الشتائم عندهم حتى يشعرون بالرضى والراحة ، لأنهم يفرغون ما في داخلهم من شعور متعالٍ ومتغطرس ، ويشعرون بنشوة الظفر ولذة النصر ، وهذا ما يفعله طيب تيزيني وغيره ، مثال ذلك : الرؤية السلفوية الماضوية : ذات نسيج وهمي زيفي ، إيهامي والأصولية الإسلامية : إيديولوجيا وهمية ، توهيمية ، تتحدث حيص بيص ، وتهرف بما لا تعرف ، لأنها وهمية ملتبسة ، توهيمية كاذبة .

ولفظة الأصولية مع أنها أُعِدَّت لغرضها المراد لدى الغرب وعممتها وسائل إعلامه ، وشاعت في وسائل الإعلام العربية والإسلامية على أنها تعبير عن التطرف والعنف ، ووُصِم بذلك المسلمون دائماً ، إلا أن طيب تيزيني لم يجد ذلك كافياً ، لأن الكلمة كما يبدو ابتُذلت واهترأت فلم تعد معبرة عن مدلولها السلبي الذي اقترن بها بشكل كاف ، فأضاف إليها واواً من عنده لكي تزداد الكلمة إمعاناً في التعبير عن التطرف والإرهاب والقمع " من باب زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى " فأصبحت الأصولية

لديه : أصولوية ، والأصوليين : أصولويين ، وعلى هذا النحو يتحول النص إلى : نصوية ، والنصيين إلى : نصويين والماضي إلى : ماضوية . والسلطة إلى : سلطوية ليُوصَف الإسلام بأنه الإسلام الرسمي السلطوي .

وبنفس اللغة يتحدث محمد أركون فالتاريخ والتاريخي يتحول إلى تاريخوي ، أو النزعة التاريخوية ، أو التاريخوية الوضعية ، والعقلاني يصبح عقلانوي ، والشعبي شعبوي أو شعبوية ،والأخلاقية تصبح الأخلاقوية ، والمنطقي يصبح المنطقوي والإسلامي إلى إسلاموي أو إسلاموية ، لكي يُصنَّف عدد من المفكرين الإسلاميين والعلماء مثل محمد مهدي شمس الدين ، ود. محمد عمارة ، ود. محمد يحيى ، ومحمد نور فرحات "" هذا النوع من المفكرين "" على أنهم مفكرون إسلامويون.

وإذا كان طيب تيزيني اعتبر الخلافة الإسلامية سلطوية ، فإن أركون صعد من عدوانه واستفزازه فاعتبر القرآن الكريم خطاباً سلطوياً.

وعلى هذه الوتيرة يفرق أركون بين العلمانية والعلمانوية والفكر العلماني والتطرف العلمانوي. وأركون يقصد بالعلمانية الفكر المعتدل المستنير الذي لا يتناقض ولا يتصادم مع الأديان ، أما العلمانوية فهي الجانب المتطرف منها الذي يرفض التعايش مع الأديان ، ويسعى للصدام معها ، ويرفض تدريس اللاهوت الديني من أجل المحافظة على قداسة العلمنة .

ولذلك يزعم أركون أن الغربيين يرفضون تفرقته هذه ويحاربونه في كتاباتهم من أجلها ويتهمونه بالتفاهة ، والظلامية ، والتشقيق الفارغ ، وأنه لا يقصد سوى معاداة عصر التنوير ، والقضاء على العلمانية القيمة الأساسية المؤسسة للحضارة الغربية . ولم يتكرم علينا أركون بذكر من هم هؤلاء الغربيين الذين يحاربونه من أجل ذلك ؟ لعله يريد أن يستثير عواطفنا معه بجعله من نفسه خصماً للغرب والاستشراق الذي يقف منا موقف المستَغِل والمضطهِد والخصم ، ويصبح أركون بذلك قائد المضطهَدين والمستغَلين والمظلومين ، والمنافح عنهم . ولكن المراد في الواقع هو تمرير العلمانية الغربية لأن أركون في الحقيقة ليس خصماً فعلياً للغرب ، وإنما خصماً مصطنعاً غايته ترويج نفسه أولاً ، وترويج علمانيته ثانياً .

والعلمانوية المتطرفة التي ينتقدها أركون هي الرؤية المادية البحتة للكون والإنسان والحياة ، ويتفق معه في هذا الاتجاه ثلة من الحداثيين إذ يريد هؤلاء جميعاً أن تشمل العلمنة أبعاداً جديدة في حياة الإنسان بما في ذلك البعد الروحي وهو لا يعني بذلك الإقرار بحقيقة الجانب الروحي ، ولكن بما أنه واقع مشاهد في حياة الناس فيجب على العلمنة أن تشمله ببركاتها وخيراتها ، حيث علينا "" أن نعترف للبعد الروحي بوجوده بصفته أحد المكونات التي تشكل نظام التصور والاعتقاد الخاص بكل فئة اجتماعية مدروسة "" ومن هنا وبما أننا في نظره في غفلة عن النقاش الدائر في الغرب حول العلمانوية laicisime والعلمانية laicite انتشر الخطاب الإسلاموي أو الأصولوي انتشاراً سريعاً في الآونة الأخيرة .

وهكذا يسير أركون دائماً في تفرقاته فيفصل بين القول بـ " التاريخية الراديكالية " ، وهي تعني عنده أن "" العقل البشري لا يمكن فصله عن تأسيسه الاجتماعي التاريخي ، أو عن جذوره الاجتماعية التاريخية "" ، وهذه هي التي يسعى أركون لإشاعتها ، والقول بـ " التاريخوية الوضعية " وهي تعني عند أصحابها أن "" الأحداث والوقائع و الأشخاص الذين وُجِدوا حقيقة ، ودلت على وجودهم وثائق صحيحة هم فقط الذين يمكن أن يُقبلوا كمادة للتاريخ الحقيقي الفعلي ، وهذا يعني استبعاد كل العقائد والتصورات الجماعية التي تحرك المخيال الاجتماعي أو تنشطه من ساحة علم التاريخ "" . ويعني أركون بهذا النص أن النزعة التاريخوية الوضعية مخطئة في تحييدها لأثر الأساطير والميثيات عن ساحة التاريخ فهي ذات دور كبير في صنع التاريخ ، وإن لم تكن ذات حقيقة واقعية ، وهو يعني بذلك البنية الميثية في القرآن الكريم كما يصفها ، وسنفصل قوله في ذلك لاحقاً .

وكذلك يفرق أركون بين النظام المعرفي الشعبي والشعبوي فما هي الشعبوية عنده ؟ إن الشعبوية عند أركون – في تاريخنا القديم والحديث – هي التيار السلفي السني المسيطر السائد الذي يقود الجماهير الشعبية المؤمنة ، ويُشكّل منها نواة الدولة والأمة ، ويُكرّس لها معتقداتها وتصوراتها الدوغمائية – أي الجامدة – والتي تنفي بنظره الآخرين وتقصيهم عن أي دور في تشكيل النظام المعرفي الذي سيُفرَض على الشعب. إنها تُحوِّل الدين إلى هذيان جماعي يحمل في طياته الموت والخراب .

ويتفق معه في ذلك مترجمه هاشم صالح حيث يؤكد أن الشعبوية تعني : الدوغمائية المتطرفة الغرائزية بينما الشعبية فهي : مستنيرة ، متسامحة ، ميالة إلى التقدم .

سؤال:

المصطلح العجيب: (العلمانوية) حتَّم تقديم السؤال التالي: ما السر في هذا الاصطكاك العلماني للمصطلحات ؟

الفرق بين العلمانية والعلمانوية عند أركون أصبح واضحاً

فهي الجانب المتطرف من الفكر العلماني الذي يرفض كل ما سوى المادة ، ويفسر كل الأشياء تفسيراً مادياً في حين يرى أركون أن العلمانية المستنيرة يجب أن تضع في اعتبارها الجوانب الروحية الديناميكية أو " الدينامو " كمؤثرات في النشاط البشري ، وليس كحقائق ثابتة . هذه التفرقة تنسحب على كل الكلمات الأخرى التي يضيف إليها هذه ألـ " ويّة " متأثراً بالفكر الغربي والاستشراقي .

ويبدو لي أن هناك عاملين آخرين يدفعان الباحثين من أمثال تيزيني وأركون إلى اختيار هذه الصياغة كمعبر عن الغلو والتطرف في الفكر الإسلامي ثم تعميم ذلك ليشمل ظواهر عالمية أخرى .

الأول : هو المحاكاة المبدئية للمصطلح الذي أشاعته وسائل الإعلام الغربية ، ، ولحقتها وسائلنا العربية دون انتباه للأخطار واللبْس الذي يتولد عن استيراد المصطلحات وإسقاطها من ثقافة إلى أخرى ، وخصوصاً إذا كان بين الحضارتين عداء تاريخي يتكرر باستمرار .

وهذا المصطلح هو الأصولية ، فلقد ظلت إذاعتا " لندن ومونتكارلو " على مدى العقود الثلاثة الماضية تربط هذا المصطلح بالإسلاميين في الجزائر ، ومصر ، وسوريا ، وإيران ، وغيرها من الدول ، وظلت تكرره كثيراً حتى ارتبط المصطلح بالعنف والقمع والإرهاب والقتل، ورسَخ ذلك في اللاشعور الثقافي واللغوي الفردي والجماعي ، وأصبح يتردد على الألسنة والأقلام حتى بين الإسلاميين أنفسهم ، وكل ذلك نتيجة للتكرار الذي يُكسب الأفكار صفة الرسوخ والفاعلية، حتى وإن كانت كاذبة أو مزوّرة أو أسطورية ، يقول غوستاف لوبون : "" إن التوكيد والتكرار عاملان قويان

في تكوين الآراء وانتشارها ، وإليهما تستند التربية في كثير من المسائل ، وبهما يستعين رجال السياسة والزعماء في خطبهم كل يوم ، ولا يحتاج التوكيد إلى دليل عقلي يدعمه ، وإنما يجب أن يكون التوكيد حماسياً وجيزاً ذا وقع في النفس ... والتوكيد لا يلبث بعد أن يُكرَّر تكراراً كافياً أن يُحدِث رأياً ثم معتقداً ، والتكرار تتمة التوكيد الضرورية ، ومن يُكرر لفظاً أو فكرة أو صيغة تكراراً متتابعاً يحوّله إلى معتقد "" .

وبذلك تحول مصطلح الأصولية – والذي هو في أصله يعني العودة إلى الأصول الصحيحة والصافية التي تُشكِّل المعين الذي لا ينضب للفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية – تحوّل نتيجة للتكرار المُغرض المدروس إلى مصطلح مُشوّه لا يمت إلى معناه الحقيقي بصلة .

الثاني : إن كلمة أصولية عُرِّيت كثيراً من قبل علماء الإسلام وأدرك المسلمون ما تعنيه هذه الكلمة في وسائل الإعلام الغربية ، وما يراد لها أن تتضمنه من إيماءات ، فتعاملوا معها بحذر وتَوجُّس ، هذا بالإضافة إلى الابتذال الشديد الذي لحق الكلمة لكثرة ما تتردد مقترنة بتوظيفات فكرانية أجهضت فاعليتها السلبية التي أُريدت لها وكادت أن تُعدِمَها ، مما دفع تلاميذ الغرب والاستشراق إلى محاولة تجديد الكلمة بإضافة هذه الـ " ويّة " إليها لتعطيها دفعاً جديداً ، ومغزىً تنفيرياً أكبر ، وأكثر فاعلية في حجب الناس عن الرؤية الإيجابية للأصولية ، ولا سيما أن الإضافة الجديدة للكلمة تجعلها على وزن ونمط كلمة أخرى ينفر منها كل الناس ، وتتبادر إلى أذهانهم بمجرد ذكر الأصولوية أو حتى الأصولية ، وهذه الكلمة هي " دموي " و " دموية " وإسهام وسائل الإعلام الغربية في عقد صلة سفاحية بين إراقة الدماء البريئة ، وبين الأصولية أو الأصولوية الإسلامية ، وهذه " الدموية " هي التي دفعت المستشرقين إلى التفرقة بين مسلم وإسلاموي فالأولى Islamique ذات إيحاء إيجابي حيادي ، والثانية Islamiciste ذات إيحاء سلبي دموي متطرف ، ولحق بهم كلٌّ من أركون وتيزيني وأمثالهم في اشتقاق مصطلحاتهم على هذا النمط لكي تمثل الغلو ، والإفراط ، والعنف والقمع.

____

سؤال:

ما الفرق بين اللائكية والعلمانوية إذا كانتا معاً – كما رأينا – تمثلان الجانب المتطرف في العلمانية ؟

العلمانوية تمثل التطرف على مستوى الفكر والتنظير ، أما اللائكية فتمثل التطرف حين الممارسة والتطبيق ، فالأولى متطرفة فكرياً ، وأما الثانية فمتطرفة سلوكياً وعملياً . والله أعلم .

____

سؤال:

من خلال تمحُك مصطلحات العلمانيين، هل هناك علمانية معتدلة وأخرى متطرفة ؟

قد تكون فالأولى مثلاً: التي تتبناها دول أوربا الغربية وأمريكا ومن يطلق عليهم " العالم الحر " ويُفترَض فيها أن تتبنى الحريات وحقوق الإنسان بصفة عامة ، ومنها الحرية الدينية ، وحق الإنسان في الالتزام بدينه .

والثانية : هي العلمانية الماركسية التي تتبناها روسيا الشيوعية ، فهذه لا تقف موقفاً محايداً من الدين ، بل هي تطارده داخل جدران المساجد والكنائس ، وتعتبره عدواً لها ، وتسعى للقضاء عليه نهائياً .

الواقع – كما يقرر الدكتور القرضاوي – أن العلمانية لا يمكن أن تكون محايدة من الدين، لأن عزل الدين عن حياة المجتمع أو تفريغ حياته من الدين ليس موقفاً حيادياً ، إنه موقف ضد الدين ، إنه يقوم على اتهام الدين بأنه ضرر بالحياة وخطر عليها ، فيجب إبعاده عن توجيه الحياة والتأثير فيها ، ويجب أن تُبنى الحياة في تشريعها وثقافتها على غير الدين ، وهذا الموقف لا يمكن أن يُعتَبر حيادياً ، لأنه تجريم للدين وإدانة له.

كما أن الدين يطرح نفسه على أنه منهج حياتي شامل كامل ، والحد من سلطانه يعني إعلان الحرب عليه ، وبالذات الإسلام فهو رؤية شاملة وكاملة للكون والحياة والإنسان ، تغطي عبر آلياتها الاجتهادية كل مراحل التطور البشري والاجتماعي والتاريخي " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا " ، والدين المسيحي مع أنه لا يحتوي على تشريع أو تنظيم اجتماعي وإنما يحيل إلى

التوراة أو العهد القديم ، ومع أن العلمانية حاربته طوال القرون الخمسة الماضية حتى انـزوى إلـى الحيـاة الشخصـية علـى مستوى أفـراد قليلـين لا يشكلون نسبة كبيـرة فـي الغرب ، بدأ يستعيد وجوده في الحياة الغربية ، وإن كانت هذه الاستعادة ذات أهداف فكرانية وسياسية ، ليكون سلاحاً روحياً في مواجهة الإسلام الذي يلقى رواجاً واسعاً في الغرب هذه الأيام ، ولـذلك نجد النشـاط المسيحي أغلبـه نشـاط سياسـي تبشـيري تدعمـه الـنظم السياسـية الغربيـة التـي تعتبـر نفسـها فـي حالـة مواجهـة مـع الإسـلام " الخطر الأخضر " .

ومع أن الدين المسيحي فقد ركائزه المقدسة ، وانهارت مرجعيته تحت سياط البحث العلمي ، والتاريخي – كما أشرنا في التمهيد – ولم يعد يملك القدرة على الإقناع أو اكتساب ثقة المؤمنين به ، مع ذلك فإن الغرب اضطر أن يعدِّل كثيراً في المسيحية حتى كادت أن تتماهى مع الإلحاد ، وذلك من أجل أن يرضي حاجته إلى التدين ، أو يرضي ضميره المعذب لاغتياله المسيحية ، ولذلك فقد "" تضاءلت الفروق الثقافية بين المؤمن والكافر ، وانطمست الحدود بين الإيمان والكفر وأصبحت المسيحية أكثر مرونة والإلحاد أكثر سلبية ، والإنجليزي الكافر ذو المنزلة الاجتماعية مهما تكن هذه المنزلـة متواضـعة يجـري علـى سَـنن المسيحية غالبـاً فـي مناسبات الـولادة والمـوت والزواج "" ، ومن هنا فإن إليوت يعتبر دين مجتمع ما هو ثقافته أيضاً ، والاحتفاظ به احتفاظ بثقافة الأمة "" إن الثقافة والدين مظهران لشيءٍ واحد "".

ومن الخطأ الشائع القول : بأن "" الثقافة يمكن حفظها وبسطها وتنميتها بغير دين "" و "" حين نـدافع عن ديننـا فـلا بد لنـا فـي معظـم الأمـر مـن أن نكـون مـدافعين عن ثقافتنا في الوقت نفسه والعكس بالعكس "" وإن "" القوة الرئيسة في خلق ثقافة مشتركة بـين شـعوبٍ لكـلٍّ منهـا ثقافتـه المتميـزة هـي الـدين "" ولـذلك "" إذا ذهبـت المسـيحية فستذهب كل ثقافتنا "". ومن هنا فإن الدين في الغرب يتجلى في مظاهر حياتية كثيرة كالقَسَم وتدريس المناهج الدينية ، وأعياد الميلاد ، وقوانين العقوبات . وهكذا يتبين لنا أن الغرب يريـد العودة إلـى الدين لأهداف دنيوية محضـة ، أهمها استخدامه كسلاح وثقافـة " فكرانيـة " فـي مواجهـة الشمولية الإسـلامية . ولكـن الـدين الـذي يريـده الغـرب ليس هو الدين العلماني علمانية ثابتة ، وإنما هو الدين الذي يقبل الخضوع للعلمنة

المستمرة دون توقف ، وعلى هذا النحو يفرقون بين العَلمانية والعلمنة ، فكيف ذلك ؟
.

ـــ

سؤال:

في هذه الدوامة من المصطلحات، هل هناك فرق بين العَلمانية والعلمنة ؟

العلمنة لم تكن في الأصل تتضمن حكماً تقييمياً ، فقد كانت تعني في شرع الكنيسة الرومانية " رجوع " رجل دين أو قس إلى العالم ، كما كانت تعني إبعاد مقاطعة أو ملكية ما عن رقابة السلطات الكنسية ، ولم تصبح العلمانية مفهوماً فكرانياً مثقلاً بالمعاني مثيراً للجدل إلا حديثاً، وبالتحديد منذ الحرب العالمية الأخيرة حيث أصبحت تعني حسب موقع كل طرف إما التحرر من قيود الدين وسلطة رجاله ، وإما انحسار النصرانية والرجوع إلى الوثنية.

ويبدو أن التعريف الذي يقترحه " بيترجي " أكثر تعريفات العلمنة المتعددة دقة ، فالعلمنة كما ضبطها هي "" السيرورة التي بها تخرج قطاعات تابعة للمجتمع والثقافة عن سلطة المؤسسات والرموز الدينية "". وسنلاحظ – فيما بعد – أن كلمة السيرورة هي الحد الفاصل بين العَلمانية والعلمنة ، إذ إن اتجاه العلمنة الجارف جعل المسيحية تحاول أن تتنازل كثيراً عن معتقداتها التي تبنتها لبضعة قرون لتتماشى مع التيار الجديد ، فكانت البروتستانية أول بوادر العلمنة في المسيحية ، ثم انخرط اللاهوتيون المسيحيون بدون وعي في علمنة المسيحية ، وبدؤوا يطرحون صِيَغاً جديدة للمسيحية لم تكن من قبل حتى قال قائلهم : "" إننا نصير مسيحيين باستمرار"" أي أن كل ما يُطرح من نظريات علمانية جديدة نتبناه ونعتبره من المسيحية، ومن هنا قال باسكال:"" إننا بدلاً من أن ندخل العالم في المسيحية، نريد أن ندخل المسيحية في العالم"" .

والواقع أن استجابة المسيحية للعلمنة كانت سريعة ، وانخراطها في سيرورتها لم يكن شاقاً، والسبب هو أن المسيحية فقدت ركائزها التي ترتكز عليها منذ القرون الأولى بجهود بولس ، ثم قسطنطين والمجامع المسيحية ، وبالتالي بدأت تبحث عن أسس

تستند إليها في الأفكار الإغريقية والهلينية ، وكان بولس قد أنجز هذه المهمة بنجاح .

وهكذا فإن أول غاية للعلمنة هي التحرر من المسيحية ، لأن العلمنة في أساسها تعني أن هناك "" مساراً تاريخياً لا راد له تقريباً هو الذي يتحرر بمقتضاه المجتمع والثقافة من الخضوع لوصاية الدين والأنساق الميتافيزيقية المغلقة "" . فالعلمنة إذن : "" تطور تحرري وثمرتها النهائية هي : النسبية التاريخية "" أو هي : "" عملية تطورية لوعي الإنسان من مرحلة الطفولة إلى مرحلة النضج "" والتاريخ بالنسبة للعلمانيين عبارة عن سيرورة لتحقق العلمنة .

ـــ

الخلاصة :

العلمنة تعني مساراً لا نهاية له ولا حدود ، تخضع فيه القيم والرؤى الكلية للوجود للمراجعة الدائمة حسبما يقتضيه التغير في المسيرة التطورية للتاريخ ، بينما تعكس العلمانية – شأنها شأن الدين مثلاً – رؤية مغلقة ، ومجموعة من القيم المطلقة المتوافقة مع غاية نهائية للتاريخ تنطوي على أهمية كبرى للإنسان ، وهذا يعني أن العلمانية بالنسبة للغربيين تمثل منظومة فكرانية أي ثابتة وجامدة . "" العلمنة لا ينبغي لها هي الأخرى أن تصبح عقيدة إيديولوجية تضبط الأمور ، وتحد من حرية التفكير كما فعلت الأديان سابقاً ، والعلمانية النضالية laicisme ربما كانت قد مشت في هذا الاتجاه "" إن العلمانية مشروع لا يكتمل ، وأفق ينبغي افتتاحه باستمرار ، لكي لا تتحول إلى معتقد مغلق ، وسلطة كهنوتية. ولذلك فالعلمانية تجربة لا تكتمل وسيرورة تحتاج على الدوام إلى إعادة تأسيس وبناء، وعلى داعية العلمانية أن يصنع علمانيته باستمرار ويعيد خلقها من جديد ، ويعيد انتزاعها من تاريخها الخاص وإعادة إنتاجها بشكلٍ دائم .

إن هذا يعني أن العلمانية إذا تجسدت وتبلورت في قالب معين تتحول إلى منظومة فكرانية، وهو ما لا يريده الغرب ، لأنهم يريدون بشكلٍ دائمٍ أن تظل العلمانية في حركة تعلمن دون توقف ، ويجب على كل جيل أن يسهم في تحريك عملية العلمنة

وإخراجها من جمودها وثباتها عن طريق إبداع برامج فلسفية مفتوحة تكرس النسبية المطلقة .

وهكذا ففي الوقت الذي تقوم فيه الفكرانية العلمانية بتحرير عقل الإنسان من النظر إلى الطبيعة نظرة رهبة وتقديس ، وبنزع القداسة عن السياسة شأنها في ذلك شأن العلمنة بوصفها مساراً متصلاً ، إلا أنها لا تمتهن القيم بالشكل المطلوب والمستمر ، لأنها تقدم نسقاً قِيَمياً خاصاً بها ، ولذلك تُعتَبر العَلمانية خطراً على العلمنة إذا لم تُراقَب بشكل دقيق وصارم حتى لا تتحول إلى إطار فكراني للدولة ، أو إطار دوجماطيقي ، لأن العلمنة تطور دائم وحركة دائمة فهي لا تعرف الثبات .

يمكننا أن نشبه هذه الحركة بالحركة التي تحصل داخل المادة حسب المفهوم الماركسي ، وتُنتِج صراع الأضداد ، وهذا الصراع يؤدي دائماً إلى أوضاع جديدة لا تستقر على حال . وبذلك نلاحظ كيف تظل العلمانية تستعيد جذورها التي أنتجتها .

____

سؤال:

هل للعلمانية نظرة شمولية للعالم ؟

تقدم الدكتور عبد الوهاب المسيري ببيان نوعين (قِسمَين) من العلمانية ليسا منفصلين ، بل متكاملين في داخل دائرة واحدة ، وهو يعرض قسمته هذه من أجل تجاوز إشكالية التأرجح في تعريفات الباحثين بين علمانية جزئية قاصرة على فصل الدين عن الدولة وعلمانية شاملة تعم كل شؤون الحياة .

- فالعلمانية الجزئية : عنده هي رؤية معرفية جزئية للواقع لا تتعامل مع أبعاده الكلية والنهائية ، ومن ثم لا تتسم بالشمول ، فهي تذهب إلى فصل الدين عن الدولة ، وربما بعض النشاطات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى ، ولكنها تسكت فيما يتعلق بجوانب الحياة المختلفة الأخلاقية والميتافيزيقية ، ولا تتعرض للمطلقات والكليات الأخلاقية والإنسانية والدينية بالنفي أو الإثبات .

- أما العلمانية الشاملة : فهي رؤية شاملة للعالم ذات بعد معرفي كلي ونهائي وتحاول بكل صراحة تحديد علاقة الدين والمطلقات والماورائيات بكل مجالات الحياة ، وهي رؤية عقلانية مادية تدور في إطار المرجعية الواحدية المادية .

والعلمانية الشاملة بهذا المعنى ليست مجرد فصل الدين عن الدولة أو عن الحياة ، وإنما فصل لكل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية عن العالم ، وليس عن الحياة فقط أو الإنسان فقط ، بمعنى أن العالَم يصبح شيئاً تافهاً لا قداسة له ، والإنسان مادة خالية من أية قيمة روحية متجاوزة للمادة ، أو متعالية عليها .

وعندما تُنزع القداسة عن العالم " الإنسان والكون " يسقط في قبضة الصيرورة المادية ، ويظهر الإنسان الطبيعي في حدود احتياجاته المادية الاقتصادية أو الجسمانية ، وحدوده هي حدود المادة ، وأهدافه وغاياته وأخلاقه مادية ، وسلوكه وتطلعاته وأشواقه مادية ، إنها باختصار المادية المطلقة .

ويذهب الدكتور المسيري إلى أن العلمانية الشاملة تتفق مع الإمبريالية ، وذلك لأنها حين تُكرّس المادية المطلقة ، تترسخ في الواقع الإنساني النفعية المطلقة على كل المستويات الأخلاقية والسياسية والاجتماعية ، وعندما تصبح النفعية هي المعيار فإن سلطان القوة هو المرجعية والحكم ، وسلطان التفوق الحضاري والمادي هو الأساس والمنطلق .

وبذلك بدلاً من النزعة الإنسانية تسود مركزية الإنسان الأبيض ، والشعر الأشقر ، والعيون الزرقاء في الكون ، وبدلاً من الدفاع عن مصالح الجنس البشري تسيطر مصالح الجنس الأبيض ، أو الجنس الأمريكي _ كما هو ملاحظ اليوم في مؤتمرات العولمة – وبدلاً من الاحتكام للمعايير والقيم الإنسانية ، يصبح الاحتكام للمعايير الأمريكية أو الغربية تحت حراسة القوة النووية ، والترسانات العسكرية .

والواقع أن هذه النفعية المطلقة ، وأخلاق القوة ممتدة في التاريخ الغربي منذ أفلاطون وأرسطو اللذين رأيا ضرورة إبادة المعوَّقين والضعفاء ، إلى مكيافللي الذي نهى الحاكم عن الرأفة والرحمة ، ودعاه إلى القتل والإبادة لتوطيد سلطانه ، إلى نيتشه الذي حَلُم بإبادة كل الضعفاء من البشر في إطار دعوته إلى " الإنسان الأعلى " إلى داروين " والبقاء للأقوى " إلى وليم جيمس ، وجون ديوي ، والفلاسفة الأمريكيين الذين رسخوا النفعية بشكل فلسفي يتواءم مع التطور التقني والتكنولوجي ، ويستجيب لتطلعات العقل الغربي الذي اكتنز المادية منذ بضعة قرون .

ونزلت هذه الفلسفات إلى ساحة الواقع ، وعانت منها البشرية الويلات المتلاحقة على يد نابليون بونابرت ، وهتلر ، وموسوليني ، وستالين ، وكان حصاد هذه العلمانية ملايين الضحايا من البشر في حربين عالميتين ، ولا تزال المأساة متواصلة على يد الجزار الأمريكي ، والتحالف الأوربي ، والشيوعي في البوسنة والهرسك ، والبانيا ، والشيشان والعراق وأفغانستان والفلبين ، والعلامات تشير إلى أن الدور قادم إلى سوريا ، وإيران ، رد الله كيدهم في نحورهم .

كل هذه الفظائع لم تقع بأيدي المسلمين ومع ذلك "" يُوجه دائماً النقد للمسلمين ، لأنهم لم يقوموا بأفضل الإنجازات ، ولكن نادراً ما يُسجل لهم أنهم منعوا حدوث الأفظع في بلادهم ، فلن تجد عندهم أبداً القتل المنظم للشعوب كما حدث في أمريكا الشمالية والجنوبية واستراليا ، ولن تجد ما يشبه الرعب والإرهاب الستاليني ، واقتلاع الملايين من البشر من جذورهم تحت مسمى الخطة الخمسية ، كما أن المسلمين لا يتحملون وجود نماذج للتفرقة العنصرية كالتي شهدتها جنوب إفريقيا من قبل الهولنديين ، بمباركة وبموافقة كنيستهم الإصلاحية ، ولا تجد شبيهاً أبداً للعنصرية اليابانية العنيفة التي شهدتها آسيا قبل عام 1945م ولا الثقافة العنصرية التي مارسها البيض ضد الزنوج في الجنوب الأمريكي بما تتضمنه من قتل وإبادة وعنف ، وشنق دون محاكمة " .

لم يحصل مثل هذا في ديار المسلمين وبلادهم وإنما في العالم المتحضر الذي يتباهى اليوم بالحضارة ويَصِم الآخرين بالتخلف ، وليس لذلك من مبرر إلا أن العلمانية الشاملة المادية هي التي تسلمت القيادة ، وتحكمت في مصائر الشعوب الغربية ، وتريد أن تفرض نفسها على بقية الأمم في إطار العولمة ، وعن طريق الممارسة الإمبريالية ، والتلويح بالقوة النووية وهذا يؤكد ما ذكره الدكتور المسيري من أن "" العلمانية هي النظرية والإمبريالية هي الممارسة "" ويقودنا ذلك إلى الحديث عن العلمانية والسلام .

―――――――――――――

سؤال:

بما أننا دخلنا في السياسة، ما هو موقف العلمانية من قضية السلام ؟

في الوقت الذي كان الإنكليز يحتلون البلاد العربية والإسلامية ، ويرتكبون الفظائع من قتل وتدمير وإبادة وتجويع وتجهيل في العراق ، والهند ، ومصر ، كان سلامة موسى يتغزل بالإنجليز فهم ""النظاف الأذكياء "". وهم "" أرقى أمة موجودة في العالم ، والخلق الإنجليز يمتاز عن سائر الأخلاق، والإنسان الإنجليزي هو أرقى إنسان من حيث الجسم والعقل والخلق""، ثم دعا إلى التعاون معهم وهم يحتلون البلاد ، ويقتلون العباد فقال : "" فنحن إذا أخلصنا النية مع الإنجليز فقد نتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم ، وهم في الوقت نفسه إذا أخلصوا النية لنا ، فإننا نقضي على مراكز الرجعية في مصر ، وننتهي منها ، فلنول وجوهنا شطر أوربا "".

هذا هو ثمن السلام بنظر سلامة موسى أن نتعاون مع الإنجليز ، ونضمن لهم مصالحَهم ، ومصالحُهم أن يظلوا جاثمين على صدر مصر ، ينهبون خيراتها ويستذلون أهلها ، ويدوسون كرامتها ، ولكن هذا لا يشكل خطراً على سلامة موسى لأنه سيظل هو والنخبة الربيبة ينعمون بالرفاهية ، ويتمتعون بالخيرات ما دام أسيادهم راضين عنهم ، آمنين لجانبهم .

والربح الذي يحققه سلامة موسى من التعاون مع الإنجليز هو القضاء على الرجعية ، والرجعية المقصودة عنده والتي يحلم بالقضاء عليها هي الأزهر الذي يبث فينا ثقافة القرون المظلمة ، وشيوخ الأزهر المأفونين ، الذين لا يكفون عن التوضؤ على قوارع الطرق . أليس هذا هو الفاشيست الذي يتحدثون عنه ؟! .

واليوم يدعونا طارق حجي إلى الإيمان بحتمية الوصول إلى السلام مع إسرائيل ، وعلينا أن نكافح لترسيخ ثقافة السلام بدلاً من ثقافة العدوان وأن نسير على خطا السادات لكي تتجنب المنطقة السقوط في العنف والماضوية والتخلف والفقر ، وعلينا أن نقبل قيام دولة ديمقراطية لا دينية على كامل تراب فلسطين يتساوى فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون. ويعني هذا أن يتنازل الفلسطينيون عن مقدساتهم ، وعن حق العودة للمشردين من أبنائهم ويرضخوا لما يفرضه منطق القوة الإسرائيلي والأمريكي . إنها دعوة للاستسلام تحت عنوان:" الإيمان بحتمية السلام " .

أما مراد وهبة فالعلمانية بنظره هي الحل لمشكلة الشرق الأوسط في فلسطين ذلك أنه يعرف العلمانية بأنها "" النظر إلى النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق ""،

ويعني بذلك سيادة النسبية على كافة المستويات ، وإقصاء المطلقات من الوجود، لأنه لا وجود لحقيقة مطلقة ، والقول بها مجرد خرافة ، وسيادة المطلق يهدد السلام العالمي ، لأنها ستدخل في صراع كما هو الحال بين المطلقات الثلاثة الإسلامي اليهودي والمسيحي ، وليس من وسيلة لحل هذا الصراع إلا بالقضاء على المطلقات ، ويتم ذلك بنفي الدوجماطيقية " أي نفي علم العقيدة " لأن مفهوم الحرب كامن في هذا العلم . لأن هذا العلم قائم على اليقين "" واليقين لا يمكن أن يكون إلا مغلقاً ، ولهذا فهو يؤول في المنتهى إلى الدوغمائية التي تُترجَم تعصباً وتحزباً وربما عنفاً وإرهاباً "" ومع أن هذا الكلام لا يرضي الناطقين باسم الغائب والمدافعين عن العقائد وحراس النصوص كما يقول الخطاب العلماني إلا أنه يقرر ذلك ليؤكد على أن الصراع العربي الإسرائيلي في النهاية هو صراع مطلقات ، والحل الوحيد في العلمانية لأنها المضاد الحيوي للأصوليات الدينية التي تغذي المطلقات وتتغذى منها ، وعلى ذلك بدلاً من شعار " الإسلام هو الحل " تصبح " العلمانية هي الحل " .

ولكن تجاهل مراد وهبة هنا أن العلمانية تصالحت مع الصهيونية واليهودية وبررت لهم وجودهم في فلسطين ، وشرّعت لاستمرارهم فيها على حساب العرب والمسلمين الذين لم يربحوا شيئاً ، ولم يحصلوا على شيء من علمانية مراد وهبة ، إلا إذا كان مراد وهبة وأمثاله سيجيبون بأن الربح العربي يتمثل في النجاة من القنابل النووية الإسرائيلية ، وهذا ما لا يحسب الأصوليون المسلمون حسابه ، لأن الخوف من الموت لا يردعهم عن المطالبة بحقوقهم ولديهم من الآليات والوسائل " الإرهابية " ما يجعل إسرائيل تفقد صوابها .

بقي أن نتساءل :

ألم تتحول علمانية مراد وهبة إلى مطلق هي أيضاً ينفي المطلقات الأخرى ؟ فإذا قرر هو وشيعته أن " العلمانية هي الحل " وقرر المسلمون بشكل مطلق أن " الإسلام هو الحل " وقررت إسرائيل أن " التلمود هو الحل " أفلا تدخل العلمانية هنا طرفاً جديداً فيما يسميه " صراع المطلقات " ، وبالتالي فإن أية رؤية تُطرح على أنها الحل هي بنظر أصحابها مطلق على الآخرين أن يرضخوا لها ، وهكذا فإنه لا خلاص من المطلق ، ولا بد من مطلق واحد تذعن له كل الأطراف المعارضة .

ونتساءل مرة أخرى : هل حربنا مع إسرائيل هي حرب مطلقات ؟ في الواقع لا ، لأننا نحن لا نحارب إسرائيل لندخلها في مطلقنا الإسلامي ، وإسرائيل لا تحاربنا لتدخلنا في مطلقها اليهودي ، نحن نريد أن نستعيد أراضينا المغتصبة – في إطار وعود ومؤامرات دبرت – على مرأى ومسمع من كل العالم ، ونريد أن يعود الشعب المشرد الطريد في كل بقاع العالم إلى أرضه ودياره ، ويريد الشعب المضطهد المقموع أن يتخلص من الاضطهاد والقمع ، ويتمتع بحريته وكرامته واستقلاله ، فأين المطلقات في هذا الصراع ؟ وإذا كانت حربنا مع إسرائيل حرب مطلقات فإن هذا يعني أنه لا يوجد خلاف بين شخصين في محكمة إلا ويمكن تسميته أيضاً " صراع مطلقات " ، وأن الإنسان الذي يأتي ليغتصب منزل مراد وهبة أو يعتدي على أسرته أو حتى على حياته ، على مراد وهبة ألا يدافع عن نفسه – طبقاً لعلمانيته أو لنسبيته – حتى لا يدخل في صراع المطلقات . والله أعلم .

سؤال:

هل هناك صقور وحمائم في العلمانية ؟

يقسم العلمانيون العلمانية إلى (صلبة وليّنة)

تقدم بهذه القسمة عادل ضاهر في كتابه " الأسس الفلسفية للعلمانية " ، ويعني بالعلمانية الصلبة هي تلك التي تتخذ من الاعتبارات الفلسفية أساساً لها ، وبذلك تكون علمانية راسخة لا تتزعزع لأن الاعتبارات الفلسفية لا تخضع للظروف والوقائع ولا ترتبط بها .

ولا يبني العلماني الصلب موقفه بناء على أية أدلة تاريخية أو اجتماعية أو سوسيولوجية أو دينية لأن كل هذه اعتبارات خاضعة للظروف والتغيرات وغير حاسمة ، واللجوء بالذات إلى نصوص دينية لتسويغ الموقف العلماني – كما فعل عبد الرازق وخلف الله وغيرهما – هو في نهاية التحليل لجوء إلى سلطة دينية ما ، إما سلطة الله [عز وجل] نفسه ، أو سلطة نبي من الأنبياء أو سلطة علماء الدين والفقهاء ، وبما أن الرجوع إلى سلطة الله [عز وجل] مباشرة بالنسبة لنا غير ممكن إلا بواسطة الأنبياء ولا أنبياء اليوم ، فإن السلطة – على هذا الشكل – بقيت للعلماء

والفقهاء ، وبما أن العلماء مختلفون ومتعارضون ، فإننا بحاجة إلى اعتبارات مستقلة عن سلطة العلماء المتناقضة لتحكم في الموقف، وتحسم الخلاف، وليس من سلطة هنا إلا العقل، والعقل العلمي بالذات، والعقل الفلسفي بالدرجة الأولى، وحتى لو وجد أنبياء فإن التمييز بين النبي الكاذب والنبي الصادق لا يمكن إلا بطريق العقل، والفلسفة هي وسيلتنا الوحيدة للوصول إلى ذلك.

والخلاصة التي يريد أن يقررها عادل ضاهر هي : أن العلمانية الصلبة لا تقوم على اعتبارات جائزة أو ممكنة ، بل على اعتبارات ضرورية ، فلا الوحدة الاجتماعية ، ولا الشروط التاريخية أو الاجتماعية أو الثقافية ، ولا النصوص الدينية هي التي تملي على العلماني الصلب موقفه، وهذا لا يعني أنه يرفض هذه الاعتبارات ، بل إنها ربما تكون حافزاً وعونًا له في موقفه ، ولكن موقفه الأخير تمليه عليه اعتبارات فلسفية محضة ، فهو يبني علمانيته على هذه الاعتبارات بالدرجة الأولى ، وما يأتي بعد ذلك مصدقاً فليكن في المرتبة الثانية .

وهذا يعني أن العلمانية الصلبة تعني أمرين أساسيين :

أولاً : أن العلاقة بين الروحي والزمني ، بين الدولة والسياسة لا يمكن أن تكون أكثر من علاقة موضوعية ، أي علاقة تفرضها ظروف تاريخية معينة ، وعلاقة كهذه لا يمكن أن تنبع من الماهية العقدية للدين. ويعني بذلك أنه حتى لو ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام دولة – بعكس ما أراد عبد الرازق وخلف الله أن يُثبتا – فإن هذه الدولة محكومة بظروف وشروط تاريخية معينة ، وليس لها أساس ديني خارج التاريخ ، ومفارق للزمن والواقع .

ثانياً : أن المعرفة العملية "" أي المعرفة المطلوبة لتنظيم شؤون المجتمع والسياسة والإدارة والاقتصاد والقانون لا تجد ولا يمكن أن تجد أساسها الأخير في المعرفة الدينية "" ، وهذا هو تعريف عادل ضاهر للعلمانية .

سؤال:

هذا عن العلمانية الصلبة فماذا عن العلمانية اللينة ؟

العلمانية اللينة عند عادل ضاهر هي التي لا تقوم على أسس فلسفية ، وإنما تبحث عن مبرراتها في التاريخ والثقافة وعلم الاجتماع والنصوص الدينية ، وهذه المبررات بنظره جائزة وممكنة وليست ضرورية كالأسس الفلسفية الحاسمة ، ولذلك فإن علمانية هؤلاء تظل علمانية لينة، أي هشة لأن النصوص الدينية ليست حاسمة ، والخلاف في تأويلها يغذي كل وجهات النظر ، ولأن الشروط التاريخية والثقافية ، والاجتماعية خاضعة للتغير والتطور عبر مرور الزمن .

كتاب عادل ضاهر " الأسس الفلسفية للعلمانية " يبلغ 429 صفحة يقوم على جدلية العقل والنقل ، وهي كما نعلم جدلية قديمة خاض فيها أعلام الفكر الكلامي الإسلامي ، ومنهم من اختار أسبقية العقل على النقل تخلصاً من الوقوع في الدور ، والعلمانية عند عادل ضاهر حتمية أو ضرورية – كما يُعبّر – للخلاص من هذه المشكلة " فالعلمانية هي الحل " عنده أيضاً – كما رأينا عند مراد وهبة – وهي المطلق أيضاً لأنها عنده " ضرورية " ، ولكن في حين كانت عند مراد وهبة هي الحل لمشكلة الشرق الأوسط وقضية فلسطين ، فهي عند عادل ضاهر الحل لأزمة العقل العربي الإسلامي المتمثلة في التردد والحيرة بين العقل والنقل .

علينا أن نحذو حذو إمامينا الجليلين الغزالي والرازي في تقرير آراء الآخرين الذين نختلف معهم قبل أن نناقشها لنتبين الخطأ فيها من الصواب .

لقد اختار عادل ضاهر أن العقل أسبق من الوحي بل هو أساس الوحي ، وعلى هذه القضية يقوم كتابه ، فالأساس في الاعتبار العلماني هو المرجعية "" إن العلمانية هي بالضرورة موقف رافض للطابع الكلياني للدولة الدينية الذي يرتبط مفهومياً بجعل الاعتبارات الدينية نهائية فيما يخص الأمور الروحية والزمنية على حد سواء ... ومن المهم ملاحظة أن المعيار في كون الشخص علماني أو لا علماني ليس هو قبول المقررات الشرعية أو عدم قبوله ، وإنما المعيار هو الأساس الذي يبني عليه هذا القبول ، فاللاعلماني يبني قبوله على أساس ديني ، والعلماني قد يقبل الشريعة ، ويبني قبولَه على أساس عقلي أو خلقي ، وهو بذلك يظل علمانياً "" .

المعيار إذن بين العلماني وغيره هو في أصل المشروعية التي يرتكز عليها مجتمع ما في تصوره لهويته وفي إرسائه لنظمه وشؤونه ، ففي المجتمع الديني تُستمَد

المشروعية من مصدر مفارق علوي غائب قدسي والإنسان لا مشروعية له هنا ولا شرعية فهو مجرد نائب عن ، أما في المجتمع العلماني فالمشروعية مستمدة من داخله من الإنسان المستقل بعقله والذي يُنتِج معارفه وتجاربه وخبرته ففيه المشروعية والمرجعية .

ومن هنا فإن ما يرفضه العلماني هو المبادئ التي تقوم باسمها السيطرة ، وليس المقصود سيطرة الدين أو رجال الدين ، إن المرفوض هو أن تكون التعاليم الدينية هي التي ينبغي أن تشكل المعيار الأخير أو المرجع الأخير لكل القضايا الروحية والزمنية على حد سواء .

ولذلك فالعلمانية "" قد تعترف بأنه لا وجود لمؤسسة كهنوتية في الإسلام ، ولكن ليس هذا ما يرفضه العلماني ، لأن معيار رفضه هو كون الدين المصدر الأخير للتشريع ، والمعيار الأخير للدولة الفاضلة ليس بالضرورة وجود كنيسة ، لأنها تتصل بشيء أعمق من هذا بكثير : بالطابع الكلياني للدولة الدينية ، فالمرجعية المطلقة لله [عز وجل] سواء أكان الوسيط بيننا وبين هذه المرجعية رجال إكليروس أو أنبياء ، فالقضية هي : جعل الدين في نصوصه المقدسة المرجعية النهائية للحاكم في كل مجالات الحياة "". وما دامت وجدت مرجعية دينية فسيوجد رجال دين لهم نفوذ وممارسة للسيادة ، وسلطة استبدادية ، وإن لم يكن للدين على مستوى التنظير تأكيد لهذه السيادة ، إلا أنه من الناحية العملية والممارسة لا بد من وجود مثل هذه السيادة النفوذية وأمثلة ذلك : دور الإفتاء وعلماء الدين الإسلامي والإكراهات التي يمارسونها ضد الحكومات . فالكهنوت سمة لازمة لكل الأديان ولا يستثنى من ذلك الإسلام .

وهكذا يبدو أن تطبيق القرآن فيه تكريس لسلطة طبقة من رجال الدين وبالتالي القضاء على أحد المبادئ الضامنة لاستقلالية الإنسان ، واحتكار المعرفة في الشؤون الدينية التي تهم المجتمع ، ولا فرق أن نسمي هذه الطبقة التي ستحتكر فهم الدين طبقة كهنوت أو علماء أو غير ذلك ، لأن النص الديني لا يفسر ذاته ، فالنتيجة هي ضياع حرية الإنسان وانهيار الاستقلالية المعرفية للعقل .

ولنا هنا أن نتساءل : إذا قوضنا المرجعية الإلهية والنبوية ، وكرّسنا المرجعية العقلية البشرية ، فسيكون للمُشرّعين البشر نفس الأهمية الكبرى ، والنفوذ والسيادة والتسلط

والدكتاتورية – إذا افترضنا أن هذه موجودة في المرجعية الدينية – وسيحل القانوني والمحامي بديلاً عن الشيخ والمفتي ، والمغني والمطرب بديلاً للقارئ والمرتل ، ولاعب الكرة بديلاً عن المفكر والعالم ، والراقصة والممثل والمسرحي بديلاً عن المبدع والعبقري والمجاهد والجندي ، وبالتالي فإن العلماني سوف يعود فيصبح لاهوتياً علمانياً من جديد يمارس لاهوت العلمانية وعلمانية اللاهوت بما في ذلك من تسلط وإرهاب ودكتاتورية وينشأ دين علماني جديد عقيدته الرسمية هي العلمانية ويرفع شعار التقدم والتنوير كإيديولوجيا تمارس سلطتها في سبيل فرض مصالحها تحت راية الرأسمالية أو الاشتراكية وهكذا فإننا عندما نلغي الله [عز وجل] لنُحل محله الإنسان في التشريع تكون خسارتنا فادحة دون أن نربح شيئاً .

ومع ذلك يظل العلماني يصر على أن "" الإنسان يمكنه بدون وحي إلهي أن يتدبر شؤون دنياه " والمقولة التي يسعى لتفنيدها هي أن "" الإسلام دين ودولة "" . "" لأن المعرفة غير ممكنة إلا إذا قامت على أسس عقلية ... فلا الوحي ولا الحدس ولا أية وسيلة أخرى قد يحلو لواحدنا أن يفترضها كمصدر للمعرفة يمكن أن تُتّخذ على أنها ذات أولوية على العقل ، أو على أنها مستقلة عن العقل "". فإن "" للعقل استقلالية تامة عن كل ما يقع خارجه ، فلا يمكن إخضاعه لرقابة دينية أو غير دينية ، ولا يمكن لأية معايير من خارجه مهما كان نوعها ومضمونها أن تكون ذات أسبقية على معاييره ، والعلماني الذي يستشهد بالقرآن أو السنة لدعم موقفه يتنازل تنازلاً كبيراً ، لأن العلمانية في أساسها قائمة على أسبقية العقل على النص ، ولأن المعيار الأخير للإلزام القانوني أو السياسي لدى العلماني ينبغي أن يكون مستمَداً من الأخلاق لا من الدين، والسبب هو أن المعرفة الدينية جائزة وممكنة ، أما المعرفة الفلسفية فهي ضرورية ، ولا يجوز اشتقاق الجائز من الضروري .

وإذا كان الأمر كذلك "" فإنه لا يمكننا من منظور عقلي أن نُلزم أنفسنا بالامتثال لأمر أو نهي ما ينطوي عليه نص ديني معين ، إلا إذا وجدنا أن هذا تماماً هو ما تُلزمنا به الاعتبارات الأخلاقية الصحيحة ، مما يجعل العودة إلى الاعتبارات الدينية والنصوص الدينية أمراً عديم الجدوى "".

ومعنى ذلك أن التوفيق بين العقل والنقل مرفوض لأنه تحصيل حاصل ،فالتوفيق سيكون بين مبادئ عقلية تُوُصِّل إليها عن طريق العقل ، ومبادئ عقلية متَضمَّنة في نصوص نقلية ولكن ثبت صدقها أيضاً عن طريق العقل .

ملاحظة : لقد ناقشت أطروحة عادل ضاهر السابقة في قرابة عشرين صفحة وهي تحتاج إلى تهيئة ومراجعة وقد يستغرق ذلك وقتاً .

العلمانية هي الدنيوية

إن الاحتراز الوحيد الذي نضعه هنا لعله يجنبنا كثيراً من الانتقادات والإلزامات التي قد ترد علينا إزاء هذا التعريف هو أن العلمانية " الدنيوية " التي نقصدها تزيد وتنقص ، وتهبط وتصعد ، وأننا عندما نتحدث عن العلمانية التي تقارن الإلحاد والزندقة فإننا نقصد العلمانية في أعلى درجاتها . إن هذا يعني أن بعض الباحثين الحريصين على إسلامهم وإيمانهم ولكن تصدر منهم بعض الأفكار التي تخدم التوجه الدنيوي العلماني ، وتتحرك في داخل أسواره لا يمكن أن يوصفوا بأنهم علمانيين ، وإن كان يصح أن نصف أفكارهم المنحرفة بأنها أفكار علمانية . والله أعلم .

الواقع – كما يقرر الدكتور القرضاوي – أن العلمانية لا يمكن أن تكون محايدة من الدين، لأن عزل الدين عن حياة المجتمع أو تفريغ حياته من الدين ليس موقفاً حيادياً ، إنه موقف ضد الدين ، إنه يقوم على اتهام الدين بأنه ضرر بالحياة وخطر عليها ، فيجب إبعاده عن توجيه الحياة والتأثير فيها ، ويجب أن تُبنى الحياة في تشريعها وثقافتها على غير الدين ، وهذا الموقف لا يمكن أن يُعتَبر حيادياً ، لأنه تجريم للدين وإدانة له.

كما أن الدين يطرح نفسه على أنه منهج حياتي شامل كامل ، والحد من سلطانه يعني إعلان الحرب عليه ، وبالذات الإسلام فهو رؤية شاملة وكاملة للكون والحياة والإنسان ، تغطي عبر آلياتها الاجتهادية كل مراحل التطور البشري والاجتماعي والتاريخي " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا " ، والدين المسيحي مع أنه لا يحتوي على تشريع أو تنظيم اجتماعي وإنما يحيل إلى التوراة أو العهد القديم ، ومع أن العلمانية حاربته طوال القرون الخمسة الماضية حتى انزوى إلى الحياة الشخصية على مستوى أفراد قليلين لا يشكلون نسبة كبيرة في

الغرب ، بدأ يستعيد وجوده في الحياة الغربية ، وإن كانت هذه الاستعادة ذات أهداف فكرانية وسياسية ، ليكون سلاحاً روحياً في مواجهة الإسلام الذي يلقى رواجاً واسعاً في الغرب هذه الأيام ، ولذلك نجد النشاط المسيحي أغلبه نشاط سياسي تبشيري تدعمه النظم السياسية الغربية التي تعتبر نفسها في حالة مواجهة مع الإسلام " الخطر الأخضر " .

ومع أن الدين المسيحي فقد ركائزه المقدسة ، وانهارت مرجعيته تحت سياط البحث العلمي ، والتاريخي – كما أشرنا في التمهيد – ولم يعد يملك القدرة على الإقناع أو اكتساب ثقة المؤمنين به ، مع ذلك فإن الغرب اضطر أن يعدِّل كثيراً في المسيحية حتى كادت أن تتماهى مع الإلحاد ، وذلك من أجل أن يرضي حاجته إلى التدين ، أو يرضي ضميره المعذب لاغتياله المسيحية ، ولذلك فقد "" تضاءلت الفروق الثقافية بين المؤمن والكافر ، وانطمست الحدود بين الإيمان والكفر وأصبحت المسيحية أكثر مرونة والإلحاد أكثر سلبية ، والإنجليزي الكافر ذو المنزلة الاجتماعية مهما تكن هذه المنزلة متواضعة يجري على سَنن المسيحية غالباً في مناسبات الولادة والموت والزواج "" ، ومن هنا فإن إليوت يعتبر دين مجتمع ما هو ثقافته أيضاً ، والاحتفاظ به احتفاظ بثقافة الأمة "" إن الثقافة والدين مظهران لشيءٍ واحد "".

ومن الخطأ الشائع القول : بأن "" الثقافة يمكن حفظها وبسطها وتنميتها بغير دين "" و "" حين ندافع عن ديننا فلا بد لنا في معظم الأمر من أن نكون مدافعين عن ثقافتنا في الوقت نفسه والعكس بالعكس "" وإن "" القوة الرئيسة في خلق ثقافة مشتركة بين شعوبٍ لكلٍّ منها ثقافته المتميزة هي الدين "" ولذلك "" إذا ذهبت المسيحية فستذهب كل ثقافتنا "". ومن هنا فإن الدين في الغرب يتجلى في مظاهر حياتية كثيرة كالقَسَم وتدريس المناهج الدينية ، وأعياد الميلاد ، وقوانين العقوبات . وهكذا يتبين لنا أن الغرب يريد العودة إلى الدين لأهداف دنيوية محضة ، أهمها استخدامه كسلاح وثقافة " فكرانية " في مواجهة الشمولية الإسلامية . ولكن الدين الذي يريده الغرب ليس هو الدين العلماني علمانية ثابتة ، وإنما هو الدين الذي يقبل الخضوع للعلمنة المستمرة دون توقف ، وعلى هذا النحو يفرقون بين العلَمانية والعلمنة .

سلمة العلمانية

سؤال:

يحاول المنادون بالخطاب العلماني الحصول على تأشيرة مرور للعلمانية إلى العقل المسلم . لعامَّتهم وخاصتهم . فما هي أساليبهم ؟

هناك ثلة من المفكرين يسعون إلى أسلمة العلمانية، وذلك من أجل الحصول على مشروعية لاستيرادها أو جواز عبور لمرورها، وبطاقة إقامة لها في العقل المسلم، ولذلك تحاول تعريفاتهم وتنظيراتهم أن تردم الهوة، أو على الأقل تقوم بتمويهها بين الإسلام والعلمانية.

فالعلمانية عند نصر حامد أبو زيد ليست مروقاً أو كفراً أو إلحاداً وإنما هي "" التأويل الحقيقي والفهم العلمي للدين، وليست ما يروج له المبطلون من أنها الإلحاد الذي يفصل الدين عن المجتمع والحياة ""، باختصار إن العلمانية عند نصر حامد هي التأويل. وسوف نجد أن التأويل يحتل المساحة الرئيسة في الفكر العلماني.

وإذا كان نصر حامد يبرئ العلمانية من الإلحاد ويعتبرها الفهم الحقيقي للدين فإن محمود أمين العالم يذهب إلى أكثر من ذلك عندما يأمل أن تكون العلمانية منطلقاً صالحاً للتجديد الديني نفسه بما يتلاءم ومستجدات الواقع. ذلك لأن العلمانية عنده هي: رؤية وسلوك منهج. وهذه الرؤية تحمل الملامح الجوهرية لإنسانية الإنسان، وتعبر عن طموحه " الثنائي " الروحي والمادي للسيطرة على جميع المعوقات التي تقف في طريق تقدمه وسعادته وازدهاره.

ولكن إذا كان كل المنظرين للعلمانية إسلاميين وعلمانيين يتفقون مع أمين العالم على أن العلمانية تعبر عن الطموح المادي للإنسان وتتطرف في هذا إلى حد التأليه للمادة، فإنه لا أحد يتفق معه على أن العلمانية تعبر عن الطموح الروحي للإنسان، فالعلمانية لا تعترف بالروح أصلاً، وإذا اعترفت بها فإنها تحولها إلى مادة وتتعامل معها على هذا الأساس، إن العلمانية تُهْدِر الجانب الروحي في الإنسان، وتُهدر المقاصد الروحية له، وتُلغي كل ما تطمح الروح إليه من خلود وعبودية وسعادة دائمة.

أما د. حسن حنفي فالعلمانية عنده مصطلح وافد، وبما أنه كذلك فإن الرفض هو ما سيواجَه به، فلماذا لا ندع إلى الإسلام الحقيقي، والإسلام الحقيقي هو إسلام علماني في جوهره لا حاجة له إلى علمانية زائدة عليه مستمدة من الخارج.

نلاحظ أن حسن حنفي لا يرفض مضمون العلمانية، وإنما يرفض المصطلح لأنه بضاعة المستعمر، ولكن المضمون أيضاً بضاعة المستعمر، ولا يكفي أن نلبسه لباساً إسلامياً، أو نعطيه صبغة ذاتية. إن الثقافة الغازية يراد لها أن تتمكن في ذواتنا ولكن من أجل التخلص من عقدة النقص نضفي عليها غطاءً إسلامياً، وتبريراً فكرانياً، ونطلق على الإسلام بأنه دين علماني في جوهره.

إنها نفس النتيجة التي يصل إليها د. عابد الجابري فالمصطلح مثقل بالأفكار والمعاني الغربية الوافدة، والتي تدفع إلى ردة فعل لدى الإسلاميين تجعلهم يسارعون إلى رفضه، والمصطلح البديل لديه هو: الديمقراطية والعقلانية "" فالديمقراطية تعني حفظ الحقوق، حقوق الأفراد والجماعات، والعقلانية تعني الصدور في الممارسة والسياسة عن العقل ومعاييره المنطقية والأخلاقية وليس عن الهوى والتعصب وتقلبات المزاج "" ثم يضيف الجابري: "" بأنه لا الديمقراطية ولا العقلانية تعنيان بصورة من الصور استبعاد الإسلام "". فهو أيضاً لا يرفض مضمون العلمانية وإنما يرفض الشعار لأنه شعار مزيف ملتبس يجب استبعاده من قاموس الفكر العربي. والعقلانية الجابرية باعترافه هي على النقيض من سيرة السلف الصالح لأن عقلانيتهم تقوم على مبدأ أن الدنيا قنطرة الآخرة وهو منطق قد أدى وظيفته يوم كان العصر عصر إيمان فقط، وليس عصر علم وتقنية وأيديولوجيا وهو ما يعني إذن أن الإيمان يتناقض مع العلم والتقنية.

ولكن يقال هنا بأن الديمقراطية والعقلانية " المطلقة " كلاهما مصطلحان وافدان والخلاف بشأنهما بين الإسلاميين والعلمانيين لا يقل عن الخلاف بشأن العلمانية. ولذلك لم يحاول حسين أمين أن يرفض المصطلح بل إن المصطلح ومضمونه لا يناقضان الإسلام، لأن العلمانية تولي الحياة الدنيا اهتماماً أكثر مما تفعل المسيحية ولذلك وقعت في صدام معها، أما الإسلام فإنه يهتم بالحياة الدنيا ويعطي لكل من الدارين نصيبها " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ " [البقرة: 172]. و " وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيا " [القصص: 77]. " قلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " [الأعراف: 32].

ولكن نسي أنه ينقض رؤيته هذه عندما يعرف العلمانية بأنها: "" محاولة للاستقلال ببعض مجالات المعرفة عن عالم ما وراء الطبيعة وعن المسلمات الغيبية ""، ذلك لأن الإسلام يرفض أن يستقل العقل عن الوحي في أهم الأسئلة التي تواجه الإنسان، إنها الأسئلة المصيرية الكبرى التي تتعلق بالغيب.

وعلى كل حال يسعى أغلب العلمانيين العرب لكي يؤسلموا العلمانية، ويجعلوها متحالفة مع الدين، أو أن الدين علماني في جوهره ""الكلام على العلمانية لا يعني ألبتة نفي الدين بما هو إرث وتاريخ وتجربة أي بما هو حقيقة واقعة لا مجال لإنكارها وتجاوزها ""

"" ولكن لا يخلو هذا التنظير في كثير من الأحيان عن التناقض فعلى سبيل المثال: يقول د. فتحي القاسمي "" إن العلمانية تصور وضعي لمختلف أنشطة الإنسان بعيداً عن التأويلات المفارقة"" ثم يقول مباشرة ""وليس في ذلك بالضرورة تحامل على الدين ""، ثم يقول في نفس الصفحة "" لقد جعلت العلمانية الدين في وضع جديد، يسوده الحرج، ولم تلغه، وإنما قيدت مجال نشاطه "".

إن كلام القاسمي هذا يعبر عن سذاجة أو استيذاج للآخرين، لأن آخر الكلام ينقض أوله فعندما تكون العلمانية تصور وضعي، والدين قرار إلهي، والعلمانية تصور مادي، والدين فيه مساحة واسعة للغيب، أو ما يسميه " التأويلات المفارقة " فكيف لا تكون العلمانية في هذه الحالة متحاملة على الدين ؟

وكذلك عندما يطرح الدين رؤيته الشاملة للوجود، ومنهجه الكامل للحياة، فتحد العلمانية من هذه الرؤية وترفض هذا المنهج، وتضع الدين في وضع حرج، وتقيد فاعليته، كيف لا تكون متحاملة على الدين في هذه الحالة ؟ وكيف لا تكون – العلمانية – كذلك وهي بنظر القاسمي نفسه تَعتَبر المقولات الثابتة للدين متطرفة مهترئة لا يصدقها العقل.

وبالرغم من هذا التناقض الواضح يظل هؤلاء يصرون على أن الإسلام دين علماني كما طرح حسن حنفي والجابري ونصر حامد أبو زيد وحسين أحمد أمين وعبد المجيد الشرفي وفتحي القاسمي ومحمد أركون وطيب تيزيني وطارق حجي ولكن كيف يكون الإسلام ديناً علمانياً عند هؤلاء ؟

سؤال:

ما أدلتهم على إمكانية أسلمة العلمانية وعلمنة الإسلام ؟

أ - لأنه اهتم بالحياة الدنيا كما سبق ورأينا عند حسين أحمد أمين، ولأنه لم يعرف في تاريخه كنيسة أو نظاماً كهنوتياً، ولم يحكر المعرفة والنظر على أحد. ولأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان ملِكاً وعاش ملكاً، ومات ملكاً، وحبب إليه من الدنيا ثلاث النساء والطيب والصلاة وانخرط في الواقع الدنيوي المعيش. وقال للناس: " أنتم أعلم بشؤون دنياكم ".

ب - ولأنه قاصر على الأخلاق والقيم، وليس فيه نظام سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي عند طارق حجي، أو بتعبير طيب تيزيني ومحمد سعيد العشماوي لأنه دين الهداية والرحمة، وليس دين العلم والتشريع، أو بتعبير آخر للتيزيني لأن القرآن "" يقول كل شيء ولا يقول شيئاً "" لأنه كتاب مودة وأخلاق. أو لأن القرآن على حد تعبير محمد أركون "" مجازات عالية "" ومن الوهم اعتقاد الناس بتحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون فعال، أو شريعة واقعية.

ج - ولأنه تخلص من أقوى أعراض المقدس: الأسرار والمعجزات، وأعلى من قيمة العقل حتى تُكُلِّم عن معقولية الشريعة وهذا يعني أن بوادر العلمنة تكمن في داخله.

د - ولأن الإنسان هو محور الكون في القرآن، فقد ذُكر في خمس وستين آية، والدنيا ذُكرت في مائة وخمسٍ وعشرين مرة، وهي ليست إفلاساً كما يصورها المغالون وإنما هي مليئة بالطيبات والخيرات، والقطوف الدانية.

هـ - " ولأن أسس التشريع في الإسلام انطلاقاً من مصادره الكبرى تتوفر على قسط كبير من الأريحية والقابلية للتشكل والتلون بما يسعد الإنسان في الأرض حتى وإن بلغ ذلك حد تعطيل المفروض من الأحكام، وتجميد نصوص شرعية. إن هذا النص

لا يختلف عما قرره أركون وطيب تيزيني آنفاً وهو ما يعني أيضا أن "" القرآن كل شئ فيه متحرك ومتموج ومفتوح ومليء بالاحتمالات "".

و – ولأن الرسول . صلى الله عليه وسلم . " لو قُدّر له أن يعيش بين ظهرانينا حيناً من الدهر، وفي وسطنا المُعلمَن لعدل كثيراً من المواقف ولنسخ العديد من أقواله، لأنه كان مؤمناً بجدلية العلاقة بين المفاهيم الدينية التشريعية، والواقع البشري النسبي والمتطور على الدوام، ولكننا ما نزال نرتطم بالرافضين لذلك. "" ولا يزال النص يسيطر على حساب الفكر "".

ز – " وما قام به علماء المسلمين عبر العصور من اجتهادات جريئة وطريفة يدل على أنه يمكن في الإسلام علمنة المقدس بما يلائم وضع المسلمين، ولا يتناقض ذلك مع مقاصد الشرع، وما دام في إطار المصلحة ". فالاجتهاد في الإسلام ممارسة عقلانية ذات طابع علماني تنويري يجعل الشريعة والأحكام ناسوتية لأن العقل هو الذي يؤسسها ويصبح أولى من النص، مما يجعل الحقائق متعددة كما نرى في كثرة الاختلافات والمذاهب.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

سؤال:

ولكن، نتساءل هنا: كيف لا تتناقض علمنة المقدس مع مقاصد الشرع ؟

إن الإجابة عند فتحي القاسمي نفسه "" لقد سبقنا الفقهاء والأصوليون إلى تطويع جريء للشريعة، ولكننا منذ عصر النهضة إلى الآن لم نجترئ على إحداث سنة ثقافية إسلامية جديدة داخل المنظومة الإسلامية قادرة على فرقعة كثير من الثوابت التي أضفيت عليها قداسة لم تزدها عصور الانحطاط والتخلف إلا ترسخاً، فهل ذلك يكون بواسطة العلمانية ؟ "". وخصوصاً إذا كانت العلمانية "" هي أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره، والدينية طارئة من صنع التاريخ، وتظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور "".

ونعيد السؤال الذي أجاب عنه فتحي القاسمي ولكن بطريقة تكشف موطن التناقض والمغالطة فنقول: هل يمكن في الإسلام فرقعة كثيرٍ من الثوابت دون أن يتناقض ذلك مع مقاصد الشريعة ؟ ذلك ممكن في العلمانية فعلاً كما يأمل فتحي القاسمي،

لأنه في العلمانية "" كل شيء يجوز"" !! "" كل شئ يجوز "" أقترحه تعريفاً للعلمانية، وليس فيه من جديد إلا طريقة التعبير، لأنه مضمن لدى من يزاوج بين العلمانية والنسبية كمراد وهبة على سبيل المثال.

ولأن التاريخ الإسلامي يفيض بالعلمنة ففيه الشعر الماجن والدنيوي، والتراث يفيض بالدنيوية وتصوير الحياة الاجتماعية، وخصوصاً حياة القصور على أنها مملوءة بالملذات والشهوات، والإقبال على الدنيا، والخمر كان شائعاً ومنتشراً في مجمل العالم الإسلامي، وانتشار ظاهرة الزندقة في أوساط المسلمين واستفحالها حتى وُصِم بذلك بعض الخلفاء مثل الوليد بن يزيد [88 هـ 126 هـ] والمهدي [158هـ، 169 هـ] وإعلان الزنادقة لآرائهم بكل شجاعة وصراحة دون خوف.

إن كل هذا يؤكد – بنظر الخطاب العلماني – على أن الإسلام أجاز لأبنائه في التنظير والممارسة بعض أشكال العلمانية، ويؤكد "" أن العلمنة في المجتمع الإسلامي القديم ليست بدعاً، أو رجماً بالغيب، وإنما واقع عايشه المسلمون واستأنسوا به أكثر من استئناسهم بالشريعة ""!!!.

ـــ

سؤال:

كيف نرد على القائلين بعلمانية الإسلام وإسلامية العلمنة ؟

المقولات العلمانية السابقة والتي من خلالها يتوصل العلمانيون إلى القول بأن الإسلام دين علماني، ويقبل العلمنة تتركز حول المحاور التالية:

أولاً: أن الإسلام اهتم بالحياة الدنيا.

ثانياً: جعل الإنسان مركزياً في هذا الكون.

ثالثاً: تخلص من المقدس.

رابعاً: تخلص من المعجزات.

ـــ

سؤال:

أرجو التكرم بالتفصيل في مناقشة هذه المحاور الأربعة.

أولاً:

لقد أوْلى الإسلام بالفعل عناية بالحياة الدنيا ولكن بقدر، ويبدو أن الإسلام يبالغ في الاهتمام بالحياة الدنيا إذا ما قُورن بالمسيحية المزوّرة التي دعت إلى الرهبنة، وتطرفت في قمع الفطرة الإنسانية المحتاجة إلى البلاغ في طريق الآخرة.

ولكن المغالطة العلمانية تقوم على الإغفال والإبراز:

فيستدل العلماني بأن الدنيا ذُكرت في القرآن 115 مرة وهذا يعني أن الدنيوية " العلمانية " لها أصولها القرآنية وهذا هو الإبراز، أما الإغفال فيقوم على طمس وتجاهل أن الدنيا عندما ذُكرت في القرآن غالباً تذكر بالذم والامتهان والتحذير من بهرجها وزخرفها، وأن المستدل بالآيات يغالط دون أن يخجل بل إنه عندما يقول: إن الدنيا ليست في القرآن مصدر إفلاس كما يصورها المغالون، يعلم أنه يتجافى عن الحقيقة وهي إلى جواره، لأنه لو تأمل في الآيات التي قام بإحصائها لوجد أن القرآن هو الذي يحكم على الحياة الدنيا بأنها " مَتَاعُ الْغُرُورِ " و " هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ " [الكهف: 45]. وليس المغالون.

إن الأصل في دعوة القرآن هي الآخرة " وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " [العنكبوت: 64]. والدنيا بُلْغة إلى الآخرة، ووسيلة لا بد من الأخذ بها، ولا بد من الإعمار والقيام بالأمانة، ولكن الآخرة في النهاية هي الغاية وهي الجوهر. " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " [القصص: 77]. ولكن الآخرة هي المراد والمقصد " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ " إن الأصل في دعوة القرآن الابتعاد عن الانخراط الأعمى في الدنيوية من شهوات وملذات، والاكتفاء بـ الطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ، والحلال الذي فصله الله عز وجل في كتابه.

ثانياً:

وأما أن الإسلام دين علماني لأنه جعل الإنسان محور الكون، فالمقدمة صحيحة، والنتيجة كاذبة، فالإنسان فعلاً هو محور الكون في القرآن الكريم فهو " الخليفة " إني جاعل في الأرض خليفة " [البقرة: 30] وهو حامل الأمانة " إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا " [الأحزاب: 72].

ولكن ههنا مغالطة أخرى أيضاً تقوم على الإغفال والإبراز:

الإبراز هو الإشادة بالموقف الإيجابي للقرآن من الإنسان، والإغفال هو تجاهل موقف القرآن من الإنسان المنحط والمغرور. الإنسان المحور في القرآن الكريم هو الإنسان الذي حُبِي بالعقل والعلم " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا " [البقرة: 31] وشُرّف بالتكليف " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " [الذاريات: 56] وكرم بالرسالة " قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ " [آل عمران: 183] وأُجيب على كل أسئلته حتى لا يتخبط في الظلام، وأُمر بالعبادة لتشبع روحه، ودُعي إلى التفكر والنظر ليشبع عقله، ورُخّص له التمتع بالطيبات ليشبع جسده، وحُذّر من الإسراف والانحراف حتى لا تنزو نفسه، وتجمح غريزته، ويعسر عليه حينئذ حفظ الأمانة التي رضي بحملها.

الإنسان في القرآن يمكن أن يسمو حتى يقترب من الملأ الأعلى، ويصبح أسمى من الكون، وأشرف من كل ما فيه، ويصدق عليه عندئذ قول الحق عز وجل: " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ " [الإسراء: 70] و " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " [التين: 4] ولكنه يمكن أيضاً أن ينحط ويهوي في مدارك الشقاء حتى يصبح في " أسفل سافلين " [التين: 5] ويقول: " يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا " [النبأ: 40] ويصبح أسوأ من البهائم " أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ " [الأعراف: 179]. هذا ما يغفله الخطاب العلماني ليكرس مركزية الإنسان في الكون، وسيادته المطلقة فيه كما أرادت العلمانية الغربية في مرحلة من مراحلها.

"" إن الإنسان في القرآن الكريم ليس مخلوقاً ساقطاً خاطئاً منذ البداية كما هو في الرؤية المسيحية ""، وليس هو ذلك الإنسان المتمرد الجبار العنصري النازي الذي أرادته فلسفة التنوير كما طرحها ماكيافللي ونيتشه وداروين ومارسها هتلر وستالين وموسوليني. إنه في القرآن الإنسان المتوازن الذي استُخلف في الكون، ووُكِلت إليه عمارته، وأُمر بالعبادة والتقوى والعمل الصالح.

ثالثاً:

وأما القول بأن الإسلام تخلص من المقدس فهو أمر في غاية العجب ! كيف ذلك ؟ وأين الأدلة ؟ والمقدسات في الإسلام كثيرة فالكتاب الكريم مقدس، والبيت الحرام مقدس، والنبي . صلى الله عليه وسلم . مقدس، والمسجد مقدس، والعبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج مقدسة، والجهاد مقدس، وهكذا فالمقدس يحتل مساحة واسعة في الرؤية الإسلامية لا يمكن اختراقها، والمسلم مأمور بالدفاع عن مقدساته حتى أن روحه لا تساوي شيئاً في سبيلها " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " [التوبة: 111].

إلا إذا كان المقصود هو التخلص من المقدسات الخرافية التي كانت سائدة عند الفراعنة، واليونان، كتقديس الكواكب والنجوم، وظواهر الطبيعة، واتخاذ آلهة للقمر، وآلهة للشمس، وآلهة للمطر وغير ذلك فإن الإسلام بالفعل جرّد الطبيعة من هذه القداسة الخرافية والوهمية.

ولكن لا بد من الإشارة إلى أن الإسلام في الوقت الذي سلَب فيه من الطبيعة قداستها الزائفة، إلا أنه لم يجرد الطبيعة من مغزاها الروحي والرمزي، لأنه رأى في الخليقة كلها المتمثلة في السماوات والأرض وما بينهما والشمس والقمر والكواكب واختلاف الليل والنهار، والرياح اللواقح، والغيث النازل، والسحاب المسخر، والبحار المالحة، والأنهار العذبة، والجبال الأوتاد، رأى في كل ذلك آيات بينات لله عز وجل في الكون، وبصائر للإنسان.

إن الطبيعة في القرآن ذات مغزى كوني تستوجب احترام الإنسان لها وتقديرها، لأجل صلتها الرمزية بالله جل شأنه، وتعامُله معها يجب أن يقوم على أساس العدل والتناغم والانسجام لأنه خليفة مؤتَمَن عليها، وضعها الله عز وجل تحت مسئوليته ليستفيد منها، وهي إلى جانب ذلك كتاب مفتوح منظور، إلى جانب القرآن الكريم الكتاب المقروء وفي كل منهما آيات بينات، ودلالات مشاهدات، ودروس واضحات يأخذ منها الإنسان الموعظة والعبرة.

إن هذا التجريد الإسلامي تجريد إيجابي ينفي الخرافة، ويستبقي الدلالة، بعكس التجريد العلماني فإنه يقوم على سلب المغزى الكوني والدلالي من الطبيعة، وقطع العلاقة الرمزية بينها وبين الخالق عز وجل، وبالتالي تصبح الطبيعة – في الرؤية العلمانية – بلا غاية، وبلا هدف، وكذلك بلا حماية أو رعاية، فينتج عن ذلك عدم احترام الإنسان لها، وخيانته للأمانة التي أوتمن عليها، وتصبح علاقة الإنسان مع الطبيعة قائمة على الانتقام أو اللامبالاة، وهو ما يؤدي أو سيؤدي إلى كوارث كونية تنتظرها البشرية برعب لم يسبق له مثيل، كالتلوث البيئي والنفايات النووية والأوزون وأخطار أسلحة الدمار الشامل.

وحتى فيما سمي بلاهوت الأرض أو لاهوت الطبيعة فإن علاقة الإنسان مع الطبيعة علاقة صراع وقهر وسيطرة، وليست كما هي في الإسلام علاقة تسخير وحب وتقدير. إن الإسلام يحول بين الإنسان والطغيان الذي يساوره بسبب غرور العلم أو غرور القوة ويذكره دائماً " إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعى " [العلق: 8].

رابعاً:

والقول بأن الإسلام تخلص من المعجزات لا يقل عجباً عن سابقه، فإنا إذا غضضنا الطرف عن المعجزات الحسية التي رويت بالتواتر المعنوي لسيدنا رسول الله . صلى الله عليه وسلم . مثل الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، ونبع الماء من بين أصابعه . صلى الله عليه وسلم .، وحنين الجذع، فإن القرآن الكريم نفسه يفيض بالحديث عن المعجزات كانفلاق البحر، وانقلاب العصا، وانبجاس الماء من الحجر لسيدنا موسى عليه السلام، وشفاء المرضى، وإحياء الموتى، والكلام في المهد لسيدنا عيسى عليه السلام.

إن إنكار كل هذه المعجزات أو التعسف في تأويلها ليس إلا لوناً من أو ألوان الصلف والمكابرة والجحود.

والآن بعد أن كشفنا المغالطات التي يبني عليها الخطاب العلماني رؤاه وتصوراته ونتائجه يمكننا أن نقول: "" إن العلمنة ليست فقط رؤية غير إسلامية للوجود، بل إنها تقف موقفاً مناهضاً للإسلام نفسه، ولذلك فالإسلام يرفض العلمنة ومآلاتها النهائية

ما ظهر منها وما بطن ""، يرفضها نظراً وعملاً لأنها الدنيوية المحضة، والدهرية الخالصة، والمادية المطلقة، وهي مقولات جاء الإسلام لمحاربتها، وإنقاذ الإنسان من ظلماتها وأزماتها.

ـــ

سؤال:

لكن العلمانيين يقولون إن العلمنة تنقذ الإنسان من الخرافات لا الإسلام.

إن الأسلمة وليست العلمنة هي التي تحرر الإنسان من الأساطير والخرافات، والأرواح الشريرة، والشعوذة التي يُظَن أنها تتحكم في مصير الكون، وتحرره كذلك من الأنانية والنفعية والمادية، وتقيم توازناً بين الجوانب المختلفة في كيانه "" وعندما يتحرر الإنسان على هذا النحو فإن وجهة حياته وسيرها يكونان نحو تحقيق طبيعته الأصلية، تلك الطبيعة المتوائمة مع طبيعة الكائنات، ومع الوجود كله ألا وهي الفطرة، وهو كذلك يتحرر من العبودية لدوافعه الحيوانية النزاعة إلى ما هو دنيوي، وإلى ما من شأنه أن يكون ظلماً وتعدياً على جوهر كيانه وعلى روحه، ذلك أن الإنسان بما هو كائن مادي يغلب عليه نسيان طبيعته الحقة، فيجهل هدفه الحقيقي الذي من أجله خُلق، وبالتالي يزيغ عنه "".

هذا التحرير للإنسانية قد تحقق بالوحي، وهو يتجلى في أكمل صوره في الرسالة الخاتمة التي ضَمِنت للإنسانية التحرر والتقدم والرقي. كل ما علينا أن نتمثل هذه الرسالة ونتفاعل معها بكل ثقة وطمأنينة ونقبل عليها طائعين مختارين.

سؤال:

ما المقصود بمركسة الإسلام ؟

إن بعض الماركسيين رأى أنه لا جدوى من إظهار مجابهة صريحة مع الإسلام تؤدي إلى استفزاز ردود فعل مقاومِة، فهناك طريقة أكثر إجداءً يمكن استثمارها دون استثارة مباشرة وهي تفريغ الإسلام من مضمونه وإعادة حشوه بمضامين ماركسية.

وعلى هذا الأساس اعتُبر كارل ماركس لدى بعض العلمانيين ممثلاً للإسلام أصدق تمثيل في دعوته إلى إلغاء المؤسسة الدينية. واعتبارُه الدين أفيون الشعوب لم يكن إلا بسبب ظلم المؤسسات الدينية التي تمثل الأديان تمثيلاً خاطئاً. وكانت دعوته إلى

الثورة العالمية المسلحة هي الجهاد الذي حض عليه الإسلام، وإلغاؤه لنظام الدولة هو قيام الشرع الجماعي، وتأميمه لوسائل الإنتاج هو تحريم الربا، وتحريره للمجتمع من الطبقية هو الحج. ومبادئ الإسلام جميعها كالتوحيد والعدل والمساواة والأذان والحج كلها كان ماركس يمثلها تمثيلاً واقعياً صحيحاً. وكان يعي تماماً معنى قوله عز وجل " كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ " [المدثر: 38]. في مبادئ فلسفته وثورته.

وكيف لا يكون كذلك وهو – أي ماركس – وكل أئمة العلم المادي والطبيعي يعتبرون من أئمة المتقين الموصوفين في القرآن بأنهم عباد الرحمن، هؤلاء هم ماركس وإنجلر وداروين لأن"" أئمة المتقين في فرقان محمد . صلى الله عليه وسلم . هم أئمة العلم المادي وأئمة الناس الذين يؤمنون بالبينات المادية، وذوي التفكير العلمي البعيد من الخرافة "".

ومن هنا فالرسالة الإسلامية تسير على جناحين هما الاشتراكية والديمقراطية. والزكاة ذات المقادير هي خطوة أولى باتجاه الاشتراكية المطلقة، والغرض منها إعداد الناس نفسياً ومادياً ليطيقوا الاشتراكية، فإذا تم عهد الاشتراكية ثم الشيوعية، وتم محو الطبقات والفوارق فإننا نصل عندئذ إلى شريعة الأمة المسلمة التي لم تأت بعد، وسيكون ذلك أرقى ما يمكن أن تصل إليه المدنية في جميع العصور، وهو ما لن يحصل في المستقبل إلا بالجهد الشاق والتربية المضنية.

لقد كان الإسلام في أساسه – بمنظور الخطاب العلماني الماركسي – ثورة لإعادة بناء شخصية الفرد العربي وإعادة تخطيط المجتمع العربي.

ولتأمين الثورة ضد المؤامرات الرجعية الوثنية انتقل مركز الثورة ومقر قيادتها من مكة إلى المدينة. وكان عمر القائد التالي للثورة مناضلاً قديماً انضم إلى الثورة أيام الهجرة الأولى إلى الحبشة. أما إسلام أبي بكر وغيره من التجار الوسطيين فلأنهم قرأوا الواقع قراءة صحيحة ورأوا أن سير خط التطور يسير إلى وحدة العرب.

بل إن النبي . صلى الله عليه وسلم . في منظور هذا الخطاب كان أحد الحنفاء الثوار الذين ثاروا على الطبقات الثرية بسبب حالة الإعدام والفقر التي كان يعيشها . صلى الله عليه وسلم . قبل نبوته.

وكان الواقع الاجتماعي والثقافي للعرب يفترض ويتحرك باتجاه الوحدة، فكانت النبوة وسيلة لتحقيق ذلك، لأن العرب لا تقودهم إلا النبوة بسبب أنفتهم وغلظتهم. فالنبوة على ذلك كانت إفرازاً ثقافياً واجتماعياً اقتضاه التطور العربي آنذاك وخطط له أقارب النبي . صلى الله عليه وسلم . حيث "" لم يجد الآخرون [يقصد أقارب النبي . صلى الله عليه وسلم .] سوى الاهتداء إلىأنه لا حل سوى أن يكون منشئ الدولة المرتقبة نبياً مثل داوود "". فكان ذلك عندما أعلن محمد . صلى الله عليه وسلم . أنه النبي المنتظر ،وأخذ ينادي طيف جده: أي جدي ها آنذا أحقق حلمك.

لقد كان الواقع إذن مهيأ لخروج نبي، وكانت الظروف تحتم وتفرض ظهور مصلح في الجزيرة العربية فكان محمد . صلى الله عليه وسلم . هو الذي هيأته الأسباب لذلك، هذه هي القراءة الماركسية للواقع الاجتماعي الذي كان يسير حتماً باتجاه إفراز تغيير جديد في حياة العرب. وهكذا تقرر الماركسية "" إن مسألة ظهور فرد معين لا أي فرد آخر في عصر محدد، بل في بلد محدد هي بالطبع مسألة متعلقة بالصدفة الخالصة، ولكننا إذا ما حذفناه سوف يكون دوماً بحاجة إلى بديل، وهذا البديل سيوجد بهذه الصورة أو تلك، سيوجد حتماً مع مر الزمن فلو لم يوجد نابليون هذا لقام غيره بمهمته "".

وهكذا – وطبقاً للتحليل الماركسي – تُفسَّر أيضاً قداسة الكعبة المشرفة فهي واحدة من جملة كعبات كانت منتشرة في الجزيرة العربية، وتَميُّزها عن غيرها كان بسبب تحول الطرق التجارية إليها، وقبول مكة لوضع أرباب الآلهة الأخرى في الكعبة مما أدى إلى سيادتها واستئثارها فيما بعد بالقداسة. فالقضية إذن ليست أكثر من انعكاس اقتصادي، أليس ماركس هو الذي يقرر أنه "" مع تغير الأساس الاقتصادي يحدث انقلاب في كل البناء الفوقي "". وأنه "" لا يجب البحث عن مفتاح التاريخ في أدمغة الناس وآرائهم وأفكارهم، بل في علاقات الإنتاج والقوانين الاقتصادية والموضوعية التي تعمل مستقلة عن إرادة الناس "".

وهكذا يتوالى الإسقاط الماركسي على الإسلام فلأن "" الآفاق المعرفية للجماعة التاريخية هي آفاق تحكمها طبيعة البنى الاقتصادية والاجتماعية لهذه الجماعة ""، فإن تحريم القتال في الأشهر الحرم كان من أجل الحفاظ على وسائل الإنتاج

الاقتصادي من الدمار الكامل. والبحث عن دين إبراهيم عليه السلام كان بحثاً عن الهوية الخاصة للعرب الذين يتهددهم الخطر الاقتصادي النابع من ضيق الموارد الاقتصادية.

أما الأحناف فقد كانوا تجسيداً لنزوع ما لاتجاه جديد في رؤية العالم في هذه الثقافة يبحث عن الوحدة والهوية وتحقيق الذات، وكان محمد . صلى الله عليه وسلم . جزءاً من هذا الاتجاه، ومعبراً عن هذا النزوع، ومجسداً لكل هذه الأحلام والطموحات "" كان محمد . صلى الله عليه وسلم . قد تجسدت في داخله أحلام الجماعة البشرية التي ينتمي إليها، إنسان لا يمثل ذاتاً مستقلة منفصلة عن حركة الواقع، بل إنسان تجسدت في داخله أشواق الواقع وأحلام المستقبل "". وهكذا قررت الماركسية أنه "" ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم، بل وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم ""، و "" ليست حركة الفكر سوى انعكاس لحركة الواقع بعد أن انتقلت إلى دماغ الإنسان "".

وهكذا نجد المقولات الماركسية تشكل الخلفية الحقيقية للخطاب العلماني في قراءته للإسلام والقرآن فنلاحظ:

- جدلية البنى التحتية والفوقية في النصوص التالية: "" ولم يكن لهذا البحث أن يتجاوز الآفاق المعرفية للجماعة التاريخية، وهي آفاق تحكمها طبيعة البنى الاقتصادية والاجتماعية لهذه الجماعة "". وذلك من منظور "" أن البنى التحتية، والفوقية تتفاعل في جدلية معقدة "".
- التفسير الاقتصادي للعلاقات الاجتماعية وذلك يتجلى في: اعتبار البحث عن دين إبراهيم بحثاً عن الهوية الخاصة بالعرب، وحماية للذات من الحاجة الاقتصادية.
- نفي النفي وذلك حين يقرر الخطاب العلماني أنه "" ليس معنى القول إن محمداً . صلى الله عليه وسلم . ابن الواقع ونتاجه أنه نسخة كربونية من صورة العربي الجاهلي... إن الواقع الذي ينتمي إليه محمد ليس بالضرورة هو الواقع المسيطر فالواقع... يحتوي في داخله وفي بنائه الثقافي نمطين من القيم: النمط السائد المسيطر، ونمط القيم النقيض الذي يكون ضعيفاً خافت الصوت، لكنه يسعى

لمناهضة نمط القيم السائد، وليس هذان النمطان من القيم إلا تعبيراً عن قوى اجتماعية وعن صراعات اقتصادية واجتماعية "".

هذا ما قرره الخطاب العلماني وهو ذاته الذي تقرره الماركسية حين تؤكد أن "" الظاهرة الجديدة التي تبرز في الطبيعة والمجتمع تمر هي أيضاً في طريقها الطبيعي، أي أنها مع مرور الزمن تهرم وتخلي المكان لظاهرات وقوى أكثر جدة منها، وإذا كانت في السابق قد نفت القديم لكونها جديدة، فإنها أصبحت الآن هي نفسها قديمة يجري نفيها من قبل ظاهرات أفتى منها وأجدى وأقوى، وهذا هو نفي النفي "".

وأيضاً: "" يوجد في كل مرحلة من مراحل التاريخ في جميع المجتمعات جنباً إلى جنب أفكاراً مختلفة متناقضة، لأنها انعكاس لتناقضات المجتمع الموضوعية، ومع ذلك فلا تتساوى هذه الأفكار في القيمة، منها ما يصبو إلى الإبقاء على المجتمع في أوضاعه القديمة، ومنها ما يسعى إلى تجديد هذا المجتمع "". وهو ذاته الذي يؤكده ماركس حين يقرر أننا "" لا نستطيع الحكم على عصر من العصور بناء على وعيه لنفسه، وحدها التناقضات بين القوى المنتجة وعلاقات الإنتاج تؤلف الأسباب الموجبة أي القوى المقررة الحاسمة "".

وهكذا فالأفكار الجديدة – في الماركسية – تتولد كحل لتناقض موضوعي نشأ في المجتمع، لأن الدافع على كل تغيير هو التناقض، ونمو هذه التناقضات داخل مجتمع معين يثير مهمة حلها عند اشتدادها، فتظهر حينئذ الأفكار الجديدة كمحاولة لحل هذه التناقضات. ذلك لأن قانون نضال الأضداد هو الدافع لكل تغيير، وهو وراء كل حركة، وطبقاً لهذا القانون يتم تفسير كل التطورات التي تنشأ في الوجود والتي تطال الإنسان والعقل والمجتمع.

وبذلك يتم فهم التطور الذي حصل في المجتمع العربي طبقاً لقوانين المادية الجدلية، والمادية التاريخية بعيداً عن أي ميتافيزيقا تنظر إلى تاريخ المجتمعات على أنه عبارة عن خليط من العوارض التي لا سبب لها، فالمادية الجدلية هي وحدها التي تحمل جواباً علمياً على مشكلة الوعي كما أنها تتيح لنا فهم أصل الأفكار وعملها، وفهم النظريات الاجتماعية والآراء السياسية.

هذه هي الرؤية الماركسية الجدلية التي يراد لها أن تحكم الوجود بكل ذراته، وتفسر كل أسراره فـ "" الطبيعة بحذافيرها من الجزئيات الدقيقة إلى الأجسام الضخمة، ومن حبة الرمل إلى الشمس أو من الخلية الأولى إلى الإنسان، كلها رهينة بدوام الظهور والاختفاء، هي في جريان لا ينقطع، وفي حركة وتبدل دائمين "". وهكذا يتم تفسير الوحي.

ـــــــــــــــــــــــــــ

سؤال:

لنعد إلى الجذور التاريخية لنظرية الأنسنة ؟

كان بروتاغوراس قد اعتبر الإنسان مقياساً لجميع الأشياء، فتصدى له سقراط ثم تلاميذه من بعده حتى أُجهضت السفسطة البروتاغوراسية، وفي عهد شيشرون عرف اليونان فكرة التعليم المتوازن الذي يتناول مختلف المعارف الإنسانية وكانت الكلمة التي اختارها شيشرون للتعبير عن هذه الفكرة هي Humanitas وفي عصر النهضة أصبح المصطلح الخاص بالمواد المدروسة في مجال اللغات والآداب الكلاسيكية هو Stu Dia Humanitisالتي تترجم " الإنسانيات Humanitiest.

وكانت الدراسات الإنسانية في القرن الخامس عشر تشير إلى دراسة القواعد اللغوية والبلاغة والتاريخ والآداب، والفلسفة الأخلاقية، وكانت تتكون من قراءة النصوص اللاتينية الخاصة بالعصر الكلاسيكي ما قبل المسيحي، أما كلمة هيومانزم فلم تكن معروفة لا للقدماء، ولا لعصر النهضة، وإنما صاغها في سنة 1808 م المفكر التربوي الألماني " نيثامر " أثناء مجادلة حول مكانة الدراسات الكلاسيكية في التعليم الثانوي، أما من طبقها في عصر النهضة فقد كانا المؤرخين " بروكهارت " و" نويجت " في كتاب " إحياء الكلاسيكيات القديمة أو القرن الأول للهيومانزم " سنة 1859 م.

إلا أن اسم الإنسانيين أو أصحاب النزعة الإنسانية قد كان يطلق قبل ذلك على المفكرين الذين اهتموا بالإنسان في عصر النهضة وهم الذين " آمنوا بأن الإنسان معيار كل شيء، وأن كل إنسان معيار ذاته ". فأعادوا الحياة لفلسفة بروتاغوراس التي كانت راقدة ومحاصرة بالأرسطية والمسيحية، فهي لذلك نزعة تطوي تحتها كل

من كانت له نظرة إلى العالم لا هي لاهوتية أساساً ولا هي عقلانية في المقام الأول وتتمرد على تصورات العصور الوسطى.

وأصبح التنوير يعني التحول من نعيم المسيحية الغيبي في السماء بعد الموت إلى النعيم العقلاني على هذه الأرض. ولذلك يمكن اعتبار البروتستانتية هي بداية الأنسنة في العصور الحديثة باعتبارها ركزت على الإنسان وآمنت بقدرته على الفهم، وشكلت ردة فعل قوية ضد الدين المسيحي الذي يميل بأهله إلى الزهد، وإنكار الذات دون مراعاة لحاجات الإنسان ورغباته الأساسية، واتجهت الأنظار لمركزة الإنسان بدلاً من الله عز وجل وتمثل ذلك في:

- الاهتمام بالحياة الدنيوية والعمل والنشاط بدلاً من حياة التأمل والتفكير المجرد.
- دفع المجتمع باتجاه التنافس والإبداع والمجد في هذا العالم.
- تبني معيار جديد للقيم علماني الطابع بحيث ينظر إلى العالم عن أنه نتاج لفعاليات الإنسان ومحاولاته وتجاربه.
- التأكيد على ضرورة التعليم ومركزيته، والتعليم المقصود هو التعليم الدنيوي الذي يخدم الإنسان في هذه الحياة بعكس ما يسعى لتكريسه اللاهوت المسيحي.
- التأكيد على قدرة الإنسان في مواجهة القدر، وحريته في تشكيل حياته الشخصية، وقدرته على تحقيق طموحاته وفق مواهبه دون اعتداد بالفاعلية الإلهية. ويعبر " رابليه " أحد هؤلاء الإنسانيين عن وجهة نظر هؤلاء في معنى الحرية عندما يصور ديراً علمانياً يضم الجنسين وقد كتبت على بوابته عبارة تقول: " إفعل ما بدا لك ".

ثم تفاقمت الأنسنة في عصر التنوير بسبب الاكتشافات العلمية وبروز جيل واسع من المثقفين تجمعهم الرغبة في التخلص من التدخل الكنسي في شؤون الحياة الفردية والاجتماعية واتفق أغلب الإنسانيين على استبعاد التفسيرات التي تقدمها أديان الوحي واعتبارها ضرباً من الأوهام. وإذا كانت هناك ضرورة لقراءة الكتاب المقدس فيمكن قراءته قراءة رمزية بحيث يصبح من الممكن أن يكون الإله إنساناً.

سؤال:

ما هي أشهر مدارس الفلسفات الإنسية ؟

يمكن إذا أردنا أن نشير إلى أبرز الفلسفات الإنسية أن نعتبر فلسفة سبينوزا 1634 – 1677 م تكريساً لهذا الاتجاه، وذلك عندما أنزل الإله من عليائه وأدمجه في الطبيعة وجعله مساوياً لها، بل أصبح العالم – عنده – هو الله سبحانه وتعالى، واقترب الإله السبينوزي جداً من الإنسان، لأنه أصبح إلهاً ذا قدرات محدودة ولا يملك المشيئة الكاملة.

وتُصنَّف فلسفة فختة أو فشتة 1762، 1814 م الألماني في هذا الاتجاه الإنسي الذي لا يقبل من الوحي إلا ما يتطابق مع العقل، وماهية الدين عنده أن يؤمن الإنسان بالنظام الخلقي، ويعتبره مصدر واجباته ويساعد على نموه، ولا بأس أن يُشخِّص شعوره بهذا النظام في موجود معين إذا كان الغرض تقوية هذا الشعور في ضميره، أما إذا تصور الله سلطاناً حاكماً آمراً وانتظر من وجوده لذَّات مقبلة كان عابد صنم، وكان جديراً بأن يُدعى ملحداً. وإن الإله الحقيقي عنده هو الإنسان والنظام والحرية التي تتحقق في العالم بالتدريج.

أما أوجست كونت 1768، 1857 م فقد عُرف بدين الإنسانية الذي يقوم على عبادة الإنسانية بدلاً من عبادة الله عز وجل. ويقسم التاريخ الإنساني إلى ثلاث مراحل: المرحلة اللاهوتية، والمرحلة الميتافيزيقية، والمرحلة الوضعية. والمرحلتان الأوليتان تجاوزهما العلم، ويجب أن تزولا من الحياة، ويجب أن تسود الفلسفة الوضعية بنظره لأنها إيجابية وبناءة، وتجعل الموجود الأعظم هو البشرية، وإذا كان لا بد للناس من موجود عظيم يعطونه ولاءهم فيجب أن يكون هو البشرية، وعلينا أن نصلي ونترنم للبشرية بدلاً من الله عز وجل. وإذا كان لا بد للناس من ثالوث يعظمونه فليكن هذا الثالوث هو: الإنسانية " الموجود الأعظم " والسماء أو الهواء " الوسط الأعظم " والأرض " الفيتش الأعظم " وشعار هذا الثالوث هو: المحبة كمبدأ، والنظام كأساس، والتقدم كغاية.

والعبادة عنده مشتركة وفردية أما المشتركة فتقوم على أعياد تذكارية يُكرَّم فيها عظماء البشرية عرفاناً بجميلهم، وقد وضع كونت تقويماً واقعياً دل فيه على كل يوم وكل شهر بأسماء الرجال الذين امتازوا بالعمل على تقدم الإنسانية، وأما العبادة

الفردية فعلى كل شخص أن يتخذ لنفسه أشخاصاً أعزاء عليه يجعلهم مثلاً أعلى يحتذى بهم في حياته.

إلا أن أبرز ممثلي النزعة الإنسية هما لودفيج فيورباخ 1804، 1872 م وفريدرش فلهلم نيتشة 1844، 1900م وكلاهما ألماني.

كان فيورباخ يرمي في فلسفته إلى إزالة إله المسيحية ومطلق هيجل، ويرى أن مهمته الأساسية هي تأنيس الإله واعتبار الوجود الحقيقي الفعلي صفة للإنسان وحده، فالإنسان عنده هو الإله الحقيقي الوحيد لنفسه، والله ليس إلا تجسيداً للطبيعة الإنسانية في طموحها إلى الكمال "" فالإنسان يبدأ بأن يرى طبيعته وكأنها خارج نفسه قبل أن يجدها في نفسه، وفي الحالة الأولى يتأمل نفسه وكأنها نفس كائن آخر، وليس الله سوى هذه الطريقة العازلة في النظر إلى الماهية الإنسانية، وكأنها كائن آخر، فهو المثل الأعلى للماهية الإنسانية التي نجردها من أفراد التجربة ثم نعزلها كرصيد حقيقي لكل صفات الطبيعة الإنسانية وكمالاتها، والدين هو عملية إسقاط وجودنا الجوهري على مجال الألوهية المثالي، ثم العودة إلى إذلال أنفسنا أمام ماهيتنا الخاصة التي أحلناها إلى موضوع، والواقع أن الناس في عبادتهم لله يمجدون ماهيتهم المعزولة منظوراً إليها من مسافة مثالية "".

وأما نيتشة فقد أعلن عن موت " الله [سبحانه وتعالى] من أجل أن يفسح المجال للإنسان، لأن الاعتقاد بالله " عز وجل " – في نظره – يحول دون تأكيد الإنسان لذاته. ولذلك يقول: "" لو كان هناك إله فكيف كنت أطيق أن لا أكون إلهاً "". ودعا إلى الإنسان الأرقى أو الإنسان الأقوى، وأخلاق القوة، وسخر من الضعفاء والفقراء الذين يحسبون أنفسهم صالحين لأنهم لا يملكون مخالب لينشبوها في الآخرين.

وحارب المسيحية لأنها تحض على أخلاق الرقيق كالحب والتسامح والغفران والتواضع وقال عن العهد الجديد بأنه إنجيل إنسان من نوع وضيع، لأن مثله الأعلى إنسان متجرد تماماً من التعاطف والرحمة، متحجر القلب، لا يعرف الشفقة، خبيث لا يعبأ إلا بقوته. وهو يعلل نفسه بأن تغدو الحياة أكثر شراً ومعاناة دائماً، ويرغب بالقضاء على الملايين من الضعفاء والفقراء، لأنه لا يؤمن إلا بالبطل وأخلاق القوة.

على هذا الشكل تتوزع فلسفات أخرى متعددة في أوربا تكرس المركزية الإنسية كالفلسفات النفعية التي نادى بها بنتام 1748، 1832 م وجون استيوارت مل 1806، 1873 م ووليم جيمس 1842، 1910 م وجون ديوي 1859، 1952 م وبرجسون الذي يعتبر الله عز وجل " كامن فينا، وفي أعماقنا الذاتية فهو محايث وليس مفارقاً، وكلما تغلغلنا في أعماقنا عثرنا على الله سبحانه وتعالى.

ولا ننس أيضاً الفرويدية التي تعتبر الحاجة إلى التدين حاجة نفسية تنبع من الخوف ومحاولة الانتصار على هذا الخوف بأنسنة الطبيعة، وخلق إله يتمتع بنفس الصفات التي يرغب الإنسان نفسه بها، ولذلك فالتدين عند فرويد مرض عصابي قهري يصيب الأفراد كما يصيب المجموع. هكذا يجب أن نفسر – بنظره – ديانات الإنسانية فما هي إلا استرجاع لحوادث عفى عليها الزمن وطواها النسيان من التاريخ البدائي للبشرية.

أما في القرن العشرين فإن أبرز الفلسفات التي تمجد الإنسان هي الوجودية وقد عرضها سارتر في محاضراته على أنها مذهب إنساني مغلق أي أن الإنسان هو الخالق الوحيد للقيم في العالم، والإنسان متروك لذاته لكي يحقق ما يستطيع من القيم والإنسان وحده هو الذي يوجد خارج ذاته ولذلك فإن الفكرة الأساسية في الوجودية هي فكرة " الإنسان الأوحد " "" إنني لست إلا ذاتي "" ولذلك يرفض الوجودي أن يُحشر ضمن مجموعة من الناس أو يُصنَّف فيها. وموقفها من الخالق عز وجل هو ترديد لموقف الفلسفات الإلحادية الإنسية التي سبقته فعنده فكرة الله عز وجل كغيرها من الأفكار من نتاج الوعي الإنساني الخلاق، ومع ذلك فثمة شيء في هذه الفكرة الخاصة يجعلها اختيارية صرفة، بل هي من الأفكار الحتمية التي لا مندوحة للعقل عنها، لأنها تعبر عن ميل ضروري في طبيعتنا "" فالإنسان في جوهره رغبة في أن يكون إلهاً "" ولذا عليه أن يبدع قيمه الخاصة دون اعتماد على أي معيار إلهي.

"" وألح سارتر في تحليل النواحي القذرة في الإنسان في قصص تلقى رواجاً كبيراً"". واعتبر الوجود الإنساني سابقاً على الماهية، ولذلك ليس في الإنسان شيءٌ يحد من حريته أو يقيد سلوكه، وعلى الإنسان أن يفسر الأشياء بنفسه كما يشاء، لأنه محكوم عليه في كل لحظة أن يخترع الإنسان، وما الإنسان إلا ما يصنع نفسه، وما يريد

نفسه، وما يتصور نفسه بعد الوجود. والوجود لديه نوعان: وجود ذاتي، ووجود موضوعي، فالوجود الذاتي هو وجود الإنسان، أما الوجود الموضوعي فهو وجود كل ما عداه، وهو بنظرهم وجود تافه لا قيمة له إلا من حيث أنه يدور على محور الوجود الإنساني ويسعى إلى تحقيقه. فالوجود الرئيس في الفلسفة الوجودية هو الوجود الإنساني والموضوعات السائدة فيها هي: الحرية واتخاذ القرار الحر والمسؤولية وتحقيق الإنسان لذاته الحقة وتتكرر لدى الوجوديين مفردات مثل التناهي والإثم والاغتراب واليأس والموت لتعبر عن العصر الغارق في الشك والإحباط والعدمية وهكذا لم تكن الوجودية إلا جزءاً في كل الحداثة التي تعني: "" أن الإنسان هو ما يفعله "".

سؤال:

ماذا عن الأنسنة في العالم العربي ؟

أولاً – النُسخ العربية:

يمكننا أن نفرز ثلاث نسخ أساسية مترجمة إلى العربية عن الإنسية الغربية وكل نسخة من هذه النسخ تمثل شكلاً من أشكال الأنسنة أو بعداً من أبعادها:

النسخة الأولى:

القصيمية " النيتشوية " يمكننا أن نعتبر عبد الله القصيمي نيتشة العربي وإذا كانت الإنسية تعني تمجيد الإنسان على حساب الخالق عز وجل فإن القصيمي قد بلغ الذروة في ذلك، وتفنن في التعبير عن جبروته وطغيانه وسخريته من الباري عز وجل بشكل قد لا يوجد له مثيل في تاريخ الزندقة والإلحاد إلا عند نيتشة. يَعتبر القصيمي فكرة ألوهية المسيح دعوة لكل الناس إلى التأله، والارتفاع إلى مستوى الألوهية، وما انتصار الإنسان في الحضارة الحديثة على الأمراض المستعصية إلا خطوة في طريق ألوهية الإنسان وتجسيد عظمته وجبروته وكبريائه. حتى لقد كاد الإنسان بنظره أن يصبح إلهاً يمشي على الأرض يقول للشيء كن فيكون. وإذا كان هناك إله فإن الإنسان قد خُلق لينازع هذا الإله في علمه وقدرته وقوته. وإذا كان الإنسان لا يمكنه أن يسمو إلى صفات الكمال فإن القصيمي يسعى لإنزال الخالق "

سبحانه وتعالى " من عرش الكمال والجلال لكي يتساوى بالإنسان، وبذلك يصبح الإله أقرب إلى الإنسان فيوصف الباري عز وجل في العبثية القصيمية بكل صفات الضعف البشري، والمجون، وكل حاجاته من طعام وشراب ونوم وجنس، وهو في كل ذلك يتفنن في التعبير عن إلحاده البغيض بكل فنون السخف والعدمية النيتشوية.

النسخة الثانية:

د. عبد الرحمن بدوي " الوجودية " وهو أول وأبرز – فيما أعلم – من أدخل الوجودية كمذهب إنسي إلى الفكر العربي، وتابع أستاذه سارتر في التأكيد على محورية الإنسان، فالأنسنة عنده هي العود المحوري إلى الوجود الروحي الأصيل. والوجود الحق أو الوحيد بنظر الوجودية هو الوجود الإنساني، فكل شيء من الإنسان وإلى الإنسان بالإنسان، ومعيار التقويم هو الإنسان، وتلح الوجودية البدوية على فكرة " الإنسان الأوحد " وتقارن بين هذه الفكرة الوجودية وبين ما يتردد لدى أصحاب التصوف الفلسفي عن "الإنسان الكامل".

النسخة الثالثة:

الحسنفية " الفيورباخية و " السبينوزية ": يُعتبر المشروع الحسنفي [نسبة إلى حسن حنفي] نسخة ملفقة من مجموعة فلسفات غربية أبرزها الفيورباخية، والسبينوزية، والهوسرلية – نسبة إلى هوسرل – والشبنغلرية – نسبة إلى شبنغلر – واللسنجية – نسبة إلى لسنج. والجانب البارز فيه من هذه الفلسفات هو النزعة الإنسية، والتركيز على الإنسان. ولكنه يحاول أن يُلوِّن نسخته العربية ويزركشها ببعض المنمنمات الإسلامية عن طريق استخدام الدين " كأيديولوجيا" لتحقيق مشروعه في الأنسنة "" تحويل الوحي إلى إيديولوجية "". "" تحويل الوحي ذاته إلى علم إنساني "" ولذلك فالأثر الفيورباخي أكثر ظهوراً من غيره بشكل واضح حتى لقد وصف المشروع الحسنفي بأنه " مشروع فيورباخي تماماً منقول التطبيق من المسيحية إلى علم الكلام في الإسلام، وغايته الانتقال من علم الله إلى علم الإنسان.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ

سؤال:

ما خطورة الأنسنة على الثوابت العقدية ؟

ليس من المهم أن نكتشف مدى الاجترار العلماني وخطورته، وإنما المهم أن نلاحظ أن مصادمة الثوابت هي السمة البارزة لهذا الاجترار، فكأن الغربيين اختُزلت جهودهم النهضوية في هذه السمة ولا يوجد غيرها، لتنقل إلينا كمشاريع للإصلاح والنهضة بكل ما تتضمنه من استفزاز، وتثيره من رفض، ولا يقف الأمر عند حد الاستيراد للمشاريع الآنفة الوصف، وإنما لا بد من تطعيمها بجذور تراثية يتم التنقيب عنها في طبقات رسوبية بعيدة القعر، وهي جذور ميتة في الأساس، ولكن يراد لها أن تُسقى وتُهيأ لها التربة وتُستنبت من جديد لكي ترفد الفلسفات الإلحادية المستوردة.

ولذلك نجد أن أبرز من يمثل النزعة الإنسية في تاريخنا عند دعاتها المعاصرين هم ثلة من الزنادقة والمُجَّان الذين ظهروا ثم اندثروا في الحضارة الإسلامية من أمثال بشار بن برد، وابن الراوندي، والرازي، وأبي نواس، ويُقدَّم هؤلاء على أنهم قادة الفكر والحرية والممثلين الحقيقيين للنزعة الإنسية في الفكر العربي، لأنهم جعلوا الإنسان مركز الوجود، وأعلوا من شأن العقل وفاعليته.

وكانوا – بنظر الخطاب العلماني – ثواراً إنسانيين في مواجهة الإسلام الذي يعتبرونه ضد الثورة، ولا يسمح بها، تلك الثورة التي تعني تغييراً في نظرة الإنسان إلى الكون والحياة.

وفي هذا الإطار يدعونا هؤلاء إلى أن نفهم أهمية ثورة الزنج والقرامطة فقد كانت ثورة ضد الظلم والقمع والاضطهاد، كانت ثورة لتوليد الشروط الملائمة لحياة الإنسان. وهو ما يعني – بنظرهم – نفي النبوة الإسلامية، وإقامة نبوة على أنقاضها، وإقامة دين العقل، ودين الإنسان. ولم يعد الدين هبوطاً ليس للإنسان فيه إلا دور التلقي، بل أصبح صعوداً للإنسان فيه دور الإبداع "" الدين للإنسان، وليس الإنسان للدين "".

وهكذا كان الرازي وابن الراوندي مؤسِّسَين للعقل مكانه بديلاً للوحي، ومؤسِّسَين لحرية الإنسان وممهدين للتحرر من الانغلاقية الدينية. ومثلهما مسكويه والتوحيدي عند أركون في ترسيخ الأنسنة، باعتبارها موقفاً نضالياً ضد نوعين من العنف يمارَسان ضد الإنسان على مدى تاريخه: عنفٌ مقدس يخلع المشروعية على ذاته من خلال التعاليم الإلهية للأديان والتي لم تتعرض بعد للنقد العلمي. وعنف مادي أو دنيوي:

محض يشكك في قدرة الإنسان على تحسين طبيعته البشرية. وعلى ذلك فالموقف الإنسي يمثل مقاومة الإنسان لكل ما يريد أن يسحق إنسانيته وحريته. فالعقل لوحده قادر بنفسه وبإمكانياته الخاصة على تحقيق التقدم للبشرية. وفهم كل الأشياء والسيطرة عليها، وهو جدير أيضاً بمخاطبة الإله وطرح الأسئلة عليه.

ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بإلغاء النبوة، ومن هنا يحرص الخطاب العلماني على الإشادة بكلمة محمد إقبال في هذا الخصوص والتي يقول فيها: "" إن النبوة في الإسلام لتبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمداً إلى الأبد على مِقْود يُقاد منه، وأن الإنسان لكي يُحصِّل كمال معرفته لنفسه، ينبغي أن يترك ليعتمد في النهاية على وسائله هو "". فيُعتبر هذا النص بنظر الخطاب العلماني دعوة من الفيلسوف والشاعر الإسلامي إلى التحرر من النصوص واستقلال الإنسان بشكل مطلق، وإنهاء أي مصدر آخر للمعرفة خارج الإنسان ومؤهلاته الذاتية، وإيذان بانفتاح عهد جديد في وجه البشرية قاطبة وقد بلغت سن الرشد لكي تتحمل مسؤولياتها، وتبعات اختياراتها.

وبذلك يكون محمد . صلى الله عليه وسلم . قد ختم النبوة ليقضي على التكرار، والاجترار ليفتح المجال للمستقبل الذي يبنيه الإنسان مع أبناء جنسه في كنف الحرية الذاتية والمسؤولية الفردية والتضامن الخلاق.

من الواضح أن أهم ملمح تؤكد عليه النزعة الإنسية هو إنكار أي معرفة خارج الإنسان " كالوحي أو الدين " وتحقيق الإنسان لقواه وقدراته الخلاقة واعتبار السعادة الإنسانية غاية في ذاتها لا تتطلب أي تبريرات خارج الإنسان ".

ولكن تحقيق الإنسان لقواه وقدراته الخلاقة لا يمكن أن يتم إلا بظهور " الإنسان الكوني " كما يأمل مراد وهبة، حيث يتمكن الإنسان من ناصية الكون والغيب، ويحصل ذلك عندما يكتمل الوعي الإنساني، ويتحد الإنسان بالكون وهو ما سيتحقق بنظر – وهبة – استناداً إلى قانونين:

– قانون النشوء والارتقاء.

– وقانون الانتقال من الكم إلى الكيف.

والفيزياء النووية هي بداية الخيط في تحكم الإنسان بالكون، وستسهم في بزوغ الإنسان الكوني. وغزو الفضاء يستلزم تعَوُّد الإنسان على الحياة في الفضاء، وهو من شانه أن يُحدث تغييراً جذرياً في الإنسان ينبئ ببزوغ نوع جديد يكون في مقدوره تمثل الأبعاد الأربعة للزمكان الذي تنبأ به أينشتاين، ومن شأن هذا التمثل أن يسمح للإنسان برؤية الأحداث قبل أن تقع فتزول غربة الإنسان في الكون.

وغربة الإنسان في الكون يعمقها الدين، وبالتحديد مقولة الفارق [أي الله عز وجل] التي تعني أن الله هو السيد، والإنسان هو العبد، وهو نقيض للأنسنة التي يرغب بها الخطاب العلماني.

لقد تفرغ فيورباخ لنقد هذا الاغتراب، ولكنه – بنظر مراد وهبة – غير مجدٍ لأنه على المستوى النظري لا يفضي إلى الحل، رؤية ماركس هي التي تؤدي إلى تحرير الإنسان من الاغتراب، لأنه يرى أن الإنسان هو الذي يصنع الدين وليس العكس، فالدين في حقيقته هو الوعي الذاتي للإنسان. والدولة والمجتمع هما اللذان يصنعان الدين: الوعي المقلوب للعالم، ولهذا فإن النضال ضد الدين هو نضال بطريق غير مباشر ضد اغتراب الإنسان.

———————————————————————

سؤال:

أرجو التكرم بتلخيص ما سبق.

بناءً على ما أوجزناه سابقاً من تاريخ الأنسنة في الفكر الغربي، ثم انتقال ذلك إلى الفكر العربي الإسلامي لعلنا نستطيع أن ندرك بسهولة أن المداخل التي يستند عليها الخطاب العلماني لقراءة النص القرآني قراءة " تاريخية " هي بالفعل مداخل أو أسس وهمية، وأن الأساس الحقيقي هو النزعة الإنسية التي بالغت في تمجيد العقل الإنساني، وإحلاله محل الوحي والإله سبحانه وتعالى، ومما ساعد على سرعة انتشار هذه النزعة الإنسية وتفاقمها اكتشافات الإنسان المتلاحقة للكون، وبروز قدرات خارقة أنجزها العقل الإنساني كانت أقرب إلى الخيال في العصور السالفة، وهو ما أصاب الإنسان بغرور شديد وصلافة وغطرسة، وأبرز ما تجلى ذلك في تعامله مع المقدسات والمطلقات، وخصوصاً النصوص الدينية.

إن قراءة النص المقدس والقرآن الكريم كمثال – في داخل هذا المنظور – يجب أن تتخلص من كل المعايير والضوابط التي تحول دون مراد الإنسان أياً كان هذا المراد، وكما صرح بذلك الخطاب العلماني فإن الهدف الأساسي هو التحرر من سلطة النصوص، ومن المعلوم أن النصوص ليست شيئاً يقيد الإنسان إلا من خلال مضامينها وما تطرحه من رؤى متضمنة في داخل لغة بشرية يفهمها الإنسان، ومن هنا يجب قبل كل شيء، إزاحة اللغة كمعيار وضابط يحول دون تحقيق الإنسان لمراده، وطرح بدائل جديدة تكون أكثر مرونة ومتحررة من المعايير كالمقاصد، والمقاصد المرادة هنا هي ليست مقاصد الخالق عز وجل وقائل النص، وإنما مقاصد الإنسان ومراداته، وأهدافه وغاياته، ومما يرفد ذلك أيضاً المنهج الأدبي حيث يقلل من معيارية اللغة وضبطها للمعاني، لأنه في المنهج الأدبي يحتل المجاز دوراً قبل الحقيقة، ولا يشترط لاختياره تعذر الحقيقة أصلاً، وتصبح الكلمات رموزاً وإشارات يقوّلها الإنسان ما يشاء.

وهكذا كما ألح الخطاب العلماني يصبح القرآن بالفعل لا يقول شيئاً، ويقول كل شيء، والعبارة في الحقيقة إذا أردنا أن تكون دقيقة فالمقصود أن القرآن لا يقول شيئاً لا يرغب به الإنسان، ويقول كل شيء لكل إنسان، فهو فضاء لكل إسقاطات الإنسان ورغباته وفكرانياته. ويصبح القرآن بذلك عجينة يُصنع منها ما يشاء من الأشكال والألوان، وتصبح مهمة القرآن في كل هذه الحالات ليست مهمة معيارية قيادية تربوية، وإنما مهمة ترويجية تبريرية، وعلى كل إنسان أن يختار معتقده وسلوكه أولاً ثم يبحث في القرآن عما يبارك له في ذلك، وهو ما لن يُعدمَه إذا ما أحسن استخدام المداخل الآنفة التي يسلكها الخطاب العلماني.

وهكذا يبدو لنا بوضوح أن الأنسنة تعتبر ركيزة أساسية أولى في تحقيق القراءة التاريخية التي يتوخاها الخطاب العلماني للنص القرآني ولكي نزيد الأمر وضوحاً سننظر في انعكاسات هذا المنزع الإنسي على النظرة العلمانية إلى الوحي.

سؤال:

ما يهمنا هنا في ملتقى أهل التفسير، هو الوحي. ولنبدأ من الجذور الفلسفية لموقف العلمانيين من الوحي.

إن الهاجس الأساسي الذي يسيطر على الخطاب العلماني الوضعي هو استبعاد أي تفسير مفارق للوحي، وإقصاء أي مفهوم غيبي أو سماوي، وهو ما يعني قبول كل مفهوم يكرس بشرية الوحي، ويؤكد على " وضعانيته " وإنسيته حتى لو اقتضى ذلك مناطحة الحقائق ومشاكسة البدائه.

الوحي عند علماء المسلمين هو إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي أو هو كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه. أو هو أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر.

والمقصود بالوحي الذي نتحدث عنه هنا هو وحي الله عز وجل إلى أنبيائه فليس حديثنا عن أنواع الوحي الأخرى، والتي تُفسَّر بحسب سياق الآيات أو قرائن الأحوال كالوحي إلى النحل أو الوحي إلى مريم عليها السلام، أو إلى أم موسى عليهم السلام جميعاً.

وأما عند الفلاسفة فالوحي: "" إلقاء خفي من الأمر العقلي بإذن الله تعالى في النفوس البشرية المستعدة لقبول مثل هذا الإلقاء "". أو هو "" إفاضة العقل الفعال على العقل المنفعل بتوسط العقل المستفاد ". وعند الشيخ محمد عبده الوحي هو "" عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة "".

- مكمن الخطأ:

في التعريفات السابقة ثلاثة مصطلحات يمكن أن يستند إليها الخطاب العلماني في تأكيد هـ على كسبية النبوة ومن ثم أنسنة الوحي.

الأول: الاستعداد النفسي لقبول وتلقي الوحي في تعريف ابن سينا يغيب الإرادة والاصطفاء الإلهيين " اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ " [الأنعام: 124]، " اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ " [الحج: 75]. لأن التعريف لم يشِر إلى الإعداد والاصطفاء الإلهي لأنبيائه.

الثاني: الإفاضة في تعريف الفارابي، بالإضافة إلى تغييب مُنزِّل الوحي سبحانه وتعالى لأن العقل الفعال في المنظور الفلسفي يقوم مقام جبريل عليه السلام وليس مقام الباري عز وجل، إذا افترضنا أن ذلك صحيحاً.

الثالث: العرفان في تعريف الشيخ محمد عبده يُقرِّب الوحي من الإيحاء النفسي والوحي الشعوري.

إن الخطاب العلماني استند على هذه العناصر وعلى كل ما يبرر له القول بكسبية النبوة من أجل أن يطرح نظرياته الإنسية في الوحي، فوجد في الموقف الفلسفي من النبوة ما يخدم أطروحاته، لأن النبوة في الرؤية الفلسفية تستند على المخيلة، بينما الفلسفة تستند على العقل وهو ما يلزم منه أن النبوة أدنى من الفلسفة، وهو ما رأيناه سابقاً عند كلٍ من سبينوزا وحسن حنفي.

وإذا كان عدد من المستشرقين قديماً وحديثاً قد اعتبر الوحي الذي يتنزل على النبي . صلى الله عليه وسلم . حالة مرضية بعضهم وصفها بالهستريا، وبعضهم وصفها بالصرع ثم بدأوا يتخلون عن ذلك منذ بداية القرن العشرين أمام الانتقادات التي وُجِّهت إليهم من داخل مدرستهم فإن بعض الباحثين العرب لا بد وأن يُعبروا عن استلابهم للآخر حتى وإن كانت أفكاره تعتبر من نفايات الفكر وحثالاته.

ومن هؤلاء هشام جعيط الذي يحلو له أن يردد مقولات فرويد وماكس فيبر حول النبوة فيعتبر الأنبياء مطبوعين بشيء من العصاب، ويعتبر حالة النبي . صلى الله عليه وسلم . التي يعيشها أثناء الوحي من النمط الاستلابي أو الاستحواذي أو الامتلاكي. وهي حالة مرضية تُصنَّف في الأمراض النفسية، ولكنه يرى أن حالة الرسول . صلى الله عليه وسلم . المرضية هذه حالة متحضرة إذا ما قورنت بأنبياء بني إسرائيل في نوباتهم العصبية، لأن ما كان يمس محمداً . صلى الله عليه وسلم . كان يجري – بنظر جعيط – في داخل الضمير فلا يُبرهَن عليه بأي اضطراب خارجي.

ثم يجعل – جعيط – الجنون أصلاً للوحي، والجنون في القرآن – بنظره – لا يعني الاختلاط العقلي وذهاب العقل والتمييز، وإنما يعني أن محمداً . صلى الله عليه وسلم . مسكون من الجن !!.

والأنبياء اقتربوا من الجنون دون الوقوع فيه.

والوحي هجوم مباغت داخل الضمير.

والاستلاب والامتلاك والاستحواذ مفردات غريبة يصف بها حالة النبي . صلى الله عليه وسلم . أثناء تَنزُّل الوحي عليه. والهلس والهلوسة – بنظره – تفسير صحيح للوحي في الغرب نادى به ماكس فيبر وهذا التفسير سينتشر يوماً بين المسلمين فيسبب لهم تشنجاً.

سؤال:

يبدو التقارب بين نظرة كثير من المستشرقين إلى الوحي، ونظرة العلمانيين، ما رأيكم ؟

نعم، وقد عبَّرتُ عن ذلك التقراب بالأنسنة والوحي الشعوري عند النسخة الاستشراقية والمُسخة العلمانية:

وسبب التعبير هنا بكلمة (مُسخة)؛ لكي تفيد أنها نسخة مشوهة للخطاب الاستشراقي قال بعض المستشرقين إن الوحي المحمدي يمكن أن يكون شعوراً داخلياً، أو حالة نفسية وصلت إلى شعور محمد . صلى الله عليه وسلم . من لا شعوره وإلى وعيه من لا وعيه. وهي فكرة تقوم على أن اللبيدو – الطاقة النفسية أو الحيوية – تولِّد الوحي من اللاشعور، وأن هذا اللا شعور قد يكون اللاشعور الجمعي الذي تتراكم فيه الرغبات أو الطاقات ثم تتجمع في لا شعور فرد من أفراد المجتمع يقوم بالتعبير عن مجتمعه ككل.

في الرؤية السابقة صحيح أن الوحي يبدأ من اللاشعور، ويفيض منه إلا أنه ينتقل إلى الشعور ويصبح واقعة شعورية، وهو ما يعبر عنه حسن حنفي بقوله: "" والوحي ينبت في الشعور "" "" ويحدث كله في الشعور "".

فهو كما هو مصرح ينبت نباتاً في الشعور، وينشأ نشوءاً في النفس الإنسانية وليس للإنزال أي حضور، وليس للوحي أي مصدر خارج الزمان والمكان "" ويكون العيب كل العيب في جعل الوحي مطلقاً خارج الزمان والمكان أو حرفاً في نص مدون ""، فالوحي ليس معطى من الله في لا زمان ولا مكان، بل هو تنزيل إلى البشر، وحلول في التاريخ.

وهو على أربعة أنواع عند د. حسن حنفي:

وحي مباشر من الله وهو الكتاب، ووحي تفصيلي من الرسول . صلى الله عليه وسلم . بتوجيه من الله، ووحي جماعي من الأمة، فالأمة خليفة الله، ووحي فردي من العقل مستند إلى وحي الكتاب والسنة والجماعة. والأصلان الأولان – أي الكتاب والسنة – يدلان على الوحي المكتوب، والأخيران – أي الوحي الجماعي والعقلي – يدلان على الوحي الحي المستمر. ولأن الوحي لم ينزل دفعة واحدة بل حسب حاجات الناس فهو إذن ليس وحياً معطى، بل وحي مُنادَى به اقتضته أحوال الناس واحتياجاتهم.

"" ونصوص الوحي ذاتها نشأت في الشعور، إما الشعور العام الشامل، وهو ذات الله [عز وجل] أو في الشعور المرسَل إليه وهو شعور الرسول . صلى الله عليه وسلم . أو شعور المتلقي للرسالة وهو شعور الإنسان العادي الذي يشعر بأزمة فينادي على حل ثم يأتي الوحي مصدقاً لما طلب "".

هذا هو مفهوم الوحي عند د.حسن حنفي لا يتجاوز كونه رد فعل انفعالي يشعر به أي إنسان حينما تواجهه مشكلة في حياته فيبحث لها عن حل، إنه إذن في متناول النبي . صلى الله عليه وسلم . يستطيع أن يستدعيه في الوقت الذي يريد، ويصرفه عندما لا يريد، إنه شعور كسبي يصل إليه الإنسان عن طريق بعض الممارسات والمحاولات بل هو مجرد تبرير يُكسب تصرفات النبي . صلى الله عليه وسلم . الشرعية السياسية ليضمن استجابة الناس له.

الوحي في كل ما سبق ليس نازلاً من الباري عز وجل وبمشيئةٍ منه سبحانه وتعالى، وإنما صادر من داخل الحياة الأرضية البشرية، وهو بهذا الشكل مفردة لا تتجاوز المنظور والخبرة الإنسانية لأنه:

– مجموعة حلول قابلة للتعديل والتطوير، فالوحي ليس خارج الزمان بل في داخله ويتطور بتطوره.

– معطى بشرياً إنسانياً وليس ربانياً.

ولذلك يجب أن تُؤوّل نصوص الوحي التي تخالف اختياراتنا أو مصالحنا [أو نزواتنا وأهوائنا] فإذا لم تخضع للتأويل يجب تعطيلها إما عملاً بقاعدة النسخ التي شهدها العصر الإسلامي الأول وأقرها الأصوليون، وإما بتحويل النصوص إلى عالم المعاني أي إلى أنساق من التصورات والتجريدات.

الغاية الأساسية لحسن حنفي كما يصرح إذن هي ليست فهم الوحي والتفاعل معه، وإنما "" تحويل الوحي من علوم حضارية إلى إيديولوجيا "". لأنه لا يهمنا في الوحي مراد المُرسِل ومقاصده، فلا يهمنا البعد الرأسي في الوحي وإنما البعد الأفقي، لأن الوحي هدفه الإنسان، ومصلحه الإنسان وسعادة الإنسان،"" فالإنسان هو اتجاه الوحي وموضوعه وهدفه وغايته ""،"وهذا هو معنى أن الوحي أنتروبولوجيا وليس ثيولوجيا أي علم إنسان وليس علم إله"".

وعلى ذلك فلا يمكن أن ينقطع الوحي لأنه تعبير عن الطبيعة الإنسانية وهو مفهوم لا ينكر النبوة بل يعني استمرارها ودوامها عن "" طريق نزوع الطبيعة، فالطبيعة هي الوحي، والوحي هو الطبيعة وكل ما يميل إليه الإنسان بطبعه هو الوحي، وكل ما يتوجه به الوحي هو اتجاه في الطبيعة، الوحي والطبيعة شيء واحد، ولما كانت الطبيعة مستمرة فالوحي بهذا المعنى مستمر، والنبوة دائمة، ولكننا أنبياء يوحى إلينا من الطبيعة، وصوت الطبيعة هو صوت الله، والوحي الطبيعي هو أكبر رد فعل على الوحي الرأسي فهو وحي بلا معجزات ولا ملائكة ولا أنبياء "". وبذلك "" لا يكون الوحي مجرد واقعة حدثت في الماضي عدة مرات ثم توقفت تاركاً شأن البشرية سدى بل الوحي اسم يُطلق على النشاط الذهني للإنسان في كل زمان ومكان "".

"" وهكذا يكاد الخطاب اليساري أن يُحوِّل الوحي إلى الطبيعة، ويرد الميتافيزيقي إلى الفيزيقي ويبلور فهماً تنويرياً للعقيدة والوحي، فهماً يجعل من كل إنجاز بشري عقلاني في مجال معرفة الطبيعة والواقع إضافة للوحي، واستمراراً له "".

وهنا تبدو الدهرية المطلقة بصبغتها المادية، فالتنوير هو هذا الذي يطرحه د.حنفي حيث تصبح الطبيعة هي الإله، والوحي منها وإليها، والغيب يرتد إلى المادة والمحسوس والمشاهد، وبذلك لا ينقطع الوحي ولا ينتهي فهو مستمر ولا أدل على استمراره من الإنجازات البشرية المذهلة والمتواصلة، لأن الوحي اسم يطلق على النشاط الذهني للإنسان في زمان ومكان.

هذا هو إذن الفهم التنويري العقلاني للوحي في الخطاب العلماني يبقي عليه مستمراً دائماً في كل عمليات التفكير أو الإبداع أو الابتداع البشرية، إنه ينبع من البشر من

أجل البشر، ولا حاجة لمرسِل ولا لمرسَل إليه ولا لرسول، فهو واقعة إنسانية لا صلة لها بالدين، ويحدث بناء على اقتراحات الأفراد وأزماتهم ومطالبهم.

هذه الرؤية الحسنفية للوحي القائمة على المنهج الشعوري "" الوحي تجربة في شعور الرسول الذي يشعر بأزمة "" والذي يحكم نظرتها إلى التراث ككل وليس إلى الوحي فقط هو بغض النظر عن كونه منهجاً مستعاراً من هوسرل كما يشير بعض الباحثين فإنه يؤدي إلى تفريغ الوحي من مضمونه، وإعادة شحنه بمضامين يختارها كل قارئ وكل مغرض فهو منهج "" في التعامل مع النصوص ينتهي في التحليل الأخير إلى التعامل معها بوصفها صوراً عامة فارغة قابلة للامتلاء بالمضمون الذي يفرضه المنهج، منهج الشعور الذاتي، وفي مثل هذا التصور لطبيعية النص تتساوى النصوص الدينية والنصوص الفكرية الكلامية "".

سؤال:

لماذا يُحاط الوحي القرآني بكل هذه (الإشكالات) المتوهمة في رأيكم ؟

ممكن تلخيص سبب أشكلة مفهوم الوحي الحقيقي من أجل زحزحته:

فتلك الرؤية الحسنفية – السابقة – لا تختلف عن الرؤية الأركونية للوحي وخصوصاً إذا علمنا أن الوحي المستقر في المفهوم الإسلامي بنظر أركون مفهوم أسطوري ثُبِّت نتيجة البلورة التاريخية الطويلة والتعليم والتلقين المتواصلين، مع أن ذلك رُفِض من معاصري محمد . صلى الله عليه وسلم . المشركين.

وهو ما يجعل هاشم صالح – مترجم أركون – يعبر عن أسفه لأن العقل العلمي والفلسفي الحديث لم يحُلّ محل الوحي أو العقل اللاهوتي في بلادنا الإسلامية في حين حصل هذا في الغرب، وهُجر مفهوم الوحي التقليدي من قِبل العقل العلمي.

ومما يجعل تجاوز مفهوم الوحي التقليدي بنظر أركون صعباً هو أنه شديد الوضوح والبساطة مما يجعل " أشكلته " صعبة، وهو ما يعني أن أركون يريد أن يحوّل الوضوح والبساطة اللتين يتميز بهما الوحي في المفهوم التقليدي إلى غموض وتعقيد، وذلك لكي تتحول اللامشكلة إلى مشكلة في تصور الناس، والقصد من ذلك هو زحزحة المفهوم التقليدي الساذج للوحي وتجاوزه.

هذا هو مفهوم " الأشكلة " الذي يطرحه أركون ويفسره هاشم صالح بأن الأشكلة وسيلة لتحقيق " الأرخنة " يعني أن نجعل البدهيات والثوابت مشكلة، لكي نتمكن من تجاوزها عن طريق طرح أفهام جديدة تزحزح الفهم السائد والمستقر.

سؤال:

ما هي الزحزحة التي ينجزها أركون وهل تختلف عما رآه حسن حنفي ؟

ليس فيما يطرحه أركون إضافة على ما رأيناه عند حسن حنفي إلا في طريقة العرض والأداء والتي تسهم الترجمة أيضاً بدور في إبراز الإطار الذي تدور في فلكه، إنها الزحزحة من المفهوم الإسلامي للوحي، إلى المفهوم الوضعي الغربي المادي أو " الإنسي ".

فـ "" الوحي ليس كلاماً معيارياً نازلاً من السماء من أجل إكراه البشر على تكرار نفس طقوس الطاعة والممارسة إلى ما لا نهاية، وإنما يقترح معنى للوجود، وهو معنى قابل للمراجعة والنقض بناء على وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن، كما أنه قابل للتأويل داخل إطار الميثاق أو العهد المعقود بكل حرية بين الإنسان والله "" عز وجل.

وإذا تأملنا في النص السابق نلاحظ أن:

- الوحي هنا بكل صراحة ليس معيارياً، أي ليس له حق الحاكمية والإلزام، أقصى ما هنالك أنه مجرد نصائح يحق للإنسان قبولها أو رفضها أو تعديلها عن طريق النسخ، إنها مجرد اقتراحات، وبذلك تكون وظيفة الوحي أنه "" دينامو روحي يغذي الطموح المطلق والبحث عن الكمال، وليست وظيفته الضبط والتنظيم والتسويغ "".

- ولكن يقال هنا: إن العهد المعقود بكل حرية بين الله والإنسان يُحمِّل الإنسان التزامات وواجبات قبل أن يلتزم بها الإنسان نفسه فلماذا يراوغ لينقض العهد ويتحلل من مسؤلياته، ويتبرم بطقوس الطاعة والعبادة. إن الإنسان قبل التكليف مقابل الخلافة في الأرض فعليه أن يفي بالتزاماته.

ولكن الخطاب العلماني يريد أن يعيد المفاوضات من جديد بينه وبين الخالق عز وجل ليقرر الإنسان بناء على نموه المعرفي ماذا يقبل وماذا يرفض من الوحي إذ ""

الوحي يكون موجوداً كلما جاءت لغة جديدة لتعدل جذرياً نظرة الإنسان إلى وضعه إلى كينونته في العالم إلى علاقته بالتاريخ إلى نشاطه في إنتاج المعنى "". الإنسان هذه المرة هو الذي يريد أن يملي على الباري عز وجل ماذا يريد، هو الذي يسهم ويشترك في إنتاج المعنى، الوحي يصبح من الإنسان من الأسفل، والباري عز وجل عليه أن يبارك ويقبل.

ومع أن نسخ الوحي المتلاحقة والرسالات المتتابعة لا تحمل تغييراً جذرياً – كما يزعم الخطاب المذكور – إلى الكون لأنها في الأصل نسخة واحدة من حيث القضايا الكونية والمصيرية المشتركة للإنسان، والتغيير لا يمس إلا التفاصيل التشريعية، وبعض الأحكام، إلا أن الخطاب العلماني يريد أن يبقى الباب مفتوحاً لتعديل العهد والميثاق، يريد أن تظل اتفاقيات السلام بينه وبين خالقه دائماً مفتوحة وفي نقطة الصفر، ودائماً قابلة للمراجعة والتغيير، وغير خاضعة للحسم والإلزام ليظل التنزيل متواصلاً من داخل الإنسان فـ "" التنزيل هو ورود هكذا يُكوِّن معنى غير معهود، يفتح إمكانات غير محدودة أو متواترة بدلالاتها على الوجود الإنساني، وردوده إلى الحيِّز الداخلي للإنسان إلى قلبه "".

هذا الورود لا يمكن أن يُفهم منه أن الوحي هابط من الأعلى إلى الإنسان لأن هذا سيُخرج أشكالاً كثيرة من الوحي يقول أركون: "" إن تعريفنا للتنزيل له هذه المزية، ويجعله يفسح المجال لتعاليم بوذا وكونفوشيوس وحكماء إفريقيا وجميع الأصوات العظمى التي تحمل تجربة المجموعة البشرية الجماعية لتُسقطَها على مصائر جديدة، ولتغني التجربة الإنسانية للألوهية "".

في هذا النص السابق يلتقي كل من حنفي وأركون في اعتبار الوحي والألوهية كلتاهما تجربة بشرية إنسانية تخضعان لإرادة البشر ومطالبهم فالوحي "" تركيبة اجتماعية لغوية مُدعّمة من قبل العصبيات التاريخية المشتركة ""، "" وهذا هو معنى الوحي الذي يهبط كلما وجه النبي . صلى الله عليه وسلم . بقرار منه المستقبل الروحي للجماعة "".

ويلتقيان كذلك في اعتبار الوحي تجربة شعورية "" إن الوحي حدوث معنى جديد في الفضاء الداخلي للإنسان، القرآن يقول: في القلب، وهذا المعنى يفتح إمكانيات لا نهائية أو متواترة من المعاني بالنسبة إلى الوجود البشري "".

وهكذا يصبح الوحي في النصوص السابقة شاملاً لكل خواطر الإنسان وهواجسه ومشاعره ما دامت تحدث في القلب الفضاء الداخلي للإنسان، وشاملاً لكل جهود المصلحين عبر التاريخ من بوذا إلى كونفوشيوس وربما أركون وحنفي، فالنبوة ليست بالضرورة أن تكون علاقة مخصوصة بالله عز وجل وليست بالضرورة ذات طابع ديني ففي الشعر نبوءة، وهذا شاعر كأدونيس يذهب إلى أنه نبي وثني، والقرآن شكل من أشكال النبوءة.

وبذلك يصبح الوحي في الخطاب العلماني "" أوسع من أن يحصره معتقد أو تستنفده قراءة "" أي يتحول إلى مفهوم غائم مُشْكِل كما أراد الخطاب العلماني لكل إنسان الحق في أن يعبر عنه كما يشاء ويفهمه كما يريد، ويقرأه كما يحب، ويعتقده كما يحلو له.

هذه الرؤية الأركونية تحظى بالقبول المطلق لدى تلاميذه المُستَلبين لظاهرة الحداثة، والمنبهرين بالجديد أياً كان مضمونه ومحتواه، وهو ما يعبر عنه أحد هؤلاء التلاميذ بقوله: "" هكذا وبهذا الفهم التاريخي والنقدي للوحي يكون أركون قد تجاوز الفهم السائد للوحي بما هو نص مكتوب مغلق ونهائي الدلالة، وهو بذلك يؤكد على فاعلية العقل في فهم ظاهرة الوحي، ويجعل من النص الديني مفتوحاً ولا نهائي الدلالة، ويُخرج النص من الفهم الضيق المنغلق اللاتاريخي الذي تكرسه الثقافة الرسمية عادة والمحافظة، نظراً لفراغها الداخلي معرفياً وعدم قدرتها على الإضافة النوعية التي تتطلبها شروط اللحظة التاريخية لتفاعل النص الديني مع الواقع تفاعلاً حوارياً إيجابياً، ومنتجاً حضارياً وثقافياً "".

ويضيف التلميذ المخدَّر: "" هكذا نتبين مدى تاريخية القراءة الأركونية للنص القرآني باعتباره وحياً منزَّلاً من قبل الله، وبالتالي مدى علمية هذه القراءة باعتبارها قراءة مفتوحة، ونقدية، وليست قراءة منغلقة ودوغمائية نهائية وأبدية الدلالة "".

في النصين السابقين تتسارع الأحكام الجزافية المطلقة التي لا تستند إلى دليل أو برهان كقوله: بأن الفهم السلفي السائد والمستقر للوحي هو فهم منغلق ونهائي الدلالة، وهو غير صحيح فالفهم السلفي ليس منغلق الدلالة، كما أنه ليس لا نهائي الدلالة، وإنما منضبط الدلالة، فلا بد لكل دلالة من دليل وضابط حتى لا يصبح العبث واللعب هو الغاية من القراءة.

ولكن تتواتر الأوصاف الشاتمة والأحكام التسفيهية للفكر السلفي السائد والمستقر فهو فكر جامد، محافظ، ضيق، منغلق، لا تاريخي، فارغ معرفياً، غير قادر على الإضافة. أما الفكر الأركوني فيُحاط بهالة من التقديس والتمجيد فهو فكر تاريخي، نقدي، متفاعل مع الواقع، مفتوح على كل المعاني، قادر على الإضافة، علمي القراءة، كل ذلك لأنه تجاوز الفهم السائد والمستقر للوحي، فقد أصبح كل ما هو سائد ومستقر سُبَّة في منظور الحداثة والحداثيين. إنها الفاشية المعاصرة.

سؤال:

حدثنا باختصار عن خلاصة الموقف العلماني من الوحي.

يمكننا الآن أن نوجز الموقف العلماني من الوحي بالعناصر التالية:

- الوحي هجوم مباغت داخل الضمير، والجنون يمكن أن يعتبر أصلاً للوحي، والنبوة مطبوعة بشيء من العصاب.
- الهلس والهلوسة تفسيرات صحيحة للوحي ستسود ذات يوم في الفكر الإسلامي.
- الوحي يبدأ من اللاشعور، ثم يتحول إلى واقعة شعورية.
- الوحي حدوث معنى في الفضاء الداخلي للإنسان.

ومن الواضح أن هذه العناصر جميعاً ترد الوحي إلى الحيّز الإنساني الوضعي، وتسعى جاهدة لجعل الوحي نابعاً من ذات الإنسان، وليس نازلاً عليها من المطلق المفارق "" إنه حالة استثنائية يغيب فيها الوعي، وتتعطل الملكات ليبرز المخزون المدفون في أعماق اللاوعي بقوة خارقة لا يقدر النبي . صلى الله عليه وسلم . على دفعها ولا تتحكم فيها إرادته "".

إنه ليس واقعة خارجية منفصلة عن ذات النبي . صلى الله عليه وسلم . لأن "" العلم الوضعي العقلاني لا يمكن له أن يقول بحقيقة تجلي كائن ميتافيزيقي كحقيقة موضوعية "". لماذا !؟ لأنه عندئذ "" عليه أن يعتبر أنه موجود فعلاً "" بينما الوحي "" ظاهرة دينية فحسب معطاة من التاريخ والعقلانيون لا يؤمنون بواقعيته الفعلية هذا شأن المؤمن وليس شأن العالم أو الفيلسوف "".

ولأننا إذا اعترفنا بالوحي كما هو في المفهوم السلفي السائد المستقر فإن ذلك سيدفعنا إلى الاعتراف باستمرارية الإسلام وفاعليته من خلال القدوة النبوية "" ولكننا لا نستطيع العودة إلى النموذج النبوي لأننا أصبحنا نرى بوضوح تاريخيته واندماجه في الأنماط العابرة لإنتاج المعنى داخل التاريخ "".

ـــ

سؤال:

بعد كل الإشكالات المطروحة من الفكر العلماني حول الوحي، كيف ننقضها ؟

في البداية: من حقنا أن نسأل هنا:

هل حقق العلمانيون الزحزحة المرادة أم أنهم يجترُّون كل ما ردده فلاسفة الغرب ومستشرقوهم حول الوحي، وأن التجديد الذي يزعمون أنهم يمارسونه ليس أكثر من عملية نقل أو سطو على ما هو شائع في الثقافة الغربية الوضعية وعرضه في الساحة الثقافية العربية والإسلامية على أنه إبداع أصيل ؟

في الواقع لم يختلف الموقف العلماني عن الموقف الاستشراقي في هذا الصدد فلقد اتفق جل المستشرقين قديماً وحديثاً على أن الوحي لا يمكن أن يكون واقعة مستقلة عن كيان الرسول . صلى الله عليه وسلم . ونفسيته أو شعوره، وإن كانت اختلفت تعبيراتهم وصياغاتهم في ذلك فهو لدى بعضهم نوع من أنواع الصرع، ولدى آخرين نوع من أنواع الهوس، أو الهلوسة، أو الهذيان أو الاستبطان، أو الهستريا العصبية، أو الشعور الداخلي، أو التصوف العميق.

والمتأمل في الرؤيتين الاستشراقية والعلمانية يجد أنهما انعكاس للفلسفة المادية الوضعية التي كرّسها فلاسفة النهضة الأوربيين منذ ديكارت وسبينوزا إلى فيورباخ وماركس، ثم فلسفة الحداثة المعاصرة. لقد قال سبينوزا: يختلف الوحي عند الأنبياء

تبعاً لمزاجهم وبيآتهم واحوالهم، فالنبي الفرح توحي إليه الحوادثُ السلامَ، والانتصارتِ، والنبي الحزين توحي إليه الشرورَ، والهزائم، والأحزان. فكان الصدى من د.حسن حنفي: الوحي عبارة عن مواقف إنسانية زاخرة بالأمل والمعاناة والجهد والفرح والألم وتجارب النفاق، والخداع، إنه قلقٌ وضيقٌ، وأملٌ وألمٌ وتوجعٌ يحس به الفرد. وكان الصدى من أركون "" الأنبياء كالشعراء والكبار، و "" كالفنانين الكبار "".
وكان الصدى من نصر حامد أبو زيد "" فإن الأنبياء والشعراء والعارفين قادرون دون غيرهم على استخدام فاعلية المخيلة في اليقظة والنوم على سواء، وليس معنى ذلك، التسوية بين هذه المستويات من حيث قدرة المخيلة وفاعليتها، فالنبي يأتي من دون شك في قمة الترتيب، يليه الصوفي العارف ثم يأتي الشاعر في نهاية الترتيب "".
والآن يمكننا القول بأن الرؤى العلمانية والاستشراقية التي عرضناها حول الوحي لم تأت بجديد حول مفهوم الوحي أو الاعتراض عليه، وإنما هو تكرار لمواقف المشركين المُحتارة والمضطربة في معارضة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وإن كان ثمة جديد فهو الصياغات التي تُعرَض بها التفسيرات الحديثة:
– فلقد قال المشركون شاعر، وقال المُحدَثون – مستشرقون وعلمانيون – شعور داخلي.
– وقال المشركون: مجنون، وقال المُحدَثون: صرع أو هلوسة، أو هوس.
– وقال المشركون: ساحر، وقال المُحدَثون: عبقري.
– وقال المشركون: كاهن، وقال المحدَثون: مصلح اجتماعي أو قائد فريد.
– وقال المشركون: أضغاث أحلام، وقال المحدثون: هذيان أو استبطان.
– وقال المشركون: بل افتراه، وإنما يعلمه بشر، وقال المحدثون، تعلم من بحيرا، أو من أهل الكتاب.
ثم تخلى كثير من المستشرقين عن افتراءاتهم. وسلموا بأن محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسمى من كل ذلك وأن واقعة الوحي أجل من كل ما عرضوه من تخمينات أو تخرصات، ولكن العلمانيين لأنهم جاؤوا متأخرين فإنهم يحتاجون إلى بعض الوقت ريثما تزول الغشاوة عن العيون، وتتكشف الحقائق من بين الظنون " كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ

اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ " [الرعد: 17].

وهكذا بقي أن الوحي كلام الله عز وجل نزل به جبريل على قلب النبي . صلى الله عليه وسلم . ليبلغه إلى الناس، والله عز وجل هو الخالق لهذا الكون بما فيه، وجبريل عليه السلام ملَك وخلْق من خلْق الله الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومحمد . صلى الله عليه وسلم . بشر اختاره الله جل شأنه واصطفاه ليكون للناس بشيراً ونذيراً. فأين العجب في كل هذا ؟ وأين المحال ؟ ولماذا يكابر الناس ويجحدون ويتبرمون ؟

حقيقة الوحي كما هيأه الله عز وجل وأراده، تنقض المقولات العلمانية:

لقد فوجئ محمد صلى الله عليه وسلم وهو في غار حراء بجبريل أمامه يراه بعينيه – بعيني رأسه – وهو يقول له: إقرأ حتى يتبين أن ظاهرة الوحي ليست أمراً ذاتياً داخلياً مردُّه إلى حديث النفس المجرد، وإنما هي استقبال وتلق لحقيقة خارجية لا علاقة لها بالنفس، وداخل الذات، وضمَّه الملَك ثلاث مرات حتى بلغ منه الجهد، أي حتى ضاق به نفسه . صلى الله عليه وسلم . قائلاً في كل مرة: إقرأ، ليؤكد أن هذا الذي يراه ليس خيالاً أو شعوراً، وإنما هو حقيقة يُحس بها في ثنايا جسده، ويرى أثرها في أعضاء جسمه، ولقد داخله الخوف والرعب مما سمع ورأى حتى أنه قطع خلوته في الغار وأسرع عائداً إلى بيته يرجف فؤاده، لكي يتضح لكل مفكر عاقل أن رسول الله . صلى الله عليه وسلم . لم يكن منتظراً رسالة أو متشوفاً أو متشوّقاً إليها، ولم تكن خاطرة له على بال، وإنما طرأت طروءاً مفاجئاً ومثيراً على حياته دون أي توقع، ولا شك أن هذا ليس شأن من يتدرج في التأمل والتفكير إلى أن تتكون في نفسه بطريقة الكشف التدريجي المستمر عقيدة يؤمن بالدعوة إليها.

ثم إن شيئاً من حالات الإلهام أو حديث النفس، أو الإشراق الروحي أو التأملات العلوية لا يستدعي الخوف والرعب واصفرار اللون، كما أن الخوف والرعب ورجفان الجسم وتغير اللون كل ذلك من الانفعالات القسرية التي لا سبيل إلى اصطناعها والتمثيل بها، حتى لو فرضنا إمكان صدور المخادعة والتمثيل منه . صلى الله عليه

وسلم .، وفرضنا المستحيل من انقلاب طباعه المعروفة قبل البعثة من الصدق والأمانة إلى عكس ذلك تماماً.

ويتجلى مزيد من صورة المفاجأة المخيفة لديه . صلى الله عليه وسلم . في توهمه بان هذا الذي رآه ووعظه وكلمه في الغار قد يكون طائفاً من الجن إذ قال لخديجة بعد أن أخبرها الخبر، " لقد خشيت على نفسي " ولكنها طمأنته بأنه ليس ممن يطولهم أذى الشياطين والجان لما فيه من الأخلاق الفاضلة، والخصال الحميدة، وقد كان الله عز وجل قادراً على أن يربط على قلب رسوله . صلى الله عليه وسلم . ويطمئن نفسه بأن هذا الذي كلمه ليس إلا جبريلاً عليه السلام، ملك من الملائكة جاء ليخبره الخبر بأنه رسول الله . صلى الله عليه وسلم . إلى الناس، ولكن الحكمة الإلهية الباهرة اقتضت إظهار الانفصال التام بين شخصية محمد . صلى الله عليه وسلم . قبل البعثة وشخصيته بعدها، وبيان أن النبي . صلى الله عليه وسلم . لم يستبطن شيئاً من الرغبات والآمال، ولم يكتنز صنوفاً من المشاعر أو الأحزان، ثم بدأ يعبر عنها بشكل مفاجئ الآن.

أما انقطاع الوحي بعد ذلك وتلبثه أشهراً أو أكثر على الخلاف المعروف فيه فينطوي على مثل المعجزة الإلهية الرائعة إذ في ذلك أبلغ الرد على الذين يفسرون الوحي بأنه إشراق نفسي، أو استبطان داخلي انبعث من أعماق ذاته نتيجة طول التأمل والتفكير.

لقد شاء الله عز وجل أن يحجب عنه الملَك الذي رآه لأول مرة في غار حراء مدة طويلة وأن يستبد به القلق من أجل ذلك، ثم يتحول القلق لديه إلى خوف في نفسه من أن يكون الله عز وجل قد قلاه بعد أن أراد تشريفه بالوحي والرسالة لسوء قد صدر منه، حتى لقد ضاقت الدنيا عليه، وراحت تحدثه نفسه كلما وصل إلى ذروة جبل أن يلقي بنفسه منها، إلى أن رأى الملَك جبريل عليه السلام مرة أخرى.

إن هذا الانتظار الحزين ثم ما تلاه من ابتهاج مفاجئ كانا في الواقع الظرفين النفسيين لتلك الحالة من الفيض العقلي لم تعد تخطر معه ظلال الريبة أو الشك. إن هذه الحالة التي مر بها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . تجعل مجرد التفكير في كون الوحي إلهاماً نفسياً أو شعوراً داخلياً ضرباً من الجنون، إذ من البداهة بمكان أن

صاحب الإلهامات النفسية والتأملات الفكرية لا يمر إلهامه أو تأمله بمثل هذه الأحوال.

فلا يمكن للاختلاط أو الهلوسة أن تؤدي أصواتاً وأمراً: إقرأ، ثم ينتج عن ذلك قرآن مفهوم بكلام فصيح يُتلى على الناس فيبهر أسماعهم، وعقولهم، وممن ؟ من أمي لم يتعلم القراءة والكتابة ولم يحاولهما وتتواتر الآيات: " إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً " [المزمل: 5]. " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى.. " [النجم:1] لكي تفرض الحقيقة العلوية للوحي نفسها فرضاً على العقل الوضعي، فكل ما يراه وما يسمعه وما يشعر به وما يفهمه يتفق الآن مع حقيقة واضحة تماماً في ذهنه جلية في عينيه هي: الحقيقة القرآنية. وسيتابع الوحي نزوله بسور القرآن سورة سورة، فتتزاحم في وعيه الحقائق التاريخية والكونية والاجتماعية التي لم يسبق أن سُجِّلت في صفحة معارفه بل حتى في معارف عصره واهتمامه.

وكل ذلك يؤكد أن الوحي حقيقة خارجية منفصلة عن ذاته . صلى الله عليه وسلم . ولا خيار فيها، وإنما تفاجئه في أي وقت وبغير ميعاد، ويتفاعل معها جسمه وعقله وضميره ووجدانه ليؤدي الرسالة كما تصله، ويبلغها كما سمعها رسول الله . صلى الله عليه وسلم ..

والآن قس هذه الأحوال التي ترافق نزول الوحي على رسول الله . صلى الله عليه وسلم . مع الاحتمالات التي قلّبها المُغرضون واقترحها المُرجفون فهل تستقيم مع واحد منها، وتأمل في تلك الحيرة التي لا تصدر إلا عن عازم على المكابرة والجحود، قاصد إغماض العين عن الحقيقة حتى لا تبهر عينه "" فانظر كم قلبوا من وجوه الرأي في هذه المسألة ؟ حتى أنهم لم يقفوا عند الحدود التي يمكن افتراضها في كلامٍ رصينٍ كالقرآن، وفي عقلٍ رصينٍ كعقل صاحبه، بل ذهبوا إلى أبعد الأحوال النفسية التي يمكن أن يصدر عنها كلام العقلاء والمجانين، إن ذلك لمن أوضح الأدلة على أنهم لم يكونوا يشيرون بهذا الوجه أو ذاك إلى تهمة محققة لها مثار في الخارج أو في اعتقادهم، وإنما أرادوا أن يُدلوا بكل الفروض والتقادير مُغضِين على ما فيها من محالٍ ونابٍ ونافرٍ ليثيروا بها غباراً من الأوهام في عيون المتطلعين إلى ضوء الحقيقة، وليلقوا بها أشواكاً من الشك في طريق السائرين إلى روض اليقين "".

"" ولقد نعلم أنهم في قرارة أنفسهم غير مطمئنين إلى رأي صالح يرضونه من بين تلك الآراء، وأنهم كلما وضعوا يدهم على رأي منها وأرادوا أن ينسجوا منه للقرآن ثوباً وجدوه نابياً عنه في ذوقهم، غير صالح لأن يكون لبوساً له، فيفزعون من فورهم إلى تجربة رأيٍ ثان، فإذا هو ليس بأمثل قياساً مما رفضوه فيعمدون إلى تجربة ثالثة... وهكذا دواليك ما يستقرون على حالٍ من القلق، فإن شئت أن تطلع على هذه الصورة المضحكة من البلبلة الجدلية فاقرأ وصفها في القرآن " بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ " [الأنبياء: 5]. فهذه الجملة القصيرة تمثل لك بما فيها من توالي حروف الإضراب مقدار ما أصابهم من الحيرة والاضطراب في رأيهم، وتريك من خلالها صورة شاهد الزور إذا شعر بحرج موقفه كيف يتقلب ذات اليمين وذات الشمال، وكيف تتفرق به السبل في تصحيح ما يحاوله من محال "" " انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا " [الإسراء: 48].

=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=-=

عودة إلى مصطلحاتهم

سؤال:

لننتقل إلى موضوع آخر: أرجو التكرم بإعادة توضيح أبرز مصطلحاتهم التأويلية التدويلية (أقصد بكلمة تدويلية " ترويجية ").

يتداول الخطاب العلماني مصطلح الهرمينوطيقا، وأحياناً القراءة وأحياناً المقاربة وأحياناً التأويلية الحديثة وأحياناً التأويل وهي مصطلحات يُراد بها أحياناً معنى واحداً وأحياناً تختلف المعاني بحسب السياق الذي يُتحدَّث فيه.

ويُستغَل مفهوم التأويل لكونه مفهوماً إسلامياً قرآنياً وتراثياً كمدخل إلى الهرمينوطيقا، وذلك من أجل قراءة النص قراءة جديدة أو معاصرة أو تنويرية أو غنوصية أو غير ذلك، ومن ثَم تصبح المعاني القرآنية المستقرة، والأصول الثابتة، والأفهام السلفية الراسخة والمعلومة من الدين بالضرورة والمجمَع عليها أفهاماً تاريخية خاضعة للتجديد والتغيير والمعاصَرة، لتحِل محلَّها معاني أكثر تطوراً وأكثر ملاءمة للعصر.

- تعريف الهرمينوطيقا:

"" الهرمينوطيقا هي فن كشف الخطاب في الأثر الأدبي "". كما "" تعني تقليدياً فن تأويل النصوص المقدسة الإلهية أو النصوص الدنيوية البشرية، وهي كذلك مساوية للتفسير أو للفلولوجيا بما هي تفسير حر في أو نحوي وصرفي لغوي لبيان معاني الألفاظ والجمل والنصوص، وهذا ما يعرف بالتفسير اللفظي "".

وهو مصطلح مستخدم في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني.

صحيح أن الهرمينوطيقا اتخذت بُعداً شاملاً يتعلق بكافة العلوم الإنسانية إلا أنها ارتبطت أخيراً بعلم النصوص، وأصبحت تعني الكشف عن الطرق والوسائل التي تمكِّن من فهم النص، ولذلك فهي أخص من السيميوطيقا التي تُعنى بالعلامات التي يبدعها البشر عموماً، وتسعى إلى تصنيفها وتحليلها، ولكنهما منهجان يراد منهما تطوير عملية القراءة. وهي كذلك تختلف عن التأويل في أن الأخير يبحث في الدلالة أما في الهرمينوطيقا فمحور البحث هو في آليات الفهم ولذلك يكون التركيز على القارئ فيها أما في التأويل فالتركيز يكون على القائل. كما سنرى.

هذا هو المعنى التقليدي للهرمينوطيقا، ولكن مع تطور نظرية النسبية أصبحت الهرمينوطيقا تُعنى بفن الفهم، وهذا المعنى " فن الفهم " هو الذي سيؤسس له شلاير ماخر 1768 – 1834 م الذي يُعتبر أبا التأويلية الحديثة، وأصبح فن الفهم أو فن التأويل يتناول ليس النصوص المقدسة فقط بل تعدى ذلك إلى النصوص البشرية ذات المضمون الطبيعي اليومي.

ومعنى كونها تجاوزت الكتب المقدسة إلى الكلام البشري اليومي أنها أصبحت تُخضع كل شيء للتأويل، وتعتبر التأويل هو الأصل في الكلام، وبذلك تكون الهرمينوطيقا نمطاً من أنماط القراءة والتأويل للنصوص والتراثات الفكرية.

وتنتهي القراءة في الهرمينوطيقا إلى أن تصبح مفهوماً يمثل تصوراً أو فهماً معيناً للعالم والإنسان والتراث، ويعكس فكر القارئ ومنهج تعامله مع النص كوجود تاريخي، وممارسة للوجود والكون في شروط إمكان زمكانية، وتغدو القراءة بذلك عملية تأويلية وتفسيرية للوجود والكون. "" إن البحث التاريخي في دلالة الهرمينوطيقا يجعلنا نعود إلى دلالة هذا المصطلح في أصله اللغوي إذ يعود في اللغة الإغريقية

إلى فعل hermenuo الذي قد يعني traduireأي ترجم و expliquer بمعنى فسِّر، و exprimer أي عبَّر وأفصَح وأبان، وبذلك تفيد الهرمينوطيقا معنى القراءة بما هي تفسير وتأويل أو شرح وكشف وبيان، أما داخل فضاء اللغة اللاتينية فإن المصادر والمراجع المعتمدة تفيد أن مصطلح الهرمينوطيقا لم يتشكل إلا في بداية العصر الحديث رغم أن فكرة فن أو نوع من التأويل موجودة منذ القدم "". وقد استخدم المصطلح على الأرجح لأول مرة في عنوان كتاب لدانهاور سنة 1654 م.

- الهرمينوطيقا الخاصة:

في مقابل الهرمينوطيقا العامة التي اهتمت بتفسير الوجود تقوم هرمينوطيقا خاصة تركز بالذات على تفسير النصوص، ومن أبرز ممثليها بول ريكور [ولد سنة " 1913م] الذي يُعوِّل كثيراً على التفسير الرمزي، وهو ما سيُعتَبر أساساً تقوم عليه الهرمينوطيقا، إذ يَعتبر ريكور الرمز وسيطاً شفافاً ينم عما وراءه من معنى، ومعنى ذلك أن يقول القائل شيئاً وهو يعني شيئاً آخر في آن واحد، وبغير أن تتعطل الدلالة الأولى وهو ما يسمى " بالوظيفة الأليغورية " للغة بالمعنى الحرفي للكلمة. وهذه الطريقة لجأ إليها بولتمان في تحطيمه للأسطورة الدينية في العهد القديم، والكشف عن المعاني العقلية التي تكشف عنها هذه الأساطير.

وهناك طريقة أخرى يمثلها كل من فرويد وماركس ونيتشة كما يبين ريكورنفسه، وهي التعامل مع الرمز باعتباره حقيقة زائفة لا يجب الوثوق به، بل يجب إزالتها وصولاً إلى المعنى المختبئ وراءها، فالرمز في هذه الحالة لا يشف عن المعنى بل يخفيه ويطرح بدلاً منه معنى زائفاً، ومهمة التفسير هي إزالة المعنى الزائف السطحي وصولاً إلى المعنى الباطني الصحيح. لقد شكك فرويد في الوعي باعتباره مستوى سطحياً يخفي وراءه اللاوعي، وفسر كلٌّ من ماركس ونيتشة الحقيقة الظاهرة باعتبارها زائفة، ووضعا نسقاً من الفكر يقضي عليها ويكشف عن زيفها.

والرمزية الريكورية تقوم على الكشف والإبلاغ عندما تساعد في تفجير دلالات اللغة عوضاً عن انكفائها على ذاتها. وتعتمد على مفهوم العلامة عند سوسير باعتبارها ذات صلة وعلاقة مع غيرها من العلامات، وباعتبارها ذات إمكانات استدعائية

عجيبة، وذات قدرة فريدة على تأويل بعضها البعض، وبكون العلامة قادرة على التعبير عن شيء دون أن تتعطل عن التعبير عن شيء آخر. وبذلك يعتبر ريكور رمزيته ظاهرة ملموسة للمعنى على مستوى الخطاب، موثقة على أرضية العمليات الأولية للعلامات، وبذلك تكتسب رمزيته – بنظره – قيَماً وظيفية، فلم يعد الاشتراك اللفظي ظاهرة انحراف في ذاته، ولا الرمزية زينة في اللغة.

ويصل ريكور إلى أن القيمة الفلسفية للرمزية تكمن في كونها تعبر عن غموض الكينونة من خلال تعدد إشارية علاماتنا.

هذه الرمزية تنتهي بريكور إلى تقرير النتائج التي يتفق عليها أغلب الهرمينوطيقيين فالنص بمجرد أن يُدوَّن كتابة يصبح مستقلاً عن قصد الكاتب، وتنفتح عندئذ إمكانيات التأويل المتعددة المفتوحة التي لا تختزلها أية رؤية، وتكون مهمة الهرمينوطيقا هي الكشف عن "" شئ النص غير المحدود "" لا عن نفسية المؤلف، لأن دلالة النص العميقة ليست هي ما أراد الكاتب قوله، بل ما يقوم عليه النص بما فيه إحالاته غير المعلنة. ولذلك يعلن ريكور: "" أحياناً يطيب لي أن أقول: إن قراءة كتاب ما هي النظر إلى مؤلفه كأنه قد مات ... وبالفعل تصبح العلاقة مع الكتاب تامة وثابتة بشكل ما عندما يموت الكاتب "".

ونصل الآن إلى هيرش الفيلسوف الأمريكي الذي حاول أن يُعيد الاعتبار للنص والمؤلف بعكس ما سبق أن قرر أسلافه الهرمينوطيقيين، ولكنه اتجه إلى التفرقة في النص بين المعنى والمغزى، فالنص الأدبي قد يختلف ولكن معناه ثابت، المغزى فقط هو المتغير من عصر إلى عصر، ولا يهمنا في النص الأدبي ما يعنيه المؤلف أو ما كان يقصده، أو ما أراد أن يعبر عنه، إنما الذي يعنينا بحق هو المعنى كما يعبر عنه النص.

ونحن إذا تأملنا في الفكرة الأساسية لدى أغلب الفلاسفة الذين عرضنا لهم آنفاً نتبين بوضوح أن الفكرة الأساسية الشائعة لديهم والمتفق عليها أن النص خاضع لأفق القارئ، ومدى قدرته على استنطاقه، ومدى قدرته على الاستدعاء من خلاله. إن مهمة القارئ مع النص هي أن يتمكن من إبداع نصوص إلى جانب النص الأصلي، ولا يهم أن تكون ذات صلة بمقاصد المؤلف الأول أو مراميه، المهم أن يتمكن القارئ

من ربط استيحاءاته واستدعاءاته وإبداعاته بالنص بأي شكل من الأشكال، أو بأي رمز من الرموز أو بأي علامة من العلامات "" هذه الدائرة الهرمينوطيقية ستحول الثبات إلى حركة، نظراً لأن المعنى وقع استبداله بالفهم، هذا الفهم مرتبط بذات بشرية متحولة ومتغيرة، لذلك أصبح الفهم بحسب ما يريده القارئ، لا كما يريده المؤلف، لأن زمن التأليف غدا زمناً غائباً ينتمي إلى الماضي، بهذا لا يمكن الاستقرار على معنى، فهناك موت وانهدام للمعاني، وتخلُّق جديد لدلالات أخرى، ومن ثَّم فهذه الدائرة الهرمينوطيقية تجعلنا ندور في مجال لا نهائي ""، ونمتعض من افتراض معنى موجود سلفاً، لأن هذا المعنى سيكون ضد حركة الفكر.

———————————————

- اللسانيات:

اللسانيات فرع من علوم اللغة الحديثة أرسى قواعدها العالم السويسري فرديناند دي سوسير 1857 – 1913م وذلك في محاضراته التي أملاها على طلابه بين عامي 1907 – 1913م.

غير أن ولادة هذا العلم لدى كثير من الباحثين الغربيين ترجع إلى مائة سنة قبل سوسير وذلك لدى الألماني فرانز بوب سنة 1791، 1867 م.

وتطورت على أيدي عدد من الباحثين فيما بعد أمثال: بريس باران الذي كتب كتابه " أبحاث في طبيعة اللغة ووظائفها " سنة 1942م، وبول شوشار الذي كتب كتابه " اللغة والفكر " سنة 1956م وتشومسكي في كتابه " اللسانيات الديكارتية " و " الطبيعة الشكلية للغة " نشره سنة 1966 وغيرهم من أمثال رومان جاكبسون وآيميل بنفنيست.

تقوم اللسانيات على اعتبار اللغة مجموعة مصطلحات أو علامات ارتضاها المجتمع حتى يتيح للأفراد أن يمارسوا قدرتهم على التخاطب يقول دي سوسير "" اللغة نتاج اجتماعي لملكة الكلام ومجموعة المواضعات التي يتبناها الكيان الاجتماعي ليمكن الأفراد من ممارسة هذه الملكة "". وتنشأ بين الكلمة والفكرة رابطة، أو تلازم نفسي يحدد اللسان باعتباره ظاهرة نفسية جماعية، ولذلك يُفترض بالتخاطب حتى يؤدي عمله أن يصل بين شخصين يملكان قدراً مشتركاً من الأفكار والألفاظ.

ويميز سوسور بين اللسان والكلام، فاللسان هو مجموع الكلمات التي يملكها المجتمع والتي تُدوَّن في المعجم بينما الكلام هو ما يملكه الفرد من مصطلحات في ذاكرته أو قاموسه اللغوي.

وأطلق سوسور على التصور الفكري للعلامة أو الإشارة اسم المدلول، وأطلق على الصورة السمعية لها اسم الدال، وهذان المفهومان متلازمان في كياننا النفسي، وهذا التلازم هو الذي يكوِّن الإشارة، وبذلك يكون الدال والمدلول مترابطان بالضرورة، فهما أشبه بصفحة من الورق يشكل المدلول وجهها الأمامي والدال وجهها الخلفي. ويتألف من الدال والمدلول ما يسمى بالدلالة التي يمكن تعريفها بأنها كيان يمكن أن يصير محسوساً ويشير بذاته بالنسبة لمجموع مستعمليه إلى أمر غائب.

إن جوهر اللسانيات هو مفهوم العلامة التي تُعتَبر تشكُّلاً لا يستمد قيمته ودلالته من ذاته، وإنما يستمدها من طبيعة العلاقات القائمة بينه وبين سائر العلامات الأخرى، فهو دليل لا يدل في بدئه بمقومات رمزية، وإنما يكتسب دلالته باتفاق عارض يضفي عليه قيمة الرمز دون أن يحوله إلى رمز. ولذلك وصفت العلاقة بين الدال والمدلول بأنها علاقة اعتباطية ولكن العلامة لا بد أن تنطوي على القصد، إذ يقتضي دستورها الدلالي توفر النية في إبلاغ ما تفيده، لأن العلامة إنما تدل بوضع هو اصطلاح متفق عليه تصريحاً أو مُسلَّم به ضمناً.

فالعرف أو الاصطلاح هو الذي يُقر للعلامة بدلالتها لأنه ما من دال إلا وكان يمكن استبداله بدال آخر. فالقواعد أو المواضعات المنظمة والضابطة لمعنى القضايا اللسانية ترجع في أصلها إلى طبيعة اجتماعية أو إلى عرف الجمهور، ولذلك فقيام كل فرد بإنشاء لسان خاص لنفسه يقضي على ضرورة التواصل بين الناس، لأن اللسان ليس ملكاً مخصوصاً، والقواعد اللسانية هي قواعد مشتركة بين الجمهور.

ولذلك حتى عندما تكون اللغة أو أي من الدلائل رمزاً، يجب أن تكون خاضعة لنظام بحيث يكون كل رمز يقابله معنى معين. ومن هنا فإن قواعد التواصل هي الاتفاقات التي يجب مراعاتها عند إرادة الوصول إلى الغرض والقصد والتواصل، وكل ذلك يكوِّن الخاصية اللسانية لتلك القواعد، وهي قضية بدهية لأننا نستخدم اللغة في إيصال أشياء مفرطة في التعقيد للآخرين. وهكذا فإن الاتفاق والتواطؤ والمواضعة

الكائنة نتيجة الاستعمال هو طريق التواصل والقصدية، وهو الدال على نوايا المتكلمين.

إن ما نريد أن نصل إليه هنا هو أن اللسانيات علم من علوم اللغة يقوم على النحو ويستند إليه. ويمكن لهذا العلم أن يكون حيادياً ويقوم بدوره في خدمة البحث اللغوي، وإثراء عمليات الاستدلال، إلا أن الأمر لم يسر على هذا النحو من حيث الواقع، ولم يوفَّق هذا العلم لذلك والسبب – بنظري – في غاية الخطورة وهو أنه نشأ وارتبط بتاريخ فلسفي يموج بالشك والعدمية واللاأدرية، وانعكس عليه ذلك في الدراسات التطبيقية إن على مستوى الدراسات الغربية أو على مستوى الدراسات العربية، فالخلفيات الفكرانية هي التي توظف هذا العلم بطريقة تخدم توجهاتها وأغراضها.

لقد أشرنا آنفاً إلى مكانة العلامة في اللسانيات السوسيرية، ونضيف هنا أن هذه العلامات تتكون بشكل اعتباطي كدوال على الأفكار. وهذه الفكرة – اعتباطية الإشارة – تقوم على التقاليد التجريبية التي كان ينادي بها جون لوك كما يرى آرت بيرمان، فلقد كان لوك يرى كما يرى سوسير أن أي صوت محدد يمكن استخدامه حتى تصبح الكلمة بشكل اعتباطي علامة على فكرة معينة، وهذه الرابطة التجريبية هي التي تُكسب اللسانيات السوسيرية سنداً علمياً.

ولكن الارتباط الأكثر يبدو بين اللسانيات واشهر المذاهب الفلسفية التي مهدت لها مثل ظواهرية هيجل، ومادية ماركس، ووضعية أوجست كونت 1798 – 1857م، واجتماعية دوركايم 1858 – 1917م فلقد كرست هذه المذاهب مَنزَعَين هما الوعي بنواميس الصيرورة التاريخية، والثاني البحث عن القوانين المتحكمة في نظام الظواهر عبر حركة التاريخ، وهما منزعان استوعبتهما العلوم اللغوية على أكمل وجه "" فما أفاض فيه اللغويون من دراسات النحو المقارن كشفاً للقرابات اللغوية، وتصنيفاً للألسنة البشرية بين أسر وفصائل، وإحكاماً لشجرة الأنساب عن طريق التدرج السُلالي بحثاً عن الأصل الأوحد المصفى، إنما كان امتثالاً أميناً لتصور مبدئي يخص علاقة الإنسان بالوجود والكون والطبيعة والتاريخ، مما طفت فقاقيعه على سطح الوعي الفلسفي والاجتماعي"" مرتبطاً "" بظواهرية هيجل، ومادية ماركس، ووضعية كونت واجتماعية دوركايم، وتطورية داروين "".

وأبرز مظاهر الارتباط بين لسانيات سوسير والبيئة الفلسفية التي نشات فيها يمكن أن يظهر في العلامة، والعلامة اللغوية والرمزية بالذات، فلقد كانت الكلمة المفردة ممثلة لشيء محدد في الواقع الخارجي داخل رؤية جزئية، فأصبحت اللغة عبارة عن تراكيب وأنساق من مفردات لغوية ترمز لعمليات ذهنية في إطار رؤية سياقية. إنه تطور يعبر عن ابتعاد تدريجي عن الوضوح والشفافية الأولى التي كانت تتميز بها اللغة كما منحها الله عز وجل للبشر.

لكن الأمر لم يقف عند حد الابتعاد عن الوضوح، وإنما تحول فيما بعد على يد شتراوس وياكبسون ورولان بارت وميشال فوكو إلى ألغاز وشفرات، وتطور مفهوم العلامة إلى رمزية معقدة لا يمكن أن تعني شيئاً، ولكنها يمكن أن تعني كل شيء. وهو ما نريد أن نخلص إليه في هذه الفقرة، وهو أن مفهوم العلامة في اللسانيات أتاح أو استُغل لكي يصبح أساساً تُبنى عليه النظريات اللغوية اللاحقة كالبنيوية والتفكيكية التي تقرأ في النص كل شيء وهو ما سيقرأ العلمانيون من خلاله النص القرآني.

- البنيوية:

"" جاء لفظ البنيوية من البنية، وهي كلمة تعني الكيفية التي شُيِّد عليها بناء ما، وبناء على ذلك أصبحت الكلمة تعني الكيفية التي تنتظم بها عناصر مجموعة ما، أي أنها تعني مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصر الأخرى، وبحيث يتحدد هذا العنصر بعلاقته بتلك العناصر، فالبنية هي مجموع العلاقات الداخلية الثابتة التي تميز مجموعة ما، بحيث تكون هناك أسبقية منطقية للكل على الأجزاء. وعلى هذا فالبنيوية تهتم بكشف الارتباطات القائمة بين البنيات المختلفة بعضها ببعض "".

و"" تُعنى البنيوية في معناها الواسع بدراسة ظواهر مختلفة كالمجتمعات والعقول واللغات والاداب والأساطير، فتنظر إلى كل ظاهرة من هذه الظواهر بوصفها نظاماً تاماً، أو كلا مترابطاً، أي بوصفها بنية، فتدرسها من حيث نسق ترابطها الداخلي لا من حيث تعاقبها وتطورها التاريخيين، كما تُعنى أيضاً بدراسة الكيفية التي تؤثر بها

بُنى هذه الكيانات على طريقة قيامها بوظائفها. أما في معناها الضيق والمألوف فالبنيوية محاولة لإيجاد نموذج لكلٍّ من بنية هذه الظواهر ووظيفتها، على غرار النموذج البنيوي للغة، وهو النموذج الذي وضعته الألسنية في أوائل القرن العشرين... ويمثل كتاب فرديناند دو سوسور " محاضرات في الألسنية العامة " نسخة باكرة من النموذج البنيوي للغة، أما محاولات تطبيق هذا النموذج على الأدب فتعود إلى عام 1928م حين وضع كل من جاكوبسون وتينيانوف برنامجاً بهذا الخصوص وكانت تلك بداية البنيوية الأدبية "".

نتبين مما سبق أن البنيوية اللغوية مرتبطة جنينياً باللسانيات لأنها أتاحت للوعي أن يكتشف خبايا اللغة الطبيعية، فاللغة هي الرحم الأولى لنشأة المعيار البنيوي، فهي على ذلك فرع من الألسنية. وعلى ذلك تعرف البنيوية الأدبية بأنها "" الكشف عن النسق أو النظام الكلي الذي يُفترض وجوده وانتماء النص اللغوي إليه، وذلك عن طريق دراسة الأنساق الصغرى "". ويعتبر رومان ياكبسون أول من نحت مصطلح بنيوية في مؤتمر عقد سنة 1929م. ولكن الأب الروحي للبنيوية والذي يعتبر من أشهر مؤسسيها هو الفرنسي كلود ليفي ستروس إلى جانب مفكريها المشهورين أيضاً أمثال لوي ألتوسير، وميشال فوكو، ورولان بارت.

انعكست الفلسفة الماركسية على المفهوم البنيوي وذلك عبر مقولتها في البنية الفوقية والبنية التحتية، فالبنية الفوقية هي " الأيديولوجيا " والدين والسياسة والثقافة والقانون، أما البنية التحتية أو القاعدة فهي القوى الاقتصادية والاجتماعية والعلاقات المتغيرة بينهما من صراع طبقي مستمر بين قوى مسيطرة وقوى مقهورة، وفي ظل هذا المفهوم فإن مكونات البنية الفوقية لا يمكن دراستها بمعزل عن البنية التحتية التي تحددها وتحكم حركتها، ومن هنا فلا نستطيع أن نناقش الثقافة أو الأدب بمعزل عن القوى التي تحكم النظام الاجتماعي والاقتصادي، والظروف التي تقرر حياة البشر المادية وكما قال ماركس "" ليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم، وإنما وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم "".

____

- التفكيكية:

لم تعمِّر البنيوية كثيراً فقد دُفنت في سنة 1966م بعد محاضرة جاك دريدا المشهورة في مؤتمر جونزهوبكنز والتي تعتبر أساس ما يعرف الآن بالتفكيك. هذا مع أن التفكيك يرتبط بهايدغر في الأصل ولكن جاك دريدا هو الذي عممه بشكل سريع في الفكر الفرنسي المعاصر.

التفكيك والبعض يطلق عليه التقويض هو المصطلح الذي أطلقه الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا على القراءة النقدية التي اتبعها في مهاجمته للفكر الغربي " الماورائي " منذ بداية هذا الفكر حتى يومنا هذا. والقراءة التفكيكية هي قراءة مزدوجة تسعى إلى دراسة النص أياً كان دراسة تقليدية أولاً لإثبات معانيه الصريحة، ثم تسعى إلى تقويض ما تصل إليه من نتائج في قراءة معاكسة تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معان تتناقض مع ما يصرح به. ويمكن القول إن دريدا يسير على أثر كلٍّ من نيتشة وهايدغر في فلسفتهما العدمية والهدمية.

لقد استطاع التفكيك أن يسهم في زعزعة المسلمات التقليدية الميتافيزيقية الغربية إلا أنه وصل إلى دوامة محيِّرة، إذ إن دريدا لم يطرح بديلاً عن هذه المسلمات بعد أن قوّضها، بل إن البديل نفسه كما يرى دريدا لا بد يتسم بسمات الميتافيزيقا لا محالة.

لقد انبثق التفكيك على يد دريدا بعد قراءة لفلسفات أفلاطون وكانط وهيجل وروسو ونيتشة وهوسرل وهايدغر. ولكن يبدو أن أكثر الفلسفات تأثيراً في التفكيك هي الفلسفة النيتشوية حتى إن دريدا يجعل النص يتماهى مع نيتشة فيقول: "" إن مستقبل النص / نيتشة لم يقفل "" ذلك لأن النص قابل لأن تعاد كتابته وقراءته ضمن سياقات جديدة، وإن حقيقة النص لا تقتصر على إرادة مؤلفه، وإنما على إرادة قارئه. ولذلك فإذا كان هناك من يختزل فلسفة نيتشة كلها بكونها تقوم مبدأ " إرادة القوة "، فإن تفكيكية دريدا وهايدغر يمكن أن تُختزَل بكونها إرادة الإرادة. وإذا كان نيتشة قام بتفكيك فكرة الحقيقة عن طريق جمهرة عاجَّة من الاستعارات، فإن دريدا يمارس ذلك أيضاً على مستوى النص والفلسفة عموماً بتحويلها أيضاً إلى استعارات وإيحاءات ورموز لا يمكن أن تعني شيئاً، وبذلك تكون التفكيكية قائمة على تلاعبات بلاغية نيتشوية بالألفاظ.

من هنا يمكننا أن نؤكد أيضاً أن التفكيك في الواقع لا ينفصل عن محيطه الفلسفي الذي نشأ فيه، ولا يمكن فصله عن الشك السائد في الفلسفة الغربية، إذ تنطلق استراتيجية التفكيك من موقف فلسفي مبدئي قائم على الشك، يمتزج هذا الشك بإحساس شديد باليأس والإحباط، وخصوصاً بعد فشل العلم في تحقيق السعادة والأمان والمعرفة اليقينية للإنسان، وذلك بعد إلقاء قنبلتين ذريتيين في الحرب العالمية الثانية، وارتبط ذلك أيضاً بإحساس جديد بالخديعة، تمخض ذلك عن تجربة الإنسان مع العلم والتكنولوجيا حيث لم يجن الإنسان بعد طول اعتداد بالعلم إلا الدمار والجهل المتفاقم.

سؤال:

لماذا يعمد الخطاب العلماني إلى الإكثار من التأويل شديد التعسف ؟

يُعوِّل الخطاب العلماني كثيراً على التأويل في قراءته للقرآن الكريم، لأن التأويل مفهوم قرآني يمكن الولوج منه بسهولة إلى الغايات التي يبحث عنها هذا الخطاب وتحت هذه المظلة يمارس هذا الخطاب آلياته في القراءة والتي لا صلة لها بالمفهوم القرآني مطلقاً.

لقد قال هاملتون جب بصراحة: "".. لكن الأجيال الإسلامية المعاصرة تحتاج إلى أكثر من هذا القول، فيجب أن يُثبَت لها أن لا شيء في القرآن من التناقض ولا من الباطل... وأن الفكر العلمي أو الروائي التاريخي المعاصر لم يكتشف شيئاً يعارض سلطة القرآن وأوامره، لنصل بها إلى نتيجة لا نبلغها إلا إذا اعتمدنا على القول بأنه من كلام الله، وأنه لا يجوز الخوض فيه قليلاً أو كثيراً... فالمطلوب أساساً هو التأويل "". وعلى هذا الدرب يخطو الخطاب العلماني حين يقرر "".. ولهذا كان التأويل الطريق الملَكيُّ الذي انتهجه العقل العربي في طلب الحق، بل إنه في النهاية طريق كل عقل في تعامله مع النص وفي قراءته لتاريخه "".

هكذا فالتأويل طريق ملكي، ثم إنه الطريق الوحيد لأنه طريق كل عقل، وفي طلب الحق أيضاً، ولكن التأويل عند الخطاب الآنف الذكر هو التحريف، والنسخ، والتزوير، والتقويل !! ربما يظن القارئ أنني أتجنى وأبالغ، ولكن لنقرأ النص التالي: "" مع أن مبرر كل مفكر جدير بلقبه أن يمارس التفكير بطريقة مغايرة للذين سبقوه

إذا لم يشأ أن يكون مجرد شارح مبسط أو تابع مقلد، أو حارس مدافع عن العقيدة الحقيقة، والتفكير بصورة مغايرة يعني أن نُبدِّل وننسخ أو نُحرِّف ونُحوِّر أو نُزحزح ونُقلِّب أو نُنقِّب ونكشف أو نحفر ونُفكِّك، أو نُرمِّم ونُطعِّم، أو نُفسِّر ونُؤوِّل، فهذه وجوه للتفكير وللقراءة في النصوص لا أزعم أني أقوم بحصرها واستقصائها "". إنها جميعاً معاني وآليات ممكنة لقراءة النصوص والتفكير فيها ومن هنا نجد أركون "" منشغل منذ زمن بتأويل النص المقدس أو الذي قدسه تراكم الزمن ومرور القرون "".

ربما يكون ذلك لأن التأويل بنظر الخطاب العلماني "" هو الصخرة العاتية التي تكسرت عليها وحدة الفكر الإسلامي"". وبالتالي يمكن لهذا الخطاب أن يُسهم بدوره في تكسير هذه الوحدة "" إن التأويل إحياء لثقافتنا، بل لا إحياء دون تأويل، التأويل هو طريقنا إلى الحياة "". وذلك لأنه عن طريقه يتم اختراق النص بأفق اجتهادي تجديدي، وإقامة توازن بينه وبين الواقع المتغير.

هذا هو – إذن – الباعث الذي يدفع الخطاب العلماني للدفاع عن مفهوم التأويل ووضْعه في موضع المظلوم والمُدان في تراثنا وثقافتنا، فالفكرة الشائعة – بنظره – في تراثنا تُعلي من قيمة التفسير، وتغض من قيمة التأويل، وتتقبل الأول وترفض الثاني وتصمه بأنه ضلال وزيغ.

حصل هذا – بنظره – في مرحلة متأخرة وخصوصاً على أيدي الأشاعرة، ولذلك فالعودة إلى التأويل عودة إلى الأصل، لأن السلف – وفيهم الطبري ومن قبْله – كانوا يستخدمون التفسير والتأويل بمعنى واحد، ولأن كلمة تفسير وردت مرة واحدة في القرآن، وكلمة تأويل وردت سبع عشرة مرة، مما يدل على أن التأويل أكثر لزوماً وضرورة من التفسير.

كما أن كلمة تفسير في أصل استخدامها تعني الواضح البين، وهي بهذا المعنى لا تعكس المعنى المقصود من حركة الذهن المعرفية إزاء موضوع المعرفة وهو المعنى الذي تدل عليه كلمة تأويل. التفسير يرمي فقط إلى الكشف عن مراد قائل النص ومعنى الخطاب وهو ما لا يكتفي به الخطاب العلماني، لأنه يطمح إلى أكثر من ذلك، إلى انتهاك النص عن طريق التأويل، لأن التأويل صرفٌ للفظ إلى معنى

يحتمله. بل يطمح إلى أكثر من ذلك، إلى التفكيك الذي يقْطع الصلة بين النص وقائله وبين المعنى واحتمالاته.

هذا هو التأويل في المفهوم العلماني من حيث المبدأ وهو يبدو لنا جلياً من خلال الأسس التي يقوم عليها.

ـــ

سؤال:

ما هي الأسس والمنطلقات للتأويل في الخطاب العلماني العربي " التأويل المنفلت المتعسف " ؟

أبرز أسسهم:

1 – الأصل في الكلام التأويل:

كل كلام يُتأول لأننا نتعامل مع لغة بشرية نسبية، فالتأويل لازم من لوازم اللغة، وهو صفة ملازمة لكل خطاب دون تفريق بين النص الواضح، النص " النص " في المصطلح الأصولي، وبين المجمل أو المبهم أو المتشابه. ودون تفريق أيضاً بين العقائد والأمور المعلومة من الدين بالضرورة والمجمع عليها، وبين غيرها مما هو خاضع للاجتهاد والرأي. "" ومن ثم فالتأويل ضرورة للنص، ولا يوجد نص إلا ويمكن تأويله من أجل إيجاد الواقع الخاص به... حتى النصوص الجلية الواضحة التي لا تحتاج في فهمها إلى تأويل... حتى هذه النصوص لفهمها حدساً تحتاج إلى مضمون معاصر يكون أساس الحدس ""

وعلى ذلك يُعتبر أي شرح وأي تفسير نوعاً من التأويل لأن فيه اختياراً بين الألفاظ والكلمات، وترجيحاً بين الآراء وهذا كله يعكس موقف الباحث، فلا بد – بنظر الخطاب العلماني – من ملازمة التأويل لذاتية المفسر. لأن فهم النص لا يبدأ من قراءة النص وإنما يبدأ من خلفية القارئ وثقافته والدوال المكونة لهذه الثقافة وآفاقه المعرفية وبين النص.

والقرآن على ذلك كله متشابه وفيه دلالات محتملة لا تحصى، وتتيح للكل أن ينطقوا باسمه. وعلى ذلك لا يوجد نص مُحكم أو بالتعبير الأصولي " نصٌّ نص " يدل بمنطوقه على مفهومه دلالة مباشرة ولا يحتمل إلا وجهاً واحداً، وإن وُجد فهو نادر

جداً، لأن طبيعة اللغة تعتمد على التجريد والتعميم في دلالتها، ""وهذا من شأنه أن يجعل إنتاج الدلالة في اللغة بشكل عام وفي النصوص الممتازة بشكل خاص لا يفارق جدلية النص / القارئ. إن تحديد المعنى المرجوح من المعنى الراجح في الظاهر أو المؤول تحديد مرهون بأفق القارئ وعقله "".

إن النص المحكم – بنظر الخطاب العلماني – الذي لا يحتمل إلا دلالة واحدة لا وجود له في الأرض، قد يكون موجوداً السماء، وليكن أما أهل الأرض فيريدون النص المتشابه المتعدد الاحتمالات الذي يلبي حاجات الواقع في كل تغيراته وتطوراته، لأن النص المحكم ذو البعد الواحد الذي يكون أُحادي التصور نص إمبريالي دكتاتوري، أما النص المتشابه المراوغ فهو النص الثري الذي يستجيب لإمكانيات القراءة المتعددة.

إن قوة النص في حجبه ومخاتلته لا في إفصاحه وبيانه، في اشتباهه والتباسه، لا في إحكامه وأحكامه، فالنص ليس نصاً على المراد بقدر ما هو حيِّز لممارسة آلياته المختلفة في الحجب والخداع والتحوير، والكبت والاستبعاد، وهذا شأن كلمة الحقيقة ذاتها فهي تُخفي بالضبط ما تشير إليه.

ولشدة وقع الكلام الآنف الذكر قد يظن القارئ المسلم أن هذا الكلام بما أنه صادر عن مسلمين لا يمكن أن يكون القرآن داخلاً فيه، أي لعل المقصود هو النصوص الأدبية وغيرها من

نصوص البشر ؟ ولكن الحقيقة أن الخطاب المذكور يصرح بأنه لا يفرق بين النص القرآني وغيره من نصوص البشر "" فالنصوص جميعها سواء "" والقرآن ليس بمنأى عن ذلك ولا عبرة بكلام مفسري القرآن التقليديين.

2 – لا توجد قراءة بريئة:

هذا منطلق الخطاب العلماني لأن أي تأويل بنظره لابد من أن يستر وراءه بواعث أو غايات " أيديولوجية " فالقراءة لا يمكن أن تكون حيادية على ذلك لأنها تستند إلى ثقافة القارئ ومكوناته الفكرية والعلمية. وإن القول بقراءة بريئة أو خطاب برئ على صعيد الفكر الإسلامي يمثل خطلاً معرفياً لا بد أن يتحدر من موقع " إيديولوجي " وهمي إيهامي.

ومن هنا ذهب الخطاب العلماني يردد في مواطن كثيرة هذه الكلمة التي قالها آلتوسير وهي أنه لا توجد قراءة بريئة.

3 – ليس للنصوص معاني ثابتة أو دلالات ذاتية:

فلا توجد عناصر جوهرية ثابتة للنصوص، بل لكل قراءة بالمعنى التاريخي، الاجتماعي جوهرها الذي تكشفه في النص، وليس للألفاظ أي دلالة ذاتية، فالنص لا يحمل في ذاته دلالة جاهزة ونهائية، بل هو فضاء دلالي، وإمكان تأويلي.

والقراءة لا تخرج من مأزقها إلا إذا توقفنا عن النظر إلى النص بوصفه أُحادي المعنى، وإلى القراءة بوصفها تتطابق مع النص، لأن أحادية المعنى خداع على المستوى المعرفي، وأحادية المعنى تعني حقاً إمبريالية النص، ولذلك فالنص الذي ينص على الحقيقة ينتهي بانتهائها، ولكن النص لا يقول الحقيقة. إن النص صورة، بلا مضمون وروح بلا جسد، والقراءة هي التي تعطيه المعنى، لأنه عمل إنساني خالص منذ تدوينه الأول حتى قراءته الأخيرة، ولا يحتوي على معنى موضوعي، والقراءة هي التي تحيله إلى معنى، النص عمل إيديولوجي صرف. ولا يمكن الوصول إلى المعنى الحقيقي الموضوعي للنص، والقصد الإلهي منه، لأنه لا وجود لهذا المعنى فالمعنى متغير من عصر إلى عصر.

4 – تأنسن النص القرآني:

إن القرآن الكريم في منظور الخطاب العلماني كما أسلفنا لا يفلت من هذه القراءة النسبية المفتوحة فهو "" ما إن انتقل من فضائه الإلهي إلى الفضاء الإنساني حتى أخذ يعيش حالة من التشظي الدلالي المعنمي [!!] عبر البشر الفرادى والمجتمعين المتشظين وفق مواقعهم المجتمعية [!!] والمعرفية الأيديولوجية "".

فمنذ أن نزل القرآن إلى البشر أصبح نصاً تاريخياً لأنه تحول من كتاب تنزيل إلى كتاب تأويل فأصبح كتاباً بشرياً "" تاريخياً واجتماعياً وتراثياً "". إن كتاب التنزيل أطلق كتاب التأويل وأحدث معه نمطاً من القطيعة الإبستمولوجية النسبية وتحول "" النص منذ لحظة نزوله الأولى – أي مع قراءة النبي له لحظة الوحي – تحول من كونه نصاً إلهياً، وصار فهماً " نصاً إنسانياً " لأنه تحول من التنزيل إلى التأويل. إن

فهم النبي للنص يمثل أولى مراحل حركة النص في تفاعله بالعقل البشري "" لقد " تأنسن " النص..

فالنص تدوين لروح العصر من خلال تجارب فردية وجماعية في مواقف معينة متعددة متباينة فهو عمل إنساني خالص لأنه يتحدث بلغة إنسانية نسبية، فالوحي على ذلك تأنسن عندما تحول عبر الرسول إلى كلمة إنسانية "" إن النصوص الدينية... تأنست منذ تجسدت في التاريخ واللغة وتوجهت بمنطوقها ومدلولها إلى البشر في واقع تاريخي محدد، إنها محكومة بجدلية الثبات والتغير، فالنصوص ثابتة في المنطوق متغيرة في المفهوم "".

5 – النسبية:

ما دام القرآن تأنس فليس من حق أحد من البشر في منظور الخطاب العلماني أن يُقرر معنىً نهائياً للقرآن، لأنه عندئذ سيضع نفسه وصياً على الناس بوصاية إلهية.

حتى على مستوى العقائد لا يمكن لأحد من الناس أن يتكلم باسم الله لأنه سيجعل من نفسه نائباً عن الإله، ومن هنا فليس من حق أحد أن يفرض تصوراً معيناً لله، لأن الله بعيد عن المنال، بعيد عن التصور، ولا يمكن للبشر أن يصلوا إليه بشكل مباشر، وإنما يقدمون عنه تصورات مختلفة بحسب المجتمعات والعصور، ثم يتخيلون أن هذه الصورة هي الله ذاته، إن البشر لا يمكنهم أن يتوصلوا إلى الله إلا عن طريق وساطة بشرية هي اللغة، وهي لغة نسبية خاضعة للتأويل، ولذلك على المسلمين أن يُعيدوا النظر في العلاقة القديمة بين الإنسان والله، كما فعل نيتشة، عليهم أن يقوموا بتأويل التصور الموروث عن العصور الوسطى، لأن هذا التصور مرعب مخيف يشل حركة الإنسان.

وعندما أعلن نيتشة عن موت الله فهو يعني موت تصور معين لله، ذلك التصور كان ينبغي أن يموت لأنه تصور مظلم قمعي، ليحل محله تصور أكثر محبة ورحمة وغفراناً. ويمكن القول إن التصور الحديث يتجلى بالأمل، والخلود، والحرية والعدالة، هذا هو الله بالنسبة للتصور الحديث والعالم الحديث.

هذا هو التأويل العلماني لقضية الألوهية – أهم قضية يتحدث عنها القرآن الكريم – فليس من الضروري أن تظل كما فهمها النبي . صلى الله عليه وسلم . وصحابته

والتابعون، لأن تصورهم لله تصور قروسطي، قمعي، مظلم، عنيف، مرعب "" إذ لا شك أن أي مؤمن وأي شاك ستطيب نفسه إن تمَكَّن من تفسير الحكمة الإلهية في إهلاك شعب مقابل ناقة تلدها صخرة، كما لا جدال أن إيجاد تفسير معقول لإفناء قوم نوح في ضوء المعقول الآني الذي يفرض حرية الاعتقاد سيكون مريحاً لكثير من النفوس الحيرى والقلقة "".

ومن هنا فإن القرآن بنظر الخطاب العلماني ليس له ثوابت، بل هو مجموعة من المتغيرات يَقرأ كل عصر فيه نفسه، وهو قابل لكل ما يُراد منه، وهكذا وُظِّف في التاريخ، ولا توجد قراءات صحيحة وأخرى خاطئة، فالقراءات كلها صحيحة، والخطأ هو قراءة المعاصرين للقرآن بمنظور غير عصري. ولذلك فمن "" السخف الحقيقي الذي نأباه على أنفسنا أن نحدد أخيراً المعنى الحقيقي للقرآن ""، فليس للقرآن معنى محدد نهائي إنه "" يقول كل شيءٍ دون أن يقول شيئاً "". إنه مفتوح على جميع المعاني، إنه كون من العلامات والرموز، ويمكن أن يتسع حتى لتأويلات المخالفين للإسلام، ويتكيف مع كل الاتجاهات والأغراض، لأنه من حق غير المسلمين الذين يعيشون في المجتمع الإسلامي أن يفسروا القرآن بما يوافق ثقافاتهم ومعتقداتهم، ولذلك جاء النص مجملاً عاماً كلياً لأنه رحمة للعالمين وهداية للناس،

ومن يتمسك بفهم خاص يعتبره هو الفهم الصحيح بإطلاق يخرج من مظلة الرحمة الإلهية، ذلك أن القرآن الكريم – بنظر الخطاب العلماني – "" لا ينُص على الحقيقة، لأن الخطاب الذي يكون مجرد نص على الحقيقة ينتهي بانتهاء الوقائع التي هي إجراءات للحقيقة... النص لا يقول الحقيقة بل يفتح علاقة مع الحقيقة "".

ولذلك فالتأويل يعني أن الحقيقة لم تُقَل مرة واحدة، وأن كل تأويل هو إعادة تَأَوُّل، ولا مانع أن يأتي التأويل بالمتناقضات، وكلما كان النص عصيّاً عل الفهم كلما أمكن توظيفه بشكل أكثر والنص القرآني قادر على توليد مختلف القراءات والتأويلات حتى التعارض والشقاق

6 – لا نهائية المعنى:

مضمون هذه الفقرة في الواقع لا يختلف عن مضمون الفقرة السابقة، ولكننا أفردناها مستقلة فقط للتأكيد على أن النسبية التي يتحدث عنها الخطاب العلماني تؤدي إلى هذه النتيجة " الهرمينوطيقية ".

فما دام القرآن كما رأينا لا ينص على الحقيقة، ولا يقول شيئاً ويقول كل شيءٍ فإن المعاني فيه لا نهائية ولا تقف عند حد "" والذين يسعون لإرجاع نص حر غير منتظم تتفجر منه آلاف المعاني... إلى عرض منهجي خطي إنما يقعون في تناقض لغوي سمج، فلا يمكن نقل الكلام ذي البنية الأسطورية إلى مجرد كلام دال بدون إفقار قصي لجملة معقدة من المفاهيم "" ولذلك فلا يحق لأي تفسير أن يُغلق القرآن، لأن النصوص تُنتِج دائماً دلالات جديدة مفتوحة مطردة،والركون إلى التفسير الحرفي موت للنص. ولذلك يجب أن يكون التأويل بلا حدود حيث تصل الكلمة إلى مرحلة التحرير، تحرير الكلمة وإطلاق قيدها لتصل إلى درجة الصفر درجة اللامعنى، أي درجة كل الاحتمالات الممكنة، فالكلمة حرة مطلقة من كل ما يُقيِّدها، وبذلك فهي لا تعني شيئاً، وهي قادرة في نفس الوقت على أن تعني كل شيء.

7 – الفراغات أو ما بين السطور:

لا يثق الخطاب العلماني بالنص القرآني، لماذا ؟ بسبب قوته وممارسته للحجب والاستبعاد لهذا قالوا: "" نحن لا نثق بالنصوص كل الثقة، ليس لأنها تتصف بالضعف والركاكة، بل بالعكس بسبب من قوتها بالذات... ذلك أن الكلام القوي يمارس سلطته في الحجب والمنع والاستبعاد ... يصدق هذا على كل النصوص التي تحتمل التأويل وبنوع خاص على النصوص الشعرية والنبوية والفلسفية "".

ولأنه خطاب مثله مثل غيره في كونه إنتاجاً معرفياً ضمن منتوجات أخرى خاضع لإكراهات اللغة، بالإضافة إلى كون النص القرآني – بنظر الخطاب العلماني – ذا بنية أسطورية فإنه يمارس آليات الحجب والطمس والتحوير والتحويل.

ولذلك على القارئ – بنظر الخطاب العلماني – أن لا يُعنى ""بما ينطق به الخطاب بقدر ما يُعنى بما يسكت عنه ويحجبه من بداهات ومصادرات "". لأن "" مهمة الفهم هي السعي لكشف الغامض والمستتر من خلال الواضح المكشوف، اكتشاف ما لم يقله النص من خلال ما يقوله بالفعل "" لأن ""الكلام مخادع مخاتل، والنص عمل

متشابه مراوغ...فهو يلعب من وراء الذات "" "" وإذا كان النص لا يقول الحقيقة بل يخلق حقيقته فلا ينبغي التعامل مع النصوص بما تقول وتنص عليه، أو بما تعلنه وتصرح به، بل بما تسكت عنه ولا تقوله، بما تخفيه وتستبعده"". "" يجب أن نبحث في النص عما لم يقله المؤلف، فنجد فيه عكس ما يصرح به"" "" فالنص يحتاج إلى عين ترى فيه ما لم يره المؤلف، وما لم يخطر له "". ""مهمة القارئ الناقد أن لا يؤخذ بما يقوله النص، مهمته أن يتحرر من سلطة النص لكي يقرأ ما لا يقوله "" "" إن نقد النص هو قراءة ما لم يقرأ "" وذلك حتى نعثر على معنى المعنى، فنتحرر من سلطة النصوص، ونكف عن التعامل معها وكأنها أو ثان تعبد.

هذه هي إذن المعاصرة التي يتوخاها الخطاب العلماني في قراءة النص، فلكي يكون النص معاصراً لنا علينا أن نضفي عليه ما نريده نحن، ونُقوِّله ما لم يقل.

8 – التأويل إنتاج للنص:

التفسير والشرح للنص في منظور الخطاب العلماني خُدعة، لأن الشرح يحل محل النص، ويعيد إنتاج النص، فهو نص جديد، لأنه لا ترادف في اللغة ولا اشتراك. إن القارئ يخلق النص، فهو خلاق آخر يواكب خلاق النص حيث "" يصبح القارئ مؤلفاً كما كان المؤلف قارئاً، ويتحول العمل الفردي إلى عمل جماعي، النص إذن إبداع مستمر، وخلق جماعي، لا فرق بين تأليفه وقراءاته، بين وضعه وانتحاله، بين فهمه وشرحه"".

فالقراءة للنص هي عملية إكمال من خلال التراكم المعرفي، تتم في الزمانين الوجودي والتاريخي من خلال شعور الفرد والجماعة وتراكم الخبرات فيهما معاً، وبعد كل تراكم معرفي يأخذ النص أبعاداً جديدة لم تكن مقروءة فيه من قبل، ولا تكون موجودة في النواة الأولى للنص، وهذا هو معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف أي على مستويات تفسير النص طبقاً لأعماق الشعور، وطبقاً لتراكم المعرفة من عصر إلى عصر، فالآيات ليس لها حقيقة معينة إلا ما في شعور الإنسان، وقراءتها لا تحتاج إلا إلى خبرة القارئ الشخصية واليومية التي يكتسبها من خلال تجربته ومعايشته للحياة والواقع.

وهكذا في منظور الخطاب العلماني فإن الشرح " الفرع " ينسخ الأصل، أي أن النص الشارح ينسخ النص المشروح، فالمؤلف الذي يؤلف كتاباً لكي ينقذك من ضلالك يصبح كلامه أولى من الكلام الإلهي، وهذا شأن كل خطاب يدور حول النبوة والله والأصول، إنه يعمل للحلول محل النصوص التي سبقته بدءاً من النص القرآني حتى آخر كلام قيل حوله، لأنه من المستحيل حصول تطابق دلالي بين خطاب التفسير، والنص المراد تفسيره.

وبذلك تتحول علاقة القارئ بالنص إلى علاقة ناسخ بمنسوخ، لأن القراءة للنص ليست استهلاكاً، وإنما إعادة إنتاج وإعادة كتابة له، وعليه فلا سبيل إلى إيجاد قراءة موضوعية لأي نص، وستظل القراءة تجربة شخصيته، ويظل إنتاج الدلالة فعلاً مشتركاً بين القارئ والنص، ويظل النص متجدداً بتعدد القراء من جهة، وباختلاف الظروف من جهة أخرى.

9 – الرمزية:

الإنسان في الخطاب العلماني "" يحيا بالرمز وفي الرمز وللرمز "". ومن هنا يلح هذا الخطاب على جعل القرآن الكريم مجموعة رموز أو مجازات لكي يستطيع أن يرمز بها لما يريد، ويضمنها بما يرغب، فالرمزية تُتيح للقارئ حرية أوسع في تقويل النص، وعليه فالقرآن – بنظر الخطاب العلماني – كالأناجيل ليس إلا "" مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً "". ولغة القرآن بنظر هذا الخطاب نادراً ما تكون تصريحية، وإنما هي تلميحية في معظم الأحيان ولذلك فإنها قابلة للتعميم على الأحوال المختلفة.

ومن هنا يستدل الخطاب العلماني بأحاديث منسوبة إلى النبي . صلى الله عليه وسلم . مثل "" لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة "". وأيضاً "" القرآن نزل على وجوه كثيرة فخذوا بوجهه الحسن أو الأحسن "". يقولون ذلك من أجل أن يقبل القرآن التعددية القرائية ويقبل عملية التشظي إلى ما لا نهاية أي"" قابليته لأن يعني باستمرار "". "" لو لم نتخذ هذا الموقف التعددي منهجياً لكنا طمسنا إحدى خصائص القرآن الأساسية ألا وهي قابليته لأن يعني، أي لأن يعطي معنى باستمرار ويولد هذا

المعنى "" أي "" قابليته لتوليد المعنى وللإيحاء...هذه الفكرة الغالية جداً على رولان بارت "".

10- التناص:

ويعنون بذلك أن القرآن الكريم أسهمت في تشكيله نصوص سابقة عليه كالتوراة والإنجيل والشعر الجاهلي والسجع وغير ذلك. وهو ما حاول أن يؤسس له من خلفية ماركسية نصر حامد أبو زيد.

هذه هي الأسس التأويلية التي تتم قراءة القرآن الكريم من خلالها وهي أسس هرمينوطيقية كما سيتضح لنا فيما بعد لا صلة لها بمفهوم التأويل في الإسلام ولكن لابد من الإشارة إلى أن هذه التأويلية العلمانية المفتوحة تستند في قراءتها للنص القرآني على بعض المفاهيم الأصولية والصوفية وذلك لتقويل القرآن بكل ما يرغب به قراؤه ومن ثم تكريس تاريخيته ونسبيته ومن هذه المفاهيم: - الكلية والإجمالية التي تبدو في القرآن " المجمل في أصول الفقه ".

- المحكم والمتشابه.
- الظاهر والباطن.
- القراءات والأحرف السبعة. وهو ما يسميه طيب تيزيني "" اختراق النص متنياً "".
- العموم والخصوص.

هذه بنظر الخطاب العلماني مداخل كبرى لجعل النص مرناً مطواعاً لكل التأويلات والتفسيرات والاجتهادات.

سؤال:

هل ستعم العلمانية العالم بشكل لا مفر منه، أي هل العلمانية حتمية ؟

0000000000

أولاً: ماذا يقول العلمانيون ؟

العلمانية عند هذه الثلة من المفكرين ليست خياراً إيديولوجياً بقدر ما هي واقع تاريخي موضوعي في آن، وهذا يعني أنها ظاهرة حتمية لا مرد لها، أو ظاهرة طبيعية كالزلزال والبراكين، وهي واقعة لا محالة، لأن الغرب هو السائق والقطار تحرك،

ولذلك ينصحنا دعاتها أن نكف عن المقاومة والمواجهة لأن هذا لن ينفعنا ولن يجدينا شيئاً فالتيار جارف.

ولكن السؤال: لماذا هذه الوثوقية المطلقة في تأكيد حتمية العلمانية، ولماذا هذه المصادرة على التاريخ والمستقبل ؟

الإجابة: من منظور علماني تتمثل في كون الدراسات الأوربية والأمريكية المتطورة اعتبرت العلمانية واقعاً مُسلَّماً به ولا يختلف في ذلك اثنان، واعتبرت العلمانية أمراً محسوماً أو يكاد.!! وما دامت – أمريكا – قالت فقد صدقت !!!.

أما نحن فلا نزال نسمع نداءات تعتبر العلمانية أمراً مدسوساً، ولا يزال الحديث عن العلمانية في واقعنا العربي يجلب التهم بالوقوع تحت هيمنة الغزو الغربي، ويغلب على الكتابات الإسلامية المنطق العدائي، والأفكار المتشنجة، ومعالجات يغلب عليها الخطاب الاحتفالي ويلاحظ ذلك فيما يكتبه أنور الجندي، وعماد الدين خليل، ومحمد مهدي شمس الدين ومحسن الميلي، هذا " النوع من المفكرين الإسلامويين " !! الذين يستبطنون مواقف " أيديولوجية " عن العلمانية.

ولكي يدعم الفكر العلماني رؤيته في حتمية الظاهرة العلمانية يبحث في الواقع الاجتماعي عما يؤكد ذلك:

لقد قال قاسم أمين قبل مائة سنة: "" وكل ناظر في أحوال هيئتنا الاجتماعية الحاضرة يجد فيها ما يدل على أن النساء عندنا قطعن دور الاستعباد، ولم يبق بينهن وبين الحرية إلا حجاب رقيق إذ يرى:

– شعوراً جديداً عند المصريين بالحاجة إلى تربية بناتهم بعد أن كن جاهلات.

– انزواء ظاهرة الحجاب وتلاشيها شيئاً فشيئاً.

– تراجع الشبان عن الزواج على الطريقة التقليدية وتأففهم من الفصل بينهم وبين مخطوباتهم.

– اهتمام الحكومة وبعض أبناء البلاد وفي مقدمتهم صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده بإصلاح المحاكم الشرعية "".

وعبر طه حسين عن أثر العلمانية في الحياة المصرية عندما قال: "" حياتنا المادية أوربية خالصة في الطبقات الراقية وهي في الطبقات الأخرى تختلف قرباً وبعداً من الحياة الأوربية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات..."".

هكذا وصف دعاة العلمانية الحال في الربع الأول من القرن العشرين فما حالها عند دعاتها اليوم ؟

"" العلمنة تكتسح اليوم تحت غطاء ديني وشعارات دينية كل أرض الإسلام ولا أحد يعلم ذلك "" والأمارات الدالة على العلمانية في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بينة أكثر من أي وقت مضى مثل تولي المحاكم المدنية لزمام القضاء، وإزاحة المحاكم الشرعية عن مركز الصدارة وتهميشها.

وتعلْمَن الزمان باستخدام التقويم الشمسي بدلاً من التقويم القمري المرتبط بالشعائر والطقوس، وتَعلْمَن المكان بحيث أصبح الاعتبار للوطن والقومية بدلاً من الدين، وتَعلْمَنت المعرفة عندما استندت إلى الطبيعة والتاريخ بدلاً من الكتب المقدسة كمرجعيات، وتعلمنت السلطة السياسية عندما اعتَبر الدستور المشاركة الشعبية بدلاً من الاستخلاف في الأرض.

حصل هذا لدينا عندما استبدلنا المحامين والقضاة والأساتذة المدنيين بالشيوخ والفقهاء وقضاة الشرع، والمكاتب الرشدية بالمدارس الشرعية والكتاتيب، ثم بالمدارس والجامعات، وعندما اعتمدنا أسساً لمعارفنا العقلية العلوم الطبيعية والتاريخية والجغرافية بدلاً من الركون إلى المعرفة بالجن والعفاريت والزقوم ويأجوج ومأجوج، وموقع جبل قاف !!، والتداوي بالرقي والطلاسم والأسماء الحسنى.

حصل هذا عندما أقمنا نُظُماً قضائية تتناسب وحياة العصر وسنن الرقي، بإلغاء أحكام الردة في الدولة العثمانية في عام 1858م وقبول شهادة الذميين في السنة نفسها، واعتبار المسلم غير العثماني بحكم الأجنبي، وإلغاء الجزية، وتجنيد الأقباط في الجيش المصري ابتداء من عام 1855 م.

كما يتضح الاكتساح العلماني لمجتمعاتنا فيما نلاحظه من شيوع النماذج الغربية في وسائل الإعلام، والمبادلات التجارية، والمواصلات، والسياحة، وكل المظاهر المادية، ويتبع ذلك كثيراً من القيم الجديدة، وبروز الخلل واضحاً بين الاستمساك بالأنماط

التقليدية في شؤون الحياة والعيش، وبين ما نلاحظه من إقبال على التغرب بكل أشكاله الملازمة لحياتنا.

ولعل أهم المرتكزات التي تؤكد اجتياح العلمنة لحياتنا هو انقراض المدرسة القرآنية التقليدية التي كانت قائمةً في المساجد، وظهور نظام التعليم الغربي، بدلاً من نظام التعليم العتيق في الكتاتيب والمدارس القرآنية والجوامع.

كل هذا يؤكد – في المنظور العلماني – أن مسار العلمنة يفعل فعله في المجتمعات الإسلامية كأعمق ما يكون الفعل، وأن العلمنة ما فتئت تغزو المجتمعات العربية في العمق، وبصفة ثابتة لا رجعة فيها على المدى الطويل، المدى الوحيد الذي تعترف به الحضارة. كما يؤكد "" أن الإسلام قد فقد بعدُ قسماً كبيراً من قيمة تفسيره للكون، وهو من جهة أخرى في هذا المستوى يعيش نفس المشاكل التي تعيشها سائر الديانات التي أصبح اعتناقها ينزع شيئاً فشيئاً إلى أن يكون اختياراً قلقاً "".

0000000000000000000

ثانياً: كيف ننقض مقولاتهم ؟

بغض النظر عن اللهجة العدوانية والاستفزازية التي يتحدث بها عزيز العظمة والتي تفتقر إلى أدنى مقومات المنطق العلمي والمحاكمة العقلية، فإن ما يشير إليه هو وعبد المجيد الشرفي من مظاهر يؤكدون بها حتمية العلمنة وسيرورتها التي لا مفر منها – كما يزعمون – ليست اختياراً ديمقراطياً للأمة، ولم تقبله الأمة في أي يوم من الأيام، وكانت كل هذه المظاهر التي يتحدثون عنها مرفوضة، ولا تزال مرفوضة لدى الغالبية الساحقة من أبناء هذه الأمة.

إن إلغاء المحاكم الشرعية والكتاتيب وإلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية، وإلغاء التقويم الهجري، وفرْض النظم والقوانين الغربية الوضعية وغير ذلك من المظاهر فُرض على هذه الأمة بالحديد والنار، وبالقتل والإبادة، والتعذيب والإرهاب من شرذمة من الحكام المستبدين الذين يمارسون كل ذلك تحت مباركة الاستعمار الغربي وتحالف " العلمانية الفاشية ".

إن الأمة لو أتيح لها الآن الاختيار – بعد كل سنوات العلمنة – لاختارت إسلامها وشريعتها دون تردد وإن أبرز مثال على ذلك حالة تركيا التي مُورست فيها العلمانية الفاشية بأبشع صورها على يد أتاتورك وأتباعه ولكن ماذا حصدت العلمانية ؟

يجيب على ذلك باحث تركي فيقول: "" ومع كل هذا – جهود العلمانية – فإن أهم سمة تلفت الانتباه في سلوك الأتراك هي أن رسوخ العقيدة الدينية وعمقها لم تتغيرا، وما زالا يفعلان فعلهما في مجموعات واسعة من الشعب التركي [بعد عقود طويلة من سياسة العلمنة]، ومع ذلك أيضاً لا يزال العلمانيون الأتراك يعتبرون ذلك انتصاراً للظلامية على العلم "".

وما يزعمه الشرفي من انقراض الكتاتيب والمدارس القرآنية كعلامة على الاكتساح العلماني قد ينطبق على البيئة التي يعيش فيها هو، والمحيط الذي ينتمي إليه، ولكن هذا لا يعني أكثر من أنه هو وأمثاله يعيشون في أبراجٍ عاجية بعيدين عن سواد الأمة، فالمساجد لا تزال عامرة بالقرآن في كل بقاع العالم الإسلامي، والمدارس القرآنية في العطلة الصيفية تنشط في كافة الأوساط الإسلامية.

إن ما أريد أن أقوله هنا: إن العلمانية في البلاد الإسلامية ظاهرة موجودة لا يمكن إنكارها، ولكنها لم تشكل في الإسلام إلا قشرة رقيقة جداً لا تلبث طويلاً حتى تيبس ثم تتساقط متناثرة، إنها لم تنفذ ولن تنفذ أبداً إلى جوهر الإسلام وحقيقته، لأن الإسلام بطبيعته يستعصي على العلمنة، وقد أثبت خلال القرنين الماضيين أنه ليس كالمسيحية في الرضوخ للعلمنة، ذلك لأن ثوابته ومرتكزاته لا تقبل العبث مهما جهد العابثون، والسبب هو أنها قائمة على معجزة خالدة رَسَمت حدود هذه الثوابت والمرتكزات رسماً واضحاً لا لبس فيه فجاءت " كمثل المحجة البيضاء ليلها كنهارها " وستظل دائماً شاهدة على زيف المزيفين، وإرجاف المرجفين.

ولكن مع هذا فإن المشكلات التي نجمت عن مسار العلمنة وإن لم تمس جوهر الإسلام ولكنها أحدثت اضطراباً في أوساط المسلمين وفرقة في صفوفهم، وأبرز هذه المخاطر هو استيلاء التقليد والتغرب على عقول ثلة من النخبة المفكرة، حتى أصبحت هذه العقول في تبعية فكرية وحضارية تهدد مستقبل الأمة الحضاري.

إن شهادة التاريخ تثبت أن المسيحية الأولى كانت ضد العلمنة بصورة أكيدة وصريحة، وقد استمر ذلك عبر التاريخ حتى دخلت المسيحية في صراع مع العلمنة، كانت المسيحية هي الخاسرة، لقد حاولت المسيحية عبر القرون أن تقاوم ولكنها أخفقت، ومكمن الخطورة أنها عندما أخفقت أخذ منظروها المحدَثون يدعون المسيحيين إلى الانخراط في التيار، وتطوير المسيحية.

""إن جذور العلمنة لا تكمن في عقائد الكتاب المقدس بل في تأويلات الإنسان الغربي لها، إنها ليست ثمرة الإنجيل، بل هي ثمرة للتاريخ الطويل للصراع الفلسفي والميتافيزيقي بين رؤيتين كليتين للوجود يصدر عنهما الإنسان الغربي واحدة دينية والأخرى عقلانية خالصة "" "" وقد انفردت المسيحية وحدها من دون أديان العالم الكبرى جميعاً بأنها قد حولت مركز ظهورها من القدس إلى روما علامة على بداية تغريبها ""، وكان ذلك مؤشراً على بداية تعلمُنها، وقد ظلت المسيحية تُعدّل في معتقداتها وتتنازل عن ثوابتها، وتنقح الكتاب المقدس عبر المجامع المختلفة حتى انهارت قداستها وفقدت قيمتها كمرجعية أخلاقية دينية للإنسان الغربي.

أما الإسلام فتاريخ صراعه مع العلمنة عبر قرنين من الزمان يثبت أنها لم تؤثر فيه إلا على الشكل وقد بقي الجوهر والمضمون في غاية النقاء، وهذا الجوهر يشد الأمة دائماً إليه فتعيد صياغة نفسها شكلاً ومضموناً. ويمكن القول إن الجوهر والمضمون في الإسلام مثله مثل الراية التي تُرفع في المعركة فيظل الجنود ينجذبون إليها ويتراصُّون حولها، ويعيدون تنظيم أنفسهم لجولة جديدة من النزال.

إن استعصاء الإسلام على العلمنة أمرٌ أدهش باحثي علم الاجتماع فالعالم الإنجليزي " إرنست جيلنر " يقول: "" إن النظرية الاجتماعية التي تقول: إن المجتمع الصناعي والعلمي الحديث يُقوِّض الإيمان الديني – مقولة العلمنة – صالحة على العموم، لكن عالم الإسلام استثناء مدهش وتام جداً من هذا !! إنه لم تتم أي علمنة في عالم الإسلام، إن سيطرة الإسلام على المؤمنين به قوية، وهي أقوى مما كانت من مائة سنة مضت، إن الإسلام مقاوم للعلمنة في ظل مختلف النظم الراديكالية والتقليدية والتي تقف بين النوعين... والإصلاح الذاتي استجابة لدواعي الحداثة في عالم الإسلام يمكن أن يتم باسم الإيمان المحلي، وليس على حساب الإيمان "".

سؤال:

صحيح أن المسيحية مانعت العلمانية في البداية، لكنها سرعان ما استسلمت لها، يعني بعبارة أخرى: لمَ كانت ممانعة المسيحية للعلمانية أدنى من مستوى ممانعة الإسلام ؟

لبيان العوامل التي أسهمت في انخراط المسيحية في تيار العلمنة، واستعصاء الإسلام على ذلك يمكن ملاحظة ما يلي:

أولاً: صورة الله عز وجل وعنايته بالكون: إنها في الفكر الأرسطي الذي تبنته المسيحية صورة تساعد على العلمنة فالله مجرد خالق للعالم، لا علاقة له بتدبيره ورعايته. إن العالم كالساعة، ووظيفة الله أن يُشغّل هذه الساعة ثم يجلس بلا عمل [سبحانه وتعالى] وقد أكد الفلك الكوبرنيقي هذه الصورة، وأضاف إلى ذلك أن أزاح الإنسان عن المركز. وقد أفضنا في ذلك في الفصل الأول.

ثانياً: المقاصد الدنيوية اللاأخلاقية للقانون الروماني القائم على المنفعة المحضة دون نظر لأي اعتبارات دينية أو ماورائية. إن هذا القانون السائد في دولة ديانتها المسيحية أسهم في إخضاعها للتيار عندما أصبح جارفاً.

ثالثاً: الفصل في المسيحية بين ما لقيصر وما لله أعطى المبرر للعلمنة السياسية أولاً، ثم القانونية، ثم الأخلاقية.

رابعاً: عقيدة الصلب التي جعلت موت الإله ممكناً في الفكر المسيحي، فما دام الابن قد مات وهو إله، فلماذا لا يموت الأب أيضاً. ولمْ ينتظر الغرب طويلاً فقد أعلن نيتشه عن موته. سبحانه وتعالى.

خامساً: الثنائية الحادة والمتناقضة في تاريخ العلاقة بين لاهوتيين لا عقول لهم يمثلون الكنيسة، وعلماء طبيعيين لا أرواح ولا قلوب لهم يمثلون الدنيوية والمادية. ولا ننسى هنا الانفصام الشديد بين أخلاق الزهد والضعف والاستكانة التي تكرسها المسيحية، وبين الواقع الذي كان يعيشه الرهبان والبابوات من بذخ وفساد وترف، مما أفقد المسيحية الواقعية القابلة لإمكانية التطبيق.

سؤال:

لماذا يستعصي الإسلام على العلمنة ؟

إذا ما قورنت عوامل استسلام المسيحية للعلمانية بما يقابلها في الإسلام وجدنا:

أولاً: الله عز وجل – في الإسلام – ليس خالقاً عاطلاً عن العمل إنه – سبحانه وتعالى – خالق ومدبر " أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " [الأعراف: 54] بل إنه قيوم السماوات والأرض، أي إن استمرار قيام الكون بإرادته عز وجل " إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا " [فاطر: 41] وهو ما كرسه الأشاعرة في نظرية الخلق المستمر. إن الله عز وجل إذا قطع إمداده للكون بالوجود تلاشى بما فيه.

ثانياً: علاقة الدين بالدنيا قائمة على الوصل وليس الفصل، فالدنيا خادمة للدين، وهي مزرعة الآخرة، وهي دار العبور، ولا بد من التزود منها " وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " ولكن الآخرة هي المراد والمقصد " وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ... " [القصص: 77].

ثالثاً: الأخلاق في الإسلام واقعية لا تُحلِّق في المثالية، ومن شاء أن يسمو إلى المثالية فهو وذاك. إن المراد في الإسلام هو العدل، أما الإحسان فهو لمن أراد أن يتجاوز الحدود البشرية ويقترب من الملائكية، فالإسلام لا يمنعه بل يبارك له جهاده " وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ " [العنكبوت: 69]، ولن يضيع الله عز وجل عمله " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ " [البقرة: 143] وسيكافئه على ذلك " فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه " [الزلزلة: 7]. ولكن النزول عن مرتبة العدل إلى الظلم هو المرفوض.

رابعاً: ليس هناك مقابلة بين العقل والنقل في الإسلام، إن ما يقابل العقل هو الجنون، إننا نقرأ النقل بالعقل ونفهمه به، والنقل هو القائد والهادي والمرشد.

خامساً: الوضوح: فالعقائد في الإسلام واضحة لا لبس فيها ولا غموض ولا رموز ولا أسرار ولا تعقيدات، أما في المسيحية فالعقائد غير مفهومة مبنية على الغموض والرموز ولذلك يقولون لك " آمن ثم أفهم " أما في الإسلام " إفهم ثم آمن " " وَلَا تَقْفُ

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسؤولاً " [الإسراء: 36].

==============

#"المسلم العلماني" وليد غير شرعي!

"أنا مسلم علماني"، مقولة أصبحت تتردد في الآونة الأخيرة على ألسنة بعض المسلمين، سواء في البلاد الإسلامية، أو في غيرها من البلاد التي يمثل المسلمون فيها أقلية، برزت أول ما برزت خلال اللقاءات التي تعقدها القنوات الفضائية مع بعض المسلمين الذين يعرِّفون أنفسهم بهذه الصفة.

وقد أثار هذا الأمر اهتمام لجنة العقيدة والفلسفة –إحدى لجان مجمع البحوث الإسلامية المصري– ودفعها لمناقشته باعتباره قضية جديدة من نوعها تتعلق بعقيدة المسلمين.

أول من تحدث في هذا الموضوع هو الدكتور مصطفى الشكعة مقرر اللجنة، حيث صدَّر طلبه الذي رفعه إلى أعضاء اللجنة بما لوحظ في بعض القنوات الفضائية من تردد مصطلح "المسلم العلماني"، ووصف البعض نفسه به.

مرفوض عقديًّا

ولقد كان رأي لجنة العقيدة أن الإسلام دين متكامل مكتف بذاته، ولا يحتاج إلى وصف آخر يلحق به، يتردد بين حين وآخر، وعليه فإن مصطلح "المسلم العلماني" مرفوض عقديًّا.

ولكن ما هو رأي بقية العلماء في هذا الأمر؟ وهل المسلم بحاجة إلى وصف العلمانية كما يقول بعض المسلمين في الغرب؟ أم أن الأمر هو مجرد إقحام لمصطلحات من أجل زعزعة الإيمان في نفوس المسلمين، وطمس معالم الهوية الإسلامية؟!.

بداية يرى الدكتور طه جابر العلواني – رئيس مجمع فقهاء الشريعة الإسلامية بأمريكا – أنه لا بد من البحث عن جذور مقولة "المسلم العلماني" من أجل معالجة أسباب ظهورها. ويوضح أن الذين يجاهرون بمثل هذا المصطلح ويطلقونه على أنفسهم إنما يقصدون أنهم لا يؤمنون بأن الدين قد ترك للناس نظاما سياسيا، وإنما

ترك عقيدة ونظام عبادة وتنظيما للعلاقات، وذلك بقصد ترسيخ نوع من التجاهل للتنظيم الإسلامي في جانب المعاملة، مؤكدا أن مواجهة ذلك لا يكون بتكفير هؤلاء، وإنما لا بد من الحوار معهم؛ لأن معظمهم يصر على الإيمان، وهناك حديث معاذ المشهور الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة"، وبالتالي لا يمكن تكفير من يصف نفسه بالعلمانية.

ويستطرد الدكتور علواني كلامه قائلاً: "إن من يطلقون على أنفسهم المسلمين العلمانيين ينفون وجود الدولة الإسلامية على مستويات، حيث هناك من ينفي وجودها ككيان سياسي، فإذا قال أحدهم بأنه ليس في الإسلام دولة، فإنه يقصد النظام السياسي، ومثل هؤلاء بحاجة إلى حوارات داخلية معهم لكي تتبلور الأمور، لكن المؤسف أن المسلمين في حوارهم ليس لديهم القدرات المناسبة للحوار الداخلي الذي بدأه بعض الإخوة بين التيار القومي بما فيه من علمانيين، وبين التيار الإسلامي من أجل الإصلاح، مؤكدا أنه لا بد من الحوارات كي تتضح الأمور بشكل أفضل لمن يطلقون العلمانية على أنفسهم ويعتبرونها جزءًا من عقيدتهم كمسلمين، وذلك بدلاً من التكفير وإبعاد الآخر؛ لأن التكفير لا يفيد في شيء".

ويركز الدكتور طه جابر العلواني على نقطة هامة في المسألة عند مواجهة من يقولون بالعلمانية مع الإسلام، وهي أنه لا يمكن القول مباشرة إن الإسلام لا يعرف العلمانية؛ لأن الغرب يدعي الآن أنه تعلم العلمانية من فلسفة ابن رشد، ويقول: إنه أخذ يعلم الناس في جامعة قرطبة كيف يفرقون بين الدين والدولة، مشيرا إلى أن هذه الدعوة تعد قضية في غاية الأهمية لا تنتهي برفع شعارات لمواجهة أمر المسلمين العلمانيين، وإنما لا بد من اجتهادات تتابع مسيرة البشرية، وكيف سارت العلاقة بين الشرائع والنظم، مع تحديد عناصر أي مشروع فكري أو نهضوي يكون قادرا على تجنيد كل طاقات الأمة في مواجهة الأفكار والمصطلحات الحديثة التي تستهدف اقتحام العقيدة لدى المسلمين.

ويختتم الدكتور علواني كلامه قائلا: "إنه لا بد أن ننمي الحوار بين المسلمين، بحيث يشترك فيه أهل العلم، وليس أصحاب المشاريع السياسية، مع قوى التيارات الحديثة المتأثرة بالتيارات الحضارية التي اجتاحت منطقتنا، بشرط معرفة الخطوط الحمراء،

وغيرها القابل للاجتهاد، مع التركيز على وحدة الأمة لتكون قادرة على مواجهة كافة التيارات التي تجتاح أمتنا".

اعتراف غير مقبول

الدكتور مصطفى الشكعة عضو مجمع البحوث الإسلامية، وأحد المتخصصين في المذاهب والتيارات الإسلامية، يشير إلى أنه لا يمكن قبول العلمانية كجزء من عقيدة المسلم، حيث إن العلمانية ليست منسوبة للعِلم الذي يعد أساسا زيادة لإيمان المسلم كما يعتقد البعض، وإنما هي شيء آخر لا علاقة له بالإسلام، بل إنه يحارب الإسلام، مؤكدا أن البعض يقوم بمحاولات مستميتة من أجل فرض تلك العلمانية على العالم الإسلامي، وأن بعض هذه المحاولات نجحت حيث تحولت بعض الدول الإسلامية إلى العلمانية.

ويضيف: "إن العلمانية يراد من تطبيقها في الأصل محاربة الإسلام بصفة خاصة دون غيره من العقائد، وإن كانت في مجملها ضد الأديان السماوية جميعها؛ لأنها تهمش الدين وتقطع أي علاقة بينه وبين الحياة"، موضحا أنه بناءً على ذلك فإنه لا يمكن الاعتراف بوجود مسلم علماني، وخاصة أن الإسلام نظام متكامل ليس بحاجة إلى إضافات، إلا أنه في الوقت نفسه لا يمكن الحكم على من يقول من المسلمين بعلمانيته بأنه غير مسلم؛ لأنه لا يعلم بقوله بأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة.

وصف مشتبه

أما الشيخ راشد الغنوشي، المفكر الإسلامي، ورئيس حركة النهضة التونسية المقيم ببريطانيا، فإنه يرفض أيضا أن يكون المسلم علمانيا أو أن يجعل العلمانية جزءا من عقيدته، ويؤكد قائلاً: "لا ينبغي للمسلم أن يطلق على نفسه أنه مسلم علماني حتى لا يلحق لأوصافه وصفًا مشتبها حمال أوجه، وخاصة أن من مقاصد العلمانية ما هو مناقض للإسلام".

ويوضح أن العلمانية مفهوم متعدد، ولكن ما يتم التركيز عليه فيها حاليا هو أن العلمانية تعني أن الدولة لا تنصر دينًا على دين، بل تجعل كل الأديان متساوية، وهو معنى تستفيد منه الأقليات الدينية في العالم، مشيرا إلى أن السبب في ظهور مصطلح العلمانية بين بعض المسلمين راجع إلى مشكلتنا في العالم الإسلامي، حيث

إن الدولة تتدخل وتستغل الدين وتوظفه لصالحها، وتمنع غيرها من أن يقوم على خدمته.

العلمانية هي الحل

من جانبه يركز الشيخ حسان موسى رئيس المجلس السويدي للأئمة، إمام وخطيب مسجد الشيخ سلطان آل نهيان بأستكهولم، على أهمية العلمانية لوجود المسلمين في الغرب، حيث يوضح أن العلمانية نتاج فكر وممارسة وصلت إليها أوربا بعد صراع مرير مع الكنيسة، وهي في أيسر تعريفاتها تعني فصل الدين عن الدولة، وأن الكنيسة لا سلطة لها على الدولة، وأن الدولة لا تحكم لا بالإنجيل ولا بالتوراة، وإنما تحكم بمنظومة قانونية في إطار عملية ديمقراطية، وقناعات شعبية وصل إليها المجتمع من خلال الممارسة والحراك الفكري والسياسي.

ويضيف قائلا: "لما سبق فإننا كأقليات مسلمة ونظرًا لوجود آليات ديمقراطية، مع هذه العلمانية؛ لأن العلمانية في السويد ترى أنه على الأغلبية أن تراعي الخصوصية الثقافية للأقليات، كما تتضمن بعض القيم الإيجابية مثل: الحرية الشخصية وحرية التدين، والحرية السياسية، لذا أعتقد أننا كأقلية لسنا بحاجة إلى دولة دينية، بل إلى دولة ديمقراطية يحكمها حزب مسيحي. وإن كنا في دولنا العربية نقول: "الإسلام هو الحل"، بحكم أن الأغلبية للمسلمين، فإننا كأقلية نقول: "العلمانية هي الحل"؛ لأنها لو كانت بهذه المفاهيم التي أشرنا إليها، فإننا من خلالها نستطيع أن نؤكد على مبدأ أننا في مجتمع متعدد الأعراق والثقافات والأديان، يحترم فيه الجميع بعضهم: "لكم دينكم ولي دين".

ومن خلال ما سبق يتضح أن هناك شبه إجماع على رفض إلحاق المسلم نفسه بالعلمانية عقديا باعتبار العلمانية في كثير من جوانبها تخالف العقيدة الإسلامية التي لا تفصل بين حياة الإنسان وإسلامه، إلا أنه من الممكن الاستفادة من بعض جوانب العلمانية في الغرب من أجل دعم حقوق الأقليات المسلمة هناك.

صبحي مجاهد . إسلام أون لاين

============

#العلمانيون العرب و حملات التزييف

مفكرة الإسلام : على الرغم من دعاية العلمانية في العالم العربي بأنها ترفع لواء الحرية والمساواة والتقدم إلا أن ذلك يغطي على حقائق كئيبة عديدة هي واقع تلك الدعوة. ومن هذه الحقائق التي لم تحظ بكبير اهتمام هي توجه العلمانية على وجه خاص ضد الإسلام ولصالح أقليات دينية في العالم العربي بدأت تتحرك وتتنشط لتصل إلى السيطرة في وقت تتعرض فيه الأغلبيات المسلمة التي عاشت تلك الأقليات في كنفها إلى التهديد والضعف. فعندما تنادي العلمانية وبالذات في البلدان العربية الكبرى التي توجد بها أقليات غير مسلمة [ومصر هي هنا الحالة الأبرز] بفصل الدين عن الدولة وسائر نشاطات الحياة الاجتماعية والسياسية والقانونية فإنها تتجاهل حقيقة مهمة وهي أن الإسلام ليس له كنيسة أو مؤسسة دينية راسخة يستند إليها وترعاه وتحتضنه بعد إبعاده عن الحياة العامة أو على الأقل الرسمية. وعلى العكس من المسيحية مثلاً في مذهبها الكاثوليكي والأرثوذكسي بالذات [وكذلك المذهب البروتستانتي] لا توجد في الإسلام مؤسسة دينية. وما يسمى بمؤسسات دينية إسلامية يسمى على سبيل المجاز فقط لأنها في الواقع إما هيئات تعليمية دراسية [معاهد، جامعات] أو هيئات محدودة للإفتاء لكنها كلها لا سلطة فعلية لها ولا ولاية خاصة على جموع المسلمين ولا تأصيل قانوني أو دستوري لها، فضلاً عن كونها في الحالة المصرية مؤسسات ضعيفة وهي واقعة بالكامل تحت سيطرة السلطة السياسية التي تسيّرها وتسيطر عليها من خلال بعض المستويات الدنيا أو المتوسطة من الجهاز الأمني السياسي. ولا تقتصر السيطرة السياسية على تلك المؤسسات على فرض الصمت والإقصاء عليها وحصارها، بل يمتد إلى فرض مفاهيم معينة عليها في مجالات الفكر الديني والشريعة بل وحتى في بعض الثوابت الشرعية من الأحوال الشخصية إلى التعاون مع أعداء الإسلام التقليديين أصحاب التوجهات الصهيونية والصليبية العالمية.

المشكلة إذن في فصل الدين عن الدولة أو الحكم أو أي من مجالات الحياة هو أن هذه الفكرة وهي جوهر العلمانية تتجاهل أن الإسلام يختلف عن المسيحية وتتعامل مع أي دين باعتبار أن الأديان متشابهة وأنها كلها واحدة. ومن هنا فلا يشعر دعاة العلمانية بأي غرابة أو حرج في التشديد على فصل الإسلام عن الحياة لأنهم

يعاملون الإسلام كالمسيحية ويثيرون أو يعتبرون أن الإسلام لن يحدث له أي ضرر من هذا الفصل بافتراض أن هناك من يحميه ويرعاه. كما رعت الكنيسة في الغرب المسيحية وحمتها داخلها في فترات المد العلماني الذي استمر حوالي القرنين إلى العقود الأخيرة حينما أدى انتشار وترسخ الاتجاه الديمقراطي إلى عودة الكنائس ومعها الدين بقوة إلى الساحة العامة على امتداد أوروبا وبالذات في الولايات المتحدة وأجزاء كبيرة من العالم.

والذي حدث في أوروبا من ارتداد المسيحية إلى الكنيسة خلال فترات الضعف والمد العلماني لتعود مرة أخرى إلى الازدهار الاجتماعي في فترات الجذر العلماني لا يمكن أن يحدث مع الإسلام لعدم وجود مؤسسة دينية يرتد إليها في حالة الاضطهاد أو في الحالة التي نحن بصددها وهي الدعوة العلمانية إلى فصل الدين عن الدولة. والدولة التي كان الإسلام هو الذي أسسها وأقامها هي في الواقع كل ما يمتلكه الإسلام من مؤسسات فإذا انقلبت هذه الدولة على الإسلام أو تخلّت عنه فما الذي يمكن أن يحدث؟ والمطلوب من الجانب العلماني ليس فقط تخلي الدولة عن الإسلام بشكل سلبي غير مؤذ بل المطلوب الفعلي هو تحرك إيجابي ضد الإسلام بالإقصاء والحصار والتطهير على كل المستويات وليس فقط على المستوى السياسي العام كما يخادع بعض العلمانيين. إذن نحن لا نواجه في الحقيقة عملية فعل سلبي سلمي كما يتصور البعض أو كما تروّج العلمانية أحياناً، وإنما نواجه عملية مطاردة وإصرار على التعقّب لتطهير وتنقية المجال العام باتساعه من الإسلام ووصولاً إلى مستويات التعليم والحياة والأسرة والسلوكيات العامة للأفراد والمجتمع. وفي هذا الوضع سواء في جانبه السلبي [الفصل] أو الإيجابي [التعقب والاستئصال] لا توجد مؤسسة تحمي الإسلام وتقف بجواره وتحتضنه وتحميه.

وحتى لو أريد إيجاد مثل هذه المؤسسة فلن يجد أحد تأصيلاً شرعياً أو قانونياً أو تاريخياً أو اجتماعياً لها. كما لا يمكن العمل على تحويل المؤسسات المسماة حالياً بالدينية إلى مؤسسة شبه كنسية تقوم بواجب احتضان وحماية الدين بعد إبعاده عن الساحة العامة بشكل أو بآخر، فهذه المؤسسات كما قلنا ضعيفة هشة وغير قادرة بحكم وضعها وتكوينها الحالي على القيام بأي مهمة من ذلك النوع بل هي غير

قادرة أصلاً إلا على القيام بالمهمة التعليمية المدرسية العلمية التي تقوم فكرتها عليها مع إدراك أنها لم تعد الآن حتى قادرة على أداء هذه المهمة نفسها بسبب عوامل الهدم التي تعرضت لها على يد العلمانية من حصار وتحجيم وقطع للموارد البشرية والمادية، وأخيراً بسبب سياسات تجفيف ينابيع الدين والتدين المتبعة في العالم العربي على مدى ما يزيد عن الربع قرن. غير أن أخطر ما تعرضت له هذه المؤسسات والذي وجه لها ما يمكن أن نسميه بالضربة القاضية هو وضعها تحت سيطرة توجهات علمانية في نفس دوائر الدولة التي تسيطر عليها وهي دوائر لم تكتف بفرض السيطرة الأمنية التقليدية عليها بل فرضت عليها إلى حد كبير علمنة وتغريب المفاهيم الإسلامية التقليدية والأصلية والثابتة. ولهذا كله يصعب إن لم يكن يستحيل أن تقوم هذه المؤسسات بدورها التعليمي المدرسي في الحاضر، فضلاً عن أن تناط بها مهمة المؤسسة الدينية الشاملة والراسخة في الأسس الدينية مثل الكنيسة المسيحية.

الخلاصة إن فرض العلمانية بالمفهوم المطلوب الآن يصيب الإسلام في مقتل ويفرض عليه أزمة وجود وحياة أو موت بسبب مسألة المؤسسة الدينية أو عدم وجود [وعدم القدرة على إيجاد] مؤسسة تقوم بالدور الذي تقوم به الكنيسة في المسيحية. فالإسلام ببساطة دين مختلف عن المسيحية بوضعها الحالي. ففيه شريعة شاملة وهو كما يقال دائما [وهي المقولة التي تغيظ العلمانيين حقا] دين ودولة.

============

#العلمانية ودورها في تشويه العلاقة بين الدين والعلم

بقلم : د.يحيى هاشم حسن فرغل

يفترض طه حسين في كتابه " من بعيد " الذي نشر عام 1935 ونشر فيه بحثا تحت عنوان " بين العلم والدين " حتمية الخصومة بين العلم والدين ثم يقرر أن حل هذه الخصومة إنما يكون بإقامة حكومة لادينية

ذلك أنه بعد أن يستعرض أسباب هذه الخصومة في رأيه يتحدث عن السبيل لإزالة هذه الخصومة فيقول (السبيل هو إقامة حكومة لادينية تعتمد فكرة الوطنية ذلك أن فكرة الوطنية وما يتصل بها من المنافع الاقتصادية والسياسية الخالصة قامت الآن

في تكوين الدول وتدبير سياستها مقام فكرة الدين ، أو مقام هذه النظريات الفلسفية الميتافيزيقية التي كانت تقوم عليها) ثم يقول : (وإنما تقوم الحكومة الحديثة في أقطار الأرض المتحضرة الآن على أساس سياسي خالص من المنفعة الاقتصادية والمدنية لا أكثر ولا اقل ، وقد فرغ الناس من هذا وأصبحوا لا يفكرون في أن الحكومة تقوم على الدين أو لا تقوم عليه)

وإذن فإن طه حسين ورواده وأتباعه يعرضون علينا العلمانية وما يزالون منذ أكثر من سبعين عاما باعتبارها حلا لقضية العلاقة بين العلم والدين ، ضمن ما تتعرض لحله من أمور أخرى !!

ولن نتعرض في هذا المقال لما فرغنا من بيانه في مقالات أخرى من كذب هذه الدعوى في جوانب مختلفة من حيث توصيفها لعلمانية الغرب ، نشأة ومآلا او صحة قياس الحالة الإسلامية عليها ، أو صلاحيتها للتجذر في بيئة إسلامية ، أو قياس مدى النجاح الذي حققته هذه الدعوة في الغرب أو في الشرق على السواء

ولكنا نعنى هنا بالذات ببطلان دعواها في توصيف العلاقة بين العلم والدين

نذهب إلى أن نقد التيارات الفكرية المعاصرة – ومنها العلمانية – في خصومتها مع الدين تتم ضمن نظرية شاملة : ترى أن هذه التيارات تنطلق جميعا من وجهة نظر معينة في العلاقة بين الدين والعلم ، وتقدم رؤيتها من خلال معتقدات ، ... فهي دين بوجه ما .

وترتكز مقاومة هذه التيارات – في ضوء هذه النظرية على تصحيح العلاقة بين الدين والعلم ، وإبراز معتقدية الأسس التي تقوم عليها تلك التيارات ، وضرب القواعد التي تنطلق منها .

ومن هنا تبرز أهمية دراسة العلاقة بين العلم والدين .

ونحن لا نعني هنا بدراسة هذه العلاقة بسرد أدوارها التاريخية التي مرت بها في الحضارات المختلفة ، بقدر ما نعني بدراسة وضعية هذه العلاقات في نظر المفكرين المعاصرين.

وهنا يمكننا أن نصنف هذه الأنظار إلى ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : يري ضرورة "الفصل" بينهما فصلا تاما . بحيث يكون لكل منهما مجاله الخاص ، يقرر بحرية ما يشاء دون تدخل من الطرف الآخر على وجه الإطلاق . فهو فصل في الوسائل والنتائج على السواء .

يقول أميل بوترو في كتابه " العلم والدين " :" لقد ظن البعض في نهاية القرن التاسع عشر أن المشكلة بين الدين والعلم حلت بوضعهما في ثنائية حاسمة يصبح فيها كل منهما مطلقا على طريقته ، ومتميزا عن صاحبه تميز الذكاء والعاطفة ، أو تميز العقل والقلب .

واستنادا إلى هذه الثنائية لاح إمكان وجودهما معا في صدر إنسان واحد ، بحيث يقومان جنبا إلى جنب ، على أن يتفادى كل منهما بحث مبادئ الآخر ووسائله ونتائجه " .

(أ) ويبدو أن هذا الاتجاه هو ما تحاوله المسيحية المعاصرة ، إذ لا يرى المسيحي المعاصر بأسا في التناقض بين ما يقرره العلم في الجامعة ، وبين ما تقرره المسيحية في الكتاب المقدس .

فالأناجيل – على سبيل المثال – تقرر نسب المسيح على نحوين متناقضين تماما بين ما جاء في إنجيل متى وإنجيل لوقا .

والعهد القديم من الكتاب المقدس – على سبيل المثال أيضا – يقرر ظهور الليل والنهار والصباح في اليوم الأول قبل خلق الشمس والنجوم في اليوم الرابع ، وهذا ما يتعارض مع العلم .

وفيه أن الله خلق النبات في اليوم الثالث قبل أن يخلق الشمس في اليوم الرابع ، وهذا ما يتعارض مع العلم أيضا .

وفيه أن خلق العالم يرجع إلى حوالي ستة آلاف عام لا أكثر وهذا يتعارض مع العلم كذلك .

وفيه أن الطوفان عندما حدث اكتسح المعمورة كلها وأنه حدث في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد وهو عصر ظلت معه وبعده حضارات سابقة في مصر وبابل دون مساس ، وهذا يتعارض مع العلم أيضاً. أنظر "دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة " لموريس بوكاى نشر دار المعارف ص 41 إلى ص 47 ص 53

وهذه معارضات لا تحتمل التملص ، ولا تحتمل التوفيق .

وهنا كان لابد للاتجاه الديني المسيحي من أن يلجأ إلى وضع العلاقة بين العلم والدين في وضعية الفصل بينهما .

يذهب المسيحي إلى الكنيسة ليستمع في هدوء تام إلى تلك الروايات المتعارضة مع العلم ، كما يمارس عملية الاتحاد بجسد المسيح المرفوضة علميا .

ثم يخرج من الكنيسة ليقرر في الجامعة أو في المعمل أو في مركز البحوث العلمية : أمورا تتعارض تماما مع ما استمع إليه هناك .

وقد لجأ إلى هذا الحل أيضا – الفصل التام بين العلم والدين – بعض المستغربين من المسلمين الذين اعتنقوا مذاهب الحادية – وضعية ، أو وضعية منطقية أو مادية ، أو ماركسية الخ – وعندما طعنوا في السن ، أو رجعوا إلى أوطانهم وجدوا صراعا داخليا لم يصل بهم إلى حد الاعتراف بالإلحاد أمام أنفسهم ، أو أمام الناس فباركوا هذا الحل ونادوا بالفصل ، وتوزيع الاختصاص ، وقالوا : نمارس الدين في ساعة هي للوجدان ، ونمارس العلم في ساعة هي للعقل ، أو كما يقول – بعضهم – جعلوا في صدورهم بيتين ، أو غرفتين ، (أو قلبين ؟؟) غير مبالين بقوله تعالى : " ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه "

إن هؤلاء المستغربين عندما فعلوا ذلك لم يفعلوه لمعارضة بين العلم والإسلام ولكن لمعارضة بين الإسلام وما اعتنقوه من مذاهب

ومن الأغاليط الشائعة أن هؤلاء يروجون للعلم على أساس أنه هو الذي يتجاوب مع " العقل " ويغذيه بينما الدين يخص العاطفة 0 وهم في ذلك واهمون أو جاهلون بالتطور الذي صار إليه العلم : فالعلم يتصل بالمشاهدات والخبرات اليومية المباشرة ليستخرج منها مبادئ 0 أما العقل فهو يتصل بالبديهيات الجلية ليستخرج منها فلسفة 0

يقول فيليب فرانك في كتابه " فلسفة العلم " ص 33 0 (وضع مبادئ نستطيع أن نستنبط منها تطبيقات وحقائق مشهودة هو ما نسميه اليوم " علما " والعلم لا يهتم كثيرا بما إذا كانت هذه المبادئ معقولة أم لا 0 فهذا أمر لا يعنى العالِم كعالِم 0 وفى كثير من الكتب الدراسية نجد ما ينص على أنه ليس من المهم إطلاقا أن تكون

هذه المبادئ معقولة ، وتذكر هذه الكتب أن مبادئ علوم القرن العشرين كالنسبية ونظرية الكم ليست معقولة على الإطلاق ، ولكنها متناقضة فى ظاهرها ومشوشة 00 وعندما ظهرت مبادئ النسبية وميكانيكا الكم قال بعض الناس : ربما أمكن استنباط نتائج مفيدة من هذه المبادئ ، ولكن المبادئ نفسها غامضة ، بل هي في ظاهرها متناقضة 0 إنها تخدم غرضا معينا إلا أنها ليست جلية)

وما يزيد الأمر وضوحا في الانفصال الذي يزداد يوما بعد يوم بين مجال التفكير العلمي والتفكير الفلسفي أو العقلي : ما يقوله فيليب فرانك : (كثير من المصطلحات التي كانت تستخدم من قبل في لغة العلم لم يعد ممكنا أن تستخدم الآن ، لأن المبادئ العامة المعاصرة تستخدم الآن مصطلحات أكثر نأيا عن لغة الفطرة السليمة 0 فالتعبيرات من طراز " العقل " و " المادة " و " السبب " و " النتيجة " هي اليوم مجرد تعبيرات فطرة سليمة 0 وليس لها مكان في الحديث العلمي الدقيق 0

وعلينا لكي ندرك هذا التطور أن نقارن بين فيزياء القرن العشرين ، وسالفتها فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر 0

لقد استخدمت الميكانيكا النيوتونية مصطلحات مثل " الكتلة " و " القوة " و " الموضع " و " السرعة " بمعنى يبدو قريبا – إلى حد ما – من استخداماتها في الفطرة السليمة 0

وفى نظرية أينشتاين للجاذبية نجد مصطلحات مثل (إحداثيات الحدث) أو (الجهود الممتدة الكمية) وهى مصطلحات تحتاج إلى سلسلة طويلة من التفسيرات لكي ترتبط بلغة الفطرة السليمة 0

ونجد هذا الأمر أكثر صحة في مصطلحات نظرية الكم مثل (الدالة الموجبة) و (مصفوفات الموضع) 00 الخ 00

وقد تحدث أينشتاين فى محاضرة له في أكسفورد عام 1933 عن (الفجوة التي يتزايد اتساعها بين المفاهيم والقوانين الأساسية من ناحية والنتائج التي يجب أن نربطها بخبرتنا من ناحية أخرى وهى الفجوة التي تتسع باضطراد) 0

يقول هربرت دنجل : إنني عندما أؤكد على ضرورة تحرير الفلسفة العلمية من تطفل المفاهيم (المستساغة) و (مفاهيم الفطرة السليمة) فإني لا أفعل ذلك للحط من

قيمة الفطرة السليمة ، وإنما لأن الخطر الأكبر إنما يكمن اليوم في هذا التشويش).
أنظر فلسفة العلم ص 70 – 71

ولكن المستغربين عندنا عندما يستلهمون الغرب فإنهم يرجعون عادة لما هم عليه من كسل عقلي وانتهازية ثقافية يرجعون إلى معلومات قديمة مستهلكة ، فينطلقون إلى إعلان الخصومة بين الدين والعلم توهما منهم أنه – أي العلم – هو الذي يمثل العقل فوجب في تقديرهم أن تكون الخصومة بين الدين والعقل أصلا ، ومن ثم بينه وبين العلم تبعا ، وكان الحل الذي " اهتدوا " إليه في استبقاء ما يسمى " الفصل " بدلا مما يسمى " الخصومة " ، ظنا منهم أن الفصل بين أمرين يقبل المعايشة بينهما ، كما هو الحال في الفصل القائم بين العقل والقلب مع استمرار المعايشة القائمة بينهما ، وابتدع بعضهم لهذا الفصل صيغة تشبيهية مخففة أطلق عليها " الغرفتين " وقالوا : نمارس الدين في ساعة هي للوجدان ، ونمارس العلم في ساعة هي للعقل ، أو كما فعل – بعضهم – : جعلوا في صدورهم بيتين ، أو غرفتين ، إحداهما للعلم والثانية للدين دون مراجعة من إحداهما للأخرى
وإذا كان هذا الحل قد نادى به بعض المستغربين من بعض المسلمين فإن الإسلام لم يكن ليقبل هذا الحل : من ناحية لأنه هو الإسلام الشامل للعقل والقلب والجسد جميعا ، ولأنه غير مضطر لشيء من ذلك من ناحية أخرى ، لأنه كما يقول موريس بوكاي عن القرآن (إن القرآن لا يخلو فقط من متناقضات الرواية – وهى السمة البارزة في مختلف صياغات الإنجيل ، بل هو يظهر أيضا – لكل من يشرع في دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم – التوافق التام مع المعطيات العلمية). " دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة " لموريس بوكاى ص 285
ونحن لا نشير إلى هذا التوافق الذي أشار إليه بوكاي باعتباره صياغة نموذجية للعلاقة بين العلم والدين ، فلهذا كلام مقبل ، ولكن باعتباره دليلا على عدم اضطرار المسلم إلى وضعية (الفصل) .
(ب) وبعد : فهل وضعية (الفصل) هذه مقبولة علميا أو مقبولة دينيا ؟ .
وللرد على هذا السؤال نقول بالنفي ، على المستويين ، العلمي والديني .

أما العلمي فلأن البحث العلمي في شخصية الإنسان ينتهي إلى كونها وحدة متداخلة متكاملة لا تستقر بغير التمازج والتوافق بين عناصرها المختلفة .

فليس في مقدور إنسان أن ينشئ في داخله قلبين ، أو أن يعزل في صدره بين حجرتين لتكون إحداهما مخزنا لقرارات تنكرها مخزونات الحجرة الأخرى ، وكما يقول أميل بوترو عن هذه الوضعية (إن المشكلة حلت بذلك في عالم التصورات أما في عالم الواقع فليس الأمر كذلك ، إذ أين نجد في الإنسان الحد الفاصل بين العقل والقلب ؟ وأين نجد في الطبيعة الحد الفاصل بين الأجسام والأرواح ...) ؟

إنه لا مفر تحت وضعية الفصل هذه من أن تصير شخصية الإنسان إلى أحد أمرين :

إما المرض والانحلال ، وإما التوثب لغلبة أحد الجانبين للآخر ، وهذا هو سر الانفصال الذي يتغلغل في شخصية الأوربي المعاصر ، المتعرض لتيار العلم وتيار الدين ، أو هو سر الانغلاق الذي يحتمي فيه بتيار ضد تيار آخر .

وأما على المستوى الديني : فهذه الوضعية مرفوضة إسلاميا ، لأن الإسلام هو الإسلام الشامل ، هو الذي يحتوى الشخصية من جميع أقطارها ، ولا يرضى لها بغير ذلك وانظر ما كتبناه في ذلك في مقالنا السابق بعنوان " لا علمانية مع الإسلام " وهكذا ينبغي أن يكون الدين .

يتبع

لا يوجد أحد غير الملاحدة قد سخر هذا الكم الهائل من الفكر لتحويل البشر إلى حيوانات... فبعد التمعن فى ما كتبوه ومعرفة ما يريدونه للبشرية لم يبق لنا سوى انتظار المشى على اربعة !

روابط هامة :

فهرس مواضيع الرد على الملحدين والعلمانين ... فهرس قسم الحوار حول الإسلام

مجموعة من الكتب لاغنى عنها للرد على الملحدين والعلمانيين ... الدليل الجامع للرد علي الشبهات والاباطيل

أيها الموحدون .... انتبهوا إلى ألاعيب الملحدين !

الاتجاه الثاني :

الوضعية الثانية المقترحة لإرساء العلاقة بين العلم والدين : هي وضعية (التوفيق) بينهما في النتائج : وإن اختلفت الوسائل .

ومن الواضح أن هذا الشعار : شعار التوفيق إنما يرفع في ظل سيادة العلم ، فهو يعنى أن يكون المرجع في عملية التوفيق هذه إلى العلم لا إلى الدين ، ومعنى هذا أن يعاد تفسير الدين أو نصوصه أو معطياته – عندما يبدو أنها تتعارض مع العلم – لكي تتفق مع مقررات العلم التي يستقل بتقريرها بحرية كاملة ، دون وصاية من أحد .. وشرط هذا التوفيق أن يبدو النص الديني متقبلا للتفسير الجديد ، دون محاولة التخلص منه .

ويبدو أن هذا الاتجاه تمارسه المسيحية جزئيا عندما يكون هذا التوفيق ممكنا ، كما يمارسه بعض الدعاة في الإسلام وهو سهل عليهم ، لما سبق أن قررناه عن خلو القرآن من التناقض مع العلم .

ونحن نقر هذا الاتجاه في مجال الدعوة التي تستهدف الهداية ، ولا نقره في مجال تأصيل القضية : قضية صياغة العلاقة بين العلم والدين . ذلك لأنه في مجال الدعوة يباح للداعية أن يؤثر في المدعو بما يتيسر له من وسائل مقبولة ومستحبة ، إذ العبرة في الوصول إلى هداية المدعو ، وعندئذ للداعية أن يتوسل لذلك بالقدوة الشخصية ، وله أن يتوسل لذلك بنوع من السلوك المحبب ، وله أن يتوسل لذلك باعتماد المدعو لوسيلة الفلسفة أو العقل ، وله أن يتوسل لذلك باعتماد المدعو لوسيلة الوجدان ، وله أن يتوسل لذلك باعتماد المدعو لوسيلة (العلم) . الخ

إذ العبرة في النهاية بجذب المدعو إلى ساحة النجاة ، وأمن الإيمان ، بالمقياس الذي يرتاح إليه.

أما في مقياس النظر الأصولي في وضعية العلاقة بين العلم والدين ، فذلك الوضع – وضعية التوفيق – غير مقبول في مقياس الفلسفة العلمية أو في مقياس العقيدة الدينية على السواء ..

(أ) أما انه غير مقبول في باب الفلسفة العلمية فذلك :

لأن العلم لا يقر بمشروعية استفادة الدين به ، وهو يرى أن تصديقه لبعض حقائق الدين إنما يقع اتفاقا – أي مصادفة – ، أو هو على أحسن الفروض ظاهرة تفتقر إلى تفسير تجريبي مفتوح على المستقبل ، وهو على كل حال اتفاق لا قيمة له في نظر المنهج العلمي .

ومن وجهة نظر المنهج العلمي ، وكما يقول أحد فلاسفة الإلحاد المعاصرين (أرنست هيكل 1840 – 1919) : (الأديان تقوم على الوحي ، والعلم لا يعرف إلا التجربة ، ولا قيمة في نظره لأي فكرة إذا لم تكن تعبيرا مباشرا عن وقائع ، أو نتيجة لاستنباط محدود قائم على القوانين الطبيعية) .

وكما يقول أحد الفلاسفة المعاصرين (أميل بوترو) : إن العلم أصبح يكفى نفسه في نموه وتطوره ، وإن أول سمة للروح العلمية من الآن فصاعدا هي عدم التسليم بأي مبدأ للبحث ، وأي مصدر للمعرفة سوى التجربة ، فالعلم يوضع في نظر العالِم كأنه أمر أولي مطلق ، ومن العبث أن يطلب منه اتفاقه مع أي شيء ...) .

(وبالرغم من أن العلم الحديث يتسم بالتواضع ، ويعترف بنسبية المعلومات التي يتوصل إليها ولا يدعى لها الصحة المطلقة إلا أن ذلك لا يعني – في مفهوم العلم التجريبي – أنه يعترف بأن خارج الميدان الذي يتحرك فيه العلم يوجد ميدان آخر يباح لأنظمة أخرى أن تعيش فيه ، ولكنه على العكس من ذلك يعمل على أن يمنع العقل البشرى من ارتياد أي ميدان ليس في متناول العلم ، لأنه إذا كان ثمة شئ لا يمكن أن يعرفه العلم فهذا الشيء من باب أولى لا يمكن أن يعرفه أي نظام آخر) .

والعلم وفقا لإحساسه – المزيف – بالكفاية التي يختص بها نفسه فانه حين يقول : إني أعلم ، فمعنى ذلك أن الشيء الذي يعلمه موجود بالنسبة للمعرفة البشرية ، وحين يقول العلم : لا أعلم فهذا يعنى إن أحدا لن يدعي المعرفة .

وبناء على ذلك فإن العلم الحديث المتواضع العارف لحدوده ليس أكثر ملاءمة للدين من العلم الدجماطيقي – أي القطعي – ، فالدين من وجهة نظر العلم – في الحالتين – ليس إلا مجموعة تصورات تعسفية . ولا يكفى – من وجهة نظر العلم – أن نتعلل بأن ما نتمسك به مما يتجاوز حدود العلم يمكن أن يأخذ مكانته باعتباره (اعتقادا)

لأن (الاعتقاد) من وجهة النظر العلمية ليس له قيمة إلا إذا كان ثمرة ملاحظة وتجريب .

(ب) أما أن هذا الاتجاه – أعنى وضعية التوفيق على أساس العلم – غير مقبول دينيا :

فذلك لأن هذا التوفيق – وقد أشرنا إلى أنه يتم على أساس العلم – يلغى جوهرية الدين ويسقطه من منزلته .

ذلك لأن جوهر الدين يقوم في كونه متبوعا لا تابعا ، إنه كلمة الوحي ولا يمكن أن تنتظر كلمة الوحي أو تتعطل أو تتحور تبعا لكلمة العلم مهما تكن درجته من الظن أو درجته من اليقين .

والدين بغير وحي ليس دينا .

والدين بغير اتَباع ليس دينا .

وعلى هذا فإن الدين ينكر هذه الوضعية المقترحة وضعية (التوفيق) بينه وبين العلم ، وهى كما قلنا تقوم – عصريا – على سيادة كلمة العلم .

وقد يقول قائل : إن هذه التبعية ليست للعلم إلا لأنه حق ، والدين لا يتعارض مع الحق ، وهذا شبيه بما قاله ابن رشد في كتابه " فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال " في التوفيق بين الدين والفلسفة .

وهنا نحيل مرة أخرى إلى المنهج إجمالا فنقول :

منهجيا من الذي يحق له أن يعلن أنه توصل إلى (الحق) ؟

الوحي ؟ أم جهد بشرى في الفلسفة ؟ أم جهد بشرى في العلم ؟

من الواضح أن (الدين) لا يمكن أن يتنازل عن سيادته المنهجية إلا بالتنازل عن كيانه وجوهره .

كما نود فيما يأتي أن نفصل الكلام في هذه المسألة بعض التفصيل من ناحية المسائل التي يتقدم بها العلم لتوضيح بطلان المطابقة بين العلم والحق

مسائل العلم يمكن تصنيفها إلى ثلاث مجموعات : (1) النظريات كنظرية النشوء والارتقاء ، (2) والقوانين كقانون الجاذبية (3) والوصف المباشر للوقائع مثل

إحصائية لحركة المرور في شارع أو ميدان ، أو الكشف عن أطوار التكوين للجنين .

ومن الواضح أنه لا مجال لافتراض التعارض بين الدين الصحيح وبين الوصف المباشر للوقائع وذلك لسبب بسيط هو أن هذا الوصف لم يكن يوما – ولن يكون – ملكا للعلم على أي نحو من الأنحاء .

إنه مقدمة للدخول في العلم ؛ والعلم إنما يبدأ بوضع هذا الوصف في نظرية أو قانون .

يقول فيليب فرانك في كتابه فلسفة العلم :

(إن مجرد تسجيل المشاهدات لا يزودنا إلا بنقاط (راقصة) وأن العلم لا يبدأ إلا إذا استطردنا من هذه الخبرات المستساغة (خبرات الفطرة السليمة) إلى الأنماط البسيطة للوصوف التي نسميها (نظريات) انظر فلسفة العلم لفيليب فرانك ص 24 ومابعدها 0

. لنتخيل أننا أسقطنا جسما في الهواء . وليكن مثلا قصاصه ورق خفيفة (مثل ورقة السيجارة) فماذا يحدث ؟ إذا فعلنا ذلك مرات عديدة – مئات أو آلاف المرات – فسوف نلحظ أن تحرك الورقة يختلف في كل مرة عن تحركها في المرات الأخرى .

وتراكم هذه المشاهدات ليس علما .

وليست هذه هي الطريقة التي يعمل بها الفيزيائي ما لم تكن في مجال غير متقدم كثيرا حيث لا يكاد يعرف عنه أي شيء .) فلسفة العلم ص 24 – 25

ومن جهة أخرى يقول فيليب فرانك أيضا :

(من المهم أن نتذكر دائما أن العلم ليس جمعا للحقائق . فليس هناك علم يبنى بهذه الطريقة . فإذا جمعنا نصوصا تبين الأيام التي يسقط فيها الجليد على لوس أنجلوس فهذا ليس علما ، ولا يكون لدينا علم إلا إذا وضعنا مبادئ نستطيع أن نستنبط منها الأيام التي سوف يسقط فيها الجليد على لوس أنجلوس . وفوق ذلك إذا كانت المبادئ التي نضعها تبلغ من التعقيد حدا مثلما تبلغه الخبرة ذاتها فلن يكون ذلك اقتصادا ولن يكون علما بمعناه المحدد . إن عددا كبيرا من المبادئ يستوي مع مبدأ واحد شديد التعقيد ...

إذا لم يكن هناك عدد صغير من المبادئ ، وإذا لم يكن هناك تبسيط فلن يكون هناك علم

وإذا قال امرؤ إنه لا يريد معادلات ، وأن ما يريده هو مجرد الحقائق كلها ، فإنه يكون ساعيا فقط إلى الخطوة التمهيدية للعلم ، وليس إلى العلم نفسه .) فلسفة العلم لفيليب فرانك ص 66 – 67

فإذا نحن استبعدنا الحقائق المفردة من مجال بحث العلاقة بين العلم والدين ينتقل بنا الكلام عن هذه العلاقة في مجال النظريات والقوانين العلمية .

وهنا نعود لمناقشة القول بأن العلم يمثل (الحق) .. لنحيل إلى ما تقرر في الأوساط العلمية من أنه لا يقين في العلم ، وإنما ظنون وظنون ، تقدم للتجربة ، لتمتحن فيها ، لتتعدل إلى ظنون أخرى لتقدم للتجربة ، لتمتحن مرة أخرى ، وهكذا بغير نهاية ، وهذه هي نقطة الضعف في العلم ، وهى سر الاستمرار والتقدم فيه أيضا .

إن الاتجاه الوضعي المعاصر يذهب إلى اعتبار القانون العلمي اختراعا وليس كشفا .

يقول فيليب فرانك :

(يبحث العالم عن صيغة يستطيع المرء أن يستنبط منها الوقائع المشاهدة ويتطلب العثور عليها تصورا خلاقا من جانب العالم . وإذا أردنا أن نصف هذا العثور على الصيغة فإن هناك طريقتين لهذا الوصف :

فيمكننا أن نقول : إن هذه الصيغة من اختراع العالِم ، وأنه لم يكن لها وجود قبل أن يعثر عليها العالِم . إننا نقارنها باختراع مثل اختراع التليفون الذي لم يكن موجودا قبل أن يخترعه (الكسندر جراهام بل) فالفرض أو الصيغة هي نتاج للتصور البشري ، هي نتاج لقدرة العالِم على الاختراع . ويجب اختبارها بالتجربة الحسية .

والطريقة الثانية يمكن أن نقول : إن الصيغة كانت موجودة دائما ضمن الحقائق المتطورة ، وقد اكتشفها العالِم كما اكتشف كولومبس أمريكا والعالم ليس مخترعا ، إنه(يبصر) الصيغة (بفطرة الباطن) ...

فالعالم يستخدم البصيرة في اكتشاف الصيغة) .

وهنا يأتى السؤال : أى الطريقتين نختار ؟

يقول فيليب فرانك : (تتفق الطريقة الأخيرة في وصف نشاط العالِم مع تقاليد الفلسفة المدرسية (الكلاسيكية) .) .

وهذه الفلسفة كانت – كما يقول هانزريشنباخ – (تعتقد بوجود بصيرة رؤية بواسطة العقل تناظر الرؤية بواسطة العين) وهذا التماثل بين الرؤية بالعقل والرؤية بالعين هو الذي دعا الفلسفةالتقليدية إلى القول بأن البدهيات غنية عن البرهان ، أنظر فلسفة العلم ص37 0

أما الطريقة الأولى التي تصف العالِم بأنه مُخترع فهي كما يقول فيليب فرانك : (أقرب إلى خط الفلسفة الوضعية ، والفلسفة الذرائعية) .

ويقول : (يقول المحدثون من العلماء إن الفروض والصيغ من نتائج التخيل ، وإنما تختبر بالتجربة والخطأ ..) 0فلسفة العلم ص 34 ، 35

.

وسواء كان هذا أو ذاك فهي تتزحزح عن مرتبة اليقين .

إن العلماء يصرحون اليوم بأن التجربة تعزز الفرض ولا تثبته ، وانه لا يوجد ما يسمى (التجربة الحاسمة) .

يقول فيليب فرانك : (إن الفرض لا يمكن " إثباته " فالتجربة " تعزز" أحد الفروض فإذا لم يجد شخص ما حافظته في جيبه فإن ذلك يعزز الفرض بوجود لص بالمقربة ، ولكنه لا يثبت هذا الفرض ، فقد يكون هذا الشخص قد ترك حافظته في بيته ، ومن ثم فإن الحقيقة المشاهدة قد تعزز فرضا آخر بأنه نسيها . وأية مشاهدة تعزز كثيرا من الفروض . والمشكلة هي أن تحدد درجة التعزيز المطلوبة ، فالعلم يشبه قصة بوليسية . إن كل الحقائق قد تعزز فرضا معينا ، ولكن الفرض الصحيح قد يكون مختلفا اختلافا كليا . ومع ذلك يجب أن نقر بأنه ليس لدينا معيار للحقيقة في العلم غير هذا المعيار) .

ويقول بيير دوهيم : (إن التجربة الحاسمة في الفيزياء أمر مستحيل) فلسفة العلم ص 36 ، ص 55

ومن ذلك يتبين لنا أن ما يقدمه العلم من النظريات والقوانين لا يصل إلى مرتبة اليقين.

وهي – أي هذه النظريات والقوانين . ليست (الحق) الذي ترتعد أمامه الفرائص ، ويتحدى الإيمان ، أو يستولي عليه .

وعند هذه النقطة من البحث فإن العلم الخالص يلتزم الصمت ، لتتقدم " الفلسفة العلمية " لتحتل منصته في المناقشة .

ومن هنا ندخل إلى الاتجاه الثالث في تحرير العلاقة بين العلم والدين .

الاتجاه الثالث : يرى بين يديه الحالة الواقعة في المواجهة بين الدين والفلسفة العلمية – المتخفية وراء العلم – ليكون لأحدهما الكلمة العليا .

وهنا يظهر تياران :

(أ) تيار إسلامي : يجعل الكلمة العليا للدين ، وعندئذ فهو يعترف للعلم بوسائله ، ولكنه (يستخدمها) لأهدافه العليا ، ليصل منها إلى (نتائج) تتفق مع هذه الأهداف ولا تختلف معها .

وإذن فهي معركة بين (الفلسفة العلمية) والدين ، ينبغي في نظر هذا التيار أن تنتهي ، لا بالقضاء على العلم ، ولكن بإخضاعه للدين باعتباره خادما له ، أو وسيلة من وسائله .

وإنك لتجد الأمر على هذا النحو – أي صيرورة العلم خادما للعقيدة – في أشد البيئات تمسحا بشعار العلم ، ففي مقال نشرته البرافدا في عام 1949 يقول رئيس أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي س . أ . فاينلوف تحت عنوان (لينين والمسائل الفلسفية للفيزياء الحديثة) :

(إن الفيزياء السوفيتية (!!) تبنى عملها على ما اعتنق العالِم من المادية الديالكتيكية) وليس العكس ، وفى مقال آخر نشرته مجلة أسبوعية إنجليزية (ناتشر) في مايو 1950 يقول أحد أعضاء هذه الأكاديمية (إننا أعلنا مرارا ولا نزال نعلن أن العلم إنما هو علم حزبي طبقي).

ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد أن هذه الوضعية هي السائدة في الجانب المنتصر من الحضارة المعاصرة إذ يقوم العلم بدوره كخادم للعقيدة السائدة : تلك التي تقوم على

مفاهيم المتعة الحسية ، والقوة المادية ، والسيطرة على الآخر ، وهى مفاهيم ورثتها الحضارة الأوربية المعاصرة عن الحضارة الرومانية القديمة وأكدتها أنظار الفلاسفة الذين قيض لهم السيطرة على العقل الحديث

وهذا الاتجاه لا يفترق في جوهره عن الدور الذي كان يمارسه رجال اللاهوت في العصور الوسطى في أوربا ، وكما يقول الأستاذ إسماعيل مظهر في مقدمته لترجمة كتاب "بين الدين والعلم" (قامت لدى اللاهوتيين فكرة ثابتة في أن العلم لا يصح أن يبشر فيه بأقل مخالفة لما جاءت به الأسفار المقدسة والمتون) .

هكذا الأمر في جميع الحضارات والعصور : يحتل العلم مكانته تحت توجيه الدين، والفرق بين حضارة وأخرى ، وبين عصر وآخر إنما يأتي من طبيعة الإيمان الذي تعتنقه الحضارة أو يعتنقه العصر ، وإنه في ظل العقيدة الإسلامية لم يجد العلم نفسه في حالة حصار أو إحباط ، وإنما كان الأمر على العكس من ذلك ، وجد العلم نفسه – والعقل أيضا – محررا من أغلال النظم المزيفة الصادرة عن غير الله تعالى ، مالكا الأمان في رحاب النظام الإلهي ، ومن ثم كان من الطبيعي أن تأخذ النزعة العلمية في الحضارة الإسلامية أعلى مقام أخذته في التاريخ .

ولسنا نريد أن نكتب في هذا المقام كلاما مكررا عن أستاذية الحضارة الإسلامية للمنهج التجريبي الذي قامت عليه الحضارة الحديثة ، فهذا ما شهد به المؤرخون جميعا ، ولكني أكتب لأنبه إلى تحديد وضعية العلاقة بين كل منهما ، لأنه بدون هذا التحديد سندخل في متاهات محيرة ومهاو مدمرة ، لا تقل خطورة عن الظن بحتمية التعارض بينهما .

وكما أوضحنا فان هذه الوضعية لا يمكن أن تقوم على الفصل بينهما – كما هو الأمر في التاريخ القديم والحديث على السواء – كما لا يمكن أن تقوم على فكرة التكامل لأن هذا التكامل مرفوض إسلاميا ، بقدر ما هو مرفوض واقعيا .

إنه لابد من أن يقوم العلم بدوره المقدور له دائما : تابعا للدين .

وإذا كنا قد أثبتنا ذلك من الناحية التاريخية فإن إثباته من الناحية النظرية لا يقل أهمية ؛ ذلك أن العلم لا يمكنه أن يمارس دوره إلا في ظل مجموعة من القيم تقوده في الطريق ، وكما يقول الأستاذ فانيفاربوش الرئيس الفخري لمعهد ماساشوستش

للتكنولوجيا (الذي يتبع العلم اتباعا أعمى ولا يتبع إلا العلم يصل إلى سد لا يستطيع أن يتجاوزه ببصره)

ويكفى أن نضرب هنا مثلا قدمه بعض المهتمين بالقضية لحالة قد يظن أنها خالصه للعلم ، تلك هي إذا ما أردت من أحد العلماء أن يصمم لك طائرة ، إن الأمر في هذه الحالة لا يمكن الخطو إليه خطوة واحدة إلا في ظل مجموعة من القيم ، وذلك أنه لو استعمل العالم – مثلا – مادة ثقيلة أكثر مما يجب لكان مخطئا ، لما يؤدى إليه ذلك من عجز الطائرة عن التحليق ، لكننا في هذه الحالة نكون قد استنجدنا بحكم قيمي ، يوضح لنا أهمية (التحليق) ، وكذلك الأمر في تعلقه بجوانب أخرى من هذه العملية حيث نستند إلى مجموعة من القيم الأخرى التي توضح الغاية المرجوة من صنع الطائرة ، وقد تتضارب الغايات التي يهدف المرء إليها فيحاول صنع طائرة صالحة للعمل بأدنى تكلفة ممكنة ، أو طائرة تستطيع التحليق إلى أعلى ارتفاع ممكن ، أو قد تكون الغاية هي السرعة القصوى ، أو المتانة القصوى ، أو السلامة القصوى ، ومن المحتمل أن تكون الأهداف المتباينة مما لا يمكن تحقيقه إلا بوسائل متباينة ، لذلك فسلوك العالِم يتوقف في النهاية على تقرير الهدف الذي نقدمه له وتقرير هذا الهدف يتوقف على تقرير القيمة التي نعتنقها .

وكما يقول أحد فلاسفة العلم : إنك إذا سألت عالِما عن الطريق الواجب عليك أن تسلكه لكان جوابه الوحيد الذي يمكنه الإدلاء به هو (هذا يتوقف إلى حد بعيد على المكان الذي تقصده) .

وإذا كان ذلك يبين لنا أنه لابد من أن يعمل العلم في ظل مجموعة من القيم السائدة ، فإنه ينبغي أن يكون من الواضح أننا إن لم نبادر إلى تنمية هذه القيم وتصحيحها بوصاية العقيدة والإيمان ، فإن العلم يصبح أداة طيعة للقيم المنهارة المدمرة .

وتتضح خطورة هذه القضية أكثر ما تتضح في ظل التقدم الهائل الذي أحرزه العلم الحديث . ولقد كان الفيلسوف الفرنسي المعاصر هنري برجسون على حق حينما قال (يتطلب جسدنا المتوسع – بفعل التقدم العلمي الحديث – زيادة في الروح ..)

وكما يقول العالم الفيزيائي المعاصر الشهير لويس دي برولي (على قدر ما تتزايد الوسائل التي أودعها العلم والتقدم الصناعي تحت أيدينا للعمل وبالتالي للتدمير فإن

الخراب الذي نستطيعه يصبح مداه أعظم اتساعا ، والجراح التي تتولد عن ذلك لا تشفى سريعا) .

ويكفى أن نشير هنا إلى إمكانية واحدة رهيبة يشير إليها العالم الشهير ؛ تلك هي أنه منذ أكثر من نصف قرن يستخدم الفوضويون القنابل على نطاق واسع ويلقونها على الناس في الأماكن العامة ، أما الآن فان العصابات الدولية أصبحت قريبة من تصنيع القنبلة الذرية :

(فكيف يكون الأمر لو نجح الفوضويون الجدد في استخدامها في تهديد مدن بأسرها ..).

هنا نمسك بتلابيب المأساة وجوهرها الحقيقي . (إن كل زيادة في قوة التأثير – يقدمها العلم – تزيد حتما القدرة على الإضرار وكما زادت قدرتنا على الغوث والإعانة زادت قدرتنا على الإساءة ونشر الدمار) .

هنا يصبح لمشكلة القيم مغزى أعظم مما كان لها في أي عصر من العصور .

بل إن خطر هذه المشكلة – مشكلة – القيم – يعود ليؤثر في الوضع الذي يحتله العلم نفسه ، وليتقاضاه ثمن ما قدمه من مساعدة للقيم المنهارة .

ويكفى أن نشير هنا إلى نقطة تغيب عن كثير من الناس ، تلك هي أنه إذا كان العلم الحديث قد ازدهر في ظل قيمة (الحرية) فإنه في الآونة الأخيرة – وبفضل ما أحرزه من تقدم رهيب – أصبح من الضروري أن يدخل شيئا فشيئا إلى قبضة السلطة الحاكمة ، إذ أين هي السلطة التي تجد أن بإمكانها أن تبتعد عما يحدث في معسكر العلم مع ما يمثله ذلك من تهديد خطير لأهداف المجتمع ، إن الدولة هنا لا تجد مناصا من أن تعنى بالبحث العلمي أكثر من ذي قبل ، بل تجد نفسها مضطرة إلى السيطرة على أسرار معينة ، ومضطرة أيضا إلى أن تخضع النشاط العلمي للتنظيم والتفتيش اللذين لم يتعود عليهما .

وكما يقول لويس دي برولي عالم الفيزياء الذي سبق أن ذكرناه : (إنه حتى في الولايات المتحدة لم يعد العلماء الذين يعرفون أسرار الذرة يملكون حرية الحركة ..)

وهنا يتعرض العلم الحديث لدور تاريخي مناقض للدور الذي انتعش في ظله ، وتعود مشكلة القيم لتؤكد دورها الرئيسي في قيادة العلم .

وإذا كنا قد توصلنا إلى هذه النتيجة وهى قيادة القيم للعلم ، فإنه من الواضح أن نسلم بقيادة العقيدة له ، لأن القيم لا تستقى إلا من العقيدة ، ولا تقوم إلا عليها . وهنا نود أن نعلن أن الإسلام وحده هو الذي يقدم مجموعة القيم التي تضع العلم في مناخ يسمح له بالنمو إلى حيث يشاء ، وتقوده في نفس الوقت في طريق التقدم (بالإنسان) .

ويكفى أن نشير هنا إلى حقيقة ، تلك هي : أن من يوكل إليه صياغة هذه القيم ينبغي أن يحيط علما بكل شئ ، إنه إذا كان الإنسان جزءا من هذا الكون ، يؤثر فيه ويتأثر به فإنه من المقرر أنه لا يمكن أن تعرف الجزء معرفة دقيقة حتى تعرف الكل الذي ينتمي إليه .

وكما يقول الأستاذ مونتاجيو أحد علماء الأنثروبولوجيا المرموقين وهو بصدد الدعوة لاستخدام العلم في تحسين حاضر البشر ومستقبلهم (إن التعليم الضئيل شئ خطر، وإنه لمن الضروري والحالة هذه التزام أعظم جانب من الحذر عند بحث جميع المشكلات أو التوصيات التي تهدف إلى التحكم لا في حياة الأحياء فحسب ، بل أيضا في حياة الذين لم يولدوا بعد) .

ومن هنا فإننا نقول : إن الكلمة في هذا المقام لمن يحيط علما بالكون ، إنها ليست للعلم أو الفلسفة أو الإنسان ، وإنما هي للوحي الذي يعبر عمن يحيط علما بكل شئ .

(وكان الله بكل شئ محيطا) 126 النساء .

(إن الله قد أحاط بكل شئ علما) 12 الطلاق .

(ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) 255 البقرة .

(وخلق كل شئ فقدره تقديرا) 2 الفرقان .

(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) 4 الملك .

إن الله سبحانه وتعلى هو وحده صاحب الكلمة لأنه وهو صانع الإنسان يصبح من ثم – ونزولا على منطق التكنولوجيا أيضا – ليس لأحد غيره باعتباره الصانع أن يرسم لك طريقة بناء المصنوع أو تشغيله .

وأنت إذا تجاوزت الصانع في تشغيل المصنوع ، انتهيت إلى تدمير المصنوع ، هذه بديهية مستقاة من منطق العلم ومن عالم الصناعة معا ، ومن هنا فإننا إذا كنا بصدد صياغة القيم التي تقود العلم في طريق الإنسان كان لا مفر لنا من الالتجاء إلى صانع الإنسان ، ويصبح الأمر من ثم لا مجال فيه للدعوة إلى علمنة القيم ، وإنما ينقلب الوضع لتعود الرأس إلى مكانها الطبيعي ، وليصبح العلم هو الرجلين اللتين تخطوان بالإنسان وفقا للتوجيه الصادر من الدين.

والنتيجة النهائية لما كتبناه هي أنه يلزم في الوقت الراهن أن نهتم بوضعية العلاقة بين العلم والدين ، وأنه لا مفر واقعيا ونظريا من أن يحتل العلم مكانته في هذه الوضعية : تابعا مطيعا للدين .

وهذا هو التعبير الصحيح عن التيار الإسلامي في وضعية المواجهة بين العلم والدين ، تنتهي فيه هذه المواجهة إلى تسليم العلم قياده للدين .

(ب) وهناك تيار علماني إلحادي يجعل الكلمة العليا للعلم ؛ وعندئذ فهو ينكر على الدين نتائجه ووسائله على السواء ، ويحاول أن يقتلعه من جذوره . كما كان يتصور طه حسين يف كتابه الذي اقتطفنا منه في أول المقال

وإذن فهي معركة بين العلم والدين ، ينبغي في نظر هؤلاء أن تنتهي بالقضاء على الدين .

وينطلق (الإلحاد العلمي) هنا من قواعد تنتمي إلى (الفلسفة العلمية ولا تنتمي إلى العلم ذاته) لأن العلم في أبوابه الأصلية : " النظريات والقوانين " يعلن أنه يقوم على الظن لا على اليقين0.

والفكر الإسلامي لا ينبغي له أن يهاب هذا الموقف ، فهو مفروض عليه سواء أراد أو لم يرد . إنه لم يعد كافيا في الدفاع عن الدين ضد الإلحاد المستند إلى العلم (كذبا) أن نقتصر على بيان اختلاف المجال في كل من الدين والعلم من ناحية ، أو بيان التوافق بينهما من ناحية أخرى ، فهذا الموقف يدخل السرور على عتاة الإلحاد العلمي لأنهم يدركون قصوره ، إنما الموقف الذي ينبغي أن نقتحمه :

هو موقف الحسم ، على المستوى النظري على الأقل ، والحسم هنا أمر مطلوب لمنع التداعيات الفاسدة التي يمكن أن تترتب عادة على الميوعة السائدة في هذا

المجال ، وهو حسم واجب وجوب الحسم الذي نراه في قضية موازية : العلاقة بين الدين والسياسة ، إن اللبس والدعايات المأجورة تنفث سمومها من حيث ترك الإجابة على السؤال الآتي : أيهما يخدم الآخر

الدين يخدم العلم ؟

الدين يخدم السياسة ؟

هنا نقطة الانحراف ، هنا يسمع فحيح الأفعى ، وكلاهما من جحر العلمانية

يجب أن نحسم الأمر :

السياسة هي التي تخدم الدين

العلم هو الذي يخدم الدين

والدين – وبالتحديد الدين الإسلامي – لا مكان فيه ألبتة لما يسمى " رجل الدين " أو " المؤسسة الدينية ."

وقد استدللنا على ذلك

هنا يجب أن ننتقل من الدفاع إلى الهجوم ، والهجوم هنا ينبغي أن يتجه إلى ضرب القواعد التي يستند إليها الإلحاد المعاصر (العلمي) في محاربته للدين :

وهذه القواعد في تقديري ثلاثة :

القاعدة الأولى :

الزعم بإنكار كل الغيبيات التي لا يمكن إخضاعها للملاحظة والتجربة .

القاعدة الثانية :

الزعم بأن حتمية القوانين الطبيعية من ناحية وقوانين التطور التقدمي من ناحية أخرى يمكن الاستغناء بهما عن افتراض وجود الله وعلمه وإرادته كتفسير لوجود العالم وحركته وتغيره .

القاعدة الثالثة :

ادعاء كفاية المنهج العلمي في المعرفة من ناحية ، والقيم من ناحية أخرى ، والاستغناء به عن المناهج المعرفية الأخرى التي تقوم بها الفلسفة الميتافيزيقية أو الدين . وهنا نجد المجال مفتوحا أمام الباحثين لضرب هذه القواعد .

وبهذا يتم في تقديرنا قتل حشرات العلمانية التي خربت طويلا في ثقافة العصر ، ودمرت إمكانية التقدم في بلادنا الإسلامية والعربية منذ أكثر من قرن .

ولهذا بحث منجز ، نرجو أن نقدمه مستقبلا

و الله أعلم

أد : يحيى هاشم حسن فرغل

============

#العلمانية بين تسييس الكفر وتكفير السياسة

بقلم : د.يحيى هاشم حسن فرغل

لماذا يتخندق المسلمون في مركز الدفاع ضد اتهام العلمانيين لهم بتكفير الآخر عن طريق تديين السياسة وتسييس الدين ؟ بينما هم – أي العلمانيين – يرتكبون خطيئة تكفير السياسة وتسييس الكفر ؟

أليس اعتراضهم على تسييس الدين يعني تسييس الكفر

وأليس اعتراضهم على تديين السياسة يعني تكفيرالسياسة ؟

وأليس هذا معنى قولهم : لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة ولكن بصورة أدق ؟

و " من فمك أدينك " كما جاء في الكتاب المقدس ؟

وإذا كان من حقهم أن يقولوا :" لا دين في السياسة " " تطهيرا للدين " باعتبار فهمهم الماكيافيلي لأبعاد السياسة المشبوهة ودخائلها الدنيئة .. أفلا يسلبون عن أنفسهم الحق في أن يقولوا " لا سياسة في الدين " " ارتفاعا به فوق شئون الدنيا " باعتبار جهلهم العميق بأركان الدين وشموله لأبعاد الحياة الدنيا ودخائل الإنسان ؟

وإذا كانوا في مقياس الحقيقة مخطئين في معنى السياسة فليس بالضرورة إن تكون السياسة مكيافيلية أفلا يكونون من باب أولى مخطئين في فهمهم لمعنى "الدين " فليس بالضرورة أن يكون الدين انسحابيا ؟

وإذا كان شيخ الأزهر قد روج للعلمانية ضمنا في موقفه من فرنسا وهي تمنع الحجاب ، ثم في ترويجه لمصطلح (فحيثما تكون المصلحة يكون حكمها – أي الشريعة – وحيثما تنتفي المصلحة ينتفي حكمها...) كما شرحنا في المقال السابق ..

فإن بعض شيوخ الأوقاف قد أجازها صراحة بمنطق أنها بكسر العين تعني العلم ، وبفتحها تعني العالم وكلاهما مقبول إسلاميا !! (في حديث بتليفزيون القاهرة بتاريخ 3\3 \ 2004)

وشيخ الأوقاف أشبه في هذا بزعيم فيلسوف (!) يُسأل عن الديموقراطية فيقول هي الحكم من فوق " الكراسي " ! أو هو أشبه ببابا الفاتيكان لو أنه افتراضا سئل عن الإسلام فقال إنه مقبول في نظر الكنيسة لأنه يعني السلام !!

وبابا الكنيسة لا يمكن أن يفعل ذلك لأنه يدرك ما لم يدركه شيخ الأوقاف أو الزعيم الفيلسوف من أن الكلام عن المصطلحات إنما يرجع فيه إلى واضعيها ، ولو أردنا عربيا أن ننسب إلى العلم لقلنا علمية ، ولو أردنا أن ننسب إلى العالم لقلنا عالمية ، أما أن تنطق علمانية فخطؤها عربيا يعني أن نرجع إلى الذين نحتوها لنعرف منهم ماذا يريدون ؟

إن لفظة العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية، أو (Secularite) بالفرنسية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ "العلم" ومشتقاته على الإطلاق. فالعلم في الإنجليزية والفرنسية معناه (Science) والمذهب العلمي (Scientism) والنسبة إلى العلم هي (Scientific) أو (Scientifique) في الفرنسية.

والترجمة الصحيحة لمفهوم العلمانية هي (اللادينية) أو (الدنيوية).

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة (Secularism) : (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيهم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها).

أما معجم أكسفورد فيشرح الكلمة بمعني : " دنيوي ، أو مادي، ليس دينيا ولا روحيا: مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة. وبمعنى ألا يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية"

وفي "المعجم الدولي الثالث الجديد" جاء شرح مادة: (Secularism) على أنها: "اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات

الدينية يجب ألا تتدخل في الحكومة، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادا مقصوداً، فهي تعنى "السياسة اللادينية البحتة في الحكومة "

وبالرجوع إلى معجم ويبستر فإن (العلماني : يعني " الدنيوي أو اللاديني والأشياء الدنيوية المتمايزة عن الأشياء الروحية . والعلمانية : رؤية للحياة أو أي أمر محدد يعتمد أساسا على استبعاد الدين وكل الاعتبارات الدينية وتجاهلها ، ومن ثم فهي نظام أخلاقي اجتماعي يعتمد على أن المستويات والسلوكيات الاجتماعية يجب أن تحدد من خلال الرجوع إلى الحياة المعاشة والرفاهية الاجتماعية دون الرجوع إلى الدين)

هذا وإن كان بعض الكتاب يحاولون فض الاشتباك بين الإسلام والعلمانية حيث يرجعون إلى تعريف معجم لاروس الفرنسي للعلمانية بأنها " فصل الكنيسة عن الدولة"séparation de l’Eglise et de l’Etat قائلين : إنه أدق تعريف لها وإذن فشأنها متصل بالكنيسة ولا شأن لها بالإسلام : (لأنه – أي هذا التعريف – يضعها في سياقها الثقافي والاجتماعي، ويكشف عن حدودها الزمانية والمكانية، على خلاف التعريف المبهم الذي يستخدمه أنصاف المثقفين !! في الوطن العربي، حين يجردون العلمانية من سياقها التاريخي ويسبغونها بصبغة عالمية، فيعرفونها بأنها "فصل الدين عن الدولة".) إذا كان ذلك كذلك فإن التطبيق الواقعي لها في منبتها وتسويقها في بلادنا الإسلامية آل إلى وضع كلمة " الدين " موضع كلمة " الكنيسة" وحيث لا كنيسة للإسلام اخذوا يطالبون بإبعاد " الدين " عن الدولة في مختلف ممارساتها الخاصة بتنظيم شئون الحياة في السياسة والتربية والإعلام والثقافة والفن والعلم على السواء ، واسألوا أوربا وفي المقدمة منها فرنسا لماذا تمنع الحجاب ؟

وهذا ما بدأ تطبيقه بتوسع مندفع منذ ما يقرب من قرن ، في بعض البلاد الإسلامية مثل تركيا ، وببطء محسوب في بلاد أخرى مثل مصر

في تركيا التي نعرف ما حدث فيها للخلافة العثمانية التي تآمر الغرب على إسقاطها في بداية القرن العشرين بعد أن ظلت أكثر من أربعة قرون القلعة الشامخة التي تحمي المسلمين وتذود عنهم كلاب أوربا المسعورة وتبث الرعب في رجالها البغاة وتصل إلى مخادعهم لتملأها بكوابيس الذل والهوان

صحيح أن هذه الامبراطورية الإسلامية كانت قد شاخت وسرت في جسمها أمراض الحضارات الكبيرة وأنها كانت في حاجة إلى دم جديد أو إلى مركز إشعاع إسلامي جديد لكن غير الصحيح هو ما تولى كبره الغرب في تآمره على توزيع ميراث هذا الرجل المريض ودفن دولة الإسلام الكبرى إلى الأبد باسم العلمانية وبأيدي العلمانيين الخونة من زعماء تركيا

ومن المضحك المبكي أن الزعيم التركي الذي تولى إنفاذ المؤامرة الذي أعطي لاحقا لقب " أتاتورك " أو " أبوالأتراك " قدم نفسه في البداية باعتباره منقذا للخلافة وللأمة الإسلامية ، وفي بيان أصدره بمناسبة افتتاح مجلس الأمة التركي عام 1920 قال : (إن افتتاح المجلس في يوم الجمعة هو من أجل الاستفادة من بركة هذا اليوم !! وباشتراك جميع النواب في صلاة الجمعة بجامع " حاجي بيرام " سيؤخذ الفيض من نور القرآن والصلوات على الرسول ..سنبدأ من الآن في جميع أرجاء الوطن المقدس والجريح بقراءة القرآن والبخاري الشريف ، وستتلى الأسماء السلطانية من فوق المنابر في يوم الجمعة بعد الأذان ، وعندما تتلى الأسماء السلطانية لمولانا وسلطاننا وخليفتنا فستتلى الأدعية من أجل خلاص حضرته السامية ومن أجل خلاص بلده وخلاص رعيته وتحقيق السعادة لهم في أقرب وقت) !!

ولكنه بعد عامين فقط من هذا الكلام في عام 1922 أعلن أن تجربته أثبتت إمكانية الفصل بين السلطنة والخلافة ، وأن مجلس الأمة التركي يستطيع أن يمثل الحاكمية والسلطنة وبذلك تعود السلطنة إلى الأمة !!

وكانت هذه هي الخطوة التمهيدية لإلغاء الخلافة بعد ذلك في شهر مارس من عام 1924 بالقوانين الثلاثة الشهيرة التي حملت أرقام 429 – 430 – 431 وينص أولها على إلغاء الخلافة وطرد الخليفة هو وأسرته من البلاد ، وينص الثاني على إلغاء وزارة الأوقاف وينص الثالث على أن تلحق المؤسسات العلمية والدينية بوزارة المعارف

وتتابعت الخطوات بعد ذلك إلى حد الاعتداء على الإسلام نفسه

ففي مذكرات علي كيليج أحد رجال أتاتورك أن قضية العلمانية أثيرت في اجتماعات مجلس الأمة في حضور مصطفى كمال فقام أحد العلماء من أعضاء المجلس وقال

: " الكل يتحدث عن العلمانية ولكني لا أستطيع فهم معناها على وجه التحديد " عندئذ قاطعه مصطفى كمال بحدة وقال " إنها تعني أن نكون آدميين يا شيخنا آدميين " تماما كما يسخر أي علماني اليوم بمخاطبة رجل الدين قائلا بنبرة استخفاف " ... ياَمولانا "

وبينما كانت الدعوة إلى العلمانية تشتد فإن الحملة على الشريعة كانت تمضي معها في خط مواز – على حد تعبير الأستاذ فهمي هويدي – وكان مصطفى كمال هو الذي قاد تلك الحملة حيث بدأها بأن قال غامزا : (إن الدين المتعلق بالضمير شيء والشريعة التي تريد أن يتجمد المجتمع وأمور الدنيا عند القرن السابع الميلادي (!!) شيء آخر) . لاحظ أن العبارة تتردد بنصها الآن في أوساط العلمانيين . وأفضل منها ما تقوله أي راقصة محترفة (أنا قلبي عمران بربنا) !!

ومما قال أيضا : (إن التشريع والقضاء في أمة عصرية يجب أن يكونا مطابقين لأحوال الزمان والمكان) لاحظ أن العبارة تتردد بنصها الآن في أوساط بعض المفتين

أما وزير العدل في حكومته محمود أسعد فقد هاجم الشريعة ووصفها بأنها قانون الصحراء – قارن هذا بمقالات أحمد عبد المعطي حجازي عن الموازنة بين الحضارة الزراعية بمصر وثقافة الصحراء التي يحملها (المتشددون) في الإسلام : الأهرام 1988\5\18

وقال أتاتورك أيضا وهو في سياق الزحف نحو إلغاء الشريعة في بلد الخلافة الإسلامية : (إن الشعب التركي جدير بأن يفكر بنفسه دون أن يتقيد بما فكر فيه غيره من قبله ، لقد كانت كل مادة من مواد كتبنا القضائية تبدأ بكلمة قال " المقدسة " أما الآن فلا يهمنا أصلا ماذا قالوا في الماضي ، بل يهمنا أن نفكر نحن ، وأن نقول نحن ، وقد شاعت في أنقرة عبارة تقول " لا نريد شرعا فيه قال وقالوا ، لكنا نريد شرعا فيه قلنا ونقول . !)

ومن المقصود بـ " قال المقدسة تلك " ؟

فإذا كانت الشريعة تحتوي " قال الله ، وقال الرسول ، وقال الشيخ فلان ؟ فأيها المقصود ؟

وهكذا تم إفراز القانون المدني الجديد الذي جاء ترجمة للقانون المدني السويسري ، البديل الذي حل محل الشريعة الإسلامية ، وقد اعتبره أتاتورك تحقيقا للنصر النهائي في سبيل المدنية في عصر تأسيس الجمهورية

وقد واجهت الكماليين في القانون السويسري مشكلات : منها أنه يحرم زواج الإخوة من الرضاعة استنادا إلى اجتهادات الكنيسة الفرنسية ، فعرضوا الأمر على أتاتورك الذي أغضبه هذا التماثل مع الشريعة الإسلامية ، مما دفع ناقلي القانون إلى إلغاء هذا الحظر والسماح للتركي بأن يتزوج أخته من الرضاع إمعانا في رفض الشريعة الإسلامية !!

في هذا الصدد يعلق الكاتب الفرنسي موريس برنو قائلا (إن الكماليين عندما استبعدوا الشريعة وظنوا أنهم تخلصوا من عبء كلمات مثل قال وقالوا فإنهم لم يفعلوا أكثر من استعارة القانون المدني السويسري لتطبيقه ، غير مدركين أنه ينبع من مصدرين : أحدهما روماني والآخر مسيحي ، أي انهم استعانوا بقانون له مصادره الأقدم عهدا من الفقه الإسلامي) !!

فانظر كيد القدر بمن يكيدون لشريعة الله .

لم يقف جهد أتاتورك وجماعته عند هذا الحد – على حد تعبير الأستاذ فهمي هويدي – ولكن الأمر تجاوز تعطيل الشريعة إلى دوائر أخرى : حولت الخلافة إلى دائرة صغيرة تابعة إلى وزارة الداخلية ، وأغلقت كل مدارس التعليم الديني ، وكل التكايا والزوايا والأضرحة ، ومقار الطرق الصوفية ، وألغيت أعياد الفطر والأضحى لعدة سنوات ، ومنع أداء فريضة الحج ، ومنع الأذان باللغة العربية ، واستمر هذا االمنع حتى عام 1950 أي بعد وفاة أتاتورك

وطرحت فكرة ترجمة القرآن بالتركية لتكون الصلاة بها ولكن لم يكتب لهذا الاقتراح أن ينفذ وألغيت عطلة الجمعة أيضا ، واستبدل بها الأحد

ومنع الحجاب ومنع تعدد الزوجات وأبيح زواج المسلمة بغير المسلم

وصدر قانون يمنع ارتداء الطربوش و استبدال القبعة به التي كان الناس يعتبرونها لباس أهل الكفر لأن حافة القبعة تحول دون السجود في الصلاة

وتقرر إلغاء الحرف العربي واستبدل به الحروف اللاتينية

وصار ذكر الشريعة من المحظورات التي يعاقب عليها القانون بالسجن 12 عاما وكان المتحدثون يتحايلون على ذلك بالإشارة إليها باسم "الحق " أو وجدان الأمة !! " مللي شعور "

وكانت الذروة للالتحاق بالغرب أن طلب أتاتورك وهو على فراش المرض قبل وفاته من السفير البريطاني في أنقرة أن يخلفه في حكم تركيا ؟ ! طبقا لما أعلنته صحيفة الصنداي تايمز بعددها بتاريخ 14\2\1968 نقلا عن ابن السفير البريطاني الأسبق السير بيرسون ديكسون . المصدر مقال الأستاذ فهمي هويدي بجريدة الأهرام ، وكتاب " الصنم " لضابط تركي ترجم إلى العربية في السبعينات وطبع في بيروت والكويت ، وكتاب " النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة " لشيخ الإسلام في عهد السلطان عبد الحميد الشيخ مصطفى صبري طبع القاهرة عام 1950 و 1985

هذا هو أتاتورك الذي جرى ترويج زعامته بمصر دعما للاتجاهات العلمانية بها ، والذي مدحه الغرب على نحو ما تقول فيه الكاتبة الإنجليزية جراس إليسون في كتابها " تركيا اليوم " (إن القدر قد ارتفع به إلى أعلى ذروة في بلاده ، ولكنك لا تلمح عليه أنه صاحب مطامع شخصية أو خاضع لأية رغبة في المال أو الأسرة أو الأسرة ، ولو تسنى بقاء السلطان لبقي على عرشه فقد رجاه مرة أن يتقدم بنفسه ليتسلم أزمة الأمور ، ولما ألقى إليه الشعب الشاكر مقاليد السلطنة والخلافة رفضها بتاتا على إخلاص الشعب وجده في اقتراحه) أليس تعليقا مضحكا هو من شر البلية ؟ وهل غاب عن الكاتبة الموقرة أن الرجل إنما جاء لهدم السلطنة والخلافة أصلا ؟

ويقول فيه عباس محمود العقاد وهو بصدد الطعن في النظم الدكتاتورية والترويج للديموقراطية (ومصطفى كمال بعد : عالم في فنه ، مطلع واسع الاطلاع على سير القادة والعظماء خطيب فصيح ، وكاتب أديب ، وسائس موفق السياسة ، ومصلح بصير بدخائل النفوس ومواقع الإصلاح ، ورجل اجتماع مستظرف الكياسة ، وإنسان تشرف به الإنسانية ، ويعد في الذروة العليا بين الرجال العاملين . إلى مثل هذه الزعامة تحتاج الأمم . لأن الأمم لا تطلب الزعماء إلا لينهضوا بها فوق ضعف

الحرص والضرورة ، وفوق كل الشهوات الباطلة والعروض الزائلة) ياسلام !! أنظر كتاب " الحكم المطلق " لعباس محمود العقاد مطبعة البلاغ ص 43 – 44

هكذا تضلل الشعوب

وهكذا تتسلل العلمانية في سياق هذا التضليل

وهكذا سقطت تركيا معقل الخلافة العثمانية والدولة الإسلامية في حظيرة العلمانية ، وانفرط عقد الشعوب الإسلامية المعقودة حباتها بها وتداعت الأكلة الناقمة المنهومة إلى قصعتها الثرية .

وهكذا تتم المؤامرات التاريخية فاضحة لذيولها من المتسترين عليها تحت غطاء الاستخفاف بما يسمونه ساخرين " نظرية المؤامرة "

وإلى هذا التضليل الذي لم يقابل من الشعوب بوعي مناسب ولم يقاوم بجدية كافية .. ينتسب تاريخ اضمحلال المسلمين – جزاء وفاقا – في القرن العشرين والذي بعده : بدءا من دم الخليفة مرورا بدم التركي والمصري والمغربي والبلقاني والشامي والفلسطيني والعراقي وصولا إلى دماء الشهداء المخلصين القادمين من بعد

هذا ما بدأ تطبيقه بتوسع مندفع منذ ما يقرب من قرن ، في تركيا ، وكان قد بدأ من قبل ولكن ببطء محسوب في مصرما يزال يجر ذيوله حتى اليوم

دخلت بوادر العلمانية مصر – كما يقول الدكتور السيد أحمد فرج– (مع الحملة الفرنسية ومن يومها عششت في أرضها ولم تخرج أبدا ، تثيرها أحداث فتظهر في ميادان الفكر الديني والسياسي ، وتحجبها أحداث فتختفي إلى حين تظهرها أحداث أخرى وهكذا ، وقد يختلف الشكل الذي تظهر به في كل مرة ولكن الغاية واحدة دائما ") جذور العلمانية ط 3 ص3

ووصف أرنولد توينبي محمد علي بأنه كنابليون " علماني أراد أن يقيم دولة علمانية " جذور ص 11

وينسب الشيخ محمد عبده إلى محمد علي مواقف اشتباه بالعلمنة لا تحسب للدين على الأقل فيقول إنه (أطلع نجم العلم في البلاد ، ولكنه لم يفكر في بناء التربية على قاعدة من الدين والأدب .. أو وضع حكومة منظمة يقام بها الشرع ويستقر العدل)

ثم يقول : (وقد لا يستحيي بعض الأحداث من أن يقول : إن محمد علي جعل من جدران سلطانه بنية من الدين .. فليقل لنا أحد من الناس : أي عمل من أعماله ظهرت فيه رائحة للدين الإسلامي .. إلا مسألة الوهابية ، وأهل الدين يعلمون أن الإغارة فيها كانت على الدين لا للدين

نعم أخذ ما كان للمساجد من الرزق ، وأبدله بشيء من النقد يسمى فائض روزنامة لا يساوي جزءا من الألف من إيرادها ، وأخذ من أوقاف الجامع الأزهر ما لو بقي له اليوم لكانت غلته لا تقل عن مليون جنيه في السنة ، { } وقرر له ما يساوي أربعة آلاف جنيه في السنة ، وقصارى أمره في الدين أنه كان يستميل بعض العلماء بالخلع ، أو إجلاسهم على الموائد .. أما أفاضل العلماء فقد كانوا عليه في سخط ماتوا عليه) جذور ص 33 نقلا عن مجلة المنار 5\5\175 – 183

وابحث عن ميزانية الأزهر اليوم وضاعفها ألف مرة لتعلم مدى الضربة التي وجهت إليه والتي ما يزال يعاني أثرها القاتل حتى اليوم إذ حولته موضوعيا إلى جهاز خاضع للسلطة ولو كانت علمانية . فهل أدرك أواعترض أحد من أجداد من يعيرونه اليوم بتبعيته للسلطان ؟

لكن ما الفرق بين موائد محمد علي ، وموائد المندوب السامي البريطاني اللورد كرومر ، وموائد الأحزاب العلمانية من بعد ؟ ولحساب من يكون هذا الفرق ؟

استمر هذا التيار الذي أراده محمد علي قرابة أربعين عاما ، ثم توقف قليلا حتى جاء عهد سعيد 1854 م ، وهي السنة التي دخل فيها المبشران الأمريكيان مكاج وبارنت مصر ليبدآ نشاط الإرساليات الأمريكية

وأهدى سعيد 1862 للإرسالية الأمريكية مبنى كبيرا ليباشروا فيه نشاطهم ، فمنحوه لقب " الأمير الطيب المستنير " واستمرت هذه الإرساليات في ظل الحكومات العلمانية التي تدعمها القوى العلمانية الأوربية ،

وجاء إسماعيل بعد سعيد فألغى المحاكم الشرعية واستبدل بها القانون الفرنسي الجنائي والمدني الذي ترجمه قلم الترجمة برئاسة رفاعة الطهطاوي عام 1863

وفي هذا العهد طور المبشرون جهودهم في خدمة الفكرة الاستعمارية في العصر الحديث مما دعا الاستعماري الإنجليزي بيتر سميث أن يقول في بداية القرن العشرين

(" باءت الحروب الصليبية بالفشل ولكن حادثا خطيرا حدث بعد ذلك فقد بعثت انجلترا بحملتها الصليبية الثامنة ، وفازت في هذه المرة " ولهذا سميت حملة اللنبي على القدس أثناء الحرب العالمية الأولى في الكتابات الغربية بالحملة الصليبية الثامنة أو الأخيرة) أنظر " الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية " للدكتور وليم سليمان ، نشر وزارة الثقافة دار الكاتب العربي – ص 18

ومنذ ذلك الوقت سار التبشير والاستعمار والعلمانية جنبا إلى جنب .

وفي دراسة له نسب الأستاذ الدكتور عزت قرني – – إلى رفاعة الطهطاوي " علمانية المقصد" ، ورفاعة هو رجل الأزهر الذي بعثه محمد على إلى فرنسا ثم عاد ليقوم بدور مرموق في مجال التشريع والتوجيه ، وبالرغم من هذا الوصف " علمانية المقصد " فإن الدكتور عزت قرني يحتفظ له بالتمسك بعرى الدين قائلا : (فهذا الرجل العلماني المقصد !! " محترم " للدين !! و " موقر" لشرائعه !! ومندد بالمظالم ، ولكنه موظف كبير عايش محمد علي وإبراهيم وعباس وسعيد وإسماعيل ورضي عنه معظمهم ، وأنعموا عليه الرتب والتشريفات وألحقوها بإقطاعات هامة حتى ترك لورثته عند وفاته ما يزيد على الألف وستمائة فدان) !!! جذور ص12– و 37 نقلا عن عزت قرني ، العدالة والحرية في فجر النهضة الحديثة سلسلة عالم المعرفة بالكويت ط 1980 ص103

وهكذا فإن الدكتور عزت ضرب أكثر من عصفور بحجر واحد : شكك في تعارض العلمانية مع الإسلام ، كما شكك في " ذمة " الطهطاوي

أما الدكتور محمد عمارة فينفي القول باتجاه مصر إلى العلمانية في عهد محمد علي إلى إسماعيل .. باستثناء شواهد عن تزايد النفوذ الأجنبي تحت ضغط الدول الاستعمارية ، وبوادر في القضاء الأجنبي ، مستشهدا بتعليق للقاضي الهولندي " فان بملين " بالمحاكم المختلطة إذ يقول عن القضاء القنصلي : (إنه وليد الاغتصاب الواقع من الأقوياء على الضعفاء) كما يقول عن قضاء المحاكم المختلطة وكان قاضيا بها (إنه ركن قوي من أركان السيطرة الأوربية على مصر)

ثم يتساءل الدكتور محمد عمارة : (فأين هي علمانية مصر في عهد إسماعيل ؟ إن إسماعيل لم يرد لمصر أن تكون قطعة من أوربا وإنما الذي فرض ذلك عليه هو

الاستعمار .. وإن قانون مصر وقضاءها لم يتحول إلى العلمانية على عهد الخديوي إسماعيل .. وما الاختراق الجزئي الذي تمثل في المحاكم القنصلية والمختلطة إلا اغتصاب استعماري لجزء من السيادة الوطنية في مؤسسة التشريع والقضاء)

ثم يقول : (ولم يكن الطهطاوي وأعلام مصر في عهد إسماعيل بالعلمانيين الذين يخونون شريعة الأمة ومنظومتها القانونية ، وهم رغم ترجمتهم لقانون نابوليون كانوا المدافعين عن جدارة فقه المعاملات الإسلامي بتنظيم المعاملات الحديثة .. والساعين لتقنين هذا الفقه تقنينا حديثا محاولين بذلك مقاومة العلمانية التي كانت سلاحا من أسلحة الغزو الاستعماري الزاحف على بلادنا في عصر إسماعيل)

وإذا كان الدكتورمحمد عمارة ينفي علمانية هذه الشخصيات فإنه لا ينفي البوادر العلمانية التي بدأت تتسلل في عهدهم شيئا فشيئا على يد الاستعمار

وهو يقرر في الوقت نفسه أن الأحداث تلاحقت بعد ذلك ، وشهدت الساحة المصرية سباقا محموما بين القوى الوطنية وبين الاستعمار الغربي الذي سعى لاغتصاب مصر اغتصابا كاملا

فلما هزمت الثورة العرابية واحتلت إنجلترا مصر في سبتمبر 1882 نهض الاستعمار الإنجليزي ممثلا في اللورد كرومر (1841 – 1917) بتوسيع ثغرة العلمانية التي حدثت في عصر إسماعيل ، وكان الانقلاب العلماني الحقيقي الشامل الذي عمت به البلوى في قانون مصر وقضائها

وكان لا بد لهذا الواقع العلماني الذي زرع في مصر من فكر" يبيض " وجهه ويحسن صورته ويدعو إلى تعميمه في ميادين الثقافة والتعليم ، وهو الدور الذي لعبته مدرسة المقطم من أمثال : يعقوب صروف وشاهين مكاريوس وفارس نمر وشبلي شميل ونقولا حداد وجورجي زيدان وفرح انطوان

وشيئا فشيئا اتسع نطاق هذه المدرسة ليضم عددا من الكتاب والمفكرين المصريين وكان من أبرز هؤلاء الكتاب سلامة موسى (1888– 1958) وتلاميذه في جانب وأحمد لطفي السيد باشا وتلاميذه في جانب آخر) أنظر محمد عمارة " العلمانية ونهضتنا الحديثة " ص 114– 145– 152

وينسب بعض الباحثين إلى الشيخ محمد عبده رفضه للعلمانية طبقا لكتابه " الإسلام دين العلم والمدنية " وهذا بديهي لمثله ، ومن ذلك قوله في رده على هانوتو (إني أعرف ما سردته لي عن تاريخ السلطتين الدينية والسياسية في أوربا .. ولكن ذلك مستحيل في الشرق ولا سيما في الحكومات الإسلامية ، والذين يقولون به من الأجانب ليسوا إلا خصوما للمسلمين لاعتقاد هؤلاء أن في فصل السلطتين ضعفا ترومه أوربا لتنال بغيتها منهم) أنظر " الإسلام دين العلم والمدنية " للإمام محمد عبده ، عرض وتحقيق وتعليق طاهر الطناحي نشر دار الهلال غير مؤرخ ص 46

ومع هذا فإن آخرين ينسبون إلى اللورد كرومر كيف اتخذ الشيخ تكأة لسياسته في توطين العلمانية بمصر ، وقد جاء ما يفيد ذلك في تقرير اللورد كرومر لسنة 1905 الذي كتبه بمناسبة وفاة محمد عبده وجاء فيه ما ترجمته (والأيام وحدها هي التي ستكشف عما إذا كانت الآراء التي تعتنقها المدرسة التي تزعمها الشيخ محمد عبده سوف تستطيع التسرب إلى المجتمع الإسلامي ، وأنا شديد الرجاء في أن تنجح في اكتساب الأنصار تدريجيا ، فلا ريب أن مستقبل الإصلاح الإسلامي في صورته الصحيحة المبشرة بالآمال يكمن في هذا الطريق الذي رسمه الشيخ محمد عبده ، وإن أتباعه ليستحقون أن يعاونوا بكل ما هو مستطاع من عطف الأوربي وتشجيعه) ومما جاء بتقريره المشار إليه أن اتباع الشيخ محمد عبده يقفون في منتصف الطريق بين الطرفين المتناقضين وهما " المحافظون من المسلمين الذين يتمسكون بالأساليب القديمة في كل شأن من الشئون ويصرون على ذلك ، كما أنهم من ناحية أخرى تفصلهم هوة واسعة عن ذلك النفر من المتفرنجين الذين لم يبق لهم من إسلامهم إلا الأسماء)

ولعل هذه النقطة " المنتصف " بالإضافة إلى ما كان من نشاط الشيخ الاجتماعي والسياسي المشهود في أروقة المتفرنجين وقوة صلته باللورد كرومر ورجال السفارة هي التي جعلت الشيخ موضع الشبهة ، وهدفا للسهام تنهال عليه ولا تزال من الطرف الأول . ساعد عليها أن كان الشيخ شديد الطعن في رجال الأزهر الذي كان يطلق عليه وصف " الاصطبل " و " المخروب " و" المارستان " وهم عادة من

الطرف الأول . (!!) أنظر الدكتور محمد محمد حسين في كتابه " الإسلام والحضارة الغربية نشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة السابعة لعام 1985 ص80 – 81

ومهما يكن فمع جهود المعارضين للعلمانية تفوق دعاة العلمانية ، لأن خطتهم كانت واضحة ومدروسة ومستمرة استمرار الزحف الصليبي " فوق الألفي " بينما كانت خطط الإسلاميين وليدة الأحداث ، تظهر كردود فعل وقتية ثم تخبو وتختفي كأن لم تكن ، ونجحت من ثم خطة الاستعمار والمبشرين في فصل الدين (الإسلامي) عن السلطة السياسية بدون جلبة ولا ضوضاء

وقد بلغت هذه الخطة ذروتها على يد اللورد كرومر في مصر الذي (بدأ حملته في أواخر 1906 منددا بالمصلحين الإسلاميين الذين أظهروا ميلا إلى إيقاظ العالم الإسلامي – ومعترفا في تقرير له نشرته مجلة المنار – بأن الحركة الوطنية المصرية في وقته مصبوغة صبغا شديدا بصبغة الجامعة الإسلامية ، ذاهبا إلى أن المقصود بالجامعة الإسلامية بوجه الإجمال : اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدي قوات الدول المسيحية ومقاومتها ، مقررا أن الحركة الإسلامية تستلزم السعي في إصلاح أمر الإسلام على النهج الإسلامي ، وبعبارة أخرى السعي في القرن العشرين في إعادة مبادئ وضعت منذ أكثر من ألف سنة (!!) لهيئة اجتماعية في حالة من الفطرة والسذاجة .. مناقضة لأهل هذا العصر) جذور ص 44 – 46 – 49 نقلا عن تقرير له نشرته جريدة المنار 10\214 – 218

وتصدى الشيخ محمد رشيد رضا للرد على مزاعم كرومر الواردة في هذا التقرير وإن كان الشيخ رشيد رضا قد بدا منهزما في رده نافيا تفكير المصلحين في الجامعة الإسلامية ، راجعا بهم إلى محض الدعوة الوطنية السياسية " ولم تفتأ هذه الدعوة أن علا صوتها شيئا فشيئا من تركيا ذاتها حيث أدت إلى تمزيق دولة الخلافة ، ولقد أدى ذلك التطور إلى الأدنى – وفقا لرأي الدكتور السيد فرج – من فكرة الجامعة الإسلامية إلى فكرة الوطنية إلى حدوث أمرين خطيرين وكان كلاهما ذا قوة سلبية مدمرة للأمة الإسلامية

أولهما : أن وقف المسلم العربي في وجه المسلم التركي فيما بعد في الحرب العالمية التي أدارها الاستعمار الغربي خصمهما معا

ثانيهما : أن تلقف المثقفون العرب المسيحيون وتبعهم المسلمون وكلهم علمانيون الفكرة الوطنية فرفعوا أصواتهم يرددون أن الوقت لم يعد مناسبا لرابطة إسلامية . جذور ص 48- 49

وقامت تيارات الماسونية والتبشير والتعليم والبعثات التعليمية والصحافة بتعبيد الأرض لبذر بذور العلمانية وتعهدها بالرعاية والتطبيق

تيار الماسونية التي يقول عنها الشيخ رشيد رضا (لم يكن لها من ثمرة إلا إعداد النفوس لفصل السياسة والحكومة من الدين ، والاستغناء عن الشرع بالقوانين ، والمؤاخاة بين المسلمين وغيرهم وموالاتهم لهم) مجلة المنار 15\33

وتيار التبشير الذي بلغ عدد الأمريكيين المنخرطين في مؤسساته في أنحاء العالم 27733 طبقا لإحصاء عام 1958 – د وليم سليمان مرجع سابق ص 54 –

وجاءت مهمة مجلس الكنائس العالمي الذي يحركه رئيسه الفخري العلماني الأمريكي جون رالي موط من أجل العمل وفقا للخطة الاستعمارية في " إبعاد الدين عن الحياة في البلاد الإسلامية من كل مشاركة أو اقتراب في الحياة السياسية أو الاجتماعية او الاقتصادية إبعادا تاما قبل اهتمامهم بالتبشير بالدين المسيحي " . جذور العلمانية ص 53-54

وتيار المدارس التي أنشأها الأوربيون في أنحاء بلاد الخلافة العثمانية والتي اعترف المبشرون بأهميتها في تربية الأجيال الجديدة من المسلمين على تقبل الأفكار العلمانية ، وظهر ذلك الاعتراف في مؤتمرهم الذي عقد في عاصمة الدولة العثمانية في العقد الثاني من القرن العشرين ، وقد نشر هذا الاعتراف في مجلة " العالم الإسلامي " التي يحررها هؤلاء المبشرون باللغة الإنجليزية والفرنسية وقد جاء فيه ما نصه : (اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوربيون كان لها تأثير كبير في حل المسألة الشرقية ، يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوربا كلها) جذور العلمانية للدكتور السيد فرج ص 31 نقلا عن المنار للشيخ رشيد رضا 12\824

وكما كان للمدارس المحلية المتفرنجة فقد كان للبعثات التعليمية للخارج دور شديد الأهمية

وكما يقول الدكتور السيد أحمد فرج : شهدت العشرينات من القرن العشرين في مصر أعنف موجة ثقافية تعمل للانسلاخ الكامل من الإسلام ، وقد تزعمها المثقفون الذين تربوا تربية أوربية وتثقفوا بثقافة غربية في معاهد العلم الإنجليزية والفرنسية ، وكان من الطبيعي أن يعود هؤلاء الشباب بعد تعليمهم في انجلترا وفرنسا بآراء حديثة ، تتمثل في التحرر الفكري ، وتتجه بأنظارها إلى هذه الدول الأوربية كمثل أعلى تحاول تقليده ، وأكملت هذه المجموعة من الجيل الناشئ مجهودات بعثات التبشير والبعثات العلمانية التي كانت تعمل داخل الإقليم منذ سنوات ، وأصبح اتجاه الجامعة الإسلامية بالنسبة إليها يعد تقليديا أو قديما ، ويمثل حركة رجعية ترجع بالأمة إلى بضعة قرون ، وتزايد من ثم الشعور بفكرة الوطنية أو القومية

وهكذا قامت هذه التيارات من الماسونية والتبشير والمدارس المتفرنجة والبعثات التعليمية للخارج بدور هام في تنفيذ الخطة التي كان من المفترض أن تقوم على التسلل شيئا فشيئا بهدوء ودون جلبة أو ضوضاء في تونس ومصر خلافا للطريقة الجافة المتسرعة التي تم بها العمل في تركيا

ففي تونس ، يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا في مقاله الشهير الذي رد عليه الشيخ محمد عبده : (تمكنا بواسطة ما أدخلناه من التعديلات الطفيفة شيئا فشيئا من التداخل في شئون البلاد والقبض على أزمتها بدون شعور من أهلها وقام بإعمال هذا التغيير والتبديل وهذا النسخ والتحويل عدد قليل من الموظفين التونسيين) ويستطرد هانوتو قائلا (إذن يوجد الآن بلد من بلاد الإسلام قد انفصم الحبل بينه وبين البلاد الإسلامية الأخرى شديدة الاتصال ببعضها ، إذن توجد أرض تنفلت شيئا فشيئا من مكة ومن الماضي الإسلامي .. أرض يصح أن تتخذ مثالا يقاس عليه) جذور ص 51 نقلا عن د سامي عزيز في كتابه الصحافة المصرية ص 101

وما فعله الفرنسيون في تونس فعله الإنجليز في مصر يقول اللورد كرومر (على الإنجليز مهمة كبرى هي محاولة ربط مصر بهم ، وصبغها بصبغتهم أو الصبغة التي ترضى فيما بعد أن تكون البلاد جزءا لا يتجزأ من الدولة البريطانية ، كل هذا دون إثارة إحدى الدول ، ودون عنف ، ودون اتخاذ إجراءات قاسية ، ولكن بهدوء وصبر وطول أناة ... وبالمصريين المتربين تربية أوربية) جذور ص 52 نقلا عن د

سامي عزيز – الصحافة المصرية ص 224 ، واللورد كرومر : عباس حلمي مطبعة محمد محمد مطر ص 46

وقامت الصحف والمجلات الخادمة لأغراض الاستعمار بدورها الظاهر في بذر بذور العلمانية

فبالإضافة لمؤسسة المقطم المسيحية كانت الصهيونية قد أنشأت لها جرائد ومجلات في مصر تمهد لاحتلال فلسطين قبل انعقاد مؤتمر بال عام 1897 مثل : جريدة الحقيقة 1889 ومجلة الزراعة 1890 ومجلة نهضة إسرائيل عام 1890

وظهرت المجلات التي أصدرها أصحاب دار المقطم – مجلة المقتطف العلمية 1885 ومجلة اللطائف الأدبية 1886 وصحيفة المقطم السياسية 1889 – والتي تربى أصحابها الثلاثة في أكبر مدرسة تبشيرية في الشرق في ذلك الحين وهي الكلية الأمريكية في بيروت ، واقترن أحدهم وهو فارس نمر بابنة قنصل انجلترا بالإسكندرية ، وسافر إلى انجلترا واجتمع بكبار السياسيين فيها ، وشرب أفكارهم قبل إصدار جريدة المقطم بعام ليبثوا فيها الأفكار العلمانية التي يجب أن ينفثها للمصريين – انظر سامي عزيز في كتابه : " الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي نشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ص 97 –

وقد بذر هؤلاء بذورهم العلمانية على أساس الضرورة والمصلحة وأنها تحتم على المصريين أن يرتبطوا بالغرب ، وأن يأخذوا بكل ما يقدمه الأوربيون من خير للمسلمين ، ثم انتقل هذا الرأي إلى المسلمين ، وانتشر بينهم في صورة مبدأ التوفيق بين " الإسلامية والأوربية " الذي استخدمه الصحفيون المسلمون بعد الصحفيين المسيحيين ليكون ذريعة لهم في تملق الاستعمار والتعاون معه والدعوة لمبادئه ، حتى تكون رأي عام يرى أنه لا خطر على البلاد من هذا التقليد ، بل على العكس يكمن فيه سر تقدم البلاد ومدنيتها

واستعانت إحدى هذه الصحف بعناوين لمقالاتهم من آيات قرآنية لتخدم أغراض المحتلين كقوله تعالى " إن الله يأمر بالعدل والإحسان " !! " ومما جاء بأحد مقالاتهم : (أن عقلاء الأمة والخبيرين منهم بأغوار السياسة لا يكرهون احتلال الإنجليز ، لا حبا في ذاتهم ولكن لما يرونه من المنافع لبني جنسهم مما يحصل بأيدي الإنجليز ،

ودفع المضرات التي لا يمكن دفعها بدونهم) أنظر سامي عزيز المصدر السابق ص 139

ولقد أثرت هذه النزعة كما يقول الدكتور السيد فرج في الصحافة المصرية التي يحررها مسلمون ، فبعد ربع قرن من هذه الدعوة للمصريين بضرورة موالاة المحتلين الغربيين للمصلحة نادى من أطلقوا عليه أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد باشا بضرورة نبذ فكرة الإسلامية ، نبذا تاما بدافع المصلحة أيضا وذلك في جريدته " السياسة " في يناير 1912 ، داعيا إلى عدم معاونة بعض المسلمين الذين بدأوا في جمع المساعدات لأشقائهم في ليبيا الذين وقعوا تحت الاستعمار الإيطالي) جذور العلمانية ص 56 – 61 ، نقلا عن مجلة المنار 15\34

وأخذ يندد بمن سماهم البلهاء من المجاهدين ومن قدموا المعونة لليبيين ، وفي مقدمتهم عزيز المصري وعبد الرحمن عزام ، وفاجأ الناس بسلسلة مقالات في الجريدة التي كان يصدرها ويملكها بعنوان " سياسة المصالح لا سياسة العواطف " ورأى فيها أن من مصلحة مصر نبذ الليبيين ، وعدم معادة الإيطاليين ، وأن مصلحة مصر تناقض مصالح شقيقاتها العربيات ، وكان من أسوأ ما جاء في هذه الجريدة استنكاره (للحركة الحاضرة بمصر – آنذاك – لأن إعانة ليبيا على حرب إيطاليا قد ظهرت بشكل الجهاد الديني وهذا خطأ ضار بمصر) جذور العلمانية ص 74–75 ، نقلا عن مجلة المنار 15\34 متجاهلا شعار الجندي الإيطالي في هذه الحرب : (سأبذل دمي في سبيل محو هذه الأمة ، ولأحارب الديانة الإسلامية التي تجيز البنات الأبكار للسلطان ، سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن) أنظر الأمير شكيب أرسلان " لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم " ، نشر دار مكتبة الحياة في بيروت ط 1965 ص 52

وغالى لطفي السيد وجيله في نبذ الإسلامية والدعوة إلى الوطنية ، فقال في عام 1913 ما يقوله بعض القوميين والوطنيين اليوم (كان من السلف من يقول بأن أرض الإسلام وطن لكل المسلمين ، تلك قاعدة استعمارية !! تتمشى مع العنصر القوي الذي يفتح البلاد باسم الدين .... أما الآن فلم يبق إلا أن يحل محل هذه القاعدة المذهب الوحيد .. مذهب الوطنية) جذور ص 75 نقلا عن محمد جابر

الأنصاري – تحولات الفكر في الشرق العربي من 1930 – 1970 ص 120 سلسلة عالم المعرفة الكويت 1980

وعمل لطفي السيد بكل طاقته لحذف فكرة الإسلامية من أذهان المسلمين بمصر ، وكان يقدمها كمثال في هذا المجال فيقول : (إن أول معنى للقومية المصرية وتحديد الوطنية المصرية يكون في الاحتفاظ بها والغيرة عليها غيرة التركي على وطنه والإنجليزي على قوميته ، لا أن نجعل أنفسنا وبلادا أخرى على المشاع وسط ما يسمى خطأ بالجامعة الإسلامية ،) جذور 75 نقلا عن احمد لطفي السيد – " مبادئ في السياسة والأدب والاجتماع " كتاب الهلال أغسطس 1963 ص 126

ومن اللافت للنظر أن كان لطفي السيد من طليعة الباشوات الذين أيدوا ثورة 1952 بالرغم مما بدر منها من طابع استبدادي

وفي هذا السياق نشأت طبقة الباشوات المثقفين المتفرنجين من أمثال : سعد زغلول وعلى عبد الرازق ، ومحمد حسين هيكل ، وقاسم أمين ، وطه حسين الذي يقول في مقال نشرته جريدة كوكب الشرق عام 1933 (إن المصريين قد خضعوا لضروب من البغض ، وألوان من العداوات ، جاءتهم من الفرس واليونان ، وجاءتهم من العرب) محمد جابر الأنصاري مرجع سابق ص 1329

هكذا قُدر – كما يقول الدكتور السيد فرج – : (أن يتسرب الضعف والانهيار الكامل لفكرة " الإسلامية " حتى لم يعد جماهير المسلمين أنفسهم يأبهون بها ، وقامت الثورات العربية ضد الاستعمار الغربي ولم يكن طابعها إسلاميا) ص 76

ويجتهد الدكتور محمد عمارة في نفي ما يزعم من أن سعد زغلول كان علمانيا وينقل عن سكرتيره استنكاره لكتاب " الإسلام وأصول الحكم " لعلي عبد الرازق ، واتهامه لصاحبه بالجهل ، وموافقته على قرار هيئة كبار العلماء بإخراجه من زمرة علماء الأزهر ، يقول سعد زغلول (فذلك أمر لا علاقة له مطلقا بحرية الرأي التي تنعيها " السياسة ") والمقصود جريدة " السياسة " التي يرأسها أحمد لطفي السيد الخصم السياسي لسعد زغلول ويستمر سعد زغلول بما يعتبر اعتراضا قويا على القول بعلمانية الإسلام قائلا : (إن الإسلام دين مدني ودين حكم .. ولا يزال حتى اليوم مصدر الأمن والطمأنينة للذين يحكمون بالإسلام .. وأن القول بالعلمانية لهو هدم

لقواعد الإسلام الراسخة ..) ؟! نقلا عن كتاب " سعد زغلول ذكريات تاريخية " لمحمد إبراهيم الجزيري ص 92-93

كذلك يؤكد الدكتور محمد عمارة تراجع علي عبد الرازق صاحب كتاب " الإسلام وأصول الحكم إذ يقول : إن (علي عبد الرازق تراجع عن موقفه في صمت إذ رفض إعادة طبع كتابه وشرع في كتابة هذا التراجع لكن الأجل لم يمهله وفقا لرواية ابنه) لكن كيف " يعلن " المفكر رأيه فإذا تراجع تراجع في " صمت " ؟ ولماذا ينتظر أن يكتب ؟ وما معنى هذا التراجع بالنسبة لمن ابلغهم رأيه من قبل " علنا " ؟ وياله من " علن " على مستوى " العالم " ؟

أما الدكتور محمد حسين هيكل فقد تراجع عن علمانيته كما يظهر بخاصة من بعض كتبه " في حياة محمد " و " منزل الوحي " " وأبو بكر الصديق " " والفاروق عمر " " والحضارة الإسلامية "

وإنه ليسرنا تبرئة زعمائنا ومفكرينا من هذه الوصمة ، وتراجعهم عما بدءوا فيه ، لكن هذا لا ينفي أن موجة العلمانية في مصر صارت عارمة وأفرزت ما أفرزته على المستوى الشعبي وبخاصة في المجال الفكري والثقافي والتشريعي

يقول السلطان عبد الحميد : (هاهم – أي الإنكليز – قد أخضعوا المصريين بأفكارهم لدرجة أن البعض منهم يؤمن الآن بأن طريق الإنكليز هو السبيل إلى الأمن والنجاة ، ويفضل القومية على الدين (!!) إنهم يظنون أن حضارتهم ستمتزج بحضارة الغرب دون أن يشعروا بأن هناك تضادا بين الحضارة الإسلامية والحضارة النصرانية بحيث لا يمكن أبدا التوفيق بينهما) أنظر مذكرات السلطان عبد الحميد ص 133

وعلى كل حال ومع التجاوز عن تحليل مواقف شخصيات بعينها فإن التيار العلماني بلغ ذروته في ثورة 1919 ولولاها (ما كان يمكن للفكر السياسي أن ينتقل من فكر العصور الوسطى إلى علمانية وليبرالية القرن العشرين) على حد تعبير الدكتور مصطفى الفقي في بحثه بعنوان " الأقباط في السياسة المصرية " ضمن كتاب " الشعب الواحد والوطن الواحد " مركز الدراسات السياسية بالأهرام لعام 1982 ص 87

وبعد ثورة 1919 أبيح لكل الأفكار العلمانية والليبرالية أن ترعى في مصر وتسرح وتمرح ، وأصبح لكل فكر وافد ملتقطوه كالوجودية والاشتراكية والشيوعية واالبراجماتية وقام حزب الوفد بدوره على المستوى الجماهيري بتجميعهم حول شعاره العتيد : الدين لله والوطن للجميع " ولكنه تنازل عنه بعد ظهور الصحوة الإسلامية في عنفوانها كما جاء في بيان الوفد الجديد 11\3\1984 فقد أعلن رئيسه آنذاك أنه يرفض العلمانية التي تؤدي إلى الفصل بين الدين والدولة كما يرفض الدولة الدينية ! " الوفد 22\3\1984 ، وعارضه كثيرون من الوفديين المنسلخين عنه ، ونشر أحدهم مقالا في جريدة الأحرار 2\4\1984 ينكر على الوفد ردته عن العلمانية ، واشترط بعض الوفديين لرفض العلمانية رفض بعض شرائع الإسلام كقطع يد السارق !!! .

ولم يكن هذا الزحف العلماني بغير رد فعل على الجانب الآخر وكان من مظهره المصاحب لتطورات القرن العشرين نشوء الصحوة الإسلامية على يد جماعة الإخوان المسلمين ، والتي أسسها الشهيد حسن البنا عام 1929 والتي سيطرت على الشارع لفترة طويلة ، تيقظت فيها العلمانية للخطر القادم من جهتها ، وحيث كانت وما زالت وحيدة في مواجهتها للتيار العلماني شديد التغلغل فقد نالها في هذه الدورة ما لم ينل مثيلاتها من هذا التيار أو ذاك ، إذ تعرضت لعملية استئصال بشري ومؤسسي وثقافي لا يزال يمارس ضدها حتى اليوم

وبالرغم من ذر الرماد في العيون ضحكا على ذقون من لا يزال يتمسك بأهداب الصحوة .. عندما جاء النص في دستور بعض البلاد الإسلامية على أن " الإسلام هو دين الدولة " ، وأن الشريعة " مصدر " أو " المصدر" للتشريع ، تهدئة للصحوة الإسلامية فإن مظاهر تطبيق العلمانية في بلاد الإسلام استمرت متوسعة إلى حد يفوق الحصر : وجرى التطبيق باستبعاد الدين ، اللهم إلا في منبر الدعاية والتأييد :

فبالإضافة إلى شعار حزب " الغالبية" : " الدين لله والوطن للجميع " ومحاولة تعديله ثم محاولة الرد على هذا التعديل

أطلق زعيم حزب " الغالبين " شعاره الأشد صرامة ووضوحا " لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة "

وقالوا للأزهر الذي كان ينادي بتطبيق الشريعة : عليك أولا بتقديم مشروعات قوانين من الشريعة الإسلامية ، فلما فرغ من ذلك في عهد الدكتور عبد الحليم محمود حيث أتم مشروعه الكبير في تقنين المذاهب ، ثم في تقنين الشريعة بعامة ، وقدمه لمجلس الشعب فيما سمي " تقنين الشريعة الإسلامية" واحتفى به زمنا رئيس المجلس آنذاك الدكتور صوفي أبو طالب .. قالوا بتواضع شديد : مالنا ولذاك : يكفينا مراجعة ما صدر إن كان مخالفا للشريعة أم لا ، ثم انتقلوا إلى مستوى أكثر تواضعا : يكفينا مراجعة ما سوف يصدر ، ولترقد ترسانة القوانين المخالفة في أمان ، ثم .. ثم ضرب عن ذلك كله صفحا ، وزغردت العلمانية على الأشهاد .

وقررت كل سلطة ما قررت في موضعها :

قال القابضون على قانون الطوارئ : " لا حزب سياسيا بشعار ديني "

ولا دخل للدين في معاهدات الصلح والتطبيع مع العدو

وتقرر أنه لا حجاب للمشتغلات بالتدريس

وأنه : لا دخل للدين في الاقتصاد والتجارة والبنوك مهما كانت ربوية إلا إذا تقدم الشيخ لتشريعها

وأنه : لا دخل للدين بالسياحة

وأنه : لا دخل للدين بملابس الرياضيين المكشوفة للجماهير

وأنه : لا دخل للدين فيما يصدره المشرعون من قوانين مخالفة له في جرائم وآداب

وأنه : لا دخل للدين بأحكام القضاء عند تطبيق قوانين مخالفة له في جرائم وآداب ومخالفات ومنازعات

وأنه : لا دخل للدين بما يدور أو يتقرر في مؤسسات الشرطة وشوارعها وسجونها

وأنه : لا دخل للدين في عقيدة الجندي الذي يعدونه للسلم اكثر مما يعدونه للقتال

وأنه : لا دخل لمنابر المساجد بما يدور سياسيا وما يدور عسكريا وما يدور ثقافيا

وأنه لا دخل للدين بالفن وهو شعار وزارات الثقافة والإعلام وهي تصدر الكتب والقصص واللوحات وتقيم المؤتمرات وتدير المعاهد الفنية والصالات الاستعراضية والقنوات التليفزيونية وتنتج أو تراقبا المسرحيات والأفلام والمسلسلات والغنائيات والموسيقيات و" الفيديوهات كليبات " !!

وتقرر منع المحجبات من الخروج على شاشة التليفزيون
وأنه لا دخل للدين بحرية المرأة في الملبس والاختلاط في الشارع أو النوادي أو دور التعليم
وأنه لا دخل للدين بتحريم شيء من " التبرج " للمرأة الراغبة في الاستعراض ولو أدى الأمر إلى الإثارة ثم التحرش الجنسي الذي على الرجال أن يدفعوا ثمنه
ولا بأس من ارتكاب شيء من التناقض في شئون المرأة – مثلا – حيث يتم الاستجابة لتعليمات الحداثة والتمكين فيما يتعلق بشئون الأسرة ، والاستجابة لتعليمات الدولة في الدعوة لصلاتها في بيتها ومنعها من الصلاة بالمسجد خوفا من شيوع مظهر الحجاب في الطرقات الذي يصاحب خروجها إلى هذه الصلاة عادة !! طالما كان هذا التناقض من أجل عيون العلمانية .
ولنقرأ هذا المنشور الطريف الصادر من وزارة الشئون الدينية بتونس
(الموضوع: خطبة الجمعة ليوم 21 مايو 2004
المرجع: منشور وزارة الشؤون الدينية عدد 003786 بتاريخ 27 إبريل 2004
المصاحيب: وثائق
وبعد، فتبعا لمنشور وزارة الشؤون الدينية المذكور بالمرجع أعلاه والمتعلق بخطبة الجمعة ليوم 21 مايو 2004 وإسهاما من الخطاب الديني في احتفال بلادنا باليوم العالمي للأسرة الموافق ليوم 15 مايو 2004:
المرغوب منكم تخصيص الخطبة الأولى ليوم الجمعة 21 مايو 2004 لموضوع عناية الدين الإسلامي الحنيف بالأسرة باعتبارها الخلية الأولى في المجتمع مع بيان دورها في توجيه السلوك الاجتماعي والتربية على مكارم الأخلاق واستعراض المكاسب والإجراءات التي تحققت لفائدتها بحرص موصول من لدن سيادة الرئيس "زين العابدين بن علي"، هذا ويتم تخصيص الخطبة الثانية لبيان صلاة المرأة في بيتها وعدم مطالبتها دينيا بالخروج إلى المساجد.
وتجدون صحبة هذا وثائق تتضمن نصوصا دينية وأخرى تتضمن بيانات حول مكاسب الأسرة في تونس قصد الاستئناس بها عند إعداد خطبكم !!.
والسلام . (نقلا من إسلام أون لاين 31\5\2004)

إنه مثال ويااله من مثال ناطق بجوهر العلمانية حيث يعني : حصار الدين في داخل جدران المسجد ، محكوما عليه بأن لا تبدو لحركته في داخل المسجد انعكاسات بحركة – أي حركة – في خارجه

إنها العلمانية التي تعني بكل وضوح استبعاد الدين عن كل ما يتصل بما هو خارج حدود المسجد

فإذا زعموا أنها لا تصطدم بتعاليم المسيحية فهل يجرؤن على الزعم بأنها لا تصطدم مع تعاليم الإسلام ؟ ذلك ما نتولى الرد عليه في مقال قادم

و الله علم

===========

#ولن يرضى عنك العلمانيون حتى ...

د.سعد بن عبدالله البريك

حتى تطالب بعزل الدين عن كثير من شؤون الحياة ، وحتى تتبرَّم من " سيادة الشريعة " منددًا بصوت جهوري " إلى متى يبقى المجتمع خاضعاً للونٍ واحد ولفكرٍ واحد" ، "أين التعددية "؟.

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تعمل على " كسر الثوابت " و" خلخلة المسلَّمات " ، بـ " حرية الرأي " واحترام " الرأي والرأي الآخر " لتوجِد لنفسك أرضية تستطيع الانطلاق منها ما دام رأيك نقيض الشريعة .

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تقبل التعامل بمصطلحاتهم ولا تطالب بتحديد مقاصدها ، ولك بهذا أن تمرِّر تحت " حرية الرأي " و" قبول الرأي الآخر "كل ما يخالف الشريعة .

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تهاجِم الدعوة إلى الله باستمرار وتحاول أن توهم الناس أن " الدين هو سبب تخلفهم وانحطاطهم "، ولا بد من نبذه ظهرياً للسير في ركب الحضارة والتقدم .

ولأجل ذلك لا بد أن تحسن " استغلال الأحداث" وأن تعرف " من أين تؤكل الكتف " وأن تكون صياداً ماهراً لتتمكن من " الاصطياد في الماء العكر " فإذا قام أهل الضلال والانحراف بأعمال تفجير أو قتل ، عليك استغلال هذه الحادثة لمهاجمة

حلقات ومدارس تحفيظ القرآن ومكاتب الدعوة وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنها سبب ذلك وأنها " تزرع وتُفرِخ الإرهاب " في رؤوس رُوَادِها .

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تهاجِم العلماء بأنهم " علماء السلطان" و"لا مصداقية لهم" ، وأنهم في "أبراجهم العاجية" لا يعيشون نبض المجتمع ولا يتفاعلون مع مشكلاته ، وحتى تزرع إسفين الفُرقة بينهم وبين الدعاة بتصوير هؤلاء الدعاة أنهم دعاة تطرف وفتنة وخروج على ولاة الأمر ، فإذا زرعتَ هذا الإسفين بينهم ؛ اختلفوا وتنافروا وسقطوا من أعين الناس ، وحينئذ تستطيع اصطياد العامة والبسطاء من الناس .

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى يكون ولاؤك وحبك للغرب وحضارته بعُجَرها وبُجَرها ، وحتى تنافِح ما استطعت عنها ، وتعمل على تسويق قيمها ومُثُلِها ، وإن لم يبادلك الغربيون الشعور بالحب لك أو السعي لتسويق قيم ومفاهيم حضارتك وثقافتك ، وعليك المحافظةُ على هذا الولاء حتى ولو "شتموا دينك" و"أهانوا قرآنك" و"قتلوا بني جلدتك" و"اغتصبوا النساء" و"احتلوا الديار" و"نهبوا الثروات" ، وليكن "تحريك الشهوات وإثارة الغرائز " سلاحك الماضي لتسويق التغريب ، وإذا ترافق مع هذا السلاح تهميش الدين من الأنفس وانتقاص العلماء والدعاة ، سهُل عليك إيقاع الناس في فخ "التغريب" .

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تكون دائم التأهب والترقب فإذا بان من عوار الغرب شيء ، فعليك أن تبادر إلى ستره وتغطيته ، حتى ولو " سَبَّ نبيك صلى الله عليه وسلم واستهزأ به " وَوصفَه بأشنع الأوصاف ، لأن " العالمية " تقتضي منك أن تتجاوز الإقليمية والصراعات الدينية.

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تُغْفِلَ قضايا المسلمين الأساسية والمِلِحَّة ، وتعمل على تهميشها إلى أقصى حد ممكن ، لأن في تفعيلها إيقاظا للناس.

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تهاجِم المناهج مدعياً أنها " تربي الطلاب على الإرهاب " ، وأنها " تحشو ذهنه بما لا فائدة منه ". وإذا كان لديك إلمام جيد بإحدى اللغات الغربية ، قُمْ بترجمة مقاطع من هذه المناهج وأرسلها إلى الدوائر المعنية هناك ، لإقناعهم بأن مناهجنا "تؤسس الكراهية ضد الآخر ". وليكن تركيزك على

مناهج بلادك ولا تتطرق لغيرها، حتى مناهج اليهود التي تتضح بالعنصرية والكراهية والدموية ، لا تقرَبْها لأن ذلك لا يخدم مخطط "التغريب ".

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تعلم أن كلمة السر للفوز بمحبة القوم هي "المرأة " فاعمل على تسخير قلمك للنيل من حجابها موهماً أنه " تقييد لحريتها" ، وأنه " كفن أسود أجبرت عليه وهي لا تزال على قيد الحياة " ، وعليك أن تدندن حول " حقوقها المهضومة " ، سيما حقها في العمل السياسي وغيره وحقها في عدم الانفصال عن "النصف الآخر " . الرجال . وحقها في أن تكون حرة في كشف ما تشاء من جسدها . وعليك أن تتجاهل عمداً حقوقها المشروعة كحقها في الحياة الكريمة وحقها في الحصول على ما أوجب الله لها من الإرث ، وحقها في الزواج ممن تختار دون إكراه ، وحقها في مالها دون أن يسطو عليه أحد ، واحذر من إثارة هذه المشاكل لأن ذلك يهمش القضايا التي يدندنون حولها ويفسد دعوى " تحرير المرأة ".

وختاماً حتى يرضى عنك العلمانيون ، لا تحرج "أمريكا في الكيل بمكيالين "ولا تتحدث عن " مفاعل ديمونة " ولا تسكت عن نزع السلاح النووي في المنطقة ولا تذكر أسرى "غوانتانامو" ولا تتحدث عن الاضطهاد والاغتصاب والتعذيب في "أبو غريب " ولا تفتح صفحة العذاب المنسية في أفغانستان ، وكن حذراً قوي الشك من كل من رفع رأسه بالسنة وحفِظَ سمتَهُ في الالتزام بها .

هذه هي " الخلطة السحرية " الكفيلة بجعلك محبوباً عند دعاة التغريب، وعلى قَدْرِ مهارتك في تحضير هذه الخلطة يكون نصيبك من الود والقُرْب.

وإذا فعلت هذا كله أحبك كل منافق شرح بالكفر صدراً ، وجهر بالدعوة إلى هدم المكتسبات جهراً ، وأبرم مع الأعداء في السر أمراً ، ولاكَ لسانه في المصلحين كذباً ومكراً ، وتقرب بدعوى النصح سوءاً وغدراً .

والمسكين من صدَّق وعودهم أو وثق بهم أو ركن إليهم فَمَثُلاتِهِم في رفاقهم معلومة ، ومن حمل الأفاعي في مَزَّادته فلا يعجبنَّ مِن غرائب سُمَهَا

==============

#العلمانية وسيلة الغرب لتمكين الطائفية في العالم العربي

تتزعم جهات مرتبطة بأوروبا وأمريكا حركة العلمانية والعلمنة في العالمين العربي والإسلامي. وتعمل هذه الجهات على نشر العلمانية والترويج لها بأساليب يكاد يعجز المتابع عن ملاحقتها مع تعددها وتشعبها.

فمراكز الأبحاث والدراسات تخرّج يوميًا الكثير من الأوراق والأبحاث تحبّذ العلمانية كبديل عن الإسلام, والتي تحبذ علمنة الإسلام بإفراغ محتواه الديني أو المقدس، كما يسمى، وتحويله إلى مجرد كم ثقافي وضعي هو بحاجة ماسة إلى نقل الفكر الليبرالي الغربي البراجماتي المسيطر في أشكاله الراهنة كي يستطيع مواكبة العصر ومجرد البقاء. وتضخ أموال ما يسمى بالمعونات والمساعدات الغربية لتشجيع أصوات ونخب محلية على الترويج للعلمانية، كما يستخدم النفوذ الغربي، وبالذات الأمريكي، لتشجيع أو إجبار الحكومات والأنظمة القائمة على إرساء العلمانية في كل نواحي الحياة في بلادهم والتحول إليها مع التغريب في المجالات القانونية والدستورية كمدخل إلى سائر النشاطات الحياتية والاجتماعية على مستوياتها المختلفة. وتكثر الكتابات والمواد الإعلامية الموجهة لدعم العلمانية وطرح الالتزام بها باعتبارها العلاج والحل السحري لشتى قضايا ومشكلات المجتمعات... إلخ.

ولكن في خضم هذا الطوفان القادم من الغرب – وعلى الأخص الأوروبي الذي يدعو إلى العلمانية – نجد مصاحباً له زخماً آخر لا يقل قوة يصب في اتجاه الطائفية, بمعنى تشجيع ودعم الهوية الدينية للأقليات غير المسلمة على امتداد العالم العربي والإسلامي, حيث أصبحت الجهات الغربية، وبالذات الأمريكية، تلح على قضية ما يسمى بالأقليات الدينية في العالم العربي تصر على طرح هذه القضية دينية الطابع والقائمة على توكيد الهوية والانتماء الديني على كل أجندات العمل في المنطقة, بل وفرضت هذه القضية على أجندات العمل الداخلية للأنظمة والنخب المؤثرة والثقافية في العالم العربي.

ولما كان طرح هذه القضية يقوم بشكل بحت على التأسيس الديني المحض للهوية ومفهوم الطائفة، فإننا نجد أنفسنا مواجَهين بتناقض جوهري لا يبدو أن الغرب أو أحدًا في المنطقة العربية الإسلامية يهتم بمناقشته, ناهيك عن أن ينتقده ويكشفه.

الرسالة الموجهة، من الغرب بشقيه الأوروبي والأمريكي إلى العالم الإسلامي الآن تقوم على أساس وجوهر هو تنحية الدين 'أي الإسلام' وإقصاؤه عن كافة نواحي الحياة تحت مسمى شامل هو العلمانية, ومن خلال عملية شاملة هي العلمنة بمراحلها ودرجاتها. ولكن في نفس الوقت يوجه رسالة أخرى إلى العالم الإسلامي, وعلى وجه الخصوص إلى الأقليات الدينية, بل وبعض المذاهب داخل الدين الإسلامي الواحد, مفادها توكيد الهوية الدينية وإبرازها وإعلاؤها واتخاذها عامل تأسيس للكيان الموحد وللقومية وللوجود المدني والاجتماعي والسياسي في مقابلة الكيانات الأخرى.

وفي الحالتين يتم تبرير الرسالة الموجهة على أساس أن الطريق المنصوص عليه فيها هو السبيل الأوحد والأنجح والأضمن لتحقيق قيم جوهرية مثل العدالة والمساواة والحرية والديمقراطية والاستنارة والعقلانية والتقدم والحداثة وما شابه. وهكذا فإن السبيل الأوحد للوصول إلى هذه الأهداف العليا وغيرها يمر في الواقع وحسب الرسالة أو الخطاب الغربي المزدوج عبر سبيلين في آن واحد؛ أولهما هو إقصاء الدين عند الأغلبية, والآخر هو إعلاء الدين عند الأقلية. فعند الأولين يطلب تأسيس الكيان على غير الدين إن لم يكن على ضده، وعند الآخرين يطلب تأسيس الكيان على الدين.

والمشكلة هي أن النخب الخارجية والمحلية التي تقوم الآن على الترويج لهذا الخطاب الغربي المزدوج لا تشعر بوجود أية مشكلة فيه, بل ولا تقبل أي صوت يرتفع لكي ينتقد هذا الخطاب أو الإشارة إلى ذلك التناقض. ولعل أفدح نموذج لهذا الوضع برمته هو ما يحدث الآن في مصر 'وليست العراق ببعيد, ولكن ربما يتسع المجال لها في وقت آخر', حيث نجد أن قطاعاً مؤثراً أو بالأصح ذا نفوذ نتيجة للالتصاق بالسلطة يبشر بعلمنة المجتمع وفرض العلمانية في كل شيء بينما يزيد على الجانب الآخر التعامل مع ما أصبح يسمى بالمشكلة القبطية المسيحية على أساس طائفي ديني بحت.

فمن ناحية تطلب هذه النخبة من المسلمين وهم غالبية المصريين أن يتخذوا العلمانية بمعنى إقصاء الدين عن الدولة وعن القانون وعن المجال العام الاجتماعي والثقافي

والسياسي.. إلخ نبراساً لهم كهدف أسمى للإصلاح المزعوم. ومن الناحية الأخرى تتفاعل هذه النخبة مع الأقلية المسيحية في مصر على أنها كيان قوي منفصل أساس تكوينه هو العقيدة والدين, كما أن مفتاح التعامل معه يكون في الاعتراف بقيادة ممثّلة له ومجسّدة له ومعبرة عنه هي الكنيسة الأرثوذكسية القبطية, وإضافة إلى ذلك فإن النخبة ترى أن أساس تدشين ذلك الكيان ونهضته هو التمسك بكل أمور الدين وإحيائها وبناء ثقافته وهويته ومحددات نشاطه عليها. ولا يشعر أحد من هذه النخبة 'وهذا طبيعي، فهم ينقلون عن الغرب وهم يؤدون دوراً محدداً' بأي تناقض هنا.

والواقع أنه من وجهة نظر معينة فلا يوجد تناقض على الإطلاق, بل يوجد تناغم وانسجام. ووجهة النظر الوحيدة هذه هي المصلحة الغربية العليا التي تريد أن تقضي على الإسلام في بلاده وتتخذ من العلمانية الأداة الكبرى في سبيل تحقيق ذلك. ونفس وجهة النظر أو المصلحة القريبة 'وهي كذلك مصلحة وكلاء الغرب وعملائه' تقضي بأن يجري تحفيز ودفع قوى داخل البلاد الإسلامية تعمل كقوى مواجهة مع الهوية الإسلامية.

وقد وقع الاختيار في بعض البلاد الإسلامية على الأقليات غير الإسلامية لأسباب تتراوح من الحجم إلى التاريخ والإمكانية. ولكن لكي تقوم هذه الأقليات بدور المواجهة مع الوطن الإسلامي كان لابد من حدوث أمرين أساسيين؛ أولهما هو نزع هذه الأقليات من الاندماج والولاء الذي دخلت فيه في الوطن الإسلامي وتحويل هذا الولاء إلى الغرب, والأمر الثاني المتصل به هو تحديد هوية وكيان قوي لهذه الأقليات يمكن الإشارة إليه لرفض الوطن الإسلامي ومواجهة هويته, وكان الشيء الذي طرح نفسه بسهوله لهذا الكيان هو تحديد الهوية على أسس دينية لاستغلال وجود كيانات مؤسسية قائمة بالفعل مثل الكنائس وهيئاتها ومنظماتها. وفي هذه الحالة يستخدم الكيان القوي الجديد المؤسس على الهوية الدينية العقيدية كأداة مواجهة ضد الأغلبيات الإسلامية, حيث يشار إليه كحجة لعدم رفع أية أسس أو هويات أو مكونات إسلامية داخل الوطن ذي الغالبية الإسلامية؛ لأن ذلك من شأنه أن يثير الكيانات الأخرى الموجودة داخل ذلك الوطن, والتي لا تجعله بالفعل

إسلاميًا. وفي هذه الحالة لا يتحدث أحد عن أن هذه إمكانيات خلقت خلقاً بمعنى إعلاء هويتها المدنية إلى مرتبة الهوية القومية واتخاذها العامل الوحيد لتمديد الكينونة والوجود.

بهذا وحده يمكن القول: إن الغرب والنخب العميلة له لا يميزون تناقضًا في خطاب العلمانية والطائفية المزدوج الموجه للعالم العربي. فالسبب في رفع التناقض عندهم هو مصلحة ضرب الإسلام المهيمنة على فكر صانع القرار.

============

#العلمانية

التعريف :

العلمانية وترجمتها الصحيحة : اللادينية أو الدنيوية ، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيداً عن الدين وتعني في جانبها السياسي بالذات اللا دينية في الحكم ، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمه العلم الوضعي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدا عن الدين وتعني في جانبها بالذات اللادينية في الحكم ، وهي اصطلاح لا صلة له بكلمه العلم وقد ظهرت في أوربا منذ القرن السابع عشر وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر وانتقلت بشكل أساسي إلى مصر وتركيا وإيران ولبنان وسوريا ثم تونس ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر . أما بقية الدول العربية فقد انتقلت إليها في القرن العشرين ،وقد اختيرت كلمه علمانية لأنها اقل إثارة من كلمه لادينية .

ومدلول العلمانية المتفق عليه يعني عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع وإبقاءه حبيساً في ضمير الفرد لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه فان سمح له بالتعبير عن نفسه ففي الشعائر التعبدية والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة ونحوهما.

تتفق العلمانية مع الديانة النصرانية في فصل الدين عن الدولة حيث لقيصر سلطة الدولة ولله سلطة الكنيسة وهذا واضح فيما ينسب للسيد المسيح من قوله :(إعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) . أما الاسلام فلا يعرف هذه الثنائية والمسلم كله لله وحياته كلها لله (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) سورة الأنعام : آية 162

التأسيس وابرز الشخصيات :

• انتشرت هذه الدعوة في أوربا وعمت أقطار العالم بحكم النفوذ الغربي والتغلغل الشيوعي . وقد أدت ظروف كثيرة قبل الثورة الفرنسية سنة 1789م وبعدها إلى انتشارها الواسع وتبلور منهجها وأفكارها وقد تطورت الأحداث وفق الترتيب التالي :

- تحول رجال الدين إلى طواغيت ومحترفين سياسيين ومستبدين تحت ستار الاكليريوس والرهبانية والعشاء الرباني وبيع صكوك الغفران .

- وقوف الكنيسة ضد العلم وهيمنتها على الفكر وتشكيله ا لمحاكم التفتيش واتهام العلماء بالهرطقة ، مثل:

1- كوبرنيكوس : نشر عام 1543م كتاب حركات الأجرام السماوية وقد حرمت الكنيسة هذا الكتاب .

2- جرادانو: صنع التلسكوب فعذب عذاباً شديداً وعمره سبعون سنة وتوفي سنة 1642م.

3- سبينوزا : صاحب مدرسة النقد التاريخي وقد كان مصيره الموت مسلولاً .

4- جون لوك : طالب بإخضاع الوحي للعقل عند التعارض .

ظهور مبدا العقل والطبيعة : فقد اخذ العلمانيون يدعون الى تحرر العقل وإضفاء صفات الإله على الطبيعة .

- الثورة الفرنسية : نتيجة لهذا الصراع بين الكنيسة وبين الحركة الجديدة من جهة اخرى ، كانت ولادة الحكومة الفرنسية سنة 1789م وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب . وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم .

- جان جاك روسو سنة 1778له كتاب العقد الاجتماعي الذي يعد إنجيل أ الثورة ، مونتسكيو له روح القوانين , سبينوزا (يهودي) يعتبر رائد العلمانية باعتبارها منهجا للحياة والسلوك وله رسالة في اللاهوت والسياسة ، فولتير صاحب القانون الطبيعي كانت له الدين في حدود العقل وحده سنة 1804م ،وليم جودين 1793م له العدالة السياسية ودعوته فيه دعوة علمانية صريحة .

- ميرابو : الذي يعد خطيب وزعيم وفيلسوف الثورة الفرنسية .

- سارت الجموع الغوغائية لهدم الباستيل وشعارها الخبز ثم تحول شعارها الى (الحرية والمساواة والإخاء) وهو شعار ماسوني و(لتسقط الرجعية) وهي كلمة ملتوية تعني الدين وقد تغلغل اليهود بهذا الشعار لكسر الحواجز بينهم وبين أجهزة الدولة وإذابة الفوارق الدينية وتحولت الثورة من ثورة على مظالم رجال الدين الى ثورة على الدين نفسه .

- نظرية التطور : ظهر كتاب أصل الأنواع سنة 1859م لتشارز دارون الذي يركز على قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب وقد جعلت الجد الحقيقي للإنسان جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين ، والقرد مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها . وهذا النظرية التي أدت الى انهيار العقيدة الدينية ونشر الإلحاد وقد استغل اليهود هذه النظرية بدهاء وخبث .

- ظهور نيتشه :وفلسفته التي تزعم بأن الإله قد مات وأن الإنسان الأعلى (السوبر مان) ينبغي أن يحل محله .

- دور كايم (اليهودي) : جمع بين حيوانية الإنسان وماديته بنظرية العقل الجمعي .

- فرويد (اليهودي) :اعتمد الدافع الجنسي مفسرا لكل الظواهر .والإنسان في نظره حيوان جنسي

- كارل ماركس (اليهودي) : صاحب التفسير المادي للتاريخ الذي يؤمن بالتطور الحتمي وهو داعية الشيوعية ومؤسسها والذي اعتبر الدين أفيون الشعوب .

- جان بول سارتر : في الوجودية وكولن ولسون في اللامنتمي : يدعوان إلى الوجودية والإلحاد .

- الاتجهات العلمانية في العالم الإسلامي نذكر نماذج منها :

1- في مصر : دخلت العلمانية مصر مع حملة نابليون بونابرت . وقد اشار اليها الجبرتي الجزء المخصص للحملة الفرنسية على مصر واحداثها – بعبارات تدور حول معنى العلمانية وان لم تذكر الفظة صراحة .أما أول من استخدم هذا المصطلح العلمانية فهو نصراني يدعى اليأس بقطر في معجم عربي فرنسي من تأليفه سنة

1827 م .وادخل الخديوي اسماعيل القانون الفرنسي سنة 1883م،وكان هذا الخديوي مفتونا بالغرب ،وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا .

2- الهند: حتى سنة 1791م كانت الاحكام وفق الشريعة الاسلامية ثم بدأ التدرج من هذا التاريخ لإلغاء الشريعة الإسلامية بتدبير الإنجليز وانتهت تماما في أواسط القرن التاسع عشر .

3- الجزائر : إلغاء الشريعة الإسلامية عقب الاحتلال الفرنسي سنة 1830 م .

4- تونس : أدخل القانون الفرنسي فيها سنة 1906 م.

5- المغرب: ادخل القانون الفرنسي فيها سنة 1913م.

6- تركيا لبست ثوب العلمانية عقب إلغاء الخلافة واستقرار الأمور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك ، وان كانت قد وجدت هناك إرهاصات ومقدمات سابقة .

7- العراق والشام : الغيت الشريعة أيام إلغاء الخلافة العثمانية وتم تثبيت أقدام الإنجليز والفرنسيين فيها .

8- معظم أفريقيا : فيها حكومات نصرانية امتلكت السلطة بعد رحيل الإستعمار

9- أندونيسيا ومعظم بلاد جنوب شرق اسيا دول علمانية .

10-إنتشار الأحزاب العلمانية والنزاعات القومية : حزب البعث ،الحزب القومي السوري ،النزعة الفرعونية ،النزعة الطورانية ،القومية العربية .

11- من اشهر دعاة العلمانية في العالم العربي الإسلامي : احمد لطفي السيد ، إسماعيل مظهر ، قاسم امين ، طه حسين ، عبد العزيز فهمي ، ميشيل عفلق ،أنطوان سعادة ، سوكارنو ، سوهارتو ، نهرو، مصطفى كمال اتاتورك ،جمال عبد الناصر ، أنور السادات (صاحب شعار لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين) ، د. فؤاد زكريا ، د. فرج فودة وقد اغتيل بالقاهرة مؤخرا ، وغيرهم .

الأفكار والمعتقدات :

* بعض العلمانين ينكر وجود الله أصلاً .

* وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود آية علاقة بين الله وبين حياة الانسان .

* الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب .

* إقامة حاجز بين عالمي الروح والمادة والقيم الوحية لديهم قيم سلبية .

* فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي .

* تطبيق مبدأ النفعية على كل شئ في الحياة .

* اعتماد مبدأ الميكافيلية في فلسفة الحكم والسياسية والاخلاق .

* نشر الإباحة والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية .

أما معتقدات العلمانية في العالم الاسلامي والعربي التي انتشرت بفضل الاستعمار والتبشير فهي :

* الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة

* الزعم بان الإسلام استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية

* الزعم بان الفقه الاسلامي مأخوذ عن القانون الروماني .

* الوهم بأن الإسلام لا يتلائم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف .

* الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي .

* تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الاسلامي والزعم بأنها حركات إصلاح .

* إحياء الحضارات القديمة .

* اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن المغرب ومحاكاته فيها .

* تربية الأجيال تربية لادينية .

• إذا كان هناك عذر لوجود العلمانية في الغرب فليس هناك أي عذر لوجودها في بلاد المسلمين لأن النصراني إذا حكمه قانون مدني وضعي لا ينزعج كثيراً ولا قليلا لأنه لا يعطل قانون فرضه علية دينه وليس في دينه ما يعتبر منهجا للحياة ، أما مع المسلم فالأمر مختلف حيث يوجب عليه إيمانه الاحتكام لشرع الله . ومن ناحية أخرى كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي – فإنه إذا انفصلت الدولة عن الدين بقي الدين النصراني قائما في ظل سلطته القوية الفتية المتمكنة وبقيت جيوش من الراهبين والراهبات والمبشرين والمبشرات تعمل في مجالاتها المختلفة دون أن يكون للدولة عليهم سلطان بخلاف ما لو فعلت ذلك دولة إسلامية فأن النتيجة أن يبقى

الدين بغير سلطان يؤيده ولا قوة تسنده حيث لا بابوية ولا كهنوت ولا اكليروس وصدق الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه حين قال (إن الله يزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن) .

الجذور الفكرية والعقائدية :

* العداء المطلق للكنيسة أولا وللدين ثانيا أياً كان ، سواء وقف إلى جانب العلم أم عاداه .

* لليهود دور بارز في ترسيخ العلمانية من أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلا بينهم وبين أمم الأرض .

* يقول الفرد هوايت هيو : (ما من مسالة ناقض العلم فيها الدين إلا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ حليف الدين) وهذا القول إن صح بين العلم واللاهوت في اوروبا فهو قول مردود ولا يصح بحال فيما يخص الاسلام حيث لا تعارض إطلاقاً بين الاسلام وبين حقائق العلم ، ولم يقم بينها أي صراع كما حدث في النصرانية . وقد نقل عن أحد الصحابة قوله عن الاسلام : (ما أمر بشئ ، فقال العقل : ليته نهى عنه ، ولا نهى عن شئ فقال العقل ليته أمر به) وهذا القول تصدقه الحقائق العلمية والموضوعية وقد أذعن لذلك صفوة من علماء الغرب وفصحوا عن إعجابهم وتصديقهم لتلك الحقيقة في مئات النصوص الصادرة عنهم .

* تعميم نظرية (العداء بين العلم من جهة والدين من جهة) لتشمل الدين الاسلامي على الرغم أن الدين الاسلامي لم يقف موقف الكنيسة ضد الحياة والعلم حتى كان الاسلام سباقاً إلى تطبيق المنهج التجريبي ونشر العلوم .

* إنكار الآخرة وعدم العمل لها واليقين بان الحياة الدنيا هي المجال الوحيد لماذا يرفض الاسلام العلمانية

* لانها تغفل طبيعة الانسان البشرية باعتبارها مكونة من نفس وروح فتهتم بمطالب جسمة ولاتلقي اعتبارا لاشواق روحة .

* لانها نبتت في البيئة الغربية وفقا لظروفها التاريخية والاجتماعية والسياسية وتعتبر فكرا غريبا في بيئتنا الشرقية

* لانها تفصل الدين عن الدولة فتفتح المجال للفردية والطبقية والعنصرية والمذهبية والقومية والحزبية والطائفية .

* لانها تفسح المجال لانتشار الالحاد وعدم الانتماء والاغتراب والتفسخ والفساد والانحلال.

لانها تجعلنا نفكر بعقلية الغرب ، فلا ندين العلاقات الحرة بين الجنسين وندوس على اخلاقيات المجتمع ونفتح الابواب على مصراعيها للممارسات الدنيئة ,وتبيح الربا وتعلي من قدر الفن للفن ,ويسعى كل انسان لاسعاد نفسة ولو على حساب غيرة .

* لانها تنقل الينا امراض المجتمع الغربي من انكار الحساب في اليوم الاخر ومن ثم تسعى لان يعيش الانسان حياة متقلبة منطلقة من قيد الوازع الديني ، مهيجة الغرائز الدنيوية كالطمع والمنفع وتنازع البقاء ويصبح صوت الضمير عدما .

* مع ظهور العلمنية يتم تكريس التعليم لدراسة ظواهر الحياة الخاضعة للتجريب والمشاهدة وتهمل امور الغيب من ايمان با لله والبعث والثواب والعقاب , وينشا بذلك مجتمعٍ غايته متاع الحياة وكل لهو رخيص .

الانتشار ومواقع النفوذ :

بدات العلمانية في اوروبا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية سنة 1789م . وقد عمت اوروبا في القرن التاسع عشر وانتقلت لتشمل معظم دول العالم في السياسة والحكم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار والتبشير .

يتضح مما سبق :

ان العلمانية دعوة إلى إقامة الحياة على أسس العلم الوضعي والعقل بعيدا عن الدين الذي يتم فصلة عن الدولة وحياة المجتمع وحبسة في ضمير الفرد ولا يصرح بالتعبير عنة الا في أضيق الحدود . وعلى ذلك فأن الذي يؤمن بالعلمانية بديلا عن الدين ولا يقبل تحكيم

* الشرعية الإسلامية .في كل جوانب الحياة ولا يحرم ما حرم الله يعتبر مرتدا ولا ينتمي الى الإسلام . والواجب اقامة الحجة علية حتى واستتابتة حتى يدخل في حضيرة الإسلام والا جرت علية أحكام المرتدين المارقين في الحياة وبعد الوفاة .

المصدر موقع وحي السماء

===========

الفكر العلماني

سعيد بن ناصر الغامدي

السؤال

من هم العلمانيون؟ وماذا يريدون؟ وما هي صفاتهم؟ وما هو السبيل إلى معرفتهم والرد على أفكارهم؟ أرجو من فضيلتكم التوضيح والتفصيل.

الجواب

العلمانيون هم: كل من ينسب أو ينتسب للمذهب العلماني، وينتمي إلى العلمانية فكراً أو ممارسة.

وأصل العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية (secularism) وهي من العلم فتكون بكسر العين، أو من العالَم فتكون بفتح العين وهي ترجمة غير أمينة ولا دقيقة ولا صحيحة، لأن الترجمة الحقيقية للكلمة الإنجليزية هي (لا دينية أولا غيبية أو الدنيوية أولا مقدس).

نشأت العلمانية في الغرب نشأة طبيعية نتيجة لظروف ومعطيات تاريخية –دينية واجتماعية وسياسية وعلمانية واقتصادية– خلال قرون من التدريج والنمو، والتجريب، حتى وصلت لصورتها التي هي عليها اليوم..

ثم وفدت العلمانية إلى الشرق في ظلال الحرب العسكرية، وعبر فوهات مدافع البوارج البحرية، ولئن كانت العلمانية في الغرب نتائج ظروف ومعطيات محلية متدرجة عبر أزمنة متطاولة، فقد ظهرت في الشرق وافداً أجنبياً في الرؤى والإيديولوجيات والبرامج، يطبق تحت تهديد السلاح وبالقسر والإكراه؛ لأن الظروف التي نشأت فيها العلمانية وتكامل مفهومها عبر السنين تختلف اختلافاً جذرياً عن ظروف البلدان التي جلبت إليها جاهزة متكاملة في الجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتاريخية والحضارية، فالشرط الحضاري الاجتماعي التاريخي الذي أدى إلى نجاح العلمانية في الغرب مفقود في البلاد الإسلامية، بل فيها النقيض الكامل للعلمانية، ولذلك كانت النتائج مختلفة تماماً، وحين نشأت الدولة العربية الحديثة كانت عالة على الغربيين الذين كانوا حاضرين خلال الهيمنة الغربية في

المنطقة، ومن خلال المستشارين الغربيين أو من درسوا في الغرب واعتنقوا العلمانية، فكانت العلمانية في أحسن الأحوال أحد المكونات الرئيسية للإدارة في مرحلة تأسيسها، وهكذا بذرت بذور العلمانية على المستوى الرسمي قبل جلاء جيوش الاستعمار عن البلاد الإسلامية التي ابتليت بها.

ومن خلال البعثات التي ذهب من الشرق إلى الغرب عاد الكثير منها بالعلمانية لا بالعلم، ذهبوا لدراسة الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والرياضيات فعادوا بالأدب واللغات والاقتصاد والسياسة والعلوم الاجتماعية والنفسية، بل وبدراسة الأديان وبالذات الدين الإسلامي في الجامعات الغربية، ولك أن تتصور حال شاب مراهق ذهب يحمل الشهادة الثانوية ويلقى به بين أساطين الفكر العلماني الغربي على اختلاف مدارسه، بعد أن يكون قد سقط أو أسقط في حمأة الإباحية والتحلل الأخلاقي وما أوجد كل ذلك لديه من صدمة نفسية واضطراب فكري، ليعود بعد عقد من السنين بأعلى الألقاب الأكاديمية، وفي أهم المراكز العلمانية بل والقيادية في وسط أمة أصبح ينظر إليها بازدراء، وإلى تاريخها بريبة واحتقار، وإلى قيمها ومعتقداتها وأخلاقها –في أحسن الأحوال– بشفقة ورثاء، إنه لن يكون بالضرورة إلا وكيلاً تجارياً لمن علموه وثقفوه ومدّنوه، وهو لا يملك غير ذلك.

ثم أصبحت الحواضر العربية الكبرى مثل: (القاهرة–بغداد–دمشق) بعد ذلك من مراكز التصدير العلماني للبلاد العربية الأخرى، من خلال جامعاتها وتنظيماتها وأحزابها، وبالذات دول الجزيرة العربية، وقل من يسلم من تلك اللوثات الفكرية العلمانية، حتى أصبح في داخل الأمة طابور خامس، وجهته غير وجهتها، وقبلته غير قبلتها، إنهم لأكبر مشكلة تواجة الأمة لفترة من الزمن ليست بالقليلة.

ثم كان للبعثات التبشيرية دورها، فالمنظمات التبشيرية النصرانية التي جابت العالم الإسلامي شرقاً وغرباً من شتى الفرق والمذاهب النصرانية، جعلت هدفها الأول زعزعة ثقة المسلمين في دينهم، وإخراجهم منه، وتشكيكهم فيه.

ثم كان للمدارس والجامعات الأجنبية المقامة في البلاد الإسلامية دورها في نشر وترسيخ العلمانية.

ثم كان الدور الأكبر للجمعيات والمنظمات والأحزاب العلمانية التي انتشرت في الأقطار العربية والإسلامية، ما بين يسارية وليبرالية، وقومية وأممية، سياسية واجتماعية وثقافية وأدبية بجميع الألوان والأطياف، وفي جميع البلدان حيث إن النخب الثقافية في غالب الأحيان كانوا إما من خريجي الجامعات الغربية أو الجامعات السائرة على النهج ذاته في الشرق، وبعد أن تكاثروا في المجتمع عمدوا إلى إنشاء الأحزاب القومية أو الشيوعية أو الليبرالية، وجميعها تتفق في الطرح العلماني، وكذلك أقاموا الجمعيات الأدبية والمنظمات الإقليمية أو المهنية، وقد تختلف هذه التجمعات في أي شيء إلا في تبني العلمانية، والسعي لعلمنة الأمة كل من زاوية اهتمامه، والجانب الذي يعمل من خلاله.

ولا يمكن إغفال دور البعثات الدبلوماسية: سواء كانت بعثات للدول الغربية في الشرق، أو للدول الشرقية في الغرب، فقد أصبحت في الأعم الأغلب جسوراً تمر خلالها علمانية الغرب الأقوى إلى الشرق الأضعف، ومن خلال المنح الدراسية وحلقات البحث العلمي والتواصل الاجتماعي والمناسبات والحفلات ومن خلال الضغوط الدبلوماسية والابتزاز الاقتصادي، وليس بسر أن بعض الدول الكبرى أكثر أهمية وسلطة من القصر الرئاسي أو مجلس الوزراء في تلك الدول الضعيفة التابعة.

ولا يخفى على كل لبيب دور وسائل الإعلام المختلفة، مسموعة أو مرئية أو مقروءة، لأن هذه الوسائل كانت من الناحية الشكلية من منتجات الحضارة الغربية –صحافة أو إذاعة أو تلفزة– فاستقبلها الشرق واستقبل معها فلسفتها ومضمون رسالتها، وكان الرواد في تسويق هذه الرسائل وتشغيلها والاستفادة منها إما من النصارى أو من العلمانيين من أبناء المسلمين، فكان لها الدول الأكبر في الوصول لجميع طبقات الأمة، ونشر مبادئ وأفكار وقيم العلمانية، وبالذات من خلال الفن، وفي الجانب الاجتماعي بصورة أكبر.

ثم كان هناك التأليف والنشر في فنون شتى من العلوم وبالأخص في الفكر والأدب والذي استعمل أداة لنشر الفكر والممارسة العلمانية.

فقد جاءت العلمانية وافدة في كثير من الأحيان تحت شعارات المدارس الأدبية المختلفة، متدثرة بدعوى رداء التجديد والحداثة، معلنة الإقصاء والإلغاء والنبذ والإبعاد

لكل قديم في الشكل والمضمون، وفي الأسلوب والمحتوى، ومثل ذلك في الدراسات الفكرية في علوم الاجتماع والنفس والعلوم الإنسانية المختلفة، حيث قدمت لنا نتائج كبار ملاحدة الغرب وعلمانييه على أنه الحق المطلق، بل العلم الأوحد ولا علم سواه في هذه الفنون، وتجاوز الأمر التأليف والنشر إلى الكثير من الكليات والجامعات والأقسام العلمية التي تنتسب لأمتنا اسماً، ولغيرها حقيقة.

ولا يستطيع أحد جحد دور الشركات الغربية الكبرى التي وفدت لبلاد المسلمين مستثمرة في الجانب الاقتصادي.

هكذا سرت العلمانية في كيان الأمة، ووصلت إلى جميع طبقاتها قبل أن يصلها الدواء والغذاء والتعليم في كثير من الأحيان، ولو كانت الأمة حين تلقت هذا المنهج العصري تعيش في مرحلة قوة وشموخ وأصالة لوظفت هذه الوسائل توظيفاً آخر يتفق مع رسالتها وقيمها وحضارتها وتاريخها وأصالتها.

بعض ملامح العلمانية:

لقد أصبح حَملة العلمانية الوافدة في بلاد الشرق بعد مائة عام من وفودهم تياراً واسعاً نافذاً متغلباً في الميادين المختلفة، فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية، وكان يتقاسم هذا التيار الواسع في الجملة اتجاهان:

أ: الاتجاه اليساري الراديكالي الثوري، ويمثله -في الجملة- أحزاب وحركات وثورات ابتليت بها المنطقة ردحاً من الزمن، فشتت شمل الأمة ومزقت صفوفها, وجرت عليها الهزائم والدمار والفقر وكل بلاء، وكانت وجهة هؤلاء الاتحاد السوفيتي قبل سقوطه، سواء كانوا شيوعين أمميين، أو قوميين عنصريين.

ب: الاتحاد الليبرالي ذي الوجهة الغربية لأمريكا ومن دار في فلكها من دول الغرب، وهؤلاء يمثلهم أحزاب وشخصيات قد جنوا على الأمة بالإباحية والتحليل والتفسخ والسقوط الأخلاقي والعداء لدين الأمة وتاريخها.

وللاتجاهين ملامح متميزة أهمها:

1- مواجهة التراث الإسلامي، إما برفضه بالكلية واعتباره من مخلفات عصور الظلام والانحطاط والتخلف -كما عند غلاة العلمانية-، أو بإعادة قراءته قراءة عصرية -كما يزعمون- لتوظيفه توظيفاً علمانياً من خلال تأويله على خلاف ما

يقتضيه سياقه التاريخي من قواعد شرعية، ولغة عربية، وأعراف اجتماعية، ولم ينج من غاراتهم تلك حتى القرآن والسنة، إما بدعوى بشرية الوحي، أو بدعوى أنه نزل لجيل خاص أو لأمة خاصة، أو بدعوى أنه مبادئ أخلاقية عامة، أو مواعظ روحية لا شأن لها بتنظيم الحياة، ولا ببيان العلم وحقائقه، ولعل من الأمثلة الصارخة للرافضين للتراث، والمتجاوزين له (أدونيس)و (محمود درويش)و (البياتي)و (جابر عصفور).

أما الذي يسعون لإعادة قراءته وتأويله وتوظيفه فمن أشهرهم: (حسن حنفي)و (محمد أركون) و (محمد عابد الجابري)و (حسين أمين)، ومن على شاكلتهم، ولم ينج من أذاهم شيء من هذا التراث في جميع جوانبه.

2- اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي استعماري عنصري غير حضاري، وتفسيره تفسيراً مادياً، بإسقاط نظريات تفسير التاريخ الغربية العلمانية على أحداثه، وقراءته قراءة انتقائية غير نزيهة ولا موضوعية، لتدعيم الرؤى والأفكار السوداء المسبقة حيال هذا التاريخ، وتجاهل ما فيه من صفحات مضيئة مشرقة، والخلط المتعمد بين الممارسة البشرية والنهج الإسلامي الرباني، ومحاولة إبراز الحركات الباطنية والأحداث الشاذة النشاز وتضخيمها، والإشادة بها، والثناء عليها، على اعتبار أنها حركات التحرر والتقدم والمساواة والثورة على الظلم، مثل: (ثورة الزنج) و (ثورة القرامطة) ومثل ذلك الحركات الفكرية الشاذة عن الإسلام الحق، وتكريس أنها من الإسلام بل هي الإسلام، مثل القول بوحدة الوجود، والاعتزال وما شابه ذلك من أمور تؤدي في نهاية الأمر إلى تشويه الصور المضيئة للتاريخ الإسلامي لدى ناشئة الأمة، وأجياله المتعاقبة.

3- السعي الدؤوب لإزالة أو زعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم، والمسيرة المؤطرة للفكر والفهم الإسلامي في تاريخه كله، من خلال استبعاد الوحي كمصدر للمعرفة والعلم، أو تهميشه -على الأقل- وجعله تابعاً لغيره من المصادر، كالعقل والحس، وما هذا إلا أثر من آثار الإنكار العلماني للغيب، والسخرية من الإيمان بالغيب، واعتبارها -في أحسن الأحوال- جزءاً من الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية، والترويج لما يسمى بالعقلانية والواقعية والإنسانية،

وجعل ذلك هو البديل الموازي للإيمان في مفهومه الشرعي الأصيل، وكسر الحواجز النفسية بين الإيمان الكفر، ليعيش الجميع تحت مظلة العلمانية في عصر العولمة، وفي كتابات (محمد عابد الجابري)و (حسن حنفي)و (حسين مروة) و (العروي) وأمثالهم الأدلة على هذا الأمر.

4- خلخلة القيم الخلقية الراسخة في المجتمع الإسلامي، والمسيرة للعلاقات الاجتماعية القائمة على معاني الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود وطلب الأجر وأحاسيس الجسد الواحد، واستبدال ذلك بقيم الصراع والاستغلال والنفع وأحاسيس قانون الغاب والافتراس، والتحلل، والإباحية من خلال الدراسات الاجتماعية والنفسية، والأعمال الأدبية والسينمائية والتلفزيونية، مما هز المجتمع الشرقي من أساسه، ونشر فيه من الجرائم والصراع ما لم يعهده أو يعرفه في تاريخه، ولعل رواية (وليمة عشاء لأعشاب البحر) –السيئة الذكر– من أحدث الأمثلة على ذلك، والقائمة طويلة من إنتاج (محمد شكري) و (الطاهر بن جلون) و (الطاهر وطّار) و (تركي الحمد) وغيرهم الكثير تتزاحم لتؤدي دورها في هدم الأساس الخلقي الذي قام عليه المجتمع، واستبداله بأسس أخرى.

5- رفع مصطلح الحداثة كلافتة فلسفية اصطلاحية بديلة لشعار التوحيد، والحداثة كمصطلح فكري ذي دلالات محددة تقوم على مادية الحياة، وهدم القيم والثوابت، ونشر الانحلال والإباحية، وأنسنة الإله وتلويث المقدسات، وجعل ذلك إطاراً فكرياً للأعمال الأدبية، والدراسات الاجتماعية، مما أوقع الأمة في أسوأ صور التخريب الفكري الثقافي.

6- استبعاد مقولة الغزو الفكري من ميادين الفكر والثقافة، واستبدالها بمقولة حوار الثقافات، مع أن الواقع يؤكد أن الغزو الفكري حقيقة تاريخية قائمة لا يمكن إنكارها كإحدى مظاهر سنة التدافع التي فطر الله عليها الحياة، وأن ذلك لا يمنع الحوار، لكنها سياسة التخدير والخداع والتضليل التي يتبعها التيار العلماني، ليسهل تحت ستارها ترويج مبادئ الفكر العلماني، بعد أن تفقد الأمة مناعتها وينام حراس ثغوره، وتتسلل في أجزائها جراثيم وفيروسات الغزو العلماني القاتل.

7- وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري، عبر غوغائية ديماجوجية إعلامية غير شريفة، ولا أخلاقية، لتخويف الناس من الالتزام بالإسلام، والاستماع لدعاته، وعلى الرغم من وقوع الأخطاء -وأحياناً الفظيعة- من بعض المنتمين أو المدعين إلى الإسلام، إلا أنها نقطة في بحر التطرف والإرهاب العلماني الذي يمارس على شعوب بأكملها، وعبر عقود من السنين، لكنه عدم المصداقية والكيل بمكيالين، والتعامي عن الأصولية والنصرانية، واليهودية، والموغلة في الظلامية والعنصرية والتخلف.

8- تمييع قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق، والفكر والسياسة، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي محلها، واستخدام هذه المفاهيم في تحليل المواقف والأحداث، ودراسة المشاريع والبرامج، أي فك الارتباط بين الدنيا والآخرة في وجدان وفكر وعقل الإنسان، ومن هنا ترى التخبط الواضح في كثير من جوانب الحياة الذي يعجب له من نور الله قلبه بالإيمان، ولكن أكثرهم لا يعلمون.

9- دق طبول العولمة واعتبارها القدر المحتوم الذي لا مفر منه ولا خلاص إلا به، دون التمييز بين المقبول والمرفوض على مقتضى المعايير الشرعية، بل إنهم ليصرخون بأن أي شيء في حياتنا يجب أن يكون محل التساؤل، دون التفريق بين الثوابت والمتغيرات، مما يؤدي إلى تحويل بلاد الشرق إلى سوق استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية، والتوسل لذلك بذرائعية نفعية محضة لا يسيّرها غير أهواء الدنيا وشهواتها.

10- الاستهزاء والسخرية والتشكيك في وجه أي محاولة لأسلمة بعض جوانب الحياة المختلفة المعاصرة في الاقتصاد والإعلام والقوانين، وإن مرروا هجومهم وحقدهم تحت دعاوى حقوق الإنسان وحرياته، ونسوا أو تناسوا الشعوب التي تسحق وتدمر وتقتل وتغتصب بعشرات الآلاف، دون أن نسمع صوتاً واحداً من هذه الأصوات النشاز يبكي لها ويدافع عنها، لا لشيء إلا أن الجهات التي تقوم بانتهاك تلك الحقوق، وتدمير تلك الشعوب أنظمة علمانية تدور في فلك المصالح الغربية.

11- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية، وبخاصة في الفن والرياضة وشركات الطيران والأزياء والعطور والحفلات الرسمية، والاتكاء القوي على قضية المرأة، ولإن

كانت هذه شكليات ومظاهر لكنها تعبر عن قيم خلقية، ومنطلقات عقائدية، وفلسفة خاصة للحياة، من هنا كان الاهتمام العلماني المبالغ فيه بموضة المرأة، والسعي لنزع حجابها، وإخراجها للحياة العامة، وتعطيل دورها الذي لا يمكن أن يقوم به غيرها، في تربية الأسرة ورعاية الأطفال، وهكذا العلمانيون يفلسفون الحياة. يعطل مئات الآلاف من الرجال عن العمل لتعمل المرأة، ويستقدم مئات الآلاف من العاملات في المنازل لتسد مكان المرأة في رعاية الأطفال، والقيام بشؤون المنزل، ولئن كانت بعض الأعمال النسائية يجب أن تناط بالمرأة، فما المبرر لمزاحمتها للرجل في كل موقع؟

12- الاهتمام الشديد والترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب، وتقديم أصحابها في وسائل الإعلام، بل وفي الكليات والجامعات على أنهم رواد العلم، وأساطين الفكر وعظماء الأدب، وما أسماء: (دارون)و (فرويد), (دوركايم)و (أليوت وشتراوس وكانط) وغيرهم بخافية على المهتم بهذا الشأن، وحتى أن بعض هؤلاء قد تجاوزه علمانيو الغرب، ولكن صداه ما زال يتردد في عالم الأتباع في البلاد الإسلامية.

===========

#نبذة عن العلمانية

أولاً: مفهوم العلمانية(1):

العلمانية في الحقيقة تعني إبعاد الدين عن الحياة أو فصل الدِّين عن الحياة أو إقامة الحياة على غير الدِّين؛ سواء بالنسبة للأئمة أو للفرد.

أما أصل كلمة علمانية فهي ترجمة غير صحيحة للكلمة اللاتينية (SECULARISM) وترجمتها الصحيحة هي: اللادينية أو الدنيوية, بمعنى ما لا علاقة له بالدين ويؤكد هذه الترجمة ما ورد في دائرة المعارف البريطانية في مادة (SECULARISM) "هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها؛ وظل الاتجاه إلى الـ(SECULARISM) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية كما يؤكد أن ترجمة الكلمة اللاتينية هي اللادينية؛ ما أورده معجم أوكسفورد شرحاً لكلمة (SECULAR):

(1) دنيوي أو مادي، ليس دينياً ولا روحياً مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

(2) الرأي الذي يقول إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية.

هل الاسم العربي له صلة بالاسم؟

ليس له صلة بالعلم لأنه كما ذكرنا أن أصل الكلمة باللاتينية ليس له علاقة بالعلم، والذين ابتدعوها لم يريدوا بها العلم من قريب ولا من بعيد. ولو أرادوه لاستخدموا ما يشير إلى النسبة إلى العلم هي (SCIENTIFIC) لأن العلم بالإنجليزية (SCIENCE) وأرى أن استخدام هذه الكلمة العربية كمصطلح لهذه الفكرة فيه تضليل وتعمية،ولو سموها باسمها لانصرف أهل الفطر السوية عنها ولحاربها أهل الغيرة على الدين.

ثانياً: نشأة العلمانية:

بداية النشأة في أوروبا، وكان ذلك بسبب عبث الكنيسة بدين الله المنزَّل، وتحريفه وتشويهه، وتقديمه للناس بصورة منفرة دون أن يكون عند الناس مرجع يرجعون إليه لتصحيح هذا العبث وإرجاعه إلى أصوله الصحيحة المنزلة كما هو الحال مع القرآن المحفوظ بقدر الله ومشيئته من كل عبث أو تحريفٍ خلال القرون(2).

إنّ ما نبذته أوروبا حين أقامت علمانيتها لم يكن هو حقيقة الدين . فهذه كانت منبوذة من أول لحظة . إنما كان بقايا الدين المتناثرة في بعض مجالات الحياة الأوروبية أو في أفكار الناس ووجداناتهم، فجاءت العلمانية فأقصت هذه البقايا إقصاءً كاملاً من الحياة، ولم تترك منها إلا حرية من أراد أن يعتقد بوجود إله يؤدي له شعائر التعبّد في أن يصنع ذلك على مسئوليته الخاصة، وفي مقابلها حرية من أراد الإلحاد والدعوة إليه أن يصنع ذلك بسند الدولة وضماناتها(3).

ويمكننا تلخيص تسبب الكنيسة في نشأة العلمانية في الآتي:

. عقيدة منحرفة: أن الله ثالث ثلاثة، وأنه هو المسيح ابن مريم.

. حصر الدين في العبادة بمعناها الضيق فقط، وفي العلاقة الروحية بالخالق.

. نفوذ رجال الدين على الملوك وعلى عامة الناس، بحيث لا يقع تصرف منهم فيكون صحيحاً إلا عن طريق رجال الدين؛ ولو كان ذلك وفق توجيه رباني صحيح ولمصلحة البشر لم يكن فيه إشكال؛ لكن لمصلحة رجال الدين.

ـ قيام رجال الدين بالتشريع من عند أنفسهم تحليلاً وتحريماً, حسب أهوائهم ومصالحهم مثل: تحليل الخمر والخنزير، وإبطال الختان.

. محاربة الكنيسة للعلم وقتلها للعلماء.

. استغلال رجال الدين لمكانتهم في فرض عشور في أموال الناس، وتسخيرهم للخدمة في أرض الكنيسة، وفرض ما يعرف بصكوك الغفران.

. الفساد الخُلُقي بكل أنواعه كان يمارسه رجال الدين.

. مناصرة الكنيسة للمظالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الواقعة على الناس.

كل تلك الأسباب وغيرها أدت إلى نبذ أوروبا للدين وإقبالها على العلمانية باعتبارها مخلصاً لها مما عانته من سطوة رجال الدين، وسبيلاً للانطلاق والتقدم الذي كان الدين . بذلك التصور وتلك الممارسات . حجر عثرةٍ أمامه.

ولكن البديل الذي اتخذته أوروبا بدلاً من الدين لم يكن أقل سوءاً إن لم يكن أشد؛ وإن كان قد أتاح لها كل العلم والتمكن المادي يطمح إليه كل البشر على الأرض تحقيقاً لسُنَّةٍ من سُنن الله التي تجهلها أوروبا وتجهل حكمتها، لأنها لا تؤمن بالله وما نزِّل من الوحي: (فلما نسوا ما ذكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون) [سورة الأنعام: 44]، وإذا كان الغالب على ردود الأفعال هو الاندفاع لا التعقّل ولا التبصّر ولا الرويّة ولا الاتزان فقد اندفعت أوروبا في نهضتها تنزع من طريقها كل معلم من المعالم الإلهية –سواءً كانت إلهيةً حقاً أو مدعاة من قبل الكنيسة– وتصنع مكانها معالم بشرية من صنع الإنسان، كما تنزع من طريقها كل ما يتصل بالآخرة لتصنع بدلاً منه ما يتصل بالحياة الدنيا([4])، والحاصل أنهم وقعوا في أسوأ مما فروا منه حين نبذوا الدين كله ونقول إنّ ذلك ليس غريباً؛ فالعقائد الباطلة والتصورات المنحرفة، والممارسات الضالة لا تأتي بخير فالذي خَبُث لا يخرج إلا نكِداً.

وإن كان ذلك قد جرى في أوروبا بسبب الكنيسة ورجال الدين، فليس ذلك موجوداً في دين الإسلام، ولا يمكن أن يقع مثل الانحراف الشامل ويغيب الحق والصواب عن الناس؛ لأن أصول هذا الدين معلومة ومحفوظة، ولا يزال أهل العلم وحملة الحق في كل زمان يُبيّنون ويُوضّحون للناس، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولو حصل شئ من الانحراف فإنه يكون معلوماً، ولن يتفق عليه أهل الإسلام وهو يعالج بما يؤدي إلى مصالح أكيدة، فالخطأ عندنا أمة الإسلام لا يُعالج بالخطأ، والخطأ الذي يقع إنما هو منسوب للبشر فهي ممارستهم واجتهاداتهم, ولا يصح أن يُحمل على الدين وأن يكون ذريعةً لرفض منهج الله.

ثالثاً: من آثار العلمانية:

في مجال السياسة:

. استخدام المبدأ الميكافيلي "الغاية تبرر الوسيلة" من قبل الحكام، مما جرد السياسة من الأخلاق وأبعد عنها الدين، فأصبح استخدام كل وسيلة حلالاً كانت أو حراماً؛ أمراً عاديّاً، بل لم يكن سياسياً بارعاً من لم يفعل ذلك!!

ـ استغلال الناس للوصول إلى الحكم، عن طريق الديمقراطية المزعومة، ثم تسليط السلطة على نفي الناس وظلمهم.

ـ إبعاد الناس عن الحياة واستثناء النهج الإسلامي ذي التوجه الرباني من الوصول للحكم، بل ومحاربته والتنكيل بأنصاره، واتهامهم بالتطرف والإرهاب.

. نشأة التيارات المغالية التي كانت ردة فعل للأنظمة العلمانية بظلمها وفسادها.

ـ ولاء الأنظمة السياسية في بلاد المسلمين لدول الكفر، ولاءً كاملاً على حساب الإسلام والمسلمين.

في الاقتصاد:

. ترويج سلع العدو في بلاد المسلمين بما يقوي اقتصاده ويضعف المسلمين.

ـ أصبحت الثروة دُولةً بين عدد محدود من الأغنياء الذين لا تستفيد منه بلاد المسلمين كثيراً.

. أصبح المسلمون عالةً على غيرهم, معتمدين على عدوهم في كل شيء.

في الاجتماع والأخلاق:

. تحرير المرأة وتحللها من كل القيود التي تعصمها وتحفظ كرامتها.
. تفكك الأسر وضياع أفرادها.
. انتشار جرائم الأطفال وفسادهم.
. انتشار الخيانات الزوجية, وكثرة أبناء الزنا.
. الترويج للشذوذ الجنسي.
ـ ضعف الروابط بين الأقارب والأرحام؛ بسبب التركيز على الجانب المصلحي في الحياة والعلاقات بين الناس.
. انتشار ثقافة التحلل والتفسُّخ والشهوة, مما أدى إلى كثرة الفساد الأخلاقي, وانتشار الأمراض الفتاكة.
في التربية والثقافة:
. تفسير الدين تفسيراً ضيقاً, وتحديد علومه تحديداً قاصراً.
ـ التفريق بين نظام تعليم رسمي حكومي, ونظام تعليم أهلي ديني؛ مع إهمال الأول والاهتمام بالأخير.
ـ إهمال اللغة العربية والتربية الإسلامية, مع إظهار الاهتمام بغيرهما من المواد العلمية والعصرية.
ـ بث السموم والطعن في المقررات والمناهج الدراسية ضد الإسلام, مع الاهتمام بالثقافة الأوروبية.
. انتشار ترجمات الكتب الغربية في بلاد المسلمين, بل وكذلك الكتب الغربية بلغاتها الأصلية؛ تحت اسم الثقافة ودراسة الأدب...الخ.
. عودة كثير من أبناء المسلمين الذين درسوا وتربوا على مائدة الغرب ليساهموا في نشر ثقافته وفكره وينافحوا عنها.
. الفصل بين ما هو ديني وما هو غير ديني في الصحف والمجلات: مجلة دينية, صحيفة دينية, صفحة دينية, برنامج ديني...إلخ.
ـ انتشار الاختلاط في المؤسسات التعليمية؛ حتى أصبح أصلاً, ومن ينادي بفصل الجنسين يصبح شاذاً!
. حصر مفهوم الثقافة في أدب اللهو والمجون, والطرب والغناء.

رابعاً: كيف نواجه العلمانية:

لا حاجة . بعد كل ما ذكرناه . إلى الكلام عن حكم العلمانية, فقد اتضح لنا أنها دين مستقل؛ ابتدعه البشر ليكون مقابل دين الله وبديلاً لشرعه, وبذا فهي كفرٌ صراح, ومواجهتها واجب, لكن كيف؟

. بنشر العلم الشرعي وتوعية الناس بدينهم.

. بتربية أبناء الأمة على الإسلام, في الأسرة والمؤسسات المختلفة.

ـ بنشر الثقافة الإسلامية من خلال: الكتب, المجلات, المقررات الدراسية, أجهزة الإعلام...

. بتعرية فكر العلمانيين والرد عليهم.

. بالتمسك بشريعة الإسلام والعضّ عليها بالنواجذ.

. بتوعية الأمة بخطورة العلمانية على الدين والمجتمع.

. بتقوية عقيدة الولاء والبراء.

———————————————

(1) د. سفر الحوالي، العلمانية، ص 21-24، .19Ency.Britanniea.Vol.lxp . 785Oxford Advanced Learner’s Dic. Of Current English:

(2) محمد قطب، العلمانية، ص7

(3) المرجع السابق، ص11.

(4) محمد قطب، مرجع سابق، ص17-29.

المصدر : شبكة المشكاة الإسلامية

د. إسماعيل محمد حنفي

=============

#العلمانية .. « إمبراطورية النفاق »

« إمبراطورية النفاق »

من مهد لها الطريق ؟!

الشيخ الدكتور / عبد العزيز مصطفى كامل

دكتوراه في الشريعة جامعة الأزهر

عضو هيئة تحرير مجلة البيان . المنتدى الإسلامي
أعده للنشر في الفوائد / محمد جلال القصاص
المحرر :

في هذه الرسالة يتتبع الشيخ الدكتور / عبد العزيز كامل . حفظه الله . نشأت القومية (العلمانية) في البلاد الإسلامية وكيف أنها بدأت يهودية ثم حمل رايتها النصارى .. دعوة وتنظيرا ... ثم انضم إليهم ما أسماهم بالمنافقين . وصدق . ممن ينتسبون إلى الإسلام .

ويعرض الدكتور عبد العزيز مواقف علماء الأمة من نازلة إحلال العلمانية اللادينية محل الخلافة الإسلامية مناديا بقراءة جديدة للتاريخ الإسلامي المعاصر تبرز دور المنافقين في تغريب الدين .

يقول حفظه الله :

عندما يتناول المهتمون بالشأن الإسلامي الكلام عن حدث إسقاط الخلافة الإسلامية في تركيا ، ويتناوبون تقليب جوانب تلك النازلة الكبرى التي لا تزال الأمة تعيش آثارها منذ ثمانين عاماً ، فلا ينبغي أن يفهم ذلك على أنه إشادة مطلقة ، أو تزكية عامة لمسلك العثمانيين في إدارة شؤون عموم المسلمين ، فلا شك أن تلك الإدارة اعتراها الكثير من المآخذ المنهجية والسلوكية ، وبخاصة في المرحلة الأخيرة من عمر تلك الخلافة الممتدة عبر خمسة قرون ، ولكن تلك المآخذ لا ينبغي أيضاً أن تأخذنا بعيداً إلى حد التهوين من شأن ما أصاب الأمة بعد حل رابطتها العالمية وكتلتها الإسلامية الدولية ممثلة في تلك الخلافة .

لقد كانت نكبة الأمة بسقوط السلطة في أيدي العلمانيين المنافقين اللادينيين بعدها في أكثر بقاع العالم الإسلامي ؛ أشد ضرراً وأنكى أثراً من سقوط الخلافة العثمانية نفسها ، حيث جسَّد أولئك المنافقون العلمانيون بعد سيطرتهم المبدأ الفاسد الكاسد بفصل الدين عن الدولة ، وأصَّلوا فرقان الشيطان بين السلطان والقرآن ، ذلك الفرقان الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « ألا إن السلطان والقرآن سيفترقان ، فلا تفارقوا الكتاب »(1) .

وكان هذا « الفصل » بين الدين والدولة ، أو بين الشرع والحُكم ، تضييعاً للشرع وإضعافاً للحُكم ، بل كان إضعاف الحكم بالإسلام مقدمة لإضاعة الدين والدنيا معاً ، في تتابع مستمر قابل لأن يطال كل أسس الدين وثوابت الشريعة ، كما أخبر الصادق المصدوق في قوله صلى الله عليه وسلم : « لتُنقضَنَّ عُرى الإسلام عُروة عُروة ؛ فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ؛ فأولهن نقضاً الحُكم ، وآخرهن الصلاة » (2) .

وقد صدَّقت حقائق التاريخ المعاصر هذه النبوءة المعجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فما أن يُنقَض الحكم بالإسلام في أرض ، إلا ويتسلط عليها شياطين الإنس ، فيقوضون بنيانها وينقضون عُراها بدءًا بمنصة القضاء الشرعي ، وانتهاء بإقامة الصلاة التي جعل الرسول صلى الله عليه وسلم إقامة الولاة لها في الناس فيصلاً بين شرعية ولايتهم أو عدم شرعيتها ؛ وذلك عندما سأله بعض الصحابة عن حكم أئمة الجور قائلين : « أفلا ننابذهم بالسيف ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة » (3).

الأمر إذن ، ليس ولاية عبد الحميد أو وحيد أو عبد المجيد من خلفاء آل عثمان ، وإنما هو في تعبيد طريق التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، وفي إقامة سلطان الشريعة التي لا تصلح ولا تقبل خلافة الإنسان في الأرض إلا بها : (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) (ص : 26) .

ولا يصلح تحاكم الناس في الدماء والأموال والأعراض والسياسات والعبادات والمعاملات إلا لها .

(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (المائدة : 49) .

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير (264/1) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (228/5 ، 238) .

(2) أخرجه أحمد في مسنده ، (251/5) ، و ابن حبان في صحيحه حديث (257) ، و الحاكم في المستدرك (92/4) ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح الجامع الصغير (905/2) ، حديث (5075) .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه ، حديث (3447) ، (3448) .

وعندما تواطأ خبثاء العالم من الكفار والمنافقين على إسقاط سلطان الإسلام ودولته العالمية فقد كانوا على كامل اليقين أن ذلك مقدمة لانفراط منظومته كلها في البلاد التي يسقط فيها سلطانه وحكمه ، وذلك في شرائعه وشعائره ، وروابطه وضوابطه المنهجية والسلوكية التي لا يغني التغني بها عن التبني لها من نظام (حاكم) يُحْكم قياد العباد ، بشريعة رب العباد التي تعصمهم من الأهواء المضلة الموصلة إلى فساد الدنيا وعذاب الآخرة : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ) (الجاثية : 18-19) .

(عُرى الشيطان تُنازع أوثق عُرى الإيمان :

كانت الزلة الأولى للعثمانيين في أواخر عهد دولتهم ، أن أوحى بعض المنافقين إلى بعض زخرفاً من القول ، يعدُّون به رابطة الأخوة الإسلامية غير كافية لأن تكون أساساً جامعاً لرعايا الدولة من المسلمين ، فابتدعوا تقسيم الرعايا إلى (عثمانيين وأجانب) ؛ فقبل إلغاء الخلافة بنحو ثمانين عاماً اتجه بعض السلاطين إلى تحويل الرابطة أو الجامعة الإسلامية إلى (رابطة عثمانية) وذلك عن طريق ما يسمى بـ (إعلان التنظيمات العثمانية) الصادر في عام (1255هـ) (1839م) وهو نظام وضعي مضمونه أن يُقَسَّم المسلمون إلى : مسلمين عثمانيين ، وهم رعايا ومواطنو الدولة العثمانية ، ومسلمين غير عثمانيين ، عدَّهم الإعلان (أجانب) ! وضَمِنَ النظام الجديد للرعايا العثمانيين كل الحقوق بغضِّ النظر عن الدين أو اللغة أو الجنس ، بينما وُضع الآخرون (الأجانب) من المسلمين في خانة أدنى ، وكان هذا الإعلان بداية حقيقية للتخلي عن الرابطة الإسلامية المنبثقة عن المبدأ الإسلامي العظيم [إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ](الحجرات : 10) .

كانت هذه في ذاتها نازلة تستدعي أن يقوم لها عقلاء الأمة وعلماؤها ، ليميتوها في مهدها إحقاقاً للحق وإزهاقاً للباطل ، فيعلنوا في الناس أن خلافة المسلمين لكل المسلمين ، وأن رابطة الإسلام أسمى وأعلى من كل الروابط الاسمية الأرضية العنصرية ، ولكن ذلك الإجراء مضى ، وتطاولت به السنون ، حتى تحولت النزعة « العثمانية » إلى نزعة « طورانية »(1)، يدَّعي أصحابها أن الطورانيين المنحدرين من آسيا الوسطى (قوم) متميزون ، ونشأ بذلك ما سمي بـ (القومية الطورانية) كرابطة بديلة للرابطة الإسلامية ، وهي التي نشأت رداً لها أو تأثراً بها (القومية العربية) التي رد بها جهلة العرب على جهلة الترك ، فأنشؤوا بذلك نواة للروابط الباطلة التي عدَّها الإسلام نوعاً من الجاهلية ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم للمتنازعين من المهاجرين والأنصار : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟ دعوها فإنها منتنة » (2)، وكان ذلك عندما ضرب رجل من المهاجرين آخر من الأنصار ، فكاد الشيطان أن يوقع الفتنة بين الفريقين ، فتداعى قوم بالنصرة من الأنصار فقالوا : (يا للأنصار !) وقال آخرون : (يا للمهاجرين !) ، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم قوله الآنف .

المقصود هنا أن تلك الرابطة البديلة عن عُروة الإسلام ، ظل معمولاً بها ، حتى جاء السلطان عبد الحميد الثاني (1876 – 1909م) فغير تلك السياسة ، وقدَّم نفسه للعالم على أنه خليفة لكل المسلمين ، وبدلاً من أن يُساند هذا التوجه المحمود من علماء الأمة وعقلائها ، إذا بهؤلاء يختلفون حول هذا الأمر ؛ فبينما أيده على ذلك وسانده كل من الشيخ جمال الدين الأفغاني (ت 1897م) ، والشيخ محمد عبده (ت 1905م) من خلال جمعية (العروة الوثقى) التي شكلاها لتكون أداة إعلامية لهذا التوجه ، إذا بآخرين من أمثال (عبد الرحمن الكواكبي) (ت 1902م) يأخذون توجهاً آخر ، فينادون بـ (جامعة عربية) وخلافة عربية !! وصحيح أن الأصل في منصب الخلافة أن يكون عربياً ، بل قرشياً كما اتفق عليه العلماء (3)

---

(1) الطورانية هي : دعوة تنادي بتوحيد الشعوب الناطقة بإحدى اللغات التي تنتمي للغة التركية ، وهذه الشعوب تمتد كما يقولون من بحر الأدرياتيك وحتى سور الصين

العظيم ، وأول من نفخ في كير الدعوى الطورانية العنصرية ، الكاتب الفرنسي اليهودي (ليون كوهون) ؛ حيث كتب يقول : (إن الطورانيين كانوا فيما مضى شعباً ذكياً ممتازاً ، لكن أخذ بالتقهقر والانحلال عندما تخلى عن الخصائص التي تميز بها في صحاري آسيا الوسطى واعتنق الإسلام ديناً وحضارة) ، ومن الطرائف أن مؤلف كتاب (التركية والاتحاد التركي) (تكين ألب) الذي أسس للنعرة الطورانية ، هو يهودي اسمه الحقيقي (ألبرت كوهين) .

(2) أخرجه البخاري ، رقم (3257) ، (4525) ، و مسلم ، رقم (4682) ، (4683) .

(3) انظر الأحكام السلطانية لأبي يعلى ، ص 5 – 6 ، والأحكام السلطانية للماوردي ، ص 5 وشرح صحيح مسلم ، للنووي ، (200/12) .

[6] ، لكن الظرف الذي كانت تعيشه الأمة وقتها لم يكن مؤهلاً للعرب أن يحكموا بقية المسلمين ؛ لأن سلطانهم الفعلي لم يكن بأيديهم ، بل كانت أكثر بلدان العرب واقعة تحت احتلال الصليبيين من بريطانيين و فرنسيين و إيطاليين .

وفي مقابل المناداة بجامعة إسلامية عربية في ذلك الوقت الحرج ، استفحل الشعور القومي الجاهلي لدى فريق من الأتراك ، فنادوا بجامعة طورانية ، تجمع الأمة الطورانية الممتدة من فنلندا إلى منشوريا في دولة واحدة .

وهنا استُبعد الميزان الإسلامي تماماً ، وبدلاً من تفضيل بعض المسلمين على بعض بغير ميزان التقوى وهو أمر منكر جاء هؤلاء الذين ساووا بين المسلمين والكفار ، لمجرد مساواتهم في الانتماء القومي .

ومنذ ذلك الحين والصراعات القومية تمزق أوصال المسلمين بعد أن نشأت بعد ذلك النعرات القومية الأخرى كالقومية الفارسية والكردية والبربرية والهندية والبشتونية والطاجيكية وغيرها ، وهي النعرات التي لعب عليها العلمانيون اللادينيون ، عرباً كانوا أو عجماً ، فأقاموا حول كل قومية طاقماً من الأصنام النظرية والعملية التي تقدم لها القرابين المادية والمعنوية ؛ فتخاض لأجلها الحروب ، وتُشكَّل لها الأحزاب ، بل وتقوم عليها الدول .

أما في تركيا نفسها ، فقد تشكل فريق (القومية الطورانية) لمهمة الإجهاز النهائي على الرابطة الإسلامية ، ومن ثم الخلافة الإسلامية ، وكانت جمعية (الاتحاد والترقي) أداتهم في ذلك ، وكانت أولى إنجازاتهم السوداء أن انقلبوا على السلطان عبد الحميد الذي أراد إعادة الاعتبار للجامعة الإسلامية ؛ وذلك في عام 1908م ، عندما قاموا بانقلاب دستوري ضده يقيد سلطاته ، فلما قام أعوانه بمحاولة لتصحيح الأوضاع ، أطاح به الكماليون .

ومن تلك اللحظة تحولت دولة الخلافة من دولة إسلامية عثمانية إلى دولة طورانية تركية ؛ حيث سيطر الطورانيون على كل أجهزة الدولة عسكرياً وإدارياً ، وسياسياً من خلال جمعية الاتحاد والترقي ، وانطلق هؤلاء إلى تطبيق سياسة (التتريك) لكل مظاهر الدولة ، تمهيداً للانتقال من منزلة (القومية) الطورانية التركية الإقليمية ، إلى ما هو أنزل منها وأدنى وهو (الوطنية) التركية المحلية ، وكانت تلك هي الخطوة التالية من خطوات الشيطان التي خطاها نيابة عن إبليس ، صاحب الأصل اليهودي البئيس (مصطفى كمال أتاتورك) .

في رأيي الشخصي أن الأمة لم تنتبه جيداً في شخص علمائها ومفكريها إلى الخطر الماحق لنازلة الدعوات القومية والوطنية الجاهلية التي طرحت بديلاً لرابطة الإسلام الجامعة عبر التاريخ بين المسلم العربي والمسلم التركي والكردي والهندي والصيني ، والتي لم تعر اهتماماً للون البشرة ، أو منطق اللسان ، أو انحدار العرق ، تلك الرابطة التي لا تزال قادرة اليوم على أن تجمع في سياق واحد ووثاق متحد ، بين المسلم الأمريكي ، والمسلم الإفريقي ، وبين المؤمن الضعيف والمؤمن القوي وبين المسلم الفقير والمسلم الغني دون أن يشعر هذا بعلو أو ذاك بدنو ، إنها الرابطة التي تقصد أكثر شعائر الإسلام وشرائعه إلى استبطان معناها واستظهار مبناها في الصلاة والزكاة والحج والجهاد وعمارة الأرض .

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات : 10) .

(أما العلمانية المنافقة الماجنة ، فقد أرادتها فتنة منتنة منذ أن انبعث أشقاها الضال في الأناضول ، ليقول لمن ادعى أنهم أصحاب قومه ووطنه : « لقد آن لتركيا أن

تنظر إلى مصالحها وحدها ، ولا شأن لها بالمسلمين الهنود أو العرب أو غيرهم ، لتنقذ تركيا نفسها من زعامة المسلمين » .

لقد أسعد بسياساته تلك أولياءه من أعداء الله ، حتى كتب السفير البريطاني في تركيا مذكرة إلى وزير خارجية بريطانيا في (1910/6/28م) : « الآن ، قد أخذ الكثيرون يعلنون أن رابطة الإسلام انفصمت ، وأن القضية أمست قضية ترك وعرب » !

أما أصحاب قومية أتاتورك الأصلية وهم اليهود الصهيونيون ، فإن مشروع فصم عُرى الإسلام ، بدءاً من حل رابطته ، وحتى إسقاط خلافته وإقصاء شريعته ، قد جرى تنفيذه بإشراف واستشراف منهم ؛ فبعد أن أخفق (تيودور هرتزل) مؤسس الصهيونية الحديثة في إقناع السلطان عبد الحميد بالسماح بالهجرة لليهود إلى فلسطين ، اقتنع هو أن قيام الكيان اليهودي العالمي لن يكون إلا على أنقاض الكيان الإسلامي العالمي ، وتوثق بعد ذلك الاتصال بين رواد الصهيونية اليهودية ، وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي الماسونية الطورانية ، حتى إن اللورد ستون ، صاحب كتاب (نشوء القومية) في تركيا كتب يقول : « العلامة البارزة في جمعية الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية » ، وقال : « إن أصحاب العقول المحركة ورواد تلك الحركة كانوا يهوداً ، أو مسلمين من أصل يهودي ، ومواردهم المالية كانت تأتيهم عن طريق « الدونمة » ويهود سالونيكا الأثرياء ، كما كانت تأتيهم المعونات من بعض الجمعيات الدولية أو الشبيهة بالدولية من فيينا و بودابست و برلين ، وربما من باريس و لندن أيضاً ...
» (1).

وبالرغم من كل ذلك ، فقد وُجد من الإسلاميين عرباً وعجماً من أشادوا بالقوميات حتى يومنا هذا ، وهي التي ولدت يهودية في شرقنا الإسلامي ، ثم تبناها صليبيون وتغريبيون في البلدان العربية على شكل أحزاب أسسها نصارى من أمثال : (أنطون سعادة) مؤسس الحزب القومي السوري ، و (جورج حبش) مؤسس حزب القوميين العرب و (ميشيل عفلق) ، مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي ، وكان أبرز القادة المنظرين للفكر العلماني في العالم العربي نصارى أيضاً ، من أمثال (

قسطنطين زريق) و (أميل البستاني) و (سلامة موسى) ، ولا نستطيع أن نسمى من يسيرون على خطا هؤلاء ، ومن يسارعون فيهم إلا منافقين .

لقد أصبحت الرابطة التي تجمع – أو بالأحرى – تفرق ما بين العرب هي (الجامعة العربية) !! التي أصبحت (الراعي الرسمي) لكل الهزائم العربية أمام اليهود و النصارى الذين وطنوا القوميات والوطنيات في بلدان المسلمين ، ثم بدؤوا هم يعودون للمنطلقات الدينية إنجيلية وتوراتية .

ومن الجدير ذكره هنا أن دعوى الوطنية حلت محل القومية في تركيا بعد أن انهزم القوميون الطورانيون في تركيا في الحرب العالمية الأولى ؛ فقد انسحب أولئك الطورانيون من قيادة تركيا بعد توقيع اتفاقية الهدنة بعد الهزيمة في 7/30/ 1918م ، وهو العام الذي احتل فيه الإنجليز عاصمة دولة الخلافة ، واحتلوا أيضاً فلسطين ، ليهيئوها بعد ذلك لإقامة دولة اليهود التي ظلت مستحيلة القيام في ظل جامعة إسلامية موحدة ، ومع تخلي الطورانيين عن الحكم ، حلوا جمعيتهم المشبوهة (الاتحاد والترقي) ليفسح الباب بعد ذلك للوطنيين بعد القوميين ، وتزعَّم مصطفى كمال أتاتورك ذلك الاتجاه (الوثني الجديد) ، وقدم نفسه على أنه منقذ الوطن (تركيا) من الاستعمار ، وبدأ يُرسَم له دور قائد (المقاومة الوطنية) ضد الاحتلال الإنجليزي ، وشكل جمعية أسماها (الجمعية الوطنية) عام 1920م ، لتكون ممثلة لسلطان الأمة كما يزعم ، وهنا انقسمت السلطة في الدولة العثمانية إلى سلطة شرعية بقيادة السلطان في القسطنطينية ، وسلطة معارضة في أنقرة ، وكان الإنجليز يتعاملون مع السلطتين معاً ، ريثما تحل سلطة المعارضة (الوطنية) محل السلطة الشرعية الممثلة آنذاك في منصب السلطان وحيد الدين ، ولكن الصراع احتد بين السلطتين ، وضُيق على السلطان واتهم بالعمالة للإنجليز ، وقلَّ أعوانه بعد أن تغلغل الكماليون في كل أنحاء وأجزاء الدولة ، فاضطر وحيد الدين إلى مغادرة القسطنطينية ، فخلا الجو للكماليين ، وتهيأ الفضاء الإسلامي في تركيا وما يتبعها من أوطان إسلامية ، لهبوط نازلة أعتى من القوميات وأنكى من الوطنيات .. إنها العلمانية الإلحادية الصريحة التي غرَّبت الإسلام في دياره ، وجادلته في المحكمات من نصوصه وآثاره ، وأرادت بل صممت على أن تنصب خيمتها وتقيم إمبراطوريتها

على ركام بلدان الإسلام في أنحاء الأرض .

(خلافة البابوية :

---

(1) نشوء القومية في تركيا ، تأليف ورد ستون ، ص 135 – 136 .

بعد أن ابتلعت جمهرة الأمة ألعوبة العبث بعروة الأخوة الإسلامية الوثقى ، عن طريق القوميات والوطنيات ، وبعد أن تسبب ذلك في انعزال ثم زوال سلطان الخليفة الشرعي الأخير (وحيد الدين) سارع أتاتورك إلى تحويل الخلافة إلى (سلطة روحية) بعد تحويل السلطة الفعلية إلى الأمة في شكل (البرلمان) الذي توكل إليه على طريقة غير المسلمين كل قضايا التشريع والحكم التي لا يجوز إسنادها للبشر ، وقد تمثل ذلك فيما سماه الكماليون بـ (الجمعية الوطنية) التي شكلوا في مقابلها حزباً سياسياً يضمن السيطرة على قراراتها وتوجهاتها المحكومة برأي الأغلبية ، ولو كانت أغلبية المنافقين والفساق والكافرين ، وأطلق على ذلك الحزب السياسي (الحاكم) « جمعية الدفاع عن الأناضول » في قصة أصبحت كل أنظمة الحكم العلماني تكررها ، فتشكل أحزاباً (حكومية) لضمان السيطرة على البرلمانات التي تحكم باسم الأمة ، وهي في الحقيقة تحكم باسم الحزب الحاكم ، الخاضع دوماً للفرد الحاكم ، أما الخلافة التي أخَّرت بإذن الله هيمنة النصارى واليهود على العالم الإسلامي لخمسة قرون ؛ فقد حولها أتاتورك بإيعاز وتشجيع من الإنجليز (الذين كان يناضلهم في الظاهر) إلى سلطة روحية على غرار سلطة (بابا) النصارى الكاثوليك ، مع أن هؤلاء الإنجليز البروتستانت لا يعترفون لأنفسهم بسلطة كسلطة بابا الكاثوليك ، ولو كانت روحية ، ولكنهم ارتضوا للمسلمين بأن يكون لهم (بابا) مؤقت ، باسم الخليفة ، حتى يحين وقت محو هذا اللقب وذلك المنصب من الوجود إلى غير رجعة .

ولما احتلت بريطانيا الأراضي التركية في نهاية الحرب العالمية الأولى ، قال السفير البريطاني (كرزون) لعصمت إينونو رئيس وزراء تركيا عند عقد مؤتمر الصلح في نوفمبر 1922م لما طالبه بمنح الاستقلال لتركيا : « إننا لا نستطيع أن ندعكم

مستقلين ؛ لأنكم ستكونون حينئذ نواة يتجمع حولها المسلمون مرة أخرى ، فتعود المسألة الشرقية التي عانينا منها طويلاً » .

ولكن أتاتورك تعهد للإنجليز أن يزيل مخاوفهم ، وأبلغهم بالموافقة على أي شروط تزيل تلك المخاوف ، فاشترطوا عليه في اجتماع عقد في إبريل 1923م أربعة شروط على لسان السفير البريطاني ، عرفت بعد ذلك بشروط كرزون ، وهي :

1 – أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

2 – أن تقوم بإلغاء الخلافة .

3 – أن تتعهد بالقضاء على كل حركة يمكن أن تقوم لإحياء الخلافة .

4 – أن تحل القوانين الوضعية محل الشريعة الإسلامية ، وتضع لنفسها دستوراً علمانياً مدنياً بدلاً من الدستور العثماني المستمد من قواعد الإسلام .

وبموافقة أتاتورك على تلك الشروط عقدت اتفاقية (لوزان) وتركت لحكومته كل الأراضي التي كانت قد سلبت من الأتراك العثمانيين ليظهروه بمظهر البطل صاحب الإنجازات ! لاحظ معي أن روح (لوزان) لا تزال قانوناً غير مكتوب ، يحكم العلاقة بين الكيانات العلمانية التي سارت على درب أتاتورك ، وبين دول الكفر المختلفة .

وقد حاولت بريطانيا في الوقت نفسه أن تشجع العرب على الانشقاق عن الأتراك ، لإنشاء خلافة عربية ، بشرط أن تكون (روحية) أيضاً ! فمرة تُمَنِّي (الشريف حسين بن علي) في ملك العرب جميعاً ، ومرة تتغاضى عن طموحات الملك فؤاد ملك مصر السابق في أن تكون القاهرة (المحتلة) عاصمة الخلافة !

فماذا كانت مواقف المسلمين ، بعلمائهم وفقهائهم ومفكريهم وأرباب الدعوة فيهم تجاه هجوم العلمانية ، ومفهوم الخلافة « الروحية » الذي انتهى إلى الفناء والإلغاء ؟!

كيف كانت منازلتهم لهذه النوازل الجديدة المناقضة لأمور معلومة من الدين بالضرورة ، وتتلخص في أن الحكم بشريعة الإسلام واجب يكفر منكره ، ويرتد جاحده ؟! ...

ماذا كان موقف علماء ذلك العصر ومفكريه من طاغية ذلك العصر المبدل للدين والمذل للمسلمين ؟! هذه بعض إلماحات مختصرة عن تلك المواقف قبيل وبعيد قرار

إلغاء الخلافة البعض منها يدل على الكل ، في ملامح مرحلة حرجة من تاريخ الأمة المعاصرة ، أسست أزماتها لكل الأزمات والنوازل بعدها ، وتشابهت المواقف من المجرمين وقتها ، من المجرمين بعدها .

(ليتهم سكتوا :

– سبقت جرأة كمال أتاتورك على إعلان تحويل الخلافة إلى منصب روحي ، دراسة كان قد طلب إعدادها من فريق من (الفقهاء) الأتراك ، وتم صدورها في بيان فقهي تحت عنوان (الخلافة وسلطة الأمة) يتضمن القول بأن الخلافة مجرد مسألة سياسية صرفة ، ولا علاقة لها بالدين والاعتقاد ، ودعا إلى إرجاء الكلام فيها مطلقاً ، أو قلبها إلى مجرد سلطة روحية » .

وكان هذا الفقه الفاسد متكأ أتاتورك بعد ذلك في إلغاء الخلافة بشكل كلي .

– طرح أحد أبرز مفكري ذلك العصر ، وهو عبد الرحمن الكواكبي (ت 1902م) المنحدر من أصول إيرانية شيعية ، مبدأ الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية للخليفة ، بوضوح تام في كتابيه (طبائع الاستبداد) و (أم القرى) واقترح أن يكون للخليفة سلطة محددة بمنطقة الحجاز فقط ، تشبه سلطة البابا على مدينة الفاتيكان ، وقد اقتبس الكواكبي ذلك الطرح عن تيار (العثمانيين الجدد) الذين نقلوه بدورهم عن مؤلفات الأرمني النصراني (مورداجا وهسون) وقرينه (غريك سوفاس) .

– أطلق رجل بحجم (أحمد شوقي) قصيدة في تبجيل أتاتورك وسماها (تكليل أنقرة وعزل الأستانة) أي تكليل الكمالية وعزل السلطان والخلافة ، وعندما ادعى أتاتورك الانتصار على اليونان في حربه التمثيلية ضدهم أطلق أحمد شوقي أبياته المشهورة :

الله أكبر كم في الفتح من عجبِ * * * يا خالد الترك جدد خالد العربِ

ولكن أحمد شوقي أسقط في يده بعد ذلك عندما فوجئ بأن (خالد الترك) بدلاً من أين يجدد خالد العرب ، فإنه بَدَدَ مجد الترك ومجد العرب .

– كان زعيم الحركة السنوسية ، من أبرز من أيدوا الفصل بين الخلافة والسلطنة ، معتبراً أن ذلك في مصلحة الإسلام ، بل إنه نشر في جريدة الأهرام المصرية ، في 1923/9/28م ، بياناً ذهب فيه إلى أن نزع السلطة المدنية من يد الخليفة سيعزز

نفوذه الإسلامي ؛ لأنه سيصبح زعيماً عاماً وروحياً للأمة كلها ! - كان موقف جمال الدين الأفغاني (ت 1897م) من السلطان عبد الحميد غامضاً ؛ فبعد تأييده في إعادة الاعتبار لمفهوم (الجامعة الإسلامية) بدأ يطالبه بأشياء مثيرة للشكوك ، كأن يطالبه بتعريب الأتراك ، ونقل عاصمة الخلافة إلى عاصمة أخرى .

وجمال الدين الأفغاني ليس أفغانياً بل إيراني شيعي (على الراجح) ، كما أكد الشيخ مصطفى عبد الرازق في تقديمه لمقالات مجلة (العروة الوثقى) والكاتب (قدري قلعجي) في كتاب نشر له عام 1951م يتناول سيرة الأفغاني و محمد عبده و سعد زغلول .

وسيرة الأفغاني المملوءة بالتقية الشيعية انعكست على طريقة تعامله مع مسألة الخلافة الإسلامية ، وهو ما جعل السلطان عبد الحميد يرتاب منه وينأى عنه .

- وقف التيار الجهادي المغربي موقفاً غريباً من أزمة الخلافة ؛ فقد عارض عبد الكريم الخطابي (1881 - 1962م) الدعوة لإعادة الخلافة بعد إلغائها وكانت تعليمات الخطابي لمندوبه في مؤتمر إعادة الخلافة ألا يؤيد أي مرشح لها (1).

وبالرغم مما قامت به حركة الخطابي من بطولات فذة ، أفقدت الأسبان و الفرنسيين صوابهم وأجبرتهم على الانسحاب من أكثر الأراضي المغربية التي احتلوها ، فإن ذلك الموقف من الخلافة التي قامت بعد خلافة الأندلس التي كانت المغرب إحدى حواضرها الزاهرة ، كان غريباً في وقته ، وحتى لو كانت لحركة عبد الكريم الخطابي قضاياها الخاصة الكبيرة وهذا ما كان بالفعل فإن من غير المفهوم أن يكون الجهاد في إحدى البقع الإسلامية صارفاً ولو وجدانياً عن المشاركة في النوازل الجماعية التي تنعكس على مجمل أوضاع الأمة .

- وفي الجزائر كان للشيخ عبد الحميد بن باديس زعيم الإسلاميين في الجزائر في ذلك الوقت ومؤسس (جمعية علماء الإسلام) التي أضاءت سماء الجزائر بالعلم النافع والتجديد المتسارع موقف مغاير من أتاتورك خالف به جمهور الإسلاميين ؛ إذ نظر إليه على أنه « أعظم رجل عرفته البشرية في تاريخها الحديث » !! وقال عنه : « إنه عبقري من أعظم عباقرة الشرق الإسلامي كله » ووصفه بأنه « محيي الشرق الذي غيّر مجرى التاريخ » ولم يعد ابن باديس أتاتورك متهماً بالقضاء على

مكانة الإسلام ، بل جعل له (شرف) القضاء على (أصحاب العمائم) الذين أضروا بالإسلام !! ورأى ابن باديس أن الخلافة خيال غير قابل للتطبيق ؛ وأنه لا يمثله في الحقيقة إلا مؤسسة من (أهل الحل والعقد) التي يتصورها مرجعية دينية أدبية ، بعيدة كل البعد عن السياسة والتدخل في شؤون الحكومات ، وكان لا يتصور الخلافة نظاماً إسلامياً شرعياً ، ولكن يتصور بدلاً منها عالمية إسلامية ثقافية ! (2) .

قد تكون لحركة ابن باديس ظروفها الموضوعية وتقديراتها الخاصة لما جرى في تركيا ، وقد تكون للشيخ مآخذه على منهج خلفاء آل عثمان ، ولكن ذلك لا يعني بحال أن يكون الطاغية (أتاتورك) محلاً لهذا الاحتفاء والمدح رداً على ما يُرى في العثمانيين من مثالب وقدح .

---

(1) انظر : الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية ، الدكتور وجيه كوثراني، ص 26 .

(2) انظر : الإسلام والعروبة والعلمانية ، الدكتور محمد عمارة ، ص 163 – 165 .

– وفي مصر التي كانت تحت الاحتلال الإنجليزي في ذلك الوقت ، نشأ اختلاف حاد تجاه ما أحدثه أتاتورك ، بلغت حدته أن عده بعضهم مرتداً ، واعتبره آخرون مجدداً ، وبلغ اللغط قمته عندما أصدر الشيخ علي عبد الرازق كتابه الصاعق (الإسلام وأصول الحكم) فصاغ فيه أفكار الليبرالية العلمانية بلغة أزهرية ، تلبيساً منه وتدليساً ، وكان عبد الرازق قد تلقى قسطاً من تعليمه في جامعة أكسفورد ، وأسبغ عليه منصبه في القضاء وزناً أدبياً جعل مؤلفه فتنة في وقته ؛ حيث زعم فيه أن الإسلام دين وعبادة فقط ، ولا دخل له بالحكم ولا السياسة ، وبناء عليه فلا أساس لمشروعية منصب الخلافة ، ولا صحة لوجود شيء اسمه الحكم الإسلامي حتى في عهد الرسالة ؛ حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم كما زعم عبد الرازق مجرد مبلِّغ للدين والرسالة ، وقد عرض كتابه على (طه حسين) داعية التغريب الملقب بـ

(عميد الأدب العربي) فأضاف طه إضافات على كتاب عبد الرازق زادته ظلمات فوق ظلمات .

– في خضم هذا اللغط المخلط للمفاهيم ، كان الشيخ مصطفى صبري (1869 – 1954م) آخر شيوخ الإسلام المفتين في الدولة العثمانية قد أصدر كتاباً بعنوان : (الرد على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة) فكان صوتاً صادقاً صادعاً بالحق في وجه تغول الفكر العلماني وهجمته الانتهازية على أصول الإسلام من خلال تآمرهم على صرحه الباقي وحصنه الأخير .

وكان الشيخ أيضاً ممن اغتر بدعاوى الإصلاح التي رفعها الاتحاديون ، فشارك في تأييد خلع السلطان عبد الحميد في مجلس (المبعوثان) على غير إدراك لأبعاد تآمر هؤلاء الاتحاديين على تركيا والعالم الإسلامي كله ، ولما تبينت له تلك الأبعاد قال نادماً : « أيدت خلع السلطان عبد الحميد ، وبعد ستة أشهر تبين لي أن ثقله السياسي كان يساوي ثقل أعضاء مجلس المبعوثان جميعاً ويزيد » .. وبدأ بعد ذلك في الكشف عن حقيقة الكماليين التي اتضحت له ، وهاجم أتاتورك في أوج تألقه والتفاف الناس حوله ، وألف في الرد على من أيدوا اتجاهه المنحرف ، وبخاصة علي عبد الرازق ، حيث فند شبهاته وأبطل دعاويه .

– أما بالنسبة للأزهر كأعلى مؤسسة علمية إسلامية في ذلك الوقت فقد فوجئ علماؤه بكارثة إلغاء الخلافة ، وفوجئوا كذلك بمسارعة الحسين بن علي إلى الدعوة لنفسه بالخلافة دون مشورة من بقية المسلمين ، كما كانت مفاجأة لشيخ الأزهر في ذلك الوقت (محمد أبو الفضل الجيزاوي) أن يرشح الملك فؤاد ، ملك مصر الأسبق نفسه لهذا المنصب بعد أن دعاه إلى ذلك حفيد الأمير عبد القادر الجزائري ، فطلب منه أن يعلن نفسه خليفة ، ويجعل من القاهرة عاصمة جديدة للخلافة ، وكان لهذه الدعوة أنصار في مصر ، كما كان لها معارضون مغالون في المعارضة ، وعلى رأسهم الأحزاب العلمانية الناشئة ، كحزب الأحرار الدستوريين و حزب الوفد .

– ثارت دعوة من خلال الأزهر لعقد مؤتمر إسلامي عام لمناقشة مسألة الخلافة الإسلامية ، كان من ورائها دفع من قصر الحكم في مصر .

وكان واضحاً أن للملك فؤاد رغبة في أن يصبح خليفة للمسلمين ، فقوبلت هذه الرغبة من معارضيه السياسيين أشد المعارضة ، وكانت معارضة شخصية سياسية أكثر منها دينية ، ونجح هؤلاء المعارضون السياسيون في أن يقحموا السياسة في الدين على عكس مبدئهم المشهور (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة) فهنا فقط أدخلوا السياسة في الدين ، وأغروا بعض المشايخ كما حدث من علي عبد الرازق ، بأن يصيغوا هذا الرأي السياسي المعارض صياغة دينية ، فجاء هذا الكتاب الكارثة ، على تلك الخلفية السياسية الشخصية الانتهازية .

– تزعم حزب الأحرار الدستوريين (العلماني) المعركة ضد الخلافة ، لا اعتراضاً على شخص الملك فؤاد فقط ، بل رفضاً لمسألة الخلافة من أساسها لا بل رفضاً لحكم الشريعة بالمرة ، فقد كان ذلك الحزب رافضاً لأن ينص الدستور المصري لعام 1923م على أن الإسلام هو دين الدولة ، وكانت اللجنة المشكلة لوضع هذا الدستور كلها من أعضاء ذلك الحزب ، وكان حزب (الأحرار) هذا مدعوماً من الإنجليز ، وكان ينافسه في العمل الحزبي ، حزب الوفد الليبرالي العلماني أيضاً ، ولكنهما مع اختلافهما الشديد الذي وصل إلى حد العداوة ، اتفقا على معارضة عودة الخلافة .

– أما المؤتمر المدْعُو له لبحث النازلة العامة بحثاً عاماً فقد تنادى للاستجابة له علماء شرعيون كثيرون ، وقد كان هذا الأمر جيداً في وقته ؛ فأن يبت علماء الأمة في شأن عظيم من شؤونها في مؤتمر عام أمر يحمد لهذا الجيل ، ويحسب في رصيده ، أما ما لم يحمد فهو أن ذلك المؤتمر قد انتهى إلى طريق مسدود ؛ فقد عقد ذلك المؤتمر في التاسع عشر من شعبان سنة 1343هـ الموافق 1924/3/25م ، أي في السنة نفسها التي أعلن مصطفى كمال أتاتورك فيها إلغاء الخلافة ، وبالرغم من أنه عقد لبحث قضية إسلامية عالمية ، فقد غلبت عليه الصفة الإقليمية ، فجُل العلماء المجتمعين على فضلهم لا يمثلون إلا العلماء الرسميين الذين ينتمون إلى البلد التي يقودها ذلك الملك المرشح للخلافة وهي مصر .

– انتهى مؤتمر النازلة الكبرى بعد بحث طويل إلى مقررات تتلخص في تقرير شرعية منصب الخلافة وطرق انعقادها ودعائم بقائها وأسباب زوالها عن الشخص

المعقودة به ، ليخلص التقرير الصادر عن المؤتمر من ذلك إلى أن عزل كمال أتاتورك للسلطان وحيد الدين عن الخلافة جاء لأسباب ارتضاها المسلمون الذين كانوا يدينون لخلافته ، ثم أشار التقرير إلى الخطوة الثانية من خطوات أتاتورك ، وهي تحويل الخلافة إلى خلافة روحية في شخص السلطان عبد المجيد ، وبيَّن أن ذلك الفعل من المجلس الوطني التركي (بدعة) ما كان المسلمون يعرفونها من قبل ، لكن التقرير نبه على أن خلافة عبد المجيد على هذا الشكل ليست شرعية ، وأن البيعة له بشرط أن يكون معزولاً عن السياسة لم تكن صحيحة أصلاً ، وحتى لو كانت صحيحة فإن عبد المجيد لم يكن يملك النفوذ والقوة المشترطة فيمن يتولى الخلافة ، لهذا فإنه ليست له بيعة في أعناق المسلمين لزوال المقصود من تنصيبه شرعاً ، واعتبر التقرير أنه « ليس من الحكمة ولا مما يلائم شرف الإسلام والمسلمين أن ينادوا ببقاء بيعة في أعناقهم لشخص لا يملك الإقامة في بلده ، ولا يملكون هم تمكينه منها » .

(إذن فما هو الحل ؟!

حاول المؤتمرون أن يسوِّغوا العجز عن تقديم مبادرة لحل الأزمة ، بأن « العالم الإسلامي أصبح في أزمة بسبب الضجة التي أحدثها الكماليون في تركيا بإلغائهم منصب الخلافة ، وجعلوا هذا الاضطراب سبباً في أن « لا يتمكن المسلمون معه من البت في تكوين رأي ناضج في مسألة الخلافة ، ولا في من يصح أن يكون خليفة لهم » ومن أجل هذا دعا مؤتمر الأزهر إلى عقد مؤتمر أوسع : « لهذه الأسباب نرى أنه لا بد من عقد مؤتمر ديني إسلامي يُدعى إليه ممثلو جميع الأمم الإسلامية للبت فيما يجب أن تسند إليه الخلافة الإسلامية ، وتكون بمدينة القاهرة ، تحت رئاسة شيخ الإسلام بالديار المصرية ، على أن يعقد في شهر شعبان من 1343هـ مارس 1925م » أي بعد مرور عام كامل من المؤتمر الأول !!

ولم ينس المؤتمرون قبل أن يطووا أوراقهم أن يوجهوا الشكر للأمم غير الإسلامية (الكافرة) التي « راعت » ظروف المسلمين في هذا الظرف العصيب ، فلم تتدخل في شؤونهم .. « نعلن شكرنا للأمم التي تدين بأديان أخرى غير الدين الإسلامي ، ولدول تلك الأمم على ما أظهروه إلى الآن من ابتعادهم عن التدخل في شؤون

الخلافة الإسلامية ، ونرجو منهم أن يلاحظوا أن مسألة الخلافة مسألة إسلامية محضة لا يجوز أن تتعدى دائرتها ، ولا يهتم بها أحد من غير أهلها » !

ولنا ملاحظات وتساؤلات على ذلك المؤتمر ، وهي : هل كان المؤتمرون لا يعلمون شيئاً عن الدور الذي لعبته دول الأمم (التي لا تدين بالإسلام) في ترتيب خطوات إسقاط الخلافة بأشكال مباشرة وغير مباشرة ؟ .. وهل كانت وظيفة المؤتمر فقط أن يضفي شرعية على عزل السلطان عبد المجيد ؟

وكيف لم يكن الحكم الشرعي في العلمانية المطروحة بديلاً للخلافة موضوعاً ضمن مقررات المؤتمر ؟ وكيف نجح العلمانيون في أن يؤثروا على توصيات المؤتمر بحيث لا يشير أي إشارة إلى حل بديل في قضية الخلافة ؟

المؤتمر إذن لم ينجح ، وأرجأ إعلان عدم نجاحه إلى عام قادم يعقد فيه المؤتمر الثاني لبحث (النازلة الكبرى)

! (المؤتمر الثاني الموعود :

عندما جاء وقت انعقاد المؤتمر الموعود ، تأجل مرة أخرى لعام آخر ؛ لأن (الظروف غير مناسبة) وكانت تلك المدة كافية لأن تثير حول مفهوم الخلافة الكثير من التوترات والمهاترات التي من شأنها (حتى من ناحية نفسية) أن تقلل الحماس وتضعف العزيمة ، ولا شك أن العلمانيين الأوائل في مصر ومن خُدعوا بهم ، كان عليهم الجرم الأكبر في ذلك سواء كانوا من أصحاب (الطرابيش) أو (أصحاب العمائم) ، حيث عمل هؤلاء وهؤلاء ، من حيث يعلمون أو لا يعلمون على تحقيق غرض الإنجليز الواضح في تضييع الوقت ، وتمييع القضايا ، وتوسيع الصراع بين الأطراف في قضايا جانبية بعيداً عن القضية الأصلية ، ولما جاء أوان انعقاد (مؤتمر الخلافة) بعد عامين من سقوطها ، تحول ذلك المؤتمر إلى مواجهات بين أنصار الإبقاء على الخلافة بشكلها المعروف في الشرع ، وبين من رأوا إدخال (تعديلات) عليها ، وثارت مواجهات أخرى أشد بين أنصار تنصيب (الملك فؤاد) خليفة ، وبين أنصار تنصيب (الحسين بن علي) خليفة .

ولأن المؤتمر عقد في مصر ، وبدعوة من حزب الاتحاد التابع للملك ، فقد كان من الطبيعي أن يفقد المؤتمر صفته العالمية ، بل حتى على المستوى المحلي ذاته فقد

انقسم علماء الأزهر أنفسهم حول استحقاق الملك لمنصب الخلافة ، وكان على رأس المعارضين في ذلك شيخ الأزهر نفسه (محمد أبو الفضل الجيزاوي) الذي رأى أن القاهرة لا تصلح لأن تكون عاصمة لدولة خلافة جديدة ، وهي لا تزال تحت احتلال الإنجليز .

لقد أسس هذا المؤتمر (الإسلامي الرسمي العالمي) لعادة أصبحت عُرفاً بعد ذلك في كل ما يماثله من مؤتمرات ، وهي اختصار المسافات بالقفز فوق الخلافات بدلاً من علاجها ، فقرر المؤتمر المنتظر (والمؤجل لعامين) تأجيل البت في مسألة الخلافة (لظروف أنسب) في مؤتمرات لاحقة ، دون أن يعينوا لها زماناً أو مكاناً !! ، وكان من مسوغات تأجيل البت في (مسألة) الخلافة في ذلك المؤتمر ، أن الحضور رأوا أن « العالم الإسلامي أصبح ممزقاً ، وأن النزعة القومية بدأت تسيطر عليه » !!

لا ينبغي أن ننسى في هذا السياق أن المؤتمر كان للعلماء ، وليس للساسة والزعماء ، ولهذا كانت تسويغاته للفشل عذراً أقبح من ذنب ؛ إذ إنها جعلت الآفة التي جاءت لمعالجتها سبباً في ترك النظر في العلاج ، كما يُترك المريض حتى يموت بدعوى أن حالته الصحية ليست جيدة !! وقد رسَّخ المؤتمر إخفاق قادة الأمة (المفترضين) في تجاوز المحنة ، ولو بشكل نظري يضع الأمور في نصابها ويوقف العابثين بتراث الأمة ومصيرها عند حدهم ، وكما أسبغ المؤتمر الأول مشروعية ضمنية على جريمة أتاتورك في عزل عبد المجيد بعد تجريده من مقاليد الحُكم ، فقد أضفى المؤتمر الثاني نوعاً من التطبيع على هيمنة العلمانية ، بفتح الطريق أمامها بغير قصد لأن تمسك هي بزمام الأمة ، فيتحول غربانها من المنافقين وثعالبها من الأفاكين إلى (أهل حل وعقد) في مجالس الزور المسماة بـ (البرلمانات) .

ومنذ ذلك العهد بدأت المعركة الحقيقية بين الإسلام وغريمه الأكبر في ذلك العصر (العلمانية) ...

تلك الأداة الطيعة في أيدي كل أعداء الأمة ، من يهود و نصارى و ملحدين ، فما نفذ هؤلاء وهؤلاء إلى صميم حصون الأمة إلا على ظهور منافقيها ، وما نالوا من دمائها وأموالها وأعراضها بمثل ما فُعل على أيدي سفاحيهم وسفاكيهم .

ولهذا فإن التاريخ المعاصر يحتاج لإعادة كتابة يرصد فيها دور حزب المنافقين المعاصرين ، في التغرير بالأمة لنحو مئة عام متواصلة ، قامت خلالها لهم إمبراطورية كبرى ، هي (إمبراطورية النفاق) التي تضم كياناتهم المتعددة القائمة على إزاحة سلطان الإسلام لصالح سلطان الشيطان .

(لكن نقطة بيضاء ناصعة :

، نورت آفاق المواقف من نازلة إلغاء الخلافة ، كان يمثلها موقف عدد من العلماء الأحرار ، أمثال : الشيخ مصطفى صبري ، والشيخ أحمد شاكر ، والشيخ محمد بخيت المطيعي ، والشيخ محمد الخضر حسين ، فقد كان لكل منهم صولات وجولات في المنافحة عن حقائق الدين وحرماته أمام تلك الهجمة ، ويذكر هنا بوجه خاص الدور العظيم الذي قام به الشيخ محمد رشيد رضا ، حيث أثار مناقشات فقهية حول مفهوم الخلافة الروحية في مجلته (المنار) في أعداد متتابعة ، ثم جمعها في كتاب بعنوان (الخلافة أو الإمامة العظمى) وكان رأي رشيد من أرشد الآراء المعلنة في تلك الحقبة المظلمة ؛ حيث كانت خلاصة رأيه في مقالاته وكتابه أن الخلافة مسألة شرعية ، وأن نصب الأمة للإمام واجب شرعاً ، وأنها تأثم كلها بترك هذا الواجب ، وتعد حياتها وميتتها جاهلية مع ترك هذا الواجب (1) .

وكان كتاب رشيد رضا رداً على كتاب (الخلافة وسلطة الأمة) الذي أعده بعض شيوخ تركيا بأمر أو تآمر من مصطفى كمال أتاتورك ، وجاء هذا الموقف المعارض لأتاتورك وشيوخه ، بعد مرحلة من التأييد والتشجيع ، خُدع فيها رشيد رضا – رحمه الله – بشعارات أتاتورك فيمن خُدع ، حتى إنه راهن عليه في إصلاح أحوال الأمة انطلاقاً من تركيا ، وطالبه بتشكيل ما أسماه (حزب الإصلاح الإسلامي المعتدل) ليكون ممثلاً لفكر أستاذه محمد عبده ، ولكنه اكتشف زيف دعاوى أتاتورك بعد ذلك فاتخذ منه الموقف الشرعي الصحيح ، ودعا الشيخ رشيد جاهداً إلى إعادة تأسيس الخلافة على أصول صحيحة ، بل إنه وكما يظهر من بعض كلماته في تفسير المنار ، حاول أن يسلك مسلكاً عملياً لأجل الوصول إلى ذلك الغرض الشرعي بتشكيل فريق عمل يسعى لإعادة الخلافة .

وكانت محاولات الشيخ محمد رشيد رضا لمنازلة تلك النازلة ، هي أول تحرك مبكر للتصدي لتلك المحن ، تطور بعد ذلك على شكل جماعات وحركات وهيئات وجمعيات ، قامت من أجل العمل لاستئناف الحياة الإسلامية ...

فهل أدت هذه وتلك الأدوار المناطة بها ؟ .. إن لذلك قصة أخرى ، أرجو أن تتوفر لمناقشتها فرصة أخرى .

=================

#كيف تعرف العلماني ؟ و ما هي معتقداته ؟

خليفه بن إسماعيل الإسماعيل

العلماني :

تجده يؤمن بوجود إله لكنه يعتقد بعدم وجود علاقة بين الدين وبين حياة الإنسان (فكر بوذي) كما يعتقد بأن الحياة تقوم على أساس العلم التجريبي المطلق وهذا (فكر ماركسي).

والعلماني :

تجده يعتبر القيم الروحية التي تنادي بها الأديان والقيم الأخلاقية بأنواعها هي قيم سلبية يجب أن يتم تطويرها أو إلغائها وهذا (فكر ماركسي).

والعلماني :

تجده يطالب بالإباحية كالسفور ، والاختلاط بين الجنسين في الأماكن العامة والخاصة (أي الخلوة) ويحبذ عدم الترابط الأسري (دعوة ماسونية).

والعلماني :

---

(1) راجع ذلك في كتابه (الإمامة العظمى) .

تجده يطالب بعدم تدخل الدين في الأمور السياسية وأنه يجب تطبيق الشرائع والأنظمة الوضعية كالقانون الفرنسي في الحكم . وأن الدين للعبادة فقط دون تدخل في شئون الخلق وتنظيمها – كما أراد الله سبحانه وتعالى –.

والعلماني :

تجده يردد دائماً بأن الإنسان هو الذي ينبغي أن يستشار في الأمور الدنيوية كلها وليس رجال الدين – وكأن رجال الدين هم الذين اخترعوا التعاليم السماوية – ويطالب بأن يكون العقل البشري صاحب القرار وليس الدين . (مع تحفظنا على رجال الدين لان ليس عندنا رجال دين ولكن عندنا علماء)

والعلماني :

تجده يصرح باطلاً بأن الإسلام لا يتلائم مع الحضارة وأنه يدعوا إلى التخلف لأنه لم يقدم للبشرية ما ينفع ويتناسى عن قصد الأمجاد الإسلامية من فتوحات ومخترعات في مجال الهندسة والجبر والكيمياء والفيزياء والطب وأن علم الجبر الذي غير المفاهيم العلمية وكان السبب الرئيسي لكثرة من مخترعات اليوم وربما المستقبل ينسب لمبتدعه العبقري جابر بن حيان وهو مسلم عربي .

والعلماني :

تجده يعتقد بأن الأخلاق نسبية وليس لها وجود في حياة البشر إنما هي انعكاس للأوضاع المادية والاقتصادية وهي من صنع العقل الجماعي وأنها أي الأخلاق تتغير على الدوام وحسب الظروف (فكر ماركسي) .

والعلماني :

تجده يعتقد بأن التشريع الإسلامي والفقه وكافة تعاليم الأديان السماوية الأخرى ما هي إلا امتداد لشرائع قديمة أمثال القانون الروماني وأنها تعاليم عفى عليها الزمن وأنها تناقض العلم . وأن تعاليم الدين وشعائره لا يستفيد منها المجتمع . (وهذا فكر ماركسي) .

تنبيه :

العلماني تجده يصرح بهذه المقولة ويجعلها شعاراً له دون أن يكون له دراية أو علم أو اطلاع على التعاليم الفقهية الإسلامية أو على الإنجازات الحضارية الإسلامية0

والعلماني :

تجده حين يتحدث عن المتدينين فإنه يمزج حديثه بالسخرية منهم ويطالب بأن يقتصر توظيف خريجي المعاهد والكليات الدينية على الوعظ أو المأذونية أو الإمامة أو الأذان وخلافه من أمور الدين فقط .

والعلماني :

يعتبر أن مجرد ذكر اسم الله في البحث العلمي يعتبر إفساداً للروح العلمية ومبرراً لطرح النتائج العلمية واعتبارها غير ذات قيمة حتى ولو كانت صحيحة علمياً .

والعلماني :تجده يعتبر أن قمة الواقعية هي التعامل بين البشر دون قيم أخلاقية أو دينية لأنها في اعتقاده غير ضرورية لبناء الإنسان بل أنها تساهم في تأخيره وأن القيم الإنسانية ما هي إلا مثالية لا حاجة للمجتمع بها .

والعلماني :

تجده يعترض اعتراضا شديداً على تطبيق حدود الله في الخارجين على شرعه كالرجم للزاني أو قطع اليد للسارق أو القتل للقاتل وغيرها من أحكام الله ويعتبرها قسوة لا مبرر لها .

والعلماني :

تجده يطالب ويحبذ مساواة المرأة بالرجل ويدعو إلى تحررها وسفورها واختلاطها بالرجال دون تحديد العمل الذي يلائمها ويحفظ كرمتها كأنثى .

والعلماني : تجده يحبذ أن لا يكون التعليم الديني في المدارس الحكومية إلزامياً بل إختيارياً .

والعلماني :

يتمنى تغيير القوانين الإسلامية بقوانين علمانية كالقانون المدني السويسري والقانون الجنائي المعمول به في إيطاليا والقانون التجاري الألماني والقانون الجنائي الفرنسي وهذا القانون يعمل به في بعض الدول العربية . ويعتبر أن تلك القوانين هي الأفيد في حياة الفرد والمجتمع من التنظيم الإسلامي .

المصدر كتاب : كيف تعرفهم ؟ لخليفه بن إسماعيل الإسماعيل

===========

#تحولات إستراتيجية في المنطقة العربية

د. عوض بن محمد القرني

د.عوض القرني

تناولنا في العددين الماضيين دوافع أمريكا للحرب على العراق، أما ما يتعلق بالتحرك الفكري والاجتماعي فسوف تواصل أمريكا سعيها في الضغط لتغيير المناهج، وتقليص النفوذ الديني والعلوم الشرعية، والمؤسسات الخيرية، والتغيير الاجتماعي من خلال المرأة أولاً، والسعي لتغيير الاتجاه العام للمجتمعات، من خلال تغيير سياسات التعليم والإعلام وبعض نظم الحكم، ومن خلال التمكين للمنافقين من العلمانيين وأمثالهم والشهوانيين وأشياعهم، والذين بدأوا بالتحرك والظهور.

ومن ثم كان البغي والاستكبار والغرور والاستعلاء الذي اتصفت به أمريكا: مستكبرة بقوتها وكثرتها وعددها وعتادها، متناسيةً قدرة الله عليها وأن ذلك مقدمات الخذلان لها، بل الدمار، مثلما أخبر الله تعالى عمن قبلهم فقال سبحانه: فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون (15) فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى" وهم لا ينصرون (16) (فصلت).

إن مما ستكشفه هذه الحرب، انكشاف حقيقة أمريكا وظهور زيف شعاراتها عن العدالة الحرية والإنسانية والحضارة وحق الشعوب في تقرير المصير... الخ، حتى في تعاملها مع مواطنيها من المسلمين. قال الله تعالى: قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون 118(آل عمران).

وقد تتجلى الأحداث وتكون الاحتمالات التي بعدها كثيرة ومختلفة: فقد يحاول الغزاة فرض أساليب جديدة للحياة في المنطقة تحت مسمى: الديمقراطية والمشاركة السياسية، أو السعي لتمزيق المنطقة وتفتيتها، أو إبقاء شكل الدول وتبديل مضمونها إلى الأسوأ، أو الإلزام بقيام مؤسسات المجتمع المدني كالأحزاب والنقابات والإعلام الحر، وهذا يقتضي الإعداد لهذه المرحلة بكافة احتمالاتها، وتكاتف الجهود والحفاظ على وحدة الأمة.

وجاءت الهجمة الصليبية الاستعمارية في بداية هذا القرن التي مزقت جسم الأمة وأقامت بينها الحدود المصطنعة باتفاقية سايكس بيكو الشهيرة، وتحولت الأمة الواحدة إلى دويلات هزيلة متناحرة يدبر بعضها المؤامرات ضد البعض الآخر، وتنفق من

الأموال وتكدس من السلاح في الصراع بينها أضعاف ما تنفقه أو تستعد به لعدوها الخارجي، وإن شئت أن تأخذ النظام البعثي نموذجاً فأمامك قائمة طويلة من الحروب مع شعبه وجيرانه، وهكذا أصبح في أغلب الأقطار أنظمة وأحزاب علمانية ما بين ليبرالية أو يسارية، فاضطهدت الأمة وقتلت كرامتها وارتهنتها لعدوها وحاربت دينها وتاريخها وقيمها، حتى أصبحت الأمة أمماً يأكل بعضها بعضاً، وذلت أمام عدوها وتوالت هزائمها في جميع الميادين، فجاءت هزيمة نظام البعث في العراق في السياق ذاته، ومحصلة نهائية للعوامل ذاتها التي تتكرر عبر هذا القرن في بلدان شتى وبصور مختلفة".

وكذلك قامت الأنظمة العلمانية المفروضة على الأمة والجاثمة على صدرها من منتصف القرن الماضي، والتي استنزفت خيرات الأمة وطاقاتها ببناء السجون والمعتقلات وشن الحروب على الجيران وبناء القصور وتكديس الأموال في المصارف العالمية، وإنفاقها على الشهوات والموبقات، وبناء الأجهزة الأمنية الكثيرة . هذه الأنظمة التي مزقت الجبهة الداخلية للشعوب بشنها حرباً لا هوادة فيها على دين الأمة وتاريخها وهويتها ومحاولة زرع هوية مستوردة وغرسها في المجتمع بالحديد والنار، مما أفقد الأمة أي شعور بالانتماء لأوطانها والحكومات التي تحكمها، وجعلها تقول لا فرق بين بوش أو شارون أو صدام حسين أو ... الخ.

وإذا أردنا أن نفهم أسباب عجز النظام العربي القائم وعدم فاعليته، فعلينا أن نتذكر أنه تصميم وتنفيذ فرنسي بريطاني ثم رعاية وتعهد أمريكي سوفيتي وأن له وظيفة وقدرة وحدوداً لا يستطيع تجاوزها بناءً على أصل تكوينه وحدود إمكاناته.

=============

الوسائل العلمية والعملية لمواجهة العلمانيين

ابو عمر

توطئة :

العلمانية لا تحتاج لتعريف لكثرة ما كتب عنها ، ولذا لا يهمنا الآن التعريف ولكن يهمنا كيفية المواجهة مع هذا الفكر ..

الأصل أن تكون المواجهة من خلال خطط مدروسة لا مجرد ردود أفعال ، وأن تكون الخطة طويلة المدى ولها أهداف مرحلية واضحة لا مجرد مواقف آنية تنتهي بنهاية الحدث.

أولاً الموقف من العلمانية والعلمانيين:

1. إبراز حقيقة العلمانيين والبعد الديني لها ، وحكم العلمانية والعلمانيين في الإسلام ، ونشر المقالات عن طرق العلمانية وبرامج حوارية عنها لتبيين خطرها ، وبيان أنهم غير منتجين.

2. إبراز أهداف العلمانيين وفضح رموزهم.

3. إبراز وسائلهم في محاربة الإسلام والمسلمين وكذلك خطرهم على الأمة وبيان أوجه الشبه بينهم وبين المنافقين.

4. رصد وجمع مقالاتهم وأطروحاتهم ثم تصنيفها وإيصالها لمن يستطيع الرد والإنكار عليهم ، ومناظرة رموزهم وقياداتهم الضالة.

5. الرد على العلمانيين من خلال المنابر المتوفرة :

(خطب الجمعة ، الشريط الإسلامي ، الانترنت ، القنوت الفضائية ، الصحافة ، الكتب والمؤلفات ، المحاضرات والندوات ...الخ.

6. ربط أحداث العنف في البلاد بتطرف العمانيين وأطروحاتهم –وهذه هي الحقيقة– .

7. التوضيح لأهل الحل والعقد أهدافهم وأعمالهم وتبيين عيوبهم ومرادهم في المجتمع.

8. النصح لهم وذلك عن طريقين مباشر وغير مباشر إما عن طريق الذهاب لهم والجلوس معهم والتحاور معهم مباشرة أو مهاتفتهم عما يحصل وما حصل ، أو عن طريق المراسلات عن طريق الرسالة والبريد الأرضي والالكتروني وغيره.

9. اختراق أماكنهم وفضح مخططاتهم.

10. الذهاب إلى أماكنهم وفضح مراميهم وأهدافهم والرد عليهم مباشرة.

11. وضع عمل مؤسسي للرد على العلمانيين.

12. وضع كتب صغيرة وأشرطة في الفقه الميسر وغيره

13. ....

ثانياً : التفاعل والتعايش مع المجتمع:

14. المعايشة العملية لمشاكل المجتمع بإظهار الاهتمام بها ، وطرح الحلول العلمية والعملية لها ، على سبيل المثال : البطالة ، العنوسة ، الطلاق ، الجريمة .. الخ.

15. إنشاء المؤسسات والنوادي الاجتماعية وتطوير أنشطة الجمعيات الخيرية.

16. إعداد الكوادر المناسبة لإدارة المؤسسات أعلاه لا سيما " التعامل مع الجماهير".

17. تفريغ بعض الطاقات الجيدة للعمل في المجال الإعلامي " القنوت الفضائية ، الصحافة ، الانترنت ... الخ.

18. الاستفادة من تجارب الإسلاميين في الدول الأخرى في مواجهة المد العلماني والعمل الإصلاحي ، " المجالس البلدية ، النوادي الاجتماعية ، ...الخ.

19. الاهتمام بتربية الأمة بعامة والأجيال الناشئة بخاصة على أساسيات الدين والمنهج الإسلامي لأنهم هم شباب المستقبل وعماد الأمة.

20. تحصين المجتمع والصف الإسلامي تجاه القضايا التي يطرحها العلمانيون (العوم ، المرأة ، سد الذرائع ، الخ ..) من خلال التأصيل الشرعي العلمي المقنع الذي يراعي مستوى المخاطبين (عوام ، مثقفون ، شباب) .

21. تعبئة الناس بالدين الإسلامي والعقيدة الصحيحة من التدخلات المسيئة.

22. توثيق الصلة بالجمعيات الخيرية وبين الناس.

23. ضبط الأمور والقوائم المالية في هذه الجمعيات التي قد يدخل منها العلمانيين.

ثالثاً : تفعيل دور العلماء والدعاة :

24. إبراز النماذج الإسلامية والقيادات المتميزة للمجتمع لمحاربة التيار العلماني.

25. إيصال صوت العلماء والدعاة للمسؤولين والحكام في البلاد.

26. توحيد صف العلماء والدعاة لتكون المواجهة قوية مع العلمانيين.

27. تحصين المجتمع والصف الإسلامي تجاه القضايا التي يطرحها العلمانيون ، من خلال التأصيل الشرعي لها ، قضايا المرأة ، سد الذرائع..الخ.

28. عدم الانسياق وراء الأطروحات المائعة والغامضة وعدم الانشغال بها.

29. إظهار النماذج الاسمية كقدوات واقعية في القضايا التي يطرحها العلمانيون ويحاربون الإسلام من خلالها.

30. نشر الوعي الشرعي بالوسائل المختلفة وخصوصاً الفقه الميسر.

31. دعم المفكرين الإسلاميين وإبرازهم على المستوى الإعلامي ..

32. وضع برامج نقاش مع العلمانيين تبث مباشرة.

33. تبيين وجه الشبه بينهم وبين المنافقين.

34. استخدام المنابر الإسلامية للدفاع ومن ذلك خطب الجمعة والمحاضرات وغيره.

35. توضيح معتقدهم بأسلوب متزن.

رابعاً : حماية المرأة :

36. الاهتمام بالمرأة وقضاياها وعدم ترك أي مجال أو مدخل ينفذ من خلاله العلمانيون ، بل والعمل على تأهيل الداعيات وإعدادهن لمواجهة هجمات المعادية لهن.

37. المطالبة بإيجاد جمعية لحقوق المرأة في الإسلام " أفضل وسيلة للدفاع الهجوم ".

38. المشاركة الفعالة للمرأة المسلمة في الرد على أطروحات العلمانيين فيما يتعلق بحقوق المرأة .

39. الدعاء بأن يحفظ الله على هذه الأمة دينها وهويتها الإسلامية ، وأن يخزي هؤلاء العلمانيين ويرد كيدهم في نحورهم.

خامساً : أفكار أدبية للرد على العلمانية:

الكثير من العلمانيين يدخلون أفكارهم وماتخفي صدورهم في رواياتهم الأدبية وقصصهم وتعابيرهم الأدبية عموماً ولذا وجب علينا أن نرد وندافع من نفس صنيعهم ومن ذلك:

40. نشر الأدب الإسلامي بشكل واسع وخصوصاً الروايات الإسلامية الراقية لتكون بدلاً عن روايتهم المخزية.

41. توزيع كتب الأدب الإسلامي بسعر رخيص.

42. إيجاد قصص الأدب الإسلامي أو القريبة منه والتي لا تحتوي على توجيه مباشر.

43. دعم المحاضرات والملتقيات الأدبية والشعرية.

44. إيجاد وسائل إعلام هادفة محايدة (قنوات ، صحف ، ...الخ) لظهور الأدباء الإسلاميين فيها.

سادساً : وسائل التقنية (المنتديات والمواقع والقنوات الفضائية والإذاعة) :

حيث أن المنتديات والمواقع من أهم الوسائل الالكترونية التي تعمل في الوقت المعاصر فلذا لا بد من الاستفادة منها وكذلك بعض وسائل التقنية من قنوات فضائية وإذاعة وغيره وذلك بعدة طرق:

45. تنفيذ جميع ما ذكر أعلاه وذلك عن طريق المواقع والمنتديات والقنوات وغيره.

46. إقامة مواقع متخصصة في هذا الشأن لتبيين شبههم وكذلك طرح الأجوبة السليمة بعيداً عن التكلف.

47. الاستفادة من تجارب الدول الأخرى التي وصلها هذا الفكر في هذا الموضوع.

سابعاً : محاذير :

في كل عمل لا بد من محاذير مهمة ومن ذلك:

48. لا يلزم أن أي شخص يكتب مقالاً أو موضوعاً من مواضيعهم أن يوافقهم في الفكر ، فلا بد من التأني والنصح له فقد يكون جاهلاً

49. الانتباه لردود الفعل التي قد تحصل من بعض الشباب وربما تفسد بعض النتائج المثمرة من استعجال وغيره.

50. ....

============

#دستور الأسرة المسلمة لماذا ؟

بقلم: أ .د.محمد عمارة

قبل الغزو الفكري، الذي جاء إلى الشرق الإسلامي في ركاب الغزوة الغربية الحديثة التي قادها "بونابرت" (1769 1821م) على مصر والشرق (1213هـ 1798م) لم تكن هناك حاجة إلى وضع المواثيق التي تحدد المفاهيم والفلسفات لسلوك المسلمين

فـي مختلـف ميـادين الحيـاة الفرديـة.. والأسـرية.. والاجتماعيـة.. والسياسـية ذلـك أن المرجعية الإسلامية كانت هي الوحيدة الحاكمة، التي تحدد كل المفاهيم والفلسفات في سائر هذه الميادين..

ولقد كانت المشكلات التي تعاني منها الحياة الإسلامية مقصورة على "التطبيق" لهذه المفاهيم الإسلامية الواحدة، والتي تحكم حتى الاختلافات الفقهية الفرعية التي يثمرها الاجتهاد في إطار وحدة هذه المرجعية ومفاهيمها وفلسفاتها، ومدى اقتراب "الواقع والتطبيق" من "المثل" التي حددها الإسلام..

لكن الغزو الفكري الغربي قد أحدث متغيراً أساسياً، وذلك عندما زرع في المجتمعات الشرقية الإسلامية مرجعية حضارية أخرى وضعية "علمانية" لا دينية غدت منافساً شرساً لمرجعية الإسلام.. الأمر الذي استدعى واستوجب تمييز المفاهيم الإسلامية عن نظيرتها الوضعية العلمانية اللادينية في مختلف ميادين الحياة..

فبدأ الحديث عن ضرورة وأهمية تقنين الفقه الإسلامي كبديل متميز عن القانون الوضعي العلماني..

وبدأت البلورة للرؤية الإيمانية الإسلامية للكون والحياة لبداية الخلق.. والمسيرة.. والمصير.. ومكانة الإنسان في الكون كبديل متميز عن الرؤية الوضعية والمادية للكون والحياة..

وبدأت البلورة كذلك لمذهب الإسلام في الثروات والأموال والعدل الاجتماعي ومذهب الاستخلاف كبديل "لليبرالية الرأسمالية" و"الشمولية الشيوعية" في الاقتصاد والاجتماع.

ولأن الغزو الفكري قد تسلل إلى ميادين الحياة الإسلامية تدريجياً، وفي نعومة، وأحياناً على استحياء، بل وبواسطة الغش والتدليس في خلط المفاهيم ومضامين المصطلحات.. وذلك كي لا يستفز الحس الإسلامي، فتنتفض الأمة لمقاومته.. ولأن الدوائر التي تخطط لهذا الغزو كانت على علم بمكانة الأسرة في منظومة القيم الإسلامية مكانة "الحرم".. و"العرض".. و"الشرف" فلقد جاء الغزو لميدان الأسرة متأخراً، وفي مرحلة عموم البلوى لكل ميادين الحياة.. جاء في الوقت الذي أصبحت

فيه الأسرة المسلمة "محاصرة" بهذا الغزو الفكري الغربي من جميع الجهات والاتجاهات!..

لقد بدأ تسلل القانون الوضعي أولاً إلى ميادين المنازعات التجارية في الموانئ عندما يكون أحد طرفي هذه المنازعات أجنبياً في سنة 1855م، في عهد الخديوي سعيد (1237 1279هـ 1822 1863م). ثم زاد هذا التسلل بإنشاء محكمة "قومسيون مصر" سنة 1861م، التي تقضي بالقانون الوضعي بين الأجانب والمصريين حتى خارج الموانئ التجارية.

ثم حدث تعميم هذا التسلل إلى مطلق ميادين المنازعات تجارية وغير تجارية التي يكون أحد طرفيها أجنبياً، وذلك عندما أنشئت "المحاكم المختلطة" في عهد الخديوي إسماعيل (1245 1312هـ 1830 1895م).. ورئيس وزرائه الأرمني نوبار باشا (1825 1899م) وذلك في سنة 1875م وهي المحاكم التي يقضي فيها القضاة الأجانب.. بالقانون الفرنسي.. واللغة الفرنسية ..

فلما وقع الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة 1882م، عممت سلطات الاحتلال هذا القانون الأجنبي في المحاكم الأهلية المصرية مع بعض التعديلات .. فلم يبق خارج ولاية القانون الوضعي وحاكميته سوى الأسرة وأحوالها الشخصية.

ومع تصاعد موجات التغريب، وزيادة هيمنة الغرب على المؤسسات الدولية، واجتياح العولمة الغربية للخصوصيات الثقافية والقيمية غير الغربية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين بدأ الاهتمام الغربي بحرمات الأسرة المسلمة، والانتهاك لمقدسات منظومة قيمها التي حددها الإسلام وصاغتها المرجعية الإسلامية.. الأمر الذي فرض ويفرض على مؤسسات العلم والفكر والعمل الإسلامي صياغة البديل الإسلامي في هذا الميدان.

لقد شرع الغزو الفكري والغربي، منذ العقدين الأخيرين للقرن العشرين، في صياغة منظومة قيمه في "الحداثة وما بعد الحداثة".. في مواثيق ومعاهدات، أخذ في عولمتها تحت ستار الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، وذلك لإحلال هذه المنظومة القيمة، المصادمة لكل القيم الدينية، محل منظومة القيم الإسلامية، وفي ميدان الأسرة على وجه التحديد.

وإذا كانت قوى الهيمنة الغربية المعاصرة، ترفع في ميدان السياسة شعار "الفوضى الخلاقة"، التي تتغيَّا من ورائها تفكيك المجتمعات الإسلامية وبعثرة مكونات وحدتها، وفق معايير عرقية ولغوية ومذهبية وطائفية، ليتأبد نهب ثروات هذه المجتمعات، بمنع التماسك والتضامن والوحدة الإسلامية من الجهاد لتحرير الأوطان والثروات.. فلقد غدت الهجمة الغربية على حصون الأسرة المسلمة بمثابة "المعركة الفاصلة" في هذه الغزوة وهذا الاحتواء.. الذي يتغيَّا إحداث الفوضى في عالم الأسرة لتفكيكها والقضاء على مقوماتها.. ومن ثم تفكيك الأمة، المكونة من الأسرة والعائلات.

وإذا أخذنا نموذجاً واحداً من "الوثائق" التي يصوغها الغرب، ويضمنها منظومة قيمه في الحداثة وما بعد الحداثة، ثم يسعى لعولمتها، وفرضها على الحضارات غير الغربية تحت ستار الأمم المتحدة وأعلامها.. لنرصد من بين فصولها وموادها عدداً من معالم الهدم والتدمير لمنظومة الأسرة المسلمة في القيم والأخلاق، فإننا واجدون في وثيقة "مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية" الذي عقد بالقاهرة من 5 حتى 15 سبتمبر سنة 1994م نموذجاً "لإعلان الحرب" على الأسرة المسلمةومنظومة القيم والأخلاق التي حددها لها الإسلام.

فإذا كان الإسلام انطلاقاً من الفطرة الإنسانية السوية قد بنى الأسرة على العلاقات الشرعية والمشروعة بين ذكر وأنثى، لتتحقق بهذا التمايز والتكامل سعادة الإنسان، وليتحقق بالتوالد والتناسل بقاء النوع الإنساني، ولتكون هذه الأسرة هي اللبنة الأولى في تأسيس بناء الأمة فإن وثيقة مؤتمر السكان.. وبصريح العبارة تعلن الحرب على المعنى الإنساني للأسرة، وتدعو إلى "تغيير الهياكل الأسرية"، معتبرة ذلك التغيير هو "المجال الحيوي لعمل الحكومات والمنظمات الحكومية الدولية، والمنظمات غير الحكومية المعنية، ووكالات التمويل، والمؤسسات البحثية".. فكل هذه المؤسسات مدعوة "بإلحاح لإعطاء الأولوية للبحوث الحيوية المتعلقة بتغيير هياكل الأسرة"(1).

.. وذلك حتى لا تكون فقط أسرة شرعية مؤسسة على علاقة مشروعة ألوان العلاقات بين رجل ورجل.. أو بين امرأة وامرأة مدخلة، بذلك الانقلاب، كل ألوان العلاقات الشاذة والمحرمة شرعاً في إطار "الأسرة" التي يعترف بها القانون ويحميها ويرتب لها الحقوق!..

وإذا كان الإسلام قد ضبط المتعة الجنسية، لتكون سبيلاً شرعياً للعفة والإحصان والإنجاب، فجعل "الجنس مشروعاً"، فإن وثيقة مؤتمر السكان تطلب فقط أن يكون "الجنس مأموناً"، أي لا يؤدي إلى الأمراض، وتطلقه وتحرره من ضوابط الشرع، ليكون حقاً من حقوق الجسد كالطعام والشراب مباحاً "لجميع الأفراد" وليس فقط "الأزواج".. ومن كل الأعمار، بما في ذلك المراهقين والمراهقات!!

"فالصحة التناسلية والصحة الجنسية" التي جاءت مصطلحاتها الأكثر شيوعاً وتكراراً في هذه الوثيقة هي "حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة التي تجعل الأفراد (وليس فقط الأزواج)، قادرين على التمتع بحياة جنسية مُرضية ومأمونة(2).. والمتعة الجنسية والصحة التناسلية والجنسية هي، كالاحتياجات التغذوية، حق من حقوق البنات والفتيات.. المراهقات(3)..."

الهوامش

(1) (مشروع برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية) الفصل الثاني عشر الفقرة 24 الترجمة العربية الرسمية طبعة سنة 1994م.

(2) المصدر السابق، الفصل السابع الفقرات: (1 5).

(3) المصدر السابق، الفصل الرابع الفقرة (2).

============

#الإقلاعُ عن العادةِ العلمانية .. برنامج من ست خطوات

بقلم: ديفيد بروكس

ترجمة: تركي الزميلي

مجلة أتلانتك منثلي، عدد مارس 2003

هذا مقالٌ رئيسٌ في العدد الحالي، من مجلة أتلانتك منثلثي، المقروءة على نطاق واسع في أمريكا وبريطانيا وغيرهما، وهو واحدٌ من مقالات عديدة مشابهة، تَظهر في منافذ النشر المختلفة في العالم الغربي، وهو بالتأكيد لا يخلو من التحيزات المعتادة، وقد لا يتفق بالضرورة مع تفسيرات القارئ العربي ومواقفه من الأشخاص والوقائع، ولكنه عينةٌ من كتابات كثيرة، ومؤشراتٍ أكثر، تَتلمَّسُ طريقاً آخر، وتُحس بأن مرحلةً مختلفةً من التحول التاريخي تتكرّسُ يوماً بعد يوم، وتتحدّى ما استقرَّ من مسلماتٍ

في المسار الرئيس لفكر النخب في العالم الغربي. وكاتبُ المقال يُراجع تجربتَه هو شخصياً، مثلما يراجِع الثقافةَ التي مَنحتْه ما عاش به من مسلماتٍ في النظرِ إلى الأحداث، وتفسيرِ التحولات في تاريخ البشر، وحاضرهم، ومستقبلهم. ويبحث عن يقين جديد، بعد أن تهدمتْ معابد اليقين القديم ومسلماته أو كادت، وهي جرأة محمودة، وإن لم تُوصل بالضرورة إلى فكرةٍ أكثر صواباً، وأجدر بالبقاء.

أنا مِثلُ الكثير من الناس اليوم: علمانيٌّ يَستعيدُ عافيتَه.

لقد كنتُ حتى 11 أيلول أَقبَلُ الفكرةَ التي تقول: إن العالم كلما أصبح أكثر غنى وتعليماً أصبح أقل تديناً. إن هذه النظرية تتمسك –من خلال الاستنتاج من عيّنةٍ إنسانية محدودة وغيرِ مُمَثِّلَة (بعض أجزاء من أوروبا الغربية، وأجزاء من أمريكا الشمالية)– بأن التاريخ كلما تقدم إلى الأمام؛ فإن العلم يَحُلّ مكانَ التسليم الاعتقادي، والتعليلُ السببي يَحُلّ بديلاً عن التسليم غير الخاضع للتعليل العقلي، وإن أي منطقة لم تنل حصتها بعد من الإصلاح والتنوير –كالعالم العربي مثلا–؛ لابد أنها سوف تنالها، عاجلاً أم آجلاً.

إن من الواضح الآن بأن نظرية العلمنة هذه غير صحيحة؛ فالجنس البشري لا يصبح بالضرورة أقل تديناً كلما أصبج أكثر غنى، أو أفضل تعليماً. إننا نعيش اليوم في ظل واحدة من أعظم فترات التقدم العلمي، وتخليق الوفرة، وفي الوقت نفسه فإننا في قلب الازدهار الديني.

إن الإسلام يموج بالحركة. واليهودية الأرثوذكسية تنمو في الأوساط الفتية من المجتمع، وإسرائيل تزداد تديناً كلما أصبحت أكثر غنى. والتنامي في المسيحية يفوق كل الأديان الأخرى. لقد نشرتْ هذه المجلة (مجلة أتلانتك منثلي) مقالاً في عام 1942م كان عنوانه: "هل سوف تنجو الكنيسة المسيحية من الاندثار؟" والحال أن ثمة الآن بعد ستين سنة من نشر المقال بليونين من المسيحيين في العالم، وبحلول 2050 فإن العدد وفقاً للتقديرات سيصبح ثلاثة بلايين. وكما يلاحظ فيليب جينكينز أستاذ التاريخ والدراسات الدينية في جامعة بنسلفانيا، فإن أكثر الحركات الاجتماعية التي شهدها عصرنا نجاحاً ربما تكون حركة الـPentecostalism (راجع مقال"المسيحية التالية" في عدد أكتوبر من مجلة أتلانتك). فقد تحققتْ لها البداية في

لوس أنجلوس منذ حوالي القرن، والآن يعتنقها 400 مليون من الناس –وهذا الرقم وفقا لما يقوله جينكينز ربما يبلغ المليار عند حلول منتصف القرن–.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الطوائف الدينية، التي ترفض تبني العلمنة، هي الطوائف الأسرع نمواً، بينما تستمر في الذبول والاضمحلال تلك التي تحاول أن تكون عصرية(modern). وإن الصيغ المثيرة من المسيحية، والصيغة المقاومة للحداثة من الإسلام هي التي تنمو وتزدهر. إن تعداد المسيحيين في أفريقيا، الذي كان يبلغ 10 ملايين تقريباً في عام 1900م، والذي يبلغ الآن حوالي 360 مليوناً؛ من المتوقع له أن يبلغ في عام 2025م: 633 مليوناً، مع سيطرة للمجموعات الإنجيلية المحافظة. إن الكنائس في أفريقيا تغدو أكثر نفوذاً من العديد من الكيانات القومية، مع ما ينشأ عن ذلك من آثار، الجيد منها والرديء.

إن العلمانية ليست هي المستقبل؛ إنها رؤية الأمس الخاطئة للمستقبل. هذا الإدراك يدفع بنا نحن العلمانيين في طور التعافي إلى محلات بيع الكتب، أو المكتبات العامة، في محاولة يائسة لاكتشاف ما الذي يحدث في العالم. إنني أشك أني الوحيد، الذي وجد نفسه بعد الحادي عشر من سبتمبر يقرأ طبعة ورقية (غيرمجلدة) من القرآن، والتي كانت قد أُحضرتْ من بضع سنين خلت، في تلائم مع سمو المبدأ، ولكنها في الحقيقة لم تُفتح قط، وربما لستُ الوحيد الذي يتعمق الآن في دراسة تعاليم أحمد ابن تيمية، وسيد قطب، ومحمد بن عبد الوهاب.

إن عملية التشافي من العلمنة تحتاج إلى ست خطوات:

أولاً عليك أن تقبل حقيقة أنك لست المعيار أو النموذج.

إن المؤسسات الغربية والجامعات ترسل مجموعات الباحثين من أجل أن تدرس وتشرح ظاهرة الحركات الدينية، ولكن –وكما أشار إلى ذلك عالم الاجتماع بيتر بيرجر– فإن الظاهرة التي تحتاج حقاً إلى تفسير؛ إنما هي عادات أو سلوكيات أساتذة الجامعة الأمريكان، ويجب على المجموعات الدينية أن تكون هي من يرسل الباحثين؛ لمحاولة فهم: لماذا تُوجد مجموعات ضئيلة من البشر في العالم، لا يشعرون بالحضور المستمر للإله في شئون حياتهم، ولا يملئون أيامهم بالشعائر

والصلوات التي تهيؤهم للاتصال بالنبوءة والحدس، ولا يؤمنون بأن رغبة الإله يجب أن تشكل حياتهم العامة.

حالما تقبل هذا –وهو يشبه تفهم أن الأرض تدور حول الشمس والعكس بالعكس– فإنك تستطيع أن تبدأ رؤية الأشياء بطريقة جديدة.

الخطوة الثانية في اتجاه الشفاء تتضمن التصدي للخوف.

لبضع سنوات بدا أننا كنا جميعاً نتجه نحو نهاية حميدة للتاريخ، ربما كان السأمُ فيها أحدَ أعظم مخاوفنا. لقد فازت الديمقراطية الليبرالية بيومها الموعود. ونعم، تَوَجَّب علينا أن نتناقش حول العولمة وعدم المساواة، ولكنها كانت مفاهيم مادية وتعيسة.

أما الآن فنحن ننظر إلى المصادمات الأساسية للعقيدة، وإلى الحالة المروِّعة حقاً – على الأقل في نصف الكرة الجنوبي–، التي تُذَكِّر بالعصور الوسطى، مع حكوماتٍ واهنة، وجيوشٍ من المبشرين، وصراعٍ ديني عنيف.

الخطوة الثالثة: أن تصبح غاضباً.

أنا الآن أعاني انزعاجاً مفرطاً بسبب الأصوليين العلمانيين، الذين هم راضون ببقائهم متجاهلين للتحولات الهائلة، التي تحدث من حولهم في كل مكان. إنهم لا يتعلمون أي شيء عن الدين، داخلَ بلادهم وخارجَها. إنهم لا يعرفون من يكون تيم لاهاي وجيري بي جينكينز، حتى وهذان هما المؤلفان، اللذان باعا 42 مليون نسخة من كتبهما! إنهم ما زالوا لا يعرفون ما الذي جعل من عيد الخمسين عند المسيحيين عيد الخمسين (بإمكانك أن تعبر داخل غرفة من غرف الأخبار الأمريكية، وتسأل هذا السؤال، وستجد أن الناس الذين قد يكونون قادرين على الإجابة؛ هم ربما السكرتارية، أو موظفو الأمن). إنهم ما زالوا لا يعرفون عن ميشيل عفلق، القومي العربي الروحاني، الذي كان المرشد الروحي لصدام حسين. إن زخات نياجرا الاتقاد الديني هذا الشلال العظيم، تنهمر من حولهم، بينما يقفون بُلداءَ، ومُتَيَبِّسين، في كهفٍ حقير من ضيق أفق التفكير، والكثير منهم صحفيون، ومحللون سياسيون، إنما يُدفَع لهم من أجل مواكبة هذه التغيرات.

الخطوة الرابعة في اتجاه الشفاء، تكون بمقاومة دافع البحث عن تفسيرات مادية لكل شيء.

خلال القرون، عندما تبدّت العلمنة، بصفتها موجةَ المستقبل؛ طوّر المفكرون الغربيون نماذج لعلم اجتماعٍ، مُقْنِعٍ بصورةٍ استثنائية. فقد شرح ماركس التاريخ عبر صراع الطبقات، وشرحه اقتصاديون آخرون من خلال تعظيم الأرباح والفوائد، واستخدم أساتذة الشئون الدولية، مبادئَ صراع المصالح، ونظريةَ اللعب؛ للتنبؤ بالتفاعلات بين الأمم.

كل هذه النماذج مغرية، وصحيحة جزئياً. وهذا البلد (أمريكا) يستمر في بناء مؤسسات قوية من أمثال قسم الشئون الخارجية، والسي آي إي، التي يستخدمها لتطوير سياسات ذات مغزى. ولكن ليس ثمة أي نموذج من هذه النماذج يستطيع أن يأخذ في الحسبان، وبصورة ملائمة، الأفكارَ والدوافعَ والتصرفاتِ الدينية، لأن التوقد الديني لا يمكن قياسُه ولا تنميطه. إن الدوافع الدينية لا يمكن أن تفسر بتحليل حدود الكسب والخسارة.

لقد كان محللو السياسة المدنية، عبر السنوات العشرين الماضية، يفكرون بجد في الوظائف والأدوار، التي يلعبها الدين والخصائص الشخصية في الحياة العامة. إن نخب سياستنا الخارجية هم متأخرون عنها بعقدين من السنين على الأقل. لقد استمروا لشهور يتجاهلون قوة الدين، وحينها عندما اصطدموا مع أمرٍ لا مفر من كونه دينياً، كالثورة الإيرانية، أو طالبان، بدؤوا يتحدثون عن الحماس والتعصب الديني، اللذين أصبحا، وبصورة مفاجئة، يفسران كلَّ شيء. وبعد بضعة أيام من هز الرؤوس الرافضة للمتعصبين؛ عادوا إلى تحليلاتهم العلمانية المعتادة. إننا حتى الآن لم نملك –مع حاجتنا المؤكدة– نموذجاً للتحليل، يُحاوِل أن يدمج العاملَ الروحيّ، والعاملَ المادي معاً.

يجب على العلماني المتعافي، أن يقاوم إغراء معاملة الدين بصفته مَعْبراً أو قناةً مجرَّدة لدوافع اقتصادية مقاوِمة. على سبيل المثال: نحن غالباً ما نقول: إن الشبان العرب الذين لا يملكون إمكانياتٍ لائقة؛ يتحولون إلى الإسلام الثوري. إن هناك بشكل واضح بعض الحقيقة في هذه الرؤية، ولكنها ليست كل القصة: فلا أسامة بن لادن، ولا محمد عطا –على سبيل المثال– كانا فقيرين أو مقموعين. ومع ذلك فإن من المحتمل تشييد نظريات، تشرح اتجاههما الراديكالي بصفته نتيجةً لتوحدهما، أو

لأشياء أخرى من عوامل التحليل العلماني، مع أن الذي يقدِّم إدراكاً أفضل، هو الاعترافُ بأن الإيمان مصدر القوة، بصورة مستقلة، وربما أقوى من أي استياء اقتصادي.

إن الكائنات الإنسانية تتوق إلى حكم الصلاح والاستقامة، وإلى عالم الإنصاف، أو عالمٍ يعكس مراد الإله، وفي كثير من الحالات، وعلى الأقل بمقدار مشابه في القوة، لاشتياقها إلى النجاح أو المال. وإن التفكير في هذا التوق؛ يعني التحرك بعيداً عن التحليل العلمي، والدخول إلى ممالك الحكم الأخلاقي. إن السؤال الحاسم لا يكون عن: ما هو نوع الدوافع الذي يستجيب لها هذا التوق؟ ولكن: هل الأفراد يتبعون رؤيةً أخلاقيةً للحكم الصالح؟ وهل هم يمارسون ذلك من خلال طرقٍ مستقيمةٍ وفاضلة؟ أم أنهم مثل صدام حسين وأسامة بن لادن أشرار في رؤيتهم وطرائقهم؟

الخطوة الخامسة: يجب أن يعترف العلماني في طور التشافي، بأنه كان متراخياً جداً مع الدين؛ لأنه افترض أن الدين يلعب دوراً متقلصاً في الشئون العامة. لقد عامل الدين بغطرسة، ثم قرّر متنازلاً عَدمَ محاكمة العقائد الأخرى، فهي كلها طرق مشروعة لمقاربة الإله، كما أخبر نفسَه، وقرر أن يذوبَ أخيراً في واحدة منها.

ثم بعد كل شيء، ما الداعي لإثارة المشكلة بمحاكمة عقائد الآخرين؟ إنه ليس تصرفاً مؤدباً. إن الخيار الأفضل عندما تواجَه ببعض التصرفات القبيحة، التي يتم ممارستُها باسم الدين، هو أن تتفادى عيون هؤلاء.

هل الوهابية هي شِقٌّ قاسٍ يَضُرّ بالإسلام؟ لا تتحدث عن هذا.

ولكن لا يمكن لهذه المقاربة أن تكون مقبولة، في عالم يلعب الدينُ فيه، الدورَ الأعظم بصورة مطلقة. على الشخص أن يحاول الفصل بين الصواب والخطأ. ولكن المشكلة أننا في المرة التي نبدأ فيها بفعل ذلك؛ فإنه من الصعب أن نقول: أين سينتهي بنا المطاف؟ أَمْعِن النظرَ في (بيم فورتشوين) السياسي الألماني ذي النزعة اليسارية، والمدافع عن حقوق الشاذين، الذي ينتقد المهاجرين المسلمين لمواقفهم تجاه النساء والشاذين؛ عندما تم اغتياله في السنة الماضية، وصفته الصحافة بناءً على هذه النزعات النقدية، بأنه يميني من نوعيةِ جين ماري لوبان، وهو وصفٌ بعيد عن

الحقيقة. إن تصنيفات اليسار واليمين في عالم اليوم ما بعد العلماني ستصبح غير ملائمة، ومنتهية الاستعمال.

الخطوة السادسة والأخيرة للعلمانيين في طور التعافي: هي أن يفهموا بأن هذا البلد لم يكن علمانياً بالفعل في أي يوم من الأيام.

إننا نحن الأمريكان نتوق إلى معيار الصلاح والاستقامة بتوقُّدٍ كأي شخص آخر.

إننا مغروسون مع الفكرة التي عَبّرتْ عنها كلمات أبراهام لينكولن: نحن نمثل "الأمل الأفضل والأخير للمعمورة". إن العديد من الأمريكيين أحسوا وباستمرار، بأن لدينا مهمة غير عادية، ومتجاوزة للحدود، مع أنها، ولحسن الحظ، ليست من النوع اللاهوتي. إننا نُحس غريزياً، وبطرق لا يحس بها الناس في أماكن أخرى، بأن التاريخ لم يتحقق بعد، طالما بقي هناك أمم أو شعوب، لا يكون الناس فيها أحراراً. وهذا هو الإحساس الغريزي الذي قاد بوش للاستجابة بصورة طموحة جداً، لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهذا ما قاد الأغلبية من الأمريكان لتأييده.

إن الأمريكيين نشطون كغيرهم في صراع عقائد النهايات. يرى صدام حسين التاريخ ينتهي مع أمة عربية موحدة، مسيطرة عالمياً، مع تحقيقه لمكانة مبجلة، كصانع لنظام عالمي كهذا. ويرى أسامة بن لادن التاريخ ينتهي بفرضٍ عالمي لقانون الشريعة. والكثير من الأوروبيين يرون التاريخ ينتهي بإقامة مؤسسات عالمية علمانية، حيث ستهدأ الانفعالات القومية والدينية، وتُعطِي دولُ القوميات معبراً للقانون الأممي، وللتعاون المتعدد. والكثير من الأمريكان يرونَ التاريخَ ينتهي بانتصار الحرية، واحترام الدستور، مع تدين غير متخلى عنه، أو مقموع، وإنما مثرٍ للحياة الديموقراطية.

إنه لا مفر من كوننا عالقين في عالم من الرؤى المتصارعة، في رؤيتها للقَدَر التاريخي. ولكن فهمَ هذا العالم يَعني: جلدَ التحيزات العلمانية، الصادرة عن عقولنا كل يوم.

المصدر موقع الإسلام اليوم

==============

#كيف نحارب العلمانية

بسم الله والحمد لله ونصلي على رسول الله . أما بعد – ظهرت حركة التغريب مع قدوم المصري رفاعة الطهطاوي من باريس عام 1831 م وتأليفه كتاب ' تلخيص الإبريز في تلخيص باريز ' ، ثم تبعه في الشام عبد الرحمن الكواكبي وما وضعه في كتابه ' طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد 'مع العلم أن كثيراً من المفكرين لا يجعلون الأخير في صف الأول .

ثم توالت بعدهم كتابات المستغربين وما عرف بالعلمانيين ، وكان المستعمر الغربي قد أخذ دروساً من حملاته الصليبية السابقة ، وكيف أنها لم تولد إلا ناراً جهادية تستعر في قلوب المسلمين جعلت خيول الرحمن تدك بلاد أوروبا طولاً وعرضاً ؛ حتى ولدت فكرة القائد الأوروبي المشهور نابليون باستبدال الاحتلال العسكري بالاستعمار الفكري ، وكم كانت الفكرة في بدايتها مضحكة لكثير من قادة أوروبا ولكن سرعان ما تبين لهم كم كانت هذه الفكرة هي هدفهم المنشود من قرون لهذا أراد ذلك المستعمر أن يكون استعماره لبلاد المسلمين استعماراً عسكرياً يهيئ للاستعمار الأكبر وهو الاستعمار الفكري ؛ حتى إذا خرجت جيوشهم من بلادنا بقيت أفكارهم في عقولنا .

وعندما خرجت الوفود الطلابية إلى بلاد الغرب حيث كانت هناك تُقْتَل الفِطَر وتُغْسَل الأدمغة استقبلتها بلدان المستعمر استقبالاً حافلاً ، والغريب وليس بغريب على المستعمر أن أول تلك المجموعات التعليمية التي انطلقت لبلاد الغرب ذهبت في تخصصات تربوية وليست علمية مما يعني اعتناء المستعمر بهذا الباب الخطير ، وفي بداية الأمر ظهرت بعض الاحتجاجات هناك بسبب فتح أبواب المعرفة للمسلمين وهم الذين كسروا شوكة أهل هذه البلاد ؛ ولكن خبثاءهم عرفوا أن إحضار شباب المسلمين ونزعهم من بيئتهم الإسلامية ووضعهم في بيئة نصرانية علمانية ، ثم تغذية عقولهم بالشبهات ، وإشباع قلوبهم بالشهوات هو الطريق الصحيح لبقائهم في بلدان المسلمين ، وكان لابد من تعبئة تلك المجموعات بأن لها هدفاً سامياً يجب أن يبذلوا فيه جهدهم وحياتهم في بلاد المسلمين ، وفعلاً رجعت تلك الوفود بعد سنوات التّغَرب الاجتماعي ، والأهم من هذا التغرب الفكري .

وكان المستعمر حريصاً على استخدام سياسة التلميع لهؤلاء ، ولا مانع في بعض الأحيان أن يصورهم أنهم هم أهل الانتفاضة ضد الاستعمار ، وكم رأى الناس جيوش الاستعمار وفرائصها ترتعد كذباً من ذلك المستغرب الصنم ويظهرون للناس زوراً خوفهم من أهل هذا الفكر لأنه هو الذي سيطرد المستعمر بزعمهم ، وإذا خرج ربيب من ربائبهم في مظاهرة لا يتجاوز عددها العشرات بثوا بين الناس ضخامة تلك المظاهرة ، وجعلوا عددها يتجاوز الآلاف ، ثم يحكون للناس ما قام به ذلك العميل المستغرب من بطولات في تلك المظاهرة ، وكيف أنه تصدى لجيوش المستعمر بصدره العاري ، والعجيب أنه إذا قام أحد المصلحين بانتفاضة أو مظاهرة سلمية فإن الرصاص والقتل سيكون مصيره ، ثم سمحوا لهؤلاء العملاء العلمانيين بفتح الصحف والمجلات سراً ، ويغضون الطرف عنهم محاولين إيهام الناس بجنونهم في البحث عن صاحب الجريدة ، ويصدرون الأوامر باعتقاله أو قتله ، ويدعون اختفاءه ، والحقيقة أن بطلهم يأكل في بيته من النعم الوافرة التي أرسلها له سيده المستعمر ، وبالتالي يزداد تعلق قلوب الناس بهم ، ويزداد كل يوم شغف الأمة بهؤلاء المضحين زوراً حتى إذا علم العدو بتملك حب هؤلاء العلمانيين قلوب الناس جعلوا لهم انتفاضات كاذبة على المستعمر ، حتى يسير الشعب خلف هؤلاء العلمانيين ، وينادي بحياتهم ، وعندما تأتي ساعة الصفر يخرج المستعمر ، ويصعد البطل على المنصة لتتم مراسم التتويج ، ولتبدأ أسوأ حلقات المسلسل على شريعة الإسلام وأهلها .

ومازال هؤلاء العلمانيون بالناس حتى أكلوهم بمعسول الكلام ، وطلبوا منهم أن لا يتعجلوا الثمرة ، وأن البناء بعد التحرير يحتاج إلى وقت طويل ، وفي هذه الأثناء بدءوا مشروعهم الحضاري كما زعموا فنشروا أفكارهم بين الناس ؛ وأسرعوا الوتيرة في الفساد والإفساد وإبعاد الناس عن منبع الهداية ، ثم سيطروا على موجهات العقل البشري وعلى رأسها الإعلام والتعليم ، حتى غُرِّبَت أمتنا وبَعُدَت عن منبعها الصافي ، ومازالت حشودهم تتعاقب على كل باب فيه هدم للشريعة المحمدية .

وكم كان أسفنا عظيماً ونحن نرى هذه الفئة القليلة وهي تعبث بمقدرات وكرامات الأمة حتى جعلونا أذلة في مؤخرة الركب باسم التحضر والتمدن والحقيقة أنا لم نجد

منذ أكثر من قرن ونصف أي كتاب أو بحث مستقل يناقش قضية طرق محاربة هذه الفئة ، وإنا لا ندعي أننا في هذه الأجزاء سوف نأتي بما لم يأتِ به من كان قبلنا ، وإنما عملنا يقوم على جمع بعض الأفكار المتناثرة التي ألقيت في بطون الكتب أو المحاضرات أو المقالات ، ثم ترتيبها على هيئة نقاط . كما أنا ألحقنا بها نقاطاً جديدة لم يذكرها أحد ، وللإحاطة فما ذكرناه إنما هو عبارة عن بحث مطول اختصرت منه هذه النقاط ، وقد أحببنا أن لا نطيل في العرض حتى لا يتوهم البعض صعوبة مجابهة العدو :

1- استكشاف الكتاب المتميزين وأصحاب المواهب الجيدة : سواء من خلال الكتب أو الصحف أو المجلات أو مواقع الانترنت ، وهذه النقطة هي من أهم النقاط ، والسبب أنها أساس العمل الذي ستقوم عليه أكثر النقاط أثراً في عمل العدو ، وهذه العملية يجب أن لانُعَقِّدها فيحصل الصدود عن تحصيلها ، وكذلك ينبغي ألا نُهَوّنها حتى لانفرط في أساس عملنا في معركتنا الكبرى ، وينبغي أن نراعي الآتي في تعاملنا مع هذا العنصر :

أ- إن أي تجاوز في معنى التميز والموهبة سوف يترتب عليه ضياع للهدف ، بل يخشى من عواقب وخيمة تنعكس سلباً على الهدف المنشود ؛ فمثلاً قد يُزَكّى أحدنا كاتباً معيناً بناء على رأي متسرع ، ثم بعد ذلك تطفو على السطح شطحات أو انحرافات عليه ، فماذا سيكون موقفنا من الناس ونحن من قمنا بتزكيته والثناء عليه ، فنكون بين مصيبتين كلتاهما أمَرّ من الأخرى ؛ فإما السكوت ، وبالتالي تبقى صورة الرجل النظيف هي الظاهرة أمام الناس مما يجعل الناس ينهلون من شطحاته ويستزيدون منها، وإما أن نعري صورته ونعتذر عن مدحه سابقاً ؛ وهاهنا نفقد ثقة الناس في شهاداتنا في وقت نحن من أحوج الناس لها في ظل الهجمة الشرسة من بني علمان . وعلى العكس من ذلك قد تتولد لدينا مواهب كثيرة ؛ ولكن لكون الاختيار يقوم على أساس التشدد والتدقيق المفرط فإنا نقوم بقتلها من خلال تركها وإغفالها ، وستجد هذه المواهب عدونا يتلقفها ويثني عليها ، ثم ينقلب حال ذلك الكاتب من حصن يستأسد للدفاع عن قضايا أمته إلى عدو يتصيد ويتحسس أي مدخل للقضاء على هذا الدين كشريعة للحياة ، وأغلب كتاب بني علمان كانت كذا

بداياتهم ، ولهذا فهم يجيدون فن الاحتواء للعامة من خلال الإثناء أو شحذ الهمم أو فتح الأبواب لهم باسم المشاركة في نهضة المجتمع ثقافياً .

أ متى ما تحصل لنا مؤلف عرف بكتاباته الجيدة وهو لا يعد من الصف الإسلامي فإنا لابد أن نثني على العمل مع الثناء غير المفرط على الكاتب ، وبهذا استطعنا أن نشجعه فيما يقوم به ، وكذلك مازال بيدنا خط الرجعة من جهة أي تراجع للكاتب عن أي موقف من المواقف التي كان يخدم بها ديننا .

ب يجب الحذر من توجهات الكتاب الذين عرفوا بتوجهاتهم المنحرفة ، فمثلاً أحد كبار الفكر الليبرالي في الكويت سب النبي صلى الله عليه وسلم ، وجرت له محاكمة مشهورة انتهت بسجنه ، ثم عفا عنه أمير الكويت [كعادته في تكريم أمثال هؤلاء] ، وهذا الليبرالي مازال يصرح بأن الإسلاميين يريدون أن يرجعوا بالأمة ألف عام إلى الخلف ، ويصرح بأن الفكر الإسلامي هو أساس التخلف ، وله ومواقف مشهورة من عقود ، وقبل أقل من شهر تأتي مجلة من دولة الكويت ، وتضع لقاء معه ومع نصراني من أجل بيان كيفية أن نوجه صغيرنا لو ظهر بعد ذلك أنه إرهابي [تعني مجاهد] ، فتكلم بكلام سوء ، وذكر أنه لابد أن يسلم الطفل للأمن في دولته ، وتمضي المجلة في تحليلها من غير أن تبين خطورة كلامه ، ووثق فيه بعض الناس لتوثيق المجلة له ؛ ولكن بعد أسبوع خرج ذلك المجرم يطالب في برنامج تلفزيوني بمنع تدريس سورة الفاتحة للصغار لأن فيها كلاماً على النصارى واليهود ، وبالتالي تدعو إلى التطرف والانحراف ، فماذا سيكون موقف المجلة ؟! هل تعريه أمام الناس ثم يكون السؤال : كيف تفضحينه وأنت تستأمنينه على صغارنا ؟! أو تسكت عن بيان الحق فيه وتلحق بصف الشياطين الخُرْس .

ت لابد أن يكون عندنا متخصصون في متابعة منابع الإعلام ، فهذا يتابع جريدة كذا والآخر يتابع مجلة كذا وذاك يتابع منتدى ما ، وهكذا حتى يتكون لدينا مكتشفون جيدون ؛ فإذا جاءت ساعة البدء بالاختيار كانت الصورة واضحة للمستكشفين ، وبالتالي الاختيار في الغالب يكون مصيباً .

ث المستكشف ينبغي أن لا يكون واحداً ، بل يجب أن يكون عدة أشخاص حتى تحصل الشورى الشرعية مما ينتج غالباً عن ذلك دقة وصحة الاختيار ، وهذا رسول

الله صلى الله عليه وسلم أخذ بالشورى في غزواته ؛ فشاور في بدر وأحد والخندق وغيرها ، والذي جعلنا نحرص على تعدد المستكشفين هو تجاوز بعض السلبيات التي قد تحصل لو كان المستكشف منفرداً وله اهتمام بمجال معين؛ فإنك ستجد أنه ضعيف التصور للمجالات الأخرى ، وبالتالي سيكون اختياره منحازاً لفئة معينة دون الأخرى مع أنه قد تكون الفئات الأخرى أكثر نشاطاً وأحسن إبداعاً من الكتّاب الذين اختارهم .

ج يجب أن يكون لدى المستكشفين ملفات لكل كاتب تم اختياره أو سوف يتم اختياره ؛ حتى نستطيع أن نجعل تقويمه تقويماً دقيقاً ، وهذا يعطينا تصوراً صحيحاً قبل اختياره ومعرفة خطه ، بل وأهم من هذا معرفة طرقه في وصول أفكاره لعقول القراء والتي قد تعطينا كماً هائلاً في معرفة كيفية التأثير على الناس ، وهذه الملفات ستعطينا أيضاً تصوراً صحيحاً عن مدى بقاء الكاتب على خطه بعد ضمه لمشروعنا الحضاري لأن النفوس قد تتغير والتوجهات قد تتبدل .

ح يجب أن تكون لدينا أيضاً مراجعة على المستكشفين أنفسهم ، فهذه المهمة من أخطر المهمات ، وأي ضعف أو خَوَر فيها سيتبعه انهيار كامل أو جزئي لما ترتب عليه من أعمال ، وهذه المتابعة ستجعل المستكشف إما أن يضاعف من طاقته أو يسلم الراية لغيره متى ما وجد أنه قد شغل بغيرها أو أصبح عاجزاً عن تقديم الجديد والمزيد ، وبهذا يبقى عملنا قائماً وصامداً .

خ لابد من تنوع تخصصات المستكشفين ونقصد بالتخصصات أي التخصصات التي تحتاج لها الأمة في معركتها ، فلا نكتفي بالتربية أو بالفكر أو بالأدب وغيرها وإنما نتناولها كلها ومعها غيرها ، وقد لا نستطيع في أول عملنا أن نحصل على هذا التنوع بين المستكشفين ولكن سيأتي اليوم الذي تحار عقولنا عند الاختيار من كثرة المعروض منهم بإذن الله تعالى خاصة وأن الأمة مليئة بالطاقات التي تحتاج إلى إعطاء الثقة والتفعيل بعد ذلك .

د مراعاة الأولويات : عند البدء في المشروع لابد من مراعاة الأولويات ، بحيث لا ننطلق لنقطة ما وهناك ما هو أهم منها ، فلا أستكشف الشعراء قبل المربين والمفكرين ، وهكذا كانت وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل لما بعثه

إلى اليمن حيث قال له : ' إنك تأتي قوماً من أهل كتاب فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ' متفق عليه .

ذ وسطية منهج المستكشفين : إن أول مايئد العمل الإسلامي غالباً هو نزعة التحزُّب التي تظهر مع كل عمل إسلامي ، وتحزن أشد الحزن وأنت ترى وسطية بعض الصالحين مع من هو غير إسلامي وفي نفس الوقت يشتعل اشتعال النار في الهشيم على إخوته المصلحين ، وأخشى ما نخشاه أن يقضى على هذا العمل قبل أن يولد ، ولهذا لابد أن نحاول قد المستطاع أن تكون أعيننا الاستكشافية تتميز بالوسطية والعدل في اختيار الأخوة الكتاب ، ولا نريد منهم أن يكونوا هم الميزان بل نريدهم أن يكونوا هم لسان الميزان الذي الذي نعرف به معايير الأشخاص .

ر حساب لا حسبة : زرت أحد الدعاة المعروفين ، فعرضت عليه مشروعاً علمياً فقال لي يا أبا فلان : إن هذا المكان الذي جلست عليه قد جلس قبلك عليه أكثر من أربعين رجلاً كلهم يزعم أن لديه مشروعاً ، وأن فيه من الحرقة والحماس ما يجعله يستطيع أن يقيم هذا العمل ، وكلهم لم يوف بعهده ووعده ، وأقصد من هذا أنا لانمنع عمل الاحتساب ولكن التجربة أظهرت لنا مئات المرات أن هذا العمل في الغالب لن يستطِع الاستمرار ، والسبب معروف ، وهي الكلمة التي يجابهك بها كل محتسب إذا حاولت مساءلته على تفريطه ؛ حيث يقول لك : ما على المحسنين من سبيل ، ولهذا نحتاج إلى ترتيب بعض المصاريف المالية التي تصرف على هيئة مكافآت وهي في الغالب ليست كبيرة ، ومن هنا نستطيع أن نحقق عملية المحاسبة والمراجعة مع الأخوة المستكشفين .

المصدر مفكرة الإسلام

____

[1] لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة Secularism في الإنجليزية أو Secularite بالفرنسية وهي كلمة لا صلة لها بلفظ 'العلم' ومشتقاته على الإطلاق .
فالعلم في الإنجليزية والفرنسية معناه Science والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة Scientism والنسبة إلى العلم هي Scientific أو Scientifique في الفرنسية .
والترجمة الصحيحة للكلمة هو : اللادينية أو الدنيوية لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب , بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين , أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد .
والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو 'فصل الدين عن الدولة' وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة , ولو قيل إنها 'فصل الدين عن الحياة' لكان أصوب , ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو 'إقامة الحياة على غير الدين' سواء بالنسبة للأمة أو للفرد .

=============

بروتوكولات حكماء (علمون) .. !!

دعاة على أبواب جهنم (العلمانيون)

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين الذي ما ترك من خير وإلا ودل الأمة عليه وما ترك من شر إلا نهاها عنه وحذرها منه،

أما بعد:

فقد روى البخاري في صحيحة عن أبي إدريس الخولاني " أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسالون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يد ركني، فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ فقال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟؟ قال: نعم وفيه دخن 0 قلت: وما دخنه ؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم، من

أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا 0000 الحديث "

فهذا الحديث الشريف نور من نور النبوة يزيد في المؤمن إيمانه ويقوي يقينه عندما يرى مصداق هذا الحديث في حياته، فالحبيب عليه الصلاة والسلام عندما وصف لأمته الدعاة على أبواب جهنم وصفهم غاية الوصف وأوضحه، فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، فمعنى قوله هم من جلدتنا أي من قومنا، ويتكلمون بألسنتنا، أي من أهل لساننا وهؤلاء الدعاة لا يخلو منهم زمان، ففي زماننا يتحقق هذا الوصف في زنادقة ملحدين هم (العلمانيون) 0

دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها 0 فهم من بني جلدتنا (من بني قومنا) ويتكلمون بألسنتنا (بلغتنا) 0

ولعل سئل يسأل منهم العلمانيون ؟

قبل أن نجيب عن العلمانيين علينا أن نعرف معنى العلمانية وكيف نشأت ؟ فالعلمانية هي معنى كلمة (secularism) ومعناها: ابتعد عن الدين، فلا تبالي بالدين ولا الاعتبارات الدينية، وقد ظهرت كمذهب أو مصطلح يناهض انحرافات الكنيسة في أوربا التي حرمت العلم والعلوم التجريبية كالطب والهندسة والصناعة وغيرها من العلوم 0

فكانت العلمانية ردة فعل على الكنيسة، وذلك في ظل الثورة الفرنسية سنة 1789م، فكانت هذه بداية العلمانية في العالم، إذا العلمانيون هم فئة من الناس همهم وغايتهم ومنهجهم إبعاد الدين عن الحياة وعن المجتمع، (ما لقيصر لقيصر وما لله لله) 0

فكانت العلمانية خيرا للشعوب الأوربية من انحرافات الكنيسة وجهلها وحربها على العلوم التجريبية 0

علمانيو العرب !!

فجاء ينو قومنا من العلمانيين وقاسوا ظلم الكنيسة بعدل الإسلام وجهل الكنيسة بنور الإسلام، وصدق الله . سبحانه وتعالى . في وصف من هذه حاله عندما انتكست فطرته وتبدلت مفاهيمه وصار أضل من الحيوان، قال تعالى: " ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان

لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون " 0 سورة الأعراف الآية 179 0

فالعلمانيون العرب لينهم أخذوا من الغرب ما يفيد أمتهم ولكنهم اخذوا كل رذيلة ساقطة وصاروا معول هدم للدين والقيم والأخلاق، فجروا شعوبهم للهلاك والدمار قال الله تعالى " الم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبس القرار " سورة إبراهيم الآية 29/28

كيف نعرف العلمانيين ؟

العلماني والعمانيون كالزنادقة يظهرون الإسلام عندما يضطرون ويحرجون، ويبطنون الكفر والإلحاد وقد يظهرون إذا حانت لهم الفرصة فحالهم كقول الله تعالى " وإذا لقوا الذين امنوا قالوا ءامنا وإذا خلو إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون " سورة البقرة الآية: 14 0

أما في هذا الزمان فأصبح العلمانيون لا يتورعون عن إظهار زندقتهم وفسادهم لأهل الإسلام، وسبب ذلك ضعف أهل الإسلام وتخاذلهم عن نصرته والذب عنه، “ فإلى الله المشتكى "، ورضي الله عن عمر عندما قال " أشكو إلى الله جلد الكافر وعجز الثقة " 0

العلمانيون:

لا يجعلون للدين قيمة في حياتهم فلا يحلون حلالا ولا يحرمون حراما، بل شرعوا القوانين الشيطانية وسموها تعاليم وأنظمة ولوائح، كل ذلك ليبعدوا الناس عن دين الله سبحانه . فلا يحكمون به ولا يتحاكمون إليه 0

العلمانيون:

همهم وغايتهم خلخلة القيم الراسخة في المجتمع الإسلامي من الإخوة والطهر والعفاف وحفظ العهود والتكافل وأحاسيس الجسد الواحد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستبدلوا ذلك بالقطيعة والتفرق والإباحية ونشر الرذيلة في المجتمع الإسلامي، وتسخير ما في أيديهم من إذاعة وتلفزيون ومجلات وجرائد وغيرها من الوسائل لتحقيق غاياتهم في أبناء المجتمع المسلم 0

العلمانيون:

ولاؤهم وانتمائهم في الأقاليم أو الوطن أو غيرها من الروابط الطاغوتية الشيطانية فلا حرج عليك أن توالي في ذلك كله، أما أن توالي وتعادي في الله . سبحانه وتعالى . فتلك جريمة لا تغتفر في نظر هؤلاء العلمانيين، ومن شعاراتهم في ذلك: " الدين لله والوطن للجميع " 0

العلمانيون:

يجعلون الدين وتعاليمه سخرية يتلاعب بها كتابهم، بل ولربما أظهروا سنن المصطفى عليه الصلاة والسلام . كاللحية مثلا . بصورة طرائف (كركتير) ليضحكوا الناس ولينفروهم عن الإسلام وهديه . صلى الله عليه وسلم . 0

قال الله تعالى " إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون * واذا مروا بهم يتغامزون "

المطففين الآية 30/29 0

ثمار العلمانية الخبيثة في الشعوب الإسلامية

العلمانية شجرة خبيثة نمت فأثمرت خبثا وفسادا في المجتمعات الإسلامية قال الله تعالى:" والذي خبث لا يخرج إلا نكدا " 0 الأعراف: 58

ومن ثمارها الخبيثة:

1/ تبديل حكم الله سبحانه وتعالى بحكم الطاغوت:

فأصبحت المحاكم القانونية الطاغوتية بدل المحاكم الشرعية وبذلك صارت الدول العربية أكثر الدول العربية ضعفا ودمارا وتفككا، فساسها الأعداء حتى أصحبت غريبة في ديارها 0 حقيرة لا عزة لها، مأسورة بأيدي أعداءها 0

وصدق الشاعر:

وأي اغتراب بعد غربتنا التي * بها أضحت الأعداء فينا تحكم

واصدق منه قول الحبيب عليه الصلاة والسلام واصفا حال الأمة في آخر الزمان فقد روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلة نحن يؤمئذ قال: بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله

من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن ؟ فقال: حب الدنيا وكراهية الموت " صحيح أبي داودللألباني 0

2/ فساد التعليم عند أكثر المجتمعات الإسلامية 0 ومن مظاهر فساد التعليم:

أ . تقليص المواد الشرعية، وتقليل نصابها في الحياة الدراسية التعليمية 0

ب . منع تدريس النصوص التي تذكر أبناء المسلمين بعداوة اليهود والنصارى للإسلام وأهله . وطمس عقيدة الولاء البراء في المناهج 0

ج . الاختلاط في التعليم بين الرجال والنساء 0

د . انتشار المدارس الأجنبية " التنصيرية " في بلاد المسلمين 0

3/ ظهور الإباحية والفوضى الأخلاقية:

ومن مظاهرها:

(أ) انتشار الجريمة بجميع صورها من زنا واغتصاب، وشذوذ جنسي، وسرقة، وقتل وانتحار، والمتأمل لواقع المسلمين يجد ارتفاع نسبة الجرائم بشكل يدعو إلى الاستغراب، ولا غرابة أن تجد السجون مليئة بل ضاقت بشباب المسلمين " وإنا لله وإنا إليه راجعون " 0

(ب) ما صاحب هذه الجرائم من تفشي الأمراض الفتاكة بين الشباب من الإيدز والزهري وغيرها من الأمراض التي لم تكن قبل 0

(ج) التفكك الأسري: فارتفعت نسبة الطلاق والخيانات الزوجية، فضاهت ما يحدث في أوروبا وبلاد الغرب، وهذا لا يستنكر مادام دعاة الاختلاط والإباحية من الزنادقة العلمانيين يعيثون في الأرض فسادا في بلاد المسلمين 0

(د) المخدرات التي انتشرت انتشارا عجيبا بين الفتيان والفتيات حتى كثرت المستشفيات والمصحات، ودور النقاهة الخاصة لعلاج متعاطي المخدرات 0

وباليتهم تذكروا قول الله تعالى " ومن أعرض عن ذكري فأن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى " سورة طه، الآية 124 0

* حكم العلمانيين في شريعة الإسلام:

العلمانيون كفرة مشركون مرتدون، وذلك لأسباب كثيرة منها:

(1) حكمهم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالى وذلك بالقوانين الطاغوتية قال تعالى:" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " سورة المائدة: 44 0 ولم يكتفوا بهذا بل سنوا القوانين الشيطانية وسموها بغير اسمها كالأنظمة واللوائح 0 والتعاليم ليخادعوا بها الناس ويصرفوهم عن دين الله 00 قال الله تعالى " أن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم " سورة النساء 142 0

(2) شركهم بالله . سبحانه وتعالى . إذ جعلوا حياتهم لغيره، وشعاراتهم في ذلك كثير منها ما ذكرنا أنفا . " الدين لله والوطن للجميع " وشعار " لادين في سياسة ولا سياسة في دين " والله سبحانه وتعالى يقول:" قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين " الأنعام 162 0 فمن صرف حياته لغير الله سبحانه وتعالى فقد كفر وأشرك وخرج من ملة الإسلام 0

(3) استباحتهم ما حرم الله سبحانه وتعالى فاستباحوا الربا، والتبرج، والسفور، ودعوا الناس إليها ودافعوا عنها وتصدوا لمن ينكرها أو يحذر منها 0

(4) سخريتهم بتعاليم الإسلام وأهله، ورميهم بالتخلف والجمود والرجعية والإرهاب 0

فهل بعد هذا يشك عاقل بكفر هؤلاء العلمانيين وشركهم ؟ 0

الواجب على كل مسلم نحو العلمانيين:

(أ) الواجب على المسلمين إن كانوا رعاة أن يحصروهم ويقعدوا لهم كل مرصد، ويقيموا عليهم حكم الله في المرتدين لقوله صلى الله عليه وسلم:" من بدل دينه فقتلوه " رواه البخاري 0 وأي تبديل أعظم من تبديل العلمانيين لدين الله سبحانه وتعالى 0

(ب) والواجب على المسلمين إن كانوا رعية أن يهتكوا ستر العلمانيين، ويفضحوهم، ويبينوا شركهم وكفرهم، ويحذروا منهم، ولا يخافوا في الله لومة لائم 0 قال الله تعالى:" يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأوئهم جهنم ويئس المصير " التوبة 73 0

اللهم يارب جبريل وميكائيل فاطر السموات والأرض أرنا في العلمانيين ومن أعانهم وأيدهم عجائب قدرتك، اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا 0

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين 0

" وإذا قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون " 0

كتبها احد طلاب العم ونشرت في مطوية تحمل عنوان

(دعاة على أبواب جهنم (العلمانيون) المفسدون في الأرض ..)

نقلها المشمر شبكة أنا المسلم

=============

#احْذَرُوا هؤلاءِ الدُّعاةَ

الحمد لله {الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة : 33] ، والصلاة والسلام على من بعثه الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وبعد :

(احْذَرُوا هؤلاءِ الدُّعاةَ) ، نعم والله احذروهم أشدَّ الحذر . هم دعاة !!

ولكن .. ما هيَ صفاتهم ؟ وما الذي يدعونَ إليه ؟ وكيفَ يعرضون ما عِندَهُم ؟

الجوابُ على هذهِ الأسئلة يظهَر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((دُعاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ ، مَنْ أَطَاعَهُمْ قَذَفُوهُ فِيها)) قالوا : صِفهم لنا يا رسولَ الله ، قال : ((قومٌ مِنْ جِلْدَتِنَا ، ويَتَكَلَّمونَ بِألسِنَتِنَا)) .

فاحذروا هؤلاء الدُّعاة ، دعاةَ الفتنة ، الذينَ يَدعُونَ الناسَ إلى النارِ { وَاللهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [البقرة : 221] ، هم يَدعونَ الناسَ إلى الشر ، لا على أنَّهُ شر ، بل يُسَمُّونَهُ بغيرِ اسمه ، كي يَزينَ في أعينِ الناس ، كما قال الشاعر :

في زخرفِ القولِ تزيينٌ لباطلهِ *** والحَقُ قَدْ يعتريهِ سُوءُ تَعبيرِ

فهم يُزيّنونَ القبيحَ بأساليبهم وزخرفَتِهم ، ويَعرضُونَه للنَّاس عرضاً مغرياً ، بشتَّى الوسائِل ، يعرضونه في محاضراتهم ، وفي نَدواتِهم وحِواراتِهم التي تأتي عَبرَ (القنواتِ الفضائيةِ) وفي غيرِها ، يعرضونه في كُتُبهِم ، ويعرضونه في صَحَافتِهم ومجلاَّتهم ، يعرِضونه في مجالسِهم ، يعرضونه بتضليلٍ في الإعلانات ، على أغلِفةِ المجلاَّت ، يُغْرُونَ الناسَ به .

فلنَحْذرَ منْ هؤلاءِ ؛ لأنَّ الله تعالى حذرنا مِنهُم ، فهم أعداؤنا ، شياطينُ الإنسِ والجنِّ ، كما قال عز وجل : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْ! هِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ * أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً } [الإنعام : 112،114] .

وقَدْ ذكرَ الله تعالى في سورة التوبة بعض صفاتهم فقال : { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ .. } إلى آخر الآية [التوبة : 67] . { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ } فيه دليلٌ على أنَّه يكون في الرجالِ ، ويكونُ في النساءِ } بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ { يُشبه بَعضُهم بعضاً في القُبْحِ والخُبثِ والشَّرِ ، يتشابهونَ في ذلكَ رِجالاً ونساءً ، لا يختلفُ بعضُهم عنْ بعضٍ ، سِيرَتُهُم واحِدةٌ ، وسَرِيرَتهم واحدةٌ ، فهم مُتشابِهونَ { يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ } وهو : كلُّ معصيةٍ للهِ ومخالفةٍ لشرعِ الله عز وجل ، فهم يأمرونَ بكلِ منكرٍ من قولٍ أو فعلٍ أو عملٍ ، يأمرونَ بالشركِ بالله عزَّ وجلَّ ، ويسمونَهُ بغيرِ اسمه ، يسمونه من بابِ محبةِ الصالحينَ ، فهم يَدعونَ إلى الشركِ ويُزينونه للناس .

كذلك يدعونَ إلى نَبذِ الكتابِ والسنة ، وإلى تحكيمِ القوانينِ والأنظمةِ الطاغوتية ، { يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ! يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً } [النساء : 61,60] .

يدعونَ إلى العُري وكشفِ العوراتِ ، وظهورِ الفواحشِ . يدعونَ إلى التبرجِ ، واختلاطِ النساءِ بالرجالِ ، ومشاركةُ المرأة للرجلِ في المحافلِ ، وفي النوادي ، والمؤتمراتِ ، وغير ذلك ؛ حتى تَشيعَ الفاحشةُ في الذينَ آمنوا ، فهُم يَدعونَ إلى النارِ ، والله يدعو إلى الجنَّةِ .

{ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ } ينهونَ عن التوحيدِ ، وينتَقِصونَه ، ويقولونَ : إن التوحيدَ يكفي عنهُ أنَّ الإنسانَ يكونُ مُسلِماً ظاهراً أو يدَّعي الإسلام ، فهم يُزهِّدونَ في التوحيدِ ؛ لأنهم يَنهونَ عن المعروفِ ، وأعظمُ المعروفِ هو : التوحيد ، فلا يطيقونَهُ

، ولايُطيقونَ تعليمَه ، ولا يطيقونَ جَعلهُ في مُقررات الدراسةِ والعياذُ باللهِ { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } [الزمر : 45] .

كذلكَ ينهونَ عن السِّترِ ، وينهونَ عن الحجابِ ، وينهونَ عن احتشامِ المرأة ، وينهونَ عن بقائِها في بيتِها ، لإصلاحِ بيتِها وأولادِها ، ويأمرونَ بخروجِها وسَفَرِها ، ويعتبرونَ أنَّ هذا هو الرُقيُّ ، وهذهِ هي الحضارة ، و واللهِ ما هي إلا حقارة ! وهؤلاء الدعاة ، ينهونَ كذلك عن حضورِ الصلاةِ في المساجدِ ، ويُريدونَ أنْ يَبقى الناسُ في الأسواقِ والدكاكينِ ، وينهونَ عن إقامةِ الصلاةِ وعن إغلاقِ المحلاّتِ لأداءِ الصلاة . هذهِ من أقبحِ صفاتهم ، فهم – والعياذ بالله – ضِدٌ لكُلِّ خيرٍ ، وهمْ – والعياذ بالله – دُعاةٌ إلى كلِ شرٍّ .

وأهمُّ وسيلةٍ عرضوا من خلالها دعواتهم : وسائلُ الإعلامِ بإختلافِ أنواعِها ، من فضائياتٍ وإذاعاتٍ ، وصحفٍ ومجلاتٍ وكُتُبٍ خليعةٍ ، تنتشرُ بينَ الناسِ فيطَّلِعونَ عليها ، ويسمَعونها ، ويَنظرونَ إليها ، فتؤثرُ في قلوبِهم ، كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : ((تُعرضُ الفتنُ على القلوبِ كالحصيرِ عوداً عودا ، فأي قلبٍ أُشرِبها – يعني أحَبها – نُكِتَتْ فيهِ نُكْتَةٌ سَوداءُ ، وأيُّ قلبٍ أنكرَها نُكِتَتْ فيهِ نُكتَةٌ بيضاءُ)) .

فهذهِ الوسائلُ التي جدَّت في هذا الزمانِ ، وقرَّبتِ البعيدَ ، وعرضتْ كلَّ شرٍّ ممكنٍ في العالمِ يُعرضُ أمامَ الناسِ في المشارقِ والمغاربِ ، وهذا من أعظمِ الفتن ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ .

وقد أخبرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَه في آخِرِ الزمانِ يكذِبُ الرَجُلُ الكذبَة فتبلغُ مشارقَ الأرضِ ومغاربِها ، وما ذاكَ – والله أعلم – إلا بواسطةِ وسائلِ الإعلامِ الحديثَة .

فالفِتن عظيمةٌ ، ولا يَشعرُ بها إلا مَنْ في قلبِهِ إيمانٌ ، والكلُّ على خطرٍ ، حتى المؤمن ، فكيفَ بضعيفِ الإيمان ؟ وكيفَ بالجاهل ؟ كيف بالمرأةِ ؟ كيفَ بالأطفالِ ؟

واعلم – أخي الحبيب ويا أختي الحبيبة – أنهُ لا يُنجي مِن الفتنِ إلا التمسكَ بكتابِ اللهِ عز وجل . قال صلى الله عليه وسلم : ((إنَّها ستَكونُ فِتنٌ)) قالوا : وما المَخْرَجُ منها يا رسولَ الله ؟ قال : ((كتابُ اللهِ ، فيه نبأُ ما قبلَكم ، وخَبرُ ما بعدكُم ، وفَصْلُ ما بَينَكُم ، هو الجِدُّ ليسَ بالهَزْلِ ، مَنْ تركَهُ مِنْ جبارٍ قَصمَهُ الله ، ومَن ابتغى الهدى من غيرِهِ أضَلَّهُ الله ، هوَ حَبْلُ اللهِ المَتينُ ، والذِّكرُ الحَكيمُ ، والصِراطُ المُستَقيمُ)) .

وكذلكَ التمسُّك بما كانَ عليه سلفُ هذه الأمةِ ، كما قال الإمام مالك رحمَه الله : (لا يُصلحُ آخرُ هذه الأمةِ إلا ما أصْلَحَ أوَّلها) . وكذلك مما ينجي من الفتن : كثرةُ الدعاءِ والالتجاءِ إلى الله سبحانه وتعالى : } رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا { [آل عمران : 8] ، } رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا { [الممتحنة : 5] .

اللهمَّ إنا نعوذُ بِك من عذابِ جهنَّم ومِنْ عذابِ القبرِ ، ومِن فِتنةِ المحيَا والمماتِ ومن فتنةِ المسيحِ الدجال ، اللهمَّ قِنَا شرَّ الفتنِ ومضلاَّتِ الفتَنِ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ . والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبه أجمعينَ .

أبو عمار

لا تبخلوا بدعواتكم وملاحظاتكم

================

#رجب طيب اردوغان.. من الميناء إلى البرلمان (2من2)

موازناته السياسية ومأزق العلمانية

رجب طيب أردوغان

تناولنا في الحلقة السابقة بدايات أردوغان الاجتماعية والسياسية، ورأينا كيف ارتبطت أفكاره وحياته السياسية بالبروفيسور نجم الدين أربكان، وتفاعله مع مدرسته الفكرية من خلال "حزب السلامة" مروراً ب"الرفاه" ثم "الفضيلة"، وبداية تمايزه السياسي بتأسيس "العدالة والتنمية".. مروراً بمواقفه الحياتية المعبرة عن شخصيته القيادية...

وقد حفلت مسيرته السياسية وتطبيقه لأفكاره الإصلاحية على أرض الواقع التركي بمنحنيات سياسية وفكرية

عبر علاقاته مع العسكر والعلمانيين، بجانب الحلم الأوروبي الذي يراود الأجيال التركية.

فعندما تولى أردوغان دفة الحكم في تركيا قام بسلسلة من الإصلاحات السياسية، على رأسها إصدار الليرة التركية الجديدة التي عوضت الواحدة منها مليون ورقة من الليرات القديمة. وعمل البنك المركزي على المحافظة على قيمة الليرة الجديدة، مما ساهم في استقرار السوق، وثقة المواطن التركي في عملته المحلية.

إلا أن أهم خطوة خطتها حكومة أردوغان في طريق الإصلاح الاقتصادي، هي كشف ملفات رجال الأعمال المتورطين

في جرائم مالية، ومحاكمتهم ومصادرة أموالهم.

وكان أول من استهدفته حملة مواجهة الفساد، رئيس الحكومة الأسبق مسعود يلماظ، الذي اعتزل السياسة إثر هزيمته

أمام أردوغان في انتخابات 2002م.

فبسبب تورطه هو ومساعده حسام الدين أوزقان في عمليات اختلاس أموال الدولة وتلاعب في بعض المناقصات من أهمها مناقصة خصخصة "مصرف توركبنك" خضع الاثنان لتحقيقات مطولة بدأت عام 2003م، وانتهت في 2005م، حيث تم القبض على العديد من المتورطين في هذه العمليات(1).

ثم تابعت حكومة أردوغان سجلات رجل الأعمال وزعيم "حزب الشباب" وصاحب أكبر قناة تلفزيونية خاصة وأكبر شركة هواتف في تركيا "جم أوزان" المتورط في قضايا اختلاسات وتلاعب عديدة؛ من بينها تهربه من دفع مستحقات شركة موتورولا الشهيرة، التي رفعت ضده دعوى تلتها سلسلة من الدعاوى من الادعاء العام التركي أدت إلى مصادرة أملاكه بما فيها قناته التلفزيونية وصحيفة ستار(2).

برنامج الخصخصة

وبعد أن قام أردوغان بتطهير البلاد من أكبر عصابات الفساد المالي، اهتم بسد العجز المالي للبلاد بتفعيل برنامج الخصخصة وجلب رؤوس الأموال الأجنبية والعربية على وجه الخصوص. وقام بسلسلة من الزيارات إلى مختلف الدول الخليجية ممّا درّ على تركيا أموالاً كثيرة دخلت البلاد؛ في شكل استثمارات مباشرة مثل مشروع

"أبراج سما دبي" الذي تقرر بناؤه في إسطنبول، وكذا شراء شركة "سعودي أوجيه" أكبر مجموعة أسهم من شركة الاتصالات التركية، بجانب عدد من المشاريع الاستثمارية حصلت عليها شركات تركية في عدد من الدول العربية، في مجال البناء والإعمار(3).

ونتيجة لهذه السياسة المنفتحة على العالم العربي دخل السوق التركية في عام 2004م فقط ما قيمته 42 مليون دولار من الأموال العربية(4).

حركة "فكر الأمة"

وبعد وصول أردوغان إلى رئاسة الحكومة مازال يكنّ الاحترام والتقدير لقدوته البروفيسور نجم الدين أربكان زعيم "حركة فكر الأمّة" الممثلة في "حزب السلامة" و"الرفاه" و"السعادة".

فقد استصدر قانوناً خاصاً، لإنقاذ شيخه من السجن، عرف هذا القانون ب(قانون أربكان)(5) يقضي بتنفيذ عقوبة السجن التي لا تتجاوز ثلاث سنوات على المسنين في بيوتهم؛ أي تحويل حكم السجن إلى الإقامة الجبرية.

ورغم اعتراض رئيس الجمهورية أحمد نجدت سيزر على ذلك القانون، إلا أن نواب (حزب العدالة والتنمية) أصروا على إقراره دون تعديل.

موقفه من القضية الكردية

وفي مؤتمر حزبه السنوي الذي نظمه عام 2006م في مدينة "ديار بكر" أكبر المدن الكردية جنوب شرقي الأناضول صرّح أردوغان بأن في تركيا مشكلة كردية(6)، واعتبر هذا التصريح سابقة في تاريخ الجمهورية التركية التي لا يعترف دستورها بوجود أقليات عرقية فيها، وحسب ما تنص عليه "اتفاقية لوزان" التي قامت على أساسها الجمهورية عام 1923م، وأدّى ذلك التصريح إلى ردود أفعال شديدة من الأحزاب القومية التركية مثل "حزب الحركة القومية" و"حزب الوحدة الكبرى".

غير أن ذلك لم يزد أردوغان وحزبه إلا شعبية بين الأوساط الكردية والإسلامية وحتى العلمانية، إضافة إلى تعزيز ثقة الاتحاد الأوروبي بحزب العدالة والتنمية وزعيمه الذي لم يكتف بالاعتراف بالمشكلة الكردية، بل دعا قبل ذلك من داخل البرلمان إلى حل تلك المشكلة بشكل سلمي، مقترحاً فكرة الهوية المزدوجة أي أن تتقبل كل

الأطراف هوية المواطن الظاهرة وهي المواطنة داخل الجمهورية التركية مع هويته الخفية، وهي الأصل العرقي للمواطن سواء كان كردياً أو عربياً أو شركسياً أو غير ذلك من النسيج العرقي للمجتمع التركي(7).

معادلة الاتحاد الأوروبي والعسكر

وقد عرف أردوغان كيف يدخل إلى قلوب عامّة الشعب من مختلف فئاته وأعراقه، غير أنه بقي متخوفاً من تدخل السلطات العسكرية مجدّداً في الحياة السياسية للبلاد، كما حدث في انقلابات 1960م و1980م و1997م، لذلك عمل على الدخول بالبلاد في سلسلة من الإصلاحات السياسية تحت اسم "مواءمة معايير الاتحاد الأوروبي".

ومن أهم الإصلاحات التي نجح أردوغان في تحقيقها، الحد من صلاحيات رئاسة الأركان العامّة أكبر قيادة عسكرية في تركيا، وإقحام أعضاء الحكومة المدنيين في اجتماعات مجلس الأمن التركي، كي تبقى المؤسسة العسكرية تابعة للحكومة وتحت رقابتها.

وكلما حاول الجيش التدخل في الحياة السياسية للبلاد، وجد نفسه في مواجهة الحكومة والإرادة الشعبية التركية والاتحاد الأوروبي الذي لا يعتبره أردوغان إلا ذريعة لإدخال إصلاحات على البلاد.

سياسته الخارجية

بنى أردوغان سياسته الخارجية على محاور أساسية، تهدف جميعها إلى خلق موازنات صعبة بين المصلحة والمبدأ، مستفيداً من مستشاره في العلاقات الخارجية البروفيسور "أحمد داود أوغلي" وصديقه وعضده الأيمن وزير خارجيته "عبدالله جول".

هذه الموازنات تدور حول:

الانفتاح على الاتحاد الأوروبي، دون تقديم تنازلات في المسألة القبرصية.

الانفتاح على العالم العربي والإسلامي في المجال الاقتصادي، دون إثارة غضب الجيش والعلمانيين.

المحافظة على العلاقات مع الدولة العبرية، مع الضغط عليها لصالح الجانب الفلسطيني.

المحافظة على علاقات جيدة مع الولايات المتحدة الأمريكية، مع عدم التورط معها في عملياتها العسكرية بالمنطقة.

تحسين العلاقات مع دول الجوار، وخصوصاً سورية، دون إثارة حفيظة واشنطن وتل أبيب.

اتخاذ تدابير أمنية وعسكرية شديدة مع إدارة شمال العراق التي يتهمها بدعم الانفصاليين الأكراد في تركيا مع تجنب الدخول في حرب مع الجانب العراقي.

غير أن المشكلة الوحيدة في هذه السياسة أنها لا تنعكس بشكل مباشر على صناديق الاقتراع؛ لأن الناخب التركي البسيط ليس مطلعاً عليها ولا حتى مهتماً بها.

وبسبب تلك السياسة المتوازنة بدأت تركيا يوم 3 نوفمبر 2005م فعلياً مفاوضات مع الاتحاد الأوروبي على العضوية. وأثمرت هذه السياسة على الجانب الاقتصادي، حيث تدفقت رؤوس الأموال العربية والغربية على تركيا، التي أصبحت للمرة الأولى في تاريخها عضواً مراقباً في جامعة الدول العربية، إضافة إلى تمكن التركي (إحسان أوغلو) من الفوز برئاسة منظمة المؤتمر الإسلامي، لأول مرة في تاريخ تلك المنظمة.

وظهرت حكومة أردوغان أكثر راديكالية من الحكومات التي سبقتها خصوصاً في مسألة احتلال العراق، حيث رفض مجلس الأمّة التركي في 1-3-2003م استخدام الأراضي التركية لضرب العراق، ممّا زاد من وزن تركيا في منطقة الشرق الأوسط وأكسبها قدرة على توجيه انتقادات شديدة إلى التجاوزات التي يقوم بها الصهاينة على الشعبين الفلسطيني واللبناني والمقدسات الإسلامية في الأراضي المحتلة(8).

أردوغان وإعادة صياغة العلمانية

اعتاد أردوغان منذ تأسيسه حزب العدالة والتنمية أن ينفي عن حزبه صفة الحزب الإسلامي، ويؤكّد أنه حزب علماني ملتزم بمبادئ الحداثة والعلمانية، التي أقام على أساسها مصطفى كمال أتاتورك الجمهورية، إلا أن الأطراف العلمانية في تركيا استمرت في اتهام حزبه بأنه حزب ديني رجعي، يسعى إلى العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد.

وردّاً على هذه الادعاءات أكد أردوغان مؤخراً (9) أن "حزب العدالة والتنمية" ليس حزباً دينياً، بل هو حزب يقوم على أسس إنسانية، قائلاً: "العلمانية الصحيحة تتعامل مع كل العقائد بنفس الشكل، وعلى النظام العلماني حماية كافة العقائد.. وعليه فلا يمكن أن يكون الشخص علمانياً، لكن الدولة يمكن أن تكون علمانية".
ويمكن أن نطلق صفة العلماني على كل شخص يدافع عن النظام العلماني، لكن إذا تحول هذا الدفاع إلى محاربة للإسلام، فتلك هي الكارثة.. وعلينا ألاّ نخلط بين هذا وذاك.
وعلينا كذلك أن نعلم أن كل الأنظمة وسائل؛ فالديمقراطية وسيلة والعلمانية وسيلة والأديان كذلك وسيلة...
أما الهدف فهو تحقيق السعادة للإنسانية، وأنا في فهمي الخاص هذا لا أخلط بين الوسائل والأهداف. ولكن إذا تم تحويل الوسائل إلى غايات فإنها تتحول إلى محرمات وتلك هي المشكلة..".

الأزمة الأخيرة

رغم كل ما حققه أردوغان من مكاسب سياسية واقتصادية لبلده تركيا التي كانت تعاني من أزمات في شتى المجالات قبل توليه الحكومة بدأت مجموعات من المعارضين لمشروعه الإصلاحي والمتخفين وراء شعار العلمانية والجمهورية لخدمة مصالحهم الذاتية تشن حملة على حزب العدالة والتنمية وحكومته. لم ينجحوا في إسقاطها خشية فقدان المكاسب التي حققها البلد في المجال الديمقراطي، ولكنهم عن طريق أداة الديمقراطية ذاتها يسعون إلى تقزيم العدالة والتنمية.
فهل سينجح هؤلاء في مسعاهم خصوصاً بعد التحالفات السياسية بين الأحزاب اليمينية من جهة واليسارية من جهة أخرى؟ أم يستطيع أردوغان وحزبه الصمود أمام هذه التحالفات وكسب أغلبية برلمانية تخوله تمرير الكثير من المشاريع الإصلاحية التي لم يصادق عليها رئيس الجمهورية الأخير أحمد نجدت سيزر؟ هذا ما ستكشف عنه انتخابات 22يوليو الجاري.

وفي كلتا الحالتين يبقى رجب طيب أردوغان حالة إسلامية نادرة من نوعها، فهو الحاكم المتدين، الذي عرف كيف يوازن بين المصلحة والمبدأ ليكون مدرسة لكثير من الحكام في العالم الإسلامي ممن يريد الإصلاح في بلده.

الهوامش

(1) صحيفة راديكال 16-2-2005م.

(2) صحيفة الصباح 14-11-2004م

(3) www.cnnturk.com

في 29 مارس 2007م.

(4) صحيفة الترجمان 8-8-2005م.

(5) صحيفة الصباح 6-4-2006م.

(6) صحيفة أقشام 28-4-2006م.

(7) صحيفة ملليات 30-11-2005م.

(8) يمكن العودة إلى تصريحات أردوغان وأعضاء حكومته حول مذبحة جنين والاعتداء على لبنان وعلى باب المغاربة في القدس.

(9) قناةNTV الإخبارية نشرة الأخبار الرئيسة ليوم 15 مايو2007م.

===============

#تمزيق ((الأقنعة)) العلمانية .. !

فلسفة العلمانية ومنهجها القائم على عزل الدين عن شؤون الحياة ، ومن ثم فاختزاله في أوضاع محددة ، لا شك أنها فلسفة مناقضة تماما لدين الإسلام ، ومصادمة كليا لأصول الشريعة وكلياتها ، وهي فلسفة نشأت وترعرعت في ظل ظروف بيئية وفكرية معينة ، وفي أوضاع اجتماعية ودينية معروفة ، ساعدت على نجاح هذه الفلسفة ، وتبوأها للصدارة في تلك البلاد ، إذ كانت قارب نجاة من جحيم التخلف والظلم والطغيان الكنسي الآثم ، فأتى بعض الأغبياء من قومنا فجاءوا بها (كما هي) ونقلوها لبلاد الإسلام ،معتقدين أن لا صلاح لنا إلا باعتناقها ، والسير في ظلامتها ..

مع أن السبب الذي قامت عليه هذه الفلسفة ليس موجودا بالأصل في بلاد المسلمين ، والدين الذي انقلب عليه أولئك العلمانيون ، ليس هو الدين الذي يريدوننا أن ننقلب عليه ، فجاء اولئكم المغفلين (أو المستخدمين !) بها كما هي وأبوا إلا أن يلبسونا قميصا خيط لغيرنا ... !!

ولشناعة هذه النظرية ومناقضتها التامة الصريحة للإسلام ، فقد نفرت منها المجتمعات الإسلامية قاطبة ، ولفظتها ولم تستسغ هضمها ، فرفضتها بالكلية ، ولم تجد هذه العلمانية البئيسة أي اثر أو انتشار لها لدى الشارع الإسلامي البسيط !

وبقيت العلمانية تسمع صدى نفسها من خلال اطروحات (نخبها المثقفة) وتعدد (ندواتها المتكلفة) بلا تأثير يذكر ، في فكر المجتمع أو سلوكه أو أدبياته

وفي مجتمعنا خاصة .. تجد هذا النفور اشد وضوحا ، وأكثر جلاء ،من هذا المصطلح ، ومن جميع المنطوين تحت عباءته ، وتلبس أي فرد من المجتمع بمثل هذه الأفكار ، كاف جدا لمحاصرته ومقاطعته من أفراد مجتمعه بل وحتى من أقاربه وأهل بيته !

بل وحتى من كان له ميل أو تعاطف مع العلمانية أو بعض رموزها ، أصابهم شي كبير من هذا النفور والتقاطع مع المجتمع وأهله .

ولقد الفت مسامعنا واعتادت إبصارنا خروج بعض (الملوثين بهذه الأفكار) ليبرئ ساحته من العلمانية ، ويدفع عنه مغبة هذه التهمة ، بل حتى قال بعضهم : انه لا وجود لأي علماني في هذه البلاد !

وهذه بعض الشواهد على الرفض الشعبي الكبير لهذه الفلسفة الآثمة ، ولأفكارها ، ومنظريها ..

ففي هذا المجتمع .. حيث التدين ظاهر .. والشعائر قائمة .. والعلم منتشر .. والنصوص مقدسة .. والشريعة محكمة ..

لأجل هذا وغيره لم يتمكن العلمانيون من مصادمة المجتمع كله بهذه الأفكار الصريحة ، فلجأوا إلى أسلوب جديد من أساليبهم الرخيصة ، التي يصوغونها ويقلبونها بحسب المجتمع كصنيع تلك الحرباء .. فلم يسع العلمانيون إلا التمسح و (التقنع) بالنصوص ، مع أنهم لا يرون للنص قدسية في الأصل ، ولكن جعلوا

النصوص سلالم للوصول لغاياتهم ، واتخذوا من بعض النصوص أقنعة يتسترون بها ، ويخادعون بها الناس ، وما عليك سوى أن تخلع هذا القناع الجميل ، ليبدو لك الوجه البشع القبيح .. !

فالهدف واحد هو (عزل الدين عن الحياة) ، والأقنعة متعددة ، فإلى عرض وتمزيق بعض هذه الأقنعة .. !

القناع الأول : انتم اعلم بأمور دنياكم .

وهذا القناع في ظاهره نص نبوي شريف ، والتسليم به واجب على كل مسلم ، فالشؤون الحياتية والمعاملاتية قائمة على ساق الإباحة والسعة ما لم تخالف نصا شرعيا ..

لكن الإشكالية أن يأتي (المتقنع) بهذا الحديث ليمرر فكرته الداعية إلى أن أمور الدنيا كلها مباحة وتبع للمصلحة ولا رأي للشرع في شي منها ، ولأجل ذا فتوجيه سؤال واحد كاف في تجلية هذا القناع ، وبيان زيفه وغشه : السؤال هو : ماذا عن النصوص الشرعية المحرمة لبعض المعاملات والنشاطات المتعلقة بالشؤون الحياتية .. !

فليجب حينها ..ثم ا سمعوا .. !

القناع الثاني : التفريق بين الشريعة والفقه .

فتكون القداسة والاحترام هي للشرع الذي هو النص ، وأما الفقه الذي هو فهم النص فهذا مما تختلف فيه الافهام والاتجاهات ، والقارئ لهذا الكلام في بادئ الرأي يرى فيه تعظيما للنص وتقديسا للشرع لكنه في حقيقته سلخ للدين من مضمونه وإبقاءه طقوسا جوفاء لا تحمل دلالة ولا معنى ملزم .. !

نعم ... فليس الفقه المستفاد من الشرع هو المقدس المحترم في المسائل الاجتهادية التي وقع فيها الخلاف المقبول المنطوي تحت ما يسوغ فيه الاجتهاد ، فليس قول صحابي أو عالم بأولى من قول غيرهم ، لكن أن يعمم هذا في كل فهم للنص ، ويسوغ أي تفسير للشرع ، يصل بنا في نهايته إلى تعطيل تام للنصوص ، وعزل كامل للشرع عن أية حجة أو بينة ، ويبقى دين رب العالمين لفظا جامدا أجوفا يصلح للشي وضده ! وللشرك وللتوحيد ! وللإثبات والنفي !

وذلك أن كل النصوص الشرعية بلا استثناء ، وكل أصول الإسلام ومبانيه الكبار ، وكلياته العظام ، كلها بدءا من الشهادتين وبقية أركان إلى البعث والحساب والجنة والنار ، وتوحيد البارى في ربوبيته والوهيته وأسماءه وصفاته ، وغيرها كثير ، كلها قد وقعت فيها تفسيرات متعددة من المنتسبين للإسلام !

وإذا لم نقطع بقدسية فهم معين لها ، ولم نحترم فقها واحدا لها ، فهذا يعني أن نصحح مذاهب الفلاسفة والقرامطة والباطنية والنصيرية والحلولية مع مذهب أهل السنة والجماعة ، ونراها كلها مجالات صحيحة لتفسير الإسلام !

ويكفي هذا اللازم توضيحا لفساد هذا القول ، وفظاعته وشناعته ، وربما لا يقصد قائله هذه الغاية القبيحة ، وإنما أراد بها التلصص والتدرع لا غير .. !

وهذا القول في غايته عزل للدين عن أي تأثير في شؤون الحياة إذ أي نص يصدمون به سيتعللون بأنه ما فهمه العلماء منه ليس هو المقدس ، بل له فهم أخر .. !

القناع الثالث : تقديم المصلحة على النص .

وربما يتمسح (المتقنع) ببعض النصوص الدالة على اعتبار المصلحة وبيان أثرها في الأحكام الشرعية ، وكأن الخلاف مع أهل الأقنعة هو في كون المصلحة معتبرة شرعا أو غير معتبرة !

وهذا مما لاشك فيه ..

بل وحتى تقديم مصلحة ما على فهم نراه لبعض النصوص ، في بعض النوازل والمواقف ، فهذا قد يكون مما يسوغ فيه الخلاف نظرا لتفاوت الناس في فهم النص ، وتفاوتهم أيضا في تقدير حجم هذه المصلحة .

لكن الذي لا يمكن أن يقع فيه الخلاف أبدا هو ما يتستر به المتقنع من جعل المصلحة مقدمة على النص مطلقا ، بلا قيود شرعية ، ولا ضوابط فقهية ، وتعطيل الحكم الشرعي عند ا ي مصلحة يراها ، وجعل هذا منهجا عاما مطردا ، فان هذا في حقيقته عزل للدين عن أي تأثير مع وجود أية مصلحة ولو متوهمة .. !

القناع الرابع : قولهم : الشريعة مقدسة معظمة ، لا يجوز المساس بقدسيتها ، ولا التعدي على مكانتها ، أو تدنيس طهارتها ، وشؤون الحياة لا تخلو من الهوى

والشهوة والحيل ، التي لا يرضاها العاقل ، وإدخال الدين في هذا تعريض له للتدنيس والتلويث !

والمتقنع هذا لم يزد شيئا سوى أن أعطانا المنهج العلماني بأسلوب أكثر تهذيبا فقط !

بل الواقع أن فعلهم هذا هو الذي فيه التدنيس والتلويث والاهانة .

والا .. فلم لا نحكم بالنص الشرعي في شؤون الحياة ، ونطهر به الحياة ، ولا نعطله ، فنهينه وندنسه .. !

القناع الخامس : أن الشريعة الإسلامية لم توجد نظاما سياسيا ، أو اقتصاديا محددا ، وإنما المجال مفتوح للمسلمين لأخذ أفضل الأنظمة ، وأصح الطرق والمناهج ، لصياغة شؤون حياتهم ومجتمعاتهم ، ولهذا المتقنع نقول : أن لم تضع الشريعة نظاما فقد وضعت أحكاما ، فأين ذهبت عنها أيها المتقنع !

فليس عدم وضع نظام محدد يعني عدم وجود أية ضوابط أو أحكام يجب تطبيقها مع أية نظام يتم تشكيله !!

==

هذه هي العلمانية ، وهذه هي بعض أقنعتها ، ولا يمكن إحصاء جميع هذه الأقنعة ، إذ للقوم في كل واد قناع وقناع ، غايتها عزل الدين عن الحياة وإخراجه عن أي تأثير في شؤون الحياة ، ووسيلتها : تمر عبر التستر تحت هذه الأقنعة والاتقاء بها .

فأينما رأيتم ـ يا عباد الله ـ هذه الأقنعة فمزقوها ، وشاهدوا وجهه الحقيقي مباشرة ، وأينما رأيتم من يمرر فكرته متقنعا بكون الشريعة قد وسعت وأباحت فشدوهم من آذانهم واسألوهم عن الأحكام الشرعية المتعلقة بشؤون الحياة والمجتمع والاقتصاد والسياسة ، ما قولهم فيها :-

وانزعوا أقنعتهم ، وادعوهم ليجيبوا

وكتب المارقال

في 7 / 10 / 1424 هـ

=============

#الأمين العام للمجلس الأوروبي للإفتاء "للمجتمع":

الغرب بات يستخدم الاندماج سلاحاً ضد المسلمين

حاوره في سراييفو: عبدالباقي خليفة

الشيخ حسين حلاوة

على هامش الدورة السابعة عشرة للمجلس الإسلامي الأوروبي للإفتاء والبحوث التقت "المجتمع" الشيخ حسين محمد حلاوة الأمين العالم للمجلس، وإمام مسجد المركز الإسلامي بأيرلندا.. وطرحت عليه عدداً من القضايا المتعلقة بواقع الإسلام في الغرب وسبل دعم اندماج المسلمين في مجتمعاتهم الأوروبية مع الحفاظ على خصوصياتهم الثقافية والدينية.. إلى التفاصيل:

كيف ترى إشكالية المواطنة واندماج المسلمين في الغرب؟

موضوع الموطنة والاندماج لم تتضح معالمه بعد، سواء من المسؤولين في الغرب أو المسلمين، لأن التعريف الكلي غير واضح للاندماج، ولاسيما تلك التعريفات الموجودة في القواميس، ومما تعنيه من الذوبان التام في المجتمعات الغربية، وأخشى أن يستعمل مصطلح الاندماج، كما استعمل لفظ الإرهاب، فهي كلمة مطاطة.. فماذا يراد من المسلمين في قضية الاندماج؟ هل المطلوب أن ينسى المسلم هويته وأن ينسى حضارته وثقافته ودينه ولغته، وأن ينسى كل شيء!

هذا في بعض البلاد للأسف هو المفهوم السائد للاندماج، ليذوب المسلم في المجتمع بحيث لا يبقى له من ثقافته ودينه، بل من اسمه شيء!

وهناك مجتمعات تتعاطى مع مفهوم الاندماج والمواطنة بحدة أقل أو بشكل إيجابي إلى حد ما.

الحريات الأربع

وماذا بقي من الحريات الأربع التي نصت عليها المواثيق الدولية؛ وفي مقدمتها الحرية الدينية، إذا كانت المواطنة والاندماج تعني الذوبان التام في المجتمعات الجديدة؟

من حق المسلم الحفاظ على دينه، ولكن إلى أي مدى الحفاظ على الدين، فبعض المجتمعات جعلت مفهوم المواطنة والاندماج أكثر من هذا، فرفعت سقف مطالبها

لقبول المسلمين داخلها. لذلك نقول إن هذا الأمر غير واضح المعالم ويختلف مدلوله من دولة إلى أخرى في أوروبا..

لذلك حرص المجلس الإسلامي الأوروبي للإفتاء والبحوث أن يناقش المفهوم ويؤصل لهذا الأمر في دورته السابعة عشرة.. وماذا نعني بالاندماج الإيجابي في المجتمع الغربي؟ وما هو المطلوب من المسلمين في تلك المرحلة؟ في ظل ما نعايشه، من محاولات استغلال كلمات المواطنة والاندماج كمسامير تدق فوق رؤوس المسلمين فقط..

وما دور الفعاليات الإسلامية في الغرب وفي مقدمتها المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث في مواجهة هذه التحديات؟

نسعى إلى تأصيل المفهوم تأصيلاً شرعياً، مستقى من قرآننا المجيد وسنة رسولنا الكريم وسيرة سلفنا الصالح وتراثنا العظيم؛ فلدينا في تراثنا الشيء الكثير، وفي تراثنا ذخائر نفيسة لكيفية تعايش المسلم في البلاد غير الإسلامية.

ونجد في القرآن الكريم أمثلة كثيرة، كنبي الله يوسف عليه السلام، حينما قدم إلى مصر ولم تكن حينئذ تدين بدينه، فرغم ما أصيب به يوسف عليه السلام من أزمات، ودخل السجن متهماً بتهمة برئ منها، إلا أنه عندما حار القوم في تفسير رؤيا ملكهم، فسرها لهم يوسف دون أن يطلب منهم ثمناً، أو يطالب بالقصاص ممن اتهموه ظلماً، بل شارك مشاركة فعالة في تنمية مصر، وكذلك الصحابة الكرام رضي الله عنهم حينما انطلقوا في أرض الله عز وجل وكانوا يعيشون مع أقوام يدينون بغير دين الإسلام كانوا يتفاعلون معهم، ولكنهم كانوا يحافظون على هويتهم ويحافظون على دينهم ويحافظون على عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية دون أن يجرحوا أحداً، ودون أن يكون ذلك استعلاءً على أحد.

هل هناك إجابات تفصيلية تقدم للآخرين في نقاط حول هذه القضية؟

الأبحاث التي تقدم تعتبر رداً تفصيلياً على متطلبات الساحة الأوروبية، وفي الدورة السابعة عشرة الأخيرة تم تقديم 20بحثاً علمياً، كل بحث يأخذ نقطة محددة من هذه النقاط..

فمثلاً؛ قدم د. يوسف القرضاوي "الإطار العقدي والمقاصدي للمواطنة"، ويعالج البحث إشكالية "الولاء والبراء بين الدين والمواطنة" التي تؤرق الكثير من الشباب.. وهل الولاء والبراء حاجز بين الدين والمواطنة..

بجانب العديد من الدراسات والرؤى الفقهية التي تتناول الواقع الحقيقي للمسلمين، وقواعد الاندماج الإيجابي في المجتمع..

10 سنوات من الإنجازات

مر على تأسيس "المجلس الإسلامي الأوروبي للإفتاء والبحوث" 10 سنوات، هل حقق المجلس من وجهة نظركم أهدافه؟

قطعنا شوطاً كبيراً فيما وضعنا لأنفسنا من أهداف، وبدأنا في السنوات الماضية تخصيص محاور الدورات استجابة لحاجيات الجالية.

وفي بداية إنشاء المجلس كنا نجيب على التساؤلات المهمة للجاليات، والتي تمثل عائقاً بينهم وبين أن يكونوا فاعلين في المجتمع، ثم تطور الأمر إلى أن أصبحنا نناقش قضايا فعالة وتصدر فيها أبحاث، وقد أصدرنا حتى الآن 11 مجلة علمية قيمة، فيها ما يزيد على 70 بحثاً.

وأصدرنا أيضاً مجموعتين من الفتاوى بلغات عدة؛ العربية والإنجليزية والأردية والفرنسية والألمانية...

كما عقدنا دورتين حول "الأسرة ومشكلاتها في المجتمع الغربي"، وقدمنا حلولاً للكثير من المشكلات التي تؤرق حياة المسلمين..

وماذا عن تمثيل المسلمين الأوروبيين في المجلس الإسلامي للإفتاء؟

عندنا بعض المسلمين من أصل أوروبي وهم أعضاء في المجلس، الذي يمتاز بأنه لا يحوي فكراً معيناً ولا يمثل تياراً معيناً، ولا ينتمي إلى أي مدرسة معينة، فهو مجلس كل الأوروبيين، وكل المدارس الفقهية والمذاهب.. فيه من العرب وغير العرب، ومن الأوربيين الأصليين ومن المتجنسين والمقيمين. كما يضم كوكبة من علماء الشرق الذين لهم صلة بالغرب.

وفي كل دورة نحرص على الحضور الغربي داخل المجلس، لاسيما المفكرين والباحثين. وقد عرض في الدورة الأخيرة بسراييفو بحث لرئيس قسم الدراسات الشرقية

والأديان في جامعة "ليفيد" في هولندا، فنحن منفتحون، ونرى ضرورة مشاركة الأوروبيين والاستفادة من آرائهم وخبراتهم.

المهتدون الجدد

ماذا عن المسلمين الجدد.. وأين هم في اهتمامات المجلس؟

الفتاوى والبحوث التي يصدرها المجلس لعلها أخذت جانباً من حديثي، ولكن كثيراً ما ترد إلينا أسئلة واستفسارات حول القضايا التي تمس واقع المسلمين الجدد.. وفي الدورات التي يقيمها المجلس يحضر بعض المراقبين من المسلمين الجدد.

هل هناك نية لتوسيع اهتمامات المجلس، الذي يقتصر عمله حالياً على البحوث والفتاوى، لتشمل اهتماماته القضايا الاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك؟

طبيعة المجلس بحثية، حيث يقدم الرأي الشرعي إزاء القضايا والمشكلات التي تواجه المسلمين بأوروبا..

ويهتم المجلس بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية وغيرها في أبعادها العقدية، فنحن في الدورات الماضية ناقشنا موضوعات الأسرة والقضايا المالية والاقتصادية، ونتواصل مع كافة المؤسسات الإسلامية العاملة في المجتمعات الأوروبية وفي العالم الإسلامي، ونعتبر أنفسنا مكملين لهم ولسنا في تضاد معهم.

ولنا صلات قوية مع كل المجامع الفقهية.. وفي هذه الدورة دعونا الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف الشيخ علي عبدالباقي، والأمين العام لمجمع الفقه في مكة التابع لرابطة العالم الإسلامي، والأمين العام لمجمع الفقه في جدة التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، والأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي في الهند.. وغيرهم.

المسلمون في أيرلندا

هل هناك تأثير للنزاع البريطاني الأيرلندي على الوجود الإسلامي في أيرلندا؟

لا يوجد تأثير، وقضية النزاع دخلت طور الحل، وقد تشكلت حكومة في الفترة الماضية، ولكن بالطبع أيرلندا تتأثر بما يجري على الساحة البريطانية، باعتبار أن بريطانيا كانت تحتل أيرلندا لفترة طويلة (800 سنة).

ولكن هذا لا يؤثر كثيراً على العلاقة بين المقيمين والمجتمع الأيرلندي.

وماذا عن أوضاع المسلمين داخل المجتمع الأيرلندي؟

عددهم يقارب 40 ألفاً، يعيشون بين نحو 5 ملايين أيرلندي. وضعهم جيد ومعترف بهم.. ولدينا الآن إطار قانوني قائم، وهو "مجلس الأئمة" في أيرلندا، وقريبا سيعلن "مجلس التنسيق بين المراكز الإسلامية"..

ونحظى بقبول مجتمعي على كافة الأصعدة الاجتماعية والسياسية، فحينما توسع الاتحاد الأوروبي، ليصبح في عضويته 25 دولة، وكانت أيرلندا رئيسة للاتحاد آنذاك، تمت دعوتنا للمشاركة في احتفالات التوسع مع الرؤساء والملوك الأوروبيين، وتم افتتاح الاحتفال بقراءة آيات من الذكر الحكيم.

وعندما انتُخبت رئيسة الجمهورية مجدداً، دعينا للمشاركة في الاحتفالات، وتمت تلاوة القرآن الكريم بتلك المناسبة داخل البرلمان، كما يشارك المسلمون في كل الفعاليات القومية والفعاليات السياسية.

وما أسباب نجاح جهودكم في الاندماج مع المجتمع الأيرلندي؟

أولاً: طبيعة الشعب الأيرلندي ومثقفيه ورجال الدين فيه. والأمر الثاني: يعود للتعاطي الرشيد للمسلمين في أيرلندا فهم متعقلون ويعرف قادة المسلمين رسالتهم، ويدركون أن بيننا وبين الغرب ما يجمعنا وهو كثير.

فعندما أرادوا تشريع الإجهاض تم استدعاؤنا والاستماع إلى آرائنا، وكتب هذا في الصحف.. وقد تم رفض الإجهاض بناءً على رفض المسلمين ورفض الكنيسة..

وقد زارتنا رئيسة الجمهورية وعدد كبير من الوزراء في المركز الثقافي الأيرلندي مرات عدة بين الفينة والأخرى، وعندما نقوم بأي مشروع يعود بالنفع على المجتمع يأتي إلينا المسؤولون ويشاركوننا وكذلك الشعب الأيرلندي.

وأنا شخصياً أذهب إلى الكنائس وألقي محاضرات عن الإسلام، بل أذهب إلى المدارس التي تعد القساوسة، وأتكلم عن الإسلام وكذلك المدارس المتخصصة لإعداد المدرسين الذين يدرسون الدين المسيحي، فأيرلندا دولة دينية، في كل مدرسة كنيسة وفي كل مستشفى كنيسة.. رغم أن دستورها يقول إنها دولة علمانية.. لكنها في الحقيقة دولة دينية متمسكة بدينها.

ونحن على تواصل مستمر مع كافة الفعاليات الأيرلندية، وأصدرنا مع الكنيسة يوم 15-5-2007م بياناً مشتركاً حول الصحفي المختطف في غزة.

وماذا عن صورة المسلمين في الإعلام الأيرلندي؟

الإعلام لا يترك أحداً دون انتقاد.. ونحن في شد وجذب مع وسائل الإعلام مثل غيرنا؛ وكنا مع رئيس الوزراء وتحدثنا عن هذا الموضوع، وقلت له: "عندما أتكلم عن سماحة الإسلام وعدله، لا يتحدث الإعلام عن ذلك، ولكن لو علقت على شيء آخر، لهرعت وسائل الإعلام ونقلت كلامي، بل حملته ما لا أقصد.."، فرد رئيس الوزراء بأنه نفسه لا يسلم من وسائل الإعلام وانتقاداتها.

لكن غالبية الصحف المقروءة المتزنة تتكلم كلاماً عاقلاً عن الإسلام وعن المسلمين ولها حوارات معنا، كما ينقل التلفزيون جزءاً من الصلاة في رمضان أو العيد.

السياسة الخارجية

ما تقييمكم للسياسة الخارجية الأيرلندية تجاه قضايا المسلمين؟

رغم بعض الضغوط الدولية التي تمارس على الحكومة الأيرلندية، إلا أن موقفها من قضايا العالم الإسلامي جيد، وهي سياسة محايدة، ولا أدل على ذلك من موقفها من قضية الشعب الفلسطيني؛ فعندما توفي السفير الفلسطيني في أيرلندا وكان عندنا في المركز الإسلامي، جاءت رئيسة البلاد خصيصاً إلى المركز الإسلامي وجاء رئيس الوزراء وقدما العزاء.

حقوق المهاجرين

كيف ينظر الشعب الايرلندي للمهاجرين والأجانب في ضوء تصاعد التيارات اليمينية المتشددة بأوروبا؟

الأيرلنديون شعب مهاجر، ويقدر عددهم بالخارج نحو 60 مليون مهاجر، معظمهم بالولايات المتحدة الأمريكية..

ويحتضن المجتمع الأيرلندي المهاجرين، ما دام المهاجر قد وصل إلى البلاد بطريقة شرعية وحصل على الإقامة بصفة شرعية.

==============

#البيانات العلمانية : خطر ماحق أبواق فتنة ؟؟

قرأت بيان (دفاعا عن الوطن) الذي تقدم به عدد من مواطني البلاد السعودية ، وقد أيقنت أن الموقعين عليه لايأبهون بمصلحة هذه البلاد ولا بحقوق العباد ، بل هم يسعون إلى الفتنة ، وأكبر الفتنة أن يتضمن هذا البيان دعوة صريحة إلى تعدد العقائد والأفكار و إلى أن يتخلى المسلم عن اعتقاده بأن الإسلام هو الحق وأن ما عداه من المذاهب والعقائد والأديان باطلة ، ولو أن الموقعين على البيان كانوا حريصين فعلا على أمن البلاد واستقرارها لما هاجموا أساس هذه البلاد والمنهاج الذي قامت على أساسه ، وقد رأيت من واجبي أن أبين ما فيه من الأفكار والآراء والمطالب المناقضة لشريعتنا الإسلامية ولثوابتنا في هذه البلاد :

أولا – لم يشر البيان لا تصريحا ولا تلميحا إلى الأساس الذي قامت عليه هذه البلاد والعقد الذي تأسس به هذه الكيان وهو تطبيق الشريعة الإسلامية وتحكيمها في جميع مجالات الحياة الدينية والدنيوية ، وهو المبدأ الذي نص عليه النظام الأساسي للحكم ، وهذا تطور في البيانات العلمانية حيث كان هذا الأمر يرد في البيانات السابقة ، ولكن العلمانية في هذا البيان قد حذفت هذا الأساس من بيانها .

ثانيا – اتهم البيان الدعاة والعلماء في هذه البلاد بأنهم عاجزون عن الحوار حين ورد في البيان (إلى سيطرة اتجاه محدد عاجز بحكم تكوينه عن الحوار مع الغير) والمقصود هنا الإسلام ومن يمثل الفتوى وبيان أحكامه من العلماء والدعاة ، وهنا تتضح رؤية الموقعين في هذا لأمر حين لم يقفوا عند حد الاستهزاء والحط من شأن العلماء بل ذهبوا بعيدا للتشكيك في تكوين الإسلام ذاته ممثلا في علمائه ودعاته وطلبة العلم فيه الذين هم المرجع للناس في فهم أمور دينهم ودنياهم وفق شريعة الله تعالى ، حيث ينسبون إلى طبيعة تكوينهم كل نقيصة ، وما طبيعة التكوين الثقافي والفكري للعلماء والدعاة إلى الله ؟.

ثالثا – يدعو البيان إلى رفض الأحادية ، ويعنون بها ألا يكون الإسلام هو المنهاج الوحيد لتسيير شؤون البلاد والعباد ، وهذه الدعوة من أخطر الدعوات لأن الإسلام وحده الحق وما وسواه فباطل وهذا مقتضى الإيمان قال تعالى (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) آل عمران .

ففي الآية دليل واضح على أنه لا هداية ولا فلاح في غير الإسلام ، ومن هنا كان الإسلام هو الدين الوحيد الحق وكل ماعداه فباطل ، وهذا هو الإيمان فمن شكك في هذا فقد انعدم إيمانه ، أي شكك في كونه الدين الحق ، أو دعا إلى التعددية العقدية والفكرية التي تنطلق من غير دين الله تعالى الذي هو الإسلام ، وهذا التشكيك في العلماء والدعاة الذين وصفهم البيان بـ (الاتجاه الذي لا يعبر عن سماحة الإسلام ووسطيته) إنما هو تشكيك للمسلمين في دينهم ، فإذا لم يكن العلماء لايعلمون الإسلام ولا يمثلون وسطيته ، فمن ؟ أيكون ذلك لأهل البدعة والكتاب الذي حاربوا الله في رواياتهم ممن جاءت أسماؤهم في البيان ؟ وهو بيان لم يتضمن عالما واحدا من علماء هذه البلاد ، وقد جاء في الحديث : (إذا لم تستحي فاصنع ماشئت).

إن التشكيك في علماء الإسلام هو تشكيك في الإسلام ذاته و بذر بذور الشك في دين الله ، وتكذيب الوحي والله تعالى يقول (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) وقال (قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ) وقال تعالى (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ)المؤمون .

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) الأنعام.

رابعا – الدعوة إلى القبول بالآخر المختلف على الصعيد الإنساني ، أي أن نقبل كل فكر واعتقاد من أي مورد جاء وعلى أي صورة وفد وبأية عقيدة صيغ وإلى أي منهاج دعا ، وهذا معنى القبول بالآخر المختلف على الصعيد الإنساني ، وما معنى الإنسانية هنا ؟ أليست تعني كل ما أنتجه الإنسان واخترعه وتبناه من عقائد وأفكار وأخلاق ومذاهب لا حصر لها و كلها باطلة إلا ما كانت مبينة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد سبق هذه العبارة الدعوة بالقبول بالآخر الإسلامي ، ووجود العبارة اللاحقة تعني القبول بالآخر غير الإسلامي ، والدعوة هنا دعوة إلى قبول الفكر ، لأنه لا يعقل أن يكون معناها قبول الآخر بشحمه ولحمه فهذه معلومة ، فالإسلام يجيز التعامل مع

غير المسلم بل يجيز الزواج بالكتابية ، ولكنه لا يجيز عقيدتها ولا فكرتها ولا يقبل بها ، بل يرى عقيدتها كفرا رغم كونها زوجة للمسلم .

وهذه الدعوة في الحقيقة دعوة إلى حرية الفكر والتعبير عن الأفكار والعقائد التي تتناقض مع قيم وعقيدة الإسلام .

إن الموقعين على هذا البيان المهلك المدمر في الواقع لا يريدون بالبلاد ولا بالعباد خيرا ، وما هم إلا طلاب مصالح شخصية ، وبعضهم عرف في كتاباته بمهاجمة الإسلام والسخرية منه ، والدعوة إلى الأدب الإباحي الذي لايقيم للدين مقاما ولا للخلق اهتماما .

إن دوافع الموقعين على هذا البيان معروفة ليس من باب الظن والتخمين بل إن البيان يصرح بدوافعهم التي لم يستطيعوا هذه المرة مواراتها وإخفاءها ، وهي دوافع تدعو صراحة إلى العلمانية وتعدد المذاهب والعقائد وحرية الدعوة إلى كل ملة وعقيدة وإلى حرية مهاجمة الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة ، لأن الدعوة إلى مايضاد الإسلام دعوة إلى نبذ الإسلام ومهاجمة له .

هذا والله نسأل للجميع الهداية وأن يخذل من أراد الإسلام و العباد والبلاد بسوء.

علي التمني

أبها 1424/8/10

=============

#العلمانية كارثة الأمة

الفلاح المعتصم

تنبيه

اعلم أخي الكريم إنك إن قرأت هذا الموضوع بإذن الله تعالى ستخرج بفائدة أكيدة فلا تعجز بارك الله فيك أرجوك اقرأ لفائدتك أخوك الفلاح المعتصم .

مقدمة

الحمد لله الحي القيوم ، عالم السرائر ، ودقائق الضمائر ، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، والصلاة والسلام على الصادع بالحق المعلوم ، وناصر المظلوم . أما بعد

فهذا نذيرٌ من كسير ، وبيانٌ بلاءٍ مستطير , منه براءة ذمتي , وتحذير أمتي .

إنها مصيبة تأكل كل المصائب , وحديث يُطوى عنده كل حديث .
وتاريخ يُنسي الأمة كل تاريخ .
عدوٌ لدودٌ , أعلن الإلحاد جماعات وآحاد , اغتصب الأرض , وانتهك العرض وأفسد البلاد طولاً وعرض .
داهم البلاد المغربية , وأحكم وثاق الشامية , واحتضن البلاد المصرية , وأخذ بزمام كل دولة إسلامية , شرقية كانت أوغربية وأقبل بعدده وعدته نحو الجزيرة العربية , أرض الكعبة والآثار المحمدية .
يقول هذا العدو مكة أساطير أولية , وعرفات خرافات إختراعية , وتحكيم الشريعة عثرة الأمة الإسلامية , وحرمات الله مُتعٌ طبيعية .
وما جعلني أنسج أحرف هذه البيانات والتحذيرات , إلا بعد ما وصلت جافل هذا العدو إلى أراضي المقدسات , وحول مأوى أفئدة المؤمنين والمؤمنات .
أيها القارىء الكريم لا أخفيك أن بيان هذه الرزية كلفني ساعات طويلة , ومراجع ثقيلة , وأخشى ما أخشاه أن تضعف العزيمة , فتحرم الغنيمة بسبب عدم إكمال القراءة , فتحصل الهزيمة .
أخي الحبيب .. ما كتبت هذا إلا لتعلمه , وما أتعبت نفسي إلا لتفهمه , فكن معي لتنال الخير وتفهمه .
بليتنا , ورزيتنا , وداهيتنا , وعظيم مصيبتنا هي ((العلمـ العلمانية ـانية))
قد تقول أنا أعرف العلمـ كارثة الأمة ـانية , أقول لك لا تتعجل لربما تجد مالا يخطر ببالك , ومالم يتصوره خيالك , إنها دراسة مفصلة مؤصلة , بها تدرك حجم المصيبة , وتتجسد لك صورة جلية تبين لك أبعاد هذه الرزية .
أبدأ بسم الله مستعينا ** راض به مقدراً معينا
.*.*. العلمـ تعريف ــــانية .*.*.
تقول دائرة المعارف البريطانية مادة (Secularim) : (هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيهم إلى الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها .)
ويقول " المعجم الدولي الثالث الجديد " مادة : (Secularism)

" اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب ألا تتدخل في الحكومة ، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادا مقصوداً ، فهي تعنى مثلاً " السياسة اللادينية البحتة في الحكومة "

" وهي نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين " (6)

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو " فصل الدين عن الدولة " ، وهو في الحقيقة لا يعطى المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة ، ولو قيل أنها " فصل الدين عن الحياة " لكان أصوب ، ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية " إقامة الحياة على غير الدين " سواء بالنسبة للأمة أو للفرد

تنقسم العلمانيه إلى قسمين

1- الديمقراطية الليبرالية ، وتسمى منهجها (العلمانية المعتدلة) أي أنها مجتمعات لا دينية ولكنها غير معادية للدين .

2-(العلمانية المتطرفة – Anti Religious) ، أي المضادة للدين ، ويعنون بها المجتمعات الشيوعية وما شاكلها .

.*.*.*. أسباب نشأت العلمانية .*.*.*.

== << .. السبب الأول ..]] ==

.*.*. الطغيان الكنسي .*.*.

1- يحل ويحرم رجل الكنيسة ، ينسخ ويضيف ، وليس لأحد حق الاعتراض ، أو على الأقل حق إبداء الرأي ، كائناً من كان وإلا فالحرمان مصيره واللعنة عقوبته لأنه كافر "مهرطق" .

2- حق الغفران ((صكوك الغفران)) وهي صكوك توزعها اللجنة بالمزاد العلني وكتابة وثائق للمشترين تتعهد الكنيسة فيها بأن تضمن للمشتري غفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكل محظور يصبح حلالا .

3- وحق الحرمان هي عقوبة معنوية بالغة يعاقب بها من خالف الكنيسة من ملوك وعلماء وأفراد .

4- وحق التّحلة فهو حق خاص يبيح للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة .

محاكم التفتيش هي عبارة عن سجون مظلمة تحت الأرض بها غرف خاصة للتعذيب وآلات لتكسير العظام وسحق الجسم البشري وكان الزبانية يبدءون بسحق عظام الأرجل ثم عظام الصدر والرأس واليدين تدريجيا" حتى يهشم الجسم كله ويخرج من الجانب الآخر كتلة كتلة من العظام المسحوقة والدماء الممزوجة باللحم المفروم .

ذلك لمن خرج عن تعاليم الكنيسة ومن هؤلاء بل على رأسهم علماء الإختراع .

== << .. السبب الثاني ..]] ==

.*.*. الصراع بين الكنيسة والعلم .*.*.

وهذا يتمثل في أن مامن عالم يخترع شيء إلا ويكفر ويخرج من ملتهم وتطارده محاكم التفتيش للقضاء عليه فقد كفرت رئيس بلدية في ألمانيا لأنه اخترع غاز الاستصباح بحجة أن الله خلق الليل ليلاً والنهار نهاراً وهو بمخترعه يريد تغيير مشيئة الخالق فيجعل الليل نهاراً .

== << .. السبب الثالث ..]] ==

.*.*. الثورة الفرنسية .*.*.

وبسبب الظلم من الكنيسة المتمثلة في رجال الدين دعت العلمانية بالثورة على رجال الدين هناك والظلم الكنيسي فما كان من الشعب إلا أن خرج ينادي ((أشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس)) وهكذا نجحوا في تحويل الثورة من ثورة على مظالم رجال الدين إلى ثورة على الدين نفسه وجعلوا لفظة الدين عند الشعوب الأوربية مرادفة للظلم والرجعية والتخلف والاستبداد .

وتجدهم ينادون ((لتسقط الرجعية)) والمقصود الواضح هناك ((ليسقط الدين)) حتى أصبح النظام المثالي هناك هو النظام العلماني والنظام البائد هو نظام الكنيسة الديني .

== << .. السبب الرابع ..]] ==

.*.*. نظرية التطور .*.*.

هذه النظرية هي النظرية التي تسمى ((الدارونية)) ومقتضاها اللاإلحاد والزندقة وأن الكون مجرد نوع يتكون من ملاين الخلايا والطبيعة هي التي تهب أسباب البقاء لهذه الأنواع فيكون لها الخلود أو منع أسباب البقاء عنها فتنتهي .

يعني هذا اللاإلحاد حيث أن الله لا شأن له في الوجود .

ومن أسباب انتشار هذه النظرية الإلحادية بين سذجها الآتي

الصراع بين العلم والدين إنذاك كان في حالة من الهيجان لا تسمح بانتشار نظرية تشم منها رائحة إله الكنيسة السفاح الحقود !!

وكان العلم النيوتنى قد ألقي في روع أعداء الكنيسة إمكان تفسير الظواهر الطبيعية ((ميكانيكياً)) أي دون الحاجة إلى مدبر من السماء 0

لفت نظر الناس وإعجابهم بالتطور التكلونجي بإسم العلمانية البعيد جذرياً عن الكنيسة 0

وبهذه الأسباب نشأت العلمانية واستشرى أمرها في بلاد الكفر البعيدة كل البعد عن الشريعة الربانية الإسلامية وبهذه المبررات قامت هذه الفئة بحرب كل محسوس أو ملموس ينطبق عليه مسمى الدين وإن اختلف التشريع وكان في قمة العدالة والإنصاف سواءاً كان هذا الدين مسيحي أو يهودي أو إسلامي يدعو للعلم أو يحاربه فالأمر عندهم سواء .

** نهج العلمانية وطرق دعوتها **

العلماني :

تجد البعض يؤمن بوجود إله لكنه يعتقد بعدم وجود علاقة بين الدين وبين حياة الإنسان (فكر بوذي) كما يعتقد بأن الحياة تقوم على أساس العلم التجريبي المطلق وهذا (فكر ماركسي).

والعلماني :

تجده يعتبر القيم الروحية التي تنادي بها الأديان والقيم الأخلاقية بأنواعها هي قيم سلبية يجب أن يتم تطويرها أو إلغائها وهذا (فكر ماركسي).

والعلماني :

تجده يطالب بالإباحية كالسفور ، والاختلاط بين الجنسين في الأماكن العامة والخاصة (أي الخلوة) ويحبذ عدم الترابط الأسري (دعوة ماسونية).

والعلماني :

تجده يطالب بعدم تدخل الدين في الأمور السياسية وأنه يجب تطبيق الشرائع والأنظمة الوضعية كالقانون الفرنسي في الحكم . وأن الدين للعبادة فقط دون تدخل في شئون الخلق وتنظيمها – كما أراد الله سبحانه وتعالى –.

والعلماني :

تجده يردد دائماً بأن الإنسان هو الذي ينبغي أن يستشار في الأمور الدنيوية كلها وليس رجال الدين – ويطالب بأن يكون العقل البشري صاحب القرار وليس الدين

والعلماني :

تجده يصرح باطلاً بأن الإسلام لا يتلائم مع الحضارة وأنه يدعوا إلى التخلف لأنه لم يقدم للبشرية ما ينفع ويتناسى عن قصد الأمجاد الإسلامية من فتوحات ومخترعات في مجال الهندسة والجبر والكيمياء والفيزياء والطب وأن علم الجبر الذي غير المفاهيم العلمية وكان السبب الرئيسي لكثرة من مخترعات اليوم وربما المستقبل ينسب لمبتدعه العبقري جابر بن حيان وهو مسلم عربي .

والعلماني :

تجده يعتقد بأن الأخلاق نسبية وليس لها وجود في حياة البشر إنما هي انعكاس للأوضاع المادية والاقتصادية وهي من صنع العقل الجماعي وأنها أي الأخلاق تتغير على الدوام وحسب الظروف (فكر ماركسي) .

والعلماني :

تجده يعتقد بأن التشريع الإسلامي والفقه وكافة تعاليم الأديان السماوية الأخرى ما هي إلا امتداد لشرائع قديمة أمثال القانون الروماني وأنها تعاليم عفى عليها الزمن وأنها تناقض العلم . وأن تعاليم الدين وشعائره لا يستفيد منها المجتمع . (وهذا فكر ماركسي) .

والعلماني :

تجده حين يتحدث عن المتدينين فإنه يمزج حديثه بالسخرية منهم ويطالب بأن يقتصر توظيف خريجي المعاهد والكليات الدينية على الوعظ أو المأذونية أو الإمامة أو الأذان وخلافه من أمور الدين فقط .

والعلماني :

تجده يعترض اعتراضا شديداً على تطبيق حدود الله في الخارجين على شرعه كالرجم للزاني أو قطع اليد للسارق أو القتل للقاتل وغيرها من أحكام الله ويعتبرها قسوة لا مبرر لها .

والعلماني :

تجده يطالب ويحبذ مساواة المرأة بالرجل ويدعو إلى تحررها وسفورها واختلاطها بالرجال دون تحديد العمل الذي يلائمها ويحفظ كرمتها كأنثى .

والعلماني : تجده يحبذ أن لا يكون التعليم الديني في المدارس الحكومية إلزامياً بل إختيارياً .

والعلماني :

يتمنى تغيير القوانين الإسلامية ، بقوانين علمانية ، كالقانون المدني السويسري ، والقانون الجنائي ، المعمول به في إيطاليا ، والقانون التجاري الألماني ، والقانون الجنائي الفرنسي ، وهذا القانون يعمل به في بعض الدول العربية ، ويعتبر أن تلك القوانين هي الأفيد في حياة الفرد والمجتمع من التنظيم الإسلامي .

&& أثر العلمانية على العالم الأوربي والأمريكي &&

وبسبب التخلي عن القيود الأخلاقية ، والأدبية ، والإنحلال من القيم المتبقية من عقائد أهل الكتاب ، وإطلاق زمام النفس الغاوية على الغارب ، من مزاولة الزنا والربا والإختلاط بين الرجال والنساء ، ومحاربة كل خلق حسن ، كان لهذا الأمر من المثالب التي لا تخفى على عاقل ، حيث وأن الفساد إنتشر بشكل مخيف لا يطيقه الحمقى ، فضلاً عن أصحاب العقول السوية ، وقد تأذى من هذا الحال نساء أوربا ، وأمريكا ومثقفيهما

تقول الكاتبة الإنجليزية " أنى رود " عن ذلك :

" إذا اشتغلت بناتنا في البيوت خوادم أو كالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد .
أياليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخادمة والرقيق اللذين يتنعمان بأرغد عيش ويعاملان معاملة أولاد رب البيت ولا يمس عرضهما بسوء . نعم إنه عار على بلاد الإنكليز أن تجعل بناتها مثل للرذائل بكثرة مخالطتهن للرجال ، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية كما قضت بذلك الديانة السماوية وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها
وتقول الكاتبة اللادى كوك أيضا :
" إن الاختلاط يألفه الرجال ، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها ، وعلى قدر الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا ، ولا يخفى ما فى هذا من البلاء العظيم عن المرأة ، فيه أيها الآباء لا يغرونكم بعض دريهمات تكسبها بناتكم باشتغالهن فى المعامل ونحوها ومصيرهن إلى ما ذكرنا فعلموهن الابتعاد عن الرجال ، إذا دلنا الإحصاء على أن البلاء الناتج عن الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر الاختلاط بين الرجال والنساء . ألم تروا أن أكثر أولاد الزنا أمهاتهن من المشتغلات فى المعامل ومن الخادمات فى البيوت ومن أكثر السيدات المعرضات للأنظار .. ولولا الأطباء الذين يعطون الأدوية للإسقاط لرأينا أضعاف مما نرى الآن ، ولقد أدت بنا الحال إلى حد من الدناءة لم يكن تصوره فى الإمكان حتى أصبح رجال مقاطعات فى بلادنا لا يقبلون البنت ما لم تكن مجربة ، أعنى عندها أولاد من الزنا ، فينتفع بشغلهم وهذا غاية الهبوط فى المدينة ، فكم قاست هذه المرأة من مرارة الحياة
وأما الجرائم الأخلاقية من فواحش الزنا والسرقة والقتل فأمر يفوق الخيال تأمل
&&& " بلغت عدد سرقات المتاجر الكبيرة في إنجلترا خلال عام 1960 نحو 32194 سرقة هذا عدا الحالات التي لم تبلغ لإدارة البوليس والغريب أن 60% من هذه السرقات ارتكبتها نساء جاوزن سن البلوغ و30% ارتكبها ذكورا أقل من السابعة عشرة وتقول الإحصائيات أن كل السارقات من النساء لم يكن في حاجة للمال "(88). نعم إنها ليست الحاجة للمال ولكنها الرغبة في الانتقام وتفريغ السخط .

&&& وإما الانتقام من نفسها بالانتحار كما فعلت الممثلة الشهيرة "مارلين مونرو" التي كتبت قبيل انتحارها نصيحة لبنات جنسها تقول فيها :

" إحذري المجد ...إحذري من كل من يخدعك بالأضواء ...إنى أتعس امرأة على هذه الأرض... لم أستطع أن أكون أما ... إني امرأة أفضل البيت ... الحياة العائلية الشريفة على كل شيء ... إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية " وتقول في النهاية " لقد ظلمني كل الناس ... وأن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة " .

&&& نشرت صحيفة الأخبار المصرية (في عددها الصادر في 1972/10/20م ، ص 4) :

أنه قد أقيمت في هذا الأسبوع الحفلة السنوية لسيدة العام وحضرها عدد كبير من السيدات على اختلاف مهنهن .. وكان موضوع الحديث والخطب التي ألقيت في حضور الأميرة (آن) البريطانية هو حرية المرأة وماذا تطلب المرأة .. وحصلت على تأييد الاجتماع الشامل فتاة عمرها 17 عاماً رفضت رفضاً باتاً حركة التحرير النسائية وقالت أنها تريد أن تظل لها أنوثتها ولا تريد أن ترتدي البنطلون بمعنى تحدي الرجل . وأنها تريد أن تكون امرأة وتريد زوجها أن يكون رجلاً . وصفق لها الجميع وعلى رأسهن الأميرة (آن) (كتاب المرأة العربية المعاصرة إلى أين ؟! ص 50) .

&&& يقول تقرير كتبه أحد الأطباء الاجتماعيين في فينا :" وقد لوحظ أن النساء أكثر محاولةـ أي في الإنتحار ـ من الرجال وفي عام 1959 حاولت 150 فتاة الانتحار وهذا يعني أن كل تسعة أيام توجد ست محاولات انتحار أربع منها من جانب الفتيات واثنتان من جانب الفتيان (89). وتأمل منذ ذلك الوقت إلى يومنا 0

&&& من ذلك ما نشرته الصحف الأمريكية في 1977م من أن فتاة أمريكية في إحدى الولايات الوسطى بالقرب من مدينة غير مشهورة وجدت مقتولة وقد طرحت جثتها في الغابة وحمل البوليس الجثة إلى المستشفى ونشر إعلانا يتضمن سن الفتاة و صفاتها الجسدية لكي يحضر قريبها لتسليم الجثة . فماذا كانت النتيجة ؟ ... تقول

الصحف : أن المستشفى تلقى 1200مكالمة من أناس كل منهم يشك في أنها قريبة ويستوضح بعض صفات لفتة أخرى بينها حضر إلى المستشفى شخصيا قرابة 500 شخص لمعاينة الجثة(90).

وهذا يعنى أن هؤلاء فقدوا فتيات يحملن نفس تلك الصفات وفي السن نفسه فكيف بمن يحملن صفات أخرى وفي مراحل من العمر أخرى ؟ وإذا كان هذا على مستوى المدينة أو الولاية فكيف بالولايات كلها؟

&&& ومن هذا صرح الدكتور جون كيشلر أحد علماء النفس الأمريكيين في شيكاغو (أن 90% من الأمريكيات مصابات بالبرود الجنسي وأن 40% من الرجال مصابون بالعقم ، وقال الدكتور أن الإعلانات التي تعتمد على صور الفتيات العارية هي السبب في هبوط المستوى الجنسي للشعب الأمريكي . ومن شاء المزيد فليرجع الى تقرير لجنة الكونجرس الأمريكية لتحقيق جرائم الأحداث في أمريكا تحت عنوان (أخلاق المجتمع الأمريكي المنهارة) . (المجتمع العاري بالوثائق والأرقام ، ص 11) .

&&& نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية الأمريكية قد بلغت في إحدى المدن 48% وليسمعوا (دعاة الاختلاط الذين يريدون أن يزحفوا مجتمعاتنا الى الرذيلة والشذوذ) الى ما نقلته جريدة الأحد اللبنانية في العدد (650) عن الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية ، ماذا قالت الجريدة بالحرف الواحد ؟

&&& ومما ذكرته الجريدة كذلك : (دلت الإحصائيات فتيات بصورة غير شرعية لا تزيد أعمارهن عن العشرين وأن كثيرات منهن من طالبات الجامعات والكليات) ونقلت الجريدة عن المربية الاجتماعية (مرغريت سميث) حديثاً قالت فيه (إن الطالبة لا تفكر إلا بعواطفها والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة أن أكثر من ستين بالمائة من الطالبات سقطن في الامتحانات وتعود أسباب الفشل الى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن وأن) (أنظر الى كتاب الى كل أب غيور ، ص 29–31 لعبد الله علوان) .

&&& ومن هذا نشرت صحيفة الشرق الأوسط التي تصدر في لندن في عددها الصادر 1400/7/15هـ الموافق 1980/5/29م ..أن 75% من الأزواج يخونون

زوجاتهم في أوروبا وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشيء ذاته .. و80% الى 85% من الرجال البالغين قبل الزواج لهم خليلات .

&&& ومن هذا " بلغ عدد الأحداث المحكومين في فرنسا سنة 1939م : 12165 وبلغ سنة 1968: 44016حسب جدول إحصائي"... " وقد صار هذا التزايد في عدد الأحداث المنحرفين منذرا بأوخم العواقب إذ بلغت أرقامه ضعفيها تقريبا في مدى ثماني سنوات . سنة 1960 – 26894".

&&& فرنسا: الأطفال ضحايا الاعتداءات الشاذة...

كشف تحقيق نشرته مجلة " الأوبر فاتوار " الفرنسية النقاب عن تهاون القضاء الفرنسي في معالجة قضايا الاعتداءات الشاذة التي ارتكبها بالغون بحق أطفال صغار وذلك بالنظر إلى الأحكام المخففة التي تصدر في مثل هذه القضايا ، وجاء في إحصاءات عام 1992م أن 2000إلى 2500طفل ضحية سنوية ، ويعانون من حالات خطيرة ، وأعلنت وزارة الصحة الفرنسية أنه على مستوى المدارس فإن طفل على الأقل في كل فصل يكون ضحية للاعتداءات الشاذة ، أما ما يصل إلى المحاكم فلا يتجاوز 30% من هذه الحوادث .

(الأسرة– العدد 9– 1414 هـ – 1994م)

أما الأمراض العقلية بسبب ألإباحية في الكحول وتعاطي ألوان المسكرات خيالية جداً تأمل

الأمراض العقلية والعصبية: جاء في تقرير لمنظمة الصحة العالمية أعدته لاجتماعها السنوي في جنيف لسنة 1978:

" يعاني حوالي 40 مليون شخص من أمراض عقلية أكيدة في العالم وهناك أكثر من 80 مليونا ممن يعانون تخلفا خطيرا من جراء الإفراط في تعاطي الأدوية والمخدرات والمشروبات بالإضافة إلى مائتي مليون شخص يعانون من اضطرابات عقلية أقل خطرا ولكنها تعرضهم للتخلف العقلي أيضا"(99).

أما الولايات المتحدة بصفة خاصة فتقول الإحصائيات:

"إن المرض العقلي يشكل أخطر تهديد لصحة أبناء شعبها إذ يشير تقدير المعهد القومي للصحة العقلية الصادر في يوليو 1954 إن عدد المرضى الذين ترعاهم

مستشفيات الأمراض العقلية يناظر مرضي المستشفيات الأخرى مجتمعة على اختلاف أنواعها ولا يتدرج بطبيعة الحال في هذا الإحصاء عشرات الآلاف من الحالات المرضية التي لم تقصد المستشفيات وإنما تولى علاجها إذا قدر لها أن تحظى بالعلاج أطباء الأمراض العقلية

تاريخ دخول العلمانية العالم الإسلامي

لم يكن العالم الإسلامي يعرف العلمانية لأن ظروف المجتمعات الإسلامية لم تكن في ظروف المجتمعات المسيحية التي فرض واقعها ظهور هذه البلية على البلاد والعباد فكان دخلها على

النحو التالي

1- في مصر : دخلت العلمانية مصر مع حملة نابليون بونابرت . وقد اشار اليها الجبرتي الجزء المخصص للحملة الفرنسية على مصر واحداثها -.وادخل الخديوي اسماعيل القانون الفرنسي سنة 1883م،وكان هذا الخديوي مفتونا بالغرب ،وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا .

2- الهند: حتى سنة 1791م كانت الاحكام وفق الشريعة الاسلامية ثم بدأ التدرج من هذا التاريخ لإلغاء الشريعة الإسلامية بتدبير الإنجليز وانتهت تماما في أواسط القرن التاسع عشر .

3- الجزائر : إلغاء الشريعة الإسلامية عقب الاحتلال الفرنسي سنة 1830 م .

4- تونس : أدخل القانون الفرنسي فيها سنة 1906 م.

5- المغرب: ادخل القانون الفرنسي فيها سنة 1913م.

6- تركيا : لبست ثوب العلمانية عقب إلغاء الخلافة واستقرار الأمور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك ، وان كانت قد وجدت هناك إرهاصات ومقدمات سابقة .

7- العراق والشام : الغيت الشريعة أيام إلغاء الخلافة العثمانية وتم تثبيت أقدام الإنجليز والفرنسيين فيها .

8- معظم أفريقيا : فيها حكومات نصرانية امتلكت السلطة بعد رحيل الإستعمار

9- أندونيسيا : ومعظم بلاد جنوب شرق اسيا دول علمانية .

10-إنتشار الأحزاب العلمانية والنزاعات القومية : حزب البعث ،الحزب القومي السوري ،النزعة الفرعونية ،النزعة الطورانية ،القومية العربية

&&& كيفية دخول عفن العلمانية إلى العالم الإسلامي &&&

1- من خلال الاحتلال العسكري الاستعماري

2- من خلال البعثات التي ذهبت من الشرق إلى الغرب لطلب العلم والتقدم

3- من خلال البعثات التبشيرية

4- من خلال المدارس والجامعات الأجنبية

5- من خلال الجمعيات والمنظمات والأحزاب العلمانية .

6- من خلال البعثات الدبلوماسية .

7- من خلال وسائل الإعلام المختلفة .

8- من خلال التأليف والنشر في فنون شتى من العلوم وبالأخص في الفكر والأدب .

9- من خلال الشركات الغربية الكبرى التي وفدت لبلاد المسلمين مستثمرة في الجانب الاقتصادي .

10- من خلال المتعلمنة الذين تولوا زمام الحكم في البلدان الإسلامية مما أدى ذلك لتمكين كل عائد متعلمن من منصب .

11- من خلال الجهل المتناهي في صفوف دعاة العلمانية بالدين الإسلامي مع وجود الكيد والخبث من تنفيذ الخطط الماسونية العالمية لدمار الأمة .

الفرق بين العلمانية العالمية والعلمانية في العالم الإسلامي

العلمانية هي العلمانية في كل بقاع العالم ، ودعوتها هي دعوتها ، لا فرق سوى أن العلمانية في العالم الإسلامي تراها تدعو للتقدم في العري الفاضح ، والفساد الصارخ ، ولم تصنع كبقية العالم ما يحمي الأمة من أعدائها من آلات حربية قتالية ، وهذا يدل على عمالتها المفضوحة .

&&& أثر العلمانية على العالم العربي &&&

لاشك أن أثرها كان كبيراً على الأمة ، بسبب جهل الأمة لأمور دينها ، فاستغفلتها العلمانية إلى حد بعيد والله المستعان .

* فترى أكثر العالم الإسلامي لا يحكم بما أنزل الله واستبدلوا بالقرآن الدساتير الغربية والقوانين الشرقية فأفسدوا البلاد والعباد .

* نزعوا الحجاب عن المرأة المسلمة في أكثر البلدان الإسلامية

* إستطاعوا أن يوصلوا الأمة إلى حال من الإختلاط في دور العمل والتعليم مما أدى إلى فساد وانحلال الأخلاق الإسلامية

* بل عندنا في عالمنا من يحارب الفضيلة علانية ويدعوا لكل رذيلة

* بل وصل الحد أن الأجيال تطبعت على طباع علمانية يظنها الجهلة من الدين ويفتي بها بعض من ينتسب للعلم كالإختلاط .

*تخلي الأمة عن الحجاب بسبب دعوة العلمانية وجرها للفساد

* بدأت الدعوة لخلع الحجاب في أكثر الدول الإسلامية بسبب دعاة الضلالة في كل من

&&& تركية سنة 1929 صدر قانون مدني على غرار قانون "نوشاتيل" المدني السويسري فحرم تعدد الزوجات وقضى على الحجاب والحريم ونظرة الطلاق ، وفي برهة وجيزة جعل من المرأة التركية شقيقة المرأة السويسرية وصنوها "

&&& وفي الجزائر أوحت الثورة للنساء بالكفاح فخرجت العذارى المحاربات من بيوتهن ونزعن الحجاب لأول مرة منذ أن اعتنقت بلادهن الإسلام ، وهنا تكون المعركة النضالية قد فعلت ما عجز السلام عن فعله "أى كما فعلت الثورة الشعبية المصرية " .

&&& وفي تونس "أعلن السيد بورقيبة عدة قرارات هي بمثابة ثورة تعدد الزوجات وجعل السن الدنيا لزواج الفتاة الخامسة عشرة ثم تحرير المواطنين والمواطنات الذين تخطوا العشرينات من عمرهم من موافقة الوالدين إذا ما أرادوا عقد الزواج ، وفي نفس الوقت أعلن السيد بورقيبة ...بأن الطلاق لا بد من أن يخضع للمحاكم

&&& وفي بلاد المغرب فقد كانت أسبقها إلى السفور والدعوة إليه إذ كتب الطاهر الحداد سنة 1930 كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع

&&& وفي الشام خلعت المسلمة حجابها لتظهر عارياً والواقع يشهد على ذلك بكل وضوح 0

&&& وفي جنوب اليمن ـ سابقاً ـ خلع الحزب الإشتراكي حجاب المسلمات قهراً 0

&&& وفي مصر خلعت المسلمة الحجاب بسبب دعوة قاسم أمين وهدى الشعراوي وسعد زغلول وغيرهم من دعاة الضلالة كطاه حسين 0

&&& حق المرأة في وقف تعدد الزوجات ، وعلى ذمته ينسب إلى محمد عبده أنه قال "يجب تحريم التعدد الآن عملاً بحيث لا ضرر ولا ضرار

&&& وفي الجزيرة العربية بدأت هذه الدعوة تحقق أهدافها فترى كثيرا من النساء سافرات متبرجات وللأسف يزداد هذا الأمر ويستفحل أمره ساعة بعد ساعة .

ومن صور الجريمة المتفشية في العالم العربي

إحصائية للجريمة في الأردن

وقالت مصادر إدارة الشرطة: إنه تم ارتكاب 349 جريمة جنائية أبرزها: القتل العمد؛ حيث وقعت أربع جرائم قتل عمد في أماكن مختلفة واكتشفت جميعها، و كانت الأسباب والدوافع وراء ارتكاب هذه الجرائم الخلافات الشخصية والمالية والانحلال الأخلاقي

وأضافت المصادر أنه أُبلغ عن وقوع 491 جريمة سرقة خلال نفس الشهر، منها 123 سرقة جنائية،

وأضافت المصادر أنه تم إلقاء القبض على 598 شخصا أقدموا على ارتكاب جريمة السرقة، من بينهم 52 امرأة، وعدد من رعايا الدول العربية والأجنبية في الأردن

عمان–إسلام أون لاين الثلاثاء 12 رجب 1421هـ – 10 أكتوبر 2000م

الجريمة في الكويت وهو أقل من ((2)) مليون

الكويت– عبد الرحمن سعد– إسلام أون لاين.نت / 3–5–2001

وأوضحت الإحصائيات أن عام 1997 بلغت الجرائم فيه 27 ألفاً و98 جريمة بواقع 1369 جريمة لكل 100 ألف نسمة، موضحة أن جرائم المال جاءت في المرتبة الأولى بـ10 آلاف و72 جريمة بنسبة 37.2% وبلغت السرقات 6351 سرقة بنسبة 23.4% تلتها جرائم النفس، وبلغت 5855 جريمة بنس 21.6%، أما جرائم العرض والسمعة فقد بلغت 4059 جريمة بنسبة 15%، وأخيرا جرائم المصلحة العامة التي بلغت 754 جريمة بنسبة 2.8% وأغلبها

هي: تعاطي المخدرات، والاغتصاب، والسرقة"، وهذا في دولتين صغيرتين فما بالك بكبار الدول واللبيب بالإشارة يفهم أرقام خيالية تشمت بناء الأعداء ولا أستحسن ذكرها 0

من أشهر دعاة العلماني في العالم العربي والإسلامي

من اشهر دعاة العلمانية في العالم العربي الإسلامي : احمد لطفي السيد ، إسماعيل مظهر ، قاسم امين ، طه حسين ، عبد العزيز فهمي ، ميشيل عفلق ،أنطوان سعادة ، سوكارنو ، سوهارتو ، نهرو، مصطفى كمال اتاتورك ،جمال عبد الناصر ، أنور السادات (صاحب شعار لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين) ، د. فؤاد زكريا ، د. فرج فودة وقد اغتيل بالقاهرة مؤخرا ، وغيرهم

هل للعلمانية مبرر في العالم الإسلامي

نشأت العلمانية في البلاد الغربية بسبب ظروف ، وطقوس ، ذكرناها أنفاً منها

الطغيان الديني ذلك الذي يحتكر تعاليم الوحي ويحرف ألفاظها ومعانيها ويسير الجيوش لسحق المخالفين من الفرق في الرأي ويقيم محاكم التفتيش لفرم كل مخالف .

الطغيان الاقتصادي ذلك الذي يتحكم في موارد وأرزاق البشر ويستذلهم بالعمل المجاني في إقطاعيات القساوسة ويفرض الضرائب الباهظة على أناس لحساب خزانة الفاتيكان .

الطغيان السياسي ذلك الذي يستذل الحكام لأشخاص رجال الدين ويعرض الشعوب لطائلة عقوبة الحرمان العام بسبب نزوة غضب تعتري أحد البابوات ويسخر الناس ويكبل ما منح الله للإنسان من حق الحياة الحرة .

الطغيان الفكري والعلمي ذلك الذي وقف عثرة في سبيل رقي البرية وأقام محاكم التفتيش لإحراق العلماء أحياء .

فإذا تأملت هذه الصفات تجد الإسلام ضدها تماماً فهو يكفر من يحرف الكتاب المنزل من عند الله ويدعوا لتعلم الكتاب بخلاف أولئك الناس بل ويشجع الاجتهاد المؤصل والمقعد .

وليس في الإسلام طغيان إقتصادي بل يدعوا للتكافل الإجتماعي ويأمر بالتعفف وينهى عن المسألة ويحث على الحلال وينهى عن شبه الرزق فضلاً عن حرامه .

وليس في الإسلام طغيان سياسي تعذيب الشوب بأوزار الحكام أبداً .

وليس في الإسلام تزهيداً في العلم والفكر بل العكس تماماً فالإسلام جعل العلم فريضة ويجل العلماء ورفع الله من شأنهم والعلم النافع في كل مجال يشيد به الإسلام

والسؤال ما الداعي للعلمانية في بلاد الإسلام ؟!!!

الجواب لا داع للعلمانية أبداً ، وإنما دعوتهم هنا لعلمنة الأخلاق فقط ، بمعنى أوضح ((الداعي هنا وجود الفضيلة المشرعة من الدين ، يريدون القضاء عليها)) بإسم المساواة ، الحريبة ، العدالة 0

والإسلام رائد هذه الصفات ، وأبعد ما يكون عن هذه الصفات هم العلمانية وخصوصاً علمانية البلاد الإسلامية .

حكم العلمانية في الإسلام

لا شك أن من دعا للحكم بغير ما أنزل الله وقدم الدساتير البشرية على كلام الله ودعا لفصل الدين عن حياة الناس في كل المجالات أو بعضها ودعا إلى التحرر من قيود الدين وقال عنها أنها طقوس لا تتكيف مع المجتمع كما يقول خنازير العلمانية عليهم لعنات الله تترا

أن هذا من محض الكفر ومن شك في كفر الكافر كفر . وهذا معلوم من الدين بالضرورة

الواجب على كل مسلم نحو العلمانيين

(أ) الواجب على المسلمين إن كانوا رعاة أن يحصروهم ويقعدوا لهم كل مرصد، ويقيموا عليهم حكم الله في المرتدين لقوله صلى الله عليه وسلم:" من بدل دينه فقتلوه " رواه البخاري 0 وأي تبديل أعظم من تبديل العلمانيين لدين الله سبحانه وتعالى .

(ب) والواجب على المسلمين إن كانوا رعية أن يهتكوا ستر العلمانيين، ويفضحوهم، ويبينوا شركهم وكفرهم، ويحذروا منهم، ولا يخافوا في الله لومة لائم 0 قال الله تعالى:" يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأوئهم جهنم ويئس المصير " التوبة 73 .

اللهم يارب جبريل وميكائيل فاطر السموات والأرض أرنا في العلمانيين ومن أعانهم وأيدهم عجائب قدرتك، اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا .

أخوكم ابن القرية الفلاح المعتصم

مراجع هذا البحث وبعض مراجعها العامة

1- العلمانية نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة .. الشيخ سفر الحوالي

2- العلمانية .. التاريخ والفكرة .. د . عوض بن محمد القرني

3- العلمانيون.. وعلمنة الإسلام .. د. محمد يحيى

4- هرقل والعلمانيون .. د. عبد الرحمن صالح العشماوي

5- موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية .. "عوائق الانطلاقة الكبرى" .. جمع وإعداد محمد عبد الهادي المصري

6- لماذا نرفض العلمانية ؟ .. محمد محمد بدري

7- كيف تعرفهم ؟ .. لخليفه بن إسماعيل الإسماعيل

8- طرق الطرح العلماني .. د.عمر المديفر

9- العلمانية وثمارها الخبيثة .. محمد شاكر الشريف

10- العلمانية وخطرها على المسلمين .. سليمان إبراهيم

11- أقنعة العلمانية .. قراءة في الطروحات العلمانية الجديدة . د. محمد يحيى

===============

طرق الطرح العلماني

د.عمر المديفر

ليست أساليب وطرائق العلمانيين في طرحهم للمبدأ العلماني واحدة، بل هي متغيرة بحسب الزمان والمكان ، وهذه التغيرات قد تشمل أساليب الخطاب ، وقد تمتد إلى أساليب عرض المبدأ العلماني ، وهكذا ..، فبينما تطرح العلمانية في قطر معين على أنها مضادة للدين ، تطرح في قطر آخر على أنها موافقة للدين. وفي بلد ثالث تُفرض فيه العلمانية ببطء وحذر شديدين حتى لا تلفت الأنظار إلا بعد كونها واقعاً لا مناص منه.

لقد كان كثير من العلمانيين في بدايات هذا القرن الميلادي لا يتقربون إلى الدين وأهله، وكانت شعاراتهم تتراوح بين القومية والشيوعية والاشتراكية، ولكن حينما اشتد ساعد الصحوة، وبدأ المسلمون يشعرون بقيمة دينهم ، بدأ العلمانيون بكافة أصنافهم بالتقرب إلى الدين ، وبمحاولة إيجاد صيغة تجمع بين علمانيتهم ومقاصدهم الشخصية وبين استغفال الشعوب المسلمة والاستخفاف بها من خلال التظاهر بالمظاهر الإسلامية!

فعلى سبيل المثال ، كان شبلي العيسمي (السوري الدرزي الذي فرّ من سورية إلى العراق سنة 1967م) أحد منظِّري البعثية في العالم العربي لا يأتي للإسلام بذكر فيما يقرب من عشرة مؤلفات صدرت حتى عام 1984م ، أما ما بعد ذلك فقد ألف عن كون العرب مادة للإسلام ، وعن "عروبة الإسلام"!! وكذلك كانت حال بقية المنظرين للعلمانية(1).

وكل هذا التغيير يدلنا على أن العلمانية ليست مقنعة كمنهج في العالم الإسلامي ، لأن المسلم – مهما بلغ انحرافه – يشعر بارتباط الإسلام بالحياة العامة، ويشعر بكون الإسلام له سلطان على كافة أنحاء الحياة ومجالاتها، ولهذا نجد المسلم الذي لم تفسد فطرته لا يفكر في إمكانية الخروج عن شريعة الله ، ومن هذا المنطلق يرفض العلمانيون أن يُستفتى الشعب في إقرار أو منع الدستور العلماني ، لأنهم يعرفون حتمية خسرانهم.

وهذه التغيرات تدلنا أيضا على أن العلماني ليس له هدف سامٍ وهو رفعة الوطن – كما يقول – بل هدفه هو الوصول لمصلحة شخصية، والأمثلة على هذا كثيرة ممن كانوا معارضين لأنظمتهم الحاكمة، ثم حينما اشتُريت مبادئهم بمنصب ودخل مادي انقلبوا مدافعين عن تلك الأنظمة !!

ويمكننا تقسيم أساليب الطرح العلماني إلى طرح مكشوف وآخر ملتوٍ مموّه!

1 – الطرح الصريح :

وهذا الأسلوب هو أسلوب العلمانيين الأقحاح ، الذين يستطيع المرء أن يصفهم بالغلو العلماني بلا تردد، لصراحتهم حول هذا المبدأ، وهؤلاء أمِنوا العقوبة لأنهم في بلد

تحكمه العلمانية، والشرائع الجاهلية، التي تسمح لهؤلاء بالانتقاص من قدر الدين ، والتعدي عليه ، في حين تكمم أفواه الدعاة، والذين يريدون الدفاع عن دينهم!!

ويرتكز هذا الطرح على ما يلي :

أ- مدح الغرب وإطراؤه ، ودعوة الأمة إلى اللحاق بركبه والتأسي بتجربته في رمي الدين جانباً وعزله عن الحياة، وعن هذا يقول أحدهم تحت عنوان "درس النهضة الأوربية" وهكذا نستخلص من استيعاب درس النهضة وموقفها من التراث حقيقتين على أعظم جانب من الأهمية:

الأولى : هي أن من الممكن أن تقوم نهضة علمية فكرية رفيعة المستوى في مراحلها الأولى على أساس الرفض الحاسم للتراث ، وذلك حين يكون هناك انقطاع في التراث يمنع من استمراره في خط متصل حتى الحاضر، وعندئذ لابد أن ترفع النهضة شعار "البدء من جديد" كعلامة على تحدي التراث.

والثانية: هي أن التطور والتقدم المستمرين في المعرفة يساعدان على الوصول إلى نظرة تاريخية إلى التراث يختفي فيها التناقض بين تمجيده والاعتراف بتخلفه (2).

ب - ادعاء علمانية الإسلام ، وأنه لا تناقض بين الإسلام والعلمانية! ؛ لأن الإسلام دين فرد لا دولة! ويستدل هؤلاء بكتاب "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق ، وكتاب "الديمقراطية أبداً" لخالد محمد خالد وخير مثال لهذا الادعاء كتاب "العلمانية والدولة الدينية" لشبلي العيسمي .

ج - ادعاء عدم صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وأنها نزلت في وقت معين ، وأنها لابد أن تتطور لتوافق النمط الاجتماعي الجديد، ولو كان في هذا تجاوز لأحكام ثابتة غير اجتهادية ؛ لأن المصلحة مقدمة على النص عندهم !! وهؤلاء يدعون أنهم يؤمنون فردياً بالدين وشعائره! وإن كان معظمهم لا يؤديها !! ويستدلون بأقوال هي إما لمنحرفين كمحمد أحمد خلف الله ، وعلي عبد الرازق أو أقوال شاذة لبعض القدماء كقول نجم الدين الطوفي : "إن المصلحة مقدمة على النص" ! فتجد هذا النص متكرراً في كتبهم ومقالاتهم (3)، ولم ينقل أحدهم القاعدة المشهورة "لا اجتهاد مع النص " ولم ينقل أحدهم قول أئمة الإسلام فيمن يحدد المصلحة !!

د- التركيز على قضية المرأة وأنها مهانة في الإسلام ، وضرب الأمثلة والإطناب في ذلك إلى حد زعم وادعاء اللعب على المرأة في الشريعة الإسلامية!! حتى أن فؤاد زكريا ليقول - وبأسلوب مموه - "لو لم تكن المسألة في حقيقتها لعبة بارعة أتقنها الرجل لكي يخدر المرأة ويحقق بها مصالحه لاتجهت دعواته إلى أن يتحمل هو جزءاً من العبء على الأقل.. الخ" وكأن الشريعة وضعها رجل وليست شرعاً سماوياً ! .

هـ - جعْل الثورة الإيرانية الشيعية هي المثال لكل حكم إسلامي ، وصحوة إسلامية، بل إنهم يرددون في كتاباتهم مزاعم تصف العمل للإسلام ، والدعوة للعودة إليه ، والتمسك به بالسعي إلى إقامة طهران أخرى !! ؛وهم بهذا يريدون أن يخوفوا الشعوب من الصحوة الإسلامية، ويحاولوا الصد عن دين الله ، بل إن أحدهم قاس كل دولة إسلامية على الثورة الإيرانية بالنسبة للنص في الدستور على مذهب معين فقال : "وقياساً على هذا المنطق فإن الدولة الإسلامية في الوطن العربي يجب أن تعتمد على الأساس المذهبي ، ولا يخفى ما في ذلك من خطر وخطورة على إمكانية قيامها من جهة وعلى مضمون الوحدة والتماسك بين أبناء الدولة الإسلامية المنشودة من جهة ثانية"(4) وكأنه حريص على وحدة أي دولة إسلامية!

و- نقد الصحوة الإسلامية ومظاهرها، والسخرية منها والتعرض بالنقد اللاذع لرموزها من العلماء والدعاة وكل ذلك - كما أسلفنا - محاولة لإجهاض هذه الصحوة أو بث الوهن فيها، وتفريق الناس من حولها ولكنهم خابوا وخسروا.

2- الطرح المموه :

وأهل هذا الأسلوب غاية في الحذر والمكر، فهم يدَّعون الإسلام ، ويتباكون على حال المسلمين ، حتى يلتبس أمرهم على طالب الحق ، فلا يستطيع تمييزهم ، ولكنهم يعرفون بصدورهم عن آراء الشواذ فيما يتعلق بالشريعة وعدم رجوعهم إلى الحق ولو أقيمت عليهم الحجة، وهم في الغالب لا ينكشفون إلا في حال فرح غامر بانتشار المنكر أو استياء شديد عند حصول نصر للإسلام ، ففي هذه الحال يصدر منهم ما ينبىء بما يخفون وبهذا يُتبيَّن انتماؤهم ومنهجهم.

وغالب من يسلك هذا الطريق الملتوي يعيش في بلد ترتفع فيه راية الدين ؛ فلا يمكن له التصريح بمنهجه ، خشية من العقوبة الرسمية، أو خشية العقوبة الشعبية، كرفض الشعوب له وسقوط مصداقيته. ومن مرتكزات هذا الطرح ما يلي :

أ- الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد، والإلحاح على ذلك، وحشد النصوص والنقول الشاهدة على ذلك ، ثم تمتد هذه الدعوة إلى الاجتهاد في ثوابت الدين ، وتمتد إلى تجديد أحكام مجمع عليها وإلى الحث على تجاوز الإنتاج الفكري والفقهي الإسلامي على مدى أربعة عشر قرناً، والرجوع إلى الكتاب والسنة بشكل مجرد، ورفض أية وصاية - على حد زعمهم - يفرضها ذلك الإنتاج ، وعدم الاعتراف بكثير من شروط الاجتهاد التي وضعها السلف!

وقد تورط في مثل هذه القضايا بعض الكُتاب مثل فهمي هويدي في كثير من كتاباته وخاصة ما كتبه في فصل "وثنيون أيضاً عبَدة النصوص والطقوس" في كتاب "القرآن والسلطان" . والدكتور محمد عمارة في كتاب "الإسلام والعروبة والعلمانية"، وفي كثير من كتاباته المعاصرة، وآخرين من أمثالهم.

إن الدعوة إلى الاجتهاد في أصلها صحيحة، ولكن الاجتهاد له ضوابطه وشروطه التي فصّل فيها علماء الأمة القول ، وبينوا أن المجتهد لابد له من الآلة، وهي علوم الشريعة، وأنه لابد - لكي يكون مجتهداً معذوراً - أن يبذل الوسع ، ويخلص النية، وإلا كان كمن اجتهد في القرآن برأيه ، فأصاب ولكنه مخطئ؛ لأنه اجتهد بغير علم، ويتناسى أصحاب هذه الدعاوى أقوال الفقهاء والعلماء في التحذير من القول على الله بغير علم (5).

ب - ادعاء: أن المهم هو أساس الإسلام ، ورسالته المهمة في إصلاح النفوس وتزكيتها وتهذيب الأخلاق ،وأن هذا أهم من تطبيق الشريعة، وإقامة الحدود، والجهاد وغيرها مما يؤذي الحس العلماني المرهف!! الذي يرضى بالشرائع الغربية، والقوانين الوضعية التطبيقية، ولا يهتم إلا قليلاً بنقل جدية الحضارة الغربية في العلم المادي ، وهذا واضح في الجهود التي تبذلها الحكومات العلمانية في محاربة الدين ، وتغريب القوانين ، بينما لم يستطع أي من تلك الأنظمة التقدم تقنياً ومادياً كما تقدم في مجال التغريب !

ويحرص العلمانيون على احتقار المظاهر الإسلامية، لأنها هي سمة المسلمين ، وبها يعرف المسلم من غيره في عصور ظهور الإسلام، ولكن إذا فقدت هذه المظاهر أهميتها أصبح التمييز بين المسلم وغيره أصعب، وهذه الإشكالية صحيحة أيضاً بالنسبة للعبادات والشعائر العامة، وفي مثل هذه الأحوال يمكن للعلمانيين التحرك بحرية داخل المجتمع الإسلامي.

ج – دعوى الحرص على الوحدة وعدم التفرق: هذه الدعوى قديمة ومتجددة لدى العلمانيين ، فهم يرفعون هذا الشعار في كل مكان ، ويرفضون التمسك بالدين – وبالذات في حكم المجتمع – لأنه – على حد ما يزعمون ويفترون – يفرق المجتمع ، ويؤجج النزعة الطائفية، وقد قال هذه الدعوى كثير من العلمانيين ، بل يذهب العلمانيون في تنظيرهم إلى وجوب تطبيق العلمانية لتحقيق ما يسمى بالوحدة الوطنية! وهذا أحدهم يقول عن العلمانية : "وتلغي تنظيم المجتمع على أساس الطوائف وهي إذ تلغي الطائفة – كوسيط بين الفرد والدولة – فإنها توفر أساساً ضرورياً للديمقراطية، وتوحيد المجتمع في إطار عقلاني لا يمكن أن يتحقق في ظل الانقسام الطائفي"(6).

ويقول : "العلمانية هي الطريق الوحيد لتحقيق وحدة المجتمع ، وإلغاء الانقسامات العامودية، مثل العشائرية، والعرفية، والقطرية، إلى جانب الطائفية" (7).

ولست أدري هل غفل هؤلاء عن الدولة الإسلامية المترامية الأطراف – والتي استمرت لمدة تقرب من الأربعة عشر قرناً – وعاش في ظلها غير المسلمين أحسن من عيشتهم في ظل دياناتهم ، مع أن الصليبيين حينما احتلوا الأندلس لم يبقوا فيها مسلماً واحداً ظاهراً إسلامه على عكس وضع كل الطوائف في الدولة المسلمة، بل إن اليهود استمروا تحت حكم هذه الدولة الإسلامية على دينهم طوال هذه الفترة.

د– القول بتغير الفتوى بتغير الزمان: فالعلمانيون يذكرون هذه القاعدة في أكثر كتاباتهم، ويلفون حولها ويدورون ، ويقيمون الحجج لها، وينقلون النصوص ، ويحشدون أقوال السلف على صحتها وأهميتها، وهذه قاعدة صحيحة لا غبار عليها، وقد بحثها علماء الإسلام بحثاً دقيقاً وأصّلوها تأصيلاً شرعياً، ولم تحتجْ الأمة إلى العلمانيين كي يذكروها بها، ويفردوا الصفحات في كتبهم لمناقشتها، ولكن من يناقش

وهو معظِّم لنصوص الشريعة ومحترم لها، غير من يناقش لكي يسقط بعض أحكام الشريعة، ولهذا لم يورد العلمانيون أن هذه الفتاوى التي تتغير بتغير الزمان والمكان إنما هي الفتاوى الاجتهادية في أحكام المعاملات ، أما العبادات وأحكام الأسرة والمواريث فهي ثابتة لا تتغير "ونص هذه القاعدة عام في ظاهره ، فالتغير في الظاهر شامل للأحكام النصية وغيرها، ولكن هذا العموم ليس مقصوداً ؛ لأنه اتفقت كلمة الفقهاء على أن الأحكام التي تتبدل بتبدل الزمان وأخلاق الناس إنما هي الأحكام الاجتهادية فقط ، المبنية على المصلحة، أو على القياس أو على العرف ، أو على العادة، وعلى ذلك فالأحكام النصية ثابتة لا تقبل التغيير، ولا تدخل تحت هذه القاعدة وقد رأى بعضهم أن يكون نص القاعدة "لا يُنكر تغير الأحكام الاجتهادية بتغير الزمان" دفعاً لهذا اللبس وهذا قيد حسن"(8)، وعموماً ففتاوى علمائنا شاهدة على تطبيق هذه القاعدة بدون أن يلفت العلمانيون انتباههم إليها.

الهوامش :

1 – بل إن بعض الاحزاب أصدرت أوامر إلى بعض مفكريها بأن يطرحوا أنفسهم من جديد بشكل إسلامي .

2– فؤاد زكريا، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، ص39–40.

3– انظر : العلمانية والدولة الدينية لشبلي العيسمي ، ص10 ، وص180 ومراجع أخرى، وكثيراً ما تُذكر هذه القاعدة في كتب العلمانيين وأشباه العلمانيين ، ورداً على هذه الشبهة يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه "أحمد بن حنبل" ، ص359 أن هذا الرأي "رأي شاذ بين علماء الجماعة الإسلامية" ، ويقول في صفحة 363 عن الطوفي واتهامه بالتشيع "إن مهاجمته للنصوص ونشر فكرة نسخها أو تخصيصها بالمصالح هو أسلوب شيعي..." نقلاً عن مفهوم تجديد الدين لبسطامي سعيد.

4– العلمانية والدولة الدينية ، شبلي العيسمي ، ص140.

5– راجع فصول الاجتهاد وأحكامه في كتب أصول الفقه ، وكتاب إعلام الموقعين ، لابن القيم ، حول ضوابط الاجتهاد ومجالاته وشروطه.

6– مجلة "فكر" ، فبراير عام 85م ، مقال مفهوم العلمانية، ص71 ، بقلم فضل شلق .

7- مجلـة "فكـر" ، فبرايـر عـام 85م ، مقـال مفهـوم العلمانيـة، ص74، بقلم فضـل شلق.

8- الـوجيز فـي إيضـاح قواعد اللغـة الكليـة ، د.محمـد صـدقي البورنـو ، ص254، وانظـر فـي تبيين مسألة تغير الفتوى بتغير الزمان رسالة "الاجتهاد" للشيخ صالح الفوزان ، وانظرها في مواضعها في كتب أصول الفقه والقواعد الفقهية.

مجلة البيان

===============

#مع بني علمان ... الطرح المموه

إن الطرح المموه من أبرز وسائل ومناهج العلمانيين في تحقيق مآربهم ، وأهل هذا الأسلوب غاية في المكر والحذر ، فهم يدعون الإسلام ويتباكون على حال المسلمين ، حتـى يلتـبس أمـرهم علـى طالـب الحـق ، فـلا يسـتطيع تمييـزهم ، ولكـنهم يعرفـون بصدورهم عن آراء الشواذ فيما يتعلق بالشريعة وعدم رجوعهم إلى الحق ولو أقيمت عليهم الحجة .. وهم في الغالب لا ينكشفون إلا في حال فرح غامر بانتشار المنكر أو استياء شديد عند حصول نصر للصحوة الإسلامية ، ففي هذه الحال يصدر منهم ما ينبئ بما يخفون .

وغالب من يسلك هذا الطريق الملتوي يعيش في بلد ترتفع فيه راية الدين فلا يمكن لـه التصريح بمنهجه ، خشية من العقوبة الرسمية او الشعبية كرفض الشعوب له وسقوط مصداقيته .. ومن مرتكزات هذا الطرح ما يلي :

أ / الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد :

فيلح فـي ذلـك ويحشـد النصـوص والنقـول لشـاهدة علـى ذلـك .. ثـم لاتلبـث دعـوى الاجتهاد إلا أن تمتد إلى الاجتهاد في ثوابت الدين وتجديد الأحكام المجمع عليها ، والحث على تجاوز الإنتاج الفكري والفقهي الإسلامي على مدى أربعة عشر قرنا ، والرجوع إلى الكتاب والسنة بشكل مجرد ، ورفض أية وصاية -على حد زعمهم - يفرضـها ذلـك الإنتـاج ، وعـدم الاعتـراف بكثيـر مـن شـروط الاجتهـاد التـي وضـعها السلف !

والدعوة إلى الاجتهاد في أصلها صحيحة ، ولكن الاجتهاد له ضوابطه وشروطه التي فصل فيها علماء الأمة القول .. وليس المجال لطرحها الآن .

ب / إدعاء : أن المهم هو أساس الإسلام ، وأن رسالته المهمة هي إصلاح النفوس وتزكيتها وتهذيب الأخلاق .. وأن هذا أهم من تطبيق الشريعة وإقامة الحدود والجهاد ... وغيرها مما يؤذي الحس العلماني المرهف !!

ج / دعوى الحرص على الوحدة وعدم التفرق : وهذه الدعوى قديمة ومتجددة لدى العلمانيين ، فهم يرفعون هذا الشعر في كل مكان ، ويرفضون التمسك بالدين لأنه – على حد ما يزعمون – يفرق المجتمع ويؤجج النزعة الطائفية ، وقد قال هذا الدعوى كثير من العلمانيين . ولا أدل على ذلك من حريق القديح في القطيف ، وحادثة قرية الكشح في صعيد مصر ... وما كتب عنهما من قبلهم .

د / القول بتغير الفتوى بتغير الزمان : فهم يذكرون هذه القاعدة في اكثر كتاباتهم ، وحولها يدندنون، ويقيمون الحجج وينقلون النصوص ويحشدون أقوال السلف على صحتها وأهميتها ,,, وهذه القاعدة صحيحة لا غبار عليها ، وقد بحثها علماء الإسلام بحثا دقيقا مؤصلا ، ولم تحتج الأمة إلى العلمانيين كي يذكروها بها ، ويفردوا الصفحات في كتبهم لمناقشتها ...

لكن .. من يناقش وهو معظم للنصوص ومحترم لها ، غير من يناقش لكي يسقط بعضا من أحكام الشريعة .. لذلك لم يورد العلمانيون أن هذه الفتاوى التي تتغير بتغير الزمان والمكان إنما هي الفتاوى الاجتهادية في أحكام المعاملات ، أما العبادات وأحكام الأسرة والمواريث في ثابتة لا تتغير, ومن أراد الاستزادة في ذلك فليراجع كتاب (الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلي لمحمد البورنو : ص 254) , ووسائلهم المموهة أكثر وأكثر .

أبو عبدالعزيز الظفيري

==============

#مع بني علمان وما هي من بين علمان ببعيد

إن الملاحظة الشائعة اليوم ، والتي لا تخطئها عين الباحث أو القارئ المدقق ، أن المحاور التي يرتكز عليها العلمانيون العرب في أيامنا هذه ، والأسئلة التي يثيرونها

، والاتهامات التي يوجهونها إلى دعاة الإسلام ومفكريه ، هي كلها نسخة مكررة من الأسئلة نفسها والمحاور والاتهامات التي ولدت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وهي المرحلة التي تعرف في أوساطنا الفكرية باسم (النهضة الحديثة) .

بل يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك ، بأن نقول إن هذه المقولات الجديدة أو الموصوفة زورا بالجدة ، هي طبعة جديدة سيئة لكتاب سبق صدوره منذ مايقرب من قرن من الزمان العربي والإسلامي .

وطبعا هذا دليل على فشل تلك المحاولات التي سبق وأن قدمت في تلك الحقبة .. وأن المجتمع الإسلامي يلفظ تلك الأسئلة ولا يستريح لها أو يتوجس منها أو يؤمن بعدم مصداقيتها .. وأنها دليل كبير على التبعية الفكرية والانهيار الثقافي ، أو غير ذلك من فروض ، هي – على سبيل الحصر – تصب في نقطة واحدة : ثبوت فشل مشروع النهضة العلماني في واقعنا الإسلامي .

ولو تأملت فيما نستقبله الآن لوجدت مصداق ذلك الكلام : الدين والدولة ، الموقف من الحضارة الغربية ، مفهوم حرية المرأة ، مناهج فكرنا التشريعي ... إلخ

بدأها المنظر الأكبر لهم رافع الطهاطاوي ، ومحمد عبده .. واستمر الورث يتوارث عبر تلامذتهم وأجيالهم الفكرية المتتالية .. جميعا وكلها تأخذ صبغة واحدة : (أنموذج معلب لنمط الحضارة الغربية المرتجاه) .. وكادت أن تحدث التدمير في مجتمعنا الإسلامي لولا لطف الله ، ثم انبعاث صحوة الإسلام الجديدة ، وجهود أهل العلم والدعوة.

ورغم كل محاولاتهم ، وإمكانياتهم الهائلة من مال وإعلام .. ستبقى جميعها هباءا منثورا ، وإن تلوث بها من تلوث فلا يعدو ذلك إلا شذوذ لا أصل له .

فإلى بني علمن ومن شاكلهم : الأيام قادمة ، والصراع مستمر .. وتذكروا هلاك ندمائكم في المحفل الشرقي وما هي من بني علمان ببعيد .

أبو عبدالعزيز الظفيري

============

 # ما يوجد في صحافة بني علمان

المتأمل في صحافة بني علمان الصفراء والخضراء والسابر لأغوارها سيجد بينها قاسما مشتركا يولد لديه انطباعات ، أهمها ما يلي :

أولا / أن الكتابة عن الدعاة إلى الله وحملة الإسلام والناصحين الله بقصد الانتقاص من قدرهم والتطاول عليهم وتشكيك الناس فيهم ، لا يخرج عن أحد أمرين :

(أ) : إما غرض شخصي للكاتب لا نعرف نحن القرآء كنهه ولا دلالته ، وفي هذا تجن علينا باقتطاع مساحة كبيرة من الصحيفة – وذلك من حق القارئ – لتحقيق مآرب ذاتية وتلبية رغبات شخصية .

(ب) : وإما محادة صريحة للمؤمنين وإيذاؤهم ، ومعلوم الوعيد المذكور لمن انتهج هذا النهج (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ماكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا) .

ثانيا / إن هذا التوجه في الصحافة العربية يتزامن مع أحداث لازالت تقع في بعض الأقطار العربية كان طرفاها الحكومات من جانب والجماعات الإسلامية (وبعض المحسوبين على الحركات الإسلامية) من جانب آخر .. وهذا أمر قضي بليل ,, فترى – الصحافيون – يساهمون بشكل مباشر مع حكوماتهم بضرب المسلمين وشباب الصحوة الإسلامية ، ومن جانب ىخر تجدهم يلتمسون عذراً لمن يتصيد في الظلام من دعاة الفساد ورموز الضلالة في المجتمعات الإسلامية .

ثالثاً / أن أولئك الكتبة الذين ابتليت بهم صحافة الأمة يحاولون لفت الانتباه لما يكتبون بطريقة تتنافى مع أعراف الكتابة والصحافة .. وفهموا أن مصطلح (جذب انتباه القارئ) لا يكون إلا بتلك الطرق المجانبة للصواب ..

إن مصطلح (الحرية) لمن يكن في يوم من الأيام مصطلحاً مطلقاً ,, بل هو مصطلح مقيد تقييداً يتناسب مع المصلحة العامة للمجتمع .. وإلا أصبحت الحرية فوضى ، والتعبير الحر هجوماً معلناً .. فكيف ونحن نتعامل مع هذين المصطلحين في مجتمعات إسلامية تحكمها ضوابط الدين والشرع .

إن تلك المنابر الصحفية التي تسلقها أولئك الكتاب ، ويفرضون على الناس آراءهم من خلالها هي منابر لا يملكونها .. بل هم كغيرهم من أفراد المجتمع أنيطت بهم مسؤولية إداراتها او الإشراف عليها , وليس من حقهم ولا من حق المجتمع عليهم أن

يستغلوا تلك القنوات الإعلامية بدعوى (حرية الرأي) فينشروا أفكارهم وترهاتهم من هذا المنطلق .

والله المستعان

أبو عبدالعزيز الظفيري

===============

#هل الإسلام دين علماني؟!!

أثارت الفكرَ في نفسي عبارةٌ وردت عرضاً . ولعلها بحسن نية . في مقال لكاتب يتحدث عن تشكيل الحكومة التركية برئاسة »نجم الدين أربكان« زعيم حزب الرفاه.

قال الكاتب: إن هناك حقيقة غائبة في الإعلام الإسلامي ، ألا وهي: وجود تقارب بين العلمانية في رفضها للكهنوت والإسلام في رفضه المماثل لادعاء الحق الإلهي . كما جاء في المقال ..

والحق:إن القول . أو الزعم . بوجود تقارب أو تشابه بين العلمانية والإسلام ليس بجديد، لقد ذهب كثيرون غير الكاتب . مثلاً . منذ فترة إلى القول نفسه ، حيث قالوا: إن الإسلام بطبعه دين علماني؛ لأنه يهتم بأمور الدنيا والحياة الحاضرة بدلاً من أمور الآخرة، وقالوا: إن الإسلام والعلمانية يلتقيان في الإيمان بالعقل وتحبيذه ، وفي اعتناق الديمقراطية والليبرالية ، وفي الاهتمام بالنزعات المادية ، وقبل كل شيء: في الإيمان بالتوجه الإنساني (هيومانزم) وقبول مبادئ النسبية والتاريخية وما أشبهها.

وقبل الخوض في هذه الدعوى العريضة ينبغي أن نوضح سياقها: فهي تجيء في معرض محاولة اكتساب القبول للعلمانية بين الجماهير المسلمة ، بتصويرها وكأنها تكاد تتفق . بل تتطابق . مع الإسلام ، وهي محاولة تعمل كذلك . وفي الاتجاه المقابل . إلى تطويع الإسلام للعلمانية ، بإلغاء تميزه وتفرده وهويته التشريعية والعقائدية ، ولكن في كلتا الحالتين فإن الهدف واحد، سواء في أسلمة العلمانية أو علمنة الإسلام ، وهو: نزع الخشية الجماهيرية من العلمانية باعتبارها نبتاً غربيّاً غريباً ، يراد فرضه على الواقع الإسلامي.

ونلاحظ في هذا الصدد أن تلك العملية مرحلية فقط، وأنها تتم في سياقٍ تكون فيه العلمانية جديدة أو غير متمكنة إلى الحد الكامل؛ مما يستدعي القيام بالتمويه

والخداع وتصوير الإسلام بأنه علمانية أو العلمانية على أنها الإسلام، ولكن ما أن تتمكن العلمانية فإن الخطاب يتغير إلى لغة الإقصاء والإبعاد والرفض، وهذا هو ما تشير إليه، ليس فقط التجارب التاريخية القديمة في تركيا أو إيران أو أفغانستان ، بل التجارب الراهنة ، وبالذات في الوسط الثقافي والفكري في بلدان كمصر والجزائر مثلاً.

والسؤال الذي ينبغي مواجهته رأساً هو: هل يوجد تقارب بأي درجة بين الإسلام والعلمانية؟ ، وهل يكفي مجرد ذكر رؤوس مواضيع ، يوحى بأن فيها تشابهاً في المواقف للقول بوجود مثل هذا التقارب؟ ، والأهم من هذا كله: هل يوجد تشابه أو تقارب حقيقي في المواقف ، أم إن المسألة لا تعدو عملية تفسير وتأويل وتأول بارعة ماكرة توحي بوجود مثل هذا التقارب؟ ، ولنأخذ هذا التساؤل الأخير مدخلاً لنا ، ونسأل: هل فعلاً يوجد تقارب بين العلمانية والإسلام لمجرد . مثلاً . أن هذه ترفض الكهنوت وهذا يرفضه؟ ، لقد ساق الكاتب المشار إليه هذا المثال باعتباره حقيقة لا يتطرق إليها الشك ، وقد تكون كذلك ، لكن ذكر الأمور على هذا المستوى من العمومية والتجريد يدخلنا إلى حد الإبهام والغموض ، فهل حقّاً ترفض العلمانية الكهنوت؟! ، إننا نجد تكريساً له في مفهوم »أوجست كومت« أحد أبرز دعاة الوضعية إلى دين صناعي فلسفي تكون له كنيسة وكهنوت خاص به؟ ، وهل ترفض العلمانية الكهنوت أم إنها ترفض الكنيسة كلها والدين (المسيحي والإسلامي) والعقائد والأفكار الدينية ، حتى ولو كانت بدون كهنوت؟.

إن القول برفض العلمانية للكهنوت يخفي حقيقة أن العلمانية ترفض الدين نفسه ، وإلا فإن البروتستانتية . وهي مذهب مسيحي كبير . ترفض الكهنوت الكنسي ، حتى وهي تدعو في تجلياتها الحديثة إلى أصولية مسيحية طاغية ومتطرفة.

وبالمثل: فهل عندما يرفض الإسلام الكهنوت يرفض معه الدين والعقيدة؟ ، لا أحد يستطيع القول بذلك؛ لأن الإسلام نفسه دين.

وإذا قلنا: إن الإسلام يرفض الكهنوت ، فإن هذا يعني أنه يرفض الأسلوب الكنسي المعروف ، في ضرورة وجود عناصر خاصة لا تكتمل العبادة ولا ترفع إلا بها ، بل لا يكتمل الدين والإيمان نفسه إلا بمباركتها وتطويبها ، لكن هذا لا يستتبع أبداً رفض

وجود فئة من الفقهاء والعلماء تدرس الدين ، عقيدته وشريعته ، وتتخصص فيهما ، وتنصح وتوجه غيرها من فئات الأمة التي لا تسمح لها ظروف الحياة وكفاحها بمثل هذا التخصص ، لكن هذا لا يمنع أي فرد أو أي جماعة من الدراسة والتخصص والاطلاع على هذا النحو ، فالدين مفتوح ، وهذا هو معنى رفض الإسلام للكهنوت.
ونلاحظ أن العلمانيين عندما يرفعون الصوت عالياً بأن الإسلام يرفض الكهنوت ، فإنهم يقصدون . كما تدل الأحداث . رفض آراء وفتاوى وشروحات الفقهاء والعلماء المسلمين التي تزعجهم؛ لقيامها على العلم الصحيح بالإسلام.
وينطبق التحليل نفسه على سائر النقاط التي يقال عادة: إن هناك تقارباً بين الإسلام والعلمانية فيها، والتي كان حظ بعضها في المعالجة وفيراً ، كمفهوم الديمقراطية والليبرالية بين الإسلام والعلمانية مثلاً، أو مفهوم العقل فيهما ، ولكننا هنا نضرب مثلاً لرأس موضوع آخر يقال إن فيه مِثْلَ هذا التقارب، ألا وهو: التركيز على النزعة الإنسانية ، أو ما يعرف بـ (الهيومانزم) ، لقد قيل كلام كثير عن التقاء الإسلام بالعلمانية في هذه النقطة؛ لأن الإسلام قد كرم الإنسان وأعلى من شأنه؛ بينما تدعي العلمانية في جوهرها أنها هي الفكر الذي جعل من الإنسان »معيار كل شيء« ، كما يقول المثل العلماني الأشهر ، ولكن: هل إعلاء الإسلام لشأن الإنسان مثل إعلاء العلمانية لشأنه؟ ، من الواضح أن الاتجاهين على طرفي نقيض في هذه الناحية؛ فالعلمانية تجعل الإنسان (ككائن مجرد مطلق) بديلاً عن الإله الذي رفضته أو أبعدته عن العالم ، وتجعله الواضع لكل القيم والمعايير ، كما تجعله الهدف الأسمى الذي يصب كل شيء في خدمته مهما كان ، أما الإسلام: فلا يجعل الإنسان على هذه الدرجة أو الكيفية من التأله والإطلاق والغائية ، كما أنه ليس هو واضع القيم العليا والمبادئ الكلية ، وهو يستمد تكريمه من خالقه، وليس من مجرد كينونته هو، كما أن هذا التكريم مقصور على النواحي المادية الدنيوية بالنسبة للجميع ، لكنه في الآخرة يقتصر على المؤمنين المقبولين وحدهم.
إذن: نلاحظ مرة أخرى أن هناك خلطاً متعمداً ، فيكفي عند هؤلاء أن يجيء في القرآن أن الله كرم بني آدم حتى تعقد المقارنات مع العلمانية التي كرمت الإنسان كما

زعمت حتى وإن كان العالم قد عرف في عهود العلمانية من الجرائم في حق الإنسانية والإنسان ما لم يعرفه في عهود الوثنية والأديان السالفة.

إن الطرح القائل بوجود تقارب بين مواقف الإسلام والعلمانية حول عدد معين من القضايا الفكرية والاجتماعية يعبر في ضحالته عن اتجاه في المحاججة ، نلمسه عند بعضهم في تناولهم لشتى المسائل والأفكار ، ونعني بهذا الاتجاه المعيب: الوقوف عند ظواهر المصطلحات أو على معانيها الأولية المبهمة غير الدقيقة؛ مما يسهل تمرير أي موقف ، ويسهل كذلك من القول بالتقارب أو حتى التماثل بين ذلك المذهب وتلك الفلسفة ، ولكن ما إن نبدأ في بحث دقيق حول نطاق المعاني والمضامين المبثوثة في مصطلحات أو مقولات معينة.. إلا ونلاحظ الفروق الجلية بين المذاهب ، ومن الأمثلة على ذلك: مفهوم »الإله« في الإسلام والمسيحية ، فقد درج بعض الناس على القول بتوحد الأديان السماوية .كما يطلق عليها ؛ لأنها كلها تعبد الإله نفسه! ، ولكن مفهوم »الألوهية« في الإسلام يختلف اختلافاً نوعيّاً وجذريّاً عن مفهوم »الرب« في النصرانية المتداولة ، أو في اليهودية.

وقد يكون لدعوى التقارب بين الإسلام والعلمانية مبرراتها السياسية الآنية عند بعض أولئك ممن ينشغلون بالمناورات والتحركات السياسية ، لكنها غير مبررة ولا منطقية في عرف الفكر الصحيح.

مجلة البيان

============

#العلمانية ...

هل تصبح خيارا شعبيا في السنوات القادمة ؟

أحمد فهمي

قد يعجب البعض من هذا التساؤل ...و يقول: كيف يختار المسلمون العلمانية، وهم يعلمون أنها رفض للإسلام وكفر به ؟ بل كيف يحدث ذلك في الوقت الذي نرى فيه مظاهر متعددة للتفاعل الجماهيري مع القضايا الإسلامية ؟ وهل يمكن أن يتحول هذا التأييد الشعبي للإسلاميين في الانتخابات البرلمانية وغير البرلمانيةإلى رفض وإعراض ؟

و نحن إذ نحاول إزالة هذا العجب؛ لا ندعي أن الإجابة حتماً على هذا التساؤل هي بالإيجاب، بل نرجو من الله عز وجل أن يجعل النفي القاطع هو الإجابة الواقعية عليه، ولكن هناك شواهد وعلامات كثيرة تجعلنا على الأقل نشعر بالخطر من تحقق هذا التحول في مشاعر الجماهير المسلمة، وسوف نتناول هذه القضية بمشيئة الله تعالى في مقالين متتالين:

الأول: مقدمة لابد منهاعن العلمانية .

الثاني: مسوغات القول بالتحول العلماني للجماهير .

أولا : مقدمة لابد منها عن العلمانية:

من الأمور الهامة التي ينبغي لنا استيعابها واستحضارها بصورة دائمة أساليب العلمانيين في ترويج وترسيخ العلمانية في المجتمعات المسلمة، و بالاطلاع على التجارب العلمانية في عدد من البلاد العربية يمكننا استخلاص الأساليب الرئيسة التالية :

الأول: إيجاد النخبة والرموز " طلائع العلمانية: من أمثال الطهطاوي، وخير الدين التونسي، وقاسم أمين، ومحمد عبده، والطاهر الحداد، وقد يتم إعدادهم محلياً أو عن طريق الابتعاث الخارجي، وقد بلغ عدد المبتعثين إلى أوروبا من مصر وحدها في الفترة من 1813–1919: 900 مبتعثاً، عدا من تعلم على نفقته الخاصة .

الثاني: ترويج الشعارات، والمفاهيم العلمانية، والاجتراء على اقتحام المناطق الشرعية المحرمة: وأبرز تلك المفاهيم ما يتعلق بارتباط التخلف بالتدين، والحضارة بالغرب، وكذا تحرير المرأة، وقد راج المفهوم الأول بداية من القرن التاسع عشر الميلادي حتى اعتقد كثيرون أنه:" لم يبق أمام الإسلامي إلا هذا الخيار :إما الانخراط في الحداثة الأوروبية، وإما التهميش والاستتباع".

ويذكر جورجي زيدان عن تحرير المرأة أنه ظل منطقة محرمة "حتى صرح الشيخ محمد عبده بآرائه فكثر مريدوه،وأول أولئك قاسم أمين.." ثم تتابع انتشارها في معظم البلاد العربية، يقول علي عبد الرازق عن السوريين:"أنهم لم يتجاوزوا بعد طور البحث النظري الذي بدأه عندنا قاسم أمين منذ عشرين سنة ..."واقتحم الطاهر الحداد ذلك المجال في تونس بكتاب "امرأتنا في الشريعة والمجتمع ".

الثالث: السيطرة على المؤسسات التربوية والثقافية والدينية ذات البعد الجماهيري:
مثل المؤسسات التعليمية والدينية،وقد بدأ ذلك منذ عهد محمد علي،عندما انقسم التعليم في مصر إلى نظام ديني ونظام مدني لأول مرة،وذلك لتحجيم دور الأزهر كمؤسسة تعليمية دينية،ثم استتبع ذلك بصدور أول قانون لإصلاح الأزهر من الخديوي إسماعيل سنة 1872 .
كما أن معظم وسائل الإعلام من صحافة وسينما وإذاعة، ثم التلفاز وغيره، كانت من بداية نشأتها علمانية .
الرابع: علمنة القانون والنظام : وقد يكون منطقياً أن تتم علمنة القانون، وإلغاء الشريعة في وقت متأخر نسبياً، لكن وجود الاستعمار الغربي في معظم بلاد الإسلام مكنه من التبكير بهذه الخطوة، فتم في بلاد الهند إلغاء الشريعة تدريجيا حتى ألغيت تماماً في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي، وفي الجزائر ألغيت سنة 1830،وفي تونس أدخل القانون الفرنسي سنة 1906،وفي المغرب سنة 1913، وفي مصرسنة1883 وقد برر الخديوي إسماعيل فعله ذلك لعلماء الأزهر بقوله:"إن أوروبا تضطرب إذا هم لم يحكموا بشريعة نابليون ".
والمقصود بعلمنة النظام، قيام الغرب بتدعيم رموز علمانية تستولي على السلطة بعد انسحابه من البلاد الإسلامية؛ لتحفظ مصالحه، وتكمل مسيرة العلمانية، فكانت باكورة أعمال تلك الرموز القضاء على الإسلاميين الذين ساعدوهم على امتلاك السلطة – وكانوا أحق بها وأهلها – حتى وصف بعض الكتاب ذلك الجيل من الإسلاميين بقوله:"وهكذا جاء الجيل الثاني من المناضلين الإسلاميين مكوناً من شهداء ممن قام زملاؤهم – القوميون – بقتلهم وسجنهم أو نفيهم" حدث ذلك في الجزائر سنة 1962 مع جمعية العلماء، وفي مصر سنة 1954مع الإخوان المسلمين .
الخامس: تجريم الدعوة إلى أسلمة المجتمع: يتجلى ذلك بوضوح في النموذج التركي حيث صدر في سنة 1946،ما يسمى بقانون (إقرار السكون) والذي يحاكم كل من ينادي بعودة الدين أو بإقامة حكومة تعتمد على الشريعة الإسلامية، رغم مخالفة ذلك للعلمانية الغربية التي تمثلها تركيا، وكما يقول أربكان "كل واحد في الغرب يملك

الحريـة الدينيـة ولا أحـد يجبـر الآخـرين علـى قبـول اعتقـاده "، إذ إن علمانيـة الغـرب توصف بأنها (غير معادية للدين)،في مقابل العلمانية المتطرفة المعادية للدين مثل الدول الشيوعية .

وبالطبع لا يتم استخدام هذه الأساليب كلها دفعة واحدة، بل هناك نوع من الترتيب والتتابع الزمني، رغم ما يظهر بينها من تداخل... وهذه التتابعية تمكننا من بلورة هذه الأساليب في مراحل تبين تطور تغلغل العلمانية في مجتمعاتنا، وارتباط ذلك بوجود وانتشار كل من هذه الأساليب:

أولا: المرحلة التحضيرية : " إيجاد النخبة – ترويج الشعارات والمفاهيم ".

ثانيًا: المرحلة التوسعية : " الأساليب السابقة+ السيطرة على المؤسسات " .

ثالثًا: العلمانية المتأسلمة : " الأساليب السابقة+ علمنة القانون والنظام " .

رابعًا: العلمانية الكاملة : "الأساليب السابقة+ تجريم الدعوة " .

وهذه المرحلية يدعمها تأمل مزدوج، وذلك باستخدام الزمان والمكان ...فلو أخذنا بلدًا مثل مصر (تثبيت المكان) وتجولنا عبر الزمان لوجدنا تتابعًا واضحًا لهذه المراحل، وكذا لو رجعنا إلى الواقع (تثبيت الزمان) وتجولنا عبر المكان فسنجد نفس المراحل متمثلة في المجتمعات الإسلامية .

وبعد ما يزيد على المائة والخمسين سنة من العلمانية في بلاد الإسلام، وبكل ما تضمنتها من تجارب وخبرات وسياسات فشل بعضها ونجح البعض الآخر، تمخض ماضي وحاضر العلمانية عن نموذجين يقدمان لباقي الدول والمجتمعات الإسلامية لمحاكاتهما والسير على نهجهما:

الأول: النموذج التركي.

الثاني: النموذج المصري.

ونقصد بكون ذلك البلد نموذجًا:صلاحيته (الوقتية) لأن تقتبس عنه الدول الأخرى الكثير من سياساته المتعلقة بتطبيق العلمانية، والتعامل مع معارضيها، سواء كان ذلك اقتباسًا كليا أو جزئيا، وسواء كان بالاستيراد النظري أو باستجلاب الخبراء .

والنموذج التركي نموذج قديم: يمثل صانعه أتاتورك زعيمًا ملهمًا لكثير من علمانيي السياسة والمجتمع، فقد كان بورقيبة شديد الاهتمام بتجربة أتاتورك في تركيا، وكتب

لابنه في استنبول:"فكرت طويلا بتجربة أتاتورك، وهناك أشياء تؤخذ وأشياء تترك " ولما استولى على السلطة في تونس طلب من أستاذه الفرنسي "روبير مانتران " أن يزوده بكل المستندات التي بحوزته عن فكر أتاتورك ...كما صرح كل من عبد الناصر والسادات في أكثر من مناسبة بافتخارهما بأن أتاتورك مثلهما الأعلى .

وأعظم إنجازات النظام العلماني التركي نجاحه في جعل العلمانية خيار ما لا يقل عن ثلثي الشعب التركي المسلم .

إلا أن النموذج التركي فقد بريقه– في البلاد العربية على الأقل – وأصبح نموذجًا محروقًا بالنسبة لهم وذلك لعلمانيته المتطرفة، التي لا تتناسب مع تنامي المشاعر الإسلامية لدى الشعوب حاليًا، وللحرية السياسية النسبية التي لا تتوافق مع الواقع العربي، بالإضافة إلى عقبة اللغة والفجوة النفسية التي نجح الغرب في إحداثها بين الترك والعرب ..وتقتصر صلاحيته–حاليًا – على تسويقه كنموذج للدول الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق، وان كان ذلك لا يمنع من كونه مصدر إفادة لكل من العلمانيين والإسلاميين على السواء، فيما يتعلق بخبرات المواجهة المستمرة بين السلطة والاتجاه الإسلامي .

أما النموذج المصري : فعلى الرغم من كونه لا يزال مائعًا وغير مكتمل الجوانب، نتيجة التدافع المستمر بين قوى العلمنة من جانب، والإسلاميين ومشاعر الجماهير من جانب آخر، إلا أنه يأتي على رأس قائمة الدول الرائدة في هذا المجال، فبالإضافة إلى عراقة التجربة العلمانية فيه، وتأثير مصر الفكري والثقافي والاجتماعي على الدول العربية، فإنه يستمد رواجه من عدة عوامل:

منها : أنه يرفع شعار الديمقراطية والحريةالسياسية .

ومنها : اتباع سياسة هادئة دؤوبة – بعيدة المدى – في تجفيف منابع التدين، وعلمنة المجتمع والأخلاق .

ومنها : مهادنة المشاعر الإسلامية لتحييد قطاع كبير من الجماهير:" ازدواجية الخطاب " .

ومنها : النجاح النسبي لسياستي الاحتواء والإجهاض للعمل الإسلامي .

وتكمن خطورة هذا النموذج في كونه يفتح باب الأمل نحو مزيد من العلمانية، كما أنـه يسعى لتكون العلمانيـة هـي خيـار الأجيال القادمـة، فـإن كانـت العقبـة هـي أن الإسلام الآن خيار جماهيري، فإزالتها بأن تكون العلمانية أيضا خيار جماهيري ولكن ...في المستقبل .....!!!!!

نحتاج في بدء الكلام إلى توضيح المعنى المراد من هذا التساؤل , هل معناه أن الجماهير ستختار العلمانية عن قناعة واضحة بأفضليتها في مقابل الإسلام أم ماذا ؟ الواقع أننا لا نتحدث عن وصول الجماهير إلى هذا المستوى المتدني – و إن كان ليس مستحيلا – بل ما نعنيه أن الجماهير تقترب بصورة تدريجية غير مباشرة من ترجيح الخيار العلماني , دون إدراك حقيقي لمعنى العلمانية, فهم أشبه بقطيع يساق وفق رغبة حاكميه إلى وجهة لا يعلمها و لا يدري شيئا عن الطريق إليها , فقط يعلن ساسة القطيع أنهم يبتغون الخير للجميع .

و هذا الاختيار غير المباشر للعلمانية يتم بمسلكين متكاملين:

أولهما : استبعاد مستمر لأحكام الإسلام وآدابه في معظم مجالات الحياة العامة و الخاصة .

ثانيهما : إحلال الأنماط العلمانية في شتى مجالات الحياة ترغيبا و ترهيبا .

و في رحلة الدول الإسلامية من الإسلام إلى العلمانية تبدو ظاهرة للعيان ثلاث دول أو محطات تمثل خلاصة التجربة العلمانية سعيا نحو الجماهيرية, و هي على التوالي : تركيا – تونس – مصر , و الدولتان الأوليان تمثلان مراحل متقدمة حادة التوجه نحو العلمانية, لذا سيكون التركيز على التجربة المصرية باعتبارها تقود الركب العربي نحو العلمانية الكاملة . ولكن نعرض قبلا للموقف الجماهيري من العلمانية في تركيا، وتونس؛ لتكتمل الرؤية، و يتضح التصور.

التجربة التركية: توفرت للعلمانية في تركيا ظروف داخلية و خارجية – يصعب تكرارها حالياً – مكنتها من الوصول للعلمانية الكاملة في وقت قياسي, و نجحت سياسة أتاتورك في إخراج أجيال من الأتراك اتخذوا من العلمانية ديناً شاملًا , فالدستور التركي ينص على علمانية الدولة، وهذا النص يوافق عليه أغلب الأتراك, و في أحد استطلاعات الرأي عن أكثر الجهات الرسمية حيازة لثقة الشعب حصل

الجيش التركي على نسبة لا تقل عن 70%, و معروف أن الجيش هو الحارس المتعصب للعلمانية في تركيا, كما أن تيارات الإسلام السياسي ممثلة في حزب الفضيلة كانت أكبر نسبة تحصل عليها في الانتخابات لا تتعدى 26% , جزء كبير من الناخبين يختار الحزب لنزاهة أعضائه، وأمانتهم و ليس لانتمائهم الإسلامي .

الخلاصة: أن التجربة التركية تمثل إثباتاً لإمكانية تحول الأغلبية إلى الدينونة بالعلمانية في مقابل الإسلام .

التجربة التونسية: رغم علمانية الدستور التونسي, إلا أن تونس تختلف عن تركيا في كونها لا تعلن رفضها لإضفاء أي مسحة دينية على الدولة, بل على العكس يحرص النظام على الاهتمام النسبي ببعض المناسبات الدينية, و تذاع صلاة الجمعة في القنوات الرسمية, و يوضع القرآن الكريم ضمن قائمة الهدايا الرسمية التي يقدمها رئيس الدولة للآخرين, و بخلاف التيارات الإسلامية المقهورة داخل السجون و خارجها, فلا يبدو على الشعب التونسي أنه مستاء من هذا الوضع لدرجة السعي لتغييره, خاصة مع الحديث عن ازدهار سياح و انتعاش اقتصادي في ظل النظام الحالي .

التجربة المصرية: هل الإسلام كمنهج شامل للحياة يمثل خياراً شعبياً في الوقت الراهن ؟

لن نستطيع تحديد موقف الجماهير من العلمانية قبل أن نقدم إجابة شافية على هذا السؤال, لذا فالإجابة عليه تحتاج إلى تأنٍ و تفصيل دقيق, فلا يصلح معها الإثبات أو النفي بإطلاق, فهناك اعتبارات متعددة تعطي نتائج متفاوتة حول مستوى التفاعل الشعبي مع الإسلام، ومن هذه الاعتبارات:

اعتبار التمسك بأحكام الإسلام و شرائعه و آدابه و أخلاقه: ولا جدال في أن الإسلام بهذا الاعتبار لا يعد خيارا شعبيا , إذ الغالب على الناس التهاون في أحكام الدين في معظم مجالات الحياة و هذا أمر لا يحتاج إلى إثبات ....

اعتبار طرح تطبيق الشريعة الإسلامية كمطلب أساسي للجماهير من حكامها: و الواقع يخبرنا أن شعار تطبيق الشريعة يطرح كشعار انتخابي دعائي ليس إلا, دون أن يكون هناك إلحاح واضح عليه، فضلاً عن الاستعداد للمناضلة من أجله, كما أن

الجهل بأحكام الإسلام يجعل من الصعب على الجماهير التفرقة بين طبيعة القوانين العلمانية و الأحكام الإسلامية .

اعتبار التفاعل مع القضايا الإسلامية و مشاكل المسلمين في أنحاء العالم: ولا شك أن الفتور الشعبي العام الذي تواجه به قضايا المسلمين الساخنة مثل: أزمة الشيشان، وانتفاضة الأقصى يمثل دلالة واضحة على الابتعاد التدريجي للإسلام كمحرك رئيس لعواطف الجماهير ومشاعرها, و رغم ما يقال عن الضغوط الأمنية و الكبت العام, إلا أن المساحة المتبقية للحركة و التعبير تشكو من الفراغ و السكون, و هذا لا يعني صفرية التأييد الجماهيري للقضايا الإسلامية, و لكن هناك فرق بين إثبات الحالة و الحالة الثابتة.

اعتبار الانتماء العام الرسمي لدين الإسلام : و لا إنكار لجماهيرية هذا الاعتبار؛ إذ ليس وراءه إلا الكفر و العياذ بالله, و لكن عندما يدعي الإسلام كل إنسان دون اعتبار لفعله أو قوله, و عندما يدعي أشد العلمانيين حقداً على الإسلام أنه مسلم, و عندما يلبس أهل الضلالة على الناس أن ما هم عليه من الانحراف لا يتعارض مع دينهم, و عندما تصل الزندقة بهم أن يقولوا للناس: أن ترك منهج الإسلام هو من الإسلام, عندها هل يصبح إثباتاً كافياً على اختيار المنهج الإسلامي الشامل للحياة أن يقول إنسان أنه مسلم ؟

اعتبار حجم التأييد التصويتي في الانتخابات النيابية و النقابية: والقول بأن ذهاب أناس لا تزيد نسبتهم عن خمس من لهم حق التصويت – جزء كبير منهم من أتباع الحركة الإسلامية – لوضع ورقة مكتوب فيها أسماء مرشحين من التيار الإسلامي في صندوق مقفل كل ثلاث أو أربع أو خمس سنوات , القول بأن ذلك يعني تأييداً جارفاً من الشعب للمنهج الإسلامي قول لا نشك في مبالغته, نعم قد يمثل ذلك دلالة على التعاطف العام مع الإسلام من قبل فئات من الشعب, إلا أن هذا التعاطف يتسم بالضعف في جانبين :

الأول : اقتصاره على نسبة محدودة من عموم الشعب, بينما يشوب الغموض موقف الأغلبية السلبية.

الثاني : المؤيدون أنفسهم يقف تأييدهم عند مستوى الصندوق لا يتعداه, فليس لديهم استعداد للمطالبة بحق مغتصب, أو النضال من أجل الحفاظ على حق مكتسب .

وبالتأمل في هذه الاعتبارات يتبين لنا أن أكثرها تأثيراً في تصوير شعبية المنهج الإسلامي هو اعتبار حجم التأييد للتيارات الإسلامية في الانتخابات التشريعية و النقابية, و على الرغم من ذلك، فالقراءة المتأنية لمستجدات الأحداث لا تبشر بمستقبل مشرق لهذا التأييد, و هو ما سنبينه تاليا .

إذن ...هل تصبح العلمانية خيار الجماهير في المستقبل ؟!!

لا نقول بذلك و لا نتمناه, و لكن الواقع المر لا يطيب بحلو الكلام, و يكفي للتنبيه على عظم الأمر أن نذكر عوامل أربعة تدق نواقيس الخطر لمن يريد أن يساهم في إيقاف سعي العلمانيين الحثيث للصعود بهذه الأمة إلى الهاوية:

العامل الأول: التنامي المتدرج و المستمر لجهود طمس الهوية الإسلامية، و تذويب الثقافة الإسلامية, و تحقيقها نجاحات متعددة في الفترة الأخيرة, و يشكل الإعلام و التعليم ركنين أساسيين في هذه الجهود التي من شأنها أن تؤدي إلى إيجاد أجيال تجهل كل شئ عن الإسلام, و بالتالي تنكمش لغة التخاطب و التفاهم بينها و بين الدعوة الإسلامية لحساب دعاة النهج العلماني, و من ثم يتضاءل حجم الإحساس و التفاعل بكل ما ينتمي للإسلام, و هذا ولا شك من شأنه أن ينقل العمل الإسلامي إلى مرحلة مختلفة تماماً, و يكفي أن نتأمل نماذج هذه الأجيال في المدارس و الجامعات لنعلم حجم الكارثة المنتظرة .

العامل الثاني: خلو الساحة الفكرية، والثقافية، والسياسية من أي رمز أو فكر أو حركة – حزب ذي جماهيرية ملحوظة– و بخلاف التيارات الإسلامية فلا يوجد أي منافس بمعنى الكلمة, و لكن المؤسف أن الحركة الإسلامية لا تستغل هذا الفراغ، و لا تسعى لملئه بما لديها من الحق ،, بل تعجز أطروحات معظم الحركات الإسلامية عن تحقيق طفرة جماهيرية بعيدا عن موسم الانتخابات, و لن نشعر بخطورة الأمر إلا إذا أفرزت قوافل العلمانيين رموزاً أو أفكاراً أو أحزاباً تتمتع بقدرة على خداع الجماهير و التلبيس عليها, عندها ستزداد الوطأة و نعض أصابع الندم على تفويت

الفرصة السانحة, و ما تجربة عبد الناصر عنا ببعيد , فقد استطاع خداع الناس و سرقة عواطف الجماهير و قلب الطاولة على الحركة الإسلامية .
العامل الثالث: اعتماد مبدأ جزئية المشاركة في الانتخابات من قبل تيارات العمل السياسي؛ استجابة للضغوط، و التهديدات الأمنية، و السياسية، وهو سلاح ذو حدين, فهو و إن كان يؤمن للحركة الإسلامية مشاركة مأمونة نوعاً ما , ففي المقابل ينتج عن هذا الأسلوب سلبيات متعددة خاصة على المدى الطويل , منها :
تعظيم حالة الإحباط و اليأس لدى الجماهير المؤيدة؛ لانحسار آمالهم في التغيير عن طريق العمل السياسي في مجرد مشاغبات برلمانية لا تحقق الطموحات المتوقعة, و هذا بدوره يؤثر على قدرتهم النفسية على متابعة التأييد للإسلاميين بنفس المستوى .
إعطاء الفرصة لمن يتهم الإسلاميين بضآلة الحجم وارتفاع الصوت وجودة التنظيم ليثبت صحة كلامه, خاصة مع ضعف الوعي الجماهيري بحقائق الوضع السياسي .
تفريغ الغضب الجماهيري و الإسلامي في مسارات متعرجة تستنزف الطاقة، ولا توصل إلى الأهداف .
العامل الرابع : تتولد مع الأيام و التجارب لدى الجماهير قناعة ذاتية بأمرين متعارضين:
الأول: مصداقية الإسلاميين، و أحقيتهم باستلام الولاية عليهم .
الثاني: يقينهم بصعوبة أو بمجازفة اختيارهم للتيار الإسلامي لما يعلمون من نتائج تترتب على هذا الاختيار مثل:
عدم تمكنهم من قضاء مصالحهم الذاتية عن طريق النواب الإسلاميين لما يتعرضون له من تضييق، وتعسير لأعمالهم من قبل الحكومة العلمانية .
تخويفهم بإدخال البلاد في حالة من الفوضى مشابهة للوضع الجزائري في حالة أقدموا على اختيار الإسلاميين إذا شاركوا بصورة كاملة في الانتخابات النيابية .
شعورهم بعدم قدرة الإسلاميين على تحقيق إنجازات مستمرة، أو ذات بال حتى في حال استلامهم للحكم بصورة مؤقتة, و التجربة التركية ماثلة للأذهان, فحزب الرفاه رغم نجاحه في الوصول للسلطة واعتلائه منصب رئيس الوزراء لم يستطع تحقيق ما

كان متوقعاً من إنجازات؛ نظراً للتضييق الشديد الذي تعرض له من قبل الجيش و الرئاسة و الأحزاب العلمانية, فماذا كانت النتيجة؟ انخفضت بشكل ملحوظ نسبة التأييد الجماهيري له في الانتخابات التالية .

و في ظل هذه الصورة القاتمة لابد من الحديث عن دور للحركة الإسلامية يتناسب مع طبيعة الصراع مع العلمانيين وتطوراته, هذا الدور المنتظر يحتاج إلى رؤية تجديدية يعاد فيها النظر في كثير من مفردات العمل الإسلامي، وهذا ما سيتم تناوله لاحقاً –إن شاء الله– .

المصدر مفكرة الإسلام

=============

#إلى دعاة الفصل بين الدين والسياسة

{ سبحان الله عما يشركون}

ليس من طبيعة الدين الحنيف أن ينفصل عن الدنيا...

وأن يكون في ركن ضئيل يسمى بالأحوال الشخصية..

وسائر الأركان الأخرى تسلم لآلهة أخرى يضعون لها المناهج دون الرجوع إلى شرع الله تعالى.

ليس من طبيعة الدين أن يشرع طريقا للآخرة لايمر بالحياة الدنيا..

نعم ليس من طبيعة الدين أن نمنعه من التدخل في شؤون حياتنا ونفتري عليه ونقول:

" لاتدخلوا الدين في كل شيء"..

ونقول:

" خل دينك لنفسك"..

أو نقول على سبيل المثال:

" إن قضية حجاب المرأة واختلاطها بالرجال ليست قضية دينية"...

لا، ليس دين الله هكذا أنزل...

بل أنزل ليحكمنا في كل صغيرة وكبيرة، رجالا ونساءا، وكل قضايانا دينية...

لكن من أين جاء هذا المسخ إذن؟..

من أين جاء الزعم بأن من الخطأ إدخال الدين في كل شيء؟..

وكيف وقع هذا التصادم والفصام بين الدين وقضايانا الحيوية كالاقتصاد والاجتماع والثقافة والعلم والأخلاق؟..

كيف وقع هذا الفصام بين الدين والحياة، ومن أين بدأ؟..

هل بدأ عندنا؟، أم أنه بدأ عند غيرنا ثم انتقل إلينا؟...

لقد وقع هذا الفصل في أوربا في ظروف نكدة، وكانت له آثاره المدمرة على أوربا، ثم في الأرض كلها حين طغت التصورات والأنظمة الغربية على البشرية كلها..

لنفهم كيف وقع الفصل لنعد بالحديث إلى عهد موسى عليه السلام..

لقد جاء موسى بالتوراة لتكون منهجا لحياة بني إسرائيل..ثم جاء عيسى عليه السلام بالإنجيل ليكون المنهج المعدل لبني إسرائيل..

ولكن اليهود لم يقبلوا رسالة المسيح، ومن ثم قاوموه، وانتهى بهم الأمر إلى إغراء بيلاطس الحاكم الروماني على الشام يومئذ بقتله وصلبه، لولا أن الله رفعه إليه..

ثم سارت الأمور بعد ذلك بين اليهود وأتباع عيسى عليه السلام سيرة بائسة، انتهت بانفصال أتباع المسيح عن اليهود، وانفصال النصرانية عن اليهودية، مع أن عيسى جاء تكملة لما جاء به موسى عليهما السلام..

وقد اضطهد أتباع المسيح من اليهود ومن الرومان، مما اضطر الحواريين وأتباعهم إلى التخفي والعمل سرا فترة طويلة، تناقلوا خلالها نصوص الإنجيل وتاريخ عيسى عليه السلام وأعماله تناقلا خاطفا في ظروف لاتسمح بالدقة ولا بالتواتر، وأقدم هذه الأناجيل كتب بعد المسيح بنحو 40سنة، وبهذا لم يحفظ الأنجيل، ولم يسطر كما أنزله الله، فكانت هذه الخطوة الأولى في طريق تحريف الدين، ومن ثم نبذه فيما بعد..

ثم تلتها الخطوة الثانية:

فقد دخل بولس في النصرانية، وبولس كان يهوديا من ألد أعداء المسيح، وفجأة انقلب فصار من أتباعه، وذلك بعد موت المسيح، وتبوأ مركزا هاما في النصرانية، حتى صار في مقام الرئيس وسمي بـ "الرسول"، فتسنت له الفرصة ليدخل فيها ماشاء

من الوثنية الرومانية والفلسفة الإغريقية، ومن ذلك عقيدة الحلول، فكانت هذه الخطوة كارثة كبرى على النصرانية..

ثم تلتها الخطوة الثالثة في طريق نبذ الدين في أوربا..

وهي اعتناق قسطنطين الحاكم الروماني للنصرانية وسيطرة الحزب النصراني على الحكم..

كان قسطنطين لايبال بالدين، فسهل على المنافقين أن يمزجوا بين الوثنية والنصرانية مستغلين مناصبهم العالية، وكانت من نتيجة ذلك أن ظهر دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء..

ساعد على هذه تعميق الانحراف في هذه الخطوة الخلافات السياسية والعنصرية، فقد أصبحت العقيدة النصرانية عرضة للتغيير والتنقيح لتحقيق أهداف سياسية..

فهذه ثلاث كوارث حلت بالنصرانية..

اضطهاد أتباعها منذ الأيام الأولى مما منعهم من تسطير الإنجيل تماما كما أنزل بالدقة..

واختلاط الوثنية بها على يد بولس أولاً..

ثم على يد قسطنطين الحاكم الروماني ثانيا..

ومن ثم صارت النصرانية غريبة كل الغرابة على طبيعتها كدين إلهي منزل، فلم تعد قادرة على أن تعطي التفسير الصحيح لحقيقة الوجود وصلته بالخالق، وحقيقة الخالق وصفاته، وحقيقة الإنسان والغاية من وجوده، والنتيجة أن الدين النصراني لم يعد صالحا لأن يكون منهجا للحياة..

ومع ذلك فقد كان الرجل الأوربي يعيش تحت مظلته، يشعر بحرمته ووجوب الخضوع لتفسيراته وأحكامه مهما كانت غير منطقية..

ثم..

حلت الكارثة الرابعة..

والتي تمثلت في الخطوة الرابعة في طريق نبذ الدين..

وذلك أن الكنيسة أرادت أن تقف في وجه الترف الروماني وسعار الشهوات التي كانت الامبراطورية قد غرقت فيها، لكنها لم تسلك طريق الفطرة السوية لغياب المنهج الصحيح، فاندفعت في رهبانية عاتية، لعلها كانت أشأم على البشرية من بهيمية الرومان الوثنية، فأصبح الحرمان من الطيبات وسحق الغريزة عنوان الكمال والفضيلة، وغرق الرهبان في نوع من البدعة من الزهد مقابل الفجور الذي غرق فيه المترفون، فامتنعوا من الطيبات وحرموا الزواج على أنفسهم، ولم يكن علاجا لذلك الانحلال، بل كان عاملا من عوامل الفصل بين الدين والحياة في نهاية المطاف..

الخطوة الخامسة:

وكانت الطامة الكبرى يوم اكتشف الناس أن حياة رجال الكنيسة تعج بالفواحش في أشد صورها، مما أفقد الثقة برجال الدين، والدين من ثم..

وإذا أضفنا إلى ذلك تعدي الكنيسة على حقوق الناس باسم الدين، بفرض الضرائب والخدمة بلا مقابل والإذلال الكبير إلى مهزلة صكوك الغفران، أدركنا طرفا من الملابسات التي أدت في نهاية الأمر إلى فصل الدين كليا عن الحياة في أوربا..

رافقت هذه الخطوة خطوة أخرى كانت تسير معها جنبا إلى جنب..

فقد كانت الكنيسة تنازع الأباطرة السلطة والنفوذ، ولأجل ذلك كانت الأباطرة في سخط كبير، ومن ثم استغلوا أخطاء الكنيسة ليثيروا الرأي العام ضدها، واستخدموا لهذه الغاية كل وسيلة، منها فضح رجال الكنيسة وكشف أقذارهم، مما ولد في نفس الإنسان الغربي النفور من الدين ورموزه..

ثم تلتها الخطوة السادسة..

والتي تعتبر القاصمة التي بها تم الفصل بين الدين والحياة..

فقد احتكرت الكنيسة لنفسها حق فهم الكتاب المقدس وتفسيره، وحظرت على كل عقل من خارج الكهنوت أن يتجرأ على ذلك، ثم قامت بإدخال معميات في العقيدة لاسبيل إلى إدراكها أو تصديقها، مثل الثالوث والعشاء الرباني، وفرضت على الناس قبول كل ذلك ومنعتهم من المناقشة وإلا تعرضوا للطرد والحرمان..

هذا المنهج المتعسف المنحرف اتبعته الكنيسة كذلك في المسائل العلمية وأحوال الكون، فادعت آراء ونظريات جغرافية وتاريخية وطبيعية مليئة بالخرافة والخطأ وجعلتها مقدسة لاتجوز مناقشتها...

وقد كانت هذه القضية بالذات سببا للكفاح المشؤوم بين الدين والعلم والعقل، الذي انهزم فيه الدين لأنه كان محرفا، فقد انفجر بركان العقل في أوربا وحطم علماء الطبيعة والعلوم سلاسل التقليد الديني..

فزيفوا النظريات التي اشتملت عليها الكتب المقدسة، وانتقدوها صراحة، فقامت قيامة الكنيسة وكفروهم وقتلوهم وأحرقوهم، فعوقب ثلاثمئة ألف إنسان، أحرق منهم إثنان وثلاثون أحياءً، منهم "برونو" و "وغاليليو"..

هنالك ثار المجددون وأصبحوا حربا على الكنيسة، ومقتوا كل ما يعزى إليها من عقيدة وثقافة وأخلاق، وعادوا الدين المسيحي أولا، وكل دين ثانيا، وقرر الثائرون أن الدين والعلم ضرتان لاتتصالحان، وأن العقل والدين لايجتمعان..

وبهذه الخطوة تكاملت الخطوات في طريق نبذ الدين وفصله عن الحياة بالكلية، فلم تبق إلا القشة التي تقصم ظهر البعير ليتم الحدث وتدخل أوربا في مرحلة جديدة تتنكر فيها لجميع الأديان..

وقد تحقق ذلك بالثورة الصناعية الفرنسية، التي بها أعلن زوال ملك الأباطرة والإقطاعيين وحكم الكنيسة ومعه الدين أيضا..

وبذلك أصحبت أوربا لادينية .*.

هذه هي أهم الملابسات التي أدت إلى فصل الدين عن الحياة في أوربا، وهذا هو الدين الذي ثارت عليه أوربا، وقد كان لهم الحق في ذلك، فكما رأينا..

كان دينا محرفا أقرب إلى الوثنية، عاجزا عن تلبية حاجات البشر..

ثم إن هذه الفكرة سرت إلى بلاد الإسلام، ونصرها الببغاوات والقرود دون يفرقوا بين دين الإسلام الصحيح ودين النصرانية المحرف، فتلك الملابسات أوربية بحتة، وليست إنسانية عالمية، ومتعلقة بنوع من الدين لا بحقيقة الدين، وخاصة بحقبة من التاريخ..

ومن هنا كان من الخطأ تعميمها على الأرض، خاصة البلاد المسلمة التي قبلت هذه المبدأ الكافر، فأعرضت عن الدين، وحصرته في ركن ضيق..

وإذا كان لأولئك الحق في نبذ دينهم، فقد كان المسلمون على خطأ كبير في نبذ دينهم تقليدا لهم، إذ لم يتحقق على مدى نصف قرن من الإعراض عن الدين أي تقدم في أي مجالات الحياة..

بل لازالت البلدان الإسلامية التي قامت على مبدأ فصل الدين عن الحياة إلى اليوم متخلفة في كافة المجالات عن نظيراتها من البلدان الأوربية، والسبب:

أن الدين المحرف كان يعوق تقدم الغرب، فلما تخلص منه انطلق..

أما الذي يعوق تقدم المسلمين اليوم هو تركهم العمل بدينهم الصحيح المحفوظ من رب العالمين، ولن يصلح حالهم إلا بالدين الكامل الشامل.. والدليل:

أن المسلمين حكموا العالم اثني عشر قرنا لما كانوا يحكمون الدين في كل صغيرة وكبيرة، ثم لما أهملوا العمل به تراجعوا وتقدم غيرهم، فإن أردوا استرداد مكانتهم فيجب عليهم أن يعودوا ويكونوا كما كان الأولون، ورحم الله الإمام مالك حين قال:

" لن يصح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها"..

والذي أصلح أولها هو تحاكمهم إلى الدين في كل شيء، وترك أهوائهم جانبا، ومن هذا نفهم خطأ ما يتردد على ألسنة بعضنا من كلمات مثل:

" خل دينك لنفسك"،..

" لا تدخلوا الدين في كل شيء"،..

" لا تجعلوا كل القضايا دينية"..

وندرك كذلك خطورة ما يفعله من بهر بالغرب من محاولة واجتهاد في تفسير الدين في نطاق ضيق لا يتجاوز زوايا المسجد وشعب القلب.

أبو سارة

=============

#أقنعة العلمانية

يلاحظ المتتبع للطروحات العلمانية الفكرية في البلدان العربية خلال الفترة القريبة، توجهين أساسيين يحكمان هذه الأفكار، أولهما حديث نسبياً من حيث التعبير العلني

عنه مؤخراً، وهو يبشر صراحة بالفكر العلماني »الكلاسيكي« في صورته الشرسة من ضرورة الفصل بين الدين (وهو هنا الإسلام) والدولة، أو بين الدين والسياسة، أو بين الدين والحكم، أو بين الدين والاقتصاد والتعليم وسائر شؤون المجتمع، أما الاتجاه الثاني فهو يواصل ما عهد عن أصحاب هذا الفكر في العقود الماضية من طرح العلمانية وراء أقنعة ومسميات شتى لا تلجأ إلى المصادمة المباشرة أو الوضوح الصريح أو الإفصاح عن النوايا والأهداف النهائية، وظهور الاتجاه الأول الذي يمكن أن نسميه بالأتاتوركي نسبة إلى رائد العلمانية في العالم الإسلامي في شكلها السياسي الشامل يرتبط بتصاعد الحرب من جانب القوى المحلية والأجنبية ضد الحركات الإسلامية، حيث فقدت هذه القوى توازنها أو صبرها في الفترات الأخيرة، وقررت أن تكون الحرب علنية ليس فقط ضد التيارات الإسلامية ولكن ضد الإسلام ذاته، من خلال وجوده الدستوري والقانوني في أنظمة الدول العربية، وأيضاً من خلال وجوده المؤسسي في هيئات تعليمية أو ثقافية أو اجتماعية، ولذا جاءت الدعوة إلى العلمانية الأتاتوركية صريحة إلى حد أننا سمعنا مثلاً موظفاً رسمياً في وزارة الثقافة بإحدى الدول العربية يتحدث باسم وزارته وهو ما يعني الحديث باسم الحكومة داعياً إلى فصل الدين عن الدولة في دستور البلاد، وتتردد آراء مشابهة من جانب كتاب من المشرق والمغرب العربي في صحف ومجلات تصدر هنا وهناك، وتديرها وتدعمها الأنظمة والحكومات، وتتراوح أهداف هذا التوجه الجديد المعلن ما بين بالونات اختبار (وفق المصطلح الصحفي الدارج) لآراء الصفوة والجماهير نحو الدعوة العلمانية الصريحة، وما بين التهديد للإسلاميين والمؤسسات الإسلامية بأنهم إذا لم يتوقفوا عن النشاطات الإيجابية في مجال الدعوة والحركة فإن الأنظمة الحاكمة قد تضطر في نهاية المطاف إلى اللجوء إلى »الحل الأتاتوركي« أي إلى تبني العلمانية التقليدية بالنص في الدساتير والقوانين على تنحية الإسلام وعزله عن شؤون الدولة والحكم والمجتمع بكل مؤسساته، والوصول إلى الإقصاء الشامل لهذا الدين عن كل شؤون الحياة.

خطورة التوجه العلماني الجديد:

لكن هذا التوجه الأخير للطرح العلماني على خطورته المتمثلة في المصادمة الصريحة للإسلام، يبقى محدوداً من الناحية الكمية بالمقارنة مع التوجه العلماني الأخير الذي يحتل المساحة الكبرى في الكتابات الفكرية والإعلامية العلمانية، وأعني به تسريب هذا الفكر بشتى جوانبه وراء مجموعة من الأقنعة وأدوات التنكر والستائر التي تخفي حقيقة جوهره أو مقاصده وأغراضه البعيدة أو الجهات التي تحركه وتستفيد منه، وفيها جهات دينية غير إسلامية تتمسك بأديانها أشد التمسك، وتتعصب لها إلى الحد الممقوت، لكنها تريد للمسلمين أن يتحللوا من دينهم، وأن تنفصم عرى هذا الدين، ويبعد عن حياة الشعوب وتوجيه مصائرها، وإذا كان الفكر العلماني الكلاسيكي محدود الطرح في الناحية الكمية حتى الآن، فإن الفكر المقنع منذ فترة طويلة ومازال أكثر انتشاراً لأنه لا يسعى إلى الصدام المباشر الواضح مع العقيدة، بل يواصل عدوانه عليها، ويهاجمها بطريق غير مباشرة، فيقوض الطرح الإسلامي بطريق الإجهاض والإضعاف المستمر، دون أن يجازف بإثارة مشاعر الجماهير المسلمة أو تحفيز طاقات رد الفعل الفكري الإسلامي، أو تنبيه المسلمين لما يراد بهم، بل ويكسب فوق ذلك التظاهر بأنه تيار فكري محايد أو حتى »إسلامي مستنير«!!

صور جديدة للخداع:

وأقنعة العلمانية كما عهدناها متعددة وكثيرة ومتغيرة وفق الظروف والمناسبات، وتتيح هذه الأقنعة مزايا أخرى لأصحاب الفكر العلماني غير ما لاحظناه فيما سبق، فهي قبل كل شيء تمكنهم من الرد على دحض الإسلاميين لأفكارهم بمقولة أن الإسلاميين لا يفهمون العلمانية، أو يتعمدون الحط من شأنها بربطها بالفكر في الإسلام، بينما هي »في الحقيقة« (أي في القناع والفكر) لا تعني سوى التفكير الحر، أو الاجتهاد الذهني، أو الاستنارة العقلية، أو الموضوعية العلمية، أو الإصلاح الاجتماعي والديني!!... الخ.

ولقد شاهدنا في الفترة الأخيرة إحدى المجلات الشيوعية ترد على سلسلة مقالات لكاتب ومفكر إسلامي موضوعي فند فيها أفكار العلمانيين، باتهام الكاتب أنه »يزيف العلمانية« أي يتهم العلمانية، وينسب إليها ما ليس فيها على حد زعم المجلة وهذه

هي فائدة أسلوب الأقنعة والتنكر، لأنه يمكن العلمانيين عند الرد الموضوعي والداحض والمفند لأفكارهم أن يتنصلوا منها بزعم أنهم إنما ليسوا سوى دعاة العقل والفكر والحرية والاستنارة والتقدم وما أشبه ذلك من المصطلحات والألفاظ العامة التي يطلقونها دونما تحديد اجتلاباً للأذهان، لكنهم يحددونها في الوقت الملائم وبالمعنى والمضمون الذي يختارونه ويكون أكثر المضامين فعالية وأثراً في وضع ومقام معين.

مزاعم علماني متفلسف:

وفي هذا الصدد مثلاً ونحن نشير إلى أقنعة العلمانية واستخدامها التقنع والتنكر لأغراض مرحلية تتعلق بالرغبة في الانتشار والترويج واستمالة الأذهان وتجنب المواجهة المباشرة، أشير إلى واحد من أحدث هذه الأقنعة وربما كان من أطرفها، فقد عرف أستاذ جامعي مصري للفلسفة وهو غير مسلم اشتهر بهجومه على الإسلاميين منذ عقد الستينات العلمانية بقوله: إنها تعني التفكير في الأمور البشرية النسبية والمتغيرة بطبيعتها من خلال فكر نسبي ومتغير، والابتعاد عن »المطلق« عند التفكير في هذه الأمور البشرية وتدبيرها وإدارتها، وهذا التعريف المبتكر للعلمانية يبدو مختلفاً تماماً وبعيداً كل البعد عن تعريفها التقليدي بأنها فصل الدين عن الحكم والدولة والمجتمع، لكنه بعد تحليله يصل إلى نفس الهدف وراء سحابة المصطلحات الفلسفية عن المطلق والمتغير والنسبي.

فصاحب هذا التعريف يصف العلمانية بأنها التفكير في الشؤون البشرية ذات الطابع النسبي والمتغير بأساليب وأفكار مماثلة لها من حيث النسبية والتغير لكنه من المعروف أن المذاهب العلمانية المتنوعة وبالذات في المجالات »المتغيرة والنسبية« كالسياسة والاقتصاد وقضايا المجتمع، اتسمت بأشد درجات الإطلاق والجمود والصلابة وعدم التغير بحيث كانت تضع نفسها في شكل دساتير وقوانين صارمة ثابتة تهيمن على حركة المجتمعات التي طبقت فيها وتعيد صياغتها بشكل كلي وشامل بحيث تتسق هذه المجتمعات مع تلك الأفكار النظرية المجردة، ولو كلف الأمر ملايين الضحايا البشرية ومحن واضطرابات تستمر عشرات السنين.

وليست التجربة الشيوعية فيما كان يعرف بالكتلة الشرقية الأوروبية عنا ببعيد، فالمذاهب العلمانية نفسها، وهي من وضع البشر لم تكن ترى في نفسها أنها أفكار

متغيرة ونسبية جاءت لتحكم شؤون بشرية متغيرة ونسبية، بل على العكس فقد انتحلت لنفسها بالضبط ما تدعي العلمانية أن الأديان قد اتصفت به ألا وهو الطابع المطلق الشمولي الجامد المستعصي على التغير، وينطبق هذا حتى على تلك المذاهب العلمانية التي ادعت »الليبرالية« أو التحرر، إذ لم تخلوا هذه المذاهب من مطلقات مقدسة طرحت على أنها ثابتة ثبوت الدهور، وغير متغيرة مع تغير الظروف، بل وعلى أنها هي التي تحكم وتضبط وتوجه التغيرات وتهيمن عليها لا تواكبها ولا تسايرها ولا تتغير معها، وهذه المقدسات معروفة حتى الآن في الحرية الاقتصادية ونظام التمثيل البرلماني، وأفكار المساواة المطلقة والفردية، وأشهر مطلق من مطلقات الليبرالية بل ومن مطلقات الفكر العلماني نفسه هو مطلق فصل الدين عن الدولة.

وللماركسية والاشتراكية مطلقاتها الخاصة كما لسائر المذاهب والفلسفات العلمانية، بل إنهم يتبادلون الهجوم فيما بينهم بالإشارة إلى الطابع المطلق لكل منهم الذي يستعصي على التغيير والنسبية، ويقاومهما ويصر لنفسه على احتكار الحق المطلق حتى في أدق الأمور الاجتماعية والاقتصادية وأكثرها عرضة لمجريات التغير والتبدل.

العلمانية والمطلق والنسبي:

العلمانية إذن لم تكن أبداً إدارة أو تفكيرفي شؤون البشر المتغيرة والنسبية بأفكار وأساليب تشاكلها، بل على العكس كانت تتمثل في استبدال مطلق جديد (هو العلمانية) لمطلق قديم هو (المسيحية الغربية)، وما رافقها من أفكار ومذاهب سياسية واقتصادية وثقافية، ثم إن المذاهب العلمانية لم تنظر لنفسها على أنها مجرد تعبيرات ملائمة عن أوضاع نسبية ومتغيرة، تتغير وتتبدل وتمضي مع ذهاب هذه الأوضاع، بل على العكس اعتبرت نفسها مبادئ وخطوط عمل وإرشاد وتوجيه حاكمة وعامة، توجه وتقود وتشكل هذه الأوضاع، بل وتحكم كيفية ومسار تغييرها إلى أبد الآبدين، أو إلى الوصول إلى الفردوس الأرضي ونهاية التاريخ كما في الماركسية والليبرالية.

العلمانية إذن تحل لنفسها ما تحرمه على غيرها، وإذا نظرنا إلى الجانب الآخر من المسألة فلن نجد داعياً لوصف شؤون البشر بأنها نسبية ومتغيرة مهما كانت درجة التغير والتبدل التي تطرأ على أحوال الأفراد والمجتمعات والأمم فوراء هذه التغيرات

تقف (كما تقول لنا حتى فلسفات العلمانية ذاتها) قوانين كبرى ومبادئ عامة، وملامح مشتركة، تجعل من وجود أفكار وتعاليم مطلقة للتفكير في هذه الشؤون، أمراً مقبولاً، بل وضرورياً، ولا ننسى أن »ماركس« وهو أحد كبار كهنة الفكر العلماني الغربي قد ابتكر نظاماً مطلقاً محكماً ادعى أنه يقف بثبات وصرامة لا تتخلف وراء كل التغيرات التي تطرأ على المجتمعات فالمطلق أياً كان له مجال في التفكير في الشؤون البشرية والمطلق كذلك له مجال أكبر في مجال توجيه هذه الشؤون كما تدل على ذلك التجربة العلمانية ذاتها في النظرية والممارسة، ذلك لأنه إذا قبلنا بفكرة أن كل الشؤون البشرية متغيرة ونسبية، فإن ذلك لا يعني منطقياً أن تكون المبادئ التي توجه وتحكم هذه الشؤون متغيرة ونسبية مثلها، لأن الحكم والتوجيه والتدبير في حد ذاته يعني وجود درجة كبيرة من الثبات والهيمنة، تتجاوز النسبية والتغير وتتعالى عليهما أو تقود التغيرات في مسار معين، وتبعدها عن مسار آخر.

والأكثر أهمية في ذلك هو بحث معنى »المطلق« وفق هذا التعريف المبتكر للعلمانية، فهل المقصود هنا هو »الإله« الذي تتحدث عنه الأديان التي يواجهها العلمانيون رغم ضرورة الإشارة إلى اختلاف مفاهيم الألوهية بين الأديان وبالأخص بين الإسلام وبين سائر الأديان بما فيها تلك التي تسمى حالياً بالسماوية أم أن »المطلق« هذا هو الأفكار والمذاهب الدينية لاسيما ما يتصل منها بالتشريع والشؤون الاجتماعية المتنوعة، وفي هذه الحالة ينبغي الإشارة إلى وجود شريعة في الإسلام تختلف جوهرياً وبالنوع عن أي أفكار أخرى بدائية ومحدودة قد تحتويها الأديان الأخرى في مجال التشريع الاجتماعي، فالشريعة الإسلامية هي نظام كامل له منهاجه الخاص، ولا يمكن أن تختزل هذه الشريعة بوصفها بتلك الكلمة العامة الغامضة ذات الإيحاءات السلبية في دنيا الفلسفة وهي عبارة »المطلق«، فالشريعة الإسلامية بالذات تحتوي على مستويات من المبادئ والقوانين والأحكام، وفيها من المرونة ومن القابلية للاستيعاب وتغطية المتغيرات، والتعامل معها من خلال أنظمتها هي كالاجتهاد وغيره ما يحول دون نشوء مشكلة التقابل الثنائي بين المطلق والنسبي التي يثيرها ذلك التعريف العلماني، وهو يحمل في ذهنه الأوضاع المسيحية الغربية.

وإياً كان ذلك »المطلق« فلا يعطينا تعريف العلمانية هذا مسوغاً لإبعاده عن شؤون البشر، سواء أكان تفكيراً فيها أو توجيهاً لها، مادام أن العلمانية نفسها تقيم بعده مطلقاً أو مطلقات أخرى من صناعتها هي، أي أصنام وثنية مادية لتحل محل الآلهة الغيبية (حسب تصورهم)، فلا جديد في المسألة.

تهافت العلمانية الجديدة:

تعريف العلمانية الجديد هنا ينشيء عند تحليله تناقضات ومشكلات عديدة، كما أنه ينبثق عن نفس التعريف القديم، لكنه ليس سوى قناع أو تنكر له، فهو يطلق اسم المطلق على: الدين أو الشريعة أو العقيدة أو »الله«، وهو ذو إيحاءات سلبية كما قلنا ولاسيما في مذاهب الفلسفة الغربية الحديثة وفي مقابلة هذا المطلق توضح شؤون البشر المتغيرة النسبية (هكذا كل شؤون البشر متغيرة ونسبية عندهم بإطلاق!)، ثم تأتي العلمانية لتسمى في هذا التعريف بالأفكار النسبية المتغيرة والتي تصلح بذلك دون »المطلق« لتسيير وتفسير حياة البشر وشؤونهم.

إنها مجرد تسميات مختلفة، فبدل القول بأن الدين يجب أن يرفض وينحى من حياة البشر لتحل محله العلمانية، أو بالأصح مذاهبها المختلفة يأتي القول بأن حياة البشر متغيرة نسبية بإطلاق (!) في التغير والنسبية، وأن هناك اتجاهين يتنازعان تفسير وتسيير هذه الحياة، أحدهما »مطلق« لا يصلح لها والآخر مثلها متغير نسبي، فهو الأصلح والأجدر بها، هكذا تترجم العلمانية الكلاسيكية إلى صياغة تحاول أن تتجمل بمصطلحات الفلسفة ذات الإيحاءات والظلال المعينة دون أن يتغير شيء في المضمون.

لكن هذا التعريف الجديد أو القناع الجديد يحتوي من التناقضات أشد ما يحتويه التعريف الأقدم، لاسيما فيما يتصل بالإسلام، فشريعة الإسلام ليست ذلك »المطلق« البعيد عن دنيا البشر وهمومهم وأوضاعهم بل هي وثيقة الصلة بها لا من حيث إنها تعكسها وتبررها وتواكبها بشكل ذيلي في تغيراتها كما يصور التفسير المادي المألوف، بل من حيث إنها تقودها وتوجهها وترقى بها وفق مشيئة وحكمة العزيز العليم الذي أوحى بها، وشؤون البشر في هذا التصور الإسلامي ليست متغيرة نسبية بإطلاق، بل تطرأ عليها التغيرات وفق سنن ثابتة، كما تتفاوت التغيرات بين مادي

واجتماعي ونفسي وعقدي وأخلاقي... كل له مساره الخاص ودرجته الخاصة في مدى التغير، والتغير فيها يمكن توجيهه والتحكم فيه على الأقل من الناحية المهمة كناحية الإيمان وإرضاء الله بالعمل وفق منهجه، والثبات في محن البلاء والاختبار المتنوعة.

وأخيراً فإن الأفكار العلمانية ليست نسبية التطور كما يزعم التعريف، بل هي تزعم لنفسها كما أسلفنا الإطلاق والثبات، أضف إلى ذلك السذاجة الفكرية المتضمنة في مقولة أن النسبي والمتغير لا يصلح للتفكير فيه سوى النسبي والمتغير فصاحب هذا التعريف وهو ماركسي النزعة يعرف أكثر من غيره أو هذا هو المفترض أن الماركسية وقبلها بدرجة أكثر الهيجلية قد حكّمت فكراً (أو ما أسموه بمنهج علمي) مطلقاً هو الجدل أو الديالكتيك بشقيه المنطقي والمادي في تفسير ما رأوا أنه شؤون الحياة والتاريخ المتغيرة والنسبية، فالمتغير في هذه الفلسفات محكوم بقانون مطلق لا يجعل منه تغيراً بقدر ما يجعل منه ثباتاً يتجلى شيئاً فشيئاً إلى أن يظهر بكامله، كما أن النسبي عندهم لا يصبح نسبياً إلا عندما ينسب إلى إطار مطلق يحتويه ويتعالى عليه.

خدعة المجتمع المدني:

في نهاية الأمر لسنا نواجه سوى قناع آخر من أقنعة العلمانية هذه المرة في ثوب فلسفي النقش، لكن الأقنعة لها ثياب متعددة، فهناك مثلاً الثوب السياسي الذي يفصح عن نفسه هذه الأيام في مصطلح كثر ترديده بصورة ببغاوية حتى عد عند بعضهم وكأنه الحل السحري لكل الأزمات والمشاكل وفي مقدمتها أزمة الإسلام، وأعني به مصطلح »المجتمع المدني«، فالدعوة إلى العلمانية هذه الأيام تتخذ شكل الإلحاح على إقامة أو تقوية ما يسمى »بالمجتمع المدني«، وليس المقصود بهذا المجتمع كما قد يتبادر إلى الذهن أنه المجتمع الذي لا يسيطر عليه العسكريون بشكل مباشر أو غير مباشر كما هي الحال في معظم المجتمعات العربية، بل على العكس نجد أن أصحاب هذا المصطلح أو التعريف العلماني من أشد أنصار الحكم العسكري، لأنهم يرون في شراسة هذا الحكم وبعده عن الالتزام بالقوانين وحقوق

الإنسان، أكبر ضمانة للتصفية الجسدية للحركات الإسلامية التي يناصبونها العداء والخصومة.

المجتمع المدني المقصود في هذا المصطلح الذي نجد له أوسع رواج الآن في بعض الصحف والمجلات والمنابر الناطقة باسم النخبة العلمانية، هو المجتمع اللاديني، ذلك لأن »المدني« عندهم لا يواجه »العسكري« بل يواجه »الديني« وقد اعتمد مطلقو هذا التعبير على ترجمة محرفة للاصطلاح الدنيوي أو غير الكنسي في بعض اللغات الأوروبية، الذي يقابل ويواجه »الكنسي« أو الديني فالدين عندهم يرتبط بما هو متصل بالكنيسة ورجالها (الكهنوت) الذين يشكلون بزيهم وتنظيمهم المستقل المميز سلكاً هو سلك الدين أو الكنيسة المتميز عن سائر المؤسسات الاجتماعية، كسلك الجيش أو ملاك الأراضي... الخ، وعند غيرهم يطلق عليه اسم »الدنيوي« (أي غير الديني) الذي تحور في الترجمة أو في التلاعب عند أصحاب التعريف أو الدعوة الجديدة إلى »المدني«.

والخلط هنا ينشأ من أن كلمة »المدني« في استخدامات العربية الحديثة تطلق أساساً للتفرقة بين ما ينتمي إلى السلطة العسكرية وما ينتمي إلى غيره كما قد يطلق على ما ينتمي إلى المدنية أو الحضر، أو ما يتسم بالصفات السائدة في تلك الأماكن، لكن »المدني« لا يعني في العربية »العلماني«، ومن هنا يأتي القناع أو التنكر، فهم يستخدمون تعبير المجتمع المدني لأنه سيجد القبول بإيحاءاته التي تعني مجتمعاً لا يسيطر عليه العسكريون بالدكتاتورية والتسلط وكبت الحريات وفرض الرأي الواحد الخاطئ في معظم الأحيان، كما أن أصحاب المصطلح يساعدون على هذا الترويج بإكسابه إيحاءات أخرى ينظمونها حول لفظة »المدني« كالديموقراطية والحرية وتعدد الآراء والمناقشات والانفتاح السياسي والفكري، لكنهم عندما يتحدثون عن هذا المصطلح فإنما يقصدون كما يتضح من كتاباتهم العلمانية أو اللادينية المجتمع الذي يفصل الدين عن حياته وينحيه بعيداً، وهكذا يظهر المصطلح جذاباً لبعضهم لكنه في نفس الوقت يؤدي نفس ما يؤديه التعريف الكلاسيكي للعلمانية.

وكما هو الحال في التحليل السابق للتعريف الجديد للعلمانية، فإننا إذا حللنا تعبير »المجتمع المدني« كما يستخدمه العلمانيون، فسنجده ينطوي على تناقضات تهوي به

كمصطلح جاء حسب استخدامهم أبسطها أن مفهوم »المجتمع المدني« كما يستخدم في الكتابات الاجتماعية الغربية يعني مجموع المؤسسات والهيئات والمنظمات والجمعيات والروابط المعروفة (الجيش، الشرطة الجهاز الإداري... الخ)، ومن هذه الناحية فإن المصطلح بمعناه الدقيق أو العلمي في الكتابات الأكاديمية يضم ولا يستبعد المؤسسات الدينية، كما يضم ولا يستبعد الأفكار والرؤى الدينية طالما أنها تشكل قسماً من نسيج هذا الشعب الذي يتشكل المجتمع المدني من تنظيماته.

وللعلمانية أقنعة أخرى تخفي وراءها طرحها الأساس والصريح الذي ما خرج هذه الأيام إلى طور العلن إلا كحلقة من حلقات المواجهة مع الإسلام كما يسمونها، والأقنعة ذات فوائد متعددة للطروحات العلمانية لكنها في المقابل ينبغي أن تكون بمثابة ساحة تدريب ودافع تنشيط للفكر الإسلامي في تتبعها ودراستها ودحضها وكشف ما وراءها، مع إظهار البديل أو بالأصح »الأصيل« الإسلامي الذي تحاول هذه الطروحات أن تشوه صورته أو تخفيه.

مجلة البيان

=============

#الحروف المقطّعة

عين ولام ثم ميم

ألف ونون

ياء مشدّدة وهاء

من هاهنا ابتدأ العناء

من هاهنا جرّ السماسرة الرداء

وطغى على النهر الغثاء

عين. وتنتفض العمالة والعناد

لام . ويظهر في ملامح وجه عالمنا الكساد

ميم . ويرفع ملحد علم الفساد

ألف . ويبتدأ الحصاد

نون . وتبدأ نكسة كبرى ويجتاح الجراد

ياء . وتغرق أمتي في اليانصيب
هاء .وتقطع هامة الأمل الحبيب
عين ولام ثم ميم
ألف ونون
ياء مشددة وهاء
هذي حروف الوهم في زمن الضياع
هذي حروف اليأس في بحر... يبدد موجه حلم الشراع
هذي حروف الموت في وجدان أمتنا..... وقنطرة الصراع
عين ولام ثم ميم
ألف ونون
ياء .مشددة وهاء
عين .عذاب
لام .لهيب واضطراب
ميم. مجافاة الكتاب
ألف .أسىً
نون .نقيق ضفادع وصدى نعاب
ياء .يد سوداء موحشة الخضاب
هاء .هوى يغتال قلب الحر يلتهم الصواب
عين ولام ثم ميم
ألف ونون
ياء مشددة وهاء
من أين نخرج أيها الليل البهيم
من أين نبدأ رحلة الأمل العظيم
من أين ...وانكسر السؤال
وسمعت صوتا من وراء الأفق موفور الجلال
يا سائلا في ثغره اشتعل السؤال

هذا الطريق أمام عينك يا غريق
وأمامك الروض المندى والرحيق
وأمامك القرآن زادك في الطريق
وحديث خير الناس والبيت العتيق
سل أيها الشاكي حراء
سل غار ثور حينما التفت الزمان إلى الوراء
ورأى النبي يقول للصديق لا تحزن ....فربك في السماء
ورأى أبو جهل... وفي عينيه نبرة كبرياء
مائة من الإبل العتاق فأين عشاق الثراء
أين الرجال الأقوياء
سل يا أبا جهل سراقة عن إمام الأنبياء
وأصغ بسمعك عن للنداء
اسمع صهيل الخيل في بدر
وقعقعة السيوف الراشفات من الدماء
لكأنني بالرمل يصرخ في وجوه الأشقياء
شاهت وجوه القوم خاب الأدعياء
وكأنني بالصوت جلجل في الفضاء
بشراك خير الأنبياء
صهوات خيل المشركين طريقهم نحو الفناء
فاصبر فإن الله يفعل ما يشاء
يا سائلا في ثغره اشتعل السؤال
أوما ترى عيناك وجه الشمس.....ناصية الهلال
قاف وراء
ألف لها مد ونون
هذي الحروف هي اليقين
هذي الحروف هي اليقين الحق يعصف بالظنون

نبع فأين الواردون

نهر صفا من كل ما لا يستسيغ الشاربون

قرآنكم يا مسلمون

قاف. قيم

راء . رقي في سماء المجد سعي للقيم

ألف . أباء في زمان الذل ...أيمان برب الكون ..إخلاص شمم

نون . نقاء الروح من دنس التذلل للصنم

قاف وراء

ألف لها مد ونون

هذا هو الفجر الذي اكتسح الظلام

وأضاء درب السالكين إلى رحاب الخير في البلد الحرام

قد فاز من سلك الطريق إلى الأمام

عين ولام ثم ميم

ألف ونون

ياء مشددة وهاء

سيزول هذا الوهم في ظل العقيدة

ولسوف يعرف كل مغرور حدوده

ولسوف تبدأ أمتي بالحق رحلتها السعيد

د. عبد الرحمن العشماوي

=================

#رجب طيب أردوغان.. من الميناء إلى البرلمان..

إسطنبول: إبراهيم بوعزّي

غلاف مجلة المجتمع العدد 1759

أردوغان شخصية جمعت الكثير من الصفات، لتكون نموذجاً فريداً يقود تركيا بلد المتناقضات إلى بر الاستقرار الاقتصادي وأحضان الاتحاد الأوروبي. يصفه العلمانيون بأنه "إسلامي رجعي"! ويبالغون إذ يرونه خطراً على النظام الجمهوري

العلماني، وقد يتهمه بعض الإسلاميين بخدمة المصالح الأمريكية والتخلي عن بعض المبادئ الإسلامية.

لكنه يصف هو نفسه بأنه "رئيس متدين لحكومة علمانية"، ويعطي تعريفاً جديداً لمفهوم العلمانية الحقيقية التي من وظائفها حماية الدين والمتدينين لا محاربتهم.

طفولته وشبابه: ولد أردوغان عام 1954م، في حي شعبي فقير بالجزء الأوروبي من إسطنبول. كان أبوه عاملاً على ظهر سفينة تعمل في سواحل مدينة "ريزه" على البحر الأسود فعلّم ابنه الصبر ومكابدة الأمواج العاتية.

تلقّى رجب طيب تعليمه الابتدائي في مدرسة حكومية مع أبناء حارته في إسطنبول، فتعلم هناك اللهجة القاسية التي تظهر في تصريحاته وخطاباته الرسمية، ثم التحق بعد ذلك ب"معهد الأئمة والخطباء" لينهي المرحلة الثانوية بتفوق، وتعلم هناك الفقه والعقيدة والتجويد فتهذّب أسلوبه في الكلام والتفكير أكثر فأكثر.

الشيخ رجب

وخلال دراسته الابتدائية أطلق عليه أستاذه اسم "الشيخ رجب"؛ ففي درس التربية الدينية سأل المدرّس التلاميذ عمّن يستطيع أداء الصلاة داخل الفصل ليتعلم منه بقية الطلبة، فرفع رجب يده ليكون قدوة لزملائه في أداء الصلاة، شكره المدرّس وفرش له صحيفة على الأرض ليصلي عليها، فما كان من "رجب" الصغير إلاّ أن رفض الصلاة على الصحيفة لما عليها من صور لنساء سافرات، دهش المدرس لموقف الصبي وأثنى عليه وأعجب بذكائه وورعه، وأطلق عليه لقب "الشيخ"، قبل أن يدخل ثانوية الأئمة والخطباء.

بيع "السميد"

وعندما كان في الثانوية كان رجب "الطيب" يساعد أباه في إعالة إخوته؛ حيث كان يبيع نوعاً من الكعك معروفاً لدى الأتراك باسم "السميد"، كان يشتريه يابساً بارداً بسعر زهيد ليسخّنه في البيت على البخار حتّى يصير طرياًً مستساغاً، ثم يبيعه بسعر مناسب ينفقه على إخوته.

ولأنـه مـن أصـيلي البحـر الأسـود المعـروفين بالمهـارة فـي التجـارة ولأنـه تمـرّس علـى العمل فـي سـوق الحـي، التحـق وهـو لـم يتجـاوز عقـده الثـاني بكليـة الاقتصـاد بجامعـة مرمرة الحكومية، مع أبناء الطبقة الشعبية ليصقل موهبته التجارية دون إهمال هوايته المفضـلة كـرة القـدم، حيـث مارسـها منـذ طفولتـه فـي ثـلاث فـرق رياضـية بإسـطنبول، ولمـدة نـاهزت العشـر سـنوات، إلـى أن تخـرّج مـن الجامعـة والتحـق بالخدمـة العسـكرية كضابط احتياط.

وقبل أن يلتحق بالمعترك السياسي في السبعينيات من القرن الماضي عمل أردوغان مستشاراً مالياً لبعض الشركات الخاصة ومديراً لعدد من المؤسسات المالية.

صور من مراحل حياة أردوغان

قصة زواجه: يقول الكاتب الصحفي التركي "فهمي جالموق" في كتابه الذي ألفه عن مسـيرة حياتـه(1): بـدأت قصـة زواجـه مـن المناضـلة الإسـلامية فـي "حـزب السـلامة" "أمينة" عام 1977م إثر رؤيا رأتها فتاة من أصل عربي من مدينة سعرد جنوب شرق الأناضول، رأت البنت الناشطة آنذاك في "حزب السلامة الوطني" في المنام فارس أحلامهـا يقـف أمـام النـاس خطيبـاً فتعجـب بـه فـي منامهـا قبـل أن تعرفـه علـى أرض الواقـع(2)، وبعـد يـوم واحـد ذهبـت أمينـة مـع الكاتبـة الإسـلامية "شـعلة يوكسلشـنلر" إلـى اجتماع حزب السلامة فرأت نفس ذلك الشاب الذي رأته في المنام ثم تعرفت عليه، فإذا رجب ذو الأصول القوقازية من شمال شرق مدينة ريزه القريبة من جورجيا.

فتزوج الاثنان، واستمرت الحياة بينهما يسودها الحب والمودة، ووصـلا إلـى دفـة الحكـم فـي تركيـا رغـم الحجـاب الـذي ترتديـه السـيدة أمينـة والـذي يثيـر حفيظـة الجـيش والمعارضة العلمانية.

من "السلامة" إلى "الرفاه": تدرب رجب طيب على السياسة مع "حزب السلامة" الذي أنشأه البروفيسور نجم الدين أربكان، ورغم اهتمامه بالعمل السياسي منذ 1969م، إلا أن بدايته الفعلية للعمل التنظيمي كانت 1975م، حين اضطلع بقيادة الجناح الشبابي المحلي لحزب "السلامة الوطني"، الذي تأسس في 1972م بعد إغلاق حزب "النظام الوطني" وانتقال مؤسسه أربكان إلى سويسرا.

وقبل إغلاق الحزب كان قد تم اختيار أردوغان عضواً بالمجلس الإداري للإدارة العامّة للأجنحة الشبابية بحزب السلامة، وبقي في هذا المنصب حتى عام 1980م.

وبعد إغلاق حزب السلامة وتأسيس "حزب الرفاه" ترأس رجب طيب أردوغان فرع الحزب الجديد ببلدة "بايوغلو" مسقط رأسه، وأحد أكبر بلدات الجزء الأوروبي من إسطنبول في عام 1984م، وسرعان ما سطع نجم أردوغان في "حزب الرفاه"، فأصبح رئيساً لفرع الحزب في ولاية إسطنبول في 1985م، ثم أصبح عضواً في اللجنة المركزية للحزب بعدها بعام فقط.

وفي الانتخابات البلدية التي جرت عام 1994م فاز أردوغان برئاسة البلدية المركزية لمدينة إسطنبول الكبرى.

أربكان.. القائد القدوة

ومنذ كان رجب رئيساً لفرع "حزب السلامة" بولاية إسطنبول تعلق بشدة بقائده وقدوته نجم الدين أربكان، إلى حد أنه أطلق اسم نجم الدين على أحد أبنائه.

وكان أربكان يثق في أردوغان كثيراً ويرحب بكل من ينضم إلى الحزب عن طريقه، وكان الشيخ يؤيد أردوغان في أي تغيير يدخله على الحزب.. إلى أن حُلّ "حزب الرفاه" عام 1997م.

ومازال أردوغان يكن الاحترام والتقدير لشيخه أربكان حتّى بعد خروجه من السجن في 24 يوليو 1999م، إلى أن انفصل عنه عام 2001م ليؤسس "حزب العدالة والتنمية"(3).

محن سياسية

وككل قائد سياسي جريء، فإن السجن طريق لا بد منه ليعدل القائد من مواقفه ويعتدل ليتسلم مقاليد الحكم بشكل مشرف ونبيل.

لقد انزعجت بعض القوى العلمانية في البلاد ممّا ناله أردوغان من إعجاب سكان إسطنبول أكبر مدينة في تركيا عندما كان رئيساً لبلديتها، بسبب نجاحه الباهر في تقديم الخدمات البلدية وتنظيم حياة المدينة ومحاربة الفساد في الأسواق وتقديم المساعدات للمحتاجين والطلبة.

وأدّى ذلك إلى محاكمته وسجنه بموجب مادّة في القانون الجزائي تجرّم كل من يقوم بتأجيج مشاعر التفرقة العرقية أو الدينية في تركيا.
وقامت تلك التهمة على أساس أبيات من الشعر ألقاها أردوغان الذي يتمتع بموهبة فائقة في إلقاء الشعر بصوته الشجي، خلال أحد الاجتماعات العامّة لحزب الرفاه بمدينة "سعرد" جنوب شرقي الأناضول.
يقول الشاعر التركي ضياء كوكالب في تلك الأبيات: "المآذن رماحنا، والقباب خوذاتنا، والجوامع ثكناتنا، والمؤمنون جنودنا".
ورغم أن هذه الأبيات مدرَجة في الكتب المدرسية وتدرّس للطلبة في المدارس الحكومية، إلاّ أنها إذا خرجت من فم سياسي معارض تصير تهديداً لأمن البلد وزرعاً للفرقة الطائفية والدينية، كما ورد في نص التهمة التي واجهها أردوغان عام 1988م.
واعتبرت المحكمة أن تلك الأبيات تؤدي إلى إثارة المشاعر الدينية لدى المواطنين، تلك المشاعر التي طالما عملت الحكومات التركية المتعاقبة على كبتها ولكنها لم تنفجر يوماً بشكل همجي لتدخل البلاد في حرب أهلية أو طائفية. وحكمت المحكمة عليه بالسجن لمدة أربعة أشهر في ربيع 1998م، ممّا جعل منه بطلاً وطنياً في عيون الشعب التركي المتحمس آنذاك للمشروع الإصلاحي الإسلامي الذي قاده الشيخ أربكان(4).
حزب تجديدي
وكما يقال: "رب ضارة نافعة" فإن تلك الأشهر الأربعة عادت على رجب بالخير، فقد خرج من السجن بأفكار إصلاحية وأسلوب معتدل، فقد تخلّى عن اللهجة الحادّة، وأعلن عند خروجه من السجن مباشرة أنه "غير قميصه السياسي"، إلا أن المعارضة العلمانية اعتبرت تغيير القميص تقية، يهدف أردوغان من خلالها إلى السيطرة على أجهزة الدولة لقلب النظام والانقلاب على النهج العلماني(5).
ومازال هذا الفصيل لم يدرك المفهوم الحقيقي للعلمانية الذي يؤمن به أردوغان والذي شرحه في أكثر من مناسبة.
وبعد خروجه من السجن بأشهر قليلة قامت المحكمة الدستورية في 8 مايو 1999م بحل "حزب الفضيلة" الذي قام بديلاً عن "حزب الرفاه"، فانقسم نواب "حزب الفضيلة"

إلى جناحين، جمع الجناح الأول من تبقى من النواب المحافظين في "السعادة" الذي لم يتمكن من دخول البرلمان عقب انتخابات 2002م، لعدم حصوله على 10% من أصوات الناخبين.

أما التجديديون من الشباب، مثل رجب طيب أردوغان وعبدالله جول. فقد أسسوا حزب "العدالة والتنمية" بقيادة رجب طيب أردوغان، في 14 أغسطس 2001م، أي بعد حوالي شهر من تأسيس الجناح الآخر لحزب السعادة.

انتصارات مجتمعية للعدالة

وخاض "حزب العدالة" الانتخابات التشريعية في 2002م، وفاز ب363 نائباً، محققاً بذلك أغلبية ساحقة مكنته من تشكيل حكومته الحالية التي لم يترأسها بنفسه بسبب تبعات الحكم السابق الذي قضى من أجله أشهراً في السجن، ولذلك فقد أوكل مهمة رئاسة الحكومة إلى وزير الخارجية الحالي عبدالله جول في 16نوفمبر 2002م، حتى 14 مارس من نفس السنة، وحين سقط عنه الحكم بعدم ممارسة السياسة، تسلم أردوغان رئاسة الحكومة التركية.

وكان فوز "العدالة والتنمية" حدثاً تاريخياً بالنسبة إلى البرلمان التركي الذي لم يشهد حكومة حزب واحد منذ سنة 1987م. وكان "العدالة والتنمية" قد حصل في تلك الانتخابات على 363 مقعداً في البرلمان في حين لم يحصل "حزب الشعب الجمهوري" ممثل القوى العلمانية إلا على 179 مقعداً.

أردوغان لاعب كرة قدم

وظهر أردوغان بحزبه الجديد في فترة عرف فيها الشعب التركي حالة من اليأس والإحباط من الحياة السياسية، خصوصاً بعد الفضيحة التي شهدها مجلس الأمن التركي في 2001م، حيث ألقى رئيس الحكومة آنذاك بكتيّب الدستور في الهواء ممّا أفقد ثقة الشعب فيه وفي كافة الأحزاب السياسية.

إعادة الثقة في الدولة والدستور

ظهر أردوغان في تلك الفترة ليعيد الثقة إلى الشعب التركي في الدولة ومؤسساتها. جاء هذا الأمل الجديد بعد يأس المواطنين من العملية الديمقراطية التي تتوقف كلما ظهر الإسلاميون على الساحة السياسية حيث تم إسقاط حكومة أربكان وإغلاق حزب

الرفاه والفضيلة.. وكادت البلاد تتحول إلى جزائر ثانية؛ بفعل الاحتقان والغضب الشعبي من تدخل العسكر في السياسة.

الهوامش

(1www.haberturk.com (

13يونيو-حزيران 2001

(2) صحيفة الحرية 16-11-2005م.

(3) صحيفة كوندم 14 أغسطس 2001م.

(4) صحيفة حريات 22-4-1998م.

(5) نشرت صحيفة "الزمان" التركية في عددها الصادر 27 نوفمبر 2006 اتهامات من رئيس الكتلة البرلمانية لحزب الشعب الجمهوري كمال أناضول لأردوغان بأنه "حتى وإن غير قميصه فإن القماش واحد" أي أنه مازال يحمل أفكاراً إسلامية ووصف فيها حزب العدالة والتنمية بالعصابة السياسية.

==============

#مسيحيو تركيا يفضلون حزب العدالة والتنمية

أكد الزعيم الروحي للأرمن الأتراك البطريرك "مسروب الثاني" الذي يقيم في إسطنبول أن معظم المسيحيين الأتراك سيصوتون لصالح حزب أردوغان خلال الانتخابات المقررة 22 يوليو المقبل، واعتبر مسروب خلال حواره مع مجلة "دير شبيجل" الألمانية الأسبوع الماضي حزب العدالة والتنمية أكثر اعتدالاً في تعامله مع الأقليات وأكثر إنصافاً للمسيحيين..

يذكر أن حزب العدالة والتنمية يحظى بشعبية كبيرة لدى الأقلية المسيحية في البلاد والتي تفضله على الأحزاب الأخرى الأكثر علمانية وقومية..

وفي سياق متصل يقول حنا بيبيك (76 عاماً) أحد الذين استطلعت "دير شبيجل" آراءهم: إن الحكومة قدمت الكثير لهم وتحظى بشعبية في أوساطهم لأنها تظهر لهم ولدينهم كل الاحترام. أما عميد القرية بيرك كارتون (45 عاماً) فرأى أن حزب العدالة والتنمية حاول أن يساعد الأقليات بينما اكتفت أحزاب أخرى بالكلام.

============

الجواب عن شبهات الداعون إلى علمانية العاصمة القومية

د. عبد الحي يوسف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فإن طرح الشبهات وإيراد المشكلات دأب أهل الضلالة من قديم، يفعلون ذلك صداً عن سبيل الله واستجابة لداعي الهوى في نفوسهم التي جبلت على الإعجاب بالرأي وإيثار العاجلة على الباقية، وفي القرآن الكريم نماذج لبعض تلك الشبهات التي طرحها المشركون الأولون على الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كقولهم: (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون)، وقولهم: (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون)، وقولهم: (أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسعر)، وقولهم: (أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء)، وجماع ذلك قول الله في القرآن: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)، قال أهل التفسير: نزلت الآية فيمن اعترضوا على تحريم الميتة بقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم: ما قتله الله حرام وما قتلته بيدك حلال؟ وقوله سبحانه: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)، وهم في هذا كله يدّعون أنهم أهل استقامة وسداد وأنهم يرومون الخير للناس: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).

وهاهنا نعرض لبعض هاتيك الشبهات التي يروِّج لها الداعون إلى علمانية العاصمة القومية:

[1] قولهم: إن في العاصمة ناساً يدينون بغير الإسلام وفي الحكم بالشريعة تضييق عليهم:

والجواب : أن وجود غير المسلمين في مجتمع يحكم بالإسلام ليس وليد اليوم، ولا هي مشكلة طارئة تحتاج إلى بحث، بل منذ أن بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن وقامت للإسلام دولة في المدينة، وغير المسلمين . من اليهود

وغيرهم . موجودون يعيشون بين ظهراني المسلمين ويمارسون شعائر دينهم؟ فما الجديد إذن؟ ومتى كان وجود الأقلية في أي مكان أو زمان يمنع الأغلبية من أن تطبق دينها؟ وهل عهد في تاريخ الإسلام كله إجبار غير المسلم على الدخول في الإسلام؟

يقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: "وكان يمكن أن تعمي فتوح العرب الأولى أبصارهم وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين ويكرهوهم على اعتناق دينهم الذي كانوا يرغبون في نشره في العالم، ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فقد أدرك الخلفاء السابقون . الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانات الجديدة . أن النظم والديانات ليست مما يفرض قسراً فعاملوا . كما رأينا . أهل سورية ومصر وإسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم نظمهم وقوانينهم ومعتقداتهم... فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم".

وغير المسلمين . تحت حكم الإسلام . في حمايةٍ من كل ظلم داخلي أو اعتداء خارجي، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه كنت أنا خصمه يوم القيامة))، بل إن الثابت . واقعاً وتاريخاً . أن المسلمين كانوا هم المتضررين من تطبيق غيرهم ما يحسبونه ديناً، حيث عانوا في القديم من محاكم التفتيش في الأندلس . وقد اعترف بذلك مفكرو الغرب ومؤرخوه . وفي التاريخ الحديث ما أمر البوسنة وكوسوفا عنا ببعيد؟ ونقول أيضاً: إن الالتزام بالتشريع الإسلامي لا يمس حقوق غير المسلمين؛ لأن الإسلام كفل لهم حرية الاعتقاد وتطبيق تشريعهم في الأحوال الشخصية، ومن المعلوم للكافة أن الإنجيل ليس فيه أحكام تشريعية في المسائل المدنية والتجارية، ولهذا يأخذ النصارى في كل دولة بتشريعها في هذا المجال، فضلاً عن ذلك فالقوانين الدولية قد تواترت على إقليمية التشريع في جميع التشريعات إلا في مسائل الأحوال الشخصية، وبمقتضى ذلك يخضع الشخص لقانون الإقليم الذي يعيش فيه.

ثم ماذا يضير النصارى أن تمنع الخمور ويحظر الفجور ويلغى الربا ويحارب البغاء؟ هل يزعم أحدهم أن ديناً نزل من السماء يبيح شيئاً من ذلك؟ اللهم لا. لكن منطق

الإستبداد الأرعن الذي تمارسه أمريكا على سائر الأمم هو الذي يحملها . ومن وراءها من الأذناب كحركة التمرد . على أن يحاولوا منع المسلمين من تطبيق شرائع دينهم تحت ذرائع شتى، والحال كما قال ربنا: (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء)، (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق)، لكن العجب العاجب هو أن يرضى بعض من ينتسب إلى الإسلام لنفسه أن يكون مروّجاً لمثل تلك الأباطيل، واضعاً في طريق سيادة الشريعة شتى العراقيل.

[2] قولهم: إن تطبيق الأحكام الشرعية يحرم العاصمة من مجيء السائحين، وترك الأحكام الشرعية يجعلها عاصمة جاذبة:

والجواب: أن العقلاء وأهل المروءة متفقون على أن الغاية لا تبرر الوسيلة وأن ما عند الله لا يطلب بمعصيته، وقد قال العرب الأوّلون: "تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها". ثم من الذي يقول: إن العاصمة لا تكون جاذبة إلا إذا أبيح فيها الحرام؟ لو أنصفوا لقالوا: إن الواجب علينا أن نرعى الأخلاق، ونحفظ حدود الله من أن تضيّع فنحلّ الحلال ونحرّم الحرام؛ حتى يأتي إلينا السائحون الملتزمون وهم آمنون على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، ولو أنصفوا لقالوا: إن الواجب أن تتضافر الجهود لترقية الخدمات وتأمين الماء والكهرباء، وتعبيد الطرق وتوسعة المطارات وتجميل المسارات وإنارة الشوارع حتى تكون الخرطوم عاصمة جاذبة، بدلاً من الدعوة إلى العلمانية المنكرة التي تبيح ما حرم الله فنكون ممن لم يحفظ ديناً ولم يصلح دنيا، (وشر الناس من خسر الدنيا والآخرة)، ونذكّر أنفسنا وهؤلاء بقول الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء)، وبقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ولا يحملنكم طلب الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله))، ومن التاريخ القريب يعلم المنصفون أن الخرطوم كانت يوماً ما . بوجهها الشائه وخدماتها المتردية . عاصمة الموبقات المهلكات فهل جذب ذلك السائحين إليها؟ أو فتح أبواب الرزق عليها؟ اللهم لا هذا ولا ذاك. لكن..

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

ثم ألا يعتبر هؤلاء بحال أمم سارت في ذات الدرب فلم تحصد إلا المرّ والعلقم، فلا أزماتها الاقتصادية حلّت، ولا وحدتها الوطنية حققت، ولا مشاكلها الأمنية زالت، بل زادت، (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى).

[3] قولهم: إن الاستمساك بهذا الأمر ـ أي تطبيق الشريعة في العاصمة ـ يفوّت فرصة تحقيق السلام الذي بات وشيكاً بزعمهم:

والجواب : أن أهل الإسلام مجمعون على أن حفظ الدين مقدّم على حفظ النفوس والأعراض والأموال والعقول؛ وعليه فلو كان السلام في مقابل التنازل عن أحكام الله عز وجل فنقول: لا حيّاه الله ولا سقاه ولا مرحباً به ولا أهلاً، وحسبنا أن نذكّر أنفسنا؛ لتكف عن طاعة المبطلين، بتلك الدماء الزكية التي نزفت على أرض الجنوب والشرق لتكون كلمة الله هي العليا، فهل كان ذلك ليأتي آتٍ بعد زمان قريب ليقول: لابأس بالتنازل عن الشريعة في العاصمة من أجل تحقيق السلام، ولو أن امرءاً رضي لنفسه أن يتنازل عن دينه لينال سلاماً متوهماً؛ فلن يبالي بعد ذلك بالتنازل عن عرضه، ومن تتبع تاريخ المتمردين وزعيمهم في نقض العهود ازداد يقيناً بقول الله في القرآن: (أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون)، وبقوله سبحانه: (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة وأولئك هم المعتدون)، ومن أعطى الدنية في دينه فرضي بتغييب الشريعة في العاصمة اليوم فسيرضى بتغييبها في غيرها غداً.

[4] قولهم: إن علمانية العاصمة علاج للأوضاع وحماية لها من التعصب الديني:

والجواب : هو أن العلمانية ما كانت في يومٍ من الأيام علاجاً للتعصب الديني أو الطائفي أو العرقي، ومن كان في شك من ذلك فليرجع إلى تاريخ بلاد ارتضت العلمانية مبدأً ومنهجاً من قديم . كالهند ولبنان وتركيا . هل حالت العلمانية دون قيام مذابح الهندوس ضد المسلمين في الهند؟ أم حالت دون قيام الحرب الأهلية التي استمرت سنين عدداً في لبنان؟ أم حالت دون اضطهاد الأكراد في تركيا؟ والتاريخ شاهد بأن حرب الجنوب قامت قبل أن تطبق الشريعة سواء في ذلك التمرد الأول أو

الثاني، بل إننا نقول إن المسلمين هم الخاسرون من تطبيق هذا المبدأ الفاسد حيث عهدنا في أكثر البلاد علمانية ـ كفرنسا مثلاً ـ أن تمنع الفتاة المسلمة من ارتداء حجابها في المدرسة، وفي تركيا تمنع نائبة في البرلمان من الدخول إليه إلا بعد خلع حجابها فأين العلمانية هنا؟ إن علاج التعصب لا يكون إلا بنشر الوعي وبث العلم وتربية الناس على فن الحوار مع الغير واحترام النظام وأدب الكلام، ولا أنفع ولا أطيب ولا أحسن من هدي القرآن في ذلك، (وجادلهم بالتي هي أحسن)، (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، (لا إكراه في الدين)، (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، ولو أنصفوا لقالوا: إن العلاج يكمن في إعطاء كل ذي حق حقه، ورفع الظلم وبسط العدل بتطبيق الشريعة.

[5] قولهم: إن العلمانية هي المبدأ السائد الذي يحكم العالم الإسلامي كله، وما ينبغي أن نكون نشازاً بين الناس:

والجواب : أنه قد أجمع علماء المسلمين من قديم على أن الشريعة حاكمة على جميع أفعال المكلفين، وأنها حجة عليهم لا العكس، وقد قال الله عز وجل في القرآن: (قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث)، (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)، وقال: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله)، وقال: (وإن كثيراً من الناس لفاسقون)، (وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم)، وأخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإسلام ستنقض عراه عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة، وأخبرنا أن الكتاب والسلطان سيفترقان وأمرنا ألاّ نفارق الكتاب، ثم أي عقل هذا الذي يحكم على المكلّف بأن يدع تعاليم دينه ويهمل شريعة ربه ويكون إمعة لأن الناس أو أكثرهم فعلوا ذلك؟ وقد علم الناس أجمعون أن العلمانية ما حكمت العالم الإسلامي برضى المسلمين ولا مشورتهم، بل فرضت بقوة الحديد والنار عن طريق الانقلابات العسكرية التي قام بها أذناب المستعمر ومن ثم مارسوا التضييق على الدعوة وأهلها، وعمدوا إلى تغييب الدين عن حياة المسلمين، ومنذ أن طبقت ما عرف المسلمون تقدماً ولا رقياً بل إن أعرق البلاد المسلمة علمانية ـ وهي تركيا ـ صار همُّ ساستها

اللهاث خلف أوروبا، والتوسل من أجل أن يمنحوا عضوية في الاتحاد الأوروبي، وفشلوا في ذلك رغم قول قائلهم من قديم: "لا بد أن نأخذ بحضارة الأوروبيين حتى النجاسات التي في أمعائهم والأوبئة التي في أكبادهم".

[6] قولهم: إن الدين لله والوطن للجميع، فلا بد أن يتساوى الجميع في الحقوق والواجبات:

نقول: بل الدين لله، والوطن لله، والحكم لله، والخلق عباد الله، (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)، وماذا يضير غير المسلمين في أن تحكم الأغلبية بشريعتها وترجع إلى أحكام دينها في الأمر كله؟ ثم ماذا لو حدث العكس وكان المسلمون هم الأقلية هل كان يقبل منهم أن يطلبوا إلى الأكثرية التنازل عن هويتهم ومقدساتهم طلباً لمرضاتهم؟ وهاهم المسلمون يعيشون في البلاد الكافرة . في أوروبا وأمريكا . ويخضعون لأنظمة وتشريعات تتعارض مع بدهيات دينهم، ولا يجرؤون على المطالبة بتغييرها أو تعديلها، ولو فعلوا لقيل لهم: هذا هو حكم الأغلبية، إنه لا يقبل شرعاً ولا عرفاً بل ولا ديمقراطياً . وهم أكثر الناس تشدقاً بالدعوة إليها . أن تتخلى الأغلبية عن هويتها ومقدساتها وحضارتها طلباً لمرضاة الأقلية، لا سيما إذا كانت هذه المقدسات لا مساس لها بالحقوق الأساسية المشروعة لهذه الأقليات. ثم لماذا يتخلى القوم عن علمانيتهم القاضية بأن القانون الحاكم يجب أن يكون نابعاً مما ترتضيه الأغلبية؟

[7] قولهم: إننا متدينون نصلي ونصوم ومع ذلك نعتقد أن العلمانية هي العلاج الناجع والدواء الشافي:

نقول: إن العبادات والتشريعات وأحكام المعاملات من عند الله ولا يد فيها للبشر، والإسلام كل لا يتجزأ، فليس مسلماً من قال: أصلي على نظام الإسلام وأتخذ منهجاً سياسياً على نظام ميكافيللي، ونظاماً اقتصادياً ماركسياً، كيف يكون الشخص متديناً وهو يرفض حكم الله وحكم رسوله، وصريح القرآن يقول: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)، ويقول: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)، وهذا الفهم المغلوط للتدين هو

الذي حمل بعضهم على أن يحج ويعتمر وينتسب إلى بيوتات دينية، ثم لا يبالي بالجلوس على مائدة يدار فيها الخمر أو يراقص الفتيات؛ لأن التدين في فهمه الكاذب الخاطئ قاصر على جانب الشعائر وحدها ولا علاقة له بمعتقد أو سلوك.

[8] قولهم: إن في تطبيق العلمانية ضماناً لعدم استغلال الدين في أغراض سياسية:

ولغرابة هذه الشبهة فإننا نستعمل معهم الدَّوْر فنقول: علينا ألا نطبق العلمانية لنضمن ألا تستغل في أغراض سياسية، وإن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت. هل يعقل أن يمنع المسلمون من تطبيق أحكام دينهم بدعوى عدم استغلاله، ثم يجبرون على نظام مستورد يخالف دينهم وعقيدتهم بل يخالف رغبتهم واختيارهم؟ ما لكم كيف تحكمون؟ أم لكم كتاب فيه تدرسون؟ إن لكم فيه لما تخيرون.

إن العلمانية ضد الدين لأنها لا تقبل التعايش معه كما أنزله الله بل تريد إقصاءه عن الحياة وحصره في زاوية ضيقة منها، إنها ضد الدين لأنها تريد أن تأخذ منه ما يوافق هواها وتعرض عما يخالفه، ولأنها تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض، (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)، إنها ضد الدين لأنها تتعالم على الله عز وجل وتقول له: نحن أعلم منك بما يصلح للناس والقوانين الوضعية أهدى سبيلاً من حكمك.

إن العلمانية ضد إرادة الشعب في السودان كما أنها ضد إرادة المسلمين الذين رضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً، والقاعدة العريضة من مثقفي الأمة . الذين هم أنضج وعياً وأزكى خلقاً وأقوى إرادة . لا يبغون غير الله حكماً ودينه شرعاً.

[9] قولهم: إن الشريعة الإسلامية لا يمكن أن تستوعب ملايين القضايا والمشاكل الإنسانية المعقدة، أو أن تقدم حلولاً جاهزة لكل ما يستجد على مسرح الحياة:

والجواب: أن هذا التصور قائم على أساس أن الدين ثابت لا يتغير, وأن الحياة في تغير دائم، وأن الحكم بالأسلام من شأنه إلغاء كل اجتهادات البشر وتجاربهم، وإبطال كل عرف واجتهاد لم يرد من القرآن والسنة، وهذا تصور قد حكم الإسلام بفساده، فقد شرع الله تعالى للناس قواعد عامة للأمور التي حرمها الله وأمرنا

باجتنابها، وأرشدنا أن ما سكت الله عنه فلم يبينه فهو مباح، لنا أن نجتهد فيه في حدود هذه القواعد العامة أي بما لا يحل حراماً. قال الله تعالى: (وقد فصّل لكم ما حرم عليكم)، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سكت عن أمور رحمة بنا غير نسيان، وقال صلى الله عليه وسلم: ((أنتم أعلم بشئون دنياكم)).

فأمور المعاملات في جوانبها المختلفة من مدنية وجنائية ودستورية منها ما هو ثابت محكم، ومنها ما هو متجدد مرن، فالأسس والقواعد الكلية التي تشكل الإطار العام تتسم بالثبات والإحكام، وهي تلك التي جاءت بها الأدلة القطعية ثبوتاً ودلالة، ولا مجال فيها لتعدد الأفهام وتفاوت الاجتهادات، والفروع الجزئية والتفاصيل المتعلقة بالكيفيات والإجراءات ونحوها تتسم في أغلبها بالمرونة والتجدد، ويكفينا قول الله عز وجل: (والله يعلم وأنتم لا تعلمون).

إن المشكلة لا تكمن في وفاء الشريعة بحاجات الإنسان ومصالحه الحقيقة، ولكنها تكمن في كبحها لجماح الأهواء، ووقوف أحكامها عقبة في وجه دعاة العربدة والتحلل، إن أهل الفجور يتهمون الشريعة بالجمود لامحالة؛ لأنها لا تساير ما في نفوسهم من الشهوات والأهواء. فلا تبيح لهم الخمر ولا الرقص المختلط، ولا الردة ولا التبعية لكفار الأرض، ولا ترويج بضاعة المستشرقين باسم الفكر الإسلامي ولا تزييف التاريخ باسم حرية البحث، هذه هي المشكلة حقاً.

المصدر : شبكة المشكاة الإسلام

==============

#العلمانية إلى أين ؟

محمد جلال القصاص

في استطلاع للرأي أجري في أمريكا قبل الإنتخابات الأخيرة بثلاثة أشهر تقريبا وجد أن 70 % من الأمريكيين المسجلين على قائمة اللوائح الانتخابية الأمريكية قالوا : إن الرئيس الأمريكي المقبل يجب أن يحدد سياسته بناءا على قناعات دينية (المجتمع العدد 1627 ص 28) .

وفي الانتخابات الأخيرة رأينا عقد ما يشبه المؤتمرات الانتخابية في الكنائس ، وتصويت جماعي من المنظمات الدينية لجورج بوش .

ولم يستطع كيري الثبات على خطابه العلماني الذي ابتدأ به حملته الانتخابية فأخذ هو الآخر يتلو ما يحفظه من وصايا (الرب) ويزور الكنائس .ورأينا المناظرات الأمريكية بين المرشحين تنتهي بدعوات مثل " فليحمِ الرب أمريكا " .
نعم اختيار الشعب الأمريكي بوش تعبير واضح عن صحوة دينية لدى الشعب الأمريكي .
والأمر ليس خاص بأمريكا وحدها وإنما بكل عباد الصليب وفقط أشير اشارات إلى مظاهر هذه الصحوة.
على المستوى الرسمي (الحكومات) .
في فرنسا التي تتشدق بالعدل مُنع الحجاب في المدارس والجامعات ، وبريطانيا جنبا إلى جنب مع أمريكا . والأمر لا يتعلق بشخص "بلير " كما يحلو للبعض أن يصوره . بل بمن اختار بلير فترتين متتاليتين ومن سكت عليه أعني الشعب بعد كل ما اقترف فهذا كله تعبير واضح عن وجه الشعب البريطاني المعادي للإسلام .. وأوروبات جميعها لا تريد تركيا . وهي بعلمانيتها كما هي . فقط لكونها تحمل الهوية الإسلامية تاريخيا. أقول :وجه أوروبا الصليبي لا يخفى على أحد ولكنه متوارى خلف السيطرة الأمريكية , وإلا فأين أوروبا مما يحدث للعالم الاسلامي ومصالحها مرتبطة به ؟! .
وانحسار العلمانية على مستوى الأفراد والمؤسسات الأهلية أوضح :
فقد رأينا الدبابات الأمريكية على أبواب الفلوجة ترفع الصليب ، ومعها الرهبان والحاخامات .
ومن قبل رأينا قطعان المنصرين وهي تقف خلف الجيش الأمريكي تنتظر إرهاب هذا الشعب وتجويعه لتقوم بتنصيره .
ومن يقرأ عن التنصير المنتشر كالجراد في بقاع العالم الإسلامي التى تعاني من الفقر وما يصرف عليه وما تقدمه دول الغرب من تسهيلات لهؤلاء الضالين المضلين يعلم أن الأمر ليس عملا فرديا أو محدودا بل توجه عام لدى هذه الأمم ورغبة جاده في هدم كيان الإسلام " والله متم نوره ولو كره الكافرون "

بل ومِن قراءة أولية لنجاح بوش في الانتخابات الأخيرة يتبين أن الشعب الأمريكي اختار بوش الصغير وهو يعرف تماما توجهه الديني المتشدد ، وأنه يتجه إلى تقليص حريتهم المزعومة بموقفه السلبي من الشواذ وموقفه الداعم للتعليم الدين (المسيحي) في المدارس وموقفه الإيجابي من الإعدام ، اختار الشعب الأمريكي بوش الصغير ولم يلتفت إلى ما حلَّ به من مصيبة إقتصادية حيث تحول فائض الموازنة في عهد كلينتون من 463 مليار دولار تقريبا إلى عجز بلغ 1200 مليار دولار في آخر فترة بوش الأولى . ولم يتأثر الشعب الأمريكي بارتفاع أسعار النفط وزيادة معدل البطالة ، نعم اختاره وهو يعلم تماما أنه يرفع حربا صليبية على الإرهاب . الذي لا يعني في حس الشعب الامريكي إلا الإسلام . .

ولا يقول أحد أن بوش لم يأخذ إلا ما يزيد عن النصف قليلا من أصوات الشعب الأمريكي . فلم يكن الشعب يختار بين ضدين (بوش وكيري) بل متماثلين يختلفان في الوسائل لا الأهداف . وهم اختاروا الأشد .

وليس يجدي ما يذهب إليه البعض من تبرئة الشعب الأمريكي والشعوب الغربية عموما بدعوى أن هذا كله بسبب التضليل الذي تمارسه القيادة عليهم من نقل صورة مشوهة لهم عن الإسلام وأهله .

أقول : هذا تفسير وليس تبرير , فالحال هكذا منذ كانت الدنيا . والقرآن يخبرنا بأن الملأ الذين استكبروا يمكرون على شعوبهم "...قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا ..." " قالوا إنكم كنتم تتأتوننا عن اليمين ", وجهنم تجمع الصنفين . ولا ييظلم ربك أحدا.

وما يعنيني في هذا التقرير هو أن المد الديني عند النصارى في كل بقاع العالم يتزايد مما يشي بأن طور العلمانية قد آذن بالانتهاء وأن الصراع قد بدأ يعود عَقَدِيًّا كما كان .

هذا على صعيد النصارى .

وغني عن القول أن اليهود تُحركهم معتقدات توراتية وأنهم ما جاؤا لفلسطين إلا لتحقيق نبوءات توراتية يشهد لذلك عَلَمُهم ذو .الخطين الأخضرين.(النيل والفرات) , وخارطة إسرائيل الكبرى على الكنيست (الإسرائيلي) والعملة اليهودية تشهد بذلك .

ومشكلة المشاكل التي استعصت على الحل طوال قرن أو يزيد من الزمان أعني الشرق الأوسط لاتعني عند اليهود والأمريكان إلا (إسرائيل الكبرى) ... (مملكة الرب) التي عاصمتها القس وحدودها النيل والفرات وأجزائها التي لا تتجزأ منها القدس والطور(طور سيناء)، وكل اليهود على قولة واحدة وهي : أنه لابد من (مملكة الرب .. إسرائيل الكبرى) . ويشاركهم في هذا الإنجليين من النصارى بوش ومن معه ، وعند الشيخ الدكتور عبد العزيزمصطفى كامل في كتاب (حمى سنة 2000) ما ينِّور العقول ويشرح الصدور لمن أراد أن يستيقن أو يستزيد .

أما المسلمون فـ (الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة).والملاحظ أن المد الدعوي يتزايد يوما بعد يوم ، فالقومية العربية رحلت ودارت عليها عجلة الأيام ، وها هي ذا الأجيال الناشئة تلعنها بعد أن أضاعت المقدسات وأهدرت الثروات ولم تنتصر على عدو قط ؛ بل لم يكن لها عدو إلا أبناء أمتها ممن قالوا ربنا الله .فاليوم بعد أن خزلت العراق (الشقيق) ووضعت يدها في يد اليهود ولم تعد تشجب مايحدث بمجرد الكلمات وبعد وقوفها في صف من كانوا أعدائها حربا على أبناء دينها وبعد أن أفلس منظريهم ولم يعد عندهم مشاريع فكرية جديده يضحكون بها على العوام لم تعد تثق فيهم الجماهير ولا فيمن ينتسب إليهم من علماء الدين (الرسميين) ،. وبدأت الجماهير تنفض أيديها منهم وتصغي إلى الخطاب الإسلامي .

فالعلمانية في الأمة الإسلامية شدت رحالها ، ولم يعد إلا إرهاب السلطان وعربدة الأقلام التي تحتمي بحمى القانون . كل هذا جعلني أقول : أن طور العلمانية في طريقه للأفول ، وأنها ستعود كما بدأت .. إيمان وكفر .

===============

 # ولن يرضى عنك العلمانيون حتى ...

د.سعد بن عبدالله البريك

حتى تطالب بعزل الدين عن كثير من شؤون الحياة ، وحتى تتبرَّم من " سيادة الشريعة " منددأ بصوت جهوري " إلى متى يبقى المجتمع خاضعاً للونٍ واحد ولفكرٍ واحد" ، "أين التعددية "؟.

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تعمل على " كسر الثوابت " و" خلخلة المسلَّمات " ، بـ " حرية الرأي " واحترام " الرأي والرأي الآخر " لتوجِد لنفسك أرضية تستطيع الانطلاق منها ما دام رأيك نقيض الشريعة .

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تقبل التعامل بمصطلحاتهم ولا تطالب بتحديد مقاصدها ، ولك بهذا أن تمرَر تحت " حرية الرأي " و" قبول الرأي الآخر "كل ما يخالف الشريعة .

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تهاجِم الدعوة إلى الله باستمرار وتحاول أن توهم الناس أن " الدين هو سبب تخلفهم وانحطاطهم "، ولا بد من نبذه ظهرياً للسير في ركب الحضارة والتقدم .

ولأجل ذلك لا بد أن تحسن " استغلال الأحداث" وأن تعرف " من أين تؤكل الكتف " وأن تكون صياداً ماهراً لتتمكن من " الاصطياد في الماء العكر " فإذا قام أهل الضلال والانحراف بأعمال تفجير أو قتل ، عليك استغلال هذه الحادثة لمهاجمة حلقات ومدارس تحفيظ القرآن ومكاتب الدعوة وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأنها سبب ذلك وأنها " تزرع وتُفرَخ الإرهاب " في رؤوس رُوَادِها .

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تهاجِم العلماء بأنهم " علماء السلطان" و"لا مصداقية لهم" ، وأنهم في "أبراجهم العاجية" لا يعيشون نبض المجتمع ولا يتفاعلون مع مشكلاته ، وحتى تزرع إسفين الفُرقة بينهم وبين الدعاة بتصوير هؤلاء الدعاة أنهم دعاة تطرف وفتنة وخروج على ولاة الأمر ، فإذا زرعتَ هذا الإسفين بينهم ؛ اختلفوا وتنافروا وسقطوا من أعين الناس ، وحينئذ تستطيع اصطياد العامة والبسطاء من الناس .

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى يكون ولاؤك وحبك للغرب وحضارته بعُجَرها وبُجَرها ، وحتى تنافِح ما استطعت عنها ، وتعمل على تسويق قيمها ومُثُلِها ، وإن لم يبادلك الغربيون الشعور بالحب لك أو السعي لتسويق قيم ومفاهيم حضارتك وثقافتك ، وعليك المحافظةُ على هذا الولاء حتى ولو "شتموا دينك" و"أهانوا قرآنك" و"قتلوا بني جلدتك" و"اغتصبوا النساء" و"احتلوا الديار" و"نهبوا الثروات" ، وليكن "تحريك الشهوات وإثارة الغرائز " سلاحك الماضي لتسويق التغريب ، وإذا ترافق مع هذا

السلاح تهميش الدين من الأنفس وانتقاص العلماء والدعاة ، سهُل عليك إيقاع الناس في فخ "التغريب" .

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تكون دائم التأهب والترقب فإذا بان من عوار الغرب شيء ، فعليك أن تبادر إلى ستره وتغطيته ، حتى ولو " سَبَّ نبيك صلى الله عليه وسلم واستهزأ به " وَوصفَه بأشنع الأوصاف ، لأن " العالمية " تقتضي منك أن تتجاوز الإقليمية والصراعات الدينية.

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تُغْفِلَ قضايا المسلمين الأساسية والمِلِحَّة ، وتعمل على تهميشها إلى أقصى حد ممكن ، لأن في تفعيلها إيقاظا للناس.

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تهاجِم المناهج مدعياً أنها " تربي الطلاب على الإرهاب " ، وأنها " تحشو ذهنه بما لا فائدة منه ". وإذا كان لديك إلمام جيد بإحدى اللغات الغربية ، قُمْ بترجمة مقاطع من هذه المناهج وأرسلها إلى الدوائر المعنية هناك ، لإقناعهم بأن مناهجنا "تؤسس الكراهية ضد الآخر ". وليكن تركيزك على مناهج بلادك ولا تتطرق لغيرها، حتى مناهج اليهود التي تنضح بالعنصرية والكراهية والدموية ، لا تقرَبْها لأن ذلك لا يخدم مخطط "التغريب ".

ولن يرضى عنك العلمانيون حتى تعلم أن كلمة السر للفوز بمحبة القوم هي "المرأة " فاعمل على تسخير قلمك للنيل من حجابها موهماً أنه " تقييد لحريتها" ، وأنه " كفن أسود أجبرت عليه وهي لا تزال على قيد الحياة " ، وعليك أن تدندن حول " حقوقها المهضومة " ، سيما حقها في العمل السياسي وغيره وحقها في عدم الانفصال عن "النصف الآخر " . الرجال . وحقها في أن تكون حرة في كشف ما تشاء من جسدها . وعليك أن تتجاهل عمداً حقوقها المشروعة كحقها في الحياة الكريمة وحقها في الحصول على ما أوجب الله لها من الإرث ، وحقها في الزواج ممن تختار دون إكراه ، وحقها في مالها دون أن يسطو عليه أحد ، واحذر من إثارة هذه المشاكل لأن ذلك يهمش القضايا التي يدندنون حولها ويفسد دعوى " تحرير المرأة ".

وختاماً حتى يرضى عنك العلمانيون ، لا تحرج "أمريكا في الكيل بمكيالين "ولا تتحدث عن " مفاعل ديمونة " ولا تسكت عن نزع السلاح النووي في المنطقة ولا تذكر أسرى "غوانتانامو" ولا تتحدث عن الاضطهاد والاغتصاب والتعذيب في "أبو

غريب " ولا تفتح صفحة العذاب المنسية في أفغانستان ، وكن حذراً قوي الشك من كل من رفع رأسه بالسنة وحفِظَ سمتَهُ في الالتزام بها .

هذه هي " الخلطة السحرية " الكفيلة بجعلك محبوباً عند دعاة التغريب، وعلى قَدْرِ مهارتك في تحضير هذه الخلطة يكون نصيبك من الود والقُرْب.

وإذا فعلت هذا كله أحبك كل منافق شرح بالكفر صدراً ، وجهر بالدعوة إلى هدم المكتسبات جهراً ، وأبرم مع الأعداء في السر أمراً ، ولاكَ لسانه في المصلحين كذباً ومكراً ، وتقرب بدعوى النصح سوءاً وغدراً .

والمسكين من صدَّق وعودهم أو وثق بهم أو ركن إليهم فَمَثُلاتِهِم في رفاقهم معلومة ، ومن حمل الأفاعي في مَزَّادته فلا يعجبنَّ مِن غرائب سُمَهَا

============

#في عهد ساركوزي..مسلمو فرنسا.. والتخوفات المشروعة

ساكوزي

يعاني مسلمو فرنسا من تهميش مزمن من قبل الحكومات الفرنسية منذ قدوم أوائل المهاجرين إلى البلد الذي يربض فيه تمثال الحرية، واستمر التهميش الذي لم يظهر للعلن على هذا المنوال حتى الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م..

ومع الحرب الأمريكية على ما يسمى "الإرهاب" والتي دعمتها بعض الدول الأوروبية، جعل الأمر يزداد سوءاً، والهوة تتزايد بين مسلمي فرنسا سواء كانوا من المهاجرين أو ممن دخلوا في الإسلام من الفرنسيين الأصليين وبين بقية المجتمع الفرنسي، فضلاً عن الحكومة.

وقد حاولت الحكومات المتعاقبة دمج المسلمين الفرنسيين في المجتمع الفرنسي بالقوة، بذريعة الخوف على العلمانية الفرنسية، دون دراسة علمية لواقع المسلمين والعمل على حل مشاكلهم.

وقد ازدادت الحملات تجاههم إلى أن ظهرت الأزمة التي يعانونها على السطح منذ ما عرف بشغب الضواحي عام 2005م، حين قام المئات من شباب الضواحي ومعظمهم من المسلمين من أصول عربية بإحراق مئات السيارات، احتجاجاً على التهميش الذي يعانونه داخل المجتمع الفرنسي.

ضعف الفعالية السياسية

وعلى الرغم مما يقدره الباحث والناشط الإسلامي الفرنسي "غازي وهبي" بأن هناك 4 ملايين مسلم يحملون الجنسية الفرنسية من بينهم نحو مليونين لهم حق التصويت نظراً لبلوغهم السن القانونية، علماً بأن إجمالي أعداد الناخبين الفرنسيين يبلغ 44.7 مليون ناخب، أي أن الصوت المسلم يمثل نحو 3 % من إجمالي حجم الأصوات، إلا أن حجمهم في التأثير على السياسة الفرنسية سواء تجاه مصالحهم بالداخل أو تجاه البلدان الإسلامية التي ينحدرون منها أقل بكثير من حجمهم الانتخابي..

ويعود ذلك لعدة أسباب منها، أن نسبة كبيرة منهم تعاني من الفقر والبطالة، والغالبية منهم تشتغل في أعمال غير ذي أهمية، فضلاً عن أنهم يسكنون في الضواحي الفقيرة على شكل "كانتونات" كالتي كان يعيش فيها اليهود داخل أوروبا قبل الحرب العالمية، كما أنهم لا ينحدرون من مجتمع واحد؛ على الرغم من الثقافة الإسلامية التي تجمعهم جميعاً تحت سقفها.

وبالتالي فإن بعض المشاكل التي يعانونها هي بدورها ناشئة أصلاً عن مشاكل أخرى سواء منها، داخلية تعود إما لإهمال المسلمين لمصالحهم أصلاً أو لإهمال الدولة الفرنسية لهم، أو خارجية ليس لهم فيها ناقة ولا جمل، حيث يحمل المجتمع الفرنسي فضلاً عن حكومته الجالية المسلمة أخطاء وتبعات بعض الحركات الإسلامية، الأمر الذي يصعب اندماج المسلمين في المجتمع الفرنسي، بسبب التمييز العنصري والديني وللصورة المشوهة التي تشكلها وسائل الإعلام الغربية في ذهن المواطن الفرنسي عن الدين الإسلامي والشعوب المسلمة.

إلا أن السبب الأكثر حضوراً وأهمية في الحالة الصعبة التي يعيشها مسلمو فرنسا يعود للافتقار لرؤية موحدة تجمعهم في التعامل مع الحكومات الفرنسية المتعاقبة، على الرغم من أن المسلمين حاولوا في الآونة الأخيرة، الانتظام في جمعيات على شكل لوبي، بعد أن بدأت الجمعيات الإسلامية تشجعهم على ذلك، إلا أن الحكومة الفرنسية أجهضت هذا المشروع، عبر سلسلة من الإجراءات التي حالت دون ذلك حتى الآن.

والسبب في هذه الهوة بين التقديرات الرسمية وتقديرات المنظمات الإسلامية أن إجراء التعداد السكاني على أساس ديني أو عرقي محظور قانوناً في فرنسا.

ويرجح الباحث والناشط الإسلامي الفرنسي "غازي وهبي" عدد مسلمي فرنسا حالياً ما بين 8 و10 ملايين مسلم من مختلف الجنسيات المغاربية والإفريقية والآسيوية والأوروبية، فضلاً عن ذوي الأصول الفرنسية؛ حيث يشكلون حوالي 10% من عدد سكان فرنسا.

غموض مستقبل المسلمين

لا يمكننا الجزم بالطريقة التي سيتعامل بها الرئيس الفرنسي الجديد "نيكولا ساركوزي" مع مسلمي فرنسا، خصوصاً بعد تلك التطمينات التي أطلقها عقب فوزه بأنه سيكون رئيساً لكل فرنسا، إلا أن شغله لمنصب وزير الداخلية سابقاً وعدم التفريق بين عصاه وجزرته في التعامل مع سكان الضواحي ألقت بثقلها حول المستقبل الذي ينتظر هؤلاء.

"فساركوزي" الذي وصف هؤلاء يوماً ب"الحثالة" لم يرد عنه خلال الفترات التي شغلها في وزارته أي تصريح يطمئن تجاه المسلمين.

"الفرنسة" قسراً

لقد مارس "ساركوزي" سياسة تطبيع المسلمين الفرنسيين بالقيم الفرنسية العلمانية قسراً، وقد تمثل ذلك بإنشاء "المجلس

الفرنسي للديانة الإسلامية" عام 2002م، ليكون بمثابة هيئة رسمية للجالية المسلمة، ويختص المجلس برسم السياسة الاجتماعية للمسلمين، وبالتالي يعمل على قطع أي علاقة لهم بالبلاد التي هاجروا منها مع فرض قوانين عديدة عليهم، منها عدم السماح لهم بقبول أموال لمؤسساتهم الاجتماعية من دول المولد، فضلاً عن حق تعيين أئمة لمساجدهم، من الموظفين الحكوميين، والذين يعتنقون الأفكار العلمانية، مع فرض الرقابة الشديدة على خطب ونشاطات المساجد المنتشرة في أرجاء فرنسا؛ بل قام بطرد 21 من أئمة المساجد الفرنسية بتهمة التحريض الطائفي أو معاداة السامية.

وبداعي الحرص على علمانية فرنسا كان "ساركوزي" من أصحاب مشروع قانون حظر الحجاب في المؤسسات الفرنسية.

مواقف عدائية ضد المسلمين

ولم يدخر ساركوزي جهداً في انتقاد المسلمين، وجاءت تصريحاته الأخيرة على القناة الفرنسية الأولى مثالاً على سلوكه تجاههم، حيث قال "في فرنسا لا نذبح الخراف في حوض الحمام"، متهماً المسلمين بذبح خراف الأضاحي في منازلهم.

كما بدا متحدياً لمشاعر 6 ملايين مسلم فرنسي حين ساند مجلة "شارلي إيبدو"، في الدعوى المقامة ضدها من منظمتين إسلاميتين بسبب إعادة نشرها للرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للرسول [بحجة حرية إبداء الرأي، بل حث الرئيس جاك شيراك للتفكير بتقديم مشروع لسن قانون لمواجهة الإرهاب الإسلامي القادم من الشرق.

ساركوزي الذي لا يجد غضاضة في التعبير عن قلقه على أوروبا من "الغزو الإسلامي الديموجرافي" لها، مردداً مع البابا الحالي أن أوروبا بلد مسيحي، ولا مكان لتركيا فيها، أظهر عداءه للمهاجرين العرب والأفارقة وقربه من الجالية اليهودية التي منحته جمعيتها الرئيسة لقب الرجل السياسي لعام 2006م، مكافأة له على تصريحاته في تل أبيب والتي قال فيها "التعاون المستمر إلى الآن بين أجهزتنا الإستخباراتية، وبين دولتينا بدأ منذ عام 1956م، حينما اشتركت قواتنا في معركة استرداد قناة السويس من نظام جمال عبدالناصر.."

وكذلك أبدى تفهمه لبناء الجدار العازل واعتبار حزب الله وحماس منظمات "إرهابية"، الأمر الذي دفع جريدة "ليبراسيون" الفرنسية في عددها يوم الإثنين 2006/12/4م إلى القول بأن "ساركوزي هو مرشح يهود فرنسا بلا منازع".. هذا فضلاً عن الدعم اليهودي العالمي له.

وكان ساركوزي المعروف بقربه من "إسرائيل" ربما بدافع الانتماء الديني لها، برر جدار الفصل العنصري التي تشيده "إسرائيل" خلال حديثه لجريدة "ماجازين" الفرنسية، حين قال "أنا أميّز بين إنشاء جدار الفصل من جهة وخط سيره من جهة أخرى.. أمنياً ساعد الجدار على خفض عدد الهجمات "الإرهابية" ضدّ "إسرائيل".

عداء ساركوزي للأجانب

إذا كان "ساركوزي" تعهد حين كان وزيراً للداخلية بأن يطهر بخراطيم المياه شوارع فرنسا من سكان الضواحي من المهاجرين من حاملي الجنسية الفرنسية، فقد كان أكثر صراحة بخصوص المهاجرين غير الشرعيين أو الذين لم يحصلوا بعد على الجنسية الفرنسية، حيث صرح أكثر من مرة بأن فرنسا ليست بلداً لتستقبل تُعساء العالم في إشارة إلى أوضاع المهاجرين على أراضيها.

هذه التصريحات ل"ساركوزي" أقلقت المحلل السياسي الفرنسي "ميشيل شنايدر" من انزلاق الأحياء المهمشة التي تعرف نوعاً من الاضطراب جراء واقعها الاقتصادي والاجتماعي ل"حرب أهلية" خفية وغير معلنة إذا لم تتغير سياسات ساركوزي السابقة تجاههم.

أمّا "هيثم المناع" الناطق باسم اللجنة العربية لحقوق الإنسان فقد توقع تراجع حقوق الإنسان في عهد نيكولا ساركوزي، خصوصاً أنه الرئيس المنتخب الوحيد من بين بقية المرشحين الذي رفض الإجابة على استمارة الاستجواب التي تقدمها قبل الانتخابات الرابطة الفرنسية لحقوق الإنسان، وهو تقليد متبع منذ عام 1981م.>

================

الإعلام الفضائي العربي: "العلمانية في قعر ديارنا"!

أحمد دعدوش

منذ أطلق مركز تلفزيون الشرق الأوسط (mbc) في عام 1991 شرارة بدء الإعلام الفضائي العربي من لندن، بدأت حملة السباق والتنافس بين رجال الأعمال والسياسة لكسب أكبر قدر ممكن من اهتمام المشاهدين، والمفاجأة هنا هي أن لعبة الإعلام الفضائي ليست تجارية بحتة كما يُروج لها دائما، بل يمكن القول بأن الكثير من الفضائيات تقوم على أساس تشكيل الوعي وفقا لرغبات أساطين الإعلام، عبر الترويج لسياسات ومذاهب وأفكار معينة، سواء من خلال الإعلان المباشر- وهو أقل الطرق استخداما- أو من خلال البث المبطن لأفكار ورؤى يتم تمريرها من خلال البرامج والأخبار والتغطيات والأعمال الدرامية التي تُصنف غالبا ضمن فئة الحياد، وهو ما سنسلط عليه الضوء من خلال طرح بعض الأسئلة وحث القارئ للإجابة عنها.

كانت البداية مع وليد البراهيم الذي شاركه صالح كامل في إنشاء مركز تلفزيون الشرق الأوسط لإطلاق الفضائية العربية الأولى (mbc)، قبل أن ينسحب صالح كامل ويؤسس شبكة راديو وتلفزيون العرب art التي انتقل مقرها من روما إلى الأردن مؤخرا، ثم أتبعه الأمير خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بإنشاء شبكة أوربت بعد انفصاله عن BBC عام 1995، والتي تقدم خدمات أخرى في مجالات الإنترنت وخطوط الهاتف الأرضي في السعودية، فضلا عن حصتها في قمر نورسات بنسبة 30%.

احتكرت الجزيرة الفضائية- بدعم كبير من الحكومة القطرية- الفضاء الإخباري العربي منذ تأسيسها عام 1996، وواجهت الكثير من المشكلات بسبب خطها الإعلامي غير المعتاد في العالم العربي، والذي بدأت به مرحلة جديدة من حرية الإعلام، وبالرغم من المحاولات الأخرى كقناة العربية التي ظهرت بهدف خلق نوع من التوازن على حد تعبير مؤسسيها، وقناة الحرة التي تُمول مباشرة من الكونغرس الأمريكي، إلا أن الجزيرة ما زالت تستأثر بنصيب الأسد من الاهتمام السياسي للمشاهد العربي.

الإعلام الإسلامي الفضائي ما زال خجولا للغاية، فبالرغم من الوجود القوي لمحطة اقرأ التابعة لشبكة art، وما تبعها من قنوات أخرى كالمجد والفجر وهدى (الناطقة بالإنجليزية)، إلا أن الإعلام الفضائي العربي ما زال محكوما بالقاعدة المتبعة في الوسط الإعلامي عموما وهي العلمانية البحتة، حيث يتم الفصل القسري للدين عن خطة العمل، ويخصص وقت محدد من البث للبرامج التي يتم تصنيفها كبرامج دينية تضاف إلى تشكيلة البرامج الأخرى ولا تخرج عن حدودها، بينما يظل الاتجاه العام للقنوات الفضائية محكوما بأيديولوجيا العلمنة التي يفترض منظروها أنها الحل الوسط- الحيادي- حتى في عالمنا الإسلامي، وبغض النظر عن خصوصية الإسلام أو المجتمع الذي يسوده منذ أربعة عشر قرنا. وللوقوف على ملامح هذا التوجه العلماني "الحيادي" سنعرض لبعض الأمثلة المأخوذة عن المواد الإعلامية لمجموعة قنوات مركز تلفزيون الشرق الأوسط، وهي قناة العربية الإخبارية وقنوات mbc الأربعة.

انطلقت العربية من دبي في عام 2003 وتبلغ تكاليف تشغيلها السنوية نحو 70 مليون دولار، لتشكل بذلك القناة الفضائية الأكثر كلفة في العالم العربي، وإذا علمنا أن قناة الجزيرة تعتمد في تمويلها بشكل كبير على مخصصات الحكومة القطرية مع أن تكاليف تشغيلها السنوية تبلغ حوالي 30 مليون دولار فقط، فإنه من المؤكد أن قناة العربية عاجزة عن تغطية هذه التكاليف بالاعتماد على عوائد الإعلان، مما يعني بالضرورة اعتمادها الكبير على المخصصات الحكومية التي تضمن استمراريتها.

لجأت العربية في بداية انطلاقتها إلى استيراد البرامج الجاهزة، وكان الاعتماد شبه كلي على منتجات BBC، والتي تحمل الطابع الغربي البحت، فشهدت البداية بث العديد من البرامج التي ترسخ نظرية التطور الداروينية، أو المعالجة الغربية البحتة لبعض القضايا العربية كالفيلم الوثائقي الذي تعرض لقضية محاكمة نوال السعداوي والذي أظهر تعاطفا واضحا معها، أو العديد من الأفلام والبرامج التي تناولت قضايا الإرهاب من منظور غربي بحت دون أي تحرج، في الوقت الذي نشتكي فيه من الإقصاء الغربي المتعمد للحقوق العربية والإسلامية في الإعلام الغربي!

في عام 2005 أطلقت العربية موقعها الخاص على الإنترنت، والذي جاء لمنافسة الموقع الأول عربيا (الجزيرة نت)، وبنظرة سريعة على موقع العربية يمكن اكتشاف التوجه العلماني الواضح في المواد والأخبار التي يتم انتقاؤها، إذ يتعمد محررو الموقع إعادة نشر المقالات التي تكتبها الأقلام العلمانية والتغريبية المعروفة في الصحافة العربية مع فتح باب التعليق أمام القراء، مع تغييب واضح لوجهات النظر الأخرى مع أنها تشكل الأغلبية في الشارع العربي كما هو واضح في التعليقات الواردة على معظم المقالات المنتقاة.

التحيز العلماني يبدو بنفس الوضوح في التغطيات الإخبارية نفسها، ونضرب مثالا لذلك بتناول العربية للانتخابات الفلسطينية التي جرت مؤخرا في الشهر الأول من عام 2006، إذ لم تخفِ القناة موقفها من نجاح حركة المقاومة الإسلامية (حماس) منذ اليوم الأول، إذ فسّر مراسلها في غزة هذا النجاح على أنه مجرد ردة فعل للشعب الفلسطيني إزاء الفساد المالي لحركة فتح، في إشارة ضمنية إلى فراغ المضمون

السياسي لأي حركة إسلامية باستثناء أطروحات العنف، كما لاحقت مراسلة أخرى بعض النكات التي تداولها الفلسطينيون في غزة لتبرهن على أن الشعب الفلسطيني الذي انتخب حماس بأغلبية ساحقة لم يأخذ الأمر على محمل الجد، ثم أتبع موقع العربية هذه التغطيات بمقال حول "تخوف" الفلسطينيات من فرض حماس للحجاب الإسلامي عليهن، وتعالت أصوات أخرى تتنبأ بهدم نصب الجندي المجهول في غزة على غرار هدم تماثيل بوذا من قبل طالبان في مقارنة واضحة الأهداف.

أخيرا، بدأت العربية بإنتاج بعض البرامج الخاصة بها على غرار منافستها الجزيرة، حيث تكاد معظم برامجها لا تخرج عن إطار المنافسة والتقليد مع تغيير طفيف في الاسم، ولعل التطور الأهم هو في تخصيص فيلم وثائقي مستورد أسبوعيا للمناقشة في برنامج قضايا وآراء الذي تقدمه ميسون عزام، حيث تسمح العربية في هذه الفرصة لبعض المفكرين والمتخصصين بمناقشة الأفلام المختارة والتي تتعرض غالبا لقضايا عربية أو إسلامية من وجهة نظر غربية، وهو أقل ما يتوجب فعله إزاء إفساح المجال للغرب في التعرض للقضايا المحلية، علما بأن معظم الضيوف الذين يسمح لها بمناقشة هذه الأفلام يتم انتقاؤهم بشكل مدروس، بحيث تبقى الصبغة العلمانية التي يفترض لها الحياد هي المسيطرة وصاحبة الكلمة النهائية، كما أن المناقشة لا تمتد إلى بعض الأفلام الوثائقية الأخرى التي ما زالت تعرض خارج إطار هذا البرنامج.

ما زالت قناة mbc العريقة تتربع على رأس القنوات المنوعة العربية، وتحتكر بذلك جزءا مهما من حصة المعلنين العرب مما يساعدها على تغطية كافة نفقاتها دون خسائر حسب تصريح أحد مدرائها، وتتنوع مواد القناة بين السياسة والترفيه والرياضة والدين، ولكنها تمكنت أخيرا من تخصيص ثلاث قنوات أخرى منشقة عنها ببعض المواد، حتى غلب الطابع الترفيهي عليها.

لا تختلف القناة عن معظم القنوات العربية الأخرى في توجهها العلماني، فباستثناء الساعات القليلة المخصصة للبرامج الدينية في الأسبوع، تطغى وجهة النظر التغريبية على القناة بكل وضوح، كالبرامج الفنية التي تروج للأغاني والأفلام العربية والغربية، والبرامج الأجنبية المدبلجة ذات الطابع الاستهلاكي البحت، كتلك المخصصة لعرض

تفاصيل حياة الأثرياء في الغرب، أو التي تخصص في كل حلقة عرضا شاملا لنجوم الإغراء في مجالات السياسة والرياضة والفن.. إلخ.

إبان فترة التوتر التي نشأت بين العالم الإسلامي والغرب إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر، سعت mbc لمعالجة الكثير من القضايا الحساسة من وجهة نظرها الخاصة، ففي الفيلم الموسوم بـ "أحداث سبتمبر بعيون سعودية" والمخصص للبث في الإعلام الغربي، بذل المنتجون جهدا واضحا لقولبة الرأي العام السعودي، وجاء على لسان أحد الإعلاميين السعوديين قوله: "إن السعوديين قد بكوا على ضحايا هذه الأحداث أكثر من الأمريكان أنفسهم"، وبات واضحا لكل مشاهد أن جميع المواطنين يؤيدون وجهة النظر الأمريكية في تفسير تلك الهجمات، وهو ما يشكك فيه بيان المثقفين السعوديين الذي بات معروفا لدى الجميع.

في محاولة أخرى، قامت القناة في مطلع عام 2004 ببث برنامج (chat the planet) والذي بدا أنه يسعى لإقامة حوار بين الشباب العربي والغربي في محاولة لمد جسور التفاهم بين المجتمعين، وقد لفتت نظري إحدى الحلقات التي جمعت بين مجموعتين من الشباب إحداهما في عمّان والأخرى في نيويورك حيث يجري الحوار عبر الأقمار الصناعية التي تنقل صورة حية للمجموعتين في الوقت نفسه، ويمكننا تسجيل الملاحظات السريعة التالية:

1- كانت لغة الحوار هي الإنجليزية، مما يعني إلمام أحد الطرفين بلغة الآخر- وهو الطرف العربي بالطبع- في الوقت الذي يتحدث فيه الآخر بلغته المحكية، وهنا نقطتان: أولاهما أن المجموعة الأولى (العربية) تم انتقاؤها من بين الشباب الذي يتقن التحدث بالإنجليزية بطلاقة وهم لا يشكلون بالطبع إلا فئة معينة من الشباب العربي ولا يمكن أن تمثل مجتمعها على عكس المجموعة الثانية، أما النقطة الثانية فهي تبعية المجموعة الأولى ثقافيا للثانية بشكل واضح، مما ينفي أي حياد حتى في من بالنظر إلى الانطباع النفسي الذي يخلفه هذا الحوار.

2- بدا سعي منتجي البرنامج لإبراز علمانية المجتمع العربي واضحا للغاية، فقد تعمدوا استضافة شابين مسيحيين وسط مجموعة من الفتيات غير المحجبات باستثناء واحدة فقط، بينما لم يفكروا في استضافة شاب أو فتاة من المسلمين الأمريكيين في

المجموعة الثانية، ومن الطبيعي والحال هذه أن تسعى المجموعة العربية لإثبات توجهها العلماني كتفاخر إحدى الفتيات بكونها ناشطة في مجال حقوق الإنسان- من وجهة النظر الغربية طبعا- وتركيزها المستمر على حقوق المرأة، بينما لم يسمح للفتاة المحجبة الوحيدة بالحديث إلا نادراً. ليتحول الأمر إلى مهزلة واضحة عندما سعت المجموعة العربية جاهدة للمزايدة على قدرتها على استيعاب المفهوم الغربي للحضارة، في الوقت الذي بدا فيه أعضاء الأمريكيون فخورين بما لديهم وواثقين تماما عند الاعتراف بنواقصهم دون الحاجة لاستيراد الحلول من أحد.

3- عندما طرحت قضايا الجنس للحوار اضطرب الفريق العربي، وحاول الأعضاء المسيحيون إثبات تمسكهم بالأخلاق الشرقية التي لا تميزهم عن مواطنيهم المسلمين، أما الفريق الأمريكي فلم يقنع بهذه المحاولة وتساءل أحدهم إن كانوا يكذبون خشية الاعتراف بأخطائهم أمام آبائهم الذين يشاهدونهم، وأعتقد أنه كان محقا لأن الظاهر كان يشي بعكس ذلك، إذ كانت مظاهر الشباب العربي وقناعاتهم تجاهر بالتحرر والتغريب، باستثناء الاعتراف بهذه القضية الحساسة والتي يجدها الغربي نتيجة لا بد منها لكل هذه المقدمات!

4- في نهاية الحوار جاءت تعليقات كل من الطرفين على ما جرى في مكانها الطبيعي، فالأمريكيون أصروا على أن زملاءهم العرب قد تعمدوا التصنع والتظاهر، وعلق أحدهم بأنه أعجب بثقافة الفتيات العربيات ولكنه صُدم بعد ذلك بتشبثهن بالتقاليد (!)، أما العرب فقد عبروا عن إعجابهم بثقافة وحرية محاوريهم، وحتى مفاجأتهم باكتشاف القيم العائلية النبيلة التي يتشبثون بها.

بعد حوالي شهرين قدمت القناة حلقة أخرى لمجموعة من الشباب العرب العراقيين الذين تحاوروا مع مجموعة مماثلة في نيويورك، وقد وقعوا في الأخطاء السابقة نفسها، وزادوا عليها ترسيخا مؤلما لظاهرة الانهزام العربي في نفوس مجموعة منتقاة من الشباب، إذ كان من الواضح تماما عدم تمثيل مجموعة الشباب والفتيات العراقيين لمجتمعهم الذي كان قد خرج للتو من الحرب، حيث يتقنون الإنجليزية بطلاقة ويفكرون من منطلقات غربية بحتة. المفارقة الأعجب هي في اختيار المخرج لقصة أحد الشباب العراقيين الذين قضوا في الحرب بالصدفة، والذي يبدو أنه كان

ينتمي لتلك الطبقة المخملية في بغداد. يبدأ التصوير لغرفة الشهيد بالتركيز على صور الفتيات أنصاف العاريات التي علقها على الجدران قبل موته، ثم تبكي الأم الثكلى وهي تحكي قصته بالإنجليزية وتعرض لبنطال الجينز الملطخ بالدم. أما السؤال الأهم هنا: ألم يكن من الممكن استدرار عطف تلك المجموعة من الشباب الأمريكان لو أنهم عرضوا لقصة شهيد فقير أو متدين يمثل الأغلبية الساحقة للشعب العراقي؟

الطريف هو أن العربية قد عادت مؤخرا لتكرار تلك التجربة من خلال برنامج مماثل يضم عددا أقل من الشباب من كلا المجتمَعَين في استديو واحد، ويلاحظ أن الأخطاء السابقة يتم تكرارها بشكل مقارب، حيث يتعمد المنتجون انتقاء الشباب العلماني لتمثيل المجتمع العربي، ويسمح لهم بمناقشة الكثير من القضايا التي قد لا يفقهون بها لمعرفتهم الضحلة بالدين، كما يتضح الانتقاء في اختيار الفتيات المحجبات اللواتي قد لا يختلفن كثيرا عن زميلاتهن باستثناء غطاء الرأس.

على المنوال نفسه تدور بقية برامج mbc الجماهيرية، والتي تتنوع بين برامج الأطفال (عالم دريد) والسياسة (على مسؤوليتي) والمرأة (كلام نواعم) والفن– وهي أكثر من أن تحصى– حيث يتم بث هذه البرامج من استوديوهات باذخة في بيروت، ويشارك في تقديمها كثير من المذيعين غير المسلمين، لترسيخ مفهوم العلمانية كحل حيادي أمام التنوع المصطنع لمرجعية المشاهد العربي، ولا تفوتنا الإشادة هنا ببرنامج (يلا شباب) الذي يشكل خروجا على القاعدة المتبعة في برامج كل القنوات العربية غير الدينية، ولعل العوائد الاستثمارية التي جنتها القناة من هذا البرنامج الناجح هي الدافع الرئيس– إن لم يكن الوحيد– لإنشائه في ذلك الوسط غير الملائم.

بالانتقال إلى القنوات الأخرى التابعة لهذه المجموعة، نقف عند قناتي 2mbc المخصصة للأفلام الأمريكية، و 4mbc المخصصة للمسلسلات والبرامج والأخبار الأمريكية أيضا.

من الجدير بالذكر هنا أن سياسة الرقابة العربية على المواد المستوردة قد بلغت شوطا كبيرا من "التطور" منذ انطلاقة البث التلفزيوني عام 1960 في مصر، إذ تم اختزال مفهوم المحظور هنا إلى أضيق الحدود، وحسب تعبير الراقصة فيفي عبده

فإن مناطق أخرى من جسد المرأة لم تعد ممنوعة من التصوير كما كان الحال سابقا! والأمر يتسع بشكل أكبر عندما تكون المواد مستوردة من الخارج.

قد يكون الحديث عن العورات أقل شأنا من الخوض فيه في هذا المقام، ولكن الخطورة الأكبر لم تعد في تضييق مفهوم العورة هنا، بل في عرض الثقافة المنحلة والإباحية بشكل سافر دون أن تمر على أي مقص للرقيب، فقد بات من الممكن لهذه القنوات وغيرها بث الأفلام والمسلسلات والبرامج التي تروج للجنس والإباحية بكل صراحة ودون أي تحرج، وكل هذا مبرر ما دامت العورات لم تكشف بعد.

في جعبتي الكثير من الأمثلة التي ما زالت تُعرض على هذه القنوات، فهناك بعض الأفلام التي تدور قصصها كاملة حول السفاح الرخيص، كأحد الأفلام الذي عرض لقصة مجموعة من الشباب والفتيات في ليلة رأس السنة، حيث لا همّ لهذه المجموعة غير المترابطة إلا البحث عن شريك لتلك الليلة، وهو ما يتم تحقيقه لاحقا مع نهاية القصة. أما المسلسلات الكوميدية فلا تجد تحرجا من الترويج لهذه الثقافة تحت لائحة الكوميديا التي تبرر كل شيء، حيث تغدو الكلمات الجنسية مع ترجماتها متاحة للشباب واليافعين طوال النهار، خصوصا وأن هذه المسلسلات تصنف تحت فئة البرامج الترفيهية العائلية(!).

البرامج الأمريكية ليست بعيدة عن هذا أيضا، والمؤسف حقا أن تلقى حلقة أوبرا التي تعرضت لوضع المرأة في السعودية كل ذلك الاستنكار بينما لم ينبس أحد من المتابعين ببنت شفة إزاء الإسفاف المستمر في الترويج للثقافة الأمريكية المنحلة بهذا الوضوح سواء من خلال برنامج أوبرا أو غيره، ففي إحدى حلقات برنامج Dr. Phill المخصص لحل المشاكل الزوجية يتم عرض قصة أحد الأزواج الذي جاء للمسرح ليعترف بخيانته لزوجته طوال سنين مع إحدى زميلاته في العمل بالرغم من معرفتها بالأمر، حيث تُناقش المشكلة من قبل الدكتور (فل) على أنها مسألة خيانة يمكن أن تحدث في أي عائلة أمريكية- حتى في بيت الرئيس كما هو معروف- بينما يتناسى المشاهد العربي أن هذه الجريمة التي تسمى زنا في الإسلام تستوجب الرجم حتى الموت!

الأثر الكبير والخطير إذن لهذا الإعلام الذي يتم بثه على مدى أربع وعشرين ساعة لا يقتصر على بعض المشاهد غير المهذبة، بل في الثقافة التي يتشبع بها والتي تحمل في كل ثانية من ثواني البث رسائل مؤدلجة تترسخ في ذهن المشاهد العربي المسلم، والذي غالبا ما يكون في سن الشباب أو الطفولة.

تعتمد وسائل الإعلام العالمية اليوم سياستين في غاية الخطورة لترويج أيديولوجيتها:

1- عدم التصريح: حيث يدعي الإعلاميون في كل وسائل الإعلام تقريبا الحيادية مع تفاوت بسيط إزاء بعض القضايا الحساسة، وهي دعوى لا يمكن أن تقنع أحدا من العقلاء، ولكن المشكلة الحقيقية هي في عدم وضوح الرسالة التي يتم تحميلها للمواد الإعلامية، فعندما يتعمد الإعلاميون بث نشرة الأخبار من استديوهات باذخة وبتقنيات مكلفة، مع اهتمام كبير بمظهر المذيع أو المذيعة وطريقة الإلقاء، ثم إتباع الخبر بتحقيق مصور واتصال هاتفي مع أحد المختصين، يستتبع كل ذلك إيجاد نوع من الارتياح لدى المشاهد بكفاءة القناة والقائمين عليها، دون الانتباه إلى أن التحقيق لم يتعرض لكل وجهات النظر، وأن الخبر قد تمت صياغته بطريقة مفبركة، وأن الضيف الذي تم الاتصال به لم يطرح إلا وجهة نظره الخاصة والتي قد يخالفه فيها معظم أفراد المجتمع.

من جهة أخرى فإن الانفلات الأخلاقي في معظم الأفلام والمسلسلات المستوردة لم يعد يخفى على أحد، كما لم تعد حجة تجنب المشاهد الإباحية مقنعة لكل من بقيت لديه مُسكة من عقل، فالإباحية لا تُنقل اليوم بشكلها السافر، بل من خلال أفلام وحلقات كاملة تُبث على مدار الساعة ويدور محورها الرئيس حول العلاقات الجنسية التي تجري بكل سهولة خارج إطار الزواج، وهو ما يسمى عند المسلمين الذين يشكلون الأغلبية الساحقة من المشاهدين بالزنا، والذي يعد من أكبر الكبائر في الإسلام كما لا يخفى على أحد. هذا فضلا عن تشجيع الشباب والفتيات على التمرد وخرق الثوابت الإسلامية والأعراف الاجتماعية، والمشكلة أن ذلك لا يتم من خلال حوار حضاري يناقش مفاهيم الشباب وقناعاتهم، بل عبر السرد المستمر للقصص المثيرة للعواطف والغرائز تحت شعار الانفتاح تجاه الآخر والحرية الفردية!

2- التكرار: من الثابت في التاريخ أن دعاة الأهواء لا يملون، بينما تضعف همم الشرفاء والمناضلين في سبيل الحقيقة قبل بلوغ الهدف، ولعل الإعلام اليوم يقدم مثالا واضحا على هذا الصراع. فقد أثبتت إحدى الدراسات أن تكرار عرض أحد النجوم في فيلم سينمائي وهو يدخن لأربع مرات كفيل بزرع هذه العادة في نفوس معجبيه! لذا فإن تكرار عرض هذه الأفلام أو البرامج أو التغطيات الإخبارية الموجهة قد يؤدي مع مرور الوقت إلى تغيير كبير في الرأي العام العربي، إذ بات من الواضح اتساع القاعدة الشعبية المتأثرة بهذه الثقافة، ولا يقتصر الأمر طبعا على الإباحية والانحلال التي قد تشكل بوابة نفسية للدخول إلى القناعات، بل يمتد إلى العبث بالمرتكزات الأساسية للفرد وطريقته في اتخاذ مواقفه تجاه الكثير من القضايا، خصوصا عندما يغيب الصوت الآخر المخالف، أو يكون ضعيفا وغير قادر على المنافسة والإقناع.

هكذا تسير الأمور اليوم، فبعد عقود طويلة من القمع الاستبدادي، والاستئثار الرسمي لوسائل الإعلام، بات الانفتاح الإعلامي حكرا على الخط الوحيد المسموح له بالوجود، وهو الساعي بكل ما أوتي من قوة لإخماد جذوة الحماس المتبقية في نفوس المسلمين، وإقناعهم بالتكرار الذي لا يمل بأنهم مجرد ذيل للغرب يعيش خارج التاريخ والجغرافيا، وأن النهوض لا يتم إلا بالمزيد من التقليد والاستجداء، عسى أن يقنع الغرب أخيرا بالشفقة ومد يد العون، وهي سبيل الخلاص الأوحد

============

#العالم الإسلامي عدواً رسمياً لأمريكا والغرب

محمد جمال عرفة

غلاف مجلة المجتمع 1750

أحدث تقارير راند يدشن:

في أعقاب تفجيرات 11 سبتمبر 2001م، تم وضع وثيقة لإستراتيجية الأمن القومي الأمريكي في سبتمبر 2002م تحدد "مصادر التهديدات الموجهة لأمن أمريكا وكيفية مواجهتها"، وكان أبرز ما شددت عليه هذه الوثيقة هو "تداعيات الأوضاع الداخلية بالدول الأخرى الدكتاتورية، خصوصاً الدول العربية والإسلامية، وانعكاسها على أمريكا بانتقال التطرف والكراهية إليها، ولذلك ركز الرئيس الأمريكي لاحقاً على ما

أسماه "أجندة الحرية" أو ما عرف بإستراتيجية نشر أو فرض الديمقراطية على العالم الإسلامي.

وضمن هذه الإستراتيجية نشطت مراكز الأبحاث التابعة للإدارة الأمريكية في وضع التصورات المختلفة لكيفية التعامل مع العالم الإسلامي، وكانت أبرز الدراسات هنا لأنه لوحظ أن البيت الأبيض يطبق توصياتها تلك التي طرحها مركز (راند) RAND البحثي التابع للقوات الجوية الأمريكية، خصوصاً الدراسات التي أوصت عام 20042003م بالتفرقة بين المسلمين "المتطرفين" و"المعتدلين" في تعامل أمريكا مع العالم الإسلامي.

بيد أن فوز التيارات الإسلامية التي تصنف في واشنطن على أنها متطرفة في الانتخابات العربية اللاحقة، وتقهقر "العلمانيين الليبراليين"، وعدم ظهور فوارق جدية بين الإسلاميين "المعتدلين" و"المتطرفين" فيما يخص المصالح الأمريكية، أدى إلى تحول في الإستراتيجية الأمريكية ووضع كل المسلمين في سلة واحدة كعدو جديد حال، على غرار العدو الشيوعي الذي كانت تحاربه واشنطن خلال الحرب الباردة.

نقطة التحول ضد المسلمين

هنا تكمن أهمية أحدث تقرير بحثي قدمته مؤسسة "راند" في 26 -3-2007م بدون صخب إعلامي على غير العادة ووسط أجواء مريبة وهو تقرير: "بناء شبكات مسلمة معتدلة" Building Moderate Muslim Networks ، الذي كتبته شيريل بينارد (زوجة زلماي خليل سفير أمريكا في العراق والأمم المتحدة)، وأنجل راباسا (أحد العاملين في وزارتي الدفاع والخارجية) وباحثين آخرين..

وقد كانوا في السابق يتحدثون عن كيفية التأثير في "الإسلاميين"، وباتوا الآن يتحدثون عن "المسلمين" ككل.. لذا فالتقرير بمثابة نقطة تحول في إستراتيجية التعامل الأمريكي مع العالم الإسلامي.

ويحدد بوضوح منذ بدايته أن هناك "حرب أفكار"، وصراعاً بين العالم الإسلامي ككل، وبين العالم الغربي، ويطرح تصورات بشأن نقل طبيعة المواجهة إلى داخل العالم الإسلامي، وإعادة بناء الإسلام نفسه من جديد باعتباره "فكراً" مثل الشيوعية وفق تصورهم وذلك عبر حرب باردة جديدة، وبالتعاون مع شبكات تضم مسلمين

ليبراليين علمانيين (غير مؤمنين بأي دور للشريعة الإسلامية)، ليكونوا عملاء للغرب ويجري دعمهم عبر مؤسسة أمريكية تدير هذه المعركة مستقبلاً على غرار ما حدث مع الشبكات الليبرالية التي هدمت الشيوعية من الداخل!!

ولأنه سبق للباحثة "شيريل بينارد" التي تعمل في قسم الأمن القومي بمؤسسة "راند" الأمريكية أن كتبت تقريراً إستراتيجياً آخر عام 2003م بعنوان "الإسلام المدني الديمقراطي: الشركاء والموارد والإستراتيجيات"، كان بمثابة دراسة أمريكية عن التيارات الإسلامية الحديثة لتقديم توصيات عملية لصانع القرار الأمريكي لكيفية ضرب التيارات الإسلامية الأصولية المتطرفة، ودعم وتشجيع ما يسمونه (التيارات الإسلامية العلمانية والحداثية)، فقد جاء تقرير 2007م كوثيقة جاهزة تنتظر الموافقة الرسمية الأمريكية.

صناعة الأعداء

أما أخطر ما في هذه الدراسة الأخيرة المقدمة لإدارة بوش، والمنتظر بدء العمل بها سريعاً، أنها تدشن العالم الإسلامي كعدو رسمي فعلي جديد لأمريكا والغرب، وتضع إستراتيجية للتعامل مع هذا الخطر الإسلامي، تشمل اختراقه من الداخل عبر المسلمين أنفسهم من أنصار التيار العلماني الليبرالي من المفكرين والأكاديميين، وحتي بالتعاون مع التيارات اليسارية والاشتراكية العلمانية، مع استبعاد التعاون مع أي "إسلامي" سواء كان معتدلاً أو متطرفاً ضمن هذه الخطة!

الوثيقة

ولا تقتصر الوثيقة الإستراتيجية التي تقع في 218 صفحة حصلت عليها "المجتمع" على وضع ما أسمته "خريطة طريق" للمواجهة مع الأفكار الإسلامية القائمة على فكر الشريعة الإسلامية، وإنما تحدد الأطراف التي سوف تستعين بها واشنطن في الحرب من داخل العالم الإسلامي نفسه من العلمانيين الليبراليين.. إلى درجة نشر أسماء مؤسسات وشخصيات عربية وأوروبية وآسيوية مطروحة كنماذج لهذه العناصر "المعتدلة" من وجهة النظر الأمريكية.

تتضمن الوثيقة 10 فصول، أولها: مقدمة تؤكد أن أصل المشكلة أن ما بين الغرب والعالم الإسلامي هو حرب أفكار، أو مواقف متخذة علي أسس العقيدة. والفصل

الثاني: يتحدث عن تجربة الحرب الباردة مع الشيوعية كنموذج يصلح للتعامل به مع العدو الجديد (الإسلام)، والفصل الثالث: يركز على المقارنة بين الحرب الباردة والتحديات في العالم اليوم، والفصل الرابع: يدور حول جهود الحكومة الأمريكية "لوقف المد الراديكالي".

أما الفصل الخامس أهم الفصول: فيحدد "خارطة الطريق" Road Map لبناء الشبكات المعتدلة في العالم الإسلامي، فيما يركز الفصلان السادس والسابع على التوالي على التجربتين الأوروبية والآسيوية كنماذج لمسلمين معتدلين ليبراليين يمكن أن يكونوا دعائم لهذه الشبكات المعتدلة من وجهة النظر الأمريكية، بينما يركز الفصل الثامن: على الشرق الأوسط، والفصل التاسع على ما يسميه دور المسلمين العلمانيينSecular Muslims في "حرب الأفكار"، ليضع الفصل العاشر: التوصيات النهائية بشأن إدارة الصراع مع العالم الإسلامي عبر هذه الشبكات العلمانية "المعتدلة".

وتنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن الصراع مع العالم الإسلامي هو بالأساس "صراع أفكار"، وأن التحدي الرئيس الذي يواجه الغرب يكمن فيما إذا كان العالم الإسلامي سوف يقف في مواجهة المد الجهادي الأصولي، أم أنه سيقع ضحية للعنف وعدم التسامح؟!

وقد اعتمدت هذه الفرضية على عاملين أساسيين، أولهما: أنه على الرغم من ضآلة حجم الإسلاميين الراديكاليين في العالم الإسلامي، إلا أنهم الأكثر نفوذًا وتأثيرًا ووصولا لكل بقعة يسكنها الإسلام سواء في أوروبا أو أمريكا الشمالية، وثانيهما: ضعف التيارات الإسلامية المعتدلة والليبرالية والتي لا يوجد لديها شبكات واسعة حول العالم كتلك التي يملكها الأصوليون.

ومن هنا تدعو الدراسة إلى ضرورة قيام الولايات المتحدة بتوفير المساندة للإسلاميين المعتدلين من خلال بناء شبكات واسعة وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم لبناء حائط صد في مواجهة الشبكات الأصولية، أما وسيلة الدعم الأمريكية فتتمثل في "خارطة طريق" تمكّن الولايات المتحدة من بناء شبكات دعم متنوعة لخلق أجيال من الإسلاميين المعتدلين يمكن من خلالهم مواجهة التيارات الأصولية، على غرار تلك

الشبكات التي تم بناؤها خلال تجربة الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي لتقوية شوكة "الليبراليين" في مواجهة الشيوعيين.
ولأن "المتطرفين المسلمين" في رأي الدراسة يتميزون بميزتين جوهريتين عن "المسلمين المعتدلين والليبراليين" هما: المال، والتنظيم، بمعنى بناء شبكات وتنظيمات واسعة، مقابل ضعف هذه الأدوات لدى "المعتدلين الليبراليين" من وجهة النظر الأمريكية فهنا لابد من خلق وبناء شبكات مسلمة معتدلة جديدة تواجه هؤلاء المتطرفين وتعيد بناء الإسلام بصورته التي لا تهدد الغرب!
من هو المسلم الليبرالي العلماني؟
مفتاح حل شفرة هذا التقرير الخبيث يكمن في تعريف كلمة "المعتدل" أو "الاعتدال" من وجهة النظر الأمريكية.. ومنه يمكن معرفة مواصفات هذا (المسلم المعتدل) الذي ستسعى أمريكا للتعاون معه وبناء شبكات خاصة لدعمه مالياً وإعلامياً وتنظيمياً ومعنوياً.
فالمعتدل أمريكياً هو: المسلم التقليدي العلماني الليبرالي الذي يرفض الاحتكام للشريعة، والذي يؤمن بحرية المرأة في اختيار "الرفيق" وليس الزوج وبحق الأقليات الدينية في تولي المناصب العليا في الدول ذات الغالبية المسلمة، والذي يعادي "المشايخ"، وكذلك أنصار "التيار الديني التقليدي" و"التيار الديني الصوفي" يصفه التقرير بأنه التيار الذي يقبل الصلاة في القبور (!).
ولهذا الغرض طرحت الدراسة مصطلح (الدعوة العلمانية) أو (سيكولار secular دعوة)، كما وضعت بعض الملامح الرئيسة التي يمكن من خلالها تحديد "من هو المسلم المعتدل" أهمها:
1 القبول بالديمقراطية الغربية فقط، وليس مجرد ما يتواءم منها مع المبادئ الإسلامية، خصوصًا مبدأ "الشورى" الذي يقال إنه مرادف للديمقراطية، وأن يعني الإيمان بالديمقراطية رفض فكرة الدولة الإسلامية التي يتحكم فيها رجال الدين كما هو الحال في إيران.

2 القبول بمصادر غير متعصبة مصادر أخرى للتشريع غير الشريعة الإسلامية، لان التفسيرات التقليدية للشريعة لا تتناسب مع مبادئ الديمقراطية، ولا تحترم حقوق الإنسان(!).

3 احترام حقوق النساء والأقليات الدينية: والمقصود هنا أن يرفض "المسلم المعتدل" بالمواصفات الأمريكية ما يسمى "الأوضاع التمييزية للنساء والأقليات كما وردت في القرآن"، ويعيد النظر فيها، نظرًا لاختلاف الظروف الراهنة عن تلك التي كانت موجودة إبان العصر النبوي الشريف.

مقياس أمريكي

بل إن التقرير يضع مقياساً أمريكياً لقياس جماعات المسلمين المعتدلين الذين سيجري التعاون معهم، عن تلك المتطرفة، على النحو التالي:

1 هل الجماعة تتساهل مع العنف أو تمارسه؟ وإذا لم تكن تتساهل معه فهل مارسته في الماضي؟

2 هل الجماعة تؤيد الديمقراطية باعتبارها حقًا من حقوق الإنسان؟

3 هل تحترم الجماعة كافة القوانين والتشريعات الدولية لحماية حقوق الإنسان (ضمنها حق الشذوذ مثلاً)؟

4 هل لديها أية استثناءات في احترام حقوق الإنسان (مثل الحرية الدينية على سبيل المثال)؟

5 هل تؤمن بأن تغيير الديانة أحد حقوق الإنسان؟

6 هل تؤمن بضرورة أن تطبق الدولة قانونًا جنائيًا (الحدود) يتطابق مع الشريعة الإسلامية؟

7 هل تؤمن بضرورة أن تفرض الدولة قانونًا مدنيًا متلائماً مع الشريعة؟ وهل تؤمن بحق الآخرين في عدم الاحتكام بمثل هذا القانون والرغبة في العيش في كنف قانوني علماني؟

9 هل تؤمن بضرورة أن تحصل الأقليات الدينية على نفس حقوق الأغلبية؟

10 هل تؤمن بحق الأقليات الدينية في بناء دور العبادة الخاصة بهم في البلدان الإسلامية؟

11 هل تؤمن بأن يقوم النظام القانوني على مبادئ غير دينية؟

احذروا المسجد واهتموا بالإعلام !

واللافت هنا أن التقرير يتضمن تحذيراً شديد اللهجة من "خطورة دور المسجد" باعتبار أنه (المسجد) الساحة الوحيدة للمعارضة على أسس الشريعة، أو باعتبار أنه كرمز يتعارض مع الدعوة لخلق مسلم معتدل لا يؤمن بأي دور للشريعة الإسلامية، ولذلك يدعو لدعم "الدعاة الذين يعملون من خارج المسجد"، كما أنه يركز على دور الإعلام ووسائل الاتصالات الحديثة في الوصول إلى العقلية المسلمة والتأثير عليها لخلق هذه الشبكات المعتدلة ك"قناة الحرة".

ويركز كذلك على ضرورة إيجاد مؤسسات خدمية مسلمة علمانية معتدلة تقدم ذات الخدمات التي يقدمها المسلمون "المتطرفون" سواء كانت خدمات إغاثية أو طبية أو عيادات أو قوافل مساعدة أو مساعدة أسر وأرامل وأطفال وفتيات يتيمات لتقديم "الاعتدال" في الخدمات المقدمة وسحب البساط من تحت أقدامهم لصالح الفكر العلماني المسلم الجديد!

الأصدقاء والعملاء "المعتدلون"!

والأكثر غرابة أن التقرير لا يتورع أو يخشى من فرد مساحات واسعة للحديث عن هؤلاء الأصدقاء أو الشركاء أو العملاء المفترضين المعتدلين الذين ستركز أمريكا على التعامل معهم لبناء هذه الشبكات المسلمة المعتدلة داخل الدول العربية والإسلامية، وكأنها في حرب مستعرة ولا وقت للعواطف فيها، وربما لقطع خط الرجعة على هؤلاء المتعاونين لنفي أنهم عملاء للمشروع الأمريكي!

ففيما يخص الشركاء، يحدد التقرير قطاعات اجتماعية "ستشكل حجر الأساس للشبكات المقترحة" ويقول إنه ينبغي منح الأولوية لهم، مثل:

1 الأكاديميين والمثقفين المسلمين الليبراليين والعلمانيين.

2 علماء الدين من الشباب المعتدل (الذين يعملون خارج المسجد).

3 النشطاء الاجتماعيين.

4 الجماعات المعنية بالمرأة، والتي تشارك في الحملات المطالبة بالمساواة بين الجنسين.

5 الصحفيين والكتاب المعتدلين.

وضمن هذا يقدم التقرير خريطة بأسماء مؤسسات وشخصيات عربية وآسيوية وأوروبية مسلمة "معتدلة" يقترح التعامل معها قسم كبير منها في جنوب شرق آسيا (ماليزيا سنغافورة تركيا إندونيسيا)، بجانب مؤسسات وجهات أوروبية مسلمة، وثالثة في العالم العربي نفسه، خصوصاً لبنان وتونس وبعض دول الخليج، لها آراء ليبرالية علمانية تحررية مناهضة للأصولية الإسلامية، ويمكن أن تلعب دوراً في هذه الشبكات الأمريكية "المعتدلة"!

الإسلاميون يمتنعون!

والطريف أن التقرير الذي يطرح إمكانية التعاون مع كل الفئات غير الإسلامية مثل العلمانيين والليبراليين، واليساريين والاشتراكيين، يستبعد التعاون مع الإسلاميين ضمن هذه الشبكات المعتدلة لأنهم سيكشفونها وربما يستفيدون منها!

فعلى حين أن الإسلاميين وفق التقرير يقبل بعضهم بالتعددية السياسية وحقوق المرأة، ويلعبون دوراً مهماً في ضرب التطرف الديني، ويشكلون بديلاً حقيقياً للسلطة، فمن الوارد كما يقول الرافضون لدمجهم في هذه الشبكات المعتدلة أنهم سوف يستغلون الحديث عن الديمقراطية لتحقيق هدف تكتيكي هو الوصول للسلطة، كما سيستفيدون من هذا الأمر مستقبلاً في الحصول على قدر أكبر من المصداقية باعتبار أنهم ديمقراطيون، ما سيؤدي لازدهار دورهم ودعوتهم، وبالمقابل سوف يضعفون التيار العلماني الذي هو عماد هذه الشبكات المعتدلة الأمريكية المسلمة!

ولهذا ينصح التقرير الإدارة الأمريكية بعدم التعاون مع هؤلاء الإسلاميين!

============

#العصرانية قنطرة العلمانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه..

وبعد :

فاعلم –علمني الله وإياك ما ينفعنا– أني تأملت حال المجتمعات الإسلامية خلال القرن الأخير وكيف غزاها الانحراف والتغريب بواسطة أعداء الإسلام، فوجدتها لا تخلو من حالين:

الحال الأولى : حال المجتمعات التي يكون الغزو فيها مباشراً؛ وهي المجتمعات الإسلامية التي لم تكن لها مرجعية علمية، أو هيئة شرعية تذكر، تقف سدًا منيعاً أمام ذلك الغزو. فهذه سهل اقتحامها واستباحتها من العدو وعملائه اللادينيين .

الحال الثانية: حال المجتمعات التي يكون فيها الغزو من خلال (وسيط) أو (ناقل) يلبس لباس الإسلام. وهي المجتمعات الإسلامية التي تأوي إلى مرجعية علمية أو هيئة شرعية في معظم أمورها أو في النوازل التي تحل بها، مع ارتباط (شرعي) بولاة أمرها. فمثل هذه المجتمعات لم يستطع العدو اقتحامها واستباحتها وخلخلة وحدتها القائمة بين الأمراء والعلماء إلا من خلال ذلكم الوسيط؛ نظراً لطبيعتها الدينية الشرعية.

وخير مثال لهذه الحال: مجتمع مصر في القرنين الأخيرين، حيث سلط عليه الأعداء الغزو العسكري(*) والغزو الفكري في سبيل صرفه عن دينه، لكنهم باؤا بالفشل ولم يحققوا نجاحاً يذكر يوازي ما قاموا به من الجهود؛ نظراً لارتباط الشعب المصري بعلمائه الشرعيين الممثلين في الأزهر؛ حيث كانوا حصناً منيعاً أمام جهود الأعداء التغريبية .

لكن الأعداء لم ييأسوا أو يملوا وهم يرون ضياع جهودهم وفشلهم، وإنما لجؤا إلى خطة أكثر مكراً، وأشد ضررًا، وهي تكرار محاولة الغزو للمجتمع المصري بواجهة إسلامية (مخدوعة) يتقبل الشعب المسلم اطروحاتها وأفكارها التغريبية دون نفرة أو استيحاش؛ يخلخلون بها وحدة المجتمع المصري المسلم؛ بتهييجه على ولاة أمره، إضافة إلى صرفه عن العلماء الكبار الراسخين الذين يصعب تطويعهم. وقد تم لهم ذلك من خلال ما يسمى (بالعصرانيين) أتباع مدرسة الأفغاني ومحمد عبده الذين ظنوا بجهلهم أنهم يخدمون الإسلام والدعوة بصنيعهم هذا، ويوفقون بين أحكام الشريعة ومتطلبات العصر –زعموا !– ولكنهم أصبحوا فيما بعد كما قال ألبرت حوراني: "قنطرة للعلمانية عبرت عليها إلى العالم الإسلامي؛ لتحتل المواقع واحداً تلو الآخر" . ثم كان مصير أفراد هذه الطائفة العصرانية الخاسرة مصير أي وسيلة استخدمت فاستنفذت أغراضها، حيث (تمندل) بهم الأعداء قليلاً ثم رموا بهم. فمنهم من مات بحسرته جراء ما جناه على مجتمعه، ومنهم من انحاز إلى الصف العلماني

وكشف عن حقيقته، وقلة منهم أحست بخطورة دورها الذي قامت به فأرادت أن تُكَفّر عن سيئاتها بانحيازها رويدًا رويدًا إلى أهل الإسلام. ولكن بقيت تجربتهم جميعاً عبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين .

وبلاد الحرمين –حماها الله وصرف كيد الفجار عنها– تتشابه في طبيعتها مع طبيعة المجتمع المصري خلال القرنين السابقين، قبل هبوب رياح التغريب عليه؛ فهي تأوي إلى ركن شديد من علمائها الكبار، وارتباط (شرعي) وثيق بولاة أمرها، وتنهل من معين دعوة سلفية شرعية قامت عليها ولأجلها . فلهذا لم يستطع العدو ولله الحمد اقتحامها أو تغريبها مباشرة أو من خلال أذنابه العلمانيين الأقحاح الذين نبذهم المسلمون وباؤا بفشل ذريع، رغم تكرر محاولاتهم .

ومثلما لم ييأس أعداء الإسلام من اقتحام هذا المجتمع المسلم وتغريبه فإنهم –لا شك– سيعاودون الكرة عليه، ولكن بواجهة إسلامية (عصرانية) تضفي الشرعية على أفكارهم ومطالبهم، وتحدث شرخاً في وحدته، وتحاول نزع ثقة الناس بعلمائه الكبار، وهي تُستدرج إلى ذلك بمكر وخفاء.

وقد بدأت بوادر تنذر بشيء من ذلك –للأسف!–؛ فتسللت الأفكار العصرانية إلى عقول بعض الإسلاميين الصالحين عندنا، فأخذوا يرددونها في مقالاتهم وكلماتهم، جهلاً منهم بخطورتها ومآلها على البلاد، وانخداعاً ببهرجها، وظناً منهم بأنها ستُبَلِّغهم أهدافهم. وفاتهم –هداهم الله– أن هذه الأفكار ما هي بجديدة في عالم المسلمين، وأن مجتمعاً إسلامياً آخر غير مجتمعنا هو مجتمع مصر قد خبرها وجُرِّبت عليه؛ فلم تنتج سوى النتاج المر الفاسد الذي لا زال يعاني منه إلى اليوم.

وقد اكتشف النبهاء من أهله –كما سيأتي– ولكن بعد فوات الأوان، أن هذه الأفكار البراقة لم تكن سوى أحبولة صنعتها يد المكر لاستباحة ديار المسلمين وعقولهم واقتصادهم، وأنها لم تحقق للمسلمين إلا مزيداً من الذل والصغار والخضوع للأعداء، فضلاً عن التفريط بمهمات الدين وشرائعه.

وقد كان من حق التجربة (العصرانية) المصرية أن تكون عبرة للمعتبرين، وموعظة للآخرين، وأن لا يُلدغ المؤمنون بعدها من جحر مرتين.

ومن مظاهر تسلل هذه الأفكار بين أهل الإسلام في بلادنا هذه الأمثلة التي وقفت عليها، ولعل غيري قد وقف على مثيلاتها:

1- أحد الدعاة الأفاضل ممن لهم جهود لا تنكر في نشر الخير ينشئ موقعاً على شبكة الأنترنت لا تجد فيه حساً ولا خبرًا لأحدٍ من كبار العلماء لدينا ! فلماذا هذا ؟! ومعلوم خطورة عزل جيل الشباب عن علمائه الكبار، حيث ينصرف بعدها إلى أناس لا علم عندهم ولا ورع، إنما هي المصالح والتحزبات التي تقود البلاد إلى فرقة وضعف.

2-أحد الأفاضل من حاملي الدعوة لدينا يقول: بأنه لا مانع من وصف اليهود والنصارى بأنهم (إخوان لنا) !! ويعني بذلك الأخوة الإنسانية !

3- داعية آخر يدعو إلى (المجتمع المدني) ! القائم على الانتخابات والبرلمانات.. الخ. وفاته أن المجتمع المدني في اصطلاح القوم هو المجتمع العلماني الذي لا يرجع إلى شريعة تحكم أفعاله . وأن في دعوته هذه (تهييجاً) لعامة الناس على ولاة أمرهم بطريقة تفسد ولا تصلح. متغافلاً –هداه الله- عن الطرق الشرعية.

4- داعية آخر يكتب مقالاً بعنوان "المرأة إنسان"، يصوغه بلغة حداثية غريبة! يطالب فيه بإعادة النظر في قضايا المرأة!! ويحيل قارئه للفائدة على كتاب "تحرير المرأة في عصر الرسالة" للعصراني عبدالحليم أبو شقة!

5- كاتب إسلامي آخر يزعم –بجهل لا شك- أن "الحق المطلق لا يملكه أحد" !!وهذا مصطلح (كفري) يؤدي بصاحبه إلى الشك والحيرة والتذبذب .

6- كاتبة إسلامية مرموقة تكتب عدة مقالات عن المرأة، تردد فيها أفكار العصرانيين والعلمانيين. حتى ليخال للقارئ بأنه يقرأ لإحدى داعيات تحرير المرأة في بلادنا ! فكيف حدث هذا ؟!

7- جريدة أسبوعية إسلامية تفتح صفحاتها لكتبة العصرانية من كل مريض وفاشل وطالب شهرة؛ ليلمز ويهمز من خلالها في دعوة الكتاب والسنة ويصفها بأبشع الصفات، ويبث شبهاته وانحرافاته تحت بصر وسمع الفضلاء أصحاب الجريدة ممن لهم تاريخ مشرف في مجال الدعوة والإعلام الإسلامي.

لأجل هذا كله ودرءً للخطر قبل وقوعه؛ فقد أحببت أن أنصح لإخواني دعاة الإسلام وحملته في هذه البلاد ببيان : كيف أصبحت العصرانية في مصر قنطرة للعلمانية عبرت عليها إلى مجتمعهم كما سبق؟ ليأخذوا حذرهم ويتبصروا أمرهم وما يكيده الأعداء لهم، فلا ينساقوا وراء الأفكار العصرانية مهما تزخرفت وتزينت كما انساق غيرهم، فيكون حالهم مع مجتمعهم كحال من :

رام نفعاً فضرَّ من غير قصدٍ *** ومن البر ما يكون عقوقًا

وتضيع جهودهم السابقة المشكورة في التصدي لأهل العلمنة بهذه النهاية الموجعة – لا قدر الله– التي يخدمون بها أولئك المفسدين عن غير قصد، فيحق فيهم قول الله تعالى (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً). عندها نقول لهم :

وإخوانٍ تخذتهمو دروعاً *** فكانوها، ولكن للأعادي

وخلتهم سهاماً صائبات *** فكانوها، ولكن في فؤادي

وقالوا قد سعينا كل سعي *** فقلت نعم ، ولكن في (فسادي)

أسأل الله أن يوفق دعاة الإسلام لأن (يأخذوا حذرهم) فلا يكونوا مطية لغيرهم، وأن يحسن لنا ولهم الخاتمة، ويستعملنا إلى أن نلقاه في طاعته.

مقدمة:

لقد كتب كثير من العلماء والباحثين عن المدرسة العصرانية الحديثة التي نشأت في ديار المسلمين نتيجة التقائهم بالغرب المتقدم مادياً، وأجادوا في بيان انحرافها عن الإسلام بلا مزيد عليه ، ولهذا فإنني لن آتي بجديد في هذا الموضوع، ولكني أردت من خلال هذا البحث المختصر التركيز على انحرافٍ واحدٍ من انحرافات تلك المدرسة –كما سبق– لعله يكون أخطرها، وتوسعت فيه بعض التوسع، ونقلت كلمات مهمة تتعلق به.

نشأة المدرسة العصرانية الحديثة: الأفغاني ومحمد عبده :

تعود نشأة المدرسة العصرانية الحديثة في البلاد العربية إلى جهود رجلين اجتمعا زمناً بمصر ؛ هما جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده .

أما الأفغاني فقد كان غامض الأمر محيرًا للباحثين في حياته وبعد مماته، مما جعلهم يضطربون في مكان نشأته ومذهبه وأهدافه . إلا أنه بعد نشر كثير من

الوثائق والدراسات حوله لم يعد هناك مجالٌ للشك في كونه شيعياً إيرانياً أخفى ذلك ترويجاً لأفكاره بين أهل السنة الذين لن يجد منهم أي احتفاء لو كشف تلك الحقيقة بينهم .

ولكن الخلاف بعد تقرير أمر شيعيته وإيرانيته سيكون حول حقيقة أفكاره، وماذا كان يريد؟

هناك وجهتا نظر للباحثين كلاهما تمتاز بالقوة :

1- الأولى: أن الأفغاني كان يريد إعادة الدولة الشيعية إلى بلاد مصر، ولهذا اختار المقام فيها على غيرها من البلاد الأخرى. وأنه لأجل هذا كان يخفي شيعيته ويدعي الانتساب لآل البيت؛ ليتمكن من تكوين عصبة حوله تعينه على هذا الأمر إذا ما حانت ساعة الصفر -كما يقال-. وأنه كان لا يفضي بهذا الأمر إلا لخاصته؛ كمحمد عبده. وهذه ليست بغريبة على الشيعة الذين لا زالت قلوبهم تهفو إلى هذه البلاد منذ أن طردوا منها، فقد قاموا بعدة تجارب لأجل هذا الأمر؛ من أهمها تجربة السيد ! البدوي الذي أرسله أساطين الرفض في العراق إلى بلاد مصر، فكانت غايته -كما يقول الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف- : "أن يجمع عصبية في الديار المصرية للعلويين ، كتلك العصبيات التي كان يجمعها غيره من الصوفية في أقطار العالم الإسلامي حتى تكون عوناً لهم إذا ما تهيأت الفرصة، ونهضوا لطلب الملك"

ومما يشهد لهذا : الغموض الذي أحاط الأفغاني به نفسه، حيث لم يوضح (بصراحة) حقيقة أفكاره؛ إنما هي أمور عامة يشترك معه فيها غيره.

ومما يشهد لهذا -أيضاً- أن تلميذه محمد عبده كان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

ذرني وأشياء في نفسي مخبأة *** لألبسن لها درعاً وجلبابا

والله لو ظفرت نفسي بطلبتها *** ما كنت عن ضرب أعناق الورى آبا

حتى أطهرهذاالكون من دنس*** وأوجب الحق للسادات إيجابا

وأملأ الأرض عدلاً بعدما ملئت*** ظلماً وأفتح للخيرات أبوابا

فما هي هذه "الحاجات المخبأة في نفسه" ؟! ومن هم "السادات" الذين سيوجب لهم الحق، ويضرب لأجلهم أعناق الناس؟!

وجهة النظر الثانية: تقول بأن الأفغاني ما كان يحفل بالمذاهب كلها، سنيها وشيعيها، بل ما كان يحفل بالأديان نفسها! فالجميع –عنده– شيء واحد، فكانت دعوته موجهة نحو إيقاظ (الشرق) المتخلف –دون نظر إلى أديانه– لمواجهة أطماع (الغرب) المتحضر مادياً، والتحرر من سلطانه وضغوطه، والتخلص كذلك من حكم المستبدين .

فما كان الإسلام عنده إلا ديناً من ضمن الأديان الكثيرة التي يدين بها أبناء الشرق.

ويدلل هؤلاء على وجهة نظرهم بعدة أدلة:

أولها: أنه في كثير من مقالاته يصرح بأن دعوته (شرقية) لا إسلامية. فمن ذلك مثلاً: ما جاء في منهج العروة الوثقى وأهدافها بأنها "ستأتي في خدمة الشرقيين على ما في الإمكان" وقوله عنها : "إنما أنشئت للمدافعة عن حقوق الشرقيين" ويقول أيضاً مبيناً منهاج جريدته : "الغرض تحذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الأجانب عليهم، والإفساد في بلادهم. وقد نخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب في الأقطار التي غدر بها الأجنبيون وأذلوا أهلها أجمعين، واستأثروا بجميع خيراتها" فسبب تركيز الأفغاني على المسلمين كونهم الأغلب في الشرق، ولو كان غيرهم يغلب عليهم لركز عليهم !

أما قضية دعوته إلى الجامعة الإسلامية فيقول عنها الأستاذ عثمان أمين:"إن الجامعة التي كان ينشدها الأفغاني ومحمد عبده في أواخر القرن الماضي ليست هي الجامعة الإسلامية كما توهم بعض الكتاب الغربيين، وإنما هي في صميمها: الجامعة الشرقية"

وقال الدكتور فهد الرومي : "أرى في مقالاته ومقالات تلميذه ما يدل على أنه لا يريد الجامعة الإسلامية بل الجامعة الشرقية التي تجمع دول الشرق: مسلمها وغير مسلمها ضد الاستعمار" .

ويقول محمود أبو رية: "العروة الوثقى كانت تعمل للشرقيين عامة" ويقول الأستاذ: مصطفى غزال: "لو رجعنا إلى كتابات جمال الدين لوجدنا أن دعوته إلى الجامعة الإسلامية في حقيقتها دعوة إلى جامعة شرقية تضم العالم الإسلامي بما فيه من أديان مختلفة وجنسيات متنوعة"

2- ومما يشهد لما سبق –أيضاً- : دخول الأفغاني في الماسونية التي لا تفرق بين الأديان .

3- ومما يشهد لذلك –أيضاً-: ما يصدر من الأفغاني بين الحين والآخر من كلمات في حق الإسلام، تدل على أنه لا ينظر إليه كخاتم للأديان أو أنه الحق دون ما عداه من الأديان الباطلة، وإنما تدل كلماته على أنه ينظر للإسلام كنظرته لأي دين آخر ظهر في الشرق، لا مانع من مجاملته إذا اقتضى الحال ذلك! ولا مانع –أيضاً- من نقده!! فمن ذلك مثلاً: أنه في رده على رينان الذين اتهم الإسلام بأنه سبب تخلف المسلمين أيده على هذا! وقال :"في الحقيقة: إن الدين الإسلامي حاول خنق العلم، وسد جميع التطور، ولذلك نجح في سد الحركات الفكرية والفلسفية" وقال: "إن دين المسلمين يعوق من تطور العلم.. إن جميع الأديان لا سماحة عندها أبداً" وقال : "لا شك عندما سار الإسلام في البلاد التي تملكها باستعمال الجبر والقهر، ما هو معروف، نقل إليها لغته وعاداته ومعتقداته. وهذه البلاد لم تستطع إلى الآن من الخلاص من مخالبه" ! ويقول: "إن هذا الدين –أي الإسلام- حيثما حل حاول خنق العلوم"! .

مثال ذلك أيضاً: قوله للمصريين: "إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد، وربيتم بحجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك والرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون نير الفاتحين، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين... تناوبتكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأكراد والمماليك ثم الفرنسيين والمماليك والعلويين ، وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه، ويهيض عظامكم بأداة عسفه" فالمسلمون –عند الأفغاني- لم يكن فتحهم لمصر في سبيل نشر للإسلام ودعوة العباد إليه، إنما هم مجرد عرب ظالمين كغيرهم من الفاتحين.

4- ومما يشهد لذلك أيضاً –كما يقول الدكتور فهد الرومي- :"هذا الخليط من اليهود والنصارى الذي يحيط به، سليم نقاش من نصارى الشام وهو ما سوني، ... وأديب إسحاق من أكثر الدعاة إلى الماسونية ... وكان من المحيطين به من النصارى : جورج كوتجي، وطبيبه الخاص هارون يهودي. ولم يحضر وفاته إلا كوتجي النصراني وهارون اليهودي، وعند قدومه إلى مصر يسكن في حارة اليهود"

5- ومما يشهد لذلك أيضاً: إنشاء تلميذه محمد عبده في بيروت "جمعية سياسية دينية سرية هدفها التقريب بين الأديان الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية" وقد اشترك معه في ذلك خليط من المسلمين وغير المسلمين.

كل هذه الأدلة تشهد على أن الأفغاني كان من الداعين إلى "الفكرة الشرقية" في مواجهة "الاستعمار الغربي"، وأما أمر الأديان فلم يكن يلقي له بالاً إلا ما يفيده في فكرته هذه .

فملخص دعوته كما يقول أنور الجندي: "الحرية، والدعوة إلى الحكم النيابي والدستور، والتخلص من النفوذ الأجنبي المتمثل في سلطان الدولة الأجنبية المقنع وراء الامتيازات الأجنبية والسيطرة على الاقتصاد والارساليات، والتحرر من الاستبداد السياسي المتمثل في حكم الفرد ونفوذ الخديو وحاشيته" .

أما حكم الإسلام لديار المسلمين والتزامهم بشريعته، فهذا لا يأتي في اهتمامات الرجل، بل إنه كما سبق يرى أن الإسلام من الأديان المستبدة الخانقة للحرية!! ويعني بها حرية الكفر التي يسميها: الفلسفة .

هاتان وجهتا نظر في حقيقة الأفغاني وأهدافه، ولعل الثانية منهما أصوب من الأولى نظراً لقوة أدلتها لمن تأمل .

ماذا فعل الأفغاني بأهل مصر ؟ !

عندما قدم الأفغاني مصر زمن الخديو إسماعيل (1871م) كانت البلاد تعيش في انسجام وألفة بين الرعية وولاة أمورهم، ولا يمنع ذلك من وجود الانحراف الذي كان يعالج من خلال النصيحة الشرعية التي يقوم علماء البلاد المتمثلين في شيوخ الأزهر. وكان للبلاد مجلس شورى يتم من خلاله التشاور حول ما يتعلق بالشئون الداخلية والخارجية .

ولكن هذا الوضع (الشرعي) للبلاد لم يُرض الأفغاني (العصراني) (الثوري) الذي رأى فيه ذلاً واستكانةً للحاكم المنحرف، ورأى أن حل مشاكل البلاد لا يكون بما يقوم به شيوخ الأزهر ومناصحاتهم. إنما يكون من خلال الثورة (وتهييج) الناس على ولاة أمرهم. وقد سعى إلى ذلك من خلال دروسه التي كان يلقيها على مريديه ، ومن

خلال الصحف والمجلات التي سعى كثيراً إلى إصدارها عبر تلاميذه، وحثهم على نشر أفكاره فيها، وكلها تدور حول الثورة وما يسميه زورًا بالحرية!

أحس ولاة الأمر وعلماء البلاد بخطورة ما يقوم به هذا القادم الغريب، مما لمسوه من انتشار أفكاره الثورية بين بعض الأفراد مما يشكل خطراً على أمن البلاد ووحدتها؛ فقرر الحاكم (الخديو توفيق) بمشورة من العلماء نفي الأفغاني وطرده من البلاد لئلا يزداد شره، وذلك عام (1879م). أي بعد سبع سنوات من قدومه.

يقول تلميذه محمد عبده متحسراً بأن الخديو "أظهر سروره مما فعل، وتحدث به في محضر جماعة من المشايخ على مائدة الإفطار في رمضان"

لقد طُرد الأفغاني ولكن بعد أن بذر بذرة الفساد في أرض مصر، وبعد أن تلقفت عقول بعض السُذج والحمقى أفكاره معتقده أن فيها صلاح البلاد، ولكنها –كما سيأتي– قادتهم إلى الهلاك والخسار بسقوطهم محتلين في يد أعداء الإسلام من الإنجليز الذين كانوا يتحينون الفرصة في شق صف البلد المسلم؛ حتى يسهل عليهم احتلاله .

رحل الأفغاني عن مصر ولكن أفكاره المفسدة بقيت تعمل في العقول إلى أن بلغت نهايتها بقيام الثورة العرابية على الحاكم المسلم بقيادة أحد المتأثرين بالأفغاني (وهو أحمد عرابي) ومعاونة من بقية تلاميذ الأفغاني، وعلى رأسهم محمد عبده وعبد الله النديم (خطيب الثورة!) وغيرهم ، فاستغلت بريطانيا الوضع وتدخلت تحت دعوى حماية الأجانب والدفاع عن الحاكم الشرعي!، واحتلت البلاد وقضت على الثورة، ولم تخرج إلا بعد سبعين عاماً تقريباً !!

فانظر –رعاك الله– واعتبر بمآل الأفكار الثورية العاطفية.

يقول محمد عبده : "كان السيد ! جمال الدين كثير التطلع إلى السياسة، شديد الميل إلى الحرية، قوي الرغبة في إنقاذ المصريين من الذل.." !

قلت: بل نقلهم من ذل المسلمين إلى ذل الكافرين !

وقال سليم العنحوري النصراني تلميذ الأفغاني ! في ترجمته لشيخه بعد أن ذكر شيئاً من خطبه الثورية : "وأخذ القوم يشكون من حكومتهم، متململين، ويتطاولون بأعناقهم

إلى ما يقول مشرأبين، ومذ ذلك الحين طارت الشرارة الأولى من شرارات الثورة العرابية" .

وقال –أيضاً–: "كان روح الثورة قد امتد في القطر، بحيث لم يكن إجلاء الأفغاني إلا ليزيده سرياناً وانتشارًا" .

ويقول أبو رية عن الثورة العرابية : "إن هذه الثورة قد شبت من تعاليم جمال الدين" .

ويقول الدكتور عثمان أمين: "ليس هناك شك في أن لجمال الدين يدًا في الحركة العرابية"

ويقول الدكتور مجدي عبد الحافظ –وهو معجب بصنيع الأفغاني!–: "إن الثورة العرابية لم تكن إلا غرسًا طيبًا من تعاليم الأفغاني"

محمد عبده :

أما محمد عبده، فهو أبرز تلميذ للأفغاني، تعرف عليه وهو في عمر صغير يبلغ الثانية والعشرين، فصادفت أفكار الأفغاني قلباً خالياً فتمكنت منه. فأصبح عبده يرددها ويبشر بها من حوله .

يقول الدكتور فهد الرومي: "لئن كان السيد ! جمال الدين الأفغاني هو المؤسس لهذه المدرسة، فإن محمد عبده هو الذي أقام صروحها ودعا إليها، ونشرها بين الناس، فكان بحق هو صاحبها وهو أستاذها وإمامها الأول، فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه" .

وقد فاق عبده شيخه في مسألة تطويع الإسلام وتشكيله بما يوافق حضارة الغرب وثقافته، نظراً لخلفية عبده الدينية التي افتقدها الأفغاني .

محمد عبده (الثوري) :

لقد تشرب محمد عبده الأفكار (الثورية) (التهييجية) من شيخه الأفغاني –كما سبق– وآمن بها، ولم يكن يعارضه فيها، وهذا من المآخذ العظيمة عليه، حيث كان يعلم –وهو الشيخ الأزهري– عدم شرعية هذه الطريقة ؛ وهي تأليب الشعب والعامة على ولاة أمورهم، وتجرئتهم عليه بنشر معايبه، وكان الأولى به أن يقف في وجه انتشار هذه الأفكار الثورية، وأن يسلك الطريق الشرعي الذي سنه الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم في هذا الأمر؛ وهو مناصحة الحاكم فيما أخطأ فيه وانحرف، وتقديم المقترحات النافعة للبلاد لتتخلص من

مشاكلها، والصبر على جور الحاكم وأثرته، كما قال صلى الله عليه وسلم : "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم" قيل: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عملهم ولا تنزعوا يدًا من طاعة" وقال صلى الله عليه وسلم : "عليك السمع والطاعة في عُسرك ويُسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرةٍ عليك" .

فكان الواجب على محمد عبده الشيخ الأزهري أن لا تأخذه العاطفة فينساق مع تلكم الأفكار الضارة التي لا تزيد الأمر إلا شدة وسوءً وضررًا. كما هي سنة الله الثابتة في هذه القضية على مدار التاريخ الإسلامي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : "وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير"

وقال : "إن ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمدًا أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد.."

المهم: أن محمد عبده سكت عن هذه الأفكار الثورية ولم يساهم في وأدها، بل غض الطرف عنها، وتعاطف معها، إلى أن نمت وتعاظمت، حتى كانت نهايتها قيام جهلة العسكريين بقيادة أحمد عرابي بثورتهم ثم (خروجهم) على ولي أمرهم ، الأمر الذي دعاه –وهو ضعيف الدين والعقل– أن يستعين بعدوه وعدوهم (إنجلترا النصرانية) في سبيل إخماد هذه الثورة والحفاظ على ملكه وكرسيه، فما كان من (إنجلترا) –المستعدة لمثل هذا الأمر!– إلا أن لبت النداء ونزلت بجيشها إلى أرض مصر، وقضت على (الثوريين) بقيادة عرابي، ثم طاب لها المقام هناك! فلم تخرج من أرض مصر إلا بعد أكثر من سبعين عاماً !!! فانطبق على محمد عبده وعرابي ومن معهم المثل القائل : (أراد أن يبني قصرا فهدم مصرا)!، فهم أرادوا إنكار ظلم وجور الحاكم بطريقتهم الثورية الخرقاء التي ورطهم بها الأفغاني؛ فتسببوا في ضياع بلادهم وتسليمها لقمة

سائغة للنصارى، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار. نسأل الله العافية، وأن يجعل من هذه الحادثة عبرة لأبناء الإسلام لكي لا يندفعوا خلف الأفكار الثورية التي تدغدغ العواطف في بداية أمرها، ولكنها سرعان ما تسيل الدماء بدل الدموع في نهايته. (إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) .

نهاية ثورته :

قبض على محمد عبده بعد إخماد ثورة عرابي نظراً لتعاطفه معه ومؤازرته له، فكان نصيبه من الأحكام السجن، ثم النفي خارج البلاد المصرية. وقد نال غيره نصيبهم من الأذى والانتقام.

محمد عبده والانقلاب من (الثورية) إلى (العصرانية) :

لقد أصيب محمد عبده بذهول وصدمة شديدة بعد فشل حركة عرابي وقمعها وتمزيقها، مما جعله –وقد توحد وتفرد في السجن- يعيد النظر في هذا المسلك (الثوري) الخاطئ الذي سار فيه فكانت نهايته موجعة عليه وعلى بلاده. ولكن عبده بدلاً من أن ينتقل من (الثورية) إلى الاعتدال والطريق الوسط القائم على العلم الشرعي ونشره بين الناس وتربيتهم عليه، مع الصبر على جور الحاكم ومناصحته إلى أن يستريح بر أو يستراح من فاجر، بدلاً من هذا ارتد إلى الطرف الآخر المقابل للفكر (الثوري) وهو الاستسلام للواقع والتبشير بالفكر (العصراني) الذي يُطَوع الإسلام وأحكامه بما يوافق العصر، ويجعل ما يسمى "بالتعايش السلمي" مع الكفار هدفاً له، ورأى أن علاج مشاكل المسلمين وضعفهم سيكون في تبني مثل هذا الفكر، إضافة إلى تضخيمه لدور العقل على حساب النصوص الشرعية ؛ فانتقل من النقيض إلى النقيض، ومن مفسدة إلى أخرى أشد منها –كما سيأتي-.

ولهذا: فقد أصبحت مهمة محمد عبده بعد أن عاد من المنفى –كما يقول الدكتور محمد محمد حسين- : "التقريب بين الإسلام وبين الحضارة الغربية، واتخذ اتجاهه هذا أشكالاً مختلفة؛ فظهر أحياناً في صورة مقالات أو مشاريع أو برامج تدعو إلى إدخال العلوم العصرية في الجامع الأزهر. وظهر تارة أخرى في صورة تفسير لنصوص الدين من قرآن أو حديث يخالف ما جرى عليه السلف في تفسيرها، ليقرب بها أقصى ما تحتمله، بل إلى أكثر مما تحتمله في بعض الأحيان من قُرب لقيم

الغرب وتفكيره؛ لكي يصل آخر الأمر إلى أن الإسلام يساير حضارة الغرب، ويتفق مع أساليب تفكيره ومذاهبه"

جهود الكفار في نشأة العصرانية وصناعتها :

لقد أذن الإنجليز بعودة محمد عبده من منفاه إلى مصر بعد أن تأكدوا من هجره لأفكاره الثورية السابقة، وتبنيه (الفكر العصراني) المتعاون مع الإنجليز والمهادن لهم. يقول الأستاذ غازي التوبة: "كان الاحتلال الإنجليزي عاملاً أساسياً من عوامل عودة محمد عبده إلى مصر، وقد صرح اللورد كرومر بذلك في كتابه (مصر الحديثة) فقال: "إن العفو صدر عن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني.."

لقد كان الإنجليز رغم احتلالهم لمصر يعلمون أن المجتمع المصري لن يقبل بهم وبأفكارهم بسهولة، بل سيظل يجاهدهم ويعمل على الخلاص منهم؛ لأنهم في نظره (كفار) نصارى محتلون لبلاده. فقد كانت الصفوف وقت احتلال الإنجليز لمصر متمايزة: الشعب المصري المسلم ومن خلفه شيوخ الأزهر من جهة، والمحتل الكافر من جهة أخرى.

وهذا التمايز كان يضيق به الإنجليز، ويعلمون أنه يحول بينهم وبين تنفيذ خططهم في (تغريب) البلاد و(علمنتها) وجعلها تتقبل فكرة أن تكون مجرد ولاية تابعة للإمبراطورية البريطانية .

والإنجليز –أيضاً- يعلمون أن الشعب المصري المسلم لم يكن ليتقبل الأفكار العلمانية الصريحة التي ينادي بها المحتل وأعوانه من أقباط مصر أو النصارى العرب القادمين من الشام.

إذاً فالحل هو صنع طائفة جديدة ترتدي المسوح الإسلامية وتقوم بمهمة (تمرير) الأفكار التغريبية العلمانية بين أفراد المجتمع، وخير من سيقوم بهذه المهمة: الشيخ! محمد عبده الذي كان محبطاً من جدوى العمل (الثوري) –كما سبق-، ومن معه من النبهاء أصحاب الطموح السياسي أو أصحاب الشذوذ الفكري . يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله بأن المستعمر الإنجليزي قام لأجل ذلك بـ"تربية جيل من المصريين العصريين الذين يُنَشؤن تنشئة خاصة تقربهم من الأوروبيين ومن الإنجليز على وجه الخصوص، في طرائق السلوك والتفكير..."

وقال الدكتور مبيناً خطورة المهمة التي قام بها محمد عبده ومدرسته العصرانية: "وخطر التطوير على الإسلام وعلى المجتمع الإسلامي يأتي من وجهين: فهو إفساد للإسلام يُشوّش قيمه ومفاهيمه الأصيلة بإدخال الزيف على الصحيح، ويثبت الغريب الدخيل ويؤكده. فبعد أن كان الناس يشاركون في تصاريف الحياة، وهم يعرفون أن هذا الذي غُلبوا على أمرهم فيه ليس من الإسلام، والأمل قائم في أن تجيئ من بعدُ نهضة صحيحة ترد الأمور إلى نصابها عند الإمكان، يصبح الناس وهم يعتقدون أن ما يفعلونه هو الإسلام. فإذا جاءهم من بعدُ من يريد أن يردهم إلى الإسلام الصحيح أنكروا عليه ما يقول، واتهموه بالجمود والتمسك بظاهر النصوص دون روحها" .

-كانت عملية صناعة الطائفة (العصرانية) تتم من خلال الصالونات التي انتشرت بعد الاحتلال الإنجليزي، لا سيما صالون الأميرة (نازلي فاضل) التي كانت -كما يقول الشيخ محمد بن إسماعيل- المرأة "الوحيدة التي تختلط بالرجال وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته آنذاك ليكون مركزاً تُبث منه الدعوة إلى التغريب.." فكان صالونها شبكة صيد لكل طامح نابه مؤهل لتأدية الدور "العصراني" الذي سيقوم به ! وكانت هذه الصناعة تتم تحت نظر المندوب الإنجليزي في مصر (اللورد كرومر) الذي كان من خلال هذا الصالون كما يقول الدكتور رفعت السعيد "يعايش الصفوة المختارة من المصريين ويتحسس طريقه نحو اختيار أكثرهم صلاحية" ، وقد وجد بغيته وصيده في الشيخ! محمد عبده وتلاميذه المتأثرين به.

يقول الدكتور فهمي الشناوي عن الثعلب كرومر: "ابتداء من 1905م بدأ أخطر وأخبث حيلة؛ حيث ابتدأ في اصطياده نبهاء الأمة الإسلامية في شبابهم، ليلتقطهم ويسند إليهم مناصب كبيرة تخدم خط تكوين قومي على حساب الأمة: التقط سعد زغلول وأسند إليه وزارة المعارف 1906م أهم الوزارات. والتقط الشيخ محمد عبده وجعله مفتي للديار، وبذلك ضمن أولاً تفريغ صفوف الأمة الإسلامية من رجالها ونقلهم إلى صف التفاهم مع الغرب، والتفاوض مع الغرب، واتخاذ الغرب نموذجاً ولو جزئياً ولو ثقافياً.

وأنشأ لنفسه مكاتب وصالونات تروج لفكرة اصطياد نبهاء الأمة -مثل صالون الأميرة ناظلي فاضل، وتم اصطياد لطفي السيد الذي اندفع اندفاعا أعمى ضد الأمة بمقولة

"مصر للمصريين" أي ليست للإسلاميين حتى لو صارت للقبط ما داموا مصريين!
وأسموه فيلسوفاً دون أن تكون له أدنى علاقة بالفلسفة.
واصطاد عبد العزيز فهمي حتى أصبح قاضي قضاة مصر، ولكن بالقانون النابليوني لا بالشريعة !
واصطاد قاسم أمين الذي روج بدعوى مساواة المرأة إلى خلخلة تقاليد وأعراف المجتمع الإسلامي .
واصطاد عبد الرحيم باشا الدمرداش ليجعل للصوفية على الوعي السياسي الإسلامي قدحا معلى.
واصطاد خلفاؤه من بعد نبهاء؛ أمثال عبد الخالق ثروت وطه حسين، وعناصر قبطية؛ مثل البروتستانتي مكرم عبيد سكرتير المستشار القضائي، الذي وصل لقمة الحركة الوطنية، واليهودي رينيه قطاوي الذي وصلوا به إلى وزير مالية لسعد زغلول وزوجته وصيفة للسراي، ومئات غير هؤلاء. وهذا كله لصياغة مجتمع جديد من عجينة جديد" .
ويقول الأستاذ أنور الجندي رحمه الله: "لقد كان الاستعمار حريصاً على صنع طبقة خاصة من المثقفين، عمل كرومر على إعدادها ووعدها بأن تتسلم قيادة الأمة بعد خروج الإنجليز" لعلمه بأن المجتمع المسلم قد يتقبل من هذه الطائفة المتدثرة باللباس الإسلامي ما لا يتقبله من الاحتلال أو من العلمانية.
أما عن الأفكار التي كان الاحتلال يريد ترويجها بين المسلمين عن طريق الطائفة (العصرانية) بقيادة الشيخ ! محمد عبده فهي:
1-التقريب بين المسلمين والكفار، وقد ابتدأت جهود محمد عبده في هذا الأمر عندما كان منفياً في بيروت حيث أسس جمعية للتقريب بين الأديان -كما سبق- ومن أقواله: "نستبشر بقرب الوقت الذي يسطع فيه نور العرفان الكامل، فتهزم له ظلمات الغفلة، فتصبح الملتان العظيمتان: المسيحية والإسلام وقد تعرفت كل منهما على الأخرى، وتصافحتا مصافحة الوداد، وتعانقتا معانقة الألفة، فتغمد عند ذلك سيوف الحرب التي طالما انزعجت لها أرواح الملتين" !
ويقول لتلميذه رشيد رضا: "إن التقريب بين الأديان مما جاء به الدين الإسلامي" .

2–إماتة روح الجهاد في الأمة الإسلامية، وهو أمر مترتب على السابق، يقول الدكتور فهد الرومي: "لعل أول ثمرة يجنيها أولئك القوم في سعيهم إلى التقريب بين الأديان: القضاء على فكرة الجهاد في الإسلام. فما دامت الأديان الثلاثة كلها حق، وليس بينها من فرق، فليس هناك من داعٍ لحمل السيف وإعلان الجهاد ضد النصارى مثلاً" .

قلت: ولهذا كان محمد عبده يرى بأن الجهاد في الإسلام هو للدفاع فقط! ويقول: "القتال فيه –أي الإسلام– لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله" . وهكذا كان رأي تلاميذه من بعده .

بل لم تقتصر محاولة إماتة الجهاد عند محمد عبده على بلاد مصر فقط بل كان يرسل النصائح بذلك إلى علماء الجزائر المحتلة حينذاك من فرنسا!

ومن ذلك قوله للشيخ الجزائري عبد الحميد سمايا سنة 1903م بعد أن نصحه: "الناس محتاجون إلى نور العلم، والصدق في العمل، والجد في السعي؛ حتى يعيشوا في سلام وراحة مع من يجاورهم من أهل الأمم الأخرى" !! فالمهم عند عبده ومن سيتبعه من العصرانيين! "أن يعيش في سلام وراحة" وإن كانت بلاده محتلة مستعبدة من عبّاد الصليب !

والعجب لا ينقضي من حال محمد عبده، الذي انعكست الأمور عنده، فجعل جهده وجهاده –كما سبق– في تهييج المسلمين على ولي أمرهم، والمساهمة في الخروج عليه. وهو أمر لا يقره الشرع. ثم تجده هنا عندما احتاج المسلمون إلى جهاد الكافر المحتل، وهو أمر شرعي، يثبط عن ذلك ويرضى بالمسالمة ! فحُق أن يقال له ما قاله أبو الطيب:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى*** مضر كوضع السيف في موضع الندى!

3–الدعوة إلى الوطنية الإقليمية، وعزل مصر عن العالم الإسلامي. ولمحمد عبده في هذا المقام أقوال كثيرة تؤسس لمثل هذه الفكرة الجاهلية التي تطورت من بعد على يد تلاميذه؛ لاسيما أحمد لطفي السيد صاحب شعار "مصر للمصريين"!

ومن ذلك: قول محمد عبده: "يا أبناء الوطن: لئن فرق بينكم اختلاف الآراء، وتنوع المشارب، وتلون التصورات، فقد وجدتم في الجامعة الوطنية ما تأتلفون به وتجتمعون عليه.."

ثم تبنت الثورة العرابية التي هي ثمرة أفكار العصرانيين هذه الوطنية الجاهلية. يقول الدكتور فهمي الشناوي: "الثورة العرابية هي مأساة إجهاض الأمة الإسلامية؛ حيث انتهت بانفصال مصر عن الخلافة، وبدأت تتكون مصر كوطن.."

4-الدعوة إلى "تطوير الإسلام لكي يوافق الأمر الواقع في حياتنا العصرية" من خلال: فتح باب الاجتهاد على مصراعيه؛ حتى دخل منه القادر وغير القادر، وصاحب الورع وأصحاب الهوى؛ فظهرت الفتاوى الشاذة من جراء ذلك .

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: "إن الاجتهاد في حال افتتاننا بالحضارة الغربية خطر غير مأمون العواقب؛ يخشى معه أن يتحول –من حيث لا يدري المجتهد إن وجد ومن حيث لا يدري- إلى تسويغ للقيم الأجنبية التي هو معجب بها. فإذا لم يكن معجباً بها فالمجتمع الذي هو معجب بها لا يقبل اجتهاده، بل لا تزال تتناوله ألسن السفهاء من جُهاله الذي يتصدون لإبداء الرأي فيما يعرفون وفيما يجهلون حتى يفقد ثقته في نفسه، ويعتبر به غيره، فيفتي حين يُستفتى وعينه على الذين يفتيهم يريد أن يرضيهم، وأن يظفر بتقديرهم وتقريظهم، فيجور على الحق إرضاء للخلق، ويذهل عما عند الله تعجلاً لما عند الناس" .

قلت: وللشيخ! محمد عبده نصيب كبير من هذه الفتاوى (العصرية) التي طوعت أحكام الإسلام لما يريده المحتل الأجنبي أو ما يريده أهل العصر؛ كفتواه بإباحة ربا صناديق التوفير، وإباحة ذبائح النصارى التي يضربونها بالبُلط ولا يذكرون عليها اسم الله! ولدى العصرانيين في كل زمان ومكان مزيد ! .

يقول الدكتور محمد محمد حسين معلقاً على فتاوى عبده : "مثل هذه الآراء قد تبدو في ظاهرها لا بأس بها، ولا غبار عليها، بينما هي في حقيقة الأمر تدعو إلى مذهب التحرر (Liberalism) الذي يذهب في التسامح الديني إلى درجة تكاد تنمحي معها الحدود الفاصلة بين المذاهب والنحل" . وهذا كلام نفيس يغيب عن السذج الذين ينظرون إلى مثل هذه الآراء على أنها مسائل فقهية مجردة.

5-الدعوة إلى تحرير المرأة المسلمة، وهو هدف أساس لدى الكفار في كل حين وآن، وقد قام الشيخ ! محمد عبده ومدرسته بتحقيقه أيما تحقيق.

أما الشيخ! فقد صدرت مجلة (السفور) بإشارة منه . وقد شارك مشاركة فعالة في تأليف كتاب (تحرير المرأة) لتلميذه قاسم أمين كما أثبت ذلك بعض الباحثين . وأما تلاميذه فقد اشتطوا أكثر منه في هذه القضية؛ فتلميذه قاسم بعد ست سنوات من تأليفه (لتحرير المرأة) كشر عن أنيابه وأبان عن حقيقة فكرته التغريبية في كتابه الآخر (المرأة الجديدة) "الذي بدأ فيه أثر الحضارة

الغربية واضحاً" "وبينما كنت تراه هادئا في كتابه الأول، يحوم حول النصوص الإسلامية، ويمتص رحيقها لتعضيد مواقفه في المطالبة بحقوق المرأة، انقلب في الكتاب الثاني يسلط حمم غضبه ويستعمل عبارات قاسية في التعبير عن رأيه، عبارات لا تقرها المرأة ذاتها. فهو لا يقبل بزعمه: حق ملكية الرجال للنساء!"

وتلميذه الآخر سعد زغلول كان من المؤيدين بشدة لهذه الفكرة وكان –كما يقول الشيخ محمد بن إسماعيل– : "المنفذ الفعلي لأفكار قاسم أمين" وذلك بواسطة زوجته صفية التي كانت من أوائل المتحررات.

وأما لطفي السيد، فقد قال الدكتور حسين النجار: "حظيت دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة من تأييد لطفي السيد بما لم تحظ به من كاتب أو صحفي آخر" .

وقال –أيضا– : "ويقيم لطفي السيد من دار "الجريدة" منتدى للمرأة تقصده محاضرة ومستمعة" .

قلت: ولذا فقد كتب في جريدته مقالات بعنوان: "قاسم أمين القدوة الحسنة" !! يقول فيها مخاطباً الشباب المصري: "ليعتنق كل عامل منهم أنماط قاسم في حسن تفكيره" .

وأثنى كثيراً على دعوته الفاجرة، وتطبيقاً من لطفي السيد لهذه الحركة التحريرية للمرأة المسلمة قام (عندما كان مديراً للجامعة المصرية) هو وأصحابه –وعلى رأسهم طه حسين!– بخطة ماكرة أقروا فيها دخول (البنات) لأول مرة في الجامعة المصرية واختلاطهن في الدراسة بالبنين! فكانوا أول من فعل ودعا إلى هذه الضلالة التي لا

زالت تعيشها الجامعة المصرية إلى اليوم، فعليه وزرها ووزر من عمل بها. قال الزركلي في ترجمته: "هو أول من سهَّل للفتيات دخول الجامعة في بدء إنشائها".
وانظر تفاصيل هذه الخطة الخبيثة في كتاب: "أحمد لطفي السيد" للدكتور حسين النجار، ص 317 وما بعدها.
والخلاصة كما يقول الشيخ ناصر العقل –حفظه الله–: "تركيز الاتجاهات العقلية الحديثة على إفساد المرأة من الأمور التي أصبح يدركها ويدرك آثارها وخطرها جميع الناس على مختلف مستوياتهم، وقد فعلت وقطعت في ذلك خطوات واسعة، ولا أظنني مبالغاً حين أرى أن نجاح الاتجاهات العقلية في إفساد الأمة والعقيدة والناشئة الإسلامية عن طريق إفساد المرأة أكثر منه عن طريق غيره من الوسائل الأخرى الفكرية والعملية"
كيف صُنعت العصرانية ؟ !
لقد استخدم الإنجليز في مصر بقيادة الثعلب كرومر خطة ماكرة في سبيل صناعة الطائفة العصرانية وتقديمها لأبناء المجتمع المصري المسلم كممثل للصوت الإسلامي، وهي في حقيقتها مجرد وسيط ناقل للأفكار العلمانية التغريبية التي ترسخ الوجود الأجنبي والثقافة الغربية. ومن المهم جدًا معرفة نقاط هذه الخطة الماكرة؛ لأنها مما كرره ويكرره الغرب وأذنابه في مختلف بلاد المسلمين ؛ليحذرها أهل الإسلام – لا سيما الدعاة – . فإليك ما تبين لي منها:
1–الثناء والمديح من الغرب على الطائفة العصرانية: وأنها تمثل (وسطية) الإسلام! واعتداله! فمن ذلك: قول اللورد كرومر عن محمد عبده ومدرسته: "لما أتيت مصر القاهرة سنة 1883م كان الشيخ محمد عبده من المغضوب عليهم لأنه كان من كبار الزعماء في الحركة العرابية. غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبقاً لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق فعين الشيخ بعد ذلك قاضياً في المحاكم الأهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة. وفي سنة 1899م رقي إلى منصب الإفتاء الخطير الشأن فأصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الإسلامي مع مابه من سعة العقل واستنارة الذهن. وأذكر مثالاً على نفع عمله: الفتوى التي أفتاها في ما إذا كان يحل

للمسلمين تثمير أموالهم في صناديق التوفير، فقد وجد لهم باباً به يحل لهم تثمير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الإسلامي في شيء .

أما الفئة التي ينتمي الشيخ محمد عبده إليها من رجال الإصلاح في الإسلام فمعروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد أحمد الشهير الذي أنشأ مدرسة كلية في عليكره بالهند منذ ثلاثين عاماً . والغاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي إصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزعوا أركان الدين الإسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني. فعملهم شاق وقضاؤه عسير: لأنهم يُسْتهدفون دائماً لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء أغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين.

أما مريدو الشيخ محمد عبده وأتباعه الصادقون فموصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون، وهم بالنظر إلى النهضة الملية بمنزلة الجيروندست في الثورة الفرنسوية، فالمسلمون المتنطعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلالة والخروج عن الصراط المستقيم، فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين إليهم ويسيرون بهم في سبيلهم. والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الإسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة. فهم وسط بين طرفين، وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين، كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين، غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين إذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت.

ولا يدري إلا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها، فالزمان هو الذي يظهر ما إذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولا، وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءها على توالي الأيام، إذ لا ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشد إليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الإصلاح من المسلمين الخير منه لبني ملتهم إذا ساروا فيه. فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين" .

وقال أيضاً: "إن حزب الشيخ محمد عبده هو الحزب المعتدل في مصر"

وقال عنه أيضاً: "وكان لمعرفته العميقة بالشريعة الإسلامية، ولآرائه المتحررة المستنيرة أثرها في جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى"

ويقول الأستاذ سيد يوسف في كتابه (الإمام محمد عبده رائد الاجتهاد..، ص67): "أدرك كرومر منذ البداية دور التهدئة الذي يمكن أن يقوم به محمد عبده؛ فأثنى عليه، وتظاهر له بتشجيع مشاريعه وطموحاته..".

ويقول أحد المستشرقين عن محمد عبده : "يعد من أشهر الشخصيات المحترمة في تاريخ الإسلام الحديث..... إن كتابات الشيخ محمد عبده تمتاز بشيء من الجدة في روحها ... إلخ المديح"

ويقول الدكتور الإنجليزي ادوارد براون عنه : "ما رأيت في الشرق ولا في الغرب مثله" !!

يقول الدكتور محمد محمد حسين عن محمد عبده: "كثرة من النصوص في كتب ساسة الغرب ودارسيه تصور رأيهم فيه وفي مدرسته وتلاميذه ومكانه من الفكر الحديث، وهي جميعاً تتفق على تمجيده والإشادة به وبما أداه للاستعمار الغربي من خدمات؛ بإعانته على تخفيف حدة العداء بينه وبين المسلمين.."

2- تسليط الأضواء عليهم وتلميعهم عبر وسائل الإعلام!

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله في كلام خطير ينبغي تأمله: "والواقع أن كثيراً من هؤلاء الرجال -أي العصرانيين- قد أحيطوا بالأسباب التي تبني لهم مجداً وذكراً بين الناس، ولم يكن الغرض من ذلك هو خدمتهم، ولكن الغرض منه كان ولا يزال هو خدمة المذاهب والآراء التي نادوا بها، والتي وافقت أهداف الاستعمار ومصالحه. فقد أصبح يكفي في ترويج أي مذهب فاسد في تأويل الإسلام -كما لاحظ جب في كتابه (Modern Trends in Islam) أن يقال: إنه يوافق رأي فلان أو فلان من هؤلاء الأعلام. ويكفي في التشهير بأي رأي سليم أن يُنسب إلى ضيق الأفق، الذي لا يلائم ما اتصف به هذا أو ذلك من سعة الأفق والسماحة وصحة الفهم لروح الإسلام، على ما تزعمه الدعايات. وليس مهماً أن يكون ذلك عن حسن قصد منهم أو عن سو قصد، وليس مهماً أن يكون الاستعمار هو الذي استخدمهم لذلك، ووضع على ألسنتهم وأقلامهم هذه المذاهب والآراء، أو أن تكون هذه الآراء قد

نشأت بعيدة عن حضانته ورعايته، ثم رآها نافعةً له، فاستغلها وعمل على ترويجها.
المهم في الأمر هو أن المجد الذي ينسب لهؤلاء الأفراد ليس من صنعهم ولا هو من صنع الشعوب التي عاشوا فيها، ولكنه من صنع القوى التي استخدمتهم أو التي تريد أن تستغلهم، سواء كانت هذه القوى هي الاستعمار أو هي الصهيونية العالمية بمختلف وسائلها وأجهزتها.
وخطة الاستعمار والصهيونية العالمية في ذلك كانت تقوم –ولا تزال– على السيطرة على أجهزة النشر التي نسيمها الآن (الإعلام)، وإلقاء الأضواء من طريقها على كتاب ومفكرين من نوع خاص، يُبْنَون ويُنَشَّؤن بالطريقة التي يُبْنى بها نجوم التمثيل والرقص والغناء، بالمداومة على الإعلان عنهم، والإشادة بهم، وإسباغ الألقاب عليهم، ونشر أخبارهم وصورهم. وذلك في الوقت الذي يُهمل فيه الكتاب والمفكرين الذين يصورون وجهات النظر المعارضة، أو تشوَّه آراؤهم وتُسفَّه، ويُشهَّر بهم. ثم هي تقوم على تكرار آرائهم آناً بعد آن لا يملون من التكرار؛ لأنهم يعلمون أنهم يخاطبون في كل مرة جيلاً جديداً، أو هم يخاطبون الجيل نفسه، فيتعهدون بالسقي البذور التي ألقوها من قبل"
قلت: وهذا كلامٌ نفيس من رجل خبر القوم، يحق لأهل الإسلام أن يتأملوه ؛ فيتثبتوا من خطواتهم .
ويقول رحمه الله متحدثاً عن رأسي العصرانية في هذا الزمان: الأفغاني وعبده، وهو حديث ينطبق على مدرستهما : "كان من وراء الأفغاني ومحمد عبده كليهما قوتان كبيرتان تعملان على ترويج آرائهما، وإعلاء ذكرهما، وهما: الماسونية –قمة الأجهزة الصهيونية السرية– والاستعمار. وقد نجحت هاتان القوتان في تدعيم زعامتهما الفكرية والدينية في المجتمع الإسلامي كله، وفي إضعاف أثر أعدائهما الكثيري العدد من علماء الإسلام المعاصرين، وحجب ما كتبوه عن جمهور القراء، فلم يمض على موت محمد عبده أكثر من ربع قرن حتى أصبح الأزهر –موطن المعارضة الأصيل لمحمد عبده وللأفغاني– عامراً بأنصارهما الذين يحملون لواء الدعوة إلى (التجديد) وإلى (العصرية)"
3- تشجيعهم ودعمهم في تولي المناصب المهمة:

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: "وقد ظل أصدقاء محمد عبده وأنصار دعوته يكثرون بما يلقون من تشجيع الإنكليز، الذين كانوا يمكنون لهم في إدارات الحكومة وفي مناصب الدولة الكبرى"

ويقول اللورد كرومر: "إنني قدمت لمحمد عبده كل تنشيط استطعته مدة سنين كثيرة، ولكنه عمل شاق، فضلاً عن العداء الشديد الذي كان يلاقيه من المسلمين المحافظين، كان لسوء الحظ على خلاف كبير مع الخديو، ولم يتمكن من البقاء في منصب الإفتاء، لولا أن الإنكليز أيدوه بقوة"

وأما سعد زغلول فقد اختاره اللورد كرومر –كما سبق– وزيراً للمعارف . وكان سعد يقول عن اللورد كرومر –كما في مذكراته– : "كان يجلس معي الساعة والساعتين، ويحدثني في مسائل شتى كي أتنور منها في حياتي السياسية"!

وبعد وفاة محمد عبده استمر الدعم لتلاميذه وتياره الذي تمثل في حزب "الأمة". يقول أحد الباحثين الأجانب: "لقد تلقى حزب الأمة عونًا حقيقياً وأكيدًا من اللورد كرومر"

العصرانية والعلمانية وجهان لعملة واحدة !

من تأمل جيدًا أهداف وأفكار (العصرانيين) وجدها نفسها أهداف وأفكار (العلمانيين)، وإنما الفارق شكلي: وهو أن (العصرانيين) قدموا أفكارهم بعد أن غلفوها وألبسوها اللباس (الشرعي)، وأما (العلمانيون) فلم يفعلوا هذا.

فالطائفتان تلتقيان في نهاية الأمر حول أهداف واحدة: كالتقارب بين الأديان، والدعوة للديمقراطية الغربية، والتهوين من شأن الحكم بما أنزل الله، والتحايل على إسقاط أحكام الشريعة؛ لاسيما الحدود، والدعوة إلى تحرير المرأة.. الخ.

لهذا: فإن عقلاء الباحثين ممن ينظرون إلى مآل الأفكار لا حاضرها؛ سواء كانوا من الإسلاميين أم من غيرهم لم يخفَهم هذا الالتقاء بين الطائفتين، ورأوا أن الطائفة العصرانية إنما هي بوابة وقنطرة للعلمانية، وأنه لا مكان في جميع الأفكار التي طرحوها للون الرمادي الذي يزعمون أنهم يتبنونه، وأنه وسط بين الأبيض والأسود، فهذا اللون –في الحقيقة– لا يوجد إلا في الأذهان، أما في أرض الواقع فلا مجال إلا بالتزام أحكام الإسلام وهو اللون الأبيض، أو اللحاق بركب العلمانيين، وهو اللون الأسود. ومن ادعى أنه سيسير بينهما فهو واهم، وعن قريب هو صائر إلى أحدهما

كما حدث لتلاميذ المدرسة العصرانية؛ حيث انضم أكثرهم إلى العلمانية (الخالصة)، وتراجع قلة منهم عندما عرفوا مصير السير وراء الأفكار التوفيقية الرمادية؛ كرشيد رضا .

1- يقول الدكتور محمد جابر الأنصاري واصفاً وضع المدرسة العصرانية: "فالحاصل إن إدخال الأفكار الوافدة -بعد تشذيبها- ضمن المركب التوفيقي لا يضمن أنها ستبقى دون تأثير خطير، وأنها ستظل منضبطة بالحدود الاعتقادية الدينية. فهي نظراً لكونها جزيئات من حضارة أخرى ذات محتوى اعتقادي مغاير، فإنها تحتفظ في باطنها بطبيعتها الأصلية الخاصة المعدية، والمباينة للطبيعة الإسلامية، وتتحرك -بوعي أو دون وعي من التوفيقيين (أي العصرانيين) الذين قبلوها بشروطهم وضوابطهم- تتحرك حسب منطقها الذاتي وقوانينها الحركية الوافدة معها من كيانها الحضاري الأول، إلى أن تخلق دينامية مستقلة تؤثر على المركب الفكري التوفيقي كله وتوجهه وجهة جديدة لم تكن في حسبان التوفيقيين في البداية، أو تخل بالمعادلة كلها لتشق طريقها في تيار متميز خارج مجرى التوفيق. هذا إذا لم تنشطر التوفيقية إلى نقيضيها نتيجة لذلك.

وهذا ما يفسر خروج أشهر العلمانيين في الفكر العربي مثل لطفي السيد وطه حسين من تحت العباءة التوفيقية للشيخ محمد عبده"

2- ويقول ألبرت حوراني عن محمد عبده: "كان يريد أن يقيم سدًا في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليها إلى العالم الإسلامي؛ لتحتل المواقع واحدًا تلو الآخر، ثم جاء فريق من تلاميذ محمد عبده وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى العلمانية"

3- ويقول الدكتور محمد كامل ضاهر: "أعطى الشيخ محمد عبده تشجيعاً كبيراً للعلمانيين ومنطلقاتهم الفكرية، بل إنهم اعتمدوا على الكثير من آرائه لدعم اتجاهاتهم وحركتهم في مجتمع مشبع بالقيم والتقاليد الدينية الراسخة. فماذا يطلب العلمانيون أكثر من رأيه في السلطتين الزمنية والدينية؟! ونظرته إلى العقل، ودوره في تنظيم شؤون الحياة والمجتمع؟ ورأيه في المرأة وفي كثير من المسائل المالية والاجتماعية

التي اجتهد فيها لمصلحة الأمة والوطن والفقراء من الناس، وليس للمصالح الفردية؟.
وإذا صح أن معظم ما كتبه قاسم أمين عن المرأة هو من بنات أفكار عبده فذلك يعني أن الرجل أصبح في أخريات عمره مشبعاً بالأفكار العلمانية الغربية ومتحمساً لها، حتى أنه كان في طليعة الدعاة لإنشاء الجامعة الأهلية المصرية التي افتتحت عام 1908. لقد تركزت استراتيجيته الحقيقية على إحياء حقائق الإسلام على ضوء الفكر الحديث، وعلى جعل الأخلاق قاعدة الحياة الاجتماعية والفكرية الجديدة في مصر، دون أن يحاول استئصال الماضي أو إحيائه كلياً، بل اعتمد هذا الماضي كأساس لبناء مجتمع متطور توفره ثقافة الغرب العقلية وعلومه الحديثة.
وإذا كان عبده قد حاول أن يكون سدًا منيعاً أمام العلمانية المادية التي حملها المهاجرون الشوام المسيحيون إلى مصر، فإن ما طرحه من أفكار تنويرية جعل معظم العلمانيين المسلمين يتخذون من أفكاره سلاحاً يدافعون به عن معتقداتهم الهادفة إلى علمنة كاملة للمجتمع الإسلامي العربي، وفي طليعتهم قاسم أمين وأحمد لطفي السيد ومحمد حسين هيكل وزملاؤه في حزب الأمة"
4- ويقول النصراني (جب) عن محمد عبده: "إن ما أثر على نفوس قرائه العلمانيين: تلك الروح التي عالج بها مسائل العقيدة والتطبيق؛ لاسيما القوة التي حارب بها التعليم التقليدي"
5- ويقول الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى في كتابه (تاريخ مصر السياسي) عن محمد عبده وتلاميذه بأنهم: "كانوا أكثر فعالية من كل العلمانيين الصرف" !
6- ويقول الأستاذ نعيم عطيه : "ولا شك في أن محمد عبده لعب دوراً رئيسياً في محاولة التوفيق بين المبدأ الديني والعلم، وبذلك أعطى العقل سندًا قوياً منتصراً له على التقليد. وفتح في الخط الديني الملتزم ثغرة كبرى أتيح بفضلها للتيار العلمي أن يدخل حلبة الصراع الفكري ويثبت أقدامه قوة قائمة بذاتها. وكان طبيعياً بالتالي أن يتحول التيار العلمي على صعيد العمل السياسي البحت إلى دعوة للعلمانية وفصل الدين عن الدولة" .
7- ويقول الشيخ سفر الحوالي : "لم يكن محمد عبده علمانياً، ولكن أفكاره تمثل بلا شك حلقة وصل بين العلمانية الأوربية والعالم الإسلامي، ومن ثم فقد باركها المخطط

اليهودي الصليبي، واتخذها جسرًا عبر عليه إلى علمانية التعليم والتوجيه في العالم الإسلامي، وتنحية الدين عن الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى إبطال العمل بالشريعة والتحاكم إلى القوانين الجاهلية المستوردة، واستيراد النظريات الاجتماعية الغربية. وهو قائم جميعه تحت ستار الإصلاح أيضاً. أما الجماهير الإسلامية فقد اتخذت أفكار (الشيخ) الإصلاحية مبررًا نفسيًا لتقبلها للتغيير العلماني"

8- ويقول الشيخ ناصر العقل عن محمد عبده وتلاميذه: "لهم آراء ومناهج ليست علمانية (صريحة) لكنها في سبيل العلمنة"

9- ويقول الدكتور سعيد الزهراني: "لقد تركت أفكار محمد عبده أثرها على تلاميذه، ومن جاء بعده، بل لقد عظمت حتى وصلت إلى الصراحة بموافقة الفكر الغربي العلماني"

10- ويقول الشيخ محمد بن إسماعيل : "لقد كان محمد عبده يريد أن يقيم سدًا في وجه التيار العلماني اللاديني ليحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الإسلامي لتحتل المواقع واحدًا تلو الآخر، ثم جاء فريق من تلاميذ محمد عبده وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى طريق العلمانية اللادينية:

رام نفعاً فضر من غير قصد ** ومن البر ما يكون عقوقا"

11- ويقول الأستاذ محمد حامد الناصر بعد دراسته لأفكار العصرانيين : "حقيقة العصرانية: دعوة إلى العلمانية" ثم ذكر أقوالاً لبعض العصرانيين الأحياء؛ كحسن حنفي ومحمد عمارة يصرحون فيها بتبني العلمانية.

12- ويقول الدكتور عبد الرحمن الزنيدي: "لقد كان من آثار خبو وهج العلمانية في البيئات الإسلامية أن تقمص بعض أتباعها رداء الإسلام؛ ليتحركوا تحت رايته بعلمانيتهم بأسماء مختلفة؛ كالإسلام التقدمي، وفكر الإستنارة الإسلامي، أو اليسار الإسلامي..."

العلمانيون يدعمون العصرانيين!!

لقد عرف العلمانيون حقيقة أفكار العصرانيين، وأنها نفس أفكارهم، ولكنها تجد القبول من سُذج المسلمين نظراً لواجهتها الإسلامية، وكونها تستتر خلف الشيخ!! فلان،

والداعية!! علان، بخلاف أفكارهم العلمانية الصرفة، ولهذا فقد تترسوا بهم، ووجدوا فيهم خير مطية يمتطونها لاختراق المجتمعات الإسلامية التي لم تجد العلمانية فيها موطئ قدم، وجعلوهم طليعة لهم في غزو تلك المجتمعات وخلخلتها بطرح الأفكار المتنوعة المناسبة لهم، التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب، وكسر هيبة كبار العلماء، وشق وحدة الصف فيها؛ ليسهل عليهم بعد ذلك التمكن منها.

ولهذا كله: فلا تعجب إن سمعت أو قرأت بأن فلاناً (العصراني) يُكال له المديح من جماعة العلمانيين، ويُصدر مجالسهم وندواتهم، وتُفتح له وسائلهم، ويكتب في صحفهم؛ لأن الجميع قد التقوا على أهداف واحدة؛ فانطبق عليهم قوله تعالى (ربنا استمتع بعضنا ببعض... الآية) .

ودعم العلمانيين للعصرانيين يكون بالآتي:

1-إفساح المجال لهم ليبثوا أفكارهم عبر الوسائل الإعلامية التي يسيطرون عليها في مقابل تهميشهم لأهل الإسلام من دعاة الكتاب والسنة، الثابتين على الحق، غير المتلونين أو المتذبذبين.

2-المبالغة في مدحهم ووصفهم بصفات الاعتدال والوسطية وسعة الصدر للآخرين....الخ. مع لمز أهل الإسلام ودعاة الكتاب والسنة بضيق الأفق، والتحجر!، وعدم قبول الآخر!!..الخ

فعلى سبيل المثال: هذا (العلماني) الشهير الدكتور جابر عصفور في كتابه "هوامش على دفتر التنوير" يهاجم علماء ودعاة الكتاب والسنة من أمثال الشيخ ابن باز – رحمه الله- والدكتور عوض القرني وغيرهم. ثم في المقابل يكيل المديح لمحمد عبده وتلاميذه ويختم مديحه قائلاً: "إن كرامة هذه الأمة في التاريخ قد أخذت في الضياع حين ضاعت الحرية العقلية والحرية السياسية والحرية الاجتماعية، وحين لم نبدأ من حيث انتهى إليه أمثال طه حسين وأحمد زكي أبو شادي، وحين قمعنا العقل بالتقليد، والشك بالتصديق، وحين استبدلنا بأمثال الشيخ محمد عبده ومحمد فريد وجدي قوماً آخرين" قلت: وهذا من قبيل "ليس حباً في علي وإنما بغضاً لمعاوية"!

ويقول في مقدمته لكتاب "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق: "وبقي الكتاب نفسه وثيقة رائعة من وثائق التنوير، وثيقة تعلمنا أننا ننتمي إلى تراث عظيم، وأن لنا

من المشايخ ما نفخر به: رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وعلي عبد الرازق وأمثالهم، هؤلاء هم الذين ننتهي إليهم، وهؤلاء هم الذين أسهموا في صنع وعينا الحديث وإيماننا الراسخ بالدولة المدنية وبالمجتمع المدني، وهؤلاء هم الذين علمونا أن لا تناقض ولا تعارض بين الدين والدولة المدنية التي تسعى إلى التقدم، أو بين رجل الدين والمجتمع المدني الذي يتسلح بالعلم، ويبني مستقبله بهذا العلم، وإذا أضفنا إلى هؤلاء المشايخ العظام أقرانهم من الأفندية دعاة التنوير، أدركنا أن ما تقوم عليه نهضتنا وثقافتنا أقوى وأعظم من أن يتأثر بأية هبة من هبات الإظلام"!!

3-عدم السماح لأحد بنقدهم أو النيل منهم، بل إحاطتهم بهالة من القداسة المصطنعة .

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: "ومن شاء أن يعرف المكان الصحيح والقيمة الحقيقية لمحمد عبده وللأفغاني أن ينظر في الصحف اليومية والمجلات الدورية وفي كتب الكتاب اللبراليين الذين لا يسمحون بأن يُمس أي منهما، والذين يهاجمون بفظاظة وشراسة كل من يمسهما من قريب أو بعيد، مع أن هذه الصحف والمجلات والكتاب لا يُعرفُ عنهم غيرة على الإسلام في غير هذا الموضع، بل إنهم لا يثورون حين يُمس رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويرون أن ذلك مما تسعه حرية الفكر واختلاف الرأي، بل إنهم يلتزمون التزاماً دقيقاً أن لا يُذكر اسم محمد عبده إلا مقروناً بلقب (الإمام)، ويذكرون اسم الرسول صلى الله عليه وسلم مجرداً، ويستكثرون إذا ذُكر الرجل من أصحابه أن يقولوا "سيدنا فلان" أو يُتبعوه، كما تعود المسلمين أن يقولوا في الدعاء له: رضي الله عنه"

4-التحسر عليهم وتكريمهم حتى بعد مماتهم !

وقد سبق تحسر العلماني جابر عصفور على أئمة العصرانية.

ويشهد لهذا ما قام به العلمانيون في مصر من تأبين لمحمد عبده بعد وفاته، وعمل حفلة خاصة به في الجامعة المصرية؛ لتعداد مآثره!

نهاية العصرانية :

لقد قام العصرانيون بمهمتهم خير قيام، ثم اختفوا بعد أن عبَّدوا الطريق لطلائع العلمانيين الذين تولوا قيادة المجتمع المسلم بعد أن تمت خلخلته من قِبَل أفراد التيار

العصراني؛ فقطفت الجماعة العلمانية بقيادة (جمال عبد الناصر وإخوانه) الثمرة بعد حين، عند سقوط الملكية في مصر ، فقاموا –أخزاهم الله– بتنفيذ مخططات الغرب في علمنة وتغريب المجتمع المسلم علانية ودون خفاء.

أما العصرانيون بعد ذلك فلا تُحس منهم أحدًا أو تسمع لهم ركزا ؟! لقد اختفوا من الساحة يندبون حظهم ويجرون أذيال الخيبة والذل الذي أورثوه قومهم عندما جعلوا منهم لقمة هنيئة لبني علمان، فهل من معتبر ؟

نتائج مهمة :

أولاً: أن العداوة بين المسلمين والغرب (اليهودي النصراني) مستمرة إلى يوم القيامة؛ بنصوص الكتاب والسنة. قال تعالى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) وقال: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)، وقال: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً).. إلى غير ذلك من الآيات.

ثانياً: أن الغرب الكافر استغل تأخر المسلمين واصطدامهم بحضارته المادية في صنع العصرانية ليتخذها وسيلة لمسخ بلاد المسلمين.

ثالثاً: أن لجوء بعض الإسلاميين للثورة والتهييج قادهم بعد فشل مشروعهم المخالف للكتاب والسنة إلى الارتداد للفكر العصراني؛ لأن لكل فعل ردة فعل مساوية له في القوة ومخالفة له في الوجهة. ولو لزم هؤلاء المسلك الشرعي منذ البداية لما تورطوا في تبني طرفي النقيض: التهييج ثم العصرنة .

رابعاً: قام بعض الإسلاميين –وقد يكون ذلك عن حسن نية منهم وبسبب تقصير بعض العلماء – بكسر هيبة كبار العلماء، وتنفير الشباب منهم؛ مما أدى بالشباب إلى الإنصراف عن علمائه ولجوئه –تعويضاً للمرجعية– إلى غيرهم من أهل الطموح السياسي، قليلي العلم والورع، ممن قد لا يرتضيهم ذلك البعض من الإسلاميين الذين يحق فيهم المثل العربي: (يداك أوكتا وفوك نفخ).

يقول الشيخ مصطفى صبري عن الشيخ العصراني محمد عبده: "لما أراد النهوض بالأزهر حارب علماءه القدماء، وفض المسلمين وخصيصًا الشباب المتعلمين من حولهم، حاربهم حتى أماتهم، أو على الأقل أنساهم نسيان الموتى، فأصبح بفضل

النهضة التي نادى بها الشيخ محمد عبده يقول رجل مثل الدكتور زكي مبارك "الرسالة" عدد 572: "نزعنا راية الإسلام من أيدي الجهلة (يريد بهم علماء الدين) وصار إلى أقلامنا المرجع في شرح أصول الدين" .

خامساً: أن تقصير كبار العلماء –إما في مكافحة الانحراف أو التصدي لقضايا المسلمين أو للظلم ونحو ذلك– ليس مسوغًا لصرف الشباب المسلم عنهم؛ لأنهم –أي الشباب– كما سبق سيلجئون إلى غيرهم من أهل الزيغ الذين يفوق زيغهم وانحرافهم تقصير أولئك العلماء الكبار . إنما كان الواجب على دعاة الإسلام أن يوثقوا العلاقة بعلمائهم ويربطوا الشباب بهم، ويناصحوهم في تقصيرهم، ويشدوا من أزرهم في الوقوف صفًا واحدًا أمام أعداء الإسلام ممن يريد خلخلة المجتمع المسلم ويستغل بخبث هذا الفصام بين الفئتين المؤمنتين. قال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).

سادساً: أن الطائفة العصرانية لابد لها من (شيخ) متزود بالعلم الشرعي –الذي يحجزه عن كثير من انحرافاتهم– تقف وتتترس وراءه! أما بدون هذا (الشيخ) فإنها لن تفلح في مسعاها؛ لعدم قبول المسلمين لها؛ نظرًا لضحالتها الشرعية وزيغها الواضح.

وقد كان هذا (الشيخ) يتمثل في محمد عبده.

يقول الأستاذ بسطامي سعيد: "تلمح عند محمد عبده بعض ملامح المنهج العصراني؛ من صرف القرآن عن غير معانيه الظاهرة أحياناً؛ بحجة أنها تمثيل وتصوير، ورد للسنة الصحيحة أحياناً لمعارضتها ما يظن أنه علوم العصر، واستخدام المنهج التاريخي لمعالجة قضايا وأحكام الشريعة وربطها بظروف وملابسات مؤقتة. وإذا كانت هذه النزعات عند محمد عبده نزعات ضعيفة ومصغرة، ربما بحكم ثقافته الأزهرية، إلا أنها قد تركت آثارها في تلامذته من بعده، فتضخمت في مجموعة منهم، وصارت مضاعفة مكبرة"

سابعاً: أن هذه الفئة المتترسة خلف (الشيخ) العصراني، لن تكتفي باجتهادات (شيخها)، أو تقف عند الحدود التي حدها لهم ويرى أن في تجاوزها خطرًا على دينهم؛ نظرًا لمعرفته بالنصوص الشرعية! بل ستتجاوزها وتتخطاها باجتهادات كثيرة لا خطام لها ولا زمام؛ لأنه لا ضابط لهم حينها؛ نظرًا لضحالتهم الشرعية. لاسيما

وقد استفادوا من (شيخهم) العصراني روح التجديد! والاجتهاد! وتجاوز الأعراف والتقاليد!... الخ زخارف القوم.

ولقد تنبه أحد الأذكياء (وهو المنفلوطي) إلى خطورة هذا الأمر في دعوة شيخه العصراني محمد عبده فخص هذا بمقالة جميلة تخيل فيها أنه استمع إلى حوار بين شيخه محمد عبده وقاسم أمين في عرصات يوم القيامة ! فتأمل ماذا دار بينهما.

يقول المنفلوطي: "وبينما أنا أحدث نفسي بهذا الحديث، وأقلّب النظر في وجوه تلك المواعظ والعبر، إذ قال لي صاحبي: أتعرف هذين؟ وأشار إلى رجلين واقفين ناحية يتناجيان: أحدهما شيخ جليل أبيض اللحية، وثانيهما كهل نحيف قد اختلط مبيضه بمسودّه، فما هي إلا النظرة الأولى حتى عرفت الرجلين العظيمين(!!) رجل الإسلام "محمد عبده" ورجل المرأة "قاسم أمين" فقلت لصاحبي: هل لك في أن ندنو منهما ونسترق نجواهما من حيث لا يشعران؟ ففعلنا، فسمعنا الأول يقول للثاني: ليتك يا قاسم أخذت برأيي وأحللت نصحي لك محلاً من نفسك، فقد كنت أنهاك أن تفاجئ المرأة المصرية برأيك في الحجاب قبل أن تأخذ له عدّته من الأدب والدين، فجنى كتابك عليها ما جناه من هتك حرمتها وفسادها وتبذُّلها وإراقة تلك البقية الصالحة التي كانت في وجهها من ماء الحياء، فقال له صاحبه: إني أشرت عليها أن تتعلم قبل أن تسفر، وأن لا ترفع بُرقُعها قبل أن تنسج لها برقعاً من الأدب والحياء، قال له: ولكن فاتك ما كنت تنبّأت به من أنها جاهلة لا تفهم هذه التفاصيل، وضعيفة لا تعبأ بهذا الاستثناء، فكنت كمن أعطى الجاهل سيفاً ليقتل به غيره، فقتل نفسه.

فقال: أتأذن لي يا مولاي أن أقول لك: إنك قد وقعت في مثل ما وقعت فيه من الخطأ، وإنك نصحتني بما لم تنتصح به، أنا أردت أن أنصح المرأة فأفسدتها كما تقول. وأنت أردت أن تحيي الإسلام فقتلته، إنك فاجأت جهلة المسلمين بما لا يفهمون من الآراء الدينية الصحيحة والمقاصد العالية الشريفة، فأرادوا غير ما أردت: وفهموا غير ما فهمت. فأصبحوا ملحدين، بعد أن كانوا مخرفين، وأنت تعلم أن ديناً خرافياً خير من لا دين . أوَّلت لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة حتى أولوا الملك والشيطان والجنة والنار! وبيّنت لهم حكم العبادات وأسرارها وسفّهت لهم رأيهم في الأخذ بقشورها دون لبابها، فتركوها

جملة واحدة! وقلت لهم: إن الولي إله باطل، والله إله حق؛ فأنكروا الألوهية حقها وباطلها، فتهلل وجه الشيخ وقال له: ما زلت يا قاسم في أخراك، مثلك في دنياك، لا تضطرب في حجة، ولا تنام عن ثأر"

ثامنًا : أن المستفيد من نشوء العصرانية هو الغرب وإذنابه من العلمانيين المنافقين ، وأهل البدع . والخاسر هو المجتمع المسلم، ودعاة الإسلام وولاة الأمور. وهذا واضح.

شبهة وجوابها :

قد يقول قائل : نحن معك في أن الفكر العصراني خطرٌ على الإسلام وأهله، وأن المستفيد الوحيد منه هم الأعداء (كفارًا وأهل بدع ومنافقين) كما رأينا في الحالة المصرية، ولكن: ألا ترى بأن انتشار هذا الفكر المتميع والمتمسح بالإسلام يخدم ولاة الأمور ؛ حيث يحققون من خلاله بعض ما يريدون من المشاريع والأفكار الاجتماعية (لا سيما المتعلقة بالمرأة!) التي لن يتقبلها المجتمع المسلم؛ لأنه يرى تعارضها مع أحكام الإسلام، ولكنه يقبلها إذا ما تحلت بالزي الشرعي الذي سيُلبسه إياها أولئك العصرانيون، فيستفيد ولاة الأمور تمرير هذه المشاريع والأفكار التي يرون في قبول المجتمع المسلم لها تخفيفًا من ضغوط أعداء الإسلام عليهم ؟! .

ولهذا كله سيقوم ولاة الأمور بدعم هذه الفئة العصرانية والتمكين لها، وتصديرها، وتهميش من يعارضها !

فأقول : الجواب عن هذه الشبهة يكون بفهم هذه الأمور:

أولاً: أن صاحب الشبهة جزم بأن ولاة الأمور يريدون تحقيق بعض المشاريع والأفكار الإجتماعية التي تخالف أحكام الشرع. وهذا سينازعه فيه آخرون يرون خلاف ذلك ومعهم من الأدلة أضعاف مامعه ، والأصل إحسان الظن .

ثانياً : أن صاحب هذه الشبهة لم يفهم العصرانية حق الفهم ! وظن أن طموح أصحابها هو مجرد تحقيق بعض المشاريع والأفكار في المجال (الاجتماعي) فقط، ناسيًا أو متغافلاً أن هذا الفكر لا يقتصر على هذا المجال وحده؛ بل يزامله أو يفوقه المجال السياسي والاقتصادي ، وما تجربه عصرانيي مصر عنا ببعيد. حيث كانت معظم جهودهم منصبة على المجال السياسي، أما غيره فيأتي تبعاً له؛ مع ملاحظة

أن تلـك المجـالات تـأتي متكاملـة فـي منظومـة هـذا الفكـر الـذي خلاصـته "تطويـع الإسلام في جميع المجالات بما يناسب العصر" .
ولهذا : فمن يريد قبول أفكار ومشاريع العصرانيين في المجال (الاجتماعي) دون غيره من المجالات فهو واهم؛ لأن هذا أمر لن يتحقق؛ لأن الفكر العصراني لا يمكن تحقيق بعضه دون بعض .
وولاة الأمور لدينا ليسوا سُذجًا أو غافلين عن حقيقة هذا الفكر ومنتهاه.
ثالثا : أن في تجربة العصرانية في مصر عبرة للمعتبرين؛ وعلى رأسهم ولاة الأمور في بلاد المسلمين، حيث تسبب انتشار هذا الفكر في المجتمع إلى تقويضه. وسقوط دولته بعد تنازع أهله واختلافهم، وجرأتهم على حكامهم وعلمائهم، ثم وقوعه تحت سيطرة الأعداء وتهاويه إلى أقصى درجات الذل والمهانة .
فهل يرضى عاقل بمثل هذه النهاية الموجعة لبلاده ؟! (وما ربك بظلام للعبيد).
رابعًا: أن (الفكر العصراني) و(فكر التهييج) وجهان لعملة واحدة ! حيث خرج الفكران عن دعوة الكتاب والسنة ، وجرا على المجتمع المسلم الإنقسامات والتحزبات ، وأضعفا قوته واجتماعه .
فكيف يظن أحد أن ولاة الأمور قد يثقون في أصحاب هذا الفكر (بشقيه) ، وهذا تاريخهم، وتلك مواقفهم تشهد عليهم بأنهم أصحاب (تقلب) و(تلون) ؟! .
وقارن هؤلاء بالعلماء الكبار من أتباع الكتاب والسنة، من الذين يصدرون في مواقفهم وأفكارهم عن عقيدة سلفية واضحة ثابتة تجاه ولاة أمور المسلمين، حيث يرون ولايتهم ولاية شرعية، ويطيعونهم في غير معصية الله ديانة واتباعًا للنصوص، بخلاف غيرهم من أهل (التهييج) أو (العصرنة) أصحاب (التقلب) و(التلون)، ممن يصدرون في مواقفهم تجاه ولاة الأمر من خلال (المصالح) وما يسمى (التكتيك المرحلي)!
فأي الفريقين أحق بثقة ولاة الأمور وتصديرهم والتمكين لهم ؟! .
يضاف إلى هذا أن كبار العلماء كانوا نعم النصير لولاة الأمور وقت الفتن والملمات، بخلاف غيرهم. فـ(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ؟
خامسًا : أن ولاة الأمور –ولله الحمد– في غنية عن أفكار العصرانيين وطموحاتهم التي لا يخفى ضررها على عاقل، وذلك بما فضلهم الله به من قيام دولتهم على

الكتاب والسنة، وبما أعانهم به من وجود علماء أجلاء ينيرون لهم الطريق وينبهونهم على ما يعترضهم من عقبات تخالف شرع الله. وما كان من تقصير فإنه يعالج بالنصيحة الشرعية المستمرة، دون (تهييج) أو (عصرنة).

سادساً: أن العاقل يعلم أن العبرة بالمسميات لا بالأسماء وتبديلها، فالأمور المحرمة والمخالفة لشرع الله لا يمكن أن تنقلب حلالاً وتصير موافقة للشريعة بمجرد تبني العصرانيين لها وادعائهم شرعيتها. فهذا كله ليس مسوغًا لأحد –وعلى رأسهم ولاة الأمور– أن يرتكب تلك الأمور المحرمة ويقرها. وهو ليس معذورًا عند الله تعالى بصنيعه هذا؛ لأن البينة قد جاءته، والحق قد ظهر له

بنصوص الكتاب والسنة وبفتاوى كبار العلماء الموثوق بعلمهم . فهل تظن –مثلاً– أن الربا سيكون حلالاً بمجرد التحايل عليه وتسميته (فائدة) ؟! وقل مثل ذلك في المحرمات الأخرى. لا شك بأن هذا أعظم جرمًا عند الله ممن يقع في هذه المحرمات دون تحايل أو مخادعة لله ولعباده المؤمنين، إنما عن تقصير وتساهل.

سابعاً : أن مواجهة الضغوط المتنوعة على بلاد التوحيد من قبل (اليهود والنصارى) لا تكون بالتساهل والتفريط في أحكام الشريعة؛ لأن عاقبة ذلك ستكون وبالاً على هذه البلاد؛ بسبب أن هذه الضغوط لن تنتهي بمجرد التساهل والتهاون في عدة أمور، بل ستزداد ضراوة وشدة؛ لأن العدو سيطمع في غيرها عندما يرى ذاك الانصياع لمطالبه. "ومن يهن يسهل الهوان عليه" .

فتلك المطالب ستكون نهايتها –والعياذ بالله– قوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم).

أما الحل الشرعي لهذه الضغوط فيكون بالتالي:

1–أن يعلم ولاة الأمور –وفقهم الله–: أن الله قد أخبرنا عن عداوة اليهود والنصارى لكل من يرفع راية الإسلام، منذ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وأنهم يتمنون أن يطاوعهم في كفرهم لكي لا يتميز عنهم. قال سبحانه (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء) وقال (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم) وقال (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم)

2-أن يعلم ولاة الأمور -وفقهم الله-: بأن الله قد أخبر بأن كل مسلم محكم لشرع الله سيسمع الأذى ويلقى الضغوط من الكفار. قال تعالى (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيرًا). ولكن هذا الأمر -ما لم يستجب له المسلم- سيبقى في دائرة الأذى الذي يصيب كل مسلم مستقيم على شرع الله يحتسب الأجر من الله في سماعه والتعرض له. قال تعالى (لن يضروكم إلا أذى).

3-أن يعلم ولاة الأمور -وفقهم الله-: أن عاقبة الثبات على الحق أمام مثل هذه الضغوط ستكون سعادة وتمكينًا وعزًا نصرًا، وزوالاً لهذه الشدة، وفرجًا لهذا العُسْر. قال تعالى: (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) فالمطلوب هو: الصبر على الأذى، والتقوى بلزوم أمر الله، والانتهاء عن معاصيه.

وقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجًا)، وقال (سيجعل الله بعد عسرٍ يسرا). وهذا الأمر شامل للأفراد وللدول.

4-أن يعلم ولاة الأمور -وفقهم الله-: أن الاستجابة لضغوط الأعداء ومداهنتهم -ولو في أمر يسير- هو مما يسبب سخط الله وتسليطه العذاب والذل على من يسارع في رضا عدوه على رضاه سبحانه وتعالى.

قال سبحانه محذرًا من هذا الأمر الشنيع: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير)

قال الطبري في تفسير هذه الآية: "وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا . فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله".

وقال سبحانه: (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين). وقال: (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق).

وقال صلى الله عليه وسلم : "من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس" .

5-أن يتأمل ولاة الأمور -وفقهم الله-: حال من تابع الأعداء من الدول الإسلامية طالبًا رضاهم، وخائفاً من سخطهم، كيف تسلطوا عليه، وأذلوه واستباحوا حرمته، وأفقدوه حريته.

فخسر آخرته بمسارعته في رضا الكفار على حساب دينه. وخسر العيش السعيد العزيز بتحكم العدو في بلاده وتسلطهم عليه وإن كان يتخيل له خلاف ذلك!! فهو كما قال تعالى (خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين).

أما من حكم شرع الله واستقام وثبت عليه، ولم يأبه بضغوط العدو وتخويفه فإن عاقبته حميدة في الدنيا والآخرة، على هذا جرت سنن الله تعالى "ومن يتصبر يصبره الله".

أسأل الله أن يثبت ولاة أمورنا على الحق، وأن يوفقهم للبطانة الصالحة، ويجنبهم البطانة الفاسدة.

نصيحة أخيرة لكلٍ من :

1-علماء الإسلام ودعاته: بأن يحذروا تسلل الأفكار العصرانية إلى عقولهم ولو لم يكن ذلك عن تقصد منهم، وأن يثبتوا على الحق دون تنازلات أو مداهنة لأحد، وأن يكونوا ممن قال الله فيهم (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) قال ابن كثير: "استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه، كفعل المنافقين".

وأن تكون مواقفهم مشرفة وقت الملمات التي تمر بالأمة، مبرئة لذمتهم أمام الله؛ لكي لا يلجأ الشباب إلى غيرهم -كما سبق-.

وأن يحذر بعض الدعاة بتستره على أهل العصرنة، ومجاملته لهم، والشد من أزرهم، أن يكون داخلاً في قوله صلى الله عليه وسلم: "لعن الله من آوى محدثًا" قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: "والإحداث يشمل الإحداث في الدين؛ كالبدع التي أحدثها الجهمية والمعتزلة وغيرهم.. فمن آوى محدثًا فهو ملعون، وكذا من ناصرهم"

2- شباب الإسلام: بأن يلزموا الراسخين في العلم ويلتفوا حولهم، ويناصحوهم في تقصيرهم، ويَحْذروا ويُحَذّروا من المتلبسين بالفكر العصراني المفسد، مهما حاولوا التضليل عليهم أو مخادعتهم بترويجه بينهم.

3- ولاة الأمور: بأن يقضوا على هذا الفكر المتسلل إلى بلاد التوحيد قبل أن يستفحل، فيكون وبالاً على بلادهم؛ وذلك بالتمكين لأهل العلم ودعاة الكتاب والسنة، وتصديرهم، وتمكينهم من توجيه الشباب، والاستماع إلى نصحهم.

وأن يعلموا أنه لا عز لهم ولا تمكين، ولا أمن، إلا بالثبات على دعوة الكتاب والسنة، دون تفريط أو تتبع لأهواء العصرانيين وانحرافاتهم .

أسأل الله أن يحمي بلادنا من الفتن، وأن يرد الكيد عنها، ويثبتها على الحق، ويباعد بينها وبين معاصيه. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

سليمان بن صالح الخراشي

==============

#العلمانية

(أسباب ظهورها ،آثارها, عوامل انتقالها إلى العالم الإسلامي ,أبرز دعاتها)

كتبه

بندر بن محمد الرباح

عضو الدعوة والإرشاد بالقصيم

المقدّمة

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه وسلم . ...

...

أما بعد:

فإنه لما كان المسلمون يجمعهم كتاب ربهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتجمعهم سنة رسوله صلى الله عليه وسلم كانوا أمة واحدة قوية وعزيزة ورائدة. ولكن لما اتصلت هذه الأمة بالأمم الأخرى ذات الأنماط الحضارية المختلفة، فإن هذه الأمة قد تأثرت بكيد أعدائها من اليهود والنصارى وعبدة الأوثان والملاحدة حتى أصبح المتأثرون بفكر أولئك الأعداء أمة داخل الأمة الإسلامية.

وما لذلك من سبب سوى البعد عن منهج الله الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم هداية ونوراً وإخراجاً للناس من الظلمات إلى النور.

وهذا البحث يتناول جانباً مهما وخطيراً من جوانب هذا التيار الفكري الذي وفد على الأمة الإسلامية واستهدف إبعادها عن عقيدتها وربطها بالفكر المهيمن في هذا العصر البعيد عن هدي الله ومنهج رسوله (.

وهذا التيار الذي نحن بصدد الحديث عنه، هو تيار "العلمانية" ذلك المصطلح الغربي الذي يوحي ظاهره أن طريقة الحياة التي يدعو إليها تعتمد على العلم وتتخذه سنداً لها ليخدع الناس بصواب الفكرة واستقامتها. حتى انطلى الأمر على بعض السذج وأدعياء العلم فقبلوا المذهب منبهرين بشعاره، وقد أوصلهم ذلك إلى البعد عن الدين بعداً واضحاً.

هذا وقد جعلت البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة:

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع وخطة البحث.

الفصل الأول: تعريف العلمانية وأسباب ظهورها، وآثارها في الغرب وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العلمانية.

المبحث الثاني: أسباب ظهور العلمانية.

المبحث الثالث : آثار العلمانية في الغرب

الفصل الثاني: في عوامل انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي وأبرز دعاتها وآثارها على العالم الإسلامي

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: عوامل انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي

المبحث الثاني : أبرز دعاة العلمانية في العالم الإسلامي

المبحث الثالث: آثار العلمانية السيئة على العالم الإسلامي

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث.

ـــــــــــــــــــ

الفصل الأول:

تعريف العلمانية وأسباب ظهورها

وآثارها في الغرب وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العلمانية.

المبحث الثاني: أسباب ظهور العلمانية.

المبحث الثالث : آثار العلمانية في الغرب

المبحث الأول: تعريف العلمانية.

العلمانية تبدو لأول وهلة للناظر فيها كلمة عربية مشتقة من العلم, بل هي مبالغة تشير إلى الاهتمام بالعلم والعلماء, ولا غبار على هذا – لو كان على ظاهره – من الوجهة الإسلامية حيث اهتمام الإسلام بالعلم والعلماء, ولكنها حينما تكون وسيلة من وسائل الغرب لتغريب المسلمين فإن الأمر يصبح غير ذلك, إذ لا تبقى على ظاهرها لفظاً ومعنى, وإنما تكون ترجمة عربية للفظ أجنبي له مدلوله الخاص, ولذلك أجمع الكثير من رواد الفكر الإسلامي على أن " العلمانية " ترجمة للكلمة الإنجليزية (سيكولاريتي Secularity) أي لا ديني, أو غير عقيدي, ونستنتج من ذلك أن العلمانية تعني اللادينية(1).

جاء في معجم ألفاظ العقيدة: أن العلمانية تأتي لمعان منها: العالمية, ومنها اللادينية. ومنها فصل الدين عن الدولة وعن الحياة.

وكلمة العلمانية اصطلاح جاهلي غربي مشير إلى انتصار العلم على الكنيسة التي حاربت التطور باسم الدين (2).

وهي على هذا كلمة مضللة خادعة ابتدعها الغرب لصرف الناس عن الاهتمام بالآخرة كما تقول دائرة المعارف البريطانية في تعريف كلمة: هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالحياة الدنيا فقط, وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر.

وفي معجم ويبستر الشهير: العلمانية: " رؤية للحياة أو أي أمر محدد يعتمد أساساً على أنه يجب استبعاد الدين وكل الاعتبارات الدينية وتجاهلها", ومن ثم فهي نظام أخلاقي اجتماعي يعتمد على قانون يقول: " بأن المستويات الأخلاقية والسلوكيات

الاجتماعية يجب أن تحدد من خلال الرجوع إلى الحياة المعاشة والرفاهية الاجتماعية دون الرجوع إلى الدين"(3).

1- صور من مواقف العلمانية في محاربة الإسلام عن طريق التعليم. حسن ملا عثمان ص172-173 بحث مقدم إلى مجلة كلية العلوم الاجتماعية بالرياض, جامعة الإمام – العدد السابع 1403هـ

2- معجم ألفاظ العقيدة, ص286.

3- جذور العلمانية. د. السيد أحمد فرج, ص105

وهي من خلال النصين السابقين دعوة صريحة إلى نبذ الدين والاهتمام بالحياة وإسقاطه من الحسبان وإقامة الحياة على غير الدين سواء بالنسبة للأمة أو للفرد, وآن للأمة أن تعمل وللفرد أن يعمل ما تشاء وما يشاء دون التفات لأوامر الدين ونواهيه حسب ما يمليه الواقع المادي سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو التربوية (1)

والتعبير الشائع في الكتب الإسلامية المعاصرة هو " فصل الدين عن الدولة ", وهو في الحقيقة لا يعطي المدلول الكامل للعلمانية الذي ينطبق على الأفراد وعلى السلوك الذي قد لا يكون له صلة بالدولة, ولو قيل أنها " فصل الدين عن الحياة " لكان أصوب, ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو " إقامة الحياة على غير الدين " سواء بالنسبة للأمة أو للفرد, ثم تختلف الدول أو الأفراد في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود: فبعضها تسمح به, كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية, وتسمي منهجها " العلمانية المعتدلة " أي أنها مجتمعات لا دينية ولكنها غير معادية للدين, وذلك مقابل ما يسمى " العلمانية المتطرفة "أي المضادة للدين, ويعنون بها المجتمعات الشيوعية ومشاكلها.

ومن هذا يتضح لنا أنه لا علاقة لكلمة العلمانية بالعلم، وإنما علاقتها قائمة بالدين على أساس سلبي وهو نفي الدين عن مجالات الحياة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية... الخ.

1- العلمانية نشأتها وتطورها. سفر بن عبد الرحمن الحوالي, ص24.

المبحث الثاني

أسباب ظهور العلمانية في الغرب

هناك أسباب كثيرة أدت إلى ظهور العلمانية في الغرب كان من أبرز هذا الأسباب ما يلي:

أولاً: طغيان رجال الكنيسة:

لقد عاشت أوروبا في القرون الوسطى فترة قاسية، تحت طغيان رجال الكنيسة وهيمنتهم، وفساد أحوالهم، واستغلال السلطة الدينية لتحقيق أهوائهم، وإرضاء شهواتهم، تحت قناع القداسة التي يضفونها على أنفسهم، ويهيمنون بها على الأمة الساذجة، ثم اضطهادهم الشنيع لكل من يخالف أوامر أو تعليمات الكنيسة المبتدعة في الدين، والتي ما أنزل الله بها من سلطان، حتى لو كانت أموراً تتصل بحقائق كونية تثبتها التجارب والمشاهد العلمية.

وقد شمل هيمنة الكنيسة النواحي الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، وفرضت على عقول الناس وأموالهم وتصرفاتهم وصاية لا نظير لها على الإطلاق وسنعرض إلى شيء من ذلك بإيجاز:

أ - الطغيان الديني:

إنَّ الإيمان بالله الواحد الأحد، الذي لا إله غيره ولا معبود بحق سواه، وإن عيسى عبد الله ورسوله، قد تحول في عقيدة النصارى إلى إيمان باله مثلث يتجسد،أويحلُّ بالإنسان ذي ثلاثة أقانيم (الأب والابن ورح القدس).

وذلك أنه منذ مجمع نيقية سنة 325م والكنيسة تمارس الطغيان الديني والإرهاب في أبشع صوره، ففرضت بطغيانها هذا عقيدة التثليث قهراً، وحرّمت ولعنت مخالفيها، بل سفكت دماء من ظفرت به من الموحدين، وأذاقتهم صنوف التعذيب وألوان النكال.

وتتفق المصادر على أن اليد الطولى في تحريف العقيدة النصرانية تعود إلى بولس "شاؤل" اليهودي، وهو الذي أثار موضوع ألوهية المسيح لأول مرة مدعياً أنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أما العبادات فقد دخلت فيها أوضاع بشرية كنسية مبتدعة، وهذه المبتدعات حمّلها النصارى مفاهيم غيبية، وفسّروها بأن لها أسراراً مقدسة، وجعلوا لها طقوساً تُمارس في مناسباتها، ويجب احترامها والتقيد بها.

وأما الأحكام التشريعية فمعظمها أوامر وقرارات كنسية بابوية، ما أنزل الله بها من سلطان، وهي تُحلّلُ وتُحرّمِ من غير أن يكون لها مستند من الشرع.

ونصّبت الكنيسة نفسها عن طريق المجامع المقدسة "إلهاً" يُحلُّ ويُحرّمُ، ينسخُ ويضيف، وليس لأحد حق الاعتراض، أو على الأقل حق إبداء الرأي كائناً من كان، وإلا فالحرمان مصيره، واللعنة عقوبته؛ لأنه كافر.

ومن أمثلة الأحكام التي غيرتها الكنيسة الختان حيث أنه كان واجباً فأصبح حراماً، وكانت الميتة محرمة فأصبحت مباحة، وكانت التماثيل شركاً ووثنية فأصبحت تعبيراً عن التقوى، وكان زواج رجال الدين حلالاً فأصبح محظوراً، وكان أخذ الأموال من الأتباع منكراً فأصبحت الضرائب الكنسية فرضاً لازماً، وأمورٌ كثيرة نقلتها المجامع من الحل إلى الحرمة أو العكس دون أن يكون لديها من الله سلطان، أو ترى في ذلك حرجاً.

وأضافت الكنيسة إلى عقيدة التثليث عقائد وآراء أخرى تحكم البديهة باستحالتها ولكن لا مناص من الإيمان بها والإقرار بشرعيتها على الصورة التي توافق هوى الكنيسة.

ومن أمثلة ذلك التعميد وتقديس الصليب وحمله وعقيدة الخطيئة الموروثة وصكوك الغفران والحرمان وحياة الرهبنة(1)

إلى غير ذلك من العقائد والمبتدعات النصرانية التي فرضتها الكنيسة على أتباعها، وكل هذه العقائد واضح بطلانها بحمد الله في العقيدة الإسلامية، وإنَّ ديناً من هذا القبيل هو مقطوع الصلة بما أنزل الله تعالى من الحق، وغير صالح لأن يكون له سلطان على العقول البشرية.

ب- الطغيان المالي:

إن المتأمل في الأناجيل - على الرغم من تحريفها - يجد أنها لم تنه عن شيء كنهيها عن اقتناء الثروة والمال.

جاء في إنجيل متى: "لا تقتنوا ذهباً ولا فضةً ولا نحاساً في مناطقكم "(2).
وجاء في إنجيل مرقص: "مرور جملٍ من ثقب إبرةٍ أيسر من أن يدخل غنيٌ إلى ملكوت الله" (3).

1- أنظر العلمانية نشأتها وتطورها, ص 128-132.

2- متى 10 :10-11

3- مرقص 10:22

إلا أن القرون التالية قد شهدت مفارقة عجيبة بين مفهوم الكنيسة عن الدنيا وبين واقعها العملي، حتى صار جمع المال والاستكثار من الثروات غاية لديهم، فتهالك رجال الدين على جمع المال والإسراف والبذخ والانغماس في الشهوات والملذات.

ويمكن إيجاز مظاهر الطغيان الكَنَسِيّ في هذا المجال فيما يلي:

1-الأملاك الإقطاعية:

يقول ديورانت: "أصبحت الكنيسة أكبر ملاك الأراضي وأكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا، فقد كان دير "فلدا" مثلاً يمتلك(15000) قصر صغير، وكان "الكوين فيتور" أحد رجال الدين سيداً لعشرين ألفاً من أرقاء الأرض،.

وكانت أملاكها المادية، وحقوقها والتزاماتها الإقطاعية مما يجلل بالعار كل مسيحي متمسك بدينه، وسخرية تلوكها ألسنة الخارجين على الدين ومصدراً للجدل والعنف بين الأباطرة والبابوات".

2-الأوقاف:

كانت الكنيسة تملك المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية باعتبارها أوقافاً للكنيسة، بدعوى أنها تصرف عائداتها على سكان الأديرة، وبناء الكنائس، وتجهيز الحروب الصليبية، إلا أنها أسرفت في تملك الأوقاف حتى وصلت نسبة أراضي الكنيسة في بعض الدول إلى درجة لا تكاد تصدق، وقد قال المصلح الكنسي "ويكلف" - وهو من أوائل المصلحين -: "إن الكنيسة تملك أراضي إنجلترا وتأخذ الضرائب الباهظة من الباقي، وطالب بإلغاء هذه الأوقاف واتهم رجال الدين بأنهم "أتباع قياصرة لا أتباع الله".

3-العشور:

فرضت الكنيسة على كل أتباعها ضريبة (العشور) وبفضلها كانت الكنيسة تضمن حصولها على عشر ما تغله الأراضي الزراعية والإقطاعيات، وعشر ما يحصل عليه المهنيون وأرباب الحرف غير الفلاحين ولم يكن في وسع أحد أن يرفض شيئاً من ذلك فالشعب خاضع تلقائياً لسطوتها .

4- الهبات والعطايا:

وكانت الكنيسة تحظى بالكثير من الهبات التي يقدمها الأثرياء الإقطاعيون للتملق والرياء، أو يهبها البعض بدافع الإحسان والصدقة. وقد قويت هذه الدوافع بعد مهزلة صكوك الغفران، إذ انهالت التبرعات على الكنيسة، وتضخمت ثروات رجال الدين تضخماً كبيراً.

هذا. ولا ننسى المواسم المقدسة والمهرجانات الكنيسية التي كانت تدرُّ الأموال الطائلة على رجال الكنيسة؛ فمثلاً في سنة1300م عقد مهرجان لليوبيل واجتمع له جمهور حاشد من الحجاج في روما بلغ من انهيال المال إلى خزائن البابوية أن ظل موظفان يجمعان بالمجاريف الهبات التي وضعت عند قبر القديس بطرس.

5- العمل المجاني "السخرة":

لم تقنع الكنيسة بامتلاك الإقطاعيات برقيقها وما يملكه بعض رجال الدين من آلاف الأرقاء، بل أرغمت أتباعها على العمل المجاني في حقولها وفي مشروعاتها، ولاسيما بناء الكنائس والأضرحة وكان على الناس أن يرضخوا لأوامرها ويعملوا بالمجان لمصلحتها مدة محدودة، هى في الغالب يَوْمٌ واحِدٌ في الأسبوع، ولا ينالون مقابل ذلك جزاءً ولا شكورا (1).

وبهذا يتبين لنا أن الانحراف والفساد الديني والاجتماعي قد وصل على يد الكنيسة النصرانية ورجالها وتعاليمها المزيفة إلى حد لم يعد يتحمله الناس ولا تطيقه فطرة البشر، حيث شقيت أوروبا برجال الدين الدجالين، وبتسلطهم ونفوذهم باسم الدين، وباسم الرب.

ج-الطغيان السياسي:

أما الطغيان السياسي فقد بلغت سلطة البابا الدينية المهيمنة على ذوي السلطة الإدارية والسياسية أوجها، حتى كان باستطاعة البابا أن يتوج الملوك والأباطرة، وأن يخلع تيجانهم إذا نازعوه ورفضوا أوامره، وأن يحرمهم من الدين، وأن يحرم شعوبهم الذين يوالونهم، ولايستجيبون لأوامر الخلع البابوية.

ثانياً: الصراع بين الكنيسة والعلم:

الصراع بين الدين والعلم مشكلة من أعمق وأعقد المشكلات في التاريخ الفكري الأوروبي إن لم تكن أعمقها على الإطلاق.

وذلك أن الكنيسة كانت هي صاحبة السلطة طوال القرون الوسطى في أوروبا حتى قامت النهضة العلمية هناك.

وفي هذه الأثناء وقعت الحروب الصليبية بين المسلمين والأوروبيين،واستمرت طوال القرنين الحادي عشر، والثاني عشر الميلادي،واحتك الصليبيون خلالها بالمسلمين ووقفوا عن كثب على صفات الإسلام وروعته في جميع مجالات العلوم والفنون، في الأندلس والشمال الإفريقي وصقلية وغيرها، حيث كانت المدارس

1- أنظر العلمانية نشأتها وتطورها, ص 138-143.

والجامعات المتعددة في كل مكان في بلاد المسلمين، يؤمها طلاب العلم ومنهم الأوروبيون الذين وفدوا يتعلمون من الأساتذة المسلمين، وترجمت بعض الكتب إلى اللغة الإنجليزية.فلما عاد أولئك الأوروبيين الذين تأثروا بنور الإسلام وعرفوا أن الكنيسة ورجالها عملة مزيفة، ووسيلة للدجل والتحكم الظالم في عباد الله، أخذ هؤلاء يقاومون الكنيسة ودينها المزيف وأعلنوا كشوفا تهم العلمية والجغرافية، والعلوم الطبيعية التي تحرمها الكنيسة، وعند ذلك قامت قيامة من يُسمون لدى النصارى برجال الدين، واحتدم الصراع، ومكث قروناً بين رجال العلم ورجال الكنيسة، فأخذوا يُكفّرون ويقتلون ويحرقون ويشردون المكتشفين، وأنشأت الكنيسة محاكم للتفتيش لملاحقة حملة الأفكار المخالفة لآرائها وأفكارها.

ومكث هذا الصراع عدة قرون، وانتهى بإبعاد الكنيسة ورجالها عن التدخل في نظم الحياة وشئون الدولة، فالدين – بمعنىً أوضح – مهمته داخل جدران الكنيسة فقط ولا

داعي لوجوده خارجها، ويكون لرجال الدولة والعلم إدارة شئون الحياة بالأسلوب الذي يناسبهم سواء أكان متفقاً مع مبادئ الدين أم لا ؟!! (1)

وبما أن الدين بصبغته الإلهية النقية لم يدخل المعركة، فإن الأولى أن نسمي ما حدث في أوروبا صراعاً بين الكنيسة والعلم، وليس بين الدين والعلم أو بين رجال الدين والعلماء.

ونظراً لأن الصراع الدامي الطويل قد انتهى بأول انتصار حاسم لأعداء الكنيسة اثناء الثورة الفرنسية فإننا سنتناول ذلك بإيجاز.

ثالثاً: الثورة الفرنسية:

ونتيجة لوضع الكنيسة ودينها المحرف، ووقوفها ضد مطالب الناس، دبّر اليهود مكايدهم لاستغلال الثورة النفسية التي وصلت إليها الشعوب الأوروبية، لاسيما الشعب الفرنسي.. فأعدوا الخطط اللازمة؛ لإقامة الثورة الفرنسية الرامية إلى تغيير الأوضاع السائدة، وفي مقدمتها عزل الدين النصراني المحرف الذي حارب العلم عن الحياة، وحصره في داخل الكنيسة وإبعاد رجالها عن التحكم الظالم.

وفعلاً قامت الثورة الكبرى عام (1789م) واستطاع اليهود أن يجنوا ثمرات

1- أنظر العلمانية نشأتها وتطورها, ص133-136 .

عملهم على حساب آلام الشعوب، والدماء التي أهرقت من جرائها، واستطاعوا أن يظلوا في الخفاء بعيداً عن الأضواء، وأن يزوروا كثيراً من الحقائق التاريخية؛ لستر مكايدهم وغاياتهم، واستطاعوا أن يصوروا هذه الثورة وما جرّت وراءها بالصورة الجميلة المحببة، وأن يجعلوها إحدى الأعمال التاريخية المجيدة، وذلك عن طريق الدعايات والإشاعات المزخرفة المقرونة بالشعارات البراقة التي انخدع بها الناس، وأخذت ترددها دون أن تفهم الهدف الذي ترمي إليه.

ووضع اليهود شعاراً مثلثاً لهذه الثورة هو "الحرية، والمساواة، والإخاء".

أما أصل مخططات هذه الثورة فقد وضعها جماعة النورانيين من الحاخامين اليهود، واستخدموا للبدء بالدعوة إليها بين سادة المال اليهود العالميين، الثري المرابي الكبير "روتشيلد الأول" ثم ابنه "ناتان روتشيلد".

ومما يدل على أن الثورة الفرنسية هي من صنع اليهود وتدبيرهم ماتتبجح به بروتوكولاتهم فتقول: "تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها "الكبرى"إن أسرار تنظيمها التمهيدي معروفة لنا جيداً لأنها من صنع أيدينا".

وتقول: "كذلك كنا قديماً أول من صاح في الناس "الحرية، والمساواة والإخاء" كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر.

وتمخضت الثورة عن نتائج بالغة الخطورة، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوروبا المسيحية دولة جمهورية، لادينية، تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب – وليس باسم الله – وعلى حرية التدين بدلاً من الكثلكة وعلى الحرية الشخصية بدلاً من التقيد بالأخلاق الدينية، وعلى دستور وضعي بدلاً من قرارات الكنيسة.

وقامت الثورة بأعمال غريبة على عصرها فقد حلت الجمعيات الدينية، وسرحت الرهبان والراهبات، وصادرت أموال الكنيسة،وألغت كل امتيازاتها، وحوربت العقائد الدينية هذه المرة علناً وبشدة...

وقد سرت الثورة إلى كل الغرب؛ لأنه لا يدين بالإسلام دين العلم والحق والعدل.

رابعاً: نظرية التطور:

في سنة 1859م نشرالباحث الإنجليزي "تشارلزداروين"كتابه "أصل الأنواع"(1) الذي يركز على قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء الأنسب، وقد جعلت نظريته كون

1- ترجمه للعربية إسماعيل مظهر

الجد الحقيقي للإنسان جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، والقرد مرحلة من مراحل التطور التي كان الإنسان آخرها فاحدث ذلك ضجة لم يحدثها أي مؤلف آخر في التاريخ الأوروبي قاطبة، وكان له من الآثار في المجالات الفكرية والعملية مالم يكن في الحسبان.

وهذه النظرية أدت إلى انهيار العقيدة الدينية، ونشر الإلحاد في أوروبا، وقد استغلها اليهود استغلالاً بشعاً.

وقد قال أحد العلماء الغربيين في النظرية الداروينية: بـ "بإنَّها أبوها الكفر وأمها القذارة".(1)

والنظرية الداروينية باطلة بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وباطلة بجميع الكتب السماوية، وباطلة بإجماع المسلمين في كل زمان ومكان، وباطلة بالعقل الصحيح، وبالفطرة السليمة من الشذوذ والانحراف.

فبنو آدم وجميع الحيوانات والطيور، وجميع مافي البراري والبحار، من آلاف السنين وهي على ما هي عليه لم تتغير أشكالها ولا أسماؤها.

ومذهب داروين باطل؛ لعدم مشاهدة أي ارتقاء من أي نوع من مخلوقات الله، فمن الذي عاش آلاف السنين حتى شاهد تغير الإنسان من خلية إلى حشرة إلى حيوان إلى قرد كما يزعم داروين، وهو الذي لم يعش سوى أقل من 75 سنة.

قال تعالى: {مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً}.

والنظرية باطلة بقوله تعالى: {وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} فالله تعالى إنما أهبط من الجنة أدمياً يعقل ولم يهبط حشرة ثم صارت حيواناً لا يعقل ثم صار قرداً (2).

1- مذهب النشوء والارتقاء ص 23 وما بعدها

2- أنظر نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي . د/ محمد العرمابي , ص48 وما بعدها .

خامساً: دور اليهود :

وليس غريباً بعد الذي تقدم – كما جاء في الثورة الفرنسية – أن يكون اليهود وراء الدعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين، وذلك من أجل السيطرة، ومن أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض.

هذه أهم الأسباب والعوامل التي أدت إلى ظهور هذا الفكر الجاهلي، والذي هيمن على أوروبا كلها، وأصبح يحمل شعارات الإلحاد والفوضى الأخلاقية عناداً للكنيسة ورجالها.

والحق أَنَّ هذه الأسباب وتلك الظروف ليست مبررة لابتعاد النصارى وغيرهم عن الدين.

وفكرة أن العلم لا صلة له بالدين وأن الدين يحارب العلم، هي الفكرة السائدة في الغرب طيلة القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر الميلاديين، ومع إطلالة القرن العشرين بدأت بوادر التفاهم والمصالحة بين رجال الكنيسة والاتجاه الجاهلي، وانتهت بتنازلات كبيرة من الطرفين إلى أن دخلت الأحزاب الدينية النصرانية مجالات السياسة في بعض الدول الغربية.

المبحث الثالث :

آثار العلمانية في الغرب

على الرغم من أن الحضارة العلمانية الغربية قد قدمت للإنسان كل وسائل الراحة وكل أسباب التقدم المادي، إلا أنها فشلت في أن تقدم له شيئاً واحداً وهو السعادة والطمأنينة والسكينة، بل العكس قدمت للإنسان هناك مزيداً من التعاسة والقلق والبؤس والتمزق والاكتئاب، وذلك لأن السعادة والسكينة أمور تتعلق بالروح، والروح لا يشبعها إلا الإيمان بخالقها، والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه؛ قال تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ} أي جعل الطمأنينة والوقار في قلوب المؤمنين الذين استجابوا لله ولرسوله، وانقادوا لحكم الله ورسوله، فلما أطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت، زادهم إيماناً مع إيمانهم.

وكيف تنزل السكينة في قلوب أناس أقاموا حضارتهم على غير أساس من الإيمان بالله تعالى وشرعه ؟

بل الذي يحصل لهم هو مزيد من القلق والتعاسة والضيق والخوف يقول الله تبارك وتعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ}.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام": يقول : "يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به".

وبهذا يتبين لنا حالة القلق الرهيب التي تعيشها المجتمعات التي تسير على غير هدى الله وشرعه، على الرغم من تقدمها المادي، ووصولها إلى أرقى أساليب التقنية الحديثة.

وهذا ما أيده الواقع الملموس في البلاد التي ابتعدت عن شرع الله، فالإنسان إنما يكون في حالة طيبة نفسياً وبدنياً عندما تقوى صلته بالله تعالى، ويلتزم بأوامره ويجتنب نواهيه.

ولذلك يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى –: "في القلب شعث – أي تمزق وتفرق – لا يلمهُ إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يُطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبداً" (1).

إن إبعاد الدين عن مجالات الحياة في المجتمعات الغربية كان – ولا يزال – من أهم الأسباب التي أدت إلى الإفلاس والحيرة والضياع.

وإن مما نتج عن ذلك مما هو مشاهد وملموس ما يلي:

1- الولوغ والانغماس في المشروبات الروحية والإدمان على المخدرات.

2- الأمراض العصبية والنفسية.

3- الجرائم البشعة بمختلف أنواعها كالسرقات، والاغتصاب، والشذوذ الجنسي، والقتل وغيرها.

4- تأجيج الغرائز الجنسية بين الجنسين.

5- انتشار الأمراض المخيفة كالزهري، والسيلان، وأخيراً يبتلي الله تلك المجتمعات بالطاعون الجديد وهو مرض "الإيدز".

6- الانتحار.

إن الغرب يعيش حياة الضنك والقلق، فلا طمأنينة له ولا راحة، ولا انشراح لصدور أهله، بل صدورهم في ضيق وقلق وحيرة، وما ذلك إلا لضلالهم وبعدهم عن الله، وإن تنعموا ظاهراً في الحياة الدنيا.

قال تعالى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}

1- مدارج السالكين ج3/ص164

الفصل الثاني:

في عوامل انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي

وأبرز دعاتها وآثارها السيئة على العالم الإسلامي

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: عوامل انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي

المبحث الثاني : أبرز دعاة العلمانية في العالم الإسلامي

المبحث الثالث: آثار العلمانية السيئة على العالم الإسلامي

المبحث الأول

عوامل انتقالها إلى العالم الإسلامي

بدأت فكرة العلمانية تغزو العالم الإسلامي منذ زمن طويل لكنها لم تتمكن إلا في بداية القرن العشرين الميلادي، حين طبقت – على مستوى الدولة – على أنقاض الخلافة العثمانية ثم سرت إلى أكثر بلدان العالم الإسلامي وكانت هناك عدة عوامل رئيسية ساعدت على ظهور انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي أهمها:

أولاً: انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة:

بسب انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة، كثرت البدع والخرافات والشعوذة والأهواء وقلَّ الفقه في الدين

بينهم ومن انحراف بعض المسلمين عن عقيدتهم ظهور الفرق الصوفية

بينهم، وكان من الأخطاء الأساسية في الفكر الصوفي النظرة العدائية إلى الحياة الدنيا تلك التي يبدو أنها متأثرة بالفكر البوذي والفلسفات المنحرفة.

وحدث أن أقبل العامة بقيادة المتصوفين على الطقوس والأوراد. وهذا الخلط الصوفي الأحمق يعتبر أول تصدع أصاب كيان الأمة الإسلامية، وهذا الانحراف العقدي وقع قبل احتكاك الغرب اللاديني بالشرق، بل قبل قيام الدولة العثمانية، وفي آخر عهد العثمانيين ازداد الأمر سوءاً وتطورت الانحرافات حتى توهم الناس أن العبادة هي ما

يأمر به المشايخ والأولياء من البدع، ووقعت الأمة في شرك حقيقي، وذلك بما يمارسه الناس من بدع الأضرحة والمشاهد والمزارات، وتقديس الموتى والاعتماد عليهم في جلب النفع ودفع الضرر، ووصل الأمر إلى حالة مزرية جداً حين كانت جيوش المستعمرين تقتحم المدن الإسلامية، والمسلمون يستصرخون بالأسياد أو الأولياء الذين قد مضى على وفاتهم مئات السنين.

ومن ذلك قول بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر... لوذوا بقبر أبي عمر

وقال:

عوذوا بقبر أبي عمر... ينجيكم من الضّرر (1)

1- تغريب العالم الإسلامي سعيد القحطاني ص 122

ولذلك يقول ابن تيمية – رحمه الله تعالى – عنهم:

"وأما الجهاد فالغالب عليهم أنهم أبعد من غيرهم، حتى نجد في عوام المؤمنين من الحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحبة والتعظيم لأمر الله، والغضب والغيرة لمحارم الله، مالا يوجد فيهم، حتى إنَّ كثيراً منهم يعدون ذلك – أي الجهاد – نقصاً في طريق الله وعيباً" (1).

بل ربما يظنون أن الذكر والتفكر والفناء والبقاء هو الأصل والأهم".

ثانياً: الاستعمار للعالم الإسلامي :

لقد تعرض العالم الإسلامي لهجمات قوية من قبل أعدائه عبر عصور التاريخ، ولكن لما كان المسلمون متمسكين بدينهم وأكثر استعداداً للجهاد في سبيل الله، استطاعوا أن يردوا حملات أعدائهم، ولكن لما ضعف المسلمون وكثرت فيهم البدع والخرافات واجتالتهم الطرق الصوفية، ولجأ بعضهم إلى التعلق بالقبور والتمسح بها والذبح لها ودعاء الموتى، واستسلم بعضهم إلى ملذات الدنيا، والبعض الآخر بدأ يتشبث بالأفكار الوافدة، وقعدوا عن الجهاد، بعد ذلك انقض عليهم الأعداء من كل جانب ولم تنته الحربان العالميتان

إلا وكثير من البلدان الإسلامية تحت سيطرت الاستعمار ولم يكن مخطط الاستعمار أن يستغل خيرات تلك البلاد ويستعبد سكانها فحسب – كما يظن البعض – بل كان أهم مخطّطاته محاربة الإسلام، وتجهيل المسلمين بحقيقة دينهم بجميع الوسائل الممكنة له الظاهرة والخفية.

وسوف أذكر أهم الوسائل التي استعملها الاستعمار في محاربة المسلمين:

أ- نشر الثقافة الغربية على نطاق واسع، مع السعي في التخفيف من الثقافة العربية الإسلامية أو القضاء عليها إن أمكن ذلك ولو مع طول الزمن.

ب- تشجيع مدارس التبشير المسيحي، وتدوين مناهجها لكي ينصرف أبناء المسلمين إليها تاركين مدارسهم الإسلامية، وقد نجح في ذلك كله.

ج- تشجيع الطوائف المنحرفة التي تعمل باسم الإسلام في ميدان الدعوة كالقاديانية، وبعض الطوائف الصوفية؛ ليتمكن من ضرب الإسلام ودعوته من الداخل بأيد تنتمي إليه، تلهج بذكره، وهذا أخطر سلاح استعمله الاستعمار ضد الإسلام ودعوته.

1- الاستقامة ج1/ص268

هـ- اعتبار اللغة الإنجليزية لغة رسمية في كثير من البلدان العربية والإسلامية، مما جعل شباب المسلمين يقبلون على هذه اللغة في الوقت الذي يجهلون فيه لغتهم الأصلية، بل استطاع الاستعمار أن يحمل الشباب السذج على كراهية الإسلام وأهله بدعوة أنه دين تعصب، ودين تأخر، وانطلى هذا الكلام على شباب المسلمين؛ لجهلهم حقيقته فضلوا.

وبسبب الاستعمار والتبشير انتشرت المعتقدات العلمانية في العالم الإسلامي.

وقد حرص الغرب منذ وطئت أقدامه أراضي المسلمين على نشر العلمانية بأكثر من سبيل. وكان أهم مجالات نشرها ووسائلها فيما يلي:

1- في التعليم وله في ذلك أكثر من سبيل أهمها:

(أ) حصر التعليم الديني وحصاره مادياً ومعنوياً.

(ب) الابتعاث إلى الدول غير الإسلامية وحقق ذلك الابتعاث نتائجه المقصودة.

(ج) نشر المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية.

(د) تمييع المناهج الإسلامية باسم التطور.

(هـ) نشر الاختلاط بين الجنسين في مراحل التعليم وقد بدأوا بها في الجامعات.

2- في الإعلام والإعلام يخاطب الملايين من الناس ببرامجه، وأكثر هذه الملايين ساذجة تؤثر فيها الكلمة مقروءة أو مسموعة أو منظورة.

3- إبعاد الإسلام عن مجال التطبيق.

ومما يدل على دور الاستعمار في نقل العلمانية إلى البلدان الإسلامية أن أول عمل قام به الإنجليز في الهند هو إلغاء الشريعة الإسلامية، وأول عمل قام به نابليون في مصر هو تعطيل الشريعة الإسلامية، وإحلال القانون الفرنسي محلها، وأول عمل قام به المخطط اليهودي الصليبي في تركيا هو إلغاء الشريعة الإسلامية ثم إعلان تركيا دولة لا دينية (1).

"وأخيراً غادر المستعمرون ديار المسلمين بعد أن خلفوا على تركتهم ورثة مخلصين؛ ليحافظوا عليها، ولأنهم يتمكنون من العمل في صالحهم أكثر مما يتمكنون هم بأنفسهم".

1- مجلة البيان عدد 195ص 41-43

ثالثاً: الغزو الفكري:

وذلك بمحاولة إبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل مختلفة، وتحت أسماء خادعة رقيقة مثل: "التغريب، التحديث أو الحداثة، التحضر، التغيير الاجتماعي، وعملت العلمانية في مجالاتها، وشقت طريقها في مجاريها".

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: "الغزو الفكري هو مصطلح حديث يعني مجموعة الجهود التي تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخرى أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة.

وهو أخطر من الغزو العسكري؛ لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية، وسلوك المآرب الخفية في بادئ الأمر، فلا تحس به الأمة المغزوة، ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له، وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس، تحبُّ ما يريده لها عدوها أن تحبه، وتكره ما يريد منها أن تكرهه.

وهو داء عضال يفتك بالأمم، ويذهب شخصيتها، ويزيل معاني الأصالة فيها، والأمة التي تبتلى به لا تحس بما أصابها، ولا تدري عنه؛ ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً.." (1).

رابعاً: المستشرقون:

لقد سلك المستشرقون طرقاً عديدة في الوصول إلى أغراضهم ومنها:

1- التدريس الجامعي.

2- جمع المخطوطات العربية وفهرستها.

3- التحقيق والنشر والترجمة .

4- التأليف في شتى مجالات الدراسات العربية والإسلامية، بالإضافة إلى الاشتراك في بعض المجامع اللغوية، والمجامع العلمية في العالم الإسلامي.

والتأليف من أخطر وسائلهم حيث ألفوا كثيراً من الكتب التي تطعن في الإسلام

1- مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز

وتتلخص جهود المستشرقين في هذا المجال فيما يلي:

1- الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة.

2- الزعم بأن الإسلام استنفذ أغراضه، وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية.

3- الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني.

4- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف.

5- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي.

6- تشويه الحضارة الإسلامية وتاريخها.

7- تضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي، والزعم بأنها حركات إصلاح.

8- إحياء الحضارات القديمة.

9- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها.

10- تربية الأجيال تربية لا دينية.

وقد انتشرت هذه المعتقدات مع الأسف في بعض دول العالم الإسلامي (1).

خامساً: المنصّرون:

كما أن للمستشرقين والمنصرين أهدافاً مشتركة لهم وسائل متداخلة، ويمكن القول بأن ميدان المستشرقين الأساسي هو الثقافة والفكر، بينما يركز المنصرون جهودهم في النواحي الاجتماعية والتربوية.

وقد نقل المنصّرون العلمانية من خلال نشراتهم وكتبهم ومن خلال التمثيليات والأفلام، ومن خلال المدارس المختلفة التي بدأت بالأجنبية، ثم كان تأثيرهم على مناهج التعليم الوطنية.

ووسائل المنصرين في هذا المجال كثيرة جداً نذكر منها:

1- استخدام الطب كوسيلة للتنصير.

2- استخدام أعمال الخير والخدمات الاجتماعية: كإنشاء ملاجئ للأيتام، ومراكز رعاية اجتماعية للفقراء والمحتاجين.

3- استخدام الطلبة وعامة الناس في التنصير.

1- أنظر العلمانية نشأتها وتطورها, ص 545-549

4- استخدام الرشوة.

5- استخدام المكتبات والصحافة.

6- استخدام النوادي والجمعيات.

7- الاهتمام بالمرأة المسلمة وذلك بمحاولة إبعادها عن عقيدتها وإغرائها بتقليد المرأة الغربية.

8- المؤتمرات المشتركة.

9- البعثات الخارجية.

10-إنشاء المحاضن والمدارس والجامعات الأجنبية.

11-استخدام القوة أحياناً (1).

إلى غير ذلك من الأساليب التي استخدمها المنصرون في الوصول إلى غاياتهم المكشوفة؛ كبناء الكنائس، وتوزيع الأناجيل، وإقامة الندوات، والاهتمام بإفساد الريف الإسلامي - الذي يتميز عادةً بالمحافظة على القيم الإسلامية - والسيطرة على

وسائل التربية والإعلام واستخدامها في سمومهم، وتوهين العقيدة الإسلامية في النفوس، مع صرف العناية إلى الأطفال، والنفاذ إلى عقولهم من خلال تلك الوسائل.

سادساً: الأقليات غير المسلمة داخل المجتمعات الإسلامية:

وذلك كالنصارى، واليهود، والشيوعيين، وأصحاب الاتجاهات المنحرفة من جمعيات وأحزاب ونحوهم، وكل هؤلاء لاينعمون بضلالتهم وانحرافهم وفسادهم إلا تحت شعار كشعار ما يسمى بالعلمانية، لذلك تضافرت جهودهم على نشرها وبثها، والدعاية لها، حتى انخدع بذلك كثيرون من السذج، وأنصاف المتعلمين من أبناء المسلمين.

سابعاً: تقدم الغرب في العلم المادي

إن تقدم الغرب الهائل في مضمار العلم المادي والقوة جعل كثيرين

من المسلمين ينبهرون بذلك التقدم، ويعزونه إلى الاتجاه الجاهلي الحديث

1- مجلة البيان عدد 195ص 42

(العلماني)، وصدقوا دون تفكير مزاعم الكفار بأن الدين معوق للعلم، وظنوا أن بلادهم لا تتقدم حتى تفصل الدين -الإسلام- عن الدولة والحياة، وهذا بلا شك جهل بالإسلام جنى ثماره النكدة أكثر المسلمين (1).

ثامناً: البعثات إلى الخارج:

إن الطلاب الذين يذهبون من أبناء المسلمين إلى الدول غير الإسلامية، ولم تكن لديهم الحصانة الكافية من عقيدتهم، إن هؤلاء من أخطر الوسائل؛ لأن كثيراً منهم تعلقوا بقيم الغرب أو الشرق ومثله وعاداته، وقد عاد هؤلاء إلى بلدانهم وهم يحملون ألقاباً علمية وضعتهم في مناصب التوجيه، ونظر الناس إليهم على أنهم قدوة؛ لأنهم وطنيون (2).

1-مجلة البيان عدد 159ص39

2- العلمانية نشأتها وتطورها, ص 549

المبحث الثاني :

ابرز دعاة العلمانية في العالم الإسلامي

سوف أذكر إن شاء الله في هذا المبحث بشكل مختصر تاريخ دخول العلمانية إلى عدد من الدول الإسلامية ثم أختمه بذكر بعض دعاة العلمانية في العالم الإسلامي

أولاً : تاريخ دخول العلمانية إلى بعض الدول الإسلامية

1- في مصر : دخلت العلمانية مصر مع حملة نابليون . وقد اشار اليها الجبرتي الجزء المخصص للحملة الفرنسية على مصر واحداثها بعبارات تدور حول معنى العلمانية وان لم تذكر الفظة صراحة .أما أول من استخدم هذا المصطلح العلمانية فهو نصراني يدعى اليأس بقطر في معجم عربي فرنسي من تأليفه قال فيه وادخل الخديوي اسماعيل القانون الفرنسي سنة 1883م،وكان هذا الخديوي مفتونا بالغرب ،وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا .

2- الهند: حتى سنة 1791م كانت الأحكام وفق الشريعة الإسلامية ثم بدأ التدرج من هذا التاريخ لإلغاء الشريعة الإسلامية بتدبير الإنجليز وانتهت تماما في أواسط القرن التاسع عشر .

3- الجزائر : إلغاء الشريعة الإسلامية عقب الاحتلال الفرنسي سنة 1830 م

4- تونس : أدخل القانون الفرنسي فيها سنة 1906 م.

5- المغرب : ادخل القانون الفرنسي فيها سنة 1913م.

6- تركيا : لبست ثوب العلمانية عقب إلغاء الخلافة واستقرار الأمور تحت سيطرة مصطفى كمال أتاتورك ، وان كانت قد وجدت هناك إرهاصات ومقدمات سابقة .

7- العراق والشام : الغيت الشريعة أيام إلغاء الخلافة العثمانية وتم تثبيت أقدام الإنجليز والفرنسيين فيها .

ثانياً : من اشهر دعاة العلمانية في العالم العربي الإسلامي

كثر دعاة العلمانية في العالم الإسلامي لكن من أشهرهم

أحمد لطفي السيد ، إسماعيل مظهر ، قاسم امين ، طه حسين ، عبد العزيز فهمي ، ميشيل عفلق ، سوهارتو ، مصطفى كمال اتاتورك ،جمال عبد الناصر ، أنور السادات (صاحب شعار لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين) ، د. فؤاد زكريا ، د. فرج فودة وقد اغتيل بالقاهرة ، وغيرهم (1) .

1- أنظر عدد من المقالات في موقع صيد الفوائد على شبكة الانترنت

المبحث الثالث:

آثار العلمانية السيئة على العالم الإسلامي

وقد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم.

وسوف أشير إلى بعض الآثار السيئة التي جنتها المجتمعات الإسلامية من تطبيق العلمانية:

1- رفض التحاكم إلى كتاب الله تعالى، وإقصاء الشريعة الإسلامية عن كافة مجالات الحياة، والاستعاضة عن ذلك بالقوانين الوضعية المقتبسة عن أنظمة الكفار، واعتبار الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية تخلفاً ورجعية.

2- جعل التعليم خادماً لنشر الفكر العلماني

وذلك من خلا ل الطرق التالية:

أ- بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية.

ب- تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن، وتكون في آخر اليوم الدراسي وقد لا تؤثر في تقديرات الطلاب.

ج- منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم وتزييف ضلالاتهم.

د- تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني، أو على الأقل لا تعارضه.

3-إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة، وهم المسلمون، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد، وصهر الجميع في إطار واحد. فالمسلم والنصراني، واليهودي، والشيوعي، والمجوسي، وغيرهم يتساوون أمام القانون، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني.

4- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية وذلك عن طريق:

أ- القوانين الوضعية التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها.

ب- وسائل الإعلام المختلفة التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ونشر الرذيلة.
ج- محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والمؤسسات.

5- الدعوة إلى القومية أو الوطنية، وهى دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس، أو اللغة، أو التاريخ، أو المكان، أو المصالح، أو المعيشة المشتركة، أو وحدة الحياة الاقتصادية، على ألا يكون الدين عاملاً من عوامل الاجتماع ولمّ الصف، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعدُّ عاملاً من عوامل التفرق والشقاق (1).

ولا شك أَنَّ الفكرة القومية أو الوطنية وفدت إلى ديار المسلمين من الغرب، ولقد كان ظهور هذه الفكرة مصدر شر على جميع المسلمين.

6-الدعوة إلى الارتماء في أحضان الغرب وأخذ حضارته دون وعي
ولا تمييز فقد قام بهذه الفكرة كثير من دعاة التضليل للأمة الإسلامية عند ضعف المسلمين وتفرقهم، حيث زعموا أن سبيل التقدم والنهضة، هو السير خلف ركاب الغربيين، والأخذ بمنهجهم وطريقتهم في كل شيء، حتى نكون مثلهم في الحضارة الحديثة، بخيرها وشرها، وما يحمد منها وما يُعاب.

ونتيجة لتلك الدعوات المغرضة من أدعياء الفكر، ذهب كثير من أبناء المسلمين إلى الدول الأوروبية، لإكمال تعليمهم، وغالباً ما يتأثر هؤلاء الطلاب بعادات الغرب وأفكاره (2).

1- مجلة البيان عدد 195ص 42

2- -مجلة البيان عدد 195ص42

7- الزعم بأن الشريعة الإسلامية لا تتوافق مع الحضارة الحديثة:
وهذا الزعم جاء نتيجة لاحتكاك أبناء الأمة الإسلامية بالحضارة الغربية الحديثة، فظنوا – جهلاً – أن الإسلام لا يتوافق مع الحياة العصرية، ولا ينسجم مع متطلبات الإنسان في هذا العصر بل قالوا إن الشريعة الإسلامية

هي السبب في التخلف والرجعية، وأن السبيل إلى التخلص من هذا الداء، والنهوض بالأمة إلى التقدم والحضارة هو نبذ الإسلام وتعاليمه (1).

فهذه بعض الآثار والثمار السيئة والخبيثة التي انتجتها العلمانية في البلاد الإسلامية التي تبنت العلمانية.

"والعلمانيون في العالم الإسلامي يعرفون بالاستهانة بالدين، والتهكم والاستهزاء بالمتمسكين به، كما يعرفون بإثارة الشبهات، وإشاعة الفواحش (كالسكر، والتبرج، والاختلاط المحرم) ونشر الرذائل، ومحاربة الحشمة والفضيلة، والحدود الشرعية، والاستهانة بالسنن، كما يعرفون أيضاً بحب الفساق والكفار والإعجاب بمظاهر الحياة الغربية وتقليدها.

---

1 – العلمانية نشأتها وتطورها, ص 549

الخاتمة

وبعد حمد الله – تعالى – وتوفيقه لي على إتمام هذا البحث المتواضع أود أن ألخص أهم ما اشتمل عليه فيما يلي:

1- إن العلمانية اصطلاح جاهلي، لا صلة له بالعلم، وإنما سماها أعداء الإسلام بذلك إمعانا منهم في التضليل والخداع، وإلا فإن عزل الدين عن العقيدة والشريعة وجميع نواحي الحياة يعني في الإسلام الكفر، والمروق من الدين، وحكم الجاهلية وتعطيل حدود الله وشرعه.

2- إن أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور العلمانية في أوروبا هو التحريف في أصول الدين، وتسلط رجال الكنيسة دينياً، واقتصادياً، وسياسياً، ولا يخفى ما لليهود من دور بارز في ذلك.

3- إن ظروف نشأة العلمانية في أوروبا لا تنطبق على الإسلام والمجتمعات الإسلامية، وذلك لأنه – بحمد الله – ليس في الإسلام تحريف في مصدر عقيدته، وليس فيه كهنوت، ولا واسطة بين الخالق وخلقه، وأنه لا عصمة لأحد إلا للرسل – عليهم الصلاة والسلام – فيما يبلغونه عن الله – تبارك وتعالى –

4- أَنَه ليس في الإسلام صراع أو خصام بين الدين والعلم، بل إن الإسلام يدعو إلى العلم النافع المثمر، ويحث عليه، كما أن الإسلام صالح للتطبيق في كل زمان ومجتمع ومكان.

5- إن من أسباب انتقال العلمانية إلى العالم الإسلامي انحراف كثير من المسلمين عن العقيدة الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح، وسيطرة الاستعمار الغربي والشرقي على كثير من أقطاره عسكرياً، وثقافياً، واقتصادياً، بالإضافة إلى إعجاب كثير من المسلمين بتقدم الغرب الهائل في مضمار العلم المادي.

6- إن إبعاد الدين عن مجالات الحياة في المجتمعات الأوروبية قد حولها إلى الإفلاس والحيرة والضياع، وحياة الضنك وعدم الطمأنينة، وذلك بسبب ابتعادها عن الإيمان بالله - تعالى - وشرعه، كما أنه كان لتسرب العلمانية إلى المجتمعات الإسلامية أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم، وذلك لابتعادهم عن نور الكتاب والسنة.

7- إن العلمانية تتعارض مع الإسلام تعارضاً تاماً في شتى المجالات، ولا وجه للمقارنة بينهما على الإطلاق، وذلك لأن الإسلام نظام إلهي شرعه رب الخلق الذي يعلم أحوال عباده، وما يصلح معاشهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وأخراهم.

والعلمانية هى من وضع البشر وهم يخضعون للأهواء والشهوات، وتتغلب عليهم العواطف البشرية التي تحيد بهم عن الحق والصواب.

هذا، وأسأل الله - تعالى - أن يعزّ دينه ويعلي كلمته، وأن يحق الحق ويبطل الباطل، وأن يوفقنا وجميع المسلمين لما يرضيه، ويعافينا من أسباب غضبه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

===============

العلمانية .. التاريخ والفكرة

بقلم

د . عوض بن محمد القرني

بسم الله الرحمن الرحيم

يتردد كثيراً في وسائل الإعلام والمنتديات وعلى المنابر مصطلح " العلمانية " , والقليل من الناس من غير المتخصصين من لديه معلومات دقيقة , أو مفاهيم محددة واضحة عن العلمانية, ولعلي في هذه الكتابة أسهم في بيان وتوضيح وكشف هذه الجوانب عن العلمانية , مع الاعتراف بصعوبة ذلك في الكتابة الصحفية , لما تستدعيه من الاختصار والإيجاز, ولما عودته الصحف للناس من البساطة والخطابية وعدم التوثيق العلمي الأكاديمي المتعارف عليه في الجامعات.

أصل العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية " secularism " , وهي من العلم فتكون بكسر العين , أو من العالم فتكون بفتح العين , وهي ترجمة غير أمينة ولا دقيقة ولا صحيحة , لأن الترجمة الحقيقية للكلمة الإنجليزية هي " لا دينية أو لا غيبية أو الدنيوية أو لا مقدس" , لكن المسوقون الأول لمبدأ العلمانية في بلاد الإسلام علموا أنهم لو ترجموها الترجمة الحقيقية لما قبلها الناس ولردوها ونفروا منها, فدلسوها تحت كلمة العلمانية لإيهام الناس أنها من العلم, ونحن في عصر العلم, أو أنها المبدأ العالمي السائد والمتفق عليه بين الأمم والشعوب غير المنحاز لأمة أو ثقافة .

وكان أول من طرح هذا المصطلح في الساحة الثقافية العربية نصارى بلاد الشام في القرن التاسع عشر , وكان أول من طرح هذا المصطلح – حسب علمي – " إلياس بقطور " وهو نصراني لبناني في معجم (عربي / فرنسي) ثم طرحه بعده " البستاني " في معجميه الذَين ألفهما .

•...العلمانية بضاعة غربية :

لقد نشأت العلمانية في الغرب نشأة طبيعية نتيجة لظروف ومعطيات تاريخية – دينية واجتماعية وسياسية وعلمانية واقتصادية – خلال قرون من التدريج والنمو الطبيعي ، والتجريب والتكامل , حتى وصلت لصورتها التي هي عليها اليوم , وأهم هذه الظروف والمعطيات التي برزت وأنضجت التجربة العلمانية في الغرب هي :

1- طبيعة الديانة النصرانية ومبادئها الأساسية التي تقوم على الفصل بين الدين والدنيا , أو بين الكنيسة والدولة ونظم الحياة المختلفة , فهي ديانة روحية شعائرية لا

شأن لها بنظم الحياة وشؤون الحكم والمجتمع , يعبر عن ذلك الشاعر النصراني " دع ما لله لله , وما لقيصر لقيصر " ..! ولهذا فإن النصارى أمماً وشعوباً حين يندفعون للبحث عن تنظيم أمور حياتهم, في العلمانية أو غيرها, لا يشعرون بأي حرج من ناحية دينهم ومعتقداتهم , بل إن طبيعة دينهم تدفعهم لهذا الأمر , ولذلك فإن نشأة العلمانية وانتشارها وسيادتها في المجتمعات الغربية أمر طبيعي .

2- الصراع الذي نشأ بين الكنيسة والكشوف العلمية في جوانب الحياة المختلفة , فعلى الرغم من أن الديانة النصرانية ديانة روحية صرفة إلا أن المؤسسة الكنسية تبنت بعض النظريات العلمية القديمة في بعض العلوم , ثم بمرور الزمن جعلتها جزء من الدين يحكم على كل من يخالفها بالردة والمروق والهرطقة , وحين تطورت العلوم الطبيعية تبين أن الكثير من تلك النظريات كانت خاطئة وخلاف الصواب والحقيقة , وانبرت الكنيسة تدافع عن تلك الأخطاء باعتبارها من الدين , واشتعلت الحرب , وسقط ضحايا التزمت الخرافي والتعصب الأعمى غير المبرر من علماء الطبيعة ما بين مقتول ومحروق ومشنوق , ومارست الكنيسة أقصى درجات القمع الفكري والبدني على معارضيها بزعمها , وجنت الكنيسة على الدين حين صورته للناس دين الخرافة والدجل والكذب , بسبب إصرارها على أن تنسب إليه ما هو منه براء .

وحين تكشفت للناس الحقائق وقامت البراهين القاطعة على صحة أقوال أهل العلم انحازوا للحقيقة ونبذوا الكنسية ودينها ، أو على الأصح ردوا الديانة النصرانية المحرفة إلى أصلها وطبيعتها وحقيقتها ، لا شأن لها بالعلم والحياة والنظم والكشوف ، فكان ذلك دفعة جديدة لسادة العلمانية ، تدعمها الكشوف العلمية والعقول المفكرة ، وقد أدى انتصار العلم في النهاية إلى ثورة علمية وكشوف جغرافية ، فكان أن ... :

3- قامت في الغرب حركة اجتماعية فكرية سياسية شاملة نفضت غبار الماضي ، وثارت على كل قديم ، واحتدمت نيران الصراع بين القوى الاجتماعية والسياسية الجديدة والقوى القديمة التي يمثلها الإقطاع وطبقات النبلاء ، وانحازت الكنيسة أيضاً للقوى القديمة ، بينما كانت القوى الجديدة تطالب بالحريات المساواة ، وترفع شعار حقوق الإنسان ، ويدعمها العلم وحقائقه ، وتطور الحياة وسنتها ... فالتفت الشعوب والجماهير حول القوى الجديدة الداعية إلى التقدم الاجتماعي والتطور الفكري

والسياسي ، وكان يدعم هذا التوجه ما عاشته الشعوب من ظلم واستغلال بشع في ظل الإقطاع والكنيسة ، وكانت العلمانية اللادينية هي اللافتة والراية التي اجتمعت القوى الجديدة تحتها, وبانتصار هذه القوى انتصرت العلمانية, واندحرت النصرانية وأخذت القوى الجديدة تبشر بعصر جديد يسعد فيه الإنسان، وتحل جميع مشكلاته، ويعم السلام والرفاهية والرخاء جميع الشعوب، وهو ما لم يتحقق إلا بعضه كما سنرى بعد قليل .

•...نتائج العلمانية في الغرب :

حين تحرر الإنسان الغربي من سيطرة الكنيسة والإقطاع تحرر من سيطرة الخرافة والدجل والظلم، ورافق ذلك بزوغ فجر التقدم الصناعي والثورة العلمية، وحين أخذت الشعوب الغربية بالنهج العلماني الجديد في إطار المستجدات العلمية والفكرية والسياسية الجديدة كانت نتائج ذلك :

أ- التقدم العلمي الهائل :

إذ أن العقل الغربي الذي كان أسير الأساطير تاريخياً، والخرافة دينياً وعلمياً، تحرر من ذلك كله وانطلق يبحث ويجرب ويفكر ويتقصى ، فأبدع في هذا المجال بما لم تعرفه البشرية في تاريخها، وقدم الغرب للإنسانية من نتائج علمه ثورة صناعية هائلة غيرت وجه الأرض وطبيعة علاقة الإنسان بالبيئة المادية من حوله .

ب- الرخاء الاقتصادي الواسع الذي أصبحت تعيشه الشعوب الغربية ولم تحرمه شعوب العالم الأخرى :

إذ إن منجزات العلم وظفت في العديد من جوانبها لرفاهية الإنسان في ضرورياته من غذاء وكساء وعلاج وسكن وخدمات، بل تجاوز كثير من الشعوب توفير الضروريات إلى التوسع في الكماليات بصورة مميزة لم تعرف لها البشرية مثيلاً في الجملة وبصورة عامة .

ج- الاستقرار السياسي :

واستبعاد صور وأشكال العنف في التعبير عن الآراء والتوجهات السياسية ، وترسيخ آليات وأخلاقيات وقوانين وأعراف للحوار أو الصراع السياسي، وتوفير ضمانات

للحريات السياسية في آلياته ووسائله وأساليبه- لا في فلسفته ومحتواه الفكري- أمن وسلام على الشعوب الغربية بعد عصور الدماء والتطاحن والثورات ، وأصبح مثالاً يحتذى من كافة شعوب الأرض ، ويسعى الجميع لاستيراده وتطبيقه باعتباره نهاية التاريخ ، وغاية التطور، وسقف الحضارة الذي لا يمكن تجاوزه .

د- احترام حقوق الإنسان وحرياته :

وبالذات الإنسان الغربي، وبالمفهوم الغربي أيضا للحقوق والحريات، حيث أصبح زعيم أكبر وأقوى دولة في العالم يحقق معه ويحاكم كأي فرد مهما ضعف وتضاءل من شعبه، وبحيث أصبحت السيادة للقانون، ودور السلطة هو حماية القانون وتنفيذه وخدمة الأمة وحمايتها والنزول على رأيها ورغبتها، مع الأخذ في الاعتبار أن المفاهيم الغربية عن حقوق الإنسان والحريات ليست هي المفاهيم الصحيحة ، ولا الأولى والأجدى لحياة الإنسان ، بسبب منطلقاتها المادية الإلحادية الإباحية، لكنها بلا شك تحتوي على قدر لا بأس به من قيم العدل والمساواة والإنصاف بمعايير القوانين الوضعية .

هـ - انتشار الإلحاد بجميع صوره وأشكاله في حياة الغربيين :

نتيجة لهزيمة الكنيسة والدين في مواجهة العلمانية ، مما أدى لتحييد الدين عن شئون الحياة العامة، واقتصاره على الجانب الفردي الاختياري في حياة الإنسان ولأول مرة في تاريخ البشرية تقوم دول وأنظمة ومعسكرات عالمية تتبنى الإلحاد في أشد صوره غلواً وتطرفاً ومادية ، وتصادم فطرة الإنسان , وتصادر ضرورات العقل في الإيمان ومستلزماته تحت شعار تقديس العقل ، وإنما هو تسفيه العقل والعياذ بالله .

و- السيطرة الغربية على شعوب العالم الأخرى ، واستعمارها، واستعبادها ، واستغلال خيراتها ، والتنافس بين الدول الغربية في ذلك :

مما تسبب في قيام حربين عالميتين ذهب ضحيتها عشرات الملايين من البشر ، وما زال التهديد قائماً بحرب ثالثة قد تكون سببا في دمار الأرض والقضاء على الحضارة البشرية ومنجزاتها عبر التاريخ, فالغرب نتيجة للثورة العلمية والقوة الاقتصادية والكشوف الجغرافية وتراجع المد الإسلامي في الأندلس وغيرها ، أخذت أساطيله تمخر عباب البحار والمحيطات، وتتسابق للاستيلاء على الممالك والأقاليم،

وتقاسمت العالم ، ونهبت ثرواته، واستغلت شعوبه، وصادرت عقائده، وتجاهلت خصائص كل أمة وقيمها وثقافتها، وقامت حروب التحرر المقاومة للاستعمار، وسالت دماء الشعوب أنهاراً، وتم في النهاية جلاء القوى العسكرية الاستعمارية من أغلب بقاع العالم، ولكن بعد أن فرض الغرب رؤيته وأفكاره وأيديولوجيته، وربى على ذلك النخب الفكرية والسياسية في شعوب ما سمي بالعالم الثالث، وسلّمها زمام الأمر من بعده، فواصلت حمل راية العلمانية، وتطرفت في تطبيقها بالحديد والنار كما سترى فيما يأتي من حديث .

ز – العجز عن حل المعضلة الإنسانية التاريخية في غرس اليقين والطمأنينة في نفس الإنسان، والإجابة على تساؤلاته الكبرى المصيرية الملازمة له عبر تاريخه عن حقيقة وجود وبيان ماهيته ورسالته ودوره ووظيفته وإلى أين مآله ومصيره ونهايته .

هذا الأمر الذي كان محور اهتمام المذاهب والفلسفات والمبادئ والنظريات ، وموضوع الملل والنحل والرسالات السماوية هو ما بشرت العلمانية في بداياتها بأنها بالعلم ستصل فيه إلى الإجابات الشافية الكافية وأنه لا مشكلة للإنسان بعد اليوم .

ولكن ها نحن بعد أن عاشت الحضارة الغربية قرابة ثلاثة قرون في ظل العلمانية نرى الإنسان الغربي يعيش مأزقا نفسيا روحياً فكرياً وجودياً أشد عمقاً وتأزماً من مأزقه حين بشرت العلمانية بحل معضلته ، على الرغم من التقدم المادي والرفاه المعيشي الذي يعيشه هذه الأيام وصدق القائل سبحانه (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا).

•...وسائل وطرائق العلمانية من الغرب للشرق:

لقد بزغ نجم العلمانية وعلا شأنه في الغرب في ظل الظروف التي أشرنا إليها ، وقد صاحب ظهورها في الغرب انحطاط وتخلف وهزائم في الشرق، مما أتاح للغرب أن يستلم زمام قيادة ركب الحضارة البشرية بما أبدعه من علم وحضارة ، وما بذله من جهد وتضحية ، فكان أمراً طبيعياً أن يسعى الغرب لسيادة نموذجه الحضاري الذي يعيشه وأن يسوقه بين أمم الأرض لأنه بضاعته التي لا يملك غيرها ، ولأنه أيضا الضمانة الكبرى لبقاء الأمم الأخرى تدور في فلك التبعية له وتكدح في سبيل مدنيته

وازدهار حضارته ، وكان تسويق الغرب للعلمانية في الشرق الإسلامي من خلال الوسائل والطرق الآتية :

1- من خلال الاحتلال العسكري الاستعماري :

فقد وفدت العلمانية إلى الشرق في ظلال الحرب العسكرية، وعبر فوهات مدافع البوارج البحرية، ولئن كانت العلمانية في الغرب نتائج ظروف ومعطيات محلية متدرجة عبر أزمنة متطاولة، فقد ظهرت في الشرق وافداً أجنبياً متكامل الرؤى والإيديولوجيات والبرامج ، يطبق تحت تهديد السلاح وبالقسر والإكراه، كمن يصرّ على استنبات نبتات القطب الجليدي في المناطق الاستوائية ، وفي هذا من المصادمة لسنن الله في الحياة ما يقطع بفشل التجربة قبل تطبيقها، لأن الظروف التي نشأت فيها العلمانية وتكامل مفهومها عبر السنين تختلف اختلافاً جذرياً عن ظروف البلدان التي جلبت إليها جاهزة متكاملة في الجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتاريخية والحضارية ، فالشرط الحضاري الاجتماعي التاريخي الذي أدى إلى نجاح العلمانية في الغرب مفقود في الشرق بل في الشرق نقيضة تماماً – و أعني بالشرق هنا الشرق الإسلامي – , ولذلك فلا عجب إن كانت النتائج مختلفة تماماً كما سنرى , وحين نشأت الدولة العربية الحديثة كانت عالة على الغربيين الذين كانوا حاضرين خلال الهيمنة الغربية في المنطقة ومن خلال المستشارين الغربيين أو من درسوا في الغرب واعتنقوا العلمانية ، فكانت العلمانية في أحسن الأحوال أحد المكونات الرئيسية للإدارة في مرحلة تأسيسها وهكذا بذرت بذور العلمانية على المستوى الرسمي قبل جلاء جيوش الاستعمار عن البلاد التي ابتليت بها .

2- من خلال البعثات التي ذهبت من الشرق إلى الغرب لطلب العلم والتقدم , فعاد الكثير منها بالعلمانية لا بالعلم ، ذهبوا لدراسة الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والرياضيات فعادوا بالأدب واللغات والاقتصاد والسياسة والعلوم الاجتماعية والنفسية ، بل وبدراسة الأديان وبالذات الدين الإسلامي في الجامعات الغربية ، ولك أن تتصور حال شاب مراهق ذهب يحمل الشهادة الثانوية ويلقى به بين أساطين الفكر العلماني الغربي على اختلاف مدارسه ، بعد أن يكون قد سقط إلى شحمة أذنيه في حمأة الإباحية والتحلل الأخلاقي وما أوجد كل ذلك لديه من صدمة نفسية

واضطراب فكري ، ليعود بعد عقد من السنين بأعلى الألقاب الأكاديمية ، وفي أهم المراكز العلمية بل والقيادية في وسط أمة أصبح ينظر إليها بازدراء ، وإلى تاريخها بريبة واحتقار ، وإلى قيمها ومعتقداتها وأخلاقها – في أحسن الأحوال – بشفقة ورثاء . إنه لن يكون بالضرورة إلا وكيلاً تجارياً لمن علّموه وثقّفوه ومدّنوه ، وهو لا يملك غير ذلك ، ولئن كان هذا التوصيف للبعثات الدراسية ليس عاماً ، فإنه الأغلب وبالذات في أوائل عصر البعثات ، وما " طه حسين " و" رفاعة الطهطاوي " إلا أمثلة خجلى أمام غيرهم من الأمثلة الصارخة الفاقعة اللون مثل " زكي نجيب محمود" و" محمود أمين العالم " و"فؤاد زكريا" و "عبدالرحمن بدوي" وغيرهم الكثير .. ولئن كان هذا الدور للبعثات العلمية تم ابتداء من خلال الابتعاث لعواصم الغرب فإن الحواضر العربية الكبرى مثل "القاهرة – بغداد – دمشق" أصبحت بعد ذلك من مراكز التصدير العلماني للبلاد العربية الأخرى، من خلال جامعاتها وتنظيماتها وأحزابها وبالذات لدول الجزيرة العربية , وقلّ من يسلم من تلك اللوثات الفكرية العلمانية، حتى أصبح في داخل الأمة طابور خامس ، وجهته غير وجهتها وقبلته غير قبلتها ، وإنهم لأكبر مشكلة تواجه الأمة لفترة من الزمن ليست بالقليلة .

3- من خلال البعثات التبشيرية :

فالمنظمات التبشيرية النصرانية التي جابت العالم الإسلامي شرقاً وغرباً من شتى الفرق والمذاهب النصرانية جعلت هدفها الأول زعزعة ثقة المسلمين في دينهم ، وإخراجهم منه ، وتشكيكهم فيه ، حتى وإن لم يعتنقوا النصرانية ، وليس أجدى من العلمانية وسيلة لهذا الغرض ، والأمر ليس من باب التخمين والافتراض بل نطقت بهذا أفواههم وخطته أقلامهم ، وإن شئت فارجع إلى كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" مثلا ليبين لك ذلك .

وهؤلاء المبشرين : إما من الغربيين مثل "زويمر" و "دنلوب", وإما من نصارى العرب مثل "أديب إسحاق" و "شلبي شميل" و "سلامة موسى" و "جرجي زيدان " وأضرابهم .. ومنهم من كان يعلن هويته التبشيرية ويمارس علمنة أبناء المسلمين "كزويمر"ومنهم من كان يعلن علمانيته فقط ، ويبذل جهده في ذلك "كسلامة موسى"و"شبلي شميل" .

4- من خلال المدارس والجامعات الأجنبية :

ففي أواخر الدولة العثمانية وحين سيطر الماسونيون العلمانيون على مقاليد الأمر سمح للبعثات التبشيرية والسفارات الغربية بإنشاء المدارس والكليات، وانتشرت في بلاد الشام والأناضول انتشار النار في الهشيم ، وخرجت أجيال من أبناء وبنات المسلمين أصبحوا بعد ذلك قادة الفكر والثقافة ودعاة التحرير والانحلال . ومن الأمثلة على ذلك الجامعة الأمريكية في بيروت ، والتي في أحضانها نشأت العديد من الحركات والجمعيات العلمانية، وقد سرت العدوى بعد ذلك إلى الكثير من الجامعات والمؤسسات التعليمية الرسمية في العديد من البلاد العربية والإسلامية ، وقد قام خريجوا هذه المدارس والجامعات بممارسة الدور نفسه حين عادوا لبلدانهم أو ابتعثوا للتدريس في بعض البلدان الأخرى ، وإن المتابع لما ينشر من مذكرات بعض العلمانيين في البلاد التي لم تبتلى بهذه المدارس ليتبين له بجلاء ووضوح الدور الكبير الذي قام به العلمانيون العرب من الذين استقدموا للتدريس في تربية طلابهم وإقناعهم بالعلمانية، سواء من خلال التنظيمات الحزبية أو من خلال البناء الفكري الثقافي لأولئك الطلاب .

5- من خلال الجمعيات والمنظمات والأحزاب العلمانية :

التي انتشرت في الأقطار العربية والإسلامية، مابين يسارية وليبرالية وقومية وأممية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية، بجميع الألوان والأطياف وفي جميع البلدان, حيث أن النخب الثقافية في غالب الأحيان كانوا إما من خريجي الجامعات الغربية أو الجامعات السائرة على النهج ذاته في الشرق، وبعد أن تكاثروا في المجتمع عمدوا إلى إنشاء الأحزاب القومية أو الشيوعية أو الليبرالية ، وجميعها تتفق في الطرح العلماني ، وكذلك أقاموا الجمعيات الأدبية والمنظمات الإقليمية أو المهنية ، وقد تختلف هذه التجمعات في أي شيء إلا في تبني العلمانية , والسعي لعلمنة الأمة كل من زاوية اهتمامه، والجانب الذي يعمل من خلاله .

ومن الأمور اللافتة للنظر أن أشهر الأحزاب العلمانية القومية العربية إنما أسسها نصارى بعضهم ليسوا من أصول عربية، أمثال "ميشيل عفلق" و"جورج حبش" ،

والكثرة الساحقة من الأحزاب الشيوعية العلمانية إنما أسسها يهود مليونيرات أمثال "كوريل".

6- من خلال البعثات الدبلوماسية :

سواء كانت بعثات للدول الغربية في الشرق، أو للدول الشرقية في الغرب، فقد أصبحت في الأعم الأغلب جسوراً تمر خلالها علمانية الغرب الأقوى إلى الشرق الأضعف من خلال الإيفاد ، و من خلال المنح الدراسية وحلقات البحث العلمي، والتواصل الاجتماعي، والمناسبات والحفلات ، ومن خلال الضغوط الدبلوماسية والابتزاز الاقتصادي، وليس بِسِرٍّ أن بعض الدول الكبرى أكثر أهمية وسلطة من القصر الرئاسي أو مجلس الوزراء في تلك الدول الضعيفة التابعة .

7- من خلال وسائل الإعلام المختلفة :

من مسموعة أو مرئية أو مقروءة، لأن هذه الوسائل كانت من الناحية الشكلية من منتجات الحضارة الغربية- صحافة أو إذاعة أو تلفزة – فاستقبلها الشرق واستقبل معها فلسفتها ومضمون رسالتها، وكان الرواد في تسويق هذه الرسائل وتشغيلها والاستفادة منها إما من النصارى أو من العلمانيين من أبناء المسلمين , فكان لها الدور الأكبر في الوصول لجميع طبقات الأمة ، ونشر مبادئ وأفكار وقيم العلمانية ، وبالذات من خلال الفن ، وفي الجانب الاجتماعي بصورة أكبر .

هكذا سرت العلمانية في كيان الأمة ، ووصلت إلى جميع طبقاتها قبل أن يصلها الدواء والغذاء والتعليم في كثير من الأحيان، فكان كما يقول المثل "ضغث على إبالة"، ولو كانت الأمة حين تلقت هذا المنهج العصري تعيش في مرحلة قوة وشموخ وأصالة لوظفت هذه الوسائل الإعلامية توظيفاً آخر يتفق مع رسالتها وقيمها وحضارتها وتاريخها وأصالتها .

8- من خلال التأليف والنشر في فنون شتى من العلوم وبالأخص في الفكر والأدب :

فقد جاءت العلمانية وافدة في كثير من الأحيان تحت شعارات المدارس الأدبية المختلفة، متدثرة بدعوى رداء التجديد والحداثة، معلنة الإقصاء والإلغاء والنبذ والإبعاد لكل قديم في الشكل والمضمون وفي الأسلوب والمحتوى, ومثل ذلك في الدراسات

الفكرية المختلفة في علوم الاجتماع والنفس والعلوم الإنسانية المختلفة، حيث قدمت لنا نتائج كبار ملاحدة الغرب وعلمانييه على أنه الحق الطلق، بل العلم الأوحد ولا علم سواه في هذه الفنون . وتجاوز الأمر التأليف والنشر إلى الكثير من الكليات والجامعات والأقسام العلمية التي تنتسب لأمتنا اسماً ولغيرها حقيقة ، وإن كان الأمر في أقسام العلوم الأخرى من طب وهندسة ورياضيات وفيزياء وكيمياء وأمثالها يختلف كثيرا ولله الحمد والمنة ، وهي الأقسام التي وجهها أبناء الأمة الأصلاء ممن لم يتلوثوا بلوثات العلمانية، فحاولوا أن ينقلوا للأمة ما يمكن أن تستفيد منه من منجزات التقدم الغربي مع الحفاظ على هويتها وأصالتها وقيمها .

9- من خلال الشركات الغربية الكبرى التي وفدت لبلاد المسلمين مستثمرة في الجانب الاقتصادي :

لكنها لم تستطع أن تتخلى عن توجهاتها الفكرية، وقيمها وأنماط حياتها الاجتماعية ، وهذا أمر طبيعي، فكانت من خلال ما جلبته من قيادات إدارية وعمالة فنية احتكت بالشعوب الإسلامية سبباً مهما في نشر الفكر العلماني وقيمه الاجتماعية و انعكاساته الأخلاقية والسلوكية، ولعل من المفارقات الجديرة بالتأمل، أن بعض البلدان التي كانت تعمل فيها بعض الشركات الغربية الكبرى من أمريكية وبريطانية لم تبتلى بالتنظيمات اليسارية، ولم تنشأ إلا في هذه الشركات في أوج اشتعال الصراع بين المعسكر الشيوعي والمعسكر الغربي.

•...بعض ملامح العلمانية الوافدة:

لقد أصبح حَمَلة العلمانية الوافدة في بلاد الشرق بعد مائة عام من وفودهم تياراً واسعاً منفذاً غالباً على نخبة الأمة وخاصتها في الميادين المختلفة, من فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، وكان يتقاسم هذا التيار الواسع في الجملة اتجاهان :

أ- الاتجاه اليساري الراديكالي الثوري، ويمثله - في الجملة - أحزاب وحركات وثورات ابتليت بها المنطقة ردحاً من الزمن ، فشتت شمل الأمة ومزقت صفوفها ، وجرت عليها الهزائم والدمار والفقر وكل بلاء ، وكانت وجهة هؤلاء الاتحاد السوفييتي قبل سقوطه، سواء كانوا شيوعيين ، أو قوميين عنصريين .

ب- الاتجاه الليبرالي ذي الوجهة الغربية لأمريكا ومن دار في فلكها من دول الغرب ، وهؤلاء يمثلهم أحزاب وشخصيات قد جنوا على الأمة بالإباحية والتحليل والتفسخ والسقوط الأخلاقي والعداء لدين الأمة وتاريخها .

•...وللاتجاهين ملامح متميزة أهمها :

1- مواجهة التراث الإسلامي ، إما برفضه بالكلية واعتباره من مخلفات عصور الظلام والانحطاط والتخلف - كما عند غلاة العلمانية - ، أو بإعادة قراءته قراءة عصرية - كما يزعمون - لتوظيفه توظيفاً علمانياً من خلال تأويله على خلاف ما يقتضيه سياقه التاريخي من قواعد شرعية، ولغة عربية، و أعراف اجتماعية. ولم ينجو من غاراتهم تلك حتى القرآن و السنة ، إمّا بدعوى بشرية الوحي ، أو بدعوى أنه نزل لجيل خاص أو لأمة خاصة ، أو بدعوى أنها مبادئ أخلاقية عامة ، أو مواعظ ورقائق روحية لا شأن لها بتنظيم الحياة ، ولا ببيان العلم وحقائقه ، ولعل من الأمثلة الصارخة للرافضين للتراث ، والمتجاوزين له "أدونيس" و "محمود درويش" و "البياتي" و "جابر عصفور" ومن لفّ لفهم وشايعهم وهم كثر لا كثرهم الله .

أما الذين يسعون لإعادة قراءته وتأويله وتوظيفه فمن أشهرهم "حسن حنفي" و "محمد أركون"و "محمد عابد الجابري" و "حسين أمين" ومن على شاكلتهم ، ولم ينجُ من أذاهم شيء من هذا التراث في جميع جوانبه .

2- اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي استعماري عنصري غير حضاري ، وتفسيره تفسيراً مادياً ، بإسقاط نظريات تفسير التاريخ الغريبة العلمانية على أحداثه، وقراءته قراءة انتقائية غير نزيهة ولا موضوعية، لتدعيم الرؤى والأفكار السوداء المسبقة حيال هذا التاريخ ، وتجاهل ما فيه من صفحات مضيئة مشرقة ، والخلط المتعمد بين الممارسة البشرية والنهج الإسلامي الرباني ، ومحاولة إبراز الحركات الباطنية والأحداث الشاذة النشاز وتضخيمها، والإشادة بها ، والثناء عليها ، على اعتبار أنها حركات التحرر والتقدم والمساواة والثورة على الظلم مثل "ثورة الزنج" و "ثورة القرامطة" ومثل ذلك الحركات الفكرية الشاذة عن الإسلام الحق ، وتكريس فكرة مفادها أنها من الإسلام بل هي الإسلام مثل القول بوحدة الوجود، والاعتزال وما

شابه ذلك من أمور تؤدى في نهاية الأمر إلى تشويه الصور المضيئة للتاريخ الإسلامي لدى ناشئة الأمة، وأجياله المتعاقبة .

3- السعي الدؤوب لإزالة أو زعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم ، والمسيرة المؤطرة للفكر والفهم الإسلامي في تاريخه كله ، من خلال استبعاد الوحي كمصدر للمعرفة والعلم ، أو تهميشه – على الأقل – وجعله تابعاً لغيره من المصادر كالعقل والحس ، وما هذا إلا أثر من آثار الإنكار العلماني للغيب ، والسخرية من الإيمان بالغيب ، واعتبارها – في أحسن الأحوال – جزء من الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية ، والترويج لما يسمي بالعقلانية والواقعية والإنسانية ، وجعل ذلك هو البديل الموازي للإيمان في مفهومه الشرعي الأصيل ، وكسر الحواجز النفسية بين الإيمان و الكفر ، ليعيش الجميع تحت مظلة العلمانية في عصر العولمة . وفي كتابات " محمد عابد الجابري " و" حسن حنفي " و" حسين مروة " و" العروي " وأمثالهم الأدلة على هذا الأمر .

4- خلخلة القيم الخلقية الراسخة في المجتمع الإسلامي ، والمسيرة للعلاقات الاجتماعية القائمة على معاني الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود وطلب الأجر وأحاسيس الجسد الواحد ، واستبدال ذلك بقيم الصراع و الاستغلال والنفع وأحاسيس قانون الغاب والافتراس والتحلل والإباحية , من خلال الدراسات الاجتماعية والنفسية ، والأعمال الأدبية والسينمائية والتلفزيونية ، مما هز المجتمع الشرقي من أساسه ، ونشر فيه من الجرائم والصراع ما لم يعهده أو يعرفه في تاريخه ، ولعل رواية "وليمة عشاء لأعشاب البحر" – السيئة الذكر – من أحدث الأمثلة على ذلك، والقائمة الطويلة من إنتاج"محمد شكري" و "الطاهر بن جلون" و "الطاهر طار" و "تركي الحمد" وغيرهم الكثير تتزاحم لتؤدي دورها في هدم الأساس الخلقي الذي قام عليه المجتمع، واستبداله بأسس أخرى .

5- رفع مصطلح الحداثة كلافتة فلسفية اصطلاحية بديلة لشعار التوحيد ، والحداثة كمصطلح فكري ذي دلالات محددة تقوم على مادية الحياة ، وهدم القيم والثوابت، ونشر الانحلال والإباحية ، وأنسنة الإله وتلويث المقدسات ، وجعل ذلك إطاراً فكرياً

للأعمال الأدبية ، والدراسات الاجتماعية ، مما أوقع الأمة في أسوأ صور التخريب الفكري الثقافي .

6- استبعاد مقولة الغزو الفكري من ميادين الفكر والثقافة ، واستبدالها بمقولة حوار الثقافات ، مع أن الواقع يؤكد أن الغزو الفكري حقيقة تاريخية قائمة لا يمكن إنكارها كإحدى مظاهر سنة التدافع التي فطر الله عليها الحياة ، وأن ذلك لا يمنع الحوار ، لكنها سياسة التخدير والخداع والتضليل التي يتبعها التيار العلماني ، ليسهل تحت ستارها ترويج مبادئ الفكر العلماني ، بعد أن تفقد الأمة مناعتها وينام حراس ثغورها ، وتتسلل في أجزائها جراثيم وفيروسات الغزو العلماني القاتل .

7- وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري ، عبر غوغائية إعلامية غير شريفة ولا أخلاقية ، لتخويف الناس من الإلتزام بالإسلام ، والاستماع لدعاته ، وعلى الرغم من وقوع الأخطاء – وأحياناً الفظيعة – من بعض المنتمين أو المدعين إلى الإسلام ، إلا أنها نقطة في بحر التطرف والإرهاب العلماني الذي يمارس على شعوب بأكملها ، وعبر عقود من السنين ، لكنه عدم المصداقية والكيل بمكيالين ، والتعامي عن الأصولية والنصرانية واليهودية الموغلة في الظلامية والعنصرية والتخلف .

8- تمييع قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق ، والفكر والسياسة ، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي محلها ، واستخدام هذه المفاهيم في تحليل المواقف والأحداث ، ودراسة المشاريع والبرامج ، أي فك الارتباط بين الدنيا والآخرة في وجدان وفكر وعقل الإنسان ، ومن هنا ترى التخبط الواضح في كثير من جوانب الحياة الذي يعجب له من نور الله قلبه بالإيمان ، ولكن أكثرهم لا يعلمون .

9- دق طبول العولمة واعتبارها القدر المحتوم الذي لا مفرمنه ولا خلاص إلا به ، دون التمييز بين المقبول والمرفوض على مقتضى المعايير الشرعية ، بل إنهم لَيصرخون بأن أي شئ في حياتنا يجب أن يكون محل التساؤل دون التفريق بين الثوابت والمتغيرات مما يؤدي إلى تحويل بلاد الشرق إلى سوق استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية ، والتوسل لذلك بذرائعيه نفعية محضة لا يسيرها غير أهواء الدنيا وشهواتها .

10- الاستهزاء والسخرية والتشكيك في وجه أي محاولة لأسلمة بعض جوانب الحياة المختلفة المعاصرة في الاقتصاد والإعلام والقوانين ، ولعل الهجوم المستمر على المملكة العربية السعودية بسبب احتكامها للشريعة في الحدود والجنايات من هذا المنطلق ، وإن برّروا هجومهم وحقدهم تحت دعاوى حقوق الإنسان وحرياته ، ونسوا أو تناسوا الشعوب التي تسحق وتدمر وتقتل وتغصب بعشرات الآلاف ، دون أن نسمع صوتاً واحداً من هذه الأصوات النشاز يبكي لها ويدافع عنها ، لا لشيء إلا أن الجهات التي تقوم بانتهاك تلك الحقوق ، وتدمير تلك الشعوب أنظمة علمانية تدور في فلك المصالح الغربية .

11- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية ، وبخاصة في الفن والرياضة وشركات الطيران والأزياء والعطور والحفلات الرسمية وقضية المرأة ، ولكن كانت هذه شكليات ومظاهر لكنها تعبر عن قيم خلقية ، ومنطلقات عقائدية ، وفلسفة خاصة للحياة ، من هنا كان الاهتمام العلماني المبالغ فيه بموضة المرأة ، والسعي لنزع حجابها ، وإخراجها للحياة العامة ، وتعطيل دورها الذي لا يمكن أن يقوم به غيرها ، في تربية الأسرة ورعاية الأطفال ، وهكذا العلمانيون يفلسفون الحياة . يعطل مئات الآلاف من الرجال عن العمل لتعمل المرأة ، ويستقدم مئات الآلاف من العاملات في المنازل لتسد مكان المرأة في رعاية الأطفال ، والقيام بشؤون المنزل ، ولئن كانت بعض الأعمال النسائية يجب أن تناط بالمرأة ، فما المبرر لمزاحمتها للرجل في كل موقع ؟!

12- الاهتمام الشديد والترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب ، وتقديم أصحابها في وسائل الإعلام ، بل وفي الكليات والجامعات على أنهم رواد العلم ، وأساطين الفكر وعظماء الأدب ، وما أسماء "دارون" و "فرويد" و "دوركايم" ولا "الأنسنية" و "البنيوية" و "السريالية" وغير هذا الكثير مما لا يجهله المهتم بهذا الشأن ، وحتى أن بعض هذا قد يتجاوزه العلمانيون في الغرب ، ولكن صداه ما زال يتردد في عالم الأتباع في الشرق ، وكأننا نحتاج لعقود من الزمن ليفقه أبناؤنا عن أساتذتهم هذه المراجعات .

د/ عوض محمد القرني

===============

#المفسدون وسلاح الإعلام

ماجد بن محمد الجهني

الإعلام بشتى أنواعه المقروء والمسموع والمرئي له تأثير في بلورة التوجهات لدى قطاع عريض من المتلقين وذلك بسبب ما تفرضه الصورة والكلمة المؤثرة من بريق أخاذ على أي موضوع تتناوله، ولهذا نرى كماً مخيفا من التأثيرات الخلقية والتوجهات الفكرية والسلوكية طرأت على كثير من شبابنا وشاباتنا كان للتجليات الإعلامية المخزية في كثير من وسائل إعلامنا العربي دور في غرسها في نفوسهم بل والترويج لها.

إن المجتمع العربي والإسلامي يعاني في الحقيقة من كثير من وسائل الإعلام فهناك تحولات خطيرة جدا طرأت على الحياة الاجتماعية العربية والإسلامية سواء كان ذلك على المستوى الفردي أو المستوى الجماعي، فلقد ألقت القنوات الفضائية خصوصا بظلالها على كثير من العلاقات الزوجية فتسببت في انفصام روح المحبة والوئام الذي يحكم الحياة الزوجية لينتقل إلى حالات من التشنج والخصام ومن ثم إلى الطلاق والفراق الذي هو في الحقيقة ضرب للكيان الأسري في صميمه، وهو مشهد أدى إليه ما تعرضه تلك القنوات من مناظر النساء الفاتنات المفتونات التي يكفي النظر إليهن فقط إلى اللعب بعقول كثير ممن لاعقل لهم ولادين فيؤدي به ذلك إلى المقارنة بين ما عند تلك الفتاة القادمة من الفضاء وبين ما عند زوجته الأرضية البسيطة التي لا تعرف تغنج ولامياعة فتيات الغلاف الفضائي ومن ثم تبدأ المشاكل والخلافات التي تبدأ بالخصام ولا تنتهي بالطلاق .

إننا في الحقيقة أمام أزمة إعلامية كبرى ويجب أن نعترف وألا ندس رأسنا في التراب بل لابد من القول بأن الكثير من وسائل إعلامنا العربي بشتى أنواعه هو تحت يد قسمين من الناس، القسم الأول قسم مادي بحت لا يهتم بالخلق ولا بالقيم بقدر اهتمامه بالربح المادي فقط فعقيدته الإعلامية وهمه الأكبر الكسب المادي والمادي فقط ولهذا تراه لا يمانع من إنشاء قناة دينية إن كان الكسب المادي فيها فإذا تغيرت موازين الربح والخسارة ورجحت كفة قنوات (الرقص والفيديو كليب) حول تلك القناة

إلى قناة الأغاني وقد يتحول إلى قناة الرياضة وربما تكون في يوم آخر قناة التربية والتعليم وهكذا يدور حيث دار الربح المادي دون مراعاة لثوابت الأمة وقيمها وأخلاقها لأن (الجمهور باختصار عايز كده).

وأما القسم الثاني فهو صاحب مبدأ وصاحب فكر ولكن غالب هذا القسم هم من أرباب الفكر المنحرف المتأرجح بين العلمانية والقومية والاشتراكية، وهؤلاء هم مكمن الخطر فإذا كان الفريق الأول قد تكفل بنشر الشهوات والترويج لها باسم التفتح والحرية فإن الفريق الثاني قد تولى أمر نشر الشبهات الفكرية والتشوهات العقلية بين جمهور عريض من الناس فلم يترك أرباب هذا التوجه ممن يسيطرون على كثير من الوسائل الإعلامية وسيلة من وسائل التشكيك في عقيدة المسلمين وأخلاقهم إلا سلكوه، فمن تهوين أمر التدين في قلوب الناس إلى تزيين ما عند الغرب وتصويره في صورة الحسن وإن كان مصادما للدين إلى إشاعة عقيدة التبرج والسفور والدفاع عنها باسم حقوق المرأة إلى الرقص على جراحات الأمة وخذلانها في أدق مواقفها حساسية إلى الأدوار المخابراتية الصرفة، وكل ذلك في قائمة تبدأ من حيث نتخيل أو لا نتخيل ولا تقف عند حد ما ضربناه من الأمثلة التي هي غيض من فيض الواقع المزري للإعلام العربي المستغرب.

إنه وفي ظلال العولمة أو بالأصح في ظلال الأمركة نجد الحرص الرهيب من قبل الآخر على نقل ثقافته إلينا كراهية لا طوعا مع حرصه المتناهي على إلغاء هويتنا تماما وهو أمر قد لا نتعجب منه خصوصا أنه يأتي من عدو حاقد متربص يعلم أن مصير جميع مصالحه مرهون بمدى قدرته على تدمير بنيتنا الروحية والخلقية والاجتماعية ولكننا نتعجب حين نرى الكثير من وسائل الإعلام العربي أشد حرصا وأكثر إصرارا من صاحب الشأن نفسه على تسريع التغريب وتزيين التذويب.

لقد أصبحت أكثر وسائل الإعلام العربي بوقا سمجا ملأ الدنيا إزعاجا وضجيجا لقضايا جعلت من الكماليات ضروريات ومن العقائد عادات ومن العبادات تشنجات ومن الأخلاقيات مخالفات، وهذه الغثائية طاشت بالعقول وغيرت وبدلت وحللت ما حرم الله وحرمت ما أحل الله وقربت من أبعده الله وأبعدت من قربه الله، فأصبحنا نرى القنوات العربية تفتح باب الحرام على مصراعيه من خلال الترويج للعلاقات الآثمة

بين الجنسين فهذا مسلسل (رومانسي) يتناول العلاقات خارج إطار الزوجية بأسلوب يضفي عليها الشرعية، وذلك برنامج يتم فيه جمع فتاة بلغت الثالثة والعشرين مع شاب في التاسعة عشرة من عمره ليحاورهما في موضوع يدور حول الفراش ومغامراته بأسلوب بهيمي همجي يتم تسويقه تحت شعار الثقافة والحرية والانفتاح الذي تبشر به بعض قنوات الفضاء السمجة .

إنني أرى أننا أمام وضع إعلامي صارخ في جملته محتاج ودون تأخير إلى إصلاح شامل جذري، حيث لا تكفي الحلول الترميمية للتشوهات العقدية والخلقية التي يكرسها ذلك الإعلام فنحن بحاجة إلى إعادة ومراجعة شاملة للأهداف التي من أجلها وجد الإعلام فمن غير المعقول أن ندعي الخيرية لأنفسنا والتي هي في الحقيقة من صفات الأمة المحمدية ثم يكون هذا هو واقع إعلام أمتنا.

إنه لزاماً علينا أن نقر بأن الإعلام العربي والإسلامي في جملته لا يمثل فكر هذه الأمة ولا طموحها كما هو مشاهد وهو إعلام يهدم ولايبني في غالبه، ولا أبالغ إن قلت بأنه إعلام مترجم لما عند الآخر من توجهات ترجمة حرفية دون تنقيح أو تمييز وهذا ما جعله إعلاماً محاكياً ليس له شخصية مستقلة تميزه عن غثائية إعلام الأهواء والشهوات.

قد يتساءل الكثيرون وهذا من حقهم: ماهو الحل إذاً ؟ وجوابي على ذلك في نقطتين أختم بهما هذا المقال: الأولى: أن يعاد النظر في كثير من القائمين على وسائل الإعلام العربي وخصوصاً الفضائي منها وأن يكون المقام مقام القوي الأمين وليس مقام المتسلق الرزين.

والنقطة الثانية: دعم وسائل الإعلام التي تنطلق من ثوابت الأمة ولا تغفل الأخذ بكل ماهو جديد لا يتعارض مع الدين، ولعله يتيسر في القريب العاجل حديث عن تجربة إعلامية رائدة كمثال لما أردت من النقطة الثانية والله من وراء القصد.

=============

#المنافقون والمنافقات ..

خطرهم وصفاتهم في كتاب الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد .. فهذه بضع الوقفات في موضوع النفاق لما له من أهمية في هذا الزمان الذي تكاثر في المتكلمين بالإسلام وهم بعيدون عنه ..

لعلها وقفات تنبهنا عن النفاق والمنافقين وتعطي بعض الملاحظات التي يجب أن نهتم بها حتى لا نخدع بهم ...

نقاط مهمة :

1. تعريف المنافق في الشرع هو الذي يظهر غير ما يبطن . فإن كان الذي يخفيه التكذيب بأصول الإيمان فهو المنافق الخالص وحكمه في الآخرة حكم الكافر وقد يزيد عليه في العذاب لخداعه المؤمنين بما يظهره لهم من الإسلام قال تعالى : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)

وإن كان الذي يخفيه غير الكفر بالله وكتابه ورسوله وإنما هو شيء من المعصية لله فهو الذي فيه شعبة أو أكثر من شعب النفاق .

2. أين يوجد المنافق : عندما تنتصر الدعوة ويستأصل الكفر ويذهب سلطان الكافرين عند ذلك يمكن أن يظهر النفاق .. وفي السيرة ظهرت حركة النفاق في المدينة بعد غزوة بدر ..

3. هل المنافق أسوأ من الكافر : والمنافق أضر وأسوأ من الكافر لأنه ساواه في الكفر وزاد عليه بالخداع والتضليل فيكون ضرره شديدا والحذر منه قليلا بخلاف الكافر .

ملاحظات قبل الشروع في العلامات والصفات

أن الصفات التالية وإن كانت صفات منافقين فلا يمنع ذلك أن يقع في بعضها المسلم وقوع المسلم في بعض الصفات خطأ لا شك فيه ولكن لا يدل ذلك على أنه منافق

من وقع في شيء من هذه الصفات فعليه التخلص منها قبل أن تنمو وتتزايد وتنتشر فيه

يجب الحذر من المدخل الشيطاني الذي يشعر صاحب الذنب والخلق المنحرف أنه منافق ويجب أن يترك الصالحين فتزداد مصائبه.

المجموعة الأولى من صفاتهم ..

1. مرض القلب .. { في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا}

2. الطمع الشهواني .. {ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض }

3. الزيغ بالشبه .. {ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض}

4. الظن السيئ بالله {ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا}

5. الاستهزاء بآيات الله

6. الجلوس الى المستهزئين بآيات الله { وقد نزل عليكم أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا }

7. التستر ببعض الأعمال المشروعة للإضرار بالمؤمنين {والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون}

8. (من النقطة السابقة واللاحقة) التفريق بين المؤمنين والدس والوقيعة وإشعال نار الفتنه واستغلال الخلافات وتوسيع شقتها

9. الإفساد في الأرض

10. وادعاء الإصلاح.. {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} {وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ..

11. السفه

12. ورمي المؤمنين بالسفه .. {وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء }

13. اللدد في الخصومة مع إتيانه في بعض الأحيان بالقول الجميل { ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام }

14. عدم الأوبة للحق وتأخذه الحميه والغضب بالباطل وبالإثم {وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد }

15. موالاة الكافرين

16. التربص بالمؤمنين {بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ...... الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا}

17. الاتفاق مع أهل الكتاب ضد المؤمنين

18. و التولي في القتال {ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون* لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون }

19. الطبع على القلوب فلا يفقهون { ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم}

20. فتنة النفس والتربص والاغترار بالأماني { يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * ...... ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور }

21. مخادعة الله

22. الكسل في العبادات

23. الرياء

24. قلة الذكر

25. التذبذب بين المؤمنين والكافرين {إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا * مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا }
26. مخادعة المؤمنين أيضاً {يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون}
27. التحاكم إلى الطاغوت
28. الصدود عما أنزل الله و عدم الرضا بالتحاكم اليه {ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا * وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا }
29. الإفساد بين المؤمنين {لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين }
30. الحلف الكاذب
31. والخوف والجبن والهلع
32. وكره المسلمين والخروج عن دائرتهم {ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون} {يحسبون كل صيحة عليهم ..
33. ظهور الرعب عليهم عند ذكر القتال في آيات الله {ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم}
34. الكذب
35. إخلاف الوعد
36. خيانة الأمانة .. للحديث (آيه المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان) .. وفي رواية (وإذا خاصم فجر)
37. يعيبون العمل الصالح

38. يرضون ويسخطون لحظوظ أنفسهم {ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا إذا هم يسخطون }

39. يسخرون من العمل القليل من المؤمنين –ولا يرضيهم شيء {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم}

40. الرضا بأسافل المواضع {وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين * رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون}

41. الأمر بالمنكر

42. والنهي عن المعروف

43. البخل

44. نسيان الله {المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون}

45. الغدر وعدم الوفاء بالعهود مع الله { ومنهم من عاهد الله لان آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون}

46. الفرح بالتخلف عن الجهاد وكره ذلك

47. التواصي بالتخلف عن الجهاد{فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون }

48. التخذيل والتثبيط

49. الإرجاف {وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا * وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا }

50. لا ترى نصرة الله لهم {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا}
51. قطع الأرحام { فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم}
52. طاعة الكفار والمنافقين والفاسقين في بعض الأمر {ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم}
53. لا تكره ما يرضي الله {ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم}
54. ظهور الأضغان منهم
55. التعرف عليهم في لحن القول {أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم * ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم}
56. البطء عن المؤمنين { وان منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا * ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما}
57. لا ينفعهم القرآن بل يزيدهم رجسا الى رجسهم {وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم رجس فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون}
58. العودة الى ما نهوا عنه
59. التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول {ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول } الآية
60. الاستئذان عن الجهاد بحجة الفتنة { ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا }
61. اتخاذ الأعذار عند التخلف {يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم .. } الآية
62. الاستخفاء من الناس {يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا}

63. يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا (قصة الإفك) {إن الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون }

64. الفرح بما يصيب المؤمنين من ضراء والاستياء بما يمكن الله لهم {إن تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون }

65. زيادة في الجسم في بعض الأحيان {وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم} {فلا تعجبك أموالهم ولا أجسامهم ..} الآيات

من طرق جهادهم :

قال تعالى : (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم)

وقال تعالى : (هم العدو فاحذرهم)

طرق وقائية :

1- التعرف على صفاتهم وطرق كيدهم من القرآن الكريم

2- التعريف بالنفاق وطرقه وأساليبه وصفات أصحابه وفضح مخططاتهم وأساليبهم .

3- ترك موالاة من بدت عليه مظاهر النفاق وصدرت عنه أعمال المنافقين وأقوالهم .. والله تعالى يقول (فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا * ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله)

4- مقاطعة المنافقين واجتناب مجالسهم التي يخوضون فيها فيما لا يرضي الله عز وجل وقد قال تعالى : (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميع * وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا)

5- وضعهم موضع الشك وعدم الثقة بأقوالهم وإشاعاتهم وأراجيفهم .. فهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يفسدون ويثبطون ويرمون المسلمين بالإفك والفاحشة ويستعينون بالحلف والحديث الحسن في ظاهره ..

فالأصل فيهم الإساءة والإفساد حتى يثبت خلاف ذلك وقد قال الله فيمن يسمع لهم (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين)

6- الحيلولة بينهم وبين المراكز الخطرة والهامة وإخراجهم من صفوف المسلمين عند العزم على القيام بأعمال خطيرة وخاصة عند الجهاد. فالمنافقون لا يستأمنون على ثغور المسلمين لأن في هزيمة المسلمين تحقيق لمأربهم .. ويكثرون الأراجيف ..

7- صيانة الصف المسلم من التنازع والتدابر والتقاطع وذلك حتى لا يجد المنافقون أرضا خصبة يلقون فيها الفتن (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

8- الحرص على رباط الاخوة اليمانية بين المؤمنين ورفعه وتقديمه على كل علاقة أخرى مهما كانت لأن المنافقين ينطلقون من منطلقات عصبية نتنة في فتنهم وهذا يجب أن يرد بالاستمساك بالاخوة الإيمانية التي تربطهم بالله تعالى وتفضيلها على كل رابطة دنيوية سواء كانت قرابة أو صداقة أو تجارة أو غير ذلك .

9- حسن الظن بالمؤمنين وعدم الالتفات إلى ما ينسبه المنافقون إليهم من التهم والفواحش فهذا من أحسن الوقايات أمام نقد المنافقين وإشاعة الفواحش بينهم (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خسرا وقالوا هذا إفك مبين)

10- الاحتياط والحذر من أهل النفاق عند العزم على اتخاذ إجراءات مهمة وذلك بالكتمان والسرية وتعمية الأخبار على المنافقين والجهلة حتى لا ينقلوا إلى هؤلاء المنافقين وحتى لا ينقلها المنافقون إلى أوليائهم من الكفار . وكان رسول الله إذا أراد غزوة ورى بغيرها .

طرق علاجية {أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا} :

1- تذكيرهم بما سيكون لهم من العذاب الشديد في اليوم الآخر ما يزيد عن عذاب الكفار المجاهرين .. (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا)

2- التبيين بأن باب التوبة مفتوح لهم قبل انتهاء أجلهم في الحياة الدنيا (إلا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما * ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وأمنتم وكان الله شاكرا عليما)

3- تذكيرهم بعلم الله الشامل المحيط بما تكنه صدورهم من النفاق وأنهم إن استطاعوا ستره عن المؤمنين فإن الله علام الغيوب مطلع على السرائر (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب)

4- تذكيرهم بقضاء الله النافذ وقدره وأن الأمر بيد الله سبحانه لا بأيديهم وأن خططهم ومكائدهم لن تنجيهم من قدر الله عز وجل ولن يثمر إلا ما يأذن به الله وأن ما كتب عليهم لن يدفع بالمكر والخديعة .

5- الغلظة عليهم في معاملتهم في الحياة الدنيا وعدم التساهل معهم وزجرهم بشدة في كل مرة تظهر عليهم علامة من علامات النفاق قال تعالى (يأأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) وقال (يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) ..

6- حرمانهم من الفرص التي يحققون بها شهواتهم ويشبعون بها نزعاتهم المادية وعدم تكليفهم بما يرغبونه من التكاليف السهلة التي يكون غنمها أكبر من غرمها (سيقول المنافقون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) وينبغي وضعهم في امتحانات كاشفة تكشف صدقهم من كذبهم (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما)

7- من العقوبات المعنوية للمنافقين أنهم إذا عرفوا لا يجوز الاستغفار لهم كما قال تعالى (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وقال عن رد نفقاتهم وعدم قبولها (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين * وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون)

8- الإعراض عنهم والصبر على ألفاظهم وكلماتهم .. {اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا}

ولما للمنافقين من أثر سيء في الفتن والمصائب كانت هذه الوقفة مع كتاب الله تعالى .. مررت على الآيات واستخرجت الآيات التي توضح وصف المنافقين والمنافقات وكيفية الحذر منهم –وما فاتني قد يكون أكثر-

وهذه الآيات جمعتها حتى نقرأها ونمحصها جيدا ونقرأها للناس في صلواتنا ومجالسنا .. أسأل الله أن أكون على صواب وعلى إخلاص

الآيات :

(يحلفون بالله لكم ليرضوكم) الآيات 62-68 التوبة

(يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) الآيات 73-78 التوبة

(وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) الآيات 12-20 الأحزاب

(إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) الآية 49 الأنفال

(ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) الآيات 204-206 البقرة

(وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا) 168-167 آل عمران

(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) الآية 77 النساء

(ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول) الآية 81 النساء

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) 175–179 الأعراف

(يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) 12–16 الحديد

(ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم) 20–31 محمد

(ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) الآيات 10–11 العنكبوت

(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) 8–16 البقرة

(لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة) 42–47 التوبة

(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) 60–65 النساء

(ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم) 66–68 النساء

(وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا) 72–73 النساء

(والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) 107–110 التوبة

(وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) 124–126 التوبة

(ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) 11–12 الحشر

(سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) 11–12 الفتح

(ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) 8-10 المجادلة

(بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) 138-147 النساء

(ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) 6 الفتح

(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) 1-11 المنافقون

(فويل للمصلين) 4-7 الماعون

(يستخفون من الناس ولا يتخفون من الله) 108 النساء

(لا خير في كثير من نجواهم) 114 النساء

(إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) 150-151النساء

(ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) 14-19 المجادلة

(ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني) 49-51 التوبة

(وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله) 54 التوبة

(يحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) 56-59 التوبة

(الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) 79 التوبة

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) 81-83 التوبة

(وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم) 86-87 التوبة

(يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم) 94 – 97 التوبة

(إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء) 93 التوبة

(ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم) 154-155 آل عمران

(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله) 20-23 الأنفال

(يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) 1 الأحزاب

أبو أحمد

منتدى التحرير

=============

000الكذابون000؟؟

الكذب من أقبح الذنوب..

هو دين المنافقين، الذين هم في الدرك الأسفل من النار، قال الله تعالى فيهم: - {إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون}.

وهكذا يلقون المؤمنين، بوجه غير ما في قلوبهم، قال تعالى: - {وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون}.

وفي قصة معركة أحد، يصف الله تعالى حالهم فيقول: - {وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يقولون هل لنا من الأمر من شيء، قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لايبدون لك}.

- {وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون}.

الكذب في العادة صفة من يعيش حياتين متناقضتين، بوجهين مختلفين:

- وجه فيه المحبة والرضى، وهذا الظاهر..

- ووجه فيه البغض والعداوة، وهذا هو الباطن والحقيقة.

والسبب والحامل على رضاه أن يعيش هكذا ممزقا:

خشيته من التصريح بما في قلبه، أن يطرد، أو ينبذ، أو يكفر، أو يقام عليه الحد؛ فيمنع جوارحه من التعبير عن مكنون نفسه، طلبا للسلامة..

كذلك لغرض آخر هو: التلبيس والخديعة..

وهؤلاء المنافقون يوجدون في حالتين:

- إذا كان سلطان الشريعة ظاهرا، من خرج عنه أدب وعزر، وأقيم عليه الحد.

- إذا كانت البيئة والمجتمع على الإسلام، وتعظيم شعائره، وإعلان البراءة والعداوة ممن خرج عليه. هنا يخشى على نفسه، فيضطر أن يخفي فلا يعلن، ويكتم فلا يظهر..

أما إذا ما كان السلطان للكفر فلا وجود للمنافقين، لزوال السبب، وهو الخشية من التصريح بما في القلب، ولذا في العهد المكي لم يكن إلا مسلمون وكافرون، لأن الحكم كان لكفار قريش، فالعداوة ظاهرة، لكن في العهد المدني، صار الحكم للمسلمين، فتبطنت عداوة فئة من الناس، لم يقبلوا هدى الله الذي أرسل به النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذات الوقت لم يقدروا على الخروج من بلد الإسلام، خشية على مصالحهم وأموالهم، فآثروا البقاء، مع إظهار الإيمان وإبطان الكفر، فانقسم الناس لذلك إلى:

مؤمنين، وكافرين، ومنافقين.

وقد فضحهم الله تعالى في سور القرآن: في سورة التوبة، حيث هي الفاضحة للمنافقين، ذكرت كثيرا من أوصافهم:

- الحلف الكاذب: {وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون}.
- ابتغاؤهم الفتنة: {لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون}.
- الفرار من الجهاد: {ومنهم من يقول ائذن ولا تفتني إلا في الفتنة سقطوا}.
- الاستهزاء بالصالحين: {قل أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم}.
- أمرهم بالمنكر، ونهيهم عن المعروف: {المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون}.

كما فضحهم في سورة سماها باسم: "المنافقون"، فذكر أنهم كالخشب المسندة، وأنهم جبناء ضعفاء، يحسبون كل صيحة عليهم، {ولكنهم قوم يفرقون}.

وفي سورة النساء بين من حالهم أنهم مع المنتصر على المغلوب، كذلك في سورة الحشر، وأنهم كاذبون في ولائهم، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، لكن تربصهم بالمؤمنين: {الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين}.

وبالجملة، فإن أوصافهم كثيرة، والله تعالى ذكرهم بها في القرآن، تحذيرا من سلوكهم، وتحذيرا للمؤمنين منهم، حتى إنه جعلهم العدو الحقيقي الأكبر، فقال:

- {هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون}.

فهذه الصيغة: الضمير مع أل التعريف المصاحب لكلمة: "عدو":

تفيد أن الأعداء على مراتب، وإن هؤلاء المنافقون هم الأخطر، والأسوأ، وذلك أن الأعداء من الكافرين يضربون المؤمنين من الخارج، فهم مكشوفون، والحيطة منهم ممكنة، لكن هؤلاء يضربون من الداخل، والحيطة منهم متعذرة، فضررهم كبير، وشرهم مستطير، ولا سبيل إليهم، مع إظهارهم الإيمان والصلاة.

فهم يحيكون للمؤمنين المؤامرات، يفسدون ذات بينهم، يخذلونهم في مواطن النصرة، يشككون المؤمنين في دينهم، يبثون الشبهات، وينشرون الشهوات، وأخطر وسائلهم وطرقهم:

- تلبسهم بالإسلام، ودعواهم حبه، ونصرته، ثم تضمينه ما يضاده، ويناقضه، جملة وتفصيلا.

فهم يكرهون الإسلام، ويكرهون المؤمنين، والنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن، وفي زمن ضعف سلطان الشريعة، يظهرون زندقتهم وكفرهم، وهم مطمئنون آمنون من العقاب، فلا يأتيهم..فينتقلون من النفاق إلى الكفر الصريح، فيتفق ظاهرهم مع باطنهم.

لكن إذا كان الإسلام عزيزا في قلوب الناس، يكرهون، ويبغضون من يجاهر بكفره، وفجوره، ويحذورن منه، ويزجرونه، ويهجرونه، فإنهم يرتدون إلى النفاق تارة أخرى، فإذا كان النفاق لباسا للمنافقين زمن عز الإسلام وسلطانه وحكمه بالسيف، فإنه لباسهم أيضا في زمن عزه في قلوب ونفوس المسلمين بعامة، خشية على أنفسهم من النبذ والمهانة على أيدي المؤمنين.

ففي الأول خافوا سلطان الشرع، وفي الآخر ضعف سلطان الشرع، لكن حل محله قوة المؤمنين في الاعتزاز بدينهم، ورفض كل من يمس هذا الدين بسوء، بأي شكل من الأشكال..

وهذا من الخير المبني على دعوة الناس إلى الدين، ونشر العلم الصحيح، فإن الناس إذا فهموا دينهم فهما صحيحا، كانوا حماة له من المعتدين الظالمين، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

ولباس النفاق الذي يلبسه المنافقون هذه المرة، تتفق وتختلف مع النفاق الأول:

تتفق في كونهما نفاقا، وهو إظهار خلاف الباطن.

وتختلف أن النفاق الأول كان بإيهام المؤمنين أنهم معهم على الإيمان ومحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإذا لقوهم قالوا: آمنا؛ وإذا خلوا استهزءوا بهم؛ ويشهدون معهم الصلاة، فإذا غفل المؤمنون تخلفوا، كما كانوا يتخلفون عن صلاة العشاء والفجر للظلمة، حيث لا يراهم أحد..

أما النفاق الثاني فإنه يكون بصورة أخرى، هي:

تفسير النصوص الشرعية بصورة أخرى غير ما استقر عليه الإسلام، ومات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل به الصحابة رضوان الله عليهم..

بشتى أنواع الدعاوى والاعتذارات:

- تارة بأن العصر يستلزم أحكاما جديدة، وأن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان.
- وتارة بتتبع خلاف العلماء، والانتقاء من أقوالهم ما يوافق أهواءهم، ولو كان قولا شاذا.
- وتارة بالاستشهاد ببعض الأقوال والوقائع في الصدر الأول، مما ظاهره تأييد لدعاويهم.
- وتارة بالاستقلال بفهم النصوص، ورفض كلام العلماء، واعتبار العقل حجة مطلقة في الفهم.

وحقيقة قولهم تعطيل الإسلام، جملة وتفصيلا، وهم يعلمون ذلك، وقد كانوا يوما يدعون إلى ذلك صراحة، ويطعنون في الإسلام، ويتهمونه:

بالرجعية، والجمود، والتخلف، والظلامية، وتراثه بالعفونة، والأوراق الصفراء، وغير ذلك..

لكنهم باءوا وخسروا، وانحطت مرتبتهم عند الناس، وخافوا على أنفسهم من البؤس، ولأفكارهم من البوار، فأوصوا تلامذتهم وكتبوا لهم:

أن يغيروا منهجهم في الكيد للإسلام بنقل المعركة، من معركة مع الإسلام، إلى معركة مع رموز الإسلام، الذين هم العلماء، وتحديهم في فهم الإسلام، واعتبار أنفسهم ندا لهم في تحليل نصوص الشرع، واستنباط أحكامه..

حتى يبدو أن الخلاف ليس حول الإسلام، إنما حول تفسيره ومعناه..

وهذا ما يريدون الوصول إليه..!!!!..

وبذلك ظنوا أنهم قادرون على استعادة ما فقدوه من مكاسب خاسرة، في إضلال الناس، لكن الواقع أن عامة الناس صار يدرك حقيقة قولهم قبل العلماء، فما عادوا يضلون إلا من هو ضال أصلا..

إن الخلاف مع هؤلاء حول الإسلام نفسه، وليس في تفسيره، كما يوهمون:

- فإنهم يقولون إن الحقائق نسبية، لا يحتكرها أحد.. كل من يعتنق شيئا فهو حق..

وهذا ليس من الإسلام في شيء، فكل دين سواه باطل، فالإسلام يحتكر الحقيقة، قال الله تعالى:

{ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}.. والمسلم يملك الحقيقة في الدين.

- إنهم يقولون: نصوص الكتاب والسنة لها أوجه في التفسير كثيرة، كل وجه هو حق، بحسب فهم القارئ للنص..

أي أن الإسلام هلامي الشكل، ثوب فضفاض، يلبسه كل متلاعب، وذي هوى؛ يقرأ الآية، أو الحديث، فما فهمه منه فهو عين الصواب، ولعمري هذا هو الإلحاد في آيات الله، ولو كان الأمر كما يقولون لما أوجب الله تعالى إقامة الحدود، وقسم الناس إلى فريقين: مؤمنين وكافرين، لكن حتى هذه عندهم فيها نظر:

- فإنهم يقولون: اليهود والنصارى مؤمنون، كالمسلمين؟.

لكن الله تعالى يقول: {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم}..

- إنهم يرفضون التحاكم إلى شريعة الله تعالى، يرفضون الحدود، من قطع يد السارق، وجلد الزاني، والقصاص من القاتل، وينكرون حد الردة، وهكذا كل الحدود.

وهي ثابتة في نصوص صريحة، لكنهم يرفضونها، أو يرفضون تفسيرها على النحو الثابت عن الصحابة رضوان الله عليهم، ويعللون رفضهم بإحدى الدعاوى الآنفة، يستترون بها، والله أعلم بما يكتمون..

- إنهم يرفضون الحجاب، ويدعون إلى السفور والاختلاط، ومنع قوامة الرجل على المرأة، ويثيرون المرأة على دينها وسترها.

وقضية المرأة من أكبر قضاياهم، ويراهنون عليها في كل ميدان.. ومع أن من المسلمات أن الإسلام جاء بالحجاب ومنع الاختلاط، إلا أنهم يثيرون كلاما كثيرا حوله، بتأويل وتحريف الكلم عن مواضعه، يبتغون الفتنة.

إن آية المنافقين هو الكذب:

{اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون}..

فهم مستعدون لفعل أي شيء، لتحقيق ما يريدون، والأيمان أهون شيء عليهم، فلا يخافون من الله تعالى أن يغمسهم في جهنم جزاء حلفهم الكاذب، لكن مهما حلفوا فإن آثار النفاق ظاهر عليهم:

- في أقوالهم، كما قال تعالى: {ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول}، فقولهم فيه اللحن، وهو الميل، فالقلوب الصحيحة تكشفهم، وتعرفهم.

- وفي آرائهم، كما تقدم، فإنهم يأتون بما يناقض الإسلام جملة وتفصيلا، وما هو معلوم بطلانه من الدين بالضرورة، مثل زعمهم أن اليهود والنصارى ليسوا كفارا.

- وفي أفعالهم، من تزيين أخلاق الكافرين وعاداتهم، والتقرب إليهم، وإظهار حبهم، والوقوف دائما في صفهم، وفي المقابل الاستهزاء بالمؤمنين، ومن عليه آثار التدين، وربما ببعض النصوص الشرعية.

- إنهم يقولون القول، ثم ينكرونه، ويحلفون أنهم ما قالوا، كما قال تعالى عنهم: {يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم}.

- إذا كان الكلام فيه إدانة لهم، زعموا أن الناس لم يفهموا كلامهم، فحملوه محامل بعيدة، مع أن كلامهم ظاهر كالشمس، فإذا كان الكلام مما يدينهم صار محتملا، ولو كان واضحا، وما هو محتمل المعنى في نصوص الشرع فهو قاطع وواضح، إذا كان لهم فيه غرض، وهكذا يتلاعبون في الكلام والمواقف.

فهذه جملة من أوصاف هؤلاء، نفسها أوصاف أهل النفاق، فهم أهل نفاق:

إذ كان همّ بعض المنافقين سلامة نفوسهم، ولو بخزي الآخرة..

فإن هؤلاء نافقوا ابتغاء إضلال المؤمنين والمؤمنات عن دينهم، فادعوا حب الإسلام، وهم يضمرون كرهه، فسعوا في إفساده، وتغيير معالمه، حتى لا يبقى له أثر، فهؤلاء أضل من أولئك..

المنافقون مستهزءون، يستهزءون بالمؤمنين، ويضحكون في سرهم أنهم لبسوا عليهم، لكنهم في الحقيقة إنما يستهزءون بأنفسهم، يخدعونها، قال الله تعالى: {يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون}، فهم يخادعون، أي يجتهدون في الخداع، وربما لم ينجحوا، لكن المؤكد أنهم يخدعون أنفسهم، ولذا جاء التعبير في حقهم: {يخدعون}، تحقيقا، بخلاف قصدهم: {يخادعون}، فهذا غير محقق..

وهم كما يحلفون في الدنيا كذبا، فإنهم يوم القيامة يستخفون أنفسهم فيحلفون على الله كذبا، ظنا منهم أن الله لن يعلم ما صنعوا: {يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون}..

فرصة

ولعل المنافقين سمعوا كثيرا من هذه المواعظ، من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فإنه حري بهم أن يتوبوا، قبل أن يأتي أجلهم، فباب التوبة مفتوح، يقول الله تعالى:

{إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما}.

أبو سارة

==============

#ود. أبو الفتوح ينفي ما نشر على لسانه عن دولة علمانية في فلسطين المحتلة

د.عبدالمنعم أبو الفتوح

نفى د. عبدالمنعم أبو الفتوح عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين ما نشرته جريدة "الدستور" المصرية الصادرة يوم الأحد 15-4-2007م، وكذلك بعض وكالات الأنباء من تصريحاتٍ له بخصوص الصراع العربي الصهيوني، جاء فيها "إن الإخوان يقبلون بدولةٍ علمانيةٍ ثنائية القومية في فلسطين يتناوب فيها اليهود والفلسطينيون الحكم".

وقال د. أبو الفتوح إنه لم يقل هذا الكلام على الإطلاق، ولا ما قد يُشتبه به.

وأكد أنَّ حقيقة التصريح الذي ذُكر ضمن فعاليات إحدى الندوات يوم الخميس 12-4 -2007م أن الإخوان يقبلون بدولةٍ مدنيةٍ تسع كل الأديان الإسلام والمسيحية واليهودية.. ولا تكون دولة عنصرية رافضة لبقية الأديان، كما هو الحال الآن في الكيان الصهيوني، على أن تكون هذه الدولة مدنية بكل ما تحمله الدولة المدنية الحديثة من خصائص العيش المشترك.. ويكون الحكم فيها ديمقراطيًّا.

وليس جديدًا على الحضارة الإسلامية أن تقبل بعيش اليهود في ظلالها، لهم ما للمسلمين من حقوق وعليهم ما عليهم من واجبات، وهذه هي شريعة الإسلام ومنهاجه.

==============

#المجتمع الصهيوني بين الانقسامات الداخلية وإشكالية الهوية

صلاح الصيفي

طائرة إسرائيلية

نظراً للنشأة غير الطبيعية للمجتمع الصهيوني، الذي تكوّن بفعل قرار سياسي، (وعد بلفور في عام 1917م) بإقامة دولة لليهود في فلسطين، ولم يتكون نتيجة تطورات اجتماعية وتاريخية، فقد نشأ مشوهاً ومتنافراً وغير متجانس، لذا فالنسيج الاجتماعي الصهيوني يتشكل من مكونات غير متجانسة، تضم السكان الشرعيين من بقية الشعب الفلسطيني في أراضي 1948م، الذين يطلق عليهم "عرب إسرائيل"، وأخلاطًا متنافرة من المستوطنين الذين هاجروا إلى فلسطين من مختلف أنحاء العالم، لذلك نجد أن المجتمع الصهيوني يجمع بين فئات من السكان تتميز بتنوع كبير من حيث الخلفية العرقية والدينية والثقافية والاجتماعية..

فعدد سكان "إسرائيل" يبلغ حوالي 6.6ملايين نسمة، حوالي 77% منهم من اليهود. ويشكل المواطنون العرب حوالي 19% من السكان معظمهم من المسلمين ، أما نسبة ال4% المتبقية من المواطنين فيشكلها الدروز والشركس وأبناء ديانات أخرى.

غياب التجانس المجتمعي: وقد فرض هذا التنوع والاختلاف تحدياً مهماً داخل الكيان تمثل في المحاولات المستمرة لصهر هذه العناصر المختلفة في المجتمع داخل بوتقة واحدة، من خلال تعميم الأيديولوجية الصهيونية بتياراتها المختلفة من العلمانية والاشتراكية والليبرالية، والدينية، أو من خلال رفع شعار "ضرورة الولاء للدولة"، إلا أن النتائج كانت مخيبة للآمال. فبعد أكثر من خمسين عاماً من قيام الكيان الصهيوني، أخذت الفجوات الاجتماعية والدينية والعرقية والإثنية في التزايد، والظهور على السطح بشكل أكثر بروزاً، لدرجة أصبح ينظر فيها لموضوع "التجانس الاجتماعي" في الكيان الصهيوني على أنه موضوع مصيري يهدد كيان الدولة وطابعها.

تصنيف المجتمع الصهيوني

ويمكن تصنيف المجتمع الصهيوني بناءً على عدة أسس فمن الناحية "الدينية" ينقسم إلى قسمين: متدينون، علمانيون.

المتدينون: يعتبرون أقلية سواء في الجانب العربي أو الجانب اليهودي، ولكنهم أقلية مؤثرة، ويزداد ثقلها النسبي مع الوقت، وينقسمون إلى "عرب"، وأغلبيتهم العظمى من المسلمين، وتمثلهم الحركة الإسلامية، و"يهود"، وينقسمون:

من حيث الموقف من الأيديولوجية الصهيونية التي قامت عليها الدولة إلى:

متدينين صهيونيين ويمثلهم حزبي "المفدال" و"ميماد"..

ومتدينين معادين للصهيونية أو حريديم أو متشددين أصوليين، وتمثلهم أحزاب "شاس"، و"يهدوت هاتوراة"، و"ديجيل هاتوراة".

من الناحية الطائفية ينقسمون إلى:

متدينين شرقيين "سفارديم"، ويمثلهم حزب "شاس"، ومتدينين غربيين "إشكناز"، ويمثلهم حزبا "يهدوت هاتوراة"، و"المفدال".

أما العلمانيون فتزايد وجودهم وحضورهم على الساحتين الاجتماعية والسياسية في المجتمع الصهيووني في الآونة الأخيرة، حيث دخلوا في صراع حاد مع المتدينين اليهود بشكل خاص، وصل ذروته خلال عقد التسعينيات الذي شهد الكثير من المظاهرات والمصادمات بين الطرفين..

وينقسم العلمانيون في "إسرائيل" بدورهم إلى: "عرب" ويمثلهم كل من: الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، الحزب الديمقراطي العربي، التجمع الوطني الديمقراطي، الحركة العربية للتغيير، و"يهود" تمثلهم أحزاب: "العمل"، "الليكود"، "ميرتس"، "شينوي"، "المركز"، "إسرائيل بعالياه"، "إسرائيل بيتينو"، "الوحدة الوطنية"، "شعب واحد"، والحزب الجديد "كاديما" الذي أسسه رئيس الوزراء السابق "آريئيل شارون".

انقسامات أيديولوجية

ومن الناحية "الأيديولوجية" ينقسم المجتمع الصهيوني إلى قسمين كبيرين هما: "اليمين" و"اليسار".

اليمين: ينقسم بدوره إلى يمين ديني، وتمثله الأحزاب اليهودية الدينية، وتشمل: شاس، المفدال، يهدوت هتوراة، ويمين علماني ويشمل أحزاب: الوحدة الوطنية، و"إسرائيل بعالياه"، "إسرائيل بيتينو"، "الليكود"، "جيشر"..

أما اليسار فينقسم إلى قسمين، وهما:

أ- يسار يهودي.

ب - يسار عربي.

وبالنسبة لليسار اليهودي فهو أقرب إلى الوسط منه إلى اليسار ويمثله كل من أحزاب: ميرتس، شينوي، العمل، المركز، شعب واحد. أما اليسار العربي، فهم بمجموعاتهم المختلفة يقعون أقصى يسار الخريطة السياسية الصهيونية، وخاصة بمعيار الموقف من عملية التسوية السلمية مع العرب، ويمثلهم أحزاب: القائمة العربية الموحدة، الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، التجمع الوطني الديمقراطي، الحركة العربية للتغيير.

أما من الناحية الطائفية العرقية فينقسم المجتمع الصهيوني منذ نشأته إلى سفارديم "يهود شرقيين"، وهم اليهود الذين قدموا إلى "إسرائيل" من بلدان الشرق، وخاصة

البلدان العربية، ومعظمهم جاء بعد إقامة الدولة ولم يكن لهم ارتباط وثيق بالحركة الصهيونية التي نشأت بالأساس في شرق أوروبا عام 1881م، عقب موجات الاضطهاد التي تعرض لها اليهود في روسيا والتي عرفت باسم "البوجروم" إثر اغتيال القيصر الروسي "ألكسندر الثالث"..

أما الإشكناز "يهود الغرب" فهم الذين هاجروا إلى "إسرائيل" بالأساس قبل قيام الدولة في أربع هجرات متتالية، ومعظمهم كانوا من أتباع الحركة الصهيونية؛ على الرغم من اختلاف أفكارهم وتوجهاتهم.

أزمة الهوية

وبالإضافة إلى هذه الانقسامات الأيديولوجية والدينية والطائفية، فإن المجتمع الصهيوني يعاني مما يمكن تسميته ب"أزمة الهوية" التي كانت نتيجة مباشرة للانقسامات سابقة الذكر، فإنشاء "إسرائيل" بما اشتملت عليه من هذه التنويعات الثقافية والأيديولوجية والعرقية، إضافة إلى الانقسامات والتوجهات الفكرية والعقائدية، واجه تحدياً مهماً حول طابع الدولة وهويتها، ودائماً ما تروج الأوساط الفكرية والثقافية الصهيونية أن "إسرائيل" دولة "يهودية ديمقراطية"، وهذا المصطلح أو المفهوم تحول فيما بعد إلى إشكالية كبيرة انعكست آثارها على التشريعات الصهيونية وعلى نمط الحياة بشتى جوانبها، فمعنى دولة "يهودية" أي دينية عرقية قومية، ولكنها "ديمقراطية" في نفس الوقت، أي علمانية وطنية تساوي بين كل مواطنيها؛ دون الأخذ في الاعتبار العوامل الدينية والعرقية والإثنية، الأمر الذي ألقى ب"ضبابية" شديدة على مفهوم "هوية" هذه الدولة وطابعها، وبالتالي أدى إلى طرح تساؤلات حول مدى ولاء مواطني هذه الدولة لها ومدى ارتباطهم بها، واستعدادهم للتضحية من أجلها.

ولعل ما يؤكد ذلك بروز إشكالية الهوية في الكيان الصهيوني، من خلال الأعمال الأدبية "الإسرائيلية" التي كتبت بعد قيام الدولة عام 1948م.

فاليهودي الذي هاجر من بلاده الأصلية التي كان يعاني فيها من "الاغتراب" عن مجتمعه إلى "إسرائيل" وجد نفسه يعاني أيضاً من الاغتراب ومن العزلة داخلها، وشعر وكأنه قد اجتُث من تربته الأصلية ليُزرع في تربة غريبة عنه، وقد ظهر ذلك

جلياً وواضحاً في كتابات أدباء من ذوي أصول شرقية عربية مثل "مردخاي" طبيب يمني الأصل و"سامي ميخائيل" عراقي الأصل.

يتضح لنا من ذلك أن الكيان الصهيوني الذي يبدو أمام العالم واحة الديمقراطية والتلاحم والاندماج المزعوم، هو في الأصل كيان ممزق ومشتت، وليس كما يعتقد البعض على قلب رجل واحد، ولولا عمليات بث الرعب التي تقوم بها القيادات الصهيونية في نفوس الشعب الصهيوني من العرب وتخويفهم من عواقب إظهار الفرقة لكان الصراع الداخلي "الإسرائيلي" "الإسرائيلي" على أشده منذ وقت طويل

==============

نقد مقال قراءة في الذِّهنية السلفيَّة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد : فقد نشرت مجلة البيان في عددها (156) قضية للمناقشة بعنوان : « قراءة في الذهنية السلفية » للكاتب الأستاذ نواف الجديمي ، وقد أحسن الكاتب في اهتمامه بالنقد الذاتي لمناشط السلفيين ، فهذا النقد ومحاسبة النفس أمر متقرر شرعاً والحوار العلمي الجاد وسيلة من وسائل البناء والتصحيح ، كما أحسنت مجلة البيان في قبولها لهذا النقد الذي يتوجه إليها ابتداءاً . وثمة تعقيبات على بعض ما نشره الأخ الكاتب نواف – وفقه الله للصالحات– أسوقها على النحو الآتي :

أولاً : ذكر الكاتب أن هذه المآخذ والإشكاليات تسود غالب الاتجاهات السلفية المعاصرة ، وهذا تعميم خاطئ ؛ فالكاتب لم يحدد هذه المعاصرة لا زمناً ولا مكاناً ولا حالاً ، ولا سيما أن الكاتب أشار إلى قصور استقرائه ومحدودية تجربته .

ثانياً : ذكر الكاتب الفاضل ثلاث ملحوظات رئيسة في قراءته للذهنية السلفية ، وأحسب أن هذه الملحوظات توجد بنسب متفاوتة في التيارات الإسلامية الأخرى ، وتخصيص السلفيين بها لا يخلو من نقد ومراجعة ، وخاصة أنه قد يشعر القارئ بأن الكاتب يرى بأن هذا ممَّا تفرّد به السلفيون دون غيرهم .. !

ثالثاً : قرر الكاتب أن التيار السلفي دائماً ما يركز على دائرة المعلومات ويهمل دائرة الأفكار ، وأن السلفيين يهتمون بالحفظ ويهملون الفكر ، وأن من حفظ الكتب الستة فله شأن عندهم دون من تضلع في أصول الفقه . وأحسب أنه لا يخفى

على الكاتب الفاضل أهمية حفظ نصوص الوحيين ، وأن ذلك مطلوب شرعاً ؛ فقد تواتر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « نضّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها ؛ فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » [1] وهذا لفظ الترمذي من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – ، لا سيما أن العرب قد خُصوا بالحفظ ، وهذه الأمة موصوفة بأن إنجيلها في صدورها . وكما قال الخليل بن أحمد – رحمه الله – : ليس بعلم ما حوى القِمَطْرُ ما العلم إلا ما حواه الصدرولماذا يفترض الكاتب أن حفظ السلفيين للمعلومات كحفظ الحاسب ؟ وهذا قياس مع الفارق لمن له أدنى فكر وتأمل ! وها هو ابن عباس – رضي الله – عنهما وقد طُبع على الحفظ كان يكره كتابة العلم ، ومع ذلك فقد كان له من الإشراقات والفتوحات في التفسير ما لا يحصى ، كما كان صاحب مناظرات قوية مع الخوارج ونحوهم من أهل الأهواء ، فما كان هذا الحفظ إلا سبيلاً لنشر العلم و « المعلومات » الأصيلة ، وإفحام المخالفين ، وحل المعضلات . فلا إشكال في حفظ النصوص الشرعية ، لكن الإشكالية أن يقتصر على الحفظ مجرداً عن الفهم والفقه ، ولو أن الكاتب عني بهذه الإشكالية ، وطالب بإيجاد برامج عملية لاستنهاض الفهم وتنمية ملكات التفكير والتجديد والإبداع لكان أليق وأنسب . ولما هوّن الكاتب من شأن المعلومات هوّل من شأن الأفكار ، وأقول للكاتب : لماذا هذه التفرقة والانفصام بين المعلومات والأفكار ؟ وهل يمكن أن تتأتى الأفكار إلا بمعلومات ، ولا سيما أن كل إنسان حارث ومفكر ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « أصدق الأسماء حارث و همام » ؟ [2] . ثم ألا ترى معي أن الأفكار المجردة عن المعلومات الراسخة تؤدي إلى الخلط والاضطراب ؟! فالمعلومات والأفكار متلازمة لا ينبغي الفصل بينها . فالمعلومات أساس الأفكار، والأفكار ثمرة المعلومات . ولعل مقصود الكاتب أن بعض السلفيين أهملوا كتب الفكر واشتغلوا بالكتب الشرعية ، وأحسب أن العناية بكتب الفكر كانت في مرحلة سابقة ، عندما كانت الاشتراكية والقومية ونحوها من المذاهب المادية التي تشكك في الإسلام وتطعن في الغيبيات رائجة في حقبة زمنية ماضية حيث ظهر – ولله الحمد – من كتابات المفكرين الإسلاميين من يذبّ عن دين الإسلام ويفنّد شبهات الخصوم ، كما هو ظاهر في كتب سيد قطب و المودودي – رحمهما الله تعالى – و محمد

قطب ونحوهم . فكانت كتب الفكر الإسلامي الأصيل ضرورية تجاه تلك الأفكار المنحرفة ، وكما فعل من قبل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عندما واجه تلك الأفكار الفلسفية والكلامية والصوفية باللغة والأسلوب الذي يفهمه أولئك ، فأظهر الحجة عليهم وكشف ضلالاتهم ، ومن المناسب أن نورد ما يقرر ذلك من كلامه – رحمه الله – : « ولا ريب أن الألفاظ في المخاطبات تكون بحسب الحاجات ، كالسلاح في المحاربات ، فإذا كان عدو المسلمين في تحصنهم وتسلحهم على صفة غير الصفة التي كانت عليها فارس و الروم ، كان جهادهم بحسب ما توجبه الشريعة التي مبناها على تحري ما هو لله أطوع وللعبد أنفع ، وهو الأصلح في الدنيا والآخرة ... إلخ » [3] . وأحسب أن هذه الصحوة المباركة قد ارتقت – نضجاً وعلماً – بدءاً من الكتب

الفكرية الأصيلة في تقرير الثقة بالإسلام والرد على أعداء الإسلام إلى الاشتغال بالعلوم الشرعية في تقرير منهج السلف الصالح والرد على المبتدعة إلى غير ذلك ؛ فما كان للسلفيين أن يحقروا الكتب الفكرية الإسلامية الأصيلة وهم يقررون قبول الحق من كل شخص ولو كان كافراً ، وها هو العلاَّمة ابن باز – رحمه الله يقرأ كتاب (النظرية السياسية) للمودودي رحمه الله مقرراً له [4] ، وها هو العلاَّمة الألباني – رحمه الله – يورد كلاماً طويلاً لسيد قطب – رحمه الله – في مقدمة كتابه (مختصر العلو) للذهبي .

رابعاً : ادعى الكاتب أن السلفيين لا يعرفون جملة من المذاهب الفكرية

كالقومية العربية والماركسية والبعث العربي .. وأما آخر النظريات الفكرية فإن غالب النخب السلفية لم يسمعوا بأسمائها فضلاً عن دراستها ، هكذا قال الكاتب –

هداه الله – . ويبدو أن الكاتب كان يتحدث عن هذا المأخذ وقد انقدح في ذهنه نمط محدد من السلفيين ، وليس من العدل أن يُحكم على جميع السلفيين أو غالبهم من خلال الحكم على طائفة منسوبة إليهم ، وإلا فكيف غاب عن الكاتب جهود الأستاذ محمد رشيد رضا الإصلاحية ضد الأفكار المنحرفة ؟ وأين جهود العلاَّمة عبد الرحمن السعدي تجاه الملاحدة كما في رسالتيه : « انتصار الحق في الرد على الملاحدة » و « الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين » ؟ بل كتبَ

الشيخ السعدي لمحمد رشيد رضا رسالة يؤكد عليه أن تُعنى مجلة المنار بالردّ على الملحدين . وأين إنجازات سيد ومحمد قطب في مواجهة التغريب والمذاهب المادية ومشكلات الحضارة ؟ وأين مؤلفات الدكتور محمد محمد حسين – رحمه الله – في الرد على المذاهب الأدبية والفكرية كما في مؤلفاته أمثال : (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) ، و (حصوننا مهددة من الداخل) ، و (الإسلام والحضارة الغربية) ؟ وأين مواقف العلماء تجاه الغزو التشريعي والتشكيك في تحكيم الشريعة مثل ما كتبه الشيخ أحمد شاكر ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، والعلاَّمة محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، والشيخ عبد الرحمن الدوسري – رحمهم الله – ؟ [5] . وتأمل ما سطره العلاَّمة السعدي (ت 1376هـ) في الرد على تلك الدعوى : « قد عُلِمَ من قواعد الدين أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وأن الوسائل لها أحكام المقاصد ولا يخفى أنه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقي لشرورها إلا بالوقوف على مقاصدهم ودرس أحوالهم وسياساتهم ، وخصوصاً السياسة الموجهة منهم للمسلمين ؛ فإن السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع وعدم الوفاء واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستعباد ؛ فجهل المسلمين بها نقص كبير وضرر خطير ، ومعرفتها والوقوف على مقاصدها وغاياتها التي ترمي إليها نفع عظيم ، وفيه دفع للشر أو تخفيفه ، وبه يعرف المسلمون كيف يقابلون كل خطر » [6] . ولا يزال باحثو أهل السنة وعلماؤها – في هذه السنوات الأخيرة – يسطرون الكتب والرسائل العلمية تجاه جملة من الأفكار الوافدة [7] . لا شك أننا – معشرَ السلفيين – نعترف بتقصير وإهمال تجاه جملة من النوازل الفكرية المستجدة ، ولا يخفى أن ثمة فرقاً بين الاعتراف بهذا التقصير وبين أن يظن أن السلفيين إنما تركوها تديناً بهذا الترك والإهمال . وأحسب أن هذا التقصير ليس خاصاً بالسلفيين وحدهم ، بل هو مشكلة قائمة عند معظم التيارات الإسلامية ! وأما انتقاد الكاتب السلفيين لعدم دراستهم الديمقراطية ، والدراسات البنكية ، وعلم النفس .. ! فأقول : وهل يتعين على السلفيين أن يدرسوا كل القضايا النازلة ولا سيما أنها قد درسها غيرهم وبطريقة صحيحة [8] ، والحق ضالة المؤمن ؟ أم يريد الباحث أن تؤلف مؤلفات عن موقف أهل السنة من الديمقراطية ؟ وما الفرق بين هذا العنوان وبين : موقف الإسلام من

الديمقراطية ؟ ولا سيما أن ثمة كتابات ومؤلفات في هذا الصدد ، وأما الدراسات البنكيةوالبدائل الشرعية فهي موجودة ، ولكن هل ترك لنا عقيل من دار ؟ وعلى كلٍّ فيبدو أن الكاتب يحتاج إلى مراجعة لنتاج أهل السنة قبل أن يصدر هذه الأحكام .

كما أن جملة من الإشكالات الواردة جاءت كرد فعل من الكاتب تجاه بعض الممارسات الخاطئة لفصائل من أهل السنة ، كما أن بعض إشكالاته قد عالجها بما يقابل تلك الإشكالات ؛ والانحراف انحراف على كل حال ، والخطأ لا يعالج بالخطأ مثل كلامه عن عداء الكفار للمسلمين ورغبته في تحريره واقعاً دون مجازفة ، مع أن من بدهيات هذا الدين أن عداء الكفار للمسلمين أصل ثابت ومحكم ، وما قد يقع خلاف الأصل فهو لمصالح وملابسات لا تشكك في هذا الأصل . وأما عقدة المؤامرة عند السلفيين فقد توجد مبالغة عند بعضهم ، لكن هذه « العقدة » ، لم تكن ردة فعل تجاه السذاجة وحسن الظن بالأعداء عند الكثير من المسلمين ، بل كانت حصيلة أحداث ووقائع ، ومع ذلك كله فلا حاجة إلى تهويل المؤامرة أو تهوينها .

ختاماً : ينبغي التأكيد على أن الحوار الجاد والنقد العلمي البناء مطلب مهم من المطالب الشرعية التي يجب التأكيد عليها ، والتعاون في إشاعتها ، ولهذا أشكر للأخ نواف حرصه على النقد والتصحيح ، وأرجو أن يتسع صدره لنقد النقد ؛ وهذا هو حسن الظن به إن شاء الله تعالى . نسأل الله تعالى أن يهدينا وسائر إخواننا صراطه المستقيم .

---

(1) أخرجه أحمد ، (225/3) ، والترمذي في كتاب العلم ، ح/7 .

(2) أخرجه أحمد ، ح/ 18258 .

(3) مجموع الفتاوى ، 107/4 .

(4) ذكر الشيخ مسعود الندوي (ت 1373هـ) لقاءه بالشيخ ابن باز سنة 1368هـ وأن الشيخ ابن باز أفاده بأنه قرأ كتاب (النظرية السياسية) للمودودي ، وأبدى الشيخ ابن باز اعتراضه على قول المودودي في الآية الكريمة : { وَأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} (الحديد : 25) بأن معنى الحديد هنا القوة السياسية ثم قال الشيخ : يمكن أن يكون الأصل قوة أساسية ثم جاءت الترجمة « قوة

سياسية » ، فقال الشيخ مسعود : في الأصل قوة سياسية والمترجم التزم الأصل فقال ابن باز : حسناً، هذا أمر يسير ، لا أثر له على كتابه الأصلي انظر كتاب (شهور في ديار العرب) لمسعود الندوي ، ص50 .

(5) قد يظن بعض القراء أن ثمة تساهلاً في إطلاق السلفية على بعض المذكورين ك « محمد رشيد رضا ، وسيد قطب » – رحمة الله عليهم – ، ولا يخفى أن الأستاذ محمد رشيد رضا لا يخلو من نزعة صوفية سابقة ، كما أن عنده لوثة عقلانية ، كما أن سيد – رحمه الله – لا ينفك عن بعض الهنات اليسيرة التي صوبها بعض العلماء ونبهوا علىها ولم يغمطوا للرجل حقه ، وفي الجملة فإن المآخذ على هذين العلمين لا تخرجهما عن دائرة أهل السنة ، فلم تكن مخالفتهما فيما أحسب لقاعدة أو أصل كلي من قواعد الدين وأصوله ، كما حرر هذه المسألة الإمام الشاطبي في الاعتصام .

(6) رسالة وجوب التعاون بين المسلمين ، ص : 13 .

(7) انظر مثلاً : العلمانية ، للحوالي ، ومصادر المعرفة في الإسلام ، لعبد الله القرني ، والانحراف العقدي في الأدب العربي المعاصر ، لسعيد الغامدي وغيرها كثير .

(8) درس بعض باحثي أهل السنة الديمقراطية كما في كتاب الثوابت والمتغيرات ، للصاوي وبنود وسراب الديمقراطية ، للرحال ، وغير ذلك .

=============

تحالف لغير المسلمين يرفض "الدولة الإسلامية"!

وسط الجدل الساخن الذي تشهده الأوساط السياسية الماليزية حول إسلامية الدولة أو حاجتها للأسلمة الفعلية، قال "المجلس الاستشاري للبوذية والنصرانية والهندوسية والسيخية" وهو تجمع لممثلي العقائد فيما عدا الإسلام بماليزيا إن ماليزيا دولة علمانية، وأن دستور البلاد الفيدرالي هو السلطة العليا للقانون في البلاد.

وحذر بيان صدر مؤخراً عن المجلس مما أسماه بتبديل "العقد الاجتماعي الذي بني على أساسه الدستور الفيدرالي"، مشيراً إلى أن مجلس الأديان الرباعي الذي يمثِّل ما نسبتهم أقل من 40% من السكان غير المسلمين يعارض أي "مساس" به أو تغييره، ويضيف البيان: "عندما تأسست ملايا ثم ماليزيا، كان هناك عقد اجتماعي بين

الجماعات الإثنية والدينية المختلفة حول شكل الدستور الذي يجب أن يحكم البلاد، وهذا العقد الاجتماعي هو الذي أدخل في الدستور الاتحادي ولا يمكن تغييره من دون استشارة وإجماع جميع المجموعات التي تشكل المجتمع الماليزي".

العقد الاجتماعي؟

ويستمر البيان في سرد الأحداث التي أدت إلى تكوين الهيكل القانوني لاتحاد ماليزيا والتي بدأت بمشاورات بين الحكومة البريطانية والسلاطين الملايويين وحزب التحالف في عامي 1956و1957م، وذلك بعد عام من أول انتخابات محلية يفوز بها حزب التحالف تمهيداً للاستقلال، ثم أعيد ذكر "العقد الاجتماعي" في تقرير اللجنة الدستورية عندما استقلت ملايا في أغسطس 1957م، ثم تكرر الحديث عن العقد الاجتماعي في عام 1962م بإشراك ولايتي صباح وسرواك (شمال جزيرة بورنيو) قبل اندماجهما مع اتحاد ماليزيا في العام الذي يليه وظهر "عقد اجتماعي"، يؤكد سابقه.

ويشير جوهر "العقد الاجتماعي" إلى أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي، لكن ذلك لا يمنع الأقليات الدينية الأخرى من ممارسة شعائر دياناتها، والتمتع بالحريات الثقافية الكاملة، والنقطة المثيرة للجدل هي ما يدور حول معنى أن دين الدولة هو الإسلام، وفي هذا يقول مجلس أديان غير المسلمين: إن هذا لا يعني أنها "دولة إسلامية" ولكنها علمانية!.

استغلال للأجواء الدولية

ولعل من اللافت للنظر أن يعقد المجلس الاستشاري للأديان الأربعة فيما عدا الإسلام اجتماعات في الأسابيع الماضية، وسط الحملة الإعلامية الدولية التي تستهدف مفهوم وتطبيقات الدولة الإسلامية، حيث كان المجلس صريحاً في التعبير عن "القلق والحذر البالغ من التطورات التي تشهدها البلاد مؤخراً".

وما يعنيه البيان هنا ما صرح به رئيس الوزراء الماليزي د.محاضير محمد في 29-11-2001م من أن ماليزيا دولة إسلامية بالفعل، وذلك مقابل ما يؤكده قادة الحزب الإسلامي الماليزي المعارض من أنها لاتزال غير إسلامية، وأن الحزب الإسلامي يسعى لتحقيق ذلك فعلياً حسب خطة متكاملة وضعها.

وقد التقى المجلس الديني الرباعي بقادة الأحزاب المشاركة في الحكم والتي تمثل الملايويين والصينيين والهنود وهم المجموعات الإثنية الرئيسة في البلاد وناقش المجلس مع السياسيين قضية إسلامية الدولة محاولين تحريك الأحزاب المؤيدة لرئيس الوزراء وحزبه من غير المسلمين ضد فكرة "الدولة الإسلامية"،، غير أن حزبي جمعية صيني ماليزيا وغيراكان وهما أكبر حزبين يمثلان الصينيين في الحكومة أكدا أن إعلان محاضير بأن ماليزيا دولة إسلامية واقعياً لن يضر بحقوق وحياة غير المسلمين، مستدلين بعدم حدوث أي تغيير سلبي تجاههم مهما صغر.

تكرار موقف عام 1988م

وحسب قول أحد المحللين، فإن موقف المجلس الديني الرباعي في بيانه الصادر في 31-1-2002م، هو خروج واضح على الموقف الرسمي للأحزاب المنضوية تحت راية التحالف الوطني الحاكم، وأنه موقف يؤيد موقف حزب العمل الديمقراطي المعارض، الذي يؤكد قادته أصحاب الخلفيات اليسارية وأكثرهم من الأقلية الصينية أنه يجب أن تظل ماليزيا دولة علمانية، مع أن دينها الرسمي هو الإسلام، وهو الموقف الذي كرر تأكيده رئيس الحزب في تصريح له يوم 29-1-2002م.

غير أن الرئيس الحالي للمجلس الديني الرباعي الأسقف الكاثوليكي سوتير فيرنانديز ينكر هذا الربط وقال: إنه لا علاقة بين موقف مجلسه وموقف حزب العمل المعارض الذي ترك تحالف الأحزاب المعارضة بسبب الخلافات بينه وبين الحزب الإسلامي حول قضية أسلمة الدولة الماليزية، وقال الأسقف: "إذا قرأتم بياننا فستجدون أنه تأكيد لموقفنا في عام 1988م حول حريات الأديان".

مسألة انتخابية

وكان كينج يايك أحد كبار السياسيين الصينيين في التحالف الحاكم قد دعا يوم 27-1-2002م أكبر حزبين صينيين في الحكومة إلى التعاون معاً لمواجهة محاولات حزب العمل المعارض إثارة مخاوف الجالية الصينية من قضية الدولة الإسلامية، مؤكداً أن على الحزبين توضيح الصورة الصحيحة لصينيي ماليزيا.

واتهم كينج حزب العمل المعارض، باتباع "تكتيكات قذرة" لكسب عاطفة الصينيين، وجعل ذلك أداة لكسب أصواتهم في الانتخابات المقبلة، وفي المقابل، فإن الملايويين

المسلمين يواجهون منافسة مماثلة على أصواتهم بين حزب رئيس الوزراء الحاكم الذي يؤكد إسلامية دولته، وبين الحزب الإسلامي الذي يرى أن مجرد الإعلان غير كافٍ، ويدعو الجماهير إلى انتخابه لإعلان دولة إسلامية حقيقية في ماليزيا.=>

==============

العولمة من خلال رؤية إسلامية

إنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدهُ ونَستعينُهُ ونستغفره، ونعوذ بالله مِنْ شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مِنْ يَهدِه اللهُ فَلَا مُضل لَهُ، وَمَنْ يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

?يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ? [آل عمران: 102].

?يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا? [النساء: 1].

?يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا? [الأحزاب: 70، 71].

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم، واهتدى بهداهم، واقتفى أثرَهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

فالحديثُ في السنوات الأخيرة تكرر حول عنوان كثيرًا ما يظهر؛ إما في عناوين الكتب، أو في الطُّرُوحات الأخرى؛ كالمجلات والصحف والوسائل الإعلامية، وهذه الطُّرُوحات المتنوعة المتعددة كثيرًا ما تتحدث عن هذه القضية التي سنعرض لجانب منها؛ ألا وهي: " العولمة "، وسنُرَكِّز عليها في إطار "نَظراتُنا لها من خلال المنهج الإسلامي".

تعريف العَوْلَمة

إنَّ العولمة من خلال تعريف سهل ميسر هي : جَعْلُ العالَم واحدًا.

فهي مُشتقَّة من العالَم؛ فهي تَفاعُل وانْفِعالٌ يقصد إلى جَعْل العالَم واحدًا في تَوَجُّهاتِه وأحواله الفكرية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وهذه الدعوة التي اتَّخَذت اسم " العولمة " لا تقتصر على الطَّرْح الفكري أو الإعلامي فقط، وإنما تُمَارس الطَّرْح العملي في حياة الأمم والشعوب، ويُهِمُّنا نحن المسلمين أثرها ومؤثراتها علينا وعلى ديننا وعقيدتنا وأخلاقنا.

ونحن نعلم بادئ ذي بَدْء أَنَّ الإسلام نفسَه دِينٌ عالَمي، فلو استَعَرْنا المصطلح لَقُلْنا: إنَّ دِين الله سبحانه وتعالى يسعى إلى عولَمةِ العالَم، لكنْ من خلال أصول تُسْعِد الإنسانَ في الدنيا والآخرة، من خلال منهج رباني دَعَت إليه رسل الله عليهم الصلاة والسلام، ومِن ثَمَّ فتاريخ الرُّسل وعقيدتهم ومنطلقاتهم واحدة، فَلَمَّا خُتِمت الرسالات بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم جعلها الله للعالمين جميعًا: ?وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا? [سبأ: 28]؛ ?وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ? [الأنبياء: 107].

وبالفِعْلِ انْطَلَق الصحابة رضي الله عنهم ومَن بعدهم مَشْرقًا ومَغرِبًا، ينشرون دين الله سبحانه وتعالى، حتى إنهم لَمَّا قابلتهم البحار قال قائلهم: لو أنني أعلم أن بلادًا خَلْف هذا البحر لركبتُ إليها ؛ ماذا يقصد؟!!

إنَّه نشرٌ لدين الله سبحانه وتعالى، وإخراجٌ لهم من النَّار إلى الجنة، ومن عبودية العباد إلى عبودية رب العباد تبارك وتعالى، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

ومِنْ ثَمَّ فمِثل هذه الدعوة بمجردها تَطْمَح إليها جميع الأمم؛ فالشيوعية حاولت أن تكون عالمية ولكنها جُوبِهت، والاستعمار الحديث – وأعني به في القرن الماضي – حاول أن يَفرض نفسه على العالم كله، لكنه واجَهَ مقاومات وفشل إلى حد كبير، فالمحاولة الأخيرة التي نعيشها في السنوات الأخيرة هي محاولة ضمن تاريخ ونُسُق عاشته قوى وأمم أرادت أن تفرض فِكْرَها وعقيدتها وأخلاقها ونظام حياتها فيمن تستطيع أن تفرضها عليه.

خُطُورةُ العَوْلَمة في وَاقِعِنا المُعَاصِر

وأَخْطَرُ ما في العولمة التي نعايشها في هذه السنوات الأخيرة أنها قامت على خمسة أَذْرُع، وهذه الأذرع في الحقيقة أَدَّتْ إلى ما نعايشه اليوم من خطر أحسَّتْ به غالبيةُ

الدول؛ إسلاميةً كانت أو غير إسلامية، لكنَّ الإحساس بالخطر كان من جانب المسلمين أكبر لأمر؛ وهو أن هذه العولمة وإنْ وُجِّهت إلى دول العالم كلها؛ إلا أنها موجهة إلى العالم الإسلامي بشكل واضح وصريح.

العَوْلَمة وأَذْرُعُها الخَمْسة!!

الأول : " الذراع العسكري ".

ويُقْصَد به القوة العسكرية الضاربة التي تريد أنْ تَفرض العولمة من خلال هذه القوة، وقد سمَّاها بعض رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية من عشر سنين بـ" العصا الغليظة ".

وسمى شَعْبَه هناك بـ" شعب الله المختار" الذي أرسله الله إلى العالمين؛ ليبثوا وينشروا فيهم الديمقراطيةَ أو الحريةَ، وحقوقَ الإنسان والرخاءَ الاقتصادي ونحو ذلك، فهذه العصا الغليظة بمنجزاتها العسكرية المتنوعة – سواء منها ما يتعلق بالسلاح النووي والبيولوجي، أو بأسلحتها المتنوعة المختلفة الأخرى المعروفة – هم يَسعَوْن بهذه القوى العسكرية إلى أنْ يفرضوا عولَمتهم.

الثاني : " الذراع السياسي " .

ويكون استخدامه من خلال السيطرة على المنظمات السياسية العالمية وتوجيهها الوجهة التي يريدونها، ومن ثَمَّ نجد أن هذه التوجهات والمنظمات السياسية العالمية تسير وتُقَاد بطريقة معينة، وتفرض من خلال ضغوطها وشروطها ونظمها ومواثيقها على دول العالم الأخرى السير في الركب؛ شاءوا أم أبوا !!

ومن ثَمَّ استخدم الغرب هذه الذراع لفرض هذه العولمة مع الأذرع الأخرى التي سنوردها هاهنا.

الثالث : " الذراع الاقتصادي".

ويستخدم أيضًا من خلال المنظمات العالمية، وعلى رأسها منظمة التجارة العالمية والبنوك العالمية الكبرى، والشركات العالمية، ومن خلالها يحاولون أن يُعَوْلِموا العالم، ويسيطروا عليه اقتصاديًّا، ونَعْلَم أهمية القضية الاقتصادية فيما يتعلق بحياة الأمم والشعوب؛ فتَجِدُ مثلًا بعض هذه القوى الاقتصادية أو الشركات تستطيع بقدرتها المالية أن تبتلع دولًا، وهذا الابتلاع مقتضاه أن هذه الدول تصبح مدينة خاضعة

تُمْلِي عليها النظم والحياة، وتسير من خلال استعمار اقتصادي، والتجارب متعددة، وما جرى لشرق آسيا حين حاولوا أن ينهضوا اقتصاديًّا – بما سُمُّوا بالنُّمور هناك – جَعَلَتْ أعداء الله (يتدخلون في أمور هذه الدول من خلال الناحية الاقتصادية، ويخترقون شركاتها وأسسها الاقتصادية، ثم بطُرُق معينة يلعبون بالاقتصاد لينهار السوق في ساعات محدودة!!

كيف سار هذا؟!

إنَّه استخدام لهذه الذراع الاقتصادية؛ لأجل إخضاع كل من لا يسير على الطريق الذي لا يريدونه، وإذا ما برزت قوة اقتصادية حاولوا تدميرها بقواهم الاقتصادية الأخرى.

الرابع : " الذراع التقني والعلمي ".

ونستطيع أن نعتبرها من أهم هذه الأذرع؛ لأنَّ أثرها كان كبيرًا، فأعداءُ الله في السابق حاولوا عولمة العالم واستعمار العالم الإسلامي، لكنْ ما كانت التقنية العلمية – المتمثلة في الاتصالات ووسائل الإعلام والشبكات العنكبوتية والمحطات الفضائية وغيرها من الوسائل – ما كانت مؤثرةً وبالغةَ الدقة كما هو الحال في السنوات المتأخرة؛ فهذه التقنية العالية عند الغرب جعلته بالفعل يستخدم هذه الذراع بكل ما يملك من قوة لِفَرض العولمة على غيره من دول العالم الثالث ومنها العالم الإسلامي، وهي قضية واضحة مثل الشمس؛ لأنَّ هذه التقنيات فعلًا قد اخترقت الحُجُبَ، وأصبحت الدول التي كانت تَظن أنها تحيط نفسها بسُور من الجمارك مثلًا أو من غيرها؛ لتمنع وصول ما لا تريده إليها، أصبحت من خلال هذه التقنية تَرِد إلى بلادها وبيوتها، ومن خلال هذه الوسائل التقنية الدقيقة؛ لتخترق الحواجز والحجب، وتَنْفُذ لتنشر ما تريده من فكر وعقيدة وأخلاق ونظم .. إلى آخره.

فهذه الذراع التقنية المتطورة، والتي تتطور بسرعة، استطاعوا أن ينفذوا من خلالها، وهذا النفوذ الخطير هو الذي عَجَّل بالمتغيرات الكبيرة في كثير من بلاد العالم، ومنها بلاد العالم الإسلامي.

الخامس : " الذراع العقدي والثقافي والفكري ".

وهي من أخطر هذه الأذرع، وما الأذرع السابقة إلا لأجل أن تُمَكِّن هذا الذراع من أن يصل إلى الدول الأخرى، ويَنْفُذ في داخل المجتمعات من خلال وسائل متعددة، لينشر فيها عقيدة الغرب، ومنطلقاته الفكرية وثقافته، وحضارته ونظمه وأخلاقه وحياته، وهذا هو الخطر الأكبر .

هذه العولمة الثقافية والفكرية والعقدية حاولت أن تَنْفُذ، وتَنْقُل ما عند الغرب من حياة على مختَلف وجوهها إلى تلك الدول؛ مُعَوْلِمة لها، وفارضة عليها ما تريد؛ لتحقق بذلك جميع أهدافها، ومن ثَمَّ فإن هذه الذراع الخطيرة التي نعيشها نحن المسلمين بشكل أوضح؛ لأنَّ عقيدتَنا وإسلامَنا ودينَنا وشريعتَنا متميزةٌ، لها خصوصيتها الدقيقة الواضحة، أي أنه عند شعوب أخرى ربما لا يُهِمُّها أن تَنْتَقل من إلحادٍ إلى إلحاد، أو من كُفرٍ إلى كفر؛ لا يُهمها أن تَنْتَقل من مظاهر حضارية إلى مظاهر حضارية أخرى مختلفة، لا يهمها أن تنتقل مِن نظام وتشريع إلى نُظُمٍ أخرى مختلفة عنها، أما نحن المسلمين فلا؛ فالأمر عندنا خطير وكبير ومُهِمٌّ جدًّا.

آثَارُ العَوْلَمة في الجَانِب العَقَدي والثَّقافي والفِكْري

ومِنْ ثَمَّ فإن التفصيل في هذه الذراع وأثرها مهم جدًّا؛ ونحن نَقِف مع بعض آثارها باختصار:

[1] الانْحِراف العَقَدي

إنَّ من الآثار المتعلِّقة بهذه الذراع العقدية والفكرية والثقافية هو ما يتعلق بالعقيدة ، ونعني بها: أَنَّ حضارة الغرب أصلًا تقوم على الإلحاد، فهي حضارة مادية كافرة، وهي في ظل العولمة تَنْقُل إلينا نحن المسلمين عقيدتها، وإلحادها وماديتها، وهذا أمر واضح المعالم؛ فبلاد أوروبا اليوم تعيش على أصل كبير جدًّا يقوم على ركيزتين:

الركيزة الأولى: هي العلمانية الشاملة.

فهذه هي حياة الغرب، حتى وهُمْ يُدَعِّمون التنصير، ويدعمون الخدمات التي تقدمها الجهات الدينية وغيرها، لكنها حضارة قائمة بأصلها على العلمانية الشاملة.

الركيزة الثانية: أنها تنطلق من الحياة المادية، فالحياة عندهم هي أكل وشرب واقتصاد ?مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا? [الجاثية: 24].

هذانِ الركيزتان يَبرز من خلالهما – بصورة كبيرة جدًّا – الهدف من كون الغرب يريد أن يُعَوْلِمَ العالمَ الآخر، ومنه العالم الإسلامي؛ فإِنَّه ينقل إليه هذه الأصول الإلحادية الكبرى.

ولكَ أَنْ تتصور حياة الغرب القائمة على الكفر بالله، سواء كان إلحاداً أو دينٌ محرَّف..

عبادة المسيح..! عبادة العُزَيْر..! أديان إلحادية أخرى وَثَنِية..!

فهذه هي التشكيلة الغربية سواء ما كان منها فلسفة معاصرة من اشتراكية أو شيوعية، أو من يكون منها مرتبطًا بِنَزَعات دينيةٍ سابقةٍ، لكنها تقوم على الكفر بالله سبحانه وتعالى، وهي بِمُجْملها يريد العالم أن ينقلها إلينا نحن المسلمين عن طريق العولمة.

[2] الانْحِراف في النُّظُم والتَّشْرِيع

ومما أثر ت فيها العولمة أيضًا: نُظُم الحياة التي نسميها نحن بالشريعة، فالعدو يريد أيضًا من خلال هذه الذراع أن يفرض علينا نُظُمَهُ وحياته، فحياة الغرب ونظمه تختلف تمامًا عن حياتنا نحن المسلمين القائمة على أساس العقيدة التي تَنْبَثِق منها شريعة متكاملة تشمل جميع شئون الحياة، أي أَنَّ الْمُسلم لا يمكن أن يخرج في أي شأنٍ مِنْ شئونه عن شريعة الله سبحانه وتعالى الكاملة: ?الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا? [المائدة: 3].

والحقيقةُ أنَّ هذا المظهر من أخطر المظاهر؛ لأنَّ مظهر الحياة الغربية بنظمه لَمَّا تَعَوْلَم وانتشر في العالم – ونحن من هذا العالم – فإِنَّنَا نحن المسلمين نكون في هذه الحالة ممن يرتضي نظمًا غربية ونتخلى عن دينه وشريعته، وكما قال علماء السلف الصالح قديمًا: (مَا مِنْ بِدْعَةٍ تَحْيَا إِلَّا وَتَمُوتُ فِي مُقَابِلَهَا سُنَّةٌ)، فكذلك أيضًا: مَا مِنْ نُظُم حياة تُسْتَوْرَد إلا ويقابِلُها انحسارٌ في شريعة الإسلام بالنسبة لنا نحن المسلمين؛ وبالطبع فنلاحظ أننا نَفْصِل تمام الفصل بين الشريعة المبنية على أصول عندنا نحن المسلمين وبين القضايا الإدارية البَحْتة، فنحن نتكلم اليوم عن الْأُوْلَى بشكلٍ أساسي، ونتكلم عن الثانية التي تَقْدُم إلينا بأصولها وجذورها.

[3] الانْحِراف الأَخْلاقِي

كذلك أيضًا بالنسبة للأخلاق ومعرفة الآثار الأخلاقية للعولمة في بلاد العالم الإسلامي؛ فالفسادُ الأخلاقي المتنوِّع تجد أن هذه الذراع الثقافية بالفعل تؤثِّر وبشكل مباشر، وأظن أن هذا الأمر واضح تمام الوضوح، وأمثلتها كثيرة جدًّا، ونذكر منها :

• المرأة :

وخَصَّصْناها لأنَّها – فِعْلًا – مِيدانٌ ضخم لحرب الإسلام والمسلمين وتَغْيِير أحوالهم؛ فجاءت العولمة بالنسبة للمرأة لتؤَثِّر على كثير مما يتعلق بحياة المرأة المسلمة، سواء ما يتعلق منها بدينها، وأهدافها، وغاياتها، أو بمظاهر الأخلاق والتصرفات، أو بالألبسة والأزياء وغيرها.

• اللغة العربية :

إنَّ اللغة العربية هي لغة القرآن، فالعولمة الآن تحاول أن تطغى لتجعل لغة العالم هي اللغة الأجنبية، وبالأخص اللغة الإنجليزية، وكثيرٌ من شبابنا اليوم بدأت طموحاته متأثرة بعوامل عِدَّة، يرى أَنَّ النمو الحضاري لن يكون إلَّا بأنْ يكون صاحب لغة أجنبية يُتْقِنها!!

وإتقانها – والحالة هذه – سيكون على حساب لغته العربية، فكيف إذا تطور الأمر ليكون منهج المدارس الابتدائية وما بعدها؟!

كيف إذا تطور الأمر لتنشأ المدارس العالمية التي تُدَرِّس أحيانا باللغة الأجنبية؟!

كيف إذا تطور الأمر إذا صار الخطاب الإعلامي في كثير من أحواله لا يكون إلا باللغة الأجنبية؟!

ونحن نعلم أَنَّه في الشبكة العنكبوتية لا تكاد تَذْكُر اللغة العربية، أما المواقع التي تُعَدُّ بالملايين باللغات الأخرى وعلى رأسها اللغة الإنجليزية، فهذا التَّصَلُّب اللغوي هو مظهر خطير جدًّا من مظاهر العولمة الفكرية والثقافية.

وينتج عن ذلك بالفعل عدةُ مؤثرات تتعلق بالأسرة وبالشباب وبالتعليم، تتعلق بحياة الإنسان وخصوصياته؛ هذه الأمور وغيرها هي من المظاهر الخطيرة بالنسبة للعولمة، وكثير من الناس – وإنْ طُرِحَت عليه العولمة الاقتصادية أو السياسية أو غيرها – إلَّا أَنَّه يرى أن الخطر الأكبر حين تكون العولمة فكرية ثقافية أخلاقية؛ لأن

الأمم إذا دُمِّرَت من الداخل فإنها ستكون قد انتهت، إذا خَرِبت قلوبُها وعقيدتها وأخلاقها وأهدافها في الحياة، فإنها ستكون غنيمةً سهلة لأعدائها.

إنَّ الأَذْرُع الْأُوْلَى كافَّةً؛ السياسي، والعسكري، والاقتصادي، والتقني، كلها جاء لتُسْتَخدم لفرض هذا المظهر والذراع الخطير، ألا وهو الخطر العقدي والفكري والثقافي على العالم الإسلامي.

العَوْلَمة والدَّعَوات البَاطِلة

هناك مظاهر عالمية أحيانًا تجدها تُقَادُ مِنْ قِبَل الغرب القوي المسيطر، والعالم الإسلامي يعاني ما يعاني منها؛ ومن أمثلة ذلك:

دعوى " حقوق الإنسان " :

فهي في المنهج الإسلامي منضبطة بالضابط الشرعي.

أما اليوم فانظر كيف تدور قضايا حقوق الإنسان عالميًا ليُفرض المنهج الغربي؛ حتى وهو يَكيل بمكيالين مَفْضوحَيْنِ أمام العالم كله، إنها قضية تُطرح عالميًّا وتتعلق بحقوق الإنسان، والعالم الإسلامي يتلقى مثل هذه الطروحات ولا يدري كيف يتعامل معها؛ طُرُوحات لحقوق إنسان مبنية على المنهج الغربي والإلحاد الغربي، بالرغم من أنَّ لدينا منهج مُؤصِّل ونظيف في حقوق الإنسان، ثم تأتي حقوق الإنسان أو المنظمات العالمية لتبني منطلقاتها على المساواة التامة ، ومقتضى هذا أنه لا فَرْقَ بين دِين ودِين، لا فرق بين من يعبد الأحجار، وبين من يَعبد الواحد القهار؛ فكل هؤلاء سواسِية، وفي منهج الإسلام العظيم لا يمكن أن يستوي هؤلاء: ?لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ?[الحشر: 20].

?أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ?[القلم: 35، 36].

وهكذا عندما تأتي الطُّروحات العالمية، مثل: المساواة بين المرأة والرجل، وهي قضية تخالف الطبيعة؛ فربنا سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ?وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى? [الليل: 1-3].

فالليلُ ليلٌ والنهار نهارٌ؛ هذا له طبيعته، وهذا له طبيعته، كذلك أيضًا الذَّكر له طبيعته والأُنْثى لها طبيعتها، فعندما تأتي مثل هذه الدعوات لتنادي بالمساواة، يأتي المنهج الإسلامي ليقول: لا.

فالبديل هو العدل، والعدل أحيانًا يكون بالمساواة، وأحياناً يكون بعدم المساواة، ولو قال قائل: تجب المساواة بين المجرم وغير المجرم!! لكان جميع الناس يعترضون على مثل هذا الطرح، وهل هناك أعظم إجرامًا ممن يكفر بالله سبحانه وتعالى ويلحد لنساويه بالمؤمن العابد لله تبارك وتعالى؟!

دعوى " تقارب الأديان العالمية " :

والمقصودُ بها عولمة هذه الأديان؛ ليخضع الإسلام لها، فعندما تأتي المؤتمرات العالمية كمؤتمر " السكان "، أو " المرأة "، أو غيره .. تجد أَنَّ هذه المؤتمرات تفرض حياة الغرب وثقافته، ونظمه.

والعالم الأخر أو الثالث، ومنه العالم الإسلامي يستجيب ويُوَقِّع ولا يعترض، وليس هذا للجميع، بل فيهم من يعتذر عن مثل ذلك، لكنَّ الغاية لِمِثل هؤلاء هي أن يتحول هذا المؤتمر المنبثق من قضايا غريبة ليفرض على المسلمين في حياتهم ودينهم وتعليمهم وأخلاقهم.

هذه الأذرع الخمسة للعولمة قد أَوْجَدت حالةً في العالم كله ومنه العالم الإسلامي، هذه الحالة سارت مسار نقاش وطروحات متعددة؛ لأن الكل يَحس بها ويراها ويعايشها..

مَوْقِفُ المُجتَمَعَات مِنْ العَوْلَمَة؟!

لقد بَرَزَت مواقف عِدَّة لِفِئَاتٍ عِدَّة مِنْ هَذِهِ العَوْلَمة نُشِير إِلَيها باختصار، ونُفَصِّل فيما نراه أصولًا ومنطلقات في الموقف من العولمة .

الفئة الأولى : وقفت بالنسبة للعالم الإسلامي من العولمة موقفَ المرحِّب بها الداعي إليها؛ ففَتَحَتْ لها ذراعيها، وهَلَّلَتْ لها، وصارت تنتظر سرعةَ تأثيرها في بلاد المسلمين، وهذا النوع يشمل غالبية أصحاب الأفكار المنحرفة في داخل العالم الإسلامي؛ كأصحاب التوجهات الاشتراكية، واليسارية، والقومية، والعلمانية، وأصحاب الحداثة الفكرية على مختلف مدارسها..

فكُلُّ هؤلاء يرحبون بالعولمة، ورأوا أنها ستكون وسيلةً لتحديث بلاد العالم الإسلامي وتغييرها، وهؤلاءِ إنما رحَّبوا بها لأنهم يَعيشون غربةً في بلاد المسلمين، يَعيشون صراعَ نُخَبٍ عربية ترى أنها هي الأعلى فكرًا وثقافةً .. إلى آخره.

لكنها تَصطدم مع أصول المجتمع وقضاياه وأُسُسه الإسلامية والعقدية، وهذا الصراع برزت مظاهرُه أكبرَ فأكبرَ من خلال المرحلة الماضية بالنسبة للصحوة الإسلامية التي بدأت بعد هزيمة (67)(1)، ومِن ثَمَّ فإن أصحاب هذه الأفكار لَمَّا أقبلَتْ هذه العولمة بأَذْرُعتها وجدوها مخرجًا له، وهذا المخرَج جعلهم يُرَحِّبون بهذه الحضارة وعولمتها وفسادها وإفسادها، وتَبِعَهم على ذلك جمهرةٌ من العامة أصحاب الشهوات والفجور؛ فهم يريدون هذه العولمة ليأخذوا منها ما يشاءون بحسب ما تريده شهواتهم.

فهذا النوع من المفكرين والمثقفين رحَّبوا بالغرب، وبكل ما يأتي من الغرب، وليسوا بِدْعًا؛ فقد سَبَقهم قبل سبعين وثمانين سنة مِن أساتذتهم مَن أتى بنفس الفكرة لَمَّا استعمر الغرب العالم الإسلامي بعد سقوط الدولة العثمانية ، فكانت هناك دعوات لأدباء ومفكرين في ذلك الوقت تنادي بأن نكون قطعة من أوروبا، وبأن نتحول إلى جزءٍ من الحضارة الغربية؛ رافضين لدينهم وإسلامهم وعقيدتهم وتراثهم.

الفئة الثانية : هي الفئة التي رَفضت العولمة، وهذه الفئة رأَتْ أَنَّ العولمة مظهر من مظاهر الاستعمار والاستعباد، وأنها خطر على الأمة، فرفضتها واعتزلتها اعتزالًا تامًّا؛ وهذا النوع من العجيب أنه انقسم – وإن كانوا قلةً – نوعانِ متضادانِ:

النوع الأول: من الأخيار الذين رأوا أن خطر هذه العولمة يقتضي العزلة؛ عليكَ بخاصة نفسك.

وهذا بلا شك إنِ اسْتطاعه فردٌ أو فردانِ، لكنْ من الناحية العملية؛ ففيه صعوبات كبيرة جدًّا، خاصَّةً في هذه الأحوال التي نعيشها .

النوع الثاني: هو فئات من أصحاب التوجهات اليسارية وغيرها الذين رأوا في العولمة استعمارًا رأسماليًّا ؛ فرفضوها من منطلقات يسارية إلحادية.

الفئة الثالثة : وَهُم بعض الذين طرحوا هذه القضية ، وحاولوا أن يعالجوا وضعها؛ فانتهوا إلى حلٍّ هم يسمونه وسطًا ؛ وأعني به الحلَّ الْمُلَفَّق بين " الحضارة الغربية والإسلام "!!

بمعنى : أن هؤلاء رأوا أَنَّه لا يمكن أن نقاوم العولمة بالقرآن والسنة، أو بكتب الفقهاء المتقدمين، وقال هؤلاء: لا يمكن أن نواجه حضارة المحطات الفضائية والإنترنت والاتصالات والإعلام والسرعة .. إلى آخره بتلك!!

إذًا؛ فما هو الحل عندهم؟

جاء في أُطْرُوحاتِهم أَنْ لَا نَتَخلى عن أصولنا، لكنْ أيضًا يمكن أن نواكب هذه المتغيرات لنجد لها مساحات معينة في المنهج والفكر الإسلامي وفي الفتاوى الإسلامية، في كلام الفقهاء، وأحيانًا في شذوذات الفقهاء، في رخصهم وهكذا..

عملوا نوعًا من الدمج والجمع بين هذينِ؛ ليتَوَصَّلوا إلى منهج عصراني يتواكب مع الحالة المعاصرة والعولمة التي نصطلي بنارها في هذه السنوات الأخيرة.

إنَّ هذا النموذج أيضًا ليس بِدْعًا؛ فقد سَبَقه إليه أيضًا نموذجٌ آخرُ قبلَ سبعين أو ثمانين سنة لَمَّا جاء الاستعمار إلى العالم الإسلامي، فهناك فئات أرادت أن تجمع بين الإسلام والحضارة الغربية، وأن تخضع لكثير من الأمور الحضارية الغربية بعض الأصول والقواعد الإسلامية والشرعية، وجمعوا بينهما بما يسمى بـ" المدرسة العقلية الحديثة "، لكنها في النهاية لم تنجح، والسببُ في ذلك هو أن هذا الطَّرْح المبني على تنازلاتٍ، وإخضاع أصول الدين وقواعده لتلك الأحوال المعاصرة من باب مجاملتها.

كل ذلك يؤدي في النهاية إلى أن يَعتَزَّ الغرب بطرحه، ويؤدي إلى أن يكون المسلم المتبَنِّي لذلك أن يَضْعُف انتماؤُه لأصولِه، فهو بذلك يشبه إلى حد كبير علماءَ الكلام الذين كانوا في الزمن الأول.

كان في الزمن الأول وفق الكتاب والسنة والعقيدة الصافية، ثم تُرْجِمت الفلسفة اليونانية، فاطلعوا عليها وأُعْجِبوا بها، فلمَّا أُعْجِبوا بها أرادوا أن يجمعوا بين أصولهم الإسلامية وبين الفلسفة اليونانية الإلحادية، فحدث الخَلْط بينهما، ونَتَج ما سُمِّي بـ" علم الكلام "، الذي أصوله فلسفية، ومُزَيَّن ومُزَرْكَش بما يوافقه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وما الذي أنتجه علم الكلام هذا؟

كان أحد أسباب تأخُّر العالم الإسلامي؛ لأنه شغلهم في مناقشات لا مساس لها بالواقع والحياة العملية، فأصبح علماء الكلام كما قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: (لا للفلاسفة كسروا، ولا للإسلام نصروا)(2).

فانتبهوا إلى العبارة!! لأن الفلاسفة تسلطوا عليهم لَمَّا وافقوهم على بعض أصولهم.

كذلك أيضًا التوجهات العصرية في هذه الأيام؛ فلو أنها – واللهِ- كَسَرَتِ الغربَ وأَحْرَجَتْه، واستطاعت أن تنتج لنا – فعلًا – توجهاتٍ فيها الاستقلال، ولو أنه فيه ما فيه؛ لقلنا واللهِ: نعم .. هذه جهود لها ثمرتها ونحترمها؛ لكنها طُرُوحات أَطْمَعت فينا الغرب مرةً ثانيةً؛ وأيما دولة إسلامية أو عالِم أو مفكر إسلامي قدّم تنازلاته بهذه الطريقة إلا وجعل أعداءَ الله سبحانه وتعالى يطمعون فيه وفي دينه؛ ليقوم بتنازلات أكثر فأكثر.

الطَّرْحُ المُعاصِر " اسْتِسْلام المَغْلُوب "!!

ومِنْ هنا فإنَّ هذا الطَّرْح – الذي نسميه نحن بالطرح المعاصر – خطورَتُه تأتي مِنْ أَنَّه ينظر إلى القضية من خلال تنازلاتٍ يجب أَنْ يُقَدِّمها لعدوٍ غَالبٍ ظالِمٍ مُسَيْطِر، أي: أَنَّه استسلام المغلوب؛ هذا الوضع سيجعل هذا الطاغي الظالم يطالب بتنازلاتٍ أكثرَ فأكثرَ؛ مع أنه في دين الله سبحانه وتعالى الأمر واضح تمام الوضوح؛ يقول الله – تبارك وتعالى- فيه ? وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ?[البقرة: 120].

البلاد العَلْمانية اليوم في كثير من العالم الإسلامي، أليست بعلمانيتها قد لَحِقت برَكْب علمانية الغرب؟!

الجواب: بلى.

وهل الغرب اليوم يحترمها ويُقَدِّرها؟!

الجواب: لا؛ فهو لا يزال يعتبرها شرقيةً، ويطلب منها المزيد من الخضوع، لا يزال يَسْخر منها ويحتقرها، لا يزال يقول بصوت عالٍ: إن الديمقراطية وحقوق الإنسان هي للغرب وليست لهؤلاء؛ إذا كنا قَدَّمْنا لأعدائنا وتنازلنا لهم إلى حد أن نُقَدِّم لهم العلمانية ونفرضها ونحارب دين الله من أجل ذلك، ومع ذلك فالغرب لا يرضاه، وإنما يريد المزيد من التبعية والتبعية حتى يكون الدهس بالأقدام؛ أي: إلغاء الهوية من جميع جوانبها، فكذلك أيضًا نقوله لمن يريد أن يَطْرح طُرُوحات معاصرة؛ فنقول له: إنَّ هذا الطرح في النهاية لن يُرْضِي الغرب، ولن تكون – والحالة هذه – ممن ثبت وبَقِيتَ على منهجك وعلى أصول دينك.

مَوَاقِفُنا تِجاهَ " العَوْلَمَة "

إنَّ مَوْقِفنا من هذه العولمة اليوم ينبغي أن يكون موقفًا مدروسًا، واسمحوا لي في هذه الفقرة الأخيرة أن أطرح جملة من المنطلقات التي يجب أن ننطلق منها في موقفنا من العولمة:

أولا : أن نحدد منذ البداية طبيعة الدين الإسلامي في موقفه من " الجديد " :

بمعنى: أننا لا يجوز لنا أن ننظر إلى قضية العلم والإسلام على أنها صراع، فقد وُجِد الصراع نعم في الغرب بين الدين والعلم؛ لأن الدين محرَّف، أما عندنا نحن المسلمين فلا يمكن من أن يوجد صراع، لا يمكن أن يكون في دين الله من كتاب الله والسنة الصحيحة ما يخالف نظرية غربية صحيحة أبدًا، فلا صراع بين الدين والعلم، ولا تَعارُض بين العقل والنقل في المنهج الإسلامي؛ لأن كليهما من الله ?أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ?[الأعراف: 54].

فالحضارةُ المعاصرة هل هي التي اخترعت؟!

بالطبع لا؛ فهي تعمل في مخلوقات الله عز وجل، واللهُ هو الذي جعل في هذه المواد القابليةَ للتصنيع وليس الغربُ، ولهذا فَإِنَّ غاية الغرب أَنَّه يكتشف، حتى الإنسان خلقه اللهُ، غاية ما عنده من العلم أَنَّه يكتشف طبيًّا خليةً كان جاهلًا بها آلاف السنين، لكنَّ الخلقَ خَلْقُ اللهِ.

وكذلك كتابُ الله وسنةُ النبي صلى الله عليه وسلم التي هي وحيٌّ، فهما عندنا يجب ألا نوجِد الصراع بينهما؛ لأنه لا يوجد في المنهج الإسلامي.

فهذا المنطَلق من هذه القضية مهم جدًّا؛ حتى نعلم كيف يتميز الإسلام عن غيره في نظرته للحياة؟

الإسلام دين الله الحقُّ، فالقضيةُ فيه منفصلة، فهو ليس دين يقول لك: اجلس في المسجد إذا أردت العبادة وانتهى الأمر؛ فهو ليس دين رهبنة، ولا صوفية ولا غيرها من المناهج التي تريد أن تعزل الإنسان عن الحياة، بل بالعكس، فديننا دين علم يبني حضارة، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

ثانيا : أن نواجه عولمة الغرب بالعودة إلى الذات :

العودة إلى ما عندنا من أصول ؛ إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما يَنْبَثِق عنهما من عقيدة وشريعة.

وقد يقول قائل: وهل هذه العودة ممكنة مع هذه العولمة الطاغية؟!
فأقول: هناك دول أخرى كافرة مثل اليابان؛ دولة وثنية ومتطورة صناعيًّا، وبالفعل واجهت العولمة كغيرها، أتدرون كيف واجهتها؟!
واجهتها بأن عادت إلى أصولها وجذورها وهي كافرة؛ حتى لُغَتها، ويخبرني أحد الأطباء ويقول لي: " جاء فريق طبي ياباني ليُجري عملية في مستشفى الملك فهد في الرياض، وجلسنا نحن معه في أثناء العملية، وأشدُّ ما أَحْرَجَنا أنه في أثناء العملية لا يعرف اللغة الإنجليزية؛ حتى المِقص والقطن كنا نحاول أن نُفْهِمه إياها بالإنجليزية، فكان لا يعرفها ".
فسبحان الله!! فلاحظ كيف يعتزُّ بلُغَته، وكيف يبني حضارة من خلال لُغَته.
ويقول لي هذا الأستاذ: " واللهِ في الجامعة في اليابان كنتُ قد بحثتُ عن كتاب بالإنجليزية لأقرأ فيه وما وجدتُ؛ بل كلها مترجمة إلى اللغة اليابانية ".
فأقول: سبحان الله!! دولة وثنية تواجه العولمة وتعود إلى أصولها وتؤصل. فأين نحن منها؟!
ونحن المسلمون لدينا دين وعقيدة وشريعة، بل بعض دول أوروبا مثل فرنسا وألمانيا ترفض عولمة أمريكا، وترفض عولمة اللغة الإنجليزية وحضارة أمريكا؛ لأنها لها أصولها وتراثها ولغتها، فإذا كانت هذه الدول نفسها تعود إلى أصولها وجذورها مواجِهةً لهذه العولمة، فما بالُنا نحن المسلمين؟!
إنَّ المنطلق الثاني الأساسي حقيقةً بالنسبة لنا نحن المسلمين في مواجهة هذه العولمة هو فعلًا أنْ نسارِع إلى أن نواجه عولمة الغرب بالتأصيل، والعودة إلى أصولنا وجذورنا وإلى ديننا، وليس بالانسياح أمام ثقافة هؤلاء الأعداء وفكرهم وعقائدهم.
ثالثًا : الأخذ بالأسباب الشرعية والمادية في مواجهة هذه العولمة :
ونحن نَعْلَم علم اليقين أن قوة العدو مهما كبرت وكثر عددها وعدتها، إلا أنها في ميزان الصراع بين الحق والباطل حين يكون المسلمون حاملين لدينهم الحق لا يمكن أن يُنظر إليها على ميزان المساواة، فتاريخُ المسلمين من أوله إلى آخره وانتصاراتهم

كلها مبنيَّة على قلة المسلمين وضعفهم في العدد والعُدَّة وعلى كثرة عدوهم؛ فكذلك أيضًا بالنسبة لقوة هذه العولمة وتأثيرها؛ فإننا نستطيع أن نواجهها بأمرينِ:

• الأخذ بالأسباب الشرعية. • الأخذ بالأسباب المادية.

فربُّنا سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز: ?وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ? [الأنفال: 60]، وبالإمكان أن نحول تقنية هذه العولمة بضوابط إلى أن تكون وسيلةً لنا نحن؛ لنقاوم هذه العولمة، ونعيد تأصيل حياتنا ومناهجنا.

رابعًا : مواجهة عولمة الغرب بعالمية الإسلام :

والحقيقةُ أنَّ هذا خيارٌ عالمي بالنسبة لنا نحن المسلمين؛ أَنْ نواجه عولمة الغرب بِأَنْ نَنْشُر وندعو بكل الوسائل إلى عالمية الإسلام.

وهذه الدعوة يجب أن يُلاحَظ فيها الأمور التالية :

1- أنه لا مكان للقوميات والجاهليات في بلاد المسلمين :

فإنَّ أمةَّ الإسلام، أمةٌ واحدة، وهي لا يمكن أن تدعو إلى عالمية الإسلام في الغرب ما لم تكن أيضًا بلاد المسلمين يجمعها فقط رابطٌ واحد؛ هو رابط الإسلام، ومن هنا فإن الدعوات القومية والوطنية والمادية الجاهلية وغيرها هي بالفعل بالنسبة لنا نحن المسلمين تنتهي إلى أن يتفرد الغرب بعولمته من هذه الدولة إلى تلك الدولة؛ لتكون في النهاية أشتاتًا ممزَّقة بين أنياب الغرب الذي لا يَرْحم.

2- نحن ندعو إلى عالمية الإسلام في مقابل عولمة الغرب :

نُقَدِّمه ونحن نَثِق بهذا الإسلام وبهذا الدين، والإنسان الذي لا يَثِق بدينه لا يمكن أن يُقَدِّمه؛ فالمهزومُ الذي يرى عدوَّه هو الأقوى والمنتَصِر، ويُعْجب به وبحضارته وفِكْرِهِ لا يمكن أن يقاوِم أبدًا، فضلًا أن يقدِّم البديل.

ومِن هنا فلا بُدَّ أن ننطَلِق من الثقة في الذات؛ ففي زمن النبي صلى الله عليه وسلم تَحزَّبت الأحزاب على المسلمين من كل ناحية، فماذا فعل المسلمون؟ قال الله تعالى: ?وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا?[الأحزاب: 22]؛ فانظر إلى المنهج! فعولمة الغرب يجب أن تَزِيدكَ ثقةً في إسلامِكَ، وليس رَكْضًا ولَهْثًا أمام الزُّبالات من أفكار الغرب.

3- أن نقدم النموذج لتطبيق الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة :

ومِنْ ثَمَّ فلا مكانَ للعلمانية في بلاد العالم الإسلامي، فإذا أردنا أن نواجه هذه العولمة فعلينا أن نقدِّم النموذج الصحيح، وإذا صَدَقْنا – وأعني بذلك جميع فئات الأمة – في العودة لديننا وتحكيمه، فسَنُقدِّم – فعلًا – النموذج؛ لأن دين الله لا يمكن إلا أن يكون صالحًا لكل زمان ومكان.

4- اليقين بأن المستقبل للإسلام :

فالإسلامُ ينتشرُ وينتصر؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب وهم ينتظرون الأحزاب مُقْبِلين على المسلمين لِيدمِّرُوهم في ساعةٍ كان صلى الله عليه وسلم في أثناء حَفْر الخندق في قصة الصخرة يُبشِّرُهم بفتح كنوز كِسْرى وقيصر واليمن ، إنه يبيِّن لهم أنه مهما حُورِب الإسلام، ومهما تَحزَّب عليه أعداؤُه؛ إلا أن المستقبل للإسلام.

ووالله؛ إنَّ هذا لَيُرَى اليوم رَأْيَ العين، فالإسلام يَنْتشر ويَقوَى في كل مكان.

ووالله؛ إنكَ لتَعْجب أنكَ لَتَجِدُ في بعض المسلمين ضعفًا وخَورًا وتنازلاتٍ في نفس اللحظة التي ينتصر فيها الإسلام وينتشر هنا وهناك. لِمَ؟!

لأنه دين الله الحق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا في الحديث الصحيح أَنَّ رُوما ستُفْتَح(3)؛ روما عاصمة النصرانية سيَفْتَحُها المسلمون، وهذا خبرُ مَن لا يَنطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم، وقال في الحديث الآخر: (لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الدِّينُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ)(4).

إذًا؛ ننطلقُ من خلال إدراكنا أَنَّ المستقبل للإسلام، وأَنَّه لا مستقبل للبشرية حقيقيًّا وحياةً حقيقيةً إلا بالإسلام.

5- أن نقدم عالمية الإسلام ونحن نُوقِن أنه هو البديل لعولمة الغرب وحضارته الزائفة:

إنَّ حضارة الغرب هي حضارة تحمل في طَيَّاتها عواملَ انهيارها وفسادها، وما رأيُكم بحضارةٍ تقوم على الإلحاد، وعبادة الإنسان؟!

ما رأيكم بحضارة تقوم على الأخلاق النفعية؟!

فمُنْذُ خمسين أو ستين سنة يُطَنْطِن الغرب بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، فلمَّا تعارضت مع مصالحه صار يَدْهَسُها بالأقدام!!

فهل هذه حضارة تقدِّم للعالم ؟!

لا يمكن.

ما رأيكم بحضارة الانحراف الخُلُقي والإيدز؟!

حضارة يُقِرُّ البرلمان – الذي يُمَثِّل الشعبَ – الشذوذَ الجنسي، ويضع له نظامه، ويحترم أصحابه!!

حضارة تُقِرُّ بقضية الخيانة الزوجية بين الطرفين!!

حضارة عُرْي!!

حضارة مادة!!

صحيحٌ أنَّ لها عنوانًا مظهرِيًّا وهو: (القوة سياسيةً كانت أو عسكريةً)؛ لكنها في داخلها يَنخر فيها الفسادُ، ولا أَسْتثني من ذلك دول أوروبا كلها، ولهذا لا يَشْعر بهذه الحقيقة إلا المسلمُ الذي أَسْلَم من بلاد أوروبا؛ هو الذي يُحِس بالفارق الكبير بين ما يقرأه ويُحِسُّه ويشعره عن الإسلام، وبين الحضارة الغربية بكل ما فيها من مظاهر جوفاء خَدَّاعة.

يُخْبِرني أحدُ الإخوة ويقول:

" بعضُ البَعثات الدَّعَوية في فرنسَا كان لهم جهودٌ، فأَسْلَم على يديهم رجلٌ مفكِّرٌ فرنسيٌّ، ويقول بأنه رجلٌ فاضلٌ وأَسْلم، فيقول: دَعَوْناه إلى إحدى دول الخليج للزيارة، فزَارَنا، ووَضَعْنا له حفلةً ضخمةً في إحدى الصالات حتى نلتقي به ونسأله، فجَهَّزْناها وحَضَر الحاضرون، وجاء هذا الأخُ على المنَصَّة وبجانبه المقدِّم، وإذا به يقول للمُتَرْجِم: قل لهؤلاء الحاضرين لا سلامَ عليكم ولا رحمةً ولا بركةً، فتَلَعْثَم المترجِم!!

فالأخوة قد فَرِحوا به ويريدون أن يسمعوا منه ويسمع منهم، وإذا به يُجابِهُ بهذه الكلمة الغريبة!!

فأعاد عليه مرةً ثانيةً وقال له: قل لهم أقول لكم لا سلامَ عليكم ولا بركةً ولا رحمةً، فتَلَعْثَم، فقال: قُلْهَا؛ لا تتردد، أنا أعني ما أقول، فقال : أخوكم في الله يقولُ لا سلامَ عليكم ولا بركةً ولا رحمةً، فضَجَّت القاعة؛ كيف يحدث هذا؟!

ولكنه سُرْعانَ ما تكلَّم وقال لهم: اسمعوني، أنا جِئْتُكم من بلاد الغرب وهداني الله للإسلام، أين أنتم منذ عشرين وثلاثين سنة وأربعين سنة؟!

أين أنتم ومعكم هذا النور المبين؟! لماذا لا تقدموه لنا؟!

أنا ماتت أمي، وماتت أختي وأقاربي على غير الإسلام، فأين أنتم من هذا النور؟ لماذا لا تقدِّمُونه لنا في بلاد الغرب؟! "

إنَّ حَرْبَ الغرب للمسلمين وتشويههم، يمكن أن نَنْفذ من خلالها، لكن بشرط أن نُقَدِّم هذا الإسلام للناس حضارةً ليس لها بديل.

في عالم اليوم حضارة قابلة للانهيار؛ لأنها منهارة من الداخل، فالبديل ما هو؟

البديل لن يكون إلا بالإسلام؛ لأنه – فعلًا – دِينُ الله الذي ارتضاهُ، دينُ العبودية للواحد القهار، دين السعادة للإنسان في الدنيا وفي الآخرة.

وهو – واللهِ – لَدَوْرٌ عظيم بالنسبة لنا نحن المسلمين، يجب أن يُنَبِّه له العلماء والدعاة ورجال الصحوة وطلاب العلم، وكلُّ مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة يدرك ويعلم أنه على ثَغْرة من ثغور الإسلام.

فاللهَ اللهَ أن يؤتى الإسلام من قِبَلِك في ظل عولمةٍ طاغية لا تَرْحم.

أسأل الله تعالى أن يُعِزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأنْ يجعلنا من أنصار هذا الدين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحتويات

الموضوع الصفحة

مقدمة ....

تعريف العولمة ....

خطـــــــورة العولمـــــــة فـــــــي واقعنـــــــا المعاصـــــــر ....

العولمة وأذرعها الخمسة ....

الأول : الذراع العسكري ....

الثاني : الذراع السياسي ....

الثالث : الذراع الاقتصادي ....

الرابع : التقني العلمي ....

الخامس : العقدي والثقافي والفكري ....
آثَارُ العَوْلَمة في الجَانِب العَقَدي والثَّقافي والفِكْري ....
1- الانْحِراف العَقَدي ....
2 - الانْحِراف في النُّظُم والتَّشْرِيع ....
3- الانْحِراف الأَخْلاقِي ....
العَوْلَمة والدَّعَوات البَاطِلة ....
دعوى " حقوق الإنسان " ....
دعوى " تقارب الأديان العالمية " ....
مؤْقِف المجتمعات مِنْ هَذِهِ العَوْلَمَة؟! ....
الطَّرْحُ المُعاصِر " اسْتِسْلام المَغْلُوب "!! ....
مَوَاقِفُنا تِجاهَ " العَوْلَمَة " ....
المحتويات ....

(1) يُقْصَد : حرب (5 / يونيو / 1967) .

(2) مجموع الفتاوى(300/16) ، ودرء التعارض(345/3) .

(3) [صحيح] أخرجه أحمد [176/2]، والدارمي [126/1]، وابن أبي شيبة في المصنف [2 /47/ 153] وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة [4/33/1] .

(4) [صحيح] أخرجه أحمد في المسند (4 / 103) ، والحاكم في المستدرك (4/ 477) وغيرهما من حديث تميم الداري رضي الله عنه ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي بقوله : على شرط البخاري ومسلم .

================

#تجميل الإرهاب الهندوسي والتحريض ضد باكستان

شهدت القاهرة مؤخراً حملة تحريضية ضد باكستان تحت ستار المواجهة المشتركة للإرهاب بين القاهرة ودلهي على حساب العلاقات المصرية الباكستانية، والعربية الباكستانية بزعم أن باكستان تؤوي قيادات القاعدة وعناصر طالبان وتدعم الجماعات الكشميرية التي تصفها الهند بأنها جماعات إرهابية.

الوفد الهندي عقد في نهاية جولته مؤتمراً صحفياً وأعد أوراقاً تطفح تزييفاً للحقائق بشأن الصراع مع باكستان، فضلاً عن التحريض ضد المصالح الباكستانية في القاهرة، إلا أن المؤتمر انقلب رأساً على عقب وواجه الوفد الهندي هجوماً حاداً بدأ عندما سألهم أحد الصحفيين عما سيكتبه عن هذه الجولة والغرض منها، وما إذا كانت الهند تطلب تأييد مصر وشعب مصر المسلم ضد باكستان المسلمة؟! من أجل دولة "الهند" التي لا تحترم حقوق الإنسان في كشمير أو داخل أراضيها كما أنها لا تحترم المواثيق الدولية ولا قرارات مجلس الأمن وتزعم علانية أنها قرارات غير صالحة للتطبيق، كما أنها لا تحترم الوساطة الدولية ولا تقبل بها، وتستغل الأوضاع الدولية الراهنة بشكل سيئ للغاية من أجل تحقيق مكاسب على حساب دولة أخرى وشعب مظلوم!!

كما تساءلت م التي حضرت المؤتمر الصحفي عن نية الحكومة الهندية بشأن بناء المسجد البابري في ظل تصريحات رئيس الوزراء يوم 29-1-2002 بأنه يريد بناء المعبد الهندوسي في إيوديا لاسترضاء المجلس الهندوسي الأعلى، وعن استعدادات حكومة فاجبائي لاتخاذ خطوات ضد المليشيات الهندوسية المتطرفة والمسلحة التي تتهدد الأقليات بالهند وبخاصة المسلمون وترفع شعار "الهند للهندوس فقط"، وسر التقارب بين حزبي فاجبائي الهندوسي المتطرف وحزب شارون الصهيوني المتعصب واستعدادهما للتحالف معاً ضد العالم الإسلامي، وتصريحات شيمون بيريز وزير الخارجية الصهيوني في الهند بأن إسرائيل والهند تنظران إلى القضايا والأوضاع الراهنة بعين واحدة، وحول موقف الحكومة الهندية من معسكرات التدريب الهندوسية المتطرفة المتمركزة في مدن جاسيلمر وجوت يور، وجاكور، وبيكاثور وغيرها والتي تصدر إرهابها إلى باكستان عبر ولاية راجستان الحدودية، وإصرار الهند على استبعاد أي محاولات سلمية من جانب منظمة المؤتمر الإسلامي حول تدهور الأوضاع في كشمير، وكيف ترغم الهند كشمير على الانضمام إليها قسراً رغم رفض أهلها ومقاومتهم لذلك طيلة نصف قرن؟

كما شن مندوب قناة المعلومات العربية على الإنترنت "محيط" هجوماً حاداً على سياسات الهند في كشمير وانتهاكات حقوق الإنسان، وأشار إلى إدانة منظمات حقوق

الإنسان العاملة داخل الهند نفسها للانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان في كشمير من قتل وحرق وتدمير وحبس وتشريد وتجويع أكثر من 7 ملايين من أهالي كشمير.
وحذر زكريا نيل نائب رئيس تحرير صحيفة "الأهرام" من خطورة ارتماء الهند في أحضان الكيان الصهيوني وتجاهل المشاعر العربية والإسلامية والتضحية بمصالحها التي تفوق ما تحققه من مكاسب معه عشرات الأضعاف، وهاجم مندوبو صحيفتي العربي والوفد وبعض الصحف الإسلامية الموقف الهندي والردود غير المقنعة على تساؤلاتهم، الأمر الذي أدى إلى تصاعد التوتر وسخونة الحوار حتى خرج رئيس الوفد عن شعوره وانفعل أكثر من مرة. وقد حاولت المستشارة الإعلامية لسفارة الهند بالقاهرة حجب فرصة طرح الأسئلة عن عدد من الصحفيين المتحفزين، الأمر الذي أشعل الموقف وأثار الاحتجاج بين الصحفيين، مما حدا بالقائمين على المؤتمر الصحفي للمسارعة بإنهائه خوفاً من المزيد من الهجوم والانتقاد، وبعد أن ظهرت النتيجة العكسية للمؤتمر الذي كانوا يؤملون في أن يروجوا من خلاله لموقفهم المناوئ لباكستان، واستغلال الموقف الدولي المعادي للإسلام بزعم محاربة الإرهاب.
ضم الوفد الهندي وزير الخارجية الأسبق لال بهاتيا ورئيس وزراء ولاية دلهي الأسبق د. صاحب سينج فيرما من حزب باراتيا جناتا الهندوسي إلى جانب عضوين مسلمين هما سيد شاهد مهدي نائب رئيس جامعة الجمعية الملية الإسلامية بنيودلهي، وعبد الصمد صمداني عضو برلماني عن حزب الرابطة الإسلامية، وقد قام الوفد بجولة في القاهرة استمرت ثلاثة أيام التقى خلالها عدداً من كبار المسؤولين وعدداً من قيادات الفكر والمثقفين والسياسيين، وجاءت الزيارة رداً على زيارة مبعوث باكستاني للقاهرة قبل أيام من مجيء الوفد الهندي.

جولة ساخنة

وفي جامعة القاهرة واجه الوفد الهندي انتقادات حادة حول موقف حكومته من كشمير والصراع مع باكستان والتحالف مع إسرائيل ضد مصالح العرب والمسلمين في المنطقة، خاصة بعد أن زعم الوفد البرلماني أحقية الهند في كامل الأراضي الكشميرية. وقد وجه الوفد الهندي انتقادات حادة لباكستان بأنها عجزت عن إيجاد بنية دستورية سليمة وأن مخابراتها العسكرية ارتبطت بطالبان ونظام القاعدة في

أفغانستان، ونهجت نفس الأسلوب في إدارة صراعها مع الهند، زاعماً أن العلاقة بين باكستان ونظام القاعدة لم تنقطع حتى هذه اللحظة، وادعى أن مصر تدرك هذه المعلومات تماماً ولا بد من التعاون معاً للوقوف في وجه الإرهاب أياً كان مصدره!.

باكستان مثل إسرائيل!

الغريب أن سيد شاهد مهدي عضو البرلمان الهندي المسلم اتهم باكستان بأنها دولة عنصرية متطرفة قامت على أساس الدين مثل إسرائيل تماماً! مؤكداً أن المسلمين في الهند لن يدعموا دولة ترعى الإرهاب مثل باكستان وأنهم فخورون بانتمائهم لدولة علمانية ديمقراطية مثل الهند.

وانتقد الدكتور محمد سعيد أبو عمود أستاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان التركيز الواضح في الإعلام الهندي والعالمي على الإرهاب الذي يزعمون أن وراءه مسلمين، في الوقت الذي تتنامى فيه ظاهرة الإرهاب الهندوسي بصورة أخطر بكثير وهو إرهاب قائم بالفعل يتجسد في قضية المسجد البابري، كما أن هناك جماعات هندية أخرى تمارس الإرهاب ضد الدولة، ولكن الأمر لا يلقى أي اهتمام كاف ويتم التركيز على المسلمين.

كما طالب الدكتور محمد سيد سليم مدير مركز الدراسات السياسية ومنسق الندوة الهند بعدم إغفال قرارات الأمم المتحدة بشأن قضية كشمير وعدم مجاراة الحكومة الصهيونية بانتهاكها لقرارات مجلس الأمن بشان القضية الفلسطينية، وقال إنه يتعين على الهند أن توازن علاقاتها حتى لا تفقد مصالحها في المنطقة العربية وقال إن مصر تربطها بالجارتين النوويتين علاقات طيبة ولا يقبل الشارع العربي عامة والمصري بصفة خاصة إية إساءة من جانب الهند إلى جارتها المسلمة باكستان.

مواجهات ساخنة بين القاعة والمنصة

ووجهت القاعة إلى المنصة الهندية أسئلة من العيار الثقيل حول موقف رئيس الوزراء الهندي من هدم مسجد البابري والتصريح برغبته في بناء المعبد على أنقاض المسجد، وحول سر إصرار الهند على التمسك بكشمير رغم كفاح شعبها على مدى نصف قرن ضد الوجود الهندي رغم ادعائها الديمقراطية، وأن مصالح الهند مع العرب وليست مع تل أبيب، وأسباب تضحية الهند بحوالي 60% من تجارتها

الخارجية مع العرب لصالح الكيان الصهيوني وأسباب اتهام الهند المستمر لباكستان دون دليل عقب حدوث أي عمليات داخل الهند، في حين توجد أكثر من عشرين جماعة انفصالية ومليشيات مسلحة داخل الهند.

وجاءت ردود الوفد الهندي بأن الموقف الهندي ضد ممارسات إسرائيل في المنطقة وضد العدوان على السلطة الفلسطينية وأنها تعترف بأن عرفات هو الرئيس الشرعي لدولة فلسطين وأنه لا بد من السماح بقيام الدولة الفلسطينية وإيقاف العنف الإسرائيلي. وأكدوا أن قضية المسجد البابري مازالت منظورة أمام القضاء، وبرروا تصريحات فاجبائي بأنه تعرض لضغوط شديدة من جانب المجلس الهندوسي الأعلى بشان المعبد الهندوسي.

وبخصوص الموقف المتوتر مع باكستان أكد الوفد أنه في حال تقديم باكستان إجراءات فعالة ضد من سماهم الإرهابيين في كشمير وتسليم المطلوبين إلى الهند فساعتها يمكن أن تجلس الهند معها لتسوية الخلافات دون تدخل طرف ثالث وفقاً لاتفاقية شملا وإعلان لاهور، بعيداً عن قرارات الأمم المتحدة التي لم تعد صالحة وأصبحت خارج نطاق الزمن حسب قوله.=>

================

#هدف التعليم في الإسلام..
بناء الإنسان الصالح في كل وظائف الحياة

م تسبر مع الدكتور مصطفى سيريتش أغوار فلسفة التعليم في الإسلام (1)

تمثل قضية التعليم وفلسفته أحد الشواغل المهمة للمهتمين بأمر الأمة، خاصة في مراحل الضعف والوهن؛ إذ إن التربية والتعليم مقومان أساسيان في عملية بناء النهضة. حول فلسفة التعليم الإسلامي والفارق بينه وبين التعليم الغربي كان هذا الحوار مع الدكتور مصطفى سيريتش رئيس علماء البوسنة والهرسك، وهو مربٍ ورجل تعليم من الطراز الأول.

وسط صيحات تنادي بالاهتمام بالتعليم وتحسين المناهج الدراسية، وغير ذلك، ومن موقعكم كرجل تعليم وممثل لأعلى الهرم الديني في البوسنة، ودراستكم المتنوعة في

الأزهر، ثم في الولايات المتحدة، وهو ما أتاح لكم التعرف على الفلسفتين الإسلامية والغربية في التعليم، كيف تنظرون إلى هذه القضية الحساسة؟

<< أشكركم على هذا السؤال المهم. أعتقد أن أولويات المسلمين في هذا القرن، وفي هذا الظرف هي التربية والتعليم، فبدون التربية لا يؤدي التعليم أهدافه السامية وبدون التعليم لا نحصل على التربية المرجوة، وهي تربية تستمد معالمها وفلسفتها من القيم والشريعة الإسلامية، فهذان الصنوان مرتبطان ببعضهما البعض في فلسفة التربية الإسلامية، وهما مرتبطان شكلاً ومعنى أو شكلاً ومضموناً، فالتعليم هو الشكل أو القالب أو الإطار والتربية هي الروح، والتربية بالنسبة للتعليم بمثابة الروح للجسد، وهو نظام كوني رباني، فبالشكل نعرف ماهية الأشياء وبالروح نعرف غاياتها وأهدافها، فالشخص الخاضع لعملية التربية والتعليم والممارس لها يجب أن تكون فيه هاتان الخاصتان.

نحن الآن نحتاج لتعريف التربية والتعليم من جديد، أو قل إحياء التعريفات الإسلامية التي تعنى بماهية الأشياء والأمور وكيفياتها وغاياتها، وهي تتفوق على كل التعريفات من الناحيتين العلمية والحضارية، فالهدف من التعليم في العهد الرومي القديم كان إنتاج الإنسان أو المواطن المطيع للدولة، أو الذي يؤدي واجباته نحو الدولة، وهذا المواطن في التعريف الروماني القديم هو الإنسان المتمدن. أما في المفهوم الاسلامي فهو الإنسان الصالح الذي يخدم المجتمع، الذي يجب أن تغلب عليه سيماء الصلاح لأن الصلاح الفردي لا يؤدي الغرض المطلوب؛ ولذلك فإن صلاح الدولة شرط لصلاح المجتمع، ولتفعيل القرآن ومن هذا المنظور نفهم قول عثمان رضي الله عنه "يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" أي أن الدولة أقدر على تفعيل قيم الإسلام بما لديها من صلاحيات توفرها السلطة من فرد أو مجموعة من الناس، ولاسيما في المجال التعليمي. وللأسف فإن المفهوم الروماني هو السائد في المنظومة التعليمية الغربية الذي استوحت منها الدول الإسلامية فلسفتها التعليمية الخالية من أخلاقية العلم أو المقاصد الإنسانية النبيلة. لقد أدت المنظومة التعليمية الغربية بالمجتمعات التي اعتمدتها أو حاكتها إلى الفردية، فالهم الأول للإنسان هو نفسه وحقوقه كفرد يسعى وراء مصلحته الشخصية إلى جانب كونه الشخص الذي يتصرف في المجتمع

حسب القواعد الاجتماعية التي بنيت على فلسفة الحرية الشخصية التي لا تعرف هدياً ولا أخلاقاً إلا ما رسمه القانون الذي يعتبر الانسان ملك نفسه، وتصرفاته الشخصية لا علاقة لها بوظيفته أو مهنته أو مكانته الاجتماعية.

ونحن إذا نظرنا إلى التعريفين الإسلامي والغربي في إطار مفهوم التعليم والتربية نجد الغرب يهمل التربية والبناء الأخلاقي للإنسان، في حين يركز الإسلام على الإنسان من داخله فلا يجعله عقلاً محضاً ولا وجداناً محضاً بل يوفق بينهما في بناء حضاري عظيم. الإنسان في الإسلام لا يملك نفسه بل هو ملك لخالقه، ولا يمكن أن يتصرف إلا وفق ضوابط، من الحدود التي لا تقيد الإنسان، وإنما تحد من اندفاعه وهي بمثابة مكابح لشهواته المختلفة من أجل سعادته وسلامة المجتمع، ونحن نرى ماذا صنعت الحرية المطلقة في العالم من أمراض ومآسٍ وجرائم وانحدار على كافة الأصعدة.

ما تعريف الإنسان الصالح، وكيف يمكن تجسيد النموذج الحضاري الإسلامي من خلال منهج للتربية والتعليم؟

<< السؤال المطروح هو هل هدفنا من طرح قضية التربية والتعليم هو تقريب المفهوم الإسلامي من النموذج الغربي، أم جعل مفهوم التربية والتعليم في الإسلام أنموذجاً لمجتمعاتنا أولاً ثم للمجتمعات الأخرى؟ هذا تحدٍّ بدون شك، ونستطيع أن نصل إلى هدفنا في التبشير بضرورة إنفاذ النموذج الإسلامي في حالة استطعنا أن نفصح عن مفهوم التربية والتعليم في النموذج الإسلامي ونترجمه إلى نماذج حية واضحة. أولاً: قدرتنا على إعداد المناهج. ثانياً: قدرتنا على إنتاج الإنسان الصالح فعلاً. ثالثاً: قدرتنا على بناء مجتمع صالح. ورابعاً: الوصول إلى مستوى من الإشعاع يمكن الآخرين من إدراك صواب نموذجنا في إعداد الإنسان الصالح ومن ثم المجتمع والدولة، ومعنى صالح أي غير فاسد بالمعنى المطلق للكلمة ومعنى صالح أي خير والخير ضد الشرير، وصالح بمعنى منظم في حياته وعلاقاته وهو عكس الفوضوي . والإنسان الصالح مقابل الكامل من الجهة الأخرى فهو في منزلة بين منزلتين، فالإنسان الكامل غير موجود إلا في ترهات الصوفية، والفاسد هو الذي أنتجته العلمانية الغرورة. الإنسان الصالح هو الذي يعرف قدر نفسه ويعرف واجباته نحو

عائلته ومجتمعه وأمته، فهو صالح في نفسه ومحيطه وقطره وأمته والإنسانية، وقبل كل ذلك صالح في علاقاته مع ربه سبحانه وتعالى.

الإنسان الصالح هدف التربية والتعليم في المفهوم الإسلامي. ولنا أن نسأل أنفسنا: ماذا فعلنا في هذا المجال؟ ولأن معنى إنسان صالح له علاقة بالإيمان فإن القرآن الذي هو أعظم كتاب تربية عرفته البشرية على الإطلاق، قرن العلم بالعمل والسلوك إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات (العصر:3) ومعناه أن الإيمان غير مقبول أو غير كامل بدون عمل صالح، وكذلك العمل لا يكون مقبولاً بدون إيمان. ولا يكفي ذلك بل يجب التواصي بين المؤمنين بذلك وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (3) (العصر). وهذه مهمة الأجيال منذ فجر الرسالة وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، ولذلك أقسم الله بالعصر وختم بالصبر لأن القضية تحتاج لثبات واستمرارية وكل ذلك يتطلب شجاعة وصبراً. نحن نعرف أن بعض النظم فاسد وهي كذلك لأن رموزها لم يتلقوا تربية تؤهلهم لأن يكونوا أناساً صالحين ومن ثم حكاماً صالحين وهذا تحدٍّ آخر: كيف يمكن أن نربي الطفل المسلم في مختلف مراحل حياته التعليمية والمهنية ليكون صالحاً وهو حاكم أو تاجر أو موظف أو عالم ويكون أسوة للآخرين. إن العصر الذي سبق الإسلام يسمى بالعصر الجاهلي، فلماذا لم يسموه العصر الكافر أو الملحد أو عصر الشرك رغم اجتماع كل تلك العناصر فيه؟.وأنا أجيب بالقول إن معنى هذا أن الشرك والكفر والالحاد جهل وأن الإسلام هو العلم وأن كل علم صحيح هو من الإسلام لأنه يعرف بحقيقة كونية، والإسلام كلمة الله الخاتمة جاء ليعرف الناس بحقيقة الكون ورب الكون، وليعلم الناس بل كل فرد وأولهم الرسول ص " فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك.(محمد: 19). لقد سوى بعض المفسرين والمحدثين والفقهاء بين الإيمان والعلم، فكل مؤمن عالم والعلم درجات هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (الزمر:9)، معنى هذا أن الإيمان يساوي العلم؛ والكفر والشرك يساويان الجهل حتى وإن ادعى مدعٍ غير ذلك، وهناك علمٌ ظاهرٌ من الحياة الدنيا، أي من الظواهر الطبيعية، أي أن العالم لم يعلم من حقائق الكون إلا شيئاً بسيطا وما أوتيتم من العلم إلا قليلا 85(الإسراء) وأمام العلماء المؤمنين في كل تخصص مهمة صياغة منهج إسلامي للتعليم والتربية، واضعين نصب أعينهم تلك

الدرجة التي تنتظرهم يوم القيامة "مداد العلماء يوازي يوم القيامة مداد الشهداء". ومعروف أن الشهيد يبذل دمه وروحه في سبيل الله، والعالم يبذل مداده ووقته في البحث والتنقيب وتربية الأجيال بل وتربية الشهداء أنفسهم، لأن الذي حملهم على ما فعلوا هو العلم بمنزلة الشهداء عند الله تعالى. فإذا كان لك قلم تدافع به عن الإسلام وتوضح تعاليمه فأنت مجاهد بقلمك وعلمك. معنى هذا تفعيل الإيمان من خلال توظيف معرفتك لخدمته بدافع منه بعد أن وقر في قلبك. ونصرة الإسلام تحتاج إلى تعليم وتحتاج إلى تربية وخلق.

في ثنايا حديثكم تطرقتم للمفهوم الغربي للتربية والتعليم الذي يمكن الاستفادة من بعض جوانبه، الأمر الآخر هناك من يقول إن الإنسان المسلم مكبل، وفي حاجة إلى نوع من التعليم يحرره. فهل هناك علاقة بين الحرية والتعليم؟

<< نحن المسلمين يجب أن نعرف ما معنى الحرية، ومم نتحرر، لقد حررتنا كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من كل الآلهة المزيفة: من عبادة الأشخاص، وتقديس المخلوقين، من عبادة المال والشهوات، من عبادة ذواتنا. أما الذين يريدون التحرر من الحدود الشرعية فهم في الحقيقة يقعون في العبودية الحقيقية وهي عبادة الشهوات إذا كانت هي الدافع، وعبادة المال إذا كان هو الهدف، والتقليد إذا كان منافياً لطبيعة الاسلام. فالمسلمون عباد لله فقط، فلا عبودية للإنسان ولا للناس ولا للدولة ولا لأي أجهزة، بل إن جميع هؤلاء مدعوون جميعاً ليكونوا عبيداً لله ولذلك خلقهم وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون 56 (الذاريات). لا يمكن أن يكون الإنسان حراً عندما يتمرد على خالقه بل الحرية كل الحرية عندما يطيع أوامره. ولا يمكن أن يكون حراً وهو يطيع هواه وشهواته وأسياده. فالمسلم يمارس حريته التي لا تتعارض مع صحته أو صحة المجتمع، والمسلم يمارس حريته حتى وإن سجن وعذب ومنع من الكلام والتعبير فهو مع ذلك يواصل جهاده. لكن المستعبد هو الذي يسكته رغيف الخبز ودراهم معدودات أو الخوف والوجل.

لعل مصطلح الحرية رافق حركة التنوير في أوروبا عندما كانت الكنيسة مسيطرة على الحياة بكل مظاهرها؟

<< صحيح في القرون الوسطى كانت هناك عبودية، وكان هناك نظام الأقنان، وكان العمال ملكاً للإقطاع، وهذا غير موجود في الإسلام فهو أول من دعا لتحرير العبيد بناء على الأوامر الإلهية، وجعلها قربات لله سبحانه وتعالى. وعمل النبي ص على التخلص من نظام العبيد تدريجياً حسب النظام الإلهي فسوى بين الناس جميعاً أمام الأوامر الشرعية، بحكم أنهم جميعاً أبناء آدم، ثم طلب أن يطعَم الموالي وليس العبيد ويسكنون ويلبسون على قدر المساواة مع بقية المسلمين. وبالتالي فالحرية والعبودية ليستا مشكلتنا بل مشكلة الحضارة الغربية.

العبودية عرفت أبشع أشكالها في التاريخ الغربي وفي القرون الوسطى وما قبلها وحتى ما بعدها حيث استعبد الغرب الشعوب المستعمرة في إفريقيا وآسيا، وكان الناس في حاجة لتحرير. وعندما استطاع الغرب هزيمة الكنيسة التي استعبدت الملايين كتب في دساتيره كلمة "يولد الإنسان حراً" وكأنهم لم يكونوا يعرفون ذلك من قبل، بينما المسلمون يدركون ذلك منذ زمن بعيد.. حتى من قبل أن يقول عمر بن الخطاب "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"؟.

هناك خلط بين المفهوم الغربي للحرية، والمفهوم الإسلامي.. كيف توضحون الفوارق بين المفهومين؟

<< ما معنى الحرية في الحضارة الغربية؟ معنى الحرية عندهم: الاختيار الحر، أي أنت حر فيما تختاره، سياسياً، اجتماعياً، اقتصادياً، أخلاقياً وكل شيء. ونحن إذا عدنا لتاريخنا الإسلامي وإلى علمائنا وسلفنا الصالح لا نجدهم يستخدمون مصطلح الحرية الغربية وإنما كانوا يستخدمون مفردات الحلال والحرام والخير والشر. ففي الإسلام ليس لك خيار في أن تقتل نفسك وليس لك حرية في أن تمارس فعل قوم لوط وتقنينه، فكل هذا وغيره شر وليس لك اختيار الشر في المفهوم الإسلامي، الشر المنصوص عليه شرعاً والمتفق عليه إجماعاً، ليس لك الحرية في أن تضر نفسك أو تلحق الضرر بالآخرين، ليس لك الحق في أن تقتل المسلمين في سريبرينتسا، وليس لك الحرية في تأسيس حزب فاشي في إيطاليا أو نازي في ألمانيا، أو تغتصب أراضي الفلسطينيين وتقيم عليها دولة صهيونية. وليس لك الحرية في أن تروع جيرانك وتقتل الناس بالجملة. ولكن لك مطلق الحرية في التعبير عن رأيك في

الحاكم وفي سياسات الدولة، وفي اختيار من يتولى شؤون الشعب، وفي محاربة الفساد الإداري والسياسي، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومتاح لك فعل الخير بما ينفعك وينفع الناس والبيئة والإنسانية، وهذا هو مفهوم الحرية الذي يجب أن يعلم لأبنائنا في المدارس بدل المواثيق الدولية التي تعرف منها وتتكر، يعلم لأبنائنا ليكونوا نموذجاً صالحاً لمنهج التربية والتعليم الاسلامي، وأدعو المفكرين المسلمين من منبر مجلة المجتمع أن يولوا هذا الموضوع جانباً كبيراً من اهتماماتهم لأنه مدار رفعة الأمة أو انحطاطها لا قدر الله.

يقول روسو في كتابه العقد الاجتماعي "ولد الإنسان حرا فما باله مكبل بالسلاسل" ما السلاسل التي كانت تكبل الأحرار في المجتمع الغربي، وهل في العالم الإسلامي مثل تلك السلاسل التي تعيق النهوض؟

<< تمثل العلمانية في عالمنا الإسلامي كنيسة من النوع الذي ثارت عليه أوروبا في القرون الوسطى، فهي التي تمارس القمع والاضطهاد، واستعباد الناس ومصادرة الفكر المخالف ومحاربته وسجن الأحرار وقتلهم، وهذا ما كانت الكنيسة تفعله، لقد تحررت أوروبا من الكنيسة، وغرقت في مباذلها، لكن العالم الإسلامي سقط في يد كنيسة علمانية حولته لقرون وسطى علمانية، فهي لم تقدم حتى الحرية التي يتمتع بها الغرب على علاتها فضلا عن النهضة الصناعية والديمقراطية. كما يشكو العالم الاسلامي من نزعة القومية المتطرفة والتقاليد التي لا علاقة لها بالإسلام، وهذا في نظري من بقايا الجاهلية في نفوس الأجيال يجب أن نتحرر منها، هناك جاهليات تمثلها الدعوات القومية والقطرية الضيقة وغيرها من الجاهليات التي ينبغي أن نتجاوزها بإسلامنا بمفهوم أرقى وأرفع. ولا يعني ذلك أن يتنكر البعض لقوميته أو قطريته وإنما يجعلها في مرتبة أدنى من الانتماء الأسمى والأوسع للإسلام. فالإسلام يجب أن يعلو ولا يعلى عليه. قد تعتبر ذلك مثالية ولكنها عقيدة لا يصلح ديننا بدونها، وهي ميزان إسلامنا.. فهل نحن مسلمون؟! وهذا ما يجب على التعليم الإسلامي أن يرسخه في العقول ويحقق هذه المعادلة وهو تحد كبير.

يركز البعض على التعليم، ما الذي يمكن أن يتحقق في حالة التمكين للنموذج الإسلامي في التعليم بمفهومه التربوي؟

<< إن النموذج الإسلامي الذي حلم به الرواد، ويعمل من أجله المصلحون ووضع المفكرون الإسلاميون منهجه من شأنه في حالة التمكين له أن يغير الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين في الغرب، بعد فشل المناهج السائدة في تكوين الإنسان كإنسان فضلاً عن أن نضيف كلمة مسلم أو متحضر له، كل الموبقات الفكرية والسياسية والاجتماعية السائدة في العالم الإسلامي هي نتاج لمجتمعات بدون إسلام أو ضعف فيها الوازع الديني فضلاً عن التعليم والتربية الإسلامية المقصاة أو التي وضعت في زاوية ضيقة. فالتعليم أداة جبارة لتحقيق جزء مهم من المشروع الإسلامي. ويعتبر الاستبداد الذي تمارسه بعض الحكومات أكبر معوق لنهضة المشروع الإسلامي الحضاري ولا أقول السياسي حتى لا أُفهم خطأ. ماذا على الحكومات لو سمعت لكل الأصوات وغربلت الآراء واتخذت الإسلام منهجاً وأفسحت لمنهج إسلامي تربوي في مدارسها؟ ومع ذلك أقول إن هناك هوامش يمكن استغلالها رغم البطش، ولنتذكر أن موسى عاش في بيت فرعون الذي لم يستطع الفرار من القدر ولم ينجه الحذر ولا الدماء التي سفكها أنهاراً؛ لأن العائلة المؤمنة اتخذت الأسباب وعملت بوصايا الله سبحانه. وقد تلجأ سلطات وقد فعلت إلى إخراج إسلام للناس وفق أهوائهم وخدمة لمصالحهم، ولكن مع ذلك لا نستبعد أن يخلفهم من يوحد الله في العقيدة والاقتصاد والسياسة والتعليم. كما لا نستبعد وليس ذلك على الله بعزيز أن يكون من بين الوزراء والمستشارين والبطانة من يستيقظ الإيمان في قلبه ويقول ربي الله. فهذا القرآن نزل بلسان عربي مبين ويتلى في أصقاع العالم بلغة واحدة دون تحريف أو تبديل، يتلوه العرب وغير العرب، وتلك من معجزات القرآن الذي جاء ليعلم الناس جميعاً. ولذلك يغار الأعداء ويغار المستشرقون لأن ليس لدينهم لغة واحدة في كتاب واحد يتعبد الناس بنصه الأصلي، فهم لذلك يطالبون بأن يتلى الأذان باللغات المحلية، ويُقرأ القرآن بمعزل عن نصه العربي، وهم مع كل ذلك يحاولون إخراج المسلمين من الإسلام ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء (النساء:89) فالأعداء يغارون من اللغة العربية ويحاولون هدم التعليم الإسلامي من خلال الدعوة للعامية أو إقامة الصلوات ورفع الأذان باللغات المحلية وهو حسد من عند أنفسهم وغيرة من الإسلام والعربية.

والعلمانية في العالم الإسلامي أقوى معاول الهدم في بنية الثقافة الاسلامية والتعليم الإسلامي واللغة العربية والحضارة الإسلامية عموماً، إنها ابنة غير شرعية للحضارة الغربية ولدت معاقة وتعيش على عكاكيز الغرب ودعائمه، وإذا ما تخلى عنها يوما فستسقط كما سقطت الأحزاب الشيوعية بسقوط العكاكيز السوفييتية.

في الحلقة الأولى من الحوار تحدث الدكتور مصطفي سيريتش رئيس علماء البوسنة عن الأولوية التي ينبغي إفرادها لقضية التربية والتعليم حتى يمكن تجسيد النموذج الحضاري الإسلامي .. كما أبان مزايا التمكين للنموذج الإسلامي في التعليم والذي يتميز كثيراً عن النموذج الغربي .. وفي هذه الحلقة "الثانية والأخيرة" من الحوار يتحدث د . سيريتش عن موقف الغرب من اللغة العربية والإسلام .. وارتباط التعليم بالتربية .. وإمكانية أحداث نقلة معرفية عبر مناهج التربية الإسلامية.

لماذا يُغار من اللغة العربية والإسلام؟

<< غيرة الغرب من قوة القرآن وعظمة الحضارة الإسلامية نابعة من كون الإسلام يملك حلولاً بديلة وفاعلة ويتمتع بمنظومة متكاملة في كل شيء تقريباً. فكل قضية أو مسألة تجد أطراً لها في الإسلام ويملك الإسلام إجابة عنها، فالإسلام كله معجزة والقرآن منها بمثابة القلب كما أن آية الكرسي قلب القرآن، وهي كذلك لأنها تحدثت عن عظمة الله بشكل معجز وعظيم لم يسبق إليه كتاب مقدس، ولن يكون مثله ما يضاهيه أبداً، لأنها من عند الله. ومن أحسن من الله قيلا؟! وكما أن الرسول ص أرسل للناس كافة فإن رسالته كذلك وهي الآن ملك للبشرية جمعاء، ولا نستطيع أن نعبر عن عالمية الإسلام إذا لم نستطع أن نربي أجيالاً متعلمة تكون النموذج المطلوب، فليس في مجتمعاتنا الآن ما يغري الغرب على فهم الإسلام بشكل يختلف عن حالنا وتصرفاتنا وطريقة تفكيرنا. وأتمنى أن يكون في العالم الإسلامي ولو على مستوى النخبة من يقتفي آثار ابن خلدون في فهم حركة التاريخ والاجتماع، فالحضارة تحافظ على قوتها ما دامت تنجب العلماء، وتمارس النقد الذاتي وتفرق بين الأصل والهامش والغث والسمين والمحاسن والمساوئ، وأن تتعرَّض الذات المسلمة سواء الفردية أو الجماعية أو الحضارية لعملية إفراغ وإملاء مستمرة كما كان النبي ص مع

صحابته حيث قال أحدهم "كان يفرغنا ويملؤنا" وأن لا تترك المجال لنقد الآخرين ومدحهم بل تنقد نفسها بنفسها. يجب أن نكتشف أخطاءنا بأنفسنا ونعلم أطفالنا ذلك. وهذا أفضل فالنقد يجب أن يكون سعياً للأفضل وليس مجرد جلد للذات. وحتى من يعمد لمدح حضارتنا ويتلهف البعض لما يقوله ويكتبه يجب ألا يمنعنا من عملية التنقية والإضافة لحضارتنا وجعل تلك العملية منهجاً للترقي والبحث عن الأفضل والأنجع، يجب غربلة التاريخ فنستفيد من النجاحات بالنسج على منوالها بوسائل عصرنا ونستفيد من الأخطاء بعدم تكرارها وما أدى إليها. وبهذا يصبح التراث وتصبح الحضارة لها مقومات البقاء. لذلك يجب ألا نخدع بنقد الحضارة الغربية على أيدي أساتذتها، فقد تستفيد تلك الحضارة من النقد فتقوم عوارها ولن يساهم النقد في سقوطها.

والسؤال هو: لو فرضنا جدلاً أن الحضارة الغربية قد سقطت اليوم فهل نحن الوارثون بما نحن عليه؟ هل ما نحن فيه يمثل البديل؟. العالم الاسلامي اليوم جمع بين صورتين مشوهتين ممتزجتين صورة الإسلام وصورة الحضارة الغربية فلا هو عالم إسلامي ولا هو صورة حقيقية لما في الغرب بخيره وشره على حد قول طه حسين.

يقول محمد اقبال في معرض إشارته إلى خطورة التعليم ودوره في كسب المعارك السياسية والاجتماعية وغيرها "يا لبلادة فرعون لو أنه بنى المدارس لما تعرض للخزي وسوء الأحدوثة في التاريخ" فالتعليم كما يفسره إقبال سلاح ذو حدين يستخدم في النهضة ويمكن أن يستخدم الانحطاط؟

<< هذا صحيح ولذلك تسعى جهات عدة لتغيير المناهج في العالم الإسلامي ولكن للأسوأ، ليفقد المسلمون ذاكرتهم، وتحرف عقيدتهم، ويشوه تاريخهم.. وهي سياسات واستراتيجيات ضد مفهوم التعليم ذاته. فالتعليم معناه التعمق والتوسع في فهم الأشياء وما حولنا والتاريخ والحضارة والمستقبل من خلال الاستشراف الجماعي داخل مراكز البحوث. ولكن المطلوب من العالم الإسلامي حجب المعلومات، وتجهيل الأجيال بدينها وتاريخها وتبييض صورة أعدائها من خلال التعليم، بالإضافة إلى تغييب الغائية من كل شيء. المناهج في العالم الإسلامي حالياً غير قادرة على تكوين

الإنسان الصالح بمفهومه الحضاري المعاصر، المفهوم المضيف وليس النقيض، فالأصل العقائدي يجب أن يكون الإطار الذي يستقبل التكوين المهني والتحصيل العلمي ويجعله في خدمة الأصل، من حيث تجنب الشر كما يتجنب الأعزل عرين الأسد.

يقول البعض إنه يفضل أن يتلقى ابنه تعليماً راقياً من وجهة نظره حتى ولو أثر ذلك على ضعف تكوينه الديني، في حين هناك من يفضل أن يتلقى ابنه تعليماً دينياً وإن كان التحصيل العلمي أقل.

<< لا فائدة ترجى من علم بلا تربية أو تربية بدون علم. ولا يمكن الطيران إلا بالجناحين العلم والتربية وإلا فسنبقى مهيضي الجناحين. لقد غر البعض ما حققه الغرب، وهو شيء عظيم بلا أدنى شك، ولكن دون إدراك لاختلاف السياق التاريخي الغربي عن سياق حضارتنا التي بنيت على القيم، ولا يمكن أن ننهض إلا على هذا الأساس، ولا يمكن لبنيان أن يقوم على أسس حضارة أخرى.

كما لا يمكن الانتماء لحضارة بمجرد استخدام أدواتها أو تبني مظاهرها كنوعية التفكير والسلوك باسم مقولة الحضارة الإنسانية حيث إن الحضارة الإنسانية هي مجموعة الحضارات لأمم شتى ولا توجد حضارة واحدة توصف بالحضارة الإنسانية إلا ما يدعيه بعض الغربيين الذين يحاولون عبثاً إلغاء التاريخ وجعل التاريخ الغربي هو تاريخ الحضارة الإنسانية، وهذا اختزال وإسقاط وتزوير. خطورة بعض المناهج أنه يحاول تشكيل ثقافة معينة لتدارك ما فات فرعون فعله في مقولة إقبال التي ذكرتها آنفاً.

قد يسهب البعض في الحديث عن التعليم والتربية، وقد يقول قائل إن التربية هي في نهاية المطاف تعليم، وإن هناك من تلقى تعليماً دينياً، ولكنه غير متدين انظر المستشرقين مثلاً، فهم يعرفون عن التربية والفقه والسيرة الكثير لكنهم لم يسلموا أو لم يسلم معظمهم، ما التربية؟

<< أرسطو كان على حق عندما قال "معرفة الله تجعل الإنسان مؤدباً" ومعرفة الله لا تأتي بالتعلم فقط بل بالأسوة الحسنة وتعويد الإنسان منذ نعومة أظافره على التفكير في عظمة الله، والتفكير العميق والذكر والتدبر المستمر، هذه هي التربية الحقيقية،

وتلقين الحلال والحرام بأسلوب الترغيب والترهيب وحب الله قبل كل شيء هي التربية. لقد بلغ النبي ص كمال المعرفة ولذلك خاطبه الله سبحانه بقوله "وإنك لعلى" خلق عظيم (4) (نون)، عندما تحب الله من كل قلبك ويكون أحب إليك من كل شيء فأنت على قدر عظيم من التربية. إذا أحب الإنسان خالقه أطاعه في كل شيء وإذا خافه تجنب معاصيه، وخالق الناس بخلق حسن وتلك التربية. نحن عرفنا من خلال قراءتنا للتاريخ أن الناس عرفوا الشر ولكنهم مارسوه فليس العلم بالشيء من حيث هو خير أو شر يجعل المرء يطلب الأول ويتجنب الثاني. فجميع الناس بمن فيهم اليهود يعلمون أن ما يحصل في فلسطين ظلم واضطهاد وعنصرية مقيتة. والعالم يعلم أن ما حصل في سريبرينتسا كان إبادة حقيقية، وأن جهات عديدة شاركت فيها بمستويات مختلفة، وربما كان ولا يزال اليهود والصرب والروس في الشيشان والهندوس في كشمير يعلمون أنهم بقتلهم البشر يمارسون الشر، ولكن علمهم بذلك لم يمنعهم من ممارسته، مما يكشف عن خلل كبير في التربية أو أنهم يفتقدون التربية. ونستطيع القول إن العلم مع التربية يساوي المعرفة الحقيقية، فالمعرفة ذات بعد فلسفي تربوي وليست مجرد العلم بالشيء وقوانينه ونفعه وضره. إن ذلك ما تمتاز به فلسفة التعليم الإسلامي، الذي يحتاج إلى المزيد من الإثراء والصياغة والبحث وتقديم الطروحات بشأنه. وأنا أدعو المفكرين والمربين المسلمين إلى صياغة نظرية لمفهوم التعليم الإسلامي ومحاولة التأثير في السياسات (التربوية) السائدة وإقامة المدارس والمعاهد والكليات الحرة. وليس من المعقول أن نقف مكتوفي الأيدي أمام الهجمات المختلفة، حتى إننا نرى أفراداً أقاموا مشاريع تعليمية وإعلامية، في حين أن حركات زاخرة بالطاقات لا تملك ذلك!

منهج التربية الإسلامية الذي يبشر به الدعاة والمفكرون، هل هو قادر على إحداث النقلة المعرفية المطلوبة؟

<< المدارس وحدها لا تكفي. الإسلام منهج حياة، وإن كان يملك منهجاً تربوياً لأسلمة العلم حتى يكون معرفة حقيقية فإنه لا يأتي ثماره المرجوة إلا إذا أسلمت الحياة كلها من حيث إن الإسلام منهج حياة في البيت والمدرسة والشارع والسوق والحكم. فليست المدرسة أو الجامعة هي المؤسسة الوحيدة التي تربي أولادنا، بل

البيت وأعني به الأسرة والتلفاز ووسائل الإعلام والجيران والتجارب الشخصية في التعاطي مع علاقات الحياة اليومية وكل ما يقرأ ويرى ويسمع من الناس أو الشخصيات العامة، ولذلك وضع الإسلام لكل تلك العلاقات حدوداً وقوانين اجتماعية وسلوكية وقضائية. والسؤال الذي يمكن أن تطرحه هو: هل الأسرة المسلمة اليوم أسوة حسنة لأطفالها، وهل تربيتها لأطفالها أسوة حسنة لغيرها؟ هل الأسرة المسلمة اليوم قوية كما يدعي البعض؟ نعم مقارنة بالغرب لا تزال الأسرة المسلمة مترابطة إلا أنها بالمقارنة مع النموذج الأسوة ليست أغلب الأسر كذلك، وهي مهددة بالنموذج الغربي للأسرة، ولذلك فإن أمر الدعوة الجماعية وقضية التغيير يجب أن تأخذ حيزاً أكبر في اهتمام المفكرين المسلمين حتى تكون الأمة أسوة لغيرها لا أن تنساق وراء الغير، ففي دينها ما يفتقده الآخرون.

قبل فترة اشترى رياضي غربي بيوتاً لعائلته بمبلغ 750 ألف دولار وكانت هذه الحادثة حديث الصحافة في الغرب وكأنه شيء خارق، لكن لو حدث ذلك في بلد إسلامي لكان أمراً عادياً.. فالمسلم مطالب شرعاً بمساعدة الناس فضلاً عن عائلته التي ترقى رعايتها إلى حد الواجب الديني في حالة الأقرباء المقربين.

ما أسباب ضعف الترابط الأسري في الغرب، وأعراض ذلك في العالم الإسلامي؟

<< أعتقد أن القرون الوسطى وما كان فيها من تحجر وتجبر وفساد كنسي أدت إلى ردة فعل عكسية، كفرت بالكنيسة وما تمثله داخل المجتمع الغربي آنذاك، وأسست لعلمانية متسيبة، متهتكة أفسدت الحرث والنسل، ونحن نشهد إرهاصات ثورة مضادة ضد تهتك علماني يقاد هذه المرة من المشرق، وهو ما سيؤدي في نظري إلى شكل من التدين المعتدل الذي يعترف بالإنسان كإنسان لا كإله في اللاهوت النصراني الذي يؤله رجلاً واحداً هو عيسى عليه السلام، أو نقيضه اللاهوت العلماني الذي عدَّد الآلهة وجعل كل إنسان إلهاً في حد ذاته. الإسلام يملك الفيصل إذ جاء بالحقيقة الأزلية: لا إله إلا الله محمد رسول الله. والسؤال هو هل المسلمون في حال يمكنهم من أن يمثلوا البديل أو الحقيقة أو النموذج المحتذى؟. لقد سقطت الحضارة الرومانية بسبب الفساد فهل نمثل ملجأ لكل المؤمنين بالله على طريقتهم الخاصة في الغرب والتي لا تمت للكنيسة بصلة!.

ما موقع الشريعة في التعليم الإسلامي، وهل إزاحة الشريعة من الحكم ضرب للدولة؟
<< هذا سؤال مهم جداً، لقد توالت أجيال من المسلمين حوكمت بغير شريعة الله في كل شيء، ومع ذلك ظل العلماء في بعض الديار ساكتين وكأن الأمر ليس من الخطورة التي تهدد دين الله بعد أن غُيب حارسه وهو الشريعة. ولا شك أن الله سيحاسبنا جميعاً على هذا التفريط المخل بنسيج الإسلام المترابط. وأحب أن أسأل دائماً: هل طوعنا علمنا ومعرفتنا لتعبيد الناس لخالقهم من خلال المناداة المستمرة بتطبيق شريعته حتى تقام حدود الله في كل مناحي الحياة؟. كل مسلم مسؤول عن ذلك. وليست الشريعة فقط بل إن من أولويات التعليم الإسلامي تربية الطلبة على أن قيام دولة الإسلام واجب ديني عملاً بقوله تعالى إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون 92 (الأنبياء).

ماذا عن المستقبل في التصور الإسلامي؟
<< يجب أن ندرس الماضي ولكن لا يجب أن نظل معلقين به، لقد أصبح المستقبل علماً يدرس، وهو علم مبني على القراءات الصحيحة للعوامل المؤثرة والاستقراءات والاستشرافات.. حتى الإنذار المبكر أصبح علماً. وعلى مناهج التعليم الإسلامية الاستفادة من ذلك، وإعطاءه الروح والغائية التي يفتقدها. وأنا أقترح أن يترك الماضي للمؤرخين وأن نركز على الحاضر والمستقبل.

في هذه السنة يكون قد مر 460 عاماً على وفاة الغازي خسرو بك الذي بنى جامع ومدرسة ومكتبة الغازي خسرو بك وغيرها من المعالم والأوقاف من أجل مستقبل أفضل للإسلام في البلقان. بعد هذه القرون هل تحقق ما كان يصبو إليه من عمله هذا؟

<< لقد كان الغازي خسرو بك ولا يزال من أعظم الرجال الذين عاشوا في البلقان والذي كان ينظر للمستقبل أكثر من نظرته للماضي وحتى الآن أشعر أنه كان مثل الإمام الغزالي.. يفكر في المستقبل من خلال الأعمال الجليلة التي قام بها يرحمه الله. فالغازي بنى مدرسته قبل عدة مدارس تحولت فيما بعد إلى جامعات عالمية مثل أكسفورد التي كانت مدرسة دينية ثم تحولت إلى جامعة تدرس فيها مختلف العلوم.

ولكن للأسف عوض أن تتحول مدرسة الغازي التي بنيت في 1537م إلى جامعة تقلصت لتكون أصغر مما كانت عليه.

أنا معجب جداً بالغازي خسرو بك، فقد كانت له رؤية في القرن السادس عشر لا تتوافر لدى البعض ممن هم في القرن الحادي والعشرين وكان من أقواله "ليدرس في هذه المدرسة ما يتطلبه الزمان والمكان"، وعندما قال هذا الكلام في البوسنة في القرن السادس عشر كان "نسترادامورس" في باريس يحاول إقناع الكنيسة بمعالجة المرضى عن طريق الطب الطبيعي بدل الخرافات والأساطير، وكان نسترادامورس يكابد الأمرين وكان ممنوعاً في باريس من قراءة كتاب "غاية الحكيم "الذي ألفه عالم عربي وكان الكتاب ممنوعاً من التداول بين الناس، وحبس نسترادامورس وأحرقت الكتب العلمية العربية وخاصة المتعلقة بالطب لكن "نسترادامورس" استطاع إخفاء نسخة من الكتاب واستطاعت زوجته تهريبها خارج البيت وعلمت الكنيسة بذلك فأعدمتها، وعندما تزوج "نسترادامورس" ثانية أخرج الكتب التي كان يخفيها وأحرقها، وعندما سئل عن ذلك أجاب "لا أريد أن أخسر زوجتي الثانية بعدما فقدت الأولى". لو عمل المسلمون بمقولة الغازي لحولوا المدرسة إلى جامعة

ما الذي يمنع المدرسة الآن من أن تدرس ما يتطلبه الزمان والمكان، وأن تتحول إلى جامعة؟

<< أتمنى ذلك.. أنا كرئيس للعلماء في البوسنة ماذا أقول؟ هذه المدرسة تدرس فيها جميع المواد لكن السؤال كما تكرمت هل يدرس فيها ما يتطلبه الزمان والمكان؟ لا أستطيع الإجابة بالايجاب. وإن لم أستطع الآن أن أحقق هذه الغاية فقد يستطيع تحقيقها بعون الله من يأتي بعدي. أما لماذا لم تتحول إلى جامعة فإننا ندعو الله أن يبعث لنا من يعيننا على ذلك حتى تكون قبلة للشباب المسلم من مختلف دول أوروبا.

=============

#قراءة في حياة (القصيمي)

سليمان بن علي الضحيان 1423/7/27

2001/10/14

(الإلحاد) كلمة تستفز شعور المؤمن ، وتبعث الرعب في وجدانه. وقراءة سير الملحدين تدفعه إلى الخوف من استلاب الإيمان فيزداد تعلقه بالله ، وتفويض أموره إليه ، وتدفعه –أيضاً– إلى حمد الله والثناء عليه؛ بما أنعم عليه من نعمة الإيمان . ولهذين السببين نحب أن نقف عند سيرة الملحد المشهور (عبد الله القصيمي) حيث يمثل في إعلانه الإلحاد ، ودعوته إليه ، وشن حملات على الدين والتدين – حالةً تكاد تكون فردية في صراحتها وشدتها ، واستخفافها بكل القيم ، والعقائد في تاريخ العرب الحديث. وقد عاش حياة طويلة حافلة بالتقلبات الفكرية، والمعارك الصاخبة ، وترك مؤلفات عديدة بلغت عشرين مؤلفاً في أكثر من عشرة آلاف صفحة. وقد أحدثت بعض تلك المؤلفات في حينها دوياً كبيراً ، وقد كتب عن القصيمي الكثير، من ذلك : (دراسة عن القصيمي) لصلاح الدين المنجد ، ورسالة دكتوارة لأحمد السباعي بعنوان (فكر القصيمي) وكتب أيضاً الكثير من الدراسات والردود حول كتبه ، إلا أن مسيرته لم تَحْظَ بالدراسة الشاملة، سوى لمحات في كتاب المنجد ، وفصلٍ واحدٍ من رسالة السباعي للدكتوراة. ونشرت مقالات تتحدث عنه بعد وفاته لسيد القمني ، وفوزية رشيد وجاسر الجاسر .

وفي هذه السَّنة سنة (2000م) ترجم محمود كبيو رسالة الدكتوراة التي قام بها الألماني يورغن فازلا عن القصيمي بعنوان (من أصولي إلي ملحد ؛ قصة انشقاق عبد الله القصيمي) وتقع في (250 صفحة) ، وهي أشمل وأهم دراسة كتبت عن القصيمي ، وتميزت بميزات لا توجد في غيرها من الدراسات التي كتبت عنه، من ذلك :

أولاً : إن هذه الدراسة شاملة لحياة القصيمي منذ ولادته إلى قبيل وفاته .

ثانياً : إنها صورت تصويراً رائعاً الواقع الفكري لكل مرحلة فكرية من مراحل القصيمي ، وهذا مما يعين الباحث على فهم الظروف الشخصية ، والخارجية لإطروحات القصيمي .

ثالثاً : أن المؤلف "فازلا" اتصل بالقصيمي وربطته صداقة به، فهو يقول : ((وعند ما تمكنت عام 1993 م بعد بحث طويل في مصر استمر عدة أشهر من العثور على مكان إقامة القصيمي ، رفض رفضاً قاطعاً التحدث معي .. ، وبقي الأمر

كذلك ، حتى نجحت في إقامة اتصالات مع أشخاص من الدائرة الضيقة المحيطة به، وحصلت بذلك على إمكانية حضور حلقة النقاش التي كانت تقام بانتظام في منزله في القاهرة، وهكذا نشأت بيننا خلال فترة تزيد على عامين علاقة من الثقة ، جعلت الكاتب يبدي استعداداً متزايداً لإعطائي معلومات عن حياته وأعماله)) .

رابعاً:إن الدراسة قدمت فكرة مختصرة عن أهم كتبه و مقالاته في جميع مراحله الفكرية.

خامساً : إن الدراسة قامت بمسح بيلوجرافي لكل ما كتب عن القصيمي في الصحف العربية والغربية ، ولكل كتب القصيمي ومقالاته .

سادساً : يُعد الدكتور يورغن فازلا متخصصاً في حياة القصيمي وفكره ، فرسالته للماجستير بعنوان (هذي هي الأغلال – النقد الذاتي الإسلامي لعبد الله القصيمي) وهذه الرسالة عن القصيمي (من أصولي إلي ملحد) قدمها لنيل شهادة الدكتوراة.

فلهذه الميزات وغيرها أجد أن الدراسة جديرة بإلقاء الضوء عليها.

قسم المؤلف أطروحته إلى خمسة فصول ، وإذا استثنينا الفصل الأول ، وهو في الحديث عن نشأته وسيرته التعليمية ، فإن بقية الفصول الأربعة قسمت تبعاً لتحولاته الفكرية ، وأثر كتاباته في الواقع الفكري في العالم العربي ، ويمكنني قراءة الفصول بتقسيم حياة القصيمي إلى فترتين :

* الفترة الأولى : نشأته وسيرته التعليمية : يقول فالترموشغ : (إن السيرة الأولى لأي كاتب بصفتها عملاً تاريخياً يجب اعتبارها دوماً وعاء لجمع الوثائق ، يستنبط منه الباحثون اللاحقون الخلاصات المعقدة) ولا شك أن طفولة الإنسان ذات أثر عميق في تشكيل فكره ورؤيته للحياة ، ولفهم تحولاته الفكرية ، ومنهجيته في التعامل مع الواقع الفكري ، ومن هنا يحسن بنا الوقوف على بعض المحطات التي أوردها د / فازلا عن نشأة القصيمي .

حرمان وترحال

– المحطة الأولى : لم يسجل تاريخ ولادة القصيمي ، وكان هو نفسه لا يعرفه حسب رواية فازلا عنه ، ويرجح أن يكون 1907 م ، وقد أكد القصصيمممي نفسه أنه ينحدر من قرية صغيرة أسماها (خب الحلوة) تقع قريباً من مدينة بريدة في القصيم

، ويبقى أصل أسرته محل خلاف بين الدارسين ، فصلاح المنجد يرى أن أجداده من بقايا الجنود المصريين الذين جاؤوا مع حملة إبراهيم باشا على نجد وهم من أصول صعيدية ، وأما القصيمي فيروي عنه فازلا بأنه أفاد: بأنه على علم بما يقال عنه إن أجداده جاؤوا من مصر ، إلا أنه لا يستطيع تأكيد ذلك ، أو قد تكون هذه الأقوال – حسب رأيه – مجرد رواية ، وهناك رواية أخرى متداولة أيضاً تقول: إن أجداده هم من أصل تركي .

وحينما بلغ الرابعة انفصل أبواه عن بعضهما ، فغادر أبوه إلى الشارقة وتزوجت أمه في قرية أخرى ،أما هو فقد بقي عند جده لأمه.. يقول القصيمي : ((كل ما أعيه من الأيام الأولى لهذه الطفولة ، أنني وجدت مع جدي لأمي الذي كان القحط الإنساني ، والقحط الطبيعي ، وكوارث أخرى قد امتصت منه كل شيء ، أي أن كلمة (فقر) لا بد أن تكون مظلومة لوقلت: إنه كان فقيراً جداً .. ، أجرت نفسي بلا أجر ، نعم بلا أجر))

وفي العاشرة هرب من جده وبدأ بالبحث عن أبيه ، وقاده البحث إلى الاستقرار في مخيم للمهاجرين في مدينة الرياض ، واتفق أن قدم وفد دبلوماسي من الشارقة إلى الرياض ، وكان رئيس الوفد صديقاً لأبي القصيمي فأرتحل معهم إلى الشارقة .

– المحطة الثانية : وصل إلى الشارقة ولما يتجاوز الحادية عشرة، وكان أبوه متديناً ، ويعمل في التجارة ويمارس الوعظ في المساجد، ويتسم بالورع والتقشف. فكيف وجد القصيمي أباه بعد غيبة تتجاوز السبع سنوات ؟ يقول عن لقائه بأبيه : ((وصلت إلى حيث يقيم والدي ، ولأول مرة رأيت ولقيت وجربت الأبوة ، كانت صدمة قاسية لأكثر وأبعد من كل حساب .. ، ومنذ بداية تلاقينا راح يقسو عليَّ قسوة يصعب وصفها ، بل يهاب ويرهب وصفها ؛ بزعم أنه يريد أن يجمع كل العلوم التي يعرفها أو يتصورها أو يسمع بها ، وكل أخلاق السلوك المهذب الذي يراه ، كل الكمال أن يجمع ذلك كله في لقمة واحدة لا بتلعها مرةً واحدة بلا تذوق ولا مضغ ، لقد بدا وكأنه يرى العذاب والآلام التي قاسيت قبل لقائه ، أقل وأرحم مما يجب أن أقاسي)) .

– المحطة الثالثة : توفي أبوه بعد لقائه به بسنتين حوالي عام 1922 م ، ومن ثم أصبحت المدرسة الداخلية التي يتعلم فيها هي كل حياته .

بعد ذلك رافق القصيمي ابن راشد الذي يكبره بعدة سنوات في جولة علمية بدأت بالعراق حيث درسا في مدرسة محمد أمين الشنقيطي ، وبعد بضعة شهور غادرا إلى الهند فمكثا هناك سنتين يدرسان في (المدرسة الرحمانية) ثم عاد إلى العراق ثم إلى سوريا ، ومن هناك سافر القصيمي برفقة ابن راشد ، وعبد الله بن يابس إلى القاهرة ، والتحقوا بالأزهر وكان عمر القصيمي تسعة عشر عاماً.

سلفي ... علماني ... ملحد

* الفترة الثانية : حياته الفكرية:مرت حياته الفكرية بثلاث مراحل : المرحلة السلفية ، والمرحلة العلمانية ومرحلة الإلحاد .

المرحلة الأولى : المرحلة السلفية

ولعله من نافلة القول أن تكون (السلفية) هي مرحلته الفكرية الأولى ، فهو قد ولد في وسط سلفي ،وتعلم على أيدي مشائخ سلفيين، وقد امتدت مرحلة عطائه السلفي حوالي أربعة عشر عاماً ، فقد وصل إلى القاهرة عام 1922م وألف كتابه (هذي هي الأغلال) عام 1946 م ولعل أبرز محطات مرحلته السلفية ثلاث محطات :

– المحطة السلفية الأولى (الصراع مع الصوفية) : حينما انتقل القصيمي إلى القاهرة ودخل الأزهر ، وجد عالماً يزخر بالتنوع الفكري حيث وجد هناك التوجه العلماني الليبرالي ممثلاً بلطفي السيد ومحمد حسين هيكل، والتوجه السلفي ويمثله رشيد رضا ، والتوجه الإسلامي التقليدي الأشعري ويمثله الأزهر ، والتوجه الصوفي ويمثله الفرق الصوفية ، وفي تحليل فازلا لواقع الأزهر آنذاك يشير إلى أنه كان موطن صراع بين التوجهات الفكرية ، والقوى السياسية ، فكل توجه فكري وكل قوة سياسية كانت تناضل لتعيين عميد مؤيد لتوجهاتها .

وفي سنة 1930 م تولى الشيخ الظواهري عماده جامعة الأزهر، فأخذت الجامعة تتبنى خطاً ودياً تجاه التصوف ؛ مما لقي انتقاداً عنيفاً لدى الحركة السلفية حول رشيد رضا ، وكانت المعارك الصحفية تنشب بين (المنار) صوت السلفيين ، ومجلة الأزهر (نور الإسلام) صوت الأزهريين المؤيدين للتصوف ، وكان بين

العلماء البارزين في الأزهر آنذاك يوسف الدجوي الذي لمع بشكل خاص في دفاعه عن التصوف والتوسل بالأولياء ، فألف القصيمي في الرد عليه كتابه الشهير" البروق النجدية في اكتساح الظلومات الدجوية " عام 1931م وهاجم فيه بعنف طقوس الصوفية ، وتقديس الأضرحة والتوسل بها، بعد ذلك أدى هذا الكتاب إلى رد فعل قاس لدى قيادة الأزهر، حيث فصلت القصيمي عام 1931م من الجامعة.

ركز القصيمي في الأعوام اللاحقة انتقاده على علاقة أزهريين قياديين بالصوفية ، والتدين العامي ، وكتب كتابين طوَّر فيهما هجومه السابق على العلماء الأزهريين ، وهذان الكتابان هما (شيوخ الأزهر والزيارة في الإسلام) عام 1931م – 1932م ، وكتاب (الفصل الحاسم بين الوهابيين وخصومهم) 1934م .

– المحطة السلفية الثانية (الصراع مع العلمانيين) : بعد عزل الظواهري من منصب عميد جامعة الأزهر ، وتعيين المراغي توقف القصيمي عن نقد الأزهر ورجاله ، واتجه في نقده إلى العلمانيين فقد نشر أشهر ممثلي الليبرالية العلمانية آنذاك محمد حسين هيكل عام 1935م كتابه المشهور (حياة محمد) وقد سعى هيكل في كتابه لسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم –إلى تفسير السيرة بمنظار عقلي من خلال دعم القيم العلمية الوضعية عن طريق عقلنة الإسلام ، وتبعاً لذلك نظر إلى عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم– بمنظار يسمح له بتفسير جميع النصوص القرآنية بطريقة العلوم الحديثة في عصره .

فألف القصيمي نقداً لهذا الكتاب مؤلفاً سماه (نقد كتاب حياة محمد لهيكل) عام 1935م – 1354هـ ، ويتضمن الجزء الأكبر من كتابه نقداً لتفسير هيكل للمعجزات النبوية ، وكان أشد الانتقاد موجها للمثالين الذين اختارهما هيكل نفسه لإيضاح موقفه من الظواهر الإعجازية وهما : الإسراء والمعراج ، ومعجزة شق الصدر .

إلا أن نقد القصيمي لهيكل لم يجد التجاوب من الدوائر السلفية في مصر آنذاك؛ فقد اعتبرت تلك الدوائر أن هذا المؤلف لهيكل يعد تحولاً من العلمانية إلى الإسلام ؛ ولهذا نصح رشيد رضا الخصم اللدود لهيكل سابقاً قُرَّاءه بقراءة كتاب (حياة محمد) وهيأ له الملك عبد العزيز استقبالاً حافلاً عند أدائه فريضة الحج عام 1936 م .

– المحطة السلفية الثالثة (الصراع مع الشيعة): في عام 1927م نشر الكاتب الشيعي محسن الأمين العاملي كتابه الخصامي (كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب) ، ولم يسمع القصيمي بالكتاب إلا متأخراً نسبياً ، وذلك حينما أرسله العالم السعودي محمد نصيف عام 1935م مع رجاء الرد عليه ، فألف القصيمي كتابه الشهير (الصراع بين الإسلام والوثنية) عام 1937م – 1357هـ ، وفي هذا الكتاب ينفي القصيمي انتماء الشيعة إلى الإسلام ، ويساوي بينهم وبين عبدة الأوثان ، ويرى أنهم ينتمون إلى تقليد فكري هدفه إفساد عقائد المسلمين ، وأرجع الشيعة إلى أصول يهودية تعود إلى اليهودي عبد الله بن سبأ ، وبصدور هذا الكتاب أصبح القصيمي مدافعاً قوياً عن السلفية معترفاً به على نطاق واسع ، وذكر القصيمي نفسه في حديث له مع فازلا عام 1993م أن الكتاب لقي قبولاً حماسياً في السعودية وقدم للملك عبد العزيز بالقول : ((إن مؤلف هذا الكتاب استحق مهر الجنة)) .

المرحلة الثانية : مرحلة العلمانية

منذ منتصف الثلاثينات بدأت ظاهرة النقد الذاتي في الخطاب العربي ، وبنهاية الثلاثينيات صارت هذه الظاهرة منتشرة على نطاق واسع ، وشارك فيها ممثلو السلفية ، ولعل أبرز مثال عن مشاركة الإسلاميين بالنقد الذاتي آنذاك كتاب شكيب أرسلان (لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟) وقد أعرب القصيمي عن موافقته لأرسلان ، وشارك هو بدوره في النقد فألف كتاب (لماذا ذل المسلمون؟) عام 1940 م ووجه نقداً حاداً لمظاهر التخلف لدى المسلمين ثم أتبعه سنة 1946م كتابه الضخم الذائع الصيت (هذي هي الأغلال) ، وقد اختلفت الأقوال في تقييم القصيمي من خلال طرحه في هذا الكتاب فذهب د/ فازلا إلى أنه ((لا يشكل – كما يزعم المنجد وكما في المراجع الغربية – قطيعة كاملة مع مواقفه السابقة بل إن في كتابي القصيمي (كيف ذل المسلمون) و(هذي هي الأغلال) هما خط الوصل الفكري بين إيديلوجيا القصيمي والوهابية ، وهجومه اللاحق على كل ما هو ديني))" ص68". وقد أطال د/ فازلا في تحليل هذا الكتاب فاستغرق أربعين صفحة من أطروحته ، ويخلص إلى أن القصيمي حاول دوماً في ذلك الكتاب بناء انتقاداته لظروف تخلف العالم الإسلامي على أسس دينية، وتدعيمها ببراهين من الكتاب

والسنة ، هذا هو رأي د/ فازلا في الكتاب. فما هي آراء المعاصرين للقصيمي كما أوردها د/ فازلا ؟

أثار الكتاب ردود فعل واسعة ففي أوساط الكتاب ذوي الاتجاهات العلمانية لقي القصيمي تأييداً كبيراً وكانت مجلة (المقتطف) الليبرالية أول الجهات التي وقفت بكل صراحة ووضوح إلى جانب كتاب (هذي هي الأغلال) حيث نشرت عنه دراسة نقدية بقلم إسماعيل مظهر ، ومِمَّن أيد هذا الكتاب عباس محمود العقاد في مجلة الرسالة عدد (695) ولعل أبرز تأييد لقيه الكتاب تأييد شيخ الأزهر حسين القياتي حيث نشر مقالاً في (المقتطف) بعنوان وضع القصيمي بين المصلحين الكبار ومما قال:(شكل ابن خلدون رائد الاشتراكيين طليعة الإصلاح في الشرق ، وشكل الأفغاني وتلميذه محمد عبده والكواكبي جوانبه ، أما القصيمي فهو قلبه) ص 109 ، وكذلك أيده الشيخ محمود شلتوت وأعرب عن أسفه من أن جامعة الأزهر لم تتمكن خلال تاريخها الطويل الذي امتد إلى ألف عام من وضع كتاب بمستوى (هذي هي الأغلال) .

وبالمقابل انتقد الكتاب الشيخ عبد الرحمن السعدي ورد عليه بمؤلف أسماه (تنزيه الدين ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله) وذلك عام 1947م ، حيث يرى السعدي أن القصيمي تعمد تزوير مبادئ الإسلام وتفسيرها تفسيراً خاطئاً ، وهناك رد آخر على القصيمي ، يلفت النظر بضخامته وهو (بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال) ويقع في 1200 صفحة ، ويرى صاحبه أن القصيمي يعتبر كل تفسير أو حديث لا يناسب آراءه فهو بكل بساطة باطل وغير مقبول ، وهو ينتقد الجماعات الإسلامية والسلفية فقط ليفسح الطريق أمام الزندقة والكفر ، وبينما يعتبر خطبة الجمعة مخدرة ومثبطة للهمم يسكت عن انتشار السلوك المخالف للدين كالرقص والبغاء وغير ذلك ، وممن انتقده المفكر الكبير سيد قطب حيث يصف كتاب القصيمي بأنه هجوم على القيم الجوهرية للدين الإسلامي ، وينزعج بشكل خاص من المقابلة التي يضعها القصيمي بين الدين والنجاح المادي ، ويقول إن أقواله عن هذا الموضوع لا يمكن فهمها إلا أنها دعوة للابتعاد عن الدين وهو عندما يستشهد بكلمات غوستاف لوبون الذي يقول (إن البشرية لم تتمكن من تحقيق تقدُّم

قوي إلا في مراحل الوثنية) يوضح بكل جلاء نياته الحقيقية ، وهي حض قُرّائِهِ على التخلي عن الإسلام ، ولكن كلما برزت هذه الروح التي تطغى على الكتاب بكامله يحاول القصيمي الاختباء بدافع الجبن وراء غطاءات دينية لأفكاره . هذه أبرز الآراء المختلفة التي أوردها د/ فازلا ، ولعل هذا الاختلاف الكبير حول تقييم الكتاب إنما هو نتيجة أسلوب القصيمي في الكتاب ، فهو كثيراً ما يؤكد إيمانه بالله ورسوله ، وأنه إنما يريد الدعوة إلى التخلص من الأغلال التي علقت بالدين، لكنه أحياناً يسترسل إلى نقد الدين نفسه ، ونقد العلماء من السلف والخلف والدعوة إلى الكفر بهم وإسقاطهم ، وقد حاول أن يؤصل أن الدين لا علاقة له بالحضارة ، ودعا إلى الفصل بين الدين والسياسة ، وكل هذه الآراء والموقف تجعله يبدو ممثلاً للتيار العلماني الليبرالي ، وبعيداً عن التيار الإسلامي . ولعله أدرك ذلك من نفسه ولهذا ختم الكتاب بمدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب وضربه أنموذجاً للمسلم الحق في محاولة لتغطية ما بث في كتابه من دعوة صريحة إلى العلمانية .

بعد الضجة التي أثارها كتابه (هذي هي الأغلال) انسحب القصيمي من الحياة واقتصر الظهور العام له على حلقة نقاش تجري في أوقات دورية في مقهى تحت القلعة اسمه (كافتريا العمدة) وكان يشترك في هذه الندوة عبد الحميد الغرابلي ، والعالم السعودي محمد نصيف ، والكاتب خالد محمد خالد ، ثم بدأ يعقد لقاءات مع الطلبة اليمنيين المبتعثين إلى القاهرة ، مما دفع حكومة الإمام في اليمن للمطالبة بطرده من مصر ، وهذا ما حصل بالفعل حيث طرد عام 1954م وذهب إلى بيروت ، وفيها تلقى دعماً من المثقفين العلمانيين ومن أبرزهم سهيل إدريس حيث أتاح له الكتابة في مجلته (الآداب) ، وقدري قلعجي الذي أعطى القصيمي في وقت لاحق زاوية خاصة في مجلته (الحرية) التي صدرت عام 1956م ، وبدأ الكتابة أيضاً في صحيفة (الجريدة) وفي عام 1956م ، ألغت الحكومة المصرية أمر إبعاد القصيمي وسمحت له بالعودة إلى أسرته في القاهرة ، وبدت كتاباته في تلك الفترة تتميز باليأس ؛ فقد كتب مقالاً بعنوان (الكاتب لا يغير المجتمع) .

المرحلة الثالثة والأخيرة : مرحلة الإلحاد

بعد نشر القصيمي كتابة (هذي هي الأغلال) عام 1946م ، وما لقيه من هجوم واسع ، انسحب من الحياة العامة كما مرَّ سابقاً ، ويفسر الدكتور فازلا هذا الانسحاب بأنه يشير إلى أن الرفض الذي لقيه آنذاك هز صورته عن العالم هزاً عنيفاً ، دعاه إلى تغييرها، ولذلك يتحدث أحمد السباعي عن أزمة الشك التي مَرّ بها الكاتب في هذه المرحلة من تطوره ثم ازدادت حدة هذه الأزمة الداخلية لديه بإبعاده عن مصر في الخمسينيات ، وعيشه في المنفى السياسي ؛ مما أدى في النهاية إلى رفضه الجذري لكل ما كان ذا معنى بالنسبة له في السابق ، وقد مرت مرحلة إلحاده بمحطتين :

– المحطة الأولى (الإنتاج الفكري والشهرة) : بداية من عام 1963م ، شرع القصيمي بطرح كتبه الإلحادية الشهيرة وتعد هذه الفترة أغزر فترات عمره تأليفاً ، فقد ألف في السنة المذكورة كتابه (العالم ليس عقلاً) وهو كتاب لم يلق صدى يذكر في الأوساط الثقافية العلمانية والإسلامية ، وبعد ثلاثة أعوام وفي عام 1966 م ، أصدر كتابين (هذا الكون ما ضميره ؟) وكتاب (كبرياء التاريخ في مأزق) وبعد صدورهما مباشرة نشرت مقتطفات في (العلوم) وفي الملحق الأدبي لجريدة (النهار) وفي الوقت نفسه نشرت عدة دراسات عن الكتابين .

بين عام 1967وعام 1972م بلغ القصيمي قمة شهرته وهي تعد أكثر مراحل حياته إنتاجاً وشعبية ، والسبب في هذا حدثان وقعا نقلاه إلى مركز الضوء ، أحدهما طرده إلى لبنان ، ولم تعرف الظروف الدقيقة لهذا الإبعاد . هذا الطرد أحدث تضامن المثقفين العلمانيين في لبنان معه ونشرت بعض الصحف اللبنانية تطالب برفع الحظر عن دخوله إلى لبنان ، والحدث الثاني هزيمة حزيران عام 1967م ، فقد أحدثت هذه الهزيمة زلزلة فكرية لدى جمهرة المثقفين وأطلقت موجة من النقد الذاتي عمت العالم العربي بأسره ، وظهر لدى كثير من المثقفين العرب ميل إلى القطيعة التامة مع الماضي ، ففي مثل هذا المناخ الثقافي يمكن أن تجد فلسفة تحطيم الصور والمفاهيم الدينية والسياسية التي تدعو إليها كتب القصيمي أرضاً خصبة للازدهار والانتشار، ولهذا أعيد طباعة كتابه (العالم ليس عقلاً) في ثلاثة أجزاء ثم تبعها عام 1971م تأليف كتاب (أيها العار إن المجد لك) وكتاب(فرعون يكتب سفر

الخروج) وكتاب (الإنسان يعصي لهذا يضع الحضارات) إلى جانب ذلك نشر القصيمي عدداً من المقالات في المجالات الأدبية في بيروت ومن الممكن القول بأن القصيمي كان بين 1967م وعام 1972م فيلسوف المرحلة الذي تنوقلت أفكاره على نطاق واسع نظراً لحالة الضياع والصدمة التي يعيشها المثقفون العرب جراء هزيمة 1967م .

مع نشوب الحرب الأهلية في لبنان عام 1975م انقطع النشاط الثقافي في لبنان وبهذا فقد القصيمي مكان النشر لكتبه ، فنشر كتابه (العرب ظاهرة صوتية) عام 1977 م في باريس ، وكان هذا الكتاب آخر كتاب للقصيمي يلقى في العالم العربي صدى قوياً نسبياً ، إلا أن جميع النقاد أعطوا الكتاب تقييماً سلبياً جداً ورافضاً.وفي تعليق للكاتب اللبناني يوسف الخال على كتاب القصيمي هذا وصف القصيمي وإنتاجه الفكري بأنه (ظاهرة كلامية) .

وفي الثمانينيات أصدر القصيمي كتابين (الكون يحاكم الإله) 1981م و (يا كل العالم لماذا أتيت) 1986م ، فلم يلقيا أي اهتمام وحتى الرد العاصف الذي واجهه كتاب(العرب ظاهرة صوتية) عام 1977م ، ظل غائباً كلياً هذه المرة ، يقول فازلا : فحسب علمي لم تنشر أي قراءة نقدية لهذين الكتابين ، وكانت ظاهرة التجاهل الكامل هذه توصف في الوسط الشخصي المحيط بالقصيمي بأنها ستار الصمت الذي أسدل أمام الكاتب منذ عام 1980م تقريباً .

يبقى تساؤل حول مؤلفاته الإلحادية والموضوعات التي تحدث فيها عنها : يقول د / فازلا : ((مؤلفاته بعيدة كل البعد عن أن تكون نظاماً فلسفياً مترابطاً ومحكماً ، فهو لا يتبع في أي كتاب من كتبه خطاً منهجياً متتابعاً ومحكم الحجة ، بل إن مؤلفاته الأخيرة هي أقرب إلى طائفة من الحكم والمقولات المركزة التي تتناول موضوعات متنوعة ، تتبدل وتتكرر دائماً ويدور الحديث حولها بالمعنى الحرفي للكلمة ، ولذلك لا يجد نقاد القصيمي صعوبة في اتهامه بأنه كان من الأفضل لو أسقط فصولاً كاملة من كتبه ؛ لأنها ليست سوى تكرار لنفس الأفكار وشرح مستفيض لنفس الموضوعات يصل إلى حد الإطناب ....، وما نلاحظه في كتابات القصيمي من لف ودوران على صعيد الموضوع والمضمون ينطبق أيضاً على الأسلوب اللغوي ، فهو

لا يكتفي بإيجاد الكلمات المناسبة بشكل خاص للتعبير عن مسألة معينة ، وإنما يصُفُّ جميع المترادفات المتوفرة لمفهوم معين خلف بعضها ..، والنتيجة التي تسفر عنها هذه الطريقة في الكتابة هي جمل هائلة حقاً تملأ فيها)) ص 145.

أما مضمون كتبه الإلحادية الأخيرة فهو التمحور حول ثلاثة موضوعات :

الأول : تفسير الدين والتدين والوحي ، والموضوع الثاني : الحديث عن الله – جل وعلا– في الديانات السماوية ، والثالث : الموقف من العرب وبالأخص من القومية العربية ، أما الموضوعان الأوليان فقد كررهما كثيراً في كتبه معبراً عن رأيه فيهما بطريقة استفزازية ، وبصراحة وقحة ، واستخفاف بمشاعر القارئ المؤمن ، فهو يرى أن الدين تعبير حياتي يعود إلى طبيعة النفس البشرية وحاجاتها وكل شعائر الأديان تعبيرات يختلقها الإنسان ؛ لإشباع حاجات نفسية، ثم يضفي عليها طابع التقديس لحاجته النفسية إلى الأمن والطمأنينة . أما حديثه عن الوحي فيبين عن مدى الارتكاس الإلحادي الذي وصل إليه القصيمي، فهو يرى أن الوحي شكل مرضي من أشكال رد الموحى إليه على المشاكل الاجتماعية والنفسية التي يتعرض له ، ويرى أن النبوة هي تعبير عن الألم النفسي والقنوط الدنيوي اللذين يؤثران على التصورات الدينية التي يتسببان في نشوئها .

أما الله (جل جلاله) فهو يرى أنه مرآة للإنسان والمجتمع فهو يكتسب صفاته تبعاً لثقافة المجتمع (سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً) وكان يتفادى بادئ الأمر التكلم عن (الله الواحد الأحد) ويستعمل بدلاً من ذلك تعبير (الإله) وكثيراً ما يأتي بصيغة الجمع (الآلهة) أو يستعمل كلمة (الألوهية) أما في كتاباته المتأخرة في الثمانينيات فقد سقطت هذه المحظورات ، وأخذ يستعمل بصورة متزايدة كلمة (الله) مباشرة في جُرأة إلحادية وقحة ، تبين عن مدى إصراره على الإلحاد ورفض الدين .

وأما الموضوع الثالث في كتبه المتأخرة ، وهو الموقف من العرب ، فيعبر عنه كتابه (العرب ظاهرة صوتية) فقد شن هجوماً على جميع العرب وصل إلى حد التحقير العنصري ، فهو يصف الطابع العربي بأنه وضيع إنسانياً ، ويصف العرب بأنهم ظاهرة صوتية ، وبلغ في تصويره العنصري للعرب في كتابه (يا كل العالم لماذا أتيت ؟) بأن قال : (إن المرأة العربية الإسلامية لا تلد إلا كائنات أقل شأناً من

الأطفال الآخرين فيما يتعلق بمستواهم الذهني والنفسي وبقدرتهم على الإبداع) وفي مقال له يصل إلى حد اعتبار العروبة نقيضاً للحضارة .

يقول فازلا : ((في جميع كتاباته بعد عام 1963م يصف القصيمي العرب وتاريخهم بعبارات (التخلف) و (الرجعية) و (الضعف) إضافة إلى ذلك يستعمل التعبير بين المتضادين اللذين وضعهما المؤرخ المغربي ابن خلدون وهما (البداوة) و (الحضارة) لكي يصف جميع صفات العرب بأنها غير حضارية)).

– المحطة الثانية (الانسحاب النهائي) : كان كتاب القصيمي (العرب ظاهرة صوتية) 1977م آخر كتاب له يلقى صدى في العالم العربي ، أما الكتابان الأخيران له(الكون يحاكم الإله) 1981م و (يا كل العالم لماذا أتيت ؟) 1986م ، فلم يلقيا أي اهتمام وكانت ظاهرة التجاهل الكامل هذه توصف في الوسط المحيط بالقصيمي بأنها (ستار الصمت) الذي أسدل أمام الكاتب منذ عام 1980م تقريباً ، وآنذاك بدأ القصيمي مرحلة الانسحاب إلى الحياة الخاصة ،وتركز كامل نشاطه ودائرة تأثيره خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية على محيطه الشخصي ، وكانت الزاوية الخاصة الأخيرة التي ينشط فيها ندوة أسبوعيه تنعقد في منزله في غرفة الجلوس ، ومنذ توفيت زوجته عام 1990م لم يغادر مسكنه في القاهرة إلا نادراً جداً ، حتى توفي في 9/يناير 1996م .

خاتمة الكتاب

لخص المؤلف فازلا رؤيته عن القصيمي وأُطروحاته في خاتمة الكتاب في سبع صفحات ومن أبرز النقاط التي أوردها :

– تتسم أعمال القصيمي في كل مراحله الفكرية بالقطع الراديكالي الحاسم .

– لا يمكن معرفة الأسباب القطعية التي دفعت القصيمي للتراجع عن معظم مواقفه السابقة ، فلم يكن من الممكن كشفها كاملة حتى ولا في الأحاديث الشخصية التي أجريتها معه ، فقد كان يرفض الحديث عن المواقف والآراء التي تبناها قبل الستينيات ؛ ولذلك كان يمنع أي سؤال عن أسباب تراجعه عن قناعاته الدينية السابقة .

– مما يلفت الانتباه في مضمون كتبه كلها هو أنها تتميز بثبات كبير في الموضوعات التي تتناولها ، وفي الأشياء التي تنتقدها ، وتظهر الاستمرارية في الهجوم المتكرر على الظواهر الدينية التي لا يقتنع بها ففي كتبه الأولى كان هجومه على التصوف وتمجيد الأولياء ، وفي الأربعينيات وسع هجومه في (هذي هي الأغلال) ليشمل تصرفات العلماء وآراء السلف ، ثم جاءت كتبه الأخيرة فزادت مساحة نقده لتشمل الدين نفسه ، ولتمزق جميع المحرمات والمقدسات .

– في القراءات النقدية لكتبه يبدو القصيمي وحيداً إلى أبعد الحدود فهو لم يؤسس مدرسة فكرية ، ولا يمكن نسبته إلى أي مدرسة من المدارس الفكرية المعروفة،وليس له أتباع ، ويعود ذلك في المقام الأول إلى الصيغة التي يعرض بها القصيمي بناءه الفكري ؛ إذ طريقة العرض غير المنهجية ، والأسلوب الشديد، والإطناب والتكرار لنفس الأشياء ، والطابع الحكمي لكتاباته ، كل ذلك يجعل من الصعب على القارئ فهم ما يقرأ ، أو ينفره من التعمق في دراسة مضمون مؤلفاته .

– لم يحاول القصيمي أبداً طول حياته إلحاق نقده الراديكالي باقتراحات إصلاحية ملموسة ، فهو لم يضع بدائل لتحليلاته المتشائمة للأوضاع القائمة، وبصورة عامة فإن القصيمي يتميز فقط بهدمه للتصورات الدينية .

– تشير الضجة التي أثارها نشر (هذي هي الأغلال) عام 1946م إلى أن اهتمام الرأي العام الإسلامي بالقصيمي نابع من وضعه كمرتد ومنحرف ولذلك فأهميته تعود بالدرجة الأولى إلى دوره كمنتهك للمحرمات الدينية . *****

هذه أبرز مرئيات فازلا عن فكر القصيمي وشخصيته ، ونختم بقوله تعالى :[من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون].

===============

#وراء تعيين المبعوث الأمريكي في السودان؟

النفط أم تحقيق السلام

ماذا وراء تعيين مبعوث أمريكي للسلام في السودان؟ وهل هناك مبادرة أمريكية جديدة بخصوص السودان؟ وما الخطوط العامة لهذه المبادرة؟ وهل تمثل خطورة على الطرح المصري والليبي بخصوص المسألة السودانية؟، وهل يقف المبعوث الأمريكي موقف الحياد أم تحركه المصالح الأمريكية وجماعات الضغط التي تدفع في اتجاه اتخاذ سياسات متشددة تجاه السودان؟.

يمكن القول: إن السياسة الأمريكية تجاه السودان تحركها العديد من الدوافع والأسباب، لعل من أهمها التخوف الأمريكي من تحول السودان إلى بؤرة لانطلاق حركات إسلامية في الجوار الأفريقي، والتي تعتبرها الولايات المتحدة دول مواجهة وحليفة في الوقت ذاته، كما أن المصالح الأمريكية في السودان باتت مهددة كما يقول المراقبون بعد وجود منافسين فرنسيين وكنديين، خصوصاً في مجال استخراج النفط، ولعل هذا أهم سبب لتعيين المبعوث الأمريكي.

ورغم إعلان الخارجية الأمريكية عن أهداف تعيين المبعوث والتي تتمثل في وقف أعمال القتل من خلال التوصل إلى سلام عادل وشامل، ومساعدة المواطنين المتضررين من الحرب والجفاف، ووضع نهاية لما أسماه بمساندة الإرهاب الدولي، وهو الأمر الذي حاول السودان التخلص منه بتقديم بعض المعلومات الاستخبارية للولايات المتحدة بعد تفجيرات نيويورك وواشنطن فقد لاقى تعيين المبعوث الأمريكي ردود فعل متباينة، حيث رأى وزير الخارجية السوداني أن هذه الخطوة تتوقف أهميتها على مدى الحيادية والشفافية التي يتحلى بها المبعوث، وهو الأمر الذي يصعب تحقيقه بعد اتهام بوش للسودان بتشجيع الرق والعبودية، وتحميله مسؤولية تدهور الأوضاع فضلاً عن تأييد بوش لمبادرة الإيقاد، وهو ما يعني تجاهل المبادرة المصرية الليبية التي كانت محل تقدير الأوساط السودانية.

ورغم ترحيب حزب الأمة بالخطوة، فقد عارضها الحزب الاتحادي ورآها تقويضاً للمبادرة المصرية الليبية، والتفافاً حولها، أما وزيرا الخارجية المصري والليبي، فقد قلَّلا من أهمية المبادرة الأمريكية، وأكدا أن المبادرة المصرية الليبية هي المبادرة المطروحة.

فماذا يمثل إذن تعيين المبعوث الأمريكي للسودان؟ يمكن القول: إن إدارة بوش تسير في اتجاه الإدارات الأمريكية السابقة، التي عملت دائماً على الانحياز الأمريكي الواضح لحركة التمرد الجنوبية. ويقول المراقبون: إن السياسة الجديدة تعتمد برنامج مساعدات تصل تكلفته إلى نحو 30 مليون دولار، يخصص نصفها للمساعدات الإنسانية في الشمال، والباقي لمشاريع تنمية الجنوب.

لماذا يؤيد الأمريكان الإيقاد؟

جرت محاولات عدة لتسوية المشكلة السودانية، ومن تلك المحاولات الوساطة التي قام بها الرئيس الأمريكي الأسبق كارتر في الفترة من (1989 – 1991م)، ولكنها لم تنجح ولم تتقدم كثيراً وأعقبتها الوساطة التي رعاها الرئيس النيجيري إبراهيم بابا نجيدا في الفترة من (1991 – 1993م)، واقترحت نيجيريا على السودان تطبيق التجربة النيجيرية: دولة علمانية ونظام فيدرالي، ولكنها هي الأخرى لم تحرز أي نتائج، وكانت المحاولة الثالثة محاولة الإيقاد في الفترة من 1994م وحتى الآن، ولم تحقق أي تقدم، حيث تعاني هذه المنظمة التي تضم ست دول هي (أثيوبيا السودان إريتريا أوغندا كينيا جيبوتي) من ضعف هيكلي. أما طروحاتها، فتتراوح بين السودان العلماني الموحد، أو حق تقرير المصير، وقد نشأت الإيقاد عام 1986م كمنظمة حكومية للجفاف والتصحر، ثم تطورت في عام 1995م إلى منظمة للتنمية، وأُوكل إليها متابعة ملف الصومال وجنوب السودان، وحتى الآن لم تحقق أي نجاح في الملفين، ويغلب عليها ما يمكن أن نسميه (صراع التوجهات والأدوار)، حيث تسعى أغلب دولها: إريتريا، وأوغندا، وأثيوبيا، وكينيا لأن تلعب دوراً إقليمياً على مستوى منطقة القرن الأفريقي، وعلى الرغم من أنها منظمة إقليمية، إلا أن الدول المانحة، وخصوصاً الولايات المتحدة، وإيطاليا، وهولندا، والدنمارك، والنرويج، واليابان وغيرها رأت أن تقوم بإحياء دورها من خارجها، فتوسعت الإيقاد إلى ما أطلق عليه (شركاء الإيقاد)، ويحاول هؤلاء الشركاء وضع أجندة تعكس الرؤية الأوروبية الأمريكية، ومن ثمَّ أصبحت الإيقاد ذات طابع دولي يعكس المصالح الغربية والأمريكية التي تتناقض مع مصالح دول المنطقة، ويمول الشركاء المنظمة بأكثر من نصف ميزانيتها، وهو ما يؤثر في النهاية على مقرراتها، ويجعلها ذات طابع دولي أكثر منه أفريقي.

موقف دول الإيقاد[88]

عمَّقت الإيقاد من التدخل الدولي في الشأن السوداني، خاصة بعد توسع المنظمة، بما ساعدها على احتكار التدخل في الأزمة السودانية، وقد تطور هذا الدور بصورة أكبر بعد أن ساءت علاقات السودان بكل من إريتريا وأثيوبيا وأوغندا، وكان قبول السودان في الأساس لوساطة الإيقاد يستند إلى التوازن القائم داخلها، حيث كانت أثيوبيا وإريتريا متحالفتين مع السودان، بينما كانت كينيا وأوغندا تدعمان التمرد، وكان من شأن استمرار هذا التوازن، أن يحصر نفوذ وفاعلية المنظمة في الإطار المقبول سودانياً، لكن توتر علاقات السودان مع جيرانها غيَّر المعادلة، حيث توحَّدت المنظمة على خطة تتجه نحو فرض حل أقرب إلى مطالب حركة التمرد منه إلى مطالب الحكومة، وفي والوقت نفسه، حصلت على دعم أمريكي ودولي لزيادة الضغط العسكري والسياسي على الخرطوم، حيث بادرت أثيوبيا في عام 1995م بمطالبة مجالس الأمن بفرض عقوبات على السودان بحجة عدم تسليمه المشتبه فيهم في محاولة اغتيال الرئيس المصري في أديس أبابا في يونيو 1995م، وقد دعمت مصر هذا التوجه الأثيوبي في أول الأمر، لكنها تحفَّظت على مطلب فرض حظر على بيع الأسلحة للسودان: لأن ذلك كان يعني عملياً فصل الجنوب، وكان هذا مصدر أول خلاف بين مصر ودول الإيقاد.

وفي نهاية عام 1996م وبداية عام 1997م، تدخلت ثلاث دول من الإيقاد تدعمها تنزانيا بصورة مباشرة في النزاع المسلح في السودان، حيث شاركت قوات من أوغندا وإريتريا وأثيوبيا في حملة عسكرية شنتها المعارضة بغرض تشديد الضغط العسكري على الخرطوم.

وعلى الصعيد الإقليمي، عارضت دول الإيقاد أي جهود للوساطة من طرف إقليمي أو دولي، وفي هذا السياق، أكدت إريتريا في ضرورة عدم توسيع مبادرة الإيقاد، لتشمل المعارضة الشمالية لاعتبارات تتعلق بطرفي النزاع: الحكومة والجنوبيين، ورأت أن تصوير المبادرة المصرية الليبية، كما لو كانت مبادرة عربية في مقابل الإيقاد الأفريقية، سيأتي بنتائج معاكسة في إشارة ضمنية للتحفظ على المبادرة المصرية

الليبية، وهو الموقف الأمريكي نفسه، وموقف الحركة الشعبية التي تقود التمرد في السودان.

كما تحفظت دول الإيقاد على اللقاءات السرية التي رتبتها النرويج في عام 1994م، وعارضت مجهودات سويسرا وغيرها، كما رفضت مساعي جنوب إفريقيا لكسر الجمود عام 1997م. من هذا المنطلق، يرى البعض أن وساطة الإيقاد تحولت عملياً إلى وصاية دولية على السودان لا يحق لغير دول الإيقاد التدخل في شؤونه!!.

وكانت الإمارات العربية أول من التفت إلى خطورة هذا الوضع وما يعنيه من تغييب الدور العربي في المساعي الرامية لحل الأزمة السودانية، ولهذا تقدم رئيس دولة الإمارات في عام 1998م بمبادرة لرأب الصدع بين الحكومة والمعارضة الشمالية، ولقيت المبادرة ترحيباً من الحكومة وبعض أطراف المعارضة، ولكنها لم تتقدم بسبب ما بدا أنه تحفظات مصرية ودولية، وتمنُّع من بعض أطراف المعارضة، وتتميَّز المبادرة الإماراتية عن المصرية والليبية بأنها ركَّزت على المعارضة الشمالية، وبالتالي تجنبت الاعتراض عليها لعدم تعارضها مع مبادرة الإيقاد، كما تجنبت المعوقات التي يمكن أن تضعها حركة التمرد.

^^مخاطر على الدور المصري

لماذا ترفض الولايات المتحدة المبادرة المصرية الليبية وتقف بقوة خلف الإيقاد؟ يمكن فهم الموقف الأمريكي في ظل اعتبارات عدة منها: أن الإدارة الأمريكية لا تود نجاح أي أدوار إقليمية في المنطقة يمكن أن تحقق نجاحاً في حل أزمات، فذلك يهدد دورها في المنطقة ويهز صورتها، وفي سبيل ذلك عيَّنت الإدارة الأمريكية هاري جونستون مبعوثاً للسودان على خلفية تعاطف الكونجرس مع فريق الجنوبيين واستعداده لمدهم بالسلاح، ويوجد تيار داخل الكونجرس، يرى أن سيطرة الحكومة على الجنوب سيترتب عليها تبعات جسيمة على الولايات المتحدة، باعتبار أن السودان سيلعب دوراً جوهرياً ومهماً في إفريقيا بعد إكمال سيطرته على الجنوب، وهو ما جعل هذا الفريق يدعو الإدارة الأمريكية لأن تضع الجنوب على صدر لائحة أولويات المصالح القومية الأمريكية في الخارج التي تجب عليها حمايتها والمحافظة عليها.

غير أن واشنطن ليست متمسكة بالمبادرة الأفريقية لأنها مدعاة حقيقية لإحلال السلام، ولكن لأنها القناة الوحيدة التي يمكنها من خلالها وعبر النفوذ الذي تتمتع به في دول منطقة شرق ووسط أفريقيا أن تفصل الجنوب السوداني ليكون عازلاً بين أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وتدفق الإسلام القادم من شمال السودان، وهو هدف تلتقي فيه الاستراتيجية الأمريكية مع وجهات نظر عدد كبير من قادة الدول الأفريقية السمراء التي تتمتع كنائسها بنفوذ كبير على أنظمة الحكم فيها.

وتتبنى الولايات المتحدة موقفاً تجاه السودان، جوهره اعتبار السودان دولة راعية للإرهاب وأن سياسة حكومته تتنافى مع مبادئ حقوق الإنسان، كما تدعي أنها عامل عدم استقرار في القرن الأفريقي والبحيرات العظمى (منطقة المصالح الأمريكية)، وتتقاطع المواقف السودانية مع سياسة أمريكية جديدة تجاه أفريقيا تبلورت في مارس 1996م قوامها السعي لتشكيل كتلة أفريقية تمتد من القرن الأفريقي شرقاً إلى السنغال غرباً، يكون لها السيطرة على منطقة البحيرات العظمى والتحكم في مصادر المياه.

وتهدف تلك السياسة إلى تحقيق هدفين أساسيين:

1 إعادة ترتيب الأوضاع الإقليمية في وسط أفريقيا.

2 محاربة وعزل نظام الحكم في السودان. وتعمل الولايات المتحدة على تحقيق هذه الأهداف عبر أداتين رئيستين:

1 خلق ودعم بعض القادة الأفارقة الجدد الذين يعملون بشكل أو بآخر على تحقيق المصالح الأمريكية، وفي هذا السياق جاء اجتماع الرئيس كلينتون في عنتيبي بأوغندا في أثناء جولته الأفريقية عام 1996م والذي شمل زعماء ست دول هي: أوغندا ورواندا وأثيوبيا والكونغو الديموقراطية وكينيا وتنزانيا.

2 طرح مشروع القرن الأفريقي الكبير، الذي يضم إلى جانب دول القرن التقليدية أوغندا والكونغو الديموقراطية ورواندا وبورندي وجنوب السودان (بعد فصله)، ويرمي هذا المشروع إلى إنشاء بنية أساسية لمصلحة شركات التعدين والنفط الأمريكية، وقد أطلق كلينتون مبادرة القرن الأفريقي الكبير في عام 1995م، وتحاول المبادرة ربط التطورات في السودان بتفاعلات شرق أفريقيا والقرن الأفريقي بعيداً عن الإطار

العربي، وتهتم بخلق هوية مختلفة للمنطقة، وتسعى الولايات المتحدة إلى تسليح حلفائها، وهو ما تم بالفعل من خلال صندوق التعليم العسكري والتدريبي (IMET).
ويشير المراقبون إلى أن الجهود الأمريكية أرادت أن ترد على الدبلوماسية المصرية التي استطاعت من جهة احتواء الخلافات مع حكومة الخرطوم، ومن جهة أخرى الإبقاء على قنوات الحوار مفتوحة مع كل فصائل المعارضة بما فيها حركة قرنق.
وتكشف تصريحات المسؤولين الأمريكيين عن خطة الاستفراد بالسودان بعيداً عن مصر التي تمثل عمقه الاستراتيجي. ويرى البعض أن التحركات الأمريكية نحو كينيا تمثل إعلاناً للحرب على الامتداد المصري الطبيعي في أفريقيا، وهو ما يجب على القاهرة دون شك أن تواجهه بتكثيف جهودها للحفاظ على وحدة السودان تراباً وشعباً ومياهاً.
وعلى أي حال، فإن الموقف الأمريكي الرافض للمبادرة المصرية الليبية والداعم للإيقاد لا يعكس فقط تجاوزاً وتحفظاً على الدور المصري الليبي بقدر ما يعكس الاستراتيجية الأمريكية الجديدة التي ترى أن السودان ينتمي إلى أفريقيا جنوب الصحراء، وعليه أن يحصر علاقاته في جواره الأفريقي الجنوبي، ومن ثمَّ فلا دور لجيرانه في الشمال، وخصوصاً مصر.=>

===============

#اليسرى تكفي لحمل الحجر !

سلمان بن فهد العودة 1423/8/15

2001/10/31

" شادي " شاب في السابعة عشرة من عمره ، من شباب الانتفاضة الثانية ، يرقد في مستشفى الشميسي بالرياض التابع لوزارة الصحة .
أصابه طلق ناري في رقبته من الجهة اليمنى ، وخرج من الجهة اليسرى ، يكاد أن يكون مشلولاً شللاً تاماً ، غير أن يده اليسرى تتحرك قليلاً .
والزوار محتشدون حوله ، اتصلت به والدته من فلسطين لتطمئن عليه ، فتكلم بصعوبة ليقول : شلل كامل ، غير أن اليسرى تتحرك شيئاً ما .. زغردت الوالدة

بنشوة صادقة لتقول : تكفي اليسرى لحمل الحجر ، نحن لا نريدك لشيء آخر غير هذا !

إن من سوء حظ اليهود أن يساكنوا هؤلاء القوم الجبارين ، الذين اشتكى أجدادهم من أجدادهم ، لقد قاتلوهم ثم قاتلوهم ، ثم قالوا : لو لم يبقَ إلا الحجر والتراب لواجهناكم به !

ولعلهم سلسلة في حلقة البعث الموعود من أولي البأس الشديد المسلطين على اليهود .

لقد تشبع الحجر برمزية تاريخية وشرعية واقعية تدعو إلى التأمل !

فهاهو القرآن يعيب على اليهود قسوة قلوبهم فيشبهها بالحجارة " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة .." .

وفي قلوب البشر ما هو أقسى من الحجر ، وكيف لا ، وهم يطلقون الرصاص الحي على صبية صغار ، أو نساء ، أو شباب عزل ، ويتقصدون الإصابة في الرأس ، أو الصدر ، أو العنق ..

بلي الجديد ، ومسنا القرح ... ...

فمتى تفيق أخي .. متى تصحو؟

وَ لوعتاه ..كم انقضت حقب ... ...

وامتد ليل ما له صبح !!

وبغى وحوش ليس يردعهم ... ...

خلق ، ولا دين ، ولا نصح !

وإن كان في الحجارة شيء من نداوة ، أو مسارب يتخللها الماء .. ليتفجر بعد أنهاراً أو عيونا .. فهيهات أن يكون في قلوب هؤلاء القساة سبيل إلى شفقة ، أو رحمة ، أو ليان .

وحين احتدمت عداوة اليهود للرسول –صلى الله عليه وسلم– ، وهموا بقتله ، كانت أفضل وسيلة لديهم هي إلقاء الحجر عليه من عالي البناء ، فنجاه الله ، وباءوا بإثم الغدر والخيانة والفساد ، وهاهم المسلمون ينتقمون لنبيهم بالآلة نفسها ، لكن في وضح النهار ، بعيداً عن الغدر والمكر والنكث .

ومما يستطرف أن أبرز حالة رجم في الإسلام كانت رجم اليهوديين الزانيين على ما هو موجود في الكتاب المقدس ، فنفذ الرسول –صلى الله عليه وسلم– فيهم حكم الله الذي أماتوه .

ثم انقطعت العلاقة المباشرة بين اليهود والحجر ، لتبرز في المعركة الخاتمة ، حين ينادي الشجر والحجر : يا مسلم هذا يهودي تعال فاقتله .

وهاهو الحجر يعلن حلفه مع المسلمين ضد قساة القلوب من اليهود ، ليعيد إلى الأذهان تلك النبوة الصادقة والأكيدة .

ونحن أمام عدوان على المقدسات كعدوان أصحاب الفيل ، عدوان يتترس بقوة متغطرسة ليس أمامها ما يكافؤها ، ولهؤلاء ، كما لأولئك أن يجعل كيدهم في تضليل ، وطير أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل . وعلى الإجمال فبراءة الاختراع لهذا السلاح الفعال هي مسجلة خصيصاً للمسلمين ، وبالذات للفلسطينيين.! إن النصوص التي بيننا تدل على أن حلم التوسع الجغرافي لليهود بعيد المنال ، فالمعركة معهم – وفق نصوص السنة – هي بالشام ، ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس ، وتحديداً ثمة معركة على نهر الأردن ، أنتم شرقيه وهم غربيه ، ولم يكن يدري الراوي ، أين الأردنّ يومئذ !

" ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ".

فالشام عقر دار الإسلام ، وبيت المقدس –بإذن الله– باق للمسلمين، وإن كان لليهود فيه ، أو في غيره جولة ، فللمسلمين جولات ظافرة منصورة .

حتى الدجال الذي ينتظره اليهود يظهر على الأرض كلها إلا مكة والمدينة وبيت المقدس (ابن أبي شيبة ، وأحمد ، والطبراني ، وسنده جيد)

وقد أخبر الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن خراب مكة ، والمدينة ، ولم يخبر عن خراب المقدس ، حيث الحلقة الأخيرة من حلقات الصراع مع اليهود .

والمعركة إسلامية ، وقودها الشبباب المسلم الصابر ، الذي ليس له انتماء إلا دينه ووقرآنه ، وشعارها الإسلام – وليس غيره – فالحجر أعلن تحالفه مع المسلم ، لإسلامه ، لا لقوميته ولا جنسه ، ولا عنصره . وهاهم حاخامات اليهود يفاجئون

العالم بتصريحاتهم العنصرية ضد الإسلام ، فالحاخام يوسف زعيم حركة شاس ، ثالث تجمع سياسي في إسرائيل ، والمشاركة في غالب الحكومات يصف العرب والمسلمين بأنهم كالأفاعي.

و الحاخام إبراهام شابير الذي كان الحاخام الأكبر في إسرائيل ، يقول: " نريد شباباً يهودياً يدرك أن رسالته الوحيدة هي تطهير الأرض من المسلمين ..يجب أن نتخلص منهم كما نتخلص من الجراثيم والميكروبات."

أما الحاخام الأكبر لإسرائيل سابقاً ، مردخاي إلياهو ، فإنه يقول مخاطباً مجموعة على وشك الالتحاق بالجيش الإسرائيلي : " القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد ، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته .. كيف يمكن تحقيق السلام في وقت يقدس العرب والمسلمون فيه كتاباً يتحدث عنا بكل هذه السلبية ؟ على حكام العرب أن يختاروا : إما القرآن أو السلام ! "

أما إسحاق بيريس ، فيقول في موعظة دينية : " إذا استمر ارتفاع الأذان الذي يدعو المسلمين إلى الصلاة في كل يوم خمس مرات ، في القاهرة وعمان والرباط ، فلا تتحدثوا عن السلام ." (البلاد 30 رجب 1421هـ)

نعم ، في اليهود أصوليون ، ومتطرفون ، وعلمانيون ، كما في العرب وسائر الشعوب ، ولكن الشأن الوحيد الذي يلتف حوله اليهود هو التوراة ، والمعنى الديني والانتماء العرقي كما أن النداء الوحيد الذي تتجاوب معه الرقعة العربية والإسلامية ، هو نداء الإسلام والجهاد .

وهذه الانتفاضة خير مصداق ، فالأيدي التي ترشق اليهود بالحجارة هي الأيدي المتوضئة .

والحناجر التي تهتف بالملايين من اليمن إلى المغرب ، إلى مصر ، إلى الأردن ، إلى بلاد المهجر ..

إنما تهتف لشعب يمثلها وينوب عنها ، لتقول: إن القضية لا تموت ، وإن ركام السنين المتطاولة ينقشع في لحظة ، وهذا لا يعارض أن هذه الانتفاضة الشاملة وأصداءها هو تفريغ لاحتقان تعيشه الأمة بسبب أزماتها المتفاقمة .

فالشعب الفلسطيني مارس حقه ، وعرف في هذا العمل طريقه ، فلم يعد يستأجر لقضايا أجنبية عن وجدانه ، ولا يعمل لحساب هذا أو ذاك ، بل لحساب مستقبله وأمته ومقدساته ، وهو بحاجة يقيناً إلى مزيد من هذه المعرفة التي تؤصل إسلامية المعركة ، وتنفي أي خيار آخر .

والمسلمون في كل أرض يتلاحمون مع إخوانهم في الأرض المباركة ؛ ليذوب الجليد بين المسلم وأخيه ، ولتختفي المناكفات والمعاتبات والتقاطعات القديمة ، والتي عمقتها حرب الخليج الثانية ؛ ليلتف الجميع حول قضية واحدة ، وفي مواجهة عدو مشترك ، وهذا كسب لا يستهان به .

فلنبن عليه قراراً بالدعم المتواصل للانتفاضة ، وإصراراً على استمرارها.

ولنبن عليه حسن استضافة للإخوة الفلسطينيين المقيمين في أي أرض إسلامية ، بما في ذلك توفير فرص العمل والدراسة والعيش الكريم .

ولنبن عليه اهتماماً بالفلسطينيين في جميع البلاد العربية والإسلامية ، وخصوصاً التجمعات والمخيمات في الأردن ، وسوريا ، ولبنان ، والضفة ، تربيةً وتعليماً ، وإعداداً ودعوةً .

ولنبن عليه دعم الفلسطينيين داخل إسرائيل ، والتواصل معهم ، فهي ورقة مهمة يمكن أن تؤدي دوراً لا يستهان به .

بل وأكثر من ذلك يمكن العمل على استثمار التناقضات القائمة في المجتمع اليهودي ، كما يستغلون هم التناقضات القائمة بيننا ، ولقد ذكر الله –تعالى– أن قلوبهم شتى " ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ".

وهذا يقودنا إلى شأن آخر حول وسائل مواجهة المكر اليهودي ، ودعم الانتفاضة الفلسطينية

===============

#قراءة في أسباب صعود ميجاواتي إلى كرسي الرئاسة

أول امرأة ترأس أكبر دولة إسلامية:

مضت أسابيع على ذلك الحدث المهم في جاكرتا، والكل ما يزال يعيش فترة ترقب في انتظار ما ستفعله الرئيسة الجديدة من تنفيذ للوعود الوردية التي سمعوها.. ففي

يوم 23يوليو الماضي وصل مجلس الشعب الاستشاري الإندونيسي إلى القرار المنتظر بعزل الرئيس عبد الرحمن وحيد، وبعد 20 دقيقة تم تنصيب "دايا برماتا ميجاواتي سيتاواتي سوكارنو بوتري" (54 عاما) نائبة الرئيس ورئيسة حزب النضال من أجل الديمقراطية رئيسة خامسة للبلاد.

رحل وحيد عن الحكم متلقياً النقد واللوم من كل جانب على فشله في أداء مهمته كأول رئيس منتخب ديمقراطياً بعد حكم ديكتاتوري دام 3 عقود، وبعد أزمة حطمت الكثير مما تم بناؤه اقتصادياً.. وتسلمت نائبته ميجاواتي القيادة رئيسة لأكبر أرخبيل في العالم يضم 17500 جزيرة و 300 جماعة عرقية وإثنية و203 ملايين نسمة تجعله الرابع سكاناً في العالم، والأول في العالم الإسلامي (90 % من السكان مسلمون)، أرخبيل شاسع المساحة يحتضن جنوب شرق آسيا من الجنوب حتى إن 40 % من الحركة التجارية العالمية تمر بمياهها أو بالقرب منها!.

وبعد أن ظلت الجماهير تسمع أحسن الأوصاف عن الزعيمة الرمز من أبواق صانعي شخصيتها جاء الدور على ميجاواتي لتحدد أي أسلوب من القيادة ستقود به البلاد؟ وهل ستكون أفضل من سابقها أم أنها ستفشل في إيقاف مسيرة أمة إلى المجهول؟.

هناك من يتعجل الإجابة فيقول: نعم، مؤيداً قوله بما استطاعت ميجاواتي تحقيقه إذ أصبح حزبها الأكبر في البلاد، ولكن هناك أيضاً من يقول إنها لن تكون أفضل من وحيد بكثير أو إنها قد تكون أفضل منه نسبياً لكنها لن تستطيع مواجهة مشكلات البلاد، وهناك الكثير من المؤشرات والأدلة على ذلك، فحزبها لم يكن ليصل إلى ما وصل إليه (153 مقعداً من مجموع 500) لولا وجود لوبيات مالية ودعم خارجي وشراء واسع للأصوات ثم إن الكثيرين يقرون بأنها تفتقر إلى المهارات القيادية التي يحتاجها من يقود بلداً كبيراً يعيش وضعاً غير طبيعي.

لماذا ترأست ؟

لا يزال البعض يبحث الأسباب التي دفعت بميجاواتي إلى الرئاسة..ولابد أن هناك العديد من الأسباب، فيما يلي 9 منها، بعضها تراكم على مدى سنوات والآخر ظهر في الفترة الأخيرة لوحيد:

أولاً: الوراثـة السياسـية: وهـذا أول عامـل، فبعـد 15 عامـاً مـن الخـروج مـن عزلتهـا كأخويها وأختيها ودخولها العمل السياسي دعيت ميجاواتي لتقود الحزب الديمقراطي لأنها قبلت أن تحمل اسم أبيها، أول رئيس للبلاد، أمام الجماهير التي كانت مكتومة الأنفاس بحكم سوهارتو المتفرد، وهكذا عرفت طوال عملها السياسي كابنة لسوكارنو الرئيس الأول للبلاد!. ساهم في ذلك مجتمع جزيرة جاوة الأبرز في تأثيره السياسي والذي لايزال متأثراً بالكثير مما هو ريفي وتقليدي، كما أن النظام التعليمي لم ينجح في توسيع تصورات وأفكار الأجيال الجديدة بشكل كبير، ولذلك فإن التأييد الذي كسبته ميجاواتي كما كسبه قبل ذلك الرئيس المعزول وحيد ينبع من العادات التي تحترم العـائلات المشـهورة، أمـا الأحـزاب الإصـلاحية الجديـدة فهـي تحظـى بتأييـد المثقفين والطلبة في المدن الذين يفكرون بطريقة مختلفة وقد خففوا من معتقداتهم الجاوية القديمة.

ولايُتوقع أن يبقى الحال كما هو في العقدين المقبلين، إذ سيكون للأحزاب "الشابة" الجديدة مستقبل سياسي أفضل، وهذا ما يفسر تفضيل المثقفين الإسلاميين والوطنيين لشخصية مثل "أمين رئيس " رئيس مجلس الشعب الذي كان أبرز من أسهموا في إسقاط سوهارتو لكنه لم يكسب تأييد قسم كبير من الجماهير الريفية، رغم دوره ورغم أنـه ناشـط سياسـي إسـلامي ورئـيس سـابق لجمعيـة المحمديـة الأبـرز فـي منـاطق الحضر.

كان سوهارتو وتنميته الصناعية غير المتسقة في جوانبها قد ساهما في تحطيم الكثير من الروابط القديمة وحلت محلها روابط اقتصادية ومادية بديلة ما بين السبعينيات إلـى عـام 1997م، وعندما تحطمـت أو ضـعفت هـذه الـروابط الجديـدة بفعل الأزمـة الماليـة الآسيوية وزال الاستقرار الاجتماعي من حياة الكثيرين عاد قسم من النـاس ليجتمعوا حول شيء من الأمل فنظر محبو نهضة العلماء إلى الرئيس وحيد ونظر من لديهم شيء من الشعور القومي إلى ابنة سوكارنو..

وقد اعتمد صانعو شخصية ميجاواتي على إحياء شعارات وذكرى إرث والدها على الـرغم مـن أنـه تـرك الـبلاد فـي وضـع سـيئ اقتصـادياً، لكـنهم ركـزوا علـى الجانـب الإيجابي الأول في حياته كزعيم للوحدة الإندونيسية.

ثانيا: مشروع رئاسة: تعد ميجاواتي واجهة لمجموعات من الشخصيات والأطراف المؤثرة..بدءًا بزوجها رجل الأعمال اليساري محمد توفيق كيماس، وبعض هذه الأطراف والشخصيات تريد تطبيق خططها ومشاريعها وتشكيل مستقبل البلاد من خلالها، وأخرى ترى فيها عبوراً لمصالحها كما كان بعضها تماماً يعمل على كسب مصالح شخصية في ظل حكم سوهارتو، ولذلك فهي تعمل كواجهة شعبية وشخصية كاريزماتية لمجموعة من قيادات حزبها وللوبيات مالية وسياسية ودينية تتحرك وتتوصل إلى القرار والسياسات، بل وقد تعمل هذه المجالس واللوبيات كمجلس رئاسة سري من خلف الكواليس. وتقوم قيادات حزب ميجاواتي بكل ما هو ضروري من حشد التأييد لقضية معينة أو قرار في جلسة برلمانية أو لقاءات حزبية سرية أو علنية. ولا يمكن إغفال الترحيب الخارجي بها خاصة من الولايات المتحدة التي أرسلت مراقبين لانتخابات عام 1999م وكانوا يترقبون ترؤسها آنذاك من أجل إبعاد الرئاسة عن الإسلاميين، لكن واشنطن قبلت بالرئيس وحيد لأسباب عدة تتعلق بفكره المعارض لأسلمة الحياة السياسية وشخصيته ووضع إندونيسيا، ولما لم يعد قادراً على تطبيق أي برنامج تركته الولايات المتحدة وحيداً ومع الأيام كان سقوطه.

ثالثا: فرصة ذهبية: بقيت ميجاواتي رمزاً تحوم حوله الأوصاف الجذابة كالقول بأنها زعيمة الفقراء وأنها ستفرض العدالة والمساواة، وتسميتها في الأبواق التي تعمل لها بالملكة الجاوية العادلة، وقد تشجع حزبها لدفعها إلى الحكم وتحرك في الأسابيع الأخيرة متخلياً عن خيار الانتظار حتى الانتخابات القادمة في عام 2004م؛ لأنهم بدأوا يخشون من أنهم لن يستطيعوا كسب ما كسبوه في الانتخابات السابقة من الأصوات باللوبيات والتحالفات واستغلال الأموال المسيسة وشراء الأصوات.. لقد جاء دفع ميجاواتي إلى الرئاسة في فرصة ذهبية صاحبت قبولاً عاماً بعد اليأس من وحيد بشكل قد يصعب حصوله مستقبلاً.

رابعاً: أسلم الطرق الطارئة: كانت ميجاواتي الطريق الأقصر والأسرع للخروج من مأزق البلاد مع الفشل الذريع للرئيس السابق وحيد، فقد خيب وحيد آمال الجميع حتى إن قسماً من قادة جمعية نهضة العلماء التي منها انبثقت شهرته لم يكونوا راضين عن سياسته، بالإضافة إلى الإسلاميين الذين اختاروه وشعروا أنهم مطالبون قبل

غيرهم بعزله ولذلك كان اختيار ميجاواتي بأغلبية 591 صوتاً من الحضور مقابل لاشيء مع غياب أعضاء حزب النهضة (حزب وحيد) وحزب نصراني صغير.

ولم يكن الرئيس وحيد ليبقى مدة 21 شهراً مع افتقاده لأي إنجازات ملموسة تذكر لولا أنه يحسن المناورة السياسية، ولم يكن سقوطه إلا بعد أن استهلك جميع مناوراته وكرر بعضها من تغيير وزارات ومفاوضات، وتوزيع سلطات ومناصب، وتهديد بالطوارئ، و تغيير أو محاولة تغيير قيادات العسكر والشرطة، وخطبه وأحاديثه، ثم زيارته لأكثر من 60 دولة، وهذا يعد أبرز شيء اختلف به عن غيره بتحقيقه الرقم القياسي عالمياً لعدد زيارات رئيس دولة خلال 21 شهراً !، ثم الحديث بدون حذر من انعكاسات أقواله وما يمكن أن تثيره من مشكلات، ثم تهديده بأعمال عنف من جانب أنصاره، ومحاولة صناعة لوبي إعلامي يعمل لصالحه..لكن هذه الأساليب لم تنفعه في النهاية وسقط وحيد لتأتي ميجاواتي. خامساً: تغير موقف الأحزاب الإسلامية: وذلك من ناحيتين، الأولى من ناحية توجهها حيث غير الكثيرون نظرة الريب تجاهها كزعيمة حزب يساري نصراني غير إصلاحي، ثم لأنها امرأة..وكانت الأحزاب الإسلامية هي القوة التي انتبهت لأهميتها فغيرت من تعاملها معهم لتكسب أصواتهم!!، فلولا ترشيح الإسلاميين والوطنيين لوحيد في أكتوبر 1999م لوصلت هي إلى الحكم في ذلك العام، فهم القوة التي يمكنها تجميع ما بين 142 إلى 250 صوتاً في البرلمان وقد يزيد الرقم على ذلك لو مالت كفة حزب جولكار الوطني إليهم، وعلى رأس هؤلاء حزب التنمية المتحد الذي يمتلك 70 مقعداً في مجلس الشعب الاستشاري، ثم الكتلة الإصلاحية ولها 49 مقعداً من حزبي الأمانة الوطني (حزب أمين رئيس رئيس المجلس) وحزب العدالة الإسلامي (الذي يمثل الحركة الإسلامية المعاصرة)، ثم كتلة حزب النجمة والهلال ذات ال13 مقعداً وأعداد أخرى متفرقة.

وقد تغير موقف الكثير من الشخصيات الإسلامية تجاه قضية رئاسة المرأة، كما أن وحيد ليس بالإسلامي بالمعنى الواضح والمفهوم، مما يحمله السياسي الإسلامي من مفاهيم فهو أقرب إلى القومية أو الوطنية الممزوجة بمسحات من الفكر الإسلامي بل لديه أفكار علمانية في المجال السياسي، غير أن الإسلاميين انتخبوه آنذاك بنظرية

"أخف الضررين" وتفادياً لترشيح ميجاواتي التي قالوا إنها كانت خطراً على الإسلام والمسلمين في تلك الفترة؛ خاصة مع توعد قيادات وجماهير حزبها بالنيل من الإسلاميين وقد بدت بوادر ذلك بحوادث عنف من قِبَلهم، ومع أن المثقفين الإسلاميين من الإصلاحيين ركزوا على أنهم لا يرفضون ميجاواتي لمجرد أنها امرأة ولكن لتوجهها، فإن حزب التنمية المتحد ذا الشهرة التاريخية ركز على قضية تحريم إسناد الولاية العظمى (المتمثلة بالرئاسة اليوم)، للمرأة ولهذا كانت المفاجأة حين رشح الحزب بعد عامين رئيسه الحاج حمزة هاز نائباً لميجاواتي!.

وهكذا ظهر ضعف الوعي الشرعي والإسلامي لكثير من القادة السياسيين التاريخيين للمسلمين. فتغير موقف حزب التنمية بتغير الأحداث السياسية خلال عامين فقط مع عدم تغير الحالة المحكوم عليها أظهر أن المواقف الشرعية للحزب ليست إلا "فتاوى سياسية". ويقول محللون إن الأحزاب الإسلامية الأخرى غير حزب التنمية وافقت على رئاسة ميجاواتي كأقصر الطرق للخروج من الأزمة الرئاسية.

أما مجلس العلماء الإندونيسي فقد أكد رئيسه الدكتور عمر شهاب أن منظمته وهي أعلى منظمة شرعية رسمية في البلاد قد اتخذت قرارها بالتزام الحياد في مسألة الرئاسة أو الولاية الكبرى للمرأة؛ معللاً ذلك بوجود خلافات فقهية حول الأمر، لكن لوحظ أن تصريح شهاب جاء بعد اجتماع عقدته ميجاواتي مع بعض علماء المجلس قبل أيام من تسلمها السلطة، وقال شهاب: "شخصياً أوافق على رئاسة المرأة وهذا رأيي الشخصي ولكن هناك آخرين من مجلس العلماء لهم آراؤهم المعارضة الأخرى".

ويذكر أن رئيس مجلس الشعب "أمين رئيس" شهد مؤخراً في المؤتمر الثالث لحزب العدالة الإسلامي بأن قيادات حزب العدالة كانوا الأكثر وضوحاً في طلبهم من ميجاواتي خلال الاجتماعات التي مهدت لصعودها للرئاسة ألا تتبع سياسية تعادي بها مصالح المسلمين وألا تعين وزيراً يجاهر بمعاداته للمسلمين وأن تدعم ترشيح نائب لها من الإسلاميين وهو ما قامت به بالفعل، وقد ذكر رئيس حزب العدالة الدكتور هدايت نور أن من أبرز أسباب سقوط الرئيس وحيد عدم تماشي أقواله وأفعاله مع طموحات ومطالب المسلمين بدءاً بقضايا العلاقة مع الكيان الصهيوني

ورفع الحظر عن الفكر الشيوعي وعدم إيقاف المذابح التي تفتك بالمسلمين وغير ذلك.

سادساً: تخلي الجيش عن وحيد: وهذا عامل وقتي كان له الأثر الكبير ولولاه لتأخر حدوث انتقال السلطة بهذا الشكل السريع والسلمي الذي جعله وكأنه "انقلاب دستوري"، فقد هدد وحيد عدة مرات بإعلان الطوارئ وحل البرلمان ومجلس الشعب لكنه لم يستطع تنفيذ ذلك مع معارضة وزرائه وعدد كبير من مستشاريه بل وجمعية نهضة العلماء لذلك وقبل ذلك، الجيش والشرطة اللذين بدون دعمهما لن يستطيع تنفيذ قراره، وحين أعلن الطوارئ لمنع عقد جلسة محاكمته لم ينفذ الجيش ولا الشرطة ما أمرهما الرئيس به ورفضا مد يد العون له، بل لم يلتزما بمجرد الحياد كما عهد عنهما في العامين الماضيين بل صوتت كتلتهما النيابية مع الأحزاب الأخرى على عزل الرئيس، وانتشرت مدرعاتهما وآلاف من جنودهما لحماية عملية نقل السلطة.

وتعلم ميجاواتي الدور السياسي للجيش والشرطة، لذا كانت أولى مكافآتها للمؤسستين إعادة تثبيت الجنرال بيمنتارو رئيس الشرطة في منصبه بعد أن تعرض لمحاولة عزل من قبل وحيد.

سابعاً: تقلب الموقف الغربي: كانت الأطراف الأجنبية اللاعبة والمراقبة للساحة الإندونيسية منذ سقوط الرئيس السابق سوهارتو تتوقع وصول ميجاواتي إلى السلطة؛ لكن الإسلاميين قطعوا الطريق أمامها عام 1999م ويتفق الكثير منهم على أن ترؤسها آنذاك كان سيأتي بالشر على الإسلام والمسلمين لتزامن ترشحها آنذاك مع مواجهة قطبية بين الإسلاميين من جانب واليساريين من حزبها الذين توعد بعضهم بقمع الحركة الإسلامية، ولأن الدول الغربية كانت تعلم أن الرئيس السابق وحيد لن يكون إسلامياً بالمعنى الذي تخشاه فقد تركته؛ غير أنه وصل إلى مرحلة لم يعد ينفع فيها الدول الغربية أو غيرها من الأطراف ذات المصالح في إندونيسيا، فكان الإيحاء إلى صندوق النقد الدولي بإيقاف ضخ الدفعات المالية من القرض الممنوح لإندونيسيا حتى تأتي حكومة جديدة، وجاءت ميجاواتي، وفي يوم 19سبتمبر الجاري ستكون في واشنطن لتعرف الموقف النهائي لواشنطن تجاه سياسات التسلح والانفصاليين والاقتصاد والمد الإسلامي، ولا ينسى في هذا الصدد أن زوج ميجاواتي زار واشنطن

في منتصف شهر مايو الماضي ممهداً لتواصل بينها وبين الكونجرس والبنتاجون ووزارة الخارجية، كما أن وحيد قال إن عدداً من الغواصات الأمريكية كانت راسية قبالة سواحل إندونيسية عشية عزله و ترؤس ميجاواتي ولم يستبعد المراقبون حدوث ذلك!.

ثامناً: غياب أحداث العنف: وهو أمر لم يكن يتوقع من قبل الكثيرين إلا من علم عن قرب بنية قادة جمعية نهضة العلماء بعدم التدخل لحماية رئيسهم؛ مثبتين بذلك عدم صحة الاعتقاد بأن وحيد يسيطر على قرارات النهضة بعد تخليه عن رئاستها، وباستثناء عدد من التفجيرات المتفرقة لم تتوافد إلى جاكرتا إلا أعداد قليلة من مؤيدي وحيد وقام آخرون منهم بأعمال شغب في مناطق أخرى في جاوة، ولذلك لابد هنا من الإشارة إلى موقف علماء جمعية نهضة العلماء الجماعي الذي أثبتوا فيه الفرق بين قرار جمعية النهضة وقرار حزب النهضة القومية، ولا يعد هذا العامل قليل الأهمية مع أنه لم يلق انتباها إعلامياً كافياً. فالانتقال السلمي للسلطة كان لسببين أولهما موقف الجيش وثانيهما تراجع جمعية نهضة العلماء عن الدفاع عن وحيد.

تاسعاً: تأييد القضاء: كان هذا سلاح وحيد الأخير لكن رئيس المحكمة العليا باغير منان لم يدافع عن موقف وحيد قانونياً، و أكد أنه "لا يملك الحق " في حل البرلمان أو مجلس الشعب. وفي جلسة محاكمة الرئيس استمع 601 من أعضاء مجلس الشعب إلى رسالة كتبها رئيس المحكمة العليا يحكم فيها بأن قرار الرئيس بحل البرلمان والمجلس قرار غير مناسب وغير صالح للتطبيق.

المؤهلات القيادية المجهولة !

يدور الجدل حول مؤهلات الرئيسة ميجاواتي القيادية وبالتأكيد ستثبت الأيام صحة بعضها وخطأ الآخر فقد تغير المسؤولية من شخصيتها إلى الأحسن أو تبقى على ما عُرفت عليه سابقاً، بعض المحللين يتخوفون من أنها ستكون ضعيفة ولن تقوى على مواجهة سيل الفساد المالي ولا نفوذ الجنرالات، وهناك الكثير ممن شكك في مؤهلاتها ولن يمكننا جرد أسماء وتعليقات هؤلاء، ولكننا نذكر منهم هرمان سرغال الناشط الطلابي المعروف. كما شكك المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية بلندن في

دراسة له قبل أسابيع في قدراتها الزعامية وتساءل باحثوه عما ستقوم به لاستعادة استقرار البلاد مستبعدين أن تكون أفضل من وحيد..

بل إن مختار بخاري العضو القديم في حزبها و السياسي المعروف ذهب إلى القول: "بأن ميجاواتي تعد الأقل قدرة بين السياسيين الإندونيسيين على قيادة البلاد". أما المحلل السياسي أندي مالارنغيغ فيرى أن ميجاواتي هي الأحق بالرئاسة من ناحية ديمقراطية بحتة وليس لأنها أفضل من غيرها، وربما كان هذا الأمر من عيوب النظام الديمقراطي الغربي.

ليست مثقفة.. وصامتة

على الطريقة الجاوية

ويرتبط هذا الحديث بما هو معروف عنها من أنها ليست بمفكرة سياسية أو كاتبة ولا عالية الثقافة ولم تكمل تعليمها، ولهذا ترفض الاشتراك في ندوات ثقافية أو حوارات سياسية تنقل على الهواء مباشرة، وكان أطول حوار تلفزيوني لها حديثها لمدة ساعة تقريباً في ذكرى مرور قرن على ميلاد والدها، أما حواراتها الصحفية فهي معدودة على أصابع اليدين ومعظم تصريحاتها ينقلها غيرها عنها.

وينقل الكاتب الأجنبي لويس ريتشارد نقد البعض لها بأنها "ليست بالذكية ولذلك لم تكمل الدراسة الجامعية مرتين".ويعد صمتها سبب قلق للكثيرين، فهي التزمت الصمت حيال الكثير من القضايا، بل إن الصمت هو القاعدة في سلوكها ويقول دبلوماسي غربي: "لا أحد يعرف الكثير عن حقيقة ما يدور في مخيلة ميجاواتي لما ستكون عليه البلاد في ظل حكمها، فهي تختلف عن أبيها الذي كان كاريزماتياً وجذاباً في حديثه وخطيباً مفوهاً".

فهل صمتها كان ذهبياً؟.. يعتقد مؤيدوها من الجاويين (هذا لا يعني أن كل الجاويين مؤيدون لها) أن الصمت علامة الحكمة والقوة والاحترام، غير أن صمتها في كل مرة تتعرض فيه للقمع السياسي كان يثير خيبة أمل بين مؤيديها، وأقصاه كان انعزالاً كاملاً عن السياسة بين عامي 1996 و 1999م، وربما ساعدها حماسها على إعادة إحياء دورها السياسي وتوسيع شعبيتها من مجرد رمز اضطهاد يحبها قسم من الفقراء

لتنضم للمؤيدين لها شخصيات معروفة ورجال أعمال من النصارى والصينيين واليساريين وقادة في الجيش.

المؤكد أن صمتها حافظ على سمعتها المصطنعة، لذا يرى مستشاروها و بعض مؤيديها من المحللين أن صمتها هو عامل قوة لها وفي ذلك شيء من الصحة، إذ لم يوجد أي تصور سلبي مبني على قول أو فعل صدر منها.

وهي حين تتحدث تعطي تلميحات في الغالب دون ذكر أسماء، أما التردد والتأخر في اتخاذ المبادرة فهما صفتان أخريان عرفتا عنهما. ولعل الثقافة السياسية الجاوية تفضل التعقيد والمناورة وعدم المواجهة المباشرة ولم يكن وحيد ببعيد عن هذا الأسلوب فقد كان كثير المناورات ومواجهته مع البرلمان لم تكن بالمعنى الحقيقي للمواجهة، وقد أكدت ميجاواتي خلال عملها السياسي أنها لا تحب إدارة المناورات السياسية الحزبية وتركت ذلك لمستشاريها وسياسيي حزبها، ومن أمثلة ذلك أنها لم تعلن عن حزبها الجديد إلا بعد سقوط الرئيس السابق سوهارتو بثمانية أشهر. ولعل خسارتها في الانتخابات الرئاسية لعام 1999م تعود إلى ضعف مبادرتها وتحركها وتدل على عدم كفاية الاعتماد على البطانة الاستشارية، كما ظلت غير راغبة في المواجهة السياسية بشكل واضح خلال عهد وحيد وبعيدة عن النقد المباشر له حتى شهر مايو الماضي عندما أصبح غيرها ينقل عنها القول بأن العلاقة بينها وبين وحيد لم تعد كما كانت وأنها لا تؤيد بقاءه في السلطة، ولم تبلغ حدة تصريحاتها ضده أقصاها إلا يوم 13-7-2001م بقولها إنه لم تعد هناك ثقة بينها وبين وحيد.

كما ظلت مترددة في دعوة الأحزاب الأخرى إلى اجتماع موجه ضد وحيد والذي لم ينعقد إلا في اليوم الأخير من حكمه (2001-7-22م) وذلك خوفًا من التورط في مواجهة مع أنصاره لأن هناك قواعد شعبية مشتركة لكل منهما، تتحاشى الظهور بمظهر من أسقط وحيد وفي المقابل تريد من غيرها رفعها لكرسي الرئاسة وهو ما حصل بالفعل.

التحديات التي تواجه ميجاواتي

لن تكون مهمة ميجاواتي سهلة، فإن أي رئيس لإندونيسيا لن يستطيع حل معضلات البلاد التي تكالبت عليها الأزمات الاقتصادية والسياسية ثم الآثار الاجتماعية في آن

واحد. ويتفق المحللون على أن فاعلية ونجاح عمل الوزراء الذين عينتهم قد تفوق أهمية أداء ميجاواتي نفسها؛ خاصة أنهم متنوعون في خلفياتهم السياسية والمهنية حيث وزعت الوزارات على عدد من المهنيين غير السياسيين وكبار الموظفين السابقين، كما تسلم الجيش وأكبرالأحزاب بعض الوزارات من مجموع 31 وزارة...
ويمكن اختصار التحديات التي تواجه ميجاواتي بالنقاط العشرة التالية:

1 ضرورة إيضاح تصورات تفصيلية وبعيدة المدى لما ستؤول إليه الأوضاع وعدم الارتكان إلى الخطابات الفضفاضة العامة حيث لم تكن لها استراتيجية معلنة باسم حزبها قبل ترؤسها، وتظل علامات الاستفهام تدور حول قراراتها المستقبلية وما تخطط لفعله خلال عامين من الرئاسة.

2 استعادة هيبة الدولة ومصداقيتها: وربما انتهت فترة العسل التي تستقبل فيها رئيسة منتخبة جديدة ليبدأ الاختبار الحقيقي حول قدرة ميجاواتي على استعادة الثقة والاحترام الشعبي والإقليمي والدولي لدولتها بعد فقدانها ذلك خلال السنوات الماضية.

3 استعادة استقرار الاقتصاد: وقد تجاوب صندوق النقد مع الفريق الاقتصادي الجديد الذي عينته ميجاواتي، ولكن هل سينفع برنامج الصندوق أم أنه سيكون مشروعًا فاشلاً آخر، مع تراكم القروض الحكومية وقروض القطاع الخاص التي فاقت 200 مليار دولار حسب أقل التقديرات؟

4 مواجهة الفساد: وهي الكلمة الأكثر بغضًا في الشارع الإعلامي والسياسي. ومع أن ميجاواتي قد أعلنت في خطابها الجمهوري الأول يوم 16-8 عزمها محاربة الفساد المالي والإداري المستشري في مؤسسات الدولة وفي نظامها القضائي؛ فإن الخبراء لا يزالون يطالبونها باستراتيجية محددة لتنفيذ ذلك؛ خاصة مع موجة الشك التي تحوم حول قدرة المدعي العام الجديد على فعل الكثير.

5 الحفاظ على وحدة البلاد: وهذه مهمة صعبة في مجال مليء بالدماء والأشلاء والأشواك... فكيف ستتعامل ميجاواتي مع الحركات الانفصالية وخاصة في آتشيه وإريان جايا؟ وهل ستطبق بالفعل تفاصيل القانون الخاص بالحكم الذاتي وتسلم غالبية إيرادات الثروات في آتشيه لسكانها؟ وكيف سيكون موقف الجيش الذي يقال

إنه كبح جماح حركة تحرير آتشيه، وفي مقابل ذلك ما الثمن الإنساني الذي يمكن للدولة أن تتغاضى عنه باسم الحفاظ على "الوحدة الوطنية"؟!

6 العلاقة مع الجيش: يظل التساؤل يتردد على ألسنة الكثيرين حول ما سيؤول إليه دور الجيش وهل ستزيد حكومة ميجاواتي من صلاحياته أم ستقللها خاصة بعد الدور الذي قام به الجيش في إيصالها للسلطة؟

7 محاكمات حقوق الإنسان: هناك العديد من الملفات التي تحتاج إلى أن تُفتح ويحاكم المتهمون عن إسالة دماء أبرياء فيها، فانتهاكات حقوق الإنسان جرح من جراح إندونيسيا الغائرة، فكيف ستتعامل ميجاواتي مع هذا التاريخ من الانتهاكات ؟ وهل ستهمله إذا سكتت الدول الغربية عنه ولم تحاول الضغط على حكومتها بسببه كما حصل مع الرئيسين السابقين حبيبي ووحيد؟.

8 العلاقة مع حزبها: كيف سيكون أثر الانقسامات المعروفة في حزب ميجاواتي على أدائها وعلى الأجندة التي تحددها؟ فتأخر إعلان الحكومة لمدة 17 يوماً كان بسبب الخلاف داخل كوادر الحزب وليس بسبب الخلاف بينها وبين الأحزاب الأخرى، ويرتبط هذا البعد بالمناخ السياسي الصعب الذي تعيشه إندونيسيا وعدم امتلاك حزب ميجاواتي إلا 34 % من مقاعد البرلمان؛ مما يجعل من الصعب على أي رئيس أن يحكم بسهولة، فهل ستستطيع ميجاواتي الحفاظ على حكمها وعلى أداء ما يريده الشعب منها ولو بنسب نجاح متواضعة قبل الانتخابات القادمة؟.

9 البعد الإسلامي: اقتنعت ميجاواتي بأنها لا تستطيع الوقوف أمام الإسلاميين وجهاً لوجه فاتجهت إلى الديار المقدسة وأدت الحج والعمرة وعادت لتسمى الحاجة ميجاواتي ولتمحو التصور المعروف عنها بأنها زعيمة حزب يساري معادٍ للإسلام والمسلمين، فإلى متى ستستمر هذه العلاقة التفاهمية وهل ستمتنع عن فعل ما يضر مصالح المسلمين ويجرح مشاعر الإسلاميين وهي تعلم أن فترة العامين القادمين ستكون اختباراً لها يحدد خريطة التحالفات في الانتخابات القادمة؟.

10 التحدي الإنساني والاجتماعي: أمام ميجاواتي 1.3 مليون لاجئ ومشرد و 80 مليون طفل منهم 10 ملايين على الأقل دون تعليم و 80 مليون إندونيسي دون قدرة مالية على شراء أدوية، وغير ذلك من الأوضاع الاجتماعية والإنسانية المأساوية

التي يعيشها عشرات الملايين ولا تنقلها لنا وكالات الأنباء المنشغلة بالجانب السياسي، فماذا ستفعل لهم؟!.

ونختم بالقول بأن ميجاواتي ظلت طوال الفترة الماضية أملاً مصطنعًا في أذهان البعض من الجماهير الفقيرة الباحثة عن قيادة تثق بها بعد فترة سوهارتو وتجريب وحيد..لكن الترحيب بالقادم ليس دليلاً على نجاح الخاتمة..فهي تواجه مهمات صعبة وثقيلة جداً..وهي بلا شك لا تمتلك وصفة سحرية وليس لديها الكثير سوى عامين لتواجه انتخابات أخرى..وإذا شعر الناس بأنها لم تؤد المهمة على الوجه الذي تستحق...فقد يثور حينذاك طوفان آخر..!=>

===============

#قصر العمائم.

أنور العسيري 1423/7/27

2001/10/14

في أزقتها يتجول التاريخ ، على أطرافها تتناوب أقدام الفقراء و الحوار مع الأرض في منظومة البحث عن

الرزق ، حركة الناس المبعثرة في دكاكين مدينة البصرة العتيقة توحي بانتظام هذه العشوائية الجميلة.

شوارع السوق يتأرجح على ظهرها البسطاء . العمائم تتراقص على جوانب الدكاكين ... النساجون تتقوس ظهورهم في شكل فيسفيسائي بديع ... ...

فجأة عجلة السوق توقفت عن الدوران..الأيادي رفعت عن الخيوط ..انتظم الناس في تجمعهم سكنوا خلف طبول المنادي ... منادي الوالي يقترب من الجموع.. حوله، تقاطرت الناس ، لفوه كعمامة أصيلة تحتضن رأس فارسها.

أعينهم، أفواههم، أياديهم كلها فتحت تراقب منادي الوالي ، المنادي وقد ارتقى ساحة السوق على أكتاف أربعة من الرجال أسدل ستار البداية بالسلام ، زحفت كلماته محلقة في فضاء الناس :

قرر الوالي الهمام بيان الدين الإمام وبعد مشاورات مع خبراء العالم في السوق واحتياجاته والمال واستخداماته... أن يمنح أمتنا فرصة الكسب وذلك بزراعة الصوف

الخام استفادة من سعره المرتفع هذه الأيام بما يحقق للبلاد وشعبها المقدام أمل الرخاء والسلام .

أخوكم في الإسلام /الوالي الهمام بيان الدين الإمام والي العراق ومصر والشام .

الأيادي في ألم تنزع العمائم من على أبواب الدكاكين ... لم يمهلهم الجو العاصف ....

أسبل المطر في المدينة ..فرق بإسباله موكب الناس.... ضجت شظايا الحنق في كلماتهم اختلطت بقصف الرعود المتتالي.

تفرق الناس... دوائر همساتهم نفذت آذان الجدران... باتجاه الشيخ الناصر (شيخ نساجي الأمة) انطلق نفر من النساجين همم يقظة ووجوه يبعثرها الغضب وقفوا أمام الشيخ الناصر...على كرسيه جلس، لحيته البيضاء ، استدارة وجهه ، مسارات السنين في جبينه صنعة حكمته.

حيوه بملامحهم الحزينة أدرك ألم الخطب لكنه ما توقعه..

الناصر : ما خطب أبنائي المهرة

أحدهم : انتهينا يا شيخ

أضاءت كلماته : لاينهيكم إلا الذي أحياكم .... ما لذي أصابكم ...

أوردوا البيان على شيخ النساجين.. بدا في صمته المطبق حوار أدرك كنهه الموجودون..

الناصر : اذهبوا إلى حاجب الوالي واستأذنوا لي في مقابلته فلعل في الأمر لبس .

مضى النساجون ومضى الشيخ إلى ذهنه ،سأل نفسه : رباه ماذا يدور في ذهن الوالي ....

اخترق بوابة القصر ....هرم من العمائم اغتصب قلب الحديقة كان في شكل بديع ،قصر من العمائم .... استسلم لابتسامته المطحونة :أتلبس الأرض عمائمنا قصراً وتخلو رؤوسنا منها...تابع المسير يتقدمه الحاجب ?...?لبرهة استوقفه رجال القصر، اكمل بعدها مسيره دخل مجلس الوالي كان خالياً جلس ينتظر مجيئه .....

صوت الوالي يسبق خطواته استقام الشيخ حيا هـ..

على يمين الوالي جلس، صمت احتسى المكان اخجل في نفس الناصر ومضة الإقدام لكنه لم يمحها قلبت طاولة الصمت إشارة الوالي.

الوالي :ما خطبك أيها الناصر .؟

الناصر: جئت رغبة في فهم أكثر لمضمون البيان الذي تلي اليوم.. فسوق البصرة العتيق تأكل أنفاسه الشكوك.!

الوالي :اسمع أيها الناصر أنت حكيم، ولا أظنه يخفى عليك ما تمر به بلادنا من فقر أجدب الخزينة ... من الأولى أن نبيع الصوف الخام فمدخوله وافر.. والبلدان الصديقة تسعى لدفع ثمنه ذهباُ ...

الناصر :ارفق بنساجي أمتك ..في نسجهم معان.. هم لا ينسجون عمائم هم ينسجون تاريخاً.

الوالي : أنا ارفق الناس بهم وبكسبهم يا هذا ... ومع ذلك فعمائم الروم سعرها زهيد ...

الناصر : أو تعتقد أن الروم ينسجون عمائمنا! ...إنهم ينسجون تاريخهم ... كيف لأبناء البصرة التي اشتهرت بنسج العمائم حتى لقد طرز اسمها قصركم الميمون ..(قصر العمائم) كيف لها أن تلبس تاريخهم ؟

الوالي : ويحك أيها الناصر ...قد جاوزت في كلامك الحد .

الناصر : بل والله قد رأيت الحق فقلته ... لماذا تذبح صنعتنا ويستباح نسيجنا ؟

استشاط الوالي غضباً.. ملء كؤوس حنقه ..صرخ قائلاً: لن ترى عيناك النور بعد الآن أيها العجوز الحالم .

أمر حرسه بسجنه.. ساروا به إلى الزنزانة ... وجهها المظلم استقبله بفرح ...ارتكن إلى زاوية صغيرة نظر إلى السماء...ناجى ربه ...تأمل حاله ...استلقى على ظهره ... لثم فاه نومه .. عانقه ... التهمه النعاس

...المساء يتأمل سوق العمائم وقد خلا من أهله غاب عن صمته ، نثر همه مع النجوم أخذ من سناها حلمه ..ألهمه انبعاثها أملا ...ألقى بكتفه على السوق غاب السوق في سواده .

لحظات وانطلقت المفاجأة:

.... الليل صار نهاراً ...أبواب المدينة أغلقت .... صهيل خيول يفترس الأرض ... نيران تشتعل في المكان .... فرسان تصعد أكتاف القصر.... تهاوت رؤوس العامة دكاكين البصرة انتهكت ... قصر العمائم تهاوى على الأرض، سيوف تهدمه تقطع خيوطه، صارت العمائم كومة قش .... استفز الأمر.. الحرس قاوموا الفرسان ما استطاعوا ... الوالي حمل على خوفه سار بيده السيف ... خبئ أهله في حجرة بعيدة.. انطلق يبحث عن الصوت ... فاجئوه .. قفزوا إليه (كان يلبس عباءة أهداها له ملك الروم) ... تقدم أحدهم من الوالي ... أمام نظرات سيوفهم ألقى سيفه ...

قال أحدهم :

مار أيك في عباءتنا أيها الوالي :

تصلبت أطراف الكلام تنازعت الدهشة قلبه اصطدمت بقارب غضبه أسقطته على الأرض

لماذا ؟ قفزت أسئلة الوالي .... لم يجبه إلا صوت الناصر ، في زنزانة واحدة جلس الاثنان

كان البكاء يخالج بوح الوالي ... فقد كانت المفاجأة اكبر من أن يتوقعها الوالي..

في غفلة استولى الروم على الأرض .

... لملم الغزاة العامة ... في حزن يرقبون الحدث ... سلاسل الحديد تقود الوالي والناصر ...خرت الأصوات دهشة ... صعق المكان ماذا سيحدث لهم تناثر هذا السؤال على طول الشاطئ ،ما أجاب أحد ؟!! دفع الاثنان بأمر من كبير جنود الروم إلى قارب صغير قيدوا جسدهم بالقارب ... استلم كبيرهم الحبل المعلق به، قطعه ... دفع بقوة القارب انهزم الموج أمامه، أبحر القارب ... أنامل قلوب العامة ودعت الراحلين .

الوالي : الموت أيها الناصر قد اقبل ..

الناصر : مازلت تنظر بعيني رأسك أيها الوالي و مازلت انظر بعيني عقلي !

ما يشغلني إلا الإجابة على سؤال أرهق ذهني

الوالي : وما هو هذا السؤال ؟

الناصر : ما الذي سيحدث بعد هذا لابنائنا يا والي ؟

الوالي : حقاً أيها الناصر .. إنها أمة تذبح ..... صمت لبرهة .... صهل خيل شعره ... أنشد :

ابعد عمامتي خلعت بلادي وبعد العز تنتحب الكرامة

خلعت عن الحكيم حكيم قومي قلادة عقله فدنت ملامة

عمامة ناصري كانت رداء لفهم العقل اكبر من عمامة

وهذا فهم من بالدين سوى مناهج عزمه طول استقامة

أهذا الروم من وعدوا بعز نعم وعدوا وقد وفت الندامة

ابعد عمامتي خلعت بلادي ابعد عمامتي خلعت بلادي

البحر التهم القارب .... غابا معاً.

العام 1422للهجرة... "و في عصر العولمة هل ذابت هوية المسلمين ؟ أصبحنا نلبس لباسهم نحتسي حسائهم نفهم على طريقتهم هل انتهينا حقًا ..." (المذيع وقد تأبط حيويته تابع بث مقدمة برنامجه الصاخب : كانت هذه القصة مقدمة كتبها الكاتب الإسلامي ..(المعروف) رغم أن القصة تبدو من نسج الخيال إلا أننا أوردناها مقدمة لحلقتنا اليوم في برنامجكم الحواري الساخن بعنوان هوية الأمة بين الصمود والذوبان ...

نلتقي فيها مع المفكر الإسلامي احمد عبد الله والمفكر العلماني احمد عبد الله...المذيع وقد شمر عن ساعدي نظارته المثقفة ! تفضل يا أستاذ احمد .

احمد عبد الله الأول : أنا اعتقد أن النظام الاستخرابي الجديد يستعمل البوابة الاقتصادية للترويج لمجموع قيمه نظرة إلى الملابس التي تستهلك أجسادنا ستجد من الرموز العقدية والفكرية والصور ذات المضامين التاريخية ما يعتبر محاولة حقيقية لهز قيم أجيالنا الجديدة ... ولك في أطعمتنا التي فرضت نمطها ظروف حياتية اجتماعية غربية مثال واضح. ...نمط المجتمع الاستهلاكي المفروض علينا بفعل الاغراءات نمط جديد ضد قيمنا وديننا انه نمط مجتمعات تبحث عن المتعة لا الآخرة .

أحمد عبد الله الثاني : اعتبر هذا الكلام كلام أناس يعيشون في الماضي ... نحن في عصر الفضاء والعالم تحكمه ثقافة واحدة .. اسمها العولمة .. ما دخل الملابس

والأكل في الموضوع (انتو ناس بسطاء) لاتفهمون !!!! هناك اتجاه نحو إنسانية الثقافة عالم واحد بثقافة واحدة افهموا يا إخوان !

كما قاد المذيع الحوار ... ألجمه ... نشرة الأخبار تقدمت ... أعلن مذيعها على الملأ :

.... رغم تشكيك خبراء عالميين في جدوى انضمام دول نامية لمنظمة التجارة العالمية ... رغم ذلك .... أعلن في منظمة التجارة العالمية عن قبول خمس دول إسلامية كأعضاء جدد في المنظمة .

توثب المذيع هاجم الجمهور قائلاً :

من موقع الحدث وعلى الهواء مباشرة ننقل لكم هذه اللقطات ..

الكاميرات تطارد الناس... أضوائها ألهبت المكان .. أعيت أعين الحضور .... أمام الأمين العام للمنظمة تسلقت الميكروفونات تبعث صوته السعيد : تم القبول بالإجماع بعد استيفاء الشروط المطلوبة وخاصة فيما يتعلق ببند فتح السوق المحلي للمنتجات العالمية.

شاكراً غادر الأمين !

كومة من المذيعين ارتحلوا إلى المسئول الاقتصادي في منظمة المؤتمر الإسلامي يهنؤن بالعضوية.

بحنو توقفوا أمامه ، أطراف أصابعهم استدارت ... أطفئوا أنوار كاميرا تهم ... أغلقوا ميكرفوناتهم.... غادروا القاعة ... فهو منذ الصباح مازال ...(خخخخخخخخخ) .

================

#قراءة في كتاب:

الحركة الإسلامية ومسألة التغيير

يعكف الشيخ راشد الغنوشي منذ مايزيد على ثلاثة عقود على دراسة جدلية الفكر والواقع السياسي المعاصر في الساحة الفكرية، العربية منها والإسلامية والعالمية، وبعد كل تأمل فكري معمق، يخرج للساحة بعصارة تأملاته وقد صدر له عديد من الكتب والدراسات سواء المتعلقة منها بالمرأة و"الحريات في الدولة الإسلامية" أو العلاقة مع الغرب، أو الحداثة والتحديث أو السياسة الشرعية، أو ما سماها بالفعالية

القرآنية، وغيرها من المواضيع، ومنذ سنوات بدأ بإصدار سلسلة مقاربات في الفكر السياسي المعاصر صدر منها جزءان الأول "مقاربات في العلمانية والمجتمع المدني" والجزء الثاني "الحركة الإسلامية ومسألة التغيير".

وقد سبق ل المجتمع أن قامت بعرض الجزء الأول وها هي تعرض الجزء الثاني وهو كتاب "الحركة الإسلامية ومسألة التغيير". يقع الكتاب في 141 صفحة من القطع المتوسط وصادر عن "المركز المغاربي للبحوث والترجمة" وهو مطبوع في بيروت عن طريق المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر.

مسيرة الصحوة الإسلامية

يرى الغنوشي أن القرن الميلادي الجديد يحمل بشائر عظيمة لدعوة الإسلام حيث يقول: "آمل أن لا ينتهي القرن إلا وقد أرسى الإسلام نواة صلبة لعالم إسلامي جديد" ويستدرك قائلاً: "وهذا لايعني بحال أن تيار الصحوة الإسلامية بلا عيوب ولا مشاكل ولا عقبات فالصحوة لم تحرِّر من أمة الإسلام إلا القليل من الطاقات"، ثم تحدث عن العقبات التي تواجهها الحركة الإسلامية معتبرا "الجهل بالإسلام أعظمها" وتحدث عن مظاهر ذلك الجهل بالإسلام وهو "ربطه بالتعصب والتطرف والرجعية والإرهاب والعدوان على حريات الأفراد والشعوب"، أما التحدي الثاني الذي يواجه الصحوة الإسلامية فهو الاستبداد السياسي الذي يرزح تحته العالم الإسلامي.

وقد دعا المؤلف مفكري الإسلام وعلماءه إلى "تأصيل مباديء الحرية والشورى والديمقراطية بكل أبعادها في أرض الإسلام". كما دعا إلى "التعاون مع كل القوى المناهضة". للاستبداد والمدافعة عن حقوق الإنسان والديمقراطية من كل ملة داخل العالم الإسلامي وخارجه، فالاستبداد شر كله وليس هناك نعمة بعد الهداية أفضل من الحرية".

التحدي الثالث للصحوة الإسلامية هو "إقامة نماذج إسلامية للحكم، ونماذج إسلامية اجتماعية ثقافية تبشر بعدالة الإسلام".

أما التحدي الرابع فيتمثل في العداء الغربي للإسلام وأمته، ولئن ذكر أن عدداً من الغربيين انجذب نحو الإسلام فإنه يؤكد أن الغالبية لاتزال تجهله وبالتالي تناصبه العداء، وعرج على دور الحركة الصهيونية التي انبثت بسمومها وتغلغلت منذ أكثر

من قرنين في أعماق النسيج الغربي في آدابه وكنائسه، فضلاً عن إخطبوطها الإعلامي والاقتصادي وتغلغلها في مراكز القرار السياسي والإداري وحتى العسكري. ويدعو الغنوشي إلى العمل على إيجاد استراتيجية تهدف إلى فك الارتباط بين الإخطبوط الصهيوني والحضارة الغربية.

الحركة الإسلامية.. الواقع والآفاق[٨٨]

تحت هذا العنوان يتحدث عن سمات النشاط الإسلامي الذي قال عنه: إنه ذو طابع إصلاحي متمثلاً في "الأمر بالمعروب والنهي عن المنكر سبيل العلماء لتقويم الخلل في الدولة الإسلامية" وبما أنه يضع الواقع الراهن في معظم أنحاء العالم الإسلامي على المشرحة فإنه يخلص إلى أن الدولة ابتعدت قليلاً أو كثيراً عن الإسلام وأصبحت علمانية قهرية تمثل إرادة خارجية ومنذ ذلك (التحول) اتخذ الإصلاح شكلاً جديداً. ثم يتطرق الغنوشي إلى أهداف الحركة الإسلامية من كدحها الدؤوب قائلاً: "هدف الحركة الإسلامية استعادة الشرعية الإسلامية المفقودة فكانت انطلاقة حركة الإخوان المسلمين بقيادة الشهيد حسن البنا بعد ثلاث سنوات من سقوط الخلافة وذلك أسلوب جديد يختلف عن طرق الإصلاح القديمة" حيث بدأت الدعوات لأسلمة "الثقافة والفكر والاقتصاد والفن والتربية والقضاء والسياسة بعد انتشار الوعي بأن الإسلام لم يعد دستور الدولة".

وفي معرض سرده للتجربة الإسلامية الحديثة في مجال الاقتصاد والبنوك أكد الغنوشي أن تجربة البنوك الإسلامية وغيرها من المشاريع الاقتصادية والتنموية الإسلامية "طريقة للتحرر الاقتصادي" ودعا الشباب الإسلامي للتوجه للميدان الاستثماري والتجاري وتأسيس الشركات والتعاونيات باعتبار ذلك من ميادين الجهاد الإسلامي المعاصر. واستعرض الغنوشي إنجازات الحركة الإسلامية في المجال الثقافي رغم وسائلها المحدودة فقد كان إنجازها معتبراً "لقد استطاعت أن تهمش العلمانية على امتداد العالم الإسلامي رغم أن العلمانية في الحكم والإسلام في المعارضة"، مستشهداً بنتائج الانتخابات النزيهة وموقف الحكم من المشاركة الإسلامية، والنشاط الثقافي الإسلامي، "لا يوجد اليوم منافس للكتاب الإسلامي ولا للأحزاب الإسلامية ولا للمجلات الإسلامية ولا للمشاريع والبنوك الإسلامية، وغدت

معظم اتحادات الطلاب بأيدي الإسلاميين.. حتى لم يبق للعلمانية من مصدر للشرعية غير العنف والقهر والدعم الخارجي" مقابل ذلك بين فشل العلمانية في تحقيق وعودها كالازدهار الاقتصادي وتحرير فلسطين وتوحيد الأمة، وبشر في كتابه المفعم بالأمل بعودة الإسلام للحكم متحدثاً عن عوامل ذلك ومنها:

1 قوة الإسلام الذاتية.

2 حالة هرم المشروع المقابل: العلمانية.

3 فساد الأنظمة الحاكمة.

4 عمق الإسلام في نفوس الشعوب المسلمة رغم حالة الكمون العابر التي فرضها القهر.

5 الثروات الطائلة في العالم الإسلامي.

6 تقدم وسائل الاتصال.

7 انتشار الإسلام في الغرب.

حيرة الحركة الإسلامية بين الدولة والمجتمع

تحت هذا العنوان يستعرض الغنوشي علاقة الإسلام بالدولة، حتى إنه لايمكن تصور وجود إسلام كامل بدون دولة، فالرسول ص لم يفرق بين الإصلاح الاجتماعي والقيادة السياسية والتي أفضت إلى قيام دولة مترامية الأطراف، ثم يرسم الغنوشي صورة تاريخية لردة السياسة عن الدين أو ما أسماه بالانقلاب الذي "كان الخطوة الكبرى على طريق انفصال السياسة عن الدين" وينتقل للعصر الحديث حيث وبعد "فتن قاسية أوشكت أن تطيح بالكيان الإسلامي جملة اضطر العلماء للتنازل عن السلطة لصالح أصحاب الشوكة والقوة وبذلك كانت المعادلة أو الصفقة التاريخية: السياسة للحكام ولهم الطاعة ما خضعوا لأحكام الشريعة، وللعلماء ضبط أحكام الشريعة والقضاء والتعليم والإشراف على الأوقاف" غير أن تشريح الغنوشي للتاريخ السياسي لأمتنا يكشف عن عمق الزيغ الذي حصل بعد ذلك سيما بعد وقوع الأمة فريسة للاستعمار حيث قامت حكومات اتخذت من الدين وعلمائه مجرد أدوات تستخدم عند الحاجة ملحقة بالأجهزة الأمنية للدولة، "وبناء على هذا انقسم المعنيون بأمر الدين كما يقول الغنوشي إلى جهتين إحداهما آثرت السلامة الشخصية

وانخرطت في الواقع بمساوئه وأخرى اتجهت للمعارضة لتنتهي إلى جماعة سياسية معارضة".

ويرد على من يظنون أن قيام أحزاب إسلامية يقسم الأمة قائلاً: لقد كان مثل هذا الكلام ذا معنى لما كانت الأنظمة القائمة مستندة للشريعة وكان العلماء قائمين على تفسير نصوصها والقضاء بأحكامها مطلقة أيديهم في الإصلاح الاجتماعي، أما وقد انهار ذلك البناء جملة فالقياس عليه مع وجود الفارق مُوقع في الوهم والزلل وتضليل الأمة عن مواجهة أعظم أسباب البلاء في حياتها وأشد العقبات في طريق نهضتها.[88]

قصور الحركة الإسلامية

وحتى لاتعد دراسة الحركة الإسلامية في بيئتها ونشأتها والعوامل المحيطة بها وإنجازاتها من قبيل مدح الذات والنرجسية المفرطة تطرق الغنوشي إلى مظاهر القصور في الحركة الإسلامية حيث يرى أن الإسلاميين ظلوا بعيدين عن التأثير على القوى العاملة. ويرجع سبب ذلك إلى عدم وعي الإسلاميين بمشكلات القوى العاملة ذات الطبيعة الاجتماعية والسياسية في حين نظروا إليه من النواحي العقائدية والأخلاقية فقط، المثال الثاني الذي يضربه الغنوشي لقصور الحركة الإسلامية تعاملها مع القطاع النسائي.

ويرى أن "الطرح الاجتماعي الفلسفي لقضية المرأة ينتهي إلى أن قضية المرأة ليست مجرد قضية تبرج وعري واختلاط فحسب بل إنها قضية اغتراب وظلم وإستبداد، إنها قضية إنسان سلبه الانحطاط إنسانيته وفي الضفة الأخرى (الغرب) تم استبدال مواقع الاستبداد وأخذت المؤسسة مكان الرجل.

الحركة الإسلامية والعلاقة مع الحاكم

يتحدث هنا عن العلاقة بين الحركة الإسلامية وأنظمة الحكم المختلفة "فالعلاقة تتراوح بين الاعتراف المتبادل والصريح والضمني" ويعود إلى علاقة الحركة الإسلامية مع الأنظمة الانقلابية فيقول: "إن المشكل لايتمثل في رفض الحركة الإسلامية الاعتراف والتعايش مع الدولة أو القبول بالمشاركة الجزئية فيها وإنما المشكل يتمثل في من يقنع هذا الغول المدعوم بأحدث تقنيات القمع والإخضاع، والمؤيد من قبل قوى الهيمنة المعادية لأمتنا وحضارتنا وكل الحضارات الأخرى، من

يقنع هذا التنين بالتواضع والاعتراف بالشعب والآخر، من يروض هذا الوحش دون كفاح ناصب"؟!.

اختلاف الحركات الإسلامية

وبعد أن يذكّر الغنوشي بأن الاختلاف من طبيعة الفطرة التي فُطر الناس عليها سائقاً الأدلة من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة يخلص للقول بأن "أمتنا لم تفشل في شيء كما فشلت في إدارة الاختلاف وإفراغ المبدأ الإسلامي العظيم "الشورى" من مضامينه". ويرجع الغنوشي ذلك إلى ما أسماها بالثقافات القطرية حيث "نشأت الحركة الإسلامية في إطار الكيانات الشاذة الخانقة" والتي أطلق عليها صفة "الأصنام البالية" وأعرب في كتابه عن خشيته من تهديد الثقافة القطرية للمشروع الإسلامي.

الحركة الإسلامية واستخدام القوة

أسهب المؤلف في تحليل جدوى استخدام القوة من عدمه، مستبعداً تحقيق النتائج التي يهدف إليها من يراهن على ذلك قائلاً: "إذا كانت الأمور بمآلاتها وكانت مقاصد الشريعة قد وجهت المسلم أن يهتدي بقاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد لاسيما عند سكوت نصوص الشريعة أو عدم قطعيتها فما ترجحت مصلحته كان خيراً وما ترجحت مفسدته كان شراً" ثم تحدث عن الكوارث التي حاقت بالحركة الإسلامية نتيجة التسرع في اتخاذ قرار استخدام القوة.

وأشار إلى أن الانتفاضات الشعبية التي شهدتها فرنسا أو الصين أو إيران أو ما حدث من انتفاضات في أوروبا الشرقية كُتب لها النجاح بعد أن توفر لها زخم جماهيري، أما انتفاضات الحركات السياسية والأحزاب فإنها غالباً ما تؤدي إلى كوارث. إن هذا النوع هو الأجدر بالدراسة بسبب أنه أكثر ما عمّت به البلوى.

ويشيد الغنوشي بتيار الوسطية الإسلامية الذي يرفض الانسياق وراء العواطف والاندفاعات ويعتصم برد أحد بني آدم لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين (28)(المائدة) فالوسطية الإسلامية كما يحددها الغنوشي تصر على الالتزام الكامل بأساليب الجهاد السلمي؛ أى بجهاد الكلمة الذي حرضت عليه الآية الكريمة وجاهدهم به جهادا كبيرا 52 (الفرقان).

مقومات الحركة الإسلامية

يحدد الكاتب خمسة مقومات للحركة الإسلامية:

1 الشمول: "فالإسلام كلٌّ مترابط: العقيدة والشريعة والعبادة وبالتالي لا مجال للتفريق بين الدين والسياسة والدين والدولة".

2 القضية الوطنية: حيث "لاتناقض بين العالمية والوطنية إذ الوطنية منطلق العالمية فعناية المسلم بإصلاح وطنه واجب ديني".

3 السلفية: ويعني بها استمداد الإسلام من أصوله دون تعصب فالأصل هو ما ورد في الكتاب والسنة وعصر الخلفاء.

4 البعد الإيماني: ومنه ضرورة الأخذ بالأسباب مع الاعتقاد بأن هذه الأسباب لاتؤدي إلى نتائجها إلا بإذن الله.

5 الشعبية: فالحركة الإسلامية ليست حركة فئوية معينة ولاطريقة صوفية تحصر أعمالها في مجموعة المريدين، إنها ضمير الأمة المتحرك وأعماقها الثائرة.

استراتيجية الحركة الإسلامية

يحدد الغنوشي ثمانية مباديء أساسية يتوجب على الحركة الإسلامية تحديد موقفها بوضوح منهاوهي:

1 تحديد موقفنا من التراث.. ما هو ملزم منه وما هو غير ملزم.

2 تحديد موقفنا من الغرب ماذا نأخذ وماذا نترك؟

3 تحديد نظرتنا للواقع.. علاقتنا مع تشكيلاته

4 ما أدوات التغيير التي نستخدمها..؟ وهل نعتبر الشعب فيصلاً في اختيار الحاكم ونعيد له حقه كخليفة لله في الأرض؟.

5 الدعوة للإسلام من خلال حاجات الناس وهمومهم.

6 التربية المتكاملة على المستوى الفكري بتنمية الروح النقدية وتوخي الموضوعية.

7 العالمية في الحركة الإسلامية تحقيقاً لمبدأ التوحيد وهو أساس العقائد الإسلامية فضلاً عن أن العالمية هي روح العصر.

8 الاعتماد على التخطيط والكم مبدأ أساسي في التخطيط، وكثيراً ما تهمل طريقة القياس الكمي وتلغى برفع شعار "المهم الكيف لا الكم"، والقرآن أشار إلى ذلك في قوله تعالى: وكل شيء عنده بمقدار (8)(الرعد).

ويختم الغنوشي بحثه بالقول: "إن التحدي الحقيقي هو كيف يرى الناس الإسلام مجسداً في نظريات وتطبيقات، في الاقتصاد والسياسة والفن، ويعبر حمَلَة الإسلام عن مشروعهم لا بالدفاع والردود على الأطروحات السائدة فقط وإنما بتقديم البدائل".

================

#سلام المُنْهَكين

أحمد البحاري 1424/8/23

2003/10/19

عندما قامت الإنقاذ قبل أربعة عشر عاماً كان أهلها يراهنون على الحسم السريع للتمرد في جنوب السودان باعتبار أن حكومة الصادق المهدي السابقة حكومة مدنية ضعيفة، والتمرد لا تحسمه إلا حكومة عسكرية قوية ومن ثَم رفع الإنقاذيون راية الجهاد وحشدوا آلاف الشباب تحت راية الشريعة، وأعلنوا تعبئة عسكرية شاملة استعداداً للمعركة الفاصلة مع التمرد هذه الإجراءات قلبت كل الموازين لصالح الإنقاذ فقد أوجدت عقيدة قتالية جديدة وفّرتها راية الجهاد، واحتشد الناس دفاعاً عن عقيدتهم وتحكيماً لشرع الله تعالى. وبالفعل عندما جاء صيف العام 1992م كاد التمرد أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، وحوصر في شريط حدودي ضيق فيما عُرف بعمليات صيف العبور؛ إلا أن السياسيين في نظام الإنقاذ رأوا أن التمرد أُضعف بما يكفي لجلوسه على طاولة المفاوضات والقبول بشروط الإنقاذ وكان هذا خطأً استراتيجياً لا تزال الإنقاذ تدفع ثمنه إلى اليوم.

بديل وحليف جديد

على الجانب الآخر كان المتمرد قرنق قد امتصّ آثار إنهيار نظام منقستو في أثيوبيا؛ وأوجد بديلاً له في يوغندا عندما احتضنه زميل دراسته السابق الرئيس الحالي ليوغندا يوري موسفيني. ثم التحق قرنق بتجمّع المعارضة وتولى القيادة العسكرية، واستطاع فتح جبهات في شرق البلاد فأسقط المدن وسبّب متاعب جمّة لنظام الإنقاذ

وزاد الأمر سوءاً احتضان اليهودية مادلين أولبرايت وزيرة خارجية الولايات المتحدة السابقة للمتمرد، وإعلانها صراحة رغبتها في إسقاط الإنقاذ مستعينة بدول الجوار حتى تحركت ثلاث جيوش من يوغندا وأرتريا وأثيوبيا في مطلع العام 1997م لمحاصرة السودان وإسقاط الإنقاذ.

حيرة بين الحاكمية والمرجعية

ولكن حالة النشوة هذه والزهو بالقوة لم تستمر كثيراً عند الطرفين؛ فنظام الإنقاذ فقد خيرة شبابه . بل قادته . في الحرب وأفزعه فتح جبهة جديدة في الشرق مما وزّع جهود الجيش والدفاع الشعبي، وأرق الميزانية، وأضعف الموقف العام للنظام كما أقلقه العداء المستحكم من الأنظمة المجاورة في إرتريا وأثيوبيا ويوغندا وكانت قاصمة الظهر الصراع الذي نشأ بين البشير والترابي، وانتهى بإيداع الأخير المعتقل وانشطار المؤتمر الوطني إلى حزبين، وحيرة القاعدة الجماهرية بين حاكمية الرئيس ومرجعية الشيخ.

تمرد على المتمرد

على صعيد التمرد لم تكن الأمور بأحسن حالاً فقد تمرّد على المتمرد قرنق كبار القادة أمثال (كاربينو كوانين) أحد مؤسسي حركة التمرد من قبيلة الدينكا و(د. لام أكول) رئيس قطاع الناصر من قبيلة الشُلك و(د. رياك مشار) زعيم حركة استقلال جنوب السودان من قبيلة النوير كما تمت تصفية قادة آخرين مثل (وليام نون).

ونشط بعض السياسيين الجنوبيين في معارضة قرنق وعلى رأسهم (بونا ملوال) الوزير السابق في حكومة الرئيس الأسبق جعفر نميري ولم يحظ قرنق بتأييد الزعامات الجنوبية التاريخية أمثال (أبيل ألير) و(جوزيف لاقو).

كما أن حليفي قرنق في أثيوبيا وأرتريا دخلا في صراع مسلح بينهما على الحدود؛ ففُقد أهمُّ ظهيرين إقليمين. وذهبت مادلين أولبرايت مع ذهاب كلنتون؛ فخسر ألدّ أعداء الإنقاذ عالمياً.

اتفاقية نيفاشا .. أول طريق المنهكين

وكجوادين أنهكهما طولُ الأمد وبُعْدُ المسافة فلم يعودا قادرين على العدو . بل السير ـ؛ جلست الحكومة مع المتمردين على طاولة المفاوضات بمساعدة قوى دولية

وإقليمية لينظرا في تقسيم السلطة والثروة بينهما وهكذا ولدت اتفاقية نيفاشا للترتيبات العسكرية والأمنية ولا تزال نيفاشا حبلى باتفاقيات أُخر يحاول الخبراء الآن إخراجها بعناية من غرفة المفاوضات المكثفة.

وأهم الملاحظات على اتفاق نيفاشا مساواته لعصابات المتمردين بالجيش السوداني العريق، واعتبارهما معاً يمثلان القوات الوطنية في الفترة الانتقالية ثم وجود جيشين في الفترة الانتقالية: الجيش السوداني في الشمال، وجيش المتمردين في الجنوب، وتفرغ الجنوب من الجيش السوداني إلا من 12.000 لا يغنون شيئاً، والغلبة للمتمردين في الجنوب وإدخال قوات المتمردين الخرطوم وكبريات مناطق الشمال بدعوى القوات المشتركة غير أن أخطر مافي الاتفاق تبني عقيدة عسكرية مشتركة بين الجيش السوداني وجيش المتمردين خلال الفترة الانتقالية والمعروف أن الجيش السوداني أصبح قادته يحفظون سوراً من القرآن الكريم ويرددون الأناشيد (الجلالات) الإسلامية، ويصيحون "الله أكبر" في المعارك.

بينما عصابات المتمردين نشأت على المانفستو الشيوعي، وهم خليط أعراق وأفكار لا يجمع بينها جامع، فأي عقيدة مشتركة تنشأ بين الاثنين؟!.

كما أنّ اتفاق نيفاشا يكافئ المتمرد قرنق بالانفراد بحكم الجنوب طيلة الفترة الانتقالية وتولِّي منصب نائب رئيس الجمهورية، والاستئثار بنصيب وافر من عائدات البترول؛ فالمتمرد قرنق يكسب على كل حال ولا يخسر شيئاً مهما كانت نتيجة الاستفتاء؛ فإذا فاز خيار الوحدة كان المتمرد فائزاً بما نال من ثروة وسلطة خلال الفترة الانتقالية وإذا فاز خيار الانفصال وجد المتمرد قرنق دولة كاملة مهيأة لها كل مقومات الدولة. والجدير بالذكر أن الصراع حول السلطة لن ينتهي مهما كانت نتيجة الاستفتاء، فالقوى الشمالية والجنوبية الأخرى لن تتفرج على الإنقاذ وقرنق وهما يقتسمان سلطة مركزية، أو ينفردان بسلطة كاملة لكلٍ في الشمال والجنوب.

مكمن الحل

والحل يكمن في جمع شمل الإسلاميين، وإشراكهم في حل مشاكل البلاد يداً واحدة والفصائل الإسلامية المؤثرة لا مانع لديها من المشاركة؛ بل هي على استعداد لبذل الجهود والتعاون في خدمة البلد بلا شروط سوى بعض التعديلات الشرعية، وهذا

أجدى للحكومة من الحرص على مجموعات العلمانيين وبقايا اليساريين والطائفية الذين يضرون أكثر مما ينفعون. كما أن الحل يكمن . من جهة أخرى . في صيف عبود جديد يعيد الأمور إلى نصابها وهو ممكن إذا صدق العزم.

آن يا شعب ألا تعاني ...أين منك ارتقاء الشعوب

لم تنل حظها بالأماني ...إنما طهرتها الحروب

===============

#بيجوفيتش..

وحكاية(المنفستوالإسلامي)

عبد الحي شاهين 1424/8/23

2003/10/19

غيب الموت اليوم الرئيس البوسني المسلم علي عزت بيجوفيتش بعد حياة طويلة قضاها في خدمة قضايا أمته من أجل تحريرها وتعميق هويتها الإسلامية.

ويعتبر بيجوفيتش من المفكرين الإسلاميين البارزين؛ لإسهامه في دعم الفكر الإسلامي بعدة مؤلفات منها: "الإعلان الإسلامي"، و"عوائق النهضة الإسلامية" ؛ و" الإسلام بين الشرق والغرب" ؛ و"هروبي إلى الحرية" وغيرها.

وعلي عزت بيجوفتيش ولد سنة 1925م في أسرة بوسنية مسلمة بمدينة (كروبا) في جمهورية "البوسنة والهرسك"، التي كانت جزءاً من الاتحاد اليوغسلافي، وتعلم في مدارس مدينة سراييفو، والتحق بجامعتها وحصل على درجات في القانون والآداب والعلوم، ثم أكمل دراساته العليا حتى نال شهادة الدكتوراه عام 1962، ثم عمل مستشاراً قانونياً لمدة 25 سنة اعتزل بعدها العمل وتفرغ للكتابة والبحث، وكان علي عزت خلال حياته كلها نشطاً في مجالات العمل الإسلامي كتابة ومحاضرة، حكم عليه سنة 1949م في عهد جوزيف تيتو بالسجن خمس سنوات مع الأشغال الشاقة، وكانت تهمته أن له علاقة بمنظمة (الشبان المسلمين) في حين لم يكن لهذه المنظمة أي نشاطات سياسية، وإنما اقتصر نشاطها على التعليم الإسلامي وأعمال الخير.

عُني علي عزت منذ وقت مبكر بأن يوفر للشباب المسلم أدوات لفهم الإسلام بأسلوب عصري مناسب، فخصص لذلك مؤلفاً صغيراً تحت عنوان "الإعلان

الإسلامي" وفور صدور المؤلف التقطه الصرب والكروات، وأشاعوا حوله ضجة ووصفوه بأنه (المنفستو الإسلامي) الذي يدعو إلى الجهاد لإقامة دولة إسلامية في قلب أوروبا؛ فقدم صاحبه مع أحد عشر من زملائه المثقفين الإسلاميين إلى المحاكم ، وحكم عليهم بالسجن أربعة عشر عاماً بتهمة العمل ضد نظام الدولة وأمن شعبها، مع أن المؤلَّف لم يكن فيه ما يمس أمن الدولة، إنما كان محاولة لترجمة الإسلام إلى اللغة التي يتحدث بها الجيل الجديد ويفهمها.

ولكن كان هدف المحاكمة هو قمع أي فكر إسلامي والقضاء على أصحابه، ولذلك تمت محاكمة علي عزت وصحبه محاكمة سريعة وشبه سرية، حتى لا تلفت الأنظار، وأصبح بعدها "الإعلان الإسلامي" وثيقة اتهام لعلي عزت وللإسلام بصفة عامة، وأحيط بمبالغات ومخالطات كثيرة ليس في وسائل الإعلام الصربية والكرواتية فحسب؛ وإنما في الدوائر الغربية التي تصنع القرار كذلك.

وقد خاض بيجوفيتش كفاحاً مريراً ليحصل المسلمون في بلاده على حريتهم ومكانتهم، وتعرَّض في سبيل ذلك للسجن والاضطهاد إبّان الحكم الشيوعي اليوغوسلافي، وأسس إبان سقوط النظام الشيوعي عام 1989 حزب العمل الديموقراطي ممثلاً للمسلمين وغير المسلمين من شعب البوسنة والهرسك، ونادى من خلاله بالاستقلال، وقيام دولة مستقلة في البوسنة والهرسك، ورُشِّح عام 1990 كأول رئيس لهذه الدولة التي شهدت صراعاً مريراً من أجل الاستقلال.

وقد سبق أن حصل بيجوفيتش على جائزة الملك فيصل الدولية لخدمة الإسلام عام 1993، كما حاز على لقب "مفكر العام" من مؤسسة علي وعثمان حافظ عام 1996، وجائزة الدفاع عن الديمقراطية الدولية من المركز الأمريكي للدفاع عن الديموقراطيات والحريات، وجائزة مولانا جلال الدين الرومي لخدمة الإسلام بتركيا.

(الإعلان الإسلامي) .. الكتاب الزوبعة!

كتاب (الإعلان الإسلامي) من أول مؤلفات علي بيجوفتيش، وقد قدم فيه علي خلاصة فكره ونظرته لقضايا العالم من خلال فهمه للإسلام، ويتضمن هذا المؤلف آراءه و رؤاه للعديد من القضايا الإسلامية وعلاقة المسلمين بالعالم.

حيث يقول: "إن العالم الإسلامي يمر بمرحلة مخاض، ومهما تكن النتيجة؛ فإن أمتنا لن تكون كما كانت عليه في الخمسين سنة الأولى من القرن العشرين، وتحاول القوى الدولية استغلال الوضع السائد في العالم الإسلامي لتحقيق أهدافها بوسائل مختلفة لتأمين هيمنتها على المسلمين، وإبقائهم في قاع التخلف والتبعية للغرب، إن ما نناضل من أجله هو إخراج المسلمين من دائرة التخلف والفقر، والاعتماد على الآخرين، وإن جذور الجهاد لاتزال حية، لقد مضت قوافل الشهداء وهي تقاتل الجاهلية، نريد بخطوات واثقة أن نقف على بداية طريق العودة إلى سيادة أنفسنا ومستقبلنا، وإقامة مجتمع إسلامي موحد من طنجة إلى جاكرتا".

ويرد بيجوفيتش على المشككين والرافضين بقوله: "قد يبدو الهدف الذي نصبو إليه بعيد المنال، لكنه واقعي وحقيقي على عكس الأفكار اللامعقولة التي عمل ويعمل الآخرون على تحقيقها. وينتقد مصطفى كمال: إن الذي جناه مصطفى كمال على تركيا كان غريباً عن التراث والحضارة التي وفرت ما شهده الأتراك من قوة وعظمة طيلة قرون مديدة.

وينقسم "الإعلان الإسلامي" إلى ثلاثة أبواب، تحدث في الباب الأول عن تخلف الشعوب الإسلامية، ويؤكد فيه أن تقدم المسلمين لا يمكن أن يتحقق خارج المنظومة الإسلامية، مستشهداً بأمجاد الماضي وإخفاقات الحاضر، ويدعو جميع المفكرين في العالم الإسلامي إلى الالتقاء حول المرجعية الإسلامية، وبعد ذلك يمكن للخلاف أن يسع الجميع.

وعن أسباب الهزائم يبرز علي عزت إحداها وهي التي حدثت في العالم الإسلامي، ويضرب مثلاً كذلك بما حدث في العراق بعد عام 1958، حيث أدت إلى تخلف المسلمين، وكانت وراء الخسائر الاقتصادية وخاصة في القطاع الزراعي.

وينتقد الأوضاع في باكستان والجزائر ونيجيريا بسبب هدر الطاقات، ومحاولة القفز على حقائق التاريخ والحضارة، كما ينتقد "بو رقيبة" الذي عمل على فرنسة تونس سياسياً واجتماعياً وفكرياً.

ويؤكد علي عزت أن المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي ركيزتان أساسيتان لا يمكن تحقيق نظام إسلامي دونهما، ويضع معالم على طريق البديل الإسلامي.

الفرد والمجتمع
المجتمع الإسلامي لا يمكن أن يقوم على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية فقط، إذ إن الفرد عنصر في الجماعة والجماعة تقوم على أساس انتمائها الروحي.
المساواة
الإسلام يرفض التقسيم والتفريق بين المسلمين، فالفارق الوحيد هو العمل (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات: 13].
الأخوّة
(إنما المؤمنون إخوة) [الحجرات: 10].
لذلك فإن المسلم يجد نفسه ملتزماً بمصالح إخوانه المسلمين في أصقاع الأرض، رابط معنوي من يفرط فيه يكون بعيداً عن الدائرة الإسلامية.
وحدة المسلمين
الإسلام يحتوي على كل المبادئ التي تتضمن وحدة المسلمين: الإيمان، الثقافة السياسية، والإسلام ليس قومية، ولكنه فوق القوميات لأنه يوحدها، إن الإسلام رؤية شاملة، والجامعة الإسلامية اتجاهه السياسي.
حقوق الملكيةالإسلام يبيح الملكية الخاصة، وهو لا يمنع الغنى مادام الإنسان صالحاً، ويكسب ماله من حلال، أما الموارد الطبيعية؛ فهي ملكية عامة لكل أفراد المجتمع.
الزكاة
من أركان الإسلام وهي توزيع الأموال بين الناس بالعدل، في حين أن الإسلام حرّم الفائدة على الأموال لأنها تدخل في نطاق الربا.
الشورى
مبادئ الحكم الإسلامي ثلاثة: اختيار أولي الأمر، وواجباتهم تجاه الناس، وطاعة المجتمع لهم.
الحريات
التربية الصحيحة للشعب تتطلب أن تكون وسائل الاتصال الجماهيري؛ خاصة الصحافة، والإذاعة، والتلفاز، والأفلام، بيد أشخاص يحسنون تقديمها بسجايا

إسلامية، وهذا لا يعني أن الفكر في النظام الإسلامي يخضع للدكتاتورية، وإنما يعني الحفاظ على نسق الأخلاق وصلاح تربية النشء، وتطور المجتمعات الإسلامية لا يمكن أن يتم بمعزل عن الدين، وطريقنا يقوم على كسب الإنسان وليس الاستيلاء على السلطة.

الحريات

التربية الصحيحة للشعب تتطلب أن تكون وسائل الاتصال الجماهيري؛ خاصة الصحافة، والإذاعة، والتلفاز، والأفلام، بيد أشخاص يحسنون تقديمها بسجايا إسلامية، وهذا لا يعني أن الفكر في النظام الإسلامي يخضع للدكتاتورية، وإنما يعني الحفاظ على نسق الأخلاق وصلاح تربية النشء، وتطور المجتمعات الإسلامية لا يمكن أن يتم بمعزل عن الدين، وطريقنا يقوم على كسب الإنسان وليس الاستيلاء على السلطة.

المرأة والعائلة

لابد من تعليم المرأة ورفع مستواها التثقيفي والتعليمي لكي تقوم بدور المربية للأجيال، وجميع أنواع الاستغلال والاحتكار يجب أن تنتهي.

وحول الإسلام والقومية يقول علي عزت: "الإسلام أمام مهمة طبيعية، وهي تحقيق مآرب المسلمين بإقامة أمتهم الواحدة من المغرب حتى إندونيسيا، ومن أواسط أفريقيا الحارة إلى أواسط آسيا الباردة. إن إقامة المجتمع الإسلامي الموحد ليست فكرة أحد، وليست رغبة جامحة لأي كائن، وإنما تقوم على ما ورد في القرآن من أن المسلمين إخوة، وأن الإسلام يوحد المسلمين في صيامهم وحجهم إلى مكة، وبالنسبة لنا – مثلاً– فإننا شعب كامل، ولكنه اليوم مجزأ، شعب واحد – كالعرب– من الضروري أن يكون موحداً، هذه مسألة إسلامية مهمة. إن المسلمين في مصر لا يشعرون بمعاناة المسلمين في إثيوبيا أو كشمير، في الوقت الذي لا تستطيع فيه البلدان العربية الحد من قساوة إسرائيل، هذا يعني أن هناك شيئاً غير عادي في وحدة الشعب العربي، ويجب أن يكون الصحيح الوحدة الإسلامية.

إن فكرة القومية في الدول العربية فكرة دخيلة أجنبية، وفكرة القومية الدخيلة هذه نجدها خلال ما تزرعه الجامعات الأجنبية في بيروت، وما زرعه سوكارنو في

إندونيسيا، وحزب البعث في بعض البلدان العربية، وأما فلسطين فكانت دائماً بالنسبة للمسلمين في موضع القلب، والقدس ليست مسألة الفلسطينيين أو العرب؛ وإنما قضية الإسلام والمسلمين.

"الإسلام بين الشرق والغرب"

أما كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب"، وهو الكتاب الثاني لبيجوفيتش؛ فقد أُلف في ظروف بالغة الصعوبة، وهُرّب من السجن لتتم طباعته في بريطانيا من قبل أصدقاء لعزت، والكتاب يملك الكثير من العمق والوضوح والمنطق والقدرة على التحليل والاستخلاص، مما يجعل القارئ متيقظاً، مستمتعاً، مبهوراً بالنور المتدفق وضاءً فاتناً من بين سطور الكتاب وصفحاته، والتي تقلبها وكأنك تطوف في سفر الكون والحياة العظيمين متنقلاً، مسافراً في فضاء واسع عبر تاريخ الفكر الإنساني والعلوم والأديان والرسالات السماوية والفنون والفلسفات والآداب على نحو فذ يكشف عبقرية المؤلف وقدراته الخارقة، ومن هنا ينبع الذهول والرغبة الدائمة في قراءة الكتاب وإعادة قراءته باستمرار، وهو خطير لأنه بإمكانه أن يحدث انعطافات؛ بل تغييرات حاسمة في فكر القارئ ورؤيته ووجهة نظره حيال أشياء كثيرة، ومسلمات عديدة، ويضعه في حالة جديدة من التثبت بقناعات جديدة راسخة، لا يمكن نفيها أو دحضها. ولعل أكبر دليل على خطورة الكتاب هو منعه ومصادرته من فرنسا بلد الحريات والأنوار بحجة تقويضه لأسس المجتمع المسيحي العلماني، وتناوله الإسلام بشكل مغرٍ وجذاب؛ فكتاب واحد بإمكانه تقويض أسس المجتمع المسيحي العلماني، هذا الذي تكون عبر قرون طويلة!. هو كتاب في منتهى الخطورة بما يملكه من نور وحقائق منطقية دامغة وقدرة مدهشة على الإقناع، فكتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" يتناول الإسلام تناولاً جديداً شاملاً، عميقاً، غير مسبوق من قبل، ويفتح أفقاً واسعاً للنظر للإسلام كدين وحياة تضعه في قلب الحضارة الإنسانية المعاصرة، ولم يسبق لأحد من المفكرين المسلمين أن تناول الإسلام بمثل هذه الرؤية الشمولية والرؤية العميقة في حوارها الخلاق مع الفكر والعلم والفن المعاصر والحضارة والثقافة الإنسانية إجمالا مؤكداً ومرسخاً، الإسلام كدين يحتفي بالحياة وبالفن والإبداع والإنجاز في هذه الدنيا؛ لأنه دين الدنيا والآخرة وليس الآخرة فقط كما يفهمه بعض القاصرين في

الرؤية، ومن هنا مفهوم الوسطية العظيم بين المادة والروح والدنيا والآخرة الذي تميز به الإسلام دون غيره من الأديان.

ولعل المفارقة تكمن في أن كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب" رغم كل هذه الأهمية الكبيرة التي له غير معروف بشكل كافٍ في العالم العربي والإسلامي، ولم ينل الأهمية والاهتمام الذي يستحقه!؛ فكتاب مثل هذا كان الأولى أن يدرس في المدارس والجامعات، وأن يقرأ بشكل واسع من قبل المثقفين والمفكرين العرب، وأن يدور حوله نقاش طويل وعميق، خاصة وأن الكثير من المثقفين والمفكرين العرب يعاني من اضطراب في الرؤية وضبابية في الموقف حيال الإسلام، وتناقض عميق في البنية الفكرية نتيجة الانجراف لأنماط غربية في الفلسفة والفكر ومناهج الرؤية والتفكير.

"هروبي إلى الحرية"

وهذا الكتاب هو ترجمة حية لأربعة عشر عاماً قضاها (بيجوفيتش) في السجن بين 1983 و 1988م، دوّن خلالها أفكاره وتأملاته السياسية والثقافية والعقائدية، التي يقول عنها: "إن قيمة هذه الأفكار لا تكمن فيها ذاتها، وإنما في الظروف التي كتبت فيها، ففي داخل السجن كان هناك هدوء جدران السجن، وفي الخارج نُذُر الإعصار الذي سيتحول في عام 1988م إلى عاصفة تدمر حائط برلين، وتزيح عن المسرح (هوينكر وشاوشيسكو) وتبعثر حلف وارسو، وتزلزل الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا، وشعرت جسدياً كيف يمضي الزمن وكيف تتغير محطاته أمام ناظري". ويتناول في كتابه زمن المراجعات الراديكالية للأفكار والقناعات في خضم التجربة الفاشلة للحكومات الشيوعية في شرق أوربا "وشهد العالم تحولاً فريداً سيغير حياة مئات الملايين من البشر، ويحرف مجرى التاريخ باتجاه آخر، العالم الذي كان ثنائي القطب لفترة طويلة أصبح أحادي القطب، ولا أعرف إن كان ذلك خيراً، لكن ذلك ما حدث..".

وقد ضم الكتاب عدة موضوعات قسمها مؤلفها إلى: عامة؛ وتتحدث عن الحياة والحرية والناس، والأخرى تناولت عدداً من الأفكار الدينية والأخلاقية، وبعض الملاحظات السياسية على مجريات الأحداث التي كان المؤلف يراقبها ويعيشها، وجاءت بعض أوراق المذكرات على هامش كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب"، كما

ضمت حديثاً عن الشيوعية والنازية وبعض الحقائق حولها، والتي يرى المؤلف أنه لا يجوز نسيانها، ثم ختم مذكراته بعرض رسائل من وإلى أولاده وهو في السجن

==============

#تصاعد الانتفاضة أطاح برئيس تحرير الجزيرة

الخلاف على تسمية الهجمات التي يشنها الفدائيون الفلسطينيون ضد الكيان الصهيوني كان السبب في إبعاد رئيس تحرير قناة الجزيرة الفضائية من منصبه في الأسابيع القليلة الماضية.

وتقول مصادر موثوقة في أبوظبي والقاهرة إن رئيس التحرير كان يصر على نعت عمليات الفدائيين الفلسطينيين بالانتحارية جرياً وراء الوصف الصهيوني والغربي، ومصادماً بذلك المشاعر الوطنية والإسلامية على الساحة.

قرار الإبعاد أصدره مسؤولو القناة بعد اجتماع لمجلس الإدارة ولم يعرف به إلا القليلون، إذ اكتفت الإدارة ظاهرياً بالإعلان عن مغادرة رئيس التحرير الدوحة في إجازة لم يتحدد موعد انتهائها وقيل إن الرجل ستسند إليه مهام إنتاجية من الخارج.

التمهيد لهذا القرار بدأ قبل عدة أشهر، فقد استعادت الجزيرة أحد المحررين السابقين فيها من قناة أبو ظبي، وأسندت إليه وظيفة نائب رئيس التحرير، وقد تسلم المنصب فور مغادرة رئيس التحرير.

أوساط مهنية أبدت ارتياحها للقرار، وقد لاحظ متابعو القناة أن كافة أخبارها وتقاريرها عن الانتفاضة أضحت تستخدم تعبير العمليات الاستشهادية أو الفدائية بدلا من الانتحارية.

هل هو تحريف حقاً؟!

ذكرت وكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية الرسمية أن تصريحات الدكتور أسامة الباز المستشار السياسي للرئيس المصري، تعليقاً على مشاوراته في واشنطن مع الإدارة الأمريكية مؤخراً، قد تعرضت للتحريف والقلب وتغيير المضمون، من قبل إذاعة العدو الصهيوني.

وقالت: "خرج علينا راديو اسرائيل" ليعلن على لسان الدكتور أسامة تصريحات قام الراديو بتزييفا وتغيير مضمونها، ويقول إن المستشار السياسي للرئيس مبارك يصرح

بعد اجتماعه بالوزير كولن باول.. بأن مصر ستعارض جهود الدول العربية، لإرسال مراقبين دوليين للمناطق الفلسطينية"

كأن الجهود المصرية "المباركة"، تتمثل فى إرسال مراقبين دوليين للمناطق "وليس الأراضى" الفلسطينية، فمن قال إن الشعب الفلسطينى يريد مراقبين دوليين فى الأساس لكي تصب الجهود فى هذا الإطار؟!

إن الشعب الفلسطينى يريد حماية دولية، وهو ما يمثل خطوة رمزية على طريق إزالة الاحتلال.. فالفارق كبير بين ما يطالب به الباز وما يطالب به الشعب الفلسطيني.

ولو ثبتنا الصورة الحقيقية، لوجدنا تحريفاً ظالماً للموقف الفلسطيني، وتضحية بدمائه وشهدائه، وحقوقه.

23 دقيقة كاملة قضتها طائرة أمريكية من طراز إف 16 في الأجواء السورية حين ضلت طريقها من تركيا إلى شمال العراق.. الغريب أنه لم يحدث أي اعتراض للطائرة طوال تلك المدة! ماذا لو كانت الطائرة صهيونية؟!

راجت شائعات في جورجيا عن اتفاق بين الحكومتين التركية والجورجية يحل بموجبه جنود أتراك محل القوات الروسية في القواعد التي تخليها روسيا في جورجيا، و أُعلن أن وفداً من الخبراء العسكريين الأتراك وصل إلى العاصمة تفليس لدراسة قاعدة فازياني القريبة والتي أخلتها القوات الروسية مؤخراً.

عامان مرا على كارثة الزلزال العنيف الذي وقع في منطقة مرمرة التركية في أغسطس 1999م، وأودى بحياة زهاء عشرين ألف مواطن. مصادر تركية أشارت إلى أن الأوضاع السكنية للمواطنين الذين تهدمت منازلهم لم تعد إلى حالتها الطبيعية السابقة برغم مرور عامين، وأن تركيا مازالت غير مستعدة تماماً لمثل هذه الكوارث.

بعد التوتر الذي طرا على العلاقات بين إيران وأذربيجان أُعلن أن الرئيس الأذري حيدر علييف سيزور طهران في شهر سبتمبر المقبل، كما يتوجه وزير الأمن القومي الأذري نامق عباسوف إلى طهران في زيارة أفادت المصادر الدبلوماسية أن السفير الأذري في طهران يعكف على إعداد برنامجها للقاء المسؤولين الإيرانيين. التوصل

إلى اتفاقية تعاون مشترك بين الجانبين سينعكس بشكل إيجابي على مختلف مجالات العلاقات القائمة بين البلدين.

تعليقاً على موضوع (فصل الدين عن الدولة) الذي تصر عليه حركة التمرد، وجهات علمانية أخرى في السودان، أكد الصادق المهدي رئيس حزب الأمة أن فصل الدين عن الدولة مستحيل، فالدولة هي الأرض والشعب والسلطات الثلاث، ولا يمكن فصل الدين عن القضاء ولا التشريع. وأضاف: إن "حزب الأمة ما زال يتبنى مشروع الصحوة الإسلامية وفق نهج قومي". وبشأن دعوة حركة التمرد قال : "إنها تستغل في مصادر تمويلها الكنائس العالمية".

دعا الرئيس الأمريكي جورج بوش الأمريكيين إلى الضغط على أعضاء مجلس الشيوخ للتصويت لصالح السماح للجماعات الدينية المختلفة في أمريكا بتلقي مبالغ مالية فيدرالية لتمويل نشاطاتها الخيرية. ورحب بوش بقيام مجلس النواب بتمرير مشروع قانون حول تمويل الجماعات والهيئات الدينية الذي يرفضه مجلس الشيوخ

ويقضي مشروع القانون بتزويد الجماعات الدينية ومؤسساتها بأموال حكومية فيدرالية عبر السماح لها بالمشاركة فى برامج حكومية معينة يحظر عليها حتى الآن المشاركة فيها.

قررت حكومة الاحتلال الصهيوني تغيير الوضع القائم في منطقة المسجد الإبراهيمي، وصادقت على مشروع لتوسيع القسم الذي استولت عليه من الباحة الخارجية للمسجد في الخليل.

إسحاق هنبغي وزير البيئة فى الكيان الغاصب أبلغ لجنة الاستيطان اليهودية في الخليل بأن الحكومة ستخصص مبالغ طائلة لتوسيع المنطقة، وإقامة حدائق خارج المسجد (!).

وسط حراسة أمنية مشددة، قررت محكمة جنح أمن الدولة طوارئ المصرية تأجيل محاكمة 52 متهماً من الشواذ ممن اصطُلح على تسمية تنظيمهم "قوم لوط" إلى جلسة 29 أغسطس الجاري لسماع مرافعة نيابة أمن الدولة في القضية، مع التصريح للمتهمين بإعلان شهود نفي في القضية.

وردد الشواذ حال دخولهم قاعة المحاكمة عبارات : "احنا مظلومين حسبنا الله ونعم الوكيل" محاولين إخفاء وجوههم عن عدسات الكاميرات، وأجهش بعضهم بالبكاء والصراخ، وصبوا جام غضبهم على الصحافة المصرية لأنها "هدمت حياتنا الاجتماعية ومستقبلنا بإطلاقها شتى النعوت الشنيعة علينا قبل التأكد منها خصوصاً أن القضية مختلقة برمتها"!.

ورأى المحامي فريد الديب وكيل دفاع متهمين بالقضية أن 90 % من المتهمين "طبيعيون" والباقي من "مثليي الجنس"! فيما تساءل عدد من المحامين والمتهمين :"لماذا لم تُغلق السفينة التى ضُبط فيها المتهمون حتى الآن ما دامت وكراً لممارسة الفحشاء والفجور والشذوذ ؟!".

أقام ناطق علييف رئيس شركة النفط الأذرية (شقيق الرئيس الأذري) دعوى ضد اعتبار محمدوف رئيس حزب الاستقرار الوطني بسبب الاتهامات التي وجهها إلى عائلة علييف حول تهريبها النفط إلى الخارج، وإيداع دخله في حسابهم الخاص. وقال علييف إن اقاويل محمدوف لا تعدو افتراءات بحقهم.

خلال مخاطبته للقطاع السياسي للحزب الحاكم كشف الرئيس السوداني عمر البشير عن المحاور الأربعة لاستراتيجية الدولة في المرحلة المقبلة، وأجملها في: تحقيق الأمن القومي عبر إيقاف الحرب، و التنمية الاقتصادية، وتنمية المجتمع، وإرساء دعائم السلام الاجتماعي.

وحذر البشير من القوى المستفيدة من انشطار السودان، وتحلم بفصل الجنوب لإقامة دولتها عليه، لخدمة أهداف الصهيونية العالمية، داعياً أبناء السودان للفصل بين مطامع القوى الأجنبية، وقضية المواطن الجنوبي، والتحلي بالوعي الذي يجنّب البلاد شرّ المؤامرات.

شرعت الكتلة الإسلامية في جامعة النجاح بحملة إغاثة لطلبة الجامعة من خارج المدينة الذين يسكنون داخلها بسبب ظروف الحصار الصهيونى، أطلقت عليها اسم "حملة الرغيف المجاني". استفاد من هذه الخدمة نحو ألفى طالب بواقع كيلو من الخبز الطازج. ورجحت مصادر الكتلة أن يرتفع عدد الطلبة الذين يسكنون نابلس نظرا لصعوبة التنقل إلى نحو أربعة آلاف طالب جامعي.

اتفق الدكتور نصر فريد واصل مفتى مصر مع رأي الداعية الإسلامى الدكتور يوسف القرضاوي بشأن تكوين "اتحاد عالمي لعلماء المسلمين" معلناً تأييده للفكرة، ومشدداً على ضرورة توحد كلمة المسلمين، في مواجهة العدوان الصهيوني علي المقدسات الإسلامية. واصل أشار إلى أن تزايد الفتاوى من غير أهل الاختصاص يحدث بلبلة كبري لدى الرأي العام، ويؤثر سلباً على مصالح الأمة.

رفعت تركيا عدد رحلاتها الجوية من إسطنبول إلى العاصمة الإيرانية طهران من خمس إلى سبع رحلات أسبوعياً.

الرحلات اليومية تبدأ اعتباراً من 28 أغسطس الحالي.

شجبت الأحزاب الباكستانية قرار الحكومة برفع أسعار النقل العام الذي يؤثر على حياة الناس بصفة مباشرة، وطالبت بإعادة الإجور إلى ما كانت عليه .

وعبرت الجماعة الإسلامية عن بالغ قلقها تجاه عملية رفع الأسعار، وقال أمينها في كراتشي الدكتور معراج الهدى:إن هذا الطريق سيؤدي إلى زيادة المشكلات أمام الحكومة، فيما قال حزب الشعب إنه بعدما قامت به الحكومة من رفع أسعار البترول، تأتي مسألة رفع أسعار النقل كخطوة أخرى ضد الشعب.

أما الحركة القومية المتحدة فوصفت رفع أسعار النقل العام بأنه موجه ضد الشعب.

أثناء مهرجان "مؤتة "الثالث للثقافة والفنون، الذي اختتم مؤخراً فى عمان طرح مشروع باسم "مؤاخاة أون لاين"، بهدف تحقيق تواصل مادي ومعنوي بين الأسر في فلسطين ونظيرتها العربية والمسلمة.

المشروع طرحه "هشام جعفر" رئيس تحرير موقع "إسلام أون لاين.نت" في ورقته: "دور الإعلام في استنهاض الأمة: خبرة إسلام أون لاين.نت"، و التي قدمها لإحدى الندوات المهرجان.

وحسب جعفر فإن المشروع يستهدف إبراز المجتمع الفلسطيني وتقديمه في صورة تفصيلية تظهر فيها الشخوص وتضحياتهم والأسر ومعاناتهم، مشيراً إلى ضرورة البدء في تنفيذ ذلك عبر توفير معلومات تفصيلية على شبكة الإنترنت؛ تمهيدًا لتحقيق المؤاخاة المرجوة.

============

#الثقافة والمثقفون

أ. محمد العبدة 1424/8/19
2003/10/15

من المصطلحات الشائعة كثيراً في أحاديثنا وكتاباتنا مصطلح (الثقافة) فيتردد: ثقافة المجتمعات العربية أو الثقافة السائدة، الثقافة الغربية، الثقافة الإسلامية... إلخ. كما يوصف طبقة في الناس بـ "المثقفين" ويعنون ذلك غالباً من يمتلك جملة من المعارف أو حاملي الشهادات العليا والأكاديميين، فهل كلمة مثقف أو ثقافة تعني هذا؟ أم أننا في عصر فوضى المصطلحات والمسميات.

لم تستعمل كلمة (ثقافة) بالمعنى المصطلحي المعاصر في التراث الإسلامي، وإنما هي ترجمة لكلمة (culture) الإنجليزية أو الفرنسية ولا شك أن الذي ترجمها أو نحت لها هذا النحت من العربية كان أقرب إلى الدقة، وإن كانت الكلمة الأوروبية آتية من مفهوم الحرث والزرع والحصاد، فالزراعة في اللغة الإنجليزية agriculture، والحضارة الغربية حضارة زراعية في الأساس وعندما عبروا عن السلوك والقيم والعادات بكلمة (culture) فإنما هو تعبير مجازي عن انغراس هذه القيم والعادات في المجتمع، وأنها تؤتي ثمرتها من خلال سلوك الفرد، فهي زرع وحصاد . وإذا رجعنا إلى الجذر العربي لكلمة ثقافة فسيظهر لنا أنها ليست معلومات ومعارف فقط ، بل إن لها وظيفة اجتماعية سلوكية تهذيبية، العلم أحد أركانها. جاء في لسان العرب: ثقف الشيء: حَذَقه، ورجل ثقف: حاذق فَهِمٌ ثابت المعرفة بما يحتاج إليه، ويقال : ثقف، ويقصد : سرعة التعلم، والثِّقاف: ما تُسوّى به الرماح (1) فالمثقف آتية من تثقيف الرمح وهو تقويم قناته وتشذيب زوائدها وإزالة الإعوجاج منها. " ومعنى الكلمة في الذوق العربي يرمي إلى أن أساس الثقافة هو حسن التربية وصحة الإدراك والتقدير للأشياء وسلامة التفكير، ويرمي كذلك إلى اعتبار الأخلاق الفاضلة قبل كثرة المعلومات "(2)

يعرف الثقافة أديب العربية الكبير محمود محمد شاكر : " هي الأصول الثابتة المكتسبة التي تتغرس في نفس الإنسان منذ مولده حيث استودع هذا الإنسان فطرة باطنة تتوجه إلى رب خالقه وحافظه، وهي معارف للإيمان بها أولاً، ثم للعمل بها

حتى تذوب في بنيان الإنسان، ثم الانتماء إليها بعقله وقلبه، انتماء يحفظه ويحفظها من التفكك والانهيار "(3) وعلى هذا الأساس في غائبة الثقافة، فإنها تزود الفرد بأنماط السلوك الصحيحة والطريق المؤدي إلى الصلاح، وهذا هو الذي أشار إليه الحديث النبوي حين حذر المسلم وطلب منه أن يتعوذ من علم لا ينفع، فمن أهداف الإسلام نفي الأفكار الجاهلية والأوهام النفسية التي تعيق الإنسان عن التفكير السليم والعمل الصالح.

الثقافة تجري في الأمة مجرى الدم، وتطبع الناس بطابعها فيصبح سلوك الناس متعلمين وغير متعلمين متشابهًا ويعالجون مشاكلهم بطريقة متقاربة، أي أن هناك شيء من التجانس الفكري فيما بينهم، فعندما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، من رأي منكم فيّ اعوجاجاً فليقوّمه، قام إليه رجل من المسلمين وقال: لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا.

فالمجتمع الإسلامي حينذاك كان منطبعاً بطابع متجانس ذي ثقافة واحدة، وحين تحققت الوحدة والتآلف بين المسلمين (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) " حين ذاك دخل عنصر مهم أو تركيب من تراكيب الثقافة وهو الواقع العملي والواقع الأخلاقي المشخص "(4) وإذا أردنا تعريف الثقافة بثمراتها، فإن ثقافة المجتمع الإسلامي مثلاً لا تقبل بأي حال من الأحوال إهمال الكبار في السن ووضعهم في بيوت العجزة بينما في الثقافة الغربية السائدة اليوم؛ فهو تصرف طبيعي، وفي الثقافة الإسلامية يبرز الطابع الأخلاقي في فنون الأدب من شعر أو نثر. فانتحار إنسان في قصة مأساوية هو في منتهى التأثير والتأثر والإعجاب في الثقافة الغربية، بينما هي عند المسلم تدخل في باب المحرمات، الثقافة الإسلامية جعلت المسلم يكره المنظر القبيح والفعل القبيح كما جاء في الحديث "إن الله جميل يحب الجمال"، وهي التي أعطت المسلم الفعالية في الحياة (واقصد في مشيك واغضض من صوتك)، (ولا تمش في الأرض مرحاً) فالمثقف سواء كان مثقفاً عادياً أو أكاديمياً خبيراً في شأن من الشؤون هو صاحب قضية، وصاحب رأي واهتمام في رفع مستوى أمته، ويملك رؤية بعيدة لمصائر الأحداث.

المثقفون في الأمة الحية هم خيارها تقوم الأمة نحوهم بواجب التقدير ، ويقومون بواجب التوعية وواجب النقد والتصحيح والتجديد، ولذلك يجب أن يكون مكانهم في أمنع المواقع بعيداً عن الأذى، وإن غياب هؤلاء عن مركز القرار ورسم السياسات أضر كثيراً بالعالم الإسلامي. فالمؤسسات العلمية لم تعد تخرج (المثقف) الذي يحول الفكرة إلى عمل وسلوك، ويجسد الشخصية الإسلامية بعلمه وخلقه؛ بل تخرج (حامل الشهادات)، المتزين بها، الذي يتقن مهنة "التعالم"، ومع الأسف فإنه في الآونة الأخيرة أبعد دور المثقف لصالح دور الخبير الإداري وهي بضاعة أمريكية ومع الأسف أيضاً فإن صورة المثقف كانت سابقاً في الوطن العربي (المثقف العلماني) الذي ينظر إلى الدين كتراث يستحق التأمل فيه، وهؤلاء الذين يسمون أنفسهم مثقفين ملأوا الدنيا صراخاً حول موضوع الحريات والديمقراطيات ، لكنهم لا يحتملون وجود (المثقف المسلم) هؤلاء الذين يسمون أنفسهم "تنويريين" ويتحككون بالمعتزلة الذي يمثلون بنظرهم التيار العقلاني والفئة المثقفة في التراث الإسلامي لا يتذكرون أن هؤلاء المعتزلة هم الذين استعانوا بالسلطة لفرض آرائهم بالقوة على الإمام أحمد وأهل السنة، فمن هو المتنور؟ ومن هو الظلامي؟ هل الذي يتعرض لسيرة الرسول –صلى الله عليه وسلم– ولصحابته رضي الله عنهم بالتشوية والشك يسمى مثقفاً؟ وهل إصرار محمد أركون على تفكيك النص القرآني شأن ما فعله علماء النصارى البروتستانت بالتوارة والإنجيل يسمى (ثقافة)؟!.

إن كلمة (مثقف) في الخطاب العربي المعاصر لا تعني الرجل الحاذق العالم الذي يحمل هموم الأمة، بل أقرب ما تعنيه هي كلمة intellectual الإنجليزية، أي طبقة الذين يشتغلون بالفكر ولا يعملون بأيديهم. إننا نخشى أن تُسمّى الأشياء بغير سمياتها، أو نلبسها خلاف لبوسها، ويصبح المتعالم البعيد عن المواقف الثابتة والمبادئ القويمة يُسمى حكيماً وعاقلاً وخيّراً، وليست هذه هي مهمة المثقف.(1) لسان العرب 492/1 مادة: ثقف

(2) محمد البشير الإبراهيمي : الآثار الكاملة 126/2

(3)رسالة في الطريق إلى ثقافتنا /72

(4)مالك مالك بن نبي : مشكلة الثقافة /50

=============

#الحرب الأمريكية على ساحة التعليم

د. محمد يحيى 1424/9/1

2003/10/26

بعد غزو العراق أعلنت أمريكا بوضوح أن أهم أهدافها من احتلال العراق هو تغيير نظام التعليم، وبالأصح المناهج والأفكار والمضامين لكي تصبح ديمقراطية ومضادة للدكتاتورية وحديثة.

وعندما بدأ الناس يسمعون بالتفاصيل تبين أن المقصود بصفة عامة هو تغريب تلك المناهج العراقية إلى حد أن الأمريكان تحدثوا عن ترجمة كتب الأفكار العامة التي تدرس في المدارس الأمريكية وفرضها على المدارس العراقية في شتى مراحلها. ومع التغريب جاء هدف العلمنة ونزع الإسلام بأشكاله من الكتب المدرسية العراقية بحجة محاربة الطائفية رغم أنه لا يوجد في العراق سوى الإسلام، وكان التركيز الأمريكي على التعليم مثيرًا للتساؤل؛ لأنه أتى في أولوية تفوق اهتمامهم بالبترول رغم الحديث الكثير على البترول باعتباره الهدف الأمريكي الأسمى من الغزو والاحتلال، والواقع أن الحرب الحقيقية على العراق كانت حربًا ضد العقول والضمائر، وضد الإسلام قبل كل شيء، ولهذا الهدف كانت الأولوية المعطاة لمسألة التعليم والفكر.

لقد عاملوا العراق بالضبط كما عاملوا اليابان وألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، فهناك غيّروا مناهج التعليم بالتحديد لمحو الهوية القومية والثقافية والتاريخية والحضارية، وخلف التبعية الفكرية والذهنية لأمريكا في تلك البلاد، وقد نجح هذا التدبير نجاحًا باهرًا بحيث أصبحت اليابان وألمانيا في الدول التابعة لأمريكا بذلة وخنوع، وتأمرك المجتمع في هاتين الدولتين مع الفارق هو أن المجتمع الألماني لم يكن بحاجة إلى تغريب؛ لأنه مجتمع غربي قح؛ بل هو أحد المجتمعات الثلاثية المؤسسة للحضارة الغربية أو الأوربية مع فرنسا وانجلترا، وقبلهما إيطاليا في عصر النهضة، أما اليابان كمجتمع شرقي؛ فكانت بالفعل قطعت خطوات على طريق التغريب قبل الحرب العالمية الثانية، ثم جاءت تلك الهزيمة لتسير البلاد على هذا الطريق لأبعد مداه وإن لم يكن كاملاً مئة في المئة.

مقاومة التغريب

أما في العراق وسائر البلاد العربية؛ فإن الأمركة والتغريب والعلمنة كانت ولازالت تلقى المقاومة الشديدة، بحيث أصبح من المطلوب ضربها الآن بالقوة الغاشمة الاحتلالية، ليس في العراق وحده، ولكن في كل البلاد التي يحكمها الأمريكان من خلال النخب. وكذلك فإذا كانت ألمانيا واليابان دولتين علمانيتين شبه كاملتين قبل الحرب العالمية الثانية؛ فإن الأمر لم يتضاعف بعد الحرب لأن العلمانية لم تتضاعف وكانت بالفعل جذورًا راسخة. أما في العراق والدول العربية؛ فإن الحال يختلف أيضًا على الرغم من سيطرة النخب المتغربة المعلمنة على مدى سنوات وعقود طويلة، لأن المجتمعات والبنى الفكرية والثقافية ظلت إسلامية وعربية، ومن هنا تصاعدت بشكل رئيس حدة الهجمة الأمريكية التغريبية العلمانية على الرغم من وجود تيار ديني متعصب صليبي يقود أمريكا، بل على العكس فإن وجود هذا التيار الصليبي الذي لا يؤمن بالعلمانية في تلك البلاد هو الذي دفعه إلى دعم وتحفيز وتصعيد العلمانية في العالم الإسلامي والعربي على سبيل الكيد للإسلام، وهذا هو الجديد في الهجمة العلمانية الجديدة المتصاعدة، ففي الماضي كانت الدول الأوروبية التي تفرض العلمانية على سبيل التحمس لمبدأ تؤمن هي به.

التيار الصليبي المتطرف

أما الآن فإن التيار الصليبي الحاكم صراحة وليس من وراء ستار أمريكا والصاعد وذا النفوذ في بريطانيا ودول أوروبية أخرى وبالذات في شرق أوروبا؛ يصعّد فرض العلمانية ومعها التغريب في العالم الإسلامي مدفوعًا بكل حقد الكيد للإسلام والرغبة في القضاء عليه..

هذه هي الخلفية التي يجب أن نقرأ عليها الرغبة الأمريكية المحمومة في تعديل بل تشويه مناهج التعليم في العراق قبل فعل أي شيء آخر في تلك البلاد.

إنها الحرب القديمة على الإسلام، لكنها الآن وفي ظل الحكم الصليبي السافر في أمريكا تأخذ شكلاً سافراً وحادًا وهستيريًا هي الأخرى، ومن الناحية الأخرى فإن حكاية الهجمة على النظام التعليمي بهدف تغريبه وعلمنته ليست جديدة ولنفس دوافع ضرب الإسلام لقد توصلت إليها الدول العربية في أواسط الثمانينيات تحت الشعار التونسي

الشهير "تجفيف المنابع"، والذي عم جميع البلدان الأخرى، واتخذ شكل تأميم المساجد وفـرض الخطـب والـدروس الدينيـة المعلمنـة، وفـرض الفتـاوى وضـرب الحركـات الإسلامية بأبشع الوسائل وفرض القوانين الاستثنائية..

إن الهجمة التغريبية على نظام التعليم في العالم العربي ليست جديدة ولا مرتبطة بوصول الحكم الصليبي الحالي في أمريكا؛ فعلى مدى ما يقرب من العشرين عامًا سمعنا عن مراكز أمريكية لوضع المناهج في مدارس بلدان كبرى في العالم العربي، ومحيت الكتب الدينية أو كادت ومعها تدريس الدين، ووضعت مناهج علمانية سميت بـ"تدريس الأخلاق" كبديل عن الدين الإسلامي بالذات.

فضح العملاء

وسمعنا من العلمانيين أصحاب أمريكا من يعلن بكل فخر أن التعليم هو مشروعه النهضوي للأمة، وكان في ذلك يعني كلمة واحدة هي فقط علمنة وتغريب الأمة، ومحصلة هذا الأمر كله هو أن الحرب على الإسلام أصبحت تدور الآن على ساحة التعليم باعتباره مجال صنع العقول والضمائر للأجيال القادمة، وقد انتقلت من ساحة السياسة إلى الساحة الاجتماعية، ولعل دخول الأمريكان بهذه الفجاجة والغباء وكذلك إلى ميدان كشف الأوراق؛ فضح العملاء، وأثبت للجميع أن كل الدعاوى التي كانت تردد حول تحديث التعليم والمشاريع القومية الكبرى فيه مجاراة العصر ليست سوى تغطية للفكر الأمريكي المفروض على الجميع في هذا المجال.

إنها ليست سوى أوراق توت خائبة يسعى البعض لوضعها، لكن سقطت مع سفور الخطة الأمريكية لحكم العراق وتغييره

==============

#في كل الأحوال (2/1)

أ.د. عبد الكريم بكار 1424/9/5

2003/10/30

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن إنجازاتنا وعطاءاتنا تخضع لثلاثة عوامل أساسية، هي:

1- ما ورثناه عن آبائنا وأجدادنا من خصائص عقلية ونفسية وجسمية.
2- البيئة التي نعيش فيها بما تشتمل عليه من مفاهيم وأعراف وتقاليد وبنى تحتية ومرافق عامة...
3- الجهود الشخصية والخاصة التي نبذلها في تثقيف عقولنا، وتزكية نفوسنا وصقل مهاراتنا، واستثمار الفرص المتاحة لنا.

ولا يخفى أن بين هذه العوامل الثلاثة علاقة جدلية مستمرة، فالذكاء المتفوق والقدرات الذهنية الممتازة تساعد المرء على أن يستفيد على أحسن وجه من المعطيات التي توفرها البيئة، كما أنها تجعله يدرك بسرعة حدود إمكاناته الحقيقية وطبيعة التحديات التي يلاقيها والطريقة المثلى لمواجهتها والتصرف حيالها.

البيئة الجيدة تجعل عمل الناس أسهل، وتوفر لهم الظروف التي تساعدهم على التفوق والارتقاء وهكذا..

والذي نستفيده من هذا هو أن التفوق في الجهد أو البيئة أو الموروث الجيني، سوف يخفف من أضرار القصور في الجانبين الآخرين. وأن أي قصور في أي جانب أو عامل من هذه الثلاثة سيؤثر سلباً في أداء العاملين الآخرين، وأعتقد أن التكامل والتفاعل بين ما ذكرنا يشكّل مظهراً من مظاهر ابتلاء الله –جل وعلا- لنا في هذه الحياة؛ حيث إن إمكانات الارتقاء والتقدم ستظل موجودة مهما كان الموروث الجيني سلبياً وضعيفاً، أو كانت البيئة صعبة وغير مواتية؛ وذلك من خلال تنمية الإمكانات الشخصية وبرمجة الوقت وتحديد الأهداف واكتساب المهارات، وقبل ذلك كله العبودية الحقة لله –تعالى- والاستعانة به، والتأهل لتوفيقه وفيوضاته غير المحدودة. ولو أننا تأملنا في سير أولئك الذين صاغوا أمجاد هذه الأمة، وشيّدوا صرح حضاراتها لوجدنا صدق ما نقول.

وأحب هنا أن أبلور المفهومات الثلاث الآتية:

أولاً: ما دامت المحصلات النهائية لكل جهودنا الدعوية والإصلاحية والتعليمية خاضعة لموروثاتنا عن الآباء والأجداد، وخاضعة للبيئة التي نعيش فيها وللجهد اليومي الذي نبذله، وما دامت كل هذه الأمور لا تكون أبداً حدِّية وكاملة؛ فإن المتوقع آنذاك أن تكون النتائج التي نحصل عليها مشوبة دائماً بالنقص والقصور،

وستظل دائماً أقل مما نريد؛ فأنت لا تستطيع أن تصل إلى حلول كاملة في وسط غير كامل، وستظل هناك فجوة بين طموحاتنا وبين ما يتحقق على الأرض. هذا يعني أيضاً أننا سنظل نشكو ونشكو، وكأن الوعي البشري اخترع الشكوى من سوء الأحوال، ليتخذ منها محرضاً على التقدم.

وإذا تتبعنا هذه السلسلة من الإحالات والاستنتاجات فسنصل إلى الاعتقاد بأنه لن يكون في هذه الدنيا لأي أمة من الأمم أو جماعة من الجماعات أو فرد من الأفراد – نصر حاسم ونهائي– لا يقبل الجدل ولا الشك والنقد. ولهذا فإن الذين يحلمون بانتصارات نقية وتامة سيظلون يصابون بصدمات الإحباط وخيبات الآمال!.

ثانياً: إذا كان الأمر على هذه الصورة؛ فهذا يعني أننا لن نصل أبداً إلى اليوم الذي نعتقد فيه أننا قد حصلنا على البيئة المثلى للعمل والإنجاز، ولا على الأدوات التي نحتاجها لتحقيق أقصى الطموحات، وسنظل نشعر بوجود درجة من المجازفة والمخاطرة عند اتخاذ أي قرار حاسم في أي اتجاه. وهذا يجعلنا نبلور مفهوماً جوهرياً، هو:" اعمل ما هو ممكن الآن، ولا تنتظر تحسن الظروف".

وهذا المفهوم يقوم على مسلّمتين هما:

1- هناك دائماً إمكانية لعمل شيء جيد لأنفسنا وديننا والناس من حولنا.

2- مهما تحسنت الظروف؛ فإنه سيظل هناك من يمكنه أن يظن أن الظرف المطلوب توفره من أجل الإنجاز لم يتهيأ بعد.

ثالثاً: هناك مسلمون كثيرون مصابون بفقر شديد في الخيال، فهم خاضعون لمقولات مستعجلة أطلقها أعلام ومشاهير لم تنضج رؤيتهم لفيزياء التقدم ولا لطبيعة العلاقات التي تحكم قوى التحدي والاستجابة، ومن ثم فإنهم قد صاروا أشبه بمن وضع القيد بنفسه في رجليه في أجواء عاصفة وخطرة!.

إن الخيال نعمة كبرى من الله –جل وعلا–، وقد كان نابليون يقول: "إن مؤسساتنا مصابة بمحدودية الخيال، ولولا الخيال لكان الإنسان بهيمة". ويكفيني هنا لفت النظر إلى مسألة تتجلى فيها محدودية الخيال وعقمه الشديد:

من الواضح أن جمهرة غير قليلة من أبناء الجماعات والدعوات الإسلامية يعتقدون أن تطورات مذهلة سوف تطرأ على الحياة الإسلامية إذا قامت الدولة (الحلم) التي

تسيّر شؤون الناس، ولهذا فإنهم عطلوا الكثير من الجهود، وأضاعوا الكثير من الفرص، وعلّقوا توازن أعداد هائلة من الناس على تحقيق ما يتطلّعون إليه!؛ بل إن الأمر تجاوز ذلك إلى ما هو أسوأ، وهو الاعتقاد بأنهم لا يستطيعون إنجاز أي شيء ذي قيمة إلا في ظل دولة إسلامية راشدة. وتلك الدولة ينبغي أن تكون من الطراز العمري، فإذا كانت من مستوى الحكومات الأموية أو العباسية، فربما كانت لا تستحق أقل من الثورة!.

هؤلاء الناس يتخيلون أن الحكومة الراشدة التي يحلمون بها سوف تكون على درجة عالية من الإخلاص والخلق والعلم وحسن التدبير والحنكة في تحفيز الجماهير على الكدح والعطاء، وعلى درجة عالية من الخبرة في حل المشكلات الداخلية ومواجهة التحديات الخارجية، مع أنهم لا يقولون لنا: أين ستكتسب (الدولة الحلم) هذه الخبرات الخطيرة؟ وفي أي بيئة ستتكون لدى أعمدتها هذه الصفات والأخلاق والمهارات الفذة والعجيبة؟ وهم ما فتئوا يشكون من سوء الأحوال وتدهور الزمان!.

في ظل هذه الدولة سوف يحدث ما يشبه الزلزال في النفوس والمجتمعات والعلاقات والتوجهات السائدة: في ظل تلك الدولة العجيبة سوف ينشط الكسول ويتعلم الجاهل، ويبذل الشحيح، ويقلع بذيء اللسان عن التفوه بالألفاظ القبيحة، ويكفّ مدمنو المخدرات والمكيفات عن تناولها، وسوف يحاول المدرس غير الكفء صقل مهاراته وإثراء ثقافته... كما أن العلمانيين والليبراليين وأصحاب المصالح المضادة سوف يسلمون لتلك الدولة (المعجزة) بالنزاهة والكفاءة معاً، ولذا فإنهم سوف يسلمون لها القيادة. والدول المناوئة في الخارج سترى أنه لا فائدة ترتجى من وراء مقارعة تلك الدولة؛ ولذا فإنها سوف تتجاهلها أو تهادنها...

وهكذا ستحدث تغيرات كونية هائلة لم تحدث في أي مرحلة من مراحل التاريخ! وحتى يحدث كل ذلك؛ فإن مما لا شك فيه أن طينة تلك الدولة ينبغي أن تكون خاصة، ولا مثيل لها ما دامت ستحقق إنجازات عديمة المثيل!.

وأنا أجزم أن تلك الجمهرة من الحالمين ستنقسم تجاه أفضل دولة إسلامية يمكن أن تقوم في أي مكان من الأرض إلى أقسام عدة: قسم يعمل معها بكفاءة وإخلاص؛ وهذا القسم قليل في أي زمان وأي مكان. وقسم يتمتع بالكفاءة؛ لكن ينقصه

الإخلاص والاستقامة. وقسم ثالث يخلص؛ لكنه لانعدام خبرته لا يعرف كيف يخدم الدولة والأمة. أما القسم الرابع؛ فهو قسم منتفع وصولي، ليس من هؤلاء ولا أولئك. والقسم الخامس قسم معارض يرى أن الدولة التي سعى إلى إقامتها قد خانت رسالتها، وانحرفت عن مبادئها؛ فهو منهمك في ردها إلى المسار الصحيح.

أما القسم الأخير؛ فهو القسم الثائر الذي صارت أمنيته التخلص من تلك الدولة بأي وسيلة من الوسائل، ولو كانت استخدام الصنف وإشعال الحرب الأهلية!!.

هذه الأقسام لم نأت بها من نسج الخيال؛ بل هي مما عرفناه من سنن الله –جل وعلا– في الخلق، ومما فهمناه من طبائع الأشياء، وما وجدناه ونجده عند قراءة أي ثورة من الثورات التي تمكنت من الوصول إلى الحكم في بلاد إسلامية أو غير إسلامية.

ولعلي في المقال القادم أشرح شيئاً مما يمكن القيام به "في كل الأحوال"، ومن الله تعالى الحول والطول

في كل الأحوال 2/2

أ.د. عبد الكريم بكار 1424/9/21

2003/11/15

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد ذكرت في المقال السابق أن موروثاتنا النفسية والجسمية... عن الآباء والأجداد وجهودنا الشخصية بالإضافة إلى البيئة التي نعيش فيها تشكل المؤثرات الجوهرية في كل عطاءاتنا وإنجازاتنا، وذكرت أنه مهما ساءت الظروف، وتعقدت الأوضاع، فستظل هناك إمكانية لعمل شيء ما، ومقال اليوم سيكون حول ذلك الشيء.

من المهم أن نعتقد في البداية أن أي جهد يبذله الواحد منا على صعيد إصلاح أحواله الشخصية والارتقاء بذاته، يصب بصورة من الصور في مصلحة أمته، حيث لا يمكن أن نبني أمة صالحة من أشخاص فاسدين، ولا مجتمعاً قوياً من أفراد ضعفاء، وإذا أردت أن تعرف موقع العالم الإسلامي على خارطة القوى العالمية، وأن

تعرف مدى تأثيره الحالي في تحديد وجهة العالم؛ فانظر إلى أوضاع كل دولة من دوله على انفراد، فالموج لا يكون أبداً إلا من جنس مائه.

نحن اليوم في حاجة ماسة إلى أن نبلور ونرسخ ثقافة (الإنجاز المتجاوز) والتي تعني -فيما تعنيه- ألا يُؤخَّر شيء يمكن عمله الآن من أجل انتظار شيء سيحدث في المستقبل، وتعني كذلك تعزيز روح المبادرة الفردية لدى الإنسان المسلم وتعزيز روح الإيجابية، والتعامل مع المعطيات الجديدة بعقل وقلب مفتوحين؛ حيث إن معظم المسلمين ما زالوا يرزحون تحت وطأة موروثات عصور الانحطاط والتي يأتي في طليعتها الكسل والفوضى والتواكل والخوف من الجديد والتقليد والتبعية والتفكير الذري ومحدودية الطموحات والمجاراة الاجتماعية والمثالية الزائدة.

والآن اسمحوا لي أن أتحدث عن ثلاث قضايا أتصور أنها ذات أهمية قصوى بين القضايا الكثيرة التي يمكن القيام بها في جميع الأحوال:

1) المجاهدة من أجل تغيير سلم القيم.

هناك قيم عالمية مشتركة تهتم بها كل الثقافات وكل الحضارات، مثل: الصدق، والأمانة، والإحسان، والوفاء، وإغاثة الملهوف، والإتقان والتسامح، والعفو، والجدية، والدقة، والتملك، والرفاهية، والنظافة، والاقتصاد في بذل الجهد.. ويتعامل الناس مع هذه القيم في كل زمان ومكان على أنها مفردات في نسق عام، وهي في تواليها أشبه بدرجات السُلَّم، وتتم التضحية بالقيم الدنيا عند التعارض من أجل الاستمساك بالقيم العليا، فإذا كانت قيمة الصدق -مثلاً- لدى إنسان أعلى من قيمة المال؛ فإنه يلزم الصدق، ولو كان الكذب يجلب له المال الوفير، وحين تكون قيمة الخوف من الله -تعالى- لدى المسلم أعلى من قيمة الخوف من الناس؛ فإنه لا يبالي بغضب الناس إذا كانوا لا يرضون إلا بإغضاب الله، وحين يحلّ النعاس بأحدنا وتكون قيمة النوم عنده أعلى من قيمة تنظيف أسنانه؛ فإنه سينام دون أن ينظفها، وإذا كانت قيمة تنظيف الأسنان أعلى؛ فإنه سيقاوم النعاس إلى أن ينتهي من تنظيفها وهكذا...

المجاهدة في سبيل تغير سُلَّم القيم ينبغي أن تستهدف تحقيق أمرين أساسيين:

1- العبودية الحقة لله -تعالى- والالتزام بأمره في المنشط والمكره.

2- الفاعلية العالية في الإنجاز مع المثابرة على العمل الشاق بغية بلوغ الأهداف المرسومة.

وإن التغير في عاداتنا وسلوكاتنا هو الطريق لتحقيق هذا وذاك، ولو أن المسلم أخذ على عاتقه أن يتخلص من عادة سيئة كل ستة أشهر لتحل محلها عادة حسنة؛ فإنه يكون قد التزم بإجراء تعديلات مستمرة في سُلَّمه القيمي بما يحقق العبودية والفاعلية، ومع أن هذا الأمر ليس بالسهل؛ فإنه بالاستعانة بالله -تعالى- والعزيمة التي لا تلين يمكن إنجاز الكثير الكثير. وهذا التحدي سيظل ماثلاً أمام كل مسلم في كل الظروف وإلى أن يلقى ربه.

2) المشروع الشخصي:

علينا أن نقول إن وعينا مفتون بالإنجازات الكبيرة والانتصارات العظمى، مما زهّدنا في الاهتمام بالأمور الصغيرة والتفاصيل الدقيقة، مع أنه من غير الممكن التعامل مع القضايا الكبرى من غير تفتيتها وتنويع المداخل والطرق لحلها، فكرة المشروع الشخصي ما زالت غريبة عن المجتمعات الإسلامية ولدى معظم الناس، مع أنه قد يكون هو السبيل الأكثر يسراً والأقل تكلفة والأكثر نجاعة والأقل مخاطرة في إنقاذ الأمة من الحالة الحرجة التي صارت إليها في ظل قصور الداخل وضغوطات الخارج.

المشروع الشخصي يعني التزام المرء بإنجاز شيء يكرس له حياته أو جزءًا كبيرًا منها، وهو من أجل إتقانه وأدائه على أفضل وجه مستعد للتنازل عن بعض الرغبات وتفويت بعض المصالح وذوق طعم العناء.

المشروع الشخصي رؤية تتكون من الهدف والطاقة والإمكانية والبعد الزمني، ولا قيمة لتلك الرؤية إذا لم يتم تجسيدها في خطة عملية ومنطقية واضحة ودقيقة، من خلال مشروعنا الشخصي نعثر على الدور الأمثل الذي يمكن أن نؤديه في هذه الحياة، كما أننا نجيب من خلاله عملياً عن الأسئلة التي لا يتم التقدم الحقيقي من غير الجواب عنها.

وأهم تلك الأسئلة سؤالان ضاغطان؛ هما:

1- ما الشيء الذي نستطيع أن نفعله الآن لكننا لا نفعله؟

2- ما العمل الذي إن أديناه بطريقة جديدة تكون نتائجه أفضل؟
ومن المهم أن تكون الأهداف التي ننجزها من خلال ذلك المشروع متصلة بالهدف النهائي الذي على كل مسلم أن يسعى إلى بلوغه، وهو الفوز برضوان الله –تعالى-.
سوف تتقدم أمة الإسلام تقدماً باهراً إذا تمكن 5 % من أبنائها من تقديم نماذج راقية في العلم والتربية والأخلاق والسلوك والعلاقات الاجتماعية والإنتاج والإبداع، فالذي يغير معالم الحياة ليس الأفكار والحكم والمقولات - وإن كانت تشكل الأساس لأي ازدهار-؛ وإنما النماذج الراقية التي يتفاعل معها الناس، ويتخذون منها قدوات يقتدون بها.
الأمم الفقيرة ليست تلك التي لا تملك الكثير من الرجال، ولكنها الأمم التي يتلفت أبناؤها يمنة ويسرة، فلا يرون إلا رجالاً من الطراز الثالث أو الرابع، فيحدث ما يشبه الفتنة الثقافية والضياع السلوكي.
من الصعب أن يكون المرء نموذجاً في أمور كثيرة، لكن من الميسور أن يكون عادياً أو فوق العادي قليلاً في جل شؤونه، ويقدم نموذجاً رفيعاً في شأن أو اثنين أو ثلاثة.
إذا نظرنا في سير صفوة الصفوة من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم- لوجدنا أنهم من خلال براعة كل واحد وتفوقه في بعض الأمور تمكنوا من كتابة تاريخ صدر الإسلام، وتأسيس المرجعية الرمزية والشعورية والأخلاقية لأمة الإسلام بطولها وعرضها: هذا يقدم نموذجاً في العدل، وهذا في الأخلاق والتجرد، وهذا في الصدق والأمانة، وهذا في الثبات على المبدأ، وهذا في النبوغ العلمي والفقهي، وهذا في الحنكة العسكرية، وهذا في الكرم والجود، وهذا في البر بوالديه وأرحامه، وهذا في الحياء وللطف والطيبة... وهكذا تم رسم ملامح أفضل مراحل حضارة الإسلام وملامح أكرم الأجيال.
جمال فكرة المشروع الحضاري الشخصي أنه لا يحتاج إلى كثير مال وأحياناً لا يحتاج إلى أي مال. وهو ليس ذا مقاييس صارمة ومعالم محددة، ولذا فإن معظم الناس يستطيعون أن يهتموا بأمر من الأمور يصبحون من خلاله مناراً ومرجعية لغيرهم؛ ومن الذي يمنع المرء أن يقدم نموذجاً في التبكير إلى صلاة الجماعة أو خدمة والديه أو الحرص على الوقت أو التصبر والتحلم وسعة الصدر ...؟

من خلال المشروع الحضاري يحقق المرء لدينه وجماعته ودنياه الكثير من المكاسب، وهو في كل ذلك الكاسب الأول . لكننا نحتاج إلى شيء من البصيرة وشيء من التخطيط وكثير من الهمة والاهتمام وروح المثابرة.

3-المشاركة في الخدمة العامة:

يتجلى الكثير من عظمة الأمم وخيريتها في تمتعها بأعداد كبيرة من المهتمين بالشأن العام والناهضين للقضايا التي لا تدخل في مسؤولية أي جهة من الجهات. وإن في إمكان أي مسلم مهما كانت ظروفه وأوضاعه، ومهما كانت قدراته وإمكاناته أن يسهم في تحسين الحياة العامة وإشاعة الخير محاصرة الشر في البلد الذي يعيش فيه. وسيكون من الخطأ الظن أن الإحسان يقتصر على بذل شيء من المال للفقراء. لا ريب أن هناك مشكلات كثيرة لا يحلها إلا المال؛ لكن أيضاً هناك مشكلات كثيرة جداً لا تحتاج في حلها إلى أي مال. وقد كان عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – يخرج إلى السوق مع غلام له، ثم يعود دون أن يشتري أي شيء، وكان غلامه يستغرب، ويتساءل : لماذا كان ذلك ؟! وكان ابن عمر يجيبه أنه خرج من أجل السلام على الناس.

في المسلمين مظلومون يحتاجون إلى مناصرة، وفيهم جهلة يحتاجون إلى تعليم ومنحرفون يحتاجون إلى إرشاد، ومهمومون يحتاجون إلى مواساة... ولو أن كل مسلم بذل ساعة في الأسبوع في التعاون مع مؤسسة خيرية أو في عمل تطوعي عام لتغير وجه الحياة في عالمنا الإسلامي.

نحن أمة تتحدث كثيراً عن حب الخير وعمل الخير، لكن الأرقام والإحصاءات والنتائج الملموسة تدل على أننا في الأعمال التطوعية والأنشطة اللاربحية في مؤخرة الأمم. ويكفي القول: إن القطاع الثالث والذي يشمل الأعمال الخيرية واللاربحية في (إسرائيل) يستوعب 11% من القوة العاملة هناك؛ على حين أنه في أقطارنا الإسلامية لا يستوعب ولا واحداً في المئة!.

من خلال حبّات الرمل تتشكل صحارى شاسعة، ومن خلال قطرات الماء تتشكل بحار ومحيطات، ومن خلال الأعمال الصغيرة والمبادرات الفردية يتشكل مستقبل أمة إذا امتلكنا ما يكفي من العزيمة والوعي. والله ولي التوفيق.

===============

#تركيا: سنتحرك إذا هوجمنا أو حين يندلع قتال بين الأكراد

الإسلام اليوم / طه عودة/ إسطنبول 1424/1/26
2003/03/29

مما لاشك فيه أن الأسبوع الماضي كان حافلا بالأحداث الهامة المتعلقة بالحرب الأمريكية على العراق، لعل أبرزها التصريحات التي صدرت من رئيس الأركان التركي الفريق (حلمي أوزكوك) الذي أكد إن الجيش التركي لن يدخل شمال العراق إلا إذا تعرضت الوحدات التركية الموجودة حاليا في المنطقة إلى هجوم، أو في حالة حدوث اقتتال داخلي بين الأكراد، أو حصول تدفق للنازحين إلى المنطقة.

تصريحات الجنرال أوزكوك:

يعلق الكاتب الصحفي فكرت بيلا من جريدة (ملليت) العلمانية الواسعة الانتشار على التصريحات التي صدرت من رئيس الأركان التركي أوزكوك فيقول :" التصريحات التي أدلى بها الجنرال حلمي أوزكوك رئيس هيئة الأركان التركية تحمل في مضمونها رسالتين مهمتين الأولى: تفصح عن الموقف التركي من المستجدات الأخيرة، والثانية: تعتبر ردا على جورج بوش وتوني بلير والفصائل الكردية. ولعل هذه التصريحات كان يجب أن يسبقه قادة السياسة إلى الإعلان عنها ويقولوا "هذه الحرب ليست حربنا، وهذه المهمة ليست من شأننا". ولو أن هذا التحليل البسيط الذي يختصر مسافة تركيا من الحرب، كان قد صاغه صناع القرار في تركيا، عندما أصيبت العلاقات التركية الأمريكية بشروخ. فتحركات الساسة منذ البداية، وكأن هذه الحرب حربنا دون أن يدعموا مواقفهم بأفعال، دفعت بالبعض إلى إحراج تركيا ووضعها في موقف كبش الفداء، بحيث بدأت الولايات المتحدة وبريطانيا بالحديث عن تركيا وشعبها بشكل منفر وصل إلى حد التهديد، حتى أنهما انشغلا بالتحامل يوميا على تركيا متناسيين الحرب على العراق، والمصاعب التي واجهتهم في الجنوب، وبغداد، وشرعا بالحديث عن الكارثة التي ستحصل بدخول القوات التركية إلى شمال العراق، وانكبّا بكل ما لديهما من قوة على هذا الموضوع. وبينما هما يفعلان ذلك، كانا يواجهان المصاعب في الجنوب مما أضطرهما إلى العودة إلى

طاولة المفاوضات مع تركيا على الجبهة الشمالية. ومع ذلك لم يخرج أحد ليسألهما مثل هذه الأسئلة المهمة :" لو أن البرلمان التركي وافق على المذكرة الثانية، لكانت القوات التركية ستدخل معهما وبعدد أكبر منهما إلى شمال العراق. وهل أن تركيا في ذلك الوقت كان لديها الحجة؛ وبعد رفض البرلمان فقدتها؟ وهل كانوا يثقون بها آنذاك والآن فقدوا الثقة بها؟. ولماذا هم لديهما الحق بعبور البحار والتوغل في شمال العراق، بينما تفتقر تركيا إلى هذا الحق وهي التي فقدت 30 ألف مواطن فوق هذه الأرض؟". الساسة الأتراك كان ينبغي عليهم طرح مثل هذه الأسئلة بوضوح منذ البداية، ليؤكدوا أن الجيش التركي موجود من أجل حماية المصالح القومية التركية، وليس من أجل تسهيل طريق الحشود الأمريكية في المنطقة، وكان يجب عليهم أن يشرحوا لأمريكا أن هذه الحرب ليست حربنا، ولكنها تهمنا في نفس الوقت، وأن يوضحوا الفرق بينهما، وأن يوضحوا أيضا أنهم غير مستعدين للعمل بشكل عشوائي وهم مغمضي العين لمجرد بضعة مليارات من الدولارات، وأن يذكروا الولايات المتحدة بأن البرلمان هو شأن قومي وبدون قرار قاطع منه لا يمكن لأمريكا أن تسرح وتمرح في تركيا والمنطقة كما تشاء. وإذا دققنا في تصريحات الجنرال (أوزكوك) أمس نرى فيها أجوبة لبعض الأسئلة المطروحة أعلاه مثلا حينما قال :" التصريحات الظالمة المشبوهة والقاسية أثرت في نفوس الشعب التركي كثيرا. في الحقيقة يصعب علي كثيرا أن أفهم موقف الذين جاءوا من خلف البحار ليقولوا بأنهم مهدَّدين بينما يصعب عليهم فهم موقف تركيا المهددة بالفعل بحكم مجاورتها للحدود. وإذا خرجت الأمور عن السيطرة في يوم من الأيام، أتمنى من أصدقائنا أن لا يطلبوا منا القيام مستقبلا بما نريد القيام به اليوم". ينبغي على (بوش وبلير) التفكير مليا بهذه التصريحات قبل أن يدلوا بتصريحات يومية ضد تركيا. الجنرال (أوزكوك) حدد الحالات التي ستدخل فيها تركيا إلى شمال العراق وهي "في حالة تعرضها لهجوم، أو تدفق اللاجئين عليها، أو تهجم المسلحين على المدنيين". وفي حال وجود عنصر واحد مما ذكره أعلاه، فإن تركيا سوف تتدخل دون انتظار الإذن من أحد. ومثل ذلك ينبغي على الولايات المتحدة وبريطانيا تحديد موقفهما، بدلا من أن يهددا تركيا من جهة ويطلبا مساعدتها من جهة أخرى.

"الحرب إلى أين؟

وفي الوقت الذي دخلت فيه الحرب الأمريكية على العراق أسبوعها الثاني يتساءل الكاتب الصحفي طه أكيول من جريدة (ملliيت) العلمانية عن مدى فترة الحرب :" التمرد الشعبي –وخصوصا الشيعي– كان متوقعا ما أن تبدأ أمريكا بإمطار العراق بالقنابل والصواريخ، وأن يتم استقبال الأمريكان (أبطال الحرية) بالورود ضد الديكتاتور صدام!!. وعن ذلك، يقول الكاتب الأمريكي (كينت بولاك) في كتابه بعنوان "عاصفة التهديد" الذي يتحدث فيه عن العراق أن الداعي لهذا التفكير الأمريكي ناتج عن الفروق الثقافية، وأيضا عن المعلومات الاستخباراتية الخاطئة التي تلقتها أمريكا من اللاجئين العسكريين العراقيين إلى أراضيها. ولكن لم يحصل ذلك، وها هم القوميون العرب يقاومون ويحاربون أمريكا التي تعدهم بالحرية. والتمرد الشيعي الذي كان منتظرا لم يحدث، حتى الأنباء التي تقول بأن هناك تمردا في البصرة ضد صدام كانت كاذبة أيضا. ولا سيما أن فصائل المعارضة الشيعية أعلنت رسميا أمس "لا يوجد تمرد في الباصرة بل مجرد توتر من الحرب". العرب الشيعة في أيام الحرب (العراقية – الإيرانية) تعهدوا بالأمانة والولاية لبلدهم العراق وليس للإمام (الخميني). هناك فروقات دينية مهمة في المولاة للشيعة الإيرانيين والعراقيين. مثلا عندما دعا البابا بوش في حرب الخليج الثانية الشعب العراقي إلى التمرد على صدام، فقد غضب الأكراد في الشمال وهاجموا كركوك، فيما خرجت انتفاضة شيعية في الجنوب، وبعد أن سحب البابا بوش دعمه من التمرد خوفا على تجزئ وحدة الأراضي العراقية؛ فإن صدام ضرب الأكراد في الشمال والشيعة في الجنوب. وهذا يعني أن الشيعة هم ضد صدام. ولكن اليوم هو مختلف جدا عن الأمس، لأن القوة الأمريكية تعتبر عدوانية بالنسبة للشعب العراقي، فهم يدركون أن إيران أيضا في مواجهة المدفع الأمريكي، لهذا السبب هم يلتزمون المولاة لبلدهم. وهكذا نرى توجد الطائفة الشيعية والسنية في مواجهة الاحتلال تحت شعور الوطنية. الأمريكيون – الذين رأوا أن الشيعة المحليين لن يتمردوا– يعلقون الأمل اليوم على تمرد الشيعة الجائعين والغاضبين في بغداد. ولكن الكاتب الأمريكي يخط تحت نقطة مهمة وهي مهاجمة السنة الغاضبين للشيعة في بغداد مما سيتسبب في صدام قد ينتشر إلى

الفصائل العرقية الأخرى. ومن هذا المنطلق من الصعب التحديد وجهة الحرب وهو ما يجعل الأمر أكثر خطورة سياسيا وعسكريا على تركيا.

الأمريكي البشع :

يتطرق الكاتب الصحفي (طه أكيول) أيضا إلى الحرب الدائرة في العراق بقوله " لقد شبه (توماس فريدمان) الكاتب اليهودي في جريدة (نيويورك تايمز) جورج بوش "بالكاوبوي" وكتب عنه: "الرجل الطيب في الأفلام الغربية يقوم أولا بتشكيل مجموعة تابعة له، ومن ثم يهاجم البلدة ويقبض على المجرم فيها. أما (بوش) ففعل العكس، فهو هاجم المدينة أولا ومن ثم يفكر في تشكيل مجموعة تابعة له". هذا صحيح، فإدارة بوش داست على أعناق حلفائها، ودخلت العراق لوحدها. وعن هذا يقول (فريدمان) بأن (بوش) مريض بشخصيته وبحاجة ماسة إلى عملية في دماغه. حتى أن الرئيس الأمريكي الأسبق (كارتر) وجه انتقادات مماثلة إلى إدارة (بوش) وأيضا الكاتب الرئيسي والخبير السياسي في جريدة نيوز ويك (فريد ذكريا) الذي اختصر شخصية (بوش) بهذه الكلمات "كلما فتح فمه كلما خسر حليفا له". ولنعود إلى تركيا00 هو صحيح ما يقال عن أن حكومة حزب العدالة لم تكن فاعلة في دفع البرلمان إلى المصادقة على المذكرة الثانية، وبأنها وسط ترددها فقدت أيضا ورقتها "الجبهة الشمالية". تركيا لم تفقد إمكانيات مهمة على الصعيد العسكري فقط وإنما على الصعيد السياسي أيضا، مثلا أن يجاور جندي تركي كل جندي أمريكي في شمال العراق، وهكذا أصبحت مسألة دخول القوات التركية إلى شمال العراق مشكلة عقيمة. باختصار: إن الحكومة لم تكن جريئة كما كان مطلوبا. وبالطبع، يمكن أن نعذر الحكومة لسبب واحد وهو أن "الكاوبوي بوش" كان من حين إلى أخر يهدد تركيا ويلوح بمسدسيه في وجه أنقرة، وهو الأمر الذي دفع بالشكوك إلى نفسها وجعلها تماطل في المباحثات. (كولن باول) وزير الخارجية الأمريكي قال في محادثة هاتفية قبل الأخيرة لأنقرة بأن واشنطن موافقة على دخول القوات التركية إلى شمال العراق مقابل فتح الأجواء التركية أمامهم، ولكن بعد مصادقة البرلمان على فتح الأجواء غير باول لهجته إلى الرفض قائلا "لن نسمح بدخول القوات التركية إلى الشمال". من الواضح أن هناك شرخ كبير في العلاقات التركية الأمريكية سوف

تتأذى منه تركيا، ولكن مقابل ذلك فإن أمريكا أيضا ستتأذى. إذ لا بد أن "الكاوبوي" ينظر إلى تركيا من فوق إمبراطوريته باستصغار مع أن (بوش) احتاج حتى إلى الصومال في إطار بحثه عن "التحالف الدولي" من أجل توسيع إمبراطوريته هذه. وهكذا نرى أن صورة "الأمريكي البشع" قد أصبحت شائعة في تركيا والعالم. حتى أن معظم وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي في بروكسل أعربوا عن استيائهم (لعبد الله غول) من تصرفات الإدارة الأمريكية الهمجية. فمن هو الذي شرخ الناتو والاتحاد الأوروبي؟. ما يسرنا في الأمر هو التقارب الذي حدث بين تركيا وأوروبا. أمر جميل أن يناقش الاتحاد الأوروبي مسألة تزويد تركيا بمساعدات مالية في وقت تبخل فيه إدارة (بوش) على تركيا بالدعم المالي وهي بأمس الحاجة إليها، بينما توزع على إسرائيل 10 مليارات دولار في غضون يومين.

انتبهوا إلى الجبهة الشمالية:

أما الكاتب (فهمي كورو) من صحيفة يني شفق الإسلامية فيسلط الأضواء على الجبهة الشمالية ويقول " يمكن القول بأن القوات الأمريكية والبريطانية وجدت مقاومة في العراق أكبر من التي كانت تتوقعها على الإطلاق. الأمريكيون والبريطانيون الذين تقدموا في الأيام الثلاثة الأولى دون أن يلتقوا بالجيش العراقي، واجهوا المقاومة الحقيقة لدى انخراطهم بين صفوف القوات العراقية. وهكذا يتبين أن (صدام حسين) وضع خطوط الدفاع العسكرية داخل العراق وحول الأماكن السكنية، لذا هم عاجزون عن التقدم براحة كما كان حالهم في الأيام الثلاثة الأولى، بحيث يلقون مقاومة عنيفة في أم القصر والناصرية والنجف، حتى أن هناك أنباء تفيد بأن القوات الأمريكية والبريطانية تضطر إلى إيقاف تقدمها من حين إلى أخر فيما تزداد خسائرهم البشرية وهو ما رأيناه من خلال شاشات التلفزيون. لا زلنا نجهل نتيجة الحرب من جراء هذه المقاومة العنيفة، ولكن ما بتنا نعرفه جيدا هو أن الخطط الأمريكية باحتلال العراق دخولا من الجبهة الجنوبية بأقل خسائر بشرية ومادية ممكنة أصبحت خاسرة. فإلى جانب مقاومة الجيش العراقي لهم، فقد فوجئت واشنطن ولندن بمسألة لم تخطر على بالهما، وهي أن سكان العراق في الجنوب والذين ‘يعرفون بمعارضتهم لصدام، هم أيضا لم يستقبلوهم بالورود. فالقوات الأمريكية التي كانت تتوقع أن يستقبلها العراقيون

بالورود والترحاب والقبل مثلما استقبلها الفرنسيون لدى الحرب العالمية الثانية فوجئت بفتح النار في وجوهها. وطبقا للمحليين الاستراتيجيين، فإن فشل المخططات الأمريكية والبريطانية من الجنوب ولد فراغا في شمال العراق، بحيث باتت مسألة السيطرة على الشمال صعبة جدا ولا سيما أن القصف المتوالي للوحدات العسكرية التابعة لصدام على المجموعات الكردية في شمال العراق منذ يومين يؤكد الفراغ الأمني على حقيقته. ومن هذا المنطلق، فإن عدم تواجد القوات الأمريكية الأمنية في شمال العراق يصعب من مهمة الإنزال الجوي للقوات الأمريكية هناك الذين سيأتون عن طريق الأردن. هذه اللوحة القاتمة أمام الولايات المتحدة لا شك وأنها تدفعها إلى التفكير بحلول بديلة من خلال الاتجاه مجددا إلى جبهة أنقرة، ولا سيما أن المباحثات الأمريكية التركية تجددت أمس في أنقرة بشأن فتح الجبهة الشمالية من خلال اللقاء الذي سيجريه اليوم مستشار بوش عن الشئون العراقية خليل زاده. هذه المستجدات من شأنها تبديد البرودة التي خيمت على الأجواء التركية الأمريكية بسبب رفض البرلمان للمذكرة الثانية. فالحكومة أخذت إذنا خاصا من البرلمان بإرسال قوات تركية إلى خارج الحدود، ورئاسة الأركان بدورها أعلنت أنها أعدت كافة الخطط، وانتهت من كافة الاستعدادات اللازمة، وهي بانتظار الإشارة الحكومية للتحرك الفعلي. وهكذا نرى أن الجبهة الشمالية حامل بالمستجدات والمفاجآت الجديدة التي قد تطرأ من حين لأخر، لهذا السبب يجدر بنا أن ننتبه جيدا إلى جبهة الشمال في الأيام القادمة، فكلما صمدت تركيا ووثقت بنفسها أكثر كلما زادت أهميتها الاستراتيجية والتحالفية أكثر فأكثر.

اللعنة على الوحشية:

وعن الوحشية الأمريكية في العراق يتحدث الكاتب الصحفي (أحمد طاشغتيران) من صحيفة (يني شفق) الإسلامية عن ذلك " سنبدأ بهذا المثل الذي ينطبق على جورج بوش "الصياد الظالم الذي يستلذ بذبح ضحيته هو أبشع من كلب الصيد"، ولا سيما أن هذا المثل هو أقل بكثير من وصف مشهد النيران التي تستفرغها مدفعيات وصورايخ القوات الأمريكية والبريطانية على الشعب العراقي البريء. العالم يشهد أقوى قوة حربية في العالم وبجانبها إنكلترا (مع دعم خفي من بعض الدول الضعيفة

المحنية الرأس)، وكلهم يتحاملون ويحاربون شعبا عانى من 12 عاما من الحصار وعلى بلد منزوع السلاح. وهم بمثابة الأجدر الذي يبخ النار من فوق على من تحته من الشعب العراقي البريء. من بغداد والبصرة والموصل النيران ترتفع، ولا نعلم بالتحديد كما عدد الصواريخ التي ألقوها على هذه المدن أو عدد الأطفال الذين تآذوا بها ضمن هذه الفترة القليلة. وهل هذا هو النصر؟. وهل من الممكن أن يسجل التاريخ هذه الوحشية كنصر؟. وهل إذا استولت أمريكا على العراق سيعتبر نصرا لها؟. مثلها مثل القاتل الأرعن الذي يقوم بسطو منزل وقتل من فيه بأطفاله ونسائه، هل يمكن وصف ذلك بالنصر؟. العالم يصرخ متمردا ومن ضمنه الشعب الأمريكي والبابا وكل من له قلب ضمير ووجدان في هذا الدنيا. أما في تركيا فهناك البعض من يساند بشكل فاضح النصر الأمريكي ويتمنى لو تقع أو تستسلم أم القصر والناصرية والبصرة وتكريت وبغداد والموصل، ولو يرفع الجيش العراقي الراية البيضاء ويقبل العلم الأمريكي، ومنهم كاتبا كنت أعهد فيه من قبل مقاومته للظلم ودفاعه عن الحق في أيام تركيا الصعبة، إلا أنه اليوم بات وكأنه وقع في الضحال الأمريكية، لم يعد يكتب أو ينطق حرفا واحدا عن هذه الوحشية الأمريكية بل هو يكتب دوما عن الأضرار التي تكبدتها تركيا بسبب عدم تعاونها مع أمريكا. هذا الرجل في برامجه وعلى شاشات التلفاز يخرج للاستهزاء بتركيا ودفعها إلى أخذ مكانها بجانب الولايات المتحدة، فيما كان يجب عليه على الأقل أن يخجل من نفسه وهو يدافع عن العدوان الأمريكي، بينما يرى أن الممثلين الأمريكيين أنفسهم أعرضوا عن حضور حفل جوائز الأوسكار بسبب هذه (الوحشية البوشية)، أو على الأقل أن يأخذ عبرة من البابا. الشعب العراقي يقاوم ويدافع بشراسة عن أرضه، ولم أشاهد على شاشات التلفزيون إلى الآن عراقي واحد وهو يلوح مرحبا بأمريكا، لأنه يدرك جيدا أن الولايات المتحدة لن تجلب له السلام، وليست هي المؤهلة لتغيير نظامه، وكان أذكى من أن يأكل هذا الطعم الأمريكي. أمريكا تولد طاقة غريبة من الكراهية لها في المنطقة، ولن تستلذ بطعم النصر أبدا. فليس الشعب العراقي وحده وإنما شعوب المنطقة بأسرها ضد أمريكا وضد (الذهنية البوشية)، ولن يبقى أمام أمريكا سوى حل واحد للخلاص من هذه الكراهية وهي الإطاحة (ببوش) ومعه عصابته.

العالم مقبل على مرحلة جديدة لن ينتصر فيها الظلم أبدا، فأمريكا (ببوشها) ألقت بنفسها في نار لن تتمكن بحياتها من مسح أثارها البشعة عنها، وستبقى على لسان التاريخ الدولة الأكثر وحشية في العالم. وفي الختام، أعرب عن حزني الشديد على الشعب الأمريكي لكونه وضع مصيره في يد هذا المتوحش، وتعاطفي مع الشعب العراقي بمواجهة هذا الجلاد.

لا توجد تصريحات من شارون:

ومقارنة للموقف التركي والإسرائيلي من الحرب الدائرة في العراق نشرت صحيفة (ملي غازتة) الإسلامية الموالية لحزب السعادة الإسلامي مقالا في افتتاحيتها فقالت:" قبل أيام قليلة قام وزير الدفاع التركي (وجدي غونول) بزيارة إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتقى هناك بعدد من المسؤولين الأمريكيين. وقد تداولت الصحف مقتطفات من تصريحات السيد الوزير جاء فيها :" لا توجد نوايا من وراء تأخيرنا للمذكرة. إنما يرجع ذلك إلى التجربة القليلة التي يتمتع بها البرلمان. أعضاء حزبنا العدالة والتنمية تجربتهم البرلمانية ضعيفة، ولكن تجربة حزب الشعب الجمهوري أكثر منا". الحكومة التركية الجديدة تعتذر للولايات المتحدة الأمريكية عن تأخرها في الرد على مطالبها، وكذلك على رفض المذكرة الثانية التي كانت تتعلق بنشر 62 ألف جندي أمريكي على الأراضي التركية. وبعد رؤيتنا للجرائم الأمريكية في العراق، نحمد الله كثيراً على أن تجربة حكومتنا في البرلمان ضعيفة، والله يعلم لو أن حكومتنا صاحبة تجربة قوية لكانت المذكرة ستمر بكل سهولة من البرلمان الأمر الذي سيفتح جبهتين للحرب الأمريكية على العراق، وسيؤدي ذلك إلى تصعيب الوضع المأساوي للشعب العراقي. ومن الملاحظ أن هناك دولتين تلتزمان الصمت حيال الحرب الشرسة على العراق هما إسرائيل وتركيا. في الحقيقة نفهم موقف إسرائيل ولكن الأمر الذي يجعلنا نستغرب هو موقف الحكومة التركية. ولكن ماذا يجب أن تقول تركيا.. ؟ يجب أن يصرح كل من رئيس الوزراء (رجب طيب إردوغان)، ورئيس البرلمان (بولنت إرينج)، ووزير الخارجية (عبد الله غول). ويجب أن يقولوا كباقي دول العالم "أوقفوا هذا العدوان على العراق". أرجوكم تكلموا وقولوا أي شيء. إذا أحببتم أن تقولوا ما لم تقله إسرائيل فافعلوا ذلك. يكفي أن تخبرونا بماذا تفكرون..؟.

وسقط قناع النازية الأمريكية:

وعن الوجه الحقيقي للجيش الأمريكي وللإدارة الأمريكي يقول الكاتب الصحفي (محمد أوجاكتان) من صحيفة (يني شفق) الإسلامية" نعم لقد خسرن إلى الآن، والعالم كله استسلم لهذا "القاتل المهووس"، كلنا في ضعف من أمرنا لا حيلة لنا ولا قوة ونحن نشاهد بخجل هذا "المهووس" وهو يقتل الأطفال والنساء والمشايخ والشباب. لعلنا لم نفطن لحد الآن أن "قطاع الطرق الأمريكان" هؤلاء يرمون إلى إيجاد عالم جديد يترك مكان الحلم الأمريكي كراهية كبيرة، فقد سقط قناع أمريكا بأفلامها اللطيفة، وظهرت على حقيقتها بروحها القاتلة. فهذه الدولة التي ضحكت على العالم باسم جلب الديمقراطية إلى العراق، أطلقت بدلا منها صواريخ المسكيت على الأطفال. أمريكا بدء بالهنود الحمر مرورا بفيتنام وشيلي إلى نيكارغوا وغيرها استلذت بقتل الملايين في حروبها المفتوحة، وهي مع إنكلترا صانعة المواد التي جمعها العراق لتشكيل الأسلحة الكيماوية، وهي التي كانت السبب في قتل ستة آلاف جندي عراقي لدى انسحابهم في حرب الخليج الأولى، وهي المتسببة بوفاة 750.000 طفل عراقي من جراء الحصار المفروض على العراق. وهي وراء عدوان كلبة المال "إسرائيل" على الشعب الفلسطيني الأعزل وتضييق الخناق عليهم، وهي التي دهست المواطنة الأمريكية (راكيل كوري) تحت عجلات الدبابات الإسرائيلية وهي تدافع عن حقوق الفلسطينيين لمنع هدم منازلهم، وكونوا على يقين من أن (بوش) وعصابته القتلة مستعدين لدهس كل مواطن أمريكي يطالب بالسلام بنفس الطريقة. يعني، بالمختصر المفيد، إننا أمام عصابة مهووسة بكل ما للكلمة من معنى، جن جنونها في العالم دون أن يتمكن أحد من ردعها، ومن الممكن في أي لحظة أن تلقي علينا القنابل وتدهسنا بكل سهولة. وهذا هو الوقت المناسب لإسقاط قناع هذه النازية الأمريكية، لأننا كلنا أصبحنا هدفا لقاتل مخبول يستلذ بمص دماء البشرية. الآن، هناك كراهية غير مسبوقة في العالم تجاه أمريكا التي تقتل أطفال العراق بالصواريخ وتدهس أطفال فلسطين بالدبابات. أمريكا بآلة الموت التي تمسكها يمكن أن تدمر العراق وتقتل الناس جميعاً ولكنها لن تتمكن من إخفاء وجهها البشع هذا عن العالم أكثر من ذلك، لأن النازية الأمريكية قد تعرت اليوم كما لم يسبق لها في التاريخ أبدا.

============

#يا أمتي لا تحزني إن الله معنا!

د. عوض بن محمد القرني 1424/1/30

2003/04/02

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فإن الأحداث الجارية أصابت كثيراً من الناس باليأس والقنوط والهلع والجزع، فأحببت أن أسهم قدر الإمكان في مواجهة هذا الطوفان، وقد كان مما علمناه من كتاب الله أن من سنن الله تعالى في خلقه بقاء الصراع بين الحق والباطل والخير والشر، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وليعلي بالتمحيص درجات أهل الإيمان ، وليرفع بالابتلاء درجات بعضهم فوق بعض ولتتم مقتضيات حكمته تعالى في إيقاظ الهمم بالنوازل ،وتحريك العزائم بالمحن وإحياء الحمية الإيمانية بالمحن.

ومن ذلك ما نراه اليوم من حشود وأعمال وتحركات من أمريكا ابتداءً بما سمي (الحرب على الإرهاب) وانتهاءً بما نراه من حرب على العراق وفي المقابل ما نراه من تخاذل ووهن من الشعوب والجيوش والحكومات،وكل ذلك ينبئ بأحداث، ضخام وتحولات كبيرة ، تنطوي على أمور قد تكرهها النفوس وأحداث تضيق بها القلوب؛ سيكون مآلها الأخير –بإذن الله – النصر والعز للمسلمين، والتمكين لعباد الله الصالحين ،و تطاير الزبد ،وذهاب الغثاء ، وانقشاع أسباب الذلة والهوان.

وقد ضرب الله لنا أمثالا بالأمم والأنبياء قبلنا ، ومن أكثر القصص في القرآن قصص بني إسرائيل ، وذلك لوجود بعض أوجه الشبه بينهم وبين هذه الأمة ، وقد عاشوا سنين عديدة تحت الذل والهوان، والتسلط الفرعوني بعد أن نسوا ما ذكروا به، وتعلقوا بالدنيا وأَنِسُوا بها وركنوا إلى الشهوات وحب الحياة، ثم اشتد عليهم العسف والأذى قبيل ميلاد موسى عليه السلام ،ولما بلغ أشده وأُكرم بالنبوة زاد عليهم الأذى والظلم ، حتى قالوا (أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) (الأعراف:129)

و مكثوا على هذا الحال من الاضطهاد سنين عديدة وفيهم أهل الإيمان بالله: موسى وهارون ومن استجاب لهما، ونبي الله يعدهم بالنصر والاستخلاف في الأرض وهلاك

العدو،وبعد هذه السنين الطوال أمروا بالخروج وركوب البحر ، فخرجوا من الذلة والهوان (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) (الأعراف: 137).

وفي هذا دليل على أن نصر الله تعالى آت، وزمانه مقبل، ولكنه لا يحسب بحساب أعمارنا القصيرة، ولا يقاس وفق قياسات زمنية قريبة (خُلِقَ الإنسان مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ) (الأنبياء:37).

وعلى ضوء ما ذكر؛ وفي ظل الأحداث الراهنة من الحرب الأمريكية الظالمة ضد العراق، وما قد يؤدي إليه من ضربات مضادة تطال الدول المجاورة وخاصة التي أعلنت وقوفها العلني مع الوجود العسكري لأمريكا ، مثل الكويت والبحرين وقطر ودولة اليهود،وإن كان هذا الاحتمال ضعيفاً ، وقد يستتبع ذلك تداعيات عسكرية في فلسطين والأردن،وربما غيرها، هذا فيما يتعلق بالجانب العسكري.

أما ما يتعلق بالتحرك الفكري والاجتماعي فسوف تواصل أمريكا سعيها في الضغط لتغيير المناهج ،وتقليص النفوذ الديني والعلوم الشرعية ،والمؤسسات الخيرية ، والتغيير الاجتماعي من خلال المرأة أولا، والسعي لتغيير الاتجاه العام للمجتمعات من خلال تغيير سياسات التعليم والإعلام وبعض نظم الحكم،ومن خلال التمكين للمنافقين من العلمانيين وأضرابهم والشهوانيين وأشياعهم، والذين بدأوا بالتحرك والظهور والمطالبة.

ولذا فإن الواجب في هذه الأحوال الاستمساك بالعروة الوثقى، والاسترشاد بالهدى المبين من كتاب الله، وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، والوثوق بوعد الله واليقين بنصر الله وأن الله سبحانه لن يسلط على هذه الأمة من يستبيح بيضتها،وأنها أمة مرحومة، كما أخبر الصادق المصدوق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولذا ينبغي أن تكون هذه الأحداث مهما كانت مؤلمة موئل تفاؤل ورجاء؛ لا مصدر يأس وخوف. وأسباب ذلك كثيرة ومنها:-

1 – صدق وعدالة ما نحن عليه من دين، وأحقية وخيرية ما نطالب به من قضايا، فالثبات على الموقف العادل، والمبدأ الصادق نصر بذاته. و المسلم يقاتل عن دينه

وعرضه من هاجم بلاده ظلماً وعدواناً، والعالم كله يشهد أن أمريكا سارعت إلى العدوان على المسلمين، وأعلنت ما كانت تداريه تحت ستائر السياسة وهذا يبشر بانتقام الله من الظالم ولو بعد حين (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً) (الكهف:59) ، (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (النمل:52) ، (وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ) (النمل:85) ، (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) (الزمر:51) ، (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (الشورى:42) .

2 – البغي والاستكبار والغرور والاستعلاء التي اتصفت بها أمريكا: مستكبرة بقوتها وكثرتها وعددها وعتادها، متناسيةً قدرة الله عليها،وذلك مقدمات الخذلان لها بل الدمار مثلما أخبر الله تعالى عن من قبلهم فقال سبحانه: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآياتِنَا يَجْحَدُونَ) (فصلت:15)

3 – ما في هذه الأحداث من كشف للمرتابين المنافقين ومرضى القلوب وعبدة الهوى والدنيا والوظيفة والجاه عند الخلق: و في هذا الكشف خير عظيم، كما حدث يوم أحد ويوم الأحزاب. قال تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (آل عمران:179) و يبقى بعد ذلك معالجة السماعين لهم والمتأثرين بهم .

4 – ما نراه من حصول الوعي والعبرة للمسلمين ؛أفرادا، وشعوبا، ودولا؛ بما في هذه الأزمات من دروس وعبر، ورفض المشاركة مستقبلا مع العدو أو التحفظ في المشاركة هذه المرة، وهذه خطوة جيدة في الطريق الصحيح، ودليل على أن إنكار الظلم ورد المنكر يثمر ولو بعد حين، وأن الشعوب بيدها الشيء الكثير مهما كان ضعفها وألا نيأس من الحكومات مهما بدر منها.

5 – وضوح السبيل والمفاصلة العقدية: وذلك من خلال استمساك جملة كبيرة من العامة بمبدأ الولاء للمسلمين والبراء من الكافرين وإدراكهم لبعض مآرب الكفار

وبعض مخططات العدو الماكر، وهو ما كان مشوشاً في أزمات سابقة (لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال:42)

6 – انكشاف أمريكا، وظهور زيف شعاراتها عن العدالة الحرية والإنسانية والحضارة وحق الشعوب في تقرير المصير... الخ حتى في تعاملها مع مواطنيها من المسلمين –فكان الأمر كما قال الله تعالى: (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)(آل عمران: من الآية118)– وإمكانية مخاطبة الحكومات وإشعارها – بحسب الوسائل المتاحة – بأن ما تريده أمريكا استبدال الواقع بجميع أبعاده، بما في ذلك البعد السياسي بواقع آخر يكون أكثر انسجاماً مع المشاريع الصهيونية في المنطقة، وأكثر أماناً لمستقبل إسرائيل.

7 – ما يتوقع من تخفيف ضغط العولمة – ولو إلى حين – وهذه فرصة للتأني والنظر البصير، والاستعداد لمواجهتها بخطط متعقلة وبرامج محكمة. وقد يؤدي ذلك إلى تركيز الاهتمام على التعامل بين البلدان الإسلامية فتكون خطوة ثم تعقبها خطوات بإذن الله.

8 – التقليل من أسباب الفساد الفكري والسلوكي، ومن أهمها: السياحة في الدول الغربية، فالمعاملة غير الإنسانية للمسافرين والمقيمين المسلمين والتي مورست فعلا ،وإن أصابت بعض الصالحين فسينفع الله بها كثيراً من الطالحين الذين ينفقون سنوياً عشرات البلايين في أماكن اللهو وأوكار الفساد ومباءات الفجور هناك، ثم يعودون لبلادهم بكل شر وبلاء.

9 – إحياء جملة طيبة من المعالم الشرعية المنسية مثل: قضية الجهاد والولاء والبراء، وفقه السياسة الشرعية كأحكام "دار الكفر" و "دار الإسلام" والراية ، والملاحم مع أهل الكتاب والإقامة في بلاد الكفر، والهدنة والعهد، وأحكام عصمة النفس والمال، وكذلك الأحكام المتعلقة بالتحالف أو الاستعانة بالمسلمين على المشركين،و التعددية وتداول السلطة والرقابة على الولاة، وما أشبه ذلك مما سيكون مادة خصبة للاجتهاد والتفقّه ووزن الأمور بميزان الشرع الحكيم.

10 – ظهور فتاوى شرعية مؤصلة – جماعية وفردية – في جملة من بلاد المسلمين، في القضايا الراهنة واهتمام بعض الغربيين بهذه الفتاوى، واطلاع كثير من المسلمين عليها، مما يقوّي مرجعية أهل العلم والإيمان في أمور الأمة فيسهم في إحياء أصالة الأمة ووحدتها.

11 – الإقبال الكبير على الإسلام في أمريكا وأوروبا، وقد وردت الأخبار والأدلة على ذلك حتى أصبح في حكم المتواتر، ويتوقع أن يتزايد هذا الأمر بعد الحرب ،وهذا في ذاته نصر عظيم وآية بينة على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وغيظ لليهود والنصارى وللمنافقين من أبناء المسلمين .

12 – تقوية الربط بين الأحداث وبين القضية الكبرى للمسلمين (قضية فلسطين)، واقتناع كثير من الناس داخل أمريكا – فضلاً عن خارجها – بضرورة التعامل العادل معها، مما يعضد الانتفاضة المباركة ويسند جهاد المسلمين لليهود، ويزيد قضية فلسطين رسوخا ويزيل كثيرا من الغبش العلماني والشهواني عن مساراتها.

13 – يمكن للعاملين للإسلام –خلال هذه الأحداث وبعدها– القيام بترسيخ مبادئ الدعوة إلى الإصلاح الشامل لحال الأمة ليطابق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويسترشد بهدي الخلفاء الراشدين وعصور العزة والتمكين، وذلك بواسطة برامج ودراسات تُنشر للأمة ويخاطب بها الحكام والعلماء والقادة والعامة وستفتح الأحداث بابا واسعا لتطوير وسائل الدعوة لمواكبة المواجهة العالمية الشاملة بين الكفر والإيمان،فبالإضافة إلى الشريط أو النشرة أو الكتيب مثلاً يضاف القنوات الفضائية المتعددة اللغات والصحافة المتطورة، ومراكز الدراسات المتخصصة... والمؤسسات التعليمية والخيرية المُحْكمة التخطيط.

14– يجب على العاملين للإسلام –حكوماتٍ وجماعات وأفراد– أن يدركوا قيمة هذه الفرصة العظيمة (من خلال ما ذكر سابقا وغيره)وأن يجعلوا هذه الأحداث منطلقاً للمرحلة الإصلاحية التالية على مستوى الشعوب(دعوة، وجهادا، وتربية، وتزكية): وهي مرحلة الجهاد الكبير بالقرآن كما قال تعالى {وجاهدهم به جهاداً كبيراً}

15 – قد تنجلي الأحداث وتكون الاحتمالات التي بعدها كثيرة ومختلفة :فقد يحاول الغزاة فرض أساليب جديدة للحياة في المنطقة تحت مسمى الديمقراطية والمشاركة

السياسية، أو السعي لتمزيق المنطقة وتفتيتها، أو إبقاء شكل الدول وتبديل مضمونها إلى الأسواء، أو الإلزام بقيام مؤسسات المجتمع المدني كالأحزاب والنقابات والإعلام الحر، وهذا يقتضي الإعداد لهذه المرحلة بكافة احتمالاتها والتي ستكون – في الغالب – مختلفة عما هو موجود الآن، وتكاتف الجهود، والحفاظ على وحدة الأمة .

16 – هذه فرصة كبيرة لتحريك الأمة كلها لمواجهة أعدائها المتكالبين عليها من كل مكان، وترك الاستهانة بأي قوة في هذه الأمة لفرد أو جماعة وبأي جهد من أي مسلم، ونبذ فكرة حصر الاهتمام بالدين على فئة معينة يسمون بـ "الملتزمين" فالأمة كلها مطالبة بنصرة الدين والدفاع عن المقدسات والأرض والعرض والمصالح العامة. وكل مسلم لا يخلو من خير. والإيمان شُعَب منها الظاهر ومنها الباطن، ورب ذي مظهر إيماني وقلبه خاوٍ أو غافل، ورب ذي مظهر لا يدل على ما في قلبه من خير وما في عقله من حكمة ورشد. وهذا لا يعني إهمال تربية الأمة على استكمال شُعَب الدين ظاهراً وباطناً، بل المراد إجادة تحريك الأمة وتجييش طاقاتها لنصرة الدين وتحريك الإيمان في قلوب المسلمين هو من أسباب النصر والقوة، ومن دواعي تزكية الصالح، وتوبة العاصي ويقظة الغافل. وهذا جيش النبي صلى الله عليه وسلم خير الجيوش لم يكن كله من السابقين الأولين بل كان فيه الأعراب الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، وفيه مَن خَلَط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وفيه المُرجَون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، وفيه من قاتل حمية عن أحساب قومه، فضلاً عن المنافقين المعلومين وغير المعلومين، وإنما العبرة بالمنهج والراية والنفوذ التي لم تكن إلا بيد النبي صلى الله عليه وسلم ثم بيد أهل السابقة والثقة والاستقامة من بعده.

ولو لم نبدأ إلا بتحريك الإيمان والغيرة في قلوب مرتادي المساجد ، وكذلك الجيران والأقرباء والعشيرة وزملاء المهنة وإن تلبسوا بشيء من المعاصي الظاهرة،لكان لذلك أعظم الآثار،وأينع الثمار بإذن الله.

والمراد أن يُعلَم أن حالة المواجهة الشاملة بين الأمة وأعدائها تقتضي اعتبار مصلحة الدين والمصالح العامة قبل كل شيء، فالمجاهد الفاسق – بأي نوع من أنواع الجهاد والنصرة – خير من الصالح القاعد في هذه الحالة.

17- تتيح هذه الأحداث الفرصة الجيدة لتوعية الأمة بمفهوم نصرة الدين وتولي المؤمنين، التي هي فرض عين على كل مسلم، وأن ذلك يشمل ما لا يدخل تحت الحصر من الوسائل، ولا يقتصر على القتال وحده، فالجهاد بالمال نصرة، وكذلك الإعلام وبالرأي والمشورة وبنشر العلم، وبالعمل الخيري، وبنشر حقائق الإيمان ولاسيما عقيدة الولاء والبراء، وبالقنوت والدعاء، وبالسعي الجاد لجعل المجتمعات الأقرب إلى التمسك والمحافظة قلاعاً ونماذج يمكن أن يفيء إليها بقية الناس، وبجعل منارات العلم والشرع مرجعيات للاستشارة والفتوى،وتفويت الفرصة على العلمانيين والشهوانيين.

18- الفرصة الآن متاحة بشكل جيد لتحويل وحدة الرأي والتعاطف إلى توحّد عملي ومنهجي لكل العاملين للإسلام في كل مكان، يقوم على الثوابت والقطعيات في الاعتقاد والعمل، ويدرس الفروع والاجتهادات بأسلوب الحوار البناء. فاجتماع كلمة الأمة أصل عظيم لا يجوز التفريط فيه بسبب تنوع الاجتهاد واختلاف الوسائل. وما يجمع المسلمين أكثر وأقوى مما يفرقهم. والشرط الوحيد لهذا هو أن يكون المصدر كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرته، وما كان عليه الأئمة المتبعون في عصور عز الإسلام فمن أعظم أسباب ما أصابنا من بلاء التفرق والاختلاف.

19 - أصبحت إمكانية مطالبة الحكومات بفتح باب الحوار مع الشعوب، وتفهم هموم الشباب ومشكلاته، واستيعاب حماسته فيما يخدم الإسلام حقيقة أكثر من ذي قبل لشعور الجميع بالخطر مع التأكيد على أن هؤلاء الشباب في الأصل طاقة ذات حدين إن لم تستصلح وتهذب أصبحت وبالاً وبلاءً، وهم إذا رأوا الصدق من أحد وثقوا فيه وقبلوا توجيهه، وإذا ارتابوا في أحد أعرضوا عنه وحذّروا منه، فلابد في التعامل معهم من حكمة وأناة وصبر. ولابد من الكف عن الأعمال والإعلام والمواقف المسيئة للدين ولهم، وترك ما يستفزهم من المنكرات، وأن تلغي من تعاملها الحل الأمني الذي ثبت أنه لا يؤدي إلا إلى ردّات فعل أعنف والدخول في نفق مظلم لا نهاية له.

20- الوقت الآن مناسب لتذكير الناس عامة وخاصة: أن أمة تعيش حالة الحرب الشاملة يجب أن تكون أبعد الناس عن اللهو والترف. وأن تصرف جهودها وطاقتها

للتقرب إلى الله ورجاء ما عنده، وأن تحرص على التأسي بالأنبياء الكرام والسلف الصالح في الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله، فهي في رباط دائم وثغور متوالية، ولا قوة لها إلا بالله، ويجب أن يصحب أعمالها كلها إخلاص لله تعالى وصدق في التوجه إليه وتوكل عليه ويقين في نصره، وعلى أهل العلم والدعوة أن يكونوا قدوة للناس في هذا كله وأن يضعوه في أولويات برامجهم الدعوية، فإن الله سبحانه وتعالى لم يعلق وعده بالنصر والنجاة والإعلاء والعزة لمن اتصف بالإسلام بل خص به أهل الإيمان كما في قوله تعالى: {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}. وقوله: {وكان حقاً علينا نصر المؤمنين}. وقوله: {ونجينا الذي آمنوا وكانوا يتقون}. وقوله: {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}. وقوله: {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين}.

ومن هنا يمكننا - بإذن الله - إذا لم نمنع وقوع الأحداث أن نقوم بتقليل مفاسدها وسلبياتها وأن نوظفها قدر الإمكان لمصلحتنا، وهذا هو حال المؤمن -صاحب القلب الحي والعقل المستبصر- غير يائسٍ ولا متشائم قال تعالى: (وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) آل عمران 146-148.

============

#خفايا زيارة كولن باول إلى تركيا

الإسلام اليوم / طه عودة /اسطنبول 1424/2/3

2003/04/05

احتلت الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الأمريكي (كولن باول) إلى العاصمة التركية أنقرة الأسبوع الحالي مكاناً بارزاً في الصحافة التركية، والتي اهتمت لها بشكل كبير، واصفة إياها بأنها جاءت في الوقت المناسب لترطيب الأجواء بين البلدين، بعد التوتر الذي طرأ على العلاقات التركية الأمريكية في الفترة الأخيرة، بعد رفض

البرلمان التركي –في الأول من مارس/ آذار الماضي– المذكرة المتعلقة بنشر القوات الأمريكية على الأراضي التركية.

زيارة باول

علق الكاتب الصحفي (فكرت بيلا) من صحيفة (الملييت) واسعة الانتشار على الزيارة التي قام بها باول إلى تركيا، فقال:" لا بد وأن التساؤلات اندفعت إلى عقولكم من جراء هذه الزيارة المفاجئة لوزير الخارجية الأمريكي كولن باول ولكن الجواب واضح وهو "الحرب". في الحقيقة نحن نجهل ما سيقوله باول لأنقرة في هذه الزيارة غير المتوقعة، أو ماذا أحضر معه من اقتراحات، إلا أننا نعرف أمراً أكيداً، وهو أن هذه الزيارة تؤكد الأهمية التركية لدى الاستراتيجية الأمريكية، وبذلك فقد خابت التوقعات التي قالت بأن العلاقات التركية الأمريكية ستتأزم بعد رفض البرلمان المصادقة على نشر القوات الأمريكية في تركيا، وبالتالي فإن الولايات المتحدة لم تتخل عن تركيا، ولم تحصل كارثة، بل العكس صحيح، كلما صمدت تركيا في وجه الضغوط، كلما عزّزت من مكانتها وموقعها، وفي الوقت نفسه أدركت الولايات المتحدة أنها أخطأت منذ البداية بطريقة التعامل مع تركيا.

لا شك أن السبب الرئيس الذي يظهر من وراء هذه الزيارة هو فشل الخطط الأمريكية من الجنوب والشمال، والتي أثبتت أهمية تركيا العسكرية والسياسية في الخطط الأمريكية. وماذا تنتظر أنقرة من هذه الزيارة؟. طبقا للدبلوماسيين فإن هذه الزيارة من الممكن أن تصحح العلاقات التركية الأمريكية التي توترت مؤخراً، إلى جانب حضور باول بعدة اقتراحات جديدة من أول شمال العراق، إلى مستقبل عراق ما بعد الحرب، إلى آخر قبرص. وبينما يتحدث الدبلوماسيون في اختيار باول لتركيا كأول دولة يزورها بعد الحرب، فإنهم يؤكدون أن رئاسة الوزراء ووزارة الخارجية التركية أعدت نفسها لكافة الاحتمالات، مما يعني أن تركيا ستضع على طاولة المفاوضات جواباً لكل اقتراح يطرحه باول، مما يفتح أفق المحادثات والتعاون بين البلدين فيما بعد هذه الزيارة.

لماذا جاء باول إلى أنقرة.. ؟

أما الكاتب الصحفي طه أكيول من صحيفة (حرييت) العلمانية، فتساءل عن سبب زيارة باول إلى تركيا في هذا الظرف الصعب الذي تمر به المنطقة:" ما هي المباحثات التي سيخوضها باول في تركيا؟00 الاجتماع الذي عقد أمس برئاسة رجب طيب إردوغان بحث هذا الموضوع، وأول تحليل نتج عنه كان كالتالي: "من المستحيل أن يطلب باول من أنقرة نشر القوات الأمريكية في تركيا". وهناك سببان لذلك:

* من الناحية العسكرية: الطلب المحتمل هو من أجل تمرير القوات الأمريكية مع معداتهم إلى شمال العراق؛ من أجل دخول البصرة، فيما تقوم الاستراتيجية العسكرية الأمريكية –حاليا– على تقوية الجبهة الجنوبية بأسرع وقت ممكن.

* من الناحية السياسية: البرلمان التركي الذي رفض المذكرة قبل أن يرى المشاهد الدموية البشعة والتمرد في العراق، لن يقبل بها أبداً بعد ذلك، وخصوصا في هذه المرحلة، والحكومة ليس لديها أي نية بذلك حاليا، والأمريكيون يعرفون ذلك.

مباحثات باول في أنقرة تقوم على رؤوس الأقلام التالية:

* شمال العراق: باول سيوضح تفاصيل السياسة الأمريكية تجاه الفصائل الكردية، مع تقديم الضمانات لذلك، مقابل ثني تركيا عن الدخول إلى شمال العراق.

" تركيا لا تريد الاشتباك مع الأكراد، وإثارة ردود أفعال إقليمية غاضبة ضدها، كما أن الجنرال (حلمي أوزكوك) أوضح الشروط الثابتة لحماية الأمن التركي، وبالتالي إذا قدم باول ضمانات خطية بذلك، فإن تركيا ستستجيب لهذا الطلب".

* المصالح على المدى البعيد: بالنسبة لأنقرة، فإن الولايات المتحدة ستحتاج –وبشدة– إلى تركيا؛ من أجل تسهيل الخدمات الطبية وتقديم الدعم اللوجيستي في حال بدء الحرب داخل بغداد، لهذا السبب فإن باول يسعى إلى إصلاح العلاقات بين البلدين، وبالتالي فإن أنقرة تنظر بحرارة إلى هذا الموضوع.

* بناء العراق: أمريكا بدأت ترى –بوضوح أكثر– صعوبة تشكيل العراق على هواها، بعد التمرد الذي وجدته هناك، لهذا السبب فإنها بحاجة إلى الدعم السياسي والاجتماعي التركي.

الشراكة الاستراتيجية: الولايات المتحدة ترغب –بالتأكيد– على استمرار العلاقات الاستراتيجية بين البلدين، بالرغم من رفض البرلمان التركي للمذكرة، وأنقرة تشاركها في هذا الرأي.

* العراق ليس محور تركيا الوحيد: فهناك قفقاسيا وآسيا الوسطى وباكو وجيهان والاقتصاد، وبالطبع المسألة القبرصية أيضا، وغداً فإن باول سيتوجه إلى قبرص لمناقشة هذه المسألة تفصيليا.

حلوا المشاكل كي لا ندخل إلى العراق

وحول مراقبة تركيا للأوضاع الجارية في العراق، يتطرق الكاتب الصحفي (فهمي قورو) من صحيفة (يني شفق) الإسلامية إلى هذه القضية فيقول:"كيف ترى أنقرة الوضع الحالي للحرب الأمريكية على العراق؟. وأين وصلت مرحلة المفاوضات حول شمال العراق؟. وما هي الرسالات التي بعثتها واستلمتها تركيا؟. وإلى أي طريق تتوجه العلاقات التركية الأمريكية؟. ولنحصل على هذه الأجوبة، التقينا مع نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية التركي (عبد الله غول) الذي وضح لنا في البداية الوضع بالنسبة لشمال العراق، وقال:"المباحثات متواصلة مع خليل زادة، وتم إبلاغه بالموقف التركي، لهذا فقد ذهب إلى شمال العراق وعاد إلى أنقرة. وستتواصل المباحثات، والوضع كالتالي: لقد وضحنا موقفنا للولايات المتحدة والزعماء الأكراد في شمال العراق، وقلنا لهم:" إذا استطعتم منع نزوح اللاجئين إلى تركيا، والسيطرة على الوضع في منطقة شمال العراق، بعدم نشوب الاشتباكات بين الجماعات الموجودة هناك بشكل لا يهدد أمن وسلامة التركمانيين في العراق. وأخذتم حساسياتنا حول مدينتي الموصل وكركوك بعين الاعتبار، فليس هناك أي مشكلة بالنسبة لنا"، وقلنا لهم أيضا:" في حالة عدم استطاعتكم السيطرة على هذه الأمور، فإن تركيا لن تنتظر الرد من أحد، وستعطي قرارها بنفسها. وهم يدركون جيدا هذا الموقف التركي.

حسنا ما هو مضمون وأهداف المباحثات التي يقوم بها خليل زادة؟.

يمكننا توضيح ذلك على الشكل التالي: دراسة كيفية التنسيق مع تركيا في حالة دخولها إلى العمليات في المرحلة القادمة، وكيف ستكون نوعية التدخل، وعملية التنسيق بين تركيا والولايات المتحدة؟. كما تعلمون أن هناك مركز الاتصالات في

"سيلوبي"، ونحن أيضا موجودون في ذلك المركز، مع وجود ممثلين من المجموعات الكردية في شمال العراق.

حسنا وماذا إذا حصلت أي تطورات؟.

تركيا ستعطي قرارها بنفسها، ولقد حذرناهم من التدابير التي يجب اتخاذها منذ البداية. مثلا يجب اتخاذ التدابير اللازمة لاستقبال اللاجئين؛ لأنه من الصعب جدا السيطرة على الوضع بعد بدء وصول اللاجئين إلى المنطقة، لهذا لقد انتهينا نحن من استعداداتنا بشأن هذا الموضوع، وقلنا لهم إننا سنستقبل اللاجئين خارج حدودنا، ووضعنا خططنا على هذا الأساس.

رسالة من إردوغان

إلى أي حد أثّر عدم مرور المذكرة الحكومية من البرلمان على العلاقات مع أمريكا؟.

هناك ديمقراطية في تركيا، كما أن هناك مؤسسات ولجان مختصة لكل عمل، ويجب احترام القرارات التي تتخذ بشكل ديمقراطي. بالطبع الولايات المتحدة انزعجت من عدم التعاون التام معها، ولكنها احترمت القرار التركي الذي اتخذ بشكل ديمقراطي. الولايات المتحدة تظهر لنا هذا الاحترام، ولكن –مع الأسف– هناك من لا يحترم قرارنا داخليا تحت ادعاءات بأن الوضع في البلاد سيكون سيئا جدا بعد هذا القرار. لقد خاب ظنهم؛ لأننا اتخذنا التدابير اللازمة لاحتواء الوضع، كما أن الولايات المتحدة تفهمت وضعنا. كما يجب عدم التهاون بتعاوننا مع الولايات المتحدة؛ لأننا نقوم بواجباتنا كدولة متحالفة مع أمريكا، ويجب عدم استصغار المجال الجوي الذي فتحناه أمام الولايات المتحدة التي قدرت هذا الموقف كثيراً، ولكننا نحن نصغر أنفسنا ومواقفنا بأيدينا. الولايات المتحدة تدرك جيدا أهمية وقيمة تركيا، وتعد حاليا رسالة تضم رأي جميع أعضاء الكونغرس الأمريكي حول العلاقات القائمة بين البلدين لترسلها إلى رئيس وزرائنا السيد رجب طيب إردوغان. وستتضمن الرسالة معلومات حول الوضع الحالي والمستقبلي لهذه العلاقات، كما أن رجال أعمالنا واللوبي التركي في الولايات المتحدة يواصلون نشاطاتهم بهدف الحفاظ على مستوى العلاقات بين البلدين، وليس هناك أي تدمير في العلاقات حاليا أو في المستقبل.

هناك انتقادات على سكوت إردوغان والحكومة حول التطورات الحالية في الأوضاع؟.

أنا لا أشارك في هذه الانتقادات؛ لأننا كل يوم نظهر أمام الإعلام، ونعلن عن موقفنا وأفكارنا، سواء كنت أنا أم السيد إردوغان، ولسنا صامتين حول ما يجري في الدنيا حاليا، ولكن الإعلام التركي يفضل التصريحات التي تطلقها المؤسسة العسكرية. في الأصل أن المؤسسة العسكرية لم تدل بتصريحات مناقضة لما نصرح بها نحن، والأهم ما في الموضوع هو أن هناك توافقاً كبيراً في مستويات الدولة حول الموقف التركي من الحرب الأمريكية على العراق، والدليل على ذلك البيانات الصادرة من وزارة الخارجية، ومجلس الأمن القومي، ورئاسة الوزراء، ورئاسة الأركان توافق على نفس الرأي.

مكان تركيا ودورها

وحول المكانة المهمة التي تحتلها في المنطقة يقول الكاتب الصحفي (فكرت بيلا) من صحيفة بيلا: " ردود أفعال كل من إيران وسوريا في احتداد مستمر ضد الولايات المتحدة، فبينما تقول سوريا "لقد نفد صبرنا" فإن إيران تقول "ما تقوم به الولايات المتحدة هو مخالف لقوانين الأمم المتحدة". وفي نهاية الأسبوع الجاري، سيقوم وزير الخارجية الإيرانية كمال خرازي بزيارة أنقرة. بعد احتداد ردود أفعال هاتين الدولتين، فإن لهجة التهديد الأمريكية ارتفعت ضدهما، وهذه اللهجة تشير بوضوح إلى إستهدافهما عسكريا بعد الحرب على العراق، الأمر الذي عضّد من مواقف هاتين الدولتين تجاه دعم العراق، وهو ما يُستشف من زيارة كولن باول المفاجئة إلى أنقرة، والتي تهدف إلى تعزيز العلاقات مع تركيا، مقابل استثناء محوري سوريا وإيران وإبعادها عنهما. لا بد أن واشنطن بدأت ترى في تركيا ممثل رئيس في السياسة الإقليمية بدلا من أن استثنائها منها. كما لا بد وأن واشنطن فكرت أيضا بأن مواقفها الحساسة من تركيا –مؤخرا بسبب رفض البرلمان التركي للمذكرة– قد يدفع بأنقرة إلى التوجه والتقرب نحو إيران وسوريا، وهو الأمر الذي لن يكون لصالح الولايات المتحدة أبداً، كما أن استقطاع تركيا من السياسة الأمريكية سوف يجعل إسرائيل في عزلة إقليمية. ووسط هذه الشروط، ما هي الرسالة السياسية التي حملها كولن باول إلى

أنقرة؟ وما معنى تصريحاته بأن تركيا سوف يكون لها دور كبير في بناء العراق من جديد؛ نظراً لتشكيلها نموذجاً حياً للديمقراطية في المنطقة؟. ولدى بحثي عن هذه الأجوبة التقيت بعدة ديبلوماسيين، واستخلصت منهم النتائج التالية: بأن باول أعطى رسالة واضحة بأن العراق ما بعد الحرب سيكون نموذجا عن تركيا، ولكن أي نموذج؟ عراق ديمقراطي، علماني، يقوم على سوق اقتصادي حر، أكثرية سكانه من المسلمين .. هذا هو تعريف المحيط السياسي الذي التقيت به لزيارة باول. أما بالنسبة للرسالة السياسية التركية التي وجهتها لواشنطن، فهي أن "تركيا تهدف إلى حماية وحدة أراضي العراق وسياسته، واهتمامها السياسي بالعراق يتمحور حول هذه النقطة". كما لا شك أن الأغلبية الشيعية في إيران تقلق الولايات المتحدة ما بعد الحرب، لهذا فهي تريد أن تجعل من العراق نموذجا كتركيا وليس كإيران، ولهذا السبب فإن الحاجة الأمريكية لتركيا –سياسيا وعسكريا- بدت واضحة الآن أكثر من السابق. الحديث حول النموذج التركي كان دائراً أيضا أثناء الحرب على أفغانستان، ولكن بعد انتهاء الحرب، لم يتم تشكيل أي نموذج تركي، ولا سيما أن تطبيق نموذج جديد على العراق سيكون أصعب بكثير من أفغانستان، ومن هذا المنطلق يبدو أن الحكايات الأمريكية عن نموذج تركي لا تتعدى كونها مجرد ملعقة عسل تضعها في فم تركيا لتحليتها مؤقتا .

خريطة الطريق

وعن المقاومة الشديدة التي واجهتها القوات الأمريكية في العراق، يقول الكاتب الصحفي مليح إشك:" الشعب العراقي نسف –بقبضة من حديد- الحيلة السياسية التي ابتكرتها أمريكا من أنها تأتي "بالديمقراطية والحرية" إلى العراق، بينما هي تأتي في الواقع بأكبر عملية سرقة في التاريخ للنفط وإبادة الشعب العراقي. والآن نتابع هذه المستجدات:

* عندما وجدت أمريكا صعوبة في النيل من صدام، فإنها تحولت إلى المدنيين، وهي بذلك تثير حقد وكراهية العالم العربي والإسلامي، وتغامر –باستهتار- بمواجهتهم، والدخول معهم في نفق لا خروج منه.

* لم تعد هناك نقطة للنهاية .. فأمريكا لن تربح الحرب إلا عندما تزيح صدام عن كرسيه، وحتى لو تمكنت من إسقاط نظام صدام فإن نصرها سيبقى مؤقتا ومرهونا بالمعارضة الشعبية التي لن ترتاح قبل طردها من أراضيها.

* أمريكا فقدت فرصتها في التحكم بالعراق وتشكيله وفقا لمصالحها، وهو الأمر الذي يواتي المصالح التركية.

* الخوف الأمريكي من خسارة الحرب دفع بالأكراد إلى التردد بشأن الدخول إلى الموصل وكركوك، وهو الأمر الذي تنفست تركيا له الصعداء.

* غرق الولايات المتحدة في وحول العراق يبدو أنه سوف يلغي سلسلة من مخططات وسيناريوهات الحرب الأمريكية الدموية بشأن إيران وسوريا وغيرها من الدول في المنطقة. وهو من صالح تركيا أيضا.

النائب في حزب الشعب الجمهوري (بولنت تالا) تكهن –من خلال استطلاعات الرأي التي أجراها– أن بوش سيغادر كرسيه قبل أن يرى نهاية الحرب، وأنا بدوري أتمنى أن يتحقق تخمينه هذا .. يا لسخرية القدر فالذي ضرب مبنى التجارة العالمي ارتكب عملاً إرهابياً، أما من ضرب سوق بغداد فإنه ارتكب عملاً تحريرياً!!!. هناك من يقول بأن أمريكا بدأت تنسحب من قواعد مردين كزلتبه ونسيبان التي اتفقت مع تركيا –في الثامن من شباط– على تحديثهم، بينما نفت وكالة أنباء "يوبي" هذا الخبر مدعية أن "جو يننغتون" السفير الأمريكي لدى أنقرة أعلن أنهم ينتظرون الإذن من تركيا في شهر أيار/مايو القادم؛ للتمركز الفعلي في هذه القواعد، مما يعني أن أمريكا لا تذهب بل.. تأتي.

وفي الختام يمكن القول إن الإصرار الأمريكي للحصول على الدعم الأمريكي يعكس –بوضوح– فشل المخططات الأمريكية في احتلال العراق إلى الآن، ويؤكد أن واشنطن باتت تعلق آمالها على تركيا؛ لتحقيق هدفها الحربي في العراق.

============

#فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدًّا

د.عبد اللطيف بن عبد الله بن يوسف الوابل 1424/2/3

2003/04/05

إن الأحداث التي تمر بها أمتنا الإسلامية ومنطقة الخليج بوجه خاص لتوجب على كل مسلم أن يشارك بما يستطيع من قول الحق للدفاع عن دينه وأمته التي تتعرض لأخطر أزمة مرت عليها في تاريخها الحديث إن لم يكن في تاريخ الأمة على الإطلاق ، لقد علمنا الإسلام عقيدة القضاء والقدر وأنه لا يتحرك في الكون صغير ولا كبير إلا بإذن الله سبحانه وبأمره (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور) فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك . لك الحمد في السراء والضراء . لك الحمد فأنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق . لك الحمد فنحن عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك نواصينا بيدك ماضٍ فينا حكمك عدل فينا قضاؤك . لك الحمد أنت المتصرف وحدك في الكون فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، اعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، اللهم فأجعل لنا من أمرنا رشداً وفرجاً ومخرجاً ، اللهم اهدنا الصراط المستقيم في جميع أقوالنا وأفعالنا وأحوالنا .

أيها الأخوة القراء في هذا المقال الذي هو بعنوان " فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدًّا" سيكون الحديث فيه عن أربع قضايا : -

أولاً : لمحة عن تسلسل الأحداث الجارية .

ثانياً : سنة الله سبحانه في الأمم المكذبة .

ثالثاً : مكر الله بالقوم المجرمين .

رابعاً : نصائح عامة للأمة .

أولاً : - لمحة عن تسلسل الأحداث الجارية :

هذه لمحة موجزة نبين فيها تسلسل الأحداث التي أحاطت بأمتنا اليوم فبعد قيام ما يسمى " الإنتفاضة الأولى " للمجاهدين في فلسطين وبداية مرحلة (أطفال الحجارة) حينما استيقظ المجاهدون في فلسطين وأعدوا ما استطاعوا من قوة لمواجهة الاحتلال الصهيوني أحست دولة الكفر والطغيان ، ودولة اليهود أن بقاءها أصبح معدوداً وأنها تمر بمرحلة خطيرة ولأن القوم قد تعلموا من تاريخهم أنه لا بد لهم من مسابقة

الأحداث والتخطيط المنظم لتلافي الأخطار المحدقة بهم قبل وقوعها أوعلى الأقل تأخيرها ، ولأن اليهود يعلمون حقيقة عضب الله عليهم وأنهم لا قرار لهم بدون المكروتجييش الآخرين في صفهم كما ذكر الله عنهم ذلك بقوله : " ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " وكذلك فهم يعلمون أن بداية زوالهم سيكون مع بداية أول طلقة جهادية في فلسطين ، ومن ثم فقد تداعى القوم وبذلوا جهوداً حثيثة مع شركائهم وحلفائهم الأمريكيين وبعض الأوربيين ليجدوا مخرجاً من هذه الأزمة الخانقة وبعد تفكير طويل وتخطيط ماكر وجدوا أن الحل هو في ضرب الفسطينين بعضهم ببعض ليتم لهم خنق أنفاس المجاهدين ببني قومهم وليسلم اليهود من شرر المعركة وحتى يكون وقودها من الفلسطينين سواءً أكانوا من الحركات الجهادية أم من الحركة العلمانية ، وبدأ فصل جديد في القضية الفلسطينية إذ بدأ مشوار السلام الزائف وعقدت له المؤتمرات والتي من أهمها مؤتمر مدريد واستمر تخطيط القوم ومكرهم ووصلوا إلى مرحلة كادت أن تكون نهاية لمرحلة الجهاد الفلسطيني إذ استطاعوا بالتعاون مع حلفائهم وأنصارهم من المنافقين أن يحيطوا مِعْصَم المجاهدين بسوار من أهل الغدر والخيانة ، ولكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد فأبطل كيدهم كما قال سبحانه :" فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب " فقتِل رابين بأيدي اليهود واختل توازن منطقة الشرق الأوسط حيث تولى الحكم في تركيا في تلك الفترة حزب الرفاه فكان ذلك لصالح المسلمين وكان فيه تخفيف من الله ورحمةٌ وفَشِل وقتها مؤتمر شرم الشيخ الذي كان برعاية أمريكية وكان من المقرر فيه أن تجتمع المنطقة بكاملها لمحاربة الدعاة المصلحين واحباط كل محاولة لدعم المجاهدين في فلسطين وغيرها وهكذا أخي الحبيب فإن الله سبحانه ينصر عباده المؤمنين من حيث لا يشعرون . " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " . " كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين " . وجاءت حكومة نتنياهو (1) ذلك العدو الشرس الذي أسس وخطط مع فريقه المعروف باسم (فريق بيبي الحديدي) للتأكيد على أن الحوار مع العرب يجب أن يتم من مواقع القوة فقط ،

الأمر الذي يتطلب الحفاظ على التفوق العسكري والاقتصادي الدائم لإسرائيل على العالم العربي ، بل وحتى الإسلامي ، واقترح نتنياهو التخلي عن العملية السلمية وعن اتفاقات أوسلو مع الفلسطينين وأقنع ذلك الفريق الماكر ساسة اليهود بأن العراق هو العدو اللدود المستقبلي لهم بما يملكه من إمكانات مالية وبشرية وفكرية فهو الجزء المتبقي من العالم العربي الذي يمكن من خلاله نشوء قوة للمسلمين تهدد أمن وسلامة اليهود في المنطقة ولذلك سعى هذا الفريق لإقناع إدارة كلينتون بذلك ولكنه فشل فانتقل إلى التخطيط لمرحلة ما بعد كلينتون ووجدوا بغيتهم في الرئيس بوش وفريقه العسكري الذي يحمل أفكار اليمين اليهودي الصهيوني ليصبح " ربيباً لليهود وابناً باراً لهم في تنفيذ مخططات غدرهم ومكرهم وتناغم الفريقان فريق بوش الأهوج مع فريق شارون الأحمق لتنفيذ أفكار المنظر نتنياهو . وفي ظل هذه التطوارت عادت جحافل المجاهدين بقوة لتبدأ مرحلة ما يسمى " الإنتفاضة الثانية " والتي قلبت معادلات الصهاينة حيث وجدوا أنفسهم مرة ثانية في شراك المجاهدين أولئك الذين لا يهابون الموت ودخل اليهود في سلسلة من الجرائم والهزائم السياسية والعسكرية والاقتصادية والأخلاقية وانهارت اسطورة التفوق العسكري الإسرائيلي لعدم قدرته على مواجهة– أطفال الحجارة – المجاهدين وحاملي البنادق الصابرين فهم دائماً يرددون : الله مولانا ولا مولى لكم . قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فما أسرع اقبالهم على الجنات .

عند هذا المأزق وجد اليهود أن أقصر طريق للخروج من الأزمة هو افتعال أزمةٍ مجاورةٍ تستطيع من خلالها توريط بوش وإدارته لنجدة الصهاينة من المأزق فكانت العراق هي أفضل دولة مناسبة لذلك ليضرب الصهاينة عصفورين بحجر واحد .

وبعيداً عن الجدل حول من خطط ونفذ أحداث 11 سبتمبر وما هو دور الموساد وعملائه في المنظمات اليهودية في أمريكا وهل تم التخطيط والتنفيذ من طرف واحد أم أن التخطيط من طرفٍ استدرج الطرف الآخر للتنفيذ ليتم للعدو الماكر تطبيق استراتيجيته فإن الحقيقة التي يتفق عليها المسلمون هو أن ما حدث انتقامٌ من الله سبحانه واذلالٌ وكسر لدولة البغي والطغيان التي تجرأت حتى على الرحمن وظنت أنها لن تعجز الله هرباً . وكما قال سبحانه : " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها

ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً " وبعيداً كذلك عن الجدل الدائر حول أهداف الحملة الصليبية الجديدة على العالم الإسلامي وهل الهدف هو الإستيلاء على منابع النفط أم للسيطرة والهيمنة على العالم والتحكم في مراكز ثرواته أم حماية اسرائيل أم هذه الأهداف جميعاً فإن مما يتفق عليه العقلاء من المسلمين أنها حرب على الإسلام وأهله لمحاولة القضاء على ذلك العملاق الذي بدأ يترعرع ويخرج من حدود إمكانية السيطرة عليه فهم يعرفون أنه لا بقاء لهم مع قوة الإسلام وظهوره ، وهذا ما حمل أمريكا بإصرار شديد على المضي في المعركة مهما كلفتها حتى مع وقوف العالم كله في وجهها فهي قضية استراتيجية بالنسبة لها ولم تكن أفغانستان إلا مجرد استعراض للقوة والجبروت ولكنه أمر الله الغالب وقضاؤه النافذ لحكمة يعلمها فهو الحكيم الخبير . "والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون"

ثانياً : – سنن الله سبحانه في الأمم المكذبة .

أيها الأخوة الفضلاء وإذا كانت الأحداث بهذا التخطيط الماكر وكنا نحن المسلمين المستهدفين من هذا التخطيط الذي لم نستعدّ له ولم نأخذ له العدة فقد ابتلينا والله المستعان بداء التباطؤ وأن تكون أفعالنا وخططنا ردود أفعال وإلا فقد كان بالإمكان التخفيف من وقع المصيبة لو كنا على مستوى الأحداث و مع هذا فظننا بالله عظيم ويقيننا به سبحانه أنه يدافع عن أوليائه الصادقين ، وسنن الله سبحانه لا تتغير ولا تتبدل وهي ماضية في الآخرين كما كانت في الأولين . والقرآن حين يتحدث عن حال الأمم الماضية ومعاملتها لأنبياء الله ورسله وطغيانها وتكذيبها لهم وما حلَّ بهذه الأمم المكذبة من الهلاك والدمار إنما مقصوده تعزية المؤمنين وتثبيتهم ومواساتهم والتأكيد لهم بأن الله يدافع عنهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو إنذار وتحذير وأخذٌ للعبرة من إهلاك الأمم السابقة الحذر من الوقوع في أسباب الهلاك . فعلى سبيل المثال فهذه عاد طغت وبغت وكذبت رسولها هود عليه السلام أولئك الذين وصف الله قوتهم بقوله : " ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد " ولكنهم تجبروا وتكبروا وقالوا لنبيهم استهزاء واستهتاراً " من أشد منا قوة " فرد الله عليهم بقوله : " أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب

الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ". وهذا فرعون يقول تجبراً وطغياناً " يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غير فأوقد لي يا هامان على الطين فأجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين . واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون . فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين " ويصف لنا ربنا سبحانه حال هذا الطاغي المتجبر وإذلاله لموسى عليه السلام ولقومه وعدم مبالاته بهم وذلك بعد هزيمته السياسية في مقابلة حجج موسى عليه السلام : " فأرسل فرعون في المدائن حاشرين . إن هؤلاء لشرذمة قليلون . وإنهم لنا لغائظون . وإنا لجميع حاذرون ". فكانت النتيجة ما أخبرنا الله عن حالهم :" فأخرجناهم من جنات وعيون . وكنوز ومقام كريم . كذلك وأورثناها بني إسرائيل . فأتبعوهم مشرقين . فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلا إن معي ربي سيهدين . فأوحينا إلى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقنا الآخرين ". وهكذا فإننا حين نستقرئ ما ذكره الله عن حال الأمم المكذبة نجد أن سنة الله ماضية فيهم بأنْ دمرهم تدميراً ولكنْ لكل أجل كتاب " ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون " " فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً " وكما قال سبحانه :" وكم قصمنا من قرية كانت ظالمةً وأنشأنا بعدها قوماً آخرين . فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون . لا تركضوا وأرجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون . قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين . فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ".

وإذا تأملت أخي الكريم حال الولايات المتحدة الأمريكية وما هي عليه فإن سنن الله سبحانه تجمع على أنها تنتظر عقاباً الهياً مدمراً يمزقها تمزيقاً . فما بلغت أمة في الطغيان والجبروت والكذب والإفساد في الأرض والصدِّعن سبيل الله ومعاداة أولياء الله ومطاردتهم وتعذيبهم بأشدِّ الأسلحة فتكاً وتدميراً . أقول ما بلغت أمةٌ في ذلك ما بلغته أمريكا عليها من الله ما تستحق . وإليك عرض موجز لأسباب الهلاك التي يمكن أن نستقرأها من حال هذه الدولة الكافرة (من أراد التفصيل فليعد للمقال الذي في مجلة البيان – العدد 179 – ص 84 – د سامي الدلال) .

1. الكفر والصد عن سبيل الله ومطاردةُ المجاهدين والدعاة والمصلحين والمؤسسات الخيرية والتضييق عليهم بالأساليب غير المباشرة سابقاً عن طريق عملائها أو بالأساليب المباشرة الآن بعناصر مخابراتها دون حياء أو خجل ، وفي الحديث : " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب " فكيف وهي تعادي كل أولياء الله بل وتعادي الربَّ سبحانه استكباراً وعناداً . قال تعالى : " لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد" " ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين" .

2. التأله : فقد أدعت أمريكا لنفسها من القدرات ما لا يليق إطلاقه إلا على الله تعالى ، فهي تتعامل مع الدول الأخرى ولسانُ حالها يقول : " أنا ربكم الأعلى " " أنا أفعل ما أشاء " " من أردتُ بقاءه أبقيته ومن أردت إهلاكه أهلكته " وكأنها هي المتصرفة في تدبير شؤون الكون . ولذلك قال بوش في خطابه للرئيس مشرف (رئيس باكستان) أمامك خياران : إما أن تدخل في حلف الولايات المتحدة في حربها ضد الإرهاب وإما أن نعيد باكستان إلى العصر الحجري . ولهذا فهي تنتظر ما حل بفرعون وقومه : " ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون" .

3. الظلم : – لا يختلف اثنان على الحجم الهائل للظلم الذي أوقعته أمريكا على الدول والشعوب والأفراد فهي رائدة الظلم على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري فقد نهبت ثروات الأمم والشعوب وتسلطت على المنظمات الدولية ذات الطابع الدبلوماسي والاقتصادي كهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن والبنك الدولي ومن يخرج عن رأيها ترهبه بالقوة العسكرية وبالتجويع فهي الدولة الوحيدة التي استخدمت أشد الأسلحة فتكاً (القنبلة الذرية) في اليابان وهي الرائدة في تصنيع وتصدير الأسلحة الكيميائية والجرثومية وهكذا ولدت مع الظلم حيث مارس المستعمرون الأوائل حرب إبادة على السكان الأصليين من الهنود الحمر واستمر مسلسلها الإجرامي الدامي في فيتنام والصومال وأفغانستان وغيرها والآن على المسلمين في العراق . فقد ذكر أحد العسكرين الروس أن حجم ما صُبَّ على العراق من القنابل والصواريخ في الخمسة الأيام الأولى يعادل أربعة أضعاف حجم القنبلة التي ضَربت اليابان . أطنان من القنابل دون تمييز أو رحمة وبشكل مستمر ترعب به النساء والشيوخ والأطفال فلا أمن ولا نوم ولا أمان فويل لها من الرحمن ثم انظر

أخـي الحبيـب إلـى مطاردتهـا للـدعاة والمجاهـدين فـي فلسـطين وكشـمير والفلبـين وأفغانسـتان والشيشـان وفـي كـل مكـان ترفـع فيـه رايـة الجهـاد شـتت شـملهم وأرملـت نساءهم ويتمت أطفالهم . كل ذلك ضدَّ الشعوب الإسلامية بغية القضاء على دينها وامتصاص ثرواتها والهيمنة على ممتلكاتها واستثماراتها والسيطرة على أراضيها فقد احتلت البر والبحر والجو . إنه ظلم عالمي تقوده أمريكا لم يشهد له العالم مثيلاً على مرِّقرونِه وتعاقب دهوره فهل بدأت نهايتها كما قال سبحانه : " وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون " " وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين " " فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد " .

4. البطر : وهو كفر النعمة ويكون بأحد أمرين إما بجحد المنعم بها وإما بعدم شكره واستخدامِها في غير ما خلقت لأجله . كصناعة الخمر من العنب وغيره وكالمتاجرة بـالجنس وتصـنيع أسـلحة الـدمار الشـامل وذلـك لإخضـاع الأمـم ظلمـاً وعـدواناً وبطراًوغيـر ذلـك . والمتأمـل لأسـلوب ومـنهج حيـاة الأمـريكيين يـرى أن جميـع هـذه الطامات الكفرية موجودة فيهم ، كل بحسبه فهي الرائدة في جميع أنواع الكفر والفساد بدءاً من أفلام الجنس والخلاعة والرعب ونهايةً بالتباهي بالقوة وأسلحة الدمار الشامل ولسان حالهم يقول إنهم هم القوة العظمى فهي تجول في البحار والأجواء والبراري بحاملات الطائرات والمدمرات والصواريخ شرقاً وغرباً وهذا هو البطر بعينه والذي هو من أسباب اهلاك الله للأمم " وكأين من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين ".

5. الاستكبار والغرور : - إن الحرب العالمية الثالثة تقودها أمريكا وتسميها حرباً على الإرهاب وهي حرب على الإسلام وهذا من أعظم الاستكبار في الأرض فمن يحارب دين الله وأولياءه فقد استكبر وعتا عتواً كبيراً . لقد كانت في عتوها واستكبارها تستعرض قوتَها الهائلة في أفغانستان ، ذلك البلد الفقير الممزق فهل كان يحتاج كل هذا الطغيان وحجم القنابل بكل أنواعها دون رحمة ببني الإنسان وها هي اليوم تعود لتصب جام غضبها على المسلمين في العراق ذلك البلد المحاصر عشرات السنين فما ذنب شعب العراق فحسبنا الله ونعم الوكيل . قال تعالى : " وأما الذين استنكفوا

واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً " . هذه بعض أسباب هلاكهم ولعله قريباً إن شاء الله وما ذلك على الله بعزيز فقد أهلك الله أمماً بذنب واحد فكيف إذا اجتمعت هذه الأسباب وغيرها . إنه والله الهلاك الأكيد " ولكنكم تستعجلون ". ونريد نصراً على طبق من ذهب دون جهاد أو تضحية .

ثالثاً : مكر الله بالقوم المجرمين .

إن من سنن الله سبحانه الواضحة الجلية أنه سبحانه يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد " . " إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته " وكذلك فإنه سبحانه يسلط الظالم على الظالم ثم ينتقم من الجميع وإذا كانت أمريكا قد غَرِقت في الكفر والفساد فإنها كذلك قد أسرفت في المكر والكيد فما من دولة إلا ولها فيها عيون وجواسيس ومفسدون كثر يثيرون النزاعات ويراقبون التحركات ويدفعون الرشاوى للكبار وللصغار ترغيباً وترهيباً ويوقعون بين مختلف الأحزاب والجماعات والدول ويدبرون المؤامرات ويشعلون نار الحروب . وفي السنوات الأخيرة كشفوا أقنعة مكرهم وأظهروا صدق عداوتهم للإسلام والمسلمين وعرَّوا مقولة بعض المخدوعين من المسلمين بأن أمريكا دولة صديقة ونسوا أن الله سبحانه قد قال عنهم وعن أمثالهم " لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون " . " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم " . إن دينهم المصلحة ، فحيثما وُجِدتْ ركبوا لنيلها الصعابَ ولوكان في ذلك تدمير أمة بكاملها . لقد اتبعت هذه الدولة الكافرة سنن الأمم المتجبرة في المكروالكيد ، ولهذا سينالها بإذن الله وقريباً إن شاء الله ما نال الأمم الماكرة من قبلها . قال تعالى " وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعاً " وقال تعالى : " قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون " وقال سبحانه :" أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين . أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤف رحيم " . " وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال " وقال تعالى : " فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفوراً . استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا

يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً " . وإن من أعجب مكر الله بالأمم ما قصه الله علينا من قصة فرعون مع موسى عليه السلام وقد سبقت الإشارةُ إليها وكذلك ما قصه الله علينا من مكر الملأ من قوم ثمود مع صالح عليه السلام يوم تجبروا واستكبروا فقال تعالى عنهم : " وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون " روى ابن كثير رحمه الله عنده الآية عن عبد الرحمن بن أبي حاتم أنه قال : لما عقروا الناقة قال لهم صالح : تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب " قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام ، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث ، وكان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلي فيه ، فخرجوا إلى كهف ، أي غار هناك ليلاً فقالوا : إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ففرغنا منهم ، فبعث الله عليهم صخرة من الهضب حيالهم ، فخشوا أن تشدخهم فتبادروا ، فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار ، فلا يدري قومهم أين هم ولا يدرون مافُعل بقومهم ، فعذب الله هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا ، وأنجى الله صالحاً ومن معه ثم قرأ : " ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون " . أي قوم يعلمون الحقائق ويتدبرون وقائع الله في أوليائه وأعدائه فيعتبرون بذلك " وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون " . وأمريكا اليوم تمكر بالمسلمين وتخادعهم وتدعي أنها تريد بهم الخير والديمقراطية وإخراجهم من ظلم قادتهم وحكامهم وهي كاذبة ماكرة في كل ذلك فهي التي صنعت كثيراً من هذه الأنظمة ودعمتها ولا زالت في ظلمها وطغيانها وهل النظام البعثي إلا صنيعة من هذه الصنائع وما ذلك إلا ليكون لها الأمر والنهي في بلاد المسلمين فتضرب هذه الدولة بتلك حسب مصالحها وترغب دولة وترهب أخرى وهكذا ولذلك فلعل من مكر الله بهذه الدولة الطاغية (أمريكا) أنها الآن جاءت لتصطلي بنار حزب البعث ويصطلي هو بنارها ولعل الله يرحم من بينهم من المسلمين المستضعفين ومع هذا فإن هدفهم الحقيقي من هذه الحملة ليس النظام البعثي وإنما خوفهم من ذلك العملاق الذي بدأ يستيقيظ ويَقُضُّ مضاجعَ الكفر

والطغيان حتى في العراق فهناك إقبالٌ على الدعوة وعودةٌ إلى الله ولذلك فإن أمريكا ومن معها من دول الكفر يسابقون الأحداث ليُحكموا قبضتَهم على هذه الأمة المسلمة في عُقر ديارهم وليحيطوا بمصدر هدايتهم ونسي أولئك الكفرة المجرمون أن الله غالب على أمره وأن من يُغالبِ الله يُغلبْ وأنه المهزوم المدحور الهالك لا محالة . " كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز " " إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد " " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " ومن ثم فإن سنة الله الماضية في أهل المكروالتي ستطوى بإذن الله أمريكا وحلفائها المعتدين عاجلاً إن شاء الله غيرآجل ستكون في أمرين :-

أ- سرعة مجيئها . قال تعالى : " إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون " وقال تعالى " قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بينانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون " وهنا تجد أنه عقب بالفاء والتي لا تراخي فيها وإنما تعني الإسراع في العقوبة .

ب- شدة عذابها وتدميرها . قال تعالى : " سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون " ولذلك فإن مؤشرات مكر الله بهم بدأت تظهر ومنها على سبيل المثال :

1- وقوع الاختلاف والتفرق داخل المجتمع الأمريكي من جهة وبينهم وبين بني قومهم من الأروبيين من جهة أخرى ، إذ وصل الأمر إلى السباب والشتائم وقريباً بإذن الله سيزداد الخلاف فالحرب الباردة بين أمريكا وأوروبا متمثلة في قطبيها ألمانيا وفرنسا قد بدأت منذ سنوات وما إن تقع الفرقة ويحدث الاختلاف في داخل أمة إلا حل بها الهلاك والدمار وكان ذلك مؤذناً بالزوال .

2- تبين ظلمهم الواضح وبغيهم وعلوهم في الأرض وتسلط الملأ منهم وتجبرهم حتى على الإرادة الإلهية وهذا بلا شك مؤذن لهم بعذاب من الله كما قال سبحانه( )
وقال سبحانه أيضاً ( ) وفي الحديث :" إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته "

3. عزلتها الدولية ووقوف أكثر دول وشعوب العالم ضدها وبروز قوى مناهضة لها صراحة ولأول مرة في تاريخ مجلس الأمن تهدد دولة صديقة لأمريكا باستخدام حق الفيتو ضد المشروع الأمريكي وهي فرنسا . تلك الدولة التي انضمت مع ألمانيا العدوة القديمة ضد الصديقة التي حررتها منها . فسبحان من يدبر الأمر كما يشاء وهذا من مكر الله بأمريكا .

4. ازدياد الحمية الإسلامية في قلوب شعوب العالم الإسلامي وتقاربهم في الرأي ولجأهم إلى الله وعودتهم إلى الدين الحق وهذا من أسباب نصر الله لهذه الأمة وخذلان الكافرين والمنافقين .

5. ظهور انكسار وذل أصحاب القلوب المريضة من الذين يسارعون في تولي الكافرين، وخوفهم الشديد من بطش أوليائهم من الكافرين والمكر بهم حتى أصبح بعض من كان بالأمس يسبح بحمد أمريكا يلعنها على الملأ ويتمنى زوالها بعد أن كان يدعوا إلى التبعية والذيلية لأمريكا بلد الحرية والمساواة !!

6. ما حصل في عدد من الدول الإسلامية من تقدم للأحزاب الإسلامية لا سيما في تركيا إذ انتصرت الحركة الإسلامية ووصلت إلى الحكم بأغلبية مطلقة وهذا لم يكن في حسابات أمريكا إذ إنها بذلك قد خسرت ولو على المدى الطويل أقوى حليف لها في المنطقة بعد إسرائيل ، إن لم يكن أهم منها استراتيجياً .

7. انهيار القاعدة الأخلاقية التي كانت تنادي بها أمريكا وتدَّعي أنها الزعيمة الأخلاقية للعالم فانطلاقاً من هذه القاعدة بنت صداقتها مع الآخرين وكسبت مودتها فقد كانت تزعم أنها بلد العدالة والحرية والأخلاق والمساواة وهذا ما دفع كثيراً من أصحاب العقول المتميزين في تخصصاتهم إلى الهجرة إلى الولايات المتحدة وتفضيلها على غيرها من الدول لما تدَّعي من الحرية والمساواة بين أفراد شعوبها ولكنها اليوم فقدت ذلك وأصبحت زعيمة العنصرية حتى رماها بعض الساسة من الألمان بأنها نازية القرن الواحد والعشرين ، فقد أظهرت الأحداث أن ما تدعيه كذب وسراب خادع وأنها لا تمتلك من الأخلاق ما يمكنها من البقاء .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... ...

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

8. ضعف تعاون المعارضة والشعب العراقي مع القوات الأمريكية المحتلة والتفاف الشعب العراقي للدفاع عن أرضه واعتبار الغزو الأمريكي استعماراً جديداً لإذلال شعب العراق أولاً والمسلمين ثانياً وهذا يعني فشلُ كثير من خُطط الحرب العسكرية وتعثُر استراتيجية الحرب ولذلك تجدهم دائماً يغيرون بين الحين والآخر في خطتهم ويغطون ذلك باستخدام قاموس الكذب والتضليل الإعلامي بل والإرهاب الإعلامي لإخفاء نتائج المعارك وخسائرهم التي حلت بهم . وقد يكون في تأخير عذابهم حكمة لله لا نعرفها :

1- ربما يسلم كثيرمنهم .

2- يقع الإبتلاء والقتال فيختار الله من الأمة الشهداء .

3- ان يهلك الله بهم أمة كافرة لا نعلم عنها وغير ذلك من الحكم التي قد لا تظهر لنا .

رابعاً : نصائح للأمة .

أيها الأخوة المسلمون : إن الأزمة التي تمر بها أمتنا الإسلامية هي من أخطر الأزمات في تاريخها لا من حيث طبيعة المعركة أو السلاح المستخدم المدمر الذي يملكه العدو ولا من حيث ضعف المسلمين وتشرذمهم وتسلط المنافقين ومكرهم مع الكافرين وهذه الأزمة هي أشبه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها " ومع هذا فلنعلم أنه بقدر ما في هذه الأزمة من الشدة والضيق فإن فيها خيراً كثيراً بل هي أول بشائر النصر والغلبة إن شاء الله فهي تبشر بولادة جديدة لهذه الأمة المسلمة ، ولادة ترفع فيها رايات الجهاد وتقال فيها كلمة الحق ويَضْعف فيها جانب الكفر والنفاق يقول تعالى : " كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرلكم و الله يعلم وأنتم لا تعلمنون " ويقول تعالى " وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً " إن من يتأمل حال العالم الإسلامي ليرى العجب في إعراض كثير من أبنائه عن الله سبحانه على مستوى الشعوب والحكومات فقد أصبحت بعضُ بلاد المسلمين أشد فساداً من بلاد الكفر حيث أماكن الفساد ومحاربة الدعاة ونشر الرذيلة ومحاربة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ويكفيك أخي

الكريم نموذجاً لهذه الحالة أن تراقب القنوات الفضائية الرسمية وغير الرسمية التي تبث من بلاد المسلمين وكيف أنها في معظمها تهدم القيم والأخلاق والدين لينشأ جيل لا يعرف من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه ولذلك فإني ألمس في هذه الأزمة خيراً كثيراً فلعلها أن تعيد الأمة إلى ربها وحتى تعرف شعوب العالم الإسلامي بل وحتى حكوماته أنه لا ملجأ من الله إلا إليه وأن النصر والتمكين منه وحده وأنه لا نجاة لهم من قوة وجبروت أمريكا وحلفائها الكافرين إلا بالاعتصام بالله فأين قوتهم المادية من قوة أمريكا الطاغية التي تملك من القنابل الهيدروجينية ما يمكنها من تدمير عشرة أضعاف الكرة الأرضية لوأذن لها الرحمن ولذلك فمنذ بداية الأزمة ونحن نرى ونسمع عودةً إلى الله سبحانه وإيقافاً لكثير من برامج ومؤتمرات السياحة الساذجة التي تقابل نعم الله بالجحود والنكران .نعم إن المصيبة إخوتي الكرام هي مصيبة الدين ، هي أن يعرض الناس عن ربهم . هي أن يتنكر المسلمون لدينهم أما أن يجوع المسلم أو يخاف أو يشرد أو يقتل وهو متمسك بدينه فلا شك أن ذلك من المصائب ولكنه لا يساوي شيئاً مع مصيبة الدين.

إن المرزا من يرز ا دينه ... ...

لا من يرزا ناقةً وفصالاً

إن من نعمة الله على هذه الأمة المسلمة أن يبتليها بالمصائب لتعود لدينها ولربها حتى لا يأخذها على حين غرة وغفلة فتموت على الجاهلية كما قال تعالى : " فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين " وكما قال سبحانه : " ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض " ومن الخير كذلك أنه يبتلي عباده بالضراء كما يبتليهم بالسراء ليتم لهم العبودية الكاملة فيجمعوا بين الشكر والصبر ومع هذه الحكمة فلا بد للأمة على جميع المستويات أن تأخذ للأمر عدته وأن تفقه طبيعة المعركة وأنها حلقة في سلسلة متواصلة لحرب صليبية ضروس ضمن مخططٍ رهيبٍ في معركة طويلة بدأت في أفغانستان بل بدأت في تل أبيب و منهاتن " ومروراً الآن بالعراق وإنتهاءً بالقضاء على الإسلام وأهله زعموا !! ولكن

هيهات " إن الباطل كان زهوقاً " " إن كيد الشيطان كان ضعيفا" " وما كيد الكافرين إلا في ضلال " .

لقد اجتمعت قوى الكفر في مجلس الأمن على إضعاف الإسلام والمسلمين ولكنهم اختلفوا في الأسلوب فمنهم من يرى استخدام نظرية الموت السريع للعراق وأهله ومنهم من يرى نظرية الموت البطيء ولأنها من بلاد المسلمين فلا مدافع عنها ومع ذلك فقد فرَّق الله أمرهم وشتت شملهم وتلك حكمة العليم الخبير . إن من واجب الأمة أن تبادر على جميع المستويات بالاستعداد لمواجهة العدو سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وإعلامياً وفكرياً ولا يعذر في ذلك أحد من المسلمين كلٌ حسب استطاعته فجنس الجهاد فرض عين على كل مسلم . ولعلي أسوق بعض النصائح إبراءً للذمة ونصرةً للأمة ومشاركةً في بيان الحق والدفاع عن الإسلام وأهله :

أولاً : - إلى علماء الأمة الربانيين ودعاتها المخلصين : -

أيها العلماء أيها الدعاة اتقوا الله في الأمة فأنتم بعد الله صمَّام أمانها ، أنتم ورثة محمد صلى الله عليه وسلم والأمة إنما تنتصر حين تعود إلى الحق والهدى وأنتم أولى الناس ببيان ذلك للأمة ودعوتها إليه فإليكم هذه النصائح على سبيل الإشارة ومن باب تذكيركم عسى الله أن ينفع بها : -

1. بيان الحق وعدم كتمانه لا سيما في أوقات الأزمات التي تختلط فيها الأوراق وقد تضطرب فيها بعض المفاهيم الشرعية الأساسية ويصبح الحليم فيها حيران وتلتبس فيها الأفهام قال الله تعالى : " وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه " وقال تعالى : " إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ".

2. التعاون على البر والتقوى والاعتصام بحبل الله جميعاً والبعد عن الإختلاف والتفرق وعصبية الجاهلية وحظوظ النفس والحذر من مرض الزعامة والمصالح الشخصية وتوظيف أزمة الأمة لهذه المصالح الدنيوية . ولذلك فإني أقول لكم أيها العلماء الفضلاء والدعاة المخلصون : ليبادر كلٌ منكم إلى طلب التعاون والتشاور دون أن ينتظر من يدعوه فمن بادر نال الأجر والثواب " ومن سنَّ سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئاً "

3. التشاور فيما نزل بالأمة من نوازل ليكون رأياً متحداً تجتمع عليه الأمة بعيداً عن الآراء الفردية التي كثيراً ما يعتريها الخلل والاستعجال .

4. المبادرة إلى الأخذ بزمام الأمور والمسارعة إلى بيان الموقف الشرعي من الأحداث قبل أن يتعجل متعجل أو يجهل جاهل فينفرط الزمام وتقع الفتنة فأنتم من تجتمع عليه الأمة فإذا بينتم البيان الشافي للأمة سمعت وأطاعت .

5. نشر العلم الشرعي وفقه الأزمات والتأكيد على المفاهيم الشرعية ومباديء الدين وأسسه بعيداً عن هزيمة المباديء أو التنازل عنها فإن في ذلك خطراً عظيماً فإذا زل العالم زلت بزلته الأتباع .

6. تثبيت الأمة ودعوتها إلى الصبر والتخفف من حياة الترف والتعود على الإبتلاء والإستعداد الكامل لمواجهة العدو .

7. القيام بواجب الأمربالمعروف والنهي عن المنكر وأن تكونوا في مقدمة الصفوف لإقامة هذا الواجب العظيم فلا يليق بعالم رباني أو داعية صادق أن يرى المنكرات تعم بلاد المسلمين ولا يبادر إلى المشاركة في الإنكار كما أمر الله .

8. مناصحة ومناشدة حكومات العالم الإسلامي ومخاطبتهم بقوة الحق ومطالبتهم بأن يكونوا على مستوى الأحداث وأن يتقوا الله في الأمة فلا يتركوها فريسة لسباع الكفر وأفاعي النفاق .

ثانياً : إلى حكومات العالم الإسلامي وقادته :

يا من ولاهم الله أمر هذه الأمة : اتقوا الله سبحانه واعلموا أن المصير إليه واحذروا من التقصير في حق الأمة وإضاعة حقها وتبديد ثروتها وتركها نهبة لذئاب الكفر والظلم وإليكم هذه النصائح :

1. احذروا من موالاة الكافرين أو مناصرتهم في بغيهم وعدوانهم فقد قال الله تعالى : " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون" وخذوا العبرة ممن سبقكم وظاهر المشركين على المسلمين كيف أنتقم الله منه فمات مشرداً مطروداً .

2. ثقوا بالله وبنصره واعلموا أن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وليس بيد أمريكا أوغيرها فلا تخشوها أوتخافوا سطوتها وسلاحها الفتاك فهي أضعف مما تتصورون

والأمر هو لله وحده فإن صدقتم الله بالعودة إليه والتوبة وتحكيم شرعه والعدل في رعاياكم وترك ظلمهم وإعادة الحقوق إلى أهلها ورفع راية الجهاد فإن الله سبحانه سيصدقكم ويمكِّن لكم في الأرض قال تعالى : " فلوا صدقوا الله لكان خيراً لهم " وقال سبحانه :" قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير " .

3. إعداد الأمة للجهاد في سبيل الله وتصحيح العلاقة مع شعوبكم وذلك بالاستعداد الصادق وفتح ميادين التدريب على الجهاد لشعوب الأمة المسلمة قبل أن يفلت الزمام من أيديكم وتتعدد الرايات وتقع الفتنة بين المسلمين وفي إعداد القوة للعدو أعظم الرعب لدول الكفر وما كوريا الشمالية منكم ببعيد قال تعالى : " وأعدوالهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوالله وعدوكم "

4. رفع الظلم والمعاناة عن شعوبكم وتحقيق المساواة والعدل بينهم في جميع أمورهم وإخراج من كان مظلوماً في السجون والإحسان إليهم واستثمار طاقتهم فإن الله يمكن للدولة العادلة ولوكانت كافرة ويهلك الدولة الظالمة ولوكانت مسلمة فالظلم من أشد أسباب هلاك الدول والشعوب وربَّ دعوة مظلوم سرت بليل كانت سبب هلاك أقوام بكاملها.

5. التوجيه الصادق للإعلام من قنوات وإذاعات وصحف ومجلات لتكون مناصرة للإسلام وأهله بعيدة عن عرض المنكر والفاحشة وكل ما يغضب الرحمن وألاَّ تكون ببغاء لنقل سياسات ولقاءات أهل الكفر والطغيان أهل الكذب والبهتان وأن تنطلق هذه الوسائل الإعلامية من ثوابت ديننا ومسلماته في نقل الخبر وتحليله بعيداً عن الهزيمة الإعلامية أو التباطؤ في اظهار حقيقة المعركة خشية من بطش دولة الكفر أمريكا فالإعلام له دور مهم في المعركة وبعد المعركة فالمعركة نصفان لسان وسنان .

6. احترام العلماء الربانيين والدعاة الصادقين وتمكينهم من قول الحق والتعاون معهم بصدق للخروج من هذه الأزمة بأقل الخسائر وأفضل النتائج " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب " صنفان من الناس إذا صلحوا صلحت الأمة العلماء والأمراء .

ثالثاً : إلى عموم الأمة :

أيها المسلمون يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً ونبياً يا من تؤمنون بالله وتوقنون بنصره وبأن الدار الآخرة خير وأبقى . ابشروا فهاهي الجنة تزف إليكم " ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين " " وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً " هاهي رأس الكفر ورائدةُ الظلم قد ألقت إليكم بفلذات كبدها وبأحسن أسلحتهم تقنية بين أيديكم عسى الله أن يجعلها غنيمة للمسلمين تفاؤلاً بقوله تعالى :" وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً " لكن أخي الحبيب اعلم أن سنن الله في النصر والتمكين أيضاً لا تتبدل ولا تتغير " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " " إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور " . " ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز .الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ". وقال سبحانه : " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذهم الله بما كانوا يكسبون " أيها الأخوة المؤمنون إن نصر الله قريب لمن ينصر دين الله لكنه لا يقدم على صحن من ذهب أوباقة من زهور فهو يحتاج إلى تضحيات وجهاد مستمر وخروج عن مألوف حياة الترف قال تعالى : " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمايأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب " " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " " ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم " فإليك أخي المسلم أختي المسلمة هذه النصائح على وجه الإشارة لتكون لكم زاداً في هذه الأزمة الحالكة :

1. اليقين التام بأن ما يحدث هو بإرادة الله وقضائه وأنه وحده سبحانه هو المتصرف في هذا الكون ، فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن فالأمر له وحده وهو العليم الحكيم فليكن يقينك صادقاً بذلك علماً وعملاً بتفرد الله سبحانه بالأمر بعيداً عن أسطورة أن النصر محقق لأمريكا أو لغيرها أوانها هي التي تتصرف في الكون واعلم

أن الأمور بنهاياتها وليس ببداياتها فقد تنتصر أمريكا فترة من الزمن ثم يخرج الله قوماً مجاهدين صادقين يعذب الله جيوش الكفر بجهادهم قال تعالى :" فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار "

2. العودة الصادقة إلى الله سبحانه فما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة فلنلجأ إلى الله سبحانه ولننفض عنا غبار الذنوب والمعاصي ولنعمر مساجدنا ليلاً ونهاراً بالصلاة والدعاء والتضرع والتوبة وصدق اللجأ إلى الله سبحانه فإن الفرج مع الكرب وإن مع العسر يسراً فلا يليق بالمسلم الصادق أن يبادر إذا داهمته الأزمات إلى جمع الأرزاق وتخزينها وإن كان لا بأس من فعل الأسباب ولكن ينبغي أولاً المسارعة إلى بيوت الله والتضرع إلى الله ودعائه والتوبة الصادقة من جميع الذنوب " يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً " .

3. إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بيتك وبين أفراد أسرتك وفي الحي وفي السوق والعمل وفي كل مكان بالضوابط الشرعية التي بينها أهل العلم الربانيين وأن تتعاون مع أهل الإصلاح في تحقيق ذلك فندعوا الناس إلى ترك الربا وأهله والبعد عن مزامير الشيطان وأماكن الفحش وظلم العمال وغير ذلك من أنواع الذنوب والمعاصي الخاصة والعامة .

4. التأخي والتكافل مع إخوانك المسلمين والبعد عن أسباب الاختلاف والتفرق ونبذ عصبية الجاهلية من وطنية وقطرية وإقليمية فالمسلمون أمة واحدة " إنما المؤمنون إخوة " " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "

5. الالتفاف حول العلماء الربانيين والدعاة الصادقين والاستماع لهم والتعاون معهم لدفع الأخطار والفتن عن بلاد المسلمين .

6. الصبر والمصابرة وتعويد الأهل على الإبتلاء وتعليمهم بواجب الصبر والاحتساب في ذلك والبعد عن الاستعجال في المواقف أو الإنسياق إلى تفريط أو إفراط والإلتزام بالمنهج الشرعي عند وقوع الفتن وذلك بسؤال أهل العلم والفتوى الموثوق بدينهم وأمانتهم بما يجب فعله والمحافظة على أمن البلاد ووحدتها

ومناصحة ولاة الأمر بالتمسك بالحق فإن الخير في الوحدة والائتلاف و الشر في الفرقة والإختلاف " ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين " .

7. حفظ اللسان من الوقوع في أعراض المسلمين أو الاستهانة بإطلاق أحكام التكفير والتفسيق بدون دليل شرعي وحجة وبرهان فإن ذلك مزلة أقدام ومن كفر مسلماً فقدباء بالكفر أحدهما نسأل الله العافية ولا سيما في أوقات الفتن فإن الشيطان أحرص ما يكون على ذلك إذ النفوس متوترة فأغلق باب الشيطان ليبقى مدحوراً مثبوراً .

8. الابتعاد عن أن تكون معولاً لإيقاع الفتنة في بلاد المسلمين طلباً لمصلحة وهمية أودفعاً لمفسدة وهمية فإن من مصلحة العدو المتربص أن يرى الفتن في بلاد المسلمين قائمة وأن تشتعل الحرب بينهم فيقضي بعضهم على بعض ويستريح هو وهذا ما حدث في أفغانستان إذ دخل العدو بلادهم على ظهور أبناء البلاد ممن فرط في الأمانة .

9. الاستعداد للجهاد علماً وعملاً وإعداد النفس لذلك بالضوابط الشرعية المعتبرة بعيداً عن حياة الترف القاتل وأن تربي نفسك وأهل بيتك على ذلك ما استطعت .

10. مطالبة ولاة الأمر وعلماء الأمة بالتعاون لفتح باب الإعداد للجهاد بالوسائل المشروعة لتكون الأمة مستيقظة لمكر عدوها .

11. البعد عن الشائعات والتأكد من الأخبار قبل نقلها ونشرها والحذر من الإنحراف عن المنهج الشرعي عند التعامل مع الرؤى فهي كما أخبر صلى الله عليه وسلم من المبشرات ولكن تحديد وقوعها إن صدقت رؤيا الرائي هو من علم الغيب فقد يرى المؤمن الرؤيا فلا تقع إلا بعد سنين فالإستطراد في هذا الجانب قد يؤدي إلى الإفراط وربما إلى العجز وترك العمل والجهاد .

12. الدعاء المستمر في كل وقت وحين في جميع أوقات الصلوات ما أمكن وذلك بأن ينصر الله الإسلام والمسلمين ويذل الكفر والكافرين وأن ينجي المستضعفين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها فهذا هو أدنى واجب تقوم به لدعم أخوانك واحذر من المخذلين والمثبطين واتق الله أن تخذل اخوانك في محنتهم فيتخلى الله عنك أحوج ما تكون إليه وفي الحديث " ما من أمرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن

ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، ومامن أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته " فأخواننا المسلمون في فلسطين وفي الشيشان وفي العراق وفي الفلبين وفي كشمير وفي أفغانستان وغيرها هم أحوج ما يكونون إلى الدعاء والدعم منك أخي المسلم بما تستطيع ومواساتهم بما أمكن فأحذر أن تخذلهم فيعافيهم الله ويبتليك وإني لأقول أخوتي الكرام إن من العار الا تشعر الأمة كلها بالخطر فتفزع إلى الدعاء واللجأ إلى الله فقم أخي الحبيب في ظلمة الليل وتحر أوقات الإجابة وارفع يديك صادقاً بالدعاء فلعل دعوةً مستجابة يرفع الله بها البلاء عن الأمة . وعلى الأئمة والخطباء أن يشعروا بواجبهم تجاه إخوانهم المسلمين فيقتدوا بسنة محمد صلى الله عليه وسلم في القنوت عند النوازل وهل أعظم من نازلة احتل فيها العدو بلاد المسلمين ظلماً وعدواناً ولكن المحروم من حرم خيراً لا مشقة فيه لا سيما أن دعاء المسلمين يرهب الأعداء ولذلك فمنعه هو موافقة لسياساتهم الداعية إلى عدم تفعيل معارضة شعبية إسلامية ضدهم .

13. اليقين بنصر الله سبحانه لهذه الأمة واحذر أن يرهبك ما عند العدو من أسلحة فتاكة فإن هذا من أهدافهم فهم إنما يستعرضون قوتهم لتخويف المسلمين وإلا فقد كان يكفيهم في حربهم على المسلمين الأفغان عُشر كميات القنابل والصواريخ أو أقل وكذلك في العراق لكنه الترهيب والتخويف فلا تقلق أخي الحبيب واعلم أن لله جنود السموات والأرض فلو شاء سبحانه لسلط عليهم أحد جنوده وهي الريح العقيم التي لا تبقى ولا تذر فقل لي بربك لوسلط عليهم ماذا تغني عنهم سفنهم وطائراتهم قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً " لكن ذلك النصر إنما يأتي للمؤمنين الصادقين . واسمع قول الله سبحانه : " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين . إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون " . وقوله تعالى " قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون "وعليكم بسنة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما ذكر الله عنهم بقوله : " الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فأخشوهم

فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله و الله ذو فضل عظيم .إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين " فأكثر أخي الحبيب من قول : حسبنا الله ونعم الوكيل وعلمها أهل بيتك وجيرانك فهو كافي المؤمنين وحافظهم . ومهما كانت نتيجة الحرب سواءً اندحر الأمريكان أو سقط نظام البعث فاعلم أخي الكريم أن النصر في النهاية هو للمؤمنين " ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين " واعلم أن الشهادة في سبيل الله من أعظم الأعمال بل هي من أحب الأعمال إلى الله سبحانه فهي بذاتها نصر وكرامة " ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً " .

14. الارتباط المستمر بكتاب الله ، تلاوةً وتدبراً وتفكراً وتأملاً مع الوقوف الطويل عند آياته ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً فهو أعظم أنيس في الأزمات منه تشم رائحة الأمل والفرج والنصر والهداية لا سيما ما له علاقة بوعد الله ونصره للمؤمنين وسنته في المدافعة عن المؤمنين واهلاك الكافرين وكيف أنه وحده المتصرف في الكون . فآيات القرآن في الأزمات بلسمٌ شافي وداوء كافي لكل أمراض القلوب من الخوف والهزيمة النفسية والضعف والخور وشبهات الأعداء ففيه من التثبيت والتقوية للمؤمنين مالا يعلمه إلا الله . إقرأ سورة آل عمران وسورة الأنفال وسورة التوبة وسورة هود ويونس والرعد ويوسف وطه والأحزاب والفتح وغيرها من السور والآيات التي تربط على قلوب المؤمنين . اسمع مثلاً ما ذكره الله عن عذاب الكافرين واهلاكهم :" أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أويأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون . أو يأخذهم في تقلبهم فماهم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤف رحيم " . " فكلاً أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " . واسمع في تطمين الله للمؤمنين : " حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فننجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين " " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويسبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم

يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين . الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا واتقوا أجر عظيم " . " إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون " .

" ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديراً " وما يدريك فلعل أمريكا خرجت لتشتيت المسلمين وتقطيعهم أحزابا ودويلات فقد يمكر الله بها فتتمزق هي أشتاتاً وتكون هي وسلاحها غنيمة للمسلمين . واسمع قوله تعالى : " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون " " قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون " إلى غير ذلك من الآيات التي تثبت على الإيمان وتزيد المؤمن صبراً ويقيناً .

15. إلى إخواننا المسلمين المستضعفين في العراق وهم يعيشون تحت وابل القنابل والصواريخ أوصيكم بتقوى الله سبحانه والعودة الصادقة إليه في التمسك بشرعة والثقة واليقين بنصره والكفر بكل طاغوت وأن تجعلوا نية جهادكم لإعلاء كلمة الله وليس شجاعة أو عصبية جاهلية فإن الشهادة في سبيل الله لا ينالها إلا من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا واصبروا وصابروا ولا تختلفوا وابشروا مادام قتالكم لإعلاء كلمة الله فقد تزينت لكم الجنان وطاب لكم السفر إلى الرحمن فإما النصر وإما الشهادة حيث الجنات التي عرضها السموات والأرض فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فلعل الجنة اشتاقت إلى الشهداء واختاركم الله لتكونوا أول زمرة في بلاد الرافدين فأثبتوا وجاهدوا الكفرة المعتدين حتى لوسقط النظام البعثي وقادته فأنتم المجاهدون الصادقون فالله الله أن يحتل الغزاة أرض الإسلام واعلموا أن أخوانكم المسلمين في كل مكان معكم بالدعاء والدعم واعلموا ان من مات منكم في سبيل الله أو أصيب فإن الله سيخلفه في أهله وأولاده وسيعوضه خيراً في الدنيا والآخرة . " فما

الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين " أعانكم الله وسددكم ونصركم وثبتكم وقهر عدوكم .

وختاماً فإن بشائر النصر كثيرة ومكر الله بالقوم ظاهر وما على الأمة إلا أن تعود إلى دينها بصدق وإخلاص وأن ترفع راية الجهاد في سبيل الله وأن تعتصم بحبل الله حتى يتحقق وعد الله بنصرهذه الأمة وتأييدها وإهلاك الظالمين المجرمين وما ذلك على الله بعزيز .

" ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم "

اللهم انصر الإسلام والمسلمين . وأذل الشرك والمشركين والمنافقين ودمر أعداءك أعداء الدين . اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزم جيوش الكفر الغازية . اللهم دمرهم تدميراً . اللهم أكفناهم بما شتت اللهم مزقهم تمزيقاً اللهم عليك بقوات أمريكا رأس الكفر والإلحاد وعليك بحلفائها .اللهم عليك ببوش وبلير وشارون رؤوس الكفر وأعوانهم وأشكالهم . اللهم اقذف الرعب في قلوبهم اللهم خالف بين قلوبهم اللهم اجعلهم وما يملكون غنيمة للإسلام والمسلمين اللهم انصر عبادك المجاهدين المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها . اللهم انصرهم في فلسطين وفي العراق وفي الشيشان وفي الفلبين وفي كشمير وفي بلاد الأفغان والبلقان وفي كل أرض وبلد . اللهم أمِّن خائفهم واحمل حافيهم واطعم جائعهم واكس عاريهم وآوي يتيمهم وأرملتهم ومشردهم . وأيدهم بجنودك يا أرحم الراحمين . اللهم كن لإخواننا المسلمين في العراق عوناً ونصيراً . اللهم ثبت أقدامهم اللهم أنزل عليهم السكينة والطمأنينة . اللهم اكفهم شرقنابل وصواريخ المجرمين اللهم احقن دماءهم اللهم اخلفهم في أهليهم ونسائهم وأطفالهم بخير فأنت خير من يستخلف . اللهم احفظهم في دينهم وفي أعراضهم وفي أموالهم وأطفالهم وأرفع البلاء عنهم يا أرحم الراحمين .

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

1.- تزعم نتنياهو 1993 – 1996 منصب رئيس الليكود وتزعم المعارضة الصهيونية اليمينية التي سعت إلى الإطاحة برابين . وتحويل وجهة البلاد إلى " اليمين " على أساس سياسة العداء السافر للعرب.

- يتكون هذا الفريق من لِبَرْمان ، ليني بين دافيد ، مائير داغان .
- خطط هذا الفريق للوصول إلى إسرائيل الكبرى (من النيل إلى الفرات) .
- أصرَّ نتنياهو على أن تكون إسرائيل دولة لليهود فقط ومركزاً رئيسياً ليهود العالم ، ويرى عدم أحقية العرب في الأرض المحتلة من 1967 وحتى الجولان .
- تولى الرئاسة 1996 – وكان وراء فضيحة كلينتون .

استطاع من خلال عضو الفريق ديفيس التأثير على سياسة أمريكا فقد شغل فترة من الزمن عضواً في لجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية والتي لها تأثير كبير على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط

===================

#الدروس السياسي للأقليات الإسلامية
في المجتمع الأمريكي (1990- 2000)

عصام عبد الشافي 1424/2/5

2003/04/07

اسم البحث :الدروس السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي(1990- 2000)

اسم الباحث : عصام عبد الشافي

عرض : رجب الباسل

شهد العالم المعاصر في العقد الأخير من القرن العشرين العديد من التطورات والتحولات الدولية والإقليمية، والتي أفرزت العديد من الآثار والتداعيات، من أبرزها ما عرف بـ "صحوة الأقليات" حيث شهد العالم بروز موجة من الثورات والصراعات العرقية والدينية والطائفية في العديد من الأجزاء، ترتب عليها العديد من الأضرار والأخطار؛ ففي الوقت التي شكلت فيه الأقليات تحدياً كبيراً يهدد الأمن والاستقرار

الداخلي، بل والدولي، كانت هي المتضرر الأكبر من الصراعات التي أثارتها، والتوترات التي ترتبت عليها.

ولم تكن الأقليات الإسلامية في العالم المعاصر بمعزل عن هذه التطورات، فقد كان لها دورها ووجودها الفاعل والمؤثر، هذا الدور الذي اختلف باختلاف المجتمع الذي توجد فيه، والمقومات التي ترتكز عليها، والأهداف التي تسعي إلي تحقيقها.

وفي هذا الإطار برز دور الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، أمام سعي هذه الأقليات إلي تشكيل وترسيخ هويتها المتميزة وسماتها المشتركة في مواجهة الجماعات الأخرى التي يتكون منها المجتمع، وذلك من خلال العمل علي تفعيل أدوارها ونشاطاتها في مختلف المجالات ومنها المجال السياسي، ومن هنا جاءت الدراسة التي تقدم بها الباحث المصري عصام عبد الشافي للحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية من جامعة القاهرة تحت عنوان: "الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي 1990 – 2000".

وتنبع أهمية هذه الدراسة أنها تأتى في ظل التطورات العالمية والإقليمية الراهنة، وتزايد الحديث عن مفاهيم العولمة، والحدود المفتوحة، وتزايد الاهتمام بحقوق الإنسان والحريات الدينية، وغير ذلك من الاعتبارات التي تعطي مزيداً من الاهتمام بقضايا الأقليات بصفة عامة، والأقليات الإسلامية بصفة خاصة، نظرًا للأبعاد المتجددة التي اكتسبتها مشاكل هذه الأقليات في ظل هذه التطورات، والمراحل الانتقالية التي يمر بها تطور النظام الدولي المعاصر، والدور الذي يمكن أن تقوم به الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي في إدارة هذه التطورات وتلك الصراعات بما يخدم القضايا والمصالح الإسلامية.

وكذا طبيعة التطورات المجتمعية الهائلة التي تفرض تحدياتها علي الأقليات الإسلامية في الدول الغربية بصفة عامة، والولايات المتحدة بصفة خاصة باعتبارها أهم مراكز التطورات والتحولات التي يشهدها العالم المعاصر.

وقد سعت الدراسة للبحث في تأثير قضية الهوية والاندماج، بين أبناء هذه الأقليات في ظل التعدد في الانتماءات والتنوع في الهويات على طبيعة وأبعاد الدور السياسي الذي تقوم به الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، وبيان طبيعة العلاقة بين

شعور الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي بالتمايز في هويتها، وبوجود قواسم وسمات مشتركة تجمع بين أعضائها، وبين فاعلية الدور السياسي الذي تقوم به داخل هذا المجتمع.

وركزت الدراسة على تناول العلاقة بين عدد من المتغيرات الأساسية هي: الأقلية، والدين، والهوية، من حيث بيان طبيعة هذه العلاقة ومحدداتها، وما ترتب عليها من نتائج وانعكاسات على الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، وذلك في إطار محورين؛ يتناول أولهما القضايا، ويتناول الآخر المنظمات.

القضايا: تم التركيز بصورة رئيسية علي الإشارة . بإيجاز . إلى عدد من القضايا الأساسية التي تشكل محور اهتمام المسلمين في المجتمع الأمريكي، وطبيعة الجهود والنشاطات التي قاموا بها للدفاع عن هذه القضايا، وقد تم تحديد هذه القضايا من واقع نتائج المسح الذي قام به المجلس الإسلامي الأمريكي عام 2000 بين الأقليات والجاليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي لتحديد القضايا الرئيسية التي تشكل محور اهتمامهم.

المنظمات:تم التركيز في إطار تناول الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي علي تناول . بإيجاز . الجهود والنشاطات التي تقوم بها المنظمات التالية:

1 . منظمة أمة الإسلام الأمريكية . وتعرف اختصاراً بـ "AIN".

2 . المجلس الإسلامي الأمريكي . والذي يعرف اختصاراً بـ "AMC".

3 . مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية، ويعرف اختصاراً بـ "CAIR".

والتي جاء اختيارها تحديداً استناداً لعدة معايير من بينها: الأقدم تاريخياً (وهو ما توفر في منظمة أمة الإسلام)، والأنشط سياسياً (وهو ما توفر في المجلس الإسلامي الأمريكي)، والأنشط مدنياً (وهو ما توفر في مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية)، وذلك وفقاً للبيانات والنشاطات والفعاليات التي تقوم بها هذه المنظمات، والأدبيات التي تناولت هذه النشاطات وتلك الفعاليات.

وفي هذا الإطار تم تناول نشأة وتأسيس هذه المنظمات، وبيان الأهداف التي تسعى إلي تحقيقها، ومدي كفاءتها وفاعليتها في تحقيق هذه الأهداف، مع المقارنة بينها من حيث التأسيس، والأهداف، والدور، وفاعلية الأداء، وكذلك مدى توافر المعايير

المؤسسية في كل منها من حيث مدى تمتعها بالقدرة على التكيف، والتماسك، والاستقلال، والتعقيد الوظيفي والبنائي.

وقد تم تقسيم الدراسة إلى أربعة فصول :

الفصل الأول: الإطار النظري للدراسة:

كان عام 1776م هو بداية الانتقال إلى أهم مرحلة في التاريخ الأمريكي، حيث تمت الوحدة بين 13 ولاية وإعلان قيام "الولايات المتحدة" كدولة مستقلة، وإذا كانت الولايات المتحدة قد انتظرت نحو 284 عاماً لتعلن استقلالها (1492 . 1776) فإنها قد انتظرت 183 عاماً أخرى ليكتمل عقدها، في عام 1959 بانضمام ولايتي "ألاسكا" و"جزر هاواي" إلى الاتحاد الأمريكي.

ومع التحولات التي شهدها المجتمع الأمريكي عبر قرون خمسة . هي عمره الرسمي منذ اكتشافه . نظر إلى الولايات المتحدة على أنها سلسلة متواصلة من تجارب الحياة التي قدم بها المهاجرون من كل مكان، والتي لم تنجح هذه التحولات في إلغاء خصائصهم المتميزة، هذه الخصائص التي زادت بنية المجتمع متانة وصلابة، وكانت من أهم سماته الراسخة.

وفي إطار هذه الخصوصية كان لقضايا الدين والهوية والأقلية، دوراً محورياً في المجتمع الأمريكي فرغم أن الدستور الأميركي وتعديلاته تؤكد على العلمانية والفصل بين الدين والدولة، فإن الدين كان . ومازال . يمثل عنصراً أساسياً من عناصر خصوصية المجتمع الأميركي، فالحياة الأميركية تخضع لنظام من القيم، تتفاعل داخله العديد من الأديان ولكن بدرجات مختلفة، تفصل بينها مسافات اجتماعية واتجاهات مذهبية وفكرية تؤكد على هذه التعددية.

وإذا كان الدين في المجتمع الأمريكي . كما يرى البعض . لا يؤثر في القوانين أو في تشكيل الرأي العام إلا تأثيراً ضئيلاً، فإنه يوجه عادات الجماعة وينظم الدولة عن طريق العديد من المؤسسات الاجتماعية، وإذا كان الدين لا يشترك اشتراكاً فعلياً في حكم الجماعة، فإنه يعد في طليعة المؤسسات السياسية التي تنظم هذه الجماعة.

وفيما يتعلق بقضية الهوية الأمريكية فإنه إذا كانت الولايات المتحدة ينظر إليها . في كثير من الأحيان . على أنها أمة من المهاجرين، وهؤلاء المهاجرون ولاؤهم الأول

لها، وأن الهدف الرئيسي الذي أكد عليه الدستور الأميركي هو الحفاظ على وحدة الدولة، وحماية المجتمع من التفتت والانقسام والصراع، والتأكيد على التسامح الديني والمساواة الاجتماعية والعدالة، والديمقراطية، فإنه على الطرف الآخر يوجد من ينظر إليها على أنها ليست لأحد، وأنه ما كان الأميركيون عبر مراحل تاريخهم المختلفة، أمة واحدة لغوياً أو عقائدياً، أو قومياً، بل إنها مجرد وحدة سياسية فحسب.

وهو ما ترتب عليه تزايد دور الدين والعرقية كمقومات للهوية في المجتمع الأميركي، فالمواطن الأميركي أصبح يشارك في الحياة السياسية والاجتماعية لا بصفته مواطناً أميركياً علمانياً، ولكن . غالباً . بصفته بروتستانتياً، أو كاثوليكياً، يهودياً أو مسلماً، أو غير ذلك من المذاهب والانتماءات الدينية، إضافة إلى الأصول والانتماءات العرقية والإثنية التي يقوم عليها المجتمع.

بحيث أصبح وجود الأقليات والتعدد الإثني يمثل خاصية أساسية للمجتمع الأمريكي، وجزءاً لا يتجزأ من أسلوب الحياة فيه، فلم تستطع بوتقة الانصهار وعمليات الامتصاص والاستيعاب المختلفة أن تفرز خلاصة متجانسة التكوين لهذا التعدد الثقافية والإثني.

وفي هذا الإطار جاء تناول خصوصية هذا المجتمع، وقضاياه المحورية (الدين، والأقلية والهوية) مع التأصيل النظري . بداية . لهذه القضايا.

الفصل الثاني: بزوغ وتبلور الوجود الإسلامي في المجتمع الأمريكي

لا يوجد اتفاق حول بداية الوجود الإسلامي في المجتمع الأمريكي، إلا أن هناك شبه اتفاق حول<طبيعة هذه البداية، فقد وصل المهاجرون المسلمون الأوائل إلى المجتمع في مجموعات صغيرة، واستمروا في موجات متزايدة؛ ووصف هؤلاء المهاجرون بأنهم مغامرون جاءوا إلى العالم الجديد بحثاً عن المال. فخلافاً للمهاجرين الأوربيين، لم يأت المسلمون الأوائل إلى أمريكا لتكون مقراً دائماً لإقامتهم، فقد كانوا يسعون إلى جمع أكبر قدر من المال في أقصر فترة زمنية ممكنة ثم يعودوا إلى بلدانهم. ولكن الكثير منهم توسعت آماله وكبرت أحلامه وضعفت . تبعاً لذلك وبمرور الزمن . رغبته في العودة إلى بلده، فالذين أحرزوا نجاحات أكبر وتكيفوا مع الحياة الأمريكية وجدوا في علاقاتهم القرابية وعلاقات العمل ما يغنيهم عن أي تنظيمات أخرى.

وتحت تأثير النجاح والقدرة على التكيف مع البيئة المحيطة، زادت رغبة الكثيرين منهم في البقاء والاستقرار بصفة دائمة وإحضار عائلاتهم من البلد الأم، وقد جذبت قصص نجاحهم أقاربهم وسكان قراهم للهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولهذا السبب بدأت تتكون مجموعات من المهاجرين تجمعهم رابطة القرابة أو المعرفة في الوطن الأم، ورابطة الجوار والتفاعل والتآزر في البلد المهاجر إليه.

ثم نظم هؤلاء أنفسهم استجابة لبعض الأحداث الاجتماعية واستجابة لبعض الضغوط والتحديات، التي دفعت المسلمين إلى تلمس الوسائل التي تؤكد وتثبت هويتهم، وكان أهم هذه الوسائل بناء المساجد ووضع البذور المبكرة للتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية والثقافية والترويحية.

وفي إطار هذه المراحل جاء تناول بزوغ وتبلور الوجود الإسلامي في المجتمع الأمريكي، وتم تقسيم هذا الفصل إلي المبحثين التاليين:

المبحث الأول: الوجود الإسلامي في المجتمع الأمريكي النشأة والتطور وتناول البدايات الأولى للوجود الإسلامي، ثم تطور وانتشار المسلمين، وكذلك بنية الأقليات الإسلامية، وخلص الباحث من القراءة الدقيقة لمختلف التقديرات حول عدد المسلمين في المجتمع الأمريكي، إلى أن عدد المسلمين عام 2000، يبلغ (7.15) ملايين مسلم، ارتفع في 2002 نحو (7.5) ملايين مسلم، يتوزعون بين أربع مجموعات أساسية هي:

م...الفئة...العدد(المليون) ...النسبة

1...المسلمون ذوو الأصول الأفريقية...3,61...48,2%

2...المسلمون ذوو الأصول الآسيوية...1,8...24%

3...المسلمون ذوو الأصول الشرق أوسطية...1,4...18.5%

4...المسلمون ذوو الأصول الأوروبية والأمريكية،وأخرى...0,69...9,3%

-...المجموع...7,5...100%

المبحث الثاني: الوجود الإسلامي في المجتمع الأمريكي التبلور والنشاط:

تمثل قضية الوجود وتكوين الهوية المتميزة واحدة من أهم القضايا . إن لم تكن أهمها . التي تواجه المسلمين في المجمع الأميركي، فلقد كانت أهم مشكلة واجهت المسلمين

الأوائل في المجتمع الأميركي، هي العقبات النفسية والدينية والثقافية والاجتماعية التي تتعلق بمصيرهم ومصير أبنائهم، وتراثهم وعقيدتهم في مجتمع جديد عليهم في قيمه وفي عاداته، وفي النظم والقوانين التي يسير عليها وفي الاعتبارات التي تحكم التفاعلات بين أفراده. هذه العقبات وغيرها كان لها العديد من الانعكاسات –السلبية والإيجابية – على موقف المسلمين ونظرتهم إلى أنفسهم أولاً، وإلى المجتمع المحيط بهم ثانياً، هذه الانعكاسات كانت بمثابة الأساس الذي قامت عليه هوية المسلمين في المجتمع الأميركي، بما مرت به من تطورات، وما قامت عليه من أبعاد.

وخلص الباحث إلى أن قضية الانفصال والاندماج بين الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، تثير العديد من الأبعاد الأساسية، الدينية والاجتماعية والسياسية، والتي تتعلق بمظاهر وتعبيرات الوجود الإسلامي في المجتمع الأمريكي، وتقوم على عدد من الجوانب والركائز منها: تناول المسلمين الأمريكيين كأقلية في مجتمع غير مسلم، وتوطين الإسلام في المجتمع الأمريكي وتجاوز حالة العزلة، ومظاهر وآليات الوجود الإسلامي: والتي من بينها: المساجد، والدعوة إلى الإسلام، والتعليم والحاجة إلي تبني سياسة تربوية متكاملة، والمراكز الإسلامية ودورها في نشر مظاهر الحياة الإسلامية، والمنظمات الإسلامية والتحول من الحفاظ على البقاء إلى الفاعلية والانتشار.

الدور السياسي الفاعل

الفصل الثالث: أبعاد الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي:يتطلب الوجود السياسي الفعال للأقليات الإسلامية على الساحة الأمريكية، وعياً واقتناعاً من هذه الأقليات، بأهمية دورها وقدرتها على التأثير على القرار السياسي الأمريكي، ليستجيب لمطالبها واحتياجاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، داخلياً وخارجياً، وبما يساهم في تحقيق الأهداف السياسية من هذا الوجود الإسلامي، والتي من بينها: إثبات الوجود للمسلمين جماعة من الجماعات التي يتكون منها الشعب الأمريكي، وتأمين حقوقهم في المجتمع الأمريكي، وتمكينهم من العيش بصورة تجعل ممارساتهم لحياتهم وشؤونهم الإسلامية، أمراً يحميه القانون، وتحترمه مختلف الجماعات التي يتكون منها هذا المجتمع.

وكذلك إثبات الفاعلية والتأثير على المجتمع الأمريكي، وذلك بطرح الرؤية وتقديم الحلول الإسلامية للقضايا ذات التأثير والأهمية في مختلف المجالات الحياتية، التي يمر بها هذا المجتمع، هذا بالإضافة إلى التأثير على أجهزة ومؤسسات صنع القرار الأمريكي بما يخدم قضايا وتطلعات المسلمين، داخل المجتمع الأمريكي وخارجه..

وفي إطار هذه الاعتبارات قام الباحث بتقسيم هذا الفصل إلى مبحثين :

الأول: محددات الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأميركي:

تتوقف فاعلية الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي على العديد من المحددات التي يرتكز عليها وتؤثر في كفاءته وفعاليته، وفي إطار هذه المحددات تم التمييز بين ثلاثة مجموعات أساسية؛ وهي تلك النابعة من الأقليات الإسلامية ذاتها من حيث موقفها من المشاركة السياسية في المجتمع الأمريكي بصفة عامة، ومدى قدرتها على بناء المؤسسات السياسية ذات الطابع الإسلامي، ومدى توافر القيادة الإسلامية القادرة على توجيه وترشيد العمل السياسي للمسلمين في المجتمع الأمريكي من ناحية

ومن ناحية ثانية تلك المحددات النابعة من المجتمع الأمريكي من حيث رؤيته لهذا الدور، وموقف النظام السياسي الأمريكي من هذا الدور وكذلك موقف جماعات المصالح القائمة في المجتمع الأمريكي، بالإضافة إلى القواعد والتشريعات القانونية التي تحكم العمل السياسي ليس للمسلمين فقط ولكن لمختلف الأقليات والجماعات التي يتكون منها المجتمع الأمريكي.

ومن ناحية ثالثة تلك المحددات النابعة من البيئة الإقليمية والدولية المحيطة، والمتمثلة في التأثيرات المختلفة للأحداث الدولية والإقليمية وخاصة تلك التي ترتبط بالدول أو بالمصالح الإسلامية، في مختلف دول العالم، وانعكاساتها على الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي.

المبحث الثاني: مظاهر الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريك

قضايا الوجود الإسلامي في المجتمع الأمريكي:عملية التكيف مع المجتمع الأمريكي من جانب المهاجرين المسلمين، ارتبطت بالعديد من القضايا (الداخلية والخارجية)

التي كان لها تأثيراً كبيراً في تفعيل الدور السياسي للمسلمين في المجتمع الأمريكي، وفي هذا الإطار يمكن التمييز بين مجموعتين من القضايا:

المجموعة الأولي: القضايا الداخلية:

وهي تلك القضايا النابعة من المجتمع الأمريكي، والتي تؤثر وتحدد طبيعة الدور الإسلامي في المجتمع الأمريكي، وعلى فاعلية هذا الدور، ومن بين هذه القضايا: قضية التعليم الإسلامي، وقضية الصورة النمطية السلبية عن المسلمين، وقضايا العنف والمخدرات والتفكك الأسري، ومراجعة قانون الأدلة السرية، وقضايا التمييز العرقي ضد المسلمين.

المجموعة الثانية: القضايا الخارجية:

ويقصد بها تلك القضايا النابعة من الدول والمجتمعات الإسلامية التي تنتمي إليها الجماعات الكبرى التي تتكون منها الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، والتي يمكن أن تؤثر على طبيعة دور هذه الأقليات في المجتمع الأمريكي، وعلى فاعلية هذا الدور، ومن بين هذه القضايا: قضية الصراع العربي الإسرائيلي، وقضية القدس، وقضية العقوبات ضد العراق، وقضيتا البوسنة وكوسوفا، وقضيتا كشمير والشيشان، وقضية الدعم الإنساني لأفريقيا.

التنظيمات الإسلامية في المجتمع الأمريكي:

مع تعدد القضايا التي تشكل محاوراً لاهتمام الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، تعددت التنظيمات والمؤسسات التي نشأت للدفاع عن حقوق ومصالح المسلمين، وبيان وجهة النظر الإسلامية في هذه القضايا، ورغم التعدد في التنظيمات والجمعيات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، ومع الاعتراف بأهمية كل منها في تفعيل الدور السياسي للأقليات الإسلامية في هذا المجتمع، فإنه . لاعتبارات الدراسة وحدودها الزمنية والموضوعية . يتم التركيز على ثلاث منظمات فقط، من بين هذه المنظمات من حيث بيان نشأتها، وتطورها ودورها في العمل السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، وتتمثل هذه المنظمات في: منظمة أمة الإسلام، والمجلس الإسلامي الأمريكي، ومجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية، وجاء اختيار هذه المنظمات نابعاً من عدة اعتبارات، من بينها، اتساع القاعدة التمثيلية لهذه

المنظمات في أوساط المسلمين الأمريكيين، وفاعلية الدور السياسي الذي تقوم به في المجتمع الأمريكي.

الفصل الرابع: تحديات الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي:على الرغم من أن الفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة تمتد بين عامي 1990 و2000، إلا أن حدثاً بحجم ما شهدته الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من سبتمبر 2001، كان من الصعب تجاهله، أو تجاهل آثاره وانعكاساته ليس فقط على الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، ولكن أيضاً على مستقبل الوجود الإسلامي في هذا المجتمع، وهو ما كان دافعاً لاعتبار هذا الحدث نقطة فاصلة في تاريخ هذا الدور وذلك الوجود، وعلى أساسه تم تقسيم هذا الفصل، والذي جاء على النحو التالي:

المبحث الأول: تحديات ما قبل أحداث سبتمبر 2001

يواجه الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي بالعديد من التحديات، التي تتفاوت في طبيعتها ما بين سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية، وما بين مصدرها، ما بين تلك النابعة من هذه الأقليات ذاتها، أو تلك النابعة من البيئة المحيطة بها سواء أكانت من داخل المجتمع الأمريكي، أو من دول الأصول التي تنتمي إليها العديد من الجماعات والقوميات التي تتكون منها هذه الأقليات، وفي إطار هذا التعدد وذلك التشابك، فإنه في إطار التحديات التي تواجه الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، تم التمييز بين:

التحديات النابعة من الخصائص السلوكية:

وتشمل: التناقض وعدم القدرة على الفهم السليم للإسلام والتراث الإسلامي، والفهم السليم للحضارة الغربية والنظرة العادلة لها، والتحديات التي تواجه الأسر المسلمة، وطبيعة تربية الإنسان في البلدان الإسلامية التي هاجروا منها، وضعف الوعي بأهمية العمل السياسي، والسلبية السياسية.

التحديات النابعة من الخصائص التنظيمية ومنها:

غياب التنسيق بين التنظيمات الإسلامية ، ومحدودية القدرات التمويلية، وعمومية النشاط ونقص الخبرات السياسية، والتحديات المرتبطة بقضايا العضوية، وتحدي التعددية وتشرذم الهوية داخل الأقليات الإسلامية

هذا بجانب التحديات النابعة من طبيعة القضايا التي تدافع عنها، والتحديات النابعة من هيكل صنع القرار، والتحديات النابعة من البيئة السياسية الداخلية والتي من بينها: الصورة السلبية، واللوبي الصهيوني، والتيارات المسيحية الأصولية، والميليشيات المسيحية المسلحة، والجماعات والتيارات الفكرية المتطرفة، والتحديات الإعلامية.

التحديات النابعة من البيئة السياسية الخارجية:

وترتبط هذه التحديات بدرجة كبيرة بالقضايا والأحداث والتحولات التي تشهدها الساحة العربية والإسلامية، والتي ينتمي إليها معظم المسلمين في المجتمع الأمريكي، وتؤثر على دورهم، وممارساتهم داخل المجتمع الأمريكي، ومن أبرز هذه الأحداث والتي تركت تأثيراً سلبياً على الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي (الحرب العراقية الإيرانية بين 1980 و1988، والغزو العراقي لدولة الكويت في الثاني من أغسطس 1990، وتطورات الصراع العربي الإسرائيلي، وتطورات الأوضاع في عدد من الدول الإسلامية وما تشهده من حروب أهلية وأزمات داخلية وانتشار موجات العنف، واستغلال ذلك لتشويه صورة الإسلام في المجتمع الأمريكي، والخلافات والصراعات السياسية بين معظم الدول الإسلامية، والتي يتم تضخيمها، من جانب وسائل الإعلام المضادة، لتأكيد الصورة النمطية السائدة عن الإسلام والمسلمين في المجتمع الأمريكي).

أزمة اا سبتمبر

المبحث الثاني: تحديات أزمة سبتمبر 2001

تمثل أزمة الحادي عشر من سبتمبر مرحلة فاصلة في تاريخ الوجود الإسلامي في المجتمع الأمريكي، وذلك أمام ما ترتب عليها من آثار وتحديات، علي الأقليات الإسلامية، وعلي الدور السياسي الذي تقوم به داخل المجتمع الأمريكي، وأمام أهمية الأزمة، وما ترتب عليها، يأتي تناولها علي محورين أساسيين.

أولاً:آثار الأزمة وتداعياتها:

المجموعة الأولي: الآثار السلبية للأزمة ومنها: الخسائر والأضرار المادية، وتزايد حالات الاعتداء على الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، وترسيخ الصورة السلبية عن الإسلام والمسلمين في أذهان الأمريكيين، وتهديد حقوق المسلمين في الولايات المتحدة، والتأثيرات السلبية للأزمة على النشاط السياسي للأقليات الإسلامية.

المجموعة الثانية: الآثار الإيجابية ومنها: التزايد الملحوظ في عدد الفتيات المسلمات اللاتي قررن ارتداء الحجاب فيما وصف بأنه رد فعل عكسي ورغبة منهن لإظهار اعتزازهن بدينهن، وأن الأزمة فتحت أمام المنظمات المسلمة الأمريكية، أبواب أكبر المؤسسات السياسية والإعلامية الأمريكية، كما خلقت شعورا بالتوحد والتحدي داخل المجتمع المسلم الأمريكي، هذا بجانب تزايد أعداد المترددين بانتظام على المساجد.

وبعد تناول هذه الآثار تناولت الدراسة الإدارة الأمريكية للأزمة، والأساليب التي اعتمدت عليها داخلياً وخارجياً، ورد فعل المنظمات الإسلامية تجاه الأزمة وآثارها وكيفية التعامل معها.

وقد انتهت الدراسة إلى عدد من النتائج الأساسية:

أولاً:أن هناك علاقة .نسبية .بين حجم الأقلية وشعورها بالسمات التي تمنحها الخصوصية في هويتها، وتميزها عن الجماعات الأخرى في المجتمع، وتتمثل هذه العلاقة في أنه كلما زاد حجم الأقلية وزاد تأثيرها داخل المجتمع، كلما زاد تمسكها بهويتها المتميزة، وحرصها على إبراز عوامل التميز التي تتسم بها (مع ملاحظة وجود استثناءات على هذه القاعدة، وهو ما ينطبق على الأقلية اليهودية في المجتمع الأمريكي فعلى الرغم من قلة عددها فإنها تتميز بقوة التأثير، وشدة التماسك بين عناصرها، وكذلك بشدة حرصها على إبراز العناصر والخصائص التي تميزها).

ثانياً:أن الوجود الإسلامي في المجتمع الأمريكي، قد بدأ مع اكتشاف الولايات المتحدة، حيث تحدثت كتابات المؤرخين واكتشافات الجغرافيين عن وجود مسلمين في الرحلات الجغرافية التي تمت لاكتشاف الولايات المتحدة الأمريكية، ولكن نمو هذا الوجود ظل يسير بمعدلات بطيئة، حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر

وبدايات القرن العشرين، حيث شهدت هذه الفترة تسارع معدلات الهجرات الإسلامية إلي الولايات المتحدة، ارتباطاً بالظروف والمتغيرات الداخلية والدولية في الدول الإسلامية.

ثالثاً:أن الأقليات الإسلامية في الولايات المتحدة لا تعبر عن جماعة واحدة لها سمات وقواسم مشتركة تجمع بين أعضائها وتمنحها هوية واحدة، فالأقليات الإسلامية تتكون من العديد من الجماعات والانتماءات والتصنيفات، والتي في إطارها تم التمييز بين أربع مجموعات أساسية: ذوي الأصول الأفريقية، وذوي الأصول الأسيوية، وذوي الأصول الشرق أوسطية، وذوي الأصول الأوربية والأمريكية.

ولكن هذا التنوع لا ينفي وجود قواسم مشتركة . وإن كانت محدودة ونسبية . تجمع بين معظم هذه الجماعات أهمها الاشتراك في العبادات الدينية، وأسس المعاملات بين الأفراد والجماعات كما شرعها الدين الإسلامي، وكذلك وجود نوع من الثقة في التفاعل بين المسلمين وبعضهم البعض هذه الثقة التي تستند بالدرجة الأولى إلى قناعة المسلمين بتأثير دينهم في قيم وأخلاقيات أتباعه، يضاف إلى ذلك وجود نوع من التوحد خلف العمل علي الدفاع عن الحقوق الإسلامية، والدعم والمساندة للجهود التي تبذل في عدد من القضايا الرئيسية الداخلية (مثل قضية الحقوق المدنية للمسلمين، والرد على محاولات تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ..)، والخارجية (مثل قضية القدس، ..).

رابعاً:أن هناك العديد من المحددات التي تتوقف عليها طبيعة وفاعلية الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، وفي إطار هذه المحددات تم التمييز بين ثلاثة مجموعات أساسية: المحددات النابعة من طبيعة الأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، والمحددات النابعة من المجتمع الأمريكي، والمحددات النابعة من البيئة الإقليمية والدولية المحيطة.

خامساً:أن أحداث سبتمبر 2001، مثلت لحظة انقطاع في القضايا التي تمثل محوراً لاهتمام المسلمين في المجتمع الأمريكي، حيث وضعتهم في موقع انتظار وترقب لما ستسفر عنه الأزمة ورد الفعل الأمريكي الرسمي والشعبي عليها، ولذلك حاولت التنظيمات السياسية ذات التوجهات الإسلامية العاملة في المجتمع الأمريكي، إعادة

صياغة قضاياها وتزويدها بمجموعة من القضايا القادرة على جذب اهتمام جماهير المسلمين الأمريكيين، وتفعيل دورهم في المجتمع.

سادساً:أن أحداث سبتمبر لم توقف عجلة تطور الوجود الإسلامي في المجتمع الأمريكي وذلك لعدة اعتبارات من بينها؛ طبيعة هذا الوجود، من حيث استناده على الهوية الإسلامية كمصدر للقيم والتوجهات، مما يجعل المسلمين أقل تعرضاً لضغوط الذوبان السياسي والاجتماعي داخل المجتمع الأمريكي، فالهوية الإسلامية تمدهم بمصدر دائم للتميز والتفرد والذاكرة الجماعية المستقلة داخل المجتمع الأمريكي.

وكذلك طبيعة تطور هذا الوجود كتطور طبيعي، ليس وليد فترة زمنية محدودة، ولا يرتكز على مؤسسة بعينها أو فرد بذاته أو جماعة سياسية ذات أيدلوجية بعينها، إنما هو تطور طبيعي نتج على مدار فترات تاريخية ممتدة بدأت مع اكتشاف المجتمع الأمريكي ذاته، كما يعتمد في طاقته على قدرات بشرية وفنية من أبناء المسلمين الأكثر قابلية وقدرة على الانخراط في المؤسسات السياسية والإعلامية الأمريكية، كما يرتكز على مئات المساجد والمراكز والتنظيمات، وكذلك على جو من حرية الفكر والعبادة يساعد على التحرك بفاعلية.

سابعاً:أن الدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي، يتحرك في الإطار الذي يمكن أن يقود . مع الحرص على تفعيل القدرات التي يمتلكها المسلمون في المجتمع الأمريكي . إلى مستقبل أفضل، مستقبل يستطيع من خلاله المسلمون الأمريكيون التأثير في صياغة السياسات الأمريكية، الداخلية والخارجية، مستقبل يضمن لهم القدرة ليس فقط على الدفاع حقوقهم ومقدساتهم، ولكن أيضاً السعي نحو تعظيم هذه الحقوق وتلك المكاسب.

وهو ما يتطلب . من القائمين والمعنيين بالدور السياسي للأقليات الإسلامية في المجتمع الأمريكي . بلورة استراتيجية واضحة تقوم على مبدأي التنوع (في الحاجات والاختصاصات والجماعات وبالتالي في المراكز والهيئات والمنظمات)، والوحدة (في المنهج وفي الأهداف والغايات)، حتى يصبح هذا التنوع إثراء للعمل الإسلامي، ودعماً لمسيرته داخل المجتمع الأميريكي

===========

#أمريكا فى مواجهة العالم.. حرب باردة جديدة

عرض: منى عبد العزيز شهاب 1424/2/10

2003/04/12

المؤلف: د. سعيد اللاوندى .

الناشر: القاهرة – دار نهضة مصر، ط1، 2003م .

مركز الإعلام العربى .

عرض:منى عبد العزيز شهاب

*أمريكا بدأت أول حروب القرن الجديد فى أفغانستان وتتجه إلى حروب أخرى فى مناطق عديدة ربما تتحول بمرور الوقت إلى حرب عالمية رابعة .

*

معظم الشركات الأمريكية تستغل عملها فى مناطق العالم تحت غطاء إنسانى واجتماعى فى خدمة وكالة المخابرات المركزية .

*

الخلافات الأمريكية – الأوروبية تجيء على خلفية أن واشنطن تعتمد القوة الباطشة كأداة وحيدة للتغيير

*

استراتيجية الحزام الأخضر، تقوم على إحاطة روسيا وأوروبا بدول عربية وإسلامية تابعة لها

*

الصين تطمح إلى أن تكون القوة الاقتصادية الأولى فى العالم، وإذا فشلت واشنطن فى حصارها ستقوم بالتحدث عن إمبراطورية الشر الجديدة .

*

الأمم المتحدة أصبحت أداة وسلاحًا لخدمة السياسة الأمريكية ولم تظهر للوجود سوى لتحقيق مصالح القوى الكبرى .

*

التصورات الأمريكية – الفرنسية ليست متماثلة تمامًا، لكن يتم طرح جميع القضايا على مائدة الحوار لبلورة موقف مشترك .

*

تنشر أمريكا الديموقراطية واقتصاد السوق فى دول العالم تحت شعارات أخلاقية لا لشيء سوى خدمة مصالحها وحمايتها .

*

السياسة الأمريكية تماهت مع الأهداف الإسرائيلية ليس لتحيز مسبق فقط ، بل لنجاح اليهود فى اختراق الإدارة الأمريكية وفشل العرب فى بلورة إرادة واحدة

*

بشارات الخلاص بدأت مع المعارضة الواسعة للعولمة الأمريكية ومحاولات تأسيس فضاء دولى أكثر عدلاً فى الاقتصاد وتعددية فى الآراء .

لا نستطيع أن نفسر حاليًا ما يجرى فى العراق دون اعتراف بوجود مناخ غير مسبوق من الأحادية القطبية – والذى لم ولن يتكرر كثيرًا – وتعمل الولايات المتحدة فى ظله على أن تخطط لسياسة استعمارية جديدة تستهدف (منابع النفط) على اعتبار أن من يرغب فى إدارة العالم لا بد أن يتحكم فى ثروات الشعوب .

وفى سبيل الحفاظ على مكانتها وضمان تفوقها كان لا بد من وضع العراقيل فى طريق بزوغ قوى مناوئة اليوم أو غدًا، فشرعت أمريكا تزرع الشوك فى طريق صعود الصين، وتهمش إلى أقصى درجة الاتحاد الأوروبى حتى كاد يكون ظاهرة صوتية وصبغت القانون الدولى بصبغة أمريكية محضة، فأصبحت الشرعية الدولية والإرادة الدولية والمجتمع الدولى مجرد صدى لصوت البيت الأبيض، وبات يتعين على قادة أفريقيا وآسيا، إن أرادوا البقاء فى مقاعدهم، مراعاة مصلحة أمريكا أولاً.

ولكنه أثناء تطبيق هذه السياسة الاستعمارية وقعت مئات الآلاف من الضحايا الأبرياء فى العراق وفلسطين وأفغانستان ، ولم تستطع شعارات مكافحة الإرهاب أو مكافحة أسلحة الدمار الشامل أن تخفى الوجه الأمريكى الاستعمارى، مما أدى إلى معارضة ضخمة للسياسات الاستعمارية الأوروبية من جانب القوى الكبرى ، وكذلك

من جانب منظمات المجتمع المدنى العالمى، والتى تحتاج لشروط معينة حتى تستطيع تكوين (عولمة) أكثر عدالة وأقل (أمركة).

وبين أيدينا كتاب (أمريكا فى مواجهة العالم) للدكتور سعيد اللاوندى يعمل على كشف تلك السياسات الاستعمارية للولايات المتحدة وأدوات تحقيقها، وعلاقات أمريكا مع الأمم المتحدة والقوى الكبرى، على اعتبار أنها ترجمة لجانب من هذه السياسات ، ثم يجيب فى خاتمة الكتاب على تساؤل مهم هو: لماذا نكره أمريكا ؟ .

يسوق المؤلف فى مقدمة كتابه مقولة أحد الخبراء الاستراتيجيين بمقر حلف الناتو فى العاصمة البلجيكية بروكسل من أنه من العبث تصور أن أمريكا سوف تتحمل تكاليف حرب العراق وتقدر بنحو 200 مليار دولار لمجرد إسقاط صدام حسين، ولكن الهدف الأسمى هو أن تضمن واشنطن بقاء هيمنتها على العالم إلى أطول مدة ممكنة ، وبترول العراق أهم عوامل تحقيق هذا الهدف.

ويذكر أن قادة واشنطن يستغلون الظروف الدولية المواتية لاقتناص أكبر قدر من المكتسبات، ولعل هذا ما كان يعنيه مومولام – الوزير السابق لتونى بلير – عندما كتب فى الجارديان يقول: « إن الأمر لا يتعلق لا بالتهديد العراقى، ولا بالحرب ضد الإرهاب، ولا علاقة له بالأخلاق، وإنما يتعلق فقط بطموحات واشنطن من أجل السيطرة على حقول النفط العراقى ».

وفى مناخ دولى غير مسبوق لا يشهد وجود أقطاب دولية متنافسة تخطط واشنطن لسياسة استعمارية جديدة تستهدف «منابع البترول»، باعتبار أن من يرغب فى إدارة العالم لابد أن يتحكم فى ثروات الشعوب وباسم محاربة الإرهاب وضعت يدها على أفغانستان وبترول آسيا الوسطى، وبدعوى مكافحة أسلحة الدمار الشامل فى العراق حولت المنطقة إلى ترسانة عسكرية أمريكية، وفى ظل ذلك المناخ أصبحت الشرعية الدولية والإدارة الدولية والمجتمع الدولى مجرد صدى لصوت البيت الأبيض، وبات يتعين على قادة أفريقيا وآسيا إن أرادوا البقاء فى مقاعدهم مراعاة مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية أولاً!

1 – وجه جديد للعالم :

وتحت عنوان: « أولى حروب القرن » يعتبر المؤلف أن تاريخ 11 من سبتمبر 2001 كان موعد اندلاع شرارة أولى حروب القرن الجديد ، حيث توحد الغرب وراء الولايات المتحدة التى بدأت الرد فى 7 من أكتوبر 2001 بضرب العاصمة الأفغانية كابول، وعددًا من المدن الأفغانية الأخرى تحت هدف تحطيم مراكز تدريب شبكة القاعدة ومؤسسات نظام حكم « طلاب الشريعة ».

وبعد هذه الحرب طرحت واشنطن على نفسها سؤال: ماذا نفعل فى مواجهة هؤلاء الانتحاريين الذين يضحون بحياتهم ؟ إنها بهذا المعنى حرب من نوع جديد تتجاوز حدود التفكير العسكرى الكلاسيكى، وتستمد الإجابة خيوطها الأولى من أن الحرب التى أعلنها أسامة بن لادن على الغرب ليست لمواجهة المظالم الأمريكية، وإنما لعيب فى فهم بن لادن وشبكة القاعدة، ومن ثم يصبح تحديث الخطاب الدينى ضرورة واجبة.

وفى مقالة أخرى تحت عنوان: « الفوضى تسود العالم فى القرن الـ 21 » يذكر المؤلف أن أهم السمات العالمية مع بداية القرن الجديد كان السيطرة الأمريكية على العالم بشكل لم يتحقق لأى إمبراطورية أخرى عبر العصور، نظرًا لأنها تمارس سطوتها فى غرور عبر خمسة مجالات كلاسيكية للقوة: السياسى والاقتصادى والعسكرى والتكنولوجى والثقافى.

وبعد تدخلها فى أفغانستان خرجت منتصرة وأحكمت قبضتها عبر ثلاثة محاور، فأخضعت أولاً – تحت وابل قنابلها – نظام طالبان فى أفغانستان فى بضعة أسابيع، وثانيًا وضعت تحت تصرفها – كيلا نقول تحت قدميها – تحالفًا دبلوماسيًا كبيرًا لتسهيل مهمتها وتأييد عملياتها (ضم روسيا والصين)، وقدمت فى الوقت نفسه دور الأمم المتحدة، كما حشدت ثالثًا القوة البريطانية لخدمة أهدافها، ولم تهمل دعم الحلفاء الآخرين مثل: فرنسا وألمانيا وإيطاليا وكندا واليابان.

وتنذر هذه السياسات الأمريكية بالفوضى من جهة احتمالات جديدة للتدخل فى مناطق أخرى، ومن جهة التناقض الأمريكى الصارخ، حيث تتدخل فى إحدى المناطق، بينما تواصل تأييد (إسرائيل) وتقدم لها سنويًا ما لا يقل عن 3 مليارات دولار، رغم أن هذه الدولة تواصل احتلالها للأراضى العربية، وتحتقر القوانين الدولية

بانتهاكها منذ 30 عامًا قرارات الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين؛ لذلك كان طبيعيًا أن يشعر الناس بالظلم، فالرأى العام العربى، رغم اعترافه بديكتاتورية صدام حسين، إلا أنه يشعر بتعاطف مع الشعب العراقى، بل إن معظم دول المنطقة رفضت المشاركة فى ضرب العراق عندما أرادت أمريكا أن تكون بغداد هى المحطة التالية لا لشيء إلا لأن أمريكا تتحيز – فى فجور ضد كل ما هو عربى.

2 – عين واشنطن :

ويقول المؤلف: إن أزمة (إيران جيت) فى منتصف الثمانينيات التى كادت تزعزع النظام السياسى الأمريكى هى التى فتحت الطريق أمام ما يعرف اليوم فى أدبيات السياسة الأمريكية المعاصرة بـ « خصخصة السياسة الخارجية الأمريكية »، أى نقل جزء كبير من عملياتها الخارجية إلى شركات خاصة حتى لا تجد نفسها فى حال الفشل أو الانكشاف فى موقف المساءلة من الكونجرس الأمريكى، ويسمى البعض هذه الشركات «شركات الحروب الخاصة»، وهى التى تكفل لوزارة الدفاع (البنتاجون) الغطاء المثالى لقيادة العمليات الخارجية، بعيدًا عن رقابة وسائل الإعلام والكونجرس الذى يخول له الدستور حق مراقبة السياسة الخارجية ومناقشة تفاصيلها.

ويرى أن خصخصة الوكالات والأجهزة المختلفة جاء لتكريس الهيمنة الأمريكية دون مساءلة قانونية ودستورية، ومن ثم بات من الفطنة أن نتوخى الحذر عندما نتعامل مع هذه الشركات التى قد تصنع غطاء إنسانيًا واجتماعيًا، فى حين أنها حتى النخاع – سياسة موجهة.

وتحت عنوان: (برامج التجسس) يذكر أن أمريكا تقود أوسع عمليات تجسس فى العالم، حيث تتنصت على كل ما يدور على الأرض عبر مركز تنصت إلكترونى تابع لوكالة الأمن القومى (NSA)، كما يتعاون جهاز الاستخبار الأمريكى C.I.A مع جهاز الموساد الإسرائيلى فى إطار عملية تجسسية فريدة تعتمد على « تفخيخ » أجهزة الكمبيوتر المختلفة عن طريق برنامج يسمى (وعد) Promise يسمح باختراق بنوك المعلومات، وقد تفجرت أزمة بين الإدارة الأمريكية (شركة أنسلاو Anslaw) للمعلوماتية حول ملكية هذا البرنامج الذى جعل أحشاء العالم ومراكز صنع القرار فيه عارية تمامًا أمام القادة الأمريكيين والإسرائيليين.

وفى مقالة بعنوان «جهاز الـ C.I.A يدير حلف الناتو» يذهب إلى أن هذا الجهاز قام عمدًا بتنظيم عمليات عرضت قوات حلف الناتو إلى خطر حقيقى ومنعتها فى أكثر من مناسبة من القيام بالمهام الأصلية المنوطة بها، وطوال عمليات حلف الناتو فى حرب الخليج الثانية وحرب كوسوفا والصومال وجدت الدول الأعضاء فى التحالف نفسها مجبرة على قبول الضغوط الأمريكية مثلما وجدت بعض الشعوب نفسها مستهدفة وضحية للسياسات الأمريكية، ففى كوسوفا على سبيل المثال غض الأوروبيون الطرف عن خطط واشنطن الرامية إلى تسليح الصرب والكروات، رغم أنها تتعارض مع رغبتهم فى تخفيض التسلح فى القارة الأوروبية، كما تراجعوا عن التزاماتهم تجاه كوسوفا، ولم يهتز لهم جفن وهم يشاهدون الآلاف يهربون من بيوتهم، خوفًا من آلة القتل الجماعى التى تتعقبهم فى كل مكان، أما الأكثر بشاعة فكان عند تدخل الحلف فى الحرب، حيث اختاروا أهدافًا مدنية لتكون هدفًا للضرب والتدمير، ولم يحترموا المعاهدات الدولية التى تحرم ضرب المدنيين والمنشآت ذات الصفة المدنية، ولم يتورعوا كذلك لأسباب اقتصادية عن استعمال الأسلحة المحظورة فى القيام ببعض المهام العسكرية.

3 – أمريكا – أوروبا :

وتحت عنوان « تبعية لا تحالف » يرى أن العلاقات الأوروبية – الأمريكية ليست على ما يرام، ويتفق فى ذلك مع رأى إيفود والدر – مستشار الرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون – الذى يقول: « إن الطرفين يسيران حقًا باتجاه التصادم فقبل هجمات 11 من سبتمبر كانت أمريكا وأوروبا تسبحان ببطء، بعيدًا عن بعضهما البعض، ولكنهما الآن تندفعان بقوة نحو المواجهة».

ولا يكاد يمر يوم إلا ويتكرس الشقاق والاختلاف فى وجهات النظر فأمريكا تريد أن تعبر العالم أجمع بما فى ذلك أوروبا بحق الزعامة المطلقة لها، ولعل الشعور بالتوجس والقلق يظهر عند الأوروبيين عندما يتأكدون أن واشنطن تصر على تهميش أى دور لهم فى (عملية السلام) على غير رغبة القارة العجوز فى أن تكون حاضرة ومشاركة وفعالة فى المنطقة لعلاقاتها المتشعبة مع عدد من دولها.

وتتأسس الخلافات بين أوروبا وأمريكا على خلفية من الثقافة والأيديولوجيا منها أن الرئيس الأمريكى الحالى يريد تغيير العالم، بينما أوروبا المشغولة باتحادها وتوسيعه تريد إبقاء الوضع على ما هو عليه، وفى الوقت الذى تبدو فيه الإدارة الأمريكية مقتنعة بأن أداة التغيير الوحيدة هى القوة الباطشة ترى أوروبا أن الأعمال العسكرية ليست وحدها هى الأداة الفعالة فى حل المشكلات ومواجهة القضايا.

وفى مقالة «تقزيم أوروبا.. استراتيجية أمريكية» يذهب المؤلف أن المساعدات الأمريكية لبعض الإسلاميين أثناء الغزو السوفياتى لأفغانستان كان يهدف أيضًا إلى تقزيم أوروبا، أما حلف الناتو فلم يعد له من سبب وجود بعد سقوط حائط برلين سوى خدمة السياسة العسكرية الأمريكية وإخفاء الهيمنة الأمريكية فى كل أنحاء أوروبا تلك الهيمنة التى تزعزع استقرار أوروبا وتجد مبرراتها فى خلق بؤر توتر هنا وهناك من أجل أن تضمن لنفسها السطوة والنفوذ، باعتبار أن العالم هو بالضرورة للأمريكيين، ولا ينبغى أن يكون بغير الأمريكيين حسبما رددت ذلك مرارًا مادلين أولبرايت – وزير الخارجية الأمريكية السابقة – فى أكثر من مناسبة.

وتحت عنوان: «قوات الردع الأوروبية: طعنة فى ظهر أمريكا» يشير المؤلف إلى محاولة الاتحاد الأوروبى الوصول إلى نقطة توازن فى علاقاتها مع الولايات المتحدة، لكن هذا لم يمنع من تفجر الأزمات بين وقت وآخر مثل الأزمة التى تفجرت بعد القرار الأوروبى إنشاء قوات ردع أوروبية، والتى لم تلق غير الاستياء والتشكيك من جانب واشنطن فوضعها وليام كوهين – وزير الدفاع الأمريكى فى عهد الرئيس بيل كلينتون – بأنها « طعنة » موجهة إلى قلب حلف الناتو.

وفكرة هذه القوات نبعت من مبدأ أوروبى يقول: إنه لا توجد حضارة تستطيع العيش طويلاً إذا لم تكن لديها وسائل للدفاع عن نفسها، وعلى صعيد آخر تفجرت أزمة أخرى بعد صناعة شركة إيرباص الأوروبية طائرة عملاقة (x-x3)، والتى دفعت الرئيس السابق بيل كلينتون إلى التحذير من نشوب حرب تجارية بين أوروبا وأمريكا ما لم يتم حسم الخلاف حولها وملخص هذه الأزمة أن أمريكا تتهم الأوروبيين بتقديم دعم حكومى لشركة إيرباص، وهذا يعد خرقًا لاتفاق تأسيس منظمة التجارة العالمية عام 1994، وقد رفضت المفوضية الأوروبية على لسان رئيسها رومانو برودى هذا

الاتهام مؤكدًا أن الأمر يتعلق بقروض بقيمة 3 مليارات دولار من الحكومات الأوروبية للشركة وسوف يعاد تسديدها.

4 – أمركة الحزام الأخضر الإسلامى :

ويحتوى هذا القسم على جزئين، الأول: «مسلمو البلقان شوكة فى قلب أوروبا» يذكر المؤلف أن المحللين الأوروبيين يعتبرون أن قيام الدول العربية والإسلامية بإرسال المصاحف وإنشاء المساجد والمراكز الإسلامية فى آسيا الوسطى يعد بمثابة (أسلمة) لهذه الدول، وبالتالى تهديد للغرب من أيرلندا وحتى روسيا، ويؤكدون أن لتركيا دورًا بارزًا بعد سقوط الاتحاد السوفياتى، وهذا الدور ليس التحالف مع أمريكا، وإنما يتمثل فى النشاط الأيديولوجى فى البلقان والقوقاز، وهذا يُعد خطرًا كبيرًا على أوروبا نظرًا لأن البلقان لا يبعد سوى يوم كامل بالسيارة عن باريس ولا يفصله عن روما إلا مسيرة ساعة بالطائرة.

ويذهب المؤلف – تأثرًا بآراء بعض المحللين الأوروبيين – إلى أن أمريكا فى حربها الضروس مع أوروبا تستخدم (البؤر) و(المنظمات الإسلامية) فى البلقان لضرب وحدة أوروبا حتى لا تكون القوة المرشحة للوقوف فى وجه هيمنتها التى تفرضها على العالم ولإثبات وجهة النظر هذه يذكر تصريح للكولونيل الأمريكى هارى سمرز فى أغسطس 1998 قال فيه: «فى كوسوفا كانت –الولايات المتحدة – تدافع عن المجموعات الإرهابية المتطرفة على الرغم من أن هذه المجموعات كانت العدو الأول لنا».

والثانى « فى التصور الأمريكى: مناطق صلبة وأخرى رخوة، يسوق المؤلف رؤية الجيوبوليتيكى الفرنسى الشهير بيير مارى بأن الاستراتيجية الأمريكية تضع الفضاءات (الجيو – حضارية) فى فترة ما بعد الحرب الباردة فى فئتين أساسيتين: الأولى مناطق صلبة والثانية مناطق رخوة.

والفئة الأولى تندرج فيها الحضارات المتقدمة أو الديناميكية والأمم أو النخب السياسية القادرة على أن تحافظ على استقلالها وسيادتها، والتى لها إرادة ترفض الهيمنة الأمريكية بمعنى آخر تعنى تلك الدول التى لها قدرة على ممارسة التأثير فيما وراء حدودها، وهى بهذا قادرة على الوقوف فى وجه المصالح الأمريكية، أما

الفئة الثانية (المناطق الرخوة) وتشمل مجموعة الدول ضعيفة السيادة، ويندرج فيها أيضًا قوى وحضارات قديمة أوروبية وإسلامية، لكن يوجد بها مناطق قد تندرج فى ظروف معينة ضمن المناطق الصلبة إذا توافرت لها شروط القوة.

وقد ظهرت استراتيجية أمريكية تعرف باسم استراتيجية (الحزام الأخضر فى مواجهة أوروبا) ، ويقصد بها أن تحاط روسيا وأوروبا بهلال إسلامى يضم بعض الدول الإسلامية، وهذا الحزام تنطلق محاوره من الجزيرة العربية وتركيا العلمانية وأفغانستان وباكستان، وقد نجحت واشنطن عبر استراتيجيتها فى التعامل مع الحركة الإسلامية (دولاً وجماعات) فى أن تشكل هذا الحزام.

5 – أمريكا – الصين :

كان اصطدام طائرة التجسس الأمريكية بإحدى المقاتلات الصينية فى أول أبريل 2001 خير معبر عن طبيعة العلاقة بين البلدين، فبينما رأت القيادة الأمريكية (الرئيس بوش ووزير خارجيته كولن باول) أنها قدمت كل ما ينبغى فى هذا الموقف، وهو الإعراب عن الأسف لفقد الطيار قائد المقاتلة الصينية شددت بكين على ضرورة أن تعترف الولايات المتحدة :

أولاً : بمسئوليتها فى سقوط المقاتلة الصينية .

وثانيًا: الاعتذار للشعب الصينى.

وثالثًا: اتخاذ خطوات عملية لمنع تكرار أحداث التجسس فى المستقبل. وأصر وزير الدفاع الصينى (تشى هاوتيان) على أن تتحمل الولايات المتحدة المسئولية الكاملة عن حادث تصادم الطائرتين الأمريكية والصينية، وأكد فى تصريح اعتبرته واشنطن معاديًا أن جيش التحرير الشعبى وشعب الصين لن يغفرا محاولة الإدارة الأمريكية التنصل من مسئوليتها، وأن الجيش الصينى – صاحب التاريخ السياسى – سيواصل ضغوطه على القيادة الصينية لكى تتخذ الموقف المتشدد والملائم ضد واشنطن.

واستند هذا الموقف الصينى إلى جملة من المواقف الصدامية بين الطرفين فى السنوات الماضية منها لجوء أحد كبار ضباط المخابرات العسكرية الصينية إلى الولايات المتحدة بعد مشاركة فى برنامج تعاون بين البلدين نظمته جامعة هارفارد الشهيرة، والقصف الأمريكى غير المقنع للسفارة الصينية فى بلجراد عام 1999،

وكذلك اعتزام واشنطن نشر درع مضاد للصواريخ وتزويد تايوان – الإقليم المتمرد من وجهة نظر الصين – بالأسلحة الاستراتيجية والتكنولوجية الحديثة وتواجدها فى كوريا واليابان بشكل يستهدف تحجيم القوة الصينية.

وهذه الصدامات تخفى وراءها سعيًا صينيًا لقيادة آسيا فى مقابل رفض أمريكى لهذا الطموح، وإذا كنا نستحضر مقولة نابليون بونابرت: إن الصين عندما تستيقظ فسوف يرتجف العالم، فإنه رغم الرجفة تضاعفت بسبب أزمة طائرة التجسس الأمريكية فإن الصراع ما زال كامنًا بين بكين وواشنطن، وسوف يتحول إلى العلن فى حال وصول الصين لطموحها بأن تكون القوة الاقتصادية الأولى فى العالم، فساعتئذ سترى بكين أن الهيمنة الأمريكية ينبغى أن تنتهى، بينما ستتحدث وسائل الإعلام الأمريكية عن إمبراطورية الشر الجديدة.

6 – الأمم المتحدة الأمريكية :

وتحت عنوان: « ثقافية مفقودة وشرعية غائبة » يتساءل المؤلف:

ما فائدة الأمم المتحدة ، ولماذا يصر العالم على بقائها ما دامت جميع الأحداث تؤكد على أنه لا جدوى منها ولا طائل من ورائها، فالأمم المتحدة ليست سوى أكبر مستهلك للورق فى العالم، إذ يصدر عنها يوميًا آلاف الصفحات بلغات شتى تحمل قرارات وتوصيات لا تساوى قيمة الحبر المكتوب، ويعمل بها 50 ألف موظف يتقاضون رواتب ضخمة.

ومنذ نشوء هذه المنظمة على أنقاض عصبة الأمم التى ماتت فى سبتمبر 1939 مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، وهى تتعرض لانتقادات عنيفة، منها أن هناك ازدواجية فى المعايير، فدولة مثل هاييتى عندما تأخرت عن سداد حصتها تم حجب صوتها والاتحاد السوفياتى عندما تأخر عن ذلك بمحض إرادته لم يحجب صوته.

وأصبحت الجمعية العامة للأمم المتحدة ليست إلا منظمة شعارها « اصرخ بأعلى صوتك – ثم دع كل الأشياء تمر»، فاتخاذ القرارات يتم، ولكن النتائج فى النهاية تساوى صفرًا، وبافتراض أحزاب كل العمال فى مبنى المنظمة ترى ماذا سيكون مصير العالم؟ الإجابة: بالطبع لن يحدث شيء البتة، فالعالم فى غياب عمل الأمم المتحدة ربما سيمضى أحلى أوقاته، نظرًا لأن الأمم المتحدة أصبحت أداة أو سلاحًا

لخدمة السياسة الأمريكية، وأنها لم تظهر إلى الوجود إلا لتحقيق مصالح الأمريكيين فى العالم.

وتحت عنوان: «حقان فى الميزان: حق الأكثر قوة، وحق التدخل الإنسانى»، يناقش المؤلف مقولة (حق التدخل) التى أحدثت قطعًا حقيقيًا فى تاريخ الدبلوماسية والعلاقات الدولية الراهنة بعدما تعرضت الدول التى لا تملك القوة الضرورية التى تمكنها من ردع الولايات المتحدة والتحالفات الغربية إلى التدخل فى شؤونها بدعوى (حق التدخل).

وبهذين الحقين «حق الأكثر قوة» و«حق التدخل» وجدت دول كثيرة فى العالم ضعيفة ومستباحة أمام القوة الكبرى وهى الولايات المتحدة التى أصبح كل شيء مسموحًا به لها، خصوصًا بعدما روجت عبر وسائل التكنولوجيا الحديثة التى تملكها لإقناع الآخرين بأنها ليست الأكثر قوة فقط، وإنما هى الأفضل أيضًا.

وكان طبيعيًا – تأسيسًا على ذلك – أن تكرس واشنطن انفرادها بالقرار الدولى، فقامت فى السابق بتفجير مواقع استراتيجية عراقية دون (إذن) من الأمم المتحدة، وبدأت فى الإعداد لغزو العراق، واستباحة دول أخرى بعدما صاحت مادلين أولبرايت – وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة – بأعلى صوتها أن أمريكا ستتدخل منذ الآن فصاعدًا بشكل منفرد حيثما تريد ووقتما تريد، ومع أو بدون موافقة الحلفاء والمنظمات الدولية.

7 – أمريكا – فرنسا:

ويحتوى هذا القسم على مقالتين، الأولى: « الاقتصاد مثل الرؤوس النووية » يقول المؤلف: إن من بين الـ 191 دولة الأعضاء فى الأمم المتحدة لا توجد سوى دولة واحدة تضع نفسها فى طبقة معينة، رغم المساواة الرسمية فى المنظمة، وهذه القوة تسيطر على ل المجالات الاقتصادية والتكنولوجية والعسكرية والنقدية واللغوية والثقافية، وهذا الحال غير مسبوق فى التاريخ، إذ لم توجد هناك إمبراطورية وحيدة هيمنت على العالم أجمع بما فى ذلك الخصوم.

ويتساءل: لكن ما هو موقف فرنسا من كل ذلك ؟

الواقع أن هناك حساسية فى العلاقة بين فرنسا والولايات المتحدة لخصها هوبير فيدرين – وزير الخارجية الفرنسى السابق – بقوله: إن الدبلوماسية الفرنسية انتهجت منذ عام 1958 أسلوب النقد المنظم (المنهجى)، وأضاف : لقد توصلنا إلى صيغة أن نكون قادرين على أن نقول: نعم إذا كانت نعم فى مصلحتنا، وأن نقول: لا إذا كان ذلك لا يضر بأهدافنا الحيوية، وطبقنا لهذه الدبلوماسية فى مختلف المواقف فى الشرق الأوسط وأفريقيا والبلقان والمثال الصارخ على ذلك أننا رفضنا القوانين الأحادية التى صدرت عن مجلس الشيوخ الأمريكى بمعاقبة الشركات غير الأمريكية التى تستثمر فى إيران وكوبا.

ويشير فيدرين أن أمرًا كهذا لم يكن سهلاً، لكننا استطعنا تحقيقه من خلال الحوار الدائم بين المسئولين السياسيين على جانبى الأطلنطى وهو حوار مفيد، ويساعدنا فى بعض الحالات فى التأثير لمصلحة ما نراه مؤكدًا فى الوقت ذاته أن التعاون وثيق ومكثف بين الحكومتين فى فرنسا وأمريكا، على الرغم من حساسيتنا الخاصة تجاه بعض القضايا فى الشرق الأوسط والبلقان ومنطقة البحيرات العظمى فى أفريقيا، كما أن تصوراتنا فى إطار منظمة التجارة العالمية ليست متماثلة، لكننا نجحنا فى أن نطرح جميع القضايا على مائدة التفاوض والنقاش، وفى المقابل فإن أمريكا لا تميل إلى تحليلنا أو رؤيتنا للعالم، ولا لما نقوله بشأن مخاطر التماثل وإصرارنا على مفهوم التعددية القطبية.

والثانية « الأمريكيون (لا الأوروبيون) حطموا حائط برلين يشير إلى أن الأمريكيين يتحركون دائمًا فى إطار الحفاظ على – وتعظيم – مصالحهم الاقتصادية، ويتصرفون دائمًا استنادًا إلى موافقة الأمم المتحدة، لكن إذا تعذرت أو تعطلت هذه الموافقة فلا نتردد فى أن نتصرف بمفردنا، وفى هذا السياق فإن واشنطن تدخل فى صراع ممتد مع أوروبا قد يستمر لفترة طويلة فى القرن الحادى والعشرين من منطلق رغبتها فى أن تظل القوة الواحدة والوحيدة فى العالم.

ولا تتردد أمريكا فى إفشال كل المخططات الأوروبية الوحدوية، سواء على صعيد القوة الاقتصادية أو القوة السياسية أو القوة الدفاعية والحق أن لا أحد يعارض هذه الخطط الأمريكية حتى أوروبا نفسها تعجز عن ذلك فأمريكيون (وليس الأوروبيون)

هم الذين قرروا تحطيم حائط برلين عبر مفاوضات جرت فى موسو وبون ولندن، كما أن الأوروبيين لم يكونوا فاعلين فى أحداث يوجسلافيا وكوسوفا، حيث كان الأمريكيون يحركون كل الخيوط مستغلين ضعف ولا مبالاة أوروبا.

8 – أمريكا سيدة العالم :

تروج الولايات المتحدة لظاهرة الهيمنة التى أصبحت أبرز سمات عصرنا الراهن فتطلق عليها وصف (الهيمنة الطيبة أو الخيّرة)؛ لأنها من وجهة نظر خبرائها الاستراتيجيين تستهدف خير الإنسانية ، ويحدد بعض المؤيدين لها مفهوم الاستراتيجية بأنها: فن استخدام الوسائل العسكرية لإكمال وتحقيق أهداف سياسية مضيفًا أن الهيمنة التى تمارسها واشنطن – من هذا المنظور – هى عمل طيب بالنسبة لسكان الكرة الأرضية.

ويذكر المؤلف أن الأهداف الاستراتيجية للسياسة الخارجية الأمريكية لم تتغير منذ 50 عامًا، وهى تتمحور حول إلغاء (أو إضعاف) الخصوم والمنافسين (سواء كانوا أصدقاء أو أعداء) لكى تتمكن من أن تحتفظ لأطول مدة ممكنة بموقعها كقوة عظمى وحيدة فى العالم، ويضيف أن الاستراتيجيين الأمريكيين يتحدثون عما يسمى بالاستراتيجية الأمريكية المتكاملة التى تدور حول محاور ثلاثة هى : الاستراتيجية الاقتصادية والاستراتيجية العسكرية والاستراتيجية الثقافية. وقد أدى التفوق الأمريكى فى أربع قوى أساسية إلى السيطرة على العالم، وهى القوة العسكرية المنتشرة فى الأرض والبحر والقوة الثقافية والمعلوماتية من خلال السيطرة شبه الكاملة على وسائل الاتصال والأقمار الصناعية والقوة التكنولوجية، والقوة الاقتصادية، حيث تحتل الشركات الأمريكية المرتبة الأولى فى قطاعات: السيارات والزراعة والغذاء والفضاء والبنوك والسمعيات والمرئيات.

ويستغرب المؤلف من وجود فئة من الساسة والمثقفين الذين نصبوا أنفسهم مدافعين عن السلوكيات الأمريكية التى ينطلق شعورها بأنها زعيمة العالم، وذهبوا فى دفاعهم إلى أن الغارات الجوية والضربات الموجهة والحصار ووسائل العدوان التى تمارسها الولايات المتحدة ليست – انطلاقًا من المنظور القيادى – إلا أفعالاً تجلب الخير للإنسانية، ويستندون إلى مقولة الرئيس السابق نيكسون التى يقول فيها: « الرب دعا

أمريكا لكى تقود العالم ، ولا جدال فى أن الهيمنة الطيبة التى تمارسها أمريكا هى أمر مفيد ورحيب فى مصلحة الأغلبية الساحقة من سكان العالم، ويربط الأمريكيون بين الأخلاق ومخططاتهم الاستراتيجية، فتقول مادلين أولبرايت – وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة : هدف أمريكا هو الحرية ونحن الأمريكيين نعمل مع الآخرين لتحقيق تقارب بين الأمم حول مبادئ الديموقراطية والقانون والأسواق المفتوحة، ونحن نفعل ذلك ليس فقط لأنه أمر عادل، ولكن أيضًا لأنه لهم لحماية أفضل لمصالح أمتنا وشعبنا.

ويشير المؤلف إلى حقيقتين:

الأولى : أن الولايات المتحدة تتلاعب بدعاوى حقوق الإنسان ومبادئ القانون الدولى والقيم الغربية الليبرالية لكى تكون (واجهة زائفة) أمام الموتور الحقيقى المحرك لها، وهو الأطماع البترولية التى تشاركها فيها بريطانيا.

الثانية: الحرب الاقتصادية التى شنتها الولايات المتحدة على العراق، وقبلها (يوجسلافيا) لا تنفصل عن حرب المعلومات، أو بالأحرى تزييف المعلومات والصور والكلمات؛ لأنها كما أثبتت التجربة أشد ضراوة وأكثر فتكًا.

9 – أمريكا ورهانات القوة فى الشرق الأوسط :

ويحتوى هذا القسم على ثلاثة أجزاء :

الأول بعنوان « أوروبا فى زمن الهيمنة الأمريكية: جعجعة بلا طحن»، ويقول فيه: إن التحرك الأوروبى أصبح كثيفًا فى الفترة الأخيرة فيما يخص الصراع فى المنطقة، لكن حصاد هذا التحرك على الصعيد العملى ليس إلا جعجعة بلا طحن.

ويرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب : أن العرب يرون فى أوروبا ما ليس فيها، فهى ليست شريكًا أساسيًا فى عملية التسوية، وإنما هى فى الحقيقة ليست أكثر من « كومبارس » يلعب دورًا مرسومًا ومحدد المدة ريثما يعود (البطل) إلى خشبة المسرح ليواصل دوره من جهة ، أما أوروبا فهى لا تزال تشعر بأنها غير موحدة إزاء جملة من القضايا الإقليمية والدولية على رأسها بالقطع قضية الصراع العربى – الإسلامى من جهة ثانية، فضلاً عن أن الموقف الأمريكى يرفض فكرة أن يكون للولايات المتحدة (منافس) فى المنطقة تحت أى شكل أو صفة ؛ لأن واشنطن تعتبر نفسها الوسيط

الأوحـد، وأن أى تـدخل أوروبـى لـن يـؤدى إلا إلـى عرقلـة العمليـة السـلمية وإفشـال المساعى التى تبذلها أمريكا لدى الأطراف لضمان التقدم فى المفاوضات.

أما الجزء الثانى بعنوان: « أوروبا عملية السلام: حياد أم انحياز؟» فيذكر المؤلف أن العالم العربى أسرف كثيرًا وطويلاً بشأن الدور الأوروبى فى عملية التسوية، نظرًا لأن الأحداث تكشف دائمًا عن أنـه لـيس بالفعالية التـى يتحدث عنهـا، فعلـى سـبيل المثـال فـى الاجتماعـات الاسـتثنائية لحقوق الإنسـان فـى (جنيف) لـم تصـوت بلـدان أوروبية لمصلحة قرار أصدرته الأمم المتحدة، ويدين فيه إفراط (إسرائيل) فى استخدام القوة ضـد السـكان المـدنيين فـى فلسـطين المحتلـة، كمـا امتنعـت أوروبـا لاحقًـا عـن التصـويت لمصـلحة مشـروع قـرار يقضـى بإرسـال قـوة رقابـة دوليـة إلـى الأراضـى الفلسطينية، وتحفظت فرنسا وبريطانيا وهولندا على دعم قرار طرحته مجموعة عدم الانحياز على مجلس الأمن بشأن الانتفاضـة الفلسطينية، وبالتالى فلم يعد الحال أو الموقف مجرد حياد، وإنما انحياز أوروبـى نظرًا لأن الاتحـاد الأوروبـى يستبعد جميع الإجراءات الزجرية ضد (إسرائيل)، ويقوم رغم الممارسات الإسرائيلية بتوثيق علاقات الشراكة مع تل أبيب.

أمـا الجـزء الثالـث بعنـوان: « التـدخل الـدولى بـين مقدونيا والشـرق الأوسـط (الصـورة المعكوسة) » ، فيتساءل فيه المؤلف: لماذا كنا نرى التدخل الدولى حاضرًا بقوة فى أحداث الصراع السلافى – الألبانى فى مقدونيا حتى انتهى باتفاق سلام أشرفت عليه القوى الدوليـة الكبرى فـى العـالم، بينمـا نـراه (غائبًـا) فـى الشرق الأوسـط، علـى رغم خطورة الأوضـاع، ويجيـب أن لأمريكـا وأوروبـا مصـالح ضـخمة فـى المنطقـة، لكنهمـا رغم ذلك لا يخافا عليها من جراء مواقفها المنحازة لـ (إسرائيل) ؛ لأنهما تعلمان يقينًا أن العرب ليسوا موقفًا أو صفًا واحدًا، وإنما مواقف وصفوف متعددة، وأن مـا يغضـب دولـة قد لا يغضـب بالضـرورة دولـة أخرى، ولعل هـذا مـا عنـاه يومًـا وزيـر الخارجيـة الفرنسـى الأسبق رولان دوما عندما سئل عما إذا كانت لبلاده سياسة عربيـة واحدة، فأجـاب قـائلاً: لنـا سياسـات مختلفـة مـع دول عربيـة عديـدة، فلنـا سياسـة مـع مصـر وأخـرى مـع السـعودية، وثالثـة مـع سـوريا، ورابعـة مـع الأردن... إلـخ، لكـن لـيس لنـا سياسة واحدة ؛ لأن العرب ليسوا صوتًا واحدًا.

10 – أمريكا واليهود.. من يستعمل الآخر؟

تحت عنوان: « لعبة المال والإعلام وتزييف الحقائق » يذكر أن جاك أتالى أبرز مستشارى الرئيس الفرنسى الراحل فرنسوا ميتران فى كتاب (اليهود والعالم والمال) يقول: إن تجربة اليهود فى بلاد العالم لقنتهم درسًا يتوارثونه جيلاً بعد جيل مفاده أن إحكام السيطرة على العالم يتأتى من جانبين الأول: امتلاك الأول، والثانى: امتلاك الآلة الإعلامية، ويضيف آتالى، وهو كاتب يهودى مرموق أن قادة أوروبا فى القرن الـ 19 كانوا أشبه بالماريونيت – العرائس المتحركة – فى أيدى اليهود، فحروب بسمارك حوَّلها رجال أعمال يهود ومشروع السكك الحديدية فى أمريكا قام به اليهود.

ومع بروز الإعلام مسموعًا ومقروءًا ومرئيًا كقوة حاكمة اتجه يهود لإحكام القبضة على أجهزة الإعلام فى كل دول العالم حتى لا تكاد تخلو مؤسسة إعلامية من عنصر يهودى لرغبتهم فى (التسيّد) على العالم وتنظيف الطابع اليهودى بإزالة السلبيات، وإضافة الإيجابيات، وكما يقول جورج أورويل بأن « الروايات عندما تردد نفس الشيء بشكل متواتر فإن الكذب يمر فى التاريخ ويصبح حقيقة »، لكن الجانب الأخطر فى الموضوع كان يتمثل فى إسكات أى صوت يختلف مع الصوت اليهودى ومحاصرة أى فكر يناقض فكرهم، ومن الأدلة على ذلك أنهم أجبروا وزير التعليم الفرنسى على سحب درجة الدكتوراه من الباحث هنرى روك فى جامعة نانت؛ لأنه تجرأ وناقش فى أطروحته وثائق النازية، ونفى وجود أفران الغاز واصفًا إياها بأنها محض أكذوبة يهودية.

وتحت عنوان: « العولمة صناعة يهودية » يرى المؤلف أن مجرد وجود شخصيات يهودية على رأس الحركات الاشتراكية والرأسمالية كفيل بأن نقتنع بأن اليهود هم من صنعوا «العولمة» فيقول: إن العامل الروسى اليهودى المدعو مارتوف عندما كتب متفائلاً بمستقبل العمال اليهود وحصولهم على حقوقهم كاملة بالمساواة، مع غير اليهود كان ذلك مقدمة لصداقة قوية بينه وبين لينين، وتزايد عدد اليهود فى الحركة الاشتراكية الروسية، وأسهموا فى ولادة الحزب الاشتراكى الديموقراطى الروسى.

ويقول المؤلف: إن اليهود كما أسهموا فى ميلاد الاشتراكية أسهموا أيضًا فى ميلاد الرأسمالية، وهى (أمركة العالم) عندما غامروا بتمويل عملية تحويل المجتمع

الأمريكى المعتمد على الاقتصاد الزراعى إلى مجتمع تجارى وصناعى، وأسس يهودى يدعى يعقوب شيف شركة مصرفية فى دول ستريت، وتعددت البنوك اليهودية لاحقًا فى أمريكا، وفى عام 1906 ظهر اسم كبير هو خان ليب، وأصبح صاحب أكبر تأثير فى الحياة الاقتصادية الأمريكية بعد أن اجتذب رؤوس أموال أوروبية للاستثمار فى الصناعة الأمريكية، واقترض نحو 48 مليون دولار من فرنسا لتمويل مشاريع أخرى، وهكذا بفضل اليهود لم تعد بريطانيا القوة العظمى عسكريًا واقتصاديًا، بل ظهرت أمريكا أكثر قوة ونفوذًا، بمعنى آخر: لولا المساعى اليهودية، لما تحققت العولمة المؤمركة، أو الأمركة المعولمة (لا فرق)!

وتحت عنوان: (الإرهاب الفكرى) يؤكد المؤلف أن كافة الشواهد تؤكد أن حرية الفكر مخنوقة فى العالم أجمع، وهى مهددة بشكل أو بآخر بنموذج العولمة الذى فرض نفسه فرضًا على المرحلة الراهنة فى تاريخ البشرية رافضًا الاختلاف والتعددية فى السياسة والثقافة ، ويحمل قادة الفكر المسئولية فى حالة التردى الفكرى التى يمر بها العالم؛ لأنهم أسرفوا فى تأييد الأيديولوجيات المختلفة، ثم أخذوا بعد ذلك مواقف متناقضة تبعث على السخرية فى أحيان كثيرة.

و(العولمة) المصطلح الذى ذاع وانتشر وكأنه الموضة هى الساحة التى تشهد الإرهاب الفكرى من نوع خاص فالعولمة أو الليبرالية الاقتصادية أصبحت الدين المسيطر بعد أن أصبح العالم سوقًا واسعة، وهذه السوق هى التى تقرر، ومن ثم يطرح السؤال: ما هو دور السياسة إذًا؟ إلى جانب أسئلة أخرى مثل: إذا كانت العولمة لا مفر منها والسوق محتومة وإزالة الحواجز لا مهرب منها، فأين حرية الإنسان؟.

11 – يوتوبيا تغيير العالم :

ويحتوى هذا القسم على مقالات ثلاثة :

الأولى : «قبل أن تقع الحرب العالمية الرابعة» ويشير فيها إلى تعدد أشكال الحروب منذ الحرب الباردة مثل حرب الخليج الثانية، ثم فى يوغسلافيا، حيث قادت أمريكا تحالفًا عسكريًا فى هذين الحربين، وهناك الحروب الأهلية فى مناطق عديدة فى العالم حتى إذا جاءت أحداث 11 من سبتمبر فإن أمريكا تزيد من إنفاقها العسكرى

حتى يصل لأكثر من 40% من الإنفاق العسكرى، وتقوم بحرب كونية بحثًا عن شبكة من الإرهابيين فى عشرات الدول، مما يهدد بحرب عالمية جديدة تتواطؤ فيها حضارات معينة ضد حضارة واحدة.

والثانية « بعد انهيار الشيوعية، هل جاء دور الرأسمالية ؟ »، ويقول المؤلف: إنه رغم الحديث عن أن الرأسمالية هى النموذج الأكمل والنهائى للبشرية بعد انتصارها على الاشتراكية، إلا أن سقوط الشركات الكبرى فى أمريكا وفرنسا وأوروبا أصبح قادة الغرب ومنظريه على يقين أن هناك (عطبًا أساسيًا) فى عمق النظام الرأسمالى نفسه، مما يحتم إعادة النظر فى آليات الرأسمالية، خصوصًا فى مرحلة العولمة التى تتأسس على عزل الدول وإطلاق يد الشركات العابرة للقارات لتحقيق أكبر ربح بأقل التكاليف.

ولكن الحلول المقدمة لا تتجاوز إنشاء لجان رقابة على الشركات العملاقة لتحديد المسئوليات وضبط الحسابات ومراجعة التحليلات، ويؤكد القادة والمنظرون أنفسهم على أن الأيديولوجية الرأسمالية ستظل مثالية؛ لأن فشل النظام لا يعنى فشل الأيديولوجية، وهى نفس الحجة التى كان يسوقها البعض دفاعًا عن الشيوعية التى لم تسقط من وجهة نظرهم.

أيًا كان الأمر فإن الرأسمالية تمر حاليًا بأزمة حقيقية تفرض - لتجاوزها - إحداث تطوير مرحلة جديدة تختلف عن مرحلة العولمة على الطريقة الأمريكية، ويقول الأوروبيون: إن نموذجهم المبنى على السلام الدائم، وليس (الرعب) الذى قدمته إمبراطورية الفوضى الأمريكية هو البديل الطبيعى، ومع أن الطرفين دخلا فى خلاف حول وسائل تصحيح المسار فإن العرب ما زالوا يسرعون بركوب قطار العولمة!

والثالثة «عولمة السلام»، ويعنى به المؤلف الشعار الذى رفعه تيار غربى جديد يدعو فيه إلى ترويج قيمة السلام، وتحقيق الإجماع العالمى حوله لتعتنقه الشعوب كمبدأ أو كمذهب فى الحياة الخاصة والعامة، بدلاً من ثقافة الحرب التى تدأب القوى الكبرى على غرسها فى النفوس لتجنى وحدها الثمار التى تأتى بالضرورة على حساب أرواح الشعوب الفقيرة والمغلوبة على أمرها، وهذا يعنى أن هذا التيار يطمح إلى أن يضع حجرًا إضافيًا فى صرح السلام والكفاح المتواصل ضد المفهوم

المسيطر للأمن والمؤسس على التسليح والتحالفات العسكرية، لكن الذى يعيق هذا التيار أن القادة الحقيقيين للعالم ليسوا من يجلسون فى المناصب السياسية، وإنما هم من يملكون الأسواق ومجموعات الميديا الكونية وطرق الاتصالات، بما يعنى أن القرارات التى تخص العالم لا تخضع لاقتراع عالمى؛ لأن هناك سلطات غير رسمية تسيطر على العالم وتقرر فى سيادة تامة مصير الشعوب.

ويجب ألا يكون هذا باعثًا للتشاؤم نظرًا لأن الخلاص بدأ فى تكوين نواة لمجتمع مدنى عالمى تضم عشرات المنظمات غير الحكومية والنقابات والتجمعات الأهلية، التى حملت شعلة الاحتجاجات فى سياتل ودافوس وبورتو اليجرى، وبروكسل لتؤسس لفضاء مدنى دولى جديد يحاول إعادة تأسيس اقتصاد دولى جديد أكثر إنسانية وأكثر تضامنًا.

الخاتمة: لماذا يكره العالم أمريكا؟

إن المفارقة أن أمريكا فى عيون العالم بما فيها الحلفاء فى أوروبا يجتمع فيها النقيضان فهى قوة محسودة وقوة محتقرة بمعنى أنها أصبحت مثالاً يتمنى الجميع أن يقلدها أو يحذو حذوها، لكنها فى الوقت نفسه وبسبب جبروتها الذى تمارسه على الجميع تثير فى النفوس الضيق وربما الاشمئزاز.

فالتوحش الأمريكى الذى بات، وكأنه قرر محتوم كان سببًا فى ظهور صرخات تنادى بمناهضة الأمركة بعد أن أضحت هذه الأمركة، وكأنها احتلال مباشر للدول، أما فى أوروبا فإن اليمين الموالى لأمريكا شعر بخيبة أمل؛ لأنه أصبح هامشيًا بجوار السطوة الأمريكية الطاغية، أما يسار أوروبا فلقد أخذ موقف الكاره؛ لأنه ببساطة يكره الديموقراطية والاقتصاد الحر كما تمثلهما أمريكا.

والمرارة الأوروبية تأتى أكثر من فرنسا التى وقف شعبها عدة دقائق حداد على ضحايا 11 سبتمبر، ولكنها رفضت السياسات الأمريكية اللاحقة؛ لأنها لم تعالج السبب المباشر للإرهاب – من وجهة نظرها – وهو معاناة الدول الفقيرة والتناقض الفج بين بؤس شعوب هذه الدول من ناحية ورخاء الشعب الأمريكى من ناحية أخرى.

ويتفق المؤلف مع هذا الرأى الفرنسى معتبرًا أن العولمة/ الأمركة مسئولة عن زيادة الفقراء فقرًا والأغنياء غنى، والمعروف أن معمل هذه العولمة يوجد فى الولايات المتحدة، لكنه يقول: إن الازدواجية فى الموقف مع الأمريكيين، بمعنى التعاطف معهم والإعلان أنهم يتحملون جزءًا من المسئولية هو نفس الموقف مع العراق، فهم يتعاطفون مع الشعب العراقى، ولكنهم يتفهمون ضرورة إزاحة نظام صدام حسين، ولكن يدخل فى هذا الموقف من العراق بعد اقتصادى، حيث إن الدول الرافضة لاستخدام القوة ضد العراق ترى أن الحرب ستعرض مصالحها الاقتصادية الحيوية للخطر.

والملاحظ أن المؤلف لم يعمل على تطوير الإجابة على التساؤل: لماذا نكره أمريكا؟ ويوجه اللوم إلى أوروبا والقوى الكبرى الأخرى؛ لأنها بدورها تقاعست أمام الجموح الأمريكى وأفسحت المجال رحبًا أمام أمريكا – وهذا صحيح – وكأنها القوة الوحيدة فى العالم ويخص أوروبا بالقول إنها (انتحرت) عندما لم تقدم المساعدة لأوروبا الشرقية أو تتواصل مع أفكارها الشيوعية، مما أدى لتكريس ضعف أوروبا بعد حربين عالميتين لصالح أمريكا.

وبعد انتقادات وجهها المؤلف لأوروبا يعود للإجابة على تساؤل: لماذا نكره أمريكا؟ بالتأكيد أن سياساتها الأحادية كانت السبب الأساس فى هذا، ومن الأمثلة على هذه السياسات رفض التوقيع على اتفاقية كيوتو الخاصة بالانحباس الحرارى، رغم أن الشركات الأمريكية هى المسئولة عن أكثر من نصف ظاهرة الانحباس الحرارى فى العالم، وكذلك انحيازها ضد بعض الشعوب التى تطبق حقها فى تقرير المصير مثل كشمير وفلسطين.

وهذه السياسات المتحيزة والأحادية طالت أوروبا نفسها لذلك لا غرابة أن نجد الأوروبيين بعد أن أعلنوا عقب أحداث 11 من سبتمبر (كلنا أمريكيون) عادوا وقالوا (لسنا أمريكيين؛ لأن الأمريكان شيء، ونحن فى أوروبا شيء آخر)، وجاء ذلك بعد تزايد ممارسات واشنطن فى الملف الأسود الذى تمسك به بقوة ضد بعض المصالح الأوروبية مثل: الملف الزراعى، ففى الوقت الذى تحرم فيه على الأوروبيين تقديم مساعدات لمزارعيها تفعل هى نفس الشيء مع الفلاحين الأمريكيين.

وعبثًا حاول الرئيس الأمريكى جورج بوش أن يخفف من هذه الانطباعات لدى الأوروبيين عندما قام بجولة أوروبية فى عام 2002، إلا أن التظاهرات استقبلته فى باريس وبرلين وروما بالهتاف (لا للحرب)، (لا لحكم رعاة البقر) ، إلا أن جميع سلوكيات أمريكا لم تعد تصب إلا فى نهر الكراهية التى تزداد نيرانها تأججًا يومًا بعد يوم.

==============

عندما يحل العلم في عقل المرأة

ليس بين النساء وبين النجاة في هذا العصر الذي تموج فيه الفتن والتيارات إلا شيء واحد في مقدور كل سيدة وكل فتاة.

هذا الأمر هو العلم! عندما يحل العلم في عقل المرأة لا يمكن أن تتسلل السطحية في الفكر والسلوك إليها، ولا يمكن أن نرى من مظاهر التيه والتقليد وصور الاستهلاك المزعج والانجراف وراء الألوان وصخب الدعايات وزيف الأعمال، وعندما تتميز المرأة بالعلم فهنا تسمى واعية.

والبعض يسميها مثقفة، هذه مسألة والمسألة الأخرى هي عن أي علم نعني ؟ وعن أي ثقافة نتحدث؟ إن الثقافة التي نقصدها هي تلك التي تدل على الطريق الصحيح في بناء التصورات وإن العلم الذي نشير إليه هو ذلك الذي ينير قلبها ويميز بين جيد الأفكار ورديئها، وهو ذلك الذي يدل المرأة على التصرف الصحيح في مالها وبيتها وسلوكها.

إن عناية المرأة بعلمها أصبح اليوم أمراً لازماً، وبدونه تكون القلوب مرتعاً خصباً لشياطين الإنس والجن، إنه العلم الشرعي المتمثل في القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

إن المرأة عندما غابت عن الحياة الحقيقية في ظل الآيات الربانية التي تجعل في القلب من أنواع النعيم واللذة ما لا يخطر على البال صرن لكل ناعق مستمعات، وعندما أصبح الدين في حياتهن هامشياً لا تكون حياتها دائرة عليه ولاءً وبراءً، جلبن لبيوتهن شقاءً وتعاسة، وتأثرن بالكافرات وأعجبن بالسافرات المطربات والممثلات، وعندما أصبحت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مجهولة ومواقفه وجهاده وأخلاقه

وجديته وأقواله لا تجد من يتدارسها ويعتبر بها راجت مظاهر الركون إلى الدنيا والاغترار بها وانتعشت أسواق توافه الأمور وتنوعت أماكن إضاعة الأموال.

لا يمكن أن تنطلي طروحات المؤتمرات الدولية وتوصيات اللقاءات النسائية العلمانية على من عرفت دينها، بل إن طلب العلم الشرعي في هذا الوقت هو أهم ما ينبغي أن تسعى إليه المرأة المثقفة لأن فيه الإجابات الوافية لكل ما تواجهه من مشكلات.

وإن طلب العلم الشرعي مع مجموعة من الأخوات وبشكل مستمر كفيل بتقوية الإيمان، وسبب للثبات على الحق، ومفتاح لكثير من أبواب الخير، وإن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

روى البخاري في كتاب العلم عن أبي مليكة أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حوسب عذب) قالت عائشة: فقلت: أو ليس الله تعالى يقول: (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) قالت: فقال: (إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك).

فمن يجدد التاريخ ونرى من نسائنا عالمات داعيات واعيات في زمن الجاهلية؟

=============

الادارة الاسلامية(2/1) *

د. حزام بن ماطر المطيري * 1424/2/10

2003/04/12

– القيم الإسلامية يجب أن تتمثل عند جميع العاملين من أسفل الهرم الإداري إلى قمته

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

قد لا يكون مستغرباً أن نجد الكثير من غير المسلمين يعتقدون بعدم وجود الإدارة الإسلامية كنظرية، أو كواقع محسوس في الوقت الحاضر، وذلك لأسباب عديدة ليس هذا مجال ذكرها، إلا أن الأغرب من ذلك أن نجد كثيراً من أبناء المسلمين يشاركونهم هذا الاعتقاد، ويظنون أن الكلام عن الإدارة الإسلامية لا يعدو أن يكون كلاماً تاريخياً فقط، ولتصحيح هذا التصور الخاطئ، فإن هذا المقال يهدف إلى :

01بيان أهم أسباب الانهزام الفكري والسلوكي عند كثير من أبناء المسلمين.

02 بيان معنى الإدارة الإسلامية، وتوضيح اختلافها عن الإدارة الوضعية في الفكر والغاية والوسيلة .

الموضوع :

أولاً: أسباب الفهم الخاطئ عن الإدارة الإسلامية:

ترجع أهم الأسباب في نظر الباحث إلى العوامل الآتية:

* اعتقاد أن الإدارة مصطلح حديث ظهر في الدول الغربية، وبالذات في الولايات المتحدة الأمريكية، عندما نُشِر مقال عن الإدارة من قبل الرئيس الأمريكي (ودروا ويلسون) في أواخر القرن التاسع عشر، وما تبع ذلك من نظريات عمقت هذا الفهم، بدعوى إضفاء صفة العلمية على هذا الحقل، وتمييزه عن غيره من العلوم.

* سقوط الخلافة العثمانية التي كانت رمزاً للأمة الإسلامية الواحدة، وقيام الدولة التركية العلمانية على أنقاضها .

* الاستعمار الغربي، وتقسيم الأمة الإسلامية إلى دويلات، وتطبيق مبدأ " فرِّق تَسُد" ومن ثم ظهور المفاهيم القومية والاشتراكية وغيرها.

* إنشاء الجامعات الأمريكية " الكليات الإنجيلية سابقاً" في بعض البلاد العربية كمصر ولبنان، واعتبارها رمزاً للتقدم العلمي، لأنها تحقق الأهداف العلمانية التي تحققها البعثات الخارجية للدول الغربية، وخصوصاً للشباب في سن المراهقة.

* التدرج في إدخال مفاهيم العلمانية في البلاد المسلمة في المجالات المختلفة، سواء التعليم أو التربية أو الإعلام، وذلك بإضعاف دور الجانب العقائدي والإيماني وحصره على أداء شعائر تعبدية معينة، دون مجالات الحياة الأخرى .

في مجال الإدارة ظهر ذلك واضحاً في نشاطات جماعة الإدارة العامة المقارنة (رجز وزملاؤه) في الستينيات وخلال منتصف السبعينيات، وذلك بتقسيم المجمعات إلى قسمين:

أ. زراعية: ووصفها بالنامية أو المتخلفة أو دول الجنوب.

ب. صناعية: ووصفها بالمتقدمة أو دول الشمال، وبيان أن العلاقة بينها خطية ذات اتجاه واحد من الأدنى إلى الأعلى، فما على الصنف الأول إلا تبني المنهج الغربي؛ لكي يصل إلى ما وصل إليه الصنف الثاني وفق التقسيم السابق.

الترويج لبعض الوسائل المساعدة في تحقيق الهدف السابق، بضرورة تبني مفاهيم التنمية بجوانبها المختلفة: الاقتصادية باتباع النظام الرأسمالي . السياسية باتباع النظام الديمقراطي... الإدارية بتبني النظريات الإدارية المعاصرة القائمة على المنهج العلماني، الذي يفصل بين الدين والعلم بسبب الخلفية التاريخية المرتبطة بالثورة الفرنسية والثورة الصناعية في أوروبا، لمقاومة الكنيسة في العصور الوسطى.

ثانياً : معنى الإدارة الإسلامية واختلافها عن الإدارة الوضعية:

بعد هذا التقرير الموجز للخلفية التاريخية لنشأة الإدارة المعاصرة، تجدر الإشارة إلى بيان معنى الإدارة الإسلامية، والتعليق على ذلك لبيان اختلافها عن الإدارة الوضعية في الفكر والغاية والوسيلة .

يرى أحد الكتاب المعاصرين بعد إيراد لفظ الإدارة، وبعض ألفاظ التدبير الواردة في القرآن الكريم بأن كلمة التدبير أعم وأشمل من لفظ الإدارة؛ لأنها تتحرى أصلح الطرائق للقيام بعمل ما حول موضوع معيّن، في حين أن لفظ الإدارة يقتضي التنفيذ فقط.

وهذا اللفظ شائع الاستخدام في كتابات السلف في مجال الأحكام السلطانية والسياسية الشرعية، وهو ما يميز الإدارة عن غيرها من الإدارة الوضعية المعاصرة؛ لأنه يدل على أهمية الربط بين الأمور الحسيّة والأمور المعنوية، أو بين الأمور المادية الدنيوية وبين الأمور الغيبية الأخروية.

وبناءً عليه فإنه يمكن إيراد بعض التعريفات للإدارة الإسلامية، والتعليق عليها لتأكيد المعاني والدلالات السابقة:

التعريف الأول: " هي تلك الإدارة التي يتحلى أفرادها –قيادة وأتباعاً، أفراداً وجماعات، رجالاً ونساء– بالعلم والإيمان عند أدائهم لأعمالهم الموكلة إليهم على اختلاف مستوياتهم ومسؤولياتهم في الدولة الإسلامية.

التعريف الثاني:" هي تلك الإدارة التي يقوم أفرادها بتنفيذ الجوانب المختلفة للعملية الإدارية على جميع المستويات وفقاً للسياسة الشرعية.

بالنظر إلى التعريفين السابقين يتبين ما يلي:

01 أن التعريف الأول أكثر عمومية، في حين أن التعريف الثاني أكثر دقة وتحديداً.

02 أن السياسة الشرعية هي الإطار اللازم للإدارة الإسلامية؛ تقوم على مبادئ وأصول الشريعة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، فيما يتعلق بالعقائد والأحكام والعبادات والمعاملات، وفيما يجلب المصالح ويدرأ المفاسد عن المجتمع المسلم.

03 أن يتحلى العاملون في الإدارة – من قمة الهرم الإداري إلى أدناه- بالقيم الإسلامية وذلك في أنفسهم أولاً، وفي تعاملهم مع الآخرين ثانياً، سواءً كانوا رؤساء أو مرؤوسين أو مستفيدين.

04 أن تترجم السياسة الشرعية إلى واقع ملموس عند تنفيذ الجوانب المختلفة للعملية الإدارية، من تخطيط وتنظيم وتوجيه ورقابة وإدارة لشؤون الأفراد في جميع المستويات والمجالات والأجهزة الخاصة منها والعامة.

05 أهمية التكامل بين العلم والإيمان في الإدارة وغيرها وعدم الفصل بينهما؛ لأن العلم الحقيقي – في أي حقل وفق الإسلام- ينبغي أن يعمق الإيمان في النفس، وأن يزيد الخشية لله؛ طمعاً في ثواب الله وخوفاً من عذابه في الحياة الأخرى، وبالمقابل فإن الإيمان الحقيقي يشجع كل عمل صالح للعباد؛ لتعمير الكون وتحقيق معنى الاستخلاف في الأرض في الحياة الدنيا ، وبناءً عليه فإنه في حالة حدوث الفصل بينهما تصبح الإدارة علمانية

الادارة الاسلامية(2/2) *

د. حزام بن ماطر المطيري * 1424/2/20

2003/04/22

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فقد تم في المقال السابق- الذي نشر في العدد الأول من آفاق الإدارة – بيان أهم أسباب الانهزام الفكري والسلوكي عند كثير من أبناء المسلمين، كما تطرق المقال إلى تعريف الإدارة الإسلامية، وفي

هذا المقال سنتناول -إن شاء الله تعالى- توضيح اختلاف تعريف الإدارة الإسلامية عن الإدارة الوضعية (العلمانية) في الفكر والغاية والوسيلة.

- فمن حيث الفكر: أوضحنا في المقال السابق عند التعليق على تعريفات الإدارة الإسلامية وهو يختلف عن معنى الإدارة في الفكر الوضعي العلماني بجميع مدارسه التقليدية والمعاصرة، والتي تركز على المفهوم المادي البحت الدنيوي؛ دون أي ارتباط بالحياة الأخرى، وهو ما جعل نتائجه وآثاره على الفرد والجماعة تدور في حلقة مفرغة؛ منذ ظهور تلك النظريات وحتى اليوم؛ لأنها أفكار جزئية قاصرة، وإن اتصف بعضها بشيء من الشمولية فهو تجريدي وتنظيري، بحيث يصعب تطبيقه في أرض الواقع كما في نظرية النظم.

-أما من حيث الغاية: فإن الإدارة الإسلامية تسعى لتحقيق معنى العبودية لله عز وجل عملاً بقوله تعالى: " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"، وقوله تعالى: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين".

بخلاف الغاية في الإدارة الوضعية فهي لا تتجاوز الإطار الدنيوي، وتحقيق الشهوات بأشكالها المختلفة، والتأثر بالشبهات التي تخلخل العقيدة وتضعفها في النفس. ومن ثم يضعف تأثيرها على السلوك فيصبح الفرد فيها مقلداً وتابعاً وإمّعة، كما جاء في حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-، بخلاف من يعمل وفق المفهوم الإسلامي للإدارة، حيث تكون غايته إرضاء الله سبحانه وتعالى، ورسوخ ذلك في نفسه وانعكاسها على سلوكه وتصرفاته الشخصية متكاملة مستقلة، تكون قائدة لا تابعة، ومؤثرة لا متأثرة إلا بما هو حق وعدل.

- أما من حيث الوسيلة: فهذا نتيجة منطقية للأمرين السابقين، ففي الإدارة الوضعية المتأثرة بالفكر العلماني نجد أن الفكر الميكافللي هو السائد والمهيمن، فالغاية تبرر الوسيلة، وحيث إن الغايات وفق هذا الفكر تحكمها الشهوات والشبهات؛ فإن الوسائل المتبعة في هذه الحالة لا تحكمها ضوابط وقيم ومثل عليا أخلاقية، إنما تحكمها المصالح الشخصية والأهواء المادية الدنيوية.

في حين نجد أن الإدارة الإسلامية على النقيض من ذلك فهي محكومة بضوابط شرعية. فالوسائل لها أحكام المقاصد في الفقه الإسلامي. وبناء عليه فإن الوسائل المتبعة يجب أن تكون مشروعة للوصول إلى الغايات والأهداف المشروعة في هذه الدنيا، والتي تعد جزءاً من أهداف أكبر وغايات أسمى في الحياة الأخرى تتمثل في مرضاة الله عز وجل، وبلوغ الجنة والنجاة من النار. ومن ثم فإن الناس يأمنون على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم عندما يشعرون بأن من يتولى الإدارة وفي أي مستوى منا المستويات هو من هذا الصنف وهذه الشاكلة التي تلتزم بالإسلام فكراً وغاية ومنهجاً وسلوكاً، حتى لو لم تكن بينهم وبينه رابطة قرابة أو صداقة أو معرفة؛ لأن رابطة الإسلام والإيمان فوق كل هذه الاعتبارات

==============

ابتعاث الطالبات والطلاب إلى بلاد غير مسلمة في الميزان

الحمد لله رب العالمين الذي قال (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) من الآية 110 آل عمران .

والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين الذي قال وطبق " الدين النصيحة " أما بعد

فإن من القرارات والتطبيقات ما هو واضح الفائدة للبلاد والعباد في دينهم ودنياهم فالعدل تأييدها والأخذ بها والتشجيع على إمضائها والدعاء لمن أمر بها وعمل بها ، ومن القرارات ما هو مخالف لشرع الله وواضح الإضرار بالبلاد والعباد في دينهم ودنياهم فالواجب التحذير منها وبيان وجه الخلل فيها ، وهذا واجب على كل مسلم ، لأن المسلم مأمور بالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر ، ولا يجوز له السكوت أو التزام الصمت تجاه ما يرى أنه مضر به وبإخوانه المسلمين وبمجتمعه ، ولأننا جميعا في سفينة واحدة ، وإلا فهو شيطان أخرس والعياذ بالله تعالى ، وأين يذهب المسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان " أين يذهب المسلم القادر على تغيير المنكر والنصيحة من هذا الوعيد ؟.

وقياما بواجب النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم أقدم هذه النصيحة لأهلي في هذه البلاد المباركة : البلاد السعودية في موضوع من أخطر ما أصيبت به البلاد في السنوات الماضية وهو ابتعاث الطالبات والطلاب المتخرجين حديثا من الثانوية العامة إلى البلاد غير المسلمة ، أي من سنهن من البنات ومن سنهم من الذكور لا يتجاوز الثامنة عشرة وهو سن التخرج من الثانوية العامة .

إن هذا الابتعاث يأتي في فترة ارتفاع وتيرة عداء الحكومات في الغرب للإسلام وكذا الشعوب والإعلام الغربي والجامعات ومراكز البحوث وغيرها ، ليس في الغرب وحده بل في كل البلاد غير المسلمة ، ونتيجة لذلك تقلصت مساحة ممارسة شعائر الإسلام في الغرب تقلصا عظيما ، وصار أكثر المسلمين يمارس عباداته في الخفاء ، وهذا يعني أن هذه المرحلة أخطر بمراحل من مرحلة ابتعاث الطلاب السعوديين إلى الغرب في فترة التسعينات الهجرية حوالي 1395 تقريبا ، التي كان لها مردودها السيء كما هو معلوم ، فكيف سيكون مردود الابتعاث في هذه المرحلة التي قيدت فيها جهود الدعاة والأئمة والجمعيات الإسلامية والمناشط الدعوية في البلاد غير المسلمة خاصة أمريكا وأوربا وأستراليا ، وأصبحت المساجد تخضع لرقابة المخابرات في كل بلد وزاد الضغط على المسلمين وعلى ممارستهم لدينهم ولعبادتهم من قبل الحكومات الغربي بدعوى مكافحة الإرهاب ، التي صارت مكافحة للإسلام والمسلمين ، وصارت هنالك سياسة للحكومات في الغرب لاستهداف الطلاب المسلمين بالتشكيك في الدين والتضييق عليهم في كل شيء له صلة بدينهم وممارستهم لعبادتهم ، بل لحياتهم اليومية ، كما قد علم من اعتقال بعض الطلاب السعوديين والتحقيق معهم ساعات طوال ، ولن يغيب عنا ما حدث للأخ تركي الحميدان فرج الله عنه حيث حوكم بتهم ملفقة وحكم بسجنه 28 سنة ، وقبله للأخ الطالب المبتعث السعودي سامي الحصين ؟؟.

وقبل الحديث عن المخاطر المتحققة من هذا الابتعاث على الدجين والدنيا أقول :

1- أن الإنفاق على هذه البعثات يقدر بآلاف الملايين من الريالات ، وبها يستطيع المسؤولون أن يبنوا عشر جامعات دفعة واحدة ، وأن يوفروا لها الأساتذة والمعامل

والأجهزة وليبقى أبناؤنا في بلادنا وتبقى أموالنا في بلادنا في صورة جامعات جديدة للأجيال كافة ، وهذا هو النصح لولاة الأمر ولعامة المسلمين .

2- هذا الابتعاث وخاصة ابتعاث الفتيات الذي هو أشد حرمة ينبئ أن وارء الأكمة ما وراءها من هذا التصرف الذي لا يقره مخلص .

إن ابتعاث الطالبات والطلاب الغريرات والأغرار مصيبة حلت بالبلاد وطعنة في قلبها وقلب أهلها الذين أذهلتهم هذه المفاجأة ، وإن هذا الأمر لخطر ماحق على البلاد والعباد في الدارين ومن ذلك :

أولا : الخطر على سلامة دين الطالب والطالبة من الشبهات والشكوك التي يزرعها الغرب - قصدا أو غير قصد لأن الحياة الفكرية والتعليمية في الغرب حياة تقوم على محاربة الدين وإقصائه من جميع جوانب الحياة - وخاصة الجامعات والمعاهد والأساتذة في الجامعات والمناهج والإعلام وغير ذلك ، ذلك لأن الغرب قد قطع شوطا كبيرا جدا في التشكيك في الدين ، ولا يدع فرصة إلا اغتنمها لتأكيد التشكيك في الدين والإيمان بالله تعالى ، وحين يعلم الأستاذ الجامعي أن الذي أمامه طالبة مسلمة وطالب مسلم ومن البلاد السعودية رائدة وقائدة العالم الإسلام وخادمة وسادنة الحرمين الشريفين وضامة مهبط الوحي وقبر النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم وقبلة المسلمين ومحجهم ومدرج الصحابة رضي الله عنهم وقدوة المسلمين في مشارق الدنيا ومغاربها فسيزيد من وتيرة التشكيك ، وسيفرض عليه قراءة كتب بعينها تشكك في الإسلام خاصة والدين عامة ، وسيلزمه بكتابة بحوث تشكك في الدين ولا تأبه به ، وهذا قد حصل مع كثير من المبتعثين في فترات سابقة .

ثانيا - على سلامة سلوك الطالب المسلم والطالبة المسلمة : حيث الإباحية التامة في تلك البلدان ، وإذا علمنا أن الطالب والطالبة المتخرجة من الثانوية العامة غير متزوجة وفي فورة الشباب وثورة الجنس فكيف هي النتيجة ياترى في وجود الانفلات التام والحرية المطلقة ؟ وقل مثل ذلك حيث المخدرات تروج في الجامعات وفي الشارع والمسكرات وغيرها ، وحيث البارات والمراقص والخمارات ، وحيث العصابات التي تعمل ليل نهار للإيقاع بالطلاب والطالبات السعوديات وغيرهم في حبائل المخدرات والجنس والجريمة، والله المستعان ، وحيث لا توجد رقابة على الأبناء

والبنات السعوديات هناك – ومهما قيل من وجود محرم فقد ثبت أكثر المحارم يرجعون بعد فترة تاركين البنات وحدهن هناك ، ولو بقي المحرم فهو لن يستطيع أن يرد عن البنت التشكيك ولن يكون معها في حجرة الدراسة ، وبالتالي فلن يمنع عنها شيئا من الأخطار ، وما يقا عن إكانية انحراف الطالبة والطالب يقال عن المحرم نفسه فقد ينحرف فيضيع ويضيّع – ولا يوجد من الوعظ والتذكير بالله بالقدر الذي يكافئ تلك الأخطار . ومهما قيل من وجود الرقابة ، فلا يمكن تصديق ذلك لأن الرقابة من قبل السفارة هنالك محدودة جدا لصعوبة ذلك بل لاستحالته ، حيث يوجد في البلد الواحد من بلدان الابتعاث آلاف الطلاب والطالبات وفي مدن متفرقة متنائية عن بعضها ، وحينها لا يمكن أبدا تصديق أنه توجد رقابة أبدا إذا قيست برقابة الوالدين والمجتمع المسلم والدولة المسلمة ضمن البلد الطيب المسلم بلد الحرمين.

ثالثا – على سلامة أفكار الطلاب والطالبات من النظريات الغربية في السياسة والاجتماع والسلوك وغير ذلك ، فكم من طالب سعودي عاد من الغرب قبل سنوات وقد تأثر بالغرب تأثرا يكاد يكون شاملا في سلوكه وأخلاقه وأفكاره فأصبحوا وبالا على بلاد الحرمين البلاد السعودية شرفها الله وأعزها وصرف عنها كل فكر ضال مضلل .

رابعا : وهذا أمر خطير : وهو أن الابتعاث إلى الغرب أو الشرق ، أي إلى البلاد غير المسلمة ستكون له أبلغ الآثار على سلامة كثير من الطلاب والطالبات من أمراض العصر الفتاكة وخاصة الأمراض الجنسية الفتاكة مثل الإيدز ، الذي زاد انتشاره في الغرب انتشارا هائلا في السنوات الأخيرة حتى صار وباء في كثير من البلاد الغربية مثل أمريكا وأستراليا والدول الأوربية ، بل وفي الهند وغيرها ، وأنا وغيري لا نقول إن كل الطلاب سينحرفون ويقعون في الزنا ، ولكن لو لم يقع فيه إلا عشرة في المائة – ولا ريب أن كل شاب وشابة في هذا العمر عرضة لفتنة ، وبالتالي فالحال في حقيقة الأمر قد يكون أضعاف النسبة المذكورة – لكفى بهذا خطرا على صحة هؤلاء الأبناء والبنات ، ولكفى به نذير شر مستطير على البلاد والعباد ، حيث لا يؤمن على كل من وقع في اتصال جنسي حراما أو حلالا في الغرب أن يصاب بالإيدز ، لأن هذا المرض أصبح منتشرا بين ما لا يقل عن عشرة

في المائة من الأمريكيين ومثل ذلك في البلدان الأخرى غير المسلمة في جميع أنحاء العالم ، لأن أسباب انتشار هذا المرض متاحة للجميع وهو إباحة الزنا والشذوذ الجنسي " اللواط " ولذا فانتشار هذا المرض لا يمكن وقفه إلا بالعودة إلى العفة ، وهذا محال في الغرب في هذه المرحلة ، حيث تعدل الدساتير الآن في أمريكا والغرب لتعطي حتى المثليين " اللوطيين " حق الزواج واعتبار ما يقومون به من اللواط قانونيا يجرم من يعارضه أو يميز ضد المثليين في الوظائف أو غيرها ، وتسعى الأمم المتحدة إلى تعميم هذه القوانين على كافة دول العالم ، فهل نتوقع بعد هذا سلامة الكثيرين من بناتنا وأبنائنا الأغرار المبتعثين إلى الغرب من هذا الداء الناشئ عن الانحراف عن الفطرة وانتكاس الأخلاق ؟.

وفيما يلي تفصيل غير مطول لوجه الخطورة الماثلة للابتعاث – في هذه السن ولغير المتزوجين – على كافة الأطراف في هذه البلاد :

أولا – خطورة هذا الابتعاث على الطالبات :

فمما علم من الدين بالضرورة أنه لايجوز لمسلمة أن تسافر فوق يوم وليلة دون محرم لما يكتنف ذلك من الأخطار على دين المرأة وعفافها وسلامتها من الفتن ، فكيف إذا كان السفر إلى بلاد إباحية غير مسلمة ؟ وكيف إذا كان هذا السفر يمتد إلى سنوات هو عمر الدراسة ؟.

وسوف تسكن الفتاة السعودية لدى أسرة غربية لتعلم الإنجليزية كما هو متبع هنالك لكل طالب مستجد غير متقن للغة ، وهل نتوقع أن تدخل الطالبة إلى هذه الأسرة وتخرج منها بعد سنتين أو ثلاث وهي سالمة في عقيدتها وأخلاقها وعفافها وسلوكها ، وقد عاشرت تلك الأسرة غير المسلمة سنة أو سنين عددا : في اليقظة والنوم ، في الوجبات وجلسات الشاي في النزهات والزيارات ، وهل ستحافظ على حجابها وحشمتها كذلك ؟.

ومن جانب آخر فإن الدراسة في البلاد غير المسلمة دراسة مختلطة تماما ، وهذا يعني أن بنات هذه البلاد سيدرسن جنبا إلى جنب وكتفا لكتف مع الطلاب الذكور من الغربيين أو الشرقيين ، فهل ستؤمن الفتنة وهن يدرسن مع الشباب كتفا لكتف ؟ وكيف حال مجتمعنا إذا تعلقت فتيات سعوديات مسلمات بشباب من غير المسلمين

وأحببنهم ثم رغبن في الزواج منهم ؟ ماذا يصنع الوالدان والمجتمع إذا كانت القوانين هناك تؤيد هذا وتقف ضد الآباء والأمهات والمجتمع المسلم في هذا الأمر ؟ هل فكر الآباء والأمهات في هذه الأمور كافة ؟ وهل قاموا بواجب النصح لأبنائهم وبناتهم والأمر بهذا الوضوح للجميع ؟ وهل فكرنا فيها نحن جميعا أيضا ؟.

إن الفتاة في الغرب ما إن تبلغ الثامنة عشرة حتى تخرج من طاعة أبيها وتصبح حرة تفعل ما تشاء ضمن الحياة الإباحية الغربية ، ومن ذلك اتخاذ العشيق والسفر معه ونبذ الأسرة وانقطاعها عنها ، وهذا كله يحميه القانون في البلاد غير المسلمة ، أفلن تتأثر بناتنا أو الكثيرات منهن بهذا الوضع المغري في ظاهرة المدمر في الحقيقة ؟.

ثانيا – على الطلاب الذكور الذين ابتعثوا في سن المراهقة ، وأخرجوا إلى بلاد غير مسلمة كل شيء فيها مباح : الزنا والخمر والمخدرات واللواط والقمار والاختلاط والصداقة بني الجنسين وغير ذلك ، وهؤلاء الأولاد الأغرار غير متزوجين فكيف سمح برميهم في هذه البيئة التي هي خطر على عقيدتهم وسلوكهم وعلى صحتهم البدنية وعلى حبهم لمجتمعهم وولائهم لدينهم أمتهم وبلادهم ، وكمذلك فالدراسة في الجامعات مختلطة ، وهو خطر مؤكد على هؤلاء الشباب مثلهم في هذا مثل البنات السعوديات المبتعثات ، وكذا سكن الشاب المراهق مع أسرة غير مسلمة بحجة تعلم الإنجليزية وما سينتج عن هذا الأمر من الانحراف بسبب التأثر بعادات وأخلاق وسلوكيات تلك الأسر غير المسلمة التي حالها هو ذاته حل الإباحية الغربية العامة .

ثالثا – على أهلهم ، فسوف يشقى الوالدان بهؤلاء البنات والأولاد المبتعثين لأنهم في الغالب سيعودون بأفكار غير الأفكار القيمة التي تربوا عليها ، وعلى أخلاق غير الأخلاق التي نشأوا عليها ، ولا ريب أن لمقامهم في بلاد غير مسلمة عددا من السنين سيغير كثيرا من أفكارهم وأخلاقهم ، حيث الجامعات هنالك لا تقيم للدين الإسلامي وزنا ، ولأنها جامعات علمانية فستؤثر على أبنائنا وبناتنا المبتعثات من خلال الأستاذ الجامعي والمقرر والمتطلبات وغيرها على وتترك في عقول هؤلاء الأبناء والبنات آثارا هدامة عميقة ، فماذا سيصنع الوالدان مع هذا الابن أو البنت التي تغيرت أفكارها وثارت على قيم الدين وأخلاقه ونقمت على مجتمعاه المسلم

وسعت إلى تغييره ؟ هل سيكون هذا الابن أو هذه البنت قرة عين للأسرة السعودية المسلمة الملتزمة بدينها أم ستكون وبالا عليها وعذابا لها يوم تعود ويعود متمردين على قيم الدين وأخلاق الإسلام وقيمه واحكامه؟.

رابعا – على المجتمع : فستعود البنت التي تأثرت بدراستها وبمقامها في المجتمع الغربي الإباحي المنحرف المنحل ، ستعود البنت والولد ثائرين على قيم الإسلام في المجتمع ، سيعودان وهما يدعوان إلى تقلد الغرب والسير في ركاب المجتمعات والدول غير المسلمة وهي دول علمانية لا تقيم للإسلام ولا للفضيلة ولا للأخلاق الإسلامية وزنا ، حيث الاختلاط والفجور وكل أنواع الفواحش مباحة هناك ، وهؤلاء الطلاب والطالبات المبتعثات سيعودون وقد تأثروا تأثرا عميقا تأصل في نفوسهم نتيجة الانغماس في الفساد بكل صوره – وهل نتصور شابا وشابة مراهقة تعيش في جو مختلط متفسخ دون أن يناله وينالها منه شيء من التأثر والإعجاب – وهنا نتذكر قول الشاعر :

ألقاه في اليم مكتوفا وقال الله

...

إياك إياك أن تبتل بالماء

خامسا – على الدولة : حيث سيعود هؤلاء الأبناء والبنات وقد أشرب الكثير منهم حب الغرب وحياته الإباحية والمتمردة على كل شيء ، سيرجعون وقد آمن أكثرهم بالنظريات الديموقرايطة والدستورية والليبرالية – وكلها تجمعها النظرية العلمانية التي تعني الفصل بين الإسلام والحكم والدولة – في الحكم والقيادة والسيادة ، ومن المعلوم أن الجامعات الغربية والأساتذة والمناهج تركز أشد التركيز على هذه الموضوعات في ميادين التخصص : العلوم السياسية والاجتماعية ، وفي في العلوم الأخرى ، لأنهم يعتبرون العلمانية دينهم الذي يدنون به ولذا فهو يدخل في جميع التخصصات ويحمله كل عقل هناك ، ويحمل همه جميع الأساتذة في كافة الأقسام ، فهل نتصور سلامة عقول أبناء هذه البلاد الأغرار وبناتها المبتعثات من هذا الداء الخطير ؟.

ولا ريب أن الكثيرين من الذين درسوا في الغرب قد عادوا وهم يتبنون هذه الأفكار الخطيرة على الدولة وعلى الشعب .

ولذا أقول للمسؤولين كافة :
إن هؤلاء الأبناء والبنات وكذا البلاد والأمة أمانة عندكم ، فالله الله في الأمانة ، ، وقد قال الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)(58) النساء.
ويقول النبي صلى الله عليه وسلم " ألا وكلكم راع ومسؤول عن رعيته ".
فالله الله في الأمانة (فمن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ولا ريب أن ابتعاث الطالبات والطلاب في هذه السن وهم غير محصنين دينيا وعقليا وجنسيا خطر عظيم عليهم ، فهم أغرار صغار لا يدرك الكثيرون منهم مصلحته ولا يفرق بين ما يضر وما ينفع ، خاصة في سن فورة الجنس والرغبة في إثبات الذات ولكن على غير أساس من النضج والتعقل .
وأقول للآباء والأمهات :
اتقوا الله في فلذات أبنائكم وبناتكم ، ولا ترموهم في أتون هذا الابتعاث المدمر ، فإنكم مسؤولون عنهم وعنهن ، والله تعالى يقول مبينا واجب الآباء والأمهات خاصة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) (6) التحريم .
وأقول لولاة الأمر في هذه البلاد وفقهم الله :
إن هذا الابتعاث خطر على البلاد من كافة النواحي كما بين العلماء وكما هو مشاهد ومحسوس ومعلوم من الواقع ، ولذا فإنه يجب الاقتصار على الابتعاث وفق المعايير التالية :
1- أن يكون المبتعث رجلا فقط وأن تجنب النساء هذا الباب الذي هو مخالف لما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ولما درجت عليهم أمة الإسلام في عصورها كافة إلا في بعض البلاد التي ابتليت بالعلمانية فكان وبالا عليها في دينها ودنياها وها نحن نرى ونسمع آثار تلك البعثات المدمرة فيها .
2- أن يكون الابتعاث لمن حصلوا على الشهادة الجامعية ويكونون متزوجين ، لأن الأسرة تربط الشاب بدراسته ودينه ودلوته ومجتمعه ويكون حريصا عليها مرتبطا بها مراقبا من قبلها فلا يقع في الانحراف بإذن الله .

3- أن يكون الابتعاث مقتصرا على التخصصات التي لا توجد في الجامعات السعودية .

4- أن يكون الابتعاث إلى البلاد الإسلامية أولا فإن لم يوجد فإلى البلاد الأقل خطرا وهكذا .

5- أن يتوسع في فتح الجامعات في البلاد السعودية ، وأن يتوسع في فتح كافة التخصصات التي تحتاجها خطط التنمية في البلاد ، فذلك خير وأبقى ، والأموال التي تصرف على الابتعاث الضخم اليوم كفيلة بفتح العديد من الجامعات وكافة التخصصات .

نسأل الله تعالى أن يوفق ولاة الأمر والمسؤولين كافة في هذه البلاد إلى البصيرة في دينهم ودنياهم وأن يوفقهم إلى القرارات والسياسات الحكيمة النافعة للبلاد والعباد

============

#حوار مع رئيس المشيخة الإسلامية في البوسنة والهرسك (2/2)

حاوره بمقر المشيخة: عبد الباقي خليفة /سراييفو /الإسلام اليوم 1424/2/13 2003/04/15

بمناسبة مرور 120 عاماً على تأسيس المشيخة الإسلامية

فرحتنا أننا بقينا وحزننا أننا انقطعنا عن الأمة الإسلامية

أثناء الحرب التي فرضت على المسلمين في البوسنة قامت المشيخة الإسلامية بدور كبير في التعريف بقضية البوسنة ، و دعم ومساعدة المنكوبين ما هو الدور الذي أدته المشيخة في الحرب لمساعدة البوشناق المسلمين

الظروف التي وجدنا أنفسنا فيها أثناء الحرب ، حتمت علينا الوقوف إلى جانب أبناء الشعب المظلوم وهو يتعرض للإبادة . كان الخطباء و الأئمة و طلاب العلم الشرعي في مقدمة من تصدى لعمليات الابادة ، و قتل عدد كبير من الأئمة و الطلاب في أثناء العدوان . كما أدى الأئمة دورا بارزا في الحفاظ على هوية المسلمين من خلال نشاطاتهم في محيط المهجرين في دول الجوار و العالم سواء الذين بعثتهم المشيخة للإقامة بين المهجرين أو الذين كانت ترسلهم في المناسبات . كما أدت المشيخة دورا كبيرا في إيصال الغذاء و الأدوية إلى المحتاجين عن طريق مؤسسة المرحمة التابعة

لهـا بالتعـاون مـع الهيئـات الإغاثيـة الإسـلامية . و أدت المشـيخة دورا كبيـرا فـي التعريف بقضية البوسنة في العالم الإسلامي و غيره من خلال الاتصالات التي كانت تجريها بالتنسيق مع الحكومة البوسنية . أنا أعتقد أن من أفضال الله سبحانه و تعالى علينا ، هو مجئ علي عزت بيجوفيتش إلى الدنيا لتحرير مسلمي البوسنة و الهرسك . وتوفير الأجواء لنقوم بعملنا في أجواء بعيدة عن القهر، و الظلم و التسلط و التعسف و الاستبداد . و أن نتحرك و نقوم بعملنا بدون أن نذهب إليه للحصول على موافقته وهل بإمكاننا فعل كذا وكذا كما كان يفرض علينا من قبل . فهو لم يمنعنا من قول او فعل . و قد كنت و لا زلت أقول للخطباء أنه من عوامل نجاح رسالتنا هو أن لا يكون هناك من يمنعنا من قول أو فعل نراه يخدم الإسلام و المسلمين . لقد أكرمنا الله بهذه الظروف ، و التحدي القائم هو هل نؤدي لهذه الحرية حقها ، بحيث نستخدمها في خدمة ديننا كما يجب أم لا .

في كتابكم الذي صدر بمناسبة مرور 120 سنة على تأسيس المشيخة الإسلامية و الذي ضم 30 حوارا مع صحف محلية وعربية و إسلامية و دولية (من بينها الفرقان) إضافة لموضوعات وخطب أخرى تطرقتم لعلاقة الدين بالسياسة ، و قلتم أنه لا يمكنكم (أو في هذا المعنى) أن تسكتوا على آلام شعبكم . هل تعتقدون أن هناك من يريد أن يحرم علماء الأمة و الإنسان المتدين من حق المواطنة . و حق إبداء الرأي في المسائل الحياتية المطروحة التي تشغل الإنسان الفرد و الرأي العام . هل يفقد الإنسان حق المواطنة عندما يصبح عالما أو متدينا . تحت شعار لا دين في السياسة و لا سياسة في الدين . و هل يمكن أن تحدثونا عن الفكرة الأساسية لكتابكم " الدين ، الشعب و الوطن " و لماذا اخترتم هذا العنوان . و هل يمكن أن تشرحوا لنا أهدافه الأساسية .

أريد أن أقول لعلماء الإسلام أنه لا يحق لأحد أن يمنعهم من الكلام ، و لكن في نفس الوقت أن يكون كلامهم مدروساً و دقيقاً ، ومقبولاً ، وواضحاً ، و باسم الذين لا يستطيعون أن يتكلموا عندما يأتي العلماء بكلام خيالي كلام مثالي لا يمكن لأي إنسان أن يصل إلى فحواه . كلام عن الماضي أكثر من الحاضر و المستقبل ، كلام كله شتم للحكومات من أجل الشتم أو لأي شخص من الأشخاص ، و هذا يجعل

العلماء في موقع غير محمود . و لكن ما هي السياسة ؟ السياسة هي الحياة ، ومن يمنعني من أن أتكلم عن الحياة كما أراها أنا . إذا كان هناك من يأتي من أقصى الدنيا و يتكلم في قضايا البوسنة سواء من داخل البوسنة أو من خارجها ، و أنا أمنع من أن أتكلم عن قضايا شعبي و عن شعوري و حياتي و حياة أولادي فمعنى ذلك أنه أكثر بوسنوية مني ، أو أني لست مستقلا بذاتي أو فاقد لحق المواطنة ضمنا . أنا لا أبالي بما يقولون ، و سوف أستمر في ممارسة حقي ، لا أحد يستطيع ان يمنعني من التمتع بحقي في التعبير عن موقفي فيما يتعلق بشعبي . و بمستقبل ديني ووطني . ليس هناك شخص أو مؤسسة تملك حق منعي من ذلك . أنا أرى في هذا تحدي لي ، وكلما وجد من يقول أني أتدخل في السياسة حسب تعريفهم فسوف أبذل المزيد من الجهد في ممارسة هذا الحق . حتى أثبت لهم بأني لا أخشى الكلام في أي من المواضيع التي احتكروها لأنفسهم بدون موجب حق . و في كل الشئون السياسية التي تتعلق بوجودي كفرد و كأسرة وكشعب و كأمة . لذلك سميت كتابي " الدين و الشعب و الوطن " بمعنى أنا لدي الحق كرئيس للعلماء أن أتكلم باسم الدين و كبوشناقي باسم الشعب وكبوسني باسم الوطن دون مصادرة من يشاركوني هذه الخصائص من حقهم في الكلام . هذه الخصائص لها معنى في حياتي و حياة شعبي . خاصة إذا رأيت حقوق شعبي غير محترمة سواء من قبل الحكومة أو المجتمع الدولي ، فوضعي يؤهلني بأن أدافع عن المستضعفين

في الحفل الذي أقيم بمناسبة مرور 120 عاما على تأسيس المشيخة قلتم أن " النفس التي تتذكر تنال الحرية بشكل أفضل من النفس التي تنسى هويتها " كيف تشرحون موضوع الهوية في البوسنة

سأل نصراني مسلما بوسنيا في معرض محاجة ، منذ متى اعتنقتم الإسلام فأجابه المسلم البوسني منذ قلت أنا و أنت و الناس أجمعين " بلى " في إشارة إلى قوله تعالى "... ألست بربكم قالوا بلى شهدنا " . و في الحديث " يولد الإنسان على الفطرة " أي الإسلام . نحن نأتي للدنيا بهذه الذكرى ، فعندما ينطق المسلم بالشهادتين لا يزيد عن كونه يعترف بالحقيقة الأزلية ، و يخرج ما في أعماق تكوينه الروحي منذ الأزل ، و إلى الأبد . وما هو مكتوب في أسراره الروحية . فالذي لا ينطق

الشهادتين يكون قد نسي أقدس ما في أعماق روحه وحقيقة نفسه البشرية . فالقرآن و الحديث أرسل بهما النبي صلى الله و عليه وسلم ليحيي بهما أرواح البشرية بعدما تاهت عن الحقيقة الروحية الكبرى " لا إله إلا الله محمد رسول الله " .

هل تعتقدون أنكم أحرار فيما تقولون ، و أنكم لا تخشون زوار الفجر ، و لا سطوة الحكومة ، هل هناك نقلة في حياة المشيخة تختلف عما كانت عليه في الماضي ؟

الحرية جاءت بالثمن الذي دفعناه ، ثمن الدم ، ثمن الحكمة و المواقف التي اتخذناها ، ثمن الجوع و الخوف و نقص الأموال و الأنفس ، و الخروج من الديار بغير الحق ، ثمن العمل و العقل و الحكمة و هناك نوعان من الحرية يعرفهما الناس وهما حرية التعبير و حرية الفكر و الحرية لا تكون إلا من آفة معينة ، التحرر من الشرك بالتوحيد ، و التحرر من السكوت بحق التعبير و الحجر بحرية التفكير ، و لكن هناك أيضا التحرر من الفقر و الخوف و قد أشارت سورة صغيرة في القرآن الكريمة و لكنها عظيمة في إشاراتها وهي " لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء و الصيف ، فليعبدوا رب هذه البيت الذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف " و تتكون من عدة عناصر هي شعب وحركة اقتصادية ، و بعد روحي ، تؤمن الاكتفاء الذاتي من الغذاء و الحريات العامة للناس . و في البوسنة حققنا حرية التعبير ، و لكن لا نزال نسعى للتحرر من الخوف ومن الفقر . في بعض المناطق الناس يخشون على حياتهم و خاصة مناطق السيطرة الصربية ، إضافة لوضعهم الاقتصادي حيث توجد نسبة كبيرة من العاطلين عن العمل و المهجرين الذين ليس لهم مورد رزق . و المشيخة الإسلامية تأمل في تحقيق شروط التحرر الإنساني كاملة و في مقدمتها التحرر من الخوف و الجوع بتوفير مستلزمات التحرر كافة . فيكون المسلمون آمنين في حياتهم من كل الجوانب . و في هذه السنة سيكون هناك عدد كبير من الحجاج وهذا احد الأبعاد الروحية . و المشيخة جزء من المجتمع البوسني ميزتها أنها تمثل الإسلام و المسلمين . في الماضي كانت مساحة عملها ضيقة ، و الفرق بين المشيخة الإسلامية في العهد الشيوعي و اليوم هو اتساع رقعة اهتماماتها ومجال عملها . و لم تعد للجنازات و القبور ، أما اليوم فهي مبعث اعتزاز لدى المسلمين بعد أن توسع مجال عملها في المجالات الاجتماعية و الإغاثية و التربوية ، و إعادة

بناء المساجد و أصبحت مؤسسة حية بعد أن كانت مؤسسة للأموات . ذهبت للمستشفى لعيادة مريض و عندما رآني سألني لماذا جئت ، فقلت جئت لعيادتك ، وهذه سنة ، نظر إلي وقال " حان وقت الموت " ظن أن مجيئي إشارة له بأن موته قد قرب ، فقال " لا أنا سأموت ، و لذلك جئت ". فقلت له الأعمار بيد الله و لا يمكن لأي مخلوق أن يعلم موعد وفاة آخر . ظن أنني جئت بصحبة ملك الموت ليقبض روحه . وهذه من العادات التي ترسخت لدى البعض ، و الذين لا يرون علماء الدين و بعض الدعاة و المقرئين إلا عند جثث الموتى و في الجنائز مثل الرهبان ، و أصبحوا بذلك نذير شؤم . وهذا مخالف لتعاليم ديننا الذي جاء ليحيي الموتى الأحياء و يلفت الناس لحقيقة الوجود الإنساني " وما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدوني " وهذا ما تسعى المشيخة الإسلامية لتحقيقه وهو الانتقال من رمز للموت إلى منارات الحياة .

كيف ترون مستقبل المسلمين في البوسنة ، و لا سيما مناطق السيطرة الصربية في ضوء الاعتداءات التي تتعرض لها المعالم الإسلامية و العائدين المسلمين لديارهم .

أعتقد أن مستقبل الإسلام و المسلمين يدعو للتفاؤل ، كانوا يحتاجون للحرية و الآن الحرية متوفرة . بمعنى أننا أصبحنا أكثر واقعية من قبل ، لقد كنا نعيش في أوهام الإخاء الكاذب ، مع جزارينا ، و لم نفق إلا على طعنات سكاكينهم . لقد مررنا بمحن كثيرة ظلت تاريخا و بقينا . و الله سبحانه و تعالى يقول " لا يضركم من ظل إذا اهتديتم " . الإسلام لا يمكن حبسه في السجن. و الخوف الأكبر ليس من الآخر بقدر الخوف من الجهل و التنطع والانغلاق . نحن نملك رسالة وهذا يعني أننا رسل يبلغون هذه الرسالة . رسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك في عصره تعطينا نموذجا يحتذى لم ندرسه كما ينبغي . العرب و غيرهم من المسلمين متساوون في أداء هذا الواجب . و المملكة العربية السعودية ساعدتنا كثيرا في هذا المجال ففي سراييفو جامع خادم الحرمين الشريفين ، و في توزلا جامع الأمير عبد الله ، و في بيهاتش أكاديمية الأمير سلمان ، و الهيئة السعودية العليا بنت ورممت عشرات المساجد . و أمير قطر تبرع بترميم الأكاديمية الإسلامية ووعد ببناء مكتبة الغازي

خسرف بك و ستكون اكبر مكتبة في البلقان كلها وشرق أوربا و سنبدأ في البناء وهو أكبر مشروع يقام في قلب سراييفو .

البوسنة لها صورتان صورة التدمير و صورة التعمير ، و كلما ذكرت البوسنة ذكر التدمير و الفقر و المهجرين . و أتمنى أن لا ينسى المسلمون البوسنة . لقد ساعدنا المسلمون في العالم على الصمود و على البقاء على قيد الحياة ولولا مساعداتهم لقضي علينا وما تمكنت من لقاء " الصحفي القدير عبد الباقي خليفة الذي نحبه كثيرا في البوسنة ، و الذي ينقل للعالم الإسلامي ما يدور فيها " . و ندعوهم لمساعدتنا في معركتنا الحالية ، و أقول لهم أنهم لم يفشلوا في البوسنة بل نجحوا ، و عليهم المحافظة على نجاحهم و أن يزورونا في البوسنة . و لا يستسلموا لمقولة أنهم فشلوا لأنه حصلت خيانات ، و أصحابها دفعوا الثمن و انتهوا . رأيتم يوم عيد الفطر في سراييفو كيف تحولت إلى ساحات عبادة . وخرج مئات الألآف لشهود الصلاة .

تعد مذبحة سريبرينتسا أول كارثة تحدث في أوربا بعد الحرب العالمية الثانية ، و كان عدد الضحايا أضعاف أضعاف قتلى تفجيرات نيويورك . ومع ذلك العالم لم يتعامل مع الحدثين بنفس المستوى . و هناك مساعي لتخليد ذكرى سريبرينتسا لو تحدثونا عنها .

هذا سؤال جيد عن سريبرينتسا لقد حاولنا كل هذه السنوات أن نحصل على أسماء المفقودين في العدوان الصربي الذي تعرض له المسلمون في سريبرينتسا . أنت تعرف أنه في 11 يوليو سنة 1995 قتل أكثر من 10 آلاف من سكان سريبرينتسا . و إذا قارنا ذلك ب 11 سبتمبر 2001 ، نجد أن سريبرينتسا كانت تحت (حماية) الامم المتحدة ، وكان العدوان متوقعا . و لكن لم تكن هناك ردود فعل ، كما حصل مع تفجيرات نيويورك . فما حصل في 11 سبتمبر في نيويورك كان كما لو حصل للعالم كله . أما ما حدث في سريبرينتسا فكأنما هو خاص بسريبرينتسا وحدها . رغم أن ضحايا سريبرينتسا أضعاف ضحايا نيويورك . و لذلك أردنا أن نذكر العالم بأحداث سريبرينتسا . فبدأنا باقامة مقبرة للشهداء تضم رفات الضحايا . و سيكون هناك إلى جانب المقبرة سور يضم أسماء الشهداء ، ومتحف يروي تفاصيل الجريمة ، إلى جانب مسجد . ونحن نجمع التبرعات وبعض الدول الغربية قدمت تبرعات . و

أنا عضو في لجنة سريبرينتسا ، و أطلب من الدول الإسلامية و أهل الخير المشاركة في إتمام هذا الإنجاز . وما حدث في سريبرينتسا حدث لنا كثيرا في التاريخ و لكن لا أحد يعترف بذلك لأننا لم نتمكن من تسجيله بالشكل الذي سيكون عليه الحال في سريبرينتسا إن شاء الله حتى لا ننسى و حتى يبقى للأجيال اللاحقة تاريخ فمن لا ماض له لا مستقبل له . هناك من يقول أنه ليس كل مسلم إرهابي و لكن كل إرهابي مسلم . وهذا غير صحيح فالمسلمون ضحايا للإرهاب في كل مكان من العالم ، و ليس ذلك بدون أدلة . و من هنا تأتي أهمية مشروع مقبرة الشهداء و الذي يكلف مبلغ 5 ملايين دولار جمع منه حوالي النصف . و سنكتب ما جرى بكل اللغات .

المستشار الألماني " شرويدر " قال معلقا على طلب تركيا الانضمام للاتحاد الأوروبي أن دخول تركيا للاتحاد الأوروبي عامل إثراء يمكن أن يكون جسرا بين الشرق و الغرب . و في الوقت الذي نجد فيه بعض الأصوات الأوروبية تدعو لذلك ، هناك من داخل صفوف المسلمين من يرى في أوربا نقيضا للإسلام أو العكس أو بديلا .ما هو تعليقكم ؟

الناس يتكلمون عن التطرف و الإرهاب ، وكأن الإسلام ضد أوربا . و الذين يتكلمون بهذا الشكل

يجب أن يكونوا في قوائم من تجب محاربتهم تحت لافتة محاربة الإرهاب لأنهم الإرهابيون الحقيقيون . في واقع الأمر هم المسئولون عنه . أستطيع أن أحمل معي وطني وديني و أن أتعامل مع أوربا كمسلم . الإسلام غير مقيد بمكان ووقت وشخص . و الذين ينشرون هذه الأفكار يكونون أحيانا من المسلمين الذين لديهم عقدة نفسية . يريدون أن يتقربوا من الغرب بالتعري . فهم ليس لهم ما يقدمونه لحوار الحضارات سوى نفاق الغرب ، وهم من أمثال سلمان رشدي الذي لم يمثل للغرب أي جديد ، في حين كان خائنا لامته و دينه . وهم يكررون المحاولة بطرق مختلفة . و لكنهم سيظلون على الهامش و الغرب يريد ممثلين حقيقيين للإسلام و المسلمين ، و ليس منبتين أو متسلطين . وهذا نوع من التملق الرخيص لبعض العلمانيين . و أوربا أدركت أنها ليست في حاجة بعد الإحداث التي شهدها العالم لمتملقين رخيصين . هم

أدوات استخدمت لبعض الوقت و انتهت صلاحيتها ، و الذين يعيشون في أوربا يدركون هذا جيدا . أوربا فهمت أنهم لا ينفعونها مستقبلا ، وهي في حاجة لمن يمثل الثقافة الإسلامية الحقيقية و ليس المرتدين عنها . ممن يريدون أن يكونوا أوروبيين أكثر من الأوروبيين أنفسهم . و في نظرهم أنهم إذا شربوا الويسكي وراقصوا النساء، و أكلوا الخنزير يصبحون أوروبيين ، أو متحضرين ! وهذه في الحقيقة : حثالات الثقافة الأوروبية ترمى في صناديق النفايات . و معنى متحضر في الحقيقة هو أن يكون الإنسان دقيقاً في عمله عميقاً في فكره ، ملماً بالتكنولوجيا ، و في نفس الوقت مؤمناً مخلصاً يصلي ويعبد الله في المسجد . أوربا الآن تعاني من المخدرات ومن حوادث الكحول ومن الشذوذ الجنسي و غير ذلك . فالعالم يحتاج للمسلمين المتحضرين . فكثير من الغربيين ينادون بأن تكون لهذه الحضارة روح . تتوازن مع رغبات الجسد . فكل ما يتم بسرعة ينتهي بسرعة . وهذا ما يدعو إليه الإسلام " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا " و نحن نعتقد أن العالم في حاجة لهذا النوع من الشهداء . كثير من المسلمين للأسف يعيشون أزمة ثقة في أنفسهم ، و يرون أن كل ما يأتي من أوربا و الغرب شئ أفضل مما عندهم و يريدون أن يتبعوا السلوكيات الغربية . ربما لا يستطيع المسلمون في الوقت الراهن تقديم شئ جديد على الصعيد التكنولوجي ، و لكنهم يستطيعون تقديم ما يحتاجه الغرب من روحانيات يفتقدها الغرب . فالله سبحانه و تعالى لم يعطي لكل الناس كل شئ بل وزع خيراته عليهم . فالكمال لله وحده . المسلمون لهم رسالة وهي تذكير العالم بالمعاني الروحية . لأن هناك من يريد أن يحل محل الإله .

كيف تنظرون لواقع العمل الإسلامي في أوربا ، و لتعدد الجماعات ، و كثرة الخطابات التي توصف بالإسلامية . و هل المشيخة الإسلامية ، هي المؤسسة الدينية الوحيدة في البوسنة ؟

المشيخة الإسلامية ليست المؤسسة الإسلامية الوحيدة في البوسنة و الهرسك ، و لكنها الأكثر أهمية في التاريخ الحديث للمسلمين البوسنيين . فهي الإطار الذي ينظم المسلمين . و هي مؤسسة معترف بها من قبل الجهات الرسمية في البوسنة و

الهرسك و أوربا . هذا ما يلمسه المسلمون في البوسنة ، و هو أن المشيخة الإسلامية هي التي تمثلهم . و الحكومات الأوروبية لا تريد أن ترى المسلمين منظمين في أوربا ، بعضهم يفضل أن يكون وجود المسلمين عشوائيا ، تسوده الفوضى . أن يكون الإسلام هو (أبو فلان أو أبو علان) فيعرض في التلفزيون ليقول يجب أن يقتل النصارى و ، و ، و ، ليثير الرأي العام ضد مصالح المسلمين في العالم و تحقق بعض الفئات في الغرب أهدافها من خلال ذلك . و تخويف الرأي العام الغربي من الإسلام يتم بهذا الشكل ، ليكون لهم حجة على مهاجمة الإسلام و المسلمين ليس عبر وسائل الإعلام فحسب بل بالأساطيل ، و ضرب الاقتصاديات الإسلامية ، ومنع المسلمين من امتلاك التكنولوجيا . و أنواع أبو فلان و فلان لا يوجد في البوسنة ، فهناك مؤسسة إسلامية تعرف واجباتها ، و تعرف الظروف التي تعمل فيها ، و المحيط الذي تعيش فيه ، و قدراتها التي على أساسها تتحرك . هنا معروف من المسئول عن الشئون الإسلامية . هناك محاولات لبعض الأشخاص في البوسنة ، و لكن هذا لا يضر التيار العام ، و تبقى المشيخة هي السواد الأعظم . الجماعات الصغيرة التي تظهر من حين لآخر تعود للمشيخة ، و تصبح جزءا من المشيخة لذلك أعتقد مستقبل الإسلام في أوربا يكمن في إيجاد سبل تمكن من ظهور ممثلين جادين للإسلام و المسلمين في القارة السائرة نحو التوحد . و معنى ذلك تأسيس المنظمات الإسلامية ، و بناء المدارس لتخريج الخطباء و المدرسين ، و إنشاء المؤسسات الشرعية التي يرأسها رجل متعمق في الشريعة الإسلامية ، يكون بصفة المفتي أو أي مسمى آخر يكون ممثلا للمرجعية الإسلامية و يمثل المسلمين لدى الحكومات الأوروبية ، و يعبر لديها عن رغباتهم ، و يدافع عن حقوقهم . لكن المشكلة هي أن الحكومات الأوروبية تقول نحن نرحب بهذا و لكننا لا نستطيع أن نوحد المسلمين . و في نفس الوقت ، (و أتمنى أن يؤخذ هذا بحسن نية مني من قبل العالم الإسلامي و الحكومات الإسلامية) أريد أن أقول أن الحكومات الإسلامية لا تساعد في إقامة هذه المؤسسات الإسلامية ، و لا تساعد في إيجاد تمثيل المسلمين في جو أوروبي ، لأن الإسلامي ليس دينا قوميا و لا دينا جغرافيا . هو دين عالمي لذلك المسلمون في أوربا لهم الحق في أن يتولوا أمورهم بأنفسهم في أوربا

. و لكي يحافظوا على الجيل الجديد الذي ولد في أوربا و يتكلمون لغة أهل البلاد التي يوجدون فيها . هم مثلا لا يستطيعون أن يفهموا بعض العادات في الشرق التي تفسر على أنها إسلامية ، و لكنها مجرد عادات أفرزتها البيئة التي وجدت فيها . و هناك عادات في أوربا لا نستطيع القول أنها ضد الإسلام . أنا أوصي الحكومات الإسلامية بمساعدة المسلمين في أوربا ، ليقوموا بأمور الدعوة و القيام بشئونهم بأنفسهم . و أن يقيموا المؤسسات الإسلامية ، و أن يمثل الأوروبيين أوروبيون ينشرون الإسلام ، حتى تكون كلمتهم أقوى و جزء من المحيط و ليس وافدا عليه . و أطالب بأن لا يكون العمل الإسلامي في أوربا باسم القومية ، أو باسم دولة من الدول . أو قبلية من القبائل ، إنه دين عالمي لكافة الناس لماذا إذن التحريف و التبديل ، و البدعة الكبرى ، و الردة عن مفهوم الإسلام النقي الصافي . الإسلام ينهانا عن عبادة الأشخاص ، بما في ذلك صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، و لذلك ليس لنا صورة للنبي عليه الصلاة و السلام ، و ليس لنا الحق في اتخاذ صورة مفترضة لرمز للعبادة . و ذلك لصرف اهتمامنا بالقيم و ليس التماثيل التي تعبد من دون الله . و لذلك أمرنا الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ، و ليس بعبادته ، و الصلاة عليه دعاء له و عبادة لنا دعاء له لأنه بشر مثلنا . و لكن بعض الحكومات الإسلامية عندما تعمل في أوربا تريد أن تظهر نفسها أكثر من إظهارها لدين الله ، و تدعو لنفسها أكثر من دعوتها للإسلام . و نحن كمسلمين يجب تغيير هذا المنطق . و نحن نريد أن يكون المسلمون الأوروبيون سندا للعالم الإسلامي في كافة المجالات . و على المسلمين الأوروبيين أن يطالبوا بحقوقهم ومن بينها الحصول على دعم لمشاريعهم الإسلامية ، بدل انتظار التبرعات التي تجمع من فقراء العالم الإسلامي . و أن تخصم الأموال التي يتبرع بها المسلمون للمؤسسات الإسلامية جزءا من الضرائب التي يدفعها المسلمون للحكومات الغربية ، على غرار الكنيسة . و لا نريد أن يكون هناك في أوربا جماعات لا تعد و لا تحصى قامت على أساس القوميات ، و لا نريد وجودا إسلاميا عشوائيا في أوربا يؤخر العمل الإسلامي و لا يخدمه بل يضر بالإسلام و المسلمين في الغرب .هل تعتقدون أن الإسلام سيجد مكانه في أوربا ؟

هناك ثلاثة مناطق لأوربا ، منطقة البلقان ، و روسيا الأوروبية ، و أوربا الاتحاد الأوروبي . و لكن عندما تستعمل كلمة أوربا يتبادر للذهن أنها دول الاتحاد الأوروبي . لكن أنت تعرف أن كلمة أوربا لم تأت من تلك المنطقة ، و إنما منبعها من البلقان . من اليونان ، كلمة أوربا يونانية ، و ليست من أوربا الغربية . أوربا أصبحت متكبرة قليلا ، و أصبحت غير متسامحة مع الآخرين ، فنحن نقول لهم (أصحاب أصل أوربا) مستقبل القارة في تعدد الأديان و القوميات ، حفاظا على حقوق الإنسان . لماذا يجب علينا أن نتكلم بهذا الشكل ؟ لان أوربا الغربية متفوقة اقتصاديا ، و عسكريا ، و تكنولوجيا . و لكن تاريخيا أصل أوربا هنا و ليس هناك . و نستطيع أن نقول أن أوربا هي العالم الكبير . و البوسنة هي " ميكرو كروسموس " أو العالم الصغير لكل الأديان ، و الثقافات ، و الحضارات و اللغات إلخ ، و لكن من الذي حافظ على كل هذا ؟ الجواب : حافظ عليه الإسلام و ليس السلاطين و لا غيرهم ، لو كان الأمر بيد السلاطين لحولوا النصارى إلى مسلمين بالقوة ، و لكن الإسلام منعهم من ذلك بكلمة صغيرة هي " لا إكراه في الدين " . و هذه الكلمة هي ما يحتاجه العالم في مسيرته التاريخية .

============

#الأسرة سلعة بائرة في مزاد القيم الغربية الفاسدة

إدارة التحرير 1424/2/20

2003/04/22

- الإحجام الاختياري عن الزواج أقوى دليل على أن نظام الأسرة مهدد بالفناء والانهيار..!

- الوصول بالمجتمع الإسلامي إلى مرحلة الحداثة والعدمية مسألة وقت لا مسألة مبدأ..

- تجاوز التفكير الاقتصادي في العنوسة والعزوبية ضرورة والمستقبل قاتم ما لم نتدارك الأمر..!

-مقاومة الفطرة لا يورث سوى التعاسة والوحدة، والمسلم الحق لا يرضى بأن يتبرأ منه رسول الله –صلى الله عليه وسلم-.

- القائمون على وسائل الإعلام متأثرون بالغرب، ويروجون قيمه الأسرية في الأعمال الدرامية.

- قبل خمسين عامًا قالت أم لابنتها وهى تنظر إليها بحب شديد: أدعو الله أن يعطيني عمرًا حتى أفرح بك عروسًا وأزفك إلى بيت زوجك.

- بعدها بعشر سنوات تقدم شاب طيب لفتاة جامعية، فرفضت مجرد التفكير في الأمر قبل الحصول على شهادتها وقالت لأبيها: سلاح البنت علمها، وظل الرجل لا يمنح - وحده- الحماية للمرأة!؟ ووافقها أبوها وهو يربت على ظهرها فخرًا.

- ومرت عشرون عامًا لتحصل إحدى الفتيات على شهادتها الجامعية بتفوق وتهنئها أمها قائلة: مبارك يا حبيبتي، وعقبى الماجستير والدكتوراه.

- ماذا تعني هذه اللقطات التي حدثت في بيت ما - أي بيت عربي مسلم -؟

إنها دليل على أن الزواج لم يعد حلمًا للفتاة، وأن دور الزوجة والأم لم يعد مصدر فخر للبنت، وأن قيمة الأسرة تتراجع حتى توشك على الانهيار، ففي مصر وحدها هناك ستة ملايين امرأة وفتاة يعشن بلا رجل، بين مطلقات وأرامل وعانسات ومعلقات (رفعن على أزواجهن دعاوى طلاق ومازلن ينتظرن الحكم)، والإحصائية المصرية مجرد نموذج للواقع العربي المهدد باهتراء نسيجه الاجتماعي بعد أن صارت «الأسرة» هدفًا مؤجلاً أو غائبًا عند فتيات ينشدن استقلالاً اقتصاديًا عن الرجل، ورجال يريدون حياة بلا قيود أو مسؤوليات أسرية.

صارت العنوسة والعزوبة «اختيارًا» عن قناعة شخصية، ولم يعودا وضعًا استثنائيًا تفرضه ظروف اقتصادية أو اجتماعية قتلت بحثًا ولم يتغير شيء.

لا ضرورة

ولنقرأ معًا آراء قصيرة، تلخص مواقف شباب وفتيات تجاوزوا سن الزواج ولا يشعرون بأدنى قلق:

. أمير سعد - مهندس - 38 عامًا

«أخي المطحون، وأختي التي لا تزورنا إلا واقفة لأنها لا تستطيع أن تغيب عن زوجها وأطفالها، يجعلاني أسعد بوضعي، ولا أفكر في الزواج وأختار البقاء مع أمي التي لم يعد لها سواي.

. نرمين فتح الله – طبيبة أسنان – 32 عامًا

لماذا يكون دور الزوجة والأم أسمى أدوار المرأة، بينما للرجل أن يكون زوجًا وأبًا، وأيضًا عالمًا، وباحثًا، ومبدعًا، و... و... و... أشياء أخرى غير دور المسؤول عن أسرة فقط؟

إن اختزال حلم البنت في الزواج فقط منتهى الظلم الذي عاهدت نفسي أن أكسر طوقه ولا أشعر بأن شيئًا ما ينقصني.

. خالد مصطفى – محاسب – 41 عامًا

لم أتزوج؟ وأمي تطهو لي طعامي وتغسل ملابسي، وأصدقائي وهواياتي يملؤون وقت فراغي، ومشكلاتي ومتاعبي أناقشها مع أمي والمقربين إليَّ، وأطفال شقيقاتي يمنحونني إحساس الأبوة الجميل، أما الإعفاف فلا أعتقد أنه سيتحقق لي إلا مع زوجة أجد فيها كل ما أنشده من النساء باطنًا وظاهرًا، وهذه لم أجدها حتى اليوم، أو بمعنى أصح لم أجهد نفسي في البحث عنها لأنني لا أجد لهذا ضرورة.

أعمق من ذلك

. أماني الشبراوي – مهندسة كمبيوتر – 36 عامًا

خطبت ثلاث مرات، وأعفي نفسي من ذكر أسباب فشلها، وقد أكدت لي تجاربي الثلاث أن الرجولة الحقة عملة نادرة، وأن المرأة يمكن أن تشعر بالوحدة وهي في كنف رجل يخذلها، ويتخلى عنها، ولا يقدر مشاعرها، ويمكن أن تكتفي بذاتها حين تكون قوية قادرة على حماية نفسها وتحقيق طموحاتها، ولذلك قررت التفرغ لعملي والسعي للنبوغ فيه، فخير لي أن أكون مهندسة كمبيوتر ناجحة وعانسًا، من أن أكون زوجة فاشلة محطمة.

أسأل د. عبلة الكحلاوي – أستاذة الفقه بجامعة الأزهر والداعية الإسلامية – عن دلالات الإحجام الاختياري عن الزواج فتقول: أوافقك على أن قيمة الكيان الأسرى المتماسك، التي تميز الإسلام في رؤيته للعلاقة المثلى بين الرجل والمرأة تتراجع لصالح مفاهيم أخرى كتحقيق الذات، والحرية، والصداقة بين الجنسين، والزواج المُثلي «زواج رجل برجل أو امرأة بامرأة» (والعياذ بالله)، ولكنني لا أرى أن مجرد رد الاعتبار لقيمة الأسرة يمكن أن يحل المشكلة، فالقضية أعمق من ذلك بكثير،

وتغريب المجتمع الإسلامي والوصول به إلى مرحلة العدمية والتفكك بدعوى «الحداثة» صار مسألة وقت، فالاختلاف بين علمانيي العرب، وعلمانيي الغرب صار في التساؤل متى نصل بالمجتمع العربي للعدمية والتشبه الكامل بالمجتمع الغربي؟، وليس في، هل نصل به إلى هذه المرحلة أم لا؟

والمتأمل لفكر الحداثة –الذي تم تجنيد مفكرين عرب لنشره في أوساط مواطنيهم– يجده فكرًا فرديًا يعلى الذاتية والحرية الشخصية، ويحاول إلغاء قيم الغيرية والتكافل والحرية المسؤولة، ولما كانت الأسرة كمنظومة إسلامية مثالية هي أصلح مناخ تتجلى فيه هذه القيم؛ فإن التركيز كله اليوم على تفكيك هذه المنظومة وتشويهها، وإحلال مفاهيم انحلالية مكانها بدعوى الحداثة –التي تساءل بعض المفكرين العرب الغيورين على القيم، ولا أقول العقيدة– عن مدى ضرورة الترادف بين الحداثة والتغريب ولم يجبهم أحد!

فوق رؤوس الجميع

أما الأستاذة زينب عفيفي – مديرة المركز الدولي لدراسات المرأة بالقاهرة – فتؤكد أن على المحللين الاجتماعيين والمفكرين المهتمين بقضايا المرأة والأسرة أن يتجاوزوا مرحلة التفسير الاقتصادي للعنوسة والعزوبة بمعنى ربطهما بغلاء المهور والتكاليف الباهظة للزواج ويتوقفوا بتمعن عن الرؤية الاجتماعية والثقافية للقضية فالعنوسة انتشرت أيضًا في الأوساط الراقية الموسرة، وهذا يدلل على أن فكرة الزواج وتكوين أسرة هي نفسها التي صارت محل نظر وليس إجراءات هذا الزواج وتكاليفه.

وتضيف أن بعض العاملات الإسلاميات في مجال المرأة بصدد إنشاء الملتقى الفكري للمرأة المعاصرة بهدف إبداع خطاب جديد في المجال الأسرى يكشف المخططات ويحرر المصطلحات ويحدد بدائل الحركة.

وتشير إلى أن هذا الملتقى لا يتبنى رؤية صراعية بين الرجل والمرأة بل يخاطب الرجل لتحسين الشكل الإسلامي الأمثل لعلاقته بالمرأة.

ويصف د. أبو اليزيد العجمي – أستاذ الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة – موقف بعض الشباب والفتيات الرافض للزواج بأنه مقاومة قسرية للفطرة، فقد جعل الله من عناصر ربوبيته واستحقاقه للعبادة أنه خلق الناس من نفس واحدة، فقال تعالى: {يا

أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء...} (النساء: 1).

أيهما أخف ضررًا؟

فالنزوع إلى تكوين أسرة، والعودة إلى «التوحد» مع من خلقه أو خلقها الله من نفس واحدة أمر فطرى لتحقيق سنة الاستخلاف وإعمار الكون، والرجل كل يحمى الجزء، والمرأة جزء يجد نفسه في العيش في كنف الكل ورعايته وقوامته.

ومقاومة الفطرة تذرعًا بمنطق غريب مدسوس علينا لا ثمرة له إلا الشقاء والوحدة والتعاسة، كما أن المسلم الحق لا يرضى أن ينطبق عليه قوله –صلى الله عليه وسلم–: «النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي فليس منى..» ولا يرضى أن يتبرأ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسير هو وحده في طريق التغريب والحرية المغلوطة والنظرة المشوهة إلى العلاقة المثالية بين الجنسين.

وحول الدور الإعلامي غير المباشر في خلق خاطر نفسي بين المتلقى والزواج، وحمل بعض المشاهدين على رفض فكرة تكوين أسرة من خلال الأثر الإعلامي المتراكم.

ويرصد د. محمد سمير فرج – أستاذ علم النفس والمتخصص في سيكولوجية الشخصية المصرية بعض الصور السلبية للعلاقة الزوجية في وسائل الإعلام.

فالمسلسلات تتناول الأعراض السطحية للمشكلات الزوجية ولا تقدم حلاً عمليًا – يتلاءم مع القيم – لها، وفى حالة الأشخاص ذوى القابلية السريعة للإيحاء والاستهواء، يحدث التوحد مع أبطال المسلسل، ويتبنى المشاهد سلوكياتها فتتفاقم المشكلات الزوجية على أرض الواقع.

ويؤكد د. سمير فرج أن معظم المسلسلات تقدم حلاً حادًا للخلافات الزوجية هو الطلاق، رغم أنه حلال بغيض، وله شروط ومحددات شرعية، ويحمل هذا الحل قيمًا جذابة فهو تربية للزوج، وتحقيقًا لكرامة الزوجة وحريتها والتنازل عنه تفريط في كرامتها.

وتصور أعمال أخرى العلاقات قبل الزواج كشرط لنجاحه؛ لأنها تمنح الفرد الخبرة بالطرف الآخر.

ويتم شحن المسلسل بمواقف جذابة تحبب المشاهد في مثل هذه العلاقات – خاصة إذا قدم المسلسل صورة لحياة زوجية فاشلة – في الوقت نفسه لأن الطرفين لم يعيشا علاقات حرة قبل الزواج.

ويقترح أن تتم مراجعة العمل قبل عرضه بواسطة متخصصين في العلاقات الأسرية وعلم النفس والأخلاق للحكم على العمل ومدى استحقاقه للعرض وتلاؤمه مع القيم.

حيث إن معظم القائمين على تناول العلاقات الأسرية في وسائل الإعلام متأثرون بالثقافة الغربية بشكل غير مباشر ويروجون قيمها في أعمالهم.

إن الذين يشوهون قيمة الأسرة، ويهونون من شأنها ليسوا متآمرين علينا فحسب، وإنما متآمرون معنا أيضًا، فكم من أسر لم تكن نموذجًا طيبًا يقاس عليه.

وقدمت للأعداء مبررات طعنهم في الدين ونظمه الاجتماعية والأسرية، ويظل السؤال مطروحًا: أيهما الأخف ضررًا: إحجام اقتصادي جبري عن الزواج، أم رفض فكرى اختياري له؟ وكيف نخرج من الفخ المنصوب؟ هذا هو التحدي، وتلك هي إحدى أولوياتنا التي تستحق الاهتمام والتفكير العميق والعمل والحركة الفاعلين.

==============

#الحجاب ومشاكل الأمّة

أحمد بن محمد الصقر 1423/8/4

2001/10/20

يتحدث بعض مثقفينا المستغربين عن العلماء والدعاة والجيل الملتزم بكثير من التهم منها:الاهتمام بالقشور والشكليات.

وهذه الفصيلة من المثقفين ينطبق عليها المثل المشهور:رمتني بدائها وانسلّت !،لأنهم ـ من حيث يشعرون أو لا يشعرون . هم من يهتم بالقشور والشكليات ، هذا على فرض صحة هذا التقسيم من الناحية الشرعية ، فهي تكثر الحديث عن الحجاب وهو لا يعدو مظهراً يتعلق بشكل المرأة المسلمة .

وبحسب علمي المتواضع فإن الحجاب ليس مثل أصباغ الشعر التي تحتوي على مواد كيميائية سامة قد تنفذ من خلال مسام قشرة الرأس إلى خلايا المخ فتفتك بها بل قد تصل إلى الجنين وتؤثر فيه...

وعلى حسب علمي أيضاً فإن الحجاب ليس خوذة حربية أو رياضية يُخشى أن تدق عنق المرأة فتحدث في جسمها تشوهات خَلقية ...

ألا يمكن أن يعتبر أدعياء التحرير أن الحجاب قضية شكلية شخصية ...إلا إذا كانوا يعتقدون أن الحجاب هو السبب في تخلفنا عن صعود القمر، وهو السبب في ضياع فلسطين ، أو في مشكلة البطالة والتلوث البيئي وتفاقم مشكلة المياه وتدني مستوى المخرجات التعليمية ، أو في ظاهرة التفكك الأسري وارتفاع معدلات الطلاق ، أو في الفساد الإداري والتخلف التقني وتأخر اكتشافنا لخريطة الجينات الوراثية أو ربما يعتقدون أن الحجاب هو السبب في انتشار الإيدز !! إن المشكلة الحقيقية التي تعاني منها المرأة ليس في ستر وجهها وتغطية شعرها وإخفاء زينتها ولكن في استسخاف عقلها وسلب مشاعرها وطمس كرامتها وذلك من خلال النظر إلى المرأة على أنها أنثى فقط وليست إنساناً له عقله الذي يجب أن يحترم ومشاعره التي يجب أن تقدّر...

والشواهد على ذلك كثيرة ...

منها تلك التصرفات التي يمارسها قراصنة الإعلام حين اتخذوا جسد المرأة وصفاتها الأنثوية سلعة يتجرون بها لجذب أكبر قاعدة ممكنة من الزبائن ... وكأن المرأة . في نظرهم . إنما خُلقت لتكون فتاة إعلان وغلاف أو مقدمة برامج أو عارضة أزياء أو لتؤدي دوراً قذراً في الأفلام والمسارح ...

ومن تلك الشواهد أيضاً ما يقوم به بعض العلمانيين في رواياتهم حين اخترعوا للمرأة أدوار الإغراء ومقامات الفساد ... فأنتِ حين تقرئين رواياتهم سوف تجدين كيف استخدموا المرأة استخداماً مشيناً (لتبهير) رواياتهم وإضفاء صفة الإثارة عليها... فالمرأة في رواياتهم زوجة خائنة أو راقصة ماجنة أو خادمة فاجرة أو سكرتيرة فاتنة أو نادلة متبذلة ... ألخ فهل هذه هي المرأة ؟!!

إن شخصيات تلك الروايات هي شخصيات خيالية ... أي أنها لم تفرض عليهم من قبل هيئة كبار العلماء !

ومع ذلك لم يجدوا لها إلا تلك الأدوار المنحطة التي تستغل أنوثة المرأة ولا تستثمر إنسانيتها !!

فأين أنتم أيها المستغربون عن هذه الممارسات التي يشاهدها الملايين ويتربى عليها الملايين؟! ...

أو تلك قضية تجارية ... والأخرى قضية أدبية!!!

على أية حال ... إذا كنتم ترون أن الحجاب هو السبب في تخلفنا فأرجو منكم أن تسارعوا بتحرير الرجل من الشماغ أيضاً ...

فيبدو أن هوايتكم نزع الملابس !!

===========

#70% من التركيات محجبات رغم أنف العلمانية

شبكة نور الإسلام

رغم كل محاولات حماة العلمانية بكشف رؤوس النساء في تركيا، والتضييق على المحجبات بأهم مناحي الحياة، فقد كشفت دراسة حديثة أن أكثر من 70% من النساء التركيات محجبات ضحين بدراستهن الجامعية وفرص العمل بالوظائف الرسمية مقابل الاحتفاظ بزيهن الإسلامي.

أكدت الدراسة أن المرأة المتحجبة تلقى تعاطفا كبيراً من قبل المجتمع، والجمعيات الحقوقية حتى من قبل غير المحجبات، بسبب التضييق الذي يمارس ضدها.

فاطمة كندراس فتاة في العشرين من عمرها حرمت من التعليم الجامعي لأنها اختارت الحجاب، تمثل نموذجا للتمسك بالقيم الإسلامية رغم كل العقبات، ومع ذلك فهي غير نادمة على الحجاب، وتقول: "إذا كان البعض لديه النفوذ الآن لإغلاق أبواب الجامعات في وجهي، فإنه بالتأكيد لا يقوى على سد أبواب الحياة والنجاح أمامي"، لذلك انطلقت فاطمة لدراسة اللغة العربية في مركز ثقافي خاص، ثم أصبحت مدرسة في ذات المركز الذي درست فيه.

اضطرت الطالبة "فاطمة قر" التي كانت تدرس فن الأزياء والموضة عندما منع الحجاب في الجامعات لترك الدراسة، وحظي قرارها بمباركة أسرتها، وهي الآن ربة منزل.

تقول فاطمة التي كانت تستقل سفينة متوجهة إلى الشق الأوروبي من إسطنبول مع سبع من صديقاتها المتحجبات :" لست نادمة على حجابي، بل سعيدة لأنني دفعت ثمنا يعتبره البعض غاليا في سبيل إطاعة أمر إلهي، والتزاما بواجبي الديني".

آلاف التركيات المحجبات اضطررن لإكمال تعليمهن الجامعي في الخارج، خاصة في أذربيجان حيث تنتشر اللغة التركية، كما أن بنات رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان اضطررن للدراسة في جامعات بالولايات المتحدة، والحجاب لم يجلب المتاعب فقط لبنات أردوغان بل له شخصيا أيضا، من قبل العسكر بالدولة بسبب حجاب زوجته.

وأمام أبواب الجامعات أو الدوائر الرسمية هناك مظهر يتكرر مئات المرات يوميا، سيدات في الصباح يخلعن حجابهن، وعند الخروج من الجامعة أو العمل يعدن وضعه على رؤوسهن.

هذا واحد من أساليب التجاوز التي تلجأ إليها الكثير من التركيات، للحفاظ على الحجاب مع الدراسة أو العمل.

نساء أخريات يضعن قبعة أو شعرا مستعارا على رؤوسهن بدلا من الحجاب وبذلك لا يثرن غضب الدولة.

الجدير بالإشارة أن الحجاب منع في كافة المؤسسات الرسمية التركية منذ الانقلاب على حكومة حزب الرفاه في 28 فبراير 1997.

===========

#رؤية لسيناريوهات ما بعد الحرب

د: يوسف الزامل * 1424/2/19

2003/04/21

يثير عدد من الأشخاص نقاشات وحوارات وتساؤلات عما يمكن أن تنجم عنه ما بعد الحرب من آثار خطيرة قد تغير الأوضاع الاقتصادية صعوداً أو هبوطاً، رواجاً أو ركوداً، بحيث إنهم يريدون استطلاع رؤى تساعدهم في اتخاذ قرارات استثمارية، أو تأجيلها أو شراء عملات أجنبية وذهب أو بيعها، أو غير ذلك ، جرياً من ناحية وراء إمكانية تحقيق أرباح من المضاربات على الأسعار، أو حماية لرؤوس أموالهم من

ناحيـة أخـرى ، أو تحـرزاً مـن اتخـاذ قـرارات اسـتثمارية أو ماليـة قـد لا تكـون فـي صـالحهم ، وقد يتعدى القلق والتساؤلات المخاوفَ الاقتصـادية لتتعلق بمستقبل الأمـة، وإمكانيات التدخلات السافرة في شتى الشؤون الداخلية المرتبطـة بالسيادة والاستقلالية للـدول العربيـة والخليجيـة فـي المجـالات التعليميـة، والثقافيـة، والقيميـة، والسياسـية، وغيرها ..

ولا شـك أن الإجابـة الدقيقـة أو الإفـادة ذات المصـداقية العاليـة عـن السـيناريوهات المسـتقبلية للأحـداث و التغيـرات الاقتصـادية لا تحتـاج إلـى معلومـات وبيانـات وإحصـائيات اقتصـادية فحسـب ؛ بـل وإلـى كـم معقـول مـن الدراسـات السياسـية، و الاستخباراتية، و الاستراتيجية التـي قد يصـعب الوصـول إليهـا، و قـد يطـول هيكلتهـا وبرمجتهـا، ثـم تحليلهـا بجهـود فرديـة محـدودة . فالقيـام بمثـل هـذا العمـل علـى درجـة مقبولة يستلزم عملاً مؤسسياً تتضافر فيه جهود مختلف المتخصصين و الخبراء في المجـالات السياسية و الاقتصـادية ... مثـل هـذا العمـل المؤسسـي يفتـرض أن يكـون موجوداً بقدر معقول من الكفاءة في العالم العربي و الإسلامي، وفي منطقة الخليج تحت مسميات المعاهد والمراكز الاستراتيجية، ليس لحماية أو تفعيل القطـاع الخـاص فـي المقـام الأول بقـدر حمايـة وحفـظ المسـتقبل الأمنـي و العسكري لكيانـات الـدول السياسية، وتحقيق استقرارها، وتجنب ما يمكن أن تقع فيه من كوارث . وعدم وجود أو كفـاءة مثـل هـذه الكيانـات سـيعني أن ثغـرات ضـخمة قـد تتـرك مفتوحـة ليـتمكن الأعداء من النفوذ من خلالها إلى البلاد على حين غفلة من أهلها..

ومـع ذلـك فبقـدر محـدود مـن مصـادر المعلومـات و الخبـرات الفرديـة، ورؤيـة دقيقـة ومتأنيـة فـي الأوضـاع العالميـة بعـد سقوط الاشـتراكية و الكتلـة الشرقية، وبعـد اتجـاه الكتلـة الغربيـة نحـو مزيـد مـن التكامـل السياسـي و الاقتصـادي، والمتمثـل فـي أوروبـا الموحدة وتقدم مراحل التكامل الاقتصادي في قارة أمريكا الشمالية ، والتعاون الكبير بين دول قارة أمريكا الشمالية ودول قارة أوربا ، فيستطيع المحلل العادي أن يتوقع أنـه لا بـد أن ينجم عـن ذلـك اختلال فـي تـوازن القـوى بـين الشـرق و الغـرب و الشـمال والجنوب، مما يلزم منه ضبابية في إمكان استمرار كتلة متوسطة كانت تسمي دول عدم الانحياز ، وبالتالي ففي ظل قوانين دوليـة هشـة، وسيطرة للكتلـة الغربيـة علـى

المنظمات السياسية الدولية كمجلس الأمن، و النفوذ الكبير في هيئة الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي و البنك الدولي؛ فإن فرض قوى المصالح الغربية توجهاتها وتدخلاتها السياسية والعسكرية على دويلات ودول شرقية ضعيفة ذات كيانات اقتصادية وسياسية وعسكرية هشه أمر يبدو متوقعاً وطبيعياً ، ولا يبقى على الكتلة الغربية إلا أن ترسم الخرائط وتستخدم لتنفيذ مصالحها وتدخلاتها المسرحيات و السيناريوهات التي تحلو لها، وترى فيها أقل تكلفة وأكبر عائد يمكن أن يحقق أهدافها الاستراتيجية و الثقافية و الاقتصادية ..و لا شك أن الولايات المتحدة الأمريكية وهي أكبر وأقوى عضو في الكتلة الغربية (والتي تنتج ما يقرب من ¼ إنتاج العالم) قد قامت بافتعال أو استغلال أحداث مهمة بعد فترة لم تزد عن14 سنة منذ سقوط الاتحاد السوفيتي(2001-1988).. وليس أشهر من حرب الخليج الثانية , ثم حوادث سبتمبر 2001 ، إذ استثمرت ذلك لإشعال الحرب على أفغانستان ثم بعد أقل من سنة الحرب على العراق . وكانت المقالات التحليلية والتصريحات الرسمية وغير الرسمية تتوالى (وحتى قبل أحداث سبتمبر 2001، انظر على سبيل المثال المقال الافتتاحي لصحيفة الرياض يوليو/ 2001 والذي تحدث عن مصارحة الأمير سلطان) وتؤكد وجود المطامع لبعض القوى ورغباتها في إحداث تغيير في خرائط المنطقة ..

هذه الوتيره المتسارعة للأحداث العالمية ثم الاعتداءات دون إجماع دولي أو قانوني على دولة بعدها دولة،وفي منطقة واحدة تقريباً، هي الشرق الأوسط ، والذي تلتقي على أراضيه المطامع العالمية الدينية (من يهودية ونصرانية) مع المطامع الاقتصادية (من نفط وغاز) ، جعلت كل المراقبين و المتنفذين في السياسات الدولية يكادون يجمعون على أن هناك خرائط جديده وإعادة لرسم هياكل جغرافية لدول المنطقة، وتوزيع مختلف للقوىالسياسية والاقتصادية لدول المنطقة. وهذا يؤدي إلى استطلاع أحداث قريبة الوقوع جداً بعد إنجاز المهمة في العراق ستكون في إيران أو سوريا، و المبررات جاهزة في مظلة مكافحة الإرهاب ، فإيران إحدى محاور الشر ، وسوريا هي الدولة التي لم توقع على معاهدة سلام مع إسرائيل، فهي في حالة حرب مع كيان متنفذ في القوة والتأثير على الولايات المتحدة، وصياغة وتشكيل

فقرات مصالحها القومية والاقتصادية والسياسية المبنية على مزيجها (المسيحي اليهودي).
ثم بعد ذلك تستكمل مسيرة حرب الإرهاب في دول أخرى مغلوبة على أمرها سياسياً وعسكرياً، و التي ستوجه إلى إعادة تكوين ليس فقط مناهجها التعليمية و مؤسساتها الدعوية و التعليمية و الخيرية والقيمية ، بل ستستكمل بإعادة تشكيل مؤسساتها و أنظمتها السياسية و الاقتصادية؛ لتصبح سائرة دون انحرافات في فلك الديمقراطية الغربية (الأنجلوسكسونية)؛ لتصب في خدمة ودعم المصالح و الأهداف لقوى الضغط الصهيونية و النصرانية المتطرفة، و التي تتحرك في بوتقة العلمانية، وتستظل بالعولمة الاقتصادية .
وقد يتم التدخل في شؤون هذه الدول العربية الضعيفه (الخليجية وغير الخليجية) عبر غطاء التعاون الأمني مع الولايات المتحده؛ لملاحقة المتطرفين والارهابيين من الشباب المتحمس الغيور، و تكون سياسات الغطرسة الأمريكية في المنطقة قد نجحت في استفزازهم ودفعهم نحو بعض الأعمال الانتحارية العاطفية غير المدروسة والمحسوبة العواقب والآثار طويلة الأجل ، أو تدفع إلى بعض العناصر لتمثيل مثل هذه الأدوار إن لم تظهر سريعاً إلى أرض الواقع.
هذا السيناريو المتوقع للأحداث كما تؤيده المبادرات العسكرية المتلاحقة للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، وسرعة التغيرات و التقنية المعلوماتية، والسباق نحو العولمه ، وظهورتيارات التكتلات الدولية – ذات المزيج المتجانس (العرقي الديني العلماني) كالاتحاد الأوروبي– وتخطيها للأفكارالوطنيه و الحركات و النعرات القومية التي لم تتطور عنها الدول العربية ، فإنه يزداد تأييداً بأن الشرق الأوسط قد أصبح (خلال 20 سنة مضت) مجالاً لصراعات دموية ضخمة لم يشهد العالم لها مثيلاً منذ الحرب العالمية الثانية، كحرب أفغانستان الأولى و الثانية، وحروب الخليج الأولى و الثانية والثالثة، وتلك الحروب تكون الدول العظمي أطرافاً مباشرة ورئيسة فيها .
منذ عام 1948 1978 (أي :30سنة) كان العالم وخاصة الشرق الأوسط (فيما عدا العدوان الثلاثي على مصر عام 1956) بعيداً عن صراعات وحروب ضخمة يكون

ضحيتها خراب ودمار شامل للبلدان و الدول (كما حدث في العراق عام 1991 ثم 2003 وكذلك أفغانستان عام 2002)&

ويزيد ذلك وضوحاً وبرهاناً أن الولايات المتحدة الأمريكية ومن يسير في فلكها لا تريد أهدافاًَ اقتصادية في المقام الأول في حربها على العراق ، ويخطئ من يظن أن عهد الاستعمار القديم سيتجدد بتملك الشركات الأمريكية لبترول العراق ، بل سيظل مملوكاً للعراق ، وإن كانت شركات النفط الأمريكية والغربية هي المستفيدة الأولى ، تحظى بالامتيازات و العقود الاستثمارية المجزية ، وإن كان سيسير العراق في فلك وتوجهات المصالح الغربية الأمريكية ، ومع كل هذا كان يمكن أن تتحقق هذه الأهداف الاقتصادية (لو كانت هي الوحيدة أو الرئيسة) بدون حرب عبر صلح وتعديل جوهري في نظام العراق (كما حدث في الاتحاد السوفيتي تحت ما يسمي بالبروستريكا) .. ،فمن يحاول أن يصور الحرب بأنها اقتصادية لايدرك أبعاد الأسس التي تسير عليها الاستراتيجيات لتحقيق المصالح الاقتصادية الرأسمالية ، كما أنه يحاول أن يبسط الأمور في بعد واحد هو المظهر والشكل الاقتصادي ، ويجعله الأول و الرئيسي ، وذلك كما تحاول أن تبسط أمريكا عدوانها على العراق في مظهر محاربة الإرهاب . كما يحتاج من يسلك مسلك التبرير الاقتصادي أو يحصره في ذلك إلى أن يفسر الحرب الأمريكية في أفغانستان، وهي كما نعلم بعيدة عن الاحتياطيات النفطية (ومن يقول إن الهدف هو السيطرة على بترول بحر قزوين يكون قد أبعد النجعة).. وغيرها، نحو؛ مقاطعة المنتجات و الخدمات الأمريكية، وضعف الإقبال على صناعة السياحة الأمريكية، وانخفاض الإنفاق على السياحة من المقيمين في أمريكا، والوافدين إليها إلى غير ذلك من آثار اقتصادية عكسية، ليس أقلها إثقال كاهل الميزانية الأمريكية بنفقات عسكرية ضخمة، تزيد من أرصدة الديون الحالية، وترفع عوائد خدماتها .

إن أمريكا لم تعد دراسة جدوى اقتصادية لحربها على الإرهاب في أفغانستان و لا العراق، ولا على ما سيأتي بعدهما دول لأن الأهداف الجوهرية المحركة لعجلات الحرب هي كما أشرنا أهداف تجتمع فيها مصالح الطوائف و القوى المتطرفة من مزيج التشكيلات النصرانية العلمانية و اليهودية الصهيونية و التي تقف وراء

الكواليس، وتدفع الحكومة الأمريكية نحو الحرب التي تدمر دماراً شاملاً تحت مظلة محاربة أسلحة الدمار الشامل.

وبعد سوريا وإيران (سيكون لكل منها سيناريو مناسب في كل سنة من خلال السنين القادمة) ستزداد الكراهية، وتتحرك عواطف شباب غيورين من أفراد الشعوب المسلمة في الخليج .(1) ، مع استمرار ضغوط إعلامية وسياسية على دولها وحكومتها، مما سيزيد من انقلاب الزمام على السيطرة و تحقيق الأمن، وعندما تحدث الفوضى مبرراً واضحاً وجيداً لتدخل مباشر (صهيوني صليبي) ضد ما يسمي بالإرهاب ،و التدخل لا يلزم منه أن يكون عسكرياً ؛ بل ربما سيكون بواسطة دعوة جميع الدول العربية إلى جلسات ومعاهدات واتفاقيات مع إسرائيل و الولايات المتحدة وبريطانيا وغيرها من الدول؛ ليتم القيام بمشروع بروستريكا جديد وحديث للتعاون و التكامل الاقتصادي و الأمني و السياسي لدول الشرق المتوسط وشمال إفريقيا، لتحقيق التنمية العادلة في توزيع الثروات ،والحرية، والديمقراطية، و الاستقرار الأمني ومحاربة الإرهاب و التطرف، وبالطبع ستكون المستفيدة الأولى في مثل هذا التكامل الاقتصادي السياسي و الأمني هي الدول القوية إسرائيل اليهودية الصهيونية، و حلفاؤها الأقوياء، من دول أمريكية و أوروبية نصرانية صليبية، مع بعض الدول الإسلامية المجاورة في النفوذ المباشر للصهيونية و النصرانية، وستكون إسرائيل بمثابة المركز وباقي الدول والمناطق بمثابة الريف والمساند و المحيط . وهذا ما سيكون لا حقاً دولة إسرائيل الكبرى التي لا يحلم بها اليهود فحسب؛ بل المتعصبون المتحالفون من المتطرفين المسيحيين، الذين أخذوا يزدادون في التأثير على الدوائر السياسية و الأوروبية و الأمريكية .

* أستاذ مشارك قسم الاقتصاد جامعة الملك سعود

(1) الأعمال انتحارية أو استشهاديه ضد المصالح الغربية الأمريكية أو هكذا تفتعل ويدفع إليها أفراد .

============

نقد الفكر الليبرالي (جديد ومزيد).

الحرب على السلفيّة..!

(نقد الفكر "الليبرالي" السعودي)

فئة ضالة جديدة

بقلم/ د. محمد بن عبد العزيز المسند
عضو هيئة التدريس بكلية المعلمين
قسم الدراسات القرآنية
وعضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإنّ من المعلوم أنّ هذه الدولة السعوديّة منذ نشأتها على يد الإمامين الجليلين محمّد بن عبد الوهّاب ومحمّد بن سعود ـ رحمهما الله تعالى ـ قد قامت على العقيدة السلفيّة النقيّة التي كان عليها السلف الصالح منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم.. والإمام محمّد بن عبد الوهّاب رحمه الله لم يأت بجديد فيما دعا إليه، وإنّما جدّد ما اندرس من معالم هذا الدين لا سيّما ما يتعلّق بالتوحيد ونبذ الشرك، فكانت دعوته تحريراً للعقول من الجهل والخرافات والخزعبلات، وجرى على ذلك أتباعه من بعده حكاماً ومحكومين، ولقد تعرّضت هذه الدولة السلفيّة المباركة منذ نشأتها للكثير من الأذى والمواجهات والتحديات من قبل جهات عدّة، لكنّها ـ بفضل الله تعالى ثم بفضل تمسّك أهلها بهذه العقيدة السلفيّة النقية ـ صمدت في وجه أعدائها، وعاودت الظهور كلّما ظنّ أعداؤها أنّها قد زالت إلى الأبد..

وفي أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ثمّ الأحداث التي وقعت في هذه البلاد من تفجيرات آثمة، مع ما صاحب ذلك من وفاة كبار أئمّة هذه الدعوة السلفيّة المعاصرين الذين كان لهم كبير الأثر في حمايتها والذود عنها؛ وجد الأعداء فرصتهم في النيل من هذه الدعوة السلفية ممثّلة في أهلها والقائمين عليها، ولم يكن عدوّها الخارجي بأخطر من عدوّها الداخلي المتمثلّ في بعض أبنائها العاقّين الذين تشرّبوا مبادىء وأفكاراً منحرفة، كان منهم طائفة تبنت الفكر الاعتزالي القديم، وراحت تدعو إليه وتنافح عنه، وترى في السلفيّة عدوّاً لدوداً له، وهم بذلك يسعون إلى إعادة فتنة سلفهم القديمة مع إمام أهل السنة في وقته الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله،

ولكن بوجه عصري جديد يتماشى مع ما يريده العدو الخارجي المتمكن، هذا الوجه يتلخص في اتهام هذه السلفية النقيّة بأنّها هي مصدر الإرهاب . الذي لم يتم الاتفاق على تعريفه إلى هذه اللحظة .، ومصدّرته، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فجعلوا السلفية المسكينة هي السبب الرئيس في جميع النكبات التي حلّت بالأمّة من تخلّف وتأخر وتفرّق(!)، وأنّه لا سبيل إلى التقدم والازدهار إلا بنبذ هذه السلفية النقية التي تدعو إلى اتّباع منهج السلف الصالح ابتداء من رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم، ومروراً بأئمّة الإسلام العظام كسعيد بن المسيّب وسعيد بن جبير والأئمّة الأربعة وابن تيمية وانتهاء بأئمة السلفية المعاصرين كابن باديس وابن باز وابن عثيمين وغيرهم عليهم جميعاً رحمة الله تعالى، وفي الوقت نفسه راحوا يبشّرون بمشروعهم التغريبي الجديد المتمثّل في إحياء الفكر الاعتزالي العقلاني، بدعوى الإنسانية والتعددية.. وقد رأيت أن أقصر الحديث على هذه الطائفة الاعتزالية دون غيرها لأسباب أهمّها:

1. أنّهم من أبناء جلدتنا اللصيقين، ويتكلّمون بألسنتنا..

2. تمكنهم من بعض وسائل الإعلام المحلية، وإعطاؤهم الضوء الأخضر من قبل القائمين على تلك الوسائل ليقولوا جلّ ما يريدون، وعدم السماح بنشر الردود عليهم إلا بشكل ضئيل جداً.

3. أنّهم يتحدّثون باسم الدين ويلبسّون على الناس بخلط الحقّ بالباطل، وإثارة الشبه القديمة التي أثارها الأعداء من قبل.

4. تمكنهم من بعض المنابر الجامعية في بلادنا، وبلبلة أفكار الطلاب وتشكيكهم في دينهم وعلمائهم بل وفي أقرب الناس إليهم وفي هذا يقول أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً وبذاءة . في مقال له بعنوان: (نحن والخوارج إلى أين) الرياض: 13709: " ما أؤكّده لطلابي دائماً، ويقع منهم موقع الغرابة أنّ الفكر الخارجي حالة ليست ببعيدة عنا، الحالة الخارجية لها نسبتها الخاصة، وقد تنمو داخل الفرد ببطء دون أن يشعر، وقد تتسرب إليه من أقرب الأقربين، بل قد يكون أقرب الناس إليه . والداه أو إخوته مثلاً . من غلاة الخوارج، ولكنه يستبعد أن يكون هذا القريب الذي يطمئن إليه غاية الاطمئنان من الخوارج الغلاة الذين يقرأ عنهم وعن تكفيرهم ووحشيتهم.. لا

يكادون يصدقون هذا، مع أنهم يعرفون تمام المعرفة أن الخوارج القدامى خرجوا من صميم المجتمع... "، بهذه الطريقة الماكرة يشكك الأستاذ الجامعي تلاميذه في والدِيهم وإخوانهم، بل العجيب أن يتحوّل مدرس العربية، إلى أستاذ في العقيدة، ليلقنهم درساً في الفِرَق، وهذا الذي طالما استنكروه في صحفهم، وعدّوه من أسباب تدني التعليم عندنا كما يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (دعاة لا معلمون) الوطن: 921.

ثم يقول الأول في مقاله: إن الطلاب لا يكادون يصدقون ما يقوله..!!، وكيف يصدقون هذا الهراء من كاتب يعلمون خبثه وانحرافه العقدي والفكري، وقد قابلت بعض طلابه فأبدوا استياءهم من فكره المنحرف الذي يبثه في قاعة الدرس..

ولقد كنت منذ زمن أتتبع كتاباتهم التي يسوّدون بها الصحف والمجلات، فجمعت منها كمّاً هائلاً مليئاً بالجهالات والمغالطات والتلبيس والدسّ الرخيص، وتقرير العقائد الباطلة، وغير ذلك من أنواع الباطل، وما فاتني منها ربما أضعاف ما جمعته، مما يصعب معه نقد هذا الفكر نقداً شاملاً دقيقاً، إذ يحتاج ذلك إلى مجلدات ضخمة ربما فني العمر قبل الفراغ منها.. ولا أقول ذلك مبالغة وإنّما هي الحقيقة، لذا سأحاول نقد ما تيسر لي من هذا الفكر بحسب ما يتسع له الوقت، وهو كاف . بإذن الله . لفضحه وبيان فساده وخطله..

وسيكون الحديث عنهم في النقاط التالية:

أوّلاً: سماتهم الشكلية الظاهرة..

ثانياً: سماتهم الفكرية والثقافية من خلال كتاباتهم المعلنة..

ولن أحرص على ذكر الأسماء، لأنّ الأسماء تتغيّر وتتبدّل، بخلاف السمات فإنّها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان إلا قليلاً، وهذا هو منهج القرآن في الحديث عن مثل هذه الطائفة..

هذا؛ ومن الملاحظ من خلال كتاباتهم أنّهم يتبادلون الأدوار، فبعضهم متخصّص في الطعن في السلفية وتشويهها وتنفير الناس منها، وبعض آخر متخصّص في التقليل من خطورة المذاهب المنحرفة، والأفكار الضالة، بل الدعوة إلى بعضها وتلميعها وخصوصاً الفكر الاعتزالي كما سيأتي بإذن الله، وهكذا، وبعض ثالث متخصّص في

النيل من حضارتنا الإسلامية، وتشويهها، والثناء المغالي على الحضارة الغربية، وتمجيدها إلى حدّ الهوس، وهلمّ جرّاً..

أمّا مصادرهم التي ينهلون منها، فهي بعض الكتب الفكريّة لبعض الكُتّاب المنحرفين من تلامذة المستشرقين الحاقدين، ومن أصحاب التوجّهات العلمانية المشبوهة، الذين يجيدون بثّ الشبه، والتشكيك في أصول الدين ومصادره، وتاريخ المسلمين، بطريقة ماكرة، وغير منهجية، قد تخفى على كثير من الشباب الغضّ الذي ليس له حظّ وافر من العلم الشرعي، ومن أبرز هؤلاء المفكّرين، وأكثرهم حضوراً في كتاباتهم: المفكّر المغربي محمّد عابد الجابري، ففي الوقت الذي يطعنون فيه بأئمّة السلف وعلماء الأمّة كما سيأتي؛ نجدهم يسبغون أوصاف التعظيم والتبجيل لهذا المفكر وأمثاله، يقول أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً . في مقال له بعنوان: (إشكالية العنف الفلسطيني الإسرائيلي) الرياض: 13401: " فلسطين والنهضة العربية، أيّهما الوسيلة، وأيّهما الهدف؟ تاه العربي في هذا السياق وغمّ عليه! وأصبحت الحيرة في هذا من الإشكاليات المزمنة في الوعي العربي ذي البعد الوحدويّ؛ كما يرى ذلك المفكّر المغربيّ الكبير: محمد عابد الجابريّ.. "!!! .

ويقول آخر . وهو أكثرهم حديثاً عن العقائد، وتقرير مذهب الاعتزال . في مقال له بعنوان (غرس المفاهيم من خلال الطرح غير العقلاني) الرياض: 13477: " يرى الدكتور محمد عابد الجابري أنّه لكي يتمّ غرس المفاهيم الحداثية في الذاكرة الجمعية لمجتمع معين مثل مفاهيم الديمقراطية والتسامح وحقوق الإنسان والمجتمع المدني فلا بدّ من تجذيرها تراثياً.. " ويستمر الكاتب في شرح وجهة نظر الجابري، وعلى الرغم من أنّه أبدى شيئاً من التحفظ المؤدب تجاه تلك الوجهة، إلا أنّه يختم مقاله بقوله: " وهذه على الأقلّ تظلّ مجالاً للتساؤلات التي على المفكّرين الكبار من طراز الجابري بالذات أن يولونها (هكذا) اهتمامهم.."، وأضع تحت كلمتي (طراز) و(بالذات) عدّة خطوط.

وفي مقال آخر بعنوان (النظام المعرفي والهوية الثقافية) الرياض: 13551، يقول الكاتب نفسه: " مفكرون عرب كبار وعلى رأسهم الجابري.. ".

أمّا ترديد أفكار الجابريّ، وحتى ألفاظه ومصطلحاته، فهو كثير في كتاباتهم، ومن ذلك:

• (بنية العقل العربي) من مقال بعنوان: (بائعو الكلام) الرياض: 13490.

• (الإيبيستيمولوجيا، النظام البياني والعرفاني والبرهاني) من مقال بعنوان: (النظام المعرفي والهوية الثقافية) الرياض: 13551.

• (التاريخ السياسي المتدثّر برداء الدين، والمحافظ على أيدلوجيته القبليّة، ومكاسبه الغنائميّة..) من مقال بعنوان: (قراءة في بعض فروع العقائد) الرياض: 13667.

• (المخيال الجمعي) من مقال بعنوان: (مفهوم الحاكمية) الرياض: 13716، وغيرها من العبارات.

بل إنّ أحد كبرائهم . وهو أشدّهم افتتاناً بالحضارة الغربيّة وتمجيدًا لها . صرّح في مقال له بعنوان: (أسباب التباس مفهوم الثقافة) الرياض: 13789 بمنهجهم في التلقّي، يقول: " أمّا التوغّل الفردي في اكتساب المعرفة المقروءة، والتحليق في آفاق المعارف الإنسانيّة؛ فهو من التغيّرات التي طرأت على الحياة البشريّة، وهو عالميّ المصدر، فرديّ الاهتمام، فهو لا يكون جماعياً، ولا يمثّل سياقاً عامّاً، أو نسقًا سائدًا، وإنّما هو عمل فرديّ يقتصر مداه على صاحبه ومن يتأثّرون به، ويستجيبون له [يقصد حزبه الليبراليّ]، وتكون مرجعيّته المعرفيّة من خارج النسق الثقافي المحلّي المغلق(!)، إنّه يعتمد على المصادر المكتوبة الممحصّة(!)، وهي مصادر مجلوبة من خارج الثقافة السائدة "

هذه هي مرجعيّتهم، إنّها مجلوبة من خارج الثقافة السائدة(!) وهي كتب المستشرقين الحاقدين، وأذنابهم من الزنادقة الملحدين، والمفكّرين المنحرفين كما تدلّ على ذلك كتاباتهم!!!.

ثمّ يواصل: " فالفرد المهتّم يكوّن ذاته بذاته منفردًا، ويفتح ذهنه لكلّ المتاح من الإنتاج العالميّ، من الأفكار والمعارف والآداب(!) والفنون حيث يتجاوز الفرد بهذا التحليق(!) الثقافة السائدة تجاوزًا موغلاً(!) معتمدًا في ذلك على التأمّل العميق والاستقصاء الدقيق، والبحث الدائم، والمعايشة المنفردة(!) ".

فهو يرى أنّ مجرّد القراءة الفرديّة، والجهد الفرديّ في التلقّي، ومن مصادر خارج النسق الإسلاميّ المنضبط، هو سرّ التميّز والتثقيف والتقدّم المنشود، وهو إذ يقول ذلك . بهذه السذاجة الغريبة . لا يخاطب جمعًا من المثقّفين والنخب الذين لديهم التمحيص والتمييز بين الغثّ والسمين، والنافع والضارّ، وإنّما يخاطب الناس جميعًا في صحيفة سيّارة، فكيف يصدر مثل هذا من كاتب يعدّ نفسه من نخبة النخبة(!)، وقد حذّر سلفنا الصالح من هذا النوع من التلقّي، وشاعت بينهم المقولة الشهيرة: (من كان شيخه كتابه، كثر خطؤه، وقلّ صوابه)، وهي مقولة صحيحة يؤكّدها الواقع القديم والحديث، فإنّك لا تجد رجلاً تفقّه وتعلّم وتتلمذ على الكتب إلا وتجد له من الأخطاء والشذوذ ما يفوق الحصر.

ثمّ إنّ هؤلاء وهم يتّهمون السلفية بالتقليدية، ويلمزونها بذلك، وهي من أشدّ المذاهب حرصاً على اتّباع الدليل، ونبذ التقليد؛ نراهم يقلّدون هذا الجابري وأمثاله، ويردّدون ذات الأفكار، بل ذات الألفاظ التي يردّدونها، والتي صدرت . أوّل ما صدرت . من المستشرقين الحاقدين، وأخذها عنهم هؤلاء المقلّدون، فعاد الأمر إلى تقليد المستشرقين، وترديد شبههم..، وإذا كان ولا بدّ من التقليد، فتقليد السلف الصالح خير من تقليد المنصّرين، من المستشرقين، وأذنابهم من المفكّرين بعقول غيرهم(!!!).

وبعد، فهذا أوان البدء بالمقصود:

أوّلاً: السمات الظاهرة: فأمّا سماتهم الشكلية الظاهرة . التي يتستّرون بها على أفكارهم ـ، فأبرزها إعفاء اللحى مع الأخذ منها، أو على حدّ تعبير أحد مشايخنا الأجلاء . اللحى الليبرالية .، حتى إنّ أشدّهم تطرّفاً لو رأيت صورته لحسبته من الصالحين، بينما كتاباته تمتلىء حقداً وغلاً على الصالحين والمصلحين لا سيما أصحاب المنهج السلفي القويم من الأوّلين والآخرين كما سيأتي.. وليس ذلك خاصّاً بهم، فقد يشترك معهم في ذلك بعض العامّة ممن لا يحمل فكرهم المنحرف..

ومع ذلك، فقد تقتضي مرحلة من المراحل الظهور بغير لحى، فهي ليست ضرورية عندهم..

كما أنّ من سماتهم الظاهرة حضور الجمع والجماعات، مع انتقادهم الشديد . غير الموضوعي . لأئمّة المساجد واحتقارهم وكراهيتهم، إلى درجة الطعن والتشكيك في

دينهم أحياناً، والتأليب عليهم، وأحياناً السخرية منهم والتندّر بهم لا سيما إذا خالفوهم في الأفكار المطروحة.. ويظهر ذلك جليّاً في مواقعهم على الأنترنت، فما لا يقدرون على بثه في صحفهم ومجلاتهم بأسمائهم الصريحة، يبثونه عبر تلك المواقع بأسماء مستعارة.. بل إنّ أحدهم . وهو أشدّهم تطرفاً وبذاءة . دعا في مقال له بعنوان: (نحن والخوارج إلى أين) الرياض: 13716، إلى فرض الوصاية على الخطباء . الذين هم في الغالب من طلاب العلم وأساتذة الجامعات . وكتابة الخطب لهم بل حتى الأدعية، فلا يكون لهم دور إلا مجرد قراءة الخطب المكتوبة فقط(!)، هذا مع طنطنة هذا الكاتب وغيره من هذه الفئة على ضرورة رفع الوصاية المفروضة على عامة الناس من قِبل العلماء، والتي تحول بينهم وبين الاقتناع بالأفكار المضللة التي تدعو إليها هذه الفئة الضالة وغيرها، وهذه من أعجب تناقضاتهم كما سيأتي إن شاء الله..

يقول أحدهم . وهو من أكثرهم حديثاً عن السياسة والدعوة إلى الفكر الاعتزالي . في مقال له تفوح منه رائحة العلمنة بعنوان: (التجييش الطائفي على المنابر) الرياض: 13770، . وكلّ من يدعو إلى الدين والعقيدة عندهم فهو طائفي .، يقول: " أدركتني صلاة الجمعة الماضية مع أحد الخطباء ذي الباع الطويل في التسييس المنبري(!) ومنذ قد غادرت مسجده منذ مدّة ليست بالقصيرة عندما أدركت حينها أنني لا أكاد أسمع وأنا منصت لخطبته إلا تحاليل(!) سياسية رديئة المضمون(!) رائجة السوق لدى الخطاب الديماغوغي(!) القابل للتجييش بطبيعته.. " إلى آخر ما ذكر بأسلوبه الركيك المتهالك، أمّا الخطاب الديماغوغي!!! فهذا الذي لم أفهمه إلى هذه الساعة، ولعلّه مشتق من الدماغ، والله تعالى أعلم، أما (التحاليل)، فذكرتني بالمستشفيات، والدماء المسحوبة للتحليل، ولعله اختار هذا اللفظ لمناسبته للإرهاب وسفك الدماء..

وفي مقال بعنوان: (نجاحات الأمن قدوة كيف نبرر قتلنا المجاني) الوطن: 1156، يلمز أحدهم خطيب العيد الذي صلى خلفه، لأنّه . كما يقول . ذكر أنّ للتطرف وجهين، وجه محسوس وهو الذي يؤدي إلى التفجير والتخريب، والوجه الآخر تطرف فكري وهو تطرف العلمانيين والمنحرفين من كتّاب ومثقفين... وذِكْرُ هذا الوجه الأخير هو الذي أقضّ مضجع هذا الكاتب، واغتاظ منه (كاد المريب أن يقول خذوني)، فما كان منه إلا أن اتهم الخطيب بالتبرير للإرهاب المحسوس، مع أنّه لم

يقل ذلك، لكنه الصيد في الماء العكر، والدفاع عن وجودهم، حيث استغلوا الأحداث الأخيرة لتصفية الحساب مع خصومهم التقليديين.

هذه مجمل سماتهم الظاهرة..

أمّا سماتهم الفكرية العامّة التي ظهرت من خلال كتاباتهم المعلنة، فهي كثيرة جداً، أذكرها أوّلاً بإجمال، ثمّ بتفصيل:

أوّلاً: الإجمال:

1. محاربة السلفية.
2. الخلل العقدي الواضح في كتاباتهم.
3. الشكّ في دينهم، وكثرة الحديث عمّا يسمونه بـ (امتلاك الحقيقة المطلقة).
4. العزف على وتر الإنسانية.
5. الدعوة إلى علمنة الحياة، وإقصاء الدين (وهو لبّ مشروعهم الذين يدعون إليه).
6. الإعجاب بمن يسمّونه (الآخر)، ومدحه، وكيل الثناء عليه.
7. الجهل.
8. تنزيل الآيات التي جاءت في حقّ الكفرة من المشركين وأهل الكتاب، على خصومهم المؤمنين من العلماء والدعاة وطلبة العلم!!.
9. عدم قبول النصيحة، والسخرية من الناصحين، والتشهير بهم.
10. المزايدة على حبّ الوطن، وهم أشدّ الناس خطرًا على الوطن.
11. الطعن في أئمّة السلف قديمًا وحديثًا، والتقليل من شأنهم، مع إجلال الزنادقة والملحدين والمارقين والمبتدعة.
12. الغرور والكبر واعتقاد امتلاك الصواب..
13. الهجوم الشديد على المؤسسات الدينية والمناشط الدعوية والأشرطة والكتيّبات النافعة.

هذه بعض سماتهم بإجمال، أمّا التفصيل:

السمة الأولى:

محاربة السلفية

وهذه سمة ظاهرة في كتاباتهم، بل هي أبرز سماتهم، يبدونها أحياناً، ويخفونها أحياناً كثيراً، وليس المراد بالسلفية هنا: المدّعاة من قبل بعض النوابت الذين شوّهوا السلفية الحقّة ما بين إفراط أو تفريط، فهؤلاء أمرهم مكشوف لكل ذي بصيرة، بل العجب إنّ بعضهم قد وضعوا أيديهم في أيدي هؤلاء الاعتزاليين المارقين لمحاربة السلفية الحقّة ممثّلة في أهلها العاملين بها.. ومع هذا فإنّ هؤلاء الاعتزاليين يسخرون منهم، ومن سلفيتهم بل من السلفية كلّها أيّاً كانت، يقول أحدهم . وهو أشدّهم تطرفاً . بأسلوب ماكر لا يخلو من السخرية في مقال له بعنوان: (المعاصرة وتقليدية التقليدي) الرياض: 13366، وعلامات التعجب من عندي: " السلفيات وإن تنوعت، بل وإن وقف بعضها من بعض موقف التضادّ؛ إلا أن الوعي الماضوي(!) يجمعها. إن السباق فيما بينها ليس سباقاً في ميدان الحاضر أو المستقبل، وإنّما هو سباق في ميدان الماضي، والسابق هو الذي يصل . بأقصى سرعة . إلى الماضي السحيق(!).." إلى أن يقول: " وهكذا نجد أنّ كلّ سلفية . أيّاً كان نوعها ودعواها وتمظهرها . تدعم الوعي السلفي(!) وترسّخ للماضوية، وتكافح في سبيل التقليد، بدعوى أنّه الحصن المنيع ضدّ الابتداع، وهي بهذا تقف ضدّ أي حراك تقدّمي، تقف ضدّ التقدّم كوعي(!)، وإن تهادنت معه في هذا الموقف أو ذاك. إنّ هذه الهدنة من قبل السلفي فعل تكتيكي لا يرقى إلى الاستراتيجي ولا يقاربه، حتى في مداه النسبي، لأنّ السلفية . دائماً(!) . في صف الماضي على حساب الحاضر(!) ". والماضي السحيق الذي أشار إليه هذا الكاتب، هو رسول الله r وأصحابه الكرام، إذ إن هذا هو أقصى ما يرجع إليه السلفي المتبع، فهو تعبير آثم يدلّ على شناعة هذا الفكر التغريبي وقبحه، واستهانته بسلف الأمّة.. وأما اتهام السلفية بأنّها في صف الماضي على حساب الحاضر! فهو محض افتراء وكذب، فلا تعارض بين الماضي السحيق . على حدّ تعبير الكاتب . الذي منتهاه رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، وبين الحاضر والمستقبل في الفكر السلفي الصحيح، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما دلت على ذلك النصوص الشرعية.

وقبل الحديث عن هذه الحرب القذرة، لا بد من بيان بعض المصطلحات التي تتردد في كتاباتهم، حتى يتفهم القارىء ما يهدفون إليه.

فمن هذه المصطلحات:

• (السلفية التقليدية) ويريدون بها المؤسسات الدينية الرسمية في الدولة التي تتمثّل فيها هذه السلفية، كهيئة كبار العلماء، واللجنة الدائمة للإفتاء، وسائر علمائنا الكبار..

• (الفكر الصحوي) ويريدون به طلبة العلم والدعاة النشطين، وهو الذي يعدونه . كما يقول أحدهم . " النشاط الحركي العصري للسلفية التقليدية وأنّ العلاقة بينهما علاقة عضوية يستحيل تمايزها " الرياض:13436.

• (الإسلام الحركي) أو (الحراك المتأسلم!!)، ويريدون به أيضاً الدعاة النشطين في الدعوة... فهم لا يريدون إسلاماً نشطاً متحرّكاً، وإنّما يريدون إسلاماً جامداً خاملاً لا يتحرك، حتى يتمكنوا من تنفيذ مشروعهم التغريبي دون مقاومة تذكر!!!.

• (الإسلام السياسي) ويريدون به العلماء والدعاة الذين يشاركون في الشأن العام، لا سيما القضايا السياسية، ولهم دور فاعل فيها... وهم يريدون إسلاماً "دراويشياً" لا يفقه شيئاً في القضايا العامة حتى تخلو لهم الساحة..

• (التنميط) ويريدون به تربية الناس على منهج أهل السنة والجماعة، وعقيدة السلف الصالح، وحمايتهم من المذاهب المنحرفة، والعقائد الفاسدة..

• (الأيديولوجيا)، وهو مصطلح وافد غير عربي يتردد كثيراً في كتاباتهم . بل يكاد يكون ترداده سمة لهم . ويريدون به المعتقد الديني أو الثقافي الذي يؤمن به الفرد ويترجمه سلوكاً في الواقع المعاش. والأدلجة عندهم فيما يتعلّق بالسلفية: تشبه التنميط، فهي دعوة الناس إلى الدين والمعتقد الصحيح وتربيتهم عليه ليكون واقعاً معاشاً، وهذا هو الذي يقضّ مضاجعهم، ويحول بينهم وبين تحقيق مشروعهم التغريبي.

وقد سلك هؤلاء المارقون في حربهم للسلفية مسالك عدّة، من أبرزها:

1. محاولة تشويه السلفية، والتنفير منها، وتصويرها بصورة مقزّزة لصرف الناس عنها، وذلك للتمهيد لطرح مشروعهم التغريبي العفن المتقنّع بقناع العقلانية والتنوير!! وهم وإن كانوا كلّهم يعملون في هذا السياق؛ إلا أنّ أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً وأكثرهم بذاءة . قد تخصّص في ذلك كما سبق، فلم يترك شتيمة، ولا نقيصة إلا رمى

بها هذه السلفية التي يدين بها عامّة أهل هذه البلاد وغيرهم، وكلّ ما تقاطع معها من "الإسلامويين" .كما يعبّرون استهزاء .ولو من بعيد، وحتى لا أكون متجنّياً، فإنّي سأذكر بعض هذه الشتائم، ليعلم القارئ مدى الإسفاف الذي وصلوا إليه، مع دعواتهم المتكرّرة للتسامح مع "الآخر" واحترامه وتقديره!!!. فمن هذه الشتائم:

(السلفية العتيقة) الرياض: 12953، (السلفية التقليدية) الرياض: 13065، (الانغلاق السلفي) الرياض: 13338، (قوى التقليد والجمود والظلام) الرياض: 13485، (قوى التقليد والظلام والإرهاب) الرياض: 13331، (قوى التأسلم) الرياض: 13359، (قوى التخلف والتوحش والانغلاق) الرياض: 13352، (قوى التطرف) الرياض: 13331، (قوى تخلف وتقليد) الرياض: 13331، (التقليدية البلهاء) الرياض: 13065،(التقليدية الميتة) الرياض: 13331 ، (الثقافة الميتة) الرياض: 13072، (الثقافة التي تصنع الغباء) الرياض: 13072، (الثقافة التقليدية البائسة) الرياض: 13065، (ثقافة الانغلاق) الرياض: 13065، (ثقافة تقتل الوعي) الرياض: 13065، (ثقافة التجميع واللا عقل) الرياض: 13072، (ثقافة الموت الوعظية الحمقاء) الرياض: 13072، (ثقافة كسيحة) الرياض: 13156، (الوعي الكسيح) الرياض: 13002، (الوعي المتسطّح الكسيح) الرياض: 13072، (الوعي المأزوم) الرياض: 13380، (وعي غارق في مخلّفات عصور الانحطاط) الرياض: 13156، (القراءة التراثية المبعثرة) الرياض: 13331، (الطرح المتسطّح ثقافياً) الرياض: 13163، (رؤى الانغلاق وتيارات الكره ودعاة النفي) الرياض: 13128، (براثن التنميط والمحافظة والتقليد) الرياض: 13128، (الاحتيال اللا معرفي وجرثومة الوصاية) الرياض: 13065، (الدروشة الوعظية التي تفتقد الحكمة) الرياض: 13072، (الإفلاس المعرفي) الرياض: 13072، (الاستغفال المعرفي) الرياض: 13121، (الترنح المعرفي) الرياض: 13282، (تيار الجمود والارتياب) الرياض: 13282، (الاختطاف الثقافي والاجتماعي) الرياض: 13128، (قصور معرفي حاد) الرياض: 13163، (البلاهة السياسية) الرياض: 13191، (الغباء السياسي) الرياض: ، (ضمور الوعي السياسي) الرياض: 13380، (الجماعات المتأسلمة) الرياض: 13247، (

نمطيـة بلهـاء) الريـاض: 13338، (المتأسـلمون)، (تيـارات التأسـلم) الريـاض: 13282، (فكـر الإقصــاء والنفــي) الريــاض: 13282، (الــلا وعــي بالتــاريخ) الريــاض: 13002، (الفهـم القاصـر) الريــاض: 13002، (جمـاهير الغوغـاء) الرياض: 13002، (المنزل القديم المتداعي بوحشيته المعتمة) الرياض: 13002، (سيكولوجية البدائي) الرياض: 13002، (خطـاب موعظـة لا معرفـة) الريـاض: 12953 ، (ألاعيـب الحـواة) الريـاض: 13436، (ممارسـة خرقـاء) الريــاض: 13436، (الحـراك المتأسـلم) الريــاض: 13478، (الخرافـة والتقليـد والخـداع) الرياض: 13485 ، (طمر الحقائق) الرياض: 13485، (حراك سلبي) الرياض: 13485، (الأيــدلوجي المــنمط) الريــاض: 13499، (المجتمعــات المحافظــة الأصولية) الرياض: 13499، (حركات الأدلجة) الرياض: 13499 ، (الأدلجة الماكرة) الرياض: 13324 ، (تجهيل الجماهير) الرياض: 13499، (الجماهير البائســة الظامئــة) الريــاض: 13506، (الجمـاهير الغائبـة المغيّبـة) الريــاض: 13338، (الحواشـي وحواشـي الحواشـي) الريـاض: 13506، (الإسـلام الحركـي السياسـي) الريـاض: 13506، (المراهقـة الصـحوية) الريـاض: 13303، (أوهـام التقليديـة الميتـة) الريـاض: 13065، (مفرقعـات صـحوية) الريـاض: 13289، (شريط الكاسيت الغبي) الرياض: 13289، (الهراء الإعلامي والسطحية) الرياض: 13289، (المتأسلمون) الرياض: 13303، (الحراك الثقافي المتأسلم) الرياض: 13359، (دعوى النقاء الأخلاقي المزعوم) الرياض: 13331..

هذه بعض الشتائم المقذعة التي قمت بإحصائها من مقالات كاتب واحد منهم فقط، ودون استقصاء تام(!) ويلاحظ على هذه الشتائم ما يلي:

أ- كثرتها، حتّى إنّها لتصل إلى الخمس والستّ في المقال الواحد!!!!، وفي هذا دليل واضـح علـى افتقـاد الحجّـة الصـحيحة المقنعـة، فـإنّ المبطـل إذا عجـز عـن الإقنـاع بالحجّة؛ لجأ إلى السباب والشتائم للنيل من خصمه.

نعم؛ قد يضطر الإنسان أحياناً إلى توجيه بعض الشتائم إلى خصمه اللدود، لكن أن تكون بهذه الكثرة المفرطة، ومن أناس " أكاديميين" يدّعون الفكر والعقل المستنير؛ فهو أمر يدعو إلى التأمّل والعجب!!.

ب- تضمنّها العديد من التهم ذات العيار الثقيل بلا دليل ولا برهان صحيح، وما أسهل أن يطلق المرء على خصومه التهم جزافاً بلا بيّنة صحيحة، والتي قد يصل بعضها إلى الإخراج من الدين والإسلام، كقولهم: (المتأسلمون)، (قوى التأسلم) ، (الحراك الثقافي المتأسلم) ونحوها من الشتائم، فالمتأسلم هو الذي يدعي الإسلام وهو ليس كذلك كما يُفهم من هذا الوصف، ولطالما دندن هؤلاء حول خطورة التكفير، والإخراج من الدين، حتى وإن كان بحقّ، فما بالهم يصفون خصومهم المسلمين بالضد من ذلك !!!.

ج- أنّ هذه الشتائم لم تقتصر على أهل العلم والفكر والدعوة من السلفيين من الأوّلين والآخرين، بل تجاوزت ذلك إلى عامّة الناس المقتنعين بهذه العقيدة، والذين يطلقون عليهم وصف (الجماهير): فهم (الجماهير البائسة الظامئة)، و(جماهير الغوغاء)، و(الجماهير المجهّلة)، و(الجماهير الغائبة المغيّبة)، و(المجتمعات المحافظة الأصولية)، لا لشيء إلا لأنّ هذه الجماهير المسلمة اختارت هذه العقيدة النقية، ولم تستجب لدعواتهم التغريبية المضللة، ولن تستجيب بإذن الله تعالى..

د- أنّ الكثير من هذه الأوصاف (الشتائم) هم الأقرب إلى الاتصاف بها، والتخلّق بها لمن تأمل ذلك، لكنهم يقلبون الأمور، ويلبّسون على الناس على قول المثل السائر: (رمتني بدائها وانسلّت)!!.

هـ- أنّ مثل هذه الشتائم لا تصدر إلا من نفس موتورة حاقدة، قد تشبّعت بالشبهات، فاستقرّت فيها وتمكّنت منها، وداء الشبهات أعظم أثراً في النفوس والقلوب من داء الشهوات، فكيف إذا اجتمع الأمران، نسأل الله السلامة والعافية.

والعجيب أنّهم يرون أنّ مثل هذه الشتائم القبيحة التي يسمونها نقداً؛ ضرورية لإيقاظ المجتمع من سباته، وتنويره(!!!)، يقول أحدهم . وهو كبيرهم وأشدّهم افتتاناً بالحضارة الغربية . في مقال له بعنوان: (تخصّص في الطب وأبدع في الفكر والمسرح) الرياض: 13502: " وبذلك أدرك (بريخت) بأنّ مواجهة الطوفان بالنقد الحادّ، والتهكّم الموجع من أهمّ وسائل إيقاظ المجتمع من سباته، وتنويره للمصير المظلم الذي يساق إليه ". وبريخت هذا مبدع عالمي عند الكاتب ترك تخصصه في الطب(!)، واشتغل بالمسرح(!)، وهو حين يذكر قول هذا المبدع(!) لسان قلمه يقول:

إياك أعني واسمعي يا جارة، كما يدل على ذلك باقي المقال، ومقالاته الأخرى. وقد فهم تلميذه السابق الرسالة . وبئست التربية .، فأطلق تلك الشتائم والتهكّم الموجع بذلك الكمّ الهائل لمواجهة (طوفان) السلفية، وإيقاظ الفتنة النائمة.. وحتماً سيغرقه هذا الطوفان بإذن الله تعالى.

وأعجب من ذلك أنّ هذا الكاتب نفسه . صاحب الشتائم السابقة . حينما تحدّث عن بعض الكُتّاب المنحرفين في مقال له بعنوان (قراءة الإسلام بين العلمية والإيديولوجيا 2/2) الرياض: 14185 وصفه بوصف هو أجدر أن يوصف به فقال: " لا غرابة في أن تصدر هذه الشتائم عن إنسان مريض يعاني من عقد الاضطهاد، وربما مر بمواقف زادت من تأزمه واضطرابه، أو ربما كان خاضعاً لتربية غير سوية، قادته إلى استخدام هذه اللغة السوقية التي لا تجد من يلوكها إلا في الحواري الخلفية، وعند الحشاشين والقوادين، وإنما العجب أن تحتفي بعض الصحف المحترمة، كأخبار الأدب، وأدب ونقد، ودور النشر العلمية.. بمثل هذا العابث، والذي لا يمتلك سوى هذا الكلام الذي يراه صاحبه علماً. الجهالة من ناحيتين، جهالة أولية، وجهالة جراء عدم إدراك مستوى ضحالة الذات معرفياً ".

وهو في مقاله هذا نصّب نفسه مدافعاً عن الإسلام والدين، وهو الذي كان يكيل الشتائم لأهل الدين كما سبق، ويرميهم بكل نقيصة، فلم يسلم منه حتى الأئمّة الكبار كابن القيّم وغيره، ولا فرق بين من يطعن في الدين نفسه، ومن يطعن في حملته وأهله، سوى أنّ الأوّل طعن صريح، والثاني خبث مغلّف بتلميح..

وفي مقال له بعنوان (متطرفون في الزمن الليبرالي) الرياض: 14220 دعا فيه صراحة إلى اعتناق الفكر الليبرالي وبشّر فيه بها!!! قال: " والمجتمع الليبرالي مجتمع راشد، يتجاوز هذا السباب الطفولي، وإن اضطر في سياق الخطاب اللاهوتي إلى شيء من ذلك – كحق في التعبير عن الرؤية – فإنه يطرحه في سياق موضوعية صارمة، لا يسمح لها بالإساءة المباشرة إلى أحد ". هذا هو نصّ ما قاله: سباب طفولي في سياق موضوعية صارمة !!! ودون إساءة إلى أحد !! وهل بعد ذلك الكمّ الهائل من الشتائم الطفولية السابقة من إساءة تطال كلّ سلفي موحد في هذه البلاد السلفية ؟. أهذه هي الليبرالية التي يدعون إليها ويبشّرون بها؟..

2. ربط السلفية بالإرهاب . الذي لم يُتفق على تعريفه إلى هذه الساعة . والاستماتة في ذلك، ونسبة بعض المارقين إليها وهو ما يطلقون عليه: (السلفيّة الجهادية).. فكلما خالفهم مخالف، أو حاجّهم محاجّ، أو احتسب عليهم محتسب من أهل الدين والعلم والدعوة رموه بالإرهاب بجرة قلم، والعامة يروون في هذا المقام قصة رمزية طريفة، وهي أن امرأة أراد زوجها أن يتزوج عليها، ففكرت في حيلة لمنعه من الزواج، فما كان منها إلا أن اتصلت برجال الأمن، وذكرت لهم ارتيابها من زوجها، وأن له صلة بـ (الإرهابيين)، وقبيل ليلة الزواج تم القبض عليه بهذه التهمة، واعتذر أهل الزوجة عن تزويجه، وبهذا نجحت الخطة..

يقول أحدهم . وهو مقيم في لندن . في مقال له بعنوان: (الحالة الدينية في السعودية..هل تستمر القاعدة بتجنيد السعوديين) الوطن: 1139 : " ما هي وضعية الحالة الدينية اليوم في السعودية؟.. لا يمكن القول إنّها متسامحة وعصرية، فالأحداث الإرهابية هي نتاج غلو ديني اشترك بعض أفراد المذهبيّة الدينية السلفية السائدة، والأيديولوجيا الصحوية في صنعها في المقام الأوّل بغض النظر عن المسببات الأخرى التي وضعتها في موضع التنفيذ. ومظاهر التشدد الديني التي تلمس كل يوم في خطب الجوامع وأدعية القنوت، والفتاوى المتشددة، والخطاب الديني بمجمله مغرق في التزمت بعيد كل البعد عن حال التسامح واليسر المنتظرة منه "، وهكذا تطلق التهم جزافاً بلا بيّنة سوى أنّ الذين قاموا بالتفجيرات يستشهدون ببعض أقوال السلف، ولو أننا أخذنا بهذا المنطق المعوج لحكمنا على القرآن نفسه بأنّه سبب الإرهاب، لأنّ الخوارج الأوّلين استدلوا به على مذهبهم، وكذلك سائر الفرق الضالة.

ثم، ومن أجل حلّ هذه الأزمة يرى الكاتب أنّ الحل يكمن في: " تغيير الطريقة التي يتم التعامل بها مع الأفكار والطوائف أو الأديان بوصفها كافرة أو مبتدعة أو علمانية، وينبغي أن ينظر إلى نقد وتقييم المناهج والمؤسسات الدينية، وإصلاحها(!) بالطريقة العصرية، والحدّ(!) من تضخّم الأدلجة الإسلاموية.." وهو كلام في غاية الخطورة والضلال، والغلو المضاد، حيث يدعو الكاتب إلى عدم وصف الأديان . ويريد بها بطبيعة الحال أصحابها المتدينين بها اليوم . بالوصف الذي وصفها الله به

في كتابه الكريم، ووصفها به رسوله الأمين كما في قوله تعالى: { لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.. }، وقوله: { لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ..}، وقول النبيّ r: " والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " أخرجه مسلم. ولا خلاف عند أهل الإسلام في كفر اليهود والنصارى وغيرهم من أصحاب الملل الأخرى، فمن لم يكفرهم فهو مكذب للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وكذلك يدعو الكاتب إلى عدم تبديع أهل البدع وأهل العلمنة، وفي ذلك مضادة لقول نبينا r: " كل بدعة ضلالة"، وهذا في نظر الكاتب يعدّ إصلاحاً بالطريقة العصرية، وصدق الله إذ يقول: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ }.

ويقول آخر . وهو أشدّهم تطرّفاً . في مقال له بعنوان: (الإنترنت والخطاب الديني) الرياض: 13247: " .. كما أظهر هذا الخطاب [يعني خطاب التطرّف] أنّ مرجعيّة التطرّف والغلو، ومن ثم الإرهاب، ليس الفكر القطبي، ولا طرح الجماعات المتأسلمة(!) وإنّما مصدر الاستدلال . في الغالب العام .: السلفية التقليدية، بمرجعيّاتها المشهورة التي لها اعتبارها في الخطاب السلفي ".

إذن، السلفية بمرجعياتها المشهورة هي مصدر الإرهاب، فيجب محاربتها، والقضاء عليها، هذا ما يهدف إليه الكاتب. والردّ عليه كالرد على الذي قبله.

أمّا المرجعيات المشهورة فيريدون بها: أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الوهاب رحمهم الله..، وقد صرّح أحدهم بذلك . وهو أكثرهم تعالماً، وأشدّهم جهلاً . في مقال له بعنوان: (الإنسان والوطن أهمّ من ابن تيمية) الوطن: (965)، زعم فيه . زوراً وبهتاناً . أنّ ابن تيمية هو منظّر الجهاديين، وأنه سبب الإرهاب، معتمداً على نص لابن تيمية مبتور من سياقه، وهو إذ يعيب على من أسماهم بالجهاديين سوء الفهم؛ يقع في الخطأ نفسه وهو لا يشعر.

وأخطر من ذلك، ما سطّره الكاتب الأوّل في مقال له بعنوان: (واحذرهم أن يفتنوك) الرياض: 13128، يتحدّث فيه عمّا أسماه بالفرادة، يقول منظرّاً لهذه الفرادة: " إنّ الأصل في الكائن الإنساني خاصّة هو الاختلاف والتنوّع والتفرّد، وليس التشابه

والتماثل كما يحاول دعاة المحافظة والتقليد ترويجه ـ تطبيقاً ـ في بيئتنا الاجتماعيّة، وإن ادّعوا تنظيراً غير ذلك".. وهذا كلام مجمل يحتاج إلى تفصيل، فالفرادة إن كانت فيما لا يتعارض مع أصل الدين وثوابته، ونصوصه القاطعة، فهي مطلوبة، وإلا فإنّها ابتداع وخروج عن الدين، وحقّها ـ لفظاً ـ أن تكون بالمثنّاة (قرادة)، لكنّ الكاتب تعمد الإطلاق للوصول إلى ما يهدف إليه، لذا فهو يواصل مقاله قائلاً ـ بعد أن قرّر أنّ إلغاء هذه الفرادة المطلقة جريمة ـ: " ويبقى السؤال الأهم في هذا الطرح: إذا كان إلغاء معالم التفرد في الإنسان جريمة، فهل تمارس هذه الجريمة في محيطنا الثقافي والاجتماعي؟، وإذا كانت تمارس، فهل هي مقصودة أم أنها جزء من الحراك الاجتماعي التلقائي؟، وعلى أية صورة تمارس هذه الجريمة؟، هل هي فردية أم جريمة منظمة؟، وما مدى انتشارها وذيوعها؟ ومن الفاعل؟، وأين؟، ومتى؟. وإذا كان بعض هذه الأسئلة لا يمكن الإجابة عليها تفصيلاً؛ لهذا السبب أو ذاك، فإن الإجابة العامة التي ينطق بها الواقع (الثقافي/ الاجتماعي) لدينا إجابة لا تدعو للتفاؤل، من حيث الوقوع المتعين لهذه الجريمة المعنوية ".

ثم تبدأ معركته مع السلفية، أو على حدّ تعبيره: (الاتجاه المحافظ التقليدي لدينا)، وهذا هو المقصود، فيقول: " إن ما فعله – ويفعله – الاتجاه المحافظ التقليدي لدينا إنما هو عملية قتل متعمد لكل معالم الفرادة الطبيعية، إنه في الحقيقة (اغتيال للعقل) على نحو تدريجي، وبأساليب قد لا تكون واضحة في كل الأحيان، وفي كل الحالات. لا أستطيع أن أقول: إن عملية المسخ الاختياري (والقسر في بعض الأحيان) التي يمتزج بها الاجتماعي بالديني (وفق رؤية خاصة يتم تعميمها)، بالثقافي، بالواقعي، وبطريقة لا تبقي أي خيار، لا أظن أن لها مثيلاً على مستوى التجمعات الإنسانية المعاصرة كافة..".

وبعد الطعن في السلفية ـ خصمه اللدود ـ بإجمال، يبدأ في التفصيل، فيستعرض المراحل الدراسية جميعها إلى مرحلة الدراسات العليا، فيقرّر أنّ هذه المراحل كلّها عندنا تقضي على هذه الفرادة المزعومة، والسبب أنّها تلتزم بمذهب أهل السنّة والجماعة وسلف الأمّة، أو على حدّ تعبيره: " نمط التربية المستمد من موروث اجتماعي موغل في القدم يبدأ عمله منذ السنوات الأولى للطفولة؛ لكون القائم على

التربية الأولى ابناً باراً لثقافة التقليد والمحافظة في الغالب " أو بتعبير آخر له: " أفكار مغرقة في محافظتها وسلفيتها وتزمتها.. "، أو بتعبير ثالث عن النشاط اللا منهجي: " وفق المنطلقات ذات الزوايا الحادة للمنظومة السلفية التقليدية التي تجتهد في التنميط؛ فضلاً عن أن التنميط كامن في البنية العامة للمناهج "..

ثم يتحدث عن المرحلة الجامعية، فيصفها بأنّها: " أكبر (ورشة) للتنميط، وقتل ما أبقته المراحل الأولى من الفرادة العقلية، وترسيخ قيم المحافظة والتقليد، فتمارس بين أروقة الجامعة أكبر عملية اجترار للتراث، بكل ما يحمله من إيجاب وسلب، وبكل ما تعنيه هذه العملية في ذاتها (من حيث هي اجترار) من نكوص إلى وعي قد طواه الزمن في مقبرته الأبدية، ولكننا نأبى إلا نبش تلك القبور، والبحث في تلك العظام النخرة عن مصدر للحياة!.. ". وهو يريد بذلك الأقسام الشرعية في الجامعات ذات التوجه السلفي خصمه اللدود، أمّا كليات الطب والهندسة والعلوم وغيرها، فلا يتحدّث عنها.

ثم يتحدّث عن مرحلة الدراسات العليا، فيصفها بأسلوب مسفّ ينم عن حقد دفين على المنهج السلفي القويم، مدعم بالافتراء والكذب وكيل التهم الجائرة فيقول: " إن الدارس لا يمكن أن يقبل في هذه الدراسات ابتداء، ولا يمكن أن يتقبل فيما بعد، ما لم يكن ذا مهارة في النسخ، مع قدر لا يستهان به من عدم الأمانة في النقل والاجتزاء؛ لخدمة الفكرة الموروثة في التيار المندغم فيه، فليست الحقيقة هي الغاية، وإنما الإبقاء على ما يؤيده تيار المحافظة من مخلفات القرون الوسطى هو الغاية، وفي سبيلها فليتم الإجهاز على الحقيقة بسيف العلمية!، وبهذا لا يمكن أن يعترف بالدارس باحثاً علمياً في مؤسسات التقليد ما لم يتنكر لبدهيات البحث العلمي. وهذا هو الشرط الأولي لقبوله (باحثاً!) في المنظومة التقليدية ".. إنّها تهم شنيعة، في غاية البشاعة والشناعة لجامعاتنا الإسلامية العريقة التي خرّجت الكثير من العلماء والدعاة والمفكّرين حتى من غير أبناء هذا البلد، ولكن الحقد الدفين يعمي ويصم..

فعين الرضا عن كلّ عيب كليلة كما أنّ عين السخط تبدي المساويا

ثم يدلل هذا الكاتب الموتور على ما ذهب إليه من حقد دفين وفق طريقته السابقة من الافتراء والكذب والتلبيس والألفاظ النابية فيقول: " ومما يدل على مستوى هيمنة

هذا النمط الببغاوي في المؤسسات العلمية التي تهيمن عليها الاتجاهات المحافظة، أن الحكم بموضوعية على شخصيات أو تيارات في القديم أو الحديث، بما يخالف رؤية هذه الاتجاهات، وما يسود في أروقتها من مسلمات يودي بصاحبه، ويعرضه للنفي خارج المؤسسة العلمية، فضلاً عن الإقصاء الديني، يشهد على ذلك أن كل دراسة لشخصية أو فكرة أو تيار، تتم في هذه الأقسام تعرف النتيجة فيها سلفا، بل لا يمكن أن تكون النتيجة إلا ما قررته المنظومة في أدبياتها، فمهما حاول (هذا إذا حاول) الباحث الاستقلال فهو لا يستطيع، وموقفه البحثي في النهاية دفاعي عن الأفكار العامة لمؤسسته العلمية التي تحتويه. هذا هو الواقع، وإلا فدلوني على رسالة واحدة طعن(!) صاحبها في فكرة أو شخصية لها وزنها في المنظومة الفكرية لمؤسسته العلمية، أو أثنى على تيار مخالف أو شخصية ليست محل القبول في هذه المؤسسة، فقبلت المؤسسة المحافظة بذلك ".. إنّ هذا الكاتب يريد من الباحث الملتزم بعقيدة أهل السنّة والجماعة أن يطعن في أئمّة السلف أو مذهب السلف، أو يثني على أهل البدع، والفرق الضالة وخاصة المعتزلة(!) ، ويريد من الجامعات الإسلامية أن تفتح المجال لكلّ من أراد ذلك باسم الاستقلال والفرادة كما يزعم، وإلا فإنّ ذلك ضرب من الإقصاء والنفي والقضاء على الفرادة المزعومة، أمّا أن يبتكر الباحث موضوعاً في تخصّصه . مع التزامه بثوابت الأمة ومنهج أهل السنّة . فذلك ليس من الفرادة في شيء في مفهوم الكاتب، الفرادة عنده هي الخروج عن مذهب السلف، والطعن فيهم .كما يفعل هو مراراً في مقالاته كما سيأتي . ، إنّ هذا لهو عين الضلال وانتكاس المفاهيم..

ثمّ إني أوجه سؤالاً لهذا الكاتب ولن يستطيع الإجابة عليه فأقول: هل صحيفتك التي تكتب فيها، وتهاجم مِنْ على منبرها مذهب السلف الصالح تسمح بمثل ما ذكرت من نقد لفكرة أو شخص ينتمي إليها أو إلى الفكر الذي تتبناه ؟؟ الجواب: لا وألف لا، لأني قد جربت ذلك، وجربّه غيري، فلم نجد إلا الإقصاء والنفي والتجاهل إلا في حدود ضيقة، فهل من معتبر..؟

ثم يواصل الكاتب بذاءته وافتراءاته وشتائمه المعتادة . سأضع تحتها خطاً . قائلاً: "بهذا يتضح أن كل مرحلة علمية، وكل تناغم مع المجتمع في تياره المحافظ خاصة،

تفقد المرء جزءاً من فرادته، مما يعني أنه كلما قطع مرحلة من ذلك، وظن أنه قد تحقق له شيء من العلم، فإنه لم يزدد بذلك إلا جهلاً. وبمقدار حظه من هذا التنميط والاختطاف الثقافي والاجتماعي يكون حظه من الجهل المركب؛ لأنه بهذا يفقد التفرد في الرؤى والأفكار، بمقدار ما يندغم في تيارات المحافظة، وبقدر ما يتناغم مع المؤسسات العلمية التي تهيمن المحافظة عليها. ويزداد الأمر سوءا ومأساوية، عندما ندرك أن هذا الاغتيال للفرادة، وهنا التنميط الذي يتم في هذه المراحل العمرية لا يجري لصالح رؤى الانفتاح – مع أن اغتيال الفرادة جريمة، أيا كانت مبرراته – وفي سبيل الرقي بالإنسان، وإنما هو لصالح رؤى الانغلاق، وتيارات الكره، ودعاة نفي الآخر، كل ذلك بالإيحاءات الخاصة للسلفية التقليدية التي لا تني عن إنتاج نفسها كلما أشرفت على الهلاك "..

ويختم مقاله بهذا التحذير: " وأخيراً لا يسعني إلا أن أقول لكل قارئ: احذرهم.. احذرهم (وأنت تعرفهم) أن يفتنوك. قد تكون نجوت منهم كليا أو جزئيا، قد تكون ممن هلك بفتنتهم التي ظاهرها الرحمة، لكن أدرك من نفسك ما يمكن إدراكه، مارس إنسانيتك(!) على أكمل وجه، كن ابن نفسك في كل شيء(!)، حاول قدر الاستطاعة، مهما كلفك ذلك، هذا بالنسبة لك، ولكن، تبقى المهمة الصعبة: استنقاذ الأجيال الناشئة من براثن التنميط والمحافظة(!) والتقليد، وهي مهمة لابد أن ينهض بها كل (إنسان) لتحقيق أكبر قدر من الفرادة (من الإنسانية)(!) قبل أن تغتال في مهدها ".. وهكذا تصبح المحافظة على العقيدة السلفية النقيّة ـ حسب رأي هذا الكاتب ـ فتنة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، ويحذّر منها في معقلها ومهدها، فإلى الله المشتكى.

أمّا دندنة الكاتب ـ بل سائر المنتمين إلى هذا الفكر الاعتزالي الليبرالي التغريبي ـ حول (الإنسانية) فذلك موضوع آخر سأفرد له سمة مستقلة بإذن الله تعالى.

كما أنّ من الملاحظ أنّ الكاتب(!) جعل عنوان مقالته هذه جزءاً من آية كريمة نزلت في جماعة من اليهود(!)، وهو ها هنا ينزلها على خصومه السلفيين المسلمين المحافظين(!!)، وهذه سمة متكرّرة في مقالات هذا الكاتب وأصحابه، سأفرد لها أيضاً

سمة خاصّة بإذن الله تعالى. وهي جريمة نكراء في حقّ كلام الله تعالى، وحقّ إخوانه المسلمين.

وحتى يعرف القارىء حقيقة هذه الفرادة التي تحدث عنها هذه الكاتب وغيره من أصحاب هذا الفكر، وحقيقة موقفهم من عقيدة السلف والعقائد الأخرى المنحرفة وخاصّة المعتزلة؛ أسوق لكم هذه الأقوال لبعضهم:

فهذا أحدهم . وهو الكاتب السابق نفسه . في مقال له بعنوان (ثقافة تصنع الغباء) الرياض: 13072، وهذا العنوان من جملة شتائمه المعتادة للسلفية، يقول عن السلفية التي يسميها تقليدية بأنّها: " لا تعدو كونها تأويلاً خاصّاً للإسلام، محلّه متاحف الفكر، لا الحراك الاجتماعي "، فهل رأيتم إقصاء ونفياً أشدّ من هذا الإقصاء والنفي؟!!!

والغريب أنّ هذا الكاتب نفسه في مقال له بعنوان: (من التطرف إلى الإرهاب) الرياض: 12953،يصف بعض الأقسام في بعض جامعاتنا أنّها " ما زالت معاقل للفكر الذي ينفي الآخر، وما زالت تقتات على الترسيخ لثقافة الإقصاء ونفي الآخر، وتروج لها في أطروحاتها "، ويريد بهذه الأقسام التي في جامعاتنا .كما هو ظاهر .: الأقسام الشرعية، والعقدية على وجه الخصوص، ويريد بثقافة الإقصاء والنفي ثقافتنا الإسلامية السلفية، أمّا الآخر المنفي فهي الفرق الضالة المنحرفة من معتزلة وحرورية ومرجئة وصوفية وغيرها.

ويقول آخر . وهو أكثرهم حديثاً عن العقائد وأكثرهم خلطاً بين النصوص . في مقال له بعنوان: (قراءة في بعض فروع العقائد) الرياض: 13667: " ومما يجدر التنبيه عليه أنّ مصطلح (العقيدة) أمر تواضع عليه العلماء الذين تبنوا مجال البحث في مجال الغيبيات فيما بعد الصدر الأوّل، إذ لم يكن لذلك لمصطلح أساس من النصوص الوحييه سواء من القرآن أو السنة، إذ إنّ المصطلح الأساسي الشرعي الذي جاء به القرآن والسنة النبوية هو مصطلح (الإيمان).. " وكأنّ مصطلح (الديمقراطية) و(الليبرالية) و(الإيبيستيمولوجيا) و(الأيديولوجيا) وغيرها من المصطلحات التي يرددونها في مقالاتهم ليل نهار، لها أصل في الكتاب والسنة !!!

ثمّ يمضي الكاتب في تقريره لحقيقة الإيمان ومن هو المؤمن فيقول: " وهو [أي الإيمان] عبارة عن مفهوم بسيط (هكذا) يرمز إلى ستة أمور، من آمن بها أصبح مسلماً ومؤمناً كامل الإيمان لا يحتاج معه إلى امتحانات قلبية أو مماحكات لفظية، أو حفظ مدونات عقدية لإثبات إيمان المرء ودخوله حظيرة الإسلام "..

وهو كلام خطير يدلّ على جهل فاضح، وانحراف واضح عن المنهج القويم والفهم السليم لدين الإسلام.. فإنّ لفظ الإيمان والإسلام إذا اجتمعا صار لفظ الإيمان مراداً به الاعتقاد الباطن، ولفظ الإسلام العمل الظاهر كالنطق بالشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج، كما قال الله تعالى عن الأعراب: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا..} ففرق بين الإيمان والإسلام، وهذا أمر بدهي عند أطفال المسلمين، فمن لم يأت بأركان الإسلام الظاهرة لم يكن مسلماً ولا مؤمناً، حتى وإن ادّعى الإيمان والإسلام، ولهذا قاتل أبو بكر الصديق t مانعي الزكاة، مع أنّهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، ولما أنكر عليه عمر t كما جاء في الصحيح، قال له: والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة.. أمّا الامتحان، فقد قال الله تعالى في سورة الممتحنة: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ..}، وهي تسمى (آية الامتحان)، وقد سئل ابن عباس t كيف كان امتحان رسول الله r النساء؟ قال: كان يمتحنهنّ: بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ولرسوله.. وهذا خلاف ما قرره الكاتب، بل إنّ ما قرّره هو مذهب المرجئة القائلين بأنّ الإيمان مجرّد الاعتقاد بالقلب، وأنّ العمل غير داخل في مسمّى الإيمان، وأنّه لا يضر مع الإيمان ذنب.. فكلّ من ادّعى الإيمان . حسب زعمهم . صار مؤمناً مسلماً.. وقد صدرت عدة فتاوى من اللجنة الدائمة للإفتاء في هذه البلاد في التحذير من هذا الفكر الإرجائي الخطير.

ثم يقرر الكاتب مذهبه الفاسد مؤكّداً فيقول: " وبالتالي فليس هناك من الوجهة الشرعية(!) ما يعرف بأصول العقائد مقابل فروعها، بل هو أصل واحد هو الإيمان، وكلّ ما جاء بعد ذلك مما أصطلح عليه أصول العقائد وفروعها، وهي التي ألحقت

بالعقائد وفقاً لأيديولوجية الجماعة أو المذهب القائلة بها؛ فهي مما تواضع عليه من امتهنوا ما اصطلح عليه لاحقاً بعلم العقائد، ومن الطبيعي أن يضطر الباحث إلى مسايرة هذه المواضعة عند البحث عن أي من مفرداتها بعد أن أصبحت واقعاً تراثياً في حياة المسلمين ".. ، وفي موضع آخر يصفها الكاتب بأنّها: " مماحكات ومجادلات سفسطائية، أدخلت في العقيدة قسراً بمؤثرات أيديولوجية" الرياض: 13561، وهكذا يلغي الكاتب بجرّة قلم كلّ ما قرره سلفنا الصالح من العقائد والأصول المجمع عليها عند أهل السنة والجماعة، مما هو مستمد من الكتاب والسنة الصحيحة، والتي يتميز بها أهل السنة والجماعة عن أهل البدعة ، ليفتح الباب على مصراعيه لكلّ مبتدع وضال ليكونوا جميعاً على درجة واحدة من الإيمان والاعتقاد الصحيح، ولعمر الله إنّ هذا لهو الضلال المبين.

ويقول هذا الكاتب في مقال له آخر بعنوان: (الخوف من النقد) الرياض: 13509، بعد أنّ قرر حق (الآخر)(!) في الاختلاف من زاوية عدم احتكار الحقيقة من جانب واحد . يريد مذهب السلف .: " هنا أجد أنّه من المناسب القول بضرورة إعادة النظر في المناهج التعليمية، خاصّة المناهج الجامعية في الأقسام التي تدرّس العقديات والمذاهب بحيث يجعلها تؤسّس لنظرة تسامحية تنطلق من إبراز أهداف ومنطلقات الفرق المخالفة عندما أرست قواعد مذهبها . خاصّة الفرق الإسلاميّة الماضية المنظور لها على أنّها مخالفة . بدلاً من تكريس وضع منهجي ينظر لها على أنّها ذات أهداف خاصّة لهدم الإسلام وتقويض بنيانه، بحيث تتأسس المخرجات التعليمية البشرية على التعامل مع حقّ وحيد ورأي فريد هو ما تلقنه إياه تلك المناهج كحقّ حصري لمبادىء مذهبه وقواعد مرجعيته " يريد مذهب أهل السنة والجماعة، ثم يذكر المذهب الاعتزالي على وجه الخصوص ويدافع عنه، وهذا هو مربط الفرس عنده، لتقرير مذهب الاعتزال، فيقول: " ومن ثم فإنّ الحاجة ماسّة لتأسيسٍ جديد لأقسام العقيدة والمذاهب في الجامعات لتأسيس طلابها على النظرة المجردة(!) للمذاهب والفرق المخالفة عن طريق وضع مناهج تؤسس هي الأخرى للدراسة التاريخية المجرّدة باستصحاب كامل لتاريخ نشأة تلك الفرق وأهمها الظروف السياسية التي صاحبت نشأتها وتأسيسها مذهبياً، بدل أن تقدّم للطالب باعتبارها فرقاً ضالة

هالكة في مقابل فرقة ناجية وحيدة.."، وهكذا يريدون تمييع العقيدة السلفية الصحيحة، باسم التجرّد والفرادة. وتلميع الفرق الضالة المنحرفة، ومن ضمنها المعتزلة والرافضة والخوارج وغيرها من الفرق التي شوهت الدين، وآذى أصحابها عباد الله المؤمنين، ويلاحظ فيما ختم الكاتب مقاله ملاحظتين، إحداهما: التفسير السياسي للتاريخ والأحداث بشكل عام، وسأتحدث عن هذه المسألة بإذن الله في فصل مستقل. والثانية: التعريض بالحديث النبوي الشريف، حديث الفرقة الناجية، والاعتراض عليه(!)، بحجّة أنّه يخالف العقل، وهذا بناء على مذهبهم العقلي الفاسد.

وفي مقال آخر للكاتب نفسه بعنوان: (أصالة التعدد في الطبيعة البشرية) الرياض: 13160، يحاول الكاتب تأصيل مبدأ الاختلاف بين الناس (التعددية) وأنّها {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ.. }، ويستدل بالآية الكريمة الأخرى: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم }، واستشهاده بهاتين الآيتين على ما ذهب إليه خطأ فادح يدل على جهل فاضح، فأمّا الآية الأولى فإن من المعلوم . بلا خلاف أعلمه . أنّ المراد بالفطرة: الإسلام وليس الاختلاف، كما جاء في الحديث الشريف: " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه..".. وأمّا الآية الثانية فهي في سياق الحديث عن اليهود، ولا علاقة بالاختلاف الذي بين الفرق المنتسبة إلى الإسلام، بل إنّ نصوص الكتاب تدل على عكس ما أراد الكاتب تأصيله، فالله تعالى يقول: { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }، وقوله تعالى: { وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ.. }، فجعل الرحمة في مقابل الاختلاف، فدل ذلك على أنّ الاختلاف ليس برحمة، بل هو شرّ ونقمة، وإن كان الله قد أراده كوناً، لا شرعاً، وأنّ الحقّ واحد لا يتعدد، وتأويل الآيات على غير ما جاءت له سمة بارزة من سمات أصحاب هذا الفكر الاعتزالي كما سيأتي في مبحث جهلهم.

ثمّ يواصل الكاتب جهله فيقول مقلداً للجابري: " كان فيروس الضيق قد تحدد سلفاً في الفكر العربي حيث دشّن الخوارج ومباينوهم في الطرف القصيّ من المعادلة (الأمويون وشيعتهم) مبدأ ثنائية القيم الذي يقول عنه المفكر المغربي محمد عابد

الجابري إنّه مبدأ (إمّا وإمّا) ولا مجال لحطّ الركاب بينهما، إمّا مع وإّما ضدّ، إمّا مسلماً وإمّا كافراً، وإمّا ناجياً وإمّا هالكاً، وإمّا مقتفياً وإمّا مبتدعاً.."

إنّ هذه الثنائية التي ذكرها مقلداً الجابري، قد نصّ الله عليها في كتابه الكريم، فقال سبحانه: { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ.. }، وقال سبحانه: { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً }، فهي ذات الثنائية (إمّا وإمّا).. والذي أراده الجابري ولم يتفطّن له الكاتب أو تفطّن له ووافق عليه، هو تقرير مذهب الاعتزال القائل بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين (لا مؤمن ولا كافر)، ولهذا قال: (ولا مجال لحطّ الركاب بينهما)، وهو تقرير في غاية الخفاء والخبث، ويشبه فعل صاحب تفسير الكشّاف المعتزلي في تقريره لمذهب الاعتزال في تفسيره، حتى قال البلقيني رحمه الله: " استخرجت من الكشّاف اعتزاليات بالمناقيش ".. وهذا يحدث في صحيفة سيّارة تصدر في بلاد التوحيد التي قامت على العقيدة السلفية النقيّة، وفي ظني أنّ ولاة أمرنا . وفقهم الله لطاعته . لو تنبهوا لذلك لما رضوا به..

ولا يكتفي الكاتب بذلك، بل يختم مقاله بتوجيه بعض الشتائم، والانتقاص لأهل السنة وسلف الأمّة، ويضيف إلى ذلك بعض النصوص الحديثية، بطريقة فاضحة لا تدلّ على مقصوده، وما أقبح الجهل والتعالم إذا اجتمعا..

يقول . وتأمّلوا ما تحته خط .: " إنّ أكبر مشكلة واجهت الفكر العربي الإسلامي حين مواجهته مشكلة التعددية، وبالذات من النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري، وهي ظن أولئك المتحذلقين والمتقوقعين حول فهومهم الخاصّة أنّهم بنفيهم وإقصائهم لخصومهم إنّما هم آخذون بحجزهم عن النار، وهؤلاء المخالفون ما فتئوا يتفلّتون منهم ويقعون فيها في تصنيف حصري لحقّ النجاة لفهوم بعينها دون بقيّة الأفهام المباينة والمقاربة... ".

فهو يعدّ تصدي سلفنا الصالح لأصحاب الفرق الضالة، والردّ عليهم، أكبر مشكلة واجهت الفكر العربي الإسلامي، ويخصّ النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري، لأنّه وقت نشوء فرقة المعتزلة التي جنّد نفسه للدفاع عنها، ويلاحظ شتائمه التي وصف بها أهل السنة وسلف الأمّة: (المتحذلقين المتقوقعين حول فهومهم الخاصّة)، والتهم التي وجهها (النفي والإقصاء للخصوم)، والتعريض بالحديث النبوي

الشريف الذي يُشبّه فيه النبي r المتهافتين على الباطل . كهذا الكاتب وأمثاله . كالفراش المتهافت على النار.. وتعريضٌ آخر بحديث الفرقة الناجية الوحيدة دون سائر فرق الضلال، ويصف ذلك ساخراً بلفظ سوقي فضائي بأنّه: (تصنيف حصري لحقّ النجاة لفهوم بعينها دون بقية الأفهام..) ويريد بذلك فهم السلف الصالح!!!، فما حكم من استهزأ بالنصوص الشرعية ؟!.

ثم يستشهد على ما ذهب إليه من التعددية بقوله: " ومن ثمّ يتساءل الإنسان كيف حاص أولئك [يعني السلف الصالح] عن حياض المنهج النبويّ الكريم حين كان r يقرّ أصحابه على تباين أفهامهم لما كان يلقي عليهم من نصوص (قصّة الصلاة في بني قريظة مثلاً) وعن مسار الصحابة بعده على هذا المنهج المتفرّد في قراءة النصوص، وامتثال مكنوناتها (اختلاف عمر بن الخطّاب وأبي بكر حول الكيفية التي ينبغي بواسطتها مجابهة مانعي الزكاة فكلاهما انطلق في تفسيره من ذات النصّ) .. " ا. هـ واستشهاد الكاتب بهاتين الواقعتين فيه جهل عظيم، وتلبيس واضح، وبعد كبير جداً عما أراد التوصل إليه، وهذه هي طريقة هذا الفكر الاعتزالي في التعامل مع النصوص، فأمّا الحادثة الأولى، فهي اختلاف في مسألة فقهية فرعية لا تعلّق لها بمسألة الاعتقاد والإيمان، لذا أقرّ النبي r الفريقين على اجتهادهما.. ومثل هذا الاختلاف لم يزل موجوداً عند أهل السنة حتى وقتنا الحاضر، وليس فيه تثريب إذا صدر من مؤهل.. وأمّا اختلاف عمر مع الصديق y في قضية مانعي الزكاة، فهو ليس اختلافاً، وإنّما هو إشكال وقع في نفس عمر، فما لبث أن زال بعد ذلك وحصل الاتفاق على ذلك الأصل، والكاتب . للتلبيس . لم يذكر تمام القصّة، وهو قول عمر بعد أن زال عنه الإشكال: " فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنّه الحقّ "، فأين في هذين الحادثتين ما يدلّ على ما أراد أن يقرره الكاتب من التعددية في أصول الدين والإيمان والاعتقاد ؟!!

ومن قبيل هذا الخلط والتلبيس المتعمّد بين الأصول والفروع، يذكر أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً وخبثاً . في مقال له بعنوان (المعاصرة وتقليدية التقليدي) الرياض: 13366، بعد الخلط المتعمّد بين السلفية الحقّة ، والسلفية المدّعاة أنّ " السلف لم يتفقوا إلا على القليل(!)، واختلفوا على الكثير، فعن أيّهم يأخذ ؟ " يعني السلفي، ثم

يذكر مسألة واحدة ـ واحدة فقط ـ اختلف فيها السلف، وهي خروج الحسين بن عليّ على الحاكم، ومخالفة بعض الصحابة له في هذا الخروج رضي الله عنهم جميعاً، وهذا الاختلاف ليس في أصل المسألة، وإنّما هو في بعض تطبيقاتها مع ما صاحب تلك الحادثة من ظروف وملابسات خاصّة، والقول بأنّ السلف لم يتفقوا إلا على القليل ـ من مسائل الاعتقاد ـ قول في غاية التجني والجهل بأحوال السلف ومنهجهم وعقيدتهم، وهو من أعظم التلبيس على عامة الناس، بل المعروف عند صغار أهل العلم، أنّ السلف الصالح في مسائل الاعتقاد الكبرى لم يختلفوا إلا في مسألة واحدة أو مسألتين، وبعض العلماء يعدها من قبيل الخلاف اللفظي لا الحقيقي، وإنّما وقع الخلاف بينهم في الفروع.

وفي سياق الحديث عن الفرق الضالة، يتباكى أحدهم على إقصاء تلك الفرق المارقة بل ـ وحتى الإلحادية منها(!) ـ في مقال له بعنوان (تلاشي الفكر العربي) الوطن: 980، فيقول: " نحن حتى اليوم(!) لم نقف على قراءة صحيحة للقضايا الكبرى أو حتّى الصغرى(!) في فكرنا، ولا للحركات الدينية التي مارست أشكالاً متعدّدة من حركات النقد للموروث بطريقة أو بأخرى، سواء الحركات الإلحادية أو الصوفية أو المعتزلية أو حتى الحركات الشعرية، فمن التجنّي إقصاء كلّ هذا الموروث وعدم الإفادة منه(!!!).."، ولا أدري ما الذي يريد بالقراءة الصحيحة التي لم نقف عليها حتى اليوم، ووقف عليها هو وأضرابه؟! وليست القضايا الكبرى فقط، بل حتى الصغرى !!!!. كما لا أدري ما الذي سنفيده من الحركات الإلحادية، والصوفية والمعتزلية الضالة ؟!!.

3. الطعن في مذهب السلف، والتندّر به، وكيل التهم له بلا حساب..

ففي مقال بعنوان: (التاريخ وأزمة الفكر الإسلامي) الرياض: 13688، كتب أحدهم ـ وهو أشدّهم تطرّفاً ـ مقالاً تحدّث فيه عن مسألة عقدية، وهي الكف عما شجر بين الأصحاب، وترك الخوض في ذلك، لأن الله U أثنى عليهم جميعاً، فهم ما بين مجتهد مصيب فله أجران، ومجتهد مخطيء فله أجر واحد، وهذا مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، ولذا يذكر في كتب العقائد، وقد عدّ الكاتب هذه العقيدة المتفق عليها عقبة تقف ـ حسب زعمه ـ دون تحقيق الحدّ الأدنى من الموضوعية العلمية(!)،

ثم يقول بأسلوب ماكر خفي: " دراسة طبيعة الفكر الديني، وتتبع مراحل تشكله في فتراته الحاسمة تواجه الرفض في مجتمعات تقليدية لا تزال تستعصي على العلمية، وتتماهى مع الأسطرة(!)، بل والخرافة بوعي منها بهذا التماهي وما يتضمنه من مدلولات في الفكر والواقع أو بلا وعي. وهذا الرفض إما أن يكون رفضاً للدراسة ذاتها أي للمراجعة الفاحصة باعتبارها تتناول ميداناً مقدّساً لا يجوز الاقتراب منه، وإما أن يكون رفضاً للآلية (المنهج النقدي) التي تجري مقاربة الموضوع بواسطتها، وفي أكثر الأحيان يجتمع السببان كمبرر للرفض"، أستاذ اللغة العربية، وصاحب الفكر الاعتزالي المنحرف، الحاقد على منهج السلف، يريد أن يخضع تاريخ الصحابة الأطهار y للفحص والمراجعة!!!، أمّا الآلية التي يريد أن يسلكها فهي آلية شيخه الجابري تلميذ المستشرقين والتي تتلخص في انتقاء بعض الصور القاتمة من بعض المصادر المشبوهة التي لا تميز بين الغث والسمين، وجعلها مناطاً للأحكام والنتائج، هذه هي الموضوعية التي يتحدّث عنها(!).

ثم يقول: " لا شيء يزعج البنى التقليدية الراسخة في الأعماق الوجدانية [يريد عقيدة أهل السنة] سوى إعادة فحص الحدث التاريخي، والنظر إليه من خلال أبعاد أخرى(!) غير التي اعتادت التقليدية أن تقدمه بها "، إنه يريد منا أن نسلك منهجاً آخر غير منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقائد، ليفتح الباب على مصراعيه لكل مبتدع وحاقد وموتور ليقرر ما يريد، وتالله ذلك هو الضلال البعيد..

ثم يواصل: " مما يعني أن الأشخاص (الذوات المقدسة صراحة أو ضمناً) ستكون على المحك، ولن تبقى كما هي عليه من قبل في تراتبيتها التي تتغيا الفكرة براجماتياً(!) . في النهاية "، وهذا هو مربط الفرس عنده: النيل من الصحابة، على حد قول أهل الاعتزال: (هم رجال ونحن رجال) وشتان بين أولئك الرجال وهؤلاء أشباه الرجال ولا رجال..

ثم يضرب مثالاً للذوات التي يصفها بالمقدّسة بالخلفاء الراشدين y ومذهب أهل السنة في ذلك أن التفاضل بينهم على حسب ترتيبهم في الخلافة، لكنّ هذا الكاتب لا يروق له ذلك، ويعده أمراً مبيتاً في الضمائر قبل وجوده(!!!)، يقول: " جرى الحدث التاريخي فيما يخص السلطة على التراتبية المعروفة بالنسبة للخلفاء الراشدين رضوان

الله عليهم أجمعين، ومع أنه . أي الترتيب التاريخي للخلفاء . كان حدثاً تاريخياً مجرداً إلا أنه قد جرى تحميله معنى دينياً في تراتبية الأفضلية لهؤلاء، وهنا يظهر أثر الحدث التاريخي الواقعي . بأقصى حدود الواقعية الصريحة . على الفكري، وكيف جرى ضمه إلى مجمل المنظومة العقائدية بوصفه معبراً عن مضمر عقائدي كان موجوداً قبل وجوده المتعين في الواقع "، فهو لجهله . أو خبثه . يرى أن ترتيب الخلفاء كان حدثاً تاريخياً مجرداً..!! ولم يكن الأمر كذلك، بل إن الصحابة y اجتهدوا في تعيين الأفضل، بدليل أنهم توقفوا طويلاً بعد موت عمر t أيهما الأحق والأفضل عثمان أم علي، وكان عبد الرحمن ابن عوف t يطوف حتى على العذارى في خدورهن يسألهن حتى انتهى الأمر إلى تقديم عثمان t. ولهذا يقول أحد السلف: " من فضل علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار "، فكيف يقال إن ترتيب الخلفاء الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة كان حدثاً تاريخياً مجرداً ؟! لكنه الجهل والهوى، وإذا كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي، فإنهم لم يختلفوا في أبي بكر وعمر..
.

ولا يفوته في مقاله هذا أن يعرج على الصحابي الجليل، وكاتب الوحي معاوية t ويتهمه ببعض التهم الجائرة التي تنال من عدالته ونزاهته بناء على ما قرره سابقاً من الفحص والمراجعة(!)، ثم في نهاية مقاله يتباكى على مذهبه الاعتزالي العقلاني فيقول: " لا شك أن هذا يفسر كيف أن تيار العقلانية لا يظهر في مكان من العالم الإسلامي إلا ريثما يندثر، لا يتم هذا بقرار سلطوي في الغالب، وإنما بإرادة جماهيرية لا تزال تتدثر بلحاف الخرافة الصريحة أو الخرافة التي تؤسس على هذا القول أو ذاك "، وشتم الجماهير سمة بارزة من سماتهم كلما عجزوا عن بث فكرهم المنحرف، وستستمر الجماهير المسلمة التي تتدثر بلحاف أهل السنة والجماعة في رفض هذا الفكر الضال الذي ينال من ثوابتها وعقيدتها الراسخة ورموزها الشامخة ولو كره أدعياء العقلانية والتنوير بل التزوير.

وتقريراً لهذه العقيدة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . في الواسطية: " ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله y كما وصفهم الله في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا

الَّـذِينَ سَـبَقُونَا بِالْإِيمَـانِ وَلَا تَجْعَـلْ فِـي قُلُوبِنَـا غِـلًّاً لِّلَّـذِينَ آمَنُـوا رَبَّنَـا إِنَّـكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}[الحشر:10]، وطاعة النبي r في قوله: " لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم .." إلى أن قال: " ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيّر عن وجهه، والصحيح أنهم معذورون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم.. " إلى آخر ما ذكر.

هذا مثال واحد على طعنهم في عقيدة السلف والتشكيك فيها بطريقة ماكرة خفية، لا تخلو من مسلك التقية، مع ما فيها من التصريح ببعض ما تكنه نفوسهم، ومع هذا فهم يشتكون من عدم تمكنهم من قول كل ما يريدون. كفانا الله شرهم.

وفي مقال بعنوان: (هيمنة الخرافة) الرياض: 13566، يسخر آخر . وكان تكفيرياً فصار مرجئاً(!) . من عقيدة من عقائد أهل السنة والجماعة، وهي إثبات كرامات الأولياء، . وهي عقيدة ثابتة بالكتاب والسنة .، فيعدّها من الخرافة، ثم يقرر(!!) أنّ الخرافة والعقل ضدان لا يجتمعان!! ولا أدري أي عقل يقصد، فعقله يرى أنها خرافة، وعقول أئمة أهل السنة والجماعة بناء على ما جاء في الكتاب والسنة يرون أنها عقيدة ثابتة، فإلى أي عقل نتحاكم ؟ ثم يخلط الكاتب . وهذه عادتهم في الخلط والتلبيس . بين هذه العقيدة الثابتة وبين بعض الاجتهادات البشرية من بعض المجاهدين أو بعض المنحرفين فكرياً، وهذا الخلط منهج فاسد يدل إما على الجهل الفاضح، وإما على الهوى الواضح، للتوصل إلى أغراض في نفس الكاتب..

وتقريراً لهذه العقيدة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . في الواسطية: " ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات.. "..

السمة الثانية:

الخلل العقدي الواضح في كتاباتهم

وذلك ناتج عن تلوث المصادر الفكرية التي ينهلون منها، وهل تلد الحيّة إلا الحية!..وقد سبق شيء من انحرافاتهم العقدية، ويضاف إليها:

1. نسبة الإعطاء والمنح والضرب للطبيعة(!)..

يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (الثقافة والإرهاب علاقة تضادّ) الرياض: 13772، عازفاً على وتر الإرهاب والإنسانية: " والإرهاب تنكّر للبعد الإنساني في الإنسان، ومحاولة جنونية للرجوع إلى ما قبل الفطري والإنساني، أي أنّه محاولة رجعية ليست للقضاء على مكتسبات الأنسنة(!) فحسب، بل وللقضاء على ما منحته الطبيعة فطرياً للإنسان "، وسيأتي الحديث عن موضوع الأنسنة لاحقاً بإذن الله تعالى.

وفي مقال له بعنوان: (المرأة من الأيديولوجيا إلى الإنسان) الرياض: 13758، يكرر هذا الخلل العقدي مع عزفه المعتاد على وتر الإنسانية، وشتم السلفية، يقول: " ربّما كان من قدر المرأة لدينا أن تواجه أكثر من سور منيع يحول بينها وبين الحصول على أقلّ القليل من حقوقها الفطرية، تلك الحقوق التي منحتها إياها الطبيعة ابتداء.. "، وهكذا تصبح الطبيعة الجامدة هي المانحة ابتداء(!!!)، أليس هذا هو منطق الإلحاد ؟.

وفي السياق نفسه يقول آخر في مقال له بعنوان: (إعصار كاترينا وعصارة الكره) الرياض: 13607، وهو يتحدّث عن الإعصار الذي ضرب أمريكا: " ما ذنب أطفال وشيوخ وعجائز وأبرياء ضربتهم قوى الطبيعة(!) حتى غدوا كأنهم أعجاز نخل خاوية أن نحملهم وزر حكوماتهم في أخف المبررات(!) أو نربط بين ما حل بهم وبين ما مارسوا فيه حقهم المضمون(!) من رب العالمين في اختيار المعتقد الذي يريدونه في أسوأ المبررات.."، فربنا جل وعلا يقول: { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ }[سبأ:17]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، والكاتب يقول: لا تسمعوا لكلام الله بل إنّ الضارب والمهلك هي قوى الطبيعة!!!. أمّا الكفر الذي هو ظلم للنفس قبل أن يكون جريمة يستحق صاحبها العذاب، فهو عند الكاتب حق مضمون من رب العالمين لأولئك الكفرة..!! فأي خلل أعظم من هذا الخلل العقدي الصارخ.

ثم يضيف إلى هذه الخلل خللاً آخر أطم فيقول: " لماذا لا نجيد إلا التشفّي والتمني بالمزيد بعد أن قصرت بنا الثقافة المنغلقة عن إشاعة ثقافة العون والمساعدة المنبثقة من روح الأخوّة الإنسانية التي تشكل أصلاً من أصول الإنسان العظيم الإسلام في صفائه ونقائه وعزته وإنسانيته قبل أن تختطفه قوى الظلام والكراهية لتجعل منه أيديولوجية ساخطة على العالم كله.." ، والأخوّة الإنسانية التي يتحدث عنها سيأتي الحديث عنها بشكل مفصل بإذن الله، أمّا التشفي فلا أعلم قوماً أشدّ تشفياً من هؤلاء القوم، لا سيما مع خصومهم السلفيين، وقد رأينا قمة هذا التشفي في حادثة حريق الرئاسة، نثراً وشعراً ورسماً، وبكائيات عجيبة لوفاة بضع فتيات من آثار التدافع والهلع، لا بسبب الحريق.. ولم يقتصر الأمر على هذا بل حاولوا الزج بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه القضية زوراً وبهتاناً، وبطريقة قذرة، لولا تصريحات المسؤولين المبرئة للهيئة.. ثم هم ينكرون تشفي (بعض) المسلمين المظلومين الذين فقدوا الكثير من أولادهم وأعزائهم والكثير من أموالهم وممتلكاتهم بسبب الجبروت الأمريكي المدمر في كثير من بلاد المسلمين.. ثم أي أخوّة إنسانية مع قوم يمتهنون المصحف الشريف في سجونهم، ويسخرون من سيد الخلق وخاتم المرسلين عليه من ربه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

2. الدفاع عن القبوريين وأصحاب المذاهب الكفرية..

ففي مقال له بعنوان: (نحن والخوارج إلى أين) الرياض: 13716، يقول الكاتب السابق، بعد أن قرر أن مرجعية من وصفهم بالخوارج هي السلفية (التقليدية): "إننا نريد أن نعرف من هؤلاء الخوارج القعدة هل نحن أي كدولة ومجتمع في نظرهم مسلمون أم لا؟ "

إلى أن يقول: " أنا هنا لا أقصد موقفهم من عموم المجتمعات الإسلامية، لأنها في تصنيفهم العام غير المفصّل كافرة إمّا لأنها لا تحكم بما أنزل الله أو تسكت عن الحاكم في هذا الأمر وإمّا لأنها بدعية أو مذهبية أو قبورية أو حزبية.. إلخ هذا الهراء وإما لا تنكر كل ذلك "..

والقبوريّون هم عبّاد القبور، المعظّمون لها بالذبح والنذر والسجود وغير ذلك من أنواع الشرك الأكبر، وهؤلاء لا شكّ في كفرهم، والكاتب يجعل ذلك من الهراء، وهذا خلل

كبير في الاعتقاد، فإنّه إذا كان تكفير المسلم الموحّد لا يجوز، فكذلك عدم تكفير الكافر هو أيضاً لا يجوز، وهو تطرّف مضادّ للتطرف الأوّل الذي أراد أن يحذّر منه..

وأمّا حديثه عن الدولة والمجتمع، وتمسّحه بذلك، فهو من باب التقيّة التي يشتركون فيها مع الرافضة، وذلك أنّهم أصلاً لا يرون شرعية هذه الدولة السلفيّة (الوهابيّة في نظرهم) لأنّها غير ديموقراطية، أي غير منتخبة من الشعب، وهم يسعون لتحقيق مشروعهم التغريبي الغربي إلى إزاحة هذه الدولة، لإقامة دولتهم (الإنسانية) المرتقبة التي لا دين لها ولا مذهب ولا طعم ولا لون ولا رائحة.!!!.

وأمّا المجتمع الذي يزعمون تكفيره من قبل الخوارج القعدة، فهو المجتمع الذي استعصى عليهم ولذا فهم يرمونه . على سبيل الشتم . بالتجهيل، أو على حدّ تعبيرهم كما سبق: (الجماهير البائسة الظامئة)، و(جماهير الغوغاء)، و(الجماهير المجهّلة)، و(الجماهير الغائبة المغيّبة)، و(المجتمعات المحافظة الأصولية)، وهي الآن بعد هذه الشتائم أصبحت متّهمة بالكفر من قِبَل من يزعمون أنّهم قد اختطفوها، فأيّ تناقض بعد هذا التناقض الحادّ ؟!!.

3. الخلل في مفهوم الولاء والبراء..

وقد كتب أحدهم . وهو أكثرهم حديثاً عن العقائد وأشدّهم جهلاً . مقالاً بعنوان: (فلسفة الولاء والبراء في الإسلام) الرياض: 13546، وقرر مفهوماً غريباً للولاء والبراء، يفرّغه من مضمونه الشرعي الذي أراده الله U ، بل يضادّه ويخالفه، يقول: " وهو يشي بعلاقات سلمية قوامها الصلة والإحسان والبرّ ودعم ممكنات السلام الاجتماعي الذي أتى الإسلام ليجعلها الأصل في حياة الناس قبل أن تختطفها جماعات الإسلام السياسي لتجعل بدلاً منها العنف والقتل والدمار هو الأساس في علاقة الإسلام بغير من الديانات الأخرى افتئاتاً على الله تعالى ورسوله ومكراً للسوء ولا يحيق المكر السيّء إلا بأهله ".. فهو يخلط بجهل فاضح بين عقيدة الولاء والبراء التي قوامها ولبّها وروحها: الحب والبغض وموالاة المسلم أيّاً كان، والتبرّي من الكافر ومعاداته أيّاً كان، وبين معاملة الكفّار والتفريق بين من كان منهم محارباً، ومن كان منهم مسالماً.. وبغض الكافر ومعاداته كما قال الله عن الخليل إبراهيم u: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }[الممتحنة:4]، فنحن نبغض الكافر ونعاديه بقلوبنا من أجل كفره، لكن ذلك لا يمنعنا من بره إذا كان قريباً مسالماً كالوالدين ونحوهما، وكذلك لا نظلمه بل نقسط إليه، ونحسن معاملته ترغيباً له في ديننا، ومن أجل إنقاذه من الكفر الذي هو فيه، بل إنّ عقيدة الولاء والبراء لا تختص بالكافر، بل تشمل حتى العاصي، فنبغضه لمعصيته، لكن نحبه من وجه آخر لما عنده من الإيمان والإسلام، فمن لم يبغض الكافر لكفره، والعاصي لمعصيته، فلديه خلل في هذه العقيدة العظيمة، وما تأخر المسلمون، ولا تسلط عليهم العدو، إلا لتخليهم عن هذه العقيدة، أو اختلال مفهومها لديهم.

ولم يقف الأمر عند هؤلاء على مجرد الاختلال في المفهوم، بل تجاوزه إلى ما هو أعظم من ذلك، ألا وهو إلغاء هذه العقيدة من أصلها(!)، يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (الخطاب الديني وضرورة التجديد) الجزيرة: 11595، عن مفهوم الولاء والبراء: "هذا المفهوم كان في الماضي، وفي زمن عدم وجود (الدولة) بمعناها وشكلها الحالي، ضرورة احترازية، ودفاعية وقائية مهمة، فقد كان بمثابة آلية عالية الفعالية آنذاك لمنع ما يمكن أن نسميه بلغة اليوم (منع اختراق مجتمعاتنا من الآخر) في حقبة كان الصراع والتطاحن فيها بين الأمم والثقافات هو السمة الطاغية على العلاقات الدولية، أما اليوم فقد تغير الوضع حيث أصبح التعاون بين الأمم(!!!) وتكريس كل ما من شأنه إثراء هذا التعاون، هو الثقافة السائدة بين شعوب الدنيا، لهذا فإن التغير النوعي في العلاقات الدولية الذي نعايشه اليوم كان يجب أن يتبعه تغير مواكب في مفهومنا للولاء والبراء بالشكل الذي يحافظ على فعالية هذا المفهوم.."، وقد ذكرني قوله (ضرورة احترازية ودفاعية وقائية) بالحرب الاستباقية الوقائية التي دشّنها (الآخر) في ظل التعاون الدولي بين الأمم(!) دفاعاً عن نفسه، ولو كان ذلك مبنياً على استخبارات خاطئة أو مبالغ فيها، وهي ليست مجرّد عقيدة في القلب، أو بغض باللسان، وإنما حرب بالأسلحة المدمرة وربما المحرمة دولياً التي

لا تفرق بين المحارب والمدني، ويبدو أن مفهوم هذه العقيدة قد انتقل إلى ذلك الآخر في حين غفلة منا، فكان علينا التخلي عنه.. أما التعاون بين الأمم! فصحيح لكنه ضد الإسلام وأهله، كما في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها مما يطمع فيه (الآخر)..

ويستشهد الكاتب المذكور على ما ذهب إليه من تعطيل مفهوم الولاء والبراء، بقول كبيرهم الجابري الذي يقول: " إذا تعارضت المصلحة مع النصّ، روعيت المصلحة(!) باعتبار أنّ المصلحة هي السبب في ورود النصّ، واعتبار المصلحة قد يكون تارة في اتّجاه، وتارة في اتّجاه مخالف(!)".

فتأمّلوا هذا القول العجيب الذي يفترض تعارض المصلحة مع النصّ، ثمّ من الذي يحدّد المصلحة ؟، وكيف يكون اعتبار المصلحة تارة في اتّجاه، وتارة في اتّجاه مخالف؟ فما قيمة الدين حينئذ، إذا كانت ثوابته عرضة للاعتداء والإلغاء بحجّة المصلحة المزعومة ؟.. نعم قد يتخلّى المسلم عن عقيدة الولاء والبراء ظاهراً في حالات استثنائية خاصّة جداً، لكنّها تبقى عقيدة قلبية لا يجوز له أن يتخلّى عنها: { مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[النحل:106].

4. الثناء على الفرق الضالّة، وخصوصاً المعتزلة . التي تتّخذ من السلفية خصماً تقليدياً لها . والدفاع عنها، بل الدعوة إليها !!...

ففي مقال بعنوان: (الخوف من النقد) الرياض: 13509، كتب أحدهم يستنكر فزع خصومه السلفيين عند شتم مذهب السلف، وكيل التهم للسلفية بلا حساب ولا برهان، والذي يعدّونه من النقد!!. ويقرّر بفهم مغلوط ومنقوص للآية الكريمة: {وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ }[هود:118]، أنّ الاختلاف بين البشر أمر جبلّي قد فُطر عليه البشر، وليس بمذموم، ولو أتمّ الآية لتبين له خطأ ما ذهب إليه، فإنّ الله قال بعدها: {إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }[هود:119]، فجعل الله الاختلاف مقابل الرحمة. وقوله: (ولذلك خلقهم) قيل للاختلاف. وقيل للرحمة. وقيل للأمرين: فريق في الجنّة وفريق في السعير، وهو الصحيح. ولذا ختم الآية بتوعّد الكافرين من الجنّ والإنس بنار جهنّم، ولم يعذرهم

بكفرهم بحجّة أنّ الاختلاف أمر جبلّي فطريّ كما يقول هذا الكاتب الجاهل، ويدلّ على أنّ الأصل هو الاجتماع والاتفاق على التوحيد والإيمان الصحيح قوله تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً..}[البقرة:213]، وقد روي عن ابن عباس t أنّ الناس قبل نوح كانوا على التوحيد عشرة قرون، ثم حدث الاختلاف والتفرق بعد أن زين الشيطان لقوم نوح عبادة الأصنام وتعظيم الصور..فكان نوح u هو أوّل الرسل لمحو الشرك.

ثم يقرر هذا الكاتب " حق الآخر (الكافر)(!) في الاختلاف من زاوية عدم احتكار الحقيقة من جانب واحد!! أياً كان هذا الجانب... "..

ثم يقول مدافعاً عن المذهب الاعتزالي . وهذا هو مربط الفرس لديه .: " هنا أجد أنّه من المناسب القول بضرورة إعادة النظر في المناهج الجامعية في الأقسام التي تدرس العقديات والمذاهب بحيث يجعلها تؤسس لنظرة تسامحية تنطلق من إبراز أهداف ومنطلقات الفرق المخالفة عندما أرست قواعد مذهبها . خاصة الفرق الإسلامية الماضية المنظور لها على أنها مخالفة . بدلاً من تكريس وضع منهجي يُنظر لها على أنها ذات أهداف خاصة لهدم الإسلام وتقويض بنيانه بحيث تتأسس المخرجات التعليمية البشرية على التعامل مع حق وحيد ورأي فريد هو ما تلقنه إياه تلك المناهج كحق حصري لمباديء مذهبه وقواعد مرجعيته "، وبعد هذا التلميح غير المليح، ينتقل إلى التصريح فيقول: " المذهب الاعتزالي مثلاً عندما أسس للنظرة العقلية في الإشراقات(!) المبكرة من تألق الحضارة الإسلامية كان له هدف نبيل واضح وهو محاربة الهجمة الشعوبية على الإسلام آنذاك المتخذة من مذهب الشك أساساً لإتيان بنيان الإسلام من قواعده، فكان أن قام المعتزلة بالتأسيس للمذهب العقلي القاضي بتقديم العقل(!!!!) على النقل كسلاح مماثل ووحيد لردّ تلك الهجمة على الإسلام... " إلى آخر ما ذكر من التلبيس وقلب الحقائق، فأما الشك الذي يتحدث عنه فهم أهله والداعون إليه كما سبق من دندنتهم حول أنّ أحداً ما . أيّاً كان دينه ومذهبه . لا يمتلك الحقيقة المطلقة، فأي شك بعد هذا الشك ؟!، وأما تقديم العقل على النقل فهو الضلال المبين، فكيف تكون السيئة حسنة يُمدح صاحبها ؟!، إن هذا من انقلاب المفاهيم..

ثم يختم مقاله بالتعريض بالحديث الشريف ـ حديث الافتراق والفرقة الناجية ـ، وهو مخالف للعقل عندهم(!)، فيقول: " ومن ثم فإن الحاجة ماسّة لتأسيس جديد لأقسام العقيدة والمذاهب في الجامعات لتأسيس طلابها على النظرة المجرّدة(!) للمذاهب والفرق المخالفة عن طريق وضع مناهج تؤسس هي الأخرى للدراسة التاريخية المجرّدة(!) باستصحاب كامل لتأريخ نشأة تلك الفرق وأهمها الظروف السياسية التي صاحبت نشأتها وتأسيسها مذهبياً بدل أن تقدم للطالب باعتبارها فرقاً ضالة هالكة في مقابل فرقة ناجية وحيدة... "، أما التفسير السياسي للتاريخ والأحداث، واستبعاد الدين والعقيدة كمؤثّر رئيس، فذلك من أبرز سماتهم كما سيأتي، للتوصّل إلى ما يهدفون إليه من العلمنة.

وفي مقال لهذا الكاتب بعنوان: (العقل قبل ورود السمع) الرياض: 13688، الذي هو أصل من أصول المعتزلة، يثني الكاتب على هذا الأصل، الذي يعلي من شأن الفلسفة والمنطق وعلم الكلام المذموم، ويصف موقف السلف من ذلك بالركام الظلامي الراكد على ثقافتنا منذ قرون... أمّا تراجع بعض كبار أساطين الفلاسفة عنها، وتسجيل اعترافاتهم في ذمّها، وأنّها لا تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، فيعدّه الكاتب في مقال له ساخر بعنوان: (التراجعات المذهبية) الرياض: 13572، مجرّد دعوى لا حقيقة لها، وأنّ ما قالوه، معظمه منحول عليهم، ولا يخفى ما في قوله هذا من اتّهام للسلف بالكذب والافتراء على أولئك المتراجعين، ودفاع عن تلك الفلسفة البائسة العقيمة باعتراف أساطينها.

وفي هذا السياق يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (تعميق التعددية الفكرية... تأسيس لتطور المجتمعات) الوطن: 2305، مثنياً على مذهب الاعتزال، ولامزاً مذهب السلف: " ويزخر تاريخنا القديم بمدارسَ فكرية متعددة شاركت في زمانها في حراكٍ فكري ثقافي في قضايا فلسفية متعددة كثيرة شغلت تلك المدارس بالتأليف والردود, وأفرز ذلك الحراك الفكري الثقافي مدرسةً فلسفيةً عقلية وهي فكر الاعتزال بيد أننا لم نستفد من تلك المدرسة العقلية التي كانت تُحاكي عقل الإنسان ولم نحاول أن نبرز الأدوات والوسائل التي كانت أساساً لتلك المدرسة, بل قد أُبرزت تلك المدرسة على أنها ضارة وغير نافعة وهذه إشكاليةُ فكرٍ تفردَ بمجتمعٍ فأصبح يملي

عليه ما يجوز التفكير فيه وما لا يجوز وساهم في ترسيخ منظور ومنهج واحد تدرسُ من خلاله تلك المدارس الفكرية العقلية التي تزخرُ بالثقافة, فهل سوف تتغير طريقة طرحنا للمدارس الفكرية المتعددة كي نوظفها في خدمة الحراك الفكري الثقافي لكي يمارسه أفراد مجتمعنا ويتفاعلوا معه والذي هو مطلب أساسي للإصلاح والتطوير أم إننا سوف نبني سداً يحول بين عقولنا وآليات تفعيلها كي تبقى على القديم ؟ وكيف سوف نغير طريقة طرحنا؟ ومتى؟".

أنّها دعوة صريحة إلى تبنّي مذهب الاعتزال ، ونبذ منهج السلف الذي يصفه بأنّه (فكر تفرّد بمجتمع)، فهو لا يفرّق بين الفكر والعقيدة التي لا مجال للمساومة عليها، بل إنّه يعدّ الأخذ بمذهب الاعتزال المنحرف مطلباً أساسياً للإصلاح والتطوير ..!!!!!

5. الدعوة إلى نقد الثوابت(!) والتشكيك فيها، والتي يعبّرون عنها تارة بالمسلّمات، وتارة بالحتميات، وتارة بالمعرفة الأولى... الخ ..وهي دعوة خطيرة تكشف عن حقيقة ما يطرحونه من فكر..

يقول أحدهم . وهو كبيرهم وأشدّهم افتتاناً بالغرب . في مقال له بعنوان: (ظهور الفكر النقدي شرارة الانطلاق الحضاري) الرياض: 14083: " إن إخفاق العرب والمسلمين في تحقيق الإفلات من قبضة التخلف وعجزهم عن إحراز النهوض وعدم القدرة على التفاهم وغياب تبادل الاحترام واستمرار التمركزات المتنافرة بين الأقطاب المختلفة داخل الأمة والاحتكام إلى القوة والعجز عن الاتفاق عند أي اختلاف ان هذه كلها وغيرها من المعضلات المزمنة تعود بشكل أساسي إلى حرمانهم من آليات النقد التي كانت المفتاح الذي اهتدت إليه بعض الأمم وأحسنت استخدامه فحقق لها الوئام المنتظم والتكامل المكتظ والنمو المطرد ومكنها من الازدهار المتجدد.. أجل إن النقد للأفكار والرؤى والأوضاع والأعراف والتقاليد والمواضعات والمسلّمات هو محرك الحضارة وهو صانع التقدم في كل مجالات الفكر والفعل وهو الشرارة التي فجرت طاقات الإنسان وصنعت له أمجاد الفكر والعلم ووفرت له أسباب الازدهار فالأمم التي اعتمدت هذه الآلية الرائعة حققت طموحاتها وأنجزت إثبات ذاتها ووقفت شامخة بين الشعوب في سباقات الفكر والفعل أما الأمم التي أخمدت هذا المحرك الأكبر أو

تجهله أو لا تحسن استخدامه فقد بقيت عاجزة عن مبارحة خنادق التخلف بل بقيت رافضة بأن تتجاوز هذه الخنادق لأن حرمانها من النقد والمراجعة حرمها من اكتشاف نقائصها كما حرمها من التعرف على ما في الدنيا من آفاق وبدائل فبقيت تتوهم أنها الأفضل والأرقى وظلت رهينة هذا الوهم .."

فهو قد ساوى بين الأفكار والرؤى والأوضاع والأعراف والتقاليد.. وبين المسلّمات التي هي الثوابت، ولم يستثن من ذلك شيئاً.. فكلّها يجب أن تكون خاضعة للنقد حسب رأيه، وهو يستشهد على ذلك بالحضارة اليونانية ووريثتها الحضارة الغربية حسب تعبيره، فيساوي بين دينهم وثوابتهم المحرّفة الباطلة، وثوابتنا وديننا الصحيح الذي لا يقبل النقد، بل يعدّ هذا التفريق بين الدينين وثوابتهما ضرباً لما أسماه بامتلاك الحقيقة المطلقة، بمعنى أنّك حين تعتقد أيها المسلم بأنّ دين الإسلام هو وحده الحقّ وما سواه باطل، فإنّك حينئذ تدّعي امتلاك الحقيقة المطلقة!!! هذا ما يفهم من إطلاقه حيث يقول: "ولكن لن ندرك عظمة هذا السبق المذهل الا إذا تذكرنا أن أصعب معضلة واجهت الإنسانية وسببت لها الفظائع والشرور وعرقلت مسيرتها الحضارية هي الانغلاق الثقافي الناتج عن توهم الكمال واعتقاد كل طرف من المختلفين أنه هو وحده الذي يملك الحقيقة النهائية المطلقة وأن كل الأطراف الأخرى غارقة في الأباطيل والحماقات والعمى والضلال وانحلال الأخلاق وأن كل المخالفين يستحقون الاقصاء والاستئصال لأنهم في نظره خطر على الحقيقة وعلى الوجود ولأن هذا الوهم يجري من الناس مجرى الدم ومحتجب عن الوعي خصوصاً في الثقافات المغلقة [ويقصد بها ثقافتنا] فإنه قد بقي ويبقى محصنا عن أضواء العقل وغير متأثر بفتوحات العلم ومحمياً من عمليات التحليل والفحص والمراجعة فتوهّم الانفراد بامتلاك الحقيقة يؤدي إلى الانغلاق الثقافي ومعاداة كل المغايرين وتوهّم الخطر من أي مخالف . إن ادعاءات كل طرف سواء بين الأمم المختلفة أو بين المذاهب والطوائف والاتجاهات داخل الأمة الواحدة بأنه وحده يملك الحقيقة المطلقة وأن الآخر ليس لديه سوى الضلال والعمى كانت وما زالت من أقوى أسباب البؤس الإنساني والفرقة والاقتتال والعداوات وحجب الحقائق وتزييف الوقائع وإفساد الأخلاق وملء النفوس بالأحقاد وتلويث العقول وإعاقة المعرفة وعرقلة الحضارة ومنع

الانسجام الإنساني لذلك كان تأسيس الفكر النقدي وتقويض أوهام الانفراد بامتلاك الحقيقة النهائية المطلقة من أعظم الاختراقات الإنسانية.."

وهذا الكلام تضمن حقّاً وباطلاً، وخلطاً عجيباً يدلّ على غبش في التصور، أو ضلال في الفكر، وسيأتي قريباً إن شاء الله الحديث عما يسمّى بامتلاك الحقيقة المطلقة..

ويقول آخر ـ وهو أشدّهم تطرّفاً وبذاءة ـ في مقال له بعنوان: (الإرادة الإنسانية.. المستقبل يصنعه الإنسان) الرياض: 14073، هاجم فيه ما أسماه بالحتميات التي هي الثوابت، يقول: " لا أريد أن أتحيز إلى تهميش الحتميات؛ بقدر ما أريد التأكيد على قدرة الإرادة الإنسانية على تجاوزها، والتحرر منها؛ مع الإقرار بنسبية هذا التحرر. بل إن حضورها الطاغي أحيانا هو ما يبعث روح التحدي إزاءها، ويجعل من التحرر منها تحقيقا لتحرر الإرادة الإنسانية مما سوى الإنساني ".

فهو يرى في مقاله الطويل الذي يكتنفه الغموض أنّ الحتميات التي هي الثوابت ـ ويعني بها ثوابتنا نحن لكنّه لم يجرؤ على تسمية الأشياء بأسمائها ـ هي العائق عن تحقيق التقدّم والإرادة الإنسانية، في الوقت الذي يثني فيه على الإنسان الغربي الذي يمثل في نظره مقدمة الوعي الإنساني، ومثال الإرادة الحرة الواعية بذاتها. لأنّه الإنسان الأقل خضوعا للحتميات، والأشد تحررا من أسرها !!!!!. إنّها قمّة الانهزامية والتبعية والانحراف الفكري، أو بتعبير بعض الفضلاء: (الأدمغة المفخخة).

وفي مقال بعنوان: (ثقافة معاقة)(!) الوطن: 2252 كتبت إحداهنّ داعية إلى الشك في الثوابت، والتشكيك فيها، تقول بكلّ جرأة: " يقال إن الفرد قد حقق هويته عندما تكون سلوكياته العملية في جميع جوانب حياته نتاجاً لمفاهيم وقناعات اختبرت صحتها بعقلية حرة مستقلة ولم تكن نتاج وراثة أو برمجة بطريقة الترديد الببغائي لما يقوله الوالدان والمدرسة ووسائل الإعلام كالمسجد والتلفزيون والكتيبات، وليصل الإنسان لهذا المستوى فلابد أن يمر بمرحلتين الأولى وفيها يتم وضع كل ما تم تلقينه إياه في فترة طفولة الفكر وهي مرحلة الطفولة وحتى نهاية المراهقة موضع الشك والاختبار دون النظر إلى ما يسميه مجتمعه أعرافاً أو ثوابت فيبدأ المراهق بالتساؤل حول مصداقية التعليمات التي جاءت من قبل الكبار وتشكيكه فيها بالبحث والقراءة

والاستطلاع بهدف الغربلة والتصحيح فيدخل سن الشباب وقد كوّن فكره المستقل الذي يعكس ما يدل عليه ثم يظهر الالتزام بالمعرفة الجديدة وتطبيقها عملياً كمؤشر ملموس على تحقق الهوية ".

فهي تدعو الشاب الغض بعد سنّ المراهقة أن يختبر قناعاته . حتى الثوابت(!) . بعقلية حرة مستقلة كما تقول(!!!) وهي لا تعلّم أنّ ثوابتنا لا سيما العقدية لا تخضع للعقل، ولا مدخل للعقل فيها، فهي تعتمد على الإيمان والتسليم المطلق { الذين يؤمنون بالغيب }[البقرة: 2]، ولو كانت الكاتبة تتحدث عن مجتمع غير مجتمعنا، ثوابته من وضع البشر لكان لكلامها وجاهة، أمّا وهي تتحدّث عن مجتمعنا السلفي المسلم بمناهجه النقية التي تولّى إعدادها علماء أجلاء، فلا وجه لهذه النزعة التشكيكية المتلقّاة من الغرب الكافر الذي لا ثوابت له سوى ما وضعه البشر..

ثم كيف لشاب غضّ في مقتبل العمر أن يختبر تلك القناعات والثوابت التي وضعها له علماؤه ومشايخه، وهي مما اتفق عليه سلف الأمة منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا ؟!!

ثم تقول: " وقد يظن أي معاق الهوية أن الأخلاق والقيم والمبادئ غير قابلة للتطور ويجب أن تبقى ثابتة وأننا نعني بهذا المقال التأثير على شبابنا ودفعه للتخلي عن قيمنا وأخلاقنا العظيمة ونقول له بل هي قابلة للتطور والتحسن ويجب أن تعامل بمرونة أكثر وسأعطي مثالاً على نمو المبادئ وتطورها ففي ثقافتنا الإسلامية الجميلة كنا من رواد الدعوة لحقوق العبيد ولتضييق موارد الاستعباد ثم تطور هذا المفهوم الأخلاقي على يد الثقافة الغربية لمستوى أعلى فمنع استعباد الإنسان والاتجار به أساسا ومن هذا المنطلق يمكن حتى أن نطور مفاهيمنا حول حقوق المرأة والطفل ".

وهو كلام خطير يدلّ على جهل فاضح، وانهزامية بائسة، فديننا ولله الحمد قد أكمله الله وأتمّه { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً }[المائدة: 3] فلسنا بحاجة لنطور ثوابتنا وقيمنا عن طريق أمم لا قيم لها ولا أخلاق أصلاً إلا الأخلاق التجارية إن صحّ التعبير، والمثال الذي ضربته دليل صارخ على جهلها فإنّ إلغاء الرقّ الذي أقرّه الإسلام ليس تطويراً وإنّما هو مضادة لحكم الله

وشرعه، فالرق باق ما توفّرت أسبابه، وقولها: (ثم تطور هذا المفهوم الأخلاقي على يد الثقافة الغربية لمستوى أعلى فمنع استعباد الإنسان والاتجار به أساساً) كلام خطير حيث جعلت هذا النقض لحكم الله مستوى أعلى مما شرعه الله وأقرّه.. فجعلت حكم الطاغوت أعلى من حكم الله، ولا أظنّها لجهلها تدرك ذلك، فإلى الله المشتكى من جهل هؤلاء وجرأتهم وتعالمهم..

ثم أي استعباد أعظم مما تفعله الدول الكبرى اليوم من استعباد الدول والشعوب وإذلالها والضغط عليها لتنفيذ أجنداتها، والسير في ركابها، والاستيلاء على ثرواتها ومقدّراتها ؟!! ومن يخالف ذلك فإنّ مصيره إلى الإقصاء والإبعاد والاتهام بالإرهاب، وتسليط المرتزقة عليه وغير ذلك من الأساليب الماكرة.

وتختم مقالها بما لا يقل خطورة عما سبق، فتقول: " وأخيرا تحت شعار حماية ثقافتنا خوفا من المتربصين وهذا الخوف الذي ينادي إلى التقهقر ومحاولة إحياء عصر ما قبل ألف سنة بحذافيره وهذا الفكر خلق مجتمعات بأكملها معاقة الهوية وجعل عقولنا راكدة متوقفة عن العطاء نعيش عالة ولا نساهم في أي إضافة للمجتمعات لا تقنيا ولا ثقافيا بالرغم من أننا نشكل خمس سكان العالم ".

فتأملوا قولها: (إحياء عصر ما قبل ألف سنة) وهو عصر النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه والتابعين، أي القرون الأولى المفضّلة التي قال عنها النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: ((خير القرون قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم..)) وجعلت إحياء مثل هذا العصر المجيد سبباً من أسباب خلق مجتمعات بأكملها معاقة الهوية... ألا يعدّ هذا الكلام من الكفر الصريح، أم أنّ هذه الكاتبة تردّد ببغائية ما لا تدرك معناه ؟!

وفي ذات السياق يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (التفكير في المعرفة الأولى) الوطن: 2259: "يعتبر كثير من الباحثين في الفكر العلمي، باشلار من أبرزهم، أن المعرفة الناتجة عن التجربة الأولى، أي الاتصال الأول بالموضوع، تعتبر عائقا معرفيا أمام الحصول على معرفة علمية موضوعية. وبالتالي فإن المعرفة العلمية الحقيقية تأتي لتواجه وتتجاوز هذه المعرفة الأولى ".

إلـى أن يقـول: " هـذا المفهـوم يمكـن توسـعته أيضـا إلـى معارفنـا الأولـى عـن الكـون والحياة والأفكار والثقافات وعن أنفسنا ومحيطنا الصغير والكبير. خصوصا أن أغلب معارفنا في هذا الإطار اكتسبناها ونحن صغار في فترات التعلم الأولى. تعلمنا في البيت وفي المدرسة ومن خلال التفاعل الاجتماعي أشياء كثيرة. تعتبر كلها معارف أولى تبقى متأثرة بثقتنا بمن علمنا إياها وبالهالة التي لهم عندنا...."

إلـى أن يقـول: " يمكـن سـحب هـذا الفهـم علـى المعرفـة الأولـى التـي اكتسـبناها فـي المدرسة من المعلم وتلك التي اكتسبناها من إمام المسجد وتستمر حتى إلى المعرفة الأولى التي تحصلنا عليها من الجامعة أو أي مصدر معرفي آخر ". وهذا هو مربط الفرس عندهم: المعلم، المسجد....

وهكـذا تسـتمر الـدعوة إلـى التشـكيك فـي ثوابتنـا ومسـلّماتنا الشـرعية بحجّـة النقـد والتمحيص، وهم يقيسون مجتمعنا المسلم على المجتمعات العلمانية الكافرة التـي لا ثوابت لها إلا ما صنعه البشر كما سبق ضاربين بثوابتنا الشرعية عرض الحائط.

ويبدو أنّهم بدأوا في تطبيق ما يدعون إليه، فهذا أحدهم في مقال لـه بعنوان (الأمن الفكري والركض في الطريق الآخر!!) الوطن: 2322، يطعن في مذهب أهل السنّة والجماعـة، ويقرر الفكـر الليبرالـي المنحـرف فهـو يـرى أنّ الأمـن الفكـري هـو : " أن يفكر جملة الناس وأفرادهم تفكيرا لا يؤدي إلى إيقاع الخطر بالمجتمع ".

ثم يقرر " إن هناك رؤيتين مختلفتين في تحقيق هذا الهدف. الأولى تقول إن الفكر الآمن هو الفكر "السلمي". بمعنى الفكر الذي يطرح آراءه وأفكاره بطريقة سلمية دون أن يلزم أحد بها أو يفرضها بالقوّة " وهذه هي الرؤية الليبرالية التي يريد أن يقررها .

ويواصـل: " الرؤيـة الثانيـة تـرى أن الفكـر الآمـن هـو الفكـر الـذي يسـير فـي الطريـق المحددة سلفاً. طريقة يرى أصحاب هذه الرؤية أنها هي السليمة قطعا وبالتالي فإن تحقيق الأمن للفكر يكون في السير على هذه الطريقة وكل ما يخرج عنها يعتبر فكرا خطرا ويهدد الأمن الفكري ". وهذه هي الرؤية السلفية الصحيحة، وهي التي يريد أن ينقضها، ولذا يقول: " شتّان بين الرؤيتين فكل منهما تنطلق من أساس فكري ورؤية للإنسان والحياة تختلف عن الأخرى. الرؤية الأولى التي ترى الأمان الفكري يكمن وينبع من التفكير السلمي بدون إضافة أي قيد آخر على هذا التفكير تنطلق من مبدأ

حرية التفكير غير المحدودة إلا بكونها سلمية. حرية التفكير التي هي حق أولي للإنسان وشكل من أشكال تحقيق وجوده الحقيقي في الحياة. هذه الحرية هي منطلق وطريق كل الإنجاز البشري وأفكار التقدم والتحرر على مدار التاريخ. كل الفلاسفة والمصلحين على مدى التاريخ انطلقوا من هذا الحق حين كانوا يواجهون بمعارضة شديدة من مجتمعاتهم في البدايات. صحيح أن الكثير منهم انقلب على هذا المبدأ بعد أن استقر لأفكارهم الأمر إلى أن المبدأ الأول كما شملهم يفترض أن يشمل من بعدهم بالتأكيد . الرؤية الثانية تنطلق من أن فكرة أن الحق معروف سلفاً، في جملة آراء جماعة ما " يقصد أهل السنة والجماعة، ثم يواصل: "وبالتالي فإنه لا يسع أحد أن يخرج عن هذا الفكر وإلا اعتبر مباشرة خارجاً عن الحق".

ثم يقول ساخراً: " لا تهتم هذه الرؤية بحرية الفكر، ولا تعتد بها، بل تحاربها بقدر ما تستطيع، وتعتبرها سبباً من أسباب الدمار والبلاء. ولذا فعلى الناس استمرار الاتباع للحق، الذي هو حق محدد عندهم في جملة من الأقوال والآراء وفي ما وافقها فقط ..".

وحرية الفكر عند هؤلاء تعني حرية الكفر، والسخرية بالدين وأهله، والتشكيك في الثوابت كما سبق..!! أما الحقّ المحدّد في جملة من الأقوال والآراء . حسب وصفه . فواضح أنّه يريد به مذهب السلف، وهل هناك حقّ غيره عندنا ؟.

وفي مقال بعنوان (لا إجحاف) الوطن: 2322، كتبت إحدى الكاتبات من أصحاب هذا الفكر . وهي التي سبق قريباً أنها طالبت بالشكّ في الثوابت . تنتقد وبصراحة وقحة بعض الثوابت المتعلّقة بالمرأة، والتي وردت فيها نصوص صحيحة وصريحة، وقد خلطتها مع بعض القضايا الأخرى التي هي محل اجتهاد، ومن هذه الثوابت التي انتقدتها وأنكرتها . وسأذكرها بالنصّ الذي ذكرته .:

" ممنوعة من السفر بدون إذن، ممنوعة من استئجار غرفة بفندق بدون إذن، ممنوعة من إلحاق أبنائها في المدرسة التي تحب بدون إذن، ممنوعة من استخراج جواز سفر بدون إذن، ممنوعة من الخروج من المنزل بدون إذن، ممنوعة من الخروج من الدوام (للمعلمات والطالبات) دون إذن، ممنوعة من الالتحاق بالعمل بدون إذن، ممنوعة من استئجار منزل وحدها بدون إذن، ممنوعة من الاستفادة من البعثات الخارجية

بدون إذن، ممنوعة من تزويج نفسها بدون إذن، ممنوعة من التوقف عن الإنجاب بعملية بدون إذن، ممنوعة من الخروج من المستشفى إذا نومت فيه بدون ولي لاستلامها، ممنوعة من دخول الإدارات الحكومية ومقابلة المسؤولين بدون ولي، ممنوعة من الامتناع عن فراش الزوجية بدون عذر، ممنوعة من طلب الطلاق بدون عذر ودفع غرامة، ممنوعة من اللحاق بأطفالها إذا أخذهم طليقها خارج البلاد دون إذن وليها، ممنوعة من تزويج بناتها دون إذن، ممنوعة من الوقوف في محل بيع أو مقهى هي تملكه، ممنوعة من استلام مناصب تنفيذية عليا في القطاع الخاص والحكومي، ممنوعة من لقاء وفد لعقد صفقة عمل، محرم عليها الركوب مع سائق وحدها، محرم عليها العمل في المكان المختلط، محرم عليها إغضاب زوجها، وأخيراً صوتها عورة لا يجب أن يظهر للملأ لتبقى قضيتها طي الكتمان.. ".

ويلاحظ أنّ أغلب ما ذكرته يدور حول أخذ الإذن من الزوج أو الولي في الخروج والسفر ونحوه، والاختلاط والخلوة المحرّمة، وقد وردت في ذلك نصوص شرعية صحيحة، فهذه الكاتبة . أصلحها الله . تريد من نسائنا أن يخرجن من بيوتهن، بل يسافرن حيث شئن ويتزوجن من شئن دون إذن من أوليائهنّ، ومعلوم شرعاً وعقلاً وذوقاً وأدباً في أي تجمّع، أو مؤسسة، أو إدارة حكومة أو أهلية، أنّ الموظّف لا يخرج من عمله إلا بإذن، وإلا لأصبح الأمر فوضى وتسيب، فكيف بمؤسسة الأسرة التي هي المحضن الأوّل للتربية والتعليم.. فهل تريد هذه الكاتبة من نسائنا أن يكن فوضويات متسيبات بلا رقيب ولا حسيب ؟! وإذا كانت هي ترى نفسها مثقفة وواعية، فهل كل النساء والفتيات كذلك؟!.

أما الاختلاط بين الجنسين . وأعني به الاختلاط المقصود . فهو أم البلايا ومقدمة الرزايا، فهو المقدمة للخلوة المحرمة المنتهية بالمآسي العظيمة، ولدي قصص مفجعة لضحايا الاختلاط من الجنسين، ولولا خشية الإطالة والخروج عن المقصود من هذه الدراسة، لذكرت شيئاً من ذلك، والعاقل اللبيب ينظر ويتأمل.

والعجيب أنّ بعض نساء الغرب العاقلات أكثر وعياً وإنصافاً للمرأة المسلمة، من هذه الكاتبة المنتسبة إلى الإسلام.. ففي مقابلة أجرتها مجلة الوطن العربي (العدد 314) مع امرأة فرنسية متخصصة في الفن الإسلامي قالت: " وجدتُ المرأة العربية (

المسلمة) محترمة ومقدرة داخل بيتها أكثر من الأوروبية ، وأعتقد أن الزوجة والأم العربيتين تعيشان سعادة تفوق سعادتنا.."

ثم توجه نصحها للمرأة المسلمة قائلة: " لا تأخذي من العائلة الأوروبية مثالاً لك، لأنّ عائلاتنا هي أنموذج رديء لا يصلح مثالاً يحتذى ".

وفي مقابلة أجرتها مجلة صدى الأسبوع مع فتاة إنجليزية أعلنت إسلامها، كان من الأمور التي دفعتها أن تترك النصرانية وتدخل الإسلام: الأسرة المسلمة ومكانة المرأة، قالت: " المرأة المسلمة دائماً في حماية ورعاية، تجد من يعيلها أينما حلت، وهي جزء هام من المجتمع الإسلامي، جو عائلي تفتقده الكثير من الأسر الغربية.."
.

والخلاصة أنّ ما تدعو إليه هذه الكاتبة حث نسائنا وبناتنا على التمرّد على أوليائهنّ، وأن يخرجن بلا حسيب ولا رقيب، وينزعن جلباب الحياء بلبس اللباس غير الساتر، ويرفعن أصواتهن في المجامع، ويختلطن بالرجال ليكن فريسة للذئاب البشرية، ولو غضب أولياؤهن، حيث إنّ الكاتبة أباحت لهن ذلك.. هذا ما يُفهم من مقالها، فما الذي بقي من الثوابت في قضايا المرأة ؟ وهل سيقف هؤلاء في نقدهم عند مثل هذه الثوابت الجزئية، أم سيتعدّى الأمر إلى الثوابت الأخرى ؟

السمة الثالثة:

الشكّ في دينهم، وكثرة الحديث عمّا يسمونه بـ (امتلاك الحقيقة المطلقة)

وأنّ أحداً من الناس . كائناً من كان . لا يمتلك هذه الحقيقة، وهم لا يفرقون عن عمد بين أمور الاعتقاد (الثوابت)، وبين غيرها من الأمور الخاضعة للنظر والاجتهاد، بل ظاهر كلامهم ينصرف إلى هذه الثوابت للتوصّل إلى مرادهم، وهو التشكيك في مذهب أهل السنّة والجماعة، أو ما يطلقون عليه: (السلفية التقليدية)، فلا أحد عندهم يمتلك الحقيقة المطلقة حتى في أصول الدين وأمور الاعتقاد التي أجمع عليها سلف الأمّة منذ فجر الإسلام، وإلى وقتنا الحاضر، فالمسلم الموحد، واليهودي، والنصراني، والمبتدع، كلّهم سواء من ناحية الحقيقة، لا حقّ لأحد منهم . حسب زعم هؤلاء . في امتلاكها(!) وهذا هو حالهم على الحقيقة، فهم حائرون تائهون مرتابون، أمّا نحن . ولله الحمد والمنّة . فليس لدينا شك في ديننا وعقيدتنا، فنحن مطمئنون

موقنون. إمامنا في ذلك رسولنا الكريم الذي قال الله له: { فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }.

وفيما يلي بعض أقوالهم في هذه القضية التي أقلقتهم، وأقضّت مضاجعهم، وحالت بينهم وبين تحقيق مشروعهم التغريبي:

تقول إحدى الكاتبات في مقال لها بعنوان (النزعة الإنسانية) الجزيرة: 11966 " تتميز التوجهات الفكرية المحافظة والمغلقة على نفسها، بالجمود والتشدد وعدم الرغبة في أيّ نوع من أنواع الاتصال مع المغاير أو المختلف، يرافق هذا شعور متأصل بالرعب والتهديد من العالم الخارجي، على اعتبار أنّ هذا العالم هو غابة من الشرّ والفساد والعهر.. حتى تصبح حالة من التيبس داخل طهرانية وأوهام بامتلاك الحقيقة المطلقة دون العالمين..."، ولا أدري عن أي مجتمع محافظ تتحدث . وهي بالتأكيد تتحدث مجتمعنا السلفي المسلم المحافظ، لكنها لا تجرؤ على التصريح .، فهل يوجد اليوم مجتمع ليس لديه الرغبة في أيّ نوع من أنواع الاتصال مع المغاير والمختلف، يبدو أنّ الكاتبة تتحدث عن بعض مجتمعات مجاهل أفريقيا، أو الواق واق.. أمّا أوهام امتلاك الحقيقة المطلقة دون العالمين فهو الشاهد من هذا النقل التغريبي الواضح.

ويقول آخر في مقال له بعنوان: (النظام المعرفي والهوية الثقافية) الرياض: 13551: "..العنف ومن ثم التطرف ينتج غالباً من اعتقاد المجتمع عموماً (وهو ما يربى أفراده عليه بالطبع) بأنّه مالك خطام الحقيقة المطلقة في نظرته للناس والكون والحياة، ومن ثم فلا يجد سبيلاً لأداء مهمته في الحياة سوى إجبار الناس المخالفين على عدم إهلاك أنفسهم، وردهم لحياض الحقيقة المطلقة "..

وهكذا ينبغي للناس .كما يريد الكاتب . ألا تكون لديهم عقيدة ثابتة راسخة يقينية، يربيهم عليها علماؤهم، ليظلوا في ريبهم يترددون.

ويوضّح هذا الكاتب ما أجمله في هذا المقال في مقال آخر له بعنوان: (الخوف من النقد) الرياض: 13509، فيقول: " يعتضد ذلك السلوك المبني على تضعضع الحجّة [ويقصد به الرعب عند الطعن في الأصول ونقدها] بانعدام التربية .كجزء من

الحالة الثقافية المعاشة ـ على مراعاة حقّ الآخر في الاختلاف من زاوية عدم احتكار الحقيقة من جانب واحد، أيّاً كان هذا الجانب، سواء أكان فرداً أو جماعة أو هيئة أو مذهباً أو خلافه.. "، فلا فرق ـ على رأي الكاتب ـ بين مذهب أهل السنة والجماعة، وغيره من المذاهب الأخرى المنحرفة، وكلّ ذلك توطئة وتميداً للتبشير بفكرهم الليبرالي الاعتزالي التغريبي.

ويقول آخر ـ وكان تكفيرياً فصار مرجئاً ـ في مقال له بعنوان: (أيضاً في الطائفية) الرياض: 13503، وهو يساوي بين أهل السنة وبين الرافضة: "وكانت تنشأ في الإسلام [أي الفرقة والاختلاف] جرّاء صراعات مريرة بين الطوائف والفرق المتصارعة على النصّ الديني، يغذّيها الوهم الزائف بامتلاك الحقيقة.."، وهكذا أصبح التمسك بمذهب أهل السنة والجماعة وهم زائف بامتلاك الحقيقة!!!.

وفي هذا السياق يقول أشدّهم تطرّفاً وبذاءة في مقال له بعنوان: (التفكير.. وإشكالية الوصاية) الرياض: 13065: " وإذا عرفنا أنّ (التفرّد) في الفكر وفي الممارسة المادية، هو المتعين السلوكي لمعنى الحريّة، وأنّ الحرية هي جوهر المعنى الإنساني، وأنّ كلّ إنسان يولد ـ على الفطرة ـ حرّاً؛ أدركنا حجم الجناية التي ترتكبها الثقافة التقليدية البائسة في سعيها الحثيث لقولبة الأفراد وقسرهم على رؤى متشابهة إلى حد التطابق بإلزامهم بأقوال ختمت ـ زوراً ـ بختم المطلق الإيماني والثابت اليقيني، كي يتنازلوا ـ طائعين ـ عن (فرديتهم/ إنسانيتهم/ وجودهم) في سبيل أوهام التقليدية الميتة، وأشباحها الآتية من عصور الظلام والانحطاط ".. والثقافة التقليدية البائسة وأوهامها الميتة وأشباحها الآتية من عصور الظلام والانحطاط يريد بها السلفية التي يسمها بالتقليدية كما صرّح بذلك في المقال نفسه، بل إنّه ضرب مثلاً على ذلك بحادثة قتل الجعد بن درهم الذي أعلن كفره وإلحاده وتكذيبه للقرآن فقتله الوالي آنذاك خالد القسري حداً لردته، فينبري هذا الكاتب مدافعاً عنه، فيقول" ولعلّه ليس من قبيل المصادفة أن يتغنى التقليدي في هذا الزمن الراهن بكل ما شهده ذلك الصراع التاريخي من قمع لمظاهر الاختلاف والمغايرة(!)، ويترحم على القاتل ويلعن المقتول، ويتمنى أمثالها قرابين ترضي مرضه السادي، ولا يزال التقليدي [يعني السني السلفي] يطرب كلما سمع أو تذكر قصّة الطاغية الذي ضحى يوم عيد

الأضحى بـ (إنسان) بدل أضحيته في أوائل القرن الثاني الهجري ".. وهكذا يتحوّل من يقيم حدود الله إلى طاغية، ويتحوّل الطاغية المرتدّ المكذب للقرآن وللرسول r إلى (إنسان) مسكين يستحق الشفقة، ويصبح إقامة الحد الشرعي جريمة، وقمع لمظاهر الاختلاف والمغايرة !!!!!! إنّ هذا لعمر الله قلب للحقائق، بل هي ردة يجب أن يستتاب منها هذا الكاتب.

وليته اكتفى بذلك، بل يواصل بذاءته ساخراً من الإمام الرباني ابن القيم رحمه الله وسائر علمائنا السلفيين بعده، وتلامذتهم، واصفاً إياهم جميعاً بالسفهاء(!!) فيقولَ: " وأصبحت هذه الجريمة منقبة للقاتل يمتدح بها عبر القرون بحيث لا يخجل أحدهم . وكان على علم . أن يمتدحه في نونيته التي قالها بعد الجريمة بستة قرون فيقول: (لله درك من أخي قربان)، ويردده من خلفه السفهاء(!) وأشباه السفهاء(!) على مرور الأيام ".. فهل بعد هذا التطرّف من تطرّف، وهل بعد هذا الإرهاب الفكري من إرهاب ؟!!.

والعجيب أنّ أسياده الغربيين وعملاءهم من الباطنية فعلوا مثل ما فعل القسري حين أعدموا صدّام حسين شنقاً في يوم عيد الأضحى . مع الاختلاف الشاسع في أسباب الإعدام ودوافعه . ومع أنّ الغرب كان هو الداعم الرئيس لمعظم جرائم صدّام، والمبارك لها!! إلا أنّ هذا الكاتب البائس لم يساو بين الجلادَين في الحالتين، وكذلك لم يساو بين الضحيتين في حكمه البائس أيضاً، بل راح يكيل الشتائم لصدّام ويجرّده حتى من الخصال التي اتفق الناس عليها حتى جلادوه، أمّا الجلاد والقاتل الحقيقي فقد عمي عنه هذا الكاتب، ولم يشر إليه ولا مجرّد إشارة، مع الفارق الكبير . كما أسلفت . بين الحادثتين.. !

السمة الرابعة:

العزف على وتر الإنسانية

وذلك في مقابل الأخوّة الإيمانية، وأخوّة العقيدة، وهذا بناء على ما قرّروه سابقاً من أنّ أحداً لا يمتلك الحقيقة المطلقة ! وقد كتب أحدهم مقالاً بعنوان: (الإنسانية والطائفية: صراع الأضداد) الرياض: 13754، يؤصّل فيه هذه النزعة الإنسانية شرعاً(!!) في جرأة متناهية حسب فهمه للنصوص ومقاصدها(!!) . وبئسما ما فهم .،

فيذكر إن الإسلام "جاء أوّلاً لتفكيك العصبية القبلية التي كانت سائدة عند العرب في الجاهلية، وعندما خلخل الأساس المعرفي القيمي التي تقوم عليه العصبية الجاهلية؛ قام بتجذير أساس قيمي جديد قوامه { أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } وهي نقلة نوعية متطورة . كما يقول . على طريق أنسنة(!) العلاقات في المجتمع العربي على أنقاض العصبية القبلية وما شاكلها من مقومات الطائفية(!)، ولأنّ القرآن كنص مؤسس لاجتماع جديد لا يستطيع وفقاً لقوانين الاجتماع البشري من جهة، ووفقاً لحركته ضمن جدلية التأثر بالواقع والتأثير فيه أن ينقل مجتمعاً غارقاً في قبليته كالمجتمع العربي القديم من أقصى قيمة سلبية . كما هي العصبية القبلية . إلى أقصى قيمة إيجابية . كما هي الإنسانية المطلقة فقد بدأ باستبدال الأخوة التي تقوم على العصبية القبلية بالأخوّة التي تقوم على الرابطة العقدية من جنس { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }، ومن جنس: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ } ولكنها ليست تجسيداً نهائياً لأنموذج العلاقة التي يجب أن تحتذيها المجتمعات، بل إنّها لا تعدو أن تكون خطوة على طريق الأنسنة الشاملة ليس إلا، يؤيّد ذلك قوله تعالى { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } وأيضاً {يا أيها الناس إنا خلقناكم من نفس واحدة }(1) " انتهى كلامه بنصّه، وهو كلام في غاية الخطورة والجهل والجرأة على النصوص الشرعية، حيث جعل النصّ المكيّ المتقدّم ناسخاً للنصّ المدني المتأخّر، وهذا لا يصحّ شرعاً ولا عقلاً، بل هو دليل على غاية الجهل والعبث بالنصوص الشرعية، لتقرير النزعة الإنسانية في مقابل الأخوة الإيمانية والرابطة العقدية التي يصنفها هذا الجاهل بأنّها من ضروب الطائفية(!!!).

وفي هذا السياق يقول أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً وحقداً على السلفية . موضحاً ولكن بعبارات تمويهية في مقال له بعنوان: (ما بعد الكائن النمطي) الرياض: 13499: " فقدان المشروعية الإنسانية يتم عندما يتقدّم سؤال الهويّة . أيّة هويّة . على سؤال الإنسان، أي على حساب الإنسان.. عندما يبدأ التنميط بإيديولوجيا الهوية ينتهي الإنسان الفرد المحقق للمعنى الإنساني، ومن ثم ينتهي الإنسان "، فهو يرى أنّ إثبات الهوية، . ويؤكد ذلك بقوله: (أية هوية) حتى تشمل الهوية الإسلامية والسلفية على وجه الخصوص كما نص على ذلك في بقية مقاله . يكون على حساب الإنسان!!

وهذه ـ عنده ـ بداية ما يسميه بالتنميط بإيديولوجيا الهوية، أي أن يكون للمسلم هوية وعقيدة تميّزه عن غيره، فذلك عنده يعني نهاية الإنسان..

ويؤكّد ذلك بقوله: " المجتمعات المحافظة ـ والمنتجة للأصولية بالضرورة ـ مجتمعات نمطية يشكل التنميط جوهر حراكها المعلن وغير المعلن، من حيث كونها ترتكز على وحدة القيم الصادرة عن وحدة الرؤية والمرجعية.. ".. فمن هي يا ترى هذه المجتمعات المحافظة والمنتجة للأصولية بالضرورة؟! وماذا يقصد بالأصولية؟ لا شك أنّه يقصد مجتمعنا السعودي المحافظ، بعقيدته السلفية الأصيلة، ومرجعيته المعتبرة، وقد أوضح ذلك فيما بعد من مقاله هذا بمن وصفهم بـ " رموز التنميط الذين كانت تدور عليهم حراك الأيديولوجيا المحلية " وزعم أن هذه الرموز أصبحت ـ بعد الانفتاح الإعلامي الهائل ـ فضيحة إعلامية بعد أن وضعت على المحكّ في مواجهة رموز المعرفة الحداثية التي واجهها ـ وانتصر عليها في الماضي ـ بالأدلجة وبتجهيل الجماهير لا بالحوار المعرفي الجاد.. وهكذا تصبح رموز الحداثة المارقة رموزاً معرفية(!!)، أمّا الرموز الإسلامية بمرجعيتها الشرعية المعتبرة فهي تنميطية مؤدلِجة مجهلّة للجماهير !!!

وفي مقال آخر له بعنوان: (تأملات في الغضب الإسلامي) الرياض: 13744، وذلك في أعقاب استهزاء الدنمارك بالرسول الكريم يقول: " يخيّل إليك ـ أحياناً ـ أنّ بعض أطياف الإسلامويّة(!) مبتهجة بالحدث لما تراه من تقاطع كثير من الأصوات الغاضبة مع شعاراتها، وإذا كنا لا بد أن نغضب ـ مهما استخدم غضبنا لغير ما نأمل ونريد؛ فإننا لا بد أن نكون حذرين غاية الحذر في لغة الإدانة التي نختارها، كيلا نسهم في الحشد والتجييش لفصائل ليست من خياراتنا الحضارية(!)، بل تقف ـ من خلال مجمل مضامينها ـ على الضد من المنحى الإنساني الذي تجتمع عليه قوى التقدّم والتحرّر الإنساني(!) ".. فهو لم ينس خصومه الذي ينعتهم استهزاء بالإسلامويين حتى في هذه النازلة الكارثية التي لم يسبق أن اجتمع المسلمون اليوم جميعا مثل اجتماعهم عليها ، كما لا ينسى أن يبشّر بمشروعهم التغريبي ذي المنحى الإنساني(!) الذي تجتمع عليه قوى التقدّم والتحرر الإنساني، في مقابل قوى التقليد والظلام والإرهاب والتأسلم والتخلف والتوحش والانغلاق والتطرف، وهي

الأوصاف الذي أسبغها كما سبق على السلفية وكل ما تقاطع معها من الحركات الإسلامية ولو من بعيد. أمّا قوى التقدّم والتحرّر الإنساني عنده فهي القوى الحاملة للواء الحداثة . لا بوصفها منهجاً أدبياً فقط . كما يصفها في مقال له بعنوان: (المرأة والحداثة) الرياض: 13457: فيقول: " نزل خطاب الحداثة إلى الواقع كخطاب نهضة واعدة، نهضة تتمركز حول الإنسان(!)، وتعنى بكل ما تقاطع مع البعد الإنساني، من مساواة(!) وتحرير، وديمقراطية.. الخ، وهذا الإنساني في خطاب الحداثة يعني . بالضرورة . أنه خطاب مهموم بالمسألة النسوية بوصفها إشكالاً يلازم المجتمعات التقليدية التي تسعى الحداثة لتقويضها(!!!) "، فهو يصرّح بأنّ الحداثة تسعى إلى تقويض المجتمعات التي يصفها بالتقليدية، ويريد بذلك . كما تدل عليه سائر مقالاته . المجتمعات المسلمة المحافظة، وخاصّة السلفية منها كمجتمعنا، لكن هؤلاء الكتّاب على عادتهم لا يجرؤن على التصريح وتسمية الأشياء بأسمائها الحقيقية.

وفي مقال له بعنوان: (إشكالية العنف الفلسطيني الإسرائيلي) الرياض: 13401، يكثر من العزف على هذا الوتر . وتر الإنسانية . فهو يقرّر أوّلاً أنّ الصراع بين الطرفين ليس صراعاً عقدياً، ويَسِمُ من يعتقد ذلك بأنّه متطرّف: يقول: " المتطرّفون من هنا (العرب والمسلمون) ، ومن هناك (الإسرائيليون) يفترضون الصراع الدائر الآن صراعاً عقائدياً، لا مجرّد وقائع سياسية تقوم على دعاوى عقائدية ".. ولم يحدثنا الكاتب عن سبب اختيار اليهود لدولة فلسطين (أرض الميعاد) دون غيرها من بقاع الأرض، ولا عن هيكل سليمان . عليه السلام . الذي يراد بناؤه على أنقاض المسجد الأقصى، فكل ذلك في نظره ليس شأناً عقائدياً، والحقيقة أنّ اليهود أنفسهم هم الذين ألقوا في روع المسلمين أنّ هذا الصراع ليس عقائدياً ليأمنوا جيشان العقيدة في نفوس المسلمين، وليعزلوا الفلسطينيين المسلمين عن باقي المسلمين!

ثم يهزأ بالأحاديث الشريفة التي تُحدّث عن نهاية هذا الصراع، ومنها الحديث الذي أخرجه الشيخان عن أبي هريرة t أن رسول الله r قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله) ولعلّ هذا الحديث لا تقبله عقولهم المريضة لأنّ فيه نطق الحجر، وهذا أمر مخالف للعقل

عندهم، فيقول: " إنّهم يرونه صراعاً لا في لحظته الراهنة فحسب، وإنّما هو كذلك منذ البداية وحتى النهاية "..!!

ثم يبدأ العزف على وتر الإنسانية ساخراً ببعض النصوص الأخرى التي تفصّل في هذا الصراع، فيقول: " النهاية عقائدية كما يراها مَن هنا ومَن هناك، وهي ذات ملامح تفصيلية في ضمير الغيب الآتي، ملامح تلتهم إمكانيات الرؤية الواقعية الآنية، وتحدد خيارات الحوار(!) والحراك. إنّها رؤية إيمانية قطعية عند كلا الطرفين ومن ثم يصعب الحلّ تحت هذا السقف أو ذاك، فلا خيار للإنسان.. يتم تصوّر ما هو كائن وما سيكون بواسطة تفكير غيبي يلغي الفاعلية الإنسانية أو يكاد، ويؤطّر ما بقي منها لينتهي في مضمار الإلغاء.."، وهكذا يساوي بين الرؤية الإيمانية القطعية عند الطرفين، فلا فرق عنده بين ما يعتقده المسلمون حسب نصوص الكتاب والسنة التي تكفّل الله بحفظها، وبين ما يعتقده اليهود حسب نصوص توراتهم المحرّفة، ثم هو لا يفرّق أيضاً بين الفلسطيني المسلم صاحب الحقّ والأرض المغتصبة، وبين اليهودي الكافر المحتلّ الذي يمارس أبشع أنواع الإرهاب ضدّ الفلسطيني المسلم الأعزل، بل يرى أن لا ثوابت في هذه القضية أصلاً في ميدان الفعل السياسي، فيقول: " إنّ لدى الفلسطيني ثوابت! كما أنّ لدى الإسرائيلي ثوابت. وثوابت هذا تتناقض . واقعياً . مع ثوابت ذاك، لكنها ثوابت في التصور لا في الواقع، لأن الواقع . وهو ميدان الفعل السياسي . لا ثوابت له، ومن هنا فأية جراحة فكرية إنسانية لبنية التصور، كفيلة بأن تمهد للحل السلمي ، ليس الواقع صلداً كما يتصوّره كثير منا، أو كما يريدونه أن يكون، بل هو مفتوح على كافة الاحتمالات، شرط أن تتفتح لها الأذهان!!! ".

وبعد أن ساوى بين الطرفين، أخذ يتباكى على ضحايا هذا الصراع، ولو كانوا من اليهود الغاصبين المحتلين، ويصفهم بالأبرياء عازفاً على وتر الإنسانية، مع أنّ الشعب اليهودي كلّه مجند ضد الفلسطيني المسلم صاحب الأرض، يقول: " للأسف نحن لم ننظر إلى العنف نظرة محايدة، بوصفه ظاهرة لا إنسانية، تطال الإنسان، أيّاً كان هذا الإنسان، سواء كان فلسطينياً أو إسرائيلياً. ضحايا العنف في معظم الأحيان من الأبرياء(!!!) وحتى ما سوى ذلك، فإنه يبقي خلفه مآسي تطال أبرياء لا محالة. يجب ألا يغيب عن الوعي أن لهؤلاء وهؤلاء أمهات وأبناء وأزواج وأحباب تكاد قلوبهم

تتفطر حزناً وألماً بعد كل مشهد من مشاهد العنف، تلك المشاهد التي ليست مقصورة على طرف دون آخر. هل انغرس في وعينا أن الإنسان هو الإنسان على هذا الطرف من أطراف الصراع أو ذاك، مهما حاول أحدهما قصر الإنساني عليه ؟! ما لم يكن هناك إحساس عميق ومشترك بالمأساة التي تطال الإنسان من كلا الطرفين؛ فستبقى دائرة العنف اللا إنسانية تدور رحاها دون توقف ".

ولم يفته في هذا المقام أن يعرض بحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين . على عادته في لمز كل ما هو إسلامي .، فيقول: " لا شك أن الأيديولوجيا حاضرة بقوة في هذا العنف المتبادل(!)، بدليل أن العنف في طرفي الصراع يصدر بالدرجة الأولى من المحاضن الأيديولوجية، وكلما تضخمت الأيديولوجيا زادت حدة العنف، زادت فعلاً وتهديداً "..

ثم ينكر على المثقفين على امتداد العالم العربي والإسلامي الوقوف مع المقاومة الفلسطينية وتأييدها فيقول: " تزداد المسألة قتامة حين نرى الطلائع الثقافية والفكرية على امتداد العالم العربي والإسلامي تبارك هذا العنف(!) بل وتهتف له، إلا فيما ندر مما يعدّ نشازاً في سياق العنف الذي تباركه جماعات اليقين(!) ، بل أصبح هذا الصوت النادر . المنطوي على تصورات إنسانية . موضع اتهام وتخوين ".. وصدق من قال: كاد المريب أن يقول خذوني!! أمّا جماعات اليقين التي يسخر منها فهي الواثقة بوعد الله بقتل اليهود ونطق الحجر والشجر لصالح المسلمين كما صحّت بذلك الأخبار، وليسمّ الكاتب ذلك ما يسميه، فإن وعد الله آت لا مرية فيه... هذا وإنّ مما يلاحظ في مقال هذا الكاتب . مع طوله . أنّه لم يصف المحتل بالوصف الشرعي الذي وصفه الله به وهو اليهودي، وإنّما يصفه بالإسرائيلي، ولذلك دلالته العقدية التي تدل على فكر هذا الكاتب، ونظرته العلمانية (الإنسانية) لهذا الصراع التي أفصح عن شيء منها في هذا المقال.

بل إنّ هذا الكاتب نفسه كتب مقالاً بعنوان: (المستقبل لهذا الإنسان) الرياض: 13779، وهو يريد بهذا العنوان . عن خبث وإلحاد . معارضة كتاب سيّد قطب . رحمه الله . (المستقبل لهذا الدين)، فانظر كيف جعل الإنسان بدلاً من الدين، بناء

على ما قرّروه من تقديم الأخوّة الإنسانيّة على الأخوّة الإيمانية الدينية، وقد انتهى في هذا المقال إلى أنّ الإيمان بالإنسان . لا بالدين والعقيدة . هو المنتصر دائمًا(!!!).

وأخطر ممّا سبق وأشدّ وضوحاً ما سطّره أحدهم . وكان تكفيرياً ثم تحوّل بمقدار 180درجة إلى مرجيء غالٍ . في مقال له بعنوان: (كثيراً من الإنسانية قليلاً من الرهبانية) الرياض: 12928: يقول وهو يقرر مذهب الإرجاء: " إنّ الله يكفيه منّا أن نحمل الشعلة في قلوبنا، أن نكون دائماً على أهبّة الاستعداد للعكوف بمحرابه لنقدّم شيئاً (لعياله) لعباده، فهو غنيّ عن عبادتنا(!)".. فهو يزعم . مفترياً على الله . أنّ مجرّد حمل الإيمان في القلب كاف عند الله، دون الإتيان بالشعائر التعبدية المعروفة من صلاة وصيام وحج.. الخ

ويؤكّد ذلك فيقول: " الرسول r يذكر أنّ رجلاً دخل الجنّة لم يعمل خيراً ولا حسنة في حياته، وارتكب الكثير من الذنوب، ومع ذلك دخل الجنّة، لأنّهم وجدوا له بطاقة يعلن فيها صادقاً مخلصاً عن حبّه له وإيمان به: (لا إله إلا الله) ".. هذه هو فهمه لكلمة (لا إله إلا الله)، وتالله لقد كان أبو جهل ومشركو قريش أعلم منه بهذه الكلمة، فلو أنّ مجرّد الإيمان بها في القلب كاف في دخول الجنّة، لما وقفت قريش بخيلها ورجلها في وجه رسول الله r، ولقالتها وظلت على شركها وطقوسها، ثم كيف يكون المرء صادقاً مخلصاً وهو لم يعمل بمقتضى هذه الكلمة، إلا أن يكون قد منعه مانع، أو حال بينه وبين العمل حائل، كمن أسلم ثم مات قبل أن يعمل ونحو ذلك، وعلى هذا يحمل الحديث المذكور، أمّا أن يطلق هذا الحكم، فهو أمر في غاية الخطورة، إذ فيه ترغيب للناس على ترك فرائض الإسلام من صلاة وصيام والاكتفاء بمجرد ترديد هذه الكلمة دون عمل، وهذا هو مذهب الإرجاء..

ثم يختم حديثه . وهذا هو الشاهد . فيقول: " لتعلموا أنّ ديناً لا يسعى لسعادة الإنسان لحفظ مصالحه الحقيقية، ليس إلا وبالاً، وتذكروا قول النبيّ محمّد r: (إنّ هدم الكعبة أهون عند الله من سفك دم مؤمن) كلّ المؤمنين من كلّ الأديان: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً..}، الإيمان عندي هو كثير من الإنسانية، قليل من الرهبانية، ربما يكون لحياتنا طعم آخر ".. ولا شكّ أنّ الدين الذي لا يسعى لسعادة الإنسان فهو وبال، ولكن ما الحل

إذا رفض الإنسان هذا الدين، وأصرّ على دين باطل منسوخ محرّف يسعى لشقائه؟ ويبدو أنّ عدوى التحريف قد انتقلت إلى الكاتب نفسه فحرّف الحديث الشريف، كما حرّف معنى الآية الكريمة.. فأمّا الحديث فلفظه الصحيح: ".. أهون عند الله من سفك دم مسلم "، والكاتب حرّفها إلى (مؤمن) لتشمل جميع المؤمنين بزعمه من الأديان الأخرى ممّن أدرك النبيّ الخاتم، ثمّ راح يؤكّد تحريفه مستشهداً بالآية الشريفة التي لم يفهم معناها الصحيح، فإنّ المقصود بها من آمن بالله من الطوائف المذكورة في زمن نبيّهم قبل بعثة نبينا r،وليس بعد البعثة، وسبب نزول الآية يبيّن معناها، فقد نزلت في أصحاب سلمان الفارسي t، فإنّه لما قدم على رسول الله r جعل يخبر عن عبادة أصحابه واجتهادهم وقال: يا رسول الله، كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك ويشهدون أنّك تبعث نبياً، فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال رسول الله r: " يا سلمان، هم من أهل النار "، فأنزل الله: {إنّ الذين آمنوا والذين هادوا..} وتلا إلى قوله: { ولا هم يحزنون }. (أسباب النزول للواحدي ص 13)، فتبين من سبب النزول أنّ الآية نزلت في قوم من أهل الكتاب قبل مبعث النبيّ، كانوا يؤمنون بمبعثه، ويشهدون أنّه رسول من عند الله، لكنّهم لم يدركوه، فأين هؤلاء من قوم أدركوا بعثته، بل راحوا يسخرون منه r، ويصورونه في رسوم ساخرة بأنّه إرهابي، أو امرأة، ويتواطئون على ذلك غير مبالين بمشاعر الملايين من أتباعه؟!!!

أمّا مرجعيّة هذه الإنسانية عندهم، فيبيّنها أحدهم . وهو مقيم في لندن(!) . في مقال له بعنوان تفوح منه رائحة العلمنة والسخرية وهو: (الإسلام السياسي وتجديد الأحكام السلطانية) الوطن: 1188، يقول: " إنّ الأخذ بالمفاهيم الإنسانيّة يجب أن يكون على أساس عقلي في المقام الأوّل، بعيداً عن كلّ الاعتبارات المتعلّقة بالنصوص(!) " وليس هذا التأصيل بغريب عليهم إذا كانوا يطمحون إلى إحلال الإنسانية محلّ الرابطة الدينية، وتحطيم عقيدة الولاء والبراء.

السمة الخامسة

. وهي لب مشروعهم الذي يبشرون به .:

الدعوة إلى علمنة الحياة

وإقصاء الدين بحيث لا يكون له أي سلطان على مناحي الحياة المختلفة، ومن هذا المنطلق فإنّهم يهزؤون من فكرة أسلمة العلوم . أي صبغها بالصبغة الإسلامية بعد تنقيتها من الشوائب الكفرية والإلحادية .، ويقللون جداً من شأن الإعجاز العلمي في الكتاب والسنّة، ويرفضون أن يكون (الإسلام هو الحلّ)، ويحاربون كل من يرفع هذا الشعار، بل ويفسّرون التاريخ والأحداث بشكل عامّ تفسيراً سياسياً بمعزل عن الدين، وفيما يلي شواهد من أقوالهم على كلّ ما سبق:

يقول أحدهم في مقال له تفوح منه رائحة العلمانية بعنوان: (ممارسة السياسة شأن مدني خالص) الرياض: 13756: " من نافلة القول أنّ مثل هذه الشمولية لا تختصّ بها قومية معينة، أو دين بعينه، ولكنّ العبرة تكمن في النهاية في قدرة المجتمع من خلال تجاوز مرحلة تزييف وعيه، ومن ثم عبور ذلك الوهم الأيديولوجي عبر الإيمان المطلق بنسبيّة السياسة ووضعيتها، ومن ثم تعرضها للتغير والتبدل وفقاً لقوانين الاجتماع البشري وليس ثباتها المتوهم وفقاً لما يعرف بمفهوم الحقّ الإلهي في الحكم.." فالكاتب هنا يشير أوّلاً إلى ضرورة إقصاء الدين عن السياسة، وأنّ هذا الإقصاء لا يختصّ بدين بعينه، فيشمل حتى الإسلام، فلا يحقّ لأحد كائناً من كان أن يزعم أنّ ديناً بعينه هو الحلّ(!)، أمّا مفهوم الحقّ الإلهي في الحكم، فيريد به قول الله تعالى: { إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ..} فيرى أنّه وهم لا بدّ من تجاوزه(!)، أو على حدّ تعبيره في المقال نفسه: " إنزالها [إي السياسة] من السماء إلى الأرض "..

ثم لا يفوته في آخر المقال أن يعرّج على بعض خصومه التقليديين من الإسلاميين، الذين يرفعون شعار (الإسلام هو الحلّ) فيسخر منهم بحجج واهية لا تخلو من مغالطات وجهالات، ثم يختم المقال بطامّة كبرى من طاماته فيقول: "ويبقى القول بأنّه لا خيار في مجال السياسة الإسلاميّة إلا استخدام المنطق الذي أعلنه الرسول r في وجه مؤسلمي السياسة عندما أعلنها مدويّة بقوله (أنتم أعلم بشؤون دنياكم) وهو منطق مدني على أيّة حال.. " إنّه . لعمر الله . عبث بالنصوص، واعتداء على حرمة الدين، ومقام سيد المرسلين، فهل ترك النبيّ r السياسة لغيره واعتكف في مسجده، أم أنّه أقام دولة الإسلام، وجيّش الجيوش، وفتح الفتوح، وساس الأمة، أم أنّه . عليه الصلاة والسلام . كما صوّره الكاتب يقول خلاف ما يفعل ؟!!، وهل قوله r " أنتم

أعلم بأمور دنياكم " مراد به أمور السياسة وشؤون الأمّة، أم المراد قضية عين في أمر دنيوي خالص لا علاقة له بالسياسة العامّة كما يدل على ذلك سبب الحديث؟.. إنّها مهزلة يجب إيقافها ومحاسبة أصحابها احتراماً لديننا وعقيدتنا..

أمّا المجتمع المدني الذي يدندنون حوله كثيراً، ويعدونه النموذج الأمثل للدولة الحديثة، فيصفه أحدهم . وهو متخصّص في الكتابة السياسية . في مقال له بعنوان: (الخطاب الديني هل يستمرّ كعائق في الحرب على الإرهاب) الوطن: 1160، بأنّه: " مجتمع مدني رحب، ليس هناك مساحة لأوصاف من قبيل: (كافر)، أو (مبتدع)، أو (علماني)، أو غير ذلك(!).."، هذا هو المجتمع المدني الذي يريدونه، والذي لا يقوم إلا على أنقاض التوحيد، وعقيدة الولاء والبراء التي وصفها النبيّ r بأنّها أوثق عرى الإيمان، وكأنّهم لم يقرأوا قوله الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ }، ولكنّ هؤلاء القوم لا يعقلون، وإن كانوا يدّعون العقلانية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية 398/1: " قيل لعمر بن الخطاب t إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة (أي نصراني) حافظ كاتب فلو اتخذته كاتباً، فقال: قد اتخذتُ إذاً بطانة من دون المؤمنين.." قال ابن كثير رحمه الله: " ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطّلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب ".. هذه في مجرد الكتابة، فكيف بغيرها من شؤون الدولة ؟!! وهو أيضاً في الذمي الذي يدفع الجزية وهو صاغر، فكيف بمن يرى أنّه مساو لك في جميع الحقوق والواجبات في ظل مجتمعهم المدني المزعوم.

وفي سياق العلمنة يقول الكاتب نفسه في مقال له بعنوان: (الحالة الدينية في السعودية..) الوطن: 1139: وهو يتحدث عن التفجيرات الأخيرة " هل كان هذا بسبب ذنوبنا حسبما يخبرنا رجال الدين(!) نعم، ولكن الذنب هذه المرة هو التطرّف الديني والغلو المتضخم(!) في ثقافة المجتمع. الذنب هو في القبول بصبغ الحياة الاجتماعية كلّها بصبغة الأيديولوجيا الإسلامية، والإصرار على إقحام الدين في

شؤون الدنيا لإعاقة الحداثة "، إنّ إقحام الدين ـ حسب تعبيره ـ في شؤون الدنيا لإعاقة الحداثة المارقة ذنب عند هذا الكاتب، وهكذا تصبح العلمنة وإقصاء الدين عن شؤون الحياة حسنة يُدعى إليها.

ويقول آخر ـ وهو أشدّهم تطرّفاً وبذاءة ـ في مقال له بعنوان: (الإرهاب من الفكر الخارجي إلى السلوك القرمطي) الرياض: 13436: " ليس صحيحاً ما يروّج له الإسلامويّ(!) من أنّ الزجّ بالدين في كلّ صغيرة وكبيرة هو عنوان التدين الحقيقي، أو أنّ ممارسه والمتحمّس له من أفراد المجتمع هو الأكثر تديّناً من غيره ".. إلى أن يقول: " تحييد الديني في الوقائع المدنية(!) التي ليس فيها حكم شرعي صريح، أمر ضروري لئلا تمنح القداسة إلا للديني الخالص الذي نصّ عليه الشرع الحنيف..".. أنّها علمنة خفية، تتدثر بلباس العلمية، ولو أنّا أخذنا بقول هذا الكاتب، واقتصرنا على ما فيه نصّ صريح، لما بقي لنا من ديننا إلا القليل، وهذا ما يريده أهل العلمنة.. وإنّ من المعروف لدى صغار طلبة العلم، أنّ الشريعة جاءت بكليات تندرج تحتها جميع الجزئيات، فلم ينصّ الله تعالى على كل جزئية بعينها، إذ إنّ ذلك يطول ولا يكاد ينتهي، مع ما يستجدّ من الجزئيات التي لم تكن قد وجدت عند نزول النصّ، ومهمة العالم أن يرجع هذه الجزئيات إلى كلياتها، ليبين حكمها، وما من قضية ولا مسألة إلا وفي كتاب الله وسنة رسوله r بيان لها، إمّا بالنصّ الصريح، وإمّا بالتلميح من خلال الكليات المذكورة، قال تعالى : { ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ }، وقال تعالى { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }.

ويقول الكاتب نفسه في مقال له بعنوان: (ما بعد الأيديولوجيا.. العقد الاجتماعي) الرياض: 13702 بعد أن شتم السلفيّة أو ما أسماه بالوعي السلفي(!): " لا بدّ من التأكيد على مدنية حراكنا الاجتماعي، وأنّ العقد الذي يجب الالتفاف حوله هو العقد الاجتماعي المدني الذي يضمن التساوي في الحقوق والواجبات، لا طائفية، ولا مذهبية ولا مناطقية ولا جنسوية... لا بدّ أن ينغرس في أعماق كل مواطن أن الجميع متساوون جميعاً دون تعنصر من أي نوع، ولكل بعد ذلك خصوصياته التي يراها ويختارها، دون فرضها على الآخرين، ودون الإخلال بمبدأ المساواة المقدّس ".. فالكاتب يريد مجتمعاً بلا هوية ولا دين، يريد دولة لا دين لها، ولا فرق فيها بين

المسلم والكافر . كما صرح بذلك غيره من أصحاب هذا الفكر .، ولا فرق فيها بين الموحّد والمشرك، وصاحب السنة وصاحب البدعة، بل لا فرق فيها بين الرجل والمرأة كما صرّح بذلك بقوله: " وخاصة التمييز الجنسي ضد المرأة في أي صورة كان ". ويضيف إلى ذلك (المناطقية) ليعزف على وتر حسّاس يثير الطائفية التي يحذر منها..

ثم يقول بعد ذلك: " لأجل ذلك؛ يجب أن تكون الخصوصية . أيّاً كان نوعها . بعد ذلك المقدّس وليس قبله، وإلا بقينا رهن صراع لا ينتهي.. لا بد أن يدرك المؤدلج أنّ العقد الاجتماعي المدني لا يمنحه أكثر من حريّة إبداء الرأي (المؤدّب) في سلوك الآخر، وبعد ذلك فليس على أحد بمسيطر ".. فالمقدس لديه هو هذا العقد الاجتماعي العلماني المزعوم، أمّا الدين والتوحيد فليس ذلك بمقدّس عنده، وإنّما هو مجرّد خصوصية تخص كل فرد على حدة، وليته يخبرنا ما الذي جعل رسول الهدى r يعاني في مكة وأصحابه ثلاثة عشر عاماً، ويصبرون على البطش والأذى والتعذيب والتشريد، وقد عرضت قريش عليه كلّ ما يريد مقابل تخلّيه عن دينه وعقيدته ودعوته، والتعايش السلمي معهم، مع الكف عن عيب آلهتهم، فيأبى حتى يقيم دولة الإسلام والتوحيد في المدينة، ومن ثم يعلن الجهاد على المشركين لرفع راية التوحيد خفّاقة، وإزالة كل مظهر من مظاهر الشرك، ولم يكتف بذلك بل يجهّز قبل وفاته جيشاً ضخماً لمحاربة الروم في الشام، وإخضاعهم لدين الله الحقّ ؟!.. سيقول هذا الكاتب وأمثاله: إنّ الزمن تغيّر، ولم يعد دين الرسول الكريم صالحاً لهذا الزمن، وهذه هي الطامة الكبرى والفجيعة العظمى التي حلّت ببعض أبنائنا، ليعتنقوا هذا الفكر المنحرف..

أمّا قوله: (حرية إبداء الرأي المؤدب(!))، فذلك واضح جداً في أدبه الجم مع خصومه السلفيين والسلفية خاصة، فهو لم يترك شتيمة إلا رماها بها كما سبق (انظر ص 14)، فإذا كان هذا هو الأدب الذي يدعو إليه، فعلى الأدب السلام..

وفي هذا السياق نراهم يدافعون عن العلمنة، ويغضبون من ذكرها على سبيل الاتهام، مع أنّهم لا يتورعون عن كيل التهم جزافاً لخصومهم التقليديين (السلفيين خاصّة والإسلاميين بشكل عام)..

يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (العلمانية تهمة جاهزة لكل من اختلف معهم) الجزيرة: 12022: " لا أدافع عن العلمانية، لأنني أعتقد اعتقاداً جازماً بأنّ العلمانية على اعتبار أنّها (فصل الدين عن السياسة) مصطلح (وافد) إلينا من الخارج، وله دلالات فكرية وحمولات تاريخية تجعل من تطبيقه على غير المجتمعات (المسيحية) أمر لا بد من التوقف عنده، والتعامل معه بحذر.."، هكذا ينفي التهمة عن نفسه، وعن زملائه الذين يقررون كثيراً في كتاباتهم .كما سبق شيء من ذلك قريباً . ضرورة تحييد الديني عن المدني كما يقولون، وهو بهذا التعميم ينطبق عليه المثل القائل (كاد المريب أن يقول خذوني).

ويقول آخر في مقال له بعنوان: (الإسلاميون والمشاركة السياسية.. الحزب المسيحي الديمقراطي الألماني) الوطن: : " أثناء وجودي في ألمانيا الشهر الماضي كان على مقربة من جامعة أيرلنجن حيث أتردد: مكتب حزبي للاتحاد المسيحي الديمقراطي الألماني. لقد ترددت بعض الشيء في دخول المقرّ سذاجة مني لتوهمي أنّه يشبه تلك التجمعات الإسلامويّة المتشددة الموجودة في بعض البلاد العربية، المليئة بالكتيبات والأشرطة الصوتية الصاخبة التي تتحدث عن الحكم بغير ما أنزل الله، وعفن العلمانية التي يتبارى نوابها في المطالبة بإيقاف الكاتب فلان، أو محاكمة السياسي علان، أو حتى في أوقات الاستراحة السياسية يتم التصعيد في البرلمان ضد راقصة أو مغنية بحجّة حماية الأخلاق ومراقبة الذوق العام.." ثم راح بعد ذلك يكيل الثناء لذلك الحزب النصراني الكافر، ويصفه بالحزب الناجح، ويدافع عن تسميته بالحزب المسيحي (نسبة إلى المسيح u) في دولة تدعي العلمانية ...!!!! إلى آخر ما ذكر.. ويلاحظ في ما نقلته من هذا المقال سخريته من إخوانه المسلمين المحتسبين الذين يتحدثون عن قضايا شرعية كالحكم بغير ما أنزل الله، وعفن العلمانية، والمطالبة بإيقاف الكتّاب المنحرفين ومحاكمتهم، ومحاربة العفن الفني من رقص وغناء ماجن.. كلّ ذلك يسخر منه الكاتب، ويعدّه تشدداً، فهذا هو مفهوم التشدد عندهم، في الوقت الذي يثني فيه على حزب نصراني زاره للمرّة الأولى، فراح يكيل له عبارات الثناء.. إنّها قلوب مريضة، غطتها ظلمات الشهوات والشبهات، فلم تعد ترى الأشياء على حقيقتها، نعوذ بالله من الخذلان.

أمّا تفسير الأحداث التاريخية والصراعات العقدية تفسيراً سياسياً (علمانياً) فهو ديدنهم للتقليل من شأن الدين والعقيدة، وقد كتب أحدهم مقالاً بعنوان: (خدعوك فقالوا نجد والشرك !!) الرياض: 1423، قرر فيه بصفاقة عجيبة أنّ دعوة الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إنما كانت صراعاً مريراً حول السلطة والسياسة، وليست ضد الدين. حيث كانت الحالة الأمنية قبل قيام الدولة السعودية . كما يزعم . تعيش في تأزم وتناحر وتصارع وقد وحُدت بحمده تعالى تحت كيان واحد. بينما كانت الحالة الدينية على مذهب أهل السنة والجماعة ولم يدخل نجداً ما ذكر عنها ابن غنام وغيره من وجود الخرافات والشركيات المنتشرة في جنباتها..!!! هذا ملخّص ما ذكره.وهكذا بجرّة قلم يبطل هذا الأفّاك الأثيم كلّ جهود الشيخ في محاربة الشرك ومظاهره التي كانت منتشرة في نجد، ورسائل الشيخ تنضح بالكثير من هذه الجهود التي يراها الأعمى قبل البصير، لكن هؤلاء عميت بصائرهم، مع سلامة أبصارهم إلا إذا كان يتهم الشيخ بالكذب فتلك طامة آخرى أعظم وأطم.. ثم إنّ السياسة جزء لا يتجزأ من الدين كما سبق، فالفصل بينهما كالفصل بين الروح والجسد، لكنّ هؤلاء المتعلمنين لا يفقهون.

ولم يسلم من هذا التفسير العلماني السقيم حتى إئمّة السلف، فبمثل هذا التفسير فسّروا فتنة خلق القرآن التي تعرّض لها أئمّة السلف وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، حيث ذكروا أنّ الأمر لا يعدوا أن يكون صراعاً سياسياً محضاً بين أهل الحديث وأهل الاعتزال على السلطة، وليس للدين ولا للعقيدة شأن بهذا الصراع إلا من باب ذرّ الرماد في العيون كما يزعمون.. المهم عندهم ألا يكون للدين ولا للعقيدة سلطان على الحياة، لأنّ ذلك يزعجهم كثيراً، وهذا هو الذي يسعى إليه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى لإخماد جذوة الإيمان والعقيدة في نفوس المسلمين، ومن ثم يسهل التغلّب عليهم واختراقهم، وما هذه الفئة المارقة إلا بمثابة الطابور الخامس لهؤلاء الأعداء كما سبق، كفانا الله شرّهم.

وأختم الحديث عن هذه السمة بطامة أخرى أتى بها أحدهم . وهو كاتب له روايات أفتى عدد من علمائنا بكفر ما في بعضها .، يقرر هذا الكاتب في مقال له بعنوان: (من خطاب التدمير إلى خطاب التعمير) الشرق الأوسط: 8952 ، أنّ: " منطق

الدولة الحديثة متناقض مع منطق الدين " ثم يوضح ذلك قائلاً: " منطق الدولة محدود ومحدد، ومنطق الدين هو المطلق ذاته، وتأتي الكارثة للدولة والدين معاً حين محاولة الدمج بين منطقين لا يلتقيان، وهنا تكمن معضلة الإسلامويّة(!) المعاصرة وجوداً لا عقلاً ..."..

وعلى الرغم من العلمنة الواضحة فيما ذكر، مع الجهل الفاضح بدين الإسلام وحقيقته؛ إلا أنّه يحاول أن ينفي هذه التهمة عن نفسه على طريقة (كاد المريب أن يقول خذوني) فيقول: " قد يقول قائل هنا: إذن فهي دعوة للعلمانية!، والحقيقة أنّ القضية لا علاقة لها بعلمانية أو أصوليّة إذا كانت الغاية هي البحث عن جواب يخرجنا من المأزق أو المآزق التي نحن فيها .." وهكذا بكل بساطة ينفي التهمة الساطعة كالشمس عن نفسه إذ الغاية عنده تبرر الوسيلة، ولو كانت هذه الوسيلة هي الإساءة إلى ديننا وانتقاصه، والافتراء على نبينا r ليرضى عنّا أعداؤنا !!.

السمة السادسة:

الإعجاب بمن يسمّونه (الآخر)

وحبّه، وكيل الثناء عليه بغير حساب، والدعوة إلى احتذائه حتى في ثقافته وأخلاقه، ويريدون بالآخر في الغالب: الغربي الكافر صاحب الحضارة الماديّة، والعقل الفلسفي، وهذا الإعجاب نتاج طبعي للهزيمة النفسيّة، والصدمة الحضارية التي أصابتهم، وعقدة النقص التي تلازم قلوبهم المظلمة الممتلئة بالشهوات والشبهات، ونحن لسنا ضدّ الاستفادة من علوم الآخرين فيما لا يتعارض مع ديننا وعقيدتنا، لكنّ هؤلاء فهموا الحضارة فهماً ناقصاً مغلوطاً، فاختزلوها في صناعة طائرة أو سيارة أو صاروخ، أو أيّ آله من الآلات الحديثة، أو في بناء ناطحات سحاب، أو تقدم طبي أو تقني، وكلّها أمور مادية يمكن لأيّ أمّة وأيّ شعب اللحاق بها والوصول إليها إذا تهيأت له الظروف المناسبة، وسلم من هيمنة هذا الآخر وجبروته وكيده..

إنّ الحضارة الحقيقية هي التي تجمع بين التقدّم المادي التقني، والسمو الروحي والأخلاقي، وهذا الأخير هو ما تفتقده الحضارة الغربية المعاصرة التي بلغت الحضيض في تردّي الأخلاق وموت الروح، فهي كما وصفها سيد قطب رحمه الله: كطائر ضخم، أحد جناحيه كبير يرفرف في السماء، والآخر مهيض كسير لا يكاد

يقوى على الحركة، فماذا سيكون حاله سوى التخبط وإيذاء من حوله، وهذا هو حال الحضارة الغربية اليوم حيث إنّها . مع ما فيها من الجوانب الإيجابية المضيئة . نشرت الخراب والدمار، ونشرت معه أسوأ الأخلاق من تفسخ وعري وفساد أخلاقي.

وليس الغرب ملوماً في إقصاء الدين عن الحياة، فقد كان الدين الذي يدينون به محرّفاً، يحارب التقدّم المادي النافع، ويقتل المبدعين والنابغين في العلوم الطبيعية التي لا تتعارض مع ثوابت الدين الصحيح، ولذا فإنّه لا خلاص للبشرية اليوم، ولا سبيل لها إلى الوصول إلى الحضارة الحقّة المكتملة التي تجمع بين التقدّم المادي التقني، والسمو الأخلاقي والروحي إلا بأن تعتنق هذا الدين الحقّ (الإسلام) الذي تكفّل الله بحفظ مصادره، وجعله الدين الوحيد الذي لا يُقبل سواه، قال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[آل عمران: 85].

وفي هذا السياق يحاول أحدهم بجهل فاضح أن يؤصّل لهذه المسألة تأصيلاً شرعياً(!!)، فيزعم في مقال له بعنوان (المقاومة الفكرية للإرهاب) الرياض: 13561، أنّ الأصل في الولاء والبراء " موالاة (الكافر) المسالم الموادع مهما كانت ديانته"، وفي مقال آخر له بعنوان: (فلسفة الولاء والبراء في الإسلام) الرياض: 13546، أتى بما هو أطم، فيقول: " والرسول r عندما أرسل صحابته الأول إبان الفترة المكية إلى الحبشة اتقاء لشر قريش قال لهم إنّ فيها . يعني الحبشة . ملكاً لا يظلم عنده أحد، ولم يبرر إرساله لصحابته بإسلام المجتمع الحبشي بدليل أن ذلك المجتمع ظل حتى وفاة النجاشي نصرانياً خالصاً مما يؤكد(!) أن الولاء حين ينصب على العلاقة مع الآخر فهو يدشن لموالاة المسالم والبراءة من المعتدي بغض النظر عما يدين الله به وهذه العلاقة السلمية . الأهلية منها والدولية . المبنية على الولاء للمسالم والبراء من المعتدي منظمة بشكل واضح لا لبس فيه في القرآن الكريم إذ يقول تعالى في الآية الثامنة من سورة الممتحنة: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[الممتحنة:8]، وهي إشارة إلى موالاة الآخر(!) المسالم الملتزم بشروط العلاقة السلمية ببرّه والقسط إليه.. " إلى أن يقول: " هذا هو المسار الصحيح(!)

لمفهوم الولاء والبراء المتكيف مع أصول الإسلام وغاياته العظام(!) " إلى آخر ما ذكر، وأنا أتحدّى هذا الكاتب وغيره أن يأتي بنص واحد من كتاب الله أو سنة رسوله r يدعو إلى موالاة الكفار أياً كانوا، بل إن نصوص الكتاب والسنة تحذر من موالاة الكفار بإطلاق كما في قوله تعالى: {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ }[آل عمران:28]، وقوله في سياق الحديث عن المنافقين: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً }[النساء:144]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }[المائدة:51]، بل في السورة نفسها التي استشهد الكاتب بآية منها قال الله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }[الممتحنة:4]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، وذلك أنّ مقتضى الموالاة: المحبة والنصرة، وذلك لا يصدر من مؤمن لكافر على الإطلاق، وإنّما الذي أذن الله فيه تجاه الكافر المسالم: البر والعدل كما قال تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[الممتحنة:8]، ويوضح معنى الآية سبب نزولها، فقد أخرج البخاري عن أسماء بنت أبي بكر y، قالت: أتتني أمي راغبة، فسألت النبيّ r : أأصلها؟ قال: " نعم " فأنزل الله فيها: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ }. فإذا كان للمسلم أب كافر أو قريب أو جار ونحو ذلك، ولم يكن محارباً، فلا حرج على المسلم أن يحسن إليه ويبره ولا يظلمه، لكن أن يحبه وينصره أو يفضله على إخوانه المسلمين مهما كانوا عاصين، فذلك خلل عقدي عظيم، وهذا هو حال هذه الفئة الضالة، كما سبق قريباً من تفضيل أحدهم الحزب المسيحي الديموقراطي الألماني على من أسماهم تهكماً بـ (الإسلامويين) المتشددين الذين يتحدثون عن عفن العلمانية، ويطالبون بمحاكمة الكتّاب المنحرفين فكرياً !!!.

ثم هل الكافر الذي (يوالونه) الآن مسالم حقّاً، أم أنّه يقتل المسلمين بالأسلحة المحرمة دولياً، ويسخر من نبي الإسلام في رسوم سخيفة ماجنة ؟؟؟؟، بل ويهين المصحف في معتقلات غير شرعية ولا قانونية.. فأين عقول هؤلاء؟!!!.

وبمناسبة ذكر الآخر (الكافر) يلاحظ في مقال هذا الكاتب الذي امتد من أعلى الصفحة إلى أسفلها بما يزيد عن نصف المتر أنّه لم يذكر لفظ (الكافر) بتاتاً بناء على مذهبهم في ضرورة التخلي عن هذا المصطلح الشرعي الأصيل الذي امتلأ به القرآن والسنة، والعدول عنه إلى ألفاظ مثل: (الآخر)، و (غير المسلم)، وما شابه ذلك حتى لا يغضب هذا الآخر، بل بعضهم (يتورّع) عن اعتقاد كفر اليهود والنصارى، ويعدهم مؤمنين و(إخوة) لنا في الإنسانية(!)، كما مر سابقاً.

أمّا قضية النجاشي، والهجرة إلى الحبشة، فلا علاقة لها بموضوع الولاء والبراء. وذكرها في هذا المقام من الخلط العجيب، فإنّ المسلم إذا لم يتمكن من إظهار دينه في بلد فله أن يهاجر إلى بلد آخر يتمكن فيه من إظهار دينه، وهذا قبل أن تقوم للإسلام دولة تحكم بشرع الله، فإذا قامت الدولة فلا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، كما قال الصادق المصدوق r، فما علاقة ذلك بالولاء والبراء ؟!!.

ويقول آخر . وهو من أصحاب التحولات الإنفراجية . في مقال له في غاية السذاجة بعنوان: (نحن وأمريكا والديموقراطية) الشرق الأوسط: 9212 مدافعاً عن الآخر الكافر: ".. الغرب حينما يدعم الديموقراطية، ويفكر في وضع هذا الجزء من العالم، فليس ذلك من قبيل التبشير أو الاهتداء بروح الأم تيريزا، قدر أنها مصلحة غربية جوهرية تكمن في إنقاذ الشرق الأوسط المتعثر(!!!) "، وعلى الرغم من أن الآخر النصراني ممثلاً في زعيمه صرّح بأنّ الحرب على العالم الإسلامي حرب صليبية، إلا أنّ هؤلاء (العقلانيين) لا يزالون أشدّ إخلاصاً للآخر من الآخر نفسه، حيث يعدونه في سذاجة واضحة (جبهة إنقاذ) للشرق المتعثر!!!!.

ولم يكتف هذا الكاتب بالثناء على (الآخر) وديمقراطيته المزعومة، بل راح ينتقص دينه الحق (الإسلام) ومبدأ الشورى المذكور في القرآن، يقول: " طُرحت فكرة الشورى كبديل أصيل عن الديموقراطية، ولكن اتّضح(!) أنها تختلف اختلافاً فلسفياً ومفارقاً للديموقراطية، فرفضت من الإسلاميين الأصلاء(!)، والليبراليين الخلصاء(!)،

أمّا الأخيرون فبحجة أنّ الشورى أبعد ما تكون عن العقد الاجتماعي والمشاركة الشعبية الواسعة، فهي ليست إلا تدبير أهل الحلّ والعقد، وهم طبقة ضيقة من كبار القوم والملأ.." إلى آخر ما ذكر.

السمة السابعة

الجهل

فعلى الرغم من أنّهم أشدّ الناس تعالماً وادّعاءً لفهم النصوص ومقاصد الشريعة، ورميهم العلماء وطلاب العلم السلفيين بالضدّ من ذلك!!؛ إلا أنّهم أكثر الناس جهلاً بالنصوص وبالمقاصد وبالناسخ والمنسوخ والعام والخاصّ والمطلق والمقيّد من نصوص الشريعة، كما تشهد بذلك كتاباتهم، والسر في ذلك أنّ معظمهم ليسوا من أهل التخصّص الشرعي، فإذا انضاف إلى ذلك الهوى وتمكن الشبهات من قلوبهم؛ كانت الطامة أكبر، وفيما يلي بعض الأمثلة على جهلهم بالنصوص الشرعيّة:

1. في مقال لأحدهم بعنوان: (الذين يجلدون المختلفين معهم في الرأي بإطلاق التهم) الرياض: 13698، يقول: " أُعطي الرسول r جوامع الكلم، وهي ميزة خصّه الله تعالى بها من بين سائر الأنبياء والمرسلين u، فهو r يقول الكلمة أو اللفظة الواحدة لتكون جامعة لمعاني ومتطلبات موضوع بأكمله، ومن بين ما أخبر به r في ألفاظ قصيرة، لكنّها حملت معاني عظاماً، قوله r : (الدين المعاملة).. ".. ثمّ بنى مقاله على ما زعم أنّه حديث، وجزم بنسبته إلى رسول الله r !! وهو ليس بحديث، وإن اشتهر على ألسنة العامّة، بل إنّ معناه في غاية البطلان لمن تأمّله بعقل منضبط بالشرع، لا بعقل منفلت كعقول هؤلاء الزاعمين بأنّهم عقلانيون، فإنّ مقتضى هذا الحديث المزعوم أنّ الكافر إذا كان حسن المعاملة فهو مسلم ومتدين، والمسلم إذا كان سيء المعاملة ليس بمسلم، لأنّ المقصود بالدين هنا هو الإسلام كما قال تعالى: { إنّ الدين عند الله الإسلام }، وقد ثبت في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، عن عائشة t قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان؛ كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه ؟ قال: " لا ينفعه. إنّه لم يقل يوماً: ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين ". فلم ينفعه حسن خلقه، وإحسانه للناس مع كفره.

2. وفي مقال آخر بعنوان فضائي: (الحوار الوطني: سيرة وانفتحت) الرياض: 13702، يقول الكاتب نفسه: " من غير المجدي وفقاً لمعطيات العمران البشري أن تقسر شخصاً على رؤية معينة، لمجرّد أنّك تعتقد بصوابها، فهذا الآخر الذي تودّ قسره على رؤيتك يملك من الأدلّة والطرائق الحكمية(!) ما يستطيع بها نفي صوابية ما تعتقده حتى وإن كنت لا تؤمن بمرجعيته الدلالية بنفس الوقت الذي لا يعترف فيه هو أيضاً بمرجعيتك في استنباط أدلة تصويبك لرؤيتك، وإذا كان الله تعالى يأمر نبيّه الكريم بأن يعتزل مقام مشركي قريش حين يخوضون في آيات الله تعالى حتى يصرفوا حديثهم إلى جانب آخر، ولم يأمره بحربهم أو قسرهم على رؤيته ممثلاً بقوله تعالى: { وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره... } أفلا نترك نحن غيرنا أحراراً ..."... فاستدلاله بهذه الآية في غاية البطلان، ودليل على جهله الفاضح . أو تجاهله . لنصوص الشريعة، والمراحل التي مرّت بها الدعوة، فماذا يصنع هذا الكاتب بمثل قوله تعالى في سورة التوبة: { فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد.. }، وقوله في السورة نفسها: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }، وقوله r :" أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله.. " الحديث، وقوله: " لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحقّ أطراً " أي تقسروهم عليه قسراً، يعني العصاة، فضلاً عن المبتدعة.. وليس في دين الله تعارض، ولكنّ الواجب أن تنزل النصوص منازلها، فاعتزال المشركين كان في العهد المكي، وأما آيات القتال والأطر على الحقّ ففي العهد المدني، وبهذا يتبين جهل هؤلاء بمدلولات النصوص مجتمعة، فكيف يؤتمنون على توجيه الناس في صحف سيّارة !!!!!.

3. وفي مقال بعنوان: (هل الحضارة الإسلامية حضارة شاملة ؟) الجزيرة: 11980، كتب أحدهم . وهو وللأسف الشديد من سلالة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله !!! . مقللاً من شأن الحضارة الإسلامية يقول: " الثقافة الإسلامية ثقافة فقه ولغة، وليست ثقافة كشف واختراع وابتكار على مستوى المنجزات الدنيوية.." إلى أن يقول: " وهذا ما نلحظه بوضوح من خلال القراءة لكبار العلماء الدينيين المسلمين،

فالإمام ابن تيمية رحمه الله . مثلاً . اتّخذ موقفاً مناهضاً بشدّة لعلم الكيمياء.." إلى آخر ما ذكر، وهو دليل على جهل فاضح، لأنّه ظن أنّ الكيمياء التي ذكرها ابن تيمية رحمه الله هي الكيمياء المعروفة اليوم، وليس الأمر كذلك، فالكيمياء التي ذكرها شيخ الإسلام نوع من الغشّ، وصناعة ذهب مغشوش يشبه الذهب الذي خلقه الله، وبيعه على الناس على أنّه ذهب خالص، ولذا قال الشيخ رحمه الله: " وأهل الكيمياء من أعظم الناس غشاً، ولهذا لا يُظهرون للناس إذا عاملوهم أنّ هذا من الكيمياء، ولو أظهروا للناس ذلك لم يشتروه منهم.. " إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

4. وفي مقال بعنوان: (فلا يلومنّ إلا نفسه.. فلسفة جديدة) الوطن: 1173، كتب أحدهم . وهو طبيب يكثر من الحديث عن الدين والعبث بالآيات . كتب بعد أن ساق الحديث القدسي (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي) يقول: " وما يدفعني إلى سرد هذا الحديث فكرة التمعت في ذهني أن أفعل ما فعله النووي، فهذا الرجل جمع أربعين حديثاً اشتهرت باسمه، وهي رياض الصالحين.."... وهذا جهل فاضح، فهو يظن لجهله أنّ كتيب الأربعين النووية الصغير، هو نفسه كتاب رياض الصالحين المجلّد الضخم، وكلاهما للإمام النووي رحمه الله، وصغار طلاب العلم يعرفون الفرق بينهما.

5. وفي مقال بعنوان (ذكريات غير صحوية وحديث عن الثبات والتحوّل) الرياض: 12722، كتب أحدهم منظرّاً . وكان من هواة التكفير والتفجير ثم أصبح من غلاة المرجئة . يقول: " وقد نسمع أحياناً وصف الآخرين بالفسق أيضاً. وفي القرآن الكريم لم يأت وصف الفسق إلا في حقّ الكفّار والمشركين كما في سورة السجدة، غير أنها في فترة متأخّرة جرى التوسّع في استخدام لفظ الفاسق على المسلم الذي يأتي بعض المخالفات الشرعية.."... وهذا جهل فاضح، وجرأة على كلام الله تعالى، وقد يعجب هذا الكاتب إذا علم أنّ وصف الفسق جاء في القرآن الكريم في حقّ أحد أصحاب رسول الله r وهو الوليد بن عقبة t، كما في قوله تعالى في سورة الحجرات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }، وذلك باتّفاق المفسّرين. ولكنّ الجهل داء لا دواء له.

6. وفي نفس المقال يقول هذا الكاتب: " لبس جوارب اليدين أصبح اليوم دلالة على عفّة المرأة، وشدّة تديّنها، في وقت سابق لم تكن النساء تعرف ذلك.. " وهذا من جهله، فقد كان هذا معروفاً في زمن النبوّة، فقد صحّ عنه r أنّه قال: " لا تنتقب المحرمة، ولا تلبس القفازين "، ففيه دليل بيّن على أنّ الصحابيات كن يلبسن القفازين لكمال الستر، وإنّما نهين عن ذلك وقت الإحرام.

هذا غيض من فيض من جهلهم بالنصوص الشرعيّة، وكيفية تعاملهم معها، ومع كلام الأئمة، ولو ذهبت أستقصي جهلهم، من خلال كتاباتهم لطال بي الأمر..

والعجيب أنّهم على الرغم من جهلهم الواضح الذي سبق الكثير منه؛ إلا أنّهم يزعمون أنّهم أكثر فهماً للإسلام ممّن شابت لحاهم في تعلّم العلم الشرعي، ومزاحمة العلماء بالركب، بل أكثر فهماً للإسلام حتى من العلماء الكبار، مع أنّ جلّ أصحاب هذا الفكر قد عاشوا ردحاً من الزمن في بلاد الغرب لتعلّم تخصّصات غير شرعية قد تكون مفيدة في مجالها لكنها لا تؤهل صاحبها للحديث عن الأمور الشرعية الدقيقة.. وفي هذا السياق كتب أحدهم . وهو رئيس تحرير إحدى صحفهم . في مقال له بعنوان: (الأسهم تقول إنّهم أقليّة محدودة) الرياض: 13770 يقول: " نحن جميعاً مسلمون.. بل إنّ معظم الليبراليين هم أكثر فهماً للإسلام وسعياً لحلّ مشاكله وتقديمه بصورته الحضارية للعالم الأجنبي..!! " قال ذلك في أعقاب تصدي بعض العلماء له في محاضرة أقيمت في فعاليات معرض الكتاب الدولي بالرياض.. والليبراليون يعني بهم نفسه وزمرته.

بل إنّ أحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً . كتب مقالاً بعنوان: (الجهل كخطاب: مقاربة أولية لنماذج وصور واقعية !!) الرياض: 14136، رمى فيه جامعاتنا الإسلامية بأنّها معاقل لتفريخ الجهل وإنتاجه، يقول: " إن هذا يتم في نطاق المؤسسات العلمية، أو التي تدعي ذلك، حيث يتم استيراد آليات البحث العلمي، بل أحدثها، ووضعها في خدمة خطاب الجهل. وجراء ذلك، تعتمد الأطروحات، وتناقش في أجواء تشي بالعلمية، بينما هي تستخدم في تعزيز مستوى أعلى وأشد تعقيداً من الجهل الذي لا بد من تفكيكه من زوايا كثيرة، ليس أقلها كشف زيف ادعاء العلمية)!!! ".

وكـان سـبب هـذا الهجـوم وهـذا التجهيـل الجمـاعي لمؤسسـاتنا العلميـة، أنّ بعـض الأساتذة الغيورين حذّر من بعض الكتب المنحرفة فكرياً، وطالب بمنعها في معرض الكتاب وغيره، حيث يقول الكاتب: " لم نستطع أن نفهم كيف ينادي أستاذ جامعي، قضى عقوداً من عمره في القراءة، بضرورة منع هذا الكتاب أو ذاك. لن نستطيع أن نفهم؛ كيف يسمح له ضميره (العلمي!) بمصادرة حق الآخرين في الاختيار القرائي، ما لم نع أن بنيته الذهنية – رغم جامعيتها وقرائيتها – تكونت عبر خطاب الجهل. يحدث هذا، بينما رجل الشارع الذي ليس لديه أدنى اهتمام قرائي، يفتح فاه متعجبا، كيف يكون الكتاب محظوراً، وكيف تكون المعرفة محرمة!. وهذا دليل على أن رجل الشارع أقل جهلاً من ذلك المشتبك منذ عقود مع خطاب الجهل)!!! " وهكذا يجعل رجل الشارع مقياساً للحكم، ولا أدري كيف يصنع بحديث عمر الخطّاب . رضي الله عنه . لمّا رأى معه النبيّ . صلّى الله عليه وسلّم . كتاباً أصابه من بعض أهل الكتاب، قال له مغضباً: "أمتهوّكون فيها يا ابن الخطّاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية.. "، أخرجه أحمد وغيره وهو حسن بشواهده، فإذا كان هذا مع عمر الفاروق الذي أجرى الله الحقّ على لسانه؛ فكيف بغيره من الشباب والمراهقين ومن ليس عنده حصانة شرعية كافية!! .

وسيأتي المزيد حول هذه المسألة في مبحث خاص بإذن الله تعالى.

السمة الثامنة:

تنزيل الآيات التي جاءت في حقّ الكفرة من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين، على خصومهم المؤمنين من العلماء والدعاة وطلبة العلم:

وقد سلك هذا المسلك أشدّهم تطرّفاً وحقداً على السلفية، ففي مقال له بعنوان: (التفكير وإشكالية الوصاية) الرياض: 13065، شتم فيه السلفية عدة شتائم، يقول: " إنّ ما نراه في الخطاب التقليدي . السائد ثقافياً على المستوى الشعبوي(!) خاصّة . من محاولة التقليدية البلهاء . المتلبّسة بصيانة الأعراف والتقاليد و.. الخ . فرض الوصاية على أعين الناس، وعلى آذانهم، وألسنتهم وأقلامهم ليس بدعاً في سلوك المنظومة التقليدية أياً كانت طبيعتها، فهي . دائماً . تسعى لتعطيل هذه الحواس التي هي نوافذ العقل، ومنها يستمد العقل مادته وتجتهد في لتقنيتها في أتباعها بفرض الوصاية

عليها ليصبح الناس . إذا تعطلت لديهم فاعلية هذه الحواس ومن ثم تعطل العقل . كالأنعام بل هم أضل وهذه الحال شعر الأيديولوجي التقليدي أو لم يشعر منتهى الأماني لديه ". فهو يرى أن تحصين الناس من الأفكار المضللة، وحمايتهم منها، ضرب من ضروب الوصاية، ويرى أن ترك الناس بلا تحصين كافٍ ليعتنقوا مثل أفكاره المنحرفة التي يدعو إليها، ويدافع عنها، لذا فهو يرى أنّ : " مفردات من نوع (الإرشاد/ التوجيه/ الرعاية الفكرية/ الأمن الفكري/ التحصين ضد الأفكار الهدامة/ مروجي الشبهات/ التغريب/ البرامج الهابطة/ العهر الفضائي) " مفردات تستخدمها الثقافة التقليدية (السلفية) في وقوفها ضد الفكر الحديث (يعني فكره العفن) وصدق والله، فهو تحصين ضد الأفكار الهدامة ومروجي الشبهات من أمثاله، وهذا هو سر عدائه للسلفية..

والشاهد هنا من مقاله تنزيل الآية التي وردت في الكفار وهي قوله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[الأعراف:179]، وقد أنزلها في الناس السلفيين الذين يفرض عليهم السلفي (التقليدي) . كما يزعم هذا الكاتب . وصايته، وسيأتي المزيد من الحديث عن الوصاية لاحقاً بإذن الله تعالى..

وفي مقال له بعنوان: (واحذرهم أن يفتنوك) الرياض: 13128، وهو جزء من آية في سورة المائدة، نزلت في اليهود وأذنابهم من المنافقين، وقد أنزلها في خصومه السلفيين، في مقال شتم فيه السلفية على عادته، وقد سبق الحديث عن هذا المقال..

وفي مقال له بعنوان: (من صور التطرف والاعتدال) الرياض: 13282، سخر فيه من بعض مناصحيه من السلفيين، إضافة إلى شتم السلفية، والثناء على رموز التغريب؛ لم يكتف بآية واحدة، بل ثنّى بآيتين، إحداهما قوله تعالى: {اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ }[البقرة:15]، اقتصر على آخرها، وقد أنزلها في ما يراه ضحايا للمدرسة السلفية، وأطلق عليهم (الأبرياء المذنبون) حيث يجري توظيفهم من حيث لا يشعرون(!)، يقول: " في الغالب لا يكون التوظيف مباشراً ومقصوداً، بل

تفعل المنظومة التي يجري الترويج لها فعلها بقوة الدفع الذاتي فيها، دون أن يشعر بنوها أنهم في طغيانهم يعمهون "(!).

ثم يختم مقاله باتهام الناصح له بالتكفير فضلاً عن بذيء السباب(!)، على الرغم من أنه في هذا المقال يصف الصحوة الإسلامية بالمتأسلمة أو ما أسماه بـ (تيارات التأسلم) و(تيار الجمود والارتياب)، وهي تهمة تعني عدم الإسلام الحقيقي.

أما السباب؛ فقد ضمّن مقاله هذا عدداً لا بأس به من الشتائم للسلفية، إضافة إلى تهم الإرهاب وغيره، فضلاً عما في سائر مقالاته من السباب البذيء ليس للأشخاص فحسب، بل للمذهب والمعتقد، وبعد أن اتهم ناصحه بالتكفير والإرهاب(!) راح ينزل عليه آية نزلت في المنافقين، يقول: " أَتَذَكّر كل هذا وأقول: صدق الله العظيم القائل: {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ }[التوبة:57] "، وهكذا يرمي كل من اختلف معه تارة بالآيات التي نزلت في الكفار، وتارة بالآيات التي نزلت في المنافقين، ثم يرميهم بتهم التكفير والإرهاب(!!!!)، فأي إرهاب فكري أعظم من هذا الإرهاب.

وفي مقال له بعنوان: (ما بعد المعركة الخاسرة) الرياض: 13303، شتم فيه السلفية على عادته، وتشفّى مما حدث في الفلّوجة من قتل ودمار، وسبب هذا التشفّي أنّ الفلّوجة تعدّ معقل السلفيّة في العراق، ثمّ أنزل عليهم آية نزلت في المنافقين بأسلوب تهكّمي ساخر، يقول: " انتهت معركة الفلّوجة، معركة خاسرة بلا ريب، انتهت معركة. ومعارك أخرى غيرها على صورتها (صورة طبق الأصل) في الانتظار ما دامت بيانات الحماس الديني والقومي تشعل أوارها، ومؤتمرات الأحزاب الحالمة تنفخ فيها بالكثير من غبائها التاريخي المجيد!. الإسلاموي(!) والقومي كلاهما نسي التاريخ خاصّة إذا ما كان تاريخ هزائم وعبر، مع أنّه تاريخ ليس بالبعيد، إنهم يفتنون في كلّ عام مرّة أو مرّتين ثمّ لا يتوبون ولا هم يذكّرون "(!!)، وهذه آية من سورة التوبة نزلت في المنافقين.

وفي مقال له بعنوان: (الاتصال والانفصال بين الديني والمدني) الرياض: 13324، تفوح منه رائحة العلمنة، يذكر فيه إشكالية العلاقة بين الديني والمدني عنده هو، وعلى عادته في شتم خصومه وتنزيل الآيات التي في الكفار عليهم،

يقول: " حلُّ الإشكال يتمّ من خلال الوعي بدرجة تعقيده، لا بتبسيطه أو تجاهله في سبيل الأدلجة الماكرة بأصحابها قبل أن تمكر بغيرهم، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال " وهذه آية من سورة إبراهيم نزلت في المشركين !!!.

وفي مقال له بعنوان: (المرأة من الأيديولوجيا إلى الإنسان) الرياض: 13758، وعلى عادته قام بشتم السلفية، وعدّها (الخصم الأيديولوجي الشرس) للمرأة، ثمّ أنزل عليها آية نزلت في حقّ الكفار، يقول: " قبل استفحال الأيديولوجيا المتأسلمة (ويعني بها الصحوة الإسلامية المباركة) كانت المجتمعات على براءتها الأولى (يعني الجهل والغفلة) صحيح أنها كانت محكومة بأعراف وتقاليد تحدّ من حريّة الإنسان، وترسم له كثيراً من الخطوط التي قد لا يرضاها، لكنّها . على كلّ حال . كانت بريئة من الارتياب الذي يقود إلى التزمّت(!) وإلى خلق مسارات للمجتمع ما أنزل الله بها من سلطان [ليته ذكر بعض هذه المسارات] وليست إلا من اتباع الظنّ، والظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً "..

وهكذا يشبّه هذه الصحوة المباركة التي قامت برعاية علمائنا الكبار من أمثال الإمام عبد العزيز ابن باز والعلامة محمّد العثيمين وغيرهما من الأموات والأحياء؛ بحال المشركين الذين قال الله فيهم:{إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى * وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً }[النجم: 27، 28]، ألا يعدّ هذا ضرباً من ضروب التكفير، أو في أقل الأحوال: التضليل الذي ينهون عنه من أجل إقامة مجتمعهم المدني المزعوم؟!!!.

والعجيب أنّ أحدهم كتب مقالاً في الجريدة نفسها بعنوان: (الشيخ السعدي وميتافيزقيا اللغة) الرياض: 13058، اتهم فيه الشيخ العلامة المفسّر عبد الرحمن ابن ناصر السعديّ . رحمه الله . بإنزال الآيات الواردة في أذى المشركين والكفار للمؤمنين الصالحين، على قومه الذين ثاروا عليه وآذوه، وعدّ الكاتب ذلك معضلة، وأنّ الشيخ . رحمه الله . أخطأ طريق الإصلاح(!!!).. أمّا عنوان كتاب الشيخ السعديّ الذي انتقده هذا الكاتب النكرة فهو: (الإيضاحات السلفية لبعض المنكرات والخرافات الوثنية المنتشرة في قضاء الظفير)، ويلاحظ من خلال هذا العنوان أنّ القوم الذين أنزل الشيخ السعدي عليهم الآيات ذوو خرافات وثنية، أي أنّهم أهل شرك وخرافة،

ولو أنّ هذا الكاتب بدلاً من التنقيب في كتب الأئمّة الأعلام، واتّهامهم بما هم منه براء؛ نظر إلى كتابات زميله في الصحيفة الذي نقلتُ بعض مقالاته آنفاً، وهو يقوم في القرن الحادي والعشرين بتنزيل الآيات التي نزلت في الكفّار والمنافقين على المختلفين معه من أصحاب العقيدة السلفية؛ لو أنّه نظر إلى هذه الكتابات، لوجد فيها ضالّته التي أراد إنكارها، إن كان هذا هو مراده حقّاً، لكنّه عمي عن الجذع في عينه وعين زميله البذيء، وأبصر الذرة في عين غيره، بل أبصر الوهم، فيا لله العجب كيف يفكّر هؤلاء، وكيف يحكمون !!.

والأعجب من ذلك أنّ الكاتب الأوّل نفسه في مقال له بعنوان (الوحدة الاستراتيجية في التحالف الإرهابي) الرياض: 13856، اتّهم بعض علمائنا الأجلاء بأنّهم ينزلون الآيات التي نزلت في المنافقين على أناس يعترفون بأنّهم أبناء مجتمعنا(!!) ثمّ يقول: " نسمع ونقرأ مثل هذا، ثمّ نسأل من أين يأتي التكفير..."، وهو الذي ما فتيء في مقالات كثيرة ينزل الآيات التي نزلت في المشركين واليهود على هؤلاء العلماء الأجلاء وغيرهم من عامّة السلفيين، فالحمد لله الذي جعله يحكم على نفسه بأنّه تكفيريّ جلد، بل خارجيّ كما ذكر في مقال له بعنوان (بيانات التطرّف وبيان الاعتدال) الرياض: 13863، بأنّ هذه الصفة من صفات الخوارج المارقين، ولا شكّ بأنّ هذه الفئة الليبرالية الاعتزالية الضالّة، خارجة مارقة عن جماعة المسلمين في هذا البلد السلفي الأمين.

السمة التاسعة:

عدم قبول النصيحة، والسخرية من الناصحين، وبغضهم، والتشهير بهم

بل وصلت الوقاحة بأحدهم . وهو أشدّهم تطرّفاً . إلى التندّر بأشكالهم وخَلْقهم الذي هو خلق الله . عزّ وجلّ .!!

ففي مقال له بعنوان: (من صور التطرّف والاعتدال) الرياض: 13282 ذكر فيه صورًا عدّة لمن ناصحوه، فسخر في إحداها من رجل فاضل حذّره من عميل الفكر الغربيّ طه حسين (أعمى البصر والبصيرة). وفي صورة أخرى سخر فيها من قريب له ناصحه(!) . وهو شيخ فاضل وأستاذ في العقيدة . بل أظهر الرحمة والشفقة عليه(!) لأنّه كما يقول: " ضحيّة ثلاثين عامًا من الاشتغال على الصراع العقديّ ".

وهكذا يصبح المشتغل بتصحيح العقيدة، وكشف فرق الضلال ضحيّة، ولا أدري ضحيّة ماذا؟!! ثمّ واصل سخريته باتّهام شيخ العقيدة بالتكفير، وبذيء السباب، وهو الذي ما فتىء يسب ويشتم السلفية وأئمّة السلف في صحيفة سيّارة!!

ثمّ يواصل في الجزء الثاني من مقاله (من صور التطرّف والاعتدال) الرياض: 13289 السخرية من الناصحين فيذكر قصّته مع أستاذ العقيدة في جامعته الذي زاره في البيت لمناصحته، وأطال عنده الجلوس، وهو لم يقرأ كتاباته . الرواية من طرف واحد .، إلى أن قال: " ولولا رقّة في أخلاقه، وسماحة تندى بها ملامحه (لم تكن سماحة، وإنّما كانت بلادة وبلهًا وخمولاً) لطردته غير آبه.. "، بهذه البذاءة يصف علنًا من جاء يناصحه سرًا ويحذّره من كتاباته البذيئة، وأفكاره المنحرفة.

ولم يكتف بذلك، بل واصل سخريته واستهزاءه ذاكرًا أنّ اللقاء استمرّ ساعات طويلة، وصف ما تمّ فيها بأنّه " من الهراء الميّت الذي لا طعم ولا رائحة له، ولم يكن للكلام من دور فيها إلا تحسين العلاقات الثنائية بين الطرفين عاطفيّاً لا فكريًا..".

ثمّ يضيف ساخرًا . وما أقبحها من سخرية .: " وكنت في تلك الأثناء وأنا أنظر إليه، لا أستمع إليه، بقدر ما أتأمّل مقدار ما تحمله تلك العيون الخاملة، والأهداب الذابلة، والجفون المسترخية، من معاني الغباء والبلادة والخمول التي تكاد لكثافتها أن تمتدّ بعدواها إلى متأمّلها، بل والجماد حولها "!!!! فهل ثمّة بذاءة ووقاحة أعظم من هذه البذاءة والوقاحة، وفي صحيفة سيّارة؟ لا أظنّ.

ثمّ ختم هذه الصورة باتّهام هذا الأستاذ الناصح بالتكفير، وهي تهمة جاهزة لكلّ من أقدم على نصح هذا الكاتب، وتحذيره من مغبّة ما يكتب، ومن أمن العقوبة، أساء الأدب.

وفي مقال ساخر لأحدهم بعنوان (حرّاس الله !!) الوطن: 293، . والسخرية بادية من العنوان . سخر فيه من أحد مناصحيه، بعد أن نشر هذا الكاتب النصيحة على الملأ، ثمّ عقّب على هذه النصيحة قائلاً بسخرية سمجة سخيفة: " يا رب ليس لنا إلا أنت، نحتمي بك سبحانك من (حرّاسك)..".

وعلى عادتهم في قلب الحقائق والتلبيس على الناس وإلقاء التهم جزافاً، فقد اتّهم مناصحه بالحكم على نواياه وما في قلبه قائلاً: " ولكنّ (حرّاسك) يؤذون قلوبنا حين

يدّعون معرفة ما فيها، وكأنّهم أنت والعياذ بالله ممّا يصفون.. "، مع العلم بأنّ هذا الكاتب قد كتب عدّة مقالات تهجّم فيها على المحاكم الشرعيّة، وسخر فيها من الحجاب!! والناس ليس لهم إلا الظاهر، أمّا ما في القلوب فعلمه عند الله تعالى.
وفي مقال لأحدهم بعنوان: (الفرق بين العادة والعبادة) الرياض: 13883، سخر فيه من شابّ ناصحه، يقول هذا الكاتب: " بينما كنت أيمّم وجهي شطر باب المسجد هامًّا بالخروج منه بعد انقضاء إحدى الصلوات؛ اندفع إليّ شابّ حدث لا يكاد يتجاوز الثامنة عشرة من عمره، وبدأ في إبداء نصائحه لي تجاه ما يراه أخطاء وقعت بها أثناء قضاء ما فاتني من الصلاة، وهي في الحقيقة لم تكن أخطاء بقدر ما صوّرت له ذهنيته الآحاديّة أنّها كذلك..". وهكذا نجد أنّ التهم عند هؤلاء جاهزة لإلصاقها بالناصحين، فبدلاً من تقبّل النصيحة بصدر رحب، وشكر الناصحين عليها، نراهم يسخرون منهم علنًا في صحف سيّارة، ويرمونهم بالتهم الجائرة. وحتى لو كان هذا الناصح مخطئاً أو مستعجلاً، كان الواجب تشجيعه على هذه الروح الناصحة، المشفقة على الغير، وتعليمه الطريقة المثلى للنصح، بدلاً من السخرية به، وكيل التهم له، انتصارًا للنفس.

السمة العاشرة:

التناقض الصارخ فيما يأمرون به وينهون عنه

وهو نتاج طبعي للتخبط، واختلال المنهج، والبعد عن منهج الحقّ، فكلمّا كان المرء قريباً من منهج الحقّ؛ كان أقلّ تناقضاً في أقواله وأفعاله، والعكس صحيح: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً }[النساء: 82].

ومن ذلك:

1. أنّهم ينهون عن التضليل والتبديع والتفسيق، وهم يفعلون ذلك، فيبدّعون العلماء والدعاة وطلاب العلم الذين هم على منهج السلف، وقد كتب أحدهم مقالاً نشره في أحد مواقع الأنترنت المشبوهة، وتواطأت الصحف المحليّة على نشره، وكان عنوان المقال (الصحوية والصحويون!!) الجزيرة: 12318، شكّك فيه بالصحوة الإسلامية المباركة، وضمّنه الكثير من المغالطات والافتراءات والتهم والنقولات المبتسرة،

وفاحت منه رائحة العلمنة، خلص فيه إلى ما نصّه: " ممّا تقدّم يتّضح لنا بجلاء أنّ الصحوة هي التي فجّرت منابع الإرهاب، وأنّ أدلجة المذهب السنّي أدلجة سياسية محضة هي قلب الصحوة النابض، وأنّ فكرة التنظيم – الكهنوت هو الوسيلة، وهو أسّ البلاد، وأنّ استثمار قضايا المرأة السعوديّة هو استثمار سياسي بحت، وأنّ مذهب أهل السنّة والجماعة شيء، والصحوة في جوهرها وأهدافها شيء آخر ".

وهكذا بجرّة قلم يحكم الكاتب الصحفيّ(!) على قطاع كبير من مجتمعنا يمثّل الأغلبيّة من العلماء والدعاة والصالحين ومن يثق بهم من سائر أبناء مجتمعنا، وهم عامّة الناس، بل على مجموعات كبيرة في العالم أجمع تفتخر بانتمائها إلى هذه الصحوة ولله الحمد، يحكم عليهم بأنّهم ليسوا على مذهب أهل السنّة والجماعة، وإنّما هم شيء آخر، أي ضلاّل مبتدعة، ولعمر الله إنّ هذا لشيء عجيب، وقلب واضح للحقائق المبينة، فالذين ينافحون عن مذهب أهل السنّة والجماعة وسلف الأمّة أصبحوا اليوم ليسوا من أهل السنّة والجماعة، أمّا الذين يطعنون في مذهب أهل السّنّة والجماعة وسلف الأمّة كابن تيمية الذي قال عنه هذا الكاتب .كذباً وزوراً . إنّه يحرّم الكيمياء المعروفة اليوم(!) والذين يبالغون في الثناء على الغرب، فهم الهداة المهتدون، وهم أهل السنّة عند هذا الكاتب، فأيّ تناقض بعد هذا التناقض.

.2

البحث لما يكتمل.....

(1) صواب الآية: (يا أيها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة..) [النساء: 1].

==================

#تركيا تتخبط في سياستها

الإسلام اليوم / طه عودة /اسطنبول 1424/2/19

2003/04/21

ركزت الصحافة التركية الأسبوع الماضي على العديد من القضايا المهمة، منها التحركات الدبلوماسية التركية للمشاركة في إعمار العراق، والتأكيدات الأمريكية التي حصلت عليها تركيا حول استقرار الأوضاع في مدينة كركوك، بالإضافة إلى الزيارة

التي قام بها وزير الخارجية الإسرائيلي إلى أنقرة، والتصريحات الحادة التي أطلقها، الأمر الذي دفع وزير الخارجية التركي للتأكيد على حصر الحرب في العراق فقط، وعدم شمولها لدول أخرى مثل سوريا.

والآن جاء دور سوريا

وعن التهديدات الأمريكية بضرب سوريا بمباركة إسرائيلية، والموقف التركي من ذلك، يقول الكاتب الصحفي (عاصم أسيالي) من صحيفة (يني آسيا) الإسلامية:" عدول وزير الخارجية التركي عبد الله غول عن الزيارة التي كان يخطط لها منذ أسابيع إلى سوريا بناء على طلب من (كولن باول) الذي زار أنقرة مؤخرا، يوضح الضغوط الخارجية لعزل تركيا عن الترابط مع جيرانها، وإقامة علاقات متينة معهم، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: لماذا تنصاع الحكومة التركية لرغبة الدولة الأمريكية التي اجتازت آلاف الكيلومترات من أجل احتلال العراق، بقطع الاتصالات مع جيرانها أمثال سوريا وإيران، رغم عدم وجود أية مشاكل لتركيا مع دول الجوار المسلمة في الوقت الراهن؟. و لماذا يتهرب وزير خارجية حكومة حزب العدالة والتنمية من إقامة الحوارات المقربة مع هذه الدول التي تربطنا بها علاقات تاريخية وثقافية، وحتى التي يعيش فيها معظم أقاربنا ؟!

يا للمفارقات الساخرة! وزير الخارجية التركي يلغي زيارته المخطط لها منذ أسابيع لسوريا، إطاعة لرغبة الولايات المتحدة التي أغرقت العراق بالقنابل، وارتكبت أبشع المذابح فيه، وأباحت النهب والسرقة والإرهاب أمام جواسيسها المستديمة التابعة للطالباني في العراق وشماله، وحرضت على تشتيت العراق وتفرقه، ومقابل ذلك هو يستقبل وزير خارجية دولة إسرائيل الإرهابية التي قتلت –قبل أيام بصواريخها– تسعة عشر فلسطينيا مدنيا، معظمهم من النساء والأطفال وجرحت أكثر من خمسين فلسطينيا، لتماثل بذلك الوحشية التي ارتكبتها أمريكا في العراق، وحكومة حزب العدالة مع وزير خارجيتها تناقش في هذه الزيارة سبل تعزيز العلاقات الإسرائيلية التركية، وبحث المواضيع الإقليمية!.

استطلاعات الرأي العام أثبتت أن 97% من الشعب التركي يرفض أي نوع من الدعم التركي للعدوان الأمريكي على العراق، بمذكرة كان أو غير ذلك، ولكن –مع

الأسف- فإن حكومة حزب العدالة التي وصلت -بفضل هذا الشعب إلى الأغلبية المطلقة في البرلمان قبل عدة أشهر- تنكرت للمطالب الشعبية وتجاهلتها. في البداية هي تنتزع قرارا برلمانيا بالسماح لنحو أربعة آلاف جندي أمريكي بالمجيء إلى تركيا بحجة تحديث القواعد والموانئ فيها، ومن ثم تفتح أجواءها أمام الطائرات الأمريكية ومعداتها وجنودها، وهي بذلك تلعب على حبل البرلمان دون الحاجة إلى استصدار مذكرة منه، فتقدم مختلف أنواع الدعم اللوجستي لأمريكا في العراق، حتى وإن كان الثمن -طبقا للقوانين الدولية- هو مشاركتها فعلا في الحرب. بل ذهبت تركيا إلى أبعد من ذلك، وطردت ثلاثة دبلوماسيين عراقيين من أراضيها، دون أن يرتكبوا أي جرم، فقط من أجل استرضاء (كولن باول) وأمريكا، وكأن هناك حربا دائرة بين تركيا والعراق! وبعدها تبدأ الإدارة الأمريكية -من أول بوش إلى أخر دونالد رامسفيلد- بتوجيه أسهم الحرب إلى سوريا، وبما أن الحرب بدأت تطال جارتنا سوريا، فإن وزير الخارجية التركية يتجنب زيارتها ويلغي مواعيده فيها!!.

والسؤال الذي كان ينبغي على تركيا أن تطرحه على الولايات المتحدة: كيف يمكن بعد أسابيع من حملة التنقيب والتفتيش الأمريكية في كل بقعة من أرض العراق، والتي لم تجد فيه الأسلحة المحظورة أن يتم نقلها إلى سوريا؟. ولاسيما أن أمريكا منذ الأسبوع الأول وهي تحاصر العراق من كل جوانبه، حتى أن طائرات الكشف الأمريكية البريطانية نجحت -من خلال الأقمار الصناعية- في تحديد مكان عائلة تتألف من أربعة أشخاص كانت قد هربت من الحرب وبيدها تحمل الراية البيضاء، ورغم ذلك قصفتها تحت حجة الإرهاب، كيف يمكن لهذه الطائرات، ألا ترى وسط الصحراء كبار القادة العراقيين، وهم يهربون إلى سوريا دون أن تقصفهم؟!.

شالوم في أنقرة وغول في عالم التمني ..

من الواضح أن وزير الخارجية السوري (فاروق الشرع) صدق القول عندما أكد أن الولايات المتحدة التي دمرت العراق من أجل نفطه، تبحث الآن عن حجة وأكاذيب لضرب سوريا، الولايات المتحدة تركض وراء حساب ربط الطريق بين العراق والأردن من أجل إقامة الحلم اليهودي الأكبر بالأرض الموعودة التي تمتد من النيل إلى الفرات ودجلة. في البداية العراق ومن ثم سوريا، إيران، السعودية، السودان واليمن

وغيرها، وتركيا أرض العثمانيين الإسلامية تراقب بجمود خطط الاحتلال الأمريكية الصهيونية، والمجازر التي ترتكب بحق المسلمين دون أن تحرك ساكنا.

أنقرة في معرض ردها على الاتهامات العلنية التي وجهها (شالوم الإسرائيلي) تكتفي بالقول: "يجب أن تكون الحرب محصورة في العراق، وألا تمتد إلى دولة أخرى" ووزير خارجية حزب العدالة والتنمية يقوم بعدها بإلغاء زيارته إلى سوريا !!!.

لا لدمشق .. نعم لشارون !!

أما الكاتب الصحفي (فهمي كورو) من صحيفة (يني شفق) الإسلامية الموالية للحكومة الحالية، فيشير إلى الموقف التركي الحيادي من تطورات الأحداث في المنطقة فيقول:" تركيا منذ مدة طويلة وهي تمارس سياسة تقوم على الإذعان للأمر الواقع "الغربي" في علاقاتها ومباحثاتها مع الدول المسلمة الجارة لها. وفي هذا الإطار، فقد زار كمال خرازي وزير الخارجية الإيرانية أنقرة بهدف تدعيم الرأي الإيراني – التركي في ضرورة الحفاظ على وحدة الأراضي العراقية بعد الحرب، وأيضا على ضرورة انتفاع الشعب العراقي كله من مصادر النفط والطاقة في العراق. زيارة خرازي هذه أخرجت ما يسمى "باللوبي الموالي للغرب" داخل تركيا عن صوابه. فبالنسبة لهم، فإن تركيا يجب ألا تقيم أي حوار مع أي دولة جارة باستثناء إسرائيل، بل وحتى يجب ألا تجتمع بها أبدا. ولا سيما أن المديح الذي أغدقه وزير الخارجية الإيراني على تركيا يعتبر بالنسبة لهذا اللوبي فاجعة كبيرة وخطيرة بحد ذاتها، لهذا كان ينبغي على (عبد الله غول) إلغاء زيارته إلى سوريا !!00 ولم تمض فترة طويلة حتى قام غول بإطاعة نصائح ما يسمى "بالصحافة والرأي الحر" والذين هم أصلا موالون لواشنطن وتل أبيب، وفي اليوم التالي أعلنت هذه الصحف انتصارها تحت عنوان "غول استمع إلى تحذيراتنا، وغير رأيه في الذهاب إلى سوريا00 هو لن يذهب" وهم بذلك قد أثبتوا علنا مدى تأثيرهم على حكومة حزب العدالة والتنمية ووزير خارجيتها عبد الله غول. بالنسبة لهذه الزمرة الموالية للغرب في تركيا، فإن ثناء (الخرازي) على أنقرة لا يحمل في مضمونه بشير خير بالنسبة لتركيا، بينما الثناء الإسرائيلي على تركيا هو الخير بعينه، وأيضا بالنسبة لهم فإن تركيا فيما إذا واصلت حواراتها مع سوريا وإيران فإنها ستبتعد عن "المثالية الغربية"، وستعرض نفسها لخطر

المواجهة غير السارة مع أمريكا التي تستهدف هذين البلدين حاليا. وردة فعلهم هذه لم تقتصر فقط على هذه الادعاءات، بل أرفقوها بادعاء كاذب: أن بعض الفئة الشعبية التركية ترفض إقامة الحوار بين تركيا وسوريا!! وأي فئة هذه التي تنزعج من تقارب تركيا وسوريا!؟ هل يقصدون بهذه الفئة (اللوبي اليهودي في أمريكا أم الرأي العام الإسرائيلي)؟. ومن سينزعج من تقارب دولتين مسلمتين سوى إسرائيل؟. ومن ثم وهو ما أعجز عن فهمه، لماذا من شأن التقارب التركي السوري أن يبعد تركيا عن الغرب؟. من الواضح أن هذه المراجع الموالية للغرب في تركيا تقصد من وراء "المثالية الغربية" هي القتل الأمريكي – البريطاني للمدنيين والنساء والأطفال وتدمير البيوت والمخازن الغذائية وشبكات المياه والسماح بالنهب والسرقة في العراق، وتشريع المذابح والوحشية في سبيل الحفاظ على النفط والأمن الإسرائيلي في المنطقة، وإلا فإن ألمانيا وفرنسا اللتين تمثلان محورين أساسيين في الاتحاد الأوروبي رفضتا منذ البداية هذه الوحشية الأمريكية – البريطانية التي ترتكب في العراق، كما أن الاتحاد الأوروبي هو ضد ظلم مجرم الحرب شارون صانع مذبحة صبرا وشاتيلا، والذي يبيح لجنوده قتل المدنيين الفلسطينيين بكل حرية وبساطة. وهل أن إلغاء أنقرة لدعوة (فاروق الشرع) –الخبير السياسي الفذ، ووزير خارجية دولة مسلمة جارة– التي وافقت عليها منذ أسابيع مقابل استقبالها وزير خارجية إسرائيل (شالوم) الذي هو شريك مجرم الحرب مرتكب المذابح في صبرا وشاتيلا سوف يقرب تركيا من "المثالية الغربية"!!.البروفيسور الدكتور (عيشة بوجرا) يقول: "مساندة الولايات المتحدة في شرورها سوف يجعل من تركيا إسرائيل ثانية" وأيضا يحذر (جنكيز أكتار) الخبير في الشئون الأوربية من المسيرة التركية إزاء الولايات المتحدة بقوله: "إن صقور إدارة بوش الأمريكية الذين هم تجار الأسلحة يحاولون استقطاع تركيا من الاتحاد الأوروبي؛ لجعلها إسرائيل ثانية تخضع لأوامرها في الشرق الأوسط". أما (إرتغول إوزكوك) فيحذر حكومة حزب العدالة والتنمية من مغبة التعاطي المضر للمصالح مع الولايات المتحدة بقوله " إذا لم نطمئن الرغبات الأمريكية قد نجدها بمواجهتنا في المستقبل، لذا يجب ألا ‘نغضب الولايات المتحدة". ومن بعده يأتي تحذير آخر من (أوفوك غول دمير) "يجب أن يلغي عبد الله غول زيارته إلى سوريا فورا"، وعقبها

تلغى الزيارة بالفعل ... ورجب طيب إردوغان زعيم حكومة حزب العدالة والتنمية يتغنى أمام مجموعته البرلمانية بحسن "سياسة حكومته في العراق" !!!.

الدعم السوري لحزب العمال الكردستاني

عن الدعم الذي كانت تقدمه سوريا لمنظمة حزب العمال الكردستانية، يقول الكاتب الصحفي (فاتح التايلي) من صحيفة (حرييت):" ما إن بدأت الولايات المتحدة باتهام سوريا على أنها "دولة إرهابية" حتى بدأت فجأة تتوسع الأطراف المساندة لسوريا في تركيا، كما كان الحال قبل أسابيع قليلة مع مؤيدي صدام. ولعل هناك نوعاً ما من القبول بموقف "الصداميين" في تركيا كون نظامه لم يشكل أي تهديد مباشر على تركيا، ولكن من المستحيل أن نستوعب الدعم المفاجئ لبعض الأطراف التركية لسوريا. فإذا عدنا بذاكرتنا إلى ما قبل الأعوام الخمسة القليلة الماضية نذكر بأن تركيا كانت على وشك إعلان الحرب ضد سوريا، وبفضل هذا الموقف التركي المتشدد، فقد قامت سوريا بطرد (عبد الله أوجلان) الذي كانت تأويه في أراضيها لسنين طويلة، مما ساهم في وضعه بسجن إمرالي حاليا. ولكن بما أن ميزة استيعابنا محدودة، فإننا ننسى بسرعة، علما أن الشعب التركي كان ينظر إلى سوريا طيلة السنوات الخمس عشرة الماضية بكراهية لا توصف، وهذه الكراهية ليست دون سبب؛ لأن سوريا التي كانت تدعم منظمة حزب العمال الكردستاني الإرهابية، وتأوي زعيمها أوجلان، وتغذي وحتى تدير هذه المنظمة، هي السبب في مقتل ثلاثين ألف مواطن تركي، وتسببت في خسارة تركيا لمئات المليارات من الدولارات، وحتى في اللقاء الصحفي –الذي أجريته مع عبد الله أوجلان في لبنان– كان أحد رجال المخابرات السورية موجوداً معنا. وإذا أردنا اختصار الموقف، نقول بأن سوريا هي من أهم الأسباب في ارتفاع العجز في الديون التركية الخارجية، وتضرر العلاقات التركية مع أوروبا بسبب التحركات العسكرية التي أجبرت على القيام بها في جنوب شرق الأناضول، وسجلها السيئ في حقوق الإنسان بسبب محاربتها للإرهاب. وفي ظل هذا الوضع الذي يدركه الشعب التركي بعمومه، فإن هناك من يتأهب ليكون "سندا لسوريا". لماذا ؟؛ لأن الولايات المتحدة تتهم سوريا بأنها دولة داعمة للإرهاب ..

مع الأسف الشديد هناك نوع من القومية التي بدأت تنتشر في تركيا تحت اسم "عدو أمريكا هو صديقنا" دون أن يخطر على بال أحد أن أمريكا هذه تقوم بتطهير الأوساخ المتراكمة حول تركيا، بل وعكس ذلك ينادون: "اللعنة على أمريكا" .. والآن لم يتبق أمامنا سوى أن نبتهل إلى الله ألا تصف أمريكا عبد الله أوجلان "بالإرهابي الخطر" وإلا فإن مثل هذه الرؤوس التركية سوف تعمد إلى تنصيبه كرئيس لوزراء الدولة !!!.

البارازاني على حق

وحول التطورات التي شهدها شمال العراق في الأيام الماضية، والتوتر الموجود في مديني كركوك والموصل يقول الكاتب الصحفي (فكرت بيل) من صحيفة الملييت العلمانية واسعة الانتشار:" التوتر المتصاعد في الموصل وكركوك بين الأكراد والتركمان والعرب وصل إلى حد القتال حتى الموت". مسعود البارازاني في تصريح له لجريدة الحياة قال: بأن الفصائل الكردية اتفقت مع الولايات المتحدة بعدم الدخول إلى الموصل وكركوك، مقابل التعهد التركي بعدم اجتياح شمال العراق. مشيراً إلى أن جلال الطالباني نقض هذا العهد وهاجم المدينتين وأضاف: "وتحت هذه الظروف، فأنا قلق جدا على مستقبل كركوك". جلال الطالباني الذي أراد استغلال الموقف لصالح إضعاف منافسه (مسعود البارازاني) أوعز لمجموعته باجتياح كركوك بهدف إخضاعها لسيطرته، وقرر مكافأة رجاله من الذين قاموا بعمليات السلب والنهب في هذه المدينة، لهذا السبب فإن البارازاني شعر بالحاجة إلى كسر سيطرة الطالباني في كركوك عبر مهاجمة الموصل، وهكذا فقد تحولت الموصل وكركوك إلى مسرح للصراعات العرقية الدموية. البارازاني صدق القول عندما أعرب عن قلقه على مستقبل كركوك، فاجتياح الطالباني لكركوك ما دفع بالبارازاني إلى اجتياح الموصل حول أنظار العالم كله إلى هاتين المدينتين، وهو ما سهل دخول قوات من خلية الاتصالات التركية إلى الموصل وكركوك، وسرَّع كذلك من دخول القوات الأمريكية إلى هاتين المدينتين لطرد البشمركة منها. البارازاني كان يخطط للتغيير العرقي في المنطقة على المدى المتوسط، فيما أحبط اجتياح مجموعة الطالباني لكركوك

حساباته. هذه المستجدات التي كان الطالباني سببا فيها، أدت إلى تسلح وتحزب العرب ضدهم كرد فعل طبيعي على هجومهم، مما أربك الحسابات الكردية برمتها.

الموافقة على المطالب الأمريكية

تركيا تحاول أن تقوم بدور نشط في إعمار العراق، الأمر الذي دفع وزير الدفاع التركي (وجدي غونول) للتصريح بأنه يجب على تركيا الموافقة على المطالب الأمريكية. في هذا الخصوص يقول الكاتب الصحفي (حسن جمال) من صحيفة الملييت: "هل تقدمت الولايات المتحدة بأي طلبات لتركيا بشأن العراق"؟. وبالتحديد هل طلبت منها جنودا؟. هذا هو السؤال الذي يشغل أنقرة منذ الأمس!. وزير الدفاع (وجدي غونول) وضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بهذا الأمر، وقال في معرض لقائي به أمس: " أصدقاؤنا الصحفيون سألوني ما إذا كان الناتو قد تقدم بأي طلب لتركيا. وكان جوابي: لا 00 ولكن هناك طلباً غير رسمي من الولايات المتحدة حول مدى الإمكانيات التي يمكن أن نتعاون بها من أجل إعادة إعمار العراق، وتأمين استقراره لمرحلة ما بعد الحرب. ولقد قدمت واشنطن لائحة طويلة وتفصيلية بشأن الطلبات التي يمكن أن تقدمها تركيا، ومن بينها جنود و خبراء في الأسلحة النووية والصورايخ الباليستية، ومستخدمين فنيين في مجال الإعمار، ونحن نقيِّم هذه الطلبات حاليا". وبعد تقييم وزير الدفاع للوضع فقد تعرض إلى مسألة تمويل الخدمات التركية في العراق. فقال :" نحن نجهل إلى الآن الجهة التي ستمول مصاريف الخدمات التركية، وما زلنا في معرض تقييم الوضع". وبدوري فقد وجهت سؤالا إلى وزير الدفاع، عن رأيه في مقابلة تركيا للطلبات الأمريكية فقال: " بالطبع يجب أن نقابلها حتى بالنسبة لي يجب أن ترد تركيا إيجابيا حتى لو اضطرت إلى مواجهة كافة المصاريف وحدها؛ لأن إعادة إعمار العراق واستقراره مهم جدا بالنسبة لنا، وتركيا يجب أن يكون لها دور في هذا الإعمار. لذا فأنا أرى فائدة كبيرة في إرسال الجنود الأتراك إلى العراق، وتلبية غيره من المطالب في العراق؛ لأن هذه المشاركة ستعود عليها بفوائد كبيرة في المستقبل. ممالا شك فيه أن تضميد جراح العراق بمشاركة تركيا سيسعدنا جدا".

ومن خلال كلام وزير الدفاع نفهم أن أنقرة تميل إلى توطيد علاقاتها المستقبلية مع الولايات المتحدة، والمشاركة الفعلية في العراق؛لتعزز دورها فيه وفي المنطقة بأكملها. لقد نجحت أنقرة في تبديد أجواء التوتر مع الولايات المتحدة بعد رفض البرلمان التركي للمذكرة الثانية، وتبدو مصرة على مواصلة مسيرتها على نفس الخط في المرحلة القادمة؛ كما أن المطالب الأمريكية من تركيا تؤكد أن رفض المذكرة لم يؤثر كما كان متوقعا على علاقات الصداقة بين البلدين التي تجاوزت الخمسين عاما. وكلما وثقنا في أنفسنا، كلما شعرت الولايات المتحدة بالحاجة إلى مساهمتنا أكثر في المنطقة.

==============

#تحولات السلطة والموارد .

عرض : إبراهيم غرايبة 1424/2/21

2003/04/23

يُكمل كتاب " Power Shift" الذي تُرجم إلى العربية بعنوان " تحول السلطة " ثلاثية (ألفن توفلر) التي بدأت بكتاب " صدمة المستقبل " والذي صدر في السبعينيات ، ثم كتاب " الموجة الثالثة " في الثمانينيات ، وقد لقيت هذه الكتب رواجاً واهتماماً كبيرين ، وهي ظاهرة تؤكد جدية الموضوع ، فأن يباع عشرة ملايين نسخة من كتاب ليس روائياً ولا جنسياً ولا سياسياً فذلك يشير إلى أهمية الموضوع الذي يتناوله توفلر ، ومدى شغل الناس به.

كان كتاب " تحول السلطة "تتويجاً لجهد استغرق خمسة وعشرين عاماً حاول فيها توفلر استكشاف التغيرات التي يعلن عنها القرن الحادي والعشرون ، وفي كتاب " صدمة المستقبل " عرض للتغيرات التي تحدث ، وطرق تأثيرها على البشر والمنظمات ، وفي كتاب " الموجة الثالثة " يعرض اتجاهات هذا التغيرات وأبعادها ، فالسرعة المتزايدة للأحداث وتسارع ردود الأفعال تؤدي إلى تأثيرات تنحني لها الأمم والدول ، وتحتاج معها إلى معرفة صحيحة بالتكيف والاستجابة لهذه المتغيرات .

وتعبر فكرة الموجة الثالثة عن مرحلة جديدة رئيسة تمر بها البشرية بعد الموجة الأولى ، وهي الثورة الزراعية التي بدأ معها الإنسان التحول من الصيد والرعي إلى

الاستقرار ، ثم إقامة الحضارات والمجتمعات والعلاقات المختلفة ، وكانت الموجة الثانية مع الثورة الصناعية في القرن السابع عشر الميلادي التي صحبتها تحولات سياسية واقتصادية وحضارية غيرت العالم كله ، واليوم تبدو موجة ثالثة تتشكل معتمدة على تقنيات المعلومات والاتصالات.

ذهل العالم في نهاية الثمانينيات ، بسبب انهيار أعظم إمبراطورية وأشدها قوة عسكرية وهي الاتحاد السوفيتي ، والمنظومة الشيوعية في أوروبا الشرقية ، غير أن هذا الحادث لم يكن وحده مما تشكل من ظواهر وأحداث في السنوات الأخيرة تنبئ عن مراجعات شاملة ، وتحولات جذرية تجري في العالم والحضارات والمجتمعات.

فحتى سنوات قليلة مضت كانت شركة (جنرال الكتريك) إمبراطورية مالية وحتى سياسية ، وهي اليوم تصارع لأجل البقاء ، وصارت شركة (مايكروسوفت) التي بدأت عملها قبل سنوات قليلة تصوغ حياة الناس وحتى أحلامهم ، ويملك اليوم " بيل غيش " مدير مايكروسوفت أكثر من سبعين مليار دولار، ومن بين أغنى خمسين شخصية في العالم يشتغل أكثر من ربعهم بالمعلومات التي لم تكن حتى فترة قريبة سوقاً يعتد به ، واختفى أباطرة ماليون وبليونيرات عرفهم العالم.

وفي خلفيات ملاعب المونديال لاحظ جمهور كرة القدم إعلانات لشركات ترعى هذه المباريات لم يسمع بها من قبل من تلك التي تعمل بالمعلومات والاتصالات إلى جانب الشركات التي ملأت الأفق ، وقد لا يعلم الكثير أن هذه الشركات شبه المجهولة تبلغ قيمة العقد الواحد من عقودها مليارات الدولارات ، ومحطات التلفزيون المشهورة والتقليدية التي كانت محدودة العدد وتحتكر الجمهور تبدو اليوم وكأنها تعمل في غابة من المحطات والقنوات الكثيرة جداً ، بحيث أصبحت فرصة المشاهد في الانتقال والانتقاء من بينها أسهل بكثير من اختيار المجلات والصحف ، ويتدفق عبر الانترنت من الأموال والرسائل والمعلومات والعقود والندوات ما يجعل سلطة الدول ورقابتها المالية والفنية شكلاً من الماضي العتيق .

ثمة تحولات كبيرة وجذرية في السلطة والموارد يجب الالتفات إليها وملاحظتها قبل فوات الأوان ، فسلطة المعرفة والمعلومات بدأت تحتل مكانة متفوقة على سلطة المال والسلاح ، والقوة العسكرية التي كانت أساساً مستمدة من السلاح والهيمنة

أصبحت تعتمد تماماً على تقنية المعلومات ولم تعد الطائرات والصواريخ والغواصات بدون أجهزة الكمبيوتر سوى كتل من الحديد لا تفيد شيئاً ، بل إنها توصف بأنها أجهزة معرفية تجري مليون استنتاج منطقي في الثانية الواحدة ، وأن قوتها مستمدة من قدرتها المعرفية والذهنية.

وأزمة الكمبيوتر عام 2000 التي تحدثت عنها وسائل الإعلام تشير إلى حجم الاعتماد الهائل على الكمبيوتر في العمل والإدارة والحياة ، فاقتصاد الدول المتقدمة اليوم لا يستطيع العمل لمدة نصف ساعة بدون أجهزة الكمبيوتر.

ويقول الخبراء : إن تقنيات المعلومات والاتصالات هي الآن في مرحلة بدائية ، وأنها تتطور بسرعة كبيرة بحيث يبدو حديثنا اليوم عن آثارها وتحولاتها وصدماتها وتداعياتها ساذجاً بدائياً أيضاً ؛ لأنها ستكون بعد عقود من الزمن على درجة من التقدم والتداخل في حياة الناس يصعب تصورها أو تخيل إمكانية تطبيقها، ولكن يمكن اليوم ملاحظة كيف أن المعرفة والمعلومات تحولت من عامل مساعد للسلطة أو مكسب إضافي إلى أنها جوهر السلطة ، ومن ثم فإن الصراع على السلطة سيكون صراعاً على المعرفة ، ولهذا السبب فإن قوانين الملكية الفكرية تأخذ اليوم أولوية قصوى في السياسة الدولية ، وسيكون التنافس أيضاً هو توزيع المعرفة وإمكانية الوصول إليها، وإذا لم نفهم كيف تنتشر المعرفة ومن هم الذين يتلقونها فلن نستطيع أن نحمي أنفسنا من استغلال السلطة ولا إقامة المجتمع الذي نريد، وستكون السيطرة على المعرفة هي العنصر الحاسم في الصراع العالمي والمحلي.

الاقتصاد الجديد يزدهر في ظل قدر أكبر من حرية التعبير وتغذية راجعة أفضل بين الحكام والمحكومين ، ومشاركة شعبية أوسع في صنع القرارات قد يفرز حكومات أقل بيروقراطية وأكثر لامركزية ومرونة ، كما قد يؤدي إلى قدر أكبر من الاستقلال الذاتي للفرد ، ويؤدي إلى تحول السلطة بعيدا عن الدولة ليس بهدق تعجيزها ولكن من أجل إضفاء صبغة إنسانية عليها.

ويربط " توفلر" بين البعث الديني المنتشر في العالم كله وبين أتباع جميع الأديان وبين الكمبيوتر، وقد بدأت هذه التحولات بجماعات الهيبيز التي شنت هجمات ساخطة على القواعد الثقافية للعصر الصناعي بما في ذلك علمانيته ، كما زادت في

الغرب موجات التصوف والحكمة وديانات غريبة غير معروفة ، وبالطبع فإن العلمانية التي ارتبطت بالمرحلة الصناعية ستتعرض للانهيار مع أفول نجم المرحلة الصناعية ، وبدء مرحلة جديدة لتحل محلها ثقافات جديدة ، وتتلاقى جميع الموجات الدينية على العداء للعلمانية ورفضها.

ورافق أيضا الموجة الثالثة موجة المعلوماتية تنامي العمل البيئي، مثل جماعات الخضر وحماية البيئة ، والعودة إلى الحياة التقليدية في اللباس والزراعة والطعام لأجل حماية البيئة والموارد وتخفض التلوث ، أو ما يمكن تسميته أصولية بيئية والتي يأخذ بعضها أبعادا متطرفة تجاه كل منتجات الحضارة الحديثة ، ويمكن أن نلاحظ في الوسط العربي ذلك الإقبال الكبير الذي تشهده برامج مريم نور، والتداوي بالأعشاب الذي بدأت تتبناه جامعات ومؤسسات أكاديمية وشركات كبرى لتصنيع الأدوية.

وكانت الظاهرة الثالثة الجدية : هي تنامي موجة القوميات والتعصب الوطني وتفشي كراهية الأجانب ، وقد استطاع حزب الحرية النازي في النمسا أن يحصد أكبر حصة في الانتخابات النيابية ، وتعد الحركات اليمينية المتطرفة والمعادية للأجانب أكبر منافس على الحكم اليوم في بلدان أوروبا وأمريكا.

وبالطبع فإن هذه الموجات والظواهر مرشحة للتنامي والتطور في صيغ مختلفة ، فهي مازالت في بداية مسارها وستكون أنظمة الحكم والسياسة من أول ضحايا هذا التطور والتغير، فإلى أين تتجه الديمقراطيات الغربية العريقة على سبيل المثال، وقد رأينا كيف شرعت قوانين في الولايات المتحدة تبيح الاعتقال بدون أدلة علنية وبدون محاكمة، وهو أمر كانت الدعوة إليه أو مجرد الحديث عنه في الغرب يعد جنونا لا يمكن الإصغاء إليه.

ومن أهم تجليات هذه التحولات وتطبيقاتها هو التقدم الياباني المذهل والقائم على المعرفة ، وكيف استطاعت أوروبا بعد أن كانت في المؤخرة وتحتضر اقتصاديا وتقنيا أن تلتقط هذه التحولات فتبني وحدة أوروبية قائمة على العمل الاقتصادي والسياسي والعسكري ، وكان واضحا كيف بدأت تستقل أوروبا عن الولايات المتحدة

بل وتتحداها في اتجاه يبشر بقطبية جديدة قد يكون طرفاها أوروبا والولايات المتحدة ، وكانت أوروبا إلى عهد قريب كيانا تابعا للولايات المتحدة ومتطفلا عليه.

إن نتائج وتأثيرات ظاهرة المعلوماتية والعولمة والاتصالات مازالت في بدايتها وتدهشنا وتفاجئنا كل يوم بأحداث وتحولات جديدة وغير متوقعة ، ولكنها صحيحة ومؤثرة وتعيد النظر في كل ما استقرت عليه الدول والمجتمعات والأفراد والقوى الإقليمية والعالمية من تقاليد وأدوات عمل وتنافس وضغط .

=============

#اشكاليات أفرزتها الحرب على العراق

عبدالرحمن عبدالله الجميعان كاتب كويتي مهتم بالفكر السياسي والحركات الإسلامية

1424/4/22

2003/06/22

التاريخ العربي الحديث تاريخ مؤلم، وتاريخ مليء بالدماء والتضحيات، والخداع والكذب! فوعود الغرب لنا في مطالع هذا القرن بحياة رغيدة هنيئة، ثم تخلفه عن هذه المواثيق، وزرعه قيادات عربية في أرض عربية لتمتص رحيق الشعوب، وتصبها في جيوب الغربي المستعمر ، وتقسم الأرض العربية والإسلامية أمام مرأى ومسمع العالم، ثم زرع الخنجر الحاد(إسرائيل) في قلب العروبة والإسلام النابض، ثم الضحك على الشعوب بشتى أنواع الكذب والضحك على (الذقون) منذ فجر القرن الماضي إلى يومنا الحاضر ، كل هذا إنما يمثل سلسلة من اللاوعي العربي، والاقتناع بالوعود المكذوبة والمعسولة! وكلما جاءنا نذير بل نُذر التففنا بدثار الماضي، والتحفنا بغباء عربي كبير ، وتصديق لكل ما يقال، وكذبنا أي صوت للمؤامرة، إنها سلسلة من المخازي والآلام العربية، والجرح الإسلامي النازف! واليوم نصدق ما تقوله لنا الوكالات، ونعزي أنفسنا على آلام مضنية، ونتجرع مرارة وقسوة الزمن، ولا نحاول أن نستفيد من أخطائنا، ولا من تاريخنا العتيد والتليد! إنها صورة من تغييب الوعي العربي والإسلامي في بلادنا الواسعة، وصورة من الانكفاء على الذات.

واليوم بعد الحرب الدائرة على العراق وتطورها على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، تكاد تكون حلقة من السلسلة الأليمة، وفصلاً من فصول القصة الحزينة

الطويلة، لهذا كان لا بد من الوقوف طويلاً، وطويلاً جداً أمام هذه الظاهرة الغريبة، وعلينا الالتفات إلى ما أفرزته هذه الحرب على العالم الإسلامي، من هنا نقول: لا بد من الوقوف على هذه الإشكاليات التي قد تدمر التفكير الإسلامي وتنشئ نوعاً من اللامبالاة، وتصنع تفكيراً لا يستطيع استيعاب الأمور، ولا يستطيع رؤيتها إلا من خلال منظار الغرب الكافر! من أجل ذلك لا بد من النظر إلى هذه الأمور والاشكالات ثم محاولة وضعها في موضعها:

أولاً: الأنظمة الدكتاتورية والشعوب المسلمة:

وجوب الفصل بين النظام البعثي الكافر وبين الشعب العراقي المسلم؛ فالشعب العراقي مسلم عربي يعيش على أرض مسلمة، وهذه حقيقة لا تغيرها الظروف ولا الحوادث على مر الدهور وكل العصور، واستلام زمرة ظالمة زمام الأمور فيها لا يعني البتة أنها ستكون يوماً من الأيام خارج هذا الإطار، فالذي دافع عن العراق ضد الحرب إنما دافع عن الأرض المسلمة والشعب المسلم، وهنا تبدو إشكالية كبرى في المسألة، فهدف أمريكا المعلن إسقاط هذا النظام الذي بسقوطه سيكون سقوط العراق، فالنظام أصبح رمزاً للعراق أبينا ذلك أم رضينا! هذه الإشكالية لم يستطع الشارع العربي حلها أو التخلص منها، وظلت توجه العقل العربي والمسلم إلى آخر لحظة من لحظات سقوط النظام، فكنا نراهم يرفعون صور الرئيس العراقي بل البعض يهتف بالموت لأجله، وهذه مسألة خطيرة تدخل ضمن اعتقاد المسلم. لأجل ذلك يجب الحديث طويلاً حول هذه القضية الخطيرة، كما يجب التفريق على المستوى العسكري بين النظام والشعب، وتبقى هذه الإشكالية تتطلب حلاً عاجلاً من طلبة العلم والمشايخ والعلماء والدعاة، حتى نستطيع تبيان وجه الصراع الحقيقي، وتبيان مواقفنا منها. ومما يندرج تحت هذه القضية الخطيرة ما نلمحه من تطور خطير جداً في قضية مفادها: أن تسلط النظام وديكتاتوريته، واستفراد الرأي الواحد، ومحاربة أي رأي آخر، وتكميم الأفواه، وإقصاء الشورى ومصادرة حريات الشعوب، وسكوت الشعوب عن المطالبة بحقها في التعبير عن رأيها، وعدم الدفاع عن هذا الحق، والتنازل عنه، إنما تكون نتيجته هذه النتيجة، المزرية والمخزية. إن هذه القضية لم تأخذ من العلماء وطلبة العلم مكانها اللائق بها، بل لم تكن لها الأولوية عند

الكثيرين، والبعض الآخر يلتهي بقضايا فقهية قد لا تهم المسلم كثيراً اليوم، ويتعامى عن هذه الأمور العظام، والأمور التي تحدد مصير الأمة.

ثانياً:الموازنة بين النظام القائم واستعمار الأمة من الأجنبي:

أعلنت التقارير والدراسات السياسية والمقالات الرصينة أن الولايات المتحدة الأمريكية اندفعت نحو الحرب ضد العراق، لتحقق أهدافاً استراتيجية منها على سبيل المثال؛ لا الحصر:

1-تفتيت وتمزيق وحدة العراق، مما سيزيد في ضعف ووهن هذه الأمة ويجعلها لقمة سائغة في حلوق أعدائها المتربصين بها، ويجعلها أكثر تبعية للغرب.

2-تحطيم جيش العراق ذي الخبرة الطويلة وانهاكه، مما سيضمن سلامة العدو الصهيوني، وسهولة السيطرة على العراق، وإمرار معاهدات الاستسلام دون معارضة أو مشاكسات محسوبة .

3-السيطرة على النفط الخليجي العراقي حيث إنه يشكل أكبر مخزون نفطي عالمي، واستخدامه نفوذاً قوياً يلوح على رؤوس المعاندين والمشاكسين، وتمريره إلى إسرائيل.

4-سهولة الحصول على المياه التي تريدها إسرائيل، وتحارب من أجلها، من خلال نهري دجلة والفرات.

5-مسخ الهوية الإسلامية في المنطقة، ومحاولات صنع الأجيال الإسلامية الراكضة وراء السراب الغربي، وإنشاء جيل علماني لا يعرف الصلة بهذا الدين، مع قتل التوجه الإسلامي في الشخصية العراقية المسلمة.

6-تجريد العرب والمسلمين من أي سلاح فعال تقليدي، أو أسلحة الدمار الشامل..

7-مراقبة الحركات الإسلامية عن كثب ومحاولة الحد من عنفوانها، ثم ترشيدها بما يتناسب مع التغيير الجديد للخريطة السياسية المرتقبة. هذه المسألة لم تأخذ عند الكثيرين الأهمية التي تستحقها، وهي مرتبطة بالنقطة الأولى، فتبيان الهدف الاستراتيجي من ضرب العراق، وتعميق التداول في هذا الجانب المهم على المستوى السياسي والعسكري والإعلامي، ربما يفيد في فهم قضية الصراع الدائر اليوم، وربما يدفع بعض الحكومات لتغيير سياساتها خوفاً على مصالحها ومكتسباتها،خاصة إذا تبين لنا أن وجود النظام العربي الدكتاتوري في العراق سيبقى أثره محدوداً على

الداخل وقد يطول الكويت فقط، أما أثر الاستعمار الجديد فسيكون وبالاً على الأمة برمتها، فهذا الميزان لا يزال غائباً في كثير من الأطروحات الإسلامية بل العربية!.

ثالثاً: إفرازات الحرب:

أفرزت الحرب على العراق من الصليبية الماكرة عدة من الأمور السياسية الشرعية، والتي تحتاج إلى نظرة تجديدية وفق المعطيات الدائرة والأحوال المتجددة،مثل:

1-العلاقة بين الحاكم والمحكوم: وهنا تتبدى لنا الصور التالية: ما مفهوم ولي الأمر، هل هو أي حاكم مسلم؟ أم أنه من تنطبق عليه الشروط الشرعية مثل: تطبيق الشريعة، وغيرها...إلخ! ما حدود طاعة ولي الأمر ؟حيث بتنا نسمع نغمة لم نألفها في الفقه الإسلامي، وهي تلك التي تعطي ولي الأمر كل السلطات، وأي سلوك لا يرضى به ولي الأمر فهو خارج عن النمط الإسلامي، وغير جائز، مثل الدعاء العام في المساجد، وتقنين بعض الأمور التي كانت محرمة مادام ولي الأمر قد رضي بها فهي جائزة، وتلك مفاهيم خطيرة جداً، وإشكالية كبرى تعيشها الدول الإسلامية، ويطبّلُ لها البعض؛ حتى من العلماء أنفسهم، لهذا لابد من فض الاشتباك الناتج، ومحاولة التعرف على وجهة النظر الصحيحة، وتدعيمها بالأدلة، ونشرها على عموم الناس وطلبة العلم، لأن هذه القضية قد تفرز نوعاً من الاستبداد بالرأي، وتجرد العلماء من مناصحة السلطان، وهو أمر في غاية الخطورة إذا ترك هكذا!

2-إشكالية العلاقة بين المسلم والكافر: يظن البعض أن بيننا وبين الغرب معاهدات واتفاقيات لا يجوز نقضها مادام ولاة الأمور قاموا بها، فما هي حدود هذه القضية؟ وما هي العلاقة الصحيحة؟ وما هي حدود الائتلاف والاختلاف بيننا وبينهم؟ أين يتحقق الولاء والبراء عندما تكون المسألة متعلقة بعدوان ظالم على أي بلد مسلم؛ خاصة في مثل هذه الظروف التي نعيشها اليوم، والتي خلقت نوعاً من الحب والولاء لهذا الكافر، بذرائع التحرير والتخلص من الديكتاتورية!، وهكذا كثير من الأمور الشائكةالتي هي بحاجة إلى تحرير من أصحاب العلم والمعرفة؛ دون تناسي الجانب السياسي فيها.

3-ما العمل ؟ فكثير من الناس تستولي عليهم حالات من اليأس والقنوط فيتراكضون إلى المنامات والرؤى، ومن قبل كانوا يتراكضون إلى القبور والأضرحة والمقامات،

فما هو السبيل للخروج من هذه الأزمة الخانقة، التي باتت تشل تفكير الكثيرين؛ حتى من أصحاب العلم وطلبته؟ ثم ما موقفنا مما يدور الآن؟ ماذا أعددنا لهذه المرحلة؟ ما هي مخططاتنا للوقوف أمام الهجمة الشرسة القادمة على الإسلام والمسلمين؟ إنها حياة أمة أو موتها!

هذه بعض الإشكاليات التي تشكل، أو نخشى إن استمرت أن تشكل التفكير العام وتدخل ضمن ما يسمى بالتفكير العام للأمة، والدور منوط بالقيادات الإسلامية أن تعي حجم وخطورة المخطط الصليبي، الذي ينوي افتراسها وعلى أيدي أبنائها الذين سيشكلون رأس الحربة في طعن الأمة من قبل الدوائر الاستعمارية والصليبية، فهل سيعي هؤلاء ضخامة المهمة المناطة بهم؟!

============

#ما بعد العراق 3/1

سلمان بن فهد العودة 1424/2/10

2003/04/12

قوات غازية تجتاح عدة ولايات أمريكية –بما فيها واشنطن– وتقتحم البيت الأبيض، واختفاء الرئيس الأمريكي ونوابه ومساعديه وسط حالة من الفزع والذهول !.

الثوار الغاضبون المحتجون على السياسة الأمريكية يحتلون الشوارع، ويهتفون ضد الإدارة، ويتهمونها بممارسة جرائم حرب وإبادة، وبتضليل الشعب، وبانتهاك وخرق القوانين ومصادرة الحقوق.

مجموعة من السجناء تقتحم السجن، وتنضم إلى الثوار .

مدمنو مخدرات يرفعون لافتات تقول:"كفى ترويعاً للشعب كفى ترويعاً للآمنين" .

محتجون يدمرون تمثال الحرية، ويضعون عليه خرقة مكتوب عليها : انتهى وقت الخداع، اكشفوا الأقنعة عن وجوهكم البشعة يا تجار النفط، الشعب يرفضكم ولن يختاركم بعد اليوم .

أيدٍ خفية تحرص على الفوضى والدمار؛ نكاية بالإدارة وإظهاراً للشماتة بها .

خمسون ألفاً من اللصوص في سان فرانسيسكو يتجولون في الشوارع .

هل أنت في حلم لذيذ ؟!

هذا الحلم اللذيذ المنبعث من عمق الخيال هو انعكاس لما يجري في عاصمة الرشيد اليوم، ولعله صورة من صور المستقبل.

لقد هجم عليّ البارحة موجة عارمة من الحزن والكآبة، لا أظن أحداً من المسلمين بقي بمعزل عنها وهو يرى ويسمع سقوط مدينة الخلافة بأيدي علوج الروم.

يا دجلة الخير ما يُغليك من حنق ... ...
يغلي فؤادي وما يشجيك يشجيني
ما إن تناهت سياط البغي ناصعة ... ...
في مائك الطهر بين الحين والحين
ووالغات خيول البغي مصبحة ... ...
على القرى آمنات و الدهاقين
أدري بأنك في حزن وفي لغب ... ...
والناس حولك عدوا بالملايين
يرون سود الرزايا في حقيقتها ... ...
ويفزعون إلى حدس وتخمين !

الوداع يا بغداد، يا بلد المنصور والرشيد والنعمان وأحمد والكرخي والجنيد وإسحاق ومطيع وحماد، يا منزل القادة والخلفاء والمحدثين والفقهاء والزهاد والأتقياء والشعراء والظرفاء، يا مثابة العلم والتقى، وموئل المجد والغنى، يا دنيا فيها من كل شيء شيء .

الوداع يا دار السلام، ويا موئل العربية، ويا قبة الإسلام، ويا منارة التاريخ، ويا منبر الحضارة.

منذ أوائل الألف الخامس (قبل الميلاد) تاريخ موغل في القِدم، شهد سهل الرافدين قفزة مهمة في التاريخ، بالانتقال من القرى الزراعية إلى حياة المدن، ومر على هذا السهل زمن كانت فيه شبكات القنوات معجزة من معجزات الري في العالم .

مرت عليه قرون وأجيال وأمم لا يحصيها إلا الله تبارك وتعالى، السامريون وهم من أقدم بناة الحضارة في التاريخ كله، ومن العراق انطلقت أكبر إمبراطورية معروفة في التاريخ، ثم جاء البابليون والآشوريون والكلدانيون، وكان الفتح الإسلامي درة العقد في

هذا البلد الطيب، فحفظ للإسلام وده ووفاءه وبقاءه، وظلت العراق عاصمة للخلافة مئات السنين.

بنيت بغداد في عصر أبي جعفر المنصور؛ لتكون عاصمة الخلافة، وبلغت أوجها في عهد الرشيد، ولذلك كانت تسمى (عاصمة الرشيد)، كما تسمى دار السلام والمدورة والزوراء وبغداد.

التاريخ يعيد نفسه، ففي عام 656هـ انطفأت تلك الشعلة الوهاجة، وذلك عندما أقبل التتار -بقيادة هولاكو حفيد جنكيز خان- واستباحوا بغداد، واصطبغت دجلة بلون الدم؛ لكثرة ما ألقي فيها من الجثث، كما اصطبغت بلون الحبر؛ لكثرة ما ألقي فيها من الكتب، فكانت نهاية لمجد وحضارة، واشتعلت الحرائق حتى اعتكر دخانها غيماً أسود عظيماً في سماء بغداد، واغتيلت حضارة من أغنى الحضارات الإنسانية، إنها حضارة الإسلام.

توجيهات قرآنية

أولاً : يقول الله عز وجل: "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ"[الأعراف:34] قد يكون هذا الأجل الذي ضربه الله للأمم -كما يضرب للأفراد آجالاً- انقراضاً وزوالا بالكلية، وقد يكون انتكاساً وضعفاً وتراجعاً يحيط بأمة من الأمم أو شعب من الشعوب، والله تعالى- كما يقول نبيه عليه الصلاة والسلام-: (وكل شيء عنده بأجل مسمى) رواه مسلم، فللأمم آجال كما للأفراد، ولها نهوض وهبوط، ولها شباب وهرم، ولكن هذه الأمة المحمدية تتميز عن الأمم الأخرى بأن أجلها لا ينتهي إلا بقيام الساعة، فإنها أمة تمرض، ولكنها لا تموت.

ثانياً: "إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ "[آل عمران:140-141] أيام الدنيا دول لا يدوم فيها حزن ولا سرور، ولا ذل ولا عز، ولا غنى ولا فقر، وإنما الدهر بالإنسان دوار، كما يقول بعض الشعراء من أبناء الخلفاء:

ملكنا أقاليم البلاد فأذعنت ... ...

لنا رغبة أو رهبة عظماؤها

فلما انتهت أيامنا علقت بنا ... ...

شدائد أيام قليل رخاؤها

وكان إلينا في السرور ابتسامها ... ...

فصار علينا في الهموم بكاؤها

وصرنا نلاقي النائبات بأوجه ... ...

رقاق الحواشي كاد يقطر ماؤها

إذا ما هممنا أن نبوح بما جنت ... ...

علينا الليالي لم يدعنا حياؤها

يقول الأمريكيون: إن هذه نهاية التاريخ، كما سطر (فوكوياما) في كتابه المشهور، ونظريته الذائعة. ولعلنا نقول : بل هو تاريخ النهاية، والله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله عن الظالمين المجرمين : "أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ"[إبراهيم:44] كنت أقرأ هذه الآية، ثم أتعجب وأقول: سبحان الله منزل القرآن، كل البشر يعرفون أن لهم نهاية، وأن لهم أجلاً يموتون فيه، فمن هؤلاء الذين أقسموا ما لهم من زوال؟! ثم رأينا بأعيننا هؤلاء القوم الذين غرتهم قوتهم وغطرستهم وغرهم من ربهم الغرور، فصاروا يتكلمون بأن حضارتهم هي نهاية التاريخ، وأن بقاءهم سوف يكون أبدياً سرمدياً، فأقسموا ما لهم من زوال، وسكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم.

هذه الوثبة العالية للقوة الأمريكية هي من المداولة المذكورة في كتاب الله عز وجل "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ" وهي نتيجة للاستفادة من السنن الربانية، فهؤلاء تذرعوا بالسنن، فاكتشفوا واخترعوا وتعلموا وجربوا واتحدوا وتعاونوا، حتى وصلوا إلى هذا المستوى من القوة الاقتصادية والتقنية والعسكرية التي بها استطاعوا أن يستفردوا هذه الفترة بحكم العالم تقريباً، فصار العالم أحادي القطب تديره أمريكا وفق مزاجها ونظرها.

إن انتصارهم ليس انتصاراً عسكرياً فحسب، وعندما نرى ذلك الجندي المتغطرس يظهر قوته، ويرفع علَمه على أرضنا، نشعر بالغيظ والمقت، لكننا ندري أن هذا

النصر الذي يقتطفه الآن إنما هو نتاج مجموعة من التفوقات التي حصلت عليها إدارته في غيبة وغفلة من الأطراف الأخرى.

فهم استفادوا من هذه السنن الربانية، حتى وصولوا إلى ما وصلوا إليه، فانتصارهم ليس انتصاراً عسكرياً فحسب، بل هو انتصار حياتي علمي تقني اقتصادي إداري سياسي وهو جزء من سنة الابتلاء التي تقابل بالصبر وتقابل بالمدافعة، ولهذا فإن في قول الله عز وجل: " وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ"[البقرة:251] دليلاً على ذلك،ودليلاً على أن ما يصنعه الله في أرضه وعباده من القضاء والقدر لا يمكن أن يكون شراً محضاً ولابد أن يكون فيه جوانب من الخير والحكمة، وإن كانت هذه الجوانب قد تخفى على بعض العباد خصوصاً في وقت الأزمات، حينما يستحر الحزن والقلق والكآبة والتوتر في قلوب الناس، ولكن المؤمن يظل راضياً، مدركاً أن وراء الأمر –من حكمة الله تعالى وحسن تدبيره– ما يحمد الناس له العواقب.

رابعاً: "أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[آل عمران:165] نريد أن نلوم أمريكا، وكم يسرنا ونطرب حين نسمع من المحللين والكتبة والإعلاميين والخطباء وغيرهم من يتكلم في هذه الدولة الظالمة، وأعتقد أن كل ما يقال عنها هو جزء قليل مما تستحق، ولكن علينا ألا نغفل أن هذه الإدارة المتغطرسة الظالمة التي لا يمكن أن يخفى قبحها، لم تكن لتبلغ فينا ما بلغت لولا أننا أوتينا من قبل أنفسنا، وهاهو ربنا سبحانه وتعالى يقول للمبشرين بالجنة : " قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" فينبغي علينا أن نقول هذا لأنفسنا الآن والجراح ساخنة والدماء نازفة والآلام حية، هو من عند أنفسنا، علينا أن نعتبر هذه فرصة لنصحح فيها أوضاعنا، ونصلح فيها أحوالنا، ونستدرك ونعود إلى الله سبحانه وتعالى بتوبة صادقة على مستوى الفرد والجماعة والأسرة والمجتمع والدولة والأم

ثالثاً : ما بعد الحرب

لقد ذهبت الحرب بالكثير الكثير، لقد ذهبت بالشعارات الجوفاء التي طالما تحدث عنها هؤلاء الناس، والتي تتكلم عن الحريات وعن القوانين الدولية وعن حقوق

الإنسان وعن العدالة والقيم الأخلاقية، فإذا بهذه الحرب تكشف عن الوجه الأسود الذي لا يمكن أن يستر أو يخفى !

أين الشعارات أين المالئون بها الد ... ...
دنيا ؟ لكم زوروا التاريخ والكتبا
فلا خيول بني حمدان راكضة ... ...
زهواً ولا المتنبي مالئ حلبا
وقبر خالد في حمص تلامسه ... ...
فيرجف القبر من زواره غضبا
يا ابن الوليد ألا سيف تؤجره ... ...
فإن أسيافنا قد أصبحت خشبا

لقد انكشف الزور وبانت هذه الشعارات التي طالما ضللت كثيراً من شباب الأمة والعالم، فظنوا أن هذه الحضارة استثناء، وأنها لون ونمط من الحرية للبشر كلهم، وأنها تجردت عن كل المعاني الرديئة، فإذا بها تبين في أكلح وأقبح صورها :

عدوان على الآمنين .

استهداف للأبرياء .

تحدٍ للقوانين .

محاولة لمصادرة الحقيقة والقضاء عليها .

ولهذا انكشف أن الحرية الإعلامية المدعاة أو الحرية السياسية ليست إلا نوعاً من التسلط، وربما تكون أحياناً بقفازات ناعمة، ومظاهر جميلة، وعبارات معسولة تخفي وراءها ما تخفي.

الكل يعاني نوعاً من التسلط ، ربما في كثير من دول العالم الإسلامي تواجه الشعوب نوعاً من التسلط الواضح المكشوف، سواءً من تسلط الإعلام أو مصادرة الرأي والحرية ، لكن شعب الولايات المتحدة الأمريكية ربما يعاني نوعاً آخر من التسلط؛ بمحاولة غسيل عقول الناس وحجب الحقيقة عنهم والتأثير على إرادتهم بحيث يتقبلون هذه الأشياء بقناعة، فأنت تعمل ما تريد ما دمت تعمل ما نريد.

ذهبت هذه الحرب بالقوانين الدولية والمنظمات التي كان الحديث يتم حولها، وتبين أن ما يتحدثون عنه من استقلال الدول ما هو إلا هراء، فهذه دول مستقلة يتم العدوان عليها وغزوها لأغراض مختلفة، ويعتبر الذين يدافعون أو يقاومون خارجين عن القانون الدولي مخالفين للأنظمة، يتم اعتقالهم وأسرهم وقتلهم ومحاكمتهم وضربهم وتعذيبهم.

وقوانين الحرب التي تقتضي عدم العدوان على الأبرياء وعلى المؤسسات الإعلامية ذهبت في دوامة هذه الحرب العمياء الظالمة.

أدعياء الحرية في الولايات المتحدة الأمريكية يهاجمون الإسلام ونبيه –عليه الصلاة والسلام– ويتهمونه بالدموية والعنف والإرهاب، بينما نحن نتحدى أن يكون عدد القتلى في حياة النبي –صلى الله عليه وسلم– من المسلمين وغيرهم، يقاوم عدد القتلى في اليوم الواحد في هذه الحرب الظالمة، فضلاً عن ما قبلها من الحروب وما قد يكون بعدها.

ذهبت هذه الحرب بالحياد والاستقلال السياسي والثقافي والعسكري ، فالولايات المتحدة الأمريكية تحاول أن تفرض نفسها كسلطة عالمية بلا منازع ولا مقاوم ، ومن حقها الإجهاز على كل محاولات الاستقلال والتميز وتحصيل القوة .

ذهبت هذه الحرب بالنظام العربي الذي تبين من خلاله أنه نظام مكشوف عاجز غير قادر على المقاومة ولا الاستقلال بالقرار.

ذهبت هذه الحرب ربما بالإدارة الأمريكية التي انغمست في رمال متحركة لا تعرف إلى أين تودي بها ؟

ولعل الانتخابات القادمة تصدق هذا الظن أو تكذبه ، خصوصاً إذا لم تفتعل الإدارة مواجهة جديدة وتشغل الشارع بها!.

فهل جاءت هذه الحرب لهم بشيء ؟ نعم جاءت بمناطق نفوذ، ونفط وقوة كبيرة وهيبة في أماكن شتى من العالم، ففيما يتعلق بالنفط مثلاً فإن الشركات الأمريكية سوف تظفر بحصة الأسد بعلاقتها مع أي إدارة عراقية، وبدورها الأساس في الحرب، وسيكون لذلك فائدة إضافية وهي تدمير ما يسمى بمنظمة (أوبك)، أو تحجيمها عن أن تقوم بأي موقف فيه إضرار بالمصالح الأمريكية ، يقول المستشار الاقتصادي

للرئيس الأمريكي : إن نجاح الحملة العسكرية على العراق سوف يصب في صالح الأعمال والشركات الأمريكية .

إن معنى تغيير النظام في العراق هو ضخ ما بين ثلاثة إلى خمسة ملايين برميل نفط يومياً بشكل إضافي إلى سوق النفط ، وربما بعد خمس سنوات يضخ عشرة ملايين برميل يومياً من النفط العراقي إلى أسواق العالم ، وسوف تكون حصة الأسد من ذلك للشركات الأجنبية.

ماذا ستفعل الحرب بوحدة العراق ؟

قد يتخوف الكثيرون أن تتحول العراق إلى دول، فدولة للأكراد ودولة للشيعة ودولة للسنة، وهذا لا يبعد أن يكون، ولو لم يكن بالاحتمال القوي ، إن العراق كدولة موحدة لا يتعلق وجوده بالرئيس ولا بالحزب الحاكم ، فالرئيس العراقي ليس هو(تيتو يوغسلافيا) الذي جمع رقعا متفرقة حتى تثور المخاوف من بعده حول وجود العراق من عدمها ، وحيال عدد من الحالات السابقة لم تظهر نزعات انفصالية جدية إلا عند الأكراد، الذين يشكلون حوالي 15 إلى 20% من الشعب العراقي ، ومع ذلك فإن الأكراد يفضلون نوعاً من العلاقة مع حكومة مركزية، نعم قد تعم الفوضى في المرحلة الانتقالية – كما يسمونها – خصوصاً مع مصالح الدول المجاورة التي لكل واحدة منها أجنده خاصة فيما يتعلق بالعراق أو بالجزء المتاخم لها، ويتضح هذا جلياً في إيران وتركيا وغيرها.

هل ستأتي الحرب بالديمقراطية ؟

تستطيع أمريكا أن تلون غزوها كما تشاء ، لكن هذا التلوين لا يعدو أن يكون ورقة التوت ليس أكثر، فالديمقراطية المزعومة هي ضرب من الخيال، ليس لأن العراقيين ألفوا الاستبداد مثلاً فهم غير قادرين على تجاوز هذا ، لكن لما قد يحدث من الفوضى أولاً ، وهذا متوقع ، بل نحن نراه اليوم في بغداد والبصرة والموصل وتكريت وفي غيرها من مدن العراق ؛ ولأن أمريكا جاءت لتبقى، وليس المهم عندها شكل الحكام، أو نوع الحكم، بقدر ما المهم هو ضمان ولاء المقيمين في بغداد لها ولمصالحها.

العراقيون وإن كانوا غير متعاطفين مع النظام السابق، إلا أنهم يكنون كرهاً أكبر لأمريكا، خصوصاً منذ أن فرضت عليهم الحصار على مدى أكثر من ثلاث عشرة سنة، وقتلت من أطفالهم ما يزيد عن مليوني طفل، بسبب الأمراض التي لا تجد لها شفاء .

إضافة إلى شعورهم الوطني المعروف ، فهم من أول من ثار على الاستعمار البريطاني .

تفيد التقارير الأمريكية أنه سوف يكون على أمريكا نشر ما يزيد على أكثر من خمسة وسبعين ألف جندي؛ للحفاظ على الاستقرار في العراق على مدى سنة كاملة على أقل تقدير، إضافة إلى الحاجة الماسة إلى وجود خمسة آلاف جندي على مدى خمس سنوات في العراق ، دعك من اتفاقيات الدفاع المشترك أو الحماية !.

إذاً الديمقراطية نموذج هش يمكن أن يوجد منها في العراق ما هو مفصل على وفق المصالح الأمريكية، مما يحقق للناس بعض الحرية الشخصية، وما يحقق لهم المتعة العابرة وقدراً من المشاركة يضمن استقرار البلد ليس أكثر .

الأهداف المعلنة للحملة الأمريكية على العراق كانت تدمير الأسلحة والذخائر الكيماوية والبيولوجية وإسقاط نظام البعث القائم الذي يرونه تهديداً لإسرائيل ولمصالحهم الحيوية ، وبالتالي قد يطرحون ما يسمى بالتحول الديمقراطي في العراق على النمط الغربي العلماني كمثل يحتذى لدول الجوار وفي تقديري فإن أهم أهداف استراتيجية الأمن القومي الأمريكي في المدى القريب والمتوسط ما بين 15 إلى 20 سنة هو إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط السياسية الغني بثرواته والذي ينفرد بأفضل وأخطر مركز بين الأقاليم في العالم والذي تمثل بعض دوله في نظر واشنطن بيئة مناسبة لنمو التطرف الديني والإرهاب.

والهدف الثاني هو تغيير نظم الحكم في عدد من الدول العربية المحورية لإقامة حكومات حليفة للغرب، وفي نفس الوقت تتمتع بنوع من القوة والنفوذ وقدر مناسب من التأييد الشعبي بما يتيح لهم في بضع سنوات مقبلة محاولة تجاوز الأشكال الديمقراطية بدرجة أو بأخرى، ومع ذلك فإن الولايات المتحدة تعتزم الانفراد بحكم عسكري أو مدني مباشر في العراق لفترة معينة بما يحمي المصالح الحيوية والأمنية

للولايات المتحدة في المنطقة العربية بأسرها وبما يحقق اتخاذ العراق قاعدة انطلاق لعمليات عسكرية مرجحة في المستقبل المنظور ضد سوريا أو إيران أو الدول المجاورة بما يخدم أمن إسرائيل، والتخطيط الأمريكي لمزيد من السيطرة على الثروات الطبيعية في الخليج وفي بحر قزوين وفي أسيا الوسطى.

إضافة إلى تعزيز الوجود العسكري الأمريكي في أراضي العراق وفي بحارها وأجواءها وحرمان القوى الكبرى المنافسة من بناء وتنمية مصالحها في الشرق الأوسط.

إن الإدارة الأمريكية ترى أنه يمكن الوصول إلى السعودية أو مصر أو سوريا أو لبنان أو إيران عبر العراق بسهولة أكثر وكلفة أقل ويبدوا أن هذا من الأهداف الأساسية للحرب، فالهجوم على العراق واحتلاله يجعله مركزاً لتخويف إيران وسوريا ويمكن من خلاله التحرك باتجاه السعودية ودول الخليج لإحداث تغييرات تتوافق مع السياسة الأمريكية كما أنه يمكن من خلاله التحرك باتجاه سوريا ولبنان للسيطرة على كل فلسطين والقيام بعملية تهجير واسعة ضد الفلسطينيين وخصوصاً أن قادة اليهود باتوا مقتنعين أن تغييرات جذرية قد حصلت بعد انتفاضة الأقصى وأدت إلى إسقاط اتفاقية أوسلو ومن ثم فإنهم يعتقدون أن الظروف بعد الحادي عشر من سبتمبر قد تغيرت وأن اتفاقية أوسلو وملحقاتها لم تعد مقبولة.

وبطلب من الإدارة الأمريكية أعد الدكتور ماكس زنجر المختص في تحليل السياسات – وهو مؤسس معهد هدسون للدراسات الاستراتيجية– وثيقة رسم فيها وجهات محتملة للعالم خلال العقدين المقبلين وأهمها هو:

أولاً : أن الولايات المتحدة الأمريكية سوف تقوم بهجمات عدة ضد دول، وربما يؤدي ذلك إلى سقوط حكومات إسلامية، وستمتلك مصر وإيران والسعودية أسلحة نووية وأن دولاً أخرى ستمتلك أسلحة بيولوجية تستخدمها في النزاعات فيما بينها وأن إسرائيل ستظل موجودة إلى ما بعد عشرات السنين إلا أنها سوف تواجه خطراً كبيراً على وجودها وقد تتعرض للإبادة بواسطة سلاح إسلامي غير تقليدي يتوافر بكثرة في الشرق الأوسط.

ثانياً: كما تحدث التقرير بتفصيل عن هذا السيناريو وقسم الدول الإسلامية إلى حكمين، الدول المؤيدة لما سماه بالإسلام الكفاحي أو الإسلام المقاوم والدول

المعارضة له، أما الإسلام الكفاحي الجهادي المقاوم فسوف يسيطر على الدول العربية والجاليات الإسلامية في أوروبا وأفريقيا، وأما تركيا فإنها سوف ترفض هذا اللون من الإسلام.

تتضمن الوثيقة خطة لمكافحة الإسلام يقسمها لعشر مراحل منها حل الصراع العربي الصهيوني، وذلك بحل مشكلة اللاجئين من خلال إعادة توطينهم، أما أين ؟ فالله أعلم، وحضر استخدام الإرهاب، وهنا نطرح سؤالاً: ما هو الإرهاب ؟ وسيكون الجواب عندهم وحسب مقاسهم.

ومن ضمن المراحل دولة فلسطينية ملتزمة بأمن إسرائيل ضمن خارطة الطريق أو غيرها، ويفترض أنه من الممكن العمل على إخضاع الفلسطينيين حتى يخنعوا للحل الذي تريده إسرائيل، ومن هنا فإن المنطقة متجهة إلى مرحلة شديدة السواد وفق هذه السيناريوهات التي ترسمها الإدارة الأمريكية، وتحاول فرضها ليس على العالم الإسلامي فحسب بل على العالم كله ، لكن تبقى إرادة الممانعة والرفض والإصرار على التغيير وفرض الوجود تبقى قادرة على إفشال هذه المخططات وعلى البقاء على ساحة الحياة "إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا *وَأَكِيدُ كَيْدًا *فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا"[الطارق:15-17].

هناك تقرير استراتيجي أمريكي كل بضع سنوات ، وهذا هو التقرير الأخير الذي صدر بعد أحداث أيلول بسنة تقريباً بعنوان استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية وخرج في 20 أيلول سبتمبر 2002 وهو يرسم السياسة الأمريكية ومفاصلها الرئيسة .

أولاً: السياسية الأمريكية بشكل عام تستهدف تحقيق الحلم الأمريكي بإقامة دولة لها الريادة في المجتمع العالمي وفي نفس الوقت يتمتع أفرادها بمستوى عالٍ من الأمن والمعيشة ولذلك يقول ريجان أحد الرؤساء الأمريكيين في تجديد انتخابه: أيها الأمريكيون تعالوا لنقيم الجنة على هذه الأرض.

فهذا الحلم الذي يسعون إليه رفاهية في الداخل وأمن قومي مستتب إضافة إلى السيطرة على العالم، وقد تطورت الأسس التي قامت عليها عبر الأوضاع المحلية والمتغيرات الدولية ففي البداية كانت استراتيجيتهم تقوم على العزلة التي عبر عنها

الرئيس مونرو حينما رسم خريطة الولايات المتحدة الأمريكية ووضع حولها أسلاكاً شائكة ووضع أمامها شعاراً يقول:نحن نرحب بالزائر إذا لم يكن معه بندقية.

معنى ذلك أنهم منعزلون على أنفسهم، ولكنهم يرحبون بالزائر ومن هنا كانت أمريكا مكاناً لاستقبال المهاجرين من أنحاء العالم.

المرحلة الثانية هي المشاركة في صياغة النظام الدولي منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وملء الفراغ الذي نجم عن تراجع الدور الأوروبي في العالم الإسلامي وغيره.

ثم جاءت المرحلة الثالثة وهي الحرب الباردة واستراتيجية الأحلاف العسكرية حتى سقوط الاتحاد السوفيتي.

ونستطيع أن نقول إن المرحلة الرابعة التي نعيشها هي هذه المرحلة التي يتكلم عنها هذا التقرير الذي أعدته لجان عمل وأوصلته إلى البيت الأبيض ووزع في 23 صفحة .

ويؤكد هذا التقرير أن الرؤية الجديدة للإدارة الأمريكية لا تقوم على رد الاعتداء وإنما تأخذ زمام المبادرة بالهجوم على أي طرف يحتمل أن يكون عدواً في المستقبل، حتى ولو من دون دليل أو من دون أسباب تؤكد نية الاعتداء، وهذا ما يسميه التقرير بالضربات الاستباقية إذاً هم يقولون: إنه لا ينبغي لنا أن ننتظر حتى تأتي الضربة أو العدوان وإنما أقرب وسيلة للدفاع هي الهجوم فعلينا أن نقوم بضربات استراتيجية ذات أسبقية لكسب الموقف، ولعل مما يؤكد مصداقية هذا التقرير بدايتهم من العراق.

وهم يقولون في التقرير نفسه إننا نسعى إلى أعمالنا ومشاريعنا ضمن إطار عالمي من التحالف، ولكننا مستعدون أن نمضي قدماً بمفردنا إذا كانت المصلحة تقتضي ذلك، وهكذا فعلوا هنا فهم قد تجاوزوا المنظمات الدولية وتجاوزوا حلفاء الأمس الذين اجتمعوا معهم فيما يسمى الحرب على الإرهاب وانطلقوا بمفردهم مع حلفائهم البريطانيين في حرب منعزلة استباقية.

إذاً تقوم أمريكا على أساس نظرة استراتيجية تمارس ضربات استباقية لكل ما يمكن أن يشكل خطراً مستقبلياً، وبناء على ذلك فهم سوف يقومون بحرمان كل دول العالم التي تنضوي ضمن سياستهم وأهدافهم من الحق في التقدم والتصنيع والتسليح؛ لأنهم

ربما يشكلون خطراً عليهم، وهذه يسمونها عادة بـ "الدول المارقة " كما يتحدثون عن كوريا الشمالية أو عن سوريا أو عن إيران أو غيرها.

تقدم أمريكا نفسها على أنها شرطي العالم تراقب وتحاسب وتكافئ وتعاقب وتمنع من الحصول على التقنية، وتنشر ثقافتها ورؤيتها الخاصة المتعلقة بالحرية أو الحرب والسلام أو الحقوق والتعليم أو الإرهاب أو تمويل الجمعيات الخيرية وغيرها وتفرضها على الحكومات والشعوب.

يقول هذا التقرير في هذه الاستراتيجية : سنحول المحنة إلى فرصة سانحة .

يعني أنهم سيحولون الأزمة التي مرت بهم بعد 11 سبتمبر إلى فرصة ليقوموا باستدراك كثير من الخلل والنقص والعيب الذي يعتري سياستهم، و من لا ينطوي تحت لوائهم فهو مارق أو خارج عن القانون إذ هم الذين يكتبون القانون وهم الذين ينفذونه!

(فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) .

ودعوى القوي كدعوى السباع ... ...

من الناب والظفر برهانها

يتحدث التقرير بشكل متعاظم عن أهمية الشكل الاقتصادي وكأنه يقول : إن العالم عبارة عن شركة اقتصادية وإن الولايات المتحدة الأمريكية هي رئيس هذه الشركة، فالاتحاد السوفيتي مع أنه كان دولة تملك قوة عسكرية ضاربة إلا أن الذي هزمه هو الاقتصاد، ولذلك تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن تكوّن ضمن تحالفات دولية قوة اقتصادية وشراكات اقتصادية تضمن لها تفوقاً دائماً، ثم يخلص التقرير إلى أهمية وجود قوات أمريكية في مناطق مختلفة من العالم ومنها منطقة الخليج لحماية حلفائها وأصدقائها من أي خطر محتمل.

إن آلية العلاقة بين العالم الإسلامي والولايات المتحدة قد اختلفت اليوم اختلافاً كبيراً في ظل هذا التحول الاستراتيجي الجديد، وهذا يفرض على دول العالم الإسلامي جميعاً وهي طرفٌ أساس في هذه العلاقة أن يراجع مفاهيمه، وهو بين خيارين لا ثالث لهما:

إما أن يرسم لنفسه رؤية خاصة صادقة تقوم على قيمه ومبادئه أولاً، وتقوم على مصالحه ثانياً، وتتكيف مع هذا الواقع المتغير.

فإن لم يفعل فسيظل مكتفياً بالمراقبة والانتظار، ومن الواجب على أي دولة من دول العالم أن يكون لها رؤيتها الخاصة المعبرة عن تطلعاتها ورغبات شعوبها وعن قيمها ومبادئها ومصالحها وحاضرها ومستقبلها.

ففيما يخص العالم الإسلامي هناك حماية إسرائيل والتأكيد على تفوقها وعلى التحالف الاستراتيجي الأمريكي معها، إن أمريكا ملتزمة بالتحالف مع إسرائيل وملتزمة أيضاً بضمان التفوق العسكري وغير العسكري لهذه الدولة المسخ، ليس فقط في مواجهة دولة إسلامية، بل في مواجهة العالم الإسلامي كله مجتمعاً.

والتقرير المشار إليه يوجه لهجةً رادعةً صارمةً إلى الدول الإسلامية التي تعارض السياسة الأمريكية بشكل جزء أو كلي كإيران وسوريا والسعودية وغيرها ويتهم هذه الدول بدعمها للإرهاب، وأن هذا الدعم إذا لم يتراجع سوف يعرضها لضربات موجعة.

إن دعم الشعب الفلسطيني يعتبر دعماً للإرهاب ، ودعم الجمعيات الخيرية هو دعم للإرهاب، بل لست أبالغ إذا قلت إن إقامة المدارس والمؤسسات والمساجد والأربطة وجوانب النشاط الإنساني والخيري هو دعم للإرهاب، والدوائر الأمريكية تقوم بمتابعته ومراقبته ومحاسبة القائمين عليه حساباً دقيقاً.

يتحدث التقرير عن محاربة الإرهاب دون أن يحدد المقصود بالإرهاب! إنهم يمارسون نوعاً سيئاً من الإرهاب البشري البشع بآلياتهم العسكرية الضخمة في حق المدنيين وغير المدنيين في العراق وفي أفغانستان وفي فلسطين، لكن كل هذا له غطاء مزور من الدفاع عن النفس والمحافظة على الحياة وعلى الحقوق وعلى الحريات، أما ما يقوم به المسلمون فهو الإرهاب بعينه.

لقد قبضوا على يهودي في الولايات المتحدة الأمريكية يسعى لتفجير مؤسسات ومراكز إسلامية فلم يقيدوا هذه الجريمة على أنها نوع من الإرهاب ولكن اعتبروها نوعاً من الاعتداء على الممتلكات الخاصة فهم إذاً يتحكمون في مصطلح الإرهاب ويضعونه على من يشاءون ويرفعونه عمن يشاءون.

النقطة الأخيرة هي التدخل في الشئون الداخلية للدول وهذا أمر واضح فربما لفترة قادمة الله أعلم بأمدها ستواجه كثير من الدول الإسلامية ألواناً من التدخل المؤذي في شئونها الخاصة، في إعلامها، في مناهج تعليمها، في المناهج الدينية والكليات الشرعية، في قضايا المرأة، في قضايا الأقليات كما يسمونها، في الحريات الدينية إلى غير ذلك من العبارات التي كثيراً ما تتردد في التقارير التي تصدر سواء عن وزارة الخارجية أو عن منظمات الحقوق أو عن وزارة الدفاع وغيرها.

و لا شك أن الدول الإسلامية كلما أبدت نوعاً من طأطأة الرأس والاستسلام والقبول أغرتهم بمزيد من التدخل، وكلما استطاعت أن تراهن على شعوبها وتوحد صفها وتقاوم وتفرض سيادتها فإنهم يعيدون حساباتهم ويؤخرون مخططاتهم .

هناك ما يسمى بمبادرة الشراكة الأمريكية الشرق أوسطية والتي أعلنتها وزارة الخارجية الأمريكية قبل بضعة أشهر ورصدت لها 29 مليون دولار ربما هذه فقط نفقات الدعاية للمشروع، وأما المشروع نفسه فلا شك أنه سوف يستغرق مبالغ ضخمة ، لكن السؤال من سيدفع فاتورة هذه المبالغ ؟

الهدف الأساسي لما يسمى بالشراكة الأمريكية الشرق أوسطية هو إلحاق النظم العربية كلها بالمنظومة الأمريكية بواسطة إدارة مفروضة بقوة السلاح وقوة التهديد وقاعدتهم تقول: تكلم بلطف واحمل عصا غليظة، وذلك في ظل اختلال واضح للقوى بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل بين العالم الإسلامي ودولة إسرائيل بمفردها.

إن الإدارة الأمريكية بتوجهها الصهيوني المسيحي المتطرف مصرة على التدخل في خصوصيات المسلمين وعلى ممارسة لون من التغيير في داخل المجتمع الإسلامي على المستوى الثقافي والعلمي والتعليمي والسياسي وغيره.

وهاهنا السؤال: هل يمكن بروز محور عالمي جديد يواجه هذه القوة المستفردة المتغطرسة؟

هذا السؤال يطرحه الكثيرون ، وفي تقديري أن هذا هو المتفق مع السنن الإلهية فإن الله سبحانه وتعالى يقول: "وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ"[البقرة:251] فسنة المدافعة قائمة في الغالب والآن هناك استفراد أمريكي، وإن كنا ندرك أن ثمة قوى لا توافق الإدارة الأمريكية على

منطلقاتها، لكنها لم تصل بعد إلى أن تبلور نفسها وموقفها بحيث تستطيع أن تواجهه أمريكا وعدوانها.

لماذا لم يبرز حتى الآن محور جديد سواء في أوروبا أو في الصين أو في آسيا أو في غيرها ؟

كثير من هذه الدول قد تطرح هذا المحور المشاكس؛ لأجل الضغط على الولايات المتحدة الأمريكية فحسب، لكن ليس بشكل جدي وعملي لعدة أسباب أولاً: الشراكة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية؛ فإن معظم دول العالم بما فيها الصين وأوروبا مرتبطة مع الولايات المتحدة الأمريكية بشراكة استراتيجية اقتصادية وسياسية يصعب عليها التخلي عنها.

ثانياً: التفوق الأمريكي الساحق في مجال القوة العسكرية، فيكفي أن تعرف مثلاً أن ميزانية الدفاع الأمريكية عام 2001/ 2002م لسنة واحدة تعادل 370 مليار دولار بما يعادل الميزانية العسكرية للدول الست الكبرى مجتمعة.

هذا التفوق الهائل في مجال القوة العسكرية، فضلاً عن تفوقها في مجال التقنية والتصنيع يجعل كثيراً من الدول تحجم عن مثل هذا الموقف.

إن دول أوروبا تشعر أن الهوة بدأت تتسع مع أمريكا وأن حلف الأطلسي بدأ يتحجم دوره، بل بدأ يفقد دوره وفي مؤتمر السياسة الأمنية الذي عقد في ميونخ في ألمانيا بدأت بوادر الخلاف بين أمريكا وبين دول أوروبا مع أن هذا المؤتمر يمثل أحد المؤسسات التي ترسم السياسة العالمية تقريباً، ومع ذلك برز فيه نوع من الخلاف، لكن السؤال متى يتحول هذا الخلاف إلى نوع من المواجهة مع الاستفراد والغطرسة الأمريكية ؟

نحن أمام مرحلة جديدة صعبة وطويلة والمهم ألا ننسى بعد هدوء الأحداث أننا فعلاً دخلنا إلى مرحلة جديدة وأن لهذه المرحلة تبعاتها ومقتضياتها الواجبة علينا أفراداً ومجموعات وشعوباً وحكومات.

من الخطأ أن نفترض أن جميع الخيوط هي بأيدي هؤلاء القوم أو أولئك ؛ فإن الضعف يبدأ من القوة، والقوة تبدأ من الضعف والإشارة القرآنية معبرة "خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً "[الروم:54]

وقد رأينا كيف أن الشعب الفلسطيني بضعفه وقلة إمكانياته استطاع من خلال الحجر . الذي يرمي به عدوه . أن يقلب كثيراً من القوى والموازيين.

علينا أن ندرك أن في أيدينا خيوطاً كثيرة وأعظم خيط في أيدينا أن نستمسك بحبل الله عز وجل فإنه الركن إن خانتك أركان، والله جل وعلا يقول: "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا"[آل عمران:103] فإن الاستمساك بحبل الله والصدق مع الله تبارك وتعالى وإرادة التغيير في نفوسنا جديرة بإذن الله عز وجل أن تصنع لنا شيئاً كثيراً في هذه المرحلة الحرجة والخطيرة من تاريخنا.

علينا أن نحذر من التشاؤم واليأس من الإصلاح في ظل الظروف التي نعيشها الآن لنعطي أنفسنا فرصة في أن نفرح بفضل الله تعالى وبرحمته وبمستقبل منشود وبألوان من الخير وإن أصابنا غم وكآبة من جراء ما نرى ونشهد من التفوق العدواني والتسلط على البلاد الإسلامية.

إن الإنسانية في الإصلاح قائمة الآن وهي موجودة في أيدينا ووفق رؤيتنا وإذا كنت قبل قليل ذكرت لكم أن التقرير الأمريكي يقول: سنحول المحنة إلى فرصة سانحة لنا للتغير واستدراك ألوان من الخلل الموجود لدينا، فعلينا نحن أن نطلق الشعار ذاته، إنه شعار قرآني "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا*إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"[الشرح:5–6] يسر من عند الله عز وجل لا شأن للبشر فيه ، لكن ثمة يسر آخر يصنعه الناس يستخدم فيه الناس قدراتهم وإمكانياتهم وطاقتهم وما أعطاهم الله عز وجل لتحويل هذا العسر إلى يسر وكما يقول سبحانه : "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ*وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ"[الشرح:7–8] ارغب في العبادة و الاستعانة بقدرته جل وعلا وقوته واستخدام ما أقدرك الله عليه .

العالم الإسلامي اليوم يملك قوات لا يستهان بها في العديد البشري والموقع الجغرافي و الثروات الهائلة و إمكانيات كبيرة وكثيرة يمكن أن نراهن عليها فيما لو وجدت إرادة التغيير في العالم الإسلامي، إذاً بإمكاننا أن نصنع الإصلاح وفق رؤيتنا الإسلامية الخاصة متى ما وجدت الإرادة لدينا.

من المهم وجود المؤسسات والتجمعات والمبادرات العامة والخاصة في المجتمعات الإسلامية.

إن البناء هو خير تعبير عن الدفاع، نحن الآن في موقع حرب و أزمة و نازلة، بل في هزيمة، إن البناء هو خير تعبير عن هذا الدفاع والحدث أحياناً يصنع لدينا عقلية الدفاع أكثر مما يصنع لدينا عقلية البناء والواجب أن نسعى وننهمك في مشاريع إصلاحية بنائية في الدعوة والتعليم والاقتصاد و العلم و العمل وفي كل مجالات الحياة التي نحتاجها، إن الهزيمة التي منينا بها ليست هزيمة عسكرية فحسب، وهكذا الإصلاح يجب أن يكون إصلاحاً شمولياً في نواحي الحياة كلها.

إن من المهم إحياء روح الأممية في العالم الإسلامي، ما زلت أتذكر عام 1981 حينما ضربت إسرائيل المفاعل النووي العراقي وأن كثيراً من الناس من الإسلاميين وغيرهم ربما شعروا بنوع من البهجة والاغتباط لأنهم اعتبروا أن تلك القوة هي ملك لحزب البعث فحسب، وهانحن نشهد اليوم أن تلك الضربة ربما كانت تمهيداً لما نراه الآن من القضاء على أصل النظام في العراق ولا أعني بالنظام النظام الحاكم، ولكن أعني النظام الذي يضبط حياة الناس ويمنعهم من الفوضى ويحفظ لهم حقوقهم ومصالحهم.

إن ذلك الاغتباط الذي عاشه بعضنا يوماً ما بضرب المفاعل النووي العراقي أو الذي عاشه آخرون بهزيمة الجيوش العربية أمام "إسرائيل"؛ لأنهم يقولون: هذه جيوش لو انتصرت لظلت على ما هي عليه، إنما يعبر هذا عن قدر من عدم الشعور بالأخوة الإيمانية بين أفراد العالم الإسلامي، وعدم حزن المسلم لكل ما يصيب أخاه المسلم حتى لو كان على خلاف معه أو كان له أجنده خاصة أو نظام خاص فإن روح الإسلام ينبغي أن تكون أقوى من الفواصل بين المسلمين ما دام الإسلام هو المرجع الأساسي لها.

وإذا كان لدينا إمكانية القوة في العالم الإسلامي والله تبارك وتعالى يقول لنا: " وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"[الأنفال:60] فإن الواجب على العالم الإسلامي اليوم هو السعي الصادق الجاد في الإعداد بكل صوره وألوانه وأشكاله.

" مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ " كل القوة مطلوب أن نعدها نعم يقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: (ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي) هذا لون من القوة العسكرية يتعلق بالرمي ولا شك أننا نرى اليوم أن رمي الصواريخ ورمي القنابل ورمي المدافع يحدث أثراً كبيراً في المعركة يتحكم غالباً في نتائجها كما رأيناه في أفغانستان والعراق ويوغسلافيا وغيرها.

فالرمي هو أساس القوة العسكرية، لكن علينا أن ندرك أن القوة العسكرية هي الحماية والإطار الذي يحفظ العالم الإسلامي ويحفظ مكاسب المسلمين وإنجازاتهم، ولكننا نحتاج معها وقبلها وبعدها إلى قوة علمية، قوة في الإدارة، قوة في الاقتصاد، قوة في التصنيع، قوة في الوحدة وترك التفرق.

إن الاتحاد قوة والاختلاف فرقة وعذاب ، ونحن نجد أن عدونا اليوم يتترس بأكثر من 285 مليون إنسان يشكلون ما يسمى بالولايات المتحدة الأمريكية، ومن خلال قدرته على توظيف كل القوى والطاقات والأحزاب بمختلف الاتجاهات لدعم وخدمة هذا الكيان المتسلط على العالم اليوم، ولذلك صار لها هذه القوة، بينما قَتَلَ المسلمين جميعاً أفراداً وجماعات وشعوباً ومدناً ودولاً داء التفرق والاختلاف فيما بينهم، وأصبحت ترى العدو يسهل عليه أن يوظف هذه التناقضات الإثنية و المذهبية والحزبية والطائفية في تدمير بعض المسلمين بعضاً، والقضاء على قوتهم وإنسانيتهم وتوفير قدراته الذاتية.

وأخيراً لابد من استشعار المسئولية الفردية "إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا *لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا *وَكُلُّهُمْ آتِيه يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا"[مريم:93-95]

إن علينا مسئولية فردية وشخصية كبيرة تجاه بناء الفرد ذاته، نجاحك في مدرستك أو تعليمك أو وظيفتك أو بيتك نجاحك في تفكيرك وعقلك نجاحك في تعاملك مع الحدث نجاح الأسرة نجاح المؤسسة التجارية نجاح المؤسسة الدعوية نجاح المؤسسة الإعلامية كل هذه الأشياء ذات أثر كبير كلها تصب في نجاح الأمة.

ينبغي علينا في مثل هذه الظروف أن نحيي روحاً من روح الاجتماع في مسئوليتنا الفردية، أن نعقد اجتماعات ومجالس في الحي وفي المدرسة و على مستوى الأسرة وعلى مستوى البلد وعلى مستوى الجامعة أو المؤسسة وأن نتدارس قضايانا

والمخاطر المحيطة بنا، وأن نستمع ونقرا ونتناقش ونتدرب على روح الحوار والاستماع إلى الآخرين وتقديم الرأي وتصحيح الرأي .

إننا بحاجة إلى أن نصحح أوضاعنا على الصعيد الفردي والجماعي قبل أن تنزل بنا النازلة أو تحل علينا الكارثة و الله المستعان.

==============

المرأة المسلمة والتحديات المعاصرة بين حديث القرآن والواقع (1- 3)

فإنّ هناك نماذج من التحديات التي تتعرض لها المجتمعات المسلمة في هذا العصر، وهناك أفكارٌ تُطرح وتمثّل تلوثاً فكرياً خطير الأثر على مجتمعات المسلمين، ذلك أن الإنسان مجهز لاستقبال المؤثرات من حوله والإنفعال بها والاستجابة لها، وكمّا أنّه مستعد بحسب تكوينه الذاتي للرقي والارتفاع، فإنه مستعد كذلك لأن ينحطّ إلى أدنى من دركات الحيوان البهيم، يقول الله تعالى فيمن حادوا عن طريق الهدى وتنكبوا الصراط المستقيم: (أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ). الأعراف 179.

ومن العوامل المؤثرة في ارتفاع أو هبوط الإنسان ما يتلقى من تربية، وما تشيع البيئة حوله من مؤثرات، وما يشتغل به، ويوجه عبره غرائزه.

ومن أخطر ما يواجهنا في هذا العصر هذه الملوثات الفكرية التي تشكّك في الدين، وتهز الثوابت، وتفسد الأخلاق، وتنشر الرذيلة عبر وسائل الاتصال في وقتنا الحاضر، والتي أُسئ استخدامها أيما إساءة.

وما الحديث عن قضية المرأة التي تثار هنا وهناك، والمطالبة بحريتها المزعومة ونفيها عن أسباب الصيانة إلا أحد الأبواب الواسعة لإشاعة الرذيلة في المجتمع.

المرأة أمام التحديات:

إنّ المرأة تمثّل ثغراً من ثغور الفضيلة؛ ففي حفظها حفظٌ للفضيلة، وصيانة للنشء، وفي إفسادها إفسادٌ وتضييعٌ للمجتمع.

وإن مما يؤسف له أن كثيراً من هذه الدعوات صار يحمل لواءها بعضُ أبناء المسلمين، وهذا نتيجة للغزو المبكر لبلاد المسلمين، والذي سعى منذ البداية إلى

تخريج جيل بعيد عن الدين، قد أُشربَ الولاء للغرب وقيمه وأنماط حياته، وذلك عن طريق المدارس الأجنبية (التنصيرية) التي تفتح في بلاد المسلمين.

جاء في تقرير إحدى اللجان التابعة للمؤتمر التبشيري الذي عقد عام 1910م:

"إن معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الأوروبيون كان لها تأثيراً على حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوروبا كلها".

وفي هذه المدارس تخرجت أجيال من أبناء المسلمين أو بالأحرى من متعلميهم ومثقفيهم متأثرة بضرب هذا الغزو المنظم، متطلعة إلى الأفق الغربي تستلهمه الرشد وترى فيه النموذج والمثل الأعلى، وتتشرب في نهم أنماط حياته سلوكاً وفكراً، بلا فحص، ولا بصيرة، ولا رأي سديد" .

وإذا أضفنا إلى ذلك البعثات التي كانت تتقاطر على الدول الأوروبية من أبناء المسلمين الذين يستكملون تعليمهم العالي، كانت هذه نهاية المطاف في الإجهاز على بقايا الإسلام في نفوسهم وطباع الشرق وعاداته، حيث لا يرجعون في الغالب إلا وقد تأثروا بوجهة الغرب وفلسفته، وبذلك أصبحوا رصيداً في حساب أعداء الإسلام بالسلوك والتربية والعادات الجديدة.

وقاسم أمين يُعدُّ واحداً من رواد تحرير المرأة في مصر، وهو نموذج لهذا الغزو، يقول د. عبدالستار فتح الله: "قاسم أمين كان نموذجاً لما يمكن للغزو الفكري وللتعليم الأجنبي أن يفعلاه في النفوس من خلع ولائها لأصلها، وفصل مشاعرها عن ظروف أمتها".

والتعليم كان أحد أخطر ميادين الغزو الفكري وأعمقها أثراً، إلا أن ميادين الغزو الفكري تعددت بأسلحته المتنوعة: "الفكرة والكلمة، والرأي والحيلة، والشبهات والنظريات، وخلابة المنطق، وبراعة العرض، وشدة الجدل، ولدادة الخصومة، وتحريف الكلام عن مواضعه" والقصة والصورة والقيم.

ولقد كان لهذا الغزو من الآثار السيئة في زعزعة المسلمين عن دينهم ما لم يستطعه الغزو العسكري على مدى قرون عديدة. وقال سبحانه: (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ).البقرة 217 .

ومعنى الفتنة في الآية على ما نقل القرطبي عن الجمهور: "فتنة المسلمين عن دينهم حتى يهلكوا". "وكان المشركون يفتنون المسلمين عن دينهم بإلقاء الشبهات وبما علم من الإيذاء والتعذيب" .

ولهذا عقّب تعالى على هذا بقاعدة تمثل قانوناً من قوانين الصراع بين الإسلام والجاهلية على مر العصور فقال تعالى: (وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا).البقرة217.

والقتال المذكور هنا عام يراد به ما وقع فعلاً من أساليب المشركين في محاولة صد المسلمين عن دينهم بالتعذيب والإيذاء أو التضييق عليهم في أرزاقهم أو تشريدهم في البلاد أو ضربهم بالشبهات وأنواع التشكيك، وما هو محقّق الوقوع في الغد القريب من الحرب المسلحة التي شنها المشركون على المسلمين بعد نزول الآيات، ثم ما يشابه ذلك ويشاكله إلى يوم القيامة .

فهذه التحديات التي يُجابه بها المسلمون في هذا العصر طرف من المعركة التي تركت آثار في بلاد المسلمين.

بعض آثار التحديات التي تواجه المرأة المسلمة:

وسأقف هنا مع بعض الآثار البارزة لتلك التحديات:

1- فقدان الهوية:

لكل أمة شخصيتها المميزة التي تتفرد بها عن غيرها، وهذه الشخصية تنبع من العقيدة التي تدين بها الأمة وما يتبع ذلك من خلق ومنهج وسلوك. وكل أمة واعية تحرص على هذا التفرد، وتنأى بنفسها عن أن تكون عرضة لفقد عناصر تميزها، وأن تصير تابعاً ذليلاً لغيرها.

والغزو الفكري وعملية التغريب هدفها أن تستسلم الأمة المسلمة للثقافة والحضارة الغربية، فتذوب الشخصية المسلمة وتقبل الفناء والتلاشي في بوتقة أعدائها "بحيث لا ترى إلا بالمنظور الغربي، ولا تعجب إلا بما يعجب به الغرب، ولا تعتنق من الأفكار والمناهج إلا ما هو مستورد من الغرب، وتبتعد عن قيمها وعقائدها وأخلاقها المستمدة من شريعة الإسلام وتتنق هذه الديانة الجديد التغريبية" .

والناظر إلى حال المجتمعات المسلمة يجد وللأسف أن عملية التغريب والغزو الفكري الموجه إلى المجتمعات المسلمة نجحت إلى حد بعيد في محو ملامح تلك الشخصية والعبث بمقوماتها.

والناظر في حال المرأة المسلمة – خاصة – مربية الأجيال وحصن الفضيلة يروعه "فقدان المرأة المسلمة لهويتها الإسلامية وتمييز شخصيتها، وسحب قدر كبير من انتمائها لدينها" . حتى ضمر الفارق في الاهتمامات والممارسات في كثير من بلاد المسلمين بين المرأة المسلمة والمرأة الغربية . ولو أردنا أن نعقد مقارنة بين الملامح البارزة لشخصية المرأة المسلمة في ضوء الضوابط الشرعية، وبين ما آل إليه حال المرأة المسلمة في كثير من بلاد المسلمين لهالنا الفرق وبعد الشقة بين المثال والواقع.

فشعار المرأة المسلمة الظاهر هو الحجاب بالصفة التي حددها الشرع، يقول الله تعالى: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ). النور 31.

وهذا أمر من الله لنساء المؤمنين أن يلقين بالخمار إلقاءاً محكماً على المواضع المكشوفة؛ وهي الرأس والوجه والعنق والنحر والصدر، خلافاً لما كان عليه نساء الجاهلية من سدل الخمار من ورائها وتكشف ما هو قدامها.

ونهاها تعالى – لكمال الاستتار – عن الضرب بالارجل حتى لا يصوّت ما عليها من حلى فتعلم زينتاه بذلك فيكون سبباً للفتنة بها. قال تعالى: (وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنّ). النور: 31. ونهاها الله تعالى عن التبرج فقال سبحانه: (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى).الأحزاب 33.

والتبرج يكون بعدة أمور:

- يكون التبرج بخلع الحجاب، وإظهار المرأة شيئاً من بدنها أمام الرجال الأجانب عنها.
- ويكون التبرج بأن تبدي المرأة شيئاً من زينتها المكتسبة.
- ويكون التبرج بتثنّى المرأة في مشيتها وتبخترها وترفّلها وتكسّرها أمام الرجال.
- ويكون التبرج بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام.

• ويكون التبرج بالاختلاط بالرجال وملامسة أبدانهن أبدان الرجال، بالمصافحة والتزاحم في المراكب والممرات الضيقة ونحوها .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخلوة والسفر بغير محرم: "لا يخلونّ أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم" . "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم لها" .

فما نصيب المرأة المسلمة من هذه الضوابط التي أوجبها الله تعالى عليها؟!.

إن أكثر النساء المسلمات بعيدات كل البعد عما شرع الله تعالى وأوجب عليهن.

لقد صارت المرأة تخرج في كثير من بلاد المسلمين حاسرة الرأس، مكشوفة الصدر والساقين، متزينة متعطرة متبرجة، تخالط الرجال، وتزاحمهم في كل مكان وميدان.

بل قد بلغ ببعضهن النأي عن أوامر الله سبحانه والإمعان في تقليد المرأة الغربية الكافرة إلى حدّ العري على الشواطئ بلا حياء، والأعتى من ذلك والأمرُّ أن بعض النساء تفخر بهذه التبعية والانسلاخ عن أوامر الله وتعدّه تقدماً ومدنية، تقول إحداهن – وهي فتاة تركية – في بعض الموانئ الإنجليزية: "إننا نعيش اليوم مثل نساءكم الإنجليزيات، نلبس أحدث الأزياء الأوروبية، ونرقص وندخن ونسافر وننتقل بغير أزواجنا".

ومن لم تصل إلى هذه الدرجة ولا يزال المكر بها في أول الطريق فقد تدخلت الموضة في عباءتها وحجابها حتى أفقدتها غايتها من الستر والحشمة "وأصبحت العباءة رمز لإبداء الزينة وإظهار الفتنة وإبراز المفاتن والمحاسن. فهناك تفنن في إدخال بعض النقوش والزخارف والتطريزات، وهناك شفافية في نوع القماش وظهور ألوان متعددة على جوانب العباءة وأطرافها، وهكذا أصبحت العباءة رمزاً للموضة والفتنة" . وهذا التدرج في الإخلال بشروط الحجاب طريق إلى نزع الحجاب كما حدث في كثير من بلاد المسلمين، حتى انسلخت المرأة عن دينها وفقدت هويتها الإسلامية.

سئل حذيفة رضي اله عنه: "في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم؟! قال: لا، ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء تركوه، وإذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا عن دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه).

إن الحجاب جاء ستراً وشعاراً للمرأة المسلمة، وهو أوضح مظاهر الطاعة والتسليم لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: " إن لنساء قريش لفضلاً، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار؛ أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل؛ ولقد أنزلت سورة النور: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها، ويتلو الرجل على امرأته، وابنته، وأخته، وعلى كل ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها(1) المرحل فاعتجرت(2) به، تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم متعجرات كأن على رؤسهن من الغربان"(3).

وعنها رضي الله عنها قالت: "يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) شققن أكثف مروطهن فأختمرن به" (4).

هذا حال المسلمات الأُوَل، أمّا اليوم فقد وصلت كثير من المسلمات إلى حال يرثى لها في فقد الصلة بدينها، فلم يعد هو الموجه لما تمارسه، بل إنها تتلقف كل ما يأتيها من الغرب الكافر، وكأنه ليس لها مرجع ترد إليه أمورها، وإليك هذه الصورة المزرية من التقليد الأعمى وفقدان الهوية:

نشرت مجلة الأسرة (عدد 81 ذو الحجة 1420هـ) ما يلي: "لفيف من البنات دخلن قاعات المحاضرات يوم 14 فبراير وقد ارتدت كل واحدة منهن ثوباً أحمر، وألصقت على وجهها رسوماً لقلوب حمراء بعد أن وضعت مساحيق التجميل الحمراء على وجهها، وبدأن يتبادلن الهدايا ذات اللون الأحمر مع القبلات الحارة، هذا ما حدث في أكثر من جامعة في بلد إسلامي، بل وفي جامعة إسلامية احتفالاً بعيد الحب، أو بالأحرى عيد القديس فالنتاين" .أ.هـ.

إن التقليد وفي هذه الأمور – فضلاً عن تحريمه – فهو صورة للتبعية الذليلة التي ينبغي أن يرغب عنها.

وملامح التبعية في أقطار كثيرة من أقطار المسلمين واضحة جليّة سواءاً في ملايين المسلمات الكاسيات العاريات ومحترفات اللهو والمجون وفي الألوف المؤلفة الذين

يعبون عبئاً من فكر الحضارة المادية الملحدة ويستقون من مستنقعات ثقافتها وتصوراتها، ثم يقذفون بها أمتهم في كل ميدان (5).

"وإذا كانت الأمم تحرص على استقلالها الفكري والاجتماعي بدافع من العزة القومية أو الكرامة الوطنية أو غيرهما فإن المسألة عندنا تختلف تماماً، لأن استقلالنا في هذه الأمور هو قضية عقيدة ودين، ومسألة وجود ومصير، ومسئولية رسالة ودعوة، وضرورة بعث وإنقاذ لأنفسنا وللعالمين، ثم هي مهمة قيادة وهداية، وتمكين لخط الوعي المشرق، وتمييز له عن المناهج والنماذج البشرية التي سيطرت على الأرض وملأتها ضلالاً وإلحاداً وعناداً.

وهذا كله يأبى علينا التبعية كل الإباء، بل إن التبعية هنا تصبح خيانة لرسالتنا وجناية على أمتنا، وشروداً بالقافلة عن طريق ربها الواحد القهار" (6).

2- الفراغ الفكري والروحي والإغراق في التوافه:

لقد اعتنى الإسلام بما يقود النفوس إلى الخير ويعمل على تزكيتها من العلم النافع والأدب الحسن، يقول الشيخ السعدي في تفسير قول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً).] التحريم: 6 :"وقاية الأهل والأولاد بتأديبهم وتعليمهم وإجبارهم على أمر على أمر الله" (7).

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم العلم فريضة على كل مسلم(8). وأرشد إلى فضيلة تعليم المرأة: "أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم اعتقها وتزوجها فله أجران"(9).

وخصّ النساء بالحديث "جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه، تعلمنا مما علمك الله، فقال صلى الله عليه وسلم : اجتمعن يوم كذا وكذا، في مكان كذا وكذا. فاجتمعن فأتاهن فعلمهن مما علمه الله" (10).

وفي هذا الجو حرصت النساء المسلمات على التفقه في الدين، فعن أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت: "نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعن الحياء من التفقه في الدين" (11).

ولا شك أن تربية المرأة هو مجال إصلاح الأسرة وإنشاء جيل صالح، ولذا حرص الإسلام على تعليمها وتأديبها لما لها من دور عظيم في بناء الأسرة، إلا أن المرأة في ظل هذه الدعوات الفاسدة والإعلام الموجه للمرأة أبعدت كثيراً من أن تكون محضناً صالحاً للأجيال، حيث مارست هذه الوسائل تهميشاً واضحاً لفكر المرأة وتعاملت معها على أنها جسد وحسب، سيل من البرامج الترفيهية التافهة وصفحات تعج بالغث من الموضوعات التي تحصر اهتمامات المرأة بالشكل والجمال وكيفية جذب الأنظار إليها(12).

"وهذا كله جعل المرأة نفسها تعيش خواء فكرياً وفراغاً روحياً، وخلجاً عجيباً بين الغايات والوسائل" (13). "ففي الوقت الذي يتبلور المفهوم الإسلامي المعتدل للجمال على أنه وسيلة تأخذ من المرأة قدراً معيناً تحقق به أنوثتها، يزرع الإعلام في حسّ المرأة أن الجمال المظهري غاية تستحق أن تبدد المرأة جهدها ووقتها ومالها لأجله"(14).

وفي حين نجد النماذج الحرية بالأسوة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين كان لهن قصب السبق في العلم والعمل، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عالمة عاملة.

عن أبي موسى قال: "ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما"(15).

وعن عروة قال: "لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنّة، ولا بشِعر، ولا بقضاء، ولا طبّ منها" (16).

وتقول عائشة عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: "ولم أرَ امرأة قط خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة وأشد ابتذالاً لنفسها في العمل الذي يتصدق به ويتقرب إلى الله عز وجل" (17).

إلا أن المرأة في وقتنا الحاضر قُدم لها نموذجٌ للأسوة من الفارغين والفارغات، بل في أحيان كثيرة من الساقطين والساقطات من أعلام الفن ورائدات السفور.

ولذا صار من المألوف في هذا الوقت أن تجد المرأة والفتاة – خاصة – تعرف من أسماء ماركات الأزياء العالمية وأسماء الفنانين والفنانات، بل تفاصيل حياتهم

الخاصة الشيء الكثير، لكن لو سئلت عن بعض أحكام الطهارة والصلاة لوجدت جهلاً فاضحاً، فضلاً عن أن تعرف سير الصحابيات ومعالم نهجهن، ولا يقتصر هذا الفراغ والخواء على الفتيات بل يشمل الشباب من الجنسين.

وفي بحث قامت به مجلة الأسرة (العدد 83، صفر 1421هـ) عن طريق استبانة وزعت على (1000) شاب وفتاة من طلاب الجامعات في الرياض، والدمام، وجدة، حول ما هو معلوم بالضرورة من الدين والجغرافيا والتاريخ والأدب والفن والرياضة، كانت أعلى نسبة في معدل الإجابات الصحيحة هي:للفن 88%، ثم الرياضة 87%. وفي أدنى القائمة كانت الثقافة الإسلامية، فالتاريخ، بنسبة 58% للثقافة الإسلامية، و57% للتاريخ!.

وأشارت المجلة في العدد نفسه إلى استطلاع قامت به صحيفة الرأي العام الكويتية على (100) طالب وطالبة من كليات مختلفة عُرضت عليهم قائمة تضم 32 اسماً لشخصيات وأحداث عامة، كانت الشخصية الوحيدة التي عرفها الجميع ولم يخطئ فيها أحد مطربةٌ إماراتية تُدعى (أحلام).

إنّ هذا الخواء وتفاهة الاهتمامات للأسرة دورٌ فيه، وهو يدل على مدى قصور المرأة علميا ودينياً عن الوفاء بتوجيه الأبناء إلى ما يدلهم على الخير ويرفعهم فكرياً وروحياً، حتى يكاد ينطبق على كثير من أبناء المسلمين اليوم قوله تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ).]الروم:7 [.

ولا شك أن كثيراً من انحرافات ومشكلات الشباب والفتيات تتصل بهذا الجانب وتنبع منه، فافتقاد العلم النافع، والموعظة التي توقظ القلوب والتوجيه إلى النماذج الحرية بالاقتداء يفرغ معه القلب عن ما يعين على الخير.

3- الجرأة على الدين:

أصل الدين يقوم على تعظيم الله وتعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم، والتسليم لحكم الله وحكم رسوله، يقول الله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم).]الأحزاب: 36[.

يقول ابن كثير: "فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفيه ولا اختيار لأحد ها هنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى:

(فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)" (18).] النساء: 65 [.

... يُتبَع إن شاء الله تعالى،،،،،

---

(1) المرط: كساء.

(2) الاعتجار: أن يلف الكساء على الرأس ويرد طرفه على الوجه.

(3) رواه أرو داود.

(4) رواد أبو داود.

(5) انظر الغزو الفكري ص272.

(6) المرجع السابق ص270 باختصار وتيسير.

(7) تفسير السعدي ص809.

(8) في حديث رواه ابن ماجه.

(9) متفق عليه.

(10) رواه البخاري.

(11) رواه البخاري.

(12) انظر البيان ع149 ص79.

(13) المرجع السابق.

(14) المرجع السابق.

(15) الترمذي عن سير أعلام النبلاء (179/2).

(16) أبو نعيم في الحلية. عن سير أعلام النبلاء (183/2).

(17) رواه مسلم. ش

(18) تفسر ابن كثير (423/6).

____

إنّ مما ابتلى به كثيرٌ من الناس في هذا العصر اقتحام كثير منهم لسياج الدين وحرماته، وتعدّيهم على قاعدة التسليم لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

فالسمة البارزة لكثير من الكتابات والأقوال التي تناولت موضوع المرأة مثلاً؛ السمة البارزة لها: الجرأة على النصوص، والتطاول على أحكام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والاستخفاف بالدين القيّم، هذه حال كثير ممن يسمون المتنورين (المستغربين) الذين تتلمذوا على مدارس الفكر الغربي وعبوا من مناهجه وأصوله.

ولو لا الحاجة من جهة لمعرفة الخطر الذي يتهدد المجتمعات المسلمة – وفئة الناشئة خاصة – من مثل هذا المنهج، ثم من جهة أخرى تلمس ما أحدثه التغريب في أبناء المسلمين لكنت أربأ عن نقل أقوالهم لما فيها من جرأة صارخة على الدين، واستهانة برموزه.

فهذا باحث مغربي يُدعى (عبد الصمد الديميالي) يقول في مؤتمر نسوي عقد في اليمن وأشارت لما ورد في هذا المؤتمر مجلة الأسرة (العدد 81 ذو الحجة 1420هـ): " إن الدين ظلمَ المرأة حينما لم يسوّ صراحة بينها وبين الرجل ". ويقول وبكل صفاقة ما نصه: " إذا لم تكن النصوص القرآنية صريحة وواضحة في المساواة بين الرجل والمرأة فلنلق بها في مزبلة الأيدلوجية ".

واختتم ورقته التي أثارت غضب المسلمين في اليمن بالدعوة صراحة إلى الحرية الجنسية بعيداً عن نظام الأسرة التي وصفها بأنها نظام برجوازي.أ.هـ.

وتتضح علة هذا الرجل عندما ننظر إلى الثقافة التي استقاها حيث يقول عن نفسه: " إنني شخصياً وحينما كنت في الثالثة والعشرين من عمري تأثرت بكتاب (الحرية الجنسية) لريشين الذي يهاجم نظام الأسرة ".أ.هـ.

وطالبت نوال السعداوي في مؤتمر صحفي عقدته ودعت إليه الوكالات الغربية العاملة في مصر وحدها مطلع هذا العام طالبت: " بتشريعات نسوية علمانية لا يكون فيها أي سلطان أو حق على حد تعبيرها " (1).

وسبحان الله ما أحلمه على خلقه!.

وينقل عبد السلام بسيوني في كتابه (ماذا يريدون من المرأة)، ينقل عن إحداهن مناقشتها ربها – عز وجل – وردّ أحكامه، ودفعها لأراء الفقهاء الذين عمقوا – كما تقول – دونية المرأة، منطلقين من تركيبها البيولوجي، وينقل عنها قولها: " لا أفهم –

كامرأة – علاقة الحيض والإنجاب أو عدمه بتخصيص، أو عدم تخصيص جنس دون آخر بالرسالات والتنبؤات، وقيادة الحروب، ولا سبب نقصان الثواب ".(2).

وللمزيد من هذه الأقوال الفجة يُراجع ما نقله البسيوني عن أمثال هؤلاء، وكذلك ما نقله المقدم في (عودة الحجاب) وغيرهما.

إنّ هؤلاء المتطاولين الناقمين على الدين وأهله هم ثمرة من ثمار التغريب، وحملات التشكيك والهجوم على الدين وأحكامه، وهذه السموم والأقوال التي يبثونها في الصحف والندوات والمنابر الإعلامية المختلفة لها أثرها السيئ الظاهر في المجتمعات الإسلامية.

فها نرى أكثرهم يسلّم بكلام الطبيب والفيزيائي وغيرهم، أمّا أحكام الشرع وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فتناقش وترد ويتطاول عليها.

4- ضعف عقيدة الولاء والبراء

إنّ الحب في الله والبغض في الله هو أوثق عرى الإيمان كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حيث قال: " يا أبا ذر، أيّ عرى الإيمان أوثق؟! قال: الله ورسوله أعلم: قال: الموالاة في الله والحب في الله والبغض في الله " (3).

إنّ هذه الشعيرة التي لها هذا القدر العظيم في ميزان الإيمان ذابت ملامحها في حس كثير من المسلمين في هذا الوقت، وسأعرض هنا لمظاهر بارزة من ذلك عبر النقاط التالية:

أ- هذا التمجيد للنموذج الغربي وعرضه عرضاً مغرياً عبر وسائل الإعلام المختلفة قربه إلى النفوس وكسر حاجز الشعور بفوارق العقيدة وعداوة الكفار.

تقول د. زينت حسن أستاذة الاجتماع بكلية البنات بجامعة عين شمس وهي تتحدث عن أثر السينما في مصر خلال فترة الاحتلال الإنجليزي:

" من ناحية فقد سعت إلى كسر حاجز الرفض الشعبي ضد الاحتلال الإنجليزي وضد الدول ذات الأطماع الاستعمارية الأخرى مثل فرنسا وأمريكا، وبناء علاقة أخرى تقوم على أساس القبول والإعجاب، وهي علاقة كانت تجد رفضاً من بعض المشتغلين بالسياسة باعتبار أن هذا القبول يعد نوعاً من التطبيع مع المستعمر،

وبذلك أفادت السينما هذه الدول الاستعمارية، فيكفي أن يحب الجمهور ممثلة إنجليزية أو ممثلاً فرنسياً لتتكسر حدة العداء المستحكم بينه وبين هذه الدول "(4).

هذه وسيلة واحدة أثرت هذا التأثير في فترة احتلال، فما بالك بأنواع الوسائل المبثوثة في هذا الوقت؟!.

ب- من آثار هذا التمجيد والفرض للنموذج الغربي مع عقدة النقص التي يستشعرها المغلوب دائماً دفعاً للتقليد والمشابهة، فالمغلوب "مولع أبداً بالاقتداء بالغالب" كما يقول ابن خلدون.

ومعلوم أن المشابهة تورث التقارب والمودة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (المشاركة في الهدى توجب أيضاً مناسبة وائتلافاً بعد المكان والزمان)(5). ويقول أيضاً: (المشابهة في الظاهر تورث نوع ومودة، ومحبة، وموالاة في الباطن) (6).

ت- ربط قضية المرأة بالمرأة، وهذا فيما يمكن أن يسمى قومية نسائية لا تفرق بين يهودية ولا نصرانية ولا وثنية، فلا عجب أن نجد امرأة مسلمة ممن تولين إدارة تحرير مجلة سيدتي في فترة مضت تجري مقابلة مع الهندوسية أنديراً غاندي في إجلال وإعظام، وتذكر أنها سعت لهذه المقابلة العظيمة شهوراً حتى قابلتها، وتقول هذه الدكتورة المسلمة: " بدأ اختيار مدخل الحديث عن السيدة إنديراً غاندي أمراً محيراً وليس سهلاً "(7).

وكل هذا الإعظام لهندوسية تعبد البقر وقتلت آلافاً مؤلفة من المسلمين!.

لكن ليست هذه قضيتهم! فجُل ما يعنيهم أنها رئيسة وزراء (امرأة)!.

5- الانحلال الأخلاقي

يقول الله تعالى: (يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً).

العفة وطهارة المجتمع يمزقهما الاختلاط والسفور، وهذا أمرٌ ظاهر في حياة المجتمعات، فمنهج الله تعالى سبيل حفظ المجتمع من الانحلال والفساد الأخلاقي، ومنهج دعاة التحرير هدم الأخلاق والأعراض.

يقول محمد فريد وجدي : " إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً في الآداب العامة، وأحدثت انتشاراً مفزعاً لمبدأ العزوبة، أصبحت المحاكم غاصّة بقضايا الأعراض، وهربت الشابات من دور أهلهن " (8).

ولو نظرنا إلى حال المجتمعات الغربية – التي هي النموذج الأعلى للمستغربين، والتي يسعون سعياً حثيثاً إلى أن تحذو المرأة المسلمة حذو نسائها – لوجدنا فساداً أخلاقياً مريعاً، وهذه نظرة عجلى على بعض الشواهد من واقع تلك المجتمعات، وعبر بعض الإحصائيات والدراسات المنشورة عن أحوال تلك المجتمعات، والصادرة عن مؤسسات عالمية أو جهات محلية في تلك البلاد، وهي بهذا تكسب قيمة خاصة، لأنها تنبع من معاناة هؤلاء القوم أنفسهم، وليست انطباعات لدى من يخالفهم الاعتقاد والمنهج.

** هناك دراسة علمية أجراها باحثان أمريكيان حول المجتمع الأمريكي وشملت الدراسة عينة كبيرة من المواطنين الأمريكيين الذين شاركوا بآرائهم في القضايا المطروحة للدراسة ونشر الكتاب عام 1991م تحت عنوان: (يوم أن أعترفت أمريكا بالحقيقة).

وردت في هذا الكتاب حقائق خطيرة عن واقع هذا المجتمع، ومن ذلك مشكلة الاغتصاب المنتشرة هناك، فقد ذكر الكاتبان ما نصه: "20% من النساء اللاتي تحدثنا معهن أخبرتنا بأنهن قد اغتصبن في لقاء مع أحد أصدقائهن!، وعندما نتصور هذا الرقم على المستوى الوطني فإنّ هذه المسألة تعني ما يقارب من تسعة عشر مليونا من النساء في أنحاء الولايات المتحدة كن ضحايا الاغتصاب ".

ويشير الكاتبان إلى أن الإحصاء الرسمي لا يعبر عن حجم المشكلة، لأن 3% من ضحايا الاغتصاب يبلغن الشرطة ويسجل الحادث رسمياً وفق ما ورد في دراسة قامت بها إحدى الجامعات الأمريكية.

وفي إيطاليا ذكر تقرير حديث صدر هناك، وأشارت إليه مجلة الأسرة في (العدد 7، محرم 1420هـ) أن:" 40% من نساء إيطاليا من أعمار (14) إلى (59) من ضحايا الاغتصاب." .

وتوصل التقرير إلى: إن 14 مليون امرأة في إيطاليا يخشين السير بغير رفقة في الشوارع المظلمة، أو في الأماكن المهجورة، في أي وقت من أوقات النهار، وأن عمليات الاغتصاب تجري في المنازل وأماكن العمل بلا تمييز، وأن كثير من عمليات الاغتصاب تمر دون الإبلاغ عنها.

وفي جنوب أفريقيا ذكرت صحافية جنوب أفريقية أنه في كل نصف دقيقة تغتصب امرأة في ذلك البلد.

وتقدر الجهات الأمنية عدد حالات الاغتصاب التي يتم البلاغ عنها بأنه لا يتجاوز (2,8%) من إجمالي حالات الاغتصاب التي تحدث بالفعل في جنوب أفريقيا مما يرفع العدد الإجمالي للنساء المغتصبات كل سنة إلى مليون امرأة. وقد نشرت ذلك مجلة الأسرة (العدد 73، ربيع الآخر 1420هـ).

أما عن المضايقات غير الأخلاقية:

فقد ذكرت التقارير إن: " 42% من النساء الأمريكيات يتعرضن لتحرشات غير أخلاقية في أماكن العمل والدراسة، والمنتديات، وفي الشوارع.

أما في بريطانيا فالنسبة (4,7%) " .

وفي ألمانيا اضطرت 6% من النساء الألمانيات سنة 1990م إلى هجر وظائفهن بسبب تطاول زملائهن عليهن، والتحرش بهن جنسياً. نشر ذلك في مجلة الأسرة (العدد 80، ذو القعدة 1420هـ).

ونشرت جريدة الرياض في عدد الجمعة 29 صفر 1421هـ خبراً حول تفاقم مشكلة التحرش بالنساء في اليابان والذي بلغ درجة القتل، وأن القضية أثيرت بقوة بعد مقتل فتاتين من قبل صديقين سابقين أصرّا على ملاحقة الفتاتين. وقالت: هيرومي شيراهاما خبيرة القضايا القانونية في الحزب الديمقراطي: " إن حوادث التحرش تكاثرت جداً في السنوات الأخيرة، وبات من الضروري وضع قانون وطني لمكافحتها ". أ.هـ.

وجاء في الخبر أن التحرش في القطارات متفاقم إلى درجة أن المسئولين في شركة القطارات الأرضية يفكرون بتخصيص عربات خاصة بالنساء.أ.هـ.

وسبحان الله، صيانة المرأة وإبعادها عن أن تكون موطن فتنة أمرٌ شرعه الله العالم بطبيعة النفوس، وها هو الواقع يضطرهم إلى إبعادها عن مخالطة الرجال. هذا حال المجتمعات المتحللة. والعاقل يبدأ من حيث انتهى الآخرون.

6- انقلاب قائمة الأولويات عند المرأة

إنّ هذه الدعوات التي لا تقيم وزناً لدور المرأة العظيم في المنزل – أمّا وزوجة ومربية أجيال – أثّرت في حس المرأة، وقلصت من اهتمامها بذلك ولم تعد رسالتها الأولى لها الأولوية في حياتها، وصارت تبحث عن نفسها –كما يقولون – خارج المنزل وتلقي بكثير من مسئوليات المنزل على عاملة مستقدمة غير مؤهلة لهذه المهمة، بل قد تكون سبباً لإفساد الأسرة والأولاد.

والتهاون بهذا الدور – دور المرأة داخل المنزل – يمثّل أثراً واضحاً لهذه الدعوات التي صورت البيت على أنه سجن ظلمت المرأة بقرارها وبقائها فيه، وأنّه تعطيل لنفعها، فهي عضو غير منتج ، وغاب عن شعور الكثيرات عظم هذا الدور في حياة المجتمعات، ثم عظم الأجر الذي تناله المرأة بالإحسان في هذا الجانب.

أتت أسماء بنت يزيد رضي اله عنها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: " إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين، فهن يقلن بقولي، وعلى مثل رأيي: إن الله تعالى بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك، واتبعناك، ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم، أفنشاركهم الأجر يا رسول الله؟. فألتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه فقال: " هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها؟! فقالوا: بلى يا رسول الله. فقال صلى الله عليه وسلم : " انصرفي يا أسماء، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال "(9).

هذا ما تيسّرت الإشارة إليه من آثار هذه الهجمة الشرسة على المرأة المسلمة والمجتمع المسلم في هذا الزمن.

وهذا الحديث محاولة لتلمس جوانب الداء، لندرك الأثر السيئ لمثل هذه الدعوات، فنسعى للنأي بمجتمعنا عن تلك المنزلقات.

والله أسأل أن يحفظ علينا – في بلدنا هذا خاصة وفي بلاد المسلمين عامة – ديننا وأمتنا وعفافنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمّ بحمد الله تعالى،،،،،،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) البيام العدد 149 ص60.

(2) ماذا يريدون ص21، والقاتلة هي سلوى حماش.

(3) حسن بشوهده كما نقل المقدم في عودة الحجاب من محقق شرح السنة للبغوي.

(4) الأسرة عدد 72 ربيع الأول 1420هـ.

(5) اقتضاء السراط المستقيم ص220.

(6) المرجع السابق ص221.

(7) عن المرأة المسلمة أما التحديات ص322-323.

(8) عن المرأة المسلمة أمام التحديات ص294.

(9) رواه أحمد وصحح الألباني إسناده

=================

#الأطر المتعددة وحقوقها

حامد بن عبدالعزيز الحامد 1424/9/17

2003/11/11

" حامد الحامد يتحدث عن الأطر المتعددة في العلاقة بين الناس وحقوقها التي تتكامل ولا تتقاطع فهل من واع ؟ " .

(المشرف على النافذة)

وأعني بهذه الأطر العلاقات التي تربط الإنسان بمن حوله، كالدين والبيئة والرحم والتوافق الفكري والوظيفي وغير ذلك من العلاقات.

إن الإنسان بفطرته يعلم أن لكل علاقة من هذه العلاقات حقوقا خاصة.

وإذا أردنا أن نمثل هذه الأطر المتعددة على شكل دائرة هندسية فإننا نجعل الإسلام في إطار، والبيئة في إطار، والرحم في إطار، والتوافق الفكري – كمذهب فقهي أو مشروع إصلاحي أو انتماء حزبي أو نحو ذلك– في إطار.

وبعد تحديد هذه الأطر وتمييزها ومعرفتنا لحقوقها نعطي كل إطار حقه، لنعيش في عالم الإنصاف الذي ننشده من رجال التصنيف، المتفرغين للرد على الملحدين، بارك الله في ما عندهم من حسن الأعمال، وشغلهم بها عن سيء الأقوال.

إن معرفتي للحقوق التي تجب لي وعلي من هذه الأطر المتعددة يجعلني لا أبخس المسلم حقه الذي شرعه له هذا الإطار لأنه يخالفني في الإطار الآخر، فلا مجال هنا للمداينة واستلاف الحقوق، فضلا عن انتهاب ما في إطار الإسلام بعدما تم تفريغ الإطار الآخر من الحقوق التي علي للآخر.

إن قضية الأطر المتعددة هي التي جعلت النبي r يتعامل مع اليهود كما ينبغي، وكما وفر لهم الإطار الذي ربطهم بالرسول r، فهو يعاهدهم ويضيفهم ويقبل دعوتهم ويساكنهم في المدينة ويضحك لقولهم، بل مات ودرعه مرهونة عند اليهودي.

وكمثال آخر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مع ما اشتهر به من الردود على الأشاعرة إلا أنه في التعامل معهم يعرف ما لهم من حقوق بموجب الأطر التي تربطه بهم، إنه يعلم أنهم هم القطاع الأكبر من شرائح المسلمين، ومع ذلك كان يصلي معهم، ويتعامل معهم كما يتعامل المسلم مع أخيه، ويجاهد معهم ويعدهم بالنصر.

وفي العصر الحاضر الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله الذي عرف بسعة صدره، وتقبله للخصوم، فلم يتهجم عليهم باسم الدين، ولم يعقد ضدهم الولاء والبراء غضبا لله ورسوله!! لأنه يعلم أن القرآن نزل على محمد بن عبد الله النبي الأمي، ولم ينزل عليه.

إن إجادة التصنيف التي يحتكرها قوم من بني جلدتنا هو الفن الذي كان يستمطر منه الحطيئة رزقه في القرون المفضلة، إلا أن هذا الفن اجترفته الحداثة، فأدخلته محل التخسيس، وأجرت عليه بعض التجميلات، ليلائم القرن الحادي والعشرين، ويتفق مع عصر العولمة، فتغيرت سلوكياته من هجاء شعري إلى خطاب ديني،

يجعل من الحبة قبة، ومن الفرع أصلا، ويتكلم باسم الله، ليدخل الجنة من شاء، ويحرمها من شاء، ويصدر صك الحرمان بمجموعة أوراق تصنف المحروم بأنه علماني، لينال التصفيق الحار من الجمهور المبارك، مع العلم بأن هذا فكر غربي، مستورد من الكنيسة التي تحرم من خرجوا عليها من العلماء صكوك الغفران!!.

إن لغة الهجاء في الخطاب الديني بدعة حدثت بعد القرون المفضلة، وترجع أصولها إلى الشيعة الإمامية التي أحدثت في كتبها "المثالب"، عوضا عما في كتب أهل السنة "المناقب".

ولغة الهجاء هذه نوع من السحر، تفرق فيه بين الأخ وأخيه، والأب وبنيه، والمرء وفصيلته التي تؤويه.

علما بأن هذه اللغة قد رخص الشيطان سعرها، وأعظم قدرها، لتكون مبتذلة يمتلكها من له لسان، أو تعلم حرفة البنان.

ما أجمل أن أناقشك أفكارك، أو أخالفك آراءك، مع احتفاظي لك بالحقوق التي توفرها لك هذه الأطر المتعددة.

لا بأس أن تخالفني، بل يجب أن تخالفني، لا لذات المخالفة، بل لأن العقول لا يمكن أن تتحد إلا إذا كانت ملكا للمجانين أو المنافقين.

إنك لو بحثت عن هذا المصنف الذي يتكلم باسم الدين والذي ينتهك حقوق إطار الإسلام لوجدت سبب تصنيفه إنما هو انتصار لإطار الطائفة أو الحزب الذي ينتمي إليه، بينما يزعم أنه انتصار لإطار الإسلام، مما يجعله يرمي بالمخالف خارج الإطار الإسلامي.

ولذلك فليس غريبا أن تجد التصنيف رائجا عند من ينتمي إلى طائفة معينة، أو حزب معين، قد أشرب مسائلهم وآراءهم، ولم يعرف رأيا لغيرهم – وإن كان يعرف فهو مما حَكَته عليه طائفته من نوادر الطوائف الأخرى ومثالبها، لتؤكد له على أحقية آرائها، وصدق نظرياتها–.

وكذلك ليس غريبا أن تُكثر القطعياتُ عنده أفراخها، لأنه تعود على أحادية الرأي، ومن ثَم على حدة المزاج.

إن إطار الإسلام – وهو الذي يعنينا في هذا الموضوع- رحب الفناء، قوي الحصون، فالقطعيات التي يكفر مخالفها قليلة بالنسبة إلى الظنيات.

فالقرآن قطعي الثبوت، لكن دلالته تكون ظنية – وهنا لا يكفر المخالف- وتكون قطعية، والسنة إما أن تكون متواترة، والمتواتر إما قطعي الدلالة أو ظني، أو تكون آحادا، وكله ظني.

والإجماع إن نقل بطريق التواتر فهو قطعي، وإلا كان ظنيا.

وبهذا تعلم قلة القطعيات، ولا يكفر الشخص إلا إذا خالف فيما هو قطعي الثبوت والدلالة.

وفي هذا يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلا إلا في مسألة واحدة، وهي أن ينكر أصلا دينيا علم من الرسول r.

وقد نقل الحافظ ابن حجر عن القرطبي قوله: حيث جاء الكفر في لسان الشارع فهو جحد المعلوم من دين الإسلام بالضرورة الشرعية.

ويقول حسن البنا رحمه الله: لا نكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها برأي أو معصية إلا إذا أنكر معلوما من الدين بالضرورة أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب العربية بحال، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر.

والإمام الشافعي رحمه الله لا يرى الإجماع إلا في الفرض الذي لا يسع جهله من الصلوات والزكاة وتحريم الحرام. وعلى هذا فلا تكفير عنده إلا على ما علم من الدين بالضرورة.

ومحمد بن عبد الوهاب رحمه الله يقول: وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسل ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله. فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك.

ويقول في رسالة أخرى: وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول بعد كلام: وهذا يبين أن كل من أقر بالله فعنده من الإيمان بحسب ذلك. ثم من لم تقم عليه الحجة بما جاءت به الأخبار لم يكفر بجحده، وهذا يبين أن عامة أهل الصلاة مؤمنون بالله ورسوله وإن اختلفت اعتقاداتهم في معبودهم وصفاته، إلا من كان منافقا يظهر الإسلام ويبطن الكفر بالرسول فهذا ليس بمؤمن، وكل من أظهر الإسلام ولم يكن منافقا فهو مؤمن له من الإيمان بحسب ما أوتيه من ذلك، وهو ممن يخرج من النار ولو كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ويدخل في هذا جميع المتنازعين في الصفات والقدر على اختلاف عقائدهم.

ويقول بعد عرضه لمسألة التوسل بالنبي والخلاف فيها: ولم يقل أحد: أن من قال بالقول الأول فقد كفر، ولا وجه لتكفيره، فإن هذه مسألة خفية، ليست أدلتها ظاهرة، والكفر إنما يكون بإنكار ما علم من الدين ضرورة، أو بإنكار الأحكام المتواترة والمجمع عليها ونحو ذلك. واختلاف الناس فيما يشرع من الدعاء وما لا يشرع، كاختلافهم هل تشرع الصلاة عليه عند الذبح، وليس هو من مسائل السب عند أحد من المسلمين. وأما من قال: أن من نفى التوسل الذي سماه استغاثة بغيره كفر، وتكفيره من قال بقول الشيخ عز الدين وأمثاله، فأظهر من أن يحتاج إلى جواب، بل المكفر بمثل هذه الأمور يستحق من غليظ العقوبة والتعزير ما يستحقه أمثاله من المفترين على الدين، لاسيما مع قول النبي r "من قال لأخيه: كافر، فقد باء بها أحدهما. ا.هـ

وهنا كلام جميل لبعض العلماء يقول فيه عن الشريعة الإسلامية: هي أشد الشرائع في التوحيد، والإبعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل.

ولكن المشكلة في هذا القول تبرز مع بروز فن تخريج الفروع على الأصول!!.

وتخريج الفروع على الأصول بقدر ما هو استهتار بالشريعة الإسلامية، والملة الحنيفية، فهو تقليل من شأنها، وتهميش لحصونها، ذلك أن توسيع دائرة القطعيات وابتذالها، يجعل الأنظار تنظر إلى قيمتها كما تنظر إلى قيمة التراب.

قد يرضي المرء نفسه في سل سيف القطعيات لضرب الخصوم، لكن سيكون هذا على حساب الدين الإسلامي.

وإذا كانت كافة الأفراد تؤمن بالخلاف فإن المشكلة جعل هذا الإيمان إيمانا بخلاف معين، يرجع تأصيله إلى أمثلة أملتها عليه الطائفة التي ينتمي إليها، ولذا فليس من حاجة إلى ذكر فائدة الخلاف إذ الجميع يؤمن به

==============

#حجاب المرأة ودعاوى الحرية

عز الدين فرحات 1424/9/25

2003/11/19

في قرار غريب وعجيب أقرت حكومتا مقاطعتي بادي فورتنبورج وبافاريا الألمانيتان يوم الثلاثاء 2003/11/11م مشروع قانون يمنع المدرسات المسلمات من لبس الحجاب، لكنه يسمح لهن بإبراز رموز دينية مسيحية ويهودية.

وأوضح رئيس الحكومة المحلية في مقاطعة بادي فورتنبورج أن الهدف من مشروع القانون هو منع المدرسات في التعليم العام من ارتداء ما يمكن أن يفسر على أنه موقف سياسي.

فيما قالت وزيرة التربية التي قدمت المشروع إن الحجاب يمكن أن يشكل رمزاً ثقافياً وعنصرياً يشير إلى عصر قمع المرأة.

بالمقابل ولتبرير إبراز الرموز المسيحية واليهودية تذرعت الحكومة المحلية بقرار المحكمة العليا الذي أجاز لكل مقاطعة أن تتخذ قراراتها وفق تقاليدها.

إلى هنا ينتهي الخبر، وهو على ما ينطوي عليه من عنصرية بغيضة وتحامل على المسلمين؛ إلا أننا يجب أن لا ننظر إليه منفرداً، بل لا بد من النظر إليه من خلال السياق العام السائد في دول الحرية والديمقراطية الأوروبية. حيث الهجمة الشرسة على كل ما هو إسلامي حتى قطعة القماش على رأس تلميذة في إحدى المدارس.

يحدث هذا في ألمانيا كما يحدث في فرنسا وعلى أعلى مستوى سياسي حيث يتدخل رئيس الجمهورية في فرنسا بتكوين لجنة رئاسية للنظر في تطبيق أحسن للعلمانية يرأسها برنارد ستازي المقرب من الرئيس جاك شيراك. في الوقت الذي يحتد فيه النقاش على صفحات الجرائد والمجلات حول موضوع الحجاب الإسلامي في محاولات لاستصدار قانون يمنع المسلمات من ارتداء الحجاب.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية راعية الديمقراطية والمبشرة بها في العالم تتعرض موظفة مسلمة في أحد البنوك للفصل من عملها بسبب ارتدائها للحجاب!.

وإذا تركنا الغرب جانباً وتحولنا إلى بعض دول الإسلام تثار أزمة سياسية في تركيا لأن رئيس الدولة يدعو بعض أعضاء البرلمان لحضور احتفال رسمي ويتجاهل آخرين لأن زوجاتهم يرتدين الحجاب. وتحرم النساء من التعليم والعمل لارتدائهن الحجاب!.

وفي مصر خمس مذيعات يرفعن قضية ضد وزير الإعلام المصري لأنه أصدر قراراً بمنعهن من الظهور على شاشات التلفاز مرتديات للحجاب الإسلامي، وقبلهن إحدى مضيفات الطيران تُمنع من الصعود إلى الطائرة لأنها ارتدت الحجاب.

وفي تونس تتعرض النساء المحجبات إلى الحرمان من العمل والدراسة، بل يتعدى ذلك إلى تطاول رجال الأمن عليهن بالسب والإهانة والتعنيف وإجبارهن على التوقيع على تعهدات بعدم ارتداء الحجاب مستقبلاً.

هذه الأمثلة وغيرها كثير وكثير في أماكن متفرقة من العالم.

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا هو:

أين دعاة حقوق الإنسان والمطالبون بأن تنال المرأة حقوقها؟!.

أليس من حقوق المرأة حق الحرية؟!

أليس من الحرية أن تعتقد المرأة ما تشاء – كما يدعون – وتفعل ما تشاء؟ أليس الداعون إلى حرية المرأة يزعمون أنهم يطالبون بحرية المرأة من تسلط الآخرين عليها؟!

فلماذا يتسلطون هم عليها ويجبرونها على نزع حجابها الذي ارتدته بحريتها وكامل إرادتها عن اقتناع وعقيدة ؟!

لماذا يسمحون للمرأة بالتعري ويمنعونها من الاحتشام؟!

أليس ذلك مصادرة لحريتها؟ وحجراً على عقلها وإرادتها؟!

أم أن المقصود بحرية المرأة – عند هؤلاء الدعاة– هو حرية التعري واتخاذ الخلان؟!

أم أنهم يستعبدونها بدعوى تحريرها؛ فتكون عندهم كالأَمَة مسلوبة الإرادة تلبس ما يقترحونه وتفعل ما يأمرون وتباع وتشترى في سوق النخاسة الإعلامية ما بين الإعلانات التجارية و الفيديو كليب؟!

أسئلة تنتظر الإجابة عنها من دعاة تحرير المرأة....

فهل من مجيب...؟

============

#شاهين:

أحفاد أتاتورك يمارسون مهمتهم

حوار: طه عبد الرحمن 1424/2/25

2003/04/27

– العلمانية جزء من الغارة الاستعمارية على العالم الإسلامي

– أحفاد أتاتورك من كتاب وفنانين وإعلاميين يمارسون مهمتهم بكل إخلاص للقضاء على الإسلام

– العدو الصهيوني يخطط لقطع قضية فلسطين عن العرب والمسلمين

تحدث المفكر الإسلامي المعروف الدكتور عبد الصبور شاهين الأستاذ بجامعة القاهرة عن الأسباب التي أدت إلى تراجع المسلمين عن السبق الحضاري في مقابل تقدم الأمم الأخرى، واعتبر أن عدم التمسك بالشريعة الإسلامية وعدم تطبيقها هي السبب وراء ذلك .

ودعا د. شاهين في حديثه لموقع " الإسلام اليوم " إلي ضرورة وحدة المسلمين والتكاتف لاستعادة زمام الحضارة وهو ما سيؤدي أيضا إلى حماية الأقليات المسلمة في شتى بقاع العالم من محاولات الاضطهاد والتشويه التي يتعرضون لها ويحقق لهم حفظ هويتهم الإسلامية

وطرح تفسيره لبروز الاتجاه العلماني في العالم الإسلامي مؤكدا أنه ليس دينا ولكنه جاء عقب سقوط الخلافة العثمانية وتزكية إسرائيل لهذا الاتجاه الذي وصفه بأنه استعمار جديد يستهدف تقويض الحياة في العالم الإسلامي

واستعرض د. شاهين قضايا إسلامية عديدة جاءت في الحديث التالي :

حماية الأقليات المسلمة

سؤال:في الفترة الأخيرة تعرضت الأقليات الإسلامية في الدول الغربية لحملات اضطهاد واسعة، شملت إهداراً لحقوقها وحريتها فكيف يمكن حماية الهوية الإسلامية لهذه الأقليات مما تتعرض له ؟

جواب:للأسف هناك عجز من العالم الإسلامي عن حماية هذه الأقليات فهو يجهل الكثير عن هذه الأقليات المسلمة، ويعجز أيضا عن الدفاع عنها، فمأساة الأقليات المسلمة هي مأساة العالم الإسلامي كله، ولا أمل في استرداد الأمة الإسلامية لعافيتها إلا إذا توحدت في وجودها ووعيها وقوتها ووحدتها.. فحينئذ يمكن إن نتحرك لحماية هذه الأقليات وإنقاذها وأعتقد أن وجود مشكلة أقليات مسلمة في العالم دليل على تحرك الروح الإسلامية في هذه الأقليات وشعورها بأهمية الالتزام بالدين الإسلامي،

ويجب أن يعي المسلمون جيدا أن تمزقهم وتفرقهم سينعكس كثيرا على هذه الأقليات كما أن هذا التفرق هو سبب تخلفهم وضعفهم وضياعهم وإذا وعوا هذه الحقيقة فإن أوضاعا كثيرة سوف تتغير لصالح مستقبل العالم الإسلامي.

سؤال:في تقديرك ما الأسباب التي أدت إلى ضعف العالم الإسلامي وتراجعه عن النهضة الحضارية التي امتلك زمامها منذ مئات السنين ؟

جواب:هناك سببان أساسيان لتخلف المسلمين:

الأول: ذاتي وهو يرجع إلى أن المسلمين قد تخلوا عن مبادئهم الحضارية، فبعد أن كان الإسلام عزهم وحضارتهم ضعفت علاقتهم به في فترة تاريخية معينة، وأدى هذا الضعف إلى انهزامهم في أول لقاء جاد بينهم وبين الحضارة الغربية في الأندلس وطرد المسلمون من هناك.. ومن وقتها بدأ المسلمون يدخلون في مرحلة التمزق والضياع وظهرت بينهم ألوان من التنافس القبلي والارتداد إلى العصبيات، مما أدى إلى ضعف الرابطة الإسلامية التي كانت تجمع الأمة، وأصبح الوضع لا إسلامي مما شجع أعداء الإسلام على تحطيم وجود هذه الأخلاط من البشر التي تخلت عن دينها مصدر قوتها وعزتها وتقدمها .

وأما السبب الثاني فهو خارجي ويتمثل في أن صولجان الحضارة عندما انتقل إلى الغرب.. كان هم الغرب أن يعمل في اتجاهين: الأول أن يطور نفسه لينشئ حضارته المادية، والثاني أن يعمل على تأخر وتعويق وتدمير حياة المسلمين حتى لا يعودوا إلى سيرتهم الحضارية، وبالفعل تحقق لهم ذلك فالمسلمون اليوم في حالة غير حضارية، لأنهم ليسوا أصحاب الحضارة المادية القائمة اليوم .

سؤال:وكيف يمكن التوصل إلى حلول عملية لمعالجة هذه الأسباب ومواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ؟

جواب:الحل هو ضرورة الاتفاق حول مفاهيم المصطلحات الفقهية والشرعية ومضامينها حتى تتفق الأحكام على صيغة واحدة واضحة، وتبتعد عن إطار المتشابهة وتمييع الحقائق ويختلف الناس حول الهوامش، وهذه مهمة مجتمعات البحوث الإسلامية في بلاد العالم الإسلامي، والتي يجب إن تخلق مناخاً فكريا وسطاً تجتمع حوله العقول المختلفة لتتفق بشرط ألا تتحول هذه الاتفاقات إلى مجرد مناظرات عقيمة لا طائل من ورائها ولا تفيد الأمة وأن يكون لدى كل طرف استعداد مسبق للاتفاق وقبول ما لدى الطرف الآخر وليس مجرد الاختلاف

وأؤكد أن الوحدة الإسلامية وتطبيق تعاليم الدين الإسلامي على أنفسنا ومحاولة الاستقلال الفكري والسياسي والاقتصادي عن الحضارات الأخرى؛ لأن الحضارة الإسلامية قادرة بخصوصيتها على حل جميع مشكلات أبنائها ولا داعي للحلول المستوردة، وأدعو الله أن تتسع الجهود التي تبذل للتنسيق بين الدول الإسلامية عن طريق المنظمات الإسلامية المتعددة وأن تنجح هذه الجهود لتشمل كل المجالات وتتحقق الأهداف الكبرى لهذه الأمة في الوحدة وإعلاء كلمة الإسلام .

العلمانية ... مؤامرة

سؤال:ما تفسيركم للامتداد العلماني الغربي في بعض الدول الإسلامية وما الصلة بينه وبين الغزو الفكري الحديث ؟

جواب:العلمانية هي جزء من الغارة الاستعمارية على العالم الإسلامي، فالاستعمار لا يوجد خيار أمامه إلا السيطرة العلمانية على أجهزة الإعلام والإدارة والتوجيه في العالم الإسلامي ويتخذ من بعض الجهات والمؤسسات ذريعة للتدخل ويدفع

لأصحابها أموالاً، ولذلك لا أستغرب إذا ما وجدنا كتابا يدافعون عن الغرب مقابل هجومهم على الإسلام، وكانت البدايات وراء دخول العلمانية إلى العالم الإسلامي عن طريق مؤامرة أوروبية على الخلافة العثمانية لتقسيم العالم الإسلامي من خلال حركة أتاتورك العالمية في تركيا والتي ثبت تواطؤها مع الصهيونية العالمية، فأتاتورك وهو أساسا من يهود الدونما كان أول صيحة دخلت بها العلمانية واقع العالم الإسلامي، وهو في الحقيقة عميل عريق من عملاء الاستعمار، استطاع أن يمكن الغرب من رقبة الخلافة الإسلامية واستطاع أن يقضي على شخصية تركيا الإسلامية وبذلك خدم الغرب أكبر خدمة ومازال أحفاده في شكل كتاب وفنانين وإعلاميين يمارسون مهمتهم بكل إخلاص وتفان حتى يقضوا على الإسلام وهؤلاء هم رسل الاستعمار لإبعاد الجماهير المسلمة عن روح الإسلام ومساعدة الاستعمار بكل صوره على فرض الهيمنة على العالم الإسلامي .

ولا شك أن إسرائيل تزكي الاتجاه العلماني وتؤيدها بعض الاتجاهات في الغرب، فالعلمانية ليست دينا جديدا يجب أن يؤمن به الناس، ولكنها دفع استعماري خطير يريد تقويض الحياة في العالم الإسلامي ليسيطر الغرب على كل شيء في حياتنا .

الجهاد لإنقاذ القدس

سؤال:في هذا الإطار كيف يمكن للمسلمين مواجهة الصلف الإسرائيلي وممارسات قوات الاحتلال تجاه المقدسات الإسلامية وجرائمه في حق الشعب الفلسطيني ؟

جواب:أؤكد أنه لا أمل لنا نحن المسلمين إلا أن نحيي قضية القدس إسلاميا ونشعلها جذوة حتى لا ينسى العالم أن المسلمين هم أصحاب القضية، ولا ينسى المسلمون أن عليهم الجهاد من أجل أولى القبلتين وثالث الحرمين، وعلينا أن نعلم أن الصهاينة هم عدونا الأول, وقد تجمعوا في فلسطين وعددهم لا يزيد عن أربعة ملايين أي أنهم قلة، ونحن المسلمون نزيد على المليار مسلم, ولا يأتينا الضعف من قلتنا ولكن من تفرقنا، وقد خطط العدو الصهيوني لقطع قضية فلسطين عن العرب والمسلمين وحصرها في أضيق الحدود، وإسرائيل تخشى ما تخشاه أن تتحول قضية القدس إلي قضية إسلامية فالمفاوضون العرب سلموا القدس لليهود ولم يبق للقدس إلا إسلاميتها

وجدار الإسلام وحضنه يقوي هذه القضية.. أما المنظور العربي وحده فإنه يضعفها .

الإسلام والغرب

سؤال:برأيكم.. كيف تقيمون العلاقة بين الإسلام والغرب ؟ وهل سيحقق الحوار المشترك نتائج إيجابية مع مراعاة حملة التشويه التي يقودها بعض الأشخاص في الغرب تجاه الحضارة الإسلامية ؟

جواب:للأسف فإن الحضارة الغربية وبعض مفكريها ومنظريها لم يجدوا عدواً لهم سوى الإسلام وحضارته وشعوبه أيضا وكان الأولى بهم أن يوجهوا دعوة لحوار مشترك مع المفكرين والعلماء الإسلاميين ولكنهم للأسف أرادوا أن يطلقوا شعارات جوفاء حول العداء للإسلام بدعوى مواجهة الإرهاب بإرهاب أكثر منه، ومن الضروري أن نفتح باب الحوار المشترك بين الأديان المختلفة خاصة بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية؛لتكون لغة الحوار هي السائدة بدلا من لغة الصراع، فالأديان كلها تدعو إلى التسامح والحوار بين كافة البشر.

سؤال:ولكن الغرب دائما ينظر إلى المسلمين وحضارتهم نظرة أخرى "سلبية " فما رأيك ؟

جواب:أرى أنه حين يفهم المسلمون شريعتهم بدقة ويأخذون بأسباب التقدم الذي سار عليها الأولون وأولها العلم فستتوهج حضارتنا مرة أخرى ونكون أنداداً لهؤلاء وغيرهم، وقد نتفوق عليهم كما كان الأصل،

كما أرى أن المشكلة فينا بالتأكيد فنحن لم نفهم ما تأمر به الشريعة الإسلامية وتركنا الأمم الأخرى تتفوق علينا بعد أن أقاموا حضارتهم على أنقاض حضارتنا فأخذوا علومهم التي قامت عليها حياتهم منا بعد أن فهموا أسس قيام الحضارة وطوعوها لصالحهم .

============

#العولمة والإسلام

إعداد: سهى عبيد * 1424/2/28

2003/05/01

المقدمة

في هذه الورقة البحثية سيكون حديثنا عن الإسلام والعولمة، وذلك لعدة اعتبارات أهمها: (أن عالمنا شهد مجموعة من التحولات المفزعة دولياً والتي أتخذت مظاهر متعددة:(1)

*"انهيارية" وذلك من حيث انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية.

*"استقطابية أحادية" من حيث استقطاب الاتحاد السوفيتي إلى الحشد الدولي في الحملة الدولية على منطقة الخليج العربي، وكسر عزلة النهوض الذاتي للصين.

*"ابتلاعية" أي محاولة تنميط العالم اقتصادياً وسياسياً وإعلامياً وثقافياً عبر إبتلاع الشركات المتعددة الجنسيات للمسافات الحضارية التاريخية والجغرافية للشعوب والدول القومية.

إذاً عالماً اليوم له سمات ثلاثة أساسية، انهيار الكتلة الشرقية، وأحادية القطبية، والهيمنة الرأسمالية على كافة مظاهر الحياة، وضمن هذه الظروف يكمن سؤال هام: أين يقع الإسلام في ظل عالمنا اليوم؟!

ذلك الدين صاحب الرسالة الخالدة العالمية ما هي طبيعة علاقته بالعولمة؟ هل هي علاقة تصارعية؟ أم اندماجية؟

انطلاقاً من الفرضية السابقة ستكون خطة البحث كما يلي:

الباب الأول: موقع الإسلام في النظام العالمي الجديد.

الفصل الأول: ماهية العولمة والنظام العالمي الجديد.

الفصل الثاني: علاقة الإسلام بالعولمة.

الباب الثاني: تقييم عام.

الفصل الأول: مخاطر العولمة على الإسلام.

الفصل الثاني: الخيارات المطروحة أمام مسألة الإسلام والعولمة.

الباب الأول: موقع الإسلام في النظام العالمي الجديد:

الفصل الأول: ماهية العولمة والنظام العالمي الجديد

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية وتحديداً خلال حرب الخليج الثانية عام 1991 تحدث الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش "الأب" عن نظام عالمي جديد،

هذا النظام في الحقيقة يقوم على هيمنة قطب واحد يحاول فرض سلطته على كافة الصعد الثقافية والسياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية. وللوقوف على حقيقة الموضوع لابد لنا في البداية أن نتعرف على مصطلح النظام العالمي الجديد أو ما عُبر عنه بالعولمة

في الحقيقة هناك العديد من المفاهيم لهذا المصطلح حتى أنك تجد في حال بحثك عن هذا الموضوع أنك في شبكة هائلة من المفاهيم على أن الكثير من المفكرون اعتبروا العولمة تراكماً تاريخياً وأمراً لم يكن مستحدثاً فهي صيغة طُرحت قديماً بعدة أشكال وطرق فيقول أحمد سلامة (2)(لقد بشر شوبنهاور ونيتشة بعولمة تقوم على أساس نقاء العرق واختطف تلك الفكرة النظرية هتلر الذي كان يسعى للعولمة بطريقته العرقية الخاصة ثم جاء ستالين بطريقة جديدة للعولمة عبر العولمة اللا إلهية، ثم تأتي العولمة اليوم بكونها: فكرة تجمع بين القوة والقدرة والرغبة والمناخ الملائم ليجعل اتباعها من أنفسهم نموذجاً يحتذى إما بالفرض القسري وإما بالتبشير المرغوب فيه فيصير العالم قرية كونية".

في حين يرى الدكتور سيار الجميل (3)"أن العولمة نظام عالمي جديد له أدواته ووسائله وعناصره وجاءت منجزاتها حصيلة تاريخية لعصر تنوعت فيه تلك التطورات التي ازدحم بها التاريخ الحديث للإنسان بدءً باستكشافه للعالم الجديد عند نهاية القرن الخامس عشر وصولاً لاستكشافه العولمة الجديدة عند نهايات القرن العشرين مروراً بأنظمة وظواهر وأنساق متنوعة كالإصلاحات الدينية والذهنية والسياسية والثورات الصناعية والرأسمالية والاشتراكية والمرور بأزمات وكوارث وصراعات وحروب أشعلتها الدول، هكذا تأتي فلسفة العولمة لتجسد حصيلة ما حفل به التاريخ الحديث للبشرية".

أما العولمة من وجهة نظر د. برهان غليون (4)فإنها تتجسد في نشوء شبكات اتصال عالمية تربط جميع الاقتصاديات والبلدان والمجتمعات ليخضعها لحركة واحدة، ويتمثل باندماج منظومات رئيسية:

1.المنظمة المالية عبر سوق واحدة رأس المال وبورصة عالمية واحدة.

2. المنظومة الإعلامية والاتصالية.

3. المنظومة المعلوماتية التي تجسدها بشكل واضح شبكة المعلومات فالمقصود هو الدخول في مرحلة من الاندماج العالمي العميق.

إذن هناك العديد من المفاهيم لظاهرة العولمة والتي لا يمكن أن نقترب من تعريف شامل لها إلا إذ وضعنا في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهر هذه الظاهرة، كما يرى د.ياسين(5):

1.انتشار المعلومات.

2.تذويب الحدود بين الدول.

3.زيادة معدل التشابه بين الجماعات والمؤسسات.

فالعولمة ظاهرة تعكس معالم النظام العالمي الحديث وهذه المعالم على النحو التالي:(6)

1.تخلي الاتحاد السوفيتي كطرف مؤثر في العالم وعن أصدقائه في حلف وارسو، الأمر الذي شجع على حدوث التغييرات السريعة في أوروبا الشرقية وبالتالي انهيار الكتلة الشرقية.

2.أدت التغييرات التي حدثت في أوروبا الشرقية إلى اختلال في ميزان القوى لصالح الولايات المتحدة حيث أصبحت مرتكز للنظام العالمي الجديد الذي يخضع لنظام القطب الواحد بزعامة الولايات المتحدة.

3.نظام يقسم العالم إلى طرفين لا إلى ثلاثة: أغنياء وفقراء، الشمال للأغنياء والجنوب للفقراء.

4.جعل المنظمات الدولية والإقليمية هيئات موظفة لخدمة مركز الزعامة في النظام الدولي وهي الولايات المتحدة ومبررة لسياساتها وأهدافها.

5.بروز مفاهيم الديموقراطية، حقوق الإنسان، التعددية السياسية.

6.الاقتصاديات العملاقة ذات التكنولوجيا العالية، جعلت الاقتصاديات القطرية عاجزة عن التأثير في العلاقات الاقتصادية الدولية خاصة في ظل وجود الشركات متعددة الجنسيات.

وبما أننا تعرفنا في هذا الباب إلى مفهوم العولمة ومعالم النظام العالمي الجديد لابد لنا أن نوضح مفهوم الإسلام وذلك حتى تكتمل المصطلحات الأساسية التي يرتكز عليها البحث.

فإذا نظرنا للمفهوم التقليدي الشائع، فالإسلام هو الدين الذي أُنزل على سيدنا محمد عليه السلام، وهو خاتم الرسالات السماوية.

لكم ما يميّز الإسلام حقاً هو عالمية رسالته وكونيتها . والبحث قائم في الأساس على الفرق بين العالمية والعولمة، فالعالمية هي طموح الارتقاء بالخصوصي إلى مستوى عالمي وهذا ما كرّسه القرآن الكريم:((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين))، ((وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا))، لكن مع ملاحظة هامة ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي))، ((أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)).

بالإضافة لما سبق يجب أن نلاحظ أن عالمية الإسلام لم تجعله يرفض التباين بين الأمم فالإسلام يؤمن بأن لكل أمة خصوصيتها ((لكلٍ جعلنا شرعةً ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة))(7).

فمنذ فجر الإسلام كان الرسول الكريم محاطاً ببلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي. وكل هؤلاء ليسوا بعرب.

في حين أن إطار العولمة الحديث يقوم على إقصاء الطرف المقابل وعدم قبول ثقافته ومن هنا العالمية على عكس العولمة، تقبل بالتبادل بين الثقافات فهي تقبل بالآخر ولا تعمل على إقصائه، فخصائص عالمية الإسلام تنطلق مما يلي:

1.الخلود، وخلود الإسلام هو استمرار بقائه وامتداد رسالته، ودعوته ما دامت البشرية تواصل حياتها على سطح هذه الأرض. وسر الخلود يكمن في:

أ. السعة والشمول، والتي تظهر في العقيدة والقوانين والنظم والأفكار والمفاهيم الإيمانية والحضارية.

ب. الاجتهاد، أي استنباط الأحكام والقوانين والمفاهيم والأفكار من القرآن والسنة، فكل حادثة وأمر جديد محدث في المجتمع الإسلامي ولم يكن له حكم مجدي، فإن الشريعة أذنت باستنباط ذلك الحكم من القواعد والأسس والمفاهيم الكلية العامة.

2.اليسر والسهولة، فالتكليف بمستوى القدرة، فليس في الشريعة الإسلامية تكليفاً فوق طاقة الإنسان فكل العبادات في الصوم والصلاة والحج والزكاة والجهاد في سبيل الله كلها وضعت بمستوى طاقة الإنسان واستطاعته قال تعالى ((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها)).
3.الإنسانية فالإسلام ينظر للناس جميعاً بأنهم من أصل واحد متساوون في الإنسانية ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى وبذلك قال تعالى ((يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) وفي الحديث الصحيح عن الرسول الكريم "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى".
4. العقلانية فرسالة الإسلام تقوم على أساس قناعة العقل والتوافق مع منطقه وإقناعه بالحجة والدليل والبرهان وبذلك قال تعالى((وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمين)).
5.الاعتدال بين الدنيا والآخرة تأمر الشريعة بالاعتدال في كل شيء حتى في العبادة وقال تعالى ((وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله إليك)).

ومن كل ما سبق يمكننا القول أن العولمة ظاهرة متعددة الأبعاد والزوايا "سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية"و أنها ظاهرة ولدت في نهاية القرن العشرين وهذا يعني أنها مرت في مراحل متعددة حتى أصبحت ظاهرة قابلة للوجود وبالتالي كان وجودها في نهاية القرن الماضي وفي نهاية هذا الباب من الفصل الأول يجب أن أنوه بأن هناك عولمة وعالمية وكلاهما مفهومان مختلفان كما يقول د.محمد عابد الجابري" هناك عولمة Globalization وهي تعني إرادة الهيمنة أي قمع وإقصاء للخصوص والذاتي وهناك عالمية

Universalism وهي طموح للارتقاء والارتفاع بالخصوصي إلى مستوى عالمي.فالعولمة احتواء للعالم أما العالمية تفتح على كل ما هو كوني وعالمي(8)وبغض النظر عن وجهة نظري الشخصية إزاء العولمة فإنني اتفق مع داني روديك أستاذ الاقتصاد السياسي في هارفارد حيث يقول (يجب أن لا نفزع من العولمة كما يجب أن لا نأخذها بخفة، فالعولمة تفتح أفاقاً واسعة وتتيح فرصاً أولئك

الذين لديهم المهارة والقدرة والمؤهلات التي تمكنهم من الحركة والازدهار في الأسواق العالمية).

ومن هذا المنطلق ومن منطلقات أخرى أهمها أن لكل شيء جانبان إحداهما سلبي والآخر إيجابي اخترت أن أتحدث عن الإسلام والعولمة.

الفصل الثاني: علاقة الإسلام بالعولمة

في الفصل السابق تحدثت عن مفهوم العولمة وعن طبيعة العالم الحالي وما يسمى بالنظام العالمي الجديد، وفي هذا الفصل سأتحدث عن موقع الإسلام في ظل هذا النظام وفي ظل ما أطلق عليه بالعولمة.

يقترن الإسلام بالإرهاب والأصولية فالحركات الإسلامية أُلصقت بها هذه تهمة الإرهاب والعنف والتطرف والسؤال هو لماذا؟

إن النظر لواقع الإسلام اليوم يتنازعه رأيان(9):

1. يقول غير المسلمين أن هناك مشكلة ما تتسبب في إضطراب علاقات الإسلام مع الأديان الأخرى وأن هذه المشكلة تعبر عن نفسها في سلسلة من الصراعات.

2. هو أن المسلمين يقولون أن الإسلام مستهدف وأن ثمة حرباً معلنة ضده وأن الإسلام في دفاعه عن عقيدته وفي صموده أمام سلسلة من الهجمات التي يتعرض لها يجد نفسه في حالة صراع دائم.

فالمسلمين يرون أن المشكلة هي في نظرة الآخرين للإسلام، وغير المسلمين يعتقدون بوجود المشكلة في الإسلام.

وعلى أي حال بدأ الحديث عن الإسلام بإعتباره ضمن دائرة صراع الحضارات وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، فبعدما انتهى العدو الأول للغرب الرأسمالي ما لبث أن وجد عدو جديداً ألا وهو الإسلام وهذا يظهر في العديد من الكتابات بل وحتى في الخطابات الرسمية وغير الرسمية ويقول هنري كيسنجر في خطاب ألقاه أمام المؤتمر السنوي لغرفة التجارة الدولية (بأن الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتاها هي العالم العربي الإسلامي باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب) وهذا ما أكده الأمين العام للناتو "حلف شمال الأطلسي" ويلي كلايس willy Claes

الذي وصف الأصولية الإسلامية في خطاب رسمي له بأنها أعظم خطر راهن يواجه الحلف(10).

من خلال التصريحين السابقين يتضح لنا أن الإسلام مستهدف خاصة أن بعض الجماعات والحركات التي تدعي الإسلام تتيح للغرب استهداف الإسلام. وعلى أي حال يجب أن نلاحظ أن العالم الإسلامي يعاني العديد من المشاكل والتي لابد أن تتفاقم في ظل العولمة إذا لم يوجد حل لهذه المشاكل.

حتى أننا نجد أن الأدبيات الغربية تجعل من الإسلام عدواً لها خاصة في ظل رأي هنتغتون في "صراع الحضارات" حيث يقول (بأن النظام العالمي السابق كان يقوم على صراع بين ثلاث قوى رئيسية: الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفيتي والعالم الثالث، أما النظام العالمي الجديد نظام ما بعد الحرب الباردة فيقوم على الصراع بين ثماني حضارات(11)

"الغربية واليابانية والكنوفشسية والهندوسية والأمريكية اللاتينية والأرثذوكسية والحضارة الإسلامية والحضارة الإفريقية". وهو يرى أن حروب المستقبل سوف تجد جبهات لها في نقاط التماس بين الحضارات وخاصة مع الإسلام وكل واحدة من هذه الحضارات على حدى وهذه النقاط كما يراها: (المواجهة بين الإسلام والغرب من خلال الصراع بين البوسنة وكل من كرواتيا وسلوفينيا. المواجهة بين الإسلام والأرثذوكسية من خلال الصراع بين البوسنة وصربيا وتركيا واليونان وبلغاريا.المواجهة بين الإسلام والهندوسية من خلال الصراع الهندي الباكستاني). بمعنى أن الغرب وضع الإسلام في موضع العدو والمواجهة وفي الحقيقة ازداد عجبي بعدما قرأت كتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) حيث يقول مؤلفه أن الاتحاد السوفيتي سينهار وبعدها ستبحث الرأسمالية عن عدو لها وسيكون هو الإسلام، والذي سيعمل على محاربته هو الصهيونية، عبر دولتها إسرائيل.

والغريب أن هذا الكتاب تم تأليفه عام 1950، وهذا يعني أنه جاء بعد قيام إسرائيل بعامين فقط، وأنه جاء ليتحدث عن سقوط الاتحاد السوفيتي قبل حوالي أربعين عاماً، ولنتذكر أن الاتحاد السوفيتي عام 1950 كان قلعة عسكرية وعلمية دخل في حرب

النجوم مع الولايات المتحدة الأمريكية وتفوق عليها في مرحلة من المراحل، فكيف استطاع الكاتب في ظل هذه المعطيات أن يتوقع كل ذلك؟!.

اعتقد فعلاً أن الإسلام حقاً في مواجهة الغرب، والعولمة هي الصيغة المطروحة حالياً.

وعلى أي حال، إن الإسلام كدين جاء يحمل طابعاً عالمياً على خلاف اليهودية التي جاءت مقتصرة على بني إسرائيل، جاء الإسلام كرسالة لبني البشر أجمعين قال تعالى ((وما أرسلناك إلا نذيراً وبشيراً للعالمين)).

فالإسلام في كثير من تعاليمه وفي الكثير من تطبيقاته وفي الكثير من ممارسات الرسول الكريم دلالة على الطابع العالمي: ((لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى)).

هذا يعني أن الإسلام له طابع عالمي وليس مُعَولماً بمعنى أنه Universalim وليس Globalization حيث أن الإسلام وجهت له ضربات تتخذ شكلاً عالمياً معولماً:

1.وذلك بضرب قوات التحالف الدولي للعراق على إثر ما درج على تسميته الآن بالحالة العراقية الكويتية.

2.محاولة طبع المنطقة العربية "الإسلامية" بالطابع الشرق أوسطي.

فخطوات عولمة العالم العربي بدت متسارعة جداً وذات هدف لا يستهان به هو عولمة المنطقة العربية لابعادها وسلخها عن أي محاولة لأسلمتها. فبعد أن خرج العرب منهكين من أثار التحالف الدولي المعولم على العراق طُلب منهم للسلام في مدريد.

ومما سبق نخلص إلى أن الإسلام شيء والعولمة شيء آخر وفي هذا رد على من يدعي ترابطهما، لكن هذا لا ينفي أبداً كون الإسلام دين عالمياً لكنه يبقى في الحقيقة موقع وهدف للمواجهة في ظل النظام العالمي الجديد.

فبعد نهاية الحرب الباردة أصبح هناك العديد من التنظيرات حول شكل العالم الجديد وبزت جملة من السيناريوهات والتوقعات تطرح أشكالاً متعددة مثل، فكرة صعود قطب آخر غير الولايات المتحدة، وتحول النظام إلى ثنائي القطبية، وأحياناً يتطرق

الحديث إلى استحكام قطب واحد تمثله الولايات المتحدة، بينما هناك تصور ثالث يشير إلى التعددية القطبية بحيث تشارك فيه أطراف أخرى مثل أوروبا الموحدة والهند والصين. (ومن العجيب أن هذه الاحتمالات التي تشير إلى قوى صاعدة لا تتضمن وجود أي دولة إسلامية كدولة رائدة فإذا كان هناك وفق التصور الذي يؤكد تحكم قطب واحد مهيمن على العالم، فهل يصبح كل العالم بذلك "دار حرب"؟).

ومن جهة أخرى، للعولمة العديد من التجليات السياسية والتي تتركز في رفع شعارات الديموقراطية والتعددية الفكرية واحترام حقوق الإنسان.

هنا الإسلام لا يتعارض مع حقوق الإنسان، وفي الكثير من نصوصه ما يؤكد ذلك ((يا أيها الناس إنا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)). إلا أن الإسلام لا يمكن أن ينسجم مع مصطلح الديموقراطية بالمفهوم الغربي، وهذا لا يعني أن الإسلام ديكتاتوري لكن الإسلام له خصوصيته فلا يمكن تأطيره وقولبته بالقلب وإطار معين وإلا كان هذا تقزيماً له.

فالإسلام شيء والديموقراطية شيء آخر لأن الأخيرة تقوم على العلمانية والحرية التي لا سقف لها.

أما الإسلام يؤمن بالحرية المنسجمة مع حدود الشرع، ولا علمانية في الإسلام فالسلطة الدينية هي الأساس وحتى أن السلطة السياسية تُعد مكسباً من مكاسب السلطة الدينية، لذلك الإسلام شيء والعولمة شيء آخر. وإن كان الإسلام في بعض جوانبه يلتقي مع العولمة مثلاً في حقوق الإنسان، إلا أن هذا الالتقاء لا يعبر عنه بالعولمة وإنما بالعالمية.

الباب الثاني: تقييم عام

الفصل الأول: مخاطر العولمة على الإسلام

لقد ذكرنا سابقاً أن الإسلام يحمل صورة تم تشويهها اليوم في العالم الغربي حيث أن صورة الإسلام في الغرب تمثل صورة الإرهاب والتطرف والكثير من العنف إزاء هذه الصورة المشوهه يعاني الإسلام والشعوب الإسلامية العديد من المشكلات والتي بدورها تجعل موقف هذه الشعوب ضعيفاً في مواجهة العولمة خاصة إذا ما علمنا أن أبرز مواقع الجوع الكبرى تقع في العالم الإسلامي، فمن أصل 200 مليون شخص

جائع في العالم هناك 173 مليون منهم من المسلمين موزعين على النحو التالي:(12)

70مليون جائع في الهند.

12 مليون جائع في الصين.

50 مليون في آسيا الجنوبية.

26 مليون جائع في أفريقيا السوداء.

15مليون جائع في الشرق الأوسط و الشمال الإفريقي.

ومن جهة أخرى العالم الإسلامي يعاني من ضعف الإنتاج(13)فمثلاً مدينة واحدة في ألمانيا دوسلدروف يقدر ناتجها المحلي 1.8 مليار دولار ويقدر عدد سكانها ب 2 مليون نسمة، وهذا الناتج المحلي يعادل تماماً الناتج القومي لأكبر دولة إسلامية سكانياً وهي أندونيسيا التي تضم أكثر من 200 مليون نسمة. هذا يعني أن العالم الإسلامي يعاني من العديد من المشاكل ولنتذكر أن خلاصة الفصل السابق من البحث أن الإسلام والعولمة كلاهما في مواجهة والسؤال هنا:

هل يستطيع الإسلام والدولة الإسلامية مواجهة العولمة؟ وكيف ستتعامل هذه الدول مع الإسلام ومع العولمة في وقت واحد؟

وعلى أي حال يتضح لنا في هذا البحث أن الإسلام كحضارة جاء في مواجهة الحضارة الغربية والتي تتمثل بالعولمة نجد أن الإسلام يتعرض للكثير من التحديات والمصاعب فالعولمة كظاهرة حضارية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية(14)تواجه الإسلام كحضارة وكأفراد إذ أن هناك محاولات الغزو الثقافي عبر استغلال الجامعات والمعاهد فمثلاً الجامعة الأمريكية في القاهرة طرحت الاستبيان التالي على أحد الطلبة الراغبين في الدراسة للحصول على درجة الماجستير:

–ما رأيك في إذاعة أذان الصلاة في الإذاعة والتلفزيون؟

–هل توافق على إذاعة بعض الأحاديث النبوية عقب الآذان؟

–ماذا نسمي المقاتلين في الشيشان؟ هل هم مناضلون أم إرهابيون؟

في الحقيقة إني أرى أن مثل هذه الأسئلة تحاول أن تضلل الفرد المسلم وتجعله يقع في دائرة الشك ويبتعد عن الإسلام ديناً وحضارة ليقترب أكثر نحو العولمة والحضارة الغربية.

وتبرز خطورة الغزو الثقافي للحضارة الإسلامية في أن أبناء هذه الحضارة لا يقرؤون إذا ما قارنهم بأبناء الحضارة الغربية، كما أن أبناء الحضارة الإسلامية يتلقون الأبناء والمعارف ولا يصدرونها للعالم بعكس أبناء الحضارة الإسلامية في العصور السابقة الذين تتلمذ الغرب على أيديهم أما اليوم فنحن ننتظر أن يأتي الخبر وتأتي المعلومة إلينا ولا نقوم بصنعها.

وبهذا يقول الدكتور السيد يسين "إن الخصوصية الثقافية للمسلمين والعرب مهددة على اعتبارات المشكلة التي يثيرها الباحثين في العالم الثالث والذي يعد العالم الإسلامي من ضمنه هي أن تدفق الرسائل الإعلامية والثقافية يأتي من المراكز الرأسمالية الإعلامية بكل قوتها وقدراتها التكنولوجية ويصب في دول الأطراف كمجتمعات والتي تصبح في الواقع مجرد مستقبله لهذه الرسائل الإعلامية بكل ما فيها من قيم وهي في الغالب قيم سلبية مدمرة".

وإذا نظرنا لسلبيات العولمة اقتصادياً فإننا نجد أن إحدى آليات العولمة وهي التكنولوجيا قد أدت إلى البطالة وبالتالي أصبح عندنا حوالي مليار عاطل عن العمل في العالم منهم 15% من الدول العربية الإسلامية.

وفي الحقيقة إن مخاطر العولمة ستزداد في ظل المجتمعات التي تعاني من الأمية والجهل فنسبة الأمية نسبة لا يستهان بها في العالم الإسلامي ففي موريتانيا حوالي 62% والسودان 53% وهذا يعني أن هذه المجتمعات غير مؤهلة لمواجهة النظام العالمي الجديد "العولمة".

وإذا نظرنا للعولمة كظاهرة حضارية تسيطر عليها حالياً الولايات المتحدة: "على اعتبار بروز أقطاب أخرى لتقوم بتمثيل العولمة لاحقاً" فإن الأوضاع حالياً تشير إلى كون العولمة هي الأمركة ومن مخاطر ذلك على العالم الإسلامي هو سياسة التدخل في شؤون الدول الأخرى بحجة الاضطهاد الديني قررت الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة العظمى الوحيدة حالياً أن تقوم بدور الزعيم الأخلاقي الكوني وقد دار

جدل واسع حول إنشاء مكتب في البيت الأبيض لمراقبة الاضطهاد الديني تحت اسم قانون "التحرر من الاضطهاد الديني" لعام 1997 والذي يقوم بمراقبة معاملة الأقليات الدينية في بلدان معينة منها السودان(15).

ولا يعد بعيداً عن الموضع إصدار أمريكا لقائمة الدول الداعمة للإرهاب والتي على رأسها سوريا، السودان، ليبيا، وغيرها من الدول العربية الإسلامية. وغير بعيد عن ذلك أيضاً ما أصدره مجلس العموم البريطاني في شهر آذار 2001 من قانون ملاحقة المنظمات والحركات الإسلامية التي وسمها بالإرهاب والأصولية.

ويجب أن نلاحظ أن الدول الإسلامية تواجه العديد من التحديات أمام العولمة لكونها دولاً وليس لكونها تمثل حضارة الإسلام، وخاصة أن هذه التحديات تواجه منظومة دول العالم الثالث التي تقع ضمنها، إضافة إلى تحديات أخرى أهمها(16):

1.تحويل الاستثمار إلى مناطق العمالة الرخيصة، وهذا ما يؤدي إلى إغلاق المصانع المحلية وانتشار البطالة.

2.سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات على مقدرات هذه الدول.

3.مساهمة تكنولوجيا المعلومات في ازدياد الهوة بين العالم الصناعي المتقدم والنامي الفقير إلى درجة التصدع الكامل لبنية المجتمع الإنساني.

4.تخوف الدول النامية والأمم ذات الحضارات العريقة من ضياع هويتها الحضارية والثقافية وسيطرة نسق قيمي واحد من الحضارة الغربية بكل ما فيها من مثالب وإيجابيات.

ويزاد أثر هذه التحديات على الفرد المسلم بصورة عامة والعربي بصورة خاصة وذلك لأنه يعيش في ظل دول قطرية جعلت الانتماء إلى الوطن يحل محل الانتماء للأمة، ويستوعب في الوقت نفسه الانتماء العصبوي، فأدى ذلك إلى خلق ما يعرف بإنسان (مأزوم الهوية)(17).

فازداد "تشرنق" الفرد داخل عصبيته أو مذهبيته، مما أدى إلى عدم قدرته على الاندماج في مؤسسات الدولة، كما ازداد ضعف مشاعر الانتماء للأمة وذلك بسبب انقطاع التواصل العضوي الحر بين أجزاء الأمة مع وجود ثقافة قطرية تحاول "قومنة" الدولة وترسيخها.

لقد نجحت الدولة القُطرية منذ نشأتها وحتى الآن أن تثبت نفسها في مواجهة فكرة الدولة القومية ولكنها ضلت عالة على إرث الأمة ولم تستطع أن تؤسس هوية خاصة بها تجعل الفرد يحس بأنها تعبر عن خصوصية جماعته فظل يشعر بأن محددات هويته الثقافية والحضارية تتجاوز حدود هذه الدولة بينما انتماؤه الاجتماعي يقصر عن تلك الحدود وبالتالي وجد الفرد المسلم والعربي نفسه إنساناً مأزوماً في هويته وليس ذلك فقط بل يواجه عصر العولمة.

وفي النهاية أقول أن الحضارة الإسلامية تقبل بالحوار والجدل المنطقي ففيها من المرونة ما يجعلها قابلة للانفتاح على ثقافات العالم خاصة إذا كان التحاور يقوم على حرية التواصل والاحترام بين الثقافات العالمية، وأخطر ما يواجه القائمين على استنهاض الثقافة العربية الشعور بالدنيوية والاستسلام التبعي لمنتج الثقافة الغيرية والرضى بأن نكون مستهلكين لا منتجين وفاعلين في صناعة ثقافتنا ولو لم يكن للعولمة من أثر على الثقافة العربية الإسلامية إلا تحريك وايقاظ الوعي الإسلامي فهذا يعد أمر هام.

وفي نهاية هذا الباب يجب أن أذكر وللأمانة العلمية أن هناك من يفرق بين نظرة الأوروبيين ونظرة الأمريكيين له ومنهم عبد الإله بلقزيز(18)(الأوروبيون يهتموا كثيراً ببناء نظرة ثقافية وموقف أيديولوجي من الإسلام تحت وطأة الشعور بالمغايرة الثقافية وبمركزية المرجعية الحضارية الغربية فعداء مثقفيهم وسياسيّهم للإسلام يتغذى من هذه الخلفية الثقافية والشعور بالأنا الحضاري والتفوق الثقافي، بل أن هذا العداء ليس بمستغرب من ثقافات أنتجتها ثورات عقلية مريرة ضد الكنيسة. أما الأمريكيون وبسبب غياب خلفية حضارية لمجتمعه الحديث التكوين والمتعدد الأصول والمشارب الثقافية فلا يهمهم من الإسلام إلا مقدار العائدات التي يمكن أن يحصلوها منه فلا يهتموا بموقف عقائدي منه لأنهم برغماتيون، فهم مثلاً يتصالحون مع إسلام يعقد الولاية الكونية لواشنطن، أو مع الإسلام الطيّع الذي يقم خدمات استراتيجية إقليمية، لكنهن يشحذون أسلحتهم ويستنفذون قواتهم حين يصبح إسلاماً تحرري المنزع، أو إسلاماً جهادياً كما في فلسطين وجنوب لبنان لأنه يخالف منطق مصلحتهم وبالجملة

لا يخيف الولايات المتحدة من الإسلام إلا أن يسيطر على النفط وهنا يصبح الإسلام عدواً استراتيجياً للولايات المتحدة.

الفصل الثاني: الخيارات المطروحة أمام مسألة الإسلام والعولمة

في الفصل الأخير من هذا البحث لابد أن أوضح أن العولمة كظاهرة تمثل حضارة الغرب في وجه الإسلام، وتخشى الاتجاهات القومية بشقيها العربي والأوربي من العولمة باعتبارها ظاهرة تمثل محاولات الهيمنة الأمريكية، وعلى أي حال فإن معظم المراجع تميل إلى طرح خيارات متعددة لمواجهة العولمة ومنها:

1.الاندماج: بمعنى التعايش بين العولمة وأي حضارة أو ظاهرة مقابلة لها، لذا فإن الطرف المقابل يجب أن يكون مؤهلاً لهذا الاندماج وإلا فإنه سيذوب ويتلاشى أمامها.

2.المواجهة: بمعنى التحدي والصمود أمام هذه الظاهرة ومحاولة الحفاظ على الذات.

3.التهميش: بمعنى أن الطرف المقابل لن يكون له أي قيمة أمام هذه الظاهرة.

وإنني أرى أن التهميش سيحصل في حالتين، الأولى إذا تم اندماج الإسلام في ظل النظام العالمي الجديد دون أن يكون هناك تحسين لظروف وأوضاع المسلمين والبلاد الإسلامية. أما الثانية هي إذا دخلنا في مواجهة مع النظام العالمي الجديد دون استعداد حقيقي وتحضير لهذه المجابهة. وهذا يعني أيضاً تهميشنا وعلى أي حال فإنني أعتقد أن التهميش ليس خياراً وإنما هو نتيجة لخيارين، وهما الاندماج أو المواجهة لكن دون استعداد و تحضير ومحافظة على الهوية الذاتية.

هناك عدة خيارات طرحها كامل أبو صقر(19):

1.أن لا نعمل شيئاً أكثر مما نعمل ولا أقل مما نعمل، وهو خيار على الأقل يحقق لنا الوجود (ونحن موجودون كثيرو الشكوى لم نسترد حقوقنا المسلوبة، كرماء، مستهلكون، لا نضيف ولا نجدد ونتغنى بالماضي، وننتظر المجهول، نطيع أكثر من في الأرض قوة و نقلدهم). هذا الخيار سلبي.

2.أن ننسحب من التاريخ والسوق الكونية والعولمة لأننا أفلسنا عقلياً وأصبح وجودنا مكلفاً ومقدار ما نأخذه أكثر مما نعطيه، وتوقفنا عن دفع فاتورة استحقاقاتنا العلمية، وتركنا كتاب الله وهجرناه فكان أكثرنا عُمياً.

3.الابقاء على ما هو كائن وهو يشبه الخيار الأول ولكنه يختلف عنه من حيث أنه يتضمن تغييراً في الأساليب والطرق ومن هنا يجب علينا أن نبحث عن ذاتنا ولا نسعى للتقليد، فلنعد إلى خصوصيتنا ومنهجنا القرآني الذي سيهدينا للطريق الصحيح.

وإذا أردنا دراسة الخيارات المطروحة فيجب أن نقول أن أنصار المواجهة والتحدي يرفضون المعايير العالمية لحقوق الإنسان، فمثلاً بحجة الخصوصية الثقافية يرفض البعض كل ما هو جديد، وبالتالي يقوم أنصار هذا الخيار برفض الديموقراطية الغربية على أساس أن لدينا نظاماً للشورى, والأهم من ذلك كله أن الحديث يتم حول الهوية العربية وكأن هناك اتفاق على محتواها فالحقيقة أن هناك صراع ثقافي دائر ومحتوم بين جماعات سياسية وثقافية عربية، إذ أن هناك صراع بين القوميين والإسلاميين يدور حول سؤال: هل نحن عرب أولاً أم نحن مسلمون أساساً؟

وهذا الصراع الخطير أدى إلى نشوء الفكر المتطرف لدى جماعات متعددة في المجتمع الإسلامي، وأخطر من ذلك بزغت حركات إرهابية تحاول تحقيق الهدف الإستراتيجي وهو إقامة الدولة الإسلامية.

ويرى محي الدين اللاذقاني أننا في العالم العربي والإسلامي أسرفنا في الهجوم على العولمة قبل أن تصل وحفرنا كافة "المتاريس" اللازمة للدفاع عن الهوية العربية دون أن نسأل أنفسنا إن كانت تلك الهوية موجودة أو نتأكد في حال وجودها من أن العولمة قادمة لمحوها مع غيرها من الهويات المحلية في دول الأطراف لصالح مركز لا يقبل إلا أن يكون كل شيء في العالم على شاكلته.

ومن هنا يمكن القول أن الحضارة الإسلامية عليها أن تواجه العولمة لأنه إذا كان الخيار هو الاندماج والتعايش معها فهذا يعني في ظل الظروف الراهنة أن هذه الحضارة ستذوب في ظل العولمة. وإذا ما اخترنا هذا الخيار "خيار الاندماج" فيجب أن نكون مؤهلين لذلك لنتمكن من الصمود ولا ندخل في إطار التهميش بمعنى حتى لا تكون أثار العولمة مميتة لنا يجب الاستفادة من كل الامكانات التي توفرها العولمة للنهوض وليس للخضوع.

*بكالوريوس علوم سياسية /باحثة سياسية في مركز جنين للدراسات السياسية، إلى جانب القيام ببعض المهمات الصحفية.

(1)ياسر عبد الجواد، مجلة المستقبل العربي، عدد 252، شباط 2000، تحليل لكتاب العولمة ليست الخيار الوحيد، منير خمش، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، صفحة 182

(2) أحمد سلامة، العولمة والعروبة من الصراع إلى الأمل، عمان، دائرة المكتبة الوطنية 1999، صفحة 37

(3) سيار الجميل، العولمة والمستقبل استراتيجية تفكير من أجل العرب والمسلمين في القرن الحادي والعشرين، عمان، الأهلية للنشر،ط2000،1، صفحة 77

(4) د.برهان غليون، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة،دار الفكر المعاصر،ط1، 1999، صفحة 16+17

(5) مهيوب غالب أحمد، المستقبل العربي، عدد 256 ،حزيران 2000،صفحة 61

(6) سيار الجميل، مرجع سابق،صفحة 91+92

(7) أ.د محمد الحارثي، العولمة والهوية، جامعة فيلادلفيا،ط1999،1،صفحة 169

(8) مهيوب غالب أحمد ، المستقبل العربي، مرجع سابق، صفحة 61

(9) محمد السمان، موقع الإسلام في صراع الحضارات والنظام العالمي الجديد، دار النفائس، ط1995،1، صفحة 15

(10) محمد السماك، المرجع السابق، صفحة 17

(11) محمد السماك، المرجع السابق،صفحة 153

(12) د.سيار الجميل، مرجع سابق، صفحة 124.

(13) د. سيار الجميل، مرجع سابق، صفحة 128.

(14) اني أعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستمر في قيادة العالم وعولمته ولابد أن تبرز قوى أخرى، وإني أرجح أوروبا واليابان والصين لذلك،وأشترك في هذا الرأي مع الكثير من المفكرين من هم الأستاذ فخري الهواري في مقال له مجلة السياسة الدولية عدد 126 بعنوان "هل يشهد القرن الواحد والعشرون انهيار الولايات المتحدة؟"

(15)د.السيد يسين، العولمة والطريق الثالث، ميريت للنشر، القاهرة، 199،صفحة 41
(16) د.عبد الباري الدرة، العولمة والهوية، أوراق المؤتمر العالمي الرابع لكلية الأداب، جامعة فيلادلفيا،ط1999،1، صفحة 61
(17)صالح السنوسي، العولمة والهوية، أوراق المؤتمر العالمي الرابع، مرجع سابق، صفحة 45
(18)أسامة الخولي، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1998، صفحة 256
(19) كامل أبو صقر، العولمة، دار الإسلام، بيروت،ط2000،2،صفحة 145

============

#عولمة الأسرة الجزائرية...

عبد الباقي صلاي * 1424/2/26

2003/04/28

لا يزال الصراع في الجزائر قائما على أشده بين العروبيين أصحاب التوجهات الشرقية المؤمنين بضرورة التمسك بقانون الأحوال الشخصية(قانون الأسرة الحالي المستوحاة بنوده من الشريعة الإسلامية و المصادق عليه من قبل البرلمان الجزائري أيام الحزب الواحد في 1984) وبين أصحاب التوجه التغريبي العلماني الذين يرجعون سبب التفكك الأسري وتخلف المرأة إلى هذا القانون.. الذي يعود حسب زعمهم إلى القرون الوسطى، وأيام الحكم التيوقراطي الغاشم، وبالتالي يجب قبره إلى الأبد، وقد زاد هذا التيار العلماني من سرعة تحركاته في الآونة الأخيرة، ظنا منه أن الفرصة مواتية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر جراء الزلزلة التي ألمت بأمريكا أكبر دولة إمبريالية على وجه الأرض؛ لأن أمريكا ولت وجهها شطر الإسلاميين من أجل المواجهة ميدانيا، ويمثل هذا التيار العلماني الفرانكوماني(1) الجمعيات النسوية، خاصة اتحاد النساء الجزائريات المقرب جدا من الشيوعيين، وطبعا يشاطرهن الاستئصاليون من الرجال الذين يتخفون وراء هذه الجمعيات؛ لأن النسوة تكتيكيا واستراتيجيا أفضل محارب لمواجهة هذا القانون، خصوصا وأن المدخل العام لهدم

بنود هذا القانون المستمد عامة أركانه من الشريعة الإسلامية هو المرأة التي هي الآن حسب الزعم لهذه الشرذمة تعيش وضعا بائسا لا تحسد عليه جراء الظلم المسلط عليها من تطبيقات هذا القانون الذي ينحاز إلى سلطة الرجل، وعموما ما تدعو إليه هذه الجمعيات النسوية وتركز عليه تحديدا في ما يخص هذا القانون، هو ما تعلق بتعدد الزوجات، والخلع، وقوامة الرجل، وحالات الطلاق، وكل هذه الدعوات لها ما يقابلها في قاموس هذه الجمعيات التي تنادي بأعلى صوتها بأن هذا القانون غير مستمد من الشريعة الإسلامية، مما يعني بالضرورة أن إمكانية تغييره أو قبره ممكنة، وطبيعي جدا أن تنطلق هذه النسوة في دعواها من هذا المنطلق حسب مهماز الضفة الأخرى، وتحاول إيهام الرأي العام بأن هذا القانون ليس قرآنا لا يمكن تغييره أو إجراء تعديل عليه، وقد صرحت ممثلة المرأة بدون مواربة بل بالمكشوف الصريح السيدة " بثينة شريط" الوزيرة الحالية في حكومة (بن فليس) أن قانون الأسرة هذا – سوف يعرض على البرلمان في السداسي القادم من أجل المصادقة على تغييره جملة وتفصيلا .. كما هددت السيدة الوزيرة الرجل عموما بقولها " على الرجل أن يفهم قدره" أي عليه معرفة نفسه؛ لأن الرجل حسب فهمها لا يزال يظن بأن بإمكانه ضرب المرأة بالمسطرة التي يختار طولها على حسب حجم العقوبة، وقد ارتبط ظرف الصيحات بضرورة تغيير هذا القانون بتلك الندوة الصحفية التي أقامها الفريق محمد العماري في يوليو الماضي إذ أعلن بأن الأصولية لا تزال منتشرة في المجتمع، وقد أعطتها جهات عارفة بالشفرات بعدا سياسيا اجتماعيا مرتبط بالأساس بقانون الأسرة الذي يعد القانون الوحيد الذي له رابطة أصولية، كما أن هذه الصيحات دعمت موقعها بما كان يقول به الرئيس عبد العزيز بو تفليقة في كون النموذج التونسي يروقه بمعية ديمقراطية زين العابدين بن علي، على الرغم من أن عبد العزيز بوتفليقة نفسه في حملته الانتخابية كان يقول بصوت جهوري بأنه لا يقف حائلا أمام أي أحد، فمن أرادت ارتداء الحجاب فلها ذلك، ومن أرادت ارتداء الفيزو فلها ذلك، فالديمقراطية هي الفيصل بين الرغبات. إن ما تدعو إليه الجهة الفرانكومانية لا ينأى بالضرورة على ما هو حاصل على الساحة العالمية، وحسب تصورات هذه الجهة أن الانخراط في النظام الدولي الجديد ومقارعة التطور المطلوب كما هو كائن في

الضفة العلمانية يتأتى في القضاء على الخصوصيات وإلغاء كل ما له صلة بالعاطفة الإسلامية، وسنام كل هذا قانون الأسرة الذي يعد عند المحافظين من جبهة التحرير الوطني والإسلاميين زبدة النضال الذي كان حقا مريرا موصولا بالنمطية الحضارية التي وضع لبناتها رائد الإصلاح الجزائري عبد الحميد بن باديس في الثلاثينات. إن التنازل عن هذا الموروث حسب المحافظين من جبهة التحرير الوطني والوطنيين عامة والإسلاميين خاصة هو تنازل عن أربعين عاما من الاستقلال مهما كانت أخطاء هذا الاستقلال، ودعوة صريحة لفتح الباب على مصراعيه لاستعمار جديد شعاره العصرنة بأثر رجعي، ومن يضمن بأن تلحق الجزائر بالتقدم والأخذ التكنولوجية لو تم إلغاء قانون الأسرة، ومن يضمن بألا يلغى الحجاب بعد ذلك كخطوة تالية اقتداءً ببعض الدول العربية ؟ ومن يضمن بأن المرأة سوف تجد حريتها وتتزوج الستة ملايين عانس حسب التقرير الرسمي من الإحصاء؟ .. كلها تساؤلات تتم بين العروبيين ومن يقف ضد هذا الإلغاء و بين الداعين للإلغاء والتنصل نهائيا من هذا القانون.الساحة الجزائرية حبلى بالمفاجآت في المستقبل من خلال ما يجري من صراع حول الرؤية الصحيحة لمشروع المجتمع، فما موقع أصحاب التوجه العربي الإسلامي من الإعراب إذن، لو كانت الغلبة للتيار الفرانكوماني وفرضت عنوة جل طروحاته العولمية؟!

* الفرانكومانية: الموالاة للطرح الفرانكفوني والدفاع المستميت عن الفرنسة

* رئيس تحرير مجلة النور الجديد – الجزائر

(1) الفرانكومانية: الموالاة للطرح الفرانكفوني والدفاع المستميت عن الفرنسة

================

#حتى لا نلدغ من بني صهيون مرتين!

أميمة بنت أحمد الجلاهمة 1424/2/27

2003/04/29

من النظر إلى مجريات الأمور المتعلقة بالردود الرسمية للكيان الصهيوني أثناء حرب العراق وما بعدها؛ يتبين للمحايد أن دعوة (شارون) الموجهة لليهود القلائل – الحاملين للجنسية العراقية والمتعلقة بالهجرة إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة، والذين

لا يتجاوز عددهم حالياً الخمسين فرداً- لا تتطابق والتوجهات للكيان الصهيوني، سواء العلماني منه أو الأصولي ، فكلاهما يفكر إلى أبعد من ذلك بكثير .

ولنترك الحقائق تتحدث عن نفسها ..

أصدر حاخامات اليهود مؤخراً فتوى تنص على أن "العراق جزء من إسرائيل الكبرى " ووجه أصحاب تلك الفتوى النداءات للجنود اليهود المنضمين لقوات الجيشين الأمريكي والبريطاني- وعددهم يتجاوز الألفين بقليل - إقامة صلاة خاصة كلما شرعوا في نصب خيمة، أو بناء على أرض عراقية تقع غرب نهر الفرات بالذات ، فتلك المناطق تعد في نظرهم جزء من أرض (إسرائيل الكبرى)، هذا التوضيح صرح به الحاخام (نحيما ههوري) .

ويستوجب على أولئك الجنود عندما يشاهدون(بابل) و تطبيقاً لتعاليم رجال دينهم اليهودي أن يقولوا: " مبارك أنت يا رب ملك العالم لأنك دمرت بابل المجرمة".

ولأعتقد أن تلك الشعائر التي يطبقها الجنود اليهود - والتي أُمِروا بتطبيقها من قِبَل رجال دينهم- تتوافق مع دعوة(شارون) المضحكة لهجرة خمسين من يهود العراق والذين آثروا- والله أعلم- البقاء تحت جبروت صدام من الهجرة إلى الأراضي المحتلة!

بل إن (الوكالة اليهودية) التي من أهم أهدافها الدعم المادي وبشتى صوره ليهود العالم ؛ تسعى حالياً -وقبل استتباب الأمن في الأرض العراقية- لتواجد اليهود في العراق المحتل ، سعياً لتحقيق الأمل (إسرائيل الكبرى)، فهي إن سعت لتنظيم وفود سياحية لليهود لزيارة العراق - وذلك قبل سقوط نظام صدام حسين وبالأصح قبل البدء الفعلي للحرب ؛ فذلك، وكما أكده المحللون بغرض السيطرة على الأراضي العراقية ، خاصة وأن وضع المواطنين العراقيين المزري من الناحية الإنسانية - والذين قل ما يجد منهم قوت يومه- يفسح المجال لتحقيق مآرب صهيون التوسعية .

وبالتالي فإن السيناريو الصهيوني اليهودي الذي طبق في فلسطين المحتلة مع فقراء فلسطين - وتحت حماية الاحتلال البريطاني ، في بداية القرن العشرين ، وقبل نكسة 1948م - من شرائهم الأراضي الفلسطينية ، وبأسعار بدت مغرية لأصحابها العرب المغيبين آنذاك - مع الأسف - عن الغرض الأساسي من وراء إقبال اليهود على

الاستيطان في الأراضي الفلسطينية ؛ هذه السياسة ستعتمدها بلا أدنى شك (الوكالة اليهودية) ومن يذهب مذهبها ، فيعمدوا على تطبيقها ، وبصورة أوسع نطاقاً في العراق المحتل .

وما تطبيقها اليوم في العراق المحتلة بأصعب من تطبيقها بالأمس في فلسطين المحتلة، فإن كانت فلسطين آنذاك محتلة من قبل حليفة اليهود الفضلى (بريطانيا) الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ؛ فقد وجد اليهود اليوم حليفاً يفوق حليف الأمس في قوته وجبروته ، بعد أن نفضوا عنهم حليف الأمس الذي أنهكت قواه وشاخت بنيته ، وأصبح مسيراً لهم لا مخيراً .. !!

نعم سيسعون لشراء الأراضي العراقية من أهلها –والله اعلم – وسيعمدون على ترسيخ الاستيطان اليهودي تحت العلم الأمريكي على أرض العراق ، ونخشى أن يتحقق لهم ذلك ببذل المال للفقراء المعوزين من أهلها، الذين قد يجدوا أمامهم ما ينهي الأيام العجاف ، أيام من البؤس والفقر التي أكلت الأخضر واليابس ..!!

آمل أن نفيق، ونعين أهلنا في العراق قبل أن نرى الأيادي الملوثة قد أطبقت على أنفاسنا هناك، كما هو حالنا مع فلسطين المحتلة حتى لانلدغ من بني صهيون مرتين ..

هذه هي السياسة التي ستحاول(الوكالة اليهودية)تحقيقها وبكل نفوذها ، وإلا فكيف نفسر سعي هؤلاء اليهود لتشيد خمس كنائس يهودية في العراق التي تكاد تخلو من اليهود حالياً ، ومن فيها منهم لا يتجاوز عددهم الخمسين فرداً، وبالتالي يمكن جمعهم في قاعة متوسطة الحجم!

أبعد هذا نصدق دعوة (شارون) وهو يطلق دعوته للجالية اليهودية العراقية للهجرة إلى فلسطين المحتلة ؛ أم أنه يأمل في هجرة معاكسة ؟!

ثم لم تُشيّد تلك المعابد اليهودية الخمسة في العراق إذا تحقق هجرة البقية الباقية من يهود العراق لفلسطين المحتلة؟! ثم من هو المرشح لرعاية شؤونها ، والعراق خالية الوفاض من روادها؟!.

============

 # عيد شم النسيم..

أصله، شعائره، حكم الاحتفال به

إبراهيم بن محمد الحقيل 1425/12/25

2005/02/05

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الله سبحانه وتعالى اختار لنا الإسلام ديناً كما قال تعالى:"إن الدين عند الله الإسلام" [آل عمران:19]، ولن يقبل الله تعالى من أحد ديناً سواه كما قال تعالى:"ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" [آل عمران:85]، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم-:"والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" رواه مسلم (153)، وجميع الأديان الموجودة في هذا العصر –سوى دين الإسلام- أديان باطلة لا تقرب إلى الله تعالى؛ بل إنها لا تزيد العبد إلا بعداً منه سبحانه وتعالى بحسب ما فيها من ضلال.

وقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم- أن فئاماً من أمته سيتبعون أعداء الله تعالى في بعض شعائرهم وعاداتهم، وذلك في حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال:"لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى، قال: فمن؟" أخرجه البخاري (732) ومسلم (2669).

وفي حديث ابن عمر –رضي الله عنهما- قال الرسول –صلى الله عليه وسلم- :"ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله" أخرجه الحاكم (129/1).

وقد وقع ما أخبر به النبي –صلى الله عليه وسلم-، وانتشر في الأزمنة الأخيرة في كثير من البلاد الإسلامية؛ إذ اتبع كثير من المسلمين أعداء الله تعالى في كثير من عاداتهم وسلوكياتهم، وقلدوهم في بعض شعائرهم، واحتفلوا بأعيادهم.

وكان ذلك نتيجة للفتح المادي، والتطور العمراني الذي فتح الله به على البشرية، وكان قصب السبق فيه في الأزمنة المتأخرة للبلاد الغربية النصرانية العلمانية، مما كان سبباً في افتتان كثير من المسلمين بذلك، لا سيما مع ضعف الديانة في القلوب، وفشو الجهل بأحكام الشريعة بين الناس.

وزاد الأمر سوءاً الانفتاح الإعلامي بين كافة الشعوب، حتى غدت شعائر الكفار وعاداتهم تُنقل مزخرفة مبهرجة بالصوت والصورة الحية من بلادهم إلى بلاد المسلمين عبر الفضائيات والشبكة العالمية –الإنترنت– فاغتر بزخرفها كثير من المسلمين.

وقد لاحظت –كما لاحظ غيري– احتفال كثير من المسلمين في مصر بعيد شم النسيم واحتفال غيرهم في كثير من البلدان العربية والغربية بأعياد الربيع على اختلاف أنواعها ومسمياتها وأوقاتها، وكل هذه الأعياد الربيعية –فيما يظهر– هي فرع من عيد شم النسيم، أو تقليد له.

لأجل ذلك رأيت تذكير إخواني المسلمين ببيان خطورة الاحتفال بمثل هذه الأعياد الكفرية على عقيدة المسلم.

منشأ عيد شم النسيم وقصته:

عيد شم النسيم من أعياد الفراعنة، ثم نقله عنهم بنو إسرائيل، ثم انتقل إلى الأقباط بعد ذلك، وصار في العصر الحاضر عيداً شعبياً يحتفل به كثير من أهل مصر من أقباط ومسلمين وغيرهم.

كانت أعياد الفراعنة ترتبط بالظواهر الفلكية، وعلاقتها بالطبيعة، ومظاهر الحياة؛ ولذلك احتفلوا بعيد الربيع الذي حددوا ميعاده بالانقلاب الربيعي، وهو اليوم الذي يتساوى فيه الليل والنهار وقت حلول الشمس في برج الحمل.

ويقع في الخامس والعشرين من شهر برمهات –وكانوا يعتقدون– كما ورد في كتابهم المقدس عندهم – أن ذلك اليوم هو أول الزمان، أو بدء خلق العالم.

وأطلق الفراعنة على ذلك العيد اسم (عيد شموش) أي بعث الحياة، وحُرِّف الاسم على مر الزمن، وخاصة في العصر القبطي إلى اسم (شم) وأضيفت إليه كلمة النسيم نسبة إلى نسمة الربيع التي تعلن وصوله.

يرجع بدء احتفال الفراعنة بذلك العيد رسمياً إلى عام 2700 ق.م أي في أواخر الأسرة الفرعونية الثالثة، ولو أن بعض المؤرخين يؤكد أنه كان معروفاً ضمن أعياد هيليوبوليس ومدينة (أون) وكانوا يحتفلون به في عصر ما قبل الأسرات.

بين عيد الفصح وشم النسيم:

نقل بنو إسرائيل عيد شم النسيم عن الفراعنة لما خرجوا من مصر، وقد اتفق يوم خروجهم مع موعد احتفال الفراعنة بعيدهم.

واحتفل بنو إسرائيل بالعيد بعد خروجهم ونجاتهم، وأطلقوا عليه اسم عيد الفصح، والفصح كلمة عبرية معناها (الخروج) أو (العبور)، كما اعتبروا ذلك اليوم – أي يوم بدء الخلق عند الفراعنة- رأساً لسنتهم الدينية العبرية تيمناً بنجاتهم، وبدء حياتهم الجديدة.

وهكذا انتقل هذا العيد من الفراعنة إلى اليهود، ثم انتقل عيد الفصح من اليهود إلى النصارى وجعلوه موافقاً لما يزعمونه قيامة المسيح، ولما دخلت النصرانية مصر أصبح عيدهم يلازم عيد المصريين القدماء –الفراعنة- ويقع دائماً في اليوم التالي لعيد الفصح أو عيد القيامة.

كان الفراعنة يحتفلون بعيد شم النسيم؛ إذ يبدأ ليلته الأولى أو ليلة الرؤيا بالاحتفالات الدينية، ثم يتحول مع شروق الشمس إلى عيد شعبي تشترك فيه جميع طبقات الشعب كما كان فرعون، وكبار رجال الدولة يشاركون في هذا العيد.

من مظاهر الاحتفال به:

يخرج المحتفلون بعيد شم النسيم جماعات إلى الحدائق والحقول والمتنزهات؛ ليكونوا في استقبال الشمس عند شروقها، وقد اعتادوا أن يحملوا معهم طعامهم وشرابهم، ويقضوا يومهم في الاحتفال بالعيد ابتداء من شروق الشمس حتى غروبها، وكانوا يحملون معهم أدوات لعبهم، ومعدات لهوهم، وآلات موسيقاهم، فتتزين الفتيات بعقود الياسمين (زهر الربيع)، ويحمل الأطفال سعف النخيل المزين بالألوان والزهور، فتقام حفلات الرقص الزوجي والجماعي على أنغام الناي والمزمار والقيثار، ودقات

الدفوف، تصاحبها الأغاني والأناشيد الخاصة بعيد الربيع، كما تجري المباريات الرياضية والحفلات التمثيلية.

كما أن الاحتفال بالعيد يمتد بعد عودتهم من المزارع والمتنزهات والأنهار إلى المدينة ليستمر حتى شروق الشمس سواء في المساكن حيث تقام حفلات الاستقبال، وتبادل التهنئة أو في الأحياء والميادين والأماكن العامة حيث تقام حفلات الترفيه والندوات الشعبية.

أطعمة هذا العيد:

كان لشم النسيم أطعمته التقليدية المفضلة، وما ارتبط بها من عادات وتقاليد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الاحتفال بالعيد نفسه، والطابع المميز له والتي انتقلت من الفراعنة عبر العصور الطويلة إلى عصرنا الحاضر.

وتشمل قائمة الأطعمة المميزة لمائدة شم النسيم: (البيض–والفسيخ–والبصل–والخس–والملانة)

وقد أخذ كثير ممن يحتفلون بأعياد الربيع في دول الغرب والشرق كثيراً من مظاهر عيد شم النسيم ونقلوها في أعيادهم الربيعية.

بيض شم النسيم:

يعتبر البيض الملون مظهراً من مظاهر عيد شم النسيم، ومختلف أعياد الفصح والربيع في العالم أجمع، واصطلح الغربيون على تسمية البيض (بيضة الشرق).

بدأ ظهور البيض على مائدة أعياد الربيع –شم النسيم– مع بداية العيد الفرعوني نفسه أو عيد الخلق حيث كان البيض يرمز إلى خلق الحياة، كما ورد في متون كتاب الموتى وأناشيد (أخناتون الفرعوني).

وهكذا بدأ الاحتفال بأكل البيض كأحد الشعائر المقدسة التي ترمز لعيد الخلق، أو عيد شم النسيم عند الفراعنة.

أما فكرة نقش البيض وزخرفته، فقد ارتبطت بعقيدة قديمة أيضاً؛ إذ كان الفراعنة ينقشون على البيض الدعوات والأمنيات ويجمعونه أو يعلقونه في أشجار الحدائق حتى تتلقى بركات نور الإله عند شروقه –حسب زعمهم– فيحقق دعواتهم ويبدأون

العيد بتبادل التحية (بدقة البيض)، وهي العادات التي ما زال أكثرها متوارثاً إلى الآن –نعوذ بالله من الضلال–.

أما عادة تلوين البيض بمختلف الألوان وهو التقليد المتبع في جميع أنحاء العالم، فقد بدأ في فلسطين بعد زعم النصارى صلب اليهود للمسيح –عليه السلام– الذي سبق موسم الاحتفال بالعيد، فأظهر النصارى رغبتهم في عدم الاحتفال بالعيد؛ حداداً على المسيح، وحتى لا يشاركون اليهود أفراحهم. ولكن أحد القديسين أمرهم بأن يحتفلوا بالعيد تخليداً لذكرى المسيح وقيامه، على أن يصبغوا البيض باللون الأحمر ليذكرهم دائماً بدمه الذي سفكه اليهود.

وهكذا ظهر بيض شم النسيم لأول مرة مصبوغاً باللون الأحمر، ثم انتقلت تلك العادة إلى مصر وحافظ عليه الأقباط بجانب ما توارثوه من الرموز والطلاسم والنقوش الفرعونية.

ومنهم انتقلت عبر البحر الأحمر إلى روما، وانتشرت في أنحاء العالم الغربي النصراني في أوربا وأمريكا، وقد تطورت تلك العادة إلى صباغة البيض بمختلف الألوان التي أصبحت الطابع المميز لأعياد شم النسيم والفصح والربيع حول العالم.

الفسيخ (السمك المملح):

ظهر الفسيخ، أو السمك المملح من بين الأطعمة التقليدية في العيد في الأسرة الفرعونية الخامسة عندما بدأ الاهتمام بتقديس النيل: نهر الحياة، (الإله حعبى) عند الفراعنة الذي ورد في متونه المقدسة عندهم أن الحياة في الأرض بدأت في الماء ويعبر عنها بالسمك الذي تحمله مياه النيل من الجنة حيث ينبع –حسب زعمهم–.

وقد كان للفراعنة عناية بحفظ الأسماك، وتجفيفها وتمليحها وصناعة الفسيخ والملوحة واستخراج البطارخ –كما ذكر هيرودوث [هو مؤرخ إغريقي اعتنى بتواريخ الفراعنة والفرس، وفاته كانت 425 قبل الميلاد كما في الموسوعة العربية الميسرة (1926/2)] فقال عنهم:"إنهم كانوا يأكلون السمك المملح في أعيادهم، ويرون أن أكله مفيد في وقت معين من السنة، وكانوا يفضلون نوعاً معيناً لتمليحه وحفظه للعيد، أطلقوا عليه اسم (بور) وهو الاسم الذي حور في اللغة القبطية إلى (يور) وما زال يطلق عليه حتى الآن.

بصل شم النسيم:

ظهر البصل ضمن أطعمة عيد شم النسيم في أواسط الأسرة الفرعونية السادسة وقد ارتبط ظهوره بما ورد في إحدى أساطير منف القديمة التي تروى أن أحد ملوك الفراعنة كان له طفل وحيد، وكان محبوباً من الشعب، وقد أصيب الأمير الصغير بمرض غامض عجز الأطباء والكهنة والسحرة عن علاجه، وأقعد الأمير الصغير عن الحركة، ولازم الفراش عدة سنوات، امتُنِع خلالها عن إقامة الأفراح والاحتفال بالعيد مشاركة للملك في أحزانه.

وكان أطفال المدينة يقدمون القرابين للإله في المعابد في مختلف المناسبات ليشفى أميرهم، واستدعى الملك الكاهن الأكبر لمعبد آمون، فنسب مرض الأمير الطفل إلى وجود أرواح شريرة تسيطر عليه، وتشل حركته بفعل السحر.

وأمر الكاهن بوضع ثمرة ناضجة من ثمار البصل تحت رأس الأمير في فراش نومه عند غروب الشمس بعد أن قرأ عليها بعض التعاويذ، ثم شقها عند شروق الشمس في الفجر ووضعها فوق أنفه ليستنشق عصيرها.

كما طلب منهم تعليق حزم من أعواد البصل الطازج فوق السرير وعلى أبواب الغرفة وبوابات القصر لطرد الأرواح الشريرة.

وتشرح الأسطورة كيف تمت المعجزة وغادر الطفل فراشه، وخرج ليلعب في الحديقة وقد شفى من مرضه الذي يئس الطب من علاجه، فأقام الملك الأفراح في القصر لأطفال المدينة بأكملها، وشارك الشعب في القصر في أفراحه، ولما حل عيد شم النسيم بعد أفراح القصر بعدة أيام قام الملك وعائلته، وكبار رجال الدولة بمشاركة الناس في العيد، كما قام الناس –إعلاناً منهم للتهنئة بشفاء الأمير– بتعليق حزم البصل على أبواب دورهم، كما احتل البصل الأخضر مكانه على مائدة شم النسيم بجانب البيض والفسيخ.

ومما هو جدير بالذكر أن تلك العادات التي ارتبطت بتلك الأسطورة القديمة سواء من عادة وضع البصل تحت وسادة الأطفال، وتنشيقهم لعصيره، أو تعليق حزم البصل على أبواب المساكن أو الغرف أو أكل البصل الأخضر نفسه مع البيض والفسيخ ما

زالت من العادات والتقاليد المتبعة إلى الآن في مصر وفي بعض الدول التي تحتفل بعيد شم النسيم أو أعياد الربيع.

خس شم النسيم:

كان الخس من النباتات التي تعلن عن حلول الربيع باكتمال نموها ونضجها، وقد عرف ابتداء من الأسرة الفرعونية الرابعة حيث ظهرت صوره من سلال القرابين التي يقربونها لآلتهم من دون الله –تعالى– بورقه الأخضر الطويل وعلى موائد الاحتفال بالعيد، وكان يسمى الهيروغليفية (حب) كما اعتبره الفراعنة من النباتات المقدسة الخاصة بالمعبود (من) إله التناسل، ويوجد رسمه منقوشاً دائماً تحت أقدام الإله في معابده ورسومه –تعالى الله عن إفكهم وشركهم–.

حمص شم النسيم:

هي ثمرة الحمص الأخضر، وأطلق عليه الفراعنة اسم (حور –بيك) أي رأس الصقر لشكل الثمرة التي تشبه رأس حور الصقر المقدس عندهم.

وكان للحمص –كما للخس– الكثير من الفوائد والمزايا التي ورد ذكرها في بردياتهم الطبية.

وكانوا يعتبرون نضج الثمرة وامتلاءها إعلاناً عن ميلاد الربيع، وهو ما أخذ منه اسم الملانة أو الملآنة.

وكانت الفتيات يصنعن من حبات الملانة الخضراء عقوداً، وأساور يتزين بها في الاحتفالات بالعيد، كما يقمن باستعمالها في زينة الحوائط ونوافذ المنازل في الحفلات المنزلية.

ومن بين تقاليد شم النسيم الفرعونية القديمة التزين بعقود زهور الياسمين وهو محرف من الاسم الفرعوني القديم (ياسمون) وكانوا يصفون الياسمين بأنه عطر الطبيعة التي تستقبل به الربيع، وكانوا يستخرجون منه في موسم الربيع عطور الزينة وزيت البخور الذي يقدم ضمن قرابين المعابد عند الاحتفال بالعيد. [انظر: هذه المعلومات وغيرها في: موسوعة أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات لسيد صديق عبد الفتاح (516–526)، وأعياد مصر بين الماضي والحاضر للدكتور سعيد محمد حسن الملط (19–22)].

حكم الاحتفال بعيد شم النسيم:

مما سبق عرضه في قصة نشأة هذا العيد وأصله ومظاهره قديماً وحديثاً يتبين ما يلي:

أولاً: أن أصل هذا العيد فرعوني، كانت الأمة الفرعونية الوثنية تحتفل به ثم انتقل إلى بني إسرائيل بمخالطتهم للفراعنة، فأخذوه عنهم، ومنهم انتقل إلى النصارى، وحافظ عليه الأقباط –ولا يزالون-.

فالاحتفال به فيه مشابهة للأمة الفرعونية في شعائرها الوثنية؛ إن هذا العيد شعيرة من شعائرهم المرتبطة بدينهم الوثني، والله تعالى حذرنا من الشرك ودواعيه وما يفضي إليه؛ كما قال سبحانه مخاطباً رسوله –صلى الله عليه وسلم-:"ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين*بل الله فاعبد وكن من الشاكرين" [الزمر:65-66]، ولقد قضى الله سبحانه –وهو أحكم الحاكمين- بأن من مات على الشرك فهو مخلد في النار؛ كما قال سبحانه:"إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً" [النساء:116].

ثانياً: أن اسم هذا العيد ومظاهره وشعائره من بيض مصبوغ أو منقوش وفسيخ (سمك مملح) وبصل وخس وغيرها هي عين ما كان موجوداً عند الفراعنة الوثنين،ولها ارتباط بعقائد فاسدة كاعتقادهم في البصل إذا وضع تحت الوسادة أو علق على الباب أو ما شابه ذلك فإنه يشفي من الأمراض ويطرد الجان كما حصل في الأسطورة الفرعونية، ومن فعل ذلك فهو يقتدي بالفراعنة في خصيصة من خصائص دينهم الوثني، والنبي –صلى الله عليه وسلم- يقول:"من تشبه بقوم فهو منهم" رواه أحمد (50/3) وأبو داود (5021).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى_:(هذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى:"ومن يتولهم منكم فإنه منهم" أ.هـ (الاقتضاء 314/1).

وقال الصنعاني –رحمه الله تعالى-:(فإذا تشبه بالكفار في زي واعتقد أن يكون بذلك مثله كفر، فإن لم يعتقد ففيه خلاف بين الفقهاء: منهم من قال: يكفر، وهو ظاهر الحديث، ومنهم من قال: لا يكفر ولكن يؤدب) سبل السلام (248/8).

وهذه الاعتقادات التي يعتقدونها في طعام عيد شم النسيم وبيضه وبصله مناقضة لعقيدة المسلم، فكيف إذا انضم إلى ذلك أنها مأخوذة من عباد الأوثان الفراعنة؟ لا شك أن حرمتها أشد؛ لأنها جمعت بين الوقوع في الاعتقاد الباطل وبين التشبه المذموم.

ثالثاً: ذكر الشيخ الأزهري علي محفوظ رحمه الله تعالى – عضو هيئة كبار العلماء في وقته في مصر– بعض ما شاهده من مظاهر هذا العيد، وما يجري فيه من فسوق وفجور فقال –رحمه الله تعالى-:(وناهيك ما يكون من الناس من البدع والمنكرات والخروج عن حدود الدين والأدب في يوم شم النسيم، وما أدراك ما شم النسيم؟ هو عادة ابتدعها أهل الأوثان لتقديس بعض الأيام تفاؤلاً به أو تزلفاً لما كانوا يعبدون من دون الله، فعمرت آلافاً من السنين حتى عمت المشرقين، واشترك فيها العظيم والحقير، والصغير والكبير..) إلى أن قال:(فهل هذا اليوم –يوم شم النسيم- في مجتمعاتنا الشرعية التي تعود علينا بالخير والرحمة؟ كلا، وحسبك أن تنظر في الأمصار بل القرى فترى في ذلك اليوم ما يزري بالفضيلة، ويخجل معه وجه الحياء من منكرات تخالف الدين، وسوءات تجرح الذوق السليم، وينقبض لها صدر الإنسانية.

الرياضة واستنشاق الهواء، ومشاهدة الأزهار من ضرورات الحياة في كل آن لا في ذلك اليوم الذي تمتلئ فيه المزارع والخلوات بجماعات الفجار وفاسدي الأخلاق، فتسربت إليها المفاسد، وعمتها الدنايا، فصارت سوقاً للفسوق والعصيان، ومرتعاً لإراقة الحياء، وهتك الحجاب، نعم، لا تمر بمزرعة أو طريق إلا وترى فيه ما يخجل كل شريف، ويؤلم كل حي، فأجدر به أن يسمى يوم الشؤم والفجور!! ترى المركبات والسيارات تتكدس بجماعات عاطلين يموج بعضهم في بعض بين شيب وشبان ونساء وولدان ينزحون إلى البساتين والأنهار، ترى السفن فوق الماء مملوءة بالشبان يفسقون بالنساء على ظهر الماء، ويفرطون في تناول المسكرات، وارتكاب المخازي،

فاتبعوا خطوات الشيطان في السوء والفحشاء في البر والبحر، وأضاعوا ثمرة الاجتماع فكان شراً على شر، ووبالاً على وبال.

تراهم ينطقون بما تصان الأذان عن سماعه، ويخاطبون المارة كما يشاؤون من قبيح الألفاظ، وبذيء العبارات؛ كأن هذا اليوم قد أبيحت لهم فيه جميع الخبائث، وارتفع عنهم فيه حواجز التكليف (أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون).

فعلى من يريد السلامة في دينه وعرضه أن يحتجب في بيته في ذلك اليوم المشؤوم، ويمنع عياله وأهله، وكل من تحت ولايته عن الخروج فيه حتى لا يشارك اليهود والنصارى في مراسمهم، والفاسقين الفاجرين في أماكنهم، ويظفر بإحسان الله ورحمته) أ.هـ من الإبداع في مضار الابتداع (276-275).

رابعاً: ظهر من كلام الشيخ علي محفوظ الآنف الذكر، وكلام من نقلنا عنهم في مظاهر هذا العيد الوثني الفرعوني، أنه عيد ينضح بالفجور والفسوق، ويطفح بالشهوات والموبقات، وكل من كتب عن هذا العيد من المعاصرين –فيما وقفت عليه من مصادر– يذكرون ما فيه من اختلاط، وتهتك في اللباس، وعلاقات محرمة بين الجنسين، ورقص ومجون، إضافة إلى المزامير والطبول وما شاكلها من آلات اللهو، فيكون قد أنضاف إليه مع كونه تشبهاً بالوثنيين في شعائرهم جملة من مظاهر الفسق والفجور كافية في التنفير عنه، والتحذير منه.

موقف المسلم من عيد شم النسيم:

من عرضنا السابق لأصل هذا العيد ونشأته ومظاهره وشعائره فإنه يمكن تلخيص ما يجب على المسلم في الآتي:

أولاً: عدم الاحتفال به، أو مشاركة المحتفلين به في احتفالهم، أو حضور الاحتفال به؛ وذلك لما فيه من التشبه بالفراعنة الوثنيين ثم باليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يخصهم محرم فكيف بالتشبه بهم في شعائرهم؟!

قال الحافظ الذهبي –رحمه الله–:(فإذا كان للنصارى عيد ولليهود عيد كانوا مختصين به فلا يشركهم فيه مسلم كما لا يشاركهم في شرعتهم ولا قبلتهم) أ.هـ من تشبه الخسيس بأهل الخميس (رسالة منشورة في مجلة الحكمة 193/4).

ثانياً: عدم إعانة من يحتفل به من الكفار أقباطاً كانوا أم يهوداً أم غيرهم بأي نوع من أنواع الإعانة، كالإهداء لهم، أو الإعلان عن وقت هذا العيد أو مراسيمه أو مكان الاحتفال به، أو إعارة ما يعين على إقامته، أو بيع ذلك لهم، فكل ذلك محرم؛ لأن فيه إعانة على ظهور شعائر الكفر وإعلانها، فمن أعانهم على ذلك فكأنه يقرهم عليه، ولهذا حرم ذلك كله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:(لا يحل للمسلمين أن يتشبهوا بهم في شيء مما يختص بأعيادهم لا من طعام ولا لباس ولا اغتسال ولا إيقاد نار ولا تبطيل عادة من معيشة أو عبادة أو غير ذلك، ولا يحل فعل وليمة ولا الإهداء ولا البيع بما يستعان به على ذلك لأجل ذلك، ولا تمكين الصبيان ونحوهم من اللعب الذي في الأعياد ولا إظهار الزينة، وبالجملة: ليس لهم أن يخصوا أعيادهم بشيء من شعائرهم بل يكون يوم عيدهم عند المسلمين كسائر الأيام) (مجموع الفتاوى 329/25).

وقال ابن التركماني الحنفي –رحمه الله–:(فيأثم المسلم بمجالسته لهم وبإعانته لهم بذبح وطبخ وإعارة دابة يركبونها لمواسمهم وأعيادهم) (اللمع في الحوادث والبدع (519/2–520).

وقد أحسن الشيخ محفوظ –رحمه الله– حينما أوصى كل مسلم في بلاد يحتفل بهذا العيد فيها أن يلزم بيته، ويحبس أهله وأولاده عن المشاركة في مظاهر هذا العيد واحتفالاته.

ثالثاً: الإنكار على من يحتفل به من المسلمين، ومقاطعته في الله تعالى إذا صنع دعوة لأجل هذا العيد، وهجره إذا اقتضت المصلحة ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:(وكما لا نتشبه بهم في الأعياد فلا يعان المسلم في ذلك؛ بل ينهى عن ذلك، فمن صنع دعوة مخالفة للعادة في أعيادهم لم تُجب دعوته، ومن أهدى من المسلمين هدية في هذه الأعياد مخالفة للعادة في سائر الأوقات غير هذا العيد لم تقبل هديته خصوصاً إن كانت الهدية مما يستعان بها على التشبه بهم كما ذكرناه، ولا يبيع المسلم ما يستعين به المسلمون على مشابهتهم في العيد من الطعام واللباس ونحو ذلك؛ لأن في ذلك إعانة على المنكر) (الاقتضاء 519/2–520).

وبناء على ما قرره شيخ الإسلام فإنه لا يجوز للتجار المصريين من المسلمين أو في أي بلاد يحتفل فيها بشم النسيم أن يتاجروا بالهدايا الخاصة بهذا العيد من بيض منقوش، أو مصبوغ مخصص لهذا العيد، أو سمك مملح لأجله، أو بطاقات تهنئة به، أو غير ذلك مما هو مختص به؛ لأن المتاجرة بذلك فيها إعانة على المنكر الذي لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله –صلى الله عليه وسلم-. كما لا يحل لمن أهديت له هدية هذا العيد أن يقبلها؛ لأن في قبولها إقراراً لهذا العيد، ورضاً به.

ولا يعني ذلك الحكم بحرمة بيع البيض أو السمك أو البصل أو غيره مما أحله الله تعالى، وإنما الممنوع بيع ما خصص لهذا العيد بصبغ أو نقش أو تمليح أو ما شابه ذلك، ولكن لو كان المسلم يتاجر ببعض هذه الأطعمة، ولم يخصصها لهذا العيد لا بالدعاية، ولا بوضع ما يرغب زبائن هذا العيد فيها فلا يظهر حرج في بيعها ولو كان المشترون منه يضعونها لهذا العيد.

رابعاً: عدم تبادل التهاني بعيد شم النسيم؛ لأنه عيد للفراعنة ولمن تبعهم من اليهود والنصارى، وليس عيداً للمسلمين، وإذا هنئ المسلم به فلا يرد التهنئة، قال ابن القيم –رحمه الله-:(وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق مثل: أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول: عيد مبارك عليك أو تهنأ بهذا العيد ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم عند الله وأشد مقتاً من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك وهو لا يدري قبح ما فعل، فمن هنأ عبداً بمعصية أو بدعة أو كفر فقد تعرض لمقت الله وسخطه) أ.هـ (أحكام أهل الذمة 1/441-442).

خامساً: توضيح حقيقة عيد شم النسيم وأمثاله من الأعياد التي عمت وطمت في هذا الزمن، وبيان حكم الاحتفال بها لمن اغتر بذلك من المسلمين، والتأكيد على ضرورة تميز المسلم بدينه، ومحافظته على عقيدته، وتذكيره بمخاطر التشبه بالكفار في شعائرهم الدينية كالأعياد، أو بما يختصون به من سلوكياتهم وعاداتهم؛ نصحاً للأمة، وأداءً لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي بإقامته صلاح البلاد والعباد.

والواجب على علماء مصر أن يحذروا المسلمين من مغبة الاحتفال بعيد شم النسيم، أو مشاركة المحتفلين به، أو إعانتهم بأي نوع من أنواع الإعانة على إقامته، وحث الناس على إنكاره ورفضه؛ لئلا يكون الدين غريباً بين المسلمين.

وقد لاحظت أن كثيراً من إخواننا المسلمين في مصر يحتفلون بهذا العيد ولا يعرفون حقيقته وأصله، وحكم الاحتفال به، وبعضهم يعرف حقيقته، ولكنهم يقللون من خطورة الاحتفال به ظناً منهم أنه أصبح عادة وليس عبادة، وحجتهم أنهم لا يعتقدون فيه ما يعتقده الفراعنة أو اليهود والنصارى، وهذا فهم خاطئ فإن التشبه في شعائر الدين يؤدي إلى الكفر سواء اعتقد المتشبه بالكفار في هذه الشعيرة ما يعتقدون فيها أم لم يعتقد؟

بخلاف التشبه فيما يختصون به من السلوكيات والعادات فهو أخف بكثير، ولا سيما إذا انتشرت بين الناس ولم تعد خاصة بهم، وكثير من الناس لا يفرق بين الأمرين.

ولذا فإننا نرى المسلم يأنف من لبس الصليب؛ لأنه شعار النصارى الديني بينما نراه يحتفل بأعيادهم أو يشارك المحتفلين بها، وهذا مثل هذا إن لم يكن أعظم، لأن الأعياد من أعظم الشعائر التي تختص بها الأمم.

وكون عيد شم النسيم تحول إلى عادة كما يقوله كثير من المحتفلين به وهم لا يعتقدون فيه ما يعتقده أهل الديانات الأخرى لا يبيح الاحتفال به؛ ودليل ذلك ما رواه ثابت بن الضحاك –رضي الله عنه– قال:"نذر رجل على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن ينحر إبلاً ببوانه، فأتى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–:"هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا:لا، قال: فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:"أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم" رواه أبو داود (3313) وصححه شيخ الإسلام في الاقتضاء (436/1) والحافظ في البلوغ (1405).

فيلاحظ في الحديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– اعتبر أصل البقعة، ولم يلتفت إلى نية هذا الرجل في اختيار هذه البقعة بعينها، ولا سأله عن ذبحه لمن يكون: أهو لله –تعالى– أم للبقعة، لأن ذلك ظاهر واضح، وإنما سأله النبي –صلى الله عليه

وسلم- عن تاريخ هذه البقعة: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ وهل كان فيها عيد من أعيادهم؟ فلما أجيب بالنفي أجاز الذبح فيها لله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله-:"وهذا يقتضي أن كون البقعة مكاناً لعيدهم مانع من الذبح بها وإن نذر، كما أن كونها موضع أوثانهم كذلك، وإلا لما انتظم الكلام ولا حسن الاستفصال، ومعلوم أن ذلك إنما هو لتعظيم البقعة التي يعظمونها بالتعييد فيها أو لمشاركتهم في التعييد فيها، أو لإحياء شعار عيدهم فيها، ونحو ذلك؛ إذ ليس إلا مكان الفعل أو نفس الفعل أو زمانه،.. وإذا كان تخصيص بقعة عيدهم محذوراً فكيف نفس عيدهم؟"أ.هـ (الاقتضاء 443/1).

قلت: وعيد شم النسيم ليس في زمان العيد ومكانه فحسب، بل هو العيد الوثني الفرعوني عينه في زمانه وشعائره ومظاهر الاحتفال به، فحرم الاحتفال به دون النظر إلى نية المحتفل به وقصده، كما يدل عليه هذا الحديث العظيم.

فالواجب على المسلم الحذر مما يخدش إيمانه، أو يخل بتوحيده، وتحذير الناس من ذلك.

أسأل الله تعالى أن يحفظني والمسلمين من موجبات سخطه، وأن يمنَّ علينا بالتقوى والإخلاص في الأقوال والأعمال.

والحمد لله رب العالمين

=============

#قراءة في كتاب الرئيس الأميركي الأسبق " نيكسون "

د . عبد الحكيم الفيتوري 1424/3/6

2003/05/07

(اقتناص اللحظة)

صدر للرئيس نيكسون قبل هذا الكتاب ثمانية كتب سياسية ، إلا أن هذا الكتاب الجديد قد يكون أهمها على الإطلاق لأنه يعالج موضوعا يشغل بال كل دول العالم ، ويهمنا نحن المسلمين والعرب بصورة خاصة ؛ ذلك أن الرئيس نيكسون قسم العالم إلى ثلاث مناطق رئيسة من حيث دور الولايات المتحدة وظيفتها في قيادة العالم

الجديد . وهذه المناطق هي المثلث الباسيفيكي (روسيا – الصين – اليابان) ، العالم الأطلسي (أميركا – أوروبا) ، النصف الجنوبي (العالم الثالث) .
وإذا كان هذا التقسيم اعتمد الجغرافيا أساسا له ، فإنه تجاوز ذلك تماما عندما خصص فصلاً كاملاً عن (العالم الإسلامي) ، راسما صورة هذا العالم كما هي في الذهن الأميركي والغربي ، محاولا تحليل أوضاعه وبنيته الإيديولوجية والسياسية ، محددا الاقتراحات والمخططات التي يدعو الولايات المتحدة إلى اعتمادها في تعاملها معه .
والذي يهمنا من هذا الكتاب هذا الفصل بالذات الخاص بالعالم الإسلامي ؛ لما يتضمنه من تصوير للعالم الإسلامي بعين أميركية ؛ ولما يقدمه المؤلف من وصفات ومقترحات محددة لاعتمادها أساسا في التعامل مع هذا العالم الإسلامي تحت مظلة النظام العالمي الجديد.
رؤية نيكسون للعالم الثالث :
يخصص " نيكسون " الفصل السادس من الكتاب للنصف الجنوبي من الكرة الأرضية (العالم الثالث) وهو يصف هذه المنطقة من العالم بأن طريقها إلى التطور الاقتصادي تعترضها عراقيل صعبة ، وحكومات فاسدة ، وسوء سياسة اقتصادية ، وسوء توجيه للإستراتيجيات الإنمائية (ص233) . ويصف كل هذه المشكلات بأنها مشكلات ذاتية وضعت دول المنطقة في حلقة مفرغة من الفقر تعجز عن الخروج منها .
ويرى نيكسون أنه (لا يمكن التغلب على هذه العراقيل ما لم نطمئن إلى أن نجاح الحرية في النصف الجنوبي سوف يحل محل سقوط الشيوعية في العالم) (ص234) . يستعمل نيكسون كلمة الحرية كتعبير ايديولوجي بديل عن الشيوعية ، معتبرا أن المفهوم الأميركي للحرية هو البديل الوحيد ، نافيا وجود أي مفهوم آخر ، أو أي بديل ايديولوجي آخر .
رؤية نيكسون للعالم الإسلامي المعاصر :
يعالج نيكسون في الفصل الخامس من الكتاب موضوع العالم الإسلامي .

ويستهل هذا الفصل بتقديم صورة بالغة السوء عن نظرة الأميركيين إلى المسلمين . فيقول : إن الأميركيين ينظرون إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين ، برابرة ، مزاجيين ، لا يستقطبون الانتباه إلا لأن بعض قادتهم يحكمون مناطق تحتوى على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط . (ص194)

والأميركيون يذكرون الحروب الثلاثة التي شنها العرب للقضاء على إسرائيل ، ويذكرون الرهائن الأميركيين الذي يعتقلهم الخمينيون المتعصبون ، ويذكرون عملية الهجوم الإرهابي على أولمبياد ميونيخ التي قام بها فلسطينيون من منظمة أيلول الأسود ، ويذكرون مذابح الميليشيات الإسلامية في لبنان ، وتفجير الطائرات المدنية بواسطة سوريا وليبيا ، ومحاولة صدام حسين ضم الكويت على الطريقة الهتلرية . ويلخص " نيكسون " هذه الصورة بقوله : ليس لأي أمة في العالم ، ولا حتى للصين صورة سلبية في الضمير الأميركي مثل صورة العالم الإسلامي . (195) .

رؤية الإدارة الأمريكية للإسلام :

وينتقل نيكسون بعد ذلك إلى الأمر الجوهري الذي يبدو أنه هو بيت القصيد ، فينقل عن مراقبين قولهم : إن الإسلام سوف يصبح قوة جيو سياسية متعصبة ، فمن خلال نمو سكانه ومن خلال تبوئه مركزاً مالياً مهما ، سيفرض تحديا رئيساً يحتم على الغرب أن يقيم تحالفا جديدا مع موسكو للتصدي لعالم إسلامي معاد وعدواني . (ص 195) . ويذكر " نيكسون" أن هذا التحليل ينطلق من اعتبار الإسلام والغرب عالمين لا يلتقيان ، وأن للإسلام نظرية تقسم العالم إلى قسمين : دار الإسلام ودار الحرب ؛ حيث يجب القضاء على القوى غير الإسلامية .

نيكسون يجرح ويداوي :

لكن " نيكسون" يبادر بعد ذلك إلى طمأنة الغرب بأن كابوس هذا السيناريو لن يتحقق ابدا ، فالعالم الإسلامي أكبر وأكثر تنوعا من أن يحركه قرع طبل واحد . (195) . ويقول: إن العالم الإسلامي ليس الشرق الأوسط والوطن العربي ، ولكنه أكثر من 850 مليون إنسان سدس البشرية ، يعيشون في 37 دولة . إن هذه الأمم تنقسم إلى 190 اثنية ، وتتكلم مئات اللغات واللهجات الخاصة ، وتنتمي إلى ثلاث مجموعات

دينية : السنة ، والشيعة ، والصوفية . ويدعي نيكسون أن ثمة عاملين مشتركين في العالم الإسلامي ، وهما الإسلام والاضطرابات السياسية (ص169) .

نيكسون يعرف الإسلام كما يعرف أبناءه !

ويعترف في الوقت نفسه أن الإسلام ليس دينا فقط ، ولكنه أساس حضارة رئيسة ، يقول : إننا نتحدث عن العالم الإسلامي كشخصية واحدة ، ليس لأنه يوجد مكتب سياسي يوجه شؤونه السياسية ، ولكن لأن كل الأمم الإسلامية تشترك في تيارات سياسية وثقافية تصب في مجموع الحضارة الإسلامية . (ص196) . ويقول : إن اللحن السياسي نفسه يتردد في طول العالم الإسلامي وعرضه بصرف النظر عن الفوارق بين الدول المختلفة . (ص196) . ويقول : إن المشاركة في العقيدة والسياسة تولد تضامنا مائعا ولكنه تضامن حقيقي ، فعندما يقع حادث رئيسي في جزء من العالم الإسلامي تهتز له سائر الأجزاء . (ص196) .

نيكسون يحدد عوامل الصراع مع الإسلام :

يحدد نيكسون ثلاثة عوامل تجعل الصراع أمراً لا مفر منه مع العالم الإسلامي ، وهذه العوامل هي : الديموغرافيا ، والاقتصاد ، والتوجهات السياسية .

عن الديموغرافيا يقول : إن الانفجار السكاني في العلم يتمركز في العالم الإسلامي(ص197) فعدد سكان الشرق الأوسط وحده سوف يتضاعف في حدود عام 2010 .

وعن الاقتصاد يقول : إن النمو الاقتصادي لن يتحقق بنفس وتيره النمو الديموغرافي ليمنع هبوطا في مستوى المعيشة مما يحول دون قدرة الحكومات على مقايضة السلام بالتهديدات بعدم الاستقرار . ويذكر في هذا الإطار مشاكل المياه ، والحدود الوطنية . إلا أنه لا يذكر شيئا عن دور الولايات المتحدة في إثارة هذه المشاكل وعرقلة حلها .

وعن التوجهات السياسية يقول: إن الأنظمة السياسية وهي أوتوقراطية بغالبيتها ، ودكتاتورية في أصولها ، تعتمد على احتكارها للقوة أكثر مما تعتمد على دعم الشعوب لها ، والليبرالية السياسية أدت غالبا إلىالتمزق أكثر مما أدت إلى الديمقراطية (197) .

وشهد شاهد من أهلها :

يقول:إن نجاح الإسلام في امتحان التصدي للشيوعية كان أفضل من نجاح المسيحية (198) .

ويتحدث " نيكسون " عن التراث الحضاري الإسلامي بموضوعية ويقول : إنه في الوقت الذي كانت أوروبا غارقة في ظلمات العصور الوسطى كانت الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي ، فقد قدم العالم الإسلامي مساهمات جمة في العلوم والطب والفلسفة (199).

وهنا يربط " نيكسون " بين هذا الماضي وآفاق المستقبل الإسلامي عندما يقول : تمثل هذه الانجازات ما كان عليه العالم الإسلامي في الماضي ، وتشير إلى ما يمكن أن يكون عليه في المستقبل إذا وضع حد لعواصف الحرب المميتة ولعدم الاستقرار السياسي . فالعالم الإسلامي عبارة عن حضارة ضخمة تبحث عن شخصيتها التاريخية (199) .

رؤية نيكسون للحركات السياسية في المنطقة :

يقسم " نيكسون" الحركات السياسية في العالم الإسلامي إلى ثلاثة تيارات فكرية هي : الأصولية – الراديكالية – الحداثة .

ويقول : إن سكان العالم الإسلامي مرشحون للثورة : إنهم شباب أكثر من 60 بالمئة منهم تحت سن الخامسة والعشرين ، إنهم فقراء ، إن متوسط الدخل الفردي – بما في ذلك الدول الغنية بالنفط في الخليج – يبلغ 1600 دولار في السنة مقارنة بمبلغ 21,000 دولار في الولايات المتحدة (203) .

ويقول : إن 27 بالمئة فقط من شعوب العالم الإسلامي تعيش في دول ديمقراطية ، وتلقى الحركات الأصولية الإسلامية هوى لدى الناس ليس بسبب ما تطرحه ولكن بسبب ما تعترض عليه (203).

نيكسون يدعو للوقف في وجهة المد الإسلامي :

يدعو " نيكسون " إلى (دعم مصالحنا ومصالح أهل التحديث في العالم الإسلامي) . ويقول عنهم : إنهم يريدون إن يقدموا إلى شعوبهم بديلا عن الإيديولوجية الأصولية المتطرفة وعن العلمانية الراديكالية .

ويقول في موضع أخر : للتأثير على التطور التاريخي في العالم الإسلامي ينبغي علينا عدم صياغة استراتيجية تطبق سياسة واحدة في كل الدول الإسلامية ، إنما علينا اختيار نقاط مفصلية من أجل وجودنا ، علينا إرساء شراكة مع دولة عصرية مختارة نشاركها المصالح والأولويات ويكون لها ثقلها في المنطقة (ص205) .

كما يقول : ومن خلال العمل معها لمعالجة قضايا سياسية وأمنية ، ومن خلال تقديم النصح والمساعدة لتطوير نموها الاقتصادي وبروزها التدريجي كنماذج ناجحة داخل العالم الإسلامي ، فإننا نسرع إمكانات التحديث في كل المنطقة . (ص205) . ومن الواضح أن الهدف هو الاستيعاب (عن طريق التحديث) وقطع الطريق أمام أي انفلات إسلامي من قبضة الهيمنة الأميركية .

وفي هذا الإطار يسمي " نيكسون " أربع دول يرى أنها منطقيا ، أقرب إلى الشراكة مع الولايات المتحدة وهي : تركيا ، وباكستان ، ومصر ، واندونيسيا . ويتابع : إن سياسة اختيار الشركاء لن تحقق نجاحا فوريا ، ولكن سيكون للولايات المتحدة بعد جيل واحد تأثير على التطور التاريخي للعالم الإسلامي . (208) .

الإسلام هو التحدي الحقيقي للإستراتيجية الأميركية :

ويعترف " نيكسون " أن العالم الإسلامي يطرح أعظم تحد للسياسية الخارجية الأميركية في القرن الواحد والعشرين (209) ، ولذلك فإنه يقترح على السياسة الأميركية تجنب (ثلاثة أوهام قاتلة) وهي :

1-وهم الإطار الأمني الشامل .

2-وهم مراقبة التسلح الإقليمي .

3- وهم إعادة توزيع الثروة الإقليمية .

اسرائيل والنفط لا غير :

وكم يبدو نيكسون صادقاً وموضوعياً عندما يقول : إن المصالح الأميركية المباشرة في الشرق الأوسط تنحصر في اثنين هما النفط وإسرائيل) (ص217) .

ويتحدث عن اشكالية هذه العلاقة ، مؤكدا على قاعدة أساسية وهي : علينا تأمين حياة إسرائيل والعمل مع الدول العربية المعتدلة لتأمين سلامة الخليج الفارسي . (217) .

أمن إسرائيل بعد عقدي وليس سياسي !!

يقرر " نيكسون" ذلك بقوله : إن التزامنا بوجود وسلامة إسرائيل هو التزام عميق ، فنحن لسنا مجرد حلفاء ، ولكنا مرتبطون مع بعض بأكثر من قصاصة ورق ، إنه التزام معنوي ، وخلافاً للاعتقاد فإن إسرائيل ليست مصلحة استراتيجية للولايات المتحدة .. إن التزامنا بإسرائيل ينطلق من شرعية الحرب العالمية الثانية ، ومن المصالح المعنوية ولايديولوجية بتأمين بقاء الديمقراطيات . لن يجرؤ رئيس أميركي أو مجلس كونغرس أبدا على السماح بتدمير دولة إسرائيل . (ص218) .

ويحدد نيكسون ثلاثة أسباب للمضي قدما في مسيرة التسوية السياسية في الشرق الأوسط :

السب الأول : هو أن اسرائيل حصلت منذ منتصف السبعينات من الولايات المتحدة على مساعدات مباشرة وغير مباشرة تبلغ قرابة 70 مليار دولار .

السبب الثاني : أن الصراع يخلق وضعا يمكن أن يجر الولايات المتحدة إلى حرب تضطرها إلى استعمال الأسلحة النووية .

السبب الثالث : أن خدمة مصالح الولايات المتحدة واسرائيل معا تكن من خلال تسوية تقوم على مقايضة الأرض بالسلام .

وينهي " نيكسون " هذا الفصل من كتابه معترفا بأن العالم الإسلامي قاد المسيحية لمدة خمسة قرون من عام 700حتى عام 1200في ميادين قوة الجغرافيا السياسية (الجغراسيا) ومستوى المعيشة ، والدين ، والقانون ، ومستوى التعليم في الفلسفة والعلوم الثقافية . ولكن عقودا من الحروب قلبت الطاولة (ص231) فكما أن المعرفة التي جاءت من الشرق اطلقت حركة النهضة في الغرب ، فقد حان الوقت ليساهم الغرب في نهضة العالم الإسلامي

===============

#كيف نستثمر المعركة؟

د. سليمان بن حمد العودة * 1424/3/11

2003/05/12

بعد التحولات الخطرة والجولات المتعاقبة هنا سؤال أو عدة أسئلة تطرح، وتحتاج الإجابة إلى رويّةٍ وتفحص، ليس فراراً من الواقع، أو تسلية للنفس حين يقع المصاب، كلا؛ بل هو تلمس للحكمة الربانية فيما تكره النفوس ، إذ يقول تعالى " فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً" [النساء: 19] وقوله تعالى " وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم" [البقرة:216] وهو تصديق لخبر الصادق المصدوق – صلى الله عليه وسلم– إذ يقول: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له".

والسؤال يقول: كيف نستثمر المعركة؟ أو ما هي مكاسبنا وخسائر أعدائنا؟ ومرة أخرى لا بد من الواقعية، والقول بأن هناك خسائر لحقت وستلحق المسلمين في هذه الحرب على العراق، وثمة مكاسب لعدونا حققها وقد يُحقق غيرها، ولكن السؤال المطروح استثمار أمثل لنتائج المعركة، وتلمس واعٍ للمكاسب تحت ركام الخسائر، وما من شك أن لكل معركة مكاسب ظاهرة وأخرى خفية، وما من شك كذلك أن مكاسبنا خسارة لعدونا والعكس، والمتأمل في التاريخ الماضي والحاضر يرى صوراً للنصر رآها الناس بعد حين لمن ظنوه منهزماً ، وأذكِّر بنموذجين: الأول: في مؤتة حين قابل المسلمون الروم والنصارى بعدد وعُدَّة غير متكافئة ومع ذلك ثبت المسلمون – وإن استشهد أمراؤهم الثلاثة– وقتل من قتل من المسلمين، واستطاع سيف الله المسلول خالد –رضي الله عنه– أن ينحاز بالبقية الباقية من المسلمين، ويفتح الله عليه ما لم يفتح على أصحابه، ومهما اختلفت عبارات السلف في تقييم نتائج المعركة (بين نصر أو هزيمة أو انحياز) فقد استطاع المسلمون أن يستثمروا المعركة لصالحهم، إذ تحطمت هيبة الروم في نفوسهم، وخبروا أساليب قتالهم، وتعرفوا على نقاط القوة والضعف في جيشهم، ولذا جاء بعث أسامة تأكيداً على قوة المسلمين وعدم خوفهم من الروم، ثم جاءت معركة اليرموك بعد برهاناً على تفوق المسلمين وسقوط دولة الروم على أيديهم.

أما النموذج الحديث: فيمثله تجربة اليابان، حين كانت كارثة هيروشيما ونجازاكي على أيدي الغربيين، ولكن اليابانيين وإن هزموا عسكرياً؛ فقد انتصروا علمياً وتقنياً

واقتصادياً، ونفضوا غبار المعركة وأزاحوا ذل الهزيمة وشقوا طريقاً أخرى للنجاح، وإذا وقع هذا لغير المسلمين؛ أفيعجز المسلمون عن استثمار الفرص، وتحويل الهزيمة إلى نصر؟!.

إن من الإيجابية أن يصبر المسلم على ما يلقى من أذى، وفي الوقت نفسه يفتش عن الجوانب المضيئة- وسط الظلام وفوق الركام – ليتقوى بها ويتسلى، ويُنتج ويستثمر الفرص، ويتجاوز دائرة الإحباط واليأس والقعود والسلبية إلى محيط الأمل والإنتاج والعمل والإيجابية.

ومن هذا المنطلق تعالوا بنا لنقف على شيء من مكاسبنا وخسائرهم في الحرب ولا شك أن مكاسبنا خسائر لأعدائنا، ومكاسبهم خسارة علينا .

01 تقاربنا وفرقتهم، لا شك أن المسلمين يعيشون حالة من الفرقة والتشرذم لا يُحسدون عليها، ولكن الأحداث يمكن أن تضيَّق هذه الهوة، وكفيلة – إذا ما استثمرت- لتوحيد الكلمة وجمع طاقة الأمة، فالخطر يحيط بها، والمخطط يستهدفها برمتها، وفرقتها وتناقضاتها أمضى سلاح يلعب به أعداؤها، وهو مذهب لريحها ومضعف لقوتها وحين تجتمع أو تتقارب تبدأ الطريق الصحيح لمقارعة عدوها. ولا شك أن عاطفة المسلم في المشرق حين تلتقي مع عاطفة المسلم في المغرب شيء عظيم، وهذا ما بدأنا نلمسه في هذه الحروب الظالمة الغاشمة، والمؤمل أن تُنمى هذه المشاعر وتُستثمر.

وفي المقابل كشفت الأحداث عن خلل وفرقة في المواقف بين أعدائنا، ومهما كانت مصالحهم وتبريراتهم فهي خرق في سفينتهم، وهي سهم يصيب القوم ويمكن أن يبيدهم، والمسلمون مطالبون باستثمار هذا الصدع لصالح قضاياهم.

02 وفي الحرب هزيمة لمبادئ القوم، وسقوط لشعاراتهم، وإخفاق لمؤسساتهم وهيئاتهم، فالحرية والديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان – وما شابهها- باتت مصطلحات مُحنطة من مخلفات الماضي، ومجلس الأمن يحتضر، وهيئة الأمم المتحدة تُركل بأقدامهم .

وهكذا تتسارع في السقوط مصطلحات وهيئات طالما اتكأ عليها الغرب في اتخاذ القرار، وروّج لها في سبيل العولمة والنفوذ والاستعمار، فهل يقيم المسلمون بديلاً

صـالحاً عـن هـذه المؤسسـات والشـعارات فـي أجـواء صـراع الحضـارات ومقارعـة الثقافات؟

03 كما أن من خسائر الغرب في هذه الحرب أنها وسَّعت دائرة الكره لهم ولمبادئهم، وكثّرت من سواد الرافضين لأفكارهم ومبادراتهم، وإذا شهدت عواصمهم موجة من الغضب والمظاهرات المنكرة للحرب، والمطالبة بمحاكمة مجرميها؛ فلا شك أن في تلك الخسارة لهم مكسباً للمسلمين ورصيداً يُضاف إلى رصيدهم، فهل يستثمروه؟ وإذا كان هذا تعبيراً من القوم عن كره الحرب ومجرميها فلا تسأل عن كره المسلمين لهم.

04 ومن مكاسبنا في الحرب أنها صدّقت رؤيا الغيورين من أهل الدعوة والإصلاح، الذين طالما حذروا أمتهم من مكائد اليهود والنصارى وحربهم للإسلام والمسلمين، فجاءت الأحداث الراهنة شاهداً على صدق مقولتهم وبرهاناً على نصحهم لأمتهم، وبالتالي فهم محل ثقتها وعيبةُ نُصِحها، وينبغي أن تسمع الأمة لنصحهم مستقبلاً، وأن تستضيء بآرائهم في كشف عداوة الأعداء ومكرهم .

وفي المقابل كشفت الأحداث الوحشية في التدمير عن زيف الدعاوى، والتي طالما خدع بها المتأمركون والعلمانيون وأدلاء الطريق وأهل النفاق أمتهم حين ضللوها فترة من الزمن، وحسَّنوا لها التشبث بالنموذج الغربي في ممارسة الحياة، فهل يستيقظ هؤلاء، وتحذر الأمة أمثالهم مستقبلاً لاسيما وقد خيّب أسيادهم ظنهم فيهم، وكشفوا عن ظلمهم وطغيانهم؟

05 ومن خسائر الغرب في الحرب أنها أفقدت الثقة بآلاتهم العسكرية، فهي لا تستخدم لتأمين العدل والسلام كما يقولون؛ بل استخدمت بشكل سلبي للتدمير والاحتلال لا تفرق هذه الآلة المدمرة بين مدني أو عسكري، بل ربما تقصَّدت المدنيين الإعلاميين، الذين لا يروقون للغرب فيما ينقلون من أخبار، وكشفت الحرب عن تأسيس خطير لمبدأ التدخل في شؤون الدول، بما يعيد للأذهان حقبة الاستعمار البائدة، وهذا النمط الصارخ للتغيير بلغة السلاح مهما حقق اليوم من نتائج للقوم؛ فسيوقظ في الأمة روح الجهاد والمقاومة للمستعمر مستقبلاً.

06 وإذا كانت هذه الخسارة لهم على مستوى الآلة العسكرية، فقد مُنوا بخسارة إعلامية، وآلتهم الإعلامية كشفت كذباً وتزويراً للحقائق وخداعاً للشعوب واستخفافا

بالعقول، وهو ما كان الغرب يروج لخلافة، ويزعمون المصداقية لإعلامهم، وسيكتشف العالم كم حجبت هذه الآلة الإعلامية من حقائق، وكم ضللت، وهذا سقوط مريع لإعلامهم وعلى المسلمين أن يستثمروه لصالحهم.

07 ومن مكاسب المسلمين في هذه الحرب أنها أحيت في نفوسهم مشاعر العزة بالإسلام، فقد كانت الضربة من الوحشية واللؤم بحيث أيقظت نيام المسلمين، وأذكت مشاعر الغافلين، وبات المسلمون – عربُهم وعجمهم- يشعرون بأنهم وحدهم هدف الحاضر والمستقبل لهؤلاء، ويشعرون في مقابل ذلك أن تأمين دولة اليهود في المنطقة هدفٌ يراد للغرب، ولذا فسيعمَّق ذلك شعوراً بالكره لليهود والنصارى المتحالفين، ويحيي ما ذبل من مفاهيم الولاء والبراء عند المسلمين. وبات يتردد على الألسنة كثيراً عداوة اليهود والنصارى للمسلمين، وأحسّ المُفرَّطون من المسلمين بحاجتهم إلى التوبة والعودة إلى الدين، ولم يعد الحديث عن الجهاد للغزاة المستعمرين حديثاً نظرياً؛ بل واقعاً ملموساً، ولقد كان حمق القوم وصلفهم سبباً في إشعال هذا الفتيل، وبدلاً أن يحذروا مجاهداً واحداً، فإذا بهم يواجهون أسراباً من المجاهدين المتطوعين .

08 ومن مكاسبنا في الحرب تعميق الوعي بشكل كبير في أفراد الأمة المسلمة، فقد تكشفت الحقائق والمخططات أكثر من ذي قبل، وكانت الحرب بصلفها وتسارعها وما صاحبها من تصريحات وأهداف أكبر وسيلة للتعبير وكشف الخطط، الأمر الذي كان يحتاج – قبل الحرب- إلى كم من المحاضرات والندوات والكتب المؤلفة حتى يقتنع عوام المسلمين والمنخدعين منهم، ولكن الحرب جاءت لتقصر مسافة الوعي، وجاءت الحرب لتصنف الناس، وتكشف عن المواقف والتحالفات المريبة، وظهرت على جانب راية الصليب راياتٌ للكذب والنفاق، والتدليس والخداع "وما ربك بغافل عما يعملون" .

09 ومن مكاسبنا في الحرب أن الفرصة للدعوة مواتية في الدعوة للدين الحق، وكشف محاولة الأعداء لتشويه صورة الإسلام، ونبي الإسلام، وبلاد المسلمين وتعرية عقيدة اليهود والنصارى وحقدهم على الإسلام، ودعوة المسلمين للتمسك بدينهم في ظل هذه الهجمة الصليبية الصهيونية الشرسة، إلى غير ذلك من مفردات

الدعوة باتت الآذان مهيأة لسماعها أكثر من ذي قبل، فهل يا ترى يستثمر المسلمون عامة، والدعاة والعلماء والمفكرون المسلمون خاصة هذه الفرصة المواتية للدعوة؟.

10 ومن مكاسبنا في ظل هذه الهجمة أن كثيراً من المفاهيم والأنماط والسلوكيات الاجتماعية سيُعاد النظر فيها، أعني تلك التي صُدِّرت لنا من الغرب على مستوى الرجل والمرأة وعلى مستوى المثقفين وغيرهم، فالكره للغرب سيسري على كره صادراتهم الفكرية وأنماط حياتهم الاجتماعية، ولا مجال اليوم وغداً لمن كانوا ينظرون للغرب عامة ولأمريكا خاصة على أنها قبلة الفكر، ونموذج القيم، فقد كشف القوم عن حقيقتهم، وآن الأوان للمسلمين أن يعتزوا بقيمهم الإسلامية، وأنماط حياتهم الاجتماعية.

11 ومن مكاسبنا في الحرب أنها كشفت عن تفاعلات جيدة، ومواقف مشكورة لدى أفراد الأمة المسلمة، فهذا يستنكر وآخر يتحسر، وثالث يقنت داعياً، ورابع يكتب في جريدة، أو يتحدث في إذاعة أو يظهر في قناة مرئية، وكل أولئك يُسهم في النصح والدعوة حسب ما يسر الله له، ومهما كانت هذه المواقف دون مستوى المأمول من الأمة، فهي إسهامات تحسب، وهي بدايات تشجع، والموفق من سدده الله، وآثر الحق على الخلق، وأرضى الله وإن سخط الناس عنه، فالكلمة أمانة ومسؤولية وفي التنزيل "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد"، "إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا"، وبكل حال تبقى هذه الإسهامات وغيرها نماذج للتفاعل مع قضايا الأمة، يمكن لها أن تتطور وتتعمق أكثر في المستقبل، إذا ثُمنت وشجعت وقيمت واستُنفرت لها طاقات الأمة .

12 التفكير الجماعي والمشورة، والتفكير بأساليب للخروج من الأزمة غانمين، وليس مجرد سالمين.. هذه إيجابية طالما غفل عنها المسلمون، إذ اعتادوا على التفكير الأحادي، والمشاريع الفردية، وهذه مع أهميتها إلا أن المشورة على الخير والتعاون على البر والتقوى من سمات المسلمين ودينهم، ولقد كان لهذه الأزمات أثر في تحريكها وتقريب وجهات النظر، وتشديد بعض المسلمين لبعض في ما يعملون أو يدعون، والمأمول أن تزيد هذه الإيجابية، وأن يستمر هذا التعاون على الخير والمشورة لصالح الإسلام وقضايا المسلمين فالمؤمنون إخوة، والمسلم أخو المسلم .

13 وأخيراً– وليس آخراً – دعوة للمساهمة! فأنت مدعو أخي المسلم للمساهمة في استثمار الأزمة ورد مكائد الأعداء عن الأمة، فماذا قدمت؟ هل ساهمت بكلمة طيبة؟ هل تقدمت بمقترح مفيد؟ هل فكرت في مشروع دعوي نافع ؟ هل أعنت ملهوفاً؟ هل دعوت – من قلب– لمكروب؟ أي نوع من المساهمة قدمت لنفسك ولأمتك؟ هل يكفي أو يصح أن تقول لا أستطيع على شيء؟ هل ترضى أن تكون رقماً هامشياً في أمتك؟ وهل يكفيك أن تدير موجات المذياع بحثاً عن آخر الأخبار – ثم ماذا؟

أو تنظر بسلبية إلى المشاهد الدامية في القنوات عن إخوانك المسلمين وهم يحاصرون ويقتلون وتحتل أرضهم ويُسطى على مقدراتهم؟ إنها دعوة للمساهمة، ومن عمل صالحاً فلنفسه، والإسلام مسؤوليتنا جميعاً، وكيد الأعداء يستهدفنا جميعاً، وحقوق المسلمين علينا جميعاً .

*- عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام فرع القصيم

- إمام وخطيب جامع العودة بحي سلطانة

- عضو المجمع الخيري في شمال بريدة

=============

#فرنسا...تعارض الحرب والحجاب!

إدريس الكنبوري 1424/3/9

2003/05/10

شن رئيس الوزراء الفرنسي)جان بيير رافاران(يوم الخميس 2003/4/3 –خلال لقاء مباشر على القناة الفرنسية الفرنكوفونية الخامسة– حملة قوية على الحجاب الإسلامي في المدارس الفرنسية، وذلك في أول تصريح رسمي لمسؤول فرنسي حول قضية الحجاب، التي اختفت من النقاش الداخلي منذ نهاية التسعينات ؛ حينما شنت السلطات الفرنسية حملة عنيفة على المحجبات المسلمات .

وقال (رافاران) في معرض حديثه عن مشروع وزير الداخلية الفرنسي (نيكولاس سار كوزي) المتعلق بتشكيل مجلس موحد لمسلمي فرنسا وصلاحياته:" في أي جمهورية لدينا الحق في ممارسة شعائرنا الدينية، ولكن لدى ممارسة مواطنتنا لا يمكننا إظهار

علامات تديننا أو انتمائنا الديني بشكل تفاخري"، وردا على سؤال إن كان سيتخذ قرارا بمنع ارتداء الحجاب كرر رئيس الوزراء الفرنسي:"بالتأكيد، بالتأكيد".

تلميحات (رافاران) في هذه الظرفية الداخلية والدولية تؤشر إلى حدوث تحول قريب في الموقف الفرنسي اتجاه مسألة الحجاب والجاليات الإسلامية في فرنسا، التي تقدرها المصادر الفرنسية ما بين أربعة وخمسة ملايين، جلهم متحدرون من منطقة المغرب العربي، وعلى الأخص من المغرب والجزائر. فهذه التلميحات تتزامن وسياقين هامين في الداخل والخارج: على المستوى الداخلي هناك المشروع الذي طرحه وزير الداخلية وشؤون الأديان الفرنسي (نيكولاس ساركوزي) قبل أشهر، حول تجميع مسلمي فرنسا في مجلس موحد يكون المخاطب الوحيد أمام السلطات الفرنسية، وعلى المستوى الخارجي فإن أحداث 11 سبتمبر 2001 قد ألقت بكثير من ظلالها على طبيعة التعاطي الرسمي للحكومة الفرنسية مع قضايا المسلمين بها، وأحدثت فرزا بين أنصار التدخل في قضايا الإسلام بفرنسا وأنصار الحرية الدينية.

تعديل قانون 1905!

في هذا السياق المزدوج طرحت في العام الماضي في فرنسا اقتراحات متعددة بتعديل قانون 1905، الذي يقضي بفصل الدين عن الدولة ، ورفع هذه الأخيرة يدها عن الشؤون الدينية ، سواء منها الرموز أو المراكز الدينية أو رجال الدين، وقد جاء هذا القانون بعد أربع سنوات من قانون آخر صدر عام 1901 يتعلق بحرية تأسيس الجمعيات الثقافية. ويشير الفصل الأول من قانون عام 1905 أو "قانون العلمانية" إلى أن"الجمهورية(الفرنسية) تضمن حرية الاعتقاد، وحرية ممارسة الطقوس الدينية"، بناء على الدستور الفرنسي ، الذي يشير إلى أن فرنسا"جمهورية علمانية تحترم جميع المعتقدات"، كما يقول الفصل الثاني من القانون المشار إليه إن"الجمهورية لا تعترف ولا تمول ولا تدعم أي معتقد". ويعتبر قانونا 1901 و 1905 مكسبا مهما للحريات الدينية والثقافية والفكرية في فرنسا بعد الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر الميلادي، من دون أن يعني ذلك أن الحكومات الفرنسية كانت تلتزم بهما، خصوصا فيما يتعلق بالتعامل مع المسلمين والجمعيات الثقافية الإسلامية بفرنسا.

وقد انقسمت الآراء في فرنسا بين مؤيد ومعارض لتعديل قانون فصل الدين عن الدولة. إذ يرى الفريق المؤيد أن التعديل سيجعل الدولة الفرنسية قادرة على مراقبة شؤون الجاليات المسلمة التي يتزايد عددها، بحيث يعد الإسلام الديانة الثانية في فرنسا، وبالتالي التحكم في توجيه الحساسيات الإسلامية ؛ خوفا من "الإرهاب الإسلامي"، كما يرى أن تنامي الوجود الإسلامي في فرنسا عما كان عليه في الماضي يبرر مثل هذه المراجعة. ويقول عمدة"إيفلينس" وهو من أشد المدافعين عن اتجاه المراجعة" في عام 1905 كانت الحكومة ترى في الكاثوليك ألد أعداء الجمهورية، ويشكلون تهديدا حقيقيا، أما اليوم فإن الإسلام هو الذي أصبح يطرح هذه المشكلة".

أما منتقدو التعديل، وهم يعتبرون أقلية، فيرون أن ذلك يعد تراجعا خطيرا عن مكسب العلمانية ومبادئ الثورة الفرنسية، وبالتالي بداية تحيز الدولة إلى ديانة معينة لحساب ديانة أخرى، وتوجها نحو ضرب الحريات الدينية ، والتضييق على بناء المراكز الدينية والمساجد في المدن الفرنسية. ويربط هؤلاء بين سياسة وزير الداخلية الجديد (ساركوزي) المتعلقة بمسائل الأمن وحوادث العنف في المدارس والأحياء الشعبية الفرنسية ؛ وبين مشروعي التعديل وتأسيس المجلس الموحد لمسلمي فرنسا، باعتبار أن ذلك كله موجه إلى الجاليات المسلمة ؛ وخاصة منها المتمركزة في الأحياء الشعبية ، التي ركز عليها الإعلام الفرنسي كثيرا في الأشهر الأخيرة ؛ بحسبانها المراتع الأساسية لأعمال العنف والشغب، وترهيب الفرنسيين من الخطر الإسلامي.

من"الإسلام في فرنسا" إلى"إسلام فرنسا"!

ومنذ طرح مشروع (ساركوزي) في السنة الماضية بعد توليه منصب وزير الداخلية تحول الحديث عن الإسلام من"الإسلام في فرنسا" إلى"إسلام فرنسا"، ما يعني أن هناك سياسة جديدة للدولة الفرنسية ناحية الأقليات الإسلامية تهدف إلى وضع الإسلام تحت عين المراقبة والمتابعة ، وتسييج الوجود والأنشطة الإسلامية للجاليات المسلمة، ومحاربة ما أسماه (ساركوزي) "إسلام المغارات والمرائب" أو"الإسلام السري".

أما فكرة تجميع المسلمين الفرنسيين في مجلس أو هيئة موحدة فقد انطلق التفكير فيها في العام 1984 في عهد الاشتراكي (فرانسوا ميتران) ، حيث كان قد أعلنها وزير الداخلية آنذاك (بيير جوكس)، لكنها لم تفعّل في ذلك الوقت، ربما تجنبا من الاشتراكيين الفرنسيين للمساس بـ"السياسة العربية" لفرنسا وموقعها في منطقة المغرب العربي، اعتبارا لأن أغلب المسلمين في فرنسا هم من المغاربيين. وفي بداية التسعينات عاد الحديث عن ضرورة تنظيم المسلمين في فرنسا على خلفية أحداث الجزائر والحرب الأهلية ، بعد انقلاب العسكر على الديمقراطية ، ونتائج الانتخابات التي حملت الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى البلديات ثم مجلس الشعب(البرلمان) ، وأطلقها وزير الداخلية الأسبق (جان بيير شوفنمان)، لكنها توقفت لتعود من جديد عام 1995 مع وزير الداخلية في تلك الفترة (شارل باسكوا) المعروف بسياسته المعادية للمسلمين وللمهاجرين من العرب، والذي قال أثناء افتتاح مسجد (ليون) متوجها إلى المسلمين الفرنسيين:" إن تسرب تأثيرات مناقضة لتقاليدنا وقيمنا ومفهومنا لحقوق الإنسان والمرأة، وتنامي هذه التأثيرات في صفوف جاليتكم ستؤدي إلى مخاطر رئيسية بالنسبة للجالية أولا، وأيضا بالنسبة للتلاحم الوطني، وهذا ما لن نقبل أو نسمح به".

وقد عاد هذا الخطاب العدائي السابق إلى الظهور بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية، وما فجرته من أجواء محتقنة في العلاقة بين الجاليات المسلمة في أوروبا وحكومات البلدان الأوروبية التي أصبحت أكثر فأكثر توجسا وخيفة من الوجود الإسلامي بها. ولعب الإعلام الفرنسي ؛ خاصة منه اليميني المتطرف دورا رئيسيا في التحريض على المسلمين بفرنسا، حيث نشرت العديد من المقالات والتعاليق والتحليلات التي نصحت بـ"ضبط" الوجود الإسلامي في فرنسا ، ووضعه داخل مربع بشكل يسمح بمراقبته من الانفلات والتطرف ، وإدماجه في النسيج الثقافي الفرنسي، كما لم يكن غائبا التلويح بإمكانية تعرض فرنسا لأعمال شبيهة بتلك التي استهدفت الولايات المتحدة الأمريكية.

ضمن هذا السياق طرح وزير الداخلية (ساركوزي) مشروعه، متحدثا عن "إسلام فرنسا" متوافق مع"القيم الجمهورية" للجمهورية الفرنسية، وخال من "التوجهات

المتطرفة" وموجود"تحت دائرة الضوء". وقد قاد (ساركوزي) مفاوضات شاقة طيلة أشهر مع أبرز ممثلي الجاليات المسلمة في مدن فرنسية عدة ؛ من أجل إقناعهم بفكرة إنشاء مجلس موحد للمسلمين ، على غرار المجلس الموحد لليهود الفرنسيين الذي أنشأه نابليون عام 1806. وفي 20 من شهر ديسمبر 2002 نجح (ساركوزي) في عقد لقاء بين ثلاث أكبر فيدراليات تمثل الجاليات المسلمة في فرنسا ، وتعكس الأطياف المتعددة(المغرب العربي، مصر، تركيا، الهند وباكستان)، حيث تم الاتفاق على إنشاء مجلس موحد للمسلمين ، سيجري انتخاب أعضائه في النصف الثاني من شهر أبريل الجاري في 1500 مركزٍ ومسجدٍ في جميع أنحاء فرنسا.

ووفق ما صرح به وزير الداخلية الفرنسي ؛ فإن صلاحيات المجلس الجديد تتحدد في أن يصبح المخاطب الوحيد للحكومة الفرنسية ، والناطق باسم الجاليات المسلمة بكافة انتماءاتها القومية واللغوية، كما يختص المجلس بتكوين أئمة المساجد ، وقضية الذبائح الشرعية ، والحجاب والتعليم الديني وبناء المساجد والمراكز التعليمية الإسلامية ، وجمع وتوزيع الزكاة.

وحسب (ساركوزي) فإن قضية بناء المساجد وتعيين الأئمة – الذين صار يشترط فيهم الإلمام باللغة الفرنسية – ستكون أبرز قضية توكل إلى المجلس الجديد، إذ تسعى الحكومة الفرنسية إلى الحد من تدخل البلدان الإسلامية في شؤون الجاليات المسلمة عبر تمويل بناء المساجد وتعيين الأئمة.

تجدد الحملة على الحجاب

لكن تصريحات رئيس الوزراء الفرنسي (رافاران) الأسبوع الماضي جاءت لترفع النقاب عن النهج الجديد الذي تريد الدولة الفرنسية السير فيه اتجاه الإسلام والمسلمين في فرنسا، وتعيد إلى الأذهان الحملات السابقة التي استهدفت الحجاب في السابق، عندما أصدر وزير التعليم والتربية الفرنسي (فرانسوا بايرو) في بداية التسعينات من القرن الماضي مذكرة بمنع ارتداء الحجاب في صفوف التلميذات المسلمات في المدارس والثانويات الفرنسية، الأمر الذي أثار الكثير من الجدل بين الفرنسيين والمسلمين على حد سواء.

وتقول بعض المصادر الإعلامية الفرنسية إن تصريحات (رافاران) ربما تشير من الآن إلى إلغاء القرار الصادر في 27 نوفمبر 1989 ، والذي يشير إلى أن ارتداء الحجاب"ليس معاكسا في ذاته للعلمانية"، وهو القرار الذي استند إليه مجلس الدولة الفرنسي في إلغاء القرارات الصادرة عن وزراء التعليم والتربية في الماضي بحظر الحجاب في المدارس والمؤسسات التعليمية. كما يمكن أن تطرح الحكومة الفرنسية خلال الأسابيع أو الأشهر القادمة أمام البرلمان مشروع قانون جديد يحظر جميع العلامات والرموز الدينية، وعلى رأسها الحجاب الإسلامي، ولكن ليس كرمز ديني فقط، بل باعتباره مسا بحرية المرأة وبمبدأ المساواة بين الرجل والمرأة، وهذا ينبئ بتجدد معركة الحجاب مستقبلا

==============

#حزب العدالة بين الواقعية والوقوع

محمد ابورمان 1424/3/11

2003/05/12

لقيت تجربة حزب العدالة والتنمية أصداءً كبيرة داخل الدول العربية والإسلامية، وأثارت جملة من المناظرات الفكرية حول التجربة بين مؤيد ومعارض ومرحِّب ومتشكك، بين من يقدِّر خصوصية الواقع التركي ومن يدعو إلى التعميم، وربما لم يكن انتصار حزب العدالة والتنمية جديداً في إطار الانتصارات التي حققتها –سابقاً– الأحزاب الإسلامية التركية، خاصة حزب الرفاه في الفترة الأخيرة؛ لكن تجربة العدالة اتسمت بعناصر جديدة على المستوى الفكري والحركي، حيث أعاد الحزب إنتاج أفكاره بثوب جديد، مبتعداً عن الشعارات الإسلامية، واستطاع أن يحصد أصواتاً من فئات اجتماعية مختلفة، كانت أصواتها محجوبة عن الأحزاب الإسلامية، كالعلويين والأكراد والطبقة الرأسمالية.

وفي حين تتعدد وتتحاور الآراء والتفسيرات في تحليل هذا الانتصار الكبير للحزب، والذي اعتبرته العديد من مراكز الدراسات والمؤسسات الغربية بمثابة (الهزة السياسية)،فإنّ المرحلة الأصعب التي تواجه الحزب هي ما بعد الانتخابات، وذلك في تعامله مع تعقيدات السياسة التركية، والتي تتنوع بين المستوى الداخلي كالأزمة

الاقتصادية الأخيرة، والتعدد العرقي والطائفي، وبين المستوى الخارجي، كالعلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية، ومحاولات الدخول إلى الاتحاد الأوروبي، والحرب ضد العراق، بيد أنّ أخطر التحديات التي تواجه الحزب في المرحلة القادمة، هو العلاقة مع الجيش والمؤسسة العلمانية المتطرفة، وهي بمثابة حقل الأشواك الذي يتطلب من الحزب حذراً شديداً في سلوكه ومواقفه. لكن يبقى السؤال في تجربة حزب العدالة والتنمية هو:

إلى أي مدى يمكن للأحزاب الإسلامية اتخاذ دافع المصلحة ومبدأ المرونة في التحايل على الواقع السياسي الذي تتفاعل معه؟..

العلمانية والعسكر في تركيا

تتميّز العلمانية التركية بأنها (علمانية عسكرية)، فهي أقرب إلى الطابع الفرنسي في معاداة الدين، والذي يطلق عليه)اللائكية((Laicism)(1) ، فالجمهورية التركية التي أسسها (كمال أتاتورك) على أنقاض الخلافة العثمانية عام1924، قامت على هذا النوع من العلمانية في العداء للدين، وتعتبر المؤسسة العسكرية التركية هي الحامي الكبير لها، حيث تدخلت أكثر من مرة لمنع حدوث أي اختراق، مثلما حدث في انقلاب عام 1960، وعام1971 وانقلاب عام 1980، والإنذار الذي وجهه الجيش لحزب الرفاه عام 1997، وتلا ذلك استقالة (أربكان) من رئاسة الجمهورية في العام نفسه، ثم إلغاء الحزب(2)، كما أنّ هناك مجلس الأمن القومي التركي الذي أسس عام 1961، ومن أبرز وظائفه التدخل عندما تتعرّض الجمهورية للخطر.

لقد عمل الجيش والعلمانيون على مدى العقود السابقة على منع أي نفوذ إسلامي حقيقي، وواجها معا (نجم الدين أربكان) مؤسس الحركة الإسلامية التركية، والذي أسس حزب النظام الوطني وحزب السلام الوطني، ثمّ حزب الرفاه الذي شكّل الثورة الأولى لانتصار الإسلام الانتخابي في تركيا عام 1996، وقام بتشكيل الحكومة الائتلافية مع حزب الطريق القويم، إلاّ أنّ الجيش عاد وتدخّل ومنع (أربكان) نفسه من ممارسة السياسة فرعى (أربكان) تأسيس حزب جديد هو حزب الفضيلة.

لقد رافق عدد من مؤسسي حزب العدالة والتنمية ومنظريه السياسيين تجربة أربكان، ونالوا نصيباً وافراً منها، ومن قربهم من المعلّم الأول، لكنهم خرجوا فيما بعد وأنشأوا

حزبا جديدا على أنقاض حزب الفصيلة، لكنه لم يحظ بمباركة (أربكان) رسمياً والذي أيّد الحزب الآخر وهو حزب السعادة (3).

وقد حاول مؤسسو حزب العدالة تقديم طرح متقدم –عن خطاب أربكان– في الطابع البراغماتي، ومتصالح مع المؤسسة العسكرية والجمهورية الأتاتوركية. وهنا يبرز السؤال: إذا كان أربكان –الذي قدم خطاباً براغماتياً، وسعى إلى تجنب المواجهة مع العسكر– قد وصل إلى طريق مسدود، وقام العسكر –على الرغم من الشعبية الكبيرة التي كان يتمتع بها حزب الرفاه، وعلى الرغم من المرونة والبراغماتية الواسعة التي تحلّى بها أربكان– بإلغائه واعتقال عدد من قياداته؛ بحجة حماية الجمهورية والمبادئ الأتاتوركية، فعلى ماذا يعوِّل (أردوغان) وقادة حزب العدالة((AKP في ضمان الاستمرارية، وعدم الوصول إلى نفس المصير السابق الذي وصل إليه معلمهم؟..

الإسلاميون الجدد

لقد قرأ مؤسسو حزب العدالة والتنمية المعادلة الداخلية والإقليمية والدولية جيداً، وقدّموا برنامجهم الانتخابي بعناية شديدة، تحاول أن توازن بين كل هذه الاعتبارات، وتضمن لهم البقاء والخروج من الحلقة المفرغة في الصراع مع الجيش، والتي كانت تنتهي دائما لصالح الجيش، ومن أهم الاعتبارات التي تعامل معها المؤسسون في صياغة هوية الحزب، وتوجهاته الفكرية والسياسية المبدئية:

أولا: أنّ هناك حساسية بالغة لدى المؤسسة السياسية العلمانية والعسكرية التركية اتجاه الإسلاميين والشعارات الإسلامية؛ ولتجنب هذه الحساسية –والتي تعطي كذلك المبرر لمصادرة الحزب– يصمم مؤسسو الحزب –كما هو واضح من الوثائق والتصريحات العديدة الصادرة عنهم– على تجنب أي تبرير يؤدي إلى إلغائه ووصوله إلى نفس مصير حزب الرفاه والأحزاب الإسلامية التي سبقته، وكانت البداية من خلال إعادة هيكلة وتأسيس كل شيء حتى الشعارات والأسماء، والانتقال بالحزب من دائرة الشعار الديني إلى دائرة (اليمين المحافظ)، ومن البعد الأيدلوجي الإسلامي، إلى البعد الإصلاحي الوطني (4)، حيث يعلن (عبد الله غول) –بإصرار– : "نحن لسنا حزبا دينيا، نريد أن نثبت أن المجتمع المسلم يمكن أن يكون شفّافا وديمقراطيا ومتوافقا مع العالم الحديث"(5) . بل يصرّح غول نفسه: "نحن حزب أوروبي محافظ"

. و يؤكّد البرنامج الانتخابي للحزب في هذا السياق على الاعتراف بالعلمانية، واعتبارها متطلباً(6) أساسياً للعملية الديمقراطية Pre-requisite of (7democracy))).

هنا يبرز التساؤل حول كيفية التوفيق التي تتم داخل تفكير الحزب بين العلمانية والديمقراطية والإسلام (الذي يمثّل الجذور الفكرية لحزب العدالة)، فالعدالة يقدّم نفسه حزبا يمينيا لا يستبعد الإسلام، وإنما يضعه ضمن إطار فكري وسياسي يتعايش فيه مع العلمانية والديمقراطية، من خلال اعتبار الإسلام قالبا روحيا لغالبية المجتمع التركي، بينما العلمانية والديمقراطية أسلوب أمثل لإدارة الحكم (8)، لكنه يعيد تعريف العلمانية، ويزيل الاشتباك بينها وبين الدين، الأمر الحاصل في العلمانية التركية (التي تمنع حتّى الفتيات المحجبات من دخول الجامعات، والمؤسسات العامة، في نفس الوقت الذي يُسمح في الغرب بذلك)، فالعلمانية –كما يعرّفها البرنامج الانتخابي للحزب– تعني: "السماح للناس من كل الأديان والاعتقادات في الممارسة المريحة للأديان، والقدرة على التعبير عن قناعتهم الدينية والعيش وفقها، وفي الوقت نفسه السماح للناس بلا اعتقادات؛ لينظموا حياتهم وفق هذه الرؤية. انطلاقا من ذلك فالعلمانية مبدأ للحرية والسلام الاجتماعي" (9). أما الدين فهو البعد الروحي والأخلاقي للناس، والذي يشكل الموروث الثقافي الذي يميّز الشعب التركي(10) ، هذه المعادلة القائمة على تقاسم الأدوار يوضّحها (أردوغان) في إجابته عن سؤال في إحدى المقابلات حول محاولة حزبه التوفيق بين الشريعة والديمقراطية، على الرغم من أن القرآن يؤكد –على سبيل المثال– بأن المسلم لا يجوز له أن يقيم علاقات صداقة ومحبة مع المسيحيين واليهود، إذ يقول:–بما يعزز التقسيم السابق لديه بين البعد الروحي والأخلاقي والبعد السياسي البراغماتي – : " أن القرآن كتاب ديني، والديمقراطية شكل للحكومة، فمن الخطأ أن نضع الاثنين ضمن تقسيم واحد، القرآن يشكل اعتقاداتي، والديمقراطية تشكل اعتقادي بالحكومة كما يجب أن تكون"(12)، وفي تصريح آخر له يقول: "الإسلام دين مقدّس والسياسة ليست معصومة " (1).الرؤية السابقة للعلاقة بين الإسلام والعلمانية تقوم على مصالحة تستند على انتقاد لنمط العلمانية التركي المحارب للإسلام ولحقوق المسلمين الدينية في اختيار

منهج حياتهم الذي يريدون(13)، وعلى انتقاد ما يسميه البرنامج الانتخابي لحزب العدالة باستغلال الدين وتوظيفه في السياسة(14)، وضمن هذه الموازنات والاعتبارات ينتقد حزب العدالة منع الحجاب في المؤسسات والجامعات الرسمية، لكنه لا يعطي الموضوع الأولوية، ولا يريد أن يكون سببا في صدام مع المؤسسة العسكرية، في الوقت نفسه يعلن أنه لا يرى ضرورة زيادة المدارس الدينية، لكنه في جانب آخر لا يرى مبررا لإغلاقها (15).

لقد حظيت هذه الهيكلة في الشعارات والبرامج بالقبول مبدئيا من قبل مؤسسة الجيش، والتي أعلن أحد رموزها بأنهم لن يقفوا ضد إرادة الشعب التركي، وأنهم سيعطون حزب العدالة الفرصة الكافية (16). كما أنّ هذه البداية –يعتبرها عدد من المحللين– جيدة، وتساهم في التقليل من مسألة التخوف والتشكيك في نوايا الحزب ومبادئه من قبل العسكر.

مكمن الفرق مع تجربة أربكان

في هذا السياق يطرح عدد من المحللين طبيعة الاختلاف بين تجربة أربكان الطويلة وتجربة العدالة الناشئة، حيث يرى عدد من الخبراء أن أربكان قد وقف في منتصف الطريق بين الأيدلوجيا والبراغماتية، بينما أردوغان تجاوز الأيدلوجيا إلى درجة كبيرة، كما أن أربكان لم يتردد في الاشتباك مع المؤسسة العلمانية والجيش، وكان يضع الإسلام أمامه بينما أردوغان تجنب هذه المواجهة الخاسرة ووضع الإسلام في قلبه، أيضا أربكان بنى قاعدته الجماهيرية على أنصار الحل الإسلامي من السنة، بينما أردوغان استقطب الفئات الاجتماعية الأخرى (17) من الأكراد والعلويين، والذين يشكلون مجتمعين نسبة مئوية كبيرة في الشعب التركي (18).

ثانيا: أن انهيار الاتحاد السوفييتي والمعسكر الاشتراكي، وتزايد ثورة الاتصال والمعلومات، وبروز ما يسمى بنظام العولمة المبني على الأفكار الليبرالية، وتقليص دور السلطة وغياب مفهوم الدولة الشمولية، كل ذلك قد أدّى إلى تغيّر كبير في مفهوم الدولة والسلطة، وظهور تحولات عالمية كبيرة للتوافق مع المفاهيم الجديدة التي تنسجم مع مطالب المؤسسات الدولية الاقتصادية: IMF))، والبنك الدولي، والمؤسسات الأخرى وبروز نظام العولمة. في حين أن الجمهورية التركية التي أسسها

(أتاتورك) مازالت تخضع للمعايير السابقة من الدور الكبير والمسيطر للسلطة، واقتصاد مبني على القطاع العام، بالإضافة إلى إعطاء دور سياسي مهم للجيش، وعدم الاعتراف الموضوعي بحقوق الأقليات..الخ (19).

هذه (المفارقة)، يعتبرها حزب العدالة نقطة رئيسة يمكن الانطلاق منها، وذلك بالاستناد على الخارج الغربي القوي، والذي كان يعد في السابق حليفا للجيش، إلاّ أنّه يوجه اليوم للعلمانية التركية انتقادات كبيرة؛ وذلك للخروقات التي تحدث فيها في مجال حقوق الإنسان والحريات العامة وحقوق الأقليات والفساد السياسي الذي طغى في الفترة الأخيرة بشكل كبير، ويطالب بإصلاح الوضع السياسي ليتلاءم مع المعايير الغربية، و تقليص دور السلطة والمؤسسات البيروقراطية(20) . وهذا يعطي الحزب دافعا كبيرا في مواجهة التسلط العسكري والتعنت من قبل المؤسسة العلمانية، من خلال الدعوة والتأكيد على ضرورة التخلص من انتهاكات حقوق الإنسان والحريات العامة التي تحدث في تركيا، ومواجهة الفساد السياسي المستشري هناك(21)، وتبني مبادئ سياسية تقوم على المفاهيم والمعايير الغربية والأوروبية تحديدا (Copenhagen Criteria) لحقوق الإنسان والديمقراطية والحريات... ويطالب بالالتزام بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان والإعلان الأوروبي وتوصيات قمة (هلسينكي) عام 1999 (22).

كما أنّ هذه القضية من أبرز القضايا التي يتناولها برنامج الحزب الانتخابي ووثائقه المتعددة، حيث يدعو البرنامج الانتخابي للحزب بشكل أساس إلى بناء دولة المؤسسات والقانون، وإلى استكمال عناصر الديمقراطية دون إنقاص أو تحديد، ويرى الحزب أن مشاكل تركيا كلها بسبب نقص تطبيق الديمقراطية(23). كما ينتقد الحزب في هذا المجال ضعف المؤسسات السياسية والفساد السياسي الكبير الموجود، ويعتبر أن من أهدافه الأساسية محاربة الفساد(24) .

ثالثاً: ما حدث من تطورات في النظام العالمي، والسياسة الخارجية الأمريكية، والعلاقة بين الغرب والإسلام خاصة بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر)؛ فعلى الرغم من إدانة الحزب للأحداث وإدانته للإرهاب الدولي(25)، إلاّ أنّ الحزب التقط بذكاء إدراك مؤسسات سياسية وأكاديمية غربية بأن الاتجاه الشعبي العربي والإسلامي العام

يؤيد ويناصر الحركات الإسلامية، وأن القمع السياسي والتهميش الاقتصادي هي شروط إنتاج ما تسميه استراتيجية الأمن القومي الأمريكي بـ(الدول الفاشلة) أو الهشة، وهي البيئة الحاضنة للإرهاب السياسي، وبالتالي حرص هذه المؤسسات الغربية على اختبار مدى القدرة على التعامل مع حركات وتوجهات إسلامية (معتدلة)، ودراسة مدى نجاح العلاقة معها في حفظ المصالح الغربية، والتعامل بعقلانية مع القضايا السياسية (وفق المقياس الغربي)، الأمر الذي سيتيح –إن حصل– احتواء المد الإسلامي بما لا يتعارض مع الأجندة الغربية في المنطقة، والوصول إلى معادلة تقتضي قبول هذه الحركات بسياسات التكيف الهيكلي، ومشاريع صندوق النقد الدولي والمؤسسات الدولية، والالتزام بالديمقراطية، وحقوق الإنسان والحريات السياسية والاقتصادية والدينية، وحريات وحقوق الأقليات، والتسوية السلمية مع إسرائيل، وبناء علاقة صداقة منفتحة مع الغرب (26).

الجذور الإسلامية للحزب

فحزب العدالة والتنمية على الرغم من نفيه بأنه حزب ديني، إلاّ أنه يعرض نفسه بأنه يريد التأكيد على عدم وجود تناقض بين الديمقراطية والإسلام، وأنه يمكن أن يقدم إسلاما معتدلا في مواجهة الإسلام (الراديكالي) لحركات إسلامية أخرى(27)، حيث يقول غول: "نريد أن نثبت ونبرهن أنّ الديمقراطية والإسلام لا يتناقضان ولا يتعارضان مع بعضهما البعض، وكل منهما يكمل الآخر"(28).

من هنا يكون التوجه المتوقع للولايات المتحدة وأوروبا هو مطالبة الجيش بإعطاء الحزب فرصة في اختبار التعامل معه، بدلاً من الطبقة السياسية الفاسدة التي كانت تحكم تركيا– كما تصفها المؤسسات الغربية– وباعتباره كذلك يمثل الاتجاه الشعبي العام، وهذا ما حصل فعلا عندما رحبت الولايات المتحدة وأوروبا بنتائج الانتخابات وفوز الحزب(29)، كما أنّ هذا يساعد الحزب على الوصول إلى تحييد الجيش من خلال الإصلاحات الديمقراطية والتوافق مع المعايير الغربية، وهي شرط لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي كما سيأتي، وصولا إلى إلغاء دور الجيش نهائيا في الحياة السياسية. بمعنى آخر: إنّ رؤية الحزب لا تقوم على مواجهة الجيش بالشعار والأيدلوجيا الإسلامية، وإنما بالمطالب الغربية الأوروبية والأمريكية بضرورة القيام

بإصلاحات سياسية وديمقراطية، تحد من انتهاكات حقوق الإنسان والحريات العامة، هذه الحريات والحقوق التي ستتيح مساحة أكبر وأفضل لحركته السياسية، وحصوله على مكتسبات واقعية تخرجه من حلقة الصراع مع المؤسسة العسكرية.

لكن يبقى السؤال الآخر حول مساحة التمييز بين التكتيكي والاستراتيجي في خطاب الحزب السياسي ،بخصوص الشعار الإسلامي والعلاقة بين العلمانية والإسلام؟ فهل تخلي الحزب عن شعاره وبرنامجه الإسلامي هو تخلٍ تكتيكي مؤقت، في مواجهة مؤسسة الجيش والعلمانية، وتحايل على الواقع السياسي التركي؟ أم أنّ الأمر يصل إلى حدود حدوث تغييرات استراتيجية في نمط تفكير ورؤية الحزب؟..

يمكن القول –بالاستناد إلى تصريحات قيادة الحزب وإلى البرنامج المطروح– أن هذه الرؤية هي التي سيعتمدها الحزب ليس فقط على المدى القصير، وإنما على المدى البعيد نسبيا، وهذا ما يؤكده أردوغان بقوله:" إنّ هذه هي رؤية الحزب الحقيقية، وسيلاحظ المتتبعون له صدقه في الالتزام بهذه الشعارات"(30).

كما أن هذه المعادلات الدولية والإقليمية والمحلية التي ساهمت بشكل كبير في إدراك الحزب وبناء خطابه السياسي لا يتوقع لها أن تزول بين يوم وليلة، ولكنها بحاجة إلى وقت طويل.

ولكن ماذا يبقى من الجذور الإسلامية التي يحملها قيادات الحزب وفق ما سبق؟..

يرى بعض المحللين: أنّ الصراع مع المؤسسة العسكرية والعلمانية في تركيا يفرض على الحزب القبول بالحد المتاح من المطالب وصولا إلى الأكثر، فالحديث الدائم عن الحرية الدينية يعني وقف ومنع تدخل مؤسسة الجيش ضد الممارسات الإسلامية الاجتماعية، كالحجاب والمدارس الدينية التي يفتقدها المجتمع التركي الآن، وهي موجودة ومعترف بها من قبل غالبية الدول العربية، وليست مطلبا للحركات الإسلامية العربية، أيضا الإصرار على المؤسسة الدينية على أنها جزء أساس من المجتمع التركي ومشكّل أساس لهويته، والذي يصفه الحزب بأنه مجتمع مسلم معاصر؛ أي يجمع بين الإسلام والحداثة، وهذا أيضا يعدُّ اختراقا موضوعيا غير مباشر لمبادئ الكمالية التي أرادت أن تفصل تركيا عن محيطها الإسلامي، وهو سير في الطريق العملي للخروج من الديكتاتورية العلمانية الأتاتوركية المسيطرة

هناك(31). وفق استراتيجية تدريجية تقوم على الطريقة الإنجليزية Slow but sure""

بينما يرى آخرون أنّ الحزب قد تخلّى نهائيا عن هويته الإسلامية وطروحاته السابقة، وأنّه بدأ يتوجه بشكل مختلف تماما عما سبق، ويستشهدون بتصريح أردوغان لأصدقاء عرب مقربين له: أننا قد غيّرنا موقفنا فلماذا لا تريدون أن تصدقوا ؟، ويدللون كذلك بالعلاقة الجيدة التي يريد الحزب إقامتها مع الولايات المتحدة وإسرائيل، وقبوله بسياسات التكيف الهيكلي (32).

في حين يرى آخرون أن رؤية حزب العدالة والتنمية المرنة للإسلام تتجاوب مع الحس العام، والفهم التركي المعتدل للإسلام –على النمط الأوروبي–، حيث يميل الأتراك إلى نمط من الإسلام المتصالح مع الثقافة الغربية (33).

(1) هي طريقة فرنسية اتجاه الدين، وتقوم على نظام عسكري أكثر منه علماني، متأثرة بحالة فرنسا خاصة خلال فترة الجمهورية الثالثة (1940–1870) في هذه السنوات السبعين كان السياسيون الذين يذهبون إلى المعبد في يوم الأحد غير قادرين على الدخول إلى المجلس الوزاري. انظر: Binnas Toprak, Religion and State in Turkey (a lecture at a dayan center on 20 June 1999.

(2) انظر محمد نور الدين، مستقبل الحركة الإسلامية في تركيا، في: محمد الأرناؤوط، بعض قضايا العالم الإسلامي في القرن العشرين، منشورات جامعة آل البيت، 2001، ص120. وانظر: Pulent Aliriza & Seda Ciftci, Turkey's post-Election, Political Landscape, Turkey Program, Center For Strategic and International Studies, www.csis.org/turkey/TU021108.htm. November 08, 2002.

(3) انظ: فهمي هويدي، قراءة أخرى للمشهد التركي، العرب اليوم 2002/12/10.

(4) Newsweek,, November, 19, 2002

(5)توفيق شومان، أردوغان رمز "الإسلاميين الجدد" وقائدهم من الأيدلوجيا إلى البرنامج، الحياة 4 كانون الأول 2002.

(6)انظـر البرنـامج الانتخـابي لحـزب العدالـة (المبـادئ السياسـية) www. ..asp3Akparti.org.tr.programeng

(7)انظر: فهمي هويدي، قراءة أخرى للمشهد التركي، العرب اليوم، 2002/12/10، حيث يعتبر الكاتب حزب

(8)العدالـة أقرب إلـى صيغة حزب الوفد منـه إلـى جماعـة الإخـوان المسلمين وإلـى حركة وطنية أكثر من جماعة إسلامية.

(9)انظر المرجع السابق.

(10)انظر Newsweek, النسخة العربية 19 نوفمبر 2002.

(11)انظر: Meeting with Mr. Recep Tayyip Erdogan, the Chairman of Justice and Development Party in Turkey, Turkey Program, Center for Strategic and International Studies, erdogan020128. http://www.csis.org/turkey/2002, 28January

(12)انظر: توفيق شومان، مرجع سابق.

(13) : Meeting with Mr. Recep Tayyip Erdogan, the Chairman of Justice and Development Party , op.cit

، حيث رأى اردوغان أن النظام العلماني الحالي في تركيا ليس متوافقا مع المعايير الغربية الموجودة، كذلك رفضه لمصطلح الحزب ذي النزعات الدينية " religious inclinations" عنـد توصـيف حـزب العدالـة وإصـراره علـى أنّ شخصـية الحـزب علمانية، ديمقراطية، واجتماعية.

(14)انظر البرنامج الانتخابي لحزب العدالة، مرجع سابق.

(15)انظر: Newsweek، النسخة العربية 19 نوفمبر، 2002.

(16)انظر: Pulent Aliriza & Seda Ciftci,op.cit

(17)انظر: فهمي هويدي، مرجع سابق، وتوفيق شومان، مرجع سابق.

(18)انظر Newsweek، النسخة العربيـة، 19/نوفمبر/2002: حيث تذكر المجلة أن0 4% من الأصوات لمصوتين صوّتوا لأول مرّة، و70% من الذين صوّتوا لـه لم يصوتوا لحزب ديني قط قبل ذلك. انظر كذلك توفيق شومان، مرجع سابق.

(19) انظـر: محمـد نـور الـدين، تركيـا فـي الـزمن المتحـول قلـق الهويـة وصـراع الخيارات، دار رياض الريس، بيروت، ط1، 1997،ص 18.

(20)انظر: Shahram Chubin, Jerrold D.Green, Ian O. Lesser, Turkish Society and Foreign Policy in Troubled Times, Conference Proceedings, Geneva, April 25–27 -2001 . www.rand.org

(21) انظـر حـول الفسـاد السياسـي فـي تركيـا: د. جـلال عبـدالله معـوّض، الفسـاد السياسي في تركيا، في: إكرام بدر الدين وآخرون، الفساد السياسي النظرية والتطبيق، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1992،ص57– 86، ويرى د. معوّض أن أخطر أنواع الفسـاد السياسـي المنتشـر فـي تركيـا هـو: فسـاد القمـة الكثيـف Top-heavy corruptionوالإطار العام لـه هو نموذج "الرئيس– العملاء" وقد ارتبط بشكل كبير بالرئيس أوزال وأبنائه وحاشيته، ص60.

(22) انظر البرنامج الانتخابي للحزب، المبادئ السياسية، مرجع سابق.

(23) نفس المرجع.

(24) نفس المرجع، ويضـع الحـزب فـي برنامجـه عـدة آليـات فـي مواجهـة الفسـاد مـن ضمنها استحداث مؤسسات خاصة تعمل على متابعة قضايا الفساد، وإيجاد دائرة في كل مؤسسة لهذه الغاية، كما يعطي البرنامج المنظمات غير الحكومية دورا كبيرا في مواجهة الفساد

(25) انظـر: حـول تعريـف أردوغـان وحزبـه للبيئـة الدوليـة بعـد 11 سـبتمبر والحـرب علـى الإرهـاب التـي وصـفها بـ Cold peace، فـي مـؤتمر صـحفي عقـده الحـزب فـي أنقرة فـي 2002/1/7 قيّموا فيـه حالـة تركيـا عـام 2001: Press Conference, www.akparti.org.tr/cizgi.jpg"" ، انظر كذلك موقفه من أحداث 11 سبتمبر ومن تأييده لمحاكمة أسامة بن لادن في محكمة= دولية في: Meeting with Mr. Recep Tayyip Erdogan, the Chairman of Justice and Development Party , op.cit

(26) انظـر: ناهض حتّر، الإسلاميون في الحكم، العرب اليوم، 2002/11/7.

(27) Meeting with Mr. Recep Tayyip Erdogan, the Chairman of Justice and Development Party, op.cit، حيث يعرض أردوغان أن يقوم حزبه العدالة والتنمية ودولته تركيا بدور في تنمية تفاهم متبادل بين الإسلام والعالم الغربي في سبيل مكافحة الإرهاب، الذي يرى أردوغان أنه لا يجوز فقط الاكتفاء في الجانب الأمني في معالجة ظاهرته.

(28)انظر: مقابلة صحفية مع غول أجرتها: DIE WEL، ترجمة مصطفى عبدالله، العرب اليوم 2002/12/10.

(29) انظر www.b.b.c.com2002/11/4.

(30) انظر: Meeting with Mr. Recep Tayyip Erdogan, the Chairman of Justice and Development Party , op.cit

(31) انظر: ياسر الزعاترة، المقارنة الخاطئة بين التجربة التركية والعربية في الديمقراطية،www.aljazeera.net وجهات نظر 2002/12/4. وحازم صاغية، معالم على تقاطع الطريق الإيراني- التركي، الحياة 2002/11/6.

(32) انظر: منير شفيق، معضلة حزب العدالة والتنمية، صحيفة السبيل، 31 كانون الأول 2002.

(33) انظر: Binnas Toprak, Religion and State in Turkey, op.cit. ، حيث تستشهد باستفتاء شعبي تركي أظهر أن 61% من العينة ترى أنه لا يجوز وجود أحزاب ذات جذور دينية، 1،04% فقط رأوا أن الزانية المحصن يجب أن ترجم، و87% رأوا أن واحدا يمكن أن يكون مسلما، فقط بإيمان بسيط بالله ورسوله دون أن يصلي. على الرغم من علامات الاستفهام التي يمكن ان أبديها على نمط الأسئلة واتجاهها إلاّ أن النتائج تقدم مؤشرات معينة. إذا أضفنا إلى ذلك أنّ الإحصائيات تقول أن المتشددين دينيا صوتوا لحزب السعادة ولم يصوتوا لحزب العدالة، انظر: Newsweek، النسخة العربية، 19 نوفمبر 2002.

=============

#الإسلام وثقافته كما تريده أوروبا

د. محمد يحيى 1424/3/12

2003/05/13

عندما أطلق وزير الخارجية الإيطالي دعوة لمسلمي إيطاليا – والمتزايدة أعدادهم خلال السنوات الأخيرة – للخروج بإسلام إيطالي يتوافق مع قيم إيطاليا وتقاليدها حسب قوله، ويسهل اندماج المسلمين في المجتمع الإيطالي، وأن تطوير مثل هذا النوع من الإسلام أمر ضروري .. لقيت هذه الدعوة الترحيب من جانب الأساقفة الإيطاليين.

وهكذا وبعد الدعوة إلى الإسلام الفرنسي والإسلام البريطاني والإسلام الهولندي جاءت الدعوة إلى الإسلام الإيطالي، وليس من المستبعد أن تتبعها الدعوة إلى الإسلام الألماني، ثم الأسباني، ثم البرتغالي ..، وإن كان من المستبعد أن تعقبها دعوة إلى إسلام في دول شرق أوروبا، حيث حسم الصرب قضية الإسلام اليوغوسلافي بالقضاء على الإسلام والمسلمين هناك، كما حسمتها ألبانيا قبل ذلك بإعلان العلمانية الغربية " الديمقراطية "، وفحوى كل هذه الدعوات هي أن أوروبا تضع شرطا أساسيا لمجرد وجود الإسلام على أراضيها، وهو أن يتحول هذا الإسلام ليصبح مجرد نسخة من تصورات أوروبا وعقائدها وقيمها وتقاليدها التي هي بالأساس نصرانية علمانية ..، أي أن شرط وجود الإسلام هو ألا يكون موجوداً .

وهذا الكلام يقال لنا وسط العظات والحديث المتكرر حول الاعتراف بالآخر وحوار الحضارات والأديان والتعددية والتسامح ..إلخ ، ونفس الذين يلقون علينا الدروس في هذه الأمور هم الذين يضعون شروط وجود الإسلام، ويلخصونها في إعدامه .

نلوم أنفسنا أولاً

والحق أن الأوروبيين لا يجب أن يوجه لهم اللوم هنا ؛ لأن البعض في بلاد المسلمين –ومنهم من يسمون بالرؤساء الدينيين– وقف أحدهم ذات مرة يلقي على المسلمين نفس كلام وزراء الداخلية الأوروبيين بالحرف الواحد، ويقول :إن عليهم احترام قوانين أوروبا "التي تمنع الحجاب" وإذا لم يعجبهم ذلك فعليهم ترك أوروبا !.

وإذا كان هذا هو كلام العلماء الرؤساء الروحيين –وهم كثر– فلا يستغرب أن يقول الساسة الأوروبيون كلاماً أشد، وأن يقول المتطرفون الأوروبيون كلاما أكثر حدة .

ومن الغريب أن دعوة البوليس الأوروبي ومعه الساسة الأوروبيين إلى إسلام معدَّل تلتقي مع دعوة البعض في بلاد المسلمين إلى الخروج بإسلام جديد معتدل ومنقح ومطور ومجهز يناسب الأجواء العصرية، التي هي في الواقع ليست سوى القيم والتقاليد والتصورات الأوروبية الغربية .. كما أن حكاية الإسلام المفصَّل على مقاس أوروبا أو مقاس كل بلد في أوروبا على حدة ؛ تلتقي هي الأخرى مع الغزوة الأمريكية التي تريد تعديل الإسلام في بلاده نفسها، بحيث يصبح مجرد نسخة من الأفكار والتصورات الأمريكية .

وهكذا يصبح عندنا صناعة محلية وتصميم أجنبي لإسلام أمريكي، سوف يضاف هو الآخر إلى القائمة مع الإسلام الروسي الذي أعلن عنه؛ ليتعدل ويتبدل ويتغير، لكي يصبح إسلاما آخر، أي أن يُلْغى وجوده .

وللمرة العاشرة لا يجب أن نستغرب فالكبار يسمعون هذا الكلام من أوروبا ولا يردون عليه، والمثقفون – كما يقولون عن أنفسهم – يسمعون هذا الكلام ويصفقون له، وينصبون أنفسهم متحدثين باسم إدارات الشرطة الغربية، ويكتبون في أوسع الجرائد انتشاراً يطالبون المسلمين بأن يقوموا بإصلاح ديني يخرجون معه بما يعجب الغرب ويتلاءم معه، باعتبار ذلك الغرب هو النموذج الأعلى .

مسخ و تشويه

ولقد سبق أن قلنا وقال غيرنا إن حكاية الإصلاح الديني والتجديد الديني المزعوم الذي تطالب به أمريكا والغرب لا يهدف إلا إلى مسخ الإسلام وتشويهه، وتفصيل دين جديد يكون على هوى الغربيين ومزاجهم وميولهم ، لكن البعض الآن داخل وخارج المؤسسات أصبح يتبين هذه الدعوة ويفرضها على أنها مطلب محلى خطير ونابع من التربية الوطنية، بينما هي عملية عندهم تقتصر على مجرد التطويع وليّ أعناق الأحكام ؛ لكي يخرجون منها بما يريدون .

ولعل في هوجة (الإسلام على المقاس) ما يفسر مسألة تحديث الخطاب الديني التي جعلوا منها قضية الموسم في الفترة الماضية . إنهم يريدون ألا يجهدوا أنفسهم في تفصيل أشكال وأزياء الإسلام المختلفة؛ بل يريدون من المسلمين أنفسهم أن يقوموا

لهم مشكورين –في الغالب– بإعدام أنفسهم ودينهم، وإمساك المقص لكي يمزقوا الخرقة ويفصلوا منها ستين جلبابا في وقت واحد!.

وأخيراً فمن المضحك أن بعض الكتاب المنسوبين إلى الإسلام يخرجون علينا بشعار "بيدي لا بيد بوش" لكي يقولوا إننا كمسلمين يجب أن نقوم نيابة عن الأوروبيين بعملية التفصيل والقص و اللصق، لكي نضمن أن يكون التشويه للإسلام أكثر أمانة مما يقوم به الغربيون!.

==============

#الرنتيسي:

نتلاءم مع المستجدات دون تفريط في الحقوق

حوار: أنور العسيري 1425/2/27

2004/04/17

تعرض قائد حركة حماس في قطاع غزة الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي إلى عملية اغتيال غادرة نفذتها الآلة الصهيونية مساء يومنا هذا السبت .. وكان موقع الإسلام اليوم قد أجرى مقابلة معه رحمه الله خصّ بها الموقع نعيد نشرها مرة أخرى .. تغمد الله الدكتور بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون

– صدمة سقوط بغداد كبيرة على الشعب الفلسطيني ولكنها لم تفت في عضده.

– خشية الحكومات العربية من أمريكا ستدفعها إلى مزيد من القطيعة بينها وبين شعوبها.

– الخلاف بين عرفات وأبومازن سببه الأول الصراع على المكانة القيادية.

في لقاء متميِّز مع موقع (الإسلام اليوم) نثر المجاهد الدكتور (عبد العزيز الرنتيسي) –أحد أبرز قيادات حركة الجهاد الفلسطيني (حماس)– أوراقه الخصبة بكل تفاصيلها الممتلئة بالألم والأمل الذي تعيشه الأمة في واقعها وتطلعات مستقبلها، فمن دهاليز الخلافات داخل السلطة الفلسطينية إلى واقع العلاقة بين الإنسان المسلم والحكومات التي تمثله، ومن وهج الجهاد في أرض المعركة ضد العدو الإسرائيلي، حتى حركة الشارع الفلسطيني الذي بات يشهد يقظة إسلامية تنذر بفجر قادم !.. نبض اللقاء

كان ساخناً ممتعاً وثرياً مع شخصية جهادية إسلامية مرابطة في أرض فلسطين الحبيبة ... فإلى تفاصيل هذا اللقاء مع ضيف قامته لا تعرف الانحناء، قامة صلبة تعمل عقلها المسلم، وتبذل جسدها المتوثب في جهاد متواصل، تتسابق فيه دقات قلب الأمة أملاً في النصر...

سقوط بغداد

1- كيف ينظر الفلسطينيون إلى سقوط العراق في يد (تتار العصر الأمريكي) وخاصة من ناحية أثره على إسكات صوت فلسطين المنادي بالاستقلال ؟.

ما من شك أن سقوط بغداد -المفاجئ- كان له أثر سلبي كبير على معنويات الناس، ولقد ساهم الخبراء العسكريون -وهم محقون فيما ذهبوا إليه- في خلق الأمل لدى عامة الناس أن معركة بغداد هي المعركة الفاصلة، والتي لن تكون سهلة على القوات الأمريكية، ثم فوجئ الناس أن مخيم (جنين) -الذي لم تزد مساحته عن كيلومتر مربع واحد، والذي دافع عنه عدد قليل من المجاهدين- كان أعظم بصموده من بغداد التي كان يدافع عنها أكثر من مليون مقاتل!.

صدمة كبيرة أذهلت الشعب الفلسطيني، ولكنها لم تفت في عضده؛ لأنه لم يعتمد يوماً في جهاده إلا على الله، ثم على سواعد المجاهدين، ولقد ازداد الشعب الفلسطيني ثقة بأن الله لن يضيعه، فاستردَّ عافيته ومعنوياته بسرعة فائقة، ليعود إلى معركته الخالدة التي ستنتهي بالنصر بإذن الله.

2- هل ترون أن الحكومات العربية والإسلامية خلال أزمة العراق بدأت في توطيد العلاقة مع الشعوب وكسب ثقتها، أم أن العكس هو الذي حصل ؟.

برأيي أن الحكومات العربية والإسلامية لم تقرأ أزمة العراق قراءة صحيحة، وعلى ما يبدو أن خشيتها من أمريكا ستدفعها إلى مزيد من القطيعة بينها وبين شعوبها، ولو أنها استفادت من أزمة العراق لعمدت إلى مصالحة مع شعوبها، وقطع دابر الفساد، وتضييق الفجوة التي تعزلها عن شعوبها، خاصة أن ما جرى في العراق -بعد الغزو الأمريكي- يشير بوضوح إلى أن نتائج الانتخابات في عالمنا العربي لم تكن إلا مزوَّرة، ولم تكن إلا ثمرة طبيعية لسياسة القمع والإرهاب التي تعيشها الشعوب على يد الأنظمة القائمة، فمتى تعلم الأنظمة أن الشعوب قادرة على حمايتها من الطغيان

الأمريكي -الذي بات يهددها واحدة تلو الأخرى- إذا أعطتها الشعوب ولاءً حقيقياً، ولا يكون ذلك إلا باستقامة الأنظمة، وعودتها إلى عدالة السماء.

3-يتهمكم معارضوكم بعدم قدرتكم على حمل بدائل تتلاءم والمتغيرات المستجدة في الساحة الداخلية والدولية لمواجهة العدو، ويطالبونكم في المقابل بمنح خيار السلام فرصته الكاملة ... فما موقفكم تجاه مثل هذا الطرح ؟.

نحن ندرك أن هناك متغيرات مستجدة على الساحة الداخلية والدولية، ولا نألوا جهداً في دراستها بعمق، ثم نقوم بوضع الخطط التي تتلاءم مع المستجدات ولا تؤدي إلى التفريط في الحقوق المشروعة، ومعارضونا لا يرون من وسيلة للتعامل مع المستجدات إلا من خلال التنازلات المتتالية، ويطالبوننا دائماً بإعطائهم فرصة ليس لصناعة السلام، ولكن ليتمكنوا من مواصلة متوالية التنازلات، فإذا طالبنا معارضونا أن نعطيهم فرصة للتنازل عن 80% من فلسطين، والاعتراف بإسرائيل، ثم التفاوض على البقية من فلسطين؛ للوصول إلى حل وسط، فهل يجوز لنا أن نلبي لهم هذا الطلب فنعطيهم فرصة؟ وإذا أخذ معارضونا فرصتهم على مدى عشر سنوات من المفاوضات استثمرها العدو في بناء المستوطنات وشق الطرق الالتفافية وتهويد المقدسات، فهل ينبغي علينا أن نعطي فرصة ثانية بعد هذه العشر سنوات الكارثية؟ الواقع يقول إن معارضينا إنما يسترون عجزهم وفشلهم في مواجهة المستجدات من خلال اتهامنا بعدم قدرتنا على حمل بدائل تتلاءم والمتغيرات المستجدة، ولن يتوقفوا عن ذلك؛ لأنهم لن يخرجوا من دائرة العجز والفشل.

4-ما هو برأيكم السبب الرئيس في الخلاف الذي ثار في تشكيلة الحكومة الفلسطينية الجديدة (بين عرفات وأبي مازن)؟ أهو في مستوى الأهداف التي ستتحقق للفلسطينيين، أم في حجم الصلاحيات التي ستتاح للأفراد داخل إطار السلطة؟.

للأسف الشديد أن زوبعة الخلاف لم تكن حول الرؤى السياسية، أو بسبب تباين في الأهداف، ولا بسبب خطط مختلفة لمواجهة التحديات، ولكن بكل وضوح كان الخلاف بسبب الصراع على المكانة القيادية، هناك قيادة جديدة يراد لها أن تتسلم مقاليد الأمور على حساب مكانة القيادة السابقة الممثلة بعرفات، فعرفات كان يدافع عن مكانته ورمزيته ووجوده على الخارطة السياسية، ومن هنا دبَّ الخلاف في وقت

كان الصهاينة يذبحون شعبنا في نابلس ورفح وباقي مدننا وقرانا، بينما شاشات التلفزة تسلط الأضواء على الخلاف القائم على الكراسي في رام الله.

5-اشترطت إسرائيل على (محمود عباس أبو مازن) محاربة ما تسميه بالإرهاب، كشرط لبدء التفاوض معه كحكومة شرعية، كيف ترى شكل الموقف المستقبلي إزاء مثل هذا الطرح الإسرائيلي، خاصة ونحن نعلم مدى الضغوط الأجنبية التي ساهمت في تحقيق صفقة تشكيل هذه الحكومة الفلسطينية الجديدة؟.

نحن نرى أن محاربة الإرهاب واجب ديني، ولكن أين هو الإرهاب في فلسطين؟ أهو ما يمارسه الصهاينة من احتلال لفلسطين، وعدوان وحشي على الشعب الفلسطيني تمثل في الاغتيالات والمذابح والاعتقالات والإبعاد وهدم البيوت وتجريف الأراضي الزراعية ومصادرتها، والحصار والإذلال لشعب كان يعيش في وطنه آمنا مطمئنا، ولم يعتد على أحد؟ أم أن الإرهاب هو الدفاع عن النفس والوطن الذي يقوم به شعب فلسطين؟ ولذا فنحن مع محاربة الإرهاب الحقيقي المتمثل في العدوان الصهيوني. أما إذا استجابت الحكومة الجديدة للضغوط الصهيونية الأمريكية، وأعلنت الحرب على الشعب الفلسطيني ومقاومته المشروعة، فإننا نرى في ذلك تهديداً حقيقياً للقضية الفلسطينية والوجود الفلسطيني، مما يجعلنا نقوم بحماية مشروعنا الجهادي بكل الطرق المشروعة، ونحن واثقون من النصر بإذن الله.

6-وعد شارون أن يكسر أجنحة المقاومة بمجرد وجوده، لكنه ورغم المجازر الدموية التي تفنن في اختراع وسائلها وصناعة أهدافها مازال غارقا في بحر الانتفاضة الفلسطينية.. فهل حقاً استطاعت هذه الانتفاضة أن تشكل خطراً على إسرائيل ككيان، أم أن دورها لا يعدو كونه مدافعة لعدو شرس تنتهي بمجرد توقف هذا العدو عن ممارسة بطشه؟ وكيف يمكن للمفاوض الفلسطيني أن يستغل مثل هذا التقدم، لا أن يقاومه أو أن يحاول كسره في أوج قوته؟..

لقد فشل شارون فشلا ذريعاً في وقف الانتفاضة وتوفير الأمن للمحتلين الغاصبين، ومن هنا استمر استنزاف هذا الكيان بشرياً واقتصادياً ومعنوياً ونفسياً، حيث أصبحت الهجرية هجرة عكسية، وكل الوعود الشارونية تبخَّرت، وكل الخطط الإرهابية الصهيونية تحطمت على صخرة الإرادة الفولاذية لشعب فلسطين، مما اضطر شارون

للبحث عن حيل سياسية لوقف المقاومة والانتفاضة، فكانت خارطة الطريق عصارة الدهاء الصهيوني المغلفة بالعلم الأمريكي، ومن الواضح أن هدفها الوحيد هو وقف المقاومة، وإنقاذ الكيان الصهيوني المستنزف، وأنا على ثقة لو أن المقاومة تعطى فرصتها -مع التوقف التام للغزل السياسي بين السلطة والكيان الصهيوني- لحققت أهدافها، ولكن الكيان الصهيوني لا زال يراهن على تفجير الانتفاضة من الداخل عن طريق خلق قيادات مستعدة لإشعال حرب أهلية من أجل مصالحها الذاتية، ونتمنى أن تدرك السلطة هذه الحقيقة فتستغل المقاومة لصالح القضية الفلسطينية بدلا من التصدي لها، والمقاومة اليوم فعلاً في أوج تأثيرها على العدو الذي تحطمت دباباته على بوابات غزة، وتحطَّمت غطرسته في جنين.

7-ما مستوى رضاكم عن الأداء الفعلي لقوى العمل الإسلامي الفردي والجماعي لمناهضة المشروع الأمريكي المضاد لعقيدتنا وقيمنا ؟.

كنا ولا زلنا نأمل أن يرتقي مستوى الأداء إلى مستوى التحديات من جانب، وإلى مستوى الأمل الذي يمثله المشروع الإسلامي في إنقاذ الأمة من جانب آخر، لقد بات المشروع الإسلامي هو المشروع الوحيد القادر على مناهضة المشروع (الصهيو أمريكي) المضاد لعقيدتنا وقيمنا، ولذلك لابد لنا من شحذ كل الطاقات والهمم، وأن نوظف كل الإمكانات في معركة المصير، وأن نطور أساليب المواجهة، مع أنني لا أنكر أن ما قامت به قوى العمل الإسلامي كان عظيماً بكل المقاييس، ولكن إذا علمنا أن آمال الأمة باتت معلقة بالعمل الإسلامي كمنفذ وحيد سنظل نطمح إلى رؤية ما هو أعظم.

8-ما الذي ينقص الأمة لاستعادة الأقصى، أهو عنصر مفقود في ذاتنا ينبغي علينا -كمسلمين- أن نستكمله ؟ أم أن البيئة الدولية -بكل تعقيدات تركيبتها- قد فرضت واقع غياب الأقصى عنا، ويجب علينا كمسلمين التسليم بأي مرحلة تاريخية تمر بنا ؟!.

لا أنكر أبداً دور تعقيدات البيئة الدولية وما لعبته من دور في تغييب الأقصى عن الحضن الإسلامي، ولكن هل كان في إمكان هذه التعقيدات أن تغيِّب الأقصى لو أننا تخلصنا من عوامل الضعف والهزيمة؟ أي لو أننا أقمنا الإسلام واقعاً في حياتنا

نحكم به ونحتكم إليه، فوحدنا صفوفنا في كيان يضم ما يقارب (مليار وربع المليار)، وقضينا على الفساد بكل أشكاله (الإداري والأخلاقي والسياسي والمالي والأمني والفكري) وغير ذلك، وتخلصنا من عقدة التبعية والشعور بالدونية، ووظفنا طاقات وإمكانات الأمة الاقتصادية والبشرية والعقائدية والجغرافية والعسكرية والحضارية لنصرة الأقصى الأسير، وكتاب الله يبين لنا الحقيقة فيقول: "قل هو من عند أنفسكم" .

9- كيف يمكن تقييم رؤية الشارع الفلسطيني للحل الإسلامي، خاصة بعد اندحار كثير من الدعاوى القومية العلمانية وسقوطها أمام شراسة العدو ؟.

الشارع الفلسطيني هو أكثر الشوارع في عالمنا العربي والإسلامي معاناة من الدعاوى القومية العلمانية، لا لشيء إلا لأنه دفع ثمناً باهظاً من دمائه وكرامته وحريته، يوم انصرفت الراية عن مصدر عزته وكرامته، وهو اليوم يعود إلى الإسلام بطريقة مذهلة، فكل محاولات الكيان الصهيوني الإفسادية وقفت عاجزة أمام أسلمة الشارع الفلسطيني الذي لم يعد يرى حلاً إلا في الإسلام، حتى التنظيمات العلمانية أصبحت تستخدم من الأدبيات ما يقربها من نبض الشارع الفلسطيني، سواء في خطابها الإعلامي، أو في بياناتها أو في شعاراتها المرفوعة.

10-كثير من الشباب يتمنون أن يكونوا جزءاً من هذه المقاومة التي تحملون لواءها، فما رسالتكم لهؤلاء الشباب في أنحاء العالم الإسلامي ؟.

هذه مشاعر صادقة وصادرة من قلوب عامرة بالإيمان، فنحن في فلسطين على ما نحن فيه من معاناة يومية وجهاد واستشهاد لا نتمنى أن نكون خارج هذه الدائرة، ونحمد الله –سبحانه- على نعمة الرباط والجهاد، وتمنيات هؤلاء الشباب تعكس واقع هذا الجيل المؤمن الذي سيحقق الله –بإذنه تعالى- النصر على يديه، وأود أن أقول لهذا الشباب: ثقوا بأنكم على ثغر أينما كنتم، وأنكم في جهاد، وإن كان جهادكم يأخذ أحيانا نمطاً مختلفا لا شوكة فيه، ولكن كل منكم مرابط على ثغر من ثغور الإسلام، فلا يؤتينّ الإسلام من قبله، كما أقول لكم بأن اليوم الذي ستحملون فيه السلاح – دفاعاً عن الكرامة والعقيدة- ليس ببعيد بإذن الله، فوطنوا النفس على ذلك، "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى".

=============

#الأدب بين الالتزام والإلزام

الدكتور عبد القدوس أبو صالح* 1424/5/22

2003/07/22

تعريف الالتزام في اللغة والاصطلاح:

"الالتزام" لفظة عربية فصيحة وقديمة ، فقد جاء في لسان العرب:" لزم الشيء يلزمه... والتزمه .. وألزمه إياه فالتزمه ". وجاء في أساس البلاغة:" والتزم الأمر، ومن المجاز :التزمه: عانقه ". وجاء في القاموس المحيط:" التزم الشيء لزمه من غير أن يفارقه، والتزم العمل والمال:أوجبه على نفسه".

أما تعريف "الالتزام"في الاصطلاح الحديث فهو لا ينصرف إذا أطلق إلى "الالتزام الأدبي"فقط ؛ لأن هناك أنواعاً من الالتزام العقدي أو الخلقي أو السياسي أو الحزبي أو العسكري إلى آخر ما هنالك من أنواع الالتزام التي يحددها الوصف.

كذلك لم يتفق الأدباء والنقاد على تعريف "الالتزام الأدبي" وذلك لاختلاف مذاهبهم ونزعاتهم ومواقفهم من هذا المصطلح. ومع ذلك فلا بأس أن نورد طرفاً من هذه التعريفات لتقريب هذا المصطلح من الأذهان.

فقد عرفه الروائي الأمريكي نورمان مالر بأنه" نوع من التعاقد أو الارتباط بشيء خارج الذات.(1)

وعرفه الشاعر الاسكتلندي هيوماكد يارميد بأنه "الالتزام السياسي والجهاد في سبيله، وتسخير الأدب للدعوة له ".

وقصره الدكتور محمد غنيمي هلال على الشعر – مجاريا سارتر في موقفه الأول – فقال(2):"ويراد بالتزام الشاعر وجوب مشاركته بالفكرة والشعور والفن في القضايا الوطنية والإنسانية وفيما يعانون من آلام وما يبنون من آمال".وعرفه الدكتور محمد مصطفى هدارة بأنه يعني"ارتباط الأديب بقيم أو مبادئ أو قضايا محددة، تشرَّبها عقله ووجدانه، فكل تفكير أو تعبير صادر عنه، يكون في نطاق هذا الارتباط أو الالتزام"(3).

وعرفه جبور عبد النور في المعجم الأدبي بقوله:"هو حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية، والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير الخارجي عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب أو الفنان من آثار.وتكون هذه الآثار محصلاً لمعاناة صاحبها ولإحساسه العميق بواجب الكفاح والمشاركة الفعلية في تحقيق الغاية من الالتزام "(4).

وعرفه الدكتور عبد الرحمن الباشا رحمه الله – وهو أحد رواد الأدب الإسلامي – بقوله(5):" هو أن يلتزم الأديب في كل ما يصدر عنه من أدب فكراً محدداً من الأفكار أو عقيدة من العقائد ، أو نظرية من النظريات ، أو فلسفة من الفلسفات ، سواء أكان ما يلتزم به دينياً أم سياسياً أم اجتماعياً أم نحو ذلك بحيث يكون أدبه نابعاً مما اعتقده ممثلاً لما اعتنقه ، غير حائد عنه ، أو خارج عليه".

موقف الآداب العالمية من الالتزام:

نستطيع أن نقسم الآداب العالمية من حيث موقفها من الالتزام إلى مذاهب عقدية " إيديولوجية" كالواقعية الاشتراكية والوجودية ، وإلى مذاهب حرة "ليبرالية" يأتي في مقدمتها مذهب الفن للفن، ويضاف إليها مواقف فردية لبعض المشهورين من الأدباء والنقاد الذين ترددوا بين الالتزام ورفضه.

وما من شك في أن مصطلح "الالتزام" وهو في الأصل مصطلح حيادي، قد استغلته الشيوعية أسوأ استغلال في نظريتها الأدبية التي سميت بالواقعية الاشتراكية ، وذلك أن أقطاب الشيوعية أدركوا أثر الفنون بعامة ، والأدب بخاصة، في بناء المجتمعات وتكوين العقول، وصياغة الوجدان، ووعَوْا أثرها في دعم الأنظمة والمذاهب حتى قال ستالين:"الفنانون والأدباء هم مهندسو البشرية".. ومن ثم فقد حرم (النظام الشيوعي) على كل أديب أن ينتج أي لون من ألوان الأدب ، يعارض المذهب الذي اعتنقته الدولة، وارتضته للشعب .. وبذلك عُدَّ الأديب المعارض للعقيدة الماركسية خائناً لأمته وقضاياها، منحازاً إلى أعدائها "(6).

وأخذت الشيوعية تطبق مبدأ "الإلزام" القسري عن طريق سلطة الحزب أو سلطة الدولة، فهي تغدق على الأدباء الملتزمين أصناف الرتب والامتيازات بينما تضيق

الخناق على غير الملتزمين تضييقاً ، يبدأ من تسليط النقاد الملتزمين عليهم لينتهي بنفي بعضهم إلى مجاهل سيبيريا أو إدخالهم إلى بعض المصحات العقلية.
وهكذا نرى أن الالتزام الأدبي أصبح في قبضة الدولة الشيوعية إلزاماً قسرياً سمي بالجبرية الشيوعية في الأدب، أو ديكتاتورية الواقعية الاشتراكية.
وما لبث مذهب "الإلزام" القسري أن تجاوز أسوار روسيا الشيوعية إلى دول الستار الحديدي، بل تجاوزها أيضاً إلى معتنقي الشيوعية والاشتراكية في دول العالم ، ومنها بعض الدول العربية التي كان نفر كبير من أدبائها وشعرائها يحتلون الساحة الأدبية، ويتفاخرون بأنهم من دعاة الواقعية الاشتراكية الملتزمين بها، وهم لا يعرفون اليوم كيف يوارون وجوههم بعد أن سقطت الشيوعية ،وهي الخلفية العقدية (الإيديولوجية) لمذهب الواقعية الاشتراكية.
كذلك اتخذت الفلسفة الوجودية، وعلى رأسها سارتر ،من مصطلح الالتزام وسيلة لنشر مبادئها، بل لعلنا لا نبالغ حين نزعم أن الوجودية ذاعت وانتشرت عن طريق قصص سارتر ومسرحياته بأكثر مما استشرت عن طريق مؤلفاته الفلسفية.
على أن الوجودية لم تقلب "الالتزام" إلى "إلزام" قسري كما فعلت الشيوعية، بل تركته التزاماً حراً، ينبع من شعور الأديب الوجودي بمسؤوليته ،كما أن سارتر أخرج الشعر من دائرة الالتزام ، وحصره في فن النثر بحجة "أن الحقائق هي التي تعبر عن مضمونات الالتزام، وليست غاية الشعراء استطلاع الحقائق أو عرضها(7)"بالإضافة إلى أن الصلة بين الشاعر والنص تنقطع بعدإبداعه إياه ، والشعراء –على حد زعمه –قوم يترفعون باللغة عن أن تكون نفعية"..على أن سارتر انتهى أخيراً غلى أن تراجع عن موقفه من الشعر ، فأدخله مع النثر في دائرة الالتزام.
أما في المذاهب الحرة (الليبرالية) ولدى كبار الأدباء في العالم بما في ذلك بعض كبار الأدباء في العالم العربي فإننا نستظهر ثلاثة مواقف متباينة :أولها:موقف يرفض الالتزام تحت شعار "الفن للفن" أو "الفن الصافي".وتعريف "الأدب"عند دعاة "الفن للفن" أنه فن جميل مهمته أن يستثير الشعور بالجمال، والجمال وسيلته وغايته"(8).

وهكذا "تنظر هذه المدرسة إلى جمال الشكل وبراعة الصنعة ، فما دام الأديب ماهراً في صناعته بحيث يثير فينا الإحساس بالمتعة ، فلا ينبغي أن ننظر في مضمون قوله: إن كان صدقاً أو كذباً نافعاً أو ضاراً ، بنَّاءً أو هداماً. ويشير الناقد "وولتر باتر" صراحة إلى الغاية من هذا الاتجاه الأدبي فيقول:"الغاية من الأدب ليست ثمار التجربة ، بل التجربة نفسها ". ويقول غوتييه (9):"لا يوجد الجمال الحق إلا فيما لا فائدة منه ، وكل مفيد سمج لأنه تعبير عن حاجة ما ، وحاجات الإنسان دنيئة ومقززة كطبيعته المسكينة المعقدة.. وكل فنان يقترح شيئاً غير الجمال فليس فناناً في نظرنا ".ويعزز هذه النظرة الكاتب الإنجليزي أو سكار وايلد حين يقول "ليس هناك كتاب أخلاقي" وكتاب مناف للأخلاق "إنما الكتب إما جيدة الصياغة أو رديئة الصياغة ، هذا كل ما في الأمر"فكأن هذا المذهب يعزل الأدب عن الدين والقيم والمبادئ والأخلاق، بل عن كل عناصر الحياة الإنسانية الأصيلة النقية بدعوى المتعة الفنية الخالصة"(10).

ومع أن الدكتور محمد مندور يقرر أن مذهب الفن للفن لم يعد له وجود فإن الدكتور محمد مصطفى هدارة يقرر أن المدرسة التعبيرية تشترك مع مذهب الفن للفن في النظرة نفسها ، حيث يقول سبنجارن:" إنه ليس من شأن الأديب نشر أي دعوة أخلاقية أو اجتماعية ،وغاية ما يعنيه من الأدب توقد الإحساس وتوهجه "(11).

ويقال الأمر ذاته في "مدرسة اللاوعي أو السيريالية أو ما فوق الواقع لأنها تقوم على استبعاد المنطق ومجافاة العقل ومعاداة الواقع ، وتحاول أن ترد الإنسان إلى غرائزه وقواه الفطرية بعيداً عن العقل ، أو كما يعرفها رائدها أندرية بريتون في أول بيان سيريلاي أصدره بأنها" إملاءات فكرية في غيبة كل ضابط يفرضه العقل ، وبعيداً عن كل اهتمام جمالي أو أخلاقي"(12).

أما الموقف الثاني لدى غير الملتزمين بالمذاهب السابقة فهوموقف محايد أو متردد بين رفض الالتزام أو قبوله ، وفي هذا يقول الأديب الفرنسي جان كوكتو(13):" أنا محايد ، أتردد أمام الالتزام ".

ونستطيع أن نضيف إلى هذا الموقف المحايد أو المتردد ذلك الموقف المتناقض الذي نراه لدى عدد من كبار الأدباء العرب وعلى رأسهم طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم.

أما الموقف الثالث لدى غير الملتزمين بالمذاهب السابقة فهو موقف يقبل الالتزام ويحض عليه ، ويأخذ بهذا الموقف كثير من الأدباء والنقاد العالميين حتى ليقول الدكتور محمد غنيمي هلال:(14)" يخطئ من يعتقد أن الاتجاه العام في الأدب الملتزم يمثله الوجوديون وحدهم ، أو يمثله سارتر وحده من بينهم ، والحق أن الأسس العامة للالتزام تتمثل في تيار النقد الغالب على العالم الغربي ".

وقد لخص الدكتور لويس عوض ما دار في مؤتمر الكتاب الذي عقد في مدينة أدنبره، وشارك فيه نحو من عشرين كاتباً – حول موضوع الالتزام فقال (15)" فإذا أردت أن تعرف نتيجة هذه المناظرة خرجت بأن أكثر الكتاب الذين اشتركوا في الحديث وقفوا وأعلنوا أنهم يؤمنون بالالتزام ،أي يعتقدون بأن كل كاتب لا بد أن يكون مرتبطاً بقضية أو أخرى".

ومن كبار الكتاب العالميين الذين أدركوا أهمية الالتزام الأديبُ الروسي الكبير توليستوي الذي يقول في قصته المشهورة "أنا كارنينا":" كان الحكم الذي أصدره رفاقي من رجال الأدب على الحياة مؤداة أن الحياة عامة تعبر عن حالة من التقدم وأننا نحن معشرَ رجال الأدب نقوم بالدور الرئيسي في هذا التطور ، وأن وظيفتنا نحن معاشرَ الفنانين والشعراء هي أن نثقف العالم ".

ويقول الشاعر والناقد المعروف ت.س. إليوت(16)عن مهمة الشعر وعلاقته بالمجتمع:" أظن أن أول مهمة من مهمات الشعر هي على وجه اليقين : إثارة المتعة ، ولكن للشعر دائماً هدفاً أبعد من الهدف الخاص أو المعين، وهو أن الشعر يحاول دائماً إيصال تجربة جديدة ما، أو إلقاء ضوء جديد على شيء مألوف، أو التعبير عن شيء بيدنا ولم نستطع أن نصفه في كلمات ، مما من شأنه أن يغني وعينا ، ويرهف حساسياتنا وليس بشعر على الإطلاق ما لا يثير في الإنسان هذين الأمرين ".

وفي هذا أيضاً يقول الشاعر والناقد الأمريكي الكبير ستيفن سبندر(17):" الشعر ليس مجرد تصوير لحظة احمرار وجنات الحبيبين أو رؤية جمال زهرة أو روعة لون الغروب ، بل الشعر هو الذي يروي الحياة كلها...والشاعر يضع نصب عينيه دائماً الظروف التي تحيط بالحياة ، إذ لا يمكن أن يجرب الحياة دون أن يضطر إلى التفكير في المشاكل الإنسانية الجوهرية . وما النظم السياسة والاجتماعية إلا محاولات لحل هذه المشاكل حتى نستطيع أن نختار الحياة .لذلك نجد أن الشعر يجبر على أن يعيد النظر في هذه الحلول وحينئذ قد يتبين له أنها تتحقق فيها إلى حد ما الشروط الجوهرية للوجود الإنساني ، وقد يتبين له العكس أيضاً ، وبهذا المعنى لا شك أن الشعر نقد للحياة".ويقول الروائي الأمريكي نورمان مالر في مؤتمر أدنبره الذي سبقت الإشارة إليه:(18)" إن الالتزام هو بمثابة طوق النجاة في خضم القيم المتصادمة في عالم اليوم صداماً أفضى إلى الفوضى".

وقد سئل الشاعر والناقد الأمريكي ألن تيت عن مسؤولية الشاعر: أمام من تكون ؟ وعمَّ تكون ؟ فأجاب ما خلاصته (19)"إن دعاة الالتزام في العالم الحر يرون أنه لو نهض الشعراء والأدباء بمسؤولياتهم الأدبية لما وقع النظام الحر فيما وقع فيه من مخاطر. ولما كنا تعرضنا للحرب العالمية الثاني, ورزحنا تحت ويلاتها. كما يرون أن قيام (النازية الهتلرية)يصور إخفاقنا في تطبيق المبادئ الديمقراطية ، وهو إخفاق سببه فقدان الشعور بالمسؤولية لدى أولئك الذين يملكون فن الكلمة ، وهم الكتاب عامة والشعراء خاصة ".

موقف الأدب العربي من الالتزام:

قدمنا أن عدداً من كبار الأدباء العرب الذين يعدون من رواد النهضة الأدبية كانوا في موقفهم من الالتزام أقرب إلى الموقف المحايد أو المتردد ، قد رفضوا الالتزام والتسخير الذي يصادر حرية الأديب دون أن يرفضوا عملياً الالتزام الطوعي العفوي. فبينما نرى طه حسين يلتزم في كثير من نتاجه الأدبي بأفكار معينة ،يعمل على نشرها، ويخوض المعارك الأدبية والفكرية في سبيلها إذا به يقول(20) " وإذن فالذين يقولون: يجب أن يكون الأدب للحياة ، ويظنون أنهم يقولون شيئاً جديداً لا يقولون في حقيقة الأمر شيئاً. فكل أديب في أي أمة من الأمم إنما هو يصور نوعاً من

أنواع حياتها.. فأما أن يسخر ليكون وسيلة من وسائل الإصلاح أو سبيلاً من سبل التغيير في حياة الشعوب ، فهذا تفكير لا ينبغي أن نساق إليه ، ولا نتورط فيه . وليس معنى هذا أن الأدب بطبعه عقيم ، وأن الأديب أثِرٌ بطبعه ، ولكن معناه أن الإصلاح والتغيير ، وتحسين حال الشعوب وترقية شؤون الإنسان أشياء تصدر عن الأدب ، كما يصدر الضوء عن الشمس ، وكما يصدر العبير عن الزهرة". ويقول في إحدى المناظرات الأدبية(21):" لسنا محتاجين دائماً أن نتخذ كل شيء وسيلة ، وأن نجعل كل شيء غاية . إنما نتخذ الأدب غاية في نفسه. ليس من الضروري أن نسخِّر الأدب لهذا الغرض أو ذاك".

وبينما نرى توفيق الحكيم يعلن أن(22): الأديب يجب أن يكون حراً ، لأن الحرية هي نبع الفن ، وبغير الحرية لا يكون أدب ولا فن ". ويقول أيضاً (23):" إن مطامع الناس شاءت أن تمتد أياديها الفانية إلى هذا الجوهر السامي (الفن) لتسخره لمدح الحكام من أجل المال والثراء ، أو لنشر الدعوة في الدين والسياسة من أجل الثواب أو الجزاء ، ولكن كلمة الفن هي العليا دائماً "، إذا به يستدرك فيقول(24):" أما إذا كان في الإمكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا فإني أرحب به ، وأسلم على الفور بأنه الأرقى ، ولكن هذا لا يتهيأ إلا للأفذاذ الذين لا يظهرون في كل زمان". ويقول أيضاً(25):" هنالك صلة في اعتقادي بين رجل الفن ورجل الدين ، ذلك أن الدين والفن كلاهما (يضيء) من مشكاة واحدة هي ذلك القبس العلوي الذي يملأ قلب الإنسان بالراحة والصفاء والإيمان...وأن مصدر الجمال في الفن هو ذلك الشعور بالسمو الذي يغمر نفس الإنسان عند اتصاله بالأثر الفني .. ومن أجل هذا كان لا بد للفن أن يكون مثل الدين قائماً على قواعد الأخلاق " ..

ويقول مرة ثالثة(26):" لو علم رجل الفن خطر مهمته لفكر دهراً قبل أن يخط سطراً ..وأخيراً يعلن توفيق الحكيم (27)أن " حرية الأديب لا تتنافى عنده مع مبدأ الالتزام ، فهو يريد أن يكون التزام الأديب أو الفنان شيئاً حراً ينبع من أعماق نفسه ..إذ يجب أن يلتزم وهو لا يشعر أنه يلتزم " ثم يصرح توفيق الحكيم بأن أدبه في أكثر كتبه هو من صميم الأدب الملتزم .

ولعل من المفيد أن نتحدث عن حوار تم بين كل من توفيق الحكيم والعقاد وأحمد أمين على صفحات مجلتي الرسالة والثقافة(28)، ولباب الحوار لا يخرج عمّا عرف بمذهب الفن للفن مقارناً بمذهب الفن للإصلاح ، إذ دعا الأستاذ أحمد أمين في العدد /275/ من مجلة الثقافة إلى أن يتجه الأدباء إلى المجتمع كما يتجهون إلى أنفسهم ، وإلى أن يتعرف الأديب الحياة الجديدة للأمة العربية ، ويقودها ويجدَّ في إصلاح عيوبها .. ليكون الأديب داعية خير ورسول أمة وراسم هدف . فردَّ عليه الأستاذ توفيق الحكيم في العدد/ 562 من مجلة الرسالة قائلاً : إن أحمد أمين يريد أن يستخدم الأدب في الدعاية الانتخابية والتجارية وما يجري هذا المجرى. وقد ردّ عليه الأستاذ أحمد أمين لأن هناك فرقاً بين الدعوة إلى أن تكون الحياة الاجتماعية والوعي الاجتماعي من مصادر الأدب، وبين الدعوة إلى مادية الأدب وتسخيره للأغراض الوضعية.

وقد سئل العقاد عن هذا النقاش فأجاب بأن اليوم الذي يستخدم فيه الأدب للدعاية الاجتماعية لهو اليوم الذي ينقلب فيه الإنسان طفلاً .. ومضى العقاد يؤيد أن أمل الإنسانية أكبر من أن يتعلق بحاجة الطعام والكساء ، ويحبّذ كلام الأستاذ توفيق الحكيم حين شبه المجتمع الذي يستخدم الفن للرغيف بالطفل الذي يضع الحلية في فمه، لأنه لا يحسن أن يتملاها بنظره. وختم العقاد التعليق بأنه لم يخطّئ أحمد أمين في حرصه على المصالح الاجتماعية ، لأنّه مثلُه يحرص على هذه المصالح ، ولكن الفنون ذات هدف أقوى من النفع المادي.

وقد ردّ الأستاذ أحمد أمين على تعقيب العقاد بما يضيق شقة الخلاف إذ قال(29): إن الفردية التي يعنيها هي الأنانية والأثرة ، وأن الاجتماعية[التي يدعو إليها]هي الغيرية والإيثار، وبهذا التحديد يتفق الحكيم والعقاد معه [أو يلزم أن يتفق الأستاذان معه]على أن الرقي الأخلاقي والاجتماعي سائر نحو الاجتماعية. وإذا كانت المشكلة في جوهرها هي مشكلة اتجاه الأدب إلى الفن وحده بعيداً عن الإصلاح أم اتجاهه للفن والإصلاح معاً، فقد حسم الأمر لدى المختلفين جميعاً ، حين يوازنون بين قطعة فنية رائعة تخدم هدفاً إصلاحياً، وقطعة لا تقل عنها جودة تقتصر على الوصف الأدبي دون هدف .. على أن المرادَّ في الفن على التأثير المستَشَف، لا على التقرير

السارد. وقد حصر الأستاذ أحمد أمين المجال في أضيق نطاقه حين قال ببساطته الواضحة(30):" لعل نقطة الخلاف الحقيقية بين الأستاذ الحكيم وبيني هو أنه يريد أن يقدر الفن بجماله فقط ، وأنا أريد أن أقدره بجماله وأخلاقياته معاً ".

ومن رواد النهضة الأدبية الذين أخذوا بالالتزام كاتب الإسلام الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الذي التزم بالتصدي لدعاة التغريب في الفكر والأدب.

ومن كبار الأدباء العرب الذين وقفوا من الالتزام هذا الموقف الإيجابي دون أن يكونوا منضوين تحت مذهب أدبي عقدي أو غير عقدي الأديب الكبير محمود تيمور الذي يقرر أن الرسالة الملقاة على عاتق الفنان –أيا كان–هي رسالة إنسانية تقتضي منه"الإحساس بالحياة التي يحياها، والتعمق في المجتمع الذي يعيش فيه،وتزكية ما يلتمع في ذلك المجتمع وفي تلك الحياة من مثل كريمة،تدعو إلى حرية وحق وخير وسلام(31).

ويقول الدكتور شوقي ضيف عن علاقة الأديب بالمجتمع(32):" الذي لا شك فيه أن الأديب لا يكتب أدبه لنفسه ، وإنما يكتبه لمجتمعه . وكل ما يقال عن فرديته المطلقة غير صحيح ، فإنه بمجرد أن يمسك بالقلم يفكر فيمن سيقرؤونه ، ويحاول جاهداً أن يتطابق معهم ، ويعيَ مجتمعهم وعياً كاملاً بكل قضاياه وأحداثه ومشاكله لسبب بسيط ،وهو أنه اجتماعي بطبعه ، ومن ثَمَّ كانت مطالبته أن يكون اجتماعياً في أدبه مطالبة طبيعية".

ومن الأدباء الذين نادوا بالالتزام الناقد المعروف الأستاذ محمد النويهي الذي ألف كتاباً سماه " الأدب الهادف " وكان من قوله فيه(33):" الرسالة الملقاة على عاتق الفنان – أيا كان– هي رسالة إنسانية تقتضي منه الإحساس بالحياة التي يحياها ، والتعمق في المجتمع الذي يعيش فيه ، وتزكية ما يلتمع في ذلك المجتمع وفي تلك الحياة من مثل كريمة ، تدعو إلى حرية وحق وخير وسلام ".

أما الأدباء والنقاد الذين أخذوا بالالتزام منطلقين من مذاهب عقدية متنوعة فقد كانوا فريقين اثنين : فريق يلتزم بالمذاهب العقدية المأخوذة عن الغرب وهي المذاهب الاشتراكية والوجودية والحداثية بصورة عامة، وفريق يلتزم بالتصور الإسلامي الذي جاء رداً على التزام الفريق الأول .

يقول الأستاذ غالي شكري مؤكداً التزام الشاعر المعاصر بالمذاهب العقدية(34):"والحق أنه إذا أثير السؤال: هل للشاعر الحديث إيديولوجية أم لا؟ .. أجبنا على الفور بأن الشعر لم يكن في يوم من الأيام إيديولوجياً بالمعنى العميق المسؤول ، كما هو الآن".

ويتحدث الدكتور إحسان عباس عن تداخل السيريالية والماركسية والوجودية في الشعر العربي المعاصر فيقول(35):" هذان – أي السيريالية والماركسية– تياران ثوريان يفعلان بعمق في الشعر العربي المعاصر ، ويتبنيان قضية الالتزام ، فإذا أضفت إليهما تياراً ثورياً ثالثاً يأخذ من هذا وذاك ، وهو التيار الوجودي ، الذي يبني مضمونه للأدب والشعر على أساس من الالتزام أيضاً وَضُحَ لك أن تطبيق مفهوم الالتزام لن يتحدّد في شكل واحد، ولكنه يجيء على أشكال متفاوتة تنبني جميعاً على أصل مشترك هو الدفاع عن إنسانية الإنسان".

ولعل الدكتور إحسان عباس– وهو منحاز إلى الملتزمين بهذه التيارات– يكون أكثر إنصافاً لو قال: إن الأصل المشترك بين هذه الفئات المختلفة هو الاتجاه اليساري الذي يتحدث الدكتور إبراهيم الحاوي عن محاوره فيقول(36):" وتبنّى الشعر المعاصر قيماً محددة فرضها عليه الواقع السياسي الذي مرّت به الأمة العربية منذ نكبة فلسطين عام 1948م. وتحدّد مضمون هذه القيم بالثورية حيناً ، والتمرد والرفض حيناً آخر، حتى كادت هذه المضامين تستحوذ على اهتمامات معظم الشعراء في بلدان العالم العربي المختلفة ، وتصبح النزعات المسيطرة والسمات الواضحة لاتجاهات الشعر المعاصر وميوله".

وعندما سقطت الواقعية الاشتراكية بسقوط النظام الشيوعي في الاتحاد السوفيتي كان لسقوطها صدىً كبير أدى إلى إحباط النقاد الملتزمين بها .. وسرعان ما تخلّوا عن الانتساب المباشر إليها ليعملوا مع ألفافهم من الوجوديين ودعاة الواقعية بأنواعها وسائر الملتزمين بتيار التغريب تحت اسم جديد هو " التنويريون" وتحت خيمة واحدة استظلوا بها جميعاً ، وهي خيمة " الحداثة " الفلسفية الشاملة التي كان أدونيس رافع لوائها ومنظرها الأول.

وقد بيّن أدونيس بكل صراحة أن الحداثة ليست تحديثاً للشكل ، وإن كانت قد انطلقت من دعوى التجديد في الشكل الشعري لتصل إلى مضمون الحديثة بمعناها الفلسفي الشامل ، وهذا ما عبّر عنه أدونيس بقوله(37):"لا يكفي أن يتحدث الشاعر عن ضرورة الثورة على التقليد ، وإنما عليه أن يتبنّى الحداثة. وليست الحداثة أن يكتب قصيدة ذات شكل مستحدث ، شكل لم يعرفه الماضي بل الحداثة موقف وعقلية ، إنها طريقة نظر وطريقة فيهم ، وهي فوق ذلك وقبله:ممارسة ومعاناة ، إنها قبول بكل مستلزمات الحداثة : الكشف ، والمغامرة ، واحتضان المجهول".

وهكذا تجلّت حقيقة الحداثة في قول كمال أبو ديب في مجلة فصول(38):" الحداثة انقطاع معرفي ، ذلك أن مصادرها المعرفية لا تكمن في المصادر المعرفية للتراث في كتب ابن خلدون الأربعة، أو في اللغة المؤسساتية والفكر الديني وكون الله مركز الوجود.. الحداثة انقطاع لأن مصدرها المعرفية هي اللغة البكر والفكر العلماني (اللاديني) وكون الإنسان مركز الوجود ، وكون الشعب الخاضع للسلطة مدار النشاط الفني ، وكون الداخل مصدر المعرفة اليقينية ، إذا كان هناك معرفة يقينية ، وكون الفن خلقاً لواقع جديد".

كما تجلّت حقيقة الحداثة في قول أودنيس في كتابه " مقدمة للشعر العربي(39):"إنها –أي الحداثة– تجاوز الواقع أو اللاعقلانية ، أي الثورة على قوانين المعرفة العقلية ، وعلى المنطق ، وعلى الشريعة من حيث هي أحكام تقليدية ، تُعنى بالظاهر .. وهذا الثورة تَعني التوكيد على الباطن ، وتَعني الخلاص من المقدس وإباحة كل شيء " .

ومن هنا أظهر الدكتور محمد مصطفى هدارة في محاضرة ألقاها في مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية تم نشرها في كتابه "دراسات في النقد الأدبي" خطرَ هذه الحداثة المدمرة الحالقة لكل شيء إذ يقول(40):" والحقيقة أن الحداثة أخطر من ذلك بكثير ، فهي اتجاه فكري أشد خطورة من الليبرالية ، والعلمانية ، والماركسية ، وكلّ ما عرفته البشرية من مذاهب واتجاهات هدامة ، ذلك أنها تتضمن كل هذه المذاهب والاتجاهات ، وهي لا تخص مجالات الإبداع الفني أو النقد الأدبي ، ولكنها تعمّ الحياة الإنسانية في كل مجالاتها المادية والفكرية على السواء .. وهي بمفهومها

الاصطلاحي اتجاه جديد بشكل ثورة كاملة على كل ما كان ، وما هو كائن في المجتمع".

على أن من الإنصاف أن نقول: إن كثرة من الحداثيين في هذا البلد الكريم أعلنوا رفضهم لحداثة أدونيس ، وتبنوا الحداثة على أنها تجديد فني يلتزم بثوابت الدين ، ولا يقبل القطيعة مع التراث.

موقف الأدب الإسلامي من الالتزام:

وأمام طغيان الإلزام الشيوعي والالتزام بالوجودية والواقعية المنحرفة والحداثة الفلسفية المدمرة لم يكن ثمة بد من الدعوة إلى الالتزام الإسلامي في الأدب.

فما هو هذا الالتزام الإسلامي ؟وما هي حجيته ومسوغاته؟وما هي خصائصه وسماته ؟.

وأول ما يقال في الرد على هذه التساؤلات أن الأدب الإسلامي أدب هادف ملتزم ، بل لا يتصور وجود الأدب الإسلامي دون التزام..ذلك أننا يمكن أن نعرف الإنسان المسلم بأنه إنسان ملتزم بالإسلام لن والأديب المسلم إنسان مسلم فهو بالضرورة ملتزم بالإسلام..إلا أن يكون إسلامه اسمياً بالهُويّة فقط ، أو لا يكون فاهماً لحقيقة الإسلام.

والأديب الإسلامي مسلم أولاً ، ثم أديب ثانياً ، وليس للأديب – كما يقول الأستاذ محمد قطب – خصوصية تبيح له أن يخرج عن الإسلام بحجة الموهبة الأدبية، فالموهبة الأدبية لا تستلزم الخروج عن حدود الدين.

وفي بدهية الالتزام الإسلامي في الأدب يقول الأستاذ محمد قطب أيضاً(41):" إن المفروض على المسلم أن يعيش الإسلام في كل دقيقة من حياته ، فالله عز وجل يقول:" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ". وهذا العبير القرآني يعني أن غاية الوجود البشري محصورة في عبادة الله ، ولكن هذا المعنى قد يحتاج في أجيالنا المتأخرة إلى توضيح ..على خلاف الأجيال الأولى التي لم تكن تتصور أن العبادة هي الشعائر فقط.. ولو تصورنا أن العبادة محصورة في هذه الشعائر..فكم تستغرق إذن من عمر الإنسان ؟ لا يستغرق ذلك إلا جزءاً قليلاً منه، ففيم ينقضي عمر الإنسان ؟ في العبادة أم خارجها ؟ لو كان خارجها ما كنا كما أراد الله أن نكون..ولو

كان ينقضي داخلها فيجب أن نوسع مفهوم العبادة. فلا نقصرها على الشعائر فقط ، وهذه العبادة المقصودة في الآية الكريمة تشمل الحياة كلها بمختلف أنشطتها. وبما أن الأدب التعبير الجمالي هو نشاط بشري ، لزم إذن أن يكون ضمن دائرة الإسلام التي شملت كل نشاط الجمالي في حياتنا. ومن البدهيات أيضاً أن المسلم –أديباً أو غير أديب– يجب أن تكون حياته داخل دائرة العبادة الإسلامية. وكذلك النشاط الأدبي يجب أن يكون ملتزماً بتلك الدائرة ، فلا يظنَّ الأديب أنه في مجال الأدب يسقط عنه التكليف فيفكر كيف يشاء ، ويكتب كيف يشاء.. فهذا خطأ ، والصحيح أن يشعر أنه مسلم أولاً، وأديب ثانياً ، فيكون نشاطه ملتزماً بالعبادة في مفهومها الواسع".

وفي القرآن الكريم أيضاً نجد مسوغاً آخر للالتزام الإسلامي في الأدب ، فالله عز وجل يقول (42):(والشعراء يتبعهم الغاوون *ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا اللذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون *).

وهذه الآيات الكريمة تعني أن الشعراء سيكونون دائماً عرضة للغواية والإغواء إلا أن يلتزموا بالصفات التالية:

1)أن يكونوا مؤمنين حقاً: " إلا الذين آمنوا...".

2)أن يكون إيمانهم مصدقاً بالعمل الصالح :" وعملوا الصالحات".

3)أن يكثروا من ذكر الله حتى تتحقق فيهم تقوى الله :" وذكروا الله كثيراً".

4)وأن يكون شعرهم سلاحاً ينتصرون به من الظلم:"وانتصروا من بعد ما ظلمونا ".

وهذه السمات الأربع التي تميز الشعراء المؤمنين هي التي تحدد التزامهم بالإسلام قولاً وعملاً ،وهي التي تجعل الشعر سلاحاً بأيدي المؤمنين كما جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعركة التي دارت رحاها بين الإسلام ومشركي قريش ، حين قال أصحابه(43):" جاهدوا المشركين بألسنتكم ". وقال أيضاً: " اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق النبل. وكان من قوله صلى الله عليه وسلم: " أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى".

قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان: إن روح القدس لا يزال يؤيدك، نافحت عن الله ورسوله، وقالت عائشة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: هجاهم حسان فشفى واشتفى"(44).

والالتزام في الأدب الإسلامي التزام عقدي، والعقيدة في الفن سمو به إلى أكبر حقيقة في الكون ، (وهي عقيدة التوحيد) وهذا ما يجعل الفن كونياً واسعاً(45).

والالتزام في الأدب الإسلامي التزام عفوي لأنه لا إكراه في الدين، ولأن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز" أفنلزمكموها وأنتم لها كارهون" ولأن الالتزام في الأدب الإسلامي التزام عفوي فهو لا يفسد التجربة الأدبية ولا يجعلها ضيقة مصطنعة، أو مزيفة.

والالتزام شامل لكل التجارب الإنسانية في كل زمان ومكان. ومن هنا كان تعريف الأدب الإسلامي بأنه التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون وفق التصور الإسلامي. وما دام الأدب الإسلامي قائماً على التصور الإسلامي الصحيح فلن يَضل ولن يُضل إن شاء الله.

وفي مجال الدعوة إلى هذا الأدب الذي ينطلق من عقيدة الأمة وتراثها يقول الدكتور محمد مصطفى هدارة:"(46)فإذا دعونا إلى أدب إسلامي عنينا به مذهباً أدبيا له خصائصه الفكرية والفنية ، التي تعبر عن شخصيتنا الإسلامي وتراثنا .. وقاعدته الفكرية التي ينطلق منها هي الإسلام، وهو أرقى وأشمل في نظرته للكون والإنسان من كل الفلسفات المثالية والعقلية والمادية التي قامت عليها المذاهب الأدبية المختلفة ، وهو لا ينبع من تعصب فكري ، ولا يؤمن بالمفارقة بين ما تدعو إليه العقيدة من التزام ديني ، وما يدعو إليه الفن من انطلاق وتحرر لتحقيق الجمال ومتعة الذوق".

*رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية

ورئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي .(1)- الاشتراكية والأدب- وليس عوض 180 (نقلا عن الالتزام الإسلامي في الشعر ، د. ناصر الخنين ص 26)

(2) النقد الأدبي الحديث- محمد غنيمي هلال 456.

(3)- الالتزام في الأدب الإسلامي – محمد مصطفى هدارة ص 1 (من بحوث ندوة الأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة 1405هـ.

(4) المعجم الأدبي – جبور عبد النور ص 31.

(5) نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد – د. عبد الرحمن الباشا ص 119 ، نشر جامعة الإمام 1404 هـ/1985م.

(6) انظر "المصدر السابق ص 120.

(7) انظر كتاب "ما الأدب لسارتر . ترجمة د.محمد غنيمي هلال . درا نهضة مصر .

(8) انظر كتاب "ما الأدب " لسارتر . ترجمة د . محمد غنيمي هلال درا نهضة مصر.

(9) المذاهب الأدبية . فان تيفم ص 622 – 265.

(10) ،(11)الالتزام في الأدب الإسلامي (المصدر السابق) ص 3 ، وانظر الأدب وقيم الحياة د. محمد زكي العشماوي ص 177 – الهيئة المصرية للكتاب سنة 1974م.

(12) الالتزام في الأدب الإسلامي – هدارة ص 3 " المصدر السابق.

(13) الالتزام في الشعر العربي – د. أحمد أبو حاقة ص 13 –دار العلم للملايين ، بيروت سنة 1979م.

(14) قضايا معاصرة في الأدب والنقد – د. محمد غنيمي هلال ص 174 –دار نهضة مصر.

(15) الاشتراكية في الأدب ص 174 (نقلا عن الالتزام الإسلامي " المصدر السابق " ص 98.

(16) مقالات في النقد الأدبي – ترجمة د. لطيفة الزيات ص 45 (نقلا عن الالتزام الإسلامي ص 96).

(17) الأدب وقيم الحياة المعاصرة "المصدر السابق" ص 194.

(18) الاشتراكية في الأدب " المصدر السابق " ص 180

(19)دراسات في النقد–ألن تيت ترجمة د.عبد الرحمن ياغي ص 138 وما بعدها (الالتزام الإسلامي –المصدر السابق 97)

(20) نماذج أدبية د. عبد القدوس أبو صالح ص 170 – مكتبة الجماعية العربية – حلب.

(21) قضايا النقد الأدبي – د. بدوي طبانة ص 70 " المصدر السابق ".

(22) الالتزام في الشعر العربي – أبو حاقة ص 367 " المصدر السابق

(23)، (24)، (25)، (26) –فن الأدب توفيق الحكيم ص 74–76 القاهرة – مكتبة الآداب

(27) فن الأدب – توفيق الحكيم ص 74–76 القاهرة – مكتبة الآداب.

(28) انظر : حديث القلم للدكتور محمدرجب البيومي ص 353.

(29)، (30) مجلة الثقافة، العدد 279.

(31) الأدب الهادف – محمد النويهي ص 67 (عن الالتزام الإسلامي"المصدر السابق "331).

(32) في النقد الأدبي –د. شوقي ضيف ص 191 – دار المعارف بمصر .

(33) الأدب الهادي ص 67 " المصدر السابق".

(34) شعرنا الحديث .. إلى أين .. غالي شكري ص 174 (دار الآفاق الجديدة – بيروت).

(35) اتجاهات الشعر العربي المعاصر –د. إحسان عباس ص 204 (عالم المعرفة – الكويت)

(36) حركة النقد الحديث والمعاصر في الشعر العربي د. إبراهيم الحاوي ص 164 (مؤسسة الرسالة – بيروت).

(37) زمن الشعر – أودنيس 88 (دار العودة – بيروت).

(38) مجلة فصول مجلد 4 عدد 3 ص 37 – القاهرة

(39) مقدمة للشعر العربي – أدونيس ص 127– دار العودة بيروت.

(40) دراسات في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق –د. محمد مصطفى هدارة – الدار الأندلسية للأوفست 1989م

(41) فـي المحاضـرة التـي ألقاهـا فـي مركـز الملـك فيصـل بالريـاض عـن الأدب الإسلامي ولخصتها صحيفة المسلمون في العدد 209 بتاريخ 27 جمادى الثانية سنة 1409هـ.

(42) سورة الشعراء 224 وما بعدها .

(43) أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي.

(44) صحيح مسلم في باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.

(45) منهج الفن الإسلامي – محمد قطب ص 176.

(46) مجلة الأدب الإسلامي–المجلد الأول–العدد الثاني ص12.

=============

#حملة غربية للحد من زواج المسلم بالنصرانية

عبد الباقي خليفة 1424/3/16

2003/05/17

تشـن الأوسـاط الغربيـة –علـى مختلـف مسـتوياتها، سـواء أكانـت فـي الإعـلام أو الكنـائس، أو حتـى الحكومـات – حملـة متواصـلة منذ بضـعة سـنوات ضـد زواج المسـلمين مـن نصـرانيات، خاصـة بعـد أن لاحظـوا دخـول عـدد كبيـر مـن هـؤلاء الزوجات إلى الإسلام بعد زواجهن من مسلمين، و يعد هذا هو السبب الحقيقي– أو الأول– للحملـة الفاشـلة التـي تـدعي أن المسـلم يضـطهد ويسـتغل المسـيحية التـي يتزوجهـا، وتوصـي المجتمعـات الأوروبيـة المسـيحيات بعـدم التفكيـر فـي الـزواج من مسلم، وتخوفها بأكثر من افتراء علـى المسلم مصدرة تحذيرات من أمثال " المسلم سيضطهدك إذا تزوجك، وثقافته تختلف عن ثقافتك، سيتزوج عليك أخرى، سيفرض عليك الحجاب، سيحرمك الخروج من البيت ".

اتجاه للحد من زواج المسلم

وتشـمل الحملـة كـذلك أنـواع الـزواج التـي تشـعبت لتشـمل مـا يطلـق عليـه "بـزواج المصـلحة" مثـل " زواج الإقامـة " أو " الجنسـية " وكـذلك آخـر تقليعـة ظهـرت فـي المجتمـع الغربـي وهـي " زواج المـأوى ". أي أن يتـزوج الإنسـان مـن المرأة لتـوفر لـه السكن، بعد أن كانت في السابق تـوفر لـه الإقامة والجنسية .. و قد عمدت بعض

الدول الأوروبية إلى التضييق على زواج "المصلحة" من خلال سن قوانين تحد من تمتع الأجنبي المتزوج من المواطنة بالجنسية مباشرة بعد الزواج، ووضعت لذلك شروطا كثيرة، كما أن هناك نوعاً آخر من الزواج وهو الزواج الصوري، الذي يتم بالاتفاق بين الأجنبي والمرأة الغربية، دون أن يكون لهما أي ارتباط أو التزامات زوجية، وينتهي بمجرد تسجيل العقد، ويذهب كل في حال سبيله، بعد أن تقبض هي ثمن تلك الإجراءات. وقد أصبح الزواج من هذا النوع تجارة انغمست فيها قطاعات من النساء الغربيات، ورغم أن هذا النوع من الزواج موجود وسائد في أوربا منذ عدة سنوات، إلا أنه وعلى الرغم من تفشي زواج المسلم للمصلحة في المجتمعات الغربية، إلا أن الزواج الحقيقي لا يزال موجودًا، ويكلله النجاح في حالة إسلام المرأة، لكن المشكلة الكبرى تكمن في بقاء المرأة على دينها، والذي تظل آثاره السيئة خامدة فترة من الزمن، حتى إذا مارأت الزوجة مظاهر التدين الإسلامي قد بدت على زوجها، أو أن يحاول اصطحاب أطفاله للمسجد، فتنقلب الزوجة على وجهها، وتناصب زوجها العداء، حتى أن بعض النساء طلبن أن يأخذ الآباء أطفالهم إلى الكنيسة يوم الأحد، كما يأخذهم للمسجد يوم الجمعة.

هجمات منظمة

وأخذت الحملة طابعا هجوميا شاركت فيه محطات التلفزيون، من خلال إعداد مسلسلات تتحدث عن رفض المجتمعات الإسلامية لزواج المسلمة من نصراني؛ بسبب الدين، أطلقت فيها الخيال لشطحات كثيرة تقصد تنفير المجتمعات الغربية من الإسلام، وحث الغربيات على عدم الزواج من مسلم بطرق لا تختلف عن كتابات المستشرقين عن الإسلام والمسلمين في القرون الوسطى، إضافة للادعاء بأن المسلمات يناضلن من أجل خلع الحجاب، بينما الحقائق تؤكد أن المسلمات يضطهدن بسبب الحجاب، كما في تركيا وتونس وعدد من الدول الأخرى بأساليب مختلفة. كما ترفض الحكومات الاعتراف بالأحزاب الإسلامية في بعض الأقطار؛ لأنها تنادي بتطبيق الشريعة التي تتلهف إليها الجماهير، ولذلك يلجأ البعض للخارج لتعرضه للاضطهاد بسبب ذلك، وليس -كما يقول البعض من الغربيين – فرارًا من الشريعة .

القساوسة يقودون الحملة

ويشارك القساوسة -بشكل فاعل- في هذه الحملة، إلا أن الكثير منهم يحاول أن يغلف حربه في إطار من الموضوعية الزائفة، واضعا بذلك السم في العسل ،ويجسد ذلك القس الإيطالي (كورسانيرو) الذي أدلى بدلوه في هذا المجال، وإن كان أخفى كثيرًا من الحقائق، فهو يقول: " كنا نعيش في مجتمعات مسيحية حتى عقود مضت، وكنا ننظر للزواج بمفهومنا باعتباره سرًا مقدسًا. فالله هو الذي يبارك الشخصين عند زواجهما، أما الآن فيمكن اختيار الزواج المدني البحت ". ويشرح ذلك قائلا: "هو عبارة عن عقد بين طرفين، وهو ما يقربنا من مفهوم الزواج الإسلامي. فمن يتزوج في الإسلام لا يرتبط بالطرف المقابل، سواء كان رجلا وامرأة فحسب، وإنما عائلتان تتحدان معا ". ويأسف القس على أن الكاثوليك لم يعودوا يفكرون بنفس الطريقة السابقة، ويقول" "إن هذا لم يعد واردًا فقد تراجع الكاثوليك، وأصبح الشاب والشابة الكاثوليكيان لهما القرار المنفرد، حتى و إن كان قرارهما متعارضا مع رغبة الوالدين ". وهنا يبدو التراجع عن مبدأ الحرية الغربية عندما توضع على المحك. ويضيف " وأعتقد أن سلطة الأبوين أصبح من الصعب ممارستها ". ويتابع "هناك مشاكل كثيرة في موضوع الزواج المختلط (زواج المسلمين من الكاثوليكيات)، ومنه الزواج المؤقت، والذي تفرضه ضرورات الواقع، فهو بالنسبة للمسلم وسيلة للحصول على الجنسية، أو المأوى " كما لا يفرق القس في حديثه بين الزواج الحقيقي وما يسميه بالمؤقت، بل ربما كان الأخير أحب إليه، وعندما قيل له بأن هناك أيضا الزواج الذي يتم بين المسلم و النصرانية بدافع الحب، قال " هذا الزواج الحقيقي " بيد أنه شكك في ذلك بالقول " ليس لدي إحصائيات، ولكن هناك عدم فهم في الزواج المختلط، وصعوبات تعترض زواج المسيحية من مسلم، ونسب انفصال مرتفعة؛ لأن كثيرًا من العلاقات ليست مبنية على الحب، وإنما على المصلحة ". وبدأ القس يتحدث عن الفروقات الثقافية والدينية وغياب الأسباب التي كانت مجرد مطية للرفض، وقال: " هناك معطيات تؤخذ كحقائق، ولكنها غير دقيقة، فالموقف الذي يتخذ من المرأة -سواء في أوروبا الشرقية التي تعيش فترة مخاض- يختلف عن وضع المرأة في المغرب مثلا، حيث إن تقبيل يد المرأة غير مقبول ". ولو كان القائل

إنساناً عادياً لما أثير كلامه أي تعليق، ولكن القس بدأ يتملق مفاهيم المجتمع الغربي رغم بعده عن التعاليم الكنسية، كما لم يتطرق إلى مشاكل الزواج التي تحدث بين الكاثوليكيين أنفسهم، أو بين الإيطاليات والأجانب القادمين من أوروبا الغربية أو الشرقية، والتي تشير الإحصائيات إلى أنها أكثر عدداً وأكبر صعوبة من مشاكل الزواج التي تتم بين المسلمين والكاثوليكيات الإيطاليات، إضافة إلى أن أغلب النساء الإيطاليات اللاتي يتزوجن من المسلمين حوالي 80 % منهن سبق لهن الزواج من إيطاليين، وانفصلن عنهم بسبب الخلافات أو أمور أخرى. مما ينسف الأسس التي بنى عليها القس تصوراته .

الحرب من الداخل

والغرض الرئيس من تلك الحملة، هو وقف موجة الدخول في الإسلام في الغرب، من خلال تشويه المجتمع الإسلامي والتركيز على ما يراه بعض الغربيين حدا من حرية المرأة، من خلال عدد من كتابات بعض المنتسبين للعرب والمسلمين؛ ليحظوا برضا الغرب، ومن بين تلك الكراسات حكايات أحد المغاربة عن أمه التي بدأ يسرد قصتها، وكيف أنها نشأت في ظل أسرة مسلمة قضت على حريتها الشخصية وفكرها. وكعادة المتحدثين في حقوق المرأة، والذين يتخذون من بعض التقاليد والممارسات الخاطئة مطية للتعدي على قيم المجتمع الكلية والضمير الجمعي للأمة، مغفلين القيم الإسلامية وما أرسته من حقوق للمرأة حرمتها منها ما سواها من قيم، بل تحاول الدعاية الغربية التي تستند بشكل انتقائي لبعض ما يكتبه المنهزمون إلى نماذج خرافية أو شاذة في المجتمعات الإسلامية، وعلى ذلك نجد أن المجتمع الإسلامي يتعرض لغزو شامل، ومحاولة تفكيكه اجتماعيًا وأخلاقياً لا تقل عن محاولات تفكيكه سياسيًا وجغرافيًا، والطابور الخامس موجود في كل مفاصل عالمنا الذي سلمه الاستعمار لتلاميذه من العلمانيين والعملاء في كل القطاعات، وكما هو واضح فإن ما يردده الببغاوات عندنا مصدره مراكز استعمارية في الغرب، وجهاد هذا المسلك لا يقل عن الجهاد في الميادين الأخرى، بل ربما نحن أحوج ما نكون إليه من غيره

============

#إسرائيل للبيع!!

ياسر قطيشات 1424/6/29
2003/08/27

لا شك أن الكيان الصهيوني المسمى بـ"إسرائيل" هو أكبر خرافة في التاريخ البشري الحديث، فسياسة التنويم الذاتي التي تقوم بها إسرائيل بهدف تحويل معتقداتها إلى واقع قائم، وحقيقة أكيدة تجعل الإنسان البسيط يدرك أنها فعلاً خرافة وخزعبلات لا أساس لها من الصحة، فالخرافات اليهودية دخلت في صميم تطورات الزمان والمكان، بحيث شوهت السمات العظيمة (للتاريخ اليهودي)، وهذا على حد تعبير المفكر اليهودي (هيغل)، خاصة عندما تتخذ طابعاً مقدساً .

فمن حيث المكان؛ هناك خرافات فريدة تحتفل بها الدولة رسمياً، وقلما يسمع بها أحد حرصاً على هيبة الدولة – كما يدعون –، ففي عام 1976م ، أعلنت وكالة أنباء يهودية أن رئيس الدولة اليهودية باع إسرائيل إلى (جندي درزي) من مواليد إسرائيل، وكان هذا عملاً بخرافات التلمود خلال السنة الشميطة التي تستوجب إراحة الأرض من الزراعة كل سبع سنوات، على أساس أن الله نفسه استراح في اليوم السابع من خلق العالم – كما تدعي التوراة – !، وحيث إن هذا يعني توقف الزراعة سنة كاملة، فلا حل للمشكلة سوى بيع الأرض كلها شكلياً إلى أجنبي (محمد رمضان) الشخصية اليهودية.

إذاً فإسرائيل كل سبع سنوات تعرض نفسها للبيع تبعاً لتقاليد التوراة، ولكن هل قوة إسرائيل العسكرية وتترسها خلف ترسانتها النووية يمكن أن تقف حائلاً أمام بيعها نهائياً لأصحاب الحق والأرض وهم العرب؟ الإجابة على تلك الاشكالية تكون من خلال الحقائق والأحداث التالية:

أولاً:– يقول (ناثان فاتيستوك) الكاتب الفرنسي الصهيوني سابقاً: "إن من نصر إلى نصر تركض إسرائيل نحو خرابها" فهل بيعها أفضل أم خرابها؟.

ثانياً: يقول اليهودي (منوحين): "نحن أسوأ أعداء لأنفسنا، وإذا لم نقم بتقيم جديد لموقفنا الاخلاقي فسندمر أنفسنا"، هل بيع إسرائيل أفضل أم تدمير أنفسهم بأنفسهم أفضل ؟؟ .

ثالثاً : ويقول أحد العلمانيين الصهاينة إبان الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي: " لم أكن يوماً أؤمن بما تحتويه التوراة من افتراءات تدعم حقنا في فلسطين، ولكنني بعد قيام إسرائيل أيقنت أن نهايتنا قريبة"، فهل بيعها مطلوب أم نهايتها قادمة؟.

رابعاً : وقالت امرأة يهودية لزوجها عام 1948 بعدما أخبرها عن قيام إسرائيل: إن أخبار أحبارنا في التوراة الحقيقية تعلمنا أن قيام دولة الشتات لليهود سيكون نهايتها كأمة ودين".

خامساً :ويقول ضابط إسرائيلي لضابط فلسطيني أسير خلال حرب عام 1973: "عندما ندرك أن العرب سينتصرون؛ فسوف نستعمل القنابل الذرية، ونقضي عليهم وعلى انفسنا ... !!" فهل البيع أم تدمير الذات؟ وهذا يؤكد أن اليهود يدركون أنهم سيهزمون يوماً ما، ولكن على يد المسلمين العرب وليس العرب لساناً وشعارات .

سادساً :تذكر دائماً وسائل الإعلام الإسرائيلية المسؤولين السياسيين بمصطلح (دولة) عد ذكرهم لإسرائيل، وهذا غير مالوف في أبجديات الأدبيات السياسية، فكلمة (دولة) لها مدلول نفسي يعكس مدى إمكانية إسرائيل للتأكيد على أنها فعلاً (دولة)، وهي تشك بذلك!، فهل تبيع إسرائيل نفسها أم تسعى وراء سراب الدولة؟.

سابعاً : ثلاثة وخمسون سنة على قيام إسرائيل والكيان الصهيوني لم يهنأ بالأمن والاستقرار، فخلال هذه المدة لم تنجح إسرائيل في أن تتحول من دولة عسكرية إلى دولة مدنية مؤسسية، ولم تنعم بطعم الطمأنينة الداخلية أو الخارجية بسبب اعتمادها على سياسة الإرهاب المستمر، أي إرهاب الدولة المنظمة التي تسعى إلى توفير الأمن الداخلي، وتفشل كل مرة في ذلك، وهي لا تعلم أين يكمن أمنها واستقرارها: هل في احتلال الضفة الغربية، أم في قمع الانتفاضة، أم في الجولان، أم في سياسة التوسع حتى الفرات والنيل، أم في الانكفاء الذاتي والدعوة إلى السلام المستحيل؟.

إن حالة إسرائيل أشبه باللص الذي يدرك أنه مهما نجح في الهرب من ميزان العدل والحق؛ فإنه ملاق حتفه ولا مناص من ذلك، وهذا ينسف نظرية الجريمة المنظمة الكاملة، فمهما حاولت إسرائيل أن تقنع العالم بأنها على قيد الحياة؛ يأبى الحق إلا أن يراها في عداد الموتى، فهل تبيع إسرائيل نفسها، أم تمسي في خبر كان؟ .

ثامناً : إن (ديجول) من أخلص أصدقاء إسرائيل، ولكنه لم يخف في رسالته إلى (بن غوريون) بعد حرب 1967م أن المجتمع الإسرائيلي "عدواني ودموي، وهذه السياسية والاستراتيجية لا بد أن تندثر مع مرور الزمن ".

صدق (ديجول) في ذلك؛ فسياسة العدوانية الدموية تحولت إلى جبن وخنوع داخلي، فالانتحار أصبح سمة ظاهرة في صفوف الجيش الإسرائيلي، وخلال الانتفاضة الحالية انتحر أكثر من عشرة جنود يهود. أما مشاعر الأمهات والآباء إزاء أبنائهم؛ فأصبحت نرجسية للغاية، وتخشى إرسال أبنائها للتطوع في الجيش الإسرائيلي، وتعتبر ذلك انتحاراً مباشراً، حتى إن إحدى الأمهات قالت : "لم نعد نثق بالجيش الإسرائيلي وبالقوة الخرافية لإسرائيل كما كانت سابقاً، فكيف يمكن أن آمن على ابني في جيش مهزوز غير واثق، فهل تباع إسرائيل أم تزول؟ .

تاسعاً : قال (بيغن) ذات مرة للأمريكان: " ليس عليكم أن تلقوا علينا موعظة في الأخلاق ، وما عليكم هو أن تتذكروا ما فعلتموه في فيتنام ..." أما اليوم الشبيه بالأمس؛ فهذا القول مردود للصهاينة أنفسهم، فعليكم أن تتذكروا ما فعله الفيتناميون في أمريكيا، فلا تجمعهما قواسم قوة مشتركة، أو معادلة واحدة، وعليكم أن تتذكروا ما فعلته المقاومة الإسلامية فيكم، وبنفس المقياس الأول، وهو عدم التكافؤ بين الطرفين بتاتاً عند الأخذ بعين الاعتبار الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية والقوة التي لا تقهر سابقاً، فهل تبيع إسرائيل أم تنتظر المواجهة؟ .

عاشراً : كانت إسرائيل بعد حرب عام 1967م تعتقد أنها ستقرر مصير الأراضي المحتلة، وبذلك تلعب المواجهة الشاملة بسياسة التوازن، كما تشاء ما دامت الكرة في ملعبها، ولكن ما حدث أن الأراضي المحتلة هي التي قررت مصير إسرائيل، وجعلتها تندم يومياً على احتلالها، لماذا؟ لأن الأراضي هي سبب عدم الأمن والاستقرار الداخلي الآن، فهي انطلاقة الانتفاضة الأولى والثانية والثالثة –إن شاء الله–، والسيناريو يكرر نفسه مرة أخرى، فالانتفاضة هي التي ستقرر مصير إسرائيل، وليس العكس، الانتفاضة عرّت إسرائيل أمام نفسها، وجعلتها بعد استخدامها لكل أساليب القمع والاضطهاد عاجزة عن الدفاع عن نفسها أمام الحجر!.

وأحدث الاستفتاءات الإسرائيلية التي نشرتها صحيفة " يديعوت أحرنوت" في 25 أيار 0 2001م ، تبين أن (56%) من اليهود يطلبون من الحكومة تجميد المستوطنات والانسحاب من أراضي السلطة الفلسطينية، وإعطاء الفلسطينيين حقوقهم في الاستقلال، وهذا الاستفتاء يكشف عن نفسية اليهود التي أمست ومهزومة بسبب أطفال الحجارة، وهذا كاف للدليل على أن الانتفاضة هزمت إسرائيل وشارون معاً، وتبين أيضاً أن شعار شارون "الأمن أولاً" أصبح في آخر أولويات سياسته، حيث إن اليهود وما زالوا يطالبون بهذا إلى الآن حتى بعد مرور شهرين على توليه رئاسة الحكومة، فهل بيعها أفضل أم انهزامها بالحجارة؟.

حادي عشر: اعتقد بعض المحللين أن سياسة "اشتدي يا أزمة تنفرجي" هي سياسة شارون بعد وصوله إلى رئاسة الحكومة، ولكن ما حدث هو العكس، إذ إن اشتداد الأزمة جعل شارون يسعى إلى اشتداد الأزمة أكثر فأكثر ، ومعه تتعقد أكثر فأكثر . نعم فكلما توجه الشعب نحو اختيار الزعيم اليميني المتطرف كلما عجل بشكل أو بآخر بنهاية إسرائيل وزوالها نهائياً، فهل بيعها أفضل أم زوالها قائم؟.

يبقى القول إن سرد الأحاديث والأدلة على زوال إسرائيل وبيعها كثيرة، بيد أن هذا غيض من فيض، وإسرائيل لا تستطيع أن تبقى طويلاً على قيد الحياة؛ بل والأكثر من ذلك أنها حتى لو انسحبت من الأراضي المحتلة عام 1967م ، وسمحت للفلسطينيين بإقامة دولتهم المستقلة؛ فإنها ستواجه نفس المصير المحتوم، وهو الصراع والتناحر الداخلي, فهي لا تستطيع أن تظل دون حرب خارجية أو داخلية، فالدولة الوحيدة في العالم التي كان الاحتلال والسلم معاً خطرين عليها من الداخل والخارج على السواء هي إسرائيل فقط، وهذا ليس تخريفاً أو مزايدة على الكيان الصهيوني، وإنما واقع قائم اعترف به القاصي والداني، حتى إن كاتب إسرائيل الأول (عموس ألون) صرح بذلك بشكل غير مباشر، عندما أشار إلى أن " من يعرف نفسية هذا البلد يدرك أنه لا يعلم إلى أين يسير به القدر" وقدره لا محالة حتماً في البيع القادم –إن شاء الله–، وأعني بالبيع هنا إما الزوال أو الزوال، وليس هناك احتمال ثالث لذلك، فهل من مُشترٍ؟ .

=============

#الأسرة وتنمية ثقافة الأبناء

من أصعب ما يواجهُ المرأةَ المسلمةَ المتعلمةَ المثقفةَ، التي تتطلّع إلى تنميةِ أسرتِها وتطويرِها هو ما يتعلق بثقافة أبنائها، سواء كانوا أطفالاً أم مراهقين أم شبابًا، بنينًا أم بنات.

وكنت أعتقدُ أن المشكلة خاصة بي، عندما لاحظتُ أن أبنائي لا يقرؤون إلاّ قليلاً؛ على الرغمَ من الإلحاح المستمرّ والتوجيهِ سواء مني أو من أبيهم، الذي يشغلُه الأمر كثيراً.

ولكن بعدَ استطلاع آراء صديقاتي، وكلُّهنَّ صحفيات, أو مهندسات, أو طبيبات, أو معلمات، لاحظتُ أن هذا الهمّ مشترك ويشغلُهنَّ مثلي، وكلّهنَّ يشكينَ من انصراف أبنائِهن وبناتِهن عن القراءة، والاستعاضةِ عنها بالجرائد, والمجلات, والقنوات الفضائية، والإنترنت.

وهذه الوسائل تُقدِّم بعضَ الثقافة، وربما يُقدِّم بعضُها ثقافةً مغشوشةً, أو سطحية، أو موجَّهة لخدمةِ أغراضٍ مُعيّنة، ويبقى الكتاب هو المَعينُ الأول والأساسي الذي يجب أن يغترفَ منه الأبناءُ كما اغترفَ منه الآباء.

وما يصيبُ المرءَ من همٍّ وضيق هو أننا أثناءَ دراستِنا في مراحل التعليم المختلفة، وخاصّةً في المرحلة الجامعية، كنا نلتهمُ الكتب التهامًا، ونقرأ الشِّعرَ, والأدب، وكتب التاريخ, والثقافة, والفكر، فضلاً عن الكتب الشرعية.

وأنتج هذا الاهتمام مكتباتٍ منزلية تتفاوت في حجمِها, وأهميتِها من منزلٍ إلى آخر من منازل الجيل، الذي تربَّى في أحضان الصحوة الإسلامية المعاصرة، التي بدأت في السبعينيات من القرن الماضي، وكنا نعتقدُ أن أبناءَنا سوفَ يسيرونَ على نفسِ النهج؛ بل ويتفوّقونَ علينا، وسوف يستغلون هذا الكمّ الهائل من الكتب التي اخترناها بعنايةٍ عبرَ عشرات السنين، لكن النتيجة كانت مُخيِّبة للآمال! بعدَ أن أدار الأبناء ظهورَهم لهذا التراث الثقافي.

الهمةُ لنْ تضعُف

لكنْ على الرغمَ من هذا الفتور من جانب الأبناء؛ فإن الهمّة لنَ تضعُفَ من أجلِ توجيهِهم ثقافيًا؛ لأن القناعة متوفِّرة بأن بناءَهم الثقافي والفكري هو أفضلُ ما يمكنُ أن نوجِّهَهُم إليه.

فخبرةُ الأيام تؤكد أن المحرومَ هو من يُحرمُ من هذا الخير، لا من يُحرمُ من الطعام, أو الشراب, أو الملبس.

وقد تعرّفنا في حياتِنا العلمية على علماء, وأساتذة جامعاتٍ مرموقين, وشعراء، ومؤلفين كانوا فقراءَ في طفولتهم، لا يكادون يحقّقون قدرَ الكفاية من طعامِهم وملبسِهم؛ لكنّ الله وفقّهم إلى القراءة, والاطلاع, والثقافة؛ فأحبوا العلم ونبغوا فيه، وأصبحوا قادةً لمجتمعاتِهم.

ويحكي لي أحدُ رجالات القضاء البارزين، أن له ستةً من الأشقاء والشقيقات، وكان والدهم معلمًا بسيطًا يعيش من مرتبه الضئيل، ولا يعمل في الدروس الخصوصية، وكان يقضي حاجاتهم بالكاد، فإذا احتاج أحدُهم قميصًا قال له: مازال عندك قميصٌ يتحمّل عدّة شهور، فإذا قال: أحتاج إلى كتابٍ أعطاه أكثرَ من ثمنِ الكتاب.

وكانت النتيجة أن الأبناء جميعَهم شبّوا على حبِّ العلم, والثقافة, والتفوُّق الدراسي؛ وأصبحوا مستشارين, ووكلاء نيابة, وأطباء, وأساتذة جامعات.

وهكذا تيّقنتُ، يومًا بعدَ يومٍ، أن الأسرةَ يجبُ أن تهتمَّ بالكتاب, والثقافة، قبلَ أن تهتمَ بأيّ شيءٍ آخر.

إلاّ أن الأمر ليس مُجرّد كتبٍ يتمُّ قراءتها . فالموضوع ليس حشوًا . دونَ تمييز، وإنما يجبُ اختيار الكتاب الذي يقدِّم ثقافةً راقيةً محترمة، وأن يكونَ لكاتبٍ ثِقةٍ معروف بإتقانِه, وأمانتِه.

والكتاب الذي لا يضيفُ جديدًا لا قيمةَ له، والثقافة الجيدة تُجنِّبُ الابن خطورةَ التعرُّض لثقافةٍ خبيثة، قد تجرّه إلى الشكّ ,أو المغالاة ,والتطرُّف، أو إلى العُنفِ، والضلال، فهي توفِّرُ له عناءَ الدخولِ في متاهاتٍ، وإن كان من المُحبَّذ أن يعرفَ المُرتكزات الرئيسة فقط لمداخلِ الفكرِ السلبِّي؛ كي يُحصِّنَ نفسَه أمامَها، وحتى لا يقعَ فيها.

أهميّة الثَّقَافةِ الشَرْعِيّة

ولكلِّ ثقافةٍ خصوصيتُها، وخصوصيّة الثقافة الإسلامية التحصُّن بالعلمِ الشرعيّ، فهو الأساسُ الذي سيُقامُ عليه البناءُ بعدَ ذلك.

وكم كان يُحزنُنِي أن أجدَ نفرًا من أهل الثقافة, والصحافة المعروفين، يأتيني ليقولَ لي: إنني أريدُ أن أُضَمِّنَ هذا المقالَ بعضَ الآيات, والأحاديث، ولكنني لا أعرفُ ذلك.

وهذا نِتاجٌ طبيعيّ لمن تربَّى على الفِكر العِلماني، ولم يكنْ له حظٌّ في علمٍ شرعيٍّ يعصمُه، ويفتحُ له الآفاق.

لقد صوّر العلمانيون للناس أنّ العلومَ الشرعيّة صعبة، ولكن لو جرَّب أحدُهم أن يقرأ كتابًا مُبسّطًا, وموثوقًا في العقيدة لأتمَّهُ في يومين مثلاً, أو ثلاثة، ولجنّبَ نفسَه كثيرًا من مخاطرِ مُخالفةِ, ومصادمةِ هذه العقيدة.

ولو جاهد أحدُهم نفسَه في اقتناء بعضِ الكتب في الفقه, والتفسير, والسيرة، ووضعهم في مكتبتِه، ورجعَ إليهم عندَ الحاجة؛ لأصابَ من الخير الكثير.

غَاياتٌ أسَاسِيّة

الأسرة المسلمة المثقفة ينبغي أن توجِّه أبناءَها إلى الاهتمام بالكتب النقدية، فنحن ينبغي ألا نخافَ من النقد، فثقافتُنا قويّة، ولا يخافُ من النقد إلا الضعفاء.

النقد مطلوب؛ شريطةَ أن يكونَ صادقًا وأمينًا، ولا يسعى إلى التشكيكِ, والتثبيط؛ وإنما يسعى إلى علاجِ أوجهِ القصور.

والقراءة النقدية تُكوِّن الشخصية المُستقلّة، الشخصية المستبصِرة التي يصعُب احتواؤها.

العقلية النقدية تجيدُ التمييزَ بين الأشياء، ويصعُب غوايتُها بفكرِ العنف, والتطرّف، وكافة أشكال الفكر الضّال, والمُنحرِف.

والعقلية النقدية لا ترضى بسلبياتِ الواقع؛ وإنما تسعى إلى التغلُّب عليها وعلاجِها.

انفتاحٌ لا انْغِلاق

واجبُ الأبوين تعليمُ أبنائِهما ثقافةَ الانفتاح على الآخر، وعدم التقوقُع على الذات.

والانفتاح الثقافي يحدُث عندما يعتقدُ الإنسان أن كلّ واحدٍ من الناس عندَه جزءٌ من الحقّ؛ وبالتالي فلا بدّ من التواصل مع الجميع؛ من أجل الحصول على أفضل ما عندَهم من مناهجَ, وبرامجَ, وطُرُقِ تفكير.

ويجب الإشارة هنا إلى أن الصحوة الإسلامية في بلادِنا حينما اشتبكت مع التيارات اليسارية، أخذت منها الاهتمام بجانب العدالة الاجتماعية, وقضايا الجماهير, والعمل النقابي والطلابي، وحينما اشتبكت مع الليبراليين أخذت منهم الاهتمام بالحريات العامة.

ونحن لا نقصدُ بأن كلّ أحدٍ من الناس عندَه جزءٌ من الحقّ، أن ذلك في أمور الدين، لا، هذا أمرٌ محسومٌ عندنا؛ لكن جوانب الحقّ التي نقصدُها هي جوانب, وطرائق التعامل مع الحياة، وتطوير إدارتنا لشؤوننا، وتنميتنا لثقافتنا.

التواصُل مَعَ العَالَم

وعلى الأسرة المسلمة، وخاصّةً الأم، توجيه أبنائِها إلى التواصل مع الأدب, والفكر، والثقافة العالمية، والاطلاع على أفضل ما يُنتِجُه الغربُ, والعالم؛ بشرط ألاّ يكونَ فيه إباحيّة، وتشكيكٌ يؤثر سلباً على وجدان الأبناء.

ففي الغرب مثقفون, ومفكرون, وأدباء, ومؤرخون يتسمون بحسٍّ إنسانيٍّ راقٍ، ونحن نتعامل معهم تواصلاً مع الضمير الإنساني المشترك، الذي لديه اهتماماتٌ مشتركة؛ حتى نستطيعَ إثراءَ تجربتنا المعرفية, وتطويرِها، واكتسابَ خِبراتٍ جديدة.

فإذا استطاع الابن أو الابنة القراءة لهؤلاء بلغاتِهم الأصلية، فهذا خيرٌ؛ وإلاّ فالكتب المُترجَمَة هي الحلّ.

أدبُ الاخْتِلاف

إذا سار الأبناء على هذا النهج في تحصيل ثقافتِهم؛ فسوف يحدُثُ التنوّع لا محالة، وسينتج عنه اختلاف مع غيرِهم من الناس، وهنا ينبغي إرشادهم إلى جملةٍ من أدبِ الاختلاف.

فعليهم احترام من يخالفُهم, وعدم التسفيه من رأيه، والردّ عليه بأدب، وحصر أوجه الاتفاق أولاً, والتأكيد عليها، ثمّ تحرير مواضع النزاع, والخلاف.

فإذا استمع الطَرَف المُخالِف, وأحسن الحوار فبها ونِعمَت، وإلاّ ينتهي النقاشُ بأدب.

كما يجب أن يؤمنَ الابن, والابنة أن ما يعتقده من أفكارٍ قد يكونُ خطأ؛ ولهذا كانت مقولة فقهائِنا الذهبية هي:

"رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".

عقلانِيّةٌ ورُشْد

وصلنا الآن إلى مستوًى ثقافيّ، رفيع ينبغي أن ينتجَ عقلانيةً ورُشدًا في التفكير، والسلوك، وهذا يعني إسقاط وسائل التفكير العاطفي والقبلي، وإعلاء وسائل التفكير العِلمِي العقلاني، الذي يُحلِّلُ الموضوعَ, ويُحدِّدُ أصولَه وثوابتَه, وفروعه، ثم يُحدّدُ عِلاجَه حسب ذلك.

ونعتقدُ أن ذلك مُعينٌ على التغلُّب على مشاكلِ الواقع المختلفة، وعلى الخلافات التي تحدُث مع الناس.

ولا يُتصوّر من مثقّفٍ بهذا المستوى أن يصدُرَ منه سلوكٌ غيرُ لائقٍ؛ لأن ذلك يقدحُ في الثقافةِ كلّها.

وصدق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال: (الدين المعاملة).

ورأسُ الرُشد, والعقلانية في هذه الثقافة أنها تُحصِّنُ الأبناءَ من التطرُّف, والغلو، اللذين ينتُجان من ضحالةٍ في الثقافة، وفقرٍ في الفكر، ومعرفةِ وجهٍ واحدٍ من الحقيقة.

أما الشاب الناقد، المعتدل، عميق الثقافة، الرشيد في فكرِه، فمستحيلٌ أن يقعَ في هذه الهاويةِ السحيقة.

اندماجٌ لا عُزلَة

الأسرة المسلمة حريصةٌ على أن تعالجَ ما وقعت فيه الصحوة الإسلامية من مشكلاتِ جماعاتِ الانعزال عن الواقع؛ لذلك فهي توجّه أبناءَها إلى أنهم جزءٌ من أمتِهم، ومجتمعاتِهم؛ فالجماعة هي الأمّة كلّها وليس التنظيم الصغير، والولاء هو لهذه الأمّة كلّها.

ويجبُ أن نُعلّمَ أبناءَنا كيف يثقون في أمّتِهم ويحبونَها، ولا يتعالون عليها، وإنما يخدُمون الناسَ ويحترمونهم، ويحضرون أفراحَهم, وأحزانَهم، ويُخفّفون من متاعبِهم، ويتفاعلونَ معهم.

ومن أجلِ ذلك؛ فإن الثمرة النهائية المرجوّة من هذا الشاب المثقف الذي نُعدّه، هو أن يضعَ يدَه على عواملَ ضعفِ أمّتِه ويحلِّلها ويردّها لأسبابِها، وفي الوقت نفسه وبعدَ أن يكونَ قد قرأ زُبدةَ حضارة الغرب, وعرف نِقاطَ قوّتِها, وتميُّزِها؛ عليه أن يجعلَ من أولوياتِه اقتراح الحلول؛ لعلاج أزماتِ الأمّة التي يحبّها، والتي يتطلّع إلى نهضتِها وعزّتِها.

د / ليلى بيومى

==============

#الدستور المصري والكفاح الإخواني للإصلاح

مهنا الحبيل 1428/4/1

2007/04/18

المفارقة القوية في مضامين الوعي الحقوقي الدستوري للوطن العربي برزت في القاهرة هذه المرة؛ إذ أصبح الإخوان المسلمون طليعة النضال في مسيرة الكفاح الدستوري الذي يحقق ويوسع دائرة الحقوق واحترام الإنسان وسيادة الأمة وسلطان الشعب ورقابته على الدولة.

وعلى الرغم من أن إيمان الإسلاميين القاطع والجازم بأن كل هذه الحقوق المدنية والحياة الدستورية الكريمة هي من أولويات الفقه الدستوري الإسلامي، وبالتالي إيمانهم بمرجعية الإسلام كسلطة تشريعية مقننة لحقوق الشعب وسيادة السلطان الذي يرتضيه، وليس كأنموذج كنسي يهيمن على الحياة العامة وتبادل المصالح بين الدين وقيصر، وعدم تحقيق نص هذه المادة بوضوح في الدستور المصري لضمان إسلامية المرجع القانوني الذي يؤمن به الشعب المصري، والذي يضيف إليه بعداً أممياً واضحاً يوثق الرباط المقدس بين القيادة القومية العربية في أرض الكنانة وبين مرجعية الأمة في هويتها الحاسمة والتي تربطها بقضايا المصير من فلسطين وحتى المغرب العربي إلاّ أنهم بقوا صامدين في أرض النضال وإن لم يُستجب لمطلبهم.

إن عدم تحقيق هذه المادة لم يوقف سلسلة وقافلة الشهداء والمناضلين الذين ملأ بهم النظام المصري السجون والمعتقلات بعد أن شيع الإخوان في هدوء وصمت شهداء هذه المسيرة والتي كان آخرهم الأستاذ حسن الحيوان –رحمة الله عليه– وبعد أن

بسطوا الشارع الوطني العام برداء الشباب الإسلامي في دعم وشراكة كاملة لمسيرة الحقوقيين الدستوريين في سبيل الأمة.

عجيب أمر هؤلاء الإخوان.. كنت منذ اعتقال الدكتور عصام العريان أنوي كتابة مقال استحضر فيه روحه العظيمة وقيمته الكبيرة ومفاهيمه الإسلامية الحقوقية حين كتب عن الأستاذ سعد الدين إبراهيم بعد اعتقاله واتهامه من النظام المصري، على الرغم من تباين الأصول الفكرية والانتماءات السياسية لدى الشخصين إلاّ أن عصام أبى إلاّ أن يحلق ويعلن مبادئه كما هي دعوته في التضامن مع سعد الدين إبراهيم غير المحتاج -في الأصل- إلى هذا التضامن لما هو معروف من وضعه الدولي وعلاقاته الواسعة.

ولكن حين يُسجن العريان مجدداً لم يكن ذلك التضامن أو ردة الفعل حاضرة كعادة الفعاليات الفكرية والسياسية في التعامل مع الإسلاميين في تضحياتهم ومعاناتهم في سبيل الحق والشعب؛ فكم مُلئت بهم السجون، وكم شهدت الأرض لأجسادهم وشهدائهم، ولكن النكران الذي دائماً يرفع في وجوههم يُغطّى برعاية الطغاة الدوليين والمحليين، حتى لا تُوظّف تضحياتهم في ضمير الشعب، ومع الأسف فإن العجز الذاتي في تطوير دعوات الوعي والفكر الإسلامي وطغيان الأخلاق الحزبية والتزاماتها المعقدة فوّت على إخوان مصر أن يستثمروا تلك التضحيات والسجل الإصلاحي، وهذا حقهم المشروع ديناً وعقلاً، ولكنها لن تضيع عند الله والناس.

وكم وددت لو أن الأخ الدكتور عصام العريان قد حجب رأيه عن قضايا التيار الإسلامي في الخليج الأدْرَى بوضعه ومدى ما يُصلح له وما يطرحه مفكروه في مواجهة النفوذ الأجنبي أو تطوير الوعي الإصلاحي، ليس من باب الإقليمية ولكن من إدراكي بأن هذه القضية المعقدة في الخليج يصدق عليها قطعاً.. أهل مكة أدرى بشعابها.

إن الشعور الجمعيّ المطبق على وجدان شريحة كبيرة من الأمة بالتعاطف الفوري مع حركة الإخوان المسلمين وإيمانهم بأن الإخوان كفكر رسالي، وليس كمواقف حزبية لا يزالون يمثلون القاعدة الصلبة لهوية الأمة ونبضها، مع تطور الفكر الحقوقي لدى طليعتهم، غير أن ما يُعلن -مع الأسف الشديد- من بعض

التصريحات التي تصدر هنا وهناك تسيء لهذا الموقف، ولعل أكثرها إيلاماً وتأثيرا تصريح الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وهو فرس الرهان الشقيق للعريان لجيل البعث الإسلامي الجديد في إخوان مصر، وتأييده لتمثيل الحزب الإسلامي العراقي عبر قيادته الحالية للإخوان في قضية احتلال العراق حين قرر مبكراً المشاركة مع الاحتلال في برنامجه السياسي بعد الاحتلال في مجلس الحكم الذي أنشأه بريمر، فكان لهذا الموقف وقع الصاعقة على التيار الإسلامي في الخليج.

ولو كان د.أبو الفتوح حصيفاً، وقد كانت هناك أصوات عديدة تعلن انتماءها لمدرسة الإخوان في المقاومة العسكرية والسياسية المشرفة والعظيمة للشعب العراقي لأدرك أن الانتماء الحزبي لا يجوز أبداً أن يُطبق على قضايا الشريعة الحاسمة.

والخطورة أن تصريحات د.أبو الفتوح أعطت دلالة بأن هذه الحالة من نفوذ الاحتلال في المنطقة العربية بالإمكان أن تتعاطى معها بعض المجموعات الحزبية التي تنسب نفسها للإخوان بناء على هذا الموقف، وهو ما يهدم لدى الرأي العام الإسلامي ما قدمه د.أبو الفتوح من رصيد كان مهماً لحركة الوعي الإسلامي وانطلاقاتها التجديدية نحو الشعب والأمة.

ولو علم د.أبو الفتوح (ولا نعمم ذلك على قيادات الجماعة إنما نخصه بما صدر منه) ما فعلته وما قدمته المقاومة الإسلامية الوطنية العراقية لوقر في نفسه بأن من انتسب لهذه المقاومة هم من طليعة الشرف الأممية جمعاء، ومنهم من تربوا في مدارسهم الفكرية الإخوانية على وجه الخصوص، ولأدرك بأن المعركة التي نفذتها طلائع المقاومة وإخوانهم في المقاومة السياسية الحقيقية الممثلة في هيئة علماء المسلمين هي أبرز معركة خاضها الوطن العربي بعد فلسطين في مواجهة الامبريالية الدولية الاستعمارية والكيان الصهيوني والداعم الإقليمي المباشر لها، ونقول ذلك لا عاطفة بل واقعاً، وأن تلك المظاهرات التي سيّرها الإخوان في الشارع المصري العظيم تضامناً مع لبنان في عدوان تموز يستحق الشعب العراقي بل الأمة الممثلة بطليعتها المقاومة في العراق بمسيرات عديدة، وتضامن فعّال يمسح العرق عن أبطال العراق، وعن دموع الثكالى والأرامل على الجثث التي قُطعت في سبيل أن يكون العراق عربياً وإسلاميًا. أو ليست هذه مبادئ الإخوان المسلمين؟!

غير أن كل ذلك لا يُلغي أبداً حراك العديد من المنظمات النقابية والشعبية، والتي منها بعض كوادر الإخوان خاصة من شباب الجيل الصاعد في مدرسة الإخوان المسلمين الذي يصطفون في سبيل غوث الأمة ونجدتها، وما أن ينصرم الموسم الإغاثي حتى ينوب الأمن المصري عن الأمريكيين في مطاردة وملاحقة هؤلاء، إما لتضامن أممي شاركوا فيه أو كفاح دستوري حقوقي لأجل الشعب.

والمفارقة الأخرى هو أن من تحدث طوال حياته السياسية عن الدستور والحقوق والمساواة انتهى به الأمر في عريضة تعديل الدستور المصري إلى التحول إلى مسانده الاستبداد والالتحام معه في سبيل تهميش وتهشيم هوية الشعب المصري العظيم، والغريب أن الطائفية أصبحت فرساً تمتطيه الحركة العلمانية الاستئصالية في الوطن العربي، وعبر طريق يرصفه لها النظام الاستبدادي لكي تحارب الشعب في حريته وهويته، ويا لله كم صاحوا بنا باسم الشعب ولأجل الحقوق، وحين ادلهمت الخطوب، وقرر الشعب أن يخوض معركة الحقوق بناءً على هويته نُكّست راياته،م وأُعلن التنكيس ولكن عبر القصر وعبر واشنطن.

إنه قدر الشعب المصري أن تصفو راياته واضحة جلية لله وللوطن، وتتمحص الصفوف ليبقى فيها كل شريف وطني مخلص يهتف خلف الإخوان، ويهتف خلف عبد الوهاب المسيري مؤمناً بوعد الله:

إذا الشعب يوماً أراد الحياة *** فلا بد أن يستجيب القدر

==============

#مسلمو غانا .. بين الإرث الاستعماري والواقع المرّ

عبد الرحمن أبو عوف 1428/3/29

2007/04/17

أكد الشيخ عبد القادر السيد نباري، مدير المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية في غانا أن المسلمين في غانا رغم أنهم يشكّلون أكثر من 35% من عدد سكان البلاد، إلاّ أنهم لا يلعبون دورًا سياسياً يناسب هذا العدد الكبير، معتبرًا أن الوزن السياسي الضئيل للمسلمين من مخلفات الإرث الاستعماري الذي عمل على تكريس النفوذ السياسي للوثنيين والنصارى.

وأوضح نباري في حوار مع شبكة (الإسلام اليوم) أن مسلمي غانا يعانون من مظاهر تمييز وتهميش شديدة خصوصاً في الالتحاق بالمدارس والجامعات، فضلاً عن أن الدستور العلماني للدولة لا يجعلها تقدم دعماً مالياً للمدارس ذات الهوية الإسلامية، وهو ما يصعِّد من أزمة الأمية في أوساط المسلمين، ويجعل مستوى وزنهم في المجتمع يتراجع.

وتابع مدير المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية بالتأكيد على أن المسلمين لم يتأثروا سلبياً بشكل كبير نتيجة أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بالإضافة إلى إخفاق حملات التحريض عليهم من قبَل قوى محاربة، مشددًا على أن ذلك يعود للعلاقات الوثيقة بالنصارى والوثنيين.

وحذر الشيخ نباري من أن تجاهل الدول الإسلامية لمسلمي غانا ستكون له عواقب وخيمة على هويتهم في ظل الزحف التنصيري الرهيب الذى يهدد جميع مدن غانا، مطالباً الجمعيات الإغاثية للعودة بكثافة إلى البلاد للتصدي للزحف.

وفي السطور التالية النص الكامل للحوار مع الشيخ عبد القادر نباري.

تُعدّ مناطق القرن الإفريقي من أهم الروافد الدعوية للإسلام في القارة السمراء. فهل لك أن تعطيَنا نبذة عن طرق دخول الإسلام إلى غانا؟

دخل الإسلام غانا عام 717 هـ عبر قوافل التجار العرب الذين وفدوا إلى البلاد، وكذلك عبر تجار ميائل الهوسا والفلاتا الذين كانوا يأتون من نيجريا ومن مالي، وكان السلوك الطيب والخلق القويم والأمانة العالية للتجار المسلمين سبباً كبيرًا في اقتناع أهل غانا بالإسلام، فتعاطَوْا إيجابياً مع الدعاة المسلمين، وأقبلوا بأعداد غفيرة على الإسلام بصورة مشابهة لأقرانهم في دول الغرب الإفريقي، واستمر هذا النمو في العقود والقرون الماضية حتى تحوّل الإسلام إلى الديانة الأولى في غانا، وفي غرب إفريقية جميعاً حتى وصلت نسبة السكان المسلمين إلى 30% من عدد سكان غانا الذين يصل عدد سكانها إلى (22) مليوناً يتركزون بصورة مكثفة في شمال البلاد في مدن تمالي وكوماسي في الغرب الأعلى، وهناك وجود إسلامي كذلك في العاصمة وفي مدينة بوكر فى الشرق الأعلى.

الإرث الاستعماري

على الرغم من حديثك عن الإسلام كديانة أولى في البلاد إلاّ أن الوزن السياسي للمسلمين لا يتناسب مع هذا الأمر فماذا تقول؟

• أشاركك في هذا الطرح، فالمسلمون لا يلعبون الدور السياسي في البلاد الذي يتناسب وأعدادَهم وأعتقد أن هذا الأمر يعود إلى الإرث الاستعماري؛ إذ نجح الاستعمار الإنجليزي في تدشين خريطة سياسية في البلاد، أوْسدت الأمر إلى النصارى والوثنيين، وهو الأمر الذي مازال مستمرًا حتى الآن، على الرغم من أن المسلمين قد نجحوا في الوصول إلى مناصب سياسية رفيعة في السنوات الأخيرة ، فمثلاً نائب رئيس الدولة مسلم، ويسمى علي محمد، ووزير العمل مسلم ويطلق عليه مصطفى علي، فضلاً عن شَغل مسلمين لمناصب دبلوماسية رفيعة المستوى مثل سفير غانا في السعودية بشير عبد الرازق، ووجود عشرات من كبار ضباط الجيش في غانا يعتنقون الإسلام، ومع ذلك فإن المناصب لا تعكس الوزن النسبي للمسلمين في المجتمع، ونأمل أن تتحسن هذه الأوضاع في المستقبل.

التقارير تؤكد أن المسلمين في غانا يعانون من مظاهر تمييز عديدة، هل يتسبب هذا التمييز على أداء شعائرهم الدينية؟

بالطبع المسلمون في غانا يعانون من مظاهر تمييز واضحة، وخصوصاً الالتحاق بالكليات والجامعات وفي تخصصات معينة كالطب والهندسة، وهو إرث استعماري بغيض، فقد يُجبر المسلم على تغيير اسمه ليلتحق بهذه الكليات.

أما فيما يخص العبادات والشعائر الدينية فالدستور في غانا علماني، لا يفرق بين مسلم وآخر في أداء الشعائر، ولا يوجد أي قيود على الصلاة أو بناء المساجد أو المراكز الإسلامية، بل إن الدوله تقدم دعماً للمساجد مادامت تحظى بطابع رسمي ومسجلة لدى الحكومة.

عانت دول إفريقية كثيرة مما أُطلق عليه "الحرب على الإرهاب" كيف واجهتم هذا الأمر؟

لم تتأثر غانا بشكل كبير إزاء ما يُسمّى "الحرب على الإرهاب"، ولم يُفرض على المسلمين في البلاد قيود، وأخفقت حملات التحريض على المسلمين، وهذا يعود إلى العلاقات المتميزة؛ التي تحكم المسلمين هناك بالنصارى والوثنيين، وهو ما كان له

عامل كبير في عدم وجود تأثيرات سلبية على المسلمين في البلاد، ولا الموطنين بشكل عام.

تحدٍ كبير

يعدّ نقص الوعي الديني من المشاكل التي تقضّ مضاجع المسلمين في إفريقية هل يتكرر السيناريو في غانا؟

نعم وهذا يعود إلى حزمة من الأسباب، يأتي في مقدمتها نقص الإمكانيات المادية، وندرة وجود العلماء والدعاة القادرين على تنمية الوعي الديني لدى المسلمين، والنقص الحاد في أعداد المصاحف والمراجع التي تتحدث عن مبادئ الإسلام وعبادته، وهذا مايفرض علينا تحديات كبيرة؛ لمعالجة هذه المشكله المزمنة.

وقد نجحنا عام 1985 في إنشاء المجلس الأعلى للدعوة والبحوث الإسلامية؛ للمساهمة في إخراج كوادر قادرة على حمل لواء الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية في القارة الإفريقية وإيجاد روافد جديدة من الدعاة القادرين على تربية الأجيال الصاعدة بصورة بناءة؛ لتنشئتهم تنشئة سليمة، ليكونوا قدوة للأجيال الشابة ولهذا المعهد أفرع ثلاثة: في كوماس وتمبالي والعاصمة أكرا. وقد نجحت المعاهد الملحقة بالمجلس في إخراج أكثر من عشر دفعات متخصصة في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ولا يكتفي المجلس بذلك، بل إنه يسعى لغرس التمسك بالكتاب والسنة النبوية ومقاومة المذاهب والفرق المشبوهة والمناوئة للإسلام.

لكن هل تقف مهام المجلس وفروعه عند هذه المهام؟

بالطبع لا، فهناك دور دعوي آخر يتمثل في بناء المساجد والمراكز الإسلامية في معظم أنحاء غانا وإقامة الدورات والمعسكرات الشرعية وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، فضلاً عن كفالة الدعاة؛ لتفريغهم للعمل الدعوي.

وكما أن للمجلس دورًا اجتماعياً يتمثل في إقامة مشروعات لكفالة الأيتام، وكفالة طلبة العلم العاجزين عن دفع المصروفات، ومشاريع إفطار الصائم، والرعاية الصحية، والأضاحي، وحفر الآبار.

ولكن هل هذا الدور يكفي لتخريج كمٍ مناسب من الدعاة أم أن الأمر يحتاج إلى دعم عربي وإسلامي؟

نحن بحاجة شديدة لهذا الدعم عبر مضاعفة المنح المقدمة لطلاب غانا في الجامعات الإسلامية، فعدد المنح العشر التى نحصل عليها سنوياً ليست كافية على الإطلاق، ونطالب بمضاعفتها، خصوصاً أن الدولة لا تقدم أي دعم في هذا المجال، وهذا ما يضاعف التحدي أمامنا في ظل تنامي أعداد الجمعيات التنصرية المشبوهة التى تنتشر في طول البلاد وعرضها، ولا همّ لها إلاّ تذويب هوية مسلمي غانا، مستغلةً غياب العمل الدعوي بصورة مكثفة بالمقارنة بما كان في السابق.

الزحف التنصيري

لكن هل حقق هذا الزحف التنصيري نتائج ذات أهمية خصوصاً في أوساط المسلمين؟

لم تفلح جماعات التنصير في تحقيق نتائج مهمة على الساحة في غانا، خصوصاً في أوساط المسلمين، لدرجة أنه قد يئس الكثير من هذه المؤسسات من تحقيق نجاحات في أوساطنا، فركزت على التنصير في مناطق الوثنيين واللادينيين، خصوصاً جمعية مادرتس الكاثولوكية التى ينتشر مناصروها في جميع أنحاء البلاد، وعلى الرغم من الإمكانيات المالية الكبيرة التي تتمتع بها هذه الجماعات المشبوهة، والأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعاني منها المسلمون، وضعف الوعي الديني لديهم إلاّ أن هذه الجماعات لم تنجح في اختراق صفوف المسلمين، بل على العكس تماماً فهناك إقبال من جانب نصارى غانا على اعتناق الإسلام، بل إن أكبر قسيس فى غانا قد أعلن إسلامه في الفترة الأخيرة، في ضربة قاضية لم تستطع هذه المنظمات الإفاقة منها حتى الآن.

وماذا عن التواجد الإسلامي للتصدي لهذا الزحف التنصيري؟

الوجود الإسلامي محدود للغاية، ويقتصر على لجنة مسلمي إفريقية، وجمعية إحياء التراث الكويتية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي. وعلى الرغم من تأثر أنشطة هذه المؤسسات الخيرية بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وما أطلق عليه الحرب على الإرهاب إلاّ أن هذا الوجود قد بقي ووطد من الصلات بين المسلمين في غانا والعالم العربي، فضلاً عن تفاعل مسلمي غانا الإيجابي مع هموم الأمة عبر خروج

مظاهرات منددة بالرسوم المسيئة للرسول –صلى الله عليه وسلم– وتصريحات بندكت السادس عشر ضد رسولنا الكريم.

==============

#تقرير (راند).. معايير أمريكية للإسلام المعتدل

القاهرة/علي عليوه 1428/4/2

2007/04/19

منذُ أيام صدر تقرير 2007 لمؤسسة (راند) الأمريكية للأبحاث، وهي المؤسسة التي تتبع وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون)، وتلعب دوراً مهمًّا في اتخاذ القرار داخل هذه المؤسسة الأمريكية الهامّة، وأشرف على إعداده (أنجيل سبارا) الذي كان يعمل بوزارتي الخارجية والدفاع الأمريكية، ويقع في أكثر من مائتي صفحة، ويرسُم ملامح إستراتيجية للتعامل مع المسلمين المقيمين فيما أسماه بـ (العالم المسلم)، وليس الإسلامي، واستخدم مصطلحات ذات مدلولاتٍ جديدة مثل "المسلم المعتدل"، و"المسلم الراديكالي", و"دول الأطراف", و"دول القلب", وغيرها مستفيداً من الخبرة المخابراتية الأمريكية في التعامل مع الاتحاد السوفيتي إبّان الحرب الباردة.

الجديد في التقرير أنه وضع معايير جديدة للاعتدال والراديكالية لم تكن معتادة من قبل، وأهميته ترجع إلى أن توصيات التقارير السابقة لنفس المؤسسة هي التي طُبِّقت في العراق، وأثمرت تلك الحرب الطائفية الطاحنة بين العراقيين، ويوصي بنقل تلك الخبرة إلى البلدان العربية, والإسلامية الأخرى؛ للتسريع بعملية التقسيم والتفتيت.

الاعتدالُ في المفْهُومِ الأمريكي

ومن معايير الاعتدال التي وضعها التقرير رفض تطبيق الشريعة الإسلامية، وتبني منظومة القيم الليبرالية الأمريكية التي تقوم على الفصل بين الدين, والدولة، واعتبار العقيدة شأناً فردياً بين الإنسان وربه، ولا علاقة لها بتنظيم شؤون الحياة, ورفض العنف، وتبني منظومة حقوق الإنسان التي تعتبر الشذوذ و"تغيير الفرد لدينه" ضمن هذه الحقوق، وتمَّ وضع استبيان من أحد عشر سؤالاً؛ لتحديد الشخص المعتدل.

أما الراديكالي أو المتطرِّف فهو من يتمسَّك بتطبيق الشريعة الإسلامية، ويسعى لإقامة الدولة الإسلامية, ويتبنى الفكر السلفي, ويرفض الديمقراطية، والليبرالية

الغربية، وما يرتبط بها من منظومات حقوق الإنسان المنبثقة عن المنظور الغربي، ويرى أن من حقِّه استخدام العنف كأداةٍ للتغيير.

ويتضمَّن التقرير تفاصيل التعامل الأمريكي مع المسلمين بعد تصنيفهم، منها الوقوف إلى جانب العلمَانيين, والليبراليين, والمعتدلين (وفق المفهومِ الأمريكي للاعتدال)؛ لضرب غير المعتدلين, و دعم المعتدلين مالياً, ومعنوياً، وتصعيدهم للمناصب القيادية داخل دولهم؛ ليكونوا أنصاراً للإدارة الأمريكية في سياستها تجاه العالَمَين العربي والإسلامي.

ويشير إلى أن أحد مصادر هذا التمويل سيتمُّ من خلال الميزانيات الضخمة لإذاعتي (الحرّة), و(سوا) الأمريكيتين التي بلغت عام 2007 أكثر من (671) مليون دولار، وهناك مطالب لزيادتها بـ(50) مليون إضافية، يُستخدمُ الجزء اليسير منها؛ لتشغيل المحطتين، والباقي سيُنفقُ بشكلٍ غيرِ مُعلن؛ لدعم المعتدلين والليبراليين, والعلمانيين.

وشدَّد التقرير على ضرورة تشجيع الدعاة الجدد، الذين ينشطون خارج الإطار الرسمي على وضع رؤى إسلامية جديدة، تؤيد الليبرالية, والعلمانية بما يُنتج إسلاماً جديداً منفتحاً, ومعتدلاً، وترويج هذا النوع من الإسلام بين العامة، ونشرِه بكلِّ الطُرُق المتاحة، وتشجيع هؤلاء الليبراليين, والعلمانيين, والمسلمين "المعتدلين" على تكوينِ جمعيّةٍ عالمية للاعتدال، يكون لها فروعٌ, وروابط داخل البلدان العربية, والإسلامية.

أهم ما يلفت الانتباه في التقرير أنه ينقل معركة الإدارة الأمريكية، ضدّ العالم الإسلامي من مستوى الغزو العسكري الحالي، إلى معركة فيما بين المسلمين أنفسهم الذين يُراد لهم أن ينقسموا إلى معتدلين, ومتطرفين، وفق المفهوم الأمريكي ثُمَّ يتمُّ إشعال فتيلِ الصراع بينهم، وبذلك يتمُّ إضافة سببٍ جديدٍ للصراعات الداخلية، والاقتتال إلى جانب الأسباب العِرقية, والطائفية الموجودة بالفعل، والتي يتمُّ تغذيتها لتزداد المنطقة احتقاناً للوصول بشكلٍ أسرع لمرحلة الفوضى الخلَّاقة التي أشارت إليها كوندليزا رايس؛ لتحقيق الشرق الأوسط الجديد.

اختراق الجيوش

ويتضمَّن التقرير توصيات أخرى، منها حجب التمويل عن الجماعات الإسلامية، وتدريب كوادر عسكريّة من المنتمين لجيوش الدول الإسلامية، من المُتّصِفين

بالاعتدال على القِيم الأمريكية؛ للاستعانة بهم عند الحاجة, وتغيير المناهج الدينية في البلدان الإسلامية؛ لتكونَ أكثر ليبرالية، وتشجيع إنشاء الجماعات أو الشبكات المعتدلة لمواجهة الدعوات المتطرِّفة، حيثُ يشير التقرير إلى أن المسلمين الليبراليين والمعتدلين لا يملكون شبكات فعَّالة، كالتي أنشأها المتطرِّفون لتوفير الحماية للجماعات المعتدلة.

ويوصي بقيام الولايات المتّحدة بمساعدة المُعتدلين الذين يفتقرون إلى الموارد اللازمة لإنشاء هذه الشبكات بأنفسهم، وإيجاد مجموعات إسلامية تدعو لما يسميه البعض دين أمريكي جديد، مثل الدعوة لعدم تطبيق الحدود، و جواز إمامة المرأة للصلاة، وقبول التطبيع مع إسرائيل.

ويدعو التقرير إلى تمزيق الشبكات المتطرِّفة، ويتطلَّب ذلك معرفة نقاط الضعف التي تعاني منها، ومن ثمَّ وضع إستراتيجية تستهدف تمزيق, وتفكيك هذه الشبكات، والعمل على تمكين المسلمين المعتدلين.

دعم جهود الحكومات, والمُنظَّمات الإسلامية المُعتدلة، للتأكد من أن المساجد لا يتمّ استخدامها منابر للأفكار المتطرِّفة، ودعم الإسلام المدني، ومنح الأولوية لمساعدة جهود المنظمات العلمانية، والمنظمات الإسلامية المُعتدلة؛ للقيام بأنشطة تعليمية, وثقافية ذات طابع جماهيري، و تطوير المؤسسات الديمقراطية ومؤسسات المجتمع المدني.

===============

#الشيخ الغامدي :

فطرتنا الإسلامية لها أثر في مواجهة الحداثة

أنور العسيري 1424/3/23

2003/05/24

• التعصب والقسوة سمة الشرطة والعسكر والمحاربين.

• واجب أهل الأمر والرأي من العلماء والولاة نصح الأمة وتعزيز قواها والتعبير عن إرادتها.

• التخلف والاختلاف قرينان إذا وجد أحدهما وجد الآخر.

هموم دعوية ومفاهيم ظهرت على الساحة العالمية، تستوجب على العلماء والدعاة أن يتعاملوا معها بشيء من الجدية مع قدر من الحذر، وتوظيفها التوظيف الصحيح في الثقافة الإسلامية، من مفهوم (المنهج المادي) إلى مصطلح (العولمة) مروراً بخطر المخططات الخارجية لتمزيق العالم الإسلامي، ودور المساجد والعلماء في هذه المرحلة، وانتهاءً إلى نفق (الحداثة).

أمور سلطنا عليها الضوء في هذا الحوار مع فضيلة الشيخ الدكتور (سعيد بن ناصر الغامدي) المفكر والداعية الإسلامي، وعضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد بأبها.

تناقض المنهجيات القائمة

سؤال: يقول المفكر الاستراتيجي الأمريكي (هنتنجتون)ما نصه: "إنه طالما ظل الإسلام

وسيظل كما هو الإسلام، والغرب يظل -وهذا غير مؤكد- كما هو الغرب، فإن الصراع الأساس بين الحضارتين وأساليب كل منهما في الحياة سوف يستمر في تحديد علاقتهما في المستقبل!.

برأيكم لماذا يعلن الغرب عن تهديد الإسلام لوجوده في هذا الوقت بالذات ؟

الجواب: ما قاله (هنتنجتون) عن الصراع بين الإسلام والغرب يحمل في طياته لغة استعدائية استفزازية تحريضية، لإيقاد المحرك المعنوي للسياسات العامة الغربية، والموقظ الوجداني لاتجاهات خشي أن تصاب بالاسترخاء بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

وينطوي في الوقت ذاته على رؤية استشرافية حقيقية من جهتين:

الأولى: جهة الغرب النصراني المتحالف -في جملته- مع اليهود ضد المسلمين.

الثانية: جهة التناقض بين منهجين متعاكسين في الاتجاه.

- منهج الإسلام القائم على:

1- الإيمان برب خالق، إله له الأمر والحكم.

2- إنسان مكرَّم مشرف، واجب عليه السير على منهاج خالقه في كل شؤونه ومناشطه وعلاقاته وتصرفاته.

3- كَون مخلوق مسخَّر للإنسان، يعبد الله كما يعبده الإنسان ويؤاخيه الإنسان ويحبه ويرتاده؛ للاستفادة من سنن التسخير الكونية فيه.

- منهج الغرب القائم على أصل مادي وإنكار إلحادي يتمثل في:

1- جحد وجود الرب كلِّية، أو جحد علاقته بالإنسان والكون، أو أنسنة الإله كما يزعم بعضهم.

2- تأليه الإنسان وادعاء قدرته المطلقة على الاستغناء عن رب خالق وإله متصرف، والزعم أن الإنسان قتل الله –حسب تعبير (نيتشه) الذي أصبح شعاراً للعلمانية الليبرالية– تعالى الله عما يقولون.

3- ادِّعاء التطور المطلق والصيرورة الدائمة، بناءً على مادية الكون والإنسان.

مواجهة أهداف مخططات التقسيم

سؤال: يتحدث الكثير من المحللين عن مشاريع لتقسيم المنطقة، ومحاولة بعثرة قيمها؛ لإفراز أجيال جديدة تؤمن بقيم الغرب وإسرائيل –التي هي نواته في المنطقة– كقيم عالمية مشتركة.

من هو المستهدف بنظركم في هذه المشاريع: الإنسان المسلم بكل تاريخه وحضارته، أم النقط والثروة ؟

الجواب: المستهدف من هذه المشاريع وغيرها مما لم يعلن، إضعاف المسلمين وتشتيتهم وإبقائهم في دائرة العجز والضعف والهوان والتبعية.

وإبعادهم عن أي مجال للقوة المعنوية أو المادية، وإزالة مقومات النهضة والاتحاد والقوة، هذه هي الأهداف الكبرى، وتأتي أوجه تنفيذها من خلال الغزو المسلح، أو السيطرة السياسية أو الهيمنة الاقتصادية، أو إشعال الفتن بين المسلمين أو استغلال نقاط ضعفهم.

نعم في بلدان المسلمين من هو أداة لتمرير هذه المقاصد وتسويق هذه المطالب وترويج هذه المشروعات الاستكبارية، ويتمثل هذا في وكلاء التوزيع الغربي من العلمانيين الفكريين والإداريين.

وفي أبناء الإسلام من يقاوم هذه الخطط ويقيم البديل الأصيل، ويكشف زيف وخطورة وكلاء الغرب ومخططاتهم 0

سؤال: مع توغل الأزمات في جسد الأمة، وتدافع العدو لمحاصرتنا... برأيكم ما المطلوب من الجميع اليوم ونحن على قارب واحد، وسفن العدو تبحر إلينا بقوة مذهلة ؟!.

الجواب: الواجب أن يقوم أهل الأمر والرأي –من العلماء والولاة– بواجبهم في نصح الأمة وتعزيز قواها والتعبير عن إرادتها، والاهتمام بعزتها ومكانتها وائتلافها ووحدتها. كما أن الواجب على الشباب أن يستبصروا وينيروا عقولهم بالعلم النافع والتجربة المؤكدة، ويتحركوا وفق معايير الشرع والعقل والبرهان والمصلحة، وليس بمجرد العاطفة الصادقة، بل عليهم –في حال النوازل والفتن– أن يضبطوا عواطفهم بالعقل الصحيح المستند على الدين المنزَّل، كما يجب على المتعقلين من المسلمين أن يتيحوا مجالا لعواطفهم الإيمانية الصادقة؛ حتى لا يتحولوا إلى مجرد منظرين، أو فلاسفة يتعاملون مع أسخن القضايا ببرود عقلي وشتاء ذهني، ويجب على الطائفتين احترام الأخرى، وإعذارها وتلمس جوانب الخير فيها والبناء عليه، والبعد عن التركيز على العيوب والنواقص وأسباب الافتراق والاختلاف.

توظيف (العولمة) .. ومواجهة الحداثة

سؤال: مع سطوع نجم العولمة انقسم المسلمون في النظرة تجاهها، فهل بالإمكان استغلال العولمة لإنضاج معرفتنا كمسلين، أم أن العولمة كائن مفترس لا يمكن مواجهته أو التعامل معه بأي طريقة كانت ؟!.

الجواب: العولمة لها –من حيث الجملة– جانبان:

الجانب الأول: فكري اعتقادي أخلاقي سلوكي، منهجي، ضمن إطار سياسي استعبادي استغلالي يقوم على فلسفة (افترس غيرك قبل أن يفترسك)، وعلى مبدأ (إسقاط الخصوصيات) الثقافية والأخلاقية والحضارية، وهذا يجب الحذر منه والتحرز من مخاطره وأمراضه، ومقدماته وتوابعه.

الجانب الثاني: تقني إداري مهاري معلوماتي، وهذا يمكن الاستفادة منه، وإسالة خبراته إلى أودية المسلمين.

ويجب التفريق بين هذين الأمرين تفريق يقوم على معطيات واقعية، وتحركات عملية وتصرفات ميدانية، وتنظيرات معلنة، وخطط مبرمجة، تفريق يعطي كل عاقل – ينتمي لأمته– القدرة على الفصل الحقيقي بين أهواء العصر ومقتضياته.

سؤال: الوقوف بوجه الحداثة كان أحد أهم سمات عملكم،هل يعتقد فضيلة الشيخ أن المجتمعات الإسلامية قد نجحت بوعيها الفطري بحقيقة الإسلام من تضييق الخناق على مثل هذه الأفكار الدخيلة؟

الجواب: لقد كان لرصيد الفطرة في قلوب المسلمين من الأثر ما جعل شبهات الحداثة والعلمنة تعيش في دوائر محدودة، كما كان لوقوف علماء الأمة ودعاتها ومثقفيها وأدبائها ما جعل زيف هذه المستوردات ينكشف بشكل كبير، ولكن هناك من أسباب بقاء هذه (الفيروسات) الفكرية ما نخشى معه انتشار هذه المذاهب الهدامة، واختطافها لبعض أبناء وبنات المسلمين، ومن هذه الأسباب:

1- الجهل بدين الله تعالى.

2- ظلم النفس بالمعاصي والذنوب والآثام.

3- الآلة الإعلامية الضخمة التي تشهر هذه الأمراض وتنشرها ،وتدعو إليها،وتزين أحوال المرضى الفكريين وتحسن من صورتهم.

4- الإحباطات والهزائم.

5- مواقف بعض الدعاة والعلماء والمتدينين التي قد توحي بالتخلف والجمود.

6- ضعف وسائل العرض المشوقة للدين وأحكامه، وآدابه، وضوابطه، ومعاييره،وثقافته.

7- الزهد المذموم في المشاركات الإعلامية،من قبل بعض الدعاة وطلاب العلم، والمثقفين.

8- التقليدية في عرض الأفكار ومناقشة الآراء ،وطرح النتاج الأدبي والثقافي.

حدود الاجتهاد

سؤال: هل فقدت الأمة– بعلمائها وعامتها في مرحلتها التاريخية هذه– الوعي اللازم الذي ينبغي استلهامه لفهم واقعها، ومن ثم القبول بالآخر المسلم؟ وكيف لعقل المسلم

أن يتجاوز إشكالية الاختلاف مع المسلم؛ ليفتح أبوابه لإخوانه في كل مكان، ووفق كل اجتهاد مقبول؟!

الجواب: التخلف والاختلاف قرينان، إذا وجد أحدهما وجد الآخر، والبغي بالعلم أمر حذر الله منه، وبين أنه من أسباب فساد الأمم قبلنا (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة:213)

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (آل عمران:19)

والتعصب والقسوة سمة الشرطة والعسكر والمحاربين، في حين أن اللين واللطف والرفق سمة الدعاة والمصلحين.

كما أن من أظهر صفات الأنبياء عليهم السلام الحب للناس والتسامح معهم والتلطف بهم، وقد قيل في التعصب (العصبي عنيد أو غبي).

أما أن كل اجتهاد مقبول فليس هذا على إطلاقه، فهناك اجتهاد مقبول وله شروط ولأصحابه مواصفات، وهناك اجتهاد مردود وباطل، والمطلوب هنا تعلم الطرق التي نستطيع فيها التناصح لا التفاضح، والمجادلة بالتي هي أحسن لا المعاركة بالتي هي أخشن.

وفي التصنيف الظالم والحكم الجائر خدمة للشر وأهله، وتشتيت لقوة أهل الإيمان المعنوية ، وتفتيت لروح التساند الواجب ، وخدمة لأعداء الأمة بإفناء قوة التلاحم المعنوية وأحاسيس الجسد الواحد، وجلب أسباب الهزيمة قال الله تعالى)وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال:46)

الثقافة ودور المثقفين

سؤال: للحضارة الإسلامية أوجه إبداع مازالت تشكل نواة لانطلاق الحضارة الحديثة ؛ إلا أن المفكر يتعجب وهو يرى هذا التاريخ المشرق في كل قيم العدل والخير

والإيمان إزاء ضآلة التجربة الفكرية السياسية وعدم نموها. الأمر الذي شكل في عصرنا الحاضر مفتاحاً أساسياً لغزو الفكر الغربي، فمن المسؤول عن تقزيم العلاقة المهمة والتاريخية بين الإنسان الراعي والإنسان الرعية في كنف الدولة الإسلامية على مر التاريخ والعصور المتتالية؟

الجواب: ليس الأمر على إطلاقه بهذه الطريقة، بل كان في الأمة في مدارج تاريخها الطويل إضاءات خيرة من التجارب المتميزة والنادرة في التاريخ في العلاقة بين الراعي والرعية، والتي كانت في سياقها التاريخي – آنذاك – من أندر النوادر ومن أغرب الغرائب حيث كان التعاون والتفاهم والتناصح؛ بل والمطالبة القوية بالإصلاح، بل وعزل الحاكم الفاسد، والعصيان المدني ضده، بل بيع بعض الحكام في السوق، وهناك من المناؤة لظلم الظالمين وفساد الفاسدين واستبداد المستبدين ما لم يوجد في أي أمة أو حضارة مقاربة زمنياً لأهل الإسلام، نعم لم تكن الأمور بالشكل الأمثل ولا بالطريقة الأجود،ولا وفق السنن الصافي الذي كان في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ولكننا لم نكن فقراء معوزين في هذا الجانب كما يحلو لكارهي التاريخ الإسلامي ومبغضي تحكيم شريعة الإسلام من العلمانيين والمتلوثين بكتبهم وأفكارهم، أما على من تقع المسؤولية فهي تقع أولاً على الحكام الجائرين، ثم على العلماء الساكتين، ثم على جماهير المسلمين الخائفين.

سؤال:ما الذي افقد المثقف رغبته في الاضطلاع بدوره الحقيقي في إعادة صياغة المجتمع الإسلامي وقيادته بالشكل الذي يتوافق مع عقيدته وقيمه وتاريخه؟

الجواب: ليس كل المثقفين افتقدوا الرغبة في الاضطلاع بدور حقيقي في إعادة صياغة المجتمع؛ بل هناك سعي حثيث من مثقفي المعسكرين الأساسين في بلاد المسلمين:

1- معسكر دعاة الإسلام وعلمائه ومصلحيه ومثقفيه.

2- معسكر دعاة العلمانية.

كل يسعى للتأثير في المجتمع وقيادته وتوجيهه، والمعارك العاصفة بين الفئتين ما زالت متأججة، بيد أن أهل الدعوة ورواد الصحوة لديهم من مقومات القوة وخصائص النصر والتمكين ما ليس لدى غيرهم من أصحاب الأفكار المستوردة.

ولاشك أن هناك من أهل الإسلام من :

1-أصابه العجز وأثقله الكسل.

2- من أرخاه الإحباط، فلحق بتكايا التواني واستسلم لخدر الأماني.

3-وبعضهم يطلب التغيير بالانفعال والتبديل العاجل ،وينسى أن لله سنناً في الأنفس والمجتمعات ، فيشتعل فجأة ثم يخبو فجأة ،ويعتقد أن التغيير والإصلاح لا يتم إلا بالقوة الجسدية0

4- وهناك من تحول إلى تقويض المنهج وهدم المسلك ، واقتناص العيوب والثغرات، والفرح بالعيوب والعثرات، و الله المستعان.

دور المسجد .. وأسس الدعوة

سؤال: بينما تعصف الأزمات بالأمة من كل حدب وصوب؛ يتساءل كثير من الصالحين عن دور المسجد في كل هذه الأحداث، هل فقد مركزه القائد نتيجة ظهور بدائل أخرى للتعبير، أم أن ظروف التعتيم فرضت غيابه في هذا الوقت الحرج للأمة ؟

الجواب: سيبقى المسجد موئل سكينة، ومقام طمأنينة، وحصن إيمان، ومنبع إيقان.

أما الدور الكبير الذي يؤمل، والمنزلة الرفيعة التي كان عليها؛ فهذا أمر مطلوب ومقصد مرغوب. والدعاة والعلماء يقومون بجهود مشكورة في إعادة بعض أدوار المسجد، من: دروس تعليمية، وفتاوى، ونصائح، وجمع تبرعات، ومساعدة محتاجين، وصلح بين المسلمين، وغير ذلك من أوجه الخير المتنامي والحمد لله، وما زال الدرب والمدى واسعاً، والآمال عريضة، وكل آت قريب.

سؤال: أخيراً، كيف تلخص للدعاة الشباب الأسس الرئيسة التي يجب أن يلتزموا بها في طريقهم الشاق في الدعوة إلى الله؟

الجواب: يتم ذلك في تقديري عبر عناصر الخط التربوي المتكامل الموزون ، المستدرك للنقص في الواقع المعاصر، وهي:

1 - تثبيت العقيدة الصحيحة.

2 - الحرص على الصلاة بمعانيها الحقيقية الباطنة والظاهرة ، وسائر الفرائض .

3 - الالتزام بمعنى العبودية الشامل.

4 – الاتباع في أمر الدين بلا ابتداع، والابتكار والابتداع في أمور الدنيا المباحة، فإن من مصائب المسلمين ابتداعهم في الدين ، والبدعة في الدين ضلالة ، و جمودهم في أمور الدنيا ، والجمود فيها جهالة.

5 – الالتزام بأدب الأخوة الإسلامية،وأحاسيس الجسد الواحد .

6 – الفرح بالبذل والتعب اليومي، في أي سبيل مشروع، يحقق للأمة نهضتها وعزها .

7 – التعلم الذي يولد العمل .

8 – الشوق إلى الجهاد، والاستشهاد من دون تهور .

9 – الانضباط بالطاعة .

10 – التقلل من الدنيا، وطلب الخفة .

11 – ترقب الموت، ونسيان الأمل الدنيوي .

12 – حب الله في رجاء يضبطه خوف .

13 – مفاصلة الذين كفروا والذين نافقوا وبغضهم ومعاداتهم .

14 – الصبر على المحن والطاعات، والصبر عن المعاصي ، والصبر على طول الطريق وعنائه .

15 – الفقه في دين الله، والعلم بالواقع .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

============

#ماذا بعد تشريع الاحتلال في العراق

ياسر الزعاترة 1424/3/27

2003/05/28

– الغياب المدوي للدولة في حياة الناس، هي أول ملاحظات أي زائر إلى بغداد، ما يحيل البلاد إلى ساحة من الفوضى.

– (بول بريمر) بعد (جي غارنر) لم يقدم شيئاً حتى الآن، والعراقيون ينتظرون تنفيذ قرار إعادة الإعمال.

تقول القراءة الأولى لقرار مجلس الأمن الدولي (رقم 1483): إن الانتصار الأمريكي السهل والمدوي في العراق قد فرض على أركان التحالف المناهض للحرب أن ينحنوا على ركبهم راكعين أمام السيد الأمريكي، على أمل أن ينسى ما اقترفوه بحقه، فيما هو ماضٍ في عنجهيته، ومعلن أنهم بموافقتهم على القرار إنما يضعون نقطة بيضاء في صفحتهم السوداء ليس إلا، وهو ما تترجمه تلك المواقف التي يرددها كل من (باول) و(كوندوليزا رايس) حول الفرنسيين والألمان، فضلاً عن استجداءات الرئيس الروسي (بوتين).

تلك هي الصورة الأولى للمشهد، فيما يمكن أن يقال الكثير حول مسلسل الضغوط والتهديدات، ومعها بعض الوعود التي تلقتها تلك العواصم قبل مجيئها إلى مجلس الأمن، معلنة الموافقة على قرار يشرِّع احتلالاً لم يكن شرعياً، بل إن شعاره حول أسلحة الدمار الشامل لا يزال سخيفاً، بدليل أن شيئاً من تلك الأسلحة لم يكتشف بعد !.

ثمة قراءة أخرى للقرار المذكور لا تنفي كل ما قيل عن أن سطوة أمريكية أكبر على المشهد الدولي قد تبلورت إثر احتلال العراق، ومن ثم تشريع احتلاله ووضعه تحت الوصاية الأمريكية البريطانية، وتتعلق تلك القراءة بالجانب العراقي الداخلي.

الزائر لبغداد يلحظ أول ما يلحظ ذلك الغياب المدوي للدولة في حياة الناس، ما يحيل البلاد إلى ساحة من الفوضى. وغياب الدولة هنا هو غياب لكل تفاصيلها، حتى أن مولوداً جديداً لم يسجل منذ أكثر من شهرين، وكذلك شأن الأموات، إضافة إلى عمليات القتل اليومي والتصفيات، فضلاً عن غياب الخدمات الأساسية.

بعد هذه الأسابيع الطويلة بدأ العراقيون يستفيقون بالتدريج من الكابوس، (كابوس صدام حسين)، وحين يلتفتون حولهم لا يجدون غير القوات الأمريكية، فيما لا يعثرون على شيء يسير إلى الأمام، وهو وضع دفعهم إلى تحويل سخطهم إلى الاحتلال الذي يتهمونه بتعمد إذلالهم؛ كي يقبلوا بأي شيء، سواء كان احتلالاً ووصاية مباشرة ، أم حكومة دمية لا تمثل سوى نفسها على طريقة (كرزاي) في كابول.

(بول بريمر) بعد (جي غارنر) لم يقدم شيئاً حتى الآن، والحال أن قرار مجلس الأمن الدولي الجديد ربما أطلق عمليات إعادة الإعمار على نحو مختلف خلال الأسابيع والشهور القادمة، وهو ما ينتظره العراقيون.

العراقيون الآن لم يعودوا في انتظار الحكومة المؤقتة أو الانتقالية، بل أصبحوا في انتظار حكم الاحتلال المباشر على الأرض تحت أي لافتة كانت، ومعه قيام ذلك الاحتلال بمسؤولياته تجاه حياة السكان العراقيين، كما تنص على ذلك اتفاقية جنيف الرابعة.

نعم، العراقيون في حاجة إلى الحد الأدنى من حضور الدولة، حتى لو كانت تحت قيادة الاحتلال، وبعد ذلك سيكون لهم موقف آخر.

هنا يتبدى الوجه الآخر لقرار مجلس الأمن، وإذا كان من الصعب القول: إن الدول المناهضة للحرب قد وافقت على القرار لتسريع تداعياته الداخلية عراقياً، فإن من الصعب –بالمقابل– نفي ذلك، ويتمثل الوجه المشار إليه في تأثير القرار على نمط تعاطي القوى الحية في الشارع العراقي مع قوات الاحتلال. فخلال الأسابيع الماضية كان ثمة قدر من حسن الظن يمكن العثور عليه في ثنايا تصريحات قادة المعارضة الخارجية والداخلية، إضافة إلى انتظار الحكومة الانتقالية وطريقة التمثيل فيها، أما الآن فقد تحوَّل الانتظار نحو عودة شيء من الحياة إلى طبيعتها، سواء لجهة الأمن، أم لجهة الخدمات الأساسية.

لمعرفة تداعيات القرار أكثر، لا بد من النظر في طبيعة القوى السياسية الفاعلة على الساحة، ذلك أن القادمين من الخارج هم الأقل تمثيلاً للناس، باستثناء حالة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بقيادة الحكيم، والحال أن المجلس لا يمثل غالبية الشيعة، إذ إن مجموعة (مقتدى الصدر وحزب الدعوة) تبدو أكثر قوة وشبابية، مع اقتراب في مستوى التمثيل بين الطرفين، وقد يكون بالإمكان القول: إن مجموعة الصدر تماثل حزب الله في الحالة اللبنانية، فيما تمثل مجموعة الحكيم حركة أمل. وإذا كان خطاب المجلس رخواً إلى حد ما في تعامله مع الولايات المتحدة، فإن الطرف الآخر لا يبدو كذلك، حيث تنهض بين كلماته وبياناته قصة المقاومة كخيار لا بد منه في نهاية المطاف لدحر الاحتلال، اقتداءً بتجربة حزب الله في الجنوب اللبناني.

يحدث ذلك على صعيد السنة أيضاً، فالإخوان الذين خرجوا بلافتة الحزب الإسلامي لم يقيموا أي علاقة مع الأمريكان، وهم كانوا خارج هيئة المعارضة السباعية التي حظي فيها (العرب السنَّة) بمقعد لرجل مستقل هو نصير الجادرجي، أما الشيعة فكان لهم مقعد باسم المجلس، وآخر لحزب الدعوة، وثالث لأحمد الجلبي (كعلماني)، فيما للأكراد مقعدان (البرزاني والطلباني) ولحركة الوفاق (سنية علمانية) مقعد.

الإسلاميون السنة بذلك لم يكن لهم وجود في دوائر المعارضة الخارجية، وهم لم يسعوا إلى ذلك قبل الاحتلال، ولم يعرض عليهم بعده، ولو عرض لما كان بإمكانهم قبوله؛ لأن قواعدهم وكذلك مرجعياتهم لا ترضى بالعمل تحت لافتة الأمريكان ابتداءً، فكيف حين يعلنون أنهم محتلون؟!

الآن يمكن القول: إن القوى الإسلامية (سنَّة وشيعة) قد غدت في وضع حرج، فمصداقيتها تحتم عليها رفض تشريع الاحتلال، وقواعدها تريد ذلك، فإلى أين تمضي، وهل لها مسار آخر غير المقاومة ؟.

الأكيد هو أن قرار مجلس الأمن الدولي قد قطع الطريق على محسني الظن بالاحتلال من لدن الإسلاميين في أوساط السنة والشيعة. وإذا كان أحمد الجلبي قد انتقد القرار، وكذلك (الباجه جي) وبعدهم (الحكيم) فإن الآخرين سيكون لهم ما هو أكثر من الانتقاد، وإن جرى انتظار التوقيت الأفضل، ولكن على قاعدة الإعداد للمقاومة، وليس على قاعدة انتظار عطف المحتلين وعقلانيتهم وحكمتهم

==============

#المسلمون الهنود والتطرف الهندوسي

أحمد أبو زيد 1424/4/2

2003/06/02

المسلمون في الهند مأساة أخرى من المآسي التي تحياها الأقليات المسلمة في العديد من دول العالم، فرغم أن نسبتهم 14% من عدد السكان، إلا أن تمثيلهم في مؤسسات الدولة لا يتعدى 3%، وهم يفتقدون القيادة الموحدة لمواجهة التطرف والتعصب الهندوسي الذي يتبنى أيدلوجية العداء للإسلام، ويسعى لمحو الوجود

الإسلامي واستئصاله من الهند، حتى إن هدم المساجد والاعتداء عليها ومحاولة تدنيسها مسلسل مستمر في أنحاء الهند المختلفة، والمتطرفون الهندوس بعد أن هدموا المسجد البابري يخططون لهدم العديد من المساجد العتيقة، بزعم أنها بُنيت على أنقاض معابدهم. وقد استغلت الهند الحملة العالمية ضد الإرهاب، وأصدرت قانوناً جديداً يصادر حريات المسلمين وحقوقهم المشروعة.

والمسلمون الهنود يعتبرون أكبر أقلية إسلامية في العالم، وثاني أكبر تجمع إسلامي على وجه الأرض، وقد كانوا يمثلون ربع السكان في شبه القارة الهندية قبل الاستقلال وتقسيمها إلى دولتي الهند وباكستان، وقصة وصول الإسلام إلى الهند، ومعاناة المسلمين هناك قصة طويلة، وتاريخهم مع المعاناة ممتد في ظل حكام لا يعرفون إلا لغة التعصُّب، سواء كانوا من المحتلين البريطانيين أو من الهندوس.

دخول الإسلام الهند

وقد وصل الإسلام إلى الهند على يد (محمد بن القاسم) أثناء الفتوحات المعروفة في التاريخ الإسلامي بفتوحات السند أيام عهد الدولة الأموية، وعلى مدى قرون طويلة ظل المسلمون في شبه القارة الهندية أمة واحدة، ومع نهاية الاحتلال البريطاني – الذي استمر حوالي مائتي عام– انقسمت الهند عام 1947م إلى دولتين إحداهما هندوسية هي الهند، والثانية مسلمة هي باكستان –التي كانت تضم آنذاك بنغلاديش–، ونتيجة لذلك التقسيم ظهرت على مسرح الأحداث السياسية مشكلة إقليم (جامو وكشمير) المتنازع عليه بين الهند وباكستان.

والهند مجتمع متعدد الأعراق واللغات، وتبلغ مساحة أراضيها

(3,166,414) كم مربع، ويعيش فيها أكثر من مليار نسمة يمثلون سدس سكان العالم، وهي بذلك تعد ثاني أكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان بعد الصين، وتبلغ نسبة المسلمين فيها 14% من مجموع السكان، أي حوالي 141,960,431 نسمة، وهناك تضارب حول تعداد مسلمي الهند، فطبقاً لإحصاء الحكومة الهندية عام 1991م، فإن عدد المسلمين يبلغ 96.65 مليون نسمة، غير أن تقديرات مسلمي الهند لأنفسهم تتراوح بين 150 و200 مليون نسمة، يعيش أكثر من نصفهم في ثلاث ولايات شمالية هي (أوتربرادش) وولاية (بهار) وولاية (البنجال الغربية)، وطبقاً

لذات الإحصاء فإنهم يمثلون الأغلبية في 15 مديرية، والغالبية في منطقتي (جامو)، و(كشمير) ، ويعمل في قطاع الزراعة منهم قرابة 70% والباقون موزعون على قطاعات الخدمات والتجارة والصناعة.

وينقسم مسلمو الهند إلى قسمين هما: مسلمو الشمال ، ويتبعون المذهب الحنفي، ويتكلمون اللغة الأردية والبنغالية، ومسلمو الجنوب، ويتبعون المذهب الشافعي ويتحدثون اللغة التامولية، إضافة إلى وجود مسلمين شيعة في بعض الولايات، وبالأخص في حيدر آباد.

ورغم كبر حجم الأقلية المسلمة في الهند (14%)، فإن نسبة تمثيلهم في مؤسسات الدولة لا تتعدى 3%، وحسب بعض التقارير الرسمية فإن الأرقام تشير إلى أن تمثيل المسلمين في الوظائف الرسمية يتضاءل باستمرار، على سبيل المثال: فإن نسبة المسلمين السكانية الرسمية حوالي 15%، في حين أن نسبتهم في وظائف الخدمة الإدارية –حسب إحصاء عام 1981م – كان 3% وفي الشرطة 2.9%، وأن نسبتهم في وظائف حكومات الولايات والحكومة المركزية يتراوح 4.4% و6%، أما ولاية (أوتربرادش) فإن نسبتهم في شرطة الولاية كان 40% عام 1947م أي قبيل الاستقلال. أما الآن –وحسب إحصاء 1996م– فإنها 2% فقط.

مجتمع مغلق

وكأي أقلية في العالم بدأ مسلمو الهند في تنظيم شئون مجتمعهم الخاص –الذي حرصوا أن يكون مغلقا قدر استطاعتهم – وأنشأوا لهذا الغرض عدة جمعيات تهتم بشؤون هذه الأقلية، أهمها هو مجلس المشاورة الذي يتولى بحث القضايا التي تتعلق بهم وعلاقتهم بالمجتمع الهندي، وحل المشاكل الداخلية بينهم، ثم هناك الجماعة الإسلامية الهندية، وهي جماعة تقوم بدور دعوي وتثقيفي ونضالي لتثبيت أقدام الوجود الإسلامي في الهند، ثم جمعية علماء الهند التي ترعى شئون العلماء، وهناك أيضاً الجمعية التعليمية الإسلامية لعموم الهند، وهي ترعى شئون المدارس الإسلامية.

كما يوجد لدى الأقلية المسلمة في الهند جامعات لتدريس العلوم الإسلامية وأخرى للعلوم المدنية، ومن أهمها: جامعة (ديوبند)، وندوة العلماء في (لكنهو) التي خرجت

عدداً كبيراً من كبار العلماء أمثال الشيخ أبي الحسن الندوي، وجامعة مظاهر العلوم، ومدرسة الإصلاح، والكلية الإسلامية في فانيا آبادي، والجامعة العثمانية في حيدر آباد، والجامعة الملية في دلهي. أما التعليم الأولي فيهتم بشؤونه مدارس ومكاتب منتشرة في أماكن وجود تلك الأقلية، وتعاني أغلبها من كثافة الفصول وقلة الكوادر المتخصصة.

أغلبية فقيرة

وغالبية المسلمين في الهند هم عمال فقراء، أو فلاحون، أو حرفيون، وهم لا يتجهون إلى التجارة والصناعة؛ نتيجة عدم حصولهم على قروض من البنوك، وهيئات التمويل الرسمية، ومنع السلطات قيام مؤسسات مالية غير ربوية. فالأكثرية الساحقة من المسلمين هم من الفقراء، ولكن هناك فئة محدودة من المسلمين المثقفين ظهرت خلال الأربعين سنة الأخيرة، وبعد أن هاجرت النخبة المسلمة المثقفة من البلاد إلى باكستان عقب التقسيم.

والمسلمون في الهند لا ينفتحون على النظام الجديد، ولا يقبلون بأي جديد، خصوصاً إذا كان مصدره الغرب ، والثقافة الغربية ليست شائعة بينهم، والمؤسسات الثقافية التي يديرها المسلمون هي بحالة مزرية، ولذلك فإن الطبقة المتوسطة التي ظهرت بين المسلمين لجأت إلى المؤسسات الهندوسية الدينية، حيث يمكن أن يجدوا مطلبهم من الثقافة الحديثة، والعلوم، والتكنولوجيا، والهندسة.

فقدان القيادة الموحدة

والقضية الرئيسة بالنسبة للمسلمين في الهند هي فقدان القيادة، فليست لهم قيادة واحدة وموحدة، هذه أكبر قضية منذ بداية عهد الاستقلال، لأنه قبل الاستقلال كانت لهم منظمات وأحزاب وحركات وشخصيات، ولكن بعد التقسيم وظهور باكستان، وهجرة النخبة من الهند إلى باكستان خلت هذه البلاد، ثم لسبب أو لآخر قرر بعض الوجهاء المسلمين هناك حل التنظيمات السياسية.

والعوامل الداخلية والخارجية جعلتهم في حال دفاع مستمر عن أنفسهم، ليظلوا دوماً طائفة فقيرة وأمية ومجهدة لا تقوى على الإبداع، فضلاً عن تغيير واقعها، فماذا يمكن أن يكون مستقبل المسلمين في ظل هذا الواقع الأليم الذي يعيشون فيه، وفي ظل

تنامي التيار الهندوسي المتطرف، هذا التيار الذي يتبني أيدلوجية العداء للإسلام كمصدر مزعوم للإرهاب المعتقد ؟!.

لقد ذهب وفد من هذه الحركة المتطرفة إلى إسبانيا لدراسة كيف تم استئصال المسلمين من ديار الأندلس، وتقوم أدبياتها على اعتبار أن المسلمين في الهند هم المسؤولون عن كل مشاكلها، وأن عليهم الرحيل عن البلاد، وأن للمسلم فقط مكانين إما باكستان أو القبر، وعلى هذا الأساس تواصل حملتها المتشددة تجاه المسلمين، واستطاعت هذه الحركة أن تستجلب الدعم المادي من الجاليات الهندية في الخارج .

مشكلات المسلمين

وإذا نظرنا إلى المشكلات التي تواجه مسلمي الهند، نجدها تتمثل في الآتي :

1. النزاعات التي تتكرر دائما بين الهندوس والمسلمين، والتي كان من أعنفها أحداث عام 1984 التي أسفرت عن مجازر راح ضحيتها آلاف المسلمين، وأحداث هدم المسجد البابري في 6 ديسمبر 1992م، حيث وقعت اشتباكات بين المسلمين وأعضاء حزب شيوسينا الهندوسي المتعصب، سقط فيها الآلاف من الجانبين.

2. الهوية الثقافية التي تشعر تلك الأقلية أنها مهددة بالذوبان في المجتمع الهندي الذي يغلب عليه الطابع الهندوسي، ويقول المسلمون الهنود: إن الحكومة تحاول تكريس هذا الطابع في المؤسسات التعليمية والثقافية والإعلامية، لذا فقد بذلوا جهوداً كبيرة –خاصة في بناء المؤسسات التعليمية – من أجل الحفاظ على هويتهم الإسلامية، إلا أن ثمار هذه الجهود لا تصل إلى مستوى الطموح المطلوب لأسباب منها: قلة الإمكانيات في المؤسسات التعليمية الإسلامية، وضعف التنظيم والتنسيق بين المؤسسات والجماعات الإسلامية في الهند.

3. انخفاض متوسط الدخل السنوي لمعظم أفراد الأقلية المسلمة، وتصنيفهم ضمن الشرائح الاجتماعية الأكثر فقراً، حيث يعيش أكثر من 35% من سكانها تحت خط الفقر.

برامج المرشحين الهندوس

وعندما نقرأ المحاور الرئيسية لبرامج المرشحين من الحركة الهندوسية المتطرفة، وفي خطبهم الحماسية خلال الانتخابات البرلمانية، نجد أن مطالبهم الرئيسة تركز على حرب المسلمين والعداء للإسلام وهي:

1. إعادة النظر في حقوق الأقليات للحد منها.
2. إلغاء قوانين الأحوال الشخصية للمسلمين، واستبداله بقانون مدني.
3. إلغاء الوضع الخاص لكشمير المتمثل في حكم ذاتي.
4. هدم العديد من المساجد العتيقة، بزعم أنها بُنيت على أنقاض معابدهم.
5. ضرورة شن حرب تأديبية ضد باكستان؛ لمواقفها تجاه الهند.

فهذا هو ما يخطط له المتطرفون الهندوس، ويعملون ليل نهار لتنفيذه، وفي مواجهة ذلك على المسلمين في الهند توحيد صفوفهم في مواجهة هذا التطرف والتعصب الهندوسي، الذي يسعى لمحو الوجود الإسلامي واستئصاله من الهند، وهدم المساجد والاعتداء على المقدسات، ولن يتحقق للمسلمين ذلك إلا بتنمية أنفسهم والارتقاء بأحوالهم المادية والاجتماعية والاقتصادية، والتفاعل مع مؤسسات المجتمع الهندي والمشاركة السياسية، حتى يعلو صوتهم في ظل مجتمع لا يعرف إلا الأقوياء.

حصاد التطرف الهندوسي

وهذه الأفكار المتطرفة التي يحملها المتعصبون الهندوس كانت وراء عشرات المصادمات التي قادها المتطرفون الهندوس ضد المسلمين ومساجدهم، والتي ذهب ضحيتها آلاف المسلمين الأبرياء، فإذا ما تجاوزنا أحداث انفصال الهند وباكستان التي أودت بحياة مليون مواطن، فضلاً عن 17 مليون آخرين أجبروا على الهجرة، فإن الفترة بين عامي 1954م و 1963م شهدت وقوع 62 حادث مواجهة بين المسلمين والهندوس، أدت إلى سقوط 39 قتيلاً ، و527 جريحاً . وفي عام 1964م كانت الحصيلة 1070 حادث، و2000 قتيل، وأكثر من 2000 جريح . وبين عامي 1965م و1984م وقع 310 حادث، والحصيلة 160 قتيلاً ، و1685 جريحاً، وبين عامي 1985م و1991م كانت الحصيلة 620 حادثاً، و660 قتيلاً، و6 آلاف و950 جريحاً.

جريمة هدم البابري

وجريمة هدم المسجد البابري الواقع بمدينة (إيودهيا) في شمال الهند عام 1992م ، تعتبر من أعظم الجرائم الهندوسية التي أثارت العالم الإسلامي، فهذا المسجد يعود تاريخه إلى القرن السادس عشر، عندما بناه (بابر) أول إمبراطور مغولي حكم الهند، وفي أوائل الثمانينيات من القرن العشرين اكتشف المتطرفون الهندوس قضية هذا المسجد، ونسجوا زعمهم الكاذب بأنه بُني على أنقاض معبد بمكان مولد (راما) الأسطوري المقدس لدى الهندوس، ولذا وجب نسفه والتخلص منه .. وجعلوها قضية شعبية، وقضية عامة للهندوس، وبدأوا ينظرون إلى هذا المسجد كأنه علامة وشعار للغزو المسلم لهذه البلاد.

وكانت أحداثه بالفعل بداية مرحلة تصاعدية جديدة من تطرف الهندوس وعدائهم للمسلمين، وكانت إيذاناً بحملة هندوسية دعائية، زعمت أن كل مساجد المسلمين العتيقة قد بنيت على أنقاض معابد الهندوس، وهي الحملة التي بررت هدم المسجد البابري في السادس من ديسمبر عام 1992، وما أعقبه من صدامات دامية أودت بحياة ألفي مسلم.

وتعود بداية العدوان على المسجد البابري إلى ما يزيد عن نصف قرن، ففي ليلة 22 ديسمبر 1949 هجمت عصابة مكونة من 50 –60 هندوسياً على المسجد البابري، ووضعوا فيه أصنامًا لذاك الممجّد لديهم المسمّى (راما)، وادعوا أن الأصنام ظهرت بنفسها في مكان ولادته !، وهو ما اضطر الشرطة إلى وضع المسجد تحت الحراسة مغلقاً لكونه محل نزاع.

وفي 3 نوفمبر 1984 سمح رئيس وزراء الهند الأسبق (راجيف غاندي) للهندوس بوضع حجر أساس لمعبد هندوسي في ساحة المسجد، وتبع هذا حكم صادر بمحكمة فايزباد بتاريخ 1 فبراير 1986 من طرف القاضي (ر.ك. باندي) –الذي أصبح عضواً في الحزب الحاكم حزب (ب.ج.ب) المسؤول عن هدم مسجد بابري – سمح فيه بفتح أبواب المسجد للهندوس، وإقامة شعائرهم التعبدية فيه، وحذَّر السلطات المحلية من التدخل في هذا الشأن.

وقامت جماعات الهندوس المتعصبة قبل سنوات باقتحام المسجد بقوة السلاح، والشروع في هدمه وتحطيمه، ووضع حجر الأساس وجلب مواد البناء، استعداداً

لتشييد معبد الإله (رام)، وذلك لأن المسجد –في زعمهم– قد شيد على أنقاض معبد كان يقوم في ذلك الموقع نفسه، على الرغم من أن الأدلة الأثرية تؤكد أن المسجد إنما شيِّد على أرض خلاء.

وفي بداية الثمانينات قام الهندوسي المتطرف (محنت راغوبير) برفع قضية أمام المحكمة بشأن كون المسجد البابري قد بُني فوق معبد (راما) الأسطوري، إلا أن هذه المزاعم تم دحضها بحكم القضاء في أبريل 1985؛ لفقدان أي دليل تاريخي أو قانوني.

ولكن التحركات الصادرة عن الحكومة العلمانية هناك، قد شجَّعت المتطرفين الهندوس على ترتيب هدم المسجد بالكامل بتاريخ 6 ديسمبر 1992.

فقد قام عشرات الآلاف من الهندوس في مدينة أبوديا بالهند – يوم الأحد الحادي عشر من جمادى الآخر 1413هـ – 6 ديسمبر 1992، بتدمير مسجد بابري بالمدينة، بل ومسحه من الوجود، وهم يرددون أهازيج الانتصار، معلنين العزم على البدء في بناء معبد هندوسي مكان المسجد الذي يبلغ عمره ما يناهز الأربعة قرون ونصف، ومنادين في الوقت نفسه بأنه قد آن الأوان لخروج المسلمين من الهند.. في الوقت الذي التزم فيه المسلمون في المدينة منازلهم أو غادروها بحثا عن الأمن والأمان، ولكن الحشود الهندوسية الغوغائية التي اقتحمت المسجد بقوة السلاح، وفتكت بالمسلمين الذين حاولوا الدفاع عنه، وسط تواطؤ معلن من أجهزة الأمن الهندية، وتحت أنظار الدنيا بأسرها، حرصت على تدمير كل شيء، وبدأت بمحراب المسجد قبل كل شيء؛ ربما لما يحمله من رموز من ناحية، وربما لأن النقش الموجود في قلب المحراب، والذي يحدد تاريخ إنشاء المسجد على وجه الدقة، وهو ما يكذب مزاعمهم وتخرصاتهم عن وجود سابق للمعبد المزعوم.

وفي أعقاب هذه الجريمة النكراء عمَّت حوادث الشغب أنحاء الهند، وقتل فيها أكثر من ثلاثة آلاف شخص.

هدم المساجد مسلسل مستمر

وجريمة هدم المسجد البابري التاريخي ليست الأولى من نوعها ولن تكون الأخيرة، حيث إن هدم المساجد والاعتداء عليها ومحاولة تدنيسها مسلسل مستمر في أنحاء

الهند المختلفة، فبعد تدمير المسجد البابري، ادَّعى المتطرفون الهندوس أن مسجدين آخرين فيهما مقابر هندوسية، ويحاولون الآن الاستيلاء على مسجد آخر في نيودلهي، ومنعت الشرطة ناشطي حركة (فيشوا هندو باريشاد) ومنظمة الشباب التابعة لـ(بارانج دال)، من أداء شعائر هندوسية في مسجد (قوة الإسلام) في مجمع قطب، وتقول المجموعات الهندوسية: إنها تريد إعادة بناء معبد هندوسي يزعمون أن الحكام المسلمين دمروه، وكان في مكان المسجد !.

وفي جريمة مماثلة لهدم المسجد البابري الأثري، قام متطرفون هندوس بهدم مسجد أثري يعود إلى العهد المغولي في 27يوليو2001م، وبناء معبد هندوسي مكانه في زمن قياسي.. وهو مسجد أثري يسمى بمسجد (سواي بهوج) ببلدة (أسيند) الواقعة بمديرية (بهيلوارا) التابعة لولاية راجاستان الهندية .

وقد أنشأ هذا المسجد جيش الإمبراطور المغولي، حين عسكر بهذه المنطقة في القرن السادس عشر الميلادي، وهو مسجد من الطراز (القلندري)، الذي يكون من غير سقف، ويتضمن جداراً في ناحية الكعبة وقاعدة مرتفعة وثلاث منارات.. وهذا المسجد يتبع مجلس الأوقاف بالولاية، وهو تنظيم حكومي يرعى الأوقاف الإسلامية.

وتكتمت سلطات المنطقة على هذه الجريمة، فلم تصل أخبارها إلى عامة الناس إلا عندما خرجت صحيفة (هيندو) بهذا الخبر على صدر صفحتها الأولى. وقالت الصحيفة وقتها: إن تكتُّم السلطات يعود إلى خوفها من تدهور الوضع الأمني؛ نظراً لوجود توتر شديد في المنطقة بين الطائفتين المسلمة والهندوسية عقب هذا الحادث.

وقد وقع هذا الحادث الإجرامي عندما هجم نحو (300) هندوسي على المنطقة، فحرقوا الخيام ثم اتجهوا إلى المسجد وأزالوه من الوجود، كما فعلوا عند هدم البابري، ثم أحضروا مواد البناء، وأقاموا معبداً على الأنقاض، يتضمن قاعدة من المرمر وتمثالاً لبعض آلهتهم المزعومة، بينما شوهدت كوكبة من الشرطة بالمكان وبدون حراك.. ومن الواضح من سياق الأحداث وسرعة إنشاء المعبد أن العملية لم تكن عفوية، بل كانت الخطة معدة سابقاً.

وقد تم الكشف عن الحادث عندما تقدم أحد المسلمين من مدينة (أسيند) بشكوى لمجلس الوقف الذي يشرف على المسجد في ولاية (راجاستان). واتهم أمين مجلس

الأوقاف (ناصر علي نقوي) سلطات المديرية بالتقصير في أداء واجبها، وطالب بإعادة المسجد كما كان سابقاً، وقال بأن السرعة التي أقيم بها المعبد تدل على أن العملية كانت قد حبكت مسبقاً.

قانون يصادر حريات المسلمين

وإلى جانب الاعتداءات المستمرة على مساجد المسلمين، تضيع حقوق المسلمين هناك وحرياتهم، في ظل قوانين جائرة فصِّلت خصيصا للمسلمين، فقد استغلَّت الهند الحملة العالمية ضد الإرهاب، وشهرت الحكومة الهندية سلاحًا جديدًا في وجوه المسلمين؛ لكبتهم ومصادرة حقوقهم المشروعة، بدعوى مطاردة الإرهابيين، واجتثاث الإرهاب، مستغله حملة بوش وأحداث 11 سبتمبر. وهذا السلاح الجديد يتمثل في قانون يصادر حريات المسلمين تقدمت به الحكومة، ويترتب عليه اضطهاد مَن تريد السلطات من المسلمين، والزج بهم في المعتقلات بتهمة الإرهاب، وحظي القانون الجديد بدعم وزير الداخلية (لال كرشنا أدفاني) الذي كان ضالعًا في هدم المسجد البابري، وهو يكره الإسلام والمسلمين كرهًا شديدًا.

وهذا القانون الجديد يصادر أبسط حقوق المرء الحر، ومن المعروف أن القوانين السوداء التي تهضم حقوق الإنسان وحريته في الهند ليست جديدة في البلاد، ولا هي بدعًا من الأمر، وقد ذاقت الأقليات في الهند –وخاصة المسلمين– ويلات تلك القوانين الجائرة.

فقد وضعوا من قبل قانوناً لمحاربة الإرهاب السيخي في البنجاب، ولمدة ستة أشهر فقط، إلا أنه بقي ساري المفعول لعشر سنوات طوال، واعتقل بسببه وعُذِّب في السجون كثير من الأبرياء في كل أنحاء البلاد، وكان معظمهم من المسلمين. والغريب أنه رغم أن القانون وضع لمحاربة الإرهابيين في البنجاب، فإن معظم المعتقلين كانوا من ولاية غجرات، لا من البنجاب!، ومن المسلمين، لا من السيخ! وهذا الذي يجعل المسلمين يتوخون الشر كل الشر من أي قانون لمكافحة الإرهاب، حيث تلصق بهم تهم الإرهاب ويعتقلون ويعذبون، وهكذا، كان المسلمون دومًا، ضحية كل القوانين الجائرة في البلاد.

ولقد ظلَّت السلطات الهندية – لا تحت حكم حزب بهارتيا جاناتا وحده، بل في ظل كل الحكومات الهندية السابقة– تتخذ مقاييس مقلوبة، تجعل البريء متهمًا والمجرم بريئًا. فالمسلمون الذين هُدّمت مساجدهم، وسُفكت دماؤهم، وذُبحوا بالآلاف، ونُهبت أموالهم، ودُمِّر اقتصادهم، وهُتِكت أعراضهم، ودُمِّرت مؤسساتهم التجارية نُعتوا بأنهم (إرهابيون)!، بينما اعتبر الهندوس الذين اقترفوا كل هذه الجرائم البشعة في حق المسلمين (وطنيين غيورين)! وتحريض رؤساء الجماعات الهندوسية المتطرفة أتباعهم على حمل السلاح (ضرورة أمنية).

وعلى مدار السنوات الخمسين الماضية طُبقت في البلاد قوانين لمحاربة الإرهاب ومطاردة الإرهابيين، ولكن آثارها ذهبت أدراج الرياح . وكلما استبدل قانون بأشد منه تضاعف الإرهاب وتفاقم أمره، والسبب أن أيًّا من تلك القوانين لم يكن يستهدف الإرهاب، ولم يوجَّه يومًا نحو الإرهابيين، وإنما كانت فئات من الأقليات دون غيرها هم الضحية، كما أن تلك القوانين لم تعالج السبب الحقيقي للإرهاب، الذي هو سوء معاملة الجهات المعنية للأقليات واضطهادها، وهضم حقوقها المشروعة.

وعندما ننظر إلى فقرات القانون الجديد الذي بدأ العمل به بعد أحداث سبتمبر، نجد خطره البالغ على الحريات الفردية المضمونة في دستور البلاد وقوانينها الجنائية ولوائح البينة .

فالقانون يسمح للسلطات الأمنية أن تعتقل أي شخص تظن أن له علاقة بالإرهاب، أو يمكن أن تكون له علاقة، أو يمكن أن يرهب أحداً من المواطنين! وليس شرطاً التأكد من أن له يداً فيه، ولكن يكفي (عسى ويمكن).

ويسمح القانون الجديد للسلطات الأمنية أن تصادر أموال المتهم، بل وأموال أقربائه أيضاً، كما يسمح للسلطات المعنية أن تخفي أسماء الشهود، وهذا يمنع أولاً التحقيق مع الشهود، ويمكِّن السلطات المعنية ثانياً أن تدّعي بوجود شهود، ولا خطر عليها ما دام القانون يسمح بإخفاء أسمائهم.

ومن أخطر فقرات القانون الجديد أنه يتيح للسلطات الأمنية والقضائية حرية الاختيار، بمعنى أن لها أن توجِّه التهم أو لا توجهها، وتسجن أو لا تسجن، تدين أو

لا تدين! ويمكن لكل مطَّلع على أوضاع الهند، -وتحيز السلطات للهندوس على حساب المسلمين والأقليات الأخرى- أن يعرف كيف يكون اختيار هؤلاء؟.

ومن أخطر جوانب القانون الجديد اعتداؤه السافر على حرية التعبير والعمل الصحفي؛ إذ يفرض على الصحفيين الإفصاح عن المصادر التي استقوا منها معلوماتهم. وإن لم يصرِّح الصحفي بها يحق للسلطات أن تعتقله وتسجنه لمدة ثلاث سنوات.

وخلاصة هذا القانون الجديد أنه يعارضه كل من يهمه العدل والإنصاف، ولا يسانده إلا وزير الداخلية المعروف بتطرفه ومعاداته للمسلمين، والقلة القليلة الملتفة حوله. وقد طالبت المنظمات الإسلامية الهندية الحكومة بسحب القانون؛ لأنه يهضم حقوق الأقليات، وخاصة المسلمة، إلا أنه أجيز بأغلبية الحزب الهندوسي الحاكم بهاراتيا جاناتا .

المراجع :

1. جريمة المسجد البابري تتكرر في الهند - جريدة الرياض - العدد 12092 - الخميس 12 جمادى الأولى 1422

2. حملة هندوسية لإنشاء معبد على أنقاض المسجد البابري – جريدة العالم الإسلامي – العدد 1730 – 11ذو القعدة 1422هـ / 25 يناير 2002م

3. معبد هندوسي على أنقاض مسجد - الإسلام على الإنترنت – 31 يوليو 2001

4. الهند: قانون (POTO) يصادر حريات المسلمين! - أبو بكر محمد - كيرالا - الهند 2001/12/1 .

5. موقع قناة الجزيرة على الإنترنت – 24 يونية 1999م

=============

حرب العقائد والدرس المستفاد

الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، له العزة والكبرياء، يحكم مايشاء ويختار، والذين يمارون في عزته أو يتشككون في قدرته أولئك هم الحاسرون.وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يديل أمما من الناس على أمم تارة، وقد تكون هذه الإدالة بداية

النهاية.ويمتحن آخرين فيسلط عليهم أعداءهم، وقد يجعل الله في ثنايا المحن منحا إلهية، وقد يكون بداية النصير المؤزر على إثر الهزيمة الساحقة.وأشهد أن محمدا عبده ورسوله جاهد في الله حق جهاده وناله وأصحابه من ألوان الأذى من أعدائه مالم يستكينوا معه أو ييأسوا ومازالوا يتضرعون حتى كان النصر والفتح المبين... اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطاهرين وارض اللهم عن الصحابة أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.اتقوا الله معاشر المسلمين، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا } .إخوة الإسلام : المتتبع لتاريخ العلاقات مابين الغرب وشعوب الإسلام يلاحظ حقدا مريرا يملأ صدور الغرب حتى درجة الجنون، يصاحب هذا الحقد خوف رهيب من الإسلام والمسلمين. وهذا الحقد وذلك الخوف! ليس مجرد إحساس نفسي لا ظل له ولا أثر في الوجود، وإنما من أهم العوامل التي تبني وتبلور عليها مواقف الحضارة الغربية من الشعوب المسلمة سياسيا واقتصاديا وإعلاميا وسائر جوانب الحياة ا لأخرى.

ولم تعد هذه المقولة مجازفة يطلقها المسلمون... 4، كلا والواقع ينطق والحقائق تشهد، والستار الوهمي يزاح، وكما شهدت أرض البوسنة والهرسك اليوم أبشع جريمة، وأسوأ كارثة في التاريخ المعاصر.. سفكت فيها دماء الأبرياء، أغتصبت النساء، وفصل بين الأبناء والآباء، مات الألأف من الأطفال وحيل بينهم وبين الرضاع.. ولم تنتهي الكارثة رغم سوئها عند هذا الحد فالهوية المسلمة يراد طمسها.. والأرض الخاصة لابد من تقسيمها والملأ يأتمرون ويخططون والسادة يباركون، والمنظمات والهيئات الدولية تحمي وتشرف على المخطط الآثم وتضطلع بمسؤوليتها في الجريمة النكراء، ويلف الصمت أمما أو دولا أخرى لها نصيبها في المغنم أو يكفيها أن يوأد الإسلام المتململ، وتنهى- ولو إلى حين- هذه الصحوة الإسلامية المتجددة.ودونك مذابح المسلمين في الشيشان والطاجيك، وبورما، وتايلند، وكشمير، والفلبين، وفلسطين والعراق وغيرها. وكأن من بنود النظام العالمي الجديد السماح لأي دولة

تريد الاستقلال وتقرير حق المصير، أما الإسلام وأما المسلمون فيستثنون من هذه القاعدة ولابد من اضطهادهم والتضييق عليهم وعدم تمكينهم.إنها حرب العقائد بكل ما تحمله الكلمة من معاني ومضامين، وممارسة الاستعمار، ولكن بثوب جديد، وميدان المعركة خير دليل على كشف المؤامرة، وبيان هوية المقاتلين، والتصريحات بعدم السماح لدولة ترفع شعار الإسلام في أوربا لم تعد خافية، والجهود لمحاصر؟ هذه النبتة الإسلامية مسؤولية مشتركة حتى ولو كانوا من بني جلدتهم.أيها المؤمنون وإن من السذاجة والتغفيل أن نتصور حرب العقائد وليدة اليوم، وأن عدواة الغرب لنا معاشر المسلمين نبتت هذه الأيام. كلا.. فالتخطيط قديم، والنية للعداء مبيتة، والتصريحات قديمة وإن رغمت أنوف المخدوعين، وهاكم البينة وإليكم الدليل، يقول (أيو جين روستو) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية... ومستشار الرئيس جونسن لشؤون الشرق الأوسط حتى عام 1967 م: (يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة.. إلى أن يقول: إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيدته، ونظامه، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي ولاتستطيع أمريكا إلا أن تقف هذا الموقف في الصف المعادي للإسلام وإلى جانب العالم الغربي والدولة الصهيونية، لأنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها). فهل بعد هذا من صراحة؟ .إذا كانت هذه سياسة أمريكا فقبلها أوربا وقد قال مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام 1952 م- وليت المسلمين يعون ما يقوله الآخرون عنهتم. يقول هذا المسؤول: ليست الشيوعية خطرا على أوربا فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدا مباشرا وعنيفا هو الخطر الإسلامي. فالمسلمون عالم مستقل كل الإستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الخاص بهم، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فإذا

تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع- هكذا يقول الكاتب من وجهة نظره المادية، وإلا فهناك أسباب أخرى لانطلاقة المسلمين الكبرى- انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون برسالتها إلى متاحف التاريخ... إلى أن يقول الكاتب: إن العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافا تاما، فهو حائر، وهو قلق، وهو كارة لانحطاطه وتخلفه، وراغب رغبة يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن وحرية أوفر... إلى آخر ماقال .إخوة الإسلام هذه التصريحات الجلية بالعداوة من جانب، وبالتخوف من الإسلام القادم من جانب آخر إذا انضم إليها الواقع المشهود بتآمر الغرب ووحشيته وتآمره على الإسلام والمسلمين في أرض البوسنة والهرسك مثلا باتت سهاما موجعة وضربة قاصمة للعلمانيين في ديار المسلمين أولئك الذين ما فتأوا ينافحون عن الغرب ومؤسساته ويوهمون أمتهم أن الدول المتحضرة لم تغد تقيم للدين وزنا في سياستها وبرامج تخطيطها، وينبغي- حسب نظرتهم الهزيلة- أن يبقى الدين علاقة شخصية بين الفرد وخالقه، لاعلاقة له بتنظيم أمور الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية وا لاعلامية وسواها. أجل لقد واتت الفرصة لكل مخدوع بشعار العلمنة والتغريب أن يكشف القناع عن عينيه، وأن يسمح لأذنيه بسماع مالم يكن يسمح به من قبل، وستتكشف له الحقائق دون غموض، وهذه راعية العلمنة ومصدرة أفكارها تؤوب إلى ديانتها وإن كانت محرفة، وتتخذ من الدين والمعتقد منطلقا أساسيا لسياستها، وتبقي العلمنة شعارا أجوف تخدع به المساكين، وتصدره بضاعة مزجاة لمن لازال في قلبه مرض من

أبناء المسلمين، وإذا سقطت العلمانية وأفلس العلمانيون في ديار الغرب، فلا تسأل عن مصيرها في ديار المسلمين، وربك يحكم مايشاء ويختار، فبالأمس سقطت الشيوعية الشرقية وأذنابها داخل يحميها، واليوم تتهاوى العلمانية الغربية ومؤلسساتها وغدا وبعد غد ستتهاوى بإذن الله كل نحلة ضالة، وسينفضح كل نظام مزور مهما خدع الأبصار برهة من الزمن. ويبقى دين الإسلام دين الله في الأرض منسجما مع نظام الكون كله، ويبقى المسلمون يسبحون بحمد ربهم، ويشاركون غيرهم من مخلوقات الله تسبيحهم. ووعد الله حق، ولكن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما

بأنفسهم، وانصتوا لعلكم ترحمون لقوله تعالى {إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور، أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور} .نفعني الله وإياكم بهدي القرآن، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين أحمده تعالى وأشكره ولايحمد على مكروه سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد أيها المسلمون فطالما تحدث الغرب ومؤسساته وأذنابه عن الأصولية الإسلامية وعن تطرف المسلمين وتعصبهم وخطرهم، وهاهي الأحداث تكشف بجلاء أين مكمن التطرف وأين يكون العداء، فالغرب لايكتفي برفع شعار الدين راية لحروبهم ومساعداتهم، ولا ينتهي عند حد الدفاع عن الصليب مقابل الهلال، بل- ولفرط تطرفهم- يصرون على الدفاع عن مذاهب النصرانية المتنافرة، ويتفقون على اقتسام الغنيمة بين فصائل الكاثوليك والبروتستانت، والأرثوذكس، ففي الوقت ا لذي تساند (المانيا) وأوربا ا لكاثوليكية (الكروات) يبقى (الصرب) في حماية من روسيا واليابان وبقية الدول التي لاتدين بالكاثوليكية. فهل بعد هذا التطرف من تطرف، وحروب اليوم تذكرنا بالحروب الصليبية السابقة فأين المعجبون بالغرب والمروجون لشعاراته الوهمية من الديمقراطية والحرية والعدالة. وحقوق الإنسان أتراهم اليوم يعيدون حساباتهم، ويعلنون انخداعهم فيما مضى، فينصحون لأنفسهم، ويصدقون مع أمتهم، أم تراهم يراوغون ويخادعون ولاتزال عقدة الشعور بالنقص تصاحبهم، والفتنة بالفكر المستورد تطاردهم.

أيها الإخوة المؤمنون وبرغم فداحة ماتسمعون من جرائم تقشعر لهولها الأبدان من أمم الكفر على شعوب الإسلام فالحقيقة الغائبة أكبر، والمخطط أعتى وأقسى، وكل

يوم تكشف لنا حقائق وإحصاءات لم تتكشف بالأمس، لن يكون آخرها اكتشاف قبور جماعية لمايقرب من ثلاثة آلاف مسلم ومسلمة من شعب البوسنة ردموا فيها بالجرافات في الأحداث المؤلمة الأخيرة، وأمثال هذه الأحداث تؤكد لنا استمرار العداوة بين المسلمين وأهل الكتاب التي أخبرنا عنها ربنا بقوله {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم... }، وتذكرنا بعدم اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، كما قالى تعالى {يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق }.. إلى قوله تعالى {وودوا لو تكفرون }.أمة الإسلام.. ومع الصمت والتخاذل والقعود عن نصرة المسلمين المستضعفين فلن تقف العداوة عند هذا الحد. فالهدف اقتلاع الإسلام من جذوره، والمخطط يشمل المسلمين كلهم، وما أجمل ماقيل (فبعد أن ينجز الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس مهمتهم في أوربا لابد وأن يتطلعوا عبر البحر الأبيض المتوسط صوب أراضي المسلمين ليكملوا مايقوم به اليهود) .فهل نعي حقيقة المؤامرة وحجمها، وهل نتخذ من أساليب الوقاية وأسبابها مانحفظ به على أنفسنا وعقيدتنا ولكن هل نتجاوز مجرد الحديث إلى ما بعده من دروس وعبر، وهل نتجاوز مرحلة البكاء والعويل إلى مرحلة الجد والاستعداد للمستقبل القريب، فنتعاون جميعا وبكل ما أوتينا من قوة للوقوف صفا واحدا في وجه العدو الحقيقي لنا، هل نتجاوز الخلافات الوهمية التي يصنعها المغرضون، هل نتجاوز الحدود المرسومة من قبل المستعمرين لتقطيع أوصال الأمة وإشغالها عن قضاياها المهمة والمصيرية، هل نعود عودة صادقة لكتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكتابنا أصدق الكتب المنزلة، ونبينا خاتم المرسلين، في وقت عاد فيه الآخرون إلى كتبهم المحرفة ودياناتهم المنسوخة؟ هل نحافظ على طاقاتنا؟. إن عالم اليوم لامكان فيه لمن يعيش بدون هوية، وإذ تشبث اليهودي والنصراني والبوذي وسواهم بعقائدهم أفيليق بنا معاشر المسلمين أن نعيش هملا نقتات على موائد الآخرين، ونستطعم منهم وكأننا حفنة من المساكين... أين العزة بالإسلام..، أين الغيرة للقرآن وأين نضع خيريتنا وشهادتنا على الأمم بنص القرآن{كنتم خير أمة أخرجت للناس} {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس..} .أن من واجبنا أن ندعم كل مبادرة خيرة صادقة

للتضامن مع شعب البوسنة والهرسك، على أن لايتوقف هذا الدعم، وذلك التضامن حتى ينتصر المضطهدون، ويفضح المعتدون، وأن يشمل هذا الدعم والمساندة بقية المسلمين المضطهدين في أنحاء الأرض. إن على وسائل الإعلام بقنواتها المختلفة وفي عالمنا الإسلامي كله، مسؤولية توعية الشعوب بحقيقة المؤامرة، وشراسة الهجمة، والهدف من وراء اللعبة، ولاينبغي أن نقل مصداقية إعلام عن إعلام الغرب حين يشوهون صورتنا ونحن المسلمون المضطهدون ويلهبون مشاعر شعوبهم ضدنا وهم الكفرة المعتدون؟. ومع ذلك كله فينبغي أن لانقف عن حدود التوعية المبرمجة لقضايانا مع أهميتها، ولانكتفي بمجرد المساندة المالية للمضطهدين مع مسيس الحاجة إليها، بل لابد من التفكير بربط علاقات ثقافية مع الشعوب المسلمة يحكمها الإسلام، ولابد من إقامة علاقات اقتصادية مع الشعوب المسلمة لايكون الربح المادي هدفها، بل تهدف إلى إيجاد فرص اقتصادية يستغني بها المسلمون عن استجداء الآخرين. ولابد من تعاون عسكري جاد في محيط الأمة المسلمة، تتقلل منه في البداية عن معونات الأمم الأخرى وتستغني به مستقبلا عن أي صفقة أخرى لاتعطى حتى تؤخذ تنازلات تقايضها، أو تعطى صراحة لفئة وتحرم أخرى كما يجري اليوم مع المسلمين البوسنة و الصرب النصارى.وحين نصدق مع ربنا، ونتمثل إسلامنا فلن يضرنا كيد الكائدين {إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا } ولن يستطيعوا إطفاء نور الإسلام {يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم و الله متم نوره ولو كره الكافرون} . و الله غالب على أمره.

=============

ماذا قدم الإسلام للمرأة ؟

أخواتي الكريمات: حديثنا اليوم إليكن حديث قديم جديد مألوف متكرر أنه مساحة للحوار وفرصة للتشاجي والتشاكي حول قضية من أصخم القضايا المطروحة على الساحة الفكرية، ألا وهي المرأة. خاض فيها من خاض وبحث فيها من بحث وقال فيها من قال بحق حينا وبباطل أحياناً أخرى وادعى إنصاف المرأة وتباكى على حقوقها الضائعة المسلوبة زعموا بدموع التماسيح طائفة من الأقلام تطوعوا للدفاع عن قضيتها أعني المرأة تطوع الفضولي الذي لم يفوض وإن شت قلت كتيبة من

الكتاب المجندين من عملاء الفساد والتخريب {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}. والجميل هذه المرة والرائع في هذا البحث والحوار أن الذي يناقش قضية المرأة هي المرأة نفسها، هي تعرب عما في نفسها وتتحدث عما في خاطرها دون وصي أو ولي فتعالين: نتعرف على البداية وما هي قضية هذه المعركة! هكذا صورت معركة هي حقا معركة سلاحها الأقلام والأفهام ووقودها النساء والمداد وساحتها جبهة عريضة من وسائل الإعلام بشتى صورها وأنماطها وإن كان هذا الاستعراض غير مطلوب مني وقد يتداخل في المساحة المقررة لأخريات ولكنها مقدمة لا بد منها فلتحتملنها ولو على مضض.

أولاً وقبل كل شيء: لنعرف أن الحضارة التي يدعى إليها في هذا العصر حضارة غربية وإن شئت قلت حضارة إباحية كافرة، حضارة أجنبية يهودية ونصرانية شاء ما شاء وأبى من أبى حقا إن الحضارة الآن تكتب من الشمال كما يقولون. ومع ذلك الانفجار العلمي والتقني الهائل الذي بهر العقول بمنجزاته وصناعاته والذي يحمل الماركة الغربية التي شع منها شعاع الحضارة المادي المعاصر، مع ذلك كله طفح على الساحة فيض من الأفكار المنجرفة المنحرفة والتي أرادت أن تتعامل مع الإنسان ومنه المرأة كما تتعامل مع الآلة تماما وأرادت أن تخضع قيمة وأخلاقه بل وعقائده للتجارب كما تخضع عناصر المادة لذلك في المعامل والمختبرات ومع استيراد الآلات والمصانع من الغرب للشرق وردت أو استوردت أخلاق غريبة عجيبة في الإنسان والكون والحياة بهر الشرق بها كما بهر بالمنجزات الغربية واعتبرت مسلمات ثبوتية لا تقبل النقاش ويكفي لكثير من الناس في الشرق المهزوم مبرراً لصحتها إنها وردت من الغرب وهبت معها رياح التغيير. ولئن كان للتمرد على الدين والقيم في الغرب إبان التحول من القرون الوسطى وعصور الظلمات إلى العصر الصناعي والثورة العلمية ما يفسره ولا يبرره أقول يفسره ولا يبرره، فهل يوجد في شريعة الإسلام وبلاد المسلمين مثل ذلك اليوم.

أخواتي الكريمات:

إن الكنيسة الغربية النصرانية خرجت على الناس في العصور الوسطى بنظريات أبعد ما تكون عن روح الشريعة ونقاء العقيدة في الكون والحياة والإنسان نظريات في الوجود تصادم الحقائق العلمية الثابتة ونظريات في الكون تصادم المحسوس والملموس ونظريات في الإنسان والمرأة بالذات تعارض الفطرة والدين مثل الأساقفة والكرادلة والبابوات والأباطرة هل المرأة لها روح أم لا؟ هل هي كائن شيطاني أم إنساني؟ هل وهل؟؟ إلى غير ذلك من النظريات التي أصيخت بها الأسماع وشغلت بها الساحات الفكرية وامتحنت بها العقول على طريقة الجدل البيزنطي المشهور. هل الدجاجة من البيضة أم البيضة من الدجاجة، وأيهما كان أولاً، والويل كل الويل لمن كذب أو يرتاب فصكوك الحرمان والمقاصل جاهزة معدة وكلها تحت رواق الكنيسة رمز الدين والإيمان ومع إشراقة شمس الحضارة الإسلامية على العالم ومنه على أوروبا الغارقة في ذلك الوقت في غياهب الجهل والخرافة والتزمت استيقظت أوروبا وكان العالم في الظهيرة وحان في ذلك تنفس عظيم لمجموعات البحث والكشف العلمي المضطهدة والتي كنت تتململ في قمقمها وأكتشف الناس كذب وزيف هذه النظريات بانبلاج شمس الحضارة (وشمس الحقيقة تحرق المغالطات). فثار الناس في أوروبا على الكنيسة والبابوات والأباطرة المتواطئين معهم لتقاطع المصالح وتلافيها بينهم، ثاروا ثورة عارمة على الدين كله فكانت (العلمانية) فصل الدين عن الدولة في المدنية الحديثة، ثاروا على الكنيسة التي حرمت العلم الصحيح والتفكير السليم التي ظلمت المرأة وتتبعتها بالحرب والإبادة بحجة أنها عنصر شرير فاسد.

أقول مجدداً: أخواتي الكريمات إن كان لهذه المعركة في قضية الكون والحياة والوجود ما يفسرها في عالم الغرب فهل يوجد هذا في عالم الشرق إن كان لهذه الثورة على الكنيسة ما يعلله فهل يوجد لحرب المسجد من مبرر إن كان لإعلان الثورة على النصرانية أسباب فهل يوجد سبب واحد لإعلان الحرب على دين الإسلام. أخواتي: هكذا أردت أن أرجع بكن إلى الوراء لتتبع فلول القضية وجمع شتاتها حتى لا تفهم مبتورة مجردة أنها قضية ضخمة كبيرة خطيرة ليست قضية خاصة بالمرأة وحدها.

فأولاً أقول: ينبغي تقرير مسألة أحسبها فاصلة في القضية وهي: أن أحداً أو محوراً قد يتفوق في جانب الحياة دون جانب ولا يعني تفوقه في جانب تفوقه في كل

الجوانب. نقترب من الحقيقة أكثر: لنفترض أن الغرب حاز السبق في الصناعة والتقنية وسجل إنجازاً واضحاً فهل يعني ذلك أن جميع ما جاء منه من نظريات ودراسات اجتماعية ومدنية وأخلاقية حق لا يقبل النقاش؟ وهكذا حلا للبعض أن يصور لكن نظرة إلى واقع الغرب ونظره إلى منهج الإسلام تنسف كل هذا الفهم المغلوط من القواعد. نظرة إلى الأسرة الغربية وما تعيشه من جحيم التفكك والتمزق والقطيعة والنظرة إلى المجتمعات الغربية وما تحياه من أثرة وجشع وأنانية يسحق العجزة والضعفاء والأيتام والمعلقات والمطلقات والمعوقات تحت جنازير الحياة الرأسمالية البائسة التافهة الحقيرة، مثلها أو قريب منها في الشرق الاشتراكي. ونظرة إلى شباب الغرب وما يعيشه من مخدرات وعلاقات وصداقات محرمة. ونظرة إلى المرأة وما تعيشه من بؤس وشقاء واستضعاف إلى درجة الاستبعاد وإقحام لها في مجالات الرجال بحجة المساواة حتى زاحمن الرجال في سفلتة الطرق وقيادة الشاحنات وقطع الصخور وحتى قطعت يديها الآلات والمكائن وشحب لون وجهها وأذهب أنوثتها دخان المصانع وغبار الطرق ناهيك عما تعيشه من وضع أخلاقي مدمر، ومعذرة مرة أخرى على تجاوز الموضوع المقرر ولكنها مقدمة ضرورية أقول نظرة إلى هذا كله ثم كرة أخرى إلى شريعة الله الطاهرة المطهرة كما هي في القرآن والسنة تكذب ذلك الفهم المنكوس والفكر المنحوس وتدحضه وتدفعه فإذا هو زاهق فلكم الويل مما تصفون. نظرة الإسلام للمرأة والآن إلى نظرة الإسلام للمرأة أقدمها باجتهاد شخصي ونظرة قاصرة فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن الشيطان والله ورسوله منه بريئان.

أخواتي العزيزات: ينبغي أن نفهم أولا وقبل كل شيء: أنها مسألة دينية إلهية لا بد فيها من استسلام العبد والأمة إلى الإله المعبود والتحاكم إلى شرعه والإسلام يعني الاستسلام على منهج الخليل: إذ قال له ربه { أَسْلِمْ } قال {أَسْلَمْتُ}ولا تثبت قدم الإسلام على ظهر التسليم والاستسلام، ومن شغب على الشريعة وعاند الله في شرعه وضاد الخالق في حكمه فذلك خارج عن الإسلام ملحد بالله العظيم، والله يقول {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} أي الطائعين لله المستسلمين لحكمه ويقول المولى أيضاً:

{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ} فالمنازعة مرفوضة، والمعاندة مردودة ومن نازع في حكم الله ورسوله في المرأة فهو كمن ينازع في عدد الصلوات والركعات وانصبة الزكوات. إذ تقرر هذا فإن الإسلام حدد نظرته للمرأة من خلال المعالم والسمات التالية:

أولاً: إن المرأة شقيقة الرجال، قال رسول الله صلى الله عليه ونسلم : "إنما النساء شقائق الرجال" {صحيح أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة وأخرجه البزار من حديث انس نحوه بلفظ مقارب}. وهي مخلوقة من عنصر الرجل ومادته لا فرق بينهما في أصل الخلق {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً}. {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}.وبهذا يفهم البون الشاسع والبحر الواسع بين الإسلام والنصرانية المحرفة التي تشكك هل المرأة عنصر طاهر أم رجس أم نجس؟ وهل هي كائن شيطاني أو إنساني؟ وهل لها روح أم لا ؟ الخ....

ثانياً: الله سبحانه وتعالى فرق ين تكوين المرأة والرجل نفسياً وعقلياً ومزاجياً ووظيفيا وجعل بينهما فرقا كبيراً بين تكوني الليل إذ يغشى النهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى إن سعيكم لشتى فشتان بين الرجل بصلابته وجلده وشدته وقوته وبين المرأة وأنوثتها وضعفها وسرعة انفعالها وتأثرها وحيضها ونفاسها، وهذه ليست عيوبا ولكنها أمور خلقت في المرأة وبهذا يعلم بأن لكل عمله المناسب ووظيفته اللائقة والمداخلة بينهما ظلم وجور وإجحاف صارخ وإذا أردتن فهم المسألة فأقلبنها وبضدها تتبين الأشياء. ولن أتكلف البحث عن الأدلة الشرعية على ضعف المرأة عقليا وبدنيا ونفسيا وهي موجودة ومفورة لكن اكتفى بالنظرة إلى الواقع والتاريخ والحياة وأعنى هنا الأغلب والحكم للأغلب وإلا فرب امرأة خير من ألف رجل ثم إن هذا الضعف ليس نقصاً ولا عيباً فيها ولكن فطرة الله سبحانه وتعالى له الحكم عديدة لا يحيط بها حصر أو وصف. أقول كم عدد المخترعات من النساء وما نسبة المؤلفات منهن إلى الرجال، وهل عرف منهن قائدات جيوش؟ وصانعات حروب وفاتحات مدن؟ إلا النزر اليسير وما نسبة السياسيات البارعات ورئيسات الدول حتى لدى الدول التي صدرت لنا منها هذه الأفكار الجانحة في أمريكا مثلاً، هل أعتلي عرش الجمهورية

رئيسة واحدة منذ عهد (إبراهام لنكولن) و(جورج واشنطن) إلى اليوم. فلماذا يا أمريكا عدم الثقة بالنساء أم أنه نداء الفطرة الغالبة القاهرة.

ثالثاً: ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة تماما في التكاليف الشرعية وذلك من حيث الثواب والعقاب والخير والشر فلا تحمل نفس جريمة غيرها ولا تزر وزارة وزر أخرى يتبين هذا من خلال حشد هائل من نصوص المصدرين مثال لذلك: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}. {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً}.{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ}. غير أن هاهنا نقطة تسجل لإسلامنا العظيم وشريعته الغراء وهي: أنه أعفى المرأة اعترافاً بضعفها من المهام الشاقة والوظائف الصعبة التي كلف بها الرجل من ذلك الجهاد، صلاة الجماعة والجمع والعمل والقوامة مثلاً، ومع ذلك فلها أجر الجهاد كاملاً غير منقوص، قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد قال: "لكن أفضل من الجهاد حج مبرور" وفي رواية قالت: هل على النساء جهاد؟ قال: "عليهن جهاد لا قتال فيه، الحج والعمر"، ثم أن هناك أمور أعفيت منها المرأة صيانة لها وحفاظا علهيا كالأذان والإقامة فإنهما لا يشرعان للنساء. فما أروع شريعتنا وديننا إذا راعت الحال للجنسين وكلفت بمقتضاها، تنزيل من حكيم حميد {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، تصورون يا أخواتي لو كان الجهاد علينا فرض كالرجال، من التي تسل سلاحها، من التي ترد رماحها، إنها لا تستطيع ملازمة ساحة المعركة ولا تنطح العدو ولا تطيق من ذي تطيق نطاحها الحرب باشباحها ومخاوفها وصياحها ولهذا أراحها الله وأباحها إن أقبلت أشباحها، أو أزهقت أرواحها، أو ودعت أفراحها.

رابعاً: أن الإسلام كرة المرأة وأعزها بحق وحقيقة بما لم تظفر به في شريعة ما قديماً وحاضراً وحظيت بمكان ومكانة عظيمة في شريعة الله الخالدة وانتشلها الإسلام من وضع جهنمي مأساوي كانت تعيشه قبل تكريم الإسلام لها ولنضرب من الواقع أمثلة يتضح بها سمو مكانة المرأة في الإسلام. ففي شريعة حمورابي الملك الأشوري لا يسمح للمرأة بالخروج من بيتها إلا مع زوجها أو إلى قبرها، وفي شريعة الرومان كما سبقت الإشارة إليه واليهود يعاملونها على أنها رجس من عمل الشيطان وإذا حاضت لا تخالط ولا تؤاكل ولا تعاشر، فقال عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه: "خالفوا اليهود واصنعوا كل شيء إلا النكاح" ولدى النصرانية يعتبرون المرأة أصل الخطيئة وأنها أغوت آدم حتى أكل من الشجرة وفي أسفارهم المكذوبة على الله في التوراة والإنجيل إن الله عاقبها على ذلك بآلام الحيض والنفاس والوضع والولادة. وفي الجاهلية العربية يعدونها من سقط المتاع لا يملك بل تملك كسائر المتاع فإذا مات زوجها تسابق الورثة عليها فمن ألقى رداءه عليها أولا ملكها ولا تعطى من الإرث شيئاً يقولون كيف نعطي من لا يركب فرساً ولا يحمي عشيرة ولا ينكأ عدوا ولا يحمل سيفاً! وإذا بشر أحدهم بظل وجه مسودا وهو كظيم وربما وأدها حية في التراب ولهم في ذلك أخبار بشعة، فجاء الإسلام حاميا لها بتعاليمه التي أحدثت ثورة عارمة على وضع مأساوي تعيشه المرأة فأعطاها الحق في الميراث {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً}. وحماها بعد الولادة وندد بأفعال الجاهلين في وأدها وأعتبرها جريمة كبيرة وعظيمة وسيسألون عنها: {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيم * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} ، {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ}.

خامساً: ثم أوصى بها وصاية متنوعة: قوله عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه أوصى بحفظ حقها بوجه عام من ذلك: "إني أحرج حق الضعيفين المرأة واليتيم"، وقال: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"، وقال: "استوصوا بالنساء خيراً" والتمس لها العذر في ضعفها فلا تؤاخذ بكرهها وطلاقها، وقال: "لا يفرك مؤمن

مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر" وقال: "الدنيا متاع المرأة الصالحة"...ألخ. وأوصى بها أماً: فإن أعظم حق بعد حق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حق المرأة الأم: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}. ولما سأله الصحابة من أحق الناس بحسن صحابتي قال: "أمك، ثلاثاً قال ثم من قال أبوك". وأوصى بها بنتاً: فهي البنت التي من عالها وأحسن إليها كانت له ستراً من النار وحجاباً منها. وأقف هنا لأتذاكر معك أختي العزيزة كيف يحسن الوالدان إلى البنت ما الإحسان الذي يشير إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا ويحث عليه، أهو بشراء الجديد وأكل الحلوى المتنوعة والتسكع مع البنات في مراكز التسويق؟ هل هو بتنميق الملبس وتعدده؟ هل هو بإلقاء الحبل لها على الغارب تيم حيث شاءت دون حسيب أو رقيب؟ لا إن هذه أمور ليست مراده وإن أنزلق في بعضها كثير من الأباء والأمهات فضاعوا وأضاعوا بين التفريط والإفراط. إن الإحسان المطلوب شرعاً للبنت هو صيانتها وحفظها كما تحفظ الجوهرة الثمينة، وتصان مشاعرها فلا تعنف ولا تجرح بل تكرم وتربى تربية إسلامية صحيحة على العقيدة السليمة وعلى دأب نساء خير الأمة. كما أوصى بها زوجة: فهي الزوجة التي أوصى بها الرسول صلى الله عنه وسلم في أحاديث سلف بعضها فماذا تريدين أختاه بعد هذا والجنة تحت أقدامك ورضا الله من رضاك وسخطه من سخطك – الله أكبر – ولو كره الكافرون.

رغم الشقي أخو الجهالة ...المفتري إفكاً لدين محمد
الزاعم الكذب الجزاف بأنه ...قدر النساء بها كقدر الأبعد
حاشا وكلا والذي فلق ...بل حظها حظ العزيز الأسعد
أم لها عدد الحقوق ثلاثة ...بنت حجاب جهنم إن ترشد
وهي العقلية كم أتت من ...يوصى بها خيراً بسنة أحمد
أخت العقيدة تلك شرعة ...عضي عليها بالنواجذ واليد

سادساً: أوصى بها أن تستأذن فيما يخصها ويعنيها في النكاح والمبايعات ونحوها واعتبر الإسلام رضاها في النكاح عكس ما كانت الجاهلية تفعل، واعتبر لها الملكية كالرجل لا تنازع ولا يحجر عليها إلا لسفه أو فلس كالرجل ولها حقها في المهر والنفقة والكسوة والمسكن وأحب الرجال إلى الله وأكرمهم من أسخاهم بذلك نفساً،

وسجل لنساء كمواقف محمودة مشهودة: (كمل من النساء أربع)، ورفرف لهن في سماه المجد رايات خالدة وسجل الإسلام والتاريخ مشاهد فاضلة كامرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وأم موسى، وسارة، وهاجرة، ومريم، وخديجة، وعائشة، ألخ... رضي الله عنهن. وأعطاها الحق في التعامل بالبيع والشراء والهبة والإجارة والصلح، والشركة والوقف كالرجل وغير ذلك من عقود المعارضة والإرفاق. وحماها نفسياً وعاطفياً أن تضار بولدها في الرضاع والنفقة وأن تخرج من بيتها إن طلقت رجعيا: {وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنّ}وغير ذلك من أحكام وليس المقام مقام حصر والمطلوب تدبر القرآن ومراجعة دواوين السنة الحافلة بالأحكام الرائعة ولسنا بذلك نحاكم الإسلام أو نضعه في قفص الاتهام أو حتى ندافع عنه معاذ الله فهو شريعة الله الباقية ودستوره الصالح بل المصلح لكل زمان ومكان.

أخواتي الفاضلات: أعذرنني إن أطلت وحتى يأخذ موضوعنا شكله المتكامل لا بد أن نجيب على تساؤلات تطرح شغبا وكيداً وربما أوحدت لدى البعض شبها من المناسب إيضاحها وكشفها، من ذلك:

1- لماذا جعل الإسلام العصمة بيد الرجل؟

والجواب : لأن المجرب المعروف بالطبع أن المرأة أسرع انفعالا وأقل تفكيراً في العواقب، فتصور لو كانت العصمة بيدها ما الذي كان قد يحدث وهناك قصة طريفة، يحكى أن رجلاً أراد أن يداعب زوجته فاتاها يوما وتظاهر بالحزن ولما سألته قال: قيل لنا إن العصمة نقلت اليوم إليكن وأخشى أن تطلقيني فطفقت تحلف له الأيمان وتؤكدها وتوثقها أنها لا تفعل أبدا لو عاش معها قرونا كثيرة، غير أنه لم تغب شمس ذلك اليوم حتى نشب خلاف عادي بينهما فانتهي إلى أن طلقته مائة طلقة، وهناك كشف لها الحقيقة.

2- لماذا جعلت المرأة على النصف من الرجل في الشهادة، شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل وكذلك في الميراث والعقيقة والدية؟

الجواب: أما الشهادة فينبغي أن يعلم هذا في الأمور المالية فقط قال تعالى في آية الدين في سورة البقرة: {فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ} ذلك أن الرجل أكثر ممارسة للبيع من المرأة وأكثر ضبطاً، ولذا فإنه في بعض الأحكام الأخرى تقبل

شهادة امرأة واحدة عدله ولا يسقطها أو يعادلها شهادة ألف رجل كأمور النساء في بكارة ورضاعة وعيوب تحت الثياب وغير ذلك. إذن المسألة تخصص لا غير. وأما الدية فلأن الخسارة الواقعة أو المتوقعة بفقد الرجل أفدح من المرأة إن يكسب وينفق على أهله فهي خسارة واقعة وإن كان صغيراً فهي متوقعة عكس النساء اللاتي كفين مؤونة النفقة والسكن والمشاركة في تحمل ديات قتل الخطأ وشبه العمد من العصبة، وذلك في الغالب هو جواب الميراث والعقيقة. بل فيه فوارق كان يحسن ذكرها.

3- لماذا القوامة والولاية في النكاح والمحرم في السفر؟

الجواب: إن ذلك ليس لإهانة المرأة بل لصيانتها من التكسب في القوامة ومعاشرة الرجال وصيانتها من مباشرة العقد في النكاح المشعر بتوقانها إلى النكاح وهو ما تأنفه الطباع وتستحي منه المرأة ولأنها كثيراً ما تخدع بالمظاهر ويغرها الظاهر. وهكذا المحرم في السفر لحفظها وصيانتها وما أكثر أخطار السفر.

4- لماذا القرار في المنزل؟ الجواب: إن هذا أمر إلهي {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُن} وذلك لتتفرغ لأشرف وظيفة وأنبل رسالة لا يطيقها غيرها، ولا يقواها ويحسنها الرجال كالحمل والولادة والإرضاع والتربية ومن هنا يعلم كذب من قال نصف المجتمع معطل وه لخرج العلماء والدعاة والهداة والساسة والعباقرة والقادة إلا من حجور بنات حواء..!

5- لماذا الحجاب وكيف توصت المرأة بالفتنة ويحذر منها الرجال؟ هل هي شبح؟

الجواب: إن ذلك لتكريمها أيضاً وأن الأشياء الثمينة تحفظ كالجواهر والأطياب، وهل هناك أثمن من المحارم وأشرف ولأن وجودها خارج المنزل حالة طارئة والأصل قرارها في البيت وعند النساء فلتحجب حتى تعود لأصل مكانها. وأما التحذير مناه وأنها فتنة، ألخ..، فليس لأنها شيطان أو عفريت من الجن وإن صورها الشطيان في أعين الرجال كذلك فتنة وإغراء، ويذكر أن امرأة سألت أحد الدعاة عن هذه المسألة فقال يا أخيتي: أليس المال والبنون فتنة كما ذكر الله فقالت: بلى، فقال: هل تكرهين المال والبنين لأنها فتنة، قالت: لا، قال: نحن كذلك لا نكره المرأة بل نحبها كالمال والبنين وإن كانت المرأة فتنة. إذن هذه الضوابط وغيرها لا تزيل التكريم بل تزيده

وعندما استدركت النساء في زمن النبوة واعترضن على بعض الأمور كان هنا الاعتراض متسما بسمات:

1- إنهن اعترضن على أمور تتعلق بالوضع الديني حرصا منهن على المسابقة في الخيرات.

روى البخاري في كتاب العلم من صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري قال: قالت النساء للنبي صلى الله عليه وسلم : "غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما يقال لهن ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار... الحديث".

2- كان ثنائيا بينهن وبين من يملك إنصافهن بأمر ربه لم ينشرن هذه الشبه التي ترددت في خواطرهن بين الملأ والنساء مع أن القلوب صالحة آنذاك والإسلام عزيز.

3- لم تتمن المرأة المسلمة أمراً تعلم أن الله قد فضل به الرجال إذ لم تنازع في القوامة، الحجاب.... بل أرادت أمراً هو من أجل دينها فقط، هذا أدب النبوة وتربية المصطفى لهم قال تعالى: {وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً}. وروى الإمام أحمد قال: حدثنا سفيان الثوري عن أبي نجيح عن مجاهد قال: قالت أم سلمة يا رسول الله: "يغزوا الرجال ولا نغزو ولنا نصف الميراث فأنزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله...". ورواه الترمذي عن أبي عمر عن سفيان به نحوه ورواه الحاكم وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه بلفظ (لا نقاتل فنستشهد ولا نقطع الميراث).

4- إن للطلب والاعتراض حدود نتعلمها من قصة أسماء بنت السكن خطيبة النساء رضي الله عنها تلك المرأة التي سألت أمور تتعلق بالدين مبتغية الأجر والثواب من ربها حتى أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقالتها قائلاً: "هل رأيتهم مقالة امرأة أحسن من مقالة هذه في دينا؟".

وثمة توصيات أبعث بها لمن يريد أن يتكلم بلسان المرأة المسلمة أو يخوض في قضاياها:

1- تقوى الله ووزن القضايا بميزان صحيح فلا يجعل من الأمور الهامشية التافهة مشكلة يرتفع صوته طالبا الحل لها.

2- لا يحق لمن لا ينتمي للإسلام أن يعتبر نفسه وصياً على المرأة وكيلاً على ما يتعلق بها.

3- عند معالجة ما يتعلق بالمرأة تراعي محدودية النقاش فلا ينشر الخواطر والتساؤلات على صفحات المجلات والصحف بل تبحث بحثا جاداً مع من يملك إقامة الحل.

4- من يعطي رأيا في تحديد الأمور المتعلقة بالمرأة لا بد أن يكون ملتزما منصفا ذا إدراك للواقع والعواقب والنفسيات.

هذا والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

==============

الحقائق الخفية لمسلمي (الحبشة) (3/1)

الحقائق الخفيّة لمسلمي (الحبشة) سابقًا (إثيوبيا) حاليًا

الحبشة – عمار بن بلال 1426/1/14

2005/02/23

يتعرض المسلمون وتتعرض العقيدة الإسلامية لانتقادات وحملات وتشويهات باستخدام مختلف الأساليب والوسائل والألفاظ والافترات؛ فمرة يُتهم الإسلام بالرجعية ومرة أخرى بالتشدّد والتطرّف. وأخيراً وليس آخراً بالإرهاب.

كان على مسلمي الحبشة وعلى عقيدتهم النصيب الأكبر من الضغط والقمع والاضطهاد والتنكيل والأذى والحرمان حتى من أبسط حقوقهم الإنسانية وذلك من خلال الأنظمة المختلفة التي تعاقبت على إدارة هذه البلاد، ومن خلفها الدول المسيحية الرأسمالية الغربية وما سبقها من الحروب الصليبية والاستعمار الغربي والدول الشيوعية.

وقد ساعد هذه الأنظمة أعداءُ الإسلام والمسلمين على تحقيق أهدافها ومآربها. وقد لحق بالمسلمين في هذه البلاد من الجهل والتخلف والفقر من خلال ما فرضته عليهم الأنظمة المختلفة حتى تكون هذه صورتهم المطلوبة.

وقد مرّت على هذه البلاد عدة أنظمة وهي على النحو التالي:

1- أنظمة ملكية إقطاعية لفترة طويلة استمرت حتى عام 1967م، ومن خلالها (5) سنوات نظام استعماري إيطالي.

2- أنظمة شيوعية عسكرية من 1967-1984م.

3- أنظمة ديمقراطية (علمانية) منذ عام 1984 ولا تزال.

ففي كل هذه الأنظمة المختلفة كيف كان وضع الإسلام والمسلمين في هذه البلاد؟

هذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل على أن يُؤخذ في الاعتبار العوامل التالية:

1- إن ما أُشير إليه في هذا التقرير هو جزء بسيط جدًا أو قطرة من الغيث من الواقع الحقيقي.

2- عند الحديث عن هذا الموضوع نضع أمامنا مراقبة الباري جلّت قدرته ومن خلال قوله تعالى: (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).

3- من خلال ما لديكم من الوسائل الإعلامية السمعية والبصرية والمقروءة وبالذات الموقع الإعلامي، ونحن حُرمنا من تملكها نظرًا لقدراتنا المادية والعلمية والإدارية والنظامية رغبنا تزويدكم بهذه المعلومات على أن تقوموا بنقلها عبر هذه الوسائل لإخواننا في العقيدة الإسلامية حتى يكونوا على علم وبصيرة بما عليه إخوانهم المسلمون، وما كانوا عليه في الحبشة (إثيوبيا) في الماضي وفي الحاضر.

الحبشة

هي البلاد التي أنجبت من لقمان الحكيم، النجاشي، بلالاً، أم أيمن حاضنة سيد الخلق محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ووالدة حِبّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أسامة بن زيد، وأمثال مهجع الحبشي، وأبي بكر الحبشي، وشقران الحبشي، وذو مخمر الحبشي، وهلال الحبشي، ويسار الحبشي و غيرهم فكلهم كانوا من الصحابة الأجلاء الذين وقفوا بجواره صلى الله عليه وسلم في ساعة العسرة والمحنة، ولا شك أن العناية والاهتمام الذي ناله المصطفى صلى الله عليه وسلم من أم أيمن وبالذات بعد وفاة والدته وهو صغير حتى قال فيها "أم أيمن بعد أمي" ومنه نال الأحباش حب رسول الله –صلى الله عليه وسلم- حتى قال فيهم: "من أدخل في بيته حبشيًا أو حبشية أدخل الله في بيته بركة".

ومن ناحية أخرى هي البلاد التي أشار النبي –صلى الله عليه وسلم– حينما كان أصحابه الكرام في محنة ومشقة وحصار بأن يهاجروا إليها قائلاً: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه".

وكان نتيجة ذلك أن أصبحت الحبشة بلاد الهجرتين ودخل الإسلام فيها قبل أن يدخل الطيبة الطيبة. وكان نصيبها أن استقبلت أعظم وأفضل وخيرة وصحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– الأوائل أمثال: عبد الله بن جحش، عبد الرحمن بن عوف، جعفر بن أبي طالب، عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ومصعب بن عمير، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن مظعون، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد، وعتبة بن غزوان، وعبدالله بن مسعود وغيرهم.

وكان من الأفضل والأولوية ففي أن تكون هذه العوامل والظروف والمواقف وسائل لأن تنال الحبشة وبالذات المسلمون فيها جل الاهتمام والعناية من إخوانهم في العقيدة الإسلامية وبالذات عرب الجزيرة العربية من خلال توطيد وتطوير العلاقات المختلفة السياسية منها والاجتماعية والثقافية والاقتصادية إلا أن الذي حدث هو العكس للأسف الشديد أن التباعد والانفصال والانقطاع والتجاهل كان سيد الموقف من خلال العصور المختلفة، حتى أصبح يُقال: "فهل هناك يوجد مسلمون في إثيوبيا (الحبشة) "وحتى تم تسجيلهم في الهيئات والمنظمات الإسلامية العالمية كأقلية إسلامية. وتم التلفيق والتزوير والتضليل في نسبهم السكانية في أنهم يمثلون خمسة وعشرين في المائة من عدد السكان في البلاد. ويا ترى من كان السبب في ذلك؟ ومن يقف وراء هذا الظلم الشنيع؟ ولماذا تم اتخاذ ذلك من الأهداف والوسائل الخبيثة؟ ومن المستفيد من وراء ذلك؟

مسلمو الحبشة غالبية عظمى من عدد سكان إثيوبيا البالغ سبعين مليون نسمة حسب الإحصائية الأخيرة، ويمثل المسلمون فيها ستين في المائة فأكثر.

تعرض المسلمون في هذه البلاد إلى جميع وسائل التنكيل والقتل والاضطهاد والتشريد والحرمان ومن أبسط الحقوق، وتم قفل البلاد أمام جميع وسائل الإعلام العالمية

المختلفة السمعية منها والبصرية والمقروءة حتى لا تنكشف وتتضح هذه الجرائم البشعة.

مُنع المسلمون الخروج من البلاد نهائيًا وتم منع دخول المسلمين من الخارج إليهم فلا يُسمح لمسلم في البلاد الاتصال بأي وسيلة كانت بإخوانهم في العقيدة الإسلامية في العالم.

ويُسمح لكبار السن من مسلمي إثيوبيا (وفي أضيق الحدود وبعد البحث والتحري والمراجعة) بالحج والعمرة، ويكون هؤلاء في أجواء من المراقبة والمتابعة لتحركاتهم ولقاءاتهم وتنقلاتهم أثناء تواجدهم في الأراضي المقدسة في مكة والمدينة.

أما الشباب من المسلمين فليس بالإمكان الخروج من البلاد نهائيًا فكل الذي استطاع الخروج منهم من البلاد وهم يُعدون على الأصابع استطاعوا استخدام طريق البر مشيًا على الأقدام للوصول إلى السودان ومن ثم الوصول إلى مصر والالتحاق بالجامع الأزهر للدراسة أو تغيير الإتجاه للوصول إلى السعودية، ومن ثم الالتحاق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وهذه الفئة القليلة وحتى بعد نيلها الشهادة الجامعية لا تتوفر لها الوظائف المناسبة داخل البلاد للعمل فيها؛ مما يضطرهم للبقاء خارج البلاد والعيش في حياة الغربة بعيدين عن الأهل والوطن. ومن رجع منهم إلى البلاد (وبعدد محدود جدًا) التحق – وبشق الأنفس– بالمحكمة الشرعية التي هي أصلاً محكمة صورية لا صلاحية لها، ولا مكانة لها في المجتمع. حيث من ينتسب إليها كموظف يعتمد له رواتب شهرية لا تزيد عن مئتي بر شهريًا، في حين ينال الموظف المعتمد في المحاكم المدنية الأخرى ما بين ستمائة وسبعمائة بر شهرياً. ناهك أنه لا يتم اعتماد هذه الشهادات الجامعية المصرية والسعودية من قبل الجهات الرسمية الحكومية كشهادات معتبرة رسمية مما اضطر المتخرجين من الجامعات العربية والإسلامية البسطاء أصلاً للبقاء خارج البلاد كمهاجرين.

وهنا نعود لننظر إلى أوضاع المسلمين في الأنظمات المختلفة التي مرت بهذه البلاد.

أولاً : المسلمون في عهد الأباطرة والملوك الذين حكموا هذه البلاد واستمر حكمهم حتى عام 1967م. وهنا نذكر على سبيل المثال فقط عهد الأمبراطور تيدروس، ويوحنا، ومنليك، وهيلا سلاسي.

في عهد الأمبراطور تيدروس: كان هذا الملك يعتبر الحبشة والمسيحية صنوان لا يفترقان؛ لذا عمل جاهدًا على اعتناق المسلمين المسيحية. وعندما أصبح تيدروس في أوج قوته عمل على تحقيق ثلاثة أهداف هامة:

1- القضاء على سلطة الطبقة الاستقراطية والاقطاعية في البلاد.

2- القضاء على قبيلة الجالا أو اعتناقهم المسيحية.

3- طرد جميع المسلمين الذين لا يعتنقون المسيحية من البلاد.

في عهد الأمبراطور يوحنا الرابع للفترة (1889-1872م).

ولقد تميز عهده بشدته وقسوته على المسلمين وحدد فترة أقصاها ثلاث سنوات حتى يتحول المسلمون إلى الدين المسيحي، وفرض على المسلمين أن يبنوا كنائس على نفقتهم بجوار مساكنهم، وأن يأكلوا اللحوم التي ذُبحت على أيدي المسيحيين، وأن يدفعوا عشورًا خاصة للقسيس والكنائس التي في منطقتهم وأخذ يستعمل مختلف الوسائل لتعذيبهم والحطّ من شأنهم فلجأ كثيرون منهم إلى الفرار من الهضبة إلى المناطق البعيدة عن سلطانه، بينما اضطر الكثيرون إلى التظاهر باعتناق المسيحية حتى يأمنوا على أنفسهم وعلى أرزاقهم، لكنهم ظلوا في صميم قلوبهم مسلمين متسترين على إسلامهم حتى إذا حانت ساعة وفاة أحدهم نطق بالشهادتين.

وفي سنة 1878م عقد الملك يوحنا مجمعًا يضم رجال الكنيسة الحبشية، ونادوا به حكما أعلى في المسائل الدينية وقرروا وجوب الاقتصار على دين واحد في كافة البلاد وأعطى المسيحيين على اختلاف طوائفهم الذين لا يعتنقون مذهب اليعاقبة مهلة عامين ليصبحوا بعدها متفقين في الرأي مع كنيسة البلاد. وألزم المسلمين باعتناق المسيحية في خلال ثلاث سنين وأذاع الملك مرسوماً بعد ذلك بأيام قليلة أوضح فيه أن مهلة ثلاث السنوات التي منحها للمسلمين ليست بذات أهمية؛ وذلك أنه لم يقتصر على إلزامهم ببناء كنائس مسيحية في مناطقهم كلما احتاج المسيحيون إليها. وكذلك دفع العشور للقساوسة الذين في مقاطعاتهم فحسب بل إنه أنذر

الموظفين المسلمين بأن يختاروا خلال ثلاثة شهور بين قبول التعميد واعتناق المسيحية أو التخلي عن وظائفهم.

ويقول (مساجأ) أحد الكتاب أن الملك (يوحنا) أرغم في حوالي سنة 1880م ما يقرب من خمسين ألف من المسلمين على التعميد ناهيك عمن قتلهم وأبادهم.

عهد منليك (1865–1913م)

تميّز حكم منليك بخواص ثلاث بالغة الأهمية وهي:

1– امتداد إمبراطوريته إلى الجنوب الغربي مستولياً على الممالك الإسلامية والقضاء عليها.

2– احتفاظه باستقلال الحبشة ودفاعه عنها ضد الحملة الإيطالية في سنة 1896م.

3– القضاء على سلطة الملوك والأمراء وجعل الدولة وحده واحدة وبالذات الإسلامية منها. وكسر شوكة الإسلام، ولقد كان المبشرون ومن جلبهم من المندوبين العسكرين من أوروبا خير المستشارين لمنليك لتحقيق هذه الغاية.

العهد الأول للأمبراطور (هيلا سلاسي):

نال لقب الملك في عام 1928م واعتبر نفسه ملكًا للملوك وسمّى نفسه "الأمبراطور هيلا سلاسي" الأول في عام 1930م، ولهذا الملك صفة هامة استخدمها لتحقيق مآربه ومكائده ضد الإسلام والمسلمين أكثر من غيره من الملوك السابقين فلم يشأ أن يستخدم عنصر القوة والقتل المباشر على المسلمين بل استخدم أساليب ووسائل سياسية أكثر مكرًا وحقدًا وطغينة وخداعًا.

فعندما وقف أمام عصبة الأمم في عام 1928م للدفاع عن حق بلاده واستقلالها من إيطاليا نطق بكلمة قال فيها:"إنه يريد وحدة الدين واللغة لبلاده ويعمل جاهداً لتحقيق هذه الغاية". وحدة الدين المسيحية وحدة اللغة اللغة الأمحرية.

وعليه بعد استلامه للسلطة لم يلجأ إلى الأساليب السافرة من الاضطهادات الدينية الإجبارية التي كانت سائدة في عهد الملوك الذين سبقوه في حكم البلاد بل تظاهر بأن حرية الدين مكفولة وألغى ما يتعارض مع ذلك من قوانين. لكنه اتبع نفس الإجراءات السابقة بالنسبة للمسلمين وأقرها بطريقة مستترة بأن سمح للمسلمين بمزاولة النشاط التجاري على أن يبعدوا عن الوظائف والمناصب العامة ومن جميع ما يتعلق

بحياة البلاد السياسية. وجعل بين المسلمين وبين الطبقة الحاكمة فاصلاً واضحًا. وقد أخذت أساليب التفرقة طابعاً رسمياً؛ إذ إن الدستور الجديد الذي أصدره ربط بين الجنسية الحبشية والدين المسيحي ربطًا متينًا قضى على آمال المسلمين في تحسين مستواهم؛ فاعتبر المسلمين لاجئين لديه فليست لهم ولا عليهم الحقوق والواجبات الممنوحة للمواطن الحبشي. وما سمح للمسلمين من مجال فقط هو النشاط التجاري والزراعي والرعي فقط، لكن الضرائب والعلاوات والأتوات التي فرضت عليهم للحكام وأعوانهم وللكنيسة ومنسوبيها لم يُعط لهم المجال لتحقيق ما يصبون إليه من الرقي إلا ما يسد رمق عيشهم فقط.

المسلمون من خلال الاحتلال الإيطالي للبلاد:

منذ اللحظة الأولى أعلن الإيطاليون أنهم سيحمون الإسلام والمسلمين وسيعاملونهم على قدم المساواة مع المسيحيين. وأعلن موسولوني أنه سيضمن لهم السلام والعدل والرفاهية، وسيعمل على احترام القوانين الإسلامية. ولم يكن مسموحًا للمسلمين في الحبشة أن يقيموا مساجد جيدة البناء، ولكن الإيطاليون صرحوا ببناء مساجد جديدة لهم في كل مكان يوجد به مسلمون. وقامت الحكومة بتعيين القضاة الشرعيين لتطبيق الشريعة الإسلامية، وأُدخل تدريس اللغة العربية في جميع المدارس التي أُنشئت للمسلمين. ولقد كتب الأمير شكيب أرسلان في هذا الموضوع مقدمة كتاب: (المسلمون في الحبشة) في إبان الاحتلال الإيطالي بهؤلاء الذين يتباكون على احتلال الحبشة يقول: "أفلا تذكرتم سلطنة هرر الإسلامية التي أغار عليها الملك منليك الثاني السابق، ونسف استقلالها واستحلها وذبح من أهلها خمسة آلاف رجل في شوارع هرر، وضبط أملاك كثير من المسلمين وجعل مسجدهم الأعظم كنيسة. ومنع استعمال اللغة العربية... الخ.

العهد الثاني للأمبراطور هيلا سلاسي يبدأ من عام 1942م:

قامت الحملات البريطانية بطرد الإيطاليين من شرق أفريقيا وإعادة عرش إثيوبيا إلى الأمبراطور هيلا سلاسي. وقد سبق كلامنا عن حالة المسلمين في عهد هيلا سلاسي الأول، أما ونحن نتكلم عن عهده الثاني فإن أشياء كثيرة قد تغيّرت بين العهدين وكان منها انتعاش المسلمين بفضل سياسة المساواة التي اتّبعها الطليان، فلقد وجد

المسلمون في هذه المساواة فرصة نادرة للانطلاق حتى أصبح عماد البلاد متوقف عليهم لكثرة عددهم ونشاطهم وإقبالهم على الزراعة والتجارة والصناعة الناشئة. ولكن ما أن عاد الأمبراطور إلى الحكم مرة أخرى حتى أخذ يعمل في هدوء وبراعة لكي يعيد المسلمين إلى ما كانوا عليه في السابق من حرمان وإهمال وظلم ويرخي عليهم ستارًا كثيفًا من النسيان يحجبهم عن العالم ويحجب العالم عنهم.

ومما يؤسف له أن الأمبراطور استعمل هذا الدهاء ا لنادر والخبرة التي لا تُجارى في محاربة المسلمين والإسلام، واستعمل نفس الخبرة في حجب أخبار المسلمين في بلاده عن العالم الخارجي في الوقت الذي يعمل فيه على إظهار نفسه بمظهر الحاكم المتسامح، بل المفرط في تسامحه، وعاونته على ذلك أجهزة الإعلام الغربية التي تسيطر على إعلام العالم، حتى أصبح من المستحيل على من ليست له دراية بتلك البلاد معرفة الحقيقة، ولا يمكنه الاعتماد على ما تكتبه وتنشره وسائل الإعلام الزائفة التي تسيطر عليها الدولة، ولم يعد هناك سبيل للاطلاع على الأمور ومعرفة الأوضاع الصحيحة إلا بزيارة البلاد، وزيارة البلاد للمسلمين ليس بالأمر الهين.

سلاح رهيب يتقنه الأحباش ويتفقون فيه في عهد الأمبراطور هيلا سلاسي، وهو سلاح الإهمال والنسيان سددوه إلى المسلمين، فسرعان ما فقد المسلمون جميع ما كسبوه في عهد المساواة الذي ساد في عهد الطليان، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه، وأصبح محرّمًا على المسلم مرة أخرى تولي الوظائف الهامة، أو الالتحاق في الجيش، أو الخدمة في الشرطة، أو التمتع بوسائل التعليم الحديثة التي تعتني بها الدولة غاية العناية، وتنفق عليها جانبًا هاماً من أموال الدولة، الذي تحصل على أغلبه من الضرائب التي يدفعها المسلمون، وإنك لا تجد مسلمًا موفدًا في بعثة من تلك البعثات التي تعلق الدولة عليها آمالها للمستقبل. وخلاصة القول هو أن ما يمكن أن يتصوره القارئ من وسائل الظلم والإهمال وسوء المعاملة يجده مطبقًا في أسوأ حالاته في هذا الحكم، في هدوء وبرود وبراءة. والوضع الذي كان سائداً في الحبشة في هذه الفترة هو طبقة متميزة حاكمة تتألف من المسيحيين، فمنها الحاكم والموظفون في جميع الدرجات ومنها الجيش والشرطة ورجال الأمن، وقليل منهم يعملون في الزراعة والباقون لا يزالون يعيشون في حالة مذهلة من التخلف والبداوة

تبذل الحكومة أقصى جهدها لرفع شأنهم وتخصهم بعنايتها حتى تغير من أحوالهم في أقصر وقت حتى تزداد قوة المسيحيين تمكّنًا وثباتًا، هذا بالإضافة إلى رجال الكنيسة الذين بلغ عددهم حوالي ثلث عدد المسيحيين ويعيشون على موارد ثلث أراضي الحبشة الموقوفة لهم؛ إذ بلغ عدد كنائسهم أكثر من ثلاثين ألف في طول البلاد وعرضها وبلغ عدد الكهانات أكثر من أربعين ألفًا يقومون بالإشراف على إدارة الكنيسة والتنصير ونشر الإلحاد والضلال بجانب أنه تم تعميم بناء الكنائس في الأرياف والقرى والمدن وبالذات في المناطق الإسلامية حتى ولو لم يكن فيها مسيحيّ، أما الطبقة الأخرى فهي من المسلمين الذين هم غالبية أهل البلاد وتتكون منهم الطبقة المحكومة، تُطبّق عليهم أساليب التفرقة التي سادت منذ أقصى عصور التاريخ، وكذلك في العصور الوسطى، من تقسيم الشعب إلى سادة وعبيد، فالمسيحيون هم السادة والمسلمون هم العبيد عليهم حراثة الأرض ومزاولة الحرف والتجارة ودفع عملية الحياة في البلاد تسوقهم الطبقة الحاكمة إلى ذلك سوقًا، وتجبي منهم الضرائب والعشور، وتفرض عليهم أداءها عدة مرات كل ما شاء حكام المناطق ورجال الأمن الحصول عليها، ثم بعد ذلك كله يُحرم المسلمون من التمتع بحقوقهم كمواطنين، بل تُطبق عليهم قوانين مستوردة تكسر من شوكتهم وتحيطهم بسياج لا يمكن تخطيه، وتضغط عليهم للبقاء في أوضاعهم بحيث لا يتمكنون من أن تقوم لهم قائمة.

ومن أهم الأساليب التي تدفع الحكام المسيحيين إلى الإمعان في الضغط والظلم وتضييق الخناق على المسلمين في هذا الفترة معرفتهم التامة بالحقيقة الخافية عن العالم، وهي أن المسلمين أصبحوا غالبية بين أهل البلاد ويتميّزون بصفات لا تتوفر لدى المسيحيين، ولقد أجمع جميع الكتاب والمؤرخين والرحالة الأجانب على أن المسلمين يتميزون بالنشاط والذكاء والدأب على العمل ويُعرفون بنظافتهم وتفوقهم في مجال المدنية وتفتح الذهن والاستعداد الطبيعي لسرعة التقدم إذا أُتيحت لهم سبل العلم والمعرفة، لذلك اتفقت كلمة حكام الأحباش على الإمعان والإصرار والعناد على ما يفرضونه على المسلمين من حرمان وإهمال. ويعلم الحكام أيضًا من حوادث تاريخهم القريب إلى الأذهان، أن المسلمين إذا تجمعت كلمتهم أصبحوا خطرًا لا قبل

لهم بمواجهته؛ لذلك يعتمد الحكام في استمرار الوضع الراهن بتقطيع أوصال المسلمين والمقاطعات الإسلامية ومواجهة ومحاربة كل بادرة من بوادر الاتصال بينهم في الداخل، وفيما بينهم وبين إخوانهم في العقيدة بالخارج، بل يعمد المسؤولون على إثارة الخلافات والنعرات القبلية والطائفية والعنصرية بين المسلمين ويعملون على توسيع أسباب الشقاق والخلاف بينهم، والحكام في هذا السبيل لا يعدمون الوسائل المتعددة، فهم يضربون فريقًا بفريق ويشترون ذمم بعض ضعاف النفوس، ويخصون بوظائف الأئمة وقضاة الشريعة من يدين لهم بالطاعة والولاء، وإذا لمسوا من أي مسلم نزعة إلى التحرر أو الاحتجاج نزلت به أقسى أنواع المعاملة من تشريد وحرمان وسجن، ثم اغتيال إذا استدعى الأمر ذلك، وهذا هو الواجب الأول المناط على الحكام الذين يعيّنهم الأمبراطور على مختلف مقاطعات الدولة.

فقد ظل الأمبراطور يعمل جاهدًا للاستمرار في استخدام هذه الأساليب طوال خمسين سنة وتحت شعار هام كان ينادي به وبمباركة الكنيسة (إثيوبيا جزيرة مسيحية) وخلاصة القول في هذه المرحلة إنّ ما سُمح للمسلمين من المهن المُناطة بهم هي: الزراعة والرعي والتجارة فقط. ولكل منهم القيام بتسديد الضرائب والأتاوات والعلاوات والعشورات للحكام وللكنيسة؛ فكما سبق أن قلنا: إنه تم توظيف ثلث أرض البلاد للكنيسة، وما تبقى من الأراضي للحكام وأتباعهم، وعليه فإن على المزارع والراعي المسلم (المحروم أصلاً تملّكه لآلية ووسائل الإنتاج) أن يعمل جاهدًا على تسديد هذه الضرائب والأتاوات والعلاوات للحكام والكنيسة ويتمثل ذلك ماديًا وعينيًا، فمثلاً لو قلنا: إن مزارعًا مسلمًا قام بمزاولة مهنة الزراعة فعند حصد محصولاته الزراعية في نهاية السنة وقبل أن يأخذ شيئًا لبيته لإعالة أبنائه أو أسرته يقوم بشحن جزء من هذا المحصول على دابته قاطعاً المسافات الطويلة ماشيًا على الأقدام للحكام أو للكنيسة التي تملك هذه الأرض، أو لمن يتم تفويضه من قبلهم؛ لتسليمها لهم عينة من هذا الإنتاج الزراعي موضحًا الكمية التي حصل عليها. ويأتي بعد ذلك تسديد الضرائب ماديًا، أي أن الفلاح المسلم يضطر لدفع الضرائب والأتاوات مرتين في السنة على الأقل عينيًا وماديًا، وإذا لم يقم أو يتأخر بتنفيذ ذلك يتم سحب الأرض منه وطرده، ناهيك عما يدفعه من الرشاوي والعلاوات لرجال الأمن ومنسوبي الحكام المعتمدين

في هذه الأقاليم والمحيطين بموقعه وموقع سكنه ومزارعه والغريب في الأمر أن من يرتد عن عقيدته الإسلامية بإمكانه الحصول والتملك على قطعة أرض إن كان فلاحًا أو الإنضمام إلى الوظائف في الدولة وبالذات في الميادين العسكرية والشرطة والأمن، وبالتالي التمتع بميزة الترقية والحصول على المنح والعلاوة المختلفة

المسلمون في عهد الحكومة الشيوعية العسكرية (1984-1967م)

كان لهذا النظام جانب إيجابي وجانب سلبي بالنسبة للمسلمين والإسلام في هذه البلاد.

أما الجانب الإيجابي: عندما أعلن النظام المبادئ الشيوعية في البلاد كان عليه أن يضرب بالدرجة الأولى الفكرة الإقطاعية والملكية الخاصة فإذا عرفنا أن ملكية الأرض كانت مقسمة بين النظام الحاكم الملكي وأعوانه ومنسوبي الحكام من الجيوش والحاشية وبين الكنيسة المرشد الروحي العالي للحكام المستبدين، فإن المتضررين والمتأثرين من النظام الشيوعي كانت الطبقة الحاكمة وأتباعها والكنيسة بالدرجة الأولى، فلم يكتفي النظام بالتأميم على الأراضي ووسائل الإنتاج بل تطور الأمر إلى تأميم المباني الخاصة في المدن، وكانت غالبيتها تعود ملكيتها للأطراف المذكورة آنفًا. بالإضافة عن ذلك فإنه ونظراً لقلقه من معارضة النظام الإقطاعي البائد قام بإعدام كبار المسؤولين من المدنيين والعسكريين وأعوان الإمبراطور لما حس منهم الخوف والقلق على نظامه ومبادئه وخططه وبرنامجه الشيوعي والاشتراكي، وكون أن المسلمين لم يكونوا جزأ من هذه القيادة العليا، ولم يكن لهم دور في ذلك فإنه لم يتعرض منهم أحد لهذا القصاص. ومن ناحية أخرى فإن هذا النظام ساعد على تقليص سلطة الكنيسة وتقليص مواردها المالية واتهامها بأنها كانت الساعد الأيمن لحكم الأباطرة في ا لبلاد مما ساعد على تخلف البلاد اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا حيث إن الكنيسة تعم بالجهلاء والمخرفين والمتخلفين عقليًا وفكريًا الذين قاموا بنقل خرافاتهم وجهالاتهم إلى الشعب عموما تحت شعار الصليب الذي يحملونه على صدورهم وبأياديهم ودعوة المواطن المسيحي إلى الاقتداء بهم حتى أصبح المواطن لا يخطو خطوات في أعماله وفي أفكاره وفي معتقداته إلا بمشورة القس أو الأب الروحي كما يسمونه؛ مما نتج أن عدد الأيام التي كان يعمل بها المواطن المسيحي

زراعيًا وتجاريًا وتعليميًا أقل من عشرين في المائة من عدد أيام السنة. مما سبب التخلف في البلاد في جميع الميادين. لذا وجد هذا النظام في الكنيسة السبب المباشر فيما آلت إليه البلاد من التخلف نتيجة سيطرتها الروحية والمالية على الأباطرة وعلى الشعب، ومن جانب آخر فإن هذا النظام الشيوعي قد قام بتقليص علاقاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية بالأنظمة الرأسمالية الغربية الإقطاعية، وهي مولد ومنبع الهيئات والجمعيات التنصيرية فاتجه مباشرة صوب الدول الاشتراكية والشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي الروسي آن ذاك وكانت نتيجة ذلك أن تقلّص دور الجمعيات والهيئات التنصيرية الغربية التي تحظى وتنال الدعم والمساندة والرعاية من الأباطرة والكنيسة في البلاد. كما أن هذا النظام وجد الظلم والقمع الذي كان مطبقًا على المسلمين في هذه البلاد من قبل الحكام والكنيسة لذا رغب إزالة بعض هذه الصعوبات ومساعدة المسلمين في بعض الجوانب فسمح لهم ببناء المساجد والمدارس الإسلامية في بعض المدن التي كان يحرم فيها الإقامة على المسلمين ودفن موتاهم بحجة أنها مدن مقدسة لدى المسيحيين وتحمل أسماء تتعلق في مضمونها بعقيدتهم المسيحية كما يزعمون مثل: دبر زيت، دبر برهان، دبر مارقوس، دبر سينا وهكذا، ففي مثل هذه المدن ليس فقط إقامة المساجد ورفع الأذان أو إنشاء مدارس إسلامية لم يكن يسمح بأن يقيم فيها مسلم أو يدفن فيها إن مات أو يبيت فيها لو تعطلت مركبته؛ لأنه في اعتقادهم يعتبر نجسًا. ناهيك عن هذا فإن أي غرفة في فندق ما بات فيها مسلم أو ما عون أكل فيه المسلم أو قدح شرب به هذا المسلم يتم فورًا استدعاء القس المعتمد في الحي لإجراء الطقوسات اللازمة لتطهيرها، هكذا كانت الكراهية للمسلم في هذه الأماكن.

كما أن هذا النظام بدأ ولو بطريقة مبسطة ومحدودة الانفتاح مع العالم العربي والإسلامي وبالذات مع الدول العربية ذات الميول الاشتراكية. ولأول مرة بدأ بتبادل التهاني مع الحكام في الدول العربية والإسلامية في المناسبات والأعياد المختلفة، مع السماح لبعض الدول العربية في افتتاح سفارات أو بعثات دبلوماسية لدى البلاد وتبادل الزيارات لبعض المسؤولين في الدولة.

أما الجانب السلبي لهذا النظام بالنسبة للمسلمين يتمثل فيما يلي:

جاء النظام بالمبدأ الشيوعي الإلحادي كأساس وتمثل في رأس هرم السلطة ومنه يتم تطبيق هذا النظام وهذا المبدأ في جميع السلطة التشريعية والتنفيذية كلها لا بد أن يدين أعضاؤها ومنسوبوها بالمبدأ الشيوعي الإلحادي؛ لذا نجده وبناء على أن الانضمام للعمل في الأجهزة المختلفة في الدولة يشترط أن يكون المنتسب فيها عضوًا أو كادرًا للحزب الشيوعي الحاكم بما فيه الأجهزة والميادين العسكرية والنسائية والشبابية والرياضية والدبلوماسية والثقافية إلخ...

ومن أجل الانضمام لهذه العضوية يجب ويتطلب على الشخص أن يقسم بعدم انتمائه لأي دين أو ملة ما إسلامية أو مسيحية أو بوذية أو غيرها، وهذا الشرط لم يساعد المسلمين الغيورين على دينهم وعقيدتهم الانضمام إليه؛ لأنه ليس من السهل للمسلم الحقيقي أن يقسم ويحلف بالكفر على خالقه ورازقه الواحد الأحد. ومن ثم يرتدي اللباس الأزرق السماوي وعليه شعار المنجل والمطرقة مضمونة أنه عضو في الحزب الحاكم أو في كوادره، عقيدته الإلحاد يؤمن بعدم وجود خالق والعياذ بالله.

لم يسمح الظلم بتطوير العلاقات اللازمة مع الدول الإسلامية والعربية وبالذات الخليجية منها. ولم يسمح للمسلمين الاتصال بإخوانهم من العرب والمسلمين على الوجه المطلوب. ولم يطور مكاتبه الدبلوماسية في الدول العربية والإسلامية بالأجهزة والكوادر الكفؤة لتطوير العلاقات المختلفة بين إثيوبيا وبين هذه البلاد، وكانت حجة هذا النظام أنه يرى أن الدول الإسلامية والعربية وبالذات الدول الخليجية تقف وراء الانفصاليين في الشمال وبالذات في أرتيريا. وتقدم لهم المساعدات العينية والمادية والعسكرية المختلفة لتحقيق الانفصال عن البلاد وضرب وحدة البلاد.

تأميم وسائل الإنتاج والممتلكات الخاصة كان لها نصيب من الأضرار على المسلمين أيضًا وكما علمنا أن النظام قام بتأميم وسائل الإنتاج وعدم السماح بالملكية الخاصة في كل شيء، فإذا علمنا أن المجال الذي أتيح للمسلمين في السابق كان الزراعة والرعي والتجارة، فإن تدخل الدولة في هذه الميادين قد أضرّ أيضًا بالمسلمين حيث أدّى إلى عدم تطوير مجالات عملهم وبالذات المجال التجاري وتحديد الاتجاه للعمل مع الدول الشيوعية في جميع الميادين المختلفة.

اتجاه هذا النظام على تقليص النشاط الديني واعتباره أفيون كما يسميه الشيوعيون، وعليه قد فُتح ميدان الإلحاد والفساد والانحلال مما كان له نتائج سلبية على شباب المسلمين الذين هم أصلاً يفتقرون لمبادئ عقيدتهم الإسلامية نتيجة عدم توفر المدارس الدينية، لذا نجد انتشار الفساد والإنحلال الخلقي والاجتماعي وتفتت الأسر المسلمة وعدم تحكم الآباء في أبنائهم وبناتهم والزوج على زوجته وانتشار النوادي والملاهي الليلية كان له نتائج سلبية على عقيدتهم.

الموقع الجغرافي السكاني للمسلمين في إثيوبيا:

الموقع الجغرافي السكاني للمسلمين في الحبشة وآثار الحروب والمجاعة والقحط والتخلف والفقر الذي تعرضت وتتعرض له مناطقهم بين حين وآخر، وكان لها نتائج سلبية على حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وكما سبق أن ذكرنا أن الحكام الأباطرة قد فرضوا على المسلمين اعتناق الديانة المسيحية، ومن رفض منهم طُرد من عمله، وأُجبر على الرحيل والخروج من المدن، ومُنع المسلمون من الانضمام إلى الوظائف المختلفة في الدولة في كل المجالات المختلفة المدنية منها والعسكرية، لذا سُمح لهم فقط بمزاولة مهنة التجارة لمن بقي منهم في المدن والزراعة والرعي لمن تم طردهم إلى الأرياف على أساس أن يبقوا موالين للحكومة والكنيسة بدفع الضرائب والإتاوات المختلفة مقابل استخدامهم الأراضي للزراعة والرعي. ولذا نجد أن المناطق التي أوى إليها المسلمون هي المناطق المنخفضة في إثيوبيا التي هي أصلاً لا تتوفر فيها الوسائل العصرية اللازمة مثل المواصلات والنقل والطرق ووسائل الإعلام والاتصالات المختلفة وخدمات الماء والكهرباء والهاتف والمدارس والمستوصفات والمستشفيات وجميع ما يتعلق بالمظاهر المدنية والعصرية وكان الهدف من وراء هذا كله بأن يبقى المسلم الحبشي نسيًا منسيًا داخليًا وخارجيًا. بالإضافة عن ذلك فإن الوسائل التي يستخدمونها في مهنتهم الزراعية هي وسائل بدائية بحتة ويعتمدون بالدرجة الأولى على الأمطار فقط لتحقيق مطالب معيشتهم الزراعية والرعي.

وعندما حدثت المجاعة في الأعوام 1965 و 1977م وما بعدها حسب التقويم الإثيوبي كانت أكثر المناطق التي نالت النصيب الأكبر من هذه المجاعة هي

المناطق الإسلامية، وعندما دعت الحاجة إلى الاستنجاد بالمساعدات الخارجية فإن الذي لبّى هذا النداء بالدرجة الأولى كانت المنظمات والهيئات المسيحية التنصيرية الغربية حيث وجدت ضالّتها، وما كانت تبحث به عن وسائل لتحقيق مآربها وأهدافها وخططها، وبالذات بعد تقليص سلطة الكنيسة ومن ورائها في هذه الفترة من قبل النظام الشيوعي في البلاد. وتحت شعار تقديم العون والإعانة والإغاثة انكبت هذه المؤسسات التنصيرية الغربية وحلت في الأقاليم وشرعت تقدم عونها المادي والمعنوي الممزوج بسمومها وتنصيرها وتشير الإحصائية أنه في مراكز كل من باتي وكورم في شمال البلاد بولاية وللو المسلمة بالذات تم تنصير أكثر من ثمانين ألفًا من أطفال المسلمين وتم جلبهم إلى المدن بإقامة الملاجئ والمراكز المختلفة، وجزء منهم تم أخذه إلى خارج البلاد تحت شعار التبني وتربية الأيتام، وهكذا كانت هذه الفترة فرصة كبيرة للقيام بعملية التنصير والتكفير لأبناء وأطفال المسلمين، وتم ذلك في غياب المؤسسات والجمعيات ووسائل الإعلام العربية والإسلامية نهائيًا، ولا شك أن هذه الفترة كانت فرصة لميلاد العديد من المؤسسات والجمعيات التنصيرية المحلية التي أقامتها المؤسسات الغربية للتعاون معها في كل الفترات المختلفة على أن تظل المؤسسات الغربية في تقديم العون المادي والمعنوي ومن هذه المؤسسات التي ولدت في هذه الفترة (مؤسسة أببيش غوبنا) الكائنة في أديس أبابا والتي تحتضن بداخلها أكثر من خمسة آلاف طفل وشباب من الأيتام وغير القادرين، وهي المؤسسة التي نالت الوسام من الحكومة البريطانية في العام الماضي ويزورها الحكام والزعماء الغربيون عند زيارتهم للبلاد، ويقدمون لها كل العون والإعانة والتشجيع للاستمرار في مهمتها، والغريب في الأمر أن هناك سماسرة يزورون ويطوفون المناطق الإسلامية المختلفة في البلاد والمتضررة بالمجاعة والقحط بين حين وآخر لجلب الأطفال إلى مثل هذه المؤسسات بحجة تقديم العون والإعانة وتربيتهم ثم تحويل عقيدتهم إلى النصرانية، ولا يسعنا المجال لذكر التفاصيل عن هذه المصائب في هذه الخانة لكن نقدم للقارئ الكريم وللغيورين على دينهم الإسلامي جزءاً من هذه المعلومات لمعرفة القليل من الكثير في هذا الموضوع.

المسلمون في عهد ما يسمى الفترة الديمقراطية الحالية منذ عام 1984م ولا يزال:

من المعلوم أن النظام الحالي الذي تشرف عليه الجبهة الوطنية المتحدة هي أساسًا جبهة معارضة للنظام العسكري المنحل، وكانت تحمل الفكرة الماركسية ولادة ونشأة إلا أنها وعندما استلمت السلطة في البلاد وجدت نفسها في وقت تندحر وتتحطم فيه الفكرة الماركسية واللينينية الشيوعية عالميًا، ورأت تزلزل الفكرة الشيوعية وتشتتها وتفكك الاتحاد السوفيتي وسقوط جدار برلين وتساقط الزعماء الشيوعيين واندحارهم واحدًا بعد الآخر، وعليه وجدت نفسها مضطرة إلى تغيير اتجاهاتها والتمشي مع الفكرة العالمية الجديدة سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا واجتماعيًا، لذا أعلنت الفكرة الديمقراطية كلمة حق أريد بها الباطل للتمشي مع الأوضاع العالمية المستجدة خارجيًا وداخليًا، فأعلنت حرية التعبير والتجمع والمظاهرات والانتقادات وتشكيل الأحزاب وإقامة الاتحادات المختلفة وتأسيس البرلمان وحرية الأديان وعدم تدخل الدولة في الدين، فظهرت الصحف والمجلات المختلفة المعبرة عن كل الآراء المختلفة ومع هذه التطورات الجديدة وجد المسلمون فرصة للتعبير عما كانوا يعانونه من المشقة والضغط والحرمان لحقوقهم فظهرت بعض المجلات والصحف الإسلامية والأحزاب السياسية الإسلامية كما أنه ولأول مرة لوحظ مشاركة المسلمين في القيادة السياسية، وتم السماح للمسلمين لشغل بعض الوزارات وبعض الإدارات، ولكن الملاحظ أن الأساس الذي تم الاعتماد عليه لشغل هذه المناصب للمسلمين هو معيار الانتماء القبلي والحزبي أكثر مما هو الاعتماد على الأساس الديني بجانب أن هذه الوزارة أو الإدارة التي تم السماح للمسلمين لشغلها هي وزارات أو إدارات غير مهمة وغير أساسية وغير حساسة ودائمًا تتعلق بالتجارة والصناعة والمعادن والسياحة؛ فكلها وزارات مالية أكثر مما هي سياسية وعسكرية، فأما الوزارات الحساسة مثل الدفاع والداخلية فظلت في أيدي المسيحيين هذا على المستوى الفدرالي في البلاد. أما على المستوى الإقليمي وبالذات الأقاليم الإسلامية فإنه لوحظ تولي العديد من المسلمين إدارة الأقاليم في الأمور المختلفة إلا أن الشرط الأساسي لا يزال هو الإنتماء الحزبي أساساً للوصول إلى مراكز القيادة في الإقليم.

ومن جانب آخر فإنه ومع بداية هذا النظام وما أعلنه من الانفتاح والحرية وعدم تدخل الدولة في الدين وهذا ما تحقق فعلا للكنيسة، ولكن ظهرت بعض الانفراجات

للمسلمين وقبل أحداث المسجد الكبير في شهر رمضان عام 1987م حسب التقويم الإثيوبي، فظهرت مؤسسات إسلامية عالمية تفتح مكاتب لها في البلاد مثل الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وإن كان تم فتح مكتبها من قبل، وهيئة الإغاثة الإسلامية ومؤسسة موفق الخيرية، والمنتدى الإسلامي ومن بعدها مكتب لجنة أفريقيا، ومؤسسة الحرمين، ومؤسسة الأمير سلطان الخيرية، وبدأت كلها تقدم بعض المساعدات في الإغاثة وإقامة المدارس والمساجد في الأقاليم الإسلامية التي تعاني من الفقر والتخلف والجهل والقحط والمجاعة، وبدأ المسلمون لأول مرة يقيمون مراكز لتحفيظ القرآن الكريم والمشاركة في المسابقات الدولية، واستقبال الدعاة من الخارج والأئمة والخطباء وبالذات في شهر رمضان المبارك.

إلا أن هذه الشمعة وهذا البصيص والإضاءة الخفيفة لم يدم طويلاً وبدأ يضمحل ويتقلص لأسباب داخلية وخارجية مع ظهور التسميات المختلفة للعقيدة الإسلامية من أنها فكرة رجعية وتشدّدية وتطرّفية وآخرها وليس آخرها إرهابية. بجانب التخلف الثقافي والإداري والمالي للمسلمين مع ما تعرضت له المناطق الإسلامية من القحط والمجاعة والفقر مرارًا وعدم وجود مركز إسلامي موحد وقوي يعبر عن آرائهم ومشاكلهم والقيام بجمع كلمتهم ويقوم بالحماية لحقوقهم ومطالبهم لم يتم استغلال هذه الفترة على الوجه المطلوب كما استغلتها الجهات المختلفة الأخرى وبالذات المسيحية وعلى رأسها الكنيسة، وقد كانت الحكومة في هذه الفترة حكومة انتقالية لفترة محددة تقوم من خلال هذه الفترة الانتقالية في إعداد الدستور العام الجديد للبلاد يتمشى مع الوضع الجديد. لذا تم تكوين الأجهزة الفنية والإدارية اللازمة لإعداد الدستور الجديد في البلاد. وأثناء إعداد هذا الدستور لاحظ المسلمون إهمال حقوقهم وواجباتهم والأهم من ذلك ما يتعلق بمحاكمهم الشرعية. وكما سبق أن أوضحنا أنه لم يكن يوجد جهاز إداري قوي يهتم بأحوالهم وأمورهم، وأن بما يُسمى المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية غير قادر وغير جاهز إداريًا وفنيًا للقيام بالنيابة عن المسلمين في البلاد، مع ضخامة حجم هذه المشاكل وتراكمها، لذا قرر المسلمون ومن خلال تجمعاتهم في المساجد والخلاوي وفي بعض المؤسسات الإسلامية الصغيرة أمثال منظمة الشباب الإسلامي وهيئات العلماء وأنصار السنة ولجنة تطوير وضع المحاكم الشرعية

وغيرها الخروج بمظاهرة ضخمة للتعبير عن مطالبهم وحقوقهم المهضومة وإصلاح شأن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وبالذات فإن هذه الفترة كانت فترة إعداد الدستور العام للبلاد، وقد انتهت اللجنة المعتمدة في ذلك من دراسة ووضع ما يجب اعتماده من البنود في دستور البلاد، وتجاهلت كل ما يتعلق بالمحاكم الشرعية للمسلمين وحقوقهم.

فتم تكوين لجنة من المسلمين لإعداد هذه المظاهرة شملت العلماء والتجار والأساتذة والطلاب والنساء وموظفي الدولة من المسلمين وبالذات القضاة منهم؛ فتم تحديد اليوم والساعة للخروج بالمظاهرة وذلك في يوم 19 هدار 1987 حسب التقويم الإثيوبي، وقد تجمع أكثر من مليون مسلم اكتظت بهم الشوارع للوصول إلى قصر الرئاسة، وكان من البرنامج أن يقوم رئيس الوزراء آنذاك تامرات لايني في استقبال المتظاهرين للتباحث حول مطالبهم. إلا أن ضخامة هذه المظاهرة وكثرة المشاركين فيها دعت وألزمت تغيير البرنامج في أن يستقبل رئيس الحكومة الانتقالية آنذاك ورئيس الوزراء حاليًا السيد ملس زيناوي وبحضور الوزراء آنذاك تامرات لايني استجيبت مطالب المسلمين وأهمها ما يتعلق بالمحاكم الشرعية، وإصلاح وضع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وتحقيق مطالب المسلمين من الحقوق والواجبات ورفع الظلم وعدم التدخل في شؤونهم الدينية وما يتعلق بحقوق المرأة من الحجاب وغيرها وفق مضمون العقيدة الإسلامية وكذا ما يتعلق بالطلاب المسلمين في المدارس المختلفة، والسماح لهم بأداء الصلاة في أوقاتها وغيرها من المطالب. وكانت النتيجة أن تم تكوين لجنة من الحكومة ومن الشخصيات المسلمة للتباحث حول هذه المطالب وتحقيقها.

إن ضخامة هذه المظاهرة كانت لها فوائد وآثارات كبيرة إيجابية أهمها، اضطرار لجنة إعداد الدستور العام للبلاد في الرجوع لدراسة وإضافة ما يتعلق من الحقوق والواجبات للمسلمين الإثيوبيين، وبالذات ما يتعلق بمحاكمهم الشرعية. وطرد أعضاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية الذين عجزوا عن تقديم أي فوائد بما يعود بالنفع والصلاح على المسلمين الإثيوبيين، وتكوين لجنة مؤقتة لإعداد ودراسة وضع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ليكون بالوجه العصري المطلوب ويتمشى مع التطورات الحالية،

فتم تكوين هذه الجنة من كل من الأساتذة والعلماء والإداريين والقضاة والمثقفين والشباب ورجال المال والأعمال والشخصيات المرموقة التي لها مكانة لدى الأسرة المسلمة، فوضعت هذه اللجنة مخططاتها وبرنامجها لتحقيق ذلك ولقيت التأيد الشعبي من المسلمين من الأقاليم المختلفة في المدن والقرى.

وأن ضخامة هذه المظاهرة وكثرة المشاركين فيها وما أظهر من الأعداد الهائلة للمسلمين، قد أزعج البعثات الدبلوماسية الغربية فقامت كل من الكنيسة والسفارة الأمريكية والإنجليزية بالاتصال مع الجهات المختلفة لمعرفة ودراسة مضمون وأهداف ودواعي ونتائج هذه المظاهرة وهل بإمكان المسلمين مستقبلاً أن يكون لهم تأثير سلبي وخطورة عليهم وعلى أهدافهم وخططهم المستقبلية في المنطقة. وصرح السكرتير الأول في السفارة الأمريكية آنذاك: إن هذه المظاهرة الضخمة ليست وليدة يوم وليلة بل وإنما تم إعدادها منذ وقت بعيد، وأن من ورائها جهات وحكومات أجنبية إسلامية، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك.

المهم إن هذه المظاهرة قد فتحت الأعين لكل المسلمين في الأقاليم المختلفة في البلاد، ومنذ هذه اللحظة والذين رأوا توحد صفوف المسلمين فبدأت الدسائس والوشايات للمغرضين والحاقدين على تحسين وضع الإسلام والمسلمين في هذه البلاد، فتمثل ذلك في الكنيسة ومن ورائها ومن المسؤولين المتصلبين في النظام، ومن بعض المنتفعين ممن ينسبون أنفسهم إلى الإسلام من المنافقين. فبدأت التدخلات السافرة وإيجاد الفتن والقلاقل بين المسلمين وحدثت مشكلة 22 من شهر رمضان المبارك 1987 حسب تقويم الإثيوبي في المسجد الكبير بالعاصمة أديس أبابا وبرغم أن المشكلة لم تصل إلى الحد الذي يستدعي رجال الأمن والشرطة والجيش في ذلك إلا أن الجهات الحاقدة، والتي سبق أن أضمرت حقدها على وحدة صفوف المسلمين وجدت هذه الفرصة مناسبة فأمرت رجال الأمن والشرطة بالتدخل في الأمر، وبدأت بإطلاق الرصاص على المسلمين وقتل من قتل من المسلمين وجرح العديد منهم. فبعد ذلك تمت الإغارة والحملة على مكاتب ومنازل أعضاء اللجنة المؤقتة لإدارة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والقبض عليهم واغتيال الشهيد العجوز القعيد الكفيف البصر سراج موسى أحد أعضاء اللجنة المؤقتة وأمين

صندوقها، وتم القبض على خمسة وثلاثين عضوًا من العلماء والأساتذة والإداريين والقضاة والشباب ورجال المال والأعمال من أعضاء اللجنة المؤقتة للمجلس وتم إيداعهم في السجن المركزي. وتم إغلاق المسجد الكبير أمام المصلين مدة خمسة أيام من أواخر شهر رمضان المبارك. وهكذا تم القضاء على بصيص الأمل الذي ظهر للمسلمين في هذه البلاد فتم استمرار الحبس لهؤلاء الأعضاء؛ فمنهم من قضى ثلاث سنوات، ومنهم خمس سنوات ومنهم ثماني سنوات، وكانت النتيجة النهائية لدى المحاكم التي نظرت في هذه القضية أن هؤلاء الأعضاء المحجوزين ليست لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة مما ادعته الحكومة عليهم من الادّعات الكاذبة

وفي خلال هذه الفترة من الحجز لهؤلاء الأعضاء تم اتخاذ الآتي:

1- إغلاق جميع المؤسسات الإسلامية الصغيرة مثل منظمة الشباب الإسلامي وهيئة العلماء وأنصار السنة والجماعة.

2- تكوين أعضاء للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية من كوادر الحزب الحاكم ومن العلماء الصوفيين واستبعاد أهل السنة والجماعة والمثقفين.

3- أما ما يتعلق بالمؤسسات الإسلامية العالمية البسيطة التي سبق أن ذكرنا أنها فتحت مكاتب لها في البلاد وبالذات بعد أحداث 11 سبتمبر وإعلان الرئيس الأمريكي "معي أو ضدي" وتحميل الشريعة الإسلامية ومن ورائها المؤسسات الإسلامية بمنظمات إرهابية ولتحقيق المطلب الأمريكي قامت الجهات المختصة بالقضاء على هذه المؤسسات، وإقفال وإغلاق نشاطاتها ومكاتبها فلم تبق مؤسسات إسلامية إلا مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية وهي محصورة من كل الجوانب فلم تستطيع تقديم خدماتها البسيطة، وحتى لم تتمكن في هذه السنة القيام بأعمال إفطار الصائم وتوزيع الأضاحي وتقديم دعوة لأداء الحج الممنوحة من قبل خادم الحرمين الشريفين وعلى نفقته لبعض العلماء والمشايخ.

وتأتي هذه المواقف المؤسفة على المؤسسات الإسلامية مع الانفراج الكبير الذي مُنح للكنيسة؛ مع الإدعاء بعدم تدخل الدولة في الدين ومع حرية الاقتصاد والانفتاح قد فتح المجال للكنيسة في أن تستغل هذه الفرصة، وفي نفس الوقت مع الحصار والضيق الذي يتم على المسلمين وتلفيق التهم الإرهابية على الإسلام والمسلمين،

وسيطرة السفارة الأمريكية على المؤسسات الأمنية والإدارية والماليّة والعسكريّة في البلاد وفي المجالات السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية جاءت فرصة للكنيسة للقيام بأعمال التنصير والإلحاد في البلاد وبالذات في المناطق الإسلامية، وقد ساعدها على تحقيق ذلك الوسائل التالية:

1- سيطرة السفارة الأمريكية على كل الأمور بحجة محاربة الإرهاب.

2- إعادة الممتلكات الخاصة للكنيسة من الأراضي والمباني والممتلكات التي سبق أن تم تأميمها من قبل النظام الشيوعي، وكما سبق أن ذكرنا أن ثلث الأراضي في البلاد كانت مملوكة للكنيسة، ومع حرية الانفتاح الاقتصادي في البلاد فقد وجدت نفسها تملك أنفس الأماكن وأعظمها وأوسعها، وبالذات في العاصمة أديس أبابا، وبدأت في عملية التعمير والبناء للعمائر الشاهقة والمكاتب والدكاكين المتنوعة في العديد من الأماكن المختلفة وسط العاصمة، وتأجيرها مما عاد عليها الإيرادات الضخمة حتى أصبحت تملك دخلاً يفوق دخل الحكومة، ويُقال أنها وبعد ثلاث سنوات من الآن بإمكانها إقراض الدولة.

3- تدفق العديد من المؤسسات الغربية التنصيرية بحجة تقديم العون والإعانة وقد بلغ عددها حتى الآن أكثر ألف وأربعمائة منظمات تنصيرية غربية تقوم بأعمال التنصير والإلحاد، وتركز نشاطها في الأقاليم الإسلامية المختلفة، وقد انتهزت فرصة غياب المؤسسات الإسلامية لتقوم بأعمالها الخبيثة بكل يسر وسهولة علما أنها لم تجد معارضة أو عرقلة من أي جهة حكومية أو غير حكومية بل نالت كل التأييد والتشجيع والمساندة.

4- تم ربط جميع المؤسسات التي تقوم بأعمال الإغاثة والمساعدة بالكنيسة مباشرة حتى ولو كانت مؤسسة محلية صغيرة، وألزمت اللوائح والنظم بأنه لابد من أن تكون جميع المؤسسات تحت إشراف الكنيسة حتى ولو كانت مؤسسة إسلامية محلية وإلا لن تستطيع مباشرة أعمالها، ويتم سحب التصاريح الممنوحة لها.

5- المساعدات التي تُقدم بحجة الإغاثة والتمويل والإقراض والتسليف من الدول والمؤسسات الغربية ترتبط مباشرة بالكنيسة حتى ولو كانت هذه المساعدات

مخصصة للحكومة. ومن قبل الكنيسة يتم توزيعها داخل البلاد على حسب ما تراه الكنيسة مناسبًا في ذلك وبالذات الأقاليم الإسلامية.

6- تُعقد مؤتمرات وندوات محلية وعالمية مسيحية عديدة بين فترة وأخرى بإشراف الكنيسة يتم فيها ويركز البحث والدراسة على الوقوف أمام المد الإسلامي في شرق أفريقيا، وتشرف على هذه المؤتمرات إدارة الفاتكان من إيطاليا مباشرة حيث إن مندوبها أو سفيرها المعتمد في العاصمة الإثيوبية يشرف على هذه المهمة.

ففي مقابل هذا النشاط الكنسي الإثيوبي والتنصير العالمي ودور الفاتيكان في ذلك والسفارة الأمريكية واستسلام الحكومة إلى ذلك فكيف نجد حاليًا وضع الإسلام والمسلمين في هذه البلاد؟

فتحت شعار محاربة الإرهاب تم اتخاذ الخطوات التالية:

أولاً : كما سبق أن ذكرنا تجميد نشاط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية من خلال عدم السماح بإدارته من أشخاص ذوي الكفاءة الإدارية والفنية العصرية المنتخبة من المسلمين مباشرة بل تم توظيف واعتماد أشخاص غير مؤهلين من أي كفاءة تُذكر بل وإنما تم اعتمادهم على أساس انتمائهم للمبادئ الصوفية كأساس بالنسبة لمن تم تسميتهم علماء، وعدم السماح لأهل السنة والجماعة الالتحاق بالمجلس نهائيًا باعتبارهم ينتمون إلى المذهب الوهابي، كما يدّعون وأن هذا المذهب هو المصدر الأساسي للإرهاب كما يزعمون. أما الكوادر الإدارية لإدارة هذا المجلس فتم اعتماد أشخاص ليست لهم دراية بما يتعلق بالإسلام بل تم اختيارهم على أساس ولائهم للحزب الحاكم وغالبيتهم عبارة عن مندوبين للاستخبارت المحلية والسفارات الغربية.

ويرأس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية حاليًا شخص

مريض وهو من تلاميذ ومريدي عبد الله الحبشي (الهرري) المقيم في لبنان، والذي سبق أن أصدر فيه الشيخ الراحل عبد العزيز بن باز -رحمه الله- فتوى بأنه خارج عن الملة الإسلامية، وعليه فعندما تم اعتماده رئيسًا للمجلس حضر برفقته أعوان عبد الله الهرري وقاموا بإلقاء محاضرات في المسجد الكبير بالعاصمة أديس أبابا تضمنت محاضراتهم هجومًا واتهامات باطلة على السعودية في أنها ترعى الإرهاب من خلال المذهب الوهابي، ومنذ شهور تم إعداد مسودة دستور يتعلق بالمجلس

الأعلى للشؤون الإسلامية، ومن أهم البنود التي لوحظت في هذه المسودة ما يلي: منع الوهابيين والمتطرفين والمتشددين المشاركة في عملية الترشيح وعدم السماح لهم بالمشاركة في أية أعمال تتعلق بالإسلام والمسلمين ماديًا ومعنويًا وإداريًا وعدم السماح لهم بإقامة أية مشاريع إسلامية في البلاد.

أما الشخص الذي تم اعتماده ليرأس المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في الإقليم الإداري الرابع (أديس أبابا) فقد لقب نفسه المفتي الأكبر وهو من الأشخاص الصوفيين المتشددين، ومن أهم القرارات التي أصدرها وتم تعميمها على المساجد المختلفة ما يلي:

1- اعتبار الوهابية (السلفية) مذهب كفر واعتبار أهل السنة والجماعة كفارًا يجب محاربتهم.

2- منع تداول كتب الشيخ/ محمد بن عبد الوهاب أو ابن القيم أو ابن تيمية ومنع دخولها إلى البلاد.

3- عدم جواز أداء صلاة التراويح في المساجد في شهر رمضان بقراءة جزء، والاكتفاء بالسور القصيرة فقط، واعتبار صلاة التراويح بقراءة جزء وختم القرآن في رمضان بدعة سنتها الوهابية.

4- عدم جواز أداء صلاة التهجد في المساجد، وكذلك الاعتكاف في المساجد في شهر رمضان، وأصدر تعميمًا إلى إدارات الشرطة المختلفة في العاصمة بالقبض على أي مسلم يتجه إلى المساجد بعد الساعة العاشرة ليلاً.

5- التركيز والاستعداد في كل سنة بالاحتفال بالمولد النبوي وأن من يعارض ذلك يعتبر كافرًا.

6- منع توسيع مراكز تحفيظ القرآن الكريم في المساجد وغيرها وعلى حسب مفهومه أن القيام بحفظ القرآن الكريم للشباب بالذات الهدف منه الحصول على الجوائز المالية، وأن هذا الهدف هو من سنن الوهابية لهذا أصدر فتوى بأن ذلك غير جائز.

7- منْع الأشخاص الذين يعفون لحاهم ويلبسون الثياب القصيرة من أداء فريضة الحج بحجة أنهم وهابّيون ويسافرون إلى السعودية من أجل الالتقاء بزعمائهم هناك، وأنهم يمثلون خطرًا على البلاد.

8- توظيف الأئمة والخطباء والمدرسين في المساجد من الصوفيين فقط، ومنع أهل السنة والجماعة في القيام بهذه المهمات حتى الدعوة في المساجد.

9- منع الحصول على المساعدات المالية من الدول الخليجية بالذات حيث إنها مراكز للوهابيين والإرهابيين.

10- حجب المشاركة للمسلمين وطلاب تحفيظ القرآن الكريم في المؤتمرات والندوات والمسابقات الإسلامية الدولية. مثل السعودية والإمارات وليبيا والسودان وإيران.

11- منع الأئمة والدعاة والخطباء الأجانب من دخول البلاد، وهذه التعليمات صدرت من الجهات الأمنية بناء على توجيهات المفتي، ففي خلال السنة الهجرية المنتهية وفي خلال شهر رمضان المبارك قدم علماء من الأزهر الشريف وليبيا وإيران من أجل الإمامة للمصلين في رمضان وإلقاء الخطب الدينية، وكذلك دعاة من باكستان فتم حجزهم وطردهم من البلاد في خلال أربع وعشرين ساعة من دخولهم البلاد، وتمت إعادتهم إلى بلادهم فورًا.

12- منع المؤسسات الإسلامية العربية بالذات في إقامة المشاريع وتقديم العون والإعانة للمنكوبين المسلمين في البلاد، وإذا أرادوا ذلك فإن عليهم تسليم المبالغ نقدًا ومباشرة إلى المجلس ومن ثم يقوم المجلس باختيار المشاريع الذي سيتم إقامتها سواء أكانت مدارس أو مساجد، واختيار الأماكن التي يراها مناسبة وموافقة لأهدافه ورغباته.

13- فيما يتعلق بأعمال الحج والعمرة فقد تقرر من قبل المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ومن قبل المجلس الإسلامي التابع للإقليم الرابع عشر الإداري في أن يسافر برفقة الحجيج مندوب عن الجهتين مهمته القيام بعملية المتابعة المراقبة للحجاج الإثيوبيين في المشاعر المقدسة لمتابعة الأشخاص أو الهيئات أو المنظمات الإسلامية الذين يلتقون بالحجاج الإثيوبيين وبالذات مع الوهابيين في هذه الأماكن، ومن المقيمين الإثيوبيين في السعودية والذين غالبًا ما يتم اعتبارهم وهابيين ومتطرفين لذا نجد أنه في هذه السنة تم إيفاد ستة أشخاص من أعضاء المجلس للقيام بهذه المهمة، وعلى رأسهم رئيس المجلس الإسلامي للإقليم الرابع عشر.

ثانيًا: ومع بلوغ وضع المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ومنسوبيه هذه الدرجة من الضعف والهوان نجد مقابل ذلك نشاط الكنيسة قد وصل إلى مرحلة من التقدم والازدهار، وإعداد الخطط والبرامج للقضاء على أي نمو وتقدم للإسلام والمسلمين، ومنذ سنة خلت قامت لجنة أمريكية لدراسة الوضع الإسلامي للمسلمين في شرق وغرب الدول الأفريقية وآثار السلفية فيها، وتوصلت اللجنة إلى نتائج أهمها تنشيط دور الصوفية ومساعدتها ماديًا ومعنويًا، وتوسيع مجالها ومهمتها حتى تصل وتعم جميع المدن والقرى والأرياف وأنها هي الوسيلة الوحيدة لمحاربة وإيقاف زحف أهل السنة والجماعة. بجانب دعم الكنيسة في توسيع نشاطها فمثلاً في الوقت الذي لا يُسمح للمسلمين الحصول على متر واحد لإقامة المساجد في البلاد نجد افتتاح أكبر كنيسة في أفريقيا تسمى (كنيسة مد هاني ألم) وتقع على مسافة قريبة من المطار الدولي في العاصمة أديس أبابا، وقد تم تشييد هذه الكنيسة على مساحة بلغت أكثر من خمسين ألف متر مربع وبتكلفة بلغت أكثر من ثلاثة وثلاثين مليون بر إثيوبي، أي ما يعادل أربع ملايين دولار تقريبًا في بلد يعاني شعبه من مشقة الحصول على الخبز، وهي من أكبر البلاد تخلفًا وفقرًا ولا يزيد متوسط دخل الفرد في السنة ثمانية دولارات.

ثالثاً: وسائل الإعلام الرسمية وبالذات الإذاعة والتلفزيون والتي تُسمّى جوهريًا صوت الشعب لم تُسخّر في خدمة الإسلام والمسلمين؛ ففي الوقت الذي تقوم بتغطية نشاطات الكنيسة الصغيرة والكبيرة داخل العاصمة وخارجها لم تستجب لدعوة المسلمين إليها، ورفضت تغطية افتتاح مسجد تم بناؤه على نفقة الأمير الراحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في حي قيرا بالعاصمة.

رابعًا: تكتظ البلاد والعاصمة أديس أبابا بالذات بالمدارس التبشيرية المتنوعة وبالذات حضانات الأطفال والمدارس الابتدائية، والتي تشرف عليها المؤسسات التنصيرية المتمثلة في الكنيسة البروتستا نتية والأرثوذكسية المدعومة ماديًا وإداريًا من كل من أمريكا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا والسويد وغيرها من الدول الغربية التي تقوم بتمويل هذه المدارس بالمواصلات والإعانات المالية، واعتماد الميزانيات الضخمة والرواتب المغرية للمدرسين من أجل القيام بعملية التغذية والتنصير للأطفال ويتسابقون لتحقيق

مآربهم في حين أن لكل سفارة غربية معتمدة في البلاد لديها المدارس الخاصة التابعة لها. مقابل ذلك نجد عدم السماح ووجود مدارس وروضات الأطفال للمسلمين، وإذا أراد أي شخص مسلم إنشاء روضة أطفال أو مراحل ابتدائية إسلامية فيتطلب منه ذلك عدم إدراج المواد الدينية أو العربية، وإلا فلن يحصل على اعترافات رسمية لهذه الشهادات لدى الجهة الحكومية المختلفة مما يترتب على هذا المشروع أن يولد ميتاً. المدرسة الوحيدة الإسلامية هي المدرسة الأولية التي تمول من قبل رابطة العالم الإسلامي، فقد كثر القيل والقال فيها فمنذ شهور قام مندوب من السفارة الأمريكية في أديس أبابا، ومندوب من سفارة الفاتكان بزيارة مقر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في أديس أبابا والالتقاء بأعضائه، وأشار المندوبان أن المدرسة الأولية خطيرة يجب القضاء عليها لأنها تنتج شبابًا متطرفين ووهابيين.

بجانب هذه المدارس التنصيرية الخاصة فهناك العديد من الكليات اللاهوتية المتنوعة تم الاعتراف بها رسميًا من قبل الجهات الرسمية مهمتها إخراج العديد من الجامعيين المتنصرين للقيام بمهمة التنصير في المدن والقرى المختلفة في البلاد لتحقيق مطالب الفاتيكان للوقوف أمام المد الإسلامي في أفريقيا. وهكذا نجد أوضاع الإسلام والمسلمين في هذه البلاد وما آلت إليه ظروفهم وأحوالهم من سيئ إلى أسوأ بحجة محاربة التطرف والإرهاب ومفهوم الإرهاب لدى هؤلاء الجهلة يتمثل على النحو الذي ذكرناه آنفًا، إذ لا يوجد مرونة في التعامل مع هذا المفهوم رغم أن أمريكا وهي التي اخترعت هذا المفهوم أساساً نجدها تتعامل مع الإسلام والمسلمين لديها باختيار الأساليب المناسبة بين فترة وأخرى، إلا أن مفهوم الإرهاب لدينا قد تم اعتماده على أساس محاربة الإسلام والمسلمين حتى من أبسط الحقوق، وهكذا نجد حالة المسلمين في إثيوبيا يُرثى لها وتبكي لها العيون في زمن الحرية والتحرر والانفتاح الإعلامي والثقافي وتطور وسائل المواصلات والاتصالات، وفي وقت تحوّل العالم فيه إلى قرية واحدة إلا أنهم يبذلون جهدهم من أجل تجميد النمو والتطور للمسلمين وأن يواكب هذا المواطن المسلم الإثيوبي هذه التطورات، وبإذن الله وإرادته سوف تتجلي هذه الغيوم، وسوف يظهر الحق، ويتحقق قوله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي

أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) صدق الله العلي العظيم، والله نسأل أن يفرّج كربنا ويأخذ بأيدينا إلى ما فيه صلاح ديننا ودنيانا.

في خلاصة هذا التقرير المختصر للواقع الحقيقي نجد:

أولاً: في عهد أباطرة وملوك إثيوبيا كانت القيادة مسيحية متصلبة شكلاً ومضمونًا تحت شعار إثيوبيا جزيرة مسيحية.

ثانيًا: في عهد النظام العسكري الشيوعي إثيوبيا مسيحية صليبية بغطاء شعار شيوعي هو المنجل والمطرقة.

ثالثاً: في العهد الحالي إثيوبيا مسيحية علمانية تحت شعار الديمقراطية وتحت قيادة أحفاد الملك يوحنا.

==============

#الغرب يشن "حروباً روحيّة" على الشرق المسلم

غادة الكاتب 1426/2/6

2005/03/16

كشفت مصادر أكاديميّة عن ارتفاع أعداد المؤسسات والهيئات التنصيريّة العاملة في الدول العربيّة والأفريقيّة الإسلاميّة فضلاً عن قيامها بإصدار عدد كبير من المجلات والصحف الناطقة باسمها، وذلك تحت غطاء المساعدات والإعانات الدوليّة.

وقال إبراهيم الخولي الأستاذ المتفرغ في جامعة الأزهر: إن عدد مؤسسات التنصير وإرسالياته ووكالات الخدمات النصرانية بلغ (120880) مؤسسة، في حين بلغ عدد المعاهد التي تُؤهل المُنصِّرين وتُدرِّبهم (99200) معهد.

وكان الخولي قد كشف خلال برنامج تلفزيوني حول (فهم المسلمين للعلمانية) عن حقائق وإحصائيات تبرز مدى خطورة الحرب التي تشنها الكنائس الكاثوليكية و الإنجيلية على الإسلام؛ إذ أكد أن عدد المُنصِّرين المحترفين الموجودين على رأس العمل التنصيري بلغ (4208250) منصّراً.

وتحمل هذه الجماعات إلى الدول التي تنوي تنصيرها، كميّات كبيرة من الأناجيل باللغة العربية وأشرطة الفيديو والمنشورات، بزعم محاولتهم "إنقاذ المسلمين" حسب أحد قادة تلك الجماعات.

وتمتلك مؤسسات التنصير (82) مليوناً من أجهزة الكمبيوتر، في حين بلغ عدد المجلات التي تُصدرها مؤسساتها (24900) مجلة، أما عدد الكتب فبلغ في عام واحد (88610) كتب.

وتتولى جامعة الكنيسة الإنجيلية في الولايات المتحدة إعداد المُنصِّرين وتدريبهم، وتقوم بتمويلهم والإشراف عليهم ومتابعة نتائجهم.

ولا يقتصر نشاط هذه الجماعات على المجلات والدوريات والكتب، بل يتعداها إلى محطات إذاعية وتلفزيونية، والتي بلغ تعدادها (2340) محطة تقتصر برامجها على بث برامج التنصير. إضافة إلى) 10677) مدرسة و روضة أطفال يدرس طلابها البالغ عددهم تسعة ملايين طالب مناهج تهتم بنشر ثقافة الإنجيل، والترويج للتنصير. أما في المجال الطبي فإن عدد المستشفيات التي تملكها هذه الكنائس هو(10600) مستشفى.

ويطالب مؤيدو برامج التنصير وأهداف الكنسية الإنجيلية الدول الإسلامية بالتوقف عن طبع المصاحف، في حين تشرف هيئات التنصير على توزيع نُسخ الأناجيل مجاناً، حتى بلغ ما وزّعته منها في العالم العربي والإسلامي (53) مليون نسخة خلال عام واحد.

ولأنه من الصعب إقناع المسلمين باعتناق الديانة المسيحية، حسب اعتراف المنصّرين الأميركيين أنفسهم، فإن الكنيسة الإنجيلية تسعى إلى تدريب المنصّرين على أيدي خبراء وعلماء نفسيين، ومحاضرين في علم اللاهوت مهمتهم دحض التعاليم الإسلامية، كما يقوم المنصّرون من خلال ورش عمل في الكنيسة بدراسة عميقة ومكثفة لكافة الجوانب الحياتيّة والاقتصاديّة والدينيّة، والتقسيمات الطائفيّة، والميول السياسيّة للمناطق التي سيذهبون إليها، ومنها المنطقة العربية.

المراهقون هدف والبالغون قنابل موقوتة

تشهد بلدان مثل الأردن والعراق ومصر وبعض الدول الخليجية نشاطاً ملحوظاً لجماعات التنصير، التي نجحت حتى الآن في تحويل بعض الشباب والشابات من المسلمين أصحاب الظروف الاجتماعية أو المادية البائسة عن دينهم، وتتوجّه هذه الجماعات إلى فئة المراهقين والمراهقات من الشباب، حيث تقوم بالدعاية لنفسها من

خلال أنشطة رياضيّة وثقافيّة وفنيّة، تتخلّلها دعوات صريحة للتنصير، وتشجيع لهؤلاء الشبان على الدخول في المسيحيّة، ويلقى المراهقون أو الشباب المغرّر بهم، ترحيباً مبالغاً فيه من قبل جماعات التنصير، ويتمّ دمجهم في جماعات تعمل على غسل تدريجي لأدمغتهم، وعلى تلبية احتياجاتهم المادّية مهما كانت.

ولا يقتصر التخوف من هذه الجماعات التنصيريّة على المسلمين وحدهم فقط، بل يتعدّاه إلى المسيحيين من الطوائف الأخرى أيضاً؛ إذ نشرت بعض الصحف الأردنية مقالات لكتاب وحقوقيين مسيحيين تحدّثوا فيها عمّا أسموه "التنصير الموجه الذي تنشره وتروج له جماعات غربية تأتي إلى المملكة تحت غطاء العمل أو الدراسة"، وكان المحامي الأردني الراحل سليم صويص قد كتب عن هذه الظاهرة التي أطلق عليها مسمى "المسيحية الصهيونية"، وانتقد فيها قدوم أعداد هائلة من المنصّرين الإنجيليين الغربيين إلى الدول العربية مثل: لبنان والأردن وسوريا، وقيامهم بحملات تنصير "إنجيلي" استهدفت وتستهدف جميع الطوائف المسيحية الأخرى، بالإضافة إلى المسلمين.

وفي دولة الإمارات العربية المتحدة التي يمنع قانونها التبشير من جانب غير المسلمين، قضت محكمة إماراتية عام 1993 بالسجن (6) أشهر على بريطاني لتوزيعه مطبوعات مسيحية على إيرانيين. وفي آذار(مارس) من عام 2005، ذكرت صحيفة (جالف نيوز) أن سلطات دبي حققت مع منصّرتين أميركيّتين تنتميان لرابطة (توم كوكس) الإنجيلية، وهما ماري بوش وفيفيان جيلمر للاشتباه في توزيعهما اسطوانات مدمجة بها مواد مسيحية ونسخاً من الكتاب المقدس في الإمارة.

وتضم إمارة دبي كنائس للمسيحيين إلى جانب مساجد المسلمين على اختلاف مذاهبهم، في محاولة لتطبيق منظومة التسامح الديني بين جميع قاصدي الإمارة من الوافدين.

أما في الأردن، فقد استطاعت جماعات التنصير إغواء شاب قاصر عن دينه، وفي حين تمكنت والدة الفتى بمساعدة الأجهزة الأمنية من تسفير الزوجين الأميركيين القادمين إلى الأردن من القدس، بعد اختطافهم الفتى القاصر في محاولة لتسفيره، لم تفلح جهود الوالدة ولا أجهزة الأمن الأردنية التي أحيطت علماً بالحادثة، في إيقاف

تدفّق جماعات التنصير إلى الأردن، مستفيدين من مشروع التقارب بين الأديان الذي يعتبر الأردن واحدة من الموقعين عليه.

وفي إشارة لتقصير الأحزاب الإسلامية والإسلاميين في التصدي للظاهرة تقول والدة الفتى التي رفضت ذكر اسمها: " لجأت لأكثر من طرف، ومنهم بعض الأحزاب الإسلامية المعروفة، لكن للأسف لم يحركوا ساكناً، فمن مطالب بقتل ابني القاصر كونه يعتبر مرتداً، إلى رافض للتدخل خشية الاتهام بإثارة نزعات طائفية". وتؤكد والدة الفتى أن استدراج ابنها تم عن طريق إغوائه بفتاة جميلة استدرجته بدورها إلى مقر العائلة الأميركية لتقوم بتنصيره".

حروب روحيّة في العراق وأزمة سياسيّة لبوش

يكشف تقرير نشرته صحيفة (ديلي تلجراف) البريطانية عن نشاطات جماعات أصولية مسيحية تعمل سراً في العراق المحتل، حيث يشير كاتب التقرير إلى أن جماعات التنصير الأميركية أعلنت ما أسمته "حربا روحية"، للاستفادة من الوضع الحالي الذي لا تزال فيه واشنطن تسيطر على مقاليد الأمور.

ويشير التقرير إلى أن أتباع الحركات التنصيريّة يتدفقون على العراق حاملين نسخ الإنجيل بالعربية، وأشرطة سمعية ومرئية مصمّمة لإقناع المسلمين بالارتداد عن دينهم، حسب الصحيفة، التي أضافت أن "مجلس التنصير العالي الذي يعتبر واحداً من فروع الكنيسة المعمدانية الجنوبية يقود عمليات التنصير في العراق، حيث يتمّ إدخال المنصّرين تحت ذريعة العمل في مؤسّسات الإغاثة الدولية"، وذكرت الصحيفة أن مدير المجلس وجّه "نداء حاراً لأتباع الكنيسة البالغ عددهم (16) مليون شخص للسفر إلى العراق أو دعم جهود التنصير هناك". وأوردت الصحيفة مقتطفات من هذا النداء جاء فيها "إن المعمدانية الجنوبية صلّت كثيراً أن يفتح الرب باب العراق لرسالة الإنجيل"، وكذلك "إن المعمدانية الجنوبية وأعضاءها يجب أن يعلموا أن هناك حرباً على الروح في العراق، وتنافساً مسيحياً . إسلامياً على عقول العراقيين".

وفي إشارة إلى وجود دور سياسي لهذه الجماعات تقول الصحيفة: "إن المنصّرين يمثلون أزمة ومعضلة لبوش الذي حاول لفظياً عدم المواجهة مع المسلمين إلا أن المسيحيين المتعصبين يمثلون قاعدة انتخابية كبيرة له".

ولم يخف مدير إغاثة الكوارث بالمؤتمر العام المعمداني في أوكلاهوما (سام بورتر) أن منظمته تقوم بما أُطلق عليه "نشر محبة الرب" تحت ما أسماه "أعمال إغاثية" في العراق، مشيراً إلى أن "القيام بذلك النشاط ليس فرصة كبيرة للقيام بأعمال إنسانية فقط، ولكن لنشر محبة الرب " على حد وصفه.

ويشير الصحافي البريطاني (دايفيد ريني) إلى أن المنصّرين الأميركيين يعملون بشكل سري ومنظم تحت ستار "العمل ضمن هيئات الإغاثة الإنسانية"، ويضيف "لقد جلبت هذه الجماعات التنصيرية الأناجيل المترجمة إلى العربية وأفلام الفيديو عن يسوع المدبلجة بالعربية إلى العراق، تحت شعار " حماية المسلمين من دينهم الفاسد".

ادّعاءات بتحقّق معجزات وخوارق

ويتحدث المنصّرون عن نجاحات لهم في العراق، زاعمين أن بعض المعجزات والخوارق الطبيعية تحققت على أيديهم، فهذه سيدة من أوهايو واسمها (جاكي كوني) وتبلغ من العمر (72) عاماً تدّعي أن "الرب قد أوحى إليها الانضمام إلى فريق المنصّرين في العراق، والذي يضم(21)عضواً، وتشير إلى أنها وخلال عملها مع الفريق هناك، قابلت في الفندق الذي تقيم فيه في العاصمة بغداد، سيدة عراقية مسلمة تحتاج إلى عملية جراحية عاجلة في ساقها، وتضيف (كوني): "قمت بالصلاة من أجل هذه السيدة، وحين قابلتها مرة أخرى في المساء وجدت أنها شفيت" حسب (كوني) التي زعمت أنها "تركت السيدة الكردية وأخاها وهم يسألون عن يسوع، وقد أعطيتهم نسخة من الإنجيل بالعربية وشريط فيديو عن يسوع بالعربية، وتركتهم وهم يعتقدون أنهم مسيحيون الآن".

كذلك يقول أحد العاملين في هذا الفريق، ويُدعى (جيم والكر): "لقد جلست مع عدد من الأطفال العراقيين في إحدى القرى، وكانوا غاية في الانتباه إليّ وأنا أحدثهم، كما أنهم لم يتناولوا الطعام بشكل جيد؛ لأن حاجتهم الأولى كانت معرفة المحبة ويسوع".

ويسعى المنصّرون المتواجدون في العراق للاستفادة من عدم الاستقرار الأمني الذي تعاني منه البلاد، ويحاولون جاهدين تحقيق أهدافهم قبل خروج قوات الاحتلال الأميركية المزعوم من أرض البابليين، ونقل السلطة لأيدي العراقيين.

دخول غير شرعي

ويأتي العديد من المنصّرين إلى بلدان الشرق الأوسط بتأشيرة دراسية أو كمبرمجي حاسوب أو غيرها من الأعمال، ثم يشرعون في ممارسة نشاطهم التبشيري في السر والكتمان، ولا يستخدم المنصّرون ومنهم الكوريون لغتهم الخاصة أثناء محاولتهم تنصير الأشخاص، وإنما لغة البلاد التي يمارسون فيها نشاطهم، أو يلجؤون إلى اللغة الإنجليزية

==============

#ملامح المستقبل

قراءة/ عبد الله محمد الرشيد 1426/2/12

2005/03/22

الكتاب/ ملامح المستقبل

المؤلف/ د. محمد الأحمري

الناشر/ مكتبة العبيكان

الطبعة/ الأولى 318

إن مفهوم المستقبل مرتبط "بالتخطيط، والبناء، والنهضة، والإصلاح، والتجديد، والتحرّر والأمل... المستقبل يوسّع فسحة الأمل".

هكذا ابتدأ الدكتور محمد بن حامد الأحمري كتابه المتفائل (ملامح المستقبل) الذي يُعدّ رحلة مغامرة في فهم الحاضر والمستقبل، ورحلة عميقة في السياسة والثقافة والاقتصاد واللغة والروح، ورصد توجهات المستقبل بأسلوب يجمع بين المعلومة والخبر ليصل لفكرة جامعة.

ويعبّر المؤلف في مقدمة كتابه عن حاجة المسلمين إلى الرغبة في التنبّؤ، مشيراً إلى أنه شعور فطري صحيح يدفع المظلوم للانتصاف والظالم إلى التعقل.

ويضيف المؤلف "فقضية الإسلام والمسلمين وأفكارهم ومستقبلهم هي قضية العالم اليوم، وهي شغله الشاغل، وقد عمدت في هذه الدراسة إلى رصد المؤشرات المؤثرة في حاضر و مستقبل المسلمين وعلاقاتهم بأنفسهم وبالعالم من حولهم، جاعلاً من الوصف للواقع، والرصد لما تمّ إنجازه وسيلة لاستشراف المستقبل، والتعرّف على ملامحه وتوجّهاته".

والكتاب عرض لقضايا وأفكار متفرقة مثل: سيادة اللغة العربية، وقوة الإعلام، وانتشار الوعي العام، والصّلة مع الغرب والعالم، والعولمة و العلمانيّة والقوميّة، وكسر حواجز العزلة الضارّة، كما أشار إلى قضايا تمسّ الثقافة الغربية وتوجهاتها وموقفها وسر ضعف جاذبيتها، وقلة المشاريع الفكرية الكبيرة فيها اليوم، كما كشف عن نوع المثقفين الغربيين الذين يؤثرون على فكرنا ومستقبلنا.

كما أبرز المؤلف قضية صعود الثقافة المقاومة التي تمثل انتصاراً للثقافة الإسلامية ونهضة فكرية كبيرة في انتشار الكتاب الإسلامي والفكرة الإسلامية، التي ساهمت في العودة للذات، والثقة بالنفس أمام الكتب المترجمة الغثّة.

وتفاءل الكاتب بظاهرة النمو السكاني في العالم الإسلامي؛ إذ قرّر تحت عنوان (إنما العزة للكاثر) أن هذا النمو سيكون له آثاره الكبيرة على مستقبل العالم. ويضيف: "إن عدد السكان عامل حاسم في صعود قوة الشعوب وانهيارها، وحين يزيد عدد السكان وتضيق بهم الآفاق يجدون دروباً للتوسع والانتشار، ويقتحمون أرضاً جديدة وآفاقاً أوسع".

كما يرصد المؤلف نمو ظاهرة التضحية والفداء، ففي ظل هذه المجازر التي تُرتكب في حق المسلمين سيكون لها أثرها في النفوس، وتجبر المسلمين على استعادة الجهاد وذلك باعتراف الكتّاب الأمريكيين، وسوف تلهب ما أسماها المؤلف (شهيّة الاستشهاد)؛ لأن هناك حملة ثقافية إرهابية تُقال وتُكتب وتُنشر وتُطبق كل يوم ضدّ المسلمين.

وتحت عنوان (من كوكاكولا إلى مكة كولا) يؤيد المؤلف بشدة المقاطعة الاقتصادية الشعبية لكل الشركات التي تدعم في النهاية منتهكي حقوق البشر؛ لأن المقاطعة الرسمية قد ولّى زمنها، وأصبحت الدول أقل قدرة على فرض أي نوع من الحماية ضد أي منتج ترعاه دولة قوية، أو شركة قوية، أو عصابة ماهرة، أو شخصية نافذة، وأصبحت المقاومة الشعبية هي المؤثرة ضد أي منتج فاسد، أو شركة مستهترة بكرامة الإنسان أو تضر بالمجتمع، ويرى الكاتب أن للمقاطعة الاقتصادية آثاراً مهمة أخرى تتجاوز الجوانب الاقتصادية إلى أبعاد أخرى ثقافية ونفسية واجتماعية في غاية

الأهمية؛ فالمقاطعة تشيع جواً من الموقف والمشاعر العامة، والمشاركة في ممارسة حقوق الأمة، وتوطين الإنسان على رفض الظلم.

الكتاب حفل بأفكار أخرى كمسألة الدولة في ظل العولمة، والهواجس الدينية، ورؤى حول التراجعات، وقضية تركيا وإسرائيل والنساء، و أنموذج تحرير تركيا من العلمانيّة، والعلمانيّة الحسنة والسيئة، والموقف من الغرب العزلة أم التواصل، والهيمنة أو التبعيّة، وأوهام القوة والضعف. وغيرها من الرؤى الفكرية الرصينة التي يجمعها إطار ما يمكن تسميته: (تاريخ المستقبل).

ويمكننا أن نقول: إن هذه الأفكار المتناثرة هي ملامح لزمن قادم، وبداية لمرحلة تاريخية جديدة، شهد العالم ظواهر بدايتها؛ فالعالم الإسلامي يتجه نحو تجديد الحياة الإسلامية بشتى جوانبها الروحية والثقافية والاجتماعية والحضارية، وهناك دلالات كثيرة في ميادين عديدة، ومن أهداف الكتاب رصد التحوّل، والتعريف بما تحقق من جوانب النمو والقوة.

ويهدف الكتاب إلى وضع إشارات لجوانب سلوكيّة وثقافية مؤثرة، والحثّ على تبني بعض الإيجابيات، وتجاوز اليأس القاتل، والخلاص من بعض الدوافع الجبريّة التي تتسلّل باسم التاريخ أو الثقافة، والبحث في جوانب الاستقلال الفكري والذهني في عالم الإسلام.

ومن أهداف الكتاب تفتيت الطرح السلبي الذي يُبرز الجانب السلبي لدى الأمة، ويسوّق لنا السلبيات وعوامل التخلف التي تنخر في المجتمع الإسلامي بصورة متشائمة، لكنها مع التأمل قد لا تكون كذلك، وقد يكون وجودها سبباً في نشوء الردّ عليها أو بروز نقيضه.

ويقرّر المؤلف أن صياغة مستقبلنا يحتاج إلى مزيد من الدعوة والاجتهاد، أو الجمع للموجود، والإقناع للأمم والأفراد وبذل الجهد في الترقّي بهم، وإيماننا المتواصل بأننا نملك الخير للبشرية في كل مكان.

=============

الإنتصار لأهل السنة والجماعة(2-1)

فإن من المعلوم من الدين بالضرورة أن الله عز وجل وعد عباده المؤمنين بالنصر والتمكين إن هم قاموا بشرعه ونصروا دينه قال تعالى : {إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} وإن القيام بشرع الله ليعظم أمره، ويجل فضله في أوقات غربة الدين وتسلط أعدائه عليه .ولا يخفى على أحد ما يتعرض له دين الله تعالى في هذه السنوات الأخيرة من هجمة شرسة من أطراف متعددة داخلية وخارجية، الأمر الذي يستوجب من حملة المنهج الحق المبادرة الجادة، والعمل الدؤوب ؛ لصد هذه الهجمة على أعقابها ؛ إعلاء لكلمة الله واقتداء بهدي المرسلين وإبراء للذمة .ومن هذا المنطلق قمت بإعداد هذه الورقة المختصرة أذكر فيها جملة من القضايا والموضوعات التي ينبغي تسليط الضوء عليها على وفق منهج أهل السنة والجماعة عن طريق الدروس والمحاضرات والكتب والمؤلفات، والمساهمة في الصحف والمجلات والمنتديات، وكتابة الرسائل العلمية، وإنشاء مراكز علمية ومواقع على الإنترنت، مرورا بالمناصحة مع العلماء والمسؤولين، وفضح العلمانيين والمنافقين، ورصد أقوال المنحرفين والمخالفين إلى غير ذلك من وسائل وأساليب الغرض منها تحقيق هذا المقصد العظيم.وقد قسمت هذه الورقة إلى أربعة أقسام :

الأول : العقيدة والمنهج.

الثاني : المصطلحات .

الثالث : المرأة .

الرابع : موضوعات متفرقة.

أولا : العقيدة والمنهج:

جُمِع تحت هذا العنوان الموضوعات التي تتعلق بشكل مباشر بعقيدة ومنهج أهل السنة و الجماعة .

1-مفهوم الغلو:

يكثر في الآونة الأخيرة نسبة الغلو إلى منهج أهل السنة فيتعين على أتباع هذا المنهج أن يبرزوا الطبيعة المعتدلة لهذا الدين بين الأديان ولهذا المنهج بين المناهج المبتدعة، وفي المقابل عليهم أن يظهروا صور الغلو عند اليهود والنصارى وعند أهل البدع والمنحرفين.

2- التكفير والخوارج:

التكفير باب من أبواب العقيدة يراعى فيه الضوابط الشرعية، ولا يكون دين لا تكفير فيه، مع التحذير من التوسع في إطلاق التكفير والتحذير من بدعة الإرجاء التي تقصر التكفير على الاستحلال، وينبغي تحرير الفرق بين التكفير عند أهل السنة والجماعة والتكفير عند الخوارج.

3- نواقض الإسلام:

ينبغي أن يبين للناس أن للإسلام نواقض تخرج منه منصوصاً عليها في الكتاب والسنة، مع التذكير بما استجد من الصور المعاصرة لها.

4- الولاء والبراء والجوانب العملية لهما:

ترسيخ هذا المفهوم العقدي في نفوس الناس مع بيان من يكون له الولاء الكامل أو البراء الكامل ومن يجتمع في حقه ولاء وبراء, وبيان ما يترتب عليهما من أحكام شرعية، وتفنيد الشبه التي تثار حول هذه العقيدة.

5- العلاقة مع الكفار:

ينبغي توضيح وجوب عداوة الكفار وبغضهم، وأن العداوة غير الاعتداء، وأنه لا يتنافى مع العدل معهم، ولا الإحسان إلى غير الحربي منهم، مع الحرص على دعوتهم للإسلام.

6- العلاقة مع أهل البدع:

يجتمع في المبتدع ولاء وبراء فتبذل له حقوق الإسلام ويحرص على دعوته، ويحذر منه ومن بدعته، ولا يمكَّن له ولا يعلى من شأنه، وأما من أظهر بدعة كفرية فهذا له شأن آخر.

7- عداوة الكفار لأهل الإسلام:

لا يزال الكفار في قتال وعداوة لأهل الإسلام وأتباع المنهج الحق وما الحملة الصليبية المعلنة إلا شاهد على ذلك، فيؤكد على أن عداوتهم دينية، وأنهم لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم.

8- مظاهرة المشركين على المسلمين:

ينبغي توضيح خطورة مظاهرة المشركين على المسلمين وأنها من نواقض الإسلام كما نص على ذلك العلماء.

9- الثوابت والمتغيرات:

تسمع دعاوى كثيرة تلغي وصف الثبوت عن الشريعة، وأخرى تدعي احترام الثابت وهي في الحقيقة تنفي عن أكثر الثوابت هذا الوصف فيتعين إبراز الثوابت والذب عنها وإيضاح معنى الثابت والمتغير.

10-مظاهر الشرك والبدعة:

للشرك والبدعة مظاهرهما التي لابد أن تبين ويحذر الناس منها ويرد على دعاتها.

11-مصدر التلقي ومنهج الاستدلال:

توضح هنا مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة مع التمييز بين المصادر الأصلية والفرعية ويوضح أيضا منهجهم في الاستدلال، وموقفهم من العقل، كما يبين أن أهل السنة يعطون النص حظه من الدلالة دون غلو ولا تقصير، ويُركز على مكانة فهم السلف لمعاني النصوص، مع كشف مصادر التلقي عند أهل الأهواء والبدع.

ثانيا : المصطلحات .

الحديث هنا عن مصطلحات متداولة ينبغي تحريرها وتبيين موقف الشرع منها، مع التنبه لطبيعتها المجملة غالباً، وعلى دعاة الحق التنبه لشَرَك مثل هذه المصطلحات.

1- الإعتدال :

لابد من توضيح هذا المصطلح على قاعدة أن الاعتدال ما وافق الشرع، وأن مخالفة الشرع إما غلو وإما جفاء كلٌ بحسبه، ومن المهم التنبيه هنا على مصطلح الوسطية، وأن لها تعريفا شرعيا، مع بيان أحق الناس بوصف الاعتدال والوسطية، مع التحذير من الاستخدام السيء لهذا المصطلح .

2- الوحدة الإنسانية :

يبين هنا أن الوحدة المطلوبة شرعا هي الوحدة الإسلامية على أساس اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وأن أي دعوى توحيد أو تقريب تخالف هذا الطرح غير

مقبولة ؛ لأنها تتضمن هدما لأصول الإسلام سواء أكان تقريباً بين الأديان أو تقريباً بين الفرق .

3- السلم المدني :

هذا المصطلح المتضمن لدعاوى التعايش والتسامح يحمل في طياته معان صحيحة وأخرى فاسدة فلا يعطى حكماً واحداً بل لكل معنى حكمه الخاص به، وينبه في هذا السياق على ما يسمى بالسلام العالمي وأنه دعوى مستحيلة الحدوث تحت مظلة الحضارة الغربية التي قامت على الاعتداء ونهب خيرات الشعوب المستضعفة فهم أكثر من يطلقه وأكثر من يخالفه .

4- الحرية :

الحرية حق مكفول لكل أحد بضوابطه الشرعية، ويؤكد هنا على زيف دعاوى الحرية عند الغرب وأشباههم, وعلى أن الحرية المنفلتة جرَّت على البشرية ألواناً من العذاب والمعاناة.

5- اليسر والسهولة :

يكثر في الآونة الأخيرة التميع في الفتوى وتجميع الرخص بزعم التيسير ورفع الحرج فيبين هنا الفرق بين الأمرين، ويوضح هذا المصطلح الشرعي على وجه يمنع الاستخدام السيئ له المقتضي للتفلت من الشرع .

6- الأصولية و التطرف:

ينبز دعاة الحق بمثل هذه المصطلحات, فلا بد من إبراز المعيار الذي يعرف به التطرف في الشرع, ولابد من ذكر صور التطرف عند المخالفين, والتنبيه على أن التطرف قد يكون جفاء الأمر الذي يقع فيه عامة من يتهم المتدينين به, ويؤكد هنا على الأصل الغربي لكلمة الأصولية وخطأ إسقاط هذا المصطلح على أهل التدين .

7- العلمانية والليبرالية:

مصطلحان متقاربان يمثلان مفاهيم غربية يراد فرضها على المسلمين، وهي مخالفة للإسلام، مقتضية لردة صاحبها، وحيث إن أصحابها يطرحون شبهات فلا بد من العناية بالرد عليها .

8- الديموقراطية :

أسلوب غربي في الحكم يراد تعميمه على كل المجتمعات بزعم أنه الأصلح للبشرية، فلابد من بيان كونه جاهلية معاصرة، وعلى أن الجوانب الحسنة فيه موجودة في الشرع، مع التأكيد على أن السيادة هي للشريعة الإسلامية، وأن نقد الديمقراطية لا يعني الثناء على أساليب التعسف والظلم في الحكم.

فإن من المعلوم من الدين بالضرورة أن الله عز وجل وعد عباده المؤمنين بالنصر والتمكين إن هم قاموا بشرعه ونصروا دينه قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }وإن القيام بشرع الله ليعظم أمره، ويجل فضله في أوقات غربة الدين وتسلط أعدائه عليه .ولا يخفى على أحد ما يتعرض له دين الله تعالى في هذه السنوات الأخيرة من هجمة شرسة من أطراف متعددة داخلية وخارجية، الأمر الذي يستوجب من حملة المنهج الحق المبادرة الجادة، والعمل الدؤوب ؛ لصد هذه الهجمة على أعقابها ؛ إعلاء لكلمة الله واقتداء بهدي المرسلين وإبراء للذمة .ومن هذا المنطلق قمت بإعداد هذه الورقة المختصرة أذكر فيها جملة من القضايا والموضوعات التي ينبغي تسليط الضوء عليها على وفق منهج أهل السنة والجماعة عن طريق الدروس والمحاضرات والكتب والمؤلفات، والمساهمة في الصحف والمجلات والمنتديات، وكتابة الرسائل العلمية، وإنشاء مراكز علمية ومواقع على الإنترنت، مرورا بالمناصحة مع العلماء والمسئولين، وفضح العلمانيين والمنافقين، ورصد أقوال المنحرفين والمخالفين إلى غير ذلك من وسائل وأساليب الغرض منها تحقيق هذا المقصد العظيم.وقد قسمت هذه الورقة إلى أربعة أقسام :

الأول : العقيدة والمنهج.

الثاني : المصطلحات .

الثالث : المرأة .

الرابع : موضوعات متفرقة. ورغبة في مزيد من الإيضاح تم وضع إضاءات وإشارات مختصرة تحت كل عنوان ينبغي التركيز عليها في المقام الأول .ومما يحسن التنبيه عليه أن هذه الورقة سبق نشرها بعنوان (الانتصار للمنهج السلفي) وحيث أني أفدت فيها من بعض طلبة العلم، فقد كتبت في آخرها أعده مجموعة من طلبة العلم.لكنها لم تأخذ حقها من النشر الكافي لذا رأيت إعادة نشرها بعد إجراء بعض

التعديلات.سائلا المولى عز وجل الإخلاص في القول والعمل، وأن يكتب الأجر لمن قام بإعداد هذه الورقة ونشرها، إنه خير مسئول.

أولا : العقيدة والمنهج:

جُمِع تحت هذا العنوان الموضوعات التي تتعلق بشكل مباشر بعقيدة ومنهج أهل السنة و الجماعة .

1- مفهوم الغلو:

يكثر في الآونة الأخيرة نسبة الغلو إلى منهج أهل السنة فيتعين على أتباع هذا المنهج أن يبرزوا الطبيعة المعتدلة لهذا الدين بين الأديان ولهذا المنهج بين المناهج المبتدعة، وفي المقابل عليهم أن يظهروا صور الغلو عند اليهود والنصارى وعند أهل البدع والمنحرفين.

2- التكفير والخوارج:

التكفير باب من أبواب العقيدة يراعى فيه الضوابط الشرعية، ولا يكون دين لا تكفير فيه، مع التحذير من التوسع في إطلاق التكفير والتحذير من بدعة الإرجاء التي تقصر التكفير على الاستحلال، وينبغي تحرير الفرق بين التكفير عند أهل السنة والجماعة والتكفير عند الخوارج.

3- نواقض الإسلام:

ينبغي أن يبين للناس أن للإسلام نواقض تخرج منه منصوصاً عليها في الكتاب والسنة، مع التذكير بما استجد من الصور المعاصرة لها.

4- الولاء والبراء والجوانب العملية لهما:

ترسيخ هذا المفهوم العقدي في نفوس الناس مع بيان من يكون له الولاء الكامل أو البراء الكامل ومن يجتمع في حقه ولاء وبراء, وبيان ما يترتب عليهما من أحكام شرعية، وتفنيد الشبه التي تثار حول هذه العقيدة.

5- العلاقة مع الكفار:

ينبغي توضيح وجوب عداوة الكفار وبغضهم، وأن العداوة غير الاعتداء، وأنه لا يتنافى مع العدل معهم، ولا الإحسان إلى غير الحربي منهم، مع الحرص على دعوتهم للإسلام.

6- العلاقة مع أهل البدع:

يجتمع في المبتدع ولاء وبراء فتبذل له حقوق الإسلام ويحرص على دعوته، ويحذر منه ومن بدعته، ولا يمكَّن له ولا يعلى من شأنه، وأما من أظهر بدعة كفرية فهذا له شأن آخر.

7- عداوة الكفار لأهل الإسلام:

لا يزال الكفار في قتال وعداوة لأهل الإسلام وأتباع المنهج الحق وما الحملة الصليبية المعلنة إلا شاهد على ذلك، فيؤكد على أن عداوتهم دينية، وأنهم لن يرضوا عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم.

8- مظاهرة المشركين على المسلمين:

ينبغي توضيح خطورة مظاهرة المشركين على المسلمين وأنها من نواقض الإسلام كما نص على ذلك العلماء.

9- الثوابت والمتغيرات:

تسمع دعاوى كثيرة تلغي وصف الثبوت عن الشريعة، وأخرى تدعي احترام الثابت وهي في الحقيقة تنفي عن أكثر الثوابت هذا الوصف فيتعين إبراز الثوابت والذب عنها وإيضاح معنى الثابت والمتغير.

10- مظاهر الشرك والبدعة:

للشرك والبدعة مظاهرهما التي لابد أن تبين ويحذر الناس منها ويرد على دعاتها.

11- مصدر التلقي ومنهج الاستدلال:

توضح هنا مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة مع التمييز بين المصادر الأصلية والفرعية ويوضح أيضا منهجهم في الاستدلال، وموقفهم من العقل، كما يبين أن أهل السنة يعطون النص حظه من الدلالة دون غلو ولا تقصير، ويُركز على مكانة فهم السلف لمعاني النصوص، مع كشف مصادر التلقي عند أهل الأهواء والبدع.

ثانيا : المصطلحات :

الحديث هنا عن مصطلحات متداولة ينبغي تحريرها وتبيين موقف الشرع منها، مع التنبه لطبيعتها المجملة غالباً، وعلى دعاة الحق التنبه لشَرَك مثل هذه المصطلحات.

1- الإعتدال :

لابد من توضيح هذا المصطلح على قاعدة أن الاعتدال ما وافق الشرع، وأن مخالفة الشرع إما غلو وإما جفاء كلٌ بحسبه، ومن المهم التنبيه هنا على مصطلح الوسطية، وأن لها تعريفا شرعيا، مع بيان أحق الناس بوصف الاعتدال و الوسطية، مع التحذير من الاستخدام السيء لهذا المصطلح .

2- الوحدة الإنسانية :

يبين هنا أن الوحدة المطلوبة شرعا هي الوحدة الإسلامية على أساس اتباع الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، وأن أي دعوى توحيد أو تقريب تخالف هذا الطرح غير مقبولة ؛ لأنها تتضمن هدما لأصول الإسلام سواء أكان تقريباً بين الأديان أو تقريباً بين الفرق .

3- السلم المدني :

هذا المصطلح المتضمن لدعاوى التعايش والتسامح يحمل في طياته معان صحيحة وأخرى فاسدة فلا يعطى حكماً واحداً بل لكل معنى حكمه الخاص به، وينبه في هذا السياق على ما يسمى بالسلام العالمي وأنه دعوى مستحيلة الحدوث تحت مظلة الحضارة الغربية التي قامت على الاعتداء ونهب خيرات الشعوب المستضعفة فهم أكثر من يطلقه وأكثر من يخالفه .

4- الحرية :

الحرية حق مكفول لكل أحد بضوابطه الشرعية، ويؤكد هنا على زيف دعاوى الحرية عند الغرب وأشباههم, وعلى أن الحرية المنفلتة جرَّت على البشرية ألواناً من العذاب والمعاناة.

5- اليسر والسهولة :

يكثر في الآونة الأخيرة التميع في الفتوى وتجميع الرخص بزعم التيسير ورفع الحرج فيبين هنا الفرق بين الأمرين، ويوضح هذا المصطلح الشرعي على وجه يمنع الاستخدام السيئ له المقتضي للتفلت من الشرع .

6- الأصولية و التطرف

ينبز دعاة الحق بمثل هذه المصطلحات, فلا بد من إبراز المعيار الذي يعرف به التطرف في الشرع, ولابد من ذكر صور التطرف عند المخالفين, والتنبيه على أن التطرف قد يكون جفاء الأمر الذي يقع فيه عامة من يتهم المتدينين به, ويؤكد هنا على الأصل الغربي لكلمة الأصولية وخطأ إسقاط هذا المصطلح على أهل التدين .

7- العلمانية والليبرالية

مصطلحان متقاربان يمثلان مفاهيم غربية يراد فرضها على المسلمين، وهي مخالفة للإسلام، مقتضية لردة صاحبها، وحيث إن أصحابها يطرحون شبهات فلا بد من العناية بالرد عليها .

8- الديمقراطية :

أسلوب غربي في الحكم يراد تعميمه على كل المجتمعات بزعم أنه الأصلح للبشرية، فلابد من بيان كونه جاهلية معاصرة، وعلى أن الجوانب الحسنة فيه موجودة في الشرع، مع التأكيد على أن السيادة هي للشريعة الإسلامية، وأن نقد الديمقراطية لا يعني الثناء على أساليب التعسف والظلم في الحكم .

ثالثا : المرأة:

من أبرز ميادين المعركة بين الحق والباطل المرأة فالكفرة يعتقدون أنها أقوى وأسرع طريق لإفساد المسلمين, وأهل الإسلام يعتقدون أن في صلاح المرأة صلاح المجتمع، وفي الميدان ليبراليون ماجنون يريدون إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، فكان لزاماً إبراز منهج السلف الصالح تجاه قضايا المرأة وعدم الاقتصار على الوقوف موقف المدافع.

1- عمل المرأة:

يبين أن الأصل قرار المرأة في بيتها، وأن خروجها للعمل لابد أن يراعى فيه الضوابط الشرعية مع بيان ما تعانيه المرأة العاملة لاسيما في بلاد الغرب، مع إظهار مقصد أعداء الدين من خروج المرأة، والحرص على رد الشبهات حول عمل المرأة.

2- حقوق المرأة وتكريم الإسلام لها:

لابد من إبراز مظاهر تكريم الإسلام للمرأة والحقوق الشرعية لها، وبيان إهانة المجتمعات الغربية لها كما يوضح أن كثيرا مما يدَّعى أنه من حقوق المرأة ليس كذلك مما يفهم معه خطورة ما في هذه العبارة من إجمال.

3- ظلم المرأة:

جاء الإسلام ليرفع الظلم عن المرأة، فيحسن بأصحاب المنهج الحق أن لايقفوا موقف المدافع عنه لكثرة ما يتهم به من ظلم لها فعليهم بالمقابل ذكر صور ظلم المرأة عند دعاة التحرير وفي بلاد الغرب.

4- دور المرأة في المجتمع:

على دعاة الحق بيان دور المرأة الواسع في إطاره الشرعي في مجتمعها وأنها بتطبيقه ليست معطلة عن العمل، وعليهم بيان المقاصد السيئة لمن يزعم أن المرأة نصف المجتمع المعطل.

5- المرأة والولايات العامة:

يُوضح الحكم الشرعي لتولي المرأة الولاية العامة، كما يرد على الشبهات التي تثار حول هذه القضية مع التأكيد على خطورة التقليد الأعمى للغرب.

6- تحرير المرأة:

لابد من إيضاح المقاصد من هذه الدعوى وأن ما يسمى بتحرير المرأة لم يساهم أبدا في النهضة الحضارية، و أن التحرير دعوى مرفوضة لأنها لم تُستعبد أصلا حتى يُدعى لتحريرها..

7 – حجاب المرأة:

يؤكد على أهمية الحجاب والحياء للمرأة، والتحذير من دعاة السفور، والتأكيد على خطر الموضة على المرأة المسلمة، وعلى أهمية تميزها ظاهراً وباطناً، مع تفنيد الشبهات التي تثار حول الحجاب، وأنه لا يتنافى مع حريتها الشخصية.

8 – قيادة المرأة للسيارة:

لابد لأصحاب المنهج الحق من بيان الآثار السلبية لمثل هذا الأمر، وإبراز فتاوى العلماء في هذا الباب، والرد على كافة الشبهات، ولفت النظر إلى أنه الحاجز الذي بكسره يتم تغريب المرأة.

رابعا : موضوعات متفرقة :

1- دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

من مظاهر الطعن في منهج أهل السنة والجماعة الكلام على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب همزاً ولمزاً، وإثارة الشكوك والشبهات حولها، الأمر الذي يستوجب التصدي لمثل هذه الطعون وتفنيد الشبهات، وتقرير أصول هذه الدعوة وبيان وسطيتها و مراعاتها للمصالح و المفاسد، مع تحذير الأخيار أن يكونوا أداة للطعن فيها .

2- الحسبة :

ينبغي إحياء هذه الشعيرة في نفوس الناس، و إعانة أهل الحسبة مع بيان الآثار الإيجابية لهم في صيانة المجتمع، وأن خطأ المحتسب كخطأ غيره من أفراد المؤسسات الأخرى ولا يعود هذا الخطأ على أصل هذه الشعيرة بالنقض، وذلك على فرض صحة وقوع هذه الأخطاء و إلا فإن أكثرها أباطيل وأكاذيب.

3- الحوار:

مع تزايد المطالبات بالحوار من مختلف التيارات، ينبغي التأكيد على أن يكون المقصود منه الوصول إلى الحق بالحجة والبرهان، مع إجراء قاعدة المصالح والمفاسد في هذا الباب، والتنبيه على أن الحوار وسيلة كغيره فلا يطغى على غيره من الوسائل فيلغيها.

4 – سد الذرائع:

التأكيد على شرعية هذه القاعدة واتفاق الفقهاء عليها وعلى أثرها في تحجيم الفساد، وأنه لا سبيل إلى إلغائها أو التضييق عليها متى ما طبق بضوابطه الشرعية، وأن الطعن فيها ومحاولة تجاوزها مؤذن بفساد عريض، كما يجب الرد على كافة الشبهات المثارة في وجه هذه القاعدة أو على تطبيقاتها الصحيحة في الواقع.

5- الجهاد والإرهاب :

يؤكد على أن الجهاد من ثوابت الدين، وأنه جهادان دفع وطلب، مع بيان المشروع منه وما أدخل فيه خطأً أو ظلماً، والدعوة إلى دعم المجاهدين في الثغور، ويحسن في هذا السياق الإشارة إلى ما تمارسه قوى الكفر في العالم ضد الإسلام وأهله وبيان من هو الجدير بوصف الإرهاب المذموم، ولابد من التفريق بين مفهوم الإرهاب في الشرع ومفهومه عند الغرب الذي هو ترجمة خاطئة للكلمة الإنجليزية (Terrorism) وترجمتها الصحيحة التخويف بغير حق .

6- مناهج التعليم:

صد الهجمة الشرسة على مناهج التعليم الشرعية بحجة أنها تغذي الغلو والتكفير والإرهاب، ببيان أن ما اشتملت عليه من أصول وثوابت، ورد مختلف الشبهات عنها، وفضح المطالبين بالتغيير من أعداء الداخل، وأسباب هذه المطالبة، مع إبراز معالم العنف والتطرف والغلو في مناهج المخالفين من كفرة حاقدين ومبتدعة ضالين، كما ينبغي التأكيد على أن مناهج التعليم الشرعية متعلقة بصبغتنا الإسلامية وأن التنازل عنها تنازل عن هذه الصبغة الهوية.

7- الفتيا والاجتهاد:

تقرير أن الفتيا ليست حقاً مشاعاً لكل أحد بل لها شروطها وأحكامها، وأن أهلها هم العلماء، مع التأكيد على مجالات الاجتهاد وأنه لا يدخل في أصول الدين وثوابته، وذكر الضوابط الشرعية لقاعدة لا إنكار في مسائل الاجتهاد، وقاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان.

8 - تجديد الخطاب الديني:

ينبغي توضيح حقيقة هذا الشعار وما يراد منه عند بعض حملته الذين يرفعونه تلبيساً وتدليساً لتمرير ما يريدون تمريره من مفاهيم باطلة ويعبثوا بما شاءوا من أصول شرعية ويتلاعبوا بمضمون الخطاب الشرعي، موهمين أن التجديد واقع على وسائل تبليغ هذا الخطاب لا مضمونه، فينبغي التبيين والتفصيل وبيان ما يصح دخوله شرعاً تحت هذا الشعار وما لا يصح .

9 - الجمعيات الخيرية:

الجمعيات الخيرية اليوم تتعرض لتضييق شديد وحرب شعواء من العالم الغربي تحت شعار محاربة الإرهاب، فينبغي نصرة هذه الجمعيات بالقول والفعل، والتأكيد على أهميتها وآثارها وفضائلها، ورد التهم الباطلة عنها، والتأكيد على الازدواجية التي يتعامل بها العالم الغربي مع هذه الجمعيات، فبينا هو يحارب الإسلامية منها إذ هو يدعم التنصيرية. اللهم رب جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات و الأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

=============

#المرأة والدعوة ..
طريق الورد والشوك...

أرجو من حضراتكم التعرض لبعض العقبات التي تواجه المرأة المسلمة في عملها لدعوة الله عز وجل، وكيف يمكنها التغلب على هذه العقبات حتى يمكنها أن تقدم أفضل ما لديها من إمكانات وقدرات في سبيل الله....السؤال

الدعوة النسائية ...الموضوع

......الحل ...

...يقول فضيلة الشيخ سلمان بن فهد العودة:

لاشك أن الشيطان لن يترك دعاة الحق في مسيرتهم دون أن يضع لهم العقبات في طريقهم أملاً في ثنيهم عن الوصول إلى أهدافهم وتحقيقها؛ وإن لم يستطع فلا أقلّ من تعطيلهم وتأخيرهم؛ ولذا نجد أن هناك عقبات كثيرة تعترض المرأة الداعية، كما يعترض الرجل الداعية عقبات أخرى كثيرة، فمن العقبات التي تعترض المرأة الداعية:

أولاً، عقبات نفسية:

- الشعور بالتقصير:

إن كثيرًا من الأخوات الداعيات تشعر بأنها ليست على مستوى المسؤولية التي ألقيت عليها، وهذه في الحقيقة مكرمة وليست عقبة.

إن المشكلة تكون إذا شعرت الفتاة بكمالها أو أهليتها التامة، ومعنى ذلك أنها لن تسعى إلى تكميل نفسها، أو تلافي عيبها، ولن تقبل النصيحة من الآخرين؛ لأنها ترى في نفسها الكفاية، أما شعورها بالنقص أو التقصير فهو مدعاة إلى أن تستفيد مما عند الآخرين، وأن تقبل النصيحة، وينبغي أن تعلم الأخت الداعية أنه ما من إنسان صادق إلا ويشعر بهذا الشعور،

فكلما زاد فضل الإنسان زاد شعوره بالنقص، وكلما زاد جهله وبعده زاد شعوره بالكمال.

وباختصار فإنه مادامت الروح في الجسد فلن يكمل الإنسان، وكلما شعرنا بالتقصير وهضم النفس كان أقرب إلى الله تعالى وأبعد عن الكبر والغرور.

- التخوف والإحجام:

فمن العقبات أيضًا التخوف والإحجام والتهيب من الدعوة والكلام أمام الأخريات.

وهذا لا يمكن أن يزول إلا بالتجربة والممارسة.

ففي البداية: من الممكن أن تتكلم الفتاة وسط مجموعة قليلة، أن تلقي حديثًا مفيدًا -ولو كان مكتوبًا في ورقة-، ثم مع مجموعة أكثر عددًا، ثم تشارك في المسجد، والدروس التي تقام في المدرسة، ثم تبدأ بعد ذلك في إعداد بعض العناصر وتقوم بعد ذلك بإلقاء كلمة بطريقة الارتجال.. ولابد من التدرج، وإلا ستظل المرأة، وسيظل الرجل يقول: لا أستطيع!

ثانيًا، عقبات اجتماعية، ومن أهمها فساد البيئة:

فإذا كانت البيئة التي تعمل فيها المرأة الداعية فاسدة، سواء كانت هذه البيئة: مدرسة، أو مؤسسة، أو مستشفى، أو معهدًا؛ فإن ذلك يؤثر على المرأة تأثيرًا شديدًا، ويضغط عليها ضغطًا كبيرًا.

* هناك بعض الحلول يمكن أن تساهم في إزالة تلك العقبات، أو تخفيفها في بعض الأحيان، من أبرزها:

1- متابعة العلماء والدعاة الغيورين بكل ما يحدث داخل تلك المجتمعات، فإنها ليست أسرارًا ولا خفايا، كيف وهي تنشر في بعض الصحف العالمية، حتى إذا

تحدثت طالبة -مثلاً- أو راسلت أحد الدعاة حُقِّق معها بحجة أنها نشرت أسرار الجامعة، أو نشرت أسرار المستشفى.. كيف يحدث هذا؟!

2- النزول للميدان مهما كانت التضحيات، فالهروب من هذه المجالات عبارة عن هدية ثمينة نقدمها بالمجان للعلمانيين والمفسدين في الأرض، وأرى -اجتهادًا- ضرورة خوض هذه الميادين، وتحمل الفتاة ما تلقاه في ذات الله -عز وجل- إلا إذا خشيت على نفسها الفتنة، ورأت أنها تسير إليها فعلاً؛ لضعف إيمانها، أو قوة الدوافع الغريزية لديها، أو ما شابه ذلك، فحينئذ السلامة لا يعدلها شيء.

ويجب أن تظل الدعوة هاجسًا قويًا للأخت مع كل الأطراف، فلا تعين الشيطان على أخواتها الأخريات، فحتى تلك التي يبدو فيها شيء من الجفوة في حقها، أو الصدود عنها، أو سوء الأدب معها، يجب أن تتحمل منها، وتتلطف معها، وتضع في الاعتبار أنها من الممكن أن تهتدي، والله تعالى على كل شيء قدير: (إنك لا تهدي من أحببت ولكنَّ الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين).

3- أن يسعى الدعاة والتجار والمخلصين جاهدين إلى إقامة مؤسسات إسلامية أصيلة نظيفة مستقلة لتوفير البيئة المناسبة.. فلم يعد مستحيلاً إنشاء مستشفى نسائي خاص، ولم يعد مستحيلاً إقامة أسواق نسائية خاصة؛ بل هي موجودة بالفعل، ويجب أن تطوّر وتوسع، ولم يعد مستحيلاً إقامة مدارس نسائية خاصة، وليس من المستحيل إقامة جامعات خاصة بالنساء في هذا البلد وفي كل بلد.

وقد رأيت بعيني جامعات تضم ألوف الطالبات في قلب أمريكا، ليس فيها طالب واحد على الإطلاق، مع أن دينهم ليس هو الذي أملى عليهم ذلك، ولكنهم رأوا في ذلك مصلحة ما.

ثالثا، عدم التجاوب من الأخريات:

من العقبات التي تواجهها المجتمعات الدعوية النسائية، عدم التجاوب من الأخريات من النساء، ورفض بعضهن للدعوة.

وبدءًا أقول: هذه الأمة أمة مجربة، فلست أنت أول من دعا؛ وإنما دعا قبلك كثيرون وكثيرات، وكان التجاوب كثيرًا وكبيرًا، والكفار الآن يدخلون في دين الله أفواجًا، فمن باب أولى أن يستجيب المسلمون لله وللرسول إذا دعوا إلى ما يحييهم.

* ورأى أن أسباب عدم التجاوب تنقسم إلى:

أ- أسباب ترجع إلى المدعوة نفسها:

وذلك كأن تكون شديدة الانحراف، أو طال مكثها في الشر وأصبح خروجها منه ليس بالأمر السهل، وأصبحت جذورها ضاربة في تربة الفساد، أو صعوبة طبعها وعدم ليونتها ووجود شيء من العناد لديها، وقد يكون ذلك راجعًا لوجود قرينات سوء يدعينها إلى الشر.. وهذا كله يمكن أن يعالج بالصبر وطول النَّفَس، والأناة، وتكثيف الجهود، وربط هذه الفتاة ببيئة إسلامية جديدة تكون بديلاً عن البيئة الفاسدة التي تعيش فيها، وقد يكون عدم قبولها للدعوة؛ بسبب كبر سنها كما مرَّ، فيعالج ذلك بالوسائل المناسبة.

ب- أسباب ترجع إلى الداعية نفسها:

مثل عدم استخدامها الأسلوب المناسب الذي يتسلل إلى قلب المدعوّة ويؤثر فيها، وقد يعود ذلك إلى غلظتها وقسوتها، أو شدة تركيزها على أخطاء الآخرين، أو شعور الأخريات بأن الداعية تمارس نوعًا من الأستاذية أو التسلط عليهن مما يحرضهن على مخالفتها ومعاندتها؛ لأنهن يرين عملها هذا مسًّا للكرامة أو جرحًا للكبرياء، والشيطان حاضر يؤجج في الفتاة مشاعر الكبرياء والعزة، فترفض الدعوة ولا تقبلها.

* أما علاج هذه العقبة، فيمكن طرحه في الأمور التالية:

- أن تحرص الفتاة الداعية على استخدام أسلوب الالتماس، والعرض، والتلميح، دون المواجهة كلما أمكن ذلك، وألا تُشعر الأخريات باستعلائها عليهن أو أنها فوقهن، ولا تشعرهن بالأستاذية أو التسلط عليهن.

- العناية بشخصية المرأة: عقيدة، وثقافة، وسلوكًا، ومظهرًا، ومخبرًا، دون إهمال الأمور المعنوية المهمة والأساسية، بسبب الاشتغال بالقضايا المظهرية فحسب.

ومع الأسف، فإن 90% من الأسئلة التي تصلني، لا تكاد تتجاوز شعر الرأس إلى أكمام اليدين، أو حذاء القدمين!!

أين عقيدة المرأة؟! أين أخلاقها؟! أين معرفتها بعباداتها؟! أين معرفتها بالصلاة، بالصيام، بالحج؟! أين معرفتها بحقوق الآخرين؟! أين.. أين..؟!

– عدم تتبع الزلات والعثرات، فما من إنسان إلا وعليه مآخذ وله زلات، وليس من الأسلوب التربوي التركيز على ملاحظة الزلات، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني أحيانًا ويمدح الإنسان بخصال الخير الموجودة فيه، وكتب المناقب في البخاري، ومسلم، وكل كتب السيرة مليئة بمثل ذلك، فيثني على الإنسان بخصال الخير الموجودة فيه حتى ينمو هذا الخير ويكبر، وحتى يقتدي به الآخرون في ذلك، وليس من شرط ذلك مدح الإنسان بشخصه فقط، ولكن مدح الفئة، أو الأمة، أو الطائفة بالخير الموجود فيهم، يدعوهم ذلك إلى مزيد من الخير، وإلى التغلب على خصال النقص الموجودة لديهم.

ولا يمنع هذا أن يُلاحظ على الفتاة أحيانًا شيء من النقص، فتُنصح به في رسالة، أو حديث أخوي مباشر، أو مكالمة هاتفية... أو غير ذلك، لكن لا يكون هذا هو الأصل؛ بل يكون أمرًا طارئًا، حدث لوجود غلط معين.

– عدم محاصرة المرأة المخطئة أو المقصرة، أو المسارَعة في اتهامها، فنحن لم نؤمر أن نشق عن قلوب الناس، ومالنا إلا الظاهر؛ ولسنا مغفلين بكل تأكيد، لكننا لا نطلق لخيالنا العنان في تصور فسادٍ مستورٍ أمره إلى الله تعالى، إن شاء عذَّب وإن شاء غفر، والله تعالى يقول: (رحمتي سبقت غضبي)، فأحيانًا يتصور الإنسان فسادًا ويغلب على ظنه أنه واقع، لكن ليس هناك داعٍ للبحث عن حقيقته مادام أمره مستورًا ليس عندك أدلة عليه ولم يظهر لك، وما ظهر منها من شيء أخذناه به؛ وقد يتبين لك فيما بعد أن ما كنت تظنينه لم يكن صحيحًا وأن الأمر كان بخلاف ذلك.

وبين اليقظة وسوء الظن خيط رفيع، فبعض الناس عنده تغفيل، والتغفيل مذموم، قد يرى الفساد فيتجاهله ويتغافل عنه؛ لكن ينبغي أن يكون الإنسان يقظًا واعيًا مدركًا، وفي نفس الوقت يجب ألا يسيء الظن بالآخرين

===============

#بين التقليد والتجديد

د.عدنان علي رضا النحوي 1424/7/4

2003/09/01

لقد اختلطت المصطلحات في واقعنا اليوم ، واختلطت دلالاتها ، وزاد الأمر سوءاً ما طرحته الحداثة والعلمانيّة ومذاهبها من مصطلحات ومواقف غذّاها الإعلام كثيراً ، وبخاصة الإعلام الغربي بأشكاله المتعددة ووسائله المتنوعة ، حتى بدا كأنه طوفان ! .

ظهرت مصطلحات : الأَصالة ، المعاصرة ، التقليد ، التجديد ، التطور ، النمو ، وغير ذلك من المصطلحات التي ظلّت " عائمة " لا تحمل معنى محدَّداً ، أو تحمل معاني مختلفة ، كل معنى يمثِّل طائفة ، يدور بيْنها الصراع .

منذ القرن التاسع عشر أخذت تظهر بوادر هذا الغزو . ونشأت طائفة تدعو إلى تبعيّة كاملة للغرب : فكراً وسلوكاً وعادات ، أدباً واقتصاداً وسياسة . وظهر ذلك في مرحلة كان المسلمون فيها ضعفاء ، فأثر الغزو فيهم تأثيراً كبيراً ، وظلّت المصطلحات تتردّد في تناقضاتها أو تغيب عائمة دون وضوح.

ما المقصود بالتقليد ؟ ! وإذا كان هناك تقليد فتقليد مَنْ ؟ ! وما المقصود بالتجديد ؟ ! وإذا كان هناك تجديد فما نهجه ؟ ! وما ميدان التقليد والتجديد ؟ ! هل هو محصور في شكل القصيدة العربيّة ؟ ! هل هو في ميدان الشعر فحسب ؟ ! هل هو في ميدان الأدب كله ؟ ! هل هو في الفكر كله وفي السعي والعمل ؟ ! وما ميزان ذلك ؟

العالم انطلق في أجواء الفضاء يشقُّها ، ورمى بيننا ما يشغلنا عن حقيقة النمو والتطور والتجديد . شُغِلنا قرابة قرنين بمثل هذه القضايا حتى أصبح التجديد يعني " التبعيّة العمياء " للغرب في قضايا لا تبني مستقبل الأمة . كلُّ الصراخ والدويّ من أجل اتباع الغرب أورثنا نماذج الملابس وقشور الفكر واضطراب الرؤية . والعجيب العجيب أننا لم نحرص على أن يكون التجديد هو إعداد القوة ونمو الصناعة وامتلاك أسبابها ، حتى ظل العالم الإسلامي بصورته العامة واهياً متخلفاً لم يسعفه شكل القصيدة ، ولا ما يسمى بالشعر الحرّ ، ولا التفعيلة ، وإنما زادت الخلافات حول هذه القضايا ، وبقى المسلمون في وهن وهزائم وخذلان !

قبل أن نحدّد موقف الأديب أو الشاعر أو المفكر من التجديد أو التقليد يجب أن نحدّد ما المقصود بالتجديد والتقليد ، وأن نحدّد ميزان ذلك ومراجعه .

أهل الحداثة اتّبعوا مذاهب الغرب العلمانيّ وحداثته ، واعتبروا ذلك هو التجديد . اتبعوه في تبعيّة عمياء ، حتى في ما يخالف الإسلام صراحة . وحاربوا كل قديم في أمتنا بنصوص صريحة ، ومن بينها الدين واللغة ! وأعلن بعضهم كلمة الكفر صريحة مدوّيّة . ولكنهم استثنوا من القديم كله أساطير اليونان وخرافاته التي ظلت تمثل محوراً في أدبهم وفكرهم ، وفي الفكر الغربي العلماني .

ولقد أثر هذا الاتجاه في واقعنا ، حتى أصبح بيننا من يدّعي محاربة الحداثة ولكنه في حقيقة أمره تابع لها ناشر لمذاهبها .

ولا أدلّ على ذلك مما يسمى بالشعر الحرّ ، الذي وفد إلينا من الغرب ، من العلمانيّة ـ من الحداثة ، مصطلحاً وشكلاً وأسلوباً . وظل الحداثيون يدعون إليه بإصرار ، حتى تبنّاه بعض الشعراء دون توافر حجّة من علم أو دين أو مصلحة .

لا شكّ أن هؤلاء ليسوا بمجدّدين ولكنهم مقلّدون ، قلّدوا الحداثة ، قلّدوا العلمانيّة ، قلّدوا الغرب الذي يدّعون محاربته ، ثم يتبنّون أفكاره ومذاهبه . أخذوا عن الغرب القشور وأسوأ ما لديه ، أخذوا عنه ما نحن لسنا بحاجة إليه ، وما لا يزيدنا قوّة وعزيمة ، ولا يسدُّ فراغاً في واقعنا . ولم يأخذوا العلم الذي نحن بحاجة إليه ، ولا الصناعة ، ولا السلاح ، وبقينا عالة على الغرب العلماني الحداثي في أخطر ما يحتاجه الإنسان ، ولم يُقدِّم لنا ما يسمّى بالشعر الحرّ ولا شكل القصيدة أيّ إسعاف . وظل هذا الحال منذ قرنين حتى يومنا هذا والغرب يفرك يديه فرحاً بنجاحه بإشغالنا بقشور الحياة ، وصَرْفِنا عن أسباب القوة والعزيمة ، والنهوض والوثوب ، والإفاقة واليقظة ، وكأنه صبّ في عروقنا خدراً انساب وتسلّل ، وأخذنا غفوة طويلة بين دوىّ الأحلام ، وهتافات الغيبوبة . لقد وضحْتُ رأيي في ذلك كله بصورة جلية في دراسات متعددة منها : المسلمون بين العلمانيَّة وحقوق الإنسان الوضعية ، الحداثة في منظور إيماني ، تقويم نظرية الحداثة ، الأسلوب والأسلوبية بين العلمانيّة والأدب الملتزم بالإسلام ، الشعر المتفلّت بين النثر والتفعيلة وخطره ، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ، النقد الأدبي المعاصر بين الهدم والبناء . وكتب أخرى .

الذين يُسمَّون بالمجدّدين اليوم هم في الحقيقة يمثلون أسوأ أنواع " التقليد الأعمى " هم قلّدوا الغرب في شكل القصيدة وما جدّدوا من أنفسهم شيئاً ، حتى إنهم سطوا على

المصْطَلحات والمعاني وادّعوها لأنفسهم ، وكما يقول د . المسدي ما معناه : لو قام أصحاب الحداثة الغربية من قبورهم ورأوا كيف أنهم فقدوا حق " الريادة " حين نُسبت إلى غيرهم ، لأسفوا وغضبوا لذلك !

كل مظاهر التجديد التي يتغنى بها الكثيرون في واقعنا اليوم هي " تقليد أعمى " وتبعيّة عمياء لم تعطِ الأمّة أي خير ولم توفّر لها أيّ قوة .

من المؤسف حقّاً أن نرى التجديد محصوراً في شكل القصيدة ، وأن نرى أن أسس لغتنا وأدبنا الثابتة أصبح اتباعها يسمى تقليداً سيّئاً .

هذه كلمات تمهيديّة سريعة لابد منها قبل طرح التصور للقضايا موضع البحث .

أومن أن الجهد البشري يجب أن يكون نامياً في الحياة الدنيا ، متطوراً مع الحياة وأحداثها . وأومن أن النمو والتطور يجب أن يكونا قائمين على أسس ثابتة راسخة وجذور عميقة لا يمسها التحوير ولا التحريف . ذلك لأن هذه الأسس هي مصدر القوّة لكل نمو ، وهي النبع الفياض الذي يظلّ يروي كل عطاء نامٍ متطور . [تقويم نظرية الحداثة : الباب الثالث الفصل الرابع] .إن الأمة التي لا أسس راسخة لها تظل تتيه في عواصف وظلمات وزخارف ، لا تقدّم للبشرية إلا الفتنة بعد الفتنة والفساد بعد الفساد والظلم بعد الظلم والفجور بعد الفجور .

"التجديد " يجب أن يكون ذاتيّاً ، نابعاً من جوهر الأمة ورسالتها ونهجها . التجديد يجب أن يهب الأمة قوة وعزيمة ، ويسدّ حاجة أساسية في نموها " التجديد "يجب أن يكون له هدف واضح . وبالنسبة لنا نحن المسلمين يجب أن يكون الهدف ربانيّاً ، لأننا أمة تحمل رسالة أُمرتْ أن تبلّغها للناس كافة .

" التجديد "يستفيد من التجارب البشريّة بما يدخل في حاجة الأمة ليزيدها قوة وعزيمة وعزة ، لا ليشغلها عن عظائم الأمور ، ويرميها بسفسافها.

وأضرب مثلاً لمفهومين مختلفين للتجديد والنمو والتطور . فلو نظرنا إلى شجرة طبيعيّة تحمل الورد الذي يتجدَّد مع الأيام في موسمه ، فالورد ينمو من الشجرة نفسها ، من جذورها وأَغصانها وأوراقها ، ومن تربتها وريّها ، وما تلقاه من جهد وعناية . هذه العوامل كلها تعمل لتخرج الوردة في أجمل صورها آية من آيات الله . أفنقول عن هذه الوردة ومثيلاتها إنها شيء قديم ، إنه تقليد ، نريد أن نبحث عن جديد ؟ !

نعم ! هذا ما اتجهت إليه مذاهب الحداثة . فهذا " مايا كوفسكي " زعيم الحركة المستقبلية يدعو الشمس لتنزل إليه وتشرب معه كوباً من الشاي ، كل ذلك كي يعيق شروقها وغروبها الأبديين.

كلما تفتّحت الوردة على شجرتها كان ذلك تجديداً ، يبعث الجمال بأحلى صورة على سنن الله الثابتة ، تتجدد الحياة معها . وانظر إلى هذه الصورة الرائعة يعرضها لنا كتاب الله ليبيّن لنا كيف تتجدّد الحياة وكيف يكون التجديد:(..وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربَت وأنبتت من كل زوج بهيج) [الحج :5]

هذه الوردة الطبيعية ، لا تمثل التقليد كلما طلعت ، وإنما تمثل التجديد بأعظم صوره ، آيةً من آيات الله . فلو جاء أحدهم وقطع الوردة وألصق مكانها وردة صناعية بعد أن غير تنسيق أوراقها وغيَّر عددها حتى ذهب جمالها الأصلي ، أفنقول إن هذا تجديد ؟!

فشعر التفعيلة أَشبه بهذه الوردة التي تَغَيَّر عدد أوراقها كما تَغَيَّر عدد التفعيلات ، وتَغَيَّر تنسيقها ، وذَهب عبقها الأصلي ، كما ذهب في شعر التفعيلة النغمة العبقريّة التي بنتها آلاف السنين.

أفتكون هذه الوردة المصطنعة تجديداً،والوردة التي أنبتها الله تقليداً وشيئاً قديماً ؟ !

إن الشعر العربيّ نما بصورة طبيعية خلال آلاف السنين ، ترعاه سنن الله في الحياة كما ترعى اللغة العربيّة بجميع خصائصها ، حتى إذا نزل بها الوحي الكريم كانت قد اكتمل نضجها وبناؤها ونسيجها ، وثبتت جميع خصائصها نثراً وشعراً ، حتى يتيسّر للناس تدبُّر منهاج الله في جميع الأجيال وجميع العصور ، وحتى يتيسّر للعلماء اكتشاف خصائصها الثابتة من نحو وصرف ، وبلاغة وبيان ، وعروض وبحور.

وكيف يكون اتباع هذه الخصائص في اللغة العربية تقليداً ، واتباع الغرب العلماني تجديداً . إن التفعيلة والنثر تقليد لا إبداع فيه ، وتبعيّة لا تجديد فيها.

ولو أجزنا العدوان على الأوزان والقوافي تحت شعار التجديد ، لجاز عندئذ عند بعضهم المطالبة بتغيير أسس البلاغة والبيان كذلك . وهذا ما تطلبه الحداثة ، ولجاز كذلك المطالبة بتغيير قواعد النحو والصرف والأحرف والكتابة ، وهذا ما تسعى إليه الحداثة ، وما يسعى إليه كثيرون بإلحاح.

إنّ النصّ الأدبي حين يتولّد في فطرة الأديب المسلم بتفاعل القوى المغروسة في الفطرة حسب ما توضحه " نظرية تولد النصّ الأدبي"وحسب " قانون الفطرة (1)التي تخرج منه هذه النظرية ، حين يتولد النصّ على هذا النحو لا يمكن أن يكون فيه تقليد . كل نصّ يخرج عندئذ كما تخرج الوردة على شجرتها.

الشاعر المسلم الذي ينشأ بين الكتاب والسنة واللغة العربيّة ، الشاعر الذي وهبه الله موهبة الشعر لتطلق التفاعل في فطرته ، تكون كل قصيدة عطاءً جديداً ، يظل يتجدَّد كما تتجدّد الوردة والزهرة والثمرة . فكيف يكون تقليداً ؟ !

" التقليد " تعبير عن عطاء جاف ميّت لا حياة فيه ولا يتجدّد . " التقليد " تعبير عن عطاء لا موهبة فيه ، ولا يكون ثمرة تفاعل في ذات الشاعر أو الأديب.

قانون " الفطرة ونظريَّة تولّد النصّ الأدبي " يقومان على الآيات البينات والأحاديث الشريفة التي تبيّن لنا أن كلّ إنسان يولد على الفطرة ، وأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجسانه.

وقد غرس الله برحمته وحكمته ميولاً وغرائز وقوى في الفطرة . وأهم هذه القوى " الإيمان والتوحيد " ، وكأنّ هذه القوة تمثل النبع الصافي الذي يروي سائر القوى ريّاً متوازناً حتى تقوم كل قوة أو ميل أو غريزة بالمهمة التي خلقها الله لها . فإن لم يتمّ الريّ المتوازن بسبب الآثام ، أوإذا انقطع بسبب ذلك ، فلا تقوم هذه القوى بمهمتها . ومن ناحية أخرى فإن هذا النبع الصافي للإيمان والتوحيد يقوم بتصفية ما يدخل الفطرة من زاد الواقع الخارجي ، من علوم وخبرة وغير ذلك ، حتى يظل هذا الزاد في فطرة المؤمن نقياً . والنيّة الخالصة لله هي التي تفتح نبع الإيمان والتوحيد ليروى القوى والميول والغرائز بالريّ المتوازن . ومن القوى في الفطرة قوتان كأنهما قطبان هامّان هما : الفكر والتفكير ، والعاطفة والشعور . وعليهما تستقرّ شحنات الزاد من الواقع ، كما تستقرّ الشحنات على قطبين مغناطيسيين . وتنمو هذه الشحنات مع نموّ زاد الواقع ، حتى تأتي لحظة يحدِّدها قدر الله ، تصبح الشحنات على القطبين قابلة للتفاعل ، فتأتي الموهبة التي يضعها الله فيمن يشاء من عباده ، فتشعل التفاعل ، وينطلق العطاء شعلة حيّة غنية على قدر صفاء الإيمان والتوحيد وإخلاص النية ، وعلى قدر الزاد الذي يكوِّن الشحنات ونوعه ومادته.

إن العطاء الذي يخرج من هذا التفاعل في ذات الإنسان لا يمكن أن يكون تقليداً ، لأنه غنيّ بالحياة التي تتجدّد مع كلّ عطاء. إنه التجديد الممتد والإبداع الغني على قدر غِنى العوامل التي ولدته : الإيمان والتوحيد ، النيّة ، التفكير ، العاطفة ، زاد الواقع وأهمه منهاج الله ، الموهبة.

ولو أخذنا قصائد الشعراء المجيدين المبدعين قديماً وحديثاً ، ممن تخرج قصائدهم محافظة على الوزن والقافية ، لوجدنا أنّ كل قصيدة موضوع جديد ، وصورة جديدة ، وحركة جديدة ، إنها شيء جديد زادها الوزن والقافية لألأة وجمالاً ولذلك جاءت قصيدتي:

لآلئ الشعر أوزان وقافية

التقليد مهمّة من لا يملك عناصر العطاء المتجدِّد ، العناصر التي تولّد عطاءه وتطلقه من ذاته ، نابعاً من ثوابت عناصره وزاده ، من جذور عميقة في الفطرة ، لا يشوّهها ولا يحرفها . المقلّد هو من لا يملك إلا أن يبحث عن هذا وذاك ليقلّده ، أو عمّن يظنهم الأقوياء فيخدع بهم حتى يكتشف أنهم المنحرفون الضالون المجرمون ، فيُشغَل بقشورهم وزخرفهم الكاذب ، ويخفون عنه جوهر القوة وحقيقة الإبداع. (1) –" الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته ": الباب الثاني . الفصل الأول. " النهج الإيماني للتفكير" الباب الرابع . الفصل الثاني

==============

#الصّفقة الخاسرة

أ. د. عماد الدين خليل 1426/3/15

2005/04/24

تعود "قضية" المرأة في العقدين الأخيرين لكي تحتل موقعاً متقدماً ً في ساحة الصراع الفكري، وتكون واحدة من أكثر المواضيع سخونة في العالم.

قبلها كان الغربيون هم الذين "يغزوننا" بأفكارهم ومعطياتهم وتقاليدهم بخصوص المرأة والأسرة، وكل المفردات المرتبطة بهذين القطبين الأساسيين في الحياة الاجتماعية .. كنا نستورد، وكانوا يصدرون .. وكانت تجارة رائدة أن يظهر في ديارنا مقاولون أو متعهدون كبار يمارسون مهمة الاستيراد هذا بحساب الجملة.. وكانت الصفقات تتم

دون معاينة جادة للبضاعة، فكانت تحمل وهي تتدفق على موانئنا الكثير من المزيف والمغشوش الذي سرعان ما انتشر في أسواقنا، وملأها بالبضائع المدسوسة التي ضاعت في غبشها المرأة المسلمة، وتعرّضت الأسرة للاهتزاز والدمار بكل ما تنطوي عليه هذه المؤسسة من قيم تربوية تصنع مجد الأمم والشعوب، أو تقودها إلى البوار.
كانت المرأة والأسرة هناك في ديار الغرب تعانيان من ألف مشكلة ومشكلة فنُقلت إلينا كما لو كانت هي الحل، فكانت خسارتنا مضاعفة على كل المستويات وبكل المقاييس. استبدلنا الأعلى بالأدنى، بمعيار معكوس كان يصور للمتعاملين على أنه هو المقياس المطلوب والضروري في القرن العشرين.
وكانت تغذي المحاولة المعكوسة هذه، وتحرسها، وتمضي بها إلى نهاية الشوط شبكة من السماسرة في عالم الفكر والإعلام والاجتماع، قد يختصمون على كل شيء إلا في هذه.. وكانت الأصوات " المعارضة" التي ترتفع لكي تدين السمسرة الماكرة، تُكبت أو تُعزل، وأحياناً يغيب أصحابها بهذه الحجة أو تلك.
صوت الطهر والنظافة والاستقرار والأمن والتوحد كاد يضيع قبالة أصوات المهرجين الذين أريد لهم أن يدخلوا المضمار، وأن يحظوا بالفوز بأي ثمن.
كانوا يصدرون مشاكلهم عبر موانئ الفكر المفتوحة على مصراعيها، ومن خلال شبكة المستوردين والسماسرة، مخيّلين للمسلمين أن المرأة المسلمة هي التي تعاني من المشاكل والأزمات، وأن الأسرة المسلمة بحاجة إلى تعديل الوقفة الجانحة من أجل كرامة المرأة وحقها الإنساني المشروع في الحياة الحرة الشريفة!! وبهدف تجاوز الهضم والإجحاف والتحقير التي عانت منها عبر القرون.
الاستقرار النفسي، والأمن الأسري، والطهارة الخلقية، والطفولة الآمنة المتوحدة.. أصبحت مآخذ على الحياة الإسلامية، سعى السماسرة إلى استيراد الحلول المناسبة لتداركها .. والحلول كانت سموماً مركزة أطاحت بالاستقرار والأمن والطهارة، ودست في شرايين الحياة الإسلامية: الفساد والعهر والشذوذ والتفكك والخوف والدمار.
ومنذ بدايات القرن الماضي حدثنا المتحدثون والكتاب عن حدث يحمل دلالاته العميقة في هذا المجال. لقد كانت (اسطنبول) عاصمة الخلافة الإسلامية واحدة من أنظف مدن

العالم في مجالات العلاقة بين الرجل والمرأة، فلما دخلها الغربيون تحت مظلة الإصلاح والتحديث .. لمّا غزتها قوانين (بونابرت) الوضعيّة وأبعدت مفردات الشريعة الإسلامية شيئاً فشيئاً.. لما أخذ الطلبة الأتراك يذهبون إلى عواصم الغرب ويرجعون بالشهادات

أو بدونها .. بدأ الطفح الأحمر يظهر على جلد (اسطنبول) .. والزهري والسيلان وكل السموم الجنسية المدمرة تتسرب في شرايينها. ويذكر (شمتز دوملان) في كتابه (الإسلام) أنه " عندما (غادر الدكتور مافرو كور داتو) الأستانة سنة 1927 م إلى برلين لدراسة الطب لم يكن في العاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة. كما لم يُعرف فيها داء الزهري وهو السفلس المعروف في الشرق بالمرض الافرنكي، فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين تبدّلت الحال غير الحال. وفي ذلك يقول الصدر الأعظم (رشيد باشا) في حسرة موجعة: إننا نرسل أبناءنا إلى أوروبا ليتعلموا المدنية الافرنكية فيعودون إلينا بمرض الداء الافرنكي".

كانت الخطوة الأولى .. الخطوة الضرورية.. وأعقبتها بقية الخطوات .. صار العملاق العثماني الذي دق أبواب فينا، رجلاً مريضاً، وراحت السكاكين تعمل في جسده الممزق، حتى انتهى الأمر إلى قتله تماماً على يد واحد من المحسوبين على جغرافية الإسلام.. وجاء من بعده عشرات القادة لكي يواصلوا المهمة. ومن قبلهم ومعهم، وربما بعدهم، استمرت شبكة السماسرة في دوائر الفكر والثقافة والإعلام والاجتماع تمارس مهمتها المعكوسة، فترفع شعار تحرير المرأة لكي تصل بها في نهاية الأمر إلى التعهير!

عدد ليس بالقليل من النساء الغربيات أنفسهن، كما سنرى، كن يجدن في الحياة الإسلامية.. في جمال المرأة والأسرة والطفولة المثل الأعلى والصيغة المرتجاة للأمن والاستقرار والعطاء والسعادة.. وكن يتُقْن إلى التمتع بعشر معشار ما تتمتع به المرأة المسلمة. وأغلب الظن أن عدداً من القراء والمتابعين لا يزالون يذكرون، من بين وقائع كثيرة، ذلك المؤتمر النسائي الحاشد الذي نظمته وزيرات المرأة والأسرة في الحكومات الألمانية الإقليمية عام 1991 م والذي كان بمثابة تظاهرة نسائية رسمية ضخمة استهدفت تأكيد دور المرأة في المجتمع الألماني، وقد طالبت النساء في

المؤتمر بالحقوق التي تتمتع بها المرأة المسلمة منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، وخاصة بالنسبة لاحتفاظ المرأة الألمانية باسم والدها بدلاً من إجبارها على حمل اسم زوجها. وحيّت النساء المحتشدات قرار المحكمة الدستورية في ألمانيا (الاتحادية) الذي أقرت فيه بعدم حتمية قيام المرأة بحمل اسم زوجها، وأنه لها الحق في الاحتفاظ باسم والدها إن أرادت ذلك.

قبل ذلك بحوالي العقدين من الزمن كانت الساحة الإيطالية قد شهدت هجوماً مضاداً آخر في مواجهة الميل بالمرأة والأسرة عما أراده لها الله سبحانه .. تلك الضغوط المتواصلة في البرلمان الإيطالي .. على بعد خطوات من الفاتيكان زعيمة الكاثوليكية في العالم .. والتي تزعمها أشد البرلمانيين ليبرالية، من أجل إقرار حق الطلاق للرجل الإيطالي، بعد حجبه القرون الطوال.

بل إن بعض النسوة الغربيات انتمين إلى الإسلام من أجل أن يذُقْن التجربة ويبعدن عن مواطن التفكك والرذيلة والعفن والقلق والسعار الذي يحكم حياة المرأة الغربية، حتى لم تعد الكثيرات منهن يأمن على أزواجهن من المعاشرة اللاشرعية، ولم يعد الأزواج أنفسهم يأمنون على الذراري والأبناء، ويضمنون انحدارهم من الأصلاب!

هذا كله يتسرب بدعاوى السماسرة الذين أطلقوا على أنفسهم دعاة تحرير المرأة.. يتسرب إلى حياتنا فيستبدل الذهب بالتراب، ويكون هذا الذي كان ..

وليس ثمة أمة كهذه الأمة المسماة تجوّزاً " بالإسلامية " تجهل كل فن مجدٍ في صيرورة الحياة وتناميها، ولكنها تحذق فن هدر الطاقة، والتفريط بعناصر التميّز والتفوّق، واستبدال الغالي بالرخيص.

في سياقات عديدة تمّت الصفقات الخاسرة في التاريخ الحديث والمعاصر لهذه الأمة .. في مجال الاقتصاد والسياسة والحرب والعلم و الأخلاق.. وهاهنا في سياق المرأة والأسرة، كان القانون نفسه يعمل عمله بوساطة جيش من السماسرة وأدعية التقدّميّة والتحرر، لكي يفرط بواحدة من أكثر الحلقات في الحياة الإسلامية تميّزاً وتفوقاً، ويحلّ محلها: التفكك والعفن والرذيلة والخراب والشذوذ والزهري والسيلان.. وأخيراً الإيدز الذي بدأ يدق الأبواب.

هذا كله كان، ولا يزال قائماً حتى اللحظات الراهنة في ديارنا، رغم أنه حوصر إلى حد كبير بقوة معطيات الصحوة الإسلامية ومطالب الفطرة البشرية التي تميل إلى الطهر والعفاف والنظافة والاستقرار، والتي لن تحظى بتحققها المأمول إلا في إطار هذا الدين.

ألا أن المفاجأة التي حدثت، فيما لم يكن أحد يحسب له أيما حساب، إن المكر السيئ حاق بأهله، وتلك هي واحدة من سنن الله سبحانه في خلقه. وليس المقصود هنا حشود السماسرة الذين مرّروا العملية؛ فهؤلاء ليسوا بأكثر من أدوات أو آلات للتوصيل.. وإنما الحياة الغربية نفسها التي أخذت تتلقى الهجوم المضاد في قضية المرأة.. في عقر دارها.. عبر العقدين الأخيرين على وجه الخصوص. وأصبح هذا "الغزو" إذا صح التعبير، أو الهجوم المضاد، يمثل بمرور الوقت هاجساً ملحاً في دوائر الحياة الغربية على مستوى السلطة والمجتمع، وأخذ يتصاعد حتى كاد يدفع بعض القيادات الغربية إلى تجاوز ما يُسمى هناك بالثوابت الديموقراطية من أجل وقف الظاهرة التي أخذت تهدّد الحياة الغربية، على ما تصوّروه هم بحكم التقاليد الفكرية والسلوكية وضغط الأعراف والمسلمات الخاطئة القادمة من عمق الزمن الأوروبي.

أمامي الآن مقال للمفكر الفرنسي (برنارسيشير) بعنوان "الحجاب العرب .. ونحن" ينطوي على بعض المعطيات المهمة، وهي تمس كما يبدو من العنوان، إحدى الحلقات المهمة في موضوع المرأة المسلمة، ولا أقول قضيتها، ألا وهو (الحجاب).. فها هو الحجاب يقتحم العري الفرنسي.. التهتك الباريسي المعروف، ويفرض حضوره في قلب المجتمع.. فكيف كانت رؤية الفرنسيين أنفسهم للظاهرة؟ كيف كانت ردود الأفعال؟

حين تحجّبت بعض الفتيات في (الليسيه) يقول (سيشير)، تحركت الطبقة السياسية، وراح يدلي كل بدلوه حول الاحترام الواجب تجاه بلد الضيافة، وهو يقصد ضرورة احترام التقاليد الفرنسية من قبل أولئك الغرباء الذين قبلتهم فرنسا ضيوفاً عليها، بغض النظر عن القيم الأخلاقية لهذه التقاليد، حتى إن أحد الوزراء هدّد باتخاذ موقف،

واجتمعت أخيراً الهيئة الدستورية، في حين كاد يعلن بعض المثقفين – جهاراً – أن الوطن العلماني في خطر!

ويمضي (سيشير) إلى القول بأنه مهما بلغت قدرة عملاء العروض المشهدية على التلاعب والتأثير – وهم لم يترددوا في ممارستها بوقاحتهم المألوفة – فإن حادثاً كهذا لا يكتسب مثل هذه الأهمية ولا يثير مثل هذه الأصداء، إلا إذا كان يمس الطبقات العميقة من الوعي الاجتماعي. وبما أن من تحرّك هذه المرة ليس من أتباع (الساسة الفاسدين)، وإنما من المفكرين اللامعين الذين اجتاحتهم فجأة موجة من الغضب المفرط.. فيجب أن نبحث عن الدوافع البعيدة.. إنها أعراض (بواتييه) المرضية!

إذن فإن تراكمات التأريخ والعمق الصليبي للمثقف الفرنسي الذي لا يزال يتذكر محاولة الاقتحام الإسلامي للأرض الفرنسية وهزيمته عند (بواتييه)، هي التي تستفز في تحليل (سيشير) العقل الغربي لمجابهة ظاهرة الحجاب الإسلامي، حتى لو أدّى الأمر إلى

خرق الثوابت الديموقراطية وضرورات "التسامح وجمال الاختلاط العرقي" التي يدّعيها الفرنسيون. ويبدو لي – يقول سيشير –: إن أعراض (بواتييه) المرضية إنما تشهد على جهلنا العميق بحقائق الإسلام كما تشهد في الوقت نفسه على عودة غريبة للمكبوت تجعل

العربي (المسلم بالأخص) يحل وقتياً محل اليهودي في الاستيهام العنصري والمتوتر لغيريّة AL teroite)) قوية تنذر وتهدّد.

إنه "النسيان المذهل" و "النفي المجنون" كما يعبر (سيشير)، لأفضال الحضارة الإسلامية على الغرب"، وإذا كان العرب قد بهروا ذاكرتنا القديمة وأربكوها إلى هذا الحد ، فذلك لأنهم كشفوا عن قدرتهم على ابتكار الحضارة الأكثر ألقاً وغنى ، عندما كنا لا نزال نحن في طور التخلف، وقد لعبت الكنيسة المسيحية، في إطار هذا الكبت الكبير، دوراً لا تُحسد عليه أبداً، وآن الأوان لكي تعترف بذلك خصوصاً وأن مذهبها ما كان ليتكون لولا أن سلبت الكنز النفيس الذي وصلها من الفكر الإسلامي، ثم عملت على طمس معالمه المدهشة ".

إن الفرنسيين، والغربيين عموماً هم ضحايا التعصب – كما يقرر سيشير – ضحايا تشويه تجعلهم يتصورون أن تأريخهم هو التاريخ الوحيد الممكن، ويجعلهم يسقطون من خلال هذه الأفكار (وعسكرياً من خلال الأفعال) تحديدهم للسياسة على وقائع تاريخية وثقافية تبدو لهم متطرفة لدرجة أنهم يمضون وقتهم في ترسيخ سوء التفاهم.

وبوصفي مدرساً – يقول سيشير – فإنني أتساءل كيف لا ترون أن المشكلة الملحة ليست الحجاب، وإنما الانهيار العام لثقافة لا تعني رجال السياسة عندنا؟" وتقولون: إنكم تريدون حماية هُويّة؟ وأية هُويّة؟ ولأن الجواب لن يكون سهلاً فمن الأفضل فتح باب المناقشة والانحياز إلى الفكر وليس إلى الخوف!

" لقد أحالتنا الحيوية الدينية الإسلامية فجأة، إلى وعي مخيف، ولقد عبّر عنها بعض المثقفين المستنيرين من خلال ردود فعل مرعبة وتشنّجات غير عقلانية"

هذا بعض ما يخلص إليه (سيشير) وهو يعالج ردود الفعل الفرنسية تجاه ظاهرة الحجاب في سياق الموقف المسيحي العام من خلال الظاهرة الإسلامية ببعدها الديني وعمقها التاريخي، وهو موقف لا يعكس فكر أو عاطفة الشرائح الدنيا في المجتمع، أو حتى الساسة (الفاسدين)، ولكن المثقفين والمفكرين اللامعين

=============

#الإسلاميون.. وفخ المشاركة في السلطة

د. محمد مورو 1426/4/4

2005/05/12

بداية فإن فكرة المشاركة في السلطة من قبل أي جماعة سياسية أو اجتماعية أو من أي لون وطيف هي فكرة طبيعية ومشروعة، وكذا فإن هدف الوصول إلى السلطة في حد ذاته ليس هدفاً مجرداً بل هو مشروع ومقبول والحرص عليه ليس عيباً على الإطلاق .

وبالتالي فإن وصول الإسلاميين إلى السلطة أو مشاركتهم فيها هو أمر طبيعي بل أكثر من طبيعي، واستهدافهم لذلك لا يعيبهم بل إن حرمانهم من الوصول إلى السلطة بوسائل متعددة منذ نشأة تلك الحركات كان جريمة ضد الشرعية وضد رغبة الناس وضد مبادئ القانون . أي قانون.

وبالنسبة لي، فإنني أعتبر التيار الإسلامي في بلادنا العربية هو الأكثر تعبيراً عن وجدان الناس وعن مصالحهم دون أن يكون له الحق في أن يحتكر الإسلام طبعاً أو يقصره على نفسه، ومن هنا فإن وصوله إلى السلطة هو هدف نبيل .

وأعتقد أن الحركات الإسلامية هي الامتداد الطبيعي لحركة التحرر الوطني ضد الاستعمار والتي كانت إسلامية الجوهر والسلوك تماماً منذ عمر مكرم وجمال الدين الأفغاني والنديم ومصطفى كامل ومحمد فريد وعبد الكريم الخطابي وعبد القادر الجزائري وعمر المختار وعز الدين القسام .. الخ، ومن ثم فهي استجابة طبيعية لمواجهة الاستبداد ، وطريقاً للنهوض السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، وتجاوز حالة التخلف وتحقيق الحرية والتحرر والعدل الاجتماعي . وهي بحكم تكوينها وبحكم وجدان الناس صاحبة البرنامج الأكثر قبولاً والأكثر قدرة بالتالي على مواجهة التحديات .

ولكن فكرة المشاركة في السلطة أو الوصول إلى السلطة ليست غاية في حد ذاتها، بل هي إحدى آليات تحقيق برنامج النهوض الشعبي الإسلامي المنشود، وبالتالي فهي مرتبطة بمجموعة العوامل الداخلية والإقليمية والدولية في زمن معين، وهكذا فإن طرح هذه المسائل في الوقت الراهن يقتضي بالضرورة تحليل مجموعة هذه العوامل المرتبطة بالموضوع.

طريق مسدود

على المستوى الداخلي فإن أوضاعنا العامة وصلت إلى حالة من التأزم المزمن في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ومحاولات النهضة ومشروعات التحرر كلها تقريباً وصلت إلى طريق مسدود، وفشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافها، وتحولت بدورها إلى عبء كبير على كاهل الناس والأمة، وعلى مستوى التحديات الخارجية المحيطة "الاستعمار . الصهيونية . التبعية" كان الفشل ذاته هو سيد الموقف . وإذا كانت الليبرالية قد سقطت منذ عام 1948 ، والاشتراكية عام 1967 ، والحكم العسكري عموماً سقط ولا يزال، وكذا تجارب العلاقات مع أمريكا وقبلها الاتحاد السوفيتي ...الخ ؛ فإن هذا يبرر بحث الناس عن الطريق الإسلامي كحل لم يعد

هناك بديل عنه . وهذا يرجح ويزكي فكرة مشاركة الإسلاميين في السلطة أو حتى الحكم منفردين .

ولكن الأمر ليس بهذه البساطة، فالسماح للإسلاميين بالمشاركة في السلطة أو الوصول إليها . وهو الأمر الذي ترفضه القوى الدولية والإقليمية والمحلية النافذة حتى الآن ، هذا السماح ليس برئ المقصد ولا حباً في حل المشكلة ولا إيماناً مفاجئاً بحق القوى السياسية في الوصول إلى السلطة، إنه في رأيي مجرد فخ على أساس أن مشاركة الإسلاميين في السلطة مع وضع ضمانات معينة تجعلهم غير قادرين على تنفيذ برامجهم الحقيقية هو نوع من التوريط لهم وإضعاف موقفهم الجماهيري ومن ثم تحويلهم إلى شيء آخر غير إسلامي "يمين محافظ أو غير محافظ مثلاً في إطار علماني" . وفي نفس الوقت فإنهم وحدهم القادرون على تهدئة الشارع العربي والإسلامي المنفلت والذي تزيده حالات الاستفزاز الديني والقومي والوطني الذي تقوم به الولايات المتحدة وإسرائيل في المنطقة ومن ثم يمكنه التحول إلى نوع من المقاومة غير المؤطرة . وهي خطر شديد على الاحتلال الصهيوني الأمريكي ، وهكذا فالهدف من السماح للإسلاميين بالوصول إلى السلطة في ذلك الوقت هو نزع فتيل هذا الخطر . وبالتالي فالقبول بتلك المهمة هو أمر خطأ وخطر ولا يمكننا بالطبع أن نعمل مانعة صواعق لصالح الأمريكان .

النقطة الهامة التي ينبغي أن نأخذها في اعتبارنا هنا هي أن العالم أصبح شديد التداخل، وهناك عولمة اقتصادية متوحشة لا تسمح بسهولة بتحقيق أي نوع من التنمية المستقلة وبالتالي عدم القدرة على تحقيق برنامج اقتصادي حقيقي لصالح عموم الناس، وهناك انفراد أمريكي بالقوة في العالم، ومن ثم فإن أي حكومة وطنية مهما كان برنامجها، ومهما كانت كفاءة رجالها وعناصرها غير قادرة على المناورة ، وسوف تخضع في المحصلة لهذا العامل الصعب "العولمة . هيمنة أمريكا على العالم"، ومع الأخذ في الاعتبار أننا أمة في حالة هزيمة تكنولوجية، وأن الفجوة التكنولوجية لا يمكن سدها بوسائل تقليدية أو بوسائل مستمدة من نفس طريقة التفكير الغربية في التنمية ، لأدركنا على الفور أن المشاركة في السلطة قد لا تحقق الكثير

مما يتوقعه الناس، وفي نفس الوقت قد تحدث نوعا من الانصراف الجماهيري عن المشروع الإسلامي وإحداث نوع من الشوشرة على منطلقاته النظرية .

رأس حربة ضد المشروع الأمريكي

والأفضل طبعاً أن تتحول الحركات الإسلامية إلى نوع من حركات التحرر الوطني . في المعارضة . تكون رأس حربة ضد المشروع الأمريكي الصهيوني، وتفرز وسائل وأطر لتحقيق هذه المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي والصهيوني وأن تشارك بقوة في عملية مقاومة العولمة في مفهومها الاستئصالي للآخر ، وأن تقدم الإسلام كبديل في مواجهة المشروع الإمبراطوري الرأسمالي الإمبريالي، وأن تتحول الحركات الإسلامية بالتالي إلى طليعة لهذه الحركة العالمية وأحد أهم قواها الثورية . وهذا بالطبع يقتضي إعادة هيكلة الحركة وإعادة بناء مستوياتها النظرية والفكرية، هذا من حيث العموم، ومن حيث الخصوص، فإن الحركة الإسلامية في مصر لا يمكنها بالطبع تجاهل هذه النقطة أو السكوت عنها وإلا فقدت مصداقيتها التاريخية، وبديهي أن السماح بمشاركة الإسلاميين في السلطة في تلك الدول لن يكون معتبرا ولا مسموحاً به أمريكياً ما لم يكن هناك ضمان علني أو سري لقبول تلك الحركات بمشروعية إسرائيل حتى ولو في إطار قرار 242 مثلاً، مع عدم السماح لها طبعاً بالتصدي للقمع الإسرائيلي أو المطالبة بالانسحاب إلى أراضي 1967 الخ ... وهو أمر غير أخلاقي طبعاً، لأن عدم الاعتراف بمشروعية دولة إسرائيل هو أحد أهم أسس قيام وانتشار الحركة الإسلامية في مصر وفي غيرها من الأقطار العربية والإسلام

==============

فشل آمال الغرب في دمج مسلميهم

نور الإسلام_ 1428/2/28 هـ - الموافق2007/3/17 م_ تحت هذا العنوان كتب جنيف عبدو مؤلف كتاب "مكة والشارع الرئيس.. حياة المسلم في أميركا بعد 11سبمتبر/ أيلول"، مقالا في صحيفة واشنطن بوست يستهجن فيه تسليط وسائل الإعلام الأميركية -وعلى رأسها سي.أن.أن- الضوء على مؤتمر عقده من يصفون أنفسهم بأنهم مسلمون علمانيون بمدينة سانت بطرسبرغ الأميركية، كحركة علمانية

جديدة تدعو إلى تصحيح ما تزعم وجوده من أخطاء في الإسلام عبر ما يسمونه "إصلاح الإسلام".
وقال إن أجندة هؤلاء العلمانيين تحظى بالدعم لأنها تعكس الرؤية الغربية لمستقبل الإسلام: إصلاح الإيمان بحيث يتشبع بالقيم الغربية، مشيرا إلى أن مشكلة هذه الوصفة هي أنها بعيدة كل البعد عن الواقع لأنها مبنية على مبدأ أنه إذا تغذى المسلمون على وجبة ثابتة من النفوذ الغربي، فإنهم سيتبنون الحداثة والعلمانية وكل شيء يقدمه الغرب.
غير أن الكاتب دعا إلى النظر في الحقائق التي تنطوي على إحياء الإسلام في العالم على مدى السنوات الـ30 الماضية في الشرق الأوسط وأفريقيا، مستشهدا بارتداء معظم النساء في مصر لغطاء الرأس، فضلا عن ظهور الجماعات الإسلامية على الساحة السياسية. كما أشار إلى أن المسلمين في أوروبا وأميركا الذين يعيشون الحياة الغربية باتوا أكثر الناس اعتناقا للقيم الإسلامية، مضيفا أن عددا كبيرا من المسلمين في بريطانيا يطالبون بإنشاء محكمة على أسس إسلامية.
وخلص إلى أن كل هذه الأمثلة تعني أن الآمال الغربية التي ترمي إلى دمج كامل للمسلمين في الغرب من غير المرجح أن تتحقق، وأن مستقبل العالم الإسلامي هو أنه سيكون إسلاميا أكثر منه غربيا. ولذلك يقول الكاتب إن من الحكمة أن تولي الولايات المتحدة اهتماما أكبر للأغلبية الأقل ثرثرة عوضا عن مناصرة الأصوات المسموعة من الأقلية العلمانية التي تجذب اهتمام وسائل الإعلام.

=============

#العدالة والتنمية تحت مقصلة العلمانية التركية

رضا عبد الودود / القاهرة 1426/5/25

2005/07/02

بنظرة دقيقة على المشهد السياسي التركي يبدو للوهلة الأولى تفاقم الأزمات السياسية والاجتماعية التي تنذر بصيف ساخن لحكومة حزب العدالة والتنمية ، فبين ضغوط أمريكية متلاحقة ضد حكومة أردوغان لمعاقبته على موقفه الوطني من احتلال القوات الأمريكية للعراق ورفضه دخول القوات الأمريكية من الأراضي التركية ، مما

دفع واشنطن لتفعيل ورقة الأكراد في الشمال العراقي واستخدام ورقة شرق الأناضول والحدود البحرية مع اليونان والورقة القبرصية وعرقلة جهود الانضمام للاتحاد الأوربي .

ووسط هذه التحديات أخذ البساط ينسحب من تحت أقدام حزب العدالة والتنمية بعد أن فقد الأغلبية المطلقة التي حصل عليها في الانتخابات البرلمانية المبكرة التي أجريت في 3 نوفمبر 2002 عندما استحوذ على ثلثي عدد المقاعد البرلمانية (368 مقعداً من مجموع 550 مقعداً). وهو ما مكنه خلال العامين الماضيين أن يقوم بإجراء تعديلات دستورية واستصدار قوانين جديدة دون الحاجة لاستفتاء عام أو طلب الدعم من أي من الأحزاب داخل المجلس.

الاستقالة من العدالة

وقد بدأت هذه الأزمة الجديدة التي تواجه الحزب الحاكم في التفاقم عندما تقدم 11 عضواً من نوابه بتقديم استقالاتهم خلال الآونة الأخيرة (فبراير ومارس 2005) خاصة أن وزير الثقافة التركي والنائب بالبرلمان "أرجان مومجو" الذي ساهم بشكل فعال في حصول الحزب على الأغلبية المطلقة عام 2002 كان أبرز هؤلاء المستقيلين عن الحزب في 15 فبراير الماضي ليترك علامات استفهام كثيرة حول خروج 20 آخرين على الأقل من النواب عن الحزب الحاكم وتوجههم إلى إعادة إحياء دور حزب الوطن الأم (يمين الوسط) الذي كانوا ينتمون إليه في الماضي القريب بعد عدم تمكنه من الحصول على نسبة 10% من أصوات الناخبين التي تسمح للحزب رسمياً بدخول البرلمان، حيث لم يحصل الحزب إلا على نسبة 5.1% في انتخابات عام 2002، لكن مع تحول أعضائه الأصليين عن حزب العدالة والتنمية الذي دخلوا تحت مظلته في الانتخابات، فقد أصبح لحزب الوطن الأم الآن 6 مقاعد برلمانية، وعلى نفس الشاكلة، فقد انخفض عدد مقاعد الحزب الجمهوري المعارض أيضاً بعد سلسلة من الاستقالات من 178 مقعداً عام 2002 إلى 162 مقعداً الآن، وهو الأمر الذي سمح بدخول أحزاب أخرى للبرلمان مثل حزب الطريق القويم (6 مقاعد) والحزب الديمقراطي الاجتماعي (5 مقاعد) فضلاً عن ارتفاع عدد مقاعد المستقلين من 9 مقاعد إلى 12 مقعداً.

ورغم أن حزب العدالة والتنمية لم يفقد بعد الأغلبية البسيطة (276 مقعداً كحد أدنى)، فإن مجموعة الاستقالات السابقة عن الحزب أصبحت تحتم عليه –بعد انخفاض عدد مقاعده بالبرلمان إلى 357 مقعداً– أن يلجأ للتفاهم مع الحزب الجمهوري المعارض أو يلجأ لحزبي الطريق القويم والوطن الأم كلما أراد إدخال تعديلات دستورية جديدة، وبمعنى أوضح، سيكون مضطراً للدخول في مساومة على كل مشروع تعديل يتعلق بالدستور مع أحزاب المعارضة التي ستطلب المقابل أو ستعوق المشروع.

حرب العلمانية ضد القرآن

كما شهدت الساحة التركية تفاعلات أخرى حيث احتدمت الحرب السياسية الباردة بين ركني الحكم في تركيا القصر الجمهوري ورئاسة الوزراء حالياً لتصل إلى ذروتها بعد إعلان (رئيس الجمهورية) أحمد نجدت سيزار عن معارضته المطلقة لتخفيف العقوبة على تنظيم دورات تعليمية لقراءة القرآن الكريم دون إذن من السلطات وفقاً للتعديل الجديد في قانون العقوبات مقابل ذلك يصر رئيس الوزراء رجب طيب إردوغان على إدراجها في القانون الجديد . وتتخوف الفئات التي تقف ضد هذا القانون من أن تؤدي دورات حفظ القرآن الكريم إلى صياغة عقول وأفكار تهدد فيما بعد النهج العلماني السائد في البلاد، أما الذين يدافعون عنه ويرفضون وضع شروط على تعليم القرآن الكريم يرون بأن إتاحة التعليم الديني للمجتمع في حد ذاته رمز لتأكيد الممارسة الديمقراطية. وما يزيد مخاوف حزب الشعب الجمهوري أن أنباء تتردد عن خطوة لاحقة تدعو لها أصوات داخل حكومة حزب العدالة والتنمية لتدريس تعاليم الإسلام ضمن مناهج المرحلة الثانوية.

محاولات إلغاء قانون الملابس

وفي ضوء الحرب الباردة الدائرة على الساحة السياسية التركية بين التيار العلماني وحكومة حزب العدالة والتنمية الإسلامي بدت في الأفق انفراجة في محاولات أردوغان إلغاء قانون الملابس الذي يحظر ارتداء الحجاب بإعلان أركان مومجو (رئيس حزب الوطن الأم التركي) التضامن مع رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان للتحرك في البرلمان لوقف قانون حظر الحجاب بدلاً من التوجه إلى الاستفتاء

الشعبي لرفع الحظر عن الحجاب، وفق ما اقترحه أردوغان أخيرًا. حيث يملك حزب العدالة والتنمية 356 مقعدًا مقابل 13 مقعدًا لحزب الوطن الأم، بما يعني أن لدى الحزبَين أكثر من أكثرية الثلثين اللازمة لتعديل الدستور وإجراء تغييرات جذرية في بنية قانون التعليم العالي ومؤسسته.

ويرجع حظر الحجاب في تركيا إلى عام 1925 عندما صدر قانون القيافة الذي ظهر مع ثورة أتاتورك، وينص على ارتداء القبعة، وإلغاء ارتداء الطربوش والطاقية للرجال،

ويحظر على المرأة العاملة بدواوين الدولة والحكومة والمدرسة والجامعة ارتداء التنورة (الجيب) الطويلة ، وارتداء البلوزة أو الجاكيت أوالبنطال ، وبالتالي أصبح الحجاب بصورته الشرعية مخالفًا لقانون القيافة الذي يعدُّه علمانيو تركيا من الإنجازات والمكتسبات والثورة الاجتماعية التي أتى بها أتاتورك للشعب التركي.

وبموجب هذا القانون تمَّ منع وإسقاط العضوية البرلمانية عن النائبة المحجبة مروة قاوقجي في عام 1999م.كما أن القانون نفسه يحول بين الفتيات التركيات المحجبات والتعليم؛ حيث يحظر عليهن دخول الجامعات والفصول الدراسية وهن مرتديات الحجاب، كما تعاني كثير من زوجات المسئولين المحجبات من الظهور في الحفلات الرسمية التي تستوجب حضورهن مع أزواجهن، خاصةً مع وصول حزب العدالة والتنمية ذي التوجه الإسلامي إلى الحكم.

وقد بدأت عملية الانفراج في مناقشة فكرة الحجاب في تركيا مع دخول حزب العدالة إلى السلطة، وتحديدًا عندما شاركت زوجة رئيس البرلمان التركي في مراسم توديع رئيس الدولة أحمد نجدت سيزر عام 2002م وهو متوجه إلى العاصمة التشيكية براغ لحضور قمة زعماء حلف الأطلنطي "ناتو". وحينها قال "بولنت آرينش" رئيس البرلمان التركي: "ليس لأحد الحق في التدخل في شكل ونوع ملابس زوجتي، خصوصًا أن ملابسها ليست ضد القانون أو الدستور"، ولم تكن هذه التصريحات التي أطلقها رئيس البرلمان لتحُول دون التصعيد العلماني في وسائل الإعلام، فقد اهتمت الصحف التركية بالأمر واعتبرته حدثًا ملفتًا، حتى إن الصحافة التركية وصفته بأنه حدث تاريخي يدخل معه الحجاب للمرة الأولى في بروتوكول الدولة

التركية العلمانية، خاصةً وأن "بولنت أرنج"- رئيس البرلمان- تولى لمدة 3 أيام بالوكالة مهامَّ رئيس الجمهورية لحين عودة سيزار، وهو ما أثار ردود فعل واسعةً وسط النخب العلمانية في وقتها.

وتكثفت جهود الإسلاميين في تركيا- خاصةً النساء- في مقاومة قانون القيافة، وبدأت ردود فعلهن من التظاهر في الجامعات التي ترفض دخولهن مدرَّجات التعليم بحجابهن وتواصل التصعيد على مستوى القضاء التركي، ثم وصل الأمر إلى التقاضي أمام محكمة حقوق الإنسان الأوروبية في ستراسبورج بفرنسا عام 2002 للنظر في ملف دعوى طالبتَين تركيتَين مرفوعة ضد الحكومة التركية؛ بسبب منعهما من مواصلة الدراسة لارتدائهما الحجاب، وتقدمت في الوقت نفسه 305 طالبات محجبات بدعاوى أمام محكمة حقوق الإنسان الأوروبية، وطالبن هيئة المحكمة بإصدار قرار يسمح لهن بمواصلة دراستهن دون إجبارهن على ترك الحجاب.

وبعد دخول حزب العدالة والتنمية- ذي التوجه الإسلامي- أعلن رجب طيب أردوغان أن حزبَه سيطرح مشروعَ قانونٍ لإلغاء قرار منع ارتداء الحجاب في المصالح الحكومية والمؤسسات التعليمية.

============

#العلاقات الفرنسية العربية في المرحلة القادمة

عاصم سيد 1424/4/12

2003/06/12

- فرنسا حافظت علي ارتباطاتها الغربية ولكن بصوت أكثر انفتاحا على الجنوب وبلدان الكتلة الاشتراكية.
- أي فيتو فرنسي في مجلس الأمن على قرار الحرب الأمريكي كان سيعني ضمنا حدوث "انقلاب " تاريخي في سياسة فرنسا الخارجية مع أمريكا.
- الإرث التاريخي الناجح الذي تركه فرانسوا ميتران ساعد شيراك على رسم ملامح دور فرنسي جديد في العالم بشكل عام،والمنطقة العربية بشكل خاص.
- مستقبل العلاقات العربية الفرنسية لا يؤهلها أن ترتقي لمستوى التحالف؛ لأن فرنسا لها ثوابتها، والقرار لا يملكه العرب.

فرنسا صاحبة تاريخ قديم في الاستعمار، واستعمارها يوصف بأنه الأشرس في فرض الثقافة واللغة الفرنسية، وإحداث التغيير في القيم والمعتقدات الدينة في الدول التي استعمرتها.

ولم تكن الجزائر وحدها هي المثال، ولم تكن دول أفريقيا كذلك هي العنوان، لكن لانتشار اللغة الفرنسية وإنشاء الفرانكفونية واستمرارها رغم تراجع الدور الفرنسي في العالم لحساب الدور الأمريكي أمثلة متجددة.

تراجعت فرنسا استعماريا وضعفت لكنها أبداً ظلت المنافس الاستعماري للغة الإنجليزية والاستعمار الإنجليزي والأمريكي .

وفرنسا أيضا هي الدولة التي عادت للمنافسة الاستعمارية مع الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية أسرع من مثيلاتها الأوربيات .

وقد لاحظ المراقبون وغير المراقبين للأوضاع الدولية الأخيرة ميلاً فرنسياً تجاه العرب، وابتعاداً عن الموقف الأمريكي، وأثار الموقف الفرنسي في مجلس الأمن الدولي والرافض للاستخدام الفوري للقوة ضد العراق تساؤلات عديدة تتعلق بمستقبل العلاقات الأمريكية الفرنسية، ومدى قدرة فرنسا العملية على لعب دور قوي ومؤثر في المنطقة العربية .

ولم يكن هذا الموقف هو الأول، ولن يكون الأخير في تاريخ الرفض أو الاحتجاج الفرنسي علي بعض التوجهات الأمريكية، فقد اعتادت فرنسا أن تتميز بمواقفها من الولايات المتحدة منذ عهد الجنرال ديجول .

الميراث الديجولي

وقد حافظت فرنسا عقب تأسيس الجمهورية الخامسة عام 1958 وإطلاق الجنرال ديجول لقطار الوحدة الأوربية على انتمائها للتحالف الرأسمالي الغربي، ولم تنضم إلى أي تكتل أو منظومة دولية من شأنها أن تواجه الولايات المتحدة، فحافظت علي ارتباطاتها الغربية ولكن بصوت أكثر انفتاحا على الجنوب وبلدان الكتلة الاشتراكية، حيث حرصت على أن تتخذ كثيراً من المواقف الاستقلالية عن الولايات المتحدة كالخروج عام 1966 من التشكيل العسكري لحلف الأطلنطي . ثم عودتها عام 1995 ـ ورفض إعطاء أسلحة لإسرائيل بعد حرب 1967 ، ولكنها ظلت جميعها مواقف

غير انقلابية على ساحة العلاقات الدولية وعلى مستوي العلاقات الأمريكية الفرنسية .

هذه المواقف لم تعن أنها كانت دون جدوى، بل على العكس كثيراً ما ساهمت في تخفيف حدة الإحباط لدى الشعوب العربية من السياسات الأمريكية، ولكنها لم تنجح في وضع مشروع مضاد للمشاريع الأمريكية، سواء بالنسبة لملف الصراع (العربي . الإسرائيلي) أو ملف الأزمة العراقية .

و بدأت واشنطن ولندن عدوانهما على العراق بدون غطاء من مجلس الأمن بعد أن سحبا مشروع القرار، وقد كان الفيتو الفرنسي جاهزاً، وأي فيتو فرنسي في مجلس الأمن على قرار الحرب الأمريكي كان سيعني ضمنا حدوث "انقلاب " تاريخي في سياسة فرنسا الخارجية القائمة علي محاولة ترشيد السياسات الأمريكية .

وكان زعماء فرنسا وألمانيا وبلجيكا ولكسمبورغ قد أعلنوا في بروكسل بعد الاحتلال الأمريكي للعراق قرارهم بتشكيل مقر قيادة عسكرية أوروبية، وخطط إنشاء نواة لوحدة تخطيط وقيادة مشتركة للعمليات العسكرية بمعزل عن حلف الناتو.

مرتكزات أساسية في السياسة الفرنسية

إن الرئيس الفرنسي (جاك) يكرر كثيراً أنه لابد أن تكون السياسة العربية التي تنتهجها فرنسا أحد الأبعاد الأساسية لسياستها الخارجية، وفقاً للتوجيهات التي أعطانا إياها الجنرال ديجول عندما قال في عام 1958: " كل الاعتبارات تقضى بأن نظهر من جديد في القاهرة، و دمشق و عمان، وفى كل عواصم المنطقة، كما كنا على الدوام في بيروت، أصدقاء و أعوان، وهى رؤيا ما زالت توجه السياسة الفرنسية حتى الآن".

ويقول محللو السياسة الخارجية الفرنسية: إن سياسة فرنسا تجاه العالم العربي ترتكز على عدد من المبادئ الكبرى، المستلهمة من علاقة رفيعة نسجها الفرنسيون و العرب منذ زمن بعيد:

وأول هذه المبادئ يقضى بأن يتحاور الطرفان بصفتهما شريكين على قدم المساواة، يكن كل منهما للآخر المودة و التقدير، و لابد لهذا الحوار أن ينمو في ظل الاحترام المتبادل لشخصية الآخر و هويته .

و المبدأ الثاني: هو حرص فرنسا على حق الشعوب في تقرير مصيرها بكل حرية، و تأكيد استقلالها و حقها في حياة آمنة، و تعتبر فرنسا أن هذا المبدأ الجوهري لابد أن ينسحب على كل الشعوب دون استثناء.

والمبدأ الثالث: هو تأييد فرنسا لتطلعات الشعوب العربية إلى التضامن والوحدة.

والمبدأ الرابع: هو تأييد فرنسا لتطلعات العالم العربي إلى الانفتاح والسلام، وأن فرنسا إلى جانب كل من يحارب التطرف والتعصب وقوى الكراهية.

و تستمد هذه السياسة الفرنسية قوتها من عاملين أساسيين: أولاً: المعرفة القديمة المتبادلة بين الفرنسيين و العرب، والتي عززت أواصر الصداقة بينهما على امتداد مئات السنين، والتي تتسم اليوم بحيوية نابضة أكثر من أي وقت مضى، ثم إنه في فرنسا تتواجد في أكبر جالية مسلمة في أوروبا، تقدر بأربعة ملايين نسمة .

شيراك يكمل ما بدأه ميتران

نستطيع أن نقول: إنه منذ وصول شيراك إلى الحكم وهو يحاول رسم ملامح دور فرنسي جديد في العالم بشكل عام، والمنطقة العربية بشكل خاص، وساعده على ذلك الإرث التاريخي الناجح لسلفه فرانسوا ميتران الذي كان ينتمي إلى المعسكر الاشتراكي، إلا أنه يعتبر أكثر ديجولية من اليمينيين أنفسهم، فالرئيس ميتران هو صاحب فكرة تمحور أوروبي كبير يضع في الاعتبار المصلحة الأوروبية ويواجه أحادية الهيمنة الأمريكية التي تنبأ بها ميتران قبل تفكك الاتحاد السوفيتي، وكانت النتيجة هي الشكل الحالي للاتحاد الأوروبي.

هذا الإرث ساعد شيراك على بعث الدور الفرنسي من جديد، خاصة أنه اكتشف أن النجاح الذي حققه ميتران ظل مقصورًا على شرق القارة الأوروبية، وبعض دول أفريقية كانت مستعمرات فرنسية وما زالت مرتبطة اقتصاديًا وتاريخيًا بفرنسا، فحاول شيراك البحث عن دور فرنسي في "الشرق الأوسط"، إلا أنه اصطدم بحائط أمريكي منعه من تفعيل خططه الطموحة. فهذه المنطقة كانت وستظل مناطق نفوذ أمريكية

غيـر مسـموح بـالاقتراب منهـا، إلا أن الإدارة الأمريكيـة –وعنـدما استشـعرت خطـرًا حقيقيًا مـن بـاريس– حاولـت أن توجـه عدة ضـربات دبلوماسـية تحت حـزام الإليزيـه، وبـدأت بـالجزائر، فعملت علـى تقليص النفـوذ الفرنسـي هنـاك، عـن طريـق الاسـتحواذ علـى عقود البحث والتنقيب عن النفط والغاز ومنحها للشركات الأمريكيـة، وهـو الأمـر الذي شكل خسارة فادحـة للشركات الفرنسية التي كانت تحتكر هذه الصناعة لعقود طويلة ماضية.

أكثر من ذلك، فقد نجحت واشنطن في صب الزيت علـى رمـاد العلاقات الفرنسية الجزائرية المتوترة في الأصل، وظهر الرئيس بوتفليقة أكثر من مرة في عدة لقاءات متلفزة ليؤكد حتميـة الارتكان إلـى الحـائط الأمريكـي، بعدها لاحت فـي الأفق بـوادر تنسيق بين الجزائر وواشنطن فيما يخص وقف عنف الجماعات الإسلامية المسلحة التي رفعت السلاح في وجه الدولة، وهو الدور الذي راوغت باريس الجزائر أكثر من مرة بصدده؛ بل وخرجت أقلام جزائرية تتهم فرنسا بلعب دور في أحداث العنف التي تشهدها الجزائر.

فرنسا والقضية الفلسطينية

وبقدر ما يصرّ الموقف الفرنسي الرسمي على "حق إسرائيل في البقاء ضمن حدود آمنـة" بالتنديد بالعمليات الاستشـهادية، فإنـه يؤكد علـى حق الشـعب الفلسطيني فـي دولـة مستقلة، ويشدد دائما على عدم المساس بالسلطة الفلسطينية، وعدم استهداف رمزها عرفات، ولعل هذا التركيز الخاص على رمزية عرفات يندرج في نطاق البحث عـن نـوع مـن الشرعية كمـدخل لإثبـات الحضـور الفرنسـي عـن طريـق ورقـة السـلطة الفلسـطينية، للضـغط علـى الطـرفين الإسـرائيلي والأمريكـي، ولحمايـة المصـالح الاستراتيجية الفرنسية في المنطقة.

ومعلوم أن فرنسا حريصة على دعم حضورها على كل المستويات، وإيجاد موقع لها في هذه المنطقة شديدة الأهمية وبالغة التعقيد، والتي تُعدّ مهداً للأديان والحضـارات، ومخزونا للطاقة، وتريد ربط حضورها التاريخي في لبنان وسوريا، بحضور فاعل في الوقـت الحاضـر وفـي المسـتقبل، يمتـد مـن البعـد الاسـتراتيجي الـذي يكـرّس القـوة السياسـية المعنويـة لبلد عضـو دائـم فـي مجلس الأمـن، إلـى البعد الاقتصـادي الـذي

يضمن الاستثمارات الفرنسية، خاصة في لبنان وفي بلدان الخليج، وبيع الأسلحة والتكنولوجيا الفرنسية، ومنافسة المنتجات الأوروبية والآسيوية، والمساهمة في إعادة تعمير العراق وإيران بعد الحرب التي دمرت البنية الاقتصادية والعسكرية لهذين البلدين، مروراً بالبعد الثقافي باعتباره مدخلاً أساسياً في إثبات مثل هذا الحضور عن طريق الوصول إلى العقول وإلى عالم الأفكار والتصورات، وكسب عاطفة الناس، واستثمار الفكرة الرائجة التي تصوّر فرنسا بأنها بلد حقوق الإنسان التي أفرزتها الثورة الفرنسية، ولأهلها ذوق رفيع وحس مرهف وسلوك حضاري متمدن، على عكس الأسلوب الأمريكي المرتكز على المظهر الخارجي للقوة العسكرية الضاربة، وعلى غرس ثقافة الدولار و(كوكاكولا) و(ماكدونالدز)، و(كاوبوي).

وإزاء حجم المصالح، تسعى فرنسا في عهد شيراك إلى تجاوز التحديات القائمة وتزعُّم الدور الأوروبي في "الشرق الأوسط" بخلفية اختراق الأحادية القطبية الأمريكية المهيمنة على صناعة القرار الدولي.

فرنسا والمغرب العربي

على الرغم من تردد العديد من المسؤولين الفرنسيين المتكرر على العواصم المغاربية الثلاثة: تونس والجزائر والرباط، ومتابعتهم الدقيقة لشؤون المغرب العربي والتطورات الجارية فيه على كافة الأصعدة، فإن زيارة الرئيس جاك شيراك على النحو الذي جرى مؤخرا يومي 1 و2 ديسمبر 2001 – أي: زيارته للدول الثلاثة في جولة واحدة – كانت الأولى من نوعها منذ وصول الزعيم الديغولي إلى قصر الإليزيه سنة 1995، وهو ما يعكس دقة الوضع الدولي بشكل عام، والخطر الذي يستشعره المسؤولون الفرنسيون على مصالحهم الدولية والإقليمية في هذه المنطقة خصوصاً.

لقد قدم شيراك إلى عواصم المغرب العربي في زيارته الأخيرة، وعينه على مسألتين: أولاهما ضمان بقاء الدول الثلاثة في إطار يسمح لباريس بالتأثير على مواقفها فيما يتعلق بالقضايا الدولية المتفجرة، وفي مقدمتها قضية الحرب ضد الإرهاب، وثانيهما ضمان استقرار هذه الدول، باعتبار أن هذا الاستقرار جزء لا يتجزأ – برأي الفرنسيين – من استقرار بلدهم، حيث يعيش قرابة خمسة ملايين مسلم في فرنسا، وكثيراً ما يُنظر إليهم على أنهم خزان بارود قابل للانفجار في أي وقت.

وقد تحرك شيراك في زيارته المغاربية ضمن المحددات التقليدية للسياسة الفرنسية في المنطقة، التي تقوم أساسا على الدفاع عن المصالح الفرنسية المتعددة في المغرب العربي ، لكن ذلك لم يكن ليحجب ظهور دوافع جديدة لمثل هذه الزيارة، انبثقت بالدرجة الأولى عن أوجه الصراع البارد القائم بين باريس وواشنطن على النفوذ في شمال أفريقيا، كما لم يكن لينأى عن مجموعة من الأزمات العالقة بين باريس والعواصم المغاربية، جراء خلاف حاد في وجهات النظر حول قضايا ساخنة لا يمكن تجاهلها.

السياسة الفرنسية في المغرب العربي

فرنسا ستظل حبيسة محددات ثلاثة في صلاتها بالدول المغاربية، وهي محددات مرتبطة عموما بمصالح فرنسا، لا بمصالح المستعمرات السابقة، التي تطالب دائما بأن تظل متخلفة وفقيرة ومستقرة في الوقت ذاته، وهذه المحددات هي كما يلي:

أولاً: المصالح الاقتصادية و(الجيو- استراتيجية).

يعتبر المغرب العربي منطقة نفوذ اقتصادي فرنسي منذ 1831(تاريخ احتلال فرنسا للجزائر)، وعلى الرغم من تفريطها في إدارة المنطقة المغاربية بشكل مباشر - كما كان الشأن إبان الحقبة الاستعمارية -؛ فإن فرنسا استطاعت أن تبقي تونس والمغرب والجزائر ضمن فلكها الاقتصادي من خلال آليات ما يعرف بـ"الاستعمار الجديد" أو "الاستعمار غير المباشر"، الذي يعتبر من حيث الجدوى أكثر فائدة لفرنسا من الاستعمار القديم أو التقليدي.

وتنظر فرنسا إلى المغرب العربي على أنه خط أحمر في نفوذها الدولي، مستعدة لخوض الصراع من أجله، حتى لو كان منافسها طرف في حجم الولايات المتحدة الأمريكية، التي حافظت بدورها على أوراق هامة في السياسة المغاربية منذ الحرب العالمية الثانية، معوضة بذلك بريطانيا العظمى التي كانت طيلة القرن التاسع عشر منافساً قوياً للمطامع الفرنسية في شمال أفريقيا.

وتمتلك فرنسا اليوم شبكة كبيرة من المصالح في المغرب العربي، في مقدمتها المصالح الاقتصادية، حيث تتصدر الدولة الفرنسية قائمة الشركاء والمستثمرين على السواء في الدول الثلاثة، بنسبة تناهز الثلث (30%) في أرقام المبادلات

والاستثمارات، كما تعد زبوناً هاماً للجزائر في مجال المحروقات، ولتونس في مجال السياحة وزيت الزيتون، وللمغرب في الصادرات الزراعية والنسيج وبعض مشتقات الفوسفات.

ثانياً : الفرانكوفونية.

القلق الفرنسي حيال نفوذ باريس في المغرب العربي ليس قلقاً اقتصادياً وإستراتيجياً فحسب؛ بل هو قلق ثقافي وأمني أيضا. ففرنسا ترتبط بالمنطقة المغاربية بصلات داخلية وخارجية وثيقة، لا يمكن تجاوزها بسهولة. وقد بدا تأثيرها كمحدد للسياسة الخارجية واضحاً في الكثير من الأوقات، وخصوصاً في لحظات الأزمات الدولية الكبرى، كما كان عليه الحال في حرب الخليج الثانية، أو خلال حرب أفغانستان الحالية.

وقد أكد الرئيس الفرنسي الراحل "شارل ديغول" –مؤسس الجمهورية الخامسة– على أهمية العناصر الثقافية والاجتماعية في تدعيم مصالح فرنسا في المنطقة المغاربية، حيث دعا الفرنسيين (حين قرر منح الجزائر استقلالها عام 1962) إلى الإبقاء عليها "فرانكفونية" (ناطقة بالفرنسية) إن أرادوا الحفاظ على تدفق بترولها في قنواتهم، وهيمنة سلعهم على سوقها.

ويسرى أمر الفرانكفونية على الحالتين التونسية والمغربية أيضا، حيث ما تزال فرنسا تعمل على الحفاظ على هيمنة النخب الناطقة بالفرنسية على مراكز القرار، انطلاقا من قاعدة "أن خير مكان يحافظ على مصالح فرنسا في المغرب العربي، هم المغاربة الناطقون بالفرنسية والمؤمنون بما يسمى قيم الحضارة الفرنسية، وعلى رأسها العلمانية".

ثالثاً : المهاجرون.

وبالإضافة إلى الهم الفرانكفوني الذي تحمله فرنسا على الصعيد المغاربي، أبرزت الأزمة الطاحنة – التي بدأت تعيشها الجزائر منذ بداية التسعينيات – هماً آخر للساسة الفرنسيين، كثيراً ما أقلق مضجعهم في السنوات الأخيرة، وليس هذا الهم سوى الملايين الخمسة من المهاجرين من المغرب العربي، الذين استوطنوا فرنسا، وتحولوا إلى مواطنين في دولتها.

ويبدي الكثير من الساسة الفرنسيين انزعاجهم من أن يشكل المهاجرون المسلمون فيها قواعد خلفية لما يسمونه بـ"الإرهاب"، خصوصاً مع ظهور مؤشرات تدل على أن ولاء هؤلاء المهاجرين ما يزال لأمتهم الأصلية، وأن نقمة بعضهم على مستعمر بلدانهم السابق لا تقل عن نقمة شعوب بلدانهم التي ينحدرون منها، والتي ما تزال تنظر لفرنسا بعين الريبة والشك في نواياها إزاء واقعهم ومستقبلهم.

فرنسا في المشرق العربي

أما في المشرق العربي فإن علاقات فرنسا متميزة مع الدولتين اللتين كانت تحتلهما وهما سوريا ولبنان ، والعلاقات الفرنسية اللبنانية أكثر من متميزة.

وقد حظي الموارنة –على مدى فترات طويلة– بعطف فرنسا ومساعدتها. وخير دليل عليهما، ما جاء في رسالة لويس التاسع –ملك فرنسا– عام 1250م إلى موارنة لبنان: "إننا موقنون أن هذه الأمة التي قامت تحت اسم القديس مارون؛ هي جزء من الأمة الفرنسية".

ويُعيد المؤرخون، الفرنسيون واللبنانيون تاريخ العلاقات (الفرنسية- المارونية) إلى الحروب الصليبية؛ بل إلى شارلمان، ولكن من المسلَّم به أن حق فرنسا في حماية الكاثوليك في لبنان يعود إلى معاهدة 1535، وترسخت الحماية الفرنسية بتعهد لويس الرابع عشر عام 1649 بحماية الكنيسة المارونية وطائفتها.

"لبنان أُنشئ لأسباب دينية"، هي خلق ملجأ لمسيحيي الشرق، كما يرى المفكرون الفرنسيون، وهذا هو السبب الأساسي الذي دعا القوى الأوروبية لإنشاء متصرفية جبل لبنان ذي الحكم الذاتي عام 1860، وهو عينه ما دعا فرنسا إلى إنشاء دولة لبنان الكبير عام 1920.

إن سياسة فرنسا في لبنان غذت فيه الانقسام الطائفي، والتجزئة بمختلف أشكالها. لقد شعرت فرنسا بخطر التيار القومي العربي الوحدوي، فعملت على ضربه بشتّى الوسائل، ولم تكتفِ بسلخ مناطق عن سورية وضمها إلى لبنان الدولة التي يهيمن عليها المسيحيون؛ بل عمدت إلى تقسيم سورية نفسها دويلات على أساس طائفي، عيّنت عليها حكاماً فرنسيين؛ فأنشأت دولة في جبل الدروز، وأخرى في اللاذقية وجبال العلويين، ودولة في لواء الإسكندرونة، وأخرى في الداخل السوري. وقد وجدت

السياسة الفرنسية أرضاً خصبة في لبنان، لا سيما بين زعماء المسيحيين، الذين استماتوا في المطالبة بالانتداب الفرنسي، مما أشعر سكان المناطق -التي سلخت عن سورية وضمت إلى لبنان- بالظلم الذي سيلحق بهم، من جراء تسلط الانتداب الفرنسي، ومحاباته لفئة من أبناء وطنهم.

ولم يترك الفرنسيون مجالاً لزرع الفتن بين الطوائف، إلاّ استغلّوه؛ فلم يترددوا في سياسة قهر المناطق الإسلامية، وحرمانها أبسط حقوقها الاقتصادية، في مقابل تنمية المناطق والقطاعات التي تتلاءم مع أهدافهم التجارية؛ فحصل المسيحيون منها على نصيب الأسد، أمّا المسلمون الذين رفضوا منذ البداية التعاون مع الانتداب؛ فاستغلّوا عيوبه، ونادوا بالانفصال عن لبنان. ولم تقتصر التفرقة على المسيحيين والمسلمين، بل تعدّتهما إلى المسيحيين أنفسهم، فالروم الأرثوذكس، امتعضوا من العناية الخاصة، التي أظهرها الفرنسيون نحو الموارنة، وأحجموا عن إظهار الولاء الكامل لدولة كان الموارنة فيها العنصر المسيطر.

وهكذا فإن العلاقة المتميزة بين فرنسا وموارنة لبنان هي العنصر الحاكم في العلاقات الفرنسية اللبنانية، وهذا ما يفسر لجوء العماد ميشيل عون وأمثاله إلى فرنسا ، وتدخل باريس لعدم القبض عليه، بعد الجرائم التي ارتكبها، ثم لجوؤه إلى السفارة الفرنسية في بيروت ومنها إلى باريس.

وما تعقده فرنسا من مؤتمرات لإعادة إعمار لبنان لا يغيب عن هذا السياق الحاكم.

حديث عن المستقبل

بقي أن نقول: إن مستقبل العلاقات العربية الفرنسية لا يؤهلها أن ترتقي لمستوى التحالف؛ لأن فرنسا لها ثوابتها التي حددناها سواء بالنسبة للمغرب العربي، أو المشرق العربي، أو القضية الفلسطينية.

وفرنسا من ناحية أخرى دولة أوروبية استعمارية، ورائدة التنصير في العالمين العربي والإسلامي. فرنسا تبحث عن مصالحها وتريد أن تكسر الهيمنة الأمريكية على العالم بالتعاون مع ألمانيا، وهي تطلب المساعدة العربية، لكن العرب لا يقتربون منها خوفاً من أمريكا!.

هناك مصلحة عربية في تحالف مؤقت مع فرنسا طالما أن المصالح الفرنسية الأمريكية مختلفة، ولكن القرار لا يملكه العرب، وأغلب الظن أنهم سيفوتون الفرصة وسيفضلون السر الأمريكي على شق عصا الطاعة

=============

اللبيراليون والدعوة إلى نقد الثوابت...

الليبرالية، العقلانية، التنوير، النهضة، الإصلاح، الحداثة، الإنسانية.. الخ، أسماء برّاقة لفكر واحد منحرف هو امتداد للفكر الإعتزالي القديم ولكن بوجه عصري جديد، هذا الفكر بصورته العصرية ظهر قبل أربعة عقود من الزمان، ثم اندثر، وها هو الآن يطل بوجهه القبيح مستغلاً تراجع الصحوة الإسلامية المباركة التي تمّ التآمر الدولي لإيقاف مدها الكاسِح، باسم مكافحة الإرهاب، دون تفريق بين مُحق ومُبطل، ومُصلح ومُفسد..

ولمّا كانت هذه الصحوة المُباركة بثوبها السَّلفي الطَّاهر النَّقي هي العدوّ التقليدي لهذا الفِكر الإعتزالي القديم والحديث، فلا غرابة أن يكون أصحاب هذا الفِكر جُزءاً من تلك المؤامرة كطابور خامس للأعداء.

ومنذ تراجع هذه الصحوة المباركة . وهو تراجع مؤقت للتمييز والتمحيص . وأصحاب هذا الفِكر يشنّون حرباً شعواء على السَّلفية، وينعِتونها بأقبح الصِّفات مستقوين بالعدوّ الخارجي، وقد بدأوا أوّلاً بنقد الفروع والجزئيات، ثم انتهى الأمر بهم إلى الدعوة إلى نقد الثوابت، والتي يعبّرون عنها تارة بالمسلّمات، وتارة بالحتميات، وتارة بالمعرفة الأولى.. الخ وهي دعوة خطيرة تكشف عن حقيقة ما يطرحونه من فكر..

يقول أحدهم . وهو كبيرهم وأشدّهم بلاهة وفِتنة بالغرب . في مقال له بعنوان: (ظهور الفِكر النَّقدي شرارة الإنطلاق الحضاري) الرياض: 14083: " إنَّ النقد للأفكار والرُؤى والأوضاع والأعراف والتَّقاليد والمواضعات والمسلّمات هو محرِّك الحضارة وهو صانع التَّقدم في كل مجالات الفِكر والفِعل وهو الشَّرارة التي فجَّرت طاقات الإنسان وصَنَعت له أمجاد الفِكر والعِلم ووفَّرت له أسباب الإزدهار فالأُمم التي اعتمدت هذه الآلية الرائعة حقَّقت طُموحاتها وأنجزَت إثبات ذاتِها ووقفت شامخة بين الشُّعوب في سِباقات الفِكر والفِعل أمَّا الأُمم التي أخمدت هذا المُحرك الأكبر أو

تجهله أو لا تُحسن استخدامه فقد بقيت عاجزة عن مُبارحة خنادِق التَّخلُّف بل بقيت رافضة بأن تتجاوز هذه الخنادق لأنَّ حِرمانها من النَّقد والمُراجعة حرّمها من اكتشاف نقائِصها كما حرّمها من التَّعرف على ما في الدنيا من آفاق وبدائِل فبقيت تتوهَّم أنَّها الأفضل والأرقى وظلَّت رهينة هذا الوهم .."

فهو قد ساوى بين الأفكار والرُؤى والأوضاع والأعراف والتَّقاليد.. وبين المُسلّمات التي هي الثوابت، ولم يستثن من ذلك شيئاً.. فكلّها يجب أن تكون خاضعة للنّقد حسب رأيه، وهو يستشهد على ذلك بالحضارة اليونانية ووريثتها الحضارة الغربية حسب تعبيره، فيساوي بين دينهم وثوابتهم المُحرّفة الباطلة، وثوابتنا وديننا الصَّحيح الذي لا يقبل النَّقد، بل يعدّ هذا التّفريق بين الدِّينين وثوابتهما ضرباً لما أسماه بامتلاك الحقيقة المطلقة، بمعنى أنّك حين تعتقد أيُّها المسلم بأنّ دين الإسلام هو وحده الحقّ وما سِواه باطل، فإنّك حينئذٍ تدّعي امتلاك الحقيقة المُطلقة!!! هذا ما يفهم من إطلاقه حيث يقول: "ولكن لن نُدرك عَظَمة هذا السبق المُذهل إلا إذا تذكَّرنا أنَّ أصعب معضلة واجهت الإنسانيَّة وسبَّبت لها الفظائِع والشُّرور وعرقلَت مسيرتَها الحضاريَّة هي الإنغلاق الثَّقافي الناتج عن توهُّم الكمَال واعتِقاد كل طرف من المختلفين أنَّه هو وحده الذي يملك الحقيقة النهائية المُطلقة وأنَّ كل الأطراف الأخرى غارِقة في الأباطيل والحماقات والعمى والضلال وانحلال الأخلاق وأن كل المخالفين يستحقون الاقصاء والاستئصال لأنهم في نظره خطر على الحقيقة وعلى الوجود ولأن هذا الوهم يجري من الناس مجرى الدم ومحتجب عن الوعي خصوصاً في الثقافات المغلقة [ويقصد بها ثقافتنا] فإنه قد بقي ويبقى محصناً عن أضواء العقل وغير متأثر بفتوحات العلم ومحمياً من عمليات التحليل والفحص والمراجعة فتوهّم الانفراد بامتلاك الحقيقة يؤدي إلى الانغلاق الثقافي ومعاداة كل المغايرين وتوهّم الخطر من أي مخالف . إن ادعاءات كل طرف سواء بين الأمم المختلفة أو بين المذاهب والطوائف والاتجاهات داخل الأمة الواحدة بأنه وحده يملك الحقيقة المطلقة وأن الآخر ليس لديه سوى الضلال والعمى كانت وما زالت من أقوى أسباب البؤس الإنساني والفرقة والإقتتال والعداوات وحجب الحقائق وتزييف الوقائع وإفساد الأخلاق وملء النفوس بالأحقاد وتلويث العقول وإعاقة المعرفة وعرقلة الحضارة ومنع

الانسجام الإنساني لذلك كان تأسيس الفكر النقدي وتقويض أوهام الانفراد بامتلاك الحقيقة النهائية المطلقة من أعظم الاختراقات الإنسانية.."

وهذا الكلام تضمن حقّاً وباطلاً، وخلطاً عجيباً يدلّ على غبش في التصور، أو ضلال في الفكر.

ويقول آخر . وهو أشدّهم تطرّفاً وبذاءة . في مقال له بعنوان: (الإرادة الإنسانية.. المستقبل يصنعه الإنسان) الرياض: 14073، هاجم فيه ما أسماه بالحتميات التي هي الثوابت، يقول: " لا أريد أن أتحيز إلى تهميش الحتميات؛ بقدر ما أريد التأكيد على قدرة الإرادة الإنسانية على تجاوزها، والتحرر منها؛ مع الإقرار بنسبية هذا التحرر. بل إن حضورها الطاغي أحيانا هو ما يبعث روح التحدي إزاءها، ويجعل من التحرر منها تحقيقا لتحرر الإرادة الإنسانية مما سوى الإنساني ". فهو يرى في مقاله الطويل الذي يكتنفه الغُموض أنّ الحتميات التي هي الثوابت . ويعني بها ثوابتنا نحن لكنّه لم يجرؤ على تسمية الأشياء بأسمائها . هي العائق عن تحقيق التقدّم والإرادة الإنسانية، في الوقت الذي يثني فيه على الإنسان الغربي الذي يمثل في نظره مقدمة الوعي الإنساني، ومثال الإرادة الحرة الواعية بذاتها. لأنّه الإنسان الأقل خضوعا للحتميات، والأشد تحرراً من أسرها !!!!!. إنّها قمّة الإنهزامية والتبعية والإنحراف الفِكري، أو بتعبير بعض الفضلاء: (الأدمغة المفخخة). وفي مقال بعنوان: (ثقافة معاقة)(!) الوطن: 2252 كتبت إحداهنّ داعية إلى الشك في الثوابت، والتشكيك فيها، تقول بكلّ جرأة: " يقال إنَّ الفرد قد حقق هويته عندما تكون سلوكياته العملية في جميع جوانب حياته نتاجاً لمفاهيم وقناعات اختبرت صحتها بعقلية حرة مستقلة ولم تكن نتاج وراثة أو برمجة بطريقة الترديد الببغائي لما يقوله الوالدان والمدرسة ووسائل الإعلام كالمسجد والتلفزيون والكتيبات، وليصل الإنسان لهذا المستوى فلابد أن يمر بمرحلتين الأولى وفيها يتم وضع كل ما تم تلقينه إياه في فترة طفولة الفكر وهي مرحلة الطفولة وحتى نهاية المراهقة موضع الشك والإختبار دون النظر إلى ما يسميه مجتمعه أعرافاً أو ثوابت فيبدأ المراهق بالتساؤل حول مصداقية التعليمات التي جاءت من قبل الكبار وتشكيكه فيها بالبحث والقراءة والإستطلاع بهدف الغربلة والتصحيح فيدخل سن الشباب وقد كوّن فكره المستقل

الذي يعكس ما يدل عليه ثم يظهر الالتزام بالمعرفة الجديدة وتطبيقها عملياً كمؤشر ملموس على تحقق الهوية ".

فهي تدعو الشاب الغض بعد سنّ المراهقة أن يختبر قناعاته . حتى الثوابت(!)بعقلية حرة مستقلة كما تقول(!!!) وهي لا تعلّم أنّ ثوابتنا لا سيَّما العقدية لا تخضع للعقل، ولا مدخل للعقل فيها، فهي تعتمد على الإيمان والتسليم المطلق {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ } [البقرة: 2]، ولو كانت الكاتبة تتحدث عن مجتمع غير مجتمعنا، ثوابته من وضع البشر لكان لكلامها وجاهة، أمّا وهي تتحدّث عن مجتمعنا السلفي المسلم بمناهجه النقية التي تولّى إعدادها علماء أجلاء، فلا وجه لهذه النزعة التشكيكية المتلقّاة من الغرب الكافر الذي لا ثوابت له سوى ما وضعه البشر.. ثم كيف لشاب غضّ في مقتبل العمر أن يختبر تلك القناعات والثوابت التي وضعها له علماؤه ومشايخه، وهي مما اتفق عليه سلف الأمة منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا ؟!! ثم تقول: " وقد يظن أي معاق الهوية أنَّ الأخلاق والقيم والمبادئ غير قابلة للتطور ويجب أن تبقى ثابتة وأننا نعني بهذا المقال التأثير على شبابنا ودفعه للتخلي عن قيمنا وأخلاقنا العظيمة ونقول له بل هي قابلة للتطور والتحسن ويجب أن تعامل بمرونة أكثر وسأعطي مثالاً على نمو المبادئ وتطورها ففي ثقافتنا الإسلامية الجميلة كنا من رواد الدعوة لحقوق العبيد ولتضييق موارد الاستعباد ثم تطور هذا المفهوم الأخلاقي على يد الثقافة الغربية لمستوى أعلى فمنع استعباد الإنسان والاتجار به أساسا ومن هذا المنطلق يمكن حتى أن نطور مفاهيمنا حول حقوق المرأة والطفل ". وهو كلام خطير يدلّ على جهل فاضح، وانهزامية بائسة، فديننا ولله الحمد قد أكمله الله وأتمّه { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } [المائدة: 3] فلسنا بحاجة لنطور ثوابتنا وقيمنا عن طريق أمم لا قيم لها ولا أخلاق أصلاً إلاَّ الأخلاق التجارية إن صحّ التعبير، والمثال الذي ضربته دليل صارخ على جهلها فإنّ إلغاء الرقّ الذي أقرّه الإسلام ليس تطويراً وإنّما هو مضادة لحكم الله وشرعه، فالرق باق ما توفّرت أسبابه، وقولها: (ثم تطور هذا المفهوم الأخلاقي على يد الثقافة الغربية لمستوى أعلى فمنع استعباد الإنسان والإتجار به أساساً) كلام خطير حيث جعلت هذا النقض لحكم الله مستوى أعلى مما

شرعه الله وأقرّه.. فجعلت حكم الطاغوت أعلى من حكم الله، ولا أظنّها لجهلها تدرك ذلك، فإلى الله المشتكى من جهل هؤلاء وجرأتهم وتعالمهم.. ثم أي استعباد أعظم مما تفعله الدول الكبرى اليوم من استعباد الدول والشعوب وإذلالها والضغط عليها لتنفيذ أجنداتها، والسير في ركابها، والاستيلاء على ثرواتها ومقدّراتها ؟!! ومن يخالف ذلك فإنّ مصيره إلى الإقصاء والإبعاد والاتهام بالإرهاب، وتسليط المرتزقة عليه وغير ذلك من الأساليب الماكرة. وتختم مقالها بما لا يقل خطورة عما سبق، فتقول: " وأخيرا تحت شعار حماية ثقافتنا خوفا من المتربصين وهذا الخوف الذي ينادي إلى التقهقر ومحاولة إحياء عصر ما قبل ألف سنة بحذافيره وهذا الفكر خلق مجتمعات بأكملها معاقة الهوية وجعل عقولنا راكدة متوقفة عن العطاء نعيش عالة ولا نساهم في أي إضافة للمجتمعات لا تقنيا ولا ثقافيا بالرغم من أننا نشكل خمس سكان العالم".

فتأملوا قولها: (إحياء عصر ما قبل ألف سنة) وهو عصر النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه والتابعين، أي القرون الأولى المفضّلة التي قال عنها النبيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: ((خير القرون قرني، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم..)) وجعلت إحياء مثل هذا العصر المجيد سبباً من أسباب خلق مجتمعات بأكملها معاقة العوية... ألا يعدّ هذا الكلام من الكفر الصريح، أم أنّ هذه الكاتبة تردّد ببغائية ما لا تدرك معناه ؟! وفي ذات السياق يقول أحدهم في مقال له بعنوان: (التفكير في المعرفة الأولى) الوطن: 2259: "يعتبر كثير من الباحثين في الفكر العلمي، باشلار من أبرزهم، أن المعرفة الناتجة عن التجربة الأولى، أي الاتصال الأول بالموضوع، تعتبر عائقاً معرفياً أمام الحصول على معرفة علمية موضوعية. وبالتالي فإن المعرفة العلمية الحقيقية تأتي لتواجه وتتجاوز هذه المعرفة الأولى ".

إلى أن يقول: " هذا المفهوم يمكن توسعته أيضاً إلى معارفنا الأولى عن الكون والحياة والأفكار والثقافات وعن أنفسنا ومحيطنا الصغير والكبير. خصوصاً أنَّ أغلب معارفنا في هذا الإطار اكتسبناها ونحن صغار في فترات التعلم الأولى. تعلمنا في البيت وفي المدرسة ومن خلال التفاعل الإجتماعي أشياء كثيرة. تعتبر كلها معارف أولى تبقى متأثرة بثقتنا بمن علمنا إياها وبالهالة التي لهم عندنا...." إلى أن يقول: "

يمكن سحب هذا الفهم على المعرفة الأولى التي اكتسبناها في المدرسة من المعلم وتلك التي اكتسبناها من إمام المسجد وتستمر حتى إلى المعرفة الأولى التي تحصلنا عليها من الجامعة أو أي مصدر معرفي آخر ". وهذا هو مربط الفرس عندهم: المعلم، المسجد....وهكذا تستمر الدعوة إلى التشكيك في ثوابتنا ومسلّماتنا الشرعية بحجّة النقد والتمحيص، وهم يقيسون مجتمعنا المسلم على المجتمعات العلمانية الكافرة التي لا ثوابت لها إلا ما صنعه البشر كما سبق ضاربين بثوابتنا الشرعية عرض الحائط.

فمن يوقف هؤلاء عند حدّهم..

=============

#لا يزال بعض العلماء يعيشون زمانهم

حوار : عبد الله الرشيد / الرياض 1426/8/28

2005/10/02

– هناك من يفتش في ملفات أغلقها المسلمون منذ قرون

– ضبط العلماء لانفعالاتهم وتحكيمهم للعقل صوّرهم بمظهر المغيبين

نفى المفكر الإسلامي الشيخ الدكتور صلاح الصاوي – الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا – أن تكون الأمة الإسلامية تعيش في حالة "أزمة" جراء التقلص في إعداد العلماء الموسوعيين من أصحاب "الكاريزما" العالية في أوساط المجتمعات, وقال: إن بالعالم الإسلامي الآن مجموعة كبيرة من العلماء الأكفاء, غير أن الشيخ الصاوي أقرّ بخسارة الأمة لجيل من العلماء يصعب تعويضهم في إشارة إلى الشيخ "ابن باز" و"ابن عثيمين"، والألباني، والسيد سابق ...وغيرهم.

وعدّ الشيخ صلاح الصاوي في حوار له مع (الإسلام اليوم) أن الاعتقاد بخلو عصر من العلماء أمر لا يستقيم ؛ إذ إن الله تعالى "يقيّض لدينه وميراث نبيه في كل عصر عدولاً تقوم بهم الحجة، وتبقى بهم الأمة على المحجة".

ولدى سؤاله عن الغياب الملاحظ لبعض العلماء المعاصرين الكبار قال الصاوي: "إن الغياب المشاهد للعلماء عن الساحة سببه أنهم يلجمون نزوات الانفعالات بلجم العقول وضوابط الحكمة، فيحسبهم بعض الناس مغيّبين وما هم بمغيّبين".

وشدّد الشيخ صلاح الصاوي على ضرورة المزج بين "خبرة الخبراء وفقه الفقهاء" للخروج برأي سديد حول المستجدات والنوازل الحديثة، معتبراً أن قيام مرجعية علمية تضم نخبة من العلماء المعاصرين هو من "الواجبات"...

هل ترى أن هناك أزمة حقيقية في أوساط العلماء، بسبب تقلص الرموز الكاريزمية، ومحدودية تأثيرهم وغلبة الخوف على صياغة مواقفهم؟

ابتداء: لا يخلو وجه الأرض من قائم لله بحجة، ولا تزال طائفة من أمة النبي –صلى الله عليه وسلم– قائمين على الحق لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، يبلغون رسالات الله ويخشونه، ولا يخشون أحداً إلا الله، ينفون عن الدين تحريف الغالين وتأويل المبطلين وانتحال الجاهلين، وهؤلاء هم الفرقة الناجية التي لا يخلو منها زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وينطفئ سراج الحياة.

ومن ناحية أخرى لا يخفى أن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء، وإنما يقبض العلم بقبض العلماء، كما أخبر بذلك المعصوم –صلى الله عليه وسلم– وقد شهدت العقود الأخيرة رحيل كثير من قيادات العمل الإسلامي المعاصر، لقد رحل الشيخ "ابن باز" والشيخ "ابن عثيمين"، والشيخ الألباني، والشيخ سيد سابق، والشيخ مناع القطان وكثيرون آخرون، ولا شك أن رحيل هؤلاء قد أوجد فراغاً لا يُستهان به، وجيل الكبار يعسر تعويضه، الأمر الذي يشكل ملامح أزمة حقيقية نسأل الله أن يجبر كسر الأمة في رحيل علمائها، وأن يعوّضها عنهم خيراً، ويبقى في النهاية أن هذه الأمة ولود، وأنها كالغيث لا يُدرى أوله خير أم آخره، وأن الله يقيّض لدينه وميراث نبيه في كل عصر علماء تقوم بهم الحجة، وتبقى بهم الأمة على المحجة!.

وما موقفكم من التجديد الناشئ في مفردات الخطاب العلمي في بعض المسائل والمواقف، كالانتخابات والتحالفات السياسية والتعددية السياسية، وما إلى ذلك مما يتعلق بالحراك السياسي السلمي؟

ابتداء أرجو أن نفرّق بين نوعين من أنواع التغير في الخطاب الدعوي:

أولهما: تغير أصاب بعض الثوابت، وزلزل أصولاً مستقرة قالت الأمة فيها كلمتها، وأغلقت ملفها منذ قرون، وهذا يعكس أزمة حقيقية، بل يمثل كارثة فكرية ودعوية

ومنهجية أسأل الله أن يقي الأمة شرها، وأن يرد من ابتلوا بها إلى دينه رداً جميلاً!
لقد رأينا في بعض المواقع خاصة في الأوساط الغربية من يجادلون في فرضية الحجاب على سبيل المثال، وأنا هنا لا أقصد الإشارة إلى الخلاف المعروف حول الوجه والكفين، وإنما أقصد تغطية ما سوى الوجه والكفين، وأصبحت هذه القضية الجوهرية تُقدّم على أنها مسألة خلافية في قضية فرعية ، وقد رأينا من يجادل في إطلاق كلمة الكفر على من لم يدن بدين الإسلام من غير المسلمين، وقد رأينا من يجادل في حرمة الربا في المجتمعات الغربية، وقد رأينا من يجادل في معالم أساسية في قضية الولاء، ويتحدثون عن الاندماج الكامل في حضارة هذه المجتمعات تحت دعاوى الاستنارة والعقلانية والواقعية ... الخ، ومثل هذا الخلل لا سبيل إلى تسويغه، ولا وجه لتخريجه مهما حاول المبطلون واجتهد المستنيرون!.
أما الثاني: فهو تغيّر طرأ على بعض القضايا الاجتهادية التي تُبنى على أساس النظر العرفي أو على أساس النظر المصلحي، ولا يخفى أن الفتوى في مثل هذا تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال، فما بُني من الفتوى على العُرف تغيّر بتغيره، وما بُني منها على الاستصلاح تغيّر بتغيّر وجوه المصلحة وهكذا، وجل ما أشرت إليه من القضايا كان النظر فيها مصلحياً، فليس بغريب تغيّره بتغيّر وجوه هذه المصالح.
هذا.. ويغلب على التجديد الناشئ في الخطاب العلمي المتعلق بهذه المسائل أنه يرجع في الجملة إلى اختلاف العصر والزمان، وليس اختلاف الحجة والبرهان، فقد جدت متغيرات كثيرة في الساحة الدعوية، وتجدّد معها الموقف الفقهي والدعوي تجاه كثير من هذه القضايا، ويبقى بعد ذلك أن النظر في هذه المسائل دقيق وشائك، ففي أزمنة الفتن وغربة الدين يكثر اختلاط المصالح بالمفاسد، فلا تكاد تتمحض مصلحة في كثير من المواقف، بل الاختلاط الذي ينشأ عنه الالتباس والإيهام، فهو بحق مزلة أقدام ومدحضة أفهام، والمعصوم من عصمه الله -عز وجل- ولا يخفى أن مرد الخطأ والصواب في هذه الاجتهادات إلى توفيق الله -عز وجل- للمباشرين لها بحيث ينضبط الأمر في أيديهم على موازين الشريعة ومعاييرها ومقاصدها.

هناك من يرى أن الجماهير متقدمة في مبادراتها ووعيها –أحياناً– على قياداتها السياسية والفكرية وحتى "العلمانية"، فبرأيك لماذا أصبح الوعي خارج العلماء والدعاة أكثر حيوية وفعالية؟

أول ما نقف عنده هو هذا التعميم، فلا يصلح إطلاق القول بأن الوعي خارج العلماء والدعاة أصبح أكثر حيوية وفاعلية، بل لا يزال من العلماء والدعاة من يعيشون زمانهم، ويعرفون أحواله ولكنهم يلجمون نزوات الانفعالات بلجم العقول وضوابط الحكمة، فيحسبهم بعض الناس مغيبين وما هم بمغيبين، ولكنهم أهل علم وحلم وبصيرة وتأمّل في العواقب واعتبار بالمآلات! وأرجو ألاّ تكون من ذلك ذريعة –وإن كانت غير مقصودة– إلى مظاهرة العلمانيين في الحض على علماء الشريعة وشن الغارة عليهم، ورميهم بالتهم والمناكر لتسقط حرمتهم ومهابتهم من النفوس؛ فيسقط بسقوط ذلك ما يحملونه من مواريث النبوة!

حق العامي هو تقليد العلماء، وأن يسأل من يثق في أمانته وعلمه، لكن كيف يمكن للعامي أن يضع ثقته في عالم يدين الله بفتواه، وهو لا يملك المعايير والآليات التي على أساسها يقيم هذا العالم؟

الموقف الشرعي في نوازل هذا العصر بل وفي باب الفتيا بصفة عامة إنما يتكون من خلال المزج بين خبرة الخبراء وفقه الفقهاء، فالفتوى –كما يذكر أهل العلم– "معرفة الواجب في الواقع"، فلا بد فيها من المعرفة بكلا الأمرين: الواجب والواقع، أي خبرة الخبراء وفقه الفقهاء، وأي خلل في أحد هذين الجانبين ينعكس على الفتوى بالخلل والقصور لا محالة، فإذا قصّر المستفتي في عرض نازلته أو طاف به في عرضها على المفتي طائف من الهوى فلا يلومنّ إلا نفسه! لأن المفتي أسير المستفتي، والمفتي إنما يفتي على نحو ما يسمع، كما أن القاضي إنما يقضي على نحو ما يسمع، وقد رأيت بنفسي في كثير من المواقع كيف يكون التأثير على المفتين واستنطاقهم على نحو معين تنسجه أهواء المستفتين، فيكون الغش في عرض النوازل والمبالغة في تصوير الحاجات؛ لتصبح من قبيل الضرورات، فكيف يُلام في ذلك علماء الشريعة إذا كان المستفتي عيياً أو صاحب هوى؟!

لقد صُوّر لفضيلة المفتي السابق لمصر أن المحجبات في الغرب يتعرّضن لخطر القتل، وانتهاك الأعراض بسبب الحجاب فهل يجوز لهن الترخص بخلعه؟ فأجاب فضيلته بالإثبات، وطيرت الصحف ذلك كل مطير، وفتوى فضيلته صحيحة لو صحّ تصوير النازلة على النحو الذي صُوّرت به وهو غير صحيح، ثم تبقى لها في هذه الحالة بقية، تتمثل في أن على المرأة المسلمة التي استضعفت عن إقامة فريضة الحجاب أن تهاجر إلى بلد آخر لا تتعرض فيه لمثل هذه الفتنة عند القدرة على ذلك، وآية سورة النساء في الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، والذين يعتذرون بأنهم كانوا مستضعفين في الأرض دليل ظاهر على ذلك.

ومن ناحية أخرى فإن على حملة الشريعة أن يتفطنوا لمثل هذه الأحوال، وأن يكونوا على صلة متجددة بما يطرأ في زمانهم من نوازل ومتغيرات، وألاّ تعجّلهم إلحاحات بعض المستفتين فتخرجهم عن منهج الرويّة والتثبّت، واستجلاء الأمور بدقة تتناسب مع جلال الفتوى وخطورة منزلتها، وأن يذكّروا طالب الفتوى بالله –عز وجل– وأن يعلّموه أن فتوى المفتي لا تُحل حلالاً ولا تحرّم حراماً، بل الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله.

إنه لا يجمل بفقيه من الفقهاء في واقعنا المعاصر –مثلاً– أن يُسأل عن رأيه في شركات التأمين فيفيض في القول في أهمية الأمن وضرورته للمجتمعات، ويفوته النظر إلى ما تتضمنه عقود التأمين من غرر وميسر وربا ونحوه من أسباب فساد العقود.

ومن ناحية أخرى فإن على المستفتي أن يبين الواقع للفقيه حتى تكون فتواه مطابقة لهذا الواقع، وأحسب أن المجامع الفقهية المعاصرة تنحو هذا المنحى ؛ فهي تضم في صفوفها كوكبة من الفقهاء والخبراء، ومن ثم كانت قراراتها أقرب إلى القبول العام من الفتاوى الفردية التي تُنسب إلى هذا العالم أو ذاك.

ما مفهوم المرجعية الدينية عند أهل السنة مقارنة بالمراجع الدينية لدى غيرهم ؟

العلماء عند أهل السنة ذرائع لمعرفة الحكم الشرعي، وطاعتهم إنما تجب لهم على هذا الاعتبار، فليست لهم طاعة ذاتية ولا طاعة مطلقة، ولا حق لهم في التشريع المطلق بحال، بل يقتصر دورهم على فهم النصوص والاستنباط منها والتخريج عليها

والرد إليها، فالحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، وهم في النهاية بشر من البشر يخطئون ويصيبون، ولكن عصمة الأئمة عند الشيعة تعطى لأئمتهم مقاماً آخر لا يقرّ به أهل السنة إلا للأنبياء دون غيرهم من الناس، وهذه النقطة من نقاط الخلاف الجوهرية بين السنة والشيعة.

أما الأحبار والرهبان عند النصارى فإنهم يملكون حق التشريع المطلق؛ فالحلال ما يحلونه والحرام ما يحرمونه، ولو جاءت التوراة والإنجيل بخلاف ذلك، وهذه هي الربوبية التي كانت في بني إسرائيل، والتي نعاها عليهم القرآن الكريم في قول الله عز وجل: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً).

هل تؤيد قيام مرجعية علمية عامة تضم نخبة علماء الأمة يكون لحكمها صفة الإجماع مجازاً؟

قيام مرجعية علمية تضم نخبة من علماء الأمة أمل كبير وحلم جميل، والسعي إلى إقامته من جملة الواجبات، ويبقى النظر فيما يعترض سبيله عملياً من المعوقات والصعوبات، كالمعوقات السياسية والحزبية والمذهبية والأمنية ونحوه، لا تكفي الأماني وحدها لتحقيق المقاصد النبيلة والجميلة في هذه الدنيا، بل لا بد من النظرة الواقعية التي تتعامل مع المعوقات، وتتلمس السبل إلى تذليلها والتغلب عليها، وعلى كل حال ما لا يُدرك كلّه لا يُترك جُلّه، فإذا لم يمكن تحقيق ذلك على مستوى عموم الأمة، وأمكن تحقيقه على مستوى قطر من أقطارها فلنبدأ بذلك، وأول الغيث قطر ثم ينهمر كما يقولون!

المجامع الفقهية والهيئات العلمية هل يكون لقراراتها طابع الإلزام لنطاق الإقليم الذي نشأت فيه؟

أما الإلزام بالمعنى الشرعي الدقيق فلا، لأن ما تصل إليه هذه المجامع -على عراقة بعضها وامتداد رقعة تمثيلها- لا يمثل الإجماع إلا على سبيل المجاز كما تفضلت، ولكنها على كل حال تمثل موقفاً فقهياً ناضجاً ومدروساً ومحققاً ومدققاً يعسر تجاوزه إلا باجتهاد يرقى إلى مستواه، وتتحقق فيه مثل مقوماته وخصائصه. ويبقى أن حق الاجتهاد والمخالفة مكفول لحملة الشريعة ما دام في إطار النظر المعتبر في الأدلة

هناك من يفتش في ملفات أغلقها المسلمون منذ قرون

– ضبط العلماء لانفعالاتهم وتحكيمهم للعقل صوّرهم بمظهر المغيبين

نفى المفكر الإسلامي الشيخ الدكتور صلاح الصاوي – الأمين العام لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا – أن تكون الأمة الإسلامية تعيش في حالة "أزمة" جراء التقلص في أعداد العلماء الموسوعيين من أصحاب "الكاريزما" العالية في أوساط المجتمعات, وقال: إن في العالم الإسلامي الآن مجموعة كبيرة من العلماء الأكفاء, غير أن الشيخ الصاوي أقرّ بخسارة الأمة لجيل من العلماء يصعب تعويضهم.

وشدّد الشيخ صلاح الصاوي على ضرورة المزج بين "خبرة الخبراء وفقه الفقهاء" للخروج برأي سديد حول المستجدات والنوازل الحديثة، معتبراً أن قيام مرجعية علمية تضم نخبة من العلماء المعاصرين هو من "الواجبات"...

وهذا هو الجزء الثاني والأخير من هذا الحوار

ما موقفكم من تزايد المجامع الفقهية وتعددها، وهل أنتم تؤيدون التوسع في إنشاء المجامع الفقهيّة؟

نؤيد ذلك على أن تنشأ هيئة عليا للتنسيق بين قراراتها على النحو الذي يجري في هيئات الرقابة الشرعية داخل المصارف الإسلامية المعاصرة؛ منعاً للتضارب والالتباس.

بصفتكم أميناً عاما لمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، لماذا أُنشئ المجمع؟

أنشئ المجمع لتحقيق جملة من المقاصد والغايات نذكر منها:

– إصدار الفتاوى فيما يعرض عليه من قضايا ونوازل لبيان حكم الشريعة فيها.

– وضع خطة لإعداد البحوث والدراسات الشرعية التي تتعلق بأوضاع المسلمين في المجتمع الأمريكي، وما يجد من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية التي تواجههم في هذا المجتمع، وبيان الحلول الفقهية المناسبة لها، والإشراف على تنفيذها.

– دراسة وتحليل ما يُنشر عن الإسلام والتراث الإسلامي في وسائل الإعلام، وتقويمه للانتفاع بما فيه من رأي صحيح، أو تعقّب ما فيه من أخطاء بالتصحيح والرد.

- معاونة المؤسسات المالية الإسلامية بإعداد البحوث والدراسات، وابتكار صيغ التمويل وعقود الاستثمار، وتقديم ما تطلبه من الفتاوى والاستشارات، وتدريب كوادرها على ذلك.
- إقامة دورات تدريبية لأئمة ومديري المراكز الإسلامية في مختلف المجالات الفقهية كقضايا الأسرة والقضايا المالية وقضايا التحكيم الشرعي وغيرها.
- دعم التعاون بين المجمع والهيئات والمجامع الفقهية الأخرى للوصول إلى ما يشبه الإجماع الكوني على الملزم من قضايا الأمة وثوابتها.
- معالجة قضية المواطنة، وما تفرضه من حقوق وواجبات على المسلمين الذين يتمتعون بحق المواطنة في الغرب.
- دعم أنشطة لجان التحكيم الشرعية التي تقيمها الجاليات الإسلامية في البلاد الغربية، ومراجعة ما ترفعه إليه من قرارات وتوصيات، وإعداد تقنين ميسر للأحكام الفقهية في أبواب الأسرة والمعاملات المالية يكون مرجعاً لجهات التحكيم الناشئة في الغرب.
- إنشاء صندوق المجمع للزكاة والتكافل الاجتماعي في حدود ما تسمح به القوانين والنظم، والحصول على موافقة الجهات المختصة على ذلك.

متى تأسس المجمع؟ وهل لأحداث الحادي عشر من سبتمبر دور في قيامه أو تغيير آلية عمله؟

تأسس المجمع في أكتوبر عام 2002، وكان مؤتمره التأسيسي في واشنطن الكبرى، ولا شك أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما أوجدته من تراجعات منهجية واختلالات عقدية وفقهية في بعض المواقع ضاعف من الدور المنوط بالمجمع، وأكد على ضرورة مرابطته على مواقع الحراسة للدين والمحافظة على الثوابت والمحكمات.

سؤال غالباً ما يتكرر وهو كيف يفتي لأمريكا من ليس له اتصال بالواقع الأمريكي؟

توجد بالمجمع لجنة دائمة للإفتاء وهي مقيمة داخل الولايات المتحدة، وتتولى الرد على القضايا اليومية التي ترد إلى المجمع، وتصدر قرارها في ذلك بالأغلبية؛ فإن أشكل عليها أمر رفعته إلى مستشاري الإفتاء، وهم وإن كانوا متفرقين في بلدان عديدة ولكن ذلك يتم من خلال (الإيميل)، وموقع المجمع على الإنترنت؛ الذي يتيح

التواصل بسلاسة رغم التفرّق في الأقطار والقارات على النحو الذي ترونه في موقعكم المبارك (الإسلام اليوم).

ما أهم خصوصيات المجمع، وما أبرز ثوابته الإدارية؟

o التخصص، فكل أعضائه من حملة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية.

o الحيادية، فهذا المجمع ملك للأمة، ومشترك علمي عام يلتقي عليه العاملون لدين الله في مشرق أو مغرب، بعيداً عن التكتلات الحزبية أو التجمعات التنظيمية المعاصرة.

o ترسيم آلية مستقرة تحقق الجمع بين العلم بالشرع والدراية بالواقع، فبالإضافة إلى الفقهاء يوجد بالمجمع عدد من الخبراء لا يقل عددهم عن الفقهاء، وهؤلاء يمكنون الفقهاء من الرؤية المستبصرة والفاحصة للواقع الذي تطبق عليه الفتوى؛ لأن الفتوى كما يقول أهل العلم: معرفة الواجب في الواقع. إن المجامع الفقهية في العالم تدرس قضايا طبية –مثلاً– كزرع الأعضاء، والتلقيح الصناعي، والاستنساخ البشري ونحوه، ولم يقل أحد إنه لابد أن يكون الفقيه طبيباً حتى يتسنى له الإفتاء في هذه القضايا. وإنما يكفي التعرف على تفاصيل هذه القضايا من خلال من ينتسبون إلى هذه المجامع من الخبراء، وإن كانوا لا يشاركون في التصويت عند اتخاذ القرار الفقهي.

o وهؤلاء الخبراء منهم من يحملون الخبرة الفنية كالاقتصاديين والقانونيين والسياسيين والإعلاميين والجيولوجيين والأطباء وغيرهم، ومنهم يحملون من الخبرة العملية الميدانية كأئمة ومديري المراكز الإسلامية، أو من يعملون في المؤسسات الإسلامية المالية أو الإعلامية ونحوها.

ما أهم إنجازات المجمع في هذه الفترة القصيرة التي مضت على تأسيسه؟

الإنجازات كثيرة –ولله– الحمد نذكر منها:

أولاً: على صعيد تأسيس المجمع وتوطينه القانوني

– استكمال التوطين القانوني للمجمع على الساحة الأمريكية وفقه الأنظمة السائدة.

– الحصول على عضوية المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ومقره جمهورية مصر العربية.

- افتتاح مكتب للمجمع بالقاهرة في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وتجهيزه فنياً بما يتيح التواصل مع خبراء المجمع وأعضائه حيثما كانوا

- تجهيز موقع للمجمع على الإنترنت (amjaonline.org)

ثانياً: على الصعيد الفقهي والأكاديمي

وقد عمل المجمع على تحقيق أهدافه على محاور: فقهية وبحثية وأكاديمية.

أولاً: على الصعيد الفقهي

أ- الإفتاء

•الاتصال بالخبراء لاستقراء النوازل الشائعة في أوساطهم، والكتابة حولها إلى المجمع لتنظرها لجنته الدائمة للإفتاء، ليكون هذا نواة الموسوعة الفقهية للمغتربين

•الاتصال بلفيف من العاملين في السجون الأمريكية للكتابة إلى المجمع حول أهم النوازل الشائعة في السجون؛ ليكون هذا نواة الموسوعة الفقهية للمسجونين.

• ترتيب خطين للفتوى: أحدهما تُستقبل من خلاله أسئلة المستفتين: من الأئمة والخطباء، والآخر لاستقبال أسئلة المستفتين من العامة.

ب: الدورات والمحاضرات

•عقد المجمع دورته التدريبية الأولى لأئمة ومديري المراكز الإسلامية، بسكرمنتو بولاية كاليفورنيا تحت عنوان "نوازل الأسرة المسلمة في المجتمع الأمريكي"، وقد حضرها ما يزيد على ثلاثين إماماً، وانتهت الدورة إلى سلسلة من التوصيات المهمة، رُفعت فيما بعد إلى المؤتمر الثاني السنوي للمجمع، وضمنها المجمع ضمن قراراته الصادرة عنه.

•عقد المجمع دورته التدريبية الثانية في سكرمنتو بولاية كاليفورنيا كذلك تحت عنوان "استثمار الأموال في الإسلام"، وقد حضرها ما يزيد على أربعين إماماً، وحاضر فيها من الإمارات رئيس المجمع فضيلة الأستاذ الدكتور حسين حامد حسان على مدى يومين متتاليين ولمدة تزيد على اثنتي عشرة ساعة بوساطة تقنية (الفيديو كونفرنس)، كما حاضر فيها من الرياض كل من فضيلة الدكتور يوسف الشبيلي عضو المجمع، وفضيلة الدكتور سعد الشثري عضو هيئة كبار العلماء بالسعودية من خلال نفس التقنية، وحاضر فيها مباشرة كل من فضيلة الدكتور صلاح الصاوي، وفضيلة

الدكتور معن القضاة، وفضيلة الشيخ وليد منيسي، وقد تبني المؤتمر الثالث للمجمع جل هذه التوصيات.

• ويرتب المجمع الآن لعقد دروة في فلوريدا وأخري في هيوستن في ديسمبر القادم – بإذن الله– وسوف يوجه الدعوة كما –هي العادة– إلى خمسين إماماً من مختلف المناطق.

•عقد المجمع أربع دورات فقهية معتمدة بالتعاون مع الجامعة الأمريكية المفتوحة: اثنتان منها في كاليفورنيا.

الأولى: حول فقه العلاقات الدولية في الإسلام.

والثانية: حول فقه الأسرة في الشريعة الإسلامية.

والثالثة: في هيوستن حول فقه الزكاة.

والرابعة: في ميرلاند حول فقه المواريث في الشريعة الإسلامية.

•عقد المجمع عشرات الندوات الدعوية والفقهية في مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وكان لها أطيب الأثر في ضبط مسار الفتوى، والرد على طرفي الغلو والتفريط.

ثانياً: على صعيد البحوث والدراسات

أ– البحوث والدراسات باللغة العربية

• طباعة عشرين إصداراً ضمن "سلسة إصدارات المجمع" باللغة العربية، وهي:

•الشروع في سلسلة "قرارات المجامع الفقهية"، وتجهيز إصدارين من هذه السلسلة باللغتين العربية والإنجليزية، وهما:

•القرارات المالية للمجامع الفقهية.

•القرارات الطبية للمجامع الفقهية.

إذ تم جمع معظم قرارات المجامع الفقهية المعتبرة عند مجموع الأمة، المتعلقة بهذين الأمرين وتصنيفها وترجمتها ووضعها في تصميم رفيع المستوى وتجهيزها للطباعة.

ب– البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية

• طباعة إصدار واحد ضمن (AMJA Series) باللغة الإنجليزية وهو: Banking and Interest)).

• ترجمة كتاب الاستثمار الإسلامي صيغه وطرق تمويله، وهو حالياً تحت الطبع.

•ترجمة كل من القرارات المالية للمجامع الفقهية والقرارات الطبية للمجامع الفقهية.
• ترجمة الأسئلة المتعلقة بالمساجين وأجوبة المجمع عنها.

ثالثاً: على الصعيد الأكاديمي

أسهم المجمع في تأسيس (أكاديمية الشريعة في أمريكا) وذلك بولاية فلوريدا وتابع استكمال بنائها الإداري والأكاديمي، وقد باشرت نشاطها الأكاديمي منذ مطلع فبراير 2005، وهي الآن في فصلها لدراسي الثاني والحمد لله.

وأكاديمية الشريعة مشروع تعليم واعد يشرف عليها نخبة من الأساتذة المتخصصين في علوم الشريعة، و تسعى إلى تقديم مقررات دراسية حرة ومعتمدة في قضايا الفقه والأصول، بالإضافة إلى برامج أكاديمية متكاملة تنتهي بتحصيل الطالب لدرجة جامعية في الشريعة بالتعاون مع المؤسسات التعليمية المحلية والعالمية.

وتتميز الدراسة في الأكاديمية بقيامها على المشافهة والتلقي المباشر، بصفته الوسيلة المثلى لتلقي العلم الشرعي بإجماع الأمة، وذلك من خلال:

•التعليم المباشر داخل قاعات المحاضرات من خلال أساتذة الأكاديمية الموجودين محلياً على الساحة الأمريكية.

•التعليم المباشر داخل قاعات المحاضرات من خلال تقنيات (الفيديو كونفرنسينج) حيث تنقل المحاضرات صوتاً وصورة إلى الدارسين، ويستطيعون الحوار المباشر مع المحاضرين صوتاً وصورة كذلك بمستوى متميز من وضوح الصوت والصورة على النحو الذي يحدث في القنوات الفضائية، وذلك للاستفادة من الخبرات الأكاديمية المتميزة للأساتذة في مختلف بلدان العالم.

رابعاً: على الصعيد التقني: مشروع (علماء بلا حدود)

وهو برنامج واعد طموح يوظف التقنية المتقدمة في عالم الاتصالات (الفيديو كونفرنس) لخدمة العلم الشرعي على أوسع مدى ممكن، ويتجاوز به الحدود الجغرافية والسياسية والإقليمية مع المحافظة على التواصل الحي والمتجدد بين المحاضر والمستمعين أينما كانوا! فهو تواصل حي مباشر يختزل الزمان والمكان ويوفر الجهود والنفقات مع المحافظة على كل أو جل مميزات التعليم المباشر الذي يجمع فيه

الدارس والمدرس قاعة محاضرات واحدة، والدعوة المباشرة التي يجتمع فيها الدعاة والمدعوون في مكان واحد.

ومن مزايا هذا المشروع:

تدويل العلم الشرعي، ونقله إلى كل مكان تتوفر فيه هذه التجهيزات، وما أيسرها بالنسبة للمراكز الإسلامية في الغرب.

تيسير المحاضرات واللقاءات الدعوية العامة الأسبوعية والشهرية، إذ يقوم هذا الأسلوب بديلاً عن سفر المحاضرين، وما يتضمنه من تحمل نفقات وأعباء السفر مادية كانت أو غير مادية، بالإضافة إلى ما يعنيه ذلك من تيسير التواصل مع المحاضرين عبر العالم.

توثيق العلاقة بين المراكز الإسلامية المختلفة التي تتعاون فيما بينها على إقامة هذا المشروع.

توفير النفقات والجهود، فالمحاضرة الواحدة يمكن أن تُبث في نفس الوقت إلى عدد من المراكز الإسلامية.

ولقد تم الاتصال بعدد كبير من الشركات التي تُعنى بتوفير هذه الخدمة في الغرب وأُجريت تجارب عديدة داخل الولايات المتحدة وخارجها وأصبح لدى القائمين على المجمع تصور دقيق ومفصّل لأنسب هذه العروض وأكثرها ملاءمة لظروف المجمع وطموحاتها المستقبلية، كما تم تزويد مكتب المجمع بالقاهرة بمحطة متكاملة للبث من خلال هذه التقنية، وقد استخدمت هذه المحطة بالفعل في بث عشرات المحاضرات في مختلف أنحاء الولايات الأمريكية، كما استخدمت في مناقشة رسالة دكتوراه لأحد طلاب الجامعة الأمريكية المفتوحة، حيث كان ثلاثة من أعضاء هذه اللجنة في مصر وتم مناقشة الطالب خلال مؤتمر الدعوة السنوي المنعقد في هيوستن.

ما هي المسائل والقضايا التي يتميز بها الواقع الأمريكي عن غيره في قضايا فقه الأقليات؟

الواقع الأمريكي كغيره من بقية دول الغرب له خصوصية من حيث الزمان والمكان والمخاطبين والإلزام القانوني ونحوه، فهم يعيشون في غربة الزمان فهذه هي الغربة الثانية للإسلام وهي أشد وطأة من الغربة الأولى، وربما أكثر إيلاماً، وهم يعيشون

غربة المكان بإقامتهم خارج ديار الإسلام في لجج من الفتن تئن فيها الرياح، وهم يعيشون داخل ترسانة من القوانين والتشريعات تنظم كل شيء، وتقنن كل شيء، ولا سبيل إلى الفكاك من هذه النظم ولا إلى التفلت من قبضتها، وقد أفرز هذا الواقع جملة من القضايا الجديدة التي لا عهد للأمة بها من قبل أو كان لها في تاريخها طابع الندرة ولم تنتشر بمثل هذا الانتشار، وهذا يقتضي تفعيل الأصول الاجتهادية المتعلقة بفقه الأحوال الاستثنائية كقواعد الضرورات، والحاجات التي تنزل منزلة الضرورات، وعموم البلوى، ورفع الحرج، والمشقة تجلب التيسير، وتغيّر الفتوى بتغيّر الزمان والمكان والأحوال.. الخ، وهي تملك مخزوناً اجتهادياً هائلاً يستوعب كل متغيرات هذه المجتمعات وتنبثق منه حلول فقهية ناضجة لمشكلات أبنائها.

هل للمجمع تعاون مع منظمات فقهية تعمل في الإطار نفسه سواء في أمريكا أو أوروبا؟

المجمع يسعده ذلك بل جعله من جملة أهدافه ومبادئه في وثيقة تأسيسه، وهو يتخذ ما يتسنى له من الخطوات في هذا الصدد، ونرجو أن يحمل المستقبل الكثير من الإنجازات على هذا المحور بإذن الله.

===============

#الاستنساخ

د.عبد الرشيد قاسم 1425/10/25

2004/12/08

المبحث الأول: ...حقيقة الاستنساخ

المبحث الثاني:... كيف تمت عملية الاستنساخ

المبحث الثالث: ... الحكم الشرعي في الاستنساخ

المطلب الأول: ... الاستنساخ الجنيني (الاستتآم)

المطلب الثاني: ... الحكم الشرعي في الاستنساخ الخلوي

تمهيد :

تطور العلم في القرن العشرين الميلادي فقفز قفزات جبارة في شتى العلوم وكان لها تأثير كبير في تغيير مجريات الأحداث وأنماط الحياة ومن أبرز ما ظهر في هذا القرن ما يلي :

1 – الثورة الذرية: حيث تمت صناعة قنابل ذرية واستخدمت على اليابان في مدينتي هيروشيما ونجازاكي عام 1945 م ، معلناً بذلك الانتقال من عصر الكهرباء والأسلحة التقليدية إلى عصر الذرة بكل مخاوفه وهواجسه وويلاته .

وتمتلك عدد من الدول قنابل ذرية تقدر قوتها بما يكفي لتدمير الأرض ست مرات .

2 – ثورة الإلكترونيات :

حيث ظهر علم السيبرنطيقا Cybernetics وكان ظهوره بمثابة الأساس لتقنية الحاسوب (الكمبيوتر) فيما بعد ، ومن ثم ثورة الانترنت Internet الذي أورث ثورة عارمة في المعلومات المختلفة في شتى الميادين بلا ضابط وتنشأ يوماً بعد يوم مئات المواقع وتدخل يومياً ملايين المعلومات المختلفة في شتى الميادين وبعدة لغات .

3 – غزو الفضاء :

حيث تمكن الروس من إطلاق أول قمر صناعي (سبوتنيك 1) عام 1957 م ، وتوالت بعدها المحاولات التي كان منها هبوط الإنسان على سطح القمر وإرسال مركبات للمريخ وزحل والكوكب الأخرى لدراسة أحوالها ، وتم وضع أقمار صناعية حول الأرض لأغراض متعددة منها تسهيل الاتصالات والتجسس ونقل الأحداث من شتى بقاع العالم مباشرة .

4 – الثورة البيوتكنولوجية (الحيوية) :

واتخذت عدة أشكال أشهرها :

1 – زراعة الأعضاء: حيث تم عام 1967م أول عملية زرع قلب بشري وحظيت بالنجاح ، ثم توسعت عمليات النقل والزرع حتى سجلت الكلى والبنكرياس والكبد والقلب والرئة معاً ،وقد تطور الأمر في البلاد الإسلامية ليشمل إنشاء مراكز للتبرع بالأعضاء بعد الموت .

2 – التلقيح الصناعي :

حيث نجحت أول عملية للإخصاب الصناعي عام 1978م وكانت ولادة أول طفلة سميت لويزا براون ، ثم أنشئ بعدها بعامين بنك المني حيث يودع فيه مني الرجل وبييضات المرأة لأغراض مختلفة وتوالت بعدها التقنيات المستجدة كتأجير الأرحام والأم البديلة والتحكم في جنس الجنين وبنك العباقرة وغيره .

3 – الهندسة الوراثية :

حيث تم الكشف عن الحمض الريبي النووي DNA ونال صاحبه جائزة نوبل عام 1962م ثم تم الكشف عن أنزيمات التحديد أو التقييد اللازمة لقص ذلك الحمض في مواقع محددة ، وتدريجياً بدأ مصطلح هندسة وراثية Genetic Engineering يتداول بين الناس لتشكل تلك الهندسة في ذاتها ثورة من أخطر الثورات العلمية وهي ثورة حقيقية تعتمد على مادة الحياة وهي الخلية وبداخلها الجينات وهي ثورة تشارك فيها ثلاثة علوم أساسية هي علوم الوراثة والخلية والأجنة وتقوم على فكرة التحكم في الجهاز الوراثي للإنسان ومن ثم إمكانية برمجة الجنس البشري وفق تصميمات معدة سلفاً ، وبذلك بدأ العلماء في تعديل أو العبث في أهم خصوصيات الإنسان وهي الشفرة الوراثية .

4 – الاستنساخ :

حيث فوجئ العالم عام 1997 م باستنساخ النعجة (دوللي) على يد العالم

إيان ويلمت وتوالت بعدها التجارب حتى أعلن في اكريكا عن استنساخ اثنين من القرود من خلايا جنينيه أعلن في أمريكا عن استنساخ اثنين من القرود من خلايا جنينية وأعلن في اليابان عن نجاح استنساخ ضفادع وقد وقف العالم ضد فكرة سريان الاستنساخ لعالم البشر حتى سمحت بريطانيا لاحقاً بإجراء التجارب تحت ضوابط معينة لأغراض خاصة(1).

فما هي حقيقة الاستنساخ وما هي آثاره ولماذا وقف العالم ضده ؟ وما هو الموقف الشرعي منه ؟ هذا ما سيكون الإجابة عليه في المباحث التالية :

المبحث الأول : حقيقة ا لاستنساخ

الاستنساخ في اللغة بمعنى : النقل ، يقال نسخت الكتاب نسخاً أي : نقلته من صورته المجردة إلى كتاب آخر ، ويأتي أيضاً بمعنى الإزالة ، يقال نسخت الشمس الظل أي : أزالته(2) .

أما معناها في الاصطلاح فهو عبارة عن : زرع خلية إنسانية أو حيوانية جسدية تحتوي على المحتوى الوراثي كاملاً في رحم طبيعي أو صناعي وذلك بغرض إنتاج كائن حي (حيوان أو إنسان) صورة طبق الأصل من نظيره صاحب الخلية الأولى(3).

أقسامه :

ينقسم الاستنساخ إلى قسمين :

أ – الاستنساخ الحيواني والنباتي

ب – الاستنساخ البشري وهو ثلاثة أنواع :

1 – الاستنساخ الجنيني (الاستتآم)

وهو العمل على فصل خلايا ببيضة ملقحة بخلية منوية بعد انقسامها إلى خليتين أو أكثر لتصبح كل خلية منها أيضاً صالحة للانقسام أيضاً بعد تهيئة ظروف نموها وانقسامها ، وهكذا يتوالى الانقسام والفصل في كل خلية ثم تزرع بعض هذه الخلايا في رحم الأم ، ويتم تبريد الباقي ليحتفظ به إلى وقت اللزوم .

2 – الاستنساخ العضوي :

وهو العمل على استنساخ العضو الذي يحتاج إليه الإنسان في حياته حال حدوث عطب في هذا العضو .

3 – الاستنساخ الخلوي (التنسيل)

وهو زرع خلية جسدية (تحتوي على 46 كروموزوم) مكان نواة منزوعة من بيضة ليتولى السيتوبلازم المحيط بالنواة الجديدة حثها على الانقسام والتنامي من طور إلى طور من أطوار الجنين الذي يكون بعد ولادته صورة مطابقة لصاحب تلك الخلية الجسمية من الناحية المظهرية(4) .

كيف بدأ الاستنساخ ؟

عندما نجح العلماء في معالجة البقرة (روزي) التي يمكنها إفراز حليب مقارب لحليب الأم البشرية بعد القيام بهندستها وراثياً هي وثمان بقرات أخر لإنتاج البروتين الآدمي ألفا لاكتالبومين Alpha-Human Lactalbumin ، وقد كلفت عملية إنتاج (روزي) وحدها 4 ملايين دولار أمريكي .

فكر (ويلموت) و (كامبل) في الحفاظ على هذه الخاصية في البقرة حيث أنه إذا تم التزاوج الطبيعي بين (روزي) وذكر آخر فقد تفقد الجين الوراثي الذي تم تهجينها به أثناء عملية اندماج الخلية المنوية بالبييضة لتكوين النطفة ، وبالتالي يضيع كل الجهد الذي بذله للوصول إلى هذا الاكتشاف ، ومن هنا بدأ العالم (ويلموت) يفكر في إمكانية حل المشكلة عن طريق الاستنساخ الجسدي أي من خلال أخذ نواة خلية من ثدي روزي تحتوي على كل صفاتها الوراثية بما في ذلك الجنين الذي يضع بروتين (لاكتالبومين) وتفرزه في لبنها ، ودمج هذه النواة مع بييضة نعجة أخرى بعد تفريغها من النواة التي تحمل كل صفاتها الوراثية ، لكي يكون الناتج جنيناً يحمل كل الصفات الوراثية لروزي التي أخذت منها الخلية الجسدية ، وهو مالا يمكن أن نضمنه لو تم تلقيح بييضة روزي التي تحمل نصف صفاتها الوراثية بخلية منوية من ذكر يحمل النصف الآخر وهكذا بدأت فكرة الاستنساخ(5).

المبحث الثاني : كيف تمت عملية الاستنساخ

إن الاعتقاد الطبي السائد كان يقوم على فكرة حصر عملية التكاثر عن طريق الخلايا الجنسية فقط إلا أن تقنية الاستنساخ صححت هذه الفكرة :

وقد تمت العملية على النحو التالي :

1 – تم أخذ خلية لبنية من ضرع النعجة (أ) وعمرها ست سنوات ووضعت في المعمل لتنميتها ووضعت في وسط حامضي يحتوي على نسب قليلة من المواد اللازمة لنموها لمدة خمسة أيام وبذلك تخرج الخلية من طور النمو إلى طور الراحة والتجويع .

2 – تم سحب بييضة من مبيض النعجة (ب) بواسطة إبرة خاصة ، ثم تفريغها من نواتها ووضعها في سائل كيميائي لإبطاء حركة نموها .

3 – تم حقن خلية ثدي النعجة (أ) في البييضة المفرغة للنعجة (ب) ثم تسليط كهربائي ضعيف عليها لإتمام عملية الالتحام والاندماج ، حيث تقوم الجزيئات في البييضة عندئذ ببرمجة الجينات في الخلية الثديية لإنتاج الخلية الأولية للجنين .

4 – تم وضع هذه الخلية المندمجة في محلول كيميائي لتنميتها .

5 – عند بلوغها مرحلة معينة من النمو والانقسام إلى خلايا متعددة تم نقلها إلى رحم النعجة (ج) لاحتضانها .

6 – بعد 160 يوماً تم ولادة النعجة التي سميت دوللي وعند تحليلها كروموزمياً ثبت أنها صورة طبق الأصل من النعجة (أ) التي أخذ منها الخلية الأصلية وليس من النعجة (ب) التي أعطت البييضة أو النعجة (ج) التي احتضنت البييضة طوال فترة الحمل(6).

وفي 24 شباط 1997م أعلن الدكتور (أيان ويلموث) وفريقه عن استنساخ شاة استنساخاً جسديا وأسموها " دوللي " حيث أن هذه النعجة صارت أشهر نعجة في التاريخ حيث اشترك في وجودها (ثلاث أمهات) بدون أب الأولى أعطت الخلية المانحة للمورثات من ضرعها والثانية أعطت البييضة والثالثة حملت البييضة في رحمها حتى ولدت جنينيها الكامل وقد جاء هذا النجاح بعد 277 مرة وقد لوحظ على النعجة ما يلي :

1 – أن تركيبها الكروموزومي يتطابق تماماً مع النعجة (أ) التي أخذت الخلية منها .

2 – أنها كائن ثدي كامل سليم التكوين وقد ولدت ابنتها في نيسان 1998م بشكل طبيعي .

3 – أن الخلايا التي تحملها عمرها (6)سنوات وليست كالنعاج الطبيعية وبالتالي ستصل لمرحلة الشيخوخة مبكراً .

وقد كانت المواقف متباينة تجاه الاستنساخ كما هو الشأن في عامة القضايا العلمية فالفريق المؤيد للاستفادة من الاستنساخ بضوابط يرى أنها ذات فوائد للأسباب التالية :

1 – أنه حل فاعل للرجال المصابين بالعقم الذين لا يوجد في منيهم خلايا منوية وكذلك للنساء اللواتي لا تقبل بييضاتهن التلقيح ، فالاستنساخ هو الحل الوحيد حتى الآن لأمثال هؤلاء(7) .

أما المجتمع الغربي الكافر فمشاكل العقم عندهم تحل عن طريق التبني أو أخذ خلايا منوية أو بييضات من متبرعين .

2 – أن بعض الرجال والنساء يفقدون قدرتهم على الإنجاب نتيجة تلقيهم علاجاً كيميائياً أو إشعاعياً بسبب إصابتهم بمرض السرطان ، وتعتبر هذه الوسيلة الوحيدة لهم كي ينجبوا كما في الحالة الأولى .

3 – أن الاستنساخ يمكن أن يكون حلا لبعض المرضى من الرجال والنساء الذين يعانون من الفشل الكلوي حيث أن هؤلاء يعانون بشدة من نقص الأعضاء المتوفرة ويحتاجون لثلاث جلسات أسبوعية على الأقل لعمل الغسيل الكلوي الذي يستغرق ساعات طويلة ، ولو حالفهم الحظ ووجدوا متبرعين للكلية فسوف تعمل بأجسادهم لعدة سنوات فقط ثم سيحتاجوا بعدها لعملية نقل كلى أخرى بسبب رفض جسمهم لها بسبب اختلاف فصائل الأنسجة .

بينما لو تمكن الإنسان من عمل نسخة منه فإنه يضمن الحصول على أعضاء كثيرة خلقها الله مزدوجة عند الإنسان مثل الكلى والرئتين والمبايض أو الخصيتين بل حتى يمكنه الحصول على جزء من الكبد أو نخاع العظم دون التأثير على الإنسان المنسوخ مع ضمان استمرار عمل الأعضاء المنقولة في المريض بكفاءة ؛ لأنها من نفس الفصيلة(8).

4 – أن العباقرة في عالمنا محدودين ، وهم يقدمون للبشر خدمات كبيرة ، وربما مات العالم وترك فراغاً لا يسد إلا بعد فترة من الزمان ، فلو أمكن أخذ عدة نسخ منه لأمكن إنجاب عباقرة آخرين لمصلحة البشرية .

5 – في حالة فقدان أي زوجين لطفل أو أكثر من أطفالهم بسبب المرض أو الحوادث يمكن التخفيف من هذه المصيبة بأخذ خلية ومن ثم زرعها في الرحم بعد إجراء العمليات المناسبة فتحصل على نسخة طبق الأصل من الطفل المفقود .

6 – اختيار جنس الجنين في المستقبل حسب الظروف العائلية ؛ لأن الطفل يكون نسخة طبق الأصل من الخلية الملقحة بالبييضة(9).

هذه أبرز الفوائد التي يمكن الحصول عليها من خلال هذه التقنية – بغض النظر عن حكمها الشرعي – .

الاعتراضات الواردة على تقنية الاستنساخ :

1 – أن الاستنساخ مدعاة لتكثير الجريمة وانتشار الفساد وتضييع الحقوق حيث يصعب التعرف على الجاني في الجريمة التي يكون الدليل فيها بصمات الأصابع أو حمض النوويك وهو دليل يفي بتحديد شخص واحد تماماً حتى الآن ، وكذلك في القضاء حيث يلتبس على الشهود الجاني ، والزوجة قد يتعذر عليها التفريق لا سيما إذا كانت حديثة الزواج وهكذا الأمور الأخرى .

2 – أن هناك التباس وإشكال كبير في علاقة المستنسخ فلو صنعت عذراء نسخة لها من أحد خلاياها ثم أودعت الزريعة في رحمها لتنمو حتى الميلاد ، كيف يكون الحمل شرعياً وهي لا زوج لها ؟ وما علاقتها بالمولودة ؟ هل ولدت نسختها أو توأمتها (أختها) أو ابنتها ؟

3 – أن الاستنساخ مدعاة لفتح أبواب شائكة وقضايا معقدة وأمور تتنافى مع الشرع ومن ذلك :

1 – إحداث نسخة بعد موت الشخص ولو بعد عشرات السنين وبعد توزيع التركة .

2 – قد تستغني المرأة عن الزواج الشرعي للحصول على الولد حيث يتم تخصيب بييضتها بخلية من جسدها ثم الحصول على الطفل بلا حاجة للأب وهذا يؤدي لخلخلة

اجتماعية ونفسية معقدة حيث يفقد الطفل العواطف الأبوية(10).

3 – أن ذلك مدعاة لشيوع الفاحشة ، حيث ترغب النساء في الحصول على طفل لها طبق الأصل من رجل مميز كلاعب أو فنان أو عالم بالحصول على خلية منه والقيام بالتخصيب كما هو حاصل في بنوك العباقرة في الغرب ..

4 – ينجم عن الاستنساخ اختلال التوازن السكاني بسبب الاستغناء عن أحد الجنسين وفقدان التنوع الذي هو أساس المجتمع فالاختلاف حكمة إلهية "ولو شاء لجعلكم أمة واحدة " (11).

5 – قد يؤدي الاستنساخ إلى إنتاج أشخاص مشوهين أو مجرمين لديهم الاستعداد للإفساد أو التخريب .

أو تتسابق الدول لاستنساخ أفراد ذوي صفات معينة مما يمهد للحروب واعتبار هؤلاء أسلحة تهدد الشعوب الأخرى(12).

6 – إمكانية التلاعب بالجينات والخلايا والأجنة حسب الرغبات والأهواء واستعمالها للكسب والتجارة وهذا كله مسخ للإنسان وامتهان لكرامته .

7 – احتمال حدوث خلل تقني أثناء إجراء عملية الاستنساخ مما ينتج عنه تشوهات جسمية وعقلية ونفسية لم نسمع بها من قبل .

8 – استبدال الطريقة الطبيعية للتكاثر وعمارة الأرض واختلال النظم الاجتماعية كالزواج والأسرة والأبوة والبنوة والميراث وغير ذلك من أسس النسيج الاجتماعي(13).

المبحث الثالث : الحكم الشرعي في الاستنساخ

لابد من إفراد كل نوع من الاستنساخ بحكمه الخاص ، ومن الخطأ تعميم فكرة الاستنساخ ابتداء .

أولاً : الاستنساخ النباتي والحيواني

يختلف الاستنساخ النباتي والحيواني كثيراً عن الاستنساخ البشري ، لأن هذه المخلوقات جاءت لمصلحة البشر ومسخرة لخدمته والانتفاع بها ، بخلاف بني آدم الذي كرمه الله سبحانه .

وقد ذهب عامة الفقهاء المعاصرين إلى جواز الاستفادة من تقنية الاستنساخ في غير البشر بما يعود عليهم بالنفع ؛ لأن الشريعة جاءت بتحصيل مصالح العباد وتكثيرها ودفع المفاسد وتقليلها .

ويستدل للجواز بما يلي :

1 – قوله تعالى : "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً " (14).

2 – قوله تعالى :"ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض "(15).
3 – قوله تعالى : "والأنعام خلقها لكم فيها دفءٌ ومنافع ومنها تأكلون "(16).
وجه الدلالة :
أن الأرض وما فيها من نبات ودواب وغير ذلك مسخرة لنفع الإنسان ، فيجوز الانتفاع بتكثيرها باستنساخها وغير ذلك .
4 – حديث ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " إن الله
عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها "(17).
5 – قاعدة " الأصل في الأشياء الإباحة "(18).
حيث أن كل عمل يصب في دائرة الإباحة حتى يأتي الدليل المانع لذلك .
6 – قاعدة " الضرر يزال "(19).
حيث تبين أن الاستنساخ الحيواني والنباتي سيكون سبباً في توفر الثمار الكثيرة واللحوم الوفيرة والألبان بكميات هائلة مما يدفع ضرر التخوف من نقص موارد الأرض ، إضافة إلى تطلع العلماء إلى أنه سيكون سبباً في درء العديد من المضار والمفاسد نحو مقاومة بعض الأمراض المورثة والتغلب على نقص الدم وقلة الأعضاء .
وقد جاء في قرار مجمع الفقه الإسلامي بجدة عام 1418هـ – 1997م " يجوز شرعاً الأخذ بتقنيات الاستنساخ والهندسة الوراثية في مجالات الجراثيم وسائر الأحياء الدقيقة والنبات والحيوان في حدود الضوابط الشرعية بما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد "(20).
وجاء في قرار الحكم الشرعي للجنة الطبية الفقهية بالأردن : " أولاً : استنساخ أو تنسيل النبات و الحيوان جائز ضمن الضوابط الشرعية التالية :
1 – أن تتحقق المصلحة الشرعية المفيدة من هذه الإجراءات .
2 – أن لا تدخل تحت باب العبث وتغيير خلق الله ، بمعنى العمل على إيجاد المسخ .

3 – أن لا يترتب عليها ضرر يربو على المصلحة المرتجاة .
4 – أن لا يترتب عليها إيذاء أو تعذيب للحيوان .

وقد خالف في هذا القرار الأستاذ الدكتور عمر الأشقر حيث رأى حرمة استنساخ الحيوان لمخالفته سنة الله في التكاثر والخلق "(21).

وهذه المخالفة التي انفرد بها عمر الأشقر مبنية على أن سنة الله في التكاثر تكون بين الذكر والأنثى حتى في الحيوان ، ووضع خلية جسدية في بييضة منزوعة النواة أمر مخالف لسنة الله في التكاثر ويخشى أن تظهر مفاسد وأضرار لهذا النوع ، لأن فتح باب الجواز في الحيوان قد يفتح المجال لإجرائه في الإنسان .

وقد أجيب عن هذا الاعتراض بأن التفريق بين خلق الله وسنن الله ليس له مستند شرعي يدل على التحريم وفرق عظيم بين قياس الإنسان على الحيوان فالجواز في الحيوان لا يعني البتة جوازه في الإنسان .

والرسول عليه الصلاة والسلام قال في قضية تأبير النخل حيث لم تثمر : " أنتم أعلم بأمور دنياكم "(22) .

فهذه قاعدة في جواز استخدام العقول والوسائل المختلفة التي تحسن شأن الحيوان والنبات ضمن الحدود الشرعية لا سيما أن الله أمرنا بإعمار الأرض واستخلفنا فيها(23).

وهذا التفريق يلزم منه تحريم أشياء كثيرة استجدت في حياتنا مثل حرمة أكل الدجاج الذي خرج بالفقس الصناعي ، لأنه لم يخرج عن طريق رقاد الدجاجة على البيض كما هو معهود ، وهو نوع من التكاثر الصناعي وهذا التحريم لم يقل به أحد من العلماء فيما أعلم والعلم عند الله .

ومن ثمرات تطبيق هذه التقنية :

1 – نجح اليابانيون في إنتاج سلالة من الأبقار كلها إناث في المختبر – فانتفت الحاجة إلى الذكور وبالتالي الاستمرار في إنتاج الحليب وتحقيق الكفاية من اللحوم .

2 – زراعة حقول ذات مساحات شاسعة من خلايا نبتة واحدة ، حيث تكون جميع النباتات الناتجة نسخاً متشابهة تماماً ولها نفس الخصائص من حيث كبر الثمرة وطعمها ومدى مقاومتها للأمراض .

3 – مواجهة مشكلة التلوث بإيجاد سلالات من البكتريا تقوم بتخليص البيئة من الملوثات بعد التحكم الجيني بها .

4 – تمكن العلماء باستخدام الكائنات الدقيقة الحية من إنتاج أصعب الأدوية وأندرها مثل الأنسولين المنظم لسكر الدم والسوماتاستاتين المنظم لأعمال بعض الغدد في الجسم والانترفيرونات التي تستخدم في علاج السرطان(24).

ثانياً : الاستنساخ البشري :

المطلب الأول : الاستنساخ الجنيني (الاستتآم)

وصورته تكون بتلقيح البييضة بماء الزوج وعند الانقسام تفصل الخلايا كل خلية على حده لتكون نسخاً متعددة ثم تودع في رحم الزوجة(25).

وقد بدأت فكرة هذا النوع عام 1993 م من العالمين الأمريكيين ستيلمان وهول حيث أخذا (خلية منوية تحتوي على 23 كروموزوم) ولقحا بييضة (تحتوي على 23 كروموزوم) لينتجا بييضة ملقحة بنواة ذات 46 كروموزوم ثم انقسمت هذه الخلية الملقحة لتعطي أربع خلايا .

والأمر الجديد في بحثهما ما يلي :

1 – أنهما توصلا إلى أنزيم ومواد كيميائية استطاعت أن تذيب الغشاء البروتيني السكري المحيط بهذه الخلايا فانفصلت عن بعضها البعض .

2 – توصلا إلى مادة جديدة من الطحالب البحرية لإصلاح جدار الخلايا المنفصلة وتغطيتها حتى لا تتأثر .

3 – أخذا كل خلية من هذه الخلايا وقاما باستنساخ كل واحدة على حدة لتنتج (4) خلايا مرة أخرى أي الناتج (16) خلية ثم فصلا هذه الخلايا واستنساخها على (64) .

ثم جمدوا هذه الخلايا التي هي البداية الأولى للجنين وأخذوا واحدة فقط لتنميتها حتى وصلت إلى 32خلية ولم يكملا العمل خوفاً من الجوانب الأخلاقية وهذا البحث جرى بعيداً عن أعين اللجان الأخلاقية وأذيع في أحد المؤتمرات عام 1993م وأثار زوبعة من الخلاف من علماء الدين وعلماء الأخلاقيات إلا أن علماء الخلايا والبيولوجيا منحوهما جائزة أحسن بحث في المؤتمر(26).

وقد اختلف العلماء المعاصرون في حكم هذه الصورة على النحو التالي :
القول الأول : التحريم وعليه جمهور العلماء المعاصرين وعليه قرر مجمع الفقه الإسلامي بجدة .
وقد جاء في قرار المجمع الفقهي " تحريم الاستنساخ البشري بطريقتيه المذكورتين أو بأي طريقة أخرى تؤدي إلى التكاثر البشري "(27).
القول الثاني : جواز استنساخ الجنين وعليه قرار اللجنة الطبية الفقهية بالأردن .
وقد جاء في ملخص الحكم الشرعي للاستنساخ الجنين البشري : " فصل الخلايا من البييضة الملقحة بعد الانقسام الأول أو الثاني أو الثالث أو بعد ذلك بقصد استعمالها لإحداث الحمل في فترة الزوجية جائز شرعاً ، وتحكمه القواعد ذاتها التي تحكم موضوع التلقيح الاصطناعي الخارجي (طفل الأنابيب) -In-Vitor Fertilization (IVF) وقد وافق الفقهاء الحضور بالإجماع على ذلك ... وقد تحفظ على هذا الرأي كل من الشيخ الدكتور راجح الكردي والشيخ الدكتور عبد الناصر أبو البصل ، الذي كان رأيه أن الاستنساخ الجنيني غير جائز إلا في حالة امرأة لديها مشكلة في ثبات الحمل ، فيجيز الاستنساخ والتجميد لهذه الغاية فقط "(28) .
المناقشة :
استدل المانعون بالأدلة والاعتراضات التي تمنع الاستنساخ (الجسدي) ورأوا أنها تأخذ نفس الحكم لكونها كالاستنساخ الجسدي من حيث الأصل .
أما القائلين بالجواز فرأوا أنها تأخذ حكم التلقيح الصناعي الخارجي لأن هذه العملية قائمة بين رجل وزوجته في ظل العلاقة الزوجية ولا علاقة لطرف ثالث في العملية ولها فوائد وهذه التقنية تفيد في الآتي :
1 – أنها علاج لبعض حالات العقم لدى المرأة والرجل فالمرأة التي تعاني مشكلة الفقر في التبويض ، والرجل الذي تكون خلاياه المنوية ميتة أو بها تشوهات إلا القليل منها فإن هذه التقنية تساعده في الإنجاب .

2 – أنه يمكن الاستفادة منها في تشخيص الأمراض الوراثية في المختبر فالنسخة التي تم استنساخها يمكن فحصها فإن كان ثمة مرض وراثي أهملت جميع النسخ ولم تودع في الرحم وبذلك نتحاشى ولادة أطفال مشوهين .

أدلة المانعين :

1 – قاعدة " يتحمل الضرر الخاص أمام الضرر العام "(29).

حيث أن المصلحة الجزئية لحالات محدودة ممن ابتلوا بالعقم والتي تحل مشكلة بعض الأسر لا تعارض هذه المفسدة بالمفاسد المترتبة بفتح أبواب الاستنساخ الجنيني حيث أن احتمال الاختلاط والعبث بالخلايا وارد خاصة في هذا الزمان الذي ضعفت فيه الأمانة وقاعدة سد الذرائع أخذ بها عامة العلماء .

2 – أن النطفة أصل الإنسان ، والإنسان مكرم وهو جنين منذ تكونه فلا يصح العبث بالنطفة ولا مساسها دون حاجة داعية لذلك واحتمال إجهاض النطفة أثناء العملية وارد(30).

3 – إن المحاذير الواردة في الاستنساخ الخلوي أكثرها موجود في الاستنساخ الجنيني .

الترجيح :

يظهر لي جواز الاستنساخ الجنيني عند وجود الحاجة الماسة أو الضرورة إليها كما هو الشأن في علاج بعض مشاكل العقم لكون الطريقة من حيث المبدأ سليمة .

أما في الأحوال العادية كالرغبة في الحصول على أجنة متشابهة فلا يجوز ؛ لأن الأصل في التلقيح الصناعي الجواز عند الضرورة و " الضرورة تقدر بقدرها " فلا يتوسع في استباحة المحظور والله أعلم .

وقد جاء في البيان الختامي لندوة (رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصرة) الصادر عن المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية المنعقدة في الدار البيضاء في صفر – 1418هـ – يونيو 1997م في شأن استنساخ الجنين البشري " ترى الندوة أن الطريقة من حيث مبدأ التلقيح سليمة ، لكن تقويمها من ناحية النفع والضرر لا يزال في حوزة المستقبل ، ومن منافعها القريبة المنال إمكان تطبيق الوسائل التشخيصية على أحد الجنينين أو خلايا منه ، فإن بانت سلامته سمح بأن يودع في الرحم ،

وكذلك التغلب على بعض مشاكل العقم وينطبق عليها كل الضوابط المتعلقة بطفل الأنابيب "(31).

الاستنساخ والعقيدة الإسلامية :

توهم بعض الناس أن الاستنساخ يتصادم مع العقيدة الإسلامية القاضية بأن الخلق والإيجاد لله وحده ، وأن هذا الاستنساخ الذي هو من فعل البشر يضاهي خلق الله .

وقد جاء هذا التوهم نتيجة الإثارة الهائلة التي واكبت عملية الاستنساخ والعبارات التي صدرت بها بعض الصحف الغربية والعلمانية هذا الاكتشاف مما جعل البعض ينكر الاستنساخ أصلاً أو يظن أن في ذلك تحدي للخالق وهذا وهم ظاهر .

ويمكن الإجابة على هذه الشبه بما يلي :

1 – أن الاستنساخ ليس خلقاً ، بل هي طريقة جديدة للتكاثر غير الطريقة المعهودة في البشر فالخلية المستنسخة والبييضة كلها من خلق الله ، ولم تكن معدومة فأوجدت . بل غايته التلقيح بصورة جديدة فقط . فالعلماء يتعاملون مع عناصر مخلوقة من عند الله فالخلية من النعجة والنعجة لم يوجدها العلماء بل هي من خلق الله ، وعملية الانقسام الخلوي التي تتم بوسائل حيوية بالغة التعقيد داخل الخلية نفسها وكلها موجودة ولم يخلقها العلماء .

والخلق عند الإطلاق يدل على الإيجاد من العدم ويدل لذلك :

أ – قوله تعالى : "وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً" (32).

ب – قوله تعالى : "أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً" (33).

ج – قوله تعالى : "إنه يبدأ الخلق ثم يعيده"(34).

2 – أن الله سبحانه أوجد القابلية للتكاثر في خلقه بهذه الطريقة وغاية ما فعله الإنسان هو اكتشاف هذه الخاصية وتسخيرها لخدمته ولا يعد هذا خلقاً كما هو الشأن في النبات حيث يمكن غرس غصن البرتقال في شجرة ليمون لتحمل شجرة واحدة ثمرتين أو تهجين نباتين مع بعضها لينتج ثمرة تحمل صفتين مثل (الليم) وكذلك الشأن في الحيوان مثل البغل الناتج من الحصان والحمار ، فكل هذا لا يعد خلقاً ولا يتعارض مع سنن الله .

3 – أن العمل لو كان فيه معنى الخلق ، فليوجد العلماء خلية أو بييضة من العدم أو من التراب كما هو شأن الخالق وهذا ما يستحيل تصوره عقلاً فضلاً عن إمكانية تحقيق ذلك لدى البشر .

وقد أعلمنا الله أن الآلهة التي يعبدها البعض لن تستطيع أن تخلق ذبابة صغيرة ولو اجتمعوا لذلك وإن سلب الذباب منهم شيئاً لن يستطيعوا رده البتة .

وهذا التحدي قائم أبداً لا يمكن للبشر أو غيرهم خرق هذا التحدي(35)، قال تعالى : "يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب " (36).

هل يتنافى وقوع الاستنساخ في البشر مع العقيدة الإسلامية ؟؟

ظن البعض أن عملية الاستنساخ يستحيل وقوعها في البشر لأن ذلك يتنافى مع دلالة بعض النصوص كقوله تعالى : "يخرج من بين الصلب والترائب " (37) ، أي صلب الرجل وترائب (صدر) المرأة . والاستنساخ البشري قد يقع من أي خلية من الرجل مع بييضة المرأة أو خلية من المرأة نفسها مع بييضتها دون الرجل .

والجواب على هذا التوهم ما يلي :

1 – أن ولادة الطفل بالطريقة المعهودة لا يعني عدم وقوع غيرها ، فالنصوص دلت على الطريقة المعروفة ولم تنف ما سواها ، فالآية في سياق الخبر لا الحصر .

2 – أن المراد بقوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب (الإنسان) وليس كما هو مشهور أن ذلك مني الرجل من الصلب وماء المرأة من الصدر فالآية في سياق الخبر عن الإنسان ويفهم هذا من السياق على النحو التالي :

"فلينظر الإنسان مم خلق" – الخبر عن الإنسان –

"خلق من ماء دافق" – أي الإنسان –

"يخرج من بين الصلب والترائب" – أي الإنسان –

"إنه على رجعه لقادر" – أي الإنسان –

وهذا التفسير يدل عليه علم الأجنة حيث أن وضع الجنين في البطن عند خروجه يكون رأسه لأسفل ويمتد جسمه ليصل الصدر مع الظهر فهو يخرج من بين الصلب والترائب(38) .

المطلب الثاني : الحكم الشرعي في الاستنساخ الخلوي

والمراد به إحداث تلقيح بالبييضة عن طريق خلية من الجسم غير منوية كما تقدم ، وهذا النوع هو الذي تناولته وسائل الإعلام والكتاب وعليه الاعتراضات الكثيرة وقد نجحت في مجال الحيوان ويتوقع نجاحه في الإنسان ، وقد تقدم بيان موقف المؤيدين والمعارضين لقضية الاستنساخ .

أما الحكم الشرعي يمكن تلخيصه على النحو التالي :

القول الأول : التحريم وهو رأي عامة الفقهاء المعاصرين منهم محمد بن صالح العثيمين ، وعبد الكريم زيدان ، ويوسف القرضاوي ،ونصر فريد واصل ، ومحمد سيد طنطاوي ، ومحمد سعيد البوطي ، ومحمود السرطاوي ، وعجيل النشمي ، وعبد الستار أبو غدة ، وعبد الله بن منيع ، ومحمد الأشقر ، ووهبه الزحيلي(39).

وعليه قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي وقرار اللجنة الفقهية الطبية بالأردن(40).

القول الثاني : التوقف

وهو رأي محمد تقي الدين العثماني والشمري .

وهذا القول جاء بناء على أن الاستنساخ البشري ليس إلا نظرية وخيال ، ولم يأت إلى حيز الوجود ، ولكون المعلومات والصورة الحقيقية بهذا النوع لم تتضح بعد وقد كان بعض السلف يقول : " لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله "(41).

القول الثالث : تأييد الاستنساخ البشري

وهذا الرأي ذهب إليه من لا يعتد بقوله شرعاً من الشيعة والصحفيين والأطباء وغيرهم فلا يعول عليه(42).

الأدلة :

استدل القائلون بتحريم الاستنساخ البشري (الخلوي) بالأدلة التالية :

1 – قوله تعالى : "ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم "(43).

وجه الدلالة :

أن التمايز بين أبناء البشر ضرورة للناس اقتضتها حكمة الباري سبحانه وتعالى والاستنساخ وشيوعه ينافي هذه الحكمة .

2 – قوله تعالى : "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً " (44).

وجه الدلالة :

الأمشاج هو المزيج المختلط بين ماء الرجل وماء المرأة وهذا الخليط في الاستنساخ ينتهي بنزع النواة من البييضة ، فيكون خصائص الأنثى معدومة وهذا نوع من تغيير خلق الله(45).

3 – قوله تعالى : "وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى "(46).

4 – قوله تعالى : "فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق * يخرج من بين الصلب والترائب" (47).

وجه الدلالة :

أن الاستنساخ يتعارض مع النصوص الشرعية الدالة على طريق معهود للتكاثر عن طريق الزوجين بمائهما فقط(48).

5 – قوله تعالى : "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" (49).

وجه الدلالة :

أن الزواج هو أساس التكاثر في الشرع وهو سبيل إيجاد المودة والرحمة ، وفي الاستنساخ مساس بالعلاقة التي أوجدها الله في النكاح ليكون من آثاره حصول الأولاد وانتسابهم ، إضافة إلى أن الاستنساخ يخالف معنى التخليق الشرعي (من أنفسكم) لأن

الكائن الجديد لا يحمل صفات الأبوين معاً(50).

6 – قوله تعالى : "فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى" (51).

وجه الدلالة :

أن النسخ يصطدم بفكرة الموت وهو سبيل الخلود عند بعض الباحثين عنه ، والخلود من الأفكار الشيطانية وكل سبيل يؤدي إليه له حكمه(52).

7 – قوله تعالى : "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء" (53).

وجه الدلالة :

الآية تقرر أن بث الرجال والنساء وهم الذرية ناتج من الزوجين لقوله سبحانه : "وبث منهما" والقول بأن الإنجاب يصح من المرأة نفسها يعارض هذه الآية(54).

8 – حكاية الإجماع :

حيث انعقد إجماع الأمة سلفاً وخلفاً على المعاني المتصلة بطريقة التكاثر البشري من خلال الاتصال الجنسي بين الزوجين .

قال نور الدين الخادمي: "إن الإجماع لم يكن شرعياً فقط إن لم يصدر من علماء الشرعية ومجتهديها فحسب ، وإنما صدر من جهات فكرية وسياسية مختلفة وانعقد من قبل هيئات ومنابر ومؤسسات وهياكل متعددة التخصصات والفنون والمعارف والاهتمامات ، فقد كان إجماعاً شرعياً وعالمياً ،واتفاقاً عاماً على وجوب منع هذا النوع من الاستنساخ الخسيس ، ولزوم حظر تجاربه ومنجزاته "(55).

7 – قاعدة " سد الذرائع " وقواعد الشريعة الأخرى " الضرر يزال " و " كل ما أدى إلى الحرام فهو حرام "(56).

حيث أن الاستنساخ يؤدي إلى مفاسد كثيرة سبق بيانها ومن أعظمها علاقة المستنسخ بالأصل هل هي البنوة أم الأخوة وإذا كانت الأخوة هل سيكون مثل الأخ الشقيق أم كالأخ لأم ، وكذا البنوة هل يتساوى مع ابن الصلب مما يؤثر على قضية الميراث والولاية والمحرمية والوصية وأحكام عديدة .

إضافة إلى اختلال الناحية الأمنية إذا حصلت جريمة حيث تتشابه بصمات الأصابع وكذلك البصمة الوراثية وكذلك يضطرب أمر القضاء إذا تعدد الشهود المتشابهين تماماً وفي حالة النكاح لا تدري المرأة زوجها من شبيهه المستنسخ إذا كانوا متعددين وأمور عديدة تنتج من ا لاستنساخ .

قال ابن تيمية : " ليس كل سبب نال به الإنسان حاجته يكون مشروعاً ولا مباحاً وإنما يكون مشروعاً إذا غلبت مصلحته على مفسدته مما أذن فيه الشرع والمسلم يعلم أن الله لم يحرم شيئاً إلا ومفسدته محضة أو غالبة "(57).

ويظهر لي :

أن الأدلة التي ساقها الجمهور لتحريم الاستنساخ لا يخلوا من نظر ؛ لأن الشرع إذا أخبر عن طريق معهود للتكاثر لا يعني تحريم غيره فطفل الأنبوب جائز عند الجمهور رغم مجيئه بطريقة غير معهودة بل بتلقيح صناعي وليس هناك ثمة دليل يمنع إنجاب الولد بخلية جسدية إذا تعطلت الخلية المنوية .

لذا أرى أن التحريم للاستنساخ ليس في ذاته بل لغيره وذلك لما تجره من المفاسد الكثيرة للقاعدة الفقهية "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح " أما المصالح الفردية التي يمكن أن يستفاد منها فلا تعارض المصلحة العامة للبشر لكونها هي المقدمة عند التعارض للقاعدة الفقهية " يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام "(58).

ومع هذا فلا شك أن الأطباء سيمضون في تجاربهم لا سيما وأن بعض الدول كبريطانيا سمحت بإجراء هذه التجارب رسمياً ، ولعلهم ينجحون في تجاربهم في استنساخ البشر فإذا تم ذلك فيرى بعض الباحثين أنه لا مانع من إعطاء فرصة وحيز من الاجتهاد في إعادة النظر في حكم بعض الحالات الفردية كأخذ خلية جسدية من زوج عقيم لا يمكن الإنجاب إلا عن طريق الاستنساخ وتوضع في رحم زوجته أثناء قيام الزوجية والله أعلم.

(1) انظر : الاستنساخ قنبلة العصر لصبري الدمرداش ص 13 – 19 ، حول الهندسة الوراثية وعلم الاستنساخ لمحمد صالح المحب 143 – 180 ، عصر الهندسة الوراثية لعبد الباسط الجمل ص 11 – 99 ، ثبت علمياً حقائق طبية جديدة لموسى محمد ص 125 ، آيات الله المبصرة لتوفيق علوان ص 131.

(2) انظر : مادة (نسخ) : معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص 1026 ، المصباح المنير للفيومي ص 310 ، المعجم الوسيط ص 917 .

(3) انظر : ا لاستنساخ البشري لتوفيق علوان ص 13 .

(4) انظر : رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصرة بحث الاستنساخ لحسن الشاذلي 2 / 267 وبحث الاستنساخ البشري بين الإقدام والإحجام لأحمد رجائي الجندي 2 / 133 – 135 بحث الاستنساخ (الكلونة) لصديقة العوضي 2 / 165 – ضمن مطبوعات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية – .

(5) انظر : الاستنساخ البشري لفوزي محمد ص 130 .

(6) انظر : الاستنساخ البشري لفوزي محمد ص 144 ، اعطني طفلاً بأي ثمن لسمير عباس ص 303 ، آيات الله المبصرة لتوفيق علوان ص 146 .

(7) وقد تقدم أن الأطباء استطاعوا بفضل الله مساعدة زوجين في الإنجاب عن طريق خلايا مستديرة من أنسجة خصية الزوج وحقنها في بييضات الزوجة بواسطة الحقن المجهري وذلك لعدم وجود أي خلايا منوية لدى الزوج .

(8) انظر : أعطني طفلا بأي ثمن لسمير عباس ص 306 ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد العاشر 3 / 324 بحث الاستنساخ لصالح الكريم .

(9) انظر : الاستنساخ البشري لفوزي محمد ص186 – 194، أعطني طفلا بأي ثمن لسمير عباس ص 307.

(10) انظر : بين جنون البقر واستنساخ البشر للسيد وجيه ص 127 – 133 ، البيولوجيا ومصير الإنسان لسعيد الحفار ص 109 ، عصر الهندسة الوراثية لعبد الباسط الجمل ص 130 .

(11) سورة النحل : 93 .

(12) انظر : حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ لمحمد صالح ص 183 ، الاستنساخ قنبلة العصر لصبري الدمرداش ص 92 .

(13) انظر : قضايا طبية معاصرة 2 / 97 – 98 ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد العاشر 3 / 324 – 327 بحث الاستنساخ لصالح الكريم .

(14) سورة البقرة : 29 .

(15) سورة لقمان : 20 .

(16) سورة النحل : 5 .

(17) أخرجه الدارقطني 4 / 184 برقم 42 ، وحسنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص 275 .

(18) انظر : الضرر في الفقه الإسلامي لأحمد موافي 2 / 935 ، قاعدة اليقين لا يزول بالشك للباحسين 107، رفع الحرج في الشريعة الإسلامية لصالح بن حميد ص 107 بلفظ " الأصل في المنافع الإباحة " قواعد الفقه للبركتي ص 59 .

(19) انظر : الأشباه والنظائر لابن السبكي 1 / 41 ، المبادئ الفقهية لمحمد درويش ص 19 ، القواعد الكبرى للعجلان ص 90 الاستنساخ لنور الدين الخادمي ص 133 ويرى أن هذا النوع يمكن أن يكون مندوباً أو واجباً حسب الحاجة إليه .

(20) انظر : قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي ص 216 .

(21) انظر : قضايا طبية معاصرة 2 / 119 .

(22) أخرجه مسلم كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً برقم 2363 .

(23) انظر : قضايا طبية معاصرة 2 / 114 – 117 المناقشات الفقهية لموضوع الاستنساخ والرد لإبراهيم الكيلاني وزير الأوقاف السابق بالأردن .

(24) انظر : الاستنساخ لنور الدين الخادمي ص 147 ، الاستنساخ قنبلة العصر لصبري الدمرداش ص 79 ، الهندسة الوراثية والأخلاق لناهد البقمي ص 96 ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد العاشر 3 / 244 ، 283 بحث الاستنساخ البشرى لأحمد الجندي و الاستنساخ لصالح الكريم .

(25) انظر : الاستنساخ البشري لتوفيق محمد ص 29 .

(26) انظر : مجلة المجمع الفقهي العدد العاشر 3 / 242 – 243 بحث الاستنساخ البشري لأحمد الجندي .

(27) انظر : مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد العاشر 3 / 421 والطريقتين هي الاستنساخ الجنيني والاستنساخ الخلوي (الجسدي) .

(28) انظر : قضايا طبية معاصرة 2 / 173 ، والفقهاء الموافقون محمد الأشقر ومحمد شبير وعمر الأشقر وهمام سعيد وفضل عباس .

(29) انظر : الأشباه والنظائر لابن نجيم ص 87 ، شرح المجلة للباز ص 31 ، النظريات الفقهية للزحيلي ص 226 .

(30) انظر : دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة بحث عمليات التنسيل (الاستنساخ) وأحكامها الشرعية لعبد الناصر أبو البصل 2 / 657 .

(31) انظر : رؤية إسلامية لبعض المشكلات الطبية المعاصرة 2 / 509 – 510 .

(32) سورة مريم : 9 .

(33) سورة مريم : 67 .

(34) سورة يونس : 4 .

(35)انظر:الاستنساخ البشري بين القرآن والعلم الحديث لتوفيق علوان ص35–38،الاستنساخ البشري لفوزي محمد ص 214 ، موقع الإسلام على الإنترنت islamonline.net مقالة نحو اجتهاد لضبط قضية الاستنساخ .

(36) سورة الحج : 73 .

(37) سورة الطارق :5–8 .

(38) انظر : القرار المكين لمأمون شقفة ص 34 ويبدو لي أن البار تكلف في تفسير الآية علمياً حين ذكر أن التغذية الحاصلة للخصية والمبيض بالدماء والأعصاب واللمف تبقى من حيث أصلها أي من بين الصلب والترائب لذا فتكون المني في الخصية نسب للصلب باعتبار أنه استقى مواد التكوين من العروق والأعصاب المتدلية من الظهر وكذلك الشأن بالنسبة للمرأة وهذا خلاف الظاهر والله أعلم انظر كتابه خلق الإنسان ص 116 .

(39) انظر : مجلة مجمع الفقه الإسلامي – المناقشات الفقهية – العدد العاشر 3 / 392 ، 412 ، 371 ، جريدة المسلمون العدد 647 في 27 يونيو 1997م .

(40) انظر : قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي ص 216 ، قضايا طبية معاصرة 2 / 157 .

(41) انظر : مجلة مجمع الفقه الإسلامي – المناقشات الفقهية – العدد العاشر 3 / 368 ، 373 ولاحظ أن هذه المناقشات كانت عام 1418هـ / 1997م .

(42) انظر : أعطني طفلا بأي ثمن لسمير عباس ص 308 ، مجلة مجمع الفقه الإسلامي العدد العاشر 3 / 220 – 226 ، جريدة الشرق الأوسط مقال الاستنساخ البشري بين الحرمة والإباحة لعبد الهادي الحكيم بتاريخ 23 / 6 / 2001م .

(43) سورة الروم : 22 .

(44) سورة الإنسان : 2 .

(45) انظر : قضايا طبية معاصرة 2 / 137 ، المناقشات الفقهية – والاستدلال لإبراهيم الكيلاني .

(46) سورة النجم : 45 .

(47) سورة الطارق : 5 – 7 .

(48) انظر : قضايا طبية معاصرة 2 / 128 – المناقشات الفقهية – .

(49) سورة الروم : 21 .

(50) انظر : الأحكام الطبية المستجدة لمحمد النتشة 1 / 247 ، قضايا طبية معاصرة 2 / 131 – المناقشات الفقهية – .

(51) سورة طه : 120 .

(52) المصدر السابق .

(53) سورة النساء : 1 .

(54) انظر : دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة بحث عمليات التنسيل (الاستنساخ) وأحكامها الشرعية لعبد الناصر أبو البصل 2 / 678 .

(55) انظر : الاستنساخ لنور الدين الخادمي ص 84 – 85 وهذا الإجماع الذي حكاه غريب جداً ، وأعجب منه أن يدعي أنه على مستوى جميع التخصصات والفنون وهناك عدد كبير من الأطباء المسلمين وغيرهم يرحبون بهذا النوع ويؤيدونه ومن المؤيدين من الغرب الباحث فليتشر من جامعة فرجينا وادوارد من جامعة كامبردج – وهو أول من أجرى عمليات طفل الأنبوب – والباحث فيشل من إنجلترا وسيدل من جامعة كولورادو والباحث الشهير دات من كندا ودواكن من أكسفورد وديش من بريطانيا وهولمان وفليك ودوكاس من أمريكا ، انظر : الاستنساخ البشري بين التحليل والتحريم لفوزي محمد ص 248 – 249 .

(56) انظر هذه القواعد : النظريات الفقهية لمحمد الزحيلي ص 223 ، الوجيز للبورنو ص 201 ، روضة الفوائد لمصطفى مخدوم ص 51 ، قواعد الأحكام للعز

بن عبد السلام 2 / 328 ، مجلة المجمع الفقهي العدد العاشر 3 / 378 المناقشات الفقهية .

(57) انظر : طريق الوصول إلى العلم المأمول جمع عبد الرحمن السعدي ص 203 .

(58) انظر القاعدة : الأشباه والنظائر لابن نجيم ص 87 ، شرح المجلة للباز ص 31 القاعدة 26، الضرر في الشريعة الإسلامية لأحمد موافي 2 / 944 ، النظريات الفقهية للزحيلي ص 226 .

==============

العولمة وأثرها على الهوية[2/1]

د. خالد بن عبد الله القاسم 1427/5/2

2006/05/29

- تعريف العولمة
- تعريف الهوية وأهميتها
- الآثار السلبية للعولمة على الهوية

* تعريف العولمة

العولمة كظاهرة بدأ انطلاقها في بداية هذا القرن الهجري في الثمانينات الميلادي وهي مرتبطة بثلاث أحداث كبرى سياسية،وتقنية، واقتصادية.

1- السياسية: حيث انتهاء المواجهة بين الشرق والغرب، وانهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك المعسكر الشرقي.

2- التقنية: وهي الثورة المعلوماتية، حيث شهدت هذه الفترة طفرة تقنية هائلة في مجال الاتصالات الإلكترونية وانتقال المعلومات، حيث ساهمت مساهمة فعالة في حدوث العولمة. .

3- الاقتصادية: وظهور منظمة التجارة العالمية عام 1995م، ومقرها جنيف لتخلف الاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية (الجات) وكتتويج لانتشار مذهب التبادل الحر واقتصاد السوق الذي بات أيديولوجية تسيطر على العالم شرقه وغربه، وهو ما وافق

عليه قادة العالم عام 1998م، أثناء مشاركتهم في الاحتفال بمرور 50 عاماً على الجات(1)، وظهور الشركات متعددة الجنسيات.

لم توجد العولمة في السابق مع سيطرة أمم عسكرياً واقتصادياً كالحضارة اليونانية والرومانية والإسلامية وبريطانيا ولكن في الوقت الحاضر اجتمع سيطرة القطب الواحد مع التقدم المذهل في الاتصالات والمواصلات ..

تختلف تعاريف العولمة بين المفكرين حيث يركز كثير من الكتاب على الجانب الاقتصادي وينبه على خطورتها من هذا الجانب بزيادة الفقر وتكدس الأموال وخدمة الشركات الكبيرة واضمحلال الصغرى أو إيجابيتها من انفتاح الأسواق وزوال الحواجز عن الأيدي العاملة، ومنهم من يبشر بها باعتبارها تحرر من الدول المغلقة وانطلاق نحو العالمية والتقدم.

ومنهم من يركز على الجانب الثقافي وأضراره، ومنهم من يأخذها بمفهومها الشامل، وهذا الاختلاف بسبب ذكر كل واحد جانباً من الموضوع وهو يذكرنا بمثل الذين دخلوا على الفيل في غرفة مظلمة فكل منهم عرفه بما لمسه منه.

ومع اختلاف تعريفات العولمة إلا أنها تأخذ عدة ظواهر:

- التقدم الهائل في وسائل الاتصال، لا سيما ظهور الإنترنت والقنوات الفضائية.
- هيمنة الغرب لا سيما أمريكا وسقوط المعسكر الشرقي، وتأخذ هذه الهيمنة أبعاداً عسكرية واقتصادية وثقافية وسياسية.
- بروز المؤتمرات المؤسسات الدولية والشركات متعددة الجنسيات.

وهذه التعريفات تتباين في درجة قبولها وخطورتها، حيث نجد أن أكثر المفكرين المسلمين ينبه على خطورتها مع التركيز على الاقتصادي كما فعل د. سعد البازعي حيث يقول: "العولمة هي الاستعمار بثوب جديد، ثوب تشكله المصالح الاقتصادية ويحمل قيماً تدعم انتشار تلك المصالح وترسخها، إنها الاستعمار بلا هيمنة سياسية مباشرة أو مخالب عسكرية واضحة. إنها بكل بساطة عملية يدفعها الجشع الإنساني للهيمنة على الاقتصادات المحلية والأسواق وربطها بأنظمة أكبر والحصول على أكبر قدر من المستهلكين، وإذا كان البحث عن الأسواق والسعي للتسويق مطلباً إنسانياً قديماً وحيوياً ومشروعاً، فإن ما يحدث هنا يختلف في أنه بحث يمارس

منافسة غير متكافئة وربما غير شريفة من ناحية ويؤدي من ناحية أخرى إلى إضعاف كل ما قد يقف في طريقه من قيم وممارسات اقتصادية وثقافية"(2).

بينما يركز آخرين على الجانب الثقافي وربما سموها اختراقاً كما فعل الدكتور محمد عابد الجابري حيث قال: "أن العولمة تعني: نفي الآخر، وإحلال الاختراق الثقافي .. والهيمنة، وفرض نمط واحد للاستهلاك والسلوك"(3). أو فرض النموذج كما يصفها الدكتور محمد سمير المنير حيث يقول: "فالغرب يريد فرض نموذجه وثقافته وسلوكياته وقيمه وأنماطه واستهلاكه على الآخرين، وإذا كان الفرنسيون يرون في العولمة صيغة مهذبة للأمركة التي تتجلى في ثلاثة رموز هو سيادة اللغة الإنجليزية كلغة التقدم والاتجاه نحو العالمية، وسيطرة سينما هوليود وثقافتها الضحلة وإمكاناتها الضخمة، ومشروب الكوكاكولا وشطائر البرجر والكنتاكي .. "(4). أو غزو شامل كما اعتبرها أسعد السحمراني حيث قال: إن العولمة/الأمركة غزو ثقافي اجتماعي اقتصادي سياسي يستهدف الدين والقيم والفضائل والهوية، كل ذلك يعملون له باسم العولمة وحقوق الإنسان(5).

والتصريح بأنها أمركة تصريح صحيح باعتبارها المؤثر الأقوى وقد أكد على أن جوهر العولمة هو النمط الأمريكي، الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش، حين قال في مناخ الاحتفال بالنصر في حرب الخليج الثانية: إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية، وأنماط العيش والسلوك الأمريكي(6).

وربما تكون صهينة لا سيما واستثمار اليهود الذين يقودون الغرب وأمريكا تحديداً للعولمة للسيطرة على العالم من الاستعمار إلى الاستحمار (ركوب الأمم واستغلالها دون القضاء عليها) (7).

بينما نجد البعض يجعلها مجرد انتماء عالمياً، كما عرفها الدكتور صبري عبدالله حيث قال: "بأنها ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيه للعالم كله، عبر الحدود السياسية للدول"(8).

بل إن البعض يجعل العولمة الثقافية مجرد خدعة لإلهاء الشعوب عن الغزو والمصالح الاقتصادية، حيث يقول حسن حنفي "يتم تصدير صراعات الحضارات للنطق بما كان مسكوتاً عنه سلفاً ولتحويل العالم إلى دوائر حضارية متجاورة،

ومتصارعة على مستوى الثقافات لإخفاء الصراع حول المصالح والثروات، وإلهاء الشعوب الهامشية بثقافاتها التقليدية، بينما حضارات المركز تجمع الأسواق، وتتنافس في فائض النتاج عوداً إلى النغمة القديمة، مادية الغرب وروحانية الشرق، الحضارة اليهودية المسيحية، في مواجهة الحضارة الإسلامية البوذية الكنفوشوسية"(9).

ونجد سمير الطرابلسي ينبه إلى خطورة العولمة التي تشكلها الولايات المتحدة بجميع جوانبها المهمة حيث يعرفها بأنها الرؤية الاستراتيجية لقوى الرأسمالية العالمية، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، والرامية إلى إعادة تشكيل العالم وفق مصالحها، وأطماعها، سائرة نحو ذلك الهدف على ثلاثة مسارات متوازية: الأول: اقتصادي وغايته ضغط العالم في سوق رأسمالية واحدة، يحكمها نظام اقتصادي واحد، وتوجه القوى الرأسمالية العالمية (الدول الصناعية السبع والشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات الاقتصادية العالمية، صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، ومنظمة التجارة العالمية) وتضبط حركته قوانين السوق وآلياته. والثاني: سياسي ويهدف إلى إعادة بناء هيكليات أقطار العالم السياسية في صيغ تكرس الشرذمة والتشتت الإنسانيين، وتفكك الأوطان والقوميات إلى كيانات هزيلة قائمة على نزعات قبلية عرقية أو دينية طائفية أو لغوية ثقافية، بغية سلب أمم العالم وشعوبها القدرة على مواجهة الزحف المدمر للرأسمالية العالمية والتي لا تستقر إلا بالتشتت الإنساني. وأخيراً المسار الثقافي الذي يهدف إلى تقويض البنى الثقافية والحضارية لأمم العالم، بغية اكتساح العالم بثقافة السوق التي تتوجه إلى الحواس والغرائز، وتشل العقل والإرادة، وتشيع الإحباط والخضوع، وتشهد منطقتنا العربية ترجمة لهذه التوجهات من خلال مشاريع الشرق أوسطية والمتوسطية(10).

وفي تقديري أن هذا أفضل تعريفات العولمة التي وقفت عليها، وبالإمكان القول أن العولمة:- وصف لظواهر متعددة يجمعها جعل العالم متقارباً مثل التقدم المذهل في وسائل الاتصال والمواصلات والفضائيات والإنترنت، والانفتاح المعلوماتي، مع سلطة القطب الواحد (أمريكا بقيادة صهيونية) الذي يسعى لعولمة اقتصادية وعسكرية تحقق مصالحه كما يسعى لعولمة ثقافية بفرض قيمه وثقافته (وهذه النقطة هي ما تعنينا) حول عولمة الثقافة المهدرة للهوية.

العولمة نموذج من مخططات الاستعمار التي نبه عنها وكتب فيها، الأمير شكيب أرسلان رحمه الله، وهذا قبل ظهور مصطلح العولمة، وقد كتب يقول: غوليامو فرير الفيلسوف الكاتب الإيطالي الشهير في علم الاجتماع والتاريخ لا في إيطاليا فحسب بل في أوروبا بأجمعها، وإذا كتب كتاباً أو نشر مقالة تجاوبت لها أصداء الشرق والغرب وتركت دوياً. نشر الفيلسوف المؤرخ المشار إليه كتاباً أخيراً باسم "وحدة العالم" لا يزيد على مئات معدودات من الصفحات طاف فيه على جميع الحوادث الجارية على سطح الكرة الأرضية، ودقق في مصادرها وأسبابها، فذهب إلى أنها مع تناقضها وتصادمها بعضها ببعض سائرة في الحقيقة على نظام ثابت مستقيم، ووصل إلى هذه النتيجة وهي:

أن مشروع الفتح والامتداد الذي يتابعه العالم المتمدن "أي الأوروبي" منذ أربعة قرون، والذي بدأ بطيئاً وانقلب سريعاً في آخر الأيام، يظهر للمتأمل أنه آيل إلى "توحيد العالم الإنساني" ولم يكن هذا "التوحيد" ليتم بدون جهد وبدون بلاء، لأن البشر خلقوا أطواراً، وبينهم من التدابر والتقابل ما يؤذن بالأخذ والرد والعكس والطرد، وهناك أسباب عديدة للحب والبغض والقرب والبعد، مع هذا كله تجد العالم سائراً إلى الوحدة، فإذا نظرنا إلى كيفية النظام السائد الآيل إلى هذه الوحدة وجدناها: بالإنجيل، وبالسيف، وبالإفناء، وبتبادل المساعدات، وبتبادل طلقات المدافع ....

ثم يقول: هذه خلاصة نظريات الفيلسوف الإيطالي فريرو، وظاهر أنه يقصد بالإنجيل "الثقافة الغربية" التي هي وحدها تمشي في آسيا وأفريقيا وفي يدها الواحدة "السيف" وفي الأخرى "ضماد للجرح"، وهي وحدها تفتنُّ في رق استئصال البشرية، وفي طرق توفير صحة البشر، تجمع في وقت واحد بين الضدين، وهي التي بين يديها الجندي من جهة، والقسيس من جهة أخرى(11).

وبعد هذه الجولة في ماهية العولمة وحدودها لا سيما الثقافية؛ نسأل: هل العولمة أمر حتمي؟ فالجواب: نعم ولا، نعم باعتبار ما وصلنا إليه، ولا باعتبار إمكانية مقاومتها والحد من آثارها السلبية، وهذا ما سنتناوله في الفصل الثالث.

* تعريف الهوية وأهميتها

ما هي الهوية: الهوية مأخوذة من "هُوَ .. هُوَ" بمعنى أنها جوهر الشيء، وحقيقته، لذا نجد أن الجرجاني في كتابه الذائع الصيت "التعريفات" يقول عنها: بأنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب(12).

فهوية الإنسان .. أو الثقافة .. أو الحضارة، هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء –إنساناً أو ثقافة أو حضارة– الثوابت والمتغيرات .. فإن هوية الشيء هي ثوابته، التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها، طالما بقيت الذات على قيد الحياة(13).

"إن هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها من باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية"(14).

والهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى(15).

اللغة هي التي تلي الدين، كعامل مميز لشعب ثقافة ما عن شعب ثقافة أخرى(16).

ثم يأتي التاريخ وعناصر الثقافة المختلفة في صنع الهوية.

وأهم عناصر الهوية الدين حيث في الحروب تذوب الهويات متعددة العناصر، وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي السائدة، وغالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين(17).

وبالنسبة لمن يواجهون احتياجاً لتحديد "من أنا؟"، "ولمن أنتمي؟"، يقدم الدين إجابات قوية، وتوفر الجماعات الدينية مجتمعات صغيرة عوضاً عن تلك التي فقدت أثناء عملية التمدين.

والهوية في غاية الأهمية ومنها تنطلق المصالح حيث الناس لا يمكنهم أن يفكروا أو يتصرفوا بعقل في متابعة مصالحهم الخاصة إلا إذا عرفوا أنفسهم، فسياسة المصالح تفترض وجود الهوية.

وإذا كانت هذه هي الهوية وهذه أهميتها لكل أحد فإن الهوية عند المسلمين أكثر أهمية، والإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته ولغته هو هوية مشتركة لكل مسلم، كما أن اللغة التي نتكلم بها ليست مجرد أداة تعبير ووسيلة تخاطب، وإنما هي: الفكر والذات والعنوان، بل ولها قداسة المقدس، التي أصبحت لسانه بعد أن

نزل بها نبأ السماء العظيم، كما أن العقيدة التي نتدين بها ليست مجرد أيديولوجية وإنما هي: العلم الكلي والشامل والمحيط، ووحي السماء، والميزان المستقيم، والحق المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي منظومة القيم التي تمثل مرجعيتنا في السلوك، فهي ليست نسبية ولا مرحلية(18).

وقد أدرك الأعداء ذلك حيث أن الصليبية والشيوعية والصهيونية اليوم ترى أن استعادة المسلمين لهويتهم الإسلامية وانتمائهم القرآني هو أكبر الأخطار، ومن ثم فإن كل قوى التغريب والغزو الثقافي ستطلق في هذا الاتجاه، ويقوم الاستشراق والتنصير بدور كبير(19).

كما أن الغرب أحرص ما يكون على هوياتهم، وعلى ذوبان المسلمين المهاجرين في مجتمعاتهم، بل إن هناك مؤسسات ووزارات خاصة للاندماج وتذويب الهويات.

وأوروبا ترفض تركيا بسبب الهوية ليس إلا، وكما قال الرئيس أوزال في سنة 1992م: سجل تركيا بالنسبة لحقوق الإنسان سبب ملفق لعدم قبول طلب انضمامها إلى الاتحاد الأوروبي، السبب الرئيسي هو أننا مسلمون وهم مسيحيون(20).

فالقوى الأوروبية يظهرون صراحة أنهم لا يريدون دولة إسلامية (تركيا) في الاتحاد الأوروبي، ولا يسعدهم أن تكون دولة إسلامية أخرى (البوسنة) أنها حرب هويات كما يقول هنتجنتون حيث نجد تركيا تعيد تأكيد دورها كحامية للبلقان وتدعم البوسنة، في يوغوسلافيا السابقة، وروسيا تساند الصرب الأرثوذوكسية، وألمانيا تساعد كرواتيا الكاثوليكية، والدول الإسلامية تهرع لمساعدة الحكومة البوسنية، والصرب يحاربون الكروات ومسلمي البوسنة ومسلمي ألبانيا(21).

* الآثار السلبية للعولمة على الهوية

انطلاقاً من الفصل الأول من أن العولمة وصف لظواهر متعددة كالتقدم المذهل في وسائل الاتصال والانفتاح المعلوماتي وذهاب الحواجز بين الدول مع سلطة القطب الواحد الذي يسعى للهيمنة الاقتصادية والعسكرية والثقافية والسياسية.

وهذا ما حدا بالبعض إلى أن يسميها الأمركة، وللأسف إن أمريكا لا تهدف إلى تطبيق قيمها فحسب، بل إنها تنطلق من مصالحها الذرائعية المجردة من المبادئ

والتي تكيل بمكيالين والتي تشكل خطورة عظيمة على القيم والأخلاق والهويات لا سيما الإسلامية.

وهذه أمثلة:

يحرم الشيشان من الإنفصال عن روسيا .. ويجبر أهل تيمور على الانفصال من اندونيسيا بتدخل من استراليا ودعم من الغرب ..

وكذلك تنفصل تماماً دول البلطيق وجورجيا من روسيا بينما الدول الإسلامية فاستقلاها غير كامل.

ودية الأفغاني الذين قتلوا في عرس 200 دولار وقد اعترفت أمريكا بالخطأ بينما من قتل في لوكربي 10.000.000 دولار أي 50.000 ضعف.

العولمة أن تُهاجَم دولة ذات سيادة حتى دون إذن من الأمم المتحدة لشبهة أسلحة الدمار الشامل، وتُترَك دولة قريبة منها تمتلك أسلحة دمار شامل وتحتل أرض غيرها مخالفة لقرارات الأمم المتحدة ..

أمريكا تمارس دوراً منفرداً حيث تدعم إسرائيل، وترفع الفيتو بعد الآخر لتتمكن من العدوان، وتعتدي على العراق بحجج واهية وحتى دون موافقة مجلس الأمن التي لها أكبر نفوذ فيه، وتأخذ المعتقلين من أفغانستان إلى قوانتنامو دون محاكمة عادلة، وتحارب الجمعيات الإسلامية وترهبها وتجمد أموال من تريد منها دون أدلة ..

المنظمات الفلسطينية المقاومة للاحتلال ارهابية، والمحتل مدافع عن نفسه، والجماعات الإسلامية في أفغانستان المقاومة للاحتلال الأمريكي وحكومته ارهابية، بينما نفس الوضع كان إبان الاحتلال السوفيتي ولكن تلك الجماعات كانت مقاومة مشروعة مدعومة، مما يعني وجود اختلال حاد في موازين العالم تحت إمرة الحضارة الغربية الصليبية الصهيونية.

وهذا صمويل هنتجنتون في صدام الحضارات والذي يدعو للتعصب للحضارة الغربية ومحاربة ما عداها لا سيما الإسلامي، وهو في كتابه مرة بعد مرة يمارس تحريضاً على الإسلام وتخويف الأوروبيين منه، للإنضواء تحت أمريكا والغرب وإشعال فتيل التعصب الديني.

وهذا ما حدا بتوم فريدمان للقول: نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة، والولايات المتحدة قوة مجنونة، نحن قوة ثورية خطرة، وأولئك الذين يخشوننا على حق(22).

وفي آخر سنة 2003م كانت استطلاعات الرأي في أوروبا أن أمريكا ثم إسرائيل تمثل أكبر خطورة على السلام العالمي.

فالعولمة هجمة صهيونية شرسة لا تتقيد بالمبادئ، وفي أحسن أحوالها أمركة وتغريب ما لم نقم بدور فعال لتخفيف آثارها والتأثير فيها، وهي حتى لكثير من الغربيين ليست خير للعالم حتى في الجانب الاقتصادي الذي يبشر به البعض، حيث نجد أن هانس بيتر مارتين في كتابه الشهير (فخ العولمة) والذي ركز على العولمة الاقتصادية، يؤكد أن العولمة فخ كبير مليء بالأكاذيب وهي في النهاية تزيد الفقراء، ونجد في الفصل الخامس من الكتاب على سبيل المثال عنوان (أكاذيب ترضي الضمير: أسطورة الميزة على استقطاب الاستثمارات وخرافة العولمة العادلة) (23) كما أن الشعوب حتى الغربية تخرج في مظاهرات شعبية عارمة معارضة لكل مؤتمرات العولمة لما يرونه من إضرار بهم.

ونجد أن الغرب لا يسعى لنشر قيمه الاجتماعية فحسب رغم عدم الاقتناع الواسع بها كقيم، بل إنه يفرضها عبر المؤتمرات الدولية والضغط على الدول التي لا تستجيب، حيث توالت مؤتمرات المنظمات الدولية بهذا الخصوص، مثل مؤتمر نيروبي عام 1985م، مؤتمر القاهرة عام 1994م، ومؤتمر بكين عام 1995م، ومؤتمر اسطنبول عام 1996م، ثم مؤتمر نيويورك عام 1999م، ثم مؤتمر بكين، ثم نيويورك أيضاً عام 2000م، ومحور هذه المؤتمرات يدور حول الأسرة والمرأة والطفل، مركزاً على الحقوق الجنسية، والحق في الإنجاب والإجهاض، والشذوذ، وقضية المساواة بين الرجال والنساء، والمساواة في الميراث .. إلخ، وكل هذا من منظور الثقافة الغربية العلمانية المادية الإباحية(24) التي تبيح الزنى واللواط وتمنع تعدد الزوجات.

وفي الفصل السابع من وثيقة مؤتمر السكان يتحدث عن هذه الإباحية الجنسية، فيقول: إنها حالة الرفاهية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة، المنطوية على أن يكون الأفراد (لاحظ تعبير الأفراد) من جميع الأعمار أزواجاً وأفراداً (كذا) فتياناً

وفتيات، مراهقين ومراهقات، قادرين على التمتع بحياة جنسية مرضية ومأمونة (لاحظ عدم اشتراط الحلال والشرعية) هي كالغذاء، حق للجميع، ينبغي أن تسعى جميع البلدان لتوفيره في أسرع وقت ممكن، في موعد لا تجاوز عام 2015م. أي أنه أكثر من مباح، فالسعي لتحقيقه بجميع البلدان في أسرع وقت ممكن، وقبل سنة 2015م، واجب على جميع البلدان بل ولا تكتفي هذه الوثيقة بذلك، وإنما تتجاوز إباحة هذه الإباحية إلى حيث تدعو للتدريب والترويج والتعزيز لهذا السلوك الجنسي المأمون والمسئول(25).

بل ونجد ممارسات منفردة، حيث نجد أن أمريكا تضغط تارة باسم حقوق الإنسان (والتي أهدرته في أبو غريب وجوانتامو ومذابح أفغانستان وقصف الفلوجة) وتارة باسم الديمقراطية والحرية لتمرير ما تريد على دول العالم التي لا توافقها.

بينما الحرية والديمقراطية الغربية والقانون الدستوري جعل الغرب يسقط نتائج الانتخابات في تركيا والجزائر ونيجيريا (مشهود أبيولا) لأن الناجحين إسلاميين!!

للأسف أن الغرب حريص على فرض قيمه الاجتماعية والثقافية وعولمتها والتي تمثل أسوأ ما عنده بينما لا يسعى إلى عولمة العلم والتقدم حيث يجب الاحتفاظ به.

إن مما يزيد خطورة العولمة ضعف العالم الإسلامي وهزيمته أمام الغرب وهذا ما يزيد اختراق العولمة الثقافية للهوية، كما قال ابن خلدون "المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر أحواله وعوائده"(26).

فضلاً أن العولمة تحمل فكرة استبداد القوي الذي يسخر إرادات الشعوب الضعيفة لصالحه، وتكمن في فكرة سيطرة المهيمن على الاقتصاد العالمي والقوة العسكرية والإدارة السياسية على شعوب العالم الفقيرة، بل والسعي لإفقار ما ليست فقيرة، وتكمن كذلك في فكرة الإذابة التي يقوى عليها من يمتلك أدوات الاتصال والتحكم بها، وبالمعلومات وبإنتاجها، وتدفقها دونما مراعاة لثقافات الشعوب وحاجاتها وخصوصياتها وإمكاناتها(27).

كما أن مما يزيد خطورة العولمة ذراعها الإعلامي الخاضع للسيطرة الصهيونية والتي تمسك بخيوطها، تسير هذه القوة في السيطرة مع القوة الغاشمة العسكرية في فرض العولمة على الآخرين، فوظيفة المنظومة الإعلامية هي أن تتسلى وتتلهى وتعلم

وترسخ القيم والمفاهيم والمعتقدات وأنماط السلوك الأمريكي على الآخرين، كما يرى أحد الخبراء الأمريكين، ولتحقيق ذلك صارت ميزانية الإعلام موازية تماماً لميزانية الدفاع في بعض الدول، فإحصاءات عام 1986م تقول إنه بلغ رقم اقتصاد الإعلام في الغرب والاتصالات مبلغ (1175) بليون دولار تقريباً منها (505) بلايين للولايات المتحدة الأمريكية، و (267) بليوناً للجماعة الأوروبية، و (253) بليوناً لليابان، و (150) بليوناً فقط للآخرين في العالم .. هذه الميزانيات الضخمة للإعلام في الشمال جعلته يتحكم بقوة في الإعلام المتدفق، في اتجاه الجنوب الأمر الذي أحدث خللاً في المنظومة الإعلامية، وقد فشلت جميع الجهود والمبادرات التي بذلت في إطار الأمم المتحدة لوضع أسس لقيام نظام إعلامي جديد يحقق التوازن بين الشمال والجنوب(28).

وهناك الدراسات الكثيرة التي تبين معاناة شعوب شرقية (ليست إسلامية) وسائرة في الفلك الغربي كاليابان وكوريا الجنوبية من العولمة ومن الدراسات الميدانية التي تمت لمعرفة تأثير المواد التلفزيونية الأمريكية على الشباب الكوري الجنوبي قام بها Kang & Morgan ومن نتائج هذه الدراسة أن هذه المواد أدت إلى تأثير بالغ على القيم التقليدية الكورية، فأصبحت الفتيات الكوريات أكثر تحرراً من القيم الأسرية والأخلاقية، ويعتقدن أنه لا حرج من الممارسة الجنسية خارج الزواج، وأن ذلك من قبيل الحرية الجنسية، وأصبحن يرتدين الملابس الأمريكية، ويحتقرن العقيدة الكونفوشيوسية(29).

كما أننا نجد دولاً كالفلبين وهي دولة تصنف أنها نصرانية سائرة في الفلك الأمريكي حيث نجد في دراسة أجريت على (255) طالباً فلبينياً وجد أن التعرض للمواد التلفزيونية الأمريكية قد ارتبط إيجابياً بتأكيد هؤلاء الطلاب على قيمتي: "المنفعة والمادية"، باعتبارهما القيمتين الأكثر أهمية في حياتهم، في حين تدنت لديهم قيم فلبينية أصيلة مثل: الصفح، والتسامح، والتضحية، والحكمة(30).

وإذا كانت بعض دول الغرب نفسه أو من هو قريب منها يشكو من عولمة الثقافة على الهوية، حيث نجد أن فرنسا مع أنها غربية نصرانية، ولكن بسبب اختلاف اللغة فإنها أكثر الدول الغربية تشكو من عولمة الثقافة ومن هيمنة اللغة الإنجليزية،

والخوف على الهوية الفرنسية ولذلك لجأ الفرنسيون إلى وضع الثقافة في خانة الاستثناء، لأنهم تنبهوا إلى أن قوة الإنتاج الثقافي الأمريكي تؤدي إلى التغيير التدريجي في معايير السلوك وأنماط الحياة(31).

بل أن هناك دراسة في استراليا وهي بلد غربي نصراني يتحدث الإنجليزية أي مشارك للولايات المتحدة في الهوية تقريباً يشكو من مواد التلفزة الأمريكية على الأطفال، لأنها تؤدي إلى فقدان الانتماء وإلى أزمة أخلاقية وغربة ثقافية(32)، وكذلك كندا حيث عبرت وزيرة الثقافة الكندية شيلا كوبي عن انزعاجها من الهيمنة الثقافية الأمريكية، وتداخلها قائلة: من حق الأطفال في كندا أن يستمتعوا بحكايات جداتهم، ومن غير المعقول والمقبول أن تصبح (60%) من برامج التلفزيون الكندي مستوردة، وأن يكون (70%) من موسيقانا أجنبية، وأن يكون (95%) من أخلاقنا ليست أمريكية(33).

وهذه الأمثال توفرها مئات الدراسات في أنحاء العالم من خوف المثقفين على هوية شعوبهم من العولمة الأمريكية، ألا يحق لنا كمسلمين ونحن نحمل أعظم عقيدة وخير لسان نزل به القرآن، وأعظم تاريخ بالإضافة إلى القيم الحضارية العالية أن نخشى على تلك الجواهر من أثر العولمة على الهوية إن أخطر ما تحمله العولمة تهديدها لأصل العقيدة الإسلامية، لما تدعو له من وحدة الأديان، وهي دعوة تنقض عقيدة الإسلام من أساسها، وتهدمها من أصلها،لأن دين الإسلام قائم على حقيقة أنه الرسالة الخاتمة من الله تعالى للبشرية، الناسخة لكل الأديان السابقة التي نزلت من السماء، ثم أصابها التحريف والتغيير، ودخل على أتباعها الانحراف العقائدي. "كما أن العولمة تسعى لإعادة تشكيل المفاهيم الأساسية عن الكون والإنسان والحياة عند المسلمين، والاستعاضة عنها بالمفاهيم التي يروج لها الغرب ثقافياً وفكرياً، فالكون في نظر العولمة الثقافية والفكرية لم يخلق تسخيراً للإنسان، ليكون ميدان امتحان للناس لابتلائهم أيهم أحسن عملاً!!، والإنسان لم يخلق لهدف عبادة الله تعالى !! وهذه المفاهيم الأساسية للعقيدة الإسلامية، ليست في نظر العولمة الفكرية والثقافية سوى خرافة"(34).

إن هذا العالم المادي لا يعرف المقدسات أو المطلقات أو الغائيات، وهدف الإنسان من الكون هو عملية التراكم والتحكم هذه، التي ستؤدي في نهاية الأمر إلى السيطرة على الأرض وهزيمة الطبيعة(35).

إن المنظومة المعرفية الغربية المادية الحديثة بدأت بإعلان موت الإله باسم مركزية الإنسان، وانتهت بإعلان موت الإنسان باسم الطبيعة، والحقيقة المادية، وهذه هي الواحدية المادية: أن تصبح كل المخلوقات خاضعة تماماً لنفس القانون المادي الصارم وأن يسود منطق الأشياء على الأشياء وعلى الإنسان، وهذا هو حجر الزاوية في المشروع المعرفي الغربي، ثمة قانون واحد وثقافة واحدة وإنسانية واحدة تكتسب وحدتها من كونها جزءاً من النظام الطبيعي، ولذا فإن ثمة نموذجاً واحداً للتطور، ويلاحظ أن حركة البناء الفكري المادي تتجه دائماً نحو تصفية الثنائيات التي نجمت عن الثنائية الدينية (الخالق / المخلوق) وعن الثنائية الهيومانية (الإنسان / الطبيعة) (36).

وإذا انتقلنا من العقائد التي هي أصل الهوية إلى اللسان واللغة التي هي أداة التفاهم والتواصل، وهي وعاء الفكر وقالبه الحي، وما نراه اليوم من طغيان الثقافة الغربية، حيث تشكل اللغة نسبة عالية من الإسهام في نقلها، ولا أدل على ذلك من أن (88%) من معطيات الأنترنت باللغة الإنجليزية، و(9%) بالألمانية، و(2%) بالفرنسية، و(1%) يوزع على باقي اللغات(37).

ويبين هنتجنتون في كتابه صدام الحضارات أهمية اللغة في الصراع حيث أن توزع اللغات في العالم عبر التاريخ يعكس توزع القوة العالمية فاللغات الأوسع انتشاراً: الإنجليزية، الماندارين، الأسبانية، الفرنسية، العربية، الروسية. إما أنها أو كانت لغات دول إمبراطورية جعلت شعوباً أخرى تستخدم لغتها. كما أن التحولات في توزع القوة، تؤدي إلى تحولات في استخدام اللغات، حيث قرنان من القوة البريطانية والأمريكية الاستعمارية والتجارية والصناعية والعلمية والمالية، تركا ميراثاً ضخماً في التعليم العالي والتجارة والتقنية في أنحاء العالم(38).

أن إحصاءات منظمة اليونسكو عن الوطن العربي تشير إلى أن شبكات التلفزيون العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث كما في سوريا ومصر، ونصف هذا

الإجمالي كما في تونس والجزائر، أما في لبنان فإن البرامج الأجنبية تزيد على نصف إجمالي المواد المبثة إذ تبلغ (58.2%)(39). ومعلوم أثر هذه البرامج على العقائد والقيم والأخلاق والعادات واللغة.

أما إذا انتقلنا إلى السلوك والأخلاق فإن المبادئ الأخلاقية التي تتهاوى في الغرب يوماً بعد يوم حيث سيادة المصالح والمنفعة واللذة و تعظيم الإنتاج والاستهلاك.

هذه الحضارة ابتداءً من حربيها العالميتين (أي الغربيتين) وانتهاءً بمشاكلها المتنوعة الكثيرة مثل تآكل مؤسسة الأسرة، وانتشار الإيدز والمخدرات، وتراكم أسلحة الدمار الكوني، والأزمة البيئية، وتزايد اغتراب الإنسان الغربي عن ذاته وعن بيئته(40).

كما تسوق العولمة لوهم المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة. "ومن خلال العولمة يروج للشذوذ الجنسي، ويحاول الغرب استصدار قوانين لحماية الشذوذ الجنسي في العالم، ومن أحدث محاولات العولمة: محاولة فرض مصطلح جديد يطلق عليه Gender بدل كلمة Sex"(41).

والتأثير الأخلاقي هو أسرع من غيره، وقد أشارت دراسة في السعودية (لناصر الحميدي) إلى أن التأثير على الجوانب الأخلاقية يأتي في الدرجة الأولى، مثل: الترويج للإباحية، والاختلاط، وما إلى ذلك مما يخالف القيم الإسلامية، وإغراء النساء بتقليد الأزياء الغربية وأدوات الزينة، وكذلك التأثير على الروابط الأسرية(42).

علماً أن العرب هم أكثر الشعوب مشاهدة للتلفاز(43).

بل حتى في الجانب الاقتصادي فالإنسان الغربي الذي لا يشكل سوى نسبة ضئيلة من سكان الكرة الأرضية (20%) يستهلك ما يزيد على (80%) من مواردها الطبيعية(44).

|2|1|

(1) انظر: مجلة حصاد الفكر، العدد 135، جماد الأول 1424هـ - 2003م، عرض لكتاب بدائل العولمة للدكتور سعيد اللاوندي، عرض عبدالباقي حمدي، ص: 36.

(2) سلسلة كتاب المعرفة (7) نحن والعولمة من يربي الآخر، بحث للأستاذ سعد البازعي بعنوان المثقفون والعولمة والضرورة والضرر، الطبعة الأولى 1420هـ 1999م، ص: 73.

(3) العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 29.

(4) العولمة وعالم بلا هوية، د. محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 129.

(5) سلسلة كتاب المعرفة (7) نحن والعولمة من يربي الآخر، بحث للأستاذ أسعد السحمراني، أستاذ بكلية الإمام الأوزاعي بلبنان، بعنوان تسويق الاستهلاك وترويج الكاوبوي والهامبرجر، الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م، ص: 129.

(6) المصدر السابق، ص: 28، نقلاً عن الأسبوع الأدبي، العدد 602، ص: 19، بتاريخ 1998/3/14م.

(7) انظر مجلة البيان، العدد 136، ص 91، مقالة العولمة حلقة في تطور آليات السيطرة لـ خالد أبو الفتوح.

(8) العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 28.

(9) الثقافة العربية بين العولمة والخصوصية، حسن حنفي، بحث ضمن كتاب العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى 1999م، ص: 33.

(10) سلسلة كتاب المعرفة (7) نحن والعولمة من يربي الآخر، الطبعة الأولى، رجب 1420هـ - 1999م، مقال للأستاذ سمير الطرابلسي بعنوان العرب في مواجهة العولمة ص: 51-52 .

(11) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1399هـ - 1979م، ص: 198-199.

(12) انظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ - 1987م، ص: 314.

(13) انظر: مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فبراير 1999م، ص: 6.

(14) ندوة الهوية العربية عبر حقب التاريخ، للمدة 25-1997/6/26م، المجمع العلمي بغداد، الكلمة الافتتاحية للندوة، ص: 7.

(15) انظر: العولمة وعالم بلا هوية، محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 146.

(16) صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 116.

(17) صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 103.

(18) انظر مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فبراير 1999م، ص: 46.

(19) انظر حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والانتماء القرآني، أنور الجندي، دار الاعتصام، سلسلة الرسائل الجامعة، (د. ط. ت)، ص: 7.

(20) صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 433.

(21) انظر: صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 204-205.

(22) العولمة وأثرها على اقتصاد الدول، ص: 28، نقلاً عن جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 1997/3/2م.

(23) فخ العولمة، هانس بيتر مارتن، هارالد شومان، ترجمة: د. عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم: رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1419/1998هـ، ص: 253.

(24) العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها، د. إسماعيل علي محمد، دار الكلمة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1421هـ - 2001م، ص: 27.

(25) انظر وثيقة برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية المنعقد بالقاهرة 5-1994/9/15م، الترجمة العربية الرسمية، الفصل الثامن الفقرات 31-35. نقلاً عن مخاطر العولمة على الهوية الثقافية، د. محمد عمارة، ص: 27.

(26) جعل هذا عنوان للفصل الثالث والعشرون من الفصل الثاني، انظر مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، ص 147، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الخامسة، د. ت.

(27) انظر العولمة والهوية، المؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب والفنون 4-1998/5/6م، كلمة عميد كلية الآداب أ. د. صالح أبو ضلع، منشورات جامعة فلادليفيا، الطبعة الأولى، 1999م، ص: 11.

(28) انظر العولمة وعالم بلا هوية، محمود سمير المنير، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2000م، ص: 130-131.

(29) مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236) ربيع الأول 1424هـ/ مايو 2002م، دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، ص: 11.

(30) العولمة والتحدي الثقافي، د. باسم علي خريسان، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ص: 132.

(31) مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236) ربيع الأول 1424هـ/ مايو 2002م، دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، ص: 12 .

(32) مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236) ربيع الأول 1424هـ/ مايو 2002م، دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، ص: 11.

(33) نحن والعولمة من يربي الآخر، مقال للأستاذ أنور عشقي، بعنوان: الشياطين تختبئ في التفاصيل، كتاب المعرفة (7) الطبعة الأولى، 1420هـ 1999م، ص: 177.

(34) انظر: العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 274-275.

(35) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م، ص: 129.

(36) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م، ص: 127.

(37) العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م، ص: 111.

(38) صدام الحضارات .. إعادة صنع النظام العالمي، تأليف صامويل هنتنجتون، ترجمة طلعت الشايب وتقديم د. صلاح قنصوة، الطبعة الثانية 1999م، ص: 103.

(39) العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تعقيب نبيل الدجاني، الطبعة الثانية، 1998م، ص: 335.

(40) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م، ص: 220.

(41) العولمة وقضية الهوية الثقافية في ظل الثقافة العربية المعاصرة، محمد بن سعد التميمي، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، ص: 276-279.

(42) مجلة الرائد، تصدر عن الدار الإسلامية للإعلام بألمانيا، العدد (236) ربيع الأول 1424هـ/ مايو 2002م، دراسة بعنوان العولمة وأثرها على السلوكيات والأخلاق، د. عمار طالبي، ص: 10.

(43) ضياع الهوية في الفضائيات العربية، د. عائض الردادي، كتيب المجلة العربية، العدد السابع والثلاثون، محرم 1421هـ، ص: 7.

(44) العالم من منظور غربي، د. عبدالوهاب المسيري، منشورات دار الهلال، فبراير 2001م، ص: 217.

===============

#رئيس المجلس الإسلامي بالسنغال:
محنة مسلمي السنغال في ظل هيمنة الفرانكفونية

حوار: عبد الرحمن أبو عوف 1427/11/27
2006/12/18

أكد الشيخ سيد غالي لو رئيس المجلس الوطني الإسلامي في السنغال أن مسلمي البلاد يواجهون أوضاعًا سياسية واجتماعية واقتصادية صعبة، بسبب سيطرة النزعة الفرانكفونية وهيمنة الموالين لها على مقدرات الشعب السنغالي، وهو ما يُعدّ خصمًا من رصيد المسلمين وأصحاب الثقافة العربية والإسلامية.

وتابع الشيخ غالي في حوار مع (الإسلام اليوم) أُجرى معه على هامش مشاركته في المؤتمر العالمي العاشر للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالقاهرة:

بالتأكيد إن وجود رؤساء جمهورية مسلمين في السنغال لم يخفف من وطأة الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون في السنغال؛ إذ إن ضيوف وواد من عرابي الفرانكفونية، والذين يفضلون ألاّ يكون للإسلام أدنى تأثير في حياة الشعب السنغالي، ناهيك عن أن عهدهما شهد سيطرة الفرانكفونيين على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في السنغال، ولفت رئيس المجلس الوطني الإسلامي إلى أن الثقافة العربية والإسلامية تواجه تحديات كبيرة في السنغال، فمن يمثلون هذه الثقافة لا يشغلون مناصب مرموقة، ولا يحصلون على وظائف في الدولة وتضربهم البطالة بعنف، في وقت يحصل غيرهم على أعلى المناصب، حتى ولو لم يكن لديهم كفاءة لشغل هذه المناصب.

وأوضح الشيخ غالي لو أن التآمر على الإسلام والعربية على الرغم من ضراوته لم يحقق ما كان يسعى إليه أرباب الفرانكفونية، فهناك إقبال غير مسبوق على تعلم العربية، وكذلك حفظ القرآن والدراسات الإسلامية، في تأكيد واضح على أن الهوية الإسلامية للسنغال تُبعث من جديد.

والتفاصيل الكاملة للحوار في السطور التالية:

في البداية هل تلقي لنا الضوء على أوضاع الشعب السنغالي المسلم؟

أولاً السنغال تُعدّ إحدى دول الغرب الإفريقي، حيث يشكل المسلمون 95 % من مجمل سكانها، البالغ أحد عشر مليوناً ؛ فيما يشمل الـ 5% الباقية مسيحيين كاثوليك، ووثنيين لا دينيين؛ وللسنغال ظروف خاصة لها، فعلى الرغم من الأغلبية الساحقة للمسلمين إلاّ أنهم يعانون اضطهادًا رهيبًا وغير مسبوق، ويتحمل مسئولية هذا الاضطهاد قوات الاحتلال الفرنسي التي أحكمت سيطرتها على بالسنغال لمدة ثلاثة قرون، خلفت وراءها بيئة ثقافية وسياسية واجتماعية طاردة للإسلام وداعمة للفرانكفونية ومن يسيرون في دربها.

ولك أن تستزيد من حجم المأساة فتعلم أن أي سنغالي حصل على أعلى الشهادات وحتى ولو كانت درجة الدكتوراه في اللغة العربية والثقافة الإسلامية لا يجد فرصة عمل إلاّ نادرًا ولا يتجاوز العمل في مدرسة، بعكس من يحمل حتى ولو مؤهلاً متوسطًا أو حتى تحت المتوسط في اللغة والثقافة الفرنسية؛ فتُفتح له الأبواب الموصدة.

وقد عزز الدستور السنغالي هذا الأمر بالتأكيد على أن الفرنسية هي اللغة الرسمية، من هنا فإن المسلم مضطهد ثقافيًا وسياسيًا؛ إذ يُمنع تأسيس الأحزاب على هوية إسلامية، فيما يُسمح بتأسيس أي أحزاب على أسس شيوعية أو فرانكفونية .

علمانية فرانكفونية

أليس مستغربًا ما تقوله في ظل اعتلاء مسلمين منصب الرئاسة في ربع قرن الأخير؟

هذا ما يزيد الطين بلة، فقد سبق عبده ضيوف وعبد الله واد الرئيس سنيجور الذي حكم البلاد عشرين عامًا وضع فيها أسس اختراق الفرانكفونية للمجتمع السنغالي، في أبشع صورة خصوصاً أنه كاثوليكي متعصب جدًا، ولم يختلف الأمر مع عبده ضيوف وواد، فالاثنان على الرغم من أنهما مسلمان غير أنهما علمانيا النزعة، فرانكفونيا الهوى، إضافة إلى أنهما متزوجان من زوجات مسيحيات وهاتان الزوجتان ليستا ككل الزوجات، فهن الدجاجة التي تلعب دور الديك وتسيطران سيطرة تامة على الحياة السياسية من اختيار الوزراء وكبار المسؤولين بشكل كرّس سيطرة الهوية المسيحية والفكر الفرانكفوني.

ما حجم تجذّر الفرانكفونية وهيمنتها في المجتمع السنغالي؟

عرابو الفرانكفونية في منطقة الشرق الأوسط وإفريقية أربعة يأتي على رأسهم سنجور والحبيب بورقيبة وشارل حلو، خصوصاً جامبي وتسنجور الذي استحوذ على مكانة رفيعة لدى الفرانكفونيين الذين أنشؤوا جامعة باسمه في الإسكندرية، وليس باسم كندي أو فرنسي، من ثم فإن الفرانكفونية اخترقت مجتمعنا بشكل رهيب وغير مسبوق، فالمحلات أسماؤها فرنسية والشوارع ووسائل الإعلام؛ لدرجة أنك حين تتجول في العاصمة دكار فتتخيل أنك في باريس أو مارسيليا.

هذا الانتشار الرهيب .. هل امتد إلى التعليم ومؤسساته؟

التعليم من أشد المجالات تأثرًا بالفرانكفونية ، حيث ينتشر في السنغال التعليم الملائكي أو العلماني ، ويشمل جميع المدارس الحكومية والخاصة، الذي تلعب فيه الفرنسية الدور الأكبر، وهو التعليم المعترف به لدى الدولة، أما التعليم الديني الإسلامي فلا تعترف به الدولة، ولا يُقدم له أي دعم، مستندين إلى أن الدستور ينص على أن السنغال دولة علمانية.

ثورة وغضب

ما موقف المسلمين من هذا التغييب الحكومي غير المسوّغ؟

لقد استمر الوضع السابق في العقود الخمسة الماضية، إلى أن ثارت الأغلبية المسلمة، وهددت الحكومة بأنها لن تدفع بأبنائها إلى المدارس إذا لم تدخل العربية والمواد الشرعية الإسلامية في هذه المدارس.

وهو ما أجبر الحكومة على الانصياع لمطالب الأغلبية المسلمة، غير أن الحكومة اشترطت حتى على المدارس الأهلية تدريس المنهج الرسمي الفرانكفوني حتى لو كانت هذه المدرسة إسلامية.

ولك أن تعرف الموقف المؤسف للدولة السنغالية من التعليم الديني لدى زيارة الرئيس السنغالي عبد الله واد للقاهرة، حيث عقد لقاء مع عديد من الطلاب السنغاليين الذين يدرسون في الأزهر، وطالبهم بالعودة للسنغال للعمل في مجال الزراعة، بدلاً من إضاعة أعمارهم في تعليم ديني لن يوفر لهم عملاً ولا مستوى معيشة مناسبًا.

وكذلك يجب أن تعرف أن يوم الجمعة هو يوم عمل في السنغال، أما يوما الإجازة الرسمية فهما السبت والأحد، حيث يحصل المسلمون على ساعتين راحة يوم الجمعة

لأداء الصلاة؛ على أن يتم تأخير ميعاد الدوام من الثالثة إلى الخامسة لتعويض الساعتين اللتين يؤدون خلالها الصلاة.

صحوة إسلامية

لا شك أن هذا المد الفرانكفوني الكبير قد أثر على وضعية اللغة العربية في السنغال؟

نعم كان تأثيره فظيعًا، فقد كانت العربية هي اللغة الأولى والرسمية في السنغال قبل الاستعمار الذي حاصرها ومنع انتشارها في السنغال لعقود طويلة، غير أن هناك إقبالاً كبيرًا عليها في الآونة الأخيرة، وعلى حفظ القرآن في الكتاتيب التي أُعيد افتتاحها، ونجحت في جعل ثلث الشباب السنغالي يقبلون على العربية والقرآن، بعد أن كان هذا الإقبال قد تراجع على إثر الدعاية السوداء بأن العربية والإسلام لا يُؤمّنان مستقبلاً، كما زعم الرئيس عبد الله واد لدى زياراته لإحدى المؤسسات الإسلامية، وزاد بالتهكم على الإسلام والقرآن.

وماذا عن الأوضاع الاقتصادية لمسلمي السنغال؟

شديدة الصعوبة ويعاني أغلبية المسلمين من الفقر والعوز والمرض، وتنتشر البطالة بين صفوفهم، وهو ما كانت المساعدات الدولية العربية والمسلمة تحاول أن تخفف من وطأته عليهم، ولكن هذه المشاكل لا تزال مستمرة وتلقي بظلال ثقيلة على المسلمين.

التنصير في السنغال

كل ما تقوله يوفر بيئة حاضنة للمنظمات التنصيرية التي تتخذ من هذه الأوضاع وسيلة لتحقيق أهدافها عبر غزو منظم.. فماذا عن التنصير؟

التنصير في السنغال لا يحتاج إلى غزو، فالمئات من المنظمات التنصيرية تعمل في السنغال على قدم وساق، ولا تجد هذه المنظمات أدنى صعوبة، فالأثرياء من أبناء المسلمين يذهبون إلى هذه المدارس لتلقي علومهم، وهناك إقبال على المستشفيات التي تحمل شعار الصليب الأحمر؛ في وقت لا توجد المستشفيات التي تحمل شعار الهلال الأحمر.

كما أن الأعياد المسيحية تحوّلت إلى أعياد رسمية، وليس عيدي الفطر والأضحى، وعلى الرغم من ذلك فإن إستراتيجية التنصير في السنغال تعتمد على إيجاد تباعد وهوة بين المسلم ودينه الحنيف، بحيث لا يلعب الدين دورًا في حياته، وهو ما يُعدّ أفضل لديها من أن يكون مسيحيًا.

كذلك ينتشر المنصرون بين القبائل الوثنية، فهم يفضلون استمرارها في عبادة الأصنام دون اعتناق الإسلام الذي يُعدّ الدين الأكثر اعتناقًا في أوساط الوثنيين.

في ظل هذا المد التنصيري ألا يُواجه هذا بعمل خيري إسلامي؟

الجمعيات الخيرية الإسلامية كانت تقوم بدور فاعل في السنغال نحو كفالة الأيتام وإنشاء المدارس والمستشفيات وإغاثة الملهوف وحفر الآبار، إلاّ أن هذا العمل قد تراجع في الآونة الأخيرة من أحداث سبتمبر، ولم يبق منه إلاّ اليسير، وأُصيبت معظم الجمعيات الإسلامية بالشلل، وأغلقت أبوابها باستثناء الندوة العالمية للشباب الإسلامي ولجنة مسلمي إفريقية.

تحدثت طويلاً عن سيطرة الاتجاه الفرانكفوني، غير أن الدول العربية والإسلامية ما زالت تحتفظ بعلاقات وثيقة مع نظام الحكم لديكم؟

الدول العربية والإسلامية مجتمعة تؤيد جميع الحكومات التي تعاقبت على السنغال منذ سنجور وعبده ضيوف ووصولاً إلى عبد الله واد، وتغدق عليها المساعدات التي لا تستفيد منها الأغلبية المسلمة، وكذلك منظمة المؤتمر الإسلامي التي حظيت السنغال باستضافة اجتماعين كبيرين لها في أقل من عقد واحد وهو أمر غير معهود؛ فضلاً عن أن السنغال كان مقررًا أن تستضيف كثيراً من اجتماعات المؤتمر الإسلامي في الفترة الأخيرة، غير أن تأخر بعض الأعمال الفنية قد حال دون عقده.

ويمكن أن نفسر هذا السعي من جانب الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي بالخوف أن تقع السنغال بالكامل في براثن الفرنسيين والأمريكان.

النفوذ الصهيوني في الغرب الإفريقي

تحدث مراقبون كثيرًا عن تحوّل داكار العاصمة السنغالية إلى مركز للنفوذ الصهيوني في الغرب الإفريقي .. كيف ترد على هذا القول؟

الوجود الصهيوني في السنغال قوي جدًا، وتمارس الأجهزة الاستخباراتية نشاطًا واسعًا، خصوصًا في المشاريع الكبيرة مثل الزراعة والمياه والإسكان وإنشاء المستشفيات، كما أن لهم دورًا بارزًا في الإعلام ولهم محطات إعلامية خاصة بهم، ناهيك عن النفوذ السياسي الكبير لهم في البلاد.

بعد كل هذه التطورات والأحداث .. كيف ترى مستقبل الإسلام في السنغال؟!

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) صدق الله العظيم، فعلى الرغم من كل المؤامرات والسيطرة الفرانكفونية فإن للإسلام مستقبلاً متميزًا في السنغال، وليس أدل على ذلك من إقبال الشباب على التعليم الديني، على الرغم من أن الدولة لا تعترف به، وكذلك الإقبال الرهيب على الكتاتيب وحفظ القرآن، وهو ما ينبئ بوجود أجيال قادرة على التصدي للمد الفرانكفوني الرهيب.

=============

#الفكر الإسلامي على مفارق طرق

الأستاذ / جمال سلطان 1424/4/22

2003/06/22

عندما وقعت واقعة تماثيل بوذا في أفغانستان، وإعلان حركة طالبان المفاجئ عن عزمها على إزالة هذه التماثيل ، وما صاحب ذلك من حالة هوس في العالم أجمع ، بدا المشهد الإسلامي مثيرا للدهشة والحيرة ، بقدر ما هو مثير للقلق ، وبدا أن هناك بونا شاسعا بين المواقف " الإسلامية " من هذه القضية ، وكأنها مواقف تصدر من مناهج وأيديولوجيات مختلفة ، وليست من منهج واحد لدين واحد ، لقد كان هناك من دافع عن هذه التماثيل واعتبرها لونا من الجمال والإبداع الإنساني ينبغي المحافظة عليه والعناية به ، حتى أن كاتبا صحفيا مصريا " إسلاميا " وينتمي إلى جماعة إسلامية كبيرة ومشهورة ، كتب يقول أن هذه التماثيل نعمة من الله ، وأن هدمها يمثل أبلغ إساءة للإسلام وللقرآن الكريم ! ، وفريق آخر رأى أن هذه التماثيل أصنام وأنها يتوجب إزالتها وتحطيمها لأن قطب رسالة الإسلام هي إزالة الأصنام وهدمها ،وبين هذا الطرف وذاك درجات شديدة التباين في الموقف ، وألوان شتى من التمايزات ،

بين من يرى جواز التماثيل ومن يرى حرمتها ، ومن يرى حرمتها ولكن المصالح الشرعية تقتضي الحفاظ عليها وحمايتها ، ومن يرى أن لا مفسدة في الدنيا أعظم من مفسدة نشر الأصنام التي تعبد والدفاع عنها وفتح الباب أمام إحياء الوثنية من جديد . ولم يكن هناك حوار فكري حقيقي ، وإنما كان هناك صراع عنيف بين هذه التوجهات والآراء والمناهج ، يتهم هذا ذاك بالإساءة للإسلام ، ومخالفه يتهمه بإهدار معالم الشريعة ، ويتهم الأول الثاني بالغباء العلمي ! ، ويتهم الثاني الأول بتمييع الدين والتساهل المسف ، وهكذا ، وكان كل فريق يصدر عن ما يمكن اعتباره منظومة فكرية ومنهجية مختلفة عن الآخر ، ولقد كان هذا الاختلاف . في الحقيقة . موجودا من قبل هذه الواقعة ، ومعالمه حاضرة في أكثر من موقف سياسي أو اجتماعي أو قيمي أو عقائدي ، كالخلاف الشهير حول بعض جوانب حجية السنة ، والموقف من الحجاب والنقاب وبعض الأحكام الفقهية للمسلمين المهاجرين في الغرب ، وغيرها ، ولكن واقعة تماثيل بوذا فجرت المسألة تفجيرا عنيفا وواسع النطاق ، ربما لأنها تتعلق هذه المرة بصلب العقيدة ذاتها وشعار الإسلام نفسه ، الأمر الذي أفاد في كشف الغطاء عن مخاطر حقيقية تتهدد الفكر الإسلامي ، مهما حاولنا إنكارها أو التقليل من مخاطرها ، وأنها تضع الفكر الإسلامي كله على مفارق طرق شديدة الحساسية والخطر .

وقبل أن نقف أمام تفاصيل المشهد الحالي ، وتياراته ومناهجه ، يكون من الضروري رصد تطورات الحالة الفكرية الإسلامية في العصر الحديث ، منذ بدايات ما يسمى بالنهضة الحديثة وحتى اليوم ، لأن الكثير من التفاصيل إنما تعود إلى جذور بعيدة في شجرة الفكر الإسلامي المعاصر ، يصعب إدراك الصورة العامة الحالة دون العودة إليها والنظر في تياراتها . عندما انكشف العالم الإسلامي أمام التحولات الحضارية الغربية الكبيرة ، وعندما تحول التحدي الحضاري إلى تحد عسكري مباشر ، من خلال قيام الجيوش الأوربية باستباحة أراضي العالم الإسلامي . إلا قليلا . حيث ذهب كل مستعمر بجزء من " الكعكة " الإسلامية ، أكبرها لبريطانيا ، وبعدها فرنسا ثم إسبانيا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا ، وجد المسلمون أنفسهم أمام صدمة حضارية قاسية ومريرة ، وبدا العقل الإسلامي يطرح السؤال الذي طالما تأخر طرحه ، وهو

السؤال الذي جسدته رسالة مسلمي جزيرة " جاوه " . إندونيسيا حاليا . إلى السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار : لماذا تخلف المسلمون ولماذا تقدمت أوربا ، وهو السؤال الذي عرضه رشيد رضا على الأمير شكيب أرسلان الذي أجاب عليه تفصيليا ثم نشرت الرسالة والجواب عليها في كتاب بعد ذلك يحمل نفس الاسم ، في تلك الفترة كانت الصدمة هي شعار المرحلة ، والصدمة بطبيعة الحال لا تدع مجالا للفكر أن يقيم لوحة الواقع تقييما متكاملا وعقلانيا وراشدا ، لأن الصدمة تولد حالة الذهول ، وفي هذه الحالة يكون الإنسان أكثر احتياجا إلى المحافظة على موطئ قدمه ، ومكانه ، حتى لا تزل قدمه فيما هو هلاك له ولا يدري ، أو أن تزداد خسارته إذا ترك مكانه الذي هو فيه إلى تراجع أكثر وأخطر وأفدح وهو غير مدرك لاتجاهات الفعل الحضاري وريح التقدم ، وهكذا كان العالم الإسلامي في تلك المرحلة ، مرحلة الحفاظ على الذات والهوية والدين واللغة من الاستباحة والانمحاق أمام تيارات الفكر والتحضر الغربية البالغة الحيوية والعميقة النفاذ والتأثير ، ولذلك شهدت هذه المرحلة المبكرة العديد من المعارك التي تمثل " معركة دفاعية " إن صح التعبير ، هدفها الدفاع عن الأصالة ضد موجات التغريب التي تتسلل من خلال مستشرقين أو تلاميذهم أو بعض الشباب الجديد المتهور المنبهر بأوربا وحضارتها وأخلاقها وفكرها ، فكانت هناك معركة مثل معركة العلماء والمحافظين مع قاسم أمين وكتابيه " تحرير المرأة " ثم " المرأة الجديدة " وشنوا فيها حربا شعواء عليه ، وللحقيقة أن جمهور الأمة كان مع العلماء في هذه المعركة ، والقلة المتغربة هي التي ناضلت مع قاسم ، لأن عموم الناس كانت تستشعر القلق ، وإن كانت عاجزة عن طرح بدائل أو حتى تصورها ، ثم كانت معركة على المنوال نفسه مع علي عبد الرازق وكتابه " الإسلام وأصول الحكم " حيث حاول الرجل إهدار الشريعة الإسلامية جملة في السياسة والاقتصاد والاجتماع والقانون بأفرعه كافة ، بل أهدر وجود شيء اسمه الخلافة أو الدولة في الإسلام ، والحقيقة أن من يقرأ كتاب علي عبد الرازق يهاله مبلغ الضحالة الفكرية والمنهجية في هذا الكتاب ، فهو بالتعبير الدارج " تافه " ولا يتأسس على منطق سوي ولا حجة بليغة ولا عقلانية مفهومة ، ويصعب تصور أن من كتبه قد مر يوما على الدراسات الشرعية أو التاريخية في الإسلام ، ولكن القلق

الذي سببه الكتاب كان كبيرا ، وذلك أن العالم الإسلام كان قلقا من حالات الانهيار المتلاحقة ، وكان آ خرها انهيار دولة الخلافة العثمانية ، التي وإن كانت طللا هشا وشكليا وقتها بفعل الدمار والتخريب الذي فعلته جماعة " الاتحاد والترقي " والمؤامرات المتعددة من الدول الأوربية ، إلا أنها كانت تمثل . حتى ذلك الحين . رمزا في الوجدان الإسلامي على عالمية الأمة المسلمة وهيبتها التاريخية ، وأيضا شاهدا حيا على تواصل حضور القوة السياسية الإسلامية . من خلال دولة الخلافة . منذ الخلافة الراشدة وحتى نهاية الدولة العثمانية بلا انقطاع ، ولم يكن العقل والضمير الإسلاميان يستوعبان كيف يمكن تصور حياة الأمة من غير سياج الخلافة ، ولعل من أبرز ما يدلنا على هذا القلق والحيرة ، أن علماء الأزهر ، وأغلبهم حنفية ، ظلوا يصلون الظهر جماعة يوم الجمعة عقب صلاة الجمعة ، عقب إعلان الكماليين إسقاط الخلافة ، وذلك لأن فقه الأحناف يربط إقامة الجمعة بنصب الإمام أو الخليفة ، وظل هذا الحال عدة سنوات في مصر قبل أن يستوعب الناس صدمة موات دولة الخلافة .

في أعقاب هذه المرحلة ، مرحلة الصدمة ، بدأت الأمة تعاني من اختراق فكري وعقيدي وأخلاقي واسع النطاق ، من خلال ظهور تيارات سياسية وافدة مثل الحركات القومية العلمانية ، والحركات الشيوعية ،وتيارات الإلحاد الديني ، وهي تيارات كانت تستلهم مددها وحيويتها من مجمل الأوضاع المحيطة بها في العالم الإسلامي ، أكثر مما تملكه من فكر أو رأي أو مصداقية ، فقد استمدت الحركات الشيوعية قوتها من مظاهر البؤس الاجتماعي التي كانت تعيشها جماهير الأمة ، وكذلك الظلم السياسي ونحو ذلك ، في الوقت الذي لم يتقدم الفكر الإسلامي بطرح بديل يواكب هذه التحديات الجديدة ، والوعي بها في المجتمع الإسلامي ، وكان من أسوأ المواقف التي وجد الفكر الإسلامي نفسه فيها أن يكون موقفه هو الموقف الدفاعي ضد الشيوعية كعقيدة ملحدة ومخربة للقيم الاجتماعية والأخلاقية ، وهي كانت بالفعل كذلك ، ولكنها كانت أيضا مشروعا للتحرر الاجتماعي والعدالة ونحو ذلك ، وكان من المفترض أن يتقدم الفكر الإسلامي بطرح بديل يقطع الطريق على متاجرة هذا التيار الإلحادي بالقضية الاجتماعية ، وهو ما لم يحدث إلا في فترات متأخرة ، في

أوائل النصف الثاني من القرن العشرين ، عندما كتب سيد قطب . على سبيل المثال . العدالة الاجتماعية في الإسلام ، وكتب الغزالي ومصطفى السباعي وغيرهم ، وهو ما سوف نعود إليه . وكذلك كانت تيارات المد القومي الجديدة ، والتي نبتت أساسا بالشام ، فالتحمت . بحكم المولد والمخاض . بالخلفية الطائفية ، حيث برزت الحركة القومية على يد عناصر مسيحية ، كان لها بالضرورة حساسية خاصة مع الإسلام والفكر الإسلامي ، وبالتالي ، ولدت فكرة القومية متباعدة عن الإسلام ومفارقة له ، وبمرور الوقت والتقارب بين التيار القومي والتيارات اليسارية ، حملت الحركة القومية بأبعاد معادية للدين وكارهة لأي دور له سياسيا أو اجتماعيا أو تشريعيا ، ومرة أخرى لم يملك الفكر الإسلامي طرحا بديلا ، يملك الحيوية والجرأة وروح التقدم ، لقطع الطريق على هذا الانحراف بالوعي القومي، وقد كان الأمر ميسورا تماما ، لاحتواء الروح القومية التي تنامت في أعقاب تولي الكماليين للسلطة في تركيا ، ولكن الفكر الإسلامي كان ما زال في أجواء الصدمة ، والرغبة على الحفاظ على الأصالة والهوية ، دون بذل جهد جاد وحقيقي لدعم هذه الهوية في عالم جديد .

والمثير للدهشة أن الجهد الحقيقي الوحيد الذي يمكن الإشارة إليه في ذه المرحلة ، كطرح لبديل إسلامي يواكب التيارات الجديدة ، كان في تفسير القرآن ونصوصه في ضوء التطورات العلمية الجديدة ، فقد اجتهد عدد من العلماء والباحثين ، لكي يقربوا معاني القرآن من الجيل الجديد المهووس بالاكتشافات العلمية والتقدم المذهل الذي وصل له الغرب عن طريق البحث العلمي ، فظهرت كتابات يمكن القول بأنها محاولة لرفع معنويات الإنسان المسلم المضطرب والقلق أمام هذه التطورات العلمية المتسارعة ، فكانت جهود الشيخ طنطاوي جوهري ، وكتابه " الجواهر " وهو محاولة لتفسير النص القرآني بما يتوافق مع النظريات العلمية الجديدة ، وكذلك كتابات الأستاذ محمد فريد وجدي ، والطريف أن فريد وجدي . على سبيل المثال . حاول تفسير سورة الفيل ، في ضوء العلم الجديد ، وكان الرجل قد تخيل أن العقل البشري في ضوء العلم الجديد والنزعة العقلية لن يسعه استيعاب أن حجرا يقذفه طائر على فيل فيحوله إلى " عصف مأكول " في لحظة ، فتأول الرجل . دفاعا عن القرآن . المسألة بالقول أن الآية مجرد دلالة رمزية على مرض مثل الطاعون ، أرسله الله

فأهلك الأفيال وجيش أبرهة ، وليس القصد هو أن الطير قذف حجارة فدمرت الأفيال بهذا الشكل ، ولا شك في أن فريد وجدي لو عاش إلى أيامنا هذه لأدرك أن تأويله الغريب ليس له ما يبرره على الإطلاق ، لأن العلم الحديث نفسه اكتشف الآن أن حجرا " نوويا " يحمله طير أو طائرة ، لا يبيد فيلا فقط ، بل يبيد مدينة بكاملها ، وما عليها من بشر وشجر ونفس منفوسة . وجدير بالذكر هنا ، أن هذه النزعة ، وإن كانت قد أساءت من حيث أرادت الإصلاح ، إلا أنها كشفت لنا عن اتجاه جديد ، بدأ يتنامى مع الوقت في الفكر الإسلامي ، وهو اتجاه تأويل الإسلام ومعالمه بما يتوافق مع النظريات والأفكار الغربية الجديدة ذات السحر والحضور ، وكانت هذه من أخطر نقاط التحول في الفكر الإسلامي ، وكانت هذه الظاهر قد برزت في الخمسينات والستينات بوضوح ، من خلال الكتابات التي حاولت أن تقرب الإسلام من الفكر الاشتراكي، وتجعل الإسلام دينا اشتراكيا ، ويذكر القراء كتابا لأحد نبلاء الفكر الإسلامي ورجاله الكبار ، الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله " اشتراكية الإسلام " ، وهي نزعة استغلها جيدا فريق جديد من اليسار العربي للإعلان عن توافق الاشتراكية والإسلام ، وأن الإسلام دين اشتراكي ، ويدعو إلى الاشتراكية ، وظهرت نزعة لتفسير الإسلام ونصوصه وشخصياته التاريخية وأحداثه بما يخدم الفكر الاشتراكي ، وقد تبلورت هذه النزعة في ظهور تيار " اليسار الإسلامي " في أوائل السبعينات ولكنه انزوى سريعا لأنه لم يكن يحمل أية مشروعية للحياة ، وكذلك انطفأت سريعا الكتابات التي تحدثت عن اشتراكية الإسلام للسبب نفسه .

ومع السبعينات ، ظهرت حركة الإحياء الإسلامي الكبيرة في العالم الإسلامي ، وهي حركة مدهشة كانت لها امتدادات متوالية وعفوية في مختلف أنحاء العالم ، وكانت عفويتها هذه أهم أسباب عجز النظريات الاجتماعية المختلفة عن تفسير أسباب نشأتها ، وإذا كانت هذه الصحوة قد تفاعلت فيها أفكار متعددة ، وظهرت فيها كتابات متنوعة ، إلا أن هناك كتابات معينة هي التي طبعت هذه الصحوة بطابعها . النفسي على الأقل . وتركت بصمتها واضحة على أبناء ذلك الجيل ، وليس من شك في أن كتابات الأستاذ سيد قطب ، رحمه الله ، كانت النموذج الأوضح في ذلك المجال ، حيث تواكبت مع الروح الجديدة للصحوة الإسلامية ، وظهور انكسار

واضمحلال الأفكار والإيديولوجيات التي كان لها صخب كبير على مدار نصف قرن ، وكان لها السلطة والصولجان ، فأتت كتابات سيد قطب المشبعة بروح الاستعلاء الإيماني الكبير على واقع الناس وتحولات الحياة ، بشرقيها وغربيها ، أتت لتمتزج مع روح هذه المرحلة ، وكان من نتائج هذا التحول ظهور نزعة مغايرة لتلك التي سادت في المراحل السابقة ، نزعة تحتقر الحضارة الغربية ، وتهون من أمرها ، وتطرح عوراتها ومثالبها بدلا من الانبهار بإنجازاتها ، واتجه الفكر الإسلامي . من ثم . للبحث عن معالم المفارقة مع هذه الحضارة بكل تجلياتها وإفرازاتها ، وليس عن أوجه الاتفاق معها ، وكانت هذه الروح الجديدة ضرورية للغاية لاستعادة الفكر الإسلامي لثقته في ذاته ودينه وتراثه ، ولكي ينفض عن كاهله ، بقوة ويقين وإصرار ، عوالق مراحل التيه والذهول والاضطراب التي عرفتها الأمة في عصرها الحديث ، ولكن بالمقابل كانت لهذه النزعة أخطارها وأخطاؤها ، إذ أنها، ككل موقف يقوم على رد الفعل ، غالت في الاستعلاء على الواقع ، والقطيعة معه، إلى الحد الذي حرمها من إمكانيات التواصل معه والتأسيس لمشروعها البديل الذي يحتوي هذا الواقع وينتقل به نقلة جديدة إلى الأمام ، وامتدت هذه القطيعة لتشمل كل معالم الواقع ، فلم يكن للحركة الإسلامية مشروعها السياسي أو مؤسساتها الاقتصادية ، أو نشاطها الأهلي ، أو حضورها الإعلامي ، أو غير ذلك من معاني الحضور وتجلياته ، الأمر الذي حرمها كثيرا من ريادة الفعل الاجتماعي والسياسي ، وجعل بعض فصائلها يتجه إلى ألوان من الرعونة السياسية عندما حاول أن يصرف " فائض القوة " لديه في عمل سياسي أو جماهيري .

ثم أتت المرحلة الأخيرة التي نعيشها الآن ، وهي المرحلة التي يمكن تحديد نشأتها . تقريبا . بأوائل الثمانينات ، والتي شهدت وما قبلها عددا من الأحداث الجسام ، منها قيام الثورة الإيرانية وما مثلته من عوامل جذب وتحريك لأشواق النصر عند الإسلاميين ، وكذلك حادث اغتيال الرئيس السادات في عملية مثيرة ، وكذلك في الصراع الدموي بين الحركة الإسلامية والنظام السوري ، هذه الأحداث دشنت مرحلة جديدة في العمل الإسلامي ، يمكن وصفها بمرحلة البحث عن المستقبل ، فبعد أن مر الفكر الإسلامي بمراحل الصدمة والذهول ، ثم مرحلة البحث عن مواءمة مع

الفكر الغربي ، ثم مرحلة الاستعلاء وإثبات التميز ، بدأت المرحلة التي لا بد وأن كان يصلها الفكر الإسلامي ،وأن يجد نفسه في مواجهة السؤال الكبير ، وماذا بعد ..؟ ، وكيف ندخل في عالم اليوم وتحدياته ، فكانت هذه هي مرحلة التأسيس لمشروعه المستقبلي الذي يعبر عن هويته وأصالته ، في الوقت الذي يعبر فيه أيضا عن قدرته على مجابهة تحديات الواقع المعاصر ، على مختلف الأصعدة ، وأن يطرح مشروعه الذي يؤسس فيه لحضارة جديدة وعالم جديد أكثر عدلا واستنارة ورشدا . هذا التفكير الجديد ، التفكير المستقبلي ، وضع الفكر الإسلامي على مفارق طرق ، لأن الأخطر دائما ليس ما ترفضه ، وإنما ما تقوله أو تبدعه .

وقد أفرز هذا الانفتاح التفكيري تيارات ومناهج متعددة للنظر في المستقبل الإسلامي وصياغة مشروع للنهضة . إن صح التعبير . يعبر تعبيرا راشدا وحقيقيا عن روح الإسلام ودوره في الحياة الإنسانية ، ويمكن استجماع شتات هذه التيارات في ثلاثة اتجاهات ، وإن كان كل اتجاه منها يحمل بداخله بعض التباينات في طرح منتسبيه في الدرجة والحدة ، إلا أن الوجهة العامة والخطوط الأساسية متجانسة إلى حد بعيد . الاتجاه الأول ، وهو اتجاه سلفي واضح النزعة ، يأوي إلى نصوص الوحي ، بصرامة كاملة ، ويأوي إلى السنة المشرفة فيما يعن من مسائل ، صغيرها وكبيرها سواء ، بحكم أن السنة هي الموضحة والشارحة للنص القرآني ، كما أنه تيار يصدر عن قناعة بأن انفلات الفكر من إطار الوحي ودخوله في باب الاجتهاد العقلاني الواسع يوقعه حتما في المعسكر المعادي أو المفارق للوحي ، ويتحول بمرور الوقت إلى عنصر هدم وتخريب في قواعد الإسلام حتى وإن ظن أنه يحسن صنعا ، ويهتم هذا التيار بشكل كبير بالقضايا العقدية ، وتفاصيلها ، والفروق المنهجية والعقدية بين التيارات الإسلامية المختلفة قديمها وحديثها ، وفي الوقت الراهن برز اهتمام هذا التيار بمسألة القبور والأضرحة وما يقع فيها من بدع الطواف والاستغاثة والنذر ونحو ذلك مما لا يجوز إلا لله ، وخاضوا حروبا مريرة مع هذه البدع في العالم العربي وفي أطراف العالم الإسلامي المختلفة ، وحيثما حلوا ، كما يولي هذا التيار اهتماما واضحا بالهدي الظاهر والالتزام به ، من الزي واللحية والنسك والتزام المساجد وعمارتها والآداب النبوية وإحيائها في السلوك العام ، والذي لا شك فيه أن

هذا التيار يمكن القول بأنه الوجه الأكثر حضورا وبروزا في الصحوة الإسلامية الأخيرة التي عرفتها الأمة ، من حيث الجهد الضخم الذي بذله أبناؤه والروح الجديدة التي بثوها في جنبات الأمة ، والبصمة الواضحة التي وضعوها في الحياة الاجتماعية والدينية بشكل خاص ، بل إن الصدمة الكبيرة التي أحدثها الحجاب والنقاب واللحية ومعالم الهدي الظاهر ، إنما خاض معتركها هذا التيار بكل جسارة ، وهذه الجوانب كانت بمثابة الراية التي تمثل حضور الصحوة الإسلامية في بلاد المسلمين . ولكن هذا التيار كان يشوبه العديد من الأخطاء والسلبيات التي تعوق مسيرته في قيادة الأمة ، وإكمال مشروع حضاري ملائم لها ، بل إن غياب هذا المشروع عن وعي وطرح رواد هذا التيار ، كان من أبرز المعالم السلبية فيه ، إن هذا التيار عرف ما يرفض أكثر مما عرف ما يقول أو ما يطرح ، وكان من الصعب أن تصنع مستقبل أمة بمجرد الوقوف عند معاني الهدي الظاهر ، أو حتى عند التنبيه على أخطاء عقدية تقع من بعض أبناء الأمة ، الناس كانت في حاجة إلى مشروع سياسي يحتوي طموحاتها ويحقق لها الإحساس بالكرامة الإنسانية في أوطانها ، وكانت في حاجة إلى رؤى جهادية تحقق لها آمالها في صراعها مع اليهود وغيرهم ، وكانت في حاجة إلى مشروع اجتماعي يحقق لها الاطمئنان والاتزان في البناء النفسي للمجتمع واحتواء نزعات الشطط والانفلات الموارة داخله ، ومحاصرة الغزو القيمي والنفسي الخطير للغاية الذي ينفذ كل يوم إلى ساحة الدار ونحن عاجزون عن وقفه أو مدافعته ، كانت الأمة في حاجة إلى بناء ثقافي وفكري وفني وإنساني جديد يستوعب طاقات فطرية عند الإنسان المسلم ، وخاصة عند ملايين الشباب والشابات الباحثين عن المتعة الحلال وتنفيس طاقاتهم في مسالك آمنة ، وكل هذا مع الأسف لم نلحظه في أطروحات التيار السلفي ، الأمر الذي أدى إلى وجود فراغات ومساحات من الفوضى في الحالة الإسلامية تقدمت قوى وتيارات أخرى لمحاولة ملئها وقيادة الأمة من خلالها .

التيار الثاني ، وهو التيار السياسي والحركي ، وهو ينتظم في جماعات وأحزاب سياسية متعددة ، وهو تيار يعود إليه الفضل في تسجيل الحضور السياسي الفاعل والمثير للدعوة الإسلامية في مختلف أنحاء العالم ، وكان وما يزال يمثل المجال

الحيوي لاستيعاب طاقات أجيال من الإسلاميين ممن يملؤهم الشوق لتسجيل حضور الشريعة الإسلامية في مؤسسات الدولة الحديثة ، والدفاع عن حق الإسلاميين في المشاركة في الحكم أو الشورى أو الهموم العامة في الدولة ، وإن كان هذا التيار يتوزع على جبهات عديدة منها من قبل العمل من خلال مؤسسات الدولة العلمانية لدفع صائلة قوانين العقوبات التي تضطهد العمل خارج القانون الرسمي للدولة ، ويحمد لهذا التيار أنه أعطى الصحوة الإسلامية نوعا من الهيبة في العمل العام والسياسات المحلية والدولية ، ولكن المشكلة الكبرى في هذا العمل هي في التبعات التي تعلق بأي نشاط سياسي ، وهي خفة الضبط العقدي والمنهجي والقيمي لخدمة ما تراه الحركة مصالح عملية أو سياسية ، كما أن التربية في صفوف أبنائها ترتكز على تنشيط الوعي العام بأحوال الأمم والواقع السياسي المحلي والدولي على حساب عمق التربية العقدية والسلوكية ، ولعله مما يلاحظ عامة على تلك التوجهات قلة الاهتمام بالسنن ومعالم الهدي الظاهر ، بل هناك نوع من الاستخفاف بها وربما التهكم على الملتزم بها ، والأمر الجدير بالملاحظة أن التيار الحركي السياسي الذي ينشط خارج المؤسسات الرسمية ، في تنظيمات لها طابع سري أو غير قانوني ، هي ـ من بين أبناء ذلك التيار ـ التي تكون أقرب إلى التربية العقدية ، وهي ملاحظة تحتاج إلى تحليل بلا شك ليس هنا مكانه .

ويبقى التيار الأخير وهو ذلك التيار الذي ينزع إلى الاجتهاد العقلاني في فهم النصوص والواقع الدعوي والعام ، وهو تيار قوي يملك أصحابه قدرا عاليا من رجاحة العقل ، ويملكون ـ عادة ـ خبرة عميقة بالحالة الثقافية والسياسية في المجتمع المحلي والدولي ، كما أنه بالنظر إلى أن كثيرا من أقطاب هذا التيار هم من المتحدرين من تجارب عقدية ومنهجية مغايرة للمنهج الإسلامي وعقيدته ، من ماركسيين وقوميين وبعثيين وليبراليين لا دينيين ، فإن في مواقفهم الفكرية قيمة كبيرة في التصدي لرموز التيارات التي كانوا ينتمون إليها ، وقدرة عالية على دحض حججهم ، وكشف عوارهم وفضح تناقضاتهم وهشاشة موقفهم الفكري ، ولا شك في أنهم أفضل من قاموا ويقومون بهذا الدور ، ولكن هذا السبب الذي منحهم هذه الإيجابية في النشاط الإسلامي العام ، هو نفسه السبب الذي مثل نقطة الضعف الواضحة في نشاطهم ،

وذلك أن علاقة هذا الفريق بأصول الشريعة ليست حميمة ، وحسهم الفقهي والتراثي فيه غربة ، وبناءهم العقلي والنفسي اكتمل قبل تشربهم لروح الإسلام ، ولذلك تأتي رؤاهم في العديد من القضايا الإسلامية العامة ، وخاصة ما يتصل منها بالسنة أو شؤون العبادات أو أصول التشريع ، تأتي ناشزة ، ومفارقة لإجماع أهل العلم ، كما أن لديهم جرأة مدهشة على تجاوز النص الشرعي إذا لم يوافق تأملهم العقلي ، والخطير أن عقلهم العلمي لم يتأسس ويتبحر في غمار العلوم الشرعية ، ولم يألف وعي الفقهاء والعلماء بالمشتبهات وتخريج ما غرب على العقل العام من الأحكام والنصوص ، ولذلك يستسهلون إسقاطها أو تجاوزها ، وترى منهم جرأة عجيبة في هذا الباب ، بل هناك حالة من الاستعلاء غير الصحي في مواقفهم تجاه أبناء الدعوة الإسلامية ممن لا يوافقونهم في نزعتهم ، وأخطر ما في أمر هذا التيار أنهم اقتربوا من بعض " المشايخ " إنسانيا وفكريا ، وأثروا فيهم تأثيرا كبيرا ، وخاصة عندما دخلوا إليهم من باب نظر الغرب إلى الإسلام ، وتحسين صورة الإسلام أمام الإنسان الغربي الجديد ، وما تصوروه تيسيرا على الناس في الأحكام ونحوها ، في حين أنه ينتهي إلى إضعاف وجود الدين ودوره في حياتهم وفتح باب الاستهانة بالأحكام الشرعية ، وقد تولدت الكثير من التفريعات والتقعيدات غير الحميدة من هذا التيار أثرت سلبيا على اعتصام الأمة بالكثير من معالم الشريعة والجرأة على الاستهانة بها ، من مثل تقسيم الدين إلى لباب وقشور ، واستبدال مصطلح التجديد بمصطلح الاجتهاد ، للهرب من الواجبات العلمية التي يفرضها استحداث النظر في قضايا الشريعة ، وغير ذلك من أمور .

هذه هي التيارات الثلاثة التي توجه الحالة الإسلامية اليوم ، في مرحلة البحث عن مستقبل للمشروع الحضاري الإسلامي ، وهي في الحقيقة تيارات على قدر ما فيها من تباين على قدر ما فيها من تكامل وتعاضد ، إذا حسن إجراء حوار علمي وحضاري وديني جاد بين رموزها ، وإذا أمكن السيطرة على نوازع الغلو في كل تيار ، وهي موجودة في الجميع ، وفي تقديري أن مستقبل المشروع الحضاري الإسلامي مرهون بمثل هذا الأمل في تكامل هذه الجهود ومن ثم امتزاجها في تيار عام يعيد بناء الشخصية المسلمة ، ويعيد بناء الأمة ، والدولة ، ثم يعيد بناء الخطاب

الإسلامي العام إلى العالم كله . إن النهضة الإسلامية في تصوري لا يمكن أن تقوم إلا على بناء سلفي متين ، لأن هذه النهضة في أساسها هي نهضة دين ، فهو قطب وجوده ووجودنا ، ودين الله هو نص كتابه وسنة رسوله ، ومنهج السلف الصالح الذي تأسست عليه هذه الأمة العظيمة التي ننتسب إليها ، ومن أراد أن يجتهد أي اجتهاد ، علمي أو سياسي أو دعوي أو حضاري وينسب ذلك إلى الإسلام ، فعلى هذا النهج الواضح ، بلا التواء ولا مجاملات ، فالأصل العام في النهضة الإسلامية ، أنها نهضة أمة الكتاب والسنة، أمة الوحي ، فهو الراية وهو الدليل وهو الرائد ، وعندما نفقد التزامنا بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح ، فإن سفن النهضة تنفلت من مسارها خبط عشواء ، تتجاذبها الرياح رياح الفكر ورياح الفتن ورياح الشهوة ، ثم تغرق بها في قرار سحيق ، وعلى جانب آخر فإن هذه النهضة لا بد وأن يكون لها حضورها الواعي في معترك الحياة الإنسانية بكافة تشعباتها ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، لأننا نبني أمة بشرية ، وللبشر احتياجاتهم ، وللأجيال طاقاتها التي تحتاج إلى أن تفرغ في مشروعات بديلة آمنة ، وعندما تتوقف أنت عن ذلك وتنعزل فسوف يتقدم غيرك ويقود هذه الطاقات ، إنه من الميسور أن يمارس المسلم الآن دور رجل المرور في شوارع الفكر والأخلاق والاقتصاد والسياسة ، فيحذر هذا من ذاك الطريق ، وينهى الآخر عن هذه المركبة ، ولكن دون أن يكون قد خطط سبلا وطرقا وخدمات بديلة تضبط مسار الفعل في المجتمع وتستوعب توسعات النشاط وتوسعات الطموح عند الناس ، وأن يقوم بتنفيذها أو بعضها بالفعل ، وكذلك فمشروع المستقبل الحضاري لا يمكنه تجاهل عطاء الفكر الإنساني ، وخاصة المفكرين الإسلاميين ، ودورهم في تحريك الوعي الإسلامي والدفاع عن الإسلام ضد خصومه ، وحماية العقل الإسلامي من كثير من المخاطر التي تهددته من تيارات ومناهج وافدة ، كما لا يمكن أن يتجدد عطاء الإسلام في حياة الناس من غير أن تتجدد اجتهادات تتأمل في مستجدات الهموم والخطوب ، وتطرح البديل الشرعي الذي ربما لم ينتبه له القدماء ولم تصطدم به آلة الفقه في السابق ، ولا بد وأن تكون هناك رحابة صدر في احتمال ما ينجم عن مثل هذه

الاجتهادات من أخطاء أو مثالب ، يمكن تداركها والإبانة عن زللها والتحذير منها ، ولكن دون أن نجرح أصحابها أو نهيل على تاريخهم التراب .

وبعد ..

فقد كانت هذه إطلالة عامة بطبيعة الحال ، على تحولات الفكر الحضاري في العالم الإسلامي في العصر الحديث ، تحتاج إلى حوار ونقد وتمحيص وإضافة وحذف ، كما تحتاج إلى كثير من إحسان الظن بصاحبها ، الذي يعترف بأن بضاعته في هذا الشأن " مزجاة " ، فإن أحسنت فمن الله وبرحمته ، وإن زللت فمن نفسي والشيطان ، والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الخاتم وعلى آله وصحبه أجمعين .

===============

الإسلام أعطى المرأة حقوقاً لم تحصل عليها في الغرب

يزعم الغربيون أنهم حريصون على تحرير المرأة، وخصوصاً المرأة المسلمة، وقد حرصت حركات تحرير المرأة المسلمة - كما أطلقوا عليها - على جعل المرأة المسلمة تقف خصماً أمام الرجل المسلم، وتقف خصماً ضد شريعة الإسلام الغراء، وتمتلئ تلك المنظمات الداعية إلى تحرير المرأة المسلمة رعباً وهلعاً كلما قيل هناك من يطالب بتطبيق حكم الشريعة، وتنفرج أساريرها فرحاً وسروراً كلما وجهت ضربة إلى الشرع الحنيف عن طريق سن المزيد من القوانين الوضعية العلمانية المستمدة من قوانين الغرب.

وتجلّى الاهتمام الغربي بقضية تحرير المرأة في الهجمة الشرسة المباشرة وغير المباشرة من قبل الغربيين على الشريعة الإسلامية، وتشجيعهم للمرأة على الخروج على تعاليم دينها التي التزمت بها طوال أربعة عشر قرناً، ويزعمون ان المسلمين يسيئون إلى المرأة، ويكبتونها، ويجبرونها على الالتزام بزي معين وهيئة معينة وهو ما يتعارض مع حقوق المرأة - كما يدّعون -.

والمتتبع لهذه التخرصات التي تنبع من الغرب، وتجد من يروج لها بين المسلمين لا يجد مشقة في الرد عليها، حيث كرّم القرآن الكريم المرأة ووضعها في أعلى منزلة.. وبشهادة المنصفين من مثقفي الغرب فقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقاً لم تحصل عليها

المرأة في الغرب، ولو قاس المنصفون ما كانت عليه المرأة في الجاهلية، وما صارت إليه بعد بزوغ شمس الإسلام الساطعة لعلم أن الإسلام أنصف المرأة ووضعها في مكانها الذي يجب أن تكون فيه من غير إفراط ولا تفريط وليس أدل على ذلك من اعتراف الإسلام للمرأة بحق النسب إلى أبيها بعد زواجها بعكس المرأة في ظل الحضارة الغربية التي لا زالت حتى اليوم تنسب لزوجها وليس لأبيها، كما أقر الإسلام مساواة المرأة بالرجل في الثواب والعقاب فقال تعالى ((فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثي بعضكم من بعض)) الآية والشواهد في هذا السياق متعددة وكثيرة.. والنبي صلى الله عليه وسلم عرف للمرأة مكانتها فقد رد صلى الله عليه وسلم عن الصحابي الذي سأله « من أحق الناس بحسن صحابتي فقال له صلى الله عليه وسلم: أمك، قال ثم من، قال: أمك، قال ثم من، قال: أمك، قال: ثم من، قال: أبوك» وقوله صلى الله عليه وسلم «الجنة تحت أقدام الأمهات".

ولهذا لو قارنت الفرق الشاسع بين أكرم المسلمين للمرأة خاصة الأم لوجدت الاحترام والمودة والبر أما تعامل الغرب مع المرأة خاصة الأم لوجدت أن المرأة عندهم إذا كانت شابة فهي سلعة يباع لحمها وشرفها بأرخص الأثمان وإذا كبرت في السن القى بها ابنها في الملجأ ان هذا التعامل الغربي الجواني مع المرأة يقابله تعامل الملتزمين بالإسلام مع المرأة المتمثل في بر الأم وإكرام الزوجة والإحسان إلى القريبات في تعامل حضاري راق ومع ذلك تجد أن العالم الغربي الحيواني يشن حرباً شرسة على المرأة المسلمة ويريدها أن تخرج من سترها وشرفها وعفافها وتكون سلعة مبتذلة رخيصة ويدعون أنهم يريدون أن يحرروا المرأة من شرفها وكرامتها وعفتها وزمر لهم وطبل دسائس الماسونية بين المسلمين ومع ذلك فإن الله ناصر لدينه ومعز للمتمسكين بالإسلام ولو كره الكافرون هذا والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

============

#دبلوماسية الحرب الأمريكية على العالم

عرض:أنور بن علي العسيري 1424/4/21

2003/06/21

الكتاب : هل تحتاج أمريكا إلى سياسة خارجية
نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين ؟ .
المؤلف: هنري كيسنجر .
الناشر :دار الكتاب العربي ، بيروت .
ترجمة :عمر الأيوبي.
عدد الصفحات:328 صفحة .

يثير هذا الكتاب المغلف بالرؤى الاستراتيجية فكرة السيطرة التي تراود النخب الفكرية السياسية الأمريكية هذه الأيام .. فمع توافد الكتب التي يؤلفون على دور النشر العالمية يتفاجأ الجميع بهدف إمبريالي واحد لا يكاد ينفك عن جميع نقاشات هذه الأقلام . غزو العالم بات هدفاً أمريكيا واضحاً . ومع هذا الكتاب الذي يحق لنا أن نطلق عليه " دبلوماسية الحرب الأمريكية على العالم " يحمل " كيسنجر " العالم برمته على كف أمريكا ليديره بالاتجاهات التي تحقق مكاسب هذه الدولة العظمى ، فمن محاورة هذه الدولة إلى اقتلاع الأخرى ، ومن دعم لذلك التكتل البعيد إلى تفكيك أي محاولات تكتل في المنطقة القريبة بما يحقق هدف الوجود الأمريكي الإمبريالي الجديد .. لقد باتت الكرة الأرضية برمتها ملعباً وساحة مهمة لاطماع هولاكو العصر الجديد .. من هنا آثرنا أن نفتح نافذة على هذه العقول المتأصلة في عالم الاستبداد لنتيح لقرائنا فرصة التقاط الأفكار وقراءتها من عقول أصحابها ؛ ولذا فقد جاء هذا الكتاب المدجج بنظريات الاحتلال ومراوغات السلطة ومحاولات اللعب على الثغرات وتأجيج نارها في مناطق العالم محاولة لفهم هذه الرؤية للعالم ، علّنا أن نعيها كمسلمين في لحظة تاريخية من عمر امتنا الاسلامية المشرق.

الفصل الأول :

أميركا في القمة : إمبراطورية أم زعيمة ؟

تتمتع الولايات المتحدة في فجر الألفية الجديدة بتفوق لم تضاهه حتى أعظم الإمبراطوريات في الماضي ، فمن صناعة الأسلحة إلى تنظيم العمل ومن العلوم إلى التكنولوجيا ومن التعليم العالي إلى الثقافة الشعبية تمارس الولايات المتحدة سيطرة لامثيل لها في كل أنحاء العالم ، والولايات المتحدة تعتبر نفسها مصدر المؤسسات

الديمقراطية في العالم ، مما جعلها بشكل متزايد تنصّب نفسها حكما على نزاهة الانتخابات الأجنبية ، وتفرض عقوبات اقتصادية أو تفرض ضغوطا أخرى إذا لم تستوف معاييرها .

ونتيجة لذلك تنتشر القوات الأمريكية حول العالم من سهول أوروبا الشمالية إلى خطوط المواجهة في شرقي آسيا ، وتكاد تتحول هذه المحطات للتدخل الأمريكي (حفظ السلام) إلى التزامات عسكرية دائمة ، ففي البلقان تؤدي الولايات المتحدة الوظائف نفسها في جوهرها التي قامت بها الإمبراطوريتان النمساوية والعثمانية عند منقلب القرن الماضي ، أي حفظ السلام بإقامة محميات مقحمة بين المجموعات الاثنية المتحاربة وهي تسيطر على النظام المالي الدولي بتوفير أكبر مجمع لرأس المال الاستثماري ، والملاذ الأكثر جاذبية للمستثمرين وأوسع سوق للصادرات الأجنبية ، وتحدد الثقافة الشعبية الأمريكية معايير الذوق في كل أنحاء العالم حتى عندما توفر شرارة الاستياء الوطني بين الحين والآخر !!

الطبيعة المتغيرة للبيئة الدولية:

إن فهم الوضع المعاصر بالنسبة للأمريكيين يجب أن يبدأ بالاعتراف بأن الاضطرابات الحاصلة فيه ليست انقطاعات مؤقتة لوضع راهن ، بل إنها تدل على تحول حتمي للنظام الدولي ، ناجم عن حدوث تغيرات في البنية الداخلية لكثير من المشاركين الأساسيين فيه .

إن مصطلح العلاقات الدولية بحد ذاته هو في الواقع حديث النشأة نسبيا ؛ لأنه يقتضي أن تكون الدولة القومية حتما أساس تنظيمه ، غير أن هذا المفهوم لم ينشأ في أوروبا إلا في أواخر القرن الثامن عشر ، وانتشر حول العالم عن طريق الاستعمار الأوروبي إلى حد كبير ، واليوم يواجه النظام الوستفالي أزمة منهجية وتخضع مبادئه للتحدي ، رغم عدم التوصل إلى بديل متفق عليه بعد ، لقد جرى التخلي عن سياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى لصالح مفهوم التدخل الإنساني العالمي!! أو الولاية القضائية العالمية .

ومن هنا فإن الدولة القومية التاريخية باتت تدرك أن حجمها غير كاف لكي تلعب دورا عالميا رئيسا ؛ لذا أخذت تسعى لتجميع نفسها في وحدات أكبر.

التحديات التي تواجه أمريكا :

وجدت الولايات المتحدة نفسها في عالم لم تعد تجربتها التاريخية سوى القليل منه ، فقد رفضت مفهوم توازن القوى نظرا لوجودها آمنة بين محيطين عظيمين ، مقتنعة أنها قادرة على أن تنأى بنفسها عن نزاعات الأمم الأخرى ، أو أن بوسعها إقامة السلم العالمي بالإصرار على تطبيق قيمها الخاصة للديموقراطية وتقرير المصير .

ومن الشعور بالأمن الذي رافق أمريكا كما يرى " كيسنجر " تستولي معركة القوى الداخلية الأمريكية على نصيب الأسد في هذه الصعاب التي تواجه أمريكا ، فالمؤلف يرى أن السبب الأعمق للصعوبة التي واجهتها أمريكا في تسعينيات القرن العشرين في تطوير استراتيجية متماسكة للعالم ، هي في هذه القوى المتنازعة بشأن الدور الأمريكي وهي : قوى المحاربين القدامى في الحرب الباردة الذين يسعون لتكييف خبراتهم مع ظروف الألفية الجديدة ، وأنصار حركة الاحتجاج على فيتنام الذين يسعون لتطبيق دروسها على نظام العالم الجديد الناشئ ، وجيل جديد شكلته تجارب تجعل من الصعب عليه استيعاب مفاهيم جيل الحرب الباردة أو مفاهيم المحتجين على فيتنام . إن محور الحل الذي يراه " كيسنجر " قد رسمته آخر حروف الفصل الأول (على الولايات المتحدة أن تترجم قيمها إلى إجابات عن بعض الأسئلة الصعبة ، ما الذي علينا الحؤول دون حصوله من أجل بقائنا بصرف النظر عن مقدار إيلام الوسائل ، وما الذي علينا أن نعمل جاهدين لإنجازه لكي نكون صادقين مع أنفسنا بصرف النظر عن مقدار ضآلة الإجماع الدولي المتحقق ولو اضطررنا الى العمل بمفردنا!!) .

وهذه الرؤية الواضحة لحروف هذا الكتاب تعد فيصلا في كل ماستقدم عليه أمريكا لاحقا في العالم ، وهي مرآة لما تفعله اليوم في العالم الكبير !!

الفصل الثاني :أميركا وأوروبا.

عالم الديموقراطيات:

انتصر المثل الأعلى الولسوني للنظام الدولي الذي استند إلى الالتزام بالمؤسسات الديمقراطية وحل النزاعات عن طريق المفاوضات بدلا من الحرب ؛ ولهذا السبب ولمدة تزيد على نصف قرن ، خدمت شراكة دول شمال الأطلسي كحجر الزاوية

للسياسة الخارجية الأمريكية ، وحتى بعد زوال الخطر السوفيتي ظلت الشراكة الأطلسية بالنسبة إلى الولايات المتحدة الدعامة الأساسية للنظام الدولي .

تحول العلاقات الأطلسية :

إن الانحراف في العلاقات الأطلسية لا تسببه سياسات معينة لقادة فرديين ، لكن هذه السياسات تعكس أربعة تغيرات في العلاقة التقليدية :

تفكك الاتحاد السوفيتي .

توحيد ألمانيا.

الاتجاه المتنامي للتعامل مع السياسة الخارجية كأداة للسياسة المحلية.

تشكل الهوية الأوروبية .

منذ دخول أمريكا في الحرب العالمية الأولى سنة 1917 وسياستها ترتكز على الاعتراف بأنه من مصلحتها الجيوسياسية الحؤول دون سيطرة قوة معادية محتملة على أوروبا ، وللدفاع عن تلك المصلحة تخلت الولايات المتحدة عن عزلتها التقليدية بعد الحرب العالمية الثانية ، ودخلت في صراع طويل مع الاتحاد السوفيتي.

و هكذا تتقرر في نظر " كيسنجر " أهداف أمريكا في أوروبا وهي ما يشهده العالم في كل مناطق التقسيم السياسي الذي فرضته الرغبة الأمريكية بالاستفراد بدول العالم عبر فرز مكامن قوتها ، وتنفير أي محاولة تقارب قد تتيح قوة جديدة قادرة على تقديم نفسها كبديل منافس أو على الأقل كقدرة استراتيجية تحمي ذاتها.

الفصل الثالث : نصف الكرة الغربي عالم الديموقراطيات .

الثورة في المنطقة :

إذا اعتبرنا أن المؤسسات السياسية والاقتصادية تحدد طبيعة الدور الدولي في المنطقة فبالإمكان مقارنة أمريكا اللاتينية بالدول المحاذية لشمال الأطلسي ، فأنظمتها السياسية ديمقراطية واقتصادياتها تتوجه بشكل متزايد نحو السوق ، والنزاعات بين دولها تحل عن طريق المفاوضات أو التحكيم ، لكن يوجد عالم أمريكي لاتيني آخر متخلف وبعيد عن المشاركة التكنولوجيا المتطورة والإنترنت .. وهذا الوصف لحال أمريكا تتركز أهميته لدا كيسنجر (المصلحي) الأمريكي في قدرة

أمريكا على التعامل مع هذا الجزء القريب منها ، والذي سيحقق لها أقصى منفعة ربحية ممكنة وفق قواعد السوق السياسي الذي تقوده أمريكا في عالمها الجديد!!

الفصل الرابع :آسيا عالم التوازن .

التعقيدات الجيوسياسية في آسيا :

خلال النصف الأول من القرن العشرين خاضت الولايات المتحدة حربين لمنع قيام قوة معادية من السيطرة على أوروبا ، وبعد الحرب العالمية الثانية لم تكن هناك دولة أوروبية غربية تملك ما يكفي من القوة للسيطرة على أوروبا أو مستعدة للجوء إلى الحرب كأداة سياسية ضد جيرانها .. إذن تهديدات الأمن كانت من الخارج!!

وبإلقاء نظرة على الخارطة السياسية والاقتصادية لآسيا تتضح أهمية وتعقيدات المنطقة ، فهي تضم بلدا صناعيا متطورا مثل اليابان باقتصاد أكبر من اقتصاد أي بلد تاريخي في أوروبا ، وثلاثة بلدان قارية هي الهند والصين وروسيا ، وبلدين كوريا الجنوبية وسنغافورة قريبين من امتلاك الإمكانات الاقتصادية والتكنولوجية للدول الصناعية المتقدمة ، وبلدين كبيرين هما الفلبين وإندونيسيا ، وتنتشر أعداد كبيرة من السكان المسلمين في ماليزيا واندنويسيا ، وهما أكثر الشعوب الإسلامية عددا في العالم . ولا يمكن لتكتل آسيوي عدائي يضم أكثر الدول اكتظاظاً بالسكان وموارد هائلة مع بعض أكبر الشعوب الصناعية أن يتفق مع المصالح القومية الأمريكية ؛ ولهذا يتعين على الولايات المتحدة الإبقاء على وجود لها في آسيا ، ويتعين أن يكون هدفها الجيوسياسي منع تحول اندماج آسيا إلى تكتل غير صديق (وهو المرجح حصوله في ظل وصاية إحدى القوى الرئيسة) .

والتحدي الجيوسياسي كما يرى كيسنجر – والذي تلعب على أوتاره امريكا- هو ليس في إلحاق الهزيمة بدول الجوار بقدر ما هو في كيفية منع هذا التحول من الإتحاد ضدها ، فكابوس اليابان هو العملاق الصيني ، وتستند هواجس الصين من المخططات اليابانية والروسية إلى قرن من التجارب ، ولطالما كانت الحدود بين الصين والهند سببا للنزاعات لأكثر من نصف قرن وقبل ذلك كانت مصدرا للمنافسة بين الصين والإمبريالية والحكام البريطانيين في الهند ، وبعد عرضه العام هذا بدء

المؤلف في تحليل هذه القوى من زوايا التاريخ والاستراتيجية بما يحقق القدر الأكبر من الإنجاز والسيطرة لإمبراطورية العصر الجديد الولايات المتحدة الأمريكية!!

وفي معرض توصيفه للوضع الهندي تطرق لما اسماه بالقوس الممتد من سنغافورة إلى عدن ؛ إذ وكما يرى في كتابه أن المصالح الهندية والأمريكية تتوازى ، فكلاهما لا يرغب في إسلام أصولي يسيطر على المنطقة حتى ولو كانت دوافعهما مختلفة فيما يتعلق بسياستهما المحلية ، لكن الهند تظل قلقة من الأصولية الأفغانية اكثر من قلقها من الأصولية الإيرانية .

إلى أين نذهب من هنا:

نبغي على السياسة الأمريكية في آسيا أن تحرر نفسها من الشعارات السطحية وتبدأ بالأفعال على أساس بعض المبادئ العملية التالية :

أولا : تكمن مصلحة أمريكا القومية في آسيا في منع أي قوة من فرض هيمنتها على القارة !!

ثانيا : أفضل طريقة لدفاع الولايات المتحدة ضد أي تهديد معاد هو ترسيخ وجود عسكري متفوق .

ثالثا: ينبغي إجراء حوار مكثف مع الهند فالمصلحة الأمريكية الجيوسياسية أساسا بالاضافة إلى قلق الهند من تأثير الأصولية الإسلامية على شعبها ستساعد على البدء في حوار استراتيجي بناء .

رابعا : يمكن صياغة العلاقات الصينية الامريكية وفقا للسياسة الامريكية ، ويجب الاعتراف بأن الصين جزء لايستغنى عنه من سياسة آسيوية بناءة .

الفصل الخامس: الشرق الأوسط وأفريقيا .

عوالم آخذة في التحول:

في صراعات الشرق الأوسط تنبع الدوافع العاطفية من قوى مشابهة لتلك التي كانت في أوروبا في القرن السابع عشر فقد مزقت الانقسامات الدينية والأيدلوجية المنطقة أقساما شتى ، وأبرز هذه الانقسامات الصراع العربي الإسرائيلي ....لكن التصدعات في العالم الإسلامي لاتقل حدة إن لم نقل وضوحا .

يعاني العالم الإسلامي من انقسامات خاصة ، بعضها يمثل استمراراً لصراع تاريخي بين حضارتي النيل وبلاد مابين النهرين .. بين أنظمة علمانية متطرفة مثل النظام العراقي وأنظمة علمانية معتدلة مثل النظام في مصر ، بين الأصوليين وأبرزهم الحكومة الإيرانية والأنظمة العلمانية مثل النظام السوري ، بين الحكومات في المملكة العربية السعودية ودول الخليج وجيرانها الأكثر حداثة ، بين العرب والفرس ، وبين مذهبي الإسلام السني والشيعي .

الصراع العربي الإسرائيلي:

في العام 2000م صار العالم معتاداً على عبارة السلم في الشرق الأوسط لدرجة أنه بات من شبه المنسي التاريخ القاسي والمرير الذي سبق هذه العملية وتحتاج المفاوضات العربية الإسرائيلية إلى التوفيق بين القضايا الإقليمية والاستراتيجية أي مادة الدبلوماسية ومسائل الأيديولوجيا والدين والشرعية ، أي مادة اللاهوت ولعل العقبة الأساسية أمام بلوغ دبلوماسية السلام ذروتها هي المفاهيم المتباينة لفرقاء المعنيين تجاه عملية السلام فالإسرائيليون والأمريكيون يعرفون السلام بأنه تسوية تنهي الدعاوى وتحدد وضعية شرعية دائمة ، بعبارة أخرى انهم يطبقون مفاهيم الديمقراطية المتحررة للقرن العشرين !! لكن العرب وخصوصا الفلسطينين يعتبرون إسرائيل دولة دخيلة في الأراضي العربية (المقدسة) ، قد يقبلون تسوية حول الأرض لعدم وجود بديل أفضل لكنهم سيتعاملون مع القضية كما أذعنت فرنسا لضم ألمانيا للالزاس واللورين سنة 1980م كضرورة ممزوجة بالتصميم على الانتظار ريثما تحين فرصة لاستعادة ما فقد !!

في المقابل فقد بدأت الاستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية تتشابك في اللحظة التي وصلت فيها دبلوماسية السلام في الشرق الأوسط إلى مرحلتها الأخيرة !! .

إلى أين نتجه:

تحققت الإنجازات الدبلوماسية الرئيسية في الصراع العربي الإسرائيلي من ظرفين مترابطين الأول كان الدور المهيمن للولايات المتحدة في تشكيل المناخ السياسي والإستراتيجي للشرق الأوسط والثاني كان أدق واكثر تناقضا في الظاهر : حكومة

إسرائيلية مدافعة بعناد عن مصلحتها القومية لا تتزعزع من أية ضغوطات تمارسها عليها دول الجوار .!!

بعد هذه الكلمات التي تمثل اعترافا صريحا بلعبة السلام المفتعلة وتوزيع الأدوار المرعب بين حليفين استراتيجيين ساق المؤلف تباشير هذه الانتصارات التي حققتها هذه الدبلوماسية في عصر سقوط العرب ، وتعالي صوت الحل العلماني الذي لايفهم إلا لغة الإذعان في مفاوضات السلام .

العراق:

وقع العراق تحت الانتداب البريطاني عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى عندما قسمت الإمبراطورية العثمانية في الشرق الأوسط بين فرنسا وبريطانيا..

بإنشائها لخدمة مصالح استراتيجية واقتصادية تولى الحكم في الدولة الجديدة متعددة الاثنيات بعد نيلها الاستقلال سلالة هاشمية وخدمت كدعامة للاستراتيجية البريطانية في الخليج ، وفي العام 1958م تمت الإطاحة بهذه السلالة في أعقاب الذل الذي لحق ببريطانيا في عملية قناة السويس سنة 1956م وتولى الحكم حزب البعث القومي الراديكالي والذي ظهر من بينهم صدام حسين كحاكم فعلي في السبعينيات .. ولقد أجبر بقاء صدام السياسي الولايات المتحدة على اتباع سياسة " الاحتواء المزدوج " ضد كل من إيران والعراق .. وهكذا بدا أن المسالة التي تطرحها العقوبات الذكية المقترحة كبديل هي هل ستنتهي كطريقة للتنازل أو كشكل من أشكال الضغط الذي سوف يتوقف على أية حال ... وفي هذا الإطار النوعي لتحليل عراق أكثر ملائمة لأمريكا من وجهة نظر " كيسنجر " يدعو لعدم الاستعجال في تحديد شكل عراق ما بعد صدام ، وهو يقول : إنه ليس من المبكر التركيز على شكل العراق المأمول بعد رحيل صدام ، ينبغي ألا يكون العراق قويا جدا بالنسبة إلى ميزان القوى في المنطقة ولا ضعيفا جدا للحفاظ على استقلاله ضد جيرانه الطامعين وبخاصة إيران وللمحافظة على رصيد أمريكا في الخليج ، فإن السياسة الهادفة الحازمة أفضل من التخبط الذي ميز التسعينات ، وهذا مهم أيضا بالنسبة إلى علاقة أميركا بإيران أكبر قوة في المنطقة .. لن تكون الولايات المتحدة قادرة على التلطيف من حدة إيران الأصولية إذا لم يمكنها التعامل مع عراق مهزوم .. أو إذا رأى قادة طهران وهم

ينظرون عبر حدودهم مقدار سهولة وفعالية تحدي الولايات المتحدة فما الدافع الذي يحفز الحكام هناك عندئذ على انتهاج طريق معتدل!!

الفصل السادس :سياسة العولمة

لأول مرة في التاريخ يظهر للوجود نظام اقتصادي عالمي واحد فالأسواق في جميع القارات تتفاعل باستمرار والاتصالات تتيح التجاوب الفوري مع أي فرص جديدة أو توقعات منخفضة ، وآليات التسليف المعقدة توفر سيولة غير مسبوقة كما شجعت العولمة على زيادة سرعة التطور التكنولوجي والثراء بمعدلات لم يكن في وسع أحد أن يتصورها في العصور السابقة ...

وكانت الولايات المتحدة ولاتزال القوة المحركة التي توفر الدينامية المحركة للعولمة وهي المستفيد الأول من القوى التي أطلقتها ... لكن معظم الخبراء يتفقون على أن نظام السوق يخضع لدورات ، وأن انكماشا اقتصاديا سيحدث عاجلا أم آجلا والتوسع الاقتصادي الامريكي الذي يبدو بدون حدود مقيد بالدخول في فترات ركود إن عاجلا أم آجلا!!

الفصل السابع :السلام والعدل :

ربما كان التحول الأكثر دراماتيكية في طبيعة الشؤون الدولية المعاصرة القبول العام بأن هناك مبادئ عالمية معينة ينبغي أن تفرض إما عن طريق الأمم المتحدة ، وإما في الحالات القصوى عن طريق مجموعة من الدول .

مثل الناتو في كوسوفا

ولقد كان لدى النظام الدولي المستند إلى معاهدة " وستفاليا " جواب لمشكلة الانتهاكات بين الدول أي اللجوء للحرب لكنه لم يوفر أي حل للعنف ضمن الدول الناتجة عن الحروب الأهلية والنزاعات العرقية ، ولِمَا يعرف اليوم بانتهاكات حقوق الإنسان فقد تعامل مع مشكلة السلم وترك العدالة للمؤسسات المحلية . ويرى الناشطون المعاصرون في مجال حقوق الإنسان خلاف ذلك فمن وجهة نظرهم ينبع السلام تلقائيا من العدل ولا يمكن وضعه تحت شكل من أشكال الدول القومية أو على أي دولة ويتعين وضعها تحت شكل من أشكال السلطة المتجاوزة للسلطة

القومية والمخولة باستخدام القوة لتحقيق العدل أما المدافعون عن المبادئ الوستفالية فيثقون برجال الدولة اكثر من ثقتهم بالقضاة .

ما بعد 11 أيلول/ سبتمبر 2001م

التحدي الجديد للإرهاب:

ألمّ بالعالم حدث مهم جداً بعد كتابة هذا الكتاب ألا وهو الهجوم الإرهابي على الولايات المتحدة في 11 أيلول / سبتمبر 2001 م لقد كانت مأساة إنسانية عظيمة لكنها حددت أيضا نقطة تحول تفصل الظواهر السطحية عن الاتجاهات التي تقوم عليها ، وتجبر على نبذ الرائج وما يتماشى مع الأهواء وتتطلب وضع رؤية مستقبلية لقداحتل رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير موضع الصدارة في وضع الإطار الأخلاقي والسياسي للتعاون الأطلسي بشأن الإرهاب ، في المقابل كانت المواقف أكثر غموضا بالطبع في العالم الإسلامي فقد اضطرت كثير من الدول الإسلامية (العلمانية) إلى عدم الإعلان عن دعمها للولايات المتحدة بسبب الرأي العام مع أنها تشعر بقلق شديد من الأصولية ، وقد ساعد الموقف المتفهم تجاه الأصدقاء التقليديين للولايات المتحدة والغرب مثل المملكة العربية السعودية ومصر في توسيع الائتلاف في العالم العربي

حلف الأطلسي والعراق :

عندما تجاوز هدف المسعى الأمريكي القضاء على المجموعات الإرهابية المحددة في بلد محدد إلى القضاء على إمكانية توزيع أسلحة الدمار الشامل بدأ الإجماع داخل الائتلاف يضعف بل يتفكك في بعض جوانبه ، فخلال أشهر من الإجماع شبه التام فيما يتعلق بعملية أفغانستان أثارت دعوة رئاسية إلى الحرب غير مسبوقة من الحدة ، ومع ذلك أثار بوش مسألة مركزية بالنسبة إلى الأمن الدولي ألا وهي الترابط بين المنظمات الإرهابية الكبيرة والفتاكة وحسنة التنظيم (مثل القاعدة) وبين الدول التي استخدمت الإرهاب ودعمته (مثل كوريا الشمالية وإيران) والدول التي طورت أسلحة الدمار الشامل (واستخدمتها مثل العراق)

لاشك في انه يجب التعامل مع الدول الثلاث التي ذكرها الرئيس بوش بوسائل تتناسب مع أوضاعها الخاصة فالعراق يشكل التحدي الأكثر إلحاحاً ، وتتطلب إيران

السياسة الأكثر تعقيدا وكوريا الشمالية تشبه العراق على الصعيد الداخلي إن مجال الدبلوماسية مع العراق هو الأضيق ، ويؤمل في أن يكون الأرحب مع إيران ؛ ولذلك أشار بوش ووزير الخارجية كولن باول إلى عدم وجود نية للتعامل مع إيران وكوريا الشمالية بوسائل عسكرية ، لكن محك أي سياسة سيكون في النهاية درجة التمكن من السيطرة على المخاطر التي تتهدد الأمن العالمي نتيجة امتلاك أنظمة خطيرة لأسلحة الدمار الشامل

================

#700 خطة لتنصير العالم

نور الاسلام_ في دراسة نشرت مؤخرا حول خطة لتنصير العالم – قال موشيه دايان في أعقاب حرب يونيو 1967 : " إن العرب لا يقرأون " وهذه الملاحظة تنطبق بشدة على مخططات المنصرين ، فهم من خلال ما ينشرونه لا يخفون أهدافهم مطلقاً ، ولكننا نجهلها إلا عندما تتحقق على أرض الواقع ؛ لأنه لا توجد لدينا مؤسسة تدرس بعمق ما يرمون إليه من خطط ومشاريع ، بل ونحن نستخف بالقادرين على إجراء دراسة كهذه ، ثم نفاجأ بعد عقود بأن المناطق كذا وكذا قد أصبحت نصرانية .. !! واليوم يجري العمل التنصيري الصامت . والنشيط في آن واحد . عبر 3 آلاف منظمة تنصيرية على هامش العالم الإسلامي ، حيث حدد المنصّرون . بدقة . القبائل الأمية الفقيرة المستهدفة باعتبارها مجموعات يمكن أن تقبل على التنصر . وهناك جهود منظمة ضخمة للتنسيق والبرمجة لأجل إيصال صوت المسيحية إلى الشعوب التي لم يصلها وقد عقدت لأجل هذه مؤتمرات ضخمة للمنصرين خلال ربع القرن الماضي . وكان أهم هذه المؤتمرات مؤتمر " لوزان " بسويسرا ، الذي انعقد سنة 1974 ، لوضع استراتيجية عالمية لإيصال الصوت النصراني إلى كل إنسان على وجه الأرض بمجيء سنة 2000 م . وتم عقد مؤتمر ضخم آخر للغرض نفسه في يوليو 1989 " بمانيلا " عاصمة الفلبين ، شارك فيه 4000 شخص ، من 190 دولة في أنحاء العالم .و قد ظهرت في الولايات المتحدة مؤخراً حول خطط المنصرين لتحويل الكرة الأرضية كلها إلى النصرانية ، وقد ألفها كاتبان مسيحيان بارزان هما (دافيد باريت) محرر دائرة المعارف المسيحية و (جيمز ريبسوم) خبير شؤون التنصير . وقد

اشترك كلاهما – حسبما يقول الكاتب – في وضع 36 مشروعاً تنصيرياً ، من بين المشاريع التنصيرية الثلاثمائة والثمانية والخمسين " 358 " التي نفذت خلال الفترة 1953 – 1988 .ودافيد باريت اسم خطير في عالم التنصير العالمي ، وهو يلعب دوراً رئيسياً في تخطيط برامج الكنائس الغربية ، وهو في الوقت نفسه مستشار الفاتيكان لشئون التنصير العالمي . و تكشف هذه الدراسة عن 788 مشروعاً ينفذها 5000 منصِّر أو أكثر خارج حدود بلادها بمعدل 1200 مشروع تنصيري عالمي في عصرنا الحالي.!

واستخدم المنصرون إلى جانب القهر والسلطة السياسية ، قوة المال ووسائل الدعاية ، ويخبرنا المؤلفان في صدد ذكر الأوضاع المالية للكنائس العالمية أن المسيحية العالمية المنظمة تنفق الآن أواخر الثمانينات 145بليون دولار سنوياً ، ويعلم في أجهزتها 4.1 ملايين عامل متفرغ ، وهي تدير 13000 مكتبة عامة كبرى ، وتنشر 22000 مجلة بمختلف اللغات عبر العالم ، كما تنشر 4 بلايين نسخة من الكتب في العام الواحد ، وتدير 1800 محطة إذاعية وتلفزيونية في أنحاء العالم ، وتستخدم المنظمات الكنسية 3 ملايين جهاز كمبيوتر .. والكتاب يصف أخصائيي الكمبيوتر المسيحيين بأنهم جيش مسيحي من نوع جديد . والعمل التنصيري الخارجي هو أهم ما يشغل الكنائس المنظمة هذه الأيام و التي يعمل بها 262.300 داعية متفرغين ، وهم يكلفون الكنائس 8 بلايين دولار سنويًا ، وكل سنة يصدر 10000 كتاب وبحث جديد حول التنصير الخارجي .

ويقول المؤلفان في صدر ذكر الاحصائيات : أن الكنيسة قد وظفت 160 مليون سنة عمل للتنصير على وجه الأرض خلال القرون العشرين الماضية ، بتكلفة إجمالية تبلغ 350 بليون دولار ، بمعدل 2.200 دولار للداعية الوحد في السنة ، أما المشاريع التنصيرية السبعمائة الثمانية والثمانون 788 التي تتناولها هذه الدراسة فقد استهلكت ملايين سنة عمل و45 بليون دولار .

وطبقاً لهذه الدراسة ينشط في أنحاء العالم الآن 387 مشروعاً تنصيرياً عالمياً ، و254 منها تحرز التقدم والنتائج المرجوة ، والدراسة تصف 254 مشروعاً من هذه المشاريع بمشاريع واسعة النطاق ، وهي التي ينفق كل واحد منها على العلم

التنصيري عشرية آلاف ساعة عمل ، أو أكثر من عشرة ملايين دولار سنويا ، على مدى عشر سنوات .

و33 مشروعاً من هذه المشاريع هي ما تطلق عليه الدارسة وصف " المشاريع الضخمة " وهي التي ينفق كل واحد منها مائة ألف سنة عمل ، أو مائة مليون دولار سنوياً ، أو ألف مليون دولار عبر عمرها، وأكبر هذه المشاريع الضخمة ينفق الآن 550 مليون دولار سنوياً على أنشطتها التنصيرية في أنحاء العالم .

وتعترف الدارسة بأنه رغم هذه الجهود الضخمة لا تزال هناك شعوب لم تصلها رسالة المسيحية ، أو لم تنجح المسيحية في أوساطها ، وقد قام الباحثون الكنسيون الآن بالتعرف الدقيق على هذه الشعوب التي لم تصلها المسيحية ، وبالتالي تمكنوا من تقسيمها إلى 3000 وحدة متميزة ، ويوجه 5000 منصر . ذو تدريب وكفاية . جهودهم المستمرة نحو تنصير هذه الشعوب . وهم يتحركون من مراكز يشعرون فيها بالأمان السياسي ، وهم يتمتعون بأحدث وسائل الاتصال .

وأكبر عقبة يواجهها المنصرون هي أنه لا يسمح لهم بالتحرك القانوني في كثير من مناطق العالم ، وأنهم يواجهون معارضة إديولوجيات دينية أو قومية تمنع نشاطهم . ويقول المؤلفان : أنه اليوم نحو 65 دولة في العالم قد أغلقت أبوابها في وجوه المنصرين ، وهناك معدل 3 دول تنضم إلى هذه القائمة سنويًا .

وقد تغلب المنصرون على هذه الصعاب وهم يديرون أجهزة سرية واسعة النطاق بينما يعكف خبراؤهم على البحث عن وسائل سرية جديدة ،وأساليب للدخول إلى مجتمعات مغلقة . والمنصرون لا يعبؤون بقضية أن أساليبهم هذه غير أخلاقية وغير قانونية . ويقول المؤلفان ، وهما يتناولان هذا الجانب السري من نشاط المنصرين : " إنهم لم يتورعوا عن العمل غير الشرعي أو السري ، وهو أمر يشهد عليه تاريخ الحركة التنصيرية . والمنصرون المبعوثون إلى هذه المجتمعات المغلقة التي تمنع النشاط التبشيري هم أنواع شتى ، حسب ظروفهم ، وحسب ظروف المجمتع الذي يعملون فيه . ولكل نوع مصطلح خاص به ، له مفهومه المعروف في الوسط التنصيري . ومن أهم هذه المصطلحات :

ضارب الخيمة – المقيم – السري – العامل في الظلام – السائح – ناقل الرسائل – المهرب – غير المقيم .

وظائف علمانية :

ويعرف المنصرون من خلال بحوثهم وتجاربهم العملية أن أكثر البلاد انغلاقاً على نفسه يحافظ على بعض العلاقات مع الغرب كالعلاقات التجارية والدبلوماسية والفنية والسياحية . وبالتالي يتم ارسال المنصرين إلى هذه المجتمعات المنغلقة لكي يعملوا في وظائف علمانية كفنيين ودبلوماسيين واطباء وعمال اجتماعيين ، بينما هم في الحقيقة يعملون لحساب منظمة تنصيرية ولتحقيق أهدافها في ذلك المجتمع .

ويطلق على هؤلاء وصف "ضاربو الخيام " وهذه القناة منظمة جداً .

أما " السري " فهو منصر متفرغ يعمل بصورة غير قانونية في بلد ما يحظر النشاط التنصيري . ويقول المؤلفان إن غالبية العمل التنصيري تتم في المجتمعات المنغلقة بهذا الأسلوب .

أما " العامل في الظلام " (وهو أصلاً مصطلح تستخدمه الوكالات الاستخبارية لعناصرها المندسة في مظمة مستهدفة) فهو في المصطلح التنصيري عامل تنصيري أجنبي غير متفرغ يقيم في بلد ما بصورة غير قانونية .

أما " ناقل الرسائل " فهو زائر من الخارج ينقل الراسائل بين المتنصرين المحليين والمنصرين السريين النشيطين في بلد ما ، والسائح أيضاً يقوم بهذه المهمات ، ويدخل مائة مليون مسيحي إلى البلاد المحظورة عبر العالم سنويًا لأغراض مختلفة ، ويتم إقناع آلاف منهم بأن يعملوا " كناقلي رسائل " للوكالات التنصيرية الغربية .

و" المهرب " هو خبير متفرغ يعلم كمتنقل بين مختلف المحطات التنصيرية لنقل المواد والمعلومات والأموال ، وأشهر هذا النوع من العمال السريين هو المنصر المعروف بـ "الأخ اندرو" مؤلف كتاب مهرب الله (أي المهرب في خدمة الله) . هذه الأنواع السالفة هي كلها أوصاف للمنصرين الأجانب ويقصد به عموماً المنصرون من أوروبا الغربية و أمريكا الشمالية .

ويوجد إلى جانب هؤلاء نشطاء تنصيريون من المسيحيين المحليين في المجتمعات المنغلقة المستهدفة للتنصير .

ويقسم هؤلاء النشطاء المحليون إلى اقسام عديدة منها :

- غير مسجل .
- التحت السطحي .
- ناقل الرسائل .
- الفدائي .

والتحت السطحي على سبيل المثال هو عنصر محلي يماثل في عمله المنصر الأجنبي الذي ينعت بـ " العامل في الظلام " وهو يحمل رسائل ناقلي الرسائل الأجانب ويقوم بإيصالها إلى أهدافها المحلية .

شبكة تنصيرية ضخمة :

ويقول المؤلفان بشيء من الافتخار : "هناك شبكة تنصيرية ضخمة تحت السلطة تعتمد أساساً على الكلمات الشفهية ، فلا توجد هنا رسائل مكتوبة ولا مكالمات هاتفية " وتعمل هذه العناصر الأجنبية والمحلية في وئام شديد.

============

#مستقبل الإسلام السياسي

مركز الشمال لتنظيم المعرفة 1426/2/19

2005/03/29

اسم الكتاب: مستقبل الإسلام السياسي

المؤلف: غراهام فولر

نيويورك، بالغراف مكميلان، 2004

Graham Fuller

The Future of Political Islam

يناقش هذا الكتاب سؤالين رئيسيين: هل يمثل الإسلام السياسي آخر معاقل المقاومة للحضارة الإسلامية أمام مدّ العولمة ذات الطابع الأمريكي، أم أنه يمثل بداية دمج الإسلام مع الحاضر بحيث يتمكن المجتمع المسلم والحضارة الإسلامية من الدخول للقرن الجديد أكثر ثقةً بأسسها الحضارية؟

وللإجابة عن هذة التساؤلات وغيرها يناقش (فولر) عبر فصول كتابه العشرة ما إذا كانت ظاهرة الإسلام السياسي مجرّد حالة انتقالية لمرحلة صعبة في تاريخ العالم الإسلامي أم أنها بداية تحوّل وتغيير حقيقيين.

يبدأ (غراهام فولر) من أشواق المسلمين لاستعادة مجد الماضي، وما حققته الحضارة الإسلامية على المسرح العالمي، والتي أعقبها حالة من التراجع الحضاري والتهميش، وما يلعبه هذا من دور في بناء تصورات المستقبل، ويتتبع بدايات الحركات الإسلامية وتطورها وإمكانياتها في إحداث تغيير حقيقي، ثم ينتقل إلى الزمن المعاصر، ويتناول الأدوار المتعددة التي يلعبها الإسلام السياسي اليوم عبر المجتمعات المختلفة، ويؤكد أن جميع هذه الأدوار ليست واضحة وجلية لمعظم الدارسين الغربيين بالرغم من أن هذه الأدوار المتعددة هي التي سُتبقي للإسلام السياسي دوراً رئيساً على المسرح السياسي في العالم الإسلامي، فالثقافة السياسية في العالم الإسلامي اليوم تركّز على عدد من القضايا الأساسية كالعدالة الاجتماعية، والحاجة لبوصلة أخلاقية، وحفظ الحضارة الإسلامية، وإعادة بناء قوة وكرامة العالم الإسلامي، والمنعة ضد تهديدات القوى الخارجية، ومشروعية الحكومات، والرفاه الاجتماعي، والعدالة الاقتصادية، وأهمية وجود حكومة نظيفة وفعّالة، ويلاحظ فولر أن الجدال والنقاش على المستوى الشعبي ليس حول قيام دولة إسلامية أو علمانية؛ وإنما ينصب على ماهية النظام الحكومي وأي الأحزاب أقدر على تناول وتحقيق هذة القضايا الأساسية.

إن الإسلاميين مجموعة متنوعة من الحركات السياسية والمبادئ والفلسفات التي تستقي جميعاً من الإسلام لتنتج أجندات وبرامج مختلفة في أزمان مختلفة. إلا أن هذه الحركات في مجملها تمثل أداة إسلامية حضارية للتعبير عن مجموعة واسعة ومتنوعة من الحاجات السياسية والاجتماعية، وشكل التعبير الإسلامي المحلي يعكس الثقافة السياسية المحلية، والحاجات والتطلعات الخاصة لمجتمع معين تحت قيادة معينة في زمن معين.

وفي العموم، عادةً ما يكون خطاب الإسلاميين ذا نزعة وطنية معادية للغرب، غير أنهم قد يُبدون قدراً من البراغماتية في هذه المسألة أيضاً إذا لم يواجهوا تحدّياً وجودياً من الولايات المتحدة.

ونظراً إلى أن الإسلاميين لم يُجَرّبوا بعد في السلطة، فإنهم يتمتعون بشعبية بين الناس في حين أن باقي الأيدولوجيات جُرّبت وأثبتت عدم نجاحها.

ويشير (فولر) إلى أن الصراع بين الأصوليين والمعتدلين ما زال في بداياته، وهو ما أنتج هذا التدرج الكبير عبر الطيف الإسلامي. وبالرغم من أن الأصولية ليست بالشيء الجديد إلا أن الضغوط السلبية محلياً وعالمياً على المجتمعات المسلمة من شأنها أن تعزّز من ردة الفعل الحضارية بالعودة نحو الأصول، بمعنى أن الأصولية الإسلامية ستجد تربة خصبة في أوساط البيئات ذات الظروف المعيشية والاجتماعية القاسية في العالم الإسلامي.

وفيما يتعلق بالمعطيات الدولية وما يحدث على المسرح السياسي العالمي من تداعيات لتيار العولمة الطاغي، فالإسلاميون في موقفهم وتعاطيهم مع هذا التوجه العالمي لا يختلف كثيراً عن العديد من الحركات التحرّرية والوطنية في العالم الثالث سواء تلك في أمريكا اللاتينية أو في أفريقيا أو في شرق آسيا، غير أن هذه الحركة التغييرية كغيرها مضطرة للتعامل مع تحدي التحديث والتمدّن، وما ينجم عنه من تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية. بحيث تعمل على رفع وطأة ضغوط الحياة المدنية وتقدّم إطاراً أخلاقياً وقيمياً عاماً يحافظ على التماسك والانضباط الاجتماعي، ولذلك يرفع الإسلاميون شعار العدالة الاجتماعية ضمن الإطار الاجتماعي التقليدي ويعارضون كل ما هو غربي وأمريكي.

الإسلام والإرهاب

بالرغم من أن الإسلام السياسي والحركات الإسلامية كانت دائماً تحت الضوء تحديداً لإنها ناشطة في واحدة من أهم بقاع العالم اقتصادياً وسياسياً، إلا أن الاهتمام تزايد بفهم ودراسة هذة الحركات بعد أحداث 11 سبتمبر، واللافت أن تداعيات هذة الأحداث، والتي أنتجت الحملة الدولية للحرب على الإرهاب أحدثت تعاطفاً شعبياً واسعاً مع أنصار بن لادن، ليس تأييداً للإرهاب كفعل، وإنما تأييداً للنيل من

الغطرسة الأمريكية والأنظمة القمعية التي استغلت الحملة للانقضاض على معارضيها والتنكيل بهم بتهمة الانتماء لتنظيمات إرهابية.

وبالرغم من أن أفراد تلك الحركات المتطرفة قليلون بالمقارنة بتعداد العالم الإسلامي إلا أن الغالبية الصامتة التي تؤيد وتناصر هذة الحركات لمجرد أنها ترى فيها محاولة جريئة لتغيير واقع بائس، هي التي يجب أن تحظى باهتمام الغرب وفقاً لفولر. ذلك أن الاستياء والغضب اللذين يعتملان في أوساطها سيصنعان الأجيال القادمة من المتشدّدين لتخلف تلك القيادات والكوادر يتم القبض عليهم في الحملة الحالية.

لكن، هل الإسلام أو الانتماء للحركات الإسلامية ينتج بالضرورة أفراداً يميلون للعنف؟ أم أن المسألة تخضع لطبائع الأفراد والنزعات الشخصية؟ (فولر) الذي يطرح هذه التساؤلات يصرّ على أن الإسلام في أصله ليس دين عنف، وإنما دين سلام وعدل كغيره من الأديان.

وفي حين أن بعض الحركات تصمم على صياغة أفكار متطرّفة ومتشدّدة نرى حركات أخرى تنهج نهجاً معتدلاً وكلتاهما مرجعيتهما الإسلام. أما نزوع الأفراد نحو العنف فذاك يعود للفرد نفسه ودرجة غضبه وأسلوبه في التغيير، ومما لاشك فيه أن الظرف المعيشي في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي ككل تجعل الفرد معبأ ابتداءً ومستفزاً قبل أي تعبئةٍ أيدولوجية. ولذا فإن الإسلام يبدو لكثيرين وسيلة مناسبة لإحداث فعل تغييري في واقعهم أكثر من غيرها.

الإسلام والغرب

لعل مسألة الإسلام والغرب هي أكثر القضايا الحاسمة في مستقبل الحركات الإسلامية. هل ما تنبّأ به صامويل هننغتون حقيقة واقعة وأن صدام الحضارات أمر لا مناص منه؟ أم أن هناك عوامل موضوعية تتسبب في الإحتكاك القائم بين الغرب والعالم الإسلامي؟

مما لا شك فيه أن العالم الإسلامي يتميز من بين باقي بقاع العالم غير الغربي بامتلاكه فلسفة وعقيدة شاملة ومتماسكة للحكم والقانون والمجتمع. الأمر الذي يتيح

للإسلام السياسي استمداد أكبر مصادر قوته من محاولة تمثيل هذا البديل الحضاري في الحكم والاجتماع لمقابلة النموذج الغربي السائد.

من جانب آخر فإن ليس بالإمكان تناول الإحتكاك بين الغرب والعالم الإسلامي دون التطرق لمسألة قيام إسرائيل والدعم الغربي، ذلك أن إسرائيل –للعديد من العرب– رمز ونتيجة للحقبة الاستعمارية، وبقاء القضية الفلسطينية معلقة يُبقي مشاعر العداء للغرب متّقدة. فجميع المسلمين مستفزّون ومحبطون بسبب الاحتلال الإسرائيلي الظالم للضفة الغربية وغزة، ومع حضور وضع القدس في الصراع صار العالم الإسلامي يتعامل مع الصراع انطلاقاً من زاوية أن هناك مقدّسات في خطر. وستبقى العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب في هذا الوضع المتهاوي والمتدهور حتى يتم التوصل لتسوية عادلة بنظر الجميع.

إن الهوة اليوم بين الغرب والعالم الإسلامي كبيرة جداً، فالغرب وإن كان ليس مطالباً بتبني جميع قيم وأفكار المسلمين ولا الإسلاميين، إلا أنه لا بد له من تحري وفهم مصدر وطبيعة هذة الهوة القائمة وأن يعمد جدياً إلى معالجة هذا الأمر واحتوائه قبل أن يصل لحدّ التفجّر.

مستقبل الإسلام السياسي

من المتوقع في العقدين القادمين أن تتزايد الضغوطات على الحركات الإسلامية مع تحقيقها لمكاسب سياسية على امتداد العالم الإسلامي. وسُيتوقع من الحركات المعتدلة، والتي لن تلقى المزيد من تحدّيات الوجود والبقاء أن تقدّم للجمهور بعض الإجابات والحلول الفعّالة لمشاكل الواقع.

من جانب آخر ومع استمرار السياسات الخارجية الأمريكية على ما هي عليه وإصرارها على الحرب ضد الإرهاب بشكلها الحالي فإن العلاقة بين الإسلام والولايات المتحدة ستبقى في تدهور، وستتأجّج مشاعر العداء في العالم الإسلامي تجاه أمريكا بل وستتزايد العمليات التي تستهدف الأمريكيين؛ مما سُيبقي أمريكا في حالة تصادم مع العالم الإسلامي. وهذا سينعكس على الجبهة الداخلية؛ إذ ستتعزز حالة التوتر القائمة بين المسلمين في الغرب والمجتمع الغربي الأمر الذي سيهدّد حقوقهم المدنية، وفي الوقت ذاته تقوم الأنظمة في العالم الإسلامي بالتضييق

وملاحقة الحركات والمنظمات الإسلامية مما سيدفع بالكثير منهم نحو التطرف. بل قد يشتّت الكثير من تلك الحركات عن الأهداف الأساسية التي قامت لإجلها؛ كبناء المجتمع المسلم سياسياً واقتصادياً وأخلاقياً وعسكرياً. إذ سينصب اهتمامها على الدفاع عن نفسها وربما الانتقام. الحركات الوحيدة التي قد تُبقي على شيء من التوازن والإعتدال وتصرف جُلّ جهدها نحو بناء نسيج اجتماعي متماسك وجو سياسي سليم هي تلك الموجودة في ظل أنظمة تحافظ على حد أدنى من الممارسة الديموقراطية.

سينزع الإسلاميون لدعم حركات التحرر والانفصال للأقليات المسلمة في الدول غير المسلمة مثل الشيشان وكشمير وغيرها. أما محلياً فإن الإسلاميين سيكونون من أهم أدوات الإصلاح والتغيير في مجتمعاتهم خاصةً تلك المنغلقة.

كتاب "مستقبل الإسلام السياسي" لـ(جراهام فولر) من الكتب القليلة التي تنظر لظاهرة الإسلام السياسي بقدر من الموضوعية، ففولر على خلاف غالبية الكتاب الغربيين وضع نفسة على نفس الأرضية الحضارية التي تقف عليها تلك الحركات وحاول دراستها وتقييمها من ذي المنظار متخلياً إلى درجة كبيرة عن المعايير والرؤية الغربية في تقييم الأمور، ونقول إلى درجة كبيرة؛ لأن (فولر) في محاكمته لأداء نموذج السودان وإيران بل حتى في رسمه للشكل الأمثل للحكم والسياسة الذي ينبغي أن تصبو إليه تلك الحركات لم يرى أفضل من الديموقراطية الغربية كنهاية مثلى، غافلاً أن الحضارات المتنوعة قادرة على إفراز نُظم تنسجم معها بصرف النظر عن شكلها، فالمطلوب هو الوصول لنظام سياسي يحقق الحكم الصالح الذي يضمن العدل والحرية للجميع.

وعلى ذلك علّق فولر لـ(الإسلام اليوم): مبدئياً أنا منفتح لئن يجد العالم الإسلامي نموذجه الخاص، ولكن كيف نحقق ذلك مؤسسياً. أقصد المجتمع الإسلامي وإرثه السياسي يضع قيمة وتركيزاً على مصداقية وصدق الحاكم ولكن كيف نؤسس لذلك، كيف نترجم مؤسّسياً ضوابط الحكم الصالح، وكيف يأتي شخص للحكم ويعزل منه. في حين أن النظام الديموقراطي مبني أنه لا يمكن أن تولي شخصاً وتسلمه بشكل مطلق الإدارة معتمداً على قيمه ومثله، وإنما تأخذ بعين الإعتبار أن البشر يفسدون

وينحرفون، ولذلك هناك نظام ومؤسسة تمكن من التخلص من أولئك سلمياً. فالقضية: ماذا نفعل حين يأتي للسلطة حاكم غير عادل بنظر المحكومين؟ يبنغي أن يكون هناك نظام يمكّن المحكومين من تحقيق رغباتهم وطموحاتهم أو على الأقل أن يكون لها تأثيرودور في أداء الحاكم".

من جانب آخر (فولر) والذي يؤكد في أكثر من مكان من كتابه أن حالة العداء للغرب وأمريكا في العالم الإسلامي مرجعها بالأساس للتدخل الأمريكي بالشأن المحلي والسياسات الأمريكية في المنطقة، غير أنه يعود لأن يطرح شكلاً لهذا التدخل، وكأن العالم الإسلامي "قاصر" يحتاج من يدير له شوؤنه. (فولر) فسّر ذلك لـ(الإسلام اليوم) قائلاً: "في العالم الحقيقي الأقوياء يتدخلون بشوؤن الضعفاء وتلك حقيقة تاريخية، وهذا جزء من الطبيعة الإنسانية. وأظن حتى في حالة وجود أمريكا مسالمة ستبقى تتدخل ولو جزئياً، فالعالم الإسلامي يقع في بقعة تمتلك إمكانيات مالية ونفطية مهمة لسائر العالم. غير أنني أعتقد أن مشكلة العالم الإسلامي والعربي أنه ما زال شاباً، فبعض دوله لا يتجاوز عمرها السياسي الخمسين عاماً، ولم يُعطَ فرصته لينمو ويتطور وحده. ولا أظن في المقابل أيضاً أن الأنظمة الملكية أو الحكام المنتخبين للأبد سيساعد أو يحل المشكلة. لكنني أعتقد أن الولايات المتحدة يمكنها أن تقدم الكثير في مجالي التعليم والصحة، وهذه مجالات مهمة ومفيدة للعالم الإسلامي، وهناك مؤسسات تعليمية كالجامعة الأمريكية في القاهرة، وتلك التي في بيروت وغيرها أدّت أدواراً مهمة ولم يُنظر لها على أنها مؤسسات استعمارية.

أظن أن أمريكا ينبغي أن ينصبّ جهدها ليس فقط على كسب الأصدقاء والحلفاء، وإنما مساعدة الدول على النمو والتوقف عن التدخل في الشأن السياسي. فما تقوم به الولايات المتحدة في سياساتها الخارجية ما هو إلا خيانة لقيمها المحلية".

وعن رؤيته لشكل وتطور دور الإسلام على المسرح السياسي فيقول (فولر): " لا أستطيع القول إن الدين لا يمكن له التأثير على السياسة، أو أنه لا يمكن السماح له بذلك، ولكن أظن أن التسوية الأمريكية والأوروبية في هذا الإطار هي الأنسب. بمعنى إن كان هناك قيم أخلاقية يؤمن بها فريق من الأمة فيجب تضمينها في

السياسة ،ومحاولة عكسها على شكل تشريعات دون إلغاء حق الآخرين في محاولة ممارسة نفس التأثير لتضمين ما يؤمنون به".

=================

#الإصلاح العربي ومحاولة إقصاء الإسلاميين !

طه عبد الرحمن 1426/2/19

2005/03/29

بالرغم من حرص مكتبة الإسكندرية على دعوة قرابة 400 شخصية من المفكرين والمثقفين بالعالم العربي في مؤتمرها الثاني للإصلاح العربي، مثلوا اتجاهات فكرية مختلفة،إلا أنه بدا واضحاً إقصاءها للتيار الإسلامي بمختلف اتجاهاته .

وأياً كان هذه الموقف متعمداً أو غير مقصود، إلا أن تجنيب التيار الإسلامي للمشاركة في الفعاليات كان واضحاً لكافة المراقبين للمؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام، وربما أن استثناء البعض أن ذلك الإقصاء كان متعمداً أن كافة المنتمين للفكر الإسلامي، وممن يحسبون على الحكومات العربية، لم يشاركوا أيضاً في الفعاليات .

إلا أن التيار الإسلامي كان الحاضر الغائب في مناقشات المؤتمر الذي انقسم إلى 12 لجنة، وذلك عندما طالب الدكتور أسامة الغزالي حرب . بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية . بإدماج التيارات الإسلامية الديمقراطية في الشرعية السياسية بالعالم العربي، إيماناً بأن المشاركة السياسية هي السد المنيع لضمان الاستقرار الوطني .

وقد دفعت هذه المطالبة بالشاعر العلماني أحمد عبد المعطي حجازي إلى اعتراضه على المشاركة، بحيث لا يسمح بدمج هذه التيارات الإسلامية، إلا في حالة إيمانها بالنهج العلماني الرامي إلى فصل الدين عن الدولة، وقبولها بالتعددية، والسماح بالتيارات غير الإسلامية بمشاركتها في الحكم، في حال حدوث تداول للسلطة .

ومن بين الخلافات التي خيمت على مناقشات المؤتمر قبيل ختامه، تلك التي جرت بين الباحث الدكتور عماد علي حسن، ود. محمد كمال مسئول الإعلام بالحزب الوطني الحاكم في مصر، عندما انتقد الأول وجود ما يسمى بضوابط أمام الترشيح

لرئاسة الجمهورية في ظل تعديل الدستور المصري أخيراً بشأن انتخابات رئيس الجمهورية بالاقتراع السري المباشر .

كما انتقد د. حسن محاولات الالتفاف على هذا التعديل بالشكل الذي يسمح للحزب الحاكم بالتحكم في المرشحين لانتخابات الرئاسة المقرر إجراؤها في شهر سبتمبر المقبل، وذلك عندما يتم رئاسة اللجنة المعنية بضوابط الترشيح إلى رئيس مجلس الشعب (البرلمان)، والذي يتمتع بصفة حزبية في الحزب الوطني الحاكم .

وقد دفع هذه النقد بمسئول الإعلام بالحزب الوطني إلى استنكار الانتقادات السابقة، خاصة في ظل الحضور العربي الكثيف في المؤتمر، وهو ما دفع بعماد علي حسن إلى القول "بأنه في حال قبول مثل هذا النقد، فإن ذلك يعني قبول الحزب الحاكم للآراء المخالفة له، وهو ما يرفع من أسهم ديمقراطية الحزب الوطني أمام الحضور العربي" . ومن عجائب ما بدا في مناقشات الحضور أثناء الاستعداد لرفع جلسات المؤتمر، تلك المطالبات النسائية التي تزعمتها الكاتبة المصرية إقبال بركة بمطالبتها بأن يتوجه المؤتمر الثالث المقبل لمناقشة كافة قضايا المرأة في العالم العربي، وأن يكون جل حضوره من العنصر النسوي في العالم العربي، مما أثار الحضور الرجالي في المؤتمر الذين طالبوا بأن يحصلوا على حقوقهم، بعد أن أصبحوا أقلية، وأصبح الصوت الغالب هو للنساء المطالبات بالحقوق، وفي الوقت نفسه رفض الحضور عدم تمرير مثل هذه التوصية ضمن توصيات لجان المؤتمر .

وفي الوقت الذي طالب فيه بعض الحضور بأن يكون هناك حضور رسمي عربي محدود للالتزام بتوصيات المشاركين، أكد الدكتور إسماعيل سراج الدين مدير المكتبة أن الحرص على عدم دعوة الجانب الحكومي العربي كان مقصوداً، وأن إلقاء الرئيس المصري لكلمته قبيل الجلسة الافتتاحية للمؤتمر كان تشجيعاً وتحفيزاً لحضور المؤتمر . وقال: إن لجان المؤتمر حرصت على أن تكون المناقشات هي لأطراف المجتمع المدني من المشاركين، بعيداً عن التواجد الرسمي، وفي هذا الإطار . دافع سراج الدين عن عدم تبعية المكتبة لأية جهة رسمية، عندما أشار إلى أن المكتبة لا تتبع أية جهة حكومية، وأنها تخضع فقط لرئيس الجمهورية، وليس لمؤسسة الرئاسة،

فضلاً عن أن مجلس أمناء المكتبة هو الذي يحدد لها خطتها، وهو المجلس الذي يتغير مرة كل ثلاثة أعوام .

أجواء دعائية

وقد سيطرت على أجواء الجلسات الرسمية للمؤتمر استعراض جوانب الدعاية لرعاة المؤتمر مثل الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا ، منظمة المرأة العربية، مجلس الأعمال العربي، منتدى البحوث الاقتصادية، حيث ركز ممثلو هذه المؤسسات على الدور الدعائي لها، مقابل غض الطرف عن الحديث في مضمون المؤتمر وهو الإصلاح . معتبرين أن تجاربهم ناجحة ينبغي التعرض لها .

إلا أن د. سمير رضوان . المدير التنفيذي لمنتدى البحوث الاقتصادية . أراد مس جوهر قضية الإصلاح، عندما أشار إلى تلبية مؤسسته للاحتياجات العاجلة في مجال الإصلاح ودورها في مؤتمر إعادة إعمار البلاد الخارجية من الصراع، والمساهمة في رصد نقاط القوة للتنمية مثل اعتماد عدد من البلاد العربية لبرامج إصلاحية ذات مدة زمنية وأرقام محددة .

فيما رغب الدكتور محمد فائق . وزير الإعلام المصري الأسبق . إصباغ الجانب السياسي على كلمته عندما اعتبر أن الانفتاح على تجارب العالم الإصلاحية ضرورة حتمية؛ مشيراً إلى أن الحكومات العربية، بذلت جهوداً كبيرة للإصلاح في المجالات المختلفة .

وأكد أنه رغم هذه الإصلاحات إلا أنها لم تنعكس على السياسات، حيث ظلت حالة الطوارئ في معظم الدول العربي قائمة، للمقاومة العراقية والفلسطينية وانتفاضة الشعب اللبناني بعد حادث اغتيال الحريري .

وطالب الدول العربي بأن تستبق مطالب الخارج، وأن تلبي مطالب الداخل للخروج من مشكلة التدخل الخارجي للإصلاح، معتبراً أن الديمقراطية مطلب أساسي داخل أي بلد لتحقيق الحكم الصالح ولتحقيق الإصلاح .

ومن أكثر الكلمات التي حملت رفضاً واضحاً للإصلاح المفروض من الخارج . جاءت كلمة المفكر الفلسطيني "عوني فرسخ" ، والتي تناولت "الإصلاح بين الطروحات الأمريكية والطموحات العربية"، والتي أشار فيها إلى حدوث نقلة نوعية

فـي سياسـات الإدارات والأجهـزة الأمريكيـة، تجـاه "الأصـدقاء" والحلفـاء العـرب والمسلمين، بعد انقضاء زمن الحرب الباردة، وتكثيف الضغوط عليهم بغرض تكيفهم مع طروحات الإصلاح الأمريكية مهما كانت مجحفة .

وخـلال مناقشـات محـاور المـؤتمر الثـاني للإصـلاح العربـي، اعتبـر المشـاركون أن التمويل قضية هامة ينبغي مناقشتها في مختلف المحاور، وأن يتم رفض أي شكل من أشكال التمويل الخارجي لمؤسسات المجتمع المدني في العالم العربي .

كمـا أبـدى كثيرون تحفظهم علـى عنوان المؤتمر فـي "التجـارب الناجحـة"، والتركيـز علـى مثل هذه التجـارب، فـي الوقت الـذي طـالبوا فيـه بضـرورة التركيـز علـى رصـد التجارب الفاشلة في المقابل، وأن هناك لجان للمتابعة والرصد .

وقد دفع ذلك بالدكتور إسماعيل سراج الدين إلى التأكيد على أن المكتبة قامت بالفعل بتنفيذ ذلك بتأسيسها لمنتدى الإصلاح العربي في يوم ختام المؤتمر الأول، وتدشين موقـع لـه علـى شبكة "الإنترنـت" ونـاطق بـاللغتين العربـي والإنجليزيـة . واعتبـر أن المكتبـة، قامت بتنظيم عدة مؤتمرات محليـة، وعربيـة ودوليـة، ناقشـت جوانـب حريـة الرأي والتعبير، وتركيزها على الإصلاح القطري في داخل مصر .

ويقول: إنه لذلك تناولت المكتبة جوانب التعليم، الشباب، الاقتصاد، المرأة، فضلاً عن استعراض تجارب الإصـلاح للآخرين مثل التجربـة الماليزيـة . وأكد فـي سياق حديثـه عـن آليـات تنفيـذ "وثيقـة الإسـكندرية" فـي العـام الماضـي بقيامهـا بتدشـين مرصـد إليكترونـي تحت مسمى "انفومول INFOMOL" لعرض تجارب منظمات المجتمـع المـدني العربيـة بأنشـطته، بحيـث يكـون لكـل منظمـة موقـع خـاص بهـا داخـل هـذا المرصـد، يحتـوي علـى اسم المنظمـة وطريقـة الاتصـال بهـا ومجـال عملهـا وأنشـطتها وكافة الأخبار المتعلقة بها .

إنصاف المقاومة

وإذا كانـت وثيقـة الإسكندرية قد أثـارت جدلاً منذ إصدارها فـي العـام الماضـي، فـإن المشاركين في المؤتمر الثاني هذا العام، حرصوا على عدم إصـدار توصـيات مشـابهة أو إصـدار بيـان ختـامي أو إعـلان الإسـكندرية، واكتفـوا بتقـديم توصـيات فـي جلسـتين

عائمتين، من خلالها تم إقرار التوصيات النهائية للمؤتمر في شكل توصيات مكتوبة لكل محور على حدة .

وأعلن المشاركون رفضهم الخلط بين حق المقاومة الشرعية للاحتلال وبين الإرهاب باستخدام العنف الأعمى، ورفض الكيل بمكيالين تحت دعوى نشر ثقافة السلام، في الوقت الذي يتم فيه ضرب السلام بعرض الحائط، مما يشير إلى أن العالم أصبح يتعرض لتناقضات، وأصبح العرب يعانون من ازدواجية سياسة الكيل بمكيالين، وهي عقبة ومعوق لبناء ونشر ثقافة السلام .

وأدان المشاركون ازدواج المعايير الدولية تجاه حقوق المقاومة الفلسطينية والعراقية للاحتلال الإسرائيلي والأمريكي . ورحبوا بتوقيع اتفاق السلام في جنوب السودان، الذي اعتبروه أنهى حرباً أهلية، دامت لأكثر من عقدين . فيما أعربوا عن بالغ قلقهم من استمرار الحرب الدائرة في إقليم دارفور .

وفي سياق مساندة حق تقرير المصير للشعبين الفلسطيني والعراقي . أكد المشاركون أن الاحتلال أصبح يشكل أسوأ انتهاكات لحقوق الإنسان، وأن احتلال الأراضي العربية يتناقض مع الدعوة لتعزيز الحريات التي يدعو المجتمع الدولي البلدان العربية بإلحاح لتبنيها، وتعزيز جهود البلدان العربية لتغليظ العقوبات في جرائم التعذيب والمعاملة القاسية والمهنية للسجناء .

وفي هذا الإطار . دعا المشاركون في المؤتمر إلى تنقية التشريعات الوطنية من القوانين المقيدة للحريات العامة وإلغاء كافة المحاكم الاستثنائية، وإنهاء العمل بقوانين الطوارئ التي تحجب الضمانات الدستورية والقانونية، وإزالة العقوبات السابقة للحريات في قضايا الرأي والنشر، واعتبار احترام حقوق الإنسان الركيزة الأساسية لكل مشروعات الإصلاح في الوطن العربي .

وجه المؤتمرون نداءاً إلى الحكومات العربية بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وإنشاء مركز لإعادة تأهيلهم بعد الإفراج عنهم، ورصد كل ما يقع من حالات انتهاك لحقوق الإنسان من خلال المنظمة العربية لحقوق الإنسان . وأوصى المشاركون بإنشاء مرصد عام لمتابعة حركة الإصلاح في العالم العربي، لعدم الاعتماد على التقارير الدورية التي تستغلها بعض الدوائر الغربية في الضغط بها على البلدان

العربية، والتصديق على الميثاق العربي لحقوق الإنسان من جانب جميع الدول العربية، ورفع القيود عن ممارسة الجمعيات الأهلية لعملها بالعالم العربي، وإعداد برامج سياسية وشعبية لرفع الوعي بحقوق الإنسان بالمنطقة العربية .

============

القلم الطيب والقلم الخبيث

الحمد لله ((الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)) أحمده حمدا طيبا كثيرا مباركا فيه كما يحب ويرضى ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ تفرد بالخلق والملك والشرع ، فلا يقع شيء إلا بأمره ، ولا شرع يوصل إلى رضاه إلا شرعه ((أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)) (الأعراف : 54) . وأشهد أن نبينا محمدا عبد الله ورسوله؛ أرسله الله تعالى على حين فترة من الرسل ، ففتح به أعينا عميا ، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، من أطاعه نجي من النار ، وأدخل الجنة برحمة الله تعالى له، ومن عصاه فإنه يضر نفسه ولا يضر الله تعالى شيئا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد : فأوصيكم – أيها الناس – ونفسي بتقوى الله تعالى؛ فإنكم في زمن كثرت فيه فتن السراء والضراء ، وغرق في لجحها من غرق ، وعصم الله تعالى من عصم ، ولا نجاة إلا بلزوم التقوى ((وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)) (الزمر: 61) .

أيها الناس: كانت البعثة النبوية ميلادا جديدا لأمة جديدة أراد الله تعالى لها الخيرية على كل الأمم التي قبلها ، واختصها بأحسن كتبه ، وامتن عليها بخاتم رسله ((لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)) (آل عمران : 164) .

نعم والله كانوا قبل بعثته صلى الله عليه وسلم في ضلال الشرك والجهل الذي أورثهم الذل والضعف والتفرق، وسوغ لهم أنواعا من الإثم والظلم والفساد.

إنها أمة أمية لا تعرف القراءة ولا الكتابة ولا الحساب إلا نُزَّاع منهم كانوا يقرأون لهم ويكتبون ويحسبون ، قال النبي عليه الصلاة والسلام:((إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب))[1].

وأول ما نزل على رسولها صلى الله عليه وسلم الأمر بالقراءة، و جاء ذكر القلم في أول الآيات المنزلة ؛ مما يشي بأهمية القلم وشرفه ومكانته ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) (العلق : 1–5) .

إن الله تعالى قادر على أن يعلم البشر دون الحاجة إلى القلم ، ولكنه سبحانه أراد أن يكون القلم وسيلة التعليم ((الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)) وزاد من شرفه وعلوه إقسام الله تعالى به على الوحي المكتوب ((ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)) (القلم : 1–2) .

والقلم أول مخلوق ليكتب به القدر ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:((إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة)) [2] .

وكما بين النبي صلى الله عليه وسلم أن القلم خلق أولا لكتابة المقادير فقد بين عليه الصلاة والسلام تاريخ القلم في البشر ، وذكر أول من كتب به من الناس فقال عليه الصلاة والسلام عن إدريس عليه السلام (وهو أول من خط بالقلم).

وبالقلم تكتب مقادير العام في ليلة القدر ((فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)) (الدخان : 4) .

وبالقلم يكتب مصير الأجنة في بطون أمهاتهم ؛ كما روى مسلم من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال:((يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة فيقول: يا رب أشقي أو سعيد ؟ فَيُكْتبان، فيقول: أي رب أذكر أو أنثى؟ فيكتبان، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص)) .

وبالقلم يكتب الملائكة أقوال المكلفين وأفعالهم : ((مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)) (ق : 18) .

أي بكتابة ما يصدر عنه كما في قوله سبحانه : ((وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ)) (الانفطار : 1.-12) .

وبالقلم يكتب الناس ما يحتاجون إلى كتابته مما تنتظم به مصالح دينهم ودنياهم ، وأعلى ذلك وأشرفه كلام الله تعالى ، وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يكتبون الوحي ، وقصرهم على ذلك في أول الإسلام فقال عليه الصلاة والسلام :((لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه)) [3].

ثم رخص لهم في كتابة كل ما يصدر عنه من قول أو فعل ، كما روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقال: ((كنت أكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش عن ذلك ، وقالوا: تكتب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الغضب والرضا ؟ فأمسكت حتى ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق))[4].

وربما قدم عليه وفد من الوفود فعلمهم سنة من السنن ، وبلغهم شيئا من العلم فيطلب بعضهم أن يكتب له ذلك فيقول عليه الصلاة والسلام : ((اكتبوا لأبي فلان) .

وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن مما يجري أجره للمسلم بعد موته علما ينتفع به ، وأعظم وسيلة لحفظ هذا العلم المنتفع به : كتابته ، وانظروا إلى كثرة ما خطته أقلام أسلافكم من أنواع العلوم والمعارف حتى وصل إليكم تدركوا قيمة القلم والكتابة.

وبالقلم تكتب تواريخ الأمم وأيامهم ، وتدون أقوال العلماء والحكماء وأخبارهم ، وتحفظ تجاربهم وأعمالهم ، وما وصلت البشرية إلى ما وصلت إليه في هذا العصر من تنوع العلوم والمعارف ، وتقدم العمران والصناعات إلا بما دون من تجارب السابقين وأبحاثهم وخبراتهم ، ولا يمكن أن يتخيل حال البشر في هذا العصر بلا قلم وعلم وكتابة إلا كحال الحيوان الذي لا يعقل شيئا.

وبالقلم تكتب عقود الناس وشروطهم في السلم والحرب ، وفي التجارة والبيع ، وفي القرض والرهن والدين وغير ذلك ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)) (البقرة : 282) .

وفي صلح الحديبية قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : ((اكتب الشرط بيننا)) ((هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا)) ، ودعا عليه الصلاة والسلام ملوك العالم إلى الإسلام بكتب كتبها وأرسلها إليهم.

وبلغ من عنايته صلى الله عليه وسلم بالقلم أنه جعل فداء من لم يستطع فداء نفسه بالمال من أسرى المشركين في بدر أن يعلم الواحد منهم عشرة من غلمان المدينة الكتابة ، فكثرت الكتابة في المدينة بعد ذلك. وقال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: ((علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن)) [5].

ورخص عليه الصلاة والسلام للنساء في تعلم الكتابة ؛ كما في حديث الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها قالت:((دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال لي: ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة)) [6].

والكلمة المنطوقة والمكتوبة إما أن تكون مما ينفع الناس في معاشهم أو معادهم ، وتلك هي الكلمة الطيبة ، وإما أن تكون مما يضر الناس وهي الكلمة الخبيثة.

والكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة ، كما أن الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة ، وهذا التقسيم ضربه الله تعالى مثلا في القرآن ؛ ليسارع الناس إلى طيب الكلم ، ويجانبوا خبيثه : ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ)) (إبراهيم : 24–26 .

وإنما يعرف الكلام الطيب من الخبيث منطوقا كان أم مكتوبا بعرضه على الكتاب والسنة دون اعتبار لقائله ومصدره ، فما كان موافقا للكتاب والسنة فهو الكلام الطيب الذي يرفع إلى الله تعالى : ((إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ))(فاطر : 1.) .

وما كان معارضا لهما فهو الكلام الخبيث ، ولا يصدر الكلام الطيب إلا من طيب وطيبة ، كما أن مصدر الكلام الخبيث كل خبيث وخبيثة : ((الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ)) (النور : 26) .

قال جمهور السلف: الكلمات الخبيثة للخبيثين ، ومن كلام بعضهم: الأقوال والأفعال الخبيثة للخبيثين.

والكذب من أخبث الكلام ؛ لما فيه من تزوير الحقائق ، وترويج الباطل ، وغش الناس ، فإذا كان هذا الكذب يبلغ الآفاق عبر صحيفة مكتوبة ، أو قناة معروضة ، أو إذاعة مسموعة ازداد خبثا إلى خبثه ، ولما كان كثير من القائمين على وسائل الإعلام في هذا العصر من أصناف الخبيثين والخبيثات فإنهم يروجون لكل فكر ومنهج وسلوك خبيث ، ويمتهنون الكذب المفضوح في ذلك ، ولا يحترمون عقول المتلقين عنهم ، ولا يخجلون من كذبهم ، وقد دأب عوام الناس على وصف ما يشككون في صحته بأنه كلام جرائد ، أو كلام إعلام .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من خطورة هذا المسلك الخبيث ، وبين ((أن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزلّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب)) [7] .

ورأى عليه الصلاة والسلام من أصناف المعذبين كذابا يبلغ كذبه الآفاق فسأل جبريل عنه فقال عليه السلام ((أما الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة)) [8].

والمسلم كما هو مأمور بمجانبة كل خبيث وخبيثة من الناس، فهو كذلك مأمور بمجانبة الخبيث من الكلام سماعا من قناة أو إذاعة، أو قراءة من صحيفة أو مجلة أو رواية أو كتاب أو غير ذلك ؛ لأن الكلام الخبيث يفسد قلبه، ويصرفه عن طيب الكلام.

وإذا كان المسلم مأمورا باجتناب اللغو منطوقا كان أم مكتوبا وهو في الشر والإفساد أخف من الخبيث ، فكيف إذا بخبيث المنطوق والمكتوب.ومن صفات عباد الرحمن: ((وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً)) (الفرقان : 72) .

((وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)) (القصص : 55) .

والإعراض عن اللغو يكون بالإعراض عن مصادره ووسائله التي ابتلي الناس بها في هذا الزمان أشد ابتلاء.

وجاء النهي عن حضور المجالس التي يخاض فيها بدين الله تعالى جهلا أو استكبارا ، وجعل الله تعالى أهلها ظالمين : ((وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)) (الأنعام : 68) .

بل جاء أن من جالس المستهزئين بآيات الله تعالى فهو منهم ولو لم يكتب أو يقل شيئا: ((وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً)) (النساء : 14٠) .

فكم من المسلمين من يقتني من وسائل الإعلام من صحف ومجلات وفضائيات قد كرست مهمتها للاستهزاء بدين الله تعالى، والتلاعب بشريعته ، وإخضاعها لإراء البشر وتخبطاتهم، ولا يحرك ذلك ساكنا عند من يقتنيها، بل يضحك ملء فيه، وينام ملء جفنه ، وكأن دين الله تعالى لا يعنيه ، ولسان حاله أن للبيت ربا يحميه ، وقد أسلم نفسه وأهله وولده لما يكتب وينطق من خبيث الكلام ورديئه ،وهو يعلم أنه سيحاسب عن ذلك كله، فنعوذ بالله تعالى من استحكام الغفلة، وتمكن الهوى ، وذهاب الغيرة على حرمات الله تعالى ، ونسأل الله تعالى أن يخفف عنا وعن المسلمين.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم...

الخطبة الثانية

الحمد لله؛ أنار الطريق للسائرين ، وجعل من عباده هداة مهتدين ، لا ضالين ولا مضلين، أحمده حمد الشاكرين ، وأستغفره استغفار المذنبين، وأشهد ألا إله ألا الله وحده لا شريك له، رب العالمين، وإله الأولين والآخرين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، إمام المرسلين ، وخاتم النبيين، وسيد ولد آدم أجمعين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، واحذروا الذنوب فإنها رافعة النعم ، جالبة النقم : ((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)) (إبراهيم : 7) .

أيها الناس: الكتابة نعمة من الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده ، ولا خير في قلم لا ينفع صاحبه عند الله تعالى ، فإذا كان قلمه مصدر ضرر عليه في دينه فبئس القلم وبئس صاحبه ، وكسره خير من بقائه.

إن الكتابة أضحت حرفة في هذا الزمن ، وكل صاحب فكر ومبدأ ينافح عن فكره ومبدئه بقلمه.ومن الكتاب من يتأكل بكتابته فينتقل من أقصى الشمال إلى أقصى اليمين، ويثني اليوم على ما كان يشتم بالأمس ؛ لأنه يكتب لمن يدفع أكثر، أو يدور مع القوي حيث كان، وكثير من كتاب الصحف والمجلات كانوا أيام الماركسية من أشد أعداء الليبرالية الإمبريالية ، وبعد أفول الشيوعية انتقلوا بكل صفاقة ووضاعة إلى الليبرالية يتسولون على أبوابها ، ويخطبون ودَّ أصحابها ، حتى صاروا أشد إمبريالية من أهلها.

ومن أصحاب الأقلام من يتأكل بالشهوات والغرائز ، فيتقيأ انحرافاته وشذوذاته الجنسية على أوراقه ؛ ليشكل منها رواية تغوي القارئين والقارئات ، وتستهوي المراهقين والمراهقات ، وإذا ما أراد شهرة واسعة ، ورواجا لروايته ، وحماية له ولها في الدوائر الصهيونية والصليبية والعلمانية فما عليه إلا أن يضمن روايته سخرية بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر ؛ وعلى قدر سخريته بمقدسات المسلمين ينال نصيبه من الحماية والرعاية ، ويحصد الجوائز والهبات والأوسمة، ولربما بلغ بذلك جائزة نوبل للأدب ، كما حازها الكاتب الهالك نجيب محفوظ على روايته التي سخر فيها بكل مقدسات المسلمين ، وأعلن في نهايتها موت الإله لصالح المادية ، في رمزية جبانة ، وإلحاد صارخ ، وزندقة ظاهرة ، تعالى الله عن إلحاده علوا ظاهرا.

إن هذا الكاتب الهالك الذي امتلأت الصحف بالكتابة عنه ، وأفردت لسيرته وغوايته صفحات كاملة لا تفرد لموت العلماء بل ولا للزعماء ما هو في واقع الأمر إلا خبيث يحمل قلما خبيثا ، سطر به فكره الخبيث.فهو حامل همِّ إحياء الفكر الفرعوني ، وهو الداعي إلى الفكر الاشتراكي، ويكفيه سبقا في الإلحاد والزندقة أنه التلميذ الوفي للنصراني القبطي سلامة موسى الحاقد على كل شعيرة من شعائر المسلمين ، الذي كان يتطلع إلى نقل مصر من إسلامها إلى الفرعونية.

إن هذا الروائي الهالك لم يخرج في جل رواياته عن أصلين عاش حياته من أجلهما ، وسخر قلمه في خدمتهما : وهما الدعوة إلى الإلحاد باسم العلم في مقابل الدين ، ونشر الإباحية والشذوذ في أوساط المسلمين، قابله أحد المعجبين به فقال له (من الواضح أنك أصبحت تميل إلى الفكر الماركسي، فالماركسيون في رواياتك هم الأبطال الشهداء ، وحاملوا الزهور الحمراء ، وهم الذين يضيئون الحياة بنور الأمل في الظلمات... فرد عليه الروائي الهالك : لقد شخصتني فأجدت التشخيص) وقام أحد مريديه والمعجبين به وبرواياته بقرأتها وسبر موادها، فعرف القاسم المشترك بينها ، وأعلن نتيجة ذلك فقال: حفلت رواياته بحشد هائل من البغايا والراقصات والقوادين والديوثيين واللصوص والنشالين والفتوات وصانعي العاهات والمرتشين والملحدين.

وفي مقام آخر يزعم أن الغربيين حلوا المشكلة الجنسية بنشر الإباحية ، وأن هذا الحل في نظره ناجع في بلاد المسلمين، فيقول: أما عن حل المشكلة الجنسية في مجتمعنا فأنا لا أستطيع أن أقوله ، ولا أنت تكتبه ! ولكنني أستطيع أن أقول: (أوروبا تمكنت من حل المشكلة الجنسية بطريقتها الخاصة، تجد أن البنت عمرها خمسة عشر عاما تلتقي في حرية تامة مع أي شاب ، لا مشكلة جنسية، ولا مشكلة عفاف ولا بكارة، وحتى إذا أثمرت العلاقة طفلاً ، فالطفل يذهب إلى الدولة كي تربيه إذا كانت أمه لا تريد) هكذا يريد لبنات المسلمين أن يكن بغايا وفاسقات كما كان نساء الغرب.

لقد مضى هذا الهالك إلى رب عدل سيحاسبه على ما خط بقلمه ولا يظلمه شيئا ، ولكن الجريمة كل الجريمة، والتزوير كل التزوير ما يمارسه كثير من الإعلاميين والصحفيين من تضليل العقول ، وممارسة الكذب على المكشوف بالإشادة بهذا الهالك مع إخفاء حقيقة فكره وانحرافه عن الناس، بل والاستماتة في الدفاع عنه، والنيل ممن يفضحونه ، وسيلتهم في ذلك :الكذب والتزوير.فأين احترام العقول ؟! بل أين احترام زبائنهم من قراء صحفهم ؟! أفلا كان عندهم من الشجاعة أن يظهروا حقيقة فكره لقرائهم ، ثم يختار القراء بين دينهم وبين روائيهم الهالك ؟!

لقد كذبوا ثم كذبوا ، ودافعوا عن إلحاده وزندقته ، ووصفوه بالراحل الكبير ، وبالقامة الشامخة في بلاد المسلمين ، ونقلوا كما كبيرا من أقوال زملائه وتلامذته ومريديه ،

ولم ينقلوا شيئا من أقوال من أبانوا حقيقة فكره، بل هاجموهم ووصفوهم بأبشع الأوصاف ، فأين هي الموضوعية التي يتشدقون بها، وأين هي دعوتهم إلى قبول الآخر واحترام الآراء الأخرى ؟ وإن تعجب فعجب من وصف بعض الصحف لروائيهم بأنه متدين ، فيا لضحالة عقولهم ، ويا لسخافة أقلامهم ، ولو خرج صاحبهم من قبره لوبخهم أشد التوبيخ ؛ لأنه كان يفاخر بحربه للدين ، فكيف يصفونه بالمتدين، نعوذ بالله من الهوى والردى ، ونسأله الهدى والتقى اللهم يا حي يا قيوم إن هذا الروائي قد تطاول على ربوبيتك وعلى ملائكتك وكتبك ورسلك ، وسخر بشعائر دينك ، اللهم فعامله بما يستحق فأنت الحكم العدل، اللهم من أثنى عليه وهو يعلم حاله فاحشره معه ، ومن أثنى عليه وهو لا يعلم حاله فتب عليه من زلته ، وأنر بصيرته ، وخذ بيده للبر والتقوى.اللهم واهد ضال المسلمين ، وأصلح أحوالهم، وأمنهم في أوطانهم ، واكفهم شر الأشرار وكيد الفجار، والحمد لله رب العالمين .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد..

[1] متفق عليه0

[2] رواه أبو داود0

[3] رواه مسلم .

[4] رواه أحمد0

[5] رواه أبو داود0

[6] رواه أحمد0

[7] متفق عليه0

[8] رواه البخاري

=============

صورة المسلمين والعرب في العالم2/1

إعداد: خلود العيدان * منيرة الدهش 1426/3/11

2005/04/20

لماذا (صورة المسلمين والعرب في العالم) كانت قضيتنا الأولى؟!

إن حماسنا للبحث في هذه القضية..

كان للإجابة عن تساؤلات تشغل فكر الفرد المسلم العربي تجاه..
صورته، حقيقته، هويته، ولماذا هو مشوه في عيني الآخر؟
وتساؤلات شتى تملأ سماء الفكر العربي (الغض) في هذه المرحلة الحرجة من تاريخه.
كما أن حقيقة أن (لا دخان بلا نار) تلح بشدة للبحث عن الحقيقة أياً كان مذاقها.
فإن كان بهتاناً فلم الاستمرار..ولم لم نوقفه؟
وإن كان حقيقة فإلى متى؟ ولماذا لا نشرع بالتغيير.
ورغم هذه المقدمة المشحونة بعلامات الاستفهام..
إلا أن عذوبة الفهم القرآني لأبجديات البحث في هذا الكون تمنحنا هدوءً ونفساً عميقاً لنشرع في قضيتنا..
فلنتأمل الآية الـ(16) من سورة (لقمان):
(يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير)
ولك أن تعلو وتسمو بجمالية المعنى و(تتأمل) لـ(تفهم) ما الذي يجري في زمن اختلطت فيه (الحقائق)؟!
لنشرع الأبواب المغلقة:
لقد وضعنا بين أعيننا الهدف الأسمى الذي يحركنا كشباب مسلم عربي والمسؤولية التي أوجدتنا على هذه الأرض..فوجدنا أن..
(معرفتنا للآخر تمنحنا أفقاً أوسع لإمكانية (فهمه) فـ(تفهيمه)، ولمعرفة واقعنا لـ(تغييره)..)
كان اختيارنا لهذه القضية من واقع (الأزمة) التي يمر بها عالمنا الإسلامي والعربي لعلنا نكون إحدى المفاتيح لأبواب مستقبل إسلامي عربي مختلف.
ما سبب التأخير؟ وهل عقارب الساعة في حساباتنا!
لاشك أننا نصحو ونغفو ونحن نرى صورنا مجسدة في شاشات التلفزة أو تشبعها أراء المحللين (التلفزيونيين) ركلاً وضرباً إن صح التعبير..إن رد الفعل الذي (أضحى)

طبيعياً! هو المسارعة في (إلقاء القبض) على جهاز التحكم و(اتخاذ القرار) بتغيير القناة لـ(يسجل) التاريخ الإنجاز الأعظم لتلك (اليد الناعمة)!

إن التأخير في إنقاذ صورتنا الإسلامية والعربية في عيني الآخر لاشك تحمل أسباب عدة قد يكون أهمها:

القناعة بمبدأ (أن ما باليد حيلة)! ويصاحبها أن (هم) من فعلوا وأخطئوا و،،،

بغض النظر إن كان (هم) عائدة على الآخر أو المسؤول.

نحن هنا لا نغفل الطرف الثاني أياً كان ولكن أنحمله كل العبء؟!!

* تحت المجهر و بعدسة الآخر كيف نبدو!

نظر الأوروبيون إلى حياة المسلمين الأخلاقية نظرة مزدوجة، إذ نظروا إلى حجاب المرأة المسلمة كتعبير عن "السرية والقهر" والفصل بين الرجل والمرأة، وفي نفس الوقت نظروا إليه على أنه مصدر "فجور واستباحة أخلاقية مستترة" خلف الحواجز والأسوار.

وقد انتقلت هذه الصورة المشوهة كما يرى (جون إسبوزيتو) أستاذ دراسات الأديان والعلاقات الدولية بجامعة جورج تاون الأميركية في كتاب "التهديد الإسلامي.. حقيقة أم أسطورة؟" الصادر عام 1992.. انتقلت إلى بعض أهم قادة الإصلاح الفكري والديني في أوروبا وعلى رأسهم زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي مارتن لوثر الذي نظر إلى الإسلام على أنه:

"حركة عنيفة تخدم أعداء المسيح لا يمكن جلبها للمسيحية لأنها مغلقة أمام المنطق، ولكن يمكن فقط مقاومتها بالسيف".

كما يقول المستعرب الياباني (نوبوآكي نوتوهارا) في كتابه (العرب وجهة نظر يابانية):

"سافرت إلى البلدان العربية وكنت قد تجاوزت الثلاثين من عمري ورأيت وقرأت وتحدثت إلى الناس في كل مكان نزلت فيه.لقد عاينت بنفسي غياب العدالة الاجتماعية وتهميش المواطن واذلاله وانتشار القمع بشكل لايليق بالإنسان.وغياب كل أنواع الحرية كحرية الرأي السلوك والمعتقد وغيرها.

كما عرفت عن قرب كيف يضحي المجتمع بالأفراد الموهوبين والأفراد المخلصين،ورأيت كيف يغلب على سلوك الناس عدم الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع وتجاه الوطن".

المفاهيم الإسلامية عالمياً:

اعتمد البناء المفاهيمي للإسلام عالمياً على وجود مكثف في الخطاب الإعلامي لـ(تصنيفات) على شاكلة "الإرهاب الإسلامي"، "المحاربين الإسلاميين"، "الإرهابيين الإسلاميين"، "الديكتاتور الإسلامي"، "الهجمات الإسلامية"، و"الإرهاب الإسلامي المتشدد"،"الظاهرة الإسلامية".

كما جاء في تعريف العربي أبان المرحلة الستينيات والسبعينيات في القاموس الأمريكي المسمى روجيت ثيساورس Roget Thesaurus بكونه "جلف، نذل، أخرق، مخادع، ساذج". ولم تحذف هذه النعوت القبيحة إلا بعد جهود وضغوط بذلتها المنظمات العربية في أمريكا.

***

الصورة ، الألوان، الظلال ،،، (نحن والآخر) وما الذي قيل؟!

* على المسلمين أن يتوصلوا إلى حل لإشكاليات كثيرة داخلية قبل أن يطالبوننا بصورة أكثر توازنا.

(ناثان كاردلس رئيس تحرير خدمة لوس انجلوس تايمز الأمريكية)

* إنه لم تشوه سمعة جماعة دينية أو ثقافية أو قومية ويحط من قدرها بشكل مركز ومنظم كما حدث للعرب.

(نيكولاس فون هوفمان الصحفي بجريدة "واشنطن بوست")

*: إن المنطقة العربية ليست راكدة، إنها مكان حيوي. وأمر آخر عن هذه المنطقة إذا نسينا، لقد اجتزنا ثورات، لقد مررنا بثورة الكومنولث والثورة الصناعية لقد اجتاز الغرب صدمات هائلة قبل أن يصل لما هو عليه اليوم، فهل من المتوقع أن يصبح المسلمون بعصا سحرية مستتيرين في غضون سنوات قلائل؟

(حمزة يوسف عمل مستشارا للبيت الأبيض وللجامعة العربية للشؤون الإسلامية، وهو مؤسس معهد الزيتونة في كاليفورنيا، وهو أمريكي المولد واعتنق الإسلام)

*من المستحيل أن نتوقع أي تقدم أخلاقي وفكري ومادي أينما يسود المحمديون.
(الرئيس الأميركي ثيودور روزفلت)

*إذا كان الإسلام قد عانى من جاهلية العرب ربع قرن ، فقد ظل يعاني من جاهلية الغرب قروناً طوالاَ !

وقد تأثر الإعلاميون الغربيون بشكل فاضح بالروح العدائية التي نفخها المستشرقون ومعظمهم من اليهود.
(كتاب " ربحت محمّداً ولم أخسر المسيح")

* هناك من يريد تشويه صورة الإسلام ونحن، رجال الدين، علينا مسؤولية تصحيح ذلك...إن المثقفين المسلمين أخفقوا في المساهمة بشكل ملحوظ في العلوم وغيرها من الميادين في القرنين الماضيين.
(جورج كيري كبير أساقفة الكنيسة الأنجليكانية)

* أنه لابد أن نعمل في الداخل الإسلامي، كما لابد علينا أيضا أن نعمل في الخارج لأنه لم يعد هناك حواجز وفواصل بين الداخل والخارج.
(د/علي جمعة مفتي الديار المصرية)

* المسلمون القدامى كانوا يتعاملون مع الغرب من منطلق الندية والقدرة على الانتقاد والانتقاء، بعكس الفنانين والمثقفين قبل الثورة الذين تعاملوا مع الغرب من منطلق الإحساس بالدونية.
(تقول ذيبا مير حسيني/مخرجة إيرانية)

* أكد (ناثان كاردلس رئيس تحرير خدمة لوس انجلوس تايمز الأمريكية):
أنه كصحفي أمريكي لايملك من معلومات عن الإسلام إلا ما ينقله الصحفيون والساسة المسلمون أنفسهم!

* إن الصحفي الغربي اعتاد علي التفكير بمنطق السياسة والاجتماع و ليس التفكير بمنطق الدين و العقيدة كما اعتاد الإعلامي العربي والمسلم .
(خوسيه لويس برسبال من راديو كووب الاسباني)

* توجد مساحة ضخمة في وسائل الإعلام الغربية تهاجم الإسلام والمسلمين وتسخر منهم، وتصف "الإرهاب" بأنه إسلامي، في حين أنها لا تصفه بأنه مسيحي أو يهودي أو بوذي.
(د/علي جمعة مفتي الديار المصرية)
* لقد كانت هناك عنصرية ضد المسلمين هنا(فرنسا) من قبل غير أنها زادت سوءا بسبب الخلط اليوم بين الإسلام والمسلمين والإرهاب. إن الجدل الدائر حول حظر الحجاب في المدارس يتذرع بعلمانية المجتمع، بينما في الواقع هو يتشكك بالإسلام.
(يوسف معمري من المجلس الإسلامي لمارسيليا (بفرنسا)
* لدينا بلهاء في الغرب يزعمون أن المسلمين شياطين وبالمثل لدينا بلهاء بين المسلمين يزعمون أن الغرب شيطان.أنا آسف.
البشر كلنا فينا الخير والشر. هناك أشخاص طيبون في الغرب وهناك أشخاص طيبون في العالم الإسلامي - وهناك أشرار في الغرب وهناك أشرار في العالم الإسلامي، ومعظم الناس فيهم خليط من الخير والشر يعتمل داخلهم. إننا لا نعيش في القرون الوسطى. حينما يخرج مليون بريطاني في مظاهرات ويقولون لا تخوضوا الحرب باسمنا ويعتصمون وقوفا وجلوسا في البرد القارس لخمس ساعات، رأيت ذلك في هايد بارك، لا يمكنك أن تقول هؤلاء صليبيون ولا يمكنك أيضا أن تبرر تفجير منازلهم، إنهم أشخاص خيرون يعبأون فعلاً.
(حمزة يوسف عمل مستشارا للبيت الأبيض وللجامعة العربية للشؤون الإسلامية، وهو مؤسس معهد الزيتونة في كاليفورنيا، وهو أمريكي المولد واعتنق الإسلام)
*إن العقل المسلم قد أغفل السنن الإلهية الكونية والأسباب الطبيعية المباشرة لحدوث الأشياء والتوصل للنتائج وقد أعفى نفسه من التدقيق في اتباع كل سبب بعينه لما يريد أن يتوصل إليه (متوهماً) أن الله سبحانه وتعالى سيحقق له كل شئ بإرادته وهو متقاعس لا لشئ إلا لكونه مسلماً وهذا فهم خاطئ لحقيقة الدين.
(د/محمد جابر الأنصاري)
*أن نظرة الغرب الحديثة للإسلام ولدت في فترة كانت علاقة أوروبا بالإسلام فيها علاقة خوف وقلق، مما دفع الأوروبيين لتعريف الإسلام تعريفا "ضيقا كاريكاتوريا"

كدين يملؤه "العنف والشهوة" يقوم على "الجهاد العنيف" في الحياة الدنيا و"الملذات الحسية الموعودة" في الآخرة.

(دانيال فيتكس –وهو أستاذ آداب بجامعة ولاية فلوريدا الأميركية)

* أن معرفة الغرب للإسلام في هذه المرحلة كانت بغرض السيطرة عليه وليس فهمه، وأن عمليه المعرفة هذه تمت بشكل منظم نسبيا تعاونت فيه مؤسسات الفكر والمعرفة الأوروبية تعاونا وثيقا مع مؤسسات الاستعمار الأوروبية الرسمية بهدف مدها بالمعرفة اللازمة للسيطرة على المجتمعات المستعمرة.

(إدوارد سعيد)

*أن "فهم مواجهات أميركا مع الشرق الأوسط بعد عام 1945 يتطلب فهم الخلفية الثقافية والصور النمطية العنصرية التي يعتقد بها غالبية الأميركيين" تجاه الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

(دوغلاس ليتل في كتاب "الاستشراق الأميركي.. أميركا والشرق الأوسط منذ 1945" الصادر عام 2002)

* وبعد الحرب العالمية الثانية والهولوكوست خفت موجة العداء للسامية إلى حد ما –في أميركا– بعدما بدأ الأميركيون في النظر إلى اليهود على أنهم "غربيون" بينما استمروا في النظر إلى المسلمين على أنهم "شياطين" و"إرهابيون معادون للغرب".

(دوغلاس ليتل في كتاب "الاستشراق الأميركي.. أميركا والشرق الأوسط منذ 1945" الصادر عام 2002)

* هناك جرائم لا نتحمل مسؤوليتها مباشرة ، أي لم نشارك فيها، ولكن لا بد أن نتحمل مسؤوليتها...لذلك فالعالم مسؤول عن الجريمة التي ارتكبت بحق الشعب الفلسطيني)

(المستعرب الياباني نوبوأكي نوتوهارا)

* إننا نجني اليوم الثمار المرة للإهمال العربي و الإسلامي.

(د/ عبد القادر طاش رئيس تحرير صحيفة البلاد السعودية سابقاً)

سجل التاريخ عربياً كان أم غربي فهل نقرأ:

– نيغاتيف الصورة:

وضح ديفد بلانكس ومايكل فراستو في مقدمة كتاب لهما صدر عام 1999 عن "رؤية الغرب للإسلام في العصور الوسطى"،
فيقول الكاتبان:
(إن الأوروبيين في تلك الفترة كانوا محاصرين بحضارة أكثر قوة وتقدما وهي حضارة الإسلام، وأنهم فشلوا في هزيمة هذه الحضارة خلال الحروب الصليبية كما رفضوا فهمها، لكنهم شعروا دائما بتهديدها الحضاري والديني لهم، لذا لعب الإسلام دورا أساسيا في تشكيل الهوية الأوروبية ومن ثم الغربية الحديثة.)
ويرى المؤلفان (أن الإسلام لعب دورا شبهاه "بنيغاتيف الصورة" في تشكيل رؤية الأوروبي المسيحي المثالية لنفسه، إذ عمد الأوروبيون إلى تشويه صورة منافسيهم (المسلمين) كأسلوب لتقوية صورتهم الذاتية عن أنفسهم وبناء ثقتهم في مواجهة عدو أكثر قوة وتحضرا).
- لم يكن لفهمه!:
يرى إدوارد سعيد في سلسلة من مؤلفاته على رأسها "الاستشراق" الصادر عام 1978 أن معرفة الغرب للإسلام في هذه المرحلة كانت بغرض السيطرة عليه وليس فهمه، وأن عمليه المعرفة هذه تمت بشكل منظم نسبيا تعاونت فيه مؤسسات الفكر والمعرفة الأوروبية تعاونا وثيقا مع مؤسسات الاستعمار الأوروبية الرسمية بهدف مدها بالمعرفة اللازمة للسيطرة على المجتمعات المستعمرة.
وخلال هذه المرحلة نظر الغرب إلى الشرق -بما في ذلك العالم الإسلامي- بأسلوب أصبح الآن نموذجا يدرس عن التشويه المتعمد الذي يمكن أن تقوم به حضارة ما لصورة حضارة أخرى. ومن أهم عناصر هذا الأسلوب ما يلي:
1. النظر إلى الشرقي أو إلى المسلم على أنه الآخر المستقل تماما عن الأنا أو الذات الأوروبية.
2. تنظيم علاقة الأوروبي مع الآخر عبر سلسلة من الثنائيات الفكرية يضع كل منها الآخر الشرقي أو المسلم في مقابل الأنا الأوروبي على طرفي نقيض في مختلف جوانب الحياة، فمثلا تم النظر إلى الشرقي على أنه متخلف وحشي في

مقابل الغربي المتقدم المتحضر، أو على أنه جاهل فقير في مواجهة الغربي المتعلم الثري، أو على أنه داكن ضعيف في مقابل الغربي الأبيض القوي.

3. وقفت المؤسسات الاستعمارية خلف التقسيم الثنائي السابق لدعمه سياسيا واقتصاديا وثقافيا على أرض الواقع من خلال مساعيها لربط الشرق –بما في ذلك العالم الإسلامي– بأوروبا من خلال روابط مؤسساتية استعمارية تضمن بقاء الشرق الطرف الأضعف على طول الخط في علاقته بالإمبراطوريات الأوروبية. ولذا سعى الاستعمار لتكريس استغلاله واستنزافه الاقتصادي للشرق، وإضعاف اللغات والأديان والثقافات الشرقية الأصلية، ومحاربة ظهور الحركات السياسية والاجتماعية الوطنية في الشرق والعالم الإسلامي على مدار عقود الاستعمار.

4. وقف الغرب موقفا منزعجا ومتشددا وأحيانا انتقاميا تجاه الجماعات الشرقية أو المسلمة التي خرجت عن التقسيم الثنائي السابق وحاولت امتلاك أدوات القوة الغربية مثل اللغة وقوة الاقتصاد وفهم السياسة والقانون وأساليب العمل الإعلامي للتقريب بين مواقف المجتمعات الشرقية المستضعفة والغرب المستعمر.

5. النظرة السابقة لعبت دورا مزدوجا خطيرا في تشكيل صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب: الأول تشويه هذه الصورة، والثاني تبرير الاستعمار الأوروبي واستنزاف أوروبا المنظم لثروات الشرق والعالم الإسلامي تحت عنوان تحريره ومساعدته على الرقي والتحضر.(وهل يذكرنا هذا بعراقنا الحالي!)

- هل شاركنا في التشويه؟!

إن وضعنا كفتي ميزان معتدلة بين أعيننا فسنرى في مقابل كل تقدم من طرفهم تراجع من طرفنا لا مواجهة سريعة ونبذ لتلك الأخطاء التي أودت بصورتنا عالمياً..

وكما قال الأستاذ علاء بيومي مدير الشؤون العربية بمجلس العلاقات الإسلامية الأميركية (كير):

(إن الخلفية الثقافية والحضارية لصورة الإسلام في الولايات المتحدة ليست السبب الوحيد لما يشوب علاقة أميركا بالعالم الإسلامي في الفترة الحالية من توتر، فهناك عوامل أخرى عديدة تساهم في ذلك من بينها التصرفات المشينة التي تقوم بها بعض الأطراف المسلمة أو الأميركية ضد الطرف الآخر، وتراث الأفكار النمطية السلبية

التي يمتلكها كل طرف عن الآخر، ودور المصالح المادية في إشعال الخلاف بين الطرفين.)

***

الجاليات الإسلامية والعربية (هناك) ما الذي يجري؟!

الجاليات المسلمة في العالم ما بين السلب والإيجاب:

- يبدو أن هناك حالياً عوامل تتحكم في التعامل السلبي للغرب مع الجاليات الإسلامية وأبنائها . رغم تفاوت ذلك من دولة إلى أخرى . ويمكن الإشارة إلى بعضها فيما يلي :

*من يدفع الثمن؟

إن الحكم المسبق على الإسلام؛ والاعتماد على الروايات الشاذة لدعم الأفكار الخاطئة التي تجعل الإسلام في موضع الإدانة كل ذلك عمل على تكريس تلك الصورة القاتمة التي نراها اليوم.

والتي يدفع ثمنها الجاليات المسلمة خارج نطاق العالم الإسلامي.

وعلى الرغم من أن بعض الدول الأوروبية قد خطت خطوات مهمة باعترافها بالإسلام، وتم بالفعل في بعض الدول الأخرى إعطاء حقوق مدنية للمهاجرين.

فإنه لا تزال هناك عراقيل ومعوقات كثيرة لتطبيق ذلك في باقي دول العالم.

كما أن هناك استمراراً في اعتبار بعض المظاهر الإسلامية، كالحجاب مثلاً، رمزاً للتعصب والتحجر الفكري، وهناك من يرفض السماح بدراسة المحجبات بدعوى الحفاظ على مبادئ علمانية المدرسة الأوروبية.

كما أن نظرات الآخر تحاصره في كل مكان، وفي بعض الأحيان تقترن بالإذلال والكراهية والعنصرية المكشوفة.

* أشقائنا في مواجهة الآخر..في أي الاتجاهات يسيرون؟!

- الآثار المترتبة على التوجه الإعلامي الشديد اللهجة تجاه المسلمين:

إن طريقة نقل وسائل الإعلام العالمية للأحداث التي تجري في العالم الإسلامي وخصوصاً متابعتها لبعض الخلافات والحروب، تخلف آثاراً واضحة على تعامل الآخر مع المسلمين هناك.

فغالباً ما يعيش العالم اليوم تحت تأثير كابوس الخوف الذي يثيره اهتمام الإعلام الغربي بظاهرة التشدد والتطرف المرتبط بـ(الإسلام) ووصفها بأنها أخطر ما يتهدد قيم الغرب المعاصر.

- الآثار المترتبة على صورة العربي المسلم في المناهج الدراسية في العالم:

العربي المسلم خارج حدود أرضه مغترب شاء أم أبى..فالغربة حقيقة لا مفر منها..

إلا أن هذا الإحساس الذي يصاحبها لا يمنع من أن ذلك الفرد يمارس حياته بكافة مناشطها..ينجح ويخفق..

ينتمي للمكان،يألف الصحبة، يحسن السباحة في محيطه الجديد،يجلس بجانب الآخر على ذات المقعد ويتلقى التعليم نفسه. ويسمع ويقرأ صورته بأعينهم..

فالنظرة له من قبل مجتمعه المدرسي لاشك تترك أثراً عميقاً يتدخل في انتمائه ومغالطات في تكوين هويته الإسلامية والعربية بل ربما تجاوزت ذلك في تذبذب قناعته تجاه دينه وهويته.

* دور الجالية الإسلامية في الإساءة إلى صورة الإسلام في العالم :

وهنا لا بد من التأكيد على أنه تحت تأثير الغربة والتهميش ساهم بعض أفراد الجالية المسلمة أنفسهم في الإساءة إلى صورة الإسلام بالغرب.

ويمكن الإشارة إلى أهم السلبيات في هذا الباب :

ـ استغلال العاطفة الدينية القوية لدى الشباب الذين يبحثون عن انتمائهم، لإثارة مشاعر التعصب والتطرف لديهم.

ـ تعدد المرجعيات الدينية التي تتجاذب بعض القيادات الإسلامية وتؤدي إلى صراعات وقلاقل لا تخدم في شيء صورة الإسلام بالغرب.

ـ استغلال المناخ الملائم للعمل السياسي بالغرب، وتسخير الإسلام لخدمة أهداف سياسية ومصلحية زائلة.

*ماذا عن الصورة الإيجابية التي رسموها هناك؟!

قطعاً هناك نماذج يفخر لصداها كل نبض مسلم عربي..

وهي السند الذي مازالت صورتنا في العالم تحاول الاستناد عليه..

ولكن علينا تدعيم ذلك (السند) لكيلا يحترق (الغصن) الذي سنزرع بفضله إن شاء خالقنا..

مروجاً إسلامية وعربية يتغنى بمرآها العالم أجمع..

إن دعمنا لأشقائنا وتواصلنا معهم لاشك يمهد الطرق للوصول للهدف.

***

(نحن) في مناهجهم!

(المصد)در،(المصد)داقية..

كلمتان اجتماعهما مطلب في توثيق المعلومات التي تقدم في المناهج الدراسية أياً كانت الأرض ولكنهما أضحيا مجرد كلمتين تربطهما بدايات الحروف فحسب.!

أين؟!

هذا ما يتضح في بعض المناهج لدول مختلفة حول العالم..

ولنكن أكثر وضوحاً فالإسلام،المسلمين والمجتمعات العربية مادة تفتقد للمصدر (الموثوق) في تلك المناهج..

لماذا؟!

(من جانبهم):

تشكل كتب المستشرقين رغم إغفالها للحياد العلمي المصدر الرئيسي إن لم يكن الرسمي في إعداد المناهج خارج نطاق العالم الإسلامي والعربي على أفضل تقدير!

ويمتد بنا إدوارد سعيد إلى جذور الاستشراق قائلاً في كتابه "الاستشراق":

(أن معرفة الغرب للإسلام في هذه المرحلة كانت بغرض السيطرة عليه وليس فهمه، وأن عمليه المعرفة هذه تمت بشكل منظم نسبيا تعاونت فيه مؤسسات الفكر والمعرفة الأوروبية تعاونا وثيقا مع مؤسسات الاستعمار الأوروبية الرسمية بهدف مدها بالمعرفة اللازمة للسيطرة على المجتمعات المستعمرة.)

(من جانبنا):

أين هي المراجع الإسلامية التي تحاور الطرف الآخر؟!

وأين المسلمين أصحاب (القلم،الفكر،التأريخ والحقيقة) ليمنحوا العالم مصدراً (أصيلاً).

وليضيفوا بلون التوثيق بريق الحقيقة في صورة الإسلام بين دفتي كتاب.
ولن نغفل عن أن المناهج العربية تحظى بنصيب الأسد بالقصور الشديد في إعداد الفرد لفهم الآخر.
وللحقيقة أيضاً جانب:
إن صورة الإسلام في المناهج حول العالم تتفاوت بين اعتدال وبين تشويه بين حقيقة وبين افتراء تبعا لعوامل شتى منها ضعف الجالية الإسلامية ومدى قوة اللوبي الصهيوني داخلها ولا شك مصالح الدولة أولاً وأخيراً!
جولة مع (صورتنا) في المناهج الدراسية حول العالم :
*البرازيل:
يوجد في المناهج الدراسية ما يقارب من أربع إلى خمس صفحات تقدم معلومات خاصة عن الإسلام .
يركزون فيها على قضايا المرأة وإجبارها على الزواج من قبل ولي أمرها و تحكمه في مهرها.
حتى إن بعض الكتب تتحدث عن أن المرأة في الإسلام ليست بشرا!
و لا يوجد لها روح وبعضها يتحدث عن مكة وأن الذي بناها هو محمد صلى الله عليه وسلم وبعض من صناديد العرب!
وخصص كتاب الأدب البرازيلي للصف السادس درسا كاملا عن الإسلام بعنوان " الإسلام اليوم" "ص132" ومن أهم ما قالوه عن الإسلام في هذا الدرس:
"إن الإسلام دين مهم على الأرض العربية ...وإن المسلمين ليسوا من العرب فقط فهناك مسلمون في آسيا وأوروبا وأفريقيا ومصر وباكستان وتركيا. والإسلام الذي أسسه محمد هو الأكثر انتشارا في العالم اليوم".
وهنا تتضح الرؤية لأساسيات الفهم للإسلام في المناهج البرازيلية ولكن لابد من أخطاء تيكمها المصدر الغير موثوق كما يحكمها الفهم الخاطئ لحيثيات المعلومة وإن كانت صحيحة.
فمن أهم المسائل التي يحتج عليها الغرب –كما يقول الكتاب–:
التعصب والمعاملة السيئة للمرأة مثل: إجبارها على الحجاب.

منعها من المشاركة مع أي نشاط مع الأجانب من الرجال.
في حالة السفر يحتجن إلى الإذن من الأب أو الزوج.
يستعملن مداخل مخصصة لهن في البيوت.
عند المرض يجب عليهن الذهاب إلى طبيبة.
معرضات للرجم في حالة الزنا.
وهذه المعاملة التي تعامل بها المرأة – كما يقول الكتاب- تستحق الثورة لأنها تجرح الحقوق الأساسية للإنسان ولا نستطيع أن نقول أن هذه المعاملة موجودة في كل البلاد الإسلامية.

*كوريا:

تتسم المناهج الكورية باعتدال الصورة إلى حد كبير..وتعرض المناهج الدراسية أصل الإسلام وكيف بدأت الدعوة الإسلامية على يد النبي صلى الله عليه وسلم "محمد".
وتعرض الأحداث بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث اختار العرب خليفة لهم من أتباعه ويتمتع الخليفة بسلطات سياسية ودينيه قويه ومدد واسع من النفوذ الإسلامي من خلال قتال غير المسلمين ومن خلال الفتوحات السلمية .
ولم يجبر المسلمون أي خاضع لهم (ضحية) على تغيير ديانته مادام التزم بدفع الجزية (الضرائب).
بشكل عام معظم الكوريين لا يعرفون الإسلام على النحو الصحيح..
يعرفون أن المسلمين يؤمنون بالله وإن لم يعرفوا معنى كلمة " الله" ويعتقد الكوريون أن "الله" إله مختلف.. والمسيحيون منهم يعتقدون أن محمد مؤسس دين الإسلام!ولا يعرفون حتى كلمة"رسول الله". ويعتقدون أن المسيح هو الرب وممثل الرب باعتباره في رأيهم ابن الله..
والبعض يفهم الإسلام على أنه: " يد ترفع القرآن وأخرى تمسك السيف"..(!)

ألمانيا:

Kursbuch Religion,Neuausgabe 7/8, Verlag Moritz Diesterweg Verlag, Frankfurt ammain, 1991 أحد كتب مادة التربية الدينية المقررة على الصفين السابع والثامن في إحدى الولايات الألمانية..

يعرض الإسلام على أن " كل مسلم مكلف بمقاتلة أعداء الإسلام، الذين لا ينصاعون للقرآن، تبعا لمبدأ الجهاد ، حتى تكون كلمة الله هي العليا، وحتى يمكن تحقيق الهدف السياسي المتمثل في جمع المسلمين العرب في دولة واحدة"

ومن المعلومات الساذجة اعتبار أن "أهداف الحج هي تقبيل الحجر الأسود والحق في ارتداء عمامة خضراء أو حمل لقب حاج كما أن موسم الحج ينتهي بوجبة فاخرة في مكان تدعى (ميكا)"!

وفي كتاب آخر اسمه: Lesehefie Ethik, Wertc und Normen, Philossophie Islam; Prof. Dr. Dr.Peter Antes und Manfred .1990.Aufl., 1Popperl, Ernst Klett Verlag, Stuttgart,

نرى الكاتب يسوق في ص10 حوارا في منتهى السخف بين ألماني وبين شابة تركية عفيفة ترتدي الحجاب وتلتزم بخلق الإسلام، يحاول فيه الألماني إقناعها بأن الحجاب دليل على التخلف، وقمع الرجل للمرأة، وأنه يحرمها من الذهاب إلى السينما وحياة الشباب.

والكتاب ينسب إلى طائفة الأحمدية التي يعتبرها إحدى طوائف الإسلام،كما يتوجب الإيمان " برسل الله كلهم، نوح وإبراهيم، وموسى وعيسى وبوذا وكريشنا ومحمد"؟!

وأخيرا نجد في كتاب: Lehreband Cawer 8/7Kursbuch Religion , .1999Verlag, Stuttgart, Dicsterweg Verlag, Frankfurt a. M.,

وهو يختلف عن غيره، لأنه كتاب المعلم، بحيث نتعرف على ما يجب على المعلم تحقيقه في الدرس، لنجد تأكيد فكرة انتشرت أخيرا في ألمانيا، وهي " لا وجود لإسلام واحد، بل هناك أنماط كثيرة لهذا الدين، تختلف عن بعضها البعض بشدة". وتحذير المعلم من تأكيد أن "إلهنا وإلهكم واحد" لان المسلمين لا يقبلون بذلك، ويعتبرون هذا القول إهانة للذات الإلهية؟

وزعم –الكتاب– أن للشيخ في المسجد مكانة لا تسمح لأحد أن يعترض على تفسيره للآيات القرآنية!

وأشار إلى أهميه الصلاة بالقول" إن محمدا طالما شدد على ذلك بقوله أقيموا الصلاة في القرآن"

وهنا يتضح لنا الخلط إن لم يكن التجاهل بأن القرآن ليس من عند الله (سبحانه وتعالى)!

روسيا:

كان العرض السوفيتي للتاريخ وللمسلمين قريب من الموضوعية خاصة في تناوله للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ولكن حين انتهى العهد السوفيتي أصبح الإعلام روسيا تحت سيطرة شبه كاملة للوبي الصهيوني ونجد هذه الصورة جلية في المناهج الدراسية والتربوية في المدارس الروسية، وخصوصا في كتب التاريخ، وبالرغم من وجود مؤرخين و مربيين حافظوا على قدر من الموضوعية إلا أن الغلبة كانت للتيار المنحاز الذي غدت كلمة "عربي" أو "مسلم" صنوا للتخلف والتزمت وممارسة العنف والإرهاب.

ويقر مكسيم براندت مؤلف كتاب " تاريخ القرون الوسطى" للصف السادس بأهمية رسالة التوحيد ودورها في نقل العرب من حال الجاهلية ودركها إلى حال زاهرة لاحقا. إلا أن كتاب يكاترينا اغيبالوفا وغريغوري دونسكوي عن المرحلة ذاتها يحفل بالمغالطات وإخفاء الحقائق . إذ أن المؤلفين يحاولان (ص72-73) اعتماد مبدأ "التبسيط الافتراضي" إن صح التعبير فيقولان: إن الإسلام " يعد المؤمنين بالشبع والمرح" في الجنة ويتوعد الكفار بـ " نار جهنم" ، وفي مكان آخر يزعمان " أن الإسلام يدعو إلى محاربة أبناء الديانات الأخرى" من دون كلمة واحدة كما ورد في القرآن عن احترام أهل الكتاب. ويزعم الكاتبان أن أهل السنة يختلفون عن الشيعة في كونهم" يعتقدون بوجود كتابين مقدسين هما القرآن والسنة".

ويحمل المؤلف العرب مسؤولية " السعي لتدمير دولة إسرائيل" ويرى أن ذلك سببا لاندلاع حرب 1948م التي قال : إن إسرائيل في أثرها " وسّعت بعض الشيء أراضيها!!" فالتلميذ سيعتقد أن الحديث يدور عن بضعة دونمات تم "غنمها" عقابا للعرب " المعتدين" ويظل جاهلا بان إسرائيل كادت تضاعف مساحة الأرض التي تحتلها.

وهكذا تتكون ملامح صورة العربي: الثري المتخلف والجاهل البعيد عن المدينة والطارئ على الحضارة، وتزداد الصورة قتامة عند مقارنتها بخصوم العرب من

المستعمرين البريطانيين والفرنسيين الذين سعوا إلى "تمدين" المنطقة ولكنهم جوبهوا بـ" الجحود".

الهند:

أصدرت منظمة R.S.S (منظمة الخدمات القومية الهندوسية المتطرفة) عدة مؤلفات منها:

"سيدات المغول"، "تراث الحكم المسلم" و "نظم الحكم الإسلامي". وكانت عامرة بالمغالطات!

وأضحت هذه المؤلفات مصدرا أساسيا لواضعي المناهج الدراسية للمدارس الحكومية من قبل الوزارة أو المجلس القومي للبحث والتربية.

ومن النماذج التي تعكس صورة العرب والمسلمين في تلك الكتب :

- كتاب باللغة الهندية ذكر أن الرسول -محمد صلى الله عليه وسلم- حينما بعث كان عمره 48 سنة، والكلمات والنصائح التي كان يوجهها الرسول إلى أتباعه سجلوها ثم جعلوها صحيفة سموها "القرآن"

- وفي كتاب التاريخ لتعليم الثانوية، جاء فيه أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- فر من مكة إلى المدينة

خوفا، فجعله (فرارا) وليس هجرة، وتلك إهانة وخسة.

- وورد في كتاب آخر في التاريخ لتعليم المتوسط: أن السلطان أورنك زيب (الذي عده الأستاذ علي الطنطاوي رحمه الله خامس الخلفاء الراشدين) جاء بأعمال معادية للهنادك. واتهموه بأنه قطع جسم أحد البراهمة "كوكل" إربا إربا، و أجبر أسرته لاعتناق الإسلام!

وكذلك أمر بقتل زعيم السيخ "كو بند سنكه" لأنه رفض أن يدخل الإسلام!

وأصدر أمره بأن يبلط ابناه بالجدران لعدم اعتناقهما الإسلام.

وبسبب هذه الإساءة إلى الشعب الهندي عامة والمسلمين خاصة، اجتمع المفكرون وأعضاء هيئة التدريس في المدارس والكليات والجامعات وأيدهم رجال الدين والمحركات الثقافية والتعليمية من المسلمين والبوذيين والمسيحيين والسيخ وغيرهم،

وقدموا احتجاجهم الشديد وأصدروا قرارات رفعوها إلى وزارة التعليم والحكومة، ولم يعودوا إلا بالوعود بالتفكير!

إيطاليا:

تقول الدكتورة كورسيللي- والتي قضت فترة تقترب من عشرين عاما في تدريس المناهج المقررة على الطلاب الإيطاليين في المدرسة الإيطالية بالقاهرة- عن صورة الشخصية العربية: "إنها بصفة عامة تقدم بشكل سيء، وأن الانطباع العام الذي يمكن أن يخرج به الطالب من المناهج المدرسية هو أن العربي شخص متخلف حضاريا، وبعيد كل البعد عن أنماط التفكير الحديثة".

وتضيف أن المناهج الثابتة مثل التاريخ والجغرافيا، فهي تحتاج إلى تحديث، فلا تزال هذه الكتب تتحدث عن الصحراء وسكانها من البدو والحياة البدائية التي يعيشونها، متجاهلة ما طرأ على هذه الحياة من تقدم في جميع المجالات، وخصوصا في مجالات يعمل فيها الإيطاليون أنفسهم، مثل: البترول والكيماويات.

وتقول: يمكن أن نلحظ تقدما في المعالجة الغربية للمجتمع العربي، فمن قبل كان ينظر إليه من المنظور الاقتصادي فقط، باعتباره رجل بترول ثريا ماليا متخلفا فكريا وحضاريا، أما الآن فهناك اتجاه لفهم التكوين الثقافي العربي ولدراسة اللغة العربية، وهناك أقسام للغة العربية في الجامعات الأوروبية حاليا، كما أن هناك جماعات من منظمات ومدارس وكليات تأتي لدراسة اللغة العربية في البلاد العربية. وكل هذا يصب في محاولة فهم العرب على نحو أفضل. ويمكن القول إن الثقافة أصبحت قبل الاقتصاد كمنظور للرؤية الأوروبية للعرب حاليا.

أسبانيا:

في مناهج التعليم الأساسي القديم في أسبانيا، كان يعرف الإسلام بما يلي: "هو الدين الذي ابتدعه محمد، يسمح بتعدد الأزواج ويأمر بقتل غير المسلمين، ويحرم الخمر والخنزير، لأن محمدا كان ثملا ذات يوم فعضه الخنزير، ولما استفاق حرم الخمر والخنزير معا"

من أكثر الأمثلة بشاعة حينها ما ورد في قاموس Tcsoro de la Lengua Castellana

يعرف القرآن بما يلي: "هو ذاك الكتاب اللعين المليء بالسخافات الذي ألفه محمد بمساعدة الأريسي الكافر يحيى الأنطاكي وعالم الرياضيات اليهودي أشكول! وهذا ما يجمع عليه المؤرخون الذين تناولوا حياة ذاك الشرير الفاسد المسمى (محمد)".

وحدث التغير والتصحيح الذي لم يصل بعد لبقية مناهج العالم..

حيث كانت المناهج المدرسية القديمة تذكر أن القرآن :"لاُ يعرف على وجه الدقة إن كان محمد مؤلفه أو ناقله"،وأن "النسخة المعتمدة هي من عمل سكرتيره زيد بن ثابت".

أما الآن فإن المناهج الحديثة تتحدث عن القرآن الكريم بموضوعية من حيث إنه كتاب المسلمين المقدس، وعن بدء الوحي، وجمع القرآن، وتقسيم نزوله....

لم تعد الأوصاف القذعية ترى في كتب المناهج الدراسية عن محمد –صلى الله عليه وسلم– مثل: "المجنون، الذي ظن أنه تلقى وحيا من السماء، والذي ألف القرآن" بل حلت محلها أوصاف جديدة مثل: "الداعي إلى المثل الأخلاقية، الذي أوجد مدرسة متوافقة مع العقلية العربية".

– أما بالنسبة للجهاد، فقد قيل: "الحرب المقدسة هي أهم ما يأمر به الدين المحمدي"، فما زال التعريف للجهاد هو الأمر الوحيد الذي لم ينله تطوير المناهج الدراسية الإسبانية، وسبب ذلك هو أن العقلية الغربية تفرق بين الدين والدولة، فالدولة من حقها شن الحروب، أما الدين فلا.

فرنسا:

لا تفرق نصوص الكتب المدرسية في كتب القراءة الفرنسية في المرحلة الابتدائية بين مفردتي: "البدو" و"العرب" وتستخدمها بغير تمييز للدلالة على الشخصيات نفسها. وتتسم شخصيات "العرب"أو"البدو" في القصص بطابع الدونية إذا كانوا تابعين، أو بطابع عدائي إذا نجحوا في الهرب من نطاق نفوذ الشخصيات الفرنسية. ويبدو نقص الشخصيات العربية أو البدوية خلقيا وعقليا واقتصاديا ومهنيا حينما يتم مقارنتهم بصفات أو أدوار لشخصيات فرنسية في هذه القصص أو الكتب.

إن الصورة التي يمكن استخلاصها للعرب من تحليل كتب القراءة للمرحلة الابتدائية تولد لدى التلاميذ صورة مزيفة عن الآخرين وعن أنفسهم، فهي توحي للتلاميذ

الفرنسيين اقتباسا من الماضي بإحساس التفوق الطبيعي، كما توحي للتلاميذ من ذوي الأصل العربي بإحساس سلبي ناشئ عن تحقير شأنهم وتشويه صورتهم.

وتصف كتب التاريخ الفرنسية أداء أوائل الأبطال الوطنيين الفرنسيين بالدفاعي البطولي المنتصر، بينما تميز العرب بمجموعة من الأفعال المعبرة عن التوسع أو العدوان.

أما كتب التاريخ الفرنسية للمرحلة الثانوية، فتتفق على تقديم مضمون الوحي الإسلامي والمبادئ الأساسية للإسلام، وتخصص لها مكانا مهما، ولكن لا يذهب أي كتاب إلى أبعد من هذا التقديم الشكلي للدين الإسلامي

ويجدر الإشارة إلى أن الكتب المدرسية للجمهورية الفرنسية الثالثة (1914-1870 م) كانت تصف الإسلام بأنه "دين مسخ ابتكره محمد الذي ادعى أنه نبي", لكن الكتب المدرسية الحالية تبدي احتراما أكبر للإسلام وتقدمه على اعتبار أنه دين توحيدي عالمي.

أمريكا:

رصدت اللجنة العربية لمكافحة التمييز (ADC) مجموعة من الصور النمطية السلبية الموجودة داخل مناهج التعليم الأمريكية عن المسلمين والعرب.

وقد قسمت اللجنة صور المسلمين والعرب النمطية السلبية إلى سبع مجموعات رئيسة، وهي:

- أولا: الصور النمطية العامة، وتصف هذه المجموعة العرب جميعا بأنهم "راكبو جمال"، "يضعون نشافات على رؤوسهم"، "عبيد الرمال"، "كل العرب مسلمون وكل المسلمين عرب"، "القبيلة"، "البدو"، "الواحة"، "الجمال"، "الصحراء"، "الحريم"، "الشيخ".

- ثانيا: صور نمطية عن العالم العربي، وتصور هذه المجموعة العالم العربي على أنه "ساحة تنافس يعيش فيها الأبطال الغربيون مغامراتهم العاطفية"، "ألف ليلة وليلة"، "الجن"، "البساط السحري"، "الأميرات"، "وزير شرير ظالم".

- ثالثا: صورة نمطية عن المسلمين، وتصور هذه المجموعة المسلمين على أنهم "سفاحون"، "إرهابيون"، "محاربون"، "مضطهدون للمرأة"، "الجهاد"، "الحرب المقدسة".

- رابعا: صور نمطية عن الفلسطينيين، وتصور هذه المجموعة الفلسطينيين على أنهم "يحاولون تدمير إسرائيل وإغراقها في البحر"، "مفجرو طائرات"، "إرهابيون".

- خامسا: صورة العرب الصالحين، وهؤلاء ينظر إليهم على أنهم "شخصيات ثانوية دونية"، "سلبيون"، "قلما يكونون أبطالا".

- سادسا: صورة الرجل العربي، وينظر له على أنه "شيخ بترول"، "ثري جدا"، "مسرف"، "يريد شراء أمريكا بماله"، "طماعون"، "غير متعلمين"، "غير أمناء"، "ديكتاتور"، "فاسد"، "عنيف"، "بربري"، "يكره اليهود والأمريكيين"، "غير عقلاني"، "عصبي المزاج"، "يخطف النساء والشقراوات الغربيات"!.

- سابعا: صورة المرأة العربية، وينظر لها على أنها "مضطهدة من الرجال العرب والمسلمين"، "حريم مترفات"، "راقصات عاريات"، "سيدات جميلات يقعن في حب الرجل الغربي الذي ينقذهن من شر الرجل العربي"!، "أسيرات منازل"، "سلبيات"، "غير متعلمات"، "بلا وجوه ولا شخصيات ولا أصوات"!.

ولكن تناول هذه الصورة النمطية لا يكفي وحده لتقديم صورة منصفة عن الجهود التي تبذلها المنظمات الأمريكية المختلفة، الخاصة منها والحكومية لمكافحة تحيز المناهج التعليمية الأمريكية ضد أبناء الجماعات العرقية والدينية المختلفة بما في ذلك المسلمون والعرب. فمن الواضح أن في الولايات المتحدة حركة كبيرة وناجحة لمكافحة التمييز ونشر التعددية الثقافية.

وقد اكتسبت هذه الحركة زخما جديدا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر خصوصا فيما يتعلق بتعاملها مع قضايا التحيز ضد المسلمين والعرب في مناهج التعليم الأمريكية. ويمكن رصد هذا الزخم على مستويين أساسيين،

أولهما: اهتمام بعض أكبر المنظمات التعليمية الأمريكية بتطوير أبحاث ومناهج وبرامج دراسية تعالج مشكلة التحيز ضد المسلمين والعرب في المناهج التعليمية الأمريكية بعد أحداث سبتمبر 2001 م.

وثانيهما: اهتمام المؤسسات التعليمية الأمريكية المختلفة على شتى المستويات اهتماما كبيرا بدراسة أحداث الحادي عشر من سبتمبر من حيث أسبابها وأبعادها وآثارها، إلى الحد الذي دفع جامعة مثل جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس

((UCLA إلى وضع 49 مادة بحثية متعلقة بهجمات سبتمبر، الأمر الذي أدى إلى زيادة اهتمام هذه المؤسسات بتدريس المواد التعليمية التي تتناول المسلمين والعرب والإسلام والعالم الإسلامي.

تقول الباحثة مارفين وينجفيلد والباحث بشرى كارمان في دراسة لهما بعنوان "المعلمون الأمريكيون والصور النمطية عن العرب":

يتعلم الطلاب المسلمون والعرب في المدارس الأمريكية العديد من الأفكار الإيجابية عن تاريخ وثقافة جماعات أخرى عديدة، ولكنهم يفتقدون هذه الخبرة التعليمية الإيجابية عند الحديث عن الحضارتين العربية والمسلمة.

وقد وجه إدوارد سعيد نقدا واسعا للمؤسسات الأكاديمية الأميركية فيما يتعلق بأسلوب دراستها للإسلام في كتابه "تغطية الإسلام.. كيف يحدد الإعلام والخبراء رؤيتنا لبقية العالم؟" الصادر عام 1997، إذ يقول إن برامج دراسات الإسلام بالجامعات الأميركية تحددها في الغالب "الضغوط المعاصرة الملحة" المسيطرة على العلاقة بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي، كما يهيمن عليها عدد من الأفكار العامة المنعزلة عن الواقع وعما يدور في العلوم الاجتماعية الأميركية الأخرى.

ويرى سعيد أن الأوضاع السابقة جعلت من "المقبول أن يقال عن الإسلام (بالجامعات الأميركية) ما لا يقبل قوله عن اليهودية أو عن الآسيويين أو عن الأفارقة، وجعلت من الممكن أن تكتب دراسات (أميركية) عن التاريخ والمجتمعات الإسلامية تتجاهل جميع المبادرات الكبرى في نظريات التفسير الاجتماعي".

اسرائيل:

قبل أن نقوم بتقديم بعض من الكتب المقررة،أردنا أن نورد بعضا مما جاء في كتاب (المرتكزات والقيم التربوية الصهيونية):

- اعتبار فلسطين والهضبة السورية (الجولان) أرضا يهودية، والأقطار العربية المحيطة بها دولا أجنبية، لا علاقة لها بفلسطين قوميا، وعقائديا، وتاريخيا.

- اعتبار العرب -أصحاب الأرض الشرعيين- محتلين في قلب وطنهم فلسطين، واعتبار الفتح الإسلامي احتلالا، وغزوا تاريخيا للأرض التي تعتبر في نظر اليهود ملكا لهم.

- تعمد إغفال التاريخ العربي، والعربي الإسلامي في فلسطين في مختلف العصور.
- الادعاء المتواصل بوجود أرض وممتلكات لليهود خارج حدود فلسطين، في حوران وجنوب الجولان وفي الأردن.
- تحميل العالم بأسره مسؤولية ما جرى لليهود دون تمييز.
- اعتبار سائر المعابد والكنائس والمساجد أماكن أثرية يهودية، بنى المسلمون والمسيحيون دور عبادتهم ومؤسساتهم على أنقاضها، زاعمين أن الحرم المقدس الشريف أقيم على أنقاض هيكل سليمان.

وفي إطار هذه المرتكزات، والأهداف التي وضعها المؤلف –بتكليف من وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية– قام عدد من المؤلفين الإسرائيليين بوضع الكتب الدراسية لمختلف المراحل. نورد بعضا منها، ومما جاء فيها:

كتاب: هذا موطني، تأليف/ ش. شكيد:

كل ما مر بالقدس ليس سوى غزوات عابرة حتى سعدت بعودتنا لتصبح عاصمة إسرائيل مرة أخرى.

شرق الأردن جزء من أرض إسرائيل.

عن طريق استخدام القوة، يتعلم العرب بسرعة كيف يحترمون الحارس اليهودي.

وأيضا كتاب: وقائع شعب إسرائيل من ظهور الإسلام حتى استقلال الولايات المتحدة، تأليف/ ب.أحياه – و– م.هرفاز:

وهذا الكتاب مقرر للصف السابع ابتدائي. ويبرز فيه الحقد على الإسلام، وتزوير التاريخ العربي، وتنتشر فيه المغالطات الصارخة.

مثلا:

اعتبار الإسلام دين المحاربين، والزعم بأن اليهود قد أثروا في العرب، وأن الإيمان الذي جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– إنما كان استلهاما من اليهود. ويزعمون أن الرسول حاول اجتذاب اليهود إليه، فأمر أتباعه أن يتوجهوا في صلاتهم إلى القدس، وأن يصوموا يوم الغفران، وأن اليهود قابلوا ذلك بالسخرية، وعندما أدرك أنهم بعيدون عنه، غير موقفه تجاههم، وأخذ يقسو عليهم، وألغى صوم يوم الغفران، وعين صوما آخر يستمر شهرا يدعى رمضان، كما غير القبلة من القدس إلى مكة.!!!

وكتاب: علم التربية المدنية، تأليف/ شالوم أبخر، لطلاب المدارس الثانوية. والذي ورد فيه الكثير من الافتراءات على العرب، بهدف ترسيخ العداوة والحقد في نفوس الطلاب اليهود. ومن ذلك:

العرب يعدون لحرب إبادة ضد إسرائيل بحيث يقذفون بالسكان اليهود في البحر.

أغراض العرب الظاهرة والمعلن عنها ليس فقط احتلال المنطقة الإسرائيلية، بل أيضا الإبادة الشاملة للاستيطان اليهودي، لذلك فإن القتل الجماعي (المحتمل) الذي تتعرض له إسرائيل لا مثيل له في أي مكان آخر في العالم.

كما تدخل قصص الأطفال للطلبة اليهود ضمن الحرب النفسية التي تقوم بها السلطات الصهيونية لتقوية نفوس أبنائها، وتعزيز موقفها وغرس روح العداء والتفوق والاستعلاء في نفوس الأطفال.

لذا فقد عمدت السلطات الإسرائيلية إلى إصدار سلاسل من القصص لتحقيق غايتها. ومنها: سلسلة قصص "داني دين". وهو شخصية أسطورية، خارقة، متفوقة قادرة على هزيمة العرب مهما كانت قدرتهم العسكرية.

وقد سأل البروفيسور (اديركوهين –أستاذ آداب الأطفال بجامعة تل أبيب) بعض الأطفال الإسرائيليين عن نوايا العرب تجاههم، فجاءت غالبية العبارات كالتالي "العرب يريدون قتلنا واحتلال مدننا وإلقاءنا في البحر" وهي العبارات التي انعكست وظيفيا في سلوك الأطفال الإسرائيليين في تعبيرهم عن الرغبة في التخلص من وجود العرب في فلسطين باعتباره وجودا لأجانب خطيرين يجب التخلص منهم، أولا إثباتا للحق اليهودي في الأرض، وثانيا لتجنب الخطر العربي.

=============

#مسلمو ألمانيا بين الخديعة والتحديات!

بسيوني الوكيل 1426/2/23

2005/04/02

رغم مضي نحو خمسة قرون على خروج الإسلام من أوروبا وسقوط الأندلس..فقد عاد الإسلام من جديد في أوروبا , وخاصة منذ منتصف القرن العشرين , ولقد اختلفت العودة الجديدة للإسلام إلى أوروبا عن قدوم الإسلام في المرة الأولى في

منهجها وأسلوبها وأهدافها، وفي أوضاع أوروبا والدول الإسلامية ومن ثم أصبح المسلمون في دول المهجر خاصة الدول الإسلامية عامة، وكذلك الدول الأوروبية والأمريكية يواجهون تحدياً خطيراً يستدعي مواجهته بأسلوب بنّاء، ولعل من أبرز العوامل التي تساعد على حفظ الدين هو العلم بتعاليم الإسلام وشريعته، ويعتبر التدريس أفضل وسائل نشر العلم لما يتميز به من التنظيم والتدرج في توصيل المعلومة، ولكن الجدير بالملاحظة هو إقرار بعض الحكومات مثل ألمانيا تدريس الدين الإسلامي كمادة لأبناء الجاليات الإسلامية، فهل هو نوع من إبراز حرية الأديان؟

أم أنه وسيلة لإخراج جيل مسلم على شاكلة غربية غير النموذج الذي لا يقبله الغرب . المتشدّد . أي نموذج للإسلام حسب الطلب الغربي.

اتجاه جديد

يُعدّ تعليم الدين الإسلامي بالمدارس الحكومية الألمانية اتجاهاً جديداً؛ إذ لم يكن متوافراً في الماضي سوى الدروس الخصوصية لتدريس الدين الإسلامي والتي وُجدت منذ أن بدأت أول جماعة من المهاجرين الأتراك بالوصول لألمانيا في الستينيات.

ولكن مع بداية العام الدراسي في عام 2003 أعلنت بعض المدارس في ولايتي سكسونيا السفلى وبافاريا وفي مدينة برلين، في سابقة هي الأولى من نوعها عن تدريس مادة جديدة للطلاب المسلمين بهذه المناطق، ألا وهي الدين الإسلامي.

إذ أعلنت وزارة التعليم التابعة لولاية سكسونيا السفلى: إن هذا النموذج الجديد بتدريس الدين الإسلامي باللغة الألمانية للطلاب والطالبات المسلمين بالولاية التي يعيش بها حوالي (40) ألف طالب مسلم، تم اختباره في (8) مدارس للتعليم الابتدائي بالولاية بالتعاون مع بعض المنظمات الإسلامية بألمانيا.. مؤكداً أن الأبوين سيقرّران بمحض اختيارهما ما إذا كانا يرغبان في إدخال أولادهم لفصول تعليم الدين الإسلامي، مشيراً إلى أن تلك الفصول تهدف إلى دعم التآلف والاندماج والتسامح وفهم الدين الإسلامي بصورة صحيحة.

ضغط المسلمين

ونتيجة للطلبات التي تقدمت بها جمعيات إسلامية، وبعد سنوات عديدة من مماطلة وزارت التربية المحلية لم يقتصر النجاح في تدريس الدين الإسلامي على ولايتي بادن– فيرتمبرج وهيسن فقد حققت الجمعيات الإسلامية في العديد من الولايات نجاحاً نسبياً على مدى العقد الماضي في دفع وزارات التربية المحلية بها لاتخاذ خطوات نحو تدريس الإسلام.

ففي ولاية ساكسونيا السفلى، يشرف مجلس الشورى الذي يضم التجمعات الإسلامية بالولاية على تدريس حصص للدين الإسلامي في (8) مدارس بالولاية،

وفي برلين، يتولى الاتحاد الإسلامي في الولاية –المكون من (25) مؤسسة دينية– مسؤولية تدريس حصص للدين الإسلامي في (37) مدرسة حكومية يدرس بها (3200) تلميذ مسلم، وذلك تطبيقاً لقرار أصدرته المحكمة الإدارية العليا في برلين عام 2000.

وفي ولاية شمال الراين –التي تصل فيها نسبة التلاميذ ذوي الأصول الأجنبية في سن الخامسة عشرة إلى 32% من إجمالي عدد التلاميذ في نفس السن– أقرت المحكمة الإدارية الاتحادية في مدينة ليبزج عام 2005 بأحقّية المنظمتين الإسلاميتين؛ "مجلس الإسلام في ألمانيا" و"المجلس المركزي الإسلامي"، في التنظيم والإشراف على دروس التربية الدينية في المدارس الحكومية في الولاية.

وكانت وزارة التعليم في ولاية شمال الراين قد أبدت تفهّماً نسبياً إزاء التعامل مع قضية تدريس الدين الإسلامي في مدارسها، وبدأت الوزارة منذ عام 1999 في تجربة تدريس مادّة الدين الإسلامي كمادّة مقررة باللغة الألمانية على (5) آلاف تلميذ مسلم في (110) مدارس حكومية بالولاية. أما ولاية هامبورج فيتم تدريس الدين الإسلامي بالمدارس منذ نحو عام

الهدف دمج المسلمين

وتؤكد الوزارة أن تعليم الدين الإسلامي بألمانيا لا يُعدّ فكرة جديدة حيث إنه منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة، يسعى صنّاع القرار السياسي بألمانيا لإيجاد حالات حقيقية من اندماج الجالية الإسلامية التي تقدر بـ(3.5) ملايين نسمة

بألمانيا التي يبلغ إجمالي عدد سكانها (82) مليوناً.. مشيراً إلى أن فصول تعليم الدين الإسلامي ستهدف إلى تعليم أساسيات الدين وتعاليمه.

ولم يقتصر الأمر على المدارس فقد قامت جامعة مونستر بإنشاء قسم جديد بمركز الدراسات الدينية التابع للجامعة يتخصص في تقديم دورات تدريبية ودراسات لتأهيل معلمين يدرّسون الإسلام.

ويقول الدكتور محمد سفين كاليش المسؤول عن القسم الجديد بالجامعة: إن المعلمين المؤهلين سيتمكنون فقط من تدريس الإسلام في المدارس الإسلامية المتخصصة في تعليم القرآن في ألمانيا.

وبرّر كاليش إنشاء هذا القسم بزعم"عدم توافر كفاءات مناسبة لتدريس الإسلام في المدارس الألمانية حتى الآن"، مشيراً إلى أن تأهيل هؤلاء المدرسين سيتم بصورة علمية لتخريج علماء يتناسبون مع الصورة التي ترغب فيها الحكومة الألمانية.

وتتضمن شروط الالتحاق بالقسم الجديد –بحسب كاليش– أن يكون الشخص المتقدم "مسلماً، وأن يكون مؤهلاً من قبل كمعلم، أو على الأقل قد بدأ في دراسة كيف يكون معلماً".

وأوضح قائلاً: "التدريس في القسم سيكون باللغة الألمانية؛ لأننا نرغب في أن يصبح الدين الإسلامي جزءاً من المجتمع الألماني؛ ولذلك فعلى المسلمين في هذه الحالة تعلم دينهم باللغة الألمانية وجميع المصطلحات المتعلقة بذلك حتى يستطيعوا أن يجدوا مكاناً لهم في المجتمع الذي يعيشون فيه".

مسلمو ألمانيا يتحفظون

رغم إعلان بعض الولايات الألمانية البدء في تدريس الدين الإسلامي للتلاميذ المسلمين إلا الأمر ليس على ظاهره فقد عبر د. "أحمد خليفة" الأمين العام للجماعة الإسلامية عن تحفظه على مشروع تدريس الدين الإسلامي للتلاميذ المسلمين في المدارس بولاية بافاريا، والمزمع تنفيذه، مشيراً إلى أن المشروع بصورته المعلنة لن يلبي احتياجات المسلمين التعليمية.

وبرّر "خليفة" ذلك بأنه لم يتم تحديد الجهة المخولة بالإشراف على وضع المناهج، كما أنه لم يوضّح محتوى هذه المناهج، ولا الصفات المطلوبة في المعلمين

المرشحين للتدريس كقدوة أمام التلاميذ المسلمين.. وشدّد الأمين العام للجماعة –التي تدير عدداً كبيراً من المؤسّسات الإسلامية والمساجد في ألمانيا– على رفض معظم الهيئات الإسلامية الألمانية إشراف وزارة التعليم التركية على وضع المناهج؛ لأن عملية تدريس الدين الإسلامي هي عبارة عن توصيل المعلومة الدينية للتلاميذ المسلمين الموجودين في ألمانيا، وهو حق كفله الدستور الألماني للمؤسسات الإسلامية الألمانية وليس لسلطات خارجيّة.

ولعل هذا التحفظ جاء عقب إعلان وزيرة الثقافة في ولاية بافاريا السيدة "هول ماير" عزم الوزارة البدء في تخصيص حصص للدين الإسلامي باللغة الألمانية للتلاميذ المسلمين في خمس من المدارس الابتدائية الرسمية بالولاية.مؤكدة أنها

اتفقت مع وزارة التعليم التركية على خطة التدريس التي ستساعد على اندماج التلاميذ المسلمين في المجتمع الألماني وتكريس هويتهم الدينية.

عنصريّة أوروبيّة

ورغم أن المسؤولين رحبّوا بإدراج حصص التربية الإسلامية ضمن البرامج الدراسية، إلا أنهم اشترطوا وجود شريك في الحوار من الجانب الإسلامي ليكون مسؤولاً أمام السلطات عن إدارة برامج ومحتوى المواد التي ستدرس.

وكانت وزارة التربية المحلية في مدارس ولاية هيسن قد خصصت حصصاً رسمية للتربية الدينية للكاثوليك والبروتستانت واليهود والسريان الأرثوذكس والأرمن، وعدد آخر من الجمعيات الممثلة للطوائف الدينية في الولاية.

على النقيض من الموقف مع المسلمين رفضت الوزارة في هذه الولاية منذ سنوات تخصيص حصة مماثلة للدين الإسلامي للتلاميذ المسلمين في مدارس الولاية، رغم أن عدد هؤلاء التلاميذ يزيد في هذه الولاية عن (70) ألف نسمة؛ وهو ما يجعلهم ثاني أكبر مجموعة دينية من التلاميذ بعد التلاميذ النصارى، ورفضت وزارة التربية في هيسن أوائل التسعينيات طلبات تقدمت بها إليها منظمات إسلامية مختلفة لمنحها الحق في الإشراف على تدريس الدين الإسلامي في مدارس الولاية، وبررت الوزارة –حينذاك– رفضها بعدم اتحاد المنظمات الإسلامية في جمعية واحدة تمثل المسلمين أمامها.

لكن بعد اتحاد المنظمات الإسلامية في منظمة واحدة عام 1997 رفضت الوزارة طلباً جديداً بتدريس الدين الإسلامي متذرعة هذه المرة بأن تنوع المنظمات الإسلامية المنضوية في الهيئة الجديدة لا يعكس وحدة حقيقية بين المسلمين، كما أبدت الوزارة تشككها في تمثيل الهيئة الجديدة المكونة من (11500) عضو لجميع مسلمي هيسن المقدرين بنحو (300) ألف نسمة.

وتدخل وزير داخلية هيسن السابق "بوكل" في القضية، معتبراً أن رفض مؤسسة ديانات التركية –ذات الاتجاهات العلمانية– الاعتراف بتمثيل الهيئة الجديدة للمسلمين مبرر كافٍ لرفض طلب الهيئة.

كما انتقد المسلمون في ولاية شمال الراين المقدر عددهم بمليون نسمة قيام وزارة التربية بإعداد مناهج الدين الإسلامي في معهد المعلمين التابع لها، ولم تترك إعدادها للمسلمين مثلما فعلت مع المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت ومع اليهود.

===============

#سقوط أكاييف .. وبداية الزلزال في آسيا الوسطى

عبد الرحمن أبو عوف 1426/2/20

2005/03/30

لم يكن يدور بخلد الرئيس القرغيزي عسكر أكاييف أن تزوير الانتخابات البرلمانية التي جرت جولتها الأولى في السابع والعشرين من فبراير الماضي، والثاني في الـ13 من مارس سيكون بداية النهاية لنظامه .. فإصرار أكاييف على ضرورة سيطرته التامة على البرلمان، والتزوير الفاضح الذي شاب العملية الانتخابية لصالح ابنه وابنته الموالين له، أنهى إلى الأبد سطوته على الحياة السياسية في قرغيزستان، والتي بدأت عام 1990 وانتهت إلى كازاخستان المجاورة، وهو التاريخ الذي شهد اعتلاء أكاييف – وهو أكاديمي متخصص في الفيزياء– سدّة السلطة في البلاد قبل عام من تحقيقها الاستقلال عن الاتحاد السوفيتي السابق.

وقبل أن ندلف في التطورات الحالية في قرغيزستان جدير بنا أن نذكر نبذة عن هذه الدولة الفقيرة، والتي استقلت في سبتمبر عام 1991 عن الاتحاد السوفيتي ؛ فقرغيزستان أحد جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية، وتبلغ مساحتها (5و 198)ألف

كيلو متر ويبلغ عدد سكانها (5و3) مليون نسمة 48 % منهم قيرغيز مسلمون، وأما باقي 52 % فيتوزعون ما بين روس وصينيين وأوزبك، وعديد من الأقليات الأخرى من طاجيكستان وكازخستان، ومنذ حصلت قيرغيزستان على استقلالها اختارت أن تسير في نهج الإصلاحات الشاملة، وهو ما أدى إلى تدهور حاد في الأحوال المعيشية لدولة تُعد من أفقر الدول في منطقة آسيا الوسطى لا يزيد ناتجها القومي على (1و3) مليار دولار، ولا تتمتع بكثير من الثروات الطبيعية اللهم إلا كميات قليلة من الذهب الذي وقفت الأوضاع المضطربة دون استثماره بشكل كامل تعود آثاره على الشعب الفقير.

الأوضاع الاقتصادية المتردّية لا تقف وحدها سبباً في اضطراب الأحوال في البلاد التي تنقسم إلى جزأين شمالي وجنوبي، ويسيطر أهل الشمال ومنهم الرئيس أكاييف ورئيس الوزراء تاتاييف على معظم المناصب القيادية ومقدرات البلاد الاقتصادية

غضب جماهيري

سيطرة الشماليين على الساحة السياسية والثروة الاقتصادية كانت تشكل هماً كبيراً لنظام أكاييف، فكثيراً ما علت أصوات الجنوبيين وخرجوا في مظاهرات، وتسببوا في اضطرابات أزعجت النظام الذي كان يوصف بأنه أكثر الأنظمة ليبرالية في منطقة آسيا الوسطى.

ورغم محاولات النظام احتواء هذا الغضب إلا أن الأمور بدأت تخرج من تحت سيطرته بنهاية عام 2002 عندما شهدت العاصمة بيشكيك مظاهرات شديدة طالبت بضرورة تبني النظام لإصلاحات سياسية، ووقف الحملات الأمنية على نواب المعارضة والكفّ عن معالجة شؤون البلاد بالنهج الأمني البحت، هذه المطالب كانت أول علامات نهاية شهر العسل بين أكاييف والشعب فالمظاهرات لم تكن في المدن الجنوبية فقط بل امتدت لغيرها فقوبلت من جانب أكاييف بإجراءات رمزية تمثلت في تشكيل لجنة تحقيق في الأحداث، وإلغاء قرارات زيادة أسعار المحروقات، ولكن هذه القرارات لم تفلح في إنهاء غضب الشعب؛ إذ واكبت التطورات تقديم أكاييف تنازلات للصين حول ترسيم الحدود بين البلدين، وهو الأمر الذي تنامى معه

غضب الجنوبيين الذين يكنون عداءً بالغاً لنظامه وللصين، وأدى هذا التوتر بأكاييف إلى إقالة المسؤولين عن الأزمة وعلى رأسهم رئيس الوزراء.

تصاعد المعارضة

ومنذ ذلك التاريخ والمعارضة تزداد قوة وتكتسب أرضية جديدة وهو ما يعد خصماً من رصيد نظام أكاييف، ونمت حالة من الاحتقان الشعبي. الاضطرابات الشديدة في مناطق الجنوب التي تقطنها أغلبية أوزبكية قابلها أكاييف بعنف شديد وقصف جوي مكثف على مدينة أواش التي يزيد عدد سكانها على نصف مليون نسمة، وتُعدّ معقلاً للجماعات الإسلامية الأوزبكية التي فرت من عصف نظام كريموف المستبد، وكذلك ينشط فيها بعض الكوادر الإسلامية القرغيزية التي ما زالت في أول الطريق ويصعب وضعها في إطار تيار إسلامي حتى ولو كان معتدلاً.

المسلك العنيف لأكاييف ضد الجنوبيين فَقَد أي تعاطف شعبي، وأجبره على تقديم سلسلة من التنازلات لعديد من القوى الإقليمية والدولية عدها الكثيرون خطايا لهذا النظام البائد، ومن أوائل هذه القوى نظام كريموتف في أوزبكستان الذي كثيراً ما تحرشت قواته بحرس الحدود القرغيزي، وقصفت طائراته المدن الحدودية علاوة على قيام السلطات في طشقند بتلغيم المناطق الحدودية لمنع تسلل الإسلاميين، وإزاء هذا التحرش شنت قوات البلدين قصفاً مشتركاً للمناطق الحدودية تنفيذاً لبروتوكول وقّعه الطرفان للتصدي للإسلاميين وتصفيتهم أدّى هذا القصف إلى مصرع (2000) من نشطاء الحركة الإسلامية، ومئات من المدنيين نتيجة عشوائية القصف.

العداء السافر للإسلاميين

وهذا القصف كما يرى المراقبون يُعد إجراء من مساعي أكاييف للجم موجات أوزبكستان والصين في أراضي قرغيزستان، حيث تمارس الدولتان ضغوطاً شديدة للعصف بالإسلاميين المتعاطفين مع المجاهدين الأيجور الصينيين الذين لهم امتداد في الأراضي القرغيزية والمعارضون لنظام كريموف، وقد حملت الضغوط المتتالية نظام أكاييف على القبض على الإسلاميين وتقديمهم لمحاكمات صورية ألقت بهم في السجون، وقوبلت بانتقادات شديدة من جماعات حقوق الإنسان، وهذه المحاكمات التي شكلت أول نواة في الجنوب لمعارضة حقيقية لحكم أكاييف.

تنازلات أكاييف المتعددة لم تقف عند هذا الحد بل إنه سمح للأمريكان بإقامة قاعدة عسكرية قرب العاصمة بتشكيك، وهي القاعدة التي تحولت إلى دولة داخل الدولة، وإضافة إلى موافقتها على حصول الرعايا الأمريكان على تسهيلات تكفل لهم حرية الدخول والخروج من البلاد دون قيود ناهيك عن حرية حمل السلاح.

قاعدة نفوذ صهيوني

يرى المراقبون أن الموافقة على إقامة هذه القاعدة كانت لخطب ود الأمريكان، وجلب حمايتهم لإنقاذ نظامه من طموحات الصين وأوزبكستان التي كثيراً ما تتحرش بقرغيزستان، وكانت آخر مظاهر هذا التحرش إحلال القوات الأمريكية لوادي سرجوب القرغيزي، والتهديد بقطع إمدادات النفط والغاز الطبيعي عن بشكيك إذا لم تسدّد ديونها بالأسعار التي حددتها طشقند.

لم يقف أكاييف في خطب ودّ الأمريكان عند هذا الحدّ لكنه حوّل بلاده إلى محطة لنفوذ الموساد الإسرائيلي الذي يتخذ من بشكيك مقراً للانطلاق إلى مناطق آسيا الوسطى للمشاركة بفعالية في الحرب المزعومة على الإرهاب لدرجة أن الوحدات الصهيونية التي لعبت دوراً مهماً في تصفية نظام طالبان والحركات الإسلامية في أوزبكستان كانت تنطلق من قرغيزستان.

فقر وفساد

تنازلات أكاييف التي قدمها بدون حساب، لم تفلح في تحسين الأوضاع الاقتصادية في البلاد حيث يعاني أكثر من 30 % من الشعب من البطالة ويعيش أكثر من 70 % تحت خط الفقر بينما يعيش النظام وحاشيته في بحبوحة محروم منها غالبية الشعب، ويعد من الأمور العادية في البلاد بالإضافة إلى انتشار الفساد والرشوة، وكذلك لم ينجح أكاييف في إنهاء حالة الاحتقان السياسي كمدخل في مواجهة مع المعارضة بشقيها العلماني أو الإسلامي إن جاز القول بوجود تيار إسلامي، لأن هذا التيار لا يزال في أول الطريق، ولم يسبب إزعاجاً لنظام أكاييف، ولم يبدأ في لعب دور يذكر إلا بعد أحداث مارس الماضي عندما قصفت طائرات أكاييف وكريموف معسكرات لحزبي النهضة والتحرير الأوزبكيين اللذين يتخذان من منطقة الحدود القرغيزية محطة لانطلاق هجماتهم لإنهاء عصر نظام كريموف الدموي، ويكتفي

النشطاء الإسلاميون حالياً بدور دعوي محض ويركزون جهودهم في إنشاء المساجد والمدارس الإسلامية لتوعية (2) مليون قرغيزي يعانون من تدني معارفهم الدينية لانقطاع صلاتهم بالعالم الإسلامي وافتقارهم للكوادر المؤهلة، وقيام السلطات بطرد منظمات الإغاثة الإسلامية المتعددة التي تعمل في البلاد في إطار الحرب الدائرة على هذه المنظمات بإيعاز من واشنطن التي تقدم معونات (800) مليون دولار سنوياً لإنعاش ميزان المدفوعات المنهار مقابل هذا التعاون في الحرب ضد الإسلام.

ويُعدّ هذا الاستعراض لخطايا نظام أكاييف والتي أدّت إلى إسقاطه بصورة لم يكن يتوقعها أحد حتى أكثر المتفائلين في صفوف المعارضة أو المراقبين الدوليين؛ فالدعم الأمريكي الصهيوني وحتى الروسي الذي كان يُقدّم لنظام أكاييف لم ينجح في لجم الغضب الشعبي العارم الذي قام بثورة قرنفلية أطاحت بالنظام في أقل من عشرة أيام وتكرارها في دول أخرى أمر مرجح جداً.

وكان غضب المعارضة العارم له ما يبرره؛ إذ إن أكاييف الذي زوّر الانتخابات كان يستعد لإحداث تعديل في الدستور يتيح له الاستمرار في السلطة لخمس سنوات قادمة رغم الوعود التي قدّمها في السابق بالتنحي نهاية هذا العام ولكن الشعب القرغيزي الذي أمضى أكثر من (70) عاماً تحت بطش العصابات الشيوعية انتفض ضد الفساد السياسي والاقتصادي الذي امتاز به حكم أكاييف الذي لم يفلح في تحقيق نهضة اقتصادية توجد لنظامه القدرة على مواجهة ثورة الشعب، وهي الثورة التي اندلعت قبلها في جورجيا وأوكرانيا، ويُنتظر لها أن تقض مضاجع نظم عديدة مجاورة مثل نظامي كريموف الدموي في أوزبكستان التي يواجه معارضة قوية، وصابر مراد نيازوف في تركمانستان الذي يعيش خارج إطار الزمن، والغضب على النظامين السابق ذكرهما يفوق بكثير ما كان يتعرض له نظام أكاييف الذي تخلّى عنه الصديق قبل العدو؛ فواشنطن التي سمح لها أكاييف بوجود عسكري لم يتعد موقفها الإعراب عن ضبط النفس للحفاظ على الاستقرار في البلاد، وكذلك موسكو التي لها قاعدة جوية بالقرب من العاصمة في التعاون مع النظام الجديد مبدية استعدادها لقبول أكاييف كلاجئ سياسي.

زلزال قوي

ويتوقع المراقبون أن يكون سقوط أكاييف بداية لزلزال في منطقة آسيا الوسطى يطيح بالديكتاتوريات القائمة والتي لن يشفع لها موالاتها لواشنطن وموسكو اللتين لن تستطيعا التدخل لكبح جماح الشعوب التي عانت كثيراً من بطش هذه الأنظمة التي أذلت شعوبها وأقامت معسكرات تعذيب تفوق ما كان يقوم به النازي أو المجرم ستالين.. لذا فالمنطقة حبلى بالمشاكل، ولن يكون خلع أكاييف إلا بداية لسقوط مستبدين آخرين وهم كثير.

وعلى أي الأحوال فإن الأوضاع في قرغيزستان سواء الاقتصادية أو السياسية قد يحدث بها تحسن مطّرد ينهي المعالجات الأمنية للشأن السياسي ويخفف من القيود الشديدة المفروضة على المعارضة خصوصاً على الكوادر الإسلامية التي يتوقع لها أن تتنفس الصعداء، وتقطف ثمار جهودها وتنتهي للأبد مظاهر التمييز الذي عانى منها الجنوب القرغيزي ذي الهوية الإسلامية التي تظهر بجلاء في هويتهم ومساكنهم وملابسهم وهي المنطقة التي عانت من عصف نظام أكاييف طوال (15) عاماً.

==============

#محوريّة الجسد في خطاب المرأة

محمد العبدالكريم 1426/2/20

2005/03/30

مهما قال التأريخ عن الماضي والكبرياء عن المستقبل، ستظل المرأة "السعوديّة" رهينة لخطاب الجسد المتسرمد في روح الطرح الفكري عند المثقف السعودي، المسكون بالشك تجاه ثقافته العربية والإسلامية بأنها: ثقافة ذات جذور عنصرية تجاه المرأة، وأن الذي أعطاها بعض حقوقها ليس الإسلام بالطبع، فالإسلام في زعمه أكّد على مفاهيم "العيب" وأغلق منافذ الحرية.

إن محوريّة الجسد في الطرح العلماني تُعتبر أهم معيار لقياس الحقوق

فسيدة الأعمال والطبيبة.. لا يُقاس إنجازها وإنتاجها ما دامت تحترم جزءاً ولو يسيراً من أصولها وقيمها.

ولذا فإن فتاة تافهة متبذلة هي أكثر رقياً وقبولاً من أخرى مبدعة ومحافظة على الفضيلة بمعناها الشرعي ومفهومها الفطري .

إنه لمن المؤسف أن يسعى بعض أطياف هذا التيار إلى تكريس صورة نمطية لا تحتمل إلا خياراً واحداً، إما أن يكون نموذج الفتاة العصرية: نساء متبذلات خارجات عن نسقنا القيمي والأخلاقي، أو نحن متخلفون لا نعي معنى حقوق المرأة!!

والمشكلة لم تقف عند هذا الحد، بل زاد الأمر سوءًا: حين أغرق بعض "الوعاظ" في حماية الجسد، ورتب الدنيا وسنن الكون على فتنة النساء، فحرم المجتمع، وحُرمت كثير من المبدعات من الحضور والتواجد وأصبحن خلف "قضبان "الذريعة!

لقد آن الأوان كي يعرف الآخرون أن هناك نموذجاًً مغايراً يضيف بعداً آخر إلى حماية الجسد، ويكرّس الحاجة محوراً رئيساً في التعامل مع المرأة، ويؤمن بأن العناية بعقلها وروحها ... يحميها ويعطيها كامل حقوقها.

فلا النموذج العلماني ولا الطرح "الوعظي" قادر على الخروج من مأزق الحقوق، فهما نقيضان متعاكسان، وكلاهما يفهم الحقوق من خلال معطيات الآخر، ويبني مشروعه من خلال ممارسات الإسقاط اللا أخلاقية المتبادلة بين الطرفين.

إن الهوس الجنسي والتعليقات والمسامرات والنكت الجنسية... هي منتجات لخطاب الجسد.

وأزعم أن المدخل الجنسي فيما يتعلق بشؤون المرأة صار مستحكماً في تفسير ما لها من حقوق وما يلزمها من واجبات، فلا غرابة أن تتعبّأ الثقافة الاجتماعية بالنظرة الجنسية خصوصاً مع تدعيمها بنظريات القبيلة وقيود العادات والتقاليد.

لا أريد الإسهاب في الحديث عن مركزيّة الجسد في خطابنا الثقافي بشتى أطيافه، فالحديث عن النتائج طويل وكارثي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولكن لعل في الانتقال إلى مفهوم المرأة في الثقافات الأخرى ما يؤكد على أنها ليست معزّزة أو مكرمة كما قد يتصوّر بعض المثقفين الذين يستلطفون الحديث عن المرأة الغربية، ويعجبون بها كنموذج وخيار لا حياد عنه للمرأة العربية.

وبداية أقول لقد حاولت في هذه العجالة التطواف على خزائن الآخرين شرقاً وغرباً حتى أنقل نظرتهم تجاه المرأة وما شاع في أدبياتهم عنها، فوجدت أن الأمثال والحِكم خير دليل في فهم ثقافة الشعوب.

هذه الأمثال والحِكم تختزل في جملها القصيرة ماهية المرأة وكنهها، وتعبر عن ثقافتهم تجاه النساء، وتعرب في الغالب عن نظرة دونيّة أشدّ مما يمكن أن يدركه كتابنا.

إن صورة المرأة عند اليابان يعبر عنها مثل سائد لديهم يقول: "الشيطان أستاذ الرجل وتلميذ المرأة".

بمعنى أن المرأة بلغت استحقاقها من السوء والخبث... حتى صارت أستاذة للشيطان عياذاً بالله، ونفس المعنى عند الإيرلنديين الذين يقولون: المرأة تغلب الشيطان.

أما في تراث الإنجليز فلهم أمثلة كثيرة منها:

. المرأة شعر طويل وعقل قصير!

. ومن تزوج امرأة لها ثلاث بنات تزوج أربعة لصوص.

. ولا سلاح للمرأة إلا لسانها.

. والنساء والجسور دائماً تحتاج إلى ترميم.

أما المرأة القبيحة فهي مرض للمعدة، والمرأة الجميلة فهي وجع للرأس.

ويقولون أيضاً: آخر ما يموت في الرجل قلبه وفي المرأة لسانها.

هذه الأمثال الشعبية في تراث الإنجليز ليس فيها مثل واحد يدل على احترام المرأة .

أما المثل التشيكي فهو يلغي الثقة بالمرأة: فلا تستند إلى الجدار المائل، ولا إلى المرأة. وعند البلجيك المرأة هي سبب الخراب فيقولون: يخرب البيت ثلاثة: زوجة شابة، وخبز جديد، وخشب أخضر.

وإذا انتقلنا إلى الفرنسيين الذين يعبدون الحرية، ويقدّسون جسد المرأة فهم يقولون:

. لا أصعب من أن تجد بطيخة طيبة وامرأة طيبة.

. والمرأة والمال يضيّعان الرجل.

. الرجل هو النار، والمرأة هي الحطب، وإبليس هو الهواء.

. سلاح المرأة لسانها فكيف تدعه يصدأ بعدم الاستعمال.

ثلاثة أنواع من الرجال لا يفهمون المرأة: الشباب والشيوخ والكهول.

أما الألمان فهم ليسوا بأقل نظرة من اليابانيين في تفوق المرأة على الشيطان في الخبث والدهاء فيقولون:

. مالا يقدر عليه الشيطان تقدر عليه المرأة.
. والشيطان يكفيه عشر ساعات ليخدع رجلاً، والمرأة يكفيها ساعة واحدة لتخدع عشرة شياطين.

والمثل اليوناني يقول: (لا تثق بالمرأة حتى وإن ماتت) (وُعود المرأة تُكتب على صفحات الماء).وهناك مثل لاتيني يقول: (من له بيت هادئ ليست له زوجة) (وعندما تفكر المرأة بعقلها فإنها تفكر في الأذى). وأما الروس فيقولون: (الكلب أعقل من المرأة؛ لأنه لا ينبح على سيدة) ويقولون: (للمرأة سبعة وسبعون رأيا في آن واحد). البلغاري يقول: (لا تثق بشمس الشتاء ولا بقلب المرأة).

والسويدي يقول: (قلب المرأة يرى أكثر من عيون عشرة رجال) .

والألباني يقول: (لا شِجار بلا امرأة).

والدانمركي يقول: (الزوج الأصم والزوجة العمياء هما أسعد الأزواج).

والأسباني يقول: (المرأة كظلك اتبعها تهرب واهرب منها تتبعك). و(لا تثق بالمرأة الصامتة ولا بالكلب الذي ينبح).

والصيني يقول: (النساء كالحكام قلّما يجدن أصدقاء مخلصين).

و(يستطيع الرجل أن يحمي المرأة من كل رجل إلا نفسه). (والمرأة كالسجادة كلما ضربتها بالعصا تخلصت من الغبار العالق بها ونظفت). و(إذا أخفق الشيطان في التسرب إلى مكان أوفد إليه امرأة) .

وهناك الكثير مما قيل في المرأة في جميع الثقافات وعند كل الشعوب، والمتفق عليه بين معظم تلك الثقافات: أن المرأة أقل شأناً، وأدنى ذكاءً، وأقل عقلاً من أن يُجعل لها كل هذا الاهتمام والتقدير.

ونحن أيضاً لا نبرئ أمثلتنا الشعبية وثقافتنا الاجتماعية فهي مليئة بالتشوّهات التي أُضيف إليها بعد الجسد .

أما صورة المرأة في منظور الشريعة فيجب أن تتفاصل عن الثقافة الاجتماعية السائدة المعبّأة بالنقص والازدراء.

وما يوجد في شريعتنا من وصف للمرأة بأنها ناقصة عقل ودين قد بين في ذلك المعنى، ولا حاجة للخلط والإسقاط والإسفاف في الربط المتكلف الذي يمارسه بعض المتعالمين على شريعة الله.

وقد أشار المنفلوطي –رحمه الله– إلى معنى جميل حول وصف المرأة بنقصان العقل، وذكر الفرق بين العقل والذكاء، وأن الحديث لا يستنقص من ذكاء المرأة، ولكنه يشير فقط إلى نقصان العقل، والعقل يختلف عن الذكاء؛ لأن من النساء من تفوق الرجال ذكاءً وفطنة. بدليل أن اللص المحترف يوصف بالذكاء ولا تستطيع وصفه بالعقل

=============

#السياسة الأمريكية ..

ومشروع الإصلاح في العالم الإسلامي

د. أنور هدام * / واشنطن 1426/10/26

2005/11/28

منذ الحرب العالمية الثانية – التي ضمنت الولايات المتحدة بعدها الحصول على منابع الثروة الحيوية عبر توظيف علاقات السوق– كان الهدف الأساسي للسياسة الأمريكية الخارجية هو كيفية ضمان رفاه الشعب الأمريكي في المقام الأول ، وذلك بعد أن ساهمت الولايات المتحدة في تقويض النظام النازي الذي سيطر على أوروبا ، وقامت بدورها من أجل إعادة بعث أوروبا الغربية لضمان استقلالها و أمنها أمام الزحف الأحمر.

لقد لاحظنا بأن الدعم الأمريكي فيما يسمى بمشروع مارشال كان مشروطا بتوحد أوروبا الغربية وتنسيق الجهود فيما بينها لتحديد أهداف الإقلاع الاقتصادي ، وتجاوز مشكلات التنمية مع الاحتفاظ بخصوصيات الشعوب وهويتها.

وقد أعقبت ذلك فترة من الاستقرار السياسي ، وتحرك عجلة الاقتصاد خاصة في أوروبا الغربية واليابان ، رغم مضاعفات ما يسمى بالحرب الباردة، وهو نفس الأثر الذي تركته السياسة الأمريكية في الكتلة الشرقية بعد نهاية الحرب الباردة و إعلان ميلاد النظام العالمي الجديد.

بينما نلاحظ أن بلادنا الواقعة في الحزام الأخضر بتعبير مالك بن نبي رحمه الله، أي بلاد العالم الإسلامي ، قد أُهملت ولم تستفد من هذه الجهود العالمية لتحسين أوضاع الشعوب ، كما حدث في أوروبا الشرقية أو أوروبا الغربية ، أو في جنوب شرق آسيا.

قد يبدو من غير الواضح التناقض الناجم عن إبداء الرغبة في تعميم قيم الديمقراطية وحرية التعبير واحترام اختيار الشعوب كما تعبر عن ذلك أدبيات السياسة الخارجية الأمريكية خصوصا والغربية عموما ، بينما نجدها في نفس الوقت تغض الطرف عن السياسيات القمعية المنتهجة في أغلب الأنظمة الموجودة في منطقة الحزام الأخضر. وبقيت مطالب شعوبنا في تحرير الفضاء السياسي وتوسيع مجال الحريات العامة خاصة حرية التجمع وحرية التعبير والنقد ، لا تحظى بأي تجاوب لدى الساسة الغربيين.

يبدو أن هناك سياسة "غض الطرف" وسياسة "التجاهل" والتي قد تقود إلى مآس كبرى كما حدث ويحدث في فلسطين المحتلة ، وكما حدث في البوسنة والهرسك ، وفي أفغانستان وفي العراق وفي الجزائر وفي بوروندي وغيرها من الدول الأخرى.

إن الموقف السلبي حيال نداء الشعوب المسلمة ومطالبتها بالتحرر والتغيير السياسي السلمي الحضاري، جعل هذه الشعوب تبدي شكوكها تجاه السياسات الغربية المعلنة ، لأن هذه الازدواجية في التعاطي مع قضايا الشعوب تغذي نظرة المؤامرة ضد الإسلام والمسلمين.

واليوم يتم الحديث من جديد عن الإصلاح السياسي في العالم الإسلامي، ولم يعد هذا مطلب القوى السياسية الوطنية والإسلامية فحسب ، بل تحول إلى مطلب عالمي تسعى القوى العظمى لطرحه كألوية في سياساتها الدولية. ورغم أن القوى الديمقراطية الطامحة لتحرير شعوبها من هيمنة الديكتاتورية لا تزال تعاني الأمرين خاصة أن الأنظمة تستفيد من المناخ العالمي الخاص بما يُعرف بالحرب على الإرهاب، وتسوق نفسها على أساس أنها أكبر ضامن لمصالح الغرب في المنطقة، إلا أن الأوساط الصانعة للسياسة الغربية وخاصة سياسة الولايات المتحدة الأمريكية الخارجية ، بدأت

تنظر للمسألة بشكل مختلف. حيث هناك محاولة لتصحيح الصورة والنظر للمسألة باعتبارها الأساس لمشكلة الفساد السياسي وغياب الديمقراطية الحقيقية.
وعلى أية حال، وبغض النظر عن الدوافع المختلفة التي تختفي وراء دعوى فرض الديمقراطية في العالم الإسلامي و لو بصورة شكلية وسطحية، إلا أن هذه النظرة تدل على حدوث تطور هام جدا في نظرة صانع القرار الدولي للمشكلات العالمية التي تؤثر على التوازن والسلم العالميين. وهذا التطور هو حصيلة عملية تقييم جادة لمرحلة الحرب الباردة هذه ، وأثرها السلبي على العالم الإسلامي، هذا التقييم الذي قامت به العديد من المؤسسات البحثية التي لديها تأثير واضح على صناع القرار الدولي في مختلف المواقع سواء في أروقة الأمم المتحدة أو في كواليس البيت الأبيض وقصر الأليزيه.
لقد خلصت هذه المراكز إلى أن دعم النظم الديكتاتورية الغاشمة لم يعزز السلم العالمي ولم يدفع بمسارات السلام إلى نهاياتها المتوقعة ، بل أحدث فوضى عالمية لم تكن متوقعة ،وسمحت بنشر الاضطراب في أصعدة أخرى خاصة مجال التوازن الاقتصادي ، الذي بات يلعب لصالح العمالقة الأسيويين وعلى رأسهم الهند والصين ثم بعد ذلك كوريا و تايوان و تايلاند وماليزيا وسنغافورة .. وأخيرا إمارة دبي التي أصبح نفوذها المالي ودورها في التبادلات الاقتصادية يتعزز يوما بعد يوم.
وفي المقابل تعرضت كثير من الشركات العملاقة ذات المنشأ الأوروبي إلى اهتزازات شككت في مدى نجاعتها الاقتصادية بداية من شركات النسيج الأوروبية التي قامت بتسريح أزيد من نصف عمالها ورمتهم في خنادق البطالة، ومرورا بشركات المواد الغذائية المعلبة التي فقدت السيطرة على الأسواق الدولية.
في الولايات المتحدة لعبت لجنة الكونجرس في التحقيق في أحداث 11 سبتمبر دورا بارزا في طرح النقاش الجدي وذلك عندما طرحت السؤال: لماذا يوجد هنالك إرهاب؟ ومن ثم البحث عن جذور الظاهرة، وحيث يلعب الاستبداد السياسي دورا بارزا في صناعة الانسداد وغلق منافذ التغيير السلمي وتحويل الطاقة الشبابية المعطلة إلى قنابل بشرية موقوتة يمكنها أن تنفجر في أي حين.

ومهما قيل عن الإدارة الأمريكية الحالية، فإنه يبدو أنها المرة الأولى التي بدأ الحديث فيها عن جذور التطرف ليس فقط في الجانب الاجتماعي ولكن أيضا في الجانب السياسي الذي لا يسمح بتوزيع عادل للثورة ، واحترام قرارات الشعوب ، الأمر الذي يؤدي إلى الفساد الاقتصادي وشيوع الرشوة والمحسوبية ، ومن ثم حدوث الاختناق الاجتماعي وبالتالي الانفجار السياسي والأمني.

لقد بتنا اليوم وللمرة الأولى نسمع كثيرا من صانعي القرار يتحدثون عن خطورة الاستبداد وخطورة الديمقراطية الشكلية ، باعتبارهما يمثلان تهديدا للسلم و الرفاه العالمي لأنهما يقطعان الأمل من القلوب، ويكرسان السلبية وروح الانتقام.

لقد دعت إدارة بوش الثانية إلى تغيير جذري في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي، تلك السياسة التي لم تتغير طيلة الستين سنة الماضية، ولأول مرة لم تعد مواقف الدول من القضايا الخارجية محل اهتمام فقط بل كذلك علاقات الحاكم والمحكوم وسياساتها الداخلية أيضا محل اهتمام شديد. وتحت وقع هذا الضغط الذي يمارسه "الأخ الأكبر" (Big Brother) لبعض الأنظمة في المنطقة نجد تحسنا ملحوظا لملف العمل السياسي وملف حقوق الإنسان في بعض الدول. وهاهي الانتخابات المصرية الأخيرة تدل على أن هذه الأنظمة بدأت تفقد السيطرة .

وأما بالنسبة لمختلف القوى السياسية في العالم الإسلامي فعليهم أن يدركوا أن سرعة تحرك الأحداث الدولية والتطورات المختلفة التي يتداخل فيها السياسي بالأمني والاقتصادي بالأيديولوجي، أصبحت كبيرة جدا بالمقارنة مع السنوات الماضية ، ولذلك بات من الواجب على قوى التيار الحضاري أن تكون قادرة على قراءة الأوضاع بشكل صحيح ، وتفهم اتجاهات التاريخ كي تستطيع أن توازن بين خياراتها الإستراتيجية وفعلها اليومي الديناميكي ، وتكون لها قدرة لاستشراف المستقبل ، تسمح لها بتجنب جميع الانزلاقات والمطبات الدولية. وأي غفلة عن هذه السرعة الهائلة التي تحرك المسارات الدولية سيؤدي إلى فقدان السيطرة والموقع في الحدث الدولي بلا شك.

وفي ظل هذا التسارع اهتمت العديد من المؤسسات البحثية في العالم الغربي ومنها مؤسسة "راند" الأمريكية بمناقشة قضايا الإصلاح في العالم الإسلامي. والجديد في

هذا المشهد الفكري أن هناك اهتماما متزايدا بدور الحركات الوطنية والحركات الإسلامية في قيادة منظومة العمل السياسي في هذه البلاد ، سواء تعلق الأمر بالنفوذ المتصاعد للمسلمين في الهند، أو الدور الفاعل للحزب الإسلامي في تركيا في تحييد الجيش ، والالتفاف على العلمانية الأتاتوركية المتطرفة ، أو تفاعلات المشهد السياسي الجزائري بين المصالحة الوطنية الحقيقية والمصالحة الاستئصالية ، التي تصنف المواطنين إلى درجة أولى ودرجة ثانية، أو مواطنين و "أنديجان"(1) كما كان يفعل الاستعمار الفرنسي.

وأحب هنا أن أقف بسرعة عند بعض أهم ملامح الموجة الإصلاحية الجديدة التي تصدر من الغرب ، وأجبرت معظم الدول الديكتاتورية المتسلطة على رقاب الناس في العالم العربي على تغيير سياساتها المحلية حتى تتحايل على المجتمع الدولي.

فشل التخويف بالحركة الإسلامية كإستراتيجية استئصالية :

نذ البداية كان رهان القوى العلمانية في العالم الإسلامي هو صناعة بُعبُع لتخويف الغرب به: "فإذا طالبتمونا بديمقراطية حقيقية فإن الوريث لنا هو التيار الأصولي والحركات الإسلامية". كان العلمانيون يتصورون أن صناعة هذا البُعبُع كافية لإبعاد شبح المطالبة بالإصلاح الحقيقي القائم على التعددية الفكرية واحترام إرادة الشعب ، وتوقيف المهازل الانتخابية التي تسيرها عصابات التزوير المفضوح.

لقد كانت إستراتيجية التيار التغريبي هي التلويح المستمر بخطر "الغول الأصولي" الذي يريد إعادة الناس إلى القرون الوسطى، من أجل الحفاظ على المكاسب غير الشرعية ونهب المال العام. فمن خلال التلويح بهذا الغول كانت النظم التي تساقطت شرعيتها وفقدت مصداقيتها تريد أن تخلد نفسها في سدة الحكم، وتبرر كل السياسات القمعية الدامية التي راح ضحيتها مئات المواطنين الأبرياء في مصر وسوريا والعراق وتونس والمغرب والجزائر وغيرها. وأصبحت معظم هذه الدول تسير عن طريق الأحكام العرفية وقوانين الطوارئ ومجالس معينة في شبه انتخابات لا ترقى إلى أدنى مقاييس النجاعة القانونية والديمقراطية.

لكن الغرب بدأ يتخلص من النظرة النمطية التي كان يسوقها دعاة العلمانية العربية عن الحركات الإسلامية. ونظرة بسيطة للكتب والمنشورات التي طبعت في العالم

الغربي حول التيار الإسلامي في السنوات الأخيرة تجعلنا نقف على مادة فكرية وبحثية راقية ، تراوحت بين رسائل الدكتوراه ودراسات بحثية ألقيت في ملتقيات فكرية ، خصصت لبحث مشروعات الحركة الإسلامية وعلاقتها بالغرب وبمفهوم الإصلاح وبالديمقراطية.

ومن الواضح في هذه الدراسات أن معظمها بدأ يفرق بين صورة الحركة الإسلامية كما يروجها الكتاب المرتزقة وأئمة العلمانية المتطرفة و الأنظمة الديكتاتورية القمعية ، وصورتها الحقيقية من خلال العودة إلى خطابها ومواثيقها ورصد حركتها في الشارع الشعبي.

فالنظم الديكتاتورية والكتاب التغريبيون يسعون لترويج صورة المجموعات الهامشية التي يراد إلحاقها وتصنيفها ضمن نسيج الصحوة الإسلامية. وعادة ما تكون هذه التيارات الهامشية تتبنى أفكارا غاية في البساطة والسذاجة ، والأخطر من ذلك كونها تيارات قابلة للاختراق الأمني ، ومن ثم التوظيف السياسي والإعلامي و المخابراتي متى احتاجت الأنظمة لذلك.

وفي نفس الوقت تقوم هذه الأنظمة بتجاهل الصوت الإسلامي العريض المعتدل الوسطي لأنها تعتبره خطرا حقيقيا على وجودها ويهددها باستمرار في مهمة سيطرتها على شؤون الدولة والمجتمع خارج إطار الشرعية.

بدأ الباحثون في الغرب يهتمون بالنسيج الإسلامي العريض المعتدل، بل هناك بعض الأصوات لا تخفي رغبتها في إدماج هذه الأصوات المعتدلة في العملية السياسية حتى يتم الفصل بينها وبين قوى الميوعة أو الإرهاب.

وفي ظل هذا الحرج والضغط المتزايد على الأنظمة عمدت هذه الأخيرة لبناء واجهات "إسلامية" مزيفة ، واستعمالها كجزء من الديكور الديمقراطي المغشوش. وهو نفس ما قام به الاستعمار عندما حارب بلا هوادة حركة الإصلاح الإسلامي ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وقام بالترويج لكل أنواع المتدينين المزيفين سواء كانوا من بعض الطرق الصوفية المنحرفة البعيدة عن التصوف الحقيقي ، والتي اعتبرت الاستعمار قضاء وقدرا ومن يحارب الاستعمار فهو يحارب قضاء الله وقدره، أو تلك التي مارست أصناف التضليل الديني وتشويه سمعة ومكانة العلماء.

أملنا أن يعود التيار التغريبي لصوابه و أن لا يحاول معاكسة أو عرقلة عجلة التاريخ، فإن عالمنا الإسلامي يمر بمرحلة دقيقة، حيث إن الظروف الدولية و الإقليمية و المحلية تفرز اليوم فرصا تاريخية من أجل إقدام مختلف بلدانه على إصلاحات حقيقية تمكن شعوبنا من إقلاع حضاري.

الديكتاتورية وباء يجب أن يحاصر

لأول مرة يقف رئيس دولة أمريكي ليقول للعالم بأننا أخطأنا طيلة ستين سنة في دعم النظم الديكتاتورية في العالم ، سواء نظام ماركوس في الفلبين أو الأنظمة العسكرية القمعية في أمريكا الجنوبية أو غيرها من النظم في العالم العربي وفي أفريقيا وآسيا.

هذا الاعتراف لم يأت من فراغ بل هو حصيلة تقييم دقيق لمخاطر تصعيد الضغط على الشعوب ، وحكمها بأنظمة ورقية تستند فقط إلى لغة القمع والقتل والتعذيب ومصادرة حرية التعبير والرأي .

إن الاستبداد خطر على النمو الاقتصادي ، وخطر على حركة التبادل الدولي ويؤدي في حالات كثيرة إلى اضطراب أسعار العملات و تذبذب أسعار النفط ، وكلها عوامل تؤثر في استقرار النمو الاقتصادي.

إن هذه الحساسية المفرطة تدفع الجميع إلى نبذ كل أشكال الديكتاتورية والاستبداد المحلي والعالمي، وقديما قال ابن خلدون رحمه الله:"الظلم مؤذن بخراب العمران". و هذه القاعدة الاجتماعية التي استخلصها العلامة ابن خلدون هي التي يبدو أن منظري العلاقات الدولية اليوم قد فقهوها جيدا ، و أملنا أن يتحرك السياسيون على ضوئها ، و أن لا يصغوا لتحرشات الدكتاتورية و أكاذيب استخباراتها.

لقد شدد العديد من الباحثين و المختصين في السياسة الدولية على أهمية خلق دينامكية جديدة في العالمين العربي والإسلامي ، وذلك بفسح المجال لجميع القوى الوطنية والإسلامية الفاعلة في مجتمعاتها ،حتى تتخلص هذه المجتمعات من بذور العنف وتتجه نحو البناء والتعمير.

و للأسف نجد أن هذه الأنظمة تعمل على التمديد في عمرها وذلك بتحويل العنف إلى سلوك ومنهج سياسي تقايض به المجتمع الدولي دون اهتمام بصحة المجتمع المحلي واستقراره ونموه الاقتصادي.

حتى إذا خفتت حدة الصراع وتراجعت يشهد المجتمع دون سابق إنذار موجة جديدة من العنف غير المبرر. وفي نفس الوقت نجد إعادة تأهيل العنف حتى يتحول إلى عنف اجتماعي واسع النطاق. وإلا كيف نفسر إلقاء القبض على أكثر من 500 شخص في شهر رمضان الماضي في بلد مثل الجزائر بتهم العنف الاجتماعي المدني. ألا يدل هذا على أن العنف بدأ يتهيكل في أشكال جديدة ؟ ومن يعطيه قوة الحركة ؟ أليست هي الدوافع القائمة على الهروب من الواقع المؤلم المشبع بصور الإحباط والبطالة.

لكن السؤال الذي يبقى مطروحا هو كيف ستقوم هذه الأنظمة بتغيير جلدها حتى تتكيف مع موجة الإصلاح التي أصبحت مطلبا دوليا قبل أن تكون مطلبا سياسيا وطنيا ، وضرورة اجتماعية ملحة؟

وإذا أردنا الحديث عن إصلاح حقيقي في مجتمعاتنا الإسلامية لا بد أن نقف عند محطات أرى بأنها هامة جدا، ودونها لا يمكن الحديث عن الإصلاح الحقيقي:

الإصلاح السياسي أم الإصلاح الحضاري ؟

من المغالطات الكبرى حصر المشكلة في الإصلاح السياسي فقط. وكأن المشكلة تتعلق بالجانب السياسي ، دون النظر إلى العمق الحضاري للمشكلة الذي يؤثر بشكل كامل على كافة المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية و الاقتصادية. وحيث العامل السياسي على أهميته يتحول إلى الجزء البارز من جبل الجليد فقط.

ولذلك رؤيتنا أن تجزئة عملية الإصلاح وتحويلها إلى عنوان جديد لمعركة سياسية يختزل أبعاد التغيير الحقيقية. فالتغيير شامل له بعد حضاري لا ينحصر فقط في المشكلة السياسية. فمجتمعاتنا في حاجة ماسة ليس فقط إلى انتخابات نزيهة وديمقراطية حقيقية ، ولكن إلى ضمان الحريات وحقوق المواطنة لجميع فئات المجتمع دون تمييز، وإلى فعالية في مجال التربية واستقرار اجتماعي وأسري ، واعتزاز بالهوية الثقافية واحترام ثوابت الأمة والمجتمع ، وتعزيز الوحدة الوطنية، وإلى تأسيس دولة القانون القائمة على الحق والعدل لتكون أداة في يد المجتمع تمكنه من إقامة النظام المجتمعي الذي يرضاه ، وإلى تنظيف الخدمة العامة والإدارة من الفساد

والرشوة والمحسوبية ، وإلى نمو اقتصادي... فكل هذه المجالات هي جزء من عملية ديناميكية شاملة.

وأول خطوات الإصلاح تنطلق من الإنسان من خلال تحقيق العدالة الاجتماعية ، و إعادة ثقته بنفسه ووطنه ومجتمعه و أمته ، وتعزيز فعاليته الاجتماعية وتقوية دوره في حركة التاريخ الاجتماعي، حتى لا يشعر بالدونية و التهميش.

من شروط الإصلاح :

إن التيار الحضاري، كقوة حية وفعالة يحتاج إلى مزيد من التأمل في فرص التغيير و الإصلاح التي يوفرها الوضع الجيوسياسي العالمي، خاصة أن الخط الأصيل استطاع أن يحافظ على مسافة متوازنة بينه وبين النظم الديكتاتورية ، والممارسات التي تخل بالتزامات الحركة اتجاه المجتمع. وهذا ما يجعل مصداقيته الاجتماعية والتاريخية لا تزال قوية يمكن استثمارها لتقوية قناعة المجتمع بأهمية تحمل المسؤوليات التاريخية.

ولا يمكن الحديث عن الإصلاح السياسي فضلا عن الإصلاح بالمفهوم الحضاري الشامل دون السعي المنهجي لضبط الخطوات العملية الممكنة. لأنه لا يعقل أن تستمر كل من الحركات الإسلامية والوطنية في طرح الشعارات دون البرامج العملية الميدانية الواقعية.

ولذلك فإنني أحاول أن أساهم في إثارة هذا النقاش الحيوي ، وذلك بطرح العناصر التالية كعوامل تعزز التحرك نحو الإصلاح بمفهومه الشامل.

و إلى جانب تنمية روح النقد البنّاء وتعزيز ثقافة العمل والفعالية ، علينا تكثيف الجهود الوطنية من أجل:

تعزيز دور المجتمع المدني

إنه لمن الخطأ التصور أن التغيير يخضع دائما للعامل الواحد والمؤثر الواحد، بل برهنت التجربة أن هناك عدة عوامل تتضافر فيما بينها لتصنع الوجه الجديد وفجر النهضة.

و لذلك لا يمكن القول إن العمل السياسي وحده هو مفتاح التغيير. وهذا ما جعلنا نحن في مدرسة البناء الحضاري الدعوية نقف مبكرا ضد الطرح الذي أراد أن يذوب العمل الإسلامي في العمل السياسي، ويجعل الحزب السياسي بديلا عن الدعوة.

فالسياسة ليست هي كل شيء، بل هي جزء لا يتجزأ من عملية أعقد وأكبر هي عملية التغيير الحضاري الشامل.

لقد كانت هناك كثير من القوى تجذبها العناوين الكبرى والأضواء البراقة ، ولكنها لا تستطيع أن تفهم سير عجلة التاريخ في الاتجاه الصحيح وتضمن استقرار وسلامة جميع الراكبين.

وهذا ما يجعلنا نعترف بأن اهتمام الحركة الإسلامية بالمجتمع المدني عمليا وميدانيا لم يكن بمستوى التحديات المطروحة. ورغم أن حركة البناء الحضاري التزمت جانب التحفظ ولم تشارك كمؤسسة باقي القوى في ركوب موجة تأسيس الأحزاب . حيث اكتفت بدعمٍ بالرجال والمشاريع لأول تجربة سياسية للصحوة الإسلامية بالجزائر . إلا أنها رغم ذلك لم يُسمح لها بتطوير تجربة مستقلة تهدف إلى تطوير وتعزيز مؤسسات المجتمع المدني، فـ "الجمعية الإسلامية للبناء الحضاري" كانت أول الجمعيات الثقافية التي طالها الحظر ظلما وعدوانا غداة 11 يناير 1992.

لقد بات من الواضح اليوم أن الدور الفاعل لمؤسسات المجتمع المدني سواء هيئات حقوق الإنسان أو الجمعيات الخيرية أو الثقافية أو جمعيات خدمة الدعوة والمساجد التي تتولى استكمال نقائص الفعل الرسمي وعمل الدولة مهمة جدا وتحتاج إلى عناية خاصة من أبناء الحركة الإسلامية. فهذه المؤسسات تطلق طاقات المجتمع من أجل الإبداع والتطوير وتكون بعيدة عن لغة المزايدات والتراشق الإعلامي ، لأن كل من ينتسب لمثل هذه المؤسسات يكون هدفه هو أداء الواجب أولا وقبل كل شيء قبل النظر لأي حق من حقوقه الشخصية.

عزل المتطرفين: المغالين والمائعين

إن التطرف في أي اتجاه ليس من خلق أصحاب الرسالات ولذلك كان الإسلام ضد التشدد وضد التميع، الأمر الذي يدفع قوى التغيير الجادة لخط طريق مستقل بين هذين الحدين المتناقضين، حد الغلو وحد الميوعة.

ففي الجزائر مثلا، ربما لم تتنبه الحركة الإسلامية عندما جرفتها الأحداث التي أعقبت 5 أكتوبر 1988 إلى خطورة هذا الطابور الخطير الذي ينمو في هوامش الفعل الدعوي الوسطي. فهناك المتسلقون الذي جعلوا الدعوة مطية لمكاسب ومناصب ثم تنكروا لها وأصبحوا يخافون من الانتساب لها. وهناك من يزايد على الدعاة الشرفاء والعلماء الأجلاء ، ويتهمهم بالتقصير في حق الإسلام والدعوة ، ويصبح يتعامل معهم و كأنهم قوى شيطانية.

ولذلك فإن السير في الخط الوسطي الإسلامي المتوازن ليس بالأمر الهين كما يتصور البعض. فالدعوة بين مرونة تكسبها التوازن أو مرونة تفقدها هويتها وتذيبها في بحر المتاجرين بمكاسب العمل الإسلامي ، من أجل مصالح شخصية وفئوية.

هذا بالنسبة للتطرف المحسوب على الحركة الإسلامية بالجزائر، و أما بالنسبة لباقي بؤر التطرف المحسوبة على التيار التغريبي الاستئصالي ، والتيار المدافع عن حقوق الإخوة الأمازيغ (البربر) و ثقافتهم، فربما الحركة الوطنية هي الأخرى تتحمل جزءا كبيرا من المسؤولية بحكم استحواذها منذ فجر الاستقلال على السلطة السياسية في البلاد ، و لو بصفة الواجهة للسلطة الفعلية الغامضة والغير الدستورية ، التي لا تزال تهيمن على مفاصل الحكم في البلاد. فكبت الحريات و القبول بنظام الحزب الواحد وعدم توضيح حقيقة مكانة الجيش و أجهزة الاستخبارات ، و تدخلها غير الدستوري في صنع القرار ورسم سياسات البلاد ، و الإفراط في الدعوة إلى القومية العربية على حساب الإسلام المكون الأساسي للشخصية الجزائرية و العنصر الموحد للبلاد، ، أدى إلى دفع الكثير من أبناء شعبنا إلى التطرف في ميولهم لثقافة المستعمر الفرنسي ، والبعض الآخر إلى نزعات الانفصال الخطيرة التي أصبحت تهدد بالفعل المصالح الإستراتيجية لبلدنا بل و لكامل منطقتنا في شمال إفريقيا.

آن الأوان للاعتراف بحق أبناء الصحوة الإسلامية في المشاركة في عملية الإصلاح الحضاري، بما فيه حق السياسيين المنتمين للحركة الإسلامية دون تمييز للمشاركة في الساحة السياسية،

إن الإصلاح الحضاري الشامل لا يكون إلا بالخروج من دائرة المشكلات الوهمية التي تعرقل مسيرة المجتمع ، والنظر بعيدا للمشكلات الحقيقية التي تتعلق بموقع الجزائر في المنظومة الدولية ومكانتها بين الأمم.

هل نحن مؤهلون كي نساهم في الحضارة الإنسانية المعاصرة ؟ وهل يمكننا أن نشارك في النشاط الاقتصادي العالمي مثل شعوب كوريا واليابان .. واليوم أيضا الهند.. وفي الغد القريب ستبرز فيتنام؟

ذلك هو الرهان الحقيقي! وتلك هي تحديات المستقبل!

فهل من متبصر؟!

* رئيس البعثة البرلمانية للجبهة الإسلامية للإنقاذ الجزائرية في واشنطن

(1) كلمة فرنسية معناها "الأهالي" كانت تطلق على سكان الجزائر الأصليين

==============

#مقاربات في مواجهة المشروع الأميركي

محمد سليمان 1423/12/9

2003/02/10

يخوض الفكر العربي اليوم مخاضا كبيرا في مواجهة التطورات الأخيرة في الساحة العربية، والتي تبلورت في الحملة الأمريكية على العراق، حيث يحاول هذا المقال رصد وتحديد عدة اتجاهات ومقاربات فكرية في التعامل مع الأزمة الحالية –من خلال معالمها التي تبدو في معمعة المخاض– وقراءة مقولاتها وأبرز أفكارها، دون وضع أي تقييم لها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذه الاتجاهات ترتبط بالأزمة والتفاعل معها، ويقترن قوة وضعف كل منها بطبيعة التطورات والنتائج القادمة.

استهلال: جدل الفكر والواقع

تفرض التحولات التاريخية والأزمات الحضارية ظلالها على حركة الفكر وعلى إنتاجه، وكما قيل "المفكر ابن عصره وحضارته"، وقد شهد الفكر العربي في مسيرته الحديثة والمعاصرة عدة مخاضات فكرية نتجت عن متغيرات واقعية، وأنتجت اتجاهات فكرية متعددة اختلفت في رؤيتها وتحليلها للواقع، ومنهج التعامل معه، وكان لكل اتجاه منها أنصاره ومقولاته ورؤاه.

فقد شهد الفكر العربي في مواجهته لآثار ونتائج الحملة الفرنسية –التي كشفت عن حجم التأخر والتخلف في العلوم والفكر العربي– مخاضاً فكريا كبيرا أنتج توجهين أساسيين: الأول يدعو إلى الاستفادة مما وصلت إليه الحضارة الغربية في العلوم والثقافة، والثاني يصر على التراث وعلى رفض الإفادة من الغرب.

بينما أنتج هذا المخاض الفكر العربي في مواجهة الاستعمار عدة اتجاهات فكرية، أبرزها: الاتجاه التحريري؛ الذي يرى ضرورة الوقوف في وجه المستعمر ومحاربته وتغليب هذا الجانب على الجوانب الأخرى، بينما غلب على اتجاه فكري آخر جانب التأثر والانبهار بما وصلت إليه الحضارة الغربية والحداثة، فدعا إلى السير حذو الغرب وأدار ظهره للتراث والهوية، ودعا إلى الاستفادة من الاستعمار والتعايش معه، بينما الاتجاه الثالث والذي تمثل في المدرسة الإصلاحية؛ فقد نظر إلى الأمر من زاوية المسيرة الحضارية للأمة العربية والإسلامية، ودعا إلى تغليب جانب "المراجعة الحضارية" والهم التنموي والنهضوي، وكان واضحا اهتمام هذا الاتجاه بالقضايا التربوية والثقافية والاجتماعية على القضايا السياسية.

بينما تجلّى مخاض الفكر العربي في مرحلة الحرب الباردة والاستقلال، عن عدة اتجاهات فكرية انقسمت في أغلبها إلى اتجاهين: إسلامي وعلماني، وداخل كل اتجاه تفرّعت عدة اتجاهات معرفية وأيدلوجية، واستمر التناحر والتصادم بين هذه الاتجاهات على المستوى النظري وعلى المستوى الحركي ملقية بظلال كبيرة على الحراك السياسي والاجتماعي والثقافي، إلى أن انتهت الحرب الباردة، وانهار الاتحاد السوفييتي، وضعف الاتجاه العلماني بشكل كبير لصالح الاتجاه الإسلامي، والذي شهد في مرحلة التسعينات ثورة حقيقية على مستوى الساحة الشعبية العربية.

وكملاحظة أولية: لا أجد أنّ الفكر العربي قد شهد مخاضات فكرية في فترة التسعينات كالتي تفاعل معها سابقا، بقدر ما تجادل مع عدة قضايا حيوية على المستوى النظري والحركي؛ الإسلام والديمقراطية، الحوار القومي–الإسلامي، حوار أم صدام الحضارات، نحن والعولمة،.... إلاّ أنّه ومع نهاية القرن العشرين، وحدوث عدة تطورات سياسية كبيرة: مثل تدهور العملية السلمية، تجدد الانتفاضة وبروز الظاهرة "الاستشهادية" بشكل كبير، وتقهقر جيش الكيان الصهيوني من جنوب لبنان، ثمّ

أحداث 11 سبتمبر، وما تلاها مما يسمى بالحرب على الإرهاب التي أعلنتها الولايات المتحدة في بناء عملية اصطفاف دولية حادّة بما يخدم مصالحها، وتبلورت هذه الحرب بشكل كبير في أفغانستان، وفي الملاحقات الدولية لخلايا "الإسلام المسلّح"، ثم الحملة الأمريكية الحالية على العراق، يبدو أننا أمام مخاض فكري كبير، بدأ يتبلور من خلال المناظرات والجدالات والرؤى في الساحة الفكرية والثقافية العربية.

بيد أننا وقبل الولوج إلى طبيعة هذا المخاض وتفاصيله الأولية، لا بد أن نلقي الضوء سريعا على طبيعة الحملة الأمريكية على العراق وأهدافها الحقيقية، وتداعياتها ونتائجها المتوقعة..

الحملة على العراق: الأهداف والنتائج:

من الواضح تماما أنّ تفاعل الفكر العربي اليوم مع الحملة الأمريكية على العراق ينبني على إدراك لأهداف وطبيعة الحملة، والتي يمكن إجمالها بالنقاط التالية:

1. القضاء على النظام العراقي الحالي، والسيطرة على المقدرات العراقية من الثروات الطبيعية، وإقامة حكومة عراقية موالية للولايات المتحدة تعمل على الحفاظ على مصالحها في المنطقة، بما في ذلك عقود النفط بما يخدم الشركات النفطية الأمريكية الكبرى. ويتضمن ذلك التخلص من الخطر العراقي المتمثل في الإمكانيات الكبرى التي يمتلكها العراق ولا تمتلكها أغلب الدول العربية –باستثناء الجزائر إلى درجة كبيرة– في الجمع بين: النفط والأرض والعقول البشرية والخبرة العلمية والموقع الاستراتيجي.

2. بناء إجماع استراتيجي مؤيد للولايات المتحدة من باكستان حتى البحر المتوسط، وتجديد فكرة النظام الشرق أوسطي، لكن هذه المرة بالاعتماد على عامود جديد في السياسة الأمريكية هو العراق –ما بعد صدّام حسين– وإدماج كل من العراق والكيان الصهيوني وتركيا والدول الحليفة للولايات المتحدة في تحالف ونظام سياسي–اقتصادي، يتناسب مع المصالح الأمريكية والنفوذ الأمريكي في المنطقة، ويعمل على محاصرة الدول الممانعة –إلى الآن– للأجندة الأمريكية مثل سوريا وإيران، سعيا إلى تغيير سلوكهما في المنطقة .

3. الحفاظ على وجود عسكري أمريكي في المنطقة يتيح للولايات المتحدة التدخل – عند الحاجة– للحفاظ على مصالحها في المنطقة ودرء الأخطار المحتملة.

إلاّ أنّ أبرز ما في الأهداف الأمريكية، هو الدرس الذي تعلمته الولايات المتحدة من أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، والذي لخصه مارتن أنديك بقوله" إنّ خطأ واشنطن الوحيد في الشرق الأوسط هو دعم نظم فشلت على نحو مستمر في تلبية الاحتياجات الأساسية لشعوبها، إن هذه النظم فضلت التعامل مع مشكلة حرية التعبير عن الرأي السياسي في بلدانها عن طريق توجيه المعارضة ضدنا". . هذا الدرس المرتبط بالإجابة على تساؤلات رئيسة طرحها الفكر الأمريكي حول السبب الذي يدفع عددا من الشباب من الدول العربية إلى مهاجمة الولايات المتحدة في عقر دارها، والذي ربطه المفكرون والمنظرون الأمريكان بالظروف السياسية والاقتصادية السيئة التي يعيشها المواطن العربي، والناتجة عن فشل الحكومات الموجودة في الإدارة وبسبب الفساد السياسي والقمع والتهميش..الخ. في هذا السياق برز مفهوم "الدولة الفاشلة" الذي انطلقت منه استراتيجية الأمن القومي الأمريكي بعد 11 سبتمبر، ومن ثم مبادرة كولن باول وخطاب ريتشارد هاس –رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية– والتي تركز جميعها على سعي الولايات المتحدة إلى إجراء إصلاحات سياسية واقتصادية وثقافية في العالم العربي. فسياسيا: ستسعى الولايات المتحدة إلى تشجيع مزيد من الإصلاحات الديمقراطية وحقوق الإنسان وإثارة الأقليات... ولو بشكل صورة ودعاية، أما اقتصاديا: ستعمل الولايات المتحدة على تشجيع التحول نحو اقتصاد السوق وبرنامج صندوق النقد الدولي، والانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، وثقافيا: من خلال إصلاحات تعليمية وتشجيع الثقافة المتغربة والليبرالية والمؤسسات التي تعمل على نشرها.

لقد أنتجت التطورات المتلاحقة والتي تلبّست بها الحملة الأمريكية على العراق ضعفا وأزمة لدى الأنظمة العربية الحالية، نطلق عليها: "أزمة الشرعية المزدوجة"؛ حيث تعاني هذه الأنظمة من ضغوط وأزمة عدم رضا من قبل الولايات المتحدة بسبب اتهامها بالفساد والفشل في التعامل مع إدارة دولها ومجتمعاتها، كما تعاني في ذات

الوقت من أزمة شرعية في علاقتها مع شعوبها، والتي تتهمها بالفساد الداخلي والعجز الخارجي أمام الكيان الصهيوني والإدارة الأمريكية.
في إطار هذه الحالة العامة تأتي الحملة الأمريكية على العراق والحرب المرجحة القادمة كـ "مفتاح ذهبي" لتنفيذ مشروع "الهيمنة الأمريكي" الذي يرمي إلى تحقيق الأهداف السابقة من خلال نوعين من القوة، صنفهما الخبير الأمريكي جوزيف ناي إلى: النوع الأول؛ قوة سياسية واقتصادية وعسكرية Hard power، والنوع الثاني؛ قوة النموذج الأمريكي في الحياة الثقافية والاجتماعية، والذي يعتمد على القيم والأسلوب الأمريكي في الحياة، ويتسلل إلى ثقافة الشعوب وأخلاقهم ورؤيتهم للحياة Soft power.
إذاً الحملة الأمريكية لا تقف عند حدود العراق وإنما تنطلق من العراق لبناء هيمنة كاملة على المنطقة، ولا تكتفي الإدارة هذه المرة بالسيطرة على الحكومات، وإنما تتوجه للتأثير بشكل أكبر على الشعوب، من خلال دعم النخب والمؤسسات الليبرالية والمنظمات غير الحكومية. ولعل هذا الطموح الأمريكي قد عبّر عنه أكثر من مسؤول أمريكي بالقول إنّ تحرير العالم الإسلامي سيبدأ من العراق والسلطة الفلسطينية بالتخلص من الحكام الموجودين، وبناء أنظمة ديمقراطية على الطريقة الأمريكية. مستغلين "مناطق الحرج" في الواقع السياسي العربي الحالي.
في مواجهة هذه الحملة وهذه الظروف التاريخية الحرجة والتي تنبئ بتغييرات حاسمة في المستقبل القريب، أين يقف الفكر العربي؟ وما هي الاتجاهات الرئيسة في التعامل مع هذه الحملة؟..
المخاض الفكري في مواجهة الحملة:
يشهد الفكر العربي اليوم مخاضا فكريا كبيرا في مواجهة الحملة الأمريكية على العراق ونتائجها المتوقعة، ويمكن رصد وقراءة معالم عدة اتجاهات فكرية تبرز في معمعة هذا المخاض، ويبدو أنّ أبرزها هي الاتجاهات الثلاثة التالية: اتجاه المقاومة والمواجهة، الاتجاه الليبرالي الغربي، اتجاه المراجعة الحضارية،
ولكل اتجاه مؤيدون ومقولات رئيسة..
أولاً/ اتجاه المقاومة والمواجهة:

يستمد هذا الاتجاه رؤيته من تعريف الوجود الأمريكي في الدول العربية على أنّه احتلال، والمشروع الأمريكي بأنّه "مشروع هيمنة" يسعى إلى السيطرة على المنطقة لفترة طويلة؛ لضمان عناصر أساسية من القوة الأمريكية في القرن القادم في مواجهة القوى المنافسة العالمية الأخرى، ويسعى إلى تحقيق المصالح الأمريكية والصهيونية على حساب الأمة وكرامتها ومقدراتها.

ويتبنى هذا الاتجاه مجموعة كبيرة من المفكرين الإسلاميين والوطنيين، والذين يرفضون القبول بمقولة أنّ الولايات المتحدة تسعى لإيجاد إصلاحات سياسية واقتصادية، فأي إصلاحات تسعى إليها الولايات المتحدة وهي تدرك تماما أنها على المستوى السياسي ستأتي بالخيار الشعبي الحر المناقض للتوجهات والمصالح الأمريكية، وأي اقتصاد سيتحسن وأمريكا تستنزف خيرات الشعوب العربية، وتسيطر على ثرواتها، بل إن النمو الاقتصادي الأمريكي يستند أساسا على الفشل الاقتصادي في العالم الثالث، وبالتالي فالإصلاحات الاقتصادية والمطلوبة هي لإحكام الطوق حول المواطن العربي وأمله بالتحرر من الواقع الاقتصادي والسياسي المتدهور الذي يعيش فيه.

إذاً يرى هذا التيار أن الشر كله يتمثل في المشروع الأمريكي القادم إلى المنطقة، لكن ماذا بخصوص ميزان القوى الذي يميل لصالح الولايات المتحدة بشكل كبير، في ظل التفرد على المستوى الدولي وضعف النظام الإقليمي وعجزه عن مواجهة الحملة الأمريكية بل وخضوعه لها، وفي ضوء عجز الشارع العربي والقوى المحركة له عن بلورة استراتيجية شعبية عربية لإحداث تغييرات نوعية تنقل الحالة الشعبية العربية من الإحباط والغضب إلى العطاء السياسي التحرري المؤثر؟

يجيب أنصار هذا التيار بأنّ الرؤية التي يحملها هذا التساؤل في قراءة الظروف الحالية لموازين القوى، هي رؤية قاصرة تنظر إلى "السطح السياسي" دون التدقيق بقانون حركة الشعوب القائم على انتصار حركات التحرر الوطني ومشاريع مقاومة الهيمنة الأجنبية، ويضرب هذا الاتجاه المثال بما حدث للقوات الأمريكية في فيتنام، وفي لبنان، وفي الصومال، بل حتى الحوادث المتفرقة التي تحدث في العديد من الدول العربية ضد القوات الأمريكية.

هذا في حالة نجاح الولايات المتحدة في الحرب على العراق وفي إقامة الحكومة الموالية التي تريد، حيث يشكك هذا الاتجاه بذلك ويراهن على أن الولايات المتحدة لن تتهور إلى الحرب، ولكنها إذا فعلت تكون قد أدخلت المنطقة في حالة من الفوضى الإقليمية، فالشعوب والدول ليست أحجاراً على رقعة الشطرنج، وإنما عقائد ووجود ومصالح تحكم الحركة السياسية بكليتها.

كما يؤكد هذا الاتجاه على ضرورة مقاومة ومواجهة المشروع الأمريكي بكافة السبل السياسية والعسكرية، ويغلب جانب التحرير والمقاومة على كل الجوانب الأخرى: الاقتصادية والتنموية، ويرى هذا الاتجاه أن من خصائص الشعوب العربية الظاهرة الاستشهادية؛ والتي تبين أن هذه الشعوب تفضل الموت على القبول والاستسلام لسيطرة الآخر المستعمر والغازي، وأن حل مشكلات العرب والمنطقة ابتداء لا تكون إلاّ بمواجهة المشروع الأمريكي- الصهيوني وعدم التصالح معهما؛ إذ إنهما مصدر البلاء والمشاكل التي تعيشها الأمة العربية اليوم.

ثانيا/الاتجاه التغربيي الليبرالي:

يقوم هذا الاتجاه الفكري على تقييم الحالة العربية في الصراع والتنمية السياسية والاقتصادية بالفشل والضعف، بعد قرن كامل من المخاضات الفكرية والسياسية.

ويرى هذا الاتجاه أن المشروع الأمريكي القادم في المنطقة هو مشروع يدفع باتجاه تحرر الشعوب العربية من الأنظمة القمعية الفاسدة التي مكثت على قلبها فترة طويلة من العمر، وأنه مشروع يدفع بحركة المجتمعات والدول العربية نحو الواقعية السياسية والاقتصادية وشروط الدخول إلى المستقبل، والتحرر من الصراعات السياسية والأيدلوجية التي لم تساهم سوى في إفقار وضعف الشعوب العربية.

ويرى أنصار هذا الاتجاه أنّ الخلاص العربي من الحالة البائسة الضعيفة التي يعيشها هو في القبول بما يحمله المشروع الأمريكي -وثيقة الأمن القومي الأمريكي، مبادرة كولن باول- من الدعوة إلى الإصلاحات السياسية والاقتصادية والثقافية، مما ينقل العالم العربي والمنطقة إلى التفاعل الصحيح مع مقتضيات العولمة والانفتاح السياسي والاقتصادي، ويساهم في تحسين الوضع السياسي والإنساني للشعوب

العربية، فالمشروع الأمريكي هو بداية لحلم التغيير العربي نحو العالم الحر المتقدم الواقعي.

ويرى هذا الاتجاه أنّ الأنظمة العربية والصراعات والشعارات والأيدلوجيات لم تزد الشعوب العربية إلاّ بؤسا وتخلفا بينما العالم يتقدم ويعالج مشكلاته بواقعية، ويقوم هذا الاتجاه الفكري على مجموعة من الكتاب والباحثين العلمانيين الليبراليين، والمؤسسات البحثية التي تتلقى تمويلا من الغرب، ومراكز حقوق الإنسان والمنظمات غير الحكومية، غالبا مرتبطة بمصالح أو علاقات بمؤسسات أمريكية، لكنها لا تحظى بقبول شعبي كبير، وتدعو إلى الاستمرار بالتسوية السلمية وتعميق العلاقة مع الولايات المتحدة.

ثالثا/ اتجاه المراجعة الحضارية:

يقترب هذا الاتجاه الفكري في رؤيته العامة من طرح المدرسة الإصلاحية التي كانت في بداية القرن الماضي ونهاية القرن السابق، والتي كانت تدعو في لحظات المواجهة مع القوة الاستعمارية الغازية إلى بناء القوة الذاتية للأمة؛ لأنها هي القادرة على مواجهة الاستعمار، وإلى معالجة المشكلات الثقافية والاجتماعية التي تحول دون التطور الذاتي، وكانت هذه المدرسة تسعى إلى النهضة التعليمية والفكرية والثقافية والاقتصادية، التي تصلح شأن الأمة وتقوي عوامل الممانعة فيها ضد الأمراض الذاتية التي تتيح الفرصة للمستعمر الغازي وللفساد الداخلي، وكان تأكيد واهتمام هذه المدرسة ينصب على مواجهة التخلف والعمل على النهوض الحضاري.

ثم جاء مالك بن نبي فيما بعد وطوّر مفهوم "القابلية للاستعمار"، ووضع نظرية النهضة وشروطها، في محاولة للفت الانتباه إلى أنّ المشكلة ليست سياسية، وإنما ثقافية حضارية، وأن مشاكل الأمة تحل عندما يتحرر الإنسان العربي من السلبية واللافاعلية إلى العطاء والصناعة والإنتاج.

لقد انخفض صوت هذا الاتجاه كثيرا في النصف الثاني من القرن العشرين أثناء مرحلة الاستقطابات والصراعات السياسية/الأيدلوجية الداخلية، ثم عاد ليقوى ويتعزز مع نهاية الحرب الباردة، وإخفاق الدول العربية في صراعها مع الكيان الصهيوني ومع التنمية في الداخل، وظهر زخم كبير له في السنوات الأخيرة مع عودة العديد

من الباحثين والمؤسسات العلمية لقراءة عصر النهضة. وجاء تقرير التنمية الإنسانية في العالم العربي أخيرا ليعزز ويؤكد مقولات هذا الاتجاه من الإخفاق الشديد للعالم العربي في معالجة قضاياه ومشكلاته الذاتية .

وفي الوقت الذي لا يرى فيه هذا الاتجاه أن حل مشكلات العالم العربي يأتي من خلال الحملة الأمريكية، ويرفض أيضاً قبول أن الحل بالاتجاه غربا وإدارة الظهر للتراث والهوية، فإنه في المقابل يرفض مقولات مدرسة التبعية بتحميل الاستعمار كل مشكلات العالم العربي، ويرى أنّ الأسباب الداخلية هي التي أوجدت هذه المشكلات فضلاً عن الأسباب الخارجية، ويرى هذا الاتجاه أن الحل يكمن بالسعي للنهضة الحضارية والثقافية والاجتماعية لمواجهة التخلف بعيدا عن الصراعات السياسية التناحرية الداخلية التي أفقدت الشعوب العربية كثيرا من طاقاتها .

ويرى هذا الاتجاه أنّ المشروع الأمريكي والحملة على العراق تأتي لتكشف عن أعراض ونتائج المرض وليس أسبابه، وبالتالي مواجهتها تكون بالمراجعة الذاتية للحضارة العربية، والسعي نحو التقدم والخروج من حالة التخلف، ويرى هذا الاتجاه أن مقاومة ومواجهة المشروع الأمريكي تتم في بناء عناصر القوة الذاتية للأمة، فالجزائر خاضت حرب التحرير ضد المستعمر، وقدمت مئات الآلاف من الشهداء، لكنها تعود اليوم لتقف على أبواب صندوق النقد الدولي والدول الأوروبية طلبا للمساعدة في إدارة شؤونها الداخلية، والدول العربية لم تزد بعد الاستقلال إلاّ بؤسا وإهداراً للثروات، وسوءاً في الإدارة، وإذا كانت الدول العربية تعيش حالة من الاستبداد والقهر السياسي والتهميش الاقتصادي، فالحل لا يأتي من الخارج أو من الأمريكي الذي يسعى خلف مصالحه على حساب مصالحنا، وإنما الحل في إزالة القابلية للاستبداد، وبناء المناعة ضده

===========

نحن والكافرون

إن أمّتنا تعيش مرحلةً جديدة في تاريخها... في هذه المرحلة الحرجة تقع أمّتُنا وعقائدُها تحت ضغوط رهيبة، تكاد تجتثّها من أساسها، لولا قوّةُ دينها وتأييدُ ربّها عز وجل.

ومن هذه العقائد التي وُجّهت إليها سهامُ الأعداء ، وانجرَّ وراءهم بعضُ البُسطاء ، واندفع خلفهم غُلاةٌ وجُفاة ، وبالغ في تصويرها محبي الشهرة والبروز : عقيدةُ الولاء والبراء ...

زاد الأمر خطورةً، عندما غلا بعضُ المسلمين في هذا المعتقد إفراطاً أو تفريطاً. وأصبح هذا المعتقدُ مَحَلَّ اتّهام، وأُلْصِقَتْ به كثيرٌ من الفظائع والاعتداءات ...

نحن المسلمون.. أصحابُ دين ومنهج، ربنا وخالقنا هو الله ..

ونبينا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم ...

نحن المسلمون .. أصحاب عقيدة صافية تدكدك كل معلم أو إشارة تنبئ عن الميول والروغان عنها.

نحن المسلمون ..لا ينقطع بنا الدرب ، ولا يفوتنا الركب ، ولا تنهار بنا القوى ، ولا تيبس لدينا أوراق الهدى ...

نحن المسلمون ..أنصار الدعوة إلى السنة والعقيدة الصحيحة مهما علا صوت الباطل ، ومهما ظهرت نواقيس العداء..

نحن المسلمون .. خرج منا علماء ربانيين، أناروا طريق السالكين، وأرشدوا كل التائهين، وهدوا كل الحائرين، وتميز في صفنا علماء جهابذة في العلوم الطبيعية والعلوم التقنية وفي العلوم الأخرى.

نحن المسلمون.. رزقنا الله بالتوحيد الخالص الذي نور الله به كلِّ أفقٍ وبقعة في في هذه الديار ،فازدهرت الأرض به بعد قحْط، وارتوت به بعد ظمأٍ وهلكة ، وأنقذ الله به عباده من ظلمات الجهل والشرك والتذلل لغيره سبحانه . وكان ذلك على يد الإمام المجاهد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، يعاونه على ذلك ويشد أزره الإمام محمد بن سعود رحمه الله تعالى ...

نحن المسلمون.. أصحاب لا إله إلا الله ، نرجوا بها السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ... نحن المسلمون.. مصابون بدعاةٍ من بني جلدتنا يهاجموننا ويغزوننا في الصميم ، ويتعرفون على نقاط الضعف فينا حتى يؤصلوا في مجتمعاتنا الولاء للكافرين والبراء من الصالحين.

ونحن.. واجبٌ علينا أن تقدِّرَ لهذا التحدي قَدْرَه، وأنْ نعرف أنّ اليومَ يومٌ له ما وراءه ، وأننا نواجه حَرْبَ استئصالٍ حقيقيّة لعقيدة الولاء والبراء ...

نحن المسلمون.. لا يخفى علينا أن (الولاء والبراء) محطّ إجماع بين جميع أهل القبلة، بل هو معتقدٌ لا يخلو منه أتباعُ كل دين أو مذهب ...

وعلى هذا فالولاء شرعاً، هو : حُبُّ الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعِه المسلمين ، ونُصْرةُ الله تعالى ورسولِه ودينِ الإسلام وأتباعِه المسلمين ...

والبراء هو : بُغْضُ الطواغيت التي تُعبَدُ من دون الله تعالى (من الأصنام الماديّة والمعنويّة : كالأهواء والآراء)، وبُغْضُ الكفر (بجميع ملله) وأتباعِه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّه ...

هذا هو معنى الولاء والبراء في الإسلام ...

فهو معتقدٌ قلبيٌّ ، لابُدّ من ظهور أثره على الجوارح ، كباقي العقائد ، التي لا يصح تصوُّر استقرارها في القلب دون أن تظهر على جوارح مُعتقِدِه ...

وعلى قَدْر قوّة استقرارها في القلب وثبوتها تزداد دلائل ذلك في أفعال العبد الظاهرة ...

وعلى قَدْرِ ضعف استقرارها تنقص دلائلها في أفعال العبد الظاهرة. فإذا زال هذا المعتقد من القلب بالكلية، زال معه الإيمانُ كُلّه ...

يقول فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء : (فمن أصولِ العقيدةِ الإسلاميةِ أنَّه يَجبُ على كلِ مسلمٍ يَدينُ بهذه العقيدةِ أنْ يوالىَ أهلهَا ويعادىَ أعداءَها فيحبُ أهلَ التوحيدِ والإخلاصِ ويواليهِم، ويُبغِضُ أهلَ الإشراكِ ويعاديهِم، وذلك من ملةِ إبراهيمَ والذين معه،الذين أُمِرْنا بالاقتداءِ بهم،حيث يقولُ سبحانه وتعالى: ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)) (الممتحنة:4).

وهو منْ دينِ محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ.قال تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)). (المائدة:51).

وهذه في تحريمِ موالاةِ أهلِ الكتابِ خصوصاً وقال في تحريمِ موالاةِ الكفارِ عموماً: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)) (الممتحنة:1) .

بل لقد حرَّم على المؤمنِ موالاةَ الكفارِ ولو كانوا من أقربِ الناسِ إليه نَسَباً،قال تعالى: ((يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ)) (التوبة:23).

وقال تعالى: ((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)). (المجادلة:22) انتهى كلامه حفظه الله ...

وأقرأ هذه الآيات التي تُنبِّهُ بمطالبة المؤمنين بعدم موالاة اليهود والنصارى ، وذلك لأن اليهود لا يوالون إلا اليهود، وأن النصارى لا يوالون إلا النصارى ، وأنهم جميعاً يتبرأون من المسلمين ...

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)) (آل عمران : 116-120).

وقد يشكك المرجفون بأن عقيدة الولاء والبراء تمثل العنف وتمثل الصورة المشوهة للإسلام ... ولا شك في أنها إحدى أُسُس الدين الإسلامي العظام وهذا يعني أنّها لابُدّ أن تصطبغ بصبغة الإسلام الكبرى، وهي الوسطيّةُ والسماحة والرحمة .

فقد قال الله تعالى عن نبيّه صلى الله عليه وسلم : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) (الأنبياء : 107) .

(فالولاء والبراء) مادام أنه من الإسلام ، فهو وَسطٌ وسَمْحٌ ورحمة. لايشك في هذه النتيجة مسلم ، ولا غير مسلم : إذا كان منصفاً .

ومع ذلك فلا بُدّ من بيان عدم تعارض معتقد (الولاء والبراء) مع مبادئ الوسطيّة والسماحة والرحمة ، وذلك يظهر من خلال تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مع الكفار ...

وهذا مثال على سماحة منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى عدم تعارض معاملته في عقيدة الولاء والبراء ...

عن أبي رافع رضي الله عنه (وكان قبطيًّا) قال : ((بعثتني قريشٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أُلقيَ في قلبي الإسلام ، فقلت : يا رسول الله ، إني والله لا أرجع إليهم أبد ... وهذا يدل على حسن تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم)).

وهذا مثال آخر ...

أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ((من قَتَل معاهَدًا لم يَرَحْ رائحةَ الجنة ، وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً))[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((أيُّما رجلٍ أمِنَ رجلاً على دمه ثم قتله ، فأنا من القاتل بريء ، وإن كان المقتولُ كافراً))[2].

((ولمّا أهدى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حُلّةً ذاتِ قيمة، أهداها عمر رضي الله عنه أخًا له بمكة كان مشركاً))[3].

قال تعالى : ((لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)).

وبيان عدم تعارض تلك الآداب مع (الولاء والبراء) : أن تلك الآداب إذا أردنا أن تكون شرعيّةً محبوبةً لله تعالى ، فيجب أن نلتزم بها ... طاعةً لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، مع بُغض الكفار لكفرهم، ومع عدم نُصرة غير المسلمين على المسلمين ؛ فنحن نلتزم بتلك الآداب لا حُبًّا للكفار، ولكن إقامةً للعدل والإحسان الذي أُمرنا به .

فهل يعقل أولئك الذين لا يفقهون في دين الله عز وجل ؟!!

ولو عقل أولئك كتاب الله وسنته كما عقلو..العلمانية ..والليبرالية والديموقراطية.. لسلمت أمة الإسلام من حقارة أفكارهم ودناءة فهمهم للكتاب والسنة..

فمما يجب علينا نحن المسلمون تجاه تيارات الإفساد التي تنفث تذويب هذه العقيدة مع إظهار اللباقة والسماحة في أساليبهم ما يلي :

* وجوب ترسيخ معتقد (الولاء والبراء) بين المسلمين على الوجه الأكمل ؛ لأنه بغيره لن يبقى للمسلمين باقية ، فهو سياجُ أمانهم من الذوبان في الأديان والعقائد الأخرى ...

* وجوب تفقيه المسلمين بحقيقة (الولاء والبراء)، وأنه لا يُعارضُ آدابَ التعامل بالرفق واللطف (المنضبطَين بالضابط الشرعي) مع غير المسلمين ...

* ضرورةُ التأكيد على عدم تعارض (الولاء والبراء) مع سماحة الإسلام ورحمته ووسطيّته ، ونَشْرُ ذلك في وسائل الإعلام المختلفة...

[1] رواه البخاري .

[2] رواه البخاري وأحمد.

[3] رواه البخاري.

============

موجة التقليد والتشبه وأصالة المسلمين وصحوتهم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلي وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعلى آل محمد الطيبين، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فأوصي نفسي وإياكم معاشر المسلمين بتقوى الله استجابة لأمر ربكم ((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) (التوبة:119)

((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) (آل عمران:102).

إخوة الإسلام : ومع ظاهرة التدين العالمية التي لم تعد قصراً على المسلمين وحدهم تجتاح العالم الإسلامي موجةٌ من التقليد الأبله والتشبه المذموم، ويكادُ أفرادٌ وجماعاتٌ من المسلمين أن يفقدوا هويتهم الإسلامية، وتذوب شخصياتُهم في شخصيات الآخرين فالهيئة يُداخلها التشبهُ بالكافرين إذ يُحلق ما حقُّهُ الإعفاءُ ويُعفى ما حقه الإحفاء في الشرع المطهر، قال عليه الصلاة والسلام: ((أَعْفُوا اللِّحَى، وجزوا الشَّوَارِبَ ، وَغَيِّرُوا شَيْبَكُمْ وَلا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَالنَّصَارَى))[1].

والملبسُ يطغى عليه الإسبالُ المحرم، أو تبدوا لقصرهِ العورةُ المأمور بسترها، أو يُفصَّلُ على هيئة لباس غير المسلمين فتدعو المشابهة شكلاً إلى عدم المخالفة في الأمور الأخرى، والزينة فيها تعدٍ وتجاوزٌ فالذهبُ يتختم به بعض أبناء المسلمين، ومعلومٌ نصوصُ الشرع في تحريم لبس الذهب للرجال وإباحته للنساء بشكل عام، وفيما يخص التختم: ((رَأَى رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ وَطَرَحَهُ وَقَال : يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ، فَقِيل لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ ، قَال : لا وَاللهِ لا آخُذُهُ أَبَداً وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم))[2].

وهكذا يكون التأسي وكذلك يكون الإتباع .

والأمرُ أدهى وأمر .. وفي مضمار التميع وغياب العزّة والهوية الإسلامية حين يُحتفي بالكفار ويُقدّر الفُجَّار ويُستهانُ بالمسلمين ويُتهم الأخيار ، وكل ذلك خلافُ هدي الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام : ((لا تَبْدَءُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلامِ ، وَإِذَا لقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ فَاضْطَرُّوهُ إِلى أَضْيَقِهِ))[3].

وأخطرُ من ذلك مشاركتهم في أعيادهم وحضورُ احتفالاتهم وتهانيهم بمناسباتهم التي لم يُنْزل الله بها من سلطان، قال تعالى في صفات عباد الرحمن :((وَالذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ)) (الفرقان: من الآية72).

قال مجاهدٌ والربيعُ بن أنسٍ والقاضي أبو يعلى والضحاك –في تفسيرها– : إنها أعيادُ المشركين [4].

وعن أنس رضي الله عنه قال: ((قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم (المَدِينَةَ) وَلهُمْ يَوْمَانِ يَلعَبُونَ فِيهِمَا ، فَقَال : مَا هَذَانِ اليَوْمَانِ؟ قَالُوا : كُنَّا نَلعَبُ فِيهِمَا فِي

الجَاهِلِيَّةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْراً مِنْهُمَا يَوْمَ الأَضْحَى وَيَوْمَ الفِطْرِ))(رواه أبو داود وأحمد والنسائي على شرط مسلم) [5]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله–: ((والمحذورُ في أعياد أهل الكتابين التي نقرّهم عليها أشدُّ من المحذور في أعياد الجاهلية التي لا نقرهم عليها، فإن الأمة قد حُذِّروا مشابهة اليهود والنصارى وأُخبروا أن سيفعلُ قومٌ منهم هذا المحذور بخلاف دين الجاهلية فإنه لا يعود إلاّ في آخر الدهر عند اخترامِ أنفسِ المؤمنين عموماً، ولو لم يكن أشدَّ منه فإنه مثلُه على ما لا يخفى، إذ الشرُّ الذي له فاعلٌ موجود يُخافُ على الناس منه أكثرُ من شرٍّ لا مُقتضى له قوي)) [6]

أما الفاروق عمرُ رضي الله عنه فقد قال: ((إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يومَ عيدهم في كنائسهم فإن السخطة تنْزل عليهم))[7].

وفي سبيل التشبه الظاهري بالكافرين تأكلُ وتشربُ فئامٌ من المسلمين بالشمال وكأن الأمر عادةٌ من العوائد ليس فيها ملام، والمصطفى صلى الله عليه وسلم يُحذر من هذا ويقول: ((لا تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ)) [8].

وتُستبدل تحيةُ الإسلام (السلامُ عليكم) بأنواع من التحايا لا تبلغُ في كمالها ولا في حسنها مبلغَ تحيةِ أهلِ الإسلام هذا فضلاً عن أجر هذه، ووزر تلك إذا قُصد بها التشبهُ بالكافرين بل ويُنهى المسلمون عن مشابهة غير المسلمين في هيئة السلام .

أمة الإسلام : ومع خطورة هذه المشابهات الظاهرية ومثيلاتها وما فيها من تبعية للكفار، فالأمرُ أعظمُ وأخطرُ حين يتجاوز ذلك إلى التشبه في الباطن، فلا يقف الأمرُ عند حدود المحسوسات مع خطورتها بل ويشمل المعنويات، ويأتي على القيم وأنماط التفكير، ويشيع التقليدُ في القضايا الخطرة، وجوانب الحياة الأساسية، فثمة مسلمون يفكرون بعقلية غير إسلامية، وثمة كُتابٌ منتسبون إلى الإسلام وكتابتهم ليست من الإسلام في شيء !!

وما أخطرَ التعليم حين تجري مناهجهُ في بلاد المسلمين على وفق مناهج غير المسلمين، فتنشأ ناشئة المسلمين ضائعة الهوية مسلوخة العقيدة الحقة مفتونةً بقيم وحضارات الكافرين .

وليس أقلَّ خطراً منه الإعلامُ حين تُسير قنواتهُ المختلفة محاكيةً لإعلام غير المسلمين، فتضيُع الحقيقة وتُرتهنُ الكلمة الصادقة، ويروجُ الخداعُ والنفاق، ويغيبُ فيه الدفاعُ عن قضايا المسلمين، ويُمجد من لا يستحق التمجيد، وتسوّدُ الصفحات بتوافه الأمور وسواقط الأخبار، وما أعظم الخطبُ في مجال الاقتصاد إذا نسي المسلمون أو تناسوا زواجر القرآن عن أكل المال الحرام فساد الربا وانتشر الاحتكار ومورس القمار وكان الغشُّ في البيع والشراء، وشابه المسلمون الكفار في سياساتهم الاقتصادية المحرمة، وأعلنوا الحرب صراحةً مع الله إذ لم يسمحوا بانتشار الاقتصاد الإسلامي النَزيه أو ضيقوا عليه الخناق وكم هو مصابٌ إذا نحيت شريعةُ السماء عن الحكم في الأرض واستبدلت بالقوانين البشرية المستوردة من الكافرين .

وما أشدَّ البلية حين يُقلّدُ المسلمون غيرهم في بناء المساجد والقباب على القبور أو يُطاف بها أو يستشفع بأصحابها، وتلك من عوائد اليهود والنصارى التي نُهي عنها المسلمون قال عليه الصلاة والسلام : ((لعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)) [9]

وفي الحديث الآخر: ((أَلا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلا فَلا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ))[10].

عباد الله : ولم تكن المرأة المسلمة بمعزل عن هذا التقليد الأبله والتشبّه المذموم وإن شابك شكٌّ فألق نظرةً فاحصةً على عدد من حواضر العالم الإسلامي، ومسيرة المرأة ونمطِ حياتها، وسيهولك الأمر في الشكل والهندام وسيقضُّ مضجعك الاختلاطُ المحموم، والسفورُ المستهتر وتنفطر أكبادُ الغيورين لركض المرأة وراء أحدث الموديلات والموضات، ومسارعتِها الخطا لتقليد الكافرات، وأصبحت المرأة هدفاً لتوصيات المؤتمرات العالمية وضحية تخطيط المنظمات المعادية، ولم يعد في الأمر سرٌّ أو استحيا، وكأن المسلمين كلٌّ مباحٌ ورعايا سائبة يحتاجون إلى رعاةٍ وتُفرض عليهم الوصايةُ، ويتنازع الغربُ والشرقُ في الإشراف على برامجهم وتصدير البضائع إليهم ؟!

أجل لقد صدقت فينا معاشر المسلمين نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم حين قال:
((لتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلكُمْ شِبْراً شِبْراً ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ، قُلنَا يَا رَسُول اللهِ : اليَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَال : فَمَنْ)) [11]
يا ويح أمة محمد صلى الله عليه وسلم كيف استساغت التبعية بعد القيادة ؟ وكيف رضيت بمحاكاة التائهين وهي المؤهلةُ لإصلاح فساد الأمم أجمعين ؟ وكيف قبلت أن تشهد عليها الأممُ بذلِّ التبعية وضحالة التفكير، وضعف الانتماء، والارتماء في أحضانِ الآخرين، وهي الأمةُ الوسطُ التي جعلها الله شاهدةً على الناس بمحكم التنْزيل: ((وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَليْكُمْ شَهِيداً)) (البقرة: من الآية143).
وتستمر عدالتُها وتقبل شهادتُها على الأمم المكذبة يوم الدين تأملوا هذا النصَّ وما فيه من العبرة لعلكم تذكرون، أخرج الإمام البخاري في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ اللهُ تَعَالى : هَل بَلغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ ، فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ : هَل بَلغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : لا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يَشْهَدُ لكَ : فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وَأُمَّتُهُ فَتشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلغَ وَهُوَ قَوْلُهُ جَل ذِكْرُهُ : ((وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلى النَّاسِ))))[12].
فهل تدركُ الأمةُ حقيقة موقعها وطبيعة تميزها، وضخامة دورها وتفيء إلى أصالتها وتعتّز بقيمها ؟
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ((وَلا تَرْكَنُوا إِلى الذِينَ ظَلمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ)) (هود:113).
نفعني الله وإياكم بهدي كتابه.
أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .
الخطبة الثانية
الحمد لله ربِّ العالمين أحمده تعالى وأشكره وهو للحمد أهل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله وخيرته من خلقه، اللهم صلِ وسلم عليه وعلى سائر المرسلين .

أما بعد : فعباد الله: فحتى تتضح الصورةُ وتتبين الحكمةُ من مخالفة أصحاب الجحيم، وعدم التشبه بالكافرين أسوق لكم عدداً من أدلةِ الكتاب والسنةِ ومدلولاتِها في النهي والتحذير من ذلك، إذ كان ذلك من تكاليف هذه العقيدة الربانية التي ندينُ بها ونؤمن بمنْزلها .

يقول تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم ليبلغ أمته: ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الذِينَ لا يَعْلمُونَ* إِنَّهُمْ لنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ)) (الجاثية:18-19).

يقول في تفسيرها شيخُ الإسلام ابنُ تيمية - رحمه الله -: ((جعل اللهُ محمداً صلى الله عليه وسلم على شريعة من الأمرِ شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، ويدخل في الذين لا يعلمون كلُّ من خالف شريعتَه، وأهواءهم: هي ما يهوونه ولو فرض أن الفعل ليس من اتباع أهوائهم فلا ريب أن مخالفتهم في ذلك أحسمُ لمادة متابعتهم في أهوائهم، وأعونُ على حصولِ مرضاةِ الله في تركها [13]

وقال تعالى: ((وَلنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ))(البقرة:120).

فانظر كيف قال في الخبر ((ملتهم)) وقال في النهي: ((أهواءهم)) لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملةِ مطلقاً، والزجرُ وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير [14]

معاشر المسلمين : وتأملوا في حادثة تغيير القبلة حينما هاجر النبيُ صلى الله عليه وسلم وصحبهُ من المدينة - وكان بها يهود - وتوجيه القرآن للمسلمين في قوله تعالى: ((وَلئِنْ أَتَيْتَ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلةَ بَعْضٍ وَلئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لمِنَ الظَّالِمِينَ)) إلى قوله تعالى: ((وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَليْكُمْ حُجَّةٌ...)) (البقرة: 145-150).

فلقد استمر النبيُ صلى الله عليه وسلم في الاتجاه بصلاته نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً)) [15]

ولاشك أن هذا التوجيه لقي رغبةً وترحيباً من اليهود إذ يوافقهم النبيُ صلى الله عليه وسلم في قبلتهم، وربما استغلوا ذلك وقالوا: (يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا) [16]

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يتطلع إلى الوحي ويرغب التوجه إلى الكعبة عودة إلى قبلة إبراهيم عليه السلام، ورغبةً في تميز المسلمين بقبلتهم عن اليهود، فنَزل الوحيُّ مبيناً هذه الرغبة ومحقاً للحق ومستجيباً لنبيه ومميزاً للمسلمين عن غيرهم وكاشفاً لأهواء واعتراض السفهاء من الناس: ((قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)) (البقرة:144).

قال غيرُ واحد من السلف في حكمة تغير القبلة : لئلا يحتج عليكم اليهودُ بالموافقةُ في القبلة فيقولوا: قد وافقونا في قبلتنا فيوشكُ أن يوافقونا في ديننا فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة، قال العلماء: ((وهذا المعنى ثابتٌ في كل مخالفة وموافقة فإن الكافر إذا أُتبع في شيء من أمره كان له من الحجة مثل ما كان – أو قريبٌ مما كان – لليهود من الحجة في القبلة)) [17].

ولم يقف الأمر عند حدود النهي بل أشارت آياتُ القرآن وأحاديثُ المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أن من اتبع الكافرين وقلدهم فهو منهم ومصيرُهم مصيرهم قال تعالى: ((وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُول مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)) (النساء:115).

((يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))(المائدة:51).

وقال عليه الصلاةُ والسلام: ((من تشبه بقوم فهو منهم)) [18]،

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((إسناده جيد، وأقلُّ أحواله أنه يقتضي تحريم التشبّه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبِّه بهم كما في قوله تعالى: ((وَمَنْ يَتَوَلهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)).

إخوة الإيمان : إن من لوازم العقيدة الحقة الولاء والبراء، ويكون الولاءُ للمؤمنين والبراءُ من الكافرين، قال تعالى: ((إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)) (المائدة: من الآية55).

ولا حجة لمن قال: إن الولاء في القلب ولا تضرُ المشابهة في الظاهر مع الكره لهم باطناً .

قال شيخ الإسلام في كتابه القيم: ((اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم،وهو كتاب قيمٌ نافعٌ في هذا الباب: والموالاةُ والمودة وإن كانت متعلقةً بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعونُ على مقاطعة الكافرين ومباينهم)) . [19].

إلى أن قال: ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بالكافرين في الولايات، فروى الإمامُ أحمدُ بإسناد صحيح عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه : إن لي كاتباً نصرانياً، قال مالك: قاتلك الله، أما سمعتَ الله يقول: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)) (المائدة:51).

ألا اتخذت حنيفاً ؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين: لي كتابتهُ وله دينهُ، قال (عمر): لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزّهم إذا ذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله [20]، وأشار المحقق إلى عدم وجوده له في المسند (أبي موسى).

ويقول ابن القيم – رحمه الله – : ((إن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن التشبه بأهل الكتاب في أحاديث كثيرة، وسرُّ ذلك إن المشابهة في الهدْي الظاهر ذريعةٌ إلى الموافقة في القصد والعمل)) [21]

معاشر المسلمين : والنصوص في هذا كثيرة، وتعليلاتُ العلماء في النهي عن التشبه بالكافرين مقنعة ومبسوطةٌ ومن رام المزيد فليرجع إليها في مظانها، وإنما أردت الذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد .

ومع هذه الموجة العارمة في التشبه بالكافرين في عالمنا الإسلامي في معظم مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والإعلامية وسلوكيات الناس وعوائدهم الاجتماعية إلا أن من الإنصاف أن نقول: إن هذه وتلك من ركام الماضي ومن مخلفات الاستعمار والمستعمرين، ولئن بقي في المسلمين من لا يزال سادراً في غيّه

مخدوعاً بمشابهة الكافرين وتقليدهم وموالاتهم، فثمة صحوةٌ إسلاميةٌ نشطةٌ تسري في أوساط المسلمين، وثمة وعي وشعور بالعزة الإيمانية لدى الشعوب المسلمة تنتظم الرجال والنساء، لقد بدأ الإسلام يستيقظ في النفوس وبات واضحاً تململ المسلمين من واقعهم المشين وكرههم لأعداء الدين ومعرفتهم بمخططات المستعمرين، ولم تقف حدودُ هذه الصحوة عند قطر دون آخر، ولم تكن في العرب دون العجم، ولا في الشرق دون الغرب، إنها شمسُ الحقيقة بدأ إشراقها وسيعم الخافقين بإذن الله نورُها.

ليس هذا كلاماً عاطفياً يقال، ولا مجرد أحلام لا يرى الناسُ لها مقاماً بل هي الحقيقة يشهد بها العدوُّ قبل الصديق، ويتآمر الكافرون ويخططون لاقتلاع الشجرة قبل أن توتي ثمارها... فتعقد المؤتمرات، وتفتح الملفات وتقترح الوسائل والخطط لمكافحة ما يسمى بالإرهاب والتطرف والأصولية، ونورُ الله قادمٌ لا محالة، والإسلام الحقُّ هو الديانة المؤهلة لقيادة العالم قيادةً عادلة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ولو كره المشركون .

ومن أواخر ما سمع العالمُ ما يحدث اليوم في تركيا ربيبة الاستعمار، ورائدةُ العلمنة في ديار المسلمين، والتي مكث المجرمون في تغيير هويتها ردحاً من الزمن، حتى أعلن استبدال العربية بحروف لاتينية، ومنع الحجاب رسمياً، وأعلنت القوانين الكافرة لتحكم في البلاد قسراً... ومع هذا التغريب والتحدي السافر، بقي الإسلامُ محفوظاً في قلوب الأتراك المسلمين، وبقيت الأصالة رصيداً مدفوناً في الصدور، حتى إذا أُتيحت الفرصة تفاجأ العالمُ كلُّه بالتصويت لحكم الإسلام، وفوز حزب الرفاة الإسلامي وسحقه للأحزاب العلمانية الأخرى، وعادت العلمانية تندب حظَّها، والكفارُ العلمانيون يجرون أذيال الهزيمة وتهاوي الصنم الوهمي، وأُحبطت القوى العالمية وزادت من تخوفها من الإسلام والمسلمين، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون اللهم هيئ للمسلمين من أمرهم رشداً، اللهم وأجمع كلمتهم على الحقِّ والهدى، اللهم عليك بأعداء الدين اللهم وأحصهم عدداً وأقتلهم بدداً ولا تبقِ على الأرض منهم أحداً، هذا وصلوا وسلموا على المبعوث رحمة للعالمين .

[1] رواه أحمد بسند صحيح (صحيح الجامع الصغير 352/1).

[2] أخرجه مسلم (2090)، جامع الأصول 716/4).

[3] رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي، انظر: صحيح الجامع الصغير 128/6).

[4] ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ص181

[5] أبو داود كتاب الصلاة 675ح 1134، الولاء والبراء للقحطاني / 331 .

[6] الاقتضاء 435/1–436 .

[7] رواه أبو الشيخ الأصبهاني، والبيهقي بإسناد صحيح، الولاء والبراء 332، والاقتضاء 428/1 بدون لفظة: "فإن السخطة تنْزل عليهم .

[8] رواه ابن ماجة بسند صحيح، صحيح الجامع الصغير 126/6

[9] رواه مسلم 377/1، الاقتضاء 298/1 .

[10] رواه مسلم، السابق 297/1

[11] رواه البخاري 300/13 ح7320، ومسلم 2054/4، ح2669 .

[12] الصحيح مع الفتح 371/6

[13] اقتضاء الصراط المستقيم 85/1، 86 .

[14] الاقتضاء 87/1 .

[15] صحيح البخاري مع الفتح 95/1، ومسلم 374/1، السيرة النبوية الصحيحة للعمري 349/2

[16] نسبه العمري إلى مجاهد ومال إلى تصحيحه، السيرة النبوية الصحيحة 351/2

[17] ابن تيمية الاقتضاء 88/1 .

[18] رواه أحمدُ وأبو داود .

[19] 1 / 163.

[20] الاقتضاء 164/1، 165

[21] إعلام الموقعين 140/3 .

=============

#المرحلة الأسوأ في تاريخ تركيا

الإسلام اليوم / استنبول/ طه عودة 1423/12/28

2003/03/01

أفردت الصحف التركية هذا الأسبوع مكانا واسعا للمذكرة المتعلقة بانتشار القوات الأمريكية في الأراضي التركية، وموافقة مجلس الوزراء التركي عليها والخلافات الدائرة بين أعضاء الحكومة الحالية التي يتزعمها حزب العدالة والتنمية بخصوص التصويت على المذكرة، بالإضافة إلى العديد من القضايا الأخرى المهمة.

البرلمان التركي يؤجل التصويت على مذكرة انتشار القوات الأمريكية

وصف الكاتب الصحفي الإسلامي أحمد طاشغتيران من صحيفة يني شفق الإسلامية الموالية لحكومة حزب العدالة والتنمية التأجيل البرلماني للتصويت على المذكرة إلى يوم غد السبت "بالمفاجأة" وقال في مقالة له (اليوم الجمعة سوف يتم مناقشة هذه المذكرة في مجلس الأمن القومي، ومن الممكن أن تكون هناك مفاجآت أخرى. تركيا تمر اليوم بمرحلة صعبة للغاية نادرا ما واجهتها، وكل شيء فيها بات على المحك، فهناك مساومات تجري على أشدها، بينما تستنفد الحكومة طاقتها في محاولات الإقناع الداخلية من أجل الموافقة كرها على أمور هي من الداخل أشد ما ترفضها. وهل يا ترى صناع القرار في تركيا مقتنعون داخليا بالأسباب التي يحاولون بها إقناع البرلمان لانتزاع موافقته على المشاركة العسكرية في الحرب؟. بالطبع لا/ فهذا ما يبدو واضحا في عيون الرئيس التركي ورئيس الوزراء والنواب، وكيف يمكن أن يقتنعوا بهذه الأسباب وهم يرون أمام أعينهم كيف تتهرب (حليفتهم الولايات المتحدة) من المسئولية التاريخية إزاء تركيا، ولهذا السبب يمكن القول بأن أي كلمة "نعم" تخرج من البرلمان تبيت تحتها كلمة "لا" نظرا لعدم الثقة التركية بأمريكا، والتي لم تتوان لحظة عن تهديد تركيا علنا بقولها "إذا لم نجد الدعم الذي نريده منكم، فسوف نضطر إلى التحرك على قدم وساق مع الفصائل الكردية في شمال العراق. وأيضا، إذا لم تدعمونا فإن صندوق النقد الدولي والبنك العالمي والمنظمات التجارية العالمية سوف يديرون ظهرهم لكم، وبعدها إذا لجأتم إلينا فإنه لن يكون بمقدورنا فعل أي شيء لمساعدتكم، كما أننا لن نكون قادرين على دعمكم في المسألة الأرمنية خصوصا أن عيون اللوبي الأرمني مفتحة في الكونغرس بانتظار تمرير قرار "الإبادة الجماعية التركية للأرمن" منه هذا عدا عن أنه سيصعب علينا دعمكم في الاتحاد الأوروبي الخ .. ". وباختصار فإن أمريكا تهدد تركيا بإفلات حبل الأكراد في شمال

العراق، وبتدمير الاقتصاد التركي وتحريك مسألة الأرمن من جديد. وهل يوجد أفضل من هذا الحليف لتركيا الذي لا يتردد في استخدام الابتزاز والتهديد ضدها؟!!. للأسف الشديد، تركيا عاجزة عن الاستيعاب بأن هذه العملية العسكرية لا حدود لها في المنطقة، أو بالأحرى موقفها الحالي هو أضعف من أن تستوعب هذه الحقائق. فأمريكا تريد البدء من العراق لتتوسع في المنطقة بالكامل من أجل تشكيل نظام جديد على هواها، وماذا ستفعل تركيا؟

القنبلة الأمريكية الأولى تصيب تركيا..

وحول المساومات الجارية بين الجانبين التركي والأمريكي بشأن التعويضات المالية يقول الكاتب بكر جوشكون من صحيفة حرييت العلمانية واسعة الانتشار "في البداية قالوا بأن تركيا ستستلم 6.5 مليار دولار عند أول رصاصة تطلقها أمريكا في العراق، وفي صباح الأمس وصلنا الخبر المفرح من نواب حزب العدالة والتنمية!! الذين قالوا إن الحكومة نجحت برفع هذا الرقم إلى 8,5 مليار دولار تستلمها تركيا عند أول أمر تصدره أمريكا بإطلاق النار". بالفعل هذا أفضل ..!! ويا ترى ألم يكن بمقدورنا أن نرفع المساومة إلى 9.5 مليار دولار إذا ما سمحنا لهم بإطلاق النار المستمر في العراق!!. وماذا لو وافقنا على القتل الأمريكي الحر، ألم نكن لنحصل على مبلغ أكبر؟!!. في الحقيقة منذ أيام وأنا أسال نفسي هذا السؤال (هل يا ترى أنني بالغت في انتقاداتي بحق تركيا التي تذل نفسها من أجل المشاركة في الحرب مقابل المال؟) والجواب وجدته على صفحات الجرائد العالمية. فبالأمس نشرت الصحف التركية لأول مرة الكاريكاتور الذي تتناقله الصحف العالمية عن تركيا، فقد جاء على الصفحات الأمريكية صورة لراقصة تدعى "تركيا" والأمريكيون كانوا يعلقون الدولارات على خصرها وهي تهز شمالا ويمينا. وكاريكاتور آخر وفيه كان بوش يعد الجنود للدخول إلى شمال العراق بينما وضع قبالة طاولته رزمة كبيرة من الدولارات يمنحها لصف السياسيين الأتراك أمامه وفي مقدمتهم رجب طيب إردوغان، وكاريكاتور ثالث وفيه ‘يحمل الجنود الأمريكيين الأموال في أكياس على الطائرة، بينما يقول أحد الضباط لحامل الأكياس (انتبه جيدا. لا تنس بأن الأموال سترمى على تركيا والقنابل على العراق). وهكذا بإمكاننا أن نرى العديد من مثل هذا الكاريكاتور المخجل والمذل

لتركيا في صفحات الجرائد العالمية وعبر الإنترنت. وأنا بدوري أسألكم: من هي الدولة الأكثر تدميرا وإذلالا وضعفا من العراق وصدام؟ من هي الدولة التي فقدت شخصيتها واعتبارها وكرامتها؟ ومن هي الدولة التي دمرتها قنابل العار الأمريكي وقضت على هويتها وشعبها بالكامل؟. ولكن لا عليكم!! فنحن سنستلم 8.5 مليارات دولار مع أول أمر بإطلاق النار في العراق! وما لنا نحن والهوية والشخصية، وماذا يهمنا من قنابل الذل العالمي التي تلقى على شرفنا وكرامتنا يوميا، ما يهمنا هو أن يصل الدولار إلى تركيا، أليس كذلك؟!!.

مذكرة واحدة ستحل كل المشاكل..

ويقول الكاتب الصحفي فكرت بيلا من صحيفة ملليت العلمانية "لقد تم التوصل إلى حل أغلبية المشاكل التي تعترض المباحثات التركية الأمريكية حاليا. تركيا وضعت ثقلها بشأن ضمان خروج القوات الأمريكية، ومنع إقامة دولة كردية، والحفاظ على وحدة العراق السياسية، وحماية حقوق التركمان. رئيس الوزراء عبد الله غول يميل إلى عرض اقتراحي (نشر القوات الأمريكية في تركيا وإرسال القوات التركية لخارج الحدود) في مذكرة واحدة خوفا من أن تسفر فصلهما في مذكرتين عن نتائج غير مرغوبة في البرلمان، مما قد يهدد الشراكة الاستراتيجية بين تركيا وأمريكا، ومن هذا المنطلق فمن المقرر أن يقوم غول في اجتماع مجلس الوزراء اليوم بعرض هذا الاقتراح لتحويله إلى قرار سياسي.

مذكرتان في واحدة :

الأمر الأخر الذي تقف عنده حكومة غول هو تهيئة قرار برلماني يحدد مدة بقاء القوات الأمريكية في تركيا ويضمن خروجها بعد انتهاء الحرب، وعلى هذا الأساس فإن الحكومة التركية تسعى إلى تحضير اقتراح يقضي بالسماح للقوات الأمريكية بالبقاء لمدة ثلاثة أشهر فقط، والتي تعتبر مدة كافية لإنهاء الحرب ومن ثم إيقاف فعاليات القوات الأمريكية في القواعد التركية، أما فيما يتعلق بالمادة 92 من القانون الدستوري التي تمنع تركيا من المشاركة في أي حرب لم تشرعها الأمم المتحدة، فإن الحكومة أخذت بآراء المحكمة الدستورية بشكل غير رسمي، فتوصلت إلى قرار بأن المخرج الوحيد يكمن في استصدار قرار برلماني. ضمان حقوق التركمان :ومن أكثر

الأمور التي تتوقف عليها أنقرة سياسيا هي وحدة العراق السياسية وحقوق التركمان، بحيث تصر على منح التركمان ضمانة الحقوق الدستورية، كما تعترض تركيا على تعداد الولايات المتحدة العراقية في الوثيقة السياسية كالتالي "العرب، الأكراد، التركمان، الآشوريين، الكلدانيين" وتصر على وجود ثلاثة عناصر رئيسية هي "العرب، الأكراد، والتركمان" أما بقية العناصر فتريد الإشارة إليها بشكل إضافي وليس أساسي من أجل ضمان الوحدة السياسية العراقية، وفيما يبدو أن الولايات المتحدة تنازلت لتلتقي عند أقرب نقطة مع تركيا في هذا الشأن.

وماذا عن منظمة حزب العمال الكردستاني؟:

من الأمور التي تشغل بال أنقرة أيضا هي مشكلة حزب العمال الكردستاني – مؤتمر كردستان للحرية والديمقراطية ومصيرها. تركيا تفكر بأن هذه المنظمة لم تعد تمثل خطرا عليها في إطار هذه الحرب فقط، وإنما أصبحت قضية تخص الولايات المتحدة أيضا، بحيث تطالب أنقرة واشنطن التي وضعت هذه المنظمة على لائحة الإرهاب الدولي أن توضح موقفها منها من أجل تأمين الاستقرار في شمال العراق.

التوافق التركي ملفت للنظر:

من اللافت للنظر التعاون والتوافق الكلي بين رئاستي الوزراء والأركان ووزارة الخارجية في إطار المباحثات الجارية في أنقرة مع الولايات المتحدة، بحيث يؤكد العديد من المحللين أن هذا التوافق التركي يقوي من موقف تركيا سياسيا وعسكريا.

"جسر القروض" من الممكن أن يكون الحل:

الانفتاح الذي أظهرته واشنطن في المباحثات الاقتصادية يعتبر مقبولا بالنسبة لأنقرة، بحيث تم الاتفاق في المباحثات الأخيرة على اقتراح الولايات المتحدة بتقديم دعم مالي على الشكل التالي " 4+2+10+6". أربعة مليارات نقدية وملياري كمساعدات عسكرية يعني ستة مليارات دولار كهبة، فيما ستمنح 10.6 مليارات دولارات على شكل قروض بدون فوائد على أربع سنوات، وبعد هذه المدة ستترتب عليها فوائد ضئيلة جدا. أنقرة تصر على استلام أربعة مليارات دولار كهبة دون انتظار مصادقة الكونغرس الأمريكي عليها إذا ما بدأت الحرب سريعا.

تقرير بالتسلح الكردي:

أنقرة لم تتهاون أبدا في موضوع نزع الأسلحة الكردية، بحيث تطلب بتسليح الأكراد بأسلحة خفيفة لمجرد الدفاع عن النفس فقط، على أن يتم توزيع الأسلحة تحت مراقبة رئاسة الأركان التركية، وفيما يبدو أن الولايات المتحدة وافقت على هذا الطلب، بحيث أعدت تقريرا بنوعية الأسلحة التي ستزود الأكراد بها وقدمته إلى أنقرة. إلا أن الولايات المتحدة لا تريد الاستعجال في مسألة نزع الأسلحة الكردية، وهو الأمر الذي يدعو أنقرة للشك في مصداقية واشنطن لهذا فهي تطلب منها توضيح الموقف بشكل نهائي.

الصورة التركية

وحول المساومات أيضا يقول الكاتب الصحفي ياوز دونات "عندما ننظر إلى المباحثات التي جرت بين أنقرة وواشنطن، والمحادثات السرية التي تجري خلف الأبواب المغلقة منذ عام تقريبا، يمكننا أن نلتقط صورة أنقرة اليوم كالتالي:

ردة الفعل الأولى:

مارس 2002، حكومة أجاويد كانت في السلطة .. الولايات المتحدة تدلي ببيانات متعلقة بالعراق .. والولايات المتحدة تبلغ أنقرة بمستقبل خطتها العراقية 00 وكانت ردة فعل أنقرة 00 لا شيء.

المجهول:

تموز 2002، الولايات المتحدة تجدد بياناتها بشأن العراق، وتسأل تركيا عن رأيها، وفي ذلك التاريخ كان رئيس الوزراء أجاويد مريضا، والسياسة الداخلية متخضخضة، وكان جواب أنقرة : مجهولاً، دون أي رغبة في المشاركة في عملية عسكرية ضد العراق.

سؤال الولايات المتحدة:

مع دخول تركيا إلى انتخابات جديدة كانت الولايات المتحدة ترى في حزب العدالة والتنمية حكومة جديدة تصل إلى السلطة لوحدها، ومن بعدها بدأت بإجراء المباحثات مع زعيم الحزب رجب طيب إردوغان، وكانت أول المسائل التي جلبتها أمريكا على طاولة المباحثات : أسلحة الدمار الشامل العراقية؛ وبأنه كلما استمر العراق على هذا

الوضع فإن الأزمة الفلسطينية – الإسرائيلية سوف تزداد سوءً؛ عراق قوي سيكون هدفه الثاني تركيا؛ هل ستشاركونا في عملية عسكرية ضد العراق؟.

جواب رجب طيب إردوغان

في بدء المباحثات لم يعط إردوغان جوابا مشبعا بالرفض أو القبول، وفضل بدلا من ذلك عرض أفكاره على طاولة المباحثات من خلال قوله (ألا يكمن حل هذه المسألة بالطرق السلمية) (بإمكان تركيا أن تلعب دورا مهما في حل هذه المشكلة) (نحن دولة إسلامية، ودخولنا في عملية عسكرية ضد دولة مسلمة قد يسبب لنا متاعب في المستقبل) (نحن يمكن أن نساعدكم ولكن لا يمكننا أن نتعهد بأي شيء في الوقت الحالي).

ماذا يريد حزب العدالة والتنمية أن يفعل؟

حزب العدالة والتنمية خرج منتصرا من صناديق الاقتراع، والولايات المتحدة تقدم طلباتها وتوقعاتها رسميا إلى الهيئات الحكومية التركية، والحكومة في البداية تستثقل هذه المطالب، ومن ثم جوابها كان "موافقة" بشكل عام في 16 ديسمبر، ولكن في اليوم الثاني نفهم أنه لا يمكن اعتبار الرد التركي إيجابيا بما أن إردوغان نفسه لم يعد واشنطن بالموافقة.

حزب العدالة والتنمية بالنسبة لأمريكا

الولايات المتحدة تنجح في تحليل حزب العدالة في وقت قصير، وهو بالنسبة لها : يرفض الحرب ضد العراق؛ وإذا لم يقدر فإنه على الأقل سيحاول عرقلتها، ويرغب بحل المشكلة ديبلوماسيا.

السبب :

الولايات المتحدة تبحث عن السبب وراء تبني حزب العدالة لمثل هذا الموقف والنتيجة التي توصلت إليها:

حزب العدالة يجد صعوبة في شرح الحرب إلى الشعب التركي الذي اختاره كحكومة وحيدة في السلطة؛ الموافقة يمكن أن تعرض العلاقات التركية العربية إلى خطر؛ خوفها من تجزئ وحدة أراضي العراق.

القمة :

وفي هذه الأثناء، وردت فكرة عقد اجتماع إقليمي في إسطنبول، وكان هدف الحكومة إظهار تركيا على أنها زعيمة الدول الإسلامية أمام أمريكا، ولكنها مع الأسف لم تحقق هدفها وسط تصاعد احتمالات العملية العسكرية يوما بعد يوم.

طلبان :

عندما أصبحت العملية لا مفر منها، فإن حزب العدالة يطرح لأول مرة طلبين: الأول أن يتمكن إردوغان من دخول البرلمان ويصبح رئيسا للوزراء قبل بدء العملية العسكرية. وثانيا : هذه العملية قد تؤثر على شعبية الحزب، لهذا فقد طلبت الحكومة بمساعدات اقتصادية كبيرة تؤهلها في الوقوف في وجه الأضرار المتوقعة، بشكل تثبت قدرتها الإدارية أمام الشعب.

الرقم الأول:

وبينما الحكومة تعطي هذا الجواب فإنها حددت الرقم بـ 138 مليار دولار. وبالطبع، الولايات المتحدة تعيد هذه الرزمة إلى أعقابها، وتطلب بإعادة النظر في هذا الطلب مجددا.

العراقيل :

وبعد ذلك تبدأ المباحثات السياسية بين الجانبين التركي والأمريكي على تشكيلة العراق الجديدة ما بعد الحرب. وأولها عدم تشكيل دولة كردية في شمال العراق بالإضافة إلى المواضيع العسكرية.

الرقم الثاني :

أنقرة تعلق فشل المباحثات إلى عدم الوعي الكلي للمساومين الأمريكيين، وعلى هذا الأساس، فقد توجه كل من يشار ياكش وزير الخارجية وعلي باباجان وزير الاقتصاد إلى واشنطن واقترحا 92 مليار دولار.

اقتراح الولايات المتحدة :

بالنسبة للولايات المتحدة/ فقد اقترحت أربعة مليارات مع إمكانية رفع هذا الرقم إلى ستة مليارات، أو قروض طويلة الأجل تبلغ 20 مليار دولار.

الخطر السياسي:

جواب أنقرة: هذه العمل فيه مخاطر سياسية مثل تشويه صورة حزب العدالة، وبعد ذلك فقد خفضت الرقم إلى 45 ملياراً مع المطالبة بدفع جزء منها بشكل نقدي.
والولايات المتحدة تحسب الحساب لخطة "ب" التي تستثني منها تركيا وتقول بأن الوقت بدأ ينفد بينما تركيا تؤكد أن الزمن ليس مهما بالنسبة لها بل الدعم المالي، وكان الجواب الأمريكي بتهديد تركيا بأنها سوف تفوت فرصة ثمينة عليها يمكن أن تضر بالعلاقات الثنائية، بينما كان الرد التركي بأنه في حال دخلت أمريكا لوحدها في هذه العملية فسوف تخلق صورة بصدام الغرب مع الإسلام وبالتالي فإن خسارتها ستكون أكبر.
حسابات العملية العسكرية:
بالنسبة للولايات المتحدة فإن تكلفة العملية كلها 150 مليار دولار، فيما كان جواب أحد المسئولين الأتراك كالتالي:" إذا دخلتم في هذه الحرب لوحدكم، فإنها ستكلفكم 750 مليار دولار، يعني هناك فرق بـ 600 مليار دولار، ولو أنكم تعطونا 100 مليار دولار، فإننا وأنتم سنرتاح معا. وكان جواب الولايات المتحدة" المال ليس كل شيء في الشراكات الاستراتيجية".
الصورة النهائية :
الوضع الحالي يبدو وكأن المساومات السياسية تم حلها تقريبا، وعلى الصعيد العسكري فإنها على وشك الحل، أما المساومات الاقتصادية فهي مستمرة حاليا بينما تتطاير الأرقام نزولا.
الصحافة الإسلامية تنتقد حكومة حزب العدالة والتنمية
وصفت صحيفة "وقت " الإسلامية يوم الأربعاء الماضي المذكرة التي سيناقشها البرلمان التركي اليوم أو غدا الخميس والتي تقضي بالسماح لـ 62.000 جندي أمريكي و255 طائرة حربية و65 مروحية عسكرية بالانتشار في تركيا لفترة ستة أشهر، استعدادا لحرب محتملة ضد العراق بأنها "وثيقة احتلال". وقالت الصحيفة الإسلامية بأنه في حالة انتشار هذا العدد الكبير من القوات الأمريكية في الأراضي التركية، فإنه لا يسعنا أن نسمي ذلك بالاحتلال لأراضينا، وتقول الصحيفة بأنه من

الممكن أن يرفض البرلمان المصادقة على المذكرة إذ توقعت أن يرد 200 نائب من داخل صفوف حزب العدالة والتنمية الحاكم المذكرة.

ويقول الكاتب الإسلامي من صحيفة وقت "ايهان بلغين" (استيقظي يا تركيا، الولايات المتحدة في طريقها إلينا). وقال الكاتب بأن أمريكا تتحجج بصدام وأسلحة الدمار الشامل في العراق، مشيرا إلى أن الهدف أكبر من ذلك داعيا الشعب التركي والحكومة أيضا إلى فهم هذا المخطط الأمريكي ونواياها الطامعة في السيطرة على دول العالم. أما صحيفة ملي غازته الإسلامية الموالية لحزب السعادة الإسلامي فقد علقت على ذلك بالقول إنه على الرغم من المعارضة الشعبية القوية للمشاركة في الحرب، وتصاعد الأصوات حتى داخل الوزراء في حكومة حزب العدالة إلا أن الوزراء تحت الضغوط وقعوا يوم الاثنين الماضي على المذكرة من أجل رفعها للبرلمان للمناقشة. وتقول الصحيفة الإسلامية لقد نجحت الولايات المتحدة في توريطنا للمشاركة في حربها القذرة.

خطر جديد في شمال العراق..

يقول الكاتب الصحفي سامي كوهن –اليهودي الأصل– من صحيفة ملليت حول الأخطار التي تحدق بتركيا من قبل الأكراد " بينما توجهت كل الأنظار إلى المذكرة التي من المتوقع تقديمها إلى البرلمان، فإن المستجدات في شمال العراق بدأت تتطور بشكل ينذر بالخطر، وطبقا للأخبار التي وصلتنا فإن تركيا يمكن أن تتعرض لخطر مواجهة الأكراد في شمال العراق، فتحدث الزعماء الأكراد عن إمكانية نشوب حرب مع تركيا بينما المساومات التركية الأمريكية أوشكت على الانتهاء، فتركيا في مساومتها مع الولايات المتحدة حول شمال العراق أصرت على هذه الأساسيات:

1) حماية وحدة الأراضي العراقية.

2) التعهد بعدم تشكيل دولة كردية مستقلة في شمال العراق.

3) النظام الفيدرالي المحتمل يجب تأسيسه على أساس جغرافي وليس عرقي.

4) أن يعد التركمان كعنصر أساسي في بنية العراق الجديدة.

5) ألا يكون للأكراد أي علاقة بالموصل وكركوك.

6) نزع الأسلحة الكردية عندما يحين الوقت لذلك.

وعلى الصعيد العسكري، فقد اتخذت تركيا موقفا مهما، بحيث قررت إرسال حوالي الـ 80 ألف جندي إلى شمال العراق في حالة الحرب، وذلك من أجل وقف تدفق المهاجرين المحتمل، وللتصدي لهجمات محتملة من منظمة المؤتمر الكردستاني للحرية والديمقراطية، ولإعاقة طريق إقامة دولة كردية مستقلة، والحيلولة دون السيطرة الكردية على موصل وكركوك.

من المعلوم أن الجماعات الكردية لم تنظر يوما بحرارة إلى التواجد العسكري التركي في شمال العراق، وكانوا في اجتماعاتهم مع المسئولين الأتراك يؤكدون دوما على أنهم لا يرغبون بإقامة دولة كردية مستقلة، ولكنهم في نفس الوقت كانوا يدعون أنقرة بألا تتدخل من أجل تحديد موقعهم. وفي الأيام الأخيرة حيث انتشرت أخبار برغبة القوات التركية بالانتشار في مواقع محددة من شمال العراق، وأيضا في نزع الأسلحة الكردية حال انتهاء الحرب، فقد بدأ الأكراد بإظهار ردود فعل غاضبة على أساس :

1) رفض نشر القوات التركية في شمال العراق.

2) ستبقى الأسلحة بحيازة الأكراد إلى أن يتم الانتهاء من تشكيلة العراق الجديدة.

3) التدخل التركي في شمال العراق سيفتح الطريق لتدخل سياسي وعسكري أمام جهات أخرى، الأمر الذي سيقوض الاستقرار في المنطقة.

هذا التوتر بين تركيا وأكراد العراق الذي ظهر في وقت حساس اقتربت فيه العملية العسكرية قد يفتح الطريق أمام عدة مخاطر. بالنسبة لتركيا هي ترى بضرورة تواجدها العسكري في شمال العراق؛ لكي لا تفقد السيطرة على النتائج، لهذا يجب أن تشرح موقفها الشرعي هذا إلى الأكراد والعالم، وبأنه ليس احتلالا تركيا أو تدخلا في شئون الأكراد، وإنما هو من أجل الحفاظ على وحدة الأراضي التركية والعراقية معا.

الولايات المتحدة تستأجر منازلا ومباني ومخازن في جنوب شرق الأناضول

ومن جريدة حرييت العلمانية قال الكاتب الصحفي شكري كوتشوك شاهين "لقد قام أحد المسئولين الرفيعين المستوى في الحكومة التركية على مدى عدة أيام بجولات استطلاعية على طول بوابة خابور إلى الإسكندرون فقال بأنه يوجد بإسكندرون حاليا نحو 400 جندي أمريكي، فيما تم إنزال معدات عسكرية جديدة في إطار الاتفاقية الموقعة مع تركيا، كما يوجد حاليا خمس سفن محملة بالقرب من الميناء لم يتم

الإعلان عن نوعية حمولتها؛ نظرا لعدم تقديمهم وثيقة إلى الجهات الحكومية تؤيد هذه الحمولات. المسئول الحكومي قال بأن شركة دلتا الأمريكية هي التي تتبنى حق التوقيع والدفع للسلطات التركية فيما يتعلق بوثائق اقتراب السفن من الموانئ وإفراغ الحمولات، هذه الشركة التي لم تقدم طلبا رسميا بعد إلى السلطات التركية المختصة بإدخال سيارات النقل العسكرية إلى الميناء نجحت بإدخالها رغم ذلك.

القبول إلى حين المصادقة على المذكرة:

ويقول الكاتب بأن قاعدة انجرليك العسكرية لا زالت تستقبل المعدات التي تصل جوا، مثلا فقد استلمت مؤخرا ألف عدد من التواليت المتنقل من بين عدة لوازم أخرى، وفي مسألة التواليت، فإن مجموعة شركات تبه التركية تتولى مهمة التوقيع والدفع مع السلطات التركية. الغريب في هذا الوضع، الموافقة رسميا على استقبال التواليت لمدة ستة أشهر فقط، والتي تتزامن مع المدة التي حددتها أنقرة في المذكرة التي أرسلتها إلى البرلمان، مما يعني أنه سوف يتم إعادة التواليت بعد انقضاء مدة ستة أشهر وانتهاء الحرب، ويشار إلى أن هذه التواليت جاءت من دبي، حيث وصلت أمس طائرة أخرى من هناك محملة أيضا بمولدات كهربائية. وكان من الممكن أن تؤمن تركيا مثل هذه المعدات، لكن فيما يبدو أن أمريكا وقعت اتفاقية خاصة مع الإمارات بهذا الشأن، وهناك معلومة مهمة أيضا، وهي أن المعدات العسكرية معفية من الضرائب.

الولايات المتحدة تدفع نقدا :

الولايات المتحدة استأجرت – من خلال ممثلين خصوصيين لها–، مخازن ودكاكين في مدن سلوبي، جزرة، شرناك، ماردين، أضنه وديار بكر؛ من أجل استخدامهما كمخازن أساسية لها، ودفع الممثلون الأمريكان الإيجار نقدا وبالدولار، كما تسعى واشنطن إلى استئجار أراضٍ أيضا في نفس المناطق المذكورة، من أجل تمركز قواتها العسكرية التي ستأتي إلى تركيا، أما في بوابة خابور فإنه لم 'يلاحظ أي تحركات أمريكية غير اعتيادية في الفترة الأخيرة، ما عدا القوات التركية التي تدخل في بعض الأحيان إلى شمال العراق وتخرج منه.

تحذير عسكري:

ويحذر المسئول الحكومي من موضوعين حساسين في مسألة ارتفاع عدد الجنود الأمريكان. الأول: أن تعمل تركيا على شمل كافة التفاصيل العسكرية الأمريكية ضمن اتفاقية موقعة، على أن 'تنفذ حرفيا دون أي تهاون فيها .. والثاني: تمرير الجنود الأمريكان إلى شمال العراق في أسرع وقت ممكن، دون أي استمهال في الأراضي التركية لكي تضمن تركيا سلامتها واستقرارها.

=============

الحوار الإسلامي-العلماني هل هو ممكن؟

"آراء ومناقشات"

الإسلام اليوم/سماح بيبرس/عمان الإسلام اليوم/السيد أبو داود 1424/1/2
2003/03/05

شهد القرن الماضي، في النصف الثاني منه بشكل خاص صدام بنيوي كبير بين الاتجاهات الفكرية والأيدلوجية في ساحة الفكر العربي والحراك السياسي الاجتماعي، وعلى الرغم من تعدد الاتجاهات الفكرية والأيدلوجية المتصارعة، إلاّ أنّنا يمكن أن نجملها جميعا في اتجاهين فكريين: العلمانية والإسلام، هذا الجدال الذي أفرز أزمة حقيقية في الهوية ألقت بظلالها على الحياة السياسية والاجتماعية، مما دعا الاجتماعي العربي د. حلمي بركات إلى تشبيه المجتمعات العربية -في كتابه المشهور المجتمع العربي- بمن فقد البوصلة.

اليوم، ونحن نعيش في السنوات الأولى من قرن جديد، يجدر بنا أن نتساءل عن هذا الموضوع البنيوي في حياتنا، فهل ما زال التصادم الإسلامي-العلماني بنفس درجة "الزخم" التي كان عليها في القرن العشرين؟، وهل إمكانية الحوار قائمة وفعّالة؟ وإذا كان ذلك فما هي أهداف هذا الحوار؟، وما هي شروطه؟ وأين تقف كل من الاعتبارات الفكرية والسياسية في إدارة هذا الحوار؟

وفي هذا الإطار، وفي هذه السطور نجري مواجهة بين الطرفين، ويمثل كل طرف مجموعة من المفكرين والمثقفين أجرى معهم موقع الإسلام اليوم هذا الحوار.

ثلاثة أمور تمنع الحوار مع الإسلاميين

يقول المفكر العلماني المعروف د. فؤاد زكريا : إنني من خلال دراستي ومعرفتي بالحركات السياسية الإسلامية منذ ظهورها أقطع بأن في تكوينها شيء ضد الحوار من حيث المبدأ لثلاثة أسباب رئيسة :

السبب الأول : أن هذه الحركات تؤمن أنها تمتلك حقيقة مطلقة، ومن يؤمن بذلك لا يصلح للدخول في حوار؛ لأنه يتصور نفسه أن لديه كل الحقائق وغيره لا يملكها ومن هنا تأتي تسميات مثل حزب الله والفرقة الناجية .. الخ.

وهي تسميات تدل على أنهم الجماعة المختارة التي لها وضع خاص والآخرون حثالة وكفرة، وهذا يقف حائلاً أساسياً ضد مبدأ الحوار.

والسبب الثاني : أن الحوار عملية عقلانية في الأساس، وقبل أن ندخل الحوار نتفق على أن نحكم العقل، أما الطرف الإسلامي فيلجأ إلى سلطة النص الشرعي ويحتكم إليها ولا يحتكم إلى العقل والمنطق، والاحتكام إلى النص وسط جماعات تؤمن بقدسية النص معناه أننا لن نتحاور؛ لأن أحد الأطراف يحتمي بالنص ويحرج بالطرف الآخر ويوقعه في مأزق.

والسبب الثالث : هو اللجوء إلى العنف سواء العنف المعنوي متمثلاً في تصفية الخلافات بقوة السلاح، وهنا أذكركم بما حدث في الجزائر حيث قتل مئات الضحايا من الصحفيين والمفكرين والفنانين؛ لأنهم كانوا ذوي فكر مختلف عن الجماعات الإسلامية هناك، أو كان العنف معنوياً عبر تكفير الناس، وخاصة المبدعين والمفكرين وإثارة المجتمع عليهم.

وهكذا فإن على تيار الإسلام السياسي أن يستأصل من داخله عناصر أساسية فيه لكي يصبح الحوار معه ممكناً، لقد قتلوا "فرج فوده" الذي دخل حواراً مع رموزهم وطلقوا امرأة نصر أبو زيد منه؛ لأنه كتب كتاباً لا يعجبهم، رغم أن تأثير الكتاب محدود فلن يقرأه أكثر من مائتي قارئ، لقد جعلوه يهرب وتحتضنه أوروبا وتليفزيونات العالم، وكل يوم تستضيفه قناة عالمية تكره الإسلام.

بل 13 شرطاً للدخول في حوار مع الإسلاميين

ويقول د. محمد رضا محرم الكاتب العلماني والأستاذ بكلية الهندسة جامعة الأزهر، إن هناك أموراً مبدئية يجب تقريرها في البداية، وهي أننا نبحث في التلاقي على

أرض السياسة وليس على أرضية الدين، فالدين إذا كان مصدراً لأيدولوجية وتوجه فهو يخص مجموعة فقط، وعليه فإن المجموعات التي تستقي من بعض الصبغات لتوجيهاتها السياسية فعليها أن تسلم بعلاقة بين ثلاثة أبعاد هي الثقافة والأيدولوجية ثم الدين والفكر الديني.

والثقافة أوسع من الدين والفكر الديني، وما الدين والفكر الديني إلا مكون من مكونات الثقافة وهو ملزم لمن ينتسبون إليه وغير ملزم للآخرين ، كما أن الدين يختلف عن الفكر الديني ، فالدين هو المقدس الذي جاء من عند الله، وهو إذا كان من المتشابه واختلفت فيه الأفهام سقطت عنه قداسته، وبناء عليه يجب أن نقبل فكر الآخرين، ومن أجل الحوار مع الحركات الإسلامية فإنه للبدء معها فيه فإنه مطلوب منها أمرين :

الأول : هدم، والثاني : بناء.

وبالنسبة للهدم فيجب على هذه الحركات أن تسقط ثنائية الإيمان والكفر وحزب الله وحزب الشيطان، ويجب عليها أيضاً أن تتخلى عن فكرة الدين الغالب في مقابلة أديان مقهورة، فدول أوروبا وأمريكا العلمانية تعتز بدينها ومستعدة أن تقاتل دفاعاً عنه ولو لم تكن ملتزمة به، كما يجب التخلي عن فكرة الفرقة الناجية داخل الدين الواحد، وأيضاً فإن فكرة المرجعية الواحدة تصادر الحرية والديمقراطية وهي فكرة صدرها الاتجاه الماركسي التائب إلى الحركات الإسلامية، ويجب عليهم أيضاً التخلي عن قضية المخادعة بالديمقراطية، وهنا نشير إلى أن المتحدث الرسمي لجبهة الإنقاذ في الجزائر قال يوم الانتخابات " فليهنأ الديمقراطيون بديمقراطيتهم فتلك كانت آخر الديمقراطيات". وعليهم أيضاً التخلي عن الغرق في الجزئيات وترك المشترك العام الذي هو سياسي وليس دينياً .

أما بالنسبة لعملية البناء التي يجب على الحركات الإسلامية القيام بها قبل الدخول معها في حوار، فإن عليهم أن يقبلوا بالآخر بمعايير الديمقراطية المعاصرة وحقوق الإنسان والتسليم بالتعددية والإقلاع عن مقولة المرجعية الواحدة والإيمان بتعدد المرجعيات، كما أن عليهم أن يؤمنوا بتداول السلطة، وأن تداولها أقدس من الوصول إليها.

كما يجب عليهم أن يؤمنوا بالاحتكام إلى السياسة وليس إلى الكتاب المقدس والاحتكام إلى القانون لا إلى الفقه وهذه مأساة؛ لأن د.نصر أبو زيد حوسب بالفقه ولم يحاسب بالقانون، وحاكمه فقيه ولم يحاكمه قاضٍ.

ثم على الحركات الإسلامية التخلي عن فكرة (الذين يلونكم) أي قتال البلاد المجاورة حتى تتم السيطرة على العالم كله، فهذا كلام يخص طرفاً معيناً أما أن نطلقها لتكون حرباً دائمة على جميع الناس داخل المجتمع وخارجه فهذه كارثة؛ لأن سلامنا من سلام العالم، ثم عليهم الإيمان بمبدأ "السيف في الغمد" وليس لجارنا المواطن أو للدول الأخرى، فالعنف لا محل له والإرهاب مدان والدعوة سياسة بالحكمة ،ثم أخيراً يكون بيننا البرنامج وليس المعتقد أو الأيدولوجية.

لا يمكن طرح الحوار بالمنهج الغربي

الأستاذ باسم الطويسي: أحد الكتاب والمثقفين اليساريين المعروفين في الأردن، ويرأس حاليا منتدى فكري "بيت الأنباط"، قال في معرض جوابه على الحوار الإسلامي-العلماني: " لقد أخذ العرب علماً بتخلفهم الحضاري، وازدادوا إدراكاً لمدى الفوات والتأخر منذ القرن التاسع عشر، وهو التاريخ الذي يعني بداية محاولة إنتاج الوعي للذات وبحركة التاريخ من حولهم أكثر من كونه بدايات تأسيس للنهضة، وفي هذه المرحلة وضعت الجذور الأولى للكثير من المعتركات الأيديولوجية التي تلف اليوم الحياة العامة في المجتمع العربي الإسلامي، ومن بينها الصراع بين الثنائيات المنقولة".

وأضاف: إن جوهر ثنائية الإسلام والعلمانية يكمن أساساً في الجدل الموضوعي لغياب التجربة والاعتماد على النموذج المنقول ووعي الآخر في مرحلة إعادة اكتشاف الموقع من التاريخ وحركة الحضارة الإنسانية، وهنا تكمن الجينات الأولى لهذه الثنائيات.

وأشار إلى أن الغرب شهد صراعاً مريراً وطويلاً ضد العنف المادي والمعنوي للدين الذي شكل سياجاً ضخماً ومتوحشاً ضد إنتاج الحياة والحضارة، وضمن سلسلة عملية تاريخية طويلة من المعاناة والآلام، استطاع الغرب إنتاج قطيعة مع الماضي أسس على منطقها النهضة والتغير، أي الانتقال التاريخي من الارتباط بالميثاق الإلهي

المستند إلى الخلاص الأبدي إلى مرحلة الذات الموضوعية المستقلة والحرة، ولقد صاحب ذلك تأسيس قانوني وتشريعي هائل ضمن عملية تاريخية طويلة أفرزت الفصل بين الكنيسة والدولة، وقانون مبدأ علمانية الدولة، وظهور المنظومات الكبرى لما سمي فيما بعد بـ "حقوق الإنسان وحرية الكائن".

إنّ ما حدث في أوروبا هو استعادة الذات الحاضرة من الغائب المنفي دوماً إلى الخلاص والخطيئة، وإنزال تاريخ الإنسان من السماء إلى الأرض.

وبين أنه في الوقت الذي بدأ فيه الغرب تدشين مشروعه على الأرض وإنزاله من السماء، كانت تأتي أولى الإشارات من جنوب وشرق المتوسط تحمل البذور الأولى على محاولات التعرف على الذات العربية الإسلامية وموقعها من التاريخ، إنها المعرفة المأزومة المرهونة باستقطابين هائلين، الأول يشد باتجاه الذات ونموذجها الغائب الموجود في الماضي، ولا يمكن تبريره وتسويته إلا بقوة التعبئة الرئيسية الهائلة التي يمتلكها الإسلام، والاستقطاب الثاني يشد باتجاه عنفوان النموذج الغربي ومنطلقاته العلمانية، ومن هنا كان الانتقاص الحضاري الأكبر الذي ارتكب بحق الفعالية الحضارية العربية الإسلامية.

وأضاف: إن السجال التاريخي الذي دام طوال القرن العشرين بين الثنائيات الفكرية والإيديولوجية (الحداثة والتقليدية، العلمانية والدين الإسلامي....)، هو في حقيقة الأمر سجال ومماحكات أيديولوجية أكثر من كونها حراكاً معرفياً ينتج التاريخ، ولذلك أسباب عديدة أهمها: أن طرفي السجال قد غيّبا تجربة الذات في استعادة الوعي، واستندوا على نموذج الآخر إن كان في الدفاع عنه أو في الهجوم عليه.

إنّ الشروط التاريخية للخروج من حالة السجال الزائف إلى فضاء إنتاج التاريخ الحقيقي تبدو أهم ملامحه في استعادة الوعي المجتمعي، وبناء النموذج الذاتي للوعي حول التاريخ والحضارة والإنسان، لقد تجاوز العرب الجسر الأول نحو الوعي بتخلفهم، وبقي أمامهم الجسر الثاني لإنتاج معرفة أسباب بناء النهضة وإنتاج تاريخهم.

إن مسألة العلمانية والإسلام وفصل الدين عن الدولة، لا يمكن طرحها بالأسلوب والطريقة والمنهج والأدوات كما في الحالة الأوروبية، إلا أنّ الحالة العربية الإسلامية

مرهونة في هذا الشأن ببناء الوعي المجتمعي أولاً والمصاحب ثانياً للإصلاح القانوني والسياسي عبر المدخل الديموقراطي.

وأكد أن المدخل الديموقراطي وحده لا يكفي دون الوعي الاجتماعي الحقيقي الذي يدافع عن الخيار الديموقراطي ويحميه، فلا توجد إرادة حقيقية على سبيل المثال لدى الغرب لإصلاح ديموقراطي في العالم العربي والإسلامي؛ لأنهم يعون تماماً أن الصناديق سوف تأتي بالإسلاميين الذين سوف يحرقون القوارب التي أوصلتهم إلى الشاطئ كما يعتقدون، مشيراً إلى أن الوعي المجتمعي هو المطلب الأساس لفك الأحجيات التاريخية، وبناء علاقة متوازنة مع الذات والآخر والتاريخ.

الحوار ضرورة

الأستاذ موفق محادين الكاتب والمفكر اليساري الأردني، ورئيس المنتدى الاشتراكي من جهته أكد أن الحوار الإسلامي العلماني ممكناً ومطلوبا، لا سيما بسبب ضرورته السياسية وليس الأيديولوجية.

وأضاف: أنه من الصعب أيديولوجياً أن ينجح هذا الحوار في المستوى الاستراتيجي الذي يطال السلطة والمعرفة والماهايات وتجلياتها. أما على الصعيد السياسي: فهو يندرج تحت قواسم مشتركة تمتد من الاعتراف المتبادل على مساحة واسعة من المعطيات اليومية والوقائع السياسية المحددة والمصالح الاجتماعية فأطراف الحوار أطرف اجتماعية طبقية من الزاوية الموضوعية.

وأضاف: أنه بلغة فلسفة الحق فإن الأطراف الأيديولوجية المتناحرة في المستوى النظري، تجد نفسها في دوائر انفراج سياسي ومصالحات اجتماعية مختلفة ما إن تتحول الأفكار إلى "تعيينات" نسبية مفتوحة من سطوة المعنى ورقيب السرائر.

ومن المعروف أن هذه التعينات بوصفها تاريخاً، تستغرق من الوقت والمناورات ما يفوق لحظات الصراع الحاد والتحول من السياسة والميدان العملي إلى موجز مقتضب جديد للأيديولوجيات غير المتصالحة.

وأشار إلى أنّ الإسلام والعلمانية مشروعان مختلفان كل الاختلاف، فالتسوية ممكنة وضرورية بينهما في المستوى السياسي، لكنها غير ممكنة ولا ضرورية على المستوى النظري.

على العلمانيين أن يكونوا أكثر وضوحاً

كان ما سبق هو رأي رموز العلمانية في الحوار مع الإسلاميين، والآن يأتي الدور على الرموز الإسلامية لاستطلاع رأيها، فيقول د. محمد عمارة المفكر الإسلامي المعروف إننا نرحب بالحوار مع العلمانيين فوراً وبلا شروط مثل التي يضعها بعضهم، لكن علينا أولاً أن نفند كلامهم، فبالنسبة لامتلاك الحقيقة المطلقة التي يتهمون بها الإسلاميين فإن هناك فارقاً بين أن أؤمن بأن ما لدي من الدين هو الحقيقة المطلقة، وبين أن أؤمن بأن ما أدرك وأعقل من هذه الحقيقة الدينية المطلقة هو أمر نسبي، إن الدين في حد ذاته مطلق ومن لا يؤمن بذلك فهو جاهل لا يعرف معنى كلمة دين.

لكن العقل البشري كملكة إنسانية نسبي الإدراك ،ولذلك فما يقوله المسلم سواء في الفكر الديني أو السياسي إنما هو اجتهادات بشرية غير ملزمة للآخر ، وإذا كان العلمانيون يتهمون الإسلاميين بذلك فإنهم يتهمون أنفسهم أيضاً؛ لأنهم مقتنعون تماماً بما في رؤوسهم من أفكار ترفض الدين ويعتقدون أنها هي الحقيقة المطلقة .

أما بخصوص قضية الاحتكام إلى النص، فإن كل تيارات الفكر دينية كانت أو لادينية تحتكم إلى نصوص، والمعيار في التمييز بينها هو مدى الجمود والتقليد أو الاجتهاد والتجديد إزاء النصوص، فهناك إسلاميون من أهل الجمود وهناك يساريون من أهل الجمود، وهناك مجتهدون ومتطرفون من كل التيارات.

إن النص عندنا يعني القرآن وتصديقه إيمان وإنكاره كفر، قد نتفق مع العلمانيين لو كانت المسألة تتعلق بترجيح تفسير على آخر، والاجتهاد في إطار النصوص المعتمدة ، فهنا تأخذ القضية بعداً مقبولاً، أما إذا كان المقصود تنحية القرآن تماماً فهذا كفر صريح بل أقبح درجات الكفر على الإطلاق، إن الإسلام له حدود لابد أن يلتزم بها الإنسان ليكون مسلماً وإلا خرج من دائرة الإسلام، فالخمر حرام ومن قال بعكس ذلك فليس بمسلم، وأداء الصلاة فرض ومن قال بغير ذلك ليس بمسلم –الخ.

وكل من أنكر معلوماً من الدين بالضرورة فهو كافر، ولابد أن يكون هناك كفر وإيمان بل ونفاق أيضاً.

إن العلمانيين يريدون منا إسقاط ثنائية الإيمان والكفر وحزب الله وحزب الشيطان؛ لكي يكون الدين شيئاً هلامياً لا معنى له، فليفعلوا هم ما يريدون، لكننا نؤمن بثوابت ديننا ونحكم على المؤمن بالإيمان وعلى الكافر بكفره الظاهر سواء أسعد ذلك العلمانيين أو أغضبهم.

إن مشكلة هؤلاء العلمانيين أنهم يعتقدون أن النص ضد العقل، وهذه مشكلتهم وليست مشكلتنا نحن، فمن عظمة الإسلام أن صريح المعقول فيه يوافق صحيح المنقول من أدلة الشرع.

إن أتباع أي دين يؤمنون بصحة معتقداتهم ،والذي يعتنق فكرة أو مذهباً أو ديناً ولا يؤمن بصحته فهو منافق، وإذا سألنا أتباع أية ديانة أخرى فسوف نجد أنهم يؤمنون بصحة ما يعتقدون ويبطلون ما يعتقد الآخرون ، ولكن الإسلام يختلف عن الآخرين ، فالعقائد الأساسية في الإسلام بسيطة وتلتقي فيها أدلة العقل مع النصوص وهي ثلاثة : عبادة الإله الواحد، ثم الإيمان بجميع الرسل والأنبياء، ثم الإيمان بالجزاء والدار الآخرة ،ونحن في هذه الأمور نمتلك الحقيقة المطلقة ومن يشك في واحدة من هذه الأمور فهو كافر.

أما فيما يتعلق بالأحكام الفرعية التي ليست قطعية الثبوت ولا قطعية الدلالة وهي موضوع اجتهاد المجتهدين ، فالمسلمون لا يدعون فيها امتلاك الحقيقة المطلقة، وفيما عدا الأصول والمبادئ الكلية للشريعة ،فالأمور اجتهادية وقابلة للاختلاف .

أما بخصوص سلطة الاحتكام إلى النص فنحن مأمورون شرعاً بذلك قال تعالى [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا].

وعلى العلمانيين أن يكونوا أكثر وضوحاً وأكثر شجاعة وجرأة، ويقولون لنا هل هم مسلمون فعلاً ويؤمنون بالقرآن وبهذه النصوص التي لا تعجبهم أم لا؟ لأن هنا سوف يأخذ الكلام معهم وضعاً آخر، إن النص نفسه يأمرنا بتحكيم العقل واستشارته في غير الأصول والمبادئ الكلية القطعية، والمذاهب الإسلامية تعتمد على النظر العقلي إلى جانب الدليل الشرعي.

الأستاذ "منير شفيق" المفكر الإسلامي البارز، صاحب العديد من المؤلفات والكتب في الرد على العلمانيين وتفنيد الفكر الماركسي، أجاب حول الموضوع نفسه بقوله: "إن شروط أي حوار إسلامي علماني تتوقف على الطرف العلماني المحاور، وما هو منظوره لعلاقة الدولة والدين، والأهم ما هو موقفه من الإسلام والإسلاميين، فمثلاً إن كان من المدرسة العلمانية المتطرفة التي تعادي الدين وتعمل على إقصاء الإسلاميين، فلا حوار ممكن مع هذه الفئة".

أما إذا كان من العلمانيين الذين يقبلون في بلادنا أن يكون الإسلام دين دولة، وأن تقر القوانين وفقاً لاختيار الشعب لممثليه؛ بمعنى: القبول بفض الخلاف عبر صناديق الاقتراع أو بالحوار لتحقيق إجماع وطني، فإن شروط النجاح تصبح فاعلة وممكنة، لا سيما إذا كان الطرف الإسلامي يعترف بالتعددية، ويقبل الاحتكام عبر المجالس التشريعية من خلال صناديق الانتخاب أو بالحوار لتحقيق الإجماع الوطني، ويكون لديه الاستعداد، وهو شرط للعلماني، وأن يحترم ما يصدر من قوانين دون أن يعني الموافقة عليها أو الاقتناع بها، أي إبقاء حق معارضتها وتغييرها من خلال الأغلبية في مجلس الشورى والبرلمان أو الحوار الوطني والتوصل إلى عقد جديد.

إن الحوار الأهم والذي هو الأقرب للنجاح إنما هو الذي يتناول الاتفاق على القضايا والتحديات التي تواجه الأمة وتتعلق باستقلالها وتضامنها ومواجهتها للعدوان الخارجي والمشروع الصهيوني، وهنا يمكن تشكيل الجبهات بلا حاجز لحل الخلافات المتعلقة بالعقيدة والمرجعية دون تنازل مبدئي، أي حصر الاتفاق بقضايا السياسة والاقتصاد والمصالح العملية للبلاد والأمة، وهي مرحلة ضرورية ويمكن أن تسهل فيما بعد الحوار في القضايا الخلافية .

الحوار مطلوب بل ومأمور

أما د. عبد اللطيف عربيات أمين عام حزب جبهة العمل الإسلامي الأردني سابقا، ورئيس مجلس الشورى في جماعة الإخوان المسلمين حاليا، قال : "إن الحوار الإسلامي العلماني مطلوب ومأمور به مع أيٍ كان مع المؤمن وغير المؤمن، فالإسلام غني بأمثلة بالغة الدلالة على هذا الحوار، حيث حاور الله تعالى الشيطان.

كما أمر رسوله الكريم بالحوار في قوله تعالى:((ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)). وهذا نوع من التبليغ.
وأضاف أنه لابد من حوار ونقاش العلمانيين أصحاب الفكر الغربي بأساليب متطورة حديثة تناسب مختلف الطبقات والتوجهات (خاطبوا الناس على قدر عقولهم).
وأشار إلى أن العلمانية تقوم على فصل الدين عن الدولة والتفكير العلمي المجرد، ونحن كإسلاميين لا نمانع الحوار، بل على العكس فإنه يعطينا فرصة لبيان عظمة الإسلام وقدرته على إقامة الحجة والبرهان، فنحن نؤمن بالله الواحد؛ وهذا يجعلنا نقف على أرض صلبة، مشيراً إلى أن الحقيقة العلمية قابلة للتعديل والتبديل فهي في تطور مستمر والعقل يتجدد ويتطور باستمرار.
وبيّن عربيات: أن هناك حقيقة إيمانية وحقيقة علمية، والسؤال الذي يطرح نفسه أيهما يؤول لصالح الآخر؟.
لقد قال تعالى ((ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا)). إن المتأمل في هذه الآية الكريمة يجد فيها أحدث أساليب البحث العلمي، "فالسمع" هو علم ما قبلنا، و"البصر" هو المنهج الوصفي، "والعقل" هو المنهج التحليلي.
إن هناك علوم نقل وعلوم عقل، علوم النقل فهي "علوم الشريعة والإسلام"، وعلوم العقل "هي العلوم الغربية الحديثة"، فمثلاً كان هناك جدل حول مسألة إقامة السلام مع إسرائيل، فالمؤيدون رأوا أنه لا فائدة من الحروب، فالسلام هو الحل، فهذه الفئة استخدمت عقلها فقط، لكن الإسلام يؤكد على أن السلام مع اليهود لن نحصد منه شيئاً، ويظهر ذلك في قوله تعالى ((أم لهم نصيبٌ من الملك فإذاً لا يؤتون الناس نقيرا))، فكان هناك صراع بين العقل والنقل، وأثبتت التجربة أن علم النقل كان الأفضل والأصدق.
هناك حقيقة عقلية وحقيقة نقلية، فالإسلام يوضح هذه الحقائق، ويجادل بالتي هي أحسن لتصل إلى حقائق أزلية، الإسلام لا يخشى حواراً بل يدعو إليه، سواءً مع المؤمن أو الصديق أو العدو ويمارسه، ولكن حسب المنهج والأساليب العلمية الموضوعية.

شروط الحوار وأهدافه

المفكر والباحث في الفكر السياسي الإسلامي، ورئيس قسم الفقه في جامعة الزرقاء الأهلية في الأردن د. رحيل غرايبة رأى في حديثه للإسلام اليوم أن الحوار ممكن من جهة الإسلاميين، فالفكر الإسلامي عموما يعتمد أسلوب الحوار العلمي مع كل المخالفين، بعلمية وموضوعية، وليس هناك ما يجعل هذا الحوار مستحيلا.

ومن الناحية الشرعية فإن القرآن أمرنا بالحوار والجدال بالتي هي أحسن، وقد أورد لنا القرآن حوار الله عز وجل مع إبليس، وحوار سيدنا إبراهيم مع النمرود، وقد حفل القرآن بنقاش عقلي منطقي يعتمد الأدلة مع الذين ينكرون اليوم الآخر، أو أولئك الذين يشركون مع الله معبودا آخر.

أما بخصوص شروط الحوار وقواعده، فيرى الدكتور غرايبة أنه لابد من اعتماد أرضية للحوار وأهداف وقواعد وأسس يتفق عليها الطرفان، وبعد ذلك تحديد القضايا والموضوعات التي سيناقشها الحوار، ويحدد الدكتور غرايبة في هذا السياق عدة قواعد أساسية لا بد أن تحكم الحوار، وهي:

الاعتراف والإقرار بوجود الاختلاف، وأن الاختلاف سمة المخلوقات جميعها، ومنها الإنسان، وهذا الاختلاف والتنوع ينظر إليه على أنه مسألة إيجابية وليست سلبية، إن تم التعامل معه بطريقة صحيحة.

الحرية الفكرية التامة والحرية العقدية هي أساس وقاعدة يجب أن يتم الانطلاق منها، بحيث يستطيع كل صاحب رأي وفكر أو معتقد أن يدافع عن فكره وعقيدته بحرية دون اضطهاد أو إرهاب فكري.

الحوار الموضوعي العلمي، الذي يعتمد على المسلمات العقلية والبدهيات المنطقية التي يجمع عليها المنطق والعقل السليم.

احترام الرأي الآخر وعدم التهكم والسخرية أو الهمز واللمز، وعدم التسفيه، مع الجرأة في الطرح وبيان التناقض في الموقف الآخر، بعيداً عن لغة المجاملة الفكرية أو الشخصية.

أما بالنسبة لأهداف الحوار فيجد الدكتور غرايبة أن أبرز أهداف الحوار هو تجلية الحق والوصول إليه، والبحث عن الصواب والالتزام به.

كما أن من أهداف الحوار البحث عن إطار للتعاون الفكري والثقافي، يعتمد قيم الخير والبر، وتحقيق مصلحة الأمة، ويقول د. غرايبة " فنحن جميعا نريد أمة قوية موحدة، لها فكرها المتميز وحضارتها الفريدة، وتسهم في إسعاد أبنائها وتنقل رسالتها للبشرية كلها، لها هويتها الثقافية التي تنتمي إليها، فكيف نحقق ذلك؟ وكيف نصل إلى هذه الأهداف المشتركة؟ وما هي مهمة العلماء والمثقفين والمفكرين وأصحاب الرأي جميعا في صياغة هذا الإطار الجمعي، الذي يستوعب الآراء المختلفة والجهود المتعددة، وأفكار العقلاء المبدعة؟..هذه الأسئلة التي تزداد إلحاحا علينا وتحتاج إلى إجابات.

ويمكن اختصار أهداف الحوار على الشكل التالي:

على الصعيد الداخلي: إيجاد أمة قوية موحدة، غير مخترقة فيها تعددية مقدرة، كلهم يشتركون في صناعة حضارة، ويسهمون في بناء القوة في الجوانب المختلفة: علمياً وفكرياً واقتصادياً ..

على الصعيد السياسي : إيجاد حرية سياسية منضبطة بالمسؤولية الأخلاقية، وتؤدي إلى أن تكون سلطة الأمة هي العليا، واحترام رأي الأغلبية، وعدم مصادرة رأي الأقلية، وفتح المجال أمام جميع القوى السياسية والحزبية في الإسهام في الرأي والحوار.

على الصعيد الخارجي: تميز في العطاء الحضاري، وصناعة قوة موازية بلا تبعية ولا عدوان على أحد تحمل رسالة مميزة، وتساهم في وجود سلام عالمي عادل مبني على الحق واحترام كرامة وخيارات الشعوب.

العلمانيون أنفسهم يؤمنون بامتلاك الحقيقة المطلقة

أما المفكر الإسلامي د. محمد يحيى فيقول : إن العلمانيين أنفسهم يقولون بامتلاك الحقيقة المطلقة، فأي علماني سواء كان ماركسياً أو ليبرالياً أو قومياً سوف نجده يقول مذهبي هو الحق المطلق وما عداه باطل ورجعي ومخالف لحقوق الإنسان ، والدليل على ذلك أن هذه المذاهب حينما حكمت في بلاد عربية وغير عربية تصرفت وكأنها تحتكر الحقيقة المطلقة، ومن يقول بغير ما تقول تنهيه من الوجود، وقد رأينا هذا في الاتحاد السوفييتي السابق، وفي البلاد التي عانت من الشيوعية، كذلك رأينا

هذا الأمر تمارسه الأحزاب العربية القومية التي وصلت إلى الحكم، حيث اضطهدت الآخر الفكري وقهرته، وما ذلك إلا أنها تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة، وبالتالي فلابد أن يؤمن بها كل الناس وإلا واجهوا مصيرهم المحتوم .

إننا إذا كنا نتحدث عن القيم العليا الحاكمة للوجود فإن هذه الأمور بطبيعتها لا تحتمل إلا الحقيقة المطلقة، والجميع يزعمون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة فلماذا اتهام الإسلاميين دون غيرهم بذلك؟.

أما إذا كنا نتحدث عن أمور الحياة المختلفة وتدبير المعايش وتنظيم قوانين تحكم حياة الناس مثل قانون المرور والمباني –الخ؛ فالإسلاميون لم يقولوا بامتلاك الحقيقة المطلقة في ذلك .إن اليهود والنصارى يقولون بامتلاك الحقيقة المطلقة في شأن قيم الوجود العليا وكذلك الشيوعيون فلماذا اتهام الإسلاميين فقط بذلك؟.

وعن إسقاط المرجعية الواحدة والإيمان بتعدد المرجعيات يقول د. محمد يحيى :إن المرجعية معناها مجموعة من المبادئ المتسقة فيما بينها يمكن العودة إليها واستمداد المبادئ والقيم منها.

والعلمانيون يطالبوننا بتعدد المرجعيات في الوقت الذي لا يوجد عندهم تعدد مرجعيات، فالعلماني الليبرالي لديه مرجعية واحدة هي الإيمان بالحياة النيابية التي ينتج عنها سلطة تشريع وحكم ثم مراعاة مجموعة من حقوق الإنسان، ولو كانوا صادقين في تعدد المرجعيات لآمنوا بمرجعيتنا الإسلامية كإحدى هذه المرجعيات وهي تفرض عليهم بدورها أموراً معينة، لكنهم يأتون إلى المرجعية الإسلامية ويرفضونها .

كذلك فإن الماركسي مرجعيته الأساسية هي الفكر المادي وعدم وجود إله وهدم الإيمان بالغيبيات، وإنما الإيمان بالقيم المادية التي تحكم الكون، ودعاة القومية العربية مرجعيتهم الأساسية تحقيق مصالح الشعب العربي أياً كانت وهي عادة مصالح مادية ،وهكذا فإن العلمانية على تعدد فصائلها لا تؤمن بتعدد المرجعيات .

وعن مطلب العلمانيين بتخلي الإسلاميين عن مقولة الدين الغالب والفرقة الناجية يقول د. محمد يحيى : إنه إذا كان المقصود أن هذا الدين الغالب يتم التبشير به من خلال الدعوة إليه فهذا شيء لا ننكره، بل هو من صلب الإسلام الذي هو رسالة

عالمية ، كما أن الأديان والمذاهب العالمية تقوم بالتبشير والدعوة لمبادئها، أما إذا كان المقصود بالدين الغالب أنه الدين الذي يقمع الآخرين ويتخذهم عبيداً ،فالإسلام آخر دين يمكن اتهامه بذلك؛ لأنه أعظم من حمى حقوق الآخرين وحافظ عليها ، والأقليات الدينية في البلاد الإسلامية أحسن الأقليات حظاً في العالم.

أما مفهوم الفرقة الناجية فهو مفهوم عام يقصد الالتزام بقواعد الدين وكلياته والبعد عن الابتداع والتحريف ، وليست هناك جماعة إسلامية تقول إنها الفرقة الناجية بصرف النظر عن الغلاة المرفوضين من داخل الصف الإسلامي نفسه، ومقولة الفرقة الناجية موجودة في كل الأديان ، ففي المسيحية كانت هناك ثلاث فرق، بل يمكن القول إنها ليست فرقاً بل أدياناً مختلفة تماماً، وكذلك في اليهودية هناك دينان رئيسيان، وما أكثر تعدد مذاهب الماركسية، أما الإسلام فإن الاختلاف في إطاره بقي محكوم بمبادئ عامة وكليات لم يتجاوزها.

============

عداوة اليهود وأحلام السلام

إنَّ الحمدَ لِله نحمدهُ ونستعينهُ، ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسنا، ومن سيّئاتِ أعمالِنا، منْ يَهدِهِ اللهُ فلا مُضلَ لهُ، ومنْ يُضلل فلا هاديَ له. وأشهدُ أنَّ لا إله إلا الله وحدهُ لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله. ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)) (آل عمران:102).

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)) (النساء:1).

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)) (الأحزاب:70-71).

أما بعدُ : فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرُ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم وشرُّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكل محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

أيَّها المسلمون : يقول الله تعالى : ((وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)) (الأنفال:26).

ولا أجدُ أبلغَ من هذه الآيةِ العظيمة تُلخصُ الحالةَ البائسة، التي كان عليها العربُ في جاهليتهم، فهم كما وصفَ اللهُ تعالى يعانون قلةً وضعفا، ويشتكون خوفاً ورعباً، أوجعتهم الحروب العصبية، ومزقتهم الثارات الجاهلية، دأبهُم السلبُ والنهب، ود يدنُهم الظلمُ والغصب، فكانت الأمةُ العربية أمةً ضعيفةً، ممتهنة، لا حضارةَ لها ولا مجد، ولا سيادةَ لها ولا رفعة، ولم يكن لها أيُ تأثير يُذكر في مُجرياتِ الأحداث، في ذلك الزمان الذي تنازعت في السلطة حضارتان وثنيتان، وقوتان عظيمتان، هما فارس والروم، والتي لم تتعد نظرتُهما إلى العرب عدا أنَّهم قومٌ من الرُعاعِ المتخلفين، والجوعى البائسين.

يقول قتادةُ – رحمهُ الله– : (كان هذا الحي من العرب أذلَّ الناسِ ذلاً، وأشقاهُ عيشاً، وأجوعَه بطوناً، وأعراهُ جلوداً، وأبينَهُ ضلالاً، مقهورين على رأس حِجْرٍ بين الأسدين – فارسَ والروم – ولا واللهِ ما في بلادِهم يومئذٍ من شيءٍ يحسدون عليه، من عاشَ منهم عاش شقياً، ومن مات منهم رُدّي في النار، يُؤكلونَ ولا يَأكُلون، واللهِ ما نعلمُ قبيلاً من حاضرِ أهلِ الأرضِ يومئذٍ كانوا أشرَّ منزلاً منهم، حتى جاءَ اللهُ بالإسلام، فمكنَّ به في البلاد، ووسعَ به في الرزق، وجعلهم به ملوكاً على رقابِ الناس) انتهى كلامه رحمهُ الله.

ولقد منّ اللهُ تعالى على أولئك البائسين ببعثةِ نبيهِ العظيم صلى الله عليه وسلم فآمن به من آمن، وتبدلت الأرضُ غير الأرض، وتغيرتْ القلوبُ والوجوه، وتحطمتْ القيمُ الزائفة، وتهاوتْ القنا عاتُ الفارغة، وانتكستْ المبادئُ القاحلة، وتحولَ العربيُ الذي ما كان يعرفُ غيرَ الكأسِ والغانية، ولا يجيدُ سوى التذلل أمامَ أصنامٍ من حجرٍ وخشب، تحولَ إلى وعاءٍ من إيمان، وجبلٍ من يقين، وامتلأ قلبهُ ورعاً وتقى، ونفسهُ فضيلةً ومروءةً وشجاعة، وفي فترةٍ قياسية أُذهلت الدنيا بأسرها، تحولَ المجتمعُ العربيُ بإيمانهِ وإسلامهِ، لا بعروبته وقوميته، تحولَ إلى القوةِ الأولى في العالم بلا منازع، بعدما حطّم كبرياءَ فارسَ والروم، ودكَّ حصونَها في آنٍ واحد، وجعلهم أشتاتاً

بعد وحدة، أذلاءَ بعد عزة، وظلَّ القرآنُ الكريم يتنزلُ عليهم آيةً آية وسورةً سورة، يغرسُ في نفوسهِمُ العقيدة الصحيحة، والخلق القويم، والسلوك الحسن، ويتعاهدهم برعايةٍ وتربيةٍ من نوعٍ خاص، صنعتْ منهم رجالاً لم يعهد التاريخُ لهم مثيلا، وبالرغم من نزول القرآن بلغة العربِ الأصيلة، إلا أنك لا تجدُ آيةً واحدةً تخاطبهم خطاباً قومياً، فليس في كتابِ ربنا(يا أيَّها العرب)، وإنما هو النداءُ الذي ارتضاهُ اللهُ لهم، نداءُ الإيمانِ العظيم، وفي ذلك إشارةٌ واضحةُ الدِلالة بأنَّ المجدَ الذي حققوهُ وسادوا به الدنيا، ما كان ليحدث لولا إيمان قوي، خالطَ بشاشةَ القلوب، ويقين راسخ استقر في سويدائِها.

واليوم يعيدُ التاريخُ نفسَه من جديد، فلما تنكَّرَ العربُ لكتابِ ربهم، واستخفوا بسنةِ نبيهم، عاد العربُ أقزاماً لا وزنَ لهم ولا قيمة، وغدوا ذيولاً واتباعاً، بعد أن كانوا رؤساءَ وسادة، وغابَ تأثيرُهم في مُجريات الأمور، وتسلطَ عليهم أعداؤُهم من كلِّ جانب، ومارسوا عليهم وصايةً مهينة، وتدخلَ الكفارُ في أخصِ خصائِصهم، وأدقِّ شؤونهم، واستأسدتْ عصابةٌ من اليهود، فاحتلت أرضَهم وبلادَهم، وأذاقتهم الذُلَّ والحسرة، وجرَّعتهم المرارةَ والغُصة، منذُ ما يربو على خمسين عاماً وإسرائيلُ توجهُ إلينا صفعاتٍ موجعة، حتى استمرأناها وألفناها، فتبلدت أحاسيسنا، ويبستْ جلودُنا، فما عادت تُؤثر فينا تلك الصفعات.

خمسونَ عاماً أُتخمَت سَنَواتُها ذلاً فما يغشى العيونُ رُقادُ

منذ ما يربو على خمسين عاماً وإسرائيل تدنسُ مقدسا تِنا، وتقتلُ إخوانَنا، وتعبثُ بمشاعِرنا، وتسخرُ من أعصابِنا، دون أن نسمعَ غضبةً عمريه، أو وثبةً سعدية، أو زأرة أسدية لابن الوليد، أو صرخة عثمانية من عبد الحميد في وجهِ الخونةِ وناقضي العهود يوم قال: إن فلسطين أرضٌ أُخذت بالدماء ولا تباع بالذهب !! وفي الوقتِ الذي كُنَّا نُمنِّي فيه أنفسنَا بجهادٍ نحطِّمُ به عصاباتِ يهود، ونستعيدُ مجدَنا السليب، وعزنَا الفقيد، فإذا بهم يركضون خلفَ سلامٍ من سراب، ويخوضون مفاوضاتٍ مهينةٍ هزيلة، أملاً في عقدِ معاهدةٍ مع الذين احترفوا نقضَ العهود، وجُبلوا على الغدرِ والخيانة، فمعذرةً يا فلسطين ويا شعبَ فلسطين، ومعذرة يا محمد جمال، لقد رأيناك

تحتمي خلف صخرةٍ من حقد يهود، ورصاص يهود، لقد آلمنا حقاً صُراخك واستغاثتك،

أحبابُنا إني أُغالبُ حسرةً مشبوبةً وعلى الأسى أتجلَّدُ

نظراتُ أعينِكم تعذبني فلا عيشي يطيب ولا جفوني ترقدُ

تجري دماءُ الأبرياءِ على الثرى نهراً وعالمَنُا المخدَّر يشهَدُ

والمسجد الأقصى يباع ويُشترى جهراً، وقُدسُ الفاتحين تُهوَّدُ

أوَّاه من نارٍ أَحسُّ بحرِّها لمَّا يُراقُ دَمٌ ويُهدَم مسجدُ

إني لأبصرِ وجهَ طفلٍ تائهٍ وسؤالَه الحيرانُ أين المُرشدُ؟

ماذا جنى هذا الصغيرُ أما هُنا رجلٌ إلى قولِ الحقيقةِ يُرشدُ؟

إني لأُبصرُ أمةَ الإسلامِ في لهوٍ تقومُ على الهوان وتقعُدُ

فأكاد أحلفُ أنَّ أمتنَا غدتْ بالذُّل في دَيَرِ الهوانِ تُعمِّد

وكأنَّها لم تَبْنِ صرحاً شامخاً ظلَّت به نحو المعالي تصعدُ

أيها المسلمون :

إلى متى هذا السكوت ؟ حتى متى الصمت المميت؟

ما ذلك الإعراضُ والصممُ الغريب؟ عن كل آهاتِ الثكالى والحيارى والنحيب؟ حتى متى هذا الصدود؟ وإلى متى هذا الركود؟!

وإلى متى عنَّا تشيخُ وجوهُكم يا مسلمون؟ أو ليس في الأقصى الأسير مذابحٌ للآمنين؟

يستنصرون؟

يستصرخون؟

فما لكم لا تسمعون؟

أو ليس فيكم من رشيد؟

أو ما ترون الحقدَ ينضحُ من يهود؟

قد دنسوا الأقصى وفي ساحاتهِ ذبحوا بنيهِ، لم يرحموا الطفلَ الصغيرَ، رموه بين يدي أبيه، حتى متى يا أمتي؟

وإلى متى؟

حتى تُقطعُ للعدا أشلاؤنا؟

حتى يُشردُ أهلنا أطفالنا؟

حتى متى؟

قولوا متى؟ حتى تعيث يهودُ في الأرض الفساد؟

حتى تُحالَ بلادُنا نهبا لأنذال العباد؟

حتى متى؟

حتى تُهدَّمَ قدسُنا؟

حتى يُقامُ الهيكلُ المزعومُ في مسرى الرسول؟

ويُقسَّمُ الأقصى المباركُ بين عُبَّادِ العجول؟

فأين أين المسلمون؟

أين الذين لربهم يتعبدون؟

أين الذين بدينهم يستمسكون؟

أين الأولى في الله هم يتناصرون؟

ما بالكم لا تسمعون؟

ما بالكم لا تنظرون؟

فأين، أين المسلمون؟

بل أين بعضُ المسلمين؟

بل أين أهلُ العلمِ منهم من بقايا الصالحين؟

ما بالكم لا تسمعون وتنظرون؟

فسلوا رحابَ القدسِ تتلوا من مجازرهم سنين، صبرا وشاتيلا وفي يا سين قد حصدوا المئين، حقداً وجاسوا في الديار مخربين؟

كم من عجوزٍ عاجزٍ لم يرحموه، كم من رضيعٍ يتموه، إن لم يكونوا مزقوه؟

كم من صغيرٍ من بقايا حقدهِم قد عوقوه، فإلى الله المشتكى، وإنَّا إليه لراجعون.

لقد تجاهلَ العربُ كتابَ ربهِم، وهو يُعلنُ العداوةَ المستحكمة التي اختارها اليهود إزاء الذين آمنوا : ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)) (المائدة: 82) .

عداوةٌ قديمـةٌ قدمَ الإسـلام، رفـع لواءَهـا اليهـود منذُ أشـرقتْ أنـوارُ الرسـالةِ المحمديـة، وتاريخهمُ في المدينة يشهدُ بغدرِهم ومكرهم، وخبثهِم وكيدهِم، فقد عقد النبيُ صلى الله عليه وسلم المعاهدةَ مع اليهود عند أولِ وصولهِ إلى المدينـة، على أن يواجهوا سوياً أيَ عدوٍ يواجههم، فماذا كانت النتيجة؟ تربصوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا عاش المسلمون أحرجَ ظرفٍ في حياتهم، وأظلمَ ساعةٍ في تاريخهم، يوم تحزبت الأحزابُ، وبلغت القلوبُ الحناجرَ، وزُلزل المسلمون زلزالاً شديداً، في هذه اللحظةِ أعلن اليهودُ خيانتَهم، ونقضوا عهدَهم، وخانوا مواعيدَهم ومواثيقَهم، وطُعن المسلمون من الخلف، فخانت بنو قريظـة المسلمين، وكادت المسلمين في أحرجِ ساعةٍ وأشدِّ موقف، وقبل ذلك غدر بـه بنو النضير، الذين كانوا بأطرافِ المدينـة، فخرج إليهم يستعينُ بهم في دفعِ ديةِ العامريين، اللذين قتلَهما أحدُ صحابتهِ خطئاً، فقالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك بما شئت! فجلس النبيُ صلى الله عليه وسلم تحت جدارِ أحدِ بيوتهم، ينتظرهُم يُحضرون ما اتفقوا عليه، وبينما هو جالسٌ أسرَّ بعضُهم إلى بعضٍ زخرفَ القولِ غروراً، إنَّكم لن تجدوا مثلَ هذه الفرصـة، فهل من رجلٍ يصعدُ سطحَ هذا البيت فيُلقي صخرةً على رأسِ محمد، فيريحنُا منه، فانطلقَ أشقى القومِ مسرعاً، ولكنَّ الوحيَ كان أسرع، فقامَ النبيُ صلى الله عليه وسلم وعاد راجعاً إلى المدينة تاركاً اليهود، تتفجرُ دماءُ الغيظِ ساخنةً في عروقهم، وهناك أَخبر النبيُ صلى الله عليه وسلم أصحابهَ بما أجمعَ عليه يهود من المكرِ السيئ، والنيةِ الخبيثة، ثم يأمُر – عليه الصلاة والسلام – بتجهيزِ الجيوش ليحاصرَ بني النضير في ديارهم، ويخرجَهم منها صاغرين، وكان قد أجلى قبلهم إخوانهَم بني قينُقاع، حتى قضى في غزوة خيبر على الوجود السياسي لليهود في الحجاز نهائياً!!

إن اللغـةَ الوحيدةَ التي يفهمها يهود: هي لغـةُ القوة، لغـةُ الجهاد، وصيحاتِ – الله أكبر – التي لا يحتملون هتافاتِها.

ما عاد يجدينا البكاءُ على الطلول ولا النواح

يا قومُ إنَّ الأمر جدٌ قد مضى زمن المزاح

سقط القناعُ عن الوجوهِ وفعلهم بالسرّ باح

عاد اليهوديون ثانيةً وجالوا في البطاح

عادوا وما في الشرق نورُ الدين يحكمُ أو صلاح
عاثوا فساداً في الديار كأنّها كلأٌ مباح
لم يخجلوا من ذبح شيخٍ لو مشى في الريح طاح
أو صبيةٍ كالزهر لم ينبت لهم ريشُ الجناح
ذبحوا الصبيَ وأمَه وفتاتهَا ذاتَ الوشاح
عبثوا بأجسادِ الضحايا في انتشاءٍ وانشراح
لم يشف حقدهم دمٌ سفحوه في صلفٍ وقاح
فغدوا على الأعراضِ لم يخشوا قصاصاً أو جُناح
يا أمةَ الإسلام هبُّوا واعملوا فالوقت راح
الكفرُ جمّع شمله فلمَ النزاع والانتطاح؟ فتجمعوا وتجهزوا بالمستطاع وبالمتاح
يا ألف مليونٍ وأين هموا إذا دعت الجراح
هاتوا من المليار مليوناً صحاحاً من صحاح
من كلِّ ألفٍ واحداً أغزو بهم في كلِّ ساح
لا يُصنع الأبطالُ إلا في مساجدنا الفساح
في روضةِ القرآنِ في ظلِ الأحاديث الصحاح
لا يستوي في منطقِ الإيمان سكرانُ وصاح
من همهُ التقوى وآخرُ همهُ كرةٌ وساح
شعب بغير عقيدةٍ ورق تَذريه الرياح
من خان حي على الصلاة يخون حي على الكفاح

ولسنا نبالغُ . أيها الأخوة . إذا قلنا أن النفسيةَ اليهودية، نفسيةٌ خانعةٌ جبانة، لا تقوى على المواجهة، ولا تستطيعُ الثباتَ، وهاهو القرآنُ يشهدُ بذلك ويقررهُ : ((لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ)) (الحشر:14).

وما هزائمهم للعرب، إلا لأنَّهم وجدوا جنوداً لم يذوقوا طعمَ الإيمان، وحلاوةَ المناجاةِ للرحمن، وهم مع ذلك ذوو نفسياتٍ محطمة، ومعنوياتٍ مترديـة، إذاً فلا جدوى من السلام مع قتلةِ الأنبياء، ومحرفي الكتب، وناقضي العهود والمواثيق. ((ضُرِبَتْ

عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)) (آل عمران:112) .

((فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)) (المائدة:13).

: ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ)) (المائدة: 78،79،80) .

فمهلاً أيها اللاهثون خلف السلام، فلئن عاد حنينٌ بخفيه من اليمن، فلن تعودوا ولا بمثلِ خفيّ حنين.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعني وأيًّا كم بالذكرِ الحكيم، واستغفر الله لي ولكم إنَّهُ هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله يُعطي ويمنع، ويخفضُ ويرفع، ويضرُ وينفع، ألا إلى اللهِ تصيرُ الأمور.
وأُصلي وأسلمُ على الرحمةِ المهداة، والنعمةِ المُسداة، وعلى آلهِ وأصحابه والتابعين،
أمَّا بعدُ:

فقد دأب الإعلامُ العالمي الذي تُديرهُ الأصابعُ اليهوديةُ الخبيثة، على تهويل قوةِ إسرائيل، وتصويرِها بأنَّها القوةُ التي لا تُقهر، والجيشُ الذي لا يُغلب، وظلَّ الإعلامُ الصهيوني يحطّمُ النفسية المسلمة، ويذكّرُها بالهزائمِ المتلاحقة،وظلتَ إسرائيلُ تلوحُ بقنابلِها النووية، وقذائفها الصاروخية، وتستعرضُ بطائراتها ومدرعا تها، ونتجَ عن ذلك إحباطٌ عام، أصاب النفوسَ المريضة باليأسِ والقنوط، وتُوِّج ذلك كلُه بما يعرفُ بمؤتمرِ السلام الذي سقطَ فيه الخيارُ العسكري، ونحنُ واثقون أننا لن نَهزم إسرائيل، إذا أخلدنا إلى الأرض، ورضينا بالزرع، وتركنا الجهادَ في سبيلِ الله، ولن نَهزمَ

إسرائيلَ بالشعاراتِ القومية، ولا بالعصبياتِ الجاهلية، ولا المهاتراتِ السياسية ولن تزيدَنا إلا خسارةً وخبالا.

كما أننا واثقون من أننا سنهزمُ إسرائيل، ومَن وراءَ إسرائيل، إذا راجعنَا دينَنَا وأصلحنا واقعنَا ونفوسنَا، بما أصلحَ به الأولون واقعهمَ ونفوسهم، نحن قادرون على هزيمةِ إسرائيل، إذا كفرنا بكلِ طاغوتٍ يُعبد من دون الله تعالى، وآمنا باللهِ وحده، ووأدنا كلَّ تشريعٍ وكلَّ دستورٍ، وكلَّ نظامٍ وكلَّ قانونٍ يعارضُ شرعَ الله ويصادمُه، نحنُ قادرون على هزيمةِ إسرائيل إذا حكَّمنا الشريعةَ الإسلاميةَ في كلِّ منحى من مناحي الحياة، وقبرنا الدساتيرَ والتشريعاتِ الأرضيةَ القاصرةَ الهزيلة.

ونحنُ قادرون على هزيمةِ إسرائيل، إذا طهّر العالمُ الإسلاميُ إعلامَهُ من التوجهاتِ العلمانيةِ والإفسادية، ورَسَم السياساتِ الإعلاميةِ الرشيدة، التي تنشرُ العقيدةَ الصحيحةَ في النفوس، وتتعاهدُ الخلقَ القويم، والسلوكَ الرفيع، ونحنُ قادرون على هزيمةِ إسرائيل إذا طهرَ العالمُ الإسلاميُ اقتصادهَ من الربا والظلم، والاستغلال والاستبداد، ورَسَم السياساتِ الاقتصاديةِ الواعيةَ، المستمدة من الكتابِ والسنة.

ونحنُ قادرون على هزيمةِ إسرائيل إذا أعددنا الشبابَ المسلمَ إعداداً دينياً وتربوياً، وبُثت فيهم روحُ الجهادِ في سبيل الله تعالى، وأعددنا العُدةَ الماديةَ والمعنويةَ، لمنازلةِ الأعداء : ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ)) (لأنفال: 60).

ونحنُ قادرون على هزيمةِ إسرائيل إذا أحيينا شعيرةَ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، وطُهرت المجتمعاتُ الإسلاميةُ من الفسادِ والانحراف.

وبالجملة عودةُ الإسلامِ إلى حكمِ الحياة من جديد، حينها لن تُخيفَنا قنابلُ إسرائيلَ وعتادها، و حينها سنُلقي بإسرائيل في البحرِ ونحن صادقون،

اللهمَّ إنَّا نسألُك إيماناً يُباشرُ قلوبنا، ويقيناً صادقاً، وتوبةً قبلَ الموتِ، وراحةً بعد الموتِ، ونسألُكَ لذةَ النظرِ إلى وجهكَ الكريمِ، والشوق إلى لقائِكَ في غير ضراءَ مُضرة، ولا فتنةً مضلة،

اللهمَّ زينا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هُداةً مهتدين،لا ضاليَن ولا مُضلين، بالمعروف آمرين، وعن المنكر ناهين، يا ربَّ العالمين، ألا وصلوا وسلموا على من أُمرتم بالصلاة عليه، إمام المتقين، وقائد الغرِّ المحجلين وعلى ألهِ وصحابته أجمعين.
وأرض اللهمَّ عن الخلفاءِ الراشدين أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي .
اللهمَّ آمنا في الأوطانِ والدُور، وأصلحِ الأئمةَ وولاةِ الأمورِ، يا عزيزُ يا غفور، سبحان ربك رب العزة عما يصفون .

==============

#الإقلاعُ عن العادةِ العلمانية ..

برنامج من ست خطوات

بقلم: ديفيد بروكس ترجمة: تركي الزميلي 1424/1/10

2003/03/13

مجلة أتلانتك منثلي، عدد مارس 2003

هذا مقالٌ رئيسٌ في العدد الحالي، من مجلة أتلانتك منثلثي، المقروءة على نطاق واسع في أمريكا وبريطانيا وغيرهما، وهو واحدٌ من مقالات عديدة مشابهة، تَظهر في منافذ النشر المختلفة في العالم الغربي، وهو بالتأكيد لا يخلو من التحيزات المعتادة، وقد لا يتفق بالضرورة مع تفسيرات القارئ العربي ومواقفه من الأشخاص والوقائع، ولكنه عينةٌ من كتابات كثيرة، ومؤشراتٍ أكثر، تَتلمَّسُ طريقاً آخر، وتُحس بأن مرحلةً مختلفةً من التحول التاريخي تتكرّسُ يوماً بعد يوم، وتتحدّى ما استقرَّ من مسلماتٍ في المسار الرئيس لفكر النخب في العالم الغربي. وكاتبُ المقال يُراجع تجربتَه هو شخصياً، مثلما يراجِع الثقافةَ التي مَنحتْه ما عاش به من مسلماتٍ في النظرِ إلى الأحداث، وتفسيرِ التحولات في تاريخ البشر، وحاضرهم، ومستقبلهم. ويبحث عن يقين جديد، بعد أن تهدمتْ معابد اليقين القديم ومسلماته أو كادت، وهي جرأة محمودة، وإن لم تُوصل بالضرورة إلى فكرةٍ أكثر صواباً، وأجدر بالبقاء.

أنا مِثلُ الكثير من الناس اليوم: علمانيٌّ يَستعيدُ عافيتَه.

لقد كنتُ حتى 11 أيلول أَقبَلُ الفكرةَ التي تقول: إن العالم كلما أصبح أكثر غنى وتعليماً أصبح أقل تديناً. إن هذه النظرية تتمسك –من خلال الاستنتاج من عيّنةٍ

إنسانية محدودة وغيرِ مُمَثِّلَة (بعض أجزاء من أوروبا الغربية، وأجزاء من أمريكا الشمالية)- بأن التاريخ كلما تقدم إلى الأمام؛ فإن العلم يَحُلّ مكانَ التسليم الاعتقادي، والتعليلُ السببي يَحُلّ بديلاً عن التسليم غير الخاضع للتعليل العقلي، وإن أي منطقة لم تنل حصتها بعد من الإصلاح والتنوير -كالعالم العربي مثلا-؛ لابد أنها سوف تنالها، عاجلاً أم آجلاً.

إن من الواضح الآن بأن نظرية العلمنة هذه غير صحيحة؛ فالجنس البشري لا يصبح بالضرورة أقل تديناً كلما أصبح أكثر غنى، أو أفضل تعليماً. إننا نعيش اليوم في ظل واحدة من أعظم فترات التقدم العلمي، وتخليق الوفرة، وفي الوقت نفسه فإننا في قلب الازدهار الديني.

إن الإسلام يموج بالحركة. واليهودية الأرثوذكسية تنمو في الأوساط الفتية من المجتمع، وإسرائيل تزداد تديناً كلما أصبحت أكثر غنى. والتنامي في المسيحية يفوق كل الأديان الأخرى. لقد نشرتْ هذه المجلة (مجلة أتلانتك منثلي) مقالاً في عام 1942م كان عنوانه: "هل سوف تنجو الكنيسة المسيحية من الاندثار؟" والحال أن ثمة الآن بعد ستين سنة من نشر المقال بليونين من المسيحيين في العالم، وبحلول 2050 فإن العدد وفقاً للتقديرات سيصبح ثلاثة بلايين. وكما يلاحظ فيليب جينكينز أستاذ التاريخ والدراسات الدينية في جامعة بنسلفانيا، فإن أكثر الحركات الاجتماعية التي شهدها عصرنا نجاحاً ربما تكون حركة الـPentecostalism (راجع مقال"المسيحية التالية" في عدد أكتوبر من مجلة أتلانتك). فقد تحققتْ لها البداية في لوس أنجلوس منذ حوالي القرن، والآن يعتنقها 400 مليون من الناس -وهذا الرقم وفقا لما يقوله جينكينز ربما يبلغ المليار عند حلول منتصف القرن-.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الطوائف الدينية، التي ترفض تبني العلمنة، هي الطوائف الأسرع نمواً، بينما تستمر في الذبول والاضمحلال تلك التي تحاول أن تكون عصرية(modern). وإن الصيغ المثيرة من المسيحية، والصيغة المقاومة للحداثة من الإسلام هي التي تنمو وتزدهر. إن تعداد المسيحيين في أفريقيا، الذي كان يبلغ 10 ملايين تقريباً في عام 1900م، والذي يبلغ الآن حوالي 360 مليوناً؛ من المتوقع له أن يبلغ في عام 2025م: 633 مليوناً، مع سيطرة للمجموعات الإنجيلية

المحافظة. إن الكنائس في أفريقيا تغدو أكثر نفوذاً من العديد من الكيانات القومية، مع ما ينشأ عن ذلك من آثار، الجيد منها والرديء.

إن العلمانية ليست هي المستقبل؛ إنها رؤية الأمس الخاطئة للمستقبل. هذا الإدراك يدفع بنا نحن العلمانيين في طور التعافي إلى محلات بيع الكتب، أو المكتبات العامة، في محاولة يائسة لاكتشاف ما الذي يحدث في العالم. إنني أشك أني الوحيد، الذي وجد نفسه بعد الحادي عشر من سبتمبر يقرأ طبعة ورقية (غيرمجلدة) من القرآن، والتي كانت قد أُحضرتْ من بضع سنين خلت، في تلائم مع سمو المبدأ، ولكنها في الحقيقة لم تُفتح قط، وربما لستُ الوحيد الذي يتعمق الآن في دراسة تعاليم أحمد ابن تيمية، وسيد قطب، ومحمد بن عبد الوهاب.

إن عملية التشافي من العلمنة تحتاج إلى ست خطوات:

أولاً عليك أن تقبل حقيقة أنك لست المعيار أو النموذج.

إن المؤسسات الغربية والجامعات ترسل مجموعات الباحثين من أجل أن تدرس وتشرح ظاهرة الحركات الدينية، ولكن –وكما أشار إلى ذلك عالم الاجتماع بيتر بيرجر– فإن الظاهرة التي تحتاج حقاً إلى تفسير؛ إنما هي عادات أو سلوكيات أساتذة الجامعة الأمريكان، ويجب على المجموعات الدينية أن تكون هي من يرسل الباحثين؛ لمحاولة فهم: لماذا تُوجد مجموعات ضئيلة من البشر في العالم، لا يشعرون بالحضور المستمر للإله في شئون حياتهم، ولا يملئون أيامهم بالشعائر والصلوات التي تهيؤهم للاتصال بالنبوءة والحدس، ولا يؤمنون بأن رغبة الإله يجب أن تشكل حياتهم العامة.

حالما تقبل هذا –وهو يشبه تفهم أن الأرض تدور حول الشمس والعكس بالعكس– فإنك تستطيع أن تبدأ رؤية الأشياء بطريقة جديدة.

الخطوة الثانية في اتجاه الشفاء تتضمن التصدي للخوف.

لبضع سنوات بدا أننا كنا جميعاً نتجه نحو نهاية حميدة للتاريخ، ربما كان السأمُ فيها أحدَ أعظم مخاوفنا. لقد فازت الديمقراطية الليبرالية بيومها الموعود. ونعم، تَوَجَّب علينا أن نتناقش حول العولمة وعدم المساواة، ولكنها كانت مفاهيم مادية وتعيسة.

أما الآن فنحن ننظر إلى المصادمات الأساسية للعقيدة، وإلى الحالة المروِّعة حقاً – على الأقل في نصف الكرة الجنوبي–، التي تُذَكِّر بالعصور الوسطى، مع حكوماتٍ واهنة، وجيوشٍ من المبشرين، وصراعٍ ديني عنيف.

الخطوة الثالثة: أن تصبح غاضباً.

أنا الآن أعاني انزعاجاً مفرطاً بسبب الأصوليين العلمانيين، الذين هم راضون ببقائهم متجاهلين للتحولات الهائلة، التي تحدث من حولهم في كل مكان. إنهم لا يتعلمون أي شيء عن الدين، داخلَ بلادهم وخارجَها. إنهم لا يعرفون من يكون تيم لاهاي وجيري بي جينكينز، حتى وهذان هما المؤلفان، اللذان باعا 42 مليون نسخة من كتبهما! إنهم ما زالوا لا يعرفون ما الذي جعل من عيد الخمسين عند المسيحيين عيد الخمسين (بإمكانك أن تعبر داخل غرفة من غرف الأخبار الأمريكية، وتسأل هذا السؤال، وستجد أن الناس الذين قد يكونون قادرين على الإجابة؛ هم ربما السكرتارية، أو موظفو الأمن). إنهم ما زالوا لا يعرفون عن ميشيل عفلق، القومي العربي الروحاني، الذي كان المرشد الروحي لصدام حسين. إن زخات نياجرا الاتقاد الديني هذا الشلال العظيم، تنهمر من حولهم، بينما يقفون بُلداءَ، ومُتَيَبِّسين، في كهفٍ حقير من ضيق أفق التفكير، والكثير منهم صحفيون، ومحللون سياسيون، إنما يُدفَع لهم من أجل مواكبة هذه التغيرات.

الخطوة الرابعة في اتجاه الشفاء، تكون بمقاومة دافع البحث عن تفسيرات مادية لكل شيء.

خلال القرون، عندما تبدّت العلمنة، بصفتها موجةَ المستقبل؛ طوّر المفكرون الغربيون نماذج لعلم اجتماعٍ، مُقْنِعٍ بصورةٍ استثنائية. فقد شرح ماركس التاريخ عبر صراع الطبقات، وشرحه اقتصاديون آخرون من خلال تعظيم الأرباح والفوائد، واستخدم أساتذة الشئون الدولية، مبادئَ صراع المصالح، ونظريةَ اللعب؛ للتنبؤ بالتفاعلات بين الأمم.

كل هذه النماذج مغرية، وصحيحة جزئياً. وهذا البلد (أمريكا) يستمر في بناء مؤسسات قوية من أمثال قسم الشئون الخارجية، والسي آي إي، التي يستخدمها لتطوير سياسات ذات مغزى. ولكن ليس ثمة أي نموذج من هذه النماذج يستطيع أن

يأخذ في الحسبان، وبصورة ملائمة، الأفكارَ والدوافعَ والتصرفاتِ الدينية، لأن التوقد الديني لا يمكن قياسُه ولا تنميطه. إن الدوافع الدينية لا يمكن أن تفسر بتحليل حدود الكسب والخسارة.

لقد كان محللو السياسة المدنية، عبر السنوات العشرين الماضية، يفكرون بجد في الوظائف والأدوار، التي يلعبها الدين والخصائص الشخصية في الحياة العامة. إن نخب سياستنا الخارجية هم متأخرون عنها بعقدين من السنين على الأقل. لقد استمروا لشهور يتجاهلون قوة الدين، وحينها عندما اصطدموا مع أمرٍ لا مفر من كونه دينياً، كالثورة الإيرانية، أو طالبان، بدؤوا يتحدثون عن الحماس والتعصب الديني، اللذين أصبحا، وبصورة مفاجئة، يفسران كلَّ شيء. وبعد بضعة أيام من هز الرؤوس الرافضة للمتعصبين؛ عادوا إلى تحليلاتهم العلمانية المعتادة. إننا حتى الآن لم نملك –مع حاجتنا المؤكدة– نموذجاً للتحليل، يُحاوِل أن يدمج العاملَ الروحيّ، والعاملَ المادي معاً.

يجب على العلماني المتعافي، أن يقاوم إغراء معاملة الدين بصفته مَعْبراً أو قناةً مجرَّدة لدوافع اقتصادية مقاوِمة. على سبيل المثال: نحن غالباً ما نقول: إن الشبان العرب الذين لا يملكون إمكانياتٍ لائقة؛ يتحولون إلى الإسلام الثوري. إن هناك بشكل واضح بعض الحقيقة في هذه الرؤية، ولكنها ليست كل القصة: فلا أسامة بن لادن، ولا محمد عطا –على سبيل المثال– كانا فقيرين أو مقموعين. ومع ذلك فإن من المحتمل تشييد نظريات، تشرح اتجاههما الراديكالي بصفته نتيجةً لتوحدهما، أو لأشياء أخرى من عوامل التحليل العلماني، مع أن الذي يقدِّم إدراكاً أفضل، هو الاعترافُ بأن الإيمان مصدر القوة، بصورة مستقلة، وربما أقوى من أي استياء اقتصادي.

إن الكائنات الإنسانية تتوق إلى حكم الصلاح والاستقامة، وإلى عالم الإنصاف، أو عالمٍ يعكس مراد الإله، وفي كثير من الحالات، وعلى الأقل بمقدار مشابه في القوة، لاشتياقها إلى النجاح أو المال. وإن التفكير في هذا التوق؛ يعني التحرك بعيداً عن التحليل العلمي، والدخول إلى ممالك الحكم الأخلاقي. إن السؤال الحاسم لا يكون عن: ما هو نوع الدوافع الذي يستجيب لها هذا التوق؟ ولكن: هل الأفراد يتبعون رؤيةً

أخلاقيةً للحكم الصالح؟ وهل هم يمارسون ذلك من خلال طرقٍ مستقيمةٍ وفاضلة؟ أم أنهم مثل صدام حسين وأسامة بن لادن أشرار في رؤيتهم وطرائقهم؟

الخطوة الخامسة: يجب أن يعترف العلماني في طور التشافي، بأنه كان متراخياً جداً مع الدين؛ لأنه افترض أن الدين يلعب دوراً متقلصاً في الشئون العامة. لقد عامل الدين بغطرسة، ثم قرّر متنازلاً عَدمَ محاكمة العقائد الأخرى، فهي كلها طرق مشروعة لمقاربة الإله، كما أخبر نفسَه، وقرر أن يذوبَ أخيراً في واحدة منها.

ثم بعد كل شيء، ما الداعي لإثارة المشكلة بمحاكمة عقائد الآخرين؟ إنه ليس تصرفاً مؤدباً. إن الخيار الأفضل عندما تواجَه ببعض التصرفات القبيحة، التي يتم ممارستُها باسم الدين، هو أن تتفادى عيون هؤلاء.

هل الوهابية هي شِقٌّ قاسٍ يَضُرّ بالإسلام؟ لا تتحدث عن هذا.

ولكن لا يمكن لهذه المقاربة أن تكون مقبولة، في عالم يلعب الدينُ فيه، الدورَ الأعظم بصورة مطلقة. على الشخص أن يحاول الفصل بين الصواب والخطأ. ولكن المشكلة أننا في المرة التي نبدأ فيها بفعل ذلك؛ فإنه من الصعب أن نقول: أين سينتهي بنا المطاف؟ أَمْعِن النظرَ في (بيم فورتشوين) السياسي الألماني ذي النزعة اليسارية، والمدافع عن حقوق الشاذين، الذي ينتقد المهاجرين المسلمين لمواقفهم تجاه النساء والشاذين؛ عندما تم اغتياله في السنة الماضية، وصفته الصحافة بناءً على هذه النزعات النقدية، بأنه يميني من نوعيةِ جين ماري لوبان، وهو وصفٌ بعيد عن الحقيقة. إن تصنيفات اليسار واليمين في عالم اليوم ما بعد العلماني ستصبح غير ملائمة، ومنتهية الاستعمال.

الخطوة السادسة والأخيرة للعلمانيين في طور التعافي: هي أن يفهموا بأن هذا البلد لم يكن علمانياً بالفعل في أي يوم من الأيام.

إننا نحن الأمريكان نتوق إلى معيار الصلاح والاستقامة بتوقُّدٍ كأي شخص آخر. إننا مغروسون مع الفكرة التي عَبّرتْ عنها كلمات أبراهام لينكولن: نحن نمثل "الأمل الأفضل والأخير للمعمورة". إن العديد من الأمريكيين أحسوا وباستمرار، بأن لدينا مهمة غير عادية، ومتجاوزة للحدود، مع أنها، ولحسن الحظ، ليست من النوع اللاهوتي. إننا نُحس غريزياً، وبطرق لا يحس بها الناس في أماكن أخرى، بأن

التاريخ لم يتحقق بعد، طالما بقي هناك أمم أو شعوب، لا يكون الناس فيها أحراراً. وهذا هو الإحساس الغريزي الذي قاد بوش للاستجابة بصورة طموحة جداً، لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهذا ما قاد الأغلبية من الأمريكان لتأييده.

إن الأمريكيين نشطون كغيرهم في صراع عقائد النهايات. يرى صدام حسين التاريخ ينتهي مع أمة عربية موحدة، مسيطرة عالمياً، مع تحقيقه لمكانة مبجلة، كصانع لنظام عالمي كهذا. ويرى أسامة بن لادن التاريخ ينتهي بفرضٍ عالمي لقانون الشريعة. والكثير من الأوروبيين يرون التاريخ ينتهي بإقامة مؤسسات عالمية علمانية، حيث ستهدأ الانفعالات القومية والدينية، وتُعطِي دولُ القوميات معبراً للقانون الأممي، وللتعاون المتعدد. والكثير من الأمريكان يرونَ التاريخَ ينتهي بانتصار الحرية، واحترام الدستور، مع تدين غير متخلى عنه، أو مقموع، وإنما مثرٍ للحياة الديموقراطية.

إنه لا مفر من كوننا عالقين في عالم من الرؤى المتصارعة، في رؤيتها للقَدَر التاريخي. ولكن فهمَ هذا العالم يَعني: جلدَ التحيزات العلمانية، الصادرة عن عقولنا كل يوم.

=============

#بوادر العلمانية المُستجدة

عوض بن عودة 1424/1/16

2003/03/19

أخونا (عوض العودة) يتخوف من تسلل كثير من الأفكار العلمانية بثوب جديد , ويدعو لمواجهة العلمنة والتغريب بلغة الحجة والدليل من أهل المعرفة والاختصاص .

(المشرف على النافذة)

إن ما يلحظ في وقت الأزمات والملمّات وخاصة في ساحات الأمة الإسلامية ولوج بعض الأفكار والعقائد الدخيلة الهدامة لتصطاد في الماء العكر ولبث سمومها بين المسلمين وللأسف على أيدي فئام من هذه الأمة. وهذه الأفكار يكمن خطرها إذا تسللت في أروقة المجتمع الإسلامي لاستدراجه في شؤون عقيدته وحياته وفكره

وأخلاقه وسياسته واقتصاده ومقدراته فيصبح المسلمون بدين أجوف كما يراد له أن يكون بلا دين ولا هوية. وفي الآونة الأخيرة نلحظ تسابق العلمانيين أو اللادينين إلى استغلال الظرف الحالي للأمة وذلك عن طريق تلبس ثوب جديد في استدراج الأمة لتبني أفكارهم المزيفة الساقطة والتي نرى بعض بوادرها قد ظهرت في يومنا هذا.

فبعد سقوط الفكر العلماني الدخيل عموماً حتى لدى المجتمعات الغربية أخذ هذا الفكر بالتلون مرة أخرى ليتقوى بثوب مزيف أخرق وربما باسم أو شعار جديد ليسهل مروره وتبنيه من قبل الأمة الإسلامية. وكما نعلم بأن العلمانية هي دعوة في الأصل إلى إقامة شؤون الحياة الدنيوية وخاصة جانب الحكم السياسي على مبادئ العلم الوضعي والعقل والمصلحة وتجريدها من الدين. وهذا الاصطلاح لا صلة له بكلمة العلم والصحيح هي اللادينية أو الدنيوية وتم تحريف المُسمى لتسهيل مرورها وهنا لابد من تأكيد حقيقة واضحة بأن الإسلام لايرفض الفكر والعلم النافع البتة ولكنه في الوقت نفسه لايقبل الفكر والعلم الساقط المنحرف الذي يخل بأمور الدين. فالدين الإسلامي دين كامل وفيه من المرونة مايمكنه من التعامل مع المستجدات وتأصيلها تأصيلاً شرعياً دون إفراط أو تفريط.

ولذلك تجد هؤلاء العلمانين يسّوقون الآن لتبني نظام جديد ينشر الديمقراطية والحرية والعدل في أرجاء الأمة الإسلامية بديلاً عن النظام الاستبدادي والديكتاتوري الحالي كما يزعمون. ويقولون إنه لن يتم ذلك إلا بفصل الدين تماماً عن شئون الدولة والناس (أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله) مع أن هذه الأنظمة نشأت من خلال إرهاصاتهم وأفكارهم الهدامة المزيفة سابقاً. ودائماً تجدهم يتصورون بأشكال ومسميات وشعارات عدة للطعن بدين الله وفصل الدين عن الدولة وشؤون الحياة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ولأجل ذلك لابد من التعامل مع الأمر بحذر وذكاء دون رفض تام منفر. فعلى أبناء الأمة الإسلامية المختصين واجب في دراسة جدية لهذه الأفكار القادمة بقوة وتأصيلها تأصيلاً شرعياً مفيداً للأمة وأهلها دون إفراط أو تفريط. فجُل هذه الأمور موجودة في ديننا ولكن التقصير يكمن في الجانب التطبيقي العملي وهو الذي ينبغي العمل من أجل تحقيقه وتقليص المسافة بين الجانب المعرفي والجانب التطبيقي.

ولنعلم أن أسلوب الشدة والرفض الذي يغلبه جانب العاطفة قد لايجدي في مثل تلك الأمور للتصدي لها ولكن لابد من التأصيل والإقناع والحوار والتوضيح بأسلوب فيه من الرفق مايزينه. فالحجة بالحجة والدليل بالدليل بأسلوب مبشر لا منفر وعلى المختصين إظهار الإسلام بحقيقته وسماحته دون إخلال. وبحول الله وقوته فإن الدين الإسلامي محفوظ ظاهر بحفظ الله له (يُرِيدُونَ أَن يطفئوا نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة: 32).

==============

#(هل يمكن أن نتعايش؟) رسالة مثقفي أمريكا الجوابية

الإسلام اليوم – خاص 1423/8/20

2002/10/26

قامت مجموعة من المثقفين الأمريكيين ببعث رسالة جوابية بعنوان"هل يمكن أن نتعايش؟" وهي بمثابة التعقيب على البيان الذي وقعه 153 مثقف سعودي ونشر في موقع الإسلام اليوم وحمل عنوان " على أي أساس نتعايش ؟"

وقد حملت الرسالة الجوابية نقاطاً متعددة، حيث تناولت الآراء المتفق عليها، والأخرى المختلف فيها، كما عرضت جملة من الآراء التي أُسيء فهمها .

وختمت الرسالة بمجموعة من الأسئلة التي ينتظر المثقفون الأمريكيون الإجابة عليها.

وفيما يلي نص الرسالة:

هل يمكن أن نتعايش ؟

حضرة الزملاء الأعزاء:

نشكر لكم رسالتكم الصادرة أخيراً (على أي أساس نتعايش؟) والتي نشرت في أيار (مايو) من العام الجاري في الرياض ووقعها 153 منكم, رداً على رسالتنا (على أي أساس نقاتل؟) والتي كان ستون منا أصدروها في العاصمة الاميركية واشنطن, في شباط (فبراير) الماضي (1). ونحن نرحب بردّكم.

كما إننا ندرك أن قراركم الشروع بالكتابة إلينا, وما تضمنه ردكم من الآراء, دفع بعضهم إلى انتقادكم علناً في بلادكم (2). فنحن نقدر الروح الحضارية والرغبة في

التفاهم اللتين تظهران جلياً في ردكم. ونحن, انطلاقاً من هذه المشاعر عينها, نود هنا متابعة الحوار.

حيث نتفق:

إنكم تنطلقون من النص القرآني الكريم ومن سنة الرسول لتؤكدوا أن الإنسان (من حيث كينونته هو مخلوق مكرم), وأن قتل النفس الإنسانية بغير حق هو بالتالي اعتداء على الله وخيانة للدين. وتذكرون انه لا يجوز إكراه أحد في دينه, وأن العلاقات بين البشر لا بد من أن تكون قائمة على الأخلاق الكريمة. وتشيرون إلى أن العدل مفهوم عالمي, وأن المعاملة العادلة هي حق غير قابل للتصرف لكل إنسان.

ونحن ننوّه بتشديدكم الصريح على عالمية هذه القيم الإنسانية الأساسية, ونعلن موافقتنا عليها. وأنتم تشيرون إلى أن هذه القيم (قيم إنسانية عامة) بما أنها (متفقة مع الفطرة). وتوضحون أن القيم والمبادئ التي أتيتم على ذكرها في ردكم (تتفق بقدر مشترك مع بعض الأسس التي أوردها المثقفون الأميركيون في بيانهم), وأن قدر الاتفاق على هذه المسائل الفلسفية المبدئية يشكل (أرضية جيدة للحوار). ثم إنكم لاحقاً تشيرون في ردكم إلى أن (بعض القيم الإنسانية التي ذكرها المثقفون الأميركيون ليست قيماً أميركية بل إنها متعددة المصادر تشترك فيها حضارات متنوعة من بينها الحضارة الإسلامية).

ونحن نوافق على هذا الرأي بشدة. لقد كانت رسالتنا بمعظمها محاولة لتقديم الطروحات الأخلاقية على أرضية عالمية. وردكم الذي يأتي إلينا من أرض الحرمين ومهد الإسلام, وهو دين نحترمه, يضفي على هذه العالمية المنشودة المزيد من الزخم ويزيدنا ثقة بأنه قد يكون في الإمكان, على رغم الخلافات, التوصل إلى فهم مشترك للشخص الإنساني وللمجتمع المدني.

وفي إطار تشديدكم على أهمية العدالة, تؤكدون أن (الضمانات لتحقيق الأمن لا تفرض بالقوة فقط). ونحن نوافق على ذلك. وتحديداً, فإنكم في إطار نقدكم رسالتَنا تدعوننا, على ما يبدو, إلى تجنب اللجوء الى (لغة القوة). ونحن نقرّ بأهمية نصيحتكم هذه. غير أننا نذكّركم بأن السياسة, وهي المعنية بترتيب شؤون حياتنا

بعضنا مع بعض, تُعنى جزئياً بالاستعمالات العادلة للقوة, فلا يسعها بالتالي التهرب من مسألة القوة. نرجو, إذن, أن توافقوا على أن من الأفضل الإقرار بهذا الأمر صراحة, بدلاً من افتراض شرط غير متعارف عليه في الممارسة السياسية الفعلية, بل أيضاً في الممارسة الدينية.

وأنتم تشددون على أن الإسلام كدين ليس (عدواً للحضارة) أو (عدواً لحقوق الإنسان). ونحن نوافق تماماً. وأنتم تشيرون إلى أن العنف السياسي والمتطرف ليس (خاصاً بالمفهوم الديني) أو (ليس مرتبطاً بديانة معينة). ونحن نوافق تماماً على ذلك أيضاً.

وفي هذا السياق, فإننا نذكر, ويا للأسف جنوح بعض الأميركيين الى الإدلاء بآراء متهورة في شأن الدين الإسلامي وأخرى تتوخى الأذى به . وبعض هذه الآراء تناقلته وسائل الإعلام بكثافة. على أن الدلائل تشير في الوقت نفسه إلى أن هذه الآراء لا تعكس وجهة نظر الغالبية العظمى من المواطنين الأميركيين.

وأنتم تدعوننا كمثقفين أميركيين ألى (مراجعة جادة) لموقفنا من الإسلام, ومدّ جسور الحوار مع المفكرين المسلمين البارزين والذين يمثلون الفكر الإسلامي العريض. وهذا هو تحديداً ما نسعى إليه, وأحد مظاهره رغبتنا في الجواب على رسالتكم.

*حيث نسيء فهم بعضنا بعضاً :

للأسف, إن استعمالنا المتكرر في رسالتنا لعبارة (القيم الأميركية) أدى إلى بعض الإرباك والإبهام, كما يظهر من اعتراضكم في ردكم على ما اعتبرتموه دعوة من الولايات المتحدة موجهة إلى المسلمين لاعتناق (المبادئ الأميركية). والواقع أن قصدنا كان صياغة طروحاتنا في إطار عالمي شامل, غير مقترن بأية خصوصية وطنية أو فردية. وكان علينا توضيح هذا القصد توضيحاً أفضل. ونحن هنا نعلن قناعتنا بأن القيم الأساسية التي ننطلق منها ليست خصوصية على الإطلاق.

ونحن في رسالتنا كتبنا أن (أفضل ما نطلق عليه (في الولايات المتحدة) بحسب الصيغة الشائعة تسمية (القيم الأميركية) ليس حكراً على أميركا بل هو إرث مشترك للإنسانية جمعاء). إضافة إلى ذلك, فإن ما سميناه (القيم الأميركية) يعكس في بعضه ما جاء ليُثرينا من التقاليد والمفاهيم التي حملها المهاجرون الوافدون إلينا من

مختلف المجتمعات في أرجاء العالم معهم. ففي هذا الإطار, نجد أن تأكيدنا عالمية القيم الإنسانية الأساسية يشابه الطروحات التي تقدمتم بها في رسالتكم.

وثمة جانب آخر من جوانب سوء التفاهم على ما يبدو ينبع من استعمالنا المصطلحين الإنكليزيين (SECULAR) و(SECULARISM). فرسالتكم تشير إلى أننا نحبذ العلمانية, والواقع أننا في رسالتنا نرفض العقيدة العلمانية المتشددة (العلمانوية) التي نعرّفها أنها (نظرة إلى العالم قائمة على رفض الدين أو العداء للدين). لكننا, من جهة أخرى, ندافع عن مبدأ الحكومة الدنيوية, ونقصد به النظام الدستوري الذي لا يمنح رجال الحكم السلطة انطلاقاً من مكانتهم في الهرمية الدينية أو على أساس تعيين السلطات الدينية إياهم في مناصبهم. فتحبيذ الدولة (الدنيوية) ليس إذن اعتناقاً للعقيدة العلمانية المتشددة (العلمانوية). بل خلاف ذلك صحيح على الغالب بالنسبة إلينا. ولذلك كتبنا أن (الولايات المتحدة تكون في أفضلها حين تسعى إلى أن تكون مجتمعاً يجمع الإيمان والحرية, وكل منهما يرتقي بالآخر). وقلنا أيضاً انه (من الجانب الروحي, فإن فصل الدين عن الدولة يسمح للدين بأن يكون ديناً, عبر نزعه من السلطة القاهرة للحكومة).

وبعض سوء التفاهم هذا قد يعود إلى صعوبة التعريب. فعلى سبيل المثال, إن المصطلح العربي (العلمانية) قد يُفهم أنه ينطوي على العداء للدين, غير أنه يستعمل عادة أساساً لتعريب كل من المصطلحين الإنكليزيين (SECULAR) و(SECULARISM). فقد يكون المطلوب استعمال مصطلح (دنيوي) الذي لا ينطوي على أي عدائية إزاء الدين للتعبير عن المفهوم الذي نحبّذ.

وبشكل عام, فإن انتشار العقيدة العلمانية المتشددة (العلمانوية) والنتائج المترتبة عليها في الولايات المتحدة وغيرها من المجتمعات الغربية, والعلاقة في كل المجتمعات بين الإيمان الديني وحرية المعتقد, هي من المسائل المهمة التي تستحق المتابعة والحوار فيها بعضنا مع بعض.

حيث نختلف:

نقطة الخلاف الأولى بيننا وبينكم هي في أنكم في رسالتكم لا تأتون إطلاقاً على ذكر دور مجتمعكم في احتضان العنف (الجهادي) (3) وفي حمايته ونشره, وهو العنف الذي يهدد العالم بأسره اليوم, بما فيه العالم الإسلامي.

فعلى سبيل المثال, عند الإشارة إلى الضحايا الأبرياء الثلاثة آلاف الذين سقطوا في اعتداء الحادي عشر من أيلول (سبتمبر), لا تتحدثون عن (منفّذين) فحسب, بل عن (المنفذين المفتَرَضين). وهذه العبارة تؤلمنا وتخيّب أملنا. كيف يسعنا أن نصدق أنكم لا تعلمون أن 15 من أصل 19 من المهاجمين هم من التابعية السعودية؟ وأن زعيمهم أسامة بن لادن هو في الأصل سعودي؟ أو أن تنظيم القاعدة الذي أرسلهم قد حصل على مدى السنين على الدعم المالي المهم من البعض في بلادكم؟ أو أن نسبة مرتفعة من المقاتلين التابعين لـ(طالبان) ولـ(القاعدة), والذين قبضت عليهم الولايات المتحدة في أفغانستان, هم من السعوديين؟ أو أن انتشار العنف الذي تقدم عليه الجماعات الإسلامية في أنحاء العالم, من أفغانستان إلى أندونيسيا والولايات المتحدة, يمكن تتبع أصوله, في بعضه على الأقل, إلى الدعم المالي والسياسي والديني من مصادر في بلادكم؟

هذه الوقائع معروفة جيداً, وليس ثمة خلاف على حقيقتها الموضوعية. لكن رسالتكم توحي بأن هذه الوقائع ليست وقائع على الإطلاق, بل (افتراضات), وأن المسألة برمتها, أي من هم الإرهابيون ومن يدعمهم, خارجة عن موضوع الأزمة الحالية.

ونحن ندرك بعض الأسباب الممكنة التي تدفعكم إلى تجنب النقاش في الموضوع. غير أننا لو كنا, مثلاً, قد كتبنا أن بلادنا في تاريخها قد شهدت تجربة الاسترقاق (المفترض), أو أن سكان البلاد الأصليين (الهنود) قد تعرضوا لظلم (مفترض), لكنا توقعنا منكم أن تردوا, بحق, أن هذا الإنكار المبدئي للوقائع ينفي إمكان الحوار الصادق. وقياساً, وفي سبيل متابعة الحوار في ما يتعدى هذه الرسالة, نطلب منكم بإخلاص أن تقدموا إلينا رأيكم الصريح في ما يتعلق بالدور المهم للبعض في مجتمعكم في اعتداء 11 أيلول, كما في انتشار العنف الذي تقترفه الجماعات المتذرّعة بالإسلام في أرجاء العالم.

وأنتم تكتبون (ان الولايات المتحدة لو اعتمدت العزلة عن العالم داخل حدودها) فإنه لم يكن ليعني المسلمين ما تعتنقه وتمارسه من مبادئ وقيم. وهذا القول صادق, على الأقل في بعضه. لكننا لا نعتقد بأن من الحكمة لبلادنا (أو لأية بلاد أخرى في هذا الصدد) أن تعتمد (العزلة عن العالم داخل حدودها). ونحن نشير هنا الى أن الكثير من الشخصيات والمجموعات من بلادكم تنشط في ترويج مفهومها للدين الإسلامي لا في الولايات المتحدة فحسب, بل في كثير من الدول الأخرى التي لا نية لها ولا قدرة على التأثير الفاعل خارج حدودها.

وأنتم تكتبون أن (غالبية الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي وغيرها تمتلك قدراً ذاتياً من الاعتدال, من المهم المحافظة عليه). ونحن لا نزعم أننا على اطلاع دقيق على الوضع الحالي والاتجاهات المستقبلية للمواقف العقائدية في العالم الإسلامي. لكننا على بيّنة من التجاذب القائم في هذا العالم بين الدين الإسلامي, والذي نقرّ بعظمته ونحترمه, والجماعات السياسية الدينية المتشددة الرافضة لتسامح والتي تدعي (خطأ برأينا) رفع لواء الإسلام. وإزاء الحديث عن (المحافظة) على الوضع الحالي, نشير إلى أن هذا الوضع يقوم على مقتل الأعداد الكبيرة من الأبرياء, منهم المسلم وغير المسلم, على أيدي جماعات إسلامية متشددة, بعضها يجد الدعم والتشجيع في بلادكم, وبعضها يسعى إلى اقتناء السلاح الكيماوي والجرثومي والنووي. فنحن, بالتالي, لا نرغب إطلاقاً في المحافظة على الوضع القائم.

وفيما تعترضون على ما تعبرونه (إدارة الصراع) في الولايات المتحدة, تكتبون أن (الاستقرار أساس الحقوق والحرية في العالم). ونحن هنا نعتبر أنكم إلى حد كبير قد قلبتم السبب والنتيجة. ذلك أننا نعتقد بأن الحقوق والحرية هما أساسا الاستقرار. لذلك, فإن الأوضاع القائمة في الكثير من المجتمعات الإسلامية اليوم – حرية تعبير ضئيلة جداً, غياب النظم والمؤسسات الديموقراطية, اعتراف سيئ للسلطات بحق حرية البحث الأكاديمي وغيره من حقوق الإنسان الأساسية – تجعلنا نعتقد بأن الاستقرار في مجتمعكم, تماماً كما في غيره, يبقى مرتبطاً إلى حد بعيد بالرغبة والقدرة لدى قادتكم والمثقفين لديكم, بإضافة إلى عموم الشعب, في أن يسعوا إلى تحقيق

الحقوق الأساسية والحريات للجميع في مجتمعكم. ونحن نأمل هنا بأن تعتمد حكومتنا نهجاً أكثر وضوحاً وثباتاً في دعم التوجهات نحو الديموقراطية في العالم الإسلامي.

والفحوى التي تتكرر في رسالتكم, وتأتي كنتيجة وخلاصة لها, هي أن اعتداءات 11 أيلول, وأعمال العنف الذي تقدم عليه الجماعات الإسلامية عموماً, تقع مسؤوليتها في الدرجة الأولى على الولايات المتحدة نفسها وعلى حلفائها. أي أن رسالتكم في جوهرها تقول لنا إننا جلبنا المصيبة على أنفسنا. فأنتم على سبيل المثال تكتبون أن عدم الاستقرار في العالم الإسلامي جاء (تحت مظلة الغرب) وربما كان عائداً إلى (ممارساته المباشرة).

وتقولون أيضاً إن (كثيراً من التجمعات الإسلامية المتشددة – كما توصف – لم ترد أن تكون كذلك في أولى خطواتها, لكنها وضعت في هذه الدائرة) نتيجة للضغوط السياسية والعسكرية والإعلامية من الولايات المتحدة وحلفائها. وتصرون على أن هذا التبدل الاجتماعي الذي جاء نتيجة للضغوط الخارجية هو (الدافع الأكبر إلى التشدد في التجمعات والحركات الإسلامية). وأنتم تشيرون تكراراً, في رسالتكم, إلى أن لجوء الولايات المتحدة إلى القوة العسكرية في مواجهة المجموعات الإسلامية يزيد من حدة هذا التبدل. وتشددون خصوصاً على أن إسرائيل والدعم الأميركي لها هما السبب الجوهري لكل المسائل التي تناقشونها في رسالتكم تقريباً.

ونحن ندرك أن السياسة الأميركية ذات تأثير مهم في أنحاء العالم, سلباً وإيجاباً, وندرك أيضاً أنكم تختلفون مع هذه السياسة اختلافاً مبدئياً في موضوع الدعم الأميركي لإسرائيل. وهذه أمور تستحق بالفعل المناقشة, ويمكن الاختلاف فيها بصدق وإخلاص.

وكثيرون منا, وربما كان بعضكم, عند التطلع قدماً, يأملون بأن يستتب الحل المقبل على دولتين, إسرائيل وفلسطين, كل منهما بمقومات الاستمرار والبقاء, وبالتجاور الآمن المسالم, لما فيه خير الشرق الأوسط وخير العالم أجمع.

لكننا في الوقت نفسه نطلب منكم أن تعيدوا النظر في التوجه السائد في رسالتكم والذي يلقي اللوم في المشاكل التي يواجهها مجتمعكم, على الجميع إلا قادتكم ومجتمعكم. فبعض القادة السياسيين يجد فائدة في بعض الأحيان في اللجوء إلى إثارة

البغض إزاء (الآخر) أو (العدو), وذلك في سبيل تحويل أنظار الجمهور عن المشاكل الفعلية القائمة. ونحن ندعوكم, بصفتكم مثقفين, إلى إعادة النظر في ما إذا كان السبيل إلى التصدي للتحديات الملحة التي يواجهها مجتمعكم – من البطالة إلى غياب الحريات الديموقراطية وعدم النجاح في تحقيق اقتصاد عصري متنوع, واحتضان العنف الإسلاموي وتصديره – هو اللجوء إلى إلقاء اللوم على الآخرين من أفراد وأمم.

وللولايات المتحدة حصتها من المشاكل, وبعضها مشاكل خطيرة. فانتقاد الولايات المتحدة أمر مشروع, بل هو في رأينا أحياناً ضروري. وكثيرون منا يقومون بهذا الانتقاد على نحو متكرر. ولكن, من جهة أخرى, فإن تصاعد العنف الإسلاموي الذي يهدد العالم كافة, بما في ذلك العالم الإسلامي, لا يمكننكم, من المملكة العربية السعودية, أن تلقوا اللوم فيه على الغير فحسب, إذ في ذلك تجاهل غير مسؤول عن التصدي لأمورٍ لديكم لا بد من التطرق إليها.

ونحن نطرح عليكم هنا ثلاثة أسئلة تستحق في رأينا الإجابة والتوضيح: أولاً: هل تعتقدون بأن التقوى الإسلامية التي تلتزمونها في المملكة العربية السعودية, تتعارض مع ممارسات الحركات المسماة (جهادية)؟ ثانياً: إذا كان جوابكم عن السؤال الأول إيجاباً, فكيف تفسرون الدور البارز الذي اضطلع به عدد من السعوديين في اعتداءات 11 أيلول, كما في التصاعد المستمر للحركات المسماة (جهادية) كظاهرة تهدد العالم أجمع؟

وأخيراً: هل ترون أن على القادة الدينيين والمثقفين السعوديين والذين يعتبرون أن ثمة تعارضاً بين أحكام الإسلام وممارسات الجماعات الجهادية أن يعملوا فعلاً وعلناً على تبيان هذا التعارض وعلى نقض الأفكار والممارسات التي ينتهجها تنظيم (القاعدة) وما شابهه على أنها خاطئة وخطيرة؟ نحن في انتظار ردكم.

دعوة الى الحوار العاقل:

في عالمنا اليوم الذي يهدده العنف والظلم, والذي تقلقه الحرب والحديث عن الحرب, والذي يخشى الوقوع في منزلق التناطح الديني بل الحضاري, هل من مهمة بالنسبة إلينا كمثقفين من الشرق والغرب أهم من إيجاد الزمان والمكان المناسبين كي نقيم

الحوار العاقل, على أمل ايجاد الأرضية المشتركة لكرامة الشخص الانساني والشروط الأساسية للازدهار البشري؟

فنحن نتمنى أن نكون طرفاً في هذا الحوار معكم ومع غيركم من المثقفين من العالم الاسلامي. ونحن ندرك أن ليس من شروط سابقة لخوض هذا الحوار إلا صفاء النية, والإقرار بانسانيتنا المشتركة, والاستعداد والقدرة للشروع بنقد وتأمل ذاتيين كما بالنقد المتأني لوجهة نظر الآخرين. ونحن نعتبر ان اقدامكم على الكتابة الينا يشير الى أنكم تتفقون معنا في هذا التوجه. رجاؤنا إذن أن نجد السبيل لمتابعة هذا الحوار وتعميقه.

وفي الختام نشكركم مجدداً على رسالتكم.

التواقيع:

جون أتلاس, جاي بيلسكي, ديفيد بلانكنهورن, ديفيد بوسورث, موريس بويد, جيرارد ف برادلي, ألان كارلسون, لورنس أي كننغهام, بول إيكمان, جون بثكي إلشتاين, أميتاي إتزيوني, إليزابيث فوكس-جينوفيز, هيلل فرادكين, صموئيل ج. فريدمان, فرانسيس فوكوياما, ماغي غالاغهر, وليم أي غالستون, كلير غودياني, روبيرت بي جورج, كارل غيرشمان, نيل غيلبرت, ماري آن غليندون, نورفال دي غلين, أوس غيننيس, ديفيد غوتمان, تشارلز هاربر, كيفين جاي (سيموس) هاسّون, سيلفيا آن هيوليت, الأب المحترم جون دبليو هاو, جيمس ديفيسون هنتر, بايرون جونسون, جيمس تورنر جونسون, جون كيلساي, دايان كنيبرز, توماس سي كوهلر, روبرت سي كونز, غلين سي لاوري, هارفي سي مانسفيلد, ويل مارشال, جيري إل مارتن, ريتشارد جاي موو, دانيال باتريك موينهان, جون إي مورّاي, آن دي نيل, فيرجيل نيموئيانو, مايكل نوفاك, الأب فال جاي بيتر, ديفيد بوبينو, غلوريا جاي رودريغيز, روبرت رويال, نينا شيا, فرد سيغل, ثيدا سكوكبول, كاثرين شو سباهت, ماكس إل ستاكهاوس, وليم تل الابن, ماريس آي فينوفسكيس, بول سي فيتس, مايكل ولتزر, جورج فيغل, روجير إي وليمز, تشارلز ويلسون, جيمس كيو ويلسون, جون ويت الابن, كريستوفر وولف, جورج فورغل, دانيال يانكيلوفيتش.

هوامش:

1- يمكن الاطلاع على نص الرسالتين بالكامل باللغة الانكليزية, إضافة الى بعض التعليقات والتحليلات والنصوص الأخرى, على موقع (معهد القيم الاميركي) على الانترنت: www.americanvalues.org

2- بعض هذه الانتقادات نقلت في مقال نيل ماكفاركوار في صحيفة (نيويورك تايمز), 12 تموز (يوليو) 2002.

3- اننا ندرك المعاني المختلفة لمصطلح (الجهاد) دينياً وتاريخياً. لكن الواقع أن ثمة مجموعات اسلامية تعتنق الدعوة إلى تغيير الوضع القائم بقوة السلاح لإقامة الحكم الاسلامي وفق تصورها, وتصف نفسها بأنها (جهادية). ولا شك في أن كثيرين من المسلمين يعتبرون أن هذه الجماعات استولت على مصطلح (الجهاد) وشوّهته, وكثيرون منا يوافقون على ذلك. على أن هذا الاستعمال اصبح بالفعل, وياللأسف, شائعا

=================

#السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام

عماد السيد الشربيني 1423/9/5

2002/11/10

اسم الكتاب : السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام مناقشتها والرد عليها

اسم المؤلف : عماد السيد الشربيني .

الناشر : دار اليقين /مصر .

عدد الصفحات : 506 في جزأين .

التعريف بالكتاب:

قسم الباحث هذا الموضوع إلى مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة .

المقدمة ضمنها سبب اختيار الموضوع ، وأهميته ، وخطة البحث ومنهج البحث فيه.

أما التمهيدفعرف فيه بالسنة في مصطلح علمائها ثم ذكر شبهة حول التسمية ورد عليها،وذكر أن الحديث النبوي بالسند المتصل من خصائص الأمة الإسلامية كما أن دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم.

أما الأبواب ففي الأول منها عرف بأعداء السنة النبوية لغةً وشرعاً. ثم أتبعه بذكر أعداء السنة النبوية من أهل الأهواء والبدع قديماً (الخوارج،والشيعة،والمعتزلة) ،ثم أعداء السنة النبوية من المستشرقين ، ثم أعداء السنة النبوية حديثاً (العلمانية ، والبهائية ، والقاديانية)،وفي أخري هذا الباب ذكر أهداف أعداء الإسلام قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية المطهرة .

وفي الباب الثاني ذكر وسائل أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد للسنة النبوية المطهرة من التشكيك في حجية خبر الآحاد،و الطعن في رواة السنة المطهرة،وفي الإسناد وعلوم الحديث ،و الطعن والتشكيك في كتب السنة المطهرة،وأخرها الاعتماد على مصادر غير معتبرة في التأريخ للسنة ورواتها .

وأما الباب الثالث فعنون له بنماذج من الأحاديث الصحيحة المطعون فيها والجواب عنها. بدأه بطبيعة نقد الأحاديث الصحيحة عند أعدائها ،وطبيعة الأحاديث الصحيحة المطعون فيها ،ثم ذكر نماذج من الأحاديث الصحيحة المطعون فيها والجواب عنها كحديث (إنما الأعمال بالنيات) ،وحديث (أنزل القرآن على سبعة أحرف)،وأحاديث (رؤية الله) و(محاجة آدم موسى عليهما السلام) و (الشفاعة)،وأحاديث (ظهور المهدي) و(خروج الدجال) و(نزول المسيح عليه السلام) ،وحديث عذاب القبر ونعيمه ،و أحاديث (خلوة النبي بامرأة من الأنصار)،و(نوم النبي عند أم سليم، وأم حَرَام)،وحديث رضاعة الكبير ، وحديث وقوع الذباب في الإناء .

وفي أخري هذا الباب ذكر الباحث مضار رد الأحاديث النبوية الصحيحة .

وفي الخاتمة ذكر نتائج الدراسة ، والمقترحات ، والتوصيات التي خرج بها الباحث ،ومن هذه النتائج:

1- أن مؤامرة التشكيك في حجية السنة المطهرة ومكانتها التشريعية أخذت طريقها إلى عقول بعض الفرق في الماضي ، كما أخذت طريقها إلى عقول المستشرقين ، ومن استمالوهم من أبناء المسلمين في الحاضر .

2- أن معركة أعداء الإسلام مع السنة المطهرة تتسم من جهة أعدائها بالدقة ، والتنظيم ، والكيد المحكم ، كما تتسم من جهة المسلمين بالبراءة ، والغفلة ، والدفاع العفوي ، دون إعداد سابق أو هجوم مضاد .

3- أن القواعد التي ينطلق منها أعداء السنة قديماً وحديثاً في الكيد لها واحدة فشبهات القدماء هي نفسها شبهات المعاصرين .

4- تأثر الفرق الكلامية بالفلسفة اليونانية ، وأعطوها صبغة إسلامية ليستعينوا بها على نظرياتهم وجدلهم ، فكان ذلك ذا أثر بالغ في درء النصوص بالعقل ، وفتح باب شر عظيم على أمة الإسلام ، دخل منه كثيرون من أعداء الإسلام ، وتأثر بذلك بعض أبناء المسلمين.

5- مخالفة الفرق الكلامية منهج السلف في فهم النصوص ، وعجز عقولهم عن الفهم الصحيح لها ، أدى بهم إلى الاضطراب ، وعدم الاستقرار المنهجي .

6- أن أهل السنة والجماعة هي الفرقة الوحيدة التي حالفها الصواب والسداد في فهم النصوص من الكتاب والسنة حيث لم يقدموا العقل على نصوص الوحي ، ولم يلغوا عمله ،بل وقفوا به عند حده الذي حده الله له، فاعملوه حيث جاز له أن يعمل ووقفوا به حيث حق له أن يقف .

7- فساد منهج المستشرقين في دراستهم للإسلام ، مهما حاولوا إدعاء المنهجية العلمية التي يزعمونها ، وسبب ذلك عدم تخلصهم من العصبية والعداء للإسلام وأهله .

8- نجاح الاستشراق في استقطاب كثير من أبناء الإسلام الذين انخدعوا بأفكاره وآرائه وتأثروا بثقافاته ومناهجه ، وكثير منهم يمثلون رموزاً بارزة في بلدانهم ، فكان لذلك أثر بالغ في نشر تلك الأفكار بين المسلمين ، وانخداع السذج منهم بها ، وتفلت كثير منهم بسببها من التمسك بالشرع ، فكان خدرهم أعظم وفسادهم أكبر ؛ لأنهم يهدمون السنة من داخلها .

9- أظهر البحث بما لا يدع مجالاً للشك ، أنه لو سلمنا جدلاً أنه يكفي الاستناد على القرآن وحده في تحليل ، الحلال وتحريم الحرام ... ولم نعبأ بالسنة أبداً ، وتركنا القرآن يخطئ فيه المخطئون ، ويعتمد فيه الكذابون ، ويتلاعب فيه الملحدون ، و

يخوض فيه المنافقون بما تسوله لهم نفوسهم ، وتمليه عليهم رؤساءهم وشياطينهم ، فإن الخلاف بين الناس لا يزول كما هو معلوم بالضرورة ، وإنما سيزيد ويستفحل ، ويصل بهم إلى مدارك الهاوية ، ويتفرق بهم في دروب التيه .

10- أكد البحث أن عدم الأخذ بالسنة دعوة إلحادية ، يريد أصحابها لنا الإعراض عن هدى النبوة ، ويسنون أنهم يتمسكون بتشريعات واهية ، لا أساس لها تقوم عليه ، ولو سلمنا لهم جدلاً أنه يجب إبطال السنة ، مع صحة نقلها بالإسناد المتصل ؛ الذي هو منّة عظيمة خص الله بها الأمة الإسلامية دون سائر الأمم ، لكان لزاماً علينا من باب أولى أن نبطل جميع التشريعات المتداولة في الدنيا مهما كان مصدرها سماوياً أو وضعياً لان من المسلَّم أن بالبقاء للأصح سنداً ، والأصدق رواية .

11- قرر البحث أن السنة ضرورة دينية ، وأن كثيراً من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة ، والتي أجمع عليها الفقهاء ؛ متوقفة على حجيتها .

12- إن الأدلة الشرعية جميعها متوافقة متآلفة متلائمة ، لا اختلاف ، ولا تنافر ، ولا تضارب بينها .

13- إن دعوى وجود عقليات مخالفة للشرع ، لا حقيقة لها عند الاعتبار الصحيح ، بل هي أوهام وخيالات ، وشبه عارية عن الصواب ، إضافة إلى أنه لا ضابط عند من يرد النصوص بالقرآن والعقل يفرق به بين ما يرد ، وما لا يرد.

14- رد النصوص عقلاً أو جد أثراً بالغاً في زعزعة كثير من العقائد ، وعدم احترام نصوص الوحي الاحترام اللائق ، والتهوين من شأنها .

15- أن جميع ما يتناقله الشيعة الرافضة ، وأهل البدع في كتبهم من المطاعن العامة والخاصة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يعرج عليها ولا كرامة ، فهي أباطيل وأكاذيب مفتراة إذ دأب الرافضة ، وأهل البدعة رواية الأباطيل ، ورد ما صح عن السنة المطهرة ، والتاريخ.

16- وجدت من خلال صحبتي لبعض خصوم السنة ، أنهم جميعاً من أصحاب الترف والكبر ، الذين لزموا البيوت ، ولم يطلبوا العلم من مظانه ، ومن أهله ، فهم كما تنبأ بهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله" لا ألفينَّ أحدكم متكئاً على أريكته

يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا ندري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه "

==============

#أدب الطفل المسلم بين التحديات والدور المفقود

الإسلام اليوم- إدريس الكنبوري 1423/9/6
2002/11/11

- كان اهتمام رواد أدب الأطفال الأوائل في العالم العربي نقل النموذج الغربي بحذافيره .
- إن المتأمل لمكتبة أدب الطفل في العالم العربي الآن يلحظ بونا شاسعا بين المشهود والمنشود .
- مشكلة النموذج هي المشكلة الرئيسية في أدب الطفل في العالم العربي اليوم .
- في الأدب الصهيوني للأطفال يمتزج الأدب بالتربية ، فتصبح التربية أدباً ، والأدب تربية .
- الحل هو إيجاد نموذج إسلامي حي لأدب الأطفال يخوض معركة المستقبل .

ارتبطت نشأة أدب الطفل في العالم العربي في المئة سنة الأخيرة التي شهدت ظهوره كفن مستقل ، بنظيره في أوربا، وهذا يعني أنه نشأ في إطار التقليد للأمم الغربية التي قطعت شوطا مهما في إبراز معالم هذا الجنس الأدبي وخصائصه النوعية ، فقد كان دافع الرواد الأوائل في العالم العربي من وراء الكتابة للطفل والترجمة إليه ، هو نقل التجربة الأوربية التي شكلت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن التالي له نموذجا نهضويا يحتذى .

غير أن هذا الإطار التاريخي لنشأة أدب الطفل أو الكتابة الأدبية للأطفال لم يكن يعني أن الرواد الأوائل في العالم العربي كان شغلهم الشاغل نقل النموذج الغربي بحذافيره، واستنساخ أدب الطفل الغربي بقضاياه وهمومه، وإنما المقصود فقط القول بإن بداية الاهتمام بالطفل والطفولة في الحقل الأدبي ارتبطت بالفكر الأوربي الذي انفتح عليه العرب والمسلمون في بداية القرن الفائت، وهكذا تمت العودة إلى التراث العربي والإسلامي للاغتراف منه واستلهامه في الكتابة للطفل ، وحتى في تلك

الترجمات التي قام بها بعض الرواد للقصص والحكايات والأشعار الأوربية المكتوبة للأطفال، مثلما فعل أحمد شوقي مع " خرافات " لافونتين الفرنسي، بقي التراث الإسلامي الفني حاضرا في تلك التجارب، سواء من حيث المضامين والأهداف، أو من حيث الأساليب الأدبية العربية، إلى الحد الذي يختفي فيه الفاصل بين النص المترجم والنص الثاني، كما يتضح حين نقلب "الشوقيات". ويمكنني القول : إن تجربة الرعيل الأول من الكتاب والشعراء العرب في التأليف للأطفال كانت تجربة أصيلة ، ولعل مرد ذلك- من وجهة نظري على الأقل - إلى أن هؤلاء كان حافزهم التربية والتعليم وتكوين جيل متشبع بالقيم والمثل الكبرى للأمة، في فترة من الزمن طبعتها المواجهة مع الفكر الغربي الوافد، وهاجس التأصيل الثقافي والحضاري، فقد كان جل من كتبوا للأطفال في تلك الفترة ووضعوا اللبنات الأولية لأدب الطفل العربي هم من رجالات الحركات الوطنية التي واجهت الاستعمار، أو من حاملي مشعل النهضة في العالم العربي. ولم يكن الأدب العربي خاصة، والثقافة العربية عامة ، قد تلوثا بمظاهر الغزو الثقافي ، تحضرني هنا أسماء أحمد شوقي وعلال الفاسي وكامل الكيلاني ومحمد سعيد العريان .

لقد وضع هؤلاء وغيرهم من الجيل الأول قصصا وأشعارا للأطفال توخوا فيها التوجيه السليم والوعظ والإرشاد والتقويم والتزكية والإصلاح، وسعوا إلى غرس حب لغة الضاد في نفوس الأطفال، وصقل مواهبهم اللغوية. ولا يقلل التطور الذي حدث في أدب الطفل في المراحل اللاحقة من إنجازاتهم التي كان لها فضل التأسيس .

من النشأة إلى التغرب :

لقد كانت هذه النظرة السريعة إلى البدايات الأولى لأدب الطفل في العالم العربي ضرورية للتساؤل: هل استطاع أدب الأطفال العرب، أو الأدب العربي المكتوب للطفل، أن يستوعب هذه التجربة السابقة ويبني عليها ؟ .

لاشك أن القطيعة التي حدثت بين الرواد الأوائل والمبدعين اللاحقين في الكتابة للطفل قد أثرت كثيرا على وضعية أدب الطفل في العالم العربي . فالتجارب التي جاءت فيما بعد لم تحتفظ بنفس الفلسفة التربوية والاجتماعية التي حكمت الرعيل الأول، وأخذت تقتبس من الغرب الرأسمالي أو الشرق الشيوعي نماذجه الأدبية

الخاصة بالطفل، بحسب التوجهات الإيديولوجية والفكرية التي سادت في العالم العربي خلال الستينيات والسبعينيات والثمانينيات، فبدأت مرحلة التغريب والغزو الثقافي في أدب الأطفال، بمثل ما كان عليه الحال في المجالات الأخرى من أدب وفكر وفن .

لقد تمت التضحية بالطفل العربي والمسلم لصالح الإيديولوجيات الشرقية والغربية التي حملت فلسفات تربوية واجتماعية متصارعة فيما بينها ، ومتناقضة في مجموعها مع هوية الطفل العربي الذي كان غائبا في حقيقة الأمر. فمن الواضح أن النماذج الغربية والشرقية لم تستجب لحاجياته ومتطلباته النفسية والروحية والعقلية، الأمر الذي أحدث شرخا كبيرا في هويته، زاده بلة التطور الذي هم صناعة ثقافة الطفل في الغرب التي اكتسحت البيوت في العالم العربي بفضل انتشار التلفزيون والإعلام السمعي البصري .

إن الفرق بين تجربة الرعيل الأول والتجربة اللاحقة لها يظهر بالأساس في أن الأولى كانت واعية بنفسها، ولها منطلقات محددة وغايات مرسومة، بصرف النظر عما إذا كانت فشلت أو توفقت في التواصل مع المستويات العمرية والمقدرات المختلفة للأطفال العرب، بينما التجربة الثانية انطلقت من غير بلورة الأسس العلمية، التربوية والثقافية، لأدب الطفل، فسقطت في النقل الحرفي لما يكتب في الغرب للطفل غير المسلم ، وهو ما وضع أدب الطفل في العالم العربي في محنة حقيقية .

إن التاريخ العربي والإسلامي زاخر بتراث قصصي وشعري هائل من شأنه أن يغني أدب الأطفال ويؤسس لمنظومة تربوية متماسكة، فإلى جانب التراث المكتوب، الغني بما يحويه، هناك تراث شفاهي تناقلته الأجيال عن بعضها البعض، جزء كبير منه له جذور عميقة في الوعي الديني للأمة، عبرت به الأجيال الثقافية بشكل تلقائي عن هموم حياتها اليومية ومشاعرها وقضاياها ، غير أن هذا التراث الكبير لم يتحول إلى مادة يمكن استثمارها وتوظيفها في أدب الطفل المسلم، إلا في حالات قليلة لبعض الكتاب والشعراء الإسلاميين المعاصرين، وهي حالات لم تشكل القاعدة بل الاستثناء، وسط ركام كبير من الكتابات المتغربة ذات الأهداف الإيديولوجية المائلة، أو المتسرعة ذات الغايات التجارية، وبين هذين القطبين، ظلت مساحة الاجتهاد

المؤصل محدودة ومزاحمة ، وتعطل مشروع وضع أدب مستقل للطفل المسلم في العالم العربي له خصوصياته وأسئلته وقضاياه، بسبب القطيعة بين التجارب المختلفة، وعدم اكتمال النمو .

أدب الطفل والدور المفقود

إن المتأمل فيما توفره مكتبة أدب الطفل في العالم العربي يلحظ بونا شاسعا بين المشهود والمنشود، لقد سجلت الإنتاجيات في مجال أدب الأطفال العرب تقدما ملحوظا خلال العشرين سنة الأخيرة من حيث الكم، وهذا عائد إلى الأهمية التي أصبح يحظى بها الطفل عموما في العالم العربي، وانتشار التمدرس وانحسار الأمية لدى الجيلين الأخيرين مقارنة مع الأجيال السابقة، وغيرها من الأسباب التي هي موضوع آخر، ولكن هذا التقدم في المستوى الكمي لم يرافقه تقدم في المستوى النوعي لأدب الطفل .

فأدب الطفل في العالم العربي ظل حتى اليوم عالة على ما تقدمه المائدة الغربية، ترجمة أو استلهاما. و الاعتقاد السائد هو أن التقدم الذي حققه أدب الطفل في الغرب يبرر النقل عنه أو استلهام تقنياته، بدون النظر إلى حاجات الطفل المسلم والمحيط الثقافي والرمزي الذي يتحرك فيه ، ومن ثم تصبح عملية النقل خطرا على الطفل المسلم من حيث إنها تكرس لديه الشعور بالتبعية من ناحية، وتركز لديه عادة التفكير من داخل ثقافة الطفل الغربي ونمط عيشه من ناحية ثانية، وتغرس فيه الشعور بالعجز، والاعتقاد السلبي بعدم إمكان الإبداع إلا من داخل ثقافة الغرب من ناحية ثالثة ، ولا ينبغي أن يغيب عنا أن الأدب بالنسبة للطفل يختلف عنه بالنسبة للكبار، فهو في حالة الطفل تنشئة من داخل الخطاب الأدبي، بكل ما تحمله كلمة التنشئة من المعنى .

إن مشكلة النموذج هي المشكلة الرئيسية في أدب الطفل في العالم العربي اليوم :

ما النموذج الحضاري في هذا الأدب، والذي يراد غرسه في نفسية الطفل؟

من الأبطال الحقيقيون الذين يؤمن بهم الطفل ويسعى إلى خلق شخصيته من خلالهم؟

ما المساحة التي يشغلها التاريخ في أدب الطفل المسلم؟

ما القيم " الدينية الثابتة، لا تلك القيم الاجتماعية المتحولة، المهيمنة في نصوص هذا الأدب ؟ .

مثل هذه الأسئلة من شأنها أن تلقي الضوء على حقيقة وضعية أدب الطفل في العالم العربي، فبقدر القرب أو البعد منها يمكننا تشخيص هذه الوضعية ، ويكفي القول هنا إن قيم البطولة العربية المسلمة تغيب في جل منجزات أدب الطفل العربي، لحساب قيم البطولة المستوردة من الغرب، ولم يستطع هذا الأدب أن يخلق أبطال الطفل المسلم الحقيقيين، وظل مرتبطا بالشخصيات البطولية التي ابتدعها رواد أدب الطفل في الغرب (تان تان ، توم أند جيري، ميكي ماوس ...) ، وهي شخصيات تبقى منقطعة الصلة بمحيط الطفل المسلم وتاريخه .

إن التطور الذي شهده أدب الطفل في الغرب لم يكن منقطعا عن الفلسفة التربوية الغربية العلمانية والمادية التي أنجبته، فأدب الطفل في الغرب الرأسمالي يسير في منحنى علماني، الهدف منه تنشئة الطفل على قيم الاستقلالية التابثة في تفكيره وحركته عن الأسرة والكنيسة، والثورة على القيم المحافظة، واعتبار الغاية الأساس هي تفجير طاقاته بصرف النظر عن أي حدود دينية أو قيود أخلاقية، إذا صح تعبير القيود في الأخلاق، ومن هنا سيادة قيمة الاستهلاك والحرية الفردية المطلقة والتحرر الاجتماعي (العلاقة بين الذكر والأنثى مثلا) وإذا نحن تأملنا في الأدب الصهيوني المخصص للأطفال، نجده لا ينفصل عن الجذور الدينية والفكرية التي أسست للمشروع الصهيوني، ونجد فيه المرآة العاكسة للرؤية التربوية الصهيونية، من حيث تنشئة الطفل على الالتصاق بأرض الميعاد التي يعتبرونها أرض الأجداد، والالتحام بالجماعة اليهودية كوسيلة للخلاص، وكراهية الأغيار والعنصرية اتجاه غير اليهودي، إلى الحد الذي يختلط فيه الأدب بالتربية، فتصبح التربية أدبا، والأدب تربية .

من هنا يتضح لنا أن مشكلة أدب الطفل المسلم هي مشكلة الخصوصية التي يفتقدها في علاقته بالنماذج الأدبية الغربية السائدة، فالكثير مما يكتب للأطفال المسلمين تغلب عليه القيم المستوردة والشخصيات التاريخية والرمزية الأجنبية، دون تدقيق فيما يتم تلقينه للطفل المسلم مما قد يكون له أثر سلبي على وعيه بمحيطه وتاريخه

وحضارته، فقد ساد الاعتقاد لدينا بأن الكتابة للطفل الهدف منها الترويح والتسلية ومساعدة الطفل على تربية الخيال الإبداعي، بينما وضعت مهمة التربية والتنشئة النفسية والاجتماعية السليمة وخزن القيم الباطنية جانبا، بدعوى أن مرحلة الطفولة تتمحور حول قضية واحدة فقط هي اللعب والترويح .

إن التحدي الكبير المطروح على المجتمعات العربية والإسلامية في عصر العولمة والانترنيت هو تحد متعدد المستويات، لكن أدب الطفل يبقى أهم هذه المستويات، لكي يمكننا التصدي للثقافة المسطحة وحضارة التسلية القاتلة والاستهلاك المميت التي تقترحها العولمة الرأسمالية الغربية على العالم. ولا يمكن النهوض بهذا التحدي دون خلق نموذج إسلامي حي لأدب الأطفال يخوض معركة المستقبل في الحاضر المشهود، يجتمع عليه خبراء التربية والعلم الشرعي وعلوم النفس والاجتماع واللغة والفنون المختلفة ورجال الإعلام والكتاب والمبدعون والشعراء، فالغرب لم يتفوق علينا باستجماعه لكل الجهود في هذا الحقل ، وخلق أدب للصغار أصبح يبهر أطفالنا ويغزو قنواتنا ومكتباتنا وبيوتنا، حتى أصبحنا نعيش وضعية الاختراق الثقافي بالمعنى الواسع للكلمة، وهذا أكبر خطر على أطفالنا، لأن المغلوب مولع بتقليد الغالب في كل شيء، كما قال العلامة عبد الرحمان بن خلدون، والأطفال هم الحلقة الأضعف في المجتمع و أكثر المعرضين للتقليد .

=============

#الانتخابات التركية : تركة أتاتورك للإسلاميين!

شعبان عبد الرحمن* 1423/9/6

2002/11/11

جاءت نتائج الانتخابات التركية الأخيرة لتزيد من "الدوي " الذي تعيشه الساحة الدولية على وقع نتائج الانتخابات البرلمانية التي تشهدها المنطقة الإسلامية منذ أواخر الشهر الماضي .. في باكستان ثم المغرب والبحرين، فقد جاءت " رياح " نتائجها بغير ما تشتهي الدوائر الغربية وسماسرتها، ولا نبالغ إذا قلنا بأن نتائجها وضعت على وجوه تلك الدوائر علامات تعجب جعلت أفواههم فاغرة لفترات طويلة .

فهذه الانتخابات أجريت في أجواء دولية غير طبيعية، بعد أكثر من عام على أحداث الحادي عشر من سبتمبر، أي بعد أن بلغت الحملة الدولية على الإسلام والمسلمين مبلغها.

وبصرف النظر عن الذين يقفون وراء تفجيرات سبتمبر إلا أن الحقيقة التي لا يماري فيها أحد هي أن تلك الأحداث ولدت حملة دولية شوهت الإسلام ووضعت المسلمين خلف قضبان من الاتهامات بالإرهاب والعنف يصعب عليهم – وسط غوغاء الآلة الإعلامية الدولية – الفكاك منها. ولم يترك المروجون لتلك الحملة ثغرة يمكن تشويه الإسلام من خلالها إلا ولجوها واستنفروا في سبيل ذلك كل أدواتهم وآلاتهم وعملائهم، وليس خافيًا أن نذر التخويف والتهديد امتدت إلى أنظمة الحكم في بلاد إسلامية إذا لم تتخذ الإجراءات اللازمة لقهر الإسلاميين وتحجيم الإسلام في الحياة السياسية والاقتصادية والمناهج التعليمية .

وهكذا استقرت الأوضاع عند " إسلام " يجري تشويهه ومسلمين مضطهدين وإسلاميين محاصرين خلف قضبان السجون، أو خلف قضبان الكبت والمنع والمطاردة، وشعوب يمارس عليها غسيل العقول والوجدان سعيا لملئها بالوهن والوجل من مجرد الحديث عن الإسلام أو الاقتراب من الإسلاميين.

وقد كانت تلك الأجواء فرصة نادرة للأنظمة الدكتاتورية في بلادنا لتشن أعنف حملات الاضطهاد ضد مخالفيها – خاصة الإسلاميين– متدثرة بالحملة الدولية ضد ما يسمى بالإرهاب.

في هذه الأجواء النكدة المفعمة بالأعاصير شهدت باكستان والمغرب والبحرين وتركيا انتخابات عامة لاختيار أعضاء البرلمان، وقد انتظرت الدوائر السياسية الغربية أن تضع نتائج هذه الانتخابات الإسلاميين في مؤخرة القائمة ظنا منها أن الزمن والظرف في غير صالحهم لكن رد الشعوب كان مفاجئًا ومفحمًا في آن واحد .

تلك كانت ملاحظة عامة لا ينبغي أن نتجاهلها وسط ذلك المشهد الانتخابي الحافل في المنطقة .

المشهد التركي :

ولنعد إلى المشهد الانتخابي التركي بنتائجه التي قلبت الموازين ليس باكتساح حزب العدالة والتنمية لها بنسبة 34% منحته 363 مقعدًا من إجمالي مقاعد البرلمان الـ550، ولكن بكسحها خارج الحلبة السياسية تمامًا تلك الأحزاب التي هيمنت على الساحة في الفترة الأخيرة فقد حصل حزب رئيس الوزراء بولنت اجاويد " اليسار الديمقراطي " على نسبة فوق الصفر بدرجة واحدة (1%) ، مقابل 22% حصل عليها الحزب في انتخابات عام 2000م ولم تزد نسب الأحزاب المتحالفة معه عنه كثيرًا فقد حصل حزب الحركة القومية على نسبة 3 , 8 % و حزب الوطن الأم على نسبة 1، 5 % وهو ما يعني حكمًا شعبيًا بعزلها سياسيًا على الأقل في المرحلة المقبلة. فقد حرمت نتائج الانتخابات ستة عشر حزبًا من 18حزبًا شاركوا في الانتخابات من دخول البرلمان لإخفاقها في الحصول على نسبة ال10% شرط دخول البرلمان وأعطت حزب العدالة والتنمية الفرصة لتشكيل الحكومة المقبلة منفردًا بعد حصوله على 66% من مقاعد البرلمان . بينما حصل حزب الشعب الجمهوري وريث مصطفى كمال أتاتورك على نسبة 5, 19% منحته 78مقعدًا بينما بقيت المقاعد التسعة من البرلمان للمستقلين .

والملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا هي أن 70%من الناخبين غيروا رأيهم في الأحزاب التي صوتوا لها في انتخابات عام 1999م . ويمكن القول هنا إن الجماهير التركية التي فاض بها الكيل من فشل الحكومات الذريع كتلت خيارها في الانتخابات خلف الحزبين :

- الإسلاميون وبقية الشعب المتمسك بهويته الإسلامية دعموا حزب" العدالة والتنمية" بزعامة رجب الطيب أردوغان وهو حزب خارج من عباءة أحزاب الزعيم التركي نجم الدين أربكان " الرفاه " و " الفضيلة " و " السعادة " والتي واجهت الحل أو التهديد به، مما جعل الجماهير صاحبة الخيار الإسلامي تصوت لحزب العدالة المأمون من الحل أو العزل، خاصة بعد أن فشل النائب العام التركي قبل الانتخابات بيومين في تمرير قضية بحل الحزب وهو ما أشاع ارتياحًا في الشارع الإسلامي ليكرس خياره مع حزب العدالة، مبقيًا حزب السعادة بعيدًا عن مشاكل الحل والقلاقل السياسية التي تعودت المؤسسة العسكرية افتعالها معه والتي كان آخرها حل حزب الرفاه وعزل نجم

الدين أربكان سياسيًا لمدة خمس سنوات بعد إجباره على تقديم استقالته من رئاسة الحكومة ثم حل حزب الفضيلة الذي حل محل الرفاه ثم وضع العراقيل أمام حزب " السعادة " الذي حل محل الفضيلة .

– على الجانب الآخر فإن الناخبين من ذوي الاتجاه العلماني تجمعوا وراء حزب الشعب الجمهوري مولين ظهورهم لبقية الأحزاب العلمانية، فجاءت النتيجة على الوضع الذي عايناه .

وتواجه حكومة حزب العدالة والتنمية – إن سمح له الجيش بتشكيلها – تحديات بالغة الصعوبة على الصعيد الداخلي والدولي ، فقد تركت له الحكومات العلمانية المتعاقبة وآخرها حكومة (بولنت أجاويد) البلاد في حالة من الانهيار الاقتصادي والإحباط والضيق الاجتماعي والتخبط السياسي لم تشهده على امتداد تاريخها منذ نشأة الجمهورية التركية على يد مصطفى كمال عام 1923م.

أولا/ على الصعيد الاقتصادي:

تعاني البلاد منذ أكثر من عامين من أصعب أزمة اقتصادية منذ الحرب العالمية الثانية، فقد تراجع الدخل القومي وبلغ مجموع الديون الداخلية والخارجية – وفق الإحصاءات الرسمية – 220مليار دولار (مائتين وعشرين مليار دولار) وهو أثقل دين في تاريخ الدولة التي عجزت عن سداده، مما اضطرها لمحاولة سد الدين بديون جديدة .

هذا الوضع الكارثي أدى بلا شك إلى إفلاس آلاف المصانع والمؤسسات التجارية وبالتالي مفاقمة مشكلة البطالة المزمنة.

وقد كانت المواجهات الدامية التي تفجرت قبل عام بين قوات الأمن التركية وجموع الغاضبين من أجل " قوتهم " هي الشرارة التي أكدت عمق الأزمة التي وضعت حكومة أجاويد فيها البلاد، وكانت تلك المواجهات أشبه بثورة شعبية قادها كبار التجار من أصحاب رؤوس الأموال، ورأس المال كما يقولون "جبان" ويتحسب صاحبه حركته جيدًا، فإذا غضب وثار فلابد أن هناك طوفانًا يجرف مصالحه وأمواله، وقد تجمع يومها أكثر من 25ألف تاجر في مظاهرة غاضبة باسطنبول متحدين الأمر العسكري بمنع التجمعات، في الوقت الذي شهدت فيه 25محافظة

تركية أخرى مظاهرات مماثلة سبقتها مصادمات دامية بين جموع الغاضبين والشرطة سقط فيها مائتا جريح بينهم خمسين شرطيًا !

وبينما كانت جمعية كبار رجال الأعمال توجه انتقادات موجعة للحكومة مطالبة برفع الحصانة عن الوزراء والنواب المفسدين، كان نواب حزب الفضيلة تحت قبة البرلمان يُحمِّلون الجيش مسؤولية ما حدث من كارثة اقتصادية بتدبيرهم الانقلاب السلمي على حكومة نجم الدين أربكان .

حكومة أربكان :

وهنا استحضر مشهد تسلم أربكان لرئاسة الحكومة في يناير 1996م بعد أن حصل حزب الرفاه على المرتبة الأولى من أصوات الناخبين في انتخابات ديسمبر 1995م ثم إقالته أو إجباره على الاستقالة من قبل المؤسسة العسكرية العلمانية المتسلطة بعد ستة عشر شهرًا من أزهى فترات الحكم لتركيا ..

وأجدني مضطرًا لفتح سجل إنجازات هذه الحكومة الرسمي، مستعينا بما سمعته من أربكان نفسه أكثر من مرة .

فقد تسلم الرجل الحكومة وديون تركيا 48مليار دولار، يذهب نصفها لجيوب اللصوص تحت بند خدمة الدين..التضخم 100% والبنوك المأزومة تقترض من المافيا بفائدة خيالية وصلت 150% وقيمة الدولار أمام الليرة أصبحت 500ألف ليرة بعد أن كانت 16ليرة في السبعينيات.

وخلال ستة أشهر فقط أوجدت حكومة أربكان أربع محافظ استثمارية قيمتها 40مليار، دولار تم توفيرها من السرقات والسفه والهدر الحاصل على جميع المستويات، وتم تسديد 10مليارات دولار من الدين الداخلي، وتم وقف إصدار قوانين بضرائب جديدة، كما توقف الاقتراض من الخارج، وتم رفع مرتبات الجيش 50% .

ولأول مرة في تاريخ تركيا تم تقديم ميزانية متوازنة للدولة عام 1997م لا أثر للدين أو للضرائب فيها، بعد أن تم سد كل منافذ الفساد

هنا تحركت كتائب الفساد مع كتائب العسكر لإزالة الرجل وحكومته، خاصة بعد أن رصدت وزارة الخارجية الأمريكية عليه ثلاث " جرائم" بالنسبة لها :

تحسين الوضع الاقتصادي وبالتالي استغناء تركيا عن واشنطن.

إنشاء مجموعة الثمانية – من أكبر ثماني دول إسلامية – وهو ما يمثل توازنًا عالميًا جديدًا .

هذا النجاح الكبير يحرض الحركات الإسلامية في العالم لتحذو حذوه وهذا هو عين الخطر .

ومن هنا جاء قرار المؤسسة العلمانية العسكري بحل حزب الرفاه وإجبار أربكان على تقديم استقالته بل وعزله سياسيًا لمدة خمس سنوات، ومازالت توضع أمامه العراقيل للعودة للحياة السياسية بحزبه أو منفردًا .

لكن في كل الأحوال فإن تجربة حكومة " الرفاه " بزعامة أربكان تظل رصيدًا مهمًا لحزب العدالة على الصعيد الاجتماعي وصعيد التجربة فقد شاركت كوادره من قبل في إنجازات حكومة الرفاه وكان الطيب أردوغان يومها رئيسا لبلدية اسطنبول.

ثانيا / على الصعيد السياسي:

منذ انتقال البلاد إلى النظام الديمقراطي قبل خمسة وثلاثين عامًا (عام 1967م) شهدت تسعة انتخابات مبكرة كان من بينها الانتخابات الثلاثة الأخيرة (1996– 1999– 2002)، فيما تدخلت المؤسسة العسكرية التي تعد نفسها حامية النظام العلماني لقلب نظام الحكم ثلاث مرات، وفض حكومات اعتبرتها مهددة للنظام العلماني ومنها الحكومة التي شارك نجم الدين أربكان الذي أودع السجن بعد حل حزبه " السلامة " .

ولا شك أن تلك الأجواء وضعت البلاد في حالة من القلق والارتباك السياسي بما عرضت خطط التنمية والإصلاح الاقتصادي والاجتماعي لهزات عنيفة .

ثالثا/ على الصعيد الاجتماعي :

في أجواء القلاقل السياسية والأزمات الاقتصادية يكون من الطبعي أن تتعقد المشاكل الاجتماعية والحياتية للناس، ولكن ما جعل الناس تتفجر غضبا هو أن الحكومة التي لاحقها الفشل في حل مشاكلهم الحياتية حاصرتهم وحدت من حرياتهم الشخصية واعتدت في هذا الصدد على ما يمس عقيدتهم وهويتهم الإسلامية باتخاذ سلسلة من الإجراءات والقرارات الرامية لخلع الناس من دينها .

ونسوق في هذا الصدد بعض الوقائع الثابتة والمهمة على سبيل المثال :

الحرب على الحجاب:

آخر ما كان يمكن تصوره بشأن الحظر العلماني على الحجاب في تركيا، أن تصدر المؤسسة العلمانية من خلال الحكومة السابقة قراراً بمناسبة بدء العام الدراسي الجديد يمنع ارتداء الحجاب داخل مدارس الأئمة والخطباء (مدارس دينية).

فقد فوجئت طالبات تلك المدارس بالسلطات تمنع دخولهن" بالحجاب " تنفيذاً لقرار صادر عن وزارة التعليم في 20 فبراير الماضي يمنع ارتداء الحجاب داخل هذه المدارس الدينية .

القرار أحدث صدمة لدى الطالبات اللاتي جئن لدراسة الإسلام داخل معاهد يفترض فيها احترام الشعائر الدينية أو على الأقل تتمتع فيها الطالبة بقسط من الحرية الدينية في الالتزام بالحجاب المأمور به شرعاً، لكن السلطات داست على ذلك وأصرت على اشتراط خلع الطالبات الحجاب عند دخول هذه المدارس، وهي المدارس التي قلّصت السلطات تعدادها إلي النصف تقريباً، وجعلت الدراسة فيها مختلطة بين الطلبة والطالبات .

ولم تراع السلطات مشاعر بعض الطالبات اللاتي رددن على هذه القرارات المقيّدة للحريات الشخصية بالاحتجاج داخل إحدى المدارس وتقييد أيديهن بسلاسل حديدية في أسوارها، كرسالة استغاثة لذوي الضمير من أنصار الحريات حتى يتحركوا لرفع الغبن، وإنما كان الرد اقتحام المدرسة، وتقطيع السلاسل بعد الاعتداء على الطالبات واعتقال ذويهم !

وقد جاءت هذه الإجراءات البوليسية ضد حجاب المرأة المسلمة في تركيا استكمالاً لقرارات سابقة تحظر ارتداء الحجاب في المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية ودواوين العمل الرسمية .

والسؤال الذي ظل يلح خلال الحملة المتواصلة ضد حجاب المرأة التركية هو: هل السلطات التركية بهذه الإجراءات القمعية تكون قد نجحت في صبغ البلاد باللون العلماني المطلوب، وأراحت مصطفى كمال في قبره ؟!

الثابت أن تلك الإجراءات لم تهز قواعد الإيمان الراسخة في قلوب التركيات بل زادتهن تمسكاً ويقيناً بحجابهن، فكثيرات تركن العمل والجامعات والمدارس وفضلن

البقاء بحجابهن خارجها، والغالبية العظمى تنفذ مكرهة القرارات الغاشمة، وبمجرد الخروج من المدرسة أو الجامعة أو ديوان العمل إلى الشارع ترتدي حجابها، فلم يُمنع الحجاب بعد في الشارع !

ولعل الإحصاءات المتواترة التي تفيد بأن أكثر من 60% من النساء التركيات ملتزمات بالحجاب تؤكد هذه الحقيقة .

إن زوجة مصطفى كمال وأمه كانتا ملتزمتين بالحجاب وهو ما يؤكد أن الرجل كان مهزوماً في بيته، فلا غرو أن تُهزم مبادئه الظالمة على صعيد المجتمع .

المفارقة العجيبة أنه بينما كانت السلطات التركية تطبق إجراءاتها الأخيرة على طالبات المدارس الدينية مُغازلةً الاتحاد الأوروبي علّه يوافق على طلب تركيا الانضمام إليه، كان هناك قرار من الاتحاد بتجاهل الطلب التركي .

2- السعي لتفكيك مؤسسة الأسرة:

في ظل الحكومة السابقة نظر البرلمان التركي في قانون جديد للأحوال المدنية، من المقرر أن يحدث تنفيذه انقلابا داخل الأسرة لأنه يدخل تغييرات جذرية على نمط حياتها .

فهو يربك العلاقة داخل الأسرة ، إذ ينزع عن الزوج أو الأب مكانة " رب العائلة " ويسقط عن الزوجة الالتزام بالحياة في بيت الزوجية إذا ارتأت أنه لا يناسبها أو لا يفي بمتطلباتها، وترك لها حرية الخروج للعمل دون تدخل من الزوج ..إلخ ."

وقد حوّل القانون الجديد بهذا الانقلاب الأسرة التركية إلى " شركة مساهمة "!- هكذا يشير القانون – إذ يعتبر الزواج شراكة تجارية بين رجل وامرأة يتعين على كل منهما عند " العقد " التوقيع على اتفاقية ثنائية يسجل فيها كل طرف ممتلكاته التي أسهم بها في بيت الزوجيّة ويرفق بها الفواتير ووثائق إثبات الملكية الأخرى ثم يتم وضعها تحت نظر وزارة العدل لحفظها !!

وقد دفع ذلك البعض إلى السخرية والتندر وهو يطالب الحكومة بتحديد نوع الشركة .. " شركة مساهمة، أم شركة محدودة " وتحديد قيمة أسهم هذه الشركة وإمكانية بيعها للأجانب !!

وقد جاء هذا القانون ليفسّخ الأسرة ويحولها من وحدة متماسكة – تسري في كيانها الروح الأسرية، ويغمرها حنان الأمومة وعطف الأبوة – إلى أجزاء متناثرة تتواءم حينًا وتتنافر أحيانًا أخرى ، كل حسب مصلحته المادية ومزاجه الشخصي ونظرته للحياة ، وذلك يؤدي حتمًا إلى هدم "الأسرة " أي انفراط عقد المجتمع .

وقد أضافت الحكومة بهذا القانون بنداً جديدًا إلى سجل إنجازاتها السلبيّة حيال المجتمع التركي .

ويوم هوت هذه الحكومة كان السجل قد أصبح متخما بالإجراءات والقوانين التي تقود إلي تغريب المجتمع التركي المسلم وسلخه من هويته .

وهو ما رد عليه الشعب التركي عبر صناديق الاقتراع .

على الصعيد الخارجي :

تنظر تركيا إلى الحرب الأمريكية المرتقبة على العراق بقلق بالغ؛ لأنها رضين أم أبت ستكتوي بنارها من جهات عديدة :

– سيتعرض اقتصادها لأضرار كبيرة بسبب توقف تجارتها الحدودية مع العراق، وبسبب تدفق الهجرة من العراق إلى أراضيها فرارًا من الحرب وتقدر المصادر التركية العدد المتوقع للمهاجرين بين 300 إلى 500ألف شخص .

– ستحدث الحرب فراغًا أمنيًا شمال العراق مما سيشجع الأكراد للتحرك لإعلان دولتهم المستقلة التي يطالبون بها وهو ما تعارضه تركيا ودول المنطقة (سورية وإيران والعراق)وذلك إن حدث فسوف يجر تركيا إلى الحرب لوقف مشروع الدولة الكردية وهو ما سيعرض الخزينة التركية لمزيد من الخسائر ويعرض الوضع السياسي لمزيد من القلاقل .

هذه الأوضاع برمتها تمثل تحديات صعبة وثقيلة للحكومة المقبلة، وهي تحديات على نفس مستوى الثقة التي وضعها الناخب التركي في حزب العدالة والتنمية .

وقبل أن نتوقف طويلاً عند إمكانيات حزب العدالة في مواجهة هذه التحديات، علينا أولاً الانتظار لنرى كيف سيكون رد فعل المؤسسة العسكرية على هذا الفوز، وهل ستقبل بحزب ذي جذور إسلامية لقيادة البلاد رغم ما قدم من تنازلات ورسائل

تطمينية، أم أن الجيش سيتحرك مسرعًا – كما سبق – لإجهاض الفوز وبالتالي إجهاض حلم الشعب التركي؟ *كاتب صحفي ومحلل سياسي.

=============

#من أجل الصهاينة والتنصير ..
أمريكا تطارد الجمعيات الخيرية

عبد الرحمن محمد 1423/10/8

2002/12/12

- انتفاضة الأقصى فجرت الغضب الأمريكي الصهيوني على العمل الخيري.
- انسحاب الجمعيات الخيرية الإسلامية أفسح المجال أمام منظمات التنصير.

أكدت ندوة "مستقبل مؤسسات العمل الخيري الخليجي في ضوء الاتهام الأمريكي لها بتمويل الإرهاب " والتي عقدها مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية بالقاهرة مؤخرا أن هناك حملات عداء تشنها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الجمعيات الخيرية منذ أحداث سبتمبر للقضاء على دورها أو تقليص نشاطها سعيا إلى إعطاء الضوء الأخضر لمنظمات التنصير لتحل محلها.

وأشارت الندوة أن الاتهامات الأمريكية لهذه الجمعيات بدعم الإرهاب لا تقوم على أسس موضوعية بل إن الأسباب الحقيقية وراء هذه الحملة هي تحقيق أغراض سياسية لخدمة أهداف إسرائيل التي تتلقى المعونات والدعم من واشنطن وتحاول ابتزاز أمريكا عن طريق اللوبي الصهيوني والجمعيات الموالية لها .

وكان مركز الخليج قد قدم في مستهل الندوة تقريرا تلاه الباحث جميل أبو الدهب الخبير بالمركز .. أوضح فيه أن الجمعيات الخيرية واجهت اتهامات أمريكية باطلة بتمويل الإرهاب منذ وقوع أحداث سبتمبر واتخذت بعض الدول العديد من الإجراءات ضدها مثل التضييق على أنشطتها ومصادرة وتجميد أرصدتها المالية حيث اتخذت وزارة الخزانة الأمريكية قراراً بتجميد أرصدة أربع مؤسسات إسلامية في إطار ما يعرف بالحرب على الإرهاب وتجفيف منابعه , وقامت أجهزة الأمن الأمريكي وعلى رأسها "إف . بي .أي" بحملة شرسة على جمعية "الصفا والمروة" واتهمتها بدعم الإرهاب ".

وأضاف التقرير أن ذروة الاتهامات ظهرت في تقرير يتهم السعوديين بالتهاون على مدار الأربع سنوات الماضية مع أشخاص ومسؤولين سعوديين يمولون أنشطة إرهابية متبوعه بحملة من وسائل الإعلام تتهم هذه الجمعيات الأهلية بالصلة مع تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن بل وزادت على ذلك باتهام هذه الجمعيات بتمويل تفجير بالي بإندونيسيا عبر تلقي الجماعة الإسلامية بجاكرتا دعما خليجياً يقدر بـ 200... ألف دولار لشراء متفجرات .

ازدواجية مفضوحة

واتهم تقرير مركز الخليج تعامل الدول الغربية مع الجمعيات الخيرية الإسلامية بالازدواجية المفضوحة ففي الوقت الذي تشن هذه الدول حملات قوية ضد الجمعيات الإسلامية وتتهمها بدعم الإرهاب متغاضية عن الممارسات التي تقوم بها العديد من المؤسسات الخيرية العربية والتي لها تاريخ طويل في تأييد الإرهاب من خلال دعمها لعصابات وحركات انفصالية في دول إسلامية بل وجمعها لتبرعات لصالح إسرائيل والتي يستغلها في إرهاب الشعب الفلسطيني وبناء المستوطنات.

وشدد الباحث أبو الدهب أن الاتهامات الأمريكية لهذه الجمعيات بدعم الإرهاب قد جعلت الدول الخليجية تتخذ إجراءات بهدف تنظيم ومراجعة نشاط الجمعيات الخيرية لوضع حد للاتهامات .

محاربة الإسلام.. وليس الجمعيات

وأشار الباحث محمد النجار الخبير بمركز الخليج إلى رد الفعل الرسمي في دول الخليج كما أنكر الاتهامات الأمريكية وشجبها عبر تأكيده أن هذه الجمعيات تعمل تحت إشراف الدولة وتتسم بالشفافية والمصداقية ولكن هذا الموقف لم يستمر خصوصاً بعد زيارة وزير الخزانة الأمريكي لدول الخليج حيث أوضحت الدول أن سلطتها على هذه الجمعيات تنتهي عندما يكون أنشطة هذه الجمعيات داخل حدود الدولة وليس عليها سلطات على هذه الجمعيات في أنشطتها الخارجية في العديد من دول العالم.

وأبدى الباحث أسفه لوجود أصوات علمانية خصوصا في الكويت يدعم الحملة الأمريكية على هذه الجمعيات وتطالب بوقفة حازمة معها مؤكداً أن الحملة الأمريكية

على هذه الجمعيات ستتزايد وتتكشف خصوصاً أن القانون الجديد لمكافحة الإرهاب اتسع لمحاربة جمعيات قد تمول الإرهاب في المستقبل وليس التي تقوم بهذا الأمر حاليا، حيث سمح هذا القانون للجهات الأمريكية باتهام أي جهة بالإرهاب دون تقديم أي أدلة تحت ذريعة "سرية الأدلة ".

وأوضح أن الحملة الأمريكية على هذه الجمعيات تندرج تحت ما يعرف بصراع الحضارات وما قاله الرئيس بوش من أن أمريكا تواجه حرباً صليبية وتزايد الاتهامات الأمريكية التي جاءت على لسان صموئيل هيندجتون الذي أوضح أن عداء أمريكا موجه للإسلام كدين وليس للجماعات الإسلامية الراديكالية .. فالحملة الأمريكية علي هذه الجمعيات ترغب في القضاء على المكون الديني لهذه الجمعيات وإفساح الطريق أمام جمعيات تنصيرية غربية لتحل محلها خصوصا في أفغانستان والبوسنة.

وطالب النجار هذه الجمعيات بالحذر لأن هناك مخططاً سياسياً أمريكيا للقضاء عليها عبر إيجاد مؤسسة تضم جميع فصائل العمل الخيري وأن تقوم هذه المؤسسة بصياغة ميثاق شرف أخلاقي عبر تحديد أنشطتها الأساسية وأماكن إنفاق أموالها وطرق التمويل بصورة تتسم بالشفافية سواء داخلياً أو خارجيا وإيجاد لجنة تنسيق بين هذه الجمعيات والبحث عن رقابة شعبية عبر شخصيات في المجتمع تبتعد هذه الجمعيات عن السيطرة الحكومية .

هدف صهيوني

أشار الدكتور أيمن عبد الوهاب نائب رئيس تحرير التقرير الاستراتيجي العربي إلى أنه يجب علينا إدراك مدى الحملة الشديدة التي يتعرض لها العمل الأهلي والخيري في العالم الإسلامي منذ مدة طويلة وأن هذه الحملة ذات أهداف سياسية وخدمة لأهداف صهيوينة .

وأوضح أن العمل الخيري يعد الذراع الطولي للدبلوماسية الخليجية وهناك رغبة أمريكية في شل هذه الذراع عبر القضاء على العمل الخيري الخليجي خصوصا في الدول الإسلامية ومحاصرته، وأن دول الخليج مطالبة بمراجعة وضع العمل الخيري وتفعيله وإلا فقدت رافداً مهماً في سياستها واستراتيجيتها؛ لأن القضاء على العمل الخيري الإسلامي يعتبر خدمة لإسرائيل وجمعيات التنصير.

البعد السياسي والديني للحملة الأمريكية

وفي مداخلة لاقت استحسان جميع الحضور أشار الدكتور محمد السلومي الخبير بمؤسسة الوقف الإسلامي بهولندا إلى أن الحملة ضد العمل الخيري الإسلامي بدأت قبل أحداث 11 سبتمبر وهناك كتاب طبع في أمريكا وصدر قبل هذا الحادث بأيام للكاتب بول فندلي ينتقد فيها السيطرة الصهيونة على أمريكا ويرفض فيه الاتهامات الأمريكية لمؤسسات العمل الخيري الإسلامية.

وانتقد فندلي الحملات العدائية الصهيونة ضد المساجد الإسلامية التي اتهمتها مثل كتاب " جوزيف ميللر" بأنها تقود الجهاد في أمريكا ومولت جماعة بنيا يل بريس فيلما سينمائياً اسمه الجهاد يحذر فيه من خطورة المسلمين على بنيان المجتمع الأمريكي وقد لاقى هذا الفيلم استحسانا ورواجاً في الدوائر الصهيونية .

ودلل السلومي على ذلك بقيام الولايات المتحدة في ذروة أحداث سبتمبر بتجميد مؤسستين "هولي لاند وجلوبل ليف "المتخصصتين في إغاثة الشعب الفلسطيني، رغم أن اهتمام واشنطن كان موجها إلى القاعدة وطالبان .. لذا فالبعد الديني والسياسي واضحين في الحملة الشرسة ضد هذه المنظمات حيث العداء للإسلام وخدمة الصهيونة.

ووجه الرئيس بوش – شخصياً – الاتهام للمؤسستين بدعم الجهاد الفلسطيني ضد إسرائيل بل وأدت هذه الحملة إلى انحسار العمل الإغاثي والخيري الإسلامي لصالح مؤسسات العمل التنصيري

================

#التجنس بجنسية غير إسلامية "المشكلة والحل"

فضيلة الشيخ: أبوبكر الجزائري 1423/11/2

2003/01/05

المشكلة

التجنس هو أن يطلب المرء تبعية دولة من الدول المعاصرة، فيعطاها فيصبح تابعاً لتلك الدولة، يجري عليه ما يجري على أفرادها من أحكام وقوانين سياسية ومالية واجتماعية في الجملة ودون تفصيل، وبما أن العلمانية سادت أكثر دول العالم، فإن

التدين أصبح حراً، فللمواطن بالأصالة أو التبعية أن يتدين بما شاء، فالمسلم إذا حصل على جنسية بريطانية لا يصبح نصرانياً، والبريطاني إذا حصل على جنسية باكستانية لا يصبح مسلماً، وكذا الفرنسي إذا حصل على جنسية مغربية أو جزائرية أو تونسية، لا يصبح مسلماً بل يبقى على دينه الذي اعتنقه أو ورثه عن آبائه وأجداده.

وإذا عرف هذا فهل يصح أن يحكم على المسلم إذا أخذ جنسية دولة كافرة كأمريكا أو بلجيكا أو فرنسا أو بريطانيا، وبقي على دينه الإسلامي عقيدة وعبادة، يحل ما أحل الله ورسوله، ويحرم ما حرم الله ورسوله، هل يصح أن يحكم عليه بالكفر والردة.

والجواب متروك لأهل العلم والنظر، أما أنا شخصياً فلا أقول بكفره، ولا بردته وأبرأ إلى الله تعالى من أن أكفر مسلماً وأحكم عليه بالردة كما أبرأ إلى الله تعالى ممن يكفر مسلماً أو يحكم بردته لمجرد أنه تابع لدولة كافرة قانونياً، وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج بيت الله الحرام، ويحل ما أحل الله ورسوله، ويحرم ما حرم الله ورسوله من المطاعم والمشارب والمناكح وغيرها.

الحل

إن حل هذه المشكلة يكون باتخاذ ما يلي وهو:

إرجاع كل مسلم في بلاد الكفر إلى بلاده الإسلامية، وبتهجير من أسلم في بلاد الكفر إلى البلاد الإسلامية، وبتهجير من أسلم في بلاد الكفر إلى البلاد الإسلامية، وهنا يطرح هذا السؤال: هل بالإمكان إرجاع المهاجرين المسلمين وتهجير من أسلم من الكافرين إلى بلاد المسلمين؟.

وإذا كان الجواب: إن هذا من غير الممكن اليوم وغير متأت أبداً، فما هو الحل إذاً يا ترى؟

الجواب: إن الحل لهذا المشكل العويص ليس في الحكم بردة المتجنس ، وإنما هو اتباع ما يلي:

تكوين لجنة عليا يتكون أعضاؤها من كافة البلاد الإسلامية تحت عنوان اللجنة العليا لرعاية المهاجرين، وتكون لها ميزانية يسهم فيها كل بلد إسلامي بقدر معين من المال بحسب حال البلد قوة وضعفاً، وتتلخص مهام تلك اللجنة فيما يلي:

1- بناء مساجد لهم يصلون فيها ويتعلمون الضروري من دينهم الإسلامي.

2- تعمير تلك المساجد بالأئمة الأكفاء القادرين على تربية إخوانهم روحياً وسلوكياً وتزويدهم بالكتاب الصالح النافع الذي يجمع ولا يفرق ويهدي ولا يضل كمنهاج المسلم.

3- العمل على توحيد المهاجرين في البلد الذي هم فيه بحيث تنعدم الفوارق بينهم ويصبحون جماعة واحدة ليس لها انتماء إلا إلى اللجنة العليا لرعاية المهاجرين.

4- إيجاد تعليم لأبناء المهاجرين يتناسب مع ما لديهم من وقت يتعلمون فيه ما لا بد منه من العقيدة والعبادة والخلق والأدب، مع اللغة العربية لغة الكتاب والسنة.

5- العمل على إيجاد تعاون بينهم يثمر ما يلي:

أ) وجود مجزرة ومقبرة ليأكلوا الحلال من اللحوم، وليقبروا موتاهم في مقابر خاصة بهم.

ب) تكوين لجنة من ثلاثة علماء في كل بلد فيه مهاجرين مهمتها:

إصلاح ذات البين بين أفراد المهاجرين المسلمين، ليتحاشوا التحاكم إلى محاكم غير إسلامية.

عقد النكاح بين الزوجين وتقرير فرقة الطلاق بينهما إذا خيف الضرر عليهما أو على أحدهما، وتعذر الإصلاح برفع الضرر.

قسمة كل مسلم تركته وهو حي على ورثته وكتابة صك بذلك حتى إذا مات نفذ ما في الصك كأنه وصية وحتى لا تتدخل السلطة الحاكمة في تقسيم التركة حسب قوانينها.

إيجاد قانون مالي بينهم وذلك بإنشاء مصرف للإيداع والإنماء وفق الشريعة الإسلامية التي تحرم الربا وتبيح الربح بالتعاون المشروع.

هذا هو الطريق لحل مشكلة المهاجرين في بلاد الكافرين، فهل في الإمكان سلوكه إنقاذاً لملايين المسلمين من الذوبان في مجتمعات الكفر والإلحاد وأداء لواجب الدعوة

إلى الإسلام وفي وقت الدعوة فيه لا تكلف عرقاً ولا دماً إذ لم تزد على الدينار والصدق في جمعه وصرفه لا غير.

وقبل أن ينهض المسلمون بهذا الواجب، وهو حل مشكلة ملايين المهاجرين في ديار الكفر أقدم فتواي التي أراها حلاً جزئياً للمشكلة وهي أن على المسلمين المهاجرين العودة إلى بلادهم فوراً إذ هجرتهم ما كانت فراراً بدينهم (1)، ولا كانت إلى دار إسلام، بل كانت إلى دار كفر، وقد تسببت هجرتهم في ضياع دينهم أيضاً فلا يسعهم البقاء على هذه الحال إلا بالإلتزام بما يلي:

1- أن ينووا الرباط في سبيل الله، وذلك بتكثير سواد المسلمين في ديار الكافرين.

2- أن يقوموا بالدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة.

3- أن يصححوا عقائدهم، ويعبدوا ربهم بما شرع لهم، ويهذبوا أخلاقهم ويكملوا في آدابهم لتكون دعوتهم بالحال، وهي أنفع من دعوة القال باللسان وليعلموا أن هذا لا يتم إلا بوجود علماء صالحين يربونهم عقائد وعبادات وأخلاقاً وآداباً فليطلبوا هؤلاء العلماء وليطيعوهم طاعة كاملة ما أمروهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فإذا فعلوا هذا وتحقق لهم فهم مرابطون في سبيل الله ولهم أن يأخذوا جنسية الدولة التي هم فيها، سواء كانوا مهاجرين أو مواطنين على شرط أن يكون التجنس -وهي غير التدين قطعياً- مساعداً لهم على دعوة الإسلام التي هم مرابطون من أجلها.

هذه فتواي والله أسأل أن تكون مرضية له عز وجل، نافعة لعباده المؤمنين، وأن لا يحرمني أجر اجتهادي فيها آمين.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين(2)

(1)يستثنى من هذا التعميم الفارون- بدينهم من الحكومات الظالمة .

(2)-ن/ع كتاب إعلام الأنام بحكم الهجرة في الإسلام 40-47 للشيخ الجزائري- حفظه الله-بتصرف يسير-

=============

#أمركة الخطاب الديني..

و شيخ الأزهر يتحدث عن المرأة، وعمرو خالد

الإسلام اليوم - القاهرة 1423/11/13

2003/01/16

اهتمت الصحافة هذا الأسبوع بقضايا عديدة مثل تعثر برنامج الخصخصة، ورأي شيخ الأزهر في قضايا المرأة والاستنساخ وعمرو خالد، والدعوة إلى إنشاء أزهر قطاع خاص، واستحوذت خطة أمركة الخطاب الديني للمسلمين على أهمية خاصة، وامتدّ الاهتمام للأحكام القضائية التي لا يتم تنفيذها، واختيار "تهانئ الجبالي" المحامية قاضية في المحكمة الدستورية العليا .

انتقاد صدام

في مجلة أكتوبر هذا الأسبوع يقدم الدكتور عبد العظيم رمضان – أحد أقطاب العلمانية النشطة – كشف بخطايا صدام حسين، والحديث بهذا الشكل فيه تسطيح، فالأمر تعدى رأس النظام وأصبح المقصود هو العراق والعراقيون، فقد ساق "عبد العظيم" عشرة أدلة يقول إن العراق من خلالها في مأزق، وأن الحل هو استقالة صدام حسين، وهو يعرف جيدا أن هذه الاستقالة مستحيلة؛ لأن صدام حسين لو ترك العراق ستتعقبه أمريكا ولن تتركه إلا قتيلا أو بين قضبان السجون، وبالتالي فالمقصود هو إمكانيات العراق وقدراته كدولة عربية لها وزنها وثقلها، ورغم ما يتركه المقال في نفس قارئه من غيظ، إلا أنه سرعان ما ينسى ذلك حينما يقرأ مقال رئيس التحرير "رجب البنا" عن الأصابع الخفية وراء العداء للإسلام في الغرب عموما، وفي الولايات المتحدة الأمريكية بوجه خاص. المقال وصل حجمه إلى سبع صفحات بالأرقام والوقائع الموثقة والتواريخ، ومما جاء فيه أن "بول فندلي" عضو الكونجرس لمدة 22 عاما له كتابان، الأول بعنوان "من يجرؤ على الكلام" تناول فيه تأثير اللوبي الصهيوني على السياسة الأمريكية . أما الكتاب الثاني بعنوان"كفى صمتاً" تناول فيه تشويه صورة الإسلام في أمريكا في مواجهة الضغوط التي يتعرض لها كل من يحاول إنصاف الإسلام في أمريكا .

وفي كتاب "كفى صمتا" يقول " إن صورة العالم الإسلامي كانت غامضة في ذهنه مثل كل الأمريكيين، ولم تساعد الحكومة الأمريكية على توضيح أو تصحيح الصورة، ولكن زيارته إلى اليمن كانت نقطة تحول في حياته، فقد اكتشف خلالها الحضارة الإسلامية، ولمس أن هذه الحضارة تعتمد على قيم الشرف والكرامة، وأن التسامح

قيمة أساسية فيها، لا تختلف – كما كان يعتقد – من أصول المسيحية، ويقول إنه لم يكن مهتما بالأقلية المسلمة في أمريكا وإنجازاتها في المجالات العلمية والتجارية والأكاديمية، وعندما بدأ الاهتمام بذلك اتهمه خصومه في الكونجرس بمعاداة السامية، هذه عينة مما ورد في مقال "رجب البنا" المهم والوثائقي في فضح الأيدي التي تلعب في الظلام لتشويه صورة الإسلام في أمريكا.

أول امرأة مصرية لمنصب قاضٍ

واهتمت مجلة "آخر ساعة" بمحاورة السيدة "تهانئ الجبالي" المحامية والتي تم اختيارها كأول امرأة في المحكمة الدستورية العليا في مصر، الأمر الذي جعلت منه المنظمات النسائية نصرا مبينا لدعاوى المساواة بين الرجل والمرأة .

تقول "تهانئ الجبالي" إن العيون ستسلط عليها وإن المعارضين لن يسكتوا عنها، فقط أعطوني الفرصة لأثبت أن المرأة مثل الرجل على المنصة، تترك العواطف وتحكم بالقانون .

وتقول إن المحاماة هي كل حياتها، وأن عزاءها الوحيد أنها ستعود إليها مرة أخرى بعد 14 عاما، هي مدة الخدمة في المحكمة الدستورية

قبل بلوغ سن المعاش "فهي الآن عمرها 52 سنة" .

وتهانئ الجبالي تركت المحاماة وكذلك عضويتها في الحزب الناصري الذي تنتمي إليه؛ لأن القضاء يمنع العمل بالسياسة .

وتقول إنني لن أعمل بالسياسة، ولكنني لن أنسى السياسة، فالقضاء لا يمنع التفكير فيها، وترى تهانئ الجبالي أن القضاء ليس آخر المشوار في حقوق المرأة، فما زالت المرأة تحلم بأن تكون محافظا أو رئيس مدينة،

وعن الجهات التي رشحتها لهذه الوظيفة تقول " المؤكد أن المجلس القومي للمرأة ورابطة المرأة العربية لعبا دورا مهما في هذا الترشيح.

أما رئيس المحكمة الدستورية د. فتحي نجيب فهو أحد الذين لهم دور كبير في كل قضايا المرأة، وهو قاسم أمين هذا العصر وستذكره المرأة المصرية بكل إعزاز.

وفي آخر ساعة أيضا موضوع عن الأحكام القضائية التي لا يتم تنفيذها، جاء فيه أنه في العام الماضي تم تنفيذ خمسة ملايين حكم بالحبس والغرامة، ومتوسط

الأحكام التي تصدر سنويا لا تقل عن ستة ملايين حكم، وهذا يعني أن هناك نحو مليون حكم لا يتم تنفيذه كل عام، وبذلك تتراكم ملايين الأحكام التي لا يتم تنفيذها .

شيخ الأزهر : عمرو خالد موضة

أما صحيفة "العربي" الناصري فانشغلت بذكرى ميلاد جمال عبد الناصر، لكنها في الوقت نفسه أجرت حوارا مطولا مع شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي، قال فيه إنه فرح كثيرا لاختيار امرأة كأول قاضية في مصر؛ لأن هناك من النساء من لديهن من العلم في تخصصهن أكثر من مائه رجل، وهناك مساواة بين الرجال والنساء في التكاليف الشرعية وأصل الخليقة وطلب العلم، وعند سؤاله عن: لماذا لا توجد في لجان الفتوى بالأزهر امرأة ؟ قال: أنا لم أمنعها إذا احتاجت لجنة الفتوى بالأزهر إلى سيدة فقيهة وفاهمة لأحكام الإسلام وتقدمت إلينا فنحن لا نمنعها بل نرحب بها، فالمرآة لها حق أن تفتي في حدود علمها.

وعند سؤاله لماذا لم يتم اختيار المرأة في مجمع البحوث الإسلامية ؟ قال: المجمع بالانتخاب وليس بالتعيين، ونحن لا نضمن نجاحها في حالة الترشيح مثلما يحدث في مجلس الشعب، ومن أرادت أن ترشح نفسها فأهلا وسهلا .

وعن قضية الدعاة غير الأزهريين الذين تفوقوا على الأزهريين في الدعوة بالشارع المصري قال: ما زال الأزهريون يتخرجون في كلية الدراسات الإسلامية وأصول الدين والشريعة واللغة العربية، وما زال خريجو هذه الكليات هم الذين يتولون الدعوة .

وعن عمرو خالد قال: سمعت عنه ولكني لم أسمعه ولم أره ولا أستطيع أن أحكم عليه إلا إذا سمعته، ويبدو أنه موضة جديدة !

أزهر قطاع خاص

وفي موضع بهذا الخصوص قالت العربي إن الضغوط لأمركة المناهج الدينية بالدول الإسلامية من باكستان إلى مصر مرورا بالسعودية واليمن لم تتوقف، وأغرب شيء في هذا الصدد هو ما تردد عن تخصيص قطعة أرض بمدينة 6أكتوبر لإنشاء أول جامعة أزهرية قطاع خاص، وكشفت الصحيفة أن صاحب المشروع هو رجل الأعمال "محمود الشناوي" زار رئيس جامعة الأزهر وعرض عليه المشروع، فرحب رئيس الجامعة ووعد بتقديم المساعدة في وضع المناهج واختيار أعضاء هيئة

التدريس. العلماء الأزهريون أكدوا لـ"العربي" أن طرح الفكرة يعبر عن نية مبيتة ليفقد الأزهر -كمؤسسة دينية عريقة- تفرده بل عبّر الأساتذة عن تخوفهم من أن تكون هناك جهات أجنبية وراء المشروع في إطار الحرب على الإسلام والمؤسسات الدينية الإسلامية، خاصة وأن البعض يتهم الشناوي بإقامة علاقات مريبة مع اليهود .

أمركة الخطاب الديني

وفي صحيفة "الأسبوع" المستقلة كان الموضوع الرئيس والمهم هو التقرير الذي كتبه رئيس التحرير "مصطفي بكري" عن الخطة التي انتهت الإدارة الأمريكية من إعدادها بعنوان" تطوير الخطاب الديني لدى المسلمين "، وتشير المعلومات إلى أن تقرير اللجنة أكد أهمية أن يتم التركيز على تقليل الاهتمام بالجانب الديني في الحياة الاجتماعية العامة، وأن يبرز الدور الديني كمعيار ثانوي في أساليب الحياة الاجتماعية للمواطنين، حيث يرى أن أحد أسباب انتشار الإرهاب هو الاهتمام بالجانب الديني في السبعينات .

ويرى التقرير أن إحدى الوسائل الأساسية للقضاء على الجانب الديني يجب أن تتضمن إغراق الشعوب العربية والإسلامية بأنماط مختلفة من التكنولوجيا الحديثة، وكذلك نشر الأسلوب الغربي في الحياة .

ويقول التقرير إن هناك مشكلة أساسية تواجههم في مصر، وهي أنه مع زيادة معدلات الفقر وانتشار البطالة، فهناك تفكيرا تلقائيا ينشأ لدى الأفراد في اللجوء إلى الدين كوسيلة للخلاص من متاعب وأزمات الحياة الاجتماعية، وأنه لذلك يجب التركيز على تطوير الخطاب الديني في مصر تحديدا، وحسب المشروع الأمريكي فقد تم التركيز على مصر في برنامج المعونة الأمريكية الجديد، بعد أن جرى التوصل إلى نتيجة مفادها أن الدعاة المصريين هم الأكثر شهرة وتأثيراً في بقية الدول العربية والإسلامية .

ويرى المشروع أن خطة تطوير الخطاب الديني في مصر سيجري تنفيذها من خلال دورات تدريبية مكثفة ستعقد في القاهرة وواشنطن مدة الدورة 6 أشهر، يلتحق بها من 500-600 من الدعاة المصريين الذين يمكثون منها ثلاثة أشهر في واشنطن وبقية المدن الأمريكية، وثلاثة أخرى في القاهرة، وسيتم اختيار عدد من علماء الدين الكبار

الذين يرفضون الإرهاب ولديهم تفسير عقلاني للدين ليكونوا محاضرين رئيسيين في هذه الدورات .

============

#العلمانيون و تطبيق الشريعة الإسلامية

الإسلام اليوم –القاهرة 1423/5/26

2002/08/05

– يدّعون النقص في الشريعة ، والله لم يتعبدنا بشريعة ناقصة .

– يحتجون باجتهادات عمر الفاروق على جواز إقاف الحاكم لبعض النصوص التشريعية .

– الربط بين الحجاب والتخلف خدعة علمانية مكشوفة .

– ادعاء القسوة في الحدود الشرعية جهل بالحكمة من تغليظ العقوبة

كثيرة هي الشبهات والاعتراضات التي يوجهها العلمانيون في العالم الإسلامي ضد المطالب الشعبية المتنامية لتطبيق الشريعة الإسلامية ، بعد أن أُثبتت القوانين الوضعية التي تسللت إلى ديار المسلمين إبان عصر الاستعمار الأوروبي لكثير من البلدان العربية والإسلامية ، وقد حمل هذا الاستعمار عصاه ورحل بعد جهاد شاق وتضحيات كبيرة من الشعوب العربية والإسلامية ، ولكن ظل هذا الاستقلال ناقصاً ومبتوراً ؛ لأننا لم نتحرر من تلك القوانين الغربية التي تمثل استعمارا أوربيا قانونيا حتى الآن .

الدكتور فريد على جلبط المدرس بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر يتناول – في بحث أعده حديثاً – شبهات المعارضين لتطبيق الشريعة الإسلامية ، ويقوم بالرد عليها شبهة تلو أخرى ؛ لإثبات أن المجتمعات الإسلامية هي أحوج ما تكون لتطبيق الشريعة حتى يكتمل استقلالها وتستعيد هويتها الإسلامية ، وتتخلص من بقايا الاستعمار القانوني الأوربي ، الذي لم تجن منه تلك المجتمعات سوى المزيد من المظالم الاجتماعية والمشكلات الخُلقية ، التي كرستها قوانين هي من صنع البشر وقد عجزت عن تحقيق العدل والأمان في بلادها .. فكيف نستمر في تطبيقها في بلادنا ؟؟

" عصر الجمل ..وعصر الفضاء "

الشبهة الأولى تقول :

إن شريعة عصر الجمل لا تصلح لعصر الفضاء ، وأن الشريعة الملزمة غير قادرة على الوفاء بحاجات الناس ، وأنها لم تشمل جميع جوانب الحياة ويضربون على ذلك مثلا بقانون المرور والبحار .. الخ . وللرد على هذه الشبهة ، يقول الدكتور جلبط : إن هذه الشريعة صادرة من الله العليم الخبير ، وقد شهد سبحانه وتعالى لها بالصلاحية والخلود والشمول ؛ وذلك بحفظ مصادرها الأساسية وهي القرآن قال تعالى : { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } . وهذا الحفظ يتضمن السنة النبوية أيضا وكذلك حفظ الشارع الإجماع فقال – صلى الله عليه وسلم – { لا تجتمع أمتي على ضلالة } .

وقال تعالى مبيناً شمولها : { ما فرطنا في الكتاب من شيء } .

وهذه الشريعة خاتمة وعالمية ولا يعقل شرعاً أن يتعبدنا الله تعالى بشريعة ناقصة ، ولذلك قال تعالى : { قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين } . وقال – صلى الله عليه وسلم – في الحديث : { وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة } .

وقد أودع الله في هذه الشريعة خصائص وميزات تجعلها قادرة على الوفاء بحاجات الناس في كل عصر ؛ إذ أن الشرع تناول بالتفصيل جانب العبادات ، أما الجوانب الأخرى فهي المعاملات ، فقد وضع لها أصولا عامة وترك تفصيلاتها لعلماء الأمة في كل عصر ؛ لبيان حكم الله من خلال هذه القواعد ، وأبرز مثال على ذلك نظرية الشورى كأساس من أسس الحكم في الإسلام ، فقد ترك تطبيقها لظروف كل عصر دون أن يحدد لها شكلا معينا من أشكال الحكم .

والشريعة الإسلامية تتميز بالثبات في الأصول والغايات والمرونة في الوسائل والفروع ، فالمسائل الجديدة ينظمها ويبين حكمها أهل الحل والعقد طبقاً للقواعد العامة ، كقانون البحار ولوائح تنظيم المرور يمثل قاعدة رفع الحرج عن الناس وقاعدة لا ضرر ولا ضرار .. الخ .

" اجتهادات عمر بن الخطاب "

ويثير المعارضون لتطبيق الشريعة بعض الاجتهادات التي أقدم عليها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب حين أوقف سهم المؤلفة قلوبهم ، وأفتى في المواريث ، وإيقاف حد السرقة عام المجاعة ، ويريدون من اعترافهم الاستدلال على أنه يجوز للحاكم إيقاف بعض النصوص وفقا لما يرى فيه أنه مصلحة .

ويرد الدكتور جلبط على هذه الشبهة قائلا :

إن هناك حقيقة شرعية غفل عنها أصحاب هذه الدعوى ألا وهي أن الأصل في العبادات الالتزام بها دون البحث عن العلة فيها ، كما أن الأصل في المعاملات التعرف على علل الأحكام فيها ، وأن هذه الأحكام تدور مع عللها وجوداً أو عدماً ، كما أن هناك شروطا لابد من توفرها لإقامة الحد .

وطبقاً لهذه القواعد فإن إيقاف عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – لسهم المؤلفة قلوبهم كان بسبب فهمه أن هذا السهم شُرع لعلة معينة في ظروف محددة ألا وهي علة " تأليف القلوب " في ظروف ضعف الدولة الإسلامية في بداية تكوينها ، ومن ثم كان الحكم هو مشروعية هذا التأليف سواء كان ذلك من أموال الغنيمة أو الفيء أو الزكاة

، أما وقد عز الله الإسلام وقويت الدولة واشتد سلطانها فلا حاجة إذا للتأليف ؛ لأن العلة غير موجودة وإذا انتفت العلة انتفى الحكم .

أما بالنسبة للمسألتين العمريتين في المواريث فإن عمر – رضى الله عنه – أعمل النص ولم يهمله لأن الله تعالى يقول : { للذكر مثل حظ الأنثيين } . وقبل اجتهاد عمر – رضى الله عنه – لم تكن الآية متحققة وتفصيل الأمر في إحدى المسألتين اللتين أفتى فيهما عمر هي أن المسألة قبل الاجتهاد من أن للأب سهم ؛ لأنه عاصب ، وللأم سهمان وللزوج ثلاثة ، والملاحظ أن الأم أخذت ضعف الأب وهو ما يخالف النص القرآني ، وأصبحت المسألة بعد اجتهاد عمر أن الزوج أخذ نصيبه ثلاثة ، وأخذت الأم الثلث من الباقي بعد نصيب الزوج وهو واحد وأخذ الأب الباقي وهو اثنان ، وبذلك أصبح نصيب الأب ضعف نصيب الأم وفقاً للآية الكريمة { للذكر مثل حظ الأنثيين } .

أما بالنسبة لإيقاف حد السرقة عام المجاعة فإن شروط إقامة حد السرقة لم تتوفر في هذه الحالة ، وفات على المعترضين أن الشرع حجة على العباد أما أفعال العباد فليست بحجة على الشرع .

" الهيمنة للقرآن والسنة "

وتأتي الشبهة الثالثة التي يستند إليها المعارضون ويحتجون بقول معاذ – رضى الله عنه – (اجتهد رأيي لا آلو) للتدليل على مشروعية الاجتهاد بدون ضابط أو شرط .

والرد على هذه الشبهة أبسط ما يكون إذا قرأنا حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – جيدا فحين سأل معاذا عندما أرسله إلى أهل اليمن معلما وقاضيا { بما تقضى إذا عرض لك قضاء ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد . قال فبسنة رسل الله . قال : فان لم تجد . قال : اجتهد رأيي لا آلو .. } الحديث .

وبالتأمل في الحديث نجد أن الاجتهاد جاء في المرتبة الثالثة بعد كتاب الله وسنة نبيه ، ومن ثم فالهيمنة عليه للكتاب والسنة فأي اجتهاد يخالف صريح الكتاب والسنة الصحيح يعد باطلا ، إن الاجتهاد لابد أن يكون صادرا من أهله وليس من ادعائه ، فللاجتهاد شروط لابد من توفرها وهي العلم بالكتاب والسنة والعلم باللغة العربية والعلم بأصول الفقه وخاصة مباحث الألفاظ والناسخ والمنسوخ وباب الأدلة والأحكام الشرعية والعلم بمسائل الاجتماع . والاجتهاد يشترط فيه عدم التقصير " لا آلو " أي لابد وأن يبذل المجتهد طاقته ويستفرغ وسعه في استنباط الأحكام الشرعية ومن ثم فإن الاستدلال بهذا الحديث من جانب المعارضين استدلال باطل لأنه حجة عليهم لا لهم .

و تتمثل الشبهة الرابعة في محاولة التوفيق بين الإسلام وغيره من النظم الوضعية لتبرير الوضع القائم في بلد ما على حسب النظام السائد فيها فإذا كان تيار الاشتراكية غالب كانت المحاولة الجمع بين الإسلام والاشتراكية وهكذا ، فبعضهم يقول أن النبي – صلى الله عليه وسلم – تبعه الضعفاء والمساكين وأنه عنى بالطبقة الكادحة ، والبعض الآخر يقول أنه لا صدام بين الإسلام والاشتراكية فالرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول { الناس شركاء في ثلاثة الكلأ والماء والنار } .

" الهزيمة الحضارية "

وهذه الشبهة في رأى الدكتور جلبط هي محاولة من جانب المنهزمين نفسيا أمام الحضارة الغربية للتلفيق وليست للتوفيق ، فالإسلام شرعه الله تعالى نظام مستقل عن بقية الأنظمة الأخرى الوضعية والدينية المحرفة فهو دين ودولة ، مصحف وسيف ، علم وقضاء ، مادة وثروة ، كما هو عقيدة صادقة ، وعبادة صحيحة ، يختلف في منطلقاته وأهدافه ، كما يختلف في طبيعته وقانونه عن بقية الأنظمة الأخرى وليس معنى اتفاق الإسلام والرأسمالية في مسألة من المسائل ما أنه رأسمالي أو اتفاق الإسلام والاشتراكية في أمر ما أنه اشتراكي ، فالاشتراكية والرأسمالية منطلقاتها مادية في أن الإسلام منطلقاته من القرآن والسنة .

والشبهة الخامسة للمعارضين لتطبيق الشريعة تتعلق بالحدود بشكل عام زاعمين أنها منافية لروح العصر وحقوق الإنسان .

والرد على هذه الشبهة يعتمد على أن عنصر القسوة من حيث ذاتها يمثل الركن الأساسي لمعنى العقوبة فلو فقدت القسوة فقدت معها العقوبة بدون شك ولكن ما هي الدرجة التي يجب أن تقف عندها قسوة العقوبة على جريمة ما ؟

إن الذي يحدد هذه الدرجة هو تصور مدى خطورة الجريمة التي استلزمتها .. أي أن تحقيق معنى العقاب يستلزم أن تشتد القسوة كلما ارتفعت الجريمة في سلم الخطورة وأن تخف القسوة فيه كلما انخفضت الجريمة في درجات هذا السلم ذاته .

وهذه الحقيقة محل وفاق جميع علماء الشرائع والقوانين مهما اختلفوا في تحليل فلسفة العقاب فإذا كان في الناس من يصف حدود الشريعة الإسلامية بقسوة زائدة على مقتضى هذه القاعدة التي لا خلاف عليها فسبب ذلك أنهم لا ينظرون إلي خطورة الجرائم التي أنيطت بها الحدود دون نظر إلى نظرة المشرع في ذلك وهذا ضلال عجيب .

"السطحية في الفهم "

ويضيف الدكتور فريد على أن جرائم ما هي إلا اعتداء صارخ على أصول الحياة ومقوماتها أو ما اصطلح الفقهاء على تسميته بالكليات الخمس وهي الدين والنفس والعقل والعرف والمال ، وادعاء القسوة والشدة في حدود الشريعة مظهر من مظاهر

السطحية في الفهم بل الجهل المعيب بطبيعتها وإن كان كل دارس للشريعة يعلم يقينا أن ما قد يبدو في حدودها من القسوة لا يعدو أن يكون قسوة تلويح وتهديد فهو أسلوب تربوي وقائي أكثر من أن يكون عملا انتقاميا أو علاجا بعيد عن الواقع .

ويؤكد ذلك أن الشريعة لا تجيز الاعتماد على قرائن الأحوال في الحدود وذلك تضييقا لسبيل الاتهام بل لابد فيها من البيان المنصوص عليها وإلا سقط الحد وأساس ذلك قاعدة (ادرؤوا الحدود عن المسلمين بالشبهات ما استطعتم فإن وجدتم مخرجا فخلوا سبيله فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة) ، وتشدد الشريعة في تطبيق عقوبة الزنا زيادة على ذلك إلى درجة تجعل تطبيق العقوبة على الزاني من نوادر الأعمال وغرائب العصور فقد شرطت لذلك إما الاعتراف القاطع الصريح وإما بشهادة أربع برؤية الفعل على حقيقته .

ومعظم العقوبات المترتبة في الشريعة على المعاصي والانحرافات المختلفة إنما فوض الشارع تقديرها إلى بصيرة الحاكم المسلم على ألا تتجاوز حدودا معينة ، فهي خاضعة للتطور في نوعها وللتفاوت في شدتها وهي بذلك متفقة مع روح العصر (وهي ما تسمى في الشريعة بجرائم التعازير) وإذا سقط الحد بالشبهة فإن الجاني لا يؤاخذ عندئذ إلا بالتسوية المالية كرد الأشياء المتهم بسرقتها وعقوبة تعزيرية يتخير القاضي نوعها وكميتها حسبما تقضى به المصلحة ويحقق الغاية من شرعية العقوبات .

" حجاب المرأة ..والخدعة المكشوفة "

والشبهة السادسة تدور حول موقف الإسلام من المرأة والزعم بأن هناك ظلم للمرأة المسلمة وأن الحجاب يعوق عن التقدم ، وينسى هؤلاء أن التخلف له أسبابه والتقدم له أسبابه ، وإقحام شريعة الأخلاق في هذه الأمور خدعة مكشوفة .

والشبهة السابعة هي اللعب بورقة الأقليات داخل المجتمع المسلم ، ويتجاهل مثيرو هذه الشبهة أن الشريعة الإسلامية لا تطبق إلا على المسلمين وأنه أهل الأديان الأخرى غير ملزمين بها في أغلب الأمور

=============

 # المنافقون ودورهم في اسقاط الدول

كثيراً ما يواجهني سؤال مفاده. لماذا تنتقد بحدة العلمنة والفكر العلماني ؟ مباشرة ، ودونما أية مجاملة أو مواربة، أو عبارات اعتذارية كما جرت العادة عند التعرض لمثل هذه القضايا ذات الأبعاد الحساسة، أقول:

السبب أنني أرى أن هذا الفكر الطارئ ، له آثاره الخطيرة على المجتمع ،يقول الدكتور سفر الحوالي . شفاه الله . وهو من كبار العلماء في بيان تعريف العلمانية: (لو قيل إنها فصل الدين عن الحياة ، لكان أصوب ، ولذلك فإن المدلول الصحيح للعلمانية هو إقامة الحياة على غير الدين ؛ سواء بالنسبة للأمة أو للفرد) العلمانية ص 24 .

هذه الفرقة – في حقيقتها – تقوم وتنطلق على أساس فصل الدين عن الحياة ..ومن ضمنها السياسة ..فالعلمانيون يجعلون الحياة في جانب والدين في جانب آخر ..وهنا بيت القصيد ومربط الفرس كما يقولون.

فالدين في نظر هؤلاء هو الاعتقادات ومن وسع دائرته فيضيف إلى ذلك الشعائر ، وهو مفهوم كهنوتي غربي انتهى إليه الحالة الغربية بعد الصراع ثم التوافق التاريخي بين كنائس الأحبار والرهبان وبين مؤسسات المجتمع الغربي وعندما استوردنا هذا التصور صرح بعضهم جهراً أن (الدين لله والوطن للجميع) وشعار (لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين)

إننا نتوجه بالسؤال إلى من يدعي الإسلام من هؤلاء فنقول :

إذا أخرجنا . على سبيل التحكم . جزءا من النشاط الإنساني في الحياة . إما السياسة وإما غيرها . عن دائرة الدين فمن أين نتلقى منهج وأحكام هذا الجزء ؟

ولأن (فكرة فصل الدين عن الحياة) هي أساس (العلماني)، فإن الراصد المتتبع لخطاب ناشطيهم ودعاتهم، يجد أنهم يدافعون عن تنظيماتهم ويتعاملون مع خصومهم، ويصفون الذين يطالبون بتطبيق الإسلام وتحكيمه في أرض الله وعلى عباد الله كما هو بدون اختزال بأنه (صحوي أو متطرف أو طالباني) . باستثناء بعض المتأثرين بهم من حيث لا يشعرون . وهم بذلك – ربما دون أن يشعروا – يفترضون أن الإسلام (ديناً كهنوتياً) مكانه المسجد وأن الذين يعترضون على تسلطهم، ويختلفون مع خطابهم، هم ضد الإسلام بينما هم في الواقع ضد أن يكون

انتقائية في اختيار ما يناسب من أحكام الإسلام للإشهار به على الأعداء والخصوم ..وتمرير أفكارهم ..وتبرير مواقفهم .. لأن الإسلام من حيث المنطلق، ومن ثوابته الأساسية، والتي لا يختلف عليها اثنان من أهل الإسلام ، لا يقبل بإقامة الحياة على غير الدين وإنما قام على أن يكون الدين مهيمنا على الحياة كما قال الله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)) (البقرة :208) .

والعلماء هم ورثة الأنبياء في بيان الدين للناس وتعليمهم إياه .. وقد أمر الله تعالى عباده برد الأمر عند الاختلاف إلى العلماء فقال سبحانه : ((وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ)) (النساء : 83) .

ولذلك أقام ولي الأمر المؤسسات الدينية كهيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء لضبط الناس وتوجيههم .. بل كل دول العالم تضع ذلك على حسب أديانهم وتوجهاتهم .

والإسلام أمر بالطاعة (لأولي الأمر) خاصة، في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ)) (النساء :59) .

ولا صحة لمن يقول إن العلماء لا يشتركون مع الأمراء في مقتضى (الطاعة) بمعناها الشرعي ، قال العلامة الشنقيطي في تفسيره (317/7) (وقد أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر وهم العلماء أو العلماء والأمراء وطاعتهم تقليدهم فيما يفتون به فإنه لولا التقليد لم يكن هناك طاعة تختص بهم)

وأهل العلمنة ينتظمون ضمن (تنظيم) أو قل: (توجهات فيهم فلول شيوعيين وبعثيين وقوميين) ، و ليسوا كالعلماء إنما هم (آحاد) وأفراد، يتفقون ويختلفون حسب اجتهاداتهم وفهمهم للأدلة، ولا يضر – بالتالي – المجتهد منهم اختلافه مع من هو أعلى منه منزلة، أو أقل منه منزلة من الناحية العلمية. يقول علماء الأصول: (لا إنكار من أحد على أحد في المسائل الاجتهادية فالمجتهد لا ينكر على مجتهد مثله، والمقلد لا ينكر على مقلد مثله كذلك، بَلْهَ أن ينكر على مجتهد) هذا هو الإسلام. أما بنو علمان ، أو قل الفكر العلماني، فيعملون من خلال (تنظيم) لها منظرون، ولها أسس فكرية، وكوادر وأتباع ومريدون، وهم في الواقع وعند التدقيق والتمحيص من

أسس إلغاء الدين واستغل أخطاء أصحاب الكنيسة لتكون نقطة تحول للانفلات من الدين ..وجعل الدين هو العقبة أمام التقدم والحضارة .

ولعل (المقالات الجماعية على هدف واحد) التي يصدرها بعض كتاب الصحافة هذه الأيام تصب دون أن يعوا في إثبات ما أقول: فمثل هذه المقالات الجماعية والتي تُنقل أحيانا من مواقع متطرفة جدا كموقع إيلاف ؛ لم يكن لها سابقة في التاريخ الإسلامي، أراد منها (هؤلاء) – على ما يبدو – تكريس فكرة (العلمنة) في الإسلام في أذهان مريديهم، وترويجها، وإذعان الناس لسطوتها وسلطتها للانتهاء بهذا الدين العظيم إلى أن يكون (في مسجد)، أو (في قضايا الأنكحة) فقط .

كما أن هذه الفرقة تعتمد التستر بالتمسك بالدين الإسلامي بل ومنهج أهل السنة والجماعة من خلال تنظيم لا يتوقف عند استغلال بعض (وسائل الإعلام) وقلب المفاهيم الشرعية لدى الناس ، وطرح الشبهات بحجج واهية ، وإنما هذه مقدمات إلى العمل السياسي المنظم وهو الأصل والغاية في مرامي فرقتهم، والذي يستحلون فيه كل المحرمات، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة ..وتعمد إبداء (ظاهر) يختلف مع (الباطن) والهدف والنية، طالما أنه يخدم أهدافهم وغاياتهم السياسية.

وبنو علمان يحاولون دائماً أن يفعِّلوا (قيم) الإسلام الأخلاقية لتبرير مواقفهم ..والتستر على أفعالهم ومخططاتهم ..بينما هم يسهرون في ليال حمراء ..الله أعلم بحالهم !!!

وبنو علمان هم الطابور الخامس ..ولا أدل على ذلك ..من الواقع الذي نراه جميعاً : ففي أفغانستان وفي بلاد الرافدين..وفي فلسطين من الذي قاوم المحتل ومن الذي رحب به ؟!

إننا نعلم جميعاً من هم الطابور الخامس ..ومن الذي له علاقات مع سفارات خارجية ..ويتسلم مكافأة مالية ..ليتهجم على مناهج هذه البلاد التعليمية ..ويحرض على قلب سياسة الحكم في البلد إلى ديمقراطية وهي دعوى كاذبة .. كل ذلك لأن (ثابتهم) الأول هو الحكم، أو على الأقل الوصاية على المجتمع، والتحكم في تسييره كما يطمحون.

ولأنهم يعرفون أن المجتمع السعودي مجتمع (محافظ) ولدى أغلبيته غيرة شرعية في كل ما يتعلق بقضايا (المرأة) ومنحها حقوقها، فإن الخطاب العلماني يطرح نفسه كممثل للمطالبة بحقوق المرأة ..فلماذا يضيق على المرأة بغطاء وجهها ؟!! فالحجاب ـ عندهم . تخلف ورجعية..ولماذا لا تعمل المرأة جنباً إلى جنب مع الرجال ؛ فالاختلاط ينمي الثقة بالنفس ..ولماذا تكون القوامة بيد الرجل والمرأة كاملة الأهلية ؟!! ..ولماذا لا تمارس المرأة هوايتها في الفن والمسرح حتى ولو هابطاً فهذه حرية شخصية ؟!! ..ومن حقها أن تمارس الرياضة بأنواعها المختلفة حتى المنفلتة منها لأنها رشاقة وجمال !!

وختاماً.. ماذا جنينا من هذا الفكر العلماني ، إلا الإساءة لسمعة هذا الدين، وإدخال الإسلام والمسلمين إلى محل الازدراء والتهكم ..فالإسلام شيء وواقع بعض وسائل الإعلام شيء آخر . فالمرأة تخرج متبرجة .. وتتراقص أمام العالم ..ليقال لغير المسلمين ..نحن لسنا متشددين ولسنا صحويين ..ولا طالبانيين !!

ولقد أخذ هؤلاء على عواتقهم تكريس فكر الانبطاح التام للغرب ..والنظر إليه بنظرة الإعجاب والإكبار ..حتى أصيبت بعض الشعوب بالخنوع والخضوع ..وصوروا لهم أنه لا يمكن أن نكون أقويا بإيماننا ..أقويا بإنتاجنا وقدراتنا .. برغم أن بعض أساطين هذا الفكر تنبه إلى (الورطة) التي أوصلوا إليها بلدانهم فضلاً عن مريديهم فإنهم لا يزالون في غيهم يعمهون .

خلاصة القول ..إن الله سبحانه يقول : ((وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ)) (الزخرف:84) . وهم يقولون : وهو الذي في السماء إله وفي الأرض آلة أخرى ..

وصدق الله : ((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)) (الزمر: 45) .

==============

حكم مجادلة العلمانيين وغيرهم في مناظرات علنية:

لقاءات الباب المفتوح - (ج 233 / ص 27)

السؤال: هل يجوز لطلبة العلم المتمكنين من العلم الشرعي مناظرة أهل الأهواء كالعلمانيين وغيرهم في مناظرات علنية دحضاً لشبهاتهم ورداً على افتراءاتهم على الدين الإسلامي؟ الشيخ: تقول: هل يجوز؟ السائل: نعم.

الشيخ: أنا أقول يجب، يجب على المتمكنين أن يجادلوا هؤلاء، لقوله تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [النحل:125] وإذا تبين الحق ولم يرجع إليه هؤلاء فعلى ولي الأمر أن يلزمهم بذلك، أو يعزرهم تعزيراً يردعهم عن الدعوة الباطلة؛ لأنه لا يمكن أن نجعل الناس وشياطينهم أحراراً يقولون ما شاءوا، ما دام لنا قدرة والحمد لله وسيطرة وسلطان، فيجب أن نردع هؤلاء حتى لا يعيثون في الأرض فساداً، وإذا كان الحرابة في أخذ الأموال من الناس حكمها معروف: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ [المائدة:33] إذا كان هذا في أخذ أموال الناس والاعتداء على حياتهم فكيف بمن يسلب الناس دينهم، ويحرمهم الدنيا والآخرة؟!! لأن الكافر خاسر في الدنيا والآخرة كيف ذلك؟ في الدنيا كل يوم يمضي لن يعود إليه أليس كذلك؟ وما الذي استفاد؟ ما الذي استفاد من هذا اليوم الذي مضى؟ لم يستفد شيئاً، حتى وإن بلغ المتعة أعلى المتعة الجسدية فإنه لم يستفد، واليوم التالي والتالي إلى أن يموت كذلك خسران. في الآخرة خاسر أم غير خاسر؟ خاسر: قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [الزمر:15] هؤلاء الذين يدعون الناس إلى الكفر والإلحاد معناه: يريدون من الناس أن يخسروا الدنيا والآخرة، أيهما أعظم فساداً، هؤلاء أم الذين يأخذون المال، أو يقتلون الناس؟ الأول أشد وأعظم، ولذلك نحن نحذر من الاستعمار الفكري والخلقي والمنهجي الذي يبثه أعداء المسلمين اليوم في القنوات الفضائية وفي الإنترنت وما أشبه ذلك. هم الآن لا يستطيعون أن يغزونا بالسلاح إذا كنا على هذا الوضع والحمد لله لكن يغزوننا بالأفكار والأخلاق والشبهات، أما لو كانت دولة ضعيفة غزوها بالسلاح أليس كذلك؟ نعم. وانظر الحوادث الآن في الشيشان وغيرها، ولهذا يجب علينا أن نفكر في الأمر تفكيراً جدياً، على الأقل أن نتحصن ونحصن أنفسنا من هذه الوافدات علينا. اللهم احفظ علينا ديننا وثبتنا عليه إلى الممات، وقوِ ولاة أمورنا على أعدائنا،

وسلطهم عليهم تسليطاً يردعهم عن الشر والفساد. وانتهى الوقت، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وفقكم الله وأعاننا وإياكم.

=================

حكم الموالاة الظاهرية لحزب علماني لغرض الوظيفة

فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج 6 / ص 2578)

رقم الفتوى 43589 حكم الموالاة الظاهرية لحزب علماني لغرض الوظيفة

تاريخ الفتوى : 02 ذو الحجة 1424

السؤال

لدي سؤال مهم ومستعجل وهو أن التعيينات لدينا لا تتم إلا بعد التوقيع لبعض الأحزاب العلمانية الحاكمة وقد قمت بكافة المحاولات ولكن دون فائدة , وهناك ضغط كبير من أهلي على أن أوقع, فهل يجوز لي التوقيع لهم دون الموالاة الباطنية لهم , علما بأني أمتلك فكرا إسلاميا بحتا وليس هناك أي مجال في عقلي سوى الفكر الإسلامي والحمد لله, أفيدوني وجزاكم الله خيرا

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فتوقيعك لبعض الأحزاب المذكورة إذا كان يترتب عليه إعانة على معصية أو إثم فإنه لا يجوز، لما يشتمل عليه من التعاون على الإثم والعدوان، كما لا تجوز طاعة أهلك في هذا الأمر، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والمسلم لا يبيع دينه بعرض من الدنيا مهما كثر، وما عند الله تعالى لا ينال إلا بطاعته، وما كتبه الله تعالى للإنسان من رزق سيصل إليه لا محالة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: إن روح القُدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته. صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير.

ونسأل الله تعالى لك الاستقامة على طريق الحق والصواب والإعانة على ذلك.

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

===============

الصلاة خلف إمام يظهر رضاه بالعلمانية

فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج 9 / ص 1853)

رقم الفتوى 62210 الصلاة خلف إمام يظهر رضاه بالعلمانية

تاريخ الفتوى : 08 ربيع الثاني 1426

السؤال

سؤالي هو : هل يجوز لي الصلاة خلف إمام المسجد (هذا الإمام هو معين ومفروض علينا)الذي يظهر ولاؤه ورضاه عن العلمانية بل ويناصرها علناً ويكون عريفاً لحفلها الانتخابي لانتخابات المجالس المحلية، ولا يكتفي بذلك بل يدعو الناس للتصويت لهذه القائمة العلمانية؟

أفيدونا بارك الله فيكم وبالسرعة الممكنة لما في ذلك من رفع الحرج عن المسلمين في الحي الذين أصبحوا بين نارين نار الصلاة خلف إمام علماني وبين الحفاظ على صلاة الجماعة في المسجد.

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد بينا في فتاوى سابقة حكم العلمانية والعلمانيين، فلتراجع الفتوى رقم: 2453 فقد بينا فيها حقيقة العلمانية وأنها كفر، وكذا الدعوة إليها، إلا أن شخصا يدعي الإسلام وينتمي إلى العلمانية لا نستطيع الحكم عليه إلا بعد معرفة حاله وتوفر الشروط وانتفاء الموانع، فمن توفرت فيه حكم بكفره، وحرمت الصلاة خلفه ولم تصح، وإلا فلا.

وعليه، فلا نستطيع الحكم على الشخص المذكور، بل ينبغي لكم أن توجهوا السؤال إلى من له علم بحاله وحقيقة أمره.

والله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

=============

المبلغ المستفاد بسبب الانتماء إلى حزب علماني

فتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج 10 / ص 4763)

رقم الفتوى 75510 المبلغ المستفاد بسبب الانتماء إلى حزب علماني

تاريخ الفتوى : 25 جمادي الأولى 1427

السؤال

رجل من شمال العراق كان منتميا إلى حزب علماني لا ديني، وقد شارك معهم في بعض الثورات والنشاطات التي قام بها بدافع الدفاع عن الحقوق القومية. وبعد ذلك تبين له حقيقة هذا الحزب، فندم على ما سبق، والآن وبعد مضي سنين عدة يقوم هذا الحزب بصرف راتب شهري للمنتمين إليه قديما. فما حكم أخذ هذا الراتب؟

الفتوى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فالمرتب الذي يأخذه العضو في هذا الحزب العلماني يعتبر أجرة مقابل منفعة محرمة لأن الأساس الذي استحق به الراتب هو الولاء والمناصرة لمبادئ هذا الحزب، ولا ريب أنه يحرم على المسلم موالاة ومناصرة العلمانية وأهلها، وبالتالي لا يجوز له الانخراط في مثل هذه الأحزاب ولا أخذ المال الذي يدفع له على هذا الأساس، لكن ينبغي التفريق بين أن يكون هذا الحزب يرأس الدولة ويتحكم في أموال المسلمين وبين أن يكون حزبا خارج الدولة، فإذا كان من النوع الأول فإن الأموال التي بين يديه إنما هي أموال المسلمين، فمن استطاع أن يصل إلى حقه منها فله ذلك، وإن لم يكن له فيها حق صرفه إلى المستحقين ولا يرده إلى ذلك الحزب الذي سيصرفه في الباطل .

ولعلنا هنا نستأنس بقول الإمام أبي حامد الغزالي إذ يقول: لو لم يدفع السلطان إلى كل المستحقين حقوقهم من بيت المال فهل يجوز لأحدهم أخذ شيء من بيت المال ، ثم ذكر فيه أربعة أقوال:

أحدها: لا يجوز.

الثاني: يأخذ كل يوم قوت يومه فقط.

الثالث: يأخذ كفايته سنة.

الرابع: يأخذ ما يعطى وهو حصته والباقون يظلمون وهو القياس، والقياس الصحيح أن يأخذ ما يعطى.

و الله أعلم.

المفتي: مركز الفتوى بإشراف د.عبدالله الفقيه

=============

العلمانية وخطرها

موسوعة خطب المنبر - (ج 1 / ص 4)

صالح الونيان

بريدة

جامع الإمام محمد بن عبد الوهاب

الخطبة الأولى

أما بعد:

أيها المسلمون!

لقد أنزل الله الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ففتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، وبدد بدعوته ظلمات الجهل والحماقة، وأسقط الأغلال التي كانت على العقول، حتى أمسى شرك الجاهلية وضلالها أسطورة غابرة، وأصبحت عبادة الأصنام في ميزان المسلم إفكاً قديماً، ويعجب المسلم فيما يعجب من سخف المشركين، وصدق الله تعالى إذ يقول: من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً [الكهف:17].

عباد الله!

غير أنه يجب أن نذكر دائماً أن الابتلاء مستمر، ومادة الشر باقية، وشياطين الإنس والجن مستمرون في ترويج الضلال؛ حتى زخرفوه بكل صلة، وروجوا له بكل لسان وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً [الأنعام:112].

ومن الواجب أن نتتبع طرق الغي؛ بالتحذير منها، وكشف مراميها وأبعادها، وسد السبل على دعاتها، حتى يكون المسلمون على بينة من ربهم، وبصيرة من سبيلهم، ولا يضرهم انتحال المبطلين أو كيد الحاقدين.

ولقد شاعت في دنيا المسلمين اليوم فلسفات وأنظمة خدعت الكثيرين منا ببريقها، وانتشرت شعارات ومصطلحات أسرت عقول البعض واستحوذت على الأفكار، أرى ذلك كله داء دوي ونار لو قدر لها أن تنتشر؛ لم تأت على شيء إلا جعلته كالرميم.

ومن تلك الأفكار الفكر الصليبي اللاديني، وهو ما يسمى بالعلمانية، التى تسربت إلى مجتمعات المسلمين.

ولعل أحد التحديات الخطيرة التي تواجه أهل السنة والجماعة في هذا العصر هي إسقاط اللافتات الزائفة، وكشف المقولات الغامضة وفضح الشعارات الملبسة، التي تتخفى وراءها العلمانية، التي تبث سمومها في عقول وقلوب أبناء هذه الأمة.

لذا؛ فإني سأميط اللثام عن وجه هذه النحلة الضالة المضلة:

فالعلمانية مدلولها الصحيح هو إقامة الحياة على غير دين؛ سواء بالنسبة للأمة أو للفرد.

إن هذه العلمانية لهي أكبر نقيض للتوحيد الذي هو أعظم حقيقة في التصور الإسلامي.

عباد الله!

قال ابن تيميه في "رسالة العبودية": (إن الإنسان على مفترق طريقين لا ثالث لهما: فإما أن يختار العبودية لله، وإما أن يرفض هذه العبودية، ليصبح لا محالة في عبودية لغير الله وكل عبودية لغير الله، كبرت أو صغرت، هي في نهايتها عبادة للشيطان).

قال تعالى: ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم [يس:60-61]. يشمل ذلك العرب الذين قال الله فيهم: إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً [النساء:117]. ويشمل كذلك كل عبادة لغير الله على مدار التاريخ.

ولقد تغيرت بعض العبادة؛ فلم يعد هناك تلك الأوثان التي كان العرب في شركهم يعبدونها، ولكن عبادة الشيطان ذاتها لم تتغير، وحلت محل الأوثان القديمة أوثان أخرى؛ كالحزب، والقومية، والعلمانية، والحرية الشخصية، والجنس وغيرها. وعشرات الأوثان الجديدة؛ إنها عبادة الشيطان والطاغوت، وهذا مناف لشهادة أن لا إله إلا الله؛ فمعنى (لا إله إلا الله): الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

وبناء على هذا يمكن أن نعرف حكم الإسلام في العلمانية، فنقول: إن العلمانية نظام طاغوتي جاهلي كافر، يتنافى ويتعارض تماماً مع (لا إله إلا الله) من ناحتين أساسيتين متلازمتين:

أولا: من ناحية كونها حكماً بغير ما أنزل الله.

وثانياً: كونها شركاً في عبادة الله.

عباد الله!

إن العلمانية تعني بداهة: الحكم بغير ما أنزل الله، وتحكيم غير ما أنزل الله، وتحكيم غير شريعة الله، وقبول الحكم والتشريع والطاعة والاتباع من الطواغيت من دون الله؛ فهذا معنى قيام الحياة على غير دين.

قال تعالى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون [المائدة:44].

عباد الله!

والجاهلية أنواع علينا أن نعلمها:

فبعض الجاهلية يتمثل في الإلحاد بالله سبحانه وتعالى، وإنكار وجوده؛ فهي جاهلية اعتقاد وتصور؛ كجاهلية الشيوعيين.

وبعضها يتمثل في اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه، وانحراف في الشعائر التعبدية، وهي جاهلية الاتباع والطاعة؛ كجاهلية اليهود و النصارى.

وبعضها يتمثل في اعتراف بوجود الله سبحانه، وأداء للشعائر التعبدية، مع انحرف خطير في تصور دلالة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومع شرك كامل في الاتباع والطاعة، وذلك كجاهلية من يسمون أنفسهم مسلمين من العلمانيين، ويظنون أنهم أسلموا واكتسبوا صفة الإسلام وحققوه بمجرد نطقهم بالشهادتين وأدائهم للشعائر التعبدية، وكلها جاهلية.

عباد الله!

والعلمانية تجعل العقيدة والشعائر لله وفق أمره، وتجعل الشريعة والتعامل مع غير الله وفق أمر غيره، وهذا هو الشرك في حقيقته وأصله؛ لأن أهل الجاهلية الأولى لم ينكروا وجود الله؛ قال تعالى: ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله [لقمان:25]. وكذلك لدى أصحاب الجاهلية الأولى بعض الشعائر التعبدية؛ قال تعالى : وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والأنعام نصيباً [الأنعام:136].

عباد الله!

ولكن مع ذلك بماذا حكم الله على هذا المجتمع؟!

لقد حكم عليه بأن ذلك كفر وجاهلية، وعد تلك الأمور جميعها صفراً في ميزان الإسلام.

ولذلك نشبت المعركة الطويلة بينهم وبين رسول الله ، واشتد النزاع بمعركة شرسة ونزاع حاد، حتى إن السيف كان الحكم الأخير، موضوع هذه المعركة العنيفة الطويلة لم يكن سوى كلمة واحدة، هي كلمة لا إله إلا الله، كلمة يصر عليها النبي إلى أقصى حد، وترفضها الجاهلية إلى أبعد حد؛ لأنه منذ اللحظة الأولى، حين دعاهم النبي إلى شهادة أن لا إله إلا الله؛ كان الجواب الفوري: "أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب" فالقضية واضحة في أذهانهم أن الالتزام بهذه الكلمة معناه الرفض الجازم والتخلي الكامل عن كل ما عدا الله من معبوداتهم وطواغيتهم المختلفة، طاغوت الأوثان، وطاغوت الزعامة، وطاغوت القبيلة، وطاغوت الكهانة، وطاغوت التقاليد، والاستسلام الكامل لله، ورد الأمر والحكم، جليله وحقيره، كبيره وصغيره، إلى الله وحده لا شريك له.

عباد الله!

وكذلك؛ فإن بيننا اليوم ممن يقولون: إنهم مسلمون من يستنكرون وجود صلة بين العقيدة والأخلاق، وبخاصة أخلاق المعاملات المادية!!

وبيننا اليوم حاصلون على الشهادات العليا من بعض جامعات العالم يتساءلون أولاً في استنكار: ما للإسلام وسلوكنا الاجتماعي؟! وما للإسلام واختلاط النساء مع الرجال على الشواطئ والمنتزهات؟! وما للإسلام وزي المرأة في الطريق؟! وما

للإسلام والمرأة وقيادتها للسيارة واختلاطها بالرجال وحريتها الشخصية في سفرها بدون محرم وتصرفها في شؤونها؟! وهذه دعوى إلحادية؛ لأنها رد لما جاء في كتاب الله من قوامة الرجل على المرأة.

وهناك من يتساءل: ما للإسلام وتصريف الطاقة الجنسية بأي سبيل سواء بالزنى أو غيره، عياذاً بالله؟!

وما للإسلام وهذا الذي يفعله المتحضرون؟! فأي فرق بين هؤلاء وبين سؤال أهل الكفر في زمن نبي الله شعيب: أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا [هود:87].

وهم يتساءلون ثانياً، بل ينكرون بشدة وعنف أن يتدخل الدين في الاقتصاد، وأن تتصل المعاملات بالاعتقاد، أو حتى بالأخلاق من غير اعتقاد، ويقولون: ما للدين والمعاملات الربوية؟! وما للدين والمهارة في الغش والسرقة ما لم يقعا تحت طائلة القانون الوضعي؟! وما للدين والسياسة والحكم؟! بل إنهم يتبجحون بأن الأخلاق إذا تدخلت في الاقتصاد تفسده.

فلا يذهبن بنا الترفع كثيراً على أهل مدين في تلك الجاهلية الأولى، والعالم اليوم في جاهلية أشد جهالة، ولكنها تدعي العلم والمعرفة والحضارة، وتتهم الذين يربطون بين العقيدة وسلوك الشخص في الحياة والمعاملات المادية؛ تتهمهم بالرجعية والتعصب والجمود، وبعد أن استهلكت هذه الألفاظ؛ أضافت الجاهلية اليوم وصفهم بالتطرف!!

أليس هذا هو بعينه ما يريده رافعوا شعار: الدين لله والوطن للجميع من أدعياء الإسلام من العلمانيين الذين أفسدوا البلاد والعباد؟ قاتلهم الله أنى يؤفكون.

أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

أيها المسلمون!

إن من عادة المنافقين من علمانيين وحداثيين وغيرهم من المنتسبين لهذا الدين عدم الإنكار الصريح والواضح، وعدم إظهار العداء الساخر للإسلام، وهم يتخذون سلاح التلبيس والتمويه للالتفاف حول المسلمين لحين المعركة الفاصلة، حتى يفاجئوا المسلمين على حين غرة.

من أجل ذلك يرفع هؤلاء الزنادقة من العلمانيين وأشباههم شعارات يحاولون بها خداع أكبر عدد ممكن من المسلمين، وتهدئة نفوس القلة التي قد تفضحهم وتشوش عليهم وتكشفهم للناس، هؤلاء الذين يرفعون شعارات العلمانية، بينما يسعون بواقعهم العملي لاقتلاع الإسلام من جذوره، ولكن رويداً؛ لذلك؛ فهم يحرصون على كل طريق يوصل لوسائل الإعلام.

عباد الله!

إن العلمانية التي ولدت وترعرعت في أحضان الجاهلية لهي كفر بواح لا خفاء فيه ولا ريب فيه ولا التباس، ولكن الخفاء والريب والالتباس إنما يحدث عمداً من دعاة العلمانية أنفسهم؛ لأنهم يعلمون أنه لا حياة ولا اهتداء بجاهليتهم في بلاد المسلمين؛ إلا من خلال هذا التخفي والتلبيس على جماهير المسلمين، وذلك من خلال راياتهم الزائفة، التي تخفي حقيقة أمرهم وباطن دعوتهم عن المسلمين، وتلبس على العامة أمر دينهم وعقيدتهم، بل وتحفزهم ضد إخوانهم الصادقين الداعين بحقيقة هذا الصراع، المنبهين إلى خطرهم الداهم على الدين وأهله

عباد الله!

إن المعارك والجبهات التي تفتحها الفرق الضالة والمنتسبة لهذا الدين ضد أهل السنة والجماعة، وأخطرها دائماً جبهة الرفض الباطنية، والتي تغذيها وتدعمها القوى والمعسكرات الجاهلية العالمية؛ لتدمير أهل السنة والجماعة؛ باعتبارهم الخطر الحقيقي والفعال ضد هذه القوى.

أقول: إن هذه المعارك وهذه القوى يجب ألا يتساهل و لا يتهاون معها أهل السنة والجماعة،

إن حصونهم لازالت مهددة من داخلها، وإن القوى العلمانية المتكتلة ضدهم من الداخل، والتي تصارعهم في معارك خفية حيناً وظاهرة أحياناً أخرى، هي التى تمثل الآن جوهر الصراع القائم بين الإسلام والجاهلية في العصر الحديث.

و إن أخطر مراحل هذا الصراع هي مرحلة تعرية هذه القوى العلمانية القبيحة، وفضحها أمام المسلمين؛ ليستبين لكل مسلم سبيل المجرمين الذين يحاولون خداعهم وتلبيس أمر دينهم عليهم وهم لا يعلمون.

أما آن لأهل السنة والجماعة أن ينتبهوا لهذه الأخطار المحيطة بهم في الداخل والخارج والتي تهددهم في دنياهم وآخرتهم؟!

أما آن لهم أو لكثير منهم أن يتخلوا عن معاركهم القديمة وخلافاتهم الجانبية والشكلية ليفرغوا طاقاتهم ويركزوا جهودهم لمواجهة هذه التحديات؟!

عباد الله!

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون [النحل:90].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

================

عداء الغرب والعلمانية للإسلام

موسوعة خطب المنبر - (ج 1 / ص 2306)

زياد بن محمد الصغير

فروتسوان

مسجد فروتسوان

الخطبة الأولى

أما بعد:

فسوف يكون موضوعنا اليوم إن شاء الله تعالى حول بعض قضايا المسلمين، وأنا ما أريد أن أثقل كواهلكم بالهموم، لكن ذكر أحوال المسلمين وهمومهم هو عبادة لله تعالى يأمر بها سبحانه ويثيب عليها، وعلينا أن نناصرهم ولو حتى بدعوة صالحة.

ففي مسلسل إذلال وسفك دماء المسلمين ضربت أمريكا السودان وأفغانستان، لقد ضربتهما بلا دليل على تورطهما في عمل ضد مصالحها، فكل ما حدث أن الرئيس الأمريكي أراد أن يعيد الهيبة لحكمه وأن يظهر بمظهر الرجل القوي بعد فضائحه المشينة، فبحث عن شيء يفعله فلم يجد أرخص من دم المسلمين ليسفكه، ثم كذب على العالم كما كذب على شعبه في فضيحته من قبل، والكذب على الغير أيسر من الكذب على شعبه، كذب على العالم وادعى أن لديه معلومات استخبارية تثبت الاتهامات الزائفة.

وقد أيده الغرب على الفور، وأخذ يبرر لأمريكا فعلتها الشنعاء وكأنه لا عقل له.

ومبررات أمريكا واهية لكل عاقل، فهي لم تسق أي دليل على ما تقول، ثم إنه لو كان مصنع الأدوية الموجود بالخرطوم ينتج ما يستخدم في الأسلحة الكيماوية فلماذا لم تنتشر السموم في الخرطوم كلها بمجرد ضربه؟ وكيف اجتمع الناس حول المصنع المشتعل دون أن يصابوا بأذى؟ وكيف تقدم أمريكا على ضربه رغم الخطورة الهائلة في ذلك؟

إن أمريكا واثقة تمامًا من عدم وجود مصنع أسلحة كيماوية، ولكنها الغطرسة البغيضة، وحسبنا الله ونعم الوكيل، لاَ يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ [التوبة: 10].

مما يسخر الإنسان منه أن أمريكا هي التي بنت معظم معسكرات أفغانستان المضروبة.

وأمريكا ذلك البلد العنصري اللئيم، لا يهمه أي قتلى سوى قتلاه، فلا يهمه كم قتل من الأبرياء في أفغانستان والسودان، ولا يعد هذا في نظر العالم إرهابًا.

وحتى أثناء بحث الأمريكيين عن الضحايا تحت أنقاض السفارتين في كينيا وتنزانيا، كانوا لا يهتمون إلا بالأمريكيين مما أثار سخط مواطني البلدين.

وحتى حينما يذم المسئولون الأمريكيون الإرهاب يقولون: "الإرهاب الذي قتل اثنا عشر أمريكيًا وعددًا من الأفارقة! أتدرون كم هذا العدد الذي يذكرونه بإهمال؟ إنه مئات القتلى وآلاف الجرحى.

إن الأهداف الأمريكية في المنطقة العربية والإسلامية معلومة، من هذه الأهداف تمزيق المنطقة، وتفتيت دولها، واستغلال ثرواتها، وإذلال أهلها، وفرض الهيمنة الإسرائيلية عليها، وتحطيم أي دولة تفكر ـ مجرد تفكير ـ في رفض هذه الهيمنة.

وقد جاء في صحيفة أخبار اليوم القاهرية ـ وهي صحيفة حكومية ـ في 3/6/ 1998 أثناء أزمة العراق الأخيرة ما يلي:

"إن أمريكا ما جاءت بحشودها وأساطيلها إلى المنطقة في هذه المرة إلا لتضع تصوراتها عن المنطقة في العشرين سنة القادمة موضع التنفيذ، ولتقطع الطريق أمام أي مصالحة عربية أو تفاهم مع إيران أو رفض الهيمنة الإسرائيلية في المنطقة، وهي وإن فشلت إلى حد ما بعد اتفاق بغداد مع كوفي عنان إلا أنها مصممة على المضي قدمًا في هذا المخطط، وإنما تعتبر نفسها في هدنة فقط.

إن صحوة الشارع العربي الرافض لضرب العراق لا ينبغي أن تموت".

إن أمريكا التي تمارس الإذلال ضدنا سيذلها الله، إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ [محمد:7]، فقط ينبغي علينا أن نعمل للخلاص والله المستعان، فخبراء الاقتصاد يقولون أن أمريكا رغم قوة اقتصادها إلا أنها تنتظر الانهيار والتفكك إذا انهارت قيمة العملة الصينية، ساعتها سينهار الاقتصاد ينتفض المقهورون في الشعب الأمريكي من السود والمستعبدين من دول أمريكا اللاتينية داخل الولايات المتحدة، وعندئذ تذوق أمريكا المر كما أذاقت غيرها، وسينهار اقتصاد العالم كله بعدها للأسف.

وحتى نكون منصفين فإن انهيار أمريكا سيكون خسارة كبيرة للعالم كله في شتى ميادين العلم السلمي، ولكنها بطشت وظلمت وحابت وجاملت على حساب الضعفاء، فلتذهب إلى الهاوية غير مأسوف عليها.

لكن وبعد هذا الواقع المرير، ماذا عسانا أن نفعل؟ إنه لا حل أمامنا سوى العودة للإسلام، دين الله الحق الذي لا عز لنا إلا في ظلاله، ولا عون لنا من الله إلا بالتمسك به، حيث يقول تعالى: وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ [الحج:40]، ولكن هل عدنا إلى الإسلام؟

إن الكثير من الدول الإسلامية تنحي الإسلام جانبًا، وتمكن للمشبوهين في وسائل الإعلام المختلفة، الكثير من الدول الإسلامية يصول ويجول فيها العلمانيون الذين يحاربون الإسلام ويضللون المسلمين.

العلمانيون يقولون: نحن مسلمون، ولكن لا شأن للدين بالحياة، وهو لا يناسب هذا العصر كنظام حياة، وإذا سئل أحد منهم عن الإسلام تجد أنه جاهل به تمامًا، لا يعرف عن الإسلام سوى بعض الشبهات التي تلقاها عن أساتذته دون أن يعرف الرد عليها، وقد قال عنهم الدكتور القرضاوي: إن من جهل شيئًا عاداه؛ لقول الله تعالى: بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ [يونس:39].

والدليل على جهل العلمانيين بالإسلام أن إحدى العلمانيات جاءت ببرنامج الاتجاه المعاكس في 31/ 98/3، فقالت . وهي غير محجبة، أي أنها كغيرها من العلمانيين لا يلتزمون حتى بالإسلام الفردي الذي يقولون أنهم يؤيدونه، وهم يخفون بهذا الكلام مروقهم عن الدين لخداع المسلمين . قالت: إن الإسلام كغيره من الأديان جاء لنشر العدل والرحمة، ولكنه لا يصلح لمنع الاستغلال مثلاً.

كيف ينشر العدل ولا يمنع الاستغلال؟!

كيف وهو يحيي ضمير المؤمن فيمنعه عن أدنى استغلال، ويمنع الغش والاحتكار ويحض على التكافل الاجتماعي ويوجبه وينصر المظلوم ولو كان كافرًا ويرعى النساء والأيتام و يمنع الربا حتى لا تستغل حاجة المحتاجين ويرعى الحقوق ولو كان الحاكم طرفًا، والأمثلة كثيرة جدًا، والإسلام يطلق العنان لكل من يبدع في وسائل منع الاستغلال في إطار الشرع الحنيف، دون أن نجنح إلى الرأسمالية التي تجعل المال إلهًا والتي تطحن الفقراء، أو الاشتراكية التي تطحن الأغنياء.

والعلماني تراه فصيحًا بليغًا في كلام الدنيا، ولكنه عندما يتكلم بالقرآن تجده يتلعثم وكأنه لا يعرف النحو مطلقًا، فقد جاء في نفس البرنامج وفي الأسبوع الذي سبقه علماني آخر أراد أن يستدل على صحة كلامه فاستدل بآية قال إنها من سورة الرمز؟!! يقصد الزمر.

ثم إنه طوال الحلقة لم يقرأ آية واحدة صحيحة رغم أنه رجل فصاحة ومرافعات.

وأخذ يؤول الآيات تأويلات فاسدة ويسقطها على الواقع إسقاطًا خائبًا، يدل على أنه يجهل الإسلام.

الإسلام في الكثير من البلاد الإسلامية يروج لأفكار غير إسلامية باسم حرية التفكير وحرية التعبير.

فبعد الاستجواب الذي قدمه الإسلاميون في البرلمان الكويتي لوزير الإعلام في أزمة الحكومة الأخيرة حول السماح ببيع ونشر كتب تطعن في الذات الإلهية والأنبياء والمرسلين، انبرت أقلام في الصحف وفي المحلات تصف الإسلاميين في الكويت بالإفساد والتستر وراء الدين.

انظر كيف أصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ومن قبلها قالها فرعون لموسى: ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنّى أَخَافُ أَن يُبَدّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى الأرْضِ الْفَسَادَ [غافر:25].

ثم قالوا . مؤلبين الحكام كعادتهم في كل بلد ليقتلعوا كل ما هو إسلامي .: إن هذه النبرة بدأت تتعالى في الكويت، هذه النبرة التي أدت إلى صراع مسلح في بلدان أخرى!!!

هم يريدون الحرية لكل ناعق إلا الإسلاميين، فهؤلاء ينبغي أن تطهر البلاد منهم: أَخْرِجُواْ ءالَ لُوطٍ مّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ [النمل:56]، لذلك، إذا كنا نريد أن نفلح وننجو، ينبغي أن تخرس أقلام هؤلاء في بلاد الإسلام حتى لا يطعنوا في الإسلام باسم حرية التعبير.

أما عن دورنا نحن فنتعرض له في ------------------------ الخطبة الثانية.

الخطبة الثانية

أما بعد:

ينبغي ألا نبرئ أنفسنا من التقصير نحن المسلمين، فالله تعالى يقول: إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ [الرعد:11].

ولكن، كيف الخلاص من هذه الهوة السحيقة التي صرنا إلينا؟ وكيف نقاوم هذه المؤامرات التي لا حدود لها في الداخل وفي الخارج، ما هو دورنا نحن؟

يقول سيد قطب في كتابه "هذا الدين" . : "إن الإسلام لن يتحقق في دنيا الناس ولن ينتصر لمجرد أنه من عند الله عز وجل، ولن يتحقق بمجرد إبلاغه للناس وبيانه، إذن كيف يتحقق لكي نعمل لذلك؟

إن هذا الدين يتحقق بأن تحمله جماعات من البشر؟ تؤمن به إيمانًا كاملاً، وتستقيم عليه ما استطاعت، وتجتهد لتحقيقه في قلوب الآخرين وفي حياتهم كذلك، وتجاهد لهذه الغاية بكل ما تملك، ثم تنتصر هذه الجماعة على نفسها وعلى نفوس الناس معها تارة، وتنهزم تارة، بقدر ما تبذل من الجهد، وبقدر ما تتخذ من الوسائل، وقبل كل شيء، بمقدار استقامتها هي على هذا المنهج، ومن ترجمته ترجمة عملية في واقعها وسلوكها الذاتي، حيث يقول تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت: 69].

إذاً ينبغي أن نتكتل لخدمة الإسلام، لا أن نهاجم كل تكتل نشأ لخدمة الإسلام، نتكتل لأنه ((إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)).

وكل من يهاجم أي جماعة أو داعية يخدم الإسلام هو أحد اثنين:

إما أن يكون غير ملتزم أصلاً، فهذا لا يفكّر في كلامه مطلقًا، ودائمًا الشيطان يجري السوء على لسانه، مثل هذا الشخص لا يعمل أي شيء للإسلام، ولو رأى أي داعية يخطئ ولو خطأ صغيرًا يحرص على نشره بين الناس جميعًا ليشنع به فيفقد الناس الثقة به وبالملتزمين، وتكون فتنة أجراها الشيطان على لسان هذا غير الملتزم. ولكنه في المقابل لو رأى غير ملتزم يشرب الخمر أو يزني فإنه لا يأبه، ولا يراها تستحق التشنيع، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالمهاجم إما أن يكون غير ملتزم فيكون حاله كما سبق.

وإما أن يكون ملتزمًا فهذا يخطئ بالهجوم لأنه أولاً لم يخدم الإسلام إلا في نفسه فقط، والأخرى أنه لم يبذل النصيحة بشروطها، والسرية وعدم التشنيع من شروطها، والمريض ينبغي أن يعالج لا أن يقتل.

وغالبًا يكون الهجوم على دعاة الإسلام حتى يبرر المهاجم لنفسه القعود عن التضحية لدينه وقعوده آمنًا ساكنًا دون أن يقول الحق ولو كان مرًا، غالبًا يكون كذلك وإن لم يشعر المهاجم بنفسه، والرسول يقول: ((ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)) أخرجه مسلم.

فلنكن جميعًا على قدر المسئولية ونقدر حجم المؤامرات، لا أن نكون جزءًا من المؤامرات، فهناك من هم أولى بالهجوم، هناك المتفسقون والمنحرفون والتائهون والمتآمرون، والمبتدعون فلنعِ ذلك جيدًا.

وفي النهاية، ورغم ما وصلنا إليه، ورغم الحفرة التي لا قعر لها والتي سقطت فيها أمتنا، فإن الأمل قائم، ونصر الله وتمكينه آت لا محالة، وواجب على كل مسلم أن يوقن بذلك، فذلك وعد الله الذي لا يخلف وعده سبحانه، يقول تعالى: وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ [الروم:47].

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِى الأرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ [القصص:5].

إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد:7].

ويقول : ((تكون فيكم النبوة ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم يكون ملكًا عاضًا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج نبوة)).

فلنستبشر بوعد الله الذي لا يخلف وعده ولا يضيع عبده، ولنعمل لتحقيق هذا الوعد؛ لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وعلينا . ونحن نعمل . أن نعلم أن الله تعالى سيحاسبنا على العمل وليس على النتائج، فيقول تعالى في محكم التنزيل.

وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ [التوبة: 105].

==============

العلمانية وخطرها

موسوعة خطب المنبر - (ج 1 / ص 3159)

إبراهيم بن محمد الفارس

المجمعة

جامع الجزيرة

الخطبة الأولى

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، فإن تقوى الله هي النجاة غدًا، والمنجاة أبدًا، والعاقبة للتقوى.

أيها المسلمون، لقد أنزل الله الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ففتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، وبدد بدعوته ظلمات الجهل والحماقة، وأسقط الأغلال التي كانت على العقول، فأصبحت عبادة الأصنام في ميزان المسلم إفكًا قديمًا، ويعجب المسلم فيما يعجب، من سخف المشركين، وصدق الله تعالى إذ يقول: مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُّرْشِدًا [الكهف:17].

عباد الله، غير أنه يجب أن نذكر دائمًا أن البلاء مستمر، ومادة الشر باقية، وشياطين الإنس والجن مستمرون في ترويج الضلال، حتى زخرفوه بكل لون، وروجوا له بكل لسان: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلّ نِبِيّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً [الأنعام:112]، ومن الواجب أن نتتبع طرق الغي، بالتحذير منها وكشف مراميها وأبعادها، وسد السبل على دعاتها، حتى يكون المسلمون على بينة من ربهم وبصيرة من سبيلهم، ولا يضرهم انتحال المبطلين أو كيد الكائدين.

ولقد شاعت في دنيا المسلمين اليوم، فلسفات وأنظمة خدعت الكثيرين منا ببريقها، وانتشرت شعارات ومصطلحات لو قدر لها أن تنتشر، لم تأت على شيء إلا جعلته كالرميم، ومن تلك الأفكار، الفكر الصليبي (غير الديني)، وهو ما يسمى بالعلمانية، التي تسربت إلى مجتمعات المسلمين، ولعل أحد التحديات الخطيرة، التي تواجه أهل

السنة الجماعة في هذا العصر هي إسقاط اللافتات الزائفة، وكشف المقولات الغامضة، وفضح الشعارات الملتبسة، التي تتخفى وراءها العلمانية، التي تبث سمومها في عقول وقلوب أبناء هذه الأمة.

ومدلول هذا المصطلح وفكره، هو إقامة الحياة على غير دين، سواء بالنسبة للأمة أو الفرد، إن هذه العلمانية، لهي أكبر نقيض للتوحيد.

عباد الله، ولقد تغيرت بعض مظاهر العبادة، فلم يعد هناك تلك الأوثان التي كان العرب في شركهم يعبدونها، ولكن عبادة الشيطان ذاتها لم تتغير، وحلت محل الأوثان القديمة أوثان أخرى، كالحزبية والقومية والعلمانية، والحرية الشخصية والجنس وغيرها... وعشرات الأوثان الجديدة، إن العلمانية– عباد الله – تعني بداهة : الحكم بغير ما أنزل الله، وتحكيم غير شرع الله، وقبول الحكم والتشريع والطاعة من الطواغيت من دون الله، فهذا معنى قيام الحياة على غير الدين وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [المائدة:44].

عباد الله، والجاهلية أنواع، منها جاهلية الإلحاد بالله سبحانه وإنكار وجوده، فهي جاهلية اعتقاد وتصور كجاهلية الشيوعيين، ومنها اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه، وهي جاهلية الاتباع والطاعة، كجاهلية الوثنيين واليهود والنصارى، وفيها اعتراف بوجود الله سبحانه، وأداء للشعائر التعبدية، مع انحراف خطير في تصور دلالة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وذلك كجاهلية من يسمون أنفسهم مسلمين من العلمانيين، ويظنون أنهم أسلموا واكتسبوا صفة الإسلام وحققوه بمجرد نطقهم بالشهادتين، وأدائهم للشعائر التعبدية، مع سوء فهمهم لمعنى الشهادتين، ومع استسلامهم لغير الله من العبيد.

عباد الله، والعلمانية، تجعل العقيدة والشعائر لله وفق أمره، وتجعل الشريعة والتعامل مع غير الله وفق أمر غيره، وهذا هو الشرك في حقيقته وأصله، لأن أهل الجاهلية الأولى لم ينكروا وجود الله، قال تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [لقمان:25]، وكذلك لدى أهل الجاهلية الأولى بعض الشعائر التعبدية، قال تعالى: وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً [الأنعام:136]، ومع ذلك

فقد حكم الله عليه بأن ذلك كفر وجاهلية، وعد تلك الأمور جميعها صفرًا في ميزان الإسلام.

عباد الله، وكذلك فإن بيننا اليوم ممن يقولون: إنهم مسلمون، من يستنكرون وجود صلة بين العقيدة والأخلاق، وبخاصة أخلاق المعاملات المادية، وفي مجتمعنا الواسع أناس حاصلون على الشهادات العليا من بعض جامعات العالم، يتساءلون أولاً في استنكار: ما للإسلام وسلوكنا الاجتماعي؟! وما للإسلام واختلاط الرجال مع النساء على الشواطئ والمنتزهات؟! وما للإسلام وتعليم العلوم الطبيعية؟! وما للإسلام وزي المرأة في الطريق؟! وما للإسلام والمرأة وقيادتها للسيارة واختلاطها بالرجال وحريتها الشخصية في سفرها بدون محرم وتصرفها في شؤونها؟!

وهم يتساءلون ثانيًا: بل بشدة وعنف أن يتدخل الدين في الاقتصاد، وأن تتصل المعاملات بالاعتقاد، أو حتى بالأخلاق من غير اعتقاد، ويقولون: ما للدين والمعاملات الربوية؟! وما للدين والسياسة والحكم ؟! بل إنهم يتبجحون بأن الأخلاق إذا تدخلت في الاقتصاد أفسدته، فلا يذهبنّ بنا الترفع كثيرًا عن أهل مدين في تلك الجاهلية الأولى، حين قالوا لنبي الله شعيب: أَصلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءابَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِى أَمْوَالِنَا مَا نَشَؤُا [هود:87].

والعالم اليوم في جاهلية أشد جهالة، ولكنها تدعي العلم والمعرفة والحضارة، وتتهم الذين يربطون بين العقيدة وسلوك الشخص في الحياة والمعاملات المادية، تتهمهم بالرجعية والتعصب والجمود، وبعد أن استهلكت هذه الألفاظ، أضافت الجاهلية اليوم وصفهم بالتطرف!! أليس هذا هو بعينه ما يريده رافعوا شعار: "الدين لله والوطن للجميع" من أدعياء الإسلام من العلمانيين، الذين أفسدوا البلاد والعباد؟ قاتلهم الله أنى يؤفكون.

أيها المسلمون، إن من عادة المنافقين من علمانيين وحداثيين وغيرهم من المنتسبين لهذا الدين، عدم الإنكار الصريح والواضح، وعدم إظهار العداء السافر للإسلام، وهم يتخذون سلاح التلبيس والتمويه للالتفاف حول المسلمين، لحين المعركة الفاصلة، حتى يفاجئوا المسلمين على حين غرة، من أجل ذلك يرفع هؤلاء الزنادقة من العلمانيين وأشباههم شعارات، يحاولون بها خداع أكبر عدد ممكن من المسلمين،

وتهدئة قلوب القلة التي قد تفضحهم وتشوش عليهم وتكشفهم للناس، هؤلاء الذين يرفعون شعارات العلمانية، بينما يسعون بواقعهم العملي لاقتلاع الإسلام من جذوره ولكن رويدًا رويدًا، فهم يحرصون على كل طريق يوصل لوسائل الإعلام.

عباد الله، إن العلمانية التي ولدت وترعرعت في أحضان الجاهلية، لهي كفر بواح لا خفاء فيه ولا ريب ولا التباس، ولكن الخفاء والريب والالتباس، إنما يحدث عمدًا من دعاة العلمانية أنفسهم، لأنهم يعلمون أنه لا حياة ولا اهتداء بجاهليتهم في بلاد المسلمين إلا من خلال راياتهم الزائفة، التي تخفي حقيقة أمرهم وباطن دعوتهم عن المسلمين، وتلبس على العامة أمر دينهم وعقيدتهم، بل وتحقرهم ضد إخوانهم الصادقين الداعين بحقيقة هذا الصراع، المنبهين إلى خطرهم الداهم على الدين وأهله، ومن هؤلاء . عباد الله . يجب التوقي والحذر، وأن لا يغتر المسلمون بكونهم من بني جلدتهم ويتكلمون بلغتهم، فلقد جاء في الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم)) فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: ((نعم، وفيه دَخَن))، قلت: وما دَخَنه؟ قال: ((قوم يَسْتَنون بغير سنتي، ويَهْدُون بغير هديِي، تعرف منهم وتنكر)) فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: ((نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها)) فقلت : يا رسول الله، صفهم لنا، قال: ((نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا...)) الحديث. وفي لفظ لمسلم: ((وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جُثمان إنس))، ولقد صدق الله: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لاَ يُنصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُم فِى هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ القِيَامَةِ هُمْ مّنَ الْمَقْبُوحِينَ [القصص:41، 42].

نسأل الله أن يحفظ على المسلمين دينهم، وأن يكفيهم شر الأشرار، وكيد الفجار، وأن يرزقهم اليقظة من إفساد المفسدين ونفاق المنافقين، وأقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولعموم المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، وللمستفهم أن يقول : كيف يكون بعض المسلمين دعاة على أبواب جهنم؟ فالجواب هو أنهم كذلك ببثهم الفساد والانحراف، وإشاعة الفاحشة في مثل صور فاتنة، أو مقالات تخدش الحياء، من خلال الصحافة مثلاً أو في مجال التعليم، بزرع المبادئ الهدامة بين الطلاب من خلال كوادر غير أمينة، أو من خلال منظري التطوير التعليمي في سائر البقاع، فيما يقدمونه من الحد والتقليص لما يقوي صبغة الله في نفوس الطلاب وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً [البقرة:138]، أو التقليل من شأن العلوم الدينية، في مقابل الحرص الدؤوب على تكثيف ما عداها.

ويكون الإفساد ببث أفكار تسيء إلى الإسلام وأهله وتحارب الدعوة إليه، وتزدي الدعاة وتسخر منهم، وتنادي بعزل دين الناس عن دنياهم وهذا ما طالعتنا به جريدة محلية تدعى "الوطن" وهي بحق مثيرة الفتن، في عددها الصادر يوم الثلاثاء قبل الماضي السادس من شهر صفر، تحت عنوان: "دعاة لا معلمون"، لكاتب دعي حاقد على الدعوة والدعاة، سائته حراسة الفضيلة قبل ذلك فقال فيما قاله: "إن سببًا رئيسًا أدى إلى تدني مستوى التعليم في بلادنا، وهو اهتمام كثير من المؤسسات والأفراد بما يسمى "الدعوة"، فأنكر المخيمات والمعارض الدعوية، إلى أن قال: "لهذا أصبحنا محاطين (بالدعوة) و(الدعاة) من كل جانب"، وينفر ممن يذكر الناس بالموت وأهمية الحجاب والجهاد والتحذير من الدجال والسحر، ويستنكر أن تدخل الدعوة في علوم الطبيعة والرياضيات، واتهم المناهج في بلادنا أنها هي السبب في وجود هؤلاء الدعاة، وكأنها جريمة لا تغتفر، حيث قال: "فقد اصطبغت الكتب الدراسية جميعها بصبغة دينية"، إلى أن قال مستنكراً: "فلا تدرس مادة اللغة الإنجليزية مثلاً ذاتها، بل لتكون وسيلة للدعوة إلى الله، وتمتلئ كتب هذه المادة بالحديث عن الإسلام" انتهى كلام هذا المغرض.

أيها المسلمون، إن هذا الحاقد على الدعوة والدعاة لا يعدو قدره، إلا أن الواجب على كل مسلم أن يقوم بما أوجب الله عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

والدفاع عن دين الله، والإنكار على الجريدة، والرفع عنه لولاة الأمر لمحاسبته وتأديبه، ليتعظ هو نفسه، وليرتدع به غيره، أما أن يترك الحبل على الغارب لكل دعي جاهل ليحارب الإسلام في أرضه، دون أن يقف من أهل الغيرة أحد في وجهه ووجه كل من سانده و أعانه فلا يسوغ أبدًا: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى [سبأ:46]، وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَاكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ [يوسف:21].

================

موالاة المشركين ومشاركة العلمانيين

موسوعة خطب المنبر - (ج 1 / ص 4373)

مهران ماهر عثمان نوري

الخرطوم

1426/6/2

خالد بن الوليد

الخطبة الأولى

أما بعد: فيقول الله تبارك وتعالى: لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ [آل عمران:28].

هذه الآية تنهى المؤمنين عن موالاة الكافرين، والمؤمن مطالب في نصوص كثيرة بموالاة المؤمن ومعاداة الكافر، وهذا ما يُعرف بعقيدة الولاء والبراء.

فالولاء والوِلاية والوَلاية: النصرة، والموالاة ضد المعاداة. والبراء: التنزه والتخلص والعداوة والبعد. وعلاقة الولاء والمحبة والبراء والبغضاء علاقة ملازمة، فالولاء لازم المحبة، والبراء لازم البغض.

هذه العقيدة من الأهمية بمكانٍ في ديننا الحنيف، ومما يدلل على ذلك:

1- أنَّ الإيمان لا يتحقق إلا بها، قال تعالى: وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ [المائدة:81]، قال شيخ الإسلام:

"وهذه جملة شرطية إذا وُجد الشرط وُجد المشروط... ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء، فمن اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب"(1)[1].

2- تحقيقها أوثق عُرى الإيمان، سأل النبي أبا ذر: ((أتدري أي عرى الإيمان أوثق؟)) قال: الله ورسوله أعلم، قال: ((الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله عز وجل)) رواه الطبراني وصححه الألباني، وقال : ((مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ)) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني. إذًا فدين الإسلام دين حب وبغض، دين ولاء وعداء، دين رحمة وسيف.

3- يجد الإنسان إذا حققها حلاوة الإيمان، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ قَالَ: ((ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)) أخرجاه في الصحيحين. فالحب والبغض من المعاني التي تجري على كل أحد، لكنَّ الموفَّق من أخضعها للشَّرع؛ فلا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، وما يُلقَّاها إلا ذو حظٍّ عظيم.

4- وبايع النبي جرير بن عبد الله فقال له: ((أُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ)) رواه أحمد والنسائي.

معاشر المؤمنين، لقد أعلمنا القرآن الكريم أن التبرؤ من الكافرين دأب الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم، ونحن مأمورون بالسير على طريقهم.

فهذا أبو الأنبياء خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى عنه: قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ [الشعراء:75-77]، وقال: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [الزخرف:26-28]. ومع شدة بره بأبيه الذي يلمسه كل من قرأ سورة مريم أظهر التبرؤ منه لما وضح له أنه من أعداء رب العالمين ومات على ملة المشركين، وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ [التوبة:114]، وتبين له ذلك لما مات على الكفر.

وهذا هود عليه السلام قال الله تعالى عنه: قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [هود:54-56]. وقد جمع بين إظهار هذه العقيدة وبين القوة والحزم في ذلك، وقد ذُكر لنا سرُّ قوته هذه في قوله: إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُم [هود:56]، فصدق التوكل على الله سبب حفظه ورعايته، وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ [الطلاق:3].

وقد سلك نبينا طريقهم واهتدى بهديهم كما أمره الله في قوله: أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ [الأنعام:90]. فقد أظهر هذا البراء من المشركين ولم يداهنهم، قال تعالى: وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ [الأنعام:19]. وأعلن للمشركين براءته الصريحة التي لا لَبْسَ يكتنفها من دينهم وطريقهم بأفصح عبارة وأدل لفظ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ [سورة الكافرون].

ومما يدل على اعتنائه بترسيخ هذه العقيدة في نفوس أصحابه أنهم ضربوا في تطبيقها أروع الأمثلة في غزوة بدر، وغزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة، فهذا دليل على أن إرساء عقيدة الموالاة والمعاداة في نفوسهم كان من أولويات دعوته، قال تعالى: لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المجادلة:22]. آبَاءهُمْ نزلت في أبي عبيدة عامر بن الجراح قتل أباه يوم بدر وكان على الإشراك،أَبْنَاءهُمْ نزلت في الصدِّيق همَّ بقتل ابنه يوم بدر ولم يُقدَّر له ذلك، إِخْوَانَهُمْ نزلت في مصعب بن عمير قتل أخاه عُبيد بن عمير فيها، عَشِيرَتَهُمْ نزلت في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، وفي عمر بن الخطاب قتل خاله يوم بدر.

ولما قبل النبي الفداء من المشركين يوم بدر كان رأي عمر بن الخطاب أن يُمكن كل أحد من قريبه فيضرب عنقه؛ ليعلم الكفار أنه لا محبة عند المؤمنين لهم، نزل القرآن

الكريم مؤيدًا لرأي عمر : مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [الأنفال:67، 68]، والكتاب الذي سبق: فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً [محمد:4].

عباد الله، إن نصوص عقيدة الولاء والبراء طافحة في القرآن الكريم، وهذا مما يدل على أهميتها في ديننا الحنيف، وهذه جملة من النصوص تنهى عن موالاة الكافرين، وتتوعد من ألمَّ بشيء من ذلك من المسلمين: قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ [الممتحنة:1، 2].

إن فئامًا من الناس يريدون أن يجعلوا قول الله تعالى: إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً [آل عمران:28] سترًا يواري خبث فعالهم وسوء صنيعهم، فتراهم يسارعون في الكافرين بكل سبيل، فإذا ما اتجه إليهم صوتُ لومٍ ونصحٍ قالوا: ألم يقل الله: إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً؟! فيضربون القرآن بعضه ببعض، وإلى هؤلاء: لماذا لم يعذر الله سبحانه حاطب بن أبي بلتعة لما ظاهر المشركين وأعانهم؟! أما كان حاطب متأوّلاً؟! ألم يرد حماية أهله وماله؟! أوليس الذي عاتبه وطرح عذره هو الذي قال: إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً؟!

أيها المؤمنون، لئلا يغتر أحد بمقالتهم هذه أُفسح المجال لشيخ المفسرين وإمامهم أبي جعفر الطبري ليجلي لنا تفسيرها ويوضح معانيها، يقول الإمام الطبري مفسرًا قوله تعالى: إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً: "إلا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل"(2)[2]. أين هذا من السعي لتأصيل مبدأ الأخوة بين المؤمن والكافر؟! أين هذا من السخرية بمن يدعو لإقامة عقيدة الولاء والبراء؟! أين هذا من التلاعب بقول الله تعالى: لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الممتحنة:8]؟!

ولو كان كل خوف من المشركين عذرًا لموالاتهم وإظهار التقية لأبطلنا كثيرًا من النصوص؛ لأن عداءهم وكيدهم وحربهم للإسلام وأهله مستمر لا ينقطع، وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ [البقرة:217].

إن موالاة أعداء الله بأعذار واهية وليّ أعناق النصوص سمة من أبرز سمات المنافقين، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ [المائدة:52].

ومن النصوص التي تزجر عن موالاة الكافرين والمشركين: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا [النساء:144]، والسلطان الحجة، فإذا فعلتم ذلك استوجبتم غضب الله.

ومنها: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة:23، 24]. فإذا كان هذا فيمن والى أباه أو أخاه ومقتضى ذلك مركوز في النفوس فكيف بغيرهم؟!

ومن التحذيرات القرآنية كذلك: بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا [النساء:138، 139].

وفي القرآن عدد من الآيات التي تدل على أن موالاة المشركين من علامات المنافقين ومنها: لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ [آل عمران:28]، فأي وعيد فوق هذا الوعيد؟!

ولعلّي أتحدث عن الفرق بين الموالاة والتولّي في الجمعة القادمة إن شاء الله.

أيها المؤمنون، إن الناس في باب الولاء والبراء منقسمون إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الكُمَّل من المؤمنين، كالأنبياء والصديقين والشهداء والأولياء الصالحين، فهؤلاء يواليهم المؤمن ولاء مطلقًا، ويتقرب إلى الله تعالى بحبِّهم.

الثاني: أهل الكفر والإشراك، ومنهم أهل النفاق والكتاب وهؤلاء يُبغضون بإطلاق، ولا يُكِنُّ لهم المسلم إلا العداوة والبغضاء، فالمؤمن ذليل للمؤمن محبّ له، عزيز على الكافر مبغض له، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة:54]، وقال: مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ [الفتح:29].

الثالث: أهل المعاصي من المؤمنين، وهؤلاء نحبهم لإيمانهم، ونبغضهم بقدر معصيتهم، فالزاني مبغوض، والمشرك مبغوض، وفرق بين البغضَين، وشارب الخمر يُبغض، وبذيء اللسان يُبغض، وفرق بين البغضين.

ولذا ثبت أن النبي تبرأ من بعض المؤمنين من أهل المعاصي، فقد تبرأ من الصالقة التي ترفع صوتها بالبكاء عند المصيبة، والحالقة التي تحلق رأسها عندها، والشاقة التي تشق ثيابها عندها، ولكن ليست هذه البراءة كبراءته الواردة في قول الله تعالى: وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ [التوبة:3].

ولما أمر الله بقتال الفئة الباغية ـ وهذا من معاني ومظاهر البراء من المعصية وأهلها ـ بقوله: وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات:9، 10]، فأمر بقتالهم وأثبت أخوتهم وإيمانهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وليعلم أنَّ المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه، والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه، وإذا اجتمع في

الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة"(3)[3].

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم وللمؤمنين، فاستغفروه إنه غفور رحيم.

ـــ

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن من أقبح الآثام أن يضع المؤمن يده على يد الأحزاب العلمانية والحركات اليسارية، وقد دلت كثير من آي القرآن الكريم على تحريم ذلك وتجريم أهله، فمن ذلك قوله تعالى: وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ [المائدة:2]. وكل من وقف على دعوات هؤلاء ومبادئهم لا يشك في أن التعاون معهم تعاون على الإثم والعدوان.

ومن أدلة التحريم جميع الأدلة التي تنادي بعقيدة البراء من الكفر وأهله، ومنها: وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا [النساء:140]، فالآية تحرم الجلوس في المكان الذي يُكفر فيه بآيات الله ويستهزأ بها، وإذا لم تكن مجالس الأحزاب العلمانية مُتناوَلة بهذه الآية فأي المجالس هي التي حُذرنا منها؟! والآية المُشار إليها في هذه الآية هي: وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ [الأنعام:68].

وقد توعد رسول الله كل من ظاهر مبطلاً بقوله: ((من أعان ظالمًا ليدحض بباطله حقًا فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله)) رواه الحاكم والطبراني وصححه الألباني.

وممن لعنهم النبي من آوى محدثًا كما في صحيح مسلم، فكيف بمن عاونه؟!

هذا، ولا يُغتر بطرحهم لبعض البرامج التثقيفية أو الإنسانية الخيرية أو غير ذلك مما يصدق عليه: باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب؛ لأنهم يريدون بها التدليس والتلبيس على الناس.

نسأل الله أن يبرم لنا أمرًا رشدًا يُعز فيه الطائعون...

---

(1) كتاب الإيمان (ص14).

(2) جامع البيان (228/3).

(3) مجموع الفتاوى (209/28).

================

رد عدوان العلمانيين على العلماء الربانيين

موسوعة خطب المنبر - (ج 1 / ص 4969)

عصام بن عبد الله السناني

عنيزة

1427/8/8

جامع قرطبة

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون، إن الله جل وعلا سيحشرُ الناسَ جميعًا من قبورِهم بعدَ البعثِ إلى الموقفِ حفاةً عراةً غرلاً، كما بدأ أولَ خلقٍ يعيدُه، وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا. يجمع الناسَ في عرصاتِ القيامةِ أولَهم وآخرَهم على صعيدٍ واحدٍ، فيموجُ بعضُهم في بعضٍ، وتدنو الشمسُ منهم حتى تكونَ كمقدارِ ميلٍ، فيبلغُ الناسُ من الكربِ والغمِ ما لا يطيقونَ ولا يحتملونَ، فمنهم من يبلغُ به العرقُ إلى كعبيه، ومنهم من إلى ركبتيه، ومنهم من إلى حَقْوَيْه، ومنهم من يلجمُه العرقُ إلجامًا، فالناسُ حينئذ أحوجَ ما يكونونَ إلى ما يروونَ به عطشهم في هذا المحشرِ المهولِ؛ ولذا يتطلعون إلى ورودِ حوضِ نبيِهم كما روى مسلم قالَ رسولُ اللهِ : ((أنزلتْ علي آنفًا سورةٌ)) فقرأَ: بسم الله

الرحمن الرحيم، إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ [سورة الكوثر]، ثم قالَ: ((أتدرونَ ما الكوثرُ؟ إنه نهرٌ وعدنيه ربي عز وجل، عليه خيرٌ كثيرٌ وحوضٌ تردُ عليه أمتي يومَ القيامةِ، آنيتُه عددَ النجوم))، وفي لفظ آخر: ((يشخبُ فيه ميزابانِ من الجنةِ، من شربَ منه لمْ يظمأْ، عرضُه مثلُ طولِه: ما بَينَ عُمَان إِلى أَيْلَةَ، ماؤُه أشدُ بياضًا منْ اللبنِ وأحلى من العسلِ)).

إن هذَا الحوضَ الموردَ لَنْ يهنأَ بِهِ إلاَّ الثَّابتونَ عَلى دينهمْ عقيدةً وعملاً، القابضونَ على الجمرِ لأجلِه، العاضّون عليه بنواجذهم فِي أوقاتِ الفتنِ، وهمْ يسألونَ اللهَ فِي كلِّ وقتٍ الثّباتَ لعلمِهم أن هناكَ أمرا مهولا يقضُ مضاجعهمْ خوفًا من أن يكونوا في عدادِ الواقعينَ فيه، ألا وهو ما يحصلُ لأناسٍ يومَ القيامةِ حين يبدو لهم من اللهِ ما لم يكونوا يحتسبونَ، إنهم أناسٌ. أعاذني اللهُ وإياكم من حالِهم. يطمعونَ في ورود حوض نبيهِم، فإذا هم يذادونَ عنه ويُحرمونَ الشربَ من هذا الحوضِ في أشدِّ وقتٍ يحتاجونَ إليه، ففي البخاريّ أن رسولَ اللهِ قَالَ: ((إني على الحوضِ، حتى أنظرَ من يردُ عليَّ منكم، وسيؤخذُ ناسٌ دوني، فأقولُ: يا ربِّ، مني ومن أمتي، فيقالُ: هل شعرتَ ما عملوا بعدَك؟ واللهِ ما برحوا يرجعونَ على أعقابِهم))، وكانَ ابنُ أبي مليكةَ راوي الحديثِ يقولُ: اللهم إنا نعوذُ بكَ أنْ نرجعَ على أعقابِنا أو نفتنَ في دينِنا. قال ابن عبد البر في التمهيد: "وكلُ من أحدثَ في الدينِ ما لا يرضاه اللهُ ولم يأذنْ به اللهُ فهو من المطرودينَ عنْ الحوضِ المبعدينَ عنه، واللهُ أعلم. وأشدُّهم طردًا من خالفَ جماعةَ المسلمينَ وفارقَ سبيلَهم مثلُ الخوارجِ على اختلافِ فرقِها والروافضِ على تباينِ ضلالِها والمعتزلةِ على أصنافِ أهوائِها، فهؤلاء كلُهم يبدلونَ، وكذلكَ الظلمةُ المسرفونَ في الجورِ والظلمِ وتطميسِ الحقِ وقتلِ أهلِه وإذلالِهم، والمعلنونَ بالكبائرِ المستخفّونَ بالمعاصي، وجميعِ أهلِ الزيغِ والأهواءِ والبدعِ، كلُ هؤلاءِ يُخافُ عليهم أن يكونوا عُنُوا بهذا الخبرِ" اهـ.

عباد الله، هل عقل هذا المصيرَ بعضُ المعتزلةِ الجددِ منْ أَصحابِ الأقلامِ الصحفيةِ في مثلِ هذه الأيامِ والتي تدّعي الحرصَ على الوطنِ وهي تهدمُ الأُسسَ الراسخةَ التي قامَ عليها هذا الوطنُ والتي جاهد في سبيلها الآباء وقبلهم الأجداد حتى ماتوا، ونشأ عليها الأبناء وبعدهم الأحفاد، إنها فتنةُ بعضِ الأقلامِ التي اندلعتْ نارُها وارتفعَ

أُوارُها، ما فتئتْ تسخرُ وتتلاعبُ بثوابتِ الدينِ والحكمِ وخيارِ الأمةِ كما يتلاعبُ الصبيانُ بالكرةِ، أأمةٌ يَرسمُ لها أراذلُها وجهالُها ما ينبغي أن تفعلَ بعدَ هذه القرونِ المتطاولةِ التي نَعِمَ فيها أهلُ هذه البلادِ بصفاءِ العقيدةِ ووحدةِ المنهجِ وائتلافِ القلوبِ مع الأخذِ بما ينفعُ من مظاهرِ الحياةِ المدنيةِ؟!

ومن يكن الغرابُ له دليلاً...يمرُ به على جيفِ الكلابِ

إن هؤلاء الذين تأثروا بأفكارَ غريبةٍ شاذةٍ يظهرونَها بمظهرِ النصحِ يزعمونَ أن هذه البلادَ وما كَانَ عليه ملوكُهَا وعلماؤُها منذ قرونٍ من تحكيمٍ للشريعةِ في كلِّ الأمورِ تشددٌ ورجعيةٌ، فلا بدَّ أن تتخلى البلادُ عن مرجعيتِها العلميةِ لأنه لا قداسةَ عندَهم لأحدٍ، والدينُ كلأٌ مباحٌ للجميعِ؛ فلا فرقَ في الحوارِ والرأيِ عندَهم بين عالمٍ وجاهلٍ، ولا بينَ فضيلةٍ ورذيلةٍ، بلْ ولاَ بينَ ديانةٍ وزندقةٍ، فيجبُ أن تتخلى البلادُ عن محاكمِها وهيئاتِها وحجابِ نسائِها ليتحققَ الإصلاحُ الذي يريدونَ. إنهم يسفّهونَ ويجهَلونَ ملوكَنا وعلماءَنا السابقينَ الذين وضعوا ثوابتَ هذه البلادِ المستمدةَ من الشريعةِ، وبعضُنا يرددُ عباراتِهم ببلاهةٍ فيسمونها بغيرِ اسمِها: "الإصلاحُ"، أي إصلاحٍ فيمن يهدمُ أسسَ المجتمعِ وثوابتَه وعقيدتَه؟!

إن حالَ هؤلاء الفويسقاتِ قد وصفَه شيخُنا العالمُ الربانيُ الصابرُ على جهادِهم صالحٌ الفوزان ـ حفظه اللهُ ـ في مقالٍ له بعنوانٍ: (سيظهرُ الإسلامُ وتموتُ المبادئُ الهدامةُ): "وقد سنحتْ الفرصةُ للمنافقينَ والذينَ في قلوبِهم مرضٌ بترديدِ مقالةِ الكفارِ باتهامِ الإسلامِ بالتطرفِ والإرهابِ، واتهامِ مصادرِه وعلمائِه بذلك، والمناداةِ بحريةِ المرأةِ ومساواتِها بالرجلِ، وخلعِها للحجابِ وتوليِها أعمالَ الرجالِ، ومناداتهم بإزالةِ الفوارقِ بينَ المسلمينَ والكفارِ باسمِ حريةِ الرأيِ وحريةِ الديانة، وعدم كره الآخرِ، وتركِ بابِ الولاءِ والبراءِ وحذفِه من الكتبِ والمقرراتِ الدراسيةِ، وعدمِ تكفيرِ من كفرَّه اللهُ ورسولُه ولو ارتكبَ نواقضَ الإسلامِ كلّها، كلُّ ذلكَ تحتَ مبدأِ التسامحِ وحريةِ الرأيِ وقبولِ رأيِ الآخرِ. وكلُّ من خالفَ هذه المبادئ الخبيثةَ عندَهم والتزمَ بالإسلامِ وأصولِه وأحكامِه فهو متشددٌ ومتطرفٌ وتكفيريٌ، حتى تناولوا بهذه الاتهاماتِ أئمةَ الإسلامِ ومجدديه كشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميةَ وشيخِ الإسلامِ محمدِ بنِ عبدِ الوهاب حتى نادى بعضُهم بإعادةِ النظرِ في كتبِ العقيدةِ وإخلائِها من كلِ ما يتعارضُ مع مبادئِهم

ورغباتِهم. ونقولُ لهؤلاءِ وهؤلاءِ ما قالَه اللهُ لهم: مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [آل عمران:119]، وسيبقى الإسلامُ وتموتُ المبادئ الهدامةُ وأهلُها، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً [الأحزاب:62]" اهـ. حفظَ اللهُ شيخَنا وأطالَ في عمرِه غُصَّةً في حلوقِ المارقينَ والفاسدينَ.

عباد الله، إن هؤلاء الذين يفسدونَ ولا يصلحونَ ويهدمونَ ولا يبنونَ حالُهم كحالِ فرعونَ حينَ قالَ عنْ موسى عليه السلام: إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ. أذكر لكمْ مثالاً على صدقِ هذا الصورةِ الفرعونيةِ لهؤلاءِ الكتابِ في ردِ بعضِ السفهاءِ المتطاولينَ على شيخِنَا في هذا الأسبوعِ حين ادّعى أنه ومن كان على مذهبِه الإفساديّ هم الذينَ وقفوا ضدَّ الإرهابِ، أرأيتمْ . عبادَ الله . كيفَ تَلبَسُ الثعالبُ ثيابَ الواعظينَا، لكنْ الشيخَ أفحَمه حينَ قال: "لو أنكم وقفتمْ عندَ حربِ الإرهابِ لشكرَنا لكم ذلك، لكنكم أفسدتم هذا بمهاجمتِكم للعلماءِ والقائمينَ على الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر وإنكارِكم لعقيدةِ الولاءِ والبراءِ في الإسلامِ، وغير ذلك مما في كتاباتِكم، فأنتم تبنونَ من جانبٍ وتهدمونَ من جانبٍ، وربما يكونُ عملُكم هذا أخطرُ من عملِ الإرهابيين" اهـ.

وإني أقول: صدق الشيخُ واللهِ، فهؤلاءِ الإرهابيونَ ردَّ اللهُ كيدَهم في نحورِهم، يقتلونَ ويفجّرونَ، ويا هولَ ما صنعوا، لكن بعدَها تجتمعُ الكلمةُ على حربِهم ثم يقطعُ اللهُ دابرَهم ويبقى البلدُ شامخًا بدينِه معتزًا بعلمائِهِ وولاةِ أمرِه كمَا حصلَ فِي فتنةِ الغُلاَةِ فِي عهدِ المؤسسِ رحمه اللهُ، أما الذين يبطنونَ ما لا يُظهرونَ وحالهُم كما قالَ تعالى: وإنْ يقُولُوا تسمَعْ لِقَوْلِهم فهم يحرّفونَ دينًا ويفسدونَ عقيدةً ويدمرونَ بلدًا ويغتالونَ أمةً، واللهُ يقول عن أمثالِهم: هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ، ويقولُ عن نشاطِهم الذي يخططُ له قومٌ لا تعلمونَهم اللهُ يعلمُهم: وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ، يقول القرطبيُّ رحمه اللهُ في تفسيرِ الآيةِ: "أي: الفتنةُ التي حملوكم عليها وراموا رجوعَكم بها إلى الكفرِ أشدُّ من القتلِ" اهـ.

ثم أمرٌ آخرُ: هلَ حاربَ هؤلاء الإرهابَ حقًا؟ إذًا لماذا لم يخترْ ولاةُ الأمرِ صحفيًا واحدًا من هؤلاءِ لمناصحةِ المنحرفينَ؟! إن كلَّ من شاركَ من طلبةِ العلمِ . وأنا واحد منهم . في مناصحةِ هؤلاءِ الشبابِ في السجونِ يعرفُ جيدًا أن من أسبابِ الغلوِ لديهم

ما يقرؤه هؤلاءِ الشبابُ بأقلامِ هؤلاءِ الصحفيينَ الذينَ يمشونَ في جنازةِ مَن قتلوه ليتاجروا في جثتهِ، فباللهِ عليكم هل يطيقُ مسلمٌ أن يطعنَ كاتبٌ بحديث نبيهِ عنْ المرأةِ فيسميه ثقافةَ التشدّدِ، أو يقترحَ آخرُ بدلَ تغسيلِ وتكفينِ الميتِ المسلمِ أن يوضعَ في كيسٍ ويرمى كما ترمى الزّبائلُ، أو يدعوَ ثالثٌ المجتمعَ للتخلّصِ من قلبِهِ الذي يحيا به ورئتِهِ التي يتنفسُ بها وكرامتِهِ التي يطاولُ بها السحابِ حين يدعو للتخلي عن السلفيةِ أو الوهابيةِ التقليديةِ كما يلمزونَ لأنها سببُ مشاكلِ البلدِ عندَهمْ؟! مع أننا في هذه البقعةِ في العصورِ المتأخرةِ لم نشعرْ بكرامةٍ ولم يكنْ لنَا شأنٌ إلا بهذِهِ الدعوةِ وبهذا الكيانِ، واقرؤوا التأريخَ المعاصرَ لو كنتم تعقلونَ.

ومع هذا الإفسادِ والغثاءِ الهابطِ الذّي لَهُ يتقيؤونَ وَأَمثالُهُ كثيرٌ يرفعُ أحدُهم عقيرتَه فيقولُ: نحن حاربنَا الإرهابَ. إنّ الذي حاربَ الإرهابَ حقًا همْ منْ تلمزونَهم بالوهابيةِ، همْ العلماءُ الصادقونَ الذينَ وقفوا مع ولاةِ أمرِهمْ ضدَّ المفسدينَ في فتنةِ الإخوانِ في عهد المؤسّس رحمه الله، ثمَّ في فتنةِ غلاةِ الحرمِ في عهدِ الملك خالدٍ رحمه الله، ثم في فتنةِ صدامٍ في عهدِ الملك فهد رحمه الله، وأخيرًا في فتنةِ التكفيرِ ثم التفجيرِ. وها هم يقفون ضدَّكم في فتنتِكم في عهدِ الملكِ عبدِ اللهِ حفظه الله ورزقَه البطانةَ الصالحةَ؛ لأنكم لستم من يحاربُ الإرهابَ بل أنتم من غذّى الإرهابَ حين طعنتم في دينِ الأمةِ وعقيدةِ الأمةِ ورموزِ الأمةِ، وأيّ حياةٍ للأمةِ إذا طُعنَ في دينِها وعقيدتِها ورموزِها؟!

لقد أَثَرتم الغيرةَ والحقدَ والغضبَ عند هؤلاء الشبابِ فسهّلتم صيدَهم من قبلِ منظّري الفكرِ الضالِ، وإني فيمَا أعتقدُ لو كانَ الملكُ عبدُ العزيزِ رحمه اللهُ حيًا لوضعكم في السجنِ المقابلِ لهؤلاءِ المنحرفينَ لمناصحتِكم وردّكم عما أنتمْ عليه من انحرافٍ وضلالٍ، كيف لا وهو القائلُ رحمه اللهُ كما في كتابِ الملك الراشد (ص362) لعبد المنعم الغلامي: "أنا عندي أمرانِ لا أتهاونُ في شيءٍ منهما ولا أتوانى في القضاءِ على من يحاولُ النيلَ منهما ولو بشعرةٍ، الأول: كلمة التوحيدِ لا إله إلا الله محمد رسول اللهِ اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه، إني واللهِ وباللهِ وتاللهِ أقدّمُ دمي ودمَ أولادي وكلِّ آلِ سعودٍ فداءً لهذه الكلمةِ لا أضنُّ به" اهـ، وهو القائل رحمه الله (ص369): "يسموننا بالوهابيّينَ ويسمونَ مذهبَنا بالوهابي باعتبارِ أنه مذهبٌ خاصٌ، وهذا خطأٌ

فاحشٌ نشأَ عن الدعاياتِ الكاذبةِ التي كان يبثُّها أهلُ الأغراضِ. نحن لسنا أصحاب مذهب جديدٍ وعقيدةٍ جديدةٍ، فعقيدتُنا هي عقيدةُ السلفِ الصالحِ، هذه هي العقيدةُ التي قامَ شيخُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبد الوهابِ يدعو إليها، وهذه هي عقيدتُنا، وهي عقيدةٌ مبنيةٌ على توحيدِ اللهِ عز وجل خالصةٌ من كلّ شائبةٍ منزّهةٌ عن كل بدعةٍ" اهـ.

ولقد قلتُ ذاتَ مرةٍ لأحدِ المسؤولينَ وفقه اللهُ مشيرًا لهؤلاءِ الكُتابِ: إنكم تُدخلونَ طلبةَ العلمِ على هؤلاء الموقوفينَ ليرجعوهم لجادّةِ الصواب، وهذا أمر واجبٌ ومن الدعوةِ إلى اللهِ، ولكنَّ ما يكتُبه كاتبٌ في عمودٍ أو يظهرُه مصورٌ في مشهدٍ يُسخر فيه بالدينِ وأهلِه ليفسدُ ما يبنيه هؤلاء الناصحونَ في سنواتٍ، إنه يبني أسورًا من الحقدِ،والنصيحةُ لها طرقُها المعروفةُ.

متى يبلغ البناءُ تمامَه...إذا أنتَ تبني وغيرُك يهدمُ

يا عبادَ اللهِ، ثم يأتي هذا السفيه الوقحُ فيردُ على عالمِ البلدِ فيسفهُه ويقولُ: إنه محسوبٌ على هيئةِ كبارِ العلماءِ، لقد طفحَ الزبدُ والغثاءُ، أَقزامٌ لا يحسنُ أحدهم يقرأ آيةً أو يحفظَ حديثًا، بل ربما لا يحسنُ كيفَ يصلي، يناطحونَ علماءَ الأمةِ وجبالَ العلمِ.

لقدْ هزلتْ حتى بدا من هزالِها...كُلاَها وحتى سامَها كلُّ مفلسِ

ما كنَا نظنُ واللهِ أننا سنَرى في هذِه البلادِ التي قامتْ على المنهجِ السلفي واستمدتْ شرعيتَها السياسيةَ والتاريخيةَ منه مصداقَ ما أخبرَ به النبيُّ حينَ قالَ: ((سيأتي على الناسِ سنواتُ خداعاتُ، يُصدَّقُ فيها الكاذبُ، ويكذَّبُ فيها الصادقُ، ويؤتمنُ فيها الخائنُ، ويخوَّنُ فيها الأمينُ، وينطقُ فيها الرويبضةُ))، قيل: وما الرويبضةُ؟ قال: ((الرجلُ التافهُ يتكلمُ في أمرِ العامةِ))، إي وربِّ السمواتِ والأرضِ، لقد خوّنّا العلماءَ الصادقينَ، وائتمَّنّا الخونةَ لدينِهم ووطنِهم وولاةِ أمرِهم حينَما رضوا بأنفسِهم أن يكونوا طابورًا خامسًا وأبواقًا مأجورةً لأعداءِ هذه البلادِ ودينِها، وأينَ؟ على صفحاتِ جرائِدِنا التي أصبحت في الآونة الأخيرة لا تنطلقُ من قريبٍ أو بعيدٍ من عقيدةِ هذا المجتمعِ المسلمِ، ولا تعبّرُ عن نبضِه في هذه البلادِ أو عن توجهاتِه، بل المجتمعُ في وادٍ وهؤلاءِ الشرذمةُ القليلون في وادِ آخر. أينَ العدلُ إن كانت المسألةُ بالرأي والحريةِ التي لها يقدسونَ؟! فلماذا تُفرضُ سفاهتُهم على رأي الأكثريةِ دونَ مراعاةٍ لمشاعرِهم؟!

وإن كانتْ بالحقِ والدليلِ فما هؤلاء أهلُ حقٍ ودليلٍ، بل همْ رويبضـةُ الفتنِ، الجهلُ شعارُهم والهوى دثارُهم.

أيها المسلمونَ، واللهِ وبالله وتالله لا خيرَ في بلادٍ يطعنُ في كبارِ علمائها الصادقينَ ويقودُهُا أراذلُها المارقون، سبحانَ اللهِ! أتستغفرُ الحيتانُ في البحرِ وكلُّ شيءٍ للعلماءِ وفـي بلـدِنا يسَـبّونَ ويسـفَّهونَ؟! أيرفـعُ اللهُ قـدرَهم درجـاتٍ وفـي بلادِنـا يوضـعونَ ويؤخرونَ؟! أيصبرُ العلماءُ من أجلِنا على العلمِ والتعليمِ حياتهَم وينافحونَ عن دينِنا وعقيدتِنا شبابهم حتى إذا شابتْ لحاهُم وتقوّستْ ظهورُهم أسلمنَاهم لنابتةِ السّوءِ ودعاةِ الضـلالةِ يسفهونَهمْ ويحتقرونهم ملءَ أَبصارِنا وأسماعِنا ونحنُ ساكتونَ؟! إذًا لاَ خَيْرَ فينَا، إذًا لاَ خَيْرَ فيكم، إذًا لاَ خَيْرَ في هذا المجتمع.

إن العلمـاءَ الربـانيينَ فـي الأمـةِ نجـومٌ تُـزيّنُ سـماءَها تهدي السـالكينَ وتهـوي علـى الشياطينِ، إنهم أنقى صفحاتِ تاريخِ هذِه الأمـةِ، إنهم صمامُ الأمـانِ أمامَ شبهاتِ المرجفينَ وزيـغِ الضـالينَ كمـا وصـف الإمـام أحمد فـي أول كتابـه الـرد علـى الزنادقة والجهمية حين قال: "الحمدُ للهِ الذي جعلَ في كلِ زمانِ فترةٍ من الرسلِ بقايا من أهلِ العلمِ يدعونَ من ضلَّ إلـى الهدى، ويصـبرونَ منـهم علـى الأذى، يحيونَ بكتـابِ اللهِ الموتى، ويبصّـرونَ بنـورِ اللهِ أهلَ العمـى، فكم من قتيـلٍ لإبليسَ قد أحيوه، وكـم من ضالٍ تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرَهم على الناسِ وأقبحَ أثرَ النـاسِ عليهم، ينفونَ عن كتـابِ اللهِ تحريـفَ الغـالينَ وانتحـالَ المبطـلينَ وتأويـلَ الجـاهلينَ، الـذين عقدوا ألويـةَ البدعـةِ، وأطلقوا عقالَ الفتنـةِ، فهم مُختَلفونَ فـي الكتـابِ، مُخـالِفونَ للكتـابِ، مجمعونَ علـى مفارقـةِ الكتـابِ، يقولـونَ علـى اللهِ وفـي اللهِ وفـي كتـابِ اللهِ بغيـرِ علـمٍ، يتكلمـونَ بالمتشابه من الكلامِ ويخدعونَ جهالَ النـاسِ بما يشبّهونَ عليهم، فنعوذُ بـاللهِ من فتنِ المضلينَ" اهـ.

نعم عباد الله، هكذا همُ العلماءُ، وهكذَا كانتْ مكانتُهم في هذه الدولةِ؛ مكانةٌ لا يطالها سـفاهةُ السـفهاءِ، ولا جهالـةُ الجهـلاءِ، تحـوطهم عنايـةُ الـربِّ ثـم تعظـيمُ ولاةِ الأمـورِ شأنَهم في النفوسِ وحفظُ حرمتِهم وكرامتِهم والصدورُ عن رأيِهم ونصحِهم، منذ اجتمعَ الإمامانِ محمدُ بنُ سعودٍ ومحمدُ بنُ عبدِ الوهاب عليهما رحماتُ اللهِ المتتاليةِ إلى يومِ الدين، وحتـى جاءَ مؤسسُ هذه البلادِ فـي العصرِ الحديثِ وبـاني نهضتِها قدّسَ اللهُ

روحَه، فأكدَّ هذه المكانةَ في حياتِه كما هو مشهورٌ من سيرتِه، بل ها هو رحمه اللهُ يبينُ الأساسَ الذي قامَ عليه حكمُه وحكمُ آبائِه، والذي يجبُ أَن يكونَ عليه حكمُ أبنائِه منْ بعدِه حينَما أوصى وليَّ عهدِه حينَ تسميتِه فقالَ: "أوصيك بعلماءِ المسلمينَ خيرًا، احرصْ على توقيرِهم ومجالستِهم وأخذِ نصيحتِهم، واحرصْ على تعليمِ العلمِ؛ لأن الناسَ ليسوا بشيءٍ إلا باللهِ ثم بالعلمِ ومعرفةِ هذه العقيدةِ، احفظ اللهَ يحفظك".

فاللهمْ وفق ولاتنَا للعملِ بذلكِ، وأدمْ علينا نعمةَ اجتماعِ سيفٍ حملَه أمراؤُنا، وقرآنٍ حملَه عُلماءُنَا؛ لتجتمعَ القلوبُ على الحقِ والإيمانِ، فينخذل أهلُ العلمنةِ والليبرالية والإلحادِ كَما وقيتنَا بهمَا سبحانكَ فِي فتنةِ الإخوانِ ثمَ فِي فتنةِ جهيمانِ ثم في فتنة صدامٍ ثم في فتنةِ الخوارجِ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم...

الخطبة الثانية

أما بعدُ: عبادَ اللهِ، إنَّ العلماءَ الربانيينَ همُ الذينَ جعلَهم اللهُ ورثةَ رسولِه ومقامَ أنبيائِه حينَ أمرَ عامةَ المسلمينَ بسؤالِهم عنْ مرادِه سبحانَه فيمَا أنْزَلهُ فقالَ تعالى: فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ، وهم الثقاتُ العدولُ الذين استشهدَ اللهُ بهم على أعظمِ مشهودٍ وهو توحيدُه جلَ وعلا حين قالَ تعالى: شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمِ؛ ولذا فذهابُ العلماءِ ذهابُ العلمِ وإقبالُ الجهلِ وفسادُ الأرضِ، ففي الصحيحينِ قالَ رسولُ الله : ((إنَّ من أشراطِ الساعةِ أنْ يرفعَ العلمُ، ويُبثَ الجهلُ، وتشرب الخمرُ، ويظهر الزنا))، وفيهما قال النبيُّ : ((إنَّ اللهَ لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعُه منْ العبادِ، ولكنْ يقبضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتخذَ الناسُ رؤساءَ جهّالاً، فسُئِلوا فأفتوا بغيرِ علمٍ، فضلوا وأضلوا)) رواه الشيخان. فما أحسنَ أثرَهم على الناسِ، وما أقبحَ أثرَ الناسِ عليهمْ.

أيها المسلمونَ، إن ما يقومُ به شيخُنا الصالحُ صالح بقية السلف في الردِ على دعاةِ التغريبِ في هذه البلادِ لهو من أفضلِ الجهادِ؛ لأنه دفاعٌ عن حوزةِ العقيدةِ والدينِ، فمطالب هؤلاءِ لنْ تقف عندِ حدٍّ حتى ننسلخَ عن استقامتِنا ونغوصَ فِي أوحالِ الفكر

الغربِي العَفنِ الذي يحلمونَ أن يروه سائدًا بلادنَا. والجهادُ بالحجةِ والبيانِ هو جهادُ ورثةِ الأنبياءِ، وهو أعظمُ منفعةٍ من الجهادِ باليدِ واللسانِ لشدةِ مؤنتِهِ وكثرةِ العدوِ فيهِ معَ قلةِ النَّاصرِ، قال تعالى: فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا. يقولُ العلامةُ ابنُ القيمِ رحمه الله: "ولهذا كان الجهادُ نوعينِ: جهادُ باليدِ والسنانِ، وهذا المشاركُ فيه كثيرٌ. والثاني الجهادُ بالحجةِ والبيانِ، وهذا جهادُ الخاصةِ من أتباعِ الرسلِ، وهو جهادُ الأئمةِ، وهو أفضلُ الجهادينِ لعظمِ منفعتِه وشدةِ مؤنتِهِ وكثرةِ أعدائِه، قالَ تعالى في سورةِ الفرقانِ وهي مكيةٌ: وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا، فهذا جهادٌ لهم بالقرآنِ، وهو أكبرُ الجهادينِ، وهو جهادُ المنافقينَ أيضًا؛ فإنَّ المنافقينَ لم يكونوا يقاتلونَ المسلمينَ، بل كانوا معهم في الظاهرِ، وربما كانوا يقاتلونَ عدوَّهم معهم، ومع هذا فقدْ قالَ تعالَى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ، ومعلومٌ أنَّ جهادَ المنافقينَ بالحجةِ والقرآنِ" اهـ.

فالزموا . عباد الله . الحقَ الذي أنتم عليه، وانصروا ربَّكم فإن اللهَ يقول: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ. وإن من نصرةِ اللهِ عز وجل نصر دينِه بلزومِ كتابِه وسنةِ نبيه اللّذينِ يأمرانِ بالسمعِ والطاعةِ لولاةِ أمركم على منشطِكم ومكرهِكم وأثرةٍ عليكم، ولزوم جماعتِكم جماعةِ الحقِ أهلِ السنةِ والجماعةِ بالتمسكِ بغرزِ من بقي من علمائِكم، فأظهروا الحفاوةَ بهم وأعلنوها، أنزلوهم منازِلَهم، ذُبُّوا عن أعراضِهم، احفظوا غيباتِهم، فإن من نالَ منهم فإنما ينالُ من حملةِ الدينِ ويثلمُ في بنيانِه، إنما يريدونَ أن يجرحوا شهودَنا ليبطلوا الكتابَ والسنةَ، والجرحُ بهم أولى.

إننا اليومَ . أيها المؤمنون . أحوج ما نكونُ إلى توحيدِ الصفوفِ خلفَهم، فالفرقةُ شرّ والجماعةُ رحمةٌ، فبذلكَ لا ندعُ علينَا سبيلاً للمفسدينَ الذين يظنونَ أن الفرصةَ قد تهيأتْ لهم لإسقاطِ هذا الدينِ ورموزِه ومؤسساتِهِ في هذا البلدِ، فصاروا يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ، فجاهدوهم يعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ، ولن يكونَ ذلك إلا باجتماعِ الكلمةِ على الحقِ، وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ

اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، إن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ.

==============

الصراع بين الإسلام والعلمانية في تركيا

مجلة البيان - (ج 36 / ص 63)

محمد آل الشيخ

نشرت جريدة "الحياة" - في عددها الصادر يوم الجمعة 1990/11/20 - تحليلاً إخبارياً خاصاً كتبه لها سامي كاوين ، تكلم فيه عن جوانب الصراع بين من سماهم بالأصوليين المسلمين والعلمانيين الذين يحكمون دولة تركيا البلد المسلم ديناً والعلماني دستوراً ، وفي هذا المقال نذكر للقارئ أهم جوانب الوضع في هذا الصراع : 1- إصرار الطلاب المسلمين على السلوك الإسلامي التطبيقي في الدراسة ظهر ذلك جلياً في رفض الطلاب المسلمين في كلية الطب فحص المرضى من الجنس الآخر دون تغطية عورات الجثث التي يشرِّحونها. وقد رد عليهم بعض أعضاء الهيئة التعليمية برفض دخول قاعات الدرس ؛ لأن ما قام به الطلبة الإسلاميون يعتبر خرقاً لمبادئ أتاتورك العلمانية ، والمتمثلة في عدم إقحام الدين في الجامعات.

وقد امتد الجدال حول الموضوع في أنحاء تركيا كلها، حيث اعتبر كثير من أنصار العلمانية في الدولة أن ذلك يعتبر عملاً سياسياً خالصاً؛ حيث إن التفريق بين الجنسين يعتبر تحدياً صارخاً لعلمانية البلد. وحظيت الخطوة التي أقدم عليها الطلاب الأصوليون كما سموا بتأييد زملائهم في سائر أنحاء تركيا مما أحرج الدولة.

2- من جوانب الصراع كذلك ما أقره البرلمان - بعد ضغط قوي عليه - من إقرار قانون يسمح للطالبات في الجامعات بارتداء الحجاب الشرعي، وكانت محكمة دستورية قد قضت قبل سنتين بأن ارتداء الحجاب الشرعي داخل قاعات الدراسة منافٍ للعلمانية، ولكنه الآن أصبح دستورياً وأصبح عدد المحجبات في المدارس في ازدياد.

3- سعى البرلمانيون المحافظون إلى تمرير تشريع جديد يقضي بتدريس مادة الديانة التطبيقية في كل مدارس تركيا إلى جانب تدريس مادة الدين نفسها التي أُقرت في

الثمانينات تماماً ، ولم يصبح هذا نظاماً بعد ولكنه يعكس ميداناً من ميادين الصراع القائم.

4- من أهم مجالات الصراع هناك ، محاولة الإسلاميين تنشيط دور المساجد وربط المسلمين بها ، بعد حث الناس على المحافظة على الصلوات والشعائر التعبدية الكاملة ، ويجري الآن بناء 1500 مسجد سنوياً في تركيا ، ويوجد الآن 62947 مسجداً بواقع مسجد لكل 847 مواطن. ويحرص الإسلاميون هناك على إنشاء المدارس الدينية وإن كانت لا تخرّج إلا أئمة وخطباء مساجد إلا أنها تساعد على تأهيل هؤلاء للقيام بواجبهم ، ووصل عدد هذه المدارس إلى 400 مدرسة في تركيا بزيادة 50% عن الوضع في عام 1980م ، وأقرت لجنة الموازنة في البرلمان قبل فترة وجيزة تخصيص مبلغ 1.2 بليون ليرة تركية (450 مليون دولار) لموازنة الشؤون الدينية .

وقد اضطر حزب الأمة الحاكم إلى الانقسام؛ فالبعض يصرح أن العلمانية التي تحكم البلاد لا تعني تقييد حرية الاختيار في ممارسة الشعائر الدينية، ويرى البعض الآخر أن أي تغيير في الوضع القائم مرفوض ويقف في وجه كل تنازل في أمر الحرية الدينية.

وبسبب هذا الانقسام سرت إشاعة مفادها أن الجيش ينوي القيام بانقلاب جديد ، وبلغ من شدة هذه الإشاعات أن رئيس الأركان التركي شعر بالحاجة إلى نفيها قطعياً .

وينص الدستور التركي على أن الجيش هو حامي العلمانية ومبادئ أتاتورك في تركيا المسلمة.

هذه أهم جوانب المقال ، وقد ذكر لي أكثر من واحد من الأتراك أنه لا يوجد أي شعبية أو قبول لمبادئ أتاتورك في البلد ولكن القائمين على ذلك يتخذون منه سُلماً للوصول إلى السلطة أو المحافظة على مكاسب في أيديهم.

===============

البناء العَلْماني وبداية السقوط

مجلة البيان - (ج 52 / ص 93)

سعد بن عبد المجيد الغامدي

يتشكل البناء العَلْماني في البدء.. من أبنية عدة ترتبط فيما بينها بعلائق بنائية ، وتشكل كل ذي فكر لا ديني كالماركسي الهالك أو الرأسمالي المتهالك ، والحداثي الماسوني وما بعده من ضروب الفكر الفوضوي الآخذ في التداعي البطيء نحو حتمية النهاية المُريعة ، نهاية كل فكر زائف مزيف .

ويلوح ذلك البناء بأفكاره وطروحاته وأنظمته ، لصاحب العقل المُستعْمَر – بتسكين العين وفتح الميم – والنفس الانهزامية ، يلوح بناءً متماسكاً ، وهاجساً حضارياً يبعث على التوثب والانعتاق .

وهو لذي عقل رباني متحرر من علائق التبعية لكل فكر لا إسلامي دنيوي ، بناءٌ مادي موضوي – نسبة إلى الموضة – يتبدل تبدل الموضة وعروض الأزياء المرهونة بطقوس الفصول الأربعة وجلبة القطعان الُمغرمة ببريق المظهرية الجوفاء .

ويتبدى له أيضاً ، عبر خطابه الفوسفوري ، بناءً مشعاً.. بيد أن شعاعه زائف سرعان ما ينطفئ لأنه يستمد لمعته من شعاع الآخرين !

وهو بناء يحمل في تجويفاته وأحشائه بذور التداعي والسقوط المتمثلة في "الجهل بحقيقة الألوهية واتباع غير ما أنزل الله" ، واستعباد البشر والجناية على أدمغتهم.. يأخذ هذا البناء في النمو وتنمو في ذات الوقت تلك البذور ، وتتجذر عروقها ، وتمتد أغصانها في ثنايا البناء وتحل به لاحقاً سنّةّ الهلاك ، ويسقط سقوطاً مدوياً.. ولنا في سقوط البناء الشيوعي – مُحَطَّم الإرادات ومعطَّل العقول ، وهو أحد منظومات البناء العلماني – خير بشير ونذير .

وتباعاً.. فإن ثوابت هذا البناء الوضعي الجاهلي اللافطري ثوابت هزيلة ترتعد فرائصه وتتهاوى لبناته أمام ثوابت البناء الإسلامي الرباني الخالد ، رغم الحصار الإبليسي المضروب حوله !

والخطوة الأولى نحو تقزيم البناء العلماني على طريق الصراع الحضاري تكمن في تكثيف الخطاب الإسلامي الخالد وتوسيع دائرته ليشمل نواحي الحياة كلها ، وذلك في ظل غياب الخطاب الشيوعي الماركسي . ثم تعرية الخطاب العلماني وكشف زيفه وتناقضاته الفجة مع أبجديات الحرية وألف باء الحياة الكريمة التي تحفظ للإنسان إنسانيته وإرادته المستقلة . وهذا منهج – شريطة الاستمرارية – قمين بأن

يُعيد للبناء العلماني مكانته الطبيعية كما لا بد أن يكون قابعاً في مزابل التاريخ وأزقة الحضارة .

ويعود البناء الإسلامي الخالد ، عبر عقيدة التوحيد وثورة فكرية ربانية تملآن الفراغات وتحلاّن بديلاً عن منظومات المنطق المادي الكسيح ، يعود كما كان وكما لا بدّ أن يكون شامخاً في سماء الحضارة ، ومناراً للأمم ، وصانعاً للتاريخ ، مصداقاً لقول الحق خالق الخلق ((والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) .

أجل ! تلك سنة الله التي خلت في الأولين ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، والحمد لله رب العالمين .

================

طرق الطرح العلماني

مجلة البيان - (ج 62 / ص 22)

د.عمر المديفر

ليست أساليب وطرائق العلمانيين في طرحهم للمبدأ العلماني واحدة، بل هي متغيرة بحسب الزمان والمكان ، وهذه التغيرات قد تشمل أساليب الخطاب ، وقد تمتد إلى أساليب عرض المبدأ العلماني ، وهكذا ... فبينما تطرح العلمانية في قطر معين على أنها مضادة للدين ، تطرح في قطر آخر على أنها موافقة للدين. وفي بلد ثالث تُفرض فيه العلمانية ببطء وحذر شديدين حتى لا تلفت الأنظار إلا بعد كونها واقعاً لا مناص منه.

لقد كان كثير من العلمانيين في بدايات هذا القرن الميلادي لا يتقربون إلى الدين وأهله، وكانت شعاراتهم تتراوح بين القومية والشيوعية والاشتراكية، ولكن حينما اشتد ساعد الصحوة، وبدأ المسلمون يشعرون بقيمة دينهم ، بدأ العلمانيون بكافة أصنافهم بالتقرب إلى الدين ، وبمحاولة إيجاد صيغة تجمع بين علمانيتهم ومقاصدهم الشخصية وبين استغفال الشعوب المسلمة والاستخفاف بها من خلال التظاهر بالمظاهر الإسلامية!

فعلى سبيل المثال ، كان شبلي العيسمي (السوري الدرزي الذي فرّ من سورية إلى العراق سنة 1967م) أحد منظِّري البعثية في العالم العربي لا يأتي للإسلام بذكر

فيما يقرب من عشرة مؤلفات صدرت حتى عام 1984م ، أما ما بعد ذلك فقد ألف عن كون العرب مادة للإسلام ، وعن "عروبة الإسلام"!! وكذلك كانت حال بقية المنظرين للعلمانية(1).

وكل هذا التغيير يدلنا على أن العلمانية ليست مقنعة كمنهج في العالم الإسلامي ، لأن المسلم – مهما بلغ انحرافه – يشعر بارتباط الإسلام بالحياة العامة، ويشعر بكون الإسلام له سلطان على كافة أنحاء الحياة ومجالاتها، ولهذا نجد المسلم الذي لم تفسد فطرته لا يفكر في إمكانية الخروج عن شريعة الله ، ومن هذا المنطلق يرفض العلمانيون أن يُستفتى الشعب في إقرار أو منع الدستور العلماني ، لأنهم يعرفون حتمية خسرانهم.

وهذه التغيرات تدلنا أيضا على أن العلماني ليس له هدف سامٍ وهو رفعة الوطن – كما يقول – بل هدفه هو الوصول لمصلحة شخصية، والأمثلة على هذا كثيرة ممن كانوا معارضين لأنظمتهم الحاكمة، ثم حينما اشتُريت مبادئهم بمنصب ودخل مادي انقلبوا مدافعين عن تلك الأنظمة !!

ويمكننا تقسيم أساليب الطرح العلماني إلى طرح مكشوف وآخر ملتوٍ مموّه!

1 – الطرح الصريح :

وهذا الأسلوب هو أسلوب العلمانيين الأقحاح ، الذين يستطيع المرء أن يصفهم بالغلو العلماني بلا تردد، لصراحتهم حول هذا المبدأ، وهؤلاء أمِنوا العقوبة لأنهم في بلد تحكمه العلمانية، والشرائع الجاهلية، التي تسمح لهؤلاء بالانتقاص من قدر الدين ، والتعدي عليه ، في حين تكمم أفواه الدعاة، والذين يريدون الدفاع عن دينهم!!

ويرتكز هذا الطرح على ما يلي :

أ– مدح الغرب وإطراؤه ، ودعوة الأمة إلى اللحاق بركبه والتأسي بتجربته في رمي الدين جانباً وعزله عن الحياة، وعن هذا يقول أحدهم تحت عنوان "درس النهضة الأوربية" وهكذا نستخلص من استيعاب درس النهضة وموقفها من التراث حقيقتين على أعظم جانب من الأهمية:

الأولى : هي أن من الممكن أن تقوم نهضة علمية فكرية رفيعة المستوى في مراحلها الأولى على أساس الرفض الحاسم للتراث ، وذلك حين يكون هناك انقطاع في

التراث يمنع من استمراره في خط متصل حتى الحاضر، وعندئذ لابد أن ترفع النهضة شعار "البدء من جديد" كعلامة على تحدي التراث.

والثانية: هي أن التطور والتقدم المستمرين في المعرفة يساعدان على الوصول إلى نظرة تاريخية إلى التراث يختفي فيها التناقض بين تمجيده والاعتراف بتخلفه (2).

ب – ادعاء علمانية الإسلام ، وأنه لا تناقض بين الإسلام والعلمانية! ؛ لأن الإسلام دين فرد لا دولة! ويستدل هؤلاء بكتاب "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق ، وكتاب "الديمقراطية أبداً" لخالد محمد خالد وخير مثال لهذا الادعاء كتاب "العلمانية والدولة الدينية" لشبلي العيسمي .

ج – ادعاء عدم صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان ، وأنها نزلت في وقت معين ، وأنها لابد أن تتطور لتوافق النمط الاجتماعي الجديد، ولو كان في هذا تجاوز لأحكام ثابتة غير اجتهادية ؛ لأن المصلحة مقدمة على النص عندهم !! وهؤلاء يدعون أنهم يؤمنون فردياً بالدين وشعائره! وإن كان معظمهم لا يؤديها !! ويستدلون بأقوال هي إما لمنحرفين كمحمد أحمد خلف الله ، وعلي عبد الرازق أو أقوال شاذة لبعض القدماء كقول نجم الدين الطوفي : "إن المصلحة مقدمة على النص" ! فتجد هذا النص متكرراً في كتبهم ومقالاتهم (2)، ولم ينقل أحدهم القاعدة المشهورة "لا اجتهاد مع النص " ولم ينقل أحدهم قول أئمة الإسلام فيمن يحدد المصلحة !!

د– التركيز على قضية المرأة وأنها مهانة في الإسلام ، وضرب الأمثلة والإطناب في ذلك إلى حد زعم وادعاء اللعب على المرأة في الشريعة الإسلامية!! حتى أن فؤاد زكريا ليقول – وبأسلوب مموه – "لو لم تكن المسألة في حقيقتها لعبة بارعة أتقنها الرجل لكي يخدر المرأة ويحقق بها مصالحه لاتجهت دعواته إلى أن يتحمل هو جزءاً من العبء على الأقل.. الخ" وكأن الشريعة وضعها رجل وليست شرعاً سماوياً ! .

هـ – جعْل الثورة الإيرانية الشيعية هي المثال لكل حكم إسلامي ، وصحوة إسلامية، بل إنهم يرددون في كتاباتهم مزاعم تصف العمل للإسلام ، والدعوة للعودة إليه ، والتمسك به بالسعي إلى إقامة طهران أخرى !! ؛وهم بهذا يريدون أن يخوفوا الشعوب من الصحوة الإسلامية، ويحاولوا الصد عن دين الله ، بل إن أحدهم قاس كل دولة

إسلامية على الثورة الإيرانية بالنسبة للنص في الدستور على مذهب معين فقال : "وقياساً على هذا المنطق فإن الدولة الإسلامية في الوطن العربي يجب أن تعتمد على الأساس المذهبي ، ولا يخفى ما في ذلك من خطر وخطورة على إمكانية قيامها من جهة وعلى مضمون الوحدة والتماسك بين أبناء الدولة الإسلامية المنشودة من جهة ثانية"(4) وكأنه حريص على وحدة أي دولة إسلامية!

و- نقد الصحوة الإسلامية ومظاهرها، والسخرية منها والتعرض بالنقد اللاذع لرموزها من العلماء والدعاة وكل ذلك - كما أسلفنا - محاولة لإجهاض هذه الصحوة أو بث الوهن فيها، وتفريق الناس من حولها ولكنهم خابوا وخسروا.

2- الطرح المموه :

وأهل هذا الأسلوب غاية في الحذر والمكر، فهم يدَّعون الإسلام ، ويتباكون على حال المسلمين ، حتى يلتبس أمرهم على طالب الحق ، فلا يستطيع تمييزهم ، ولكنهم يعرفون بصدورهم عن آراء الشواذ فيما يتعلق بالشريعة وعدم رجوعهم إلى الحق ولو أقيمت عليهم الحجة، وهم في الغالب لا ينكشفون إلا في حال فرح غامر بانتشار المنكر أو استياء شديد عند حصول نصر للإسلام ، ففي هذه الحال يصدر منهم ما ينبىء بما يخفون وبهذا يُتبيَّن انتماؤهم ومنهجهم.

وغالب من يسلك هذا الطريق الملتوي يعيش في بلد ترتفع فيه راية الدين ؛ فلا يمكن له التصريح بمنهجه ، خشية من العقوبة الرسمية، أو خشية العقوبة الشعبية، كرفض الشعوب له وسقوط مصداقيته. ومن مرتكزات هذا الطرح ما يلي :

أ- الدعوة إلى الاجتهاد والتجديد، والإلحاح على ذلك، وحشد النصوص والنقول الشاهدة على ذلك ، ثم تمتد هذه الدعوة إلى الاجتهاد في ثوابت الدين ، وتمتد إلى تجديد أحكام مجمع عليها وإلى الحث على تجاوز الإنتاج الفكري والفقهي الإسلامي على مدى أربعة عشر قرناً، والرجوع إلى الكتاب والسنة بشكل مجرد، ورفض أية وصاية - على حد زعمهم - يفرضها ذلك الإنتاج ، وعدم الاعتراف بكثير من شروط الاجتهاد التي وضعها السلف!

وقد تورط في مثل هذه القضايا بعض الكُتاب مثل فهمي هويدي في كثير من كتاباته وخاصة ما كتبه في فصل "وثنيون أيضاً عبَدة النصوص والطقوس" في كتاب "القرآن

والسلطان" . والدكتور محمد عمارة في كتاب "الإسلام والعروبة والعلمانية"، وفي كثير من كتاباته المعاصرة، وآخرين من أمثالهم.

إن الدعوة إلى الاجتهاد في أصلها صحيحة، ولكن الاجتهاد له ضوابطه وشروطه التي فصّل فيها علماء الأمة القول ، وبينوا أن المجتهد لابد له من الآلة، وهي علوم الشريعة، وأنه لابد – لكي يكون مجتهداً معذوراً – أن يبذل الوسع ، ويخلص النية، وإلا كان كمن اجتهد في القرآن برأيه ، فأصاب ولكنه مخطئ؛ لأنه اجتهد بغير علم، ويتناسى أصحاب هذه الدعاوى أقوال الفقهاء والعلماء في التحذير من القول على الله بغير علم (5).

ب – ادعاء: أن المهم هو أساس الإسلام ، ورسالته المهمة في إصلاح النفوس وتزكيتها وتهذيب الأخلاق ،وأن هذا أهم من تطبيق الشريعة، وإقامة الحدود، والجهاد وغيرها مما يؤذي الحس العلماني المرهف!! الذي يرضى بالشرائع الغربية، والقوانين الوضعية التطبيقية، ولا يهتم إلا قليلاً بنقل جدية الحضارة الغربية في العلم المادي ، وهذا واضح في الجهود التي تبذلها الحكومات العلمانية في محاربة الدين ، وتغريب القوانين ، بينما لم يستطع أي من تلك الأنظمة التقدم تقنياً ومادياً كما تقدم في مجال التغريب !

ويحرص العلمانيون على احتقار المظاهر الإسلامية، لأنها هي سمة المسلمين ، وبها يعرف المسلم من غيره في عصور ظهور الإسلام، ولكن إذا فقدت هذه المظاهر أهميتها أصبح التمييز بين المسلم وغيره أصعب، وهذه الإشكالية صحيحة أيضاً بالنسبة للعبادات والشعائر العامة، وفي مثل هذه الأحوال يمكن للعلمانيين التحرك بحرية داخل المجتمع الإسلامي.

ج – دعوى الحرص على الوحدة وعدم التفرق: هذه الدعوى قديمة ومتجددة لدى العلمانيين ، فهم يرفعون هذا الشعار في كل مكان ، ويرفضون التمسك بالدين – وبالذات في حكم المجتمع – لأنه – على حد ما يزعمون ويفترون – يفرق المجتمع ، ويؤجج النزعة الطائفية، وقد قال هذه الدعوى كثير من العلمانيين ، بل يذهب العلمانيون في تنظيرهم إلى وجوب تطبيق العلمانية لتحقيق ما يسمى بالوحدة الوطنية! وهذا أحدهم يقول عن العلمانية : "وتلغي تنظيم المجتمع على أساس

الطوائف وهي إذ تلغي الطائفة – كوسيط بين الفرد والدولة – فإنها توفر أساساً ضرورياً للديمقراطية، وتوحيد المجتمع في إطار عقلاني لا يمكن أن يتحقق في ظل الانقسام الطائفي"(6).

ويقول : "العلمانية هي الطريق الوحيد لتحقيق وحدة المجتمع ، وإلغاء الانقسامات العامودية، مثل العشائرية، والعرفية، والقطرية، إلى جانب الطائفية" (7).

ولست أدري هل غفل هؤلاء عن الدولة الإسلامية المترامية الأطراف – والتي استمرت لمدة تقرب من الأربعة عشر قرناً – وعاش في ظلها غير المسلمين أحسن من عيشتهم في ظل دياناتهم ، مع أن الصليبيين حينما احتلوا الأندلس لم يبقوا فيها مسلماً واحداً ظاهراً إسلامه على عكس وضع كل الطوائف في الدولة المسلمة، بل إن اليهود استمروا تحت حكم هذه الدولة الإسلامية على دينهم طوال هذه الفترة.

د- القول بتغير الفتوى بتغير الزمان: فالعلمانيون يذكرون هذه القاعدة في أكثر كتاباتهم، ويلفون حولها ويدورون ، ويقيمون الحجج لها، وينقلون النصوص ، ويحشدون أقوال السلف على صحتها وأهميتها، وهذه قاعدة صحيحة لا غبار عليها، وقد بحثها علماء الإسلام بحثاً دقيقاً وأصّلوها تأصيلاً شرعياً، ولم تحتجْ الأمة إلى العلمانيين كي يذكروها بها، ويفردوا الصفحات في كتبهم لمناقشتها، ولكن من يناقش وهو معظِّم لنصوص الشريعة ومحترم لها، غير من يناقش لكي يسقط بعض أحكام الشريعة، ولهذا لم يورد العلمانيون أن هذه الفتاوى التي تتغير بتغير الزمان والمكان إنما هي الفتاوى الاجتهادية في أحكام المعاملات ، أما العبادات وأحكام الأسرة والمواريث فهي ثابتة لا تتغير "ونص هذه القاعدة عام في ظاهره ، فالتغير في الظاهر شامل للأحكام النصية وغيرها، ولكن هذا العموم ليس مقصوداً ؛ لأنه اتفقت كلمة الفقهاء على أن الأحكام التي تتبدل بتبدل الزمان وأخلاق الناس إنما هي الأحكام الاجتهادية فقط ، المبنية على المصلحة، أو على القياس أو على العرف ، أو على العادة، وعلى ذلك فالأحكام النصية ثابتة لا تقبل التغيير، ولا تدخل تحت هذه القاعدة وقد رأى بعضهم أن يكون نص القاعدة "لا يُنكر تغير الأحكام الاجتهادية بتغير الزمان" دفعاً لهذا اللبس وهذا قيد حسن"(8)، وعموماً ففتاوى علمائنا شاهدة على تطبيق هذه القاعدة بدون أن يلفت العلمانيون انتباههم إليها.

الهوامش :

1 - بل إن بعض الاحزاب أصدرت أوامر إلى بعض مفكريها بأن يطرحوا أنفسهم من جديد بشكل إسلامي .

2- فؤاد زكريا، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، ص39-40.

3- انظر : العلمانية والدولة الدينية لشبلي العيسمي ، ص10 ، وص180 ومراجع أخرى، وكثيراً ما تُذكر هذه القاعدة في كتب العلمانيين وأشباه العلمانيين ، ورداً على هذه الشبهة يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه "أحمد بن حنبل" ، ص359 أن هذا الرأي "رأي شاذ بين علماء الجماعة الإسلامية" ، ويقول في صفحة 363 عن الطوفي واتهامه بالتشيع "إن مهاجمته للنصوص ونشر فكرة نسخها أو تخصيصها بالمصالح هو أسلوب شيعي..." نقلاً عن مفهوم تجديد الدين لبسطامي سعيد.

4- العلمانية والدولة الدينية ، شبلي العيسمي ، ص140.

5- راجع فصول الاجتهاد وأحكامه في كتب أصول الفقه ، وكتاب إعلام الموقعين ، لابن القيم ، حول ضوابط الاجتهاد ومجالاته وشروطه.

6- مجلة "فكر" ، فبراير عام 85م ، مقال مفهوم العلمانية، ص71 ، بقلم فضل شلق .

7- مجلة "فكر" ، فبراير عام 85م ، مقال مفهوم العلمانية، ص74، بقلم فضل شلق.

8- الوجيز في إيضاح قواعد اللغة الكلية ، د.محمد صدقي البورنو ، ص254، وانظر في تبيين مسألة تغير الفتوى بتغير الزمان رسالة "الاجتهاد" للشيخ صالح الفوزان ، وانظرها في مواضعها في كتب أصول الفقه والقواعد الفقهية.

=============

المسلمون والعالم

مجلة البيان - (ج 76 / ص 66)

أقدم التجارب العلمانية تترنح!

قراءة في الانتخابات البلدية التركية الأخيرة

د. عبد الله عمر سلطان

بعد أيام من ظهور نتائج الانتخابات البلدية في تركيا، التي انتهت بتقدم ملموس لحزب الرفاه ذي التوجه الإسلامي ، زار وزير خارجية الكيان الصهيوني «شمعون بيريز» تركيا والتقى برئيسة الوزراء «تشيلر» ، وأجرى مباحثات تركزت على إحياء محور التعاون بين الدولتين في مجالات متعددة وصفتها المحللة الأمريكية «كاثي دافيس» بأنها ستغير من ملامح المنطقة إذا وجدت طريقها إلى التنفيذ ، حيث إنها ترمي فعلاً إلى قيام كيان شرق أوسطي فاعل ، يرتكز على التكامل بين الدولة اليهودية وأقدم حكومة علمانية في المنطقة، وبخاصة أن الزيارة جاءت بعد اهتزاز الثقة في قدرة النظام العلماني في أنقرة على الاستمرار كنموذج أمثل لبقية الكيانات العلمانية التي تتفاوض مع «إسرائيل».

لقد قررت الصهيونية ممثلة في رمزها الفكري/السياسي «شمعون بيريز» القيام بخطوة أكثر جسارة ، حينما سارع إلى زيارة أنقرة عارضاً عليها ملامح مشروعه «الشرق أوسطي» ، الذي طرحه بالتفصيل في كتابه الأخير ، وركز خلال هذا الطرح على أهمية وجود ركائز مشتركة بين «إسرائيل» قطب الرحى في المعادلة ، والنظم والكيانات السياسية المرتبطة والمندمجة معها «حضارياً» ، وهذا الشرط الحضاري يقتضي وجود حد أدنى من التبعية للغرب والولاء لنظامه السياسي العلماني ، هذا النظام الذي تُعتبر تركيا أبرز وأقدم وأقسى أمثلته الراهنة.

خطان متقابلان:

إن خط الصهيونية مع تركيا قديم، ويمتد إلى ما قبل وجود كيان الصهاينة في فلسطين،ففي الذهن الصهيوني هناك مثالان متقابلان لتركيا ، أحدهما مثله السلطان عبدالحميد الذي رفض «التطبيع» مع مشروع هرتزل الصهيوني الذي كان يمثل مخرجاً «واقعياً» لمحنة السلطان والدولة المريضة في حالة موافقته على مشروع الاغتصاب لأرض فلسطين... ، وتلك تجربة لا ينساها الصهاينة أبداً لرمز الخلافة الإسلامية التي شمخت رغم ضعفها ، ورفعت جبينها والمهالك تسن أنيابها وأظافرها لتقتلعها وتزيلها من الوجود... ، أما الصورة الأخرى لتركيا فهي التي يسارع «بيريز» وأي صهيوني آخر لمد الجسور معها والتحالف والتعاون مع القائمين عليها، وتلك هي تركيا العلمانية الأتاتوركية التي كانت دوماً بمثابة النافذة التي يتسلل منها

المشروع الصهيوني إلى المنطقة ، ومنذ وقت طويل... ، لذا فإن زيارة «بيريز» وكلامه أمام الأقلية اليهودية التركية عن تعاون عسكري وأمني واستراتيجي مع تركيا العلمانية «البعيدة عن التعصب» يؤخذ في إطار المحور الذي شهد تحسناً كبيراً في الآونة الأخيرة حيث تعد النخب العلمانية التركية جماهيرها لمرحلة «شرق أوسطية» يكون لليهود والأتراك العلمانيين قصب السبق والريادة فيها ، خصوصاً في ظل خصوصية العلاقة مع الغرب وأمريكا بالذات.

وفي كلام معلق الإذاعة الإسرائيلية تلخيص لخصوصية العلاقة بين العلمانية الطورانية والصهيونية البشعة ، حيث يقول: ظلت تركيا الرئة الوحيدة التي نتنفس من خلالها في المنطقة ، وظل النظام الحاكم في أنقرة صديقاً وحيداً لإسرائيل منذ البداية انطلاقاً من علمانيته الصادقة ، وتحالفه الجدي مع المشروع الإسرائيلي التقدمي ، لذا فإسرائيل تشعر بالقلق حتماً من تنامي التيار الأصولي في هذا المركز الاستراتيجي المهم ، وهي مستعدة للدخول في شراكة حقيقية للحفاظ على مكتسبات سبعة عقود من التجربة الأتاتوركية.

الأواني المستطرقة:

فوز حزب الرفاه بنسبة 6.18 % من الأصوات والحصول على المناصب البلدية في ست مدن كبرى و 22 بلدية في مراكز الولايات و 92 بلدية من بلديات الأقضية و 203 بلدية من بلديات البلدات ، مؤشر على تنامي العاطفة الإسلامية لدى الشعب التركي ، وصعود التيار الإسلامي ممثلاً في هذا الحزب في بلد مورست فيه العلمانية بقوة الحديد والنار ولأطول فترة في عالمنا الإسلامي ، فتجربة تركيا العلمانية هي الأقوى ، وهي الأكثر خبثاً وتلوناً وثقلاً فهي تجربة بدأت عام 1923 م على يد الهالك «كمال أتاتورك» الذي أتى بمشروع تغريبي إلحادي متكامل يبدأ باللغة وينتهي بلباس الرأس مروراً بالقوانين والأنظمة والتهميش القسري لهوية تركيا المسلمة.

لقد تدخلت الآلة العسكرية الثقيلة ثلاث مرات على مدى سبعة عقود كلما شعرت أن «مبادىء أتاتورك» ومشروع العلمنة التركي في خطر: حدث هذا عام 1960 م حينما أعدم العسكر الهمج «عدنان مندريس» الذي كانت جريمته عودة الأذان باللغة العربية بعد أن حُرم المسلمون من صوت «الله أكبر» لأربعين عاماً ثم ما لبثوا أن

خرجوا من ثكناتهم مرة أخرى عام 1971 م بعد أن تعرض حزب الشعب الذي أسسه «أتاتورك» لنكسة انتخابية ، أما في انقلاب «كنعان أفرين» الأخير عام 1980 م ، فالسبب كان أكثر إلحاحاً ، بعد أن جاءت تحركات شعبية بالهوية الإسلامية وأعادتها إلى الواجهة والمناقشة ، وهو أمر يرفضه العسكر الأتراك الذين يشكلون العصا الغليظة لحزب الناتو «الأطلسي» ، الذي يصر على تخلي تركيا عن إسلامها مقابل أن يقوم الجيش التركي «بالواجب» الملقى على عاتقه ، وهو حماية البوابة الشرقية والجنوبية لدول أوروبا النصرانية.

الغرب وتركيا العلمانية:

إن دول أوروبا إضافة إلى الولايات المتحدة ، ينظرون إلى تركيا العلمانية نظرة صغار واحتقار ، فبالرغم من الطرق المستمر لباب السوق الأوربية المشتركة ظل الباب مغلقاً أمام تركيا، التي تريد أن تكافأ على خدماتها وانضباطها العلماني وسلخها لهويتها الإسلامية، كما ظل الغرب ينظر إلى الجمهورية الأتاتوركية على أنها نموذج «جيد» يستحق الاستنساخ في بقية المناطق العربية والإسلامية ، فهذه الملايين السبعين تعيش منذ تفجير المشروع العلماني دون هوية أو هدف أو رسالة ، بعد أن كانت هذه الأمة قبل قرنين تهدد قلب أوروبا وهي تحمل شيئاً من روح العزة الإسلامية ، وهذا العملاق الأناضولي قد تم استئناسه بطريقة عبقرية جعلته مسخاً لا هو بالمسلم الشرقي المعتز بأصوله ، ولا هو بالعلماني الأوروبي المفتخر بانتسابه إلى نادي أوروبا النصراني والمسمى بالسوق الأوربية المشتركة. وما أقسى أن يعيش الإنسان دون هوية ، وما أفظع أن تكون الأمة بلا نسب أو حدود... ، ولابد هنا أن تمر الأمة بمرحلة البحث عن الذات والعودة إلى الأصول ، وهذه مرحلة انتقالية تمر بها أي أمة وهي تبحث عن هويتها ، وخلال عملية البحث تبرز المفارقات وتفرض المسلمات نفسها لاسيما بعد أن تأخذ التجربة أي تجربة مداها وزمنها والمساحة التي لابد بعدها من التوقف للتفكير ، وإعادة طرح الأسئلة البدهية التي غيبت عن هذه الشعوب بقوة الحديد والنار ، أو بوعود الرفاه الاقتصادي والتقدم الاجتماعي الذي كان أشبه ما يكون بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماءً. صحيفة «الوول ستريت

جرنال» الأمريكية كتبت عن أزمة الهوية هذه بعد بروز نتائج الانتخابات التركية قائلة: «يمكن القول بكلمات قليلة إن تركيا تمر الآن في مرحلة انتقالية غير أن هذا الانتقال يحدث وسط فراغ أيديولوجي يتعين على البلاد من خلاله أن تحدد هويتها في مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة.

والواقع أن هذا الفراغ ، الذي زادت من حدته الأزمة الاقتصادية العميقة والحرب الشاقة ضد الأكراد ، هو الذي دفع الأتراك نحو الإسلام لتحديد الاتجاه.

ومن الواضح أن أزمة الهوية هذه كانت تتفاعل منذ وقت طويل، ذلك أن أيديولوجية تركيا المشتقة من تصميم «أتاتورك» على تحويل خرائب الامبراطورية العثمانية إلى بلد عصري على النمط الغربي ، غير قادرة في حقيقة الأمر على توفير الإجابات لعدد كبير من الأسئلة التي تواجه الأتراك اليوم.

إذ بعكس الماركسية والديمقراطية الليبرالية ، لا تملك «الكمالية» الأيديولوجية الشاملة التي تفسر المجتمع والتاريخ ، وهي ليست نظاماً أخلاقياً اجتماعياً في شكل ديانة تقليدية ، كما أن ظهورها وهيمنتها خلال القرن الماضي حرم المجتمع التركي من الجذور الأخلاقية والاجتماعية التي يوفرها الإسلام وتجعل الناس يشعرون بالأمان.

لقد كان إنجاز «الكمالية» الرئيس هو تثبيت وتعزيز القومية التركية ، لكن ما إن ضربت القومية التركية جذورها في المجتمع حتى فقدت سبب وجودها ، هذا ما قاله الكاتب «ديليب هيرو «في كتابه الأخير الذي تناول فيه تركيا وآسيا الوسطى.

ومما لا شك فيه أن الإسلام يوفر الحل بالنسبة للكثيرين من الأتراك ، ففي كل سنة يتدفق مئات الآلاف من المهاجرين المتدينين غير المثقفين من منطقة الأناضول إلى الضواحي الفقيرة في أنقرة واسطنبول، ولعدم استعداد هؤلاء لفهم متع الحياة في اسطنبول ، ولذهولهم من الفساد المستشري في كل مكان ، يتحول معظم هؤلاء المهاجرين إلى حزب الرفاه ، بأمل أن يقيهم من السقوط الأخلاقي».

إن ما شهدته تركيا تشهده بقية بقاع العالم الإسلامي ، فهذا البعث الإسلامي أصبح هو الرقم الصعب والعامل المشترك لأي أمل قائم للخروج من نفق الواقع الملبد بالإحباط والتدهور ، إن انتخابات تركيا أكدت أن الصحوة الإسلامية تعيش حالة تشبه الظاهرة الفيزيائية المعروفة بظاهرة الأواني المستطرقة ، فأنت حينما تضع

مجموعة من الأواني المختلفة الحجم والشكل وتربط بينها بقاعدة مفتوحة ومشتركة، تجد أن الماء المصبوب في آنية منها ينعكس تلقائياً على مستوى المياه في الأواني الأخرى، وهكذا فالحالة الإسلامية اليوم تشبه مجموعة الأواني المستطرقة التي تستفيد من كل قطرة ماء تسكب في قالب مع اختلاف نوعي بين القوالب، نصر المسلمين في تركيا ينعكس على الحالة المعنوية لدعاة الإسلام في أندونيسيا ، وارتفاع راية الإسلام في أقصى طاجيكستان تحس بإيجابيته شوارع ساريفو ، والخلاصة أن عودة المسلمين إلى جذورهم في بلد الخلافة الإسلامية يعطي أملاً للعاملين من أجل الإسلام. إن أعتى وأبشع النماذج العلمانية بدأ يتحول إلى خندق الدفاع ، بعد أن ظل يطارد أهل الإيمان من مواقع الهجوم ملوحاً بالرخاء والتقدم والاندماج مع الغرب المنتصر والمحارب لهذه الأمة ، لاسيما بعد غروب شمس دولة الخلافة.

التحدي لا يزال ضخماً:

بالرغم من النتائج المفرحة لأداء حزب الرفاه التركي في الانتخابات، فإن بصمات العلمانية المنفرة لاتزال ملموسة على كافة الأصعدة، في الوقت الذي يظل اليسار الملحد واليمين الأمريكي يحظى بثقل وتأثير على الساحة السياسية والاجتماعية في تركيا ، وأمام هذا التحدي تبرز نقاط لابد من التوقف أمامها:

* أمام حزب الرفاه تحد عقدي يتمثل في قرون طويلة من التصوف والخرافة التي تسللت إلى الحياة التعبدية لقواعد واسعة من الحزب ، كما يشكو الحزب من جانب آخر من ضعف في الجانب الفكري والتجديد في طروحاته العقدية ، وما يتفرع عنها من مواقف سياسية واقتصادية واجتماعية ، وفي الوقت الذي يعتبر فيه الحزب صاحب صوت ضخم حالياً ، فإن هذا الصوت بحاجة إلى حنجرة قوية وفكر متجدد ودورة دموية نشطة تساعده على تكوين قاعدة صلبة تجمع الرموز الإسلامية في تركيا على منهجية واضحة ، ولابأس أن يبدأ الحزب بالاهتمام بهذا الجانب من الآن، خصوصاً أن في تجربته بعداً عن الحزبية الضيقة التي جعلته متعاطفاً مع قطاع عريض من الحركات الإسلامية.

إن التحدي القائم أمام الإسلاميين في تركيا أكبر من حجم المنافسة السياسية ، إنه تحد حضاري شامل ، وما لم يكن الشمول المتسلح بمنهجية سليمة حاضراً ، فإن

دور الحزب سيظل جزئياً ، كما أن تكوينه العقدي والمنهجي سيظلان نقطتي ضعف واضحتين.

* أمام الرفاه تربص من قبل أحزاب الإلحاد والعلمانية والقومية المتطرفة كما أن العلمانية التركية تتمثل في شخصيات ورموز ومؤسسات تعيش على الإرهاب العلماني القائم ، هذه الأحزاب والشخصيات ستركز على البلديات التي يحكمها الإسلاميون ، وستتجنى في الحكم عليها ، وستضخم أخطاءها وستحاربها بالشائعات والقصص المختلفة ، وهذا ما يحتم على الحزب اليقظة والحذر وممارسة أساليب النقد الذاتي ، فالعلمانية التركية تظل أقدم تجارب العلمنة تاريخاً وجذوراً إذا ما قورنت بالتجارب العلمانية الأخرى في عالمنا الإسلامي.

* أما أكبر الدروس التي نخرج بها، فهي قوة هذا الدين الذاتية التي صمدت وتصمد أمام أعتى الحروب وأقسى المواقف والظروف ، ويوماً بعد يوم يصلب عود هذه الأمة وتعود إلى نبعها الصافي ، وحين نقارن بضعف الجهود وكثرة الأخطاء وقلة ذات اليد ، فإننا لابد أن نخرج بمُسَلّمَة تصرخ وتقول: إن هذا الأمر هو أمر الله ، وإن ضعف الداعي، وحورب المبلغ ، وتكالب العدو.

* هناك المؤسسة العسكرية التي صرح مسؤول المخابرات فيها بُعيد ظهور النتائج: أنها ستتدخل في أي ظرف تشعر أن مبادىء «أتاتورك» مهددة أو أن العلمنة تتعرض للخطر ، هذا التصريح أمامنا تتناقله وسائل الإعلام ، وبين أيدينا تاريخ العسكر الطورانيين يؤكد انحياز العلمنة إلى التسلط وفرض خياراتها بالقوة أو الديموقراطية التي توافق مكاييلهم.

* الصحافة التركية وكر من أوكار الملاحدة والعلمانيين، مارست وتمارس التحرش بالإسلام وأهله، كما أن قنوات الإفساد التي تنتشر في تركيا وبتشجيع من أهل الفساد والإضلال ستزيد من نشاطاتها ، مما يحتم بروز قنوات إعلامية ملتزمة بالدفاع عن المشروع والهوية الإسلامية في تركيا.

* النزاع العرقي كشف أن الأكراد وغيرهم من الأقليات المسلمة المضهدة قد أعطت صوتها لحزب الرفاه،لأنه دعا إلى رفع الاضطهاد الطوراني عنها ووعدها بعدل الإسلام وسماحته، والمطلوب الأن أكبر من شعار حيث إن انتشار الدعوة بين هذه

الأقليات وتعريفها بكينونتها الإسلامية وهويتها ، أمر مطلوب بل بالغ الأهمية في هذه المرحلة.

* الغرب الخائف المذعور من كل نصر للإسلام سيمارس حرباً ضروساً ضد الإسلام وأهله ، سواء أكان عن طريق مباشر أو بواسطة حلفائه وفي مقدمتهم اليهود ، وهذا يقتضي الكياسة والبعد عن الاستعراض الخطابي والعمل بجد وإخلاص على أرض الواقع بشمولية ، وعدم قصر النشاط الإسلامي على الجانب السياسي الذي هو أكثر النشاطات إثارة وغيظاً للقوى الدولية ، وأمامي الآن مثال لهذه الحرب السافرة ، يتمثل في مقال لمجلة «الإيكونمست» البريطانية التي تبث الذعر في قلوب الغربيين من حكم حزب الرفاه الذي سيحظر أهم إنجازات «أتاتورك» في إسطانبول وهي: الخمارات ودور الدعارة ، وتتهكم بوعد رئيس البلدية الجديد الذي وعد بالقضاء على الدعارة والفساد وتحويل نشاط المدينة كمركز للمؤتمرات الدولية ، ولم تجد المجلة تعليقاً سوى: كيف سيحضر النساء المؤتمرات وهن بالعباءة؟!

*ويبقى الاقتصاد المنهار تحدياً آخر يمثل نتائج التخبط الذي مارسته الحكومات العلمانية المتعاقبة، وهو يحتاج إلى إصلاح جذري وانفتاح على العالم الإسلامي الذي هو الامتداد الطبيعي لتركيا.

إن تنوع هذه التحديات وضخامتها يجعلنا ندعو لإخواننا المسلمين في تركيا بالنصر والتمكين والمبادرة إلى استخلاص الدروس والعبر من تجارب إسلامية مشابهة ، على أن تكون ذخيرة في معركة الصراع بين الإلحاد والإيمان ما بين الكفر والإسلام،ما بين العلمنة والحل الإسلامي... وهي معركة ضخمة نؤمن أنها طويلة وقديمة قدم الحق والباطل، والعاقبة للمتقين والبشائر هي علامات الترنح التي نشاهدها تعتري أقدم تجربة علمانية...

============

المشروع العلماني يتداعى

مجلة البيان - (ج 79 / ص 4)

جاء الإسلام رسالة خاتمة أخرج الله به الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام،

ولذلك دخله الناس أفواجاً، وعلى هذا الأساس قامت دولة الإسلام في المدينة، وتواصل مده عبر القرون، فكانت جنسية المسلم عقيدته.

وحينما بَعُدَ المسلمون عن حقيقة دينهم، وانحرف بهم الفهم عن أصول معتقدهم ومنطلقاته الإيمانية، حينها ظهرت الأمية الفكرية والتعصب المذهبي والاتجاهات البدعية، وظهر الغلو المصادم للإسلام، مما أدى إلى شيوع الجهل في الأمة بعامة، مما أدى إلى سقوطها أمام الزحف الاستعماري الجديد الذي اصطنع نفراً من أبناء الأمة على عينه، فظهرت في ديار الإسلام الاتجاهات الفكرية الوافدة التي دعت إلى القومية والعنصرية والفئوية، بتشجيع من المستعمر المغتصب الذي سلم العهدة بعد فترة الاحتلال وبعد مقاومته إلى تلامذته ومريديه، وهو متأكد تماماً من مدى حرصهم على أداء دوره، وقيامهم بتنفيذ رسالته بأعظم مما كان يقوم به، فقامت الأحزاب العلمانية التي جعلت من نفسها ما يدعونه «بالشرعية الدستورية»، فحكمت بعقلية بوليسية مناوئة للأمة ولعقيدتها وضربت بالحديد والنار كل دعاة الفكرة الإسلامية، واعتبرتهم أعداء ليس لهم حق الدعوة إلى تحكيم شريعة الله في وضح النهار، في الوقت الذي فتحت فيه المجال لكل منهج علماني حتى ولو كان ماركسياً.

أفيدوني رحمكم الله ماذا استفاد عالمنا الإسلامي والعربي من تلك الحكومات العلمانية؟ وماذا كسب من جراء تولي أولئك الحاكمين بأمرهم على مقدرات أمتنا؟ وبماذا أتوا لها من معطيات الحضارة الجديدة النافعة سوى أن جعلوا بلداننا في مؤخرة البلدان فقراً وفي ذيل القافلة تخلفاً، ولم نعد سوى أسواقاً استهلاكية للأجنبي، ومحطات تجارب للأنظمة والقوانين المستوردة ومجالاً مفتوحاً للتغريب والإفساد عن طريق وسائل الإعلام والتعليم، فضلاً عن تنحية شريعة الله، مما ساعد على انتشار الجريمة بمعدلات متصاعدة لها آثارها الخطيرة على حاضر الأمة ومستقبلها.

هذه بعض نتائج العلمانية في ديارنا، ومع ذلك مازالت الأبواب مشرعة لنشوء المزيد من تلك الأحزاب إياها، وعقد الندوات والحوارات معها لتكريس تلك المبادئ الباطلة، وخداع الشعوب بمنطلقاتها، والحيلولة دون نشر الفكر الإسلامي الرشيد، وبعد سبعين عاماً مضت من غزو العلمانية لعالمنا العربي والإسلامي، لم نجد سوى قبض الريح وحصاد الهشيم.

إن عقلاء الغرب في غمرة بحثهم الدائب عن مصالح بلدانهم، يقومون بعمليات غربلة وتقويم لمناهج حياتهم واتجاهات فكرهم، للبحث عن مواطن الانحراف وتقويمها، ومعرفة معوقات الطريق وتذليلها، ومعرفة خاطئ الأفكار وتصويبها.

أما علمانيو أمتنا فهم أكثر العلمانيين في العالم ديكتاتورية، وأبرزهم انتهازية وأشهرهم تطرفاً في التعصب لآرائهم الهزيلة، حتى صار «أتاتورك الهالك» يحكم من قبره مقدرات دولة مثل تركيا، فيجرم كل دعاة الإسلام وقادة الإصلاح لمخالفتهم لما وضعه من نهج علماني أهوج، وعلى نهجه يحكم الفراعنة الصغار في بلداننا اليوم، ويقفون بكل صفاقة للحيلولة دون تحكيم شريعة الإسلام بدعاوى فارغة ما أنزل الله بها من سلطان، بينما نجد الغربيين في خضم مراجعاتهم لأفكارهم وقوانينهم ومناهجهم، يضعون العلمانية نفسها في قفص الاتهام، فمنذ أكثر من شهر دعا «مركز أبحاث الديمقراطية» بجامعة «ويستمنستر» في لندن بالتعاون مع منظمة «ليبرتي» إلى ندوة عن «انهيار العلمانية والتحدي الإسلامي للغرب»، ركزت في أبحاثها على نقد المشروع العلماني عبر المستويين النظري والتطبيقي، وموقف الإسلام من هذا المنهج.

وهذه الندوة لم تكن ترفاً فكرياً، ولم تصدر من فراغ، وإنما كان دافعها ما لاحظه العلماء وقادة الفكر هناك من مظاهر الانحراف والسقوط التي آلت إليها الحياة في الغرب مما جعل الغربيين أنفسهم يهربون إلى غير العلمانية، حتى وإن كان إلى أصوليات نصرانية فضلاً عن ما عانته تلك المجتمعات من مظاهر الانحراف الخلقي الذي أدى إلى شيوع الأمراض الجنسية والمخدرات وغيرها وظهور الاتجاهات السياسية المتطرفة مثل النازية والفاشية والتطهير العرقي، مما يعني أن الحضارة الغربية آيلة للسقوط لا محالة إذا سارت بنفس هذا المعدل في الانحراف.

وقد قام هؤلاء المفكرون في هذه الندوة بمناقشة تلك المظاهر المنحرفة في حياتهم، لتلمس الطريق قبل السقوط الذي حذر منه سابقاً أمثال «توينبي وشبنجلر»، وإذا نظرنا إلى واقعنا العلماني في عالمنا العربي والإسلامي، نجد أن علمانيينا الذين هم من جلدتنا ويتحدثون بألسنتنا ينقصهم ذكاء أولئك الغربيين وبعد نظرهم، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ومظاهر مكرهم تتجلى فيما يلي:

1- التجاهل للأيدلوجية العلمانية في شقها الليبرالي، التي يتبنونها للتربص والتستر والحيلولة دون أي توجه آخر حتى ولو كان الإسلام ذاته، لأنهم يعلمون أن فسح المجال له يعني سقوطهم المحتم.

2- إشاعة الفهم الكهنوتي الخاطئ للإسلام، واعتباره كأي دين محرف آخر لا يصح أن يبارح دور العبادة، وهذا جهل بالإسلام وآفاقه الحياتية المختلفة التي اكتشفها غير المسلمين فأسلموا، وفاقد الشيء لا يعطيه.

3- العقليات المستمرئة للباطل التي يمكن أن تتحالف مع الشيطان، وأن تتصالح مع أعدى أعداء الإسلام، لكنها تأخذها العزة بالإثم عن الرجوع إلى الحق والاعتراف بحاكمية الإسلام.

4- نفاقهم لكثير من الحكام، ومسايرتهم في كل ما يدعون إليه، ولاسيما ما من شأنه علمنة المجتمعات، وحثهم على مضايقة التيار الإسلامي وإظهاره بأنه العدو الوحيد للحاكم، ليكسبوا من تهميشه وجودهم في الساحة وبخاصة في وسائل الإعلام، حيث يدعون ليل نهار إلى أن العلمانية هي الحل!!

5- النهج الميكيافيلي الذي يعني أن «الغاية تبرر الوسيلة»، فقد كانوا ماركسيين يقفون صفاً واحداً ضد الإسلام، وحينما سقطت أيدلوجيتهم صاروا يهادنون الإسلام، ولكن بفهم جديد يدعونه «التنوير»، وهو للتزوير أقرب، وفي مكان آخر من هذا العدد مزيد من الفضح للعلمانيين ولطرائقهم الجديدة.

إن البقاء للأصلح مهما طالت الأيام ومهما أرجف المرجفون، ومما يثبت ذلك ترنح التجربة العلمانية في الغرب، والأعجب أن القوم عندنا يقيمون لها الاحتفالات خداعاً وتزويراً وغشاً للأمة جمعاء، إن كل باطل لا يدوم والحق الذي لا شك فيه أن «إن المستقبل للإسلام» رغم كل المعوقات.

وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين قال: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله في هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل به الكفر».

((والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)).

============

أقنعة العلمانية

مجلة البيان - (ج 79 / ص 95)

قراءة في الطروحات العلمانية الجديدة

د. محمد يحيى

يلاحظ المتتبع للطروحات العلمانية الفكرية في البلدان العربية خلال الفترة القريبة، توجهين أساسيين يحكمان هذه الأفكار، أولهما حديث نسبياً من حيث التعبير العلني عنه مؤخراً، وهو يبشر صراحة بالفكر العلماني «الكلاسيكي» في صورته الشرسة من ضرورة الفصل بين الدين (وهو هنا الإسلام) والدولة، أو بين الدين والسياسة، أو بين الدين والحكم، أو بين الدين والاقتصاد والتعليم وسائر شؤون المجتمع، أما الاتجاه الثاني فهو يواصل ما عهد عن أصحاب هذا الفكر في العقود الماضية من طرح العلمانية وراء أقنعة ومسميات شتى لا تلجأ إلى المصادمة المباشرة أو الوضوح الصريح أو الإفصاح عن النوايا والأهداف النهائية، وظهور الاتجاه الأول الذي يمكن أن نسميه بالأتاتوركي نسبة إلى رائد العلمانية في العالم الإسلامي في شكلها السياسي الشامل يرتبط بتصاعد الحرب من جانب القوى المحلية والأجنبية ضد الحركات الإسلامية، حيث فقدت هذه القوى توازنها أو صبرها في الفترات الأخيرة، وقررت أن تكون الحرب علنية ليس فقط ضد التيارات الإسلامية ولكن ضد الإسلام ذاته، من خلال وجوده الدستوري والقانوني في أنظمة الدول العربية، وأيضاً من خلال وجوده المؤسسي في هيئات تعليمية أو ثقافية أو اجتماعية، ولذا جاءت الدعوة إلى العلمانية الأتاتوركية صريحة إلى حد أننا سمعنا مثلاً موظفاً رسمياً في وزارة الثقافة بإحدى الدول العربية يتحدث باسم وزارته وهو ما يعني الحديث باسم الحكومة داعياً إلى فصل الدين عن الدولة في دستور البلاد، وتتردد آراء مشابهة من جانب كتاب من المشرق والمغرب العربي في صحف ومجلات تصدر هنا وهناك، وتديرها وتدعمها الأنظمة والحكومات، وتتراوح أهداف هذا التوجه الجديد المعلن ما بين بالونات اختبار (وفق المصطلح الصحفي الدارج) لآراء الصفوة والجماهير نحو الدعوة العلمانية الصريحة، وما بين التهديد للإسلاميين والمؤسسات الإسلامية بأنهم إذا لم يتوقفوا عن النشاطات الإيجابية في مجال الدعوة والحركة فإن الأنظمة

الحاكمة قد تضطر في نهاية المطاف إلى اللجوء إلى «الحل الأتاتوركي» أي إلى تبني العلمانية التقليدية بالنص في الدساتير والقوانين على تنحية الإسلام وعزله عن شؤون الدولة والحكم والمجتمع بكل مؤسساته، والوصول إلى الإقصاء الشامل لهذا الدين عن كل شؤون الحياة.

خطورة التوجه العلماني الجديد:

لكن هذا التوجه الأخير للطرح العلماني على خطورته المتمثلة في المصادمة الصريحة للإسلام، يبقى محدوداً من الناحية الكمية بالمقارنة مع التوجه العلماني الأخير الذي يحتل المساحة الكبرى في الكتابات الفكرية والإعلامية العلمانية، وأعني به تسريب هذا الفكر بشتى جوانبه وراء مجموعة من الأقنعة وأدوات التنكر والستائر التي تخفي حقيقة جوهره أو مقاصده وأغراضه البعيدة أو الجهات التي تحركه وتستفيد منه، وفيها جهات دينية غير إسلامية تتمسك بأديانها أشد التمسك، وتتعصب لها إلى الحد الممقوت، لكنها تريد للمسلمين أن يتحللوا من دينهم، وأن تنفصم عرى هذا الدين، ويبعد عن حياة الشعوب وتوجيه مصائرها، وإذا كان الفكر العلماني الكلاسيكي محدود الطرح في الناحية الكمية حتى الآن، فإن الفكر المقنع منذ فترة طويلة ومازال أكثر انتشاراً لأنه لا يسعى إلى الصدام المباشر الواضح مع العقيدة، بل يواصل عدوانه عليها، ويهاجمها بطريق غير مباشرة، فيقوض الطرح الإسلامي بطريق الإجهاض والإضعاف المستمر، دون أن يجازف بإثارة مشاعر الجماهير المسلمة أو تحفيز طاقات رد الفعل الفكري الإسلامي، أو تنبيه المسلمين لما يراد بهم، بل ويكسب فوق ذلك التظاهر بأنه تيار فكري محايد أو حتى «إسلامي مستنير»!!

صور جديدة للخداع:

وأقنعة العلمانية كما عهدناها متعددة وكثيرة ومتغيرة وفق الظروف والمناسبات، وتتيح هذه الأقنعة مزايا أخرى لأصحاب الفكر العلماني غير ما لاحظناه فيما سبق، فهي قبل كل شيء تمكنهم من الرد على دحض الإسلاميين لأفكارهم بمقولة أن الإسلاميين لا يفهمون العلمانية، أو يتعمدون الحط من شأنها بربطها بالفكر في الإسلام، بينما هي «في الحقيقة» (أي في القناع والفكر) لا تعني سوى التفكير

الحر، أو الاجتهاد الذهني، أو الاستنارة العقلية، أو الموضوعية العلمية، أو الإصلاح الاجتماعي والديني!!... الخ.

ولقد شاهدنا في الفترة الأخيرة إحدى المجلات الشيوعية ترد على سلسلة مقالات لكاتب ومفكر إسلامي موضوعي فند فيها أفكار العلمانيين، باتهام الكاتب أنه «يزيف العلمانية» أي يتهم العلمانية، وينسب إليها ما ليس فيها على حد زعم المجلة وهذه هي فائدة أسلوب الأقنعة والتنكر، لأنه يمكن العلمانيين عند الرد الموضوعي والداحض والمفند لأفكارهم أن يتنصلوا منها بزعم أنهم إنما ليسوا سوى دعاة العقل والفكر والحرية والاستنارة والتقدم وما أشبه ذلك من المصطلحات والألفاظ العامة التي يطلقونها دونما تحديد اجتلاباً للأذهان، لكنهم يحددونها في الوقت الملائم وبالمعنى والمضمون الذي يختارونه ويكون أكثر المضامين فعالية وأثراً في وضع ومقام معين.

مزاعم علماني متفلسف:

وفي هذا الصدد مثلاً ونحن نشير إلى أقنعة العلمانية واستخدامها التقنع والتنكر لأغراض مرحلية تتعلق بالرغبة في الانتشار والترويج واستمالة الأذهان وتجنب المواجهة المباشرة، أشير إلى واحد من أحدث هذه الأقنعة وربما كان من أطرفها، فقد عرف أستاذ جامعي مصري للفلسفة وهو غير مسلم اشتهر بهجومه على الإسلاميين منذ عقد الستينات العلمانية بقوله: إنها تعني التفكير في الأمور البشرية النسبية والمتغيرة بطبيعتها من خلال فكر نسبي ومتغير، والابتعاد عن «المطلق» عند التفكير في هذه الأمور البشرية وتدبيرها وإدارتها، وهذا التعريف المبتكر للعلمانية يبدو مختلفاً تماماً وبعيداً كل البعد عن تعريفها التقليدي بأنها فصل الدين عن الحكم والدولة والمجتمع، لكنه بعد تحليله يصل إلى نفس الهدف وراء سحابة المصطلحات الفلسفية عن المطلق والمتغير والنسبي.

فصاحب هذا التعريف يصف العلمانية بأنها التفكير في الشؤون البشرية ذات الطابع النسبي والمتغير بأساليب وأفكار مماثلة لها من حيث النسبية والتغير لكنه من المعروف أن المذاهب العلمانية المتنوعة وبالذات في المجالات «المتغيرة والنسبية» كالسياسة والاقتصاد وقضايا المجتمع، اتسمت بأشد درجات الإطلاق والجمود والصلابة وعدم التغير بحيث كانت تضع نفسها في شكل دساتير وقوانين صارمة

ثابتة تهيمن على حركة المجتمعات التي طبقت فيها وتعيد صياغتها بشكل كلي وشامل بحيث تتسق هذه المجتمعات مع تلك الأفكار النظرية المجردة، ولو كلف الأمر ملايين الضحايا البشرية ومحن واضطرابات تستمر عشرات السنين.

وليست التجربة الشيوعية فيما كان يعرف بالكتلة الشرقية الأوروبية عنا ببعيد، فالمذاهب العلمانية نفسها، وهي من وضع البشر لم تكن ترى في نفسها أنها أفكار متغيرة ونسبية جاءت لتحكم شؤون بشرية متغيرة ونسبية، بل على العكس فقد انتحلت لنفسها بالضبط ما تدعي العلمانية أن الأديان قد اتصفت به ألا وهو الطابع المطلق الشمولي الجامد المستعصي على التغير، وينطبق هذا حتى على تلك المذاهب العلمانية التي ادعت «الليبرالية» أو التحرر، إذ لم تخلوا هذه المذاهب من مطلقات مقدسة طرحت على أنها ثابتة ثبوت الدهور، وغير متغيرة مع تغير الظروف، بل وعلى أنها هي التي تحكم وتضبط وتوجه التغيرات وتهيمن عليها لا تواكبها ولا تسايرها ولا تتغير معها، وهذه المقدسات معروفة حتى الآن في الحرية الاقتصادية ونظام التمثيل البرلماني، وأفكار المساواة المطلقة والفردية، وأشهر مطلق من مطلقات الليبرالية بل ومن مطلقات الفكر العلماني نفسه هو مطلق فصل الدين عن الدولة.

وللماركسية والاشتراكية مطلقاتها الخاصة كما لسائر المذاهب والفلسفات العلمانية، بل إنهم يتبادلون الهجوم فيما بينهم بالإشارة إلى الطابع المطلق لكل منهم الذي يستعصي على التغيير والنسبية، ويقاومهما ويصر لنفسه على احتكار الحق المطلق حتى في أدق الأمور الاجتماعية والاقتصادية وأكثرها عرضة لمجريات التغير والتبدل.

العلمانية والمطلق والنسبي:

العلمانية إذن لم تكن أبداً إدارة أو تفكيرفي شؤون البشر المتغيرة والنسبية بأفكار وأساليب تشاكلها، بل على العكس كانت تتمثل في استبدال مطلق جديد (هو العلمانية) لمطلق قديم هو (المسيحية الغربية)، وما رافقها من أفكار ومذاهب سياسية واقتصادية وثقافية، ثم إن المذاهب العلمانية لم تنظر لنفسها على أنها مجرد تعبيرات ملائمة عن أوضاع نسبية ومتغيرة، تتغير وتتبدل وتمضي مع ذهاب هذه الأوضاع، بل على العكس اعتبرت نفسها مبادئ وخطوط عمل وإرشاد وتوجيه حاكمة وعامة،

توجه وتقود وتشكل هذه الأوضاع، بل وتحكم كيفية ومسار تغييرها إلى أبد الآبدين، أو إلى الوصول إلى الفردوس الأرضي ونهاية التاريخ كما في الماركسية والليبرالية.

العلمانية إذن تحل لنفسها ما تحرمه على غيرها، وإذا نظرنا إلى الجانب الآخر من المسألة فلن نجد داعياً لوصف شؤون البشر بأنها نسبية ومتغيرة مهما كانت درجة التغير والتبدل التي تطرأ على أحوال الأفراد والمجتمعات والأمم فوراء هذه التغيرات تقف (كما تقول لنا حتى فلسفات العلمانية ذاتها) قوانين كبرى ومبادئ عامة، وملامح مشتركة، تجعل من وجود أفكار وتعاليم مطلقة للتفكير في هذه الشؤون، أمراً مقبولاً، بل وضرورياً، ولا ننسى أن «ماركس» وهو أحد كبار كهنة الفكر العلماني الغربي قد ابتكر نظاماً مطلقاً محكماً ادعى أنه يقف بثبات وصرامة لا تتخلف وراء كل التغيرات التي تطرأ على المجتمعات فالمطلق أياً كان له مجال في التفكير في الشؤون البشرية والمطلق كذلك له مجال أكبر في مجال توجيه هذه الشؤون كما تدل على ذلك التجربة العلمانية ذاتها في النظرية والممارسة، ذلك لأنه إذا قبلنا بفكرة أن كل الشؤون البشرية متغيرة ونسبية، فإن ذلك لا يعني منطقياً أن تكون المبادئ التي توجه وتحكم هذه الشؤون متغيرة ونسبية مثلها، لأن الحكم والتوجيه والتدبير في حد ذاته يعني وجود درجة كبيرة من الثبات والهيمنة، تتجاوز النسبية والتغير وتتعالى عليهما أو تقود التغيرات في مسار معين، وتبعدها عن مسار آخر.

والأكثر أهمية في ذلك هو بحث معنى «المطلق» وفق هذا التعريف المبتكر للعلمانية، فهل المقصود هنا هو «الإله» الذي تتحدث عنه الأديان التي يواجهها العلمانيون رغم ضرورة الإشارة إلى اختلاف مفاهيم الألوهية بين الأديان وبالأخص بين الإسلام وبين سائر الأديان بما فيها تلك التي تسمى حالياً بالسماوية أم أن «المطلق» هذا هو الأفكار والمذاهب الدينية لاسيما ما يتصل منها بالتشريع والشؤون الاجتماعية المتنوعة، وفي هذه الحالة ينبغي الإشارة إلى وجود شريعة في الإسلام تختلف جوهرياً وبالنوع عن أي أفكار أخرى بدائية ومحدودة قد تحتويها الأديان الأخرى في مجال التشريع الاجتماعي، فالشريعة الإسلامية هي نظام كامل له منهاجه الخاص، ولا يمكن أن تختزل هذه الشريعة بوصفها بتلك الكلمة العامة الغامضة ذات الإيحاءات السلبية في دنيا الفلسفة وهي عبارة «المطلق»، فالشريعة

الإسلامية بالذات تحتوي على مستويات من المبادئ والقوانين والأحكام، وفيها من المرونة ومن القابلية للاستيعاب وتغطية المتغيرات، والتعامل معها من خلال أنظمتها هي كالاجتهاد وغيره ما يحول دون نشوء مشكلة التقابل الثنائي بين المطلق والنسبي التي يثيرها ذلك التعريف العلماني، وهو يحمل في ذهنه الأوضاع المسيحية الغربية.

وإياً كان ذلك «المطلق» فلا يعطينا تعريف العلمانية هذا مسوغاً لإبعاده عن شؤون البشر، سواء أكان تفكيراً فيها أو توجيهاً لها، مادام أن العلمانية نفسها تقيم بعده مطلقاً أو مطلقات أخرى من صناعتها هي، أي أصنام وثنية مادية لتحل محل الآلهة الغيبية (حسب تصورهم)، فلا جديد في المسألة.

تهافت العلمانية الجديدة:

تعريف العلمانية الجديد هنا ينشيء عند تحليله تناقضات ومشكلات عديدة، كما أنه ينبثق عن نفس التعريف القديم، لكنه ليس سوى قناع أو تنكر له، فهو يطلق اسم المطلق على: الدين أو الشريعة أو العقيدة أو «الله»، وهو ذو إيحاءات سلبية كما قلنا ولاسيما في مذاهب الفلسفة الغربية الحديثة وفي مقابلة هذا المطلق توضح شؤون البشر المتغيرة النسبية (هكذا كل شؤون البشر متغيرة ونسبية عندهم بإطلاق!)، ثم تأتي العلمانية لتسمى في هذا التعريف بالأفكار النسبية المتغيرة والتي تصلح بذلك دون «المطلق» لتسيير وتفسير حياة البشر وشؤونهم.

إنها مجرد تسميات مختلفة، فبدل القول بأن الدين يجب أن يرفض وينحى من حياة البشر لتحل محله العلمانية، أو بالأصح مذاهبها المختلفة يأتي القول بأن حياة البشر متغيرة نسبية بإطلاق (!) في التغير والنسبية، وأن هناك اتجاهين يتنازعان تفسير وتسيير هذه الحياة، أحدهما «مطلق» لا يصلح لها والآخر مثلها متغير نسبي، فهو الأصلح والأجدر بها، هكذا تترجم العلمانية الكلاسيكية إلى صياغة تحاول أن تتجمل بمصطلحات الفلسفة ذات الإيحاءات والظلال المعينة دون أن يتغير شيء في المضمون.

لكن هذا التعريف الجديد أو القناع الجديد يحتوي من التناقضات أشد ما يحتويه التعريف الأقدم، لاسيما فيما يتصل بالإسلام، فشريعة الإسلام ليست ذلك «المطلق» البعيد عن دنيا البشر وهمومهم وأوضاعهم بل هي وثيقة الصلة بها لا من حيث إنها

تعكسها وتبررها وتواكبها بشكل ذيلي في تغيراتها كما يصور التفسير المادي المألوف، بل من حيث إنها تقودها وتوجهها وترقى بها وفق مشيئة وحكمة العزيز العليم الذي أوحى بها، وشؤون البشر في هذا التصور الإسلامي ليست متغيرة نسبية بإطلاق، بل تطرأ عليها التغيرات وفق سنن ثابتة، كما تتفاوت التغيرات بين مادي واجتماعي ونفسي وعقدي وأخلاقي... كل له مساره الخاص ودرجته الخاصة في مدى التغير، والتغير فيها يمكن توجيهه والتحكم فيه على الأقل من الناحية المهمة كناحية الإيمان وإرضاء الله بالعمل وفق منهجه، والثبات في محن البلاء والاختبار المتنوعة.

وأخيراً فإن الأفكار العلمانية ليست نسبية التطور كما يزعم التعريف، بل هي تزعم لنفسها كما أسلفنا الإطلاق والثبات، أضف إلى ذلك السذاجة الفكرية المتضمنة في مقولة أن النسبي والمتغير لا يصلح للتفكير فيه سوى النسبي والمتغير فصاحب هذا التعريف وهو ماركسي النزعة يعرف أكثر من غيره أو هذا هو المفترض أن الماركسية وقبلها بدرجة أكثر الهيجلية قد حكّمت فكراً (أو ما أسموه بمنهج علمي) مطلقاً هو الجدل أو الديالكتيك بشقيه المنطقي والمادي في تفسير ما رأوا أنه شؤون الحياة والتاريخ المتغيرة والنسبية، فالمتغير في هذه الفلسفات محكوم بقانون مطلق لا يجعل منه تغيراً بقدر ما يجعل منه ثباتاً يتجلى شيئاً فشيئاً إلى أن يظهر بكامله، كما أن النسبي عندهم لا يصبح نسبياً إلا عندما ينسب إلى إطار مطلق يحتويه ويتعالى عليه.

خدعة المجتمع المدني:

في نهاية الأمر لسنا نواجه سوى قناع آخر من أقنعة العلمانية هذه المرة في ثوب فلسفي النقش، لكن الأقنعة لها ثياب متعددة، فهناك مثلاً الثوب السياسي الذي يفصح عن نفسه هذه الأيام في مصطلح كثر ترديده بصورة ببغاوية حتى عد عند بعضهم وكأنه الحل السحري لكل الأزمات والمشاكل وفي مقدمتها أزمة الإسلام، وأعني به مصطلح «المجتمع المدني»، فالدعوة إلى العلمانية هذه الأيام تتخذ شكل الإلحاح على إقامة أو تقوية ما يسمى «بالمجتمع المدني»، وليس المقصود بهذا المجتمع كما قد يتبادر إلى الذهن أنه المجتمع الذي لا يسيطر عليه العسكريون

بشكل مباشر أو غير مباشر كما هي الحال في معظم المجتمعات العربية، بل على العكس نجد أن أصحاب هذا المصطلح أو التعريف العلماني من أشد أنصار الحكم العسكري، لأنهم يرون في شراسة هذا الحكم وبعده عن الالتزام بالقوانين وحقوق الإنسان، أكبر ضمانة للتصفية الجسدية للحركات الإسلامية التي يناصبونها العداء والخصومة.

المجتمع المدني المقصود في هذا المصطلح الذي نجد له أوسع رواج الآن في بعض الصحف والمجلات والمنابر الناطقة باسم النخبة العلمانية، هو المجتمع اللاديني، ذلك لأن «المدني» عندهم لا يواجه «العسكري» بل يواجه «الديني» وقد اعتمد مطلقو هذا التعبير على ترجمة محرفة للاصطلاح الدنيوي أو غير الكنسي في بعض اللغات الأوروبية، الذي يقابل ويواجه «الكنسي» أو الديني فالدين عندهم يرتبط بما هو متصل بالكنيسة ورجالها (الكهنوت) الذين يشكلون بزيهم وتنظيمهم المستقل المميز سلكاً هو سلك الدين أو الكنيسة المتميز عن سائر المؤسسات الاجتماعية، كسلك الجيش أو ملاك الأراضي... الخ، وعند غيرهم يطلق عليه اسم «الدنيوي» (أي غير الديني) الذي تحور في الترجمة أو في التلاعب عند أصحاب التعريف أو الدعوة الجديدة إلى «المدني».

والخلط هنا ينشأ من أن كلمة «المدني» في استخدامات العربية الحديثة تطلق أساساً للتفرقة بين ما ينتمي إلى السلطة العسكرية وما ينتمي إلى غيره كما قد يطلق على ما ينتمي إلى المدنية أو الحضر، أو ما يتسم بالصفات السائدة في تلك الأماكن، لكن «المدني» لا يعني في العربية «العلماني»، ومن هنا يأتي القناع أو التنكر، فهم يستخدمون تعبير المجتمع المدني لأنه سيجد القبول بإيحاءاته التي تعني مجتمعاً لا يسيطر عليه العسكريون بالدكتاتورية والتسلط وكبت الحريات وفرض الرأي الواحد الخاطئ في معظم الأحيان، كما أن أصحاب المصطلح يساعدون على هذا الترويج بإكسابه إيحاءات أخرى ينظمونها حول لفظة «المدني» كالديموقراطية والحرية وتعدد الآراء والمناقشات والانفتاح السياسي والفكري، لكنهم عندما يتحدثون عن هذا المصطلح فإنما يقصدون كما يتضح من كتاباتهم العلمانية أو اللادينية المجتمع الذي

يفصل الدين عن حياته وينحيه بعيداً، وهكذا يظهر المصطلح جذاباً لبعضهم لكنه في نفس الوقت يؤدي نفس ما يؤديه التعريف الكلاسيكي للعلمانية.

وكما هو الحال في التحليل السابق للتعريف الجديد للعلمانية، فإننا إذا حللنا تعبير «المجتمع المدني» كما يستخدمه العلمانيون، فسنجده ينطوي على تناقضات تهوي به كمصطلح جاء حسب استخدامهم أبسطها أن مفهوم «المجتمع المدني» كما يستخدم في الكتابات الاجتماعية الغربية يعني مجموع المؤسسات والهيئات والمنظمات والجمعيات والروابط المعروفة (الجيش، الشرطة الجهاز الإداري... الخ)، ومن هذه الناحية فإن المصطلح بمعناه الدقيق أو العلمي في الكتابات الأكاديمية يضم ولا يستبعد المؤسسات الدينية، كما يضم ولا يستبعد الأفكار والرؤى الدينية طالما أنها تشكل قسماً من نسيج هذا الشعب الذي يتشكل المجتمع المدني من تنظيماته.

وللعلمانية أقنعة أخرى تخفي وراءها طرحها الأساس والصريح الذي ما خرج هذه الأيام إلى طور العلن إلا كحلقة من حلقات المواجهة مع الإسلام كما يسمونها، والأقنعة ذات فوائد متعددة للطروحات العلمانية لكنها في المقابل ينبغي أن تكون بمثابة ساحة تدريب ودافع تنشيط للفكر الإسلامي في تتبعها ودراستها ودحضها وكشف ما وراءها، مع إظهار البديل أو بالأصح «الأصيل» الإسلامي الذي تحاول هذه الطروحات أن تشوه صورته أو تخفيه.

=============

انتحار العلمانية

مجلة البيان - (ج 92 / ص 111)

د. أحمد بن محمد العيسى

كيف يمكن تفسير ظاهرة (نصر حامد أبو زيد) الذي حكمت إحدى محاكم القاهرة بردته عن الإسلام وتفريقه عن زوجته؟.

(أبو زيد) الذي يدرّس القرآن الكريم والسنة النبوية (!!) في كلية الآداب بجامعة القاهرة، يعتبر أن ما ورد في كتبه من أفكار إلحادية اجتهاداً يؤجر عليه!، وذلك مثل قوله: إن ما جاء في القرآن الكريم عن الله (عز وجل)، وعن الملائكة، والعرش، والشياطين، ومشاهد يوم القيامة: هي من الأساطير التي يجب أن تتجاوزها أفهامنا

في العصر الحديث لأنها . بزعمه . نزلت في عصر يحتاج إلى مثل هذا السياق اللغوي لكي يفهمه الناس.

هناك فرضيتان لتفسير هذه الظاهرة:

الأولى: أن نعتبر هذه الحالة ظاهرة إلحادية فردية كان باعثها حب الظهور وغرام الشهرة، كما هو الحال عند (سلمان رشدي) و (تسليمه نسرين)..

الثانية: أن نعتبرها مرحلة متطورة للعلمانية في العالم العربي، ابتدأت منذ عهد الرواد أمثال: (طه حسين)، و (لطفي السيد)، و (سلامة موسى).. وغيرهم، ووصلت عبر مراحل ومراحل إلى (فرج فودة)، و (غالي شكري)، و (نصر حامد أبو زيد).. وغيرهم.. فتكون بذرة الشك التي بذرها (طه حسين) في كتابه (في الشعر الجاهلي) . الذي أعيد طبعه مؤخراً . قد ترعرعت ووصلت إلى الحال التي نقرؤها عند علمانيي عصرنا..

وهكذا أصبحت حالة (أبو زيد) مؤشراً على تطور جديد للعلمانية، بعد أن أزاحت عن وجهها حجاب المصطلحات الفضفاضة، ليظهر وجه الإلحاد البشع..!

هاتان الفرضيتان تحتاجان إلى تأمل.. ولكن، لعل ردود الفعل العلمانية على حكم المحكمة تدل على أن الفرضية الثانية تعبر بشكل أكبر عن الواقع، ومن ذلك قول قائلهم: (إن الفضيلة الأصولية تدفع الجميع إلى الأقاصي، وتجنباً لكارثة لن تكون أقل من كارثة الاجتياح المغولي . لكنها تأتي هذه المرة من الداخل . تُستحسن المسارعة في مراجعة كل شيء، والاستعداد للتجرؤ على الينابيع التي يشرب الأصوليون ماءهم منها..)!!

فهل يكون هذا شاهداً على انتحار العلمانية؟!!

=================

تدشين الأممية النسوية العلمانية

قراءة في خلفيات مؤتمر المرأة ببكين

مجلة البيان – (ج 93 / ص 92)

(الحقائق والأهداف)

بقلم: د. محمد يحيى

اكتسب المؤتمر الدولي الذي عقد في بكين(*)، تحت رعاية وإعداد الأمم المتحدة، شكلاً يشبه . إلى حد بعيد . تلك المؤتمرات التي يعقدها المجلس العالمي للكنائس الكاثوليكية كل بضع سنوات؛ للخروج بنظريات جديدة في عقيدتهم، أو لوضع سياسات تنصيرية للدعاية والترويج.

ويأتي هذا المؤتمر تتويجاً لسلسلة من المؤتمرات والاجتماعات التي رعتها الأمم المتحدة، بدءاً من عام المرأة (1975م)، الذي أعقبه عَقْد المرأة، ثم عام الطفل، ثم عام الأسرة، وعقد الأسرة، وسارت معه بالتوازي في السنوات ذاتها مؤتمرات السكان المشهورة، التي عُقد آخرها منذ عام في القاهرة، حيث تلاقت أهداف وثيقته مع وثيقة وأهداف مؤتمر بكين، فهي حلقات متتابعة ينظمها الهدف الرئيس لهذه المؤتمرات، لذا: جاء مؤتمر بكين في جوهره تدشيناً لحركة ممتدة تعود إلى ما يزيد عن ربع قرن، وتتويجاً لها كعقيدة عالمية جديدة: هي الاتجاه النسوي المعروف بـ(الفمنزم)(**)، وهكذا شهد العالم مولد (كنيسة) جديدة، وعقيدة وضعية تَخْلف الدين العلماني الساقط (الماركسية) وتجدد شباب الأطروحات العلمانية الغربية.

وفي عالمنا الإسلامي مازالت الصورة غير واضحة، لا يبصرها إلا القليل ممن رحم الله، وقد تشابكت في الأذهان عدة عناصر:

أ- البعض . وهم الكثرة . مازال يرى في أمثال هذه التحركات المحمومة . بزعم الاهتمام بالمرأة . استمراراً للخط القديم الذي عرف باسم (حركة المطالبة بحقوق المرأة)، التي عرفها الشرق المسلم في مطلع القرن العشرين، وكان لها أبطالها وقديسوها، التي سارت في ركاب الحركات القومية العلمانية والمتغربة.

ولكن حركات المطالبة بحقوق المرأة تَعُدّ شيئاً مختلفاً بالنوع عن التوجه النسوي الجديد . وإن كان مُهّدَ له . ويلتقي معه في بعض الجذور الفكرية الغربية الأصل؛ ذلك لأن دعوة حقوق المرأة كانت . على الأقل في الظاهر . تدعي في العالم الإسلامي أنها تعمل في إطار القيم والأوضاع الاجتماعية القائمة؛ لتطالب بحقوقٍ للمرأة موجودة في صلب هذه القيم والتقاليد، لكنها نُسيت أو سُلبت. وفي الغرب كان الشيء نفسه؛ حيث جرت المطالبة بحقوق المرأة في التعليم والعمل والتصويت في إطار الأوضاع القائمة (أي: المجتمع البورجوازي الرأسمالي الصناعي).

ومن الصحيح أن هذه الحركات تطورت فيما بعد لتطالب بحقوق مزعومة ليس لها أساس في تراث مجتمعاتها، أو أنها اتخذت أشكالاً ثورية وفوضوية في التعبير والعمل، مما مهد بأثر غير منكور في ظهور اتجاه (الفمنزم)، لكنها كانت مختلفة عن هذا الاتجاه.

أ- أما البعض الآخر . وهم القلة . فما زالوا يرون في عباب هذه الاجتماعات والتحضيرات والوثائق.. إلخ، امتداداً لما عُرف بحركة تحرير المرأة في أوائل وأواسط القرن العشرين، التي كان لها كذلك وجود وقديسون! في عالمنا الإسلامي، ولكن هنا أيضاً توجد اختلافات عن حركة (الفمنزم) المعاصرة، بعضها نوعي، والآخر مجرد اختلاف في الدرجة والتركيز، صحيح أن حركة تحرير المرأة كانت السلف المباشر للحركة النسوية العلمانية، وصحيح أنها اشتركت معها في الجذور اللادينية الصريحة، والعداء للأديان (وبالذات الإسلام في منطقتنا)، وصحيح أنها اشتركت معها في تجاوز الأوضاع الاجتماعية والثقافية القائمة مع رفضها، وصحيح . كذلك . أنها اشتركت معها في المطالبة، ليس بحقوق معينة للمرأة، وإنما في الدعوة إلى وضع مختلف لها تماماً داخل المجتمع، مع تغيير هذا المجتمع نفسه ليتواءم مع الوضع المرتجى والمطلوب للمرأة، وصحيح . أخيراً . أنها اشتركت معها في رفض أنظمة الزواج والأسرة والقيم والتعاليم والتقاليد التي تحكمها . سواء في الغرب، أم في الشرق . داعية إلى إسقاطها، وإحلال الحب الحر . وغير ذلك من أشكال التحلل من القيم . محلها.

كل هذا صحيح، لكن حركة تحرير المرأة كانت تختلف عن عقيدة (الفمنزم) في جوانب أساسية وحاسمة؛ فلم تكن لها فلسفة فكرية تؤصل نشاطها وتسنده، كما أنها لم ترتبط بحركة عالمية تقف وراءها وتدافع عنها وتروج لها، على الرغم من أنها حاولت في وقت من الأوقات الارتباط بالشيوعية، ولا سيما في أوائل عهدها، ولأن (الفمنزم) أوجدت لنفسها فلسفة وعقيدة، ولأنها تحولت إلى حركة عالمية تتخذ من أدوات النظام العالمي أسلحة لها في حربها، فإنها قد تجاوزت إلى حد بعيد أبعاد حركة تحرير المرأة رغم أوجه الشبه والقرابة الواضحة بينهما.

وهذه النقطة لا يدركها معظم . إن لم يكن كل . من يتعرضون بالتحليل لظاهرة مؤتمرات الأمم المتحدة، وما يحيط بها من خضم للنشاطات التي تدور حول المرأة، إذ ما زال الكثيرون . سواء أكانوا مؤيدين أم معارضين ممن يتصدون بالكتابة لهذه الظاهرة . يضعونها في سياق حركة المطالبة بحقوق المرأة، أو يعتبرونها في سياق حركة تحرير المرأة، والحركة النسوية العلمانية ليست بهذه أو بتلك، فنحن أمام عقيدة شمولية تُطرح لكي تُفرض وتسود العالم كله، وتحل محل العقائد والأديان والمذاهب (وضعية أم غير وضعية). ولهذا شبهنا مؤتمر المرأة باجتماعات الكنائس الكبرى؛ ليس فقط لشمولية الموضوعات التي يتعرض لها، وإنما أيضاً لذلك الجو من التبجيل الذي أحاط بهذا المؤتمر؛ مما جعله تدشيناً لدين جديد أُعد على مدى ربع قرن، وهذا التشبيه يدل على مفتاح أساسي من مفاتيح فهم وتحليل هذه الظاهرة، يعني: على تجاوز جوانبها السطحية والنفاذ إلى أعماقها.

إن جوهر (الفمنزم) يكمن في الظاهرة العامة التي عرفها تاريخ الفكر والممارسة الغربية على مدى القرنين الماضيين، ألا وهي: ظاهرة وضع أديان وعقائد بشرية وضعية لتجنب الدين الموحى به، وسواء اعتقدنا أن هناك مؤامرة يهودية ماسونية علمانية وراء هذه الظاهرة، أم لا، فإننا لا نملك إلا أن نرصدها، بدءاً من العوالم والمدن المثالية التي حفل بها تاريخ الفكر الأوروبي في القرن السادس عشر وما بعده، إلى عقيدة التنوير في القرن الثامن عشر، وعقيدة أو دين (عبادة العقل) في آخر هذا القرن، ودين (عبادة المرأة) الذي ألّفه العالِم (العلماني) (أوجست كومن) في أوائل القرن التاسع عشر. ثم هناك الأديان العلمانية المشهورة: كنظام (هيجل) الفلسفي، ثم نظريات (ماركس) التي أنجبت الشيوعية والاشتراكيات المختلفة . من مثالية إلى علمية .، وأخيراً: فلسفات الغرب الكبرى في القرنين التاسع عشر والعشرين؛ من الوضعية، إلى الليبرالية، إلى النزعة العلمية وفلسفة العلوم، والنفعية (البراجماتية)، إلى الوجودية، والظواهرية.

والدين الوضعي العلماني هو مذهب فكري يدعي أنه يحل محل الأديان الغابرة في الغرب (كالنصرانية واليهودية)، ويفسر كل جوانب الحياة بفعل مبادئ عامة يرسيها، كما يوجه بفعل نفس المبادئ إلى سبل الحياة السعيدة. وهذه العقائد العلمانية تشترك

في رفض الوحي المنزل، بل ورفض وجود الإله ذاته، وتجعل من الإنسان . أو من المبادئ التي تبتدعها . وحياً منزلاً لا يناقش ولا يُرد، وهي تتوسل في دعاويها بادعاء أنها علمية الطابع والمنهج؛ نظراً للقداسة التي أصبح العلم التجريبي يحظى بها باعتباره مصدراً للحق واليقين بديلاً عن الأديان الساقطة. غير أن الأديان العلمانية ذاتها أخذت تتعرض للسقوط واحداً تلو الآخر؛ بفعل النقد الذي وجّه لها من داخلها أو من خارجها.

ومع ذلك السقوط المتتالي للأديان العلمانية، نشأت مشكلة في مجمل الوضع العلماني الذي أصبح محور وجود وفكر المجتمعات الغربية، ذلك لأن الأديان الوضعية أصبحت تؤدي وظائف مهمة على مدى القرنين الماضيين داخل هذا الوضع العلماني؛ فهى التي تزوده بالسند الفكري و (الروحي) . إن جاز التعبير .، وترسم رؤيته للحياة، وتحدد الأهداف والمثل التي توضع للمجتمعات لتحقيقها، كما أن هذه الأديان الوضعية هي التي تضمن للغرب إحساسه بالتفوق على الآخرين بحكم امتلاك (الحق) و (العلم) و (اليقين)، فضلاً عن أنها هي التي ضمنت للغرب إضفاء غطاء فكري على حركة الاستعمار، ثم الاستعمار الجديد، ثم النظام الرأسمالي الدولي، وأخيراً النظام العالمي الجديد، وكلها موجهة ضد ما يسمى بالعالم الثالث، وهو في الحقيقة العالم الإسلامي، فالغرب وهو يحتل ويستغل وينهب موارد العالم الإسلامي: يفعل ذلك تحت شعار هذه المبادئ والعقائد العلمانية (النبيلة!) و (السامية!)، والأهم من ذلك: أن الوضع العلماني المسيطر في الغرب أدرك أنه لضمان استمرارية النهب والسيطرة فلابد من إلغاء الدين، الذي يبعث في نفوس المحتلين الثورة والرفض، وإحلال المذاهب العلمانية نفسها محله كأديان جديدة، تضمن أن الأجيال الناشئة والطبقات الحاكمة في ذلك (العالم الثالث) ستكون تابعة للغرب؛ لأنها تشاركه أفكارها، بل وتعتبرها المنقذ الوحيد لها، وتفرضها على شعوبها بالحديد والنار.

لهذه الوظائف الحيوية التي تلعبها المذاهب العلمانية داخل الغرب وخارجه في ظل سيطرة الوضع العلماني: كان لابد . كهدف اجتماعي . حيوي من تجديدها كلما شاخت، أو اختراع بديل كلما سقط دين منها، وأصبحت هذه المهمة ملحة في الربع

قرن الماضي بعد جلاء فشل الماركسية والليبرالية (وهي آخر الأديان الوضعية الكبرى) وسيادة أفكار الشك والريبة والنسبية المطلقة ورفض الثوابت، في فترةٍ ما أصبح يعرف بعهد ما بعد الحداثة.

وفي هذا السياق العام بالضبط تأتي حركة (الفمنزم) النسوية العلمانية كدين جديد، لكنه دين أخطر من الأديان الوضعية السابقة؛ فإذا كانت الماركسية مثلاً قد حاولت إحداث صراع بين قلة وكثرة وعلى أرضية اقتصادية بحتة، فإن (الفمنزم) تحدث انشقاقاً في وسط المجتمع، وعلى أسس شاملة تمس أدق جوانب حياة الإنسان؛ لتعيد صياغتها وفق النهج العلماني الراسخ في الغرب.

ولكن: ما المبادئ العامة التي تطرحها الحركة النسوية العلمانية وتجعلها محل الدين، والتي تتستر وراء كل هذه المظاهرات الصاخبة من مؤتمرات، وضجيج إعلامي، وسياسات تنفذ بالقوة . وبخاصة في المجتمعات المسلمة .؟.

إنها ليست مجرد المطالبة بحقوق للمرأة أيّاً كانت، وأيّاً بلغت درجتها من المعقولية، أو الشطط، بل هي الدعوة إلى تغيير شامل وجذري، وقلب لكل المفاهيم . بدون استثناء . التي ظلت البشرية تنظر بها إلى المرأة، وبخاصة المفاهيم الدينية، فبالاستناد إلى شذرات مقتطفة من الماركسية والليبرالية وعلوم الأنثروبولوجيا، تعمد (الفمنزم) إلى تصوير التاريخ البشري وكأنه دراما كبرى قام فيها الرجال . ومنذ عهد مبكر . بقلب الأوضاع التي كانت المرأة فيها صاحبة السيادة والطّوْل (المجتمع (النسوي))، ليقيموا محلها المجتمع (الرجالي) الذي تبشر (الفمنزم) بسقوطه، لكن المستهدف ليس مجرد عكس للأوضاع بشكل مبسط ليعود للنساء الحكم والسيطرة، ويرجع الرجال إلى عهد العبودية القديمة المزعوم.

إن المطلوب عبر سلسلة طويلة من الخطط والإجراءات: هو إلغاء الجنس ذاته، أي: جنس الرجال والنساء معاً، بكل ما ينطوي عليه من مفاهيم و (أدوار) ثابتة تكرسها الأديان المنزلة، وإحلال الجنس بمفهوم (النوع)، الذي يعني: أن يكون المخلوق البشري مادة خاماً محايدة تخلو من الملامح والقسمات التي درجت البشرية على التمييز من خلالها بين النساء والرجال كجنسين مختلفين لكل منهما أوضاع وأدوار محددة، يقوم بها داخل المجتمع والأسرة، وتدور حول تحليل مفاهيم (العلمانية).

ولا يوجد مانع داخل إطار هذا المفهوم الجديد، أن يقوم أفراد هذا النوع المحايد العام ـ ولفترات محدودة فقط ـ بانتحال بعض الأدوار التي كانت في (الماضي الغابر) تنسب للرجال أو النساء، شريطة أن يقوم الرجال بأداء أدوار النساء التقليدية والعكس، ومن المهم هنا أن نذكر أن هذا المفهوم الذي تروج له (الفمنزم) يمثل في الوقت نفسه الأساس (الفكري) لحركات الشذوذ الجنسي التي أصبحت في السنوات الأخيرة ذات نفوذ واسع في دوائر الثقافة والإعلام والمجتمع ـ بل والسياسة ـ في الدول الغربية، والتي لن تصبح (شاذة) بعد تطبيق مفهوم (النوع المحايد)، بل ستصبح هي أكثر الأوضاع طبيعية واعتيادية.

هذا هو الهدف العام وراء غابة النشاطات والمؤتمرات التي تخلقها الحركة النسوية العلمانية من خلال مؤسساتها الدولية والمحلية، إنه الغاية الكبرى وراء كل الشعارات التي يجري عليها الإلحاح بشكل محموم حول (تمكين المرأة)، وإكسابها النفوذ الاقتصادي والسياسي، و (إلغاء التقاليد) المعوقة لتقدمها، ونشر (التعليم) الجنسي، وإدماج كل أشكال الانحراف (من الزنا إلى الشذوذ) لتصبح أوضاعاً طبيعية.

نحن ـ إذن ـ أمام حركة تسعى إلى إلغاء جنس المرأة نفسه، وكل ذلك تحت شعار الدفاع عن المرأة وضمان تقدمها، لكنه التقدم الذي يؤدي إلى إلغاء الجنس ذاته مع جنس الرجال، ولكن، إذا كان الأمر كذلك، فلماذا أصبحت هذه الحركة عالمية الطابع؟ ولماذا أصبح لمؤتمر بكين كل هؤلاء المدافعين والأنصار في عالمنا الإسلامي؟!

الإجابة على السؤال الأول هي: إن هذه الحركة تسد فراغاً عقديّاً في مجتمع وصل به الخواء حد اعتبار الحملة ضد التدخين بمثابة أهم الأعمال الأخلاقية، كما أنها حركة تضمن لذلك المجتمع (الغربي) إسقاط ذاته وبسطها على المجتمعات التابعة (الإسلامية والنامية).

أما الإجابة على السؤال الثاني فهي في نوعية الجهات التي تحتضن هذه الحركة في عالمنا العربي الإسلامي، إنها النخب العلمانية ذات الهيمنة على مجريات شؤون مجتمعاتنا، وهي، وإن كانت محدودة العدد، إلا أن سيطرتها على مفاتيح مؤسسات الإعلام والتعليم والثقافة ـ بل والسياسة ـ تعطي لها نفوذاً يفوق حجمها بكثير.

ونعود إلى مؤتمر بكين، وهو كما قلنا التتويج العملي لحركة (الفمنزم)، أو كما صرح عضو مجلس الشيوخ الأمريكي البارز السناتور (هيلمز) في 27 يوليو الماضي من أن المؤتمر: تديره وتحدد أفكاره جماعة محدودة من النساء اليساريات (وهذا اللفظ من الاصطلاح الأمريكي يتضمن معاني العلمانية الملحدة) اللواتي يعملن لهدم قيم الأسرة وسائر التعاليم الأخلاقية.

لقد اتخذ مسار تبرير توصيات ووثائق وبرامج هذا المؤتمر في العالم الإسلامي خطين أساسيين:

الخط الأول: بناه أنصار الحركة النسوية العلمانية ممن هم في مواقع السلطة الرسمية، أو الناطقين باسمها (كبعض المفتين الرسميين)، وقد اعتمد هذا الخط على تجاهل كل مخططات المؤتمر والتركيز في الدعاية الإعلامية على رسالة غير معقدة تقول: إن هذا المؤتمر يبحث في حقوق المرأة؛ وإن الإسلام يحض على حقوق المرأة؛ لذا: فإن المشاركة في المؤتمر وتبني توصياته وسياساته في هذا الإطار عمل لا غبار عليه إن لم يكن من صميم الإسلام(!)، لكن أصحاب هذا الخط يتجاهلون أن حقوق المرأة في الإسلام غير حقوق المرأة التي تدعو إليها الحركة الواقفة وراء مؤتمر بكين، فليس من هذه الحقوق حق الزنا، والحمل السفاح، والشذوذ، وهي حقوق رتبها هؤلاء في زعمهم كعلامات للتقدم، وليس من حقوق المرأة في الإسلام أن ترفض الدين بحجة أنه متخلف ومعادٍ للمرأة لمجرد أن اليساريات الأمريكيات يقلن ذلك، ثم إن حقوق المرأة في الإسلام تقترن بواجبات معينة أهدرها أصحاب مؤتمر بكين: كواجبات الأمومة، ورعاية الأسرة.. وحقوق المرأة في الإسلام تؤخذ وتمارس في سياق الإيمان المشترك، وفي سياق الأمة الواحدة المتكاتفة، أما الحقوق المزعومة التي يرتبها مؤتمر بكين: فتدار من خلال عملية حادة تشق صفوف المجتمع، ولا تؤخذ إلا على جثة حقوق الرجال، أو حتى وجودهم كجنس متميز، وهي تمارس في سياق مجتمع يعادي الإيمان بالله وينشيء دعائم الإلحاد تحت شعارات العلمانية.. ليس الأمر إذن سوى حركة خداع ساذجة!!.

أما الخط الثاني الأساس الذي يتخذه مسار تبرير توصيات المؤتمر فهو لا يخلو كذلك من الخداع، ويمثل هذا الخط الدوائر العلمانية التي لا ترتبط مباشرة بالسلطة

مما قد يكون عاملاً يفرض عليها حرجاً في التعبير عن التوجهات والآراء والمشاعر.

يقوم هذا الخط على أن قرارات مؤتمر بكين هي في حقيقتها مواصلة لحركة تحرير المرأة، وأن الإسلام يدعو لتحرير المرأة، فالمؤتمر . على هذا الوجه . يحقق هدف الإسلام، ولكن الإسلام (التقدمي العلماني)، وليس الإسلام (الرجعي) (الظلامي) . في زعمهم . الذي يسود الدنيا الآن!!.

إن الإسلام حرر المرأة كما حرر الرجل من الجاهلية والضلال، ولكن أنصار مؤتمر بكين يريدون تحرير المرأة من الإسلام نفسه، أو من الإيمان به وقيمه وتعاليمه وشريعته، وشتان ما بين النوعين من التحرير. وتحرير المرأة الإسلامي يتم في إطار شامل لكل المجتمع، لكن تحرير مؤتمر بكين يتم على أشلاء المجتمع وبعد صراع مرير يتم فيه إلغاء جنس الرجال، ثم جنس النساء نفسه، وصولاً إلى (النوع) البشري الذي يصلح لكل أدوار الأجناس: الخشن، والناعم، والثالث، إنه تحرير يتم عبر التدمير، وليس تحريراً يتم عبر البناء والتعمير؛ تدمير الأسرة، وتدمير كل القيم الإنسانية، بحجة أنها كانت مجرد مواضعات نسبية زال أوانها منذ عصور سحيقة.

هذه هي المحاور التي يدور حولها تبرير قرارات مؤتمر بكين، والترويج لها، والدفاع عنها، وهي محاور . كما رأينا . تعتمد أساساً على تجاهل الأبعاد الحقيقية لهذا المؤتمر، كما لاحظناها فيما سبق، وتصور نتائجه في إطار محدود ومستأنس . فيما يبدو . كمجرد دفاع عن حقوق للمرأة وتحرير لها من أوضاع ظالمة، لكن أحداً لا يخوض . جهلاً أو خبثاً . في حقيقة الحركة النسوية العلمانية التي توجت جهودها بمؤتمر بكين.

لكن ما يهمنا حقيقة من المؤتمر: أن القرارات والتوصيات التي تصدر عنه وعن أمثاله من المؤتمرات تتحول على الفور إلى أوامر وسياسات، تلتزم جميع الأجهزة الحكومية وغير الحكومية في البلدان الإسلامية بتنفيذها، وكأن هناك حكومة عالمية تقوم على هذه التوصيات، ولا تهدأ حتى تراها مطبقة على واقع الحياة. وإذا كانت المظاهر الواضحة لهذه الحكومة العالمية تتمثل في الأمم المتحدة ووكالاتها في أخطبوط الإعلام الدولي الممتد والمسيطر بأقماره الصناعية، وفي شبكة ما يسمى المعونات الأجنبية، التي هي أداة التدخل والتأثير في الدول الإسلامية في العصر

الحديث.. فإن هناك مظاهر أخرى غير واضحة لهذه الحكومة العالمية . أو ما يسمى بالنظام الدولي الجديد . أبرزها على الساحة الإسلامية العربية: تلك التجمعات للنخب العلمانية في أندية ومحافل ومنابر وروابط يطلق عليها الآن وصف (المنظمات غير الحكومية): وتزعم النشاط في مجالات حقوق الإنسان، والبحث العلمي والفكري، والخدمات الاجتماعية، وبالطبع حقوق الإنسان وأوضاع المرأة، وعلى الرغم من وصف (غير الحكومية) الملحق بهذه التجمعات إلا أنها في الواقع تمارس نفوذاً قويّاً على الحكومات المحلية بمستوياتها المختلفة من أعلى إلى أسفل، بل إنها تمارس نفوذاً يفوق نفوذ هذه الحكومات، وذلك بفضل اندماجها في الشبكة العالمية لهذه المنظمات، وبالفعل: فقد أصبحت هذه (المنظمات غير الحكومية) الذراع الأساس للحكومة العالمية في فرض وإعمال كل السياسات الموضوعة في مؤتمرات المرأة والسكان، وآخرها مؤتمر بكين، وقبله مؤتمر القاهرة، إن هذه المنظمات التي تضم نخباً نسوية علمانية منعزلة عن مجتمعاتها الإسلامية أصبحت تستمد قوة كبيرة بفضل الدعم المالي والمعنوي الذي تتلقاه من شبكاتها الخارجية، بل إنها أصبحت أكثر ارتباطاً بالوضع العلماني الغربي من ارتباطها أو حتى صلتها بمجتمعاتها المحلية، وتحولت إلى مجرد فروع للحركة العالمية للمنظمات غير الحكومية العاملة في مجالي المرأة والسكان.

إن المنظمات غير الحكومية المنعزلة عن مجتمعاتها، والتي لا توجد لها جذور في أرض المجتمعات الإسلامية تمارس نفوذاً لا تناسب بينه وبين الحجم الحقيقي لأفرادها ووزنهم الفكري، ويعود ذلك إلى الاندماج في النظام الدولي الجديد والارتباط به لأداء دور الفروع من خلال شتى أنواع الدعم، كما يعود إلى الالتصاق بالسلطات السياسية والتنفيذية القائمة من خلال اختراقها والنفاذ إلى القمة فيها . ولا سيما زوجات الرؤساء ذوات الميول المتغربة . .

إذن: نحن نواجَه حقيقةً، ليس بحركة فكرية (في مجال (الفمنزم) أو الحركة النسوية العلمانية) تسعى إلى نشر أفكارها بوسائل الإقناع والحجة وما أشبه ذلك، بل بحركة تآمرية الطابع تتوسل إلى أغراضها بأسلوب التآمر الخفي، وإجبار المجتمعات

الإسلامية على تنفيذ وإطاعة سياسات لا توجد لها أية جذور في الأرضية الإسلامية.

وهكذا.. فرغم أننا نبدو بعيدين عن مؤتمر بكين وأمثاله والقرارات الصادرة عنه، ورغم أننا نبدو بعيدين عن شطحات أفكار ومبادئ (الفمنزم)، إلا إننا نجد . ولا أقول نفاجأ . بأن هذه الأفكار تطبق في بلادنا الإسلامية كسياسات فعلية تنفذ بقوة القانون دون أن يكون قد سبق حتى التبشير بها، أو كسبت الأنصار لها، واللجوء إلى هذا الأسلوب المشبوه في الفرض والإجبار يدل على أن مروجي هذه الأفكار والسياسات واثقون من أنه لو طرحت على حقيقتها فإنها لن تجد أي صدى مهما كانت درجة لمعان الشعارات التي تحيط بها.

هذا هو الأسلوب الذي تُفرض به علينا مخططات نرفضها، ونقدم الحجة ضدها، ونقول: إنها تخالف عقيدتنا وتاريخنا وتراثنا وشريعتنا، لكننا . مع ذلك . نجدها مطبقة ومنفذة بشكل يبدو سحري الطابع، لكنه يعود في الحقيقة إلى أسلوب التآمر غير الشريف الذي ألمحنا فيما سبق إلى بعض جوانبه وآلياته.

هذه هي الحقائق وراء كل الضجيج والصخب والبريق الذي أحاط بمؤتمر بكين.

(*) عقد المؤتمر في بداية الأسبوع الأول من شهر سبتمبر الحالي، وينقسم المؤتمر من حيث اللقاءات إلى محورين:لقاءات وفود الدول الرسمية، ولقاءات المنظمات الدولية المتخصصة، وحضره ما يزيد عن سبعين ألف مشارك ومشاركة، بالإضافة إلى الوفود الحكومية.

ومما تجدر الإشارة إليه: أن (التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية) شارك في هذا المؤتمر في خطوة رائدة مشكورة، وهو المنظمة الإسلامية الوحيدة المشاركة . فيما نعلم .. ويمثل التجمع في هذا المؤتمر وفد مكون من عدد من طلبة العلم والأساتذة المتخصصين، وألقوا . بلغات مختلفة . عدداً من المحاضرات لبيان الصورة الحقيقية للمرأة في الإسلام، كما أصدر التجمع عدة كتب وأبحاث وزعت في المؤتمر، منها: كتاب: (شبهات حول المرأة المسلمة) للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، بسبع لغات حية،وكتاب: (مكانة المرأة في الإسلام) للشيخ علي التميمي، باللغة الإنجليزية.

- البيان -

(**) الفمنزم (Feminsm) هي: نظرية المساواة بين الجنسين سياسيّاً واقتصاديّاً واجتماعيّاً. ومن المفيد الرجوع إلى مقال: (الحركة النسوية . إطار للفهم)، للدكتور محمد يحيى، المنشور في العدد (83).

- البيان -

=============

هل الإسلام دين علماني؟!!

مجلة البيان - (ج 108 / ص 86)

العلمانيون.. وعلمنة الإسلام

بقلم: د. محمد يحيى

أثارت الفكرَ في نفسي عبارةٌ وردت عرضاً . ولعلها بحسن نية . في مقال لكاتب يتحدث عن تشكيل الحكومة التركية برئاسة «نجم الدين أربكان» زعيم حزب الرفاه.

قال الكاتب: إن هناك حقيقة غائبة في الإعلام الإسلامي ، ألا وهي: وجود تقارب بين العلمانية في رفضها للكهنوت والإسلام في رفضه المماثل لادعاء الحق الإلهي . كما جاء في المقال ..

والحق:إن القول . أو الزعم . بوجود تقارب أو تشابه بين العلمانية والإسلام ليس بجديد، لقد ذهب كثيرون غير الكاتب . مثلاً . منذ فترة إلى القول نفسه ، حيث قالوا: إن الإسلام بطبعه دين علماني؛ لأنه يهتم بأمور الدنيا والحياة الحاضرة بدلاً من أمور الآخرة، وقالوا: إن الإسلام والعلمانية يلتقيان في الإيمان بالعقل وتحبيذه ، وفي اعتناق الديمقراطية والليبرالية ، وفي الاهتمام بالنزعات المادية ، وقبل كل شيء: في الإيمان بالتوجه الإنساني (هيومانزم) وقبول مبادئ النسبية والتاريخية وما أشبهها.

وقبل الخوض في هذه الدعوى العريضة ينبغي أن نوضح سياقها: فهي تجيء في معرض محاولة اكتساب القبول للعلمانية بين الجماهير المسلمة ، بتصويرها وكأنها تكاد تتفق . بل تتطابق . مع الإسلام ، وهي محاولة تعمل كذلك . وفي الاتجاه المقابل ـ إلى تطويع الإسلام للعلمانية ، بإلغاء تميزه وتفرده وهويته التشريعية والعقائدية ، ولكن في كلتا الحالتين فإن الهدف واحد، سواء في أسلمة العلمانية أو علمنة الإسلام

، وهو: نزع الخشية الجماهيرية من العلمانية باعتبارها نبتاً غربيّاً غريباً ، يراد فرضه على الواقع الإسلامي.

ونلاحظ في هذا الصدد أن تلك العملية مرحلية فقط، وأنها تتم في سياقٍ تكون فيه العلمانية جديدة أو غير متمكنة إلى الحد الكامل؛ مما يستدعي القيام بالتمويه والخداع وتصوير الإسلام بأنه علمانية أو العلمانية على أنها الإسلام، ولكن ما أن تتمكن العلمانية فإن الخطاب يتغير إلى لغة الإقصاء والإبعاد والرفض، وهذا هو ما تشير إليه، ليس فقط التجارب التاريخية القديمة في تركيا أو إيران أو أفغانستان ، بل التجارب الراهنة ، وبالذات في الوسط الثقافي والفكري في بلدان كمصر والجزائر مثلاً.

والسؤال الذي ينبغي مواجهته رأساً هو: هل يوجد تقارب بأي درجة بين الإسلام والعلمانية؟ ، وهل يكفي مجرد ذكر رؤوس مواضيع ، يوحى بأن فيها تشابهاً في المواقف للقول بوجود مثل هذا التقارب؟ ، والأهم من هذا كله: هل يوجد تشابه أو تقارب حقيقي في المواقف ، أم إن المسألة لا تعدو عملية تفسير وتأويل وتأول بارعة ماكرة توحي بوجود مثل هذا التقارب؟ ، ولنأخذ هذا التساؤل الأخير مدخلاً لنا ، ونسأل: هل فعلاً يوجد تقارب بين العلمانية والإسلام لمجرد . مثلاً . أن هذه ترفض الكهنوت وهذا يرفضه؟ ، لقد ساق الكاتب المشار إليه هذا المثال باعتباره حقيقة لا يتطرق إليها الشك ، وقد تكون كذلك ، لكن ذكر الأمور على هذا المستوى من العمومية والتجريد يدخلنا إلى حد الإبهام والغموض ، فهل حقّاً ترفض العلمانية الكهنوت؟! ، إننا نجد تكريساً له في مفهوم «أوجست كومت» أحد أبرز دعاة الوضعية إلى دين صناعي فلسفي تكون له كنيسة وكهنوت خاص به؟ ، وهل ترفض العلمانية الكهنوت أم إنها ترفض الكنيسة كلها والدين (المسيحي والإسلامي) والعقائد والأفكار الدينية ، حتى ولو كانت بدون كهنوت؟.

إن القول برفض العلمانية للكهنوت يخفي حقيقة أن العلمانية ترفض الدين نفسه ، وإلا فإن البروتستانتية . وهي مذهب مسيحي كبير . ترفض الكهنوت الكنسي ، حتى وهي تدعو في تجلياتها الحديثة إلى أصولية مسيحية طاغية ومتطرفة.

وبالمثل: فهل عندما يرفض الإسلام الكهنوت يرفض معه الدين والعقيدة؟ ، لا أحد يستطيع القول بذلك؛ لأن الإسلام نفسه دين.

وإذا قلنا: إن الإسلام يرفض الكهنوت ، فإن هذا يعني أنه يرفض الأسلوب الكنسي المعروف ، في ضرورة وجود عناصر خاصة لا تكتمل العبادة ولا ترفع إلا بها ، بل لا يكتمل الدين والإيمان نفسه إلا بمباركتها وتطويبها ، لكن هذا لا يستتبع أبداً رفض وجود فئة من الفقهاء والعلماء تدرس الدين ، عقيدته وشريعته ، وتتخصص فيهما ، وتنصح وتوجه غيرها من فئات الأمة التي لا تسمح لها ظروف الحياة وكفاحها بمثل هذا التخصص ، لكن هذا لا يمنع أي فرد أو أي جماعة من الدراسة والتخصص والاطلاع على هذا النحو ، فالدين مفتوح ، وهذا هو معنى رفض الإسلام للكهنوت.

ونلاحظ أن العلمانيين عندما يرفعون الصوت عالياً بأن الإسلام يرفض الكهنوت ، فإنهم يقصدون . كما تدل الأحداث . رفض آراء وفتاوى وشروحات الفقهاء والعلماء المسلمين التي تزعجهم؛ لقيامها على العلم الصحيح بالإسلام.

وينطبق التحليل نفسه على سائر النقاط التي يقال عادة: إن هناك تقارباً بين الإسلام والعلمانية فيها، والتي كان حظ بعضها في المعالجة وفيراً ، كمفهوم الديمقراطية والليبرالية بين الإسلام والعلمانية مثلاً، أو مفهوم العقل فيهما ، ولكننا هنا نضرب مثلاً لرأس موضوع آخر يقال إن فيه مِثْلَ هذا التقارب، ألا وهو: التركيز على النزعة الإنسانية ، أو ما يعرف بـ (الهيومانزم) ، لقد قيل كلام كثير عن التقاء الإسلام بالعلمانية في هذه النقطة؛ لأن الإسلام قد كرم الإنسان وأعلى من شأنه؛ بينما تدعي العلمانية في جوهرها أنها هي الفكر الذي جعل من الإنسان «معيار كل شيء» ، كما يقول المثل العلماني الأشهر ، ولكن: هل إعلاء الإسلام لشأن الإنسان مثل إعلاء العلمانية لشأنه؟ ، من الواضح أن الاتجاهين على طرفي نقيض في هذه الناحية؛ فالعلمانية تجعل الإنسان (ككائن مجرد مطلق) بديلاً عن الإله الذي رفضته أو أبعدته عن العالم ، وتجعله الواضع لكل القيم والمعايير ، كما تجعله الهدف الأسمى الذي يصب كل شيء في خدمته مهما كان ، أما الإسلام: فلا يجعل الإنسان على هذه الدرجة أو الكيفية من التأله والإطلاق والغائية ، كما أنه ليس هو واضع القيم العليا والمبادئ الكلية ، وهو يستمد تكريمه من خالقه، وليس من مجرد

كينونته هو، كما أن هذا التكريم مقصور على النواحي المادية الدنيوية بالنسبة للجميع ، لكنه في الآخرة يقتصر على المؤمنين المقبولين وحدهم.

إذن: نلاحظ مرة أخرى أن هناك خلطاً متعمداً ، فيكفي عند هؤلاء أن يجيء في القرآن أن الله كرم بني آدم حتى تعقد المقارنات مع العلمانية التي كرمت الإنسان كما زعمت حتى وإن كان العالم قد عرف في عهود العلمانية من الجرائم في حق الإنسانية والإنسان ما لم يعرفه في عهود الوثنية والأديان السالفة.

إن الطرح القائل بوجود تقارب بين مواقف الإسلام والعلمانية حول عدد معين من القضايا الفكرية والاجتماعية يعبر في ضحالته عن اتجاه في المحاججة ، نلمسه عند بعضهم في تناولهم لشتى المسائل والأفكار ، ونعني بهذا الاتجاه المعيب: الوقوف عند ظواهر المصطلحات أو على معانيها الأولية المبهمة غير الدقيقة؛ مما يسهل تمرير أي موقف ، ويسهل كذلك من القول بالتقارب أو حتى التماثل بين ذلك المذهب وتلك الفلسفة ، ولكن ما إن نبدأ في بحث دقيق حول نطاق المعاني والمضامين المبثوثة في مصطلحات أو مقولات معينة.. إلا ونلاحظ الفروق الجلية بين المذاهب ، ومن الأمثلة على ذلك: مفهوم «الإله» في الإسلام والمسيحية ، فقد درج بعض الناس على القول بتوحد الأديان السماوية . كما يطلق عليها .؛ لأنها كلها تعبد الإله نفسه! ، ولكن مفهوم «الألوهية» في الإسلام يختلف اختلافاً نوعيّاً وجذريّاً عن مفهوم «الرب» في النصرانية المتداولة ، أو في اليهودية.

وقد يكون لدعوى التقارب بين الإسلام والعلمانية مبرراتها السياسية الآنية عند بعض أولئك ممن ينشغلون بالمناورات والتحركات السياسية ، لكنها غير مبررة ولا منطقية في عرف الفكر الصحيح.

===============

هذا موقف العلمانية من الإسلام
وهذا موقفنا منها

مجلة البيان - (ج 114 / ص 4)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل حقيقة أزلية معروفة عبر التاريخ، وهو سنة يعرفها كل متدبر وتالٍ لآيات الذكر الحكيم، ويجدها في المواجهة بين الأنبياء وأعدائهم من الكافرين برسالتهم، ويتكرر بصور مماثلة عبر العصور بين الدعاة والمصلحين ومناوئيهم حينما يقفون بكل تبجح أمام الحق وأهله، رافضين جملة وتفصيلاً ما يدعو الدعاة إليه من حق وما يطالبون به من تحكيم لشريعة الله، فالعلمانية بخيلها ورجلها تقف بكل صلف ضد أي توجه إسلامي يقوم في أي بلد مسلم مثيرة الشبهات ضده والإساءات المتوالية لكل منتمٍ له، بدعاوى أن أولئك رجعيون ومتطرفون وإرهابيون؛ لهدم هذه الاتجاهات أمام الشعوب، وتخويفها منها بالكذب والتزوير.

لقد وصف الله المنافقين أوصافاً دقيقة، تنبئ عن حقيقة ما يضمرونه من سوء في الوقت الذي يتظاهرون فيه بالإسلام، وكأنه وصف لجوقة العلمانيين في عالمنا الإسلامي اليوم، يقول (جل وعلا): ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ)) [البقرة:11،12].

إنهم لا يقفون عند حد الكذب والخداع، بل يضيفون إليهما السفه والادعاء..، والذين يفسدون أشنع الفساد ويقولون: إنهم مصلحون، كثيرون جدّاً في كل زمان، يقولونها لأن الموازين مختلة في أيديهم، فيتعذر على أولئك أن يشعروا بفساد أعمالهم؛ لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يستند إلى أسس شرعية.

إن ظهور الإسلام هو بداية غيظ ورعب لأعداء هذا الدين وخصوم المنتمين له في كل حين، فهو يؤذيهم ويخيفهم؛ لأنه من القوة والمتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغٍ، ويكرهه كل مفسد.. لما فيه من حق أبلج ومنهج قويم، فهو مضاد للباطل والبغي والفساد؛ ومن ثم: لا يطيقه المبطلون والبغاة والمفسدون، لذلك يرصدون لأهله، ليفتنوهم عنه.

علمانيو تركيا نموذجاً: وصورة هذا العداء السافر لم تتبين بشكل واضح جلي كما تتضح اليوم في الحرب الشعواء التي يشنها العلمانيون على أهل الإسلام ودعاته في كثير من ديار الإسلام، وبشكل أخص فيما يقوم به تلاميذ الرجل الصنم (أتاتورك) من دعاة الطورانية الملحدة سواء من الأحزاب العلمانية التركية أو عن طريق الجيش

التركي الذي يعتبر نفسه حامي الدستور العلماني هناك، وهذا الولاء الذي يدينون به له . والذي جعل (أتاتورك) يحكمهم به من قبره . لم يأت من فراغ، فهو نتيجة بناء أسسه المذكور المشبوه بانتمائه للدونمة ذوي الأصول والاتجاهات اليهودية، ومواقفه من الإسلام تؤكد ذلك، والعساكر الممسكون بأَزِمّة الأمور اليوم هم خريجو المؤسسة العسكرية التابعة للجيش الذي تحول إلى مفرخ للقادة والضباط المؤمنين بالمبادئ الطورانية، وجل ضباط الجيش التركي هم من ذلك الصنف؛ فلا عجب أن نراهم حماة لتلك المبادئ العلمانية المتطرفة التي لا تطيق للإسلام صوتاً، فضلاً عن أن يحكم أو يعمل في الهواء الطلق، ولذلك: كان لهذا الجيش موقفه الصارم من التدخل المباشر في تعديل أي مسار ضد أي تجاوز للمبادئ العلمانية منذ عام 1960م، حينما تدخل لإيقاف حكومة (عدنان مندريس) الذي أعلن في برنامج حزبه الذي نال به الأغلبية وترأس الحكومة آنذاك منادياً بفتح مدارس تحفيظ القرآن، وإعادة الأذان بالعربية!.. فما كان من قادة الجيش ذوي الاتجاهات نفسها إلا أن أسقطوا الحكومة، وأعدموا رئيسها وبعض وزرائه؛ بدعوى الخروج عن (المبادئ الكمالية)!، ثم حصل التدخل عام 1970م مرة أخرى، ثم في عام 1981م.. فموقفهم من الإسلام موقف حياة أو موت كما ذكروا، ولولا الخوف من العواقب الوخيمة للانقلاب العسكري الآن لأوقفوا (أربكان) الذي استطاع بكل دبلوماسية أن يقف في وجوههم وأن يفتح العيون أمام الجميع على تدخلاتهم التسلطية في أعمال الحكومة المنتخبة عن طريق ما يسمى بـ (مجلس الأمن القومي التركي) بشكل لا يمكن أن يحدث في أي بلد متحضر.

والأخذ والرد الحاصل من التدخل العسكري ضد حكومة (أربكان) ومحاولة إسقاطها بالتعاون مع الأحزاب العلمانية الهزيلة يكشف إلى أي مدى وصل العداء القائم بين الإسلام والعلمانية، ويكشف أيضاً هلعهم من أي مظاهر إسلامية مهما كانت محدوديتها، وهذا الخوف من عودة الإسلام مرجعه إلى الخوف على أنفسهم؛ لكثرة ما طغوا وبغوا في البلاد، فكم أذلوا الناس واستباحوا كرامتهم؟، وكم أساؤوا إلى دينهم وعقيدتهم بدعوى الحفاظ على المبادئ الأتاتوركية؟، ولا ندري لحساب من يجري هذا الإرهاب العلماني على الأمة والرفض المطلق للعودة لما تدين به الأمة وتعتز؟،

ولماذا الصمت المريب من المجتمع الدولي على خروقات الديمقراطية! التي يهمهم أمرها؟.

إن العلمانية ليست ـ كما يشاع ـ مجرد فصل الدين عن الدولة، بل هي في نهاية الأمر وحقيقته: فصل الدين عن الحياة، ليتصرف الحاكمون بأمرهم على إشاعة الباطل وتدجين الأمة على قبول الهوان والتبعية للأعداء بتقنين الباطل وحكم الطاغوت.

ومن العجب أن يتحدث نفر من المنسوبين للإسلام بكل سذاجة وبورع بارد حينما يدعوننا ألا نتحدث عن خطر العلمانية، وألا نفضح العلمانيين، وألا نتهمهم بالخروج والضلال المبين.

كيف لا نتهمهم بكل ذلك وأهدافهم أصبحت مكشوفة للجميع؟، وكيف لا نفضحهم وأفكارهم الرافضة للدين بانت لكل ذي عينين؟، وكيف لا نحذر الناس من شرورهم وتلك هي مواقفهم واضحة من الإسلام وعلمائه ودعاته والمنتسبين إليه؟.. أين الحرية الشخصية التي تضمنتها دساتيرهم إياها ذرّاً للرماد في العيون؟، أين حقوق الشعوب في تعلم ما تدين به؟.. بل أين مظاهر الإسلام حتى الشكلية منها؟!.

لقد أكد كثير من علماء الإسلام أن حقيقة العلمانية هي رفض للدين أن يكون حاكماً، بتنحية الإسلام عن الحياة في كل الأمور؛ والآن تقاتل العلمانية لمنع تحكيم الإسلام وعودته من جديد حتى بالوسائل الديمقراطية التي يتشدقون بها ليل نهار.

فما هو موقف علماء المسلمين منها؟.

يقول سماحة الشيخ (عبد العزيز بن عبد الله بن باز) أحد العلماء الأعلام في هذا العصر في إحدى فتاويه: (... وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، أو أن هدي غير رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أحسن من هدي الرسول، فهو كافر، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد، أو تحكيم غيرها، فهو كافر ضال).

ويضيف سماحته في فتوى أخرى: (... فالذين يتحاكمون إلى شريعة غير شريعة الله، ويرون أن ذلك جائز لهم، أو أن ذلك أولى من التحاكم إلى شريعة الله، لا شك أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الإسلام، ويكونون بذلك كفاراً ظالمين فاسقين)(*).

هذه هي العلمانية أيها الناس وهذا هو حكمها، فهي تلك التصورات القاصرة والمشبوهة عن الإسلام، وأحكامه، وأصوله، وهذا ما يدين به رموز العلمانية في كل بلد مهما تظاهروا زوراً بخلاف ذلك.

فاعرفوا العلمانية حق المعرفة واكفروا بها؛ لمصادمتها لدينكم، ولمعارضتها لأصول عقيدتكم، والواقع أكبر دليل على ذلك.. فإلى متى نتجاهل ذلك، ونؤول الحقائق؟، ثم حتى متى يتمسك بعض السذج بذلك الورع البارد الذي ينم عن مدى الجهل بالإسلام نفسه؟!.

إننا نذكر الجميع بأن تلك هي مواقف العلمانية والعلمانيين من الإسلام، وذلك هو حكم الإسلام فيهم:

((فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) [النساء: 65].

الهوامش :

*) مجموع فتاوى سماحته، جـ1، ص 274، ص 275، وانظر له أيضاً: العقيدة الصحيحة، ونواقض الإسلام.

=============

محاكم التفتيش العلمانية!

مجلة البيان - (ج 116 / ص 94)

بقلم: محمد يحيى

تفاخر العلمانية الأوروبية ويتباهى معها وكلاؤها المحليون في البلاد الإسلامية بأن أعظم إنجازاتها كانت في إحلال روح التسامح الديني محل التعصب الذي رمزوا له بمحاكم التفتيش المشهورة في التاريخ، التي لا يذكر أحد في العادة أن الكثير من ضحاياها كانوا من مسلمي الأندلس المقهورة قبل أن يكونوا من النصارى أنفسهم، وأياً كانت الحال فقد أقام العلمانيون وعلى مدى ما يقارب العقد من السنين في بلادنا المسلمة محاكم تفتيش خاصة بهم نصبوها على صفحات الجرائد والمجلات وموجات الأثير ومنابر الثقافة التي سلمت لهم، بل وجُعلت حكراً خاصاً بهم، وراحوا . في هذه المحاكم . يفتشون الضمائر والنيات ويرمون المسلمين والإسلام بكل نقيصة وجريمة

تعن لهم حتى أكثرها غرابة وتهافتاً وبطلاناً، مطمئنين إلى أن الإسلام ليس له من يذب عنه ويحامي في ظل أوضاع فرضت حتى على رؤساء بعض الهيئات الدينية المرموقة أن يعلنوا أنهم ليسوا سوى موظفين تصدر لهم الأوامر فيطيعون ويخرجون على صفحات الجرائد يتهمون المسلمين بالتعصب ويثنون على الغربيين لتسامحهم.

وقد بلغ السيل الزبى . كما يقال . في محاكم التفتيش العلمانية هذه واتهاماتها العبثية إلى حد أنني في أسبوع واحد، بل وفي مجلة واحدة أحصيت عدة منها رأيت أن أشرك القراء معي في غيظي وحيرتي من وقاحتها: ففي مجلة صادرة من لندن بتمويل مشبوه المصدر زعمت أنها منبر الفكر والثقافة يكتب فيلسوف شهير في الأوساط العلمانية (أو هكذا يدعي لنفسه) ليقول:(إننا كعرب لا نهتم عادة إلا بالأمور الجسدية البدنية بحيث تكون الأجسام في بؤرة الاهتمام، أما قضايا الفكر فإننا نجعلها في مؤخرة اهتماماتنا، فالأم العربية تدعو لابنها قائلة له: ربنا يجنبك شر الفكر؛ ومعنى هذا أن الفكر والفلسفة (وهي أعظم صور الفكر) قد أصبحا مرادفاً للهم والغم)، والغريب أن هذا الكاتب يمضي ليخصص بقية مقاله في الحديث عن التيارات الفلسفية السائدة على الساحة العربية: ويخص بالذكر ما يسميه بالتيار السلفي الأصولي (الإسلامي) فأين إذن هذا الاهتمام بالأجسام ووضعها في بؤرة الاهتمام كما يقول، بل إنه يمعن في السطحية عندما يتعمد الخلط بين المعنى العامي الواضح لكلمة الفكر في سياقات محددة: بمعنى التحير والتفكير الملحّ بلا طائل في محاولة للخروج من مأزق مستحكم، ومعنى الكلمة نفسها في سياقات محددة أخرى في مجال البحث والدراسة مثلاً، ويتجلى تعسف الكاتب في توجيه التهم . وهذا هو هدف مقالته الأولى . عندما يلجأ إلى تلك التقسيمات السطحية العنصرية القديمة التي تلخص كل خصائص أمة من الأمم في عبارة واحدة مثل: (مادي) أو (روحاني) أو (خيالي) أو (عقلاني)، وما أشبه ذلك. وهكذا يحصر الكاتب العرب . ويقصد المسلمين . في كلمة واحدة وهي: أنهم أعداء الفكر المنكبون على رعاية الجسد؛ دون أن يدعم هذا الزعم الواسع العريض إلا بتفسير متعمد سيئ النية لكلمة يعرف الكل أن معناها عكس ما يقول، بل وحتى وهو يتحدث في مقاله عن تيارات الفكر بين أعداء الفكر هؤلاء.

وبجوار تلك المقالة يكتب (فيلسوف) يشار إليه بالبنان في أوساط العلمانيين، بل وتعينه إحدى الدول الغنية أستاذاً جامعياً كبيراً يشرف على سلاسل إنتاجها من الكتب الفكرية والثقافية، فماذا يقول هذا الفيلسوف؟ إنه لا يتحدث في تلك المجلة الثقافية الفكرية عن قضايا الفلسفة، ولا يهاجم المسلمين لافتقارهم إلى الفكر ...إلخ، بل ويا للعجب إذ يورد فقرات مطولة من تقارير تكتب في صحف محلية ببلد عربي مبتلى بتسلط العلمانيين والحرب بين أبنائه، ليخرج من هذه التقارير المشكوك . تماماً . في صحتها بأن الإسلاميين (كل الإسلاميين) لا يكنون للمرأة إلا سوء المآل والحال؛ لأن (الإسلاميين) في هذا البلد يحرقون مدارس البنات (رغم أن التقارير تتحدث عن حرق كل المدارس بلا تفرقة بين مدارس بنين وبنات)، ولأنهم يقتلون الفتيات اللواتي لا يخضعن لرغبات الإرهابيين المسلمين الدنيئة، ويحار المرء في فهم هذا التدني في مستوى الخصومة إلى حد اعتماد الكتابات الصحفية الموجهة والكاذبة في معظم الأحيان حول عمليات تقوم بها جهات مشبوهة لا يعلم أحد حقيقتها، واتخاذ هذه الكتابات، بل الإشاعات والدعاية السوداء حجة موثقة للطعن في كل دعاة الإسلام وأصحاب الفكر الإسلامي؛ فأين الفلسفة والفكر والمنطق هنا؟ وهل لم يجد الفيلسوف الكبير ما يقوله إلا هذا؟ وبصرف النظر عن مجرد الرغبة في الكتابة وقبض الأجر فإن الدافع مرة أخرى واضح جلي وهو سعار إلقاء الاتهامات أياً كانت.

وبجوار المقالين يكتب (مفكر) علماني آخر ليهاجم دعاة فكر القومية العربية؛ لأن بعضهم ذكر أن (الدين) جزء أصيل من مفهوم القومية العربية مما فتح الباب للصراعات الطائفية بين العرب الذين اشتبكوا حول: أي دين يسود؟ وبعد أن ينعي على هؤلاء القوميين العرب مجرد ذكر الدين في تعريفاتهم الذي فتح الباب للمسلمين لكي يدخلوا إلى الساحة بتعصبهم وقمعهم لغير المسلمين يمضي ليقول: (إن القوة الإسلامية التي دخلت بلدان المنطقة بحق الفتح أو الغزو تحولت إلى غالبية اجتماعية كانت لها تصوراتها في الحكم والسياسة والإدارة ومن ثم وضعت بذور الشقاق الطائفي)، وهذا الكلام يعني ببساطة شديدة وأيضاً بوضوح شديد إدانة كاملة وشاملة للإسلام واتهامه بخلق الشقاق الطائفي بمجرد وجوده وطرح تصوراته، وكأن المطلوب لمنع الشقاق الطائفي هو ألا تكون هناك أغلبيات إسلامية ولا تكون

للمسلمين أي تصورات في الحكم والسياسة والإدارة حتى ينتفي الشقاق الطائفي! ولو ترجمنا هذا الكلام بصيغة أخرى لا تخرج عن مضمونه لرأينا أن الكاتب يقول: إن الشقاق الطائفي (من المفترض أنه بين المسلمين وغيرهم في المنطقة العربية) نشأ بسبب قدوم الإسلام واعتناق الغالبية لتعاليمه ثم العمل بشريعته وأحكامه، ولكي نلغي هذا الشقاق والصراع فمن الأفضل أن نلغي (الدين) ذاته (والمقصود الإسلام وحده) من تعريف القومية العربية، ولا يسأل الكاتب نفسه: لماذا لا تلغى الأديان الأخرى وأصحابها وهي على أي حال أقليات صغيرة طالما أن إلغاء الدين هو الحل الذي يراه محل مشكلة الشقاق الطائفي؟ ثم لماذا يكون الحل لهذا الشقاق هو إلغاء دين الغالبية العظمى من أبناء هذه الأمة وتنحيته؟ الكاتب بالطبع يقدم الإجابة حين يتهم هذا الدين أنه وحده المسؤول عن بذر بذور الشقاق وقهر الأديان الأخرى واضطهادها دون أن يقدم دليلاً واحداً على هذا في مقاله سوى الحديث عن حكاية (أهل الذمة) التي أثبت العديد من الباحثين الموضوعيين أنها هي التي حفظت أصحاب الأديان الأخرى من الضياع أو الذوبان في المحيط الإسلامي.

عندما يصل الأمر إلى أن تتجمع كل هذه الاتهامات الحاقدة في حدود بضعة صفحات في ثلاثة مقالات متجاورة في مجلة واحدة (أي في عدد واحد من هذه المجلة) التقطها كاتب هذه السطور مصادفة؛ فلنا أن نتخيل مدى شراسة محاكم التفتيش العلمانية ومدى تهافتها وتعسفها في الطعن في الإسلام والمسلمين.

==============

دعوة لإعادة النظر
في أسلوب الإسلاميين لإدارة معركتهم مع العلمانيين

مجلة البيان - (ج 118 / ص 100)

بقلم: أسامة محمد إبراهيم

قرأت مقالاً للأستاذ جمال سلطان في مجلة (البيان) الغراء بعددها الرقم 115 الصادر في ربيع الأول 1418هـ، حيث اختار الكاتب عنواناً لمقاله هو: (في الصراع الفكري . ملاحظات على معركة حسن حنفي وجبهة علماء الأزهر).

وبادئ ذي بدء فإنني أسجل تقديري واحترامي الشديدين للأستاذ جمال سلطان بوصفه أحد الكتاب الإسلاميين في مصر، وله باع طويل في الدفاع عن الصحوة الإسلامية التي شهدتها البلاد منذ عقود مضت، فضلاً عن إسهاماته المهمة في مجال الدعوة الإسلامية سواء من خلال الكتب أو المقالات أو غيرها من السبل التي تيسرت له.

غير أن كل ذلك لا يمنع من التعليق على بعض ما جاء في مقال الأستاذ جمال السالف الذكر؛ فقد لفت نظري في مقاله عدم وضوح الرؤى لدى بعض إخواننا الذين يتصدون للدعوة الإسلامية؛ وذلك فيما يتعلق بالأسلوب الأنسب الذي يجب اتباعه في هذه الدعوة، خاصة في مواجهة الأبواق والمنابر العلمانية التي ازداد عددها وانتشرت كالسرطان في جسد الأمة في السنوات الأخيرة، سواء تلك التي تستخدمها بعض الأنظمة السياسية في بلادنا كأحد الأسلحة الوقائية ضد التيار الإسلامي، أو تلك التي تهيمن عليها العناصر الماركسية والإلحادية والعلمانية التي نجحت في التغلغل داخل العديد من الصحف والمؤسسات الإعلامية واسعة الانتشار بمؤازرة من هذه الأنظمة التي جعلت شغلها الشاغل مهاجمة كل ما هو إسلامي والسخرية منه والتنديد به وتمجيد ما عداه!

ولقد تعرض الأستاذ جمال في مقاله إلى تلك الحادثة المتعلقة بالدكتور حسن حنفي التي بدأت ببيان د. يحيى إسماعيل أستاذ علم الحديث بجامعة الأزهر وأمين عام جبهة علماء الأزهر، الذي هاجم فيه د. حسن حنفي ووصف أفكاره بأنها تدميرية، وقامت على أثر ذلك ـ كالعادة ـ حملة إعلامية شعواء من قِبَلِ الكتاب العلمانيين الذين يسيطرون على عشرات المجلات والصحف، فشن هؤلاء هجوماً على الأزهر وجبهة علماء الأزهر وعلى الإسلاميين من دون استثناء.

وبما أن مثل هذه الحملات الإعلامية المنظمة التي تهدف ـ في الأساس ـ إلى وأد الصحوة الإسلامية واستعداء السلطات على رموزها، أصبحت من الأمور اليومية المعتادة في الصحف ووسائل الإعلام بسبب وبدون سبب، فإن ما يجب أن يعنينا هنا: هو البحث عن (صيغة موحدة) يلتزم بها الدعاة والإسلاميون في مواجهة مثل هذه الحملات، وليسمح لي الأستاذ جمال أن اختلف معه في بعض الطرح الذي

وضعه في كيفية إدارة الصراع، أو ما أطلق عليه (المعركة التاريخية والفاصلة بين الإسلام والمناهج الوافدة).

يقول الأستاذ جمال في مقاله: (إن إثارة معركة مع حسن حنفي في هذا الوقت لم يكن له ما يسوغه أبداً، ومن أي وجه من الوجوه، فالأخطاء العقدية والفكرية عند الرجل، قديمة، وليست جديدة، والكتب المشار إليها صدرت قبل سنوات، ومرت دون أن يشعر بها أحد، كذلك فإن أسلوب د. حسن حنفي المسهب والمطنب في التأليف يجعل القارئ . غير المتخصص . زاهداً في قراءته، ولذلك لم يشعر أحد بأي خطر فكري . لحسن حنفي يستحق هذه الضجة الكبرى إلا بعد البيان الذي نشره الدكتور (يحيى إسماعيل)).

ومن حيث المبدأ، فإنني أتفق مع الأستاذ جمال فيما ذهب إليه من أن الصراع الفكري، مثل الصراع العسكري أو السياسي، يحتاج إلى فنون خاصة في إدارة معاركه، ويحتاج إلى حكمة وتخطيط وذكاء ووعي بالواقع . واقع الناس وواقع الصراع فيه . إلا أنني أختلف معه في مسألة (التوقيت) الذي يراه غير مناسب في إثارة معركة مع المذكور؛ وذلك على الرغم مما يعلمه كاتب المقال . ويعلمه الجميع أيضاً . من أن د. حسن حنفي هو أحد غلاة العلمانيين في مصر، ونحن نسأل الكاتب هنا عن الوقت الذي يراه مناسباً لمواجهة مثل هذه الكتابات التي تثير الحيرة والبلبلة في نفوس العامة من الناس وعقولهم فضلاً عن التدمير الفكري الذي تحدثه لدى الشباب والناشئة خاصة في الجامعات التي ابتليت بمثل هؤلاء الناس، وهل أن قِدَم الكتب التي قام د. يحيى إسماعيل بمهاجمتها وفضحها مسوّغ لعدم التعرض لها، كما أن قول الكاتب بعدم وجود خطر فكري من كتابات حسن حنفي كلام . في نظري . تنقصه الدقة؛ لأن مثل هذه الكتب مقررة على مئات الطلاب في كلية الآداب ومطلوب منهم قراءتها مرات ومرات واستيعابها حتى ينجحوا في اجتياز امتحانات آخر العام!

يخطئ من يظن أن هناك خلافات وتناقضات داخل المعسكر العلماني فيما يتعلق باستراتيجيتهم في مهاجمة الإسلام والداعين له، وبالتالي فإننا نختلف مع القائلين بضرورة وضع (أولويات) في مواجهة رموز العلمانية، فكما أن حربهم على الإسلام

ودعاته شاملة؛ فيجب أن تكون مواقفنا منهم أيضاً شاملة، ويكفينا هنا طمأنة الباري (جل وعلا) لنا بقوله في كتابه العزيز: ((إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ)) [الحج: 38].

أما الدكتور حسن حنفي فمعروف أن نهجه الفكري، وأستشهد هنا بكلام الأستاذ جمال سلطان نفسه في وصفه إياه بأن قناعاته الفكرية والاعتقادية في قضايا الدين . بوجه عام . مادية، والإيمان بالغيب عنده مسألة فيها نظر، وهو متأثر كثيراً بالفيلسوف اليهودي الشهير (باروخ اسبينوزا)... ولذلك نجد الدكتور يحيى إسماعيل لم يجاوز الحقيقة عندما وصف د. حنفي بأن مشروعه ذو خطر تدميري، فهو يحقر الأنبياء والرسل ويدعي عليهم بما ليس فيهم، وأن الله . عز وجل . عنده مثل مجنون الحارة الذي يطارده الغلمان في الأزقة!!، وأنه ينكر النبوة ولا يعتبر القرآن الكريم كتاب تحليل وتحريم، بل كتاب فكر يجوز إنكار سورة منه مثل سورة يوسف؛ لأن الجنس عيب وتحليله رذيلة، وأنه يمجد إبليس وينكر الجنة والنار، ويقول: إن سؤال الملكين خيال شعبي حول الخوف من عواقب الأمور، ويضيف د. إسماعيل . ونحن معه في ذلك: أن يدرس الطلاب مثل هذا، ماذا ننتظر من جيل يتخرج على ذلك بعدما أهان الله رب العالمين والرسول والقرآن الكريم ومجّد إبليس، ((كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِباً)) [الكهف: 5].

ذلكم هو حسن حنفي الذي يعتبره كاتب المقال يمثل شرخاً نفسياً عميقاً في معسكر العلمانية، وأن حرصه على أن يقدم نفسه بوصفه مفكراً إسلامياً متحرراً ومستنيراً ونصيراً للمستضعفين جعله يهاجم بقوة وجرأة الأقلام والرموز العلمانية المتحالفة مع الفساد، في الوقت نفسه الذي يتعاطف فيه بوضوح مع الحركات الإسلامية (سياسياً ونفسياً وإن كان يختلف معهم بطبيعة الحال . فكرياً ..

وليس من شك أن مبعث كلام الأستاذ جمال سلطان هنا هو حرصه على كسب أي صوت يؤازر الإسلاميين ويدافع عنهم في الحرب الشعواء التي تُشن عليهم منذ أمد طويل بتحريض صريح من الداخل والخارج، غير أننا نذكّر الكاتب هنا بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ

وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) [التوبة: 23] وأظن بعد ذلك أن الأمر لا يستأهل المزيد من التوضيح أو الإسهاب.

كما أن ما أريد أن أخلص إليه أيضاً من هذا كله وما يجب أن نسخر له جل تفكيرنا وجهدنا له هو: البحث عن أنسب السبل والوسائل التي يلتزمها جميع الداعين إلى الإسلام والساعين لإعلاء كلمته، وأن يوحدوا جهدهم في التصدي لمثل هذه الهجمات الشرسة التي ما فتئ العلمانيون يشنونها على الإسلام ودعاته، وألا تكون مثل هذه الوسائل قائمة على جهد فردي محض كما فعل الدكتور يحيى إسماعيل؛ فإن مجرد الاتفاق على مثل هذه الصيغة كفيل بالذود عن الإسلام وفضح المهاجمين له والذين معهم . على الأقل . أمام الرأي العام في العالم الإسلامي: ((وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) [الأنفال: 10].

تحية وتوضيح

من الأستاذ جمال سلطان

سعدت بقراءة التعليق الذي كتبه الأستاذ أسامة محمد إبراهيم، تعليقاً على مقالي: (في الصراع الفكري) المنشور بالبيان الغراء (العدد 115)، والحقيقة أننا في حاجة ماسة إلى سعة الصدر في تقبل الآراء المختلفة المهمومة بقضايا الدعوة، بل وتنشيط طاقات الاجتهاد والبحث فيها، ولا نفزع من وجود بعض الخلاف فيها؛ إذ إن هذا مما يخصب الفكرة ويوسع الآفاق فيها، وأنا أحيي الأخ الكريم على مبادرته وعلى غيرته التي استشعرتها من التعليق، وأما بخصوص المعركة مع (حسن حنفي) وما رأيته من استعجال لها وكان هناك ما هو أهم وأخطر، فإنني أؤكد أن هناك في مجتمعاتنا كثيرين من أمثال حسن حنفي في الفكر والتصور والمعتقد، ولكنهم أخطر منه بكثير، كما أنهم جمعوا إلى فساد العقيدة فساد الخلق والضمير والذمة، وسفاهة الكلام والقسوة في التبجح والإعلان في خصومتهم للإسلام وشريعته وحضارته والانتماء إليه، فكانوا حرباً على الإسلام ضارية، بينما رجل مثل حسن حنفي كان، رغم فساد عقيدته، يمتاز بشرف الموقف السياسي والإنساني مع الإسلاميين، ودفاعه عن المضطهدين ودعواته الواضحة إلى منحهم الحرية في الدعوة، ويهاجم المرتزقة من

العلمانيين الذين يهيجون أجهزة الدولة ضد الإسلاميين، ويحرضون السلطات على البطش بهم وحرمانهم من أن يكون لهم صوت أو منبر.

وكان سؤالي هو: لماذا نترك كل هؤلاء الفجرة ونبدأ بمن يدافع عنا ويجيرنا في أوقات المحنة؟

لماذا نترك أبا لهب ونحوّل حرابنا إلى المطعم بن عدي! كما أن حسن حنفي يمثل شرخاً حقيقياً في صفوف العلمانيين المصريين والعرب أيضاً، ويدرك ذلك بوضوح من يخالط الحياة الثقافية عن قرب، وقد عاينت ذلك بنفسي، وهجومه على النخب الثقافية العلمانية واتهاماته القاسية لهم بممالأة الفساد والظلم ونحو ذلك: هي أمور علنية وليست مستترة، وينبغي، ونحن نخوض صراعاتنا الفكرية . أن نلاحظ مثل هذه الحقائق وأن نستثمرها جيداً ولا نغمض أعيننا عنها بعاطفية ليست في أوانها ولا في محلها.

وأما مخاطر تدريسه على الطلبة في الجامعة فهو كما أشرت مهموم بمشروع سياسي أكثر منه عقدي أو فكري؛ ولذلك فخطره محدود من هذه الناحية، بل إن ما لا يعرفه كثيرون أن ابن حسن حنفي نفسه هو من المتمردين على منهجه الفكري وهو شاب من شباب الإسلام الملتزم والغيور، فلا أظن المبالغة في التوجس من هذه الناحية لها ما يسوّغها.

وحاصل الكلام هنا أن الصراع الفكري يتطلب منا البصيرة بالواقع، وموازناته ودقائقه، لكي نضع خطط المواجهة على بصيرة ونور، وبحيث تؤدي دورها وتؤتي أكلها، بدقة وفاعلية.

============

حديث صريح مع العلمانيين

مجلة البيان - (ج 119 / ص 111)

صالح علي الكناني

لأنكم تزعمون أن التشريعات الأرضية والنظم الوضعية والقوانين الجاهلية أحسن من حكم الله (تعالى): فقد ((كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ)) [الممتحنة: 4]. ولأنكم تسعون جاهدين لتعطيل حكم الله وتحويل الإسلام

من قوة مهيمنة على كل مناحي الحياة إلى طقوس محصورة في جوانب شخصية لا تمس واقع البشر من قريبٍ ولا من بعيد، ولأنكم تجاهرون بحرب الإسلام صراحة كما هو حال عساكر أتاتورك اليوم وغيرهم من الذين استغلوا ما تحت أيديهم من سلطات وعتاد لقمع خيار الشعوب، ولأنكم ترفعون شعار الديمقراطية الزائفة وهدفكم منها فقط: القمع والقهر لشعوبكم، ولأنكم خذلتم أمتكم وجلبتم لها العار ولم يسجل لكم التاريخ موقفاً أعليتم فيه من شأنها أو انتصرتم لكرامتها، وكل متمسكٍ بدينه لديكم متطرف إرهابي أصولي ظلامي: من أجل ذلك كله ومن أجل غيره: اعلموا وأعلموا . سدنة المعبد الديمقراطي . أننا بإذن الله ثابتون على مبادئنا وقيمنا مهما بطشتم ونكلتم وملكتم من قوة وعتاد ((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ)) [الشعراء: 227]

===============

أبعاد التخريب العلماني محمد أركون.. أنموذجاً

مجلة البيان - (ج 123 / ص 46)

بقلم: د. أحمد إبراهيم خضر

بالأمس... طلب خالدُ بن عبد الله القسري، أمير العراق، الجعدَ بن درهم، حتى ظفر به، فخطب بالناس في يوم الأضحى، وكان آخر ما قاله في خطبته: أيها الناس، ضحّوا، تقبّل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر، فكان ضحية، ثم طفئت تلك البدعة فكانت كأنها حصاة رُمِيَ بها(1).

واليوم.. المرعى الإسلامي غدا بابه مفتوحاً لكل (عرجاء) و(عوراء) لا يجزئ لحمها في الأضحية (2).

إنهم أهل التخريب العقدي، يحاربون الإسلام من داخله بإثارة شكوك المسلمين بما يؤمنون به، يهدفون عبر زعزعة الترابط العقدي تفكيكَ المجتمع الإسلامي برمته(3). يصفون أنفسهم بأنهم علماء مجتهدون متفرغون لتطوير المعرفة(4)، ولا تخرج مقولاتهم عند كونها لوناً من ألوان (الرقاعة الثقافية)(5)، يميزون أنفسهم عن المسلمين الآخرين (المقلدين)، أما هم، فإنهم باحثون تحرروا مما أطلقوا عليه

(المعارف الخاطئة) التي تعارف عليها كل المسلمين عن الإسلام. يدعون إلى العقلانية ويطالبون باتساع العقل وحرية البحث حتى في القضايا الدينية الحساسة التي ترتبط بما هو مقدس ولا يمس (كالوحي والقرآن والسنة). يشجعون الإبداع الفكري الذي يصل عندهم إلى حد القول بأن الاعتقاد بأن الشريعة ذات أصل إلهي (وهمٌ كبير)(6) ومع كل هذا الانحراف والضلال يطالبون الآخرين بالتسامح معهم، والإقبال على مناظرتهم، وعدم الخلط بين العرض العلمي للقضايا ومواقف العوام، والتقيد بما يفرضه البرهان العقلي. يتهمون ما يسمى (بالخطاب الإسلامي) بأنه خطاب مليء بالنقائض والرذائل والمثالب، يحمّل المفكرين (أمثالهم) ما لم يفكروا فيه، وما لم يدّعوه، وما لم ينطقوا به(7).

ماذا يريدون بالضبط؟

همهم الأول القضاء على الإيمان العقدي ومحوه من الأفق البشري: حتى لا يبقى هناك إلا الأفق الاجتماعي. يريدون منا أن ندخل تجربة الغرب التاريخية التي خاضها منذ أكثر من قرنين فتخلص من الأفق الديني القروسطي (نسبة إلى القرون الوسطى).

لا يجهلون الإسلام وإنما يصرون على تحليله في ضوء النصرانية الكنسية والقرون الوسطى التي ارتبطت في أذهان الغرب بالتصور المظلم والمرعب عن الدين. أفقهم المعرفي لا يخرج عن حدود الفكر الغربي والثقافة الأوروبية. يتزلفون للغربيين حتى القسس منهم على حساب دينهم؛ ولهذا يضيقون ذرعاً بمطالبة الإسلاميين بخصوصية إسلامية وأصالة عقلية وعلمية مطلقة جعلتهم في غنى عما أبدعته انحرافات الفكر الغربي والبحث العلمي خارج دائرة المعارف الإسلامية المتأصلة في القرآن والمنطلقة منه، فراحوا يتصورون أن الإسلاميين كآباء الكنيسة يقتلون في الإنسان حس المبادرة والحركة ويدعون إلى الاستكانة والاستسلام ورفض الانخراط في العالم(8).

أهل السنة والجماعة في نظر أهل التخريب العقدي (أورثوذكسيون):

لأنهم يُجمعون على عقيدة إسلامية صحيحة ومستقيمة، ويُبرزون معايير التفرقة بينها وبين البدع والاعتقادات الطارئة المنحرفة عن الإسلام. (والأورثوذكسية) أصلاً

مصطلح غربي نقله أهل التخريب إلى العربية ولا يربطونه بالمذهب الأورثوذكسي في النصرانية؛ لأنه مصطلح سابق على ظهور هذا المذهب. لا يروق لهم المعنى الحرفي للكلمة (وهو الطريق المستقيم أو الطريق الصحيح) إنما يأخذون معناها الاصطلاحي وهو (النواة العقائدية الصلبة والمغلقة على ذاتها لدين ما، أو لأيديولوجية ما، أو اتجاه سياسي ما، والتي ترفض كل ما يقع خارجها باعتبار أنه ضلال وهرطقة). يقول أهل التخريب إنهم لم يستطيعوا ترجمة مفهوم (الأورثوذكسية) بكل أبعاده الأيديولوجية بالسنّة؛ لأن أهل السنة والجماعة قد احتكروا المفهوم لصالحهم وعدلوا به عن معناه في القرآن(9)، ولم يعط أهل التخريب العقدي دليلاً واحداً مقنعاً يبين صحة تأويلاتهم الفاسدة الخارجة أصلاً عن حدود القرآن والسنة.

وحتى لا يُتهم أهل التخريب العقدي بالكفر، سارعوا إلى وضع مفهوم جديد للإيمان والكفر. فهموا من الإمام الغزالي أن الكفر هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام في شيء مما جاء به، والإيمان هو تصديقه في جميع ما جاء به، فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما الرسول –صلى الله عليه وسلم–، والبرهمي كافر بالطريق الأوْلى؛ لأنه أنكر مع رسولنا سائر المرسلين.

هذا الذي يتبنى مفهوم الغزالي عن الكفر ويطبقه على (العلماء المجتهدين) أمثالهم رجل مقلد بلغ درجة من العمى والتعصب في أحكامه؛ لأن الإيمان والكفر في فلسفة أهل التخريب العقدي مرتبطان بالبحوث النفسانية واللغوية عن تكوين البنية الشخصية والجماعية التي ينشأ فيها كل فرد. ولم يكتف أهل التخريب العقدي بذلك بل ألقوا مسائل الحلال والحرام والمقدس والقصص الديني في أحضان العلوم الحديثة (علوم الإنسان والمجتمع)(10) التي تعطي لها تفسيراً خاصاً يخرج بها كلية عن ارتباطاتها العقدية. ومن المسلّم به في العلوم الاجتماعية أن نظرياتها التقليدية ترى أن الأفكار الدينية زيف ووهم، أما نظرياتها الحديثة فتتجنب مسألة حقيقة الدين، لكنها تغذي هذه التحليلات التي تحقر من أي رؤية جدية للأفكار الدينية وتنظر إليها على أنها غير حقيقية(11).

موقفهم من خاصية ثبات الأصول:

واجهت أهل التخريب العقدي مشكلة النظرة العقلية المستمرة والمتكررة التي ترى وجود إسلام صحيح يتطابق مع مفهوم الدين الحق لمكافحة البدع والرد على أهل الأهواء والنحل، وإبطال الملل الضالة المضلة، وإبعاد أو إخضاع جميع المنحرفين عن الصراط المستقيم والحق المبين، فقالوا: إن الإجماع بأن هناك إسلاماً جوهرياً لا يقبل التغير ولا يخضع(للتاريخانية)(12) . هو هو كالأقنوم الإلهي يؤثر في الأذهان والمجتمعات ولا يتأثر بها . ليس إلا تحجراً عقلياً وتطرفاً وتعصباً وإرهاباً، ودعوا إلى العدول عن هذه النظرة التقليدية والإقرار بضرورة التعددية العقائدية؛ ويسوِّغون دعواهم الضالة والمضلة بأن النصوص القرآنية قد ألهمت ولا تزال تلهم (تأويلات) بتغير الزمان والمكان(13).

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن التأويل الذي دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وما جاءت به هو التأويل الفاسد. وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم– فهو المقبول وما خالفه فهو المردود. لكن أهل التخريب العقدي بعد أن طرحوا بعيداً ربط الكفر بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم ردوا السنة برمتها إلى دائرة (البحث التاريخي)(14)، وسعوا إلى إعادة قراءة النصوص الدينية، تلك التي أسموها بالنصوص التأسيسية أو النص الأول (القرآن) والنصوص الثانية (السنة وغيرها)، في ضوء العلوم الحديثة.

والتأويل عند أهل التخريب العقدي لا يخرج عما يقوله عنهم (ابن القيم) من أنه (استخراج معاني النصوص وصرفها عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ومستنكر التأويلات، فأدى بهم هذا الظن الفاسد إلى نبذ الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف. (والتأويل) إذا تضمن تكذيب الرسول –صلى الله عليه وسلم– فحسبه ذلك بطلاناً) وتأويلات أهل التخريب العقدي من هذا الطراز (15).

القطيعة المعرفية ماذا تعني؟

خرج علينا أهل التخريب العقدي بمصطلح جديد أسموه: (القطيعة المعرفية) ومن المعروف عنهم أنهم لا يأتون بجديد، وإنما يستخرجون أفكارهم بعد أن يدخلوا جحر كل ضب دخله قبلهم المفكرون الغربيون، ثم يلوكون هذه الأفكار ويطبقونها على الإسلام.

ومصطلح (القطيعة المعرفية) طرحه أصلاً المفكر الإيطالي (فيكو) وكتب فيه الأمريكي (توماس كون) وعالم الرياضيات الفرنسي (رينيه توم). تناول كل هؤلاء مسألة القطيعة في تاريخ العلوم وكيفية تفسيرها: متى تحدث القطيعة في فكر ما؟ ما هي الشروط الموضوعية التي ينبغي توافرها لكي تحصل القطيعة؟ أي: لكي يتوقف الناس فجأة عن التفكير بالطريقة التي كانوا يفكرون بها سابقاً منذ مئات السنين. ولأن الحقد والغل يملأ قلوب أهل التخريب العقدي على الإسلام طبقوا هذا المفهوم على الإسلام؛ فدعوا إلى التوقف عن التفكير في الإسلام بالطريقة التي يؤمن بها الناس حالياً والتفكير فيه بطريقتهم التدميرية.

ويدعونا أهل التخريب العقدي إلى أن ندرك معنى القطيعة المعرفية، أي أن نتخلى عن معارفنا التقليدية عن الإسلام التي يصفونها بأنها معارف (خاطئة أسطورية ذات معانٍ خيالية) وأن نفكر بالطريقة التي فكر بها الأوربيون منذ القرن السادس عشر، فنغير ـ مثلهم ـ نظرة العقل إلى المعرفة وطرق إدراكه للواقع وتعبيره عن تأويلاته لهذا الواقع.

هل نحن بحاجة إلى الفلسفة؟

وعبر إصرارهم المستميت على تخريب عقيدة الإسلام يزرعون الألغام الواحد تلو الآخر، فتجدهم يدعون إلى الانفصال بين الحكمة والشريعة ويفسرون الحكمة بأنها (الفكر العلمي) ويسمون الشريعة (بالظاهرة الدينية)(16) مع أن الحكمة تعني العلم والفقه والمعرفة بالقرآن وخشية الله والفهم والبصر والعقل، كما جاء ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن مسعود، وزيد بن أسلم، ومالك؛ وذلك في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ((يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)) [البقرة: 269]، وقوله ـ تعالى ـ: ((وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ)) [لقمان: 12](17).

وتارة أخرى ينظرون إلى (الحق) على أنه خاضع (للتاريخانية) بمعنى أن وجوده ومظاهره تتغير بتغير نظرة العقل إليه، كما يتغير العقل بدوره بتغير النتائج ووجوه الحق التي يستبينها ويتعقلها.

كما يتبنون وظيفة الفلسفة لتسويغ الموجودات والأحكام إلى العقل في كل الممارسات والمعالجات بما في ذلك إثارة مسائل وقضايا ومواقف معرفية ما كان التفكير فيها ممكناً بل كان مستحيلاً، ولذلك تجدهم يُرجعون انتشار المدّ الإسلامي إلى غياب الفلسفة عن معظم المدارس والجامعات بالبلدان الإسلامية. والحقيقة أن الفلسفة لا تمارس تأثيرها إلا في غيبة نور الوحي الإلهي، أو في حالة خفوته، أو في حالة جهل الناس بحقيقتها وجهلهم بالمنهج النبوي على وجهه الصحيح. وتملك الفلسفة القدرة على التلبيس بما تملكه من أدوات، فهي تتزيّا بزي العقل حيناً، وبزي العلم حينا آخر، وتملأ الفراغ المخيف الذي تتركه غيبة الهداية الإلهية عن العقول(18).

وبينما اشتهر أهل التخريب العقدي في مصر وسوريا باستخدام مصطلحات: (نقد الخطاب الديني) و (نقد الفكر الديني)، استخدم نظراؤهم المستوطنون في دول الغرب مصطلح: (نقد العقل الإسلامي).

يعرِّف أهل التخريب العقدي (العقل الإسلامي) بأنه هذا العقل المتقيد بالوحي أو المُعطَى المنزل. ويقر بأولوية المعطَى لأنه إلهي، وأن دور العقل ينحصر في خدمة الوحي، أي فهم وتفهيم ما ورد فيه من أحكام وتعاليم وإرشاد، ثم الاستنتاج والاستنباط منه، فالعقل تابع وليس بمتبوع اللهم إلا بالقدر الذي يسمح به اجتهاده المصيب بفهم وتفهيم الوحي.

لا يقر أهل التخريب العقدي بذلك، ويصبون كل انتقاداتهم على علاقة العقل بالمُعطى المنزل، وعلى رضاه بأن يبقى دائماً في الدرجة الثانية، أي في حدود الخادم دون أن يجرؤ أبداً على مبادرة أو سؤال أو تأويل لا يسمح به الوحي المحيط بكل شيء، بينما العقل لا يدرك شيئاً إدراكاً صحيحاً إلا إذا اعتمد على الوحي المبين(19).

إنه ما عُصي الله بشيء إلا أفسده على صاحبه؛ ومن أعظم معصية العقل إعراضه عن كتاب الله ووحيه، فأي فساد أعظم من فساد هذا العقل؟ إن علم الأنبياء وما

جاؤوا به عن الله لا يمكن أن يدرك بالعقل ولا يكتسب، وإنما هو وحي أوحاه الله إليهم بواسطة الملك، أو كلام يكلم به رسوله منه إليه بغير واسطة كما كلم موسى. وهذا متفق عليه بين جميع أهل الملل المقرين بالنبوة المصدقين بالرسل، ولا يخالفهم في ذلك إلا جهلة الفلاسفة وسفلتهم. ولكن أهل التخريب العقدي يريدون أن يعكسوا شرعة الله وحكمته؛ فإن الله . سبحانه وتعالى . جعل الوحي إماماً والعقل مؤتماً به، وجعله حاكماً والعقل محكوماً عليه، ورسولاً والعقل مرسلاً إليه، وميزاناً والعقل موزوناً به، وقائداً والعقل منقاداً له؛ فصاحب الوحي مبعوث، وصاحب العقل مبعوث إليه، والآتي بالشرع مخصوص بوحي من الله، وصاحب العقل مخصوص ببحث عن رأي أو فكرة. الرسول يقول: معي كتاب الله، وهم يقولون: معنا العقل. الرسول يقول: معي نور خالق العقل به أهدي وأهتدي، ويقول: قال الله كذا، قال جبريل عن الله كذا، وهم يقولون: قال فيكو.. قال بيير بورديو.. قال جاك دريدا.. قال فرانسوا إيوالد.. إلخ.

بين العقل والوحي:

إن قضايا العقل تشمل على العلم والظن والوهم، وقضايا الوحي كلها حق؛ فأين قضايا مأخوذة عن عقل قاصر عاجز عرضة للخطأ، من قضايا مأخوذة عن خالق العقول وواهبها هي كلامه وصفاته؟!(20).

(العقل هو المصدر والعامل في كل ما يعبر عن الإنسان ويبلغه بلغة من اللغات، وهو المسؤول عن عملية تركيب المعاني في إنتاج جميع المنظومات)، هكذا يقول أهل التخريب العقدي في دفاعهم عن (فتنة خلق القرآن)، وقد وصل بهم التبجح إلى القول بأنه (لو استمرت المناظرات بين العقل القائل بخلق القرآن والعقل الخادم الخاضع للقرآن غير المخلوق، لكان الوضع المعرفي للعقل الإسلامي اليوم على غير ما هو عليه، بمعنى: أن الفسحة العقلية ما كانت لتصبح ضيقة محدودة تسودها الأرثوذكسية العقائدية المعروفة اليوم)(21) أي انتصار أهل السنة والجماعة، الذين يقولون إن القرآن كلام الله . تعالى . منه بدأ، فنزل غير مخلوق، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله، سمعه جبريل من الله، والنبي سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو القرآن المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة. القرآن عند أهل السنة والجماعة كلام الله . تعالى . بالحقيقة وليس بمخلوق

ككلام البرية، ومن سمعه وزعم أنه ككلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله ـ تعالى ـ وعابه، أو أوعده عذابه حيث قال: ((سَأُصْلِيهِ سَقَرَ)) [المدثر: 26] التي أوعدها الله لمن قال: ((إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ البَشَرِ)) [المدثر: 25] (22).

البؤس الفكرى لدي بعض المفكرين العرب:

وقد اعترف أهل التخريب العقدي بأن التوجه الإسلامي الصحيح قد كشف أزمة المجتمع في العمق، وكشف في الوقت نفسه عن البؤس الفكري لمعظم المثقفين العرب ومراهقتهم الفكرية، كما أنه كشف كذلك عن التخلف المنهجي والمعرفي للفكر العربي المعاصر؛ فالواقع في واد وهم في واد آخر؛ فبؤسهم الفكري عاجز عن طرح أي مشكلة بشكل صحيح بل عاجز حتى عن رؤية المشكلة ذاتها.

أقر أهل التخريب العقدي بأن زميلهم (المثقف العربي) يقف أمام نظيره الغربي (كالفلاح الفقير الذي يقف خجلاً بنفسه أمام الغني الموثر) ويقولون في ذلك: (يقف مثقفنا العربي أمام نظيره الغربي وهو يكاد يتهم نفسه ويعتذر عن شكله غير اللائق ولغته غير الحضارية ودينه المتخلف، ويستحسن المثقف الغربي منه هذا الموقف ويساعده على الغوص فيه أكثر فأكثر حتى ليكاد يلعن نفسه أو يخرج من جلده لكي يصبح حضارياً أو حداثياً مقبولاً)(23).

لقدأحسن أهل التخريب العقدي وأجادوا في وصف حال المثقفين العرب الذين هم أيضاً من دعاة هذا التخريب. لكن حال أهل التخريب العقدي أمام المثقفين الغربيين ليس بأفضل من حال المثقفين العرب الذين يهاجمونهم. هاهم يقفون خجلين أمامهم من الخطاب الإسلامي الذي يتحدث عن التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج والحجاب والجهاد. إنهم يقدسون لغة الغرب، ويكتبون بها، ويرونها مؤيدة للنقد الفلسفي والتاريخي والعلمي وأن لها أرضية خصبة من الجهاز المفهومي الداعي إلى المزيد من الدقة والتعمق في النقد. أما لغتهم (اللغة العربية) فلا تتحمل اقتران النقد بالعقل الإسلامي. ها هم يعتذرون عن شكلهم غير اللائق، ولغتهم غير الحضارية، ودينهم المتخلف فيحذرون الإسلاميين من أن خطابهم المتردد على ألسنة الخواص والعوام يمجه جميع الناس في الغرب، وأنه لا يتيح إلا المزيد من الرفض والاستبعاد وسوء التفاهم، ويحذرون أيضاً بأن على الخطاب الإسلامي أن يغير من طريقته التي

تثير ردود فعل وتحريض للغرب على الإصرار في الهيمنة واستراتيجية الإخضاع والتسيير التحكمي للعالم (الإسلامي) المتخلف. ثم يدافعون عن الغرب ويقولون: (بأن للغرب حق الحماية لقيم مدنيته والدفاع عن أمانته أمام قوى العنف والجهل وعدم التسامح)(24).

يريد أهل التخريب العقدي خطاباً إسلامياً يتحدث للغرب بلغة ما وراء الحداثة(25) والديموقراطية، ومفهومي الفرد والمواطن، والتعاقد والتفاعل بين دولة القانون والمجتمع وأن يراعي الجانب الحقوقي والفلسفي للتجربة الديموقراطية، وإلا فهو خطاب متخلف يستحق أن يمجه الغربيون ويرفضوه.

الهوامش :

(1) الجعد بن درهم مبتدع ضال. قال بخلق القرآن، وكان مؤدب مروان بن محمد، قتله خالد ابن عبد الله القسري سنة 118هـ يوم النحر. انظر ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله، ج3، دار العاصمة، الرياض، 1412هـ، ص 1071.

(2) سليمان بن صالح الخراشي، محمد عمارة: في ميزان أهل السنة والجماعة، دار الجواب، الرياض، 1413هـ . 1993م، ص 9.

(3) أمين أبو عز الدين (نقلاً عن محمد وقيع الله أحمد)، الدين والعلمنة في طروحات محمد أركون، الآداب، عدد 5، مايو 1993م، ص 29.

(4) محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، ص 7.

(5) (الرقاعة الثقافية) تعبير استخدمه الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه، قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة، الدار الذهبية، القاهرة، ص 13.

(6) أمين أبو عز الدين، مرجع سابق، ص 24.

(7) محمد أركون، مرجع سابق، ص 3.

(8) المرجع السابق، ص 30، 66، ص 8. (9) المرجع السابق، ص 16، 9.

(10) المرجع السابق، ص 5، 7، 6.

(11) انظر: الأساس الإلحادي للنظريات المعاصرة في علم الاجتماع، في كتابنا: علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام، المنتدى الإسلامي، لندن، 1413هـ ـ 1993م، ص 177 ـ 193.

(12) (التاريخانية) مصطلح طبقه أهل التخريب العقدي على الإسلام، ويعنون به فهم الإسلام في حدود الحقبة الزمنية التي ظهر فيها، وفي ضوء البيئة الاجتماعية والثقافية التي عمل عبرها؛ مع التأكيد على نسبية وعدم اتساع قواعده ومفاهيمه لتطبق على حقب زمنية لاحقة.

(13) محمد أركون، مرجع سابق، ص 4، 17.

(14) انظر التاريخانية.

(15) ابن القيم (بتصرف) مرجع سابق، ج1، ص 163، 187، 192.

(16) محمد أركون، مرجع سابق، ص 4، 7، 11.

(17) محمد رشاد خليل، الفلسفة وأثرها في أصول الدين، مجلة كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد 5، 1403. 1404هـ، ص 259.

(18) المرجع السابق، ص 260. (19) محمد أركون، مرجع سابق، ص 15.

(20) ابن القيم (بتصرف)، مرجع سابق، ص 880، 891.

(21) محمد أركون، مرجع سابق، ص 15.

(22) أبو جعفر الأزدي الطحاوي، عقيدة أهل السنة والجماعة، تعليق محمد بن مانع، مكتبة المعارف، الطائف، ص 8.

(23) محمد أركون، مرجع سابق، ص 23 ـ 25.

(24) المرجع السابق، ص 21.

(25) في الوقت الذي يدعونا فيه أهل التخريب العقدي بالتعامل مع الغرب بعقل ما بعد الحداثة فإن هناك من المثقفين العرب من يؤجل دخول مجتمعاتنا الإسلامية هذه المرحلة على أساس أن ما بعد الحداثة نقد غربي يسوي حسابات غربية ولا يقدم لنا مشروعية تاريخية؛ لأن مجمعاتنا في نظرهم مجتمعات ما قبل الحداثة. وعلى كل فإن ما بعد الحداثة اتجاه ثقافي غربي يسدل الستار على الحداثة كمشهد عابر في العرض المسرحي الممتد للتقدم الثقافي، ويرى أن الحداثة قد استنفدت أغراضها وأن

قيمتها المعرفية بهتت أو ربما صارت أصباغاً على لوحة لم يعد لها ملامح أو هوية. وما بعد الحداثة مفهوم ينكر ثنائية الحداثة . التقليدية، ولا يقدم بالضرورة على القطيعة مع الماضي أو الميراث الثقافي، ولا يقبل النموذج الارتقائي الذي يجعل المجتمع الأوروبي هو الصورة النموذجية للعالم المتخلف. انظر: محمد السعيد سعيد، ما بعد الحداثة ومصير التنوير، العربي، عدد 413 إبريل 1993م، ص 24 . 28. وهذا لا يعني أن أهل التخريب العقدي قد عدلوا بهذا المفهوم موقفهم من الإسلام، ويكفينا لبيان ذلك أن نشير إلى أنهم أعطوا للوحي مفهوماً يخالف ما هو معروف عنه، ونظروا إليه على أنه جملة من الإكراهات والقيود وتكرار الشعائر والطقوس والقيام والقعود، وفرض القوالب النهائية الجامدة. (انظر محمد أركون، مرجع سابق، ص 75).

=============

علماء العراق والدولة العلمانية

مجلة البيان - (ج 130 / ص 80)

سليمان الظفيري

تمهيد:

بعد رحيل العثمانيين عن العراق وسقوطه في قبضة الاستعمار البريطاني شهد تكوين حكومة هشة على رأسها فيصل بن الحسين [1883 . 1933] ليكون ملكاً شكلياً على عرش العراق، وموظفاً في الحكومة البريطانية حقيقة، وقد نودي به ملكاً على العراق في 32 آب 1921م، واستمر حكم اسرته وأبنائه إلى سنة 1958م؛ حيث قامت مجزرة الهاشميين. ثم جاء العهد الجمهوري واستمر إلى الآن؛ وقد تميز هذا العهد بالانقلابات العسكرية والمجازر الدموية الرهيبة، وتخريب الأخلاق، ومحاربة الإسلام، والتآمر عليه، وقتل علمائه، وجعل الدين في زوايا ضيقة من الحياة. وهذه الفترة الطويلة التي تشمل حكم الهاشميين تحت الحراب الإنجليزية، وكذلك العهد الجمهوري بعهوده الثلاثة [القاسمي، العارفي، والتكريتي] هي مقصدي بالدولة العلمانية، وهي علمانية بكل ما تحمله الكلمة من حرب للإسلام وتحجيم لدوره؛ كما سنرى.

منزلة علماء العراق قبل العهد العلماني:

كان العلماء على العهد العثماني الإسلامي محل احترام الوالي ومساعديه، وكانوا محل المشورة والنصرة والتأييد؛ فالشيخ عبد الله السويدي (1693 ـ 1761م) ـ وهو جد الأسرة السويدية في العراق استدعاه الوالي العثماني للمناظرة الشهيرة التي رغب بها دولة الوالي مع علماء شاه إيران وهي التي دارت في مسائل بين السنة والشيعة، دان في نهايتها كبيرُ علماء الشيعة للسويدي ـ رحمه الله ـ (1).

وقد كان العلامة محمد فيضي الزهاوي (1797 ـ 1890) والعلامة أبو الثناء الآلوسي (1217 ـ 1270م) من المقدمين عند ولاة العراق العثمانيين وهم أهل الفتيا، والقضاء، وشيوخ العلماء في ذلك الوقت، ولهم مكانة واحترام الدولة والعامة، وقد كانت العناية بالعلماء الوافدين لنشر العلم في العراق جارية وقائمة؛ فالشيخ غلام رسول الهندي (1912م) أعطي مكانة مرموقة واستمر على ذلك حتى وفاته، بل كان المتطوعون لخدمته كثراً؛ لأنه غريب لا أهل له ـ والعلاّمة الشيخ محمود شكري الآلوسي (1857 ـ 1942م) كان رسول السلطان العثماني إلى الملك عبد العزيز آل سعود خلال الحرب الأولى، والسلطان العثماني جعل بلاطه وإكرامه لمن قدم عليه من علماء العراق وغيرهم.

ولكن لما سيطر العلمانيون على أرض الرافدين قربوا المتهمين في دينهم والمنحرفين، قربوا الصوفي وقربوا المبتذل؛ حتى كان وزير الأوقاف على عهد فيصل أول رجل تخرج ابنته وتجالس الرجال وتدرس في كلية الحقوق وهي صبيحة الشيخ داود (1912 ـ 1975م)، وقد كانت فخرية سعيد زوجة جعفر العسكري المربي للملك غازي نجل الملك فيصل تدخل لندن سافرة من غير حجاب، كاسية عارية. وكان يحظى كل من الشاعر الضال جميل صدقي الزهاوي، والشاعر العلماني محمد مهدي الجواهري بقدر عالٍ من الاحترام والتبجيل؛ بخلاف علماء السّنّة الذين أسيئت معاملتهم، ولم يتبوأ أحد منهم الوزارة في حين تولى الوزارة من الشيعة الشيخ محمد الصدر (1883 ـ 1965م) ورستم حيدر وهو من شيعة لبنان، وتولى رئاسة مجلس النواب الشيخ محمد رضا الشبيبي (1889 ـ 1965م).

كان المخطط محبوكاً بقصد إبعاد علماء السنة من الوظائف الكبيرة، وحصرهم في وظائف الأوقاف. وقد بلغ الاستهتار درجة عالية في العهد الهاشمي بالعلماء

وتهميش دورهم؛ فكم من المرات تم إغلاق جمعية الأخوة الإسلامية وسحب امتياز مجلتها وكان صاحب الامتياز محمد محمود الصواف ـ رحمه الله ..

أما في العهد الجمهوري فقد نال العلماء السجن والتعذيب والإعدام، فالعلاّمة أمجد الزهاوي (1882 ـ 1967م) سجنه عبد الكريم قاسم، ثم بعد ذلك ترك العراق مع الشيخ الصواف، وهكذا العلامة فؤاد الآلوسي (1321هـ ـ 1384هـ) سجنه قاسم الذي قام بحل الحزب الإسلامي وإلغائه، وإلغاء صحيفة الحياد، وصحيفة الحزب، وكذلك صحيفة السجل للأستاذ طه الفياض ـ رحمه الله تعالى .. وفي العهد البعثي قُتل من أعلام الحركة الإسلامية: الشيخ عبد العزيز البدري (1930 ـ 1969م) والأستاذان العسكريان: محمد فرج الجاسم، وعبد الخالق السيد عثمان، والمشايخ: محمود أبو سعدة، والشيخ تلعة، وغيرهم؛ هذا غير الذين تركوا العراق وفروا مستوطنين بلاداً أخرى، وتركوا بلادهم كالشيخ محمد محمود الصواف ـ يرحمه الله ..

تجميد الأوقاف الإسلامية وتحجيم المدارس الإسلامية:

أما الأوقاف الإسلامية فقد كانت تشمل عدداً كبيراً جداً من البنايات، والبساتين، والدكاكين، فالأوقاف الكيلانية أوكلت إلى آل النقيب، وهي ضخمة جداً وآل النقيب مشهورون أيام الهاشميين بالقرب منهم، ولا يعرف أن أحداً منهم من العلماء بل كان منهم شيخ الصوفية. وكانت الدولة العثمانية تحرص على أن لا تكون الأوقاف وزارة يرتقي إليها أحدٌ من غير أهل السنة؛ فيذهب شرط الواقف؛ لكن العهد العلماني غيّر إدارة الأوقاف إلى وزارة قامت بتضييع الأوقاف والإشراف على تبديد أموالها وإضاعة شرط الواقف.

كانت هذه الأوقاف مصدر تمويل المدارس الإسلامية والقائمين عليها من العلماء وغيرهم، الأمر الذي أغنى علماءنا وجعلهم بعيدين عن الحاجة إلى غيرهم.

والقادة العلمانيون إدراكاً منهم لأهمية هذه المؤسسة ودورها في تعزيز الإسلام وعلمائه بأرض العراق قاموا أولاً بتبديد هذه الأوقاف، ثم قاموا بتحجيم المدارس، ثم كانت الخطوة الثالثة القيام بإلغائها، ومثلاً على ذلك: مدرسة الشيخ عبد العزيز بن سالم السامرائي (1917 ـ 1973م) في الفلوجة التي ما زالوا بها حتى أضعفوها وحاصروها، ثم ألغيت بعد موته ـ رحمه الله تعالى ـ وأكثر علماء المنطقة الغربية من

الجيل الحاضر والجيل الماضي هم خريجو هذه المدرسة. والحلقة العلمية للعلاّمة الشيخ عبد الكريم المدرس ما زالوا خلفها حتى تهدمت وانفلّ أركانها؛ وحدثني العالم الفاضل الشيخ الأديب مصعب العزاوي . رحمه الله تعالى . قال: كنت أدرس فيها فكانوا يأتون بطلاب الأدب يجلسونهم معنا لكي يروا المقارنة بين التعليم القديم، والتعليم الجامعي الحديث، قال: فكان هؤلاء الجامعيون يأتون بالأمثلة على القواعد من الكتاب المقرر عندهم ولا يبرحونه أبداً، أما طلابنا فكانوا يمطرونهم بالأمثلة الكثيرة من القرآن الكريم والحديث والشعر، وكان أساتذتهم يتعجبون من كفاءة طلابنا العالية ومستوى طلابهم المتدني.

وهذا المعهد العلمي في سامراء الذي تخرج فيه كبار مشايخ سامراء من الأساتذة أصبح أثراً بعد عين، وقل مثل ذلك في المعهد الإسلامي في سيو أبكار، والمعهد الإسلامي في حلبجة، والمعهد الإسلامي في البصرة.

وأكبر خراب حلّ بدور العلم هو إغلاق مدرسة النجاة في الزبير التي أسسها العلاّمة المجاهد محمد الأمين الشنقيطي (1293 . 1332هـ) في مدينة الزبير وكانت هذه المدرسة محضن الكثير من أعلام الخليج والجزيرة العربية ولا سيما الكويت؛ لقد أغلقوها بعد موت الشيخ فصارت أطلالاً باكية.

ثم قف واسأل الحيدر خانة عن مدرسة العلاّمة الإمام محمود شكري الآلوسي وما فُعِلَ بتلك المدرسة؛ ولقد خلفه في هذا المسجد العظيم شيخ مشبوه كان يغش في الامتحان في كلية الشريعة.

واسأل أيضاً بدموع باكية أطلال مدرسة جامع مرجال حيث مكان العلاّمة الإمام نعمان خير الدين الآلوسي؛ حيث كانت مدرسته العلمية؛ لقد خربوها كلها وصرفوا الناس عنها، فقلّ العلماء وكثر الجهل، وألزموا العلماء زيادة في الإذلال بالخدمة العسكرية . لا ليجاهدوا عدواً . ولكن لينالوا من كرامتهم ويحطوا من منزلتهم ويعطلوا دورهم في التعليم والإرشاد.

لقد تخرج من هذه المدارس أعلام العراق الكبار من العلماء والأدباء وأهل الفضل بل حتى بعض العلمانيين فقد أخذ كامل الجادرجي (1897 . 1967م) علوم العربية

وآدابها من الشيخ العلاّمة علي علاء الدين الآلوسي، والشاعر معروف الرصافي (1875 . 1945م) تخرج من بين يدي العلامة محمود شكري الآلوسي.

رجال اليهود والنصارى وقربهم من صناعة القرار:

على طول هذه الفترة للدولة العلمانية نهج العلمانيون طريقاً واحداً تمثل في إبعاد العلماء وتقريب من عداهم؛ حتى اليهود والنصارى؛ حيث حصلوا على ترخيص بإنشاء مدرسة الاليانس الخاصة، وكان رجال الحكم يرسلون أولادهم إليها، بل كان الملك فيصل الأول وجعفر باشا العسكري ممن يزورون هذه المدرسة ويحضرون مناسباتها . ومن رجال اليهود العراقيين الذين برزت أسماؤهم: (ساسون عقيل) فقد قربه الحكام آنذاك إليهم حتى صار وزيراً للمالية، ومن رجال الخارجية المشهورين (مير البصري) وهو ما زال حياً يقيم في لندن يكتب كتباً كثيرة في تراجم رجال العراق مع نبز أعيان السنة.

ومن النصارى أبرزوا القس انستاس الكرملي (1866 . 1947م) وكان هذا القس من العملاء المخلصين للإنجليز وقد أرسلوه بذهب ومال إلى العلاّمة محمود شكري الآلوسي لإقناعه بوظيفة الإفتاء أو القضاء في دولة الإنجليز فرفض الشيخ الذهب والوظيفة، بل ورفض مقابلة الملك فيصل الأول إلا بعد إلحاح شديد.

وهذا القس له جهود ونشاطات في التاريخ، وعلم اللغة والأدب العربي، وبصماته النصرانية واضحه في آثاره.

وقد أتيح للنصارى فتح المدارس التنصيرية، وبناء الكنائس، وتعمير مقابرهم، وفتحت لهم الأبواب إلى الوظائف الكبيرة والوصول إلى الوزارات، وليس (طارق حنا عزيز) نائب رئيس الوزراء العراقي الحالي المثال الوحيد، بل السفارات، وموقع التأثير الاقتصادي كانت لهم، وما زالت تحت سلطانهم! نسأل الله أن ينقذ العراق وأهله من ظلم وجبروت البعث وأزلامه.

الهوامش :

1) انظر المناظرة مطبوعة تحت اسم (مؤتمر النجف) مع كتاب (الخطوط العريضة) للعلاّمة محب الدين الخطيب . رحمه الله ..

==============

إحياء مقبور الأدب العلماني

مجلة البيان - (ج 130 / ص 111)

خالد أبو الفتوح

كان أدب العلمانيين (اليساريين على وجه الخصوص) يعاني دوماً بأنه (أدب نخبة)،نخبة أدبية منفصلة عن القاعدة الشعبية العريضة، تماماً مثل النخب السياسية التي تمثل هذا التوجه، ولم يُحدِث هذا الأدب تأثيره على القاعدة الشعبية إلا عن طريق تحويله إلى أعمال فنية (تمثيلية أو غنائية) وهو المجال الذي يسيطر عليه ويوجهه أصحاب هذه التوجهات، بينما ظلت محاولاتهم في تشكيل العقل الثقافي الراسخ محدودة الأثر رغم جهود فرضها على قطاعات كبيرة من الأمة، بما فيها بعض الأعمال الأدبية والثقافية في مناهج التعليم العام، وإعادة طبع بعض هذه الأعمال لطرحها في الأسواق على نطاق واسع وبتكاليف زهيدة عسى أن يكون لهم موضع قدم في العقل العربي.

ولكننا رأينا مؤخراً تدخلاً دولياً في العقل العربي لتكثيف جهود إحياء مقبور الأدب العربي العلماني (الإنساني!) وحشد الإمكانات الهائلة لذلك الهدف، وذلك من خلال (ابتكار أدوات جديدة لنقل روائع الإبداع والفن وإيصالها إلى أكبر رقعة من الناس) على حد تعبير (فديريكو مايور) المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (يونسكو) التي تبنت (أكبر مشروع عربي مشترك يهدف إلى إيصال الكتاب العربي مجاناً إلى قارئه أينما كان في الوطن العربي وخارجه)، وهو المشروع الذي خرج باسم (كتاب في جريدة)، والهدف منه يوضحه شوقي عبد الأمير المشرف العام على هذا المشروع؛ حيث يقول: (ولأن (كتاب في جريدة) بحكم المساحة الشعبية الهائلة التي يحتلها والتي تتسع رقعتها إلى الملايين يُخرج الأدب من دائرة (القراء) التقليدية إلى دائرة (القارئين)! الأرحب حضوراً ومدى؛ فهو بهذا يحدث اختراقاً لحواجز ثقافية اجتماعية اقتصادية متراكمة منذ أزمان، ليقيم علاقات جديدة في منطقة قصوى تقع بين الأدب والفن وبين مستهلكيه من أبناء لغته وثقافته).

ولأن منظمة (اليونسكو) لا تعمل لوجه الله وإن كانت تدعي أنها تعمل لوجه (الإنسانية) فقد اختارت(من أجل مزيد من التلاحم وترسيخ وحدة اللغة والثقافة) نحو

خمسة وعشرين كتاباً لأعمال أدبية سبق نشرها لتقدمها مجاناً إلى ملايين القراء العرب خلال سنتين عبر أكبر الصحف العربية، وإليك بعضاً من أصحاب هذه الأعمال حتى تعرف الثقافة المقصودة بالإلحاح والإغراء:

المتنبي (مختارات) . سعد الله ونوس . نجيب محفوظ . بدر شاكر السياب . الجاحظ (مختارات) . صلاح عبدالصبور . غسان كنفاني . أمل دنقل . قصص المرأة العربية (مختارات) . غالب طعمة فرمان . قيصر بايّاخو (شاعر إسباني) . يوسف إدريس . زيد مطيع دماج . غالب هلسا . توفيق الحكيم . حنا مينة . عبد المجيد بن جلون . محمد خضير . الطيب صالح . إلياس خوري . الطاهر وطار . محمود المسعدي...

فهي أعمال موجهة مختارة لكتّاب أصحاب توجه فكري واضح ومعلوم..

وليس هذا بمستغرب؛ حيث لا بد أن القائمين على اختيار الأعمال سينتقون ما يتوافق مع قناعاتهم، ولتعرف هذه القناعات نذكر قائمة (الهيئة الاستشارية) كما جاؤوا في (كتاب في جريدة) ومنهم: أدونيس . محمود درويش . جابر عصفور . عبد العزيز المقالح . يمني العيد . ناصر الظاهري . أحلام مستغانمي . توفيق بكار . بدر عبد الملك.

فمن الذي وضع هؤلاء أو أولئك أوصياء على وعي الأمة؟!

ومن الذي أعطى لليونسكو سلطة تشكيل العقل العربي (أو الإنساني)؟!

=============

دور الإعلام في الصراع بين الإسلام والعلمانية في تركيا

مجلة البيان - (ج 134 / ص 90)

د.مالك الأحمد

تعتبر تركيا أول بلد إسلامي تقام فيه العلمانية، بصورة تختلف جذرياً حتى عن التطبيقات العلمانية في البلدان الأوروبية المجاورة لها، التي تعتبر مصدر العلمانية.

فالعلمانية في تركيا تعني: (لا للإسلام)، فليس الأمر مقتصراً على الحُكم (العلماني) بل يتعدى ذلك إلى سائر النشاطات البشرية حتى التصرفات الشخصية.

وتركيا البلد الوحيد في العالم . بعد سقوط الاتحاد السوفييتي واندثار أثر لينين . التي يحكمها رجل من قبره، رجل مُعظّم بل ومُقدّس، لا يُمس ولا يُنتقد ولا يُعترض عليه . وهو في قبره . .

وتركيا بلد الخلافة الإسلامية التي أصبحت أشد البلدان الإسلامية معاداةً للإسلام ومحاربةً حتى لشعائره كحجاب المرأة المسلمة.

الإعلام في تركيا:

رغم انتماء تركيا في العصر الحاضر إلى منظومة دول العالم الثالث؛ إلا أنها شذت عنها في أمور كثيرة ومنها الإعلام؛ فالإعلام في تركيا حر بكل معنى الكلمة، ولا يحتاج الأمر ترخيصاً من وزارة الإعلام أو إدارة المطبوعات لإصدار دورية (جريدة أو مجلة)، أو إنشاء قناة إذاعية أو تلفزيونية. هذا الانفتاح الإعلامي الذي لا يتجاوز عمره عشر سنوات أثمر العشرات من الصحف اليومية ومئات المجلات الدورية. أما في جانب الإعلام المرئي والمسموع فيوجد الآن (1500) إذاعة ومعظمها محلي على نطاق موجة ()، وقليل جداً منها إقليمي يغطي منطقة معينة، وبالنسبة للتلفاز فهناك (300) قناة تلفزيونية، منها ثلاثون قناة فضائية تغطي كافة الأراضي التركية من خلال القمر الصناعي (ترك سات)، إضافة إلى أجزاء من آسيا وأوروبا، أما الباقي فهي قنوات محلية في نطاق المدينة أو المنطقة. هذا الانتشار الواسع لوسائل الإعلام في تركيا، لا مثيل له في البلدان النامية؛ بل حتى في البلدان الأوروبية، وهو أشبه ما يكون بالإعلام الأمريكي من حيث التعدد والانتشار، مع فارق وحيد هو أن اللغة التركية محصورة في مناطق محدودة من العالم وليست لغة دولية كالإنجليزية.

هذا التنوع في أدوات الإعلام مع الكثرة؛ جعل للإعلام سلطة فاعلة وحركة أساسية في المجتمع حتى إن الباحثين والمراقبين للشأن التركي يختلفون في القوة الأولى التي تحكم البلد؛ فالبعض يقول: إن الجيش هو القوة الأولى والإعلام القوة الثانية، أما الفريق الآخر فيرى العكس. والحقيقة أن الإعلام في كل الأحوال هو الذي يحرك الجيش ويستفزه لضرب أي توجهات إسلامية ولو كانت محدودة ومحصورة، بل لا يعبأ أن يحرّض . في كثير من الأحيان . على التدخل المباشر والقيام بانقلاب عندما يرى العلمانيون أن التوجه الإسلامي قد يهددهم، أو أن الصحوة الإسلامية بدأت ترفع

الرأس وتتنسم الهواء الطلق. إنهم لا يريدون وجود قوي مؤثرة في البلد غير العلمانيين، فكيف يقبلون ببروز إسلامي صاعد؟ ويكاد يتفق المتابعون للشأن التركي أن سقوط حكومة التحالف الإسلامي/ العلماني كان على يد الإعلام وبشكل أخص الصحافة اليومية العلمانية ذات النفوذ والانتشار الواسع(1).

ومن غرائب حرية الإعلام التركي وجود محطات تلفزيونية وإذاعية تقدم خدمات خاصة لأصحابها، وتقوم بحماية مصالحهم الشخصية الاقتصادية، وأحياناً بطريقة فجة؛ فهناك قناة تلفزيونية مهتمة بالدفاع عن كازينوهات القمار، تسوّق لها وتعدّد فوائدها وآثارها الاقتصادية على المنطقة المحلية، وأنها مصدر دخل قوي للعملة الصعبة، خصوصاً من إسرائيل بدلاً من الدراهم القليلة من السياح العرب (المتخلفين)!.

من جانب آخر يعتبر الكثير من الصحف اليومية العلمانية أن من مقومات الصحافة العري والتفسخ؛ فيندر أن يخلو عدد من هذه الصحف من صور نسائية عارية أو شبه عارية وبشكل متكرر ومقزز؛ تشبهاً بالصحف الشعبية الإنجليزية (التابلويد)، ولكن بنساء تركيات (مسلمات على الأغلب)، هذا الأمر لا يوجد . على حد علمنا . في أي بلد مسلم. ويلاحظ وجود دعم غير مباشر من الحكومات العلمانية للصحف اليومية كي تَغُضّ الطّرْف عن الأخطاء، وتركز جهودها فقط لتتبع الإسلاميين وأنشطتهم وإثارة العامة والجيش عليهم.

الإعلام الإسلامي في تركيا:

نظراً للجهد الضخم والإرث التراكمي للدولة العلمانية ومؤسساتها في محاربة الإسلام من جذوره؛ فإن أي جهد لمقابلة هذا المد أو حتى التخفيف من دوره يصب في خانة العمل الإسلامي؛ باعتبار أن القائمين عليه من أهل القبلة وذوو نيات حسنة، وإن خالفوا أحياناً المنهج الإسلامي الصحيح.

وعند الحديث عن النشاط الإسلامي إجمالاً في تركيا، فإنه يمكن تقسيمه إلى الفئات التالية:

* الحركات الصوفية النقشبندية: وهي ذات انتشار واسع في أوساط عامة الناس خصوصاً بين القرويين وبعيداً عن المراكز الحضرية الأساسية في البلاد، وهي ذات عمق تاريخي بعيد منذ أيام الخلافة العثمانية.

* حركة النورسيين: وهي حركة إسلامية منظمة، واسعة الانتشار، تهتم كثيراً بالتعليم، وتتبعها آلاف المدارس داخل تركيا وخارجها، وهي تعتمد على نفسها كلياً في الإنفاق على نشاطاتها، وهي صوفية أيضاً في الكثير من توجهاتها.

* حزب الرفاه: وهو حزب سياسي بالدرجة الأولى؛ ولكن له أنشطة متنوعة: اقتصادية وتعليمية وثقافية، وله حضور واسع، ويستفيد . في الانتخابات . من الجماعات الصوفية. ومنهج الحزب في الجملة قريب من منهج الإخوان المسلمين، مع الأخذ في الاعتبار خصوصية البيئة التركية ونفوذ التيار العلماني وسيطرته الواسعة. وهو الحزب الذي حظر نشاطه بشكل رسمي أخيراً، وانتقل كثير من أنصاره إلى حزب بديل هو (حزب الفضيلة).

* تجمعات أخرى:

بخلاف الجماعات السابقة فإنه يوجد في تركيا تجمعات محلية محدودة ومتنوعة الاتجاهات؛ بعضها سلفي وبعضها إصلاحي عام، لكن أثرها محدود وانتشارها ضيق وأتباعها قلة.

من الأمور المسلّمة في تركيا . والتي تمثل إرثاً قديماً من أيام الخلافة العثمانية . أن الفقه حنفي، والسلوك صوفي، والعقيدة ماتريدية؛ لذلك لا يستغرب الباحث أن الأصل في المجتمع التركي هذه المسلّمات، وقلّما تخلو منها جماعة أو حزب. أما التوجه السلفي فهو حديث، ومحدود الانتشار ومحارب من الكثير من الجهات الصوفية المتعصبة. ومن الملاحظ أيضاً على الأنشطة الإسلامية . رغم قصورها المنهجي . أنها تنتمي إلى جماعات أو طوائف أو أحزاب، وقلما تكون مستقلة.

عند الحديث عن الإعلام الإسلامي لا بد من مراعاة طبيعة وتوجهات القائمين على الأنشطة الإسلامية (كما هو موضح مسبقاً) وكذلك طبيعة البلد والهجمة الشرسة على المسلمين والإسلام؛ ويمكن حصر خصائص الإعلام الإسلامي التركي فيما يلي:

* إعلام محافظ في الجملة.

* إعلامي تربوي (بشكل محدود).

* إعلام ثقافي بدون مجون أو انحلال.

* إعلام سياسي (أحياناً) يقارع العلمانية بشكل متزن ومتعقل.

* إعلام بديلي (يحاول أن يقدم مواد إعلامية مناسبة بديلاً عما يقدم في الوسائل الإعلامية العلمانية).

هذه الخصائص تعطينا رؤية معتدلة وصائبة عند تحليل ونقد ما تقدمه هذه الوسائل الإعلامية، من مواد وبرامج.

ورغم هامش الحرية الإعلامية فإن الإعلام الإسلامي بالذات يظل تحت المجهر، وسيف الدستور العلماني مسلط في وجه التحركات الإسلامية الإعلامية، رغم تعقلها واتزانها . وقصورها أيضاً . في جانب ما تقدمه من مواد إسلامية.

بمعنى آخر: الحرية مقصورة إلى حد كبير على الإعلام العلماني ليقدم ما يشاء من انحلال وتفسخ، وحتى تشويه الإسلام مسموح به، أما خلاف ذلك فالأصل التتبع والمحاكمة وحتى السجن للمخالفين.

إذن عند تقويم النشاط الإعلامي الإسلامي لا بد من أن نأخذ في الاعتبار العديد من العوامل المحلية ومنها:

* قسوة النظام العلماني.

* الحرية العوجاء.

* الإرث العلماني الأتاتوركي.

* انتشار التصوف.

* حداثة الحركة الإسلامية نسبياً.

* حداثة التجربة الإعلامية الإسلامية.

* التنوع الكثيف والواسع الانتشار لوسائل الإعلام.

* قوة الجيش وهيمنته ودوره في حماية العلمانية.

* ضعف البيئة الديمقراطية.

بدايات الإعلام الإسلامي:

كانت فترة الستينيات هي فترة ظهور الإعلام الإسلامي في صيغته البسيطة والضعيفة، كانت البدايةُ جريدةً أسبوعية ثم يومية (الاتحاد، 1966م)، ثم (آسيا الجديدة) الأسبوعية، ثم (الهلال) التي استمرت طويلاً ثم توقفت، كذلك صدرت (هذا اليوم) و(الصباح) التي تحولت إلى علمانية فيما بعد.

وكانت هذه الفترة تتميز عموماً بضعف تلك المطبوعات وعدم انتظام صدورها وتوقف أغلبها.

بعد ذلك ظهرت جريدة (تركيا) عن جماعة حسين حلمي الصوفية، ثم في عام (1973م) ظهرت جريدة (الوطنية) عن حزب الرفاه.

بدأ النشاط الإعلامي الإسلامي القوي والواسع الانتشار في الثمانينيات، وترسخت أقدامه في بداية التسعينيات؛ حيث كانت الأوضاع مهيأة لذلك بعد الانقلاب العسكري سنة (1987م)؛ حيث استفاد الإسلاميون كما استفاد غيرهم من الديمقراطية المعقولة في ذلك الحين (عهد أوزال)، وكانت . وما تزال . جل الجهود مركزة على تقديم إعلام هادئ متزن، يهادن العلمانية في كثير من الأحيان كي لا يضطر إلى المصادمة معها، مع احتفاظه بتوجهات إسلامية بحسب الجهة المصدرة.

الأنشطة الإعلامية الإسلامية:

يمتلك الإسلاميون بمختلف ميولهم وتوجهاتهم العديد من وسائل الإعلام، فلهم خمس قنوات فضائية تلفزيونية، إضافة إلى بعض القنوات المحلية، والعشرات من الإذاعات المحلية (إحدى الإذاعات تبث أشرطة لمشاهير الدعاة في العالم الإسلامي والعربي)، إضافة إلى بعض الصحف اليومية والعشرات من المجلات المتنوعة.

أولاً: الصحافة اليومية:

* صحيفة الزمان: أوسع صحيفة إسلامية يومية توزع ما يقارب 300000 نسخة، تدعمها وكالة أنباء خاصة بها وهي (جيهان)، وتصدر عن جماعة النورسيين، وهي تهادن الدولة ولا تتصادم مع العلمانيين، متبعة في ذلك النهج التبليغي في الدعوة، وتعتبر جريدة سياسية دعوية عامة.

* صحيفة الوطنية: لسان حال حزب الرفاه، جريدة يومية سياسية دعوية.

* صحيفة تركيا: ذات توجه صوفي يساير العلمانيين.

* صحيفة العقد.

ثانياً: الدوريات الإسلامية:

هناك العديد من الدوريات الإسلامية (أكثر من 250) بين صحف يومية وأسبوعية ومجلات أسبوعية وشهرية، أغلبها محلي مرتبط بأحزاب أو جماعات أو تجمعات إسلامية، ومنها على سبيل المثال:

* (العصر) أسبوعية سياسية دعوية سُنّية ذات ارتباط وميول سياسية إيرانية.

* (الشفق الجديد) حزب الرفاه، يومية سياسية دعوية عامة، توزع 15000 نسخة يومياً.

* (السلام) أسبوعية شيعية.

* (الشعب) حزب الرفاه.

* (الوقف) مجلة أسبوعية شبابية (حزب الرفاه).

* (الإسلام) سياسية (صوفية نقشبندية).

* (الأسرة) اجتماعية (صوفية نقشبندية).

* (الفاتح) سياسية شهرية.

* (التفاؤل) يومية صوفية.

* (الرسالة الجديدة) مجلة صوفية.

* (البحوث الإسلامية) مجلة فكرية عقلانية.

* (إسلاميات) مجلة فكرية عقلانية.

* (الفرقان) صوفية نقشبندية.

* (الدعاء) شهرية دعوية غير سياسية تصدر في قبرص التركية عن مؤسسة الوقف الإسلامي.

ثالثاً: القنوات الفضائية الإسلامية:

1-قناة تركيا:

أبرز القنوات وأوسعها انتشاراً، تصدر عن جماعة صوفية نقشبندية: (جماعة الإخلاص)، ولديهم الكثير من النشاط الإعلامي: (جريدة تركيا، وكالة أنباء الإخلاص، إضافة إلى 81 دورية ومجلة).

وإضـافة إلـى النشـاط الثقـافي والتجـاري لأصـحاب القنـاة فـإن لـديهم ولاء للدولـة، ويهادنون العلمانيـة، ومـع ذلـك تسمى قنـاة إسـلامية؛ لأنهـا تقدم بعض التوجيهات والنصـائح الدينيـة، وموادهـا الإعلاميـة محتشـمة وليسـت إباحيـة (مقارنـة بـالقنوات العلمانية)، أما ضوابطهم الشرعية فضعيفة؛ حيث يُكفّرون الكثير من مخالفيهم ومنهم الوهابية.

2-الرسالة: ذات توجه صوفي، تذيع القرآن والبرامج التعليمية، وهي أفضل من قناة تركيا.

3-سمان: تتبع النورسيين، وهي قوية في الجانب التقني، وموادها الإعلامية محافظة في الجملة؛ لكنها تفتقد للمواد التربوية الهادفة.

أبرز الإنشطة الإعلامية الإسلامية:

1-١ صحيفة العقد:

وهي أكبر جريدة يومية إسلامية مستقلة، غير مرتبطة بأحزاب أو جماعات، تتعاون مع جميع الاتجاهات الإسلامية، وذات هدف واضح ومحدد وهو كشف العلمانية والعلمانيين؛ وإظهار عوراتهم وفضحهم أمام الناس بالأدلة والبراهين، معتمدين على الجرأة في الطرح والثقة بالنفس، مع الاستعانة بالخبراء القانونيين؛ خشية الوقوع فيما يصادم القوانين ويعرض الصحيفة للتوقف، أو القائمين عليها للسجن. منهجها .كما يوضحه مصطفى أوغلو الناشر ورئيس التحرير .: (أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين).

معاركهم موجهة ضد خندق الزنادقة والمعاندين، فليس لديهم وقت للمعارك الجانبية مع التيارات الإسلامية، ومنهجهم في فهم الإسلام جيد في الجملة.

تدافع الجريدة عن القضايا الإسلامية في تركيا بشكل خاص والعالم الإسلامي بشكل عام.

رئيس التحرير ذو خبرة صحفية واسعة (ما يقارب 30 عاماً) كان مديراً لتحرير جريدة الوطن (التابعة للرفاه) سابقاً.

تأسست الجريدة قبل خمس سنوات، بأهداف محددة، وبإمكانات محدودة تتكوّن من قروض شخصية متطورة من مجلة الجمعة الشهرية ثم الأسبوعية لاحقاً والتي أدت

دوراً جيداً في الجانب السياسي والدعوي الإسلامي؛ حتى وصل توزيعها إلى 35000 نسخة أسبوعياً.

توزع الجريدة الآن 120000 نسخة يومياً، وهو معدل مرتفع مقارنة بأوسع الصحف العلمانية انتشاراً وهي جريدة الحرية التي توزع 500000 نسخة من مجموع 5، 2 مليون نسخة توزعها كافة الجرائد اليومية.

تطورت الجريدة فنياً ومالياً، فبدأت بمبنى مستأجر، ثم مبنى مملوك، ثم اشترت أخيراً مطبعة خاصة بها؛ كي تستغني عن الطباعة لدى الجهات التجارية الأخرى.

يقول مصطفى أوغلو رئيس التحرير: (لدينا سلاح واحد وعدد قليل من الطلقات، نحاول الاستفادة منها بأقصى ما يمكن دون أن نُجر إلى معارك لم نخطط لها، وغير قادرين على الانتصار فيها).

واستقلالية الجريدة أعطتها قبولاً واسعاً لدى طبقات الصحوة الإسلامية المثقفة سواء التي لها ارتباط بأحزاب أو جماعات أو المستقلين.

رغم التحري الواسع في شأن ما تطرحه الجريدة من قضايا مع الاستعانة بالجهات القانونية؛ إلا أنها لم تسلم من المواجهات مع الجهات العلمانية؛ حتى وصل عدد القضايا التي رُفعت ضدها في المحاكم إلى ألف قضية، خرجت من بعضها بالبراءة، وحُكم عليها في البعض الآخر بالغرامات المالية.

تعتمد الجريدة على نفسها في تغطية مصاريفها سواء من المبيعات أو الإعلانات رغم محدوديتها وذلك لامتناع أغنياء المسلمين . مثل (مجموعة أوكلر) . عن الإعلان فيها؛ خوفاً من متابعة الدولة لهم بدعوى دعم هذه الجريدة الإسلامية.

وفي الوقت الذي تعاني فيه جريدة (العقد) من المصاريف ومحدودية الدخل . رغم صدق اللهجة والإخلاص في الكلمة .؛ فإن صحفاً أخرى محلية مثل جريدة (الحرية) تعتبر مصدر ثروة لصاحبها، الذي يعتبر أغنى رجل في تركيا.

تقوم الجريدة كذلك بتوزيع كتب ونشرات إسلامية (120000 نسخة) على قراء الجريدة مجاناً وتتحمل الجريدة تكاليف الطباعة والتوزيع، وتتحمل الجهات الخيرية الأخرى تكاليف الورق وتوزيع بعض الكتب مثل كتاب: (حصن المسلم)، وكتاب: (تهذيب الطحاوية)، إضافة إلى العديد من النشرات المتنوعة الشرعية للتوعية العامة.

أغلب مواد الجريدة معالجات محلية لقضايا ذات ارتباط بالجانب الإسلامي (الحجاب مثلاً)، فضلاً عن متابعات سياسية دولية مع اهتمام خاص بالشأن الإسلامي. وتقل المواد الترفيهية فيها وتكاد تقتصر على صفحة رياضية ذات جذب إعلاني، أما عدد صفحات الجريدة فهو (20) صفحة منها (4) صفحات ملونة.

2- قناة 7:

وتعتبر هذه القناة ثانية أوسع قناة إسلامية فضائية انتشاراً؛ فقد تأسست عام 1994م، وهي لسان حال حزب الرفاه (غير رسمي) وتتميز بالاعتدال والموضوعية. تركز هذه القناة على الأخبار والتحليلات والمقابلات السياسية، وتعطي هامشاً للمناورة مع الجهات المعادية العلمانية، وطرحها السياسي والفكري قوي وفعال، وتستضيف الكثير من الشخصيات سواء الإسلامية أو العلمانية أو رموز الدولة لإحراجهم، ولها قبول واسع لدى المثقفين بشكل خاص، ونشرتها الإخبارية الرئيسة اليومية قوية جداً.

أهداف القناة تنحصر في تقديم خدمات إعلامية عامة تخلو من الابتذال والانحلال والتشويه للفكرة الإسلامية، وتقدم مجموعة من المواد الإعلامية العادية من مسلسلات وأفلام ورياضة ومنوعات تخلو من المفاسد، كما تستفيد من الإنتاج الإيراني. وهناك القليل من البرامج التربوية والاجتماعية الهادفة إضافة إلى القرآن وبعض البرامج الفقهية.

والقناة تركز . في الجملة . على الجانب السياسي بفهم حزب الرفاه وفكره وتوجهاته.

كما أنها تحاول أن تعطي الفرصة للمجتمع التركي للاطلاع على مواد إعلامية محافظة بعيداً عن قنوات التفسخ والانحلال الأخرى. والقناة ليست إسلامية بالمعنى الحرفي؛ لأن النظام العلماني مشهر سيفه تجاه أي توجه إسلامي قوي وبارز، خصوصاً الإعلامي منه.

والقناة ليست تجارية، بل تعاني مادياً بسبب التكلفة العالية للإنتاج والبث التلفزيوني الفضائي؛ بالرغم من أن مباني القناة وتجهيزاتها بسيطة وتمثل الحد الأدنى، حتى إن أربكان صرح مرة بأن دعم القناة باب من أبواب الجهاد وذلك لإيصال الرسالة الإسلامية للناس.

المآخذ:

رغم بعض المآخذ على القناة 7، إلا أن الأمر فيها لا يعدو أن يكون سياسة مصالح ومفاسد؛ ولا بد لها من أن تقدم بعض المواد الإعلامية المكملة التي تعتبر من ضرورات أي قناة تلفزيونية، وكذلك لا بد من الأخذ بتوجيهات الهيئة العليا للإذاعة والتلفزيون التي تشرف على البث، وهي مكونة من أعضاء من الحكومة والبرلمان وبعض الإعلاميين والمختصين، وغالبيتها من العلمانيين، وهي تقوم بمراقبة البث بما لا يصادم دستور البلاد (العلماني)، ويراعي حاجات المجتمع (حسب نظرتهم) كالرياضة والموسيقى والأفلام وغيرها، وهي تؤكد متابعتها للقنوات الإسلامية، وتقوم بمحاسبتها بناءً على المعطيات العلمانية.

ورغم هذا التوجه في القناة إلا أنها لم تسلم من النقد حتى من رئيس الوزراء الذي صرح بأنها أي . أي قناة 7 . تبث أخباراً تفرق المجتمع وأنها ليست جيدة.

تظهر في القناة بعض الملامح الإسلامية كالفتيات المحجبات، سواء في بعض البرامج أو إدارة القناة.

كذلك تعالج بعض قضايا الناس اليومية واهتماماتهم الآنية، وتفتقد إلى الكثير من البرامج التربوية الهامة. وهذا الضعف في التوجه الإسلامي يُعزى إلى أمرين:

الأول: مراعاة المراقبة والمتابعة الرسمية محاولةً لعدم التصادم مع النظام العلماني المسيطر؛ فلقد أُغلقت إحدى القنوات التلفزيونية لمدة شهر؛ لأنها شرحت حديثاً حول دخول المرأة النار بسبب ترك الحجاب.

الثاني: طبيعة حزب الرفاه وتكوينه المنهجي واعتماده التوجه السياسي في الغالب وضعف الجانب العلمي والتربوي لديه.

خاتمة:

من المسلّمات المعاصرة أن للإعلام دوراً فاعلاً ومؤثراً في سلوك الأفراد والمجتمعات وفي توجيه الأفكار والمعتقدات، وقلما تكون هناك فرصة للتأثير العام على المجتمعات الإسلامية من خلال وسائل إعلام إسلامية؛ وذلك لانعدام الحرية الإعلامية بشكل عام. ولا شك أن الوضع التركي يختلف جذرياً، وفرصة توجيه عامة الناس والتأثير عليهم إيجابياً مواتية إذا أخذنا في الاعتبار الحرية النسبية، وعدد

السكان الضخم (70 مليوناً)، وتوافر أدوات التأثير الفعالة، ووجود خبرات معقولة في تقنيات الإعلام المعاصر.

هذه التوطئة تدفعنا إلى تقديم بعض الاقتراحات والتوجيهات ومنها:

* دعم الأنشطة الإعلامية البارزة والمعتدلة ذات التوجه الإسلامي المعقول.

* التعاون مع القائمين على الأنشطة الإسلامية من أجل ترشيد توجهاتهم وضبط منهجهم بما يناسب بيئتهم وتجربتهم.

* محاولة الاستفادة من التجربة الإعلامية الإسلامية التركية،ونقلها إلى البلدان الإسلامية بما يناسب تلك البيئات ويراعي الأنظمة والقوانين المحلية.

* السعي لإيجاد أنشطة إسلامية ذات صيغة دولية،لها مراكز محلية في البلدان الإسلامية المختلفة، وذات رسالة واضحة وبلغات متعددة.

---

(1) وهناك مجموعتان إعلاميتان علمانيتان: (صباح) و(دغون) تسيطران على 53% من الدوريات، وكانتا من أسباب إسقاط حكومة أربكان.

================

في المغرب جدل بين الإسلاميين والعلمانيين

مجلة البيان - (ج 144 / ص 106)

حول قضايا المرأة والأسرة

البشير العوني - محمد إكيج

يسود الساحة المغربية هذه الأيام نقاش بين المدافعين عن الهوية الإسلامية وبين بعض الجمعيات اليسارية حول مشروع خطة إدماج المرأة في التنمية الذي أعدته كتابةُ الدولة للرعاية الاجتماعية والطفولة والأسرة في مارس 1999م. ويحتدم النقاش المغربي على الخصوص حول الجانب المتعلق بمدونة الأحوال الشخصية وهي القانون المغربي الأوحد المنبثق كليةً من الشريعة الإسلامية، وينظم الأسرة في الزواج والطلاق والميراث.

ومن بين التعديلات المقترحة على المدونة:

1- منع تعدد الزوجات: يقول مشروع الخطة: "تشكل هذه المؤسسة تهديداً للاستقرار الأسري، وقد تعرضت التجاوزات المتولدة عن هذه المؤسسة ومؤاخذة عدة مفكرين وعدة منظمات نسائية، اعتباراً من جهة لروح النص القرآني الذي يعلن ويقر بكل وضوح أنها مصدر لا عدالة بين النساء، لذلك يجب حذفها لا تقييدها فقط، كما يجب إخضاع الحالات الاستثنائية لقبول الزوجة الأولى ولتقييم القاضي". (ص 129).

2- جعل الطلاق بيد القاضي: يقول مشروع الخطة عن الطلاق: "يجب على المشروع أن يخص أيضاً هذه المؤسسة التي تمثلهما {أي الرجل والمرأة} بالنسبة للنظام العائلي وللنظام الاجتماعي على السواء إلى أن يقول: "وبإقرار الطلاق القضائي وسيلةً وحيدة لفسخ عقد الزواج يساهم المشرع المغربي في تعزيز مؤسسة الزواج" (ص 128 - 129).

3 - رفع سن الزواج بالنسبة للفتاة إلى 18 سنة: يقول مشروع الخطة: "الرفع من سن الزواج إلى 18 سنة، وذلك طبقاً للاتفاقية الدولية المتعلقة بحقوق الطفل التي صادق عليها المغرب في يونيو 1993م بدون تحفظ" (ص 128).

4 - إلغاء الولاية عند عقد الزواج: يقول مشروع الخطة: "يجب أن يكون إلزام اللجوء إلى الولي أثناء عقد الزواج ثانوياً؛ بحيث يسمح للفتاة الرشيدة أن تعقد زواجها دون سُلْطة الولي إذا رغبت في ذلك، ويستمد مبدأ الوصاية جذوره من التقسيم الجنسي للمجال الذي عرفه المجتمع المغربي التقليدي، لذا فالطابع الإلزامي للولاية لم يعد له مبرر بمرجع إلى الأدوار الجديدة للنساء في المجتمع من جهة، وإلى تأخر سن الزواج من جهة أخرى" (ص 128).

5 - توزيع الممتلكات مناصفة عند الطلاق: يقول مشروع الخطة: "احتراماً للعدالة باعتباره مبدأ مؤسساً للإسلام، واعترافاً بتضحيات المرأة طول الحياة الزوجية على القاضي الذي يعلن الطلاق أن يفصل في توزيع الممتلكات المحصلة خلال فترة الزواج، وأن يسمح للمرأة المطلقة بنصف هذه الممتلكات التي ساهمت فيها سواء من خلال عملها داخل البيت أو عن طريق عمل مأجور" (ص 130).

6 – عدم إسقاط الحضانة عن المطلقة بسبب بعدها، وإحداث محكمة خاصة بمشاكل الأسرة.

ردود فعل الهيئات العلمية:

وقد جاء الرد الأول قوياً من قِبَل اللجنة العلمية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي أوضحت أن مراجعة المدونة يجب أن تسند إلى العلماء المختصين؛ حيث يوجد من بينهم الرجال والنساء، ثم توالت بعد ذلك البيانات من هيئة العلماء ومنها:

– جمعية رابطة علماء المغرب، التي أصدرت بياناً جاء فيه: "إن علماء المملكة المغربية ينددون بما تضمنته بنود الخطة المقترحة، وديباجتها من استخفاف بالتشريع الإسلامي وتهديد استمرارية الإسلام الذي تضمنته تلك البنود المناهضة لأصول الأحكام الإسلامية كتاباً وسنة".

ويضيف البيان: "إن مشروع الخطة المقترح – حسب ما تبين فيه – يؤدي إلى المزيد من دفع الشباب للعزوف عن الزواج، ويفتح الباب في وجه الانحلال الخلقي والتفسخ العائلي، ويشيع الفساد والفجور في المجتمع، ويؤدي أيضاً إلى القضاء على الغيرة والشرف؛ هذان العنصران الهامان اللذان قال عنهما أمير المؤمنين – يقصدون الملك الحسن الثاني – في كتابه: (ذاكرة ملك): "أما عندنا – نحن المسلمين – فإن الحفاظ على شرفنا يمتزج مع الحفاظ على عقيدتنا، وإن الإنسان بدون شرف هو مخلوق منعدم الكرامة يفتقد العناصر المكونة للشخصية، ويصبح مرتزقاً ينعدم فيه أدنى حس أخلاقي، ويمكن التشكك في جميع تصرفاته" (ص 147).

– ثم جمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية التي أهابت في بيانها بالضمير الإسلامي أن يستيقظ من سباته، ويتحرك في اتجاه تصحيح ما أفسدته الأمية والجهل من جمال الشريعة الإسلامية، والعمل على حماية المرأة من الانزلاق إلى الهاوية التي وضعها على حافتها من أخذوا على أنفسهم إغواءها وإغراءها ليصنعوا منها عدواً، لدينها وتاريخها وحضارتها.

وقد اندهش البيان من قول المشروع في إحدى فقراته: "إذا أردنا اتخاذ التشريعات الإسلامية مرجعاً ينبغي أن تأخذ هذه الشريعة بعين الاعتبار التحولات الاجتماعية...

قائلاً: "إن من يقرأ هذه الصيغة لا يمكنه إلا أن يعبر عن استغرابه لهذه الجرأة على الله وعلى الاستخفاف بمقدسات الأمة ومشاعرها، إضافة إلى ما تشعر به من إنذار بالإعراض عنها وتهديد بالمقاطعة والبحث عن البديل المناسب إن لم تبادر هذه الشريعة إلى تغيير ملامحها".

كما ركز البيان على تغييب العلماء كلياً عن هيئة إعداد المشروع، وتجاهلهم إمعاناً في التنكر لدورهم في إصلاح أحوال المجتمع، وحتى عندما اقتضى السياق في إحدى فقرات المشروع الإشارة إليهم، تعمد واضعوه تجريدهم من وصفهم الشرعي والتاريخي الذي هو "علماء الشريعة" وذكروهم بوصف "اختصاصيين في الشريعة"؛ في حين لم يبخلوا على فئات ذات تخصصات أخرى بوصف العلم: "علماء الاجتماع وعلماء النفس" كما جاء في البيان.

ثم تعرض البيان للمحتوى الفقهي للخطة وما تضمنته من دعوة صريحة لتغيير أحكام الشريعة، رغم أنف النصوص القطعية، والاستعداء عليها بالمنظمات النسائية والهيئات الدولية، والدعوة إلى اتخاذ القوانين العلمانية شرعة ومنهاجاً.

ثم خلص البيان إلى أن العلماء يتحفظون إزاء ما ورد في الخطة لمنافاته القواعد الشرعية، ولصدوره من جهات غير مختصة في الشريعة ولا هي من أهلها.

– أما الهيئة الوطنية لعدول المغرب "العدول هم محررو وثائق الزواج والطلاق والإرث" فقد أصدرت بدورها بياناً اعتبرت فيه نفسها معنية أكثر من غيرها بما تضمنه هذا المخطط العلماني الصرف، بحكم احتكاكها اليومي مع قضايا المواطنين في الأسرة وغيرها،واطلاعها عن كثب على كبريات المشاكل الأسرية دقها وجلها، وتعيش مع هموم المرأة والرجل والطفل صباح مساء وفي كل لحظة من لحظات حياتهم.

وأعلنت رفضها القاطع لهذا المشروع شكلاً ومضموناً؛ فمن حيث الشكل لعدم دستوريته "إذ خرق قاعدتين كبيرتين من القواعد الدستورية المغربية الكبرى، أولها: قاعدة إسلامية الدولة المغربية المنصوص عليها في الفصل السادس من الدستور المغربي. وثانيها: قاعدة عدم مرجعية النصوص المتعلقة بالدين الإسلامي ولو في شكل استفتاءات شعبية، وتلك منصوص عليها في الفصل 106 من الدستور

المغربي". أما من حيث المضمون: "فلأن المشروع بصفة عامة من حيث آثاره المرتقبة – لا قدر الله – يمس بقوة عمق الفطرة التي فطر الناس عليها، ويزلزل كيان الإنسان المغربي واستقراره النفسي، ويؤدي إلى شيوع الرذيلة والفساد، ويعرض مؤسسة الزواج الشرعي إلى الزوال والاندثار، ويفتح الباب على مصراعيه للإباحية لاتخاذ الخليلات وسوق الدعارة".

وهنا نسجل باعتزاز كبير، وافتخار شديد هذا الدور الريادي الذي قام به العلماء في توعية الناس بمخاطر هذا المشروع، وإسهامهم الإيجابي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ردود فعل الحركة الإسلامية:

تجدر الإشارة إلى أنه بالإضافة إلى جمعيات العلماء، فإن عدداً غير يسير من الجمعيات ذات التوجه الإسلامي تصدت كذلك للمشروع، وفي مقدمتها حركة التوحيد والإصلاح التي أصدرت بياناً مشتركاً مع حزب العدالة والتنمية – ذي التوجه الإسلامي – أكدت فيه على أن الخطة تميزت بأحادية التناول والمعالجة، والاعتماد الأساس على المرجعية الغربية، ودعت إلى ضرورة اعتماد المرجعية الإسلامية والتقيد بها إطاراً وموجهاً لأي خطة ولأي إصلاح في هذا المجال، وفي غيره من المجالات، ثم دعت كل المعنيين بالدفاع عن الشريعة الإسلامية أفراداً ومؤسسات وهيئات إلى القيام بواجبهم في صيانة الأسرة المغربية المسلمة.

وقد لاحظت الجمعيات والهيئات التي تعارض مشروع الخطة، أن المشروع يتسم بما يلي:

1- الإقصاء الممنهج لعدد من الفعاليات أثناء إعداد الخطة: وعلى رأس الذين تم إقصاؤهم: جمعيات العلماء، الحركات الإسلامية، وعدد من الجمعيات النسائية وهيئات من المجتمع المدني.

2 – الطابع العام للخطة تغريبي: ولا يشير إلى المرجعية الإسلامية التي تشكل أساس عقيدة الشعب المغربي برمته منذ أن دخله الإسلام، ويكرس هذا الطابع التغريبي اعتراف الخطة بكونها ممولة من قبل منظمات دولية غربية، فقد ورد في ديباجة المشروع ما يلي: "تم إعداد مشروع خطة العمل الوطنية لإدماج المرأة في

التنمية تحت إشراف كتابة الدولة المكلفة بالرعاية الاجتماعية والأسرة والطفولة، بمساهمة من البنك الدولي".

3 – كثير من المقترحات الواردة في مشروع الخطة تتعارض مع الشريعة الإسلامية: وتعتبر الجهات التي تتصدى لمشروع الخطة أن ما تطرحه من قضايا: محاربة الأمية والتشغيل والمدرس وإشراك المرأة في التنمية، هي قضايا مشروعة وتعاني فيها المرأة المغربية الكثير من الحيف والظلم وتستدعي إجراءات مستعجلة لحلها ومعالجتها؛ لأنها ترفض المساس بثوابت الدين المنصوص عليها في أحكام الشريعة الإسلامية الغراء.

ردود فعل الهيئات السياسية:

أما على الصعيد السياسي فإن مسؤولين بارزين من حزب العدالة والتنمية بزعامة أحد رموز الحركة الوطنية المغربية – منهم الدكتور عبد الكريم الخطيب – أشاروا إلى أنهم سوف يتصدون لهذا المشروع بكل الوسائل المتاحة.

وفي بلاغ لمنظمة المرأة الاستقلالية التابعة لحزب الاستقلال المعروف بالتوجه السلفي لمؤسسة الأستاذ علال الفاسي أنه لا يمكن حل مشاكل المرأة إلا إذا احترمت المقومات الأساسية المغربية وتوسعت دائرة المشاركين في اتخاذ القرارات. ومن المعلوم أن حزب الاستقلال يعتبر أحد عناصر التحالف الحكومي الحالي.

وجاء في بيان منظمة تجديد الوعي النسائي: "نرفض أي تدخل أجنبي في شؤون بلادنا سواءاً منها السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، ونرفض أن تزاوَل المخططات الدولية في بلادنا دون أي اعتبار لهويتنا الدينية والثقافية"، وأهابت في آخر بيانها بكل الهيئات والشخصيات الغيورة على حدود الله والتي تؤمن أن للمرأة قضية يجب أن تؤازر فيها وتناصر دون نكث لعهود الله، أهابت بها أن تضم أصواتها إلينا في إطار الحوار الشامل الذي ننادي به".

وقالت الأستاذة "ندية ياسين" من جماعة العدل والإحسان: "نحن متفقون جميعاً على تشخيص الداء: مظلومية المرأة، لكننا نختلف تماماً مع اليساريات المطالبات بتغيير المدونة بخصوص الدواء؛ لأننا نريد الإصلاح، والآخر يبحث عن التقليد الأعمى لأنماط الحياة الغربية".

والجدير بالذكر أن تحركاً مشابهاً من قِبَل جمعيات نسائية يسارية كان قد حصل في بداية التسعينات، وقد تم التصدي له من قِبَل قوى المجتمع المدني المدافعة عن هوية الشعب المغربي المسلم، وكوَّن الملك الراحل الحسن الثاني آنذاك لجنة من العلماء والمختصين للنظر في الموضوع؛ حيث أفضت أشغال هذه اللجنة إلى بعض التغييرات في المدونة دون المساس بالثوابت الشرعية.

ويأمل الشعب المغربي المسلم من حزب العدالة والتنمية التصدي لهذه الخطة كما كان الشأن بالنسبة لقانون السُّلفات الصغرى الذي صادق عليه البرلمان المغربي، فقد نشط الحزب في كل ربوع البلاد لشرح موقفه من هذا القانون الذي يبيح الربا ولا يعترف بالصيغ الشرعية لتمويل المشاريع الصغرى.

وفي إطار تحركات حزب العدالة والتنمية من أجل بيان خطورة هذا المشروع نظم يوماً دراسياً حول الموضوع في 17-4-1420هـ - 31-7-1999م، استدعى له عدداً من المختصين في مجالات: الشريعة والقانون والاقتصاد والاجتماع والطب لتحليل ومناقشة مضامين الخطة.

وقد أجمع كل المشاركين على ضرورة رفض المشروع لاستناده إلى المرجعية الغربية في تصوراته وتقريراته ووسائله الإجرائية، وإهمال المرجعية الإسلامية في حل مشاكل المرأة والأسرة المغربية.

ففي مجال الصحة الإنجابية - مثلاً - وترسيخاً للزنا في المجتمع حدد مشروع الخطة للوقاية من الأمراض المتنقلة جنسياً الوسائل الإجرائية التالية:

- توزيع العازل الطبي بالمخادع الهاتفية ونقط بيع الجرائد والصحف.
- تعميم الموزع الأوتوماتيكي للعازل الطبي.
- القيام بالإظهار الصريح والمباشر للعازل الطبي عبر وسائل الإعلام.

مما جعل الدكتور سعد الدين العثماني يقول: "إن الغاية والقصد من كل هذه الدعاية المفرطة للعازل الطبي ليس هو المحافظة على صحة المواطن ووقايته من الأمراض كما يُدَّعى ظاهراً، ولكن استدرار أموال الجهات الأجنبية والدوائر المخططة من الخارج لجهات التنفيذ والتنزيل في بلادنا".

وأعلن المدافعون عن الهوية الإسلامية للمغرب استعدادهم لكل حوار هادئ حول كل القضايا المصيرية للأمة بما فيها قضايا المرأة والأسرة، إلا أنهم في الوقت نفسه مستعدون لكل الاحتمالات إذا ما تم تجاوز وتجاهل نداءاتهم ومطالبتهم بعدم إقرار المشروع.

ويبقى السؤال المطروح: ما هو مصير المشروع؟ وهل سيستطيع الحكماء من الطبقة السياسية المغربية تجاوز هذه الأزمة؟ ذلك ما ستبينه الأيام القادمة.

=============

ماذا بعد إفلاس الخطاب العلماني؟!

مجلة البيان - (ج 147 / ص 1)

ظاهرة الزندقة من الظواهر القديمة التي تتجدد وتتلون،وتلبس لكل عصر لبوسه.وفي هذا العصر نشطت حركة الزندقة في مناح شتى من أخطرها الهجوم على الشريعة الإسلامية، والجرأة في نقد النصوص الشرعية، والعبث في تأويلها وتبديلها عن مواضعها؛ فصار التراث الإسلامي حمى مستباحا يلغ فيه كل مفسد بحجة (البحث العلمي) (وحرية الرأي!) وأصبح الهجوم على الأصولية والتطرف سبيلا للهجوم على ثوابت الأمة ومسلماتها الشرعية، حتى قال قائلهم :" إن الثابت الوحيد هو حرية النقد". وقال آخر مبينا استراتيجية في التصدي للمد الإسلامي: "من أهم عناصر الحل : إزالة حاجز الخوف الذي لا يجعلنا نفصح بوضوح عن موقفنا بكاملها تجاه هذا التيار المتطرف، إن بعضنا يخشى استخدام كلمة العلمانية، وهي ليست مخيفة، يجب نكتب بوضوح مثلا في مسألة صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، أي أن نقول: إنه ليس هناك في أمور البشر ما يسمى قاعدة من هذا النوع."

إن تشنج التيار العلماني واضطرابه في نقد التيار الإسلامي يدل على تنامي الصحوة الإسلامية من جهة ، وعلى إفلاس الاتجاه العلماني من جهة أخرى.

ولكن السؤال الكبير هو: هل يستطيع الخطاب الإسلامي المعاصر أن يقف بثبات أمام هذا الكم الهائل من الانحراف؟! وهل يرتقي الخطاب كي يكون أكثر عمقا وأصالة ؟ وهل يتضح وتتسع آفاقه ليملك القدرة على مخاطبة الأمة باعتزاز واتزان بعيدا عن الغلو والميوعة؟

نحسب أن هذا هو التحدي الكبير الذي يجب أن يتبنى رايته العلماء والمفكرون ورجالات الدعوة الإسلامية، ((ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)) [الحج: 40] .

============

حكم الانتماء والانتساب إلى الأحزاب الكافرة والعلمانية

موسوعة الدين النصيحة 1-5 - (ج 1 / ص 146)

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، والصلاة والسلام على محمد خير الورى.

وبعد..

لقد أمر الله بالتعاون على البر والتقوى، ونهى وحذر من التعاون على الإثم والعدوان، كذلك نهى الشارع الحكيم المسلمَ أن يتولى الكفار والمنافقين وأعداء الملة والدين، وأن يكون كل ولائه لإخوانه المسلمين بقدر إيمانهم وتقواهم، كما أمر الشارع كذلك أتباعه أن يُكَثروا سواد المسلمين، وأن يجتنبوا ويحذروا تكثير سواد الكافرين والمنافقين ومن والاهم.

لهذا فإنه لا يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر الانتساب أوالانتماء والانخراط في الأحزاب الكافرة، نصرانية كانت، أم شيوعية، أم غير دينية، لأي غرض من الأغراض، دنيوي كان أم استراتيجي، في الجامعات والمعاهد العليا، والمدارس، أوفي النقابات والاتحادات، أوغيرها من الأحزاب الجماهيرية، تحت أي مسمى من المسميات.

ومن فعل ذلك فقد ارتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، ولا تقبل له صلاة ولا قربة ولا صيام، إن لم يراجع نفسه ويتخلى عن ذلك بتوبة نصوح، وذلك للأدلة الآتية:

1. قوله تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"، ومن التعاون البيِّن على الإثم والعدوان الانتساب والانتماء إلى الأحزاب الكافرة والعلمانية.

2. قوله تعالى: "ومن يتولهم منكم فإنه منهم"، فمن انتسب إلى حزب كافر فقد تولى الكفار والمنافقين، وناصب العداء الإسلام والمسلمين.

3. الأحزاب الكافرة لم تقم إلا لإقصاء الإسلام عن الساحة، والمسلم مطالب أن يجتهد في تمكين الإسلام في الأرض.

4. لما في ذلك من خذلان المسلمين ومناصرة الكافرين والمنافقين.

وفي الختام أذكر إخواني المسلمين وأخواتي وأحذرهم من أن يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، وأن لا يؤثروا العاجلة الفانية على الباقية، وأن لا يبيعوا دينهم بعرض من أعراض الدنيا، قلَّ ذلك العرض أم كثر.

وأن يعلموا كذلك أن الله شرفهم بالانتساب إلى ملة خير الأنام، خاتم الرسل الكرام، الذي نسخ بشريعته كل الشرائع، وأبطل كل الأديان: "فمن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين".

وأن الله غني عن العالمين، فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا يضره كفر وعصيان الكافرين والعاصين، وأن الله ناصر لدينه، ومتم لأمره ولو كره الكافرون.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

الرابطة الشرعية للعلماء والدعاة

1426/2/25هـ

=============

أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، أما بعد،،،

فقد أرشد الله إلى تتبع المجرمين، والنظر في طرقهم في هدم هذا الدين، فقال سبحانه:{ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ[55]}[سورة الأنعام]. وأمر الله نبيه أن يجاهد المنافقين، فقال:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...[73]}[سورة التوبة]. وقد فضح الله المنافقين في سور كثيرة: في سورة البقرة، وسورة النساء، وفي سورة التوبة التي سميت بالفاضحة، حتى قال بعض الصحابة:'ما زالت سورة التوبة تنزل: {وَمِنْهُمْ...}[سورة التوبة:الآيات:75،61،58،49] حتى ظننا أنها لا تبقي أحداً' .

وفي سورة الأحزاب بيان عن مواقفهم وقت الشدائد، وسمّى الله سورة في كتابه الكريم عن هذه الفئة، وهذه الفئة مهما تخفت فإن الله يظهر ما تضغنه صدورهم، وما تبطنه قلوبهم: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ[29]وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ[30]}[سورة محمد]. فهي فئة مفضوحة، يفضحها الله، ويظهر خباياها ليعرفها الناس، ولا ينخدعوا بها، وكل إناء بما فيه ينضح .

والتعرف على هذه الفئة، وعلى أساليبها وطرقها في محاربة الأمة، ومحاولتها تقويض دعائم الإسلام يعد من الأهمية بمكان، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:' إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية' . فيظهر أهل الجاهلية من أجل تقويض عرى الإسلام، فلا يقبل منهم أهل الإسلام ذلك؛ لمعرفتهم بهم وبجاهليتهم .

من الدين كشف الستر عن كل كاذب وعن كل بدعي أتى بالعجائب

ولو رجال مؤمنون لهدمت صوامع دين الله من كل جانب

ولهذا كان لابد من دراسة أساليب الفئة العلمانية في تغريب الأمة كلها، والمرأة بوجه خاص؛ لنبتعد عن هذا الشر الذي ينذر كارثة عظيمة على الأمة المحمدية، ولابد أيضاً أن يعلم كل مسلم أن الفئة العلمانية هي الخطر الأكبر المحدق بهذه الأمة، وهو يعمل على تغريب هذه الأمة، وإبعادها عن دينها .

لماذا التركيز على المرأة من قبل الغرب، وأتباعه المستغربين، العلمانيين؟

ذلك لأنهم فطنوا لمكانة المرأة ودورها في صنع الأمة، وتأثيرها على المجتمع؛ ولذلك أيقنوا أنهم متى ما أفسدوا المرأة، ونجحوا في تغريبها وتضليلها، فحينئذ تهون عليهم حصون الإسلام، بل يدخلونها مستسلمة بدون أدنى مقاومة. يقول شياطين اليهود في 'بروتوكولاتهم':'علينا أن نكسب المرأة، ففي أي يوم مدت إلينا يدها ربحنا القضية'.

وقال آخر من ألد أعداء الإسلام:' كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات' .وهذا صحيح؛ فإن الرجل الواحد إذا نزل في خندق وأخذ يقاوم بسلاحه يصعب اقتحام الخندق عليه حتى يموت، فما بالك بأمة تدافع عن نفسها، فإذا هي غرقت في الشهوات، ومالت عن

دينها، وعن طريق عزها؛ استسلمت للعدو بدون أي مقاومة بل بترحيب وتصفيق حار .

ويقول صاحب كتاب تربية المرأة والحجاب:' إنه لم يبق حائل يحول دون هدم المجتمع الإسلامي في المشرق – لا في مصر وحدها – إلا أن يطرأ على المرأة المسلمة التحويل، بل الفساد الذي عم الرجال في المشرق'.

ما هي العلمانية؟ وما حكم هذه العلمانية ؟

العلمانية في الأصل يراد بها: فصل الدين عن التدخل في تنظيم شئون الحياة، فلا تتدخل الشرائع السماوية في تنظيم المعاملات، ولا في مسائل الاقتصاد، والسياسة، ومسائل الحرب والسلم، ومسائل التربية والتعليم، وهكذا، هذا هو أصل كلمة علمانية عند الغرب، فهي اللادينية، والاعتراف والتعامل مع الشيء المشاهد، ونفى الظواهر الغيبية وتدخلها في صياغة الحياة، ولذا يسمحون بتدين الإنسان الشخصي، أما أن يكون للدين تأثير في تدبير شئون الأمة فلا، ثم انتقل هذا الوباء إلى الأمة المحمدية .

والعلمانية بالمفهوم الإسلامي أعم من ذلك المفهوم الغربي، فلو وجد شخص ينادي بتطبيق شريعة الإسلام كلها إلا مسألة واحدة يرفضها مما أجمع عليه المسلمون، وعلم من الدين بالضرورة، فإنه يكون كافراً مرتداً، فعلى سبيل المثال: لو وجد شخص ينادي بتطبيق الشريعة في كل شيء إلا أنه يقول: يجب في الميراث أن نساوى بين الرجل والمرأة، فإنه بهذا يكون علمانياً في الحكم الشرعي، لأنه رد حكمًا معلومًا من دين الإسلام بالضرورة .

إذاً هذه هي العلمانية في اصطلاحنا حين نتحدث.

وحكمها بهذا الاصطلاح: كفر أكبر مخرج من الإسلام؛ لأنها تكذيب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وهي إشراك بالله ما لم ينزل به سلطاناً، إذ أنها تجعل الحكم في بعض المسائل لغير الله، وفي بعضها لله .

التغريب

أما التغريب: فقد نشأت عند ساسة الغرب بعد فشل بعض الحملات العسكرية فكرة شيطانية، وهي أنه ينبغي أن تكون الجيوش بعيدة عن المواجهات؛ لأنها تثير ردود

فعل عنيفة، وأنه ينبغي عليهم أن يبذلوا الأسباب لتستسلم الأمم المسلمة للثقافة والحضارة الغربية بنفسها طواعية، وبذلك نشأت فكرة التغريب، وأساسها تذويب الشخصية المسلمة في الشخصية الغربية بحيث لا ترى إلا بالمنظور الغربي، ولا تعجب إلا بما يعجب به الغرب، وتبتعد عن قيمها وعقائدها وأخلاقها المستمدة من شريعة الإسلام، وتعتنق هذه الديانة الجديدة التغريبية، وتدخل في عجلة الاستهلاك الاقتصادي التي يروج لها الغرب.

فبرامج التغريب تحاول أن تخدم هدفاً مزدوجاً، فهي تحرس مصالح الاستعمار بتقريب الهوة التي تفصل بينه وبين المسلمين نتيجة لاختلاف القيم، ونتيجة للمرارة التي يحسها المسلم إزاء المحتلين لبلاده ممن يفرض عليه دينه جهادهم، وهي في الوقت نفسه تضعف الرابطة الدينية التي تجمع المسلمين وتفرق جماعتهم التي كانت تلتقي على وحدة القيم الفكرية والثقافية، أو بتعبير أشمل وحدة القيم الحضارية.

فهذا هو التغريب: أي تذويب الأمة المحمدية بحيث تصبح أمة ممسوخة: نسخة أخرى مكررة من الأمة الغربية الكافرة، غير أن هناك فرق فالأمة الغربية هي الأمة القائدة الحاكمة المتصرفة، والأمم الأخرى هي الأمم التابعة الذليلة المنقادة لما يملى عليها، فهذا هو التغريب . وتغريب المرأة المسلمة جزء من مخطط شامل لتغريب الأمة في كل أمورها .

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله:' وكانت برامج التغريب تقوم على قاعدتين أساسيتين – يعني عند المستعمرين الأولين:

الأولى: اتخاذ الأولياء والأصدقاء من المسلمين، وتمكينهم من السلطة، واستبعاد الخصوم الذين يعارضون مشاريعهم، ووضع العراقيل في طريقهم، وصد الناس عنهم بمختلف السبل .

القاعدة الثانية: التسلط على برامج التعليم، وأجهزة الإعلام والثقافة عن طريق من نصبوه من الأولياء، وتوجيه هذه البرامج بما يخدم أهدافهم، ويدعم صداقتهم' .

مظاهر تغريب المرأة المسلمة:

وهي كثيرة يصعب استقصاؤها، ولكن نذكر من أهمها:

1- الاختلاط في الدراسة وفي العمل: ففي معظم البلدان الدراسة فيها دراسة مختلطة، والأعمال أعمال مختلطة، ولا يكاد يسلم من ذلك إلا من رحم الله، وهذا هو الذي يريده التغريبيون، فإنه كلما تلاقى الرجل والمرأة كلما ثارت الغرائز، وكلما انبعثت الشهوات الكامنة في خفايا النفوس، وكلما وقعت الفواحش، لاسيما مع التبرج، وكثرة المثيرات، وصعوبة الزواج، وضعف الدين، وحين يحصل ما يريده الغرب من تحلل المرأة، تفسد الأسرة وتتحلل، ومن ثم يقضى على المجتمع ويخرب من الداخل، فيكون لقمة سائغة .

وإذا بدأ الاختلاط فلن ينتهي إلا بارتياد المرأة لأماكن الفسق والفجور مع تبرج وعدم حياء، وهذا حصل ولا يزال فأين هذا من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج مِنْ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنِّسَاءِ: [اسْتَأْخِرْنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تَحْقُقْنَ الطَّرِيقَ عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ] فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ حَتَّى إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ[. رواه أبو داود، وحسنه الألباني في الصحيحة 854 .

2- التبرج والسفور:

والتبرج: أن تظهر المرأة زينتها لمن لا يحل لها أن تظهرها له. والسفور: أن تكشف عن أجزاء من جسمها مما يحرم عليها كشفه لغير محارمها . وهذا التبرج والسفور لا يكاد يخلو منهما بلد من البلدان الإسلامية إلا ما قل وندر، وهذا مظهر خطير جداً على الأمة المسلمة، فبالأمس القريب كانت النساء محتشمات يصدق عليهن لقب: ذوات الخدود. ولم يكن هذا تقليداً اجتماعياً، بل نبع من عبودية الله وطاعته، ولا يخفى أن الحجاب الشرعي هو شعار أصيل للإسلام، ولهذا تقول عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:'يَرْحَمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُوَلَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ {...وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...[31]}[سورة النور]. شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا'رواه البخاري. ولهذا كان انتشار الحجاب أو انحساره مقياساً للصحوة الإسلامية في المجتمع ودينونة الناس لله، وكان انتشاره مغيظاً لأولئك المنافقين المبطلين .

3- متابعة صرعات الغرب المسماة بالموضة والأزياء: فتجد أن النساء المسلمات قد أصبحن يقلدن النساء الغربيات وبكل تقبل وتفاخر، ولم يسلم لباس البنات

الصغيرات، إذ تجد أن البنت قد تصل إلى سن الخامسة عشر وهي لا تزال تلبس لباساً قصيراً، وهذه مرحلة أولى من مراحل تغريب ملبسها، فإذا نزع الحياء من البنت سهل استجابتها لما يجدّ، واللباس مظهر مهم من مظاهر تميز المرأة المسلمة، ولهذا حرم التشبه بالكفار لما فيه من قبول لحالهم، وإزالة للحواجز، وتنمية للمودة، وليس مجهولا أن تشابه اللباس يقلل تمييز الخبيث من الطيب، والكفر من الإسلام، فيسهل انتشار الباطل وخفاء أهله .

والموضة مرفوضة من عدة نواحي منها:

أ- التشبه بالكافرات: والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: [مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ]رواه أبو داود وأحمد وهو صحيح. قال ابن تيمية رحمه الله:' والصراط المستقيم: هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال، قد تكون عبادات، وقد تكون عادات في الطعام واللباس والنكاح... وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ولابد ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً' اهـ فعلم من هذا خطورة هذا التشبه وتحريمه .

ب – الضرر الاقتصادي للتعلق بالموضة: ومعلوم كم تكلف هذه الموضة من أموال تنقل إلى بلاد الغرب الكافرة .

ج – كثرة التحاسد بين النساء: لأنهن يجذبهن الشكل الجميل، فيتفاخرن ويتحاسدن، ويكذبن، ومن ثم قد تكلف زوجة الرجل قليل المال زوجها ما لا يطيق حتى تساوي مجنونات الموضة.

د- خلوة المرأة بالرجل الأجنبي الذي ليس لها بمحرم: وقد تساهل الناس فيها حتى عدها بعضهم أمراً طبيعياً، فالخلوة المحرمة مظهر من مظاهر التغريب التي وقعت فيها الأمة المسلمة حيث هي من أفعال الكافرين الذين ليس لهم دين يحرم عليهم ذلك، وأما احترام حدود الله فهو من مميزات الأمة المسلمة . والجرأة على الخلوة تجاوز لحد من حدود الله، وخطر عظيم، وقد حرمه الشارع بقوله صلى الله عليه وسلم: [لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ] رواه البخاري ومسلم .

قاعدة مهمة: كل مبطل لابد أن يُلبس باطله بثوب الإصلاح وزخرف القول؛ حتى يروج بين الناس:

لأن الباطل قبيح ومكروه، فحينما يظهر الباطل على حقيقته، ويعرى على صورته، لا تقبله النفوس، ولا ترضى به الفطر السليمة؛ ولذلك يلجأ العلمانيون التغريبيون إلى إلباس طرقهم وأهدافهم وأفكارهم لبوس الإصلاح والحرص على المصلحة وغير ذلك، فالتوظيف المختلط، والتعليم المختلط، كل ذلك بدعوى مصلحة الأمة، وبدعوى تشغيل نصف المجتمع، ولأن فيها مردوداً اقتصادياً، وهذه هي زخارف القول التي يوحيها شياطين الإنس والجن، ويقول الله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ[112]وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ[113]}[سورة الأنعام]. فيخدع به ضعفاء الإيمان، وناقصوا العقول .

ثم إن العلمانيين قد وجدوا عادات في مجتمعات المسلمين ليست من الإسلام، فاستغلوها ووظفوها لينفثوا من خلالها سمومهم، وينفذوا مخططاتهم، ثم أسقطوها على الإسلام، بمعنى أنهم قالوا: إنها من الإسلام فهاجموا الإسلام من خلالها، مثال ذلك: قد تجد بعض المجتمعات المسلمة تظلم المرأة في الميراث، قد تعطي المرأة ميراثها من المنقول من الأموال والمواشي لكنها لا تعطيها حقها من العقار كفعل الجاهلية، قد تجد زوجاً لا يعدل بين زوجاته مخالفاً بذلك أمر الله، فهذه الثغرات يتعلق بها العلمانيون مع أنها ليست من الإسلام في شيء، ولم ينزل الله بها سلطانًا، بل هي في نظر الإسلام: ظلم محرم.

أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة:

أساليبهم كثيرة، والمقصود التذكير بأخطرها، ليحذرها المسلمون، وينكروها، ويعلموا على إفشالها، ولتكون منبهة على غيرها، فمن هذه الأساليب:

1- وسائل الإعلام بمختلف أنواعها: من صحافة، وإذاعة، وتلفاز، وفيلم، ومجلات متخصصة في الأزياء والموضة، ومن مجلات نسائية، وملحقات نسائية، وغير ذلك، فالإعلام يصنع الآراء، ويكيف العقول، ويوجه الرأي العام، خاصة إذا كانت هذه

العقول فارغة لم تحصن بما أنزل الله . أما الصحافة والمجلات، فتجد فيها أمورًا فظيعة منكرة منها فتاة الغلاف، فتاة جميلة عليها أنواع الزينة والأصباغ ثم تسأل في المقابلة معها أسئلة تافهة: هل حدث وأن أحببتي يوماً من الأيام؟ ما هواياتك المفضلة؟ وهل صادقتي شاباً؟ وغير هذا من الكلام الساقط الذي يراد منه إفساد المحصنات العفيفات اللاتي قررن في البيوت، ويملكهن الحياء الذي ربين عليه، فتزيل هذه المجلات الحواجز، والضوابط شيئاً فشيئاً . كما تجد في هذه المجلات الصور الماجنة الخليعة إما بحجة الجمال والرشاقة، أو بحجة تخفيف الوزن والرجيم، أو بحجة ملكات الجمال، أو بحجة أخري مما يمليه الشياطين . ثم تجد فيها من مواضيع الحب والغرام الشيء المهول، وهذا يهدف إلى تهوين أمر الفواحش، وقلب المفاهيم الراسخة، وإحلال مفاهيم جديدة مستغربة بعيدة عما تعرفه هذه الأمة المحمدية، فمن هذه العبارات:

في مجلة سيدتي في عدد 510: قالت من عيوب الزوج العربي [الغيرة] !!! .

في مجلة كل الناس عدد 58: قالت إحدى الكاتبات: ماذا لو قالت امرأة: [هذا الرجل صديقي] !!!.

في مجلة الحسناء عدد 81: الفضيلة والكرامة تعترضان مسيرة النجاح . أ هـ . فعلى هذا مسيرة النجاح لابد فيها من الفحش والدعارة حسب مفهومهم المريض .

مجلة سلوى عدد 1532 [لقاء مع راقصة شابة]، تقول هذه الراقصة: في حياتنا اهتمامات لا داعي لها، ويمكن أن يستغنى عنها، ثم تقول- هذه العبقرية التي جاءت بما عجز عنه الأوائل والأواخر-: كمعامل الأبحاث الذرية لأننا لم نستفد منها شيئاً، يعنى حتى يبقى الأعداء يهددون المسلمين بالأسلحة الذرية . اليهود والهندوس والنصارى والبوذيون - كما تقول - ! سوف نستفيد كثيراً لو أنشأنا مدرسة للرقص الشرقي تتخرج منها راقصة مثقفة لجلب السياح .أهـ . وهكذا تستمر المسيرة لنحارب أعداءنا بالرقص، كما حاربهم جمال عبد الناصر بأغاني أم كلثوم .

في مجلة فرح عدد 43، تقول: الزواج المبكر إرهاق للمرأة، وصداع للرجل .

ولا ننسى مجلة روز اليوسف وهي من أخبث المجلات، ومن أوائل مصادر التغريب النسائي في العالم العربي، في هذه المجلة تجد الخبث والخبائث، وبمجرد أن تأخذ

أحد الأعداد سوف تجد العجب . وكذلك مجلات: [اليقظة، والنهضة، صباح الخير، هي، الرجل، فرح ..... الخ تلك القائمة الطويلة، كما تجد أيضاً داخل هذه المجلات مقالات طبية ونفسية واجتماعية: كأنها تحل مشاكل الفتيات، فتراسلها الفتيات من أنحاء العالم العربي، ثم بعد ذلك يدلها ذلك المتخصص – لكنه ليس متخصصاً في حل المشاكل حقيقة إنما متخصص في التغريب – يدلها على الطرق التي تجعلها تسلك مسالك المستغربات السابقات، كما تجد مقابلات مع الفنانات والممثلات، ومع الغربيات، ومع الداعيات لتحلل المرأة واللاتي يسمين بالداعيات لتحرير المرأة، وتجد فيها الغثاء الذي لا ينتهي، ترهق به المسلمة، ويصدع به المسلم . ثم تجد في هذه المجلات بريد المجلة، أو ركن التعارف من أجل التقريب بين الجنسين، وتلك خطوة لإفساد المجتمعات الإسلامية، وهكذا دواليك .

يقول العلامة محمد بن عثيمين في خطبة قيمة له عن هذه المجلات:' فاقتناء مثل هذه المجلات حرام، وشراؤها حرام، وبيعها حرام، ومكسبها حرام، واهداؤها حرام، وقبولها هدية حرام، وكل ما يعين على نشرها بين المسلمين حرام؛ لأنه من التعاون على الإثم والعدوان'أهـ .

2- ومن وسائل العلمانيين الخطيرة التي يسعون من خلالها إلى تغريب المرأة المسلمة التغلغل في الجانب التعليمي ومحاولة إفساد التعليم: إما بفتح تخصصات لا تناسب المرأة وبالتالي إيجاد سيل هائل من الخريجات لا يكون لهن مجال للعمل، فيحتاج إلى فتح مجالات تتناسب مع هذه التخصصات الجديدة التي هي مملوءة بالرجال، أو بإقرار مناهج بعيدة كل البعد عمّا ينبغي أن يكون عليه تدريس المرأة المسلمة . وفي البلاد العربية من المناهج ما تقشعر له الأبدان، وقد نجد في التعليم المناداة بالمساواة بينها، وبين الرجل في كل شيء، ودفع المرأة إلى المناداة بقضايا تحرير المرأة- كما يسمونها-، وفيها:الاختلاط فمعظم البلاد العربية التعليم فيها مختلط إلا ما قل فالشاب بجانبه فتاة، هذا التعليم المختلط سبب كبير من أسباب تحلل المرأة، ومن ثم من أسباب تغريب المرأة . ولذا فإن أحسن الحلول أن تقوم البلاد الإسلامية بإنشاء جامعات متخصصة للنساء، وقد نادي بذلك بعض الباحثين الباكستانيين في دراسة جميلة جيدة بين فيها أن ذلك أفضل سواء في نسب النجاح،

أو في التفوق في التخصص، أو في إتقان العمل سواء للشباب، أو للشابات في جميع أنواع الدراسة، وقد لا نوافقه في بعض التخصصات التي نرى أن المرأة لا تحتاجها .

3- ومن أساليبهم: التأليف في موضوع المرأة، وإجراء الأبحاث والدراسات التي تُمْلأُ بالتوصيات والمقترحات والحلول في زعمهم لقضايا المرأة ومشاكلها: إحداهن في رسالتها للدكتوراه والتي عنوانها:'التنمية الاقتصادية وأثرها في وضع المرأة في السعودية' تقول- وهي تعد المبادئ الإسلامية التي هي ضد مصلحة المرأة كما تزعم-: إن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل، وقوامة الرجل على المرأة، ثم تعد الحجاب من المشاكل التي هي ضد مصلحة المرأة، ثم تشن هجوماً على هيئات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم بعد ذلك تنتهي في دراستها أو في رسالتها للدكتوراه إلى التوصيات، ومن توصياتها:

الإقلاع من عمليات الفصل بين الجنسين - يعنى التعليم المختلط الذي ذكرناه سابقاً - .

إنشاء أقسام للنساء في كل مؤسسة حكومية، وإنشاء مصانع للصناعات الخفيفة، وهذه نادي بها آخرون، ونادوا بفتح مجالات دراسة مهنية للمرأة .

ونشرت اليونسكو سبع دراسات مما قدم بعنوان:'الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي' والذي يقرأ هذا الكتاب يدرك خطورة الأمر، وضخامة كيد الأعداء للمرأة المسلمة .

4- ومن أساليبهم: عقد المؤتمرات النسائية، أو المؤتمرات التي تعالج موضوع المرأة، أو إقامة لقاءات تعالج موضوعاً من المواضيع التي تهم المرأة سواء كان موضوعاً تعليمياً، أو تربوياً، أو غير ذلك: وفي هذه المؤتمرات واللقاءات تطرح دراسات وأفكاراً ومقترحات تغريبية.

وقد عقد المؤتمر الإقليمي الرابع للمرأة في الخليج، والجزيرة العربية في 1976/2/15 م، في إحدى دول الخليج وكان التركيز على ما يسمى بقضية تحرير المرأة وأصدر قرارات منها:

التأكيد على أهمية وضرورة النظر في الكتب والمناهج التربوية عند تناولها لقضية المرأة بما يضمن تغيير النظرة المتخلفة لدورها في الأسرة والعمل، ثم تتابع هذه الدراسة، فتقول: إن القوانين والأنظمة التي كانت تخضع لها الأسرة قبل ألف عام ما تزال تطبق على العلاقات الأسرية في عصرنا الحاضر دون النظر إلى مدى ملائمتها لنا.

ما هي القوانين التي من ألف عام؟ إنها شريعة الإسلام .. فهؤلاء النسوة من نساء الخليج يردن تغيير الشريعة الإسلامية التي تطبق على المرأة من ألف عام .

5- ومن وسائلهم في تغريب المرأة المسلمة: إبتعاثها للخارج: وهذا حصل كثيراً في كثير من بلدان المسلمين، وحينما تذهب امرأة مسلمة إما لم تدرس شيئاً عن الدين كما في بعض البلدان العربية والإسلامية، أو ليس معها محرم، ثم ترمى في ذلك المجتمع المتحلل، فإذا رجعت هذه الفتاة المبتعثة كانت رسول شر للعالم الغربي من أجل تغريب المسلمات، ونقلهن من التمسك بالشرع والخلق الإسلامي إلى التمسك بالمناهج والأفكار والآراء الغربية، كما فعل أسلافها في مصر والكويت.

6-ومن أساليب العلمانيين: التعسف في استخدام المنصب: فقد تجد أحدهم في منصب ما، ثم بعد ذلك يبدأ يصدر قرارات يمنع فيها الحجاب كما حصل في مصر، وفي الكويت، أو يفرض فيها الاختلاط، أو يمنع عقد ندوات ونشاطات إسلامية، أو يفرض فيها اختلاطًا في مجالات معينة، وبالتالي يحصل احتكاك الفتاة بالشاب، ومن ثم يسهل هذا الأمر، وكلما كثر الإمساس قلّ الإحساس، ثم بعد ذلك تتجاوز الحواجز الشرعية، وتبتعد عن حياتها تذوب كما ذاب غيرها .

7- ومن أساليبهم أيضاً: العمل والتوظيف غير المنضبط: إما باختلاط بتوظيف الرجال والنساء سواسية، أو بتوظيف المرأة في غير مجالها، ويكون هذا على طريقة التدرج: بطيء ولكنه أكيد المفعول . وعلى طريقة فرض الأمر الواقع.

8- المشاركة والاختلاط في الأندية التي تكون في المستشفيات أندية ترفيه، أو أندية اجتماعية، أو غير ذلك: بل لقد وصل الفساد ببعضهن إلى المجاهرة بالتدخين أمام الآخرين من الزملاء، وليس ذلك في غرف القهوة والمطاعم فحسب، بل على المكاتب الرسمية .

9- الدعوة إلى إتباع الموضة والأزياء، وإغراق بلاد المسلمين بالألبسة الفاضحة: ومن خططهم إغراق بلاد المسلمين بالألبسة الفاضحة والقصيرة، فأحدنا لا يستطيع أن يجد لابنته الصغيرة لباسًا ساترًا فضفاضًا إلا بشق الأنفس، فعلى التجار المسلمين أن يفرضوا ويشترطوا اللباس المقبول عند المسلمين الذي لا يحمل صوراً، ولا كتابات، وليس بلباس فاضح، ولا بضيق، ولا بكاشف، والشركات الصانعة إنما تريد المال، ولأجله تصنع لك أي شيء تريد، فإذا ترك لها الحبل على الغارب صنعت ما يضر بأخلاق المسلمين .

10- ومن أساليبهم القديمة والتي وجدت في مصر وفي غيرها:إنشاء التنظيمات والجمعيات والاتحادات النسائية: فقد أنشأ الاتحاد النسائي في مصر قديماً جداً على يد هدى شعراوي وذلك بدعم غربي سافر، ثم تبعتها البلاد العربية الأخرى، هذه الاتحادات النسائية والتنظيمات والجمعيات ظاهرها نشر الوعي الثقافي والإصلاح، وتعليم المرأة المهن كالتطريز والخياطة، وغير ذلك، ولكن قد يكون باطنها سمًا زعافًا فتعلم المرأة الأفكار والقيم الغربية الخبيثة التي تنقلها من الفكر الإسلامي النير إلى الفكر المظلم من الغرب الكافر.

11- ومن أخبث أساليبهم وهي التي يثيرونها دائماً على صفحات الجرائد والمجلات وغيرها: التظاهر بالدفاع عن حقوق المرأة، وإثارة قضايا تحرر المرأة خاصة في الأوقات الحساسة التي تواجهها الأمة، وإلقاء الشبهات: فمرة يلقون قضية تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، ومرة يبحثون في موضوع التعليم المختلط وتوسيع مجال المشاركة في العمل المختلط وغير ذلك، قد يتم ذلك باسم الدين، وقد يتم ذلك باسم المصلحة، وقد يتم ذلك بعبارات غامضة، وطريقة المنافقين التخفي خلف العبارات الغامضة الموهمة في كثير من الأحيان .

12- ومن أخبث طرقهم ووسائلهم: شن هجوم عنيف على الحجاب والمتحجبات وتمجيد الرذيلة في وسائل الإعلام بأنواعها وفي غيرها أيضاً، سواء كان في المنتديات والأندية الثقافية والأدبية، أو كان في الجلسات الخاصة وفي غيرها.

13- ومن أساليبهم: أيضاً تمجيد الفاجرات من الممثلات، والراقصات، والمغنيات، وغيرهن: فتذكر بأنها النجمة الفلانية، وأنها الشهيرة فلانة، وأنها الرائدة في مجال

كذا، وأنها التي ينبغي أن تحتذي، وأنها القدوة في مجال كذا، وأنها حطمت الرقم القياسي في الألعاب الفلانية، أو الطريقة الفلانية، وهذه الصحف، وهذه الكتابات العلمانية توهم المرأة المسلمة بأن هذا هو الطريق الذي ينبغي أن تسلكه، فتتمنى أن تكون مثلها، وتحاول أن تتشبه بها، ولهذا ضاق صدر أولئك بتلك الفنانات التائبات؛ لأنهن سيمثلن قدوة مضادة لما يريدون .

14-ومن أساليبهم: الترويج للفن والمسرح والسينما.

15- ومن أخبث أساليبهم المنتشرة: استدراج الفتيات المسلمات - خاصة النابغات - للكتابة، أو للتمثيل، أو الإذاعة- لاسيما إذا كن متطلعات للشهرة، أو للمجد: فتدعى هذه الفتاة للكتابة في الصحيفة وتمجد كتاباتها، فتندفع بعض الفتيات المغرورات للكتابة والاتصال بهؤلاء من أجل أن ينشروا لهن ما يكتبن.

16- ومن أساليبهم أيضاً: تربية البنات الصغيرات على الرقص والموسيقى والغناء من خلال المدارس، والمراكز وغيرها، ثم إخراجهن في وسائل الإعلام: فتجد فتيات في عمر الزهور يخرجن للرقص والغناء، وهن يتمايلن وقد لبسن أجمل حلل الزينة، فكيف يا ترى سيكون حال هذه الفتاة إذا كبرت ! إلى أين ستتجه إن لم تتداركها عناية الله ورحمته ؟والتالي يكون ذلك سبباً من أسباب اجتذاب عدد آخر من الفتيات اللاتي يتمنين أن يفعلن مثل هذه التي ظهرت على أنها نجمة، ثم قد تكون في المستقبل مغنية، أو ممثلة شهيرة.

17- ومن وسائلهم إشاعة روح جديدة لدى المرأة المسلمة تمسخ شخصيتها من خلال إنشاء مراكز يسمونها مراكز العلاج الطبيعي للسيدات: وقد قامت مجلة الدعوة بكتابة تقرير عن هذه المراكز في عدد 1328 الصادر في 1412/8/3 هـ، إذ زارت إحدى الكاتبات بعضًا من هذه المراكز، وكتبت تقول: في ظل التغيرات والمستجدات التي تظهر بين وقت وآخر ظهر تغير سلبي وهو افتتاح مراكز تسمى مراكز العلاج الطبيعي للسيدات، والحقيقة أن هذا المركز يخفي ورائه كثيرًا من السلبيات، ثم تمضي الأخت، فتقول: ولمعرفة واقع تلك المراكز وما يدور فيها وما تقدمه لمرتادها قمت بزيارة بعضها، والاتصال بالبعض الآخر منها كأي امرأة أخرى تسأل عنها قبل

الالتحاق بها وذلك في محاولة للوصول للحقائق الكاملة، ومعرفة ما يدور فيها، وخلاصة التقرير:

- انتشار اللباس غير الساتر في هذه المراكز، بل واشتراطه .

- قيام بعض المراكز بتعيين أطباء من الرجال لابد من مرور المتدربات عليهم .

- انتشار الموسيقى في هذه المراكز، ومن شروط بعض المراكز عدم اعتراض المتدربة على ذلك .

- وضع حمامات جماعية للسونا تلبس فيها النساء ملابس داخلية فقط، ويكن مجتمعات داخله .

- انتشار هذه المراكز حتى في الفنادق، والكوافيرات، والمشاغل، وتقديمها كخدمة مشتركة .

وكل هذا نمط جديد لم نعرفه من قبل ولو قامت النساء بعملهن في بيوتهن لما احتجن لهذا.

18- أختم هذه الأساليب بهذا الأسلوب الخطير، وهو إشاعة الحدائق والمطاعم المختلطة للعائلات، والتي انتشرت مؤخراً:

فقد زار بعض الأخوة بعضًا من المطاعم، والحدائق العائلية، والتي فيها محاذير كثيرة، ومن هؤلاء فضيلة الشيخ محمد الفراج، ثم كتبوا تقريراً بينوا فيه ما تخفيه هذه المطاعم المختلطة، وذكروا أن هذه المطاعم يكون فيها اختلاط الشاب بالفتاة، وأنه قد تدخلها المرأة بدون محرم، وجواز المرور بالنسبة للرجل أن يكون معه امرأة سواء كانت خادمة، أو كانت طفلة، أو غير ذلك، وبذلك أصبحت مكاناً صالحاً للمواعيد الخبيثة، ولغير ذلك، ثم بعد ذلك كتب الشيخ عبد الله بن جبرين تأييداً لكلام هؤلاء الأخوة، يقول فيه:' الحمد لله وحده وبعد، رأيت أمثلة مما ذكر في هذا التقرير مما يسترعى الانتباه والمبادرة بالمنع والتحذير' ا.هـ . وقد تكون هذه الحدائق والمطاعم أوجدت بحسن نية، لكنها سبب مهم من أسباب تغريب المرأة؛ إذ أنها تشيع مظاهر التغريب: من اختلاط، أو خلوة بالرجل الأجنبي عن المرأة، ومن فتحها لباب الفواحش والدخول على النساء الشريفات، فيفتن في دينهن وعفتهن مع غلبة الداعي للفحش بسبب كثرة المثيرات و الله المستعان .

من رسالة:' أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة' للشيخ /بشر بن فهد البشر

=============

الحجاب بين عداء الغرب وعلمانية الأزهر

بقلم فاضل بشناق / فلسطين

مدير مركز المرشد للدراسات والأبحاث / جنين

لم نفاجأ بقرار فرنسا الحاقدة منع الحجاب الإسلامي بل المفاجأة الصاعقة جاءت على لسان مفتي الأزهر عندما أكد في كلمته أن لفرنسا الحق في اصدار قرار بمنع الحجاب في المؤسسات والمدارس والجامعات الفرنسية ضارباً عرض الحائط بكل الأحكام الشرعية والمشاعر والقيم والمبادئ الإسلامية السامية ومدمراً للقيمة الفقهية لمعهد الأزهر الشريف ومحجماً لدوره الدعوي الشامل ومجنداً منبره لترويج الفتاوى المخالفة لروح الدين الإسلامي ومناصراً لكل نهج مدمر ومعاد للإسلام وقد توجه بموقفه الداعم لفرنسا وحربها المعلنة على الإسلام والمسلمين وكأنه يؤكد أن الأزهر الشريف مدرسة علمانية تتخذ من الشعار الديني وسيلة لبث افكارها وطرح مفاهيمها ويجب أن يغير الغرب انطباعاته عن الأزهر كمنبر لنشر الدعوة الإسلامية .

ان موقف المفتي كان وسيظل وصمة عار في جبينه لأنه بذلك اعطى لفرنسا ولكل أعداء الأمة مسوغات ومبررات لمحاربة الإسلام بكل تفاصيله ومفرداته وقيمه ومظاهرة وشعاراته ولكن حجم ردود الأفعال الرافضة والمستنكرة لهذا الموقف حتى من الأزهر نفسه لم تكن بالحجم المطلوب الأمر الذي يؤكد أن الأمة بعلمائها وشعوبها مصابة بمرض اللامبالاة القاتل اذ لم نسمع أن الجماهير العربية وخاصة في مصر قد خرجت تنكر على المفتي مواقفه بل مثل هذه الإحتجاجات رأيناها في عدد من الدول الغربية ومن المؤسسات والجمعيات الحقوقية غير العربية ولا الإسلامية واننا سوف نجد في بحثنا المتواضع هذا أشياء كثيرة تشكل مفارقات ومفاصل وتثير تساؤلات وتزرع انطباعات كثيرة لها دلالات خطيرة ومؤشرات أخطر تؤدي في النتيجة الى تدمير المجتمعات التي تنتشر فيها هذه السلوكيات وخاصة ما تعلق منها بالفطرة وما يخالفها ويسير عكس تيارها وبنظرة بسيطة الى أقوال الغربيين أنفسهم عن النتائج السلبية التيي خلفتها نظرتهم الخاطئة لمعايير الحضارة الإنسانية

وتجريدها من القيم اللازمة لصيانة المجتمع من المنغصات والأمراض والفيروسات الإخلاقية والسلوكيات البهيمية تتأكد لنا حقيقة وجريمة وخطورة موقف مفتي الأزهر على المجتمع العربي والإسلامي وعلى الإنسانية جمعاء واننا نسوق بعضاً من هذه الأقوال لعلها تجد الى هذا المفتي المفتن سبيلاً فتعيده الى رشده .

تقول الصحفية الأمريكية " هيليان ستانبري " مخاطبةً مجتمعها المدمر أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، امنعوا الاختلاط ، وقيدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا لعصر الحجاب ، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ، ومجون أوربا وأمريكا ، امنعوا الاختلاط ، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير ، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعًا مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة ، إن ضحايا الاختلاط يملأون السجون ، إن الاختلاط في المجتمع الأمريكي والأوروبي ، قد هدد الأسرة وزلزل القيم والأخلاق ."

وتقول الكاتبة " أنارود " إنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال .

وفي بريطانيا حذرت الكاتبة الإنجليزية " الليدي كوك " من أخطار وأضرار اختلاط النساء بالرجال ، حيث كتبت محذرة : على قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنى وقالت علموهنَّ الابتعاد عن الرجال .

أما الأرقام والإحصائيات عن أضرار اختلاط النساء بالرجال فتوضح أن 70% إلى 90% من الموظفات العاملات بمختلف القطاعات ارتكبت معهنَّ فاحشة الزنى .

ونصف من أجري معهنَّ استفتاء ممن يعملون في مجال الأمن تعرضنَّ لارتكاب فاحشة الزنى معهنَّ من قبل رؤسائهنَّ في العمل .

حتى الجامعات وأماكن التربية والتعليم لم تسلم من هذه الموبقات فأستاذ الجامعة يرتكب الفاحشة مع طالبته ، والطلاب يفعلون ذلك مع الطالبات والمعلمات بالرضا أو الإكراه .

إن الاختلاط بين الرجال والنساء لم يزد الناس إلا شهوانية حيوانية ، وسعارًا بهيميًا فارتكاب الفواحش ، وهتك الأعراض في ازدياد وارتفاع ، وهذا الواقع يرد على من يقول إن الاختلاط يكسر الشهوة ، ويهذب الغريزة ، حيث زاد الاختلاط من توقد الشهوة وزاد من الفساد ومثله مثل الظمآن يشرب من ماء البحر فلا يزيده شربه إلا

عطشًا على عطش يقول سيد قطب . رحمه الله . : " ولقد شاع في وقت من الأوقات أن الاختلاط تنفيس وترويح وإطلاق للرغبات الحبيسة ، ووقاية من الكبت ، ومن العقد النفسية (!!) ، ولكن هذا لم يكن سوى فروض نظرية رأيت بعيني في أشد البلاد إباحة وتفلتا من جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية والإنسانية ما يكذبها وينقضها من الأساس .

إن بين 50ـ 70% من الرجال الأمريكان يخونون زوجاتهم على فراش الزوجية و32% من الزوجات يخن أزواجهن و90% من النساء متزوجات بدون عذرية وفي بريطانيا فقد وصلت نسبة العذرية عند الفتيات صفر% كما توجد ظاهرة تبادل الزوجات وأن أكثر من مليونين ونصف المليون من الأزواج الأمريكيين مارسوا تبادل الزوجات بانتظام ونسبة 50% من الصبيان والبنات قد تم بينهم لقاء جنسي قبل الخامسة عشرة .

وقد كتبت ((دول ستريت جورتال)) أن واحداً من كل أمريكيين طلق زوجته وفي مدينة (سان ماتيه) الأمريكية في كل (100) يتزوجون أول العام (80) منهم يطلقون في آخره.

وفي مؤتمر النساء عام (2000) في باريستبين أن 70% من الشابات الفرنسيات يعشن وحيدات وأن أعداد المتزوجات زواجا شرعيا تناقص بمقدار (68000) ألف امرأة وأن 20% من الولادة عن طريق الزنا.

وفي أمريكا وحدها يقتل مليون ونصف المليون جنين سنويا بسبب عملية الاجهاض (أين حقوق الإنسان؟!)

ويقول (اندروشاييرو)أن أكثر من عشرة آلاف فتاة أمريكية تضع مولودا غير شرعي سنويا وهي لم تبلغ بعد الرابعة عشرة من عمرها .

هذه هي مقدمة بسيطة يمكن من خلالها بيان مدى الخطورة التي تنطوي على قرار فرنسا بمنع الحجاب على اعتبار أنه يمثل أحد العلاجات لما حل في المجتمع الغربي من رذائل وبالتالي يجب أن تحارب هذه القيمة وجر قدم الفتاة المسلمة الى هاوية السقوط .

إن الحرب على الحجاب ليست حديثة بل بدأت منذ عقود كثيرة وقد قادت هذه الحرب عناوين وهيئات دعمت بشكل كبير ومباشر من أجهزة التدمير الغربية وان من أكثر هذه الهيئات فتكاً في المجتمع العربي وتخريباً فيه ما تعورف عليها بحركة تحرير المرأة العربية والتي نشأت في مصر وحتى نتبين حقيقة هذه الحركة لا بد من التعرف عليها وعلى نشاطاتها ورموزها في الوطن العربي .

التعريف بحركة تحرير المرأة :

إن حركة تحرير المرأة حركة علمانية دخيلة ولدت من رحم الغرب الحاقد والإستعمار الطامع ، نشأت في مصر في بادئ الأمر، ثم انتشرت في أرجاء البلاد الإسلامية. تدعو إلى تحرير المرأة من الآداب الإسلامية والأحكام الشرعية الخاصة بها مثل الحجاب، وتقييد الطلاق، ومنع تعدد الزوجات والمساواة في الميراث وتقليد المرأة الغربية في كل أمر ... ونشرت دعوتها من خلال الجمعيات والاتحادات النسائية في العالم العربي وقد تزامن وجودها بوجود وحملات الإستعمار كأحد معاوله الرئيسة وإن المتتبع لطبيعة انتشار هذه الحركة يخلص الى انها مرتبطة وبشكل مباشر مع أعداء الأمة ومخططاتهم التدميرية واننا في فلسطين مثلاً فقد انتشرت هذه الحركات والهيئات خلال السنوات الأولى لمسيرة ما يسمى بالسلام لتكون رافداً رئيساً وداعماً اساساً لسياسة الهيمنة والترويض ضد شعبنا حتى يبقى مهزوزاً حتى ولو تم التوصل الى حل سياسي .

التأسيس وأبرز الشخصيات:

قبل أن تتبلور الحركة بشكل دعوة منظمة لتحرير المرأة ضمن جمعية تسمى الاتحاد النسائي .. كان هناك تأسيس نظري فكري لها .. ظهر من خلال كتب ثلاثة ومجلة صدرت في مصروهي :

1- كتاب: المرأة في الشرق، تأليف المحامي مرقص فهمي ا، نصراني الديانة، دعا فيه إلى القضاء على الحجاب وإباحة الاختلاط وتقييد الطلاق، ومنع الزواج بأكثر من واحدة، وإباحة الزواج بين النساء المسلمات والنصارى.

2- كتاب: تحرير المرأة، تأليف قاسم أمين، نشره عام 1899م، بدعم من الشيخ محمد عبده وسعد زغلول، وأحمد لطفي السيد. زعم فيه أن حجاب المرأة السائد ليس من الإسلام، وقال إن الدعوة إلى السفور ليست خروجاً على الدين .

3- كتاب: المرأة الجديدة، تأليف قاسم أمين أيضاً - نشره عام 1900م يتضمن نفس أفكار الكتاب الأول ويستدل على أقواله وادعاءاته بآراء الغربيين.

4- مجلة السفور: صدرت أثناء الحرب العالمية الأولى، من قبل أنصار سفور المرأة، وتركز على السفور و الاختلاط.

وقد سبق سفور المرأة المصرية، اشتراك النساء بقيادة هدى شعراوي (زوجة علي شعراوي) في ثورة سنة 1919م فقد دخلن غمار الثورة بأنفسهن، وبدأت حركتهن السياسية بالمظاهرة التي قمن بها في صباح يوم 20 مارس سنة 1919م.

وأول مرحلة للسفور كانت عندما دعا سعد زغلول النساء اللواتي تحضرن خطبته أن يزحن النقاب عن وجوههن. وهو الذي نزع الحجاب عن وجه نور الهدى محمد سلطان التي اشتهرت باسم: هدى شعراوي مكونة الاتحاد النسائي المصري وذلك عند استقباله في الإسكندرية بعد عودته من المنفى. واتبعتها النساء فنزعن الحجاب بعد ذلك.

لقد تأسس الاتحاد النسائي في نيسان 1924م بعد عودة مؤسسته هدى شعراوي من مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما عام 1922م .. ونادى بجميع المبادئ التي نادي بها من قبل مرقص فهمي المحامي وقاسم أمين.

بعد عشرين عاماً عقد مؤتمر الاتحاد النسائي العربي عام 1944م وقد حضرته مندوبات عن البلاد العربية. وقد رحبت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بانعقاد المؤتمر حتى أن حرم الرئيس الأمريكي روزفلت أبرقت مؤيدة للمؤتمر.

ومن أبرز شخصيات حركة تحرير المرأة:

1- الشيخ محمد عبده، فقد نبتت أفكار كتاب تحرير المرأة في حديقة أفكار الشيخ محمد عبده. وتطابقت مع كثير من أفكار الشيخ التي عبر فيها عن حقوق المرأة وحديثه عنها في مقالات الوقائع المصرية وفي تفسيره لآيات أحكام النساء.

2- سعد زغلول، زعيم حزب الوفد المصري، الذي أعان قاسم أمين على إظهار كتبه وتشجيعه في هذا المجال.

3- لطفي السيد، الذي أطلق عليه أستاذ الجيل وظل يروج لحركة تحرير المرأة على صفحات الجريدة لسان حال حزب الأمة المصري في عهده.

4- صفية زغلول، زوجة سعد زغلول وابنة مصطفى فهمي باشا رئيس الوزراء في تلك الأيام وأشهر صديق للإنكليز عرفته مصر.

5- هدى شعراوي، ابنة محمد سلطان باشا الذي كان يرافق الاحتلال الإنكليزي في زحفه على العاصمة وزوجة علي شعراوي باشا أحد أعضاء حزب الأمة (حالياً الوفد) ومن أنصار السفور .

6- سيزا نبراوي (واسمها الأصلي زينب محمد مراد)، وهي صديقة هدى شعراوي في المؤتمرات الدولية والداخلية. وهما أول من نزع الحجاب في مصر بعد عودتهما من الغرب إثر حضور مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما 1923م.

7- درية شفيق، من تلميذات لطفي السيد، رحلت وحدها إلى فرنسا لتحصل على الدكتوراه، ثم إلى إنكلترا، وصورتها وسائل الإعلام الغربية بأنها المرأة التي تدعو إلى التحرر من أغلال الإسلام وتقاليده مثل: الحجاب والطلاق وتعدد الزوجات ولما عادت إلى مصر شكلت حزب (بنت النيل) في عام 1949م بدعم من السفارة الإنكليزية والسفارة الأمريكية كما حصل في فلسطين عندما قامت سفارة كندا بدعم احدى الجمعيات الفلسطينيات لنفس الهدف والشعار .. وهذا ما ثبت عندما استقالت إحدى عضوات الحزب وكان هذا الدعم سبب استقالتها. وقد قادت درية شفيق المظاهرات، وأشهرها مظاهرة في عام 19 فبراير 1951م و 12 مارس 1954م بالتنسيق مع أجهزة عبد الناصر فقد أضربت النساء في نقابة الصحافيين عن الطعام حتى الموت إذا لم تستجب مطالبهن. وأجيبت مطالبهن ودخلت درية شفيق الانتخابات ولم تنجح. وانتهى دورها. وحضرت المؤتمرات الدولية النسائية للمطالبة بحقوق المرأة – على حد قولها.

9- سهير القلماوي، تربت في الجامعة الأمريكية في مصر، وتخرجت من معهد الأمريكان، وتنقلت بين الجامعات الأمريكية والأوروبية، ثم عادت للتدريس في الجامعة المصرية.

10- أمينة السعيد، وهي من تلميذات طه حسين، الأديب المصري الذي دعا إلى تغريب مصر .. ترأست مجلة حواء. وقد هاجمت حجاب المرأة بجرأة - ومن أقوالها في عهد عبد الناصر: " كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق ؟ ". تقصد ميثاق عبد الناصر الذي يدعو فيه إلى الاشتراكية - وسخرت مجلة حواء للهجوم على الآداب الإسلامية .. وهي لا تزال تقوم بهذا الدور ..

11- د . نوال السعداوي، زعيمة الاتحاد المصري حالياً.

12- ونستطيع اضافة العضو الجديد الى القائمة والذي أثبت صدقه واخلاصه وهو مفتي الأزهر (محمد سيد طنطاوي)

الأفكار والمعتقدات:

نجمل أفكار ومعتقدات أنصار حركة تحرير المرأة فيما يلي:

تحرير المرأة من كل الآداب والشرائع الإسلامية وذلك عن طريق:

- 1- الدعوة إلى السفور والقضاء على الحجاب الإسلامي.

2- الدعوة إلى اختلاط الرجال مع النساء في المجالات في المدارس والجامعات والمؤسسات الحكومية، والأسواق.

3- تقييد الطلاق، والاكتفاء بزوجة واحدة.

4- المساواة في الميراث مع الرجل.

5- الدعوة العلمانية الغربية أو اللادينية بحيث لا يتحكم الدين في مجال الحياة الاجتماعية خاصة.

6- المطالبة بالحقوق الاجتماعية والسياسية للمرأة .

7- أوروبا والغرب عامة هم القدوة في كل الأمور التي تتعلق بالحياة الاجتماعية للمرأة: كالعمل، والحرية الجنسية، ومجالات الأنشطة الرياضية والثقافية.

الجذور الفكرية والعقدية:

بعد تبلور حركة تحرير المرأة على شكل الاتحادات النسائية في بلادنا خاصه والدول عامة، أصبحت اللادينية أو ما يسمونه (العلمانية) الغربية هي الأساس الفكري والعقدي لحركة تحرير المرأة. وهي موجهة وبشكل خاص في البلاد الإسلامية إلى المرأة المسلمة؛ لإخراجها من دينها أولاً. ثم إفسادها خلقياً واجتماعياًوصولاً الى فساد المجتمع الإسلامي والسيطرة عليه .

ومن الأدلة على أن جذور حركة تحرير المرأة تمتد نحو العلمانية الغربية مايلي:

- في عام 1894م ظهر كتاب للكاتب الفرنسي الكونت داركور ، حمل فيه على نساء مصر وهاجم الحجاب الإسلامي، وهاجم المثقفين على سكوتهم.
- في عام 1899م ألف أمين كتابه تحرير المرأة أبدا فيه آراء داركور.
- وفي نفس العام هاجم الزعيم الوطني المصري مصطفى كامل (زعيم الحزب الوطني) كتاب تحرير المرأة وربط أفكاره بالاستعمار الإنكليزي.
- ألف الاقتصادي المصري الشهير محمد طلعت حرب كتاب تربية المرأة والحجاب في الرد على قاسم أمين ومما قاله: " إن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوروبا ".
- ترجم الإنكليز - أثناء وجودهم في مصر - كتاب تحرير المرأة إلى الإنكليزية ونشروه في الهند والمستعمرات الإسلامية.
- الدكتورة (ريد) رئيسة الاتحاد النسائي الدولي التي حضرت بنفسها إلى مصر لتدرس عن كثب تطور الحركة النسائية
- اغتباط الدوائر الغربية بحركة تحرير المرأة العربية وبنشاط الاتحاد النسائي في الشرق وتمثلت ببرقية حرم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية للمؤتمر النسائي العربي عام 1944م.
- صلة حزب (بنت النيل) بالسفارة الإنكليزية والدعم المالي الذي يتلقاه منهما - كما رأينا عند حديثنا عن درية شفيق.
- ترحيب الصحف البريطانية بدرية شفيق زعيمة حزب (بنت النيل) وتصويرها بصورة الداعية الكبرى إلى تحرير المرأة المصرية من أغلال الإسلام وتقاليده.

– برقية جمعية (سان جيمس) الإنكليزية إلى زعيمة حزب بنت النيل تهنئها على اتجاهها الجديد في القيام بمظاهرات للمطالبة بحقوق المرأة.
– مشاركة الزعيمة نفسها في مؤتمر نسائي دولي في أثينا عام 1951م ظهر من قرارته التي وافقت عليها أنها تخدم الاستعمار أكثر من خدمتها لبلادها.
– إعلان (كاميلا يفي) الهندية أن الاتحاد النسائي الدولي واقع تحت زيادة الدول الغربية ولاستعمارية واستقالتها منه.
– إعلان الدكتورة نوال السعداوي رئيسة الاتحاد النسائي المصري عام 1987م أثناء المؤتمر أن الدول الغربية هي التي هيأت المال اللازم لعقد مؤتمر الاتحاد النسائي والدول الإسلامية لم تساهم في ذلك.

وعودة الى ما قد بدأنا به حول الحرب المستعرة بقيادة فرنسا على الحجاب فانه لا بد من وقفة جادة وقوية لمواجهة هذه الحرب الهادفة الى العبث بقيمنا ومبادئنا تمهيداً لتخريب شامل لحياتنا والمرأة هي البداية وعلينا أن نبدأ من المرأة بتكثيف التوعية وزرع مفاهيم الإسلام فيها حتى تكون درعاً منيعاً وسلاحاً فتاكاً يصعب كسره وهذا يأتي من خلال بيان مفهوم الحجاب ومعناه ودوره في تهذيب النفس الإنسانية وحماية المجتمع من اتلوقوع في مستنقعات الرذيلة التي غرق فيها الغرب ويريد أن يغرقنا فيها معه .

مفهوم الحجاب

في اللغة: الحجاب في اللغة هو المنع من الوصول، ومنه قيل للستر الذي يحول بين الشيئين: حجاب؛ لأنه يمنع الرؤية بينهما. وسمي حجاب المرأة حجاباً لأنه يمنع المشاهدة .

ولقد وردت مادة (حجب) في القرآن الكريم في ثمانية مواضع تدور كلها بين الستر والمنع.

فمن ذلك: قال تعالى: {حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} (32) سورة ص أي: احتجبت وغابت عن البصر لما توارت بالجبل أو الأفق.

وقال تعالى:{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ } (46) سورة الأعراف

وقال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ } (51) سورة الشورى ، أي من حيث لا يراه.

وقال تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} (15) سورة المطففين ، أي مستورون فلا يرونه.

وقال تعالى: {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا} (17) سورة مريم ، أي ستارا.

وقال تعا لى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ} (53) سورة الأحزاب ، أي من وراء ساتر مانع للرؤية.

ومن هنا نعلم أن مفهوم الحجاب في الاصطلاح اللغوي هو الستر، وهو وإن دل على المنع فإن الستر داخل في مفهوم المنع بالتضمن. فالمنع يتضمن الستر.

في الشرع: الحجاب يتحقق فيه مقصد الشرع في حجب المرأة المسلمة من غير القواعد من النساء عن أنظار الرجال غير المحارم لها .والهدف هو صيانة المرأة المسلمة والحفاظ على عفافها وطهارتها، ومن أجل تحقيق هذه الغاية فقد جعل الإسلام للحجاب شروطاً واضحة تميزه وتحدد مواصفاته الشرعية، فإذا تخلف شرط واحد متفق على وجوبه لم يعد الحجاب شرعياً بل هو تبرج وسفور أياً كان شكله ووصفه. ومن هنا كان واجباً على كل امرأة مسلمة أن تكون عالمة بشروط الحجاب وأوصافه حتى تعبد الله على بصيرة وعلم.

شروط الحجاب الشرعي

– وأما شروط الحجاب الشرعي فهي كالتالي:

1– أن يكون ساتراً لجميع البدن: بما في ذلك الوجه منعاً للفتنة والمفسدة وسداً للذرائع إذ ان كشف الوجه فتح لباب لدعاة السفور والاختلاط، والإنسان العاقل البصير يجب عليه أن يقيس الأمور بآثارها ومقتضياتها ويحكم عليها من هذه الناحية، والشرع والحمد لله واسع، فيه قواعد عامة تضبط الشر وتردعه وتمنعه . ومن أدلة استيعاب الحجاب لجميع بدن المرأة: قول الله جل وعلا: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (59) سورة الأحزاب.

قال القرطبي رحمه الله: لما كانت عادة العربيات التبذل، وكن يكشفن وجوههن كما يفعل الإماء، وكان ذلك داعية إلى نظر الرجال إليهن، وتشعب الفكر فيهن، أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمرهن بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن .

وقال رحمه الله في تفسير الجلباب في قوله تعالى: {مِن جَلَابِيبِهِنَّ }: والصحيح أنه الثوب الذي يستر جميع البدن .

ومن السنة، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تنتقب المرأة المحرمة، ولا تلبس القفازين " (رواه البخاري في صحيحه).

قال أبو بكر بن العربي- رحمه الله-: "قوله في حديث ابن عمر "لا تنتقب المرأة" وذلك لأن سترها وجهها بالبرقع فرض إلا في الحج. فإنها ترخي شيئاً من خمارها على وجهها غير لاصق به، وتعرض عن الرجال، ويعرضون عنها".

فعليك أختي المسلمة: بالحرص على أن يكون حجابك ساتراً لجميع بدنك لما في ذلك من البعد عن الشبهات وقطع الطريق عن الفساق الذين يتربصون ببنات المسلمين في هذه الأزمان لاسيما وأن مقتضى الورع والحشمة هو الستر والاحتجاب الكامل عن أنظار الرجال الأجانب وبالله التوفيق.

- 2- أن لا يكون الحجاب ذاته زينة: لأن الغاية من الحجاب هو تحصيل الستر والعفاف، فإذا كان الحجاب زينة مثيرة، فقد تعطلت بذلك الغاية منه. ولذلك نهى الله جل وعلا عن ذلك فقال: { وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا }(النور:31) فإبداء زينة الحجاب من التبرج المنهي عنه شرعاً، قال تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى} (الأحزاب: 33)

قال الذهبي رحمه الله: ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ تحت النقاب، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، ولبسها الصباغات والأزر الحريرية والأقنية القصار، مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها، وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ويمقت الله فاعله في الدنيا والآخرة، ولهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء،قال عنهن النبي صلى الله عليه وسلم: ((اطلعت على النار، فرأيت أكثر أهلها النساء)).

أختي المسلمة: وتذكري أن كثيراً من المسلمات اليوم قد أخللن بهذا الشرط بقصد أو بغير قصد، فقد كثرت في الآونة الأخيرة أنواع من الحجب المزينة بأنواع من الزينة، وكم تهافتت عليها الغافلات إعجاباً بها.. وسوف نتطرق بإذن الله إلى بيان هذه الألبسة الدخيلة على الحجاب بالتفصيل في هذا الكتاب ، ونبين مدى مخالفتها للجلباب الشرعي وأقوال العلماء في ذلك.

3- أن يكون واسعاً غير ضيق: لأن اللباس الضيق يناقض الستر المقصود من الحجاب، لذلك إذا لم يكن لباس المرأة المسلمة فضفاضاً فهو من التبرج المنهي عنه، إذ إن عورة المرأة تبدو موصوفة بارزة، ويظهر حجم الأفخاذ والعجيزة ظهوراً كاملاً كما تظهر مفاصل المرأة مفصلاً مفصلاً وهذا كله يوجب تعلق النفوس الخبيثة والقلوب المريضة. فعن أسامة بن زيد قال: كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية كثيفة كانت مما أهداها دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، ففال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مالك لم تلبس القبطية؟ " قلت: يا رسول الله، كسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مرها فلتجعل تحتها غلالة إني أخاف أن تصف حجم عظامها".

وعن أم جعفر بنت مقعد بن جعفر أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت:((يا أسماء إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أن يطرح على المرأة الثوب فيصفها)) فقالت أسماء: يا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أريك شيئاً رأيته بالحبشة؟ فدعت بجرائد رطبة، فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة: "ما أحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل فإن مت أنا فاغسليني أنت وعلي، ولا يدخل علي أحد" فلما توفيت غسلها علي وأسماء رضي الله عنهما)).

قال الألباني- رحمه الله- تعليقاً على الحديث: فانظر إلى فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وسلم كيف استقبحت أن يصف الثوب المرأة وهي ميتة، فلا شك أن وصفه إياها وهي حية أقبح وأقبح، فليتأمل في هذا مسلمات هذا العصر اللاتي يلبسن من هذه الثياب الضيقة ثم يستغفرن الله تعالى، وليتبن إليه وليذكرن قوله صلى الله عليه وسلم: "الحياء والإيمان قرنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا" [رواه مسلم]. فهن كاسيات بالاسم، عاريات في الحقيقة" .
ظاهرات. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

– 5- أن لا يكون مبخراً ولا مطيباً: وقد وردت أحاديث كثيرة في تحريم خروج المرأة متعطرة، فمن ذلك ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية" .

وعن زينب الثقفية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا خرجت إحداكن إلى المسجد فلا تقربن طيباً)) [رواه مسلم والنسائي].

ومن الواضح أن المرأة إذا خرجت مستعطرة فإنها تحرك داعية الشهوة عند الرجال، لذلك ورد التحريم في ذلك قطعاً لدابر الفتنة وحفاظاً على طهارة المجتمع.

ومن تأمل حديث زينب وجد أن التحريم متعلق بالخروج إلى المسجد، وهو مكان طهارة وعبادة فما بال مريدة السوق والشوارع وغيرها.

6- أن لا يشبه لباس الرجال: لقوله صلى الله عليه وسلم:

"ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ولا من تشبه بالنساء من الرجال "

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل " .

وهذه الأحاديث نص في تحريم التشبه مطلقاً بالرجال سواء في اللباس أو في غيره، ومن هنا كان على المرأة المسلمة أن تحرص عن الابتعاد عن التشبه بالرجال في لباسها سواء كانت في البيت أو في خارج البيت لا سيما في عصرنا هذا، حيث اختلطت الأمور ولم يعد المسلم يميز في كثير من بلاد المسلمين بين الرجل والمرأة، لشدة التشبه بينهما في اللباس، وقد اكتسحت هذه الموجة جموعاً من المحجبات، فصرن يلبسن من ثياب الرجال تحت عباءاتهن مما يسقطهن في هذا المحظور والله المستعان.

– 7- أن لا يشبه لباس الكافرات: وذلك بأن تفصل المرأة المسلمة لباسها تفصيلاً يتنافى مع حكم الشرع وقواعده في موضوع اللباس، ويدل على تفاهة في العقل وفقدان للحياء مما ظهر في هذا العصر وانتشر باسم الموديلات التي تتغير من سيئ إلى أسوأ، وكيف ترضى امرأة شرفها الله بالإسلام ورفع قدرها، أن تكون تابعة لمن يملي عليها صفة لباسها، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((من تشبه بقوم فهو منهم)). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: "رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ثوبين معصفرين فقال: إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها".

8- أن لا يكون لباس شهرة: ولباس الشهرة هو الذي تلبسه المرأة لإلفات وجوه الناس إليها، سواء كان هذا الثوب رفيعا أو وضيعا، لأن علة التحريم هي تحقق الشهرة في الثياب، فقد روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من لبس ثوب شهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه نارا

الحجاب هوية شخصية

إن حجاب المسلمة –بالإضافة لكونه فريضة ربانية – فهو أبلغ رسالة دعوية وخير وسيلة للتعريف وبيان الهوية الإسلامية، تماما كما يحمل أحدنا بطاقة شخصية للتعريف به، أو جواز سفر لتحديد تبعيته لبلده فكذلك الحجاب.

التقى أحد الأساتذة الأمريكان بطالبتين مسلمتين، إحداهن سافرة والثانية محجبة، فصافح الأولى وقال للثانية أعلم أنك مسلمة من ارتدائك الحجاب، وأنا احترم دينك ولن أصافحك!! فأصيبت الأولى بالصدمة.

إن حجاب المسلمة في أمريكا والغرب تعبير عن الهوية الإسلامية في زمن تلوثت وتشوهت فيه الهوية لدى بعض المسلمين والمسلمات.

كلمات لا بد منها

أولا : الى الذين يتشدقون بحقوق الإنسان و الحريات والمساواة نقول هل هذه الحقوق لكم وحدكم أم هي للبشر كافة ومنهم المسلمين والمسلمات؟ فإذا كانت الحرية والعدالة وحقوق الإنسان كل لا يتجزأ , فان من حق نساء المسلمين ارتداء ما يشأن من ثياب

الحشمة والوقار كما ترتدى نساؤكم ألبسة العرى والعار !! واذا كان الثوب الساتر يقلقكم ويخالف مفاهيمكم فلماذا هذه الحملة الواسعة والشرسة ضد زى المراة المسلمة وحدها ؟ فيما لم نجد أحدا منكم يتجرأ على التعرض لزى الراهبات المسيحيات مثلا أو زى نساء الهنود– السارى – الطويل أو زي الفتيات اليابانيات اللواتي يرتدين من الألبسة ما يشبه الزي الإسلامي في الحشمة والستر ، أليس هذا دليلاً على أنكم تستهدفون الإسلام وقيمه .

ثانيا : ان الدراسات والأبحاث العلمية الحديثة التي أجراها علماء من أوروبا وأمريكا– من غير المسلمين– أثبتت ان كشف المرأة لأجزاء من جسدها يعرض تلك الأجزاء للإصابة بسرطان الجلد بنسب أعلى بكثير من الأجزاء المستورة من جسدها وهذا ما يفسر ارتفاع سرطانات الجلد لدى نساء الغرب وانخفاضه لدى النساء المسلمات .

ثالثاً: شاب سودانى مسلم في احد المطارات سألته احدى النساء الغربيات أثناء فترة انتظار إحدى الرحلات الجوية بأوروبا لماذا ترتدى المسلمات الحجاب ؟؟ فأجاب على تساؤلها بسؤال أيضا: سيدتى عندما تذهبين إلى شراء الفاكهة , هل تشترين من الثمار المغلفة أم تشترين من الثمار المكشوفة المعرضة للذباب والأتربة وعبث الأيدي غير النظيفة ؟؟ أجابت السيدة المسيحية: اشترى من الفاكهة المغطاة طبعا.. فضحكت المرأة إعجابا بالمنطق الإسلامي السديد في صون جمال المرأة وعفافها وطهارتها بالحجاب..

رابعاً : قيمة الشيء بندرته فلا تظن المراة البعيدة عن أدب الإسلام وحجابه انها تستأثر باهتمام الرجل و تستحوذ على حواسه بسفورها وتبرجها لأن طبيعة الرجل يمل بسرعة من الجمال المبتذل الرخيص ويثيره الكنز المخبوء .

خامساً: الحجاب ليس غطاءً للعقل كما يقول احد الكتاب النصارى في وصفه للخمار الإسلامي بل انه عامل رئيس من عوامل التفوق وان أكثر الأوائل هن من العفيفات الملتزمات بالخمار الإسلامي!!

سادسا: ان الحجاب يحمي المرأة من الإعتداءات والتحرشات الجنسية وقد لوحظ ان الأغلبية الساحقة من ضحايا جرائم الاغتصاب وهتك العرض فى مختلف دول العالم

هن من المتبرجات السافرات, اما المحتشمات فلا يجرؤ احد من المجرمين على التعرض لهنوفي هذا يصدق قوله تعالى – ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين– ..

سابعاً: ان الله تعالى لم يخلق كل النساء على شاكلة واحدة , لحكمة ربانية , فمنهن الجميلة ومنهن من هي ذات حظ قليل من الملاحة.. لهذا فان من رحمة الله تعالى بالنساء ان تخفى كل منهن جمالها عن أعين زوج غيرها, فلا يفتتن الرجل بغير امراته , ولا يسخط على قدر الله في زواجه من امراة اقل جمالا من غيرها.. كذلك يرحم الله الرجل غير القادر على مئونة الزواج– مثل الشباب العاطل عن العمل في أيامنا هذه– فبالحجاب لا يرى هذا المسكين من أجساد النساء ما يفتنه ,فاما ان ينحرف إلى الزنا , واما ان يكبت شهوته ومشاعره فيصاب بأمراض نفسية وعضوية لا حصر لها.. لهذا يرحمه ربه بتحجب النساء فلا تثار شهوته إلى ان يرزقه الله بزوجة تعفه ويعفها بالحلال.. حتى المراة الجميلة يرحمها الله –كما قال الشيخ الشعراوى رحمه الله– بان تختمر في شبابها فلا تفتن زوج اخرى , فيجزيها ربها في شيخوختها –عندما يزول جمالها – بالا يفتتن زوجها بأخرى اصغر منها وأجمل..

ثامناً : ان من دعا الى التبرج وسفور المرأة انطلق من هوى نفسه الأمارة بالسوء وما زال الوضع يتجدد اذ ان المتزعمين لهذه الحملة بغالبيتهم من الرجال لكي يجعلوا المرأة متعة للناظرين ليس لها قدسية ولا كرامة ولا عفة وقد اثبتت الدراسات والأبحاث والإحصائيات أن الغالبية الساحقة ممن يدعمون هذا التوجه فشلوا في تكوين حياة زوجية مستقرة وتأليف أسرة دافئة فكانت ردة فعلهم الدعوة الى تعميم هذا الفشل وأخراجه من دائرته الضيقة ليصبح ظاهرة عامة ,

تاسعًا:انه لا يمكن الفصل بين هذه الحملة وبين البعد السياسي لها اذ بات من المؤكد أن رجالات السياسة في دول الكفر والإلحاد والإستعمار قد أدركوا أن المجتمع المسلم ما زال يتمتع ببناء ونسيج اجتماعي قوي ومتين وان السنوات الأخيرة شهدت تجذراً وعودة قوية لأصول ومبادئ العقيدة الإسلامية لدى الجيل الجديد وهذا بحد ذاته مؤشر على أن المستقبل القريب ينذر بخطر داهم على مشروعهم الإستعماري الذي مضى على وجوده عقود كثيرة وحمته الأنظمة العربية التي باتت هي الأخرى مهددة بوجودها بفعل هذه الصحوة ولهذا لا بد من تخريب المجتمع من خلال المرأة

المسلمة التي اصبحت على قدر من الوعي الكفيل بانشاء جيل صالح وهذا لا نريده والحجاب هو المدخل والبداية في التخريب .

الحجاب عبادة

الحجاب عبادة من أعظم العبادات وفريضة من أهم الفرائض؛ لأن الله تعالى أمر به في كتابه، ونهى عن ضده وهو التبرج، وأمر به النبي صلى الله عليه و سلم في سنته ونهى عن ضده، وأجمع العلماء قديماً وحديثاً على وجوبه لم يشذّ عن ذلك منهم أحد.

أدلة الحجاب من الكتاب والسنة

أولاً : أدلة الحجاب من القرآن :

الدليل الأول : قوله تعالى : { وَقُل للمُؤمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أَبصَارِهِن وَيَحفَظنَ فُرُوجَهُن وَلاَ يُبدِينَ زِينَتَهُن إلا مَا ظَهَرَ مِنهَا وَليَضرِبنَ بِخُمُرِهِن عَلَى جُيُوبِهِن وَلاَ يُبدِينَ زِينَتَهُن } إلى قوله: { وَلاَ يَضرِبنَ بِأَرجُلِهِن لِيُعلَمَ مَا يُخفِينَ مِن زِينَتِهِن وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيهَا المُؤمِنُونَ لَعَلكُم تُفلِحُونَ} [النور :30] .

قالت عائشة رضي الله عنها : "يرحم الله نساء المهاجرات الأُول؛ لما أنزل الله : } وَليَضرِبنَ بِخُمُرِهِن عَلَى جُيُوبِهِن{ شققن مروطهن فاختمرن بها" [رواه البخاري] .

الدليل الثاني : قوله تعالى : { وَالقَوَاعِدُ مِنَ النسَاء اللاتي لاَ يَرجُونَ نِكَاحاً فَلَيسَ عَلَيهِن جُنَاحٌ أَن يَضَعنَ ثِيَابَهُن غَيرَ مُتَبَرّجَاتِ بِزِينَةٍ وَأَن يَستَعفِفنَ خَيرٌ لهُن وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [النور : 60] .

الدليل الثالث : قوله تعالى :{ يأَيهَا النبِي قُل لأزواجِكَ وَبَنَاَتِكَ وَنِسَاء المُؤمِنِينَ يُدنِينَ عَلَيهِن مِن جَلابِيبِهِن ذلِكَ أَدنَى أَن يُعرَفنَ فَلاَ يُؤذَينَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رحِيماً } [الأحزاب : 59] .

الدليل الرابع : قوله تعالى :{ وقَرنَ فِي بُيُوتِكُن وَلاَ تَبَرّجنَ تَبَرجَ الجاَهِلِيةِ الأولَى } [الأحزاب : 33] .

الدليل الخامس : قوله تعالى : { وَإِذَا سَأَلتُمُوهُن مَتَاعاً فاسأَلُوهُن مِن وَرَاء حِجَابٍ ذلِكُم أَطهَرُ لِقُلُوبِكُم وَقُلُوبِهِن} [الأحزاب : 53] .

ثانياً : أدلة الحجاب من السنة :

الدليل الأول : في الصحيحين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، احجب نساءك . قالت عائشة : فأنزل الله آية الحجاب . وفيهما أيضاً : قال عمر : يا رسول الله، لو أمرتَ أمهات المؤمنين بالحجاب . فأنزل الله آية الحجاب .

الدليل الثاني : عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : "المرأة عورة" [الترمذي وصححه الألباني] .

الدليل الثالث : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من جرَّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة" فقالت أم سلمة رضي الله عنها : فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال : "يرخين شبراً" فقالت : إذن تنكشف أقدامهن . قال : "فيرخينه ذراعاً لا يزدن عليه" [رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح] .

أدلة سَتر الوجه من الكتاب والسنة

أولاً : قوله تعالى : { وَلَيَضرِبنَ بِخُمُرِهِن عَلَى جُيُوبِهِن} [النور : 30] .

قال العلامة ابن عثيمين : "فإن الخمار ما تخمِّر به المرأة رأسها وتغطيه به كالغدقة، فإذا كانت مأمورة بأن تضرب بالخمار على جيبها كانت مأمورة بستر وجهها" .

ثانياً : قوله تعالى : { يأَيهَا النبِي قُل لأزواجِكَ وَبَنَاَتِكَ...} [الأحزاب : 59] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : "أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلاليب" . قال الشيخ ابن عثيمين : "وتفسير الصحابي حجة، بل قال بعض العلماء إنه في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه و سلم ".

ثالثاً : عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : "لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين" [رواه البخاري] .

قال القاضي أبو بكر بن العربي : "قوله في حديث ابن عمر: "لا تنتقب المرأة المحرمة" وذلك لأن سترها وجهها بالبرقع فرض إلا في الحج، فإنها ترخي شيئاً من خمارها على وجهها غير لاصق به، وتعرض عن الرجال ويعرضون عنها" .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وهذا مما يدلّ على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن" .

رابعاً : في قوله صلى الله عليه و سلم : "المرأة عورة" دليل على مشروعية ستر الوجه . قال الشيخ حمود التويجري : "وهذا الحديث دالّ على أن جميع أجزاء المرأة عورة في حق الرجال الأجانب، وسواءٌ في ذلك وجهها وغيره من أعضائها" .

الحجاب والمدنية

يرى دعاة المدنية أن الحجاب مظهر من مظاهر التخلف، وأنه يمنع المرأة من الإبداع والرقي، وهو عندهم من أكبر العقبات التي تحول بين المرأة وبين المشاركة في مسيرة الحضارة والمدنية، وفي عملية البناء التي تخوضها الدول النامية للوصول إلى ما وصلت إليه الدول المتقدمة من رقي وتمدن !!

ونقول لهؤلاء : ما علاقة الحجاب بالتقدم الحضاري والتكنولوجي؟ !

هل من شروط الحضارة والمدنية أن تخلع المرأة ملابسها وتتعرَّى أمام الرجال؟ !

هل من شروط الحضارة والمدنية أن تشارك المرأة الرجل متعته البهيمية وشهواته الحيوانية؟ !

هل من شروط الحضارة والمدنية أن تكون المرأة جسداً بلا روح ولا حياء ولا ضمير ؟ !

هل الحجاب هو السبب في عجزنا عن صناعة السيارات والطائرات والدبابات والمصانع والأجهزة الكهربائية بشتى أنواعها؟!

لقد تخلت المرأة المسلمة في معظم الدول العربية والإسلامية عن حجابها، وألقته وراء ظهرها، وداست عليه بأقدامها، وخرجت لتعمل مع الرجل، وشاركته معظم ميادين عمله !!.

فهل تقدمت هذه الدول بسبب تخلِّي نسائها عن الحجاب؟!

وهل لحقت بركب الحضارة والمدنية بسبب اختلاط الرجال بالنساء؟!

وهل وصلت إلى ما وصلت إليه الدولُ المتقدمة من قوة ورقيّ؟!

وهل أصبحت من الدول العظمى التي لها حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن ؟!

وهل تخلصت من مشاكلها الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والأخلاقية؟!

الجواب واضح لا يحتاج إلى تفصيل . فلماذا إذن تدعون إلى التبرج والسفور والاختلاط يا دعاة المدنية والحضارة؟!!

إن هؤلاء لا يريدون حضارة ولا مدنية ولا تقدماً ولا رقياً .. إنهم يريدون أن تكون المرأة قريبة منهم .. يريدونها كلأً مباحاً لشهواتهم .. يريدونها سلعةً مكشوفةً لنزواتهم ... يريدون العبث بها كلما أرادوا .. والمتاجرة بها في أسواق الرذيلة .. إنهم يريدون امرأة بغير حياء ولا عفاف .. يريدون امرأة غربية الفكر والتصور والهدف والغاية .. يريدون امرأة تجيد فنون الرقص .. وتتقن ألوان الغناء والتمثيل .. يريدون امرأة متحررة من عقيدتها وإيمانها وطهرها وأخلاقها

الإحصائيات لها وقع

1- أظهرت إحدى الإحصائيات أن 19 مليوناً من النساء في الولايات المتحدة كُنَّ ضحايا لعمليات الاغتصاب !! [كتاب : يوم أن اعترفت أمريكا بالحقيقة] .

2- أجرى الاتحاد الإيطالي للطب النفسي استطلاعاً للرأي اعترف فيه 70% من الإيطاليين الرجال بأنهم خانوا زوجاتهم [تأملات مسلم] .

3-في أمريكا مليون طفل كل عام من الزنا ومليون حالة إجهاض [عمل المرأة في الميزان] .

4-في استفتاء قامت به جامعة كورنل تبين أن 70% من العاملات في الخدمة المدنية قد اعتُدي عليهن جنسيًّا وأن 56% منهن اعتدي عليهن اعتداءات جسمانية خطيرة [المرأة ماذا بعد السقوط ؟] .

5-في ألمانيا وحدها تُغتصب 35000 امرأة في السنة، وهذا العدد يمثل الحوادث المسجلة لدى الشرطة فقط أما حوادث الاغتصاب غير المسجلة فتصل حسب تقدير البوليس الجنائي إلى خمسة أضعاف هذا الرقم [رسالة إلى حواء]

\-

الحجاب طاعة لله عز وجل وطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم :

أوجب الله طاعته وطاعة رسول صلى الله عليه وسلم فقال :{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا } [الأحزاب : 36]

وقد أمر الله سبحانه النساء بالحجاب فقال تعالى :{ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا } [النور : 31]

وقال سبحانه : { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } [الأحزاب :33] وقال تعالى :{ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } [الأحزاب : 53] وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ } [الأحزاب : 59].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :" المرأة عورة" يعني يجب سترها .

الحجاب عفة

فقد جعل الله تعالى التزام الحجاب عنوان العفة ، فقال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ } [الأحزاب : 59]

لتسترهن بأنهن عفائف مصونات { فَلَا يُؤْذَيْنَ } فلا يتعرض لهن الفساق بالأذى، وفي قوله سبحانه { فَلَا يُؤْذَيْنَ } إشارة إلى أن معرفة محاسن المرأة إيذاء لها ولذويها بالفتنة والشر .

الحجاب طهارة

قال سبحانه وتعالى :{ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } [الأحزاب : 53].

فوصف الحجاب بأنه طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات لأن العين إذا لم تر لم يشته القلب ، ومن هنا كان القلب عند عدم الرؤية أطهر ، وعدم الفتنة حينئذ أظهر لأن الحجاب يقطع أطماع مرضى القلوب :{ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } [الأحزاب : 32]

الحجاب ستر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إن الله حيي ستير ، يحب الحياء والستر " وقال صلى الله عليه وسلم :" أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها خرق الله عز وجل عنها ستره "، والجزاء من جنس العمل .

الحجاب تقوى

قال تعالى : { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ } [الأعراف : 26]

الحجاب إيمان

والله سبحانه وتعالى لم يخاطب بالحجاب إلا المؤمنات فقد قال سبحانه وتعالى :{ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ } وقال الله عز وجل { وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ}

ولما دخل نسوة من بني تميم على أم المؤمنين – عائشة رضي الله عنها – عليهن ثياب رقاق قالت :"إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات ، وإن كنتين غير مؤمنات فتمتعن به ".

الحجاب حياء

قال صلى الله عليه وسلم :" إن لكل دين خلقاً ، وإن خلق الإسلام الحياء" وقال صلى الله عليه وسلم :" الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة " وقال عليه الصلاة السلام : " الحياء والإيمان قرنا جميعاً ، فإن رفع أحدهما رفع الآخر ".

الحجاب غيرة

يتناسب الحجاب أيضاً مع الغيرة التي جُبل عليها الرجل السوي الذي يأنف أن تمتد النظرات الخائنة إلى زوجته وبناته ، وكم من حرب نشبت في الجاهلية والإسلام غيرة على النساء وحمية لحرمتهن ، قال علي رضي الله عنه :" بلغني أن نساءكم يزاحمن العلوج –أي الرجال الكفار من العجم – في الأسواق ألا تغارون ؟ إنه لا خير فيمن لا يغار ".

التبرج معصية لله ورسول صلى الله عليه وسلم

ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه ، ولن يضر الله شيئاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى "، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال :" من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى ".

التبرج يجلب اللعن والطرد من رحمة الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت ، العنوهن فإنهن ملعونات ".

التبرج من صفات أهل النار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات .. " الحديث .

التبرج سواد وظلمة يوم القيامة

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :" مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها ، كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها "، يريد أن المتمايلة في مشيتها وهي تجر ثيابها تأتي يوم القيامة سوداء مظلمة كأنها متسجدة في ظلمة والحديث – وإن كان ضعيفاً – لكن معناه صحيح وذلك لأن اللذة في المعصية عذاب ، والطيب نتن ، والنور ظلمة ، بعكس الطاعات فإن خلوف فم الصائم ودم الشهيد أطيب عند الله من ريح المسك .

التبرج نفاق

قال النبي صلى الله عليه وسلم :" خير نسائكم الودود الولود ، المواسية المواتية ، إذا اتقين الله ، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخلن الجنة إلا مثل الغراب الأعصم "، الغراب الأعصم : هو أحمر المنقار والرجلين ، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء لأن هذا الوصف في الغربان قليل .

التبرج تهتك وفضيحة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها ، فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل ".

التبرج فاحشة

فإن المرأة عورة وكشف العورة فاحشة ومقت قال تعالى :{ وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء} [الأعراف:28]

والشيطان هو الذي يأمر بهذه الفاحشة { الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء}[البقرة:268]

التبرج سنة إبليسية

إن قصة آدم مع إبليس تكشف لنا مدى حرص عدو الله إبليس كشف السوءات ، وهتك الأستار ، وأن التبرج هدف أساسي له ، قال تعالى :{ يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا} [الأعراف:27]

فإذن إبليس هو صاحب دعوة التبرج والتكشف ، وهو زعيم زعماء ما يسمي بتحرير المرأة .

التبرج طريقة يهودية

لليهود باع كبير في مجال تحطيم الأمم عن طريق فتنة المرأة وهم أصحاب خبرة قديمة في هذا المجال ، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم :" فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ".

التبرج جاهلية منتنة

قال تعالى : { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } [الأحزاب :33]

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم دعوى الجاهلية بأنها منتنة أي خبيثة فدعوى الجاهلية شقيقة تبرج الجاهلية، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :"كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي "، سواء في ذلك تبرج الجاهلية ، ودعوى الجاهلية ، وحمية الجاهلية .

التبرج تخلف وانحطاط

إن التكشف والتعري فطرة حيوانية بهيمية ، لا يميل إليه الإنسان إلا وهو ينحدر ويرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان الذي كرمه الله ، ومن هنا كان التبرج علامة على فساد الفطرة وانعدام الغيرة وتبلد الإحساس و موت الشعور :

لحد الركبتين تشمرينا *** بربك أي نهر تعبرين

كأن الثوب ظلٌ في صباح *** يزيد تقلصاً حيناً فحينا

تظنين الرجال بلا شعور *** لأنكِ ربما لا تشعرينا

التبرج باب شر مستطير

وذلك لأن من يتأمل نصوص الشرع وعبَر التاريخ يتيقن مفاسد التبرج وأضراره على الدين والدنيا ، لا سيما إذا انضم إليه الاختلاط المستهتر .

الحجاب في منظور التيارات النسائية

ان قضية الحجاب شكلت على مدى عقود كثيرة حقلاً ومحوراً رئيساً من محاور المنابر النسائية المختلفة وتباينت حولها الأراء خاصةً بعد بروز تيار نسائي اسلامي مدافع عن المرأة انسانةً وعقيدة وفكراً في ظل الهجمة المستعرة والمنظمة من قبل

العديد من الجمعيات والمؤسسات النسائية العلمانية المنتشرة في ارجاء عالمنا العربي الإسلامي والهادفة الى تدمير النسيج الإجتماعي والقيمي والعقدي والأخلاقي في المجتمع من خلال ادخال وترويج مفاهيم خاطئة اساساً ومدمرة نتيجةً فيما يتعلق بالمرأة والنظرة اليها والى دورها في المجتمع الذي تعيش فيه وتصوير القيم العقدية سبباً من اسباب التخلف الفكري وهضم الحقوق وسلبها وبالتالي تحييد دورها الفاعل والمؤثر في بناء مجتمع حضاري وهذا ما هيأ الأجواء لبروز فلسفات حول الشكل العام للمرأة المسلمة ممثلاً بالحجاب حيث نجد أن التيار الإسلامي النسائي له فلسقته والتيار النسوي العلماني له فلسفته وبين الفلسفتين تكمن الحاجة الى بيان الحق والحقيقة وفيما يلي استعراض لهذه الفلسفات .

الحجاب عنوان المساواة

النقطة الأولي: ينظر التيار النسائي الإسلامي إلى أن فلسفة قيام الحجاب ترتكز بالأساس على انتفاء صفة الجنس كمعيار للتميز ، أو اعتبار المرأة أداة أو دافعا جنسيا داخل محيطها، والحجاب ضرورة لتحقيق المساواة بين الرجل والمرأة الإنسان في المجتمع وفي مجالات العمل المختلفة؛ حيث ينظر إلى الحجاب على أنه وسيلة يمكن أن تتخذها المرأة لإطلاق العنان لتحقيق ذاتها من خلال عملها الذي تختاره هي حسب مؤهلاتها، وكذلك تثبت واجب مشاركتها في بناء وإصلاح المجتمع ويكون الحجاب بذلك رمزاً للتميز الإيجابي ومظهر من مظاهر التأكيد على الجنس البشري وما تقنضيه الفطرة الإنسانية ولهذا رد على من يعقد بأن المساواة بين المرأة والرجل في كل شيء يعني مساوتها به في اللباس وهذا ما وقع به انصار التبرج والسفور .

وتتكرر نفس الرؤيا بقوالب مختلفة في الفكر النسوي العلماني؛ حيث يؤكد الراديكاليون من النسويين على ضرورة تقريب الشكل الخارجي للمرأة من شكل الرجل؛ حيث تقصير الشعر وارتداء "البنطال" وانتفاء المكياج، بالإضافة إلى مناهضة أغلب تيارات النسوية استخدام المرأة في الدعارة والدعايات وبقية وسائل الإعلام، منطلقة من نفس الفلسفة؛ أي لإقصاء جنس المرأة أو اعتبارها أداة متعة؛ لتتساوى في ذلك بالرجل الإنسان.

ولكن المفارقة تكمن في إنكار النسوية الراديكالية.. هذا في قضية الحجاب مع تماثل الموقف والعلة؛ حيث إن الرجل هو المعني بالنظرة الجنسية للمرأة في الحالتين، والرجل الذي يجلس أمام فاتنة أبرزت جمالها.. من الطبيعي أن ينصرف ذهنه إلى الغريزة والأنوثة، في الوقت الذي تستطيع المرأة بستر تلك المفاتن أن تفرض على الرجل أن ينظر إليها كإنسان مكافئ لها، لا كمغرية تتبارى في منافسة الأخريات، وتُبرز كل يوم مع كل موضة قدرا ونوعا من المفاتن.

ومع أن الحركات النسوية الراديكالية تنكر وجود أي فروق حقيقية بين الجنسين فكيف تناهض تغطية الفروقات الظاهرية التي تذكر دوما بتلك الفروق وتكرسها، وتوحي بأن المرأة شيء والرجل شيء آخر؟ حيث إن المرأة هي نفسها بحاجة إلى فرض نفسها كإنسان على الآخر وعلى المجتمع معا لتنطلق وتحقق ما تريد.

الحجاب حماية المرأة

والنقطة الثانية: التي يراها التيار النسائي الإسلامي أن الحجاب تم فرضه على المرأة من أجل حمايتها من الإيذاء والاعتداء، بعد أن تمكنت هي من فرض شخصيتها كإنسانة؛ وذلك لترسيخ هذه الحماية في إطار ثقافي ثم اجتماعي؛ وهو ما يؤدي إلى تفادي المجتمع من الاستغراق في حماية المرأة بقوة القانون والبوليس ومحاكم الدولة وسجونها، وهذا ظاهر وجلي للمتابع لما يجري في المجتمعات الغربية التي تقوم بحل قضايا، مثل: التحرش الجنسي، والاغتصاب ، وهما ظاهرتان ناتجتان عن الانحلال الأخلاقي الذي يسود المجتمع، ويعد عدم حجاب المرأة من العوامل الأساسية التي أدت إلى تفاقم معاناة المرأة من التحرش الجنسي والاغتصاب حتى وصلت الإحصائيات إلى مستوى مخيف.

وليس معنى هذا أنه بقيام الحجاب سوف يتم القضاء على التحرش الجنسي والاغتصاب، ولكن لا يمكننا إغفال أثر هذا العامل الرئيسي عند تحليلنا للإحصائيات التي لا تبشر بخير لا للمرأة ولا للمجتمع الإنساني، ولا يمكن لباحث علمي أن ينكر العلاقة بين حجاب المرأة وتقليل عوامل الإثارة، وانخفاض نسبة هذه الجرائم .

الحجاب حرية شخصية فلماذا تحارب

والنقطة الثالثة: هي أن ما تم تطبيقه حتى الآن في أكثر من دولة وفي إطار النظم السياسية العلمانية التي تحتضن التيار النسوي الراديكالي من منع للحجاب وحرمان للمرأة المسلمة بسبب حجابها من حقوقها الأساسية في التعليم والمشاركة المدنية والسياسية في مؤسسات الدولة وحتى العلاج أحيانا، ولا فرق بين هذه النظم من حيث إنها تحكم شعوبا إسلامية، مثل تركيا وتونس أو شعوبا غير مسلمة كفرنسا التي منعت الحجاب حاليا.

وهنا يظهر جليا غلبة التيار النسوي الراديكالي بكل مسمياته على حساب بقية التيارات النسوية، وإخفاقه في تحقيق مناخ تتمتع فيه المرأة ولو بحريتها الشخصية، وحقها في الاختيار حين يكون حصولها على مساندة النظم السياسية أمرا واقعا، بل بدل ذلك أطلقت لنفسها عنان التمثيل نيابة عن كل النساء في قضايا تمس المرأة، هذا إن تعاملنا مع قضية الحجاب منطلقين من مبدأ الحرية الشخصية التي تناضل النسوية من أجلها ولكن بمعيار مزدوج؛ إذ منع الحجاب وحرمان المرأة المسلمة بسبب حجابها من دخول المدارس والجامعات والبرلمان وبقية مؤسسات الدولة لا تعد انتهاكا صارخا لحقوقها كإنسان!! حيث أصبحت العلمانية والنسوية الراديكالية في جبهة واحدة لخلق نوع جديد من التمييز القانوني ضد أغلب شرائح النساء في مجتمعاتهم فيما يخص قضية الحجاب، وأصبحت النسوية الراديكالية التي كانت بالأمس تنتقد وصاية الدين والرجل على المرأة تفرض وصايتها ووصاية الدولة بالقانون على المرأة، وقس على ذلك وصاية التيار النسوي الراديكالي من خلال مؤسسات الأمم المتحدة والمواثيق والاتفاقيات الدولية على نساء العالم، بعيدا عن أي اعتبار لتعدد الثقافات والأديان بين الأمم والشعوب.

الحجاب بين الشكل والجوهر

والنقطة الرابعة: هي انغماس الراديكاليين في شأن الحجاب؛ لدرجة أن كل من ترتدي الحجاب لا تعتبر من وجهة نظر أغلبية هذا التيار مدافعة عن حقوق المرأة، ويختلق هذا التيار علاقة عكسية بين قضية الحجاب وقضية الدفاع عن المرأة، ويعتبر الحجاب وعدمه معيارا لتحديد من يوصف بالمدافع عن قضية المرأة، وكأن الحجاب يعطل فكر المرأة من أن تناضل من أجل الحصول على حقوقها وحقوق من تمثلها،

وهذا التعامل السطحي مع الحجاب خلق حاجزا نفسيا بين الناشطات في مجال قضايا المرأة داخل المجتمعات الإسلامية، نلاحظها من خلال المناشط اليومية والمؤتمرات، وأعتبره شخصيا عاملا مؤثرا وأساسيا في ضعف التواصل بين مختلف المؤسسات والجمعيات والمراكز الناشطة في مجال المرأة والاتفاق على أرضية مشتركة للعمل عليها من أجل المرأة نفسها، حين كانت مجتمعاتنا عامة والمرأة فيها خاصة في غنى عن هذه الحالة.

وهذا التعامل ليس مقصورا على الراديكاليين من النسوية؛ بل إن هناك من المتشددين الإسلاميين من يرون نفس الرأي تجاه سفور المرأة. فبالرغم من أهمية الحجاب وكونه فريضة دينية فإنه ليس أهم من الإيمان والواجبات الخمسة المتعلقة بالإسلام، وليس الشكل أهم من الجوهر، وفي كلتا الحالتين تتضرر المرأة لوحدها، وتنغمس مختلف تيارات نسائية/نسوية في إشكاليات لا تقدم للمرأة شيئا، بل تعرقل النضال من أجل حصول المرأة على حقوقها وكذلك تمكينها.

الحجاب هوية دينية وثقافية

والنقطة الخامسة: هي نظرة التيار النسائي للحجاب على أنه جزء من هويتها الدينية والثقافية، وأن تمسكها بالحجاب من القضايا التي لا يمكن التهاون فيها، وأنها من مقتضيات الحفاظ على نظامها الثقافي في زمن تغزوه العولمة، وأن هذا التمسك يعكس واقع مجتمعاتها الإسلامية، ويعبر عنها.

بينما تضع النسوية الراديكالية الحجاب في إطار الإسلام كدين، وحيث إن رفض الدين وإقصاءه من حياة المرأة يعتبر من أهم المرتكزات التي نشأ عليها التيار الراديكالي من الحركة النسوية، وبالتالي رفْض الحجاب بل ومناهضته يدخل في صلب إستراتيجية النسوية الراديكالية البعيدة كل البعد عن شعاراتها الأساسية فيما يخص الحرية الشخصية وتولي المرأة لزمام أمور حياتها، حينما يتعلق الأمر بالجنس والصحة الإنجابية؛ مما صعد الخطاب النسائي الآخر ضدهم لحد وصفهم بمنفذين لأجنده خارجية لا تتلاءم مع الواقع الثقافي والاجتماعي للمجتمعات الإسلامية.

دشنت 70 شخصية نسائية ألمانية بارزة من مختلف شرائح المجتمع الألماني -من غير المسلمين- حملة مناهضة لقوانين مقترحة جديدة لحظر ارتداء الحجاب في دوائر العمل العامة والمدارس الرسمية في عدد من الولايات الألمانية.

حملات مناهضة لقرار منع الحجاب

نقلت مجلة "دير شبيجيل" الألمانية على موقعها الإلكتروني في 3-12-2003 عن ماري لويز بيك مفوضة الأجانب والاندماج في الحكومة الألمانية انتقادها الشديد لعزم عدد من الولايات الألمانية إصدار قوانين جديدة لحظر الحجاب في الوظائف العامة بها.

واعتبرت "ماري لويز" أن هذه القوانين استخفاف بالوصايا الدستورية المتعلقة بمعاملة جميع الأديان الموجودة داخل المجتمع الألماني على قدم المساواة.

وأكدت أن تقنين حظر عمل المسلمات في المدارس الرسمية والوظائف العامة في ألمانيا سيؤدي إلى ممارسة تمييز ديني غير مسبوق عليهن وجرح مشاعرهن وصدمتهن من الظلم الواقع عليهن.

من جهتها، قالت "بربارا جون" مفوضة الأجانب والاندماج في برلمان ولاية برلين المحلي: إن هدف واضعي القوانين الجديدة والمؤيدين والمتبنين لها هو إثارة فزع هائل بين المواطنين الألمان من الإسلام، وتعزيز صورته النمطية السلبية عندهم كعدو شيطاني رهيب.

وأضافت بربارا أن مثل هذه القوانين في حال صدورها من شأنها أن تسم المجتمع الألماني بالانغلاق والتطرف بصورة مطلقة، وأن تؤدي إلى إضافة أعضاء جدد لمعسكر من أسمتهم "المتشددين المسلمين" داخل المجتمع الألماني.

وأطلقت "اللجنة الإسلامية لحقوق الإنسان" -ومقرها العاصمة البريطانية لندن- حملة دولية للضغط على الحكومة الفرنسية وحملها على العدول عن سن قانون يمنع المسلمات من ارتداء الحجاب في المدارس.

واقترحت اللجنة -التي تناهض العداء ضد الإسلام والمسلمين في أوربا- على جميع المسلمين في مختلف أنحاء العالم توجيه رسائل احتجاج للمسئولين الأوربيين تندد

بالنوايا الفرنسية وتحضهم على اتخاذ مواقف قوية وواضحة ترغم الحكومة الفرنسية على العدول عن نواياها بسن قانون يمنع ارتداء الحجاب في المدارس.

ودعت اللجنة المسلمين بصورة خاصة إلى توجيه رسائل إلى الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" ووزير داخليته، بالإضافة إلى وزير الخارجية البريطاني "جاك سترو" وجميع وزراء الخارجية في أنحاء العالم، والسفراء الفرنسيين المعتمدين في جميع عواصم العالم.

وأوضحت اللجنة أنها أعدت نماذج للرسائل المراد إرسالها للتنديد بموقف الحكومة الفرنسية من الحجاب، كما أعدت صيغة لكل رسالة حسب الشخص أو الجهة المتجهة إليها، فالذين يقيمون في دول الاتحاد الأوربي عدا الفرنسيين عليهم الكتابة إلى وزير خارجية البلد الذي يقيمون فيه.

وقال "مونل زيدان" الناشط الإسلامي، مسئول مؤسسة زيدان للاستشارات الإعلامية المعنية بالترويج للحملة: إن القائمين على الحملة يستهدفون "حث المسلمين في مختلف أنحاء العالم على الوقوف في وجه حملة العداء التي تروج في أوربا ضد الإسلام والمسلمين، والتي تأتي المواقف الفرنسية من الحجاب خير برهان عليها".

وأضاف زيدان أن "حملة الرسائل بداية لخطوات أكثر جدية لإرغام الحكومة الفرنسية على احترام رموز الدين الإسلامي وحرية الاعتقاد وممارسة الشعائر، شأنهم شأن غيرهم من معتنقي الأديان الأخرى".

وأشار إلى أن "اللجنة تنوي حال إصرار الحكومة الفرنسية على المضي قدمًا في اتجاه سن هذا القانون أن تقيم ضدها دعوى قضائية أمام محكمة حقوق الإنسان الأوربية" باعتبار أن قانون منع الحجاب "صورة صارخة للتمييز على أساس ديني بما يتعارض مع الأعراف ومواثيق حقوق الإنسان التي يدعمها الاتحاد الأوربي".

ورأى مونل زيدان أن "المسلمين يعتبرون الحلقة الأضعف وسط كافة العرقيات والجاليات التي تعيش في أوربا، ونتيجة لأنهم غير فاعلين ولا يقفون مواقف إيجابية عند انتهاك حقوقهم، يتعرضون كل يوم للمزيد من الغبن والنيل من معتقداتهم ومقدساتهم، ومن هنا تسعى اللجنة الإسلامية لحقوق الإنسان –بالتعاون مع

مؤسسات أهلية أخرى في أوربا- لتوحيد كلمة المسلمين وحشد رأيهم حيال القضايا التي تنال من حقوقهم في البلدان التي يعيشون فيها".

وأشار "زيدان" إلى أن سن فرنسا لقانون يمنع ارتداء الحجاب في المدارس كفيل بـ"توفير مظلة شرعية وقانونية لحملة العداء التي تروج لها دوائر عنصرية ضد المسلمين". ورأى أنه من الضروري ألا تقتصر الاستجابة للحملة على المسلمين المقيمين في أوربا وحدهم، بل من الضروري أن يشارك فيها المسلمون في العالمين العربي والإسلامي، لا سيما أن القانون الفرنسي حال إقراره لن يحد من حرية المسلمات المقيمات في فرنسا وحدهن، بل سينال من حرية الزائرات لفرنسا من العرب والمسلمين سواء للسياحة أو العلاج أو غيره.

وفي تونس العلمانية التي لا تقل خطراً على الحجاب من فرنسا طلب عدد من المحامين والشخصيات السياسية التونسية من رئيس الدولة زين العابدين بن علي التدخل العاجل لإيقاف الانتهاكات المتواصلة ضد النساء التونسيات المرتديات للحجاب.

وجاء في عريضة وقعها أكثر من 100 محام وناشط حقوقي أن "النساء التونسيات المرتديات للحجاب يتم حرمانهن منذ بداية السنة من العمل ودخول المعاهد والجامعات، كما يعمد رجال الأمن دون موجب قانوني إلى تعنيفهن، ونزع الحجاب بالقوة مع الشتم والوصف بشتى النعوت، ولو أمام أزواجهن أو إخوانهن، وإجبارهن على إمضاء التزام بعدم ارتداء الحجاب مستقبلاً".

وطالبت العريضة التي أثارت جدلاً واسعًا عقب توزيعها على وسائل الإعلام الإثنين 10-11-2003 "بإيقاف هذه الانتهاكات الخطيرة والمنافية للحرية الشخصية وحرية المعتقد وكل المواثيق الدولية".

كما ندّد الموقعون على العريضة "بالاعتداءات على الحرمة الجسدية للمواطنات من طرف سلطة يفترض فيها أنها تسهر على احترام القوانين وحماية المواطنين، لا على ترويعهم والتدخل في خياراتهم الشخصية".

وكانت الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان قد عبرت عن انشغالها العميق بالانتهاكات والاعتداءات التي تتعرض لها النساء المحجبات من طرف رجال الأمن أو المسئولين في الإدارات العمومية.

ووصفت الرابطة في بيان حديث أن المنشور الصادر عن وزارة التربية والتدريب، الذي يدعو إدارات المعاهد والمدارس إلى "العمل بكل حزم وصرامة على تطبيق التدابير التي تمنع ارتداء الأزياء ذات الإيحاءات والدلالات الطائفية"، في إشارة إلى الحجاب، بأنه "منشور غير قانوني، وينتهك الحق في حرية اللباس والحق في التعليم".

ويُذكر أن وزير الصحة حبيب مبارك لا بارك الله فيه قد أصدر منشورا جديدا في بداية شهر رمضان يدعو فيه المستشفيات وإدارات الصحة إلى منع الأطباء والممرضين والمرضى من الدخول في حالة وجود الحجاب أو اللحية.

من جهة أخرى قال المجلس الوطني للحريات: إنه سجل منذ بداية السنة الدراسية الحالية حملة منظمة لانتهاك الحريات الفردية للمواطنات المحجبات. وقال المجلس إن الحملة شملت المحجبات في الطريق العام ووسائل النقل العمومية ومؤسسات التعليم العالي والمحاكم والمستشفيات".

وقال المحامي نجيب حسني الناطق الرسمي باسم مجلس الحريات": يجب إيقاف هذه الحملة اللامنطقية التي تحرم نساء تونس من حقوقهن في التعليم والعمل، وأضاف: "المجتمع المدني وقواه الصادقة لا يمكنهم السكوت على هذه الانتهاكات، وعلى تسخير أجهزة الدولة لمحاربة نساء محجبات بدون أي ذنب، سوى ممارسة قناعات شخصية مضمونة في الدستور والمواثيق الدولية".

نماذج لاضطهاد المحجبات في تونس العروبة

قالت أحلام الداني من تونس الخضراء ، 45 سنة، إنها تعرضت للاختطاف من قبل رجال أمن بالزي المدني، حيث أجبرت على الالتزام بنزع الحجاب داخل منطقة الأمن بباب سويقة وسط العاصمة التونسية، وعبرت عن استيائها الشديد من تدهور حقوق النساء بدون أي موجب ولا قانون.

أما الطالبة بسمة الغزي -23 سنة- فقالت إنها أحيلت إلى مجلس التأديب بكلية العلوم، وإنها اضطرت لنزع حجابها مؤقتًا حتى لا تضحي بدراستها.
وأضافت الغزي: "أعتقد أن المنشورات الصادرة عن وزير التعليم العالي ضد المحجبات فيها ظلم كبير لم يحصل حتى في الدول الغربية، وهي ناتجة عن تحريض واضح وصريح من أطراف أصابها الفشل ولم يجدوا إلا المحجبات لمحاربتهن".
من المعروف أن القانون رقم 108 التونسي الذي يتضمن حظر ارتداء الحجاب صدر في عهد الرئيس التونسي الراحل الحبيب بورقيبة عام 1981.
وقال القرضاوي في خطبة الجمعة 19-12-2003 التي ألقاها بمسجد عمر بن الخطاب بالعاصمة القطرية الدوحة ان ما قامت به فرنسا يخالف مبدأين أساسيين من مبادئ الحرية المدنية وهما: الحرية الشخصية والحرية الدينية"، وأكد القرضاوي أنه لا يجوز للمرأة المسلمة أن تترك الحجاب؛ لأن الله أمر به وهو ليس رمزاً لأن الرمز الديني هو ما ليس له وظيفة سوى الإعلان عن الانتماء لدين معين كالصليب للنصارى والقلنسوة لليهود. أما الحجاب فلا؛ ذلك لأن له وظيفة أساسية وهي الستر؛ فهو يستر للمسلمة شعرها وبدنها وعنقها ونحرها".
وفي ختام لحثنا هذا نرى أن قضية الحجاب واثارتها عالمياً وعلى مستوى سياسي ودستوري له دلالات مهمة يجب الإشارة اليها ومن أهمها أن الغرب بات يدرك تماماً أن المستقبل للإسلام وأن الفكر الإسلامي هو الفكر الذي يناسب كل الثقافات وكل الشعوب وبالتالي فانه المرشح الوحيد والأصلح لقيادة العالم بشكل سليم وهذ1ا الإدراك طبعاً يتعارض مع اهدافهم الخبيثة ومع مخططاتهم المسمومة ولهذا يجب محاربة الإسلام من خلال القضاء على مظاهره الدالة عليه وليس هناك من مظهر اسطع من الحجاب لدجى المرأة المسلمة وأيضاً فهم هذا ادراك آخر لأهمية الحجاب في تهذيب النفس وهم طبعاً يريدون تخريب هذه النفس وافسادها والتي بها يفسد كل شيء في المجتمع ولما كان وما زال العالم الإسلامي والفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية والمرأة المسلمة المتزنة والمحتشمة تشكل عقبة أمام طموحهم رسموا

خططهم لإفساد المرأة مربية الأجيال حتى يستقيم الحال بينها وبين نسائهم في الخفة والفساد .

وهذا كله يقودنا الى أن الحرب هذه يجب أن تواجه بحملة مضادة ومنظمة وواسعة ومدروسة ترتكز على قواعد واصول العمل الدعوي الواعي والمؤصل شرعاً ومن هنا يبرز دور العلماء من فقهاء وعلماء اجتماع وسياسة لكي تتخذ المسألة نهجاً علمياً سليماً وهذا طبعاً يجب أن يدعمه خطوات جماهيرية ومنظماتية شعبية ضاغطة ودافعة باتجاه العمل على تصويب الأوضاع في مجتمعاتنا العربية والإسلامية التي تعاني هي الأخرى من ظواهر ومسلكيات خطيرة تقودها وتعمل على تشجيعها الأنظمة الحاكمة بالحديد والنار والظلم والإستبداد وما أكثر هذه النماذج في وطننا العربي والإسلامي الكبير وباعتقادي بغير هذا لن يوكن لصوت الإصلاح ودعوة الحق وكلمة الإيمان صدى وتأثير على الحكومات الغربية المعادية لنا أصلاً وعلانية ولكن كما يقول المثل لا يفل الحديد الا الحديد فالقوة هي السبيل الى تحقيق الأهداف ومن انواع القوة وحدة الصف والحرف والصوت والسوط وارادة والغاية والشعار والقرار والغرب ما زال يرى فينا كل اشكال الفرقة والتمزق والتشتت فكيف يخافنا أو يحسب لنا أي حساب وكيف لا يتجرأ على المس بقيمنا ومبادئنا وعقيدتنا وهو يرى منا من هم اكثر منه عداءاً لنا .

==============

#العلمانية التاريخ والفكرة ... ...

يتردد كثيراً في وسائل الإعلام والمنتديات وعلى المنابر مصطلح " العلمانية " والقليل من الناس من غير المتخصصين من لديه معلومات دقيقة , أو مفاهيم محددة واضحة عن العلمانية, ولعلي في هذه الكتابة أسهم في بيان وتوضيح وكشف هذه الجوانب عن العلمانية , مع الاعتراف بصعوبة ذلك في الكتابة الصحفية , لما تستدعيه من الاختصار والإيجاز, ولما عودته الصحف للناس من البساطة والخطابية وعدم التوثيق العلمي الأكاديمي المتعارف عليه في الجامعات.

أصل العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية " secularism " , وهي من العلم فتكون بكسر العين , أو من العالم فتكون بفتح العين , وهي ترجمة غير أمينة ولا دقيقة ولا

صحيحة , لأن الترجمة الحقيقية للكلمة الإنجليزية هي " لا دينية أو لا غيبية أو الدنيوية أو لا مقدس" , لكن المسوقون الأول لمبدأ العلمانية في بلاد الإسلام علموا أنهم لو ترجموها الترجمة الحقيقية لما قبلها الناس ولردوها ونفروا منها, فدلسوها تحت كلمة العلمانية لإيهام الناس أنها من العلم, ونحن في عصر العلم, أو أنها المبدأ العالمي السائد والمتفق عليه بين الأمم والشعوب غير المنحاز لأمة أو ثقافة .

وكان أول من طرح هذا المصطلح في الساحة الثقافية العربية نصارى بلاد الشام في القرن التاسع عشر , وكان أول من طرح هذا المصطلح – حسب علمي – " إلياس بقطور " وهو نصراني لبناني في معجم (عربي / فرنسي) ثم طرحه بعده " البستاني " في معجميه الذَين ألفهما .

• العلمانية بضاعة غربية :

لقد نشأت العلمانية في الغرب نشأة طبيعية نتيجة لظروف ومعطيات تاريخية – دينية واجتماعية وسياسية وعلمانية واقتصادية – خلال قرون من التدريج والنمو الطبيعي ، والتجريب والتكامل , حتى وصلت لصورتها التي هي عليها اليوم , وأهم هذه الظروف والمعطيات التي برزت وأنضجت التجربة العلمانية في الغرب هي :

1- طبيعة الديانة النصرانية ومبادئها الأساسية التي تقوم على الفصل بين الدين والدنيا , أو بين الكنيسة والدولة ونظم الحياة المختلفة , فهي ديانة روحية شعائرية لا شأن لها بنظم الحياة وشؤون الحكم والمجتمع , يعبر عن ذلك الشاعر النصراني " دع ما لله لله , وما لقيصر لقيصر " ..! ولهذا فإن النصارى أمماً وشعوباً حين يندفعون للبحث عن تنظيم أمور حياتهم, في العلمانية أو غيرها, لا يشعرون بأي حرج من ناحية دينهم ومعتقداتهم , بل إن طبيعة دينهم تدفعهم لهذا الأمر , ولذلك فإن نشأة العلمانية وانتشارها وسيادتها في المجتمعات الغربية أمر طبيعي .

2- الصراع الذي نشأ بين الكنيسة والكشوف العلمية في جوانب الحياة المختلفة , فعلى الرغم من أن الديانة النصرانية ديانة روحية صرفة إلا أن المؤسسة الكنسية تبنت بعض النظريات العلمية القديمة في بعض العلوم , ثم بمرور الزمن جعلتها جزء من الدين يحكم على كل من يخالفها بالردة والمروق والهرطقة , وحين تطورت العلوم الطبيعية تبين أن الكثير من تلك النظريات كانت خاطئة وخلاف الصواب والحقيقة ,

وانبرت الكنيسة تدافع عن تلك الأخطاء باعتبارها من الدين , واشتعلت الحرب , وسقط ضحايا التزمت الخرافي والتعصب الأعمى غير المبرر من علماء الطبيعة ما بين مقتول ومحروق ومشنوق , ومارست الكنيسة أقصى درجات القمع الفكري والبدني على معارضيها بزعمها , وجنت الكنيسة على الدين حين صورته للناس دين الخرافة والدجل والكذب , بسبب إصرارها على أن تنسب إليه ما هو منه براء .

وحين تكشفت للناس الحقائق وقامت البراهين القاطعة على صحة أقوال أهل العلم انحازوا للحقيقة ونبذوا الكنسية ودينها ، أو على الأصح ردوا الديانة النصرانية المحرفة إلى أصلها وطبيعتها وحقيقتها ، لا شأن لها بالعلم والحياة والنظم والكشوف ، فكان ذلك دفعة جديدة لسادة العلمانية ، تدعمها الكشوف العلمية والعقول المفكرة ، وقد أدى انتصار العلم في النهاية إلى ثورة علمية وكشوف جغرافية ، فكان أن ... :

3- قامت في الغرب حركة اجتماعية فكرية سياسية شاملة نفضت غبار الماضي ، وثارت على كل قديم ، واحتدمت نيران الصراع بين القوى الاجتماعية والسياسية الجديدة والقوى القديمة التي يمثلها الإقطاع وطبقات النبلاء ، وانحازت الكنيسة أيضاً للقوى القديمة ، بينما كانت القوى الجديدة تطالب بالحريات المساواة ، وترفع شعار حقوق الإنسان ، ويدعمها العلم وحقائقه ، وتطور الحياة وسنتها ... فالتفت الشعوب والجماهير حول القوى الجديدة الداعية إلى التقدم الاجتماعي والتطور الفكري والسياسي ، وكان يدعم هذا التوجه ما عاشته الشعوب من ظلم واستغلال بشع في ظل الإقطاع والكنيسة ، وكانت العلمانية اللادينية هي اللافتة والراية التي اجتمعت القوى الجديدة تحتها, وبانتصار هذه القوى انتصرت العلمانية, واندحرت النصرانية وأخذت القوى الجديدة تبشر بعصر جديد يسعد فيه الإنسان، وتحل جميع مشكلاته، ويعم السلام والرفاهية والرخاء جميع الشعوب، وهو ما لم يتحقق إلا بعضه كما سنرى بعد قليل .

• نتائج العلمانية في الغرب :

حين تحرر الإنسان الغربي من سيطرة الكنيسة والإقطاع تحرر من سيطرة الخرافة والدجل والظلم، ورافق ذلك بزوغ فجر التقدم الصناعي والثورة العلمية، وحين أخذت الشعوب الغربية بالنهج العلماني الجديد في إطار المستجدات العلمية والفكرية

والسياسية الجديدة كانت نتائج ذلك :

أ- التقدم العلمي الهائل :
إذ أن العقل الغربي الذي كان أسير الأساطير تاريخياً، والخرافة دينياً وعلمياً، تحرر من ذلك كله وانطلق يبحث ويجرب ويفكر ويتقصى ، فأبدع في هذا المجال بما لم تعرفه البشرية في تاريخها، وقدم الغرب للإنسانية من نتائج علمه ثورة صناعية هائلة غيرت وجه الأرض وطبيعة علاقة الإنسان بالبيئة المادية من حوله .
ب- الرخاء الاقتصادي الواسع الذي أصبحت تعيشه الشعوب الغربية ولم تحرمه شعوب العالم الأخرى :
إذ إن منجزات العلم وظفت في العديد من جوانبها لرفاهية الإنسان في ضرورياته من غذاء وكساء وعلاج وسكن وخدمات، بل تجاوز كثير من الشعوب توفير الضروريات إلى التوسع في الكماليات بصورة مميزة لم تعرف لها البشرية مثيلاً في الجملة وبصورة عامة .
ج- الاستقرار السياسي :
واستبعاد صور وأشكال العنف في التعبير عن الآراء والتوجهات السياسية ، وترسيخ آليات وأخلاقيات وقوانين وأعراف للحوار أو الصراع السياسي، وتوفير ضمانات للحريات السياسية في آلياته ووسائله وأساليبه- لا في فلسفته ومحتواه الفكري- أمن وسلام على الشعوب الغربية بعد عصور الدماء والتطاحن والثورات ، وأصبح مثالاً يحتذى من كافة شعوب الأرض ، ويسعى الجميع لاستيراده وتطبيقه باعتباره نهاية التاريخ ، وغاية التطور، وسقف الحضارة الذي لا يمكن تجاوزه
د- احترام حقوق الإنسان وحرياته :
وبالذات الإنسان الغربي، وبالمفهوم الغربي أيضا للحقوق والحريات، حيث أصبح زعيم أكبر وأقوى دولة في العالم يحقق معه ويحاكم كأي فرد مهما ضعف وتضاءل من شعبه، وبحيث أصبحت السيادة للقانون، ودور السلطة هو حماية القانون وتنفيذه وخدمة الأمة وحمايتها والنزول على رأيها ورغبتها، مع الأخذ في الاعتبار أن المفاهيم الغربية عن حقوق الإنسان والحريات ليست هي المفاهيم الصحيحة ، ولا

الأولى والأجدى لحياة الإنسان ، بسبب منطلقاتها المادية الإلحادية الإباحية، لكنها بلا شك تحتوي على قدر لا بأس به من قيم العدل والمساواة والإنصاف بمعايير القوانين الوضعية .

هـ – انتشار الإلحاد بجميع صوره وأشكاله في حياة الغربيين :

نتيجة لهزيمة الكنيسة والدين في مواجهة العلمانية ، مما أدى لتحييد الدين عن شئون الحياة العامة، واقتصاره على الجانب الفردي الاختياري في حياة الإنسان ولأول مرة في تاريخ البشرية تقوم دول وأنظمة ومعسكرات عالمية تتبنى الإلحاد في أشد صوره غلواً وتطرفاً ومادية ، وتصادم فطرة الإنسان , وتصادر ضرورات العقل في الإيمان ومستلزماته تحت شعار تقديس العقل ، وإنما هو تسفيه العقل والعياذ بالله .

و– السيطرة الغربية على شعوب العالم الأخرى ، واستعمارها، واستعبادها ، واستغلال خيراتها ، والتنافس بين الدول الغربية في ذلك :

مما تسبب في قيام حربين عالميتين ذهب ضحيتها عشرات الملايين من البشر ، وما زال التهديد قائماً بحرب ثالثة قد تكون سببا في دمار الأرض والقضاء على الحضارة البشرية ومنجزاتها عبر التاريخ, فالغرب نتيجة للثورة العلمية والقوة الاقتصادية والكشوف الجغرافية وتراجع المد الإسلامي في الأندلس وغيرها ، أخذت أساطيله تمخر عباب البحار والمحيطات، وتتسابق للاستيلاء على الممالك والأقاليم، وتقاسمت العالم ، ونهبت ثرواته، واستغلت شعوبه، وصادرت عقائده، وتجاهلت خصائص كل أمة وقيمها وثقافتها، وقامت حروب التحرر المقاومة للاستعمار، وسالت دماء الشعوب أنهاراً، وتم في النهاية جلاء القوى العسكرية الاستعمارية من أغلب بقاع العالم، ولكن بعد أن فرض الغرب رؤيته وأفكاره وأيديولوجيته، وربى على ذلك النخب الفكرية والسياسية في شعوب ما سمي بالعالم الثالث، وسلّمها زمام الأمر من بعده، فواصلت حمل راية العلمانية، وتطرفت في تطبيقها بالحديد والنار كما سترى فيما يأتي من حديث .

ز – العجز عن حل المعضلة الإنسانية التاريخية في غرس اليقين والطمأنينة في نفس الإنسان، والإجابة على تساؤلاته الكبرى المصيرية الملازمة له عبر تاريخه عن حقيقة وجود وبيان ماهيته ورسالته ودوره ووظيفته وإلى أين مآله ومصيره ونهايته .

هـذا الأمـر الـذي كـان محـور اهتمـام المـذاهب والفلسـفات والمبـادئ والنظريـات ، وموضوع الملل والنحل والرسالات السماوية هو ما بشرت العلمانية في بداياتها بأنها بالعلم ستصل فيه إلى الإجابات الشافية الكافية وأنه لا مشكلة للإنسان بعد اليوم .

ولكن ها نحن بعد أن عاشت الحضارة الغربية قرابة ثلاثة قرون في ظل العلمانية نرى الإنسان الغربي يعيش مأزقا نفسيا روحياً فكرياً وجودياً أشد عمقاً وتأزماً من مأزقه حين بشرت العلمانية بحل معضلته ، على الرغم من التقدم المادي والرفاه المعيشي الذي يعيشه هذه الأيام وصدق القائل سبحانه (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا).

• وسائل وطرائق العلمانية من الغرب للشرق:

لقد بزغ نجم العلمانية وعلا شأنه في الغرب في ظل الظروف التي أشرنا إليها ، وقد صاحب ظهورها في الغرب انحطاط وتخلف وهزائم في الشرق، مما أتاح للغرب أن يستلم زمام قيادة ركب الحضارة البشرية بما أبدعه من علم وحضارة ، وما بذله من جهد وتضحية ، فكان أمراً طبيعياً أن يسعى الغرب لسيادة نموذجه الحضاري الذي يعيشه وأن يسوقه بين أمم الأرض لأنه بضاعته التي لا يملك غيرها ، ولأنه أيضا الضمانة الكبرى لبقاء الأمم الأخرى تدور في فلك التبعية له وتكدح في سبيل مدنيته وازدهار حضارته ، وكان تسويق الغرب للعلمانية في الشرق الإسلامي من خلال الوسائل والطرق الآتية :

1- من خلال الاحتلال العسكري الاستعماري :

فقد وفدت العلمانية إلى الشرق في ظلال الحرب العسكرية، وعبر فوهات مدافع البوارج البحرية، ولئن كانت العلمانية في الغرب نتائج ظروف ومعطيات محلية متدرجة عبر أزمنة متطاولة، فقد ظهرت في الشرق وافداً أجنبياً متكامل الرؤى والإيديولوجيات والبرامج ، يطبق تحت تهديد السلاح وبالقسر والإكراه، كمن يصرّ على استنبات نبتات القطب الجليدي في المناطق الاستوائية ، وفي هذا من المصادمة لسنن الله في الحياة ما يقطع بفشل التجربة قبل تطبيقها، لأن الظروف التي نشأت فيها العلمانية وتكامل مفهومها عبر السنين تختلف اختلافاً جذرياً عن ظروف البلدان التي جلبت إليها جاهزة متكاملة في الجوانب الدينية والأخلاقية

والاجتماعية والتاريخية والحضارية ، فالشرط الحضاري الاجتماعي التاريخي الذي أدى إلى نجاح العلمانية في الغرب مفقود في الشرق بل في الشرق نقيضة تماماً – و أعني بالشرق هنا الشرق الإسلامي – , ولذلك فلا عجب إن كانت النتائج مختلفة تماماً كما سنرى , وحين نشأت الدولة العربية الحديثة كانت عالة على الغربيين الذين كانوا حاضرين خلال الهيمنة الغربية في المنطقة ومن خلال المستشارين الغربيين أو من درسوا في الغرب واعتنقوا العلمانية ، فكانت العلمانية في أحسن الأحوال أحد المكونات الرئيسية للإدارة في مرحلة تأسيسها وهكذا بذرت بذور العلمانية على المستوى الرسمي قبل جلاء جيوش الاستعمار عن البلاد التي ابتليت بها .

2- من خلال البعثات التي ذهبت من الشرق إلى الغرب لطلب العلم والتقدم , فعاد الكثير منها بالعلمانية لا بالعلم ، ذهبوا لدراسة الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والرياضيات فعادوا بالأدب واللغات والاقتصاد والسياسة والعلوم الاجتماعية والنفسية ، بل وبدراسة الأديان وبالذات الدين الإسلامي في الجامعات الغربية ، ولك أن تتصور حال شاب مراهق ذهب يحمل الشهادة الثانوية ويلقى به بين أساطين الفكر العلماني الغربي على اختلاف مدارسه ، بعد أن يكون قد سقط إلى شحمة أذنيه في حمأة الإباحية والتحلل الأخلاقي وما أوجد كل ذلك لديه من صدمة نفسية واضطراب فكري ، ليعود بعد عقد من السنين بأعلى الألقاب الأكاديمية ، وفي أهم المراكز العلمية بل والقيادية في وسط أمة أصبح ينظر إليها بازدراء ، وإلى تاريخها بريبة واحتقار ، وإلى قيمها ومعتقداتها وأخلاقها – في أحسن الأحوال – بشفقة ورثاء . إنه لن يكون بالضرورة إلا وكيلاً تجارياً لمن علّموه وثقّفوه ومدّنوه ، وهو لا يملك غير ذلك ، ولئن كان هذا التوصيف للبعثات الدراسية ليس عاماً ، فإنه الأغلب وبالذات في أوائل عصر البعثات ، وما " طه حسين " و" رفاعة الطهطاوي " إلا أمثلة خجلى أمام غيرهم من الأمثلة الصارخة الفاقعة اللون مثل " زكي نجيب محمود" و" محمود أمين العالم " و"فؤاد زكريا" و "عبدالرحمن بدوي" وغيرهم الكثير .. ولئن كان هذا الدور للبعثات العلمية تم ابتداء من خلال الابتعاث لعواصم الغرب فإن الحواضر العربية الكبرى مثل "القاهرة – بغداد – دمشق" أصبحت بعد ذلك من مراكز التصدير العلماني للبلاد العربية الأخرى، من خلال جامعاتها وتنظيماتها

وأحزابها وبالذات لدول الجزيرة العربية , وقلّ من يسلم من تلك اللوثات الفكرية العلمانية، حتى أصبح في داخل الأمة طابور خامس ، وجهته غير وجهتها وقبلته غير قبلتها ، وإنهم لأكبر مشكلة تواجه الأمة لفترة من الزمن ليست بالقليلة .

3- من خلال البعثات التبشيرية :

فالمنظمات التبشيرية النصرانية التي جابت العالم الإسلامي شرقاً وغرباً من شتى الفرق والمذاهب النصرانية جعلت هدفها الأول زعزعة ثقة المسلمين في دينهم ، وإخراجهم منه ، وتشكيكهم فيه ، حتى وإن لم يعتنقوا النصرانية ، وليس أجدى من العلمانية وسيلة لهذا الغرض ، والأمر ليس من باب التخمين والافتراض بل نطقت بهذا أفواههم وخطته أقلامهم ، وإن شئت فارجع إلى كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" مثلا ليبين لك ذلك .

وهؤلاء المبشرين : إما من الغربيين مثل "زويمر" و "دنلوب", وإما من نصارى العرب مثل "أديب إسحاق" و "شلبي شميل" و "سلامة موسى" و "جرجي زيدان " وأضرابهم .. ومنهم من كان يعلن هويته التبشيرية ويمارس علمنة أبناء المسلمين "كزويمر"ومنهم من كان يعلن علمانيته فقط ، ويبذل جهده في ذلك "كسلامة موسى"و"شبلي شميل" .

4- من خلال المدارس والجامعات الأجنبية :

ففي أواخر الدولة العثمانية وحين سيطر الماسونيون العلمانيون على مقاليد الأمر سمح للبعثات التبشيرية والسفارات الغربية بإنشاء المدارس والكليات، وانتشرت في بلاد الشام والأناضول انتشار النار في الهشيم ، وخرجت أجيال من أبناء وبنات المسلمين أصبحوا بعد ذلك قادة الفكر والثقافة ودعاة التحرير والانحلال . ومن الأمثلة على ذلك الجامعة الأمريكية في بيروت ، والتي في أحضانها نشأت العديد من الحركات والجمعيات العلمانية، وقد سرت العدوى بعد ذلك إلى الكثير من الجامعات والمؤسسات التعليمية الرسمية في العديد من البلاد العربية والإسلامية ، وقد قام خريجوا هذه المدارس والجامعات بممارسة الدور نفسه حين عادوا لبلدانهم أو ابتعثوا للتدريس في بعض البلدان الأخرى ، وإن المتابع لما ينشر من مذكرات بعض العلمانيين في البلاد التي لم تبتلى بهذه المدارس ليتبين له بجلاء ووضوح الدور

الكبير الذي قام به العلمانيون العرب من الذين استقدموا للتدريس في تربية طلابهم وإقناعهم بالعلمانية، سواء من خلال التنظيمات الحزبية أو من خلال البناء الفكري الثقافي لأولئك الطلاب .

5- من خلال الجمعيات والمنظمات والأحزاب العلمانية :

التي انتشرت في الأقطار العربية والإسلامية، مابين يسارية وليبرالية وقومية وأممية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية، بجميع الألوان والأطياف وفي جميع البلدان, حيث أن النخب الثقافية في غالب الأحيان كانوا إما من خريجي الجامعات الغربية أو الجامعات السائرة على النهج ذاته في الشرق، وبعد أن تكاثروا في المجتمع عمدوا إلى إنشاء الأحزاب القومية أو الشيوعية أو الليبرالية ، وجميعها تتفق في الطرح العلماني ، وكذلك أقاموا الجمعيات الأدبية والمنظمات الإقليمية أو المهنية ، وقد تختلف هذه التجمعات في أي شيء إلا في تبني العلمانية , والسعي لعلمنة الأمة كل من زاوية اهتمامه، والجانب الذي يعمل من خلاله .

ومن الأمور اللافتة للنظر أن أشهر الأحزاب العلمانية القومية العربية إنما أسسها نصارى بعضهم ليسوا من أصول عربية، أمثال "ميشيل عفلق" و"جورج حبش" ، والكثرة الساحقة من الأحزاب الشيوعية العلمانية إنما أسسها يهود مليونيرات أمثال "كوريل".

6- من خلال البعثات الدبلوماسية :

سواء كانت بعثات للدول الغربية في الشرق، أو للدول الشرقية في الغرب، فقد أصبحت في الأعم الأغلب جسوراً تمر خلالها علمانية الغرب الأقوى إلى الشرق الأضعف من خلال الإيفاد ، و من خلال المنح الدراسية وحلقات البحث العلمي، والتواصل الاجتماعي، والمناسبات والحفلات ، ومن خلال الضغوط الدبلوماسية والابتزاز الاقتصادي، وليس بِسِرٍ أن بعض الدول الكبرى أكثر أهمية وسلطة من القصر الرئاسي أو مجلس الوزراء في تلك الدول الضعيفة التابعة .

7- من خلال وسائل الإعلام المختلفة :

من مسموعة أو مرئية أو مقروءة، لأن هذه الوسائل كانت من الناحية الشكلية من منتجات الحضارة الغربية- صحافة أو إذاعة أو تلفزة - فاستقبلها الشرق واستقبل

معها فلسفتها ومضمون رسالتها، وكان الرواد في تسويق هذه الرسائل وتشغيلها والاستفادة منها إما من النصارى أو من العلمانيين من أبناء المسلمين , فكان لها الدور الأكبر في الوصول لجميع طبقات الأمة ، ونشر مبادئ وأفكار وقيم العلمانية ، وبالذات من خلال الفن ، وفي الجانب الاجتماعي بصورة أكبر .

هكذا سرت العلمانية في كيان الأمة ، ووصلت إلى جميع طبقاتها قبل أن يصلها الدواء والغذاء والتعليم في كثير من الأحيان، فكان كما يقول المثل "ضغث على إبالة"، ولو كانت الأمة حين تلقت هذا المنهج العصري تعيش في مرحلة قوة وشموخ وأصالة لوظفت هذه الوسائل الإعلامية توظيفاً آخر يتفق مع رسالتها وقيمها وحضارتها وتاريخها وأصالتها .

8- من خلال التأليف والنشر في فنون شتى من العلوم وبالأخص في الفكر والأدب :

فقد جاءت العلمانية وافدة في كثير من الأحيان تحت شعارات المدارس الأدبية المختلفة، متدثرة بدعوى رداء التجديد والحداثة، معلنة الإقصاء والإلغاء والنبذ والإبعاد لكل قديم في الشكل والمضمون وفي الأسلوب والمحتوى, ومثل ذلك في الدراسات الفكرية المختلفة في علوم الاجتماع والنفس والعلوم الإنسانية المختلفة، حيث قدمت لنا نتائج كبار ملاحدة الغرب وعلمانييه على أنه الحق الطلق، بل العلم الأوحد ولا علم سواه في هذه الفنون . وتجاوز الأمر التأليف والنشر إلى الكثير من الكليات والجامعات والأقسام العلمية التي تنتسب لأمتنا اسماً ولغيرها حقيقة ، وإن كان الأمر في أقسام العلوم الأخرى من طب وهندسة ورياضيات وفيزياء وكيمياء وأمثالها يختلف كثيرا ولله الحمد والمنة ، وهي الأقسام التي وجهها أبناء الأمة الأصلاء ممن لم يتلوثوا بلوثات العلمانية، فحاولوا أن ينقلوا للأمة ما يمكن أن تستفيد منه من منجزات التقدم الغربي مع الحفاظ على هويتها وأصالتها وقيمها .

9- من خلال الشركات الغربية الكبرى التي وفدت لبلاد المسلمين مستثمرة في الجانب الاقتصادي

لكنها لم تستطع أن تتخلى عن توجهاتها الفكرية، وقيمها وأنماط حياتها الاجتماعية ، وهذا أمر طبيعي، فكانت من خلال ما جلبته من قيادات إدارية وعمالة فنية احتكت

بالشعوب الإسلامية سبباً مهما في نشر الفكر العلماني وقيمه الاجتماعية و انعكاساته الأخلاقية والسلوكية، ولعل من المفارقات الجديرة بالتأمل، أن بعض البلدان التي كانت تعمل فيها بعض الشركات الغربية الكبرى من أمريكية وبريطانية لم تبتلى بالتنظيمات اليسارية، ولم تنشأ إلا في هذه الشركات في أوج اشتعال الصراع بين المعسكر الشيوعي والمعسكر الغربي.

• بعض ملامح العلمانية الوافدة:

لقد أصبح حَمَلة العلمانية الوافدة في بلاد الشرق بعد مائة عام من وفودهم تياراً واسعاً منفذاً غالباً على نخبة الأمة وخاصتها في الميادين المختلفة, من فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، وكان يتقاسم هذا التيار الواسع في الجملة اتجاهان :

أ- الاتجاه اليساري الراديكالي الثوري، ويمثله - في الجملة - أحزاب وحركات وثورات ابتليت بها المنطقة ردحاً من الزمن ، فشتت شمل الأمة ومزقت صفوفها ، وجرت عليها الهزائم والدمار والفقر وكل بلاء ، وكانت وجهة هؤلاء الاتحاد السوفييتي قبل سقوطه، سواء كانوا شيوعيين ، أو قوميين عنصريين .

ب- الاتجاه الليبرالي ذي الوجهة الغربية لأمريكا ومن دار في فلكها من دول الغرب ، وهؤلاء يمثلهم أحزاب وشخصيات قد جنوا على الأمة بالإباحية والتحليل والتفسخ والسقوط الأخلاقي والعداء لدين الأمة وتاريخها .

• وللاتجاهين ملامح متميزة أهمها :

1- مواجهة التراث الإسلامي ، إما برفضه بالكلية واعتباره من مخلفات عصور الظلام والانحطاط والتخلف - كما عند غلاة العلمانية - ، أو بإعادة قراءته قراءة عصرية - كما يزعمون - لتوظيفه توظيفاً علمانياً من خلال تأويله على خلاف ما يقتضيه سياقه التاريخي من قواعد شرعية، ولغة عربية، و أعراف اجتماعية. ولم ينجو من غاراتهم تلك حتى القرآن و السنة ، إمّا بدعوى بشرية الوحي ، أو بدعوى أنه نزل لجيل خاص أو لأمة خاصة ، أو بدعوى أنها مبادئ أخلاقية عامة ، أو مواعظ ورقائق روحية لا شأن لها بتنظيم الحياة ، ولا ببيان العلم وحقائقه ، ولعل من الأمثلة الصارخة للرافضين للتراث ، والمتجاوزين له "أدونيس" و "محمود درويش" و "البياتي" و "جابر عصفور" ومن لفّ لفهم وشايعهم وهم كثر لا كثرهم الله .

أما الذين يسعون لإعادة قراءته وتأويله وتوظيفه فمن أشهرهم "حسن حنفي" و "محمد أركون"و "محمد عابد الجابري" و "حسين أمين" ومن على شاكلتهم ، ولم ينجُ من أذاهم شيء من هذا التراث في جميع جوانبه .

2- اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي استعماري عنصري غير حضاري ، وتفسيره تفسيراً مادياً ، بإسقاط نظريات تفسير التاريخ الغربية العلمانية على أحداثه، وقراءته قراءة انتقائية غير نزيهة ولا موضوعية، لتدعيم الرؤى والأفكار السوداء المسبقة حيال هذا التاريخ ، وتجاهل ما فيه من صفحات مضيئة مشرقة ، والخلط المتعمد بين الممارسة البشرية والنهج الإسلامي الرباني ، ومحاولة إبراز الحركات الباطنية والأحداث الشاذة النشاز وتضخيمها، والإشادة بها ، والثناء عليها ، على اعتبار أنها حركات التحرر والتقدم والمساواة والثورة على الظلم مثل "ثورة الزنج" و "ثورة القرامطة" ومثل ذلك الحركات الفكرية الشاذة عن الإسلام الحق ، وتكريس فكرة مفادها أنها من الإسلام بل هي الإسلام مثل القول بوحدة الوجود، والاعتزال وما شابه ذلك من أمور تؤدى في نهاية الأمر إلى تشويه الصور المضيئة للتاريخ الإسلامي لدى ناشئة الأمة، وأجياله المتعاقبة .

3- السعي الدؤوب لإزالة أو زعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم ، والمسيرة المؤطرة للفكر والفهم الإسلامي في تاريخه كله ، من خلال استبعاد الوحي كمصدر للمعرفة والعلم ، أو تهميشه – على الأقل – وجعله تابعاً لغيره من المصادر كالعقل والحس ، وما هذا إلا أثر من آثار الإنكار العلماني للغيب ، والسخرية من الإيمان بالغيب ، واعتبارها – في أحسن الأحوال – جزء من الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية ، والترويج لما يسمي بالعقلانية والواقعية والإنسانية ، وجعل ذلك هو البديل الموازي للإيمان في مفهومه الشرعي الأصيل ، وكسر الحواجز النفسية بين الإيمان و الكفر ، ليعيش الجميع تحت مظلة العلمانية في عصر العولمة . وفي كتابات " محمد عابد الجابري " و" حسن حنفي " و" حسين مروة " و" العروي " وأمثالهم الأدلة على هذا الأمر .

4- خلخلة القيم الخلقية الراسخة في المجتمع الإسلامي ، والمسيرة للعلاقات الاجتماعية القائمة على معاني الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود وطلب

الأجر وأحاسيس الجسد الواحد ، واستبدال ذلك بقيم الصراع و الاستغلال والنفع وأحاسيس قانون الغاب والافتراس والتحلل والإباحية , من خلال الدراسات الاجتماعية والنفسية ، والأعمال الأدبية والسينمائية والتلفزيونية ، مما هز المجتمع الشرقي من أساسه ، ونشر فيه من الجرائم والصراع ما لم يعهده أو يعرفه في تاريخه ، ولعل رواية "وليمة عشاء لأعشاب البحر" – السيئة الذكر – من أحدث الأمثلة على ذلك، والقائمة الطويلة من إنتاج"محمد شكري" و "الطاهر بن جلون" و "الطاهر طار" و "تركي الحمد" وغيرهم الكثير تتزاحم لتؤدي دورها في هدم الأساس الخلقي الذي قام عليه المجتمع، واستبداله بأسس أخرى .

5- رفع مصطلح الحداثة كلافتة فلسفية اصطلاحية بديلة لشعار التوحيد ، والحداثة كمصطلح فكري ذي دلالات محددة تقوم على مادية الحياة ، وهدم القيم والثوابت، ونشر الانحلال والإباحية ، وأنسنة الإله وتلويث المقدسات ، وجعل ذلك إطاراً فكرياً للأعمال الأدبية ، والدراسات الاجتماعية ، مما أوقع الأمة في أسوأ صور التخريب الفكري الثقافي .

6- استبعاد مقولة الغزو الفكري من ميادين الفكر والثقافة ، واستبدالها بمقولة حوار الثقافات ، مع أن الواقع يؤكد أن الغزو الفكري حقيقة تاريخية قائمة لا يمكن إنكارها كإحدى مظاهر سنة التدافع التي فطر الله عليها الحياة ، وأن ذلك لا يمنع الحوار ، لكنها سياسة التخدير والخداع والتضليل التي يتبعها التيار العلماني ، ليسهل تحت ستارها ترويج مبادئ الفكر العلماني ، بعد أن تفقد الأمة مناعتها وينام حراس ثغورها ، وتتسلل في أجزائها جراثيم وفيروسات الغزو العلماني القاتل .

7- وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري ، عبر غوغائية إعلامية غير شريفة ولا أخلاقية ، لتخويف الناس من الإلتزام بالإسلام ، والاستماع لدعاته ، وعلى الرغم من وقوع الأخطاء – وأحياناً الفظيعة – من بعض المنتمين أو المدعين إلى الإسلام ، إلا أنها نقطة في بحر التطرف والإرهاب العلماني الذي يمارس على شعوب بأكملها ، وعبر عقود من السنين ، لكنه عدم المصداقية والكيل بمكيالين ، والتعامي عن الأصولية والنصرانية واليهودية الموغلة في الظلامية والعنصرية والتخلف .

8- تمييع قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق ، والفكر والسياسة ، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي محلها ، واستخدام هذه المفاهيم في تحليل المواقف والأحداث ، ودراسة المشاريع والبرامج ، أي فك الارتباط بين الدنيا والآخرة في وجدان وفكر وعقل الإنسان ، ومن هنا ترى التخبط الواضح في كثير من جوانب الحياة الذي يعجب له من نور الله قلبه بالإيمان ، ولكن أكثرهم لا يعلمون .

9- دق طبول العولمة واعتبارها القدر المحتوم الذي لا مفرمنه ولا خلاص إلا به ، دون التمييز بين المقبول والمرفوض على مقتضى المعايير الشرعية ، بل إنهم لَيصرخون بأن أي شئ في حياتنا يجب أن يكون محل التساؤل دون التفريق بين الثوابت والمتغيرات مما يؤدي إلى تحويل بلاد الشرق إلى سوق استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية ، والتوسل لذلك بذرائعيه نفعية محضة لا يسيرها غير أهواء الدنيا وشهواتها .

10- الاستهزاء والسخرية والتشكيك في وجه أي محاولة لأسلمة بعض جوانب الحياة المختلفة المعاصرة في الاقتصاد والإعلام والقوانين ، ولعل الهجوم المستمر على المملكة العربية السعودية بسبب احتكامها للشريعة في الحدود والجنايات من هذا المنطلق ، وإن برّروا هجومهم وحقدهم تحت دعاوى حقوق الإنسان وحرياته ، ونسوا أو تناسوا الشعوب التي تسحق وتدمر وتقتل وتغصب بعشرات الآلاف ، دون أن نسمع صوتاً واحداً من هذه الأصوات النشاز يبكي لها ويدافع عنها ، لا لشيء إلا أن الجهات التي تقوم بانتهاك تلك الحقوق ، وتدمير تلك الشعوب أنظمة علمانية تدور في فلك المصالح الغربية .

11- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية ، وبخاصة في الفن والرياضة وشركات الطيران والأزياء والعطور والحفلات الرسمية وقضية المرأة ، ولكن كانت هذه شكليات ومظاهر لكنها تعبر عن قيم خلقية ، ومنطلقات عقائدية ، وفلسفة خاصة للحياة ، من هنا كان الاهتمام العلماني المبالغ فيه بموضة المرأة ، والسعي لنزع حجابها ، وإخراجها للحياة العامة ، وتعطيل دورها الذي لا يمكن أن يقوم به غيرها ، في تربية الأسرة ورعاية الأطفال ، وهكذا العلمانيون يفلسفون الحياة . يعطل مئات الآلاف من الرجال عن العمل لتعمل المرأة ، ويستقدم مئات الآلاف من العاملات في المنازل

لتسد مكان المرأة في رعاية الأطفال ، والقيام بشؤون المنزل ، ولئن كانت بعض الأعمال النسائية يجب أن تناط بالمرأة ، فما المبرر لمزاحمتها للرجل في كل موقع ؟!

12- الاهتمام الشديد والترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب ، وتقديم أصحابها في وسائل الإعلام ، بل وفي الكليات والجامعات على أنهم رواد العلم ، وأساطين الفكر وعظماء الأدب ، وما أسماء "دارون" و "فرويد" و "دوركايم" ولا "الأنسنية" و "البنيوية" و "السريالية" وغير هذا الكثير مما لا يجهله المهتم بهذا الشأن ، وحتى أن بعض هذا قد يتجاوزه العلمانيون في الغرب ، ولكن صداه ما زال يتردد في عالم الأتباع في الشرق ، وكأننا نحتاج لعقود من الزمن ليفقه أبناؤنا عن أساتذتهم هذه المراجعات

د. عوض بن محمد القرني ... ...

==============

العلمانية الجاحدة ثم الآن العلمانية المستترة

الكاتب: الشيخ د.سعيد بن ناصر الغامدي

العلمانية SECULARISM :

- ترجمتها الصحيحة = اللادينية ، لا علاقة لها بمصطلح العلم ، أو الدنيوية ، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين .

- في الجانب السياسي ، اللادينية في الحكم .

- تعريف العلمانيين للعلمانية . انظر : موسوعة السياسة 179/4 .

تأسيسها وتطورها :

1 - طاغوتية رجال الدين النصارى واستبدادهم بالدين والسياسة (الرهبانية ، الفساد ، صكوك الغفران) .....

2 - وقوف الكنيسة ضد العلم والفكر المتحرر ، تشكيلها محاكم التفتيش لعلماء التجريب :

أ - كوبرنيكوس : نشر عام 1543 م كتاب الأجرام السماوية ، فحرمت الكنيسة هذا الكتاب .

ب – جردانوا : صنع التلسكوب فعذب وعمره 70 وتوفي سنة 1642 م .

جـ – ديكارت : دعا إلى تطبيق المنهج العقلي في الفكر والحياة (فلسفة الشك) .

د – بيكون : ظهر بمدئه التجريبي وطلب تطبيقه على كل شيء .

هـ – سبنوزا : صاحب مدرسة النقد التاريخي ، كان مصيره الحرق .

و – جون لوك : طالب بإخضاع الوحي للعقل .

ز – جاليلو : استخدم التلسكوب فقتلته الكنيسة .

3 – ظهر مبدأ العقل والطبيعة ، أخذ العلمانيون يدعون إلى تحرير العقل وإضغاء صفات الإله على الطبيعة .

4 – نتيجة للصراع بين الكنيسة والحركات السالفة جاءت الثورة الفرنسية 1789 م ، أول حكومة لا دينية علمانية .

مراحل الثورة وشخصياتها :

أ – عصر التنوير الذي مهد لإرهاصات الثورة :

[جان جاك روسو] سنة 1778 م ، ألف كتاب (العقد الاجتماعي) يعتبر الجيل الثورة .

[منتسيكو] له (روح القوانين) .

[سبينوزا] يهودي يعتبر رائد العلمانية باعتبارها منهجاً للحياة والسلوك ، له (رسالة اللاهوت والسياسة) .

[فولتير] مؤلف كتاب (القانون الطبيعي) .

[كانت] مؤلف كتاب (الدين في حدود العقل وحده) عام 1804 م .

[وليم جودين] مؤلف كتاب (العدالة السياسة) 1793 م ، وفيه دعوة للعلمانية بصراحة .

ب – [ميرابو] خطيب وزعيم فيلسوف الثورة الفرنسية .

جـ – تحرك الماسون واليهود مستغلين أخطاء الكنيسة والحكومة الفرنسية المعتمدة على الكنيسة وركبوا موجة الثورة لتحقيق أهدافهم .

د – سارت الجموع الغوغائية لهدم الباستيل وشعارها الخبز ثم تحول شعارها إلى [الحرية والمساواة والإخاء] ثم شعار [تسقط الرجعية] وهو شعار ملتوي يقصد به الدين .

نضوج العقل العلماني في تصوراته ومشاريعه المستقبلية إلى عقود قادمة بعيدة :

1 – الدفع بذوي النفوس المريضة والعقول الجاهلة لضرب الإسلاميين .

2 – استغلال الجهل الحاصل بين الإسلاميين في شؤون العلمانية لتمرير أعمالهم .

3 – المرأة والطفل .

4 – المقررات الدراسية ، الدخول منها ، مثلاً الفاء السيرة من منهج التاريخ ، واستبداله بتاريخ العالم المعاصر : تاريخ أمريكا والثورة الفرنسية ، التأكيد على القيم النبيلة في العصر الجاهلي .

5 – عداء الحركات الإسلامية والشخصيات المخلصة .

6 – عمل المرأة وتهيئتها لذلك من خلال التعليم مثل الهندسة والإحياء .

7 – تهوين المنكر لتمريره من خلال أن القضايا العميقة والمهمة هي التقدم المادي وأشباه ذلك .

8 – أن أمتنا أمة حضارة وذوق ووجدان = كالرسم والموسيقى والنحت .

9 – تشويه صورة الإسلام من خلال بدائل هزيلة وتشويه الشخصيات الإسلامية ، من خلال المؤلفات والمسلسلات .

10 – العقلانية .

11 – المجيء بحجج لتبرير عزل الدين = السياسة نجسة ، الاقتصاد الربوي ضرورة عالمية ، الأدب جمال وذوق ، الفكر العالمي ، إنسانية الثقافة .

12 – تشويه التاريخ الإسلامي باسم الدراسة الموضوعية .

13 – التشكيك في ثبوت السنة وصحة المصطلح وأصول الفقه ، والفقه .

هـ – تغلغل اليهود باسم العلمنة وإذابة الفوارق الدينية وتحولت الثورة من ثورة على مظالم رجال الدين إلى ثورة على الدين نفسه .

و – ظهرت نظرية التطور والارتقاء في أصل الأنواع لدارون عام 1859 م لتصبح هذه النظرية وسيلة لانهيار العقيدة الدينية ونشر الإلحاد .

ز – ظهرت نظرية نيتشه (السوبرمان) وفلسفتهم على أن الإله مات وحل محله الإنسان الأعلى .

ح – ظهرت نظرية دوركايم اليهودي المسماة العقل الجمعي جمع فيها بين حيوانية الإنسان وماديته .

ط – ظهرت نظرية فرويد اليهودي التي تعتبر الإنسان حيواناً جنسياً ، الجنس أساس كل الدوافع .

ي – ظهرت نظرية كارل ماركس اليهودي المادية الجدلية / التفسير المادي للتاريخ ، الاشتراكية ، أفيون الشعوب .

ك – ظهرت نظرية سارتر الوجودية .

ل – ظهرت نظرية كولن ولسن الوجودية الجديدة الداعية إلى الإلحاد .

الأفكار والمعتقدات :

1 – العلمانية العامة = فصل الدين عن الحياة الخاصة = فصل الدين عن بعض جوانب الحياة .

2 – بعضهم ينكر وجود الله ، وبعضهم يؤمن بوجوده سبحانه ولكن لا علاقة بين الله وحياة الإنسان .

3 – الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب ، العقلانية .

4 – إقامة حاجز بين عالمي الروح والمادة ، القيم الروحية لديهم قيم سلبية ضارة .

5 – إقامة الحياة على أساس مادي بحت .

6 – فصل الدين عن الحياة ، فصل الدين عن السياسة .

7 – تطبيق مبدأ النفعية (البراجماتيزم) على كل شيء في الحياة .

8 – تطبيق مبدأ الميكافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق والعلاقات .

9 – نشر الإباحية والفوضى الخلقية وتهديم كيان الأسرة تحت شعار حرية المرأة .

معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي :

1 – الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .

2 – الزعم بأن الإسلام استنفذ أعراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية فردية .

3 – الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني .

4 – الزعم بأن الإسلام لايتلاءم مع الحضارة والتقدم لأنه يدعو للرجعية والتخلف .

5 – الدعوة إلى تحرير المرأة – عمل المرأة .

6 – تشويه الحضارة الإسلامية والتشكيك في التاريخ الإسلامي .

7 – الإشادة بالحركات الهدامة والفرق الضالة والزعم بأنها حركات إصلاح وتحرر

==============

 # العلمانية المكشوفة..

كتبه فضيلة الشيخ عيسى الغيث

إن أحد التحديات الخطيرة – بل الأخطر – التي تواجه أهل السنة والجماعة في هذا العصر، لهي كشف وإسقاط اللافتات الزائفة والمقولات الغامضة وفضح الشعارات الملبسة ، التي تتخفى وراءها العلمانية الكافرة بأفكارها وتجمعاتها وأفرادها، لتبث سمومها في عقول وقلوب أبناء وبنات هذه الأمة . ولفضح ومواجهة هذه الملة ؛ لا بد أولاً أن يصل مستوى المواجهة إلى المستوى المطلوب من الحسم والوضوح في نفوس أهل السنة أنفسهم قبل غيرهم ، فإنه بدون هذا الحسم وبدون هذا الوضوح يعجز الجميع عن أداء الواجب في هذه الفترة – الحرجة – ..

ونظراً لما أصاب كثيراً من أفكار بعض المسلمين من انحراف وغبش في هذا العصر، ولما يثيره أعداء الأمة والعقيدة والفكر والمنهج الإسلامي – الظاهرون منهم والمستترون – من شبهات وأباطيل في مجموعة من الوسائل التي فتحت أبوابها لهم على المصراعين والتي يجب أن تغلق في أوجه مخالفي الدين والثوابت والمبادئ وليس العادات والتقاليد كما يزعمون، وما تسمح به الحرية المنضبطة .. وعندما تفتح – أسفاً – لهم فلتفتح لحماة العقيدة بالمثل– على الأقل –.. ومن الضروري أن يقوم حماة الدين والعقيدة من أهل السنة والجماعة علماء ومفكرين ومثقفين وأدباء وغيرهم بتجلية تلك الأمور والشبهات والأباطيل والذي هو نوع من الجهاد في زماننا هذا..كما ورد في السنة الجهاد باللسان ..وما هو من وسائلة من مقروء ومسموع ومرئي ..إننا

في زمان تفجر المعلومات فهذا الإنترنت والستالايت والاتصالات وجميع أنواع التقنية والتكنولوجيا التي جعلت العالم كالقرية الصغيرة فالشبهة التي تلقى في الغرب تصل بلمحة البصر إلى الشرق والشهوة التي ترمى في الشرق تصل قبل تمام كمالها إلى الغرب وهكذا .. فكما أن لهذه الاختراعات والصناعات إيجابيات فمنها سلبيات والحكيم الموفق الذي يدرأ مفسدة السلبيات وإن كان فيها مصالح ويسد ذرائعها عن نفسه وأهله ومجتمعه بشتى الوسائل ؛ ويجلب الإيجابيات للجميع بشتى الطرق ..

إن العلمانية نظام طاغوتي جاهلي كافر يتنافى ويتعارض تماماً مع الشهادتين وهما أول أركان الإسلام..وبغض النظر عن الأنواع سواء كان من المعسكر الشيوعي – الماركسي الاشتراكي – الشرقي الساقط الهالك أو كان من المعسكر الرأسمالي – الليبرالي – الغربي الذي أفتتن به حيث استقبل بيته الأبيض واستدبرت الكعبة ، أو غيرهما ..

إن الغياب المذهل لكثير من حقائق الإسلام عن عقول وقلوب كثير من الناس والغبش الكثيف الذي أنتجته الأفكار المنحرفة ؛ جعل الكثير من الناس يثيرون شبهات متهافتة ، لم تكن لتستحق أدنى نظر لولا الواقع المؤلم لأكثر المجتمعات..ومن هذه الشبهات استصعاب بعض الناس إطلاق لفظ الكفر أو الجاهلية على من أطلقها الله تعالى عليه وشرع لها حد الردة ، فنشأ الفكر التأصيلي المزعوم الضال من فئام قد يحسبون على الأمة ورجالها وهم قد تشربوا الإرجاء حتى الثمالة .. مما دعا كبار علمائنا لتبني مواجهة هذا الخلل العقدي ببيان بطلان تلك الكتب وخطأ أصحابها الذين يشرعون للباطل ويبررونه وهو أشد من فعله دون اعتقاده .. فأصبح الواقع الضاغط يلجئ أولئك المتعالمين لتسويغ كثير من الجاهليات وتعليق الإيمان بالقول دون العمل .. وكرد فعل للغلو التكفيري شبه المطلق الخارجي خرج عنه عدم تكفير شبه مطلق مرجئ..فدين الله كامل وعقيدته وتوحيده لا يقبل التجزئة ، وقد جاءت الدعوات التجديدية لإرساء التوحيد في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات بما فيها الحاكمية وعلى رأسها دعوة إمامنا المجدد محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – ونصرة الدعوة السلفية من إمامنا المناصر محمد بن سعود – رحمه الله – والذي ترتب عليه توحيد شامل للعقيدة في القلب

واللسان والعمل دون استثناء أو اختيار أو انتقاء فبارك الله فيها ونصرها وحفظها حتى يومنا هذا منارة للمسلمين وتاجاً على رؤوسهم ونوراً لهم في الظلمات بعقيدتها السلفية ودعوتها النقية التي تبنتها الدولة لأنها دولة الإسلام والمسلمين .. وفيها قبلتهم وعليها إمامهم ومنها علماؤهم ..فلا مكان لمن خالف الدين والعقيدة والثوابت .. والحرية مكفولة بشرط الإسلام وشريعته ..

إن ما نراه في بعض المجتمعات من دعوات جاهلية متبجحة لفصل الدين عن الدولة بل وعن الحياة كلها حتى صار القائل بأن السياسة والاقتصاد من الدين غريباً محتقراً مستهجناً ..أما القائل (الدين لله والوطن للجميع) فهذا تقدمي ، وشعار (لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين) فهذا تنوري .. وخرجت شعارات (المدرسة العقلية) المهزومة .. وشعار (حكم الشعب بالشعب) وشعار (الحرية الشخصية) وشعار (الأمة مصدر السلطات) وشعار (حرية الثقافة والفكر)!! وحاولوا تطمين وتهدئة البسطاء فرفعوا شعار (تطوير الشريعة) و(مرونة الشريعة لتلبية حاجات العصر) وشعار (تقنين الشريعة) و(تجديد الفقه) وكلها كلمات أريد بها باطل .. وجعلوا الدين في المسجد والقلب والوجدان فقط .. فمنعوه أولاً عن العمل والتطبيق ثم منعوه حتى بالقول واللسان ثم جعلوا مجرد الإيمان به في القلوب تهمة الظلام والرجعية والتخلف .. ولم يبق من التشريع الإسلامي سوى بعض قوانين الأحوال الشخصية.. وجعلوا الصفحات الدينية في المجلات مجرد (فكر ديني) .. وإن أطلقوا مصطلح العقيدة سموه (إيديولوجيا) !! ومع ذلك فلا يجوز أن ينسينا أي مذهب جاهلي حين بيانه وكشفه وجهاده أن نغفل غيره ولو قلَّ عنه أهمية مكانية أو زمانية أو كمية أو كيفية ..

نسأل الله الهدى والرشاد فمنه وحده التوفيق والسداد وهو على كل شيء قدير . هذا مقال كتبه فضيلة الشيخ عيسى الغيث في زاويته الأسبوعية – وحي الخاطر – بملحق الرسالة بجريدة المدينة الاثنين 1421/11/25هـ

=============

العلمانية النبتة الغريبة عن الحضارة الإسلامية

د. محمد عمر دولة*

مصطلح (العلمانية) يعني (اللادينية)؛ فهي دعوة إلى هجران التعاليم الدينية كلها, وفي الحياة السياسية تعني فصل الدين عن الدولة. ويلاحظ أنه لا علاقة لاسم العلمانية (SECULARISM) باصطلاح العلم (SCIENCE).

ما هو سبب ظهور العلمانية في الغرب؟

ظهرت هذه الفكرة في القرن السابع عشر في أوروبا نتيجة المعارك الكنسية مع العلم والعقل والحرية الفردية. فقد كانت محاولةً لحبس الدين في ضمائر الأفراد, وردّة فعل للسجن الطويل الذي مارسته الكنيسة على أهلها, فخنقت حريات الأفراد, وحبست ملكات العقل, وحاربت حقائق العلم. فهي دعوة إلى تقهقر الكنيسة إلى الشعائر والمشاعر الشكلية, وتقوقع الدين في المراسم والمواسم؛ ليعود الشعار "أعط ما لقيصر لقيصر, وما لله لله".

ما هي الجذور الفكرية للعلمانية؟

يضاف للمشكلة الكنسية, وانقلابها إلى "عاملٍ مُعوّقٍ عن الحياة, مضادٍّ للعلم والحضارة والتقدم والرقي, محقّرٍ للإنسان ونزعاته الحيوية, مُهْمِلٍ للحياة الدنيا"1، يُضاف إليها الدور اليهودي؛ إذ ليس غريباً "أن يكون اليهود وراء فصل الدين عن الدولة", كما صرح بذلك الكاتب الأمريكي وليام غاي كار في كتابه (أحجار الشطرنج)؛ "بغية القضاء على الدين الذي حرّفوه, بتعطيله عن المجتمع داخل جدران الكنيسة"2؛ لأنّ العلمانية تذيب الفوارق الدينية الهائلة بين اليهود وغيرهم من الشعوب والأمم3, ولا يخفى هاهنا دور أدبيات المفكرين اللادينيين من اليهود وغيرهم من (الليبراليين)، الذين يسحبون ذيل التجربة الغربية مع الكنيسة على ما سوى ذلك من الأديان؛ ولذلك نجد أنّ أُسُسَ العلمانية مستمدةٌ من كتاب (أصل الأنواع) لـ(دَارْوِن) 1859م القائل بنظرية التطوُّر, وكتابات (نيتشه) عن الإنسان الأعلى (السوبرمان), وأدبيات (دور كايم) عن (العقل الجمعي)، وتحليل (فرويد) للسلوك الإنساني بـ (الغريزة الجنسية), وكتابات (كارل ماركس) عن (المادية الجدلية والتاريخية), وأدبيات سارتر عن (الوجودية)...

كيف انتقلت (اللادينية) إلى العالم الإسلامي؟

لابدّ للجواب على هذا السؤال الكبير من استدعاء جملة من الدعائم التي سوّغت لبعض النُّخَب في العالم الإسلامي تسويق هذه الفكرة، في زحمة استيراد عوامل النهضة على طريقة التحديث الغربي؛ إسقاطاً لتجربة الغرب, وتغييباً لذاتية الشرق ومقوماته الحضارية.

فأُولى هذه الدعائم: الإرساليات الأجنبية بمختلف أنشطتها التبشيرية, التي كان لها أضرار جسيمة؛ إذ "لم يتوانَ المُرْسَلُون في إطار التوسع وتكريس الهيمنة عن تدعيم خليط من رجال الأعمال والمغامرين السياسيين والمستعمرين والمستشرقين في عملياتهم التوسعية، التي تهدف إلى استطلاع المنطقة، وترسيخ دعائم السيطرة الأوروبية في أذهان الأهالي، ومحاولة احتواء الثوابت الدينية والمذهبية عندهم"4.

وثانية هذه الدعائم: الاستشراق وأيديولوجية الهيمنة ؛ إذ لم يكن القصد من الدراسات الاستشراقية تجريد الشرق من كل مزاياه الفكرية فحسب, وإنما تأسيس خطاب فكري للآخرين؛ يبرّر من خلاله للمركزية العرقية الأوروبية زعزعةَ ثقة الشعوب الشرقية بذاتها وبمعاييرها، وتدمير مجتمعاتها وعوامل الاستمرارية والثبات عندها.

وقد عملت في سبيل تحقيق هاتين الرغبتين على تسخير طائفة من الكُتّاب الحاقدين, الذين أسقطوا عداوتهم على دراسة الإسلام؛ بناءً على الصُّوَر المشوّهة في أذهانهم؛ فجاءت غالب بحوثهم في منتهى التعصب والإجحاف والتزوير, وكانت عبارة عن تبريرٍ لأطماع الغرب الباحث عن مستعمرات وراء البحار, واستلحاقٍ لأهل الشرق الباحثين عن طريق للخروج من الانحطاط.

وقد بثوا سمومهم الصليبية طعناً في القرآن وتشكيكاً في السنة, وإحياءً للخلافات والنعرات والعصبيات في التاريخ الإسلامي, وإبرازاً للصفحات السوداء . فقط! . من تراث الحضارة الإسلامية. فقد مثّلتِ الدراسات الاستشراقية جنايةً على الإسلام والإنسان وتنكّبتِ الموضوعيةَ العلمية, وكشفت الروح الصليبية التي تحكم كتابات (غولد زيهر)، و(شاخت)، و(مونتغمري وات)، و(نويل ج. كولسون)، و(مرجليوث)، و(يودوفيتش)، و(رينان)5..

وثالثة هذه الدعائم: المسألة الاستعمارية القائمة على النّرجسية العرقية الغربية, كما يجده دارس أدبيات ما قبل الاستعمار من تكريس فكرة أحقية الغرب في استتباع

العالم ببَلْوَرَة المفاهيم المركزية الغربية, وتظافرها مع التبشير باسم (العقل) و(العقلانية) و(الموضوعية العلمية). فالمتأمِّل في كتابات (هيجل 6(مثلاً يرى نموذجاً من طغيان الفكرة الاستكبارية الغربية؛ التي كانت أساساً ومبرِّراً للحملات الاستعمارية الصليبية، حيث شحن كتبه بالافتراء على الحضارات الأخرى وتحقيرها؛ ليسوِّغ إلحاقها بالتبعية إلى المركزية الغربية كما في مقولاته المشهورة: "لا توجد فلسفة بالمعنى الحقيقي إلا في الغرب"، و"في الطبعِ الشرقيّ الروحُ غارقةٌ في الطبيعة"، و"الفكر هنا غيبيٌّ تماماً"؛ وبناءً على ذلك تأسست أيديوجية الشعب المتحضر المسيطر على غيره من الشعوب المتوحّشة، كما عبّر (هيجل) عن ذلك بأنه "الحق الذي يملكه الشعب المسيطر على التاريخ العالمي؛ لأنه ممثل الدرجة الراهنة لروح العالم، أما بقية الشعوب فهي بلا حقوق ولا يحسب لها حساب في التاريخ العالمي"؛ لأنّ بقية الشعوب "برابرة لم يبلغوا . بَعْدُ . نفس اللحظة الجوهرية؛ لذلك نتعامل مع استقلالها كشيء شكلي".

فقد أصبح الاستعمار . إذن . عملاً (إنسانياً) يسوّغ غزو الشعوب المسماة بالمتوحشة، وفي ذلك يقول (فيري) بكل جرأة واستكبار: "لا بد من القول علنا أن الأعراق المتفوّقة لديها كامل الحق إزاء الأعراق الأدنى".

ورابعة هذه الدعائم: عقلية الاستتباع التي ارتضاها نخبة من ذوي الانبهار بقدرات الاستكبار الغربي ومن فيهم (قابلية الاستعمار) . بتعبير مالك بن نبي . ومن قَبْلِه علاّمة الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله القائل: "إنّ المغلوب مُولعٌ بتقليد الغالب". فقد عاش بعض (المُتَعَالِمين) من العالم الإسلامي اغتراباً كاملاً عن المقوّم الحضاري, واستجابةً عارمةً للنداء الاستكباري؛ حيث صدّق عليهم الاستعمار ظنه فاتبعوه, واستخفّهم ببُنَاه المعرفية وفلسفته المادية فأطاعوه؛ وصاروا معاولَ هدمٍ في صرح الثقافة الإسلامية . كما تراه في كتابات (طه حسين)، و(أحمد أمين)، و(علي عبد الرازق) .، وعواملَ نقضٍ لمقوّمات الهويّة والذاتيّة الحضاريّة. فقد صنع الاستعمار هذه النُخَب على عينه، وربّى عقولها ووجداناتها وتوجّهاتها وفق فلسفات مرجعيّته الفكرية؛ حتى غدَوْا متنكِّرين لِقيَمهم الدينية, مستكبرين على ثقافتهم الذاتيّة.

إذن، فقد كانت أخطر دعائم العلمانية في البلاد الإسلامية: استقطاب الخطاب الاستعماري فئاتٍ أصبحت تمثل منظومة الاستكبار الغربية, لكنها غريبةٌ معزولةٌ في ديار الإسلام، "جُزُرٌ في أوطانها" بتعبير (غريغوار)7. ويكفي في بيان استضعاف هذه النخبة وانهزامها واستتباعها ما كتبه أحد روادّها (د.طه حسين): "لقد التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم, ونسير سيرتها في الإدارة, ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كلّه أمام أوروبا، وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال ومعاهدة إلغاء الامتيازات إلا التزاماً صريحاً قاطعاً أمام العالم المتحضر بأن نسير مسيرة الأوروبيين في الحكم والإدارة والتشريع؟ فلو أننا هممنا الآن أن نعود أدراجنا، وأن نجبي النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلاً و لوجدنا أن أمامنا عقاباً لا تُجاز ولا تُذلّل, عِقاباً نقيمها نحن, وعِقاباً تقيمها أوروبا؛ لأننا عاهدناها أن نسايرها ونجاريها في طريق الحضارة الحديثة"8!

لماذا فشلت المناهج العلمانية في بلاد المسلمين؟

من أهم أسباب الفشل الذريع الذي وجدته العلمانية في العالم الإسلامي: أنها كانت مصادمةً للثوابت الدينية, وأنّ الذين استوردوها قد أغفلوا الفروق بين الواقع الغربي والواقع المسلم, فأسقطوا التجربة الكَنَسِيَّة البابويةَ المحاربةَ للعلم على واقعٍ مخالفٍ تماماً؛ فهي شجرةٌ قُطِعت من جذورها. ورحم الله مالك بن نبي حيث قال: "إن شيئاً ما قد يموت إذا قُطِع عن وسطه الثقافي المعتاد"9، وإنّ "الفرد إذا فقد صِلَته بالمجال الثقافي فإنه يموت ثقافياً" ، وكما أنّ لكل مجتمع "مقبرة يستودعها موتاه, فإن لديه مقبرةً يستودعها أفكاره الميتة, الأفكار التي لم يعد لها دور اجتماعي"10، وإنّ من أخطر أشكال العدوى: "ذلك الذي ينقل الأمراض الاجتماعية من جيل إلى جيل"11، و"هذه الجراثيم الخاصة أفكار معدية, أفكارٌ تهدم كيان المجتمعات وتعوق نموها"12. وأخيرا نُسجّل . بناءً على انبتات العلمانية في ديارنا . أنّ تحضُّرَ الإنسان لا يكون إلا بتحدُّره من ثقافته كما يتحدَّر الجُمان، وأنّ الخروج من الانحطاط ليس بحثاً وراء المحيطات ولا استغراباً أو استيراداً للفلسفات, بل هو تحرير للذات، وانبعاث للثقافة من مكنونات الأمة, واستنهاض ما فيها من قدرات.

____

[1] العلمانيّون والإسلام، للشيخ محمد قطب: 17.16 .

[2] أساليب الغزو الفكري، د. علي محمد جريشة: 60.

[3] راجع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي: 690/2.

[4] راجع: مقدّمات الاستتباع، غريغوار منصور مرشو: 52 – 53.

[5] راجع: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مطلع الخامس عشر الهجري. وهو كتاب نافع يقع في مجلدين كبيرين.

[6] انظر: كتابين لـ(هيجل): دروس في تاريخ الفلسفة، وأساليب فلسفة الحقوق.

[7] مقدمات الاستتباع: 53.

[8] مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين: 36/1 – 37.

[9] مشكلة الثقافة، مالك بن نبي: 55.

[10] المرجع السابق: 50.

[11] مشكلة الثقافة: 46.

[12] المرجع السابق: 14.

==============

العلمانية وثمارها الخبيثة

يتناول الدرس كلمات موجزة عن 'العلمانية وثمارها الخبيثة' في بلاد المسلمين؛ لعلها تُؤتي ثمارها في تبصير المسلمين بحقيقة هذه الدعوة، ومصادرها، وخطرها على ديننا، وآثارها المميتة، حتى نسارع في التحصن منها، ومقاومتها، وفضح دُعاتها، والقضاء عليها – بإذن الله – حتى نعود إلى ديننا، وتعود لنا العزة .

فإن أمتنا الإسلامية اليوم تمر بفترة من أسوأ فترات حياتها، فهي الآن ضعيفة مستذلة، قد تسلط عليها أشرار الناس من اليهود والنصارى، وعبدة الأوثان، وما لذلك من سبب إلا البُعد عن الالتزام بالدين الذي أنزله الله لنا هداية ورشادًا، وإخراجًا لنا من الظلمات إلى النور . قد كان لانتشار العلمانية على المستوى الرسمي، والفكري،

والإعلامي الأثر الأكبر في ترسيخ هذا البُعد وتثبيته، والحيلولة دون الرجوع مرة أخرى إلى نبع الهداية ومعدن التقوى .

من هنا كانت هذه الكلمات الموجزة عن 'العلمانية وثمارها الخبيثة' في بلاد المسلمين؛ لعلها تُؤتي ثمارها في تبصير المسلمين بحقيقة هذه الدعوة، ومصادرها، وخطرها على ديننا، وآثارها المميتة، حتى نسارع في التحصن منها، ومقاومتها، وفضح دُعاتها، والقضاء عليها – بإذن الله – حتى نعود إلى ديننا، وتعود لنا العزة كما كانت:

} وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ[8]{ 'سورة المنافقون'.نسأل الله من فضله التوفيق والإرشاد والسداد .

ما هي العلمانية ؟

لن نتعب في العثور على الجواب الصحيح، فقد كفتنا القواميس المؤلفة في البلاد الغربية، التي نشأت فيها العلمانية مؤنة البحث والتنقيب، فقد جاء في 'القاموس الإنجليزي' أن كلمة: ' علماني ' تعني:

1- دنيوي، أو مادي .

2- ليس بديني، أو ليس بروحاني .

3- ليس بمترهب، ليس برهباني .

وجاء أيضاً في القاموس نفسه: [العلمانية : هي النظرية التي تقول: إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية] .

وفي 'دائر المعارف البريطانية' نجدها تذكر عن العلمانية أنها: حركة اجتماعية، تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب . وحينما تحدثت عن العلمانية، تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد، وقد قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين:

إلحاد نظري .

إلحاد عملي ، وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي .

وما تقدم ذكره يعني أمرين :

أولهما: أن العلمانية مذهب من المذاهب الكفرية، التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية، والقانونية، وغيرها، بعيدًا عن أوامر الدين ونواهيه .

ثانيهما: أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم- كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس، بأن المراد بالعلمانية: هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به، فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه بما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها- . ولهذا ، لو قيل عن هذه الكلمة: 'العلمانية' إنها:' اللادينية؛ لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق' وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس، وأوضح في المدلول .

كيف ظهرت العلمانية؟

كان الغرب النصراني في ظروفه الدينية المتردية هو البيئة التي نبتت فيها شجرة العلمانية، وقد كانت فرنسا بعد ثورتها المشهورة هي أول دولة تُقيم نظامها على أسس الفكر العلماني، ولم يكن هذا الذي حدث من ظهور الفكر العلماني والتقيد به – بما يتضمنه من إلحاد ، وإبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة، بالإضافة إلى بغض الدين ومعاداته، ومعاداة أهله – لم يكن هذا حدثًا غريبًا في بابه، ذلك لأن الدين عندهم حينئذ لم يكن يمثل وحي الله الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام – ، وإنما تدخلت فيه أيدي التحريف والتزييف، فبدلت وغيرت وأضافت وحذفت ، فكان من نتيجة ذلك أن تعارض الدين المُبدَّل مع مصالح الناس في دنياهم ومعاملاتهم، في الوقت نفسه الذي تعارض مع حقائق العلم الثابتة، ولم تكتفِ الكنيسة – الممثلة للدين عندهم – بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل، حتى جعلت ذلك دينًا يجب الالتزام والتقيد به، وحاكمت إليه العلماء المكتشفين، والمخترعين، وعاقبتهم على اكتشافاتهم العلمية المناقضة للدين المبدل، فاتهمت بالزندقة والإلحاد، فقتلت من قتلت، وحرَّقت من حرَّقت، وسجنت من سجنت . ومن جانب آخر فإن الكنيسة – الممثلة للدين عند النصارى – أقامت تحالفًا غير شريف مع الحكام الظالمين ، وأسبغت عليهم هالاتٍ

من التقديس ، والعصمة ، وسوَّغت لهم كل ما يأتون به من جرائم وفظائع في حق شعوبهم، زاعمة أن هذا هو الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له والرضا به .

من هنا بدأ الناس هناك يبحثون عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها، ولم يكن مخرجهم الذي اختاروه إذ ذاك، إلا الخروج على ذلك الدين – الذي يحارب العلم ويناصر المجرمين – والتمرد عليه، وإبعاده وطرده، من كافة جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والأخلاقية، وغيرها .

وإذا كان هذا الذي حدث في بلاد الغرب النصراني ليس بغريب ، فإنه غير ممكن في الإسلام، بل ولا متصور الوقوع، فوحي الله في الإسلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا هو ممكن التحريف والتبديل، ولا هو ممكن أن يُزاد فيه أو يُنقص منه، وهو في الوقت نفسه لا يحابي أحدًا، سواء كان حاكمًا أو محكومًا، فالكل أمام شريعته سواء، وهو أيضًا يحافظ على مصالح الناس الحقيقية، فليس فيه تشريع واحد يُعارض مصلحة البشرية، وهو أيضًا يحرص على العلم ويحض عليه، وليس فيه نص شرعي صحيح يُعارض حقيقة علمية، فالإسلام حق كله، عدل كله.

ومن هنا فإن كل الأفكار والمناهج التي ظهرت في الغرب بعد التنكر للدين والنفور منه، ما كان لها أن تظهر، بل ما كان لها أن تجد آذانًا تسمع في بلاد المسلمين، لولا عمليات الغزو الفكري المنظمة، والتي صادفت في الوقت نفسه قلوبًا من حقائق الإيمان خاوية، وعقولاً عن التفكير الصحيح عاطلة، ودينًا في مجال التمدن ضائعة متخلفة .

صور العلمانية:

للعلمانية صورتان، كل صورة أقبح من الأخرى:

الصورة الأولى : العلمانية الملحدة : وهي التي تنكر الدين كلية، وتنكر وجود الله الخالق، ولا تعترف بشيء من ذلك، بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله، وهذه العلمانية على فجورها ووقاحتها في التبجح بكفرها، إلا أن الحكم بكفرها أمر ظاهر، فلا ينطلي أمرها على المسلمين ، ولا يُقبل عليها من المسلمين إلا رجل يريد أن يفارق دينه، وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس

على عوام المسلمين خطر ضعيف، وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين، ومعاداة المؤمنين وحربهم وإيذائهم بالتعذيب، أو السجن أو القتل .

الصورة الثانية : العلمانية غير الملحدة- والعلمانية في جميع صورها وأشكالها هي في الحقيقة ملحدة ، سواء منها ما ينكر وجود الله ، وما لا ينكر ؛ لأن أصل الإلحاد في لغة العرب معناه : العدول عن القصد ، والميل إلى الجور والانحراف . وإنما قلنا علمانية ملحدة ، وغير ملحدة ، جريًا على ما اشتهر عند الناس اليوم : أن الإلحاد يطلق على إنكار وجود الله فقط :

وهي علمانية لا تنكر وجود الله ، وتؤمن به إيمانًا نظريًا: لكنها تنكر تدخل الدين في شئون الدنيا، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا، وهذه الصورة أشد خطرًا من الصورة السابقة؛ من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين، فعدم إنكارها لوجود الله ، وعدم ظهور محاربتها للتدين- فكثير من الناس لا يظهر لهم محاربة العلمانية غير الملحدة للدين؛ لأن الدين انحصر عندهم في نطاق بعض العبادات ، فإذا لم تمنع العلمانية مثلاً الصلاة في المساجد، أو لم تمنع الحج إلى بيت الله الحرام؛ ظنوا أن العلمانية لا تحارب الدين، أما من فهم الدين بالفهم الصحيح، فإنه يعلم علم اليقين محاربة العلمانية للدين، فهل هناك محاربة أشد وأوضح من إقصاء شريعة الله عن الحكم في شتى المجالات- وهذا يغطي على أكثر عوام المسلمين حقيقة هذه الدعوة الكفرية، فلا يتبينون ما فيها من الكفر؛ لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين، ولذلك تجد أكثر الأنظمة الحاكمة اليوم في بلاد المسلمين أنظمة علمانية، والكثرة الكاثرة، والجمهور الأعظم من المسلمين لا يعرفون حقيقة ذلك .

ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم، تحارب الدين حقيقة، وتحارب الدعاة إلى الله، وهي آمنة مطمئنة أن يصفها أحد بالكفر والمروق من الدين؛ لأنها لم تظهر بالصورة الأولى، وما ذلك إلا لجهل كثير من المسلمين، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا وسائر المسلمين ، وأن يفقه الأمة في دينها حتى تعرف حقيقة هذه الأنظمة المعادية للدين. ولهذا فليس من المستبعد أو الغريب عند المسلم الفاهم لدينه أن يجد في كلمات أو كتابات كثير من العلمانيين المعروفين بعلمانيتهم ذكر الله سبحانه وتعالى،

أو ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم، أو ذكر الإسلام، وإنما تظهر الغرابة وتبدو الدهشة عند أولئك الذين لا يفهمون حقائق الأمور .

والخلاصة: أن العلمانية بصورتيها السابقتين كفر بواح لاشك فيها ولا ارتياب، وأن من آمن بأي صورة منها وقبلها فقد خرج من دين الإسلام، وذلك أن الإسلام دين شامل كامل، له في كل جانب من جوانب الإنسان: الروحية، والسياسية، والاقتصادية، والأخلاقية، والاجتماعية، منهج واضح وكامل، ولا يقبل ولا يُجيز أن يشاركه فيه منهج آخر، قال الله تعالى مبينًا وجوب الدخول في كل مناهج الإسلام وتشريعاته:} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً[208] {'سورة البقرة'. وقال تعالى مبينًا كفر من أخذ بعضًا من مناهج الإسلام، ورفض البعض الآخر:} أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ[85]{ 'سورة البقرة'. والأدلة الشرعية كثيرة جدًا في بيان كفر وضلال من رفض شيئًا محققًا معلومًا أنه من دين الإسلام، ولو كان هذا الشيء يسيرًا جدًا، فكيف بمن رفض الأخذ بكل الأحكام الشرعية المتعلقة بسياسة الدنيا – مثل العلمانيين – من فعل ذلك فلاشك في كفره .

والعلمانيون قد ارتكبوا ناقضًا من نواقض الإسلام، يوم أن اعتقدوا أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، وأن حكم غيره أفضل من حكمه، قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:' ويدخل في القسم الرابع – أي من نواقض الإسلام – من اعتقد أن الأنظمة القوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سببًا في تخلف المسلمين، أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه، دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى' 'وكتاب العقيدة الصحيحة للشيخ عبدالعزيز بن باز ص30'.

بعض الثمار الخبيثة للعلمانية :

1- رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى ، وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة: والاستعاضة عن الوحي الإلهي المُنزَّل على سيد البشر صلى الله عليه وسلم بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله، واعتبار الدعوة

إلـى العـودة إلـى الحكـم بمـا أنـزل الله، وهجـر القـوانين الوضـعية، اعتبـار ذلـك تخلفًـا ورجعيـة وردة عـن التقـدم والحضـارة، وسـببًا فـي السـخرية مـن أصـحاب هـذه الـدعوة واحتقـارهم، وإبعـادهم عـن تـولي الوظـائف التـي تسـتلزم الاحتكـاك بالشـعب والشـباب، حتى لا يؤثروا فيهم .

2- تحريـف التـاريخ الإسـلامي وتزييفـه ، وتصـوير العصـور الذهبيـة لحركـة الفتـوح الإسلامية ، على أنها عصور همجية تسودها الفوضى ، والمطامع الشخصية .

3- إفساد التعليم وجعله خادمًا لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق :

بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ ، والطلاب في مختلف مراحل التعليم .

تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن .

منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم .

تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني، أو على الأقل أنها لا تعارضه .

إبعـاد الأسـاتذة المتمسـكين بـدينهم عـن التـدريس ، ومـنعهم مـن الاخـتلاط بـالطلاب ، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش .

جعل مادة الدين مادة هامشية ، حيث يكون موضعها في آخر اليوم الدراسي، وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب .

4- إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة ، وهم المسلمون ، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد ، وصهر الجميع في إطار واحد ، وجعلهم جميعًا بمنزلة واحدة من حيـث الظـاهر ، وإن كـان فـي الحقيقـة يـتم تفضـيل أهـل الكفـر والإلحـاد والفسـوق والعصـيان علـى أهـل التوحيـد والطاعـة والإيمـان : فالمسـلم والنصـراني واليهـودي والشيوعي والمجوسي والبرهمي كل هؤلاء وغيرهم، في ظل هذا الفكر بمنزلة واحدة يتساوون أمام القانون، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني . وفي ظل هذا الفكر يكون لا حرج فيه ، كذلك لا حرج عندهم أن يكون اليهودي أو النصراني أو غير ذلك من النحل الكافرة حاكمًا على بلاد المسلمين . ويحـاولون تـرويج ذلـك فـي بـلاد المسلمين تحـت مـا سـموه بـ 'الوحـدة الوطنيـة ' . بـل

جعلوا 'الوحدة الوطنية ' هي الأصل والعصام، وكل ما خالفها من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم طرحوه ورفضوه ، وقالوا:هذا يعرض الوحدة الوطنية للخطر !! .

5- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية ، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية ، وتشجيع ذلك والحض عليه : وذلك عن طريق :

القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها ، وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة .

وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة ، ونشر الرذيلة بالتلميح مرة ، وبالتصريح مرة أخرى ليلاً ونهارًا .

محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات .

6- محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق :

تضييق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي ، مع إفساح المجال للكتب الضالة المنحرفة التي تشكك في العقيدة الإسلامية ، والشريعة الإسلامية .

إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين المنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر الضال المنحرف ، ولتحريف معاني النصوص الشرعية ، مع إغلاق وسائل الإعلام في وجه علماء المسلمين الذين يُبصِّرون الناس بحقيقة الدين .

7- مطاردة الدعاة إلى الله ، ومحاربتهم ، وإلصاق التهم الباطلة بهم ، ونعتهم بالأوصاف الذميمة ، وتصويرهم على أنهم جماعة متخلفة فكريًا ، ومتحجرة عقليًا ، وأنهم رجعيون ، يُحاربون كل مخترعات العلم الحديث النافع ، وأنهم متطرفون متعصبون لا يفقهون حقيقة الأمور ، بل يتمسكون بالقشور ويَدعون الأصول .

8- التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية ، وذلك عن طريق النفي أو السجن أو القتل .

9- إنكار فريضة الجهاد في سبيل الله ، ومهاجمتها واعتبارها نوعًا من أنواع الهمجية وقطع الطريق:

وذلك أن الجهاد في سبيل الله معناه القتال لتكون كلمة الله هي العليا، وحتى لا يكون في الأرض سلطان له القوة والغلبة والحكم إلا سلطان الإسلام، والقوم – أي العلمانيين – قد عزلوا الدين عن التدخل في شئون الدنيا، وجعلوا الدين – في أحسن أقوالهم – علاقة خاصة بين الإنسان وما يعبد، بحيث لا يكون لهذه العبادة تأثير في أقواله وأفعاله وسلوكه خارج مكان العبادة . فكيف يكون عندهم إذاً جهاد في سبيل إعلاء كلمة الدين ؟!!

والقتال المشروع عند العلمانيين وأذنابهم إنما هو القتال للدفاع عن المال أو الأرض ، أما الدفاع عن الدين والعمل على نشره والقتال في سبيله، فهذا عندهم عمل من أعمال العدوان والهمجية التي تأباها الإنسانية المتمدنة !!

10– الدعوة إلى القومية أو الوطنية: وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس، أو اللغة، أو المكان، أو المصالح، على ألا يكون الدين عاملاً من عوامل التجميع ، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعد عاملاً من أكبر عوامل التفرق والشقاق، حتى قال قائل منهم :'والتجربة الإنسانية عبر القرون الدامية ، دلَّت على أن الدين – وهو سبيل الناس لتأمين ما بعد الحياة – ذهب بأمن الحياة ذاتها ' .

هذه هي بعض الثمار الخبيثة التي أنتجتها العلمانية في بلاد المسلمين ، وإلا فثمارها الخبيثة أكثر من ذلك بكثير .

والمسلم يستطيع أن يلمس كل هذه الثمار، أو جُلها في غالب بلاد المسلمين، وهو في الوقت ذاته يستطيع أن يُدرك إلى أي مدى تغلغلت العلمانية في بلدٍ ما اعتمادًا على ما يجده من هذه الثمار الخبيثة فيها . والمسلم أينما تلفت يمينًا أو يسارًا في أي بلد من بلاد المسلمين يستطيع أن يدرك بسهولة ويسر ثمرة، أو عدة ثمار من هذه الثمار الخبيثة، بينما لا يستطيع أن يجد بالسهولة نفسها بلدًا خاليًا من جميع هذه الثمار الخبيثة .

من رسالة:'العلمانية وثمارها الخبيثة' للشيخ/ محمد شاكر الشريف

==============

 # العلمانية وفصل الدين عن الدولة

دعوة قديمة جديدة

الحلقة الأولى

طريف السيد عيسى

@hotmail.com59alsayed_

مافتئ دعاة العلمانية يروجون لدعوتهم تلك بفصل الدين عن الدولة داعمين تلك الدعوة بحجج وأدلة حتى غدت تلك الدعوة لسان حال أكثر الأحزاب السياسية حتى كاد يكون هذا المبدأ بدهيا لايحتاج عند أصحابه الى كبير عناء في التدليل عليه ,والمناقشة في صحته ,ويستندون في هذه الدعوة الى وقائع التاريخ ,والى طبيعة الدين , ووظائف الدولة في العصر الحديث .

ومما لاشك فيه أن الصراع العنيف الذي قام في أوربا في عصور النهضة بين الدين والعلم أدى الى فصل الدين عن الدولة والى منع رجال الدين من التدخل في السياسة العامة , فقدر لهذه النهضة أن تشق طريقها نحو البناء وقدر للبشرية أن تتخلص من الحروب الدموية التي كان يشنها رجال الدين على مخالفيهم واستطاعت الحضارة الحديثة أن تأخذ طريقها في التقدم العلمي والبناء والتطور .

ودعاة العلمانية يبررون دعوتهم بأن أي دولة يجب أن تتوفر فيها ثلاثة عناصر رئيسية :

1-تستمد الدولة سلطانها من الشعب .

2-الدولة لكل المواطنين بغض النظر عن المعتقد أو العرق فلا تميز بين فئة وفئة.

3-أن تكون تقدمية متطورة .

ويقول دعاة العلمانية أن الدين لايسمح بتحقق هذه الشروط باعتبار أن مبادئه ثابتة لاتتطور , وأن الدين يجعل لرجال الدين السلطة , وأن الدين يعطي لأتباعه الحق بالتميز والتعالي على الآخرين , اضافة الى حجج ومبررات يدعيها دعاة العلمانية .

ان كل هذه المبررات تسقط أمام الحقائق التي يتلقاها العقل بالاستقراء والتحليل من خلال حقائق تاريخية ومن خلال مبادئ الدين .

وقبل الدخول في تفنيد هذه الحجج لابد أن نعطي تعريفا للعلمانية معتمدين على مراجع دعاة العلمانية ومؤسسيها حيث هناك عدة تعاريف للعلمانية :

-العلمانية هي اللادينية أو الدنيوية أما نسبتها للعلم فهي ترجمة خاطئة لكلمة secularism بالانكليزية و secularite بالفرنسية فلفظ العلم ومشتقاته هو science .

-تقول دائرة المعارف البريطانية ان مادة secularism حركة اجتماعية تهدف لصرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة الى الاهتمام بالدنيا وحدها .

-وجاء في قاموس العالم الجديد للوبستر شرحا مفصلا بأنها الروح الدنيوية أو الاتجاهات الدنيوية أو نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أي شكل من أشكال العبادة أو الاعتقاد بأن الدين والشؤون الكنسية لادخل لها في شؤون الدولة .

-وجاء في معجم أكسفورد عدة معاني : فهي دنيوي أو مادي , ليس دينا ولا روحيا , التربية اللادينية , السلطة اللادينية , الحكومة المناقضة للكنيسة .

-وجاء في المعجم الدولي الثالث على أنها اتجاه في الحياة أو في أي شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب ألا تتدخل في الحكومة أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادا مقصودا .

-ويقول المستشرق أر بري في كتابه الدين والشرق الأوسط : ان المادية العلمية والانسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها أشكال اللادينية ,واللادينية صفة مميزة لأوربا وأمريكا .

-كما أن جون هوليوك يقول : العلمانية لاتعني فقط فصل الدين عن الدولة بل فصل القيم الانسانية والأخلاقية والدينية عن الحياة في جانبها العام والخاص , وان مثل هذا الكلام قاله مفكرين غربيين كثر .

وبعد تقديم عدة تعريفات للعلمانية والتي كلها تصب في التعريف الذي اصبح متعارف عليه وهو فصل الدين عن الدولة بل فصل كل القيم عن الحياة في جانبيها العام والخاص .

ونعود الآن لمبررات وحجج أصحاب هذه الدعوة لنناقشها بهدوء .

أولا – منطلقات لابد منها :

1-يعرف الدين على أنه مجموعة من النظم والمبادئ في العقيدة والعبادة تربط الناس قيما بينهم ليشكلوا أمة معنوية واحدة .

2-الدولة هي مكونة من السكان والأرض والحكومة والسيادة بحيث تقوم مجموعة من الشعب بتأمين الحق والعدل بين المواطنين .

3-يجب أن تكون العلاقة بين الدين والدولة علاقة ايجابية بحيث تشرف الدولة على التعاون بين الناس من حيث الايمان والأخلاق والتشريع وقرر علماء الاجتماع أن الدين من أكبر المؤثرات في قيام المجتمع وبناء الحضارة .

ثانيا – أسباب الانحراف والسلبية في علاقة الدين بالدولة :

التطرق لهذه الأسباب يقودنا الى الحديث عن الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلام .

1-اليهودية : وهي ديانة سماوية كسائر الديانات تأمر بالايمان بالله تعالى وحده لاشريك له واحسان المعاملة مع الناس , فكانت نبوة موسى عليه السلام تعليم بني اسرائيل وتحريرهم من العبودية للفراعنة وتهذيب أخلاقهم , ومع مرور الزمن بدأ الانحراف حتى غدت اليهودية ديانة طائفة تدعوا للتمييز بين اليهود وغيرهم في المعاملات والعبادات والأخلاق فنجد أن الربا محرم بين يهودي ويهودي آخر لكنه حلال بين يهودي وشخص آخر من أتباع الديانة غير اليهودية , كما شمل الانحراف طريقة التعامل مع الآخر غير اليهودي بالقسوة والعنف حيث جاء في التثنية : حين تقرب من مدينة كي تحاربها استدعها الى الصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف , وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك , هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم الذين هنا ,وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما – التثنية 20\10-16.

كما أن عقيدة شعب الله المختار جعلت اليهود يعتقدون أن من حقهم السيطرة على كل شعوب الأرض .

اضافة الى بعض التشريعات التي تدعوا للكسل من خلال اعتقادهم بحرمة العمل يوم السبت .

ان هذه الظواهر وغيرها تجعل من المستحيل تحقق علاقة ايجابية بين الدين والدولة فهي لاتؤمن بمساواة الشعوب في الحقوق والواجبات كما أن نظرتها للانسانية نظرة استعلائية .

وبالنظر الى دولة بني صهيون اليوم فانها قامت على أساس ديني مستغلة العاطفة الدينية عند اليهود واعدة اياهم بقيام دولة اسرائيل الكبرى حيث جاء في التثنية :كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان ومن النهر الى البحر الغربي يكون تخمكم – 11\24.

2–المسيحية :

لم تأتي المسيحية بتشريع بل كانت تعتمد على شريعة موسى عليه السلام الا بعض ما كانت تقتضيه طبيعة تطور الحياة وبذلك فالديانة المسيحية مرت بعدة مراحل .

فكانت المرحلة الأولى هي مرحلة السلام والمسالمة واصلاح أخلاق اليهود ورفع الظلم ولا تتدخل في شؤون الحكم والدولة حيث جاء في انجيل متى 17\5 أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

فكانت رسالة تهذيب واصلاح وسمو روحي , كما أنها لم تكن نظام كهنوتي يجعل من رجال الدين وسيلة للسيطرة على الناس ودعا عيسى عليه السلام الى عدم تقديس أي من البشر كما حصل من انحراف في اعطاء القداسة لرجال الدين من أنهم يغفرون الخطايا ويدخلون الجنة من يشاؤون ويحرمون منها من يشاؤون .

وبذلك بقيت الديانة المسيحية في القرون الثلاثة الأولى من الميلاد تدعوا الى الحب والتسامح والرحمة والموعظة الحسنة ولم تقف أي موقف مناوئ للدولة .

ثم جاء عهد جديد منذ 324ميلادي حيث أعلن الامبراطور قسطنطين حماية المسيحية من الاضطهاد وقام باعفاء القس من كثيرمن الأعباء السياسية وعفى أملاك الكنيسة من الضرائب ثم جاء الامبراطور ثيو دو سيوس وسار على خطى قسطنطين وفي عام 394ميلادي أعلن مجلس شيوخ روما أنها في حماية المسيح وتم منح الكنيسة ورجالها امتيازات متنوعة منها الاعفاء من الضرائب وعقد المحاكم في الكنائس ومع بداية القرن الخامس للميلاد أصبح لرجال الدين مكانة تتميز عن الشعب مما جعلهم يسيطرون على مقاليد الأمور فأصبحوا يتدخلون في الشؤون

السياسية فيتوجون الأباطرة ويعزلونهم وهكذا حتى جاء أحد أساقفة روما ليعلن أن العالم تحكمه قوتان قوة الكنيسة وقوة الملك والأولى متفوقة على الثانية لأن الكنيسة مسؤولة أمام الله عن أعمال الملوك أنفسهم وبهذا التوسع في الصلاحيات لرجال الكنيسة اباحوا لأنفسهم التدخل في شؤون الدولة وأصبح الامبراطور خاضعا لرجال الكنيسة بالكامل .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل نصب رجال الدين من أنفسهم قضاة على الناس وكل المحاكم تعود لهم وفتحوا السجون الخاصة بهم حتى اصبحت الكنيسة دولة داخل الدولة ووصل الأمر برجال الدين أن يفرضوا عقوبات قاسية بحق الامبراطور فمثلا يضطر الامبراطور للوقوف أمام باب رجل الدين ثلاثة أيام حافي القدمين عاري الرأس حتى يأذن له البابا بالدخول وهذا ماحصل مع الامبراطور هنري الرابع عام 1076 , بل وصل الأمر أن يركع الامبراطور بين يدي البابا كما حصل مع الامبراطور فردريك حين حرمه البابا عام 1177.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل ضاقت الكنيسة ذرعا بكل من يخالفها في الدين ومن هذا المبدأ أعلنت الكنيسة حربا صليبية على المسلمين دامت مائتي سنة تقريبا ولم يتوقف الأمر على المسلمين بل شملت المسيحيين الذين وصفتهم الكنيسة بالهراطقة فدارت حرب على الألبيين وكل ذنبهم أنهم اختلفوا مع الكنيسة حول مبادئ روما وفي تفسير الانجيل , بل شملت الحرب على كل من ينتقد ثراء رجال الكنيسة من أمثال لوثر ومذبحة سانت بارتلمي عام 1572 خير شاهد على الاضطهاد الذي تعرض له بعض المسيحيين والتاريخ لاينسى محاكم التفتيش ضد المسلمين واليهود .

لقد طارد رجال الدين كل أصحاب الفكر والفلسفة والاصلاح فتم حرق كنائسهم ومكتباتهم فلم يسلم منهم أبيلارد وروجربيكون وبرونو وجاليلو وغيرهم وهكذا وقفت الكنيسة موقف العداء للفكر .

وبسبب هذا الظلم والسيطرة والقسوة كان لابد أن ينفجر بركان يدمر كل من كان يجلس على فوهته ولم يكن للانجيل دور في هذا الانفجار بل أن السبب هو رجال الدين وتصرفاتهم فبدأ الصراع وبدأت ثورة ترفض سيطرة رجال الدين على الحياة

العامة فقرر البرلمان الانكليزي عام 1301 أن ليس للبابا حق التدخل في الشؤون الداخلية ثم تبعه مجلس طبقات الأمة في فرنسا عام 1302ثم بدأت الحركة تتسع للوقوف بوجه فساد رجال الدين فتحرك لوثر وجون هس وكلفني وغيرهم وهكذا بدأت حركة الانتفاضة ضد طغيان رجال الدين حتى جاء القرن الثامن عشر لتكون ثورة عامة ضد المسيحية وعقائدها والسبب في ذلك هم الأحبار والرهبان فكانت الثورة الفرنسية 1789 لتكلل هذه الحركة نصر المظلومين على رجال الدين ومنذ ذلك الوقت بدأت دعوة فصل الدين عن الدولة , فتم ابعاد رجال الدين عن السياسة وخضعت الكنيسة لقانون الدولة وبذلك انتهى تدخلهم السافر في السياسة وشؤون الدولة .

3-الاسلام :

جاء محمد صلى الله عليه وسلم برسالة متممة لرسالات الأنبياء السابقين من حيث الدعوة الى توحيد الخالق والايمان بالرسل والحث على مكارم الأخلاق فشمل الاسلام نظاما متكاملا للحياة والكون من حيث العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق .

فدعا الى الايمان باله واحد كامل هو خالق الخلق والكون ومافيه حيث قال تعالى في سورة الأنعام آية 2- خالق كل شئ - .

والانسان لايستطيع الاهتداء الى أسرار الكون والانسان الا بالعلم والتفكر فكانت للعلم مكانة عظيمة في الاسلام بل اعتبر فرضا من فروض الدين وعبادة يثاب عليها حيث قال صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة .

كما رفض الاسلام كل شئ يمت للخرافة والوهم بل دعا لاستخدام الوسائل التي توصل الانسان للحقيقة من خلال السمع والبصر والفؤاد حيث قال تعالى في سورة الاسراء - ولاتقف ماليس لك به علم , ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا -.

كما قرر الإسلام أنه لاتوجد واسطة بين الانسان والله ولايجوز اكراه أحد على دين معين ولايملك أحد ان يغفر الذنوب ولايملك أحد اكراه الضمير والعقول على الاعتقاد بشئ بالقوة وبذلك نفى الاسلام كل اشكال الكهانة والرهبنة وألغى طبقة رجال الدين بل في الاسلام فقهاء وعلماء يبينون للناس حكم الله فلا يحلون ولا يحرمون .

وجعل الاسلام من العبادة رابط بين الانسان والله عن طريق المراقبة والخشية والحاجة الى عون الله تعالى في التغلب على كل القيم الباطلة والفاسدة والتحرر من العبودية للبشر مهما بلغت مكانتهم .

كما دعا الاسلام لتهذيب النفس والجوارح وتقوية روابط التعاون بين بني البشر لأن الفرد في نظر الاسلام هو جزء من مجموع وبالتالي عليه مراعاة ذلك حتى لايطغى على الآخرين تحت أي حجة أو مبرر , وبذلك تنوعت العبادات في الاسلام من صلاة وصيام وصوم وزكاة وحج ودعاء وغيرها من العبادات العملية والقولية وكل هذه العبادات تلعب دورا في تهذيب النفس حيث يقول الله تعالى في سورة العنكبوت – ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر – ويقول عن الزكاة في سورة التوبة – تطهرهم وتزكيهم – ويقول عن الحج في سورة الحج – ليشهدوا منافع لهم – ويقول صلى الله عليه وسلم عن الصوم – رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش –

ثم جاء الاسلام بالآداب التي تقوي الشخصية وتعلم الفرد على تحمل المشاق وتنمي روح التعاون بين الناس وتقضي على روح الانعزالية والفردية وتقديس الذات على حساب المجموع .

ثم جاءت الشريعة الاسلامية بالقوانين لمختلف نواحي الحياة سواء على المستوى الشخصي أو المستوى العام ابتداء من البيت الى السوق والعمل الى الحقوق والواجبات في داخل الدولة وخارجها , وكان الهدف من هذه القوانين توفير السعادة والسلام والرحمة والكرامة على اساس من اليسر وعدم تحميل الانسان فوق طاقته وقدرته فكانت هذه القوانين تدور حول الحقوق والواجبات ابتداء من الحرية في اختيار العقيدة الى حق التعلم والعمل وباختصار كانت مقاصد الشريعة تجتمع في الضروريات الخمس وهي الدين والعقل والنفس والمال والعرض .

وتميزت هذه القوانين بالعدل بحيث يعطى كل ذي حق حقه دون تفريق بين مكونات المجتمع فلا يجحف انسان بحق انسان مهما كانت مكانته سواء كان حاكما أو محكوما , ولقد شدد الاسلام على الظلم تشديدا عظيما حيث يقول الله تعالى في سورة الزخرف – فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم – .

ولم تقتصر العدالة على المسلمين بل شملت غير المسلمين فلقد قال صلى الله عليه وسلم ألا من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته وانتقصه أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة , فكانت عدالة مطلقة .

ثم تميزت هذه القوانين بالمساواة وهي متممة للعدل وبدون عدل لاتكون مساواة, فالجميع أمام القانون سواء حتى وان تفاضل الناس من حيث العلم والمكانة وبذلك ألغى الاسلام كل اشكال الطبقية يقول عليه الصلاة والسلام – والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها –.

والقوانين الاسلامية تساوي بين الناس بغض النظر عن عقيدتهم وعرقهم , بل انها تركت لغير المسلم في قضايا الزواج والأمور الخاصة بدين معين غير الاسلام ان يتحاكموا الى دينهم فالخمر في الاسلام محرم لكنه ترك لغير المسلم أن يتعامل به اذا كان غير محرم في دينه .

وتميزت القوانين الاسلامية بالتيسير فلم تكلف الناس بما لايطيقون أو بما يصطدم مع طبيعة الانسان قال الله تعالى في سورة البقرة – لايكلف الله نفسا الا وسعها – وعندما يصل الأمر في تنفيذ قانون ما ويؤدي الى المشقة أو توقع الهلكة فأجاز الاسلام عدم تنفيذ ذلك القانون مثل أكل لحم الميتة والدم بما يسد رمقه ويكفي حاجته ويحول بينه وبين الهلاك حيث يقول الله تعالى في سورة النحل – انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به , فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم – .

وتميزت القوانين الاسلامية برعاية المصالح للناس بحيث تذهب الضرر وتحقق الخير وتطهر الروح وتدفع عنها الضرر وتقوم الاعوجاج وتصلح المجتمع لذلك شرعت الأحكام لمصالح العباد واصلاح المجتمع وحكم ذلك قاعدة مهمة وهي قول الرسول صلى الله عليه وسلم – لاضرر ولا ضرار – وبذلك لبت القوانين حاجة الناس وضروراتهم , والأصل بهذه القوانين أنها تراعي المصلحة العامة واذا تعارضت مصلحتان عامتان فتقدم الأكثر تعلقا بمصلحة المجموع ولم ينسى الاسلام أن المصالح قد تتغير وتتبدل من زمن لآخر وهنا ترك المشرع فسحة من أجل مراعاة

المصلحة في كل زمان ومكان ضمن الضوابط الشرعية حيث تتغير الأحكام بتغير الأزمان .

ان الاسلام نظام شامل متوازن دعا الى عقيدة تحرر العقل وتدعوا للعلم وعبادة تسموبالروح وخلق ينمي الشخصية ويدعوا للتعاون وتشريع يحقق المصالح ويضمن العدل والمساوة والتطور في ضوء المستجدات دون جمود .

العلمانية وفصل الدين عن الدولة

دعوة قديمة جديدة

الحلقة الثانية

طريف السيد عيسى

@hotmail.com59alsayed_

منظومة التشريع الاسلامي

قبل أن ندخل في صلب الموضوع أنقل ماقاله غير المسلمين بحق التشريع الاسلامي ومن قبل جهات صاحبة أختصاص .

-يذكر العلامة مصطفى أحمد الزرقاء رحمه الله تعالى في كتابه المدخل الفقهي العام الجزء الأول مايلي:في الثاني من تموز عام 1951 عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمرا في كلية الحقوق من جامعة باريس للبحث في الفقه الاسلامي برئاسة المسيو ميو أستاذ التشريع الاسلامي في كلية الحقوق بجامعة باريس حضره عددا من أساتذة الحقوق في الجامعات العربية والغربية ومن المستشرقين ,وفي خلال بعض النقاشات وقف أحد الأعضاء وهو نقيب محاماة سابق في باريس فقال : أنا لا أعرف كيف أوفق بين ماكان يحكى لنا عن جمود الفقه الاسلامي وعدم صلوحه أساسا تشريعيا يفي بحاجات المجتمع العصري المتطور ,وبين مانسمعه الآن في المحاضرات ومناقشاتها مما يثبت خلاف ذلك تماما ببراهين النصوص والمبادئ .

وفي ختام المؤتمر وضع المؤتمرون تقرير نقتطف منه :أن مبادئ الفقه الاسلامي لها قيمة حقوقية تشريعية لايمارى فيها .وان اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات , ومن

الأصول الحقوقية , هي مناط الاعجاب , وبها يستطيع الفقه الاسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها , أنتهى كلام الشيخ – ص 6–9 .

وكما قيل والفضل ماشهدت به الأعداء , فعجيب أمر قومنا يزهدون بما عندنا ويذهبون شرقا وغربا يريدون منا أن نأخذ بتشريعات لاتمت لبيئتنا بصلة كما أنهم يريدون منا أن ننسلخ عن أصالتنا التي ذخرت بتراث فقهي مجيد بما يحتويه من مبادئ وأسس ومرونة تمكنه من الاستجابة لكل الحاجات في كل زمان وبيئة.

والآن نأتي الى النظام التشريعي في الاسلام حيث سيتم تناوله من خلال ركيزتين أساسيتين :

أولا – وضع التشريعات والأنظمة الوضعية .

ثانيا – التشريع الاسلامي

أولا – وضع التشريعات والأنظمة الوضعية :

معلوم أن القانون يتكون تدريجيا فيخضع للتعديل والاستبدال والالغاء فكلما أرتقت مدارك الانسان ومعارفه كلما أرتقى في التشريع .

ولكن تبقى هذه القوانين هي من صناعة البشر الذين مهما أو توا من الكمال فانهم يبقون بشرا لايستطيعون اقامة قانون خالد صالح لكل زمان ومكان .

والاختلاف في القوانين بين أمة وأخرى دليل على الاختلاف في العادات والأعراف وثقافة المجتمع وعقيدته حيث أن لكل أمة خصوصيات , فهل يعقل أن نجعل من خصوصيات الآخرين مرجعية لنا .

ومن خلال التدقيق في كل القوانين الوضعية نجد أنها تفتقد الى المبادئ الأخلاقية والتي تنبع من وازع الضمير ومحاسبة النفس ومراقبة التصرفات والسلوكيات .

كما أن هذه القوانين تفتقد للكمال والصلوحية ولاتستطيع الموازنة والتوافق بين النظرة الى الكون والانسان والحياة مما يجعل فيها ثغرات دائمة وتشوهات مزمنة .

كما أن هذه القوانين تفتقر الى العدالة فهي قد تكون عادلة مع رعايا الدولة ولكنها ظالمة ومجحفة بحق الآخرين خارج الدولة , وبما أنها من صناعة البشر فيتم تفسير

هذه القوانين بما يخدم مصالح هذه الدول فيتم التلاعب بها كلما أقتضت مصلحتهم لذلك.

وبمراجعة متأنية ومنصفة للمائة عام الأخيرة نقف على كوارث وجرائم ارتكبت بحق البشرية وباسم هذه القوانين .

ثانيا – التشريع الاسلامي :

– قلنا في الحلقة الأولى أن الاسلام دين ودولة فهو عقيدة تحرر العقل من الجهل والخرافة والانغلاق, وأخلاق تهذب النفس وتدعوها نحو الفضائل, وعبادة روحية تربط الانسان بخالقه ليبقى دائما في حالة مراقبة لتصرفاته وسلوكه, وتشريع ينظم شؤون الحياة وعلاقة الانسان مع خالقه وعلاقته مع نفسه وعلاقته مع الآخرين على مستوى المجتمع والدولة .

– ولتحقيق هذه المنظومة المتوازنة جاء الاسلام بتشريع شامل ومتوازن فلقد شمل جميع القواعد والأسس والمبادئ اللازمة لاقامة حياة اجتماعية ضمن الدولة .

ولاننكر أنه في بعض الأحيان ترتكب أخطاء في التطبيق لكن هذه الأخطاء لاتستوجب استبعاد الشريعة ونظامها فطالما أن هناك مبدأ فهو المرجع ولاقداسة لاجتهادات الأشخاص .

– وبالعودة الى النظام الاسلامي فاننا نجده تضمن كل متطلبات القوانين والأحكام على المستوى الخاص والعام فكان نظاما بمبادئ عامة وردت في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وتركت مساحة واسعة للاجتهاد بالتفصيلات حسب مقتضيات الزمان والمكان والبيئة والظروف والمستجدات .

– ان التشريع الاسلامي نظاما ربانيا ارتضاه خالق الكون للبشرية فهو خالقها ويعلم ماينفعها ويضرها فوضع لها نظاما صالحا لها في كل عصر ومصر فهل يعقل أن نستبدل النظام الرباني بنظام بشري مازال الى اليوم يعاني من ثغرات قاتلة .

–كما أن النظام الاسلامي خلا مما يسمى طبقة رجال الدين الذين عانت منهم البشرية في بعض الديانات, فلم يعرف الاسلام لا في عهد النبوة ولا في عهد الراشدين ولا في العهود الأخرى طبقة رجال الدين , بل هناك فقهاء وعلماء دورهم توضيح وتبيان أحكام الشريعة فلا يحرمون حلالا ولا يحلون حراما ولم يعرف هؤلاء

الفقهاء بأي ميزة تميزهم عن باقي أفراد المجتمع الا بعلمهم وهذا ماجعل العامة يحترمونهم ويجلونهم ويقدرونهم بل حتى أن أركان الدولة كانت تهابهم لأنهم يدركون دورهم في الوقوف بوجه الأخطاء والانحرافات وقد حفل تاريخ الاسلام بمواقف العلماء ضد بعض الولاة الذين حادوا أحيانا عن الطريق .

ان هؤلاء العلماء كانوا مثل الأطباء في تشخيصهم للمرض ثم وصف العلاج المناسب وشأنهم شأن أصحاب الاختصاصات الأخرى .

–ان التاريخ الاسلامي حافل بآلاف المواقف التي تؤكد بعد العلماء عن السيطرة على أركان الدولة وهيمنتهم على الحياة العامة بل نجد مواقفهم صارمة بحق الولاة الذين انحرفوا ومن هذه المواقف :

–الفقيه منذر بن سعيد في الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر الذي أنشأ مدينة الزهراء وأنفق عليها الأموال الطائلة حتى أنه أتخذ للصرح الممرد قبة من ذهب وفضة فما كان من الفقيه منذر الا أن وقف وبحضور الناصر مؤنبا له قائلا ماكنت أظن أن الشيطان أخزاه الله يبلغ بك هذا المبلغ , ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين , مع ما آتاك الله وفضلك على العالمين , حتى أنزلك منازل الكافرين , فاقشعر الناصر لهذا القول وقال له انظر ماتقول فرد عليه منذر ألم تقرأ قول الله تعالى : ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون , فوجم الناصر ودموعه تجري ثم قام شاكرا للفقيه منذر وأمر بنقض القبة , انه موقف لرد انحراف الناصر في استخدام المال العام وبذلك كان الفقيه وكيلا عن أموال الشعب وليس رجل دين يبتز أموال الشعب .

–لما ثار بعض سكان لبنان على عاملها علي بن عبد الله بن عباس فقام بتفريقهم وأجلاهم عن ديارهم ولما علم امام الشام وعالمها الامام الأوزاعي بذلك كتب الى والي لبنان يذكره بالنصوص التي تدعوا للعدل والانصاف بحق الآخرين فما كان من الوالي الا أن أعادهم الى قراهم وبيوتهم , فهل كان الفقهاء رجال دين يساعدون على الظلم والاضطهاد .

ان بطون الكتب تحدثنا عن مواقف ستبقى درة في جبين التاريخ في مواقف الفقهاء والعلماء .

فلمصلحة من يتم الترويج لهذه الدعوة في بيئة تختلف عن البيئة التي نشأت فيها , ان حال هؤلاء كمن يمارس الاضطهاد تجاه أفكاره نفسها لأنهم يريدون استنبات شجرة غريبة في بيئة غريبة غير بيئتها .

ان حال هؤلاء حال رجل نظر فابصر ففكر ثم دبر فتوصل الى فكرة عبقرية كما يزعم فخرج علينا بنظرية كما يزعم قائلا لنا نريد أن نخرج السمك من الماء من أجل أن تعيش في البر وتقطع علاقتها الوجودية مع الماء , ثم عمل مابوسعه من أجل أن يتأقلم السمك مع المحيط الجديد فسخر لذلك كل الامكانيات والوسائل لنجاح تجربته ولكن من حوله نصحوه وقدموا له البراهين أن تجربته فاشلة وأنه يمارس جريمة بحق السمك لكنه لم يسمع لهم بل شكك بكل نصائحهم واثار حولها الشبهات وبعد فترة أكتشف فشل تجربته , وبدل أن يعترف بجريمته بحق هذا الكائن وفشله الذريع بدا يكيل التهم للبيئة المحيطة .

ان من يريد استنبات شجرة العلمانية لايسمعون نصحا ولا يقبلون رأيا ويصرون على مناطحة الصخور فهل هؤلاء مستعدين بعد تجاربهم الفاشلة أن يغيروا فكرهم ومنهجهم وبذلك يكونون مخلصين لشعوبهم وأمتهم وهذا افضل مايمكن أن يفعلوه .

على هؤلاء أن يدركوا أن المسلمين مهما أعتراهم الضعف والتراجع وتقليد الغالب لكنهم رغم كل ذلك حددوا مكانهم ومرجعيتهم وهذا الأمر قد حسم لصالح الاسلام فلماذا يصر هؤلاء على مواقفهم وكل يوم يفاجئون بفشل جديد يلاحقهم .

وبما أن السمك لايعيش الا في الماء وكذلك الاسلام هو المرجعية التي لانعيش بدونها , وهذا لايمنع من الاعتراف بخلل وقع هنا أو هناك في بعض التجارب سواء في الماضي أو الحاضر وهذا يدعونا الى دراسة هذه التجارب بموضوعية فنصوب ماوقع من أخطاء وانحرافات وننمي ماتحقق من نجاحات ونطور مايحتاج الى تطوير في ضوء المقاصد العامة للشريعة الاسلامية حتى نضمن تجربة ناجحة تستفيد منها البشرية

=============

 # العلمانيون وفكرهم وممارساتهم

الكاتب: الشيخ د.سعيد بن ناصر الغامدي

العلمانيون هم كل من ينسب أو ينتسب للمذهب العلماني ، وينتمي إلى العلمانية فكرا أو ممارسة0

وأصل العلمانية ترجمة للكلمة الإنجليزية " secularism " , وهي من العلم فتكون بكسر العين , أو من العالم فتكون بفتح العين , وهي ترجمة غير أمينة ولادقيقة ولا صحيحة ,لأن الترجمة الحقيقية للكلمة الإنجليزية هي "لادينية أولا غيبية أو الدنيوية أولا مقدس"

نشأت العلمانية في الغرب نشأة طبيعية نتيجة لظروف ومعطيات تاريخية . دينية واجتماعية وسياسية وعلمانية واقتصادية . خلال قرون من التدريج والنمو ، والتجريب , حتى وصلت لصورتها التي هي عليها اليوم 0

ثم وفدت العلمانية إلى الشرق في ظلال الحرب العسكرية،وعبر فوهات مدافع البوارج البحرية،ولئن كانت العلمانية في الغرب نتائج ظروف ومعطيات محلية متدرجة عبر أزمنة متطاولة،فقد ظهرت في الشرق وافدا أجنبيا في الرؤى والإيديولوجيات والبرامج ،يطبق تحت تهديد السلاح وبالقسر والإكراه، لأن الظروف التي نشأت فيها العلمانية وتكامل مفهومها عبر السنين تختلف اختلافا جذريا عن ظروف البلدان التي جلبت إليها جاهزة متكاملة في الجوانب الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتاريخية والحضارية ، فالشرط الحضاري الاجتماعي التاريخي الذي أدى إلى نجاح العلمانية في الغرب مفقود في البلاد الإسلامية بل فيها النقيض الكامل للعلمانية ولذلك كانت النتائج مختلفة تماماً كما , وحين نشأت الدولة العربية الحديثة كانت عاله على الغربيين الذين كانوا حاضرين خلال الهيمنة الغربية في المنطقة ومن خلال المستشارين الغربيين أو من درسوا في الغرب واعتنقوا العلمانية ، فكانت العلمانية في أحسن الأحوال أحد المكونات الرئيسية للإدارة في مرحة تأسيسها وهكذا بذرت بذور العلمانية على المستوى الرسمي قبل جلاء جيوش الاستعمار عن البلاد الاسلامية التي ابتليت بها .

ومن خلال البعثات التي ذهبت من الشرق إلى الغرب عاد الكثير منها بالعلمانية لا بالعلم ، ذهبوا لدراسة الفيزياء والأحياء والكيمياء والجيولوجيا والفلك والرياضيات فعادوا بالأدب واللغات والاقتصاد والسياسة والعلوم الاجتماعية والنفسية ، بل وبدراسة

الأديان وبالذات الدين الإسلامي في الجامعات الغربية ، ولك أن تتصور حال شاب مراهق ذهب يحمل الشهادة الثانوية ويلقى به بين أساطين الفكر العلماني الغربي على اختلاف مدارسه ، بعد أن يكون قد سقط إو أسقط في حمأة الإباحية والتحلل الأخلاقي وما أوجد كل ذلك لديه من صدمة نفسية واضطراب فكري ، ليعود بعد عقد من السنين بأعلى الألقاب الأكاديمية ، وفي أهم المراكز العلمانية بل والقيادية في وسط أمة أصبح ينظر إليها بازدراء ، وإلى تاريخها بريبة واحتقار ، وإلى قيمها ومعتقداتها وأخلاقها . في أحسن الأحوال . بشفقة ورثاء . إنه لن يكون بالضرورة إلا وكيلا تجاريا لمن علموه وثقفوه ومدنوه ، وهو لا يملك غير ذلك

ثم أصبحت الحواضر العربية الكبرى مثل "القاهرة_بغداد_دمشق" بعد ذلك من مراكز التصدير العلماني للبلاد العربية الأخرى،من خلال جامعاتها وتنظيماتها وأحزابها وبالذات لدول الجزيرة العربية وقلّ من يسلم من تلك اللوثات الفكرية العلمانية ، حتى أصبح في داخل الأمة طابور خامس ، وجهته غير وجهتها ، وقبلته غير قبلتها ، إنهم لأكبر مشكلة تواجه الأمة لفترة من الزمن ليست بالقليلة .

ثم كان للبعثات التبشيرية دورها، فالمنظمات التبشيرية النصرانية التي جابت العالم الإسلام شرقاً وغربا من شتى الفرق والمذاهب النصرانية ، جعلت هدفها الأول زعزعت ثقة المسلمين في دينهم ، وإخراجهم منه ، وتشكيكهم فيه 0

ثم كان للمدارس والجامعات الأجنبية المقامة في البلاد الاسلامية دورها في نشر وترسيخ العلمانية

ثم كان الدور الأكبر للجمعيات والمنظمات والأحزاب العلمانية التي انتشرت في الأقطار العربية والإسلامية، مابين يسارية وليبرالية وقومية وأممية وسياسية واجتماعية وثقافية وأدبية،بجميع الألوان والأطياف ،وفي جميع البلدان حيث أن النخب الثقافية في غالب الأحيان كانوا إما من خريجي الجامعات الغربية أو الجامعات السائرة على النهج ذاته في الشرق،وبعد أن تكاثروا في المجتمع عمدوا إلى إنشاء الأحزاب القومية أو الشيوعية أو الليبرالية ، وجميعها تتفق في الطرح العلماني ، وكذلك أقاموا الجمعيات الأدبية والمنظمات الإقليمية أو المهنية ، وقد تختلف هذه

التجمعات في أي شيء إلا في تبني العلمانية ، والسعي لعلمنة الأمة كل من زاوية اهتمامه،والجانب الذي يعمل من خلاله.

ولا يمكن إغفال دور البعثات الدبلوماسية :سواء كانت بعثات للدول الغربية في الشرق،أو للدول الشرقية في الغرب،فقد أصبحت في الأعم الأغلب جسورا تمر خلالها علمانية الغرب الأقوى إلى الشرق الأضعف ، من خلال المنح الدراسية وحلقات البحث العلمي،والتواصل الاجتماعي،والمناسبات والحفلات ، ومن خلال الضغوط الدبلوماسية والابتزاز الاقتصادي،وليس بسر أن بعض الدول الكبرى أكثر أهمية وسلطة من القصر الرئاسي أو مجلس الوزراء في تلك الدول الضعيفة التابعة .

ولا يخفى على كل لبيب دور وسائل الإعلام المختلفة ، مسموعة أو مرئية أو مقروءة ، لأن هذه الوسائل كانت من الناحية الشكلية من منتجات الحضارة الغربية–صحافة أو إذاعة أو تلفزة–فاستقبلها الشرق واستقبل معها فلسفتها ومضمون رسالتها،وكان الرواد في تسويق هذه الرسائل وتشغيلها والاستفادة منها إما من النصارى أو من العلمانيين من أبناء المسلمين فكان لها الدور الأكبر في الوصول لجميع طبقات الأمة ، ونشر مبادئ وأفكار وقيم العلمانية ، وبالذات من خلال الفن ، وفي الجانب الاجتماعي بصورة أكبر .

ثم كان هناك التأليف والنشر في فنون شتى من العلوم وبالأخص في الفكر والأدب والذي استعمل أداة لنشر الفكر والممارسة العلمانية0

فقد جاءت العلمانية وافدة في كثير من الأحيان تحت شعارات المدارس الأدبية المختلفة،متدثرة بدعوى رداء التجديد والحداثة،معلنة الإقصاء والإلغاء والنبذ والإبعاد لكل قديم في الشكل والمضمون وفي الأسلوب والمحتوى ومثل ذلك في الدراسات الفكرية المختلفة في علوم الاجتماع والنفس والعلوم الإنسانية المختلفة،حيث قدمت لنا نتائج كبار ملاحدة الغرب وعلمانييه على أنه الحق الطلق،بل العلم الأوحد ولاعلم سواه في هذه الفنون،وتجاوز الأمر التأليف والنشر إلى الكثير من الكليات والجامعات والأقسام العلمية التي تنتسب لأمتنا اسما ،ولغيرها حقيقة 0

ولايسطيع أحد جحد دور الشركات الغربية الكبرى التي وفدت لبلاد المسلمين مستثمرة في الجانب الاقتصادي

هكذا سرت العلمانية في كيان الأمة ، ووصلت إلى جميع طبقاتها قبل أن يصلها الدواء والغذاء والتعليم في كثير من الأحيان، ولو كانت الأمة حين تلقت هذا المنهج العصري تعيش في مرحلة قوة وشموخ وأصالة لوظفت هذه الوسائل توظيفا آخر يتفق مع رسالتها وقيمها وحضارتها وتاريخها وأصالتها .

بعض ملامح العلمانية

لقد أصبح حَمَلة العلمانية الوافدة في بلاد الشرق بعد مائة عام من وفودهم تيارا واسعا نافذا متغلبا في الميادين المختلفة فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية ، وكان يتقاسم هذا التيار الواسع في الجملة اتجاهان :

أ-الاتجاه اليساري الراديكالي الثوري،ويمثله - في الجملة - أحزاب وحركات وثورات ابتليت بهاء المنطقة ردحا من الزمن ، فشتت شمل الأمة ومزقت صفوفها ، وجرت عليها الهزائم والدمار والفقر وكل بلاء ، وكانت وجهة هؤلاء الاتحاد السوفييتي قبل سقوطه،سواء كانوا شيوعيين أمميين ،أو قوميين عنصريين .

ب-الاتجاه الليبرالي ذي الوجهة الغربية لأمريكا ومن دار في فلكها من دول الغرب ، وهؤلاء يمثلهم أحزاب وشخصيات قد جنوا على الأمة بالإباحية والتحليل والتفسخ والسقوط الأخلاقي والعداء لدين الأمة وتاريخها .

وللاتجاهين ملامح متميزة أهمها :

1- مواجهة التراث الإسلامي ، إما برفضه بالكلية واعتباره من مخلفات عصور الظلام والانحطاط التخلف .كما عند غلاة العلمانية . ، أو بإعادة قراءته قراءة عصرية .كما يزعمون .لتوظيفه توظيفا علمانيا من خلال تأويله على خلاف ما يقتضيه سياقه التاريخي من قواعد شرعية ،ولغة عربية ،و أعراف اجتماعية ،ولم ينج من غاراتهم تلك حتى القرآن و السنة ، إمّا بدعوى بشرية الوحي ، أو بدعوى أنه نزل لجيل خاص أو لأمة خاصة ، أو بدعوى أنة مبادئ أخلاقية عامة ، أو مواعظ روحية لاشأن لها بتنظيم الحياة ، ولا ببيان العلم و حقائقه ، ولعل من الأمثلة الصارخة للرافضين للتراث ، والمتجاوزين له "أدونيس " و "محمود درويش" و "البياتي " و " جابر عصفور ".

أما الذين يسعون لإعادة قراءته وتأويله وتوظيفه فمن أشهرهم "حسن حنفي " و " محمد أركون "و "محمد عابد الجابري " و " حسين أمين " ومن على شاكلتهم ، ولم ينج من أذاهم شيء من هذا التراث في جميع جوانبه .

2- اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي استعماري عنصري غير حضاري ، وتفسيره تفسيرا ماديا ، بإسقاط نظريات تفسير التاريخ الغربية العلمانية على أحداثه ،وقراءته قراءة انتقائه غير نزيهة ولا موضوعية،لتدعيم الرؤى والأفكار السوداء المسبقة حيال هذا التاريخ ، وتجاهل مافية من صفحات مضيئة مشرقة ، والخلط المعتمد بين الممارسة البشرية والنهج الإسلامي الرباني ، ومحاولة إبراز الحركات الباطنية والأحداث الشاذة النشاز وتضخيمها،والإشادة بها ، والثناء عليها ، على اعتبار أنها حركات التحرر والتقدم والمساواة والثورة على الظلم مثل "ثورة الزنج"و"ثورة القرامطة" ومثل ذلك الحركات الفكرية الشاذة عن الإسلام الحق ، وتكريس أنها من الإسلام بل هي الإسلام مثل القول بوحدة الوجود ،والاعتزال وما شابه ذلك من أمور تؤدى في نهاية الأمر إلى تشويه الصور المضيئة للتاريخ الإسلامي لدى ناشئة الأمة،وأجياله المتعاقبة .

3- السعي الدؤوب لإزالة أو زعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في وجدان المسلم ، والمسيرة المؤطرة للفكر والفهم الإسلامي في تاريخه كله ، من خلال استبعاد الوحي كمصدر للمعرفة والعلم ، أو تهميشه . على الأقل . وجعله تابعاً لغيره من المصادر ، كالعقل والحس ، وما هذا إلا أثر من آثار الإنكار العلماني للغيب ، والسخرية من الإيمان بالغيب ، واعتبارها . في أحسن الأحوال . جزء من الأساطير والخرافات والحكايات الشعبية ، والترويج لما يسمي بالعقلانية والواقعية والإنسانية ، وجعل ذلك هو البديل الموازي للإيمان في مفهومه الشرعي الأصيل ، وكسر الحواجز النفسية بين الإيمان الكفر ، ليعيش الجميع تحت مظلة العلمانية في عصر العولمة ، وفي كتابات " محمد عابد الجابري " و" حسن حنفي " و" حسين مروة " و" العروي " وأمثالهم الأدلة على هذا الأمر .

4- خلخلة القيم الخلقية الراسخة في المجتمع الإسلامي ، والمسيرة للعلاقات الاجتماعية القائمة على معاني الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود وطلب

الأجر وأحاسيس الجسد الواحد ، واستبدال ذلك بقيم الصراع و الاستغلال والنفع وأحاسيس قانون الغاب والافتراس ، والتحلل ، والإباحية من خلال الدراسات الاجتماعية والنفسية ، والأعمال الأدبية والسينمائية والتلفزيونية ، مما هز المجتمع الشرقي من أساسه ، ونشر فيه من الجرائم والصراع ما لم يعهده أو يعرفه في تاريخه ، ولعل رواية "وليمة عشاء لأعشاب البحر"–السيئة الذكر–من أحدث الأمثلة على ذلك،والقائمة الطويلة من إنتاج"محمد شكري"و"الطاهر بن جلون"و"الطاهر طار"و"تركي الحمد"وغيرهم الكثير تتزاحم لتؤدي دورها في هدم الأساس الخلقي الذي قام عليه المجتمع،واستبداله بأسس أخرى .

5- رفع مصطلح الحداثة كلافتة فلسفية اصطلاحية بديلة لشعا ر التوحيد ، والحداثة كمصطلح فكري ذي دلالات محددة تقوم على مادية الحياة ، وهدم القيم والثوابت ،ونشر الانحلال والإباحية ، وأنسنة الإله وتلويث المقدسات ، وجعل ذلك إطارا فكرياً للأعمال الأدبية ، والدراسات الاجتماعية ، مما أوقع الأمة في أسوأ صور التخريب الفكري الثقافي .

6- استبعاد مقولة الغزو الفكري من ميادين الفكر والثقافة ، واستبدالها بمقولة حوار الثقافات ، مع أن الواقع يؤكد أن الغزو الفكري حقيقة تاريخية قائمة لايمكن إنكارها كإحدى مظاهر سنة التدافع التي فطر الله عليها الحياة ، وأن ذلك لا يمنع الحوار ، لكنها سياسة التخدير والخدع والتضليل التي يتبعها التيار العلماني ، ليسهل تحت ستارها ترويج مبادئ الفكر العلماني ، بعد أن تفقد الأمة مناعتها وينام حراس ثغورها ، وتتسلل في أجزائها جراثيم وفيروسات الغزو العلماني القاتل .

7- وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري ، عبر غوغائية ديماغوجية إعلامية غير شريفة ، ولا أخلاقية ، لتخويف الناس من الالتزام بالإسلام ، والاستماع لدعاته ، وعلى الرغم من وقوع الأخطاء . وأحياناً الفظيعة . من بعض المنتمين أو المدعين إلى الإسلام ، إلا أنها نقطة في بحر التطرف والإرهاب العلماني الذي يمارس على شعوب بأكملها ، وعبر عقود من السنين ، لكنه عدم المصداقية والكيل بمكيالين ، والتعامي عن الأصولية والنصرانية ، واليهودية ، والموغلة في الظلامية والعنصرية والتخلف .

8- تمييع قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق ، والفكر والسياسة ، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح المادي محلها ، واستخدام هذه المفاهيم في تحليل المواقف والأحداث ، ودراسة المشاريع والبرامج ، أي فك الارتباط بين الدنيا والآخرة في وجدان وفكر وعقل الإنسان ، ومن هنا ترى التخبط الواضح في كثير من جوانب الحياة الذي يعجب له من نور الله قلبه بالإيمان ، ولكن أكثرهم لا يعلمون .

9- دق طبول العولمة واعتبارها القدر المحتوم الذي لامفرمنه ولاخلاص إلابه ، دون التمييز بين المقبول والمرفوض على مقتضى المعايير الشرعية ، بل إنهم لَيصرخون بأن أي شئ في حياتنا يجب أن يكون محل التساؤل دون التفريق بين الثوابت والمتغيرات مما يؤدي إلى تحويل بلاد الشرق إلى سوق استهلاكية لمنتجات الحضارة الغربية ، والتوسل لذلك بذرائعيه نفعية محضة لا يسيرها غير أهواء الدنيا وشهواتها .

10- الاستهزاء والسخرية والتشكيك في وجه أي محاولة لأسلمة بعض جوانب الحياة المختلفة المعاصرة في الاقتصاد والإعلام والقوانين ، وإن مرروا هجومهم وحقدهم تحت دعاوى حقوق الإنسان وحرياته ، ونسوا أو تناسوا الشعوب التي تسحق وتدمر وتقتل وتغصب بعشرات الآلاف ، دون أن نسمع صوتاً واحداً من هذه الأصوات النشاز يبكي لها ويدافع عنها ، لالشيء إلا أن الجهات التي تقوم بانتهاك تلك الحقوق ، وتدمير تلك الشعوب أنظمة علمانية تدور في فلك المصالح الغربية .

11- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية ، وبخاصة في الفن والرياضة وشركات الطيران والأزياء والعطور والحفلات الرسمية و الاتكاء القوي علىقضية المرأة ، ولكن كانت هذه شكليات ومظاهر لكنها تعبر عن قيم خلقية ، ومنطلقات عقائدية ، وفلسفة خاصة للحياة ، من هنا كان الاهتمام العلماني المبالغ فيه بموضة المرأة ، والسعي لنزع حجابها ، وإخراجها للحياة العامة ، وتعطيل دورها الذي لايمكن أن يقوم به غيرها ، في تربية الأسرة ورعاية الأطفال ، وهكذا العلمانيون يفلسفون الحياة . يعطل مئات الآلاف من الرجال عن العمل لتعمل المرأة ، ويستقدم مئات الآلاف من العاملات في المنازل لتسد مكان المرأة في رعاية الأطفال ، والقيام بشؤون المنزل ، ولئن كانت بعض الأعمال النسائية يجب أن تناط بالمرأة ، فما المبرر لمزاحمتها للرجل في كل موقع .

12- الاهتمام الشديد والترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب ، وتقديم أصحابها في وسائل الإعلام ، بل وفي الكليات والجامعات على أنهم رواد العلم ، وأساطين الفكر وعظماء الأدب ، وما أسماء " دارون " و " فرويد " و " دوركايم " وأليوت وشتراوس وكانط " وغيرهم بخافية على المهتم بهذا الشأن ، وحتى أن بعض هؤلاء قد تجاوزه علمانيو الغرب ، ولكن صداه مازال يتردد في عالم الأتباع في البلاد الاسلا مية

=================

#العَلَمانيون الثلاثة.. والنيلةُ.. والحظّ الهباب..!!

أ.د/جابر قميحة
komeha@menanet.net

الثلاثة المشار إليهم في العنوان هم الأساتذة: حسين أحمد أمين, وسعيد العشماوي, وفرج فودة. وهم - في مصر والبلاد العربية - يعدون من أشهر رءوس العَلَمانية (بفتح العين واللام)

والأخير بين يدي الله الآن, فقد اغتيل مساء يوم الاثنين 8 من يونيو سنة 1992. وما كتبه هؤلاء الثلاثة يعد عدوانًا - بكل معني الكلمة - علي كثير جدًا من قيم الإسلام ونظمه, ومبادئه, حتي ما جاء منه في نصوص إلهية قطعية الثبوت والدلالة, ولا تحتمل التأويل والخروج بها عن مسارها. فعلوا ذلك باسم «التنوير» وإنقاذ العقل المسلم من ظلمات الرجعية والتخلف.

عينات لا محاكمة..

ونحن في هذا المقال لا نحاكم العَلَمانية والعَلَمانيين, ولكننا نحتكم - ابتداء - إلي «عينات» مما أفرزه هذا الثلاثي في كتبهم:

- أحدهم سافر - من عدة سنوات - في رحلة إلي الولايات المتحدة, وعاد منها ليكتب عدة مقالات في مجلة قومية أسبوعية يخلع فيها علي «الشباب المسلم العربي» من المثالب والنقائص والمآثم مالا يصِدق إلا علي الكفرة الفجرة, والجهلة المتخلفين, كزعمه بأنهم يحرمون الجلوس علي المقاعد أثناء المحاضرات بدعوي أن النبي صلي الله عليه وسلم والصحابة كانوا يفترشون الأرض جلوسًا. وفات صاحبنا

أن هؤلاء الشباب كانوا يستخدمون مكبرات الصوت في المحاضرات, ويوزعون هذه المحاضرات مطبوعة, ويستقلون السيارات والطائرات. فهل وجدت هذه الآليات أيام الرسول صلي الله عليه وسلم, واستخدمها هو وأصحابه?.

– ويرفض الحدود الشرعية, ويطالب بالتسوية بين الأنثي والذكر في الميراث.

– وأحدهم يزعم أن حروب الردة (وهو يسميها حروب الصدقة) كانت حروبًا عدوانية, وأن نظام الخلافة نظام جاهلي فاسد جاء للسطو والسيطرة, والعدوان علي حقوق الإنسان, وأنه أضر بالإسلام حين ربط العقيدة بالسياسة, والشريعة بنظام الحكم.

– وأحدهم يعتقد أنه مبعوث العناية الإلهية «لضرب الرجعية» و«الأصولية المتعفنة» و«إنقاذ الإسلام من المتخلفين والأصوليين ولصوص توظيف الأموال» علي حد قوله.

– ويكتب عن «زواج المتعة» مستعينًا بآراء تائهة شاذة, ليوهم الجهلة والعامة بأن لهذا «الزواج» مكانه الثابت في الإسلام..

وغير ذلك كثير وكثير, وكلها أباطيل وأضاليل, لا يقصد بها لا تنوير, ولا تعمير, ولا رقي وتطوير – كما يزعمون – إنما الهدف هو الدنيا والمال والأضواء والشهرة, والمنافع الشخصية, وليسقط العقل والخلق والضمير.

وشهد شاهد من أهلهم..

وأنا لا ألقي الكلم جزافًا, ولم أخترع هذا الحكم الأخير اختراعًا ولكنه حكم يَخلص إليه من يقرأ شهادة حسين أحمد أمين, الذي لم يكن فرج فودة ليحدثه إلا بـ«أستاذي». يتحدث حسين عن أول زيارة قصده بها فرج فودة عصر يوم 6 مايو 1984 ليتعرف عليه. ويقول عنه حسين «.. اشتهر فرج باعتباره النصير الأول للعَلَمانية في مصر, والمناضل الذي لا يكل ولا يمل, ضد خطر الجماعات الإسلامية.. واتسعت شعبيته بسرعة مذهلة خصوصًا بين العلمانيين, والأقباط, والدوائر الرسمية».

ويذكر حسين أمين أن «فرج فودة حاول إنشاء حزب باسم حزب المستقبل وفي يوم 8 من أكتوبر 1984 أقام احتفالاً كبيرًا في سرادق ضخم أقامه بجاردن سيتي» دعا إليه السفراء الأجانب (!!) ورجال الصحافة, وعددًا من الشخصيات العامة المستقلة, وزعماء القبط, وقرأ برنامج الحزب الجديد (الذي لم تصرح به الحكومة).

وعن هذا البرنامج يقول حسين «.. قرأته فتبينت في طياته نزعة فاشية واضحة لا تبشر بخير, وهي نزعة تمثلت في استعداده لقمع الحركات الإسلامية بنفس الأساليب التي انتهجها النازيون تجاه مخالفيهم في الفكر, ويصرح بضرورة ضم السودان وليبيا إلي مصر بالقوة.. ولمست من فرج فودة اعتماده في تمويل نشاطه علي ما يزوده به نظام صدام حسين في العراق من مال.. وقد حاول مرة واحدة جس نبضي بصدد إمكان مرافقتي إياه في زيارة لبغداد, فلما أبيت بقوة تظاهر – علي الفور – بالاقتناع برأيي, ولم يفاتحني بعدها قط بشأن صلاته بعدد من الجهات الأجنبية».

وعن موقف الحكومة منه يقول حسين أمين «.. كان يتسم بالتذبذب: فهي من ناحية تقر علمانيته ويسرها هجومه العنيف علي الجماعات الإسلامية متطرفها ومعتدلها, وفي نفس الوقت حرّمتٍ عليه التليفزيون والإذاعة, إذ كانت تدرك أن عنف هذا الهجوم – وإن أطرب العلمانيين والمسيحيين وصحافة الغرب – يثير غضب الإسلاميين, ويبعثهم علي المزيد من التطرف والتصلب.. كانت مقالاته وكتبه – بوجه عام – لاذعة مليئة بالسخرية والتهكم اللذين كثيرًا ما كانا يصلان – في رأيي علي الأقل – إلي حد الإسفاف والردح.. وبالرغم من كل شيء.. من عدم رضائي عن عنصر الإسفاف في مقالاته, وشكي بصدد صلاته بجهات أجنبية ومصادر تمويل نشاطه, وأسفاره العديدة, فقد ظلت العلاقة بيننا طيبة ودية حتي النهاية».

مكالمة هاتفية..

وفي أحد أيام مارس 1992 جرت مكالمة هاتفية غريبة بين الرجلين ونصها:

– طبعًا سمعت الخبر يا أستاذ حسين?

– أي خبر?

– خبر مصادرة خمسة كتب للمستشار سعيد العشماوي في معرض القاهرة للكتاب.

– نعم, وقد آلمني الأمر, وأحزنني أشد الحزن.

– آلمك وأحزنك? اسمح لي أسألك: علي من أحزنك الخبر?

– علي المستشار العشماوي بطبيعة الحال.

– علي المستشار العشماوي? استاذي الكبير. منذ أذيع خبر المصادرة أي في بحر ثلاثة أيام بيع سبعة آلاف نسخة من كتاب معالم الإسلام, وخمسة آلاف نسخة من

كتاب أصول الشريعة, وستة عشر ألف نسخة من كتاب «الخلافة الإسلامية» وهلم جرا, كم نسخة بيعت من كتابك «الإمام» حتي الآن؟

- ثلاثة آلاف.

- اتفرج يا سيدي, وأنا لم أبع من كتابي «الحقيقة الغائبة» غير ألفي نسخة.

- كم يدفع ناشرك مقابل إعلان صغير عن كتاب لك في الأهرام أو الأخبار؟

- ستمائة جنيه علي الأقل.

- والمستشار سعيد العشماوي تتهافت الكتب والمجلات اليوم علي نشر الأحاديث معه والمقالات له علي ثلاث صفحات أو أربع, ومع صورة كبيرة له دون أن يدفع شيئًا, بل ربما دفعت هذه الصحف والمجلات له المكافآت عن هذه الأحاديث والمقالات.. ارفع سماعة تليفونك, واتصل به هو نفسه لتدرك مدي تهلله وسعادته بهذه الهبة التي نزلت عليه من السماء في صورة قرار بمصادرة كتبه, وقد كان الرجل في جميع أحاديثه مع الصحف من الدهاء والمكر بحيث تظاهر بالغضب والاستياء الشديدين من هذا القرار, وكأنما أضير من جرائه ضررًا بالغًا, بل وهدد برفع قضية علي مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر.

- أجاد أنت؟ تقول: إنه سعيد بما حدث؟

- كلمه أنت.. أليس صديقك؟ «دار سينا» - يا أستاذي - بعد أن نفدت نسخ كتبه تستعين بثلاث مطابع في آن واحد لإعادة طبع الكتب, والمطابع تعمل ليل نهار كي توفرها في السوق في ظرف أسبوع واحد لمواجهة الطلب المتزايد عليها.

- هذا خبر سار حقًا.

- سار حقًا؟ اسمح لي أسألك: سار بالنسبة لمن؟

- للعشماوي بطبيعة الحال.

- للعشماوي؟ وماذا عني وعنك يا أستاذ حسين؟ وماذا عن كتبي وكتبك؟ لماذا لم يأمر مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بمصادرتها هي أيضًا رغم أنها تحوي من الأفكار ما هو أخطر ألف مرة مما ورد في كتب العشماوي؟ «دليل المسلم الحزين مثلا», أو «الإسلام في عالم متغير» أو «قبل السقوط» أو «نكون أو لا نكون» هل

هذه الكتب في رأيك أقل خطرًا من كتب المستشار العشماوي, أم هي في رأي الأزهر لا غبار عليها من الناحية الدينية ككتب الشيخ الغزالي والشيخ القرضاوي؟

– الحقيقة أنني..

– لا يا أستاذي الفاضل.. ليس الأمر كما تظن, بل أكاد أجزم الآن بأن العشماوي لا بد قد دفع مبلغًا لجهة ما كي توصي مجمع البحوث الإسلامية بمصادرة كتبه.. العشماوي – بحكم خبرته وثقافته – يعلم أن بعض المؤلفين الأوربيين والأمريكان يلجأ اليوم إلي رشوة نقاد ليقوموا بمهاجمة كتبهم في الصحف والمجلات الأدبية علي نحو يثير شوق قراء الصحيفة أو المجلة إلي شراء الكتاب لقراءته.

– ألا يمكن أن يكون أعضاء مجمع البحوث قد أصدروا قرار المصادرة متطوعين مشكورين غير مأجورين من تلقاء أنفسهم, ودون سابق اتصال من جانب العشماوي؟

– لا يا أستاذنا الكبير, وإلا فلماذا لم يصادروا أيضًا كتب فرج فودة وحسين أمين؟ هأ!! جتنا نيلة في حظنا الهباب!! الحقيقة أنني قد بدأت أغضب من العشماوي, كان من واجبه – ونحن الثلاثة نجاهد في سبيل قضية واحدة, ومن خندق واحد – أن يستشيرنا قبل إقدامه علي الاتصال بمجمع البحوث, أو أن يلفت – علي الأقل – نظر المجمع إلي كتبنا نحن أيضًا باعتبارها جديرة مثل كتبه بالمصادرة.

– لا يا دكتور فرج.. الأرجح – في رأيي – هو: إما أن أعضاء المجمع لم يقرءوا كتبنا نحن, وقرءوا كتب العشماوي فأمروا بمصادرتها, وإما أنهم قرءوا كتبنا, ووجدوها سليمة لا خطر منها.

– سليمة لا خطر منها؟ يا سيدي الجليل ما كتبه علي عبد الرازق في «الإسلام وأصول الحكم» أو طه حسين في «الشعر الجاهلي» لا يمكن أن يقارن خطره بخطر فقرة واحدة من كتبي أو كتبك, كيف إذن يمكن للمجمع أن يجرؤ, ويعتبرها سليمة لا خطر منها؟ أما عن احتمال أن يكون أعضاء المجمع غافلين عنا وجاهلين بكتبنا فما علينا إذن إلا أن ننبههم إليها.

بالكتابة إليهم, بتحريض أصدقاء لنا علي تقديم الشكاوي من أفكارنا, أو بأن نطلب نحن مقابلة شيخ الأزهر, أو رئيس المجمع نفسه لتوضيح الأمور, ووضعها في نصابها, وتنبيهًا إلي أن في كتبنا خطرًا علي المجتمع الإسلامي لا يمكن السكوت

عليه. سليمة لا خطر منها يادي الفضيحة!! هذه إهانة.. كيف يمكن أن أُري وجهي للناس ومجمع البحوث الإسلامية يعتبر كتبي سليمة لا خطر منها؟ ما جدواها إذن؟ وما جدوي تعبي في كتابتها؟ جتنا نيلة في حظنا الهباب».

عزيزي القارئ هذا جزء حرفي مما كتبه حسين أحمد أمين في صحيفة «الجيل» – وهي تصدر في القاهرة – في عددها الصادر يوم الأحد 13 من ذي القعدة 1419هـ – 28 من فبراير 1999. نقلته بالنص دون تدخل مني, وأعتقد أنك معي في ضرورة «وقفة»أخري مع هذا الكلام الخطير 0

*** *** ***

لقد عرضنا آنفا نص المكالمة الهاتفية التي كانت بين قطبي العلمانية : فرج فودة, وحسين أحمد أمين, وفيها أبدي فرج أسفه وحزنه لمصادرة خمس كتب للقطب العلماني الثالث محمد سعيد العشماوي لأن هذه المصادرة رفعت توزيعها إلي عشرات الألوف. ويبكي حظه وحظ صديقه حسين أمين, ووصفه بأنه حظ «هباب» لأن المسئولين في الأزهر, ومجمع البحوث الإسلامية لم يوصوا, ولم يعملوا علي مصادرة كتبهما (فيرتفع توزيعها) . وفي السطور التالية نكمل المسيرة 0

دلالات خطيرة مؤسفة..

ونص هذه المكالمة – باعتراف حسين أحمد أمين – نُشرأولا في صحيفة «الأهالي» الصادرة في 11 من مارس سنة 1998-. وأعاد حسين أمين نشر نص المكالمة مرة أخري ص 11 من صحيفة الجيل (القاهرية) الصادرة يوم الأحد 28 من فبراير سنة 1999. في سلسلة مقالاته : شخصيات عرفتها 0 تحت عنوان مثير بخط كبير جدًا (فرج فودة يتهم سعيد العشماوي بإبلاغ الأزهر عن كتبه.. ويتحسر علي حظه الهباب). ومن العناوين الفرعية في المقال (اعتمد فرج في تمويل نشاطه علي أموال صدام حسين, وعلي صلاته بالجهات الأجنبية 0

ويذكر حسين أحمد أمين أن سعيد العشماوي غضب وهاج وماج بعد أن اطلع علي ما كتبه في الأهالي. كما أن العشماوي وجه حديثًا عنيفًا إلي فرج فودة بسبب هذه المكالمة.

وواضح أن هذه المكالمة وتوابعها تُلقي إضاءات قوية علي نفسية الثالوث القائد, ومن دار في فلكهم, وتبين عن هدفهم من الكتابة, وطبيعة منهجهم الفكري والدعوي. فهم يكتبون – لا من منطلق الإيمان بما يكتبون, ولا من منطلق الحرص علي مصلحة الوطن بالتنوير, والتوعية السياسية والاجتماعية والعلمية, كما يزعمون.

ولكنهم يكتبون من أجل المال, وتحقيق الثراء.. والآلية المثلي لتحقيق هذا الهدف هي مصادرة كتبهم, ومن ثم زيادة نسبة التوزيع بإقبال الناس علي شراء الكتب حبًا في كشف سبب أو أسباب المصادرة, فكل ممنوع مطلوب, وكل محجوب مرغوب, كما يقول المثل العربي. وتصديهم وهجومهم علي المرجعية الدينية, وقيمنا الموروثة لم يعد من قبيل «خالف تعرف», ولكن: خالف, ودمر حتي تحصد أقصي ما تقدر عليه من غني فاحش.

ولا مانع من إساءة الظن بالأزهر ومجمع البحوث الإسلامية والترويج بأن العاملين المسئولين بهما مظنة الارتشاء والمجاملة غير العادلة.

ولا مانع من الكذب والتزوير بالكتابة إلي المسئولين – مباشرة, أو عن طريق الأصدقاء – بأن كتبهم خطيرة ومدمرة للدين والمجتمع حتي تفوز بالمصادرة.. المصادرة التي تثمر بعدها الرواج وسعة الانتشار, وتحقيق الثروة.

ولا مانع من «جلِد الذات» بالاعتراف بأن كتبهم فيها ما هو أشد خطرًا مما كتب علي عبد الرازق وطه حسين, والأول – كما هو معروف – أنكر أن يكون الإسلام نظام حكم وسياسة وقيادة, وأنه مجرد عبادات وقيم روحية, وكأنه نصرانية بأسلوب عربي, والثاني عدا علي القرآن, واستهزأ بالرسول صلي الله عليه وسلم ونسبه. ومن عجب أننا حينما قلنا هذا من قبل وكتبناه في مقام نقد – أو نقض – هذه الكتب هبوا, وغضبوا غضبة غير مضرية , وادّعوا أن كتبهم هذه ليس فيها ما يناقض عقيدة . أو يوصف بالخبث والسقوط .

ولا مانع أبدًا من الاعتماد علي الأموال الأجنبية, ومد الأيدي – في سرية – لحكام عادوا العروبة, وكانوا حربًا علي العرب, ولدول أجنبية كانت – وما زالت – حربًا علي الإسلام والعرب.

ولا مانع أبدًا من توظيف عبارات سوقية مبتذلة تحمل شحنة من النقمة علي الذات, وعلي الآخرين, وعلي القدر, لأن حظهم من الرزق والشهرة والمكانة لم يكن كحظ الآخرين, وأعجب مثلي, أو لا تعجب للقائد العلماني الدكتور, وهو يصرخ «جتنا نيلة في حظنا الهباب».

وما زال العار قائما

نعم , ما زال العار قائما يشد بعضه بعضا , فعتاة العلمانيين المتطرفين ,أدعياء التنور والتنوير والعبقرية يتربعون علي قمم الفكر والإعلام والأدب , وأصبح منهجهم وطابعهم الاستهتار بالدين والاستهانة بالقيم , ولا هم لهم إلا المال والمناصب والشهرة والأ ضواء , ولو كان ذلك على حساب الدين والمجتمع وكل القيم والمثل العليا

================

#فضيحة بجلاجل للعلمانيين في برنامج الاتجاه المعاكس"

د.إبراهيم عوض

@yahoo.com9ibrahim_awad

بثت قناة الجزيرة مساء الثلاثاء 5/ 10/ 2004م حلقة من برنامجها الأسبوعى: "الاتجاه المعاكس"، الذى يقدمه د.فيصل القاسم المتخصص فى إشعال الحرائق الفكرية واستخراج ما فى مستكن أفئدة ضيوفه بطريقته المعروفة للمشاهدين. وقد دارت الحلقة حول مدى ترحيب المسلمين بحذف نصوص دينية إسلامية معينة من المناهج الدراسية، وكانت نتيجة تصويت المشاهدين فى صالح الرفض لهذا الحذف بأغلبية ساحقة، بل إنه ليمكن القول بأن الإجماع تقريبا قد صبَّ فى هذا الاتجاه إذا أخذنا فى الاعتبار أن نسبة الـ7% التى صوتت عبر الهاتف بالموافقة يدخل فيها غير المسلمين، سواء من العرب أو من غير العرب أيضا، إذ لا أظن أن هناك مصفاة فنية تمنع من ليسوا عربًا من الاشتراك فى هذا التصويت!

والواقع أن هذه الحلقة بالذات كانت بكل المقاييس "فضيحة بجلاجل" للعلمانيين المتغربين السائرين فى ركاب أعداء هذه الأمة الراقصين على ما يعزفونه لهم من أنغام، النابحين كل شريف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم كلما شامُوا فى الأمة ضعفا، والمسارعين إلى الدخول فى أوجارهم أذلّةً ضاغين ضارعين إذا استقام ميزان

الأوضـاع وعـادت الأمـور لطبيعتهـا الأصـلية. أمـا كيـف كانـت "فضـيحة بجلاجـل" لأولئك الخَلْق فإليك، أيها القارئ، التفصيل:
لقد ظهر من مناقشات أولئك الخَلْق أنهم لا يحترمون القرآن ولا الحديث، وهما أساسا الدين لهذه الأمـة، وبغيرهما لا يكون المسلم مسلما. كما ظهر من هذه المناقشات قدرتهم العجيبة على الكذب والتدجيل دون أن يطرف لهم جَفْن ولا هُدْب، مما يدل على أن هذه الآفة سجية متأصلة فيهم، وأن الواحد منهم "كذاب قرارى" كما يقول المصريون! أو كذاب من الطراز الأول بامتياز كما نقول فى الفُصْحى حماها الله! وفضلا عن هذا وذاك هناك الجرأة الخبيثة على التلاعب بتفسير النصوص الدينية، والقرآنية يالذات، تفسيرا ما أنزل الله به من سلطان. ومن لا يعجبه هذا التفسير العجيب فليشرب من البحر، أو إذا لم يكن قريبا من البحر فليخبط رأسه فى الجدار الذى أمامه أو الذى وراءه (لا يهم! المهم أن يخبطه، والسلام!)، ولا يجشم نفسه تعب القيام من مكانه للذهاب إلى البحر! وهذه الجرأة الوقحة على التلاعب بتفسير النصوص الدينية يرفدها جهل غليظ لا يستحى صاحبه من إعلانه على الناس. ولِمَ يستحى، والأمر إنما يتعلق بالإسلام، وهو دينٌ بلا صاحب، أو هو فى أحسن الأحوال دينٌ ليس لدى أهله قنابل أو صواريخ أو أسلحة نووية كما عند ماما (أو بالأحرى: امرأة بابا) أمريكا ومن لفَّ لِفَّها، دينٌ ها هى ذى الدنيا تستعد لتشييعه إلى مثواه الأخير كما تخيل لهم أوهامهم النجسة مثلهم، ولا عزاء فيه لأحد: لا للسيدات ولا للرجال، ولا حتى للأطفال الصغار؟ ترى هل يستطيع أحد من المسلمين أن يجرؤ على فتح فمه؟ هكذا يفكر أولئك الخلق! وفوق هذا وذاك فالقوم لم يعودوا يخفون شيئا من أهدافهم ونياتهم: فهؤلاء هم المسلمون يُذَبَّحون وتُدَكّ بيوتهم فوق رؤوسهم ورؤوس الذين نفضوهم وتُغْتَصَب حرائرهم وتُلَطَّخ أجساد رجالهم بالخراء ويُكْرَهون على أن يأتى الأب منهم أولاده، والأولاد أباهم، بأوامر اللوطيين والسحاقيات من أبناء وبنات العمّ سام (عَمَى الدِّبَبَة)، وتُسَلَّط الكلاب المتوحشة عليهم تأكل أعضاءهم التناسلية وهم عرايا مقيدون قد أُبْعِد ما بين ساقيهم بآلات حديدية حتى لا يستطيعوا أن يداروها عن الكلاب المتلمظة التى يسلطها عليهم كلاب البشر! رهيب! رهيب! رهيب! ثم يأتى أولئك الخلق فيصيحون بنا أنْ كونوا متحضرين أيها الأغبياء يا من لا تزالون

تعيشـون وتعششـون كالخفـافيش فـى عصـر الظـلام الـذى كـان يعـيش فيـه محمـد وأصحابه البدو المتخلفون! ما لكم تريدون أن ترجعوا عقارب الساعة إلى الوراء، وقد مـات ذلـك الـ"محمد" منذ أربعـة عشر قرنـا وشـبع موتـا، وينبغـى أن يلحـق بـه قرآنـه وحديثـه اللـذان لا مكـان لهمـا فـى عـالم اليوم الـذى استولت فيـه أمريكـا علـى عـرش الألوهية بقوة السلاح كما استولت على بلاد الهنود الحمر بعد أن أبادتهم وجعلتهم أثرا من بعد عين، وحوَّلتهم إلـى حكايات تُرْوَى وأفـلام تُمَثَّل علـى الشاشـة للتسلية وإدخـال السـرور علـى قلـوب المشـاهدين، ولـم يعد هنـاك مكـان لإلـه محمـد يـا أيهـا الحمقى، بل يا أيها البهائم؟ ألا تريدون أبدا أن تفيقوا من هذيانكم وظلامكم وتكونوا، ولو مرة واحدة، قوما متحضرين؟ استيقظوا وافركوا أعينكم وقلوبكم وعقولكم جيدا، فهذا الأوان أوان "الكاوبوى بوش" لا "محمد راعى الجِمَال" يا أيها الصُّمّ البُكْم العُمْى الذين لا يبصـرون ولا يسـمعون ولا يتكلمـون كلامـا يفهمـه العـاقلون! هذا، أيهـا القراء، هـو الأمـر باختصـار، ومـن يـرد مزيـدا مـن البيـان فليتـابع معنـا غيـر مـأمور، بـل لـه كـل الاحترام، وله كذلك الثواب من رب الثواب: رب محمد بطبيعة الحال كما لا أظننى بحاجة إلى التوضيح، فأنا من أولئك الذين ما برحوا، رغم كل شىء، يؤمنون بمحمد ودين محمد ورب محمد، لا أعرف لى دينًا ولا نبيًّا ولا ربًّا سواه!

لقد بدأت الحلقة، ولم نكن نعرف مَنْ ضيفاها، ولكن ما إن رأيت د.إبراهيم الخولى حتى شعرت بالسرور، إذ سبق لى أن شاهدته (ولأول مرة فى حياتى) فى الحلقة التى قارع فيها د.محمد أركون العام الماضى فقَرَعه بل أجهز عليه بالضربة القاضية حتى لقد رأيت أركون وقد استولى عليه الذهول عند انتهاء الحلقة، وهو يكاد يضرب كفا بكف (أو ربما ضربهما فعلا) لأن الحلقة قد انتهت دون أن يستطيع شيئا مما ظن أنـه فاعلـه، تصوُّرًا منـه أن د. الخولى رجل أزهرى (أى "دقة قديمـة")، فهو يقدر أن يضحك عليه بكلمتين من كلامـه الذى يترجمـه لـه حواريّه هاشم صالح (الذى كتب عقب حوار بينـه وبين أستاذه فى العاصمة الفرنسية قائلا إنـه يتطلع إلى اليوم الذى تنتشر فيه الخمارات فى أرجاء البلاد الإسلامية كما تنتشر فى باريس) معلنًا فى جرأة لم أرها ولم أسمع بها فى الغابرين ولا فى المحدثين، ولا أحسب أحدا سوف يُكْتَب لـه أن يسمع بها فيما يُسْتَقْبَل من الزمان إلى يوم الدين، أن الإسلام قبل أركون ليس هو

الإسلام بعد أركون! مَدَدْ يا سيدى أركون! مَدَااااادْ! والحمد لله أنه لم يَدْعُ إلى ترك التقويم الهجرى والميلادى والقبطى والعبرى والفارسى والصينى والجريجورى وتدشين تقويم جديد للعالم كله يحمل اسم شيخ طريقته أركون، فيقال: حدث هذا فى السنة الرابعة والخمسين مثلا أو فى القرن العاشر من ميلادِ (أو من وفاةِ، أو من صدور أول كتابٍ لـ)سيدنا أركون، صلى "الغرب" عليه وسلّم صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين يضعانه فى آخر المطاف يوم القيامة فى المكان الذى يستحق جزاءً وفاقًا على ما صنعت يداه! ولا شك أن هذا منتهى التواضع: من الشيخ الأكبر، ومن الدرويش الأصغر على السواء! لكن الذى حدث هو أن الدكتور الأزهرى قد لقن الشيخ الأكبر درسا لا أظنه هو ولا من وراءه أو أمامه أو عن أيمانه أو عن شمائله من دراويشَ تابعين أو سادةٍ متبوعين سيَنْسَوْنه أبد الآبدين ولا دهر الداهرين! لقد بدأ الدكتور الأزهرى كلامه بالحمد لله والصلاة على النبى واستعاذ بالله من شرور النفس ومن سيئات الأعمال، وأطال فى هذه الديباجة، وأنا أستحثه بينى وبين نفسى أن يدخل فى الموضوع خوفا من أن يقاطعه فيصل القاسم فى الوقت الحرج ويقول له كعادته: "الوقت يداهمنا". لكننى لم أكن أعرف أن كلمات الشيخ ستنزل على رأس الأركون كما تنزل "تعزيمة الرفاعى" على رأس الحَنَش الذى يريد استدراجه من داخل الجدار، فتطيّر صوابه فلا يستطيع حولا ولا طَوْلا، بل يقع فى يده ويستسلم كما يخرج الثعبان من الشق الذى يختبئ فيه رافعًا الراية البيضاء لراقى الثعابين! أعاذنا الله من الثعابين ومن شر الثعابين: من المنسوبين إلى جنس الآدميين، قبل ثعابين الحَيَاوين! قولوا معى بصوتٍ واحد، وعلى قلب رجلٍ مؤمنٍ واحد: آمين، يا رب العالمين! وأسمعونى كذلك الصلاة على نبينا محمد سيد الأولين والآخرين! المهم أننى من يومها كلما جاءت سيرة الحلقة أجدنى أردد قائلا: "لقد أكل الشيخُ الأزهرى البروفسيرَ السربونى!". لهذا، ولكل هذا، ولا شىء غير هذا، ألفيتُنى أبتهج لمرأى د.الخولى وأتشوق إلى متابعته مرة أخرى وهو يتكلم بطريقته المميزة راسمًا بذراعه ويده اليسرى زوايا قائمة فى الهواء ومشيرًا بسبابته فى حسمٍ وحدّةٍ ناحية الخصم كأنه يفقأ بها عين الباطل اللئيم مضيفا على نحو مفاجئٍ خاطفٍ كلمةَ: "ثمّ"، ومتمهلا قليلا قبل أن يشفعها بالجملة التالية ثم سائر الجمل من بعدها بحروفها التى تبدو وكأنها صادرة جميعها

من الحلق، وعلى رأسه طاقيته الداكنة المكبوسة الظريفة التى يكمن فيها السحر والظرف كله! وأشهد أن الشيخ الأزهرى لم يخيب ظنى ولا رجائى هذه المرة أيضا، بل إنى لأعتقد أنه قد تفوق فيها على نفسه. وكان من بركاته أن استفز خَصْمُه مقدِّمَ الحلقة منكرًا ما كان قد قاله قبل الدخول إلى مكان التصوير وأعلن فيه ما تكنه أطواء ضميره من كراهية للإسلام وحملة تجاوزت جميع الحدود على آيات القرآن مما لم يستطع أن يواجه به الجمهور ولا أن يصمد به للشيخ فى الحوار الذى دار بينهما على الهواء أمام الملايين، فما كان إلا أن وجَّه له د. فيصل القاسم بدوره لكمة أخرى جعلته يترنح وهو يتصايح مُنْكِرًا دون جدوى، والقاسم يؤكد بقوة واستخفاف أن كل شىء قاله قبل بدء الحلقة مسجَّل، وأنه لا يفترى عليه فى قليل أو كثير! وهكذا لحق محمد ياسر شرف بأركون (الذى جعله الله سَلَفًا ومثَلاً للآخِرين) غير مأسوف على أى منهما! والدكتور شرفٌ بالمناسبة، حسبما أخبرنى صديقٌ حلبىّ البارحةَ عقبَ انتهاء البرنامج، هو أستاذ سورى كان يشتغل ناظرا لإحدى المدارس الثانوية بدمشق قبل أن يسافر للعيش فى لندن.

وهكذا بدأت الحلقة، وكانت بداية القصيدة كفرا، إذ لم يترك لنا د.شرف فرصة نستعد فيها لما يقول، بل أخذ يمطرنا من البداية باتهام معلِّمى اللغة العربية والدين فى المدرسة جميعا بالكذب قائلا إن مدرس العربية يكذب على التلميذ زاعما له أنه سوف يبدأ معه من الآن دراسة العربية، أما ما كان يتكلمه قبل ذلك فليس من تلك اللغة فى شىء. ومن ثم فهذا المدرس، حسب زعم د.شرف، يحكم على الفترة التى قضاها الطفل قبل أن يبدأ درس النحو بأنها ضاعت من حياته دون جدوى! ولا أدرى أين يوجد ذلك المدرس خارج أوهام صاحبنا الرديئة السخيفة. لقد درَسْنا القواعد النحوية والصرفية فى المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعة، فلم نقابل مثل هذا الأستاذ. بل إن كثيرا من أساتذة اللغة العربية ليشرحون دروسهم بالعامية. وكل ما يمكن أن يقوله الواحد منهم فى هذا الصدد أن الفصحى هى لغة القراءة والكتابة، أما العامية فللكلام والمطالب اليومية فى البيوت والشوارع والمقاهى والأسواق وما إليها، مثلما قلنا ونقول، وسنظل نقول، إن المنامة للبيت والسرير، بخلاف البدلة، فهى للحفلات والمناسبات الاجتماعية والرسمية الهامة. فأين الكذب هنا؟ والعجيب أن

الرجل كان يتكلم بلغة فصحى سليمة إلى حد كبير، ودون تلكؤ أو تلعثم. والفضل بطبيعة الحال، بعد الله، لمدرسى اللغة العربية الذين جازاهم سعادته جزاء سنمار! ترى بأية لغة غير العامية المتخلفة كان سيتكلم لولا فضل هؤلاء الأساتذة الذين يرميهم سيادته بالكذب جريا على أسلوب المثل السائر: "رمتنى بدائها، وانسلَّتِ"؟ ثم لماذا يَقْصِر الاتهام بالكذب على مدرسى اللغة العربية دون سائر المدرسين، وهؤلاء يقعون فيما هو أشد مما يتهم به أولئك زورا وبهتانا؟ ألا يقول مثلا مدرس الكيمياء لتلاميذه إن ذرة الماء تتكون من ذرة أوكسجين وذرتى هيدروجين؟ أوقد عاين أىٌّ منا ذلك؟ إننا لا نعرف ماءً إلا ذلك الذى ينزل من الصنبور أو يجرى فى الترع والقنوات أو يهطل من السماء! لكن الأستاذ المتكلم إنما قصد ذلك قصدًا بغية التحقير من شأن اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم رغم أن موضوع الحلقة لا تربطه أية واشجة بدروس النحو والصرف! وهذا ما عناه القرآن المجيد حين تحدث عن طائفة من الناس فنبَّه الرسولَ عليه السلام إلى أن من السهل معرفتهم من لحن القول، وهو شىءٌ قريب مما نسميه الآن بـ"فلتات اللسان".

وكما قصد الرجل أن يحقر من لغة القرآن باتهام مدرسيها ضلالاً منه ومَيْنًا بأنهم، حين يعلّمون التلاميذ قواعد النحو والصرف، إنما يمارسون كذبا بشعا عليهم، كذلك قصد الإساءةَ الجِلْفَة الغبية للدين حين اتهم مدرسى الفقه، ضلالاً أيضا منه ومَيْنًا، بأنهم إنما يكذبون أفظع الكذب على التلاميذ حين يقولون لهم إن ما يُغْسَل من أعضاء الجسم فى آخر الوضوء هو الرِّجْلان إلى الكعبين، بينما الذى يحدث فى الواقع هو غسل المشطين إلى الكعبين، وهو خطأ فى زعمه، إذ الرِّجْل عنده إنما هى الساق والفخذ. وهذا كلام فى منتهى الخطورة، فتهمة الكذب والجهل فيه موجهة، فى الحقيقة، لا إلى مدرسى الفقه، بل إلى الرسول والقرآن. ترى من أين أتى مدرسو الفقه بتفسيرهم هذا؟ أليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ إذن فلو كان هناك كذب وجهل لكان مصدرهما هو الرسول، الذى لم يشأ صاحبنا أن يتهمه اتهاما مباشرا، بل آثر أن يلدغ لدغته السامة على نحو خبيث خفى، فلا يمكن المشاهد اكتشافها إلا فيما بعد عندما يبدأ ذهنه بالعمل، ويكون سعادة الأستاذ قد فَطَّ راجعا إلى لندن! نفس

الطريقة الخبيثة التى تحدث عنها أخ له من قبل فى مصر قائلا إن أسلوبه (يقصد أسلوبه فى الكيد للإسلام) هو: اضرب، واهرب قبل أن يتمكنوا من الإمساك بك!

والواقع أن الكذب والجهل إنما هما نصيب من يتهم الرسول والقرآن بهما، فمعروف أن أول معنى من معانى "الرِّجْل" فى اللغة هو "القدم". وهذا واضح من قولنا: فلان راجل، أو ماشٍ على رجليه، أو مترجِّل عن دابته. ومنه قول القرآن فى الآية الخامسة والأربعين من سورة "النور": "والله خلق كل دابّة من ماء: فمنهم من يمشى على بطنه، ومنهم من يمشى على رِجْلَيْن، ومنهم من يمشى على أربع"، وقوله فى الآية المائة والخامسة والتسعين من سورة "الأعراف": "ألهم أرجلٌ يمشون بها؟". ومنه أيضا قوله عز شانه: " لأُقَطِّعَنَّ أيديكم وأرجُلكم من خِلاف" (الأعراف/ 124، والشعراء/ 49)، وقوله جل جلاله: "يومَ يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم" (العنكبوت/ 55)، وقوله سبحانه لعبده داود: "اركض برِجْلِك" (ص/ 42)... إلخ. أم ترى الفلحاس يفهم من تلك العبارات أنهم يمشون على أفخاذهم وسيقانهم أو أن العذاب سوف يأتيهم من تحت أفخاذهم وسيقانهم أو أن داود عليه السلام كان يركض على فخذيه وساقيه؟ إن مصير من يفهم مثل هذا الفهم لمعروف، ألا وهو أخذه إلى أقرب مستشفى للأمراض العقلية! وعلى هذا فلا كذب ولا جهل إلا عند الشتّام الهجّام بلا وازع أو لجام! وحتى لو أدخلنا فى معنى "الرِّجْل" الفخذ والساق ، فالمفهوم أن تكون بداية الرِّجْل من القدم لا من الساق أو الفخذ، إذ القدم هى الجزء المنفصل من الرِّجْل، أما الساق والفخذ فهما متصلان بغيرهما. وعلى ذلك فعندما يقول القرآن: "وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين" فليس لذلك من معنى فى حالة الوضوء إلا غسل القدمين من أسفلهما صعودا إلى الكعبين، وإلا فهل يريد حضرته منا، إذا ما أردنا أن نتوضأ ونغسل أرجلنا فى المسجد، أن نخلع سراويلاتنا وتبابيننا ونكشف عن سوآتنا على ملإ من الناس أجمعين؟ وهل تراه هو يفعل ذلك، أقصد: هل كان يفعل ذلك أيام أن كان يصلى ويتوضأ؟ انظروا إلى هذا التنطع الثقيل الظل والروح لتعرفوا إلى أى مدى يتساخف تلامذة الاستعمار والمستشرقين والمبشرين فى حربهم للإسلام!

وكان الرجل قد أتى للحلقة ليدعو بما يدعو به الأمريكان من وجوب حذف النصوص القرآنية والحديثية التى تحض على الجهاد فى سبيل الله أو تصف من لا يؤمن بمحمد والقرآن بالكفر، من المقررات الدراسية. ومن الواضح أنه، فى النقاش الذى دار بينه وبين د. فيصل القاسم قبل بدء الحلقة، قد أعلن عن نفسه وأهدافه بكل وضوح، أما على الهواء وأمام الجمهور فكان يلف ويدور، ولكن عَلَى من؟ عَلَى بابا؟ لقد كانت اللعبة مكشوفة تماما رغم الزعم الكاذب بأنه لا يريد حذف هذه النصوص، بل مجرد تأجيلها لمرحلة لاحقة. إلا أن هذه البهلوانيات اللفظية والفكرية لم تستطع أن تخفى سوأة نياته وأهدافه، إذ لما سئل: ومتى يمكن للتلاميذ أن يتعلموا هذه النصوص؟ كان جوابه أن قراءتها لا بد أن تقتصر على المتخصصين لا تعدوهم. أى أنه لن يقرأ هذه النصوصَ إلا المشايخ الكبار، ولا سبيل إلى وضعها بين أيدى غيرهم بأية حال، وهو ما يعنى أنها ستتحول إلى نصوص ميتة لا غناء فيها، اللهم إلا لمن يريد أن يبلّها ويتناولها على الرِّيق فتطرد البلغم من صدره، والديدان من أمعائه، وتحمِّر خدوده، وتبرم كعوبه! وسلِّم لى على الجهاد والعزة والكرامة يا أبو كرامة! أما أنتِ يا أمريكا فقد "خلا لك الجوّ، فبِيضِى واصْفِرِى، ونقِّرى ما شئت أن تنقِّرى". نعم خلا لك المجال الجوى فى بلاد المسلمين فطِيرى بطائراتك وأطلقى صواريخك فيه وامرحى على راحتك تماما، واصفرى بقنابلك التى تدمر البيوت على رؤوس من فيها من المساكين الوادعين الذين لم يدوسوا لك على طرَف، وانقرى عيونهم وابقرى بطونهم ولا تأخذك بأحد منهم رحمة، فهم أولاد كلب وخنازير لا يستحقون مصيرا أفضل بل أسوأ من مصير الهنود الحمر! أليسوا أبناء محمد؟ أليسوا قد تخرجوا من مدرسة القرآن؟ اضربى يا أمريكا بكل ما عندك من وحشية وجبروت، فالفرصة الآن سانحة كما لم تسنح لك من قبل، فها هو فريق من أبناء المسلمين أنفسهم ينصرك على بنى قومه، ويمدك بما تريدين أن تعرفيه من أخبارهم، وينشر بينهم التخذيل والإحباط والتيئيس وروح الهزيمة والتشكيك فى القرآن والحديث ونبوة محمد وحضارة العرب والإسلام، ويقوم بدلا منك بالمهام القذرة. ترى ماذا تريدين أفضل من هذا؟ اضربى! اضربى الرجال والنساء والأطفال والبيوت والمدارس والمستشفيات والمصانع والمتاحف والمساجد والمخابئ والحقول والجسور والمطارات

والسيارات... اضربى بكل قسوةٍ هؤلاء البهائم الذين لا يفهمون ولا يتحضرون ولا يريدون أن يسلّموا لك رقابهم طواعية كى تجزريهم وتمصمصى عظامهم براحتك دون أن يعكّر عليك الجَزْرَ والمصمصمةَ مجاهدٌ منهم لئيمٌ أو عالمٌ زنيم. ثم ما هذه السحنة العابسة المكرمشة التى يطالعك بها أمثالُ الشيخ إبراهيم الخولى؟ وما هذه اللغة الأزهرية التى أكل عليها الدهر وشرب؟ لماذا لا يتقمَّع ويتقمَّش ويتحذلق بمصطلحاتك الفارغة من المضمون والتى تخترعينها وتغادين بها الدنيا صباح مساء لتبرجلى بها عقول المتخلفين ويبتسم تلك الابتسامات اللزجة السخيفة التى يبتسمها المستر شرف والمسيو أركون؟ لا، لا. اقتلوه هو وأمثاله يَخْلُ لكم وجه الدنيا وبترولها وكل لذائذها. لقد فعلتموها بكل نجاح واقتدار مرة من قبل مع الهنود الحمر، وفعلها الإسبان مع أجدادهم فى الأندلس، وها هى ذى الفرصة مواتية الآن تمام المواتاة لكى تفعلوها كرة أخرى، فهيا هيا يا أبناء العم سام يا سادة العالم، وأَرُوا هؤلاء البهائم النجوم فى عز الظهر الأحمر! ثم لا تنسَوْا فى ذات الوقت أن تتهموا أولئك الجواميس والأبقار بالإرهاب. قولوا لهم: أنتم قتلة! أنتم لا تحترمون إنسانية الآخر. أنتم ما تزالون تؤمنون بدينكم، وهذا يزعجنا وينغص علينا بالنا، أفلا تفهمون؟ إننا سادة العالم، ولا نريد لأحد أن يفتح فمه أمامنا بكلمة. وأنتم لا تكفون عن الكلام، فليس لكم عندنا إلا الإبادة. إننا نعرف أن كثرة كلامكم ليست إلا مظهرا من مظاهر عجزكم عن الدفاع عن أنفسكم فى مواجهتنا، لكننا لا نريد منكم ولا حتى الكلام لأنه مزعج لراحتنا وآذاننا.

وبالمناسبة فهذه الدعوة إلى حذف بعض النصوص القرآنية التى تزعج اللصوص والقتلة الدوليين المتخصصين فى سرقة الأوطان من شعوبها وإبادة أهليها ليست وليدة اليوم، ولا هذه الجهود الوقحة الآثمة الكافرة لوضع هذه الدعوة الإجرامية موضع التنفيذ هى بنت اللحظة الراهنة، بل قامت الجهات الصهيونية والصليبية العالمية من قبل فى الستينات من القرن الماضى بتحريفات فى مائة ألف نسخة من المصحف الشريف وزعها الأوغاد فى بعض جهات إفريقيا وآسيا بلغت المئات حذفوا فيها حروف النفى من مثل قوله تعالى: "وقالت اليهود: ليست النصارى على شىء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شىء" (البقرة/ 113)، وقوله تعالى: "ومن يبتغ

غير الإسلام دينا فلن يُقبَل منه" (آل عمران/ 85)، بل إنهم حذفوا نصوصا أخرى كاملة من المصاحف التى وزعوها فى أرض فلسطين المباركة مثل قوله سبحانه: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يُخْرِجوكم من دياركم أن تَبَرّوهم وتُقْسِطوا إليهم. إن الله يحب المُقْسِطين* إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَوَلَّوْهم, ومن يتولَّهم فأولئك هم الظالمون" (الممتحنة/ 8- 9). ويعلق د.لبيب السعيد على هذا الإجرام والكفر قائلا إن الهدف من وراء ذلك "هو صرف الأنظار عن جرائم إسرائيل التى ارتكبتها فى حق العرب وإخراجهم من ديارهم" (انظر كتابه "الجمع الصوتى الأول للقرآن أو المصحف المرتل"/ ط2/ دار المعارف/ 372). وهؤلاء المجرمون، إذ يفعلون هذا، إنما يجرون على سنة التحريف التى جَرَوْا عليها فى كتبهم من قديم، فهم لا يأتون شيئا غريبا عن طبائعهم. وهذا يعطينا فكرة عما جُبِلوا عليه من دناءة وخسة لا تليق بمن يزعمون أنهم يريدون تحضرنا وتقدمنا، فهذه الأساليب ليست أساليب الأطهار الشرفاء، ولا هى تلائم التحضر والتقدم فى شىء.

كذلك انبرى د.محمد ياسر شرف هو ومعضِّداه اللذان دخلا على الخط من أوربا فى فاصل من الحِنِّيّة والعطف والتباكى على أهل الكتاب المساكين الملائكة الطيبين الذين كتب عليهم حظهم التعيس أن يعيشوا فى بلاد الإسلام، متهمين المسلمين بأنهم ينفون الآخر ولا يعترفون بحقه فى الاعتقاد على النحو الذى يريد! ولو أن الكلام اقتصر على هذا السخف لهان الأمر ولما بالينا بالرد عليه، فالمسلمون الآن لا يستطيعون أن يقتلوا ذبابة، والأقليات فى بلادهم هى أعز الأقليات فى العالم جانبا هم ودور عبادتهم وأوقافهم ورجال دينهم، بل هى فى بعض الأحيان أعز منهم هم أنفسهم. لكن الطامة العظمى أن المتكلمين قد اندفعوا فى معزوفة من المغالطات الوقحة والاتهامات الحقيرة الموجهة إلى الرسول الكريم والقرآن العظيم الذى جاء به بما لا يمكن أن يكون له من معنى إلا أن محمدا هو مؤلف القرآن وأنه كان شخصا ميكيافيليا فى أخلاقه وسياسته، جريئا على تطويع النصوص والتلاعب بها حسبما يحلو له بما يخدم مصلحته ويتناقض مع كل قيمة أخلاقية كريمة دون أن يَزَعه عن ذلك وازع! كيف ذلك؟

لقد ادعَوْا أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، قد أثنى على أهل الكتاب فى مكة حين كانت العلاقة بين الفريقين صافية لم تتكدر كما تكدرت لاحقا فى المدينة بعد مهاجَره عليه السلام إليها واحتكاكه باليهود ثم النصارى من بعدهم واشتعال الخلافات والمعارك بينه وبينهم مما كان من نتيجته توالى الآيات التى تلعنهم وتكفّرهم، ناسيا أنه كثيرا ما شهد لهم بالإيمان فى قرآنه أيام مكة قبل أن تتوتر بينهما الأمور. وهو بعينه ما يقوله المستشرقون والمبشرون، أى أن أصحابنا لم يأتوا بشىء من عندهم. وهو كلام قديم لا يكف الدارسون الغربيون عن لَوْكه فى تنطع وسخف ما بعده سخف رغم معرفتهم التامة أنهم يكذبون. وهذا مثل دعوى بوش وبلير بأن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل رغم معرفتهما التامة أن ذلك كذبٌ أبلق، لكن الهدف البعيد يستحق أن ترتكب أمريكا وبريطانيا له الكذب والقتل والتدمير للعراق وأهل العراق وحضارة العراق، مع تشغيل الإسطوانة المشروخة بأنهم إنما جاؤوا للعراق ليعيدوا إعماره وينشروا فيه الديموقراطية! ومن الطبيعى أن إعادة الإعمار تستلزم أن يكون هناك خراب، ولما لم يكن العراق على أيام صدام خربا كان لا بد من نشر الخراب والدمار فيه حتى يمكن أن يكون هناك إعمار. كذلك فالعراقيون الحاليّون غير مستعدين للديمقراطية، أو لا يستحقونها بالأحرى، ومن ثم فلا بد أيضا من استئصالهم وإفساح الطريق أمام جيل جديد يستطيع أن يتذوق الديمقراطية التى جلبتها له أمريكا: فهذا شىء لزوم الشىء!

والواقع أن فى كل من الآيات المكية والمدنية ثناءً على أهل الكتاب وتبشيرا لهم بحسن العاقبة، وتكفيرًا لهم كذلك ولعنًا، فليس الأمر إذن كما زعم أصحابنا كذبا ومَيْنا أن الساسة الميكيافيلية هى التى اقتضت أن يمدح محمد أهل الكتاب فى مكة، ثم ينقلب عليهم فيذمّهم فى المدينة! لكن يبقى هناك سؤال مهم، ألا وهو لماذا مدحهم القرآن أحيانا، وذمَّهم أحيانا أخرى؟ وجوابنا أن لكل فرد أو جماعة من البشر عدة جوانب بحيث يمكن أن نمدحهما باعتبار، ونعيبهما باعتبار آخر، وأهل الكتاب لبسوا بدعا بين البشر حتى يمكن استثناؤهم من ذلك. والقرآن حين يمدح أحدا من أهل الكتاب فإنه لا يمدحه بوصفه يهوديا أو نصرانيا بل بوصفه مسلما قد آمن بمحمد وانصاع للحق الذى جاء به، ولم يدفعه التعصب الأعمى لما ألفى آباءه عليه إلى

رفض الدعوة النبيلة العظيمة التى أتى بها الرسول من لدن رب العالمين. وسوف أجتزئ ببعض الآيات من كل من الوحى المكى والمدنى للتدليل على ما أقول حتى يسقط الهراء الباطل السفيه الذى يصدّعنا به الباحثون ورجال الدين الغربيون ومن جرى فى ركابهم وتعلق بأذيالهم من بيننا.

لقد ادعى أصحابنا الثلاثة، كما رأينا، أن القرآن الذى نزل بمكة لا يذكر أهل الكتاب إلا بخير، فما رأيهم فى النصوص المكية التالية التى تحمل عليهم حملة شديدة وتدمغهم بأحكام عنيفة؟ قال تعالى: "ومِنَ الذين هادوا حرَّمْنا كل ذى ظُفُر، ومن البقر والغنم حرَّمْنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورُهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم. ذلك جزيناهم ببغيهم، وإنا لصادقون" (الأنعام/ 146). وفى سورة "الأعراف" التالية لسورتنا هذه يحكى القرآن الكريم فى آيات بعد آياتٍ قصة موسى مع بنى إسرائيل، فلم يترك مثلبة إلا ودمدم بها على رؤوسهم ولعنهم وتوعدهم بمصيرٍ فظيعٍ جرّاءَ عنادهم وكفرهم بنبيهم وكتابهم وعصيانهم لربهم وصلابة رقابهم وعقولهم وقلوبهم مما يجده القارئ بدءا من الآية 138 حتى الآية 178، ومثله موجود فى سورة "طه". فما القول فى هذا أيضا؟ كما نجد فى أوائل سورة "الإسراء" نبوءة خاصة بالإفسادين اللذين سيرتكبهما بنو إسرائيل والتأديب الذى قدّره الله عليهم جزاء لهم على الإفساد الأول منهما... إلخ. فما القول فى هذا أيضا؟ كذلك نسمع فى ختام صدر سورة "مريم" حملة على ما انحرف إليه بعض أتباع عيسى من عبادتهم له عليه السلام وُصِفوا أثناءها بالكفر فى عبارة صريحة لا تحتمل لبسا ولا تأويلا: "ذلك عيسى بن مريم قولَ الحق الذى فيه يمترون* ما كان لله أن يتخذ مِنْ وَلَد. سبحانه! إذا قضى أمرا فإنما يقول له: كن، فيكون* وإن الله ربى وربكم، فاعبدوه. هذا صراطٌ مستقيم* فاختلف الأحزاب من بينهم، فويلٌ للذين كفروا من مشهد يوم عظيم"، ومثله موجود فى سورة "الزخرف". فما القول فى هذا أيضا؟ بل إن المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة وجدوا أنفسهم، بسبب من هذه الآيات، فى حَرَجٍ أمام النجاشى وحاشيته وبطارقته عندما سُئِلوا، بتحريض من رسولَىْ قريش اللذين لحقا بهم ليؤلبا عليهم الملك ورجاله، عن حقيقة اعتقادهم فى المسيح، لكنهم رضى الله عنهم لم يداهنوا فى دينهم وقرأوا الآيات متوكلين على الله، فلم يخذلهم بل حنَّن عليهم قلب

الملك الطيب الذى استطاع بنبل بصيرته أن يرى عظمة دين محمد والذى أرجع الرسولين القرشيين بخُفَّىْ حُنَيْن!

هذا فى جانب الذم، أما فى جانب المدح فإلى القارئ هذه الشواهد التى يمكنه أن يقيس عليها ما لم نذكره. قال سبحانه: "والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أُنْزِل إليك" (الرعد/ 36). فما القول فى هذا؟ وقال أيضا عز شأنه: "وقرآنا فرَقْناه لتقرأه على الناس على مُكْث، ونَزَّلناه تنزيلا* قل: آمِنوا به أو لا تؤمنوا. إن الذين أُوتُوا العلم من قبله إذا يُتْلَى عليهم يخِرّون للأذقان سُجَّدا ويقولون: سبحان ربنا! إنْ كان وعد ربنا لَمفعولا* ويخِرّون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا" (الإسراء/ 106– 109). فما القول فى هذا أيضا؟ وقال جل جلاله: " ولقد وصَّلْنا لهم القولَ لعلهم يتذكرون* الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون* وإذا يُتْلَى عليهم قالوا: آمنّابه. إنه الحق من ربنا. إنا كنا من قبله مسلمين" (القَصَص/ 51– 53). فما القول فى هذا أيضا؟

ومثل هذا فى المعنى والتفسير ما نجده من ثناء على بعض أهل الكتاب فى الوحى المدنى من مثل قوله جل جلاله: "وإِنّ مِنْ أهل الكتاب لمَنْ يؤمن بالله وما أُنْزِل إليكم وما أُنْزِل إليهم خاشعين لله، لا يشترون بآيات الله ثمنًا قليلا. أولئك لهم أجرهم عند ربهم" (آل عمران/ 199). فما القول فى هذا؟ ولقد استشهد د.شاكر النابلسى (أحدُ من اتصلوا بالبرنامج لمناصرة د.محمد ياسر شرف،) بالآية 114 من سورة "آل عمران" زاعما أنها تمدح أهل الكتاب وتصفهم بأنهم "يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف ويَنْهَوْن عن المنكر"، مع أن الآية السابقة عليها مباشرة تنص نَصًّا على أن الكلام إنما يدور على طائفة منهم فقط لا عليهم كلهم، قائلة عن أفراد هذه الطائفة إنهم "يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون"، بما يعنى أنهم كانوا قد آمنوا بالقرآن وباتوا ليلهم يتلون آيات الكتاب الذى نزل على محمد، ويسجدون لربّ محمد سبحانه وتعالى، فضلا عن أن وصفهم بالإيمان بالله واليوم الآخر لا يدل إلا على شىء واحد لا غير، ألا وهو الإيمان بمحمد ودينه وكتابه، إذ إن رفض الإيمان ولو بنبيٍ واحد معناه الكفر بالله واستحقاق العذاب المهين حسبما وضحتْ لنا الآيات

150– 152 من سورة "النساء"، كما أن من شروط الإيمان بالآخرة الإيمان بالقرآن كما جاء فى الآية 92 من سورة "الأنعام".

ويلاحظ القارئ أن د.النابلسى قد مزَّق آية "آل عمران" عن أختها السابقة عليها التى تشير إلى أن أهل الكتاب الذين تمدحهم إنما هم الذين دخلوا فى الإسلام وصاروا من أتباع محمد عليه السلام، وكانوا يقضون ليلهم فى تلاوة كتاب الله. وهذا التمزيق هو شِنْشِنَةٌ معروفة عند كل من يحاربون القرآن استغفالاً منهم للمستمع الذى لا يكون عنده فى مثل هذه الظروف من الوقت ولا من فراغ البال ما يساعده على التنبه لهذا التزوير الجلف! ود.النابلسى، لمن لا يعرف، هو كاتب أردنى مقيم بأمريكا ويناصر ما تفعله أمريكا بالعراق من قتل وتدمير للبيوت والمتاحف والجسور والشوارع، واغتصاب للحرائر وتلطيخ للرجال بالخراء وإجبارهم على أن يفعل الأب منهم بأولاده والأولاد بأبيهم الفاحشة وغير ذلك من بشاعات وفظائع مما انكشف أمره من أهوال سجن أبو غريب، وسرقةٍ لنفط العراق وتهديدٍ لسائر الدول والشعوب العربية بنفس مصير العراق، زاعما أن هذا الإجرام البربرى الوحشى الذى لا يدع شيئا إنسانيا أو حضاريا إلا دمره كما كان يفعل المغول قديما، ليس احتلالا ولا استغلالا، وأن الذين يقولون بغير ذلك إنما هم متشنجون عُمْىٌ لا يستطيعون أن يبصروا الأمل الذى جاءت جيوش الاحتلال الأمريكى المجرم لتحقيقه! ويمكن الرجوع فى ذلك لما كتبه هو نفسه فى مقاله المنشور بالصفحة السادسة عشرة من جريدة "الراية" القطرية يوم الثلاثاء 12 أكتوبر 200 م عن الإرهاب بالعراق. يقصد الكفاح المقدس ضد قوات الشيطان الأمريكى المجرم فى ذلك البلد العزيز. وهو يعزو هذا الإرهاب إلى عدة عوامل على رأسها ما يسميه: "أنظمة التعليم الدينى" فى بلادنا! وعلى نفس الوتيرة يشن هذا الرجل (الذى قرأت أنه فلسطينى يتنكر لأصله) على الكفاح البطولى العظيم لأهل فلسطين هجوما ناريًّا حاقدا متهما العمليات الاستشهادية بأنها انتحار لا معنى ولا موضع له فى حياتنا السياسية المعاصرة، ومدافعا عن إسرائيل وأمريكا فيما تفعلانه بحجة أنهما تعتمدان على الشرعية الدولية، إذ إن قيام إسرائيل على أرض فلسطين يمثل فى نظره تلك الشرعية الدولية، وعلى العرب والمسلمين والفلسطينيين أن يخرسوا فلا يفتحوا أفواههم بكلمة (صحيفة "العراق الجديد" الألكترونية/ 16أكتوبر

2004م بعنوان "هل حقا أن القرضاوى يعتبر داعية وسطيا معتدلا؟"). وهو يرى فى مشروع "الشرق الأوسط الكبير" الذى تدعو إليه أمريكا هذه الأيام ، والذى يهدف إلى تركيع العرب والمسلمين للهيمنة الأمريكية والصهيونية، هِبَةً ثمينة يريد العم سام (عليه السَّام، والموت الزُّؤَام) أن ينشر من خلالها الديمقراطية والحكم الصالح وبناء المحتمع المعرفى. بل لقدوصف أمريكا بأنها رَبَّة هذا الكون، أى هى المسؤولة عن مصلحته، ومن حقها إذن أن تتدخل فى شؤون الدول لتعديل المعوج من أوضاعها بغية القضاء على الإرهاب العالمى (حلقة "الاتجاه المعاكس"بتاريخ الثلاثاء 16/ 3/ 2004م). وفى موضع آخر نراه يكتب مؤكدا بكل قوة أن الدولة التى أقامها الرسول عليه السلام والخلفاء الراشدون لا تصلح لنا الآن لتخلفها عن الآماد التى بلغها تقدم الدولة الحديثة. وهذا الكلام موجود فى جريدة "الحوار المتمدن" اليسارية الألكترونية فى عددها رقم 981 الصادر فى 9/ 10/ 2004م تحت عنوان "الإجابة على سؤال: لماذا دولة الرسول والخلفاء الراشدين لا تصلح لنا الآن ؟". وبالمثل نجده يتغنى بخلال ملك الأردن الرفيعة التى لا يستطيع شعبه المتخلف أن يجاريه فيها (نفس المصدر/ العدد 911/ 31 أغسطس 2004م)، كما لا يعجبه من مشايخ الأزهر على بكرة أبيهم إلا د.محمد سيد طنطاوى، الذى يجلّه غاية الإجلال ويراه المنفتح الوحيد بينهم (نفس المصدر/ العدد971/ 29 سبتمبر 2004م). أرأيت، أيها القارئ الكريم، السر وراء تشنج هذا الفريق كى يشطبوا، من المناهج الدراسية فى أوطان الإسلام، الآيات القرآنية والأحاديث المصطفوية التى تحض المسلمين على المناضلة من أجل عزة دينهم وأوطانهم وأنفسهم؟ إنها "ماما أمريكا" الحنون دائما وأبدا والتى أخذت فى أحضانها الدافئة كاتبنا الفلسطينى بعد الهجرة إليها من السعودية، التى كانت أما حنونا أيضا أيام الاتجاه الفكرى الأول، ولكن "كان زمان" كما تقول كوكب الشرق!

والعجيب الغريب أن د.النابلسى كان من أعنف المهاجمين للحضارة الغربية التى كان يتهمها بأنها حضارة مادية بحتة، على عكس الإسلام الذى يجمع بين المادى والروحى معا، ومن المنتقدين بقوة للنظام السياسى الغربى متهما إياه بالنفاق واللاإنسانية وازدواج المعايير حتى إنه ليفضل الديكتاتورية التى تنتهجها دول الكتلة الشرقية على الديمقراطية الرأسمالية لصراحتها فى رفض الديموقراطية وعدم التشدق

الكاذب بها، كما كان من أشد المتحمسين للإسلام حضارةً وديمقراطيةً وعدالةً اجتماعية، مؤكدا أن الغرب قد أفاد من هذا الدين أعظم إفادة، وأن التنمية القائمة على أساس من مبادئ الإسلام خير من نظيرتها الغربية التى تفتقر إلى العنصر الإنسانى، وهو ما تجلى فيما حققته السعودية فى هذا المجال حيث استطاعت أن تختزل مراحل التنمية المتعددة التى كان على الغرب أن يمر بها كلها، وأن سياسة أمريكا الخارجية تقوم على "الظلم والقهر والاستبداد والحمق"، وأن إسرائيل هى جزء لا يتجزأ من نظامها السياسى، بل ولاية من الولايات الأمريكية، وليست مجرد دولة حليفة لها، وأن الشارع العربى يكره أمريكا إدارةً ودولةً وسياسةً ومنهاجًا، وأن شعوب العرب إذا كانت صابرة الآن عليها وعلى ما تفعله بها صبر أيوب فإن ذلك لا يمكن أن يظل قائما إلى الأبد، إذ لا بد يوما أن تثور على الذين أذاقوها كؤوس المذلة والهوان وسلطوا عليها أشقياء الأرض والعابثين فيها، وأنه لا مصداقية للعم سام فى إقامة الحق والعدل والسلام فى منطقتنا! وهو يدعو بكل قوة إلى عدم مهادنة إسرائيل والاستمرار فى حمل البندقية لإرهاقها واستنزافها، معطيا القضية الفلسطينية بعدها الدينى الذى يرى أنه لا يحتمل أى جدال أو تهوين، ومناديا بخروج اليهود من أرض فلسطين التى قدستها السماء إلى أرض الشتات التى جاؤوا منها، وموصيا أمته بالصبر والنفس الطويل، ومحذرا إياها من أن تصير إلى ما صار إليه الهنود الحمر على يد أمريكا، ومعضدا رأى من ينادون بضرورة قيام الوحدة بين الشعوب العربية على أساس إسلامى مستمد من الكتاب والسنة! بل إنه ليصف اللغة العربية بـ"المقدسة"، كما يهاجم عادل إمام هجوما أخلاقيا عنيفا متهما إياه بأنه، بأفلامه التافهة، مسؤول عن إفساد الأجيال الحالية، ومؤكدا أن المال الذى يكسبه من هذه الأفلام هو مال حرام! ويستطيع القارئ أن يرى مصداق ما نقوله فى كتبه: "الزمن المالح" و"محاولة للخروج من اللون الأبيض" و"قطار التسوية والبحث عن المحطة الأخيرة" مثلا التى صدرت له عام 1986م عن "المؤسسة العربية للدراسات والنشر" فى بيروت. فما عدا مما بدا؟ هذه مسألة تحتاج إلى من يدرسها ليعرف الأسباب التى أدت إلى هذا التحول المريب فى حياة الرجل الذى سمعناه يصرخ فى حلقة برنامج "الاتجاه المعاكس" المذكورة متهمًا القرآن بالتناقض، زاعما أن التشريعات التى

يتضمنها إنما هى أمور خاصة بمحمد وزوجاته ذات طبيعة آنية، ومن ثم لا تصلح لأن تكون تشريعات دائمة لأمة الإسلام!

وعودًا إلى ماكنا فيه نقول إنه حتى آيات سورة "المائدة" الخاصة بالنصارى والتى كثيرا ما يساء تفسيرها عمدا وخبثا أحيانًا، وعن سذاجة من جانب بعض المسلمين الذين لا يفهمون أحيانًا أخرى، هذه الآيات لا تمدح ذلك الفريق من أهل الكتاب بوصفه من أتباع النصرانية التى تسفِّهها كثير من الآيات السابقة عليها بدءا من الآية الرابعة عشرة، بل تمدحه لمسارعته للإيمان بالرسول محمد والآيات التى أُنْزِلت عليه، ولخشوع قلبه وفيضان دمعه من شدة الوجد والتأثر بكلمات القرآن المجيد! والآيات موجودة لمن يريد أن يقرأها مفتوح العينين والقلب، وأرقامها هى 82- 86. وتبقى النصوص المدنية التى تحمل على أهل الكتاب، وهذه لا تمثل أية مشكلة، ومن ثم فلست أجد أى داع لإيراد شىء منها.

والآن، هل تشكِّل هذه الآياتُ التى تصم هؤلاء القوم بالكفر عدوانا على حقوق الإنسان؟ أبدا لا تمثل شيئا من هذا القبيل على الإطلاق، فكل أهل دين ومذهب وفلسفة ونظام، سياسيا كان أو اقتصاديا أو اجتماعيا، يعتقدون أنهم على الحق، وغيرهم على الباطل. وإن أمريكا نفسها التى برعت فى الآونة الأخيرة فى رفع هذه اللافتات والشعارات لتردد جهارا نهارا أن نظامها السياسى وقيمها الاجتماعية وفلسفتها الاقتصادية هى المثال الأعلى الذى يجب على البشر جميعا، شاؤوا أم أبَوْا، أن يعتنقوه، وهاهى قد أتت للعراق لكى تسقيه لنا، لا بالملعقة الصينى التى كان يُضْرَب بها المثل قديما على الترف والدلال، بل بالملعقة الأمريكانى، أقصد بالجزمة الأمريكانى التى لا توقِّر شيئا ولا أحدا فى الدنيا مهما كان قدره! بل إن مسؤوليها ليتسابقون إلى شتم ديننا ورسولنا وربنا، فإذا ما اعترض بعضنا ممن لا يفقهون قيل لهم: هذه حرية تفكير وتعبير! طيب يا أخى، نحن أيضا نحب عيشة الحرية كما عبّر بالنيابة عنا منذ عشرات السنين موسيقار الأجيال! أليس كذلك؟ بلى هو كذلك ونصف وثلاثة أرباع، لكننا قد نسينا شيئًا مهمًّا جدًّا، وهو أننا لسنا أمريكيين، وهنا مربط الفرس (أو الحمار، لا فرق)، وطُظّ فينا وفى موسيقار الأجيال وكل الملحنين والمطربين معه أيضا فوق البيعة! إذن فليس فى الاعتقاد بأننى ناج يوم القيامة، ومن

يخالفنى ذاهب فى ستين داهية، ما يمكن أن يكون افتئاتا على أحد، وبالمناسبة فهذا الآخر يعتقد بدوره فِيَّ ما أعتقده فيه. كل ما هو مطلوب ألا يكون مثل هذا الاعتقاد سببا فى عدوان أى منا على الآخر، سواء بالقول أو بالعمل. والمسلمون لا يقولون: "شَكّل للبيع"، فهم يقرأون قرآنهم لأنفسهم، ولا يجبهون به غيرهم. أما إذا آذاهم هذا الغير فى دينهم ولم يحترم رسولهم أو كتابهم فإنهم لا يملكون إلا الرد على هذا التهجم، ولا معنى فى هذه الحالة لاعتبارات المجاملة الزائفة التى تكبلّهم وتذلّهم وتحرّم عليهم أن يدفعوا عن أنفسهم صائلة العدوان. فهل فى الإسلام ما يتعارض مع هذا الكلام المنطقى الإنسانى؟ ولا شَرْوَى نقير! إن الإسلام يحرِّم على أتباعه تحريما قاطعا أن يبدأوا أحدا بالعدوان مهما كانت كراهيتهم له (المائدة/ 8)، بل إنه ليمنعهم حتى من سب الأوثان كيلا يكون ذلك سبيلا إلى سب الذات الإلهية واندلاع الفتنة من ثم، منبِّها المسلمين إلى أن كل قوم يَرَوْن دينهم أحسن الأديان (الأنعام/ 108).فأى خطإٍ فى هذا يا خَلْق هُوه؟ إننا لا نستطيع أن نتناول موسى أو المسيح وأمه عليهم جميعا السلام بكلمة سوء واحدة، على حين أن اليهود والنصارى لا يكفّون عن شتم سيد البشر والنبيين واتهامه بكل منقصة. ومع هذا يُتَّهم المسلمون، ويتظاهر غيرهم بأنهم حملان وديعة. أرأيتم خبثا وكيدا ولؤما كهذا اللؤم والكيد والخبث؟ على أية حال فالسبيل إلى إزالة هذا الخلاف هو أن يحتذى الطرفان الآخران ما يفعله المسلمون، فيكفّوا عن الشتائم البذيئة فى حق الرسول الكريم وقرآنه وأتباعه، ويدخلوا فى الإيمان به مثلما يؤمن المسلمون بموسى وعيسى ومريم ويدفعون عنهم قالات السوء التى يروجها عنهم سفلة البشر، أو على الأقل أن ينصرفوا إلى دينهم يمارسونه كما يحلو لهم دون أن يتطاولوا على شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. ترى هل فى ذلك شيء من الغموض أو الافتئات على أحد

==============

#من الحرية الدينية إلى الدولة العلمانية

أ.د. جعفر شيخ إدريس*

من أعظم الوسائل التي تُستعمل لتحريف نصوص الكتاب والسنة في عصرنا أن يؤخذ نص أو عبارة من نص ثم تعطى معنى من معاني الثقافة الغربية له لوازم لا

تتناسب مع بقية نصوص الكتاب والسنة، ثم إما أن يلتزم المحرِّف بهذه اللوازم فيمضي في تحريفه إلى نهايته، وإما أن ينكر بعضها فيقع في التناقض والحرج، وإما أن يلجأ إلى تحريف النصوص الأخرى كما حرَّف النص الأول.

من العبارات القرآنية التي حُرفت بهذه الطريقة عبارة {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256] التي صار يُستدل بها على الحرية الدينية بالمعنى الغربي لهذه العبارة. وما دامت الحرية الدينية بهذا المعنى الغربي تقتضي أن يكون من حق الإنسان أن يدخل في الدين أو يخرج منه متى شاء حكم هؤلاء بأن تكون الردة أمراً مباحاً لا جريمة يعاقَب مرتكبها، حتى قال قائلهم في وقاحة . مخالفاً لقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– .: (لا بأس على الإنسان أن يبدل دينه).

لكن حرية الدين بالمعنى الغربي لا تقف عند حدود إباحة الردة؛ لأنك إذا أبحت للإنسان أن يخرج من الدين كله فيلزمك أن تبيح له الخروج من بعضه. وهذا هو الأمر في الغرب. فكما أن من حق الإنسان أن يخرج من اليهودية أو النصرانية أو الإسلام؛ فمن حقه أيضاً أن ينكر بعض ما في دينه ويظل رغم ذلك يهودياً أو نصرانياً أو مسلماً، ولا يحق لجهة دينية أن تعترض عليه. ولا زلت أذكر مستغرباً كلمة الرجل الأمريكي الشاذ الذي انتخبته كنيسته قسيساً كبيراً لها معتذراً للذين اعترضوا على ترشيحه، قال كلاماً فحواه أنهم محقون؛ لأن انتخابه مخالف لتقاليد الكنيسة، ومخالف لنصوص الكتاب المقدس، ثم قال: «لكن هذا لا يعني أنه خطأ»!

وعليه فإذا كان من حق المسلم أن يرتد عن دينه كله، فيكون من حقه أن ينكر الصلاة أو الصيام، أو يمتنع عن أداء الزكاة، أو يبيح شرب الخمر أو الزنا، أو حتى الشذوذ. وقد حدث فعلاً أن كوَّن جماعة من الشباب المنحرفين في أمريكا جمعية أسموها (جماعة الشباب الإسلاميين الشاذين).

لكن هذا يؤدي إلى نتيجة خطيرة هي أن الإسلام لا يمكن أن يكون نظاماً أو قانوناً لدولة؛ لأنه إذا كان من حق الإنسان أن يخرج على كل أمر أو نهي ديني، فيكون من حقه أن يخرج على كل أوامر الدولة وقوانينها. لكن الناس لا بد لهم من دولة تأمر وتنهى وتعاقب؛ فإذا لم تكن دينية لزم أن تكون علمانية. يقول بعضهم: يمكن أن نُلزم الناس بهذه الأوامر باعتبارهم مواطنين لا باعتبارهم مسلمين. وأقول: إن هذا

يؤكد علمانية الدولة؛ لأن العلمانية لا تمنع من أين تتبنى الدولة بعض الأوامر والنواهي ذات الأصل الديني ما دامت لا تجعل الدين أساساً لمشروعيتها. ونحن نعلم أن في الدول العلمانية الغربية كثيراً من أمثال هذه القوانين.

الحرية بهذا المعنى الغربي ناتجة عن اعتقاد بدأ يشيع في الغرب بعد القرن الثامن عشر فحواه أن المعتقدات الدينية لا تقوم على أساس علمي، وإنما هي مشاعر قلبية، فلا يحق لإنسان أن يجبر الآخرين على أن تكون مشاعرهم وعواطفهم كمشاعره. والدين يختلف في هذا عن العلوم التجريبية التي تستند دعاواها إلى أدلة علمية حسية أو عقلية. وكثيراً ما يأخذون علينا . معاشرَ المسلمين . معاملتنا للدين معاملة هذه العلوم، فيقولون: إنكم تدَّعون أنكم تملكون الحقيقة. ونحن فعلاً نعتقد أن الحق معنا في مسائل الدين، وأن ديننا يقوم على حقائق تشهد لها أدلة حسية وعقلية، وأن الأمر ليس متروكاً فيه للأذواق الفردية؛ وهذا هو الذي يجعلنا نحكم على بعض الأقوال والتصرفات أنها مخالفة للدين أو مناقضة له مخرجة لصاحبها عن الملة الإسلامية.

ولأننا نعتقد اعتقاداً جازماً بأن الحق معنا ولا سيما في أصول الدين، وأن من مصلحة الإنسان الدنيوية والأخروية أن يؤمن بهذا الحق، فنحن حريصون على نشره كما هو من غير زيادة أو نقص أو تحريف، وحريصون على حماية من يؤمن به من المؤثرات التي تضعف إيمانه أو تفتنه عنه.

وهذا هو السبب في اعتبار الردة جريمة يعاقب عليها القانون الإسلامي. إن الذي يعاقب عليه القانون ليس هو أن يغير الإنسان ما في قلبه؛ فهذا أمر لا يستطيع البشر الاطلاع عليه اطلاعاً مباشراً، ولا يستطيع أحد أن يجبر أحداً على اعتقاد معين حقاً كان أو باطلاً؛ ولذلك يقال للرسول –صلى الله عليه وسلم–: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص: 56].

ويقال له:{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ}.[الغاشية: 21 – 22]

فالاستدلال بمثل هذه النصوص على إباحة الردة استدلال خطأ؛ لأن هذه النصوص لا تتكلم عن حرية التعبير عن الكفر وإنما تتحدث عن وجود الكفر في القلب. ومنع التعبير عن الكفر والتصريح به غير منع وجوده في القلب. والتفريق بين هذين أمر

متفق عليه بين كل العقلاء، ولا يمكن إلا أن يراعى حتى في القوانين الوضعية. فالقانون لا يعاقب إنساناً على اعتقاده بأن إنساناً آخر سارق مثلاً، وإنما يعاقبه على إعلانه عن هذا الاعتقاد لما يترتب عليه من ضرر بالمتهم. ولو أن مسلماً رأى أخاً له يزني وتأكد من هذا الأمر فلا يجوز له أن يصرح به، بل إن تصريحه به يعد ذنباً يعاقب عليه إذا لم يشهد معه ثلاثة مثل شهادته.

وكذلك الأمر بالنسبة للردة. فالمسلم إذا ارتد وكتم ردته في قلبه بحيث لم يطلع عليه إلا الله . سبحانه وتعالى . فإن الله هو الذي يحاسبه. أما في الدنيا فيعامل معاملة المسلم. وأما إذا أعلن ردته فإنه يعاقب لما قد يترتب على ردته من عواقب سيئة عليه وعلى غيره. من هذه العواقب:

أولاً: استعمال الردة وسيلة لمحاربة الدين، ومن ثَم الدولة التي يقوم عليها هذا الدين. قال . تعالى . عن بعض الكفار: {وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [آل عمران: 72].

ثانياً: أن الإنسان قد تخطر بباله شبهات تشككه في دينه؛ فإذا ما صرح بها وعرفها الناس عنه، ربما كان من الصعب عليه أن يتنازل عنها. وأما إذا ما كتمها في قلبه، أو بدأ يناقش بعض إخوانه فيها مناقشة علمية، فقد يرجع عنها. وقد جربنا هذا كثيراً.

ثالثاً: إن التصريح بالخروج من الدين لا تقف حدود ضرره على المرتد وحده، بل إن هذا قد يؤثر في كل من له صلة به ولا سيما الزوجة أو الزوج والأولاد.

فتجريم إعلان الردة هو في الحالة الأولى حماية للأمة، وفي الحالة الثانية حماية للفرد، وفي الحالة الثالثة حماية لمن حوله ممن قد يتأثر به.

أقول بعد هذا: إن الذين فسروا عبارة {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّين} ذلك التفسير الغربي، والتزموا لوازمه كلها أو بعضها، وأباحوا الردة، اضطروا كلهم لأن ينكروا أو يحرفوا نصوص السنة النبوية.

يقول لك أحدهم: إنه لا ذكر لتجريم المرتد في القرآن الكريم. تقول له: بلى! قال . تعالى .: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} [محمد: 25 – 28].

يقول لك: لكن المذكور في هذه الآية وآيات غيرها إنما هو عقاب أخروي. تقول له: لكنه تجريم على كل حال. ثم إن تفاصيل كثير من الأحكام إنما جاءت بها السنة التي أمرنا الله . تعالى . في كتابه أن نأخذ بها.

فإنكار السنة أو شيء منها إنكار للقرآن الكريم. قلت لبعضهم: إن القرآن لم ينزل عليك ولا على أبيك، وإنما نزل على محمد –صلى الله عليه وسلم–؛ فإذا كنت تعتقد أنه صادق في قوله إن القرآن أنزل عليه، فيجب أن تعتقد أنه محق في بيانه للقرآن وفي قوله إنه أوتي القرآن ومثله معه. وإذا كنت لا تصدقه في هذا أو لا تأخذ بقوله فقد أبطلت الأصل الذي يقوم عليه إيمانك بأن القرآن كلام الله إن كنت حقاً مؤمناً بذلك. ثم كيف تبيح لنفسك أن تفسر القرآن وتنكر على من أُنزل عليه أن يفسره؟

ومنهم من ينكر وجود أحاديث تجرِّم الردة وتعاقب عليها. ومنهم من يعترف بوجود بعض الأحاديث لكنه يتعمد تحريف معانيها بشتى الوسائل. من أشهر هذه التحريفات السخيفة التي انطلت . مع الأسف . على بعض الناس قولهم: إن الرسول –صلى الله عليه وسلم– إنما عنى بقوله:)من بدل دينه فاقتلوه(من جمع بين ترك الدين والخروج على الدولة. ثم يخترعون من عند أنفسهم مناسبات لهذا الحديث ما أنزل الله بها من سلطان. هذا مع أن من المناسبات الحقيقية للحديث ما يتنافى منافاة بينة مع هذا الهراء. الحديث رواه ابن عباس وذكره بمناسبة تحريق أمير المؤمنين علي . رضي الله عنه . لبعض الزنادقة. خرَّج البخاري في صحيحه عن عكرمة قال: أُتي علي . رضي الله عنه . بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنتُ أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «لا تعذبوا بعذاب الله»، ولقتلتهم لقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «من بدَّل دينه فاقتلوه». وإنما قتلهم، ثم أحرقهم؛ لأنهم سجدوا له، وقالوا له: أنت خالقنا ورازقنا؛ فهل هنالك من حال هي أشد خضوعاً للحاكم وأبعد عن الخروج عليه من حال إنسان يسجد له ويقول له: أنت ربي؟

===========

#نبذة عن العلمانية

د. إسماعيل محمد حنفي*

أولاً: مفهوم العلمانية([1]):

العلمانية في الحقيقة تعني إبعاد الدين عن الحياة أو فصل الدِّين عن الحياة أو إقامة الحياة على غير الدِّين؛ سواء بالنسبة للأئمة أو للفرد.

أما أصل كلمة علمانية فهي ترجمة غير صحيحة للكلمة اللاتينية (SECULARISM) وترجمتها الصحيحة هي: اللادينية أو الدنيوية, بمعنى ما لا علاقة له بالدين ويؤكد هذه الترجمة ما ورد في دائرة المعارف البريطانية في مادة (SECULARISM) "هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها؛ وظل الاتجاه إلى الـ(SECULARISM) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية كما يؤكد أن ترجمة الكلمة اللاتينية هي اللادينية؛ ما أورده معجم أوكسفورد شرحاً لكلمة (SECULAR):

(1) دنيوي أو مادي، ليس دينياً ولا روحياً مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية، الحكومة المناقضة للكنيسة.

(2) الرأي الذي يقول إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية.

هل الاسم العربي له صلة بالاسم؟

ليس له صلة بالعلم لأنه كما ذكرنا أن أصل الكلمة باللاتينية ليس له علاقة بالعلم، والذين ابتدعوها لم يريدوا بها العلم من قريب ولا من بعيد. ولو أرادوه لاستخدموا ما يشير إلى النسبة إلى العلم هي (SCIENTIFIC) لأن العلم بالإنجليزية (SCIENCE) وأرى أن استخدام هذه الكلمة العربية كمصطلح لهذه الفكرة فيه تضليل وتعمية،ولو سموها باسمها لانصرف أهل الفطر السوية عنها ولحاربها أهل الغيرة على الدين.

ثانياً: نشأة العلمانية:

بداية النشأة في أوروبا، وكان ذلك بسبب عبث الكنيسة بدين الله المنزَّل، وتحريفه وتشويهه، وتقديمه للناس بصورة منفرة دون أن يكون عند الناس مرجع يرجعون إليه

لتصحيح هذا العبث وإرجاعه إلى أصوله الصحيحة المنزلة كما هو الحال مع القرآن المحفوظ بقدر الله ومشيئته من كل عبث أو تحريفٍ خلال القرون([2]).

إنّ ما نبذته أوروبا حين أقامت علمانيتها لم يكن هو حقيقة الدين . فهذه كانت منبوذة من أول لحظة . إنما كان بقايا الدين المتناثرة في بعض مجالات الحياة الأوروبية أو في أفكار الناس ووجداناتهم، فجاءت العلمانية فأقصت هذه البقايا إقصاءً كاملاً من الحياة، ولم تترك منها إلا حرية من أراد أن يعتقد بوجود إله يؤدي له شعائر التعبّد في أن يصنع ذلك على مسئوليته الخاصة، وفي مقابلها حرية من أراد الإلحاد والدعوة إليه أن يصنع ذلك بسند الدولة وضماناتها([3]).

ويمكننا تلخيص تسبب الكنيسة في نشأة العلمانية في الآتي:

. عقيدة منحرفة: أن الله ثالث ثلاثة، وأنه هو المسيح ابن مريم.

. حصر الدين في العبادة بمعناها الضيق فقط، وفي العلاقة الروحية بالخالق.

. نفوذ رجال الدين على الملوك وعلى عامة الناس، بحيث لا يقع تصرف منهم فيكون صحيحاً إلا عن طريق رجال الدين؛ ولو كان ذلك وفق توجيه رباني صحيح ولمصلحة البشر لم يكن فيه إشكال؛ لكن لمصلحة رجال الدين.

ـ قيام رجال الدين بالتشريع من عند أنفسهم تحليلاً وتحريماً, حسب أهوائهم ومصالحهم مثل: تحليل الخمر والخنزير، وإبطال الختان.

. محاربة الكنيسة للعلم وقتلها للعلماء.

. استغلال رجال الدين لمكانتهم في فرض عشور في أموال الناس، وتسخيرهم للخدمة في أرض الكنيسة، وفرض ما يعرف بصكوك الغفران.

. الفساد الخُلُقي بكل أنواعه كان يمارسه رجال الدين.

. مناصرة الكنيسة للمظالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الواقعة على الناس.

كل تلك الأسباب وغيرها أدت إلى نبذ أوروبا للدين وإقبالها على العلمانية باعتبارها مخلصاً لها مما عانته من سطوة رجال الدين، وسبيلاً للانطلاق والتقدم الذي كان الدين . بذلك التصور وتلك الممارسات . حجر عثرةٍ أمامه.

ولكن البديل الذي اتخذته أوروبا بدلاً من الدين لم يكن أقل سوءاً إن لم يكن أشد؛ وإن كان قد أتاح لها كل العلم والتمكن المادي يطمح إليه كل البشر على الأرض

تحقيقاً لسُنَّةٍ من سُنن الله التي تجهلها أوروبا وتجهل حكمتها، لأنها لا تؤمن بالله وما نزَّل من الوحي: (فلما نسوا ما ذكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون) [سورة الأنعام: 44]، وإذا كان الغالب على ردود الأفعال هو الاندفاع لا التعقّل ولا التبصّر ولا الرويّة ولا الاتزان فقد اندفعت أوروبا في نهضتها تنزع من طريقها كل معلم من المعالم الإلهية –سواءً كانت إلهيةً حقاً أو مدعاة من قبل الكنيسة– وتصنع مكانها معالم بشرية من صنع الإنسان، كما تنزع من طريقها كل ما يتصل بالآخرة لتصنع بدلاً منه ما يتصل بالحياة الدنيا([4])، والحاصل أنهم وقعوا في أسوأ مما فروا منه حين نبذوا الدين كله ونقول إنّ ذلك ليس غريباً؛ فالعقائد الباطلة والتصورات المنحرفة، والممارسات الضالة لا تأتي بخير فالذي خَبُث لا يخرج إلا نكِداً.

وإن كان ذلك قد جرى في أوروبا بسبب الكنيسة ورجال الدين، فليس ذلك موجوداً في دين الإسلام، ولا يمكن أن يقع مثل الانحراف الشامل ويغيب الحق والصواب عن الناس؛ لأن أصول هذا الدين معلومة ومحفوظة، ولا يزال أهل العلم وحملة الحق في كل زمان يُبيّنون ويُوضّحون للناس، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولو حصل شئ من الانحراف فإنه يكون معلوماً، ولن يتفق عليه أهل الإسلام وهو يعالج بما يؤدي إلى مصالح أكيدة، فالخطأ عندنا أمة الإسلام لا يُعالج بالخطأ، والخطأ الذي يقع إنما هو منسوب للبشر فهي ممارستهم واجتهاداتهم, ولا يصح أن يُحمل على الدين وأن يكون ذريعةً لرفض منهج الله.

ثالثاً: من آثار العلمانية:

في مجال السياسة:

. استخدام المبدأ الميكافيلي "الغاية تبرر الوسيلة" من قبل الحكام، مما جرد السياسة من الأخلاق وأبعد عنها الدين، فأصبح استخدام كل وسيلة حلالاً كانت أو حراماً؛ أمراً عاديّاً، بل لم يكن سياسياً بارعاً من لم يفعل ذلك!!

ـ استغلال الناس للوصول إلى الحكم، عن طريق الديمقراطية المزعومة، ثم تسليط السلطة على نفي الناس وظلمهم.

ـ إبعاد الناس عن الحياة واستثناء النهج الإسلامي ذي التوجه الرباني من الوصول للحكم، بل ومحاربته والتنكيل بأنصاره، واتهامهم بالتطرف والإرهاب.

. نشأة التيارات المغالية التي كانت ردة فعل للأنظمة العلمانية بظلمها وفسادها.

ـ ولاء الأنظمة السياسية في بلاد المسلمين لدول الكفر، ولاءً كاملاً على حساب الإسلام والمسلمين.

في الاقتصاد:

. ترويج سلع العدو في بلاد المسلمين بما يقوي اقتصاده ويضعف المسلمين.

ـ أصبحت الثروة دُولةً بين عدد محدود من الأغنياء الذين لا تستفيد منه بلاد المسلمين كثيراً.

. أصبح المسلمون عالةً على غيرهم, معتمدين على عدوهم في كل شيء.

في الاجتماع والأخلاق:

. تحرير المرأة وتحللها من كل القيود التي تعصمها وتحفظ كرامتها.

. تفكك الأسر وضياع أفرادها.

. انتشار جرائم الأطفال وفسادهم.

. انتشار الخيانات الزوجية, وكثرة أبناء الزنا.

. الترويج للشذوذ الجنسي.

ـ ضعف الروابط بين الأقارب والأرحام؛ بسبب التركيز على الجانب المصلحي في الحياة والعلاقات بين الناس.

. انتشار ثقافة التحلل والتفسُّخ والشهوة, مما أدى إلى كثرة الفساد الأخلاقي, وانتشار الأمراض الفتاكة.

في التربية والثقافة:

. تفسير الدين تفسيراً ضيقاً, وتحديد علومه تحديداً قاصراً.

ـ التفريق بين نظام تعليم رسمي حكومي, ونظام تعليم أهلي ديني؛ مع إهمال الأول والاهتمام بالأخير.

ـ إهمال اللغة العربية والتربية الإسلامية, مع إظهار الاهتمام بغيرهما من المواد العلمية والعصرية.

ـ بث السموم والطعن في المقررات والمناهج الدراسية ضد الإسلام, مع الاهتمام بالثقافة الأوروبية.

. انتشار ترجمات الكتب الغربية في بلاد المسلمين, بل وكذلك الكتب الغربية بلغاتها الأصلية؛ تحت اسم الثقافة ودراسة الأدب...الخ.

. عودة كثير من أبناء المسلمين الذين درسوا وتربوا على مائدة الغرب ليساهموا في نشر ثقافته وفكره وينافحوا عنها.

. الفصل بين ما هو ديني وما هو غير ديني في الصحف والمجلات: مجلة دينية, صحيفة دينية, صفحة دينية, برنامج ديني...إلخ.

ـ انتشار الاختلاط في المؤسسات التعليمية؛ حتى أصبح أصلاً, ومن ينادي بفصل الجنسين يصبح شاذاً!

. حصر مفهوم الثقافة في أدب اللهو والمجون, والطرب والغناء.

رابعاً: كيف نواجه العلمانية:

لا حاجة . بعد كل ما ذكرناه . إلى الكلام عن حكم العلمانية, فقد اتضح لنا أنها دين مستقل؛ ابتدعه البشر ليكون مقابل دين الله وبديلاً لشرعه, وبذا فهي كفرٌ صراح, ومواجهتها واجب, لكن كيف؟

. بنشر العلم الشرعي وتوعية الناس بدينهم.

. بتربية أبناء الأمة على الإسلام, في الأسرة والمؤسسات المختلفة.

ـ بنشر الثقافة الإسلامية من خلال: الكتب, المجلات, المقررات الدراسية, أجهزة الإعلام...

. بتعرية فكر العلمانيين والرد عليهم.

. بالتمسك بشريعة الإسلام والعضّ عليها بالنواجذ.

. بتوعية الأمة بخطورة العلمانية على الدين والمجتمع.

. بتقوية عقيدة الولاء والبراء.

____

(1) د. سفر الحوالي، العلمانية، ص 21-24، .19Ency.Britanniea.Vol.lxp .
785Oxford Advanced Learner's Dic. Of Current English:

([2]) محمد قطب، العلمانية، ص7

([3]) المرجع السابق، ص11.

([4]) محمد قطب، مرجع سابق، ص29.17.

==============

#العلمانية وخديعة استبعاد الدين

[الكاتب: يحيى هاشم حسن فرغل]

زعموا أن العلمانية سر التقدم في العالم المعاصر الذي ما حدث إلا بخلع الدين..

ولقد زيفوا فيما زعموا.. ثم كذبوا..

أما أنهم زيفوا فذلك أنهم – ضمن " حرب المصطلحات " كما بينا في المقال الأسبق – أدخلوا إلى البيئة الإسلامية مصطلح العلمانية، لغير مشكلة فيها، ثم استوردوا له المشكلة، ونادوا بدوره في حلها!!

وأما أنهم كذبوا فلأن الدولة الدينية مازالت في صلب الدولة الحديثة شديدة التطور في أوربا وأمريكا

وقد بينا في مقال سابق أنه في علاقة الغرب بنا كانت حروبهم معنا دينية، ليس ذلك فحسب في حروبهم التاريخية المتقادمة ضدنا في الحروب الصليبية، أوفي حروبهم ضد المسلمين في الأندلس ولكن في حروبهم ضد المسلمين في عقر دار العصر الحديث عصر التنوير والحداثة لإبعاد المسلمين عن دينهم أولا ثم لتنصيرهم من بعد ذلك وهاهو التنصير في فرصته التاريخية ومرحلته الجديدة بدءا من العراق.

وسوف نبين في مقال قادم نشاط كنائس الغرب في مجال السياسة نشاطا يلقى الاحتفال والاحترام والاعتراف والتقدير من الجماهير والرأي العام وأصحاب النفوذ على السواء إلى حد اشتراك العلمانيين أنفسهم في " زفة " هذا التقدير.

وسنبين هنا تداخل المفاهيم الدينية في بنية الدولة في الغرب وخططها السياسية مما يلقي على دعاة العلمانية بتهمة خداع الرأي العام الإسلامي في دعوتهم إياه إلى استبعاد الدين بحجة التقدم!!

ونهتم بأن نذكر من ذلك كله ما كان قبل ظهور مجموعة بوش والمحافظين الجدد قبيل الحادي عشر من سبتمبر 2001 رفعا لتوهم أنها حالة عابرة.. كما أننا لم

نقتصر على ملابسات خاصة بأحزاب المحافظين أو المتشددين رفعا لتوهم أنها حالة حزبية معزولة.. كما أننا لن نذهب بعيدا في التاريخ رفعا لتوهم أنها حالة ماضوية كما يود العلمانيون لنا أن نفهم.

وإذا كان من المشهور اليوم ظهور التلاحم بين السياسة والدين في مجال البروتستنت – في نموذج المحافظين الجدد – فسوف نهتم هنا بإبراز ذلك التلاحم في مجال الكاثوليك.. وإذا كان من المشهور اليوم اشتغال رجال السياسة بالدين فسوف نهتم هنا غالبا بإبراز اشتغال رجال الدين بالسياسة.

وفيما يختص ببيان تداخل المفاهيم الدينية في بنية الدولة في الغرب وخططها السياسية:

يقول الأمير شكيب أرسلان: (هل يظن الناس عندنا في الشرق أن نهضة من نهضات أوربا جرت دون تربية دينية؟ أفلم يقل رئيس نظار ألمانيا في الرايستاغ منذ ثلاث سنوات – نشر الأمير كتابه عام 1930 –: إن ثقافتنا مبنية على الدين المسيحي؟) [أنظر لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم: طبعة 1965 / ص 147].

وفي ألمانيا الديموقراطية قبل الاتحاد الذي تم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي – وقد كانت تقوم على تعاليم ماركس وإنجلز ولينين أصبح مارتن لوثر – بالرغم من ذلك – أحد آبائها الأيديولوجيين، حيث اعتبرته المدرسة الماركسية من خلال إنجلز رائدا لثورة اجتماعية سياسية لم يكن عنده الجرأة على استيعاب ما يترتب عليها!!

أما في ألمانيا الاتحادية – وأيضا بعد اندماج الألمانيتين بالطبع – فإن الدين ملتصق بالدولة تحمي مؤسساته ومصالح هذه المؤسسات سواء كانت لوثرية أو كاثوليكية، والكنائس في ألمانيا تعتبر أغنى كنائس العالم، والتعليم الديني إجباري في المدارس إلى سن الرابعة عشرة، إذ يفرض على الطالب البروتستانتي تعلم اللوثرية، وعلى الطالب الكاثوليكي تعلم الكاثوليكية.

وفي بريطانيا: أين هو الفصل بين الكنيسة والدولة؟ أليس ملك بريطانيا هو رئيس الكنيسة في الوقت نفسه؟

وإذا كان العلماني المعروف الأستاذ أحمد بهاء الدين أراد أن يخفف عنا هذه الحقيقة بقوله: (ملكة انجلترا هي رئيسة الكنيسة الإنجليزية ولكنها لا تأمر أو توجه ناقلة رأي

الكنيسة إلى البرلمان المنتخب من الشعب)، فإن الحقيقة لا تنتهي عند هذه النقطة كما يريد لنا الكاتب أن نفهم، لأن السؤال هو: وما دور البرلمان المنتخب من الشعب بعد أن تنقل إليه الملكة رأي الكنيسة؟

واقرءوا معنا قصة الإفخاريستا... يقول الأمير شكيب أرسلان: (لم يحدث في التاريخ أن مسألة من مسائل انجلترا الداخلية أخذت في الأهمية الدور الذي أخذته قصة " الأفخاريستا " وهي قصة تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح..

وأصل هذه العقيدة ما رواه الإنجيل من أن السيد المسيح عليه السلام قبل صعوده إلى السماء تمشى مع تلاميذه وودعهم، وبينما هو على المائدة تناول لقمة من الخبز وقال: كلوا هذا جسدي، وشرب جرعة من الخمر وقال: اشربوا هذا دمي، فتكونت من هذه الكلمات في النصرانية عقيدة معناها أن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد الرب تماما حقيقة لا مجازا، ولما كان القسيس هو خليفة المسيح كان لابد له كل يوم عند التقديس في الكنيسة أن يتناول لقمة من الخبز ويشرب رشفة من الخمر وهو يتلفظ الكلمات التي تفوه بها السيد المسيح عليه السلام في أثناء عشائه مع الحواريين. فمتى فعل ذلك تحول هذا الخبز وهذا الخمر إلى جسد الرب حقيقة لا مجازا، ولذلك يوضع هذا الخبز ويسمونه القربان في حُق ثمين فوق المذبح من الكنيسة، ويسجدون له، وذلك باعتبار أن هذا القربان هو الإله نفسه، ويسمون وجود الله فيه بالحضور الحقيقي.

وقد كانت هذه العقيدة هي عقيدة المسيحيين جميعا ولا يزال عقيدة أكثرهم إلى اليوم، إلا أنه عندما جرى الإصلاح البروتستانتي تغير الاعتقاد عند أتباعه بقضية الحضور الحقيقي، وقالوا: إن هذا مجاز لا حقيقة، وأنه مجرد رمز وتذكار، وعدلوا عن وضع القربان فوق المذبح والسجود له باعتبار أنه هو الإله بذاته، وصاروا في كنائس البروتستانت يجعلون هذا القربان في تجويف خاص به من الحائط.

ولكن الكنيسة الإنجليكانية – الكنيسة العليا في انجلترا – لم يتفق رأيها في قضية القربان: أن يكون التحول فيه حقيقيا أو مجازيا؟ وأصبحت مسألة خلافية بين اليمين والوسط واليسار، وخيف فيها من انشقاق عام. عندئذ أمرت الحكومة البريطانية بتأليف مجمع من الأساقفة تحت رياسة أسقف كانتربري لحل المشكلة، فانعقد المجمع

زمنا طويلا ولم يوفق إلى حل. وأخيرا ألحت الحكومة على هؤلاء الأساقفة بأن يبتوا في القضية، فحكموا بالأكثرية – مع مخالفة ستة من المطارنة – بأن الخبز والخمر يستحيلان في قداس الكاهن إلى جسد المسيح ودمه، وعليه يجب عبادتهما والسجود لهما ووضعهما في أعلى المذبح لا في كوة حائط الكنيسة، يعني انهم رجعوا في ذلك إلى العقيدة الكاثوليكية.

هذا ولما كان القانون الأساسي لبريطانيا يوجب القول بالفصل في جميع القضايا الدينية لمجلس اللوردات ولمجلس العموم، عملا بكتاب الصلاة الذي هو مرجع الأمة الإنجليزية أحيل حكم المطارنة هذا إلى مجلس اللوردات، وكانت للمناقشات فيه جلسات متعددة بلغت من اهتمام الملأ ما لم تبلغه المناقشات في أية مسألة.. وأخيرا؛ أيد مجلس اللوردات بالأكثرية قرار مجمع الأساقفة، فلما جاءت القضية إلى مجلس العموم نقضوا قرار مجلس اللوردات وحكم مجمع الأساقفة، وقرروا أن الخبز والخمر لا يستحيلان بداهة إلى جسد السيد المسيح ودمه، واستندوا في ذلك إلى كتاب الصلاة المشار إليه سابقا، وعلى إثر هذا القرار من مجلس العموم استعفى رئيس أساقفة كنتربري من منصبه!!).

ويعلق الأمير شكيب ارسلان فيقول: (أين فصل الدين عن السياسة وأنت ترى أن مسالة دينية بحتة تطرح في مجلس اللوردات ومجلس النواب ويفصلان فيها، فإن لم تكن هاته المسألة دينية فما الديني إذن؟ وإن لم يكن مجلسا الشيوخ والنواب مختصين بالسياسة فما المجالس التي تختص بالسياسة بعدهما؟ فليتأمل القارئ المنصف مدى التضليل الذي يقوم به المضللون من المسلمين.. إما جهلا وتعاميا عن الحقيقة وإما خدمة للاستعمار الأوربي الذي ليس له غرض أعز عليه من أن يأتي على بنيان الإسلام من القواعد) [أنظر كتاب " لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم": للأمير شكيب أرسلان / ط 1965 / الهامش ص 97 – 101].

ولنستمع إلى شهادة الشاعر والفيلسوف الإنجليزي الشهير ت. س. إليوت في كتابه " ملاحظات نحو تعريف الثقافة " إذ يقرر أن الثقافة الأوربية العلمانية لم تقتلع المسيحية من جذورها ولكنها تعايشت معها وليس ذلك راجعا إلى مصالحة بين المسيحية والعلمانية ولكنه راجع إلى تملك الدين لناصية الثقافة في أي شعب إذ أن

(تكوين دين هو تكوين ثقافة أيضا) أما عن أوربا المسيحية بالذات فإنه يقول: (إن سنن المسيحية المشترك هو الذي جعل أوربا ما هي)، وإذ يقول: (حين ندافع عن ديننا فلا بد لنا في معظم الأمر من أن نكون مدافعين عن ثقافتنا في الوقت نفسه والعكس بالعكس)، ويقول: (في المسيحية نمت فنونا وفي المسيحية تأصلت قوانين أوربا، وليس لتفكيرنا كله معنى أو دلالة خارج الإطار المسيحي)، (وقد لا يؤمن فرد أوربي بأن الإيمان المسيحي حق، ولكن ما يقوله ويصنعه ويأتيه كله من تراثه في الثقافة المسيحية ويعتمد في معناه على تلك الثقافة)، ويقول: (نحن مدينون لتراثنا المسيحي بأشياء كثيرة إلى جانب الإيمان المسيحي، فمن خلال ذلك التراث تتبع فنوننا، ومن خلاله نلقي مفهومنا للقانون الروماني الذي فعل ما فعل في تشكيل العالم الغربي، ومن خلاله نلقى مفاهيمنا عن الأخلاق الخاصة والعامة) [أنظر كتابه " ملاحظات نحو تعريف الثقافة ": ص 80، 145، 146].

ومن هنا يمكننا القول بأن أوربا مسيحية حتى في علمانيتها.

وفي هذا المعنى يقول الدكتور محمد عصفور: (إن عديدين من الفقهاء لا يترددون في أن يضفوا على الديموقراطية نفسها الطابع الديني، فمنهم من ردها إلى أصول مسيحية، ومنهم من اعتبر الديموقراطية العلمانية ذات طبيعة دينية، أو متعصبة دينيا حتى إن زعمت الفصل بين الدين والدولة) [جريدة الوفد: في 17\ 7\1987].

وكأنه يشير في هذا إلى القاعدة العلمانية المأخوذة من الكتاب المقدس: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وكأن العلمانية هي الأقرب إلى المسيحية من الكنيسة عندما كانت الكنيسة تمارس السلطة السياسية انحرافا منها وشهوة دنيوية ، وكأن العلمانية في بلادنا لا تصادم الإسلام فحسب ولكنها أحد أوجه النشاط التبشيري التابع للكنيسة، ومن ثم كان لابد للعلمانية من أن تبدي الاحترام إلى حد الانحناء أمام الكنيسة والفاتيكان على الخصوص.

أما في الولايات المتحدة فقد أوضح الدكتور يوسف الحسن الدبلوماسي بدولة الإمارات أن الدين يهيمن على أخطر القرارات السياسية والدولية وذلك في رسالته للدكتوراة بعنوان "الاتجاهات الصهيونية في الحركة الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة"، التي قدمها لكلية الاقتصاد والعلوم السياسة بجامعة القاهرة بإشراف الأستاذ

الدكتور إبراهيم درويش ومشاركة الأستاذ الدكتور كمال أبو المجد والدكتور محمد عصفور وقد أجيزت الرسالة بامتياز ومرتبة الشرف مع تبادل الرسالة مع الجامعات الأجنبية.

وتبين الرسالة أن أخطر معتقدات هذه المسيحية الصهيونية تلك النبوءة التوراتية عن عودة اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولتهم وملكهم فيها، وترتبط هذه النبوءة بشطر آخر يربط بين إقامة دولة إسرائيل وبين التبشير بعودة المسيح ليحكم باسم النصرانية ألف عام قبل أن تقوم القيامة. كذلك ترتبط بنبوءة لاهوتية عن قرب نهاية العالم حينما تغزو جيوش " السوفييت " وإيران والعرب والأفارقة والصين!! دولة إسرائيل.. عندئذ يعود المسيح إلى الأرض بجيش من القديسين لمعاقبة غير المؤمنين وتحطيمهم في معركة تقع بسهل المجدل بفلسطين.

ولقد كسبت الصهيونية اليهودية الكثير من وراء سيطرة هذه النبوءات على عقول الساسة الأمريكيين والإنجليز والبروتسانت والرؤساء الأمريكان: ويلسون، وروزفلت، وكارتر، وريجان، والرؤساء الإنجليز: بالمرستون وبلفور وتشرشل وغيرهم – هكذا قبل أن يظهر على المسرح " محافظون جدد " ولا يحزنون، كما يحاول بعضهم أن يقزم القضية ويحصرها في أمثال بوش، ورامسفيلد، وولفوفتز وبيرد وأمثالهم.

وتستخدم الحركة الأصولية الصهيونية المسيحية نفس الأساليب والوسائل التي تستخدمها المنظمات والمؤسسات غير الدينية للتأثير في السياسة العامة، وقد ملكت في العقود الأخير وأدارت احدث أدوات الاتصال الجماهيري من محطات مسموعة ومرئية، وصارت لها مؤسساتها ولجانها وقنواتها،وقدرت ثرواتها بالمليارات، وبلغ مجموع ما قدمه الأمريكيون من تبرعات ومساهمات لهذه الكنائس في عام واحد هو 1982 حوالي واحد وستين مليارا من الدولارات. وقدرت نسبة الأمريكيين المستمعين والمشاهدين لبرامجها عام 1980 بحوالي 47% من مجمل السكان.

ويواصل الدكتور محمد عصفور تلخيصه لنتائج الرسالة المشار إليها فيقول: (وحتى ندرك ما تملكه الحركة الأصولية المسيحية الصهيونية من قوة اقتصادية هائلة يكفي أن نعلم أن ما أنفقته إحدى منظماتها على الدعاية في محطات التليفزيون وكذلك على التنظيم والتعبئة السياسية خلال انتخابات 1984 حوالي مائة مليون دولار، وهو

يفوق ما أنفقه ريجان ومنافسه مونديل معا خلال الانتخابات، ولا تقتصر اهتمامات الحركة بمساندة إسرائيل وإن كانت تستحوذ على جانب كبير من نشاطها – فهي بالإضافة لذلك لها اهتمامها بصياغة السياسة الأمريكية الخارجية سواء بالنسبة لبرامج المساعدات الدولية وبخاصة في العالم الثالث، أو طبع السياسة الخارجية بطابع العداء للشيوعية (!!)، وزرع هذا العداء في العقل الشعبي وفي فلسفة المجتمع وتسخيره دوليا لإقرار سياسة دولية إرهابية).

هذه السياسة الدولية الإرهابية ضد المدنيين التي تمتد منذ إسقاط الأسطول الأمريكي في الخليج في عام 1988 أثناء حرب الخليج طائرة مدنية أغلبها مسلمون أهلكت ركابها الثلاثمائة إلى سلسلة المذابح والدمار الذي يتساقط فوق رءوس المسلمين في بيوتهم وشوارعهم ونواديهم ابتداء من فلسطين وأفغانستان والعراق وهلم جرا!

فهل قرأت عقول ساستنا ودعاتنا وعلمانيينا وأبناء جلدتنا من عرب المهجر ومسلميهم مثل هذه الدراسة الجادة قبل أن تلتصق رقابنا بمذبح هذه العقيدة الصهيونية المسيحية بعقود، أم أنها انتظرت حتى تكتشف ببلاهة شماعة رامسفيلد وولفوفيتز كأنهم " أمسكوا الديب من ديله " وإذا بهم لا يمسكون غير ديل صناعي مقطوع؟ مع الاعتذار للمثل الشعبي، أم أنهم علموا وتعاموا بفعل التماهي العلماني بينهم وبين هذه الصهيونية المسيحية " الدينية "؟

ويعلق الدكتور محمد عصفور فيقول: (إنه من الشاذ أن تكون أقوى الأحزاب الأوربية هي الأحزاب المسيحية وأن تكون أقوى الحركات السياسية هي الحركة الأصولية المسيحية ثم تحظر في بلادنا الأحزاب الدينية؟)

ولنقطع هنا سياق هذا التعليق الذي كتبه الدكتور محمد عصفور منذ عشرين عاما لنسوق ردا على مثل سؤاله صدر منذ أيام قلائل من الدكتور بلتاجي وزير السياحة – سابقا – والإعلام حاليا بمصر في قناة فضائية وهو يبرر عدم السماح بإنشاء حزب إسلامي في مصر بحجة أن إنشاء هذا الحزب رسميا – بالرغم من الاعتراف بوجوده فعليا – يعني أن غير المنتمين إليه ليسوا مسلمين، متجاهلا أن مثل هذه الحجة لو صحت فإنها تعني عدم السماح بإنشاء أي حزب في أي مكان في العالم، لأن أي حزب من الأحزاب في جميع أنحاء العالم سوف توجه إليه التهمة الساذجة

نفسها، في حين أنه لا يضم ولا يدعي أنه يضم جميع الأفراد الذين ينتمون إلى عقيدة الحزب، وإنما هو على أقصى تقدير يدعي أنه يضم من " يتبرع للعمل الحركي لهذا الحزب " أو ذاك، والمحاكمة أوالمحاسبة في هذا ترجع لبرنامج الحزب المسموح به قانونا: إن كان يدعي هذا الأمر أو ذاك، ولو طبقنا هذا المقياس على إنشاء الحزب " الوطني الديموقراطي " الذي ينتمي إليه الوزير نفسه لكان معنى ذلك أن في قيامه اتهاما لغير من ينتمي إليه باللاوطنية واللاديموقراطية، وهو ادعاء ظاهر البطلان.

كما ادعى الوزير أن السماح بإنشاء حزب إسلامي يعني السماح بإنشاء حزب مسيحي؟ ولم لا؟ وحجة الوزير في عدم السماح بذلك أن إنشاء أحزاب إسلامية وأخرى مسيحية يعني إثارة الفرقة الطائفية منطلقا من عقيدة الحزب الواحد الأحد، متناسيا أن للمسيحيين – دون غيرهم – في مصر مؤسستهم الأقوى من أي حزب، وهي الكنيسة بما لها من صلاحيات صارمة في جميع المجالات، فإنشاء حزب لهم لا يعنيهم كثيرا، وهو ليس إلا تحصيل حاصل من درجة اقل في حال قيامه، متجاهلا في الوقت نفسه فلسفة إنشاء الأحزاب نفسها – في الفكر الديموقراطي الذي اصبح الجميع يدعيه – وأنها تقوم على فلسفة الاعتراف بواقع التعددية والممارسة السلمية مختلفة تماما عن الفلسفة الإستئصالية للحزب الواحد الذي أخذ يتوارى عن الساحة السياسية في العالم منذ سقوط الاتحاد السوفيتي

لكنها العقلية العلمانية التي تتكشف من رماد بيئة استئصالية لازالت تداعب عقول الكثيرين.

ولنرجع إلى تعليق الدكتور محمد عصفور إذ يقول موجها كلامه إلى العلمانيين: (أن يسائلوا أنفسهم: كيف تسيطر المعتقدات بل والأساطير الدينية إلى هذا الحد على مصائر الشعوب؟ وعليهم أن يستمعوا إلى ما يقوله القس الأمريكي " بريان هيهيو " من أن الكنائس الأمريكية مؤسسات رئيسية، وأنها وإن لم تكن أحزابا سياسية إلا أن دورها واضح في تشكيل وتعبئة جمهور من الأنصار الملتزمين بمنهجها في المسائل السياسية الخارجية).

ويقول الدكتور محمد عصفور في تعليقه على رسالة الدكتور يوسف الحسن: (على الرغم من أن مبدأ الفصل بين الدولة والكنيسة مبدأ دستوري مقرر بالتعديل الدستوري الأمريكي الأول إلا أن للكنيسة والدين هيمنتهما على الحياة الأمريكية في شتى مناحيها، وارتكازا على هذا الواقع أعلنت الحركة المسيحية الأصولية عن أهدافها السياسية بصراحة شديدة، ولذلك قال قادتها: (إن حركتهم تعني الاستيلاء على الولايات المتحدة الأمريكية ومؤسساتها).

وقال أحد زعمائها: (نحن ثوريون، نعمل على قلب التركيبة الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية.. نحن نتحدث عن مسحنة الولايات المتحدة الأمريكية) ولهذا السبب فإنه – وإن بدا أن السلطة السياسية يتقاسمها الحزبان الديموقراطي والجمهوري إلا أن الحركة الأصولية المسيحية والمسيحية السياسية عامة تكون القوة السياسية الغالبة، ليس فقط من خلال التحالف مع اليمين الرجعي في الحزب الجمهوري –!! – وإنما كذلك من خلال التحكم في العملية الانتخابية والتأثير الشديد في ملايين الناخبين الذي تجندهم الحركة لمؤازرة هذا المرشح للرياسة أو ذاك، ولم يكن من المبالغة أن تعتبر الحركة المسيحية الأصولية: " أهم ظاهرة سياسية في القرن العشرين "، وأن يتوقع لها اللاهوتي الإنجليزي " جيمس بار " أن تستمر خمسمائة عام على الأقل " ولم تبق هذه الظاهرة الدينية السياسية مقصورة أو محصورة في نطاق ما تبشر به هذه الحركة، وإنما هي امتدت إلى انتخابات الرياسة الأمريكية بل وانتخابات الكونجرس الأمريكي، فقد لوحظ – وبحق – أن الشعب الأمريكي انتخب في العقد الأخير رئيسين يؤمنان بأهمية الدين في المجتمع الأمريكي وبحلول عام 1980 كان ثلاثة من المرشحين لرياسة الجمهورية يرفعون نفس الشعار، كما كان واضحا أن مسألة الدين قد احتلت الصدارة في مناقشات الحملات لعام 1984 سواء على شكل التغطية الصحفية، أو التعليقات الإعلامية، أو في تأثير ذلك في المجتمع نفسه، وبينما أعلن كارتر عام 1976 عن شعاره وإيمانه بعقيدة الولادة الثانية كمسيحي Bron Aqain عبر ريجان في 23 أغسطس 1984 في خطاب له بمدينة كنساس عن إيمانه بدور الدين في المجتمع الأمريكي رغم تأكيد التعديل الدستوري الأول لمبدأ الفصل بين الدين والسياسة أو الفصل بين الكنيسة والدولة، ومما جاء في

خطابه قوله: " يلعب الدين دورا حاسما في الحياة السياسية لأمتنا) [أنظر سلسلة مقالات للدكتور محمد عصفور بجريدة الوفد حوالي 17\7\1988].

وأخيرا ليقل لنا العلمانيون في بلادنا: هل يسمحون بوضع شعار ديني على ورق البنكنوت كما هو الحال في أوراق البنكنوت الأمريكية؟

ويقول الأستاذ الدكتور محمد البهي عن العلمانية في أوربا بوجه عام: (إن الموطن الذي ولد فيه الفكر العلماني – وهو إنجلترا وفرنسا وألمانيا – لم يأخذ بالاتجاه العلماني في التطبيق في الحياة العملية: التاج البريطاني لم يزل حاميا للبروتستنت، وفرنسا لم تزل حامية للكثلكة في صورة عملية، والدولة في انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا رغم إعلان أنها علمانية تساعد المدارس الدينية من ضرائبها التي تجبيها من المواطنين مع علمها باستقلال هذه المدارس في برامجها التعليمية، وببعدها عما تجريه الدولة من تفتيش على النفقات التي تنفقها) [ص: 30]

وعندما كتب الدكتور البهي ثلاث مقالات بمجلة الأزهر عام 1985 عن المستشرقين والمبشرين واعتبرت بعض دوائر الفاتيكان أنها تنطوي على بعض الإحراج لشئون التبشير الكاثوليكي كان أول احتجاج وصل إلى وزارة الخارجية المصرية هو احتجاج سفارة الولايات المتحدة الأمريكية تلاه احتجاجات أخرى عديدة من السفارات الغربية التي تمثل في بلادها أكثرية بروتستنتية أو كاثوليكية على السواء، مما يدل على أن الدولة العلمانية الغربية لم تزل ترعى المسيحية كدين والكنيسة الأوربية كسلطة دينية وتحرص على تمكينها من مباشرة رسالتها، كحرصها على حماية أملاك الكنيسة الأوربية وكحرصها على جباية الضرائب الخاصة بالكنيسة الأوربية عن طريق أجهزتها الإدارية.

وحتى رجال الدولة أنفسهم في ممارستهم السياسية العامة للمجتمع يخضعون في ظروف معينة لملاءمة أنفسهم مع تقاليد الكنيسة الأوربية، وعلى سبيل المثال: دوق أوف وندسور وأنتوني إيدن في انجلترا: كلاهما اضطر إلى ترك الوظيفة العامة أو عدم السعي إليها لأن سلوك كل منهما في حياته الزوجية لا يتفق مع ما تراه الكنيسة الأوربية من تقاليد في الزواج.

والجنرال ديجول في فرنسا أقال وزير التربية الاشتراكي في وزارته بعد أن عاد للحكم في المرة الثانية بسبب عدم موافقة الوزير على مساعدة المدارس الدينية في فرنسا من مدارس الجيزويت والفرير بمبلغ ستين مليونا من الجنيهات الاسترلينية في ميزانية 1963 من غير حق التفتيش عليها من قبل وزارة التربية.

ودولة الفاتيكان لم تزل تقوم من جانبها بدور كبير في سياسة البلاد ذات الأغلبية الكاثوليكية عن طريق الأحزاب السياسية التي تسمى بالديموقراطية المسيحية وكذلك في السياسة الدولية العالمية، فالأحزاب الديموقراطية المسيحية هي أجهزة للعمل على رسم الخطة لتنفيذ اتجاه الفاتيكان بالدرجة الأولى وعن طريقها حالت الكنيسة الأوربية دون أن تتطرف العلمانية إلى النوع الثاني الذي يقيم البلشفية دينا بدل المسيحية أو عملت على إسقاطها بعد قيامها [أنظر العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق" للأستاذ الدكتور محمد البهي نشرة مجمع البحوث الإسلامية ص 44 وما بعدها].

وجاك شيراك عندما سعى لمنع المحجبات المسلمات من المدارس العامة بدعوى العلمانية الفرنسية كان حريصا على تمرير الصليب والطاقية حصرا عندما استثنى الرموز ذات الحجم الصغير.

وفي بلد مثل فرنسا لعبت دورا بارزا في تاريخ الفكر العلماني ينص مشروع دستور الاتحاد الاوربي الجديد على أن المسيحية هي الإطار الثقافي الذي يتميز به الاتحاد ويشكل أساس الهوية الأوربية، ومعروف أن الرئيس الفرنسي الأسبق جيسكار ديستان هو الذي أشرف على أو تولى صياغة مشروع هذا الدستور، وكان هو أحد المعترضين على قبول تركيا في الاتحاد الأوروبي لأنها دولة إسلامية سوف تخل بالهوية الاوروبية.. [من مقال أحمد عباس صالح بجريدة الشعب الألكترونية بتاريخ 2003\7\5].

ومن هنا تتبين المغالطة الخبيثة التي تروجها العلمانية في بلادنا: في القول بأن التقدم الأوربي تحقق عن طريق استبعاد الدين أو فصله عن الدولة، وتتبين دلالة الصرخة التي انفلق عنها رأس العلماني الذي عاين مكانة البابا في الولايات المتحدة الأمريكية عندما قال: (هل وقعنا نحن المسلمين ضحية لعبة شديدة الخبث خرجنا

منها بلا صواريخ ولا دين، بل بالفقر والكفر، بينما احتفظ الآخرون بدينهم ووضعوا أعلامهم فوق القمر).

ولا نريد أن نذهب بعيدا فالصلة القائمة هناك بين الدين والدولة لا تعني انفصالا كما لا تعني اندماجا وهي في الوضعية نفسها للصلة بين السلطات المختلفة في كيان الدولة: وهو فصل يتم تحت مظلة الدولة الواحدة ويظهر لنا أن الأمر لا يعدو أن يكون نوعا من الفصل بين السلطات: سلطة التشريع، وسلطة القضاء، وسلطة التنفيذ، وسلطة رجال الدين، مع إعطاء كل سلطة حقها الكامل في التأثير على الحياة الدنيا، وهو نموذج لا يمكن نقله إلينا أيضا لأنه لا سلطة في الدين الإسلامي لما يسمى رجال الدين، ولن الدين الإسلامي لا يسمح بان يكون له مكان دون مكان المشروعية العليا.

وبهذا بينا قوة تداخل المفاهيم الدينية في بنية الدولة في الغرب وخططها السياسية مما يعني انه على العلمانيين في بلادنا أن يراجعوا أنفسهم ويكفوا عن الزعم بان التقدم مرتبط باستبعاد الدين عن تنظيم شئون الحياة الدنيا اللهم إلا إن كانوا بقايا فلول العلمانية الماركسية.

وسنبين في المقال القادم – إن شاء الله – أنه في علاقة الغرب بنا كانت حروبهم معنا دينية، ليس ذلك فحسب في حروبهم التاريخية المتقادمة ضدنا في الحروب الصليبية، أوفي حروبهم ضد المسلمين في الأندلس ولكن في حروبهم ضد المسلمين في عقر دار العصر الحديث عصر التنويروالحداثة!!

كما نبين إن شاء الله نشاط كنائس الغرب في مجال السياسة نشاطا يلقى الاحترام والاعتراف والتقدير من الجماهير والرأي العام وأصحاب النفوذ على السواء.

============

#العلمانية ودليل المسلم لكي يصبح بريطانيا حقيقيا

تستمر الحملة ضد المسلمين بعد أحداث 7/7 ، وقد ألقت الحكومة البريطانية والإعلام اللوم على التطرف المنتشر بين الجالية الإسلامية ، بل وشتم العديد من الصحفيين الإسلام مثل الذى قال إن القرأن يمجد العنف (شارلز مور –الديلي تلغراف 2005/7/9) رغم أن المسلمين نددوا بشدة بهذا الحادث.

وقد بدأ بعض الكتاب بالتصريح بأن فكرة بريطانيا متعددة الثقافات قد فشلت (سايمون هايفر – الديلي ميل 2005/7/18) ويجب الآن أن نجعل بريطانيا ثقافة واحدة ، وحضارة واحدة ، وقد حددت الديلي تلغراف من أشهر الجرائد في بريطانيا وتبيع ما يقارب المليون نسخة يوميا) الأمور التي يجب على المسلمين أن يتقبلوها إذا أرادوا العيش في بريطانيا .

في افتتاحية العدد الصادر يوم 7/14 وبعنوان " أسس القانون في هذا البلد " ذكرت ما يلي : " ليس لدى بريطانيا دستور مكتوب ، ولا يوجد بيعة طاعة ، ولكن توجد قيّم في حضارتنا ونتوقع من كل مواطن (في بريطانيا) أن يتفق مع هذه القيم، وهذه القيّم هى (ترجمة للمعنى المكتوب في المقالة):

1. مصدر القانون هو التشريعات الصادرة من البرلمان ..... وهذا يتعارض مع من يريد تطبيق الشريعة في بريطانيا .

2. السيادة للشعب فهو الذي يختار البرلمان لوضع القوانين ... فالسيادة ليست لله.

3. الولاء يجب أن يكون للشعب البريطاني .... ولا يكون الولاء لطائفة دينية (كالامة الاسلامية) .

4. نؤمن بالدولة العلمانية ..... ومن أكبر المشاكل أن عدد كبير من المسلمين لا يتقبلوا الفصل بين الدين والدولة ، فمحمد صلى الله عليه وسلم كان رسول وقائد سياسي.

وختمت الجريدة الافتتاحية بقولها اننا نعيش في مجتمع يتكون من مؤسسات جعلت ما لقيصر لقيصر وجعلت ما لله لله ... وانه يجب على كل مواطن طاعة هذه المؤسسات.

معنى ذلك أنه ليس فقط مطلوب من المسلمين اتباع قوانين بريطانيا ولكن عليهم أن يعتنقوا عقيدة العلمانية – عقيدة فصل الدين عن الحياة – فلا يكون للاسلام دور في حياتهم الا في الصلاة والعبادة وأن يكون مصدر التشريع البرلمان وليس القرأن والسنة وأن يكون ولاءهم للشعب البريطاني وليس للأمة الإسلامية.

وهذا اعتراف واضح بفشل العلمانية في التعايش مع الحضارات المختلفة . فقد ادعى دعاة العمانية دائما بأن العلمانية هي النظام الذي في ظله تستطيع أن تتعايش جميع

الديانات ، ولكن نفس هؤلاء الدعاة يقولون الآن للمسلمين أن من يريد أن يعيش في دولتنا العلمانية فلابد أن يعتنق قيم العلمانية فلا يكون للدين دور الا في الأمور الروحية ولا أن يكون أسس النظرة إلى قضايا كفلسطين والعراق واستعمار الغرب لبلاد المسلمين . تماما كما قال دعاة العلمانية عندما منعوا الحجاب في فرنسا .

إن العلمانية قد روجت لأكذوبة أنها تستطيع التعيش مع كل الديانات ولكن الواقع أن أي مبدأ عندما يطبق في دولة ونظام فسيضطر معتنقي المبادئ الاخرة الذين يعيشون في ظل هذا المبدأ أن يتركوا تطبيق اجزاء من مبدأهم ويطبقوا قوانين البلد. وهذا ينطبق على العلمانية وينطبق على الاسلام. فقد راينا انه عندما يطالب المسلمون بتطبيق الاسلام فأن الغرب يقف ضد ذلك بحجة أنه توجد اقليات ولا يمكن تطبيق الاسلام عليهم. فحاليا لا توجد دولة إسلامية في العالم ولكن عندما تقام دولة الخلافة إن شاء الله فعلى كل من يحمل التابعية أن يتقيد بقوانين الإسلام لا أن يعتنق الإسلام . فالإسلام سيطبق على العلماني والمسيحي والهندوسي وغيرهم وقد أباح الإسلام لأهل الكتاب أن يمارسوا دينهم في الأحكام المتعلقة بالعبادات والمطعومات والملبوسات ، فمثلا يسمح لهم بشرب الخمر في كنائسهم إذا كان ذلك جزء من عبادتهم، أما في بقية الأمور فيجب عليهم تطبيق أحكام الإسلام .

ولكن هناك فروقات كبيرة بين العلمانية والإسلام في التعامل مع الذين لا يعتنقون نفس المبدأ . فالإسلام لا يطالبهم باعتناق عقيدته كما تطالب العلمانية . يقول الله عزوجل : (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّين)) .

والأمر الثاني أن الإسلام لا يعاقب شعوب أو طوائف دينية بجريرة فئة قليلة ، فقد قتلت أميركا مئات الآلاف في أفغانستان والعراق بسبب احداث 11 سبتمبر، وتقوم الآن الحكومة البريطانية بإرهاب الجالية الإسلامية بتشريع قوانين جديدة مثل قوانين لتأهيل أئمة المساجد وقوانين لمراقبة المدارس الدينية وغيرها من القوانين. بينما يحرم الإسلام هذه النظرة فيقول الله عزوجل (وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا ولا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى).

والدول العلمانية لا تعدل مع الشعوب فقد صارت ضجة في بريطانيا بسبب مقتل أقل من 60 شخصا بينما يموت المئات من المسلمين يوميا ، فدم الغربي غالي ودم

المسلم رخيص وبن لادن إرهابي بينما بوش وبلير ملائكة فلوا كانوا عادلين لتعاملوا مع دماء المسلمين كما يتعاملوا مع دماء الغربيين. وقد رأينا عدل المسلمين في ظل دولة الخلافة وأعمال صلاح الدين أفضل مثال فعندما حرر القدس من الصليببن لم يسفك دما أو يقتل أسيرا في الوقت الذي كان الصليبييون قد سفكوا دماء المسلمين داخل القدس ووصلت الدماء إلى الركب كما نقل المؤرخون . إن هذه هي عظمة الإسلام فهو نظام من الله عزوجل خالق البشر وأن هذه هي العلمانية نظام فاسد من عقول البشر يطبق الان في العالم فجعل البشرية تعيش في شقاء .

المهندس طارق حمدي

===============

#البيان لخطر الأحزاب العلمانية والليبرالية على الدين الأخلاق وشريعة القرآن

بقلم : حامد عبدالله العلي

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

مُقَدِّمَة

الحمدُ لله العليّ الكَبير ، أَشهَدُ أن لاإلهَ إلاّ هُو وَحدَه لاشَريكَ لَهُ الحكيمُ الخبير ، أَنزَلَ القُرآنَ ، وَأمَرَ بالإيمان ، وَجَعَلَ الإسلامَ الدينَ الثابتَ الأَركان ، وَفَرَضَ الدخولَ فِيه كافَّة ، على الكافَّةِ من الإنسِ والجان ، وحَكَم على كُلِّ مَنهَجٍ يُعارِضُه ، أَنَّه ضَربٌ مِن الشِركِ والكُفران ، وتخليطٌ مِنَ الهَذَيان ، واتِّباعٌ للشَيطان ، وَسَبيلٌ إلى الضلالِ والخُسران 0

وأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عليهِ وَعلى آلِه وَصحبِهِ وَسَلّم ، عبدُ الله ورسولُه ، أَرسَلَه بالمحجّة البيضاء ، والملّة السَمحاء ، فَأَتي بأَوضحِ البَراهِين لأَقوَم دين ، وَأَبان مَحَجّةَ السالِكِين ، وَحَكَمَ عَلى كلِّ مَن عَصاه وَخالفَ مَنهَجَهُ أَنَّه مِن الضّالّين الخاسِرين ، وَبَعد :

فإنَّه لَمَّا كَثُر في الآوِنة الأَخيرةِ تَرديدُ كَلِمةِ (اللِيبراليّةِ) عَلى أَلسنِةِ النّاس ، وَعلى صَفحاتِ الصُحُفِ اليَوميّة وَغيرِها مِنَ وَسائِل الإعلام ، بَعدَ أَن نَشَأَت أَحزابٌ في الكُويت تَنتَسِبُ إلى هذِهِ العَقيدةِ الضالَّة ، وَغَدَت تَدعُو إلى مَبادِئِها الهَدّامةِ ، مِثل :

الدعوة إلى ترك الإحتكام إلى الشريعة الإلهيّة بدعوى اللحاق بركب المستقبل0
وإلى السماح بنشر الدعوة إلى الكفر والإلحاد ، بدعوى التسامح والإنفتاح على الثقافات الأُخرى احترام حريّة الرأي والنشر والتعبير0
وإلى الهبوط من سموِّ الأخلاق الإسلامية ، إلى حضيضِ الرذائل البهيميّة ، تحت شعار الحريّة الشخصيّة0
وإلى محاربة الفضيلة وحجاب المرأة والعفاف والشيم الكريمة 0
وإلى الحضّ على اختلاط الرجال بالنساء في كل موقع بصورة مشينة خارجة عن حدود الشريعة وضوابط الحشمة ، تحت ستار اتباع الحياة العصريّة 0
وغدت هذه الأحزاب تحضُّ الناس على اعتناق هذه العقيدة التي تُدعى (الليبراليَّة) ، وماهي سوى تخاريف شيطانيَّة ، ابتدعها فلاسفة من أوربا ، حقيقة أمرهم أنهم زنادقة لايؤمنون برب معبود ، ولابيوم مشهود ، ولايدينون بشريعة إلهيّة يلتزمونها ، ولابرسول يطاع ويتبع ، وإنما غاية مرامهم ، تزين المنكرات ، واتباع الشهوات ، والكفر بخالق الأرض والسموات 0
و أما هذه الأحزاب الضالَّة فغاية مقصدها هدم الشريعة الاسلاميَّة وإلغاؤها بالكليَّة ، أو عزلها من الحياة ، وحصرها في المسجد والعبادات الشخصيَّة ، ولهذا فهي تصف أحكام شريعة الله . تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . بالظلاميّة والرجعيّة ، يصفونها بذلك تارة بالتلويح خوفا من ردود الفعل لدى أهل الغيرة على الدين ، من عامة المجتمع الكويتي ، وتارة بالتصريح ، وذلك عندما يأمنون وينفردون بأمثالهم من الشياطين0
وهدف هذه الأحزاب هو إلحاق الأمة الإسلاميّة ، بمناهج الغرب المتهتِّك الضالِّ الملحد الكافر ، وطمس معالم الأخلاق الإسلاميّة ، وصد الناس عن التمسُّك بتعاليم الكتاب العزيز ، والسنة النبويّة الشريفة ، بدعوى اللّحاق بركب الحضارة المعاصرة ، كأنَّ الحضارة لاتكون إلا بالكفر والإحاد ، أوالتهتك والإنحلال والفساد 0
لماّ كان الأمر كما وصفت آنفا ، رأيت أن أكتب هذه الرسالة الموجزة ، فأبيّن فيها بعبارة قريبة من القاريء العادي ، حقيقة المذهب (الليبراليّ) ، وأنه ليس سوى وجه من وجوه العلمانيّة اللادينيّة الرافضةِ لمنهجِ الله تعالى المتمثِّل في دين الاسلام

،والمستنكفةِ عن اتباعِ رسولِهِ صلَّى الله عليهِ وسلَّم فيما جاء به من الحقّ والهدى المبين0

كما أبيِّن مواطنَ السمِّ الزعافِ في هذا المذهب الخطير ، وأكشف الخطر الماحق الذي يشتمل عليه هذا الفكر ، وأنه الكفر بالله والصد عن دين الإسلام لاشيء سوى ذلك ، واضعاً أمام القاريء ، ماالذي سيؤدي إليه إنجراف المسلمين وراء هذه الأحزاب العلمانيّة 0

وذلك كيما تستبين سبيل المجرمين ، وليأخذ المؤمنون حذرهم كما أمرهم الله تعالى ، وليأخذوا على أيدي المفسدين فيهم ، وليحذروا من اتباع هذه الأحزاب ، وليمنعوا رموز هذه الاحزاب ما استطاعوا من الوصول إلى المواقع التي تمكنهم من تطبيق أفكار حزبهم الخبيثة على المسلمين 0

وليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيى من حيَّ عن بيِّنة ، ولإقامة الحجة ، وبيان المحجَّة ، وليقذف الله بإذنه بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ، ولنصر الدين القويم ، والصراط المستقيم ، تقرباً إلى ربِّ العرش العظيم ، منزل القرآن الحكيم ، والحمد لله رب العالمين0

المؤلف

أولا: بيان معنى العلمانيّة التي هي أمّ الليبراليّة

تعريف العلمانيّة :

العلمانيّة تعرف في البلاد التي نشأت فيها (أوربا) بـ :

ألاّ يكون الإنسان ملزما بتنظيم أفكاره وأعماله وفق معايير مفروضة على أنها شريعة أو إرادة إلهيّة 0

ويطلق على هذا الفكر في اللغة الانجليزية التي هي لغته الأصلية SECULARISM ، وهي تعني (اللاَّدينية) ، غير أنها اشتهرت باسم (العلمانيّة) ، ولعلَّ ذلك كان مقصوداً بغيةَ إلباسها لبوساً يجعلها مقبولة بين المسلمين0

وفي قاموس (أكسفورد) عرفت بما يلي :

(العلمانيَّة مفهوم يرى ضرورة أن تقوم الأخلاق والتعليم على أساس غير ديني) 0

الأركان التي تقوم عليها العلمانية :

العلمانية تقوم على ثلاثة أركان هي :

الركن الاول : قصر الإهتمام الإنساني على الدنيا فقط ، وتأخير منزلة الدين في الحياة ، ليكون من ممارسات الإنسان الشخصيَّة ، فلايصح أن يتدخل في الحياة العامة ، وأما الدار الآخرة فهي لما كانت أمر وراء الطبيعة ، فينبغي .في دين العلمانية .أن يكون مفصولا تماما عن التأثير في الحياة المادية ، وقوانينها المحسوسة 0

الركن الثاني : فصل العلم والأخلاق والفكر والثقافة عن الإلتزام بتعاليم الدين ، أيِّ دين كان 0

الركن الثالث : إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية على أساس غير ديني0

كيف وصلت العلمانيّة إلى العالم الإسلاميّ والكويت :

بيَّنا معنى العلمانية في أصل منشئها ، وقد نقلت كذلك بهذا المعنى إلى بلاد الإسلام ، مع الإستعمار الاوربيّ الذي هيمن على البلاد الإسلاميّة إثر سقوط الدولة العثمانيّة ، وقد تحمّل الدعوة إلى العلمانيّة بعض المثقفين من العرب وغيرهم في بلاد الإسلام ، ودعوا إلى تطبيق نظريّاتها حرفيّا ، كما دعوا إلى تبنِّي نظرة العلمانيّة لدين الإسلام ، كما كانت تنظر للدين النصرانيّ المحرف في أوربا سواء بسواء ، ذلك أن العلمانيّة لاتفرّق بين الأديان في أنه يتحتَّم فصل كلِّ منها عن شئون الحياة العامَّة السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والتشريعيَّة 00الخ 0

وذلك أنَّه ليس في الفكر العلمانيّ تمييز بين الأديان ، فلايفرّق بين دين أصله من إنزال الله تعالى ، وآخر من وضع البشر ، كما لا ترى العلمانيّة أي فرق في الأديان التي أنزلها الله ، فلافرق لديها بين دين محرف وآخر محفوظ ، بل الأديان كلها سواء ، يجب أن تعامل معاملة واحدة ، على أساس الأركان الثلاثة السابقة 0

وقد انتشرت العلمانية في بلادنا الاسلاميّة ، حتى وصلت الجزيرة العربيّة مهد الإسلام ، ومهبط الوحي ، ودخلت الكويت أول ما دخلت مع ابتعاث الطلبة في الخمسينات الميلاديّة للدراسة في الخارج ، فرجع بعضهم مشبَّعا بالأفكار العلمانية ، فتبنَّتها شخصيَّات بارزة ، وأحزاب وصحف ومؤسسات كثيرة 0

العلمانية قد لاتنصب العداء للدين علانية ، بل تكيد له كيدًا خفيًا :

العلمانيّة ليست بالضرورة معادية للدين ، بل إنَّها أحيانا تفضل توظيف الدين والإستفادة منه ، ولكن مع ضرورة حصره في ناحية من نواحي الحياة ، ولهذا قد لاتجد العلمانيّ يطعن في الدين ، بل قد يمدحه ويمجده ، بل قد يقول إنه يجب المحافظة على الدين 0

ولكنك إذا سألته هل أنزل الله تعالى دين الإسلام ليكون هادياً لنا في كل أمور حياتنا ، فلايجوز لنا أن نرفض شيئاً منه ، فإن جوابه لايخرج عن ثلاثة احتمالات :

الاول : أن يفر من الجواب إذا خشي على نفسه من التصريح بمنهجه العلمانيّ خوفا من ردة فعل الناس ، كما يفعل السياسيّون عند خوفهم من خسارة الأصوات الإنتخابيّة0

الثاني : أن يقول بوضوح وصراحة أن الدين يجب أن نعزله عن السياسة والثقافة والفكر ، وعن حياتنا الإجتماعيّة ، كما أنه لايصح أن نجعل الدين هو الحكم على كل شيء في الحياة بالصواب أو الخطأ ، وهنا قد يقول العلمانيّ أن الدين له أن يحكم في أمور الروح ونحوها من الأمور الغيبيّة ، فكأنَّه ينزل الدين منزلة الكهانة 0

وقد يحاول هذا الصنف من العلمانيين أن يكون لطيفا في عبارته : فيقول : إن الدين علاقة بين الإنسان وربه ، ولايعدو أن يكون مسألة شخصية 0

وقد يحاول بعضهم أن يتحذلق قليلا فيقول : نحن لانريد أن نفسد الدين بإدخاله في السياسة أو الخلافات الحزبيّة والثقافيّة والفكريّة ، ويقول في صورة الناصح الأمين : دعوا الدين في المسجد فهناك حيث يُحترم ويُوقَّر ، ولاتلطّخوه بالدنيا الدنيئة ، فالدين للآخرة 0

وهذا القول حقيقته هدم لدين الإسلام وشتم قبيح له ، وطعن خبيث فيه ، لأنه في حقيقته رمي للدين بأنه قاصر لايصلح لتسيير حياة البشر ، وما مَثَل هذا القول الماكر إلاّ كمثل من يشير على ملك من الملوك ، بأن لايُقحم نفسه في التصرف في أمور مملكته بشيء 0

ويقول له في كيد خفي : إن تدخلك يفسد هيبتك وجلالك ، فدع أُمور المملكة لهؤلاء المتصارعين على الدنيا ، وارتفع أنت في عرشك عن نزاعاتهم فهي لاتليق بك ، فكأنه في حقيقة الأمر يقول للملك : تنح وتنازل عن سلطانك وأمرك ونهيك وملكك ،

وكن كالصورة الجامدة التي لاحراك فيها، والتمثال الأصم الأبكم ، وإنما يقول ذلك لكي يُفسَح السبيل فيتسنَّى لغير الملك أن يستحوذ على قوّةِ السلطان الحقيقيّة ، قوة الأمر والنهي والحكم والفصل في شئون المُلك والسلطان ، ثم يصير أمر الملك إمّا إلى أن يكون اسما بلا حقيقة ، أو يسلب منه الملك سلبا تامّا، فلايبقى معه منه اسم ولارسم ، فيهوى إلى مرتبة العبيد والسوقة ، بعد الملك والعز والسلطان0

ومثل هذا الكيد الخبيث يريده هذا الصنف من العلمانيّين بالدين ، عندما يزعمون أنهم عليه مشفقون ، فيطالبون بتنحيته عن مجالات الحياة ، وهذا الأسلوب خطير جدا ، لانهم يلبسون به الحق بالباطل ، ولهذا يستعمله العلمانيّون كثيرا لإضلال الناس والتلبيس عليهم 0

الاحتمال الثالث : أن يقول العلمانيّ : إن الدين كله حق ، والاحتكام إليه واجب ، ولكن أين الذين يطبقونه كما أنزل ، ثم يأخذ بعد ذلك بالطعن في حملة الدين واتهامهم بأنهم يستغلون الدين لمآربهم الشخصية ، ويسميهم (متأسلمون) أو (أهل الإسلام السياسي) أو (المتاجرون بالدين) 00الخ وهويقصد الطعن في الدين نفسه ، ولكن بطريقة ملتوية خبيثة ، لأنه يريد أن يقول : لانستطيع تطبيق دين الإسلام والعمل به في كل شئون الحياة ، لانه لايوثق بأحد يمكنه تطبيقه أبداً ، فإذاً النتيجة واحدة ، وهي أنه لايمكن للناس بحال من الأحوال تحكيم الشريعة الإسلامية في شئون حياتهم !!!

وكأن هذا الصنف من العلمانيين يحاول القول عن دين الإسلام ، إنه دين فاشل غير واقعي ولاعملي ولايمكن تطبيقه أبداً ، فيجب أن ننحي الكلام على تطبيقه جانباً ، إذ لافائدة من تطبيقه في الحياة ، غير أنهم يعدلون عن التصريح بهذا القول الكافر ، إلى عبارات أخرى بطرق ملتوية خبيثة ، وقد تنطلي على السذج من الناس 0

وبهذا يتبين أن العلماني قد لايكون ذلك الشخص الذي يطعن في الدين جهاراً نهاراً ،أو يسب القرآن والسنة والأحكام الشرعية ، أويستهزأ بالشريعة الاسلامية ،وإن كان فيهم من قد تصل به الوقاحة الى هذا الحد ، يقلّون أو يكثرون بحسب قوة الإسلام في المجتمع 0

بل العلمانيّ هو كل من يعتقد أنه غير ملزم باتباع جميع ما جاء عن الرسول صلَّى الله عليه وسلم ، هو كل من يجعل نفسه مخيراً أن يرفض بعض أحكام دين الإسلام ، وهوكلُّ من يعتقد أن الدين ليس شاملا لكل الحياة ، وأن الإنسان يمكنه أن يختار من أحكام الدين ما يشاء ويدع ما يشاء ، متبعاً في ذلك عقله ، ومتخذاً إلهه هواه0
ثمَّ إنَّ هذا البعض من دين الإسلام والذي يرفضه الشخص العلمانيّ ، قد يعتقد أنه لايصلح للحياة المعاصرة ، لزعمه أن العقل يقضي بذلك ، فقد يقول لك . على سبيل المثال . إن المرأة غير ملزمة بالحجاب الشرعي لأنه لايصلح لهذا الزمان ، أو يزعم أن المرأة لها أن تكون قائدة ورئيسة لكل الأمّة ، لأنّ حديث (ما أفلح قوم ولوا أمرهم إمرأة) لم يعد صالحا للعمل به في هذا العصر 0
أو أن الحدود الشرعيّة لاتصلح للتطبيق في هذا الزمان لأنها وحشية لاتليق بالإنسان المتحضّر ، أو لأنّها تحط من كرامة الإنسان ، أو لأنّها تناقض ميثاق حقوق الإنسان العالمي الذي يجّرم قطع السارق أو جلد الزاني ، والقوانين الوضعيّة تصلح لأنها تناسب مستجدات العصر الحديث0
أو يقول إن النظام الاقتصاديّ لايمكن أن يقوم على تحريم الربا لأن ذلك أمر غير واقعي ، أويقول إن تعبير الملحد عن إلحاده والإباحيّ عن أباحيّته بنشر فكره في المجتمع ، هو من قبيل توفير الحريّة ، ولايجوز كبت الحريّات ، وإذا قلت له إن الإسلام يحرّم نشر الإلحاد والإباحيّة ، قال لك : إن العصر قد تغيّر ، والزمان قد تحوّل ، ونحن في عصر الحريّة والعولمة ، وغير ذلك من الهذيان والتخبيط الذي يقصد به محاربة الدين بأساليب ملتوية 0
والعلمانيُّ في كل ما سبق وأمثاله مما يرد به العلمانيُّون بعض أحكام الشريعة ، يزعم أنه ينطلق من عقله أو من اتباع زعماء حزبه الذين يقلدون مفكِّرِي الغرب الملحدين ، وأولئك قوم كفار نصبوا عقولهم آلهة يعبدونها من دون الله ، وذلك عندما اتخذوها أربابا تُشرّع لهم0

ذلك أنَّ العقل هو الحاكم عند العلمانيين على أحكام الشريعة الإسلامية ، وعلى هدى القرآن والسنة ، وليست الشريعة الإسلامية عندهم هي التي توجّه وترشد وتهدي العقل

الإنسانيّ ، بل وظيفة العقل عند العلمانيين هي الإعتراض على أحكام الله تعالى كلّما جاءت معارضة لعقولهم الضالّة التائهة ، وعمل العقل عندهم هو استبدال شريعة القرآن ، بأحكام أوأفكار أوقوانين أو مباديء توافق عقولهم 0

فهم إذن يعبدون عقولهم وأهواءهم كما قال تعالى (أَرأَيت من اتخذ إلهه هواه ، أَفأَنت تكون عليه وكيلاً ، أَم تَحسب أنّ أَكثرَهُم يسمعُون أو يعقلُون إن هُم إلاّ كالأَنعام بل هُم أَضلُّ سبيلاً) الفرقان 43 ، 44

وقال سبحانه (ومَن أَضلُّ ممَّن اتَّبعَ هواهُ بغيرِ هدى مِنَ الله) القصص 50

وقال سبحانه (وأنِ احكُم بينهَم بما أنزلَ اللهُ ولاتتَّبِع أهواءَهم واحذرهُم أن يفتِنوكَ عن بعضِ ما أنزَلَ اللهُ إليك) المائدة 49 0

إلى آخر الآيات التي تذم اتباع الهوى ، وتحذر من معارضة الدين المنزل والشريعة المطهرة بالأهواء ، ذلك أن الإنسان لايستغني عن هداية الله تعالى له ، كما قال الله تعالى في الحديث القدسيّ (يا عبادي كلُّكُم ضالٌ إلاّ من هديتُه ، فاستهدوني أهدكم) ، ومن ظنَّ أنه يستغني عن اتباع هدى الله تعالى بعقله ، فيرد أحكام الله تعالى اتباعا لهواه ، فهو كافر بالله تعالى ، كما قال سبحانه (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة 44 0

ثانيا بيانِ كفرِ من رفض حكم الله تعالى

واعتقد أنه غير ملزم باتباع كلِّ ما جاء به الرسول

صلى الله عليه وسلم

أقسام الناس بالنسبة إلى موقفهم من الشريعة الاسلاميّة :

ينقسم الناس بالنسبة إلى موقفهم من أحكام الشريعة الإسلامية الى أربعة أقسام :

القسم الأوّل: يقبلونها ويعتقدون أنها كلها حق ، كما قال تعالى (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رِبِّنا) آل عمران 3، ويعملون بها قدر استطاعتهم ، وهم مع ذلك إن عَصَوا وخالفوا ما أمر الله تعالى به ، استغفروا وتابوا ، كما قال تعالى (والذينَ إذا فَعلوا فاحشةً أو ظَلَموا أنفَسَهُم ذكرُوا اللهَ فاستغفروا لذنوبِهمِ ومَن يغفرُ الذنوبَ إلاّ اللهُ ولم يُصِرُّوا على ما فعلوا وهُم يَعلُمون) آل عمران 135، فهؤلاء هم المسلمون المؤمنون المستقيمون على طاعة الله تعالى ، ومنهم المقتصد الذي يأتي بالواجبات وينتهي عن

المحرمات ،ومنهم السابق بالخيرات الذي يزيد في الطاعات والحسنات من النوافل والمستحبات 0

القسم الثاني : وهم الذين يقبلون جميع أحكام الله تعالى وماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعتقدون أنها كلها حق من عند الله تعالى ، ولايعترضون على شيء منها ، ولايقولون نؤمن ببعض ونرفض بعضا بعقولنا وأهواءنا ، ولكنهم مع ذلك تغلبهم الشهوات فيقعون في الذنوب والمعاصي والآثام وهم يعلمون أنَّ ما فعلوه مخالف لأحكام الله تعالى ، ويقرون بأنهم عاصون مذنبون ، ولكنَّهم يسوِّفون التوبة ويؤخِّرونها بتزيين الشيطان وطول الأمل 0

فهؤلاء عصاة فساق قد ظلموا أنفسهم ، لكنَّهم مسلمون لأنَّهم يؤمنون بالدين كلِّه ، ولايرفضون شيئا منه ، لاظاهراً ولاباطناً ، غير أنهم ناقصوا الإيمان ، وحكمهم أنَّ أمرهم إلى الله تعالى إن ماتوا على المعاصي ولم يتوبوا منها قبل الموت ، فيحكم الله فيهم يوم القيامة ، إن شاء غفر لهم ،وان شاء عذبهم ، وإن عذبَّهم فمآلهم بعد العذاب إلى الجنَّة ماداموا موحِّدين من أهل الصلاة ، مالم تهوي بهم كبائر الذنوب إلى حضيض الشرك والكفر قبل الموت ، لأن الكبائر .كما قال العلماء . هي دهليز الكفر ، وأهل الكبائر على خطر عظيم ، ومن ذلك أن يُران على قلوبهم مع كثرة الذنوب ، فيسهل عليهم الكفر بالله تعالى ، فيصيرون إليه قبل الموت ، خذلاناً من الله تعالى ، عياذا بالله من سوء الخاتمة0

القسم الثالث : وهم الذين يرفضون أحكام الله تعالى كلها ، ويعتقدون أن الأديان ليست سوى اجتهادات بشريِّة لمصلحين اجتماعيين أو مفكرين سياسيين ، ولايوجد وحي من الله تعالى منزل على الرسل عليهم السلام ، وقد يعتقد بعض هؤلاء أن الله تعالى خلق الكون والإنسان ، ولكنَّه تركه ليهدي نفسه بنفسه ، لأنَّه ركَّب فيه العقل وتركه ينير للإنسان طريق الهداية ، وهؤلاء هم الكفّار الذين لايؤمنون بما أنزل الله تعالى ، والذين قال الله تعالى عنهم (وقال الذين كفرُوا لاتَسمَعُوا لهذا القرآنِ والغوا فيهِ لعلَّكُم تَغلِبُون) فصلت 26 0

القسم الرابع : وهم الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، ويجعلون الدين أجزاء بحسب أهواءهم ، ويقولون نؤمن بما يوافق أهواءنا منه ، ونرفض ما سواه ،

أونعرض ذلك على التصويت حسب عدد الأصوات ، فما قبله أكثر الناس بناء على قناعاتهم العقليّةِ التزمناه وجعلناه قانوناً حاكماً على العباد لاحاكم سواه ، وعاقبنا من يخالفه ، ومارفضه التصويت والعقل تركناه وأهملناه ، ولايهمُّنا أن الله تعالى أنزله وفرضه ، فالعقل والتصويت هما الحاكمان علىالدين ، وهما الإله المعبود لديهم ، وهما الكتاب المنزَّل المتَّبع عندهم ، وهما المنهج الهادي ، بدل كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد صدق عليهم قول الحق سبحانه (أَلَم تَرَ إِلى الذينَ بَدَّلوُا نعمةَ اللهِ كُفراً وَأَحَلُّوا قَومَهُم دارَ البَوار ، جَهَنَّمَ يَصلَونَها وبِئسَ القَرار) سورة إبراهيم 28

ولاريب أن التشريعات المناقضة لشريعة الله تعالى ، ليست سوى أنداد تضل عن شريعة الله التي هي سبيله وصراطه المستقيم الذي وضعه نورا وهدى للناس ، ويصدق عليها قوله تعالى(وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قد تمتعوا فإن مصيركم إلى النار)سورة ابراهيم29

حكم العلمانيين الذين يؤمنون ببعض الدين ويكفرون ببعض :

من المعلوم أن الدين كلٌّ ، لايقبل أن يتجزأ من جهة القبول به والإ ذعان له ، وأن من رفض حكما من أحكام الله تعالى ، وكفر به واعتقد أنه لايصلح لهذا الزمان ، وأن تطبيقه يجب أن يعرض على العقل ، أو على التصويت ، فان وافق ذلك أحكام الله تعالى كان بها ونعمت ، وان لم يوافق تركنا ما أنزل الله تعالى وراء ظهورنا ، واتبعنا عقولنا ونتيجة التصويت ، من زعم ذلك فهو كافر مشرك بالله تعالى 0

كما قال تعالى في كتابه العزيز عن الذين آتاهم الكتاب من اليهود ثم لما جاءهم الحقُّ ، آمنوا ببعضِ الكتابِ ، وكفرُوا ببعضِهِ الآخر 0

قال سبحانه (أفتؤمنون ببعضِ الكتابِ وتكفرونَ ببعض ، فماجزاءُ من يفعلُ ذلكَ منكُم إلاّ خزيٌ في الحياةِ الدُنيا ، ويومَ القيامةِ يردُّونَ إلى أشدِّ العذابِ ومالله بغافلٍ عمَّا يَعملُون) البقرة 85

ونسوق فيما يلي الآيات القرآنية الدالة على كفر من لم يعتقد وجوب التحاكم إلى شريعة الله تعالى في كل صغير وكبير ، ومن آمن ببعض أحكام الله تعالى دون بعض 0

1ـ قال سبحانه (ويقولون نُؤمنُ ببعضٍ ونكفُرُ ببعضٍ وَيُريدُونَ أن يَتَّخِذوُا بيَنَ ذلكَ سبيلاً ،أُولئكَ هُمُ الكافِرونَ حقاً وأَعتَدنا للكافرينَ عذاباً أليماً) النساء 150، 151

2. وقال سبحانه (ياأَيُّها الذينَ أُوتُوا الكتابَ آمِنوُا بما نزَّلنا مصدِّقاً لما معكُم مِن قَبلِ أَن نَطمِسَ وُجوهاً فَنَرُدَّها على أدبارِها أَو نَلعَنَهُم كما لعنَّا أصحابَ السبتِ وكان أمرُ اللهِ مفعولاً) النساء 47

3ـ وقال سبحانه (ألم ترَ إلى الذينَ أُوتوُا نصيباً منَ الكتابِ يؤمنونَ بالجبتِ والطاغوتِ ويقولونَ للذينَ كفروُا هؤلاءِ أَهدى منَ الذينَ آمنوُا سبيلاً ، أولئِكَ الذينَ لعنهُم اللهُ ومن يَلعن اللهُ فلن تَجدَ لهُ نصيراً) النساء 52،51

وسنتوقف قليلاً عند تفسير هذه الآية :

يقول الله تعالى إنّ الذين أتاهم الكتاب من اليهود ، لماجاءهم محمّد صلّى اللهُ عليه وسلّم بالبيّنات والهُدى ، فضلوا الإيمان بالجبت والطاغوت ، والطاغوت اسم لكل مايعبد من دون الله ، وكذلك هم اسم لكل ما يطاع أو يتبع من دون الله تعالى فيما يخالف حكمَ اللهِ تعالى ، فكلّ منهج يخالف منهج الله تعالى ، فهو طاغوت ، وهؤلاء اليهود فضَّلوا الإيمان بالجبت و الطاغوت على الإيمان بما أنزل الله تعالى ، كما فضل العلمانيُّون الإيمان بأهواءهم وعقولهم على الإيمان بما أنزل الله تعالى ، فجعلوا الدين أجزاء على وفق أهواءهم ، فكفروا ببعض وآمنوا ببعض ، فكفروا . على سبيل المثال . بالحدود الشرعية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحريم الربا ، وفرض الحجاب على النساء ، وغيرها من أحكام الدين ، وزعموا أنهم مؤمنون ، لكنَّ الله تعالى كذَّبهم 0

ثم أخبر سبحانه في هذه الآية أنهم يعتقدون أن منهج الذين كفروا أهدى من منهج المؤمنين ، كما قال تعالى (ويقولُونَ للّذينَ كفروُا هؤلاءِ أَهدى مِنَ الذينَ آمنوا سبيلاً) ، وكذلك العلمانيُّون يعتقدونَ أنّ المنهج العلمانيُّ والليبراليُّ ، أهدى مما أنزل الله تعالى ، ولولا ذلك ما اتبعوه معرضين عن أحكام الله تعالى 0

4ـ وقال سبحانه (قل آمنّا باللهِ وماأُنزِلَ عَلَينا وما أُنزِلَ على إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباط وما أُوتِيَ مؤسى وعِيسى والنبيُّون مِن رَبِّهِم لانفرِّقُ بيَن أَحَدٍ مِنهُمُ ونَحنُ لَهُ مُسلِمُون ، ومَن يَبتغِ غيَر الإسلامِ ديناً فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وهُوَ في

الآخرةِ مِن الخاسِرين) آل عمران 85، فالإسلام هو الإيمان بكلِّ ما أنزلَ اللهُ تعالى ، واتِّباع كلِّ أحكامِ الله تعالى 0

5. وقال تعالى (يا أيُّها الذينَ آمنوُا ادخلُوا في السِّلمِ كافَّةً ولاتتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَيطانِ إنَّه لَكُم عدُوُ مُبِين) البقرة 208 ومعنى السِّلم في هذه الآية هو الإسلام ، أي ادخُلُوا في جميع الإسلام ، وآمنوا بجميع أحكامه ، لا كالذين يؤمنون ببعض ، ويكفرون ببعض 0

6. وقال تعالى (وأَنِ احكُم بينَهُم بما أَنزَلَ اللهُ ولاتتَّبِع أهواءَهم واحذَرهُم أن يَفتِنُوكَ عَن بعضِ ما أَنزَلَ اللهُ إليكَ ، فإن تَولَّوا فاعلَم أَنَّما يُريدُ اللهُ أَن يُصيبَهُم ببعضِ ذنوبِهِم وإنَّ كثيراً مِنَ النّاسِ لفاسقُون ، أَفَحُكمَ الجاهليّةِ يَبغُونَ ومَن أَحسَنُ مِنَ اللهِ حُكماً لِقَومٍ يُوقِنوُن) المائدة 49، 50

وحكم الجاهلية هو جعل الايمان بما أنزل الله تعالى تبعا للأهواء ، لأنّهم يريدون الايمان ببعض ما جاء به محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ، والكفر ببعضه الآخر ، وقالوا له نؤمن بما جئت به سنة ، ونؤمن بما نحن عليه من أمر الجاهلية سنة ، ولهذا حذَّر الله نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يتنازل عن أي شيء مما أنزل الله تعالى ، قال تعالى (واحذرهم أَن يَفتِنوُكَ عَن بَعضِ ماأَنزَلَ اللهُ إليك)0

7. وقال تعالى (ومَن لم يَحكُم بما أَنزلَ اللهُ فأُولئِك هُمُ الكافرون) المائدة 44، وقال تعالى (ومَن لَم يَحكُم بما أَنزلَ اللهُ فأُولئِك هُمُ الظالِموُن) المائدة 45، وقال تعالى(وَمَن لَم يَحكُم بما أَنزَلَ اللهُ فأُولئِك هُمُ الفاسقُون) المائدة 47

ومقتضى هذه الآيات من تسمية الحاكم بغير ما أنزل الله تعالى كافرا وظالما وفاسقا ، يصدُقُ على القليلِ والكثيرِ مِنَ الحُكمِ بغيرِ ما أَنزَلَ الله تعالى ، كما يصدق على الجزء والكلّ ، فكلّ من أعرض عن شيء من أحكام الله تعالى ، معتقداً أنَّه لايجب عليه التزام الحكم بها فهو كافر ، ظالم ، فاسق ، وقد أجمع المسلمون على هذا 0

8. وقال سبحانه (كَذلكَ نَقصُّ عَليكَ مِن أَنباءِ ما قَد سَبَق ، وَقَد آتينَاكَ مِن لدُنّا ذكراً مَن أَعرَضَ عَنهُ فإنّهُ يَحمِلُ يَومَ القِيامَةِ وِزراً ، خالدِينَ فيهِ وساءَ لَهُم يَومَ القيامَةِ حِملاً) طه 99-101 ، والذِّكرُ هُوَ ما أنزَلَ الله تعالى ، وهو القرآن العظيم ، وما يشتمل عليه من أحكام ، فمن أعرض عنه ، أوعن بعضه مفضلا مناهج كفرة الغرب أو

الشرق ، فإنّه يأتي يوم القيامة حاملاً وزراً عظيماً ، وهو وزر الكفر الذي يخلد صاحبه في النار عياذا بالله 0

9. وقال سبحانه (وَمَن أعرضَ عن ذِكرِي فإِنَّ لَهُ معيشةً ضَنكا ، ونَحشُرُه يَومَ القِيامَةِ أَعمى ، قال رَبِّ لمَ حَشَرتَني أَعمى وَقَد كُنتُ بَصِيرا ، قال كذلكَ أَتَتكَ آياتنا فَنسيتَها وكَذلكَ اليومَ تُنسى ،وَكَذلكَ نَجزي مَن أَسرَفَ ولَم يُؤمِن بآياتِ ربِّهِ ولعذابُ الآخرةِ أَشدُّ وأَبقى) طه 124. 127 ، والعلمانيُّون أعرضوُا عن اتباع الذكر وهو القرآن ، وأتتهم آيات الله فنسوها ،فكان لهم بذلك الشقاء في الدنيا ، ذلك أنهم لم يفلحوا في شيء من شئونهم ، وتخبطوا في كل أمورهم ، فأفسدوا على الناس معايشهم الدنيوية ، فانتشرت بسبب مبادئهم الضالّة ، واعراضهم عن أحكام الله تعالى التي أنزلها رحمة ونوراً وهدى الناس ، انتشرت الجرائم والمخدرات والدعارة وألوان الفساد ، وخرَّبوا الإقتصاد باتّباعهم النظام الربويّ معرضين عن أحكام الله تعالى ، وأفسدوا المرأة وأهانوها وحوَّلوها إلى سلعةٍ تُباع وتُشترى ، وقذفوا بها في كل موضع تنتهك فيه كرامتها وهم يزعمون تحريرها ، وامتلأت بسببهم حياة الناس شقاءً وضنكاً وفساداً في البلاد الغنيّة ، وتمثل ذلك في اختلال الأمن وشيوع الفواحش والأمراض الجنسية والنفسية والجريمة المنظمّة وشعور الناس بالضياع والخوف ، كما امتلأت الحياة فقراً وجوعاً وظلماً في البلاد الفقيرة ، وضجّت الأرض والبلاد والعباد مما يفعلونه في العالم من الخراب 0

ومما يدل أيضا على كفر من يرد شيئا مما أنزل الله تعالى كلَّه أوبعضه معرضاً عنه مفضلاً عليه سواه :

10. قول الحق تعالى (أَلم تَرَ إِلى الذينَ يَزعُمُونَ أَنَّهم آمنوُا بما أُنزِلَ إليكَ وما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتحاكَمُوا إلى الطاغوُتِ ، وَقَد أُمِرُوا أَن يَكفُروُا بِهِ وَيُرِيدُ الشَيطانُ أَن يُضلَّهُم ضلالاً بَعيداً ، وإِذا قِيلَ لَهُم تَعالَوا إلى ما أَنزَلَ اللهُ وإلى الرسولِ رَأَيتَ المنافِقِينَ يَصدُّونَ عَنكَ صُدوداً) النساء 60، 61

والطاغوت اسم عامٌ يشمل كل معبود أو مطاع أو متَّبع ينصبه الناس حكماً لهم من دون الله ، ويجعلون كلامه هو القول الفصل الذي يحكم بينهم ، بديلا عن شريعة الله ، وهو كل مناهج يناقض منهج الله ، فكلُّ مَن يَتحاكَم إلى عقلِهِ ، أو إلى منهجٍ

بشريّ يخالف منهج الإسلام ، أو إلى شريعةٍ وضعيّةٍ ، معرضاً عن شريعة الله تعالى ، نابذاً وراء ظهره أحكام الله تعالى في قليلٍ أو كثيرٍ ، فهو مؤمن بالطاغوت كافر بالله تعالى 0

وكل من يقال له : هَلمَّ إلى ما أنزلَ اللهُ تَعالى ، وإلى ما جاء به الرسول صلَّى اللهُ عليه وسلَّم من الهدى والحق والنور المبين ، فصدَّ عن ذلك راغباً عنه ، واتبَّع غيرَ ما أَنزلَ اللهُ تَعالى ، فَهُو من المنافقين الذين قال الله فيهم (إنَّ المنافِقينَ في الدَركِ الأسفَلِ مِنَ النّار وَلَن تَجِدَ لَهُم نَصيراً) النساء 145

والمنافقون هم الذين وصفهم الله تعالى بقوله (مُذَبذَبينَ بَينَ ذلكَ لا إلى هؤُلاءِ ولا إلى هؤُلاء) النساء 143 أي أنَّهم متحيرون ، فلاهم الذين يتبعون ما أنزل الله تعالى ، ولاهم الذين يثبتون على غيره أيضا ، فتارة يؤمنون بالشيوعيّة ، وتارة بالاشتراكيّة ، وتارة بالبعثيّة ، وتارة بالقوميّة ، وتارة بالليبراليّة ، وتارة بالماركسيّة ، وتارة بالقوانين الوضعيّة ، وتارة ببعض أحكام الشريعة الاسلاميّة وفق أهواءِهم ، فَهُم مُذَبذَبون دائماً ، كما قال تعالى (بَل كَذَّبوُا بالحَقِ لماَّ جاءَهُم فَهُم في أَمرٍ مريجٍ) ق 5، أي أن كلَّ مُكَذِّبٍ بالحقِ يُصبحُ في حالٍ مُضطَرب غايةَ الإضطِراب 0

11ـ وقال سبحانه (كان النّاسُ أمَّةً واحدةً فَبَعَثَ اللهُ النبيّينَ مُبَشّرينَ وَمُنذِرينَ وَأنزَلَ مَعَهُم الكِتابَ بالحقِ لِيَحكُمَ بَينَ النّاسِ فِيما اختَلفُوا فِيه) البقرة 213 فبيَّن أنَّه أنزَلَ الشريعةَ لِكَي تَكونَ حاكمة بين العباد في كل صغير وكبير من شئون حياتهم ، وفي كل ما يختلفون فيه 0

12. وقال سبحانه (فلاوَرَبِّكَ لايُؤمِنُونَ حَتّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لايَجِدُوا في أَنفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسليماً) النساء 65، فكل من وجد في نفسه حرجا من شيء مما أنزل الله تعالى ، فقد أقسم الله تعالى بنفسه العليَّة أنه لايكون مؤمنا 0

13ـ وقال سبحانه (ثُمَّ جَعَلنَاكَ عَلى شَريعةٍ مِنَ الأَمرِ فاتَّبِعها ولاتَتبِّع أَهواءَ الذِينَ لايَعلَمُونَ ، إنَّهُم لَن يُغنُوا عَنكَ مِنَ اللهِ شَيئاً وإنَّ الظالِمينَ بَعضُهُم أَولِياءُ بَعض واللهُ ولِيُّ المُتَّقِين ، هذا بَصائِرُ للنّاسِ وَهُدى وَرَحمَةٌ لِقَومٍ يُوقِنُون) الجاثية 18ـ 20
والعلمانيون هم الذين يتبعون أهواء الذين لايعلمون من كفرة ملاحدة أوربّا الضالّين 0

وقد أمر الله تعالى نبيّه الكريم في هذه الآية الكريمة أن يستقيم على الشريعة ، ونهاه أن يتبع أهواء الجاهلين ، وبين أنه أنزل هذا القرآن المشتمل على الشريعة التامة ، فهي البصائر والهدى والرحمة ، وغيرها الضلال والحيرة والجهل 0

فهذه أربع عشرة آية في الكتاب العزيز ، ونظائرها أكثر من أن تحصر في هذا الموضع ، وكلها دالة دلالة قطعية على أن من علم حكم الله تعالى ، ثم رفض أن يلتزمه معتقدا أنه يسعه ذلك فهو كافر بالله تعالى ، ولاينفعه زعمه أنه مؤمن بروح الشريعة أو جوهر الدين كما يقول العلمانيون والليبراليون 0

هذا ولم يقرِّر القرآن أصلاً بعد توحيد الألوهية كما قرر هذا الأصل العظيم ، وهو وجوب الاحتكام إلى الشريعة الإلهية ، وطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به ، مما يُؤذن بخطر التهاون في هذا الشأن العظيم ، كيف وقد قرر القرآن أن الإعراض عن الشريعة واتباع غيرها عبادة للطاغوت ، كما تقدم في آية سورة النساء ، ورحم الله العلامة ابن القيم اذ يقول (فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لايعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تدبرتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم من عبادة الله إلى عبادة الطاغوت) إعلام الموقعين (50/1)

ثالثا

بيان معنى الليبراليَّة

وأنها ليست سوى وجه من وجوه شجرة العلمانيَّة الخبيثة

الليبراليَّة هي وجه آخر من وجوه العلمانيِّة ، وهي تعني في الأصل الحريِّة ، غير أن معتنقوها يقصدون بها أن يكون الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء ويقول ما يشاء ويعتقد ما يشاء ويحكم بما يشاء ، فالإنسان عند الليبراليين إله نفسه ، وعابد هواه ، غير محكوم بشريعة من الله تعالى ، ولا مأمور من خالقه باتباع منهج إلهيّ ينظم حياته كلها، كما قال تعالى (قُل إنَّ صَلاتي ونُسُكِي وَمَحيايَ وَمَماتي للهِ رَبَّ العالَمِينَ ، لاشَريكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرتُ وَأَنا أَوَّلُ المِسلِمين) الانعام 162، 163 ، وكما

قال تعالى (ثمَُّ جَعَلنَاكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمرِ فَاتَّبِعها وَلاتتَّبِع أَهواءَ الذِينَ لايَعلَمُون) الجاثية 18

وكما قال تعالى (وأن احكُم بَينهُم بِما أَنزَلَ الله ولاتَتَّبِع أَهواءَهُم) المائدة 49 ، وغيرها من الآيات الكثيرة 0

ولهذا فإن الليبراليَّة لاتُعطيك إجابات حاسمة على الأسئلة التالية مثلا : هل الله موجود ؟ هل هناك حياة بعد الموت أم لا ؟ وهل هناك أنبياء أم لا ؟ وكيف نعبد الله كما يريد منّا أن نعبده ؟ وما هو الهدف من الحياة ؟ وهل النظام الإسلاميُّ حق أم لا ؟ وهل الربا حرام أم حلال ؟ وهل القمار حلال أم حرام ؟ وهل نسمح بالخمر أم نمنعها ، وهل للمرأة أن تتبرج أم تتحجب ، وهل تساوي الرجل في كل شيء أم تختلف معه في بعض الأمور ، وهل الزنى جريمة أم علاقة شخصية وإشباع لغريزة طبيعية إذا وقعت برضا الطرفين ، وهل القرآن حق أم يشتمل على حق وباطل ، أم كله باطل ، أم كله من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم ولايصلح لهذا الزمان ، وهل سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وحي من الله تعالى فيجب أتباعه فيما يأمر به ، أم مشكوك فيها ، وهل الرسول صلى الله عليه وسلم رسول من الله تعالى أم مصلح اجتماعي ، وما هي القيم التي تحكم المجتمع ؟ هل هي تعاليم الاسلام أم الحرية المطلقة من كل قيد ، أم حرية مقيدة بقيود من ثقافات غربية أو شرقية ، وماهو نظام العقوبات الذي يكفل الأمن في المجتمع ، هل الحدود الشرعية أم القوانين الجنائية الوضعية ، وهل الإجهاض مسموح أم ممنوع ، وهل الشذوذ الجنسي حق أم باطل ، وهل نسمح بحرية نشر أي شيء أم نمنع نشر الإلحاد والإباحية ، وهل نسمح بالبرامج الجنسية في قنوات الإعلام أم نمنعه ، وهل نعلم الناس القرآن في المدارس على أنه منهج لحياتهم كلها ، أم هو كتاب روحي لاعلاقة له بالحياة ؟؟؟؟

فالليبراليّة ليس عندها جواب تعطيه للناس على هذه الأسئلة ، ومبدؤها العام هو : دعوا الناس كلٌّ إله لنفسه ومعبود لهواه ، فهم أحرار في الإجابة على هذه الأسئلة كما يشتهون ويشاؤون ، ولن يحاسبهم رب على شيء في الدنيا ، وليس بعد الموت شيء ، لاحساب ولا ثواب ولاعقاب 0

وأما ما يجب أن يسود المجتمع من القوانين والأحكام ، فليس هناك سبيل إلا التصويت الديمقراطي ، وبه وحده تعرف القوانين التي تحكم الحياة العامة ، وهو شريعة الناس لاشريعة لهم سواها ، وذلك بجمع أصوات ممثلي الشعب ، فمتى وقعت الأصوات أكثر وجب الحكم بالنتيجة سواء وافقت حكم الله وخالفته 0

ولايقيم الليبراليون أي وزن لشريعة الله تعالى ، إذا ناقض التصويت الديمقراطي أحكامها المحكمة المنزلة من الله تعالى ، ولايبالون أن يضربوا بأحكامها عرض الحائط ، حتى لو كان الحكم النهائي الناتج من التصويت هو عدم تجريم الزنا إلا إذا وقع بإكراه ، أوعدم تجريم شرب الخمر ، أوكان تحليلاً للربا ، أوكان السماح بتبرج النساء ، أو التعري والشذوذ الجنسي والإجهاض ، أونشر الإلحاد تحت ذريعة حرية الرأي ، 00الخ 0

وكل شيء في المذهب الليبراليّ متغيّر ، وقابل للجدل والأخذ والردّ حتى أحكام القرآن المحكمة القطعيّة ، وإذا تغيَّرت أصوات الاغلبيَّة تغيَّرت الأحكام والقيم ، وتبدلت الثوابت بأخرى جديدة ، وهكذا دواليك ، لايوجد حق مطلق في الحياة ، وكل شيء متغير ، ولايوجد حقيقة مطلقة سوى التغيُّر 0

فإذن إله الليبراليّة الحاكم على كل شيء بالصواب أو الخطأ ، حرية الإنسان وهواه وعقله وفكره ، وحكم الأغلبيّة من الأصوات هو القول الفصل في كل شئون حياة الناس العامة ، سواءٌ عندهم عارض الشريعة الإلهيّة ووافقها ، وليس لأحد أن يتقدَّم بين يدي هذا الحكم بشيء ، ولايعقِّب عليه إلا بمثله فقط 0

غير أن العجب كلَّ العجب أنَّه لو صار حكمُ الأغلبيّة هو الدين ، واختار عامة الشعب الحكم بالإسلام ، واتباع منهج الله تعالى ، والسير على أحكامه العادلة الشاملة الهادية إلى كل خير ، فإن الليبراليّة هنا تنزعج انزعاجاً شديداً ، وتشن على هذا الاختيار الشعبي حرباً شعواء ، وتندِّدُ بالشعب وتزدري اختياره إذا اختار الإسلام ، وتطالب بنقض هذا الاختيار وتسميه إرهاباً وتطرفاً وتخلفاً وظلاميّة ورجعيّة 00الخ

كما قال تعالى (وإذا ذُكِر اللهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قلوبُ الذين لايُؤمِنُونَ بِالآخرةِ وَإذا ذُكِرَ الذينَ مِنَ دونِهِ إذا هُم يَستَبشِرُون) الزمر 45 0

فإذا ذُكر منهج الله تعالى ، وأراد الناس شريعته اشمأزت قلوب الليبراليين ، وإذا ذُكِر أيُّ منهجٍ آخر ، أو شريعة أخرى ، أو قانون آخر ، إذا هم يستبشرون به ، ويرحِّبون به أيَّما ترحيب ، ولايتردَّدون في تأْيِيده 0

فإذن الليبراليّة ماهي إلاّ وجه آخر للعلمانيّة التي بنيت أركانها على الإعراض عن شريعة الله تعالى ، والكفر بما أنزل الله تعالى ، والصد عن سبيله ، ومحاربة المصلحين ، وتشجيع المنكرات الأخلاقيّة ، والضلالات الفكريّة ، تحت ذريعة الحريّة الزائفة ، والتي هي في حقيقتها طاعة للشيطان وعبودية له0

هذا وقد يتبيّن لكل ذي بصيرة ، أنَّهم عندما يدعون الناس إلى مخالفة الشريعة الإلهيّة ، زاعمين أنهم يمنحونهم الحرية ، أنها خديعة وفخ يصيدون به المغفلين من ضعاف العقول ، وبغيتهم أن يخرجوا الناس من عبادة الله تعالى وحده باتباع صراطه المستقيم ، إلى عبادة مفكِّريهم ومنظِّريهم ، وإلى إتِّباع أهواءِهم والسيرِ على مناهجهم الضالَّة ، وعندما يقولون للشعب أنت حرٌّ في أن تفعل ما تشاء ، فكأنهم يقولون له كن أسيراً وعبداً لشهواتك وهواك ، ولنزغ الشيطان ، ذلك أن دأب الشيطان أن يزين للإنسان فعل السوء والفحشاء ، ويوسوس له بالشر والضلال فيطيعه ويتبعه ، وهو يظنُّ أنه حرٌّ في تصرفاته ، بينما هو متبع مستعبد للشيطان من حيث لايشعر ، كما قال تعالى (وزيَّنَ لَهُم الشَيطانُ أَعمالَهُم فَصَدَّهُم عَن السَّبِيل) العنكبوت 38وقال سبحانه أيضا (وَلَقَد صَدَّقَ عَلَيهِم إبلِيسُ ظَنَّهُ فاتَّبَعُوه إلاَّ فَريقاً مِنَ المؤمِنِين) سبأ 20 وقال سبحانه (وَمَن يَعشُ عَن ذِكرِ الرَّحمَن نُقَيِّض لَهُ شَيطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِين) الزخرف 36 ومعنى يعش عن ذكر الرحمن ، أي يَعمى عن اتباع ما أنزل الله تعالى 0

فالليبراليّة إذاً إنما تقول للناس دعوا عبادة الله تعالى واتباع شريعته ، إلى طاعة وعبادة الهوى والشيطان ، فهي تدعو إلى الشرك والكفر وفعل الفحشاء والمنكر 0

وهي عندما تزعم أنَّه لايوجد حقٌّ مطلق إلا الحريَّة والتغيُّر ، فإنها تكفر بثوابت القرآن والسنة ، وبأحكام الشريعة المحكمة التي أنزلها الله تعالى لتكون نبراساً لهداية الناس إلى يوم القيامة ، وما الشريعة إلا الحق المبين الراسخ الذي لايتغيَّر ولايتبدَّل مهما تغيَّر الزمان والمكان 0

كما قال تعالى واصفاً نفسه العليَّة (أَفَمَن يَهدِي إلى الحَقِ أَحَقُّ أَن يُتَّبع أَمَّن لايَهِدِّي إلاَّ أَن يُهدى فَما لَكُم كَيفَ تَحكُمُون) يونس 35 وقال سبحانه (فَذلِكُم اللهُ رَبُّكُم الحَقَّ فَماذا بَعدَ الحقِ إلاَّ الضلال فأنى تصرفون) يونس 32 وقال سبحانه (والذينَ هُم بآياتِنا يُؤمِنُون ، الذينَ يَتَّبِعُون النَّبيَّ الأُمِيَّ الذي يَجِدُونَهُ مكتوباً عِندَهُم في التَوراةِ وَالإنجِيل يَأمُرُهُم بِالمَعرُوفِ وَيَنهاهُم عَن المُنكر ، وَيُحِلُّ لَهُم الطَيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيهِم الخبائِث) الأعراف 156، 157 0

وكما قال تعالى (قُل ياأَيُّها النّاسُ إنِيّ رَسُولُ اللهِ إلَيكُم جمَيعاً الذي لَهُ مُلكُ السمواتِ وَالأرضِ لاإلهَ إلاّ هُوَ يُحيِي وَيُمِيت ، فَآمِنُوا باللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيّ الأُمِيّ الذي يُؤمِنُ بِاللهِ وَكَلِماتِهِ واتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُم تُهتَدُون) الأعراف158 0

وكما قال تعالى (الذينَ إن مَكَّناهُم في الأرضِ أَقامُوا الصلاةَ وَآتَوا الزَكاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعرُوفِ وَنَهَوا عَن المنُكر وَللهِ عاقِبَةُ الأمور) الحج 41 0

والليبراليّة عندما تسوي بين دين الله الحق وغيره من الأهواء الباطلة ، وعندما تسوّي بين المؤمنين بالله تعالى المتبعين لدينه ، والكافرين به ، بزعم أن الجميع سواء في مبدأ الحريّة ، فهي بذلك تشرّع شريعة تناقض شريعة الله تعالى القائل (أَفَمَن كانَ مُؤمِناً كَمَن كان فاسِقاً لايَستَوُون) السجدة 18 والقائل (أَفَنَجعَل المُسلِمِين كَالمجُرِمِينَ ، مالَكُم كَيفَ تَحكُمُون) القلم 35، 36 0

والمذهب الليبراليّ بهذا المنهج الضال ، يبطل دين الله كله ، ويطوي أحكامه التشريعيَّة برمَّتها ، ويضع بدلها أحكاما أخرى من عنده ، أحكاما لاتقيم وزنا لما أنزله الله تعالى من البيِّنات والهدى والكتاب المنير 0

والخلاصة أن المنهج الليبراليّ ليس سوى الضلال بعينه ، وهو الكفر والشرك برسمه واسمه ، وماهو إلاّ صدٌّ عن سبيلِ اللهِ تعالى ، ونَقض لأحكامِ اللهِ تعالى ، ودعوة للناس إلى الخروج عن شريعة الله تعالى ، وإشاعة الفوضى الفكرية والعقائدية في حياة الناس 0

هذه هي الليبراليّة ، وحكمها في الإسلام هو نفس حكم العلمانيّة سواء بسواء ، لأنها فرع من فروع تلك الشجرة ، ووجه آخر من وجوهها 0

وبهذا يعلم أنه يجب شرعا ، بل هو من أهم واجبات الدين ، أن يُبَيَّن للمسلمين خطر هذه الأحزاب العلمانية والليبرالية ، ويُوَضَّح لهم ما تشتمل عليه من أفكار تهدم العقيدة والشريعة والأخلاق ، ويجب أن يُدعى أصحابُها إلى الإسلام ، ويُكشف لهم حكم الإسلام في حقيقة مذهبهم الذي يعتقدونه ، وأنه مناقض للإسلام تمام المناقضة ، وأن في تركهم له نجاتهم من الهلاك 0

ويجب أن يُدعَون إلى أن يُقِرُّوا بوجوب الإحتكام إلى الشريعة الإلهيَّة في كلِّ صغير وكبير من شئون الحياة ، ولايجوز إقرارهم على أي مبدأ لاينطلق من هذا الأصل الذي هو أصل الدين الأصيل ، وركنه الجليل ، كما قال تعالى (ثُمَّ جَعَلناكَ على شَريعَةٍ مِنَ الأَمرِ فاتَّبِعها وَلاتتَّبِع أَهواءَ الذينَ لايَعلَمُون) الجاثية 18 وقال (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) المائدة 49 ، وقال (فاستَقِم كَمَا أُمِرتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاتَطغَوا إنَّهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِير ، وَلاتَركَنُوا إِلى الذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُم النّارُ وَمالَكُم مِن دُونِ اللهِ مِن أَولِياءَ ثُمَّ لاتُنصَرُون) هود 112، 113 0

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى (ثم أخبر الله تعالى عن هؤلاء بأنهم إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أعرضوا عن ذلك ، ولم يستجيبوا للداعي ، ورضوا بحكم غيره ، ثم توعدهم بأنهم إذا أصابتهم مصيبة في عقولهم وأديانهم وبصائرهم وأبدانهم وأموالهم بسبب إعراضهم عما جاء به الرسول صلىالله عليه وسلم وتحكيم غيره والتحاكم إليه كما قال تعالى : (فإن تَوَلَّوا فَاعلَم أَنَّما يُرِيدُ اللهُ أَن يُصيبَهُم بِبَعضِ ذُنوبِهِم وإنَّ كَثيراً مِنَ النّاسِ لَفَاسِقُون ،) اعتذروا بأنهم إنما قصدوا الاحسان والتوفيق ، أي بفعل ما يرضى الفريقين ويوفق بينهما ، كما يفعله من يروم التوفيق بين ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبين ما خالفه ، ويزعم أنه بذلك محسن قاصد الإصلاح والتوفيق ، والإيمان إنما يقتضي إلقاء الحرب بين ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبين كل ما خالفه من طريقة وحقيقة وعقيدة وسياسة ورأي ، فمحض الإيمان في هذا الحرب لا في التوفيق وبالله التوفيق) إعلام الموقعين (50/1) 0والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،حسبنا الله ونعم الوكيل 0

حامد عبدالله العلي

الكويت في 23محرم 1422هـ

=============

#الرِّبا بين النهج الرباني والنهج العلماني

بقلم الدكتور عدنان علي رضا النحوي

من أكثر القضايا التي تعددت فيها الفتاوى في واقعنا المعاصر هي قضيّة الربا. والرّبا أشدّ ما حرّمه الإسلام نصّاً في القرآن الكريم وفي الأحاديث الشريفة. فلا يحقّ أن يقف المسلم من هذه القضيّة ومن الفتاوى التي صدرت لها موقف الحائر التائه، إلا إذا غلبه الجهل بالكتاب والسنّة، وضعف الإيمان وغلب الهوى !

ولقد رافق اضطراب التصوّر لهذه القضية اضطراب التصوّر لقضايا أخرى كثيرة في واقع المسلمين اليوم. ولقد كشف عن هذا تعدُّد الفتاوى والآراء، وتعدُّد الأسس التي يَعتمد عليها هذا الرأي أو ذاك، واشتراك مستويات متعدِّدة في إصدار الرأي.

ومما ساعد على ذلك الاضطراب والتعدُّدِ أنّ الواقع لم يعد يَفرض على كل صاحب رأي أن يُتْبِع رأيه بالحجّة والبيّنة من الكتاب والسنّة دون أي تأويل فاسد، ومن الواقع الذي يُفْهَم من خلال الكتاب والسنة. لذلك أصبح من السهل إطلاق الآراء متفلّتة من هنا أو هناك، ما دامت الحجة والبيّنة غير مطلوبة، وما دام الرأي يقاس بالهوى والرغبة أحياناً، وبالتصوّر البشري للمصلحة، وبضغط الواقع.

لقد أصبح تارك الصلاة حرّاً، وتارك الصوم حرّاً، وترى بعض النساء في كثير من الأقطار في العالم يخرجن كما يشاء لهنّ الهوى دون حشمة في اللباس، مع تبرّج وكشف للزينة، وإثارة للشهوات. وأصبح بعض الرجال المنتسبين إلى الإسلام يشربون الخمر جهاراً دونما حرج في حماية القانون.

خلاصة ذلك أن حدود الإسلام أصبحت تُنْتهك بصورة علنية، وأنَّ الفسق أصبح يُجْهَر به من الرجل والمرأة سَواءً بسواءٍ.

نظرة عاجلة في العالم الإسلامي تكشف لنا كيف أنّ عُرا الإسلام قد نُقضت عروةً فعروة، كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(لتُنقَضَنَّ عُرا الإسلام عُرْوةً عُرْوةً، فكلّما انتقضت عُرْوةً تشبّث النَّاس بالتي تليها، فأولهنّ نقضاً الحكم وآخرهنّ الصلاة) [رواه أحمد وابن حبان والحاكم](1)

في هذه الأجواء، حيث امتدت الديمقراطية والعلمانية بنظامها الرأسمالي، وحيث سيطر النظام الرأسمالي الربوي على معظم أنحاء العالم، أو جميعه، تُدعمه القوى العسكرية والإعلامية والفكرية العلمانية، وتدعمه حركات التنصير التي كانت في كثير من الأحيان ممهدة للزحف العسكري المعتدي، وتدعمه الشركات التجارية التي تجعل نشاطها كذلك ممهداً للغزو الإجرامي الظالم، وتدعمه القوى اليهودية ومؤسساتها، في هذه الأجواء صدرت الفتاوى المتعددة المتضاربة حول البنوك وعملها، وحول الفائدة الربوية وحكمها، وحول كلّ ما يتعلّق بذلك من قضايا.

لا نشكّ لحظة في أنّ " اليهود " كانوا من بين أهم القوى التي ساهمت في بناء النظام الاقتصادي الرأسمالي الربوي، كما كانوا هم بناة النظام الربوي في التعامل الاقتصادي في الجزيرة العربية قبل أن يلغي الإسلام هذا النظام كلّه ويُحرّمه تحريماً شديداً.

ولقد بدأ النهي عن الربا والتحريم في العهد المكّي بقوله سبحانه وتعالى :

(وما أتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون)

[الروم : 39]

ثمّ أخذ بعد ذلك يسيطر على النشاط الاقتصادي الذي حلّ بكلّ مقوّماته في التعامل الاقتصادي بين المسلمين محلّ النظام الربوي اليهودي حتى إذا استقرّ الحكم للإسلام، وأصبحت كلمة الله هي العليا، وشرع الله هو الأعلى، أكّد رسول الله صلى الله عليه وسلّم في حجّة الوداع حرمة الربا في خطبته في عرفة بعد أن زالت الشمس وأتى بطن الوادي، وقد اجتمع حوله أكثر من مئة وأربعة وعشرون ألفاً من الناس، فقام فيهم خطيباً، فقال في جملة ما قال :

(...إنّ دمائكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا كلُّ شيء من أمر الجاهليّة تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث . وكان مسترضعاً في بني سعد

فقتلته هذيل . وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنّه موضوع كله .....)(2)

إذاً، كان هناك نهجٌ وخطة يدفَعُها الإسلام ويبنيها الإيمان في رعاية الوحي المتنزّل من السماء على النبوة الخاتمة. لقد كان هناك نهج رباني أُنزل ليمتدّ مع الزمن، وليمتدّ في الأرض، لا ليتوقف أو يتراجع.

أنزل الله هذه الرسالة رسالة كاملة، اكتملت مع حجة الوداع، لتحملها أمة الإسلام أمانة في عنقها حتى قيام الساعة، لتطبّقها كلّها لا جزءً منها. لتُحِلّ الحلال وتُحرّم الحرام وتقيم شرع الله في جميع شؤون الحياة.

وجاء تحريم الربا في الكتاب والسنة تحريماً قاطعاً، أشدّ ما في الإسلام من تحريم، جاء تحريماً بيّناً جليّاً حتى ييسّر الله لعباده اجتناب الحرام.

وجاءت أحكام الإسلام ونصوصها تحيط بأفعال العباد في كلّ عصر وكلّ مكان إلى أن تقوم الساعة، وتوفّر البيان للمؤمن التقي لكل عمل يقوم به ليظل عارفاً بما أحلّ الله له وما حرّم عليه.

وما كان الله ليترك عباده في حَيْرة من أمرهم، لا يدرون ما هو الحلال وما هو الحرام، ومصير الإنسان مع الحرام إلى النار، إلى جهنم ! فالله أرحم بعباده من أن لا يبين لهم.واستمع إلى قوله سبحانه وتعالى :

(.... ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين)

[النحل : 89]

وكذلك في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

(إنَّ الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهنّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالرّاعي يرعى حول الحِمى يوشك أن يرتع فيه. ألا وإنّ لكلّ ملك حِمى ألا وإنّ حِمى الله محارمه، ألا وإنّ في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلُّه. ألا وهي القلب)

[رواه الشيخان]

إنَّ التكاليف الربَّانية التي هي شأن كلّ مسلم جاء بيانها وافياً لكل من صدق إيمانه وأتقن اللغة العربية، وذلك واجب على كلّ مسلم، ولا عذر لمسلم إذا تخلّف عن الوفاء بطلب العلم من الكتاب والسنّة كما جاءا باللغة العربية، ورضي بالبقاء على جهله.

فعن أنس وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(طلب العلم فريضة على كلّ مسلم)

[أخرجه الطبراني وغيره](3)

ولقد يسّر الله برحمته القرآن الكريم للذكر، للتلاوة والتدبّر والعمل به : (ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر)

[القمر : 17]

"فالربا " كما جاء تحريمه في القرآن والسنّة، لا بدّ أن يكون واضحاً جليّاً لكلّ مسلم حتى لا يقع أحد في أمر حرام ولا في شبهة. فأمر " الربا " متعلّق بكلّ مسلم وليس يطبقه خاصة من المسلمين.

والحلال والحرام لا يُبيَّن إلا من عند الله ورسوله، وليس لأحد أن يحرِّم أو يُحلِّل دون نصّ من الكتاب والسنّة، أو اجتهاد قائم على نصّ واضح. وأمر ذلك عظيم، فالناس ستقف للحساب يوم القيامة، ثمّ إلى جنّة أو نار، فلا يُعقل أبداً أن يترك الله سبحانه وتعالى أي أمر يقود إلى النار إلا بيّنه، فإذا التبس الأمر على أحد فهو نتيجة خلل عنده وليس في منهاج الله، وعليه أن ينهض ليعالج الخلل عنده، كجهله باللغة العربية وعدم طلبه العلم من الكتاب والسنة، أو غلبه الهوى والشهوات في نفسه، وخضوعه لضغط الواقع، فيؤوّل ويُفسد في التأويل :

(....فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد) [ق : 45]

والرّبا المحرّم في الإسلام هو كلّ ربا كان معروفاً لدى المسلمين، أو لم يكن معروفاً، ما دامت عِلّة الربا متحقِّقة فيه، إلى يوم القيامة. ذلك لأنّ نصوص الأحكام تحيط بجميع أفعال العباد إلى يوم القيامة في أي مكان رحمة منه سبحانه وتعالى بعباده.

فإذا كان الناس في جاهلية ابتدعوا نوعاً من التعامل المحرّم، أو تعلّموه من اليهود، فإنَّ الناس يمكن لهم في كلّ زمن أن يستحدثوا من وسائل التعامل بالمال والبيع ما فيه حرام وظلم، وبصورة خاصة عندما تُستحدث هذه الوسائل والأبواب في مجتمعات

لا تلتزم بأحكام الإيمان وتشريع الإسلام، فيغلب عليها الظلم والعدوان واستغلال القوي للضعيف، والخداع والغش وغير ذلك، حيث يسود قانون بشريٌ لا يمكن لـه أن يرعى مصالح العباد كما يرعاها التشريع الرباني، مهما حمل من وسائل الزخرف والإغراء.
وعِلّة تحريم الربا هي الظلم واستغلال حاجة الضعيف للقوي، والفقير للغني، وبصورة عامة، "هي أكل أموال الناس بالباطل ".
ليست القضية قضيّة عقلية فقط، فالعقل البشري وحده لا يستطيع أن يكشف جميع أنواع الباطل وأساليبه الشيطانية، إلا أن يكون شرع الله هو الذي يهدي العقل وينير له الطريق، ولا يستطيع العقل وحده أن يدرك جميع حقائق الحكمة الربانية البالغة في تشريعه، وقد يدرك بعضها.
فالنظام الرأسمالي والفكر العلماني لا يمكن أن ينشأ منهما عدل حقّ ينبثق من أجواء الفاحشة بكلّ أنواعها، وأجواء العدوان والغزو وسرقة ثروات الشعوب. حتى العقل البشري سيضلُّ عن الصراط المستقيم حين تدفعه وتوجهه العلمانية ومذاهبها والرأسمالية وطغيانها والشهوات والنزوات وصراع المصالح المادّية الدنيوية، وضغوط ذلك كلّه.
إنَّ بعض المسلمين الذين أخذوا يُؤوّلون بعض ما حرّم الله في نُصوص ثابتة، إنما تأثّروا بهذا الجوّ الصاخب من الديمقراطية والعلمانية، حتى أصبح كثير منهم يتحاكمون إلى عقولهم وحدها، بعيداً عن نور الإيمان والتوحيد، وعن نصوص التشريع الربّاني، تؤثّر فيهم زخارف العلمانية وضغطها الكبير، وقد يلوون الآيات والأحاديث عن معناها الحقّ، أو يؤولونها تأويل هوى.
و"الضرورة " لها ضوابط وأحكام، فلا يجوز أن نغيّر أحكام الإسلام كلما وجدنا صعوبة في الواقع أو ضغطاً منه، ثمّ نُسمي ذلك " فقه الواقع ". فلا يوجد شيء اسمه " فقه الواقع "، لأن الفقه كلّه للواقع، والواقع كلّه ركن من أركان الفقه. يمكن أن نقول " فقه الاقتصاد "، أو " فقه السياسة ". فالفقه له ثلاثة أركان: صفاء الإيمان والتوحيد، وصدق العلم بمنهاج الله، ووعي الواقع من خلاله لا من خلال هوى.
لقد طوّر المجرمون في الأرض جميع أسباب الفتنة والفساد في الأرض، وسخّروا العلم لذلك كلّه، فقد تعددت ألوان الفاحشة وألوان الإغراء لها، وقد تطوّرت وسائل

الظلم والعدوان، وسُخّر العلم لذلك، فلا عجب إذا طوّر المجرمون في الأرض وسائل أكل المال بالباطل، وأشكال الربا، واستحدثوا منها ما لم يكن متوافراً سابقاً، ولكنّ منهاج الله بنصوصه المطلقة الثابتة هو حقٌّ مطلق يحيط بأحوال العباد وأفعالهم في كل زمان ومكان. وإن بدا قصور فهو في جهد الإنسان وضعفه وليس في منهاج الله. لذلك جاء منهاج الله حقّاً مطلقاً للعصور كلّها وللبشرية كلها، وهذا وجه من وجوه إعجازه لا يبلُغه أيّ منهج بشري. عندما ندرس الواقع اليوم، وما قد يفرضه من ضرورة أو حاجة، فلا ندرس جزءً من الواقع ونغفل أجزاءً وأجزاءً ! فالمسلم الذي يرمي نفسه في أجواء الضرورة تحت هذا العذر أو ذاك، ولم يكن قد استفتى الإسلام حين رمى بنفسه في أجواء الضرورة أو الفتنة، حتى إذا عرضت له حاجة لا تتمّ له إلا بارتكاب الحرام، تذكر عندئذ الإسلام وأخذ يبرز حكم الضرورة والحاجة. وربما يكون ما يدّعيه بعضهم من حاجة وضرورة شرعية هو رغبة أكثر منها حاجة وضرورة، أو حاجة لتحسين مستواه يسميها ضرورة شرعية.

إنَّ ممارسة الحرام لا تجعله حلالاً، ولو كان تحت الضرورة. فالضرورة يجب أن تكون حالة غير مستديمة في أغلب الحالات، والتحريم مستديم.

والضرورة تكون لفرد أو أفراد، أمّا أنْ تكون للمسلمين جميعاً أو لقطاع واسع منهم، فتلك ضرورة تحتاج إلى وقفة طويلة، ودراسة واسعة أمينة لمعرفة سبب نشوئها وحقيقة حكمها.

فإذا كانت الحاجة والضرورة ناتجةً عن هوان المسلمين وعدم وفائهم بعهدهم مع الله، ولا بالأمانة التي يحملونها، أو ناتجة عن تقصير أدّى إلى تقصير، وتنازل أدّى إلى تنازل، حتى غلب الهوان على المسلمين، وخضعوا مستسلمين لغير شرع الله، وابتلاهم الله بما كسبت أيديهم، فتفرَّقوا ورضوا بالفرقة التي حرّمها الإسلام، وتمزّقوا ورضوا كذلك بالتمزيق، وتصارعوا وقد نهاهم الله عن ذلك، فَفُتِحَت القلوب والديار لأعداء الله الذين فرضوا شرعاً غير شرع الله، أنأتي بعد ذلك كلّه لِنُفتي لمن اضطرّته هذه التنازلات إلى ارتكاب ما يخالف الإسلام بجواز المخالفة، وندع المخالفة الأكبر والانحراف الأشدّ دون فتوى ؟! كيف يعقل هذا ؟!

لا يحلُّ لنا أن نلقي بهواننا وعجزنا وتقصيرنا وتفريطنا في أهمّ التكاليف الربَّانية على دين الله، ولا يحلّ لنا مع هذا كلّه أن نفتي لمن قنع واستسلم ورضي بحكم غير حكم الله في ألف قضيّة هامة وخطيرة، بجواز مخالفة هذه أو تلك تحت ادعاء ضرورة هو صنعها، أو صنعتها أمته وأهله.

إنَّ مفهوم الضرورة في الإسلام كان يحمل معناه والأمة المسلمة عزيزة قوية، ناهضة بمسؤولياتها. أما اليوم فللقضيّة كلّها صورة أوسع. وأول ما ندعو إليه أن ينهض المسلمون كلٌّ إلى مسؤولياته يطلب الآخرة يؤثرها على الدنيا. وأول هذه المسؤوليات الشرعية أن ينهض كل مسلم إلى الوفاء بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالآيات الكثيرة في كتاب الله، مما يفرض على كل مسلم أن يعرف دينه، وأن يعرف المسؤوليات التي سيحاسبه الله عليها والتي تقوم على الشهادتين والشعائر، التكاليف الربانية التي تنهض على الأركان الخمسة والتي تبني عليها. ومن أين يعرف المسلم هذه التكاليف الربانية إلا من منهاج الله. ونعيد ونذكّر بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي سبق ذكره :

(طلب العلم فريضة على كلّ مسلم)

ما بال بعض المسلمين اليوم يسألون عن الفتوى في حاجة عرضت لهم، ولا يسألون الفتوى فيما هم فيه من تقصير وعجز ومخالفة وهوان. ومن الذي عليه واجب إيقاظ المنتسبين إلى الإسلام بمسؤولياتهم الفرديّة والتكاليف الربانية ؟!

فإذا رضي هذا وذاك قرناً أو قرنين أو قروناً بمخالفة الإسلام والتنازل عن شرعه وأحكامه، أفيأتون ليستفتوا في حاجة عرضت، جاهلين حاجات أخرى ومسؤوليات أخرى.

أما من وجد أنه أوفى بعهده مع الله، وبالتكاليف الربَّانية، واستوعب ذلك جهده وعلمه وطاقته وأمانته، فنقول إن حسابه وحسابنا كلّنا عند الله سبحانه وتعالى.

لذلك لا بدّ من تناول قضايا واقع المسلمين اليوم . نتناولها واحدة واحدة حسب أهميتها في ميزان الله، لتُدْرس ويوضَع لها العلاج النابع من الكتاب والسنة، على صورة منهجيّة تجتمع عليها الأمة صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص.

ولا أجد في واقع المسلمين اليوم إثماً ولا معصيّة أشدّ من تفرِّق المسلمين بما كسبت أيديهم.

من خلال ذلك كلّه، لا بدّ أن يتحمّل المسلم نفسه مسؤولية الضرورة التي تدفعه إلى إثم أو معصية، وأن يتخذ هو قراره بنفسه دون أن تصدر فتوى عامة للمسلمين تبيح ارتكاب ما حرّم الله فيتحمّل واحدٌ آثام الجميع. ومن وجد أنه لا يستطيع أن يُفتي لنفسه فليسأل من هو أعلم منه، على أن ينهض فوراً إلى مسؤولياته الفرديّة والتكاليف الربانية المنوطة به، وإن مثل هذا النهوض هو أول الخطوات لمعالجة هذه الأمراض، وعسى أن يغفر الله به لعباده المؤمنين الذين التقوا صفاً واحداً يجاهدون في سبيل الله على نهج وخطة.

(1) صحيح الجامع الصغير وزيادته : رقم (5057).

(2) الرحيق المختوم : صفي الرحمن المباركفوري . ص: 421. وسائر كتب السيرة.

(3) صحيح الجامع الصغير وزيادته : رقم : (3913).

=============

#العلمانية وخديعة استبعاد الدين

[الكاتب: يحيى هاشم حسن فرغل]

زعموا أن العلمانية سر التقدم في العالم المعاصر الذي ما حدث إلا بخلع الدين..

ولقد زيفوا فيما زعموا.. ثم كذبوا..

أما أنهم زيفوا فذلك أنهم – ضمن " حرب المصطلحات " كما بينا في المقال الأسبق – أدخلوا إلى البيئة الإسلامية مصطلح العلمانية، لغير مشكلة فيها، ثم استوردوا له المشكلة، ونادوا بدوره في حلها!!

وأما أنهم كذبوا فلأن الدولة الدينية مازالت في صلب الدولة الحديثة شديدة التطور في أوربا وأمريكا

وقد بينا في مقال سابق أنه في علاقة الغرب بنا كانت حروبهم معنا دينية، ليس ذلك فحسب في حروبهم التاريخية المتقادمة ضدنا في الحروب الصليبية، أوفي حروبهم ضد المسلمين في الأندلس ولكن في حروبهم ضد المسلمين في عقر دار العصر

الحديث عصر التنوير والحداثة لإبعاد المسلمين عن دينهم أولا ثم لتنصيرهم من بعد ذلك وهاهو التنصير في فرصته التاريخية ومرحلته الجديدة بدءا من العراق.

وسوف نبين في مقال قادم نشاط كنائس الغرب في مجال السياسة نشاطا يلقى الاحتفال والاحترام والاعتراف والتقدير من الجماهير والرأي العام وأصحاب النفوذ على السواء إلى حد اشتراك العلمانيين أنفسهم في " زفة " هذا التقدير.

وسنبين هنا تداخل المفاهيم الدينية في بنية الدولة في الغرب وخططها السياسية مما يلقي على دعاة العلمانية بتهمة خداع الرأي العام الإسلامي في دعوتهم إياه إلى استبعاد الدين بحجة التقدم!!

ونهتم بأن نذكر من ذلك كله ما كان قبل ظهور مجموعة بوش والمحافظين الجدد قبيل الحادي عشر من سبتمبر 2001 رفعا لتوهم أنها حالة عابرة.. كما أننا لم نقتصر على ملابسات خاصة بأحزاب المحافظين أو المتشددين رفعا لتوهم أنها حالة حزبية معزولة.. كما أننا لن نذهب بعيدا في التاريخ رفعا لتوهم أنها حالة ماضوية كما يود العلمانيون لنا أن نفهم.

وإذا كان من المشهور اليوم ظهور التلاحم بين السياسة والدين في مجال البروتستنت – في نموذج المحافظين الجدد – فسوف نهتم هنا بإبراز ذلك التلاحم في مجال الكاثوليك.. وإذا كان من المشهور اليوم اشتغال رجال السياسة بالدين فسوف نهتم هنا غالبا بإبراز اشتغال رجال الدين بالسياسة.

وفيما يختص ببيان تداخل المفاهيم الدينية في بنية الدولة في الغرب وخططها السياسية:

يقول الأمير شكيب أرسلان: (هل يظن الناس عندنا في الشرق أن نهضة من نهضات أوربا جرت دون تربية دينية؟ أفلم يقل رئيس نظار ألمانيا في الرايستاغ منذ ثلاث سنوات – نشر الأمير كتابه عام 1930 -: إن ثقافتنا مبنية على الدين المسيحي؟) [أنظر لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم: طبعة 1965 / ص 147].

وفي ألمانيا الديموقراطية قبل الاتحاد الذي تم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي – وقد كانت تقوم على تعاليم ماركس وإنجلز ولينين أصبح مارتن لوثر – بالرغم من ذلك –

أحد آبائها الأيديولوجيين، حيث اعتبرته المدرسة الماركسية من خلال إنجلز رائدا لثورة اجتماعية سياسية لم يكن عنده الجرأة على استيعاب ما يترتب عليها!!

أما في ألمانيا الاتحادية – وأيضا بعد اندماج الألمانيتين بالطبع – فإن الدين ملتصق بالدولة تحمي مؤسساته ومصالح هذه المؤسسات سواء كانت لوثرية أو كاثوليكية، والكنائس في ألمانيا تعتبر أغنى كنائس العالم، والتعليم الديني إجباري في المدارس إلى سن الرابعة عشرة، إذ يفرض على الطالب البروتستانتي تعلم اللوثرية، وعلى الطالب الكاثوليكي تعلم الكاثوليكية.

وفي بريطانيا: أين هو الفصل بين الكنيسة والدولة؟ أليس ملك بريطانيا هو رئيس الكنيسة في الوقت نفسه؟

وإذا كان العلماني المعروف الأستاذ أحمد بهاء الدين أراد أن يخفف عنا هذه الحقيقة بقوله: (ملكة انجلترا هي رئيسة الكنيسة الإنجليزية ولكنها لا تأمر أو توجه ناقلة رأي الكنيسة إلى البرلمان المنتخب من الشعب)، فإن الحقيقة لا تنتهي عند هذه النقطة كما يريد لنا الكاتب أن نفهم، لأن السؤال هو: وما دور البرلمان المنتخب من الشعب بعد أن تنقل إليه الملكة رأي الكنيسة؟

واقرءوا معنا قصة الإفخاريستا... يقول الأمير شكيب أرسلان: (لم يحدث في التاريخ أن مسألة من مسائل انجلترا الداخلية أخذت في الأهمية الدور الذي أخذته قصة " الأفخاريستا " وهي قصة تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح..

وأصل هذه العقيدة ما رواه الإنجيل من أن السيد المسيح عليه السلام قبل صعوده إلى السماء تمشى مع تلاميذه وودعهم، وبينما هو على المائدة تناول لقمة من الخبز وقال: كلوا هذا جسدي، وشرب جرعة من الخمر وقال: اشربوا هذا دمي، فتكونت من هذه الكلمات في النصرانية عقيدة معناها أن الخبز والخمر يستحيلان إلى جسد الرب تماما حقيقة لا مجازا، ولما كان القسيس هو خليفة المسيح كان لابد له كل يوم عند التقديس في الكنيسة أن يتناول لقمة من الخبز ويشرب رشفة من الخمر وهو يتلفظ الكلمات التي تفوه بها السيد المسيح عليه السلام في أثناء عشائه مع الحواريين. فمتى فعل ذلك تحول هذا الخبز وهذا الخمر إلى جسد الرب حقيقة لا مجازا، ولذلك يوضع هذا الخبز ويسمونه القربان في حُق ثمين فوق المذبح من الكنيسة، ويسجدون

له، وذلك باعتبار أن هذا القربان هو الإله نفسه، ويسمون وجود الله فيه بالحضور الحقيقي.

وقد كانت هذه العقيدة هي عقيدة المسيحيين جميعا ولا يزال عقيدة أكثرهم إلى اليوم، إلا أنه عندما جرى الإصلاح البروتستانتي تغير الاعتقاد عند أتباعه بقضية الحضور الحقيقي، وقالوا: إن هذا مجاز لا حقيقة، وأنه مجرد رمز وتذكار، وعدلوا عن وضع القربان فوق المذبح والسجود له باعتبار أنه هو الإله بذاته، وصاروا في كنائس البروتستانت يجعلون هذا القربان في تجويف خاص به من الحائط.

ولكن الكنيسة الإنجليكانية – الكنيسة العليا في انجلترا – لم يتفق رأيها في قضية القربان: أن يكون التحول فيه حقيقيا أو مجازيا؟ وأصبحت مسألة خلافية بين اليمين والوسط واليسار، وخيف فيها من انشقاق عام. عندئذ أمرت الحكومة البريطانية بتأليف مجمع من الأساقفة تحت رياسة أسقف كانتربري لحل المشكلة، فانعقد المجمع زمنا طويلا ولم يوفق إلى حل. وأخيرا ألحت الحكومة على هؤلاء الأساقفة بأن يبتوا في القضية، فحكموا بالأكثرية – مع مخالفة ستة من المطارنة – بأن الخبز والخمر يستحيلان في قداس الكاهن إلى جسد المسيح ودمه، وعليه يجب عبادتهما والسجود لهما ووضعهما في أعلى المذبح لا في كوة حائط الكنيسة، يعني انهم رجعوا في ذلك إلى العقيدة الكاثوليكية.

هذا ولما كان القانون الأساسي لبريطانيا يوجب القول بالفصل في جميع القضايا الدينية لمجلس اللوردات ولمجلس العموم، عملا بكتاب الصلاة الذي هو مرجع الأمة الإنجليزية أحيل حكم المطارنة هذا إلى مجلس اللوردات، وكانت للمناقشات فيه جلسات متعددة بلغت من اهتمام الملأ ما لم تبلغه المناقشات في أية مسألة.. وأخيرا؛ أيد مجلس اللوردات بالأكثرية قرار مجمع الأساقفة، فلما جاءت القضية إلى مجلس العموم نقضوا قرار مجلس اللوردات وحكم مجمع الأساقفة، وقرروا أن الخبز والخمر لا يستحيلان بداهة إلى جسد السيد المسيح ودمه، واستندوا في ذلك إلى كتاب الصلاة المشار إليه سابقا، وعلى إثر هذا القرار من مجلس العموم استعفى رئيس أساقفة كنتربري من منصبه!!).

ويعلق الأمير شكيب ارسلان فيقول: (أين فصل الدين عن السياسة وأنت ترى أن مسالة دينية بحتة تطرح في مجلس اللوردات ومجلس النواب ويفصلان فيها، فإن لم تكن هاته المسألة دينية فما الديني إذن؟ وإن لم يكن مجلسا الشيوخ والنواب مختصين بالسياسة فما المجالس التي تختص بالسياسة بعدهما؟ فليتأمل القارئ المنصف مدى التضليل الذي يقوم به المضللون من المسلمين.. إما جهلا وتعاميا عن الحقيقة وإما خدمة للاستعمار الأوربي الذي ليس له غرض أعز عليه من أن يأتي على بنيان الإسلام من القواعد) [أنظر كتاب " لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم": للأمير شكيب أرسلان / ط 1965 / الهامش ص 97 – 101].

ولنستمع إلى شهادة الشاعر والفيلسوف الإنجليزي الشهير ت. س. إليوت في كتابه " ملاحظات نحو تعريف الثقافة " إذ يقرر أن الثقافة الأوربية العلمانية لم تقتلع المسيحية من جذورها ولكنها تعايشت معها وليس ذلك راجعا إلى مصالحة بين المسيحية والعلمانية ولكنه راجع إلى تملك الدين لناصية الثقافة في أي شعب إذ أن (تكوين دين هو تكوين ثقافة أيضا) أما عن أوربا المسيحية بالذات فإنه يقول: (إن سنن المسيحية المشترك هو الذي جعل أوربا ما هي)، وإذ يقول: (حين ندافع عن ديننا فلا بد لنا في معظم الأمر من أن نكون مدافعين عن ثقافتنا في الوقت نفسه والعكس بالعكس)، ويقول: (في المسيحية نمت فنونا وفي المسيحية تأصلت قوانين أوربا، وليس لتفكيرنا كله معنى أو دلالة خارج الإطار المسيحي)، (وقد لا يؤمن فرد أوربي بأن الإيمان المسيحي حق، ولكن ما يقوله ويصنعه ويأتيه كله من تراثه في الثقافة المسيحية ويعتمد في معناه على تلك الثقافة)، ويقول: (نحن مدينون لتراثنا المسيحي بأشياء كثيرة إلى جانب الإيمان المسيحي، فمن خلال ذلك التراث تنبع فنوننا، ومن خلاله نلقي مفهومنا للقانون الروماني الذي فعل ما فعل في تشكيل العالم الغربي، ومن خلاله نلقى مفاهيمنا عن الأخلاق الخاصة والعامة) [أنظر كتابه " ملاحظات نحو تعريف الثقافة ": ص 80، 145، 146].

ومن هنا يمكننا القول بأن أوربا مسيحية حتى في علمانيتها.

وفي هذا المعنى يقول الدكتور محمد عصفور: (إن عديدين من الفقهاء لا يترددون في أن يضفوا على الديموقراطية نفسها الطابع الديني، فمنهم من ردها إلى أصول

مسيحية، ومنهم من اعتبر الديموقراطية العلمانية ذات طبيعة دينية، أو متعصبة دينيا حتى إن زعمت الفصل بين الدين والدولة) [جريدة الوفد: في 17\ 7\1987].

وكأنه يشير في هذا إلى القاعدة العلمانية المأخوذة من الكتاب المقدس: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وكأن العلمانية هي الأقرب إلى المسيحية من الكنيسة عندما كانت الكنيسة تمارس السلطة السياسية انحرافا منها وشهوة دنيوية ، وكأن العلمانية في بلادنا لا تصادم الإسلام فحسب ولكنها أحد أوجه النشاط التبشيري التابع للكنيسة، ومن ثم كان لابد للعلمانية من أن تبدي الاحترام إلى حد الانحناء أمام الكنيسة والفاتيكان على الخصوص.

أما في الولايات المتحدة فقد أوضح الدكتور يوسف الحسن الدبلوماسي بدولة الإمارات أن الدين يهيمن على أخطر القرارات السياسية والدولية وذلك في رسالته للدكتوراة بعنوان "الاتجاهات الصهيونية في الحركة الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة"، التي قدمها لكلية الاقتصاد والعلوم السياسة بجامعة القاهرة بإشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم درويش ومشاركة الأستاذ الدكتور كمال أبو المجد والدكتور محمد عصفور وقد أجيزت الرسالة بامتياز ومرتبة الشرف مع تبادل الرسالة مع الجامعات الأجنبية.

وتبين الرسالة أن أخطر معتقدات هذه المسيحية الصهيونية تلك النبوءة التوراتية عن عودة اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولتهم وملكهم فيها، وترتبط هذه النبوءة بشطر آخر يربط بين إقامة دولة إسرائيل وبين التبشير بعودة المسيح ليحكم باسم النصرانية ألف عام قبل أن تقوم القيامة. كذلك ترتبط بنبوءة لاهوتية عن قرب نهاية العالم حينما تغزو جيوش " السوفييت " وإيران والعرب والأفارقة والصين!! دولة إسرائيل.. عندئذ يعود المسيح إلى الأرض بجيش من القديسين لمعاقبة غير المؤمنين وتحطيمهم في معركة تقع بسهل المجدل بفلسطين.

ولقد كسبت الصهيونية اليهودية الكثير من وراء سيطرة هذه النبوءات على عقول الساسة الأمريكيين والإنجليز والبروتسانت والرؤساء الأمريكان: ويلسون، وروزفلت، وكارتر، وريجان، والرؤساء الإنجليز: بالمرستون وبلفور وتشرشل وغيرهم – هكذا قبل

أن يظهر على المسرح " محافظون جدد " ولا يحزنون، كما يحاول بعضهم أن يقزم القضية ويحصرها في أمثال بوش، ورامسفيلد، وولفوفتز وبيرد وأمثالهم.

وتستخدم الحركة الأصولية الصهيونية المسيحية نفس الأساليب والوسائل التي تستخدمها المنظمات والمؤسسات غير الدينية للتأثير في السياسة العامة، وقد ملكت في العقود الأخير وأدارت احدث أدوات الاتصال الجماهيري من محطات مسموعة ومرئية، وصارت لها مؤسساتها ولجانها وقنواتها،وقدرت ثرواتها بالمليارات، وبلغ مجموع ما قدمه الأمريكيون من تبرعات ومساهمات لهذه الكنائس في عام واحد هو 1982 حوالي واحد وستين مليارا من الدولارات. وقدرت نسبة الأمريكيين المستمعين والمشاهدين لبرامجها عام 1980 بحوالي 47% من مجمل السكان.

ويواصل الدكتور محمد عصفور تلخيصه لنتائج الرسالة المشار إليها فيقول: (وحتى ندرك ما تملكه الحركة الأصولية المسيحية الصهيونية من قوة اقتصادية هائلة يكفي أن نعلم أن ما أنفقته إحدى منظماتها على الدعاية في محطات التليفزيون وكذلك على التنظيم والتعبئة السياسية خلال انتخابات 1984 حوالي مائة مليون دولار، وهو يفوق ما أنفقه ريجان ومنافسه مونديل معا خلال الانتخابات، ولا تقتصر اهتمامات الحركة بمساندة إسرائيل وإن كانت تستحوذ على جانب كبير من نشاطها – فهي بالإضافة لذلك لها اهتمامها بصياغة السياسة الأمريكية الخارجية سواء بالنسبة لبرامج المساعدات الدولية وبخاصة في العالم الثالث، أو طبع السياسة الخارجية بطابع العداء للشيوعية (!!)، وزرع هذا العداء في العقل الشعبي وفي فلسفة المجتمع وتسخيره دوليا لإقرار سياسة دولية إرهابية).

هذه السياسة الدولية الإرهابية ضد المدنيين التي تمتد منذ إسقاط الأسطول الأمريكي في الخليج في عام 1988 أثناء حرب الخليج طائرة مدنية أغلبها مسلمون أهلكت ركابها الثلاثمائة إلى سلسلة المذابح والدمار الذي يتساقط فوق رءوس المسلمين في بيوتهم وشوارعهم ونواديهم ابتداء من فلسطين وأفغانستان والعراق وهلم جرا!

فهل قرأت عقول ساستنا ودعاتنا وعلمانيينا وأبناء جلدتنا من عرب المهجر ومسلميهم مثل هذه الدراسة الجادة قبل أن تلتصق رقابنا بمذبح هذه العقيدة الصهيونية المسيحية بعقود، أم أنها انتظرت حتى تكتشف ببلاهة شماعة رامسفيلد وولفوفيتز كأنهم "

أمسكوا الديب من ديله " وإذا بهم لا يمسكون غير ديل صناعي مقطوع؟ مع الاعتذار للمثل الشعبي، أم أنهم علموا وتعاموا بفعل التماهي العلماني بينهم وبين هذه الصهيونية المسيحية " الدينية "؟

ويعلق الدكتور محمد عصفور فيقول: (إنه من الشاذ أن تكون أقوى الأحزاب الأوربية هي الأحزاب المسيحية وأن تكون أقوى الحركات السياسية هي الحركة الأصولية المسيحية ثم تحظر في بلادنا الأحزاب الدينية؟)

ولنقطع هنا سياق هذا التعليق الذي كتبه الدكتور محمد عصفور منذ عشرين عاما لنسوق ردا على مثل سؤاله صدر منذ أيام قلائل من الدكتور بلتاجي وزير السياحة – سابقا – والإعلام حاليا بمصر في قناة فضائية وهو يبرر عدم السماح بإنشاء حزب إسلامي في مصر بحجة أن إنشاء هذا الحزب رسميا – بالرغم من الاعتراف بوجوده فعليا – يعني أن غير المنتمين إليه ليسوا مسلمين، متجاهلا أن مثل هذه الحجة لو صحت فإنها تعني عدم السماح بإنشاء أي حزب في أي مكان في العالم، لأن أي حزب من الأحزاب في جميع أنحاء العالم سوف توجه إليه التهمة الساذجة نفسها، في حين أنه لا يضم ولا يدعي أنه يضم جميع الأفراد الذين ينتمون إلى عقيدة الحزب، وإنما هو على أقصى تقدير يدعي أنه يضم من " يتبرع للعمل الحركي لهذا الحزب " أو ذاك، والمحاكمة أوالمحاسبة في هذا ترجع لبرنامج الحزب المسموح به قانونا: إن كان يدعي هذا الأمر أو ذاك، ولو طبقنا هذا المقياس على إنشاء الحزب " الوطني الديموقراطي " الذي ينتمي إليه الوزير نفسه لكان معنى ذلك أن في قيامه اتهاما لغير من ينتمي إليه باللاوطنية واللاديموقراطية، وهو ادعاء ظاهر البطلان.

كما ادعى الوزير أن السماح بإنشاء حزب إسلامي يعني السماح بإنشاء حزب مسيحي؟ ولم لا؟ وحجة الوزير في عدم السماح بذلك أن إنشاء أحزاب إسلامية وأخرى مسيحية يعني إثارة الفرقة الطائفية منطلقا من عقيدة الحزب الواحد الأحد، متناسيا أن للمسيحيين – دون غيرهم – في مصر مؤسستهم الأقوى من أي حزب، وهي الكنيسة بما لها من صلاحيات صارمة في جميع المجالات، فإنشاء حزب لهم لا يعنيهم كثيرا، وهو ليس إلا تحصيل حاصل من درجة اقل في حال قيامه،

متجاهلا في الوقت نفسه فلسفة إنشاء الأحزاب نفسها – في الفكر الديموقراطي الذي اصبح الجميع يدعيه – وأنها تقوم على فلسفة الاعتراف بواقع التعددية والممارسة السلمية مختلفة تماما عن الفلسفة الإستئصالية للحزب الواحد الذي أخذ يتوارى عن الساحة السياسية في العالم منذ سقوط الاتحاد السوفيتي

لكنها العقلية العلمانية التي تتكشف من رماد بيئة استئصالية لازالت تداعب عقول الكثيرين.

ولنرجع إلى تعليق الدكتور محمد عصفور إذ يقول موجها كلامه إلى العلمانيين: (أن يسائلوا أنفسهم: كيف تسيطر المعتقدات بل والأساطير الدينية إلى هذا الحد على مصائر الشعوب؟ وعليهم أن يستمعوا إلى ما يقوله القس الأمريكي " بريان هيهيو " من أن الكنائس الأمريكية مؤسسات رئيسية، وأنها وإن لم تكن أحزابا سياسية إلا أن دورها واضح في تشكيل وتعبئة جمهور من الأنصار الملتزمين بمنهجها في المسائل السياسية الخارجية).

ويقول الدكتور محمد عصفور في تعليقه على رسالة الدكتور يوسف الحسن: (على الرغم من أن مبدأ الفصل بين الدولة والكنيسة مبدأ دستوري مقرر بالتعديل الدستوري الأمريكي الأول إلا أن للكنيسة والدين هيمنتهما على الحياة الأمريكية في شتى مناحيها، وارتكازا على هذا الواقع أعلنت الحركة المسيحية الأصولية عن أهدافها السياسية بصراحة شديدة، ولذلك قال قادتها: (إن حركتهم تعني الاستيلاء على الولايات المتحدة الأمريكية ومؤسساتها).

وقال أحد زعمائها: (نحن ثوريون، نعمل على قلب التركيبة الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية.. نحن نتحدث عن مسحنة الولايات المتحدة الأمريكية) ولهذا السبب فإنه – وإن بدا أن السلطة السياسية يتقاسمها الحزبان الديموقراطي والجمهوري إلا أن الحركة الأصولية المسيحية والمسيحية السياسية عامة تكون القوة السياسية الغالبة، ليس فقط من خلال التحالف مع اليمين الرجعي في الحزب الجمهوري –!! – وإنما كذلك من خلال التحكم في العملية الانتخابية والتأثير الشديد في ملايين الناخبين الذي تجندهم الحركة لمؤازرة هذا المرشح للرياسة أو ذاك، ولم يكن من المبالغة أن تعتبر الحركة المسيحية الأصولية: " أهم ظاهرة سياسية في القرن

العشرين "، وأن يتوقع لها اللاهوتي الإنجليزي " جيمس بار " أن تستمر خمسمائة عام على الأقل " ولم تبق هذه الظاهرة الدينية السياسية مقصورة أو محصورة في نطاق ما تبشر به هذه الحركة، وإنما هي امتدت إلى انتخابات الرياسة الأمريكية بل وانتخابات الكونجرس الأمريكي، فقد لوحظ – وبحق – أن الشعب الأمريكي انتخب في العقد الأخير رئيسين يؤمنان بأهمية الدين في المجتمع الأمريكي وبحلول عام 1980 كان ثلاثة من المرشحين لرياسة الجمهورية يرفعون نفس الشعار، كما كان واضحا أن مسألة الدين قد احتلت الصدارة في مناقشات الحملات لعام 1984 سواء على شكل التغطية الصحفية، أو التعليقات الإعلامية، أو في تأثير ذلك في المجتمع نفسه، وبينما أعلن كارتر عام 1976 عن شعاره وإيمانه بعقيدة الولادة الثانية كمسيحي Bron Aqain عبر ريجان في 23 أغسطس 1984 في خطاب له بمدينة كنساس عن إيمانه بدور الدين في المجتمع الأمريكي رغم تأكيد التعديل الدستوري الأول لمبدأ الفصل بين الدين والسياسة أو الفصل بين الكنيسة والدولة، ومما جاء في خطابه قوله: " يلعب الدين دورا حاسما في الحياة السياسية لأمتنا) [أنظر سلسلة مقالات للدكتور محمد عصفور بجريدة الوفد حوالي
17\7\1988].

وأخيرا ليقل لنا العلمانيون في بلادنا: هل يسمحون بوضع شعار ديني على ورق البنكنوت كما هو الحال في أوراق البنكنوت الأمريكية؟

ويقول الأستاذ الدكتور محمد البهي عن العلمانية في أوربا بوجه عام: (إن الموطن الذي ولد فيه الفكر العلماني – وهو إنجلترا وفرنسا وألمانيا – لم يأخذ بالاتجاه العلماني في التطبيق في الحياة العملية: التاج البريطاني لم يزل حاميا للبروتستنت، وفرنسا لم تزل حامية للكثلكة في صورة عملية، والدولة في انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا رغم إعلان أنها علمانية تساعد المدارس الدينية من ضرائبها التي تجبيها من المواطنين مع علمها باستقلال هذه المدارس في برامجها التعليمية، وببعدها عما تجريه الدولة من تفتيش على النفقات التي تنفقها) [ص: 30]

وعندما كتب الدكتور البهي ثلاث مقالات بمجلة الأزهر عام 1985 عن المستشرقين والمبشرين واعتبرت بعض دوائر الفاتيكان أنها تنطوي على بعض الإحراج لشئون

التبشير الكاثوليكي كان أول احتجاج وصل إلى وزارة الخارجية المصرية هو احتجاج سفارة الولايات المتحدة الأمريكية تلاه احتجاجات أخرى عديدة من السفارات الغربية التي تمثل في بلادها أكثرية بروتستنتية أو كاثوليكية على السواء، مما يدل على أن الدولة العلمانية الغربية لم تزل ترعى المسيحية كدين والكنيسة الأوربية كسلطة دينية وتحرص على تمكينها من مباشرة رسالتها، كحرصها على حماية أملاك الكنيسة الأوربية وكحرصها على جباية الضرائب الخاصة بالكنيسة الأوربية عن طريق أجهزتها الإدارية.

وحتى رجال الدولة أنفسهم في ممارستهم السياسية العامة للمجتمع يخضعون في ظروف معينة لملاءمة أنفسهم مع تقاليد الكنيسة الأوربية، وعلى سبيل المثال: دوق أوف وندسور وأنتوني إيدن في انجلترا: كلاهما اضطر إلى ترك الوظيفة العامة أو عدم السعي إليها لأن سلوك كل منهما في حياته الزوجية لا يتفق مع ما تراه الكنيسة الأوربية من تقاليد في الزواج.

والجنرال ديجول في فرنسا أقال وزير التربية الاشتراكي في وزارته بعد أن عاد للحكم في المرة الثانية بسبب عدم موافقة الوزير على مساعدة المدارس الدينية في فرنسا من مدارس الجيزويت والفرير بمبلغ ستين مليونا من الجنيهات الاسترلينية في ميزانية 1963 من غير حق التفتيش عليها من قبل وزارة التربية.

ودولة الفاتيكان لم تزل تقوم من جانبها بدور كبير في سياسة البلاد ذات الأغلبية الكاثوليكية عن طريق الأحزاب السياسية التي تسمى بالديموقراطية المسيحية وكذلك في السياسة الدولية العالمية، فالأحزاب الديموقراطية المسيحية هي أجهزة للعمل على رسم الخطة لتنفيذ اتجاه الفاتيكان بالدرجة الأولى وعن طريقها حالت الكنيسة الأوربية دون أن تتطرف العلمانية إلى النوع الثاني الذي يقيم البلشفية دينا بدل المسيحية أو عملت على إسقاطها بعد قيامها [أنظر العلمانية والإسلام بين الفكر والتطبيق" للأستاذ الدكتور محمد البهي نشرة مجمع البحوث الإسلامية ص 44 وما بعدها].

وجاك شيراك عندما سعى لمنع المحجبات المسلمات من المدارس العامة بدعوى العلمانية الفرنسية كان حريصا على تمرير الصليب والطاقية حصرا عندما استثنى الرموز ذات الحجم الصغير.

وفي بلد مثل فرنسا لعبت دورا بارزا في تاريخ الفكر العلماني ينص مشروع دستور الاتحاد الاوربي الجديد على أن المسيحية هي الإطار الثقافي الذي يتميز به الاتحاد ويشكل أساس الهوية الأوربية، ومعروف أن الرئيس الفرنسي الأسبق جيسكار ديستان هو الذي أشرف على أو تولى صياغة مشروع هذا الدستور، وكان هو أحد المعترضين على قبول تركيا في الاتحاد الأوروبي لأنها دولة إسلامية سوف تخل بالهوية الاوروبية.. [من مقال أحمد عباس صالح بجريدة الشعب الألكترونية بتاريخ 2003\7\5].

ومن هنا تتبين المغالطة الخبيثة التي تروجها العلمانية في بلادنا: في القول بأن التقدم الأوربي تحقق عن طريق استبعاد الدين أو فصله عن الدولة، وتتبين دلالة الصرخة التي انفلق عنها رأس العلماني الذي عاين مكانة البابا في الولايات المتحدة الأمريكية عندما قال: (هل وقعنا نحن المسلمين ضحية لعبة شديدة الخبث خرجنا منها بلا صواريخ ولا دين، بل بالفقر والكفر، بينما احتفظ الآخرون بدينهم ووضعوا أعلامهم فوق القمر).

ولا نريد أن نذهب بعيدا فالصلة القائمة هناك بين الدين والدولة لا تعني انفصالا كما لا تعني اندماجا وهي في الوضعية نفسها للصلة بين السلطات المختلفة في كيان الدولة: وهو فصل يتم تحت مظلة الدولة الواحدة ويظهر لنا أن الأمر لا يعدو أن يكون نوعا من الفصل بين السلطات: سلطة التشريع، وسلطة القضاء، وسلطة التنفيذ، وسلطة رجال الدين، مع إعطاء كل سلطة حقها الكامل في التأثير على الحياة الدنيا، وهو نموذج لا يمكن نقله إلينا أيضا لأنه لا سلطة في الدين الإسلامي لما يسمى رجال الدين، ولن الدين الإسلامي لا يسمح بان يكون له مكان دون مكان المشروعية العليا.

وبهذا بينا قوة تداخل المفاهيم الدينية في بنية الدولة في الغرب وخططها السياسية مما يعني انه على العلمانيين في بلادنا أن يراجعوا أنفسهم ويكفوا عن الزعم بان التقدم مرتبط باستبعاد الدين عن تنظيم شئون الحياة الدنيا اللهم إلا إن كانوا بقايا فلول العلمانية الماركسية.

وسنبين في المقال القادم – إن شاء الله – أنه في علاقة الغرب بنا كانت حروبهم معنا دينية، ليس ذلك فحسب في حروبهم التاريخية المتقادمة ضدنا في الحروب الصليبية، أوفي حروبهم ضد المسلمين في الأندلس ولكن في حروبهم ضد المسلمين في عقر دار العصر الحديث عصر التنويروالحداثة!!

كما نبين إن شاء الله نشاط كنائس الغرب في مجال السياسة نشاطا يلقى الاحترام والاعتراف والتقدير من الجماهير والرأي العام وأصحاب النفوذ على السواء.

=============

#كراهية الغرب للمسلمين .. متى تنتهي ؟

الإسلام اليوم – القاهرة 1423/4/11

2002/06/22

قضية العلاقة بين الإسلام والغرب .. شائكة وحساسة ومليئة بالمرارات والعداوات

فما هي المحطات التي أدت إلى هذه الحال المعقدة من الكراهية ؟!

وهل يمكن التغلب على هذه الحال وإقامة علاقات أكثر رشدا وأكثر عدالة ؟

" محطات الكراهية "

في البداية نقف مع المحطات الرئيسة للاحتكاك بين الإسلام والغرب، والتي أدت إلى هذه الكراهية مع الدكتورة نادية مصطفى أستاذ العلاقات الدولية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة التي تقول إن المحطة الأولى كانت بعد ظهور الإسلام مباشرة وانتشاره في شبه الجزيرة العربية وكانت قسمين .. القسم الشرقي البيزنطي وكان موجودا في الشام ومصر وأماكن شرقية أخرى وكان الأقوى .. وقسم غربي في أوروبا بين الفرنسيين والألمان نتج عنه ممالك جزئية صغيرة .

وهكذا فقد احتك الإسلام بالجزء الأقوى من الدولة الرومانية المسيحية الأوروبية وهو الجزء البيزنطي الشرقي وأجلاه عن الشام ومصر بعد معارك طاحنة وطويلة وممتدة .

والمحطة الثانية كانت في وصول الإسلام إلى الأندلس جنوبي أوروبا في عهد الخلافة الأموية .. واستقر الإسلام في هذه المنطقة الأوروبية لحوالي ست مئة عام، وكان يمكن أن يتوغل في فرنسا وألمانيا .

هذا الوجود والانتصار الإسلامي ثم المعارك التي خاضها الأوروبيون ضده .. وإبادة المسلمين الذين بقوا بعد زوال دولتهم .. أوجد كراهية للإسلام والمسلمين .

أما المحطة الثالثة فجاءت في الحروب الصليبية الحاقدة التي رفعت الصليب واستمرت لأكثر من مئتي عام، واحتلت بيت المقدس وكثيرًا من البلاد العربية، ولقيت هزيمة كبيرة وارتكب فيها الصليبيون مجازر مروعة ضد المسلمين .

والمحطة الرابعة كانت في فتح القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية المسيحية وما أعقب ذلك من قيام الدولة العثمانية التي وصلت إلى غرب ووسط أوروبا وحتى حدود النمسا الحالية لدرجة أن الوجود الإسلامي في وسط أوروبا مثل ألبانيا وكوسوفا ومقدونيا والبوسنة هو بفضل الوجود العثماني ، ووقفت الدولة العثمانية طيلة خمس مئة عام في وجه الأطماع الأوروبية ومنتصرة عليها ..

أما المحطة الخامسة فكانت في حركة الاستعمار الأوروبي للعالم العربي والإسلامي التي جاءت في أعقاب عصر النهضة والكشوف الجغرافية .. ونتج عن ذلك إحاطة الاستعمار الأوروبي المسيحي بالعالم الإسلامي واستيلائه على هذه البلاد واستعماره لها ونهبه لثرواتها .

وكانت المحطة السادسة في حركات التحرر التي قامت في العالم العربي والإسلامي للتخلص من الاستعمار وما نتج عن ذلك من صراع دموي راح فيه الملايين من المسلمين كما حدث في الجزائر .

وكانت المحطة السابعة في إنشاء الغرب الأوروبي والأمريكي لإسرائيل كرأس حربة في قلب العالم العربي والإسلامي .. وكيان صهيوني يحافظ على المصالح الغربية الاستعمارية ويقف ضد وحدة العالم العربي والإسلامي .

أما المحطة الثامنة والأخيرة فهي معركة مكافحة ما يسمى بالإرهاب التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ومعها أوروبا ضد العالم العربي والإسلامي في أعقاب تفجيرات سبتمبر الماضي .. واستهداف أمريكا لكل حركات المقاومة في العالم الإسلامي .

هذه المحطات هي محطات صراع متواصلة ساعدت على تضخم حالة الكراهية المتبادلة بين الطرفين .

" صورة ذهنية مشوهة "

أما د. صلاح عبد المتعال الخبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية فيقول: إن نوعية الحياة في الغرب ارتبطت أساليبها بوحشية النظام الإنتاجي الرأسمالي ، وضرورة ضمان أسواق له في شتى بقاع العالم ، وابتداع نظام الشركات متعددة الجنسية وحمايتها بكل السبل ، إلى درجة تبرير التدخل العسكري السافر .. وأخيرا قهر الدول للانضمام إلى اتفاقية (الجات) التي ستؤول فوائدها بشكل جوهري إلى الدول الأكثر تقدما على حساب الأخرى المتخلفة والأقل نموا .

أهم من ذلك أن الغرب يتصور واهما أن حضارته ومدنيته أسبق وأفضل الحضارات والمدنيات .. ولها الحق في قيادة غيرها من سائر البشر .. يساعدهم على ذلك تمكنهم بسيطرة القوة والإرهاب بالتهديد والوعيد لمن لا يكون معهم أو في صفهم كما مؤخرا في تداعيات 11 سبتمبر 2001 والأزمة الأفغانية .. والصمت القاتل عن جرائم الحرب الإسرائيلية في فلسطين .

وهكذا فإن الشقة بين الحضارتين الغربية والإسلامية بعيدة ، وأسباب ابتعادها تكمن في تضارب المصالح أولا ، وفي الصورة الذهنية المشوهة عن الإسلام بفعل كثير من المفكرين والمستشرقين ، وخيرات الشعور بالعداوة التاريخية الصليبية ، وسلوكيات مخالفة للإسلام وروحه بين المجتمعات الإسلامية ودولها وحكامها .

وبالتالي تأتي أهمية تصحيح الصورة الذهنية لدى الغرب عن الإسلام .. ولكن يسبق ذلك ضرورة تصحيح المفاهيم الأساسية في العالم العربي والإسلامي ، وتنقية التراث من شوائب البدع والغلو .. والاتجاه نحو الوسطية والاعتدال .. والسير قدما نحو تحقيق دعائم الاستخلاف وتنمية المجتمعات العربية والإسلامية والأخذ بأسباب القوة بالتقدم المعرفي والعلمي والتقني ، وتطوير المنظومة التربوية والتعليمية يف إطارها الإيماني .

وخلاصة القول أن الإسلام بقيمه الإنسانية في العدل والحرية والمساواة يجب أن ينعكس في ضروب السلوك الاجتماعي والسياسي لدى الشعوب والحكام .

وهذا هو السبيل الموضوعي لقناعة الآخر بإنسانية وعالمية الإسلام وجدوى حضارته .. وحتى يتحقق ذلك فلا يخلو الأمر من أهمية الدراسة والبحث والتخطيط المحكم

لتنشيط حركة السياسية والاجتماعية والشعبية ومنظمات المجتمع المدني على المستويات الإقليمية والدولية .. وتوثيق الروابط والخبرات بين الشخصيات والمنظمات الثقافية والجامعية في الغرب والشرق ، وهذا كله وغيره لا يغنى عن جهود مستمرة لتطوير السياسة الإعلامية الفضائية ، ووضع منهجية ملائمة للخطاب الإسلامي الموجه للشعوب الغربية والآسيوية والأفريقية وغيرها .

"حلم بعيد المنال "

بينما يرى الدكتور محمد أحمد الصادق (أستاذ العلوم السياسية بجامعة عين شمس) أن الحديث عن خطة طموحة لترشيد العلاقات الإسلامية الغربية وتحسينها هو أمر صعب التحقيق في الواقع ؛ لأننا إذا كنا نتحدث عن حوار الحضارات والتعاون والتفاعل بدلا من الصراع والإلحاق والتبعية .. فمن سيسمح لنا بذلك ؟

إن الغرب الآن تستولي عليه تماما فكرة صراع الحضارات وإذلال الآخر، وضرورة إلحاقه بالركب الغربي وإعادة صياغته لتلائم النموذج الغربي .. وبالتالي فإننا يجب أن نسأل أنفسنا عدة أسئلة في هذا السياق ..

السؤال الأول: هل الغرب سيتقبل الحديث عن علاقة متوازنة ومحترمة ؟

السؤال الثاني: هل نحن في موقع يسمح لنا بطرح الموضوع أساسا ؟

السؤال الثالث: أيُّ القوى في بلادنا ستقوم بالحديث عن هذا الموضوع مع الغرب والتفاوض بشأنه ؟

والإجابة عن السؤال الأول تقول إن الغرب القوى لن يتقبل من الحديث عن هذا الموضوع .. لأن له مصالح في بلادنا .. والموضوع تحكمه موازين القوى وهي في صالحه .. ولذلك فسوف يستمر في استخدام قوته واستغلال ضعفنا لفرض ما يريده بالقوة والقهر .. وتحكمه في ذلك مواريث العداوة التاريخية .

أما السؤال الثاني فهو محور القضية .. فنحن في موقع الضعيف المتهالك الذي لا يستطيع أن يجبر خصمه على احترامه والخوف منه والجلوس معه على مائدة المفاوضات . إننا من الضعف بمكان لدرجة أننا نقف في الخندق الأخير للدفاع عن هويتنا .

إننا لا يمكن أن نطرح هذا السؤال الثاني إلا إذا كانت ذاتنا حقيقية ولها وجود حقيقي وحضور .

أما السؤال الثالث والمتعلق بمن سيتحدث باسمنا ويفاوض الغرب .. والإجابة معروفة فالقوى الوطنية والإسلامية مقهورة في عالمنا العربي والإسلامي .. بينما العلمانية المنهزمة أمام الغرب والعميلة له هي المسيطرة وسوف تتعاون مع الغرب ضد الإسلام .

" إرهاب صليبي فاق كل الحدود "

ويزيد الأمر تعقيدا أن المحطة الأخيرة في الاحتكاك والعداء بين الغرب والإسلام وهي ما يسمى بمكافحة الإرهاب .. قد فاقت كل المحطات واستوعبتها .. ففيها من مذابح الصليبين في القدس كما نرى في الدعم اللا متناهي لليهود في فلسطين لتنفيذ مذابح مخيم جنين وغيره .. وفيها من الاستعمار الاستيطاني في القرن الثامن عشر ومن الكراهية والحقد ضد الإسلام في العصور الوسطى وعصر النهضة .. وفيها من الإمبريالية في بداية القرن العشرين، ويزيد من خطورة الهجمة الحالية أن الهجمات السابقة كانت هناك مقاومة لها متعددة الأشكال والدرجات، وكنا نكسب الكثير منها أو كسبنا معظمها .. أما الآن فلا توجد مقاومة .. وإذا وجدت ففينا من يسعى لوأدها .. وانتشر بل مفهوم التطبيع في مواجهة المقاومة .

==============

#ماهي العلمانية

محمد شاكر شريف

سؤال قصير ، لكنه في حاجة إلى جواب طويل ، واضح وصريح ، ومن الأهمية بمكان أن يعرف المسلمون جواباً صحيحاً لهذا السؤال ، وقد كُتبت – بحمد الله – عدة كتب في هذا المجال ، وما علينا إلا أن نعلم فنعمل .

نعود إلى جوانب سؤالنا ، ولن نتعب في العثور على الجواب الصحيح ، فقد كفتنا القواميس المؤلفة في البلاد الغربية ، التي نشأت فيها العلمانية ، مؤنة البحث والتنقيب ، فقد جاء في القاموس الإنجليزي ؛ أن كلمة " علماني " تعني :

1- دنيوي أو مادي .

2- ليس بديني أو ليس بروحاني .

3 - ليس بمترهب ، ليس برهباني .

وجاء أيضاً في نفس القاموس ، بيان معنى كلمة العلمانية ، حيث يقول :

العلمانية : هي النظرية التي تقول : إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبنيين على أسس دينية .

وفي دائرة المعارف البريطانية ، نجدها تذكر عن العلمانية : أنها حركة اجتماعية ، تهدف إلى نقل الناس من العناية بالآخرة إلى العناية بالدار الدنيا فحسب .

ودائرة المعارف البريطانية حينما تحدثت عن العلمانية ، تحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد ، وقد قسّمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين :

* إلحاد نظري :

* إلحاد عملي ، وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي .

وما تقدم ذكره يعني أمرين :

أولهما : أن العلمانية مذهب من المذاهب الكفرية : التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا ، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، والقانونية وغيرها ، بعيداً عن أوامر الدين ونواهيه .

ثانيهما : أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم ، كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس ، بأن المراد بالعلمانية : هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به ، فقد تبيّن كذب هذا الزعم وتلبيسه ، بما ذُكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها .

ولهذا ، لو قيل عن هذه الكلمة " العلمانية " إنها : " اللادينية لكان ذلك أدق تعبيراً وأصدق " ، وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس وأوضح في المدلول .

كيف ظهرت العلمانية ؟!

كان الغرب النصراني في ظروفه الدينية المتردية هو البيئة الصالحة ، والتربة الخصبة ، التي نبتت فيها شجرة العلمانية وترعرعت ، وقد كانت فرنسا بعد ثورتها المشهورة هي أول دولة تُقيم نظامها على أساس الفكر العلماني ، ولم يكن هذا الذي

حدث من ظهور الفكر العلماني والتقيّد به – بما يتضمنه من إلحاد ، وإبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة ، بالإضافة إلى بُغض الدين ومعاداته ، ومعاداة أهله – أقول لم يكن هذا حدثاً غريباً في بابه ؛ ذلك لأن الدين عندهم حينئذٍ لم يكن يمثل وحي الله الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وإنما تدخلت فيه أيدي التحريف والتزييف : فبدلت وغيرت وأضافت وحذفت ، فكان من نتيجة ذلك أن تعارض الدين المُبدَّل مع مصالح الناس في دنياهم ، ومعاملاتهم في الوقت نفسه الذي تعارض مع حقائق العلم الثابتة ، ولم تكتف الكنيسة – الممثلة للدين عندهم – بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل ، حتى جعلت ذلك ديناً يجب الالتزام به ، وحاكمت إليه العلماء المكتشفين ، والمخترعين ، وعاقبتهم على اكتشافاتهم العلمية المناقضة للدين المُبدّل ، فاتهمتهم بالزندقة والإلحاد ، فقتلت من قتلت ، وحرَّقت من حرَّقت ، وسجنت من سجنت .

ومن جانب آخر فإن الكنيسة – الممثلة للدين عند النصارى – أقامت تحالفاً غير شريف مع الحكام الظالمين ، وأسبغت عليهم هالاتٍ من التقديس ، والعصمة ، وسوَّغت لهم كل ما يأتون به من جرائم وفظائع في حق شعوبهم ، زاعمةً أن هذا هو الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له والرضا به .

من هنا بدأ الناس هناك يبحثون عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها ، ولم يكن مخرجهم الذي اختاروه إذ ذاك ، إلا الخروج على ذلك الدين – الذي يحارب العلم ويناصر المجرمين – والتمرد عليه وإبعاده وطرده ، من كافة جوانب الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والعلمية ، والأخلاقية ، وغيرها .

ويا ليتهم إذ خرجوا على هذا الدين المُبدّل اهتدوا إلى دين الإسلام ، ولكنهم أعلنوها حرباً على الدين عامة .

وإذا كان هذا الذي حدث في بلاد الغرب النصراني ليس بغريب ، فإنه غير ممكن في الإسلام ، بل ولا متصور الوقوع ؛ فوحي الله في الإسلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا هو ممكن التحريف والتبديل ، ولا هو ممكن أن يُزاد فيه أو يُنقص منه ، وهو في الوقت نفسه لا يُحابي أحداً ، سواء كان حاكماً أو محكوماً ، فالكل أمام شريعته سواء ، وهو أيضاً يحافظ على مصالح الناس الحقيقية ، فليس فيه

تشريع واحد يُعارض مصلحة البشرية ، وهو أيضاً يحرص على العلم ويحضّ عليه ، وليس فيه نصّ شرعي صحيح يعارض حقيقة علمية ؛ فالإسلام حق كله ، خير كله ، عدل كله ، ومن هنا فإن كل الأفكار والمناهج التي ظهرت في الغرب بعد التنكر للدين والنفور منه ، ما كان لها أن تظهر بل ما كان لها أن تجد آذاناً تسمع في بلاد المسلمين ، لولا عمليات الغزو الفكري المنظمة ، والتي صادفت في الوقت نفسه، قلوباً من حقائق الإيمان خاوية ، وعقولاً عن التفكير الصحيح عاطلة ، ودنيا في مجال التمدن ضائعة متخلفة .

ولقد كان للنصارى العرب المقيمين في بلاد المسلمين دورٌ كبير ، وأثرٌ خطير ، في نقل الفكر العلماني إلى ديار المسلمين ، والترويج له ، والمساهمة في نشره عن طريق وسائل الإعلام المختلفة ، كما كان أيضاً للبعثات التعليمية التي ذهب بموجبها طلاب مسلمون إلى بلاد الغرب لتلقي أنواع العلوم الحديثة أثر كبير في نقل الفكر العلماني ومظاهره إلى بلاد المسلمين ، حيث افتتن الطلاب هناك بما رأوا من مظاهر التقدم العلمي وآثاره ، فرجعوا إلى بلادهم محملين بكل ما رأوا من عادات وتقاليد ، ونظم اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، عاملين على نشرها والدعوة إليها ، في الوقت نفسه الذي تلقاهم الناس فيه بالقبول الحسن ، توهماً منهم أن هؤلاء المبعوثين هم حملة العلم النافع ، وأصحاب المعرفة الصحيحة ، ولم تكن تلك العادات والنظم والتقاليد التي تشبّع بها هؤلاء المبعوثون وعظموا شأنها عند رجوعهم إلى بلادهم إلا عادات وتقاليد ونظم مجتمع رافض لكل ما له علاقة ، أو صلة بالدين .

ومثل هذا السرد الموجز وإن كان يدلنا على كيفية دخول العلمانية إلى بلاد المسلمين ، فإنه أيضاً ينبهنا إلى أمرين هامين :

أحدهما : خطورة أصحاب العقائد الأخرى من النصارى وغيرهم الذين يعيشون في بلاد المسلمين ، وكيف أنهم يكيدون للإسلام وأهله ؟ مما يوجب علينا الحذر كل الحذر من هؤلاء الناس ، وأن ننزلهم المنزلة التي أنزلهم الله إليها ، فلا نجعل لهم في بلاد المسلمين أدنى نوع من أنواع القيادة والتوجيه ، كما ينبغي أن تكون كل وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير موصدة الأبواب في وجوههم ، حتى لا يبثوا سمومهم

بين المسلمين ... لكن من يفعل ذلك ! وكثير من الأنظمة تجعل لهم مكانة سامية من أجل نشر هذه السموم ... حسبنا الله ونعم الوكيل .

ثانيهما : خطورة الابتعاث الشديدة على أبناء المسلمين ، فكم من مسلم ذهب إلى هناك ثم رجع بوجه غير الوجه الذي ذهب به ، وقلب غير القلب الذي ذهب به ، وإذا كانت هناك داعي لذهاب بعض المسلمين للحصول على المعرفة في مجال العلوم التجريبية ، فكيف يمكننا القبول بذهاب بعض المسلمين للحصول على درجات علمية في علوم الشريعة بعامة ، واللغة العربية خاصة ؟! فهل اللغة العربية لغتهم أم لغتنا ؟ ! وهل القرآن الكريم أنزل بلغتهم أم بلغتنا ؟ !

وهل يُعقل أن المسلم يمكنه الحصول على المعرفة الصحيحة بعلوم الإسلام وشريعته من أناس هم أشدُ الناس كفراً وحقداً على الإسلام وأهله ؟ !

(bytes 43840.jpg (0010CYB

صور العلمانية

الصورة الثانية : العلمانية غير الملحدة وهي علمانية لا تنكر وجود الله ، وتؤمن به إيماناً نظرياً ، لكنها تنكر تدخل الدين في شئون الدنيا ، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا ، وهذه الصورة أشد خطراً من الصورة السابقة من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين ، فعدم إنكارها لوجود الله ، وعدم ظهور محاربتها للتدين ، يغطي على أكثر عوام المسلمين حقيقة هذه الدعوة الكفرية ، فلا يتبيّنون ما فيها من الكفر لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين ، ولذلك تجد أكثر الأنظمة الحاكمة اليوم في بلاد المسلمين أنظمة علمانية ، والكثرة الكاثرة والجمهور الأعظم من المسلمين لا يعرفون حقيقة ذلك .

ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم ، تحارب الدين حقيقة ، وتحارب الدعاة إلى الله ، وهي آمنة مطمئنة أن يصفها أحد بالكفر والمروق من الدين ؛ لأنها لم تظهر بالصورة الأولى ، وما ذلك إلا لجهل كثير من المسلمين ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا وسائر المسلمين ، وأن يفّقه الأمة في دينها حتى تعرف حقيقة الوضع الذي هي فيه ، وحتى تعرف حقيقة هذه الأنظمة المعادية للدين .

ولهذا فليس من المستبعد أو الغريب عند المسلم الفاهم لدينه أن يجد في كلمات أو كتابات كثير من العلمانيين ، المعروفين بعلمانيتهم ، ذكرَ الله سبحانه وتعالى ، أو ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو ذكر الإسلام ، وإنما تظهر الغرابة وتبدو الدهشة عند أولئك الذين لا يفهمون حقائق الأمور .

والخلاصة أن العلمانية بصورتيها السابقتين كفر بواح لا شك فيها ولا ارتياب ، وأن من آمن بأي صورة منها وقبلها فقد خرج من دين الإسلام والعياذ بالله ؛ وذلك أن الإسلام دين شامل كامل ، له في كل جانب من جوانب الإنسان الروحية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والأخلاقية ، والاجتماعية ، منهج واضح وكامل ، ولا يقبل ولا يُجيز أن يشاركه فيه منهج آخر ، قال الله تعالى مبيناً وجوب الدخول في كل مناهج الإسلام وتشريعاته : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) (البقرة : 208) .

وقال تعالى مبيناً كفر من أخذ بعضاً من مناهج الإسلام ، ورفض البعض الآخر : (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) . (البقرة : 85) .

...

(bytes 31280.jpg (0007CYB

والأدلة الشرعية كثير جداً في بيان كفر وضلال من رفض شيئاً محققاً معلوماً أنه من دين الإسلام ، ولو كان هذا الشيء يسيراً جداً ، فكيف بمن رفض الأخذ بكل الأحكام الشرعية المتعلقة بسياسة الدنيا – مثل العلمانيين – من فعل ذلك فلا شك في كفره .

والعلمانيون قد ارتكبوا ناقضاً من نواقض الإسلام ، يوم أن اعتقدوا أن هدي غير النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه ، وأن حكم غيره أفضل من حكمه .

قال سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز (رحمه الله) : " ويدخل في القسم الرابع – أي من نواقض الإسلام – من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام ، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين ، أو

أنه كان سبباً في تخلف المسلمين ، أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه ، دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى

طبقات العلمانيين

والعلمانيون في العالم العربي والإسلامي كثيرون – لا أكثر الله من أمثالهم – منهم كثير من الكُتّاب والأدباء والصحفيين ، ومنهم كثير ممن يسمونهم بالمفكرين ، ومنهم أساتذة في الجامعات ، ومنهم جمهرة غفيرة منتشرة في وسائل الإعلام المختلفة ، وتسيطر عليها ، ومنهم غير ذلك .

وكل هذه الطبقات تتعاون فيما بينها ، وتستغل أقصى ما لديها من إمكانات لنشر العلمانية بين الناس ، حتى غدت العلمانية متفشية في جُلّ جوانب حياة المسلمين ، نسأل الله السلامة والعافية .

نتائج العلمانية في العالم العربي والإسلامي

وقد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم .

وها هي بعض الثمار الخبيثة للعلمانية :

1- رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى ؛ وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة ، والاستعاضة عن الوحي الإلهي المنُزَّل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله ، واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية ، اعتبار ذلك تخلفاً ورجعية وردّة عن التقدم والحضارة ، وسبباً في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم ، وإبعادهم عن تولي الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب ، حتى لا يؤثروا فيهم .

2- تحريف التاريخ الإسلامي وتزييفه ، وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية ، على أنها عصور همجية تسودها الفوضى ، والمطامع الشخصية .

3 – إفساد التعليم وجعله خادماً لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق :

أ – بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ ، والطلاب في مختلف مراحل التعليم .

ب- تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن .
جـ- منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم .
د - تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها ، بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني ، أو على الأقل أنها لا تعارضه .
هـ - إبعاد الأساتذة المتمسكين بدينهم عن التدريس ، ومنعهم من الاختلاط بالطلاب ، وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش .
و- جعل مادة الدين مادة هامشية حيث يكون موضعها في آخر اليوم الدراسي ، وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب .
4- إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة ، وهم المسلمون ، وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد ، وصهر الجميع في إطار واحد ، وجعلهم جميعاً بمنزلة واحدة من حيث الظاهر ، وإن كان في الحقيقة يتم تفضيل أهل الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان على أهل التوحيد والطاعة والإيمان .
فالمسلم والنصراني واليهودي والشيوعي والمجوسي والبرهمي كل هؤلاء وغيرهم ، في ظل هذا الفكر بمنزلة واحدة يتساوون أمام القانون ، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني
وفي ظل هذا الفكر يكون زواج النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الشيوعي بالمسلمة أمراً لا غبار عليه ، ولا حرج فيه ، كذلك لا حرج عندهم أن يكون اليهودي أو النصراني أو غير ذلك من النحل الكافرة حاكماً على بلاد المسلمين وهم يحاولون ترويج ذلك في بلاد المسلمين تحت ما أسموه بـ " الوحدة الوطنية " .
بل جعلوا " الوحدة الوطنية " هي الأصل والعصام ، وكل ما خالفها من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، طرحوه ورفضوه ، وقالوا : " هذا يعرّض الوحدة الوطنية للخطر !!" .
5- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية ، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية وتشجيع ذلك والحض عليه : وذلك عن طريق :
أ - القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة .

ب – وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكلُّ ولا تملُ من محاربة الفضيلة ، ونشر الرذيلة بالتلميح مرة ، وبالتصريح أخرى ليلاً ونهاراً .

ج – محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات .

6- محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق :

أ – تضييق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي ، مع إفساح المجال للكتب الضالة المنحرفة التي تشكك في العقيدة الإسلامية ، والشريعة الإسلامية .

ب – إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين المنحرفين لمخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر الضال المنحرف ، ولتحريف معاني النصوص الشرعية ، مع إغلاق وسائل الإعلام في وجه علماء المسلمين الذين يُبصرّوُن الناس بحقيقة الدين .

7 – مطاردة الدعاة إلى الله ، ومحاربتهم ، وإلصاق التهم الباطلة بهم ، ونعتهم بالأوصاف الذميمة ، وتصويرهم على أنهم جماعة متخلفة فكرياً ، ومتحجرة عقلياً ، وأنهم رجعيون ، يحاربون كل مخترعات العلم الحديث النافعة ، وأنهم متطرفون متعصبون لا يفقهون حقيقة الأمور ، بل يتمسكون بالقشور ويدعون الأصول .

8 – التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية ، وذلك عن طريق النفي أو السجن أو القتل .

9 – إنكار فريضة الجهاد في سبيل الله ، ومهاجمتها ، واعتبارها نوعاً من أنواع الهمجية وقطع الطريق .

وذلك أن الجهاد في سبيل الله معناه القتال لتكون كلمة الله هي العليا ، وحتى لا يكون في الأرض سلطان له القوة والغلبة والحكم إلا سلطان الإسلام ، والقوم – أي العلمانيين – قد عزلوا الدين عن التدخل في شئون الدنيا ، وجعلوا الدين – في أحسن أقوالهم – علاقة خاصة بين الإنسان وما يعبد ، بحيث لا يكون لهذه العبادة تأثير في أقواله وأفعاله وسلوكه خارج مكان العبادة .

فكيف يكون عندهم إذن جهاد في سبيل إعلاء كلمة الدين ؟ !

والقتال المشروع عند العلمانيين وأذنابهم إنما هو القتال للدفاع عن المال أو الأرض ، أما الدفاع عن الدين والعمل على نشره والقتال في سبيله ، فهذا عندهم عمل من أعمال العدوان والهمجية التي تأباها الإنسانية المتمدنة ؟ !

10 – الدعوة إلى القومية أو الوطنية ، وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح ، على ألا يكون الدين عاملاً من عوامل التجميع ، بل الدين من منظار هذه الدعوة يُعدّ عاملاً من أكبر عوامل التفرّق والشقاق ، حتى قال قائل منهم : "والتجربة الإنسانية عبر القرون الدامية ، دلّت على أن الدين – وهو سبيل الناس لتأمين ما بعد الحياة – ذهب بأمن الحياة ذاتها " .

هذه هي بعض الثمار الخبيثة التي أنتجتها العلمانية في بلاد المسلمين ، وإلا فثمارها الخبيثة أكثر من ذلك بكثير .

والمسلم يستطيع أن يلمس أو يدرك كل هذه الثمار أو جُلّها في غالب بلاد المسلمين ، وهو في الوقت ذاته يستطيع أن يُدرك إلى أي مدى تغلغلت العلمانية في بلدٍ ما اعتماداً على ما يجده من هذه الثمار الخبيثة فيها .

والمسلم أينما تلفت يميناً أو يساراً في أي بلد من بلاد المسلمين يستطيع أن يدرك بسهولة ويسر ثمرة أو عدة ثمار من هذه الثمار الخبيثة ، بينما لا يستطيع أن يجد بالسهولة نفسها بلداً خالياً من جميع هذه الثمار الخبيثة .

وسائل العلمانية في تحريف الدين في نفوس المسلمين وتزييفه

للعلمانية وسائل متعددة في تحريف الدين في نفوس المسلمين منها :

1 – إغراء بعض ذوي النفوس الضعيفة والإيمان المزعزع بمغريات الدنيا من المال والمناصب ، أو النساء لكي يرددوا دعاوي العلمانية على مسامع الناس ، لكنه قبل ذلك يُقام لهؤلاء الأشخاص دعاية مكثفة في وسائل الإعلام التي يسيطر عليها العلمانيون لكي يظهروهم في ثوب العلماء والمفكرين وأصحاب الخبرات الواسعة ، حتى يكون كلامهم مقبولاً لدى قطاع كبير من الناس ، وبذلك يتمكنون من التلبيس على كثير من الناس .

2 – القيام بتربية بعض الناس في محاضن العلمانية في البلاد الغربية ، وإعطائهم ألقاباً علمية مثل درجة " الدكتوراه " أو درجة "الأستاذية" ثم رجوعهم بعد ذلك ليكونوا أساتذة في الجامعات ، ليمارسوا تحريف الدين وتزييفه في نفوس الطبقة المثقفة على أوسع نطاق ، وإذا علمنا أن الطبقة المثقفة من خريجي الجامعات والمعاهد العلمية ، هم في الغالبية الذين بيدهم أزِمَّة الأمور في بلادهم ، علمنا مدى الفساد الذي يحدث من جرّاء وجود هؤلاء العلمانيين في المعاهد العلمية والجامعات .

3 – تجزىء الدين والإكثار من الكلام والحديث والكتابة عن بعض القضايا الفرعية ، وإشغال الناس بذلك ، والدخول في معارك وهمية حول هذه القضايا مع العلماء وطلاب العلم والدعاة لإشغالهم وصرفهم عن القيام بدورهم في التوجيه ، والتصدي لما هو أهم وأخطر من ذلك بكثير .

4– تصوير العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله – في كثير من وسائل الإسلام المقروءة والمسموعة والمرئية – على أنهم طبقة منحرفة خلقياً ، وأنهم طلاب دنيا من مال ومناصب ونساء حتى لا يستمع الناس إليهم ، ولا يثقوا في كلامهم ، وبذلك تخلو الساحة للعلمانيين في بث دعواهم .

5 – الحديث بكثرة عن المسائل الخلافية ، واختلاف العلماء وتضخيم ذلك الأمر ، حتى يخيل للناس أن الدين كله اختلافات وأنه لا اتفاق على شيء حتى بين العلماء بالدين ، مما يوقع في النفس أن الدين لا شيء فيه يقيني مجزوم به ، وإلا لما وقع هذا الخلاف ، والعلمانيون كثيراً ما يركزون على هذا الجانب ، ويضخمونه ، لإحداث ذلك الأثر في نفوس المسلمين ، مما يعني انصراف الناس عن الدين .

6 – إنشاء المدارس والجامعات والمراكز الثقافية الأجنبية ، والتي تكون خاضعة – في حقيقة الأمر – لإشراف الدولة العلمانية التي أنشأت هذه المؤسسات في ديار المسلمين ، حيث تعمل جاهدة على توهين صلة المسلم بدينه إلى أقصى حد ممكن ، في نفس الوقت الذي تقوم فيه بنشر الفكر العلماني على أوسع نطاق ، وخاصة في الدراسات الاجتماعية ، والفلسفية ، والنفسية .

7- الاتكـاء علـى بعـض القواعـد الشـرعية والمنضـبطة بقواعـد وضـوابط الشـريعة ، الاتكـاء عليهـا بقـوة فـي غيـر محلهـا وبغيـر مراعـاة هـذه الضـوابط ، ومـن خـلال هـذا الاتكاء الضال والمنحرف يحاولون ترويج كل قضايا الفكر العلماني أو جُلّها .

فمن ذلك مثلاً قاعدة المصـالح المرسلة يفهمونهـا علـى غيـر حقيقتهـا ويطبقونهـا فـي غيـر موضـعها ، ويجعلونهـا حجـة فـي رفض كـل مـا لا يحبـون مـن شـرائع الإسـلام ، وإثبـات كـل مـا يرغبـون مـن الأمـور التـي تقـوي العلمانيـة وترّسـخ دعائمهـا فـي بـلاد المسلمين .

وكذلك قاعدة ارتكـاب أخـف الضـررين واحتمـال أدنـى المفسـدتين وقاعـدة الضـرورات تبيح المحظورات، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصـالح ، وصـلاحية الإسـلام لكـل زمان ، واختلاف الفتوى باختلاف الأحوال ، يتخذون من هذه القواعد وأشباهها تُكأة في تذويب الإسلام في النحل والملل الأخرى ، و تمييعه في نفوس المسلمين .

كما يتخذون هذه القواعد أيضاً منطلقاً لنقل كل النظم الاقتصادية ، والسياسية السائدة في عالم الكفار إلى بلاد المسلمين ، من غير أن يتفطن أكثر الناس إلى حقيقة هذه الأمور .

وفـي تصـوري أن هـذا المسلك مـن أخطـر المسـالك وأشدها ضـرراً لمـا فيـه مـن شبهة وتلبيس على الناس أن هذه الأمور إنما هي مرتكزة على قواعد شرعية معترف بها ، وكشـف هـذا المسـلك علـى وجـه التفصـيل ومناقشـة كثيـر مـن هـذه الأمـور علـى وجـه البسط والتوضـيح فـي حاجـة إلـى كتابـة مسـتقلة لكشـف كـل هـذه الأمـور وتوضـيحها وإزالة ما فيها من لبس أو غموض .

ونحن نحب أن نؤكد هنا أن اعتمادهم على هذه القواعد أو غيرها ليس لإيمانهم بها ، وليس لإيمانهم بعموم وشمول وكمال الدين الذي انبثقت منـه هذه القواعد ، وإنمـا هـي عندهم مجرد أداة يتوصلون بها إلى تحقيق غاياتهم الضالة المنحرفة .

واجب المسلمين

في ظل هذه الأوضاع بالغة السوء التي يعيشها المسلمون ، فإن على المسلمين واجباً كبيراً وعظيمـاً ألا وهـو العمـل علـى تغييـر هـذا الواقـع الألـيم الـذي يكـاد يُجـرف الأمـة كلها بعيداً عن الإسلام .

والمسلمون جميعهم اليوم مطالبون ببذل كل الجهد : من الوقت والمال والنفس والولد لتحقيق ذلك ، وإن كان العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله وأصحاب القوة والشوكة عليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم ، لأنهم في الحقيقة هم القادة وغيرهم من الناس تبع لهم .

ولا خروج للمسلمين من هذا الواقع الأليم إلا بالعلم والعمل ؛ فالعلم الذي لا يتبعه عمل لا يغير من الواقع شيئاً ، والعمل على غير علم وبصيرة يُفسد أكثر مما يُصلح .

ولا أقصد بالعلم العلم ببعض القضايا الفقهية الفرعية ولا ببعض الآداب ومحاسن العادات ، كما يحرص كثير من الناس على مثل هذه الأمور ، ويضعونها في مرتبة أكبر من مرتبتها في ميزان الإسلام ، ولكني أقصد بالعلم ، العلم الذي يورث إيماناً صحيحاً صادقاً في القلب ، مؤثراً حب الله ورسوله ودينه على كل ما سوى ذلك ، وباعثاً على العمل لدين الله والتمكين له في الأرض وإن كلفه ذلك ما كلفه من بذل النفس والنفيس ، ولن يتأتى ذلك إلا بالعلم الصحيح بحقيقة دين الإسلام ، واليقين الكامل التام الشامل بحقيقة التوحيد أساس البنيان في دين الإسلام ، ثم لا بد مع ذلك من العلم بالمخاطر التي تتهدد الأمة الإسلامية ، والأعداء الذين يتربصون بها والدعوات الباطلة والهدامة التي يُروّج لها ، وما يتبع ذلك من تحقيق البراءة من أعداء الدين ، وتحقيق الولاية للمؤمنين الصادقين .

وإذا كان من الواجب على المسلمين طلب العلم والدأب في تحصيله وسؤال أهل الذكر ، ليكون المرء على بصيرة كاملة ووعي صحيح ، فإن من الواجب على أصحاب القلم – من الكُتّاب والناشرين – العمل على الإكثار من نشر الكتاب الإسلامي الذي يربط المسلمين بالإسلام كله ، والذي يُعطي كل شرعة من شرائع الإسلام وكل حكم من أحكامه قدره ومنزلته في ميزان الإسلام ، بحيث لا يزيد به عن قدره ولا ينزل به عن مرتبته ، ولا يضخّم جانباً على حساب جوانب أخرى متعددة ، وفي هذا الصدد فإن الكُتّاب والناشرين مدعوون بقوة إلى الالتزام بذلك ، وخاصة في تلك الظروف العصيبة الحرجة التي تمر بها الأمة الإسلامية ، فلا يليق بهم ولا ينبغي لهم أن يجاروا رغبات العوام وغيرهم في الإكثار والتركيز على جانب معين

من جوانب الدين مع إهمال جوانب أخرى هي في ميزان الإسلام أجلّ قدراً وأخطر شأناً .

ونحن في هذا الصدد لا نريد أن نقع فيما وقع فيه غيرنا فندعو إلى إهمال الجانب الأقل في ميزان الإسلام لحساب الجانب الأكبر ، ولكنا ندعو إلى التوازن بحيث تكون الكتابات في الجوانب المختلفة متوازنة مع مرتبتها وثقلها في ميزان الإسلام ، فلا يُقبل أن تكون المكتبة الإسلامية مملوءة بالكتابات المختلفة المتنوعة عن الجن ، والسحر ، والشعوذة ، والورع ، والزهد ، والأذكار ، وفضائل الأعمال ، وفروع الفقهية ، وأشباه ذلك ، بينما نجد المكتبة تكاد تكون خاوية من الكتاب الميسر الصالح للتناول العام في مجالات بالغة الأهمية .

مثل : أحكام الفقه السياسي في الإسلام : أو بالتعبير القديم " الأحكام السلطانية " .

ومثل : مناقشة النّحَل الكثيرة التي بدأت تنتشر في عالم المسلمين " كالعلمانية ، والديمقراطية ، والقومية ، والاشتراكية ، والأحزاب ذات العقائد الكفرية ، كحزب البعث ، والأحزاب القومية ، وغير ذلك " .

ومثل : الكتابات التي تتحدث عن الجهاد ، لا أقصد الجهاد بمعنى فرضيته ودوامه إلى قيام الساعة ، ولكن أقصد إلى جانب ذلك كلام عن جهاد المرتدين اليوم في عالم الحكام ، وأصحاب السلطان الذين تبنوا المذاهب الاشتراكية ، والعلمانية ، والقومية ، والديمقراطية ، وغير ذلك ودعوا إليها وألزموا الناس بها .

ومثل : الحديث عن كيفية العمل لإعادة الخلافة الضائعة ، إلىغير ذلك من المواضيع ذات الأهمية البالغة في حياة المسلمين ، وإذا نظر الإنسان إلى ما كُتب في هذه المواضيع ، وما كُتب في المواضيع الأخرى لهاله التباين الشديد في هذا الأمر ، وإذا نظر أيضاً إلى كمية المباع من ذاك ومن هذا لهاله الأمر أكثر وأكثر

قد يقول الكُتّاب والناشرون : إن الناس لديهم عزوف عن قراءة هذه المواضيع ، لكن منذ متىكان لصاحب الرسالة التي يريد لها الذيوع والانتشار أن يطاوع الأهواء والرغبات ، وإذا كان حقاً ما يقال عن هذا العزوف ، فأنتم مشاركون بنصيب وافر في ذلك لأنكم طاوعتموهم على ذلك ، ولم تبصروهم بأهمية التوازن وعدم تضخيم جانب وإهمال جوانب أخرى ، لأن هذا الأمر سيؤدي بالناس في النهاية إلى حصر

الإسلام وتضييق نطاقه في إطار عبادة من العبادات أو أدب من الآداب أو عادة من العادات ، بل قد انحصر الإسلام فعلاً عند كثير من الناس في أداء الصلاة ، وصيام رمضان ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده
في مجموعة من الأذكار ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في حسن الخُلق ، وبضعهم انحصر الإسلام عنده في هيئة أو زي أو لباس ، وبعضهم انحصر الإسلام عنده في العلم ببعض فروع الفقه ، أو العلم ببعض قضايا مصطلح الحديث ، وهكذا .

فإذا خاطبت الكثير منهم عن عموم الإسلام وشموله وحدثتهم عن بعض القضايا الهامة والملحّة والمنبثقة من توحيد الله والإيمان باليوم الآخر، مثل الحديث عن الحكم بما أنزل الله ، والالتزام بشرعه ووجوب السعي لإقامة دولة الإسلام وإعادة الخلافة ، وبيان بطلان المذاهب الفكرية كالعلمانية ، والديمقراطية ، وغير ذلك ، ظنوك تتحدث عن دين غير دين الإسلام وقالوا : هذا اشتغال بالسياسة، ولا يجوز إدخال الدين في السياسة .

ومثل هؤلاء لو تأكد عليهم الكلام في مثل هذه القضايا في خطب الجمعة ، وفي دروس وحلقات العلم في المساجد ، وفي الكتابات الميسرة التي يمكنهم قراءتها وفهمها بيسر ، لم يصدر عنهم مثل هذا الكلام الضال المنحرف .

ونحن يجب علينا كُتاباً وناشرين ألا نشارك في تزييف الدين وتجزئته عن طريق عرضه عرضاً ناقصاً مقصوراً على جانب من جوانبه استجابة لرغبة القراء ، ولحركة البيع والشراء ، فنكون بذلك محققين لهدف كبير من أهداف العلمانية في تضييق نطاق الدين وعزله عن الحياة .

وقد يقول الكُتّاب والناشرون : نحن لا نكتب في هذه الأمور لأنها مسائل كبيرة والخطأ فيها ليس بالهيّن ، وهي تحتاج إلى علم كثير هو ليس في وسعنا ، وأنا معهم في هذا القول في أن كثيرين ممن يكتب هذه الأيام لا يصلح للكتابة في هذه الأمور .. إما لعدم فقههم لهذه الأمور ، وإما لأن فقههم لها قاصر ومبتور ، وإذا كان ذلك صحيحاً – وهو صحيح – في حق كثيرين . فأين العلماء الكبار ، وأين الشيوخ

الأجلاء ، وإذا لم يكن هذا هو دورهم ومهمتهم ، فما هو دورهم إذن في العمل على تغيير هذا الواقع الأليم ؟ !

وفي إطار الحديث عن العلم ونشره فإن فئة المعلمين من المدرسين والأساتذة من أدنى مراحل التعليم إلى أعلاها عليهم واجب من أهم الواجبات العامة في حقهم وآكدها وهذا الواجب يتمثل في :

1 – العمل على أسلمة المناهج بحيث تصب كل المناهج العلمية في إطار خدمة الإسلام ، وبحيث لا يكون الهدف العلمي البحت ، هو الهدف الوحيد من تدريس هذا العلم ، ونظراً لأن ديننا من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن المكتشفات هي من خلق الله فلا تعارض إذن ولا تناقض بين العلم والدين ، وبالتالي فإن كثيراً من الحقائق العلمية يمكن استخدامها كأدلة في مجال الإيمان ، وكثير من القوانين العلمية يمكن استخدامها كردود أو إبطال لنظريات إلحادية من وجهة نظر العلم التجريبي الذي يؤمن به الملحدون ولا يعولون على غيره ، وعلى ذلك فإن المناهج العلمية الموضوعة للتلاميذ والطلاب لا بد أن يراعى فيها ذلك ، ولا بد من توضيح ذلك الأمر بأوضح بيان ، ولا يكفي فيه الإشارة والتلميح ، وهذا الأمر واجب أكيد في حق أولئك الذين يضعون هذه المناهج ويقررون تدريسها .

2 – تنقية المواد العلمية من الكفريات والضلالات المدسوسة بها ، فقد يحدث أن يضع هذه المواد ومناهجها أناس غرباء على الدين ، فالواجب على المدرس المسلم ألا يقوم بتدريس المادة العلمية كما هي ، بل لا يحق له ذلك ، وينبغي عليه كشف هذه الضلالات للطلاب وتحذيرهم منها ، وبيان الصواب فيها ، فلا يكتفي المعلم بدوره كمعلم للمادة فقط ، بل يربط هذه العلوم بالإسلام وينقيها مما فيها من الشوائب ويكون في الوقت نفسه داعية وواعظاً ومرشداً إلى جانب كونه معلماً ومثقفاً .

3 – أن ينتهز المعلم الفرصة كلما سنحت له لتوضيح مفهوم من مفاهيم الإسلام ، أو لتثبيت عقيدة من العقائد أو لبيان قضية من قضايا المسلمين أو لتعليم أدب من آداب الإسلام ، وهكذا .

وكل هذه الأمور يستتبع بالضرورة تحقيقها أن يرتفع المعلمون بمستواهم العلمي والشرعي في كثير من الأمور حتى يكونوا أكفاء لهذه المهمة النبيلة التي شرّفهم الله بحملها .

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث نأتي إلى العمل بعد العلم ، ولست أقصد بالعمل ذلك العمل الذي يعود نفعه وخيره على شخص العامل وحده ، فهذا مطلوب ، ولكن أين العمل الذي يعود نفعه وخيره على الأمة الإسلامية بالإضافة إلى شخص العامل ؟

إنه مما يجب علينا أن نعتقد الحق ونعمل به في خاصة أنفسنا ، ومن نعول ، ثم لا نكتفي بذلك حتى ندعو غيرنا ونبصرهم بحقيقة هذا الدين ، وبتكالب الأعداء علينا من داخلنا وخارجنا ، وبحجم المأساة التي تعيشها الأمة الإسلامية ، ولا يصدنا عن القيام بهذا الدور ما نلقى من عنت ومشقة ومن صدود من جانب الناس ، ومن تضييق وحرب من جانب الحكام أذناب العلمانية وعملائها .

لا بد إذن من العمل بهذا الدين ولهذا الدين ، ولا بد من جمع الناس على ما يحبه الله ورسوله من الاعتقادات ، والأقوال ، والأفعال ، ولا بد من تحمل التبعات في سبيل ذلك ، ولا بد أيضاً من الجهاد في سبيل الله ، وإعلان الحرب على كل محارب لله ورسوله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

ولا أحسب أني بذلك قد تحدثت عن واجب المسلمين كما ينبغي ، ولكن يكفي أن تكون تذكرة لنا جميعاً لعل الله ينفعنا بها ... اللهم آمين .

==============

#العلمانية و توحيد الطاعة

الدكتور صلاح الصاوي

أولا : معنى توحيد الطاعة والانقياد

وهو إفراد الله تعالى بالطاعة والانقياد ، وذلك بتحكيم شرعه ، والقبول التام لكل ماجاء به نبيه صلى الله عليه وسلم ، والكفر بمايتنافي مع ذلك من الأهواء البشرية والمذاهب الوضيعة ، فإن من تفرد بخلق هذا الإنسان تفرد بحق هدايته وتوجيه

الخطاب الملزم إليه ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا واجب إلا ما أوجبه ، ولا دين إلا ما شرعه .

* قال تعالى : (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف:40).

فدعا إلى إفراد الله بالحكم ، وبين أن ذلك من إفراده تعالى بالعبادة ، وأن هذا هو الدين القيم الذي لا يعلمه كثير من الناس ، فليس لأحد كائنًا من كان أن يعقب على حكمه ، ولا أن يشرك به في طاعته .

(الشورى: 21) فنعى تعالى على الذين لا يتبعون ما شرع الله لنبيه صلى الله عليه وسلم من الدين القيم ، بل يتبعون ما شرع شياطينهم وطواغيتهم من تحريم الحلال وتحليل الحرام وغيره مما كانو قد اخترعوه في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة ، وبين أنه لولا ما تقدم من الإنظار إلى المعاد لعوجلوا بالعقوبة ، وفي الآية إشارة ظاهرة إلى أن التحليل والتحريم بغير سلطان من الله إشراك بالله .

ولقد ظل هذا المعنى بدهيا في حس الأجيال السابقة ، فلم يحفظ التاريخ خلافًا يذكر حول تفرد الله جل وعلى بالحكم ، وانعدام المشروعية عن كل قول أو فعل ترده النصوص الشرعية ، وأن من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد ، وتحاكم إلى غيره ولو إلى شريعة منسوخة فإنه يكون قد حاد الله وروسوله وخلع بذلك ربقة الإسلام من عنقه ؛ لأنه يكون بذلك قد جعل لله ندًا في الطاعة والاتباع !

ولكن غاشية الفتن المعاصرة كادت أن تطمس جلاء هذه الحقيقة الناصعة فارتاب فيها المرتابون ، وأصبح الناس فيها فريقين يختصمون ، ومن هنا كان لزامًا علينا أن نتناول هذه القضية بشيء من التفصيل ، آملين في عودة الأمور إلى نصابها ، مبتدئين في ذلك بتحرير محل النزاع .

محل النزاع :

...

لا خلاف يذكر على أن من التزم الحكم بشرائع الإسلام في الجملة ، فكانت هي مرجعه الدائم الذي يرجع إليه في كل أمر ، ويحتكم إليه في كل قضية ، ثم زلت به

القدم في موقف عارض ، فحكم فيه بغير ما أنزل الله ميلا مع الهوى لشهوة أو لقرابة أو غير ذلك فإنه لا يخرج بذلك من الملة إلا بالاستحلال أو الجحود ، وأن فعله هـ ذا يلتحق بسائر الكبائر وإن كان من أعتاها وأغلظها، وإلى هذه الصورة وأشباهها ترجع عبارات السلف : كفر دون كفر – ليس بالكفر الذي تذهبون إليه – كفر لا ينقل من الملة ...إلخ هذه العبارات التي أثرت عن كثير منهم عند تفسير قوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (المائدة: 44)

وإنما وقع الالتباس مؤخرا في ظاهرة الامتناع عن التزام الحكم بشرائع الإسلام والتحاكم ابتداء في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله ، ورد مرجعية الشريعة في علاقة الدين بالدولة ، وهي الصورة التي وفدت إلى بلاد الإسلام في ركاب المستعمر ، وينظر لها باسم العلمانية والفصل بين الدين والدولة ، وحولها فقط سيكون حديثنا بإذن الله ، وسوف نبدأ بتجلية الفرق بين الصورتين إحكاما للأمر، وزيادة في البيان والإيضاح .

ثانيا: الفرق بين الانحراف العارض عن الحكم بما أنزل الله وبين العلمانية

* أن الحجة القاطعة والحَكَم الأعلى في الصورة الأولى هو الله عز وجل ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، ولا سيادة إلا لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فإذا ما أشكل على الولاة أمر رجعوا إلى المأثور من أقوال الصحابة والتابعين ، أو إلى الراجح من فقه أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من الفقهاء ، ليتعرفوا على حكم الله فيما عرض لهم ، وأما ما يحدث من خلل فهو انحراف عارض في أمور جزئية ، لا تبدل فيه الشرائع ، ولا تغير فيه القواعد الكلية ، فالأصل في هذه الصورة أن الولاة خاضعون لحكم الله عز وجل فهو دينهم الذي به يدينون ، وقانونهم الذي به يقضون وإليه يحتكمون .

أما الحَكَم الأعلى في الصورة الثانية فهو المصالح البشرية البحتة التي لا تتقيد بدين ، ولا ترجع إلى هدى ولا كتاب منير ، بل محض الهوى ومايوحى الشيطان إلى أوليائه من ضلالات وأباطيل يسمونها نظمًا وتشريعات وقوانين! فإذا ما أشكل على الولاة أمر رجعوا فيه إلى المذكرات التفسيرية لهذه الشرائع والوافدة ، أو إلى الراجح في الفقه الفرنسي أو الألماني أو الإيطالي ليستلهموا من خلاله الحكم في محل النزاع

فالولاة في ظل هذه الصورة قد ردوا مرجعية الشريعة في علاقة الدين بالدولة ، وخلعوا ربقة الأحكام الشرعية في كل ما يتصل بشؤون الحياة العامة .

* أن تحرى مقصود الشارع هو معيار العدل والإصابة في الصورة الأولى ، أما معيار العدل والإصابة في الصور الثانية فإنه يتمثل في مدى تحقيقه للمصالح البشرية البحتة ، ومدى موافقته للقوانين الوضعية الوافدة نصًا وروحًا بحيث يعد الحكم بما أنزل الله في ظل هذه الصورة نقضًا للعهد ، وهتكًا للمواثيق ، وخروجًا على الأعراف القضائية السائدة ، بل جريمة جنائية تستوجب تقديم صاحبها إلى محكمة الجنايات ! فلو أن قاضيا في ظل العلمانية حكم بقطع يد سارق أو برجم زان فإنه يكون قد حكم بما يخالف الصواب ، وخرج على مقتضى القانون الواجب الاتباع ، فينقض حكمه ، وينظر في أمره ليجرى عليه ما يستحقه من جزاءات وعقوبات ، أما الذين يسعون في تنفيذ مثل هذا الحكم فإنهم يقدمون هم ومن أعانهم على ذلك إلى محاكمة جنائية بتهمة إحداث عاهة مستديمة! أو بتهمة القتل العمد مع سبق الإصرار والترصد ! وما ذلك إلا لأن القانون لا يقر هذه العقوبات ، ولا يعترف بهذه التشريعات ، فهذا فارق جوهري لا بد أن ينتبه إليه ، فحكم الله في الصورة الأولى هو الحق والصواب ، أما في الصورة الثانية فهو منكر أو جريمة تستوجب العقاب !

وسوف نبين فيما يلي مدى تعارض العلمانية مع قواعد الاعتقاد الكلية ، وكيف أنها تلتحق بالشرك الأكبر المخرج من الملة وذلك في النقاط الآتية .

ثالثا : مفهوم العلمانية والتلبيس الواقع في هذا المصطلح

مفهوم العلمانية

تعتبر العلمانية تعبيراً محدثاً لم يرد له ذكر في المعاجم العربية القديمة ، وقد ورد هذا التعبير لأول مرة في قاموس ثنائي اللغة (فرنسي- عربي) ألفه أحد تراجمة الحملة الفرنسية واسمه لويس بقطر المصري ، وقد طبع جزؤه الأول في مارس 1828م ، ثم دخلت الكلمة بعد ذلك إلى اللغة العربية ، وأول معجم في اللغة العربية ورد فيه هذا التعبير هو المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

فقد جاء في طبعته الأولى الصادرة سنة 1960م : (العلماني) : نسبة إلى العَلْم ، بمعنى العالم ، وهو خلاف الديني ، أو (الكهنوتي) ، وبقي الأمر كذلك في الطبعة

الثانية الصادرة سنة 1979م ، أما في الطبعة الثالثة ، التي صدرت سنة 1985م ، فقد وردت الكلمة فيه مكسورة العين ، بعد أن ظلت مفتوحة في الطبعتين الماضيتين .

والعَلْماني (مفتوحة العين) نسبة إلى العَلْم (بفتح العين وسكون اللام) بمعنى العالم ، أى الخلق كله .

والعِلْمانى (بكسر العين) نسبة إلى العلم التجريبي ، الذي انتصر على الكنيسة بعد صراع مرير ، سالت فيه دماء ، وأزهقت فيه أرواح ، لأن الكنيسة كانت بالمرصاد لكل رأى علمي يعارض التفسير الديني للكتاب المقدس .

جناية المصطلحات :

بيد أن استعمال هذا المصطلح بالكسر استعمال ينطوى على قدر كبير من الخطأ والتلبيس .

–أما انطواؤه على الخطأ فلأن الكلمة في جذورها الأوربية لا علاقة لها بالعلم فهي في اللغة الإنجليزية (secularism)

...

(bytes 25283jpg (.47106

(وهذا التعبير لا صلة له بالعلم ، فالعلم في كل من الإنجليزية والفرنسية science) ، والمذهب العلمي يطلق عليه (Scientism) أما هذه الكلمة (Secularism) فهي اللادينية أو الدنيوية ، فنسبتها إلى العلم نسبة خاطئة لانبتات الصلة بين العلم وبين هذا التعبير في جذوره الأوربية . وأما انطواؤه على التلبيس والإيهام : فلأن في نسبة هذا التعبير إلى العلم ما يحجب حقيقة المعنى الذي يتضمنه هذا التعبير ويدخله في دائرة القبول العام خاصة أن مجرد الانحياز إلى العلم لا يعنى نبذ الإيمان أو استبعاد الدين بالضرورة ، بل لا بد لإبراز هذا المعنى من التحليل والتوضيح الأمر الذي تأباه طبيعة المصطلحات .

وعلى هذا فإن المعنى الصحيح لهذا التعبير هو الفصل بين الدين والدولة ، بل بتعبير أدق الفصل بين الدين والحياة ، وعدم المبالاة بالدين أو الاعتبارات الدينية ، ونزع القداسة عن المقررات الدينية ، والتعامل معها كمواريث بشرية بحتة ، وقصر

الدين على جانب الشعائر التعبدية الفردية البحتة باعتباره علاقة خاصة بين الإنسان وخالقه .

رابعاً : العلمانية ناقضة لأصل الدين :

لقد تمهد في قواطع الإسلام ومحكماته أن الحجة القاطعة والحكم الأعلى هو الشرع لا غير ، فلا حلال إلا ما أحله الله ورسوله ، ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ، ولا دين إلا ماشرعه الله ورسوله ، وأن من أحل الحرام المجمع عليه ، أو حرم الحلال المجمع عليه ، أو بدل الشرع المجمع عليه ، أو امتنع عن التزام الحكم به والتحاكم إليه كان مارقا من الإسلام باتفاق المسلمين

ومما يدل على أن العلمانية ناقضة لأصل الدين ما يلي :

1 . العلمانية شرك في الربوبية :

لقد سبق أن الخلق والأمر من أخص خصائص الربوبية وأجمع صفاتها كما قال تعالى : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (الأعراف : 54) ولهذا أجاب بهما موسى عليه السلام في مقام المحاجة مع فرعون عندما ابتدره سائلاً : (قال : فمن ربكما يا موسى) (طه : 49) فكان جواب الكليم عليه السلام : (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (طه : 50) ومن قبل ذلك قال الخليل إبراهيم عليه السلام في وصفه لربه : (الذي خلقنى فهو يهدين) (الشعراء : 78) ومن بعد ذلك أُمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يسبح باسم ربه الأعلى الذي تفرد بهذين الوصفين ، فقال تعالى : (سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى) (الأعلى : 1–3) .

والأمر في لغة الشارع يأتي بمعنيين :

الأول : الأمر الكوني ، وهو الذي به يدبر شؤون المخلوقات ، وبه يقول للشيء : كن فيكون ، ومنه قوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (يس : 82) وقوله تعالى : (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) (القمر 50) .

الثاني : الأمر الشرعي ، وهو الذي به يفصّل الحلال والحرام والأمر والنهي وسائر الشرائع ، ومنه قوله تعالى : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة : 24) .

وإذا كانت البشرية لم تعرف في تاريخها من نازع الله في عموم الخلق أو الأمر بمفهومه الكوني ، فقد حفل تاريخها بمن نازع الله في جانب الأمر الشرعي وادعى مشاركته فيه ، فقد حكى لنا القرآن الكريم عمن قال : (سأنزل مثل ما أنزل الله) (الأنعام :93) ومن قال: (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) (غافر : 29) ورأينا في واقعنا المعاصر من ينظرون للعلمانية ، ويدينون بالفصل بين الدين والدولة ! بل من اجترأ على ربه وقال : إن القوانين الوضعية خير من الشريعة الإسلامية ، لأن الأولى تمثل الحضارة والمدنية والثانية تمثل البداوة والرجعية !

ولا يتحقق توحيد الربوبية إلا بإفراد الله جل وعلا بالخلق والأمر بقسميه : الكوني والشرعي ، وإفراده بالأمر الشرعي يقتضي الإقرار له وحد باالسيادة العليا والتشريع المطلق ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرعه ، ومن سوغ للناس اتباع شريعة غير شريعته فهو كافر مشرك .

وقد اتفق الأصوليون أجمعون على أن الحاكم لجميع أفعال المكلفين إنما هو الله عز وجل ، فهو وحده مصدر جميع الأحكام الشرعية ، ولذلك اشتهر من أصولهم : (لا حكم إلا لله) .

حتى هؤلاء الذين قالوا باستقلال العقل بمعرفة بعض الأحكام الشرعية لم ينازعوا في هذا الأصل السابق ، وإنما كان نزاعهم حول كيفية التعرف على حكم الله عز وجل ، فدور العقل عندهم هو دور التعرف على حكم الله الكاشف عنه أحياناً مع اتفاق الجميع على أن الحاكم الذي يصدر الأحكام وينشئها إنما هو الله عز وجل ومن هنا كان اتفاقهم على تعريف الحكم الشرعي بأنه (خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تخييراً أو وضعاً) وقسموه قسمين :

– الحكم التكليفي : وهو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين طلباً أو تخييراً .

وأقسامه خمسة : الإيجاب والتحريم والكراهة والندب والإباحة .

– الحكم الوضعي : وهو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على جهة الوضع وهو ما اقتضى وضع شيء سبباً لشيء أو شرطاً له أو مانعًا منه .

وعلى هذا فالعلمانية وما تعنيه من رد مرجعية الشريعة ، وادعاء الحق في إصدار أحكام عامة ملزمة على سبيل الإيجاب أو التخيير أو الوضع على خلاف أمر الله ورسوله ، يعد منازعة لله في ربوبيته وألوهيته ، وعملاً من أعمال الشرك الأكبر بلا نزاع ؛ إذ لا فرق بين من ينازع الله في صفة الخلق ، ومن ينازعه في صفة الأمر ، فكلاهما طاغوت مشرك متمرد على مقام العبودية ، منتهك لحرم الربوبية والألوهية .

وقد كانت ربوبية الأحبار والرهبان في بني إسرائيل من هذا القبيل ، فقد أحلوا حرام الله وحرموا حلاله ، فتابعهم الناس على ذلك ، فلم تكن الربوبية فيهم في جانب الخلق أو الأمر الكوني ، بل كانت في جانب الهداية والأمر الشرعي .

عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ...) (التوبة : 31) فقلت : إنا لسنا نعبدهم . قال : [أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتحلونه ؟] فقلت : بلى . قال : " فتلك عبادتهم " (رواه أحمد والترمذي) .

فحقيقة الإقرار بالربوبية لا تتمثل في إفراد الله جل وعلا بالخلق والتدبر الكوني فحسب ، بل تمتد لتشمل إفراده تعالى بالأمر والقضاء الشرعي ، وقبول ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم من الهدي والشرائع ، وذلك لأن المنازعة في الأمر الشرعي كالمنازعة في الأمر الكوني ولا فرق ، فإن الذي أوجب الرضا بقدره هو الذي أوجب التحاكم إلى شرعه ، وهو القائل : (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه) (يوسف : 40) والقائل : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (الشورى : 21) .

2. العلمانية شرك في الألوهية :

أما كون العلمانية شركاً في التوحيد في جانب الألوهية فلما تمهد من أن الإله هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة بكمال المحبة وكمال الطاعة ، وأن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ففي الحديث المتفق على صحته قوله صلى الله عليه وسلم : (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)

وقد تمهد فيما سبق أن توحيد العبادة ينتظم جانبين رئيسيين : توحيد الإرادة والقصد ، وتوحيد الطاعة والاتباع .

– أما توحيد الإرادة والقصد فيراد به إفراد الله بالشعائر التعبدية كالصلاة والحج والدعاء والنذر والذبح ونحوه .

– وأما توحيد الطاعة والاتباع فيراد به إفراد الله بكمال الخضوع والطاعة ، وإخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبدا لمولاه ، وذلك بتحكيم شرعه وحده ، والقبول التام لكل ما جاء به نبيه صلى الله عليه وسلم ، والبراءة من كل ما يتنافى مع ذلك من الأهواء البشرية .

وإلى هذين الجانبين يشير قوله تعالى في سورة الأنعام : (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (الأنعام : 161 ، 162 ، 163) .

فالآية الأولى تشير إلى توحيد الطاعة والاتباع ، فلا يتلقى الهدى إلا من الله ، والآيتان اللتان بعدها تشيران إلى توحيد الإرادة والقصد ، فلا يتوجه بالأعمال إلى الله .

فالانقياد لله عز وجل والتزام طاعته هو أحد ركني العبادة ، فمن زعم حب الله عز وجل وتصديقه ولكنه رفض الطاعة له أو الانقياد لأمره واختار لنفسه طريقاً آخر مضاداً للصراط المستقيم الذي شرعه الله وأمر باتباعه واتخذ ذلك منهجاً ثابتاً وديدناً مضطرداً يوالي عليه ويعادي عليه فقد ضاد الله في أمره وجعل نفسه نداً للذي خلقه .

قال تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) (الأنعام : 121) .

– وقد روى الحافظ ابن كثير عن سعيد بن جبير قال : خاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما قتل الله ؟! فأنزل الله هذه الآية .

– وروى أيضاً عن ابن عباس قال : لما نزلت (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً وقولوا له : فما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال ، وما ذبح الله عز وجل بشمشير من ذهب يعني الميتة فهو حرام ؟!

فنزلت هذه الآية : (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) (الأنعام : 121) .

- قال ابن كثير : (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) أي : حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره فقدمتم غيره عليه فهذا هو الشرك كقوله تعالى : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) (التوبة : 31) .

والمقصود في هذا المقام أن الله عز وجل قد جعل عدولهم إلى غير شريعة الله يعد إشراكاً بالله .

* أوجه أخرى لنقض العلمانية لأصل الدين

3- العلمانية ثورة على النبوة :

لا يخفى أن الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو المدخل إلى الإسلام ، فإن الشهادة لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة هما أول واجب على المكلف ، وأول ما يخاطب به الناس عند الدعوة إلى الإسلام ، كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن : [إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليهم شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ...] الحديث .

وحقيقة الإيمان بنبوته يتمثل في تصديق خبره جملة وعلى الغيب ، والتزام هديه جملة وعلى الغيب ، فما آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما ارتضى نبوته من كذب بخبره أو رد عليه شرعه ، لأن حقيقة الإيمان هي التصديق والانقياد ومن لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر بالله العظيم .

يقول ابن القيم رحمه الله : (وأما الرضا بنبيه رسولا : فيتضمن كمال الانقياد له والتسلم المطلق إليه ، بحيث يكون أولى به من نفسه ، فلا يتلقى الهدي إلا من مواقع كلماته ، ولا يحاكم إلا إليه ، ولا يحكم عليه غيره ، ولا يرضى بحكم غيره ألبتة ، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله ، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته ، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه . لا يرضى في ذلك بحكم غيره ، ولا يرضى إلا بحكمه) (مدارج السالكين 172/2) .

وقال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) (النساء : 65) قال ابن كثير رحمه الله : (يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ، ولهذا قال : (ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث : [والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به] (تفسير ابن كثير 520/1) .

ويقول الجصاص رحمه الله : (وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الإسلام ، سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم ، وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم ، لأن الله تعالى حكم بأن من لم يسلم للنبي صلى الله عليه وسلم قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان) (أحكام القرآن للجصاص 181/3) .

فأين هذا من ترك التحاكم إلى شريعته ابتداء ، واتهامها بالبداوة والرجعية ؟ أو الجمود وعدم الصلاحية للتطبيق ؟

لقد نهى الصحابة في القرآن عن أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته صلى الله عليه وسلم ، وأن يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض ، وجعل من هذا الفعل – الذي قد يبدو يسيراً – سبباً لحبوط الأعمال ، وسبيلاً قاصداً إلى الردة عن الإسلام ، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) (الحجرات : 2) .

يقول ابن القيم رحمه الله : (فإذا كان رفع أصواتهم فوق صوته سبباً لحبوط أعمالهم ، فكيف تقديم آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاء به ورفعها

عليه ؟ أليس هذا اولى أن يكون محبطاً لأعمالهم ؟) (أعلام الموقعين لابن القيم51/1) .

قلت : فكيف إذا كان الأمر إهداراً لشريعته ، واجتراء على هديه ، ورداً لسنته ، ونبذاً لما جاء به من شرائع الإسلام بالكلية ؟

4- العلمانية نقض لعقد الإيمان المجمل :

فقد تمهد في أصول أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، وأن أصله تصديق الخبر والانقياد للأمر ، وأن من لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر بالله العظيم .

فلا يثبت عقد الإيمان بمجرد التصديق الخبري ، بل لا بد من التكلم بالإيمان على وجه الإنشاء المتضمن للالتزام والانقياد، ولهذا لما جاء نفر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: (نشهد إنك لرسول) لم يكونوا مسلمين بذلك لأنهم قالوا ذلك على سبيل الإخبار عما في أنفسهم فحسب ، أي نعلم ونجزم أنك رسول الله ، قال : " فلم لا تتبعوني " ، قالوا : نخاف يهود !

يقول ابن القيم رحمه الله : (ونحن نقول : الإيمان هو التصديق ، ولكن ليس التصديق مجرد اعتقاد صدق المخبر دون الانقياد له ، ولو كان مجرد اعتقاد التصديق إيماناً لكان إبليس وفرعون وقومه وقوم صالح واليهود الذين عرفوا أن محمداً رسول الله صلى الله وسلم كما يعرفون أبناءهم مؤمنين مصدقين ، فالتصديق إنما يتم بأمرين : أحدهما : اعتقاد الصدق ، والثاني : محبة القلب وانقياده) (الصلاة لابن القيم 19 – 20) .

ويقول القسطلاني في تعريف الإيمان : (وهو لغة التصديق ، وهو كما قال التفتازاني : إذعان لحكم المخبر وقبوله ، فليس حقيقة التصديق أن يقع في القلب نسبة التصديق إلى الخبر أو المخبر من غير إذعان وقبول ، بل هو إذعان وقبول لذلك بجيث يقع عليه اسم التسليم) (إرشاد الساري 82/1) .

ولا يخفى أن العلمانية بردّها لشريعة الله ، وامتناعها عن قبول ما أنزل الله قد أسقطت ركن الانقياد من حقيقة الإيمان ، فتكون نقضاً للإيمان المجمل الذي لا تثبت صفة الإسلام إلا باستيفائه ، ولا يبقى معها من الإيمان – إن بقيت على ادعائه – إلا

التصديق الخبري المحض كالذي كان مع أحبار اليهود الذين شهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة لما أجابهم عن أسئلتهم بما يعلمون من كتبهم فقال لهم صلى الله عليه وسلم : [فما يمنعكم من اتباعي ؟] قالوا : نخاف قومنا يهود !

أو الذي كان مع هرقل الذي أعلن تعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن امتنع عن اتباعه خشية على ملكه .

أو الذي كان مع أبي طالب الذي أعلن بأن دين محمد من خير أديان البرية ، والذي ظل عمره كله يحوط رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمنعه ، ولكن امتنع عن اتباعه خشية الملامة ومسبة العرب له بأن استه تعلو رأسه !!

وإننا لو أثبتنا إيماناً أو صححنا توحيداً لمن كان حظه من الشرائع السماوية مجرد اعتقاد صدقها وأنها منزلة من عند الله لحكمنا بإيمان أغلب من في الأرض !!

ذلك أن آيات الله مبصرة فلا يملك القلب البشري تجاهها إلا الإذعان والتسليم لا سيما إذا ما عرضت خالية من التشويه والتحريف ، ولكن يختلف الناس بعد ذلك في الموقف العملي : أهو الإخبات والطاعة ؟ أم الإباء والاستكبار ؟!

فالإيمان – كما سبق – ليس مجرد التصديق ، ولكنه الإقرار والطمأنينة وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط ، فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر ، وكلام الله خبر وأمر، فالخبر يستوجب تصديق المخبر والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام ، وهو عمل في القلب جماعه الخضوع والانقياد للأمر وإن لم يفعل المأمور به ، فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهوالطمأنينة والإقرار ، فإن اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينية ، وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد .

5. العلمانية استحلال للحكم بغير ما أنزل الله :

إن العلمانية بما تقوم عليه من تبني الكفر بمرجعية الشريعة في علاقة الدين بالحياة ، وامتناعها عن الالتزام بشرائع الإسلام ، وإتهامها لمن ينازعها في ذلك بالرجعية والتطرف والإرهاب ... الخ ، تعد استحلالا للتحاكم في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله ، وتسويغاً للخروج على شريعة الإسلام في كل ما يتعلق بشئون الحياة ، وكل ذلك من الكفر الصراح الذي لا يجتمع مع أصل الإسلام بحال ، فقد

اتفقت الأمة على أن استحلال المحرمات القطعية كفر بالإجماع ، لم ينازع في ذلك – فيما نعلم – أحد ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :
(والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه ، أو حرم الحلال المجمع عليه ، أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً ومرتداً باتفاق الفقهاء ، وفي مثل هذا نزل قول الله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هو الكافرون) أي هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله (مجموع فتاوى ابن تيمية 267/3).
وإن في الامتناع عن الالتزام بشرائع الإسلام أو بالحكم بها استباحة لما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن الاستحلال ليس مجرد عدم الاعتقاد بأن الله قد حرم هذا الشيء ، بل يكون أيضاً مع اعتقاد حرمته وعدم التزام هذا التحريم .
فللاستحلال صورتان :
– الأولى : عدم اعتقاد الحرمة ، ومرده حينئذ إلى خلل في الإيمان بالربوبية والرسالة ، ويؤدي إلى كفر التكذيب .
– الثانية : اعتقاد الحرمة والامتناع عن التزام هذا التحريم ، ومرده في هذه الحالة إما إلى خلل في التصديق بصفة من صفات الشارع جل وعلا كالحكمة والقدرة ، وإما لمجرد التمرد واتباع هوى النفس .
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلاً لها فهو كافر بالاتفاق ، فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، وكذلك لو استحلها من غير فعل، والاستحلال : اعتقاد أن الله لم يحرمها ، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها ، وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية ، ولخلل في الإيمان بالرسالة ، ويكون جحداً محضاً غير مبني على مقدمة .
وتارة يعلم أن الله حرمها ، ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله ، ثم يمتنع عن التزام التحريم ويعاند المحرم فهذا أشد كفراً ممن قبله ، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذبه ، ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته ، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمرداً أو اتباعاً لغرض النفس ، وحقيقته كفر هذا لأنه يعترف لله ورسوله بكل ماأخبر به، ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون ، لكنه

يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه ، ويقول أنا لا أقر بذلك ولا ألتزمه وأبغض هذا الحق وأنفر عنه فهذا نوع غير النوع الأول ، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام) (الصارم المسلول لابن تيمية : 521 – 522).

فلا يشترط إذن في الاستحلال أن يكون دينياً ، أي يعتقد حل المحرمات ديناً ، بل يكفي ألا يلتزم بهذا التحريم وإن كان مقراً به لكي يكون مستحلاً كافراً بإجماع الأمة .

فمن امتنع عن التزام الحكم بشرائع الإسلام ، وتحاكم في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله ، وشرع للناس من الأحكام ما لم يأذن به الله فإنه يكون مستجيزاً مخالفة حكم الله ، مستحلاً للحكم بغير ما أنزل الله ، وتكفيره معلوم بالاضطرار من دين الإسلام .

6. العلمانية منازعة في أصل دين الإسلام :

فالإسلام كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (يتضمن الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً ، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته ، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر ، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده ، وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت) (مجموع فتاوى ابن تيمية 91/3) .

ولا شك أن العلمانية بما تتضمنه من رفض الاستسلام لله وحده ، وإعلان الكفر بمرجعية وحيه في علاقة الدين بالدولة ، ورفض الدخول ابتداء تحت دائرة التكليف فإنها بهذا تكون منازعة لدين الإسلام

في أصله ، ومناقضة له في أساسه ولبه .

ولكي تزداد هذه الحقيقة جلاء لا بد أن نتعرف على حقيقة الدين وما يندرج تحته من شرائع وتكليفات ، ذلك أن كثيراً من الناس في هذا العصر يخطىء في فهم حقيقة الدين الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم ويظنه لا يتجاوز ما يقام فينا من شعائر العبادات ، وما يهتف به الوعاظ والخطباء من الدعوة إلى مكارم الأخلاق ، أما ما وراء ذلك من شئون الحياة فلا علاقة للدين به طبقاً لمقولة : دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله ! أو لمقولة لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين ، ولا يخفى أن من كانوا كذلك إنما يتصورون ديناً آخر ويسمونه الإسلام .

فالدين هو جملة ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله من عقائد وعبادات وشرائع . كل ذلك داخل في مسمى الدين ، مقصود بقوله تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) (آل عمران : 19) وقوله : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) (المائدة : 3) .

ولا يخفى أن في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة أحكاماً كثيرة ليست من التوحيد ولا من العبادات ، كأحكام البيع والربا والرهن والدين والإشهاد وأحكام الزواج والطلاق واللعان والظهار والحجر على الأيتام والوصايا والمواريث وأحكام القصاص والدية وقطع يد السارق وجلد الزاني وقذف المحصنات وجزاء الساعي في الأرض فساداً .. بل في القرآن آيات حربية و ... الخ. وهذا يدلنا على أن من يدعو إلى العلمانية أو إلى فصل الدين عن السياسة إنما تصور ديناً آخر وسماه الإسلام .

هذا ولا يخلو حال الداعين إلى هذه النحلة من أحد أمرين :

– إما أن ينكروا كل هذا الحشد الهائل من الأحكام ، ويكذبوا بما جاء فيها من الآيات والأحاديث ، وحكم هؤلاء معلوم بالضرورة من الدين .

– وإما أن يقروا بوجود هذه الأحكام في الكتاب والسنة ، وينكروا صلاحيتها للتطبيق وكفالتها بالمصالح في هذا العصر ، وفي هذا المسلك من الزندقة والكفر ما فيه فإن عيب هذه التشريعات عيب للمشرع جل في علاه وقد استحق إبليس لعنة الخلد ونار الأبد لأنه رد على الله حكماً واحداً من أحكامه ، فكيف بمن رد على الله أحكامه كافة متهماً لها بعدم الصلاحية ، ويعد الدعوة إلى تطبيقها لوناً من ألوان الردة الحضارية ؟!!

لقد عرفت الأمة من قبل – ولا تزال – خلافات فقهية كثيرة تمحورت إلى أربعة مذاهب رئيسية عدا ما اندثر من المذاهب الأخرى ، كما عرفت خلافات عقائدية كثيرة تمحورت إلى قرابة ثلاث وسبعين فرقة وقفت على رأسها الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة وبقي من عداهم من أهل الوعيد .

إلا أن هذه المذاهب وتلك الفرق قد التقت في الجملة على أصل الإيمان بالله ورسوله ، واتفقت على الإقرار المجمل بالتوحيد والرسالة ، فاعتقدوا جميعاً بتفرد الله وحده بالخلق والأمر ، ودانوا جميعاً بأن الحجة القاطعة والحكم الأعلى هو الوحي

المعصوم ، وكل ما نشأ بينهم بعد ذلك من الاختلافات فقد كان داخل هذا الإطار فالطاعة للتكليف واتباع النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن موضع ممارة من أحد منهم ، ولهذا صح وصف هذه الفرق بأنها فرق إسلامية .

أما منازعة العلمانيين اليوم فهي منازعة في أصل الدين ، ومشاقة بينة لله ولرسوله وللمؤمنين ، إنهم يجادلون في حجية الوحي الأعلى المعصوم ، وينازعون في مبدأ الدخول في دائرة التكليف ، ويكفرون بصلاحية الشريعة كل الشريعة للتطبيق . . إنها ثورة على الإسلام ... وانقلاب ضد النبوة ... إنها حريق حول الكعبة

7. العلمانية طاغوت تَعَّبد الله عباده باجتنابه والكفر به

لقد جعل الله الكفر بالطاغوت قسيم الإيمان بالله ، وتعبد أولياءه بالكفر بالطاغوت واجتنابه في مواضع شتى من القرآن الكريم .

فقال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (النحل : 36) .

وقال تعالى : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام له والله سميع عليم) (البقرة : 256).

وبين أن ادعاء الإيمان لا يصح مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت ، فقال تعالى: (ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً) (النساء : 60) .

وتمدح الذين اجتنبوا الطاغوت ، وجعل لهم البشرى في كتابه الكريم فقال تعالى : (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد) (الزمر : 17) .

والطاغوت هو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله : (الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه من دون الله ، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله ، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله) (أعلام الموقعين 52/1) .

والعلمانية بما تعنيه من رفض الدخول في إطار التكليف ، وخلع ربقة العبودية فيما يتعلق بأمور الدولة وسائر أمور الحياة العامة ، وتعبيد أتباعها للأهواء المجردة ، وعقد الولاء والبراء على ذلك لا شك أنها من أظهر أنواع الطواغيت التي أمرنا بالكفر بها واجتنابها .

خامساً : خلاصة القول في شبهة التسوية بين العلمانية وبين انحرافات التطبيق الجزئية

لقد تمهد – كما سبق – في محكمات الأدلة أن توحيد الألوهية يقتضي إفراد الله بالطاعة والانقياد ، وأن الإيمان المجمل هو التصديق والانقياد ، وأن الكفر هو عدم الإيمان ، سواء أكان معه تكذيب أو استكبار أو إباء أو إعراض ، وأن من لم يحصل في قلبه التصديق والانقياد فهو كافر .

وعلى هذا يمكن تفصيل القول في قضية الحكم بغير ما أنزل الله ، ذلك أن تعبير الحكم بغير ما أنزل الله ، قد يقصد به عمل القضاة والمنفذين ، وقد يقصد به عمل الأصوليين المشرعين ، وعلى حسب الدقة في تحديد المناط تكون الدقة في سلامة الحكم وموافقته لمراد الشارع :

* فإن قُصد به عمل القضاة والمنفذين نظر : فإن كان مرده إلى تكذيب الحكم الشرعي أو رده فهو كفر أكبر يخرج من الملة ، وإن كان مرده إلى عارض من هوى أو رشوة أو نحوه مع بقاء التحاكم ابتداء إلى الكتاب والسنة أو ما حمل عليهما بطريق الاجتهاد فهو من جنس الذنوب والمعاصي ، وأصحابه في مشيئة الله إن شاء الله عذبهم وإن شاء غفر لهم .

وهذه هي صورة الحكم بغير ما أنزل الله ، التي عرفت في تاريخ الإسلام ، والتي قال فيها علماء الإسلام ما قالوا وفصلوا فيها من الأحكام ما فصلوا ، إذ لم تعرف الدولة في تاريخها الطويل نبذا كاملاً لأحكام الله واطراحاً مجملاً لشريعة الله ، وتحاكماً من حيث المبدأ إلى كتاب غير القرآن وإلى دين غير الإسلام . اللهم إلا مرة واحدة في أيام التتار ولقد جزم أهل العلم يومها أن هذه الصورة المستحدثة لا تكييف لها إلا الكفر ، وأن أصحابها كفار بلا خلاف وأنه يجب قتالهم حتى يرجعوا إلى حكم الله ورسوله .

قال ابن كثير رحمه الله عما كان يحكم به التتار من السياسات الملكية (فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير) (تفسير ابن كثير : 67/2) .

ويقول في البداية والنهاية : (فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه ، من فعل فقد كفر بإجماع المسلمين) (البداية والنهاية لابن كثير : 119/13) .

* أما إن قصد به المعنى الأصولي التشريعي الذي هو خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء أو التخيير أو الوضع ، وأريد به اصدار قواعد تشريعية عامة تبدل بها شرائع الإسلام وتكون لها السيادة في الأمة بدلاً من سيادة الكتاب والسنة وتصبح هي المرجع في الحكم عند التنازع ، ويقدم العمل

بها على العمل بأحكام الشريعة المطهرة فلا جدال في أن هذه الصورة مناط واحد وتكييف واحد وهو الكفر الأكبر المخرج من الملة الذي لا تبقى معه من الإيمان حبة خردل ، كما قال تعالى : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (الشورى : 21) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : (والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه أو حرم الحلال المجمع عليه أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء) (مجموع فتاوى ابن تيمية : 267/3) .

وقد سبق قول ابن كثير : (فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه ؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين) .

ولقد أدى اللبس في هذه القضية وعدم تحديد مناطات الحكم في صوره المختلفة إلى اضطراب كثير من أهل العلم من منتسبي الحركة الإسلامية وغيرهم في تقريرها مما أتاح للمبطلين أن يجدوا من بين فرجات اختلافهم مدخلاً لهم يلبسون به على العامة ، ويسبغون به الشرعية على هذه العلمانية الغازية التي تقوم على رد شرائع الإسلام ، واستباحة الحكم بغير ما أنزل الله ، وإهدار سيادة الشريعة الإسلامية ، وحمل الأمة

كلها على تحكيم القوانين الوضعية وذلك بإشاعة القول بأن الكفر الوارد في قوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) هو الكفر الأصغر الذي لا ينقل عن الملة ، ويسوقون في ذلك بعض الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في بيان أنه كفر دون كفر ، وليس كمن كفر بالله وملائكته ، فنصبح بذلك أمام خلل جزئي أو انحراف فروعي لا يبرر انعدام الشرعية ولا سقوط واجب الطاعة .

ولقد نبه الشيخ محمود شاكر رحمه الله في تعليقه على الطبري إلى هذا الخلل وفصل القول في مثل هذه الآثار عند تعليقه على ما أورده الطبري في تفسير قوله تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) من قول أبي مجلز وهو تابعي ثقة لمن سأله عن معنى هذه الآية وأرادوا أن يلزموه الحجة في تكفير الأمراء لأنهم في معسكر السلطان ، ولأنهم ربما ارتكبوا بعض ما نهاهم الله عن ارتكابه فأجابهم أبو مجلز بقوله : (إنهم يعملون بما يعملون – يعنى الأمراء – ويعلمون أنه ذنب ! قال : بينما أنزلت هذه الآية في اليهود والنصارى ، قالوا : أما والله إنك لتعلم مثل ما نعلم ، ولكنك تخشاهم ! قال : أنتم أحق بذلك منا ، أما نحن فلا نعرف ما تعرفون ! قالوا : ولكنكم تعرفونه ولكن يمنعكم أن تمضوا أمركم من خشيتهم !) (تفسير الطبري 252/6 ، 253) .

ويقول الشيخ محمود شاكر رحمه الله : تعليقاً على ذلك (فلم يكن سؤالهم عما احتج به مبتدعة زماننا ، من القضاء في الأموال والأعراض والدماء بقانون مخالف لشريعة أهل الإسلام ، ولا في إصدار قانون ملزم لأهل الإسلام ، بالاحتكام إلى حكم غير الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، فهذا الفعل إعراض عن حكم الله ، ورغبة عن دينه وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكم الله سبحانه وتعالى ، وهذا كفر لا يشك أحد من اهل القبلة على اختلافهم في تكفير القائل به والداعي إليه .

والذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء ، وإيثار حكم غير حكمه في كتابه وسنة نبيه ، وتعطيل لكل ما في شريعة الله ، بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة ، وإدعاء المحتجين بذلك بأن أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير زماننا ، ولعلل وأسباب انقضت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها .

فأين هذا مما بيناه من حديث أبي مجلز ، والنفر من الإباضية من بني عمرو بن سدوس !! (راجع تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر 349/10) .

ويقول في موضع آخر : (لو كان الأمر على ما ظنوا في خبر أبي مجلز ، أنهم أرادوا مخالفة السلطان في حكم من أحكام الشريعة، فإنه لم يحدث في تاريخ الإسلام أن سن حاكم حكماً وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها ، هذه واحدة ، وأخرى أن الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله فيها ، فإنه إما أن يكون حكم بها وهو جاهل ، فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة ، وإما أن يكون حكم بها هوى ومعصية فهذا ذنب تناله التوبة وتلحقه المغفرة ، وإما أن يكون حكم به متأولاً حكماً يخالفه به سائر العلماء ، فهذا حكمه حكم كل متأول ، يستمد تأويله من الإقرار بنص الكتاب ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما أن يكون في زمن أبي مجلز أو قبله أو بعده حاكم حكم بقضاء في أمر ، جاحداً لحكم من أحكام الشريعة ، أو مؤثراً لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام، فذلك لم يكن قط ، فلا يمكن صرف كلام أبي مجلز والإباضيين إليه .

فمن احتج بهذين الأثرين وغيرهما في غير بابهما ، وصرفهما إلى غير معناهما رغبة في نصرة سلطان ، أو احتيالاً على تسويغ الحكم بغير ما أنزل الله وفرض على عباده ، فحكمه في الشريعة حكم الجاحد بحكم من أحكام الله : أن يستتاب ، فإن أصر وكابر وجحد حكم الله ، ورضي بتبديل الأحكام فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهل هذا الدين) (تفسير الطبري بتحقيق محمود شاكر : 358/10) .

والذي نخلص إليه من ذلك كله أن قول بعض السلف كفر دون كفر في تفسير هذه الآية لا ينصرف مناطه إلى مناط العلمانية التي ترد مرجعية الشريعة ، وتهدر سيادتها في علاقة الدين بالدولة وتجعل من التحاكم إليها خروجاً على الشرعية وسبباً قاطعاً من أسباب بطلان الحكم ونقضه !

سادساً : شبهة وجوابها

ولكن تبقى بعد ذلك شبهة ، وهي أن هذه النصوص السابقة إنما هي في قوم رفضوا الدخول في الإسلام من البداية ، وأبوا أن يذعنوا له رغم معرفتهم بأنه حق من عند

الله ، أما هؤلاء الممتنعون عن التزام الشرائع أو الحكم بها فقد أعلنوا قبولهم للإسلام في الجملة .

ويجاب عن هذا بأنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا فرق بين من يدفع جميع ما أنزل الله على عباده ، ومن يدفع شيئاً واحداً من ذلك ، كما لا فرق بين من يكذب بالقرآن كله ومن يكذب بسورة واحدة من سوره أو حتى آية واحدة من آياته ، ولا بين من يجحد الإسلام من البداية ومن يجحد حكماً واحداً من أحكامه القطعية ، فمن أعلن قبوله للإسلام والتزامه بشرائعه جملة ، ثم رد شيئاً من أحكامه القطعية فقد خرق بذلك قاعدة الخضوع والتزام الطاعة ، وهي التي تمثل إحدى دعامتي التوحيد كما سبق القول .

ولكن سؤالاً يرد في هذا المقام :

هل مجرد التحاكم إلى الشرائع الوضعية والتزامها يعد خلعاً للربقة وتحللاً من الالتزام بشرائع الله ؟

وفي الجواب على هذا تفصيل لا غنى عن ذكره :

أولاً : لا شك أن الإقدام على نقض أحكام الله وتبديل شرائعه ، وإحلال أهواء البشر محلها طواعية واختياراً بلا عارض من تأويل أو إكراه ، وحمل الأمة على ذلك بقوة السلطان يعد شركاً بالله العظيم وكفراً بربوبيته وألوهيته .

ثانياً : أما من توارث ذلك عمن سبقه من الولاة ، ولم يبتدئ جريمة التبديل والفصل بين الدين والدولة فلا يخلوا حاله من صورة من هذه الصور :

- أن يرضى بهذه العلمانية ، ويعلن التزامه بها ، ويسعى للتمكين لها ، ويعقد ولاءه وبراءه عليها ، فهذا لا شك في كفره ، لأن الرضا بالكفر والتزامه كفر بالاتفاق .
- أن يعلن الكفر بها والعزم على تغييرها ، ويتخذ بهذا الصدد خطوات حقيقة تبين صدقه في دعواه ، فهذا قد برئ من الرضا والمتابعة ، وذلك هو المسلم الذي له ذمة الله ورسوله ، ويجب على الأمة عونه وتأييده ، وقد يستغرق استكمال التغيير مدداً تطول أو تقصر ، ولكن هذا لا يقدح في صحة إسلامه ما صدقت أفعاله أقواله .
- أن يروغ في مواقفه ، فلا يعلن صريح الرضا والمتابعة ، ولا صريح الانخلاع والبراءة وإنما تتذبذب مواقفه بين الفريقين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، فهذا هو

النفاق الذي ما فتئت تواجهه الدعوات على مدار التاريخ ، وعلى الأمة أن تتابع مواقفه ، وأن تلجئه إلى التزام أحد المنهجين لتفوت عليه ما يريده من الخداع والتلبيس ، فإذا ما أظهر نفاقه بيقين فقد زالت شرعيته وسقطت طاعته .

والحق أن هذا الموقف الأخير هو أخطر ما يواجه الدعوة إلى إقامة الدين في هذا العصر ؛ لأنه يجعل الناس في هؤلاء المارقين فئتين :

– فئة تحسن الظن بأقوالهم فتلقي إليهم السلم ، وتشايعهم بالقول والعمل ، وتتهم الآخرين بالغلو والشطط !

– وفئة أخرى حاكمت أقوالهم إلى أعمالهم ، فتبين لها كذب المقالات وزيف الشعارات ، فلم تقم لها وزناً وحكمت عليهم بما أسفر عنه استقراء واقعهم ورصد حقيقتهم .

وإن المعركة الحقيقية في مثل هذه المواقع لا بد أن تكون على محورين :

– الأول : بيان حقيقة التوحيد وتبليغها للكافة حتى يستفيض العلم بأنه لا حكم إلا لله ، وأن العلمانية والإسلام نقيضان ، وأن تحكيم القوانين الوضعية لا يجتمع مع أصل الإيمان بحال من الأحوال .

– الثاني : بيان حقيقة الواقع ورصده بمنتهى الموضوعية والدقة ، حتى يتبين للناس الحقيقة والدعوى في هذه المزاعم والادعاءات .

ذلك أن من الناس من يجهل حقيقة التوحيد وعلاقته بتحكيم الشريعة ووجوب إفراد الله بالطاعة .

ومنهم من يجهل حقيقة الواقع تحت تأثير أبواق التضليل والدعاية وخبراء الخداع والتلبيس ! وهؤلاء يمثلون في الواقع نسبة عالية لا يستهان بها ، وفيهم الدعاة والهداة من حملة القرآن والسنة من يقرون بالقضية في جانبها العلمي ، وتعتبر عند كثير منهم من البدهيات والمسلمات ، ولكنهم فتنوا بالشعارات والتصريحات التي تطلقها أبواق العلمانية فشوشت عليهم الرؤية وجعلتهم في أمر مريج !

بقيت مسألة في غاية الأهمية وهي أن موقف الدعوة من العلمانية موقف عقيدي ثابت ، فالعلمانية والإيمان نقيضان ، وهي من الطواغيت التي تَعبَّد الله عباده بالكفر بها واجتنابها ، ومهما تفاوتت اجتهادات الدعاة في أشخاص القائمين عليها من

طواغيت البشر فلا علاقة لذلك بالقضية الأصلية وهي رفض هذا المنهج وعدم مشايعة سدنته بقول أو عمل .

سابعاً : من فتاوى أئمة المسلمين في علمانية التشريع

* ابن كثير :

قال عند تفسير قوله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) (المائدة : 50) .

(ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير ، الناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات ، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق ، وهو عبارة عن كتاب أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعاً يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة ، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير) (تفسير ابن كثير : 2/ 67) .

ويقول في البداية والنهاية : (فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء ، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه ؟! من فعل فقد كفر بإجماع المسلمين) (البداية والنهاية : 119/13) .

*الإمام أبو بكر الجصاص :

يقول في أحكام القرآن في تفسير قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) (النساء : 65) (وفي هذه الآية دلالة على أن من رد شيئاً من أوامر الله تعالى أو أوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج من الإسلام ، سواء رده من جهة الشك فيه أو من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع من أداء الزكاة وقتلهم وسبي ذراريهم لأن الله تعالى حكم

بأن من لم يسلم للنبي صلى الله عليه وسلم قضاءه وحكمه فليس من أهل الإيمان) (أحكام القرآن : 181/3) .

* النسفي :

ويقول النسفي في تفسير قوله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) (الأحزاب : 35) (إن كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر ، وإن كان عصيان فعل مع قبول الأمر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق) (تفسير النسفي) .

* ابن تيمية :

(والإنسان متى أحل الحرام المجمع عليه ، أو حرم الحلال المجمع عليه ، أو بدل الشرع المجمع عليه كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء) (مجموع فتاوى ابن تيمية : 267/3) .

* محمد بن إبراهيم آل الشيخ :

(إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين).

ثم أخذ يعدد أنواع الحكم بغير ما أنزل الله التي تخرج من الملة فقال : (من أعظم ذلك وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ، ومشاقة لله ورسوله ، إيجاد المحاكم الوضعية التي مراجعها القانون الوضعي ، كالقانون الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني ، أو غير ذلك من مذاهب الكفار ، وأي كفر فوق هذا الكفر ؟ وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة ؟) (رسالة تحكيم القوانين : 1 ، 7) .

* عبدالعزيز بن باز :

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- في معرض نقده لدعوة القومية العربية : (إن الدعوة إليها والتكتل حول رايتها يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن ، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن ، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوى مجتمع القومية في تلك

الأحكام ، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف ، وهذا هو الفساد العظيم والكفر المستبين والردة السافرة كما قال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) وقال تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) .

وكل دولة لا تحكم بشرع الله ، ولا تنصاع لحكم الله فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله حتى تؤمن بالله وحده وتحكم شريعته كما قال عز وجل : (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) (فكرة القومية العربية لصالح العبود /268) .

ويقول في موضع آخر : (وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله ، أو أن غير هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر ، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال ، وبما ذكرناه من الأدلة القرآنية ، وإجماع أهل العلم يعلم السائل وغيره ، أن الذين يدعون إلى الاشتراكية أو إلى الشيوعية أو غيرها من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الإسلام ،كفار ضلال أكفر من اليهود والنصارى ، لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يجوز أن يجعل أحد منهم خطيباً أو إماماً في مسجد من مساجد المسلمين ولا تصح الصلاة خلفهم ، وكل من ساعدهم على ضلالهم ، وحسَّن ما يدعون إليه وذم دعاة الإسلام ولمزهم ، فهو كافر ضال ، حكمه حكم الطائفة الملحدة ، التي سار في ركابها وأيدها في طلبها ، وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم عليهم بأي نوع من انواع المساعدة ، فهو كافر مثلهم) (مجموع الفتاوى ومقالات متنوعة 274/1)

* محمد الأمين الشنقيطي :

ويقول الشنقيطي : (وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا ، يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله ، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم) (أضواء البيان للشنقيطي).

ويقول في موضع آخر : (وأما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض ، كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف بل يلزم استواؤهما في الميراث ، وكدعوى أن تعدد الزوجات ظلم ، وأن الطلاق ظلم للمرأة ، وأن الرجم والقطع ونحوها أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك ، فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفر بخالق السماوات والأرض وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن أن يكون معه مشرع آخر علواً كبيراً (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (أضواء البيان للشنقيطي) .

* محمد حامد الفقي :

ذكر في تعليقه علىكتاب فتح المجيد معقباً على كلام ابن كثير في قوله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون) .. الآية (ومثل هذا وشر منه من اتخذ كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله ولا ينفعه أي اسم تسمى به ، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها) (فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : 406) .

* أحمد شاكر :

(إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس ، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة ، ولا عذر لأحد ممن ينتسب إلى الإسلام كائناً من كان في

العمل بها أو الخضوع لها أو إقرارها ، فليحذر امرؤ لنفسه ، وكل امرئ حسيب نفسه) (عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير : 174/4) .

* محمد الخضر حسين شيخ الأزهر سابقاً :

(أما أن تفعل البلاد الإسلامية ما فعلته الدول الغربية من تجريد السياسة من الدين ، فهو رأي لا يصدر إلا ممن يكنّ في صدره أن ليس للدين من سلطان على السياسة ، وهذا ما يبثه فئة يريدون أن ينقضوا حقيقة الإسلام من أطرافها ، حتى تكون بمقدار غيرها من الديانات الروحية التي فصلها أهلها عن السياسة ، ثم يصبغوا هذا المقدار بأي صبغة أرادوا فيذهب الإسلام ، فلا القرآن نزل ولا محمد صلى الله عليه وسلم بعث ! ولا الخلفاء الراشدون جاهدوا في الله حق جهاده ! ولا الراسخون في العلم سهروا في تعرف الأصول من مواردها وانتزاع الأحكام من أصولها !) .

إلى أن يقول : (فصل الدين عن السياسة هدم لمعظم الدين، ولا يقدم عليه المسلمون إلا بعد أن يكونوا غير مسلمين !!) (رسائل الإصلاح لمحمد خضر حسين) .

*الكوثري :

(وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن دين الإسلام جامع لمصلحتي الدنيا والآخرة ولأحكامهما دلالة واضحة لا ارتياب فيها ، فتكون محاولة فصل الدين عن الدولة كفراً صريحاً منابذاً لإعلاء كلمة الله ، وعداءً موجهاً إلى الدين الإسلامي في صميمه ، ويكون هذا الطلب من الطالب إقراراً منه بالانتباذ والانفصال ، فنلزمه بإقراره فنعده عضواً مفصولاً عن جماعة المسلمين وشخصاً منفصلاً عن عقيدة أهل الإسلام ! فلا تصح مناكحته ولا تحل ذبيحته ؛ لأنه ليس من المسلمين ولا من أهل الكتاب !) .

* يوسف القرضاوي :

(بل إن العلماني الذي يرفض " مبدأ " تحكيم الشريعة من الأساس ، ليس له من الإسلام إلا اسمه ، وهو مرتد عن الإسلام بيقين ، يجب أن يستتاب وتزاح عنه الشبهة وتقام عليه الحجة ، وإلا حكم القضاء عليه بالردة ، وجرد من انتمائه إلى الإسلام ، أو سحبت منه " الجنسية الإسلامية " وفرق بينه وبين زوجه وولده ،

وجرت عليه أحكام المرتدين المارقين في الحياة وبعد الوفاة) (الإسلام والعلمانية وجهاً لوجه للقرضاوي : 73 ، 64) .

ثامناً : شبهات وجوابها

* الشبهة الأولى :

قد يرد على بعض الناس القول بأن العلمانية المعاصرة لم تبتدئ رد الأحكام وتبديل شرائع الإسلام ، وإنما توارثت ذلك عن علمانية سابقة ، وهي تسعى إلى التغيير .

ولا شك أن هذه الشبهة تعد من أبرز الشبهات التي يعتمد عليها فريق كبير من الناس ، سواء منهم من يتعمدون التلبيس والكذب وهم يعلمون ، أو من فتنوا بهم وهم يحسبون أنهم يعلمون .

والجواب على ذلك في مسألتين :

- المسألة الأولى : أنه قد علم بالضرورة من دين الإسلام ، بل من دين الرسل جميعاً أنه لا فرق في الحكم العام بين من يكفر بالحق ابتداء ، ومن يتوارث ذلك عن غيره مع الرضا والمتابعة .

- فلا فرق بين من ابتدأ تحريف التوراة والإنجيل ، وبين توارث ذلك من اليهود والنصاري من بعد ، ما داموا مقرين ومتابعين .

- ولا فرق بين من ابتدع عبادة الأصنام ، وبين من تعبد لها بعد ذلك تقليداً ومتابعة .

- ولا فرق بين عمرو بن لحي الخزاعي وهو أول من غير دين إبراهيم ، فأدخل الأصنام إلى الحجاز ودعا إلى عبادتها من دون الله ، وشرع من الدين ما لم يأذن به الله وبين من تابعه على ذلك من العرب من بعد .

ولقد خاطب القرآن الكريم أهل الكتاب بما ارتكبه آباؤهم من قبل ، وما ذلك إلا لإقرارهم له ورضاهم به ، فقال تعالى : (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) (البقرة : 91) .

يقول لهم : إن كنتم صادقين في دعوى الإيمان بما أنزل عليكم ، فلم قتلتم الأنبياء الذين جاؤوكم بتصديق التوراة التي بين أيديكم وقد أمرتم باتباعهم وتصديقهم ؟ وهذا

خطاب لليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم أن أحداً من هؤلاء لم يرتكب شيئاً من ذلك ، وإنما هو أمر جناه آباؤهم من قبل ، فخوطبوا به لرضاهم به وإقرارهم له . ومثل ذلك كثير في القرآن .

– المسألة الثانية : إن القول بأن هذه العلمانية المعاصرة تسعى إلى التغيير ، وأن ذلك ينفي شبهة الرضا والمتابعة أمر يحتاج إلى تفصيل :

ذلك أنه لا منازعة في صحة المبدأ في ذاته ، فمن جاء على ميراث سابق من الكفر، ولكن أعلن انخلاعه عنه ، وكفره به وبراءته منه ، ثم توجه بكل جهده نحو تغييره وإزالته ، فلا شك أنه لا ينسحب عليه حكم من سبقه ، ولا يُسأل عن جريمة جناها غيره ، بل يسلك – إن صدق – في عداد المجاهدين .

أما إذا كان يروغ ويدور ، فيزعم الإيمان ويدعي التوجه إلى التغيير ، ويقدم بين يدي ذلك أعمالاً هزيلة مدخولة ، ثم تتجه خطاه بعد ذلك نحو الباطل الذي توارثه تدعيماً له وتثبيتاً لأركانه ، ومدافعة عنه ومجادلة دونه ، بل ويوالي ويعادي على ذلك فمن رضي بشرعه ومنهاجه قربه ووالاه ، ومن ظن به سوى ذلك أبعده وعاداه ، بل يخنق كل صوت يدعو إلى الحق ، وكل دعوة تعمل على إقامة الدين والتزام شرائعه ، فلا يجوز حينئذ أن يعول على قول تبين زوره ، ولا على دعوى تبين بطلانها ، ولا على زعم تحقق كذبه ، بل الأقرب أن يلحق هؤلاء بالزنادقة الذين لا تقبل لهم توبة في رأي فريق كبير من العلماء ! .

* الشبهة الثانية :

وتتمثل هذه الشبهة في القول بأن هذا المنهج يجدد في الأمة مقولة الخوارج وينبثق من مشكاته ، فهم الذين رفعوا عبر التاريخ شعار : (لا حكم إلا لله) وعرفوا به من دون الفرق جميعاً ، وانطلقوا منه في استحلال دماء المخالفين وأموالهم !!

والجواب على هذه الشبهة أن قوله تعالى : (إن الحكم إلا لله) قد حكاه القرآن الكريم على لسان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قبل أن تنقله لنا دواوين التاريخ على ألسنة الخوارج ! أفيكون كل من دعا إلى إقامة الدين وتحكيم الشريعة وإفراد الله بالعبادة والتشريع المطلق خارجياً من

الخوارج ؟ ترى ماذا يكون إذن مبدل الشرع ، ومحل الحرام ومحرم الحلال والداعي للفصل بين الدين والدولة ؟ أيكون على بن أبي طالب ؟! .

ولقد رفع الخوارج هذا الشعار ليكفروا به أئمة الجور من المسلمين في وقت كان الأصل فيه هو التحاكم إلى الشريعة ، وقيام الدولة على حراسة الدين وسياسة الدنيا به ، وإن غشيها من المظالم ما غشيها ، فكانوا مبطلين خارجين عن الحق .

ويرفعه اليوم المجددون من الدعاة إلى الله وقد أعلنت العلمانية وحكمت القوانين الوضعية التي تحل الربا والزنا والفواحش ما ظهر منها وما بطن وتحميها بقوة الشرطة والقضاء ، يرفعونه ليردوا به الأمر إلى الله جل وعلا ، ولينتصروا به لشريعتهم المضاعة وكتابهم المهجور ، وليدفعوا عن الأمة شرك التشريع بما

لم يأذن به الله ، وباطل التحاكم في الدماء والأموال والأعراض إلى غير ما أنزل الله فكانوا مجاهدين أنصاراً لله ورسوله .

=================

#العلمانيون وحرية الفكر

مشهد درامي هزلي صاخب يطل علينا من حين لآخر من الساحة الثقافية العلمانية كلما انتهكت " حرمة " الرذيلة أو وطئ طرفها " الطاهر " ، متقنعة في هذا المشهد بقناع حرية الفكر والإبداع ، وقد تكرر هذا المشهد كثيرًا ، ومؤخرًا رأيناه في الجزائر والأردن ومصر والكويت واليمن وبنجلاديش .

ولكن مفارقة ذات دلالة حدثت في المناحة الأخيرة التي أقامها نادبوا حرية الإبداع والفكر في آخر مآتمهم الثقافية ، هذه المفارقة هي أن الطرف الآخر المراد إرهابه والضغط عليه لم يكن متعصبًا ، ولا متطرفًا ، بل إنه متهم من الإسلاميين بنشر الثقافة العلمانية المتفلتة والدفاع عنها في مصر ، ولكن لم يشفع له ذلك الاتهام للإفلات من إرهاب الوصاة على الفكر والثقافة وتهديداتهم ، فبمجرد أن انحاز وزيرالثقافة مرة إلى بعض قيم المجتمع وثوابته وأصوله ، وحاسب مسؤولاً . يحق له إداريًا محاسبته . على نشر روايات ثلاث تجاوزت " قلة الأدب " فيها الحد الذي لا يمكن السكوت عليه ، ثارت ثائرة النائحين ، فاستقالوا وقاطعوا وهددوا وتوعدوا وعلا صياحهم من الربط بين ظلام الرجعين ، وظلم السلطويين ، وتحالفهم ضد التقدمية

والتنوير ، ثم تداعت وسائل الإعلام لنصرة إخوانهم "المضطهدين " ، فأفردت الصفحات لإقامة المنائح والبكائيات على الثقافة والإبداع ، بل دخل الإنترنت على الخط فتطوع أحد المواقع بنشر الروايات الثلاث كاملة نكاية بخانقي حرية الفكر ومعوقي حركة الإبداع .

أي تقدمية ، وأي تنوير يريدون ؟ وما هو مفهوم الحرية ، وحدودها عندهم ؟ ومن جعلهم أوصياء على الإبداع والفكر ؟ ولماذا إيهام العامة بتأثير الندب والصياح ، بأنهم وحدهم المثقفون ، وأنهم وحدهم المتحدثون باسم الثقافة ؟ وأين هي حرية الفكر والإبداع التي يزعمونها عندما يتعلق هذا الفكر والإبداع برؤى مخالفة لرؤيتهم ؟ لماذا لا يدافعون . إذا كانوا صادقين في دعواهم . عن حق الإسلاميين " مثلاً " في التعبير عن فكرهم ونشر إبداعهم ، بدلاً من العمل على مصادرة هذا الحق من خلال مراكزهم بزعم أنها ثقافة ظلامية رجعية ؟

هل هناك إرهاب فكري ، وعنف معنوي أكثر من هذا الذي يمارسه " المثقفون " العلمانيون عندما تُمس الرذيلة ويُدعى إلى الفضيلة ؟ ألا ترون أن شأن المثقفين العلمانيين مع الإسلام ودعاته كما يقول المثل : " رمتني بدائها وانسلت " ؟

مجلة البيان

العدد / 160

==============

ينقصنا تطبيق النظرية الشورية في واقعنا

في حوار مع الإسلام اليوم

الإسلام اليوم – القاهرة 1423/1/16

2002/03/30

د. عدنان النحوي.. أديب وشاعر ومفكر إسلامي كبير رغم أن تخصصه ليس في الأدب ولا في الثقافة ولا في الشريعة.. ولد في مدينة "صفد" الفلسطينية وأنهى تعليمه في دار المعلمين، ثم حصل على بكالوريوس الهندسة من جامعة القاهرة، وبعد ذلك حصل على الدكتوراه في الهندسة الميكانيكية. وعمل مدرساً في حمص بسوريا لمدة ثمانية أعوام، ثم مدير إذاعة بحمص أيضاً لمدة ثلاثة أعوام، ثم مديراً للمشروعات

الإذاعية في الرياض لمدة خمسة عشر عاماً.. رغم كل ذلك إلا أن مؤلفاته تنوعت بين الدعوة والفكر والأدب وله فيها اثنا عشر كتاباً...

التقينا به في القاهرة وحاورناه عن هموم المسلمين والصحوة الإسلامية ومشاكل الأدب الإسلامي.

سؤال:لاحظت اهتمامكم بقضية "الشورى" ولكم فيها كتابان.. فهل حسمتم السؤال التقليدي عن الشورى وهل هي ملزمة أم معلمة؟ وما هي علاقة الشورى بالديمقراطية؟

جواب:أنا رفضت ذلك وقلت هذا الطرح خاطئ وتحدثت عن الشورى وممارساتها الإيمانية. فالشورى نظام رباني متكامل، والله أنزلها وحياً على رسوله في القرآن والسنة. الذي ينقصنا نحن النظرية الشورية، فهي موجودة في كتاب الله، ولكن حتى نطبقها في واقعنا لا نستطيع أن نطبقها إلا إذا طبقنا الإسلام كله؛ لأن الشورى جزء من الإسلام ولا يمكن تطبيق جزء من الإسلام وترك جزء آخر والله يقول (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض). ثم إن الطرح الذي يقول: هل الشورى معلمة أم ملزمة لم يسبق أن حدث في التاريخ الإسلامي أيام النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ولكن القضية طرحت حديثًا عندما غزتنا الديمقراطية الغربية.

وهناك نقطة أخرى تنطوي على شيء كبير من الوهم وهي أن المسؤول الأول في النظام الديمقراطي ملزم بما يجمع عليه الأكثرية. ولو طبقنا ذلك على الغرب لوجدنا أن رئيس الدولة عندهم أو رئيس الوزراء له صلاحية كبرى لا يرجع فيها للشعب بحيث تتوازن المسؤوليات والصلاحيات، أما عندنا فالشورى واجبة في الحياة الإسلامية والقرار تصدره الجهة المختصة التي تحاسب في الدنيا وتحاسب بين يدي الله في الآخرة. وهذا التصور الكامل للشورى لا يصح إلا إذا طبقنا الإسلام كاملاً.. وثمة بعد آخر في القضية هو أن الديمقراطية لها منحى بعيد عن الشورى؛ فالديمقراطية يتوهم البعض أنها تعني "الحرية" و"الأمن" و"المساواة".. غير أننا لم نجد إلا الحرية الجنسية وبعض الحماية للفرد.. ولكن حقوق الإنسان الإنسانية مفقودة في الحياة الديمقراطية وتحت مسمى "الديمقراطية" انتشرت الشهوات والإباحية فقتلت إنسانية الإنسان.. فيكيف نتصور حرية الإنسان في هذا الجو وقد تحول إلى إنسان آلي مندفع وراء شهواته؟!

" سقطت الشيوعية ..ولم يسقط الإلحاد "

سؤال:سقطت الشيوعية في الغرب بسقوط دولتها غير أن الشيوعيين العرب مازالوا يتبجحون ويتحدثون عن الخطأ في التطبيق.. كيف تفسرون ذلك؟

جواب:الذي سقط هو السلطة الزمنية ومظهر الدولة المجسدة للفكرة الشيوعية أما الفكرة كفلسفة مادية ملحدة، لا تؤمن بوجود الله فهي موجودة سواء في الاتحاد السوفيتي أو في البلاد العربية أو غيرها.. ولكن كيف تعمل هذه الفلسفة فذلك تحكمه الظروف.

وتعجب هنا من أن الذي يرعى الفكر الشيوعي في العالم الإسلامي ليس الاتحاد السوفيتي أو الدول الشيوعية ولكن العالم الغربي.. انجلترا في مستعمراتها وكذلك فرنسا.. كلهم يرعى ويغذي الشيوعية والعلمانية والإقليمية وكل العصبيات الجاهلية التي ينكرها الإسلام.. وإن كانت تتظاهر بمعاداتها في العالم الإسلامي، غير أنها تحفظ لها وجودها وكيانها وتساعدها حتى تظل قادرة على ضرب الإسلام.

سؤال:هناك بعض الشيوعيين يقولون: إن سقوط الشيوعية ما هو إلا فترة شرنقة وتكوّن ولكنها ستعود مرة أخرى.. مثلما تقولون أنتم: إن الإسلام غائب سيعود؟

جواب:نحن إذا قلنا الإسلام غائب وسيعود لا نخترع شيئا من عند أنفسنا، ولكنه أمر من علم الغيب علمناه من كتاب الله ومن سنة رسوله، ولكن متى سيحدث لا ندري. لكن نعلم أن الله فرض على المسلمين أن يسعوا ويبذلوا جهودهم حتى يتحقق هذا الأمر. أما الشيوعية فلا يستبعد أن تظهر في فترة لاحقة دولة شيوعية يتجمع فيها الشيوعيون إذا كان الله قد أراد ذلك.. فإراداتهم لا ترسم الغيب وإنما الغيب هو الذي يقرر ما الذي سيحدث في المستقبل.

سؤال:بعد انهيار الشيوعية أصبح البعض يردد: إن الجراثيم التي حللت الاتحاد السوفيتي تعمل عملها الآن في جسد المجتمع الغربي الرأسمالي.. هل تستند هذه المقولة على وهم؟

جواب:جذور الانهيار موجودة منذ سنوات في المجتمع الأمريكي.. فأمريكا تحمل في داخلها جذور هلاكها.. ومن ناحية أخرى فهناك قانون غيبي قرره الله تعالى في كتابه العزيز (لكل أمة أجل) فكما أن للإنسان أَجلا؛ فالأمم ستبلغ آجالها وستسقط. والله

سبحانه أباد أقواماً مثل عاد وثمود وقوم لوط وحدثنا سبحانه عن الجرائم التي ارتكبوها.. فقوم لوط اقترفوا اللواط فأهلكهم الله.. أما الحضارة الغربية اليوم فلم تترك نوعاً من الآثام في التاريخ البشري كله إلا وفعلته.. وأعتقد أن سنة الله ستمضي عليهم.

سؤال:الخطاب الذي يخرج من الغرب الآن يصف الإسلام بأنه العدو الوحيد بعد سقوط الشيوعية.. وهناك مؤتمرات ومنتديات يتم فيها الحوار بين بعض الإسلاميين وبعض مفكري الغرب.. فهل يجدي مثل هذا الحوار؟

جواب:العالم المسيحي لا يعادي الإسلام والعالم الإسلامي؛ لأن كتبهم المنزلة والتي أحرقوها تأمرهم بذلك. والأنبياء كلهم جاؤوا بالإسلام. أما ما هو مصدر الخلاف والصراع الذي يكشفه لنا التاريخ في الحروب الصليبية أو معركة الأحزاب أو تآمر اليهود في المدينة أو العداء الحالي للإسلام؟. للإجابة عن ذلك فإني أقسم العالم المسيحي إلى فئتين.. الفئة الأولى: هي الفئة القائدة والتي يسميها القرآن المستكبرين – المجرمين – الظالمين – المفسدين .. وفي هذا الصدد أذكر آية قرآنية تقول (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم"[هود: 116]

فالآية الكريمة تحدثنا عن ظلمهم (الذين ظلموا) وتحدثت عن الترف (ما أترفوا فيه) وتحدثت عن إجرامهم (وكانوا مجرمين) وهذه الفئة موجودة عند المسيحيين وعند اليهود وهي ظاهرة لا تنتسب إلى دين سماوي؛ فالدين كله تبرأ منهم وقد تبرؤوا هم عملياً من الدين؛ لأنهم هم الذين جعلوا بلادهم معزولة عن الدين بما يسمونه خطأ "العلمانية" ولكن أسميها "الدنيوية" أو "اللادينية" حتى لا تنتسب إلى العلم فالعلم منها بريء.. وهذه الفئة ليست مشكلتها الدين مهما تظاهروا أو ذهبوا إلى الكنائس فحقيقة ميزانهم هو المادية ونهب الشعوب هو قضيتهم الأولى.

والفئة الثانية هي عامة الشعوب النصرانية وهي لا تعرف حقيقة دينها، فلو سألت أي نصراني عن الأقانيم الثلاثة سيضطرب، فهذا لا ينسجم مع نفسه وغير منطقي. ولو سألته: لماذا تكره المسلمين؟ ماذا فعلوا لك؟ وهم المجموعة البشرية الوحيدة التي عاملتك أكرم معاملة في التاريخ.. لن يستطيع الإجابة.

فهذه الفئة تكره المسلمين لسببين: الأول: لأن كراهية المسلمين زرعتها الفئة الأولى داخل نفوسهم وجعلت كراهية الإسلام جزءاً من الفكر والتربية والإعلام، والسبب الثاني: أنهم يجهلون دينهم.. وعلاقتهم بالدين هي كما يقول القرآن (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله).

" التحالف النصراني الصهيوني"

سؤال:كثر الحديث هذه الأيام عن "الأصولية الصهيونية" المتحالفة مع "الأصولية النصرانية" لدرجة أن الأصولية النصرانية أصبحت صهيونية أكثر من الصهاينة.. ما هي أبعاد هذه القضية؟

جواب:لو رجعت للتاريخ لوجدت أن النصارى هم أكثر شعوب الأرض قتلاً لليهود فمنذ أيام الرومان هدموا عليهم ما يسمونه "بالهيكل".. وفي روسيا وإيطاليا وإنجلترا وإسبانيا وألمانيا كانت مجازر اليهود على مدى التاريخ.

غير أنه حدث تحول تاريخي منذ أيام (لوثر) و(كلفن) إذ ظهرت الدعوة إلى العودة إلى الأصول.. ويُقال: إن (لوثر) كان يهودياً.. وفي هذه الفترة ارتبطت مصالح الحركة الصهيونية بالنصرانية الأصولية وتشابكت المصالح.. وإلا لا يمكن أن نجد مبرراً في أن جميع رؤساء الولايات المتحدة يؤكدون أن إسرائيل وجدت لتبقى.

وهنا نذكر كلمة الرئيس الأمريكي (فرانكلين) الذي قال أثناء وضع الدستور الأمريكي في كلمة سجلها له التاريخ "ان أمريكا إذا لم تتنبه من الآن إلى الخطر اليهودي سيصبح أبناؤنا في المستقبل تحت رحمة اليهود".

إن الأمور تغيرت عن ذي قبل.. في عام 1982 سمعت (ريجان) يقول أثناء زيارة لألمانيا "إنني أعتز بهذا المكان.. فمن هنا انطلقت الحروب الصليبية" وبدأوا يستغلون كل المعاني الفكرية والدينية والاقليمية لمحاربة الإسلام ويكشف هذا القصور التناقض بين كلام نيكسون في كتابيه.

ففي كتاب "نصر بلا حرب " يقول: إننا نجابه خطرين هما: الشيوعية والإسلام؛ لأن كلاً منهما يسعى لتسلم الحكم ويحكم بالأصولية التي لا تحتمل ولا تطاق ". ويغير رأيه في كتابه "الفرصة السانحة" ويقول: " يمكن أن نتعاون مع الإسلام المعتدل الذي لا يعطل مصالح أمريكا".. ومصالح أمريكا ظالمة.

" الحل الذهبي "

سؤال:الحركات الإسلامية بدأت تدخل معركة الانتخابات البرلمانية بكثير من فصائلها.. وبعض الفصائل الأخرى لا تزال تعارض.. هل الانتخابات هي الحل الذهبي؟

نحن المسلمين لا يجوز لنا أن نتحول إلى دعاة لمبادئ ليست من مبادئنا.. سواء كانت إلى الديمقراطية أم الاشتراكية.. لقد تورطنا ومدحنا الاشتراكية من قبل وتحولنا إلى دعاة لها.. ثم إنه ربما يفرض علينا واقع فيه الديكتاتورية أو الاشتراكية فيجب أن نحدد موقفنا من هذا الواقع على ثلاثة أسس.

أولا: القرآن والسنة. ثانيا: أن نفهم واقعنا.. ثالثا: أن يكون لنا منهج حركي عملي يحقق لنا التعامل مع المشاكل وتقويمها.. أي أننا لا بد أن نتصور المشكلة قبل أن تقع وهذا القصور يتلخص في أربع عناصر.. العنصر الأول: صدق النية والتوكل على الله يبينه سلامة التصور الإيماني والتوحيد.. العنصر الثاني: يجب أن نحدد أهدافنا تحديداً واقعياً وعملياً نتفق كلنا عليه.. العنصر الثالث: أن نرسم الطريق بين نقطة الانطلاق والأهداف.. العنصر الرابع أن نحدد الوسائل والأساليب .. (فَهرتزل) الزعيم اليهودي الصهيوني حينما قال: " ستقوم إسرائيل بعد خمسين عاماً " لم يكن يهزل وإنما بناءً على تقديرات بشرية ومنهج وتخطيط وعمل.

وأنا لا ألوم أي حركة إسلامية على أي موقف تتخذه فهي أدرى بما تفعل.

سؤال:البعض يرون أن المشروع الإسلامي يجب أن يتسع للعلمانية وأن يعترف بهم رغم أنهم لا يعترفون بالإسلام كمنهج.. هل توافق على ذلك؟

جواب:المسؤولية التي أمرنا الله بها هي أن نبلغ كلمة الله إلى كل الناس.. لم يأمرني الله أن أتفق مع العلمانيين أو أخاصمهم.. بل هو أمرني أن أدعو الناس للإسلام حتى يكون ذلك حجة لي وحجة عليهم يوم القيامة، وأن أتمثل الإسلام في قولي وفعلي.

فالمسلم يحاور الجميع ويدعوهم بشرط ألا يتنازل عن ثوابته، ولا يشتري رضاء الناس بغضب الله.. وفي المشروع الإسلامي فإن بيننا وبين كل أهل الأرض نوعاً من التعامل يقرره الواقع حسب الظروف.

سؤال:هل كانت الصحوة الإسلامية إضافة إلى حياتنا السياسية والاجتماعية والفكرية أم عبئاً على مجتمعاتنا؟

جواب:لا شك أن صورة الصحوة تظهر بشكل أوضح عندما تقارن مرحلة سابقة بأخرى لاحقة؛ فالآن بالرغم من جميع المآسي في العالم الإسلامي هناك حركة بين الشباب المسلم تبشر بالخير. قد لا نجد قاعدة واحدة تنسحب على جميع أقطار العالم الإسلامي..وإذا أردت أن تجد أدلة على الصحوة فستجد وإذا أردت أن تجد أدلة على عدم الصحوة فستجد أيضاً. فإذا نظرنا إلى مأساة البوسنة والهرسك وكوسوفا والشيشان .. العالم كله يتفرج والعالم الإسلامي يبذل حفنه من المال.. هل هذا صحوة؟ أن يذبح المسلمون في كشمير وبورما وافغانستان، يموتون جوعاً في الصومال والمسلمون يتفرجون !!

قبل عام 1948.. كان اليهود يتمنون أن نفاوضهم.. الآن نحن الذين نتمنى أن يفاوضونا هل هذا صحوة؟.. وهناك أجزاء جديدة في العالم الإسلامي تتساقط في يد أعداء الله وظروفنا وأحوالنا تخالف شرع الله والانحرافات شديدة.. هل هذا صحوة؟.

أما في بعض الجوانب الايجابية فنرصد هذه القلوب المؤمنة التي لا تستطيع جميع قوى الأرض أن تقضي عليها، وهم الفئة المنصورة بنص الحديث الشريف.

وهذه الفئة هي محور الصحوة التي لن تختفي من الأرض ولو اجتمعت كل قوى المجرمين. ويجب على كل مسلم أن يسرع لتحقيق نصر هذه الفئة ليكون أحد أبنائها؛ فهي ليست شعباً ولا إقليماً ولا حرباً وإنما هي خصائص محددة.

سؤال:كثير من الشامتين يقولون: إن الحركة الإسلامية لا يمكن أن تتوحد.. لأنهم يحبون الزعامة والانفراد بالسلطة ويضربون المثل بما حدث ويحدث في أفغانستان ؟

جواب:فصائل الجهاد الأفغاني بينها خلافات من الأصل كما هي بيننا جميعاً وكما هي في الجسد الإسلامي عامة كمرض من أمراضه التي لم يتخلص منها بعد.

كثير من فصائل الجهاد كان التوجه الإسلامي فيها ضعيفاً.. ولكن المجاهدين نجحوا في أنهم رفعوا راية الإسلام وخاضوا حربهم تحت هذه الراية فكتب لهم النصر. ولو رفعوا أي شعارات أخرى ما انتصروا.

ولو كنا مكانهم لحدث بيننا ما يحدث بينهم الآن ولكن القتال تحت راية الإسلام والجهاد هو الذي عالج الجروح.

والحركة الإسلامية هي مجموعة من البشر ونتيجة لمنهجها المتميز يظهر خطؤها الصغير وكأنه كبير ولا بد من هذه المرحلة ولا بد من ظهور العيوب ثم تلافيها وتصحيحه

□ !

الفهرس العام

الباب الرابع 2

العلمانية 2

العلمانية 2

#العلمانيّون والإسلام 59

مقدمة 60

أوربا وتجربتها مع الدين 62

الدين الحق 79

لا غنى للإنسان عن الدين 82

الديمقراطية والإسلام 108

أين المشكلة ؟ ! 118

لحساب من يُحارَب الإسلام ؟ ! 135

والعلمانيون .. ما موقفهم .. ؟ 147

والمستقبل .. لمن ؟ ! 149

العلمانيون وثورة الزنج 159

القواعد الأربع التي تفرق بين دين المسلمين ودين العلمانيين 192

#نقد التأسيس الأصولي للعلمانية (1-3) 216

#نقد التأسيس الأصولي للعلمانية (2-3) 220

#العلمانيون قنطرة الغرب إلى بلادنا 227

#العلمانية في العالم العربي 233

#العلمانية وثقافة السلام 236

#العلمانية تصرع الكاثوليكية في أوروبا 240

#الأكذوبة العلمانية 243

#لماذا نرفض العلمانية ؟ 246

#المثقف العلماني والصدق المعرفي.. 263
#ما هي هذه العلمانية ؟ 266
#العلمانية الجاحدة .. ثم الآن العلمانية المستترة.. 275
#العلمانييون وفكرهم وممارساتهم 279
#دعاة من جلدتنا 286
#المتصهينون العرب الجدد 290
#موقف أهل السنة والجماعة من العلمانية.. 297
#إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو العلمانية اللادينية.. 309
#العلمانية .. وثمارها الخبيثة 325
#العلمانيون وزلزال تسونامي.. 344
#العلمانيون واحتراف البكاء على الحرية.. 347
#الجواب عن شبهات الداعون إلى علمانية العاصمة القومية 352
#العلمانية وانكشاف الأجندة الخفية.. 360
#الإعلام الغربي في مواجهة العقيدة 363
#دعوات شيطانية.. 370
#العلمانية : النبتة الغريبة عن الحضارة الإسلامية 371
#العلمانيون من زاوية أخرى.. 376
#العلمانية 381
#العلمانية 390
#جراحات الأُمَّة بين دور الأزهر وشراسة الأعداء 394
#قراءة في كتاب العلمانية.. 399
#العصرنة البراقة قنطرة العولمة الجائرة 418
#بين العقيدة والسياسة.. 426
#قراءة في كتاب العلمانية (1) 427
#قراءة في كتاب العلمانية (2) 441
#قراءة في كتاب العلمانية (3) 450
#قراءة في كتاب العلمانية (4) 460
#الإعلام الإسلامي في تركيا.. 465
#حقيقة العلمانيين العرب.. 472
#تيار لا يتعلم من أخطائه.. 475
#يا (بني علمان) ما قولكم في اليابان؟! 479
#العلمانية الانحلالية ومنظومة القيم الإسلامية 485
#الحجاب الحريري والعلمانية 495
#كيف تتعامل العلمانية مع الأوقاف الإسلامية ؟.. 497

#الفقه العلماني للإسلام 503
ولن ترضى عنك بنو عِلْمَان 504
#حتى لا نندم 506
#العلمانية 511
#أي علاقة بين الديمقراطية والعلمانية؟........ 514
#العلمانية تحت المجهر 518
#العلمانية وخطرها على المسلمين 523
#أي علمانية تناسب البلاد الإسلامية؟ 529
#التعايش مع العلمانيين........ 533
#كيف تعرف العلماني ؟ و ما هي معتقداته ؟ 536
#خطأ في تعريف العلمانية 538
#العلمانيه والليبراليه........ 541
#علمانية الآباء والأزواج خطر يهدد المجتمع 545
#العلمانية والجاهلية وجهان لعملة واحدة........ 547
#العلمانية 549
#فصل الدين عن الدولة 553
#مسلمو السويد: العلمانية هي الحل!! 557
#مسلمو هولندا.. آمال تناطح صخرة العلمانية 562
#مسلمو فرنسا لا يهددون العلمانية 567
#الإسلام في عش العلمانية 572
#فرنسا والحجاب.. محاولة لفهم ما يحدث 575
#الحجاب والقلادة:........ 580
انهيار العلمانية في مفهومها كراعية للحريات* 580
#انحياز لـ"الهوية الثقافية" وليس لـ"العلمانية السياسية" 590
#"أصولية علمانية" فرنسية في وجه الأصولية الإسلامية* 594
#لماذا لا يجوز وضع تشريع ضد الحجاب؟ (رأي فرنسي)* 597
#ثورة الاعتدال الصامتة تهزم العلمانية الصاخبة في تركيا 599
#تجربة العلمانية والإسلام في تركيا تحت المجهر 605
#لماذا تبني أمريكا "شبكات مسلمة معتدلة" علمانية؟........ 609
خيار أمريكا الانتخابي.. "خلطة" شيعية- علمانية 616
#بروتوكولات حكماء العلمانية 621
#الإسلام والعلمانية في عالم متغير 633
#استمرارية العلمانية.. 635
حوار مع الباحث الفرنسي باتريك ميشيل........ 635

الخروج من العلمنة والعلاقة بالحداثة.. 646
الإسلام ونهاية العلمانية.. 653
الإسلام والعلمانية في الشرق الأوسط.. 659
تحولات العلمانية وممانعة الإسلام.. 663
#مجمع الفقه ينتقد الدعوة العلمانية لتحرير المرأة.. 670
#تونس.. مخاوف علمانية من انتشار الحجاب 673
الصراع العربي (الإسرائيلي) تحت الرايات العلمانية(3-1)...................................... 676
هل يهدد الحجاب العلمانية الفرنسية؟ 687
تركيا تحتفل بالذكرى الثمانين وسط جدل حول العلمانية 688
الحجاب الإسلامي .. يسيء إلى العلمانية!!.. 689
د. محمد عمارة يكتب عن "العلمانية" ونشأتها 690
العلمانية العربية وعقدة الوضعيَّة 695
هل ستسير باكستان إلى الحداثة أو العلمانية 698
إسرائيل تدخل أفغانستان بالمرأة والعلمانية.. 704
الإسلام والعلمانية وجها لوجه في مؤتمر بالقاهرة.. 705
قضية فلسطين بين الإسلام والممارسة السياسية العلمانية 706
#الإستشارة : ...مصطلحات لا أعرفها 716
: ...ماذا أفعل مع أخي العلماني 718
#كيف نكون دعاة مصلحين في بلادنا أمام الغزو الفكري والعقائدي الفاسد 721
لماذا أصبح العرب يقلدون الغرب تقليداً أعمى؟ 724
#ما هي الليبرالية والرائلية.. 727
إنكار تلبس الجني بالإنسي مكابرة 730
تقدم الغربيين وتأخر المسلمين...السبب والعلاج.. 730
#حكم الانتساب لحزب يعمل ضمن قوانين علمانية 732
حكم جمع الصلوات طوال فترة الدراسة.. 733
...لا يستطيع أحد أن ينال من هذا الدين 735
الكافرة إذا أسلمت ولم تعمل بشعائر الإسلام 736
أخوه يتصفح مواقع علمانية على جهازه الخاص.. 737
فهل عليه إثم إذا لم يستطع منعه ؟.. 737
#حكم العمل في مؤسسة علمانية 738
#عبد الإله بن كيران... 740
في فضل القيادة من دون كاريزما! 740
#الوهم الممتدُّ ..والشعارات المتساقطة! 749
#حول نهاية التاريخ وسقوط الإيديولوجيات 762

#التكامل الفريد 765
#في تفسير ظاهرة صعود "الحركات الإسلاميّة" 767
#عن النهضة والدين وأحداث 11 سبتمبر 771
#الليبراليون .. غربة الدين والوطن 775
#النظرة العلميّة الجديدة وتأكيد الايمان 776
#روعة التّهافت؟! 785
أيها المجاهدون في (حماس) 787
#انعكاسات لِأزمة الفهم 794
#يا دعاة الأمة... لا تكونوا كالحديث الضعيف! 798
"العمل السياسي المعاصر في ضوء السياسة الشرعيّة" 799
#هذه عطاءات البلد الحرام: فماذا أعطيناه 806
#بين عقليّتين ونهجَين 816
#سؤال النهضة والتنمية المعلق يعود أكثر إلحاحاً وأهمية 824
#الرّؤية الغربيّة للإسلام بين الإنصاف والتحيّز 829
#مع قضية .. المرأة والعمل السياسي 834
#الإسلام الحكومي والصحوة 841
#المرأة المسلمة.. والنشاط السياسي! 844
#رجل الرحمة والمحبة والسلام (3/1) 855
#رجل الرحمة والمحبة والسلام (3/1) 860
#رجل الرحمة والمحبة والسلام (3/2) 866
#إحلال القيم.... الانتخابات نموذجاً 872
#ظاهرة التطرّف في المنطقة.. 875
محاولة جديدة للقراءة والفهم 875
#الحركة الإسلاميّة وتحدّيات الإصلاح والتنمية 887
#واجب تغيير المناهج 889
وفاة البابا... صانع مجد الكاثوليكيّة 893
آمنة ودود وجحر ضبّ الفيمينزم 899
#التعصب الأوربي الصليبي!! 906
#برنارد لويس 910
وصهينة الدراسات الاستشراقيّة 910
#نحو تصوّر إسلاميّ للديمقراطيّة 914
#الانتخابات العربية: دلالات وأبعاد 918
#ما المنهج في فكر الحداثة؟ 921
#إلى التطبيع أيها الدعاة! 929

#المسار المستقبلي للعمل الإسلاميّ 931
#العلمانيّة وانكشاف الأجندة الخفيّة 935
#البديل الإسلامي في مجال الإعلام 938
#أمريكا.. انحطاط مغلّف بالقوة! 952
#ماذا يريد هؤلاء..؟! 955
المثقف والسلطة .. شكل العلاقة: 957
#الحجاب وفرنسا... والأزهر! 963
#وهذه الجامعات والمدارس الدينية...ما شأنها؟ 968
#سيد قطب.. قراءة جديدة 972
#الإبداع حين يكون ستاراً للاختراق الثقافي 979
#مشاهداتي في تركيا! 983
#الإصلاح ... ضرورة 987
#الكرامة الجريحة 996
#المشاركة في الانتخابات البرلمانية (2/1) 1001
#رصد للتحول والتغيير 1017
#من دخل البيت الأبيض فهو آمن! 1019
#تعدد الزوجات..وحقوق الإنسان (2/1) 1021
#الصحوة .. المواجهة وأزمة التخطيط 1034
#الاستراتيجية المقبلة لما بعدالعراق (2/1) 1038
#الصحافة.. ودرس في الإرهاب 1047
#درس من بغداد 1052
الله أكبر غلبت الروم* 1057
#يا أهل العراق 1074
العمل الإسلامي: مرحلة مجتمعية 1079
#أمة على كف صدام 1085
وحدة الأمة بديلا عن الوحدة الوطنية 1089
لمواجهة الغزو الأمريكي القادم 1089
#رسالة إلى عقلاء أمريكا 1095
#التقسيم التوحيدي:سلاح أمريكي جديد! 1099
#سياط المستضعفين (2/1) 1104
#من يحكم العالم ؟ 1114
#العمل الإسلامي واقع وآفاق 1123
#أي علمانية تناسب البلاد الإسلامية؟ 1133
#فلسفة النص السياسي العربي(2/1) 1137

#سقوط قيم الحضارة الغربية 1144
#انتفاضة الأقصى ... بين رؤيتين! 1148
#العلمانية قوانين ظالمة 1151
#العلمانية وانكشاف الأجندة الخفية 1153
#الجواب عن شبهات الداعون إلى علمانية العاصمة القومية 1156
قراءة في كتاب العلمانية 1164
#العلمانيون واحتراف البكاء على الحرية 1183
#العلمانيون وزلزال تسونامي 1188
#العلمانية. . ذلك الشرك الأكبر 1192
#كنتُ في جُحر العلمانية 1197
فخرجتُ لفضاء الإسلام 1197
#خطبة الحاجة على الطريقة العلمانية 1201
#العلمانية والجاهلية وجهان لعملة واحدة 1202
#يا (بني علمان) ..... ما قولكم في اليابان ؟! 1204
#فصل الدين عن الدولة 1211
#حوار عن العلمانية الديمقراطية بين مثقفين عربيين 1215
#تركيا بعد 77 عاماً من العلمانية 1223
#كيف تعرف العلماني ؟ و ما هي معتقداته ؟ 1229
#جذور العلمانية (1) 1232
الفكر الرشدي والممانعة الكنسية 1232
#نماذج من تحريفات العلمانيين لنصوص الكتاب والسنة (1) 1249
#المتعلمنون والكلام على العلم حقيقة أم دسيسة 1257
الحرية والعلمانية موضوع للنقاش 1258
#العَلمانية والعِلمانية 1259
#العلمانية في المصادر الغربية 1271
#خطأ في تعريف العلمانية 1280
#الفقه العلماني للإسلام 1282
#العلمانية وثقافة السلام 1284
#مآل الإسلام في القراءات العلمانية 1288
#لماذا يتدخل العلمانيون في أحكام الإسلام وشئون المسلمين؟ 1319
#بين العلمانية والدين 1321
#هرقل والعلمانيون ! 1323
أم أنس حصّة الهاجري : 1325
الرسولُ الغبيُّ لإبليسَ 1325

#حقيقة العلمانية وخبث اركانها < تنزه الاسلام عنها > 1330
#العلمانية في الإسلام 1343
#الدولة العلمانية مثال للتعصب الأعمى وكبت الحريات 1371
#لقاء علمى فى ملتقى اهل التفسير 1471
مع الدكتور احمد الطعان حول العلمانية 1471
#"المسلم العلماني" وليد غير شرعي! 1597
#العلمانيون العرب و حملات التزييف 1600
#العلمانية ودورها في تشويه العلاقة بين الدين والعلم 1603
#العلمانية بين تسييس الكفر وتكفير السياسة 1623
#ولن يرضى عنك العلمانيون حتى 1645
#العلمانية وسيلة الغرب لتمكين الطائفية في العالم العربي 1647
#العلمانية 1651
الفكر العلماني 1658
#نبذة عن العلمانية 1665
#العلمانية .. « إمبراطورية النفاق » 1670
#كيف تعرف العلماني ؟ و ما هي معتقداته ؟ 1690
#تحولات إستراتيجية في المنطقة العربية 1692
الوسائل العلمية والعملية لمواجهة العلمانيين 1694
#دستور الأسرة المسلمة لماذا ؟ 1698
#الإقلاعُ عن العادةِ العلمانية .. برنامج من ست خطوات 1702
#كيف نحارب العلمانية 1708
بروتوكولات حكماء (علمون) .. !! 1715
#احْذَرُوا هؤلاءِ الدُّعاةَ 1721
#رجب طيب اردوغان.. من الميناء إلى البرلمان (2من2) 1724
#تمزيق ((الأقنعة)) العلمانية .. ! 1730
#الأمين العام للمجلس الأوروبي للإفتاء "للمجتمع": 1734
#البيانات العلمانية : خطر ماحق أبواق فتنة ؟؟ 1740
#العلمانية كارثة الأمة 1743
طرق الطرح العلماني 1760
#مع بني علمان ... الطرح المموه 1767
#مع بني علمان وما هي من بين علمان ببعيد 1768
ما يوجد في صحافة بني علمان 1769
#هل الإسلام دين علماني؟!! 1771
#العلمانية 1774

هل تصبح خيارا شعبيا في السنوات القادمة ؟ 1774
#إلى دعاة الفصل بين الدين والسياسة 1784
#أقنعة العلمانية.. 1789
#الحروف المقطّعة.. 1798
#رجب طيب أردوغان.. من الميناء إلى البرلمان.. 1801
#مسيحيو تركيا يفضلون حزب العدالة والتنمية.. 1808
الجواب عن شبهات الداعون إلى علمانية العاصمة القومية.................................. 1808
#العلمانية إلى أين ؟.. 1815
ولن يرضى عنك العلمانيون حتى 1818
#في عهد ساركوزي..مسلمو فرنسا.. والتخوفات المشروعة 1821
الإعلام الفضائي العربي: "العلمانية في قعر ديارنا"!...................................... 1825
#العالم الإسلامي عدواً رسمياً لأمريكا والغرب 1834
#العصرانية قنطرة العلمانية 1841
#العلمانية 1878
العلمانية .. التاريخ والفكرة 1903
#المفسدون وسلاح الإعلام... 1918
#المنافقون والمنافقات 1920
خطرهم وصفاتهم في كتاب الله 1920
000الكذابون000؟؟ 1933
#ود. أبو الفتوح ينفي ما نشر على لسانه.. 1939
عن دولة علمانية في فلسطين المحتلة.. 1939
#المجتمع الصهيوني بين الانقسامات الداخلية وإشكالية الهوية................................. 1940
نقد مقال قراءة في الذِّهنية السلفيَّة 1944
تحالف لغير المسلمين يرفض "الدولة الإسلامية"! 1949
العولمة من خلال رؤية إسلامية 1952
#تجميل الإرهاب الهندوسي والتحريض ضد باكستان 1970
#هدف التعليم في الإسلام.. 1974
بناء الإنسان الصالح في كل وظائف الحياة.. 1974
#قراءة في حياة (القصيمي).. 1988
#وراء تعيين المبعوث الأمريكي في السودان؟.. 2001
#اليسرى تكفي لحمل الحجر !.. 2007
#قراءة في أسباب صعود ميجاواتي إلى كرسي الرئاسة 2011
#قصر العمائم.. 2023
#قراءة في كتاب: 2028

الحركة الإسلامية ومسألة التغيير 2028
#سلام المُنْهَكين........ 2035
#بيجوفيتش.. 2038
وحكاية(المنفستوالإسلامي) 2038
#تصاعد الانتفاضة أطاح برئيس تحرير الجزيرة........ 2045
#الثقافة والمثقفون 2050
#الحرب الأمريكية على ساحة التعليم........ 2053
#في كل الأحوال (2/1) 2055
#تركيا: سنتحرك إذا هوجمنا أو حين يندلع قتال بين الأكراد 2064
#يا أمتي لا تحزني إن الله معنا! 2073
#خفايا زيارة كولن باول إلى تركيا 2080
#فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدًّا 2087
#الدروس السياسي للأقليات الإسلامية........ 2111
في المجتمع الأمريكي (1990- 2000) 2111
#أمريكا فى مواجهة العالم.. حرب باردة جديدة 2125
عندما يحل العلم في عقل المرأة 2145
الادارة الاسلامية(2/1) * 2146
ابتعاث الطالبات والطلاب إلى بلاد غير مسلمة في الميزان 2151
#حوار مع رئيس المشيخة الإسلامية في البوسنة والهرسك (2/2) 2159
#الأسرة سلعة بائرة في مزاد القيم الغربية الفاسدة........ 2169
#الحجاب ومشاكل الأمّة........ 2174
#70% من التركيات محجبات رغم أنف العلمانية........ 2176
#رؤية لسيناريوهات ما بعد الحرب 2177
نقد الفكر الليبرالي (جديد ومزيد)........ 2182
#تركيا تتخبط في سياستها........ 2260
#تحولات السلطة والموارد 2268
#اشكاليات أفرزتها الحرب على العراق........ 2272
#ما بعد العراق 3/1........ 2276
المرأة المسلمة والتحديات المعاصرة بين حديث القرآن والواقع (1- 3)........ 2295
#الأطر المتعددة وحقوقها 2311
#حجاب المرأة ودعاوى الحرية 2316
#شاهين: 2318
أحفاد أتاتورك يمارسون مهمتهم........ 2318
#العولمة والإسلام........ 2322

#عولمة الأسرة الجزائرية... 2339
#حتى لا نلدغ من بني صهيون مرتين!.. 2341
عيد شم النسيم.. 2343
أصله، شعائره، حكم الاحتفال به... 2344
#قراءة في كتاب الرئيس الأميركي الأسبق " نيكسون " 2357
#كيف نستثمر المعركة؟.. 2363
#فرنسا...تعارض الحرب والحجاب!... 2369
#حزب العدالة بين الواقعية والوقوع 2374
#الإسلام وثقافته كما تريده أوروبا 2385
#الرنتيسي:... 2388
نتلاءم مع المستجدات دون تفريط في الحقوق... 2388
#الأدب بين الالتزام والإلزام 2394
#حملة غربية للحد من زواج المسلم بالنصرانية.. 2410
#إسرائيل للبيع!! 2414
#الأسرة وتنمية ثقافة الأبناء 2418
#الدستور المصري والكفاح الإخواني للإصلاح... 2423
#مسلمو غانا .. بين الإرث الاستعماري والواقع المرّ.................................... 2426
#تقرير (راند).. معايير أمريكية للإسلام المعتدل 2431
#الشيخ الغامدي : 2433
فطرتنا الإسلامية لها أثر في مواجهة الحداثة.. 2433
#ماذا بعد تشريع الاحتلال في العراق.. 2441
#المسلمون الهنود والتطرف الهندوسي 2444
حرب العقائد والدرس المستفاد 2455
ماذا قدم الإسلام للمرأة ؟.. 2461
الحقائق الخفية لمسلمي (الحبشة) (3/1).. 2472
#الغرب يشن "حروباً روحيّة" على الشرق المسلم 2498
#ملامح المستقبل... 2503
الإنتصار لأهل السنة والجماعة(2-1)... 2505
#المرأة والدعوة 2518
طريق الورد والشوك... 2518
#بين التقليد والتجديد 2522
#الصّفقة الخاسرة.. 2528
#الإسلاميون.. وفخ المشاركة في السلطة.. 2534
فشل آمال الغرب في دمج مسلميهم 2537

#العدالة والتنمية تحت مقصلة العلمانية التركية.. 2538
#العلاقات الفرنسية العربية في المرحلة القادمة 2542
الليبراليون والدعوة إلى نقد الثوابت.. 2552
#لا يزال بعض العلماء يعيشون زمانهم.. 2557
#الاستنساخ.. 2570
العولمة وأثرها على الهوية[2/1]... 2594
#رئيس المجلس الإسلامي بالسنغال:... 2612
محنة مسلمي السنغال في ظل هيمنة الفرانكفونية... 2612
#الفكر الإسلامي على مفارق طرق.. 2617
الإسلام أعطى المرأة حقوقاً لم تحصل عليها في الغرب.................................... 2629
#دبلوماسية الحرب الأمريكية على العالم.. 2630
#700 خطة لتنصير العالم... 2641
#مستقبل الإسلام السياسي 2645
#الإصلاح العربي ومحاولة إقصاء الإسلاميين ! 2652
القلم الطيب والقلم الخبيث 2657
صورة المسلمين والعرب في العالم2/1 2665
#مسلمو ألمانيا بين الخديعة والتحديات!.. 2688
#سقوط أكاييف .. وبداية الزلزال في آسيا الوسطى... 2693
#محوريّة الجسد في خطاب المرأة.. 2698
#السياسة الأمريكية 2702
ومشروع الإصلاح في العالم الإسلامي... 2702
#مقاربات في مواجهة المشروع الأميركي 2713
نحن والكافرون.. 2721
موجة التقليد والتشبه وأصالة المسلمين وصحوتهم.. 2726
#المرحلة الأسوأ في تاريخ تركيا 2735
الحوار الإسلامي-العلماني هل هو ممكن؟ 2747
عداوة اليهود وأحلام السلام.. 2760
#الإقلاعُ عن العادةِ العلمانية 2769
برنامج من ست خطوات 2769
#بوادر العلمانية المُستجدة.. 2775
#(هل يمكن أن نتعايش؟) رسالة مثقفي أمريكا الجوابية 2777
#السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام 2786
#أدب الطفل المسلم بين التحديات والدور المفقود 2790
#الانتخابات التركية : تركة أتاتورك للإسلاميين!... 2795

#من أجل الصهاينة والتنصير 2804
أمريكا تطارد الجمعيات الخيرية.. 2804
#التجنس بجنسية غير إسلامية "المشكلة والحل" 2807
#أمركة الخطاب الديني.. 2810
و شيخ الأزهر يتحدث عن المرأة، وعمرو خالد 2810
#العلمانيون و تطبيق الشريعة الإسلامية.. 2815
المنافقون ودورهم في اسقاط الدول 2820
حكم مجادلة العلمانيين وغيرهم في مناظرات علنية: 2824
حكم الموالاة الظاهرية لحزب علماني لغرض الوظيفة 2826
الصلاة خلف إمام يظهر رضاه بالعلمانية... 2827
المبلغ المستفاد بسبب الانتماء إلى حزب علماني 2828
العلمانية وخطرها... 2829
عداء الغرب والعلمانية للإسلام... 2835
العلمانية وخطرها... 2842
موالاة المشركين ومشاركة العلمانيين 2847
رد عدوان العلمانيين على العلماء الربانيين 2854
الصراع بين الإسلام والعلمانية في تركيا 2863
البناء العَلْماني وبداية السقوط... 2864
طرق الطرح العلماني... 2866
المسلمون والعالم 2872
المشروع العلماني يتداعى.. 2879
أقنعة العلمانية... 2883
انتحار العلمانية 2891
تدشين الأممية النسوية العلمانية 2892
قراءة في خلفيات مؤتمر المرأة ببكين... 2892
هل الإسلام دين علماني؟!!.. 2903
هذا موقف العلمانية من الإسلام.. 2906
وهذا موقفنا منها 2906
محاكم التفتيش العلمانية!.. 2910
دعوة لإعادة النظر... 2913
في أسلوب الإسلاميين لإدارة معركتهم مع العلمانيين 2913
حديث صريح مع العلمانيين 2918
أبعاد التخريب العلماني محمد أركون.. أنموذجاً 2919
علماء العراق والدولة العلمانية.. 2929

إحياء مقبور الأدب العلماني.. 2934
دور الإعلام في الصراع بين الإسلام والعلمانية في تركيا.. 2935
في المغرب جدل بين الإسلاميين والعلمانيين.. 2946
ماذا بعد إفلاس الخطاب العلماني؟!... 2953
حكم الانتماء والانتساب إلى الأحزاب الكافرة والعلمانية 2954
أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة.. 2955
الحجاب بين عداء الغرب وعلمانية الأزهر 2969
#العلمانية التاريخ والفكرة 3002
العلمانية الجاحدة ثم الآن العلمانية المستترة 3016
العلمانية المكشوفة... 3020
العلمانية النبتة الغريبة عن الحضارة الإسلامية 3022
العلمانية وثمارها الخبيثة.. 3027
العلمانية وفصل الدين عن الدولة 3035
العلمانيون وفكرهم وممارساتهم 3048
#العَلَمانيون الثلاثة.. والنيلةُ.. والحظّ الهباب..!!... 3056
#فضيحة بجلاجل للعلمانيين في برنامج الاتجاه المعاكس"... 3063
#من الحرية الدينية إلى الدولة العلمانية... 3080
#نبذة عن العلمانية.. 3085
#العلمانية وخديعة استبعاد الدين.. 3090
#العلمانية ودليل المسلم لكي يصبح بريطانيا حقيقيا 3101
#البيان لخطر الأحزاب العلمانية والليبرالية... 3104
على الدين الأخلاق وشريعة القرآن.. 3104
#الرِّبا بين النهج الرباني والنهج العلماني... 3124
#العلمانية وخديعة استبعاد الدين.. 3131
#كراهية الغرب للمسلمين .. متى تنتهي ؟ 3143
#ماهي العلمانية 3147
#العلمانية و توحيد الطاعة.. 3163
#العلمانيون وحرية الفكر... 3193
ينقصنا تطبيق النظرية الشورية في واقعنا... 3194